رسائل الجزائرى

الأولى

ثلاثون رسالة

في مواضيع دينية وإصلاحية مختلفة

عنى بنشرها وتصحيحها

مؤلفها

أبو بكر جابر الجزائرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

بالمدينة المنورة

دمنهور ت ٣٢٨١٩٩/٠٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل الجزائرى
الأولى

أبو بكر جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي الشريف
المـــدينة المنـــورة
هاتف ٨٣٧١٥٠٠
ص.ب ٨٧١ المملكة العربية السعودية

Abu Baker Jaber Al Jazaery

Profit Mohd. Mosque's Teacher
Madina Munawarah
Tel. 8371500
P.O.Box: 871 Saudi Arabia

التاريخ ٧/٥/١٤١٥هـ

DATE ....

تفويض

فوضت أنا الموقع أدناه أبو بكر جابر الجزائري المؤلف
فوضت مكتبة أضواء المنار ودار السلام للنشر والتوزيع وعملاءها
محمد بن عبد الكريم الخولاني بطباعة رسائل الجزائري الأولى
والثانية والثالثة والرابعة، وهذا تفويض مني بذلك

المفوض
أبو بكر جابر الجزائري
٧/٥/١٤١٥هـ

أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م

دمنهور ت ٣٢٨١٩٩/٠٤٥

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

في جواز أي من أنواع النسك وإتمام المسافر وراء الأئمة

التدخين مادة وحكما

إلى الإيمان والجهاد

القضاء والقدر

المشاكل التي تعترض الدعوة الإسلامية ودعاتها وسبل معالجتها

الموضوع	الصفحة

أدب الزيارة للمدينة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهارس

الرسالة السادسة

تم الجمع والتصوير بدار الغد العربى
٣ شارع دانش باشا بالعباسية - القاهرة

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحـــة

القول المبين فى حكم تكفير المؤمنين

تنبيه الأحباب إلى خطأ صاحب تحريم النقاب

وحتى وريت صاحب المحاورات

من يعذر . . ومن لا يعذر

الموضـــوع | الصفحـــة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

هل المسلمون اليوم مسلمون حقا

رسائل الجزائرى

الأولى

ثلاثون رسالة

في مواضيع دينية وإصلاحية مختلفة

عنى بنشرها وتصحيحها

مؤلفها

أبو بكر جابر الجزائرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

بالمدنية المنورة

دسهورت ٣٢٨١٩٩/٠٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـة

الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وسيد بنى آدم أجمعين، أما بعد : فيما أن من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل الكتابة والنشر فقد كنت من وقت إلى آخر أنشر ما يوفقنى الله تعالى إلى كتابته ونشره من رسائل ومنشورات فى مواضيع مختلفة، وكانت توزع فى حينها وتنفد، وبما أنها رسائل صغيرة ومتعددة حتى بلغت نيفاً وعشرين رسالة لم أتمكن من إعادة طبع ونشر أكثرها .

وأخيراً وبعد أن أبدى كثير من الأخوة الصالحين رغبتهم فى طبع كل تلك الرسائل وجمعها فى مجلد واحد ليسهل على كل أخ الحصول عليها .فقد رأيت طبع تلك الرسائل وجمعها فى مجلد واحد تحقيقاً لرغبة الإخوان، ومراعاة للقصد الأول من كتابتها ونشرها والله تعالى أسأل أن ينفع بها . ويثيب عليها إنه قريب مجيب . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائرى

المدرس بالجامعة الإسلامية

والواعظ بالمسجد النبوى الشريف

الرسالة الأولى

لا إله إلا الله محمد رسول الله

﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما ﴾

قرآن كريم

«أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »

حديث شريف (البخارى)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مقدمــة

الحمد للــه نحمده ونستعيــنه ونستغفره ، ونــعوذ بالله من شرور أنفــسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحــق بشيراً ونذيراً بــين يدى الساعة ، من يــطع الله ورسوله فـقد رشد، ومن يعص الله ورسوله لا يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد :

فهل هناك مؤمن صادق لا تنفعه الذكرى؟

وهل هنـاك مؤمن واحد غـير مسئـول فى الأمة الإسلامـية من غيـر المجانين والأطفال . ؟

وهل هناك عـاقل واحدُ يطمئن الـيوم إلى حال الأمة الإسلاميـة أو يرضى بما هى عليه من ضعف وتفكك ودون وهون . ؟

وهل هناك مصلح مـخلص يرضى بالتدهور الدينى والخلـقى الذى عليه الأمة الإسلامية اليوم . ؟

وهل هناك بـلد غير[1] «نجد» قد سـلمت عقـيدة أغلبيـة بنيه مـن الخرافات والشركيات والضلالات .

وهل يمكن أن يكون الجواب بغير لا . وفى هذه التساؤلات كلها ؟

ولهذا فإنى لم أتوان فى إصدار هذه الرسالة ونشـرها بين المسلمين غير ملتفت إلى كل ما مـن شأنه أن يحول دون ذلك من اعتـبارات ، سواء كانت فنية تـتعلق بمادة الـرسالة وموضـوعها وأسـلوبها ، أو غـير فنيـة تتعـلق بالظـروف والأحوال والنفسيات أو المناسبات .

وأنا أومن بأنى قد قـدمت خيراً ، وأديت واجباً . وإن الرسالة سـتجد تقديراً بين كافة أهـل التوحيد والإصلاح الذين لا هـم لهم فى الحياة إلا أن يعـبدوا الله وحده ، وينـصروا دينه ويُعـلوا كلمتـه . وأن ينتظـم شأن هذه الأمة ، ويـصلح حالها، وتسعد فى دنياها وأخراها .

حقق اللـه آمالهم ، وأكثر أمـثالهم ، واحفظ الـلهم بهم دينـك ، وأعز بهم سلطانك إنك وليهم والقادر على نصرهم .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائرى

---

(١) فهم كثير من إخواننا أننى بهذه العبارة أتملق النجديين لأنهم حاكمون فأبغضونى ونالوا من عرضى سامحهم الله تعالى وغفر لى ولـهم . ولم يلاحظوا ما قصدته من أن نجداً هى البلاد الوحيـدة التى لا يحلف أهلها بغير الله . ولا توجد فيها قبة تزار وينذر إلى صاحبها أو يذبح له ، أو عنده .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

لا إله إلا الله محمد رسول الله : هى الكلمة الوحيدة التى يعصم المرء بها دينه ، وماله ، وعرضه . وهى الكلمة الوحيدة أيضا التى ترفع الإنسان من حضيض الجحيم إلى أعلى درجات النعيم . وهى التى يدخل بها المرء فى عداد المؤمنين ، ويكون أخا لكل المسلمين . وهى الكلمة التى جُعلت عنوان الإيمان وشرط الإسلام . وهى الكلمة التى يحاج [1] بها عند الله . وهى الكلمة المحببة إلى كل قلب مؤمن . وهى التى يقول فيها الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ : «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله » .

غير أن لا إله إلا الله لم تحرز هذا الفضل ، ولم تحز هذه الميزة إلا لكونها تقرر معنى الربوبية ، وتثبت معنى الألوهية ، وهما حق الله تعالى فتثبتهما له وحده ، وتنفيهما عمن سواه كائنًا من كان .

ومن هنا وجب على قائلها فهم معناها ، والعمل بمقتضاها وإلا حرم فضلها ، وعد من غير أهلها . ولو قالها ألوف المرات ، وحيى عليها ومات [2] .

---

(١) إشارة إلى قول الرسول ﷺ لعمه أبى طالب عند وفاته :« يا عم. قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» .

(٢) لا منافاة بين هذا وبين قول الرسول ﷺ : فى رواية الترمذى :« يخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله، وكان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان» .

وقوله : « ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت يارسول الله وإن زنى وسرق . قال : « وإن زنى وسرق » .

إذ المراد من فهم معناها : أن يكون قائلها عالما بأنها تنفى وجود رب يعبد بحق إلا الله عز وجل .

وهو يقولها لذلك تعبداً وإخلاصا .

كما أن المراد من العمل بمقتضاها :

أن يعبد قائلها الله تبارك وتعالى بطاعته فى أمره ونهيه ، وأن لا يشرك فى تلك العبادة أحداً .

معنى لا إله إلا الله

معنى لا إله إلا الله الإجمالي : هو لا معبود بحق فى الوجود إلا الله ؛ لأن الله سبحانـه وتعالى هو الرب والإله معًا ، فإنه مـا أُلهَ ويؤلَّه إلا لكونه رباً ؛ لأن مدلول كلمة الرب [١] فى اللغة غير الإله .

فالرب لغة : هو السيد المدبر والمصلـح المتصرف ، والإله هو المعبود ، مشتق من ألهه يألهه إذا عبده .

أما الرب فى الحقيـقة ، وفى غير عرف اللغة : فهـو بديع السموات والأرض وقيومهما وموجـد الكائنات والمتصرف فيهما . الله الـذى له الخلق ، وبيده الأمر والملك ، وهـو على كل شـىء قدير . واسمه الـذى هو علم عـلى ذاته سبـحانه وتعالى « الله » الذى أقـسم سبحانه وتعالى أنه ما ذكر عـلى شىء إلا بارك فيه [٢] **﴿إن ربكـم اللـه الذى خـلق السـموات والأرض فـى ستة أيـام ، ثم اسـتوى عـلى العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره. ألا له الخلق ، والأمر . تبارك الله رب العالمين ﴾** .

فقد أخبر سبحانه وتعالى فـى هذه الآية الكريمة أن الرب الحق الذى كل شىء مربوب له هو الله الذى خلق السـمٰوات والأرض فى ستة أيام ، الذى يتصرف فى الكون كيف يشاء ، فالشمس والقمر والنـجوم فى قبضته وتحت تصرفه ومسخرات بأمره .

ولما كان له الخلق وحده . فالأمر إذاً له وحده تبارك الله رب العالمين .

---

(١) وقد ورد فى كـلام العرب استعـمال الرب بمعنى الإلـه الذى يعبد كقول أحدهم وقد وجـد ثعلبا يبول على وثنه :

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(٢) إشارة إلى ما أورده ابن كثير فى تفسيره بسند طويل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « لما نزل بسم اللـه الرحمن الرحيم هرب الغيـم إلى المشرق وسكنت الريح وهاج الـبحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله بعزته أنه لا يسمى اسمه على شىء إلا بارك فيه ».

وأما الإله فى الحقيقة أيضا ، وفى غير عرف اللغة : فهو المستحق للعبادة بكامل أنواعها ، وبجميع أجزائها دون من سواه ، وذلك هو الله رب العالمين ، وإله الأولين والآخرين ، الله الذى تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره .

والآن وقبل أن أعرض بالبحث لما أحدثه مدلول كلمتى الرب ، والإله اللغوى من خلاف فى فهم مدلولهما الحقيقى أذكر أسلوب دعوة القرآن الكريم إلى معرفة الله، وإلى أنه هو الذى ينبغى أن يكون الإله لا غيره . وأسلوب القرآن فى ذلك منطقى عقلى تمامًا ، فهو يقرر أن الله ما استحق العبادة دون سواه إلا لكونه رباً ؛ لأن من لم يك ربا لا يكون إلهًا. فالربوبية تستلزم الألوهية والعكس أيضا صحيح؛ فإن الألوهية تستلزم الربوبية ، فمن كان إلهـاً ينبغى أن يكون ربًا. وإلا فهو ليس بإله يستوجب الطاعة والعبادة . فقد جاءت آيات القرآن الكريم تقرر ربوبية الله أولاً ، ثم تدعو إلى وجوب إلهيته [1] دون من سواه . فقوله جلت قدرته : ﴿ **إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ [2] .

وقوله تعالى ذكره : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور** ﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شىء**

---

(١) الإلهية والألوهية بمعنى واحد .

(٢) تقدمت الآية وهى فى سورة الأعراف .

(٣) الآيتان من سورة البقرة .

(٤) الآية من أول سورة الأنعام .

قدير﴾ [١] فحمده تعالى هو عبادته .

وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾ [٢] فالأمر بالتقوى هو عن الأمر بعبادته وطاعته .

فهذه الآيات القرآنية الكريمة الحكيمة وأشباهها : تثبت أولاً دعوى الربوبية لله سبحانه وتعالى ، لأنه الخالق المدبر المتصرف ، ثم تثبت له دعوى الألوهية . لأن من كان خالقا مدبراً متصرفاً . هو الذى يستحق أن يحمد ويعبد وأن يتقى ويرهب دون من سواه . فالذى خلق وملك ودبر كيف شاء وتصرف : هو الرب الحق ، والرب الحق : هو الذى ينبغى أن يؤله فتصرف له جميع أنواع العبادات ، وتقدم له سائر القربات والطاعات .

الآيات نوعان تنزيلية وكونية

والآيات الدالة على وجود الله عز وجل نوعان : آيات تنزيلية وآيات كونية .

فالآيات التنزيلية : هى آيات القرآن الكريم الذى تحدى به الله منزله بلغاء العرب وفصحاءهم على الإتيان بمثله أو ببعض مثله . كالسورة الواحدة ، أو السور القليلة فعجزوا . وتحدى الإنس والجن عامة على الإتيان بمثله فعجزوا .

وقوله تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه . قل : فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه . قل : فأتوا بعشر سُوَرٍ مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ [٥] .

فهذا الكتاب المعجز بألفاظه ومعانيه نزل على النبى الأمى الذى ما دخل كتّابًا

---

(١) الآية من سورة فاطر . (٢) سورة النساء .
(٣) سورة يونس . (٤) سورة هود . (٥) سورة الإسراء .

قط ، ولا عرف مدرسة البتة فبزَّ البلغاء وأفحم الفصحاء ، وفاق الحكماء. هذا القرآن آية واضحة وبرهان ساطع ، وحجة قاطعة فاصلة على أنه منزل من عند الله بحروفه ومعانيه ، وأن الله هو منزله . فهو دليل قاطع ، وبرهان قوى على وجود منزله ، وعلى نبوة من نزل عليه ، وأرسل به وهو سيدنا محمد ﷺ .

أما الآيات الكونية : فهى هذه الآيات التى يقف العقل البشرى عندها مشدوها محتاراً لا يعرف لها علة، ولا يجد لها سبباً مثل آية الشمس ، والقمر ، والليل، والنهار وغيرها .

وقوله تعالى : ﴿ **ومن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين** ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ **ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعًا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ (٤) .

فهذه الآيات الكونية من سموات وما فيهن من أجرام ، وهذه الأرضون وما فيهن من عجائب الكائنات تدل بوجودها العظيم ، وصنعها المحكم، ونظامها المتقن على وجود بارئها وخالقها ، وتدعو بلسان حالها ومقالها إلى الاعتراف بربوبيته لكل شيء وإلى الإذعان له بالطاعة والانقياد فى كل شىء ، فهو الرب والإله الذى ثبتت ربوبيته، ووجبت ألوهيته ، فله وحده يجب أن تسلم الوجوه ، وله وحده يجب أن تتجه القلوب بالرغبة إليه ، وبالرهبة منه ، فهو القادر على رحمة المطيعين ، وعلى عذاب الظالمين . سبحانه لا إله تتجه له القلوب ، وتصرف أنواع العبادات فى الأرض ولا فى السموات إلا هو . إله الأولين والآخرين ورب جميع العالمين .

---

(١) سورة فصلت .

(٢ ــ ٤) هذه الآيات الثلاث فى سورة الروم .

الغـرض من معرفـة الله

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يدعو خـلقه إلى معرفته بما أنزل من آيات ، وما نصب من علامات . فإن الغرض من ذلك ليس هو مجرد المعرفة السطحية فقط . فإن مثل هـذه المعرفة السطحيـة قل من ينكرها . فـقد أقر بها كثير مـن أهل الملل والنحل ﴿**ولئـن سألتـهم من خـلقـهم ليـقولن الـله**﴾. ﴿**ولئن سـألتهم مـن خلق السموات والأرض ليقولـــن خلقـهن العزيز العلـيم**﴾ .

وإنما الغـرض من معرفة رب الـعالمين تأليـهه دون من سواه ، فمـن عرف ربه وجب عليه تأليهـه بالالتجاء إليه ، والتوكل عليه ، والرغبـة إليه ، والرهبة منه ، بطاعتـه وتقواه ، بحبه الـشديد وابتغاء رضاه ، بـصرف جميع أنواع الـعبادات له وحده لا شريك له دون من سواه .

دعـوة الرسـل

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم إذ يـبدأون دعوتهم إلى الله بالدعوة إلى عبادته سـبحانه وتعالى ، وترك عـبادة غيره ﴿ **ولقد أرسلـنا نوحاً إلى قومـه ، فقال ياقوم اعبـدوا الله ما لكم مـن إله غيره** ﴾ . ﴿ **ولقد بـعثنا فى كـل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتـنبوا الطاغوت** ﴾ فهم ولابـد يعرّفون الناس بـخالقهم والمسـتحق لعبادتهم ؛ لأن معرفة الله تستلزم عبادته ، ومن كان أكثر معرفة كان أشد خشية ، وأكثر إنابة [١] .

وفى هـذا المعنـى يقول الـرسول ﷺ : « إنــى أعلمكم بالـله وأشدكـم له خشية». والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ .

فالأعمال الـصالحات والخشية الصادقـة لا تكون إلا نتيجة إيمان بـالله قوى ، ومعـرفة به حقـة ، وكلما زادت المـعرفة وقـويت ازدادت الطاعـة ، وكثر العـمل الصالح . فدعوة الـرسل هى الدعوة إلى عبادة الله ، وإفراده بالـعبادة مع الدعوة

---

(١) ولذا قال تعالـى بعد سؤال الكافرين عن ربـهم وخالقهم ، وبعد إجابـتهم بأنه الله العزيـز العليم : ﴿**فأنى تؤفكون**﴾ ؟ ﴿ **فأنى تسحرون** ﴾ ؟ والمعنى : فكيف تصرفون عن الحق بـعد معرفته . فإذا عرفتم أن ربكم الله فلم لا تعبدونه وحده ؟ أم سحرتم فأصبح يخيل إليكم الحق باطلا؟

إلى معرفة الله ؛ لأن من لم يعرف الله لا يعبده . فكانت تسبق الدعوة إلى عبادة الله الدعوة إلى معرفته سبحانه وتعالى ؛ لأنها ضرورة لازمة لها .

قال تعالى : ﴿ **ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾ [1] .

دعوى المعرفة بدون عبادة أو مع الشرك باطلة

دعوى الشخص معرفة الله تعالى مع عدم تأليهه له بالعبادة والطاعة دعوى باطلة كما أن دعوى التأليه والعبادة مع الشرك باطلة .

فالقرآن الكريم قد أوضح هذا المعنى عن غاية الإيضاح ، فإن كثيرا من كفار العرب ومشركيهم كانوا يدّعون المعرفة فأبطل الله دعواهم ، لأنهم يألهون غيره . وأذن لرسوله بقتالهم ، ولم يعتبر مجرد دعوى المعرفة إيماناً يعصم الدم والمال قال تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ؟** ﴾ وقال : ﴿**قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله قل أفلا تتقون؟**﴾ .

فهذه الآيات وأمثالها تثبت للمشركين دعوى [2] المعرفة لكنها تستنكر عليهم عدم العمل بموجب العلم والمعرفة . فإن من عرف الله وجب عليه أن يعبده ، ومن عرف الحق وجب عليه أن يتبعه ، وإلا فلا فائدة من هذه المعرفة وهذا العلم .

ومن هنا يُعلمَ مدى غلط كثير من المتفلسفين الذين يزعمون أن معرفة الله وحدها كافية ، وألا حاجة إلى العمل مع المعرفة لله ، والإيمان به .

ومثل هذه الدعوى دعوى عبادة الله مع عبادة غيره ، فإن هذا النوع من

---

(١) سورة البقرة ، أنداداً : أى شركاء .

(٢) وأصحاب هذه الدعوى يقال فيهم : إنهم مؤمنون إيمان ربوبية كافرون كفر ألوهية . أو موحدون توحيد ربوبية مشركون شرك ألوهية والكل غير نافع . وإنما النافع توحيد الله فى ربوبيته وتوحيده فى إلوهيته . بأن يعترف بربوبيته لكل شىء وأن تصرف له جميع العبادات التى تعبد بها خلقه .

العبادة لا يُقبل . وإن الدعوى باطلة ، لأن الله سبحانه وتعالى قد صرح ووضح بأنه أغنى الشركاء عن الشرك فلا يقبل عملاً أشرك فيه غيره . ولم يكن عنده ذنب أعظم من الشرك أبداً حتى جعل صاحبه ضالاً بعيد الضلال وحرم عليه الجنة وحكم عليه بالخلود فى النار .

قال تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما** ﴾ . وفى آية أخرى ﴿**فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾ .

غلط كثير من الناس
فى معرفة الفرق بين الرب والإله أوقعهم فى الشرك

إن مشركى العرب الأولين الذين بعث فيهم سيد الخلق محمد ﷺ كانوا يعرفون تمام المعرفة مدلول كلمتى الرب والإله ، ويفرقون بينهما . ولذا نراهم إذا سئلوا عن موجد الكائنات ، والمتصرف فيها ، والمدبر لها وقيومها لا يتوانون فى الإجابة بأنه الله العزيز العليم وهم يعنون أن الله هو الرب سبحانه وتعالى . وإذا دعوا إلى أنه لا إله إلا الله ينكرون كما قال تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون** ﴾ وكقوله : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحداً إن هذا لشىء عجاب**﴾.

وذلك لأنهم يعرفون أن معنى الإله هو المعبود الذى تصرف له جميع أنواع العبادات ، ويتقرب إليه بصنوف القربات . ولذا أنكروا دعوى لا إله إلا الله . وقالوا : أجعل الآلهة إلها واحداً ؟ وقالوا : أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ؟

والسبب الذى جعلهم يقرّون بوجود الرب ، وينكرون وجود الإله الواحد ظاهر وهو ما ألفوه من عبادة الأوثان والتقرب إليها ، فلما علموا أنه لا إله إلا الله بمعنى أن الإله الحق الذى ينبغى أن تصرف له جميع العبادات هو الله وحده لا غيره من سائر الأصنام والأوثان : كبر عليهم الاعتراف بذلك ؛ لأن اعترافهم يحتم عليهم ترك معبوداتهم والإقبال على الله بالطاعة والتقرب إليه بدل آلهتهم التى ألفوا عبادتها التقليدية الموروثة عن الآباء والأجداد ، فأنكروا دعوى لا إله إلا الله وبالغوا فى الإنكار ، لأن الإقرار بلا إله إلا الله يكلفهم عظيما : ترك

آلهتهم، وتأليه الله وحده بالطاعة والإذعان له فى كل أمر ونهى .

وأما الإقرار بربوبية الله : فإن هذا الإقرار لم يكلفهم سوى مجرد الاعتراف فكانوا بذلك موحدين توحيد ربوبية كافرين كفر ألوهية وهل نفعهم هذا النوع من التوحيد والاعتراف ؟

الجواب قطعاً : لا . فقد أذن الله لرسوله بقتالهم وأحل له دماءهم وأموالهم. فقال تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله** ﴾ والدين هو ما يدين به العبد لله من ضروب الطاعات وأصناف العبادات . فليقاتل منكرو لا إله إلا الله حتى لا يبقى شرك وتصرف جميع أنواع العبادات لله وحده لا شريك له .

أما غير العرب الأولين الذين كانوا يفرقون بين معنى الرب والإله من كثير من جهلة الأمة الإسلامية وعامتهم . فإنهم لا يفرقون بين معنى كلمتى الرب والإله ، ولذا وقع كثير منهم فى ضروب من الشرك ، وفسدت العقيدة الإسلامية ، وضعفت فيهم المعرفة بالله ، والثقة فيه ، والتوكل عليه ، وترتب على ذلك كنتيجة حتمية فساد الدين والدنيا معاً ، وبلغت الأمة الإسلامية إلى الهوة السحيقة التى ما زالت تعانى من جرائها ما تعانيه من ذل ، وخسف ، واضطهاد ، وجهل، وشقاء . فهم يفهمون أن الرب والإله واحد ولا فرق بينهما وفهمهم هذا بالنسبة لله سبحانه وتعالى فهم صحيح لأن الله جلت قدرته هو الرب والإله وما أله إلا لأنه رب قادر . وأما بالنسبة لغيره سبحانه وتعالى فغير صحيح ، فإن معنى الرب غير معنى الإله ، وجهلهم بهذا هو الذى أوقعهم فى الشرك وهم لا يدرون . فلم يعرفوا أن الإله هو المعبود ،وأن المعبود هو من صرفت له أنواع العبادات أو بعضها،ولو عرفوا هذا ما كانوا ينذرون لغير الله ، ويذبحون لغير الله ، ويخافون غير الله،ويلجأون لغير الله ، ويصرفون كثيراً من أنواع العبادات التى هى حق الله وحده دون من سواه ، ويزعمون أنهم موحدون غير مشركين ، وإذا وصفت أحدهم بالشرك ، أو نسبت عمله إلى الشرك أرغى وأزبد ، وأوعد وهدد، ورماك بما ليس فيك، وشنع عليك ، ونسبك إلى تكفير المؤمنين ، وجعل المسلمين مشركين . ولم يدر هذا المسكين أن فعله هو الذى أوقعه فى الشرك وجعله فى صفوف المشركين ، وأن نكرانه للشرك وبراءته منه بالقول لا تكفيه ، فلابد من

البراءة الفعلية بأن يجعل ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر كما يقولون ، فالدعاء[1] والنذر ، والذبح ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والتوكل ، والاستعانة ، والاستغاثة ، والالتجاء ، وهى كالصلاة ، والصوم ،والزكاة ، والحج، كلها لله فلا تصرف إلا له ، ومن صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك . وأما محبة الأنبياء والصحابة والصالحين ، والدعاء لهم ، والترحم والترضى عنهم فهذا حقهم يصرف لهم مع نية أن الله استحب لنا ذلك وأوجبه علينا . فنحن نقوم به إطاعة لله ، وامتثالاً لأوامره .

وإن فعلنا هذا نكون قد صرفنا ما لله لله، وما لغيره لغيره ، فلا شطط ولا غلط . أما أن نصرف أعظم أنواع العبادة وأشرفها لغير الله وندعى الإيمان والتوحيد مكابرة وجهلا فعيب كبير وغلط عظيم .

والذى أوقع هؤلاء فى الشرك هو الجهل بمعنى لا إله إلا الله ، وبمعنى الشرك، ومعنى العبادة . فإنهم يعلمون أن لا إله إلا الله تنفى عبادة غير الله ، وأن العبادة هى ما تعبدنا الله به مما أنزله فى كتابه وبينه نبيه ﷺ من أنواع العبادات وأصنافها المذكورة فى كتاب الله .

وأن الشرك هو صرف نوع منها : أى من أنواع العبادة لغير الله ، وسواء كان هذا الغير ملكًا مقربًا ، أو نبيًا مرسلاً، أو وليًا صالحًا ، أو حجراً لا ينفع ولا يضر، أو شيطانًا مستطير الشر .

وعند هذا : يجب أن لا يغيب عن أذهان المصلحين أن فساد العقيدة الإسلامية فى كثير من المسلمين عائد إلى الدسائس التى دسها للأمة أعداء الإسلام، وإلى الشراك التى نصبها أدعياء المسلمين ، لعلمهم أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن ينهار بناؤها ، أو تنكس أعلامها إلا إذا انهارت عقيدتها وضعفت رابطتها بربها . فكثير من الطرق ما نصبها إلا أعداء الإسلام ، وكثير من المذاهب ما وضعها إلا أهل الإلحاد . وقانا الله شرهم وبصرنا بخدعهم حتى نلعنهم ونتبرأ منهم لتسلم عقيدتنا ، وتقوى صلتنا بربنا آمين .

---

(١) هذا تعرض لكثير من أنواع العبادة وبقى كثير لم يذكر فى كتاب الله واضح.

العبادة ومعناها

أشرت فيما سبق إلى معنى العبادة والشرك إجمالاً ، ولأهمية معرفتهما أريد أن أبين ذلك بالتفصيل ، لأن الجهل بهما كان سبب وقوع كثير من الناس فى الشرك والعياذ بالله تعالى .

قد عُرّفت العبادة بتعاريف كثيرة لكنها وإن اختلفت لفظاً فإنها اتحدت معنىً وأحسن ما عرفت به هى أنها اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة ، والباطنة.

ومعنى ذلك : أن العبادة هى طاعة الله سبحانه وتعالى باتباع جميع أوامره ، واجتناب جميع نواهيه . فإنه سبحانه وتعالى قد شرع الديانات وبين أنواع العبادات. وطلب من خلقه أن يعبدوه بما شرع لهم امتثالاً ومحبة واعترافاً بجميله وسابق نعمه . فجميع ما بينه الله سبحانه وتعالى من أنواع العبادات ، سواء كان نية واعتقاداً ، أو قولاً أو عملاً يجب أن يخص به الله وحده دون سواه، لأنه عبادة والعبادة لا تكون إلا لله . وكما أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملاً أشرك فيه غيره. فهو لا يقبل أن يعبد بما لم يشرع، فالعبادة الصالحة التى يتقرب بها إلى الله ويثاب عليها المرء ينبغى أن تكون مما شرع الله لا مما شرعت الأهواء وزينت الشياطين ، وأن تكون خالصة لله وحده [1] وأن يكون صاحبها لا يصرف غيرها من أنواع العبادة لغير الله ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾ فبتوفر هذه الشروط فى العبادة تتصف بالقبول، ويبلغ بها المرء الكمال من صفاء الروح وزكاة النفس ، والإعداد لأن يكون أهلاً لكرامة الله فى دار الكرامة .

---

(١) نسبة الشرك فى العمل كنسبة الحدث للطهارة . فكما أن الحدث يفسد الطهارة فكذلك الشرك يفسد العبادة.

وقوله تعالى : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ يدل على هذا المعنى دلالة واضحة .

بعض أنواع العبادة

العبادة : تشريع إلهى ، الغرض منه ابتلاء المكلفين من بنى آدم لمعرفة مقدار إيمانهم بالله وخوفهم منه ، ومحبتهم له ، ثم إعدادهم بذلك لأن يكونوا أهلاً لسعادة الدارين وكرامتهما ، وهو يختلف باختلاف الأمم ، ومن أرسل إليهم من أنبياء ومرسلين ، فقد يكون فعل شىء من الأشياء عبادة عند أمة من الأمم ، وقد يكون تركه عبادة عند أمة أخرى ــ وقد يباح الشىء لأمة، ويحظر عن أخرى لأمر تقتضيه حكمة الله العليم الحكيم ، كما هو مبين فى كتب الشريعة . والعبادة بالمعنى المشار إليه آنفا أقسام ثلاثة : نيات واعتقادات ، وأقوال ، وأفعال . فالنيات والاعتقادات من أفعال القلب ، والأقوال : من أفعال اللسان ، والأعمال : من أفعال البدن والجوارح . فالأفعال التى يقوم بها القلب : هى الإيمان بالله [(١)] وصفاته ، وبما أخبر به الله وبما جاء عنه وفق ما يريد ، وعلى النحو الذى يريد ، ومن أعمال القلب الخوف من الله ، والحب فى الله ، والبغض فى الله ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والاستعاذة بجنابه ، والاستعانة به ، والاستغاثة برحمته . ومن أعمال اللسان : ذكر الله وتسبيحه ، وتنزيهه وتقديسه ، والقول لإعلاء كلمة الله ، ولنصرة الحق وأهله ولخذلان الباطل وحزبه ، وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بعد النطق بالشهادتين ، والإعلان عما يضمره القلب من صحة الدين ، وكمال اليقين .

ومن أعمال البدن والجوارح : الجهاد فى سبيل الله وفعل الخيرات ، وإقام

---

(١) لله سبحانه تعالى أسماء حسنى وصفات علا وصف بها نفسه فى كتابه العزيز. منها : قوله جل ذكره : **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** . **﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾** . **﴿تبارك الذى بيده الملك﴾** **﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾** **﴿أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض﴾** . ووصفه بها نبيه (ﷺ) منها : نزوله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ثلث الليل الآخر . ومنها : عجبه للشاب الذى ليست له صبوة . ومنها : ضحكه لرجلين يقتل أحدهما الآخر ويدخلان الجنة ، ومنها : إثبات الكلام له سبحانه وتعالى واليد وغير ذلك من صفات الحب والرضى والسخط والغضب . فهذه الصفات كلها يجب الإيمان بها وعدم التعرض لها برد أو تأويل ، أو تمثيل ، أو تعطيل . ومن فعل شيئاً من ذلك ، فقد ألحد فى أسماء الله وصفاته ــ والعياذ بالله تعالى ــ وخالف مذهب السلف الذى هو الإقرار والإمرار ، والإثبات والتنزيه .

الصلاة وإيتاء الزكاة ، وما إلى ذلك من أنواع العبادات البدنية . كالصوم ، والحج، وبر الوالدين .

فهذه الاعتقادات والأقوال ، والأفعال . كلها عبادات تعبدنا الله سبحانه وتعالى بها وهى حق له دون من سواه . فمن صرف منها شيئاً لغير الله . فقد عصاه وخالف أمره وأشرك به فى عبادته . وهو يقول : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ .

الشرك

ليس الشرك كما يعرف بعض الناس من أنه عبادة الأصنام والأوثان فقط ، وليس الشرك أيضا بأقل من الكفر ، ولا أهون من النفاق . بل الشرك أخطر من الكفر ، وأشر من النفاق . فالكفر جحود وعدم اعتراف بالله وبما جاء عن الله، والنفاق أعمال خالية من النيات الصالحة والاعتقادات الشرعية .

أما الشرك : فهو محادة الله وعدم اعتراف بملة الإسلام ، وأمة التوحيد ، قال تعالى : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ .

ولذا وصف بأنه من أعظم أنواع الظلم ، قال تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وحرم الله تعالى على صاحبه الجنة وجعل مقره النار . ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار : وما للظالمين من أنصار** ﴾ .

ولم يخف رسول الله على أمتة شيئاً أكثر مما خاف عليها الشرك فقال : «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » .

وليس الشرك هو قصد غير الله بالصلاة أو الصوم فقط ، كما يفهم كثير من الناس ، بل الشرك هو صرف أى نوع من أنواع العبادة التى هى حق لله لغير الله، فكل من توجه بقلبه لغير الله يدعوه ، أو يستعيذ به ، أو يستغيث به راجياً نفعه أو خائفا من ضره ، فقد أشرك ، ولو لم يصل لغير الله ولم يصم لسواه . والشرك كما يكون فى أصل العبادة يكون فى صفتها [1] فقد يعمل المرء عملا يريد به وجه الله ثم يعرض له ما يجعله يؤدى ذلك العمل على كيفية يقصد بها غير

---

(١) هذا هو الشرك الأصغر لأنه غالبا يقع فى صفة العمل .

وجه الله . والشرك نوعان أكبر وأصغر ، وأصغره كبائر الإثم أهون منه ؛ لأن الله يقول [١] : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه » فإذا كانت الكبيرة من الإثم تعرف بما يترتب عليها من وعيد الله فأى وعيد أكبر من ترك الله سبحانه وتعالى للعبد فمن تركه الله هلك . اللهم لا تتركنا ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد سواك طرفة عين .

هذا ويجب ألا يغيب عن الأذهان أن الشيطان ــ وهو أكبر داع إلى الشرك ــ لا يأتى الإنسان من حيث يتفطن له فيلعنه ويطرده ، وإنما يأتيه من حيث لا يتفطن للمكيدة شأن الصياد القناص عند نصب حبائله وشراك صيده ، فلم يقل الشيطان للإنسان ــ بالوسوسة ــ إن ربك فلان أو إن أمرك يملكه فلان ، ولكن يقول له : إن لفلان جاهاً عند الله ، وإنك متى قصدته وتوسلت به قضى الله حاجتك ، فينخدع الإنسان وينغر فيأتى القبر أو الضريح يتضرع ، ويبكى ويسأل من غير الله حاجته ، وقد يقضيها الله بقدر فينسب قضاءها لصاحب القبر فيشتد بذلك حبه له وخوفه منه . حتى لقد رأيناهم يتحاشون [٢] أن يحلفوا بالأولياء والصالحين كاذبين، ويحلفوا بالله كاذبين عامدين . ولقد رأيناهم يقولون : إن الله يؤخر العقوبة . أما سيده فلان وفلان فإن عقوبتهما حاضرة عاجلة ، فهم لذلك أشدهم لهم رهبة ، وأعظمهم لهم من الله محبة ورغبة .

وهناك أمور كثيرة من الشرك كبيرة وصغيرة دعا إليها إبليس اللعين وأوقع كثيراً من الأمة فيها ، منها : الذبح على القبور والأعتاب . ومنها النذور للأولياء والصالحين ، والحلف بغير الله والاستعانة بغير الله . فعلى المصلحين أن يضاعفوا جهودهم لمحاربة هذه الأدواء التى كادت تقضى على البقية الباقية من العقيدة الصحيحة فى هذه الأمة . وبالتالى على كيانها ووجودها بالمرة.

فيا أيها المصلحون عرّفوا الأمة بربها فيعرفها ، عرّفوها : أنها متى أعرضت عن ربها أعرض الله عنها ، عرفوها : أن فى صفاء العقيدة وسلامة القلب ونقاء الضمير كل سعادة وخير ، عرفوها : أن سعادتها وسيادتها لا تكمل بغير التمسك بدينها بتحليل حلاله ، وتحريم حرامه ، والقيام بواجباته وآدابه ، عرفوها : بأنها أمة لا إله إلا الله فلم ترض بسلطان غير سلطان الله ؟ ولم تحكم بغير ما أنزل الله ؟ ولم لا تعمل بمقتضى لا إله إلا الله ؟

---

(١) حديث قدسى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) ينبغى أن لا يفهم من هذه العبارة أن الحلف بغير الله جائز إن كان صاحبه صادقاً فيما يحلف عليه، وإنما العبارة أوردت لتصوير حال الجاهلين فقط .

لا إله إلا الله تنفى الشريك

وتستلزم عبادة الله

إذا كان الإله هو المعبود فما معنى قول المرء لا إله إلا الله وهو يدعو مع الله غيره، وينذر لغير الله ، ويذبح لغيره ، ويرهب غير الله ، ويلجأ فى الشدائد ويفزع لغير الله ، ويحب الدنيا أكثر من حبه لله، ويعصى الله ، ويطيع غير الله ؟

إذا كانت الأفعال تناقض الأقوال. فهل يبقى للأقوال من معنى محترم غير الكذب والنفاق والتدجيل ؟

إن لا إله إلا الله تنفى جميع أنواع العبادة عن غير الله وتثبتها له وحده دون من سواه ، فينبغى لقائلها أن ينفى بالفعل ما نفاه بالقول ، وأن يثبت لله بالفعل ما أثبته له بالقول ؛ إذ العبرة ليست بمجرد الأقوال .

فالذى يعرف أنه لا إله إلا الله كيف يسوغ له أن يتخذ إلهاً غير الله ؟

والذى يعرف أن الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق كيف يسوغ له أن لا يعبده، وأن لا يتقيه حق تقاته ؟ إن لا إله إلا الله تنفى الشريك ، وما وجه الشركة إذا لم تكن هناك عبادة ؟

وفى أى شىء يقع الشرك إذا كان قائل لا إله إلا الله لا يقوم بشىء اسمه عبادة أو طاعة ؟

فلابد لمن عرف أنه لا إله إلا الله أن يعبد الله ، وأن يعبده كما أمره أن يعبده وإلا فلا قيمة لاعترافه بأن الله هو الإله الحق وما عداه باطل فمعرفة الله تستوجب عبادته وطاعته فى كل صغير أو كبير وإلا فهذه المعرفة لا تعدو أن تكون ضرباً من الاستهزاء إن لم تكن كفراً صريحاً . وجحوداً واضحاً .

وإذا كان الشرك هو صرف العبادة التى هى حق الله وحده لغير الله . فهذا المصروف له قد أصبح قطعاً . إلهاً لمن صرف له ذلك النوع من العبادة ، وسواء

اعتقد أنه إلهه أو لم يعتقد ؟ لأن الإله هو المعبود على كل حال **﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً﴾** وقد سمى الله جلت قدرته الهوى المطاع إلهاً **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . أفأنت تكون عليه وكيلا ؟﴾** .

ذكر هذا مرتين فى القرآن الكريم . وما يسمى إلهاً قد يسمى طاغوتاً ؟ لأن الإله من صرفت له العبادة والطاعة ، والطاغوت من صرف عن عبادة الله وطاعته أيا كان نوعه ، وسواء كانت العبادة له أو لغيره غير أنه يشترك فى معنى الإله إن كانت العبادة له دعا إليه أو لم يدع ، اللهم إلا أن يكون غير راض بذلك. كالمسيح عليه السلام . فإنه وإن عبد وأمه من دون الله فلم يصح أن يقال فيه : إنه طاغوت ، لأنه لم يرض بعبادة الناس له ولا لأمه.

قال الله تعالى : **﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك . ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك**[1] **، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به : أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد﴾** .

---

(١) (سورة المائدة) : فى هذه الآية إثبات صفة النفس لله تعالى فيجب الإيمان بها وعدم التعرض لها برد أو تأويل، أو تمثيل ، كغيرها من صفات البارى عز وجل التى وصف بها نفسه فى كتابه العزيز أو وصفه بها نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

معنى الطاغوت

ما هو الطاغوت الذى أمرنا باجتنابه ؟

قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله ، واجتنبوا الطاغوت** ﴾ .

ما هو الطاغوت الذى أمرنا أن نكفر به ؟

قال تعالى : ﴿ **يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً** ﴾ .

الطاغوت : مأخوذ من معنى الطغيان الذى هو مجاوزة الحد .

قال تعالى : ﴿ **إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية** ﴾ .

وفيه معنى المبالغة . كالجبروت ، والملكوت ، واللاهوت .

ويطلق الطاغوت على كل ما صرف عن عبادة الله وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه .

فالشيطان طاغوت لصرفه الناس عن عبادة خالقهم ، وإغوائه لهم حتى عبدوا غير الله وسفكوا الدماء، وأحلوا الحرام وحرموا الحلال .

والأوثان ، والقباب ، والأشجار التى عبدت من دون الله طاغوت : لأنها صرفت عن عبادة الله تعالى بعبادة الناس لها وتأليههم إياها .

والحاكم المستبد الذى يحكم بغير ما أنزل الله تعالى طاغوت ؛ لأنه نصب نفسه منصب الإله المشرع ، وهنا يظهر معنى مجاوزة الحد فى معنى الطاغوت ، فإن الحاكم كإنسان عليه أن يتقيد بأحكام الله التى أنزلها لخلقه وبينها لهم فينفذها بكل دقة وتحرٍ ، سواء بسواء ، ولما عدل عنها وأصبح يحكم بهواه ورأيه ، منزلاً نفسه منزلة الإله المشرع لخلقه كان قد تجاوز حده المحدود له من عبد لله ينفذ أحكام الله إلى إله مشرع يحكم بما يريد ، فتجاوز حد العبودية إلى درجة الألوهية. فهو بذلك طاغوت لمجاوزته حده المحدود .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى جميع خلقه بالكفر بالطاغوت ، سواء كان إنسا ، أو جناً ، أو شجراً ، أو حجراً ، أو وهماً ، أو خيالاً ، أو هوى ، أو شهوة ، أو مالاً ، أو جاهاً ، أو وظيفة .

قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم** ﴾ .

الزلة الكبرى

ومما تقدم يتضح مقدار الزلة الكبرى التى زلها العالم الإسلامى اليوم وقبل اليوم ومنذ قرون طويلة ، أى : من عهد ما حكم الحكام بالأهواء ، وعدلوا عن حكم السماء .

فالمسلمون عامة يعرفون أن العدل فى الأحكام ، والمساواة فى الحقوق ، والإنصاف بين الناس ، وتكافؤ الفرص، وعدم التمييز العنصرى ، وعدم اعتبار الفوارق الجنسية، وعدم اعتبار الجاه والمحسوبية، ودعوة الإصلاح العام ، والخير العام ، كل هذه المبادئ السامية قد جاء بها الإسلام ، ونزل بها القرآن ، ونفذها نبى الإسلام وخلفاء المسلمين حيناً من الدهر فسعد المجتمع الإسلامى دينًا ودنيا ، وعزّ وبزّ ، وبلغ الذروة من الكمال فى كل شىء .

ثم هم بخدعة أريب ، وبغواية مارد يعدلون جملة وتفصيلاً عن مبادئ الحكم فى الإسلام التى يمثلها القرآن الكريم ويدعو إليها رب العالمين إلى الحكم بالأهواء والشهوات ، فعمت مجتمعهم الفوضى ، وانبت حبل الوداد والوئام ، واختل نظام الأمن ، وساد الجهل ، وبيض وفرخ الفقر . ولما صحوا من سكرتهم، وانتبهوا من غفلتهم ، وأخذوا يمدون أيديهم طالبين النجاة من غرقهم ، والفوز من هلكتهم مدّ إليهم أعداء الإسلام الأيد لا لينجوهم ولكن ليوقعوهم فى القيد ـ

ولعن اللــه القيد قيد شعــرة أو حديد ــ فاستعاضــوا عن كتاب الله دستــور السماء دساتير الغرب المزيفة ، وقوانين الغرب الجــائرة الفاجرة جريا وراء الغرب ، وتعلقاً بأذيال الغــرب ، واقتداء بالغرب ، واعتقــدوا علماءَ وجهالاً أن القرآن غــير صالح للحــكم ، وأن الدين شــيء ، والدولة شيء آخــر ، ففصلــوا الدين عن الــدولة فضلوا وأضلوا وتحاكموا إلى الطاغــوت وقد أمروا أن يكفروا به ، وأراد الشيطان إضلالهم فأضلهم . وها هم أولاء فى الضلال يــعيشون ، وفى الحيرة يتخبطون ، ﴿ **وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ .

وإنها وايم اللــه لإحدى الزلات الكُبَر التى زلهــا المسلمون ، وتحمل جــريرتها الحاكمون والمحكومون .

قال تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تــصيبن الذين ظلموا منكــم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ .

كشف شبهة

يقول دعاة دساتير الغرب : إن الإسلام لم يتعرض لنوع خاص من أنواع الحكم ، فلذا للمسلمين أن يختاروا ما يناسبهم من أنواع الحكم ، ومعنى هذا : أنه لا بأس بدولة كسوريا مثلاً أن تختار دستور فرنسا . أو دولة مصر أن تختار دستور أمريكا مثلاً بحجة أنه صالح لها محقق لسعادتها . كفيل بإشاعة الأمن والرخاء بين مواطنيها .

وكشف هذه الشبهة : أن القرآن وإن لم يتعرض كما زعموا لنوع من الحكم خاص كالحكم الملكى أو الجمهورى الديمقراطى [1] أو الارستقراطى، فإنه قد ذكر أحكاماً عامة ، ووضع أسساً ثابتة، وأنه من السهل على فقهاء الأمة الإسلامية ـ لا رجال القانون المتخرجين من الجامعات الأوروبية ـ من السهل على فقهاء المسلمين العالمين بأسرار الشريعة الإسلامية ، ومراميها السامية ، وأغراضها الإصلاحية المثالية من السهل عليهم أن يستنبطوا من تلك القواعد العامة، والأسس الثابتة ما يصلح مجتمعهم ويرقيه ، وما يجمع لهم الكمال الاجتماعى والأدبى والسياسى بأطرافه وحواشيه ، ولم يعدلوا بهم قيد أنملة عن كتاب الله وسنة رسوله ، بل يسندون كل بند من بنود الحكم إلى أصله من كتاب، أو سنة، أو إجماع ، أو قياس .

وعند ذلك لم يكن هذا الدستور صالحاً لمصر غير صالح للأردن مثلاً ، ولا صالحاً للسعودية غير صالح لليمنية مثلاً .

فالإسلام هو الإسلام ، والمسلمون هم المسلمون فى كل زمان ومكان ، وما صلح لمصر الإسلامية يصلح لكل دولة إسلامية آسيوية كانت أو إفريقية .

وجوب المعرفة بلا إله إلا الله

للعلم بلا إله إلا الله ثمرات طيبة ، ونتائج حسنة .

---

(١) الديمقراطية والارستقراطية : ألفاظ يونانية غير عربية . ومعنى الكلمة الأولى : أن يحكم الشعب نفسه بنفسه بواسطة برلمان ورئيس جمهورية ومعنى الكلمة الثانية : أن يحكم الشعب جماعة الأغنياء والأفاضل من الشعب ، أولهما معنى قريب من هذا .

فالله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه ﷺ بقوله :

﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ .

وفى ذلك إشارة إلى وجوب المعرفة ، وإلى ثمرة المعرفة المترتبة على العلم الكامل .

ويوضح هذا المعنى قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ «إنى أعلمكم بالله وأشدكم له خشية » (١) .

ويقرر القرآن الكريم المعنى نفسه تقريراً واضحاً إذ يقول :

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

فقد قصر صفة الخشية الحقة الكاملة على صنف من عباده وهم العلماء بالله العارفون بربهم لاغير . ويشير البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه إلى وجوب العلم قبل كل شيء بقوله : باب (العلم قبل القول والعمل) . فيتقرر مما تقدم أن العمل أو القول لا يمكن أن تنتج عنهما أية نتيجة صالحة ما لم يصحبهما العلم الكامل الذى يكون سبباً فيما يثمر أنه من ثمرات طيبة ونتائج حسنة .

فلا إله إلا الله لا يمكن أن تثمر فى قلب قائلها الخشية والتقوى والكمال النفسى، والسمو الروحى إلا إذا صاحبها العلم بمعناها والمعرفة التامة لما تضمنته من نفى وإثبات ؛ لأنه لو كان الغرض منها مجرد النطق بها لا غير كما يظن السذج والبلهاء لما امتنع أحد من قولها ؛ لأنها ليست مما يجهد النفس أو يكلف المشقة، ولا مما يترتب عليه خسارة فى نفس أو مال . ولكن الممتنع عن قولها يعرف أنه إذا قالها أوجب على نفسه العمل بمقتضاها ، وذلك يتعارض قطعا مع ما يعتقده من إلهية غير الله ، وما يصرفه من عبادات ويقدمه من قربات لذلك الغير (٢) .

وأقرب مثال يوضح لنا هذا المعنى : أنا لو أتينا بأى مقارف ممن أدمنوا على

---

(١) فى الصحيحين .

(٢) التعبير بالغير كالتعبير باللالزوم . واللامسمى واللانهاية غير مستساغ عربية غير أنه شائع على ألسنة المتكلمين والكتاب .

المعاصى وقلنا له : إما أن لا تقول لا إله إلا الله وإما أن تترك هذه الجرائم فإنه لا يقولها أبداً ، كما أنا لو قلنا له : إن لا إله إلا الله تتنافى مع طاعتك لهواك ، وعبادتك لشهواتك ، إما أن تترك لا إله إلا الله ، أو تترك طاعتك لهواك ، فإنه طبعًا يبادر بترك لا إله إلا الله إلا أن يهديه الله فإنه لا مضل له .

ولذا ينبغى أن ندعو إلى معرفة لا إله إلا الله كما ندعو وأكثر مما ندعو إلى التلفظ والنطق بها . فإن قول : لا إله إلا الله مجرد رمز يرمز إلى ما ينطوى عليه الضمير من إيمان بالله ، وتعظيم له ، وهى وسيلة لا غاية ؛ فإن الغاية من لا إله إلا الله نفى الشريك بالفعل ،وإطاعة الله فى كل ما يأمر به وينهى عنه فى كتابه الذى أنزله ، وعلى لسان نبيه الذى أرسله .

فكلمة الإخلاص هذه : لا تزال طريق الوصول إلى زكاة النفس ، وطهارة الروح ما صحبها العلم بمعناها والعمل بمقتضاها.

وما دامت كذلك : فهى الذكر الذى يقول الله سبحانه وتعالى فيه : ﴿**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**﴾ .

وهى الكلمة الله يقول فيها الرسول الأعظم ﷺ : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » .

ثمرات لا إله إلا الله

لكل غرس طيب فى تربة طيبة ثمرات طيبة ، ولا إله إلا الله إذا ثبتت جذورها فى قلب المؤمن بالله ، وبما جاء عن الله ، وسقيت بمعين المعرفة ، فإنها تثمر ــ ولا شك ــ وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

قال تعالى : ﴿ **ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت، وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون** ﴾ .

وإن من ثمرات لا إله إلا الله : الخشية ، والخوف من الله سبحانه وتعالى . فصاحبها لا يعرف إلى المعاصى والذنوب سبيلاً ، ما دام الوازع فى نفسه يحمله

كلما ذكر الله تعالى على الابتعاد عن اقتراف الدنايا ، واجتراح السيئات.

قال تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنـهى عن الفحشاء والمـنكر ولذكر الله أكـبر والله يعلم ما تصنعون** ﴾ .

إن ذاكر لا إله إلا الله الـعارف بمعناها : تثمـر له فى قلبه الشجـاعة . فهو لا يعرف الخوف أيًا كـان مصدره إلا من الله ، ومـن الله فقط ، فلا يـرهب موتاً ، ولا يخاف فـقراً، ولا يكترث برزايـا ، ولا يأبه بإحن . يـجاهد نفسه فـى الله ، ويحيى من أجل الله ، ويفضل الموت على الحياة حباً فى لقاء الله .

التقــوى

ومن ثمـرات العلم بلا إلـه إلا الله : التـقوى ، والتقوى مـن أوضح الأدلة على معرفـة المرء للا إله إلا الله، وتفهـمه لمعناها ؛ فإن من عـرف أن له رباً قادراً على عـذابه والانتقـام منه إن عصاه ، وعـلى رحمته وتـكريمه إن أطاعـه ، واتبع هداه: فإنـه يلزم نفسه دائـمًا بالعمل علـى طاعته واجتـناب معاصيه ، وتـلك هى التقوى المعبر عنها بامتثال الأوامر واجتناب النواهى .

وقد جعل الله سـبحانه وتعالى للتقـوى نتائج أكرم بها المتقين فـى الدنيا زيادة على ما أعده لهم فى دار الكرامة .

قال الله تـعالى : ﴿ **إن للمتقين عند ربـهم جنات النعيم** ﴾ . وقـال: ﴿ **إن المتقين فى ظلال وعيون . وفـواكه مما يشتهون** ﴾ . وقال: ﴿ **ياأيها الـذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم** ﴾ .

وقال: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ .

فمن نتائج التقوى النجاة من كل هلـكة ، والرزق الكافى، وتكفير السيئات، وغفران الذنوب ، وإعطـاء الفرقان ، وهو النصرة ، والغلبة عـلى أهل الباطل ، والنور الذى يبدد كـل ظلام حالك ، والبيان المفصل لكل إجـمال ، والعلم الذى ينير السبيل إلى كل خير ، وفوز وفلاح .

لا إله إلا الله لا تعرف موالاة غير أهلها

إن الذى نسى خلقه ، فتنكر لخالقه ونـاصبه العداء ، وأعلن محاربته فى غير ما خجل ولا حـياء لا يصلح لأن يكون لعـباد الله الصالحين وليـاً ؛ لأنه لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره ، ما دام لـم يرع لخالقه حقا، ولم يحفظ لجمـيله وإحسانه عليه عهداً .

قال الـله تعـالى جـل ذكره : ﴿ **لا يتخـذ المؤمنون الـكافرين أولـياء من دون المؤمنـين ، ومن يفعل ذلك فـليس من اللـه فى شىء** ﴾ . وقـال : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تتـخذوا الكافرين أولـياء من دون المؤمنين ، أتريـدون أن تجعلوا لله عـليكم سلطاناً مبيناً ؟** ﴾ .

والرسول ﷺ عُرض عليه الاستـنصار بالمشركين . فأبى وقـال : «لا أستنصر بمشرك » .

لا أحسب أنه يخفـى على عاقل الوعيد الشديد فـى قوله تعالى : ﴿ **أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا ؟** ﴾ .

فإنا باتخـاذنا الكافرين حلفاء وأصـدقاء قد أثبتنا للـه الحجة علينا لينـزل علينا عذابه ، ويطبق علينا عقابه ، والعقوبات عند الله أنواع .

أفلا يخشى المـؤمن إن خالف أمر مولاه فوالى غيـر أهل لا إله إلا الله ، أن يصيبه الله بعقوبة ترد سعادتـه شقاء ، وعزه هوانًا ، وشرفه ذلاً ، وحريته عبودية واسترقاقاً ، وبالتالى حياته كلها ، شقاء وجحيمًا ؟

لقد خالف أناس كـثيرون من هذه الأمة هذا النهى الـصريح فى تحريم موالاة غير المـؤمنين فما تـوانى الحق جل وعلا فـى إنزال العقـوبات الشديدة بـهم فزال سلطانهم ، واندثرت أملاكهم ، وأصبحـوا أثراً بعد عين ، وفى طيات التاريخ من هذه العبر الكثيرة والعظات العديدة .

أيها المؤمـنون : إن من استنصر بـغير أهل الإيمان خذل . وإن مـن والى غير المؤمنين ذل ، ومـن حاد الله ورسوله والمؤمنـين فليس من الله فـى شىء ، والله

منه برىء، وويل لمن الله منه برىء !!

يا أمة لا إله إلا الله لا تستبدلوا بولاية الله ورسوله والمؤمنين ولاية أعداء الله ورسوله والمؤمنين من يهود ونصارى وشيوعيين ومشركين وكافرين ممن حاربوا إسلامكم ، ونكسوا أعلامكم ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم .

إن من طلب النصر من غير الله هزم ، ومن اعتز بغير الإسلام هان .

قال الله تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ .

يأيها المسلمون : إن عقد الأحلاف مع غير المسلمين الصادقين كبيرة وأى كبيرة، وذنب لا يغفر ، وجريمة لا تكفر . إن موالاة غير أهل لا إله إلا الله تتنافى مع عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر ، منافاة تامة ، فلا يمكن أن يجتمع فى قلب عقيدتان متضادتان : عقيدة الإيمان بالله وحب الخير ، وعقيدة الإلحاد والرغبة فى الشر .

إن الله تعالى يقول وهو خير صادق وأصدق من يقول : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ .

فهل بعد هذا البيان الإلهى من بيان ؟

وهل بعد هذا البرهان على تحريم موالاة غير أهل لا إله إلا الله من برهان ؟

اللهم اهد هذه الأمة رشدها ، وبصِّرها بعيوبها فتوالى من واليت ،وتعادى من عاديت . إنك بيديك الهداية ، وأنت ولى التوفيق .

عِبرة وعَبرة

مرت اليوم عشرون شهراً كاملة على أمة الجزائر المسلمة، وهى تعانى فى كل

لحظة من لحظات هذا الزمن الطويل أنواعاً من آلام الفتك الذريع بخيرة أبنائها . ففى كل يوم تموت المئات بمدافع الفرنسيين وقذائفهم النارية ، وفى كل يوم تدمر مئات البيوت والمنازل ، ويشرد آلاف الأطفال والنساء حيث يأوون إلى الكهوف والمغارات ليقتلهم البرد والجوع ، ولتتبعهم الطائرات النفاثة حيث تدك عليهم الصخور والجبال ليصيروا إلى ما صار إليه شيوخهم فى السجون والمعتقلات ، وشبابهم فى الملاحم والمعتركات ، حيث تطايروا أشلاء وتناثروا فى العراء .

وفى صباح هذا اليوم السادس عشر ــ من شهر ذى القعدة لعام خمسة وسبعين من القرن الرابع عشر الهجرى ــ جلست أمام المذياع أكتب هذه التقريرات، وأنتظر دقات الساعة لأسمع أنباء الصباح حيث أن مجلس الأمن الدولى ــ كما يزعمون ــ قد قرر النظر فى المجزرة الجزائرية ، ولا أقول القضية الجزائرية عله ينتصر للحق مرة فى تاريخه فيقبح لفرنسا الطاغية جريمتها ، ويأمرها بوقف قتالها وشن هجوماتها على الضعفاء الأبرياء ، وانتظرت الساعة بفارغ الصبر، وحان الوقت فأدرت الجهاز فى لهف وشوق لألتقط الصوت، فإذا به صاعقة تنزل علىَّ، لا خبر يلقى إلىَّ ، مجلس الأمن يقرر عدم مناقشة البحث فى القضية الجزائرية بحجة أن القضية داخلية لا يحق لغير فرنسا أن يبحثها أو يتدخل فيها ، وغلبنى البكاء فكفكفت عَبرتى ، وعدت لكتابة عِبرتى .

أما عَبرتى ــ بفتح العين ــ فيهما فهى الدمعة التى احتبستها فى عينى من شدة الحزن على أولئك التعساء الذين تألب عليهم الكفر ولم ينتصر لهم الإسلام .

وأما العبرة ــ بالكسر ــ فهى هذه العظة الكبرى التى صادفت كتابتى على موالاة غير المؤمنين فساعدتنى على تقرير هذا المعنى فى الأذهان كشاهد حال. والمعنى الذى ما زلت أقرره : أنه يحرم على المؤمنين موالاة الكافرين ، ومن شك فى هذا فقد شك فى أصول الدين . وليقرأ قوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم** ﴾ .

وليعتبر بموقف مجلس الأمن الدولى من هذه القضية الإسلامية حيث أنه لم يشف غليله ، ولم يرو غلته أنهار الدماء التى سالت من أبناء الجزائر المسلمين ، ولم يشبع نهمه مئات ألوف القتلى والجرحى من أبناء الجزائر المسلمين ، وراح

يفسح لفرنسا المجال ، ويستر عنها جريمتها ، ويعبد لها الطريق لتتمم قضاءها على البقية الباقية من أمة الجزائر المسلمة ، ويومئذ يفرح الكفر بانتصاره على الإسلام.

والآن فإلى المسلمين أتوجه ــ والقلب يملأه الأسى والأسف ــ بالبيان التالى :

أيها المسلمون :

لقد تحالف أكثر المسلمين مع أعداء المسلمين ، على أن ينصروهم فخذلوهم ، ولم ينصروهم .

ولقد حاول المسلمون أن يجدوا العون والنصر فى غير المسلمين فلم يجدوا ، ولقد داهن المسلمون غيرهم ليداهنوهم فلم يداهنوهم ؛ لأنهم أقوياء، ولأن المسلمين ضعفاء ، ولقد تظاهر المسلمون بالرحمة ليرحمهم أعداؤهم فلم يرحموهم، وأنه لم يبق للمسلمين إلا سبيل واحد : الاعتراف بما قرره الله من وجوب معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، وإعداد القوة ، والإيمان بالجهاد فى الحياة من المهد إلى اللحد، ومن البداية حتى النهاية ، ومن ظن أن المسلمين يعيشون غير مجاهدين فقد غلط .

ومن ظن أن اليهود والنصارى يرضون عن المسلمين فقد غلط .

قال الله تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ فلم نصانع إذاً ؟ ولم ندار إذاً ؟ ونحن نعلم أنهم أعداؤنا ولا يرضون بغير إذلالنا وانحلالنا وضعفنا وتفرقنا لننهزم أمامهم فى كل معركة يريدونها لنا ، وفى كل حرب يشنونها علينا . فإلى متى يا قوم والعبر تتكرر ونحن ساهون لاهون، وعن نداء الله وصوت الحق معرضون ؟

قال الله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا ؟** ﴾ .

أمة لا إله إلا الله أمة واحدة

إن أهل كلمة الإخلاص لا تجد التفرقة إلى صفوفهم سبيلاً ، ولا يعرف الانقسام إليهم طريقاً . فهم أمة واحدة وكلمة واحدة ، وقوة واحدة قد ربطتهم

لا إله إلا الله برباط لا تنفصم عراه ، ونظمتهم فى سلك لا يدرى أين طرفاه . أمرهم جميع ، وغايتهم فى الحياة واحدة . هم سواس [1] كأسنان المشط يسعى بذمتهم أدناهم ، لا فرق بين عربيهم وعجميهم ، ولا بين أبيضهم وأسودهم ، فهم كما قال الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ وهم كما قال رسوله : « المسلم أخو المسلم » وإنها لأخوة لا إله إلا الله أقوى عرى وأشد رابطة من أخوة النسب . أخوة النسب رابطتها مادية ، وأخوة الإسلام رابطتها روحية إلهية ، وشتان ما بين الأخوتين وشتان ما بين الرابطتين !

إن الجامعة التى جمعت أهل لا إله إلا الله لجامعة قوية لا تسمح بحال لأحد أن يتسلل منها أو يخرج عنها ، فقانونها التأديبى : أن من رغب عن طريقتها ، واتبع غير سبيلها لا تحل لأفرادها موالاته ولا مصافاته ، وتوجب عليهم محاربته ومعاداته .

فالله عز شأنه وهو رب هذه الجامعة وإلهها يقول : ﴿ **ومن يتَّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ ، ومحمد ﷺ وهو إمام هذه الجامعة وقائدها الأول يقول : « من بدل دينه [2] فاقتلوه » . ويقول : «لا يحل دم امرئ مسلم [3] إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

ولهذا تحتم على المصلحين أن ينعوا على الأمة الإسلامية ــ التى تنتسب إلى لا إله إلا الله ــ تفرقها وضعفها وانحلالها وانقسامها ، لأن أمة لا إله إلا الله أمة متحدة قوية . ككل غير قابل للانقسام وكوحدة لا تتجزأ ، وكقوة لا تضعف ، وسطان لا يقهر .

إن وجود هذه الدويلات فى العالم الإسلامى يتنافى تماماً مع قول الله تعالى : ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ .

ويتنافى أيضا مع قول الرسول ﷺ : « المسلمون سواسية كأسنان المشط يسعى بذمتهم أدناهم » .

---

(١) يقال : هم سواس وسواسية : أى متساوون .

(٢) رواه البخارى .

(٣) متفق عليه .

فعلى المسلمين أن يجعلوا بـدل الدويلات ولايات يرفرف عليها عَلَمٌ واحد هو علم لا إله إلا الله ، ويـسودها قانون واحد هو كتاب الله ، ويحـكمها فرد واحد هو خليفة اللـه ، ويحميها جيش واحد هو أهل لا إله إلا الـله ، ويجب هذا لأنه تحقيق لمعنى الوحدة الإسلامية ، ولأنه لا يمكن لراية التوحيد أن تعلو إلا به . هذا وينبغى أن لا ننسى أن هذه الدويلات ستكون أقصر عمراً، وأقل طولاً فى الحياة ؛ لأن أعداء الإسلام لها بالمرصاد . فما من شك أنه سيأتى يوم قريب أو بعيد ينقض فيه العدو المتربص على هذه الدويلات فيأتى عليها دولة دولة ، وهذه نتيجة حتمية للانقسام والضعـف والانحـلال . وفى التاريـخ كثير من العبر والعظات .

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

محمد رسول الله ﷺ

هذه الكلمة لا تقل عظمة وجلالاً عن كلمة لا إله إلا الله فهى شطر الإيمان ، ومفتاح الإسلام ، وعنوان الفوز ورمز السعادة .

وشهادة « لا إله إلا الله » لا تقبل من صاحبها ما لم تقرن بشهادة «أن محمداً رسول الله » .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وسلم .

وكما أن قائل لا إله إلا الله لا يثبت له الكمال ، ولا يكون محترمًا إلا إذا فهم معناها وعمل بمقتضاها فنفى ما نفته بالقول والفعل . وأثبت ما أثبتته بالقول والفعل . فكذلك قائل : إن محمداً رسول الله لا يفوز ولا يحترم إلا إذا عرف معناها وعمل بمقتضاها فأثبت للرسول شرف الرسالة ، وفضل الإرسال ، والتزم طاعته ، وأخذ على نفسه أن يسلك طريقته ، ويناصر أمته، وأن يحيى ويموت على ملته وسنته .

معنى محمد رسول الله

معنى محمد رسول الله الإجمالى : أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى العربى : رسول الله إلى الناس كافة يبلغهم عن الله دينه الذى ارتضاه لهم ، ويبين لهم شرعه الذى شرعه لهم . فمحمد عبد الله يعبده ويؤمن به ، ورسوله يطيعه ويبلغ عنه ما شاء من الشرائع والأحكام مما يوحيه إليه وينبئه به . وعلى المؤمن بالله المطيع له أن يؤمن برسالة محمد ويطيعه ؛ فإن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله ، وكل احترام وإجلال وتقدير للرسول فهو احترام وإجلال وتقدير لمن أرسله .

وإذا كان الله يعرف بالتدبر فى آياته الكونية منها والتنزيلية . فمحمد ﷺ يعرف بما أوتى من معجزات وخوارق عظيمات ، وأكبر معجزة له عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم الذى تعهده الله بحفظة ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له**

لحافظون ﴾ فهو معجزة محمد الخالدة التى تثبت رسالته ، وتصدق نبوته، وما سواها من الخوارق والمعجزات . فقد أعطى مثلها الأنبياء والمرسلون من قبله ، بيد أنه كان ﷺ أوفرهم منها حظاً ، وأكثرهم نصيباً ، كما أنه أعظمهم شأنا، وأرفعهم قدراً، وأعلاهم منزلة ، وأسماهم مكانة ، وأعمهم رسالة ، فهو إمامهم وخطيبهم،و سيدهم وشفيعهم ، أمته سيدة الأمم ، ودينه أكمل الأديان . وله ﷺ من المزايا والخصال ما يفوق بها كل البشر ، فمحمد بشر ـ وهو فوق كل البشر ـ ولكنه ليس بإله فيعبد بل هو عبد الله ورسوله يطاع ويتبع ، ويعظم ويحترم . صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

معنى الإيمان بمحمد رسول الله

معنى الإيمان بمحمد رسول الله ﷺ : التصديق بنبوته ، والشهادة برسالته ، ونشر دعوته ، ونصر سنته ، والعمل بشريعته ، وتحقيق طاعته بامتثال أوامره ، واجتناب زواجره .

فليس من الإيمان بمحمد ﷺ الشك فى رسالته ، والإعراض عن دعوته ، والتأخر عن نصرة شريعته وسنته . كما أنه ليس من الإيمان بمحمد أن يصدق فى شىء ، ويكذب فى آخر بدعوى أن الأول معقول ، والثانى غير معقول ، أو أن الأول أثبته العلم الحديث والبحث الطبى والعلم النفسى ، وأن الثانى يتنافى مع هذه المقاييس المادية ، ولا أقول العلمية كما يقولون .

وليس الإيمان بمحمد مخالفة أمره ، والخروج عن أهل ملته ، واتباع غير سنته .

وليس من الإيمان به استساغة مخالفة آدابه ، والتخلق بغير أخلاقه ، فإنه المثل الكامل لكل الآداب ، والمصدر الكبير للفضائل فى كل باب . وإنا لفى غنى عن الإشادة بآدابه ، والتغنى بأخلاقه بعد شهادة الله مؤدبه على عظيم خُلقه قال تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ .

حيث يقول ﷺ : « أدّبنى ربى فأحسن تأديبى » . وسئلت أم عبد الله عائشة رضى الله عنها عن خلقه فقالت : كان خلقه القرآن .

وما أعظم دعوة [1] القرآن إلى الأخلاق الفاضلة : وما أجل دعوة القرآن إلى الآداب السامية ؟ !

القرآن وهو مدرسة محمد التى تخرج منها ، والمبادئ العالية التى تشبع بها ، ففاضت عن كل ذاته فهو مثال كامل فى كل حركاته وسكناته ، فى تذكيره وتدبيره، فى نطقه وصمته ، فى سياسته وقيادته أيام حربه وسلمه . أبعد كل هذا ويذهب المسلمون المارقون يتلمسون الحكمة ، وينشدون الفضائل ، ويتعلمون أساليب الحكم ، وطرق القيادة فى مدارس أوربا الإلحادية ، وجامعاتها التى جمعت كل شىء إلا الإيمان والفضائل ؟ حال غريب ، وأمر عجيب ، وتصرفات مضحكات مبكيات !

إن الإيمان بمحمد يا مسلمون : لا يكمل إلا بالاهتداء بهديه ، والاقتداء بآثاره، والاستنارة بمناره مع طاعة كاملة تتجلى فى إخضاع الهوى لما جاء به من وحى السماء «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » وحب له يفوق كل حب حتى يربو على حب النفس والمال والولد والوالد «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » [2] .

القدوة به من الإيمان به ﷺ

للإيمان بمحمد ﷺ مظاهر عديدة يتجلى فيها الإيمان به ﷺ .

ومن أعظم هذه المظاهر وأجلها : القدوة ، قال الله تعالى : ﴿ **لقد كان** [3] **لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ومن يتولّ فإن الله هو الغنى الحميد** ﴾ ، فالاقتداء به ﷺ فى كل شىء حتى فى صفة الأفعال المباحة كالأكل ، والشرب ، واللباس أمر يحتمه الإيمان برسالته ، والتصديق بنبوته ، فمن آمن أن محمداً هو مصدر السعادة البشرية وأنه رائد خير الإنسانية ، وأنه حاز

---

(١) من ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ . وقوله : ﴿**ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا** ﴾. وقوله : ﴿ **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه** ﴾ . وقوله : ﴿ **ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾. وقوله : ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب ، ولا يغتب بعضكم بعضا** ﴾ . وقوله: ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ .

(٢) فى الصحيح . (٣) سورة الممتحنة .

الفضائل كلها فأصبح منبعها ومصدرها، وأنه المعصوم الذى لا يقر على باطل، ولا ينطق عن هوى . قال الله تعالى : ﴿**وما ينطق** [1] **عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى**﴾ .

فمن آمن بكل هذا كيف يبيح لنفسه التخلف عن ركبه ، والسير فى غير مساره ، والاهتداء بغير مناره ؟

اللهم إلا إذا كان مزعزع الإيمان ، ضعيف العقيدة ، مريض القلب ، فاسد النية ، خبيث الطوية .

ولذا كان من مظاهر الإيمان به ﷺ الاقتداء به ، والاقتداء به فى كل شىء فى أخلاقه ، وآدابه ، فى صبره وجلده ، فى دعوته وجهاده ، فى إيمانه بربه وتوكله عليه ، فى محبته لأمته والحدب [2] عليها ، فى جوده [3] وكرمه، فى عفوه وإحسانه ، فى عدله وقضائه ، فى لين جانبه للمؤمنين ، ورحمته بالفقراء والمساكين ، فى غضبه [4] للحق وانتصاره لأهله ، وفى قمعه للباطل وأهله . هذه بعض النواحى التى يكون الاقتداء به ﷺ فيها من الإيمان به، وغيرها كثير، وهى تندرج كلها تحت هذه اللفظة السامية ، والعبارة الإلهية الغالية: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ فكل ما جاء به ﷺ أمته ، ودعاها إليه من تشريعات سماوية ، وأخلاق فاضلة نبوية ، على المؤمن به أن يتقبله بصدر رحب ، وقلب ساكن ، ونفس مطمئنة ، فيفعل كل ما هو فى طوقه وفى استطاعته وما لم يكن كذلك . فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ ونبيه أيضا يقول : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » .

فكل ما نهى عنه ﷺ أمته يجب تركه كله ، لأن فى الترك راحة ، وفى اجتناب الشر سلامة . ففعل ما أمر به ﷺ واجتناب ما نهى عنه : هو عين الاقتداء به، فلم يكن رسول الله يأمر بالشىء ولا يفعله ، ولا ينهى عنه الشىء

---

(١) سورة النجم .

(٢) حدب عليه : تعطف ، والحدب مصدر حدب .

(٣) كان ﷺ جوادا وكان أجود ما يكون فى رمضان حتى شبه بالريح المرسلة . ولقد سئل لله غير ما مرة ثوبه الذى عليه فقام يدخل البيت ينزعه ويعطيه لمن سأله منه . وهذا نهاية الجود والبر .

(٤) روى أن قرشية سرقت سرقة فجاء بعض الصحابة يشفع لها عنده ﷺ فى إسقاط الحد عليها ، فغضب لذلك، وقال : «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . فى الصحيح .

ويرتكبه حاشاه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه القدوة الحسنة ، والمثال المحتذى . وكيف وهو رسول الله ، والمبلغ عن الله ، والمؤيد بالله . صلى الله عليه وآله وجميع من اقتدى به واهتدى بهداه ؟

محبته ﷺ من الإيمان به

للمحبة في النفوس أسباب تجلبها أهمها : إحسان المحبوب ، وما يكون عليه من الكمالات الذاتية ، والفضائل النفسية والخلقية . وإذا نظرنا إلى المحبوب ﷺ وجدناه قد توافرت فيه الأسباب التي تقتضي محبته من جميع الناس فهو أولاً مصدر رحمة وخير وإحسان لكل العالمين ، قال تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ .

فبرسالته ودعوته حصل ما نشاهده الآن من خيرات وبركات ، ومدنية وحضارات. فإنه – إن أنصفنا – لا يوجد شيء اسمه صلاح أو إصلاح ، أو تقدم أو رقى فى هذا العالم إلا وهو حسنة من حسناته ﷺ ؛ فإن غيوم الجهالات، وسحب الضلالات التى كانت مخيمة على العالم حاجبة عنه كل تفكير صالح ، وإنتاج مثمر لم تكن لتزول إلا بشهابه الثاقب ، ونور رسالته الساطع. فما أن بُعث محمد ﷺ وانتشرت دعوته فى الآفاق تطارد جحافل الشرك والأباطيل ، والأوهام والخرافات حتى تفتقت الأذهان ، وتفتحت مغاليق الأفكار ، وانطلق العالم فى فضاء الحرية ، وأكناف العدالة الإسلامية ، وفى ضوء الرسالة المحمدية وتعاليمها السماوية انطلق يبنى ويشيد ، ويخترع ويجيد إلى أن بلغ درجة من الكمال المادى ما كان يحلم من قبل أنه بالغها ، فسخر كل شيء وانتفع بكل شيء فى الحياة ، ولولا الشرور الكامنة فى النفوس ، ولولا كفران فطر عليه الناس لعاش العالم بفضل الله ثم بما فتح على الناس من كنوز الدنيا وخيراتها أحسن عيشة وأرقاها ، وأهناها وأمراها ، ولكن قالوا : ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم !

وثانيا : فهو ﷺ قد جمع الله له من الكمالات النفسية والجسمية ما لم يجتمع لبشر قط ، فهو يُحَبُّ لكل ذلك ويُحبُّ لأن الله تعالى أوجب حبه وجعله من كمال الإيمان ، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنه لا يؤمن المؤمن ولا يبلغ كمال الإيمان والغاية المطلوبة منه حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما (١) .

---

(١) أخرج البخارى عن أنس قال : قال رسول الله : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

ويتقرر مما تقدم أن حبه عليه الصلاة والسلام واجب بالشرع والعقل فمن أحبه وأخلص لله فى محبته فهو مؤمن به مصدق برسالته ، مقتنع بكمالاته التى أوجبت حبه ، وفرضت موالاته . ومن كان بعكس ذلك ــ والعياذ بالله تعالى ــ فهو ممن غضب الله عليهم وأصمهم وأعمى أبصارهم ، فأبعدهم عن رحمته ، وصرفهم عن سماع آياته ، وحجب بصائرهم عن رؤية الحق والكمال ، ومعرفة الحسن والجمال .

معنى محبته ﷺ

للحب مظاهر شتى يتجلى فيها حب المحب واضحاً جلياً ، ومن أعظم هذه المظاهر طاعة المحبوب ، والنزول عند رغبته ورضاه ، واجتناب ما يسيء إليه ، أو يكرهه ويأباه ، ولذا إنه لما ادعى أناس محبة الله طلب الله منهم برهان ذلك بطاعته فى اتباع نبيه محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ وتظاهر فريق آخر بمحبة الله وهم يجاهرونه بالمعاصى ويحادونه بالمخالفات فقال مؤدبهم :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فطاعة المحبوب من آيات صدق المحب وإخلاصه . وعصيانه من علامات كذب المحب وخداعه ، فمن ادعى محبة محمد ﷺ يجب أن يبرهن على ذلك بالأفعال لا بالأقوال بنشر دعوته ، ونصر سنته ، والانتصار لأهل ملته ، والسير وراء رغبته لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» (١).

أما من جمح هواه ، وخالف هدى محمد وهداه . فإنه لا يكون أهلاً لشرف الانتساب إلى محمد فضلا عن أن يكون محبًا لمحمد . اللهم اجعلنا من محبيه والمهتدين بهديه وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فدعوى المحبة لا تصدق ولا يمكن أن تتحقق إلا بطاعة المحبوب قلباً وقالباً ، ظاهراً وباطنًا مع إيثار عظيم تهون أمامه النفس ويستصغر معه المال .

---

(١) أخرجه الديلمى ولا بأس به .

فمعنى محبة محـمد ــ كثير مدعوها ــ هى التفانى فى إحـياء سنته ، والعمل على نشـر دعوته ، والوقوف فى كل مـوطن تظهر فيـه طاعته ونصرته ومـحبته ، ومن هذه المواطن : أن تؤتى السنن التى سنـها ، والرغائب التى رغب فيها ، وأن تترك البدع الـتى قبحها وحذر منـها : «إياكم ومحدثات الأمور ، فـإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فـى النار » مع ملازمة كل حد حده الله ، والقيام بكل واجب أوجبه الله ، إلى جانب عقيدة التوحيد الخالصة التى تتمثل فى إفراد الله بكل عبادة ، والإخلاص له فى كل نية ، وعمل وطاعة .

أما أن يدعـى محبة محـمد أقوام وهم يناصـبونه العداء صـباح مساء بمخـالفة سنتـه ، والعمل بغـير شريعـته ، والتخلـق بغير أخلاقـه ، والتأدب بغـير آدابه : فادعاؤهم بـاطل . وهم أهل بغضـته لا أهل محبتـه ، ولو ملأوا الأرض دعاوى والسماء شكاوى .

ويظـن أقوام آخرون أن محـبة محـمد ﷺ هى التغـنى بشمائلـه ، والتمدح بفضـائله ، وإقامـة المآدب والحفلات عـند مرور ذكرى مـولده ، وتاريخ هـجرته ونصرته [1] ، وما علـموا أن محمداً لا يفـوز بمحبته إلا متـبعوا سنته ، وسـالكوا هديه، والصابرون على شرعه وشريعته ، والعاملون على تحقيق دعوته بأن لا يعبد إلا الله ، وأن لا يدان لأحد فى الأرض ولا فى السماء سواه .

أما إقامة الذكـريات والمآدب والحفلات فلم تكن سنـته ، ولا سنة راشدى [2] أمته مـن بعده ، وما لم يـكن كذلك . فكـيف يكون مجـلبة للحـب ، أو مدعاة للمحبة ؟

إن للحـصول على حب الرسـول سبيلاً غير سـبيل الحفلات والذكـريات هو إحياء السنة بالعمل بها والدعوة إليها ، وإماتة البدعة باجتنابها والدعوة إلى تركها.

مخالفة الرسول سبيل الشقاء

لا شك فى أن طاعة الرسول من طاعة الله ، وأن من يطع الرسول فقد أطاع

---

(1) هى ذكرى بدر وهى ليلة ١٧ من رمضان المعـظم فقد انتصر فيها الرسول ﷺ وأصحابه انتصاراً باهراً مكن للإسلام أن ينتشر وينتصر فيما بعد .

(2) الخلفاء الراشدين الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

الله . كما لا شك فى أن أية مخالفة للرسول هى مخالفة الله ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من مخالفة أمره ﷺ ورتب على ذلك الإصابة بالفتنة ، أو بالعذاب الأليم .

فقال تعالى جل ذكره وعز شأنه : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة** [١] ، **أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ [٢] .

وقد خالف أمره ﷺ فريق من الصحابة يوم غزوة أحد ، وهم الرماة الذين نزلوا عن مراكزهم جرياً وراء المادة المرذولة فحل بهم ما توعد الله به المخالفين فنكبوا نكبة شنعاء ــ للأسف الشديد ــ وتساءلوا عن سبب النكبة ووقوع الهزيمة فيهم وهم يجاهدون فى سبيل الله ، وفى صفوف رسوله ﷺ .

فأجابهم الله تعالى بقوله : ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم** ﴾ [٣] . فقوله تعالى : ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾ .

هذا هو الجواب الصحيح المطابق لسؤالهم ، إذ هو يبين لهم أن الهزيمة جاءت منهم ، وأن النكبة كانت من عندهم ، وذلك بمخالفتهم أمر النبى ﷺ وتسابقهم وراء المادة الذميمة .

والذى نستفيده من هذه القصة الواعظة : أن مخالفة الرسول كانت سبب شقاء المخالفين لأوامره ونواهيه ، الخارجين عن تعاليمه صلى الله عليه وآله وسلم .

وإذا كانت نتيجة مخالفة أوامره وتعاليمه دائما هكذا تنتهى بفتنة المخالفين ، أو عذابهم . فكيف نرجو لأمتنا الإسلامية اليوم خروجاً من فتنة ، أو نجاة من عذاب ، وهى ليست مخالفة لأوامره ﷺ فحسب ، بل هى فى واد وتعاليمه [٤]

---

(١) فسرت الفتنة بالشرك وفى الحق لو فسرت بما هو أعم لكان أولى فلقد جربنا طويلاً أن مخالفة الرسول فى كل شيء ولو فى أمره المصلى بأن يفطر بين يديه فى صلاته تسبب فتنة بمقدار المخالفة فمن خالف فى عظيم وقع فى فتنة عظيمة ومن خالف فى صغير وقع فى فتنة أصغر .

(٢) الآية من آخر سورة النور .

(٣) أى فى يوم بدر ، لأنهم قتلوا سبعين من صناديد قريش وأسروا سبعين من رجالهم .

(٤) أليست قد عطلت أمة الإسلام الأحكام الشرعية ؟ أليست قد تخاذلت وتخالفت ؟ أليست قد تركت الصلاة؟ ألم تبح السفور والفجور ؟ ألم تبح الربا والقمار ؟ ألم تبح الرشا والزنا ؟ ألم تكن قد ضيّعت الجهاد؟ .

فى واد ، ولم تكن تلتقى مع هذه التعاليم النبوية إلا فى القليل النادر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . اللهم رشدك يا الله وهداك !!

مظاهر الفتنة

من يوم خالفت هذه الأمة أوامر نبيها ﷺ ، وهى لا تكاد تنجو من فتنة إلا وتقع فى أطم منها ، ولا تكاد تستريح من عذاب إلا نزل بها عذاب أشد ألما من سابقه ، ولو كان من المجدى ذكر هذه الفتن التى أصابت هذه الأمة لأشرت إلى الكثيرمنها ، وهى بقاع سود فى تاريخ هذه الأمة الأبيض اللماع قد شوهت جماله، ونقصت من عظمته وجلاله .

ومن آبرز هذه الفتن التى أصابت هذه الأمة منذ خالفت أمر نبيها : فتنة الفرقة والانقسام وما نجم عن ذلك من تنافر وتطاحن هد كيانها عشرات المرات.

ولولا الأمانة المقدسة التى تحتضنها ــ وهى دين محمد ﷺ ــ لكانت قد انقرضت هذه الأمة من الوجود كما انقرض غيرها من الأمم التى هى أكثر منها وأشد قوة وآثاراً فى الأرض .

ولكن بفضل الله ثم بشرف هذه الأمانة لم تزل هذه الأمة تتجدد قواها كلما ضعفت ، ويظهر أمرها كلما خذلت ، وستبقى كذلك إلى انقراض هذا الكون. «ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى [١] وهم ظاهرون » .

وهذا الذى تعانيه هذه الأمة من زجر ، ومد ، وارتفاع ، وانخفاض ، سببه مخالفة أمر نبيها .

فلو عادت إلى الطاعة والانقياد لصلح حالها واستقام أمرها ، وعزت وسادت، كما أنها كلما جنحت إلى المخالفة ومالت إلى المحادة لأوامر الله ورسوله فسد شأنها ، وهان أمرها ، وتخطفتها الأمم ، وتقاسمتها قوى الشر والاستعمار ، فلا تزال فى فتنة وفى عذاب إلى أن يقيض الله لها مصلحاً يصلح من فسادها، ويأخذ بزمامها إلى طاعة الله ورسوله حتى تخرج من الفتنة وتنجو من العذاب ،

---

(١) هذا بعض حديث طويل أخذت منه ما فيه الشاهد. وهو فى كتب الحديث المعتبرة فليرجع إليها من شاء.

قال الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [1].

وإذا صح هذا ـ وهو لا شك صحيح ـ فعلى مريدى الخير لهذه الأمة أن يسعوا دائمًا أن يرجعوا بها إلى تعاليم دينها وطاعة ربها ونبيها ، ففى رجوعها إلى ذلك خيرها وسعادتها ، وعزها وسيادتها ، لأن وعد الله حق ، ووعيده ناجز . قال الله تعالى : ﴿ **وعد** [2] **الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ .

---

(١) الآية من سورة الرعد . وهى مساقة إلى أن نعم الله تزول بسبب ظلم المنعم عليهم فلما يكفرون النعم ولم يشكروا الله تعالى عليها يغير حالهم من سعادة إلى شقاء ، وقد تساق للعكس أيضا . فإن المفسدين إذا صلحوا وتابوا يغير الله حالهم من شقاء وبلاء إلى سعادة وهناء .

(٢) الآية من سورة النور .

من القدوة به نشر دعوته ﷺ

إذا كنا نعتقد أن الخير الذى جاءنا به سيدنا محمد ﷺ هو ما اشتملت عليه دعوته الإسلامية من إصلاح دينى واجتماعى كفيل بتحقيق السعادتين : الدنيوية والأخروية .

وإذا كان اعتقادنا ذلك هو الذى جعلنا نتقبل دعوته ونتلقاها بالتسليم والقبول فلم لا نعمل على نشر هذه الدعوة وتعميمها بين الناس كافة ؟

إذا اعتقدنا صلاح هذه الدعوة لكافة بنى البشر يجب أن نبلغها لهم وأن ندعوهم إليها ، وما أحوج الناس فى هذه الظروف إلى هذه الدعوة الإسلامية ، فلو بلغ اعتقادنا فى صلاحية هذه الدعوة من القوة اعتقاد صاحبها ﷺ ، لما توانينا طرفة عين فى نشرها وتعميمها بين بنى الإنسان .

هذا وإذا كانت الأسوة به ﷺ من الإيمان به ، فإن نشر دعوته من القدوة به أيضا ، فإنه قد قضى عليه الصلاة والسلام ثلاثا وعشرين سنة كاملة فى تبليغ هذه الدعوة ونشرها ، وقد لاقى فى سبيل ذلك من العنت والعذاب ما جعله المثل الكامل فى التضحية والصبر والجهاد والثبات أمام كل عدو يعترض سبيل دعوته ، أو يقف حائلاً دون نشرها وذيوعها فى الناس وهو رسول الله إليهم كافة .

فإذا كنا نحن المسلمين خلفاءه ، فى دعوته ، وأمناءه ، على رسالته فلم لا نقدر هذه الخلافة ؟ ولم لا نراعى هذه الأمانة فننشرها ونبلغها ؟ ولم لا نقتدى به فى النشر والتبليغ كما اقتدينا به فى كثير من أمور الدين غيرهما ؟

وإذا كان قد صح عزمنا على قضاء هذا الواجب ، وأداء هذه الأمانة . فإنها لا تعوزنا الأسباب التى من شأنها أن تكفل لنا تحقيق الهدف ، وبلوغ الغاية فى نشر رسالة محمد وتعميمها بين الناس أسوة به ﷺ .

أما هو عليه الصلاة والسلام : فقد استعمل كثيراً من الأسباب ، واتخذ وسائل شتى لنشر دعوته وإبلاغها كافة الناس ، فكان يطلب الاتصال بالناس فى مجتمعاتهم العامة والخاصة . كالحج والأسواق وغيرهما : وكان يرسل الكتب ويبعث الرسل مبشرين ومنذرين ، وكان إذا اعترض طريق دعوته معترض قاومه

بالسيف حتى تجد دعوته مجالاً لأن تذيع وتنتشر .

وقد سار خلفاؤه من بعده على نفس الطريق ، ونسجوا على نفس المنوال فذاعت الدعوة وانتشرت ، حتى عمت نصف سكان المعمورة ، ولما تفككت عرى الإسلام ، وخضدت شوكة المسلمين أخذت الدعوة الإسلامية تنكمش، ونورها يتضاءل حتى وصلت عهداً أصبح فيه لا يوجد من يحمى هذه الدعوة فضلا عمن يفكر فى نشرها وتبليغها إلى الناس. واستمرت الحال على ما هى عليه من تفكك وضعف : عدة قرون ، والدعوة الإسلامية فى تراجع ، والأمة المحمدية فى ضياع .

والآن وقد ظهرت فى العالم الإسلامى دويلات شبه قوية فكان عليها أن تجدد عهد الدعوة الإسلامية . فتعمل على نشرها وتبليغها إلى شعوب العالم ، هذه الشعوب التى هى فى أمس الحاجة إليها ؛ لأنها ملت الرأسمالية الغربية ، والشيوعية الإلحادية . وذلك لما نالها من إجحاف الرأسمالية ، وظلم الشيوعية الإلحادية . لذلك فهى فى حاجة إلى دعوة إسلامية لا شرقية ولا غربية ، بل دعوة ربانية تنقذها من وهدتها ، وتخرجها من محنتها ، وتأخذ بيدها إلى رحمة الله وسعة فضله ، وعظيم منته وإحسانه . ولكن يجب أن تنشر هذه الدعوة بطرق غير الطرق التى نشرت بها من قبل ؛ وذلك لتباين الظروف واختلاف الأحوال .

وإنى وإن كنت لا أستطيع أن أرسم لأهل الإصلاح طرقاً تمكنهم قطعاً من بلوغ الغاية فى ذلك ، فإنى أشير هنا إلى ما بدا لى من طرق أظن نجاحها ، وآمل إفادتها . والله وحده يعلم عاقبة الأمور ، وخواتيم الأعمال .

الطرق التى يمكن أن تنشر بها الدعوة الإسلامية

وأولى هذه الطرق وأجدرها بالعناية : هو تجديد الدعوة الإسلامية فى أهلها ، وبين معتنقيها بحيث تؤدى جميع الشعائر الإسلامية وتقام كل الحدود ، وتنفذ سائر الأحكام ، ويطبق النظام الإسلامى تطبيقاً كلياً بين عامة المسلمين إلى أبعد مدى ممكن حتى يُرجع بالأمة الإسلامية إلى عهد سلفها الصالح ، وأيام خلفائها الراشدين .

وثانيها : العمل باعتناء على نشر اللغة العربية ، وإشاعتها بين طبقات الأمة الإسلامية فى كل صقع من أصقاع العالم الإسلامى ، وإفهام الأمة الإسلامية أن من أعظم العبادات وأشرفها ، ومن أوجب الواجبات وأجلها : تعلم الدين . وحيث أن الدين لا يمكن تعلمه إلا بتعلم لسانه «اللغة العربية » فإنه يجب أن يتعلم العربية كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية صغيراً كان أو كبيراً ، ذكراً كان أو أنثى.

ويتذرع لبلوغ هذه الغاية بفتح المعاهد الدينية ، والمدارس العربية فى كل بلد يوجد فيه إسلام ومسلمون . ولا أحسب أن هناك عاملاً كان أقوى على تفكك عرى الأمة الإسلامية ، والحيلولة دون اتحادها ووفاقها من جهلها لدينها ولغة دينها اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

وثالثها : العمل على إيجاد علماء ربانيين تتوفر فيهم صفات الكمال الروحى والخلق الإسلامى العالى ، والخلوص من شوائب الدنيا وأوضارها ، والانقطاع إلى الله ، والرغبة فيما عنده ، وصفات الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة كأمثال رجالات سلف هذه الأمة الذين نشروا الإسلام بأقوالهم وأفعالهم قبل سيوفهم وسلاحهم ، وتوزيع هؤلاء الربانيين على البلاد الإسلامية يدعون إلى الله ويعرِّفون الأمة بربها وبدينها وبإسلامها ومجدها وأهدافها وغاياتها فى الحياة ، بحيث لا يخلو بلد إسلامى من دعوة هؤلاء الربانيين .

هذا فى داخل العالم الإسلامى . أما فى خارجه : فالعمل على نشر الدعوة الإسلامية يكون بفتح مساجد فى كل عواصم العالم وتعميرها بأمثال أولئك الربانيين الذين سبقت صفاتهم ، والمشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ **إنما يعمر مساجد**

الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ (١) .

وتزويد هؤلاء الدعاة الربانيين بالمال اللازم الذى يمكنهم من إصدار النشرات ، والصحف ، والمجلات باللغات المختلفة للتبشير بالدعوة الإسلامية ونشرها ، وإظهارها للعالم ، وبيان فضلها وصلاحها ، ولبيان حاجة العالم اليوم إليها .

ومما ينبغى ملاحظته هنا : أن انتشار الدعوة الإسلامية فى غير أهلها يتوقف إلى حد كبير على مدى صلاح الأمة الإسلامية واستقامتها ، وأخذها بأسباب الكمال والقوة ؛ فإن غير المسلمين ينظرون إلينا لا من خلال الإسلام وتعاليمه القيمة ، ولكن من خلال أفعالنا وأحوالنا الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية .

فبقدر ما يصلح المسلمون ويعزون ، وبقدر ما يتقيدون بالإسلام وينفذون أحكامه ، ويطبقون نظمه وآدابه بقدر ما يقبل غير المسلمين على الإسلام ويعتنقونه كمبدأ لصلاح دينهم ودنياهم ؛ لأن الناس دائما يجرون وراء مصالحهم .

ورابعها : العمل على تقريب وجهات النظر بين كافة الطوائف الإسلامية بجمع علمائهم فى مؤتمر واحد ، ودعوتهم إلى كتاب الله وسنة نبيه الصحيحة ، وترك ما من شأنه تفرقة الأمة الإسلامية ، والبعد بها عن وحدتها وقوتها ، وتعاليم دينها . وأن تجمع الأمة الإسلامية بطواعية واختيار على مذهب واحد ينتقى من المذاهب الإسلامية ، وأن يكون أساس هذا المذهب قول الله والرسول لا أقوال الفقهاء ، وآراء العلماء ؛ لأن وحدة الأمة الإسلامية لا يمكن أن تتحقق إلا بجمعها على كتاب ربها وسنة نبيها ؛ لما فى كتاب الله وسنة رسوله من التأثير على الروح البشرية الشيء الذى لا يوجد فى غيرهما من المؤلفات والتصانيف البعيدة عن الاستدلال بالكتاب والسنة ، المليئة بالنظريات والقياسات التى لا تمت أحياناً إلى روح الشريعة الإسلامية السمحة بصلة أبدا .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام : أن جمع الأمة الإسلامية فى مذهب واحد . كان فى غير هذه الظروف متعذراً إلى حد المحال لتنائى ديارها ، وتباعد أفكارها .

أما الآن : فقد أصبح من السهولة بمكان ــ والحمد لله وذلك : بفضل الله ــ ثم بالدروس الزمانية التى تلقتها الأمة الإسلامية من ضروب الفتن ، وأصناف المحن نتيجة فرقتها وانقسامها ، إلى جانب وسائل الاتصال التى صيرت

---

(١) الآية من سورة التوبة .

البلاد المتنائية المتباعدة بلاداً واحدة،من طائرات وإذاعات وغيرهما .

فقد أصبح العالم الإسلامى يمكنه أن يعلن قراراته فى ساعة واحدة ، وتبليغ سائر أفراده فى لحظة واحدة ، فبفضل الله تعالى ثم بفضل ما سخر من هذه الإمكانيات العظيمة أصبحت وحدة الأمة الإسلامية ميسورة وسهلة جداً إذا ما شاء الله ذلك ثم شاءت الأمة وعزمت عليه .

وعد الله ووعيده

وعد الله حق ، ومن أنجز من الله وعداً ؟

وعده . كقدره لا يتأخر . ووعيده واقع لا مردّ له ولا دافع . وقد أوعد الله المخالفين فحقق وعيده ، وحل بالمسلمين المخالفين من الفتن والإحن والمحن ، والذل والعار ما حل . وغشيهم من العذاب ما غشيهم . وواعد المؤمنين الصالحين فأنجز لهم وعده فاستخلفهم فى الأرض ، ومكن لهم فيها ، فنشروا الدين وبنوا دعائم الإسلام ، وسادوا العالم ، ودوخوا الدنيا فتحاً وانتصاراً .

والآن : وقد رغب المسلمون فى تغيير حالهم من الذل والإهانة إلى العز والكرامة . فليعلموا أنه لا سبيل إلى ما يرغبون إلا بترك المخالفات التى أقعدت بهم عن الكمال مئات السنين ، والتى ترتب عليها كل ما عانوه من فتن وعذاب طوال هذه القرون العديدة .

وبالإيمان الصحيح ، والعمل الصالح اللذان هما الشرط الأساسى فى كل نجاح وتقدم مع العمل بسنن الله تعالى فى الكون ، وفى طبيعة الحياة والأخذ بأسباب القوة والمنعة . فإذا ما حققوا هذا الشرط كاملاً وافيًا بالصدق والحق ، لا بالادعاء والنطق . فإن الله سبحانه وتعالى يحقق لهم وعده فيبدل فقرهم بغنى، وذلهم بعزة ، وشقاءهم بسعادة . والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ووعد الله حق . ومن أنجز من الله وعداً ؟ أو ليس هو الذى يقول :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون [1] ﴾ .

---

(١) الآية من سورة النور .

من الأسوة برسول الله ، الجهاد فى سبيل الله

هل عاش رسول الله ﷺ غير مجاهد ؟

وهل خلد إلى الدعة والراحة منذ أن خوطب بقول الله تبارك وتعالى : ﴿**ياأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر**﴾ ؟

ألم يكن قد قضى ثلاث عشرة سنة متوالية متتابعة داعياً إلى الله إلى كلمة التوحيد والإخلاص : « لا إله إلا الله » مسفهاً أحلام قريش ، مقبحاً لهم شركهم وما يعبدون ؟

وهل كانت قريش تقابل هذه الدعوة الجريئة ، وهذا الإنكار الشنيع بالهدوء ، والوداعة ، أم كانت تقابله بالشدة والعنف ، والضرب على أيدى كل من حاول التنقيص من شرف عقيدتها وشرف آلهتها الموهوم ؟

وهل كان موقف محمد ﷺ إزاء تحرشات قريش وتعنتها وجبروتها موقف المسالم ؟ لا . لا . بل كان موقفه معها طوال الثلاث عشرة سنة التى قضاها بمكة موقف المجاهد الصابر الذى لا تخمد له دعوة ، ولا يهدأ له صوت .

لنذكر هجرة أصحابه بأمره إلى الحبشة مرتين وفى ظرفين مختلفين .

ولنذكر حصاره وبنى عمه فى شعب أبى طالب ، والحكم عليهم وعليه بالإعدام لأية بادرة تبدر منهم .

لنذكر ذهابه إلى الطائف ورجوعه دامى العقبين .

لنذكر القرار الجائر الذى صدر فى دار الندوة والذى مفاده أن يضرب محمداً جماعة قوية من فتيان قريش ضربة تقضى عليه وتوزع دمه بين القبائل والعشائر .

ولنذكر حصاره فى الغار ثلاثة أيام ولجوءه إلى طيبة لجوء الفار بدينه ودعوته من قوم أصبح عتوهم وطغيانهم لا يطاق ولا يتحمل . ولنذكر ولنذكر وهذا قليل من كثير .

وهل بعد هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة خلد إلى الراحة ، واستعذب طعم

الدعة والسكون ؟

وهل اكتفى بنشر دعوته بين جدران المدينة ، ومن ضمتهم مهاجره من مؤمنين تقبلوا دعوته بالطواعية والاختيار ؟

وهل كان نـزوله بالمدينـة ، وحلولـه بها غيـر تحول خطيـر فى حياة الـدعوة المحمدية الحديثة ، وبداية عهد جديد لها ؛ لأن تقوى وتذيع وتنتشر ؟

ألم يكن قد غزا ﷺ ـ فى ظرف عشر سنوات ـ سـبع عشرة غزوة حضرها بنفسه متحمـلاً تبعاتها ، من نجاح أو إخفاق ،وما تتطلـبه من عدة وعتاد ، وبعث خلالها عشرات السرايا ؟

إذا ثبت كـل ما ذكرنا ، وقـد ثبت بالفـعل كما هـو بالقول . فـأين إذاً أسوة المسلمين اليوم ـ ومنذ مئات السنين بنبيهم محمد ﷺ ـ الذى قضى ثلاثا وعشرين سنة جهاداً ودعوة وتبليغاً؟

فهل قام المسلمون اليوم ومنذ مئات السنين بشىء اسمه جهاد ، أو تبليغ أسوة بنبيهم فى تبـليغه وجهاده ؟ أو أن الأسوة بالنبى لا تكون إلا فيـما لا يكلف مشقة نفسية ، أو خسارة مالية كتناول الطعام باليمين ، وتقليم أظافر اليدين والرجلين ؟

وأبالغ فى التساؤل إلى درجة الإلحاف [١] فنقول : فيم كان جهاد محمد ﷺ ومن أجل أى شىء كان ؟

علنـا نجد فى الجواب ما يبـرر موقف المسلمـين من وضعهم السـيف ، وعدم الائتساء بنبيهم فى جهاده وتبليغه .

إن الجواب الصحيح أيـها المسلمون : هو أن الجهاد كان فـيمن حارب الدعوة الإسلامية وحاول خنقها والقضاء عليها ، وعلى أتباعها ومعتنقيها ، وكان من أجل الدعوة الإسلامية ونشرها فى العالمين ؛ لأنها رحمة ،ولأنها خير ويجب أن تعم !

وإذا صح هذا الجواب ـ وهو بدون شك الصحيـح وفوق الصحيح ـ فكيف ساغ للمسلمين القعود عن الجهاد ، وعن التبليغ ؟؟

أَلِأَنَّ محاربى الدعوة الإسلامية كفوا عن محاربتها ، ومحاولة القضاء عليها ،

---

(١) الإلحاف : كالإلحاح ، من ألحف السائل إذا ألح .

أم لأن الدعوة الإسلامية كانت رحمة وسلاماً ، فاستحالت جحيماً وعذاباً ، فهم لا يريدون للعالمين عذاباً ولا جحيماً ؟ لا . لا . فلاذا . ولا ذاك والله .

أيها المسلمون ، إن أعداء الدعوة الإسلامية ما زالوا يحاولون خنقها والقضاء عليها وعلى أهلها ، وأن الدعوة ما زالت كما كانت رحمة وسلاماً وأمناً ورخاء، وأن العالم اليوم لفى مسيس الحاجة إليها لتنقذه من الهوة السحيقة التى تردى فيها، ولتقيه من المستقبل الرهيب الذى ينتظره من جراء ما كسبت يداه من قنابل ذرية وهيدروجونية مخربة ساحقة ماحقة .

فإن من أراد بالعالم اليوم خيراً وأحب له السعادة ، وفضل له البقاء على الفناء فليبلغه دعوة محمد ورسالة الإسلام ولينشرهما بين ساكنيه . فإن فيهما الخير والسعادة والطمأنينة والهدوء والسلام .

القول بعدم التكافؤ

يقولون : إن مسلمى الوقت غير أكفاء لخصومهم . فهل دعوى عدم التكافؤ منطقية عقلية تتفق والواقع ؟

إن الحق الذى لا غبار عليه هو أن دعوى عدم التكافؤ باطلة ، وأن المسلمين لا تبرأ ذمتهم بمثلها ؛ فإن الحروب التى قامت فى جهات عديدة من أنحاء العالم الإسلامى ضد قوى الشر والكفر والظلم ، قد أثبتت بوضوح أن المسلمين على أى حال كانوا أكفاء لكل من ظلمهم وحاربهم متى كان سلاحهم الإيمان الصحيح ، والإخلاص الكامل ، وغايتهم إحدى الحسنيين : النصر المظفر ، أو الاستشهاد فى سبيل الله .

هذا وإن سلمنا بدعوى عدم التكافؤ ، فهل نسلم باستحالة وجود التكافؤ على كر الدهور ومر العصور ؟

أو أن التكافؤ إذا انعدم حينا يوجد حينا آخر ؟ وهل التكافؤ مما يحصل بالصدفة ، أو مما يعمل الإنسان ويسعى على تحصيله ؟

إذا كان غيرنا يصنع نفاثة الطائرات ، أو يشتريها . فلماذا نحن لا نصنع نفاثة الطائرات أو نشتريها ؟

وإذا كان غيرنا نستجيب لنداء داعى الشر للاستزادة من الأسلحة الفتاكة المدمرة ؟ لماذا لا نستجيب نحن لنداء الحق قال الله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ . فنستزيد من القوة ، ونعد ما نستطيع من العُدد والعتاد بمثل ما أعده خصومنا ومحاربونا أو خيراً مما يعدون ؛ وذلك لاختلاف غايتنا فى النبل والسمو ، مع غاياتهم .

فنحن إذ نتسلح إنما نتسلح لنحمى ديننا ونصون مجدنا ونحفظ أمن العالمين ، وهم إذ يتسلحون إنما يتسلحون لإشاعة الكفر . ولإرهاق الشعوب وظلمها واستعبادها .

فنحن نتسلح لنحمى الخير ، وننشر الخير بين البشر أجمعين ، وهم يتسلحون ليحموا الشر ولينشروا الفساد فى أهل الدنيا أجمعين . فشتان إذاً ما بين الغايتين ، وشتان ما بين الفريقين .

خاتمـــة

بعد هذا العرض البسيط لبعض ما تضمنته كلمة : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، وبعد الإشارة إلى سـوء حال المسلمين اليوم أثناء ذلـك العرض وما هم يعانونـه من ضعف وتفكك نـتيجة إعراضهم عن ديـنهم وضعف إيمانهـم بربهم ، ومخالفات أوامر ربهم ونبيهم ، وعدم الإصـغاء إلى نداءات الحق المتكاثرة المتكررة لهم ليثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى ربهم فيتوب عليهم ، وينجز لهم وعده بالنصر لهم والتمكين فى الأرض .

وبـعد أن أعـربت فـى قصـد أو فى غـير قـصـد عن كـثير من المشاعـر ، والإحساسات الـتى تجيش فى صدور كثيـر من مصلحى هذه الأمة ومـريدى الخير والسعادة لها . أردت أن أختم هذه المشاعر وهذه الإحـساسات بكلمة توجيهية أبين فيها لهذه الأمة المسلـمة الضعيفة سبيل نجاتها وطريق نجاحـها وخلاصها من الشقاء والتعاسة ، والضعـف والانحلال ، وأنا أشعر بغبطة كبيرة حيـث وفقت ــ بحمد الله تعالى ــ لأن أقدم نصيحتى الواجبة علىَّ بكل صراحة وإخلاص .

فيا أيـها المسلمـون اعلموا علم يـقين أنه لا سبيـل إلى نجاتكم ونجـاحكم إلا بالفرار إلى الله ففروا إليه ، وباللجـوء إلى كتابه الكريم فالجأوا إليه ، فإن فى هذا الفرار وهذا اللجوء نجاتكم ونجاحكم وخـلاصكم وإنه هيهات هيهات أن تجدوا فى غيرهما النجاة والنجاح والخلاص . فروا إلـى ربكم حققوا له العبادة ، وأخلصوا له التـوكل والاعتمـاد ، والجأوا إلى كتـاب ربكم بتنـفيذ أحكـامه وتحليـل حلاله وتحريم حرامـه ، وبالعمـل بآدابه ، فإنـه سبيل نجـاتكم وطريـق عزكم ورفعـتكم ومجدكـم، وإلا ، فإن الشقـاء لا يفارقكـم ، والضعف والانـقسام لا يبـرح يهدّ كيانكم.

أيها المسلمون ، يا أهل القرآن عليكم بدينكم . عليكم بإسلامكم ! واضربوا

على أيدى المارقين الذين يسمون كل دعوة إلى الدين رجعية واقطعوا ألسنة الخائنين الذين يقدمون لكم الكفر والإلحاد ويسمونه تقدمية . إن فى إسلامكم أيها المسلمون الطاقة التى لا تنفد فحققوا الإسلام تتحقق لكم كل قوة وسعادة .

اتخذوا الإسلام مبدأً للتحرير والعزة والكمال . فإنكم ــ والله ــ تتحررون وتعزون وتبلغون غاية الكمال ــ والكمال بمعناه الحق ــ لا الكمال المزيف الذى يعرفه الإلحاديون المارقون .

أيها المسلمون يا أهلَ لا إلهَ إلا الله ! .

إنه إذا كانت دعائم قوى البشراليوم هى العلم والمال والسلاح والرجال . وقد عُرِفتم أنتم بين البشر بأنكم جاهلون فقراء ضعفاء قليلون ، وقد رضيتم بهذه الصفة الذميمة ، وقبلتم هذه الوصمة وصمة الجهل والفقر والضعف والقلة.

فتعالوا أيها المسلمون يا أتباع محمد ﷺ .

تعالوا هاتوا أيديكم أُرِكم مخازن العلم والمال ، والسلاح والرجال .

تعالوا أركموها فى إسلامكم ، فى مبادئ دينكم الحنيف ، وإسلامكم القوى.

إن من مبادئ الإسلام العامة والخاصة : الدعوة إلى الوحدة الشاملة . فهو يصف المؤمنين بالأخوة الكاملة ، ويحث على توطيد دعائمها ليجعل الأمم المتباعدة أمة واحدة . فالله تعالى يقول : ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾ .

ونبيه يقول : «المسلم أخو المسلم » (١) ، ويقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (٢) فلو حققتم هذا المبدأ كما هو مطلوب منكم فإنه يصبح عدد أفرادكم سبعمائة مليون ، أو يزيدون .

وهل يقال لكم بعد إنكم قليلون ؟ !

وإن من مبادئ الإسلام العامة والخاصة : الاستهانة بالمخلوقين والاستخفاف بالجبارين ، والهزء بكيد الشياطين والكافرين ، والاعتماد على الله ، واستعذاب

---

(١) رواه مسلم . (٢) متفق عليه .

العذاب فى الله وفى ذات الله .

فلو حققتم هذا المبدأ ـ كما هو مطلوب منكم فاستهنتم بكل شىء إلا ما عظم الله ـ واستخففتم بكل قوى البشر فى الحياة ، واستعذبتم طعم الموت فى سبيل الحياة فأصبحتم أنتم القنبلة الهيدروجونية التى لا تقوى الأرض ومن عليها على غضبتها ، ولا الكائنات على انفجارها .

فهل يقال لكم بعد إنه ينقصكم السلاح والعتاد ؟

وإن من مبادئ الإسلام العامة والخاصة : تحريم كنز المال ، وتحريم إضاعة المال، وتحريم احتكار المال ، وتحريم القعود عن طلب المال ، وتحريم اغتصاب المال. فلو حققتم هذا المبدأ ـ كما هو مطلوب منك ـ فانطلقتم تجمعون المال بإيجاد أسبابه وانطلقتم تطاردونه من جيوب المسرفين ، ومن خزائن الممسكين ، ومن أيدى المحتكرين ، لتحشروه حشراً وتجمعوه جمعاً فى بيت مال المسلمين لينفق على عزة المسلمين ومصالح المسلمين ، وأصبحت بيت مال المسلمين تضم جميع مال المسلمين وتقنطرت فيها القناطير وتمليرت فيها الملايير .

فهل يقال لكم بعد، إنكم فقراء ؟

وإن من مبادئ الإسلام العامة والخاصة : الدعوة إلى العلم . فقد أوجب الله تعالى تعلمه ، وفرض نبيه طلبه .

فالله تعالى يقول : ﴿ **فلولا نفر** (١) **من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ ونبيه ﷺ يقول : «طلب العلم (٢) فريضة على كل مسلم » فلو حققتم هذا المبدأ كما هو مطلوب منكم فرحتم تنشرون العلم فى ربوع بلادكم ، وبين عامة أفرادكم والمراد بالعلم : العلم الصحيح لا العلم المزيف الذى تعلمه أبناؤكم من مدارس أوربا الإلحادية فأصبحوا به معاول هدم وتخريب لمقوماتكم الروحية ، ولأصولكم الدينية . العلم المراد لكم هو ما أراده الله ورسوله ، وهو العلم الذى كان يتلقى من هذه الآيات

---

(١) الآية من سورة التوبة .

(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان وابن عبد البر (صحيح) .

القرآنية النورانـية التى مـا هذه المدنيـة الحالية إلا مـن نور اكتشـافاتها ، وبـركات أسرارها .

هذه الآيات التـى كانت تتلى وتـتلقى بين جدران المسـاجد فتثمر مـا لا تثمره الكليات والجامعات اليوم من إصلاح وصلاح .

هذه الآيات التى أخرجت أئمة الهـدى وأعلام الإصلاح ، ودهاقنة السياسة ، وأساطين البناء والتعمير ، وقواد جيوش الأمن والرخاء والسلام فى العالم .

وهذه الآيات هى قوله تعالى : ﴿ **إنّ فى اختلاف الليل والنـهار وما خلق الله فى السـموات والأرض لآيـات لقوم يـتقون ، إن الـذين لا يرجـون لقاءنـا ورضوا بالحياة الـدنيا واطمأنوا بهـا ، والذين هم عن آياتنـا غافلون ، أولئك مأواهـم النار بما كانوا يكسبون ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم** [1] ﴾ .

وقـولـه تعالـى : ﴿ **الـم . أحـسب النـاس أن يتركــوا أن يقولـوا آمنـا وهـم لا يفتنون**﴾ ؟

وقوله : ﴿ **فليقـاتل فى سبيل الله الـذين يشرون الحياة الدنيـا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله ، فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيمًا**﴾ .

وقوله : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلـون وعداً عليه حقًا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعـهده مـن الله ؟ فـاستبشروا ببيـعكم الذى بايعتـم بـه وذلك هـو الفـوز العظيم** ﴾ .

وقولـه : ﴿ **وأنزلنـا الحديد فيه بأس شـديد ومنافع للـناس ، وليعلم الـله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوى عزيز** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ياأيها الناس إنا خـلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكـم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ .

---

(١) لم أرتب وضع هذه الآيات القرآنية المباركة بحسـب ما تدعو إليه من إصلاح فى الدين ، أو فى الاجتماع ، أو فى السياسة ، وإنما وضعتها كما حضرتنى ساعة تبييضها . فجاءت متنوعة كما هو أسلوب القرآن الكريم والغرض منها بيان شاهد ، وضرب مثال وهذا لا يتطلب تنظيمًا فى الوضع ولا تدقيقاً فى الترتيب .

وقوله : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .

وقوله : ﴿ قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها ﴾ .

وقوله : ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم ﴾ .

وقوله : ﴿ فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ .

وقوله : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ .

وقوله : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ .

وقوله : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ﴾ .

وقوله : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ .

وقوله : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

وقوله : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ .

وقوله : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

وقوله : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟ ﴾ .

فمن أسرار هذه الآيات ، ومئات أمثالها : كان الإسلام يبسط فى الأرض عدله، وينشر فى الخلق رحمته ، ويرفع للحق رايته ، ويعلى للبشرىّ قيمته ، وبخدعة خادع، وحيلة ماكر ، وببغض فاجر ومس مارد تحول المسلمون عن هذا الصراط ، ورغبوا عن هذا المعين الصافى فضلوا وعموا وصموا، وراحوا

يتلـمسون الهـداية والنور فى غـير مظانـها يتلـمسونها مـن دساتير أوربـا وقوانين الفاجرين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أرأيتم أيّها المسلمون لو أشعتم هذا العلـم بين أبنائكم كعهد أسلافكم . أيقال لكم بعد إنكم جاهلون ؟

هذه نصيحتى إليـكم أيها المسلمون قد قدمتها وهذه سبـيل نجاحكم وفلاحكم قد بينتها .

فديـنكم دينـكم . وإسلامـكم إسلامكـم . والقرآن الـقرآن . كتاب ربـكم وقانون حياتكم ورمز مجدكم وعزكم . والله وليى ووليكم وهو حسبنا وبيده أمرنا وإليه المصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

الرسالـة الثانيـة

الحــج المبـرور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله تعالى ، وبه أستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد جميع العالمين .

وبعد : فإلى عامة إخوانى فى الشرق والغرب أقدم هذا الكتاب ، وكلى أمل فى أن يجدوا فيه بغيتهم ، ويتحقق بـه غرضهم فى وجود كتاب لمناسك حجهم ، وآداب زيارة مسجد نبيهم ، يكون سليم اللفظ ، سهل العبارة ، قريب الإشارة ، قريبا من الأفهام ، مبيناً جامعاً للأحكام ، حاويًا لشتى المسائل شاملاً لكثير من الآداب والفضائل ، يغنيهم مع صغر حجمه ، وعدم الدقة فى وضعه عن الكتب المطولات ، والحواشى والموسوعات . يتناوله الطالب المبتدى ، والعالم المنتهى فيظفر كل بما يريد من معرفة حكم ، أو استخراج حكمة ، يصحبه الحاج فى حجه، أو الزائر فى زيارته فيجد فيه خير مرشد ، وأصدق دليل .

هذا وإن كان لكل كتاب ميزة فميزة كتابهم هذا هى :

١ ــ أنه جمع من كل مذهب أحسنه ، ومن كل قول أصدقه ، فكان بذلك جامعاً للأمة ومذاهبها ، قاضياً على الفرقة الدينية وأسبابها ، ممثلاً للحقيقة والصواب جامعاً لهدى السنة والكتاب .

٢ ــ قد ذكر لأغلب الأحكام أدلتها ، فقلما يذكر حكم إلا وقد قرن به دليله من الكتاب والسنة .

٣ ــ تفصيل الأحكام وبيانها حكمًا حكمًا ، ثم التعقيب عليها ببيان كيفية العمل بها ، مما لا يوجد ــ فيما أعلم ــ فى كتاب من كتب المناسك على كثرتها ، وتباين وضعها .

٤ ــ أن جميع مسائله متوخى فيها روح الإصلاح ، وثمرة العبادة زيادة على تحقيق الأحكام الفقهية وبيان أصولها .

٥ ــ محاولة الكشف عن حكم وأسرار أغلب المناسك بالقدر الذى وسع

خادمهم وفتح الله به عليه .

٦ ـ اختيار بعض الأدعية المزكية للروح ، المقوية للشعور الديني في النفس، ووضع كل منها في المقام الذي يناسبه ، بحيث يسهل حفظها ومراجعتها عند الحاجة .

٧ ـ وضع كلمة خاصة بالتشريع وأسراره ، ومن يحق له أن يشرع في أول الكتاب تساعد على فهم حقيقة العبادة وأسرار تشريعها .

فبهذا كان الكتاب خير ما يقدم لهذه الأمة الإسلامية في ظروفها المادية الحالية وفي عصرها المتطرف في كل شيء ، عساها تجد ما يروى الظمأ ، ويكبح الجماح ويقوى دواعي الخير والصلاح ، وهي في وقت أحوج ما تكون إلى الإصلاح والخير ، وإلى المساعدة على التغلب على الفساد والشر ، فاللهم حقق بفضلك لها ذلك ، فإن رجاءنا فيك ، وتوكلنا عليك ، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسلم .

كلمـــة !

فى التشريع ، وأسراره ، ومن يحق له أن يشرع

اعلم ــ أخى المسلم ــ أن سعادة الإنسان متوقفة تماماً على صلاح جثمانه وروحه ، وأن صلاح الجسد والروح متوقف كذلك على تشريع حكيم ذى قوانين محكمة، ووظائف دقيقة ، ووجود هذا التشريع فى صورته الكاملة يتوقف إلى أبعد حد على مدى علم وخبرة الواضع له ، فبقدر معرفة الواضع لأحوال وشئون الموضوع لهم ظاهراً وباطناً ، وفى كل ظروفهم وأطوار حياتهم يكون التشريع صالحاً مؤديًا للثمرة المرجوة منه من إصلاح روح الإنسان وجسمه اللذين توقفت سعادته الكاملة على صلاحهما. وليس من شك فى أنه لا يعرف أحوال الخلق الظاهرة والباطنة فى الحال والمآل إلا الخالق ؛ لأنه لا أعلم بالخلق من خالقهم . قال تعالى : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ [١] . وقال تعالى جده: ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما** ﴾ [٢] فهو وحده إذاً صاحب التشريع ، ليس لغيره من حق فى وضع أى قانون للخلق لا سيما فيما يتعلق بإصلاح أرواحهم . أما وقد تكفل سبحانه وتعالى بهذا منذ أن بدأ الخليقة فقد قال : ﴿ **الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان** [٣] ﴾ وقال عز شأنه : ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ [٤] .

فالبيان الذى علمه ، والهدى الذى واعد بالإتيان به هما تعاليمه تعالى وتشريعاته لخلقه ، ومن المقطوع به مما دلت عليه الآية السالفة الذكر أن عدم اتباع تشريعه يفضى بالمخالف إلى عذابه وشقائه ؛ لأن التشريع الموضوع هو السبب المترتب عليه سعادة الإنسان . فإذا لم يعمل به لم يسعد قطعاً ، كما أن سبب الشقاء أيضا المترتب عليه هو ترك العمل بالتشريع الإلهى الموضوع لسعادة البشر وهنائهم .

---

(١) من سورة الملك . (٢) من سورة طه . (٣) من سورة الرحمن .

(٤) من سورة طه .

وإذا عرفت مما سبق أن التشريع لا يكون إلا لله تعالى، لأنه أعلم بالخلق ، وبما يصلح أجسامهم وأرواحهم ، ولأنه قبل كل شيء ربهم ، والرب هو المتكفل بإصلاح من يربيهم فيضع لهم من القواعد والسنن ما يحفظ حياتهم ويحقق سعادتهم . فإذا عرفت هذا فإنك تعرف مدى بطلان وفساد كل تشريع لم يأذن به الله عز وجل ، ولم يضعه لخلقه . قال تبارك وتعالى: ﴿ **شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم** [1] ﴾ وتعرف كذلك مدى فداحة الجرم الذى يرتكبه من يرغب عن تشريع الرب جل جلاله ، وعظم سلطانه إلى تشريع المخلوقين الجاهلين بحالهم ومآلهم ، ومصائر أمورهم .

هذا واعلم أن التشريع المتعلق بما يصلح الجسد فإنه يدور على تحريم ما حرم الله تعالى من المطعومات والمشروبات والمنكوحات وعلى تحريم المفاسد والمضار التى تضر بالإنسان فى نفسه ، أو ماله أو عرضه ، أو عقله ، أو دينه من الكليات الخمس التى اتفقت جميع الشرائع الإلهية على صيانتها والمحافظة عليها ، ووضعت لذلك العقوبات والجزاءات التى من شأنها أن تكفل صيانتها وسلامتها . كل ذلك قصد إسعاد البشر وتجنبهم الشقاء والخسران .

وأما التشريع المتعلق بإصلاح الروح . فإنه يدور على الوظائف والأعمال التعبدية التى شرعها الله سبحانه وتعالى وأذن بفعلها كالصلاة والصدقة والصيام والحج والعمرة وغيرها . ولما كان أمر الروح من أمر الرب جلّ وعلا قال جلت قدرته : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى** ﴾ [2] فإن الإنسان مهما أوتى من العلم سيبقى يجهل حقيقة الروح وشأنه . وإذا كان كذلك فإنه ليس له أن يعرف ما يزكو به الروح أو يطهر ولا يتدسى به ويفسد ، فلولا أن الله تبارك وتعالى شرع عبادة الصلاة مثلا ماكنا لنهتدى بالعقل إلى أن الصلاة تزكى النفس، وتقرب من الله تعالى ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى حرم الزنى ما كنا لنعرف أن الزنى تتدسى به النفس وتخبث . وفوق هذا وذاك إن مما يطهر النفس ويزكيها ، أو ما يفسدها ويدسيها من الأقوال والأعمال يرجع إلى حكمة الله تعالى التابعة لمشيئته ، وإلى سنته التى لا تتخلف فى المخلوقات ، فإنه كما أودع الماء حكمته فى إزالة أوساخ الجسم به ، وجعل ذلك سنة لا تتخلف أودع ما شرعه من أقوال

---

(١) من سورة الشورى .

(٢) من سورة الإسراء .

العبادة وأفعالها حكمته التى تطهر النفس وتزيل عنها أدرانها فكما لا تتخلف سنة الله تعالى فى إزالة الماء للأوساخ عن الأجسام فإنها لا تتخلف كذلك فى إزالة العبادة التى وضعها للأدران التى على النفوس .

فقد يصبح من غير المعقول جداً أن يزيل الماء الوسخ الظاهر ، ولا تزيل العبادة الدرن الباطن ، وكلاهما موضوع للتطهير ، ومن قال بالتفرقة بينهما ، فقد حاول أن يبدل سنة الله تعالى ، والله عز وجل يقول: ﴿**فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً**﴾ [(١)] .

وإنما قد تؤدى العبادة أداء ناقصاً تفقد به خاصيتها فيجعلها ذلك لا تؤثر فى النفس بالتطهير والتزكية كما هو الحال لو أنها أديت أداء كاملاً ، كما أن الماء نفسه إذا لم يحسن استعماله فى غسل الأجسام فإنه لا يوثر فى تطهيرها لا سيما إذا خالطه شيء لا يتلاءم وطبيعته فإنه يفقده خاصيته بالكلية كالعبادة مثلاً إذا لابسها شرك أو رياء فإنها تفقد خاصية التطهير منها ، وتصير إثمًا يدسى النفس ويخبثها.

ومن هنا نعلم أن صلاح البشر جسمانيًا وروحانيًا متوقف على العمل بما شرع الله لهم ، وأنزل عليهم فبقدر انقيادهم لذلك التشريع وعملهم به . تعظم سعادتهم أو تقل . وأن ما وضعه الله تعالى لإصلاح النفس من أنواع العبادات لا يؤثر فى النفس بالزكاة والطهر إلا إذا نفذ كاملاً بصفته وكميته ، وبجميع متعلقاته ومستلزماته من هنا أيضا : يتبين لنا خطأ المبتدعة وضرر الابتداع فى الدين وخاصة فى العبادات . وأن البدعة وإن قصد بها صاحبها ثمرتها المرجوة منها من تطهير النفس وتزكيتها لا تحقق ذلك أبداً ؛ وأنها وإن لم تدس النفس وتدنسها ، لا تطهرها ولا تزكيها . ولم لا يكون إلا ذلك ؟ وخالق الأرواح والعالم بما يصلحها ترك عمل تلك البدعة فلم يشرعه وما لم يشرعه سبحانه وتعالى لا يكون إلا خاليا من مادة التطهير التى أودعها ما شرع من ضروب العبادة وأصنافها.

وبناء على ما تقدم . فإن البدعة فى الدين قبيحة وقبيحة جداً ، وأقبح منها المبتدع؛ فإنه أقل ما يقال فيه : إنه نازع ربه التشريع ، أو افترى على الله تعالى وأعظم الفرية ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب** [(٢)] ﴾ أو قال على الله

---

(١) من سورة فاطر .

(٢) من سورة الصف .

ما لم يقل ، ومن أعظم المفاسد القول على الله بغير علم ، قال تعالى: ﴿ **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** [1] ﴾ قاله عز شأنه فى سياق بيان ما حرم من أصول المفاسد . والمبتدع قائل على الله بدون علم من غير شك ، ومن نازع ربه حقه فى التشريع وافترى عليه بنسبته البدعة إلى الدين ، فلم لا يلعن على لسان سيد المرسلين ؟ « لعن الله من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا » وإذا كانت البدعة تدسى النفس وتدنسها فلم لا تسمى ضلالة ؟ وقد قال الرسول ﷺ : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وقال : «شر الأمور محدثاتها » وبهذا تعرف أن الزيادة فى الدين كالنقص فيه ، وأن كلاً من النقص والزيادة مخرج له عن حقيقته ، مذهب لما أودع الله تعالى فيه من طاقة الإصلاح ، ومادة التطهير ؛ وأن العمل الدينى الذى هو من جنس العبادات إذ لم يكن عليه إذن الله ولا إذن رسوله ﷺ فهو عمل باطل مردود وكيف وقد صح عنه ﷺ : قوله « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وقوله : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وقوله: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

هذا وإذا كانت العبادات الخالية من إذن الله تعالى ، أو إذن رسوله ﷺ لا تصلح الروح ولا تطهرها ، فإن الأحكام التى توضع لإصلاح الجسد إذا كانت أيضا خالية من إذن الله ورسوله لا تصلح الجسد بحال من الأحوال ، فما كان منها موضوعًا للأمن فإنه لا يحققه ، وما كان موضوعاً منها للعدل فإنه لا يحققه وما كان موضوعًا لدرء المفاسد لا يقدر على درئها، وما وضع لاقتلاع الفواحش أو للتقليل منها ، فإنه لا يزيدها إلا رسوخاً وانتشاراً ، ومن قال كيف ذلك ؟ قلنا له ما قد سبق أن قلناه وكررناه : من أنه لا يعرف أحوال الخلق وحاجاتهم وما تتطلبه حياتهم إلا خالقهم ومربيهم ، فما وضعه بالإذن أو أمر به ، فهو صالح مصلح محقق لما يرجى منه ، وما لم يكن كذلك ، فليس له ذلك أبداً لما سبق أن أشرنا إليه، وهو أن تشريع الله تعالى يحمل معه مادة الإصلاح والتطهير بخلاف تشريع غيره فإنه خلو من ذلك البتة . وبيان ذلك أن الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، وأما غيره فليس له ذلك قط .

---

(١) البقرة .

وهذه خلاصة ما تقدم :

١ ـ التشريع من حق الله تعالى [(١)] وحده لأنه هو الرب ، والرب هو الذى يضع لمن يربى من القوانين والوظائف ما يصلحه بها ، ويربيه تربية صالحة جسماً وروحاً ليعده بها للسعادة فى كلتا حياتيه الأولى والثانية .

٢ ـ صلاح البشر أجساماً وأرواحاً متوقف على تشريع الله وحده وأن سعادتهم تابعة لصلاح أرواحهم وأجسامهم .

٣ ـ كل ما وضعه الله تعالى من القوانين الشرعية والأعمال التعبدية يحمل معه طاقة الإصلاح للجسد ، ومادة التطهير للروح كما يحمل الماء مادة الرى والتنظيف.

٤ ـ تأثير العبادة فى النفس بالزكاة والطهر والإصلاح متوقف على أدائها أداء كاملاً وصحيحاً.

٥ ـ البدعة الدينية قبيحة شديدة القبح ، وأقبح منها المبتدع نفسه .

٦ ـ البدعة مهما كانت لا تزكى النفس ولا تطهرها ولا تقرب العبد من ربه ؛ بل الواقع أنها تدسى النفس وتبعد فاعلها عن ربه [(٢)] .

٧ ـ عظم الجرم الذى ارتكبه من يستعيض بالقوانين الإلهية القوانين الوضعية وعظم الشر والفساد والبلاء الذى جره على الأمة التى يحكمها بغير شريعة الله تعالى الموضوعة للإصلاح والإسعاد .

٨ ـ الغرض من التشريع هو إصلاح الإنسان جسداً وروحاً ، وإعداده لأن يكون أهلا لكرامة الله تعالى وإنعامه فى الدار الآخرة .

٩ ـ سعادة الإنسان وشقاؤه مدارهما على النفس زكاء وتدسية قال تعالى : **﴿قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾** .

١٠ ـ صلاح النفس وزكاؤها مداره الإيمان والعمل الصالح ، وفساد النفس وخبثها مداره الشرك والمعاصى فليعلم هذا فإنه سر الشرع ، وروح الدين ، والحكمة التى من أوتيها فقد أوتى الخير الكثير .

---

(١) وقد يشرع الرسول ﷺ لكن نسبة التشريع إليه ليست حقيقية بل إضافية ، لأن تشريعه ﷺ لا يخلو من إذن الله تعالى .

(٢) الابتداع المتعلق بما يصلح الجسد أهون من الابتداع فيما يصلح الروح ، لظهور حاجات الجسد ومتطلباته ، بخلاف حاجات الروح منها فإنها خفية بخفاء الروح .

الحج ومناسكه

من أعظم ما شرع الله تعالى لعباده لتطهير أرواحهم وتزكية نفوسهم عبادة الحج لبيته الحرام

معنى كلمتى الحج والمناسك :

الحج ــ بكسر الحاء وفتحها ــ مصدر حج المكان يحجه إذا قصده فمعنى الحج على هذا : قصد بيت الله الحرام بمكة المكرمة لأداء عبادات خاصة من طواف وسعى، وما يتبع ذلك من وقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة . ورمى للجمرات .

والمناسك : جمع منسك . والمنسك : الموضع الذى يضع فيه النسك . والنسك : العبادة عامة ، ويطلق على أعمال الحج خاصة : لقوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام ﴿**وأرنا مناسكنا**﴾ الآية وقوله ﴿**فإذا قضيتم مناسككم** (١)﴾ وقد يطلق النسك على الذبح تقربا ومنه قوله تعالى: ﴿**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له** (٢)﴾الآية وقوله : ﴿**ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** (٣)﴾ وقد قال الرسول ﷺ لفاطمة رضى الله تعالى عنها « قومى فاشهدى أضحيتك ، وقولى : إن صلاتى ونسكى » الحديث . ففيه بيان أن المراد بالنسك الذبح تقربا .

تاريخ الحج وبيان فرضيته على هذه الأمة

يرجع تاريخ الحج إلى عهد نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام فهو أول من بنى البيت على التحقيق ، وأول من طاف بها مع ولده إسماعيل عليهما السلام ، وهما اللذان سألا ربهما سبحانه وتعالى أن يريهما أعمال الحج ومناسكه قال تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم** (٤)﴾ .

---

(١) هذه الآية والتى قبلها من سورة البقرة .

(٢) من سورة الأنعام .

(٣) من سورة البقرة .

(٤) الآيات من سورة البقرة .

ومن ثم نعلم أن الله تعالى قد تعبد ذرية إسماعيل بهذه المناسك وأنها بقيت فى العرب إلى عهد الإسلام الحنيف غير أن العرب لما نسوا التوحيد وداخلهم الشرك تبع ذلك تحريف وتغيير فى أعمال هذه العبادة ، شأنهم فى ذلك شأن الأمم إذا فسدت يسر الفساد فى كل شىء منها . وقول الله تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ .

وقوله جلت قدرته : ﴿ **فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً** ﴾ يدل دلالة واضحة على أن هذه العبادة كانت موجودة قبل الإسلام، وذلك أن قريشا كانت تقف فى الحج موقفاً دون موقف سائر العرب الحجاج الذى يقفونه، وكانت تفيض من مكان غير الذى يفيضون منه، فلما أقر الإسلام الحج ، أمر المسلمين بالمساواة فى الموقف والإفاضة . فقال تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ وكانوا يجتمعون فى الحج للفخر بالأحساب وذكر شرف الآباء والأنساب فأمر الإسلام أتباعه أن يستبدلوا بذكر الآباء ذكر الله ذى الفضل والآلاء . قال تعالى : ﴿ **واذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً** [(١)] ﴾ كما صحح التاريخ أن النبى ﷺ فى أول أمره بالدعوة الإسلامية كان يلاقى العرب فى أسواقهم ومواسم حجهم .

أما تاريخ فريضة الحج على هذه الأمة . فالجمهور يقولون : أنه فرض فى السنة التاسعة من الهجرة حيث أمر رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق على الناس ليحج بهم أميراً للحج ، وفى السنة العاشرة حج الرسول ﷺ بالأمة حجة الوداع، فاستدل الجمهور على فرضية الحج فى هذه السنة : سنة تسع من الهجرة. وكان الصواب والله أعلم : أن الحج كان مفروضاً قبل الإسلام أى من عهد الأب الرحيم [(٢)] وولده إسماعيل عليهما السلام وأقره الإسلام فى الجملة ونزل فى إيجابه وتأكيد فرضيته قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** [(٣)] ﴾ ثم إن هذه الآية المصرحة بفرضية الحج وليس لدينا غيرها هى إحدى آيات سورة آل عمران التى نزلت عقب غزوة أحد مباشرة ، ومن المعروف أن غزوة أحد وقعت فى السنة

---

(١) الآيتان من سورة البقرة .

(٢) قيل أن الأب الرحيم ترجمة لإبراهيم بالسريانية .

(٣) سورة آل عمران .

الثالثة من الهجرة ، وعلى هذا يمكن القول بأن الحج فرض قبل سنة تسع ولم ينفذ إلا فيها لما كان من عجز المسلمين عن ذلك ؛ لأن مكة كانت فى تلك الفترة من الزمن خاضعة لسلطان قريش فلم يسمح للمسلمين بأداء هذه العبادة العظيمة، وقد أرادوا العمرة فعلا فصدوهم عن المسجد الحرام كما خبر تعالى بقوله : ﴿ **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ، والهدى معكوفا أن يبلغ محله** ﴾ (١) فعجز المسلمين أسقط عنهم هذه الفريضة ، كما أن العجز مسقط لفريضة الحج عن كل مسلم ، ولما فتح الله سبحانه وتعالى على رسوله مكة سنة ثمان من الهجرة لم يتوان الرسول ﷺ فى أمر الناس بأداء فريضة الحج ، فأمر أبا بكر أن يحج بالناس فحج بهم فى السنة التاسعة المباشرة لعام الفتح تماماً .

أدلة فرضية الحج ووجوب العمرة

أما أدلة الكتاب على فرضية الحج فأظهرها آية آل عمران : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ وأما أدلة السنة على ذلك فكثيرة جداً . منها : قوله ﷺ فى جوابه لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإسلام فقال : «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

وقوله : فى حديث ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ الذى رواه الشيخان أيضا «بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا (٢) » .

وإجماع الأمة من أقوى الأدلة على ذلك ، فجحود هذه العبادة يعتبر من الكفر الصراح الذى لا يقبل الجدل بحال من الأحوال .

---

(١) الآية من سورة الفتح . (٢) البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

العمـــرة

وأما العـمرة وهى لغـة : الزيارة . وشرعـاً : زيارة بيت الـله الحرام للـقيام بمناسـك خاصة كالطواف والـسعى ، والحلق. وأكـبر فارق بينهـا وبين الحج : أن ميقاتها الزمـانى غير محدد ، بل هو مطلق فتصح الـعمرة فى أى وقت من أوقات السنة بخلاف الحج فإن له وقته المحدد وأشهره المعلومة .

الخلاف فى وجوب العمرة

بين أئمة الـدين خلاف فى وجوب العـمرة وعدم وجوبها ، والأكـثرون على عدم وجوبها ، بـل هى عندهم سنة من الـسنن الواجبة ، ومن أبرز أدلة الـقائلين بالوجوب وهم السادة الحنابلة : قوله ﷺ لمن سأله قائلا : « إن أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الضعن . فقال له حج عن أبيك واعتمر [1] ». وكذا قوله ﷺ : « نعـم عليهـن جهاد لا قتـال فيه : الحج والـعمرة » فى جـوابه لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لما سألته قائلة : هل على النساء جهاد يارسول الله؟

ومن أدلة الـقائلين بالوجـوب أيضا : قوله تـعالى : ﴿**وأتموا الحج والـعمرة لله**﴾[2] غير أن القائـلين بعدم الوجوب وهم الأكثرون يـقولون : إن الآية لا تدل على وجوب العمـرة ولا على عدمه ، وإنما هى تطالب من أحرم بـأحد النسكين : الحج أو العمـرة أو بهما معاً أن يواصل عـملهما خالصـتين لله تعالى لا تشـوبهما شائبـة شرك أو رياء حتـى يفرغ من أدائـهما ، كما لا يـجوز له أن يقـطعهمـا بعد الشروع [3] فيهما ، أو لا يخـرج لهما حتى [4] إذا تجاوز الميقات أحـرم بهما إذ كل هذا يتنافى مع كمال هذه العبادة ، وإتمامها لله سبحانه وتعالى .

ومما تجدر ملاحظته هنا : أن القائلين بعدم وجوب العمرة لا يعنون أنها ليست ذات شأن ، أو أنها ليست مما يطهر النفـس ويقرب من الله تعالى كالحج لا بل هم يعدونـها من أعظـم أنواع القرب كـالحج وغيره، ويـكفى للـتدليل عـلى ذلك أن

---

(١) رواه غير واحد والترمذى وصححه .   (٢) البقرة .

(٣) فعلى هذا تكون العمرة واجبة بمجرد الشروع فيها .

(٤) سيأتى حكم من تجاوز الميقات ولم يحرم .

الرسول ﷺ قد اعتمر أربع عمرات ثلاثاً منفردات وأخرى أدخلها على حجه ﷺ .

وفائدة الخلاف تظهر فى المعضوب [١] فمن قال بالوجوب فإنه يلزمه بأن يستنيب عنه غيره فيعتمر عنه ، وإن كان قد مات ولم يوص ، فإنه يعتمر عنه بمال من التركة قبل قسمتها ؛ لأن هذا يعتبر دينا يجب قضاؤه، كل هذا فيما إذا كان المعضوب ممن يجب عليهم الحج والعمرة لتوفر شروطهما .

ومن لم يقل بالوجوب فلا يلزمه بالاستنابه ، وإن مات فليس على الورثة من حق فى أن ينيبوا من يعتمر عنه .

الواجب فى الحج والعمرة مرة فقط

مما لا خلاف فيه بين المسلمين أن الحج والعمرة لا يجبان إلا مرة واحدة فى العمر ، وأن ما زاد على المرة الواحدة يعتبر تطوعاً فى فعل مستحب ذى مثوبة كبيرة وأجر عظيم ، لكن من نذر حجاً أو عمرة وجب عليه أداؤه ولو تكرر عشرات المرات . ودليل وجوبهما مرة فقط قوله ﷺ « الحج مرة فمن زاد فهو متطوع[٢] » وقوله للسائل :« لو قلت : نعم لوجبت ، ولما استطعتم »، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام خطب فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » ، فقال الرجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ «لو قلت نعم . لوجبت ولما استطعتم [٣] ».

هل الحج على الفور أو على التراخى ؟

الخلاف مشهور بين الأئمة فى هل الحج واجب على الفور ، أو على التراخى والقائلون بوجوبه على الفور هم الجمهور ،ولكل أدلة يوردها على صحة نظره غير أنه ما دام أن العذر مسقط للوجوب إلى أن يزول فلا فائدة لهذا الخلاف ، فمن أقامت به الأعذار وحالت بينه وبين أداء هذه الفريضة فهو غير ملام على التراخى، وانتظار الوقت المناسب ليقضى فيه واجبه ، ومن لم يكن له عذر حائل

---

(١) الزمن أى العاجز عن المشى لداء به كالقعد ونحوه .

(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الحاكم .

(٣) رواه مسلم .

فلم ينتظر عاماً كاملاً، وهل ضمن لنفسه البقاء حياً طول سنة كاملة؟ وإذا لم يكن كذلك فما يجيز له التأخير ، ويبيح له التراخى ؟؟ وقد قال الرسول ﷺ: «تعجلوا إلى الحج، فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له [(١)] »وقال ﷺ «من أدرك الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة [(٢)] »وقال «من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى[(٣)] » .

ولولا ما يؤول به القائلون بعدم الفورية هذه الأحاديث لقضت بوجوب الفور حتما وانتهى الخلاف ، وعلى كل فإن ما تطمئن إليه نفس المؤمن الصالح هو أن الحج على الفور ما لم تقم الأعذار ، فإن قامت أعذار فانتظار زوالها طبيعى ، ولو مرت السنون العديدة ولم تزل .

الأعذار المسقطة ، لفورية الحج

إن الآية القرآنية التى صرحت بفرضية الحج وهى قوله تعالى : ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً**﴾ أشارت بل صرحت بذكر الأعذار المسقطة لفورية الحج ، ولكن فى إيجاز وبإجمال يحتاج إلى تفصيل ، ولم يثبت عن الرسول ﷺ فى بيان الإجمال إلى قوله لمن سأله عن السبيل فى الآية « الزاد والراحلة » فى روايتين أخرج إحداهما الدارقطنى ، وثانيتهما ابن ماجه . ولفظ الزاد والراحلة أيضا دليل مجمل يحتاج إلى تفصيل ؛ لأنا نقول : ما هو الزاد ؟ ما مقداره ؟ ما نوعه ؟ ونقول : ما هى الراحلة وما نوعها ؟ وقد تناول الفقهاء رحمهم الله تعالى هذه الألفاظ بالشرح والتفسير ، وموجزها : أن المراد بالزاد نفقة الحاج فى سفره إلى أن يعود إلى أهله ، ونفقة من يعولهم من أهل وولد وأقربين مع براءته من الديون المالية ، ولم يكن مطالباً بزكاة ، أو نذر واجب ، أو كفارة لازمة .

وإن المراد بالراحلة : القدرة على الركوب والمشى ، ووجود ما يركب إن كان المشى غير ممكن مع أمن الطريق وسلامتها عادة . فإن وجدت هذه الأعذار أو بعضها فالحج لم يجب معها حتى تزول ، ومتى زالت تعين الحج ووجب الفور فى أدائه لما عسى أن يحدث من حوائل تحول دون أدائه .

---

(١) أحمد وضعفه السيوطى .
(٢) أحمد وابن ماجه (حسن) .
(٣) رواه أبو داود والترمذى وحسنه .

ومما يلاحظ هنا أن كثيراً من الناس يرون أن الدين لا يصح معه حج ولا عمرة ، وليس هذا بصحيح . إن الدين مسقط لوجوب الحج والعمرة فقط ، أما إذا استدان امرؤ مالاً ليحج به ، أو حج بما لديه ولم يقض ما عليه من الديون وهو عاقد النية والعزم على قضائها فلا شك أن حجه صحيح مقبول إن شاء الله تعالى ، وأن ديونه فى ذمته يقضيها متى وجبت وتمكن من قضائها .

هل عدم الاستطاعة ، فقد المرأة للمحرم

إن الذى لا شك فيه هو أن الرجل يحرم عليه أن يخلو بامرأة غير محرم له أدنى خلوة، ومهما تأكدت السلامة من الفتنة ، لتعاليم الرسول ﷺ القاضية بتحريم ذلك ومنها قوله ﷺ : « لا يخلو رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم [١] » وما لا شك فيه أيضا أن الحرمة ليست خاصة بالرجل فقط بل المرأة مثله يحرم عليها أن تخلو بغير محرم لها وإذا ثبت هذا فكيف تتمكن المرأة من أداء فريضة الحج بدون محرم لها يجوز له الاختلاء بها ؟ وإذا كان الجواب : هو أنها لا تتمكن إلا بذى محرم : وفقدته فالنتيجة إذا أن فريضة الحج قد سقطت عنها حتى يزول عذرها بوجود المحرم لها . وقد يقال : إنه فى الإمكان أن تحج فى رفقة صالحة تضم عدد من النساء فيكون اختلاؤها بالنساء دون الرجال ، ولكنا نجابه بقوله ﷺ «لاتسافر المرأة إلا مع ذى محرم [٢] »ويقول «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو زوجها أو ابنها أو أخوها أو ذو محرم منها [٣] »وبقوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذى محرم عليها [٤] »فلا نجد بداً مع هذا من القول : بأن المرأة إذا فقدت المحرم تعتبر فاقدة للاستطاعة المشروطة فى وجوب هذه الفريضة .

والملاحظ هنا : أن بين الأئمة فى هذا الموضوع خلافاً فمنهم من يجيز بشروط ومنهم من يمنع ، وما دمنا نتحرى الأقرب إلى الهدى النبوى فى كل مسألة فيها خلاف فإنا نكتفى بما تقدم فى الموضوع مع الإشارة إلى أن المرأة لو خرجت حاجة

---

(١) متفق عليه .

(٢) قال مالك فى الموطأ : إن الضرورة من النساء التى لم تحج قط أنها إن لم يكن لها ذو محرم يخرج معها أو كان لها فلم يستطع أن يخرج معها أنها لا تترك فريضة الله عليها فى الحج لتخرج فى جماعة النساء .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم وغيره .

فى رفقة صالحة من النساء وقضت حجها فإنه يجزئها فى أداء الفريضة بلا شك ، غير أنها ارتكبت محرما بسفرها مع غير ذى محرم لها فلتستغفر من ذلك ولتتب [١] .

هل للصبى من حج ؟

الصبى غير مكلف بالحج كما لم يكلف بغيره من أركان الإسلام وواجباته ، لكن إن حضر العبادة وقام بما يستطيع من أفعالها فإنه يكسب بذلك خيراً كثيراً ببذره أول بذرة صالحة فى حياته الدينية قد تزدهر وتنمو وتثمر له صلاحاً وزكاء طول حياته ، وتمرين الأطفال على أفعال البر وأداء العبادات محمود العواقب ؛ ولذا رغب فيه الشارع ودعا إليه وحض عليه . ألم يكن قد أمر الصبى بالصلاة فى سن السابعة من عمره ؟ هذا وقد صح عن النبى ﷺ إقراره لحج الصبيان فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قوله: « حججنا مع رسول الله ﷺ معنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم [٢] »وفوق هذا فقد سئل عليه الصلاة والسلام حينما رفعت إليه امرأة بالروحاء صبياً وقالت ألهذا حج ؟ فقال : «نعم ولك أجر [٣] »فمن هنا نعلم مشروعية حج الصبيان ، وإن من لم يحسن النطق منهم يلبى عنه ، ومن عجز منهم عن الرمى يرمى عنه . أما الطواف والسعى : فيحملون كما يحمل العاجز والمريض ، ومن قدر على عمل أى نسك عمله ، ومن لم يقدر يفعله عنه وليه وللصبى أجر وللولى أجر ، والله ذو فضل عظيم .

والملاحظ هنا أن حج الصبى لا يسقط عنه الفريضة بحال إلا إذا مات قبل بلوغه فإنها له حجة يرفع بها درجات لقوله ﷺ :« أيما صبى حج به أهله فمات أجزأت عنه فإن أدرك فعليه الحج[٤] ».

عظم شأن الحج والعمرة والترغيب ، والترهيب فيهما

من المعلوم أن الإنسان ليس بملاك الطبع مضطراً إلى فعل الخير بطبعه قابلاً للحق بغريزته ، بل هو المخلوق الوحيد الذى تتجاذبه نزعتان متضادتان نزعة الخير

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والترمذى وفيه ضعف ، والعمل به .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أحمد مرسلاً ، ومعنى أدرك بلغ الحلم .

المتركزة فى فطرته ، ونزعة الشر المتأصلة فى جبلته ؛ فقد يعرف الحق حقا ويصرفه عن قبوله والإذعان إلى اتباعه عناد أو مكابـرة ، وقد يتصور الباطل باطلاً ويجذبه إلى إتيانه هوى فى الـنفس كمين، أو تقليد أصيل وقد يعرف الخـير فى أمور كثيرة وهو يحـبه ويميل إليه بـطبعه ويتركـه تهاوناً أو إيثـاراً للدعة وميلا إلـى الراحة أو السكون الذى هـو طبع أغلب الكائنات. ألـم تر إلى كثير من تاركـى الصلاة مثلا أنهم لم يتركوها جحوداً ولا عناداً ، ولا جهلاً بقيمتها وعظم شأنها ، وإنما تركوها بدافع الميل إلى الكسل وترك العمل ومثالاً آخـر : أى مسئول فى البلاد الإسلامية اليوم لا يـعرف ما فى وحدة المـسلمين واتحادهم مـن خير وعزة وقوة ؛ فـهل هذه المعرفة استطاعت أن تنهض بهم ليحـققوا بالفعل ما رأوه خيراً ، واعتقدوه حقاً ، وآمنوا به صـالحاً نافعاً ؟ بهذا نـعرف السر فيما ورد من تـعليل لكثيـر من الأحكام الشرعية التى وضـعها الخالق لإصلاح شؤون خلقه المتعلقـة بأرواحهم وأبدانهم . فإنه لم يـكتف فيها بالإعلام أو الإذن بـأنها صالحة نافعـة للإنسان فى كلتا حـياتيه الدنيويـة والأخروية بل عللت ، فـذكر لكل حكم عـلته ، ولكل عبادة ثـمرتها ، وجندت للتـرغيب فى فعل ما يفعل ولـلترهيب فى ترك ما يترك ، الآيـات القرآنية الكثيـرة ، والأحاديث النبويـة العديدة . ومن ذلك هـذه العبادة التى نـحن بصدد دراستـها وبيانـها (الحج والعـمرة) فقد ورد فـى الترغـيب والترهـيب فيهـا من الأحاديث ما يؤثر حتى فى الجبال فضلاً عن قلب الإنسان .

ولا شك أن لهذا الترغيب أو الترهيب نتائـجه الصالحة ، وثمراته الطيبة فكم من مسلم يعـتقد فرضية الحج ووجوبه وأنه أحد أركان الإسـلام الخمسة وهو ثرى ذو مال . وتمر به السنون الطويلة ولا ينهـض به ما يعتقده من وجوب الحج فيحج حتى إذا شهد خطبـة لإحدى الجمع يدعو فيها الخطيب إلـى هذه العبادة ، ويرغب فى أدائها ، ويـرهب من تركها والتـهاون فى القيام بهـا فيورد على المستـمعين من المصلين أمثال حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هـذه الأمصـار فينظروا كل من كان له جـدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين) [1] فيصادف هذا الكلام الرهيب استعداده الفطرى

---

(١)رواه سعيد بن منصور والبيهقى .

فينهض فى الحال يبيع أثاثه وبعض ممتلكاته تحضيراً لنفقة حجه ، ويحج بتأثير ما سمع من عامه .

وبناء على هذا فتقديم طائفة من الكلام المأثور الواعظ ، ومن الأحاديث النبوية المرشدة بين يدى التعريف بأركان هذه العبادة وواجباتها وآدابها أمر صالح عقلاً، ومستحسن شرعًا إن لم يك واجبًا صناعة ، ومحتمًا حسن دعاية لمثل هذه العبادة الجليلة القدر ، الخطرة الشأن .

وهذا أوان إيراد ذلك ، ولنبدأ بما ورد فى الترهيب قبل الترغيب .

الترهيب لمن يترك الحج تهاونًا

روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قوله: (من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ، ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانياً [١]) وذلك لأن الله تعالى قال فى كتابه : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله (لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كانت له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين) وورد عن الرسول ﷺ « من لم تحبسه حاجة ظاهرة ، أو مرض حابس، أو منع من سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانياً»[٢] .

وجاء فيما يرويه الرسول ﷺ عن ربه عز وجل قوله : « إن عبداً صححت له جسمه ووسعت عليه المعيشة يمضى خمسة أعوام لا يفد إلىَّ إنه لمحروم [٣] » فهذه الأحاديث وتلك الآثار تدل على مدى ذنب المتهاون بأداء هذه الفريضة ، وأنه بتهاونه وتسويفه قد وقف على شفا هاوية من الجحيم ؛ لأنه لا يؤمن عليه أن ينقلب ذلك التهاون والتسويف إلى استباحة ترك هذه الفريضة ، أو احتقارها وعدم المبالاة بها ــ والله يحول بين المرء وقلبه ــ فيصبح ــ والعياذ بالله تعالى ــ

---

(١) رواه الحاكم وصححه .   (٢) البيهقى وسكت عنه المنذرى .

(٣) البيهقى وابن حبان مقبول .

من الـكافرين ؛ ولا غـرابة فإن هذا ظـاهر من قول الـرسول ﷺ وقول صاحـبه المتقدم: « فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً ».

ولا عجب فإن جحوده وتنـكره لهذه القاعدة الإسلامية العظـمى قد ربطه بهم وضمه إلى جامعتهم جامعة الكفر والتكذيب .

الترغيب فى الحج والعمرة

قد يعـد كافياً فى الترغيب فى فـعل هذه العبـادة سرد ما يلى مـن الأحاديث النبوية : جـاء فى الصحيحين عن أبـى هريرة رضى الله عنه عـن النبى ﷺ قوله «أفضل الأعمال : إيمان بالله ورسوله ، ثم جهاد فى سبيله ، ثم حج مبرور » .

وورد فيما أخرجه ابن ماجه فى سننه عن أم سـلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ : « الحج جهاد كل ضعـيف » وثبت عن أبى هريرة مرفوعاً : « جـهاد الكبير والضعيف والمـرأة : الحج والعمرة [1] » وورد « من حج هـذا البيت فلـم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه [2] » وجاء فيما أخرجه البزار عنه ﷺ : « إن الله يغفر للحـاج ولمن استغفر له الحاج [3] » وورد أن النبى ﷺ سمع رجلا يقول فـى الطواف : اللهم اغـفر لفلان بن فـلان ، فقال ﷺ :«من هـذا»؛ قال رجل حملنى أن أدعو له بين الركن والمقام . فقال : «قد غفر الله لصاحبك».

وبعد هذا فأى مؤمن يـطرق سمعه مثل هذه البشارات النبـوية ولا يهتز طرباً، ويتمـايل فرحاً وهى تـبلغه فى صـدق ووضوح أن الحج من أفضـل الأعمال وأن الحج فى ثوابـه كالجهاد فى أجره ، وأن الحاج كـالمجاهد فى المنزلـة ، وأن للحاج كرامة عند الله بها يستجاب دعاؤه ويغفر ذنبه وذنب مـن يريـد لـه ذلك ما استغفر لـه .

هل يستحسن وجود هيئة للدعاية للحج

إن نظرة واحدة فى تلـك الأحاديث الواردة فى الترهيب لكافيـة فى أن تجعلنا

---

(١) أحمد وابن ماجه صحح بالإرسال . (٢) رواه مسلم .

(٣) الحاكم وصححه .

نعتقد أن وجود هيئة أو جمعية باسم الدعوة إلى حج بيت الله الحرام تشكل فى طيبة أو فى أم القرى (مكة المكرمة) وتنشئ لها فروعاً فى كافة أنحاء العالم الإسلامى تكون مهمتها إلقاء الخطب ، وإقامة المحاضرات، وتوزيع النشرات ، وكتابة الصحف والمجلات ، ومساعدة الحجاج فى كل بلد بالتوجيهات والإرشادات، وبتقديم كافة المساعدات الممكنة لمن يعزم على حج بيت الله الحرام أمر مستحسن عقلاً وشرعاً ، أما من جهة العقل فإن العقل لا يستقبح المساعدة على الخير والدعوة إليه بصورة منظمة ، وبطرق جدية كافية فى حمل الناس على الخير والمسارعة إليه .

وأما من جهة الشرع فإن ما يلمسه القارئ من أحاديث الترغيب والترهيب الواردة فى شأن الحج يجعله مقتنعاً تماماً بأن عملاً كهذا لا يعدو أن يكون تنفيذاً لرغبة الرسول ﷺ وعملاً بطاعته ونزولاً عند رضاه ومراده ، وهذا لا شك أنه من أحسن الأعمال وأفضلها ، وأوفرها مثوبة وأحسنها جزاء عند الله يوم الدين والجزاء .

وهل قول عمر رضى الله عنه ــ لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين ؟

وهل قول على ــ رضى الله عنه ــ من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ؟ هل قولهما هذا لا يعد دعاية بالتعبير العصرى للحج ؟ وهل موقفهما فى ترهيب الناس من التهاون فى أداء هذه المناسك لا يعتبر موقف الداعى إلى الحج داعياً إلى الله ؟ وهل الدعوة إلى الله غير واجبة ؟ وما يدرينا أن الدعوة إلى الحج وباسم الحج ستنقلب دعوة إسلامية عامة تشمل الدعوة إلى توحيد الله وعبادته والتزام طاعته ، والوقوف عند كافة حدوده ؟ وما أحوج الإسلام إلى الدعوة والتبشير فى بلاده وبين أهليه ، وخارج بلاده وبين الكافرين به !!!

متى تفقد العبادة خاصيتها فى تزكية النفوس وتطهيرها ؟

من المعلوم أن لدى العارفين بخصائص الأشياء أن كثيراً من الأشياء تكون ذات خاصية فى التأثير على شىء آخر وقد يطرأ عليها ما يفقدها تلك الخاصية فتصبح ليست ذات تأثير فى ذلك الشىء كما كانت . وبهذه المثابة أنواع العبادات الشرعية فإنها ذات تأثير حقا على الناس فى إصلاحها وتزكيتها ، ولكنها قد يطرأ عليها ما يفقدها ذلك التأثير الخاص فتصبح غير مصلحة للنفوس ولا مزكية لها . ومن أكبر ما يطرأ على العبادة فيفقدها صلاحيتها ، وتأثيرها فى إصلاح النفوس وتطهيرها : الشرك فيها ، عملها ، وفقد الإخلاص منها .

أما الشرك وهو جعل غير الله تعالى شريكاً له تعالى فى العبادة التى تعبد بها خلقه فهو محبط للعمل مفسد له حساً ومعنى لقوله تعالى : ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾ وقوله جلت قدرته : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ وحبوط العمل بطلانه وفساده ، وإن شئت فقل هبوطه وعدم رفعه وقبوله لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، والعمل الذى شابه شرك فاسد ، والله لا يرفع من الأعمال إلا ما كان صالحاً ، فقد قال عز شأنه : ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ .

وأما سوء علم العبادة والمراد به إساءة فعلها بحيث يخل ببعض أركانها أو واجباتها أو سننها وآدابها : فكثير ما يفقد العبادة معناها ويخرجها عن حقيقتها ويقطع عنها ثمرتها المرجوة منها من تطهير النفس وتزكيتها ، فالإخلاص فى العبادة وحده غير كاف فى قبول العبادة ، وفى جعلها مصلحة للنفس مزكية لها بل لابد مع الإخلاص من الإتيان بالعبادة فى صورتها الشرعية وطبق ما شرع الله تعالى وبين رسوله ﷺ كمية وكيفا ؛ لأنه بمجموع الأمرين الإخلاص والمطابقة توجد فى العبادة خاصيتها من الإصلاح والتطهير ، وإلا فإنها تفقد ذلك قطعاً .

ولذا أوجب الشارع العلم وجوباً عينيًا وحث عليه فقال: « طلب العلم فريضة على كل مسلم [(١)] »وقال: « اطلبوا العلم ولو بالصين[(٢)] »وخاصة العلم

---

(١) رواه البيهقى وابن عبد البر وإسناده صحيح .

(٢) الحديث موسوم بالضعف غير أن معناه من أصح الصحيح لقوله تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين** ﴾ الآية .

المتعلق بالعبادات التى لا تتلقى إلا من الشارع ، كل هذا رجاء الانتفاع بالعبادة فى تطهير النفوس وإصلاحها لتصبح مستعدة للكمال المخلوقة لأجله فى الدنيا والآخرة، ومن هذا نقول : إنه لقبيح جداً بمسلم يعمر طويلاً ولا يتعلم أثناء عمره الطويل أمور دينه ويعبد ربه على جهل . وبناء على ما تقدم فإنه قد يصبح من الحتم على من أراد الشروع فى هذه العبادة العظيمة (مناسك الحج والعمرة) أن لا يخرج من بيته حتى يتعلم ويعرف كل منسك وشعيرة فيها ليعبد ربه بما شرع، وطبق ما بين ووصف . وقديماً سأل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ربهما بيان ذلك ليعبداه كما يريد ، ويتقربا إليه بما يحب أن يتقرب به إليه قال تعالى حكاية عنهما : ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾ فهما يريدان أن يعبدا ربهما ويتقربا إليه وليس لهما ذلك إلا من طريق العبادة المشروعة فطلبا بيان ذلك منه سبحانه وتعالى فاستجاب لهما وعرفهما مناسك الحج فعبداه بما شرع ، وتقربا إليه بما أحب . فهل بعد هذا يسوغ للحاج المسلم الذى هو على أرث من أبيه إبراهيم فى هذه العبادة الفاضلة كما قال نبينا ﷺ : « قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم » فهل يسوغ له أن يأتى هذه المناسك وهو لا يعرف منها منسكاً واحداً فيعبد ربه على جهل فتذهب مجهوداته وأمواله وسائر تضحياته سدى بدون فائدة، ويعود بذنبه كما خرج من بيته ؟

وأما فقد الإخلاص فإنه إذا كان الإخلاص كالاحتساب ، وهو إرادة الله سبحانه وتعالى بالعمل دون من سواه رجاء ما عنده من حسن المثوبة ، وعظيم الأجر فإنه روح العمل وقوامه فمتى فقده العمل صار شيئاً لا معنى له كجسد فارقته الحياة : ولذا فإن العبادة إذا فقدت هذا العنصر الحى من عناصرها الثلاثة التوحيد ، وحسن العمل والإخلاص فإنها تصبح خالية تماماً من طاقة التطهير والإصلاح المودعة فيها فلا تصلح خلقاً ولا تزكى روحاً ، ومع الأسف فإن هذه العبادة التى نحن بصدد درسها وبيانها معرضة أكثر من غيرها لفقدان عناصرها الهامة التى تقدمت ، فإن من بين الحجاج من لا يقصد الحج إلا لغرض الاطلاع والوقوف على الآثار، والتمتع بلذة التنزه والأسفار كبعض من ذوى الثقافات الغربية ، والشباب الطائش ، ومن بين الحجاج من لا يقصد الحج إلا ليحصل

على لقب الحاج فيستغل هذا اللقب فى قريته وبين أفراد عشيرته فيتوصل به إلى تحقيق بعض أغراضه المادية ، وهؤلاء يوجدون عادة بين العوام والجهلة الذين توجد فيهم نزعة حب السيادة ولم يحصلوا عليها لعدم استعدادهم لها بالمؤهلات الذاتية والخلقية والعلمية .

وعلى كل حال فالصنفان المذكوران قد خسرا عملهما وفقدا ثمرة حجهما بعدم الإخلاص الكامل لله ، فإنه ولو أراد الأولون أداء الواجب مع الاطلاع والنزهة ، وأراد الآخرون قضاءه مع الحصول على اللقب المحبوب ، والرئاسة الموهومة على ذويهم ، فإن عملاً لم يحتسب فيه لله تعالى ــ وخاصة ــ وقد قال تعالى : ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ لا يكون إلا خالياً من ثمرة العبادة التى هى إصلاح النفس وتزكيتها ، ومن لم تصلح نفسه ولا تزكو كيف يقال : إنه خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه ، وإنما يقال فيه عاد بجميع ذنبه كما خرج من بيته والعياذ بالله تعالى .

واعلم أن كل ما قدمته فى بيان أن للعبادة خاصية تؤثر بها على النفوس بالزكاء والطهر ، وأن العبادة تفقد خاصيتها تلك إذا شاب بها شرك أو سيء استعمالها ، أو فقد الإخلاص منها مبنى على قاعدة شرعية جليلة وهى قوله تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » وقوله : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً » .

وبيانه : أن قوله تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ يشهد لوجود الخاصية فى العبادات بالتأثير على النفوس ، وقوله : ﴿ **وأقم الصلاة** ﴾ هذا الأمر الذى ذكرت جملة ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ تعليلاً له يدل بصراحة أنه ينبغى للحصول على تأثير العبادة فى النفس أن تكون العبادة مؤداة أداء صحيحًا موافقًا لما شرع الله نصًا وروحاً ، وإلا فإنها تفقد خاصيتها . وقوله ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له[1] » يشهد لفقدان العبادة خاصيتها فى إصلاح النفس وتزكيتها إذا هى فقدت مقوماتها من الخلو من الشرك ، وحسن الأداء وروح الإخلاص . كما أن قوله ﷺ : « لم

(١) رواه ابن أبى حاتم وسكت عن سنده ابن كثير فى التفسير .

يزدد بها من الله إلا بعدا [(١)] » يدل بوضوح على أن القرب من الله والبعد هما نتيجة لما تكون عليه النفس من تزكية أو تدسية ، فإن عمل صاحب النفس بما من شأنه أن يزكى نفسه ، كالإيمان والعمل الصالح فإنه يقرب بطهارة روحه من الله تعالى . وإن هو عمل بما من شأنه أن يدسى نفسه كالشرك والمعاصى فإنه يخبث نفسه فلا يصبح أهلاً لرضى الله تعالى والقرب منه . ومصداق هذا قوله تعالى : ﴿**قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها**﴾ .

القيود المفروضة على تزكية عبادة الحج للنفس

إن قوله ﷺ : « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه[(٢)] » نجده قد قيد الحصول على نتيجة هذه العبادة من غفر الذنوب غفراناً كاملاً حتى لم يبق على النفس من أثر للتدسية فتطهر بعد ذلك وتصبح أهلاً لرضى الله تعالى والقرب منه ، قيده بقيدين اثنين .

أولهما : عدم الرفث وهو اسم جامع لجنس الجماع وسائر مقدماته القولية كلحن الكلام والغناء والألفاظ الدالة على الغريزة الجنسية تصريحاً أو تلويحاً، أو الفعلية كالجس باليد واللمس ، والغمز بالجفن والحاجب ، والنظر المريب بالعين ، والفكر الفاسد بالقلب ، وما إلى ذلك .

وثانيهما : عدم الفسوق وهو لفظ يندرج تحته سائر المعاصى والمخالفات الشرعية من الكفر والشرك إلى أدنى مخالفة . فمع السلامة من هذين القيدين الثقيلين يحصل صلاح النفس وزكاؤها وتصبح النفس طاهرة تقية قريبة من الله مرضية ، ومع عدم السلامة منهما فإن الطهارة للنفس لا تتحقق ؛ لأن طهارة النفس عبارة عن محو آثار الذنب عنها فإذا لم يمح أثر الذنب فمن أين يأتى لها الصفاء والطهر ؟

واعلم أن سر هذا الحرمان منشؤه أن المحرم بدخوله أرض الحمى، وبقوله: لبيك اللهم لبيك قد أصبح وافداً لله ذى الجلال والإكرام ، وأن وافداً لا يحترم نفسه ولا وفادته على ربه فيلوث نفسه بالذنب ويطمس نوره بمعصية من وفد إليه ، ويذهب كرامته بالخروج عن حدود آداب الزيارة ، وبانتهاكه لحرمات الوفادة لحرى

---

(١) رواه الطبرانى وأعل بالوقف .

(٢) فى الصحيح قد تقدم .

بأن لا يجد عند ربه أقل ما يسمى إكراماً أو حسن وفادة .

ومن هنا كان عدد الناجحين في هذه العبادة دائماً قليلاً ، ولو كان المقبلون عليها كثيرين ، وقد قيل يوماً لعبد الله بن عمر - رضى الله عنه - ما أكثر الحجاج!! فقال للمستكثر ما أقلهم ! وكأن الشاعر كان معه لما قال :

خليلى قطاع الفيافى إلى الحمى كثير (وجمع) الواصلين قليل

ومن القيود لهذه العبادة : البرور فقد صح عنه ﷺ قوله : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة (١) » فنراه قد خصص مطلق الحج بصفة البرور فلا يعظم أجر الحاج ولا يجزل ثوابه إلا إذا اتصف حجه بالبرور المشار إليه فى الحديث ومن هنا لزم أن نعرف معنى البرور الذى هو قوام الحج وملاك أمره ، البرور : مصدر فعل بر يبر بالفتح بروراً فى قوله : صدق ، وبر خالقه : أطاعه ، وبرت الصلاة: قبلت، وبر الله العبادة قبلها ، فعلى هذا يكون من معانى البرور : القبول ، ولنا أن نقول : الحج المبرور هو المقبول لكن قبوله مبنى على صدق الحاج فى نياته ، وأقواله ، وأعماله وعلى طاعته لربه وهذه هى شروط قبول الحج قطعاً : الإخلاص فيه لله تعالى وحده، وطاعة الله باجتناب ما حرم من الفسق والرفث والجدال وغيرها، وصحة الأداء بحيث يكون أداؤه كاملاً على ما حدد الشارع من هيآت وما وضع له من صفات .

هذا ولنذكر ما ورد عن السلف فى معنى البرور ، وهو وإن اختلف مع ما ذكرنا لفظاً فإنه يتحد معه معنى ، سئل النبى ﷺ عن البرور فى الحج فقال: «إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وطيب الكلام(٢) » وسئل ابن عمر رضى الله عنه فقال :(إن البرور شيء هين : وجه طليق ، وكلام لين) والمعروف عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا سئل عن أفضل الأعمال يجيب السائل بما يتفق وإصلاح حاله . فكثيراً ما كانت تختلف إجاباته ﷺ ، والسؤال واحد ، فكان ﷺ يعالج بذلك نفوس السائلين فيصف لكل سائل دواءه الخاص .

هذا والملاحظ فى جوابه ﷺ : أنه كان يهدف إلى حمل الحاج على أن لا يقف بحجه عند الاقتصار على فعل الواجب وترك المحرم فقط بل عليه أن

---

(١) فى الصحيح . (٢) متفق عليه .

يسارع فى الفضائل وينافس فى الكمالات حتى يصل بحجه إلى أعلى درجات القبول بعد أن وصل به إلى أكمل صفات البرور . وبهذا يتضح أن ما عرفنا به البر لا يختلف أبداً مع ما عرفه به الرسول ﷺ ، ولا مع ما عرفه به صاحبه رضى الله عنه .

وخلاصة القول ؛ أن الحج المبرور هو الحج الذى استكمل سائر مؤهلات القبول من الإخلاص ، وحسن الأداء والابتعاد به عن كل ما يخدش فى قيمته كحج صادق ملؤه الخير والإحسان . وأن الحاج البار هو ذلك الحاج المطيع الذى لا يعصى ، والمحسن الذى لا يسىء فى خدمة سيده ، والذى جمع إلى الطاعة الكاملة والإحسان العام فعل الخير وإسداء المعروف لوافدى بيت الله فأطعمهم طعامه ، وألان لهم كلامه . وإن حاجاً كهذا قد ارتقى بحسن طاعته ، وسما بطيب نفسه لم يصبح جزاؤه حسنات ، ولا محواً لسيئات فقط لأن ذلك لا يعادل ما أهله الله له من سامى المنزلة ، وعظيم الدرجة فلم يكن له إذًا من جزاء يعادل ثوابه إلا الجنة منزل الأبرار ، ومقر الأصفياء الأخيار .

مواقيت الحج والعمرة وبيانها

المقصود من المواقيت: هى تلك الحدود الزمانية والمكانية التى يقف عندها الحاج والمعتمر فلا يتعداها حتى ينوى حجه أو عمرته ، ويتجرد من ملابسه العادية، ويلبس اللباس الخاص الذى يمكنه به الدخول فى حمى الله تعالى وحرمه، ولو بحثنا عن سر هذا الحمى الذى وجب أن تتخذ له الخصوصيات لوجدناه فى جلال البيت ، وقدسية الحرم ؛ لأنه إذا كانت قصور الملوك ، ودور الحكومات تتخذ لها الساحات الشاسعة ، والمساحات الرحبة الفسيحة لتكون لها حمى يحرم اجتيازه أو الدخول فيه إلا لصاحب رخصة خاصة أو إذن معين ، وكان هناك أندية عسكرية ومدنية كثيرة يمنع أصحابها ارتيادها إلا لذى لباس خاص، وبإشارة خصوصية ، فلا بدع إذا أن يكون لبيت مالك الملوك حمى يحرم دخوله على من أراده حاجاً أو معتمراً إلا بإذن خاص ، ولباس محدد النوع والصفة . فالإذن هو نية الحج أو العمرة والإعراب عن ذلك بقول : لبيك اللهم لبيك . هذه التلبية التى معناها إعلان الإجابة المتكررة المرة بعد المرة بعد أن سمع المجيب النداء، وبلغه الإذن بزيارة البيت والوقوف بالحمى . وأما اللباس المحدد النوع والمضبوط الصفة فهو إزار ورداء ونعلان لا أقل ولا أكثر، رأس مكشوف ، ووجل متنعلة كحافية ذلك هو اللباس الخاص لرواد حمى الله العزيز الجليل .

جلال بيت الله ؛ وقدسية حرمه

إن ما حازه البيت الحرام من الجلال وعلو الشأن لم يكن من تقادم عهد بنائه، ولا من علو كعبه ورسوخ دعائمه ، وإنما ما حازه من شرف على سائر البيوت كان بإضافته إلى الله تعالى ، وهذا شأن كل ما أضيف إليه سبحانه وتعالى من مخلوقاته فإنه يعظم بعظمته ويجل بجلاله ، فرسل الله وأنبياء الله وأولياء الله كلهم ما نالوا ما نالوه من شرف وحرمة إلا بنسبتهم إلى الله تعالى أما الحرم فقد اكتسب شرفه وقدسيته من البيت الذى جل بجلال الله ، وعز بعزة مولاه ، فلم يكن الحرم ليشرف لولا إحاطته ببيت الله ، ولم لا يشرف الحرم ويعظم شأنه وهو سياج بيت الله الرفيع ؟وإن آيات هذا التشريف والإجلال لبيت الله وحرمه لظاهرة بوضوح فيما ألقاه رب العزة فى قلوب العرب والعجم من إعظام للبيت وإكبار لشأن الحرم ، فإن المتعارف عند العرب أن من لجأ إلى الحرم من ذوى الجنايات تقصر دونه يد الطالب ويأمن وأن من قلد نفسه قلادة تشعر بأنه من حجاج البيت وزوار الحمى يمر فى طريقه الطويل فلا يصده صاد ، ولا يعترض سبيله باغ ، ولا عاد . ذلك بأن الله قد جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس : والشهر الحرام والهدى والقلائد .

وكم من جبار أراد الحمى بسوء قصمه الله ، وكم من كائد لبيت الله كاده الله وحادثة أصحاب الفيل من أقوى دليل على ما لهذا البيت وحماه من مكانة عند الله ، حيث لم يسمح للمعتدين أن يمسوه بسوء، وكان ذلك بمثابة الإعلام العام بأن أرض الحرم أرض ليس لأحد أن يصيد فيها صيداً ، أو يؤذى فيها قريبًا أو بعيداً ، وأن كل من ضمه الحرم وآواه ، هو فى أمن الله ، وسواء كان إنسانًا أو حيواناً ما لم يشتهر بفسق ، أو يعرف بأذية قال تعالى : ﴿ **أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم** [1]﴾ وقال رسول الله ﷺ « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يقتل صيده ، ولا يعضد شجره ولا يختلى خلاه» .

---

(١) العنكبوت .

بيان المواقيت

أما الميقات الزمانى فقد بينه الله تعالى بقوله جلت قدرته : ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ فعلى مريد الحج أن لا يحرم بحجه إلا فى الأشهر المعلومة وهى شوال وذو القعدة ، وذو الحجة أى العشرة الأيام الأولى منه ؛ لأن الحج ينتهى بيومه الأكبر وهو يوم النحر ، عاشر الحجة . وأنه غير لائق بعد أن عين رب البيت موعد الزيارة لزائريه أن يتجاهل المرء هذا الموعد ويحرم بحجه فى غيره ولذا أجمع أهل العلم سلفاً وخلفاً . على كراهة الإحرام فى غير أشهره ، وهل ينعقد فيها لو أحرم به فى غيرها خلاف ؟ هذا بالنسبة إلى الحج أما العمرة فقد جعل الله تبارك وتعالى وقتها أوسع فالسنة كلها موعد زيارة وظرف تشرف وتقرب .

وأما الميقات المكانى فقد حدده رسول الله ﷺ تحديداً كاملاً واضحاً وهو يكتنف مكة المكرمة من سائر أقطارها ومناحيها : شمالاً ، وجنوباً ، وشرقاً ، وغرباً ، فقد أخرج أصحاب الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنه قوله (وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم، قال فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة ، فمن كان دونهن فمهله من أهله ، وكذلك حتى أهل مكة يهلون منها) .

فهذا الأثر الصحيح قد اشتمل على بيان سائر المواقيت المكانية ، وبينها بياناً شافياً ، وهذا تفصيلها:

١ ــ ذو الحليفة: وتسمى الآن: آبار على ، وهى أبعد المواقيت لأنها تبعد عن مكة بعشر مراحل ، وهى ميقات أهل المدينة وتبعد عنها بنحو ثمانى كيلومتر وكما هى ميقات لأهل المدينة هى ميقات لكل من أتى عليها من غير أهل المدينة كسائر الحجاج الذين يقدمون الزيارة على الحج .

٢ ــ الجحفة : وهى ميقات أهل الشام ومصر وسائر أقطار المغرب العربى ومن كان وراء ذلك ، وقد اندثرت هذه القرية التى كانت تسمى أيضا (مهيعة) ولما كانت محاذية لمدينة رابغ وقريبة منها حلت مدينة رابغ محلها فأصبحت هى

ميقات أهل الشام ومصر والمغرب ، وتبعد عن مكة بنحو أربع مراحل تقريبا .

٣ ـ قرن المنازل : وهو ميقات أهل نجد ، ويبعد عن مكة بنحو مرحلتين .

٤ ـ يلملم : وهو ميقات أهل اليمن ويبعد عن مكة بنحو مرحلتين أيضا .

٥ ـ ذات عرق : وهو ميقات أهل العراق وأهل المشرق قاطبة ، ويبعد عن مكة بمرحلتين ونصف ، وهذا الميقات لم يذكر فى الحديث السالف الذكر : وقد صح تعينه عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقد أخرج البخارى بسنده عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه قال لما فتح هذا المصران (البصرة ، والكوفة) أتوا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقالوا : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرناً ، وأنه جور عن طريقنا (مائل) وإن أردنا أن نأتى قرنا شق علينا ، قال : فانظروا حذوها . من طريقكم ، قال : فحد لهم ذات عرق (العرق : الجبل الصغير) .

هذا وقد أخرج أبوداود والنسائى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ وقت لأهل العراق ذات عرق . وإنما قد يقال : كيف يوقت رسول الله ﷺ لأهل العراق ميقاتاً ولم تكن العراق آنذاك بلداً إسلامياً لتأخر فتحها إلى عهد خلافة عمر رضى الله عنه ، والعقل لا يحيل هذا فقد يطلع ﷺ على ذلك فيضع لأهلها ميقاتاً ولما أسلموا بعد . أليس هو يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ؟

٦ ـ ميقات من كان دون هذه المواقيت إلى مكة فإن ميقاته من محلة أهله فيحرم منها لقوله ﷺ « فمن كان دونهن فمهله من أهله » .

٧ ـ ميقات أهل مكة وهو بيوتهم أو المسجد الحرام إن شاءوا ، إلا العمرة فإن عليهم أن يخرجوا إلى الحل فيحرموا منه كما فعلت عائشة رضى الله عنها بأمر رسول الله ﷺ ليجمعوا بين الحل والحرم .

٨ ـ الميقات العام وهو كل من أتى من ناحية يحرم من ميقات أهلها لقوله ﷺ فى الحديث السالف « هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن » فالشامى إذا أتى بطريق اليمن أهل من يلملم ميقات أهل اليمن ، واليمنى إذا أتى بطريق الشام أهل من ميقات أهل الشام ، وهلم جرا .

الحكم فيمن تجاوز الميقات ولم يحرم

إن الحكم فيمن تجاوز الميقات ولم يحرم هو أنه يعود إلى ميقاته ليحرم منه وإن هو أحرم بعد ما جاوزه ولم يعد فإن عليه دماً وهو ذبح شاة لتركه واجباً من واجبات الحج. هذا فيما إذا كان يريد الحج أو العمرة ، أما إذا لم يكن عازما على أداء نسك من النسكين الحج أو العمرة ، وإنما تجاوز الميقات لحاجة له ، ثم لما قضاها ظهر له أن يعتمر أو يحج كمدنى قصد رابغاً أو جدة لبعض شأنه فلما قضى حاجته بدا له أن يقصد مكة لعمرة فإن هذا لا يطالب بالرجوع إلى الميقات ، ولا يجب عليه دم لكونه لم يتجاوز الميقات وهو يريد الحج أو العمرة . والشارع ﷺ قال : « لمن كان يريد الحج أو العمرة » وهذا لم يكن حال تجاوزه الميقات مريداً لهما ، وإذًا فلا شيء عليه .

الحكم فى دخول مكة بغير إحرام

إن الجمهور من فقهاء الأمة الإسلامية يقولون بتحريم دخول مكة بغير إحرام لغير عذر من الأعذار كعمل يتكرر أو قتال ، أو مرض وما إلى ذلك وأن من دخلها بغير إحرام وبدون عذر يوجبون عليه دمًا ، وحجتهم فى ذلك حديث ابن عباس رضى الله عنه الذى أخرجه البيهقى رحمه الله تعالى وهو : (لا يدخل أحد مكة إلا محرم) وحديث ابن أبى شيبة (لا يدخل أحد مكة بغير إحرام إلا الحطابين والعمالين ، وأصحاب منافعها) غير أن المحققين من الأمة يرون أنه لا حرج ولا إثم على من دخل مكة بغير إحرام ، إذا كان لا يريد حجاً ولا عمرة ، وذلك مبنى على ما يأتى :

١ ــ ضعف الحديثين اللذين استدل بهما الجمهور.

٢ ــ ما رواه مالك فى الموطأ من أن ابن عمر تجاوز الميقات بغير إحرام.

٣ ــ قوله ﷺ فى بيان المواقيت : « لمن كان يريد الحج والعمرة » فإن مفهوم الحديث يدل دلالة واضحة على أن من لم يرد الحج ولا العمرة ليس عليه أن يلاحظ ميقاتاً ولا إحرامًا .

٤ ــ إن أصحاب الرسول ﷺ كانوا يترددون على مكة لحوائجهم فى زمنه عليه الصلاة والسلام ولم يثبت أنه أمر أحداً منهم بالإحرام لدخول مكة فى غير الحج أو العمرة .

أركان الحج والعمرة

إذا كان لكل ثابت قار أركان يعتمد عليها فى ثبوته وقراره بحيث لو تسقط هذه الأركان أو أحدها لتداعى ذلك الشىء وانهار ، فإن لعبادة الحج والعمرة أركاناً تعتمد عليها فى ثبوتها واستقرارها عبادة مطهرة للنفس مزكية لها ، وإنها متى سقط منها ركن فسدت وزال تأثيرها فى تطهير النفس وتزكيتها ، ومن هنا كان من الواجب معرفة هذه الأركان التى انبنت عليها عبادة من أخطر العبادات نظراً لزمنها المحدد ولمكانها الخاص ، فإن من فسدت له صلاة استطاع أن يصليها بيسر وسهولة ، ومن فسد له صوم يوم أو أكثر له أن يصومه فيما بعده من أيام ، غير أن فساد الحج يكلفه الكثير من الوقت والمال والراحة ، ولذا رأيت من اللائق أن أذكر هذه الأركان مجملة ليسهل حفظها ، وتتيسر ملاحظتها ، ثم أذكرها مرة أخرى مفصلة مبينة للدراسة والفهم.

كل ركن منها مصحوب بواجباته وسننه وآدابه وحكمه وبيان كيفية أدائه ، وسأذكرها متتالية متتابعة كما هى ركناً بعد ركن وها هى ذى الأركان مجملة : الإحرام ، الوقوف بعرفة عشية يوم تاسع ذى الحجة وجزءاً يسيراً من ليلة عاشره ، الطواف بالبيت بعد الإفاضة من عرفة ، السعى بين الصفا والمروة . هذه أركان الحج الأربعة . أما أركان العمرة فهى : الإحرام ، الطواف بالبيت ، السعى بين الصفا والمروة (1) .

والملاحظ هنا : أنه بسقوط ركن الوقوف بعرفة سقط كثير من الواجبات والسنن التى هى معظم أعمال الحاج وذلك كالمبيت بمنى ليلة عرفة ، والمبيت بالمزدلفة، والوقوف بالمشعر الحرام ، ورمى جمرة العقبة ، والمبيت بمنى أيامه الثلاثة، ورمى الجمرات بعد زوال كل يوم منها .

تنبيه : اعلم أنه لا فرق بين أركان الحج والعمرة ، فالإحرام بالحج كالإحرام بالعمرة والطواف للحج كالطواف للعمرة ، وكذا السعى بلا فارق فلنعتبر الكلام على أركان الحج كافيا فى بيان أركان العمرة . وهذه الأركان مفصلة .

---

(1) اختلف فى الحلق هل هو ركن من أركان العمرة ، أو واجب من واجباتها ؟ والراجح أنه واجب .

الركن الأول من أركان الحج والعمرة : الإحرام

معنى الإحرام :

الإحرام هو نية الدخول فى الحج أو العمرة أو فيهما معاً فمن نوى الدخول فى أحد النسكين يقال فيه أحرم [1] أى تلبس بحال يحرم عليه فيها ما كان مباحاً له قبلها كتغطية الرأس ولبس المخيط ، ومس الطيب والنساء والصيد .

واجبات الإحرام

للإحرام واجبات ينبغى معرفتها ؛ لأن تارك الواجب يطالب بدم يهريقه للفقراء والمساكين جبراً لما أصاب حجه أو عمرته من خلل بترك واجب .

وواجبات الإحرام هى كالتالى :

١ ــ الإحرام من الميقات ، لأمر الرسول ﷺ بذلك ، وفعله .

٢ ــ التجرد من المخيط .

٣ ــ التلبية ، وإن كان الجمهور يراها سنة ؛ فإن مالكا يعدها واجباً. وفعل الرسول ﷺ وأمره يقوى كونها واجباً.

سنن الإحرام

وللإحرام سنن يحسن العلم بها وهى:

١ ــ الاغتسال ولو لنفساء أو حائض حيث أن أسماء بنت عميس امرأة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أمرت بالاغتسال وهى نفساء وأهلت بقوله ﷺ لأبى بكر: «مرها فلتغتسل ثم لتهل » .

٢ ــ الإحرام فى رداء وإزار أبيضين نظيفين لفعله ﷺ ذلك .

٣ ــ وقوعه بعد صلاة نافلة كانت أو فريضة لخبر أن النبى ﷺ صلى الظهر

---

(١) مأخوذ من أحرم إذا دخل فى الشيء الحرام أو الحرم كأصبح إذا دخل فى الصباح وأبحر إذا دخل البحر.

ثم ركب راحلته فلما علا البيداء أهل [١] .

٤ ــ تقليم الأظفار وقص الشارب ونتف الإبط ، وحلق شعر العانة ، ومس الطيب قبله لفعله ﷺ ذلك ولقول عائشة رضى الله عنها : كنت أطيب النبى ﷺ بأطيب ما أجد [٢] .

٥ ــ تكرار التلبية وتجددها كلما تجددت حال لفعل النبى ﷺ ذلك .

٦ ــ الدعاء والصلاة على النبى ﷺ عقب التلبية لحديث ثابت : أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من تلبية سأل الله عز وجل رضوانه والجنة واستعاذ برحمته من النار [٣] .

---

(١) هذا لا ينافى ما فى الأحاديث الدالة على أن النبى ﷺ أحرم حين فرغ من صلاته ، لأنه ينوى بعد الصلاة بمعنى يوجب على المحرم طالما ركب راحلته رفع صوته بالتلبية.

(٢) متفق عليه . (٣) رواه الشافعى.

محظورات الإحرام

وللإحرام محظورات أى محرمات أو ممنوعات وهى كالآتى:

١ ــ تغطية الرأس لنهيه ﷺ عن ذلك .

٢ ــ حلق الشعر أو قصه أو قطعه لنهى النبى ﷺ عن ذلك .

٣ ــ قلم الأظفار لنهى النبى ﷺ عن ذلك .

٤ ــ مس الطيب لنهى النبى ﷺ عن ذلك .

٥ ــ لبس المخيط لقوله ﷺ فى جواب من قال : يا رسول الله ما يلبس المحرم « لا يلبس الثوب ، ولا العمائم ، ولا السراويل ، ولا البرانس ولا الخفاف إلا من لا يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما من أسفل الكعبين ولا يلبس من الثياب شيئا مسه زعفران أو ورس ، ولا تنتقب [١] المرأة ولا تلبس القفازين [٢] » .

٦ ــ عقد النكاح مطلقاً للحاج أو لغيره .

٧ ــ الخطبة مطلقة للحاج أو لغيره لقوله ﷺ :« لا ينكح [٣] المحرم ولا ينكح [٤] ولا يخطب » .

٨ ــ قتل صيد البر لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم** ﴾ .

٩ ــ الجماع لقوله تعالى :﴿ **فلا رفث** ﴾ والرفث : الجماع ، وهو مفسد للحج إذا وقع قبل الوقوف بعرفة بخلاف غيره من المحظورات فلا تفسد الحج غير أن فيها كفارة بصيام أو إطعام أو نسك .

١٠ ــ مقدمات الجماع كالقبلة واللمس والنظر بشهوة لدخول ذلك فى جنس

---

(١) النقاب شيء تستر به وجهها ، والحديث فى البخارى.

(٢) القفاز ما يجعل فى اليد فيستر الكفين والأصابع.

(٣) لا يتزوج والحديث رواه مسلم .

(٤) لا يزوج غيره بولاية أو وكالة .

الرفث المحرم بقوله تعالى : ﴿ **فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** [1] ﴾ .

حكم من فعل محظورا

إذا كان المفعول من المحظورات تغطية رأس ، أو لبس مخيط ، أو حلق شعر ، أو مس طيب فإن على من فعل ذلك فدية صيام أو إطعام ، أو نسك (ذبح شاة) لقوله تعالى : ﴿ **فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام ، أو صدقة ، أونسك** ﴾[2] فالصيام : صيام ثلاثة أيام ، والصدقة : إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (حفنتين) مما تيسر من القوت ، والنسك ذبح شاة . كما بين ذلك رسول الله ﷺ لكعب بن عجرة لما سأله قائلا: « لعلك آذاك هوام رأسك ؟» قال نعم يا رسول الله ، فقال : « أحلق رأسك ، وصم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، أو أنسك شاة ».

وإذا كان المحظور صيداً فعلى قاتله ، أو قتلته إن اشتركوا فى قتله جزاؤه بشروط يأتى بيانها.

وإذا كان المحظور جماعاً فإن الحج يفسد إذا وقع قبل الوقوف بعرفة ، وعليه الاستمرار فى حجه الفاسد حتى يتمه وعليه ذبح بدنة (بعير) وعليه الحج من قابل . وإن لم يجد البدنة صام عشرة أيام . وإن كان المحظور من مقدمات الجماع[3] كالقبلة والمباشرة فإن فى ذاك دمًا . وإن كان غير ما ذكر وذلك كعقد نكاح أو خطبته فإن على فاعله إثمًا فليستغفر الله منه وليتب ، ولا فدية عليه فى ذلك لعدم ثبوتها عن الرسول ﷺ أو عن أحد أصحابه رضى الله عنهم.

ما يجوز قتله من الحيوان للمحرم

يجوزللمحرم أن يقتل فى الحل أو فى الحرم : الكلب العقور ، والحدأة ، والحية ، والعقرب ، والفأرة وغيرها مما يؤذى لقوله ﷺ : « خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن فى الحرم : الغراب ، والحدأة ،والعقرب ، والفأرة ،والكلب العقور » . رواه أحمد وهو فى الصحيح بمعناه.

(١ ,٢) البقرة .

(٣) اختلف فيمن أمنى بدون جماع ولكن بنظر أو لمس أو مباشرة فقيل يفسد حجه وقيل لا يفسد ولكن أجمعوا أن عليه بدنة ، ولا يضر الاحتلام سواء كان فى نوم ليل أو نهار .

شروط الجزاء فى الصيد

إن الآية التى حرمت قتل الصيد على المحرم اشتملت على شروط تعتبر لازمة فى الجزاء ، أما الآية فهى قوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديًا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياماً ، ليذوق وبال أمره** (١) ﴾ .

وأما الشروط التى اشتملت عليها فهى :

١ ـ المثلية ، فليراع فى الحيوان المقتول ما يماثله من النعم التى هى الإبل ، والبقر ، والغنم فمثل بقر الوحش البقر ، ومثل الغزال الغنم .

٢ ـ الحكمان (٢) العدلان من المسلمين .

٣ ـ أن يكون الجزاء هديًا (٣) يهدى إلى الحرم ليطعمه فقراء الحرم ومساكينه .

٤ ـ إن لم يوجد للحيوان مثل ، يقوم ويتصدق بقيمته طعاماً ، وإن تعذر وجود الطعام فليصم عن كل مد يومًا (٤) .

بيان جزاء الصيد

١ ـ النعام وفيه بدنة (بعير) حكم به الصحابة رضى الله عنهم .

٢ ـ بقر الوحش ، وفيه بقرة حكم فيه عمر رضى الله عنه .

٣ ـ حمار الوحش ، وفيه بقرة حكم فيه عمر رضى الله عنه .

٤ ـ الضبع ، وفيه كبش حكم به الرسول ﷺ .

٥ ـ الأيل حيوان يشبه الغزال ؛ وفيه بقرة روى -حكمه عن ابن عباس رضى الله عنه .

---

(١) المائدة .

(٢) اختلف هل يكفى فى الحكمين أن يكون القاتل للحيوان أحدهما ، أو لابد من آخر ، وظاهر الآية يدل على أنه لابد من آخر غير القاتل .

(٣) اختلف فى المكان الذى يقوم فيه الحيوان ، فقيل يقوم فى المكان الذى قتل فيه ، وقيل يقوم بمكة محل إطعامه الفقراء .

(٤) يجبر الكسر فإن بقى نصف مد أو ربع مد : صام عنه يوما ، لأن الصوم لا يجزأ .

٦ ــ التيتل : الوعل المسن وفيه بقرة .

٧ ــ الوعل : تيس الجبل وفيه بقرة .

٨ ــ الغزال : وفيه شاة لحديث جابر أن النبى ﷺ قال :« فى الظبى شاة » والظبى هو الغزال . رواه الدارقطنى ، وقضى به عمر رضى الله عنه كما فى الموطأ .

٩ ــ الأرنب : وفيه عناق (الأنثى من أولاد المعز) روى حكمه عن عمر رضى الله عنه .

١٠ ــ الوبر : دويبة سوداء لا ذنب لها تشبه الهرة وفيه جدى.

١١ ــ الظب : وفيه جدى حكم فيه عمر وزيد .

١٢ ــ الحمام : وفيه شاة حكم فيه الصحابة رضى الله عنهم.

١٣ ــ اليربوع : [١] وفيه جفرة حكم فيه ابن مسعود وعمر رضى الله عنهما.

حكم صغار الحيوان

اختلف فى صغار الحيوان كالجراد ، والذباب ، والنمل ، والبراغيث ، والقراد وما إلى ذلك فبعضهم قال فيها : حفنة من طعام إلا الجراد إذا تجاوز العشرة جرادات فيه القيمة ، وبعضهم يقول : لا شىء فيها إلا الجراد فيضمن بقيمته أما بيض الحيوان الكبير كالنعام والطير فيضمن بقيمة صغاره وكذا لبن ما فيه لبن يضمن بالقيمة أيضا .

---

(١) إن اشترك جملة فى قتل صيد فإن عليهم جميعًا مثله أو قيمته إن لم يكن له مثل وإن لم يوجد طعام صاموا عن كل مد يومًا .

لا يخلو التشريع الإلهى من حكمة مقصودة فيه

اعلم أخى المسلم أرشدنى الله وإياك أن جميع الأعمال التعبدية لا تخلو من حكم مقصودة للشارع فيها ، وأن هذه الحكم قد تكون فى بعض العبادات ظاهرة وقد تكون فى بعضها خفية غير ظاهرة ولا يسعنا عندئذ إلا أن نقول : أمرنا الشارع ولم نطلع على الحكمة فيجب التسليم له فى ذلك .

بيد أن عدم اطلاعنا على الحكمة لا ينفى وجودها ؛ لأن الشارع منزه عن اللعب والعبث: ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين** ﴾ (١) .

ثم إن هناك حكمة عامة فى سائر التكاليف الشرعية وهى اختبار المكلفين بما يظهر مدى طاعتهم له تعالى ، ومقدار إذعانهم لأمره عز وجل ونهيه: ﴿ **الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ (٢) .

ومع هذا الذى تقدم فإنى وضعت عقب كل منسك من مناسك الحج ما بدا لى أنه حكمة له ، وقد أخطئ ، فإن أصبت فمن الله والحمد لله ، وإن أخطأت فمن نفسى والشيطان وأستغفر الله لخطئى وقد أقول : حكمة كذا هى كذا . . أو الحكمة فى كذا . . . وأنا لا أريد الحصر أو القصر أبداً فإذا قلت حكمة كذا هى كذا . . . فليس معناه أن هذه العبادة لا حكمة لها إلا ما ذكرت فقد يكون للعبادة حكم أخرى لم أُلهم معرفتها ، ولم أوفق للكشف عنها . وقد يكون ما جعلته حكمة غير حكمة ، لأن هذا مجرد اجتهاد فقط والمجتهد يصيب ويخطئ وحسبى من كل ذلك أنى مجتهد فى الموضوع . والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر . والمسؤول الله أن يقينا الزلل وأن يعصمنا من الخطأ والخطل .

حكمة تحريم الصيد على المحرم

إن الحكمة أو السر فى تحريم الصيد على المحرم ليلوح لدى الفكرة بوضوح وجلاء من قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب**

---

(١) الدخان . (٢) العنكبوت .

أليم﴾ (١) .

فقد علل تبارك وتعالى هذا التحريم بقوله : ﴿ **ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾** فظهرت الحكمة ، وانكشف السر ، وعلمنا أن المراد من التحريم هو اختبار مدى خشية المؤمن لربه ، وإظهار لمدى خوفه من الله عز وجل ، ومراقبته له ، وهذا يعد إعداداً للمؤمن وتهيئة له لأن يطيع ربه فى أوامره ونواهيه تلك الطاعة التى تتوقف عليها سعادته فى الدارين . فإن استطاع المؤمن أن يعرض له الصيد ، وهو محرم عروضاً مغرياً ، بحيث تناله يده ورمحه فيعرض عنه ولا يلتفت إليه خشية لربه واتقاء لغضب مولاه فإنه يستطيع بعد هذا أن يعرض عما هو أكبر . كزينة الدنيا وزخارف الحياة فلا الخمر تفتنه، ولا الميسر يستهويه ، ولا المال يطغيه ، ولا الزنى يرديه ، ما دام يخشى الله تعالى ويتقيه وبهذا لنا أن نقول : إن تحريم الصيد على المحرم يعتبر مدرسة لتنمية الخشية فى قلب المؤمن ، ولتخريج أولى العزائم القوية فى الحياة . هذا ومن المعروف أن الصيد فيه شىء من اللهو ، وأن الاشتغال به كثيراً ما يؤدى إلى الغفلة وأن اللهو والغفلة كلاهما لا يتفق مع ما تلبس به الحاج من عبادة الحج التى هى من أعظم العبادات وأجلها . وإن قيل : لو كان المقصود من تحريم الصيد هو اتقاء الغفلة واللهو المنسى لذكر الله تعالى . فلم حرم على المحرم أكل ما لم يصده ؟ قلنا له : إن ما صيد لأجله يعتبر صاده بالمشاركة ، وإن ما لم يصد لأجله لا مانع من أكله .

ومن أسرار تحريم الصيد على المحرم أيضا ، أن المحرم بمجرد ما قال : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك ، لبيك . . . قد نبذ وراءه كل ما من شأنه الاشتغال بالذات ، وأقبل على روحه يزكيها بذكر الله تعالى ، ويطهرها بالتوجه والإقبال عليه ، فلم يبق له مع هذا مجال للهو والاشتغال بالصيد .

وقد يكون من أسرار تحريم الصيد أن المحرم ترق نفسه بذكر الله تعالى ويرهف إحساسه بالإقبال على مولاه إلى درجة لا يقوى معها على إيذاء الحيوان فضلاً عن قتله .

---

(١) المائدة .

كيفية الإحرام وأنواع النسك الثلاثة

المراد بكيفية الإحرام صفته وكيف يدخل الحاج أو المعتمر فيه . وأما أنواع النسك فإنه من المجمع عليه بين هذه الأمة سلفاً وخلفاً أن أنواع النسك ثلاثة وهى: الإفراد ، والقران ، والتمتع . ومن المعروف عن هذه الأمة الخلاف فى أى هذه الأنواع أفضل ؟ ومن المعروف عنها أيضا أن هذه الثلاثة لا خلاف فى جواز أى منها ، وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** [1] ﴾وقوله : ﴿ **فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** [2] ﴾ وقوله: ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** [3] ﴾ دليل قطعى فى جواز الإحرام بأى واحد من هذه الأنواع الثلاثة ، وليس ثمت ما يلزم المسلم الإحرام بواحد منها بعينه . هذا إلى جانب الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الموضوع فإنها لم تكن قطعية الدلالة فى إلزام المسلم الإحرام بواحد من أنواع النسك على الخصوص ، وهى أيضا ليست قطعية الدلالة فى أفضلية واحد منها على الآخر اللهم إلا بقيد زائد ، وإليك هذه الطائفة من الأحاديث .

١ ــ حديث عائشة رضى الله عنها عند البخارى ومسلم قالت :خرجنا مع رسول الله ﷺ فقال:« من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل ، ومن أراد أن يهل بعمرة فليهل » قالت : وأهل رسول الله ﷺ بالحج ، وأهل به أناس معه ، وأهل مع ناس بالعمرة والحج ، وأهل ناس بعمرة ، وكنت فيمن أهل بعمرة .

دلالته : جواز الإحرام بأحد أنواع النسك الثلاثة ، بلا ترجيح أحدها على الآخر .

٢ ــ حديث عمران بن حصين رضى الله عنه عند الشيخين ، قال : نزلت آية المتعة فى كتاب الله تعالى ، يريد قوله تعالى: ﴿ **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج** ﴾ الآية ــ ففعلناها مع رسول الله ﷺ ، ولم ينزل قرآن يحرمه ، ولم ينه عنه حتى مات.

دلالته : جواز التمتع بالعمرة .

(١ ، ٢ ، ٣) البقرة .

٣ ـ حديث عبد الله بن شقيق عند أحمد ومسلم : أن عليًا كان يأمر بالعمرة، وعثمان ينهى عنها ، فقال عثمان [١] (كلمة) فقال علي: لقد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله ﷺ فقال عثمان : أجل ! ولكنا كنا خائفين .

دلالته : جواز المتعة ، والإشارة إلى أن بين الصحابة رضى الله عنهم خلافاً فى جواز المتعة ، وعدم جوازها ، والصحيح جوازها ، وليس فى الحديث ترجيح لأحد أنواع النسك على الآخر .

٤ ـ حديث مروان بن الحكم عند البخارى والنسائى قال : شهدت عثمان وعلياً وعثمان ينهى عن المتعة ، وأن يجمع بينهما ، فلما رأى على ذلك أهل بهما: لبيك بعمرة وحجة ، وقال : ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ بقول أحد.

دلالته : جواز المتعة والقران ، والإشارة إلى الخلاف فى جوازها وعدمه بين الصحابة رضى الله عنهم .

٥ ـ حديث أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها عند الجماعة ، إلا الترمذى. قالت : قلت للنبى ﷺ ما شأن الناس حلوا ولم تحل من عمرتك ؟ قال: « إنى قلدت هديى ولبدت رأسى ، فلا أحل حتى أحل من الحج » .

دلالته : جواز فسخ الحج إلى العمرة ، وكراهة ذلك لمن ساق الهدى.

٦ ـ حديث القاسم عن عائشة رضى الله عنها عند الجماعة إلا البخارى أن النبى ﷺ أفرد بالحج .

دلالته : جواز الإفراد .

٧ ـ حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنه ، عند أحمد ومسلم . وهو يدل على ما دل عليه حديث القاسم فى جواز الإفراد .

٨ ـ حديث أنس رضى الله عنه ، عند البخارى ومسلم قال : سمعت رسول الله ﷺ يلبى بالحج والعمرة جميعًا، يقول : « لبيك عمرة وحجًا» .

دلالته : جواز القران ؛ ويجمع بين هذا الحديث ، وحديث إفراد الرسول ﷺ بالحج : أنه أفرد بالحج فلبى به ، ثم ما لبث أن أدخل عليه العمرة ، فلبى

---

(١) يروى أن عثمان رجع أخيراً عن نهيه عن التمتع .

بهما معاً، وصار قارناً عند ذلك .

٩ ـ حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عند البخارى وأحمد قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول بوادى العقيق ، يقول: « أتانى الليلة آت من ربى فقال : صل فى الوادى المبارك ، ثم قل : عمرة فى حج » وفى رواية . وقل : «عمرة فى حجة».

دلالته : جواز القران . وأن وادى العقيق مبارك .

١٠ ـ حديث جابر رضى الله عنه ، عند الشيخين . قال : أقبلنا مهلين مع رسول الله ﷺ بحج مفرد ، وأقبلت عائشة بعمرة حتى إذا كنا بسرف [١] عركت[٢] ، حتى إذا قدمنا مكة طفنا بالكعبة ، والصفا والمروة [٣] فأمرنا رسول الله ﷺ : أن يحل منا من لم يكن معه هدى قال ، فقلنا : حل ماذا ؟ قال، الحل كله ، فواقعنا النساء، وتطيبنا بالطيب ، ولبسنا ثيابنا ، وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال ، ثم أهللنا يوم التروية ثم دخل رسول الله ﷺ على عائشة ، فوجدها تبكى فقال : ما شأنك ؟ قالت : شأنى أنى قد حضت ، وقد حل الناس، ولم أحلل ، ولم أطف بالبيت ، والناس يذهبون إلى الحج الآن . فقال: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاغتسلى ، ثم أهلى بالحج » ففعلت ، ثم وقفت المواقف حتى إذا ما طهرت ، طافت بالكعبة وبالصفا والمروة ثم قال: «قد حللت من حجتك وعمرتك جميعاً» ، فقالت : يا رسول الله إنى أجد فى نفسى أنى لم أطف بالبيت حتى حججت . قال: « فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم » وذلك ليلة الحصبة [٤] .

دلالته : جواز الإفراد ، والتمتع وفسخ الحج بعمرة لمن لم يسق الهدى . وبيان حكم من حاضت فى الحج ووجوب الجمع بين الحل والحرم لمن أراد أن يعتمر وهو بمكة . وقد يدل الحديث على استحباب فسخ الحج إلى عمرة لمن لم يسق الهدى.

---

(١) مكان بين مكة والمدينة . (٢) عركت حاضت .

(٣) فيه جواز تسمية السعى طوفا كما فى آية : ﴿ **فلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾ .

(٤) المحصب : وهو حيف معروف نزله الرسول ، ﷺ عند نزوله من منى ، فبات به إلى آخر الليل ، دخل مكة فطاف طواف الوداع .

١١ ــ حديث سراقة، عند أحمد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » قال : وقرن رسول الله ﷺ فى حجة الوداع .

دلالته : جواز القران .

١٢ ــ حديث أنس رضى الله عنه ، عند أحمد قال . خرجنا نصرخ بالحج ، فلما قدمنا مكة أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعلها عمرة ، وقال : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لجعلتها عمرة ، ولكن سقت الهدى وقرنت بين الحج والعمرة » .

دلالته : جواز فسخ الحج إلى العمرة لمن يسق الهدى ويقرن ، ثم فى تمنى الرسول ﷺ التمتع بالعمرة دلالة على استحباب التمتع إن لم يكن هذا منه ﷺ تأكيداً فى شأن جواز التمتع الذى قد يراه البعض غير جائز ، أو مستحسن كما كان يراه عثمان وغيره من الصحابة رضى الله عنهم .

وخلاصة القول فى الموضوع : أن الخلاف فى تفضيل أحد أنواع النسك عن الآخر خلاف قديم ، وأن كل من رجح من الأئمة رحمهم الله تعالى أفضلية نسك أول ما استدل به غيره على أفضلية ما رآه الأفضل ، وأنه لا خلاف بينهم فى جواز الإحرام بأى منها ، وأنه يجوز فسخ الحج إلى عمرة ، كما يجوز إدخال العمرة على الحج فيصير قارنًا ، ويجوز إدخال الحج على العمرة إن لم يشرع فى الطواف لها على خلاف فى ذلك .

غير أن أقوى الأدلة تدل على أفضلية التمتع ، وهو أن يحرم بعمرة حتى إذا فرغ منها ، حل وتمتع بما كان محظوراً عليه بالإحرام إلى يوم التروية ، فيحرم بالحج ويخرج له كما فعل أصحاب رسول الله ﷺ .

هذا وقد أجمع الأئمة رحمهم الله تعالى على أن من كان يسافر سفرة للعمرة وللحج سفرة أخرى أن الإفراد له أفضل . حكى ذلك عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

كيفية الإهلال بالنسك

الإهلال : رفع الصوت بالتلبية المقارنة لنية النسك . وكيفية الإهلال أو الإحرام هى: أن يقلم من أراد الإحرام أظافره ، ويقص شاربه ، ويحلق عانته، وينتف إبطيه، ثم يغتسل ويلبس إزاراً ورداء أبيضين نظيفين ،ويلبس نعلين ويمس من الطيب ما تيسر له ، ولما يصل الميقات يصلى ركعتين بنية سنة الإحرام إن كان فى وقت تحل فيه النافلة ، ثم إن شاء أهل إثر الصلاة وإن شاء ترك ذلك حتى يركب راحلته ثم يهل قائلاً إن كان مفرداً بالحج: لبيك اللهم لبيك حجًا ، أو بالحج . وإن كان متمتعاً بالعمرة قال . لبيك اللهم لبيك عمرة أو بالعمرة . وإن كان قارنا قال . لبيك اللهم لبيك حجا وعمرة أو بالحج والعمرة . وإن شاء اشترط على ربه فيقول عند إحرامه . اللهم محلى من الأرض حيث تحبسنى ؛ فإنه إن حصل له ما يمنع مواصلة الحج من مرض أو غيره تحلل من إحرامه ولا شيء عليه . وأصل هذا أن ضباعة بنت الزبير رضى الله عنهما كانت شاكية فأتت النبى ﷺ فذكرت له ذلك فقال لها :« اشترطى على ربك ، فقالت كيف أقول ؟ قال قولى : لبيك اللهم لبيك محلى من الأرض حيث تحبسنى ، فإن لك على ربك ما اشترطت (١) ».

ثم يواصل التلبية رافعاً بها صوته فى غير إجهاد ــ إلا أن تكون امرأة فالسنة فى حقها الإسرار ، ولا بأس أن تسمع جارتها الراكبة إلى جنبها ــ قائلاً : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. وهذه هى تلبية الرسول ﷺ وهى أفضل من غيرها ، وإن زاد لبيك ذا المعارج ، أو لبيك وسعديك من الألفاظ المأثورة عن السلف فلا حرج . ويستحب له أن يدعو ويصلى على النبى ﷺ كلما فرغ من التلبية ، فقد كان النبى ﷺ إذا فرغ من تلبيته سأل الله رضوانه والجنة ، واستعاذ به من النار . ويستحب له أن يجدد التلبية كلما تجددت حال ، كعند الركوب أو النزول أو إقامة الصلاة ، أو ملاقاة الرفاق ، فقد صح عنه قوله ﷺ :«من لبى حتى تغرب الشمس فقد أمسى مغفوراً له» (٢) وينبغى له أن يكف لسانه عن غير ذكر الله عز وجل فقد كان بعض

---

(١) متفق عليه . (٢) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية فى منسكه .

السلف إذا أحرم أحـدهم يكون كالحية الصـماء اتقاء أن يقع فى مكـروه سيما وقد قال تعالى : ﴿**فلا رفث ولا فسـوق ولا جدال فى الحج**﴾ وأكبر وسيلة إلى تجنب هذه المحـرمات المفـسدات لهـذه العبـادة من الرفـث والفسـوق والجدال الصـمت والاشتغال بـذكر الله عز وجل والتـفكر فى آيات الله الـكونية الدالة علـى كماله وعظيم سلطانه.

ويحـسن به أن يـكثر فـى طريقـه من البـر والإحسان رجـاء أن يكون حـجه مبروراً، فليحسن إلى المحتاجين ، وليبتسم هاشاً باشاً فى وجه الرفاق ، وليلن لهم كلامه ، ويبذل لهم سلامه وطعامه .

ويستحب له إذا وصل إلى مكة أن يغتسل استعداداً لدخولها فقد كان الرسول ﷺ يغتسل بذى طوى عند دخوله إلى مكة كرمها الله وكرم من كرمها آمين .

حكمة الإحرام وأسراره

لقد ثبت بالحس والمشاهدة أن الأجسام الخفيفة هى التى تعلو وترتفع ، وأن الأجسام الثقيلة هى التى تسف وتسفل ، والأرواح علوية الطبع فهى تحن إلى العلو وتتوق له بفطرتها ، وترغب فيه بطبعها .

وإن مما يساعد النفس على الوصول إلى غايتها المنشودة لها وهى العلو دائما أفعال البر والطاعة والخير والإحسان . كما أن مما يعوقها ويحول بينها وبين ما تشتهى من العلو والكمال الذنوب والجرائم والمفاسد والشرور والآثام . وقد مد المولى الكريم سبحانه وتعالى يده إلى هذه النفس التواقة إلى العلى الشغوفة بحب الكمال إذ دعاها إلى جنابه فقال : ﴿ **ففروا إلى الله** ﴾ وفتح لها بابه فقال : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ وما أحوج النفس فى رحلتها الروحية إلى الزاد والتخفيف وهى فقيرة ببعدها عن مولاها ، ثقيلة بركونها إلى دنياها !

لكن من وضع لها موائد بره ، ودعاها إلى رحاب أنسه لم يكن أبداً لينساها فقد أعطاها من خير زاد الورى لما قال : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** [١] ﴾ وساعدها على التخفيف لما أمرها بالتجرد من المخيط والمحيط ، والذنوب والآثام ، وبهذا تجلت الحكمة فى الإحرام ، وعرفنا السر فى التجرد من الآثام فإن الحاج وافد على الله تعالى فكان عليه أن يختار أجمل حلة يلقى بها مولاه ، وليس فى الدنيا جميل يحبه الله ويرضاه سوى طاعته وتقواه وأن ينتقى أحسن صورة يفد فيها على الله ، وليس ثمت ما هو خير من صورة تنبئ بالافتقار ، والذل والانكسار . فليفد إذاً الوافدون على الله ، وهم أشبه بالحفاة العراة وليكن الشعث شعارهم ، وناسى الذات دثارهم، وتطهير الروح بالتلبية والتضرع بالدعاء مرامهم ، فإنهم بذلك واصلون ، وعلى رضى مولاهم حائزون وتلك بغيتهم وبغيتنا فى الحياة فاللهم قربنا منك ولا تبعدنا وصلنا ولا تقطعنا وارض عنا ولا تغضب علينا .

---

(١) البقرة .

مكة المكرمة وحدود حرمها

مكـــة:

ما أشرف مكة وما أقدسها ! وما أعظم أم القرى وما أفضلها مكة وما مكة ؟ مكة بلد ولكن سما فوق البلاد وشرف على الأرض رباها والوهاد ؛ لأنه بلد حوى بيت الله وأحاطه حرم الله فكان بذلك خير الأرض وأحبه إلى الله ومصداق ذلك قول رسول الله ﷺ : « قد علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أن أهلك قد أخرجونى ما خرجت » .

مكة البلد الذى ما زال منذ وطئته قدم الخليل وراح وغدا فوق تربته إسماعيل ما زال مثابة للناس وأمناً وملجأً للخائفين وحصنًا .

تزداد عظمته على الأيام وتعظم قدسيته على مر السنين والأعوام دخله الرسول ﷺ يوم أن فتحه الله له فأعلن فيه : «أن هذا البلد بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة» .

وماذا أريد لك ـ أخى المسلم ـ بهذا ؟ أريد لك أن يعظم إكبارك لهذا البلد الذى أكبره الله ، وأن يزداد احترامك لمكة التى حرمها الله ، فتدخلها متطامناً خاشعاً لله وتخرج منها شاكراً لله ، وذلك أقل ما يجب عليك فى بلد الله .

حدود الحرم :

ما من شك أن لكل حمى حدوداً تحده ، وعلامات تفصله عن غيره ومن هنا كان حمى الله أحق بذلك وأولى ، فقد روى أن جبريل أخذ بيد إبراهيم عليهما السلام وأوقفه على حدود الحرم فنصب عليها الخليل علامات تعرف بها فكان إبراهيم عليه السلام أول من وضع علامات حدود الحرم ثم جدد عهدها قصى من العرب ، ثم قريش على عهد الرسول ﷺ ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم كلما تصدعت رممها خلفاء الإسلام ، وكان آخرهم عهداً بإصلاحها الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود غفر الله له ورحمه .

أما بيان هذه الحدود مع مسافاتها فهو كما يلى :

١ ـ شمالاً من جهة المدينة بالمكان المسمى بالتنعيم ، أو مساجد عائشة رضى الله عنها . والمسافة بينه وبين المسجد الحرام تقدر بنحو أربعة أميال.

٢ ـ غربًا : من جهة جدة عـند المكان المسمى بالحديبية ، والمـسافة بينه وبين المسجد تقدر بنحو عشرة أميال .

٣ ـ شرقـاً : من جهة نجد عـند المكان المسـمى بجعرانـة والمسافة بيـنه وبين المسجد تقدر بنحو ثمانية أميال .

٤ ـ جـنوباً : مـن جهة عـرفة عنـد نمرة والمســافة بيـنه وبين المـسجد تـقدر بنحوثلاثة عشر ميلاً .

آداب دخول مكة والمسجد الحرام

من الآداب التى تتطلبها حرمة مكة وقدسيتها أن يغتسل الداخل إليها على جهة الاستحباب ، فقد كان رسول الله ﷺ يغتسل بذى طوى لدخولها ، وأن يدخلها من أعلاها عن طريق المعلاة ، وأن يخرج إذا خرج منها من أسفلها عن نهج الشبيكة .

أما المسجد الحرام فيستحب أن يدخله من باب بنى شيبة والمعروف الآن بباب السلام، وأن يقول عند الدخول : بسم الله ، وبالله ، ومن الله وإلى الله اللهم افتح لى أبواب فضلك ، وإذا رأى البيت رفع يديه ويقول : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام حينا ربنا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابة وبرًا ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيماً ، وتكريماً ومهابة وبراً.

الحمد لله رب العالمين كثيراً كما هو أهله ، وكما ينبغى لكمال وجهه ، وعز جلاله ، والحمد لله الذى بلغنى بيته، ورآنى لذلك أهلا ، والحمد لله على كل حال اللهم إنك دعوت إلى حج بيتك الحرام ، وقد جئتك لذلك . اللهم تقبل منى ، واعف عنى واصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت .

البيت الحرام وتاريخ بنائه

لا شك أن تاريخ البيت الحرام من أعمق التاريخ وأطوله فقد قال تعالى: ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين**﴾ آل عمران .

ففى هذه الآية كما فى قوله تعالى: ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت** ﴾ ما يرشد إلى أن هذا البيت العتيق من أقدم البيوت وأعرقها فى المجد والشرف .

وقد اختلف فى أول من بنى البيت فقيل : إن أول من بناه الملائكة بأمر الله تعالى، ثم آدم عليه السلام ، ثم أولاده حتى حجه نوح عليه السلام ، ثم بناه إبراهيم الخليل حيث أرشده الله تعالى إلى مكانه ، ثم العمالقة ، ثم قبيلة جرهم، ثم قصى بن كلاب ، ثم قريش على عهد الرسول ﷺ، ثم عبد الله بن الزبير رضى الله عنه سنة ٦٥ هـ ثم الحجاج بن يوسف سنة ٧٤ هـ ثم الخليفة

العثمانى السلطان مراد خان سنة ١٠٤٠ هـ .

هذا عدا الترميمات التى يقوم بها الخلفاء المسلمون من الوقت إلى الوقت ، وكان آخرها ما قام به الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٧٧هـ .

ومما ينبغى أن يلاحظ فى تاريخ بناء البيت ، أنه لا يوجد نص قطعى يشهد لبناء البيت قبل إبراهيم عليه السلام ، بل ظاهر الآيات القرآنية يدل على أن أول بنائه كان على يد الخليل وولده إسماعيل .

غير أنه لولا الرغبة فى معرفة الحقيقة لما كان يهمنا البحث فى هذا بالكلية لعلمنا أن البيت لم يشرف بقدم عهده ، وطول بقائه وإنما شرف بنسبته إلى الله تعالى، وبوضعه رمزاً لتوحيد الله ، ومنار هداية للعالمين ، وقبلة لعامة المسلمين .

شرف البيت الحرام

لقد قالوا إن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وإذا كان هذا صحيحاً فإن لهذا البيت الأسماء العديدة والنعوت الكثيرة فهو بيت الله ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، والكعبة ، والقبلة ، والبيت ودعامة الإسلام.

ولكن هذا مهما كان فإنه لا أدل على شرف البيت من قوله تعالى : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ (١) . ومن قوله عز وجل :﴿**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس** ﴾ (٢) ومن قول الرسول ﷺ : « إن هذا البيت دعامة الإسلام ، ومن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونًا على الله عز وجل إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده أن يرده بأجر وغنيمة (٣) ». ومن قوله ﷺ : « إن لله فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على أهل هذا البيت فستون للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين (٤) » ومن قوله ﷺ لما نظر إلى الكعبة : « لا إله إلا الله ما أطيبك ! وأطيب ريحك ! وأعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة منك، إن الله جعلك حراماً ، وحرم من المؤمن ماله ودمه وعرضه ، وأن يظن به ظنا سيئا » .

---

(١) آل عمران .

(٢) المائدة .

(٣) الطبرانى وفى سندة متروك .

(٤) البيهقى بسند حسن.

مكانة الحجر الأسود والركن اليمانى

ومن أشرف أجزاء البيت الحجر الأسود والركن اليمانى ، ولذا شرع تقبيل الأول واستلام الثانى ، وقد قيل أن شرفهما كان لوضعهما على قواعد إبراهيم عليه السلام بخلاف الركنين الشاميين فلم يكونا على قواعده عليه السلام وذلك أن قريشا لما بنت الكعبة غيرت وضعها فأخرجت منها ستة أذرع ، وكان ذلك لعجزها عن النفقة الكافية لإتمام البيت على وضعه الأول ، وسبب العجز : أنها لم تشأ أن تنفق على البيت إلا المال الحلال ، والمال الحلال قليل وجوده عندها ، فاقتصرت على بناء الموجود وتركت ستة أذرع إلى الحجر شمالاً ، فكان ذلك الركنان الشاميان غير موضوعين على قواعد إبراهيم عليه السلام ، فلم يستحب استلامهما .

وللحجر الأسود بالخصوص مكانة فى نفوس المؤمنين ، ومنزلة سامية عند جميع المسلمين ، فهم يرون فى شرفه وعلو مكانته من الأخبار والآثار ما يزيد هذا الحجر المقدس جلالاً ومهابة ، وشرفاً وتعظيماً ومن ذلك قوله ﷺ : « الحجر الأسود يمين الله فى الأرض [(١)] » . وقوله : « إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ، ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب [(٢)] » وقوله : « يأتى هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق [(٣)] » . وقوله : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بنى آدم[(٤)] » .

ويكفى هذا الحجر شرفًا تقبيل سيد ولد آدم ﷺ له ، وقوله : « أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه ، بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذا أصبحوا وقد فقدوه ، إن الله لا يترك شيئًا من الجنة فى الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة » [(٥)] .

وليس الركن اليمانى بأهون شأنًا أو أقل قيمة من شقيقه الحجر الأسود فإن لكل منهما فضائل ، ولكل منهما ميزات وخصائص ، فقد كان الرسول ﷺ يكثر

---

(١) الطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه .

(٢) الترمذى وابن حبان والحاكم .

(٣) الترمذى وحسنه .

(٤) الترمذى وصححه .

(٥) رواه الأزرقى فى التاريخ .

استلام الركن اليمـانى ، وقيل له فى ذلك فقال : « ما أتيت عـليه قط إلا جبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن استلمه [1] »وأثر عن أبى هريـرة رضى الله عنه (أنه وكل بالركن اليمانى سبعون ملكًا فمن قال : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم ربنا آتنا فى الـدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، قالوا : آمين). ومما يزيد هذا الركن تـقديراً فى نفوس المؤمنين ما روى أنه من وضع يده على الركن ـ اليمانى ـ ثم دعا استجيب له .

شرف الملتزم والحطيم

أليس الملتزم محاذيًا للبيت وجزءاً مـلتصقاً به ؟ فلم لا يكون إذاً : شريفاً وذا قدس وجلال ؟

إن الملتزم هو ذلك المكان الذى بين بـاب البيت والحجر الأسود ، والذى قال فيه الرسول ﷺ :« الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء، وما دعا عبد الله تعالى فيه إلا استجاب له ، ولذا كان هذا المكان المقدس موضـع تعلق وفود الله تعالى فهناك يلصـقون أيديهم وصـدورهم بجدار الـبيت باكين خـاشعين ، مبتـهلين متـضرعين يسألون الله رضوانه والجنة ، ويستعيذون من سخطه والنار.

سبحان الله مـا أطيب هناك البكاء ! وما أروح على النـفس الزفرات وما أبرد على القلب العبرات .

وسبحان الله ما أطـيب لثم الحجر ، وما ألذ عنده ذرف العبـر ! وسبحان الله ما أسعد عبداً وضع على الحجر شفتيه، ولمسه براحته وكفيه ، وأذرف دموعه على وجنتيه !

وسبحان اللـه ما أروع هذا الخبر وما أعذب هذا الأثر فـقد روى عن الفاروق عمر أن النبى ﷺ استقبل الحجر ووضع شفتيه عليه يبكى طويلاً ، ثم التفت فإذا عمر بن الخطاب يبكى فقال : يا عمر هاهنا تسكب العبرات.

أما الحطيم : وهو بساط النور المـثلث والساحة العظمى وقـطعة الأرض المثلى هو ذلك المكان المحصور [2] بين مصاعد الأنوار . ركـن الحجر ، وزمزم ، والمقام

---

(١) رواه الأزرقى عن عطاء مرفوعاً .

(٢) وقيل أن الحطيم : حجر إسماعيل وذلك لكون البيت رفع بناؤه وهو بقى محطوماً.

وإن مما يدل على شرف الحطيم ، وينبىء عن قدسيته وسمو مكانته ما روى عن الرسول ﷺ لما سأل عائشة قائلا: « أى البقاع خير؟ » فقالت: الله ورسوله أعلم ثم استدركت قائلة : يارسول الله كأنك تريد بين الركن والمقام ؟ قال : « صدقت إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله ما بين الركن والمقام وإن فيما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة ، فمن صلى فيها أربع ركعات نودى من بطنان العرش : أيها العبد غفر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل [1]» .

قدسية المقام وحجر إسماعيل

إذا كان المقام هو ذاك الحجر ، الذى كان الخليل يعلوه عند بنائه البيت كلما ارتفع جدار الكعبة . ولم يتمكن من وضع الحجارة على الجدار لارتفاعه حتى إذا تم البناء تركه مكانه إلى جانب آخر جدار تم بناؤه من جدران الكعبة المشرفة ، فهو إذ يعتبر كأكبر مساهم فى بناء البيت الحرام ، وإذا كان الحجر الأسود يكرم لأنه الحجر الأساسى لوضع البيت فإن المقام ينبغى أن يكرم لأنه حجر تدشين البيت .

وما يدرينا أنا أمرنا بالصلاة خلفه حفظاً لمزيته ، وإبقاء على شرفه فإن البقاع تشرف بحسب العبادة التى تقع فيها . فقد قدم هذا الحجر أكبر خدمة لبناء بيت الله، وأعظم مساعدة لنبى الله فاستحق أن يصلى خلفه ليتشرف بأعظم عبادة لله. قال تعالى : ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ البقرة .

حقًا لقد اعترف الإسلام بمزية المقام ليرمز بذلك إلى أن مكافأة العاملين المحسنين ، وإبرار الصالحين الصادقين من مبادئ هذا الدين .

هذا وإن مما زاد المقام شرفاً تطامنه من خشية الله فلقد ساخت فيه قدما إبراهيم فكان بذلك آية صدق نبوة إبراهيم ، وعلامة واضحة على ألوهية رب العالمين . فسبحان من تهبط الحجارة من خشيته ، وتلين الصم الجلاميد من هيبته.

ليس بدعًا أن نقول : إن أثر قدمى إبراهيم ما زال على المقام إلى اليوم ، وقديما قال أبو طالب فى لاميته:

ومو طئ إبراهيم فى الصخر رطبة   على قدميه حافيًا غير ناعل

---

(١) رواه الأزرقى عن الفاكهانى .

وما يحمل على الإنكار ، وقد قال تعالى فى محكم كتابه: ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ البقرة .

وقال : ﴿ **لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعًا من خشية الله**﴾ الحشر .

وقد صح أن أحداً اضطرب تحت قدمى الرسول ﷺ فقال له: «اسكن يا جبل فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » ومما يجدر أن نلاحظه هنا أن صلاتنا خلف المقام أشبه بسجود الملائكة لآدم عليه السلام ، الطاعة لله وحصول شرف وتكريم لآدم والمقام حيث وقعت دونهما عبادة الله ، فزادهما الله بذلك تشريفاً وتكريمًا . ومهابة وتعظيمًا .

حجر إسماعيل :

أما حجر إسماعيل فقد اكتسب الشرف من نواح عديدة فمنها :ملاصقته للبيت ومحازاته لها، ومنها: أن نحواً من ستة أذرع من أصل البيت هى الآن داخلة فيه ومن مساحته . فقد قال الرسول ﷺ لعائشة « لولا أن قومك حديثو عهد بشرك ، لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض وجعلت لها باباً شرقياً ، وباباً غربيًا. وزدت فيه ستة أذرع من الحجر ؛ فإن قريشاً نقصتها حين بنت الكعبة ». فى الصحيح .

وللحجر فضائل وميزات غير ما ذكر . فقد روى عنه ﷺ : « من قام تحت الميزاب فدعا استجيب له ، وأن على باب الحجر ملكاً يقول لمن دخل فصلى ركعتين : مغفوراً لك ما مضى ». رواه الأزرقى عن عطاء .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الطواف داخل الحجر لا يصح ، بل من ورائه لأن ستة أذرع منه هى من أصل البيت ، والطواف داخل البيت لا يصح كما أن الصلاة المكتوبة داخل الحجر لا تصح كالصلاة داخل البيت للعلة السابقة ، وهى أن ستة أذرع من البيت فى الحجر الآن . أما النافلة فجائزة فى كليهما بل مستحبة.

وكلمة أخيرة :

أيها الغافلون أمثالى : أرأيتم كيف تقدست الحجارة ، وشرفت الأتربة وعلا

شأن البقاع ؟ وهل عرفتم بماذا كان قدسهما وحصل شرفهما ، وعز شأنهما؟ طبعًا ستقولون لا لأنكم غافلون ولو زالت غفلتكم لعرفتم أن ذلك ما كان إلا بنسبتها إلى الله فهى إما بيته أو حرمه أو مقام لان من خشيته ، أو مكان دفن فيه أنبياؤه، أو ساحة أظهرت فيها طاعته . ولو زالت غفلتكم أيضا لعرفتم أنكم بعبادتكم لله وبخشوعكم له ، وبطاعتكم وطهارة نفوسكم ، وبإخلاصكم وكمال توحيدكم أشد قدساً من مكة ، وأعظم حرمة من البيت ، وأسمى شرفاً من المقام وأعلى مكانة من الحطيم ، وزمزم ، وحجر إسماعيل ، وإن كنتم فى شك من ذلك فأعيدوا معى سرد هذا الحديث الصحيح :

روى عن ابن عباس رضى الله عنه :(أن النبى ﷺ لما نظر إلى الكعبة قال لا إله إلا الله ما أطيبك وأطيب ريحك ، وأعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة منك ، إن الله جعلك حراماً ، وحرم من المؤمن دمه وماله وعرضه ، وأن يظن به ظناً سيئاً) تقدم.

فضل المسجد الحرام وزمزم

يكفى المسجد الحرام شرفاً أن كان هالة تحوط بيت الله ، دائرة مجد تقع فيها كعبة الشرف ، وأن يكون فلكاً تدور فيه الكمالات ، وأن يكون مهبطاً لنزول الرحمات والبركات.

ومما يزيده شرف قدر ، وسمو مكانة أن تكون الصلاة فيه تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه ، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ ، وأن يكون أعظم المساجد الثلاثة وأجلها وأن يقول فيه الله : ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون عن سبل الله والمسجد** [1] **الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ .

فقد أظهرت هذه الآية القرآنية الكريمة قدسيته ، وسجلت حرمته ، وجعلته مأمنًا للخائفين ؛ وبيتًا مشاعًا للمسلمين والمؤمنين .

أما زمزم : فهو آية الله الدالة على توحيده فقد كان نبعه بهمزة جبريل كرامة لأم إسماعيل فشرفه ظاهر فى خلوده وطول بقائه وفى كونه سقيا إسماعيل وعمارة المسجد الحرام وشرب الطائفين والعاكفين . وليس أدل على فضله من أن يختار ماؤه لغسل قلب سيد المرسلين [2] فإنه لو كان هناك ماء فى الأرض أطهر أو أصلح وأطيب لغسل به قلب المصطفى ليحصل به الطهر المرجو والصفاء، ولكن وقوع الاختيار على زمزم دل على ما لهذا الماء من مزية وما له من خاصة فى تطهير القلوب ، وتقوية الأرواح ، فبتلك الغسلة الخاصة والتنظيفة المتعمدة أصبح قلب الرسول ﷺ وروحه مستعداً للاتصال بالملكوت الأعلى ولمشاهدة أنوار الله التى اندكت لها الجبال ، فقد شاهد ﷺ فى تلك الرحلة السماوية من عجائب المخلوقات ، وعظيم الكائنات ما لا يقوى على رؤيته، ولا يقدر على مشاهدته إلا من كان من عالم الأرواح . قال تعالى: ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة**

---

(١) اختلف فى : هل المسجد الحرام هو الحرم كله ، أو هو المسجد الذى تقع فيه صلاة الجماعة ويحرم على الجنب أن يمكث فيه فقط ؟ ولكل قائل أدلة غير أن الراجح يكون المراد بالمسجد الحرام هو المسجد الذى تقع فيه صلاة الجماعة . يحيط بالكعبة دون ما سواه من أراضى مكة من الحرم والله أعلم .

(٢) قضية غسل قلب الرسول ﷺ بماء زمزم رواه البخارى .

المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ النجم.

ألم يكن السبب المباشر فى قوة قلب محمد ﷺ وروحه تلك الغسلة من ماء زمزم المبارك ؟ بلى . فزمزم إذاً إحدى آيات الله التى تطهر القلوب وتزكى الأرواح وإن زمزم هو كما قال فيه رسول الله ﷺ :« زمزم شفاء ، زمزم لما شرب له [1] » إن شربته تستشفى به شفاك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، وإذا شربته لشبعك أشبعك الله . ورضى الله تعالى عن ابن عباس فقد كان إذا شربه يقول :(اللهم إنى أسألك علمًا نافعاً ، ورزقاً واسعًا ، وشفاء من كل داء) إيمانا منه بقول الرسول ﷺ « زمزم لما شرب له » .

---

(١) الدارقطنى والحاكم .

الركن الثانى من أركان الحج والعمرة

الطواف بالبيت

الطواف بالبيت : هو أحد أركان الحج والعمرة وفى الحج ثلاثة أطوفة .

الأول : طواف القدوم وهو واجب عند المالكية ، وسنة عند باقى الأئمة .

والثانى : طواف الإفاضة وهو ركن بالإجماع بحيث لو سقط لبطل الحج بسقوطه ، ويقع بعد الإفاضة من عرفات ومزدلفة ولذا يسمى بطواف الإفاضة كما يسمى أيضا طواف الزيارة.

والثالث : طواف الوداع وهو سنة عند المالكية وواجب عند الجمهور غير أن من تركه لعذر لم يجب عليه فيه دم حيث أن الرسول ﷺ رخص للحائض فى السفر من مكة بدون طواف للوداع [١] ولم يأمرها بدم لما قام بها من علة منعتها من الطواف .

أما العمرة : فلها طوافان لا غير : طواف القدوم وهو ركن من أركانها ، والثانى طواف الوداع وهو سنة لا واجب .

هذا وللطواف شروط وسنن وآداب تجب معرفتها ؛ وإليك هى مفصلة واحدة بعد أخرى .

شروط الطواف :

١ ـ نية الطواف عند الشروع فيه لقوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات » . البخارى.

٢ ـ الطهارة من الحدث والخبث وستر العورة لقوله ﷺ : « الطواف حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير[٢]» . فمن طاف بغير وضوء أو طاف مكشوف العورة أعاد طوافه وجوبا.

---

(١) متفق عليه .　　(٢) الترمذى وابن حبان .

٣ ــ أن يكون الطواف بالبيت داخل المسجد وحول البيت ، فلو طاف خارج المسجد أو داخل البيت ، أو داخل جزء من أجزائهما كمن طاف داخل الحجر أو على الشاذروان [١] لم يصح طوافه ؛ غير أنه يجوز لضرورة الزحام أن يطوف بعيداً من البيت كما وراء قبة زمزم وما حاذاها ما لم يخرج من المسجد .

٤ ــ أن يكون البيت على يساره فلو طاف والبيت على يمينه لم يصح طوافه لمعاكسته فعل الرسول ﷺ فى ذلك ، وقد قال : « خذوا عنى مناسككم».

٥ ــ أن يكون الطواف سبعة أشواط ، وأن يبدأه من الحجر الأسود ، وينهيه عنده ، فلو طاف أقل من سبعة أشواط لم يجزه طوافه ، ولو بدأه دون الحجر ، أو أنهاه قبله لا يعتد بذلك الشوط وليأت بآخر بدله .

٦ ــ أن يوالى بين الأشواط فلو ترك الموالاة لغير عذر بطل طوافه وعليه أن يستأنفه ، وإن كان العذر كانتقاض وضوئه مثلاً فجدده بالقرب فلا حرج.

سنن الطواف :

١ ــ الرمل : وهو سنة للرجال القادرين دون النساء والمرضى والعجزة ويسن فى طواف القدوم خاصة ، وكيفيته : أن يسرع فى مشيه مع تقارب الخطا ، فى الأشواط الثلاثة الأولى ، أما باقى الأشواط الأربعة فلا رمل فيها بل يمشى فيها بهدوء وسكينة .

٢ ــ الاضطباع [٢] وهو كشف ضبع الرجل أى كتفه الأيمن بأن يجعل طرف ردائه تحت إبطه الأيمن وبعضه على عاتقه الأيسر . وهو خاص أيضا بطواف القدوم، ويكون فى كامل الأشواط السبعة، ودليل الرمل والاضطباع فعله ﷺ المنقول بالإجماع والتواتر .

٣ ــ تقبيل الحجر الأسود عند بدء الطواف إن أمكن وإلا فلمسه أو الإشارة إليه كافية .

---

(١) الشاذروان الجزء الأسفل اللاصق لجدار البيت والذى هومحاذى لجدارها كالرصيف ، وهو ما فضل منها عند بنائها .

(٢) لا يسن الاضطباع إلا عند إرادة الطواف لا كما يفعله العوام من حين يحرمون وهم مضطبعون .

٤ ــ قول بسم الله والله أكبر [١] اللهم إيمانًا بك ، وتصديقًا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ عند بدء الشوط الأول بعد استلام الحجر.

٥ ــ الدعــاء أثناء الطـواف وهو غير محـدود ولا معين إلا ما كـان من قول: ﴿**ربنا آتنا فى الـدنيا حسنة وفـى الآخرة حسنة وقنـا عذاب النار**﴾ . فقد ثبت أن النبى ﷺ كان يختم بهما الشوط من طوافه (رواه أبو داود بسند صحيح) .

٦ ــ استلام الـركن اليمانى بـاليد ، والحجر الأسود بـالفم كلما مـر بهما إن أمكن .

٧ ــ الدعاء بالملتزم عند الفراغ من الطواف .

٨ ــ صلاة ركعتـين بعد الفراغ من الطواف خـلف مقام إبراهيم علـيه السلام وأن يقرأ فيهما بـ (الكافرون والإخلاص) [٢] .

٩ ــ الشرب من ماء زمـزم بعد صلاة الركعتين والتضلع مـنه لفعله ﷺ ذلك فى الصحيح .

١٠ ــ الرجوع إلى استلام الحجر الأسود قبل الخروج إلى المسعى .

آداب الطواف :

١ ــ أن يكون الطواف فى خشوع تام مع استحضار عظمة الله والخوف منه.

٢ ــ أن لا يتكلم فيه لغير ضرورة .

٣ ــ أن لا يؤذى أحداً بمزاحمة أو غيرها.

٤ ــ أن يكثر من الدعاء أو قراءة القرآن أو ذكر الله أو الصلاة على النبى ﷺ أثناءه .

٥ ــ أن يغض بـصره عن النظر إلى النـساء وعن كل ما يشغلـه عن الخشوع، وعن ذكر الله تعالى.

---

(١) رواه الطبرانى بسند صحيح موقوفا عن ابن عمر .

(٢) فى أحد القولين لـلشافعى أنهما واجب ، وعند المـالكية يجبان إذا كانتا بعـد طواف واجب أو ركن كطواف القدوم ، أو الإفاضة وفيما عدا ذلك فهما سنة وقد ثبت مشروعيتهما يقول الله تعالى: ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ ، ويقول الرسول ﷺ الثابت فى الصحيح .

بعض الأدعية المأثورة فى الطواف

قبل كل شيء يجب أن نعرف أن الدعاء سنة لا يبطل الطواف بتركه ولا يترتب على تاركه دم ولا صدقة ولا صيام ، ثم إن النبى ﷺ ما كان يلقن أصحابه دعاء خاصاً ، وإنما كان يدعو بما فى نفسه من رغبات ، ويسأل ربه أسمى الطلبات، وكان الرسول ﷺ يقول : « ثم ليختر أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به[1] » ولذا لا مانع من أن نورد بعض الأدعية المأثورة عن السلف لمن شاء أن يزيدها فى دعائه فإنها من أعجب الدعاء إلى السلف .

وهى قول :

١ ــ اللهم اجعله حجا مبروراً ، وسعياً مشكوراً ،وذنباً مغفوراً ، رب اغفر وارحم ، واهدنى السبيل الأقوم، وتجاوز عما تعلم ، وأنت الأعز الأكرم .

يقال هذا أثناء الشوط ويختم بقول : ﴿ **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ كما كان الرسول ﷺ يختم به شوطه من الطواف.

٢ ــ وعندما يدعو بالملتزم له أن يقول :

اللهم يارب البيت العتيق ، اعتق رقبتى من النار . اللهم إن هذا مقام العائذ بك من النار ، فأعذنى من نارك وقنى عذابك .

٣ ــ وعقب ركعتى الطواف يقول :

اللهم يسرنى لليسرى ،وجنبنى العسرى ، واغفر لى فى الأولى والأخرى.

---

(١) متفق عليه وهذا اللفظ لأبى داود .

كيفية الطواف

وكيفيــة الطواف: هى أن يدخل المسجــد متطهراً فيكون أول شــىء يبدأ به أن يدخل المطاف مضطـبعاً إن كان فى طواف القدوم ، ثم يأتى الحجــر الأسود فيقبله أو يستلمه (١) ، أو يشير إلــيه حسب الإمكان ، ثم يسـتقبل الحجر ويقـف معتدلاً ناويًا طوافه ، بـسم الله والله أكـبر ، اللهم إيمانًا بـك وتصديقًا بكتـابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعًا لسنة نبيك محمد ﷺ ، ثم يأخذ فى الطواف جـاعلاً البيت على يساره مهرولاً إن كان فى طواف القدوم ، وهو يدعو أو يقرأ أو يذكر أويصلى على النبى ﷺ إلى أن يحاذى الركـن اليمانى فيستـلمه بيده إن أمكن ، ويختـم الشوط بدعـاء : ﴿ **ربنا آتـنا فى الدنـيا حسنـة وفى الآخرة حسـنة وقنا عـذاب النار**﴾. ثم يطوف الشوط الثانى والثالث وهكذا ، ولمـا يشرع فى الشوط الرابع يترك الرمل ــ الهرولة ــ ويمشى فى سكينة حتى يتـم الأربعة أشواط الباقية ، فإذا فرغ أتى الملتزم ودعا باكـياً خاشعاً ، ثم يـأتى مقام إبراهـيم فيصلى خـلفه (٢) ركعتين يقـرأ فيهما سورتى الـكافرون والإخلاص بعـد الفاتحة ثم بـعد فراغه يـأتى زمزم فيشـرب منه مستقبل البـيت حتى يروى ؛ (لأن الرسول ﷺ كان يتضلع منه) (٣) ويدعو عند الشرب بما شاء وإن دعا بما يؤثر عن السلـف فحسن ومما يؤثر عن ابن عباس رضى الله عنه قوله : الـلهم إنى أسألك علمًا نافعاً ورزقاً واسـعاً ،وشفاء من كل داء . ثم يأتى الحجر الأسود فيقبله أو يستلمه .

وإلى هنا قد انتهى طوافــه الموافق تماما لطواف رسول ﷺ. فالرجاء أن يكون مقبولاً (٤) وبه الحج مبـروراً . وإن أراد السعى فليخـرج إليه من باب الصفـا تالياً قول الله تعالى : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البـيت أو اعتمرفلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾ .

---

(١) معنى يستلمه أن يلمسه بيده ثم يقبل يده بعد ذلـك حتى ولو استلمه بشىء فإنه يقبله لما روى مسلم عن ابن عباس رأيت الرسول ﷺ يطوف بالبيت ويستلم الركن بمحجن معه ويقبل المحجن .

(٢) الصلاة خلف المقام مستحبة فإن لم يتمكن للزحمة فليصلهما فى أى مكان من المسجد الحرام .

(٣) فى صحيح مسلم .

(٤) اختلف فيمـن حمل عاجزاً فطاف به هل يجزئـهما طواف واحد ، أو عليه أن يعيد طـوافاً لنفسه لأن الأول كان للمحمـول ؟ أبو حنيفة يرى أنهما يجزئـهما طواف واحد ما دام كل منهما قد نـوى طوافه ،ويرى غيره على الحامل أن يعيد طوافا آخر لنفسه ولو كان قد نوى الأول لأنه ينصرف إلى المحمول لا إلى الحامل.

حكمة الاضطباع والرمل

الحكمة فى الاضطباع والرمل قد تؤخذ من سبب مشروعيتهما فقد روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :(قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ـ يريد إلى مكة معتمرين ـ فقال المشركون : إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب (المدينة) فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الركنين ؟ ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم)، وفى لفظ قال : (فأروهم من أنفسكم قوة) . فإذا كان السبب فى الرمل هو إظهار الجلد والقوة للأعداء المناوئين فالحكمة فيه أن يشعر المسلم أنه ينبغى له أن يكون دائمًا قوياً ، وأنه لا يجوز له أن يضعف أمام أعدائه بحال وأن عليه أن يوجد القوة الكافية التى ترهب عدوه وتجعله دائمًا يحترمه ويهابه فى أى زمان ومكان.

وأما الاضطباع وهو كشف الضبع ليكون أدعى إلى سرعة المشى ، وأنشط فى السعى والحركة فالحكمة فيه أن يعلم المسلم الذى يحتضن دون البشر راية الحق والعدل أنه ينبغى له أن يعيش دائمًا معبأ للجهاد مستعداً فى كل أوقاته بما يضمن له النصر فى سائر المعتركات ؛ فليختر من اللباس فى السلم والحرب ما يساعده على العمل بنشاط ، ومن السلاح أحده وأمضاه ، ومن العتاد أجوده وأقواه . ولكن ليس معنى هذا أن يلبس قبعة هى شعار الكافرين ، أو يلبس ما لا يستر العورتين أو يتزيا بزى أعدائه الكافرين ، وإنما عليه أن يوجد له لباسا خاصا يضمن له سرعة المشى وخفة الحركة ، وهيئة خاصة تحفظ له شخصيته من التلاشى ، وذاتيته من الاندماج فى الغير ومن أجل هذا حرم الإسلام على نبيه التشبه بأعدائه، وأوجب مخالفتهم ومباينتهم فكان نبيه ﷺ يحذر ويقول: « من تشبه بقوم فهو منهم[1] » ويقول : « خالفوا المشركين . . . [2] » لأنه يريد أن يبقى على شخصية المسلم وذاتيته لئلا تذوب فى غيرها فيفقد الحق أنصاره، والخير أعوانه. فهذا سر المحافظة على شخصية المسلم وهذا سر الرمل والاضطباع فهل انتفع المسلمون اليوم بهذه الحكم والأسرار ؟ أو ما زال نصيبهم من العبادات صورها دون خصائصها وثمراتها؟ وحتى العبادات الشكلية أخذوا يتصفون منها ويتنصلون من القيام بها .

---

(١) أبو داود حسن . (٢) فى الصحيح .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الحكمة فى تقبيل الحجر الأسود

قالوا : إن الحجر الأسود من الجنة ، وقالوا : إنه مبدأ الطواف ، وإنه من وضع إبراهيم خليل الرحمن ، وقالوا : إنه يمين الله فى الأرض فمستلمه كمبايع لله تعالى واضع يده على يده تحقيقاً لمعنى المبايعة ، وتأكيداً لمضمونها . فهذه أمور كلها تقتضى تقبيل هذا الحجر واستلامه ، ونحن وإن سلمنا هذا فإنا نقول : إن الحكمة فى تقبيل الحجر ليست مقصورة على ما ذكر فقط ، بل هناك حكمة الحكم، وسر الأسرار فى تقبيل هذا الحجر ، وإنها لتلوح للمتأمل من قول الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (إنى أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك [1]). فمن هذا التصريح وحده تظهر الحكمة الحقة فى تقبيل الحجر الأسود ، وهى أن يعلم المؤمن الموحد أن السر فى كل العبادات هو إذن الله تعالى بفعلها،فإن أية عبادة مهما كان شكلها تخلو من أمر الله تعالى وإذنه لا ينتفع بها فاعلها لأنها فاقدة لروح العبادة وسرها، وهو أمر الله تعالى الذى يكسبها التأثير فى النفس بالإصلاح والتزكية . فالعبرة كل العبرة بالانقياد لأمر الله بفعلها ، وإلا فمن المعلوم أن الحجر الأسود حجر من جنس الأحجار التى لا تنفع ولا تضر ولكن لما تعلق بهذا الحجر إذن الله بتقبيله أصبح المؤمن ينظر إليه نظرة الإجلال والاحترام ؛ لأنه يتوصل به إلى ما يصبو إليه من حب مولاه ورضاه .

ومن هنا نعلم أن الحكمة العامة فى كل العبادات هى اختبار مدى صدق إيمان المؤمن بربه، وإلى أى مدى هو مستعد لقبول أوامر الله تعالى ، وتنفيذها حتى ولو كان بتقبيل حجر لا ينفع ولا يضر .

الحكمة فى الطواف بالبيت

إن من كرامة البشرى على ربه أن جعله وسطاً بين سكان الملأ الأعلى من الملائكة المكرمين ، وبين سكان العالم السفلى من المخلوقين الأرضين ، فهو بجسمه يمت إلى عالم المادة ، وبروحه يتصل بعالم الروح ، وإذا غلب جانب

---

(١) رواه مسلم.

الروح على جانب الجسم قويت صلته بالملأ الأعلى وأصبح أقرب منه إلى عالم المادة الذى يعيش فيه ، وإذا غلب جانب جسمه أصبح إلى الحيوانية أقرب منه إلى الروحانية ، وانقطعت علاقته بعالم السماء. ومتى حفظ توازنه بإعطاء كل من روحه وجسده مايستحق من خدمة وعناية وإصلاح اكتملت إنسانيته المفضلة ، وتتحقق سعادته الحقة ، وأصبح المخلوق الكريم على ربه ، والذى هو وسط بين عالمى المادة والروح ، وخير الأمور أوساطها .

ومن دلائل كرامة هذا المخلوق على الله أن شرع له من العبادات التى تكمل روحه ، وتحفظ له نصيبه من الروحانية التى تترتب عليها سعادته فى الدنيا والآخرة ، كتلك العبادات التى تقوم بها الملائكة فى عالم الروح مثل الصلاة والذكر والتسبيح، والاعتكاف والطواف ؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ :«أن البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة [١] » فإذا كان للملائكة بيت مثل هذا يتقربون بالطواف به وزيارته. فإن لهذا البشرى المكرم بيتاً آخر وهو البيت الحرام يتقرب بالطواف به ، وبزيارته ، وحتى بالنظر إليه.

ومن هنا تظهر حكمة طوافنا بالبيت الحرام وهى أننا من كرامتنا على ربنا أن شرع لنا عبادة روحانية صرفة ، كالتى يقوم بها الملائكة الروحانيون ، وهى الطواف بالبيت العتيق الذى هو كطواف الملائكة بالبيت المعمور .

(١) أصله فى مسلم فى حديث المعراج .

الركن الثالث من أركان الحج والعمرة

السعى بين الصفا والمروة

السعى بين الصفا والمروة أحد أركان الحج والعمرة عند الجمهور ، وخالف الأحناف فقالوا بوجوبه فقط . وقد صح عن النبى ﷺ قوله: « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى [1] » وفى القرآن الكريم ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** [2] ﴾ .

وللسعى شروط وسنن وآداب ينبغى معرفتها .

شروط السعى :

١ ــ الترتيب بينه وبين الطواف بأن يأتى به بعد الطواف فلو سعى ثم طاف أعاده .

٢ ــ الموالاة بين الأشواط ، ولا يضر الفصل اليسير لا سيما إذا كان لضرورة كحبس بول ونحوه.

٣ ــ إكمال العدد سبعة أشواط ، فلو نقص شوط ، أو حتى ذراع من شوط لم يجز .

٤ ــ وقوعه بعد طواف صحيح سواء كان الطواف واجباً أو سنة ، غير أن الأولى أن يكون بعد طواف واجب كطواف القدوم [3] أو طواف ركن كطواف الزيارة .

أما سننه فهى :

١ ــ الخبب : وهو سرعة المشى بين الميلين الأخضرين ، وهو سنة للرجل القادر عليه دون المرأة والعاجز .

٢ ــ الوقوف على الصفا والمروة للتهليل والتكبير والدعاء فوقهما.

٣ ــ التهليل والتكبير والدعاء على كل من الصفا والمروة فى كل شوط من

---

(١) رواه أحمد بسند حسن .
(٢) البقرة .
(٣) عند من يرى أنه واجب كالمالكية .

الأشواط السبعة .

٤ ـ قول : الله أكبر (ثلاثا) عند رقيه على الصفا [١] أو المروة فى كل شوط وكذا قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

٥ ـ الموالاة بينه وبين الطواف إن لم يكن هناك مانع شرعى.

وأما آدابه فهى :

١ ـ الخروج من باب الصفا .

٢ ـ تلاوة قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ حال الخروج إلى المسعى.

٣ ـ أن يكون الساعى متطهراً .

٤ ـ أن يسعى ماشياً إن قدر على ذلك .

٥ ـ الإكثار من الذكر والدعاء ، والاشتغال بهما دون غيرهما .

٦ ـ أن يغض بصره عن المحارم ، وأن يكف لسانه عن المآثم.

٧ ـ أن لا يؤذى أحداً من الساعين بقوله ، أو فعله .

٨ ـ استحضاره فى نفسه ذله وفقره وحاجته إلى الله فى هداية قلبه ، وإصلاح حاله ونفسه ، وغفران ذنبه .

الأدعية الواردة فى السعى

لم يرد عن الشارع من الأدعية فى السعى شيء، وكلما صح عنه فى ذلك هو التكبير (ثلاثا) وقول: لا إلا إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

---

(١) الصفا والمروة : اسم لجبلين من جبال مكة التى حول المسجد الحرام والمسافة بين هذين الجبلين وهى المسعى وتقدر بنحو ٧٦٠ ذراع ونصف الذراع . فمجموع ما يقطعه الساعى فى الأشواط نحو كيلو متراً ونصف الكيلو ، أى عشر ونصف الكيلو.

غير أنـه أثر عن ابن مسعـود رضى الله عنـه أنه كان يقول فى سـعيه: (رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم ، وأنت الأعز الأكرم).

وبناء على هذا فللساعى أن يدعو بمـا شاء ، وأن يختار من الدعاء أعجبه إليه، ومما يعجب الكثير من المسلمين هو :

اللهم إنى أسألـك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتـك ، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لى ذنـبًا إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا كربـاً إلا كشفته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضًا ولى فيها صلاح إلا قضيتها.

ومن الذكر:

لا إله إلا اللـه حقًا حقاً ، لا إله إلا اللـه تعبداً ورقاً ، لا إلـه إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون.

كيفية السعى

وكيفية السـعى هى أن يخرج الحاج أو المعتمر من باب الـصفا لأنه أقرب باب إلى الصفا ، ولخروج الرسول ﷺ منه وهو يقول: ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ الآية ــ حتى إذا وصل إلى الصفا رقاه ، ثم استقبل البيت وقال : الله أكبر (ثلاثا) لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ثم يدعو بمـا يفتح الله علـيه ، ثم ينزل من على الـصفا قاصداً المروة فيـمشى فى السعى ذاكراً داعياً إلـى أن يصل إلى بطن الوادى المشار إليه بالمـيل الأخضر فيخب مسرعا إلى أن يصل إلـى الميل الأخضر الثانى وهو نهاية بـطن الوادى الذى خبت فيه هاجـر أم إسماعيل عليـها السلام، ثم يعود إلـى المشى فى سكينـة ذاكراً داعياً مصلياً على النبى ﷺ إلى أن يصل إلى المـروة فيرقاه، ثم يكبر ويهلـل ويدعو كما صنع على الصفـا، ثم ينزل فيسعى ماشيًا إلى بطن الـوادى ، فيخب (يهرول) ولما يخرج منه يمشى حتى يصل إلى الصفا فيرقاه ثم يكبر ويهلل ويدعو ثم ينزل قاصداً المروة فيصنع كما صنع أولاً حتى يتم سبعة أشواط بثمان وقفات أربع على الصفا، وأربع على المروة .

ثم إذا كان معتمراً أو متمتعاً بعمرة قصر شعره وقد حل من عمرته فليلبس ثيابه ، وله أن يفعل كل ما كان ممنوعاً عليه بالإحرام كالطيب والنساء وما إلى ذلك، وإن كان مفرداً بالحج أو قارناً فليبق على إحرامه حتى يقف بعرفات ويرمى جمرة العقبة صبيحة يوم النحر إن شاء الله تعالى .

ثم يحلق ويتحلل التحلل الأصغر أولاً، ثم إذا طاف طواف الإفاضة بعد ذلك تحلل التحلل الأكبر ، وأصبح حلالاً.

حكمة السعى

إن من يتأمل قول الله عز وجل :﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ يظهر له بجلاء ووضوح السر فى عبادة السعى ، وذلك أن قوله تعالى : ﴿ **من شعائر الله** ﴾ يشير إلى هذين الجبلين من جملة أماكن خصها الحق جل وعلا بنوع من العبادة يقع فيها، ومما خص به هذين الجبلين السعى بينهما فى تذلل وإظهار فقر واحتياج ، فالسعى إذاً مشعر بطبيعة الحال بعبودية الساعى وخضوعه لله تعالى ، ومن هنا كانت الصفا والمروة من شعائر الله ؛ لأن العمل الذى يقع بينهما أو فيهما مشعر بعبودية القائم به وعليه فالحكمة أو السر فى السعى هو إظهار العبد كامل خضوعه واستسلامه لمولاه بحيث لو كلفه بما هو أدق معنى من السعى، أو أشق عملاً منه لقام به بدون تردد ، أو تساؤل .

وهذا هو شأن العبد مع سيده . وفى هذا الانقياد والإذعان ما يطهر نفس العبد ويزكيها، وبقدر طهر النفس وزكائها يكون صلاح العبد وسعادته.

هذا ، ومن أسرار هذه العبادة أنها تذكر بنشأة الدين الأولى، وبعهد هاجر أم إسماعيل لما كانت تغدو بين الجبلين وتروح طالبة الغوث من الله ، منتظرة تفريج ما ألم بها وبولدها الصغير من شدة الجوع والعطش ــ فأغاثها من اعتمدت عليه وفوضت أمرها إليه ، حينما تركها إبراهيم بأمر الله ، وقالت : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . فقالت : إذاً فاذهب فإنه لن يضيعنا . وما زالت تتطلع إلى كريم جوده، وتنتظر فضل إحسانه حتى رأت جبريل الأمين حول البيت يهمز الأرض بجناحه فتفور زمزم سقياها، فكانت بحمد الله شرابها وطعامها ، وبمعينها غذى إسماعيل جد سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وإخوانه من الأنبياء والمرسلين .

الركن الرابع والأخير من أركان الحج
الوقـوف بعرفـة

الوقوف بعرفة أحد أركان الحج الأربعة ، ومـن أدلة كونه ركناً ، قوله تعالى: ﴿**فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام**﴾ فهذه الآية وإن لم تكن صريحة فى ركـنية الوقوف بعرفة كـصراحة آية : ﴿ **وليطوفوا بالبـيت العتيق** ﴾ فى ركنية طواف الإفاضة فإن مـثلها مثل آية : ﴿ **إن الصفا والمروة من شـعائر الله** ﴾ فإنها لم تكن صـريحة أيضا فى وجوب للسعى وركنـيته ، كما أن الإحرام ، وهو أحد أركان الحـج الأربعة لم تـصرح بركنيـته آية ، وإنما كل مـا جاء فيه قـول الله تعالى : ﴿ **لا تقتلوا الصيـد وأنتـم حـرم** ﴾ وقولـه : ﴿ **وحـرم عليكم صيد البـر ما دمتـم حرما** ﴾ . فإن قيل : كيف يقال بركنـية هذه الأركان الثلاثة ، ولم يكن هناك أمر إلهى صريح بفعلها ؟

فالجواب : أن الحج عبادة قـديمة فرضها الله على إمام الحنـفاء إبراهيم وولده إسماعيـل عليهما السلام ، وعـلى أتباع الحنيفيـة السمحة ، وبقيت مـفروضة فى الحنفاء ــ ولو أنها تغيرت بعض شعائرها بما طرأ على العرب من الوثنية والشرك ــ حتى جاء الإسلام ، فأقرها وأقر أركانها الأربـعة ، فلم تكن هناك حاجة إلى الأمر بشىء مأمور به معروف عند القائمين به . ولعل تخصيص ركن الطواف بأمر خاص فى الإسلام ، إنما كان لبيـان الترتيب بين الوقوف والطواف فقط ، فـإنه قد يتوهم أن طواف القدوم كـاف فى الحج كما هو كاف فى الـعمرة . فجاء التنصـيص على عدم الاستجزاء به ، وأنه لابد من زيارة بيت اللـه بعد حضور عرفات كمشهد دعا إليه رب البـيت ، ليتجلى فيـه على وفوده بأنواع من الأفضـال والإحسان ، وهذا معقول جداً ، فإن ممـا يدل على كرم المزار أن يعود وفوده إلى بيتـه بعد حضورهم ما أقام لهم من مشـهد خاص لأجل إنعامهم وتكريمهم فيـه . ومن هنا تأكد طواف الإفاضة، وسمى بطواف الزيارة لما أشرنا إليه من زيارة بيت الله بعد مشهد عرفات تأكيداً لكرم الله وحـفاوته بضيوفه وإعلاماً بحاجة الزائرين وعدم اسـتغنائهم عمن وفدوا إليه .

وأما قوله تعالى فى الصفا والمروة : ﴿ **فلا جناح عليه أن يطوف بهما**﴾ .

فإنما رفع به ما توهمه بعض المسلمين من إثم يلحق الساعى بينهما لما كان موجوداً على الصفا والمروة من صنم يدعى إساف ، وآخر على المروة يسمى نائلة، فصرح بأنه لا حرج على من حج البيت أو اعتمره أن يطوف بهما ؛ لأن وجود الصنمين عارض ، والسعى عبادة قديمة من عهد إبراهيم وإسماعيل ، فلم يترك الفرض لشبهة عارضة ، فلم تعد الآية إذاً كونها رافعة لحرج متوهم، أما كون السعى مفروضاً هذا معروف من أصل العبادة المتواتر العمل بها من عهد تشريعها الأول عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ومن أدلة السنة فى ركنية الوقوف والسعى قوله ﷺ : « الحج عرفة [١] » وقوله: « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى [٢] ». وعمله عليه الصلاة والسلام كاف للتدليل على ذلك، وكيف ؟ وقد قال: «حجوا كما رأيتمونى أحج» وقال: «خذوا عنى مناسككم» وقال: «قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم » رواه أبو داود .

أما معنى الوقوف بعرفة : فهو الحضور بالمكان المسمى بعرفات لحظة فأكثر بنية الوقوف كامل يوم التاسع وليلة العاشر إلى طلوع الفجر. ولهذا الركن كغيره واجبات [٣] وسنن وآداب تتعين معرفتها وهى :

أ ــ الواجبات وهى :

١ ــ الحضور بعرفة يوم التاسع [٤] بعد الزوال إلى غروب الشمس لمن وقف[٥] نهاراً .

٢ ــ المبيت بمزدلفة بعد الإفاضة من عرفة ليلة العاشر .

---

(١) أصحاب السنن صحيح . (٢) تقدم .

(٣) تنبيه قد جعلت المناسك التى تؤدى فى منى وعرفات والمزدلفة تابعة لركن الوقوف بعرفة نظراً لأنها إما تحضير للوقوف كالمبيت بمنى ليلة التاسع ، وإما عمل بعده كنزول المزدلفة ورمى الجمرات بمنى والمبيت بها ثلاث ليال .

(٤) اختلف فى الوقوف قبل الزوال هلى يعتبر وقوفا مجديًا أو لا ؟

(٥) هل حضور عرفة جزءاً من الليل ركن ؟ ذهب إلى ذلك المالكية ، وعليه فإن من لم يحضر بعد الغروب لحظة بطل حجة، وأما من لم يتمكن من الحضور نهاراً وحضر ليلا فلا دم عليه بتركه واجب الحضور نهاراً بعد الزوال. لقوله ﷺ : عند أصحاب السنن والطبرانى . « من أدرك عرفات بليل فقد أدرك الحج » ولم يأمره بدم .

٣ ــ رمى جمرة العقبة يوم النحر أى عاشر ذى الحجة .

٤ ــ الحلق أو التقصير يوم العاشر .

٥ ــ المبيت بمنى ثلاث ليال ، أو ليلتين لمن دخل تعجل ، وهن ليلة الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر . أو ليلتا الحادى عشر والثانى عشر للمتعجل.

٦ ــ رمى الجمرات الثلاث بعد زوال كل يوم من أيام التشريق الثلاثة ،أو الاثنين للمتعجل . وأدلة هذه الواجبات فعله ﷺ وقوله : «حجوا كما رأيتمونى أحج » .

ب ــ السنن وهى :

١ ــ الخروج إلى منى يوم التروية (ثامن الحجة) والمبيت بها ليلة التاسع وعدم الخروج منها إلا بعد طلوع الشمس .

٢ ــ وجوده بعد الزوال بنمرة وصلاته الظهر والعصر قصراً أو جمعاً جمع تقديم.

٣ ــ إتيانه الموقف (عرفات) بعد أدائه لصلاة الظهر والعصر، والاستمرار بالموقف ذاكراً داعياً حتى غروب الشمس .

٤ ــ تأخير صلاة المغرب إلى أن ينزل بجمع فيصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير.

٥ ــ الوقوف مستقبل القبلة ذاكراً داعياً عند المشعر الحرام (جبل قزح) حتى الإسفار البين .

٦ ــ الترتيب بين رمى جمرة العقبة والنحر والحلق وطواف الزيارة .

٧ ــ أداء طواف الزيارة يوم النحر .

جـ ــ الآداب أو المستحبات وهى :

١ ــ التوجه من منى صباح التاسع إلى نمرة بطريق ضب لفعله ﷺ ذلك .

٢ ــ الاغتسال بعد الزوال للوقوف بعرفة ، وهو مشروع حتى للحائض

والنفساء.

٣ ــ الوقوف بموقف رسول الله ﷺ عند الصخرة العظيمة المفروشة فى أسفل جبل الرحمة الذى يتوسط عرفة .

٤ ــ الذكر والدعاء والإكثار منهما مستقبل القبلة بالموقف حتى تغرب الشمس.

٥ ــ كون الإفاضة من عرفة على طريق المأزمين لا على طريق ضب الذى أتى منها ؛ لأن الرسول ﷺ كان من هديه أن يأتى من طريق ويرجع من آخر.

٦ ــ السكينة في السير وعدم الإسراع فيه لقوله ﷺ : « أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالأبضاع [١] » ــ الإسراع .

٧ ــ الإكثار من التلبية فى طريقه إلى منى ، وعرفات ، ومزدلفة ، ومنى . إلى أن يشرع فى رمى جمرة العقبة .

٨ ــ التقاط سبع حصيات من مزدلفة لدى جمرة العقبة .

٩ ــ الدفع من مزدلفة بعد الإسفار وقبل طلوع الشمس .

١٠ ــ الإسراع ببطن محسر وتحريك الدابة به قدر رمية حجر .

١١ ــ رمى جمرة العقبة فيما بين طلوع الشمس والزوال .

١٢ ــ قول الله أكبر مع كل حصاة يرميها.

١٣ ــ مباشرة ذبح الهدى ، أو شهوده حال نحره أو ذبحه ، وقول : اللهم منك وإليك ، اللهم تقبل منى كما تقبلت من إبراهيم خليلك بعد قول: بسم الله والله أكبر الواجب .

١٤ ــ الأكل من الهدى .

١٥ ــ العودة إلى منى بعد طواف الزيارة لصلاة الظهر بها .

١٦ ــ المشى إلى رمى [٢] الجمرات الثلاث فى أيام التشريق .

---

(١) رواه أبو داود وغيره بسند صحيح .

(٢) يشترط فى الحصى التى يرمى بها أن تكون طاهرة وأن لا تكون مما رمى بها وأن تكون ما بين الحمصة والفولة فلا ينبغى أن تصغر عن الحمصة ولا أن تكون أكبر عن الفولة .

١٧ ــ قول : الله أكبر مع كل حصاة ــ وقول : اللهم اجعله حجاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً .

١٨ ــ الوقوف للدعاء مستقبل القبلة بعد رمى الجمرة الأولى والثانية دون الثالثة فلا دعاء يستحب عندها ؛ لأن الرسول ﷺ كان يرميها وينصرف فلا يدعو عندها.

١٩ ــ رمى جمرة العقبة من بطن الوادى مستقبلاً لها جاعلاً البيت عن يساره ومنى عن يمينه.

٢٠ ــ قول المنصرف من مكة : آيبون ، تائبون، عابدون ، لربنا حامدون، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . لقوله ﷺ ذلك عند انصرافه منها كما هو ثابت فى الصحيح .

كيفية الوقوف بعرفات

وكيفية الوقوف بعرفة هى : أنه إذا كان يوم التروية [١] ثامن ذى الحجة ــ أحرم بنية الحج من لم يكن محرماً كالمتمتع ، إن شاء أحرم من منزله وإن شاء أحرم من المسجد الحرام وخرج ملبياً قاصداً منى ضحى ليقيم بها يومه وليلته فيصلى خمس أوقات بها وهى : الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء والصبح ، حتى إذا طلعت الشمس قصد نمرة بطريق ضب فيقيم بها إلى الزوال ثم يغتسل ويأتى مصلى رسول الله ﷺ ببطن عرفة عند حدود عرفات فيصلى مع الإمام الظهر والعصر جمعاً وقصراً بعد سماع الخطبة ، فإذا قضيت الصلاة ذهب إلى عرفات للوقوف بها، وله أن يقف فى أى جزء منها شاء لقوله ﷺ : « وقفت ها هنا وعرفات كلها موقف » وإن وقف عند الصخرات العظيمة المفروشة فى جبل الرحمة حيث وقف رسول الله فحسن ، وله أن يقف راكباً أو راجلاً أو قاعداً يذكر الله تعالى ويدعوه ، ويبتهل إليه ويتضرع ، حتى إذا غربت الشمس ودخل جزء من الليل يسير كخمس دقائق فأكثر أفاض منها ــ عرفات فى سكينة ملبياً إلى

---

(١) قيل فى سبب تسميته : إنهم كانوا يروون فيه الماء وقيل سمى يوم التروية لأن إبراهيم رأى رؤياه ليلته فظل ذلك اليوم يتروى فى الأمر هل رؤياه يذبح إسماعيل حلم الشيطان أو رؤيا حق من الرحمن حتى يوم التاسع فعرف وسمى اليوم التاسع لذلك بعرفة .

مزدلفة علـى طريق المأزمين فـينزل بها ، وقبل أن يـضع رحله يصلـى المغرب، ثم يضع رحله ويصلى العشاء لفعله ﷺ ذلك ، ويبيت بها حتى إذا طلع الفجر صلى الصبح وقصد المشعر [1] الحرام وهو جبل قـزح ليقف عنده مهللاً مـكبراً داعيا ، وله أن يقف فى أى مكان مـن مزدلفة لقوله ﷺ فى الصحيح :« وقـفت ها هنا» وجمع كـلها موقـف ، حتى إذا أسفـر الصبح وقبـل طلوع الشـمس التقـط سبع حصيات ليرمـى بها جمرة [2] العقـبة ، ودفع إلى منى مـلبياً، وإذا وصل مـحسراً حرك دابته وأسرع فى سيره قدر رمية حجر لفعل الرسول ﷺ (ذلك كما قال فى مسلم) ولمـا يصل إلى منى يذهب رأسـاً إلى جمرة العقبـة فيرميها بسبـع حصيات يرفع يـده اليمنى حـال الرمى قائلاً : الـله أكبر ، وإن زاد : الـلهم اجعلـه حجاً مبروراً ، وسعيـاً مشكوراً ، وذنباً مغفوراً فـحسن ، وبعد الفراغ من الـرمى يعمد إلى هديه إن كان مـعه هدى فيذبحه أو ينـحره أو ينيب من يقوم عـنه فى ذلك إن كان عـاجزاً ، وله أن يذبـح أو ينحر فـى أى مكان شاء مـن منى لقـوله ﷺ فى الصحيح .«نحرت هاهنا ومنى كلها مـنحر » ثم يحلق شعر رأسه أو يقصره والحلق أفضل وأولى من التقصير إلا المرأة فواجبها التقصير فقط .

وإلى هنا فقد تحلل التحلل الأصغر فلم يبق محرماً عليه إلا النساء لقوله ﷺ : «إذا رمى أحدكم جمرة العقبة فـقد حل له كل شىء إلا النساء [3] » فله أن يغطى رأسه أو يلبس ثـيابه . ثم يسير إلى مـكة المكرمة ليطوف طـواف الزيارة الذى هو أحد أركان الحج الأربعة ، فإذا وصل البيت طاف بـه سبعة أشواط لا يضطبع فيها ولا يرمل حتـى إذا فرغ صلى ركعتى الـطواف خلف المقام ، ثـم إن كان مفرداً أو قارناً ولم يسع مع طـواف القدوم ، أو كان متمتعاً فإنه يخـرج من باب الصفا إلى المسعى فيسعى سبعة أشواط لحجه على الـنحو الذى تقدم فى كيفية السعى فإذا فرغ من سعيه فقد تحلـل التحلل الأكبر وأصبح حلالاً يفعل كل مـا كان محظوراً عليه كالطيب والنساء وغـيرها من ممنوعات الإحرام . ثم يعود إلى منى مـن يومه فيبيت بها، وإذا زالت الشمس من أول يوم من أيام التـشريق (الأيام الثلاثة التى بعد يوم النحر) يذهـب إلى الجمرات فيرمى الجمـرة الأولى وهى التى تلى مسـجد الخيف

---

(١) سمى بالمشعر لأنهم كانوا يشعرون فى الجاهلية هديهم عنده ، ووصف بالحرام لأنه أدخل الحرم .

(٢) سميت الجمرة جمرة باسم ما يرمى فيها وهو الجمار والمراد بالجمار: الحجارة الصغيرة .

(٣) رواه أحمد وغيره بسند حسن .

فيرميها بسبع حصيات واحدة بعد الأخرى مكبـراً مع كل حصاة ، ولما يفرغ يتنحى قليـلاً ويستقبل الـقبلة ويدعـو طويلاً بما يفـتح الله عليـه ، ثم يسير إلـى الجمرة الوسطى وهى التى بعد الأولى وقبل جمرة العـقبة فيرميها كما رمى الأولى ويدعو إثر الرمى كما صنع فـى الأولى . ثم يسير إلى جمرة العقبة وهى الأخـيرة فيرميها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ولا يدعو بعدها كما دعا بعد الأولى والثانية، بل ينصـرف بمجرد الرمـى،وإذا زالت الشمس مـن اليوم الثانـى قصد أيضـا الجمرات فرماهن عـلى النحو الذى سبق سـواءاً بسواء، ثم إن تعجل الخروج مـن منى سار منها قـبل غروب الشمس إلى مـكة ، وإن لم يتعجل وبـات تلك الليلة بمـنى فإنه ينتظر زوال الشمس من اليوم الثالث فيـرمى الجمرات الثلاث كما سبق فى اليومين السابقين . ثم يرجع إلـى مكة وإن نزل بالمحصب (١) وبات به حتـى إذا بقى جزء من الليل دخل مكة فحسن، وإن لم يـنزل به دخل مكة رأساً فطاف طواف الوداع إن عزم على السفر ، أو انتظر ساعة عزمه على السفر فيطوف طواف الوداع ليكون آخر عهده بالبيـت الطواف به ، وتلك هى سنة الرسول صلى اللـه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الأدعية بعرفات والمشعر الحرام

اعلم أن النبى ﷺ لم يعين للأمة دعاء خاصاً بـعرفات أو بالمشعر الحرام، ولا بأى منسك من المناسك ، وإنما ترك الأمر مطلقًا يدعو كل حاج أو معتمر بما هو فى حاجة إليه من حوائج الدنيا والآخرة ، وليجـتهد فى الدعاء كل بقدر استعداده وما وهبه الله وفتح به عليه .

ولما كان الدعاء هو العبادة ومخها، وكان فى هذه الأماكن مرغباً فيه، ولما كنت أرغب أن يكون هذا الـكتاب جامعاً لكل ما يـحتاج إليه الحاج مما يتـعلق بأداء هذه الفريضة الـعظمى. وإلى جانب ذلك أرى كـثيراً من إخوانى الحجاج يـرغبون فى حفظ الأدعـية المأثورة ، ويتـناقلونها لـيدعوا بها ، سـواء منهم من يـظن أن ذلك واجب لابد منه كالعوام ، أو من يرى أن الدعاء مستحب ، وإن ما كان منه جامعًا كالمأثور عن النبى ﷺ أفضل كبعـض أهل العلم فإنى بناء عـلى كل ما ذكر أوردت

(١) وقيل لا يستحب النزول بالمحصب ، لأن عائشة رضى الله عـنها لما سئلت عن ذلك قالت إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ فقط فلم تر أن من السنة النزول به .

عقب كل موطن من المواطن التى فيها الدعاء طرفاً من الأدعية التى أراها جامعة لخيرى الدنيا والآخرة مما جمعه أهل العلم ، ومما يستأنس به فيها وإن أغلبها من أدعية الرسول ﷺ التى كان يقولها غير مقيدة بزمان ومكان . وهذا ما اخترته ليوم عرفة .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

اللهم اجعل فى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً ، واجعلنى ممن تباهى بهم الملائكة .

اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى.

اللهم رب لك الحمد كما تقول ، وخيراً مما تقول ، لك صلاتى ونسكى ، ومحياى ومماتى ، وإليك مآبى .

اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وعذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .

اللهم اهدنى بالهدى ، واغفر لى فى الآخرة والأولى ، ياخير مقصود ، وأكرم مسئول .

اللهم يا رفيع الدرجات ، وفاطر الأرض والسموات . لقد ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات ، يسألك بها أصحابها الحاجات ، وحاجتى إليك . اللهم أن لا تنسانى برحمتك فى دار البلاء إذا نسينى أهل الدنيا .

اللهم إنك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ، ولا يخفى عليك شيء من أمرى، أسألك مسألة المسكين ، فلا تجعلنى بدعائك رب شقيًا وكن بى رؤوفاً رحيمًا يا خير مسئول وأكرم مأمول .

اللهم يا الله يارب إليك خرجنا وبفنائك أنخنا ، ولإحسانك تعرضنا ، ومن عذابك اشفقنا وإليك بذنوبنا هربنا ، يا من يملك حوائج السائلين ؛ فاجعل حجنا مبروراً ، وسعينا مشكوراً، وذنبنا مغفوراً، ارزقنا رضاك ، ولا تحرمنا إحسانك، وكن لنا ولياً ، وبنا حفياً، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم إن كان لكل ضيف قرى [1] ونحن أضيافك . فاجعـل قرانا منك الجنة والفوز برضاك .

اللهم يا أرحم الراحمين ، ويارب العـالمين ، لا تجعل هذا آخر عهدنا من هذا الموقف وارزقنا ما أحييتنا ، وردنا إلى أهلينا سالمين ، واغفر لنا وارحمنا ، وارزقنا وتجاوز عـنا ، وارحم واغفـر لعامة المـؤمنين والمؤمـنات ، والمسلـمين والمسلـمات الأحياء منهم والأموات . وصـل اللهم وسلم على عبدك ونبيـك ورسولك سيدنا محمد وآله وصحبـه وأزواجه ، كما صليت على إبراهيم وآل إبـراهيم إنك حميد مجيد.

وهذا لمزدلفة :

اللهم إنى أسألك فى هذا الجمع أن تجمـع لى جوامع الخير كله ، وأن تصلح لى شأنى كله ، وأن تصرف عنى السوء كله ، فإنه لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يجود به إلا أنت ، يا قوى يا متين يا رؤوف يا رحيم .

اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم إن هذه مزدلـفة وقد جمعت فيها ألسـنة مختلفة تسألك حـوائج متنوعة مختلفة .

اللهـم فاجعلنى ممـن دعاك فاستجبـت له ، وممن توكل عـليك فكفيـته وممن استجار بك من العذاب والخزى فأجرته .

اللهم إنـى أعوذ بك من العجز والـكسل ، وأعوذ بك من الجـبن والبخل ، وأعوذ بك من عذاب الفقر والقبر.

اللهم إنى أسألك أن تقضى عنى المغـرم ، وأن ترضـى عنى الخصـوم والمظالم يا أرحم الراحمـين يارب العالمين ، وصل اللهـم على نبيك ورسولك مـحمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) القرى ما يعد للضيف من طعام وشراب .

فضل يوم عرفة

إذا ذكر يوم عرفة: فقد ذكر أفضل الأيام وأبركها ، فليس ثمة يوم طلعت عليه الشمس ، أو غربت هو خير من يوم عرفة أبداً، فقد ورد أن صيامه لغير الحاج يكفر ذنب سنة، وقد ورد أنه ما رؤى إبليس فى يوم هو فيه أصغر ولا أحقر، ولا أغيظ من عشية يوم عرفة .

وقد صح أيضاً : أن هذا اليوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه ، غفر له.

وصح كذلك : خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير. وأخرج ابن ماجه فى سننه عن عبد الله بن كنانة بن عباس ابن مرداس السلمى أن أباه أخبره « أن النبى ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب : إنى قد غفرت لهم ما خلا المظالم ، فإنى آخذ للمظلوم منه ، قال : أى رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة ، وغفرت للظالم ، فلم يجب عشية عرفة. فلما أصبح بالمزدلفة ، أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل . قال: فضحك رسول الله ﷺ أو قال : تبسم فقال أبو بكر وعمر : بأبى أنت وأمى إن هذه الساعة ما كنت تضحك فيها فما الذى أضحكك ، أضحك الله سنك ؟ قال إن عدو الله إبليس لما علم أن الله عز وجل قد استجاب دعائى ، وغفر لأمتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور ، فأضحكنى ما رأيت من جزعه ».

وأخرج أيضا عن ابن المسيب عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبى ﷺ قال: « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبداً من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو عز وجل ، ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء » ؟ .

لا شك أن ما أوردناه من هذه الأحاديث كاف فى الدلالة على فضل هذا اليوم العظيم. والغرض من ذلك أن يعظم أخى الحاج هذا اليوم، وأن يكبره لأنه من شعائر الله ، والله تعالى يقول : ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾ .

وتعظيم هذا اليوم ، كما يكون بالإكثار فيه من فعل الخيرات وضروب

الطاعات، يكون باجتناب الإثم والفواحش ، والضلالات والمنكرات.

حكم وأسرار الوقوف بعرفة

والمبيت بالمزدلفة ، والحلق والرمى والإقامة بمنى أيام التشريق من غير المشكوك فيه أن إبراهيم لما بنى البيت بأمر الله تعالى طلب إليه أن يؤذن فى الناس بالحج ﴿ **وأذن فى الناس بالحج** ﴾ الآية . فأذن وأسمع الحق جل وعلا نداءه من شاء من خلقه فكان على إبراهيم النداء ، وعلى الله تعالى البلاغ .

فما أشبه الحج بدعوة رسمية وجهها أحد الملوك إلى خدمه وعبيده بواسطة أحد خواصه والمقربين إليه ليزوروا بيته وليحظوا منه بالنوال والعطاء .

ونظراً لتفاوت استعداد المدعوين ، واختلاف مساكنهم قرباً وبعداً جعل مدة هذه الزيارة — شهرين وعشرين ليال — من شوال وذى القعدة وعشر من ذى الحجة ليتسنى الحضور فى هذه المدة لكل المدعوين مهما تناءت ديارهم ، وبعدت أقطارهم. وأخذ المدعوون يتوافدون ، ومن كل حدب وصوب يتقاطرون وينسلون، حتى تكامل الوفد ، ووجب الرفد حدد لهم موعداً ، وخصص لهم مشهداً .

يوم عرفة : ليتجلى لهم فيه ، ويمنحهم إخلاصهم فى خدمته جوائز إحسانه ، وعطايا إفضاله . فحسن أن يخرجوا يوم التروية فى ملابسهم الرسمية التى دخلوا بها حرم مولاهم . وحمى من دعاهم فينزلوا بمنى استعداداً ، حتى إذا طلعت شمس يوم الموعد المحدد ، كانوا على أتم الاستعداد لحضور ذلك المشهد ، فينزلوا بنمرة أول النهار ، وما أن تزول الشمس وتدنو ساعة الحضور . وقد طعموا وشربوا ، وتطهروا ، ونزلوا المصلى فصلوا فرضيهم معًا جمعاً وقصراً كل ذلك تفرغا منهم للمناجاة واستعداداً للملاقاة ، واندفعوا متدفقين على ذلك الميدان الرحب الفسيح (الموقف) فوقفوا — وكلهم رجاء — باكين خاشعين ، سائلين متضرعين ، ولم يزالوا كذلك حتى يتجلى لهم مولاهم ويعطيهم سؤلهم ومناهم ، فيكرم المحسنين منهم ، ويعفو عن المسيئين ، وقد باهى بهم ملأ السماء وأشهدهم على ما منحهم وأعطى .

ولما تنقضى تلك الساعات التى تزن الدهور بغروب شمس ذلك اليوم الذى

فضل العصور يأذن لهم مولاهم بالانصراف وقد أرشدهم إلى محل النزول .

مزدلفة [1] ليبيتوا ليلتهم في بهجة وفرحة حتى إذا أصبحوا وقفوا بالمشعر الحرام ، ذاكرين لمولاهم رفده وإحسانه ، شاكرين له أفضاله وإنعامه.

﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم﴾ .

وقبل إن يسفروا يخفون عائدين إلى بيت مولاهم ومكان تجمعهم ولقياهم وفى طريقهم يشفون صدورهم ويذهبون غيظ قلوبهم من عدوهم فيرمونه بالحصى، وحق أن يرموه بالشهب والنيران ؛ لأنه حرمهم الأنس بربهم ومجاورة مولاهم عندما غزا أمهم وأباهم فأخرجهم من رياض الجنان وفراديس الخلة والإنعام : ﴿ **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه** ﴾ فهم لذلك ومن تلك الساعة فى حيرة فكر، ووحشة نفس قد لا تزولان إلا بالرجوع إلى الوطن الذى هو حضرة القدس ، ومكان الأنس . ويرحم الله ابن القيم إذ يقول :

ولكننا سبى العدو فهل ترى   نعود إلى أوطاننا ونسلم

ولذا رأيتهم لما عاشوا ساعات فى ذلك الأنس تذكروا من حرمهم المكان المقدس. فعرضوا له فى طريقهم يلعنونه بالأفعال ويهينونه بالأقوال .

وهناك بمنى وقبل زيارة بيت مولاهم يلقون تفثهم ويوفون نذورهم فيذبحون وينحرون فرحين مكبرين مهللين .

ويحلقون ، أو يقصرون إلقاء للتفث ، وإزالة للشعث ، ثم يقبلون على البيت زائرين ، ولإنعام مولاهم شاكرين ، فيطوفون ببيته ، ويسبحون بحمده . وبذا يكونون قد أشهدوا على أنهم حضروا الحفل المشهود ، ونالوا الرفد الموعود، وها هم أولاء قد عادوا ليسجلوا أسماءهم فى سجل الحضور ، وليعلنوا أنهم من أكرم الزور . الزور : بمعنى الزوار جمع زائر.

ومعلوم أنه ما تم لهم حضور المشهد المفضل الذى شهدوا ، ولا تمكنوا من إجابة الدعوة التى أجابو إلا بعد جهد جهيد ، وعناء وتعب شديد ، لبعد ديارهم

---

(1) والخط : إشارة إلى محل الحكمة ، أو بيان السر فى العمل.

ولخروجهم عما اعتادوا من ملبس ومسكن ، ومأكل ومشرب ، فما أحوجهم والحال هذه إلى أيام راحة واستجمام فى مكان هادئ ومنزل طيب مريح وفسيح ، حتى إذا استراحوا واستردوا من قواهم ما فقدوا ودعوا بيت مولاهم وانصرفوا .

وما أكرم مولاهم ـ وما أعظم حفاوته بهم ! إذ أعد لهم فجاج منى الفسيحة ورحابها الطيبة المريحة ، وعزمهم لإقامة ثلاثة أيام ، ومن تعجل فى يومين فلا يلام . فيقضونها فى متع كثيرة بين ترويح للروح ، وغذاء للبدن ، فيأكلون ويشربون ، ويهللون ويكبرون ، حتى إذا قضوا أيامهم وأراحوا أرواحهم وأجسامهم ، عادوا إلى البيت فودعوا وانصرفوا ، والكل يضرب فى طريق بلاده، عائداً إلى وطنه وموضع ميلاده .

فيارب ردهم سالمين ، وسلام عليهم فى العالمين .

خلاصة ما تقدمت الإشارة إليه من الأسرار والحكم

١ ــ فى وقوف عرفة : إن قصد البيت لزيارته كان هو المقصد الأول من الحج، وأن يوم عرفة هو أشبه بحلقة أقامها رب البيت للزائرين فى فناء واسع ليتجلى لهم فيها ، وهناك تجرى الجرايات الربانية ، والهبات الإلهية للمحتفلين ، ولما كان هذا اليوم هو اليوم الخاص بتوزيع المنح والعطاءات اعتبر من لم يحضره كأن لم يحضر الحج ، ولذا قال الرسول ﷺ : « الحج عرفة [١] ».

هذا وفى جمع الناس فى هذا المكان إشارة إلى جمعهم يوم القيامة فصل القضاء.

٢ــ فى مزدلفة : قد يكون من حكمة النزول بالمزدلفة إراحة أهل الموقف الذين طال عناؤهم بالوقوف طوال نصف يوم كامل ، فرحمة بهم شرع لهم المبيت بمزدلفة ، أو على الأقل النزول بها ساعات ريثما يستريحون ويصلون العشاءين أما سر الوقوف بالمشعر الحرام فإنه يتلخص فى ذكر نعم المنعم وشكره والثناء عليه بالتهليل والتكبير لما سبق أن منحه أهل الموقف بعرفات .

٣ ــ فى رمى الجمرة : شفاء الصدور ، وإغاظة إبليس . حيث أن الإنس الذى حظى به أهل الموقف لم يكن ليحرمهم منه فى كلتا حياتيهم إلا إبليس لعنه الله فاستوجب لذلك سخطهم فلما رأوا مكاناً عرفوا أنه وقف فيه معترضاً طريق الخليل لعنوه فيه فرموه بالحجارة ، احتقاراً له وإهانة .

٤ ــ فى النحر والحلق : إعلان شكر وإظهار سرور وفرح على ما تم لهم من أسمى المطالب ، وأشرف الغايات ، فذبحوا الذبائح شكراناً لله تعالى، وألقوا التفث وأزالوا الشعث استعداداً لزيارة بيت الله تعالى .

٥ ــ فى الإفاضة بمنى : استرداد ما فقد الوافدون من قواهم البدنية ، وتمتعاً بالراحة والأكل والشرب تعويضاً عما فاتهم أيام أداء المراسيم والخدمات وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله » رواه مسلم.

---

(١) تقدم هو صحيح .

هذا بعـض ما فتح الـله به عليَّ مـن أسرار هذه العبـادة التى سرهـا الأعظم وحكمتها الكبرى طاعة الله المزكية للـنفوس التزكية الموجبة لسعادة الإنسان وفلاحه فى الدنـيا والآخرة ، والله أعـلم بأسرار شرعـه ، وأحوال خلقه ، وفـوائد أمره ونهيه وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

طواف الوداع

طواف الوداع هو أحد أطوفة الحج الثلاثة ، وهو واجب عند الجمهور، وسنة عند المالكية ، وبالرغم من كونه واجباً عند الجمهور فإنه لم يثبت أن النبى ﷺ أمر من تركه بذبح وصيام بل الذى صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه رخص للحائض فى مغادرة مكة بدون طواف للوداع . فقد أرد زوجته صفية رضى الله عنها فأخبرته عائشة أنها قد حاضت فقال : أحابستنا هى [1] حتى أعلمته أنها قد أفاضت قبل أن تحيض وعندئذ نفر ﷺ ولم ينتظرها حتى تطهر لتطوف .

وبناء على ما ذكر أن طواف الوداع سنة الرسول ﷺ المؤكدة التى لا عذر لتاركها بدون عذر ؛ فإن كان هناك عذر شرعى فلا شيء على من تركها عمداً ولغير عذر فعليه دم كفارة لما علا نفسه من إثم الاستهانة بالسنة والاستخفاف بقول رسول الله ﷺ « لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت [2] » .

كيفية طواف الوداع

كيفية طواف الوداع هى: إذا نفر الحاج من منى يستحب له أن ينزل بالمحصب فيبيت به وفى آخر الليل يدخل مكة فإن أراد السفر من يومه طاف طواف الوداع ، وإن لم يعزم على السفر فى ذلك اليوم أخره إلى آخر إقامته بمكة ليكون آخر عهده بالبيت الطواف .

حتى إذا عزم على السفر طاف طواف الوداع على هيئة طواف الإفاضة بحيث لا يضطبع ولا يرمل ثم يصلى بعده ركعتى الطواف ، وله أن يقف بالملتزم ويدعو بما شاء أن يدعو به ، وإن دعا بما هو مأثور عن السلف فلا بأس ، وإذا أراد الخروج من المسجد فلا يخرج يمشى القهقرى ــ إلى الوراء ــ بل يخرج مستدبر البيت مستقبل الباب الذى يخرج منه ، فإن المشى إلى الوراء عند الخروج من البيت من البدع المنكرة ، والتى تتنافى مع هدى الرسول ﷺ .

وينبغى لمن طاف طواف الوداع أن لا يشتغل بعده بغير السفر ومستلزماته، وإن عاد إلى البيت بعد الوداع أعاد طواف الوداع حتى يكون آخر عهده بالبيت الطواف

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

به عملاً بقوله ﷺ « لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت » .

الدعاء المأثور فى طواف الوداع

أثر عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان يدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ما سخرت لى من خلقك ، ويسرتنى فى بلادك حتى بلغتنى بنعمتك إلى بيتك وأعنتنى على أداء نسكى، فإن كنت رضيت عنى فأزدد عنى رضا، وإلا فمن الآن فارض عنى قبل أن تنأى عن بيتك دارى فهذا أوان انصرافى إن أذنت لى ، غير مستبدل بك ولا ببيتك، ولا راغباً عنك ولا عن بيتك.

اللهم فاصحبنى العافية فى بدنى ، والصحة فى جسمى، والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى، وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى، واجمع لى خيرى الدنيا والآخرة : إنك على كل شىء قدير.

دعاء الخروج من مكة :

ثبت عن الرسول ﷺ أنه كان يقول عند منصرفه من مكة ومن غيرها (١) «آيبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ».

حكمة طواف الوداع

ما من شك فى أن الحاج أو المعتمر يعتبر زائراً لبيت الله وأنه ما حضرها إلا بإذنه عز وجل ، وتلبية لندائه ، ولذا كان من اللائق بالزائر ــ وقد شرفه الله تعالى بزيارة بيته ، وأكرمه بحضور تجليات عرفات ــ أن لا يغادر بيت من زاره ، وحظى بنواله، وعظيم عطاياه وأن لا يبارح فناءه حتى يستأذن ويودع شاكراً ذاكراً. ومن هنا وجب طواف الوداع، وتأكد على كل زائر إلا من كان ذا عذر من الأعذار .

فالحكمة إذاً فى طواف الوداع هى الاستئذان ، وتقديم الشكر والامتنان لرب البيت جل جلاله وعز سلطانه . وهى أيضاً وداع لبيت الله تعالى بآخر نظرة تبقى صورة ماثلة للعين ، وذكرى خالدة فى النفس .

---

(١) أخرج البخارى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ، ثم ليقول :« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون »الخ .

أسئلة وإجابات

مسائل الحج والعمرة :

س : هل يجوز للمرأة أن تحج بدون إذن زوجها ؟

جـ : لا يجوز لها أن تحج إلا بإذنه لما روى الدارقطني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن امرأة لها زوج، ولها مال ، فلا يأذن لها في الحج؟ فقال : ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها.

س : هل يكره للمرأة أن تكرر الحج ؟

جـ : نعم يكره للمرأة أن تكرر الحج لما روى أبو داود وسعيد بن منصور أن النبي ﷺ قاله لأزواجه في حجة الوداع إنما هي هذه ، ثم ظهور الحصر (يعني ملازمة البيت) وعدم السفر إلى الحج.

س : ما حكم من أحرم بالحج قبل أشهره ؟

جـ : حكم من أحرم بالحج قبل أشهره : الكراهة ، كمن أحرم قبل الميقات، وينبغي له أن يفسخ حجه إلى عمرة ، ولا يكون بذلك متمتعاً؛ لأن الله تعالى عين زمن الحج بقوله : ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ غير أنه إذا أصر على إحرامه فإنه ينعقد.

س : هل ثبت عن أحد من السلف لم يغتسل للإحرام ؟

جـ : نعم فقد روى سعيد بن منصور أن ابن عمر رضي الله عنهما توضأ في عمرة اعتمرها ولم يغتسل.

س : ما حكم من تجاوز الميقات ولم يحرم ؟

جـ : حكم من تجاوز الميقات ولم يحرم : إما أن يرجع إلى الميقات ، وإما أن يحرم من مكانه وعليه دم ــ ذبح شاة ــ لإخلاله بواجب من واجبات الحج .

س : ما حكم من أحرم بالعمرة في أشهر الحج ، ثم بعد أداء العمرة سافر مسافة قصر، كيمني أحرم من ميقاته بعمرة في أشهر الحج ، ولما قضاها سافر إلى

المدينة زائراً ، هل يعتبر متمتعاً فيجب عليه دم إن هو حج من عامه أم لا ؟ .

جـ : للفقهاء فى هذه المسألة قولان: أحدهما : أنه يعتبر متمتعاً ما دام لم يعد إلى بلده ، أو إلى أفق مثل أفقه . والثانى من القولين : أنه يعتبر متمتعاً إذا لم يسافر مسافة قصر فإن سافر قصر فلا يعتبر متمتعاً فيجب عليه هدى التمتع . وأصحاب القول الثانى يشهد لهم قول ابن عمر رضى الله عنه فى الموطأ : من اعتمر فى أشهر الحج شوال أو ذى القعدة ، أو فى ذى الحجة ، قبل الحج ثم أقام بمكة حتى يدركه الحج فهو متمتع إن حج ، وعليه ما استيسر من الهدى فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع قال مالك رحمه الله : وذلك إذا قام حتى الحج ، ثم حج من عامه . فقوله : أقام بمكة يفهم منه أنه لم يقم بها بأن سافر منها ولم يرجع حتى أحرم بالحج من الميقات فليس بتمتع ولا يجب عليه دم التمتع .

س : ما حكم من أحرم بأحد النسكين من ميقاته ، ثم عدل عن قصد مكة إلى المدينة ، وعندها عاد إلى حاله قبل الإحرام فلبس ملابسه ، وغطى رأسه،وبم يؤمر فى هذه الحال ؟؟

جـ : يؤمر بالعودة إلى إحرامه فيتجرد من المخيط ويمتنع عن كلام محرم من محرومات الإحرام ؛ لأن المحرم لا يحله شىء سوى الطواف بالبيت ، وحكمه أنه يجب عليه فدية صيام أو إطعام أو نسك . ومن العلماء من يقول : عليه فديات لا فدية واحدة فدية لتغطية رأسه مثلا وأخرى للبسه المخيط وثالثة للبسه الحذاء إلى غير ذلك غير أن الأقرب إلى يسر هذا الدين وسماحة هذه الشريعة أن لا يكلف بفديات عدة جاهل متأول ظان أن هذا العمل جائز لا يتنافى مع تعاليم الشرع الحكيم ، بحيث أنه لو علم أن هذا يمس بحجه ، أو يخل بدينه لما فعله قط قلنا هذا ولو كان لدينا خبر عن الرسول ﷺ أو أثر عن أحد أصحابه ، أو نقل صحيح عن أحد أئمة الدين فى حادثة كهذه وفى بيان حكمها لما قدمنا على ذلك شيئًا سواء ما بلغنا كان ذا يسر أو عسر .

ومما ينبغى أن يلاحظ هنا : أن هذا المتحلل جهلا لو جامع فى هذه الحال لفسد حجه ووجب عليه قضاؤه من قابل مع بدنة ، وعليه أن يستمر فى قضاء هذا

الحج الفاسد حتى يتمه ، لأن هذا حكم كل مع جامع قبل التحلل الأصغر برمى جمرة العقبة يوم النحر .

س : متى يلبى بالنسك من أراد السفر إلى مكة بالطائرة ؟

جـ : على من أراد النسك إن كان ممن يسافر بالطائرة أن يغتسل ويتطيب ويلبس إزاره ورداءه قبل ركوبه الطائرة ، ثم إن كان المطار مطار المدينة المنورة فله أن يصلى سنة الإحرام بنفس المطار ، ثم بعد ركوبه وتحرك الطائرة بلحظات يلبى بنسكه الذى عزم عليه من حج أو عمرة أو بهما معاً ؛ لقرب الميقات من المطار . وإن كان المطار بعيداً من الميقات فإنه يغتسل ويتطيب ويلبس لباس الإحرام الخاص، ويوصى ربان الطائرة وملاحيها أن يشعروه بمحاذاة الميقات فإذا ما أشعروه صلى ركعتى الإحرام إن أمكن ولبى بنسكه .

س : ما هو ميقات حجاج قدموا من ميناء (بور سودان) بحيث لم يأتوا بطريق رابغ، ولا بطريق اليمن فيحرموا من أحد الميقاتين؟

جـ : على هؤلاء أن يتحروا محاذاة أقرب ميقات إلى طريقهم فيحرمون عنده، وليكن لهم دائماً ميقاتاً عاماً ، وإن لم يكن طريقهم محاذياً لأى من المواقيت فليحرموا على بعد مرحلتين من مكة نزولاً على قضاء عمر رضى الله عنه إذ روى البخارى رحمه الله : أنهم أتوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرناً، وأنه جور [1] عن طريقنا ، وإن أردنا أن نأتى قرناً شق علينا ؟ قال : فانظروا حذوها من طريقكم ، فحد لهم ذات عرق وكانت على مرحلتين من مكة . هذا وإن أقرب مكان يصلح أن يكون ميقاتاً لحجاج (بور سودان) هو مدينة جدة ولو أحرموا فى البحر على مرحلة أو مرحلتين لكان أحوط والله أعلم.

س : هل يجوز للمحرم أن يشد على وسطه المنطقة وشبهها لنقوده ، أو يعلق عليه الجراب ــ كمحفظة ــ لبعض شؤونه ؟

جـ : للعلماء فى ذلك خلاف ، والمشهور أن ذلك جائز للحاجة إليه ، غير أن بعضهم يقول بجوازه مع الفدية . ومن أدلة الجواز : ما رواه مالك فى الموطأ

---

(١) الجور : المائل.

عن سعيد بن المسيب : أنه لا بأس بالمنطقة يلبسها المحرم تحت ثيابه إذا جعل طرفيها جميعاً سيوراً يعقد بعضها إلى بعض.

ومع أن هذا مجرد قول ، أو رأى لسعيد بن المسيب . فإن مالكاً رحمه الله يقول : وهذا أحب ما سمعت إلى فى ذلك .

والملاحظ فى هذا أن قوله : تحت ثيابه يشير على ما يشد على الوسط ينبغى أن يلى الجسد مباشرة لا أن يشد فوق الإزار ، وعلى كل فإن الأقرب إلى يسر هذه الشريعة جواز ذلك للحاجة وسواء كان جرابًا أو منطقة ، أو كمراً وسواء كان تحت الإزار أو فوقه إن كانت الحاجة تدعو إلى ذلك . لما روى سعيد بن منصور إباحة ذلك عن عائشة وابن عمر رضى الله عنهما.

س : ما حكم لبس النظارات للمحرم وتغطية وجهه لغبار ونحوه ؟

جـ : الجواز إن كان ذلك لحاجة ؛ لما روى مالك أن عثمان رضى الله عنه رؤى بالعرج [1] يغطى وجهه وهو محرم .

س : هل يتختم المحرم ؟ أو يربط الساعة فى يده ؟

جـ : نعم إن كان ذلك لحاجة فقد روى الدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المحرم يتختم ويلبس الهميان (منطقة للنقود) .

س : ما حكم المحرم يأخذ من شعر الحلال بالحلق أو التقصير ؟

جـ : لا شىء عليه ؛ لأن إلقاء التفث محظور على المحرم نفسه لا على غيره.

س : هل يجوز للمحرم أن يغير لباس إحرامه ؟

جـ : نعم يجوز له ذلك ؛ لما روى سعيد بن منصور أن النبى ﷺ غير مرة ثوبه وهو محرم . ولذا فعله أحد من السلف .

س : هل يجوز للمحرم أن يحك رأسه أو جسده ؟

جـ : نعم يجوز لما روى مالك فى الموطأ عن عائشة رضى الله عنها أنها

---

(١) قرية على مراحل من المدينة .

سئلت عن المحرم يحك جسده ؟ فقالت : نعم فليحكه وليشدد .

س : هل يجوز للمحرم أن يتداوى أو يحتجم ؟

جـ : نعم يجوز له ذلك لما روى الشيخان أن النبى ﷺ احتجم فى طريق مكة وهو محرم ، ولما أخرج الشافعى رحمه الله تعالى أن ابن عمر كان إذا رمد وهو محرم أقطر الصبر فى عينيه إقطاراً .

س : هل يكره التفلى للمحرم ؟

جـ : يكره له ذلك ؛ لما روى سعيد بن منصور عن سالم وعطاء كراهيته ، ولما روى الشافعى عن ابن عباس أنه أمر من تفلى وألقى القمل بصدقة مطلقة .

س : متى يهل المكى بالحج ؟

جـ : إن شاء أهل عند خروجه إلى منى يوم التروية وإن شاء أهل قبله لكن بعد دخول شهراً لحجه ؛ لما روى مالك عن ابن الزبير رضى الله عنهما كان يهل بالحج من مكة لهلال الحجة . وكان ابن عمر يفعله ، ويؤخر الطواف والسعى إلى بعد الإفاضة من عرفة .

س : ما حكم المكى يحج نيابة عن شخص من سكان ما وراء المواقيت فيحرم من مكة ، وهل يعتبر كمن أحرم دون الميقات فيجب عليه دم ؟

جـ : حكمه أن هذا الحج المعروف بالحج البدل جائز غير إنه إن لم يحرم من ميقات المحجوج عنه يعتبر كمن أحرم دون الميقات وفى هذه الحالة يتعين عليه دم(١) .

س : ما حكم من ذبح هدى التمتع قبل يوم النحر ؟

جـ : حكمه أنه خالف سنة الرسول ﷺ فى ذبح الهدى التى هى ذبحه يوم النحر بمنى غير أنه يجزئه إذا كان لعذر جهل أو عجز أو نسيان لخبر . ما سئل عن شىء تقدم أو تأخر قال افعل ولا حرج (تقدم الخبر) .

س : ما هو وقت ذبح الهدى ؟

---

(١) السؤال والجواب معا : نشرتهما جريدة [حراء] المكية ولما لم يكن لدينا نص صريح عن الشارع ، أو الأئمة فى الموضوع ، ورأينا أن الفُتيا مبنية على قاعدة فقهية صحيحة ، وهى أن من تجاوز الميقات بدون إحرام: وجب عليه دم نشرناها لذلك.

جـ : وقت ذبح الهدى هو يوم النحر ويـومان بعده ، ومن لم يذبح فى أيامه الثلاثة فله أن يذبح بـعدها بمكة قضاء، غير أن الأحناف يوجبون عـليه دماً لتأخره الذبح عن أيام النحر الثلاثة .

س : ما هى السن المجزئة فى الهدى ؟

جـ : أقل مـا يجزئ فى الإبـل خمس سنوات ، وفـى البقر سـنتان كامـلتان وبعض من السنة الثالثة ، وفى الغنم إن كان معزاً سنة كاملة وإن كان ضأناً سنة أو ما قاربها .

س : ما حكم من اقتصر فى التقصير على شىء يسير كأن قص شعرات قليلة من أحد جانبى رأسه ؟

جـ : حكمه أنه خـالف الهدى النبوى ، وأن هذا القص الجـزئى لا يجزئه، وعليـه أن يقص من كـامل رأسه ، أو يحلـق رأسه بالكـلية ، والحلـق فى الحج أفضل لقوله ﷺ « اللهم ارحم المحـلقين ثلاثا . وفى الرابعة قـال : والمقصرين» أما فى عمرة التمتع فبعضهم يرى التقصير أولى إبقاء للشعث حتى تمام الحج.

س : ما حكم من وقف بعرفة بعد الزوال وخرج منها قبل الغروب ؟

جـ : حكمـه أنه ترك واجبًا ، وعليه فـى هذه الحالة دمًا ، غير أن المـالكية يقولون بفساد حجه مرة واحدة ؛ لأن الركـن عندهم فى الوقوف بعرفة هو وقوف جزء من الليل بعـد الغروب ، وأما الوقوف قبل غروب الشمس فـهو واجب يجبر بالدم.

هذا وقد اختلف فيمن وقف قبل الـزوال ، ولم يعد إلى الموقف بعده لا ليلاً ولا نهاراً ، هـل يصح حجه مع وجـوب الدم ، أو لا يصح . الجمهـور على أن حجه فاسداً أما من لم يقف إلا ليلاً ، فإن حجه صحيح ولا دم عليه لقوله ﷺ : «من أدرك عرفات بليل فقد أدرك الحج » فإنه ﷺ أثبت له الحج ولم يأمره بدم.

س : ما حكم مـن مر ليلة جمع (المزدلـفة) ولم يمكث بها أكثـر من دقائق التقط خلالها الحصى ؟

جـ : حكمه عـليه دمًا لتركه واجبًا هذا فـيما إذا لم يحط رحله ، ويـنزل بها

نزولاً كاملاً يمكث بعده ساعة من الزمن ، أما إذا حط رحله ونزل بها فصلى العشاءين وكان نفوره منها لعذر فلا دم عليه ؛ لأنه قد صح عنه ﷺ الترخيص لذوى الأعذار فى النفور من مزدلفة ليلاً قبل طلوع الفجر ؛ فقد أخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت سودة امرأة ضخمة ثبطة فاستأذنت رسول الله ﷺ أن تفيض من جمع بليل فأذن لها . وروى الجماعة عن ابن عباس رضى الله عنه قوله : أنا ممن قدم النبى ﷺ ليلة المزدلفة فى ضعفة أهله. وروى أحمد عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أذن لضعفة الناس من المزدلفة بليل .

س : ما حكم من لم يرم جمرة العقبة يوم النحر ، وقد حلق وطاف طواف الإفاضة ، وهل يرمى بالعشى أو بالليل أو يترك الرمى إلى الغد وماذا يجب عليه؟

جـ : حكمه أن يرمى متى أمكنه الرمى سواء كان عشية ، أو ليلاً أو من الغد، ثم إن كان ناسياً ، أو جاهلاً ، أو ذا عذر قاهر فلا شىء عليه ، أما إذا لم يكن كذلك ، فإن عليه دماً لتركه الرمى فى وقته ؛ لأن الرسول ﷺ لما سئل عن التقديم والتأخير فى الرمى والحلق والإفاضة قال : « لا حرج لا حرج » كان السائلون يعللون عملهم بقولهم : ما شعرت . . . نسيت . . . إلخ . فاقرب إذاً إلى محاسن هذه الشريعة أن لا يؤاخذ ناس أو جاهل ، أو ذاهل ، أما العامد الذى يقدم خطوط نفسه فلابد من جزاء يطهر له نفسه ، وهو ذبح شاة ، أو صيام عشرة أيام بدلها إذا لم يجدها .

س : ما حكم من ترك حصاة لم يرمها فرمى بست فقط ؟

جـ : لا شىء عليه لما روى النسائى وسعيد بن منصور عن سعيد بن مالك قال رجعنا فى الحج مع النبى ﷺ وبعضنا يقول رميت بست حصيات وبعضنا يقول بسبع فلم يعب بعضنا على بعض .

س : ما حكم من لم يبت ليلة بمنى أيام التشريق ؟

جـ : حكمه أنه إن كان صاحب عذر بين اضطره إلى المبيت خارج منى فلا شىء عليه ؛ لأن الرسول ﷺ رخص فى ذلك لأصحاب الأعذار كرعاة الماشية وسقاة الماء. أما إذا لم يكن ذا عذر شرعى، وإنما أراد اتباع خطوط نفسه وهواه

فخرج من منى ليبيت بمكة أو جدة مثلاً فإن عليه دماً مع الإثم والكراهة والالتفات إلى قول من قال : إن عليه صدقة دون الدم كبعض الفقهاء.

س : هل يرمى عن الصبى والمريض والعاجز ، وإن رمى عنهم فهل يجب عليهم بعد ذلك دم ؟؟

جـ : أما الصبى فإنه يرمى عنه ، ولا دم عليه ، ولا على وليه البته ، وأما المريض والعاجز فقد يرمى عنهما، ولكن عليهما دم لما أخرج مالك فى موطئه قال يحيى سئل مالك : هل يرمى عن الصبى والمريض فقال : نعم وليتحر المريض حين يرمى فيكبر وهو فى منزله ، ويهرق دماً، فإن صح المريض فى أيام التشريق رمى الذى رمى عنه وأهدى وجوبًا.

فهذه الرواية عن إمام عظيم من الأئمة الأربعة ، كمالك رحمه الله يتعين العمل بها فى مسألة تعبدية كهذه حتى يظهر نص ثابت صريح عن النبى ﷺ ، أو أحد خلفائه الراشدين بسقوط الرمى عن المريض والعاجز إذا رمى عنهما فيجب المصير إليه ، لأنه لا يقدم على قول الله ورسوله، وعن سنة الراشدين شىء.

س : ما حكم من لم يرم فى اليوم الأول أو الثانى من أيام التشريق إلا بعد الغروب؟

جـ : حكمه : إن كان ناسياً ، أو جاهلاً ، أو عاجزاً لمرض ونحوه رمى بليل، ولا شىء عليه . وإن كان عامداً غير ناس ، ولا جاهل ، أو مريض فإن عليه دماً لتأخير الرمى عن وقته الذى هو من بعد الزوال إلى غروب الشمس.

وإن قلت : إن بعض المذاهب كالحنبلى مثلاً لا يوجب الدم على من أخر الرمى عن وقته ، حتى ولو أخر الرمى كاملاً إلى آخر أيام التشريق ، وإن من لم يبت ليلة بمنى لا يوجبون عليه الدم ، فكيف تقول أنت بوجوب الدم فى المسألتين على غير أصحاب الأعذار ، وما هو مذهبك إذاً ؟؟

ثم إنك تعفى الناس فى المسألتين ، مع أن ابن عباس رضى الله عنه لا يعفيه فى ذلك . حيث يقول : (من ترك من نسكه شيئًا، أو نسيه فليهرق دماً) وجوابى إليك ــ أخى الفاضل ــ هو :

أ ــ فى إيجاب الدم فى المسألتين :

لما كان بعض المذاهب يوجب الدم، وبعضهم لا يوجبه فى المسألتين ، وكانت المسألة تعتمد عند الفريقين على الرأى والقياس لا على النص الصريح من قول الله تعالى ولا من قول رسوله ﷺ ، وكنت مطالباً بتحرى الحق ، وتوخى الصواب فيما أقدمه لإخوانى من بيان لأحكام هذه العبادة العظمى ــ عبادة الحج والعمرة ــ كان على أن أقدم إليهم ما أراه الحق ، وأعتقد أنه الصواب بغير تعصيب لمذهب خاص من المذاهب المحترمة عند أغلبية المسلمين .

ب ــ فى مذهبى اعلم أن مذهبى ينبنى على الأسس التالية :

١ ــ اعتقاد أن العبادة فعلاً كانت أو تركاً ، إذ لم تكن مشروعة بإذن الله تعالى أو إذن رسوله ﷺ وعليها أمرهما لا فائدة فيها فلا تزكى النفس ، ولا تطهر الروح ومتى كانت كذلك فلا خير فى القيام بها.

٢ ــ اعتقاد أنه لا يسأل أحد يوم القيامة إلا عن معصية الله ورسوله فقط.

٣ ــ الإيمان بأن شريعة الإسلام خالية من الحرج والتكلف ، وأنها تهدف بكل ما فيها من أمر ونهى إلى إصلاح الإنسان جسماً وروحاً قال تعالى : ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾ المائدة . وقال رسول الله ﷺ : « إن الدين يسر ».

٤ ــ الجزم بتحريم تقديم أى قول أو رأى على قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ لقوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله** ﴾ .

وبناء على ما تقدم يكون مذهبى : تحرى العمل بكتاب الله وسنة رسوله الثابتة الصحيحة ، وإن أعوزنى الدليل من الكتاب والسنة أقدم من آراء وفتاوى الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أجمعين ما أراه أمس بروح تشريع الله ورسوله وألصق بهدى محمد ﷺ ملاحظاً فى ذلك الغرض العام الذى تهدى إليه الشريعة الإسلامية السمحة ، وهو تزكية النفس وإصلاحها لتعيدها بذلك إلى كرامة الدنيا والآخرة وسعادتها . قال تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** ﴾.

وإليك مثالاً لذلك وبه تعرف لماذا ألفق أحيانًا الفتيا من مذهبين أو من أكثر فأصبح وكأن لى مذهباً خاصًا بى.

المثال : قال بعض : على من أخر الرمى عن وقته ، وهو من الزوال إلى غروب الشمس قضاء بليل ، أو من الغد وعليه دم. وقال بعض آخر : لا دم عليه فى ذلك ، ولم يكن للموجبين دليل صريح من كتاب ولا سنة، ولا لغير الموجبين دليل صحيح من كتاب ، أو سنة . فقلت : إذا كان الدليل الصريح من قول الله تعالى، أو قول رسوله ﷺ معدوماً عند الفريقين ـ على ما أعلم ـ وكنا موقنين أنْ لا يسأل يوم القيامة إلا عن طاعة الله ورسوله ومعصيتهما وكنا نعتقد أن العبادة سواء كانت فعلاً أو تركًا أى مما يفعل كالصلاة ، أو مما يترك كالخمر والزنا مثلاً ، لا تؤثر فى النفس بالزكاة والصلاة إلا إذا كان عليها أمر الله ورسوله ، وكنا نعتقد أن الغرض من العبادة إصلاح النفس وتزكيتها ، وكنا نعتقد أن الشريعة الإسلامية خالية من الحرج ، قلنا : إنه يجب على من أخر الرمى لغير عذر دم ، وحكمنا هذا يستند على ما يلى :

١ ــ رأى إمام من الأئمة المحترمين ، وهو البعض القائل بوجوب الدم.

٢ ــ إن من يؤخر الرمى لا لعذر ، وإنما اتباعاً لهواه ، وأثيراً لحظوظ نفسه فلا يرمى فى الوقت الذى رمى فيه صاحب الشريعة ﷺ ، يعتبر قد أجرم على نفسه. وفى هذا الحال يحتاج إلى إصلاح، ولم نعرف له ما يصلح نفسه سوى التصدق بذبح شاة ؛ لأن هذه الصدقة وضعها المشرع ﷺ لمثل هذه الأخطاء فعرفنا أنه لا يزيل أثر هذا الذنب من النفس ، إلا هذا النوع من المكفرات ، فأمرناه بإصلاح نفسه بذبح شاة .

ولم نقل بوجوب الدم على ذى العذر . سواء كان العذر جهلاً أو نسياناً أو مرضاً أو عجزاً .

١ ــ لأنه يوجد مذهب محترم لا يوجب الدم فى هذه الحال .

٢ ــ إذا كان الغرض من العبادة تطهير النفس فصاحبنا قد فعلها ، ولو فى غير وقتها بكل إذعان واستسلام. فلا شك أنه لم يفته ما تهدف إليه العبادة من تزكية نفسه.

٣ ــ من مبادئ الشريعة الإسلامية دفع الحرج عن غير العامد كالمخطئ ، والناسى والمريض فى أغلب أنواع العبادات .

٤ ـ لما لم توجد معصية تدسى النفس، وهى الرغبة عن سنة الرسول ﷺ . أو الاستخفاف بها، أو التهاون فى أدائها ، أو تقديم هوى النفس وحظوظها عنها، وإنما كان التأخير لعجز أصيل فى الإنسان بحيث لو عرف الجاهل وقتها لما أخرها ، ولو ذكر الناسى، أو صح المريض ، أو زال المانع لما أخروها عن وقتها المعين لها . لماذا يطلب وجود كفارة ؛ وما تكفر هذه الكفارة التى لم يسبقها ذنب؟ وفوق كل ما ذكرنا أنه لو أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالدم أو بعدمه لما وسعنا إلا ذلك ، ولما قدمنا عليه شيئاً ، ويعلم الله .

جـ : **أما عن إعفاء الناسى،** مع أن ابن عباس رضى الله عنه لم يعفه .

فإنه إن صح القول عنه وهو :(من ترك من نسكه شيئًا ، أو نسيه فليهرق دماً) فهذا قبل كل شىء ليس مما نسأل عن مخالفته يوم القيامة ؛ لأنه ليس بقول الله تعالى، ولا قول رسوله ﷺ . ثانيًا إن صح هذا الأثر فإنه لا ينطبق على كل ما نسى من مناسك الحج . فلقد قيل للرسول ﷺ : إنى نسيت فأفضت قبل أن أرمى فقال: « ارم ولا حرج » فما دام مؤخر الرمى قد نسيه . ثم قام به ولو فى غير وقته فلم لا نقول له : لا حرج أسوة بقول النبى ﷺ . مع أن قول ابن عباس رضى الله عنه : أو نسيه يحتمل أنه نسيه فلم يفعله مرة واحدة ، لا أنه نسيه ثم لما تذكره وفعله بكل إذعان واستسلام .

فإن إهراق الدم لتطهير النفس ، أو لزيادة زكائها ، وما دام صاحبنا لم يعلق به إثم وأتى بالعبادة فزاد زكاء نفسه. فلا معنى لأمره بمزك آخر.

ومن هنا يعرف وجه مخالفتى أحياناً لبعض المذاهب ، أو تلفيقى الحكم من مجموعها . فيصبح وكأنه مذهب خاص ، وما قصدى فى كل ذلك إلا توخى الصالح الذى يصون للشريعة حرمتها فلا يتجرأ عليها أصحاب الأهواء والميول الفاسدة ، ويحفظ لها يسرها وسماحتها وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

س : هل يجوز رمى جمرة العقبة قبل الفجر، وهل يصح تأخيرها إلى المساء؟

جـ : اعلم أن الوقت المختار لرمى جمرة العقبة هو من طلوع الشمس إلى الزوال ، وهو الوقت الذى رمى فيه رسول الله ﷺ ، وأما ما قبل طلوع الفجر

فهو لأصحاب الأعذار خاصة . فقد أخرج أبـو داود عن عائشة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ ، أمر أم سلمة ليلـة النحر فرمت جمرة العقبة قبـل الفجر ثم مضت فأفاضت أما الوقتان اللذان من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ومن الزوال إلى غروب الشمـس . فيصح الرمى بلا كراهـة لعذر ولغير عذر ؛ غيـر أن من غربت عليه الشمس ولم يـرم ، فإنه اختلف فى حكمه فمالك رحمـه الله تعالى يقول : يرميها بالليل وعليه دم ، وأبو حنيفة يقول: يرمى ولا دم عليه ، وقال الشافعى : لا شيء عليه . وقال أحمد : لا شيء عليه . والمذهب يـرى أن تأخيرها إلى غد أولى من رميها بليل .

هذا والذى أراه أقرب إلـى روح الشريعة وأدنى إلى صـيانتها ، وإبقـاء يسرها وسماحتها . أن الذى أخر الرمى إلى اللـيل إن كان ذا عذر شرعى اضطر معه إلى التأخير . فإنـه يرمى ساعة زوال عذره فى ليل أو نهـار ، ولا دم ولا إثم عليه (١) وأما من أخر رميها اتباعاً لهواه ، وعدم مبالاة بحرمة هذه الشعيرة الدينية المحترمة . فإن علـيه أن يبادر برميـها فى الحال ، وعليـه دم تطهيراً لنـفسه ، وتكفيـراً لذنب التهاون بحرمة شعيرة تعظيمها من تقوى القلوب ، وتحقيرها من إثمها والعياذ بالله تعالى.

س : ما حكم من أراد التعجل فى اليوم الثانى فرمى الجمرات واشتغل بإعداد رحلته فما زال يربط أمتعته ، أو ينتظر سيارته حتى غربت عليه الشمس؟

جـ : إن شاء بـات ليلته بمنـى ورمى فى اليوم الـثالث ونفر ، وإن شق عـليه ذلك لربطه أمتعتـه وإنهائه أسباب إقامته بمنى نفر ولا حرج بـهذا قال الشافعى وأبو حنيفة ويؤثر عن بعض الصحابة أيضا .

س : ما حكم من لم يطف طواف الإفاضة إلا بعد أيام التشريق الثلاثة؟

جـ : يـطوف بعدهـا ولا شيء عليـه ، إن لم يكن قـد أصاب النسـاء . فإن أصابهن فعليـه مع الطواف هدى وعمرة . لما أخرج مالك عن عـبد الله بن عباس رضى الله عـنه أنه سئل عن رجـل وقع بأهله وهو بمـنى قبل أن يفيض فأمره أن

---

(١) هذا فى كل من رمى الجمرات بليل لعذر الزحـام أو النسيان أو المرض أو الجهل لما صح عن النبى ﷺ أنه قيل له ؛ رميت بعد ما أمست فقال : «لا حرج » ، رواه البيهقى بسند صحيح .

ينحر بدنة . وفى رواية عنه أنه قال : يعتمر ويهدى.

س : ما حكم من ترك الرمى والمبيت فى اليوم الأول والثانى لعذر شرعى، ورمى فى اليوم الثالث عنه وعن اليومين الماضيين؟

جـ : ما دام قد رمى فى اليوم الثالث وهو وقت قضاء للرمى فلا شىء عليه؛ لأن تأخيره الرمى وتركه المبيت كان لعذر صحيح مقبول.

س : ما حكم من مرض أيام منى فنقل أثر مضره إلى المستشفى فلم يرم الجمرات ولم يبت بمنى؟

جـ : أما المبيت فيسقط لعذره حيث أن الرسول ﷺ رخص للرعاة والسقاة فى عدم المبيت ، وأما الرمى فلم يسقط عنه ،وحيث فاته قضاؤه بفوات أيام التشريق فعليه دم.

س : ما حكم من وجب عليه دم ولم يتمكن من ذبحه بالحرم حتى عاد إلى أهله بأفق كالهند ، أو المغرب مثلاً ؟

جـ : إن كان الدم الواجب سبب وجوبه تمتع أو قران أو فوات ، أو جزاء صيد فإنه لا يجزئه بغير مكة ، وعليه أن يقدم بنفسه لذبحه ، أو ينيب عنه من يقوم بذلك ، وإن كان الدم الواجب سببه غير ما ذكر بأن كان دم فدية ، أو ترك واجب ، أو فعل محظور . فإن له أن يذبحه فى أى البلاد شاء كالصيام والإطعام.

س : ما حكم من تمتع وعزم على الصوم لعجزه على الهدى، ولكن لم يصم لعذر أو لغير عذر حتى انقضت أيام الحج وعاد إلى أهله ؟

جـ : عليه أن يصوم العشرة أيام كاملة فى بلده ، ثم إن كان تأخيره للصوم لعذر كمرض فلا شىء عليه ، وإن كان تأخيره تهاوناً وتفريطًا . فإن عليه مع الصوم دم .

س : ما حكم من وجب عليه دم كهدى التمتع مثلاً ولم يجده ، ولا استطاع صياما ؟

جـ : بقى فى ذمته أحدهما. فإن قدر على الدم أهرقه ، وإن قدر على

الصيام وعجز عن الدم صام عشرة أيام .

س : هل لمن أفرد بالحج أن يعمر ؟

جـ : الجمهور علـى جواز ذلك غير أن بعض الفقهاء يـرى وجوب الدم عليه لكونه اعتمر فى ذى الحجة الذى هو أحد أشهر الحج ، فأشبه من تمتع بالعمرة إلى الحج فرأوا لذلك وجوب الدم عليه .

ومما ينبغـى أن يلاحظ هنا أن العمرة بعـد الحج لم تكن مشهورة عـند السلف وقل من يفعلها مـنهم بل كانوا يعتمرون متمتعين أو قارنـين ، أو يعتمرون فى غير أشهر الحج ، غير أنه ما دام الرسول ﷺ أذن لعائشة رضى الله عنها بالاعتمار من مكة بعد انقضاء حجها، وذلك بأن أمر أخاها عبد الرحمن بأن يخرج بها إلى الحل لتعـتمر. فخرج بهـا إلى التنعيـم فأحرمت منـه واعتمرت ، فلا مانـع إذاً أبداً من العمرة بـعد الحج ، ولا دم على من فـعلها لاسيمـا من قام به عذر . كالـصديقة رضى الله عنها.

س : ما حكم الصلاة داخل البيت الحرام ؟

جـ : فى صـحة الفريضـة داخل البيت بـين العلمـاء خلاف، أما النافـلة فلا خلاف بينهم فى جوازها بل أنـها مستحبة ؛ لأن الرسول ﷺ دخل البيت وصلى فيه ركعتين كما هو مشهور فى الصحيح . والصلاة فى الحجر كالصلاة فى البيت، الفريضة مختلف فـى صحتها ، والنافلة جائزة بل مستحبـة، فإن عائشة رضى الله عنهـا قالت : كنت أحـب أن أدخل البيت فأصـلى فيه فأخـذ الرسول ﷺ بيدى فأدخلنى الحجر ، فقال :« صلى فى الحـجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت ؛ فإن قومك اقتصروا حين بنو الكعبة فأخرجوه من البيت » .

س : ما حكم من خالف بين رمى الجـمرات فرمى الوسطى أولاً ثم الأولى، أو الأولى ثم العقبة ، أو الوسطى ثم العقبة فالأولى ؟

جـ : معروف أن الـترتيب فى الرمى واجب عـند الجمهور ، وسنة عـند غير الجمهور ، وبناء على القاعدة التى مشينا عليها فى تحرى الأقرب إلى الهدى النبوى وأمس بـروح الحنيفية السمحة نقول : إن مـن تـرك الترتيب بين الجـمرات الثلاث اختياراً مع عـلمه أن الرسول ﷺ رماهن مرتـباً رميهن ، وأبى إلا أن يعـمل برأيه

ويقدم هواه فرماهن غير مرتب لهن ، أن عليه أن يعيد الرمى مرتباً له مهما كانت الحال سواء كان الحر شديداً أو الزحام قوياً ، وإن لم يعد الرمى فإن عليه دماً تطهيراً لما علق بنفسه من أثم التهاون بسنة الرسول ﷺ وشعيرة الإسلام . أما إذا كان سبب مخالفته الترتيب هو جهله بالحكم ، أو نسيانه ، أو غير ذلك من الأعذار الشرعية فلا شيء عليه، وإن أعاد الرمى فحسن، وقلنا برفع الحرج على ذى العذر؛ لأنه لم يثبت ـ فيما علمنا ـ عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه الأمر بإعادة الرمى لمن لم يرتبه ناسياً أو جاهلاً ، ويضاف إلى هذا قوله ﷺ :« رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » وقوله تعالى : ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ وغير ذلك من الكليات العامة .

س : ما حكمْ استلام المرأة للحجر الأسود ؟

جـ : يكره لها ذلك متى كانت تزاحم الرجال ، ذلك لما روى الشافعى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لإمرأة قالت لها : طفت سبعاً واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً : لا آجرك الله تدافعين الرجال ، ألا كبرت ومررت .

س : هل يجوز لمن وجب عليه دم فأهرقه أن يأكل منه ؟

جـ : فى هذا تفصيل : إن كان الدم الواجب دم تمتع أو قران ، أو كان هدى تطوع جاز له أن يأكل منه بل يستحب له ذلك ، لأن الرسول ﷺ أكل من هديه وكان قارنًا وكذا نساؤه أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أكلن من هديهن وكن متمتعات (فى الصحيح) .

أما ما كان من الدم لترك واجب ، أو فعل محظور ، أو جزاء صيد أو لنذر فإنه لا يجوز الأكل منه ، وهذا هو المشهور فى المسألة ، والأقرب أيضا إلى روح الشريعة ونصوصها. وإن كان هناك خلاف فقهى معروف فى الموضوع .

س : ما هو الهدى ، وكيف يشعر ويقلد ، وما محله ، وما تعريفه ؟؟؟

جـ : أما الهدى فهو ما يهدى من الإبل والبقر والغنم ضأناً أو معزاً إلى سكان الحرم وأفضل أنواعه : الإبل فالبقر فالغنم ، ويشترط فيه ما يشترط فى الأضحية من السن والسلامة من العيوب كالهزال والمرض . وقد يكون واجباً كهدى التمتع والقران ، أو النذر ، أو كفارة جزاء الصيد . وقد يكون هدى تطوع

محض بحيث يسوقه من بلده ، أو يبعث به منه قصد إهدائه إلى سكان الحرم لا لكونه وجب عليه فى تمتع أو قران ، أو نذره نذراً . وقد أهدى الرسول ﷺ مائة من الإبل ، ولم يكن قد وجب عليه فيها إلا ما كان لقرانه .

وأما كيفية إشعاره ، أو تقليده فهى أن يشق من جانب الإبل أو البقر إن كانت من ذات السنام وإلا فلا تشعر كالغنم ـ يشق من جانبها الأيسر أو الأيمن حتى يسيل الدم وهو مستقبل القبلة حال الإشعار .

وأما التقليد : فهو أن يعلق فى رقبته شيئًا كنعل وغيره من آذان القرب وعراها، إشعاراً بأنه مهدى إلى الحرم .

أما محله: فزمانى ومكانى ، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **ثم محلها إلى البيت العتيق** ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿ **هدياً بالغ الكعبة** ﴾ وقوله عز شأنه: ﴿ **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله** ﴾ .

وبيان ذلك : أن محل الهدى المكانى هو الحرم إلا إذا عطب الهدى ، أو أحصر المهدى ولم يتمكن من إرساله إلى الحرم فإنه يذبحه مكانه حيث أن الرسول ﷺ لما صدته قريش عن المسجد الحرام ذبح هديه بالحديبية كما هو معروف . أما محله الزمانى فيوم النحر إن كان هدى تمتع أو قران ، أو تطوع فى حج ، أما إذ لم يكن كذلك فمحله مطلق الزمن فلا يقيد بيوم خاص .

أما تعريفه : فهو أن يقف به صاحبه أو نائبه بعرفة يومها ، غير أنهم اختلفوا فى حكم هذا التعريف فذهب مالك إلى أنه إذا لم يدخل به صاحبه من الحل يجب تعريفه ، وإن دخل به من الحل فلا وجوب ، ولكن يسن ذلك . وذهب الشافعية والحنابلة إلى سنية التعريف دون وجوبه . وذهب أبو حنيفة ــ رحمهم الله أجمعين ــ إلى التعريف ليس بسنة ولا واجب . وحجة الجمهور فعل الرسول ﷺ وقد قال : « خذوا عنى مناسككم » وتأول الأحناف فقالوا إن تعريف الرسول ﷺ لهديه لم يكن مقصوداً وإنما هديه كان تابعاً لوقوفه ﷺ فما هديه إلا كسائر أمتعته وأزواده التى تحل معه حيثما حل فلم يكن يقصد تعريف الهدى بالوقوف به بعرفة حيث لم يكن هناك ما يدل على ذلك سوى وجوده معه. لا سيما وقد روى سعيد بن منصور عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إن شئت أن تعرف بالهدى وإن شئت فلا تعرف إنما أحدث الناس السياق مخافة السرق .

س : ما حكم من وجبت عليه بدنة ولم يجدها ؟

جـ : يكتفى بذبح سبع شياه لما روى ابن ماجة عن ابن عباس رضى الله عنه قال : أتى النبى ﷺ رجل فقال : إن عليَّ بدنة وأنا موسر ولا أجدها فأشتريها ؟ فأمره النبى ﷺ أن يبتاع ـ يشترى ـ سبع شياه فيذبحهن .

س : ما حكم من مرض قبل الوقوف بعرفة فلم يتمكن من الحضور بها ليلاً ولا نهاراً ؟

جـ : هذا هو ما يسمى بالفوات ، وحكمه : أن من فاته الوقوف بعرفة لعذر من الأعذر كتأخير الباخرة ، أو ضلال الراحلة ، أو مرض فإنه عليه أن يتحلل بعمرة فيطوف ويسعى ويحلق أو يقصر وعليه الحج من قابل مع هدى ، هذا إن لم يكن قد اشترط حال إحرامه بأن محله حيث يحبسه الله تعالى من الأرض ، أما إن اشترط فلا شىء عليه لا هدى ولا قضاء من قابل إلا أن يكون الحج حج فريضة أو واجباً بنذر مثلا فعليه أداؤه ، ودليل هذا : ما رواه أبو داود : من أن النبى ﷺ قال: « من كسر أو عرج أو مرض فقد حل ، وعليه الحج من قابل[1] » ولكن هذا الحديث لم يشر إلى التحلل بعمرة ولا إلى هدى غير أن رواية مالك فى الموطأ أثبتت ذلك ، فقد جاء فيها أن عمر بن الخطاب أمر أبا أيوب الأنصارى وهبار بن الأسود رضى الله عنهما حين فاتهما الحج وأتيا يوم النحر أن يحلا بعمرة ثم يرجعا حلالاً ، ثم يحجان عاماً قابلاً ويهديان ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع .

س : ما هو الإحصار ، وما حكمه ؟

جـ : الإحصار هو أن يمنع الحاج أو المعتمر بواسطة عدو أو لصوص من الوصول إلى البيت ، أو الوقوف بعرفة . وحكمه : أنه إذا أيس من الوصول إلى البيت يتحلل من إحرامه بذبح ما استيسر من الهدى شاة فما فوقها ، وإن لم يجدها الهدى صام عشرة أيام بنية التحلل لقوله تعالى: ﴿ **فإن أحصرتم**[2]

---

(١) الحديث وسمه بعضهم بالضعف غير أنه حسن لغيره .

(٢) اختلف هل على المحصور قضاء أو لا ؟ والجمهور على أنه لا قضاء عليه ، إلا أن يكون واجباً فلابد من قضاء الواجب .

فما استيسر من الهدى [1] ﴾ الآية .

هذا فيما إذا كان الإحصار عن البيت أما إذا كان الإحصار عن عرفات فقط فإنه إن لم يكن قد طاف طواف القدوم ولا سعى فإنه يفسخ حجه إلى عمرة فيطوف ويسعى بنية العمرة ويتحلل ولا هدى عليه ، وإن كان قد طاف وسعى فقيل : يطوف ويسعى مرة أخرى ويتحلل ، وقيل : عليه أن يخرج إلى الحل فيجدد إحرامه للعمرة وحين يتمها يتحلل .

س : هل هناك أماكن بمكة تسن زيارتها سوى المسجد الحرام ؟

جـ: ليس هناك أماكن تسن زيارتها ، لا غار حراء، ولا غار ثور ، ولا دار المولد النبوى ؛ لأن الرسول ﷺ لم يسن هذا ، ولم يشرع لنا ، وما لم يكن قد أذن الشارع فيه فهو خال من الفائدة المقصودة من العبادات الشرعية التى هى إصلاح الروح وتطهيرها .

وإن قيل أنها تقصد لا لكونها سنة وإنما للدعاء فيها حيث يظن الاستجابة عندها . فالجواب : أن الاستجابة لا ترجى إلا فى أثر أداء القربة والطاعة، وما دام لم يتقرب إلى الله تعالى بشىء فبماذا يتوسل إلى القبول إذاً حتى ترجى استجابة الدعاء ؟

ويضاف إلى هذا : أن زيارتها لما لم يأذن فيها الشارع تعتبر بدعة يجب اجتنابها لأن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وإلى هنا قد انتهى ما يسر الله تعالى لى جمعه وتأليفه من أحكام الحج والعمرة ومسائلهما . والحمد لله رب العالمين .

---

(١) محل نحر الهدى مكان الإحصار إلا إذا كان يمكنه نحره فى الحرم فإنه عليه أن ينحره بالحرم.

زيارة المسجد النبوى الشريف والتشرف بالسلام وبالوقوف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

المدينة المنورة حرم رسول الله ﷺ وحماه .

إذا كان الله تعالى قد حرم مكة وحماها فإن رسول الله ﷺ قد حرم المدينة وحماها ، فكلاهما حرم ، وكلاهما حمى . وكما لمكة المكرمة حمى معروف المعالم والحدود لا يصاد صيده ، ولا يعضد شجره ، ولا يختلى خلاه ، كذلك للمدينة المنورة حمى حماه رسول الله ﷺ فلا ينفر صيده، ولا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه . رواه أبو داود عن على رضى الله عنه قال : ما كتبنا عن رسول الله ﷺ إلا القرآن ، وما فى الصحيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ :« المدينة حرام ما بين عير إلى ثور فمن أحدث حدثا وآوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف ــ إلى أن قال ــ لا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره » .

وروى أيضا عن عدى بن زيد رضى الله عنه قال : حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريداً فى بريد ، لا يخبط شجرة ولا يعضد إلا ما يساق به الجمل. كما أن سعد بن أبى وقاص أخذ رجلاً يصيد فى حرم المدينة الذى حرم رسول الله ﷺ فسلبه ثيابه ، فجاء مواليه فكلموه فيه ، قال : إن رسول الله ﷺ حرم هذا الحرم وقال : « من وجد أحداً يصيد فيه فليسلبه ثيابه » ولا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله ﷺ ولكن إن شئتم دفعت لكم ثمنه .

وموجز القول حرم حرمها رسول الله ﷺ وحماها بإذن الله تعالى ، كما حرم إبراهيم مكة وحماها بإذنه تعالى ، وإن حدود المدينة بريد من كل جهة من جهاتها أى نحو من أربعة عشر كيلو متر من كل جهة من جهاتها الأربع غير أن الجمهور على أنه لا جزاء فى صيدها ،ولا فى قطع أشجارها ، لأن الرسول ﷺ وأصحابه لم يحكموا فى ذلك بشىء.

فضل المدينة المنورة

أليست المدينة المنورة مقر الإسلام ، ومهبط الوحى ، ومصدر الحضارة الإسلامية وينبوع الكمالات والفضائل الإنسانية ؟؟

بلى ، وبلى مرات ومرات ! إذاً فالمدينة الفاضلة التى لم تر الدنيا مثلها ، ولم يشهد العالم الإنسانى على طول تاريخه مدينة جمعت أصول الكمال وفروعه ، وأطرافه وحواشيه وفى جميع الميادين مثل مدينة الرسول محمد سيد البشر ﷺ .

طيبة وطابة ، والجامعة ، والقرية التى تأكل القرى هى أسماء لتلك المدينة الفاضلة طالما حلم الفلاسفة القدامى بوجود مثلها ، ويا ليتهم عاشوا حتى شاهدوا تحقيق حلمهم يتمثل فى مدينة الرسول الأعظم ﷺ على عهده وعهد خلفائه الراشدين.

وهاك ما ورد فى فضلها على لسان النبى الصادق ، روى فى الصحاح قوله ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » وقوله ﷺ : « إن الإيمان ليأرز[(١)] إلى المدينة ، كما تأرز الحية إلى جحرها ، لا يصبر [(٢)] على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » وقوله ﷺ :« من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل، فإنى أشهد لمن مات بها » وقوله ﷺ :« اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وأنا أحرم ما بين لابتيها [(٣)] » وقوله ﷺ : «اللهم إنهم أخرجونى من أحب البلاد إلىَّ فاسكنى فى أحب البلاد إليك [(٤)] » وقوله ﷺ :« إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها ».

ويرحم الله عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد ، فقد روى مالك فى الموطأ : أنه لما خرج من المدينة التفت إليها فبكى ، ثم قال : يا مزاحم ـ مولاه ـ أنخشى أن نكون ممن نفت المدينة ؟

شرف أهل المدينة

لم لا يشرف أهل المدينة ، ولم لا يعلو قدرهم ، ولم لا يفضلون عن غيرهم؟؟ أليسوا حماة الحمى أليسوا حراس الفضائل ، أليسوا أمناء مركز الإشعار

(١ ، ٢) رواه مالك فى الموطأ .

(٣) اللابة: الحرة واللابتان حرتان تكتبان المدينة . والحرة حمارة جرداء .

(٤) رواه الحاكم فى مستدركه وفيه ضعف .

الإسلامى والرحمة والنور ، بلى فى كل ذلك ، وفوقه أنهم جيرة الرسول ﷺ وعمار مسجده، وسكان بلده ، والمرابطون فى حرمه ، وصلى الله على سيدنا محمد إذ يوصى بهم ، ويؤكد حرمتهم ، ويؤثل مجدهم ، ويقرر حقهم فى الفضل والسيادة ، والشرف والكمال ، فيقول : « اللهم بارك لهم ـ يعنى أهل المدينة ـ فى مكيالهم ، وبارك لهم فى صاعهم ، ومدهم » ويقول ﷺ :« لا يكيد أحد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء » ويقول ﷺ :« لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص » ويقول ﷺ : «مهاجرى فيها مضجعى ، ومنها مبعثى . حقيق على أمتى حفظ جيرانى ، ما لم يرتكبوا الكبائر، ومن حفظهم كنت له شفيعاً وشهيدا يوم القيامة ».

ليس من أهل المدينة من يفسد فيها

إذا كان الله عز شأنه ، وجلت قدرته . يقول لنبيه ورسوله نوح عليه السلام فى شأن ولده الذى عق وفسد: ﴿ **يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح** ﴾ فيخرجه الرب جل وعلا من حظيرة أهله، وينزل به لعنة تطرده من ساحات الرحمة، وأفناء الرضا والسلام إلى الأبد ، ولا لشىء سوى أنه عمل عملاً غير صالح لا يزكى النفس ولا يطهرها من أعمال الشرك والفساد .

فإن مما لا شك فيه أن من يعمل من سكان المدينة بغير ما يصلح النفس ويزكيها لا يكون من أهلها ، ولا يعد من أنصارها ، ولا ينال شرف الانتساب إليها بل الثابت أنه تقررت لعنته ، ووجب إبعاده وطرده . وأنه وإن كانت المدينة تنفى خبثها. فإن على سكانها أن يحققوا لها ذلك بالفعل ، فيعملوا دائما على تطهيرها من كل فساد ، ومن كل فاعلية ، وكيف قال الرسول ﷺ محذراً موعداً :« ولا يحدث فيها حدث ، ومن أحدث فيها حدثًا ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . فهذا الحكم الذى أعلنه ﷺ ضد العابثين بشرف طيبة، والمستهترين بكمالها بما يرتكبونه فيها من شر وفساد لحكم مستمد من حكم الله تعالى :﴿ **ومن يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ .

وخلاصة القول : إن لسكان المدينة حرمة وشرفاً ، وقدراً ما لم يعملوا بمعاصى الله ، فإن هم عملوا بذلك فلا حظ لهم فى الإعزاز ولا فى التكريم . وإنا وإن كنا نعطف عليهم أكثر من غيرهم ، ونحب أن نستر عليهم إذا لم نتمكن

من إصلاحهم لما لهم فى نفوسنا ونفوس سائر المؤمنين من إجلال وإكبار ، فإنا لا نرضى أبداً ولن نرضى ما دام الحق رائدنا ، وتعاليم الدين الحنيف مبدأنا نسم بالصلاح منهم من كان فاسداً، ولا بالاعتدال والقصد منهم من كان جائراً ولا بالشكر منهم من كان للفضل ناكراً ، ولا بالهداية منهم من كان غاوياً ؛ فإن الحق أحق أن يقال ، والمداهنة على حساب الحق شر من الخذلان .

فيا حماة المعرس [1] ويا أهل الحى المقدس ، لا تضيعوا شرفكم بالحدث والفساد فى مغناه ، ولا تنزلوا قدركم بغدركم من علاه ، ولا تنسوا واذكروا دائمًا أنكم جيرة رسول الله ، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وعليهم ما اهتدوا بهداه.

فضل المسجد النبوى

إن مصدر كل فضل وخير وبركة هو الله تعالى والله وحده وبدون شك ، فإنه ما شرف مكان ، ولا فضل زمان إلا والله تعالى هو المشرف له عن غيره والمفضل له عما سواه . ومن المجمع عليه عندنا أمة الإسلام أن هناك أماكن مقدسة مباركة فاضلة ، ومثلها أزمنة متفاضلة مباركة فليلة القدر خير من ألف شهر ، ويوم عرفة خير يوم طلعت عليه الشمس ونحن نعلم أن سبب فضلهما لم يكن لذاتهما بل كان لما لابسهما ، أو وقع فيهما ؛ فليلة القدر شرفت بنزول القرآن فيها ، ويوم عرفة فضل لما يقع فيه من التجليات الربانية لأهل الموقف .

ومن هذه الأمكنة الشريفة الفاضلة المسجد الحرام ، ومسجده ﷺ والمسجد الأقصى الذى بارك الله حوله من أرض الشام . فالمسجد الحرام فضل لأنه لابسه بيت الله ، والمسجد النبوى شرف لأنه لابسه رسول الله ﷺ والمسجد الأقصي تشرف لأنه باركه الله ، ففضل الكل عائد إلى الله ، والله عز شأنه مصدر كل إفضال ومعطى كل إنعام.

ولقد نوه الله تبارك وتعالى بشأن هذه المساجد الثلاثة بقوله : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله** ﴾ فذكر الأول والثالث باسميهما المعروفين عند نزول الآية ، وأشار إلى الثانى ولم يصرح

---

(١) المعرس : موضع النزول ، والمراد به هنا منازل المدينة المنورة . والمعرس أيضا : مكان كان ينزل فيه الرسول ﷺ على بعد ستة أميال من المدينة .

باسمه لكونه لم يظهر بعد إلى حيز الوجود ، ولو كان عنده تعالى كالموجود لما سبق بذلك علمه ، وجرى به قدره . وبيان ذلك أن لكلمة الأقصى اسم تفضيل تقتضى بوضعها أنها مفضلة على غيرها وهى كلمة القاصى ومن كان بالمسجد الحرام فالمسجد القاصى بالنسبة إليه ، هو مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، والمسجد الأقصى هو ما كان أبعد من ذلك ، وهو المسجد الأقصى المصرح باسمه فى الآية .

فمن هنا علمنا أن مسجد الرسول ﷺ قد ذكر بالإشارة ضمن المسجدين العظيمين المنوه بشأنهما فى الآية. فمسجد الرسول ﷺ إذاً مسجد فاضل مفضل فى كتاب الله عز وجل ، وفى سنة الرسول ﷺ .

ومما يلاحظ هنا أن الرسول ﷺ لما ذكر هذه المساجد رتبها فى الذكر والفضل كالترتيب الذى جاء فى الآية الكريمة ، فقال: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » هذا ومما يدل على شرف المسجد النبوى المقدس قوله صلوات الله وسلامه عليه: « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » ومما زاده سمواً وعلواًوشرفاً وقدساً : أنه ضم روضة من رياض الجنة ، ومنبراً على حوض من حياضها؛ فقد روى مالك عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوض » فحق إذاً لمسجد الرسول ﷺ أن تشد له الرحال ، وأن تنفق فى زيارته الأموال وأن يتوسل بزيارته والصلاة فيه إلى الكبير المتعال طلباً للفضل وتحقيقاً للآمال .

ولا ننسى أن هذا المسجد فاز بمزية ، وتسامى بمنقبة عالية وذلك أن زيارته تمكن من زيارة أشرف مزار ، وتوقف بالمسلم موقفاً لا يساويه أهل ولا دار ، ولا درهم ولا دينار ، توصله إلى قبر ضم أعظم رفات فكان بذلك أقدس بقعة فى العالمين ، وأشرف مكان فى السموات والأرضين ، هو قبر محمد ﷺ خلاصة الأنبياء وصفوة المرسلين وسيد جميع العالمين . صلى الله عليه وآله وصحابته أجمعين.

شرف الوقوف على قبر الرسول ﷺ والسلام على من قرب عليه ، وعلى صاحبيه

أى مؤمن صادق الإيمان ، وأى مسلم صحيح الإسلام لا يشعر بالشرف والفخار عندما يقف أمام نبيه ورسوله وحبيبه وشفيعه وقائده ورائده فيسلم عليه وعلى صاحبيه سلاماً ملؤه الإجلال والإكبار ، والتعظيم والوقار ؟

وأى مؤمن كامل الإيمان ، وأى مسلم حسن الإسلام لا يحن شوقاً لرؤية حجرة ضمنت خير مولود ، وسيد الوجود .

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

ولهذا لم يزل المسلمون قديماً وحديثًا يتشوقون بل يتحرقون لرؤية المدينة وما ضمنت من آثار عظام . وما حوت من بركات للنبوة جسام . بها مسجد الرسول ﷺ وقبره ، ومسجد قباء وفضله وأحد وشهداؤه ، والبقيع ونقباؤه كل ذلك جعل المسلم يجتهد فى اغتنام فرصة أداء فريضة الحج ليهيئ بها له ظروفاً تمكنه من الحصول على أعظم قربة وخير وسيلة ، وأشرف نافلة ، تلك هى زيارة مسجد الرسول ، والصلاة والسلام من قرب على خير فاضل ومفضل ، صلى الله علي وآله ما قال قائل وأحسن القول .

كيفية زيارة المسجد النبوى ، والسلام على الرسول ﷺ وصاحبيه

لما كانت زيارة المسجد النبوى مشروعة بإذن الشارع فهى إذاً قربة وعبادة وكل عبادة تفتقر إلى نية لقوله ﷺ :« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » فيتعين على من أراد زيارة المسجد النبوى أن ينوى بزيارته التقرب إلى الله تعالى ثم إن هذه الزيارة لا تختص ككثير من أنواع القربات والطاعات التى جعل الشارع زمنها مطلقا كالعمرة مثلاً تصح فى أى وقت من أوقات السنة .

وبناء على هذا فتخصيص زيارة المسجد النبوى برجب ، وإطلاق اسم الرجبية على هذه الزيارة ليس بمعروف شرعاً ، بل هو من تحسين الرجال ، ومبتدعات الضلال فالأقرب إلى الشريعة والذى ينبغى اتباعه أن لا يخصص شهر خاص من شهور السنة لزيارة المسجد النبوى ، بل يراعى كل زائر ظروفه ومصلحته .

ولذا كان لا مانع من فعلها فى وقت أداء فريضة الحج ؛ لأن العلة فى ذلك ظاهرة وهى الاقتصاد فى النفقة ، والتجنب للكلفة المترتبة على إنشاء سفر خاص تهيئ له ظروفه وتعد له أزودته .

فمن عزم على زيارة المسجد النبوى فليطلب مكسبه ، وليختر رفقته ، ولينو بزيارته التقرب إلى الله ، والاستنان بسنة رسول الله ﷺ لأن الله تعالى يتقرب إليه بالفرائض والنوافل ، والرسول يتحبب إليه بالعمل بسنته واتباع طريقته وقد سن عليه الصلاة والسلام هذه الزيارة ورغب فيها بقوله :« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » فإذا وصل الزائر المدينة المنورة يحسن به أن يتطهر ويتطيب ويلبس زينته :﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ ويأتى المسجد النبوى فإذا دخل قدم رجله اليمنى كما هى السنة فى دخول سائر المساجد، ثم يقول: باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك، ثم إذا صادف الصلاة قائمة صلى مع الجماعة الصلاة المكتوبة، وإلا قصد الروضة المباركة إن أمكنه ذلك أو أى ناحية من نواحى المسجد فيصلى ركعتين لله تعالى بنية تحية المسجد، إن كان فى وقت لا تكره النافلة فيه ، ثم يقصد الحجرة الشريفة فيقف مستقبل المواجهة

الشريفـة فيسلم علـى الرسول ﷺ قائلا : الـسلام عليـك أيها النـبى ورحمة الـله وبركاته السلام عليـك يارسول الله ، السلام عليك يا نبى اللـه ، السلام عليك يا أكرم الخلق على الله ويصلى عليه قـائلا : صلي الله عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجـمعين ، وبارك علـيك وعلى آلك وأزواجـك وذرياتك أجمعـين كما صلى وبارك على إبراهـيم وآل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مـجيد . صلى الله عليه أفضل صلاة وأطيبها وأتمها وأزكاها .

ثم يتنحى قليلاً إلى اليمين فيسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه قائلاً: السلام عليك أبا بكر الصديق صفى رسـول الله وثالثه فى الغار جزاك الله عن أمة سيدنا محمد خيراً ، يتنحى أيضاً قليلاً إلى يمينه ويسلم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائلاً : السلام عليك عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته جزاك الله عن أمة رسول اللهﷺ خيراً .

وإذا أراد أن يتوسل إلـى الله تعالى بزيارتـه لمسجد نبيه ، وبالـصلاة والسلام على رسوله ﷺ فلا مانع ؛ لأن هذه الـزيارة وهذا السلام من العبـادات المشروعة والتى يتقرب بمثلها إلى الله تعالى ، فليـقف أو يجلس مستقبل القبلة فى أى ناحية من نواحى المسجد شاء ، ثم ليسأل الله تعالى حاجته وليتخير من الدعاء أعجبه إليه فقمن أن يـستجاب له بشرط أن لا يعـتدى فى دعائه ؛ لأن الله نهـى عن الاعتداء فى الدعاء فقال : ﴿ **ادعو ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ .

ومن الاعتداء فى الدعاء أن يسأل منـازل الأنبياء ودرجات المرسلين ، أو يسأل شيئـا جرت سنة الـله تعالـى أن لا ينال إلا بأسـبابه الخاصـة وهو لا يطلـب تلك الأسباب ولا يعـمل على إعدادها كان يســأل الـولد وهـو راغب عـن سنة الزواج فلم يتزوج ، أو يـسأل نصراً على أعدائه وهـو لم يعد لقتالهـم عدة ، ولم يوطن نفسه لمحـاربتهم . وباختـصار ، فلا يسأل شيـئًا من ذوات الأسباب حتـى يحضر سببه ، ويضع مـقدمته، وإلا فهو معتد فى دعـائه لا يستجاب (١) له ، ولا يظـفر

---

(١) ومما يوضح المعنى الذى أشرنا إليه : الرسول ﷺ كان فى اختفائه بغار ثور أثناء طلب قريش له وحكمت عليه بالإعدام ، كان فى اختفائه هـذا عمل بالأسباب فإنه لم يكن يمكنه فى هذه الحال أكـثر من أن يطلب مكاناً يختفى به عن أعين أعـدائه ، وكذا فى غزوة بدر فإنه ﷺ بعد ما أعد أصحابه للـقتال وعين لهم مراكزهم سأل ربه النصر واستغاث به ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ﴾ الآية .

فهدية ﷺ هو إتيان الأسباب المشروعة ، وإعداد كل ما يمكن إعداده لتحقيق غرضه ثم يسأل ربه =

برضى الله تعالى حيث عصاه .

= حيث أنه هو مسبب الأسباب وواضعها سبحانه وتعالى .

هذا ويجب أن نعلم أن الله قد يعطى بدون الأسباب العادية إن شاء فإن الأسباب خاضعة لأمره وتدبيره ، وإنما ليس من المنطق والحكمة أن يعصى العبد ربه بتفريطه فيما وضع من أسباب للنصر كإعداد السلاح ، والثبات وطاعة قائد المعركة وعدم التنازع ، وذكر الله فى وعده ووعيده ! والإخلاص فى الجهاد لله ثم يطلب النصر على أعدائه ممن عصاه وفرط فى أمره وتلاعب بنهيه . وهناك حالة أخرى تكون الأسباب فيها هى دعاء الله والتضرع له والإطراح بين يديه كلية . وهذه الحالة هى عندما يعدم العبد الأسباب العادية ، ويعجز بالمرة على إحضارها ؛ فأسباب فوزه هنا فى هذا الموطن هى قوة الرجاء فى الله والتفويض والتوجه وهذه الحال هى التى كانت للرسول ﷺ فى غار ثور لما قال لصاحبه وقد بدت عليه آثار الألم والخوف والحزن : «لا تخف إن الله معنا ما بالك باثنين الله ثالثهما » .

بعض الأماكن الفاضلة
سوى المسجد النبوى بالمدينة المنورة

١ ــ مسجد قباء :

مسجد قباء مسجد فاضل شريف نوه القرآن بشأنه وشأن أهله فقال: ﴿**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** [١]﴾ .

وسن الرسول صلوات الله وسلامه عليه زيارته بالفعال والقول فقد كان يزوره ﷺ ماشياً وراكباً، وكذا بعض أصحابه ؛ وقال: « من تطهر فى بيته وأحسن الطهور ، ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان له كأجر عمرة ».

وبناء على هذا فمن أكرمه الحق جل وعلا من المسلمين بزيارة المسجد النبوى، وشرفه ، بالسلام من قرب على نبيه ﷺ وحل بالمدينة الفاضلة يتمتع ببركاتها . وينعم برؤية آثارها فلا يحرمن نفسه من زيارة هذا المسجد الفاضل للحصول على الأجر الموعود على زيارته والصلاة فيه بقوله ﷺ :« كان له كأجر عمرة » فى الحديث الآنف الذكر .

أما أن يأتيه استقلالاً ويشد لزيارته من بلده رحالاً فليس بالأمر المشروع بل هو من الممنوع بحديث: « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد » ولم يكن مسجد قباء من بينها فليسعنا ما شرع وليغننا عما منع ولا ندهش لهذا أو ننفعل فإن كثيراً من الفرائض تأخرنا عن أدائها ، وإن عظيماً من المستحبات والفضائل لم نقم بجلها ولا بالقليل منها ، وإذا كنا كذلك فلم نتشوف إلى فعل ما لم ننتدب لفعله أم أحب شيء إلى الإنسان ما منع ؟

٢ــ الشهداء :

إن زيارة شهداء أحد وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ زيارة مسنونة فاضلة مشروعة ، فقد أخرج أبو داود فى سننه عن ربيعة قال :

---

(١) الآية من سورة التوبة .

ما سمعت طلحة بن عبيد الله يحدث عن رسول الله ﷺ حديثاً قط غير حديث واحد قال : قلت :وما هو ؟ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة وأقم [١] فلما تدلينا منها وإذا بقبور بمحنية [٢] قال: قلنا يارسول الله أقبور إخواننا هذه ؟ قال : قبور أصحابنا ، فلما جئنا قبور الشهداء قال : هذه قبور إخواننا . وبعد كل هذا فأى حرج ، أو أى بأس فى أن يخرج المدنى أو زائر المسجد النبوى فى ساعات أيامه بقصد زيارة الشهداء فيسلم عليهم ويدعو لهم اقتداء بفعل رسول الله ، وطلباً للأجر من الله ، جزاء ما خطا من خطوات ، وما قام به من دعوات ، مع ما يعود به من الذكرى ، وما يحدث له من الفكرة ؛ لأن زيارة القبور عللت بأنها تذكر الآخرة فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «قد نهيتكم عن زيارة القبور فأذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكركم الآخرة».

ومعلوم أن من ذكر الآخرة رق طبعه ،وصفا تبعه ، وصلح فكره ، ومات حب المال فى قلبه ، وتلطفت حدة الشهوات فى نفسه ، وإذا كانت زيارة القبور تكسب هذا الذى عجزت عن تحقيقه مدارس اليوم وكلياته وقوانين تربيته فلم لا يبيح الرسول ﷺ زيارتها ، بل لم لا يدعو إليها وهو المربى الكبير ، والمعلم القدير، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم السلام الكثير.

٣ ــ أحــد :

من الأماكن الفاضلة بالمدينة سوى ما ذكر (أحد) ذلك الجبل الأشم الذى يكشف من شمالها إلى شرقها فيكسوها هيبة وجلالاً ، ويزيدها بهجة وجمالاً . أحد ذلك الجبل المشتق من الوحدانية ، والذى يبشر الزائر بقرب الوصول ، ويهنئ المتيم إذا بدا له بقرب غاية المأمول . أحد ذلك الجبل الذى اهتز فرحاً وهاج وماج طرباً لما علاه رسول الله ﷺ وثلاثة من خلفائه ووزرائه أبى بكر وعمر وعثمان ، فهدأ الرسول ﷺ من اهتزازاته ، وخفف من اضطراباته حين ضربه برجله وقال : « اسكن يا جبل فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » .

أحد جبل قال فيه رسول الله ﷺ ، فيما يرويه مالك فى موطئه: إن أنساً

(١) وأقم : أطم من آطام المدينة . وأطم بضمتين . الحصن .

(٢) انعطاف الوادى .

قال: إن رسول الله ﷺ لما طلع له أحد قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه» وفى رواية: « يحبنا ونحبه وهو جبل من جبال الجنة» وفى أخرى: « أحد ركن من أركان الجنة».

فجبل هذا خصائصه ومزاياه لا مانع من أن يقف الزائر دونه يجيل فيه البصر ويجنى من ربوضه وطول جثومه العبر ، بيد أنه للأسف قل من يقصد أحداً لهذا وإنما يقصد للاستشفاع به والدعاء عنده ولطلب الحاجات بجاهه ومتى كان للجبل جاه؟ حتى صار كغيره من كثير من الآثار الإسلامية فتنة للتوحيد وشركاً للشيطان يوقع فيه أهل الإيمان، فيسلبهم روح الإيمان، وينتزع منهم حقيقة الإسلام وعصب الإخلاص والإحسان . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٤ ـ مقبرة البقيع :

هل علينا شيء بعد أن آمنا أن قبور المؤمنين الصالحين تحول عليهم روضة من رياض الجنة إن نحن قلنا كما يقول الكثير من أهل المدينة (البقيع جنة الدنيا) ما أسماها عبارة ! وما أصدقه تعبيراً !

البقيع هى تلك المقبرة التى ضمت تربتها أكثر من عشرة آلاف صحابى ، وأمثال هذا العدد من التابعين ، وعشرات أمثاله من السابقين الأولين ، والصالحين الآخرين . فمن ذا الذى يرغب عن زيارة هذا المستودع البشرى الهائل الذى جمع سادات الأمة وأشرافها الصالحين. إن جل أهل البقيع من أولياء الله وأحبائه الذين قرر موالاتهم ، وأوجب محبتهم.

إن من أحب الله ووالاه ، أحب أولياءه ووالاهم ، وعلامة ذلك الاهتداء بهديهم والسير فى منارهم ، واتباع آثارهم ، وزيارة قبورهم للترضى والتراحم عنهم والاستغفار لهم ، والسلام عليهم ، وليس من شك فى أن هذه الزيارة الشرعية غير البدعية ستعود على الزائر العارف بكثير من الأجور ؛ لأنه ما أحب إلا فى الله وما زار إلا له . فكيف إذا عمله، والله يقول : ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ .

خلاصة القول : إن زيارة أهل البقيع مستحبة فاضلة لمن كان مقيماً بالمدينة وسواء أتاها زائراً ، أو سكنها مهاجراً ، ما دام الزائر يعرف آداب الزيارة

وشروطها. أما إذا كان بذلك جاهلاً ، فخير له أن يلزم مكانه، وأن يغض بصره ، ويصون لسانه ؛ فـإن زيارة الجهلاء كسب آثام ، وقل ما تخـلو من الشرك الحرام؛ فإنهم بدل ما يدعون للأموات يدعونهـم ، وبدل ما يرجون لهم يرجونهم وبدل ما يجعلون مشيتهم وسلامهم وترحمهم وسيلة إلى رضا الله يجعلون ذلك وسيلة إلى رضا الأموات لـتقضى بجـاههم الحاجات ، وهـذه ـ والعياذ بـالله تعالـى ـ شر الزيارات ، وأعظم المنكرات .

غفرانك اللهم للأحياء والأموات

شروط زيارة القبور وآدابها

الشروط:

١ ــ أن يكون القبر فى البلد الذى يقيم فيه الزائر ، أو فى ضاحية من ضواحيه فإن كان القبر بعيداً عن الزائر بحيث يعد لذلك رحلا وزاداً فلا تستحب الزيارة بحال؛ لأن الشارع لم يأذن فى ذلك فلم ينزل بها قرآن ، ولم تقم بها سنة النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، بل إن الشارع قد نهى عن ذلك نهيا أكيداً حيث جاء بصيغة النفى التى هى عند أهل بلاغة الكلام آكد من صيغة النهى الدالة على التحريم فقد صح عنه ﷺ قوله: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ــ الحديث » فلم يبق مكان آخر تشد لزيارته الرحال من المساجد فضلا عن القبور والمشاهد .

٢ــ أن يقصد بتلك الزيارة ثواب الله، حيث زار أولياءه وترحم على عبيده واستغفر لهم .

٣ ــ أن يقصدها لا لأجل الدعاء عندها لا لنفسه ولا لغيره ، ولا لأن يتوسل بأصحابها إلى ربه تعالى ولا لأن يصلى فيها نافلة من النوافل أو فريضة من الفرائض .

٤ ــ أن لا يضع عليها سرجا أو بخوراً ، وأن لا يأخذ من تربتها ما يتبرك به، وأن لا يتمسح بها ، أو يقبلها ، أو يذبح لها ، أو باسمها ، أو عندها .

الآداب :

١ ــ أن لا تتكرر الزيارة حتى تبلغ حداً من الكثرة يلحقها بالغلو المحرم فى الدين .

٢ ــ أن يسلم على أهل المقبرة بسلام رسول الله ﷺ ويدعو لهم بدعائه عليه الصلاة والسلام وهو : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ،ونسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم ».

٣ ـ أن لا يطأ القبور ، وأن لا يجلس عليها .

٤ ـ أن يتجنب البدع كالاجتماع حول القبر لقراءة القرآن ، أو للبكاء والنياحة أو لتوزيع الأطعمة وأكلها هناك .

٥ ـ أن يبتعد عن اللهو والمزاح والهزل والضحك وكل ما من شأنه أن يضعف التذكر فى نفسه والخشوع من قلبه.

حكمة زيارة القبور

إن زيارة القبور ، والوقوف عليها لم تكن قبل أن ينظمها الدين ويهذبها سوى استجابة لداعي الحزن على فراق الأقارب والخلان الذى هو أحد غرائز البشر فزيارة القبور والبكاء عندها معروفة عند سائر الأمم والشعوب البشرية قديماً وحديثاً، غير أنها تتطور أحياناً إلى أن تصبح ذات طابع دينى بحت فيقصد الغير لا بدافع الحزن والشوق إلى صاحبه والحنين إليه ، ولكن بقصد التقرب إليه لما يعتقد من صلاحه، وطلب الحاجة عنده لما له عند ذى السلطان الغيبى الذى يشعر عامة البشر بالافتقار إليه من مكانة وجاه، فيتوسل إليه بالمقبور المظنون الصلاح، وقد يتحول هذا التوسل والاستشفاع بصاحب القبر إلى عبادة محضة فيدعى صاحب القبر مباشرة ، وتذبح له الذبائح . وتقرب إليه كثير من القرابين . وما قصة التنزيل الحكيم من عبادة قوم نوح لود وسواع، ويغوث ويعوق ونسر كاف فى الاستدلال على صحة ما قلناه . وما هو مشاهد اليوم من عبادة النصارى للصليب وعبادة بعض المسلمين للقبور والأضرحة بالتوسل والاستشفاع بأصحابها، كدعائهم، والاستغاثة بهم وذبح الذبائح لهم ، والحلف بأسمائهم وما إلى ذلك من مصرف العبادات الكثيرة إليهم يزيد الأمر جلاءً وظهوراً ومن هذا الذى تقدم نعرف السر فى نهى الرسول ﷺ عن زيارة القبور فى أول الأمر ، وهو خشية فتنة الشرك لهذه الأمة ـ ولكن لما كان قدر الله نافذاً ـ وليتحقق خبر الصادق المصدوق ﷺ «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع» الحديث أباح عليه الصلاة والسلام زيارة القبور التى نهى عنها أباحها للرجال وكرهها للنساء . لأن الرجال أكمل عقولاً من النساء وأقوى إرادة منهن.

ووقع ما خافه رسول الله ﷺ وتخوف منه فظهرت فتنة الشرك فى الأمة

فأقيمت للقبور الحفلات الرسمية السنوية وهى أشبه شىء بأعياد الوثنيين التى يقيمونها لآلهتهم ، وذبح لها وباسمها قطعان الأبقار والأغنام ، وجعلت لها أنصبة كاملة من الحرث والأنعام ونذرت لها النذور ، ونسبت إليها البنون والبنات ، ونقل إليها للاستشفاء بجاهها أصحاب الأمراض والعاهات .

هذا وأما تهذيب الدين وتنظيمه لهذه العادة البشرية فهو بما جعله كحكمة وسر لها تؤتى من أجله ، فقد جعلها وسيلة لذكر الموت، وتذكر الآخرة ، وهما من عوامل تهذيب الشعور البشرى، وترقية فطرة الإنسان وطبعه، وتزكية نفسه ، وتطيب روحه، كما جعلها وسيلة لنفع متبادل بين الحى والميت، فالميت قد تصيبه دعوة صالحة يرفع بها درجات ، أو يخفف عنه بها العذاب بضع سنوات ، والحى قد يكتسب بما قام به من دعاء واستغفار وترحم جزاء العامين وثواب المحسنين ، مع ما يرجع به من المقبرة من تغير فى نظره إلى الحياة الفانية ، ومن استعداده للتزود إلى الحياة الباقية ، تلك الحياة التى قوى شعوره بحقيقتها ، وقصد عزمه على الرحيل إليها. وفى نفس الوقت أشبع غريزة الحزن فى نفسه بوقوفه على قبر قريبه أو خليله ، وكان بذلك قد قضى حجاً وحاجة كما يقولون . وهذا أخيراً ملخص الحكمة فى زيارة القبور :

١ ــ تذكر الآخرة ـ وهو يحمل على التزود إليها بالإيمان والعمل الصالح.

٢ ــ ذكر الموت وهو يهذب النفس ويخفف من حدة الطبع ويقلل من دواعى الشهوات .

٣ ــ نفع أصحاب القبور بالاستغفار والدعاء لهم ، والترحم لهم والسلام عليهم .

٤ ــ انتفاع الزائر بالأجر على ما قام به من استغفار ودعاء وسلام . هذه بعض حكم الزيارة للقبور التى تؤتى المقابر من أجلها ومن قصد القبور لغيرها فإنه بدون شك يعود مأزوراً غير مأجور ومدسى النفس غير مزكاها وتلك خيبة لا يعلم إلا الله مداها.

خاتـــمة

وإلى هنـا قد انتهى مـا رمته بحمد الـله ــ تعالـى وعونه ــ من وضـع كتاب شامل لأحكام الحج والعمرة والزيارة ، مبين لكـثير من حكمها ، مرشد إلى بعض الأسرار فى أدائها .

هذا وبالـرغم من المسائل الـعديدة التى اشـتمل عليـها هذا الكتاب فـإن هناك مسائل عديدة أخرى لم تذكر ، غير أن ما ذكر ــ والحمد لله ــ يعد كافيا وبتحقيق الغرض وافياً .

كما أنه بالرغم من المجهود الذى بذلـته فى تحرى الصواب فى مسائل وأحكام الكتاب لا آمن الـغلطات ولا العثرات . وإن عزائى فـى ذلك قول الرسول ﷺ : «من اجتهد وأصاب فـله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فلـه أجر واحد» وما دام لى فى الأمر نصيب فلست بالحزين ولا الكئيب. والله تعالى أسأل أن يجعله لإخوانى المسلمـين نافعاً، ولوجهـه الكريم خالصاً. وأن لا يـحرمنى من دعوات الـصالحين وترحمات المؤمنين .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

أصح ألفاظ الصلاة على النبى ﷺ وأكمل صلاة وأفضلها على الإطلاق.

ما رواه الشيخان ، ومالك ، وأبو داود ، والترمذى والنسائى ، وابن ماجه، عن كعب بن عجرة رضى الله عنه.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

الرِّسَالَة الثالثَة

رســَالَة رمضــَان

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم
وصلى اللهّ على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
مقَدّمة

اعلم ــ أخى المسلم ــ أرشدنى اللّه وإياك إلى حب الخير ، والسعى فيه . أن الدعوة إلى الله تعالى واجب كل مسلم فى هذه الحياة ، وأن الدعوة إلى اللّه تعالى كما تكون باللسان ، وحسن السلوك ، والقدوة الصالحة ، تكون كذلك بالتأليف ، والطبع والنشر ، والمساعدة على ذلك .

وإنى نهوضًا بهذا الواجب المقدس أقدم اليك (رسالة رمضان) آملا أن تحوز رضاك ، وتحظى بقبولك .

ودراسة رمضان هذه هى عبارة عن دراسة عامة شاملة لركن عظيم من أركان الإسلام : صوم رمضان المعظم . دراسة علمية تتتبع جزئيات هذه العبادة وكلياتها، فلا تغفل ناحية من نواحيها الحكمية والعلمية . بل تتناولها بأسلوب سهل ، وعبارة مبسطة واضحة ، تدركها العقول على تفاوتها ، وتتناولها الأفهام على اختلافها بحيث يتصفحها المسلم ــ ومهما كانت ثقافته ــ فيعرف عن هذه العبادة ما ينبغى أن يعرفه كل مسلم عنها .

هذا وإنى جريا وراء الإصلاح الدينى والروحى معًا قد سلكت فى هذه الرسالة ما سلكته فى وضع رسالة « الحج المبرور » قبلها فجمعت فيها من كل مذهب أحسنه ، ومن كل خبر أصدقه ، فكانت ــ بحمد الله ــ جامعة للأمة ومذاهبها ، قاضية على الفرقة وأسبابها ، ممثلة للحقيقة والصواب ، شاملة لهدى السنة والكتاب .

كما فصلت فيها الأحكام تفصيلا يسهل فهمها ، ويرغب فى حفظها مراعيا فى تلك الأحكام روح الإصلاح وسر العبادة ، فذكرت لذلك عقب كل حكم دليله ، وعقب كل مسألة حكمتها أو علتها ، كشفًا عن أسرار العبادة، وإظهارًا لفوائدها . كل ذلك فى حدود طاقتى ، وما وسعه جهدى .

وبهذا أرجو أن تكون « رسالة رمضان » هذه من أحسن ما وضع فى هذا

الباب إن شاء الله تعالى .

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل عملي فيها صالحًا ، ولوجهه الكريم خالصًا ، وأن ينفع بها من يقرأها من إخواني المسلمين .

وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ؟ .

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائرى

كلمة

فى التشريع وأسراره ومن يحق له أن يشرع [1]

اعلم ــ أخى المسلم ــ أن سعادة الإنسان متوقفة تمامًا على صلاح جسمانه وروحه ، وأن صلاح الجسد والروح متوقف كذلك على تشريع حكيم ذى قوانين محكمة ، ووظائف دقيقة ، ووجود هذا التشريع فى صورته الكاملة ، يتوقف إلى أبعد حد على مدى علم وخبرة الواضع له ، فبقدر معرفة الواضع لأحوال وشئون الموضوع لهم ظاهرًا وباطنًا ، وفى كل ظروفهم وأطوار حياتهم يكون التشريع صالحًا مؤديًا للثمرة المرجوة من إصلاح روح الإنسان وجسمه اللذين تتوقف سعادته الكاملة على صلاحهما ، وليس من شك فى أنه لا يعرف أحوال الخلق الظاهرة والباطنة فى الحال والمآل إلا الخالق ، لأنه لا أعلم بالخلق من خالقهم .

قال تعالى : ﴿ **أَلا يَعْلَمُ من خلق [2] وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ [3] وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ .

فهو وحده إذًا صاحب التشريع ، وليس لغيره من حق فى وضع أى قانون للخلق لا سيما فيما يتعلق بإصلاح أرواحهم .

وكيف . . ؟ وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بهذا منذ أن بدأ الخليقة فقال : ﴿ **الرَّحمنُ . علَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ [4] الإنسان . علمهُ البَيَان** ﴾ .

---

(١) هذه الكلمة وضعتها مقدمة لرسالة « الحج المبرور » ؛ ونظراً لفائدتها أثبتها هنا مقدمة لرسالة رمضان هذه.

(٢) من سورة الملك .

(٣) من سورة طه .

(٤) من سورة الرحمن .

وقال عز شأنه :

﴿ **فإما يأتينكمْ مني هدى فمَن اتبعَ هُداى فلا يَضلُّ [١] ولا يَشقَى ، ومَنْ أعْرَضَ عَنْ ذكْرِى فإنَّ لَهُ مَعيشَةً ضنكًا ونحشُرُهُ يومَ القيامَةِ أعْمى** ﴾ .

فالبيان الذى علمه ، والهدى الذى وعد بالإتيان به هما تعاليمه تعالى وتشريعه لخلقه ، وحق المقطوع به مما دلت عليه الآية السالفة الذكر أن عدم اتباع تشريعه تعالى يفضى بالمخالف إلى عذابه وشقائه . لأن التشريع هو السبب المترتب عليه سعادة الإنسان فإذا لم يعمل به لم يسعد قطعًا ، كما أن سبب الشقاء أيضًا المترتب عليه هو ترك العمل بالتشريع الإلهى الموضوع لسعادة البشر وهنائهم .

وإذا عرفت مما سبق أن التشريع لا يكون إلا لله تعالى . لأنه أعلم بالخلق ، وبما يصلح أجسامهم وأرواحهم ، ولأنه قبل كل شىء ربهم ، والرب هو المتكفل بإصلاح من يربيهم فيضع لهم من القواعد والسنن ما يحفظ حياتهم ، ويحقق سعادتهم .

فإذا قرأت هذا فإنك تعرف مدى بطلان وفساد كل تشريع لم يأذن به الله تعالى ، ولم يضعه لخلقه ، قال تبارك وتعالى : ﴿ **شرَعُوا لهُمْ منَ الدِّينِ مَالمْ يأذنْ بِهِ اللّه** [٢] **ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم** ﴾ .

وتعرف كذلك مدى فداحة الجرم الذى يرتكبه من يرغب عن تشريع الرب جل جلاله وعظم سلطانه إلى تشريع المخلوقين الجاهلين بحالهم ومآلهم ، ومصائر أمورهم . هذا واعلم أن التشريع المتعلق بما يصلح الجسد إنما يدور على تحريم ما حرم الله تعالى من المطعومات والمشروبات والمنكوحات ، وعلى تحريم المفاسد والمضار التى تضر بالإنسان فى نفسه ، أو ماله ، أو عرضه ، أو عقله ، أو دينه . من الكليات الخمس التى اتفقت جميع الشرائع الإلهية على صيانتها ، والمحافظة عليها ، ووضعت لذلك العقوبات والجزاءات التى من شأنها أن تكفل صيانتها وسلامتها . كل ذلك قصد إسعاد البشر ، وتجنبهم الشقاء والخسران ، وأما التشريع المتعلق بإصلاح الروح فإنه يدور على الوظائف والأعمال التعبدية التى شرعها الله سبحانه وتعالى ، وأمر بفعلها كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها .

---

(١) من سورة طه .

(٢) من سورة الشورى .

ولما كان أمر الروح من أمر الرب جل وعلا . قال جلت قدرته :

﴿ يسألونك عن الروح قل الروح [١] من أمر ربى ﴾ .

فإن الإنسان مهما أوتى من العلم سيبقى يجهل حقيقة الروح وشأنه . وإذا كان كذلك فإنه ليس له أن يعرف ما يزكو به الروح أو يطهر ، ولا ما يتدسى به ويفسد . فلولا أن الله تبارك وتعالى شرع عبادة الصلاة مثلا ما كنا لنهتدى بالعقل إلى أن الصلاة تزكى النفس وتقرب من اللّه تعالى ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى حرم الزنا ما كنا لنعرف أن الزنا تتدسى به النفس وتخبث ، وفوق هذا وذاك أن ما يطهر النفس ويزكيها ، أو ما يفسدها ويدسيها من الأقوال والأعمال يرجع إلى حكمة اللّه تعالى التابعة لمشيئته ، وإلى سنته التى لا تتخلف فى المخلوقات ، فإنه كما أودع الماء حكمته فى إزالة أوساخ الجسم به ، وجعل ذلك سنة لا تتخلف . أودع ما شرعه من أقوال العبادة وأفعالها حكمته التى بها تطهر النفس وتزول أدرانها . فكما لا تتخلف سنة اللـه تعالى فى إزالة الماء للأوساخ من الأجسام ، فإنها لا تتخلف كذلك فى إزالة العبادة التى وضعها للأدران التى على النفوس.

إنه قد يصبح من غير المعقول جداً أن يزيل الماء الوسخ الظاهر ، ولا تزيل العبادة الدرن الباطنى ، وكلاهما موضوع للتطهير ، ومن قال بالتفرقة بينهما فقد حاول أن يؤخر سنة اللّه تعالى ، واللّه عز وجل يقول :

﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا [٢] ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ .

وإنما قد تؤدى العبادة أداءً ناقصا فتفقد به خاصيتها فيجعلها ذلك لا تؤثر فى النفس بالتطهير والتزكية كما هو الحال لو أنها أديت أداءً كاملا ، كما أن الماء نفسه إذا لم يحسن استعماله فى غسل الأجسام فإنه لا يؤثر فى تطهيرها لاسيما إذا خالطه شيء لا يتلاءم وطبيعته فإنه يفقده خاصيته بالكلية ، كذلك العبادة فإنها إذا لابسها بشرك أو رياء فإنها تفقد خاصية التطهير فيها ، وتصير إثما يدسى النفس ويخبثها .

ومن هنا نعلم أن صلاح البشر جسمانيا وروحانيا متوقف على العمل بما شرع الله لهم ، وأنزل عليهم ، فبقدر انقيادهم لذلك التشريع ، وعملهم به تعظم

---

(١) من سورة الإسراء . (٢) من سورة فاطر .

سعادتهم أو تقل ، وأن ما وضعه اللّه تعالى لإصلاح النفس من أنواع العبادات لا يؤثر فى النفس بالزكاء والطهر إلا إذا نفذ كاملا بصفته وكميته ، وبجميع متعلقاته ومستلزماته .

ومن هنا أيضًا يتبين لنا خطأ المبتدعة وضرر الابتداع فى الدين وخاصة فى العبادات ، وأن البدعة وإن قصد بها صاحبها ثمرتها المرجوة منها فى تطهير النفس وتزكيتها لا تحقق ذلك أبدًا ، وأنها إن لم تدسى النفس وتدنسها ، لا تطهرها ولا تزكيها ، ولم لا يكون إلا ذلك ، وخالق الأرواح والعالم بما يصلحها ترك عمل تلك البدعة فلم يشرعه ، وما لم يشرعه سبحانه وتعالى لا يكون إلا خاليًا من طاقة التطهير التى أودعها ما شرع من ضروب العبادة وأصنافها .

وبناءً على ما تقدم ، فإن البدعة فى الدين قبيحة ، وقبيحة جدًا ، وأقبح منها المبتدع ، فإنه أقل ما يقال فيه : أنه نازع ربه التشريع أو افترى على اللّه تعالى وأعظم الفرية ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على اللّه الكذب** ﴾ أو قال على اللّه ما لم يقل ، ومن أعظم المفاسد القول على اللّه بغير علم ، قال تعالى : ﴿**وأن تقولوا على الله مالا تعلمون**﴾ قاله عز شأنه فى سياق بيان ما حرم من أصول المفاسد ، والمبتدع قائل على اللّه بغير علم من دون شك . ومن نازع ربه حقه فى التشريع، وافترى عليه بنسبته البدعة إلى الدين ، لم لا يلعن على لسان سيد المرسلين ؟ : «لعن اللّه [1] من آوى محدثًا » وإذا كانت البدعة تدسى النفس وتدنسها لم لا تسمى ضلالة وشرًا ؟ وقال عليه الصلاة والسلام : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ، وقال : « شر الأمور محدثاتها » .

وبهذا نعرف أن الزيادة فى الدين كالنقص فيه ، وأن كلا من النقص والزيادة مخرج له عن حقيقته ، مذهب لما أودع اللّه تعالى فيه من طاقة الإصلاح ، ومادة التطهير ، وإن العمل الدينى الذى هو من جنس العبادة اذا لم يكن عليه إذن اللّه ولا إذن رسول الله ﷺ فإنه لا يزكى النفس ولا يطهرها ، وكيف وقد قال ﷺ: « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقال :« كل بدعة ضلالة ، وكل

---

(١) معناه : لعن اللّه من نصر البدعة وحماها ودافع عنها وجادل فى سبيل اقرارها وانتشارها هذا إن قرئ محدثا بفتح الدال وهو الشيء المحدث من البدع والمحدثات ، وأما بكسر الدال فهو الشخص المحدث المبتدع فيلعن من آواه ونصره .

ضلالة فى النار » .

هذا وإذا كانت العبادات الخالية من إذن اللّه أو إذن رسوله ﷺ لا تصلح الروح ولا تطهرها ، فإن الاحكام التى توضع لإصلاح الجسد إذا كانت خالية أيضًا من إذن اللّه ورسوله لا تصلح الجسد بحال من الأحوال . فما كان منها موضوعا للأمن فإنه لا يحققه ، وما كان منها موضوعا للعدل فإنه لا يحققه ،وما كان منها موضوعا لدرء المفاسد فإنه لا يدرأها .

وما وضع لاقتلاع الفواحش أو التقليل منها فإنه لا يزيدها إلا رسوخًا وانتشاراً ، ومن قال كيف ذلك ؟ كان جوابه ما قد سبق أن قلناه وكررناه ، من أنه لا يعرف أحوال الخلق وحاجاتهم ، وما تتطلبه حياتهم إلا خالقهم ومربيهم ، فما وضعه بالإذن أو أمر به فهو صالح مصلح محقق لما يرجى منه ، وما لم يكن كذلك فليس له ذلك أبدًا ، لما سبقت الإشارة إليه من أن تشريع اللّه تعالى يحمل معه مادة الإصلاح والتطهير بخلاف تشريع غيره فإنه خال من ذلك البتة . وبيان ذلك :

أن اللّه تعالى هو خالق الأسباب والمسببات ، وأما غيره فليس له ذلك قط .

وهذه خلاصة ما تقدم :

١ــ التشريع من حق الله تعالى وحده . لأنه هو الرب ، والرب هو الذى يضع لمن يربى من القوانين والوظائف ما يصلحه بها ، ويربيه تربية صالحة جسماً وروحًا ليعده بها للسعادة فى كلتا حياتيه : الأولى والثانية .

٢ــ صلاح البشر أجسامًا وأرواحا متوقف على تشريع اللّه وحده وأن سعادتهم تابعة لصلاح أرواحهم وأجسامهم .

٣ــ كل ما وضعه اللّه تعالى من القوانين الشرعية ، والأعمال التعبدية يحمل معه طاقة الإصلاح للجسد ، ومادة التطهير للروح ، كما يحمل الماء مادة الرى والتنظيف .

٤ــ تأثير العبادة فى النفس بالزكاة والطهر والإصلاح ، متوقف على أدائها أداءً كاملا وصحيحاً .

٥ــ البدعة الدينية قبيحة شديدة القبح ، وأقبح منها المبتدع نفسه .

٦ــ البدعة مهما كانت لا تزكى النفس ولا تطهرها ولا تقرب العبد من ربه ،

بل الواقع أنها تدسى النفس وتبعد فاعلها عن ربه [1] .

٧ـ عظم الجرم الذى ارتكبه من يستعيض بالقوانين الإلهية القوانين الوضعية، وعظم الشر والفساد ، والبلاء الذى جره على الأمة التى يحكمها بغير شريعة اللّه تعالى الموضوعة للإصلاح والإسعاد .

٨ ـ الغرض من التشريع هو إصلاح الإنسان جسمًا وروحًا ، وإعداده لأن يكون أهلا لكرامة اللّه تعالى وإنعامه فى الآخرة .

٩ـ سعادة الإنسان وشقاؤه مدارهما على النفس زكاة وقدسية ، قال تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها** [2] **وقد خاب من دساها** ﴾ .

١٠ ـ صلاح النفس وزكاؤها مداره الإيمان والعمل الصالح ، وفساد النفس وخبثها مداره الشرك والمعاصى .

---

(١) الابتداع المتعلق بما يصلح الجسد أهون من الابتداع فيما يصلح الروح ، لظهور حاجات الجسد ومتطلباته . بخلاف حاجات النفس فإنها خفية بخفاء الروح .

(٢) من سورة الشمس .

الصوم وأحكامه
من العبادات التى شرعها الله لتطهير أرواح المؤمنين
وتزكية نفوسهم . . . الصيام

تعريف الصوم :

الصوم لغة : الإمساك مطلقا يقال : صام عن الحركة أو الكلام أو الطعام إذا كف عنه ، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام :

﴿ إنى نذرت للرحمن صوما (١) فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾

وكذا قول النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أى خيل ممسكة عن الجرى والحركة ، وخيل تجرى وتتحرك فأطلق الصيام على الإمساك عن الحركة والجرى .

فهذا معنى الصوم لغة . أما معناه شرعا : فهو الإمساك بنية التعبد عن الأكل والشرب ، وغشيان النساء ، وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

تاريخ الصوم :

الصوم عبادة روحية قديمة فرضها الله على أمم كثيرة قبل هذه الأمة قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم (٢) الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .

وقد عرف الصوم عند قدماء المصريين والهنود . كما عرف عند اليونان

---

(١) من سورة مريم .
(٢) من سورة البقرة .

والرومان . فتاريخ الصوم عميق الجذور بعيد المدى ، متغلغل فى أعماق التاريخ ، وقد قيل : إن الوثنيين من الهنود ما زالوا يصومون إلى الآن . غير أنهم لا يصومون للّه ، وإنما يصومون لتسكين آلهتهم وإرضائها إذا هم شعروا أنهم فعلوا ما يغضبها . كما أن اليهود والنصارى ما زالوا يصومون إلى اليوم ، وقد ثبت عندهم صوم موسى وعيسى عليهما السلام ، والحواريين من أتباع عيسى وأنصاره .

وتدل شرعية هذه العبادة لسائر الأمم على أنها من أعظم العبادات تطهيراً للروح ، وتزكية للنفس ، وتقوية للشعور الدينى فى القلب ، وتمتينًا لصلة العبد بربه عز وجل . فإن الصائم كلما نهزته غريزة حب الطعام والشراب والنساء ، ذكر أنه صائم فيكون دائمًا فى ذكر اللّه ، وذكر اللّه بالقلب من أكبر عوامل الإصلاح للعبد .

تاريخ فرضه على هذه الأمة :

ثبت أن النبى ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء ، قبل فرض صوم رمضان ، حتى أنه صامه فى مكة قبل هجرته إلى المدينة لما روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما قدم المدينة صامه ، وأمر الناس بصيامه . فلما فرض رمضان قال: « من شاء صامه ومن شاء تركه » .

بيد أن صيام عاشوراء لم يكن على الراجح ـ صومًا مفروضًا على الرسول ﷺ والمؤمنين ، وإنما كان على سبيل التطوع فقط بدليل رواية الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قدم النبى ﷺ فرأى اليهود تصوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يوم صالح نجى اللّه فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . فقال ﷺ : « أنا أحق بموسى منكم ». فصامه ، وأمر بصيامه .

وفى يوم الإثنين (١) من السنة الثانية من الهجرة لليلتين خلتا من شعبان فرض اللّه الصيام على المؤمنين لقوله عز وجل :

﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ﴾ .

---

(١) كون رمضان فرض فى شعبان من السنة الثانية للهجرة (لا خلاف فيه) أما التحديد بيوم الإثنين لليلتين خلتا من شعبان . فقد ذكره صاحب الدين الخالص ، ونقلناه عنه ، والله أعلم بصحة ذلك .

فقوله تعالى : ﴿ **كتب عليكم** ﴾ يرشد إلى أنه لم يكن شيء من الصوم مكتوبا عليهم ، ولهذا يذهب كثير من العلماء إلى أنه لم يفرض قبل رمضان صيام على هذه الأمة لهذه الآية ، ولما روى البخارى ومسلم عن معاوية رضى اللّه عنه قال : سمعت رسول اللهّ ﷺ يقول : « هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب اللّه عليكم صيامه ، وأنا صائم . فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر » .

فوائد الصوم

العبادة تشريع إلهـي لا تخلو قطعا من فائدة مقصودة منـها ، وحكمة متوخاة فيهـا بيد أن الصوم ، وهـو من أعظم العـبادات له فوائد كـثيرة بعضـها روحى ، وبعضها اجتماعى ، وبعضها صحى ، وهذا بيانها :

الفوائد الروحية للصوم :

الصوم يعـود الصبر ، وضبط النفـس ، والوقوف فى وجه المغريـات والمفاتن التى يتهاوى أمامها الكثير من الناس بما يخـلق فى النفس من ملكة التقوى الناجمة عن كثـرة المراقبة للّه تـعالى بالصوم والـذكر ، وهذه هى الحكـمة التى أشار إلـيها التعـليل فى قوله تـعالى : ﴿ **لعلكـم تتقون** ﴾ بعد إخـباره تعالـى بفرض الصـيام بقوله: ﴿ **يا أيها الذيـن آمنوا كتب عليكم الصـيام كما كتب على الذين مـن قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ .

وفى الحديث الشريف [1] عنه ﷺ : « الصيام نصف الصبر » فالصبر وضبط النـفس ، والتحـمل والتـقوى ، وطهارة الـروح ، وزكاء النـفس ، هى الفـوائد الروحية للصيام الشرعى الصحيح .

الفوائد الاجتماعية :

١ـ الاتحاد والـنظام : ففى إفـطار أمة كاملة فـى لحظة واحدة علـى اختلاف طبقـاتها ، وتبـاعد ديارها ، لرمـز قوى إلى وحدة الأمة ، وتمـاسكها ، وسـيرها متحدة فى طريق رقيها وسعادتها ، وهذا من فوائد صوم رمضان .

٢ـ العـدل والمساواة : إذ أمة كـاملة يتحـد أفرادها أغنـياء وفقراء ، ضـعفاء وأقوياء فى الإمساك المـطلق طوال مدة الصوم ، سواء الموسر والمـعسر ، والواجد والمعدوم ، لأمة خليقـة بأن يسود فيها العدل ، وتتحقق فـيها المساواة . وهذا من فضائل صوم رمضان .

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه فى الجامع الصغير .

٣ـ تكوين العاطفة ، وخلق الرحمة فى النفوس : إن الذى لا يجوع طوال السنة لا يقدر ألم الجائعين ، والذى لا يعرف الحرمان فى شىء لا يقدر شقاء المحرومين من كل شىء ، وليس من سبيل إلى إقناع ذوى البطون بأن الجوع موجع ومؤلم ، ولا من سبيل إلى إقناع المحظوظين بأن الحرمان مشق متعس إلا بالجوع والحرمان نفسيهما ، فإذا حرم المحظوظ ، وجاع الشبعان عرفا مضاضة الجوع ، وألم الحرمان ، وتكونت فيهما عاطفة بها يعطفون على المحرومين ، ويرحمون الجائعين . والله يقول :

﴿**ولتكملوا العدة** « عدة أيام الصوم » **ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**﴾ .

فبالصوم والإفطار توجد دواعى الشكر بالبر والإحسان .

والمجتمع الذى تنبت فيه العواطف وتغشاه الرحمة يعمه البر ويكثر فيه الإحسان هو المجتمع الصالح السعيد ؛ والصوم يحقق هذا .

٤ـ الحصانة من الشر والفساد . من قوله ﷺ : « إن الشيطان يجرى [١] من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع والصوم » . وقوله عليه السلام فى الصحيح : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة [٢] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء [٣]» . وقوله ﷺ «الصوم جنة » [٤] .

من هذه الأحاديث تعرف فائدة الصوم فى حصانة الأفراد ، وحمايتهم من الشر والفساد . إن الرذائل والجرائم والشر والفساد مردها إلى فتنة الشيطان ، وطغيان شهوة الإنسان ، والصوم وحده الكفيل بقطع الطرق عن الشيطان ، ويكسر حدة شهوة الإنسان ،فهو إذاً حصانة للمجتمع من الرذائل والشر والفساد.

فائدة الصوم الصحية :

إن الرسول ﷺ لما قال : « صوموا تصحوا » [٥] كان يعرف حقيقة ما يقول

(١) أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود وغيرهما . (٢) مؤونة الزواج .
(٣) خصاء . (٤) وقاية .
(٥) رواه أبو نعيم عن أبى هريرة وعلم عليه فى الجامع الصغير بالحسن وروى الطبرانى فى الأوسط : اغزوا تغنموا . صوموا تصحوا . سافروا تستغنوا .

بل كان علـمه سابقًا لما يقول ـــ فما قال : صوموا تصـحوا حتى ثبت عنـده بعلم اليقين أن الصوم يكسب الـصحة . وقد صدق رسول الله ﷺ ، فانه قد ثبت أن المواد الراسبة فـى البدن وخاصة أبدان المترفـين الذين لا يعملون ولا يهـتمون ممن يكثر فيهم السمن ، ويصابون بـكثرة الشحم ، إن هؤلاء لا يعالجون إلا بالصوم ، وقد علم هـذا بالتجربة والاخـتبار . فقد قال أحـد أطباء الغرب : إن صيـام شهر واحد يذهب بالفضلات الميتة فى البدن مدة سنة .

ففائدة الصوم الصـحية إذاً تطهير الأمعاء ، وإصلاح المعدة ، وتـنظيف البدن من الفضلات والرواسـب ،والتخفيف من وطأة السمـن وثقل البطن بـالشحم ، وأعظم بهذه الفائدة من فائدة ،وأعظم بهذا التشريع الإلهى من تشريع صالح حكيم .

فضائل الصيام

الصوم عبادة روحية كتبها اللّه علينا وعلى من قبلنا ، تدل فرضيته العامة على انه ذو مغزى عـظيم وذو تأثير كبيـر فى تطهير النـفوس وتزكيتها ، فمـا عمم اللّه عزوجل إيجابه على الامم ، وشرع صومـه لكل الناس إلا لأنه من أقوى الأسباب لإصلاح النفس وتطهيرها . ولعل هذا هو الـسر فى نسبته دون سائر العبادات إلى اللّه عز وجل حيث جاء قوله تعالى فى حديث قدسى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لى ، وأنا أجزى به » .

إن اللّه تعالى شرع العبادات مطهرات وأحـب من عباده المتطهرين والصوم من أقواها تطهيرًا ، وأكبرها تأثيرًا ، فـلم لا يكون إذًا من أشرف العبادات وأسماها ؟ ولم لا يرد من فضـله من الأحاديث ما يزيد المـؤمنين فيه ترغيبًا ، والـراغبين عنه جهلا به وترهيبا .

وهذه بعض الأحاديث الواردة فى ذلك :

١ـ قوله ﷺ : « الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال » (١) .

٢ـ وقوله ﷺ : « الصوم نصف الصبر ، والله عز وجل يقول :(٢) .

﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ »(٣) .

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) أخرجه النسائى .

(٣) أخرجه أصحاب السنن والصحاح بألفاظ مختلفة .

٣ــ قوله ﷺ « الصيــام جنة فلا يرفث ولا يــجهل وإن امرؤ قاتلــه أو شاتمه فليقل إنى صائــم ، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطـيب عند اللّه من ريح المسك » .

يقول تبارك وتعالــى :« يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجــلى ، الصيام لى وأنا أجزى به كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به» ، « للصائم فرحتــان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه[١] » .

٤ــ وقوله ﷺ :« من صام يومًا فى سـبيل الله عز وجل زحزح الــله وجهه عن النار بذلك اليــوم سبعين خريفا »، وفى لفظ « باعد اللّه بيــنه وبين النار بذلك اليوم سبعين خريفًا » [٢] .

٥ــ وقوله عــليه الصلاة والسلام : « إن فى الجـنة بابا يقال له الــريان يدخل منه الــصائمون يــوم القيامــة لا يدخل منه أحــد غيرهم ، يــقال أين الصــائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فــإذا أدخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد »، وفى لفظ :«من دخل منه شرب ومن شرب لا يظمأ أبدًا » [٣] .

٦ــ وقوله ﷺ : « إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد » [٤] .

٧ــ وقوله عليه صلاة اللّه وسلامه :« إذا كان يــوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدى ما عليه من سائــر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحــمل الله عز وجل ما بقى عنه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة » .

إن هذه الفضائل الــواردة فى الصوم ، وهذه الكمالات الخاصة بــالصائمين لا تنال بمجرد الصوم المــطلق بل بالصوم الكامل الصحيح ، لأن الــصوم عبادة كسائر العبادات ، لا تــؤدى ثمرتها بإصــلاح النفس وتطهــيرها إلا إذا استوفت شــروطها وسلمت من الخلل فيها ، وهذه هى الشروط :

١ــ الإخلاص لله تعالى فيه لقوله ﷺ :«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا فإنه

---

(١) أخرجه النسائى عن أبى سعيد الخدرى . (٢) أخرجه النسائى وغيره .

(٣) أخرجه النسائى وغيره .

(٤) رواه ابن ماجه .

اشترط عليه الصلاة والسلام الإيمان والاحتساب ؛ لأن العمل بلا إيمان كبناء على غير أساس ولأن الشرك فى العبادة مبطل لها لقوله تعالى :

﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين [١] ﴾ .

٢ـ المداومة على الصوم والإكثار منه ؛ لأن قوله : الصائمون معرفا بالألف واللام يدل على أنهم أكثروا من الصيام حتى أصبح وصفًا لهم ، وصاروا عريقين بهذه الصفة كما يشير التعريف أيضا إلى كمال الصيام ، والصيام الكامل هو ما أدى أداء صحيحًا مصحوبًا بأنواع من البر والإحسان كالصدقات وتلاوة القرآن وغيرهما مبتعدًا فيه عن كل إثم ورذيلة .

٣ـ الابتعاد أثناء الصوم عن كل إثم وقبيح من القول والفعل وخاصة الغيبة والنميمة ، وأكل الحرام فإن الله تبارك وتعالى لما ذكر تحريم الأكل والشرب ، ومباشرة النساء فى نهار رمضان ، ذكر بعد ذلك النهى عن أكل المال الحرام فقال : **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾** فحرم أكل المال بعد تحريم المفطرات الحلال فكان فى ذلك إشارة إلى أن ما أفسد الصوم وهو حلال كيف لا يفسده وهو حرام.

أما الغيبة والنميمة والفحش فى الفعل والقول فما من شك أنها من مفسدات الصيام ومبطلات مفعوله فى تزكية النفس ، تلك التزكية التى يتوقف عليها قبول الصوم وفوزه ، وقد قال ﷺ : « الصوم جنة ما لم يخرقها بالغيبة ، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم ».

وقال ﷺ : «من لم يدع [٢] قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه أو شرابه ».

وقال :«ليس الصيام من[٣] الطعام والشراب ،إنما الصيام من اللغو والرفث».

وقال : « رب صائم [٤] حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه

---

(١) الآية من سورة الزمر .

(٢) رواه البخارى .

(٣) أخرجه الحاكم والبيهقى بلفظ : «ليس الصيام من الأكل والشرب » الخ .

(٤) أخرجه ابن ماجة عن أبى هريرة وعلم عليه فى الجامع الصغير بالصحة وهو بلفظ : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » .

من قيامه السهر » .

وفى مسند أحـمد : أن امرأتين صامتا فى عـهد النبى ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش فذكر ذلـك للنبى ﷺ فأعرض ثم ذكـرتا له فدعاهمـا فأمرهما أن يتـقيئا ، فقاءتا ملء قدح قـيحاً ودماً وصديدًا ولحما عبيطـا ، فقال النبى ﷺ :« إن هاتين صامتا على ما أحل الـله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليـهما ،حيث جلست أحداهما للأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس ».

وخلاصة القول أن الصيـام المتقبل الفاضل ، ما كان محفـوفًا بالخيرات بعيدًا عن جنس المعاصى والمحرمات ، وإلا فهو كما قال الغزالى: الذى يعصى الله وهو صائم ، كمن يبنى قصراً ويهدم مصرًا .

أقسام الصيام

الصيام ثلاثة أقسام : فرض كصـوم رمضان ، وواجب كصوم النذر ، وتطوع كصيام عاشوراء ، ومن الـصيام ماهو مكروه ،كصيام يوم عرفـة للحاج ، ومنه ما هو حرام . كصيام يوم العيد ، وسنتكلـم على هذه الأقسام قسمًا بعد قسم إن شاء اللّه. إلا الصيام الواجب فإن له محلا غير هذا .ولنؤخر الكلام على صيام رمضان لطول الكلام عليه ،ولنبدأ بصيام التطوع لقلة البحث فيه .

صيام التطوع

صيام التطوع هو صـيام مالا يفرض ولا يجب صومه من سائر أيـام السنة غير أنه لما كانت العبادة يعظم أجرها ويكثر تأثيـرها فى تزكية النفس تبعًا للظرف الصالح ، الذى تقع فيـه شرع الرسول ﷺ على وجه الندب والاستـحباب لأمته ، صيام أيام فاضـلة من السنة رجـاء أن يعظم أجرها ، وتـكثر مثوبـتها عند ربهـا ، ومثل الصيام فى الأيـام الفاضلة كمثل البقـاع الفاضلة ، فالصلاة فى المسـجد الحرام بمئة ألف صلاة فـيما سواه ، والصلاة فـى المسجد النـبوى بألف صلاة فيـما عداه إلا المسجد الحـرام ، وصيام رمضان بأحد الحرمـين (مكة ــ المدينة) أفضـل منه فى غيرهما والصدقة فى أيام الخصاصة والاحتياج أفضل منها فى غيرها قال تعالى :

﴿ لا يستـوى منكم مـن أنفق من قبـل الفتح وقاتـل ، أولئك أعظـم درجة من الذين انفقوا من قبل وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ .

فالصيام إذا فى هذه الأيام الفاضلة أفضل منه فى غـيرها من سائر أيام السنة وهذه

الأيام الفاضلة هى كما يلى :

١ـ ٢ـ ٣ـ يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذى الحجة وعاشوراء ، وهو العاشر من محرم ، وتاسوعاء وهو اليوم التاسع منه لما روى أحمد والنسائى وابن ماجه أن النبى ﷺ قال: «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية [١] ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية»، ولما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا: يارسول الله إنه يوم يعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله ﷺ : «إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع ».

حكمة صيام هذه الأيام

من الحكمة فى صيام هذه الأيام الثلاثة : أن الأول وهو يوم عرفة لما كان يومًا يتجلى فيه الرب عز وجل لأهل الموقف ، ويباهى بهم الملائكة ويغفر لهم ويهب مسيئهم لمحسنهم ، استحب للمؤمن أن يتعرض لهذه النفحات الإلهية لعله يحظى بمغفرة ذنبه ، كما حظى بذلك أهل الموقف .

أما يوم عاشوراء : فمن الحكمة فيه شكر الله عز وجل على نجاة أوليائه ، والتعرض لنعمة الله بالشكر ، لأن الشكر يزيد فى النعمة : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ وأما تاسوعاء فمن الحكمة فيه المحافظة على صوم عاشوراء صومًا صالحًا ما به من شائبة نقص لأن الرسول رغب فى صوم يوم تاسوعاء ، وتمناه من أجل مخالفة اليهود الذين يصومون يوم عاشوراء ، فاستحب صيام يوم قبله مخالفة لهم وليكمل صوم عاشوراء ، ويكون التشريع فيه مستقلا عن تشريع اليهود أعداء الملة .

٤ـ صيام ستة أيام من شوال . لقوله ﷺ : « من صام [٢] رمضان وأتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»، ووجه ذلك أن الحسنة بعشر أمثالها لقوله تعالى: ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ فصوم ستة أيام بستين يومًا . من ضرب ستة فى عشرة أى بشهرين ، ورمضان شهر فى عشرة بعشرة أشهر ، فالعشرة مع الإثنين اثنا عشر شهراً وهى السنة ، فمن واظب على صيام رمضان

---

(١) المراد الصغائر .

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

والستة أيام بعده كان كصائم الدهر .

الحكمة فى صوم ستة أيام شوال

من الحكمة فى صيام ستة شوال ، أنها تجبر ما قد يحصل فى صيام رمضان من الخلل شأنها شأن نافلة الصلاة ، فإنها شرعت لتجبر ما يقع فى الفرائض من نقص .

تنبيهان

(١) اختلف ــ هل يشترط لهذه الأيام أن تكون عقب يوم العيد مباشرة . أو لا يشترط ذلك ، وهل يجوز تفرقتها ، أو ينبغى تتابعها ؟

والحق أنه لا يشترط تتابعها ولا إيقاعها بعد يوم العيد مباشرة ، فلو أوقعها بعد يوم العيد بأيام وفرقها لأجزأت ، وإنما الأولى فيها أن تقع متتابعة وبعد يوم العيد مباشرة .

(٢) ما روى أن مالكا كان يكره صيام الست من شوال علل ذلك ، بأنه لما رأى من إقبال العوام على صيامها ، والتشدد فى ذلك خاف أن يأتى على الناس زمان يعتقدون فيه أنها من رمضان فكره صيامها لذلك .

٥ــ الاكثار من الصيام فى شعبان وفى الأشهر الحرم : رجب وذى القعدة وذى الحجة والمحرم ، لما روى مسلم أن سائلا قال : يارسول الله ــ أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ . قال: « الصلاة فى جوف الليل »، ثم قال : أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ . قال : «شهر الله الذى تدعونه المحرم ».

وأخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت :« ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر منه صيامًا فى شهر شعبان ».

وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام» يعنى الأيام العشر الأولى من شهر الحجة ــ قالوا يارسول الله: ولا الجهاد فى سبيل اللّه ، قال :« ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم

لم يرجع من ذلك بشىء ».

الحكمة فى الاكثار من الصيام فى هذه الأشهر

من الحكمة فى اختيار هذه الأشهر أنها هى الأشهر الحرم التى جاء ذكرها ، والإشارة بها فى القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر (١) شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ .

فلما كانت أشهر فاضلة كان الصوم فيها فاضلا . أما شعبان فإنه وإن لم يكن من الأشهر الحرم إلا أنه شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل . فكان من الخير أن يرفع فيه عمل العبد وهو صائم . لما أخرج أحمد والنسائى أن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يارسول الله: لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترتفع فيه الأعمال (٢) إلى رب العالمين ،فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

[تنبيه] صوم شهرى رجب وشعبان بلا فطر فيهما بدعة منكرة ، وقع فيها كثير من العوام . فينبغى تحذيرهم وتنبيههم .

وبيان ذلك : أن الرسول ﷺ ما استكمل صيام رجب قط ، وإنه نهى عن صيام آخر شعبان . ففاعل هذه البدعة خالف سنة الرسول فى صوم رجب ، وخالف الرسول ﷺ فى صوم آخر شعبان الذى كان ينهى عنه .

٦ـ صيام الأيام البيض من كل شهر وهى : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . لما روى النسائى أن أبا ذر الغفارى رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض ثلاث عشر وأربع عشر وخمس عشر ، وقال :«هى كصوم الدهر ». قوله :هى كصوم الدهر مبنى على أن الحسنة بعشر أمثالها ، كما هو صريح قوله تعالى : **﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾** فثلاثة أيام كل يوم منها بعشرة بثلاثين يوما عدة أيام الشهر . فلذا من

---

(١) الآية من سورة التوبة .

(٢) علم عليه فى الجامع الصغير بعلامة الضعف .

حافظ على صيام ثلاثة أيام من كل شهـر كان كصائم الدهر فى الأجر والمثوبة . ما المراد من الدهر ؟

الحكمة فى صيامها :

كان الحكمة فى اختيار هذه الأيام دون غيرها من أيام الشهر ، أنها الأيام التى أقسم الله تبارك وتعالى بها فى قوله :

﴿ والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ﴾ .

فهى أيام فاضلة ، لأنهـا دلائل على القدرة الإلهية العظيمة ، فـفيها يتواصل الضياء ليـل نهار ، فما تغرب الشـمس حتى يطلع القـمر ، وما يستتر القـمر حتى تشرق الشمس ، وهذا من دلائل كمال قدرة البارى عز وجل . ففضل الصيام فيها لفضلها على غيرها ، والله أعلم .

٧ــ صوم يوم الإثنين والخميس :

أما صيام يوم الإثنين فقد سئل عنه ﷺ فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه » ، وأمـا يوم الخميس فقد روى أحمـد أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم الإثنين والخميس فسئل عن ذلك ، فقال : « إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم ، أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين [١] فيقول أخرهما » .

الحكمة فى صومهما :

من الحكمة فى صوم يوم الإثنين : شكر الله عز وجل على نعمه ، وفى يوم الخميس : التوسل إلى الله تعالى بأفضل الأعمال وهو الصوم رجاء المغفرة .

٨ ــ صيام يوم وإفطار يوم : لما روى البخـارى وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « أحب الصـيام إلى الله صيـام داود ، وأحب الصلاة إلى الله صـلاة داود كان ينام نصفه ويقـوم ثلثه وينام سدسه ، وكـان يصوم يومًا ويفطر يومًا » .

الحكمة فى صوم يوم وإفطار يوم :

١ــ كان الحكمة فى أفضلية هذا الصوم أنـه أكثريته حتى أن بالمضاعفة الموعود

---

(١) اللذان يهجر كل منهما أخاه فلا يكالمه ولا يسلم عليه .

بها يفوق صوم الدهر بأضعاف .

٢ــ أنه يسهل لصاحبه الجمع بين فضيلتين هما من أعظم الفضائل : الصبر والشكر ، فهو إذا صام صابر ، وإذا أفطر شاكر ، ومن خير عباد الله الصبور والشكور .

٣ــ لما فيه من معنى قوله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ .

٩ــ الصيام للأعزب من الشباب :

العزب من الرجال وخاصة من كان منهم فى سن الشباب ، تعظم عنده شهوة الجماع إلى حد يصبح معه مهدداً بأوخم العواقب ، إذا لم يرزقه الله زوجة صالحة، تعفه ويعفها ، وتحضه ويحضها . فنظراً للحال المهددة التى يعيشها العزب، شرع له النبى ﷺ الصيام بقوله فى رواية الشيخين : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة (١) فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (٢) » . فالإكثار من الصيام يكسر من حدة الشهوة ، ويلطف من شدتها إذا كان الصوم كثيراً ، متتابعًا ، وخاصة إذا كان صيام يوم وإفطار يوم آخر .

الحكمة فى هذا الصيام :

والحكمة فى هذا الصيام اجتماعية كما هى روحية ، فهى صيانة المجتمع من أعظم فاحشة وهى الزنا ، والمحافظة على روح الشباب أن تلوث بإثم التطلع إلى الحرام ، عند هيجان الشهوة إلى غشيان النساء .

١٠ ــ الصيام فى الشتاء :

لما روى أحمد والبيهقى والترمذى عن عامر بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة » ، ولما أخرج الديلمى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة ، أما ليله فطويل للقائم ، وأما نهاره فقصير للصائم » .

---

(١) مؤونة الزواج .

(٢) خصاء .

الحكمة فى صوم الشتاء

كان الحكمة فى اختيار صوم الشتاء ،وإن كان قد بدأ جانب منها من تعليله ﷺ بطول الليل وقصر النهار فيه ، فإن جانبًا آخر منها هو أن العبادة المتقبلة ما كانت صادرة عن سكون قلب وطيب نفس ، وراحة جوارح يشعر القلب معها بالفرح والغبطة، ويصفو معها الروح ، ويرهف الحس ، ويرق الشعور .وهذه الصفات لا تكون مع ملل النفس وتضجرها وقلقها من العبادة « إن الله لا يمل حتى تملوا » .

والصيام فى اليوم البارد القصير لا يشعر معه الصائم بأدنى قلق أو ضجر أو ملل ، وتكون نفسه فيه أطيب ، وكذا إذا قام العبد للتهجد بعد أن أخذ حظه من النوم فإنه يكون أكثر استعدادًا للعبادة وتقبلا لها بكل جوارحه ، فيكون فيها أنقى ضميرًا ، وأصفى نفسًا :

﴿ **إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا** ﴾ .

فكان الصيام والقيام فى هذا الظرف الصالح غنيمة تغتنم ، وفرصة تهتبل : فأرشد النبى ﷺ إلى ذلك ، وهل من مرشد ؟

الصوم المكروه كراهة تنزيه :

المراد بالمكروه كراهة تنزيه هو ما كان نهى الشارع عنه نهيًا غير جازم كالنهى عن التكشف بالليل ، ويقابله المكروه كراهة تحريم هو ما كان النهى فيه نهيًا جازمًا كالنهى عن آكل الربا مثلا ، ومن الصيام المكروه ما يلى:

١ـ صيام يوم عرفة لمن بعرفة من الحجاج . أما غير الحاج فإنه يستحب له صيامه . لما ورد أنه يكفر ذنب السنة الماضية والمقبلة ، ودليل النهى ما أخرج أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات . كما أنه عليه الصلاة والسلام وقف بعرفة مفطرًا. فقد أخرج البخارى عن ابن عباس عن أم الفضل بنت الحارس أن ناسًا تماروا عندها يوم عرفة فى صوم النبى ﷺ ، فقال بعضهم هو صائم ، وقال بعضهم ليس بصائم ، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه .

علة النهى

وعلة النهى فيه أن الصوم يضعف الحاج ، فلا يقوى معه على فعل المطلوب منه ، وهو الإكثار من الذكر ، والدعاء والاستغفار ، وهى من أفضل الأعمال يوم عرفة للواقف : فلو فرض أن هناك من لا يضعفه بالصوم ، ولا يعوقه عن المطلوب لما كره له صيامه .

٢ـ صيام يوم الجمعة منفرداً :

يكره صيام يوم الجمعة إلا أن يتقدمه بصوم أو يلحقه صوم . لما ورد أن النبى ﷺ قال : « إن يوم الجمعة عيدكم فلا تصوموه ، وإلا أن تصوموا قبله أو بعده »، وجاء فى الصحيحين عن جابر أن النبى ﷺ قال : « لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم ».

وعلة النهى فيه من وجهين :

(١) الخوف من اعتقاد وجوب صومه ، فإن العوام سرعان ما يعتقدون الوجوب فى كل ما يعتادون ويألفون ، فلو أذن بصومه منفرداً ، وهو يوم فاضل، لأصبح العوام يتحرونه ، حتى يروا أنه واجب فإذا تقدم بصوم أو أتبع بصوم زال اللبس وذهب الخوف من اعتقاد وجوبه ، ولهذا التعليل كان مالك لا يرى كراهية صومه .

(٢) إنه يوم عيد أسبوعى للمسلمين ، ففيه يتواصلون ويستضيف بعضهم بعضاً . فلو صامه المسلم لأحرج إخوانه عند استضافتهم له أو استضافته لهم .

٣ـ صيام يوم السبت منفرداً :

لما أخرج أحمد وغيره من أصحاب السنن أن النبى ﷺ قال : « لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم ، وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء [1] عنب أو عود شجرة فليمضغه » .

العلة فيه :

والعلة فيه : أنه يوم يعظمه اليهود فلو أذن بصيامه منفرداً لكان ذلك مشابهة لليهود فى تعظيمه إياه .

---

(١) لحاء العنب : قشره ، ولحاء كل عود قشره .

فلـذا لو صام أحـد يومًا قبـله أو بعده لمـا كره له ذلـك ، لأنه لا يدل عـلى تخصيصه إياه بصوم خاص .

٤ــ صوم آخر شعبان :

لحديث التـرمذى عن أبى هريرة رضى الـله : إذا بقى نصف من شـعبان فلا تصومـوا . وفى رواية . إذا كان النصـف من شعبان فـأمسكوا عن الصـوم حتى يكون رمضـان ، ولحديث : « لا تقدموا صـوم رمضان بيوم أو بيـومين ». بيد أن الحديث الأخير يـشير إلى نفى الكراهـة إلى أن يبقى يومان أو ثلاثـة من شعبان ، وبغض الطرف عن صحة الحديث الأول وضعفه فقـد جمع الطحاوى بينهما جمعا حسنًا وهو أن الكراهة فـى صوم النصف الآخر من شعبان هى لمن يـضعفه الصوم حتى لا يتسبب فى العجز عن صيام رمضان ، وأن الكراهة فى صوم الأيام الأخيرة من شعبان لمن يحتاط بزعمه رمضان .

علة النهى :

وعلة الـنهى ظاهـرة فى الأول ، وهى ما يسـببه الصوم مـن ضعف للـصائم فيستقبل رمـضان الشهر المفروض للصوم ، وهو فى حالـة من الإعياء والضعف ، قد تسبب له تململا وتضجراً عند صومـه لرمضان ، وفى الثانى الفصل بين الفرض والنفل ، وعدم الخلط بينهما ، وهذا معروف من هديه ﷺ فى الصلاة ، فإنه كره للرجل أن يقوم من الفريضة للنافلة مباشرة ، وبدون فصل ، وقال : « إنما أهلك الذين من قبـلكم إنهم كانوا لا يفصلـون بين نفلهم وفرضهم » ، وفـى هذا معنى إجلال الفرائض وتقديرها والحيطة لها ، وإظهـارها كشعائر دينية فى المظهر اللائق بها : ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾

الصوم المكروه كراهة تحريم

ورد عن الشارع النهى عن صيام أيام كثيـرة من السنة ، وعن كيفية من الصوم خاصة ، وذلك لحـكمة يراها المشرع صلـوات اللّه وسلامه عليه ، غـير أن بعض هذا النهى كان شـديداً إلى درجة المنع والحرمة ، وبعضه كـان خفيفًا إلى درجة أن لا يشير إلى أكثر مـن كون الترك أولى وأفضل فقط ، ومن هذا النـهى الخفيف ما تقدم فى الصوم المكروه كراهة تنزيه ، ومن النهى الشديد ما يأتى :

الأول ــ الوصال ، وهو مواصلة الصوم يومين فأكثر بلا فطور ولا سحور ، لما أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ نهى عن الوصال ، وفى لفظ قال : « لا تواصلوا » . وفى رواية : « إياكم والوصال » ، ولما قالوا له فإنك تواصل يارسول الله . قال « إنكم لستم فى ذلك مثلى ، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى فأكلفوا [1] من العمل ما تطيقون » .

علة النهى :

وعلة النهى : التخفيف على هذه الأمة (المرحومة والرحمة بها) والشفقة عليها . كما أنه لو أذن ﷺ للأمة بالوصال لا نفتح على الأمة ميدان للتنافس . ثم للغلو والتنطع ، فيهلك كثير بغلوهم وتشددهم ، وخاصة العوام من الأمة .

(تنبيه) أذن الرسول ﷺ فى الوصال إلى السحر فقال : « لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر » .

الثانى ــ صوم يوم الشك ، وهو يوم الثلاثين من شعبان ، أو هو التسعة والعشرين منه على خلاف فى ذلك لحديث عمار بن ياسر « من صام اليوم الذى شك فيه ، فقد عصى أبا القاسم ﷺ » .

علة النهى :

وعلة النهى من أوجه :

الأول : أنه لا يجزئ عن رمضان . فصائم يوم الشك لو ثبت بالفعل أنه من يوم رمضان لما أجزأه صومه ، وتعين عليه القضاء ، فلا فائدة إذاً من الصوم .

الثانى : لو كان من غير رمضان لدخل تحت النهى عن تقديم رمضان بصوم يوم ، وهو منهى عنه .

الثالث : العبادات المحددة الوقت لا تطهر النفس إلا إذا أديت فى وقتها . لأن الوقت جزء من الطاعة فيها ، فما دام العبد شاكا فى دخول الوقت لا ينتفع بالعبادات فى إصلاح روحه ، وتطهير نفسه .

---

(١) تحملوا : من كلف الأمر إذا حمله على مشقة .

تنبيهات

١ــ من قال يوم الــشك هو يوم الثلاثين من شــعبان هم المالكية والحــنابلة ، والقائلــون هو ما بعد التاســع والعشرين هم الأحــناف والشافعية ، ورأى المــالكية أوجه . لأنه إذا مضى تسعة وعشرون يومًا من شعــبان فليلة الثلاثين قد تكون من رمضان لاحتمال أن شعــبان ناقص ، وقد تكون من شعبان لاحتــمال كماله . فاذا أحال دون الســماء غيم وقــتر ، ولم تظهــر الرؤية أصبــح يموم الثلاثــين يوم شك لاحتمال وجود الرؤية وإنمــا حال دونها السحاب والغيم ، وينهــى عن صومه لعدم تحقق كــونه رمضان ، ولأن الــرسول ﷺ قال : « إذا غــم عليكــم فأكملــوا عدة شعــبان ثلاثــين يومًا » . ولذا قــال عمار : مــن صام يــوم الشك فــقد عصــى أبا القاسم.

٢ــ من فهم قوله ﷺ : « فإذا غم عليكم فاقدروا له » إنه من التقدير الذى هو التضييق لا من إكمال عدة شعبان كما ورد مصرحا به قال : بصوم يوم الشك، وهو يوم الثلاثين إن كان غيم احتياطا وهو مروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، كما هو رواية عند أحمد .

٣ــ لوصام أحد يوم الشك فى قضاء واجب أو نذر، جاز له ذلك بلا كراهية.

الثالث : صوم الــدهر وهو صوم السنة كلــها ، فلا يفطر فيهــا لقوله ﷺ فى رواية أحمد والشيخين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :أن النبى ﷺ قال : «لا صام مــن صام الأبد » وقــوله ﷺ فى رواية أحــمد وابن ماجــة عن عبد الــله بن الشخيــر : « من صام الأبد فلا صام ولا أفــطر » ففى الحديث الأول نــفى الأجر عمن صام الدهر وفى الثانى نفى الأجر كذلك مع احتمال الدعاء عليه ، وعلى كلا الحالين فإنــهما يدلان على كــراهة صوم الدهر الشــديدة ، غير أن جل أهل الــعلم كمالك والشافعى ، يرون أن الكراهة تبطــل إذا هو أفطر العيدين وأيام التشريق ، وهذا بالــنظر إلى مــجرد النهــى صحيح ؛ لأنــه بالفطــر فى هذه الأيام يــخرج من الكراهة ولكن بالــنظر إلى علة الكراهة ، والتى هى ما يصــاب به صائم الدهر من الضعف والهزال . حتى يفرط فى حقوقــه ، وواجبات كثيرة لا يخرج من الكراهة بمجرد فطره خمسة أيام فى السنة .

علة النهى :

وعلة النــهى : الإشفاق على المؤمــن والإبقاء عليه قويًا ، لأن المــؤمن القوى خير وأحــب إلى الله من المؤمــن الضعيف ، ولأن صــيام الدهر يؤدى إلى الــغلو

والرهبانية الممنوعة فى الإسلام .

الرابع : صوم المرأة بلا إذن زوجها وهو حاضر لما أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «لا تصم المرأة يومًا واحدًا وزوجها شاهد إلا بإذنه إلا رمضان ».

علة النهى :

وعلة النهى : المحافظة على حقوق الزوج ،وتقديم الواجب على المستحب ، فإن حق الزوج على امرأته حق واجب ، فمتى طلبه وجب أن يعطاه ، وصومها فى غير رمضان صوم تطوع ، والتطوع يكون بعد أداء الواجب ، أو فى وقت لا يتزاحم مع الواجب ، ومتى كان الزوج حاضراً صحيحًا ، فإن المرأة لا تدرى متى يطالبها الزوج بحقه منها ، فلهذا لم يبق لها وقت للتطوع إلا إذا غاب الزوج أو مرض ، أو استأذنت منه فأذن لها .

الصيام الحرام

لا غرابة فى حرمة الصيام فى أيام خاصة ، فإن هذا التحريم ليس عائدًا إلى أصل الصوم ، وإنما هو عائد إلى الظرف الذى يقع فيه الصيام ، ونظير هذا الصلاة النافلة عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، فإن الصلاة عبادة شريفة وقربة من أعظم القرب عند الله تعالى ، وحرمها الشارع فى هذين الوقتين لمانع وهو ما لابس هذين الوقتين من عبادة الشمس فيهما من قبل من يعبدها من النصارى ، ومن الصوم الحرام ما يلى :

١ـ صوم يوم عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، لما روى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال فى يوم عيد : هذان يومان نهى رسول اللّه ﷺ عن صيامهما يوم فطركم من صومكم ، واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم . ولحديث أبى سعيد عند السبعة إلا النسائى : أن النبى ﷺ نهى عن صيام يومين : يوم الفطر ويوم النحر ، وأجمع أهل العلم على أن النهى هنا التحريم ، فكان الإجماع على حرمة صوم العيدين .

علة التحريم فيهما :

علة تحريم الصوم فى يوم العيد كما هى ظاهرة من قوله :« يوم فطركم من صيامكم ، والآخر تأكلون فيه من نسككم» فإنها فى عيد الفطر : الفصل بين الصوم المفروض والفطر المباح ، وأما فى عيد النحر فإنها : الاعتراف بالنعمة وقبول المنة فإنه تعالى أكمل لنا فى الدين وسخر لنا بهيمة الأنعام ، واللّه إذا أنعم على عبده نعمة أحب ظهورها عليه .

٢ـ أيام التشريق [١] الثلاثة ، وهى الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر من شهر ذى الحجة ، فإن جمهور العلماء اتفقوا على تحريم صومها لما روى أحمد رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعث عبد الله بن حذافة يطوف فى منى ـ أن لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله ، ولما روى الطبرانى عن

---

(١) سميت بأيام التشريق لأنهم يشرقون فيها لحوم الهدى والأضاحى ، وقيل لأن الذبح فيها يكون بعد شروق الشمس .

ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول اللّه ﷺ أرسل صائمًا يصيح أن لا تصوموا هذه الأيام ، فإنها أيام أكل وشرب وبعال [1] .

علة التحريم :

وعلة النهى أولا : هى ظاهرة من لفظ الحديث من كونها أيام إظهار نعمة الله بالأكل والشرب وذكر اللـه على إفضاله وإنعامه . وثانيا : هذه الأيـام بالنسبة إلى الحاج هى أيـام راحة واستجـمام فى ضاحـية مكة المكـرمة (منى) يـستجم فـيها الحجاج ويستريحون استعدادًا للسفر إلى بلادهم بعد أن قضوا مناسكهم .

تنبيه ـ الإمام مالك رحمه اللّه تعالى لا يمنع صوم أيام التشريق لمن عليه صوم التمتـع ، ودليله رحمه الـله لما روى البخارى عن ابـن عمر رضى اللّه عنـهما أنه قال: لم يرخص فى أيام التشريق أن يضمن إلا لمن يجد الهدى .

وفى رواية للـبخارى أيضًا قال : الصيام لمـن تمتع بالعمرة إلـى الحج إلى يوم عرفة فإن لم يجد هديًا ولم يصم صام أيام منى .

٣ـ أيام الحيض والـنفاس للحائض والنـفساء : يحرم على الحائـض والنفساء الصوم أيام الحـيض والنفاس ، وسواء كـان الصوم فرضًا أو نفلا لـقوله ﷺ فى المرأة: « أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ فذلك من نقصان دينها ».

علة التحريم :

وقد تـكون عـلة التـحريم فى هـذا هى الإبـقاء علـى راحة وصحـة المؤمـنة الحائض، إذ بالحيـض والنفاس تصاب بالضـعف والهزال المتسببـين عن نزيف الدم الذى هو طاقة قوة الحيوان ، فإذا قل غذاؤها ازداد ضـعفها ، فرحمة بها شرع لها ترك الصوم أثناء هذه الـعملية الاستفراغية . أما الصلاة فلأن مـن شرطها الطهارة والحائض والنفساء لا تتمكنان من ذلك لجريان الدم منهما .

٤ـ يحرم صوم المريض إذا كان الصوم يشرف به على الهلاك ومثله من اشتد به العطش إلى حد الخوف على حياته لقوله تعالى :

﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ﴾ .

---

(١) البعال : الوطء ، أى وطء الرجل امرأته .

علة التحريم :

وعلة التحريم فى هذا : المحافظة على نفس المؤمن ، وعدم تعريضها للهلاك لحرمتها عند الله وكرامتها عليه .

صوم رمضان وأدلة وجوب صومه

رمضان اسم للشهر التاسع من شهور السنة القمرية ، وهو الشهر الوحيد الذى صرح باسمه فى القرآن الكريم لقوله تعالى :

﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾ .

واختلف فى علة تسميته فقيل : هو اسم من أسماء الله تعالى ، وهو بمعنى الغافر أى يمحو الذنوب ويمحقها .

وقيل : مشتق من الرمض الذى هو شدة حر الرمل لوقع الشمس عليه لكونه يوم نقله إلى العربية كان فى زمن الحر .

وجوب صومه :

أما وجوب صومه على هذه الأمة فإنه إجماعى فلا خلاف فيه ، وقد ثبت وجوبه بأدلة الكتاب والسنة ، فمن أدلة الكتاب قوله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أيامًا معدودات ﴾ .

وقال تعالى : **﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾** .

ومن أدلة السنة قوله ﷺ فى حديث جبريل المشهور : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » . وقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ؛ وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » . وقوله ﷺ فى حديث الأعرابى الذى قال : يارسول الله أخبرنى عما فرض الله على من الصيام . فقال : « شهر رمضان إلا أن تطوع

شيئًا» .

ونسبة صوم رمضان إلى الإسلام : أنه ركنه الرابع وقاعدته العظمى ، جاحده كافر ، وتاركه مرتد حلال الدم ، والمستخف بحرمته يعاقب ويعزز حتى يتوب بصيامه وتعظيمه واحترامه .

حكمة شرعيته :

والحكمة فى شرعيته هى الحكمة الغالبة فى سائر العبادات تطهير نفس المؤمن وتزكيتها وإعدادها لتقوى الله وطاعته ، لتصبح أهلا لكرامة الآخرة وسعادتها .

عظم ذنب من انتهك حرمة رمضان بالإفطار فيه

إذا أردت أيها المسلم معرفة مدى جرم ومقدار ذنب المنتهك لحرمة رمضان بالإفطار فيه بالأكل أو الشرب ، أو غشيان النساء ، فتأمل قول الرسول ﷺ فيما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من أفطر يومًا من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر ، وإن صامه». وقوله ﷺ فيما رواه الديلمى وصححه الذهبى عن ابن عباس رضى الله عنهما عنه عليه الصلاة والسلام قال : « عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » .

ويقول الذهبى رحمه الله : من المقرر عند المؤمنين أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عذر ، أنه شر من الزانى ، ومدمن الخمر ، بل يشكون فى إسلامه، ويظنون به الزندقة والانحلال . تأمل ما تقدم أيها المسلم ، وانظر إلى عواصم الإسلام ، وقد فتحت فيها أبواب المطاعم ، والمقاهى والحانات ، وبيوت البغى ، ومحلات الدعارة ، والفساد طوال نهار شهر رمضان ، كأن القوم تنكروا للإسلام بعد معرفته ،وكفروا بالقرآن بعد تلاوته ، ورضوا بالفسق الجماعى ، بعد أن كانوا طائعين ، وبالكفر البواح بعد أن كانوا كارهين وإلا فقل . لماذا ؟ ؟

فضائل رمضان

إن لم يكن لرمضان من فضل سوى أنه كان ظرفًا لنزول القرآن الكريم فيه لكان ذلك كافيًا لشرفه ، وعلو مكانته . قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ ، وكيف وقد خصه الله بليلة القدر ، وهى خير من ألف شهر .

وخصه الله بفضائل عظيمة ، ومزايا عديدة فهو خير شهر لخير أمة . كان رسول الله ﷺ إذا أهل هلاله [(١)] بشر أمته بإهلاله وقال : « أيها الناس قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » .

ومن خلال هذه الأحاديث النبوية الآتية يعرف فضل رمضان ، وتظهر مزاياه

---

(١) رواه أحمد والنسائى .

للعيان :

١ ـ روى أحمد والنسائى عنه ﷺ : « إذا كان أول ليلة [(١)] من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجان ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، ونادى مناد : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة » .

٢ـ أخرج البيهقى فى حديث طويل عنه عليه الصلاة والسلام : « أن الجنة لتزخرف [(٢)] ، وتنجد من الحول إلى الحول لدخول رمضان فتقول الحور العين : يارب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجًا تقر بهم أعيننا وتقر أعينهم بنا . وقال : إن الحور ينادين فى شهر رمضان هل من خاطب إلى الله فنزوجه ؟ » .

٣ـ وروى الطبرانى وغيره فى حديث منامه الطويل ﷺ : « ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشًا كلما ورد حوضًا منع منه ، فجاءه صيام رمضان فسقاه ورواه» .

٤ـ وأخرج مسلم فى صحيحه عنه ﷺ : «الصلوات [(٣)] الخمس ، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان . مكفرات لما بينهن إن اجتنبت الكبائر » .

٥ـ أخرج البخارى عنه عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

فضل البر والإحسان فى شهر رمضان

إذا شرف الزمان أو المكان شرف تبعًا لهما ما يقع فيهما من الأعمال الصالحة والأقوال الطيبة النافعة ، فالطاعة فى مكة أفضل منها فى غيرها ، وأعمال البر يوم الجمعة أفضل منها فى غيرها . ومن هذا رمضان المعظم المبارك ، فإنه لفضله فضل كل ما يقع فيه من أفعال الخير ، وأضرب البر والإحسان فالصدقة ، فقيام الليل ، فتلاوة القرآن ، فالاعتكاف ، فالاعتمار ، كل هذه فى رمضان أفضل منها فى غيره من سائر الشهور ، والأحاديث الآتية تبين ذلك :

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) أخرجه البيهقى ، ومعنى تنجد : تجمل بالبسط والفرش .

(٣) رواه مسلم .

أولا ــ فى فضل الصدقة :

أخرج الترمذى عن أنــس قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصدقة صدقة فى رمضان » . وأخــرج أحمد وبعض أهل الــسنن عنه ﷺ أنه قال : « مــن فطر صائمًا فله مثل أجره من غير أن ينــقص من أجر الصائم شيء » . وروى الطبرانى والبزار عن سلمان الفارســى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من فطر صائمًا على طـعام وشراب من حـلال صلت عليــه الملائكة فــى ساعات شهــر رمضان ، وصلى عليه جـبريل ليلة القدر » ؛ وأخرج ابن خـزيمة أن النبى ﷺ قال : « من فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه ، وعــتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينــقص من أجره شيء » قالــوا يارسول الله : ليس كـلنا يجد ما يـفطر به الصائم . قال : « يعطى الله هذا الثواب لمن فطرصائمًا ، على مذقة لبن [1] ، أو تمرة، أو شربة ماء » .

وأخرج الترمذى عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « إن فى الجنة غرفًا يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها » قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال: «لمن طيب [2] الكلام وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام».

وأخرج البخــارى عن ابن عباس رضى الــله عنه قال : كان الــنبى ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى رمضــان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى ﷺ القرآن ، فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح [3] المرسلة .

فهذه الأحاديث وغيرها تبين مدى فـضل الصدقة فى رمضان ، ومقدار الأجر الموعود عليها .

[تنبيه] لو أن الذين آمنوا بعظيم أجر الــصدقة فى رمضان ، وكبير مثوبتها ،

---

(١) مذقة اللبن : لبن ممزوج بماء .

(٢) كل هذه المذكورات من تطيب الكلام ، وإطعام الطعام ، والصيام والقيام تجتمع .

(٣) التشبيه بالريح المرسلة فى الإسراع وعموم النفع .

كما جاء ذلك على لسان نبيهم ﷺ يجتمعون عند حلول شهر رمضان المبارك فى مسجد قريتهم أو حيهم ، ثم يجرون إحصاء لفقراء الحى أو القرية ، ثم يوزعونهم واحداً واحداً أو اثنين اثنين على أهل القرية أو الحى يشاركونهم فى طعام الفطور والسحور ، أو على الأقل طعام الفطور طوال شهر رمضان لكانوا بذلك يقدمون لأنفسهم خيراً ، ويقيمون لتعاليم نبيهم وزنًا كأمة حية تعلم فتعمل وتجنى نتائج أعمالها صلاحًا وسلامًا وطهراً ، وقد جربنا لأول مرة هذه الفكرة بالمسجد النبوى مع إخواننا الطلبة الذين يحضرون دروسنا فنجحت أكبر نجاح ، وكان لها أثر طيب فى النفوس ؛ والحمد لله .

وثانيًا ــ فى فضل قيام الليل :

قيام الليل هو النهوض من النوم أثناء الليل للصلاة والتلاوة ، والذكر والدعاء، والليل كله ظرف صالح لذلك غير أن وسط الليل وآخره أفضل من أوله لقوله ﷺ : « وأحب الصلاة إلى اللّه صلاة داود كان ينام نصفه ، ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وقد أنزل اللّه القرآن بلأمر به كقوله :

﴿ **يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ .

وكان هذا واجبا فى حق نبينا ﷺ ثم نسخ بقوله تعالى :

﴿ **فاقرأوا ما تيسر من القرآن** ﴾ الآية .

نسخ [١] الوجوب وبقى الاستحباب .

وأثنى الله على أهل قيام الليل فقال تعالى :

﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ويتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿**أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه**﴾ وقال تعالى : ﴿ **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار** ﴾ .

إلى غير ذلك من الآيات التى تشيد بفضلهم وتنطق بكرامتهم عند ربهم هذا

---

(١) نسخ قيام الليل عنه ﷺ ليس من المجمع عليه ، والقول بالنسخ قول بعضهم فقط أما عن الأمة فإنه إجماع.

وقيام رمضان أعظم أجرا وأكثر ثوابا من قيام غيره من سائر الشهور فقد قال ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »وكان عليه الصلاة والسلام وسائر أصحابه يقومون رمضان ويحيون لياليه وخاصة العشر الأواخر منه حتى ترجى ليلة القدر ويطمع فى نيلها والحصول عليها فقد أخرج الترمذى عن على رضى اللّه عنه قال ، كان رسول اللّه ﷺ يوقظ أهله فى العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكل كبير يطيق الصلاة .

وأخرج الشيخان عن عائشة رضى اللّه عنها أن النبى ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر ، وكان ﷺ يطرق فاطمة وعلياً ليلا فيقول لهما ألا تقومان فتصليان ؟ وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده ، وأراد أن يوتر .

صلاة التراويح

وبمناسبة قيام الليل نتكلم على صلاة التراويح والتى هى جزء من قيام رمضان. صلاة التراويح هى إحياء ليالى رمضان بالصلاة والقراءة الطويلة فيها وسميت التراويح لأنهم كانوا يستريحون بين كل تسليمتين من أجل ما يحصل لهم من الإعياء لطول القيام وحكمها الاستحباب ، والأصل فيها قوله عليه الصلاة والسلام : « إن اللّه قد فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه » ، وقوله: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وامتازت عن غيرها من قيام الليل المستحب فى كل ليلة من ليالى السنة بأنها يكثر فيها من قراءة القرآن حتى أنهم ليختمونه فيها عدة مرات ، وبأنها تفعل جماعة فى المسجد حيث جمع عمر بن الخطاب الصحابة على قارئ واحد فى رمضان وقال فيها : نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ، واختلف فى عدد ركعاتها والأكثرون على أنها عشرون ركعة دون الوتر والحقيقة أنها لم تحدد من قبل المشرع ﷺ ، والعبرة منها إحياء ليالى رمضان فمن أطال القراءة يقل عنده الركعات ومن قصرها يكثر ذلك عنده ، ولهذا اختلفوا فى عدد ركعاتها إلى عدة أقوال .

الحكمة فى الإكثار من التلاوة

إنه لما كان القرآن الكريم ابتدئ نزوله فى رمضان نزل كله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا فى ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ كما قال ذلك ابن عباس ورواه ابن كثير فى تفسيره ، استحب استعراض القرآن فى هذا الشهر ولو مرة واحدة ، وهى سنة جبريل مع الرسول ﷺ ، فإنه كان يعارضه القرآن فى كل سنة من رمضان حتى إذا كانت السنة الأخيرة من حياته ﷺ عارضه فيها جبريل القرآن مرتين .

تنبيهات

١ــ قول عمر نعمت البدعة هذه لا ينبغى أن يفهم منه أنه ابتدع بدعة واستحسنها فامتدحها بقوله المذكور ، لأن عمر رضى اللّه عنه يعرف نهى الرسول عن البدعة وذمه لها بقوله : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »، ولأن هذه الصلاة كانت مشروعة على عهد رسول اللّه ﷺ فإن صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان صلى بهم ثلاث ليال فى المسجد فلما كثروا خاف أن تفرض عليهم ولم يستطيعوها فلم يخرج اليهم بعد ، فكانوا يصلون فرادى ويصلون الرجل بالرجل ، والإثنين ، والثلاثة ،حتى عهد عمر فجمعهم على أبى بن كعب وقال قولته فرحا بنعمة الله حيث وفقه اللّه تعالى إلى إحياء هذه السنة التى عطلت خشية الافتراض ولما زال السبب بموته ﷺ وأحياها الله على يديه قال فرحا بنعمة الله واغتباطا لما وفقه اللّه إليه « نعمت البدعة هذه » (باعتبار أنها ما كانت موجودة منذ أن تركت خشية الافتراض فلما أشبهت البدعة فى الحدوث أطلق عليها اسم البدعة إطلاقا لغويا لا شرعيا) .

وشىء آخر أن ما يسنه الخلفاء الراشدون وهو من قبيل السنن لا من قبيل البدعة حيث أن الرسول ﷺ أوصى على اتباع سنتهم بقوله : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ .

٢ــ جاء عن بعض أهل العلم من السلف أن من حضر التراويح مع الإمام حتى يفرغ منها كان كمن قام رمضان كاملا مستدلين بما أخرج الترمذى أن النبى

ﷺ قال : « إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته ».

ليلة القدر

وتعيينها وبم تعرف ؟

وبمناسبة الكلام عن قيام رمضان نتكلم أيضًا على ليلة القدر حيث هى ليلة من لياليه. وأنها خصت من الشارع بمزيد من العناية والتقدير والتشريف والتمجيد، فليلة القدر ليلة مباركة جليلة شريفة شرفت بما لابسها من نزول القرآن فيها قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾، وقال عز وجل : ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر**﴾ ولما ينزل فيها من الملائكة الكرام ، والروح عليه السلام قال تعالى : ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر** ﴾ ولما يقضى الله للخلق من أرزاق وآجال قال تعالى ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾، ولما فيها من الخير والبركة والرحمة والسلام ، قال تعالى : ﴿ **فى ليلة مباركة**﴾. وقال : ﴿**سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾، وفوق كل هذا أنها وهى ليلة واحدة خير من ألف شهر أى تفضل ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر . قال تعالى : ﴿**ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾ أى تفضلها قدرًا ومعنى ، فالعبادة والعمل الصالح فيها خير من العبادة فى ألف شهر من غيرها ولهذا رغب رسول الله ﷺ فى التماسها وحث على قيامها فقال : «التمسوها فى العشر الأواخر». وقال من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه . ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، أما تعيين ليلة القدر فقد اختلف فيه ، والمشهور من أقوال العلماء والذى عليه الأدلة الصحيحة أنها فى الوتر من العشر الأواخر لقوله ﷺ : «تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان». ولاعتكافه ﷺ فى العشر الأواخر ليتحراها فيهن وكذا إيقاظ أهله فيهن كل هذا يرجح أنها فى العشر الأواخر وأنها فى الوتر منها ، ثم يترجح أن تكون ليلة السابع والعشرين ، أو ليلة ثلاث وعشرين للأحاديث الآتية :

(أ) ما يرجح أن تكون ليلة سبع وعشرون .

١ـ رواية أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين» أو قال : «تحروها ليلة سبع

وعشرين »، يعنى ليلة القدر .

٢ـ رواية أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال: يا رسول الله إنى شيخ كبير يشق على القيام فمرنى بليلة يوفقنى اللّه فيها لليلة القدر قال: «عليك بالسابعة» يعنى من العشر الأواخر .

٣ـ عن ابن عمر رضى اللّه عنهما قال : كانوا لا يزالون يقصون على النبى ﷺ إنها الليلة السابعة من العشر الأواخر ، فقال رسول اللّه ﷺ :« أرى رؤياكم قد تواطأت أنها ليلة السابعة من العشر الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرا ها ليلة السابعة من العشر الأواخر ».

(ب) ما يرجح أن تكون ليلة ثلاث وعشرين .

١ـ ما جاء فى مسند أحمد عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن النبى ﷺ قال : «أكم مضى من الشهر» ؟ قلنا : مضت اثنان وعشرون وبقى ثمان ، فقال رسول الله ﷺ لا بل مضت ستان وعشرون وبقى سبع اطلبوها الليلة» .

٢ـ ما جاء فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال فى ليلة القدر : «أريت أنى أسجد صبيحتها فى ماء وطين ». فانصرف النبى ﷺ من صلاة الصبح يوم ثلاث وعشرين وعلى جبهته أثر الماء والطين .

٣ـ رواية سعيد بن المسيب : كان النبى ﷺ فى نفر من أصحابه فقال :«ألا أخبركم بليلة القدر ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، فسكت ساعة ثم قال : «لقد قلت لكم ما قلت آنفًا ـ وأنا أعلمها ـ ثم أنسيتها أرأيتم يوم كنا بموضع كذا وكذا أى ليلة هى »؟ فى غزاة غزاها ، فقالوا : أسرنا فقفلنا حتى استقام ملأ القوم على أنها ليلة ثلاث وعشرين .

أما بم تعرف ؟

فالمعروف أنهم اختلفوا فى ـــ هل تعرف أو لا تعرف ؟ وإذا كانت تعرف ـ فهل لها علامات تعرف بها ؟ والأكثرون على أن لها علامات تعرف بها ، وملخص هذه العلامات وهى محكية عن السلف هو كما يلى :

١ـ أن الشمس تطلع صبيحتها بلا شعاع (عن أبى بن كعب) .

٢ــ أن يرى الملائكة أو يسمع كلامهم (عن الصحابة) .

٣ــ أن يرى نوراً ، أو بابًا من السماء مفتوحًا (عن الصحابة) .

٤ــ أنها بلجه لا حارة ولا باردة تصبح الشمس فيها ضعيفة حمراء .

ويرجح أنها تعلم رواية الترمذى وابن ماجة عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: قلت يا رسول اللّه إذا وافقت ليلة القدر مـا أقول فيها ؟ قال : قولى « اللهم إنك عفو تحب العفو فـاعف عنى » . فقولها رضى اللّه عنها إذا وافـقتها وإقرار الرسول ﷺ لهـا على رأيهـا فى موافـقتها دلـيل علـى أنها تعـلم ، والأشيـاء تعلم طـبعًا بعلامتها، فهى إذاً ذات علامات تعرف بها هذا ، وهناك مـسائل ينبغى التنبيه عليها وهى :

الأولى : أن معرفتهـا ليست ضرورية فى حصول الأجر واستـجابة الدعاء بل العبرة بإحيائها بالقيام فيها والدعاء .

الثانية : إن عدم ظهورها بعلاماتها لمن التمسها طوال شهر رمضان لا يدل على عدم وجـودها ، فـإن إظهارهـا يكون كـرامة مـن اللّه تعـالى لمن شـاء من عـباده الصالحين ، فقد يجلس اثنان جنبًا إلى جنب فـى العبادة ويطلع اللّه أحدهما عليها أو يريـه علاماتهـا فيشاهـدها والآخر تحجـب عنه فلا يـراها ، ولا يرى شيـئًا من علاماتها .

الثالثة : العلة فـى إخفائها هى أن يحصل الاجتهاد فى العـبادة والطاعة كامل الليالى التى من شأنها أن تلتمس فيها وهى العشر الأواخر من رمضان .

الرابعـة : العلة فى إيـجادها وتخصـيص هذه الأمة بهـا تفهم من الـروايتين الآتيتين .

١ــ قال مالك : بلغنى أن رسول اللّه ﷺ « رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء اللّه من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذى بلغه غيرهم فى طول العمر فأعطى ليلة القدر خير من ألف شهر ».

ثالثًا ــ تلاوة القرآن الكريم

لا خلاف فى أن تلاوة القرآن الكريم على أكمل الحالات أفضل من سائر الأذكار ، وأن التالى للقرآن حق تلاوته يؤجر على كل حرف بعشر حسنات لما فى رواية ابن مسعود رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « من قرأ حرفًا من كتاب اللّه فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف بل ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف ».

وقد أثنى اللّه تبارك وتعالى على من قرأ القرآن وعمل بما فيه من أحكام وآداب فى غير ما آية من القرآن الكريم منها قوله تعالى :

﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ . وقوله تعالى : **﴿ ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات اللّه آناء الليل وهم يسجدون ﴾** .

وأمر نبيه ﷺ بذلك فقال :

﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

وأمره بترتيله والترتل فى تلاوته بقوله :

﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾،﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا [١] . قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ﴾ .

وأمر بالاستماع له والإنصات عند تلاوته بقوله تعالى :

﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ .

ووصف المؤمنين بأن إيمانهم يزداد عند تلاوته عليهم فقال :

﴿ وإذاتليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا [٢] ﴾ .

---

(١) من سورة الاسراء .

(٢) من سورة الانفال .

والآيات فى بيان فضل كتاب الله وفضل تلاوته أكثر من أن تذكر فى أسطر أو تجمع فى وريقات .

هذا وإن لتلاوة القرآن الكريم وخاصة فى رمضان المعظم لتأثيراً كبيراً على النفس بالإصلاح والطهر المترتب عليهما قبول العبد وقربه من ربه عز وجل ولهذا كان الصالحون يقبلون على تلاوته فى هذا الشهر ، ويكثرون من ختمه المرات العديدة ، حتى أن الإمام الشافعى رحمه اللّه تعالى يؤثر عنه أنه كان يختمه ستين مرة فى رمضان وأسوتهم فى ذلك رسول الله ﷺ فقد كان يكثر من تلاوة القرآن الكريم ، وكان جبريل يدارسه القرآن فى رمضان ، فقد أخبرت فاطمة الزهراء أنه ﷺ أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة وأنه عارضه فى عام مرتين [١] ، وكان ﷺ يطيل القراءة فى قيام رمضان أكثر مما يطيل فى غيره فقد صلى معه حذيفة ليلة فقال : قرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران ، لا يمر بآية تخويف إلا وقف عندها وسأل ، فما صلى ركعتين حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة .

ومما يدل على فضل قراءة القرآن فى قيام رمضان الروايات الآتية :

١ ــ قوله [٢] ﷺ : « الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصوم رب منعته الطعام والشراب بالنهار ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنا فيه» .

٢ ــ قوله [٣] ﷺ: « أن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب يقول له : هل تعرفنى ؟ أنا صاحبك الذى أظمأتك فى الهواجر، وأسهرت لياليك ، وكل تاجر من وراء تجارته ، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ثم يقال له اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها ، فهو فى صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً » .

٣ ــ قوله عليه الصلاة والسلام: « [٤] أن القرآن يأتى صاحبه فى القبر أنا الذى كنت أسهر ليلك ، وأظمئ نهارك وأمنعك شهوتك وسمعك وبصرك

---

(١) هو العام الذى توفى فيه النبى عليه الصلاة والسلام .

(٢) رواه فى السنة .

(٣) رواه أحمد أيضاً .

(٤) هو من حديث طويل لعبادة بن الصامت .

فستجدنى من الأخلاء خير خليل . ثم يصعد فيسأل له فراشا ودثاراً ، فيؤمر له بفراش من الجنة ، وقنديل من الجنة ، وياسمين من الجنة ، ثم يدفع القرآن فى قبلة القبر فيوسع عليه ما يشاء الله من ذلك ».

صفات قارئ القرآن

قال ابن مسعود رضى الله عنه : ينبغى لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون ، ونهاره إذ الناس مفطرون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبورعه إذ الناس يخلطون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون . وقال محمد بن كعب : كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه ، يشير إلى سهره وطول تهجده . وقال وهيب بن الورد : قيل لرجل ألا تنام؟ قال : إن عجائب القرآن أطرن نومى .

وأنشد ذو النون المصرى :

منع القرآن بوعده ووعيده   مقل العيون بليلها لا تهجع

فهموا عن الملك العظيم كلامه   فهماً تذل له الرقاب وتخضع

رابعا ــ فى الاعتكاف :

ومن أعمال البر الفاضلة فى رمضان الاعتكاف ، والاعتكاف لغة : الملازمة للشىء وشرعا : ملازمة المسجد للعبادة تقرباً إلى الله عز وجل ، وهو سنة فى رمضان ، ويستحب أن يكون فى العشر الأواخر منه ، لما روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ كان يعتكف فى العشر الأواسط من رمضان ، فاعتكف عاما حتى أن كان ليلة إحدى وعشرين ، وهى الليلة التى يخرج من صبيحتها من اعتكافه ، قال : من كان اعتكف معى فليعتكف العشر الأواخر ، فقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها . ولما روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ، ثم اعتكف أزواجه من بعده .

زمن الاعتكاف :

ومدة الاعتكاف مختلف فيها فقال بعض : أقله يوم وليلة ، وقال بعض آخر: لا حد له بل اللحظة والساعة تكون زمنا له ، والصحيح أن الاعتكاف الموافق للسنة العملية للنبى ﷺ ما كان يوما وليلة فأكثر إلى عشرة أيام إلى عشرين يوما ، لأن رسول الله ﷺ لم يعتكف أقل من يوم وليلة بل اعتكف عشراً واعتكف عشرين . أما مطلق الاعتكاف فيصح ويقبل ويثاب عليه فاعله ، ولو كان أقل من ساعة إذا صاحبته المجاورة فى المسجد لعبادة الله تعالى . وقد صح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نذر فى الجاهلية اعتكاف ليلة فى المسجد الحرام. فقال له الرسول ﷺ : « أوف نذرك » .

شروطه :

يشترط للاعتكاف : النية ــ والمسجد ــ والطهارة .

أما النية فلأنها شرط فى سائر العبادات لقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » .

وأما المسجد فلأن رسول الله ﷺ اعتكف مدة ما اعتكف فى المسجد ، ولم يعرف أنه أذن فى الاعتكاف فى غير المسجد ، ولقوله تعالى :

﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ﴾ .

فإن فيه إقراراً للواقع ، وهو أن الاعتكاف لايكون إلا فى المساجد . بيد أن الجمهور يشترطون فى المسجد أن يكون جامعا حتى لا يضطر المعتكف إلى الخروج إلى صلاة الجمعة . كما أن بعضهم رخص للمرأة أن تعتكف فى مسجد بيتها إن كان لها مسجد ، وأما الطهارة فلأن الجنب والحائض لا يحل لهما المكث فى المسجد ، فكان لابد من اشتراط الطهارة من الحدث الأكبر : الجنابة ، والحيض ، والنفاس .

مفسداته :

١ ــ يفسد الاعتكاف بالجماع لقوله تعالى : ﴿ **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد** ﴾ . فلو جامع المعتكف زوجته أو أمته أثناء اعتكافه ، لبطل اعتكافه، غير أنهم اختلفوا فى المباشرة من غير الجماع : كالقبلة ، ونحوها . والظاهر الفساد .

٢ ــ يفسده كل كبيرة من المعاصى والمحرمات .

٣ ــ الخروج من المسجد لغير حاجة ضرورية .

ما يباح للمعتكف :

يباح للمعتكف أن يخرج من المسجد لقضاء الحاجة ، كما يباح له أن يراجع امراته فى شىء ، أو يعقد نكاحا له أو لغيره ، وأن يتكلم فيما يعنيه ، وأن يبيع ويشترى لضرورة ، وأن ينام ويسكت .

ما يشتغل به المعتكف :

يشتغل المعتكف بقراءة القرآن ، والذكر ، والدعاء والتسبيح ، والصلاة ، ولا بأس بحضور مجالس العلم وطلبته له فى المسجد .

حكم الخروج منه :

إن كان قد قطع اعتكافه لعذر من الأعذار فإنه لاقضاء عليه ، وإن قطعه عذر الغير وأفسده ، بفعل ما يفسده ، فإن من السنة قضاءه هذا إذا كان الاعتكاف تطوعاً ، أما إذا كان واجباً لنذر فإنه يجب قضاؤه ، وقد ثبت قضاء الاعتكاف عنه ﷺ فإنه عزم على الاعتكاف ثم تركه ، ثم قضاه فى شوال . فقد أخرج البخارى

عن عـائشة أن رسول الـله ﷺ ذكر أن يـعتكـف العشـر الأواخر من رمـضان ، فاستأذنته عـائشة فأذن لها ، وسألت حفصـة عائشة أن تستأذن لها ففـعلت . فلما رأت ذلك زينب بنت جـحش أمرت ببناء فبنى لها ، قـالت : وكان رسول الله ﷺ إذا صلى انصرف إلـى بنائه فأبصر الأبنـية ، فقال : «ما هذا » ؟ قالوا بـناء عائشة وحفصة وزينب . فقال رسول الله ﷺ : « أكبر أردن بهذا ؟ ما أنـا بمعتكف » . فرجع . فلما افطر اعتكف عشراً من شوال .

تنبيهات

(١) هل يشترط للاعـتكاف صيام ؟ الجمهور على أنه لابد لـه من صيام لقول عائشـة رضى الله عـنها : ولا اعتـكاف إلا بصوم ، ولا اعـتكاف إلا فى مـسجد جامع. وكذا قال به عمر : لا اعتكاف إلا بصـيام . وهذا مبناه أمران صحيحان ــ أحدهما : أن الله تعالى ذكر الاعتكاف مقروناً بالصوم فى قوله :

﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ﴾ .

والثانى : أن النبى ﷺ لم يعتكف وهو مفطر قط .

ولهذا أشرط الجمـهور الصوم للاعتكاف ، ولـم يشترط الشافعى رحـمه الله لأنه يرى اعـتكاف الساعة ، والـزمن اليسيـر ، ولا يمكن له صيام ، ولـرواية ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «ليس على المعتـكف صيام إلا أن يجعله على نفسه » .

(٢) متى يدخل المعتكف ، ومتى يخرج ؟

الجمهور على أنـه يدخل قبل غروب الشمس إن كان نوى اعتـكاف يوم وليلة فأكثر ويخرج بـعد غروب الشمس ، وإن كان فى العشر الأواخـر من رمضان فانه يستحب له أن يخرج بخروجه [١] إلى صلاة العيد ؛ وغيـر الجمهور يرون الدخول للمـعتكف بعـد صلاة الصبح ، ودلـيلهم ما صـح عنه ﷺ أنـه كـان إذا أراد أن يعتكف صـلى الفجر ، ثم دخل معتكـفه . وأوله الجمهور بأن هذا دخولـه للبناء المضروب له . أما دخوله المسجد للاعتكاف فقد كان قبل ذلك (وتأمل) .

---

(١) هذا رأى مالك بالخصوص ، ويرى أنه لو خرج بعد الغروب من ليلة العيد لما كان فى ذلك بأس .

فضل الاعتكاف :

الاعتكاف انقطاع إلى الله ، والمعتكف فى جوار الله لملازمته بيت الله ، وليس للعبد من حالة أكمل ولا أفضل من الحالة التى يكون فيها مع الله بروحه منقطعا إليه فيها بجسمه . ومن هنا كان الاعتكاف من أفضل الأعمال ، وليس أدل على أفضليته من هذين الأثرين :

١ ـ أخرج أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ «أن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم إن غابوا يفتقدوهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا فى حاجة أعانوهم » .

٢ ـ أخرج الطبرانى والبزار عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المسجد بيت كل تقى ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة ، والجواز على الصراط إلى رضوان الله ، إلى الجنة » .

حكمة الاعتكاف :

من حكم الاعتكاف :

١ـ ترويح النفس البشرية بالانقطاع إلى الله عز وجل وتطييبها بعبادته تعالى وذكره .

٢ـ تعويد المسلم على الهجرة وتمرينه على الاغتراب فى ذات الله سبحانه وتعالى .

٣ـ ما يحققه التبتل والانقطاع إلى الله تعالى ، وجمع القلب على طاعته من عظيم الحسنات التى قد يكفر الله بها ما شاء من سيئات العبد التى يجترفها طوال السنة ، فالاعتكاف من هذه الناحية أشبه بحج يغفر الله به ذنوب عباده ، وأمثل بعملية تطهير سنوية يتعهد بها المؤمن روحه من سنة لأخرى ليحافظ بها على طهارة روحه تلك الطهارة التى تتوقف عليها سعادته وكرامته فى الدار الآخرة لقوله تعالى:

﴿ قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾

خامسا ـ فى الاعتمار :

الاعتمار : زيارة بيت الله الحرام . بالطواف به ، والسعى بين الصفا والمروة بنية العمرة ، وإذا كان الاعتمار من أفضل الأعمال وأعظم القرب لقوله ﷺ : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما » ، وقوله : « الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب » وقوله : « جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة » ، وقال : «النساء عليهن جهاد لا دم فيه الحج والعمرة » .

فان الاعتمار فى رمضان أعظم منه فى غيره ، لما روى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال : « عمرة فى رمضان تعدل حجة معى » .

فانظر أيها المسلم الكريم كيف ارتفعت درجة العمرة لوقوعها فى رمضان إلى درجة الحج ، وارتقت إلى حجة عظيمة معه ﷺ .

ثبوت الرؤية لرمضان

فرض الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة الإسلامية الصيام بقوله :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ﴾ .

ثم بين أنه صوم شهر رمضان بقوله :

﴿ شهر رمضان [١] الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ .

ثم أناط صيامه بمن شهده بقوله :

﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ .

والشهر عادة يثبت بانقضاء الشهر الذى قبله ، أو برؤية هلاله أول ليلة منه . فانحصرت لهذا معرفة دخول رمضان فى أمرين :

الأول : تمام الشهر السابق وهو شعبان ثلاثين يوما ، لأن الثلاثين هى الغالبة .

الثانى : رؤية هلال [٢] رمضان .

وعلى هذا المنطق السليم . جاء بيان الرسول ﷺ فقال : « إذا رأيتم الهلال[٣] فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا » ، وهو عام للرؤيتين : رؤية رمضان للصوم ، ورؤية شوال للإفطار . وهذا حيث لاغيم ولاقتر ، لأنه الغالب ، فإن حصل ما يحول دون الرؤية من غيم أو سحاب أو قتر فإن الرسول ﷺ قال : «لا تصوموا [٤] حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروا الهلال ، فان غم عليكم

---

(١) هذه الآية هى والتى قبلها من سورة البقرة .

(٢) يستحب لمن رأى الهلال أن يقول ؛ الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، ربى وربك الله . لما روى الأثر عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال : «الله أكبر . . . » الخ .

(٣) يستحب للناس ترائى الهلال ليلة الثلاثين من شعبان ليحتاطوا لصيامهم لما روى الترمذى أن النبى ﷺ قال : « أحصوا هلال شعبان لرمضان » ؛ وهذا يقتضى ترائى رؤية شعبان أيضا .

(٤) رواه البخارى .

فاقدروا له » ، والمراد بقوله ﷺ فاقدروا له : أن ينظر فى أول الشهر وتكتمل عدته ثلاثين يوما ، وهذا تفسير الجمهور المعتمد فيه على ما جاء مفسراً فى رواية أخرى : « فان غم عليكم [1] فأكملوا العدة ثلاثين يوماً » ، وهو صالح للاستدلال به على الصيام والإفطار ؛ فإنه إن غم علينا فى هلال شوال أتممنا رمضان ثلاثين يوما ، ثم أفطرنا ، كما هى الحال فى الصيام ، فإنا نتم شعبان ثلاثين يوما ثم نصوم . هذا وهناك جوانب للموضوع تحتاج إلى دراسة نتعرض لها فى البيانات التالية :

الأول : اختلف فى رؤية الواحد هل يثبت بها الصوم والفطر أولا ؟ والجمهور على أن رؤية العدل يثبت بها الصوم دون الفطر ففرقوا بين الصيام والإفطار ، لما روى الطبرانى والدارقطنى ، أن رجلا جاء إلى والى المدينة ، وبها ابن عمر وابن عباس فشهد عنده على رؤية هلال شهر رمضان ، فسأل ابن عمر وابن عباس عن شهادته ، فأمراه أن يجيزها وقالا : إن رسول الله ﷺ أجاز شهادة رجل واحد على رؤية هلال رمضان ، وكان لا يجيز شهادة الإفطار إلا بشهادة رجلين .

وهذه الرواية وإن ضعفت عندهم فإنه يحمل على قبولها والعمل بها الاحتياط للدين ، فإن صيام يوم من شعبان خطأ أهون من إفطار يوم من رمضان خطأ . ثم إن الفاسق إذا أراد أن يغرر أو يضلل فإنه لا يغرر أو يضلل فى الصيام ، لأنه مخالف لطبيعته ولما يميل اليه من حب الإفطار ، وإنما يضلل الناس أو يغرر بهم فى الإفطار لرغبته فيه . فلذا رأى الجمهور أن من الحيطة قبول شهادة العدل الواحد فى الصوم دون الفطر ، وهو فقه دقيق ، وعلم عميق [2] .

الثانى : اختلف فيمن رأى الهلال . وروت شهادته هل يصوم أو يفطر ؟ الجمهور على أنه يصوم إن رأى هلال رمضان ، ولا يفطر إن رأى هلال شوال لقوله ﷺ :« الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون ، والأضحى يوم تضحون» ، وهذه المسألة منظور فيها كسابقتها الى الاحتياط ، لأن رؤية الفرد قد تخطئ وقد تصيب ،ولأن تخطئ فى الصوم فيصوم يوما زائدا أولى من أن تخطئ

(١) رواه البخارى .

(٢) ممن يرى اشتراط العدلين صياما وإفطارا مالك رحمه الله تعالى .

فى الفطر فيفطر يوما من رمضان ، وقد أمر الله بإكمال عدته بقوله تعالى: ﴿**ولتكملوا العدة**﴾ .

الثالث : اختلف فى قوله ﷺ : « فإن غم عليكم فاقدروا له » ، فإن ابن عمر رضى الله عنه ومن تابعه من رجال السلف قالوا معنى فاقدروا له ، هو من قدر عليه رزقه ، إذا ضيقه إشارة الى قوله تعالى : ﴿ **ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله** ﴾ . وعليه فمعناه إذاً التضيق على شعبان بأن يصام يوم الثلاثين منه وهو يوم الشك احتياطا ، وتعليل هذا أن يكون الشهر تسعة وعشرين كما يكون ثلاثين، واذا حال دون الرؤية غيم فمن الجائز أن يكون يوم الثلاثين أول رمضان باعتبار نقصان شعبان ، فمن الحيطة إذاً أن يصام يوم الشك ، وقد أفصح عن هذا ابن عمر رضى الله عنه بقوله : (١) لأن أصوم يوم الشك أحب إلى من أن أفطر يوما من رمضان .

أما الجمهور فهم على خلاف هذا ، وقالوا معنى « اقدروا له » : أتموا عدة شعبان ثلاثين يوما ، ثم صوموا كما جاء اللفظ مفسرا فى رواية : « فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

وقالوا : يوم الثلاثين عند وجود الغيم هو يوم الشك المنهى عن صومه بقوله: « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم » . ورحم الله الجميع ورضى عنهم وعنا آمين .

الرابع : هل يرجع إلى الحساب فى شأن الرؤية ؟ الجمهور على أنه لا يرجع فى شأن الرؤية بالحساب أيا كان حساب منازل أو حساب تنجيم . أما الأول فلقوله ﷺ : « إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب (٢) الشهر ، الشهر هكذا » ، وهكذا يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين . وأما الثانية فلقولهﷺ :

« من صدق كاهنًا (٣) أو عرافًا أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .

---

(١) وهو منسوب الى أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما ، ولعل نسبته اليهما أصح .

(٢) يحسب بالضم بمعنى يعد . أما يحسب بالفتح والكسر فهو بمعنى يظن ؛ والحديث أخرجه الشيخان .

(٣) الكاهن : المدعى لعلم الغيب . أى يخبر عن المستقبل ، وأما العراف فهو الذى يخبر عن الماضى ، ويدعى معرفة ما دخل من الأشياء أو غاب ؛ وأما المنجم فهو الذى ينظر فى النجوم ويخبر عن وقوع الحوادث فى العالم . الحديث رواه أحمد والحاكم .

ومن هنا فلا يعمل بالحساب إلا فى إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما ، عند عدم التمكن من الرؤية بسبب الغيم والسحاب والقتر ؛ وهذا مبنى على سماحة الشريعة الإسلامية ونصاعتها ووضوحها :«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأتموا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

الخامس : إذا رأى الهلال أهل إقليم فهل يلزم ذلك أهل إقليم آخر ؟ اختلف فى هذه المسألة أيضا ، فمن قائل بعدم الوجوب ، وهم الأكثرون . ومن قائل باللزوم فيما سامت وجاور بلد الرؤية دون ما كان بعيدا كالهند أو المغرب بالنسبة للحجاز مثلا ، ومن قائل باللزوم إذا كان الإمام واحدا لوجوب طاعته ، وإن نأت الديار وتباعدت الأقاليم ، ومن قائل باللزوم مطلقاً إذا ثبت الرؤية بشروطها ، ووصلت إلى أهل إقليم بشهادة عدلين ، ووجب عليهم قبولها صياماً أو إفطاراً .

وحجة القائل بعدم اللزوم برواية مسلم وأحمد والترمذى عن كريب قال : قدمت الشام واستهل على هلال رمضان وأنا بالشام ، فرأيت الهلال ليلة الجمعة . ثم قدمت المدينة آخر الشهر ، فسألنى ابن عباس ــ ثم ذكر الهلال ــ فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت : رأيناه ليلة الجمعة . فقال أنت رأيته ؟ فقلت: نعم ، ورآه الناس فصاموا ، وصام معاوية . فقال : كلنا رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوما أو نراه . فقلت : ألا تكتفى برؤية معاوية ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

هذا والذى أراه فى الموضوع أمران :

أحدهما : انه لا بأس ولا مانع من صيام وإفطار أقاليم متعددة على رؤية إقليم واحد ما دامت الرؤية قد ثبتت بعدلين ، ووصلت بعدلين ، ولم يختلف الليل والنهار بين تلك الأقاليم اختلافا كبيرا كأن يكون الفرق أربع ساعات فأكثر ، وذلك كإقليم المغرب العربى والسودان وسوريا والحجاز ، وما سامت هذه الأقاليم من منطقة الشرقين الأوسط والأدنى .

وذلك استناداً على قوله ﷺ : « صوموا [١] لرؤيته وأفطروا لرؤيته » فانه

---

(١) وكذا قوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ .

خطاب عـام يشمل الأمة الإسلامـية جمعاء ، فلـم يخص فيه إقلـيم دون آخر ، ولاقطر دون قطر ، وإنما العبرة بثبوت الرؤية ، كما فهم ذلك ابن القاسم ، وكثير من أهل الـعلم ، وقالـوا بلزوم من بـلغهم الخـبر بشهـادة عدلين أن يصـوموا أو يفطروا .

وثانيهـما : أرى كثيرا من أهـل العلم وغيرهـم يتذمرون من اختـلاف البلاد الإسلامية فى الـصيام والإفطار ، ويعدون هذا الاخـتلاف منكرا ينبغـى إزالته فى حين أنه لا داعى لهذا التذمر ، والإسراف فيه أبـدا ، فانه لو تمسك أهل كل إقليم برؤيتهم ، فصـام أهل المغرب أو أفطروا ، وصام من فى سوريـا أو أفطروا ، بناء على رؤيتهم غير ملتفتين إلى رؤية غيرهم ، لما زاد هذا الاختلاف الدين إلا متانة ، والعقيدة الإسلامية إلا رسوخا وثبوتاً ، ولعلم أهل الدنيا أننا أمة ثابتة لانتهاون فى أمر ديننا ، ولا نتساهل فى شأن شريعة ربنا ، وإنا لا نخضع ديننا للمظاهر المادية ، ولا للتيارات العاطفية ، وإنا مع سلفنـا القائل : لكل أهل بلد رؤيتهم . كما جاء ذلك عن ابن عباس حبر هذه الأمة رضى الله عنه ، وعن سائر وسلف هذه الأمة الصالحة .

شروط الصيام

يشترط فى وجوب الصوم على المرء أن يكون مسلمًا عاقلاً بالغًا ، وإن كانت امرأة يشترط لصحة صيامها : أن تكون طاهرة من دم الحيض والنفاس . فلاصيام على كافر أو مجنون أو صبى . كما لا يصح صيام من حائض ولا نفساء .

وأدلة هذا أحاديث الرسول ﷺ كقوله : « رفع [1] : القلم عن ثلاثة المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم » .

والإجماع العام فإن العلماء أجمعوا على عدم وجوب الصوم على من ذكر ، وعلى عدم صحة صوم الحائض والنفساء .

حكم صوم المسافر
والمريض والشيخ الكبير والحامل والمرضع

هؤلاء خمسة أصناف : المريض ، والمسافر ، والشيخ الكبير ، والحامل ، والمرضع . وجب عليهم الصوم ، ورخص لهم فى الفطر ، لما قام بهم فى العذر. أما المريض والمسافر فلقوله تعالى : ﴿ **ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾ . فحكمهما بنص الكتاب بأنه يباح لهما الإفطار ، ويصح منهما الصيام إن صاما ، وكان الصوم لا يلحق بهما ضررا كبيراً ، وإن أفطرا وجب عليهما القضاء بعد زوال العذر .

وأما الشيخ الكبير ، والمرأة العجوز ، وكذا المريض الذى لا يرجى برؤه . فإنهم إن عجزوا عن الصوم سقط عنهم ، ووجب عليهم فدية طعام مسكين عن كل يوم يفطرونه .

ودليل هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : رخص للشيخ الكبير أن يطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه ولعله مأخوذ عن قوله تعالى : ﴿**وعلى الذين [1] يطيقونه فدية طعام مساكين** ﴾ الآية .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

(٢) الآية من سورة البقرة . هى قراءة ، وهى قراءة ورش . أما قراءة حفص فهى ﴿ **فدية طعام مسكين**﴾ .

أما المرضع والحامل فإنهما إن خافتا على أنفسهما أو ولديهما يرخص لهما فى الفطر كالمريض . ثم هل عليهما قضاء وإطعام ، أو قضاء بلا إطعام ، أو إطعام بلا قضاء ؟ .

اختلف أهل العلم فى ذلك فمن قائل عليهما القضاء دون الإطعام ، ومن قائل عليهما الإطعام دون القضاء ، ومن قائل القضاء والإطعام معا ، ومنهم من فرق بين أن يكون الخوف على نفسهما أو على ولديهما ، فإن كان على ولديهما قال : عليهما القضاء والإطعام معا ، وإن كان على نفسهما قال : عليهما القضاء فقط .

هذا وما دام الدليل مع كل قائل غير قطعى الدلالة ــ وإلا لما اختلفوا ــ فإن أحوط هذه الاقوال قول من قال : بالقضاء والإطعام ، وأيسرها من قال : بالإطعام دون القضاء ، وأعدلها من قال : بالقضاء دون الإطعام ، وأفقهها من فرق بين من خافت على نفسها ،وبين من خافت على ولدها . وفى هذا الخلاف ما يروح على نفس الراسخين فى العلم .

[تنبيه] المراد بالإطعام فى هذا الباب إعطاء مد (حفنة) من بر لأحد الفقراء أو المساكين عن كل يوم يفطر فيه .

حكم صوم الصبى
وعلامات بلوغه

الصيام كالصلاة فى اشتراط البلوغ لوجوبه على المسلم وفى كون المميز من الصبيان يؤمر به استحبابا من أجل رياضته وتمرينه على أداء هذا الركن الهام من أركان الإسلام . فقد صح أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يصومون صبيانهم. فقد أخرج البخارى عن الربيع بنت معوذ أن رسول الله ﷺ أرسل صبيحة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار :« من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه » . فكنا نصومه بعد ذلك ، ونصوم صبياننا الصغار منهم . فلهذا استحب لأولياء الصبيان أن يأمروهم بالصيام كما أمروهم بالصلاة لسبع سنين ، حيث جاء الندب بذلك رياضة وتمريناً لهم على الصيام إن كانوا يستطيعون ذلك بلا مشقة كبيرة ، ولا جهد مضن ، حتى إذا بلغوا

النكاح أمروهم بالصيام أمر إلزام ووجوب ، وقسروهم على أداء هذا الركن العظيم من أركان الإسلام قسراً وأكرهوهم على صيام رمضان إكراها .

علامات البلوغ :

أما علامات البلوغ فإنها بالنسبة للغلام ثلاثة : ـ

إنبات الشعر والمراد به شعر العانة الخشن لا الزغب الرقيق ، والاحتلام وهو خروج المنى وبلوغ خمسة عشرا أو ستة عشرا إلى ثمانية عشر سنة وهو أقصى حد للسن ومهما كان جسم الصبى ضعيفاً فمتى وجدت علامة من هذه العلامات الثلاث فى الصبى فقد بلغ وانتقل من حالة الطفولة إلى حالة الرجولة وأصبح مكلفا بسائر أنواع التكاليف الشرعية من صيام وصلاة وحج وغيرها .

وأما بالنسبة إلى الجارية فهى إنبات الشعر والحيض والحمل وبلوغ السن المذكورة فى علامات بلوغ الغلام .

العلة فى عدم تكليف الصبى والمجنون والكافر

أما الصبى والمجنون فلانهما لا يعقلون معنى القربة ولا معنى الطاعة والامتثال والتكليف من شرطه أن يكون المكلف قاصدا بعمله الامتثال والطاعة أو الزلفى والتقرب وأما الكافر فإنه وإن كان يفهم من معنى التكليف أنه الطاعة والامتثال فإنه لما كان لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى ولا بأصول دينه . وقواعد شرعه أصبح من غير الممكن أن يقصد بعمله طاعة من لا يؤمن به ولا يعرفه ، ومن شرط القصد العلم بالمقصود فلذا لم يكن فى تكليفه بفروع الشريعة من معنى يكلف من أجله .

أحكام الصيام فى السفر

١ ــ المسافة التى يباح الفطر فيها :

الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم على أن المسافة التى يباح فيها الفطر للصائم هى المسافة التى يسن فيها قصر الصلاة وهى أربعة برد فأكثر أى ثمانية وأربعون ميلا فأكثر مع ملاحظة أن مسافة الأربعين برد لم تكن إلا من قبيل الاجتهاد من الصحابة والتابعين لأنه لم يرد فيها عن الرسول ﷺ نص صريح بتحديد المسافة بها ولما كانوا قد وضعوها حداً أدنى لقصر الصلاة قاسوا عليها

الصيام لظهور علة الإفطار فيه وهى المشقة والمشقة لا تحصل عادة فى أقل من مسافة قصر الصلاة ، أما غير الجمهور فإنهم يرون أن كل ما يسمى سفراً لغة يباح فيه الفطر والقصر طالت المسافة أوقصرت بدعوى أنه لم يثبت عن الشارع تحديد ، ورأى الجمهور أحوط وأضبط وهو الذى ينبغى التعويل عليه وإلا فقد يتلاعب بالأحكام الشرعية ويتجرأ الفسقة وضعفة الإيمان على انتهاك حرمة رمضان بالخروج من البلد عدة أميال بدعوى أنهم سافروا وقد رأيناهم ينشئون الأسفار لا لحاجة إلا من أجل ألا يصوموا ، والعياذ بالله تعالى من هذا الانهزام المشين أمام النفس والهوى .

ثانيا ــ متى يباح للمسافر الفطر :

الجمهور على أنه يباح للمسافر الفطر متى نوى للسفر وعزم عليه ولو لم يخرج من بيته بعد لما روى الترمذى أن أنس بن مالك أتى فى رمضان وهو يريد سفرا وقد وحلت راحلته ولبس ثياب السفر فدعا بطعام فأكل فقيل له : سنة ؟ فقال سنة ، ثم ركب . هذا فيما إذا لم ينو الصيام أما إذا نواه فإنه لا يرخص له فى الفطر إلا بعد الخروج من البلد والشرع فى السفر وإن رأى بعضهم أنه لايرخص له فى الفطر ما دام قد نوى الصيام ، غير أن رواية مسلم حجة عليهم ونصها أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس معه فقيل له أن الناس قد شق عليهم الصيام ، أن الناس ينظرون فيما فعلت . فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون اليه فأفطر بعضهم وصام بعضهم ، فبلغه أن ناساً صاموا فقال : «أولئك العصاة » .

ثالثا ــ أيهما أفضل للمسافر الفطر أم الصوم :

بغض النظر على رأى الظاهرية القائلين بعدم إجزاء الصوم فى السفر تمسكاً منهم بظاهر قوله تعالى : ﴿ **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**﴾ فإن الجمهور قد اختلفوا فى أيهما أفضل الصوم أم الفطر ، وأجمل ما فى الموضوع أن المسافر إذا كان يشق عليه الصوم ويضعفه فيقعد به عن القيام بأعباء سفره وتكاليفه أن الفطر له أفضل ، وإن كان لايشق عليه ، ولا يحول دون قضاء حاجياته فالصوم له أفضل . هذا .

وقد وردت أحاديث كثيرة ترد مذهب الظاهرية فى وجوب الفطر على المسافر،

وتقرر التمييز بين الفطر والصوم ، وتشهد لمن رجح أحدهما بحسب المشقة وعدمها، ومن هذه الأحاديث حديث مسلم عن حمزة الأسلمى قال :قال : قلت يا رسول الله أجد منى قوة على الصوم فى السفر فهل على جناح ؟ فقال : « هى رخصة من الله تعالى ، فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه ».

وكذا حديث أحمد ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فى رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد [1] الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم ، ثم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسنا ، ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن .

تنبيهات

١ ـ أجمعت الأمة على أن من أفطر من ذوى الأعذار المبيحة للفطر من مرض أو سفر أو حيض أو نفاس أن عليه القضاء بعدد الأيام التى أفطر فيها بعد زوال العذر لقوله تعالى :

﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ .

٢ ـ من فرط فى قضاء رمضان بدون عذر حتى دخل عليه رمضان آخر فإن عليه أن يطعم مكان كل يوم يقضيه مسكينا ، فيجمع بين القضاءوالإطعام لما روى مالك فى الموطأ عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه ، أنه كان يقول : من كان عليه قضاء رمضان فلم يقضه وهو قوى على صيامه حتى جاء رمضان آخر فإنه يطعم مكان كل يوم مسكينا مداً من حنطة ، وعليه مع ذلك القضاء .

٣ ـ من مات من المسلمين وعليه صيام ، قضاه عنه وليه سواء كان الصوم صوم رمضان أو صوم نذر أو كفارة غير أنه إذا كان مما ينبغى فيه التتابع صامه عنه وليه متتابعا كما فاته وإن كان غير متتابع كصيام رمضان جاز متفرقاً حتى ولو صام عنه ثلاثون رجلا يوما واحداً لأجزأ عن شهر هذا ودليل القضاء عن الميت ـ رواية البخارى .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « من مات وعليه صيام صام عنه وليه» وكذا روايته عن ابن عباس رضى الله عنه ان رجلا جاء إلى النبى ﷺ

(١) يقال : وجد عليه يجد إذا أغضب عليه .

فقال : يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم شــهر ، أفأقضيه عنها ؟ قال «نعم فدين الله أحق أن يقضى ».

أركان الصيام

أركان الصيام ثلاثة : النية ، والامساك ، والزمان .

أما النية فــهى عزم القلب على الــصوم امتثالاً لأمر الله عــز وجل ، أو تقربا إلى الله تــعالى ، فإن كان الصيــام فرضا وجبت النيــة بليل قبل الفــجر ولم تجزئ بعده لما روى أحمد عنه ﷺ :« من لم يجمع الصيام قــبل الفجر فلا صيام له » ، ولما روى مالك موقوفــا والبخارى مرفوعا ، عنه عليه الــصلاة والسلام :« من لم يبت الصيام من الليل فلا صيام له » . وإن كان الصيام تطوعاً فإن نية النهار تجزى فيه إذا كان لم يطعم شيئا ، مع مــلاحظة أن مالكا يرى عدم الإجزاء ، والجمهور على خلافه وحجتهــم حديث عائشة رضى الله عنها عن مســلم ونصه قالت رضى الله عنها : دخل على رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : «هل عنــدكم شىء قلنا : لا ، قال: فإنى صائم ». فدلت هذه الرواية على صحة إنشاء نية صيام التطوع من النهار، غــير أن هذا لا ينافى أن الصــوم الكامل هو ما كــان قد بيته صاحبــه بليل ووطن نفسه كما رأى مالك والجواز شىء والكمال شىء آخر (فليتأمل) .

والإمساك هــو الكف عن المفــطرات من أكل وشرب وجــماع لقوله تــعالى : **﴿فالآن باشروهن وابــتغوا ما كتب الله لكــم وكلوا واشربوا حتى يتبيــن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾** .

فدلــت الآية علــى أن الصوم هــو الإمساك عن كــل مفطــر وتعيَّن بــذلك أن الإمساك ركن الصوم .

وأما الزمان : والمراد به النهار وهو من طلــوع الفجر إلى غروب الشمس فهو ركن الصيام بحيث لا يصح الصيام بدونه فلو صام أحد الليل وأفطر بالنهار لما قيل فيه أنه صائم لقوله تعالى :

﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ .

فدلت الآية عــلى أن الصيام بالــنهار لا بالليل ، فــكان بذلك النهــار ركنا من أركان الصيام الثلاثة التى لا يتحقق إلا بها .

[تنبيه] اختلف فى تجديد النية فى رمضان ، فقال مالك وأبو حنيفة لا يجب تجديدها كل ليلة بل يكتفى فيها بنية أول ليلة من رمضان كاملا ، وإنما يستحب تجديدها فقط ، وهذا ينقطع صوم رمضان بمثل سفر أو مرض أو حيض أو نفاس فإنه يتعين تجديدها حينئذ عند استئناف الصوم والشروع فيه وقال غيرهما ينبغى تجديد النية كل ليلة سواء انقطع الصوم أو اتصل والأقرب إلى سماحة الشريعة المحمدية ويسرها أن نية أول ليلة كافية إذا لم ينقطع الصوم فإن انقطع وجب تعينها عند الاستئناف غير أن ذكر النية كل ليلة بعزم القلب على امتثال أمر الله سبحانه وتعالى خير وأفضل لما فى ذلك من معنى الإحسان الذى هو قوام كل عبادة .

سنن الصوم

من آداب الصوم وسننه تعجيل الفطر وكون الفطر على رطب أو تمر أو ماء والدعاء عنده والسحور وتأخيره فهذه خمس سنن نبينها فيمايلى :

الأولى : تعجيل الفطر والمراد به الافطار عقب تحقق غروب الشمس بلا مهلة بحيث لا يستقل الصائم بشىء سوى الافطار ، لا صلاة ولا غيرها لقوله ﷺ : «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» وقوله :«إذا جاء الليل من هاهنا وذهب النهار من هاهنا وغابت الشمس فقد أفطر الصائم» ، ولقول أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ لم يكن يصلى المغرب حتى يفطر ولو على شربة ماء .

حكمة تعجيل الفطر

من حكم تعجيل الفطر سرعة امتثال المؤمن لأمر ربه وإظهار نعمة الله عليه بإباحة ما كان ممنوعا والتفرغ إلى صلاة المغرب بدفع غائلة الجوع والعطش والرفق بضعفاء الأمة ورحمة بالعاجزين منها .

الثانية : كون الفطر على رطب أو تمر أو ماء من سنن الصوم أن يفطر الصائم على واحدة من ثلاث : الرطب فإن لم يجده فالتمر فإن لم يجده فالماء ، وأفضل هذه الثلاثة أولها وآخرها أدناها ، والمراد بالرطب نضج البصر ، والمراد بالتمر ما يبس من الرطب فيقدم اللين على اليابس ، ويستحب أن يقطع الرطب أو التمر على وتركأن يفطر على ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع مثلا لقول أنس بن مالك رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فان لم

تكن فعلى تمرات ، فان لم تكن حسا حسوات من ماء ، أخرجه أبو داود فى سننه

حكمة الفطر على هذه الثلاثة

أما الافطار على الرطب فانه ثبت طبيا أنه يجلو البصر إذا أكل عند فراغ المعدة من الطعام والتمر مثله غير أن الرطب أكثر نفعاً ، وأما الماء فانه يبرد الكبد ويذهب عنه جفافه الناشئ عن العطش فيكون بذلك منبها للكبد ومساعدا له على أداء وظيفته كما أن هذه الثلاثة ليست مما مست النار فالإفطار عليها يساعد على النشاط فى أداء صلاة المغرب ، بخلاف الإفطار على غيرها مما مست النار فانه يثقل المرء ويصيبه بالارتجاف الذى يتحاشاه العابدون .

الثالثة : الدعاء عند الافطار : يسن الدعاء عند الإفطار لعمل الرسول ﷺ وقوله فقد روى عنه ﷺ أنه كان يقول عند فطره : «اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم»، وكان يقول :«اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء فاغفر لى ذنوبى »وكان يقول : «ذهب الظمأ وابتلت العروق : وثبت الأجر إن شاء الله تعالى ».

حكمة الدعاء عند الافطار

الصوم من أعظم القرب والتوسل إلى الله فى قضاء الحاجات ، ورفع الدرجات يكون بالتقرب إلى الله تعالى بعظيم القرب وصالح الأعمال ، فلهذا سن للصائم أن يدعو عند فطره لأن صومه من أكبر الوسائل إلى الله تعالى فى استجابته للدعاء وتحقيق الرجاء وهذا ظاهر من قوله ﷺ :«إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد »وقوله:« ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل والمظلوم».

الرابعة : السحور [1] : والسحور هو الأكل والشرب فى السحر الذى هو الجزء الآخر من الليل بنية الصوم وهو من سنن هذه الأمة الخاصة بها لقوله ﷺ: «إن فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور »، وقد سنه الرسولﷺ

---

(١) السحور بالضم هو كما عرفناه وأما بالفتح فهو ما ينسحر من طعام وشراب بالفتح هو ما يتطهر به من ماء أو تراب .

لنا ورغب فيه بالقول الصادق فقد أخرج أحمد والبخارى ومسلم عن زيد بن ثابت رضى الله عـنه قال: تسحرنا مـع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلـى الصلاة وعن أنس رضى الله عنـه أن النبى ﷺ قال :« تسحـروا فإن فى السحور بـركة» وقال :«من أراد أن يصوم فـليتسـحر بشىء»وأخرج أحـمد عن أبى سعـيد رضى اللـه عنه أن رسول الله ﷺ قال : «السحور سـنة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحـدكم جرعة ماء فان الملائكة يصلون على المتسحرين ».

الخامسة :تأخير السحور :

المراد بتأخير السحور تأخيره إلى الجزء الأخـير من الليل ووقت السحور يبتدئ من نصف الـليل الأخير وينتـهى بطلوع الفجر غـير أن السنة فى تأخـيره إلى قرب الفجر بـحيث إذا فرغ منه لم يـنتظر طويلا الـفجر فقد روى البخـارى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : تـسحرنا مع النبى ﷺ ثم قام إلى الصـلاة فقلت : كم كان بـين الآذان والسحور قـال قدره خمـسين آية والـزمن الذى يقـرأ فيه الـقارئ خمسـين آية لا يتجـاوز نصف ساعـة مهما تـرسل فى القـراءة ورتلها وقـد رغب الرسول ﷺ فى تأخـير السحـور بقوله :« لا تزال أمـتى بخير مـا عجلوا الـفطر وأخروا السحور ».

تنبيهان

أ ــ من شك فى طلوع الـفجر له أن يأكل أو يشرب حتى يتيـقن طلوع الفجر ثم يمسك لقوله تعالى :

﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخـيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾.

فإن فى هذه الآيـة تصريح بجواز الأكل والـشرب إلى تحقق الفجـر وقد قيل لابن عباس رضى الله عنهما : إنى أتسـحر فإذا شككت أمسكت . فقال له : كل ما شككت حتى لاتشك .

ب ــ يسن اتخاذ مؤذنين يختلف صوتهما ، يؤذن أحدهما للسحور ، وثانيهما للإمساك . فقد كان للنبى ﷺ مؤذنان بلال وابن أم مكتوم . فقد أخرج أصحاب

---

(١) وكذا قوله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه .

السنن أن النبى ﷺ قال : « إن بلالا مؤذن بليل لينبه نائمكم ويرجع قائمكم » . وروى مالك فى الموطأ عن سالم بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم » قال :وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادى حتى يقال له أصبحت أصبحت . فاتخاذ مؤذنين فى القرى والأمصار من سننه ﷺ . أما ما يتخذه الناس اليوم فى كثير من البلاد الإسلامية من رجل يضرب بطبل ، ويصيح طائفاً بأبواب المنازل وهو يقول فى صوت منكر: « سحور سحور » . فهو من البدع المنكرة التى يجب إبطالها ، وإحلال سنة المؤذنين محلها .

حكمة السحور وتأخيره :

من الحكمة فى السحور أنه فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب . فقد قال ﷺ : « إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور » . كما أنه يعين الصائم على صومه ، ويساعده على القيام بعمله ، فإن فيما يتبقى فى معدته من طعام وشراب ، العون الكبير على مواصلة صومه بارتياح ، وعمله اليومى بنشاط .

أما تأخيره : فإنه يساعد على أداء صلاة الصبح فى وقتها ، ومع الجماعة ، لأنه لو قدم السحور ونام لا يأمن أن ينام فلا يستيقظ حتى يخرج وقت الصلاة . كما أن تأخيره إلى آخر الليل يصبح الصائم معه نشطاً قويا . غير شاعر بجوع أو عطش طوال نصف النهار الأول ، لأن السحور يعتبر له كفطور الصباح العادى . فمن حكم السحور وتأخيره ، المساعدة للمسلم على العمل لمعاده ومعاشه ، ولهذا قال الرسول ﷺ : « تسحروا فإن فى السحور بركة » ، وقال : « هلموا [1] إلى الغداء المبارك » .

مكروهات الصوم

يكره للصائم فعل أمور من شأنها الإفضاء بالصائم إلى إفساد صومه ، وهذه الأمور وإن كانت غير مفسدة للصوم بنفسها . غير أنها تؤدى إلى ما يفسد الصوم،

---

(١) أخرجه النسائى .

(٢) أخرجه الأربعة ومحمد بن خزيمة .

فكرهت من أجل ذلك ، ومنها :

١ ـ المبالغة فى المضمضة والاستنشاق عند الوضوء لقوله ﷺ : «وبالغ [١] فى الاستنشاق إلا أن تكون صائما » فكره له ﷺ المبالغة خشية أن يصل الماء إلى جوفه ، فيفسد صومه .

٢ ـ القبلة : تكره القبلة للصائم لأنها قد تؤدى إلى إثارة الشهوة التى تجر إلى إفساد الصوم بالإمذاء أو الجماع . أما ما روى عن عائشة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ كان يقبل بعض أزواجه وهو صائم ، ويباشر وهو صائم . فانه لا دلالة فيه على عدم الكراهية . لأنها قيدته بقولها : وكان أملككم لأربه ، وحقاً من يساوى المعصوم أو يماثله فى ضبط النفس وطهارتها ، جعلنى الله فداه .

٣ ـ إدامة النظر إلى الزوجة أو الجارية .

٤ ـ الفكر فى شأن الجماع .

٥ ـ اللمس أو المباشرة بالجسد للعلة السابقة للقبلة .

٦ ـ مضغ العلك (اللبان)لأنه يؤدى إلى تسرب بعض أجزائه الى الجوف .

٧ ـ ذوق الطعام أو القدر لمعرفة طعمه لأنه يؤدى كذلك إلى تسرب شىء منه إلى الجوف .

٨ ـ المضمضة فى غير الوضوء أو حاجة تدعو إليها ، للعلة المذكورة فى مضغ العلك .

٩ ـ الاكتحال بالكحل للعلة السابقة .

١٠ ـ الحجامة أو الفصد مع خشيه الضعف المؤدى إلى الإفطار لما فى ذلك من التغرير بالصوم .

فهذه الأمور وغيرها كرهها أهل العلم من الصحابة والأئمة محافظة على حرمة رمضان وصيانا للصوم من الفساد ، ومما يدل على مدى تحرى سلفنا الصالح واحتياطه لدين الله تعالى أن مالكا رحمه الله تعالى قال : كان الأفاضل يتحاشون دخول بيوتهم بالنهار ، محافظة على حرمة رمضان .

---

(١) أخرجه الأربعة ومحمد بن خزيمة .

هذا وانظر ما عليه أغلب المسلمين اليوم من استهتار برمضان واستخفاف بحرمة الصيام ، حتى أن الأغانى الماجنة ومجالس القمار ، وندوات الغيبة والنميمة ، وحفلات الرقص والدعارة ، لا يعرفها الكثير إلا فى شهر رمضان المبارك . ثم احكم بما تراه ، وهل تستطيع أن تحكم بغير فساد حال المسلمين اليوم، وضعفهم فى دينهم .

مبطلات الصوم

للصوم مبطلات عديدة ، متى فعل الصائم واحدا منها فسد صومه وبطل ووجب عليه فى بعضها القضاء ، وفى بعضها القضاء والكفارة معا . فالمبطلات إذاً قسمان : قسم يوجب القضاء فقط ، وقسم يوجب القضاء والكفارة .

ما يوجب القضاء فقط :

يوجب القضاء دون الكفارة أمور هى :

١ ـ وصول مائع إلى الجوف بواسطة الأنف كالسعوط والعين والأذن كالتقطير أو الدبر ، وقبل المرأة كالحقنة .

٢ ـ ما وصل إلى الجوف بالمبالغة فى المضمضة والاستنشاق فى الوضوء .

٣ ـ خروج المنى بلذة النظر أو إدامة فكر ، أو قبلة أو مباشرة .

٤ ـ الاستقاء العمد لخبر (١) من استقاء عمداً فليقض ، أما من غلبه القىء فقاء بدون اختياره فلا يفسد صومه .

٥ ـ الاكل أو الشرب أو الوطء فى حال الإكراه على ذلك .

٦ ـ من أكل أو شرب ، ظاناً بقاء الليل ، ثم تبين له طلوع الفجر .

٧ ـ من أكل أو شرب ، ظاناً دخول الليل ، ثم تبين له بقاء النهار .

٨ ـ من أكل أو شرب نسياناً ثم لم يمسك ظاناً أن الإمساك غير واجب عليه فواصل الإفطار إلى الليل .

٩ ـ وصول ما ليس بطعام أو شراب إلى الجوف بواسطة الفم كابتلاع جوهرة أو حصاة ، أو خيط . لما روى عن عائشة رضى الله عنها : إنما الإفطار مما دخل لا من ما خرج .

١٠ ـ رفض نية الصوم ، ولو لم يأكل أو يشرب إن كان غير متأول للإفطار وإلا فلا .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما . ولفظه : من ذرعه القىء فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمدا فليقض ، ومعنى ذرعه عليه .

١١ ـ الردة عن الإسلام إن عاد اليه لقوله تعالى :

﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ .

ما يوجب القضاء والكفارة :

يوجب القضاء والكفارة معا ، أمور هى :

١) الجماع المتعمد فى غير إكراه ،فمن جامع متعمدا مختارا ، وجب عليه القضاء والكفارة معا ، لحديث أبى هريرة رضى الله عنه « عند الجماعة » قال : جاء رجل الى النبى ﷺ ، فقال : هلكت يارسول الله . قال : «وما أهلكك »؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان . فقال : «هل تجد ما تعتق رقبة »؟ قال : لا . قال : «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين »؟ قال : لا . قال : «فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا »؟ قال لا . قال : ثم جلس فأتى النبى ﷺ بعرق [١] فيه تمر ، وقال : « تصدق بهذا ». قال : فهل على أفقر منا ؟ فما بين لأتيتها أهل بيت أحوج اليه منا . فضحك النبى حتى بدت نواجذه ، وقال :« اذهب فأطعمه أهلك» .

٢ـ الاكل والشرب عمدا بلا عذر مبيح ، عند مالك وأبى حنيفة دون الشافعى وأحمد ، ودليل مالك رحمه الله فى وجوب الكفارة حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وهو أن رجلا أفطر فى رمضان فأمره رسول الله ﷺ أن يكفر. وحديث عامر بن سعد [٢] عن أبيه قال : جاء رجل الى النبى ﷺ فقال أفطرت يوما فى رمضان متعمدا ؟ فقال ﷺ : «اعتق رقبة أو صم شهرين متتابعين ، أو اطعم ستين مسكينا ». ثم القياس : قياس الاكل والشرب على الجماع بجامع انتهاك حرمة الصوم فى الاكل .

٣ـ الاستمناء : عند مالك رحمه الله فمن استمنى بإدامة فكر أو ملاعبة أو مباشرة فأمنى ، وجب عليه القضاء والكفارة قياسا على الجماع بجامع انتهاك حرمة الصوم ، كما تقدم فى حكم الأكل والشرب عمدا .

---

(١) العرق : محركا . مكيال يسع خمسة عشر صاعا .

(٢) رواه الدارقطنى .

(تنبيه) اختلف فيمن جامع ناسياً صيامه ، هل عليه مع القضاء كفارة ؟ أو لا قضاء ولا كفارة عليه ؟

الجمهور أن عليه القضاء دون الكفارة ، وأحمد يرى أن عليه القضاء والكفارة .

الحكمة فى القضاء :

من الحكمة فى قضاء العبادات والصوم من جملتها :

١ـ المحافظة على الأجر الموعود على تلك العبادة كاملا .

٢ـ محو ما يعلق بالنفس من أثر الذنب المترتب على إفساد العبادة المحرم لقوله تعالى :

﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾

وذلك لقوله تعالى :

﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾

ولقوله ﷺ : « وأتبع [١] السيئة الحسنة تمحها » .

٣ـ صيانة العبادات من التلاعب بها ، لأنه إذا كان المفسد للعبادة يعلم أنه مطالب بقضائها امتنع من إفسادها ، وحافظ على صلاحيتها .

ما يباح للصائم فعله
وما يعفى عنه فى الصوم

يباح للصائم أمور كثيرة قد يظن غير الفقيه فى الدين أنها ممنوعة ، وهى :

١ ـ السواك طول النهار ، اللهم إلا ما كان من أحمد فإنه يكرهه للصائم بعد الزوال .

٢ ـ التبرد بالماء من شدة الحر ، وسواء يصبه على جسمه ، أو ينغمس فيه

---

(١) رواه الترمذى وحسنه ، ولفظه تاما : «اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ».

انغماسا .

٣ ــ الأكل والشرب ليلاً حتى تحقق طلوع الفجر .

٤ ــ السفر لحاجة ، وإن كان يعلم أن السفر سيلجئه إلى الإفطار .

٥ ــ التداوى بأى دواء حلال لا يصل إلى جوفه منه شيء ، ومن ذلك استعمال الحقنة فى غير الدبر . أو الإحليل بشرط أن لا تكون بالتغذية .

٦ ــ مضغ الطعام لطفل صغير لايجد من يمضغ له طعامه الذى لا غنى له عنه بشرط ألا يصل منه الى جوفه شيء .

٧ ــ التطيب أو التبخر بالطيب أو البخور لعدم ورود النهى فى كل هذه .

وأما ما يعفى عنه فى الصوم فهو :

١ــ بلع الريق ولو كثر ، والمراد به ريق الصائم نفسه ، وأما ريق غيره فإنه يفسد الصوم .

٢ــ غلبة القيء والقلس إن لم يرجع منهما شيئا الى جوفه بعد أن يصل إلى طرف لسانه .

٣ ــ ابتلاع الذباب غلبة وبدون اختيار .

٤ ــ غبار الطرق والمصانع ، وكذا الدخان [١] ، وسائر الأبخرة التى لا يمكن التحرز منها .

٥ــ الإصباح جنبا ولو يمضى عليه نهاره كاملا ، وهو جنب .

٦ــ الاحتلام : لا شيء على من احتلم نهارا وهو صائم ، لرفع القلم عن النائم .

٧ــ الأكل أو الشرب خطأ أو نسياناً ، غير أن مالكا رحمه الله يرى عليه القضاء إن أكل أو شرب أو جامع ناسيا أو مخطئا ، وكان هذا من الإمام احتياطا فقط . وإلا فقوله عليه الصلاة والسلام : « من نسى [٢] وهو صائم فأكل أو

---

(١) المراد بالدخان دخان النار لا التبغ والشجرة الخبيثة .

(٢) رواه الجماعة .

شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » ، وقوله : « من أفطر فى رمضان ناسيا فلا قضاء [1] عليه ولا كفارة » دليل على عدم القضاء .

[تنبيه] اختلف أهل العلم المعاصرون فى استعمال ما يسمى : بالإبرة للصائم نهارًا ، فقال قوم بالجواز مطلقا ، لأنها ليست مما ينفذ إلى الجوف بواسطة المنافذ المعتادة ، كالفم ، والأنف ، والعين ،والأذن ، والدبر . وقال آخرون بالمنع مطلقا احتياطا ، وفرق جماعة بين ما كان منها فى العرق ، حيث يختلط الدواء بالدم ، وما لم يكن فى العرق فما كان فى العرق منعوه وما لم يكن أجازوه؛ والذى أراه فى الموضوع أن يعظم المسلم من شهر رمضان ما أعظم الله ، وأن يتحاشى كل ما فيه ريبة ، وأن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس ، وأن يتقى من الشبهات ما يستبرئ به لدينه ما دام فى سعة من أمره ، ولم تلجئه ضرورة ، وإن ألجأته الضرورة للتداوى بالإبرة بحيث لم يجد بداً من استعمالها فليستعملها ، وما كان منها فى العروق ، أو كان مخصصا للتغذية يقضى معه احتياطا ، وما لم يكن للتغذية ، ولا فى العروق فلا حرج إن شاء الله تعالى ، ولاقضاء عليه احتياطا ، ولا وجوبا .

---

(١) رواه البيهقى والدارقطنى والحاكم . وقال الحافظ بن حجر : إسناده صحيح .

الكفارة وبيان أنواعها

الكفـارة هى ما يكفـر به الذنب المتـرتب على المخالـفة للشارع أو الجـناية ، وجاءت فى القرآن الكريم موضوعة لجنايتين . وهما : القتل الخطأ لقوله تعالى :

﴿ **ومن قتل مؤمنا خطأ فـتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ الآية : والصيد للـمحرم لقوله تعالى :

﴿ **ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم بـه ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفـارة إطعام مساكين أو عدل ذلك صياما** ﴾ .

ومخالفتين وهما : الحنث فى اليمين لقوله تعالى :

﴿ **لا يؤاخـذكم اللـه باللـغو فى أيمانـكم ولكـن يؤاخذكـم بما عقـدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين** ﴾ الآية .

والظهار من النساء لقوله تعالى :

﴿ **والذين يـظاهرون من نـسائهم ثـم يعودون لما قـالوا فتحـرير رقبة مـؤمنة** ﴾ الآية.

وجاءت السنة النبوية بكفارة رمضان ،وهى المقصودة لنا هنا ،والأصل فيها ــ الرجل الذى جاء إلـى رسول الله ﷺ وقال له : هـلكت يارسول اللـه ، فقال : «ما أهلكك »؟ فقال وقعت [1] على امرأتى فى رمضان . فقال له الرسول ﷺ : «هل تجد ما تعتق رقبة »؟ الحديث .

وهى كما جـاءت فى الحديث نفسـه ثلاثة أنواع : عتق أو صـيام أو إطعام ، فمن جـامع من رجل أو امـرأةعامداً مختـاراً ، وكذا إن أكل أو شرب ، كـما هو مذهب مـالك وأبى حنيـفة ، وجب عليه قـضاء ذلك اليوم مـع كفارة بعتـق رقبة مؤمنة . أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من بر أو تمر أو شعير بحسب الاستطاعة على رأى الجمهور .

---

(١) رواه مالك والجماعة ، وتقدم بطوله فى ص ٢٦٥ .

أما أبو حنيفة فيرى مدين لكل مسكين ، وحديث الأعرابى حجة عليه حيث أن العرق الذى جيء به إلى الرسول ﷺ وكفر به عن الرجل كان مكيالا يسع خمسة عشر صاعا ، والصاع أربعة أمداد ، فكان ما فى العرق إذاً ستون صاعا ، وهى موافقة لرأى الجمهور .

تنبيهات

أ ـ اختلف هل على المرأة الموطوءة كفارة ؟ الجمهور على أن عليها الكفارة إن كانت مختارة ، فإن كانت مكرهة فلا كفارة عليها . وغير الجمهور يقولون لا كفارة عليها لأن الرسول ﷺ لما أمر الرجل أن يكفر كان يعلم أن له موطوءة طبعا ، ولم يأمره فى شأنها بشىء .

ب ـ هل أنواع الكفارة على الترتيب أو التخيير ؟

الجمهور على أنها على الترتيب كما هى فى الحديث المتقدم : عتق . فإن لم يكن فصيام ، فإن لم يكن فإطعام . أما مالك ورواية عند أحمد فإنها على التخيير ككفارة اليمين ، فالمكفر يخير بين الثلاثة أيها شاء فعل . غير أن المالكية يستحبون الإطعام لعموم نفعه ، وحجة مالك وحجة الله تعالى ما رواه فى الموطأ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أفطر فى رمضان فأمره النبى ﷺ أن يكفر برقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ستين مسكينا ، فجاء التعبير بأو التى تقتضى التخيير بوضعها اللغوى . فتمسك بهذا فقال رحمه الله بالتخيير .

جـ ـ هل تتعدد الكفارات بتعدد المخالفات ؟ الجمهور على أنها تتعدد ، فمن جامع فى يوم ثم جامع فى يوم آخر فإن عليه كفارتين ، وهكذا قل أو كثر ، وأبو حنيفة رحمه الله يقول بعدم تعددها ، إن لم يكفر عن الأولى فإن كفر تعددت ، ومثاله : أن يجامع يوم الأحد ولم يكفر عن مخالفته . حتى جامع يوم الأربعاء مثلا فالكفارة واحدة ، وإن هو جامع فكفر ، ثم جامع بعد التكفير فان عليه كفارة أخرى .

د ـ هل يجب التتابع فى قضاء رمضان ؟

الجمهور على أنه لا يجب فيه التتابع إلا مالكاً فقد استحبه فقط .

هـ ـ هل على من أفطر فى صوم تطوع قضاء ؟

أكثر أهل العلم على أنه لايجب عليه قضاء ، وإنما يستحب له فقط لقوله فى حديث أبى سعيد [1] رضى الله عنه قال : صنعت لرسول الله ﷺ طعاما فأتانى هو وأصحابه فلما وضع الطعام . قال رجل من القوم : إنى صائم . فقال رسول الله ﷺ : « دعاكم أخوكم وتكلف لكم » ثم قال : « أفطر وصم يوما بدله إن شئت » .

و ــ من مات وعليه صيام صامه عنه وليه لقوله ﷺ : « من مات وعليه صيام صامه عنه وليه » ، ولما روى أن رجلاً جاء الى النبى ﷺ فقال : يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها ؟ فقال له : «لو كان على أمك دين أكنت قاضيه »؟ قال : نعم . قال : «فدين الله أحق أن يقضى» . بيد أن مالكا وأبا حنيفة يريان الإطعام بدل الصيام ، وهذا يعود الى أمرين : إما أنهما لم يصح عندهما الحديث ، أو لم يبلغهما . أو فهما منه الاستحباب لا الإيجاب فاختارا الإطعام لنفعه ، وإما قاسا هذا على المريض الذى لا يرجى برؤه فإنه يطعم ولا يصوم ، والإطعام هنا مد من حنطة عن كل يوم .

ز ــ هل تسقط الكفارة بالإعسار ؟

الجمهور على أنها لا تسقط بل تبقى بالذمة فمن وجبت عليه كفارة ثم لم يستطعها انتظر بها ساعة اليسر وأداها ، وغير الجمهور يقول بسقوطها بالإعسار ، فمن وجبت عليه كفارة ولم يجدها سقطت عنه ، ولم يطالب بها يوم الميسرة .

حكمة الكفارة :

من الحكم التى شرعت من أجلها الكفارة :

١ ــ صون الشريعة من التلاعب بها ، وانتهاك حرمتها .

٢ ــ تطهير نفس المؤمن من أثر جريمة المخالفة ، ولهذا ينبغى أن نؤدى الكفارة على النحو الذى بين الشارع كمية وكيفا ، وإلا فإنها لا تقوى على إزالة أثر الذنب من النفس ، والأصل فيها قوله تعالى :

﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾

وقوله عليه الصلاة والسلام : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

---

(١) رواه البيهقى .

زكاة الفطر
ودليل وجوبها

زكاة الـفطر هى الـصدقة الواجـبة على أعـيان المسلـمين بحلـول عيد الفـطر المبارك، شرعهـا رسول الله ﷺ لهذه الأمـة ، عندما فرض اللـه سبحانه وتـعالى عليـها صيام رمـضان . فتاريخ شـرعيتها ، وتـاريخ صوم فرض رمـضان واحد . ووجه تسمـيتها بزكاة الـفطر . أنها لما كـانت تجب بحلول يـوم أو ليلة عيد الـفطر أضيفت الـيه فقيل فيـها زكاة الفطر . وقـيل اشتقاقهـا من الفطرة التـى هى أصل الخلقة كقوله تعالى :

﴿ **فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** [(١)] ﴾

فهى زكاة بدن ، متعلقة بكل بدن مـن أبدان المسلمين صغاراً كانوا أو كبارا ، ولهذا كثيـر من المسلمين يسمونهـا زكاة الرؤوس ، وزكاة النفوس ، لأنها مـتعلقة بكل نفس أو رأس .

وحكمها : أنها واجبة على كل عين من أعيان المسلمين صغارا كانوا أو كبارا، ذكورا أو إنـاثاً ، أحـراراً أو عبـيداً . لمـا روى مالك فـى الموطـأ والشـيخـان فى صحيـحيهما عن ابـن عمرو رضى الله عـنهما قال : فرض رسـول الله ﷺ زكاة الفطـر من رمضان صاعـا من تمر أو صاعا مـن شعير عـلى العبد والحـر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين .

فضلها :

فضل صدقة الفطر فـضل عظيم ، وثوابها المترتب عليهـا ثواب جزيل كثير . ويكفيها فضلا أن الله تبارك وتعالى أناط بها وبصلاة العيد التى تعقبها فلاح المؤمن وفوزه بسعادة الآخرة ، وكرامتها فقال تعالى :

﴿ **قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ [(٢)]

وأن رسول الـله ﷺ وصفها بـأنها طهرة للـصائم من اللغـو والرفث ، وهذا

---

(١) الآية من سورة الروم .

(٢) الآية من سورة الأعلى .

مبنى على أن فلاح العبد متوقف على زكـاة نفسه وطهارتها بما شرع الله من صالح الأقوال والأعمـال ، وزكاة الفطر من بـينها ، فهى إذاً مـؤهلة للمؤمـن لأن ينال فلاح الآخرة ، بتزكيتها له وتطهيرها لنفسه ، ويكفيها هذا شرفا وفضلاً .

حكمتها :

زكاة الفطر كغيرها من أنواع العبادة مشـروعة لتحقيق أهداف خاصة للمؤمنين فهى :

أولا : تزكى نفس المؤمن وتطهرها مما قد يعلق بها من آثار اللغو والرفث أثناء صيام رمضـان ، وهذا ظاهر من قوله علـيه الصلاة والسلام فى روايـة ابن عباس رضى الله عنهما : فرض [(١)] رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للـصائم من اللغو والرفث وطعمة للـمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهى زكـاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات .

ثانيـا : تصون كرامة المؤمـن ، وتحفظ له عزته ، فـالمؤمن الجائع قد يـضطره جوعه إلى أن يسأل الناس يوم العيد ، وفى ذلك من الذلة والانكسار ما يتنافى مع عزة المؤمن وكرامـته ، وصدقة الفطر تحول دون هـذا لقوله ﷺ : « اغنـوهم [(٢)] عن السؤال فى هذا اليوم » .

ثالثا : المحافـظة على المجتمع الإسلامى سـعيداً مرحوماً ، فزكاة الـفطر عند توزيعهـا على الفقراء ، وإخـراجها لبيوت الأرامل والمـساكين ، مظهر مـن مظاهر رحمة المؤمنين لبعضـهم تلك الرحمة التى لا تتحقق سعادة مجـتمع من المجتمعات إلا بها ، لأنه لا سـعادة لمجتمع بعـض أفراده يموتون بالشـبع والبطنة ، والـبعض الآخر يموت بالخصاصة ، والجوع ، ولاسيما فى يوم عيد وفرح عام .

أنواع الطعام
التى تخرج منها زكاة الفطر

يجوز اخراج زكاة الفطر من غالب قوت أهل البلد سواء أكان تمرا أو شعيراً ،

(١) أخرجه أبو داود فى سننه .

(٢) أخرجه البيهقى والدارقطنى عن أبو عمر بالاقساط مقاربة .

كما فى حديث ابن عمر رضى الله عنه ، أو كان براً أو زبيبا أو إقطاً ، أو غيرها من سائر الحبوب المقتات كالأرز والذرة ، والعدس والجلبانة . غير أنه لا ينبغى العدول عن الأصناف الخمسة المذكورة فى الحديث الشريف إلا عند عدمها ، والأصناف المذكورة فى السنة النبوية هى : البر والشعير والتمر ، والزبيب والإقط. كما هى فى حديث أبى سعيد عند الشيخين : كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام (بر) أو صاعا من شعير أو صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط ، أو صاعا من زبيب .

ولفظ هذا الحديث يشير إلى جواز التخيير بين هذه الأصناف الخمسة المذكورة، كما هو يشير الى أن يختار أنفعها ، وأصلحها . فيخرج منه زكاته ، ما لم يشق عليه ذلك ، أو يكلفه .

(تنبيه) هل يجوز اخراج زكاة الفطر دراهم ؟

الجمهور على عدم الجواز .. أما أبو حنيفة فإنه يرى جواز ذلك ، حتى لقد روى عن أحد أصحابه ، وهو أبو يوسف قوله : الدقيق أحب إلى من الحنطة ، والدراهم أحب إلى من الدقيق والحنطة ، لأن ذلك أقرب الى دفع حاجة الفقير ، ولأن المطلوب إغناء الفقير فى هذا اليوم ـ والإغناء يحصل بالقيمة بل هو أتم واقر.

هذا واستنادا على ظاهر نصوص السنة ، وعلى رأى الجمهور من الائمة ، وعلى أن الحكمة فى زكاة الفطر ليست مقصورة على اغناء الفقير فقط ، أقول والله ولى التوفيق : أن القيمة لا يعدل اليها إلا عند الضرورة ، كما عدل الرسول فى زكاة الانعام الى أخذ الدراهم عند تعذر السن المطلوبة للزكاة .

فاذا لم يوجد الطعام أو وجد ، وعسر على الفقراء الانتفاع به بحيث لم يمكنهم بيعه ، ولا طحنه ، أو خبزه ، كما هى الحال فى كثير من المدن الكبيرة ، فإنه لا بأس بدفع القيمة دراهم مقدرة بحسب الصاع ، وتكون إن شاء الله مجزئة نافعة . لقوله تعالى :

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ .

وقول الرسول ﷺ : « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . أما فى

البلاد التى يوجد بها الحب يمكن الانتفاع بـه ببيعه أو طحنه وطبخه . فإنى أرى أنه لاينبغى العدول الى القيمة ، حيث أن السنة النبوية قضت بدفع غير القيمة ، ولأن زكاة الفطر مشروعة مع اغـناء الفقير يوم العيد لتطهير نفـس المؤمن ، وهى كغيرها من سائر العبادات ، لا تـؤدى ثمرتها فى التطهير الا إذا أديت أداء صـحيحا ، كما جاء عن الشارع ملاحظا فى ذلك الوصف ، والكمية والزمان والمكان .

على من تجب زكاة الفطر ؟

تجب زكاة الفطر بنص الحديث على كل فرد من أفراد المسلمين ذكوراً كانوا أو اناثا ، صـغارا أو كباراً ، وأحراراً أو عبـيداً . لحديث ابن عـمر رضى الله عنـهما فرض رسول الله ﷺ زكاة الفـطر على النـاس من رمضان : صاعـا من تمر ، أو صاعـا من شعيـر ، على كل حـر أو عبد ، ذكر أو أنـثى من المسـلمين ، ويتـعين وجوبها على أفراد المسلمين ، بدخـول أول ليلة من شوال . فمن مات ، أو افتقر قبلـها ، فلا زكاة عـليه لأنها تجـب بالفطـر ، والفطر يبـتدأ من آخر يـوم من أيام رمضان كما لاتجب زكاة الـفطر على غير المسلمين ، ولا على مسـلم ليس له فضل عن قوت يومه .

هل تجب زكاة الفطر على الجنين ؟

لا تجب علـى الجنين إن لم يـولد ليلة الـفطر أو قبلـها ، وانما ورد استـحباب اخراجها على الجنين ، استحبابا لا وجـوبا ، فقد روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان يخرجها على الجنين فى بطن أمه استحباباً وندباً لا وجوباً وفرضاً.

مقدار زكاة الفطر

بينت الـسنة الصحيـحة مقدار زكاة الفـطر هو صاع بصاع الـنبى ﷺ والصاع أربعة أمداد ، والمـد الحفنة ، ويقدر الـفقهاء الصاع بـخمسة أرطال وثلـث بالرطل العراقـى، وبما أن الرطل الـعراقى قد أصبـح فى حكم المـعدوم الآن فى كثـير من البلاد الإسلامـية ، فإنه لا مانع مـن العمل بالمد الـذى هو حفنة الرجـل المتوسط الكفين ، فأربع حفنات بحفنات الرجل المعتدل الكفين هو مقدار زكاة الفطر ، وإن زيد على ذلك شيئا يسيرا للتحرى فحسن هذا ، وكيلة أهل المدينة اليوم تعتبر صاعا

مجزيا ، حيث اذا قدرناها فوجدناها أربع حفنات وزيادة يسيرة تصلح للتحرى والاحتياط .

وقت إخراجها :

لإخراج زكاة الفطر ثلاثة أوقات : وقت جواز ، ووقت أداء ، ووقت قضاء. أما وقت الجواز فهو ما كان قبل العيد بيوم أو يومين لما أخرج أبو داود والدارقطنى عن نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يؤديها قبل العيد بيوم ويومين . أما وقت الأداء فهو وقت ما بعد طلوع الفجر الى قبيل صلاة العيد وهو وقتها المستحب الفاضل الذى حدد لها وعين من المشرع ﷺ تعيينا فقد أخرج أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنه قوله : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهى زكاة متقبلة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات ، كما أخرج السبعة إلا ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة .

وأما وقت القضاء ، فهو ما كان بعد صلاة العيد فصاعدا فتلخص من هذا أن زكاة الفطر يجوز إخراجها قبل يوم العيد بيوم أو يومين وأن وقتها الفاضل المشروع هو من بعد فجر يوم العيد إلى صلاة العيد .

وأن إخراجها بعد صلاة العيد مجزى مع الكراهة .

تنبيهان :

(أ) من أهل العلم من قال بجواز إخراجها من أول شهر رمضان ، وهذا وإن كان فى ظاهره مخالفا للسنة فإنه يجوز الأخذ به فى حالات استثنائية خاصة : وذلك كأن تكون مجاعة مهددة لحياة الأفراد ، ولم يكن من سبب لتخفيفها إلا بإخراج زكاة الفطر قبل وقتها فقد ثبت أن النبى ﷺ تعجل زكاة مال عمه العباس قبل حلولها بعام ، وكان ذلك لمصلحة عامة اقتضت التعجيل .

(ب) كما تجب زكاة الفطر على الرجل فى نفسه ، فإنها تجب عليه فيمن تلزمه نفقتهم من ولد ووالد وزوجة وعبد ، إن لم يكن لهم مال يخرجون منه . ويرى الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، أن من أعال فقيراً شهر رمضان وجبت عليه زكاته

كما وجبت عليه فى عياله .

مصرفها :

تصرف زكاة الفطر بالأولى للفقراء والمساكين لقوله ﷺ : « أغنوهم عن الطلب فى هذا اليوم » ، ومعلوم أن الذى يطلب الطعام فى هذا اليوم « يوم العيد» هو الفقير أو المسكين ، ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : لايجوز صرفها لغير الفقراء والمساكين من باقى الأصناف الثمانية الذين تصرف لهم الزكاة ، أما غير مالك فقد قالوا بجواز صرفها لسائر الأصناف المذكورة فى آية :

﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ﴾ .

وعلى كلا القولين فالتوسط أولى وأحسن والتوسط فى هذا أن يعطى الفقراء والمساكين أولا ، فإن استغنوا ، او لم يوجد ما فى البلد صرفت زكاة الفطر إلى غيرهم من باقى الأصناف الثمانية .

تنبيهات :

(أ) المرأة الغنية تدفع صدقتها لزوجها الفقير وتصح منها ، والعكس لا يجوز ولا يصح .

(ب) تسقط زكاة الفطر عن الذى لا يملك قوت يومه .

(جـ) من فضل له عن قوت يومه شيء أخرجه وأجزأه لقوله تعالى :

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ .

وقوله ﷺ : «اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

(د) يجوز صرف صدقة فرد الى متعددين موزعة عليهم ، ويجوز صرف صدقة عدة أفراد إلى فرد واحد .

(هـ) تجب زكاة الفطر على المسلم فى البلد الذى هو مقيم به ، ولا يجوز تحويلها الى بلد آخر الا اذا عدم الفقراء أو كان غيرهم أحوج اليها منهم .

خاتمة

لقد تم بحمد الله تعالى جمع ما استخرت الله فى جمعه من أحكام الصيام وحكمه ، وفضائله وفوائده ، وجاءت « رسالة رمضان » كما رجوت الله لها أن تكون ، محققة للغرض ، موفية بالمقصود .

والحمد لله على توفيقه وهدايته واعانته ، هذا ولا يفوتنى فى هذه الخاتمة أن أنبه الى أن ما عللت به بعض المنبهات ، وما جعلته حكمة لبعض الواجبات ، لم يكن الا من قبيل الرأى والاجتهاد ، فقد أصيب فى ذلك وقد أخطئ ؛ فإن أصبت فمن الله تعالى ، وان أخطأت فمن نفسى وأستغفر الله .

كما أننى لا أدعى العصمة فى كل ما كتبته من أحكام الصيام ومسائله بل إننى أعتقد أنى معرض للخطأ كغيرى من سوى المعصومين . ولذا فعلى من رأى من الاخوان العالمين خطأ أن يصوبه ، أو فسادا أن يصلحه ، وألا يتحرج فى ذلك فإنه ما من أحد الا ويؤخذ من كلامه ويرد الا صاحب الشرع سيدنا محمد ﷺ ، حيث أن الله عصمه ليبلغ عنه رسالته ، فهو وحده المعصوم ، وأما من دونه فهو عرضة للزلل والخطأ ، الا من شاء الله تعالى رشاده وسداده .

فاللهم أرشدنا للصواب ، وسددنا للحق ، وخذ بأيدينا الى ما ترضى وتحب، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد عبدك ورسولك وآله وصحبه وسلم.

وسلامك اللهم على سائر أنبيائك والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين . ؟

الرسالة الرابعة

إلـــى الزكـــاة

الزكاة سر الحياة

والعبادة سر الزكاة

ومفتاح السعادة موضوع بيد هذه الثلاثة

وقد عهد إليها أن لا تسلمه إلا لمن فاز بالقبول

فلينشد إذاً القبول بالصدق والإقبال

بسم الله الرحمن الرحيم

هل تدرى ؟؟

أتدرى أيها المسلم ما الزكـاة التى دعيت اليها ؟ إنها العملية التـطهيرية التى بها يستأصلِ داء الشح ، ومرض البخل من نفس الانسان .

إنها الضريبة المالية التى بدونها لا يستحق الفرد اسم المواطن المسلم أبدا .

إنها الصدقة التـى بها يحقن الدم ، ويحفظ المال ، وإلا فبـدونها الدم عرضة للسفك والمال للمصادرة . إنها العبادة المالية التى بدونها لا يثبت للمرء إيمان ، ولا يصح منه إسلام .

إنها بنت الصديـق التى قاتل دونها حتى استردها وهو يـقول لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعونى عقال بعير لقاتلتهم عليه .

هذه الزكاة سر الحياة يـدعى المسلم اليوم الى رحابها الطـاهرة فى شهر رمضان المبارك فهل يجيب ؟؟ .

القرار السامى

هذا ما قرره الكتاب الكريم والسنة النبويـة الشريفة فى شأن الزكاة المالية نضعه بين يديك أيها المسلم لتكون على علم من خطر ما دعوناك اليه .

١ ــ لا أخوة لمانع الزكاة ــ أو تـارك الصلاة قال تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** ﴾ .

٢ ــ مانع الزكاة خبيث الروح قال تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ .

٣ ــ مانع الزكاة يقاتل عليهـا حتى تؤخذ منه قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن اقاتل الـناس حتى يشهـدوا أن لا اله الا الله ، وأن محـمدا رسول الله ويقـيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عـصموا منى دماءهم واموالهم ، الا بحق الاسلام » .

بيانات رسمية

١ ــ وجوب الزكاة فى الحب والثمار :

تجب الزكاة فى سائر الحبوب المقتاتة المدخرة كالبر والشعير والذرة والفول والحمص ، واللوبيا وغيرها من الحبوب كما تجب فى جميع أنواع الثمار كالزيتون والتمر والعنب وما اليها .

٢ ــ المقدار الواجب فى المعشرات :

اذا بلغ الحب أو التمر خمسة أوسق (١٢٠٠) حفنة وجبت فيه الزكاة ، وان لم يبلغها فلا زكاة واجبة فيه لقول رسول الله ﷺ: «ليس فيما دون خمسة اوسق من التمر صدقة ».

ثم ان كان الزرع أو الغرس مما يسقى بلا مؤونة ولا كلفة فالواجب فيه العشر أى بنسبة عشرة فى المائة ١٠٪ وإن كان مما يسقى بكلفة كالمكائن والسواقى فالواجب فيه نصف العشر أى خمسة فى المائة ٥٪ .

٣ ــ وقت وجوب الزكاة :

اذا احمر التمر أو اصفر وجبت فيه الزكاة ، واذا افرك الحب ، أو طاب الزيتون وجبت فيه الزكاة .

٤ ــ المقدار الذى تجب فيه الزكاة من الذهب والفضة ، وما ينوب عنها ويقوم مقامها من العملات ، اذا بلغ الذهب عشرين مثقالا ، والفضة مائتى درهم والعملة ما يساوى عشرين مثقالا ذهبا ، أو مائتى درهم فضة وجب فيه الزكاة وهى اثنان ونصف فى المائة ٥, ٢٪ وما لم يبلغ هذا النصاب فلا زكاة واجبة فيه لقول الرسول ﷺ :«ليس فيما دون خمس أواق صدقة ».

٥ ــ كيفية زكاة عروض التجارة :

التجارة نوعان مدارة ومحتكرة ، فالمدارة ، وهى التى لا تستقر البضاعة معها بل تدخل وتخرج : كلما باع صاحبها بضاعة أخلفها بأخرى وهكذا طول السنة ، وذلك كتجارة البقالة ، والأقمشة ، وأدوات البناء ، والكهرباء ، والسيارات والمكائن المختلفة . فطريقة زكاتها أن يقوم الموجود منها ويضاف اليه ما يوجد من

نقد ويزكى الجميع اذا بلغ النصاب بنسبة ٢,٥٪ .

وأما المحتكرة وهى التى تستقر عند صاحبها السنة والسنوات إذ لا يبيعها الا اذا ربح فيها ، ولو مكثت سنوات عدة ، وذلك كتجارة الدور ، والحقول ، والأراضى والبساتين ، وما اليها فطريقة زكاتها أنها تزكى يوم بيعها لعام واحد ، ولو مكثت عدة سنوات .

[تنبيه] هذه المسألة اجتهادية اذ لانص فيها صريح من كتاب أو سنة ، وما اتبعناه فيها هو مذهب مالك رحمه الله تعالى حيث قال فى الموطأ : وأنه ان لم يبع ذلك العرض سنين لم يجب عليه فى شىء من ذلك العرض زكاة ، وان طال زمانه ، فاذا باعه فليس فيه الا زكاة واحدة .

٦ ــ كيفية زكاة الدين :

الدين إما يكون على موسر ، أو على معسر ، فان كان على موسر فعلى صاحبه أن يضمه الى ما عنده من نقد أو بضاعة تجارة ويزكيه رأس كل حول وان كان على معسر فان له ان لا يزكيه الا يوم يقبضه وعلى سنة واحدة فقط ولو مكث عند المدين عدة سنوات قال مالك رحمه الله تعالى : الامر الذى لا اختلاف فيه عندنا فى المدينة ان صاحبه لا يزكيه حتى يقبضه وان اقام عند الذى هو له سنين ذوات عدد ، ثم قبضه صاحبه لم تجب فيه الا زكاة واحدة .

٧ ــ زكاة حلى النساء :

الحلى هو ما تتحلى به المرأة المسلمة لزوجها من ذهب أو فضة فما كان منه اتخذ لغرض الزينة فقط فلا زكاة فيه لما روى مالك عن عائشة رضى الله عنها وكذا ابن عمر رضى الله عنهما كانا لا يزكيان الحلى المعد للزينة واللباس لخروجه عن معنى الكنز .

وما كان قد اشترى لغرض الادخار لوقت الحاجة فهو كنز تجب الزكاة فيه بلا خلاف . فيقوم رأس كل سنة فان بلغ نصابا زكى بنسبة ٢,٥٪ وان لم يبلغ نصابا وكان لصاحبته نقد او تجارة اضافته اليه وزكته معه .

٨ ــ زكاة الماشية :

أ ــ الابل وفى كل خـمسة ابعرة شاة حتى تبـلغ خمسة وعشرين فتـجب فيها بنت مخاض أوفت سنة ودخلت فى الثانية الـى ستة وثلاثين فتجب فيها بنت لبون وهى ما أوفت سنتين ودخلت فى الثالثة ، الى ستة واربعين فاذا بلغتها وجبت فيها حقة أوفت ثلاث سنوات ودخـلت فى الرابعة حتى تبلغ احدى وسـتين فاذا بلغتها وجبت فيها جذعة أوفت أربع سنوات ودخلت فى الخامسة حتى تبلغ ستة وسبعين فتجب فيها بـنتا لبون حتى تبلغ احدى وتسـعين فتجب فيها حقتان حتـى تبلغ مائة وعشريـن فاذا زادت عليـها وجب فى كل خـمسين حقة ،وفـى كل اربعـين بنت لبون.

ب ــ زكاة البقر :

لا تجب فى الـبقر زكاة حـتى تبلـغ ثلاثين بقـرة ، فاذا بلغـتها ، وجب فـيها عجل، أوفـى سنتين ، حتـى تبلغ اربعين فـيجب فيهـا مسنة أوفت ثـلاث سنوات ودخلت فى الرابعة ، حتى تـبلغ ستين فيجب فيها تبيعان ، حتـى تبلغ سبعين فما فوق فيجب فى كل ثلاثين تبيع وفى كل اربعين مسنة .

جـ ــ زكاة الغنم :

لا زكاة فى الغنم حتى تبلغ اربعين فيـجب فيها شاة جذعة أوفت سنة ودخلت فى الثانية ان كانت ضأنا ، وان كانت معزا أوفت سنتين وهى الثنية حتى تبلغ مائة واحدى وعشريـن فيجب فيها شاتـان حتى تبلغ مائـتين وواحدة فاكثر فيجـب فيها ثلاث شياه ، ثم فى كل مائة شاة أربع باربع وخمس بخمس وهكذا .

[تنبيه] صغار الابـل والبقر والغنم تحسب على صاحبهـا كالكبار ، ولاتؤخذ فى الزكاة . وحول الصـغار حول الكبار كربح التجار حـوله حول اصله ولا تجب زكاة فـى الابل والبقـر والغنم ، والـذهب والفـضة والتجـارة الا اذا حال عليـها الحول. اما حول الحبوب والثمار فهو وقـت الحصاد والطيب ، واذا زكيت الحبوب والثمار ثم ادخرت فانها لاتجب فيها زكاة اخرى ولو مكثت اعواما .

لوائح هامة

الأولى فى الحلى :

لو ان المسلمة تقوم حـليها كل سنة وتزكيه شكرا لله تعـالى على نعمه وجوده عندها حيث لم تضـطرها الظروف ، ولم يحوجها الزمان الى بيـعه لكان اولى بها وخيرا لها لما فى المسألة من خلاف بين الصحابة والأئمة رحمهم الله اجمعين .

الثانية فى الفواكه والخضر :

لو ان الفلاح يـتصدق بشىء من كل ما يـجنيه من فاكهة او خـضرة ولو كان قليلا يضعه فى يد فقير او مسكين لـكان خيرا له واولى به لأن الله تعالى يقول : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾** .

الثالثة فى أسهم الشركات :

على صاحب السهم او الاسهم فـى اية شركة ذات رأس مال ان يزكى أسهمه رأس كل سنة بسعر السهم الحاضر . وهـذا على سبيل الوجوب والحتم ، وخاصة اذا كانت الأسهم تباع وتشترى وتزيد قيمتـها كلما قويت الشركة وتوسعت ، وهذا بالقياس على زكاة النقد المتوفر ، أو على زكاة التجارة المدارة ، او زكاة الدين على موسر ايضا .

الرابعة دفع الزكاة للدولة :

اذا كانـت الحكومـة مسلـمة تقـيم الحدود والـصلاة وتؤتـى الزكاة ، وتـأمر بالمعروف وتنهى عن المـنكر وطلبت من المسلم أن يدفع اليهـا زكاة ماله وجب عليه ذلك وبرئت ذمته بدفعه اليها .

الخامسة فى مصارف الزكاة :

مصارف الزكاة ثمانية كما فى القرآن الكريم وهى :

١ ــ ٢ الفقراء والمساكين .

٣ ــ العاملين عليها : من جابٍ لها ، أو كاتب ، او حارس .

٤ ــ المؤلفة قلوبهم : من كافر يرجى اسلامه ، او مسلم يرجى قوة ايمانه .

٥ ــ فى الرقاب : من مكاتب ، او رقيق يعتق فى سبيل الله .

٦ ــ الغارمون : من مدين لم يرتكب الدين فى المعاصى والشهوات .

٧ ــ فى سبيل الله : من مجاهد ، ومرابط فى الثغور ، او حاج .

٨ ــ ابن السبيل : من سائح انقطع ولم يجد ما يواصل به سفره المباح .

السادسة فى كيفية توزيع الزكاة :

يقدم فى اعطاء الزكاة ما قدم اللـه تعالى فى الآية ، ثم الاحوج فالأحوج وان وجد صنف واحد أعطى له الزكاة كلهـا ، وان وجد اكثر من صنف وزعت عليهم بحسب الحاجة الشديدة القائمة بهم .

السابعة فى زكاة الفطر :

زكاة الفطر واجبة على كل فرد من المسـلمين صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى لا تسقط الا على من لم يجد قوت يومه .

ومقدارها صـاع (اربع حفنات) من طعـام حب أو تمر من غالب قـوت البلد وتخرج يوم العـيد قبل الصلاة وان اخرجت قـبل العيد بيوم جازت وتـأخيرها عن يوم العيد مكروه .

ولا تعـطى الا للفـقراء والمسـاكين لقول الـرسول ﷺ :« اغنـوهم فـى هذا اليوم».

الثامنة فى صدقة التطوع :

صدقة التطوع وهـى غير واجبة من أفضل انواع البر . فلا يـليق بالمؤمن ولا يحسن بالمسلم ان يمـر عليه يوم أو أكثر لا يتصدق فيه بصدقة قلـيلة أو كثيرة لقول الرسول ﷺ فى الصحيح : « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ». الحديث . . (والسلامى المفصل والعضو) .

وقوله ﷺ : « ما من يوم يصبح فيه العباد الا ملكان ينزلان فيقول احدهما: اللهم اعط منفقا خلفاً ، ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا ».

هذا وخير ما يختتم به الكلام ، حمد الله تعالى والصلاة والسلام على محمد خير الأنام .

الرسالة الخامسة

لماذا نصوم نحن المسلمون
وكيف نصوم ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وآله وصحبه .

وبعد :

بدون مقدمة نقول :

لماذا نصوم نحن المسلمون :

نصوم لأننا مسلمون آمنا بالله رب العالمين ربا ، وبالاسلام دين الله دينا ، وبمحمد رسول الله نبيا ورسولا . فلذا نحن المسلمين نصوم . تنفيذا لأمر الله ربنا ، وطاعة له عز وجل ، حيث كتب على عباده المؤمنين الصيام وفرضه عليهم بقوله : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات** ﴾ ونصوم لان رسولنا قد أخبرنا أن ديننا مبناه على خمسة أمور منها ، الصيام ، فقد روى فى الصحيح قوله ﷺ :« بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » فلذا نحن نعتبر الصوم ركن الاسلام ، وتاركه هادما له غير مسلم .

ونصوم أيضا : لأن مولانا عز وجل يحب الصوم والصائمين فنصوم تزلفا اليه سبحانه وتعالى وتحببا ، فقد أخبر عنه رسوله ﷺ فقال : قال الله عز وجل :«كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا اجزى به » . وقال ﷺ :« والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما ، اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » البخارى .

ونصوم أيضا : لما نعلم من كرامة الصائمين وجزائهم يوم القيامة فقد روى البخارى عن النبى ﷺ : «أن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد ».

وقال ﷺ : « ما من عبد يصوم يوما فى سبيل الله تعالى الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا » .

وقال ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها ابواب السماء »، ويقول الرب: «وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » احمد والترمذى وحسنه .

ونصوم أيضا : لأن الصوم يكسب أجسامنا التى نعبد بها ربنا ونخدمه طول الحياة يكسبها قوة وصحة فقد قال رسول الله ﷺ : « اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا [1] وسافروا تستغنوا » وقال العدد الكثير من الأطباء قديما وحديثا : ان الصوم يفيد جسم الصائم فائدة صحية لم يكن ليحصل عليها الا بالصيام ، وذلك أن الصوم يطهر الأمعاء ويصلح المعدة ، وينظف البدن من الفضلات والرواسب ، كما يخفف من وطأة السمن ، وثقل البطن بالشحم .

ونصوم أيضا : لأن الصوم يزكى أرواحنا ، ويهذب نفوسنا ، ويقوم أخلاقنا بما يربى فى الصائم من ملكة التقوى التى جعلها الله تعالى علة للصوم فى قوله: ﴿**كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ وبالتقوى تشرق النفس وتطهر فتصبح ميالة الى الطاعة والخير ، منجذبة نحو الجميل والمعروف تكره الفسوق والعصيان ، وتبغض الفساد والباطل والشر .

لماذا نعظم رمضان ؟

إننا نعظم رمضان ونجله ونكبر من شأنه ، لأن الله مولانا عظمه بإنزال كتابه فيه ، قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ ، وزاده تعظيما حيث خصه بليلة القدر ، التى هى خير من الف شهر ، وقال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من الف شهر** ﴾ .

والقرآن العظيم ، وليلة القدر من خير ما أوتى المسلمون ، وأنعم به الله عليهم فى هذه الحياة .

ونعظم رمضان أيضا : لتعظيم رسول الله ﷺ له ، فقد روى ابن خزيمة من طريق البيهقى وصححه عن سلمان رضى الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان .

قال : « يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من

---

(١) الطبرانى ورواته ثقات .

الف شهر » شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا . من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . وشهر المواساة وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء .

وقال ﷺ :« اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » .

وقال فى حقه ﷺ :« عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » .

وقال أيضا ﷺ :« من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله ، وان صامه » .

وبم نعظم رمضان ؟

نحن لا نعظم رمضان بإقامة المهرجانات ، وايقاد الشموع ، ولا بالتفنن فى ألوان الطعام ، وأصناف الشراب ، ولا بملء لياليه باللهو واللعب ولا بإحياء لياليه بالغناء والطرب . ولكن نعظم رمضان ببذل المعروف ، واسداء الجميل ، بالإحسان الى الفقراء والمساكين بإطعام جائعهم ، وكسوة عاريهم . واسوتنا فى ذلك نبينا ﷺ، فقد كان أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل .

وقد كان يقول ﷺ :« من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شىء » . ويقول ﷺ :« من فطر صائما على طعام أو شراب من حلال صلت عليه الملائكة فى ساعات شهر رمضان ، وصلى عليه جبريل ليلة القدر » .

ونعظم رمضان ايضا : بصيامه وقيامه ، وتلاوة كتاب الله وسماع آيه . اذ الرسول ﷺ يقول : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته

أمه » النسائى .

ويقول ﷺ : « من صام رمضـان ايمانا واحتسابـا غفر له ما تقـدم من ذنبه » ونعظمه بالاعتكاف فى بيوت الله انقطاعا الى الله ، والتماسا لليلة القدر التى هى خير من الف شهر ايمـانا بقول الرسول ﷺ :« من قام ليـلة القدر ايمانا واحـتسابا غفر الله ما تقـدم من ذنبه » . وقوله ﷺ : « التمسوها فـى العشر الأواخر » . وقوله ﷺ : « من اعتكف يـوما ابتغاء وجه الله تـعالى جعل الله بيـنه وبين النار ثلاث خنادق أبعد ما بين الخافقين » الحاكم وصححه .

ونعظم رمضان : ولكن لا بمجالـس الغيبة والنميمة ، ولا بـندوات القمار او سهرات الفجار ، وانما نعـظمه بغض البصر عن النظر الى أجنبـية مسلمة كانت او كتابية . وبكف السمع عن الاصغاء الـى الأغانى ، او سماع مالا يحل سماعه من قول فحش أو بذاء ، او كلام غيبة ، أو حديث نميمة .

ونعظمه : بكف اليد أن تتناول محرمـا بأخذ مال امرئ أو ضربه ، أو سفك دمه ، أو بإيصال أى أذى اليه .

ونعظمه : بمنع الرجل أن تمشى الى باطل ، أو تسعى الى فساد أو شر .

ونعظمه : بحفظ اللسان أن يقول بـاطلا أو زورا ، أو كذبا أو سبا لمسلم أو شتما .

كل ذلك عملا بـقول الرسول ﷺ :« فاذا كان صـوم أحدكم فلا يـرفث ولا يصخب فان سـابه أحد أو قاتله فليـقل إنى صائم إنى صائم » الـبخارى . وقوله ﷺ: « من لم يـدع قول الزور والعـمل به فلـيس لله حـاجة فى ان يدع طـعامه وشرابـه » البخارى . وقـوله ﷺ :« الصـيام جنة مـالم يخـرقها ، فقـيل : بم يخرقها؟ قال: بكذب أو غيبة » النسائى حسن .

وكيف نصوم ؟

أما كيف نصوم فاننا نصوم كما كان رسول الله ﷺ يصوم ؛ لأن كل عبادة لم تؤد على الكـيفية التى بينـها رسول الله ﷺ ، وأداها عليـها فهى عبادة بـاطلة لا ثواب فيها ، أو ناقصة ثوابها قليل .

فاذا كان أول ليلة من رمضان فاننا ننوى صيام شهر رمضان طاعة لله تعالى أو

تقربا اليه عز وجل لقول الرسول ﷺ :« انما الأعمال بالنيات » فالنية ركن الصيام بقول الرسول ﷺ :« من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له » الترمذى .

واذا كان آخر الليل تسحرنا بما تيسر من طعام أو شراب ناوين الصيام لقول نبينا ﷺ :« تسحروا ، فإن فى السحور بركة » .

واذا طلع الفجر أمسكنا عن المفطرات من طعام وشراب ووقاع وكل مفطر طوال النهار الى غروب الشمس .

فاذا غربت الشمس بادرنا بالإفطار تعجيلا له لقول الرسول ﷺ :« لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » احمد .

كما نحاول أن يكون فطورنا على تمر أو ماء ابتداء ، لقول أنس :كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فان لم تكن فعلى تمرات ، فان لم تكن حسا حسوات من ماء (الطبرانى) . ثم نصلى المغرب ونتناول طعام العشاء ، ثم نهرع الى المساجد للصلاة ، وتلاوة كتاب الله وسماع آياته قياما لشهر رمضان المعظم ، ورغبة فى مغفرة ذنوبنا التى قد نكون قارفناها فى غير شهر رمضان اذ واعد الرسول ﷺ بذلك فى قوله :« من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وهكذا نصوم بالنهار عن كل مفطر من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، ونفطر بالليل على كل حلال ومباح ايمانا بقول ربنا واسترشادا به : ﴿**كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل**﴾ .

ويستمر تعظيمنا لشهر رمضان وصيامنا له هكذا حتى يهل هلال شوال ، فاذا رأيناه اصبحنا مفطرين معيدين نذكر الله تعالى ونشكره ، نذكره بالتكبير وصلاة العيد ، ونشكره بزكاة الفطر ، وقبل الخروج الى صلاة العيد التى هى سنة واجبة نكون قد أدينا زكاة الفطر الى الفقراء والمساكين ، وهى صاع : اربع حفنات من طعام ، لقول ابن عمر :(فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين) البخارى .

ثم نخرج الى صلاة العيد متطهرين نذكر الله تعالى قائلين : الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله . الله اكبر الله اكبر ، ولله الحمد .

مبطلات الصوم :

نصوم هكذا

ونحن نعلم أن الصوم يفسده أمور فنتركها وهى :

١ ــ وصول أى مائع الى الجوف بواسطة الأنف ، أو العين ، أو الأذن ، أو الفرج .

٢ ــ الأكل أو الشرب أو الجماع .

٣ ــ خروج المذى أو المنى بسبب قبلة المرأة ، أو مباشرتها .

٤ ــ قول كلمة الكفر والعياذ بالله تعالى ــ من سب الله أو رسوله أو دينه أو الاستخفاف بحق الله تعالى ، أو حق رسوله .

٥ ــ رفض نية الصيام والعزم على الإفطار ولو لم يحصل افطار .

مكروهات الصوم :

ويكره للصائم أمور اخرى

لا تفسد الصوم ، ولكن تعرضه للإفساد فنتجنبها وهى :

١ ــ المبالغة فى المضمضة أو الاستنـشاق عند الوضوء لقول الرسول : « وبالغ فى الاستنشاق الا أن تكون صائما » .

٢ ــ قبلة المرأة ، أو ملامستها باليد ، أو مباشرتها بالجسد .

٣ ــ ذوق القدر أو الطعام ، أو مضغ العلك .

٤ ــ الاكتحال بالكحل فى أول النهار .

٥ ــ الحجامة أو الفصد .

٦ ــ استعمال الابرة للتداوى .

ما يباح للصائم :

وهكذا نترك كل مبطل للصوم

نتجنب كل ما يكره للصائم ، ونحـن نعلم أن هناك أمورا مباحة لنا ، وامورا معفو عنا فيها فنأتى منها ما دعت الحاجة اليه بلا تحرج ، وهى المباحات التالية :

١ ــ السواك من أول النهار الى الزوال .

٢ ــ السفر لحاجة مباحة ولو أدى الى التقصير .

٣ ــ التداوى باى دواء حلال لا يصل الى الجوف منه شىء .

٤ ــ التطيب والتبخر بالعود ونحوه .

ما يعفى عنه :

والمعفوات التالية

١ ــ بلع الريق ولو كثر .

٢ ــ غلبة القىء ان لم يرجع منه الى الجوف شىء .

٣ ــ غبار الطرق والمصانع .

٤ ــ الاحتلام .

٥ ــ ابتلاع الذباب غلبة وبدون اختيار .

٦ ــ الاكل أو الشرب نسيانا لقول الرسول ﷺ : « من افطر فى رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة » الدارقطنى .

كفارة المخالفة

واذا فرضنا أن احدنا استزله الشيطان فأكل أو شرب أو جامع فى نهار رمضان عامـدا منتـهكا لحـرمة رمضـان فإلى ماذا نـرشده لاصلاح خـطأه والتـكفيـر عن خطيئته؟ .

نرشده الى قضاء هذا اليوم الذى أفسده بأكل او شرب او جماع . والى فعل واحدة من ثلاث : عتـق رقبة مؤمنة ، وهى غيـر متهيئة اليوم ، او صـيام شهرين

متتابعين ، او اطعام ستين مسكينا ، لقول الرسول ﷺ للذى قال أفطرت يوما فى رمضان متعمدا :

« اعتق رقبة ، او صم شهرين متتابعين ، او أطعم ستين مسكينا » متفق عليه.

فإذا فعل المخالف واحدة من هذه فقد كفر عن خطيئته ولم يبق عليه من إثم لقوله تعالى: ﴿ **ان الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ ، وقول الرسول ﷺ « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » . الترمذى .

وأخيرا فإلى جميع اخوة الاسلام تمنيات الرضا والقبول والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

الرِّسَالة السَادِسَة

الإعلام بأَنّ العزف والغِناء حرام

حكم الله والرسول ﷺ
وسلف الأمة ، على الغناء والمعازف وسماعهما

- **﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾** (القرآن الكريم) : سورة لقمان ، الآية : ٦ .
- «استماع الملاهى معصية ، والجلوس عليها فسق» (نبينا ﷺ)
- «من قعد الى قينة يسمع صب فى أذنه الآنك» (نبينا ﷺ)
- الغناء والعزف مزمار الشيطان . . . (أبو بكر الصديق)
- الغناء ينبت النفاق فى القلب . . . . (عبد الله بن مسعود)
- الغناء باطل والباطل فى النار . . . . (القاسم بن محمد)
- الغناء بدؤه من الشيطان ، وعاقبته سخط الرحمن (عمر بن عبد العزيز)
- الغناء إنما يفعله الفساق عندنا . . . . (مالك بن أنس)
- الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال . . . . (الشافعى)
- الغناء ينبت النفاق فى القلب فلا يعجبنى . (أحمد بن حنبل)
- سماع الأغانى فسق والتلذذ بها كفر . (أصحاب أبى حنيفة)
- الغناء ممنوع بالكتاب والسنة ....(القرطبى)
- الغناء مع آلة ، الإجماع على تحريمه . . . . (ابن الصلاح)

بسـم الله الرحمـن الرحيـم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

مقدمـــــة

الحمد لله رب العــالمين ، والعاقبة للـمتقين ، ولا عدوان إلا علـى الظالمين ، والصلاة والسـلام على إمام المرسلـين ، وسيد جميع العـالمين ، نبينا مـحمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد : فإلـى الله تعالى نشكـو ما لاقاه اسلامنا ويـلاقيه من المنحـرفين منا ، الذين أوقـفوا حياتـهم على تـقويض أركان الإسـلام ، وهدم أصوله وقـواعده ، فشككـوا فى العقائد ، وعطلـوا الأحكام ، ولغوا الفرائض ، وزهـدوا فى السنن والآداب ، وأباحوا المحظور ، وحللوا الحرام ، واعترضوا على الله فى التشريع ، وعلى الرسول ﷺ فى البيان .

وبالجملة ، فقد دأبـوا على مسخ الأمة الإسلامية شيئاً فشيـئاً ، حتى أنسوها امامتها للبشر ، وقيادتها للانسانية . وصيروها بعد ذلك الاستقلال المطلق ، وتلك الحرية الكاملة ، وفـى كل شىء : فى العقيدة والتفكير ، فـى الحكم والتشريع ، فى الأخلاق والعادات ، صيروهـا ذنباً تابعاً للغرب . لا تعرف الا التبعـية والتقليد فى كل شىء . وها هى الأرقام التالية توضح ما أجملناه .

١ ــ فصل الـغرب دينه عن الدولة ، لأنه ديـن فاسد باطل لا يحقـق لأتباعه سعادة ،ولا يـصلح لقـيادة . ولم لا يكـون كذلك وهو مـجموعة مـن الخرافات والأباطيل والـترهات تحكم بهـا رجال الكنيسـة فى رقاب الحاكمين والمحـكومين ، واسترقوا بـها الفرد والجماعة طـيلة قرون عدة من الـسنين ! فكان لزاماً لـلنهوض والتقدم من كسر هذا القيـد ، والخلاص من ربقة الأوهام ،وأسر الخرافات . ولما فعل الغرب ذلك كان فى الواقع كمن آمن بالحق وكفر بالباطل ، فلهذا استطاع أن ينهض فيبنى ويشيد ، ويخترع ويجيد ..

ورأى دعاة التقليد منا ثورة الغرب على دينه الباطل ، فثاروا هم ينتقصون الدين الإسلامى ويعيبونه ، وينسبون إليه كل ما أصاب المسلمين من تأخر وانحطاط ، وطالبوا بفصل الدين عن كل مظهر من مظاهر الحياة ، وقصروه على مثل الصوم والصلاة .

وكانوا فى ذلك كمن آمن بالباطل ، وكفر بالحق على النقيض من أساتذتهم الغربيين ، فضلوا وحاروا ، وهاهم فى حيرتهم وضلالهم يعمهون ، ولن يخرجوا من هذه الحيرة وهذا الضلال حتى يرجعوا الى دينهم ، لأنه الدين الحق الذى نسخ الله به سائر الشرائع والأديان ، واختاره للبشرية ليكون مصدر كل خير وسعادة لها فى هذه الحياة ، مع ما يؤهلها له من كرامة الآخرة وسعادتها .

٢ ــ أباح وأعلن الغرب : الزنا ، والربا ، والقمار ، وكل فحش وخنا ، ولا يلام على ذلك ما دام لا دين له يمنع ، ولا ضمير يردع ، وما دام هذا شأن الحياة المادية البحتة . ودعا المنحرفون الى تقليد الغرب فيما أباحه وأعلنه من أمهات الخبائث ، وأصول الرذائل والمفاسد ؛ واستجابت الأمة المخدوعة فأباحت عملياً ما حرم دينها من زنا وربا وقمار وفحش وخنا اتباعاً للغرب وتقليداً له .

٣ ــ أبطل الغربيون عادة الحجاب على نسائهم وفتحوا أبواب الخلاعة والدعارة لهن ، فثار المنحرفون منا على محاربة الحجاب المشروع بالسنّة والكتاب فأبطلوه ، وسفرت المسلمة كالكافرة ، وتبع ذلك المجون والخلاعة والدعارة ، وما كان هذا ليكون لولا تقليد الغربيين .

٤ ــ ترجلت المرأة الغربية فقصرت ثيابها ، وقصت شعورها ، وشاركت فى أعمال الرجال ، فكانت توجد فى المعمل والدكان ، وفى المكتب (والبرلمان) . ودعا المنحرفون الى ترجل المسلمات ، فقصرت المسلمة كالكافرة ثيابها وقصت شعورها وبرزت لميادين الحياة العامة ، فكانت فى السوق ، وفى الدكان ، وفى الدائرة الحكومية ، وحتى البرلمان . ولولا التقليد الأعمى لما كان ذلك ليكون لأن نبى الإسلام يقول : « لعن الله الرجلة من النساء » .

٥ ــ وتخنث رجال الغرب فحلقوا وجوههم ودهنوها ، وأطالوا الثياب وأسبغوها . ودعا المنحرفون منا الى ذلك وسموه حضارة وتمدناً ، وقلد تلامذة الغرب أساتذتهم تحت وطأة تأثير المنحرفين من اخوانهم، فحلقوا وجوههم

ودهنوها، ووفروا ثيابهم الى ما تحت الكعــبين وأسبغوها ، .وكانوا بذلك مخنثين ، وبالنساء مــتشبهين ، ونبيهــم يلعن المتشبهين مــن الرجال بالنساء ، والمتــشبهات من النساء بالرجال .

٦ ــ فتح الغرب معارض للجمال فعرضوا نساءهم وبناتهم ، وقلد أتباع الغرب أئمتهم فشاركوا فى معارض الأزياء والجمال ببناتهم ونسائهم .

٧ ــ عنى الغرب بــاللهو واللعب ففتح لــذلك معاهد لتعليم المــوسيقى والزمر والرقص ، وتأبى التــبعية للمنحرفين إلا أن يــقلدوا أساتذتهم وأئمتهــم ، ويفتحوا معاهد لتخريج الفنانين والفنانات فى فن الموسيقى والإيقاع والرقص ، ولو أغضبوا الله ورسوله والمؤمنين .

٨ ــ أشاع الــغرب الزمر والغــناء فى البــيوت ، والمقاهى والحــانات ؛ لأنه لا قرآن له يخشى الانشغال عنه ولا صلاة . وتأبى التبعية للمنحرفين إلا تقليد أئمتهم الغربيين فــأشاعوا الغناء والزمر فــى البيت والدكان ، والنهــج والسوق ، وفى كل مكان ، وكأنهم يحلفون على التفوق فى كل رذيلة قلدوا فيها أئمتهم وأساتذتهم.

٩ ــ تفــكه الغرب بديــنه ، وتمدن فيه ـــ على حد تعــبيرهم ـ فكــان الرجل الغربــى لا يحضر الصــلاة إلا يوم الأحد وليلــة العيد ، وقلــد التلامذة المســلمون المنحرفون أساتذتهم وأئمتهم الغربيين فكانوا لا يأتون المسجد إلا يوم الجمعة ، ولا يحضرون الصلاة إلا يوم العيد .

١٠ ــ أشاع الــغرب الصور والــتماثيل ، وتــنافس فى اقتــنائها ، وتــبارى فى إيجادها وتحسيــنها ، فأفشاها المسلمــون المقلدون بالرغم من حظر ديــنهم للصور، وكراهية نبيهم لها ؛ أفشوها وأشاعوا حتــى فى حرميهم وقرب قبر نبيهم ، وكأنهم يتحدون بذلــك شعوره وهو ميت ويستفــزونه ــ فداه أبى وأمى ــ ولو كــان بينهم يتحرك .

١١ ــ ســن الغــرب المكــوس والجمــارك ؛ وفرض الــتأشــيرة . ولــم يتــردد المسلمون المقلدون فى ذلك فسنــوا المكوس فى الأسواق ــ وهى حرام ــ وفرضوا الجمارك عــلى التجــار المسلمــين ؛ وألزموا برسوم الــتأشيرة الــسياح من المــؤمنين الصالحين ، ولا داعى لكل هذا سوى تقليد الغربيين .

١٢ ــ لم ير الغرب بأساً فى اختلاط المرأة الأجنبية بالرجل الأجنبى ومحادثته، والاتصال به فى أى وقت من الأوقات ، وعدوا هذا خلقاً سامياً ، وتمدناً راقياً. فأصبح المسلمون المقلدون لايرون فى اختلاط المرأة بالأجنبى بأساً ولا حرجا ، فاختيرت أجمل الفتيات ، لتمريض الرجال فى المستشفيات ، وغصت بالنساء المسارح والسينمات ، وفاضت السبل ، وامتلأت الطرق والمحلات العامة والخاصة بالحسناوات ، وحسب المنحرفون منا هذا رقياً وتقدماً فى الحياة ؛ وتجاهلوا ما صدر إليهم من أوامر ربهم : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم... وقل للمؤمنات** .. ﴾ النور : ٣٠ ــ ٣١ .

١٣ ــ وحتى فى هيئة الأكل وشكله ، وتناول الطعام ومضغه ، فقد حدثنا إخوان لنا صادقون : أن بعض المنحرفين ممن تحضروا وفى بحور الفجور غرقوا أصبحوا يأكلون وهم وقوف حيث يوضع الأكل على مائدة رفيعة طويلة ، وعند تناولهم الطعام بالملاعق لا يثبتون أمام المائدة ، بل يطوفون حولها وكحمار الرحى يدورون وهم ما بين مصفر وضاحك مقهقه . وسموا ــ لسفههم ــ هذا النوع من التحلل أكلة (أمريكية) ونسوا هيئة الأكل المحمدية ؛ لأنهم رغبوا عن سنته ، وقلدوا أعداء ملته !

وهكذا فلم يبق شىء يحرمه الإسلام ــ إلا قليلاً ــ أو يتنافى مع طبيعة المؤمن والإيمان إلا وقلد المنحرفون منا الغربيين الكافرين فيه ، وتفوقوا عليهم فى كثير من القبائح والرذائل ؛ لأنهم مسرفون ، والمسرف لا يقف عند حد .

كل هذا التغير والانحراف والشر والفساد قد حل بهذه الأمة المسلمة حتى فقدت ذاتيتها واستقلالها ، والشخصية الإسلامية التى كانت لها ، وحتى لم يبق للاسلام فى دنيا الوجود من الجماعات أو الحكومات من يمثله تمثيلاً صادقاً ، ويدعو إليه دعوة حقيقية كافية . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإن نسينا فإننا لا ننسى أن كل هذا البلاء الذى أصابنا وأصاب إسلامنا كان سببه ــ ولا شك ــ فريق من أدعياء الإسلام ، وطوائف من المنحرفين من أبنائه العاقين . ومع الأسف فإنهم ما زالوا إلى اليوم يطاردون الإسلام من كل بلد وبيت ، ومن كل مكان ومظهر من مظاهر الحياة حتى أقبروه فى مقابر الصدور المظلمة ، فكنت إذا طلبت من أحدهم أن يقيم فريضة ، أو يترك جريمة كبيرة أو

صغيرة أشار لك إلى صدره يعنى بذلك أن الإسلام فى الصدر ، وإن ألححت عليه احتج عليك لجهله قائلاً : الإيمان فى القلب !

ومما ينبغى التنبيه له ، أن سلاح هؤلاء المنحرفين الهدامين للاسلام الطاعنين له، كان وما زال هو الخداع والتضليل والتجنى والمغالطة . ومن ذلك قولهم : الناس طاروا فى السماء ،وغاصوا فى البحر ، وغزوا الفضاء ، وأنطقوا الجماد ونحن ما زلنا جامدين على هذا حلال وهذا حرام ! ألا قوّم الله اعوجاجهم وأصلح فاسدهم حتى يعلموا أن الكفر والفسق والشر والفساد لم تكن هذه هى التى دفعت الغرب والكافرين من غير الغربيين ، لم تكن هى التى رفعتهم إلى هذا المستوى المادى الذى قدسوهم له ، وأكبروهم ــ أكثر من الله ــ فى صدورهم من أجله ، وإنما رفع الغرب والكافرين من روس ويابان ، رفعهم العزم الصادق ، والجد الحازم ، والعمل المتواصل ، مع اطراح للكسل والتواكل ، ونبذ صحيح للتطاحن فيما بينهم !

ومن أسلحة المنحرفين غير ما ذكر قولهم : الإسلام دين مرن يساير العصور ، ويماشى الحياة . وقولهم : الدين عقيدة فى النفوس ، وقولهم : الضرورات تبيح المحظورات .

وهل كون الإسلام ــ يا عباد الله ــ ديناً مرناً يساير العصور ويواكب الحياة ــ لولا الخداع والتضليل ــ يسمح بتعطيل أحكامه ، وهدم أركانه ، وترك فرائضه، والتنكر لشعائره . والزهد فى سننه وآدابه ؟ ؟ وهل كون الإسلام عقيدة فى النفوس أكثر مما هو مظهر من مظاهر الحس ، أنه يجيز لأتباعه أن يتخلصوا من مظاهر الإيمان والإسلام القولية والفعلية والتى دعواهما بدونها باطلة ، وأنه لا يسمح لهم أن يظهروا فى أى مظهر يخالف الغرب الكافر والمشركين الكافرين ؟؟ .

وهل كون الإسلام يبيح عند الضرورة المحظور ، معناه أنه لم يبق فيه محظور، لأن الحياة ــ أو على الأصح ــ الشهوات قد أوجدت الضرورات تلك الضرورات التى لا تبرح ولا تزول ! ؟

وأخيراً ، فهل تزول الغشاوة من على أبصار هؤلاء المنحرفين والمنخدعين معاً، ويصدقونا فيما قد نقول ! ؟

إننا نحن المسلمين لنستطيع بوحى من ديننا ، وتأييد من ربنا أن نوجد لنا صناعة ، أو حالة نستغنى بها عن كثير من الصناعات الغربية ، وبدون أن نتنكر لديننا ، أو نزدرى شخصيتنا ، أو نعظم الغرب ونقدسه ، أو نذل له أو نخضع بين يديه !

إننا ــ أيها المغرورون ــ لنستطيع بوحى من ديننا ، وبفضل من ربنا أن نوفر اقتصادياتنا ، ونسهل معاملاتنا ، ونأخذ بأيدى تجارنا والعاملين منا وبدون ربا ولا بنوك قائمة على أساس الربا !

إننا نحن المسلمين ياقوم ــ عفا الله عنكم ــ لنستطيع أن نستغنى عن نسائنا وبناتنا ونقنيهن تماماً ، فلا تضطر المسلمة الكبيرة أو الصغيرة إلى التجول فى الشوارع ، ولا إلى العمل فى الدكان ، أو الدائرة الحكومية أو (البرلمان) ، وبدون أن نشعر بأى تعب أو نصب ، أو نجد أدنى ضيق أو حرج وفى كامل الحياة!

إننا لنستطيع بوحى من ديننا وهداية من ربنا عز وجل أن نربى بناتنا ونهذبهن ونطهرهن كما ينبغى أن تكون التربية ، ويكون التهذيب والتطهير ، وبدون اضطرارهن إلى سفور أو خلاعة أو فجور ، ومن غير تبرج جاهلى مقيت ،ولا تشبه بالرجال بغيض لعين .

إننا ــ ويعلم الله ــ لنستطيع بوحى من ديننا ، وتوفيق من ربنا أن نحفظ مصالحنا ، ونحمى كل حمى لنا ، ونخصم خصومنا ، ونعرف وجود كل خائن بيننا ، وبدون تمثيل أو تصوير منعهما ديننا ، وكرههما نبينا ﷺ .

إننا لنستطيع بوحى من ديننا ونصر وتأييد من ربنا أن نعز البلاد ، ونصون كرامة الأفراد ، ونعلى من شأن الفرد ، ونرفع من قيمة الجماعة ، وبدون أن نقلد الغرب فى زى أو هندام ، ولا فى تحريم حلال ، أو إباحة حرام .

وإننا ــ ولا شك ــ لنستطيع بوحى من ديننا ونور من ربنا ، أن نهذب أنفسنا، ونطهر أرواحنا ، ونثقف أفكارنا ، ونرقى شعورنا ، ونرفع آدابنا ، وبدون احتياج إلى الغرب ، ولا إلى اساتذة الغرب ، ولا إلى كتب ومجلات الغرب ، ومهما كانت الحال ، وكيفما وجدت الظروف .

إننا ــــ وبكل تأكيد ــــ ياقوم لنستطيع بوحى من ديننا ، وبقوة من ربنا أن نستقل عن الغرب ، ونقطع صلاتنا معه ، وننفض أيدينا منه ، ولا نخاف سقوطاً، ولا نخشى هبوطاً وإلى الأبد وطول الحياة !

إننا ــ ولا ريب ــ لنستطيع بأمر من ربنا ، ووحى من ديننا أن ننصب أنفسنا كما أراد الله لنا أئمة للبشر ، وهداة للعالمين ، فيقتدى الناس بنا ، ويستنيرون بهدينا ، وفى كل شؤون الحياة ، وحتى تسعد البشرية ، وحتى تتحقق الكرامة الإنسانية .

كل هذا بحمد الله تعالى نستطيع تحقيقه نحن المسلمين ونستطيع غيره لأننا نتأيد بالله ، ونتقوى به ولكن للأسف الشديد أبى لنا المنحرفون منا والمقلدون والمخدوعون إلا التبعية والتقليد والسير وراء الغرب وفى ركاب الغرب ، ونعنى بالغرب فجوره وفسوقه وتحلله ؛ وتخنثه لا جده وحزمه ولا وفاءه لنفسه وصدق عزمه ، فإن ذلك لم يقع لنا تقليد فيه .

ولم ؟ لأن ديننا يفرضه ، وإيماننا يحتمه ، ومكانتنا تدعو إليه ، والمنحرفون لا يتقبلون ما جاء عن طريق الإسلام الذى انحرفوا عنه ولو كانت الحضارة الغربية التى خنعوا للغرب وخضعوا له من أجلها ، ــ والعياذ بالله تعالى ــــ من هذا الانحراف القبيح .

وإنما ــ ومع الأسف ــ كان نصيبنا من تقليد الغرب ما سبق أن بيناه وفصلناه، وما من شك أن الذى جنى على أمة الإسلام هم أبناؤها المنحرفون عنها حيث نصبوا أنفسهم فى بلادها دعاة للغرب ولرذائله ، وشروره ومفاسده ، وبدون أجر ولا شعور أحياناً ، وبأجر وشعور وقصد أحياناً أخرى ، ومن بين هؤلاء الدعاة الذين لم يشعروا بأنهم يدعون إلى مبادئ الغرب ، ويخدمون مصالحه وأفكاره ومبادئه وفى أقدس بقعة للإسلام وعند المسلمين الصالحين « مقنع عكاظ » و «متظاهر الرائد » [١] واللذان حدوا بنا لكتابة هذه السطور فى بيان الطريق لهما حيث وقف المقنع يشكك ويغالط ويضلل عن قصد أو عن غير قصد ، وقف على

(١) عكاظ والرائد : علمان على جريدتين تصدران بمكة المكرمة أو جدة . والمقنع والمتظاهر لقبان لشخصيتين مجهولتين لا تعرف لهما فى الخارج اسماً ولا شخصاً ولما كانا يطعنان الإسلام بالدعوة إلى التحلل والفساد بواسطة تحليل الزمر والغناء تسترا بهذين اللقبين ليخفى أمرهما حتى لا يلعنا ويطردا على أيدى الصالحين منا . .

جريدة « عكاظ » الفيحاء يولول ويقول : أفتونا أيها العلماء فى الغناء أحلال هو أم حرام؟ وكأنه يـريد حقاً أن يعرف حـكم الإسلام فى ذلك وما هـو فى الواقع إلا مشككاً مضللاً وإن لم ير هذا أو يعتقده ! .

وفى الحقيقة : إن تساؤل أخينا هـذا أصبح غير ذى موضوع ولا واقعيةً، لأن الغناء سواء كـان حلالاً أو حراماً قد أصبح فاشياً مـنتشراً بصورة فظيعـة بحيث لم يخل منه بيت إلا ماقل ، ولا شارع ولا سوق ولا دكان إلا ما قل ، وحتى عرفات وفى يـوم التجـليـات وحتى مـهبط الـوحى مكـة المكرمـة ؛ والمديـنة المنـورة ويا للأسف! .

وأخونا المقنع يعرف هذا جيد المعرفـة ،وإنما هو يهدف ـ ولو عن غير قصد ـ ومن وراء تشككاته وتضليلاته إلى أن يجهز كغـيره على البقية الباقية من الصالحين الذين ما زالوا يتحـرجون من السماع إلى فواحش الأغانى التـى سلبت أفراد الأمة الإسلامية الحـياء ، وكستهم ثـوب الوقاحة والبذاء كمـا يريد هو وكتاب أمـثاله قد انحرفوا ، أن يجـهزوا كذلك على ما بقى للإسـلام ، وصوت الإسلام من إذاعة ظاهرة تمثله عملياً ، وتتكلم باسمه حقيقياً ،وهى إذاعة البلد الحرام مكة المكرمة ، زادها الله تكريماً وتـشريفاً ، وزاد من شرفها وكرمـها ممن قدسها واحترمهـا تشريفاً وتكريماً ،ومـهابة وعزاً ،أرادوا القضاء عـليها والانتهاء مـنها عندما تصـبح كإذاعة إسرائيل وغير إسرائيل ، مما تذيع الخلاعة ، وتدعو إلى المجون .

والذى نرى لزاماً التنـبيه عليه وخاصة ونحن نكتب للـحق وبيانه فقط ، وأن طريق الدعـاة المنحرفين وأسلوبهـم فى الدعوة إلى التقلـيد للغرب والتبعـية له هو المغالطة والتـضليل بإلقاء الشبه ، وخـلق المشكلات واصطناعها ، وهـذا يظهر من أسلوب أخينا المقـنع ـ وإن كان كما يظن أنه ليس من دعـاة الغرب ولا من أذنابه وعملائه ، لأنـنا ننزه أبناء هذه الأمة المجـيدة ، وشعب هذه الحكومـة الرشيدة ، وسكان هذا الحرم الأقـدس أن يوجد فيهم أو يكون بـينهم من يرضى بالـتبعية أو التسخير لـلغير بيد أنه للأسف قد اسـتخدم أخونا المقنع ـ أصلـحه الله ـ عن غير قصد أسلوب دعاة التقلـيد والتضليل المنحرفين ، فهو قد قدم لتـشككاته أو طعناته مقدمـة أظهر فيـها نفسه أنـه من دعاة الإسلام والمـوقفين حياتـهم على خـدمته ، وحمايته إلى أن خلـص من ذلك إلى التشكيك والمغالطة فـذكر ما سماه بالحوادث والأحاديث واتخذها أدلـة على صحة ما يهدف إليه مـن بذر بذور الشك والخلاف

بين المؤمنين فى فاحشة الغناء النكراء ، وهل هى حلال أو حرام ؟ هذه الفاحشة القبيحة التى حرمها الله تعالى بقوله : ﴿ **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ الأنعام : ١٥١ ، والتى انتشرت بين المسلمين بصورة مهددة لهم ببلاء عظيم قد ينزل بهم ، والعياذ بالله تعالى .

إن البيوت التى كان يتلى فيها كتاب الله تعالى ، وترفع فيها أصوات التهليل والتكبير ، والتسبيح والتقديس ، قد أصبحت مراقص لا يسمع فيها طوال الليل والنهار إلا الزمر والتصفيق ، وأصوات الشياطين من الزور والباطل . ويا لغرابة الإسلام فى داره !!

إن الأسر والعائلات الإسلامية التى كان إذا جهر بين أفرادها بلفظة سوء ، أو بعبارة بذيئة تمعرت وجوه الجالسين منهم حياء وخجلا ، وتفرقوا يبكون من الحياء والاحتشام ! أصبحت هذه الأسر تجتمع حول المذياع بذكورها وإناثها وهم يصفقون، ونسوا قول نبيهم : « الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » وأصبح حال تلك العائلات الطاهرة والأسر الشريفة أن يتهادى أفرادها الأغانى الخليعة ، والأصوات الماجنة الفاتنة . فلانة تهدى أختها أو حبيبتها فلانة أغنية (. . .) للمغنى فلان، وفلان يهدى أخاه أو أخته أغنية (. . .) للمغنية أو المطربة فلانة . . . وما إلى ذلك مما يندى جبين المسلم لسماعه حياء وخجلا، ويذوب له قلب المؤمن الصادق حسرة وكمدا .

آه ثم آه ، وما أجدرنا بالتأوه والبكاء ! وما أحرانا بالنداب والصراخ ، واإسلاماه! وادينناه ! واقلة أنصاراه !

أبعد كل هذا الذى أصاب ديننا وحل بديارنا من كل هون ودون ،وسوء وشر، والمقنع المسلم الغيور ـ كما يزعم ـ يطالب بالنصوص المحرمة للغناء، ولا يخجل وهو يعلم أنه يغالط ويشكك الأمة التى تنتظر نصرته ، وتأييده ، وترجو إنقاذه وإصلاحه ، وهى أحوج ما تكون إلى المنقذين والمصلحين فى هذه الأيام ، أيام المحنة العامة والبلية الشاملة التى تعرض لها إيمانها وإسلامها، وذهبت فيها آدابها وأخلاقها !

والمقنع ـ هداه الله ـ اذا كان حقاً شاكاً فى حرمة الغناء أو حليته وأعوزه الدليل ، فلماذا ـ وهو الكاتب الذكى والمصلح المفكر لا يلقى نظرة بسيطة على

مقدمة الغناء ، وثمرته ، ونتيجته ليخرج بالدليل القاطع على التحليل أو التحريم ، فإذا كانت المقدمة صالحة ـ ولا تكون فى الغناء صالحة ، لأن ألفاظه باطل وزور، وكذب وسوء ـ فلينظر إلى ثمرته المقصودة منه ، فإذا كانت مفيدة نافعة ، ولا تكون فى الغناء مفيدة ولا نافعة ؛ لأنه لا فائدة فى اللهو الحرام ـ ثم ينظر فى نتيجته ، فإذا كانت طيبة بناءة ولا تكون فى الغناء إلا خبيثة هدامة ، كما هو مشاهد محسوس ـ ثم يخرج بالدليل إما بالحل أو التحريم؛ للعلم العام عند سائر العارفين أن الله تبارك وتعالى لا يحل للمؤمنين إلا ما كان نافعاً صالحاً مفيداً مثمراً، ولا يحرم عليهم إلا ما كان ضاراً فاسداً قبيحاً مسيئاً إلى أرواحهم ، أو أعراضهم ، أو أجسامهم ، أو أموالهم ، أو دينهم .

ولو نظر أخونا المقنع هذه النظرة لأراحنا من حيرته وتشككاته ، ووفر علينا وعليه بعض الراحة والوقت ، ولكن أبت عليه نفسه إلا إحراجنا وإتعابنا فها نحن له . وليأخذ ما يطلبه من النصوص فى تحريم فاحشة الغناء والزمر التى لم يختلف صالحان اليوم أو قبل اليوم فى تحريمها أبداً .

نصوص الكتاب الكريم فى تحريم الغناء

١ـ جاء من سورة الإسراء قول الله تبارك وتعـالى فى خطابه لإبليس عدوه : ﴿**واستفزز منِ استطعتَ منهم بصوتك**﴾ الإسراء : الآية ٦٤ .

قال مجاهد من أئمة التفسير : عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، صوت الشيطان : الغناء ، والمزامير ، واللهو . وقال الضحاك أيضاً : صوت الشيطان فى هذه الآية هو صوت المزمار .

وإذا فلْيَكْفِ الغناء والمزمار قبحاً وتحريماً أن يكونا عدة للشيطان وعتاداً له يغرى بهما عباد الله على الفسق والعصيان ، ويفتنهم بهما عن عبادة الله ، ويصدهم عن سبيله .

٢ ـ قال تعالى من سورة لقمان عليه السلام : ﴿ **ومنَ الناس منْ يشترى لهوَ الحديث ليضلَّ عن سبيل الله بغير علم** ﴾ لقمان الآية : ٦ .

قال مجاهد: وهو الذى قيل فيه : إن أتاك التفسير عن مجاهد فحسبك قال : لهو الحديث : الاستماع إلى الغناء ، وإلى مـثله من الباطل . وقال حلف عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : بالله الـذى لا إله إلا هو ، ثلاث مرات : إنه الغناء : يعنى لهو الحديث فى هذه الآية .

بيد أن للمقنـع أن يقول : إن هذا مقيد بكونه يضل عن سـبيل الله تعالى وما دام المستمع أو المغنى لا يضل عن سبيل الله فلا محذور إذاً . فنقول له :

أولاً : إن الاضلال عن سبيل الله نتـيجة طبيعية للغناء والـسماع لا تتخلف ، سواء قصدها المغنـى أو المستمع أو لم يقصداها ؛ لأن المضلـل عن سبيل الله ليس هو غير المغنى أو المستمع دائماً ، بل نفس المـغنى أو المستمع تضل كذلك بالغناء أو السماع عن سبيل الله ، ولهذا لم يذكر المفعول به فى الآية ؛ بل حذف ليعم المغنى والمستمع وغيرهما ممن قد يقصد إضلالهم وإفسادهم .

وثانياً : فـهل الغناء يهـدى بطبعه إلى سـبيل الله ويدعو إليـه ؟ ومتى كان لا

يهدى فهو يضل ، ومتى كان لا يدعو فهو يصد . ثم هل عرف الناس طوال دهرهم ثمرة للغناء وسماعه سوى ما يصيب به قلوب أهله من قسوة ، وأخلاقهم من التدهور والفساد ، وأرواحهم من الخبث والتدسية والعياذ بالله تعالى ؟؟

أليس من المشاهد عندنا اليوم أن السماع شاغل عن ذكر الله تعالى ، وعن الصلاة ؟ أو لم يكف الغناء والسماع اليه تحريماً ومنعاً أن يذكرا ، وانهما سبيل الى الصد عن سبيل الله عز وجل ، وطريق إلى الانشغال عن ذكر الله ؟ ألم تحرم الخمر والميسر من أجل أنهما وسيلة إلى الصد عنْ ذكر الله وعن الصلاة ؟ ألم يقل الله: ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** ﴾ المائدة الآية : ٩١ .

وثالثاً ـ قال تعالى من سورة النجم : ﴿ **أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون** ﴾ النجم : ٥٩ ــ ٦١ .

قال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما : السمود هو الغناء بلغة حمْيَر ، وهى إحدى القبائل العربية قال : يقال : اسمدى لنا يا فلانة : أى غنى لنا وقال عكرمة فى تفسير الآية : كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ، ليصدوا الناس عن القرآن بالغناء . فنزلت الآية : ﴿ **أفمن هذا الحديث** ﴾ إلى ﴿ **وأنتم سامدون** ﴾ . ولهذا سمى السلف الصالح الغناء : قرآن الشيطان ؛ لأنه يعارض به القرآن ، ويشغل به عنه وعن ذكر الله كما يصد به عن الله تعالى .

وأخيراً فهل ذم الله تعالى لأصحاب هذه الصفات ، وتقريعه لهم وإنكاره عليهم هذا الصنيع من الضحك والغناء دال على غير تحريم الغناء ومنعه ؟

هذه ثلاث آيات من كتاب الله تعالى قال فيها أئمة التفسير : إنها دالة على تحريم الغناء ، ومن بين هؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى أجمعين ، الإمام المفسر الكبير القرطبى .

وهناك آية رابعة ، قال تعالى فى ذكر صفات المفلحين من فاتحة سورة المؤمنون: ﴿ **والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ المؤمنون : ٣ .

فلو كان الغناء ــ وهو بلا شك لغو لخلوه من أية فائدة ــ فلو كان مباحاً أو خالياً من الفساد المدنس للنفس لما كان الاعراض عنه وعن مثله من كل لغو وباطل

صفة مدح وكمال يمدح بها المتصف بها وتؤهله لأن يكون من ورثة الفردوس حيث قال تعالى فى بيان جزائهم : ﴿ **أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾ المؤمنون : ١٠ ــ ١١ صدق الله العظيم .

هذا وقد يقول المقنع : إن هذه الآيات التى سقتموها أدلة على تحريم الغناء ومنعه ليست هى صريحة فى ذلك ، وكل ما فيها أنه إيماء وإشارة فقط . ولكنا نقول له :

١ ــ إن من له أدنى علم بكتاب الله تعالى يعرف أن التحريم للأشياء لا يكون فيه دائماً بصيغة التحريم أو النهى ، وإنما يكون بهما ويكون بغيرهما من الصيغ . وقد يكون أبلغ فى الزجر ، وأشد فى التحريم . وذلك كأن يذكر عاقبة سيئة لفعل ما من الأفعال أو يذكر شيئاً معقباً عليه بذمه أو بذم فاعله ومتعاطيه ، فإن هذا يكون محرماً كالنهى عنه أو أشد ، ومن ذلك : الحسد ، والكبر والسحر ، والغل والغلول ، فهذه وغيرها محرمة إجماعاً ، ومع هذا فلم ينزل فيها حرف واحد يكون بالصيغة التى يريد المقنع وهى النهى الصريح . أو التحريم الصريح ،وكل ما جاء فيها أن الله تعالى ذم السحر وفاعله وهذا هو الشأن كذلك فى الكبر والغل والغلول .

وأوضح من هذا فاحشة اللواط فإنها طبعاً وشرعاً ، وبإجماع البشرية قاطبة ، والشرائع الإلهية عامة ، ومع هذا لم يرد فيها نص واحد من الكتاب الكريم يحرمها بالصيغة التى يريد المقنع وأمثاله ، وكل ما جاء فى تحريم هذه الفاحشة العظمى حكايته تعالى عن نبيه لوط عليه السلام وهو يؤنب قومه ، ويعتب عليهم فى شأنها ، مع ذكر عاقبة خاسرة كانت لهم بسببها وبغيرها من الذنوب والمعاصى، فهل يستطيع المقنع ومن لف لفه أن يقول : اللواط مباح ــ كما قال فى الغناء ــ وليس بمحرم ، لأن الكتاب لم ينص على تحريمه ومنعه بصيغة المنع والتحريم ؟

وقد يقول المقنع ــ فتح الله للحق بصيرته ــ : إن اللواط حرم بلفظ صريح فى التحريم ، وهو قول الله تعالى فى بيان ما حرم على عباده :

﴿ **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ سورة الانعام : ١٥١ أننا نقول له : إن الفواحش لفظ عام للواط وغيره من كل قبيح شديد القبح كالبخل والشح والزنا ومقدماته ، والكذب والسرقة والزمر والغناء ، فليس إذا لفظ

الفواحش نصاً فى تحريم اللواط ، وإنما هو دال على تحريمه كما هو دال على تحريم المعازف والغناء سواء بسواء .

٢ ـ ليعلم المقنع أن الغناء فى عرف اللغة معناه الصوت الحسن ، فلو نزل القرآن بتحريم الصوت الحسن لحرم على المؤمن أن يرفع صوته مخافة أن يكون فى صوته حسن أو تطريب . وأى حرج أعظم من هذا الحرج ؟ والله يقول : ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ الحج : ٨٧ .

ومن هنا كان تحريم الغناء وهو الصوت الحسن مشروطاً بأن يكون داعياً إلى لهو ، أو يكون معه زور من الكلام ، وباطل من القول ، لا مطلق الصوت ، فإنه يكون بالقرآن وبغيره من الكلام الطيب ، وهو إذ ذاك لا محذور فيه ، ولعل هذا هو السر فى مجىء الغناء الحرام فى القرآن الكريم بلفظ السمود ، لأن السمود لا يتناول فى باب الغناء ، غير الغناء المعروف ، والذى لا يخلو من لهو ومجون ، ولا تخلو ألفاظه من لغو وباطل محرمين . ومن هنا أيضاً جاء الغناء الحرام مقروناً بلفظ اللهو فى قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يشترى لهوَ الحديث ليضلَّ عن سبيل الله** ﴾ لقمان : ٦ الآية للتنبيه على أن المراد بالغناء ذاك النوع الخاص المقرون باللهو ، كآلات الطرب الصارف عن ذكر الله تعالى ، الصاد عن سبيله كما جاء بلفظ صوت الشيطان فى قوله عز وجل : ﴿ **واستفززْ من استطعت منهم بصوتكَ** ﴾ الاسراء : الآية ٦٤ . لأن الشيطان لا يوحى إلا بالباطل ولا يوسوس بغير زخرف القول تضليلاً وتغريراً .

هذا وزيادة فى الإيضاح والبيان نعرض لأخينا المقنع الحيران فى حكم الغناء مايلى : ولعل هذه الشبهة التى علقت بذهنه تزول .

١ ـ الاجماع على أن الغناء حرام بآلة حرام ، ولو كانت الالفاظ التى يتغنى بها من كلمات الله أو أسمائه أو صفاته تعالى .

٢ ـ أجمعوا على أن سماع صوت الأجنبية والتلذذ به حرام ، ولو كان بالتهليل والتكبير ، فقد قال ﷺ : « إنما التصفيق للنساء ، والتسبيح للرجال » ، فلم يأذن عليه الصلاة والسلام للمرأة أن ترفع صوتها لغير ضرورة أكيدة، حتى ولو بذكر الله عز وجل ، وهى فى أكمل حال ، أى فى الصلاة .

٣ ــ كانوا مجمعين على أن المغنى من الرجال يطلق عليه اسم المخنث ، والمغنيات مخانيث ، وكفى بالمرء خزياً وعاراً أن يقال : إنه مخنث أليس كذلك يا مقنع .

٤ ــ من المعلوم يقيناً أن الرجل الغيور الذى يتحلى بالمروءة والشهامة والعزة والكرامة لا يرضى بحال لامرأته أن تسمع غناء أجنبى يطرب بصوته ويصف فى غنائه العشق والحب ، والخلخال والدلال ، والهجر والوصال .

٥ ــ الاجماع على تحريم القول الباطل وسماعه ، وسواء كان بصوت مطرب أو بغيره من الأصوات العادية ، والغناء المعروف اليوم والذى كابرتم فى تحريمه ، وهو ما ترسله أجهزة الراديو ومحطات الاذاعة قد اجتمع فيه كل محذور مما لا يجعل مؤمناً واحداً يتردد فى منعه وتحريمه ، وذلك لأنه بآلة لهو وبألفاظ خليعة ، وبأصوات النساء العاهرات ، والرجال المخنثين . وفوق هذا أنه كلام باطل ليس فيه من الحق شىء ، والباطل ضلال ، والضلال فى النار .

قال ابن القاسم : سألت مالكاً رحمه الله تعالى عن الغناء فقال لى :

قال الله تعالى : ﴿ **فماذا بعدَ الحقّ إلا الضلال** ﴾ يونس : ٣٢ ، أفحق هو؟ .

والآن فهل اقتنع المقنع بحرمة ومنع هذا الغناء البغيض ، فيستغفر الله ويتوب إليه ، ويعتقد كالصالحين حرمة الغناء الذى كان شاكاً فى حرمته ، بل كان يشكك المؤمنين فيه ، ثم يعلن من على منبر دعوته « مجلة عكاظ » أن الغناء حرام فاجتنبوه أيها المؤمنون الصالحون . أم سوف يلف ويدور ويقول : أنا لم أدع إلى الغناء المصاحب للخلاعة والمجون ، وإنما دعوت للغناء الطاهر البرىء ، وها هو ذا كلامى شاهد لى لقد قلت فى مطلع حديثى : أنا لم أطلب أن تذاع أغان خليعة ، بل أردت أن تذاع أغان لأن من الأغانى ما هو مباح ومنها ما هو ممنوع . فنقول له: إن قولك المعسول هذا والذى أوردته فى مقدمة تشككاتك لم يكن إلا مجرد سلم أقمته عن قصد أو غير قصد لتصل به إلى غرضك من إلقاء بذور الشك فى نفوس المؤمنين حتى يشكوا فى حرمة هذه الأغانى الماجنة الخليعة التى خمت منها الدنيا وتعفنت بها الحياة . ونحن لا نستطيع تصديقك إن ادعيت البراءة لنفسك ، لأن الأسلوب الذى كتبت به هو نفس أسلوب الهدامين من المنحرفين فى كل بلد إسلامى ، إنهم ما نشروا السفور والفجور والربا والزنا والفواحش والخنا والخمور

بين المسلمين ، وما عطلوا الأحكام والشرائع ، وما أهملوا الفرائض وأنسوا السنن والآداب الشرعية إلا بمثل هذه الأساليب الملتوية والتى ظاهرها نصح وإصلاح ، وباطنها غش وفساد .

فأنت أيها المقنع الحاذق والكاتب الأريب لو كنت حقاً تريد الإصلاح لكنت اكتفيت بقولك : إن من الغناء ما هو حرام وما هو مباح ، ولكنك لسوء الحظ سقت بعد ذلك الحوادث والأحاديث ـ على حد تعبيرك تشكيكاً وتضليلا ، ثم رفعت عقيرتك ـ سامحك الله إن أنبت إليه ـ وقلت فى تحد عنيف : بينوا لنا أيها العلماء حكم الغناء أحلال هو أم حرام ؟ .

وعندها كنت كمن كشف عن نفسه الغطاء فعرفناك وأنت مقنع مستور، وعرفنا غرضك الذى أنت حوله تدور ، وهو بلا شك حسبما ظهر لنا من كلامك أنه الإجهاز على الرمق الباقى فى الأمة ممن يتحرجون من سماع الأغانى لاعتقادهم حرمتها ، فجئت أنت بحوادثك وتشككاتك وحيرتك وتساؤلاتك لتشككهم وتسهل عليهم الدخول فى هذه المفسدة التى طالما حاربوا أنفسهم من أجلها وترددوا فى الوقوع فيها .

نصـــوص السنـة المطـهـرة

فى تحريم المعازف والغناء

وبعد نصوص الكتاب الظاهرة القطعية فى تحريم الغناء المعروف اليوم ، والذى صاحبه العزف ، وهو كما هو أصوات المـرد ، ونغمات الحسان ، هذا الغناء الذى اختلـطت فيه أصوات الـنساء بأصوات الـرجال ، ولم يستـعمل فيه سـوى ألفاظ الفحش والـبذاءة ، والسوء والهجر والكـفر ، نورد نصوص السنة المـطهرة إعذاراً لاخواننا المخدوعين ، وإنذاراً لهم .

١ ـ روى البخارى فـى « صحيحه » عن أبى مالك الأشـعرى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليكونَنَّ من أمتى قومٌ يستحلُّون الحِرَّ والحريرَ والخمر والمعازف » .

فالمراد بالحر : الفـرج ، والمعنى أنهم يستحلون الـزنا . والمراد بالمعازف آلات اللـهو ، من طبـل ، وطنبـور ، وعود ، وقانون ، وقـيثارة ونـحوها . ومعـنى يستحلون : إما أنهم يـفعلون هذه المحرمات فعل المستحلّ لها بحـيث يكثرون منها ولا يتحرجون من فعلها . وإما أنهم يعتقـدون حلّيتها ، وقد يكون هذا بسبب فتيا ضالة من فتاوى أصحاب الأهواء .

ودلالة هذا الحـديث على تحريم الـغناء دلالة قطعـية ولو لم يرد فـى المعازف حديث ولا آية سوى هذا الحديث لكان كافيـاً فى التحريم ، وخاصة فى نوع الغناء الذى يعرفه الناس اليوم ، هذا الغناء الـذى مادَّته ألفاظ الفحش والبذاءة ، وقوامه المعازف المختلفة مـن موسيقى وقيثارة وطبل ومزمار وعود وقـانون ، ومتمماته أو محسناته أصوات المخنثين ونغمات العاهرات .

ووجهة دليـل الحديث على الحرمة هو قـوله ﷺ : « يستحلون » فـإنه لو لم تكن هذه الأشياء محرمة لما كان قوله ﷺ: « يستحلون » من معنى يذكر . والأمر واضح فلا يخفى إلا على من طمست الشهوات بصيرته ، والعياذ بالله تعالى من ذلك .

٢ ــ روى أحمد فى « مسنده » وأبو داود فى « سـننه » عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن الـنبى ﷺ قال :« إن الله تعالى حرَّم على أمـتى الخمر والميسرِ والكُوبة والغُبيراء وكل مسكر حرام» .

فالكوبة : الـطبل الصغير . وقيـل هو البريط . وعلى كل حـال فهو آلة من آلات الطرب ولا شك . وأما الغبيراء ، فقد اختـلف فى معناها ، فقيل : هى آلة من آلات الطـرب . وقيل هى شراب يـتخذه الحبشـة من الذرة ، وكونهـا آلة من آلات الطرب ، كالعود والـطنبور أقرب ، ووجهة دلالة الحديث عـلى تحريم الغناء هى :

١ ــ أن الغناء لهو وحرام ، ولو لم يكن حراماً كيف تحرم آلته ؟

٢ ــ الأغانى المعروفة اليوم والتى تذيعـها محطات الاذاعة لا تخلو قط من آلة طرب كمـزمار أو قانون ونـحوهما ؛ فـيحرم الغـناء لذاته ، لأنـه بألفاظ الـفحش والباطل والـسوء ، ويحرم لأنه بأصوات المومـسات والعاهرات ، التى يـحرم على الرجـال سماع أصـواتهن ، أو بأصـوات المخنثـين الذين مـهروا فى النـغم المثـير للـشهوات المحـرك للغرائـز ، فيحـرم على المـرأة سماعه لـذلك ، وهو مـع هذا مصاحب للعزف على آلات اللهو المحرمة بنص حديث البخارى السابق ذكره .

٣ ــ روى الترمـذى فى « سننه » من حـديث على رضى الله عنـه قال :قال رسول الله ﷺ : « إذا فعلـت أمتى خمس عشرة خـصلة حل بها البـلاء ــ فذكر منهـا : « إذا اتخذت القـينات والمعـازف » ودلالة هذا الحديـث على تحريم الـغناء ظاهـرة ، لأن اتخاذ القـينات والمعـازف لا يكون إلا لـلغناء . وصـدق رسول الله ﷺ، لقد ارتكبت أمتـه بالأندلس ما حذر منه فاتخذت تلك الأمة الـغابرة القينات والمعازف ، وأسرفـت فى ذلك إلى حد أن أصبحـت الدور والبساتين تـوقف على الموسيقى ، وأصبح المرضى يعالجون فى المستشفيات بالزمر والغناء ، فحل بهم بلاء استأصـل شأفتهـم ، وقطع دابرهم ، ولـم يبق منـهم أحداً . ﴿ **وما ظلـمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ النحل : ٣٣ .

وهل لدعاة الأغانى اليوم إنكار هذه الحقيقة أو التنكر لها ؟

وقل : الذى أنكـر نصوص الكتاب والـسنة لا يبعد أن يـنكر كل حقيـقة فى الوجود .

٤ ــ روى الحميدى فى « مسنده » عنه ﷺ قوله : « لا يحل ثمن المغنية ، ولا بيعها ، ولا شراؤها ، ولا الاستمتاع بها » .

إن دلالة هذا الحديث على ما جاءت فيه نصاً من تحريم ثمن المغنية وبيعها وشرائها والاستمتاع بها لظاهرة ،وإنما نريد أن نقول : إن الظاهرى وهو أحد دعاة الأغانى اليوم إذ يطعن فى سند هذا الحديث ليبطل الاستدلال به على حرمة اتخاذ المغنيات معناه أنه يريد بذلك أن الله ورسوله أباحا للمؤمن أن يكون متى شاء ماجناً خليعاً صفيقاً فاحشاً بذيئاً مسرفاً ينفق ماله فى شراء المغنيات ، ويقضى اوقاته فى سماع أغانيهن ليطرب فيشرب ، ويسكر فيفجر !!

فواعجبا ! أهكذا يريد دعاة الأغانى والزمر للمؤمن الذى حكم الله برشده وجعله وصياً على البشرية ، وإماماً تقتدى به الإنسانية فى الحياة . قال تعالى : ﴿**هو اجتباكم**﴾ الحج : ٧٨ وقال : ﴿ **سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم**﴾ الحج ٧٨ وقال : ﴿ **جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ . البقرة : ١٤٣ .

إذ يصورون ولى الله بهذه الصورة الشوهاء ، يصورونه ماجناً خليعاً ، همه الزمر والأغانى طوال الحياة .

٥ ــ روى ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يتغنى من الليل فقال : « لا صلاة له ؛ لا صلاة له ؛ لا صلاة له » .

ودلالة هذا الحديث على تحريم الغناء دلالة التزامية ، لأن نفى الصلاة يستلزم أن المغنى فاحش آت للمنكر فيكون الغناء فحشاً ومنكراً ، والفحش والمنكر من المحرمات قطعاً ، وقد نفى ﷺ فى حديث آخر على الفاحش الآتى للمنكر صلاته وأبطلها بقوله : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » . قال هذا ﷺ إما بوحى خاص ، وإما باستنباط ، وتأول من قوله تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ . العنكبوت : ٤٥ . فإن لازم هذا أن من لم تنهه صلاته عن قول الفحش والمنكر وعن فعلهما فلا صلاة له . وشىء آخر ، فهل هذا الرجل الذى نام بعض الناس ولم ينم ، وقام بعض آخر يتهجد ويتعبد ولم يقم ، وعكف على الغناء يثير به كوامن الشهوات ؛ ويستفز به

الغافلات ، ويستهوى به العفيفات يعتبر مقيماً للصلاة ، وصلاته ثابتة له مؤثرة فى نفسه بالزكاء والطهر فيشفق عليه (الظاهرى) ويقول : لا تبطل صلاته ، ولا تبطل صلاته لمجرد تغنيه ، أبداً أبداً ، ويطعن في سند الحديث بجهالة راو من رواته ، أو ضعفه ليخلص إلى أن الغناء حلال وليس هو بفاحشة ولا منكر ولا باطل ولا زور ، كل ذلك ليخرج عن جماعة المسلمين ويحتفظ بشذوذه والعياذ بالله من الخذلان ووساوس الشيطان .

٦ ـ ذكر القرطبى فى تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » من رواية مكحول عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« من مات وعنده جاريةٌ مغنيةٌ فلا تصلوا عليه » .

ودلالة هذا الحديث ظاهرة فى تفسيق المكثر من الاستماع إلى الغناء ، كما قال الإمام الشافعى رحمه الله . بيد أن الظاهرى يقول : إن هذا الحديث معلول فلا يحتج به على تفسيق المكثر للاستماع ، لأن مكحولا لم يسمع عن عائشة رضى الله عنها . ونحن نقول له : افرض أن مكحولاً رحمه الله تعالى كذب على عائشة وعلى النبى ﷺ معاً ـ وحاشاه أن يكذب عليهما ـ فها هم الصالحون اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم وبدون هذا الحديث لا يصلون على من اتخذ عاهرة ترقص له وتغنيه ، ويقضى ليله ونهاره فى سماع باطلها وما ذلك إلا فهماً من الصالحين لنصوص الكتاب والسنة العامة والتى تقتضى تفسيق من كان هذا شأنه فى الحياة .

ثم وهل من الإنصاف يا عباد الله أن نكذب مكحولاً ، ونطعن فيه ونصدق الظاهرى ونقدسه ، ونحن نعرف أنه خرج غير ما مرة عن جماعة المسلمين بشذوذه وتهوره ؟ اللهم ألهمنا رشدنا ، وأزل غشاوة الجهل عن أبصارنا وبصائرنا يارب العالمين .

٧ ـ روى ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جلس إلى قينة (مغنية) يسمع منها صُبَّ فى أُذنيه الآنك [١] يوم القيامة » والحديث دال على حرمة السماع دلالة واضحة لا تقبل الجدل بحال ، للوعيد الشديد الذى تضمنه ، وهو نظير

(١) الآنك : الرصاص المذاب .

قوله عليه الصلاة والسلام : « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ فى أُذنه الآنك يوم القيامة » .

فمستمع الغناء آذى نفسه بتدسيتها بسماعها الباطل والفحش والزور ، ومستمع حديث الغير آذى غيره بسماع سره ، وما يحب أن يخفيه وهذا ذنب يدسى النفس، فإذا مات ولم يتب كان من أهل النار حيث استجوبها بتدسية نفسه بآثار ذنب المعصية ، ومن المعلوم أن العذاب فى النار ألوان ، ومن تلك الألوان: صب الآنك فى آذان المسيئين إلى أنفسهم بواسطة آذانهم لسماعهم ما لا يحل سماعه ولا يجوز لهم .

٨ ـ روى الترمذى الحكيم فى « نوادر الأصول » مرفوعاً من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين ، فقيل : ومن الروحانيون يا رسول الله ؟ قال : قرّاء أهل الجنة» .

وهذا الحديث دال على كراهة الغناء ولو بألفاظ غير بذيئة ولا باطلة ، لأن من شؤمه حرمان صاحبه من أعظم لذة فى الجنة ، وهى سماع قرائها الروحانيين عقوبة له حيث سمع غناء الدنيا وتلذذ به . وهذا فى العقوبة بالحرمان نظير قوله عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة ، ومن لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » .

ويفسر هذا بوجهين : أن من عصى ربه بهذا النوع من المعاصى وتدست نفسه بأثر المعصية ، ولم يتب توبة تزكى نفسه ، وتذهب بآثار ما علق بها من المعصية ومات على ذلك فإن هذا قطعاً هو كما أخبر النبى ﷺ ، فلا يشرب خمر الجنة ، ولا يلبس حريرها ، ولا يسمع الروحانيين فيها ، لأنه فى النار بعيد عن الجنة ونعيمها .

وإن هو خرج من النار بشفاعة النبى ﷺ ، ودخل الجنة فيبقى محروماً كذلك عقوبة له ، وإما أن صاحب هذه المعصية قد يتوب منها وتزكو نفسه ويدخل الجنة ابتداء ، ولكن يحرم لشؤم المعصية من لذة ما كان قد تمتع بلذته فى الحياة الدنيا، مما حرم الله ورسوله ﷺ .

٩ ـ روى ابن ماجه عن أبى أمامة مرفوعاً عن النبى ﷺ : « **إن الله يبغض** صوت الخلخال كما يبغض الغناء » . والحديث دال على حرمة تعمد إبداء الزينة من المرأة المؤمنة ، ودال كذلك على حرمة الغناء. ووجه ذلك أن المؤمن المنيب والعبد الصالح لا يفعل شيئاً يكرهه سيده بأى حال من الاحوال . وهنا نقول للظاهرى ومن لف لفه ، وأسف مثله : هل حرم الله عز وجل ضرب الخلخال فى رجل المرأة المؤمنة لإبداء الزينة ؟ وسيقول : نعم ، قطعاً ؛ لأن هذا صريح الكتاب فلا ينكره مؤمن أبداً . قال تعالى : ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ النور :٣٢ . ونقول له مرة أخرى : ولماذا ؟ وقد يصدق الجواب ويقول: لأنه يثير فتنة الشهوة فى قلوب الرجال الذين يسمعون صوت الخلخال ، فقد يحرك هذا البغيض ساكن أحدهم ويؤدى به إلى أن يطلب ذات الخلخال ، أو يطلب غيرها فيجرم ، وهذا النوع من الإجرام جزاؤه كما هو معروف قتل شنيع : رجم بالحجارة حتى الموت ، وعندها يخسر المجتمع الإسلامى عضوين اثنين من المؤمنين ، وما أحوج المجتمع الإسلامى الى كثرة المؤمنين !

ومن أجل هذا حرم كل سلوك أو عمل يؤدى إلى هذه الخسارة ولو كان ضرباً بالخلخال ، أو صوتاً متكسراً من أصوات النساء أو الرجال. قال تعالى لنساء النبى ﷺ : ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرضٌ وقلن قولاً معروفاً . وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرَّجن تبرُّج الجاهلية الأولى** ﴾. الأحزاب٣٣, ٣٤ .

واعجبى ! كيف يكون لين كلام المرأة منهياً عنه محرماً إذا هى خاطبت الأجنبى، ولا يكون غناؤها بألفاظ السوء والبذاءة وهو موجه إلى كل من هب ودب محرماً ؟

وهل يسلم لنا الظاهرى ومشايعوه من هواة الغناء والمزمار إن قلنا : إن تحريك الشهوة بواسطة أصوات المغنين والمغنيات هو أشد من تحريكها بصوت الخلخال ، لما فى النطق من موسيقى ،وفى العبارات من نبرات ؟ وإن سلموا لنا ما قلناه فإنا نقول لهم ـ وهم يحلون الزمر والغناء ـ : كيف يحرم الله صوت الخلخال ويبغضه ، ويحرم لين كلام المرأة إن هى خاطبت أجنبياً ، ولا يحرم الغناء والزمر ، وهى أصوات تفعل بقلوب الرجال ما لا يفعله السحر والخمر بحال ؟

وبعد كل هذا فكيف لا يخجل الظاهرى ولا يستحى من الله والمؤمنين عندما يعلن على رؤوس الأشهاد ، ويكتب بحروف بارزة حمراء : ان الغناء واستعمال المعازف والمزامير والاستماع اليها مباحة ، وانها لم يحرمها كتاب ولا سنة ، ويا للعجب ! ماذا يفهم هذا الرجل من الكتاب والسنة ؟ أيفهم منهما أنهما مجرد نصوص جوفاء لا ترمى إلى هدف ، ولا تقصد إلى غاية ، أم ماذا يفهم يا ترى ؟!

ويا سبحان الله كيف تضل الأفهام ! وكيف تزل الأقدام !

اللهم إنا نعوذ بك من أن نضل أو نضل ، أو نذل أو نذل ، ونسألك اللهم العصمة من الخطأ والخطل ، ومن النزغ والحمق والطيش .

حكـم الأئمـة الأربعـة

على الغناء واستعمال المعازف والاستماع اليها

ـ ١ ـ

الإمام مالك

المعروف عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى النهى عن الغناء، وعن السماع اليه . وقد سأله مرة تلميذه ابن القاسم رحمه الله عن الغناء فأجابه قائلاً : قال الله تعالى : ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾ ، أفحق هو ؟

وما أحسن جواب الإمام ، وما أعظم فقه مالك !

فإنه إن لم يكن الغناء حقاً فهو باطل ، وهل من عاقل يقول : الغناء حق ؟

وسئل مرة عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء ، كأمثال ابراهيم بن سعد، الذى اتخذ المقنع عمله حجة فى إباحة الغناء كما سيأتى إن شاء الله ، فقال: إنما يفعله عندنا الفساق . فحكم الإمام رحمه الله تعالى على المغنين والمستمعين المشتغلين بالغناء والطرب بالفسق . والفاسق فى حكم الإسلام لا تقبل شهادته ، ولا يصلى الأخيار عليه إذا مات ، بل يصلى عليه غوغاء الناس وعامتهم! .

ومن أحكام مالك الفقهية أن الرجل إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب الذى هو كونها مغنية .

فانظر كيف جعل ـ رحمه الله تعالى ، وهو إمام دار الهجرة ـ الغناء عيباً ترد به الجارية كما ترد بالزنا الزانية ، ولمه ؟ والغناء بريد الزنا .

ـ ٢ ـ

الإمام الشافعى

قال رحمه الله فى كتاب أدب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، فهذا عالم قريش الذى طبق علمه الأرض محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله تعالى ، يحكم على الغناء بأنه لهو ـ واللهو حرام . إلا ما خص الشارع منه كالرماية والسباحة ونحوهما، وألحقه بالباطل ، والباطل حرام قوله وسماعه وشبهه بالمحال، والمحال ممنوع شرعاً. ونتيجة هذا الرأى الحكيم أن الغناء حرام إلا ماخص الشارع منه ، وأن المكثر غناء أو استماعاً فاسق سفيه غير راشد ، والفاسق ترد شهادته ، والسفيه يحجر عليه ، وكفى المغنى والمستمع هذا خزياً وعاراً ! .

وسئل رحمه الله عن الرجل تكون له القينة فيجمع أصحابه لتسمعهم الغناء ؟ فقال : هذه دياثة ، وصاحب هذه الجارية ديوث ! والرسول ﷺ يقول: « لا يدخل الجنة ديوث » .

هذا هو الإمام الشافعى الذى لا يمكن أن يشار إلى المقنع أو الظاهرى أمامه حتى بالاشارة فضلاً عن أن يشبها به فقهاً وعلماً وصلاحاً وتقوى ، يحكم بتفسيق وتسفيه المكثر من الغناء والسماع ، ويحكم بدياثة صاحب المغنية الذى يجمع الرجال على غنائها . وما أشبه صاحب الجارية بالرجل الذى تظل امرأته أمام المذياع تستمع إلى أغانى فريد الأطرش ،وعبد الوهاب ، وشادية ، والمرحومة أسمهان كما يقولون ! .

ـ ٣ ـ

الإمام أبوحنيفة

أما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فقد كان حكمه أشد وأقسى، فهو يرى الغناء من الذنوب التى يجب تركها والابتعاد عنها ، وتجب التوبة منها فوراً ، كسائر الذنوب والمعاصى : وأما أصحابه فقد صرحوا بحرمة الغناء وسائر الملاهى ،من مزمار ، ودف ، وقيثارة ونحوها وخصوا الغناء بأنه معصية توجب فسق صاحبها

وترد شهادته ، وبالغوا فى النهى والسماع إلى حد أن قالوا : السماع فسق والتلذذ به كفر [1] وقالوا فى المار يسمع الغناء : يجب عليه أن يجتهد فى أن لا يسمعه ، وكذا إذا كان فى دار مجاور له .

وقال أبو يوسف : إذا سمع المؤمن صوت الملاهى والمعازف فى دار دخل على أصحابها بدون إذنهم ليتمكن من تغيير المنكر ؛ لأن تغيير المنكر فرض ، وأن للإمام أن يحبس ، أو يضرب ، أو يرحل من لا ينتهى عن هذه الفاحشة .

ـ ٤ ـ

الإمام أحمد

من غير المشكوك فيه تحريم الملاهى عامة ، غناء كانت أو ضرباً على عود، أو مزماراً أو غير هذه عند أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وعند أصحابه أجمعين .

ومن المنصوص عليه فى كتبهم : كسر آلات اللهو والطرب كالطنبور وغيره إذا رؤيت مكشوفة وأمكن كسرها ، لأنها من المنكر الذى يجب تغييره وإزالته ، بل قد نصوا على أنه لو علم أن هناك آلة مستورة تحت ثوب لكشف عنها وكسرت .

وأوضح من هذا وأقوى فى الاستدلال على حرمة الغناء عند أحمد رحمه الله أنه نص فى أيتام ورثوا جارية مغنية ، وأرادوا بيعها أن لا يبيعوها إلا على أنها ساذجة غير مغنية ؛ لأنها بوصفها مغنية قد يزيد ثمنها ؛ فيفهم من هذا أنه لو كان بيع المغنية حلالاً ، وأن الغناء مباح لما كان يأمر بتضييع مال اليتامى ، وتضييعه من أشد الحرام ، ولكن لما كان الغناء حراماً كان ثمن المغنية حراماً ، كما أنه لما كان البغاء حراماً كان ثمن البغىّ حراماً ، وهكذا حرم ثمن الصليب ، وثمن الخمر ، والخنزير لأنها محرمات ؛ وثمن المحرم حرام .

ومن أجل هذا أمر الإمام رحمه الله ألاّ تباع الجارية على انها مغنية ، لأن ثمنها حينئذ يكون حراماً . فدل هذا على أن الإمام أحمد كان يحرم الغناء ولا يبيحه . وقد سأله مرة ولده عبد الله عن الغناء فقال : الغناء ينبت النفاق فى

---

(١) حجتهم فى تكفير المتلذذ بالسماع حديث ضعيف . ومن المعلوم أن الكفر يكون كفراً دون كفر . كما بوب ذلك البخارى رحمه الله تعالى لقول الرسول ﷺ فى النساء :« ويكفرن العشير » فلعل مرادهم من كفره أنه كفر نعمة ومعصية ، لا كفر مخرج عن الملة . وهو الصواب .

القلب فلا يعجبنى ، وقال : إن مالكاً لما سئل عنه قال : إنما يفعله الفسَّاق عندنا .

وأخيراً فهذا حكم حماة الإسلام ، وأنصار الشريعة وأمناء الأمة مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد رحمة الله عليهم أجمعين ، وهو حكم واضح وصريح فى منع الغناء وتفسيق فاعله والمستمع اليه ، كما هو أيضاً حكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقد تقدم على حكم الأئمة حكم الله ورسوله ﷺ ، وهو كذلك أكثر صراحة وأشد وضوحاً فى منع الغناء وتحريمه ، فهل يجوز بعد هذا لمؤمن يحب الله ورسوله أن يقول : أن هذا الغناء الذى يعرفه الناس اليوم مباح حلال ؟

وهل يجوز لمؤمن يحترم نفسه ، ويستبرئ لدينه وعرضه أن يعدل عن هذا المنهج القويم ، وهذه الجادة الواضحة إلى مسلك أعوج سلكه اناس مطعون فيهم، وهم عبيد الله العنبرى ، وابراهيم بن سعد وابن حزم الظاهرى ؛ غفر الله لنا ولهم ورحمنا وإياهم ؟

ولكن يا لغرابة الإسلام اليوم ! ويا لقلة أنصاره بين أهله ، وفى وسط داره ! وإلا فكيف يسمح لأصحاب الأهواء ، وصرعى الشهوات أن يلقوا فى أمة الإسلام هذه الشبهة ، ويبثوا فيها هذه الشكوك والوهميات تغييراً وتضليلا ؟ .

وأغرب من هذا أن يكون مصدر هذا التضليل آراء ابن حزم الظاهرى التى أقبرتها الأمة ، وطواها التاريخ ، فيأتى من ينشرها اليوم بعد البلى، ويظهرها بعد الفناء ، ويقول : هذا هو الدين الصحيح ! ولا حول ، ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الغناء المرخص فيه شرعا

من سماحة شريعتنا الإسلامية مراعاتها للضعف الأصيل فى الإنسان ، فهى تحرم الميتة والدم ولحم الخنزير تحريماً باتاً ولكن تبيحها عند الضرورة قال تعالى : **﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾** النحل ، ١١٥ . فبعد تحريمها لهذه الأربعة تحريماً قطعياً على سائر المؤمنين أباحت للمضطر القدر الذى يحفظ به حياته ، ويبقى به على وجوده بشرط أن لا يتعدى القدر المرخص له فيه . وهى تحرم الكفر بأى لفظ من ألفاظه، وفى أية صورة من صوره ، ولكن تبيح للمؤمن منه عند الاكراه ما يدفع به عن

نفسه شر العذاب ، وما يرفع به عن ذاته مالا يتحمله من النكال ، وما لا يطيقه من الوبال ، وبشرط أن لا يتعدى الكفر لسانه إلى قلبه . قال تعالى : ﴿ **إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً** ﴾ النحل: ١٠٦ . وهى تحرم اتخاذ الكلاب وبيعها وثمنها ، ولكنها ترخص فى اقتنائها وتبيحه فى حالة خاصة، قال ﷺ : « من اتخذ كلباً إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية انتقص من أجره كل يوم قيراط » .

وهى تفرض الصوم فرضاً أكيداً ، قال تعالى : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ البقرة : ٨٥ ولكنها تراعى ضعف المؤمن فترخص له فى الافطار فى حال السفر أو المرض على أن يقضى ذلك يوم زوال عذره ، قال تعالى : ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدةُ من أيامٍ أخر** ﴾ البقرة : ٨٤ .

وهى تحرم الجهر بالسوء ولكنها ترخص للمؤمن فى حالة الشكوى أن ينطق بمظلمته ، ويسرح بشكواه ، قال تعالى : ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** ﴾ النساء : ١٤٨ .

وعلى أساس هذه الكليات والقواعد العامة فى الشريعة الإسلامية السمحة جاء حكم الغناء واللهو واللعب ، فنصوص الكتاب والسنة العامة تحرم الغناء واللهو واللعب ، لأن هذه صادة بطبعها عن سبيل الله ، صارفة للمؤمن عن الحق الذى هو قائم به ، معرضة رشده إلى سفه لا ينبغى له ، لان أتباع هذه الملة الحنيفية مجتبون للدعوة إلى الحق ، وإعلانه ، ولاقامة العدل فى الأرض وحمايته، ورفع راية الإسلام ، ونشر مبادئه ، فهم أوصياء البشرية ، وهداة الانسانية ، قال تعالى ﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هُو سمَّاكم المسلمين من قبلُ ، وفى هذا ليكون الرسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شُهداء على النَّاس** ﴾ الحج : ٧٨ .

ولذا كان لا يتفق وكرامة المؤمن الاشتغال بالغناء واللهو واللعب ومن تخلى من المؤمنين عن امامته ، ونزل من علياء كرامته فأسف واشتغل بالغناء واللهو واللعب فهو سفيه طائش أحمق جاهل ، لا يتردد المؤمنون فى تفسيقه ، واسقاط عدالته ، وترك شهادته ، وعلى هذا الاعتبار مضى حكم الأئمة الأربعة فى تسفيه وتفسيق المغنى والمستمع كما أن ذكرناه .

ولكن ـ والحمد لله مع تحريم شريعتنا للغناء واللهو واللعب فقد رخصت فيها فى حالات خاصة ، كما رخصت فى كثير من المحرمات والمنهيات . وقد سبقت الإشارة إلى بعضها . ومن ذلك الغناء والدف فى العرس والعيد ، ولكن تحت قيود ثقيلة وشروط شديدة ؛ كما سيذكر قريباً ان شاء الله تعالى .

وما رخّصت فيه أيضاً ملاعبة الرجل امرأته وأولاده الصغار ، أو فرسه لرياضته وتمرينه . والسباحة والسباق والرماية والصيد والمصارعة وهى أنواع من اللعب كما رخصت فى انشاد الشعر والارتجاز فى الجيش لتحميس المجاهدين ؛ واثارة روح الشجاعة والبطولة فيهم فى حال سيرهم الى المعركة ، أو إقبالهم عليها .

الرخصة فى الغناء والدف فى العرس

وبيانها

١ ــ روى الخمسة إلا أبا داود قوله ﷺ : « فصل ما بين الحلال والحرام الدُّف والصوت فى النكاح » .

٢ ــ روى ابن ماجة قوله عليه الصلاة والسلام : « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغُربال » .

٣ ــ روى البخارى وأحمد عن عائشة رضى الله عنها : « أنها زفت امرأة من الأنصار ، فقال النبى ﷺ : يا عائشة ، ما كان معكم من لهو ، فإن الأنصار يعجبهم اللهو » .

٤ ــ روى الجماعة إلا مسلماً والنسائى عن الربيع بنت معوذ قالت : دخل على النبى ﷺ غداة بنى على ، فجلس على فراشى كمجلسك منى ، وجويريات يضربن بالدف ، يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت إحداهن : وفينا رسول الله يعلم ما فى غد . فقال النبى ﷺ « لا تقولى هكذا ، وقولى ما كنت تقولين » .

وبعد ، فهذه أربعة أحاديث منها الضعيف اصطلاحاً [1] ، ومنها الحسن ، ومنها الصحيح تشهد للرخصة التى عرفتها الأمة الإسلامية من عهد نبيها ﷺ إلى يومها هذا فى الغناء والدف فى العرس ، ولكن بشروطها ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، وها هى شروطها :

١ ـ أن تكون فى عرس نكاح شرعى .

---

(١) المراد بالاصطلاح هو أن علماء الحديث رحمهم الله تعالى وضعوا شروطاً لقبول رواية الحديث فان توفرت تلك الشروط فالرواية صحيحة والحديث مقبول ، وإن لم تتوفر فالحديث ضعيف . ويفهم من هذا أنه قد يكون الحديث ضعيفاً اصطلاحاً ، وهو فى نفس الامر صحيح ثابت عن النبى ﷺ ، فلذا ينبغى للمؤمن الصادق أن يحتاط فى رد الحديث .

٢ ــ أن يكون الدف عبارة عن إطار غربال قد جعل عليه جلد فقط بحيث يخلو من الوتر ، ومن أى شىء زائد عليه لقوله ﷺ : « واضربوا عليه بالغربال». فنص على الآلة الخاصة ، وهى الغربال ، ولذا أتى بأداة التعريف للعهد أى : الغربال المعهود عندكم ، حتى لا يتناول غير النوع المعروف ، ولو لم يكن هذا مراداً لجاء التعبير هكذا : واضربوا عليه بغربال .

٣ ــ أن يكون الغناء بألفاظ خالية من الفحش والبذاء ، ومن الزور والباطل، وما بها من شائبة شرك ، ولا رائحة كفر أو هجر .

٤ ــ أن يكون المغنى نساءً لا رجالاً ، لأن النساء هن المعروفات بالصوت والغناء ، أما الرجل إذا تغني فهو متشبه بالنساء ملعون على لسان محمد ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام: « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء » .

٥ ــ أن لا يكون مع النساء المصوتات فى العرس رجال أجانب ، لأن إختلاط الأجنبى بالنساء حرام ، ولأن سماع صوت الاجنبية بلذة حرام كذلك .

٦ ــ أن يضمن صاحب العرس نظافة الالفاظ التى تقال وطهارتها وأن يراقب كل ما قد يقال فى غناء العرس فيبيح [1] منه ما أباحه الشرع ، ويمنع ما منعه ، ودليل هذه المسألة : أن النبى ﷺ رد على الجارية قولها : وفينا رسول الله يعلم ما فى غد . ومنعه لانه فيه رائحة شرك بنسبة علم الغيب إلى الرسول ﷺ وأباح لها ﷺ باقى كلامها ، لانه ما فيه من بأس ولا محذور ، فقال لها : « دعى هذا ، وقولى ما كنت تقولين » !

فإذا توفرت هذه الشروط جاز الدف والغناء أو الصوت كما هو تعبيره ﷺ ، وما أصحه من تعبير ! لان المقصود من الغناء فى العرس مجرد إظهار النكاح بصوت مرتفع عال يسمع ، لا التلذذ بالنغم ، والتمتع بنبرات صوت الحسان.

---

(١) قد ينكر علينا البعض هذا الشرط . ويستبعد ما يلزم صاحب العرس من مراقبة الالفاظ التى تقال فى عرسه. ولكى نقنع هذا البعض بأن ما اشترطناه سليم ومعقول وممكن ميسور ايضاً نقول : إذا كانت الحكومات اليوم لا تسمح بالقاء كلمة فى حفلة أو بنشرها فى صحيفة أو إذاعتها فى محطة إرسال إلا بعد مراقبتها والاطلاع عليها وحذف ما ينبغى أن يحذف منها ، وكل هذا من أجل السياسة والحكم لا غير . فلماذا لا تراقب التى تقال فى العرس إذاً حتى يحذف منها ما لا يجوز قوله وسماعه ويترك ما يجوز . أم السياسة أولى بالمحافظة عليها من توحيد الله وشريعته ؟ !

والله أكبر ما أجمع كـلامه ! وما أدق تعبيره ! وما أصح قصـده ! جعلنى الله فداء سننه ، وضحية شريعته .

هذا وينبـغى أن نعلم أن الذى شرعـت هذه الرخصة من أجـله هدف سام ، وأن الغرض منها غرض شريف . إنها كانت لـلفصل بين النكاح الحرام ، والنكاح المباح الحـلال . إنها أشبه برخـصة أكل الميتـة للمضطـر إذ تلك أبقت علـى نفس مسلمـة ؛ وهذه أبقت على نفوس ، وعـملت على صيانـة أعراض . ومن أجل هذا شرعها وحث عليها رسول الله ﷺ .

الرخصة فى الغناء واللهو فى العيد

وبيانها

١ ـ أخرج مسلم فى « صحيحه » عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل علىَّ أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث ؛ قالت : وليستا بمغنيتين ؛ فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ ؟ ! وذلك فى يوم عيد . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً ، وهذا عيدنا » .

٢ ـ رواية البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ؛ وجاء أبو بكر فانتهرنى ، وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ ؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : « دعهما » ؛ فلما غفل غمزتهما فخرجتا . وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال : «أتشتهين تنظرين » ؟ قلت : نعم ، فأقامنى وراءه خدى على خده وهو يقول : «دونكم بنى أرفدة » حتى إذا مللت قال : « حسبك ؟ » قلت نعم . قال : «فاذهبى » .

٣ ـ روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « بينما الحبشة يلعبون عند النبى ﷺ بحرابهم فى المسجد ،دخل عمر فأهوى الى الحصباء فحصبهم بها. فقال رسول الله ﷺ : « دعهم يا عمر » .

٤ ـ وفى لفظ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحاً بذلك . وهذا اللفظ متفق عليه .

فهذه أربع روايات ثابتة صحيحة لا شك فيها . أما الأولى : فهى مؤذنة بترخيص الشارع ﷺ فى الغناء والدف يوم العيد وهذا ظاهر من قوله ﷺ : «إن لكل قوم عيداً ، وهذا عيدنا » . ويفهم من هذا أنه لو كان فى غير العيد لوافق نهى أبى بكر محله ، ولما رخص للجاريتين فى الدف والغناء ، لأن الأصل المنع ؛

ولذا لما رأى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ذلك بـادر الى إنكاره قياماً بواجب النهى عن المنكر ، ولهذا ايضاً احتاج النبى ﷺ إلى الـتعليل لهذا الحكم المخالف لما تقرر قبل من منع الـغناء والدف فقال : « إن لكل قوم عيداً ، وهذا عـيدنا » وفى لفظ «حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح » .

والملاحظ هنا أمور وهى :

١ ــ الرخصـة الشرعية تقـدر دائماً بقدر الحاجـة ، ولا يتعدى محلـها ، فلا يجوز أن نعدى هذا النوع من اللهو الى غير العيد .

٢ ــ قول عائشـة رضى الله عنها « جاريتان » وقـولها « ليستا بمغـنيتين » يدل على أن هذه الرخصة كانت فى غناء جاريتـين صغيرتين ، والصغار يرخص لهم ما لا يرخص لـلكبار فـى باب اللهـو واللعب . وان هـاتين الجاريتـين لم تكونـا من المعروفات بالغناء المشتهرات ، فيفهم من تنصيصها على هذا أنهما لو كانتا معروفتين بالغـناء لم تكن لـتسمح لهـما بذلك ، وإنمـا لما رأت أنهما صـغيرتان وأن ما كـانتا تقولانه من الكلام لا يعدو كونه أناشيد فخر وحماس قيلت فى حرب من الحروب السابقة فأغضت عنهما لذلك . وخاصة وأن عـائشة يومها كانت صغيرة تحب اللهو واللعب بطبعها .

٣ ــ قول أبى بكر رضى الله عنه « مزمارة الـشيطان » دال على علم سابق له بأن الغناء والدف منهـى عنهما ، وأنهما من صوت إبليس يوقـد به الفتن ويهيج به الشرور والشهوات ، ويضل به عن سبيل الله ويصد عن ذكره .

٤ ــ قول عائشة رضى الله عـنها : « فلما غفل غمزتهمـا فخرجتا » دال على انها رضى الله تعالى عنـها كانت تشعر بالاساءة حيث سمحت للجـاريتين بالتدفيف والانشاد ، وأن الرخـصة وإن حصلت فى هذا الـنوع من اللهو فى هـذا اليوم لم تكن لتزيل من نفـسها ما شعرت به من مرارة الإساءة ، فلذا تحينـت الفرصة لغفلة النبى ﷺ وأخرجتهما من البيت .

٥ ــ أليس من خطل الرأى ، وخطأ الفهم ، وعمى البصيرة كذلك الاحتجاج بهذه الرخصة على أن الـغناء والمعازف ، وبالكيفية التى يعـرفها الناس اليوم ، ولا يعرفون سواها مباحان وحلالان ولم يحرمهما كتاب ولا سنة !؟

أين ما قالته بنتان صغيرتان من أبيات شعرية مضمونها الحماس والفخر، حيث ان هذه الابيات قد قيلت فى حرب تعتمد على إثارة النعرة وتقوية الحماس، شأنها شأن سائر الحروب ، أين هى من الاغانى الشائعة اليوم ، والتى لحمتها وسداها ألفاظ الفحش والبذاء والهجر والكفر ،ومعها أصوات العاهرات المومسات، وأصوات المخنثين الماجنين مما لا يجيز الاستماع إليه والتلذذ به إلا فاسق لا يطيب له العيش إلا فى حياة المجون والخلاعة ؟ .

هذا ، وأما باقى الروايات فإنها دالة على رخصة أخرى وهى اللعب واللهو يوم العيد إذا كان اللعب يتضمن فائدة تعود على المسلمين بالخير وكان خالياً من كل ما يسيء أو يضر الفرد أو المجموع فلعب الحبشة كان قطعاً بالحراب والدرق ، وهو عبارة عن تمرين على سلاح ، ورياضة على كيفية استخدامه ، كما هو إظهار للبطولة، وابراز لروح المقاومة ، وحب الجهاد . وكل ما فيه أنه مازجه نوع من خفة المرح ، ونشاط الفرح كان سببه يوم فرح عام هو يوم العيد . وأين هذه الرخصة بشروطها من السهرات الحمراء ، والمراقص الماجنة التى تشرب فيها الخمور ، وتنتهك فيها الاعراض ، وتذبح فيها الكرامة ، ويهدر فيها الشرف والطهر والعفاف !؟ .

ومع هذا كله ـــ ويا للأسف ـــ ولا يخجل ـ إخواننا المنحرفون عندما يجملون القول تضليلاً وتمويها ويقولون : الكتاب والسنة لم يحرما الغناء ، والمعازف ، ولا الاستماع إليهما ! ! .

ثم يتبجحون بالتضليل والمغالطة وكأنهم اكتشفوا لأمة الاسلام « الذرة أو الهيدروجين » لتعتز بذلك وتغلب وتسود .

ألم يعلموا أنهم بمثل هذه المواقف الشائنة يخدمون أصحاب الاهواء ، وعباد الشهوات ، ويساعدون الاستعمار الغربى الذى يدين بالمسيحية ويناصر الصهيونية يساعدونه على القضاء على الروح الدينى فى نفوس المسلمين ليسهل لهم بذلك الاستيلاء مرة اخرى على البلاد الاسلامية ، والسيطرة عليها من جديد بعد أن طردوا منها بفضل الله تعالى ثم بفضل الروح الدينى الذى استيقظ فى نفوس المسلمين فى هذا العهد الاخير ، فحملهم على المطالبة بعزة المؤمن وكرامة المسلم فى الحياة ، ثم على انتزاعهما بالقوة من أيدى الغاصبين المسيحيين .

حجج المقنع فى اباحة الغناء

ودحضها

١ ـ احتج المقنع فى إباحة الغناء بقوله تعالى : ﴿ **ويحلُّ لهم الطيبات** ﴾ من سورة الأعراف حيث السياق هكذا : ﴿ **الذين يتبعونَ الرسول النبىّ الأمىّ الذى يجدونهُ مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهمْ بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحلُّ لهم الطيبات ويحرمُ عليهم الخبائث** ﴾ الاعراف ١٥٧ الآية . فقال : إن الطيبات قد فسرت بالمستلذات ، وما دام الأمر كذلك فالأصوات المطربة مستلذة والغناء مستلذ ، والمعازف مستلذة ، فهى إذاً حلال ـــ وغره أن التفسير للطيب بالمستلذ هو تفسير لغوى لا شرعى . ففهم أن كل مستلذ حلال ، وأعجب أنت أيها المؤمن الصالح من هذا الفهم الغريب والاستدلال العجيب !

إن صاحب هذا الفهم لم يبق أمامه ـ وعلى طول الخط ـ أى محرم أو ممنوع قط ما دام مقياسه فى معرفة الحلال والحرام هو اللذة ؛ فإن الزنا لذيذ ، وشرب الخمر لذيذ كذلك ، فهما إذاً حلالان مباحان حسب فهمه . وسماع الباطل يلذه السمع طبعاً ، وتستروح النفس عنده فهو إذاً حلال مباح ، والتمتع بمغازلة الحسان ومداعبتهن فى أماكن الريبة لذيذ ، فهو إذا حلال ، وهكذا فكل ما وجدت فيه لذة فهو فى حكم صاحب هذا الفهم حلال مباح ولو حرم بألف آية ، ومليون حديث !!

هذا هو فهم المقنع للاية الكريمة ، والذى أدى به إلى تحليل الحرام والعياذ بالله تعالى . وأما ما يفهمه سائر المؤمنين والمفسرين من هذه الآية فهو أنه لما سأل موسى لنفسه ولبنى إسرائيل قومه حسنة الدنيا ورحمة الآخرة بقوله : ﴿**واكتبْ لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليكَ** ﴾ الأعراف : ١٥٦ أجابه الحق عز وجل بقَوله : ﴿ **عذابى أصيبُ به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقونَ ويؤتونَ الزكاة** ﴾ إلى قوله: ﴿ **ويحلُّ لهم الطيبات** ﴾ الأعراف ١٥٦ , ١٥٧ . ومعنى هذا أن الله تعالى لم يقبل دعوة موسى على إطلاقها بل جعلها مقيدة بالنسبة إلى الأجيال المقبلة من قومه بالتقوى وإيتاء الزكاة ، واتباع النبى سيدنا محمد ﷺ . وهذا الصرف الذى وقع لموسى عليه السلام عن مطلق دعوته كان قد وقع مثله لإبراهيم عليه السلام .

وذلك لأن الله تبارك وتعالى لا يحابى ولا يوارب ولا يجامل ، وإنما يهب فضله ، ويعطى رحمته لمن يتعرض لها بالتوقى من الشرك والشرور والمفاسد، وبالتزكية للروح بالايمان الصحيح والعمل الصالح فقد قال تعالى لابراهيم: ﴿ **إنى جاعلكَ للناس إماماً** ﴾ البقرة ١٢٤ . حصل له هذا الشرف وهذا الفضل والكمال بعد نجاحه فى الامتحان المرير القاسى الشديد ، والمشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربهُ بكلمات فأتمهنَّ قالَ إنى جاعلكَ للناسِ إماماً** ﴾ البقرة : ١٢٤ .

فلما سمع إبراهيم هذا الوعد الإلهى المقطوع بوقوعه تشوفت نفسه عليه السلام الى تعميمه لكافة ذريته من بعده ، وكيف وهو الأب الرحيم ؟ فقال : ﴿**ومن ذريتى** ﴾ البقرة :١٢٤ ، فصرفه الله تعالى عن تعميم الإمامة فى كل ذريته بقوله جلت قدرته وتعالت كلماته : ﴿ **لا ينال عهدى الظالمين** ﴾. البقرة : ١٢٤ .

وبعد هذا الخروج البسيط عن الموضوع نعود الى ما نحن بصدده فنقول : إن قوله تعالى :﴿ **ويحل لهم الطيبات** ﴾ الأعراف : ١٥٧ . جاء فى أعقاب ذكر النبى ﷺ فى التوراة ، ويحمل القول فى ذلك أن ما طلبه موسى عليه السلام له ولقومه كان مشروطاً بالنسبة الى قومه من بعده باتباع النبى الأمى الموصوف بأنه يحل لليهود ما كان محرماً عليهم من الطيبات التى حرمت عليهم بظلمهم ، كما قال تعالى : ﴿ **فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم** ﴾ . النساء: ٦٠ . وهذه الطيبات التى حرمت عليهم بظلمهم ويحللها لهم النبى الأمى إن هم آمنوا به واتبعوه هى كل ذى ظفر من بعير ، ونعامة ، وشحوم البقر والغنم ، كما قال تعالى : ﴿ **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا ، أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون** ﴾ الأنعام : ١٤٦ .

ومن هنا يعلم يقيناً أن المراد بالطيبات فى هذه الاية هى كل ذى ظفر وشحوم البقر والغنم إلا ما استثنى منها . وليس كما يفهم المقنع من انها ما استلذ وطاب، بل المراد بها طيبات خاصة كانت قد حرمت على اليهود عقوبة لهم على فسقهم وظلمهم. وبما أن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع فإن من يؤمن به من اليهود ويتبعه يحل له ما كان محرماً عليه فى الشريعة المنسوخة ، وخاصة تلك الطيبات التى ما كانت لتحرم عليهم لولا ظلمهم واعتداؤهم .

والآن ، ألم تر أيها المؤمن الصادق أن المراد بالطيبات فى هذه الآية هى تلك

التى كانت قد حرمت على اليهود بظلمهم ، وجاء نبيناً ﷺ بشريعة ناسخة لما قبلها فأحلتها لهم ؟

وهل فى هذه الآية بعد هـذا من دليل للمقنع على أن المراد بالطـيبات فيها هو ما استلذ وطاب حتى الغناء والزمر وسماع الشر والباطل ؟

والجواب الـصحيح : أنـه لا دليل للـمقنع فـى هذه الآية علـى إباحة الغـناء والزمر واللهو ؛ ومن طـلب منها دليلا على ذلك فقد صد عن سـبيل الله وابتغاها عوجاً ، والعياذ بالله .

ومن الانصاف أن نقول : إنه قد جاء ذكر الطـيبات فى القرآن الكريم فى غير هذه الآية ، وكان المراد به مطلق اللذيذ الطيب ،ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ غير أن المفسرين مجمعون على أن المراد بالطيب هـنا زيادة على كونه لذيذاً غيـر مستقذر أنه حلال مباح بالحـكم الشرعى. وإذاً فلا حجة فيه للمقنع كذلك .

٢ ــ حديث الجاريتين الـذى سبق أن ذكرناه بنصه وبألفاظه المخـتلفة وهو كما عرفت أيـها المؤمن الـصادق لم يدل عـلى اكثر من رخـصة شرعيـة مقيدة بـقيود ومشروطة بـشروط، فإن وجدت قيودهـا وتوفرت شروطها جـازت ، وكانت دالة على جواز الصوت بـالاناشيد فى يوم العيد ولو كـان معها دف ، وإلا فلا تجوز . والامة مجمـعة على هذه الرخصة وجـوازها ، وقد حملت هذا الحديـث الشريف بألفاظه المختلفة عليها وقصرته عندها . كل ذلك فهما من الامة للنصوص الشرعية والكليات والقواعد العامة فى دين الاسلام .

وشيء آخر فهل يقاس ــ أيها المؤمن ــ غناء جارية صغيرة تغنى لجارية صغيرة مثلها وتسمعها صوتها الذى لا يتعدى جدارى المنزل بغناء عاهرة ماهرة تخرجت من معاهد الدعارة والفجـور تغنى للرجال والنساء معاً ، وبألفـاظ قذعة قذرة ، ويبلغ صوتها كل بيت وشارع ودكان ، ويطبق أقطار السماء والأرض ؟؟ .

٣ ــ حديـث لعبة الحبشـة بالحراب والدرق فى المسـجد وهو كما سبـق مقرر للرخصة التى عرفتها الأمة المحمدية من عهد نبيها ﷺ الى يومها هذا ، وهى جواز بعض الالعاب المتوخـى فيها فائدة تعود على الأمة بالصلاح والخـير ولذا فإن كثيراً من الاقطار الإسلامية ما زال أهلها يلعبـون بالخيول يوم العيد ، ويظهرون مهارات فائقة فى ركوبهـا ، وبطولات فى الفروسية عجيبة . وهـذا ولا شك نافع وصالح

وهو من نوع ما جاء فى حديث الحبشة ، لأنهم كانـوا يقفزون فى حركات خفيفة وهم يلوحون بالحراب ويضربون بها الدرق ، ولما فى هذا من اظهار قوة الإسلام، وإحياء روح الدفاع والمقـاومة فى النفوس كان ﷺ يدفع عنهم ويـقول لعمر رضى الله عنه : « دعهم ياعمر » . ويؤمنهـم قائلا : « أمناً بنى أرفدة » . وهذا عين ما كان يقام من ألعاب بطـولية بالسيوف عند زيارة الملك الصالـح عبد العزيز آل سعود ـ رحمـة الله تعالى عليـه ـ لأحد مناطـق مملكته إبـان حياته . وشتان مـا بين ما رخص فيه الشارع من هذا اللعب الطاهـر الذى لم يخرج عن كونه رياضة بدنية ، الأمة فى حاجـة إليها ، والى تشجـيعها ، وبين ما يـدعو إليه الخليعـون فى البلاد الإسلامـية من الرقـص الماجن ، والفـواحش القـبيحة ، واخـتلاط الجنسـين فى المسارح، والاغانى الخبيثة ، والزمر الجنونى .

وأخيراً فهل حديث الحبشة ولعبهم فى المسجد بالحراب والدرق فى يوم عيد أو ما هو كالعـيد من قدوم نبى عظيـم ، أو صالح كريم : هو صالح للاحـتجاج بأن اللهو واللعب والغناء المعروف اليوم مباح حلال ؟ .

ومن يقول بهذا أيها المؤمن الصادق ـ سوى صاحب هوى مفتون ؟ .

٤ ـ حديث عائشة رضى الله عنها فى قصة زفاف الفتاة التى كانت فى حجرها وأن النبى ﷺ قال : « فلو بعثتم من يقول معها :

أتيناكم أتيناكم   فحيونا نحييكم

هذا الحديـث هو عين ما أخذت منـه أمة الإسلام رخصة الصـوت والدف فى العرس ، وهى تعمل بها فى كل بلاد العالم الإسلامى إلى ما بعد اليوم معتقدة أن الصوت والدف فى العرس شريعة نبيها ﷺ ، وأنـها رخصة العرس التى لم ينكرها مسلم واحد منـذ أن كانت إلى اليوم ،و كيف ؟ والرسول ﷺ يـقول: « فصل ما بين الحلال والحرام : الدف والصوت فى النكاح » .

فهل لنا أن ننقل هذه الرخصة عن موضعها ، ونعديها إلى غير محلها ، ونبيح الغناء والزمر ، فنحول بيوت المسلمين إلى مراقص ومزامر وأغان شيطانية عابثة من هذا الزمر الجنونى ، والأغانى الفاحشة ، التـى ذهبت بإيمان وحياء كثير من الناس وحولت كثيراً من الأسر إلى ندامى ما بينـهم من حياء ولا احتشام ، حتى لكأنهم

قوم خليعون صفيقون يعيشون طول دهرهم على الاجرام والفساد ؟ .

٥ ــ حديث « لله أشد أذنا ـــ (سماعا) ــ إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته » .

فيا للعجب كيف يتخذ هذا الحديث دليلاً على إباحة الغناء والزمر ؟ وما فيه أكثر من أن صوت الرجل ـــ لاالمرأة ــ وبالقرآن لا بألفاظ الدعارة والتخنث يحبه الله كثيراً ويسمعه بكيفية أشد من سماع صاحب القينة إلى قينته !!

وأما قوله : من صاحب القينة إلى قينته ــ إن تشبث به المقنع ورأى فيه دليلاً على ما يدعو إليه ، لما فيه من إشارة إلى سماع صاحب الجارية من جاريته فليس فيه من دليل قط ، لأنه من الجائز أن تغنى المرأة لزوجها ، والجارية لسيدها بألفاظ طاهرة تترنم بها المرأة أو الجارية فى بيتها أمام الزوج أو السيد ،، وأى محذور فى هذا ؟ إنه إذا كان قد حل للسيد من جاريته فرجها فكيف لا يحل له أن يسمع صوتها ؟ وإذاً فكيف يتخذ هذا الحديث دليلاً على اباحة أغانى المخنثين تسمعها العفيفات ، وعلى أغانى العاهرات يسمعها الرجال الصالحون وفى كل يوم وليلة ، وفى كل بيت ومكان ؟

٦ ــ حديث نذر الجارية الضرب بالدف بين يدى رسول الله ﷺ ان رده الله من سفره سالماً معافى .

اليس الدف مرخصاً فيه شرعاً فى العرس والعيد ؟

واذا كان هذا معلوماً للجارية ، فلماذا لا يجوز لها أن تنذر ضرب الدف أمام نبيها ﷺ فرحاً بمقدمه ؟ اليست عودة النبى ﷺ سالماً الى أنصاره وداره ومحبيه وحوارييه عيداً من خير الأعياد ، والأعياد قد رخص فيها الدف والصوت واللعب؟ فما المانع اذاً من أن تنذر هذه الطفلة الصغيرة والتى لم تكلف بعد ضرب الدف يوم عيد قدومه ﷺ ؟

ومع هذا فقد قال لها عليه الصلاة والسلام : « إن كنت نذرت فأوفى » . ومفهومه انها لو لم تنذر لما دففت امامه ﷺ وان قيل : لو لم يكن الدف مباحاً لما جاز نذرها ولا صح ،لأن نذر المعصية لا يجوز ، قلنا: نعم فإن الرخصة بجواز الدف فى العرس والعيد معلومة معروفة وهذه من تلك فأين اذاً محل الاستدلال

من هذه القصة بأن الغناء والمزمار حلالان مباحان ! ؟ .

٧ ـ قول المقنع : والقصب والآلات الوترية لم يرد فيها نص صحيح يمنعها.

اعلم أيها المؤمن الصادق أن قوله هذا بالرغم من أنه مغالطة مفضوحة ،فإنه دال على جهل الرجل وعدم علمه حتى بمدلولات الألفاظ العربية ، وبيان ذلك :

١ ـ أن هذه الآلات تسمى معازف ، وقد جاء تحريمها فى « صحيح البخارى» تحريماً قطعياً ؛ لأن الصيغة التى وردت فى ذلك من صيغ التحريم الشديدة حيث صاحب ذلك إبعاد لأصحابها ومرتكبيها بالمسخ قردة وخنازير ، وقد تقدم نص الحديث فليرجع إليه !

٢ ـ أنه يريد بفهمه هذا من الرسول ﷺ أن يكون فناناً عصرياً قد استخدم كل آلات الطرب ، وعرفها واحدة واحدة لكثرة ممارسته لها ، فيسمى له كل آلة باسمها الخاص ، كأن يقول له : العود حرام ، البيانو حرام ،القيثارة حرام ، وهكذا .

مسكين أخونا المقنع ! ألم يعلم أن نبينا الطاهر ﷺ قد أوتى جوامع الكلم ، وأن قوله : المعازف ، شامل لكل آلة ؛ سواء كانت ذات وتر أو غيره . إن العزف فى اللغة : الصوت المطرب من أى مصدر كان ، وآلته تسمى معزفاً وتجمع على معازف . وبناء على هذا ، فإن صوت المغنى والمغنية داخل فى لفظ المعازف بحكم أنه صوت مطرب وهو إذاً حرام بالحديث الصحيح الصريح الذى أخرجه امام المحدثين البخارى رحمة الله تعالى عليه . وبعد هذا فهل بقى للمقنع من يصدقه فى أن القصب والآلات الوترية لم يرد فيها نص صحيح يمنعها ؟

٨ ـ استدل المقنع على اباحة الأغانى الخالية التى حرمها الكتاب والسنة وإجماع الأمة بعمل ابراهيم بن سعد . وما أتفه ما استدل به ! لأن ابراهيم بن سعد هذا رجل مطعون فيه ، وقد قدمنا قول الإمام مالك فى أمثاله ممن عرفوا بالفسق والزمر فى المدينة . فقد قيل لمالك : ما تقول فيما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء ؟ فقال : إنما يفعله الفساق عندنا . الله اكبر ! قد فسق الإمام مالك مفتى المقنع ، وعمدته فى إباحة الغناء ، وسنده فى جوازه ، وبطل استدلاله بفتاويه .

وبلا اسف إن إبراهيم بن سعد هذا والذى يرفع المقنع نسبه إلى أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ظناً منه أننا نقيم لغير

الإيمان والعمل الصالح وزناً ، والله يقول : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ الحجرات : ١٣ ، ونبيه ﷺ يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . ونبيا الله نوح ولوط عليهما السلام قيل لزوجيهما ﴿ **ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ التحريم : ١٠ ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً .

نقول : ان ابراهيم بن سعد هذا قد فسقه المقنع نفسه عندما قال : انه يفتى بالحل ! فتعبيره هذا يفهم منه بوضوح ، وكما هو الواقع أن الأمة الإسلامية فى عصورها الذهبية الأولى كانت على تحريم الغناء ،وأن ابراهيم هذا كان يفتى بالحل خروجاً عن الأمة الإسلامية وجماعة المسلمين ، وأى فسق أعظم من الخروج على جماعة المسلمين ، واتباع غير سبيل المؤمنين ؟

وليس أدل على تفسيق المقنع لصاحبه ومفتيه الذى يحتج بفتاويه على حلية ما حرم الله ورسوله من الأغانى الماجنة والمعازف المنكرة من قوله فيه : انه قد سمع منه الإمام أحمد بعدأن كان ابراهيم قد حلف ألا يحدث حديثاً ــ طبعاً عن رسول الله ﷺ ــ إلا بعد أن يغنى على عود . ويا لضياع سنة الرسول اذا كانت تؤخذ عن الحشاشين ، وأصحاب الأهواء والمجون !! وياالخسارة الإسلام ، اذا كانت نصوصه تطلب من هذا النوع الرخيص من الناس ! !

اسمع يا مقنع ! انك والله لو كنت صادقاً أو ناصحاً ، وأنك لا تريد الا نصرة الإسلام وحمايته كما زعمت مطولا فى حديثك لما استطعت أن تذكر هذه الحادثة، ولو ثبتت لديك باليقين ، وبرؤية العين ؛ لأنك بذكرها تهدم أركان الإسلام ، وتزلزل الإيمان فى قلوب المؤمنين ولكن لا لوم ولا تثريب ما دامت الدوافع معروفة، والأسباب مكشوفة .

وأخيراً ، فمن هو هذا إبراهيم الموهوم المطعون والذى تكون فتواه حجة على إجماع المسلمين، وعلى نصوص الكتاب والسنة ، من هو يا ترى ؟ أصديق هو ، أم عبد الله بن مسعود ، أم عبد الله بن عباس ، أم القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، أم عمر بن عبد العزيز ، أم مالك ، أم الشافعى ، أم أبو حنيفة، أم أحمد ، وكلهم ما بين محرم للغناء ومفسق للمغنى والمستمع ؟

وأخيراً ، فهل يتوب المقنع إلى الله ويستغفره فإن الله يتوب عليه ويعتقد كالصالحين حرمة الغناء والمعازف ، ويعلن عن توبته من على منبره ، فنحمد الله له على التوبة ، ونهنيه على الرجوع ؟ ؟ .

حجة الظاهرى الداحضة

فى إباحة الغناء والمعازف

هل تدرى أيها المؤمن الصادق بما احتج هذا المتظاهر ؟

هل تدرى بما احتج على إباحة الغناء والمزامير والمعازف والاستماع اليها ؟ هل تدرى بماذا احتج وعج ؟

انه لم يحتج على صحة ما ادعاه بكتاب ، ولا سنة ولا قياس ، ولا إجماع الأمة . انه لم يحتج بأكثر من رأى رجل خرج على المذاهب الأربعة ، وحارب اكثرها ، وشنع على كثير من أصحابها ، وسفه آراء كثيرة ، وكأنه لم يرَ إلا رأيه صائباً ، ولم يعرف إلا نفسه راشداً .

احتج المتظاهر برأى رجل تطاول على العقول ، وسفه الأحلام ، وضلل المفاهيم وجمد على ظاهر النصوص ، فكان حظه منها ما طفا على سطح العبارة، ولو صور الجنة مغارة ، والنار منارة .

ومزالق هذا الرجل الذى اتخذه متظاهر الرائد اليوم قدوة له وإماماً ، واحتج بقوله فى تحليل ما حرم الكتاب والسنة والإجماع ، والقياس والعقل والنقل . نقول مزالق هذا الرجل وسقطاته أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر. وهاك أيها المؤمن المتبصر صورة مصغرة من مزالق هذا الرجل حتى لا تحدث نفسك أبداً بأن ما قاله فى الزمر والغناء قد يحتمل الصدق ـ أو الصحة بحال . روت الأئمة عن نبيها ﷺ قوله : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه » . وفهمت أن نبيها نهاها عن البول فى الماء الذى لا يجرى إذا هى أرادت ان تغتسل فيه ، لأنه يتقذر بالبول ، أو يتنجس به ، وهو فهم منطقى سليم . ويأتى الظاهرى فيقول : لو أننا تغوطنا فى الماء الدائم ثم اغتسلنا فيه لما كان فى ذلك من بأس ، لأن النبى ﷺ نهى عن البول فقط ،ولم ينه عن التغوط ! واعجب أنت أيها المؤمن من هذا الفهم السقيم ، واعجب اكثر من متظاهر الرائد ، إذ يطلب من أمة الإسلام اليوم أن تتنكر للكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وتحلل الغناء والخنا والفحش وكل طريق يؤدى الى الزنا ، لأن ابن حزم يرى هذا !

فقط لأن ابن حزم الظاهرى يرى هذا ! !

ولك ألا تعجب أيها المؤمن فإن (للمتـظاهرين) عجائب وغرائب وأن منها ما طلع به عـلينا متظاهـر اليوم من أن الكتاب والسـنة لم يحرما الغـناء والمعازف ولا الاستماع اليها ، لأن الظـاهرى فى هذا الباب لم تقنعه الكليـات العامة فى الكتاب والسنة ،والتـى فهمت منها الأمة الإسـلامية جمعاء تحريم الغـناء والمعازف ، وإنما يريد أن ينزل القرآن يقول : المزمار حـرام ، والقيثارة حرام ، والمعازف والاستماع اليهـا حرام ، وعندها يـصدق ويفهم كـما فهمت الأمـة انها حرام . مسـكين هو الظاهرى ! ومسكين هو هذا المتظاهر الذى خرج علـى المسلمين اليوم بفتنته العمياء يكتب بـحروف غليظة حـمراء ، وبكل تبجـح مزر ، ووقاحة شائنـة ، ويقول : الكتاب والسنة لم يحرما الغناء ولا استعمال المعازف والمزامير ولا الاستماع اليها .

وكأنـه قد اكتشـف على طـول البحث عـنصراً هـاماً من عـناصر تقـدم الأمة ورقيها، فـجاء يعلن عن ابتـهاجه وفرحته بما حقـقه الله على يديه من عـثوره على رسالة للـظاهرى الأول ، كان قد ضمـنها إحدى سقطاتـه التى أشرنا اليـها آنفاً ، فنشر فصولاً منها بنصها وفصها تحت عـنوانه : الكتاب والسنة لم يحرما الغناء الى آخر الهراء . . مـسكين هو هذا المتـظاهر !! ألم يعلـم أنه عندما يقـول : الكتاب والسـنة لم يحـرما الغـناء والمعازف ، وبـالخصوص فـى هذه الأيام ، وعلـى هذه الكيفيـة المعروفة اليوم ، أنه يدعـو إلى الخلاعة والمجون ، وإلى التحـلل والميوعة التى غيرت فطرة الشباب فى كثير من البلاد الإسلامية ؟

ومسكـين هو هذا المتـظاهر عنـدما ذهب بدافـع مناصرة الـشر ومشايـعة أهل الباطل ، يـقلب الأوراق البالية ، ويـبحث عن الآراء الخالية ، تـلك الآراء التى واراها الحق ، وأقبرها اليـقين . ولسوء حظه يعثر هذا المنقـب على رأى عفن بال عقيم هو رأى ابن حزم ــ غفر الله له وعفا عـنه ــ فى موضوع السماع . فطار به فرحاً ، ووقف على رأس مجلة « الرائد » يصيـح : أيها الناس الكتاب والسنة لم يحرما الغناء .

مسكين هو هـذا المتظاهر إذا كانت حجـته فى إباحة الغناء والمـعازف هى هذه التى تبخرت ولم يبق منها شىء !

وأنت أيها المؤمن الصادق فهل تأبه لمثل هذه الترهات ، وتعتقد تحليل ما حرم دينك ؟ إن مثل هـذا التضليل لا يغطـى عليك شمس الحق ، ولا يسـتر عنك نور اليقين . وكيف وأنت المؤمن الحق والمؤمن ينظر بنور الله .

ما وراء هذا التباكى ؟

إن المتأمل فى هذا الصراخ والبكاء والعويل الذى ما فتئت بعض الصحف المحلية للمملكة تنشره ، وتعلق عليه بمزيد من الاستحسان والتحبيذ . هذا البكاء أو التباكى على إذاعة الوادى الأمين « مكة المكرمة » ووصفها بأنها جامدة ، ومتأخرة ، وأنها مهجورة لجمودها وتأخرها ، وأن الشعب رغب عنها ، وأصبح أفراده يستمعون الى غيرها من إذاعات العالم اليها .

وأن مجهودات الحكومة وأموالها كلها ضائعة ، حيث إن الشعب قد انصرف بتاتاً عن هذه الاذاعة الجامدة . وصاحوا : ينبغى أن تنطلق الإذاعة من عقال الجمود ، وأن تتحرر من ربقة التزمت والتحفظ الذى لا يليق . ينبغى أن تساير العصر ، وتنافس إذاعات العالم حتى تكسب رضى الشعب ، وتظفر بالسمعة اللائقة بها فى دنيا المستمعين ! الى غير ذلك من البكاء والعويل .

وليس من شك فى أن مرادهم من تحررها ومسايرتها للعصر ، ومنافستها لاذاعات العالم هو أن تذيع الأغانى الخليعة الرخيصة لأشهر المخنثين والعاهرات فى دنيا العهر والخلاعة ، كل ذلك ليتلذذ السفهاء ، ويتمتع أصحاب الأهواء من رجال ونساء ! ويومها تصبح الاذاعة السعودية إذاعة راقية تستحق احترام الشعب وتقديره !

ومن أجل هذا فيما يظهر قام المقنع اليوم يشكك ، والمتظاهر يغالط ويضلل، ويدعيان ــ باطلا ــ أن ما يطلبه هواة الأغانى والمولعون بالمعازف والمزامير هو من الحلال الذى لم يحرمه كتاب ولا سنة .

ونحن الآن نتساءل ونقول : ماذا وراء هذا التباكى يا ترى ؟؟ .

ونجيب عن تساؤلنا إظهاراً للحقيقة وكشفاً للسر ، وتدليلا على إخلاصنا لهذه الحكومة الإسلامية التى لم يبق للإسلام فى دنيا الوجود سواها [١] ، والتى نود أن نحافظ على وجودها وقوتها وعزتها وطهارتها وصلاحها بأرواحنا ودمائنا ،

---

(١) بعد الله .

ويشهد الله على ذلك .

فنقـول : إن نار الحسد الـتى تتأجج فـى صدور كثير مـن إخواننا فـى الدين والجنس ، إن جـحيم البغض والـغيظ الذى يعيـش فيه أعداء الإسلام من مـسيح ويهود ، ذلك الحسد وهذا البغض اللذان سببهما : ما تتمتع به هذه الدولة المسلمة من سمعـة طيبة لدى المسلـمين عامة ، وما تحملـه لها القلوب المؤمـنة من إجلال وإكبار ، حتى انـه لا يوجد مسلم صحيح الإسـلام ، ولا مؤمن صادق الإيمان ، وفى أى بلد إسلامى ، كان ، الا ويتمنى بكل قلبه أن يحكمه ابن السعود ، وإنه لو يدعى الى مبايعته ملكا أو خليفـة للمسلمين لما تردد طرفة عين . وكان ذلك من أجل أن هذه الـدولة تمثل الإسلام وتـقوم به ، وتدعـو اليه ، وأن المسلـمين فى غيرها مـحرومون من لذة العيش تحـت ظلال دولة القرآن ، في حين أن المـسلمين فيها وتحـت رايتها ينعمون بـالأمن ، ويتمتعون بالـعدالة ، ويتلذذون بحيـاة الطهر والصفاء فى الظاهر والباطن معاً .

ولا شك أن هذه حالة داعية الى أن تحسد هذه الدولـة فى كرامتها ومكانتها . كما أنه قـد يخاف منها ان دام لـها مجدها وطهـرها ، وعم خيرها وطـار وانتشر صيتها فى الآفاق .

ومن أجل ذلك ــ ولا شك ــ عمل الحساد والمبغضون بطريق الدس والخديعة فى قوالب من النصح والتوجيه ، عملـوا على انزال هذه الدولة التى كانت معجزة القرن الرابع عشر ، هـذه الدولة التى لا يواليها الا مؤمن ، ولا يعـاديها إلا منافق كافر ، مـا دامت قائمة بأمـر الله ، عملوا علـى انزالها من عـلياء كرامتهـا وسماء مكـانتهـا الى المسـتوي الذى يـعيشـون هم فيـه . فشوهـدت فيهـا أمور أنكـرها الصالحون، وأحوال غريـبة لم يكن يعرفها المؤمـنون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وها هى ذى قوى الشر اليوم تحاول النـزول بالاذاعة السعودية ، تلك الاذاعة التى تحمل راية لا اله الا الله ، وتمثل صوت القرآن ، وشخصية الاسلام ، تحاول النزول بـها الى أن تصبح تذيع كل قبـيح وقذر ، لا فرق بـينها وبين اذاعـة لندن وباريس ، لتضحك رومـة المسيحية ، وتبكى مكة الإسلامـية آه ثم آه . ماذا يريد المنحرفون منا !! ؟ .

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد ! ومن يدرينا أن الأمر مبيت ، والخطة مدبرة للمطالبة بوجود جوقة طرب للمحطة ، يختار لها الفنانون المهرة ، والفنانات الماهرات ؟ .

وما يدرينا أن هذه الحملة المسعورة على تحريم الغناء ما هى الا مجرد مناورة فقط، وأن الأمر أوشك أن يتم ، وتخرج (جوقة الطرب) الى حيز الوجود ، ويصبح يجلس فيها الفنان الى جنب الفنانة بلا حجاب ولا ستار ، لأن هذه طبيعة الجوقة حول أجهزة الارسال ، والأمور تجرى دائماً على طبائعها .

وياليت الأمر يقف عند هذا الحد ! وما يدرينا أننا سنسمع ضجة أخرى كهذه كذبة ـ أستغفر الله ـ كتبة جدد يطالبون بفتح معهد فى جدة أو فى مكة لتخريج المهرة من الفنانين والفنانات فى العزف والغناء ، بحجة أن الموجودين غير أكفاء ، وإنما هم متطفلون على الفن ؛ لأنهم لم يدرسوا دراسة خاصة ، ولم يكن معهم من الشهادات ما يخولهم لهذا العمل الدقيق .

والى متى وأموال الحكومة ضائعة يأكلها من لا يستحقها ؟ يجب أن يوجد معهد للفن فى بلادنا بما يتفق ونهضتنا العلمية وتطورنا الاجتماعى الذى يرعاه أبو الشعب ملكنا المحبوب !! .

ويوم يوجد هذا المعهد يأتى الشيطان بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على الفاسقين، أعزة على الصالحين ، أمثال دعاة الغناء والمزامير اليوم يكتبون بحروف حمراء وخضراء بارزة وظاهرة تحت عنوان : الكتاب والسنة لم يحرما العلم ، بل يفرضانه على كل مسلم ومسلمة . وما فن الموسيقى والإيقاع والغناء إلا علم من العلوم التى لا تتم نهضة أمة من الأمم ، ولا تكمل حضارتها الا بها ! .

ومن المقطوع به أنه عندما يصبح المعهد يخرج فنانين وفنانات يوظفون بألف ريال شهرياً فى دار الاذاعة اننا لا نجد ـ الا نادرا ـ من يتورع ولا يطلب لابنه أو ابنته مقعداً فى هذا المعهد ، ويضيق لذلك نطاق المعهد بما يضطر المسؤولين الى فتح معاهد تسد حاجة البلاد كما يقولون !

ويومئذ يضحك الشيطان قائلا على الطهر والصلاح العفاء ! .

وما قلناه وافترضناه فى الاذاعة نقوله ونفترضه فى تعليم البنت كذلك ؛ فإن

الضجة التى ثارت حول تعليم البنت لا تقل فى شدتها وعنفها عما هو ثائر حول الاذاعة ، فكم كتبت الصحف ونشرت المجلات ؟ وكم بكى أنصار التحرر وتباكى أبطال التقدمية . وقالوا مسكينة هى البنت السعودية ! محرومة هى البنت السعودية! إنها تعيش فى ظلمة المنزل وظلمة الجهل ! .

مسكينة هى البنت فى هذه البلاد ؛ محرومة من سلاح العلم ، ومن زاد العرفان . وبكوا وتباكوا الى أن خدعوا الحكومة الرشيدة وما أسهل خداع المؤمنين الصالحين ! .

وفتحت مدارس البنات ، وها هى ذى ابتدائية وقبل أن تكون ثانوية ، وقد أصبحنا ننكر ما كنا نعرفه من زى البنت المسلمة قبل . فرأينا الشعور تشذب وتهذب ، والملابس تنمق وتزوق ، والتكاليف ترتفع وتشقل . وكنتيجة حتمية ستفتتح مدارس ثانوية ، وبعد اعوام معدودة ولو كره المؤمنون امثالنا ويومها لا بد من السفور ثم الفجور . ومن قال لمه ؟ جوابنا له : انها السنن . والمقدمات لا تعدم نتائجها .

والذى استفاد من هذا الفساد قطعاً المثلث المعادى : المسيحية ، والصهيونية والخرافيون ، وليس غير ذلك ! .

هذا وبما أننا على بينة من أمرنا نقول متحدين كل عنصر فاسد ، ومعول هدام، وقلم مسخر : أرونا نتيجة كل هدم هدمتموه فى الإسلام غير محق للكرامة، وقتل للشخصية الإسلامية ، وانتزاع للروح الدينية من نفوس المؤمنين نؤمن لكم ونتابعكم ؟

ارونا نتيجة تعلم البنت ، وفى سائر البلاد الإسلامية ، والتى اصبحت البنت تملأ اكثر مقاعد المدارس المختلفة فيها ، وهل تستطيعون ان ترونا غير الخلاعة والسفور ، ومزاحمة الرجال فى الاعمال ، حتى كثرت البطالة فى الرجال ، وعظم دخل افراد ، ومات آخرون بالجوع والحرمان ؟

ارونا نتيجة معاهد الفنون وتخريج المغنين والمغنيات ، وهل ترونا غير الميوعة والتحلل ؟

ارونا نتيجة المسارح والسينمات التى يود كثير بجدع انوفهم ان لو توجد فى

هذه البلاد ــ لا اوجدها الله ــ .

اورونا نتيجة حلق اللحى والتزى بزى الكفرة والمشركين ، وهل حقق شيئاً يذكر فى عالم الحقائق سوى الانحطاط فى الكرامة ، وسوى محو لشخصية المسلم، تلك الشخصية التى طالما عمل الرسول ﷺ على تكوينها والمحافظة عليها بقوله : « من تشبه بقوم فهو منهم » وبقوله : « المرء مع من احب » وبقوله : «خالفوا المشركين ، وفروا اللحى ، واحفوا الشوارب » . وحافظ عليها خلفاؤه من بعده ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يمنع الذمى ان يتزيا بزى المسلم. كل ذلك من اجل ان يمتاز المسلم بشخصيته لأنه البشرى الوحيد فى هذا الوجود الذى اقيم وصياً على البشرية يرشدها ويهديها ، ويحرص على كمالها وسعادتها .

واذا ذهبت هذه الشخصية فمن للانسانية ؟

من للبشرية ؟ قولوا ــ يا عباد الله ــ من ؟؟ أروسيا البلشفية ؟ أم المسيحية الوحشية ؟ أم البوذية الهمجية ؟ أم الصهيونية الاجرامية ؟

وخلاصة القول فيما فهمناه من وراء التباكى : أن القوم ــ هداهم الله ــ يلحون من غير شعور ، فى اصرار وعناد على محو الشخصية الإسلامية ، والمظاهر الدينية فى هذا البلد المقدس لتصبح مكة كبيروت والمدينة كالقاهرة ، ولافرق ، وليصبح المسلم كالكافر ، والاسرة المسلمة كالأسرة الكافرة . ويومها يقولون : تقدمنا ، ومشينا شوطاً بعيداً فى طريق التمدن والحضارة .

وكلمة أخيرة لا بد من قولها ، وان غضب اناس ، ولم يرض آخرون لاننا لا نريد ان نرضى الناس بسخط الله ، لأن رضا الناس غاية لا تدرك .

ياقوم : إننا شعب صغير إمكانياتنا معدودة ، وطاقاتنا محدودة ، وإننا مهما تنكرنا لإسلامنا ، وسلخنا ثوب ايماننا . لنكون شعباً ــ كما تريدون ــ متحضراً متمشياً مع العصر ، متطوراً مع الحياة ، وفى كل شىء ــ كما تقولون ــ لن نبلغ مجداً ولا عزاً ، ولا كرامة ، ولا امناً ولا عدالة ، ولا قوة ولا منعة اكثر مما نحصل عليه من طريق تمسكنا بالإسلام أصلا وفرعاً ، فى العقيدة ، وفى السلوك ، فى الزى وفى الهندام وفى كل مظهر من مظاهر الملة الحنيفية التى هى ملتنا ، وإن ابيتم منا إلا التنكر لها . واسمعوا يا قوم : نروى لكم القصة التالية لعلكم تجدون

فيها ما يقنعكم على صحة ما نقول .

إنه فى عام ١٩٣٥م وفى باريس بالذات ، وما أعظم باريس وحكومة باريس فى ذلك الظرف بالخصوص ، أى قبيل الحرب العالمية الثانية حدث حادث قتل ، وصادف أن شهد المحاكمة مسلم جزائرى ، وفتحت المحكمة جلستها للمرافعة، وحكمت أخيراً بسجن القاتل قتل عمد وعدوان خمس سنوات ، وعندها وقف محامى أولياء القتيل وقال ما معناه : يحيا ابن السعود ، يعيش ابن السعود ليحكمنا ابن السعود ؛ لأنه يقتل القاتل ، ولا يملأ السجون ! ودوت جنبات المحكمة بالتصفيق الحاد تصفيق الاستحسان ولم ينقطع حتى استخدم رئيس المحكمة رجال الشرطة فى إسكات المصفقين وإنهاء الضوضاء .

هذه هى القصة كما رويناها وسوف لا نعلق عليها بأكثر من قولنا انظروا يا قوم المدى الذى وصلت إليه سمعة دولتنا الإسلامية حتى تمناها شعب فرنسا الذى بلغ فى الحضارة المادية مبلغاً لن يبلغه اليوم مريدو هذه الحضارة المائعة الفاجرة ولو مزقوا المصحف ، وهدموا أركان البيت ، وتخلصوا من الإسلام تماماً ما داموا يرون ذلك طريقاً للرقى والتقدم ، وسبيلاً للتطور والتمدن لما أصاب آراءهم من تعفن وأذواقهم من فساد . والعياذ بالله .

وما ذاك إلا أن هذه الدولة الإسلامية تمثل العدالة الإلهية فى الأرض ، تلك العدالة التى يهفو اليها القلب البشرى بفطرته ، ويميل اليها بطبيعته ، ولو كان كافراً لا يؤمن بالله العظيم .

بيــان حقيقــة

وخاتمة

لعل المنحرفين فى دنيا المسلمين قد يتبادر إلى أذهانهم أننا بدعوتنا إلى الإسلام والتمسك به قلباً وقالباً ، عقيدة وعملاً ، مظهراً ومخبراً ، لعلهم يتبادر إلى أذهانهم أننا ندعو أمة الإسلام اليوم وحكوماتها إلى أكل الشعير ، وفرش الحصير ، وركوب الحمير ، وإلى التسلح بالحصا والعصا ، والرضى بالخنوع للغير ، والخضوع تحت شعار المقادير ، وإلى العجز والكسل باسم القضاء والقدر . لا ، لا ياقوم والله . إننا لنعلم أننا نعيش فى عصر (الذرَّة) و(الهيدروجين) وغزو الفضاء ، والبحث عن أسباب العروج إلى السماء ، فلا تصفوا ــ عفا الله عنكم ــ أفكارنا بالجمود ، ولا عقولنا بالجفوف . إننا ويعلم الله لتقدميون ، ولكن بالمعنى الصحيح ، وإننا ، وايم الله ، لمتحررون لكن من أسر الشرك والكفر ، والخرافات والشهوات ؛ أما من شعائر الدين ، وتكاليف الإسلام ، ومستلزمات الإيمان ، فلا نريد تحرراً ولا تقدماً ، بل همنا وعزمنا ، ورجاؤنا وأملنا أن نعيش لله عبيداً مسخرين ، وأرقاء مطيعين ، نأتمر بأمر الله وأمر رسول الله ،وننتهى عما نهى عنه الله ورسول الله ، وسواء كان فيما يسر أو يضر ، هذا شعارنا حتى نلقى ربنا . وسواء رضيتم أنتم يا أبناء الدنيا أم سخطتم . هذه حقيقة خشينا أن تخفى عليكم فبيناها لكم والله ولينا واليه المصير .

أما الخاتمة : فإننا بناء على ما أشرنا اليه فى معرض كلامنا على الإذاعة وعلى تعليم البنت مما يفهم من أنه نقد خال من التوجيه نريد أن نبين فيها ما نرغب فيه من إصلاح للبنت وللاذاعة كذلك .

أما البنت : فإننا نريد لها أن تتعلم كما نريد لأمها كذلك أن تتعلم ولكن لا على حساب الحجاب الذى فرضه الكتاب ، ولا على الطهر الذى لا نريد الحياة بدونه .

نريد للبنت المسلمة مدارس ، وللأم المسلمة مساجد ، على أن يكون للمدارس مناهج دينية صالحة ، ومعلمون صالحون ، وللمساجد وعاظ راشدون ،

ومعلمون ربانيون . مع تحديد هدف تعلم البنت ، وتشخيص غاية علمها . أما هدفها : فينبغى أن يكون معرفة ربها ،وفهم مسائل دينها ، وما يلزم خلقها من استقامة ، ونفسها من اصلاح .

ويكون هذا بقصرها على تعلم مثل سورة (البقرة) (والنور) حفظاً وفهماً، وعلى أحاديث نبوية صحيحة صريحة فى العقيدة والخلق ، وفى الطهارة والصلاة، وفى الصوم والزكاة ، وفى العمرة والحج الى بيت الله .

وأما غايتها فهى أن تتعلم كيف تصبر على لزوم بيتها ، وتربية أولادها ، وعلى طاعة الله ، ثم طاعة زوجها .

هذا هو الهدف الذى نريده من تعلم البنت ، وهذه هى الغاية التى نتوخاها من وراء ذلك .

ولا نريد أبداً أن يكون هدف البنت من التعلم أن تتحضر فتسفر وتفجر ، وتزدرى أمها ، ومن تعاليم الإسلام تسخر ؟

كما لا نريد ولا نرضى بحال أن تكون غاية البنت من تعلمها الحصول على ورقة الشهادة لتتوظف ــ كما هى حال أخواتها ــ لتجمع الفلس وتوفر القرش ، ولا لتبنى به العش ، ولكن لتتبرج به وتفحش .

وهذا ما لا نريده لابنتنا المسلمة ولا نرضاه لها بحال . ولما علمنا ان المسؤولين عاجزون عن الضبط والتحديد ، قلنا من الخير للبنت المسلمة أن تترك جاهلة، فإن جهلها خير لنا ولها من سفورها وفجورها ، وأن عدم علمها خير من إلحادها وكفرها . ان كنتم تعقلون .

وأما للاذاعة :

فاننا نريد للاذاعة الإسلامية ــ وايم الله ــ أن تذيع أربعاً وعشرين ساعة لا تفتر دقيقة ولا تستريح ساعة .

وأما ما تذيعه وتنشره ، وتبثه وتبذره ، فإنا نريد أن يكون ما يعلم ويحلم، وما يؤدب ويهذب ، وما يزكى الروح ، وينمى الخلق .

نريد للاذاعة الإسلامية أن تنهض بأعباء الدولة المحمدية فتبلغها للابيض

والأسود ، وللأسمر والأصفر ، فتبلغ رسالة الله الى كل أمة بلسانها والى كل شعب بلغته ولهجته .

نريد للاذاعة الإسلامية أن يشعر المسؤولون عنها ، والقائمون بشؤونها أنها نعمة يجب صرفها فى طاعة المنعم لا فى معصيته ، فيجنبونها أن تذيع اللغو والباطل ، وينزهونها أن تبث الزمر والغناء ، أو تنشر بين المؤمنين وغير المؤمنين الفاظ الفحش والبذاء .

نريد للاذاعة الإسلامية أن تكون لسان حال الإسلام والمسلمين فهى إذاً كالمسلم فى نصحها وارشادها ، فى طهرها وصفائها ، وهى كالاسلام فى مبادئه البناءة ، وتعاليمه القيمة ، وفى تبشيره للصالحين وتحذيره للمفسدين .

هذا ما نريده للاذاعة الإسلامية ، ولا نريد لها غيره ، أما إذاعة غير اسلامية فمن يلومها إن اذاعت الشر أو نشرت الفسق والكفر ! أما أن تحسب الاذاعة على الإسلام وتذيع ما يتنافى مع طبيعة الإسلام فهذه جريمة فى حق الإسلام ، وخيانة ضد المسلمين . ومن أجل هذا صحنا نحن الصائحون فى وجوه العابثين اللاعبين ، وقلنا : يجب أن تبقى اذاعتنا طاهرة طهرنا وطهر اسلامنا ، فلا فحش ولا خنا ، ولا مزمار ولا غناء .

وختاماً ، فهذه ومضة مما يعتلج فى صدورنا ، وما تختلج به عروقنا من ارادة للخير وحب للاصلاح ، وليس لاخواننا السعوديين فحسب ، بل لعامة المؤمنين والمسلمين .

ويعلم الله أننا ما نريد بما كتبناه ونشرناه غير ما يرضى الله ويصلح شأن المؤمنين . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الرسالة السابعة

حقوق المرأة فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

- إلى أخوة الإسلام فى كل مكان .
- إلى الصامدين كالجبال الشم فى وجه دعاة التشكيك والتضليل .
- إلى الثـابتين فى طريـق الحق رغم كثرة الصـوارف ، ورغم الوحشة مـن قلة السالكين .
- إلى الذين لم يـشكوا قط فى رحمة اللّه تـعالى بأوليائه ، ولا فى مـا يشرعه لهم، او يحكم به عليهم .
- إلى الذين لم يزالوا يحوطون نساءهم وبناتهم بهالة من التقديس والتكريم فلم تسفر حلائلهم ولم تتبرج كرائمهم.

إلى كل هؤلاء الاخـوة الصالحين اقدم هذه الكلـمة القصيرة فى هـذه الرسالة الصغيرة رجاء ان تكون عوناً لهم فى ثباتهم على الحق وتمسكهم به .

حقق الله الرجاء ، وهدى إلى أقوم الطريق .

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائرى

تمهيد

بسم الـله ، والحمد للـه ، والصلاة والسلام علـى رسول الله وآله وصـحبه وسلم وبعد :

فى هذه الايام التى كثرت فيها تأوهـات رجالات الغرب الذين يعنون بالاخلاق والدين ، وعـظمت فيها حـسرتهم على مـا اصاب المجتمعـات المسيحية مـن تحلل وفساد .

وحيث اخذوا يـراجعون الطريق للتـعرف على اسباب هذا الانحـلال الخلقى والفساد الدينى الـذى منيت به شعوبهم فى هذه الايام ، الامـر الذى اصبحوا معه يتوقـعون انهياراً كـبيراً قد يصـيب المجتمع المسـيحيى ، ويقـضى على كل مـعالم الحضارة فيه ، وحيـث ايقنوا ان اسباب هذا التدهور الخلقـى الحاصل ، والانهيار الكامل المتوقع هو تبرج المرأة المسيحية وفسادها بخروجها عن طبيعة انوثتها .

فى هذا الوقت بالـذات ، وبعد ان تردت شعوب اسلامية كثـيرة فى هوة هذا التحلـل والفساد نهضت الـبقية الباقيـة من المسلمين تـستحث الخطا للـحاق بركب الهالكين ، وتسابق الايام للوصول الى المهواة الـتى سقط فيها الملايين من المسلمين وغير المسلمين .

من اجل هذا قدمت هذه الـرسالة للاخوان الصالحين لينذروا بهـا ، وليعلموا انهم فى صيانة نسائـهم وبناتهم من التبرج والفساد باسم العـلم والتقدم انهم على حق . وليذكر اولوا الالباب .

لفت نظر

أخى المسلم ...

إسمح لى أستلفت نظرك الى أن الكلام على « حقوق المرأة فى الاسلام » ليس معناه المقارنة بين ما منحه الاسلام المرأة المسلمة من حقوق وحريات ، وما خولها اياه من مكانة عالية لم تعرف لها المرأة مثيلا من عهد الأم الأولى حواء عليها السلام الى بزوغ فجر الاسلام ، وبين ما يدعى الغرب ودعاته أن القوانين الغربية الحديثة قد منحته المرأة الكافرة من حقوق وحريات وما أحاطتها به من حرمات وقدسيات ، اذ لا مناسبة البتة بين ما شرع الله رب السموات والارض وما بينهما، وبين ما تضعه ــ افتياتا ــ عقول بشرية وسخة فى عصر عبد فيه أصحاب المادة ، وتخلى فيه اغلبهم عن القيم الاخلاقية والمعانى الروحية .

وان مقارنة كهذه أخوك شخصياً لا يجيزها بحال من الأحوال لأنه لا يعدها عدم انصاف لشريعة اللّه ، وخيانة للمبدأ الاسلامى فحسب ، بل يعتبرها قدحاً فى ديانته وشكاً فى ايمانه وعقيدته . أخى المسلم : ان الكلام على حقوق المرأة المسلمة معناه بيان ما ضمنته الشريعة الإسلامية للمرأة المسلمة من حقوق وما حققته لها من خيرات وكمالات ، وما أضفته على شخصها اللطيف من قدسيات لم تكن تحلم بها المرأة قبل الاسلام فضلا عن أن تطمع فى الحصول عليها بحال من الاحوال .

كما هو أيضاً ابراز للصورة الحقيقية للمرأة فى الاسلام ، وما لها وما عليها فيه. وهل الاسلام رفعها بالفعل ، أم وضعها وغض من شرفها ، وحط من قيمتها كما يدعى أعداء الاسلام وما يقول خصومه ؟ .

ولعل أخاك يأتى فى هذا الباب بما يخرس تلك الألسنه التى ما برحت تفتات على الإسلام ، وترميه بكل قاصمة للظهر ، ولا تتورع فى استعمال أساليب المكر والمخاتلة للنيل من حسنه وكماله، وللانتقاص من قوانينه وشرائعه ، تلك القوانين والشرائع التى لا تسعد البشرية فى الشرق ولا فى الغرب الا عليها ــ متجاهلين أن نسج الله لا يضاهى ، وأن ما يأتى به الله لا يأتى به أحد سواه .

حلف الزمان ليأتين بمثله   حنثت يمينك يا زمان فكفر

المرأة فى جاهلية العرب

أخى المسلم ...

لا أحسبك تجهل او يخفى عليك ما كانت المرأة قبل الاسلام تعانيه من اضطهاد ، وتقاسيه من عذاب ، وتكابده من شقاء وحرمان ، وما كان يصب عليها، وينزل بها من هون ودون الأمر الذى لايتحمله سواها ، ولايطيقه غيرها .

اذ هى التى كانت فى شبه جزيرة العرب توءد (تدفن حية) وهى صغيرة فى التراب. واقرأ ان شئت قول الله تعالى: ﴿ **واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت**﴾؟ .

وهى التى كانت تستبقى للإهانة ، أو تدس فى التراب ولا كرامة ﴿ **واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾ !

واذ هي التى كانت اذا مات زوجها تحجر عليها بنوه أو وارثوه من عصبته أن تتزوج ما لم تؤد لهم كل ما يدعون أن أباهم أو مورثهم كان قد أنفقه عليها ، ولهم أن يغالوا فى ذلك ويبالغوا أو يساوموا ما شاءوا ، اذ لا نكير عليهم ولا ضمير . فنزل القرآن يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف** ﴾ .

واذ هى التى كانت اذا مات والدها لم يكن نصيبها منه سوى عبرات عين تذرفها ، وعبارات حزن وأسى ترسلها ، صرخات تملأ الفضاء وتأوهات تشيع الراحل الى المثوى ، أما التركة ، وما بقى والدها فانها ليست أهلا للارث ، وذلك لأن الارث فى نظرهم ومقاييس جاهليتهم حق لمن يقاتل ويحوز الغنيمة ، والبنت لا تقاتل ولا تحوز عنيمة اذاً فلا ارث لها ، ولا حق لها فيما يخلف والدها.

طلع فجر الاسلام ، ونزلت عدالة السماء ﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ الآيات . ولم يخف بعض القوم تعلقهم بمبادئ الجاهلية فقال وهو يتبرم ويتململ : تعطى المرأة الربع والثمن ، وتعطى البنت النصف ، وليست بالتى تقاتل أو تحوز الغنيمة !؟

إنها ـ أخى المسلم ـ كانت اذا مات زوجها ومالك عصمتها تدخل حفشاً «بيتاً صغيرا حقيراً» وتلبس شر ثيابها ، ولا تتنظف ، ولا تغتسل ، ولا تمس طيبا ، أو تلقى عنها أذى أو قذراً حتى تنسلخ عنها سنتها الكاملة ، تخرج بعدها فى صورة منكرة لو شاهدها حيوان أعجم لذهل عن وجوده . روى الشيخان عن أم سلمة رضى اللّه عنها قولها: « جاءت امرأة الى رسول اللّه ﷺ فقالت : ان ابنتى عنها توفى زوجها وقد اشتكت عينها أفتكحلها ؟ فقال رسول الله ﷺ لا ، لا، مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : انما هى أربعة أشهر وعشر ، وقد كانت احداكن ترمى بالبعرة على رأس الحول . فقالت زينب كانت المرأة اذا توفى عنها زوجها دخلت حفشاً ، ولبست شر ثيابها ، ولم تمس طيبا ، ولا شيئاً حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة حمار او طير او شاة فتنفض به فقلما تنفض بشىء الا مات ، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمى بها ، ثم تراجع بعددها ما شاءت من طيب أو غيره .

لننظر اخى المسلم رحمك اللّه الى قسوة هذا التشريع الجاهلى ولننظر الى رحمه الاسلام بالمرأة وغير المرأة لنحمد اللّه جميعا على نعمة الإسلام ونشكره على تشريعه العادل الرحيم .

المرأة عند أمم الغرب

أخى المسلم: ان المرأة عند أمم الغرب قبل الاسلام وبعده لم تكن بأسعد حظاً، ولا بأوفر كرامة من المرأة عند العرب قبل الاسلام اذ كانت عند اليونانيين القدامى تباع وتشترى فى الأسواق كالسلعة ، وكالرقيق من العبيد ، بل كانوا يطلقون عليها اسم « رجس من عمل الشيطان » .

هذا فى شرق أوربا وأما فى غربها فحدث عن تعاسة المرأة وحطتها وعن قساوة معاملتها ولا حرج . ففى فرنسا أم الحضارات كما يزعمون قد انعقد مؤتمر فى حدود سنة ٨٥٦ ميلادية للبحث فى حقيقة المرأة ، هل تعتبر إنسانا او غير انسان ؟ وانتهى البحث بتقرير إنسانيتها غير أنها ليس الا لخدمة الرجل . وفى روما الغربية انعقد مؤتمر آخر للتحقيق والبحث فى هل للمرأة روح كروح الرجل يعرج الى الملكوت الأعلى ، ويخلد فى دار النعيم ، وهل تصح منها العبادة ؟ او حيوان لا خير فيه . وهل يصح أن تلقن مبادئ الدين ؟ ولم يعرف ما انتهى التقرير اليه .

اما فى بعض البلاد الأخرى من العالم فانهم كانوا يعتقدون أن المرأة حيوان نجس لا روح لها ولا خلود ، ولكن تجب عليها العبادة والطاعة ، ويجب ان يكمم فمها كالكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام ، لانها احبولة الشيطان .

وفى أوربا بالذات كان محرما على المرأة ان تقرأ الكتب المقدسة بصورة رسمية، لانها لا يصلح ان يكون لها دين ولا تقبل منها عبادة . حتى قال احدهم فى وصفها : ان المرأة باب شيطان اذ أفسدت آدم وحملته على الاكل من الشجرة، فهى مظهر من مظاهر قدرة اللّه تعالى . وقال آخر : ان المرأة شر لابد منه ، ونكبة تساق اليها النفوس ، وبلاء لا مهرب منه وبرق خلب وداء عضال !

وفى يوم من الايام حكمت الكنيسة الأرثوذكسية بحرمان المرأة حقها فى المجتمع فحظرت عليها حضور المآدب والحفلات ، والزمتها الحجاب صامتة صابرة لا شأن لها الا الطاعة للزوج ، والقيام بالغزل والنسيج ، وطهى الطعام ، واذا خرجت من بيتها خرجت مستورة الجسم من قمة رأسها الى أخمص قدمها .

هكذا أخى المسلم ، كانت المرأة فى الشرق والغرب ، وهكذا كان وضعها الفاسد ، وهكذا كانت حياتها التعسة . وما إن تبلج فجر الإسلام ، ولاحت أنوار رحمته ، وعدله فى الآفاق حتى اعترفت الدنيا بجريمتها ضد المرأة التى هى نصف الرجل ،وسلمت لها بكثير من حقوقها .

فما مصدر نعمة حرية المرأة اليوم وقبل اليوم ومن عهد التحرر إن لم يكن هو الإسلام والإسلام وحده .

أخى المسلم هذه نظرة خاطفة ألقيناها على حالة المرأة فى الشرق والغرب قبل الإسلام لنتبين بها مقدار ما حققه الإسلام من خير وسعادة وكمال لا للمسلمة وحدها بل ولأختها فى الجنس من نساء العالمين جمعاوات .

الحقوق الشخصية للمرأة المسلمة

ونعود الآن الى موضوع البحث « حقوق المرأة فى الإسلام » ولنتناول ابتداء الحقوق الشخصية للمرأة لنرى ما اذا كان الإسلام قد كفلها للمسلمة كاملة . او اهدر لها منها شيئاً .

إن المراد من الحقوق الشخصية ـ أخى المسلم ـ الحقوق التى هى حق كل

شخص ان يتمتع بها كحق طبيعى له فى الحياة ليس لأحد ان يحرمه منه كائناً من كان ؛ إذ هى حقوق لازمة لقيام شخصه وبقائه ، وذلك كأن يأكل ويشرب ، او يلبس ويسكن ، او يقيم ويسافر ، او يبيع ويشترى ، او يعطى ويمنع ، او يحب ويكره او يتزوج ويطلق الى غير ذلك من الحقوق الشخصية المخولة لكل فرد فى سائر الشرائع والاديان ، والمقيدة قطعاً بالعرف مرة ، وبالقانون اخرى ؛ إذ هي حقوق تكفل للفرد فى حدود ما يسمح به العرف ويجيزه القانون ، والا فقد تصير حيوانية محضة وهمجية لا تطاق . فلو اراد فرد ما ان يتمتع بحقوقه الشخصية خارجة عن حدود العرف واطار القانون فانه لا يسمح له بذلك ابداً .

فمن ذا الذى يسمح له ان يأكل ما شاء فى اى مكان شاء ، او يتزوج من شاء كيفما شاء ؟ لان مثل هذا يؤدى حتما الى فوضى لا حد لها . فلا بد اذاً لحرية الفرد وحقوقه الشخصية من ان تكون فى دائرة العرف والشرع وإلا فقد يقضى على معنويات هذه الشخصية التى يراد الحفاظ على حريتها وحقوقها ، بل وعلى وجود صاحبها كذلك .

اذا كان ـ اخى المسلم ـ هذا هو المراد من الحقوق الشخصية الاساسية للأفراد فهل حرمتها المرأة المسلمة فى ظل نظام الاسلام ، وتحت رعاية شريعته كما يزعم خصوم الإسلام والمناوئون له ؟

اليست المرأة المسلمة تأكل وتشرب وتلبس كالرجال وخيرا من الرجل ؛ إذ انها تلبس الحرير والذهب ولا يلبسهما الرجل ، وتطيل ثيابها حتى اخمص قدميها ، ويستحسن ذلك منها ، ويقصر الرجل ثوبه الى ما فوق كعبيه الى نصف ساقه ؟ اليس يسكن الرجل كيفما اتفق له . ولا تسكن المرأة إلا حيث يحسن السكن ويطيب والسكن الشرعى معترف لها به عند القضاة .

اليست تنام كما ينام الرجل وخيرا مما ينام ؛ إذ نومها دائماً ملء جفنيها ، ونوم الرجل دولة بين عينيه ، عين تنام ، واخرى ترعى الذمام ؟

اليست تسافر كما يسافر الرجل الا انها اعز منه وأكرم فى ذلك إذ انها لا تسافر الا فى معية خاصة تحوطها بسياج من الصيانة وبهالة من الكرامة والتقديس « لا تسافر المرأة ثلاثة أيام الا مع ذى محرم » متفق عليه .

اليست تعبد اللّه تعالى كما يعبد الرجل ، وتسابق الى مرضاة اللّه تعالى

وتنافس فيها فتحج وتعتمر ، وتصوم وتصلى وتزكى وتتصدق ، وتظفر بالاجر كما يظفر به الرجل ، وتحوز القبول من اللّه عز وجل كما يحوزه الرجل . ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ النحل .

اليست تبيع وتشترى وتمنع من مالها ما تشاء وتعطى كالرجل سواء بسواء ؟

اليست تتزوج برضاها غير مكرهة كالرجل ، وتطلق إذا هضم حق من حقوقها كما يطلق الرجل ؛ إذ ما من امرأة يخل الزوج بحقوقها ترفع امرها للقضاء إلا وخولها حق طلاق نفسها من زوجها الذى هضمها حقها ، ولم يف لها بشروطها التى تزوجها عليها وما على الزوج والحال هذه الا ان يؤدى الحقوق كاملة ، او يرضى بالفراق مهما كان مراً . ﴿ **فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ البقرة . وبهذه المثابة اصبحت المسلمة تشارك فى الطلاق فعلياً ، وتملك منه ما يملك الرجل غير ان حقها فيه مقيد بما اذا هضمت حقوقها ، او اسيئت عشرتها ، لانها تزوجت على اساس البقاء مع الزوج ما حافظ على حقوقها الثابتة لها ؛ فاذا لم يبخسها الزوج حقاً من حقوقها فليس لها حل عصمة الزوجية ؛ لانها عقد بين اثنين فلا يجوز حله من طرف واحد كما لا يجوز حل العقود المالية .

اما كون الرجل له ان يطلق ولو بدون رضا زوجه فذلك له اعتبار آخر ليس لها هى ــ سيذكر عند الكلام على الطلاق ــ مع ان الزوج غير مخلى من المسؤولية ولا مبرأ من التبعية فى الدنيا والآخرة اذا هو طلق امرأته لمجرد هوى نفس او شهوة ؛ لأن الطلاق مشروع لرفع الضرر ، فاذا لم يخف الزوج ضرراً ، وطلق فهو من باب الاسراف المحرم وكفر النعم ذى العواقب الوخيمة وطلاق من هذا النوع لا يلام عليه الإسلام ؛ اذ لم يستحسنه ولم يدع اليه . فهو لا يعدو أن يكون كسرقة المسلم ، او كذبه او فجوره ، فإن الإسلام كنظام غير مسؤول عن الخارجين عنه بحال ، بل المسؤول هو الخارج عنه وهو الذى يتلقى جزاء فسقه وانحرافه عاجلا فى الدنيا ، او آجلا يوم القيامة .

وأليست المرأة المسلمة تحب من بنات جنسها من تشاء كحق شخصى لها ، كما يحب الرجل من أبناء جنسه من يشاء هذا فى الحب الخاص ، أما الحب العام فإن لها أن تحب فى اللّه تعالى سائر المؤمنين والمؤمنات من الصالحين والصالحات ولا

حرج . كما يحب الرجل فى اللّه تعالى كل المؤمنين الصالحين والمؤمنات الصالحات وليس مع نفى الحرج فقط بل ومع الأجر والمثوبة ، إذ محبة الصالحين فى اللّه عز وجل طاعة للّه تعالى يثيب عليها أصحابها ويرضى عنهم .

هذه ــ أخى المسلم ــ هى الحقوق الشخصية فهل حرمها الاسلام المرأة المسلمة ، أو نقصها شيئاً منها ؟ لا ــ واللّه ــ والحمد للّه .

فأين إذاً وجه الطعن عن الإسلام وما دواعى هذه الحرب التى تشن على تعاليمه من الوقت الى الوقت ؟

أليست هذه هى الحقوق الشخصية التى يتغنى بها أعداء الإسلام وخصومه قد وفاها الاسلام المرأة وبصورة لا أكمل منها ولا أتم أبداً .

الحقوق المالية للمرأة المسلمة

وهناك جانب آخر من جوانب حقوق المرأة فى الإسلام فلنبحثه وهو حقوق المرأة المالية .

إن المرأة المسلمة فى هذا الباب لا تدانيها امرأة فى العالم ، إذ قد أعطيت حقوقها المالية كاملة ،فإن لها الحق فى عقد ما شاءت من العقود المالية كالبيع والشراء والإيجار والكراء ، والمقاولة والمضاربة ، فجميع تصرفاتها المالية جائزة لا حجر عليها فيها ، وكذا هبتها ، وصدقتها ، ووقفها ، وجميع ما تنفقه متقربة به الى اللّه سبحانه وتعالى .

وهاه ذى عائشة أم المؤمنين رضى اللّه عنها وهى تحت رسول اللّه ﷺ تعتق بريرة ، أو تعجل بعتقها على الصحيح فتدفع لمواليها الذين كاتبوها من مالها الخاص مبلغ ٣٦٠ درهماً من الفضة ويقرها الشارع ﷺ على ذلك . وقبلها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى اللّه عنها وهبت عبدها زيد بن حارثة لرسول اللّه ﷺ . والإجماع بين المسلمين قائم على جواز تصرفات المسلمة المالية فى أغلب صورها . فى حين أن المرأة الامريكية الى عهد قريب كانت محرومة تماماً من حقوقها المالية والقضائية فى كامل القارة الأمريكية . وأما القانون الرومانى القديم فقد كانت نصوصه تقول :

« إن المرأة ليست أهلا للتصرف مدة حياتها كالطفل ، وأما المرأة الفرنسية فإنها

إلى اليوم مقيدة الحرية فـى التصرف المالى ، فليس لهـا الحق فى إجازة أى تصرف مالى بدون رضا زوجها وإجازته » .

بخلاف المـرأة المسلمـة فإنها مـطلقة الحـرية فى هذا الـباب ، وذلك بفـضل الإسلام الذى هو نعمة الـلّه على المسلمين . فالحمد لله على إنـعامه ، وله الشكر على أفضاله .

حقوق المرأة الزوجية

هذا وأن هناك جانباً هاماً من جوانب حقوق المرأة فى الإسلام ألا وهو حقوق المرأة الزوجية، وإنه لجانب ذو أهمية يتطلب بحثاً ودراسة .

إن أول نص يثبـت حقوق المسلمة الـزوجية فى قانون الإســلام هو قول اللّه تبارك وتـعالى من سورة الـبقرة : ﴿ **ولهن مثـل الذى عليهن بالمعـروف وللرجال عليهن درجة** ﴾ فقد أثبـت هذا النص الصريح الحقـوق الزوجية وكفلهـا لكل من الزوجين فى حدود العرف والقانون ، والدرجة المذكورة للرجال فى النص لاتخول الرجل بحـال أن ينتقص حقوق المرأة الـزوجية ، أو يهدر كرامتهـا ، إذ قد تكون هذه الدرجة هى ملك العصمة المخول للرجل بما مهر المرأة وبما ينفقه عليها من ماله ﴿ **الرجال قـوّامون على النسـاء بما فضل اللـه بعضهم عـلى بعض وبما أنفـقوا من أموالهم**﴾ . وهذه الدرجة التى للـرجال من قيومية وملك العصمـة إنما اقتضاها ما حبا اللّه تعالى به الرجل من استعداد خلقى وعقلى ليس هو للمرأة بفطرتها .

إنه بموجب هذه الآيـة الكريمة ﴿ **ولهن مثل الذى علـيهن بالمعروف** ﴾ وتحت شعارها كان للمرأة المـسلمة الحق فى أن تطالب زوجها بكل حق مـن حقوقها التى كفلها لهـا الإسلام من أكل وشرب ولباس وسكن وفراش . كمـا كان للزوج أيضاً أن يطالب زوجتـه بكل حق له عليها كـتربية أولاده وإعداد طعامه ، وغـسل ثيابه وإصلاح فراشه وما جرى العرف أن تقوم به الزوجة لزوجها .وبهذا كانت الحقوق الزوجية متبادلة بـين الزوجين فليس لأحدهما مزيد كرامة على الآخـر بحيث يتمنع بها عن اداء حقوق صاحبه ، وكانت الحقوق الـزوجية مكفولة فى الإسلام للمرأة المسلمة .

كرامة المرأة المسلمة

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الباب ان الاسلام لم يحفظ للمسلمة الحقوق والواجبات فقط بل حفظ لها كرامتها فى المجتمع ، تلك الكرامة التى أهدرت للمرأة فى غير ما مجتمع من المجتمعات التى لم تستظل بظل راية الإسلام ، ولم تحظ بالعيش تحت قوانينه العادلة .

وهاه ذى صفحة حافلة بتكريم الإسلام للمرأة نقدمها كشاهد صدق على ما نقول .

أخى المسلم ...

إن كرامة المرأة المسلمة بلغت فى الإسلام من التقديس والصيانة مبلغاً ما بلغته كرامة امرأة أخرى فى هذا الوجود . واسمع نبى الإسلام ﷺ يقول : « ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم » ويقول : «خيركم خيركم لاهله ، وأنا خيركم لاهلى » وفى آخر عهده ﷺ بهذه الحياة الدنيا كان يوصى بالنساء ويقول : « ألا واستوصوا بالنساء خيراً فانهن عوان عندكم » .

وخطب عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه مرة فقال : لاتغالوا فى صدقات النساء فانها لو كانت مكرمة فى الدنيا او تقوى عند اللّه لكان أولاكم بها رسول اللّه ﷺ ، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتى عشرة أوقية . فقامت اليه امرأة معتزة بكرامتها الانسانية وقالت : ياعمر يعطينا اللّه وتحرمنا ؟ أليس اللّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً** ﴾ فقال عمر: أصابت امرأة واخطأ عمر . وفى رواية : كل الناس أفقه منك ياعمر . وترك الانكار . فهذه الرواية تشهد على مدى ما تمتعت به المسلمة من كرامة وتقدير فى ظل الإسلام والمفترى عليه بأنه لم يعط المرأة من الحقوق والتكريم ما أعطتها القوانين الغربية اللائكية (اى اللادينية) .

سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم! .

المساواة بين الرجل والمرأة فى الإسلام

وفى باب المساواة بين الرجل والمرأة فى الإسلام يكفينا لكى نعرف مدى تحقق هذا المبدأ أن نسرد الآيات القرآنية التالية : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع**

عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين ... إلى قوله تعالى ... **أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾** الآية .

فهذه الآيات السابقة الذكر وغيرها كثير بذكرها المرأة الى جنب الرجل وتسويتها بينهما فى الاعمال والنتائج سواء بسواء .

كانت محققة لمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة فى أغلب مجالات الحياة .

وما لم تتم فيه المساواة وفضل فيه الرجل على المرأة من بعض شؤون الحياة فذلك عائد الى ما وهب اللّه تعالى الرجل من استعداد فى بدنه وعقله لم توهبه المرأة ، أو لاعتبار من الاعتبارات التى تقضى بتفضيل الرجل على المرأة ، فمن الأول كون الرجل يلى الولاية والمرأة لا تليها ، وكون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل وذلك لنقصان عقل المرأة وكمال عقل الرجل .

ومن الثانى ككون الرجل يملك عصمة الزواج دون المرأة ، وككون ارث المرأة دون ارث الرجل ، وهو عائد الى اعتبارات سنذكرها فى محلها ان شاء اللّه تعالى .

رعاية الإسلام للمرأة

وفى باب الرعاية للمرأة والعناية بها نجد الإسلام قد أعطى المرأة المسلمة منها قسطاً كبيراً وحظاً وافراً . الامر الذى لايوجد فى دين او قانون غير دين الاسلام وقانونه ، والارقام التالية تنطق بصحة ذلك وتثبته :

١ ــ جاء الإسلام وأهل الجاهلية يعيشون على بغض الانثى واهانتها الى حد وأد البنت وقتلها ، فحرم الاسلام ذلك ودعا الى رفع شأنها ، وتحقيق كرامتها لتكون مساوية للرجل فى كرامته فقال اللّه تعالى: ﴿ **وإذا الموءودة سئلت. بأى ذنب قتلت** ﴾ وقال نبيه ﷺ :« من رزق بنات فأحسن اليهن كن له ستراً من النار يوم القيامة » وقال ﷺ :« ما أكرم النساء الا كريم . وما أهانهن إلا لئيم » وقال ﷺ: «فاطمة بضعة منى » .

٢ ــ جاء الإسلام وأهل الجاهلية لا يورثون البنت كما كانت الحال عند اليهود أيضاً ، فأعطاها وهى بنت النصف ، وأعطاها وهى زوجة الربع والثمن ، وأعطاها وهى أخت النصف الى السدس ، واعطاها وهى ام الثلث الى السدس (١) .

٣ ــ جاء الإسلام واهل الجاهلية يرثون النساء كرهاً ، فكانت المرأة اذا مات زوجها يجئ احد الورثة فيلقى عليها ثوباً ويقول : ورثتها كما ورثت ماله فيكون احق بها من نفسها ، ان شاء زوجها بلا صداق ، او بصداق ، واستوفاه لنفسه دونها ، فوضع الاسلام حدا لهذا الاضطهاد البغيض فقال فى كتابه الكريم : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً** ﴾ .

٤ ــ جاء الإسلام والعرب فى جاهليتهم يعضلون المرأة فيمنع الرجل مطلقته من ان تتزوج حتى ترد عليه جميع ما انفقه عليها او اكثر ويمنع الاب ابنته ، والأخ اخته من الزواج ان شاء ، ولا يسمحان به الا بعد ان تتنازل لهما المرأة على كل ما تملكه من مال . ويسيء الرجل عشرة امرأته ولا يطلقها الا بفدية يقدرها هو ويرضاها فحارب الاسلام هذا النوع من الاستبداد ، وقضى عليه كلية قالت نصوص قانونه ﴿ **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** ﴾ ، ﴿ **ولا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف** ﴾ .

٥ ــ جاء الإسلام والزوجة تقاسى الامرين ، وتعانى من صلف الزوج ، وسوء خلقه وقبح معاملته الامر الذى لا يطيقه سواها فحرم الاسلام ذلك وانهى عهده بقوله: ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ .

---

(١) كون البنت ترث مع اخيها نصف ما يرث هو فقط لا اجحاف فيه البتة إذ هو قائم على الاعتبارات التالية :

١ ــ مصاريف البنت لا تعادل مصاريف اخيها بحال من الاحوال .

٢ ــ الرجل يتزوج فيعول امرأة واولاداً والبنت تتزوج فيعولها الرجل ولا تعوله .

٣ ــ البنت فى حال الصغر نفقتها علي ابيها وفى الكبر على زوجها .

٤ ــ نفقة اولادها على ابيهم بخلاف نفقة اولاد الابن فانها على ابيهم .

٥ ـ الابن يتحمل نفقات الضيافة . والجهاد ، والعقل ، وهى لا تتحمل شيئاً من ذلك .

فلذا كان من العدل والانصاف ان تراعى هذه الاعتبارات ويفضل الولد على اخته فى تركة ابيها . وكذلك قرر الإسلام فما ارحمه شرعاً وما أعدله قانوناً وما أحمق أولئك الذين يطالبون بتسوية إرث البنت مع اخيها ، وما اتفه عقولهم !!

٦ ـ جاء الإسلام ـ واهـل الجاهلية يكرهون فتـياتهم على الزنا طلـباً للمادة المرذولة فكانوا يلجئون الفتاة إلجاء لتكتسب بفرجها ـ ويا للبشاعة والفظاعة !

ولو كان هذا خاصا بالفتيات الإماء دون الحرائر . فصدر حكم الإسلام صارماً فى هذه المفسدة الخلقـية ووضع حداً نهائياً لها ولغيرها مـن سائر الفواحش والآثام فقالت نصوص كتابه: ﴿ **وذروا ظاهر الاثم وبـاطنه** ﴾ ﴿ **ولا تقربوا الـزنا انه كان فاحـشة وساء سـبيلا** ﴾ ﴿ **ولا تـقربوا الفـواحش ما ظـهر منـها وما بـطن** ﴾ ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** ﴾ .

جاء الاسلام وعدة المرأة المتوفى عنها زوجهـا عام كامل فخففها الإسلام الى ثلـث المدة ، ووضع مـا كان معـها من آصـار واغلال . ﴿ **والذين يتوفـون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بأنفسهن اربعة أشهر وعشرا** ﴾ .

واخيراً فـهذا ما حققه الإسـلام للمرأة المسلـمة من خير وعز وكـرامة ، وما احاطه بهـا من قداسة وتكريم فـأين ما حققه الإسلام لـلمرأة من كمال فـى الدنيا والدين من تلك الحريات الشوهاء المسيخة التى يتغنى بها اعداء الإسلام والجاهلون به ، ويدعون انها وليدة الحضارة الغربية فى القرن العشرين !؟

المرأة المسلمة والحجاب

أبتدئ عرض هذه المسـألة بذكر نظرية خصوم الإسلام فـى الحجاب لأبين لك اخى المسلم انهم لا يـتورعون عند نقد اية مادة من مواد الشـريعة الإسلامية ، لا يتـورعون عن اساليب التضـليل والتـهويش ، وعن اسـتخدام قلـب الاوضاع ، وتشويه الحقائق للـنيل من الإسلام وتعاليمه ، وشرائعه واحكامـه ، فإنهم ينعتون الحجاب بأنه قبوع المرأة فى بيت مظلم لا ترى النور طول الحياة . وانه سجن المرأة التى لا تخرج مـنه الا إلى قبرها . وانه قتـل لحرية المرأة واهدار لكرامتـها وقضاء على حقها الشخـصى فى الهواء والفضاء ، وإنه إقبار للمرأة فـى الحياة قبل الممات الى غير هذا من عبارات الكذب والزور ، والباطل والبهتان .

هذه نظرية الخصوم فـى حجاب المسلمة وفي حقها فيـه ، واما نظرية الإسلام فى حجاب المسلمة فـانها صيانة عن الابتذال والامتهان ، واحاطة كـرامتها وعفتها بسياج من الاحـترام والتقديس ، وعدم السـماح لأجنبى نظراته تـؤذى ، ولحظاته تضر ان يتمتع برؤيـة محاسن اجنبية عنه لا تربطه بها رابـطة مصاهرة ، ولا يصله

بها حبل نسب اتقاء لشره ، ودفعاً لـضره . وهو قبل كل هذا طاعة لله ، وامتثال لامر رسول اللّه ﷺ . هذا ولنا ـ اخى المسلم ـ ان نناقش تلك العبارات المضللة والالفاظ الكاذبـة الخادعة التى يطلقونـها على الحجاب فى الإسلام فنـبين زيفها ، ونهتك ستر باطلها ، فنفضحهم بالواقع ، وندمغهم بالحقائق .

وهاه ذى أخـس عبارة لهـم فى نعـت الحجاب وهـى (ان الحجاب قبـوع فى ديجور مـن الظلام لا تخرج منـه المرأة طول الحياة) ننـاقشها فلا تلـبث ان تذوب وتتبخر ، ولم يبق لها طلاء زائف ، ولا حقيقة موهومة او مزعومة .

اين محل القبوع من امرأة تنام نوماً عاديـاً ثمانى ساعات بالليل كحق ضرورى لجسمها ، وحاجة من حاجات بدنها ، وتقضى خمس ساعات فى مناجاة ربها تلك المناجاة التى لا تسـعد ولا تطيب لها الحياة الا بها وهى الصـلوات الخمس فخمس صلوات ان اقـيمت اقامـة حقيقة كـما امر اللّه ورسولـه ﷺ تستغـرق بدون شك خمس ساعات ، او ما يقـاربها ؛ لأنها ـ كما هو معلوم ـ بطـهارة لها ، وانتظار لوقتها ، ونوافل قبلها ، ومعقبات من تسبيح ودعاء بعدها .

فهذه إذاً ثـلاث عشر ساعة ، ولم يـبق من يوم المسـلمة وليلهـا سوى احدى عشر ساعـة . فهل هذه السـاعـات الباقية تتسـع لطهى طعامـها ، وتنظيف بـيتها ، وغسل ثيابها وتنـاول طعامها ، ومزاولة بعض المهن الخفيفة بـيدها كخياطة أو غزل أو نسيج مثلا ؟ قطعـاً انها لا تتسع لكل هذا ولا لنصفه وحينـئذ فأين وقت القبوع كما يتصوره المبطلون ؟ فليورونا ـ ولا كرامة ـ هذا الوقت الذى تقبع فيه المسلمة فى البيت ، وهم يعنون قطعاً بالقبوع : أنه لصوق المرأة بالأرض ووضع رأسها بين ركبتـيها ،واقتـطاعها عـن الحركة ، واستغـراقها فى بـحر من الهـواجس النفـسية والأفكـار الناشـئة عـن المكث فـى البيـت ، وطول الاقامـة بالمـنزل أفٍّ لهـم ولما يتصورون .

ومن أين لـهم ان الحجاب ضرب الـستار علـى المرأة طول الحياة ، فـلا يراها أحد،ولا تراه ؟

أليست المرأة تعيش مع زوجها واولادها وذوى قراباتها ؟

أليست للمرأة جارة تجلس اليها الساعة والساعات تحدثها ، وتبثها ذات نفسها ؟

أليست المرأة تخرج الى المسجد ان شاءت للصلاة ولسماع الدروس والمواعظ والارشادات ؟

أليست تعود مرضاها ، وتزور اقربائها من ذوى رحمها ، وسواء قربت منازلهم ، أو بعدت من منزلها ؟

الم يكن لها ان تجلس فى حديقة منزلها ، أو فى بستان زوجها ، وليس عليها من حجاب ولا حائل يحول بينها وبين رؤية الفضاء والتمتع بالهواء ؟

فأين إذاً ما يتصوره المبطلون من الحبس الدائم والظلام المستمر ، والكمامة التى لا تنزع من وجه المرأة ؟ أين ما يتصورونه باطلا او يتوهمون ؟

ألم يعلموا أن الحجاب فى الإسلام ليس إلا منع المرأة من ان تكشف محاسنها لغير محارمها ؟ وهل في هذا ما يستدعى كل هذا الذى قالوه من تشنيع وتقبيح لا واللّه . . . إنما هو الحقد للاسلام والكيد المتواصل بالمسلمين فقط .

وشيء آخر ـ اخى المسلم ـ لو يفهمه منا دعاة السفور والفجور ، ومحاربوا الحجاب ، وهو إن الإسلام ما جاء الا لتزكية البشرية من حمأة الرذيلة التى انغمست فيها ، وإلا لانقاذها من وهدة الشرور والمفاسد التى تردت فيها قروناً طويلة .

إن الإسلام ما جاء إلا لتطهير الارواح البشرية وإعدادها بالطهارة والصفاء للسعادة الابدية فى الملكوت الاعلى عند اللّه تعالى ، فلهذا يقاوم الجريمة ويحارب الآثام وبكل وسيلة لأن الاثم والجريمة هما العائق الوحيد عن سمو الروح ورقيه .

ولما كان الزنا من اكبر الآثام واعظم الجرائم التى تدنس النفس البشرية وتحول بينها وبين سعادتها وكمالها ، وضع له الشارع اقصى عقوبة في باب العقوبات وهى الرجم بالحجارة حتى الموت . ولما كانت العقوبة عظيمة ، وكان سببها اعظم وهو فاحشة الزنا وضع الشارع من الاسباب الكفيلة بمنعها ، والحيلولة دون وقوعها . وضع الكثير من الاسباب ومن بينها الحجاب ، فالحجاب اذاً ليس مقصوداً لذاته ، وإنما هو وسيلة لغيره . فما لهم لا يعلمون ؟!

وهاه ذى طائفة من الاسباب الوقائية التى وضعها الإسلام للحيلولة دون وقوع جريمة الزنا ، وعقوبته التى هى الموت :

فأولا ــ حرّم البذاء ومنع الفحش فى القـول ، وكره التلفظ بالسوء ، فالقرآن الكريم يقول: ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسـوء من القول إلا من ظلم** ﴾ والسنَّة المطهرة تقول « ليس المؤمن بالفاحش البذىء » .

وثانياً ـ حرم ان يـظن بمؤمن سوء ، واوجب على المؤمن إذا سـمع عن أخيه سوءاً ان يظن به البراء من الاثم ، والطهارة من السوء كما هو طاهر وبرىء . قال اللّه تعالى: ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمـنات بانفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين** ﴾ .

والقصد من وراء هذا عدم السماح للفاحشة ان تظهر ولو على ألسنة المتكلمين او فى اذهان السامعين تركيزاً للطهارة وتثـبيتاً لها فى جو البلاد والعباد . وفى هذا من معنى محاربة الفاحشة بالوقاية ما لا يخفى على عاقل .

وثالثاً ــ حرم قذف المؤمن او المؤمنة بـالفاحشة ، ووضع لذلك عقوبة زاجرة (الجلد ثمـانين جلدة) قال اللّه تـعالى: ﴿ **والذين يـرمون المحصنات ثم لـم يأتوا بأربـعة شهداء فـاجلدوهم ثـمانين جلـدة ولا تقبـلوا لهم شـهادة ابداً واولئـك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فإن اللّه غفور رحيم** ﴾ .

ورابعاً ــ حرم مجرد حب إشاعة الفاحـشة فى البلاد والعباد قال تعالى: ﴿ **إن الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب ألـيم فى الدنيا والآخرة واللّه يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ يردّ على من يتصاغر هـذا الامر ويقول فى نفسه : كيف تعظم العقوبة لمجرد حب الفاحشة وظهورها وإن لم يعمل على ظهورها ؟

فنبه الى ان مجرد حب الفاحشة عمل على ايجادها وانتشارها ، وأن الفاحشة البـغيضـةيجب ان تـطارد من الـقلوب والـنفوس قـبل ان تطـارد من العـضلات والحركات .

وخامساً ــ منع الزواج ممن عرفت بالفـاحشة مطاردة حتى لذكر الفاحشة ، أو خطورها عـلى القلب . فقال سـبحانه: ﴿ **الزانـى لا ينـكح إلا زانيـة أو مشـركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين** ﴾ .

وسادساً ــ أوجب الاستئذان عند دخول المنـازل خشية ان تقع عين آثمة على عورة غافلة . فـتلد تلك النظرة الخاطفـة فاحشة فاضحة لاقبل لاهل الـبيت بها ،

ولا طاقة لهم على تحملها ، قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها** ﴾ .

وسابعاً ــ أوجب غض البصر وألزم بذلك الانثى والذكر . فقال اللّه تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم** ﴾ كما قال ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن** ﴾ .

وثامناً ــ حرَّم على المرأة إذا مشت ان تحدث حركة غير عادية برجلها فتحدث فتنة فى قلب من يسمعها . قال تعالى : ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ .

وتاسعاً ــ كره للمرأة إذا خاطبت غير محرمها ان ترقق فى عبارتها ، أو تمطط فى كلماتها مخافة ان يطمع فيها مريض شهوة من الشهوات قال سبحانه : ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً** ﴾ .

وعاشراً ــ حرَّم الخلوة بالاجنبية ، فلا يحل لمؤمن ان يخلو بامرأة ليس هو لها بمحرم لقول الرسول ﷺ: « اياكم والدخول على النساء » وقوله ﷺ :« لا يخلونّ احدكم بامرأة الا مع ذى محرم » .

والحادى عشر ــ حرّم على المرأة ان تبدى محاسنها او تظهر زينتها لغير محارمها قال تعالى :﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن او آبائهن** ﴾ الآيات .

الثانى عشر ــ رخص لمن لم يقدر على نكاح الحرائر ان ينكح الاماء قال تعالى :﴿ **ومن لم يستطع منكم طولاً ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات** ﴾ .

الثالث عشر ــ امر بتزويج الأيامى والإماء والصالحين من العبيد فقال تعالى : ﴿ **وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم** ﴾ .

الرابع عشر ــ أمر من لم يجد نكاحاً بالاستعفاف وواعده بالغنى إن هو صبر واحتسب قال تعالى: ﴿ **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم اللّه من فضله** ﴾ .

الخامس عشر ــ أمر الشباب بالتزوج ، وارشد من لم يقدر منهم على نفقة الزواج أرشده الى الصوم لأنه يكسر شهوته ويقلل من خطر نفسه قال رسول اللّه

ﷺ: « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » أى خصاء .

فهذه ــ أخى المسلم ــ خمس عشرة وسيلة وضعها الإسلام ليمنع بها وقوع فاحشة الزنا ، وعقوبته التى هى القتل ،ــ أو الجلد مائة والتغريب والنفى عاماً ــ لمن يكن محصناً . وما الحجاب بمعناه الذى قدمناه إلا وسيلة من جملة هذه الوسائل البالغة خمس عشرة وسيلة او تزيد .

هذا وعلى فرض ان الإسلام لم يأمر بالحجاب ولم يضعه وسيلة من وسائل المحافظة على طهارة الأرواح والمجتمعات فإن من يحترم نفسه ويقدر مسؤوليته وكرامته ، ويطيع ربه ويقيم وزناً لدينه يجد نفسه مضطراً الى مثل هذا المسلك وهو ضرب الحجاب على النساء ؛ إذ لا أجدى ولا انفع من وسيلة ابعاد النساء عن الرجال ، واقصاء الرجال عن النساء فى باب المحافظة على طهارة المجتمع ، وصيانته من الخبث والشر كما انه من السهل الذى لا تكلف فيه اقصاء الجنسين عن بعضهما بعضاً ؛ إذ عمل المرأة عادة فى البيوت والمنازل ، وعمل الرجال عادة خارجها فى المصانع والمزارع . فعمل المرأة الدائم فى البيت والذى لا تخرج منه الا نادراً ــ وان هى خرجت خرجت متخمرة بخمارها يجعل وسيلة الحجاب ممكنة سهلة وخالية من كل حرج او مشقة ــ والذى لا مجال للشك فيه أن الحجاب الذى أوجبه اللّه على المسلمة وامرها به والزمها اياه لو كان فيه إحراج او مشقة لما فرضه اللّه ولا امر به إذ دين اللّه خال من الحرج ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾ .

إنه ــ اخى المسلم ــ لو كان الحجاب ما يتصوره الخصوم من العنت والمشقة الخالية من المصلحة او التى تربو عليه وتزيد لما شرعه الإسلام ،ولما جاء به كتابه ولا نطقت به سنة رسوله ﷺ ولكن وما دام قد شرعه الله وأمر به رسوله فإنه الخير والخير كله ، وإنه العدل والعدل اجمعه ، وإنه الرحمة والرحمة جميعها . وإن انكره المنكرون ، وحاربه الخصوم والمناوئون .

الطــلاق ودواعيــه

ومما كثر فيه خوض أولئك المبطلين ، وتوجهـت اليه انتقاداتهم الهدامة بغير ما موجب لذلـك، الطلاق فى الإسلام ، ولذا تـعين بحث هذه المسـألة فأقول : ان الطلاق وهو حل الـعصمة الزوجية ، او حل عـقدة التزويج يتطلـب البحث من جهتين: من الناحية الفقهية ، ومن الناحية التشريعية الحكمية . اما الناحية الفقهية فبحثنا هذا لا يتعلق بها . واما الناحية الثانية وهى هل الطلاق تشريع صالح محقق لمصلحـة الفرد ، او بعكس ذلك كمـا يدعى خصوم الاسلام ومناوئـوه والجاهلون بحكمه واسراره ؟ فـهذا ما اريد ان اعرض له بالبحث والدراسـة ــ وان كنت كما سبق ان قـلت ــ استغفـر الله تعالى ــ قـبل ان ابحث او اقول ؛ إذ البـحث فى صلاحية مـاشرعه الله عز وجل وانزل به كتـابه يوقف الباحث موقـف الشاك فى صلاحيته المتطلع الى معرفتهـا . وأنا فى الحقيقة لا ابحث عن شك ، وإنما أبحث عن يقين لأذهـب شك الشاكّين ، واقطع حيـرة الحائرين كما ابحـث لأظهر زيف ادعاء المغرضين الذين ما برحوا يشنون الحملات تلو الحملات على شرائع الإسلام وتعالـيمه ، فكـم اثاروا حول هذا المسـائل من شبـهة ؟ وكم تعرضـوا لها بالـنقد والطعن ، ولـكن الإسلام امتن من أن ينال مـنه مفتر افاك ، وابعـد من ان تصل اليه يد مزور مغرض ، أو عدو مبغض .

إن الطلاق ــ أخى المسلم ــ موجز القول فيه : انه شرعه الله تعالى دواء فإذا سىء استعماله انقلب داء . وأنه من الحلال الذى يبغضه الصالحون . وأن الشرع لم يلزم به أحداً من الناس إلا فى حالات خاصـة يتعرض فيها أحد الزوجين لضرر كبير قد لايتحمله ولا يقوى على مثله .

ولم يفرض الله تـعالى ولا رسوله عليه الـصلاة السلام على مؤمـن ان يطلق امرأته ما أدى حقوقها وقام بواجباتـها . كما لم يرغب الله ولا رسوله فى الطلاق كما رغبا فى فعلِ الخير والبـر والاحسان . بل الاسلام وهو شرع الله ورسوله نفر من الطلاق وكـرهه للنفوس حـتى جعل المطلـقة ثلاثاً لا تحل لزوجـها الذى ابت طلاقها إلا بعد ان تنكح زوجاً غيره ، ويذوق عسيلتها وتذوق عسيلته ، وفى ذلك من التبغـيض للطلاق والتنفير مـنه ما لا يخفى على ذى بصيـرة ولا يشك فيه ذو عقل سليم أو ذوق صالح .

اخى المسلم : وإذا كان هذا هو موقف الإسلام من الطلاق فلم يعاب على مجرد اباحته له اذا خاف الزوجان او أحدهما ألا يقيم حدود الله مع صاحبه ، مع ان رفع الضرر تأمر به جميع الشرائع والتوسل الى رفعه بما يمكن من الوسائل تقضى به جميع العقول .

فلمَ يعاب الإسلام على اباحة الطلاق للحاجة ؟

اليس الرجل ملزماً بنفقة الزوجة وبحقها فى الفراش ؟

واذا قلنا بلى وبلى ! فهل اذا عجز الرجل عن اداء واجباته نحو زوجه وفشل تماماً فى القيام بذلك لا يكون من الخير والعدل ايضاً طلاق هذه المؤمنه وخلاصها لتطلب لها سعادة بجوار رجل آخر من المسلمين ؟!

وإذا كانت المرأة سليطة اللسان سيئة الخلق مطبوعة ــ والعياذ بالله ــ على حب الشر والأذى ، اليس من العدل والخير أيضاً ان يخلص هذا الرجل العاثر الحظ من هذا الشر والأذى بطلاق هذه الزوجة ، فيكفُّ عن الشر ويرفع عنه الضرر والرسول ﷺ يقول وقوله الحق : « لا ضرر ولا ضرار » .

ام يرى المتنقصون لشرائع الإسلام والطاعنون فى هذه التعاليم الإلهيه القيمة ان من العدل والحق ان تسلط افعى على بشر كريم تنهشه وتمتص دمه طول الحياة كما ان العكس قد يقع ايضاً . فإن من الرجال من يكون ضراباً عياباً ، سىء العشرة فاسد الخلق والخلق معاً فهل من العدل والرحمة فى شىء ان يربط مصير امرأة مؤمنة صالحة بأرقط كهذا لايألو جهداً فى تعذيبها وتنغيص معيشتها ؛ والى نهاية العمر ؟! ام من العدل والرحمة بهذه الضعيفة الشريفة ان تُفك رقبتها ويخلى سبيلها لعلها تعيش بعيدة عن الأذى والشر ، وهل من سبيل عادل سوى طلاقها ؟ نعم . . لا سبيل عادل إلا طلاقها . . أما السبيل الجائر الذى يعرفه الطاعنون فى شرعية الطلاق فى الإسلام وهو سبيل اغتيال هذا الزوج كطريق الى الخلاص منه ، فإن الإسلام لا يأمر به ولا يبيحه بحال ، لأن الإسلام دين محبة وسلام لا دين سفك للدماء واجرام .

هذا وان بعضاً من خصوم الإسلام لا يعيب الطلاق من حيث هو سبيل للخلاص من الضرر وإنما نعيب كونه بيد الزوج فقط لا تملكه معه الزوجة ولا تشاركه فيه برضاها إذ قد حاول بعض هؤلاء الخصوم ان يشترط فى صحة الطلاق رضا الزوجة بحيث لا نفاذ لطلاق لا توافق عليه من يراد طلاقها وقد فات هؤلاء

ان يعرفوا الحكمة فى وضع الطلاق في يد الزوج والا لما انكروا او ضاقوا واختنقوا. هذا . . وقد سبق ان اشرنا إلى حكمة وضع الطلاق فى يد الزوج دون الزوجة ، وذلك ان الزوج لما كان يصدق المرأة ويدفع المهر كان إناطة الطلاق به ادعى إلى بقاء عصمة الزوجية ، وعدم فصم عراها ؛ لأن الزوج العاقل الرشيد لا يعمل على تضييع ماله وافساده ، والطلاق بدون حاجة اليه من باب إفساد المال وتضييعه؛ لأن كلا منا يعرف مدى ما يتحمله المتزوج من نفقات باهظة على زواجه، فإسناد أمر الطلاق الى الزوج اسنادٌ إلى من لا يرتكبه غالباً إلا مضطراً بخلاف ما لو وضع بيد الزوجة وكانت تملك امره فإنه لا يستبعد ان تتزوج وتطلق كل عام اثنتى عشرة مرة ؛ لأنها لم تدفع فى شركة الزواج قرشاً ولا فلساً بل اخذت عليها ضريبة باهظة لاسيما اذا كانت ذات رأس مال تحب تنميته وترغب فى تكثيره .

كما ان جعل الطلاق موضع رضا الزوجين معاً فاسد ، وذلك لأنه قد تدعو الحاجة إلى الطلاق ويتأكد امره للضرر الحاصل ، ولم يسمح احد الطرفين به وقد علق امر الطلاق على رضاه ، ولم يرض ويستمر الضرر ، وهو ما ينزه عنه شرع الله تعالى العادل . فالعقل والمنطق يقضيان بوضع الطلاق فى يد احد الزوجين فقط ليسهل استخدامه لرفع الضرر عند الحاجة إليه ؛ وكونه فى يد الزوجة لا يحسن لأنها لاتؤمن عن استخدامه في صالحها لما قدمناه فتعين ان يوضع فى يد الزوج فقط ، ويحاط بسياج من الوصايا والتحذيرات .

ولا ننسى ان الزوجة لها نوع مشاركة فى الطلاق ؛ إذ تقدم لنا أن الزوج لو يهمل واجباته نحوها أو يسىء عشرتها فلها أن ترفع امرها إلى القاضى ويمكنها من الطلاق .

فهى اذاً تملك الطلاق فعلاً ان توفرت شروطه كما أن الزوج لا يملكه خالياً من اللوم والعقاب والاثم ان أوقعه بغير توفر شروطه وحضور دواعيه.

وخلاصة القول فى حكمة الطلاق وسر شرعيته أنه رفع الأذى عن المؤمن والمؤمنة والمحافظة على تقواهما لله عز وجل التى هى طريق سعادتهما وكمالهما فى الحياتين .

سبحانك اللهم ما أعدل شرعك ! . وما أعظم حكمتك ! . وما أرحمك بعبادك !

تعدد الزوجات والحكمة منه

قضية تعدد الزوجات من بين القضايا التى طعن فيها خصوم الإسلام ،واعداء تشريع الله تعالى ، واثاروا حولها الشبه والشكوك وزعموا انها مسألة هدرت فيها كرامة المرأة وضاع فيها حقها . واتخذوا من هذه القضية طريقاً لطعن الإسلام وانتقاد احكامه وشرائعه وبالتالى التشكيك فيه وصرف الناس عنه وما ذاك الا لحقدهم على الإسلام واتباعه اولاً ، ثم لتعفن آرائهم وفساد افكارهم ثانياً ، وثالثاً لحرمانهم من الإيمان بحكمة الله تعالى وعدله وصلاحية تشريعه ، وتدبيره لشؤون أوليائه ، وامور خلقه فما اضل سبيل القوم ! وما أشد عماهم ، وما أعظم حيرتهم فى الحياة !

إن الإسلام وانصاره واتباعه لا يرون فى مسألة تعدد الزوجات سوى الرحمة فى التشريع ، والاصابة فى التقدير ،والعدل فى التقنين .

ولنبحث هذه القضية على نظرية الفريقين معاً لنبين صدق نظرية الإسلام والمسلمين فيها ،وفساد وكذب الخصوم المناوئين ، تشهيراً بهم وفضحاً لسرائرهم وما يضمرون للإسلام من هدم وتخريب ، حتى يلفظهم الصالحون ويلعنهم اللاعنون .

ولنبدأ البحث بهذه التساؤلات :

هل الاسلام اوجب على المسلم ان يتزوج بأكثر من واحدة ؟

هل الإسلام ألزم المسلمة إذا خطبها من تحته زوجة او زوجتان او ثلاث بان تلبى رغبته وتتزوجه ؟

هل الإسلام رغب فى الزواج بأكثر من واحدة ، ولو بإشارة فضلا عن عبارة؟ والجواب عن كل هذه التساؤلات فعلا بالنفى لا . لا . لا .

وهذه استفهامات اخرى وإجاباتها فلنصغ اليها :

الم يأمر الإسلام بالعدل بين الزوجتين أو الزوجات ؟

الم يحرم الإسلام الحيف والميل عن الزوجات وظلمهن ؟

الم يقل الله تبارك وتعالى: ﴿ **وان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ ؟

الم يقل رسول الله ﷺ: « من كانت له امرأتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط » ؟ .

والجواب فى هذا كله : بلى ، بلى ، بلى :

أى امر الإسلام بالعدل بين الزوجات ، وحرم ظلمهن، وارشد الى الاكتفاء بواحدة فى حال خوف الظلم . وتهدد واوعد من يخرج من الرجال عن دائرة العدل فى ذلك .

وعليه فاين محط نقد الخصوم ، وأين موضع طعنهم فى هذه المسألة ؟ ام ان كل ما ينقمون من الإسلام انه لم يحرم التعدد للزوجات وينه عنه ؟ ونحن نقول لهم : ومتى كان الإسلام مقيد للحريات ، أو يرغب فى التضييق على الناس وتحديد تصرفاتهم الشخصية ما جانبوا الفساد والشر حتى يقال : لمَ لمْ يضيق الإسلام هذا الواسع ، ولم يقيد هذا المطلق ؟ ثم لو أن الإسلام جاء فى هذه بما يقترحون لقالوا : ما هذا التقييد للحريات ، وما هذا التضييق على الأفراد ، لم لايتزوج المرء ما شاء ويجمع بين من يشاء . أليست للمرء حريته فى الحياة ﴿ **ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** ﴾ ثم إنه ـ ويعلم الله لو حظر التعدد وحرم على الناس لكان يفوت بحظره ومنعه خير كثير لا يعوض .

وهاه ذى فوائد تعدد الزوجات نتلوها لقوم يتفكرون :

١ ـ قد تكبر زوجة الرجل المسلم الذى يحرم دينه الزنا . ويوجب عليه حفظ فرجه ، إلا على زوجه أو ما ملكت يمينه من امة يتسرى بها ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون إلا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ قد تكبر زوجته وقد تصاب بعاهة او مرض مزمن ولم تكن قد فعلت ما يسوغ طلاقها ، أو يحسن فراقها، ولا يجد هذا الزوج بداً من واحدة من ثلاث: إما أن يطلق تلك المرأة الكبيرة السن والتى أكل مالها وافنى شبابها ، ونفضت له ما فى مبطنها وعمل كهذا لا يقوى عليه المسلم الصالح . وإما أن يعصى ربه فيأتى طريقاً لا يحل له إتيانه فيهلك فى دنياه ويشقى فى أخراه وإما أن يتزوج بأخرى ، ويبقى على

الأولى . فأى واحدة من هذه الحالات الثلاث أليق به ؟

لا شك أن كل عاقل سوف يقول : قطعاً الخطوة الأخيرة هى الأليق والارحم والاعدل ومن اجلها اباح الإسلام تعدد الزوجات .

٢ ــ قد يكثر النساء فى اقليم ما ، أو بلد ما ،ويقل الرجال لسبب أو آخر ، إما لحرب ضروس ، اشأم من حرب البسوس ، تقضى على الرجال والمال . وإما لوباء ينزل بالرجال دون النساء ، وإما لغير ذلك مما تجرى به الاقدار ، كأن يجتمع الرجال فى مسجد فيسقط أو فى سوق فتسيخ بهم ارضها وتغور ففى هذه الحال إما أن يتقاسم الرجال هذه الاعداد الهائلة من النساء اثنتين اثنتين او ثلاثا ثلاثا واربعا أربعاً ولا أكثر إذ الطاقة البشرية غالباً تقف عند هذا الحد فيخففوا بذلك عن ارامل إخوانهم المصاب ؛ إذ قد يسدون بعض حاجتهن ولو حاجة الطعام والشراب ، وإما ان يهملوا شأن هولاء فينتشر الشر ويكثر الفساد فى البلاد . فاى الحالين ابرك عند العقلاء ؟ لا شك أنها الحال الأولى التى توزعت فيها الرحمة وتقوسم فيها الخير ، ومن اجل هذا اباح الاسلام تعدد الزوجات .

٣ ــ قد يسوق القدر الرجل الى امرأة عاقر يتزوجها ويرغب فى الولد منها طلباً لامتداد حياته من بعده ، ولم تكن تلك لتنجب فأى الحالات يرتكب ؟ ايطلقها ؟ فيطلقها ولا ذنب لها ، أم يتزوج عليها ويجمعها مع امرأة غيرها فتقاسمها خيره وغيره ، أم يقتل رغبته فى نفسه ويقطع امتداد اصله بفرعه ؟

لا شك ان العقل والمنطق يقضيان بارتكاب الحالة الوسطى ؛ لأنها ارحم وأعدل .ومن اجل هذا اباح الإسلام تعدد الزوجات. . لو كان الخصوم يفهمون !

٤ ــ الأمة المسلمة التى اباح شرعها تعدد الزوجات أمة انيط بها حمل راية الحق الى الخلق وكتب عليها أن تعيش مجاهدة ، أمة كهذه رجالها مهما كثروا لا يسدوا حاجتها ولا يكفوا للقيام بكل مسؤولياتها ومتطلباتها ؛ إذ بعضهم ، غاز ، وبعضهم الى الله داع ، والبعض الآخر زارع وبان ، إن أمة يوزع رجالها هذا التوزيع لخليقة بأن تعمل على تكثير رجالها ، وتوفير افرادها لتسد بذلك حاجتها، وتقوم بواجبها ولا سبيل الى ذلك إلا باكثار من الضعائن الحلائل .ومن اجل هذا أباح الإسلام لأمته تعدد الزوجات . وقال رسول الله ﷺ : « تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » .

حكـم ولايـة المسلمـة

هذه المسألة مما كثـر فيها الخوض وتكلم فيها الناس بـغير علم ، ومازال اقوام يهرفون بمـا لا يعرفون . فيشرعون مـالم يشرع الله ، ويهدون إلى غيـر سبيل الله والمؤمنين .

ونبدأ بحث هذه المسألة بالاسئلة التالية : ونكتفى فى بحثها بالاجابة عنها .

هل يـحق للمـرأة المسلمـة ان تشارك فى الانـتخابـات البرلمانـية أو انتخـابات المجالس البلديـة والوطنية ، وهل ترشح نفسهـا للنيابة لشغل منـصب من مناصب الدولة المختلفة فتصبح وزيرة مسؤولة أو حتى رئيسة للحكومة ؟

وهل الإسلام يمنحها هذا الحق الشخـصى ؟ وإذا كان لا يمنحها ذلك فلماذا ؟ هذه هى الأسئلة فـلنجب عليها لنرى ما اذا كـان الإسلام يقرر ولاية المرأة أو لا ؟ والجواب عن السؤال الأول :

هل يحق للمـسلمة أن تشارك فى الانتخابـات . . إلخ . هو الجواب عن هذا السؤال :

هل الإسلام يجيز هذه الانتخابات المتعارف عليها الآن ،وفى وضعها الراهن ؟

والجواب قطعاً لا ، لأن هذه الانتخابات ، وإن كـانت شبيهة بما كان الإسلام يجيزه من اختـيار رجال القبيلة أو أهل المديـنة رجلا منهم أو وفداً يتكلـم باسمهم ويمثـلهم فى هـناء أو عزاء أو صلـح حرب أو مبـايعة أميـر أو خليفـة إلا أن هذه الانتخابات المعروفه الآن والعارية عن كل امانة أو إخـلاص تعتمد فيما تعتمد عليه على الادعاء الـباطل والقول الكـاذب ولا يتورع أصحابهـا عن استعمال الـسبائب والشتائم وقلب الأوضـاع وتشويه الحقائق للحصول على كرسـى الحكم أو النيابة بأى ثمن كان ؛ إذ لا هم لهم إلا ذلك . فـى حين أن المقرر فى الإسلام فى هذا الشأن أن الولاية لا يعطاها من يطلبها . ولا تسند إلى من يتعرض لها . أو يحرص عليها « إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سأله ولا احداً حرص عليه » « إن أخونَكم عندنا مـن طلبه » وكان أهل الإسلام بحق يهربون مـن الولاية فقد أسند هارون الرشـيد القضـاء الى الإمام الشـافعى فهـرب منه واختـفى حتى لا يـتولى

القضاء. وقد سجن أبو حنيفة فى الولاية واكره عليها ولم يقبل رحمه الله تعالى والإسلام يبالغ فى تحرى الاصلح واختيار الاكفى والاليق حتى قال رسول الله ﷺ : « لا احب أن يلى شيئاً من يستحى من الله فى الخلاء » فإذا كان الاسلام يقف هذا الموقف من كل طالب للولاية والمنصب فكيف إذاً يجيز هذه الانتخابات التى يترشح لها البار والفاجر ، والاحمق والعاقل ، والتى سداها ولحمتها كما هو معروف : الغش والفحش والخداع والتضليل ، واذا كان الإسلام لايجيزها لفسادها فكيف تجوز للمرأة بوجه خاص وهى هى فى وضعها وعجزها وسرعة فسادها ونقصان عقلها وصغر نفسها ؟؟

ان الاسلام ليس بدين شهوات ولا اهواء أو عواطف إنه نظام السماء لأهل الأرض لا يمكن أن يتطرق إليه الضعف والفساد أو الاغفال فى ناحية من نواحى الحياة البشرية ابداً . إن إسناد امانة ضخمة وتبعة كبيرة إلى شخص لايقوى عليها ولا يقدر على رعايتها وحمايتها يعتبره الإسلام خيانة وغشاً وخديعة ، ويعتبره بالتالى تعريضاً لنظام الكون للفساد ، الكون الذى اقامه الله تعالى على الحق والعدل ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق** ﴾ .

هذا عن الانتخابات . . . واما عن شغل المرأة المسلمة منصباً فى الدولة يسند اليها بطريق الترشيح والاختيار مثلا فالجواب على هذا يحتاج إلى شىء من التفصيل وهو : أولاً ما هى طبيعة هذا المنصب الذى يراد أن تشغله فى الدولة ؟ إن كان منصب تعليم النساء أو إفتاء من وراء حجاب وهى أهل لذلك ، أو منصب تطبيب أو تمريض لإخوانها وبنات جنسها فى السعة أو لإخوانها فى الضيق فنعم ، لها الحق فى شغل هذا المنصب متى اختيرت له واسند إليها وكانت ذات كفاية وقدرة عليه ، والإسلام لايحرمها هذا الحق الشخصى .

وإن كان المنصب منصب ولاية أو سفارة أو قضاء أو قيادة جيش أو حكم إقليم فليس لها الحق فى هذا المنصب بحال من الاحوال وليس لها أن تطالب به أو قبوله إن اسند إليها متى كانت مسلمة صالحة ، ولايعتبر هذا حرماناً لها من حقها الشخصى إذ تقدم أن بيّنا ان الحقوق الشخصية مقيدة دائماً بما يجيزه العرف والقانون وهذا القانون منعها هذا الحق للاعتبارات التالية :

١ ــ ضعف المرأة الطبيعى فى بدنها وفى عقلها معاً الامر الذى لا ينكره عاقل، والمراد من هذا الضعف أنها أقل مستوى من مستوى الرجل فى القوة

البدنـية والعقليـة . وهذه المناصب المحرومـة منها يشـترط لبعضهـا الكفاية البـدنية والعقلية معاً، ولبـعضها الآخر الكفاية فى إحدى الناحيتين : الـبدنية أو العقلية ، وهى ناقصة فى المرأة بدون شك .

٢ ــ المناصب المذكورة التى حرمها القانـون والعرف منها مناصب تضطرها إلى مخاطـبة الأجانب والاتصـال بغير محـارمها فى الخلـوة وفى الجلوة ، ومخـالطة المسلـمة للأجنبـى والاختلاء به لا تحل بحـال لأنه إفساد لديـنها ، والشريـعة آمرة بالمحافظة على الـدين كالمحافظة على البدن ، مانعـة من افساد الاديان كالأبدان ، فلهذا المانع سقط حقها فى هذه المناصب .

٣ ــ قول الـرسول ﷺ: « لن يفلح قـوم ولوا أمرهم امرأة » هذا الـقول له وزنه عندنا نحن المسلـمين وله قيمته الكبيرة واعتباره العظـيم ، فلم نجرؤ أبداً على مخالفته لمجرد تقليد اعمى للأمم الشرقية والغربية من أهل الشرك والكفر فى تولية بعض نسائهم ، إن مخـالفة هذا الخبر النبوى ليست بالأمر الهـين ، إنها نذير بمغبة وخيمة ،وعاقبة سيئة . إن نفى الفلاح علـى لسان النبوة الصادق امر لا يستهان به ابداً . ومـن هنا كـان الإسلام لا يُجيـز تولية المـرأة مثل هـذه المناصـب ولا يرى إسنادها إليها بحال من الاحوال .

حـق المسلمة فـى العلم والتعلم

وآخر حق من حقوق المرأة فى هذا البيان هو حـقها فى العلم والتعلم . أخى المسلـم : إننا كلنا نـعلم أن العلـم الصحيح صـفة كمال فى الإنسـان ذكراً كان أو أنثى، وأن الجهل بما يلزم أن يعلمه المـرء صفة نقص كما أنه لا شك فى أن سعادة الإنسان موقوفة على العلم الصحيح ،والعمل الصالح .

ومن هنـا أشاد الإسلام بالعـلم والعلماء ، ونـوهت آيات الكتـاب واحاديث الرسول ﷺ بذلك إذ قال تعالى: ﴿ **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ وقال: ﴿ **إنما يخـشى الله من عباده العـلماء** ﴾ وقال: ﴿ **وقل رب زدنى عـلماً** ﴾ وقال رسول ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال ﷺ :« من التمس طريقا يلتـمس فيه علماً سهل الله له طـريقـاً إلى الجنـة » مسلـم .وقال للشفاء : «علّمى حفصة رقية النملة » وامر زيد بن ثابت أن يتعلم لسان اليهود .

أخى المسلـم : إن فضل العلم اليوم وقـبل اليوم غير خاف علـى احد ، فإنه كان وما زال ضـرورة من ضروريات الحـياة ، وشرطاً اسـاسياً من شـروط سعادة الافراد والجماعات .

بيد ان كلمـة (العلم) كلمة مجملـة تحتاج إلى بيان ؛ إذ لفظ العـلم يشمل الدينى والصناعى ، والكفائى ، والعيـنى . فالكفائى : ما يلزم ان يكون فى الأمة من يحسنه ويتقـنه ، وبذلك يسقط الاثم عن الجميع . وأما العـينى : فهو ما يلزم كل فرد مـن افراد الأمة بعـينه بحيـث لا يسعه جهـله بحال مـن الاحوال . ومن العلوم الكفائية : بعض العلوم الدينيـة كمعرفة المواريث والحساب ،وكمعرفة اللغة العربية وقواعدها وفنونها ،وكذا العلوم الصناعية المختلفة من هندسة وكيمياء وطب وعلوم الـطبيعـة،والذرة والهيدروجـين وما اليها ، ممـا هو ضرورى لكـمال الأمة وقوتها، وبخاصة أمة الإسلام التى تعتبر الوصية على البشر ، والحاملة لراية الحق والهدى والخير إليهم .

ومن العلوم العيـنية الواجبة على كل فرد من أفراد الأمـة الإسلامية ذكراً كان أو أنثى ما يسمى بالضرورى من علوم الدين كمعرفة الله تعالى وتوحيده وعبادته ، وكمعرفـة الحلال والحرام من المطعومات والمـشروبات والمنكوحات . ومـعرفة هذه

العلوم الدينية من اشرف المعارف واسماها ؛ إذ العلم يشرف بشرف غايته ، ويسمو بسمو هدفه ، وغاية العلم الدينى وهدفه سعادة الدار الآخرة وكرامتها بالجنة ورضوان الله تبارك وتعالى فيها .

وبعد هذا نقول : ما هو الواجب على المسلمة أن تتعلمه من هذه العلوم ، وهل لها الحق أن تتعلمها كلها ، أو تترك منها ما تشاء وتتعلم ما تشاء ؟ وهل هناك فرق بين المسلم والمسلمة في هذا الباب ؟

ونجيب عن السؤال الأول فنقول : إنه يجب عليها وجوباً عينياً أن تتعلم الضرورى من علوم الدين كمعرفة الله تعالى وتوحيده ومعرفة عبادته من صلاة وغيرها ، ولا يسعها ترك هذا ابداً .

كما نجيب عن السؤال الثانى قائلين :

نعم ان للمسلمة الحق فى أن تتعلم ما شاءت من العلوم الصالحة النافعة كحق شخصى لها فى الحياة ، غير أنها مقيدة دائماً بوجود المقتضى وانتفاء المانع ؛ إذ الحقوق الشخصية لا يتمتع بها صاحبها إلا فى اطار العرف وحدود القانون .

أما عن السؤال الثالث والأخير :

فالاجابة ايضاً إيجابية بنعم ،أى أن هناك فرقاً ظاهراً بين المسلمة واخيها المسلم فى باب التعلم ، إذ المسلم تكثر عنده المقتضيات لطب العلوم المختلفة ، وتقل عنده الموانع التى تعوق عن طلب العلم وتصرفه عنه ، واخته المسلمة بخلافه تكثر عندها الموانع وتقل المقتضيات .

ومن هنا كان بينهما فرق فى هذا الشأن لا ينكره عاقل ولا يجهله ذو بصيرة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة الشرعيه العلمية القاضية بوجوب تعلم البنت المسلمة الضرورى من امور دينها .

وبكون أنها لها الحق ان تتعلم سائر العلوم والفنون النافعة الصالحة كحق شخصى متى توفرت شروط ذلك بوجوب المقتضى وانتفاء المانع ، وكان ذلك فى إطار العرف وحدود ما يسمح به القانون .

فإنه ينبغى توضيح هذه المسألة وتحديدها بما يكون طريقة مثلى فى هذا الباب لا يعدل عنها ولا يطلب غيرها .

أفضل طريقة لتعليم المرأة المسلمة

وهاه ذى الطريقة والتى نود للمعنيين بشؤون تعليم البنت المسلمة أن يذكروا إزاءها دائما أنها أخذت من مرونة الإسلام وسماحته ، وسعة افقه ، ورحمة تشريعه ما لم يبق معه مجال للتمطيط ، ولا مطمع فى التوسعة والتمديد إلا ما كان من محادة الإسلام والخروج عن سبيل المؤمنين .

هاه ذى هى واضحة المعالم محددة النقاط لا يتنكب عنها شعب إلا هلك ولا تبتعد عنها أمة إلا خسرت . وهى :

أ ـ تحديد الهدف .

ب ـ تحديد نوع العلوم ـ أو المنهج الدراسى .

جـ ـ تحديد سنوات العلوم ـ أو سن المتعلمة .

وقبل أن نأخذ فى شرح هذه النقاط التى تقوم عليها الطريقة المقترحة لتعليم البنات المسلمات ننبه إلى أنه ينبغى ان يعلم أن البنت المسلمة التى يوضع لتعليمها مثل هذه الخطة أو المنهج ليست هى ولا أخوها ، ولا أمها ولا أبوها ، ليسوا جميعاً بيهود ولا نصارى ، ولا شيوعيين ، ولا ماسونيين ، ولا وجوديين إباحيين، وإنما هم قبل كل شىء مؤمنون مسلمون ، فلهذا كان ولا بد ان يتحركوا دائماً فى اتجاه واحد لا يعدلون عنه ، ولا يخطئونه ابداً . ذلك هو شريعة الله تعالى الثابتة ثبوت السنن الكونية التى لا تقبل التبديل ولا التحويل ، والتى تطور الانسان وترقى به إلى ابعد حدود السمو والكمال ، ولا تتبدل هى ولا تتطور ، شأنها شأن السنن الكونية ، فهى كالكواكب فى سيرها وثباتها ، وكالشمس فى حرارتها واشراقها ، وكالقمر فى نوره ومواقيته ، وكالارض فى كفايتها وإنباتها ، وكالأغذية المودعة فى الحبوب واللحوم وفى الثمر والخضر ، وكالهواء والماء .

فإنها كلها ـ بإذن الله ـ تطور الإنسان ولاتتطور ، وتبدله من حال إلى حال ولا تتبدل ؛ فإنها سنن مرتبطة بنظام الله تعالى خالقها وربها الذى يحفظ بها الحياة إلى غايتها ، فلو أريد لها يوماً ان تتطور بمعنى أنها تخرج عن طبيعة نظامها وتتبدل لكان فى ذلك نهاية العالم وبالتالى نهاية هذه الحياة .

وكذلك شريعة الله التى هى مبادئ الإسلام وتعاليمه ؛فإنها موضوعة وضع السنن الثابتة التى تطوّر الإنسان وترقى به فى عقله وجسمه ، ولا تتطور ولا تتغير. ومن اراد تطويرها أو تغييرها فقد اراد سلبها خصائصها ومنافعها وفى ذلك فساد الحياة الفاضلة ونهايتها .

على ضوء هذه الحقيقة نتناول تلك النقاط السابقة التى نرجو من توضيحها ان تخرج بمنهاج كامل لتعليم البنت المسلمة ، ونضعه بين أيدى اولئك المتباكين على تعليم البنت المسلمة والذارفين للدموع على جهلها وتأخرها ليأخذوا به إن كانوا صادقين فى ارادة الخير والسعادة لها .

أ ـ تحديد الهدف

إن المراد من تحديد الهدف هو تعيين الغرض الذى من اجله نعلم البنت المسلمة وهو إن انصفنا انفسنا واحترمنا كرامتنا وأقمنا وزناً لتعاليم ديننا لا يخرج عن دائرة كونه أن تتعلم البنت كيف تعبد ربها عبادة تزكى روحها ، وتصلح اخلاقها وتهذب شعورها وسلوكها فى الحياة .

ولا يكون الغرض ابداً الوظيفة بأى شكل من أشكالها ، وسواء كانت فى أجهزة الدولة ، أو فى غيرها من الأعمال الحرة اللهم إلا ما كان من تطبيب أو تمريض ولمثلها من اخواتها فقط .

وإذا كان الغرض من تعليم البنت ما ذكرنا ، أليست الأم المسلمة باكبر حاجة إلى هذا التعليم الذى يزكى الروح ، ويصلح الأخلاق ، ويهذب الشعور والسلوك.

أليست الأم المسلمة بحاجة اكثر اليه من ابنتها ؟

فلم إذاً تحرم حتى من موعظة اسبوعية فى بيت من بيوت الله تعالى ؟ أم آلاف الجنيهات التى تنفق على مدارس البنات لم تتسع لتوظيف واعظ واحد فى مسجد المدينة أو القرية لتهذيب النساء وإصلاح انفسهن ، وهن هن الأمهات اللائى يربين البنين والبنات ؟ ألم يدل اهمال جانب الأمهات بهذه الصورة أن الغرض من تعليم البنات لم يكن لوجه الله تعالى ، وهل لعمل لا يراد به وجه الله من عاقبة محمودة ، أو ثمرة طيبة ؟

ب ــ تحديد نوع العلوم ــ أو المنهج الدراسى :

إذا سلمنا بأن البنت تختلف عن اخيها فى قوة العقل والبدن ،وفى المقتضيات والموانع كما تقدم ، ألم يكن من الحكمة والمعقول ايضاً أن تختلف المواد الدراسية بين البنت المسلمة واخيها وفى جميع مراحل التعليم ؟ وإذا كان الأمر كذلك فإنه ينبغى أن تكون المواد الدراسية لكل بنت مسلمة وفى أى وسط كانت هى ما يلى :

١ ــ العلوم الدينية من توحيد وفقه وحديث وتفسير .

٢ ــ العلوم الآلية من لغة ونحو وصرف وبلاغة.

٣ ــ المهنية مما لها علاقة بالبيت فقط .

٤ ــ التطبيب والتمريض إذا كان ثم ضرورة إلى ذلك وبالشروط المبينة فى الفقرة التالية .

جـ ــ تحديد سنوات الدراسة ، او سن المتعلمة :

إن القصد من تحديد سنوات الدراسة هو حصر المدة التى تقضيها البنت المسلمة بين جدران المدرسة ثم تغادرها إلى وظيفتها التى خلقت لها ، وعُلّمت من اجلها .

وبالنظر الى مصلحة البنت الخاصة ، وبناء على ظروفها واستعداداتها الشخصية فان سنوات الدراسة لها لا ينبغى ان تزيد على اربع سنوات ابداً ، تبتدئ بالسادسة من عمرها ، وتنتهى بالتاسعة فقط ، وتخرج بعدها البنت المسلمة وهى لا تحمل شهادة ابداً وليس معها سوى اخلاقها الفاضلة وما اكتسبته من معرفة ربها، ومعرفة عبادته ، وحسبها ذلك شهادة . ويكفيها نيل هدف وشرف غاية ان عرفت الضرورى من علوم دينها ، وتعلمت ما يساعدها على استقامتها وحسن سلوكها .

هذا وتمشياً مع الرغبة فى تحقيق المصلحة العامة والخاصة للفرد والجماعة فإنّا نقول ــ غير ملتفتين إلى اعتبارات كثيرة ــ :

ان كان هناك حقاً إمكانيات لدى الدولة المسلمة تمكنها من التوسع فى تعليم البنت اكثر مما ذكرنا فان لها ان تتبع فى ذلك الخطوات التالية :

١ ــ افتتاح مدارس مهنية خاصة بالبنات المسلمات لا تخرج مادة الدراسة فيها عن تعليم بعض المهن اليدوية والخاصة كالنسج والطرز ونحوهما مع رياضة

اخلاقها وتربية نفسها على العفة والحياء ، وعبادة الله تعالى ، بما يلقى عليها من مواعظ وتوجيهات إسلامية بناءة مصلحة يومياً من مربّ صالح كبير يُعَدُّ لهذه المدارس خصيصاً .

ومدة الدراسة فى هذه المدارس ثلاث سنوات فقط تبتدئ من العاشرة وتنتهى بالثانية عشرة .

٢ ــ افتتاح معهد واحد ثانوى باسم البنات المسلمات تحدّد فيه المقاعد الدراسية بقدر ما يظن أنه يفى بحاجة الأمة ، ولا تخرج مادة الدراسة فيه على ما يؤهل البنت لفنى الطب والتمريض فقط .

٣ ــ تخصيص عدد من المقاعد فى كلية الطب فى جامعة الدولة للمتخرجات من المعهد النسائى المذكور .

هذا على شرط التقيد التام فى كل من المعهد والكلية بما يلى :

١ــ ان يحدد عدد البنات اللائى ينتخبن لهذه الدراسة .

٢ ــ ان تقبل طلبات الالتحاق اولاً فأولاً إلى ان يكمل العدد المراد لهذه المهمة.

٣ ــ ان يحدد لباس المتعلمة بلباس ساتر سابغ واسع يسترها من قمة رأسها إلى اخمص قدميها ، لا يصف ولا يشف خال من التنطع والاحتيال، بحيث يرضاه علماء الشريعة الصالحون ويوافقون عليه .

٤ــ ان يعلن للأمة جمعاء أن هذا الاجراء بصدد تعليم هذا البعض من البنات المسلمات على هذه الكيفية إنما هو ضرورة اقتضتها ظروف الأمة وحاجتها ليس غير .

٥ ــ ان يكون عمل المتخرجات مربوطاً بالدولة فيشتغلن فى مستشفيات الحكومة الخاصة بالنساء لا غير وسواء منهن الممرضة والطبيبة فلا تداوى امرأة رجلا ولا تمرضه فى حال (السلم) ابداً ، وإنما تعالج وتمرض اخواتها المسلمات فقط ، اللهم إلا فى ضرورة الحرب فمتى احتاجت الدولة ذلك فإن المسلمة تتطوع بمداواة جرحى المجاهدين وعلاجهم كما كان الصحابيّات رضى الله عنهن يفعلن ذلك فى حضرة رسول الله ﷺ .

٦ ــ ان يكون أجر عمل المسلمة الطبيبة او الممرضة على الثلث من أجر اخيها الطبيب المسلم او الممرض وذلك لقلة نفقة المرأة فهى غالباً لا تعول وإنما تعال

وتكفى حاجاتها من زوج ووالد او أخ ، وحتى لا يكون الراتب الضخم مرغباً للناس فى الزج ببناتهم فى هذا الباب ، كما ان الراتب الضخم عادة يحمل المرأة علي التطاول على زوجها إن كانت ذات زوج وقد يحملها على عدم الرغبة فى الزواج ، وفى كل ذلك مفاسد كثيرة لا تتقى إلا بمثل هذا الاجراء .

متى يحرم تعليم المرأة المسلمة

لا خلاف بين أهل العلم والمعرفة : أن الوسيلة تعطى حكم الغاية ، وأن الاسباب لها حكم المسببات .

وبناء على هذا فانه بكل بساطة نستطيع ان نحكم على تعليم البنت المسلمة بالحل أو بالحرمة .

فتعليم البنت المسلمة إذا كان الغرض منه والهدف المقصود فيه هو المادة فقط، وكانت نتائجه كما هى فى كثير من البلاد فلا شك أن هذا التعليم حرام وحرام ولا يجوز بحال من الاحوال . وأما إذا كان الغرض منه أن تتعلم المسلمة كيف تعبد ربها وتطهر اخلاقها ، وتصون بيد عفافها حجابها ، وتحافظ على حيائها وإيمانها ، وكانت نتائجه كما ينبغى أن تكون : الايمان والتقوى ، والطهر والحياء فان هذا التعليم يكون كما هو واجباً وفريضة .

وكلمة أخيرة فى تعليم البنت المسلمة

إنه يتحتم على المعنيين بشؤون تعليم البنت المسلمة فى البلاد الاسلامية أن يختاروا أمرين لا ثالث لهما ، وذلك إما أن يسيروا فى تعليم البنت المسلمة على المنهج الذى يرتضيه الإسلام وتقره شريعته ، حتى يحفظ للبنت المسلمة حياءها وحجابها بعد إيمانها وتقواها،وفيما وضحناه من منهج كفاية وإما ان يتركوها جاهلة كما عاشت قروناً طويلة جاهلة ولم يضرها ذلك ابداً ؛ إذ جهل مع إيمان وحياء وصلاح وتقوى خير من علم مع خلاف ذلك .

وعليه فهل يربأ المسؤولون بأنفسهم أن يبوؤوا بآثام أجيال صاعدة واخرى قد صعدت عرضوها للفساد والشرور ويتخذوا لهم طريقة سليمة فى تعليم المسلمة ، طريقة تحقق الهدف الأسمى من التعليم وهو الإيمان والتقوى والخلق الفاضل والصفاء والطهر ، وذلك خير وأقوى .

الرِّسَالة الثَامِنَة

أسُس الدّعوَة وآداب الدّعاة

كلمة تمهيدية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

وبعد إن لكل دعوة ناجحة أسساً متينة تقوم عليها ، ودعائم قوية ترتكز عليها، حتى يمكنها أن تنجح ويضطرد نجاحها ، وتبلغ الغاية المنشودة لها ، والهدف المقصود منها .

والدعوة الإسلامية كغيرها من الدعوات التى تفتقر فى نجاحها الى أسس ودعائم . وإن المتأمل فى الدعوة الإسلامية يجدها بدون شك قامت على الأسس الآتية :

١ ــ الإيمان بها .

٢ ــ سلامتها .

٣ ــ وضوحها .

٤ ــ العلم بها .

٥ ــ كمال شخصية القائم بها .

وإنه بدراسة هذه الأسس الدراسة الوافية ، وبمعرفتها المعرفة الكافية يمكن من يحاول القيام بواجب الدعوة الى الله ان يقوم بها خير قيام وان يبلغ بها الغاية فى إنجاحها إذا ما هو تذرع لذلك باتباع الطرق الآتية:

١ ــ العرض السليم .

٢ ــ البيان الشافى .

٣ ــ تنويع الخطط .

٤ ــ كسب الأنصار .

٥ ــ الثبات عليها .

واتصف بالصفات التالية ، وتحلى بها تحلياً كاملاً وتلك الصفات هى :

١ ــ الصبر على الأذى فيها .

٢ ــ الغيرة عليها .

٣ ــ التجرد لها .

٤ ــ الصدق فيها .

٥ ــ قوة الصلة بالله عزوجل .

وإنه لمنْ غير المشكوك فيه أن من اقام دعوته على الأسس السابقة ، وسلك لها الطرق الآنفة الذكر وكان متصفاً اتصافاً حقيقياً بما ذكر من الصفات سيكون نجاحه أقرب من إخفاقه ، وانتصاره اولى من فشله . وما النصر ولا النجاح الا من عند الله .

هذا وسنتناول بإذن الله تعالى وعونه تلك الأسس والطرق والصفات التى ذكرنا بشىء من الشرح والتفسير ، ونتبع ذلك بنماذج حية ، وأمثلة صادقة ناطقة تمثل مواقف شتى للدعاة الصالحين وهم يصارعون الباطل الواقف فى طريقهم ويجابهون المشاكل الصعبة التى تعترض سبيل دعوتهم .

وكيف يغلبون الباطل ، ويتغلبون على المشاكل ، وتمضى دعوتهم فى طريق نجاحها الى أقصى غاياتها وأبعد آمادها . والقصد من ذلك الأخذ بيد الداعى المبتدى ، ومساعدته على شق طريق دعوته والوصول بها إلى ما يريد لها من نجاح واطّراد . حقق الله ذلك لى وله فى عافية ، وحسن مثوبة .

الدعوة وفضلها

تعريف الدعوة :

الدعوة الاسم من دعا فلاناً يدعوه الى كذا ،إذا ناداه لأجله ، فلفظ الدعوة إذا صالح لأن يستعمل فى الخير والشر ، والحق والباطل فلذا وجب تعريف الدعوة وتحديدها لئلا تلبس بغيرها .

فالدعوة الإسلامية هى دعوة الناس باسم الله الى الإيمان بالله وطاعته من اجل إسعادهم فى الدنيا بنشر الفضيلة بينهم ، وإقامة العدل فيهم ، وفى الآخرة

بنجاتهم من النار ، وفوزهم بالجنة .

فضل الدعوة :

اما فضل الدعوة الى الله بالإيمان به وطاعته إيمـاناً يشمل التصديق بكل ما جاء به رسـول الله ﷺ عن الله من شأن المـلائكة والـكتب والـرسل والقدر والـشرع والمعاد وطاعة تـتمثل فى امتثال أوامر الله ورسـوله واجتناب نواهيهمـا ففضل هذه الدعوة عظيم ، وجزاء الداعى بها جزاء واف وأجره عـليها أجر كبير . ويكفى فى بيان ذلك الآية والحديث التاليان :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إننى من المسلمين﴾ .

« لأن يهدى الله عـلى يدك رجلا واحداً خيـر لك من حمر النـعم » ، وفى لفظ « خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

الأســاس الأول

الإيمان بالدعوة

إيمان كل داع بدعوته سر نجاحه فيها فمن لم يؤمن بصلاحية دعوته وخيريتها، وحاجة الـناس اليهـا لا يستطـيع أن يدعو الـيها او يجـهر بها كـما لا يقوى عـلى التضحية فى سبيل نشرها بنفس او مال .

ولذا كان لابد لمن يعتزم القيام بواجـب الدعوة الى الله تعالى ان يكون مؤمناً بهذا الواجب قوى الايمان فـيه معتقداً خيرية دعوته الاسلامية وصـلاحيتها وحاجة الناس الملحة لها .

ومما يوفر هذا الايمان المطلوب للمسلم الداعى علمه بالأمور التالية :

١ ــ استحالة سعادة البشر عامة والمسلمين خاصة فى الدنيا وفى الآخرة ما لم تكن من طـريق الاسلام والاسلام فقط ؛ إذ هـو المنهاج الإلهى المـوضوع لإسعاد البـشر فى دنـياهم وآخرتـهم . فلا أمـل فى الوصـول الى ما تـنشده أمم العـالم وشعوبه مـن سعادة فى هذه الحيـاة أو فى تلك الا عن طريـق الاسلام ذى المبادئ والتعالـيم الالهيّة الموضوعـة وضع السنن فى تحقيـق ما انيط بها من خـير الانسان وسعادته .

إنه إذا كان الماء يروى والطعام يشـبع ، والنار تحرق ، عادة وكان هذا سنّة لا تتخلف ولا تتبـدل فان الصدقة تطهر قلب المؤمن من رذيـلة الشح والبخل ، وان الصلاة تنهـاه عن الفحشاء والمنكـر ، كما ان اقامة حد على سـارق او زان يحقق طهراً فى البـلاد وامناً ؛ لأن هذا وذاك جميعاً من سـنن الله ، وسنن الله تعالى لا يوجد لها تبديل فى الحياة ولا تحويل .

وبرهان هذا الحكم ودليـل هذه القضية المسلمة قول الله تعـالى الذى لايتطرق الى حكمه الخطأ ، ولا لقوله الغفلة او النسيان: ﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكـرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يـوم القيامة أعمى** ﴾ ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ .

يضاف الى هذا شهادة التاريخ بان المسلـمين سعوا فى فترات من الزمن طويلة

كانوا قد تمسكوا فيها بالاسلام وساروا على نهجه القويم فتحقق لهم من ضروب السعادة وصنوف الكمال ما لم يتحقق لغيرهم من بنى الانسان ؛ إذ عاشوا أعزاء كرماء اطهاراً صالحين وعاش الناس من حولهم اشقياء أراذل فاسدين ، كل ذلك ان المسلمين ساروا على منهاج السعادة ، وغيرهم جانبه وتحاشاه .

٢ ــ الاسلام رحمة الهية المفروض فيها « شرعاً » أن تعم كل البشر ، ويسعد بها كل الناس ، وليست مما يستأثر به قبيل دون قبيل ، او جيل دون جيل ، إن الواجب فيها أن تعرض على كل فرد ، وتحمل الى كل إنسان وفى أى مكان كان رجاء أن يسعد بها البشر أجمعون ولهذا حمل الله تعالى رسوله ﷺ مسؤولية إبلاغها الى الناس ونشرها بينهم : ﴿ **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ . ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ ﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً** ﴾ ﴿ **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** ﴾ .

كما ألزم اتباعه المؤمنين بان يقوموا بنشرها ودعوة الناس إليها ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ .

وقياماً بهذا الواجب وأداء له نهض المسلمون من اصحاب رسول الله ومن تبعهم باحسان ، نهضوا يبلغونها الى البشر فى شتى انحاء العالم ، فقد توفى رسول الله ﷺ ودعوة الاسلام لم تتخط حدود الجزيرة بيد انه لم يمض اكثر من نصف قرن بعد ذلك حتى بلغ الاسلام انحاء من العالم بعيدة وانتظمت دعوته ما يقرب من نصف سكان المعمورة .

٣ ــ حاجة العالم الى الاسلام اليوم لا تقل إلحاحاً ، عن حاجته اليه يوم حمل المسلمون دعوته الى الأمم والشعوب يعرضونها عليهم ويدعونهم اليها . إذ أن شعوراً عالمياً كبيراً اليوم بالحاجة الى نظام عالمى سليم ، يقى البشرية ويلات حروب مدمرة منتظرة ، وينتشل العالم من وهدة المادة التى تردى فيها حتى اصبح الانسان فى بعض البلاد لا يفضل الحيوان ولا يشرف عليه بحال من الاحوال .

وخاصة بعد أن جرب كل من النظامين الرأسمالى والشيوعى الاشتراكى اللذين كان اصحابهما يرجون منهما إسعاد البشرية وتكريمها ، وفشل كل منهما فى تحقيق ما كان يرجى منه ويؤمل فيه .

فالحال إذاً والله تتطلب عرض الاسلام من جديد على أمم العالم وشعوبه وهم يتطلعون الى نظام ينقذهم مما حل بهم من مسخ وما شاع فيهم من فساد.

غير أن عرضه الجديد يجب أن لا يكون عن طريق أمة او جماعة لم تسعد به ولم ترتفع بمبادئه وتعاليمه الى قمة مجد عالية ومكانة بشرية سامية ، تغتبط عليها وتحسد من أجلها ؛ لأن الناس ، عادة ، ينظرون الى المبادئ والتعاليم من خلال حال صاحبها ، فإن كانت حسنة صدقوا بفائدة مبادئه ونجاعتها ، وأقبلوا عليها وطلبوها ، وإن كانت حاله سيئة اعرضوا عنه وعنها وكفروا بهما !! .

ومن هنا ـ وبكل صراحة ـ كان لزاماً على الدعاة المسلمين أن يبدأوا بدعوتهم الأمم والشعوب الإسلامية قبل غيرها حتى إذا نجحوا فى إصلاح المسلمين، ورفعتهم واحلالهم المكانة اللائقة بهم ، وأصبح المسلمون يمثلون بحق عظمةالاسلام ،وقدرته على انقاذ البشر واسعادهم .

تقدموا بدعوتهم يعرضونها على امم العالم وشعوبه المحرومة من هداية الله وعنايته ، ويومئذ يدخل الله فى رحمته من يشاء والظالمون مالهم من ولى ولا نصير .

الأساس الثانى

سلامة الدعوة

المراد من سلامة الدعوة كونها بعيدة عن الاطماع الشخصية ، عارية من الشر والفساد ، خالية من العنف والحرج .

فالدعوة السليمة هى التى لا يهدف صاحبها من ورائها الى تحقيق أى هدف مادى ، ولا لأى كسب شخصى له أو لأحد أصحابه أو أتباعه كأجر يطلبه عليها ، أو ثواب يتعجله منها ،وإنما تقوم عى أساس التجرد فيها لله عز وجل واحتساب الأجر عليه سبحانه وتعالى ، كما هو شأن كل المرسلين فى دعوتهم **﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين﴾** .

والدعوة السليمة هى التى لا يكون من أغراضها نشر الشر ، ولا من طبيعتها إظهار الفساد وإنما تكون أغراضها مقصورة على الخير ، وطبيعتها قائمة على الاصلاح ، شعار صاحبها دائماً : **﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾** .

والدعوة السليمة هى التى لا يكون من طبيعتها العنف أو الشدة ، ولا تقود معتنقيها إلى المشقة أو الحرج ، وإنما يكون من طبيعتها السهولة واليسر ، ومن صميم واقعها البعد عن المشقة والحرج !

ومن هنا كانت الدعوة الإسلامية أمثل دعوة دعا بها إنسان فى هذه الحياة ، وذلك لسلامتها الكاملة وبعدها التام عن كل عيب أو نقص من شأنه أن يحول دون نجاح الدعوات ، وبلوغها أهدافها المحددة لها .

وبيان ذلك أن الدعوة الاسلامية لا تسمح للقائم عليها بحال من الاحوال أن يثرى على حسابها ، أو حتى يأكل باسمها ، فضلا عن التمول أو التأثل ، وهذا كتاب الله تعالى يقول لصاحب الدعوة ﷺ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه من أجر** ﴾ ، ﴿**وما سألتكم من أجر فهو لكم**﴾ . وقد حدث مرة ان علّم أحد أصحاب النبى ﷺ جماعة القرآن فأهدوه قوساً فسأل عنه رسول الله ﷺ فقال : « إن كنت تحب أن تطوق طوقاً من نار فاقبلها » .

وبعث ﷺ مرة أحد أصحابه جابياً للزكاة ، فعاد يحمل مالاً لبيت المال ، وآخر لبيته الخاص ، فقام ﷺ خطيباً ، ثم قال : « ما بال العامل نبعثه فيجىء فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلى فهلا جلس فى بيت أمه أو أبيه فينتظر أيهدى اليه أم لا » .

ومعنى هذا ان النبى ﷺ لم يرض لأحد أن يأكل باسم الدعوة الإسلامية أو على حسابها ؛ لأن ذلك يخرج بها عن طبيعتها ، ويبعدها عن فلك الحق الذى تدور فيه .

هذا عن كون الدعوة الإسلامية لا تسمح للداعى بها أن يحقق أى كسب مادي أو غرض شخصى . وأما عن كونها عارية عن الفساد والشر ، فالدعوة الإسلامية بدون شك دعوة خير وسلام ، وليست بدعوة شر أو فساد بحال من الأحوال ، فلا تهدف من قريب أو بعيد الى الفساد ولا ترمى كذلك الى الشر بوجه من الوجوه ، وإنما هى دعوة خير تهدف دائماً الى الخير ، وصفها الله بالخيرية فى قوله تعالى: ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ .

وبالرحمة فى قوله: ﴿ **وتواصوا بالمرحمة**﴾ وعلى لسان رسوله فى قوله:

«ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » وقوله: « الراحمون يرحمهم الرحمن » فالخير والرحمة من طبيعة الدعوة الإسلامية ومن أهدافها التى ترمى الى تحقيقها فى الأرض بين بنى الإنسان .

وأما عن خلوّها من العنف والحرج فحدث ولا حرج وها هى ذى نصوص كتابها واقوال صاحبها تصرح بنفى العنف عنها والحرج فيها ، وبعدم ملاءتها لذلك فالله تعالى يقول: ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ ويقول :﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم** ﴾ ويقول: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ .

والرسول ﷺ يقول: « يسروا ولا تعسروا ،وبشروا ولا تنفروا » ويقول:« ما كان الرفق فى شىء الا زانه ، ولا نزع من شىء إلا شانه » ويقول: « ان الله تعالى يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف » .

وبناء على هذا فأيما داع بدعاية الإسلام لا يعرف لها طبيعتها من اليسر ، ولا ما تقوم عليه حقيقتها من الرحمة والخير، يسىء إليها وينفر منها ، ويصد عنها أكثر مما يحسن اليها ، ويرغب الناس فيها ويحببها اليهم ، وينقلهم الى محيط بها .

وكما على الداعى أن يعرف طبيعة الدعوة الاسلامية فى الرفق واليسر ، وعدم الشدة والحرج، عليه أيضاً ان لا يحاول الخروج بها عن طبيعتها ؛ لأن ذلك من شأنه أن يجعل النتائج عكسية، ورد الفعل عنيفاً للغاية .

الأساس الثالث

الوضوح

وضوح الدعوة اساس نجاحها ، فبقدر سلامة الدعوة ووضوحها يكون نصيبها من النجاح ، فعلى هذا يتعين على الداعى ان يخلص دعوته من كل تعقيد منفر أو غموض صارف ؛ لان قبول أية دعوة متوقف غالباً على فهم الناس لها ، وتصورهم لحقيقتها ، والغموض والتعقيد من شأنهما أن يحولا دون فهم الناس للدعوات وإدراكهم لها .

والدعوة الاسلامية ـــ والحمدلله ـ اكثر الدعوات وضوحاً ، واكبرها سلامة من التعقيد والغموض .

فهى فى باب الايمان بالله تعالى لم تطالب الانسان باكثر من أن يعترف بواقعه

ويسلم بوجوده ، وبذلك يجد من السهل عليه الايمان بالله خالقه . فالانسان يوجد حينما يوجد ، ويعيش ويموت كل ذلك بغير اذن منه ولا اختيار . فلا شك إذاً أن هناك موجداً ومدبّراً له . فلم لا يؤمن بالذى اوجده ودبر حياته ؟ ولم لا يعظمه ويطيعه ويتقرب إليه ؟

﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ .

ان الدعوة الى الإيمان بوجود خالق مخلوقاته مشاهدة فى كل مكان كالدعوة الى الإيمان بوجود مدبر آثار تدبيره ظاهرة فى كل مخلوق كالدعوة الى الإيمان بوجود رازق رزقه حاجة كل انسان وحيوان دعوة واضحة مابها من تعقيد أو غموض .

وفى باب التوحيد ، لم تطالب الدعوة الاسلامية الانسان المؤمن باكثر من ان يفرد خالقه ورازقه ومدبر شؤونه بالعبادة التى هى طاعته تعالى فى أمره ونهيه مع غاية حبه وتعظيمه .

﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ .

وفى باب الايمان بالمعاد والجزاء الاخروى لا تكلف الانسان اكثر من ان يمعن النظر فى أصل نشأته ويصغى الى صوت فطرته فيعلم أن المعاد حق وصدق ، وأن من بدأ يعيد .

﴿ فلينظر الانسان ممَّ خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر ﴾ ﴿ وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ ﴿ قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ .

وتقرب له معنى وقوع المعاد بضرب المثل القريب المعتاد : **﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحى الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾** .

وفى باب العبادات : نصوصها تصرح باليسر ورفع الحرج والمشقة فالعادم الماء للطهارة او العاجز عن استعماله تنقله الى التيمم وتقول: ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** ﴾ والمسافر ترفع عنه كلفة إتمام الصلاة وتقول: ﴿ **وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ والمريض والمعانى لأتعاب السفر تأذن لهما فى تأجيل عبادة الصوم الى حين الصحة والإقامة ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ .

ويشكو احد المؤمنين ضعفه عن الصلاة قائماً فيقول له الرسول ﷺ: « صلّ قائماً فان لم تستطع فصل قاعداً فان لم تستطع فصل جالساً فان لم تستطع فعلى جنبك » .

وفى باب القضاء والحكم : اكثر بعداً عن الغموض والتعقيد فالقضاء فيها قائم على قاعدة مبسطة سهلة واضحة وهى : البينة على المدعى، واليمين على من انكر « شاهداك أو يمينه » .

وفى باب الاخلاق : فلا اسمح منها ولا أيسر ولا اوضح منها ، ولا اصرح، ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » « ادّ الأمانة الى من ائتمنك» « ولا تخن من خانك » .

﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** ﴾ ، ﴿ **قل لعبادى يقولوا التى هى أحسن** ﴾،﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ .

وعليه فانه ينبغى للداعى مراعاة وضوح دعوة الاسلام وسلامتها من الغموض والتعقيد فى عقائدها وفى عباداتها ومعاملاتها ، فيعرضها على الناس كما هى واضحة سليمة ، وليحذر ادخال عناصر غريبة عنها ، نتيجة لتشدده أو تزمته وغلوه فيفقدها اكبر عوامل قبول الناس لها ، واعتناقهم إياها وهو الوضوح والسلامة .

الأساس الرابع

العلم بها

المعرفة بأصول الدعوة وفروعها ، وأهدافها وغاياتها شرط أساسى فى نجاح

الداعى وفوزه فى دعوته ، إذ أن من السنن العامة والحكم المشهورة ، **ان فاقد** الشيء لا يعطيه ، وأن الأعمى لا يقود البصراء !

فتشبع الداعى بالعلم بدعوته والمعرفة بأصولها وفروعها وأسباب نجاحها وفشلها من العوامل الرئيسية التى لا يستغنى عنها الداعى بحال من الأحوال .

وعليه فليكن الداعى من العلم بدعوته ، والمعرفة بحقيقتها ما إذا وصفها كشف النقاب عن واقعها ، وأبرز سر مكنونها وإذا تحدث عن محاسنها جذب القلوب إليها ، واستمال الأهواء الشاردة واستهوى النفوس النافرة إلى حبها والرغبة فيها .

والعلم بالدعوة المطلوب من الداعى هو البصيرة التى ذكر الله تعالى فى قوله: ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ وهو البينة التى وردت فى قول نوح وصالح وشعيب حيث قال كل منهم : ﴿ **يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى** ﴾ كما حكى الله ذلك عنهم فى القرآن الكريم .

وكما على الداعى الذى يريد النجاح لدعوته أن يكون عالماً بأصول دعوته وفروعها ووسائلها وغاياتها عليه أن يكون عالماً كذلك بأحوال وظروف ونفسيات من يدعوهم ويتصدي لهم ، ويتعرض لهدايتهم فيعطى كل داء ما يحتاج من دواء، ويلبس كل حالة لبوسها الخاص بها .

إن المعرفة بأحوال المدعوين المؤثرة على اتجاهاتهم وسلوكهم من غنى وفقر وعز وذل وشرف ونقص وعلم وجهل ، من أقوى العوامل على جذب المدعوين إلى محيط الدعوة ، ونقلهم الى ساحتها بيسر وسهولة . وإلى هذه الاشارة فى قول الرسول ﷺ لمعاذ رضى الله عنه: « إنك تأتى قوماً أهل كتاب » .

وعلى هذا فإنه يتعين على الداعى أن يتضلع من علوم الشريعة الاسلامية كالتفسير والحديث ، والتوحيد والفقه ، ومن علوم الآلة كاللغة وقواعدها وآدابها، والبيان وفنونه ، والمنطق ومبادئه ، وأن يلمّ بما يمكن من اللغات المختلفة ولا سيما الانجليزية لانتشارها وكثرة الناطقين بها فى العالم إذ اللسان هو الأداة الموصلة للكلام الى الآذان ، والبيان هو الآلة البالغة بالمعانى الى القلوب والأفهام والله تعالى يقول : ﴿ **وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء** ﴾ ويقول عز وجل للنبى ﷺ: ﴿**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به**

به المتقين وتنذر به قوماً لداً ﴾ والنبى ﷺ يقول: « إن من البيان لسحراً » .

ومن المسلم به أن من كمال الداعى أن يكون مزوداً بشتى العلوم والمعارف زيادة على ما يتعلق بدعوته وأصولها وفروعها وذلك كعلم النفس والفلسفة ، والتاريخ ، وعلم تقويم البلدان « الجغرافيا » والكيميا وعلم النبات والحيوان وخصائصها (الطبيعة) ومما يدل على فائدة ذلك ونجاعته فى الدعوة أن الله تبارك وتعالى أبطل دعوة اليهود والنصارى فى كون إبراهيم الخليل يهودياً أو نصرانياً كما زعم كل من اليهود والنصارى أبطلها بحجة التاريخ ، قال تعالى: ﴿ **يا أهل الكتاب لم تحاجّون فى إبراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون** ﴾ .

وخلاصة القول فى هذا أن على الداعى أن يعلم كل ما يمكنه العلم به من شتى انواع العلوم والمعارف البشرية ليكون ذلك عوناً له على نشر دعوته ، وزاداً صالحاً له فى طريق نشرها الشاق الطويل ؛ إذ أنه بقدر سعة معرفته وطول باعه فى العلوم والمعارف تكون سبل دعوته ممهدة والسير فيها سهلا ميسوراً . والله المستعان .

الأساس الخامس

كمال شخصية القائم بها

إن كمال شخصية الداعى من أهم الأسس التى تقوم عليها الدعوات ، ومن اكبرها تأثيراً فيها نجاحاً وفشلاً فما على الداعى الصادق الا أن يعترف بهذه الحقيقة ويسلم بها ، ثم يعمل على تكميل شخصيته وتقويتها حتى تبلغ الممكن من الكمال البشرى ، وتصبح معه ذات تأثير قوى فى نفوس الذين يريد صاحبها أن يوجههم الوجهة التى يريد ، وأن ينقلهم الى المحيط الذى يرغب ويحب .

والعناصر التى تتكون منها الشخصية القوية اهمها ما يلى :

١ ــ اليقين وهو أن يكون الداعى على يقين تام بصلاحية دعوته وخيريتها بحيث يصبح يرى أن نشرها وتعميمها من أهم المهام له ، وأوجب الواجبات عليه. بل يصبح يعتقد أن عدم عرض هذه الدعوة على الناس وحملهم عليها ، ونقلهم الى محيطها من الجناية عليهم والخيانة لهم وبذلك يصبح قادراً على التفانى فى سبيل نشرها ، والتضحية بالرخيص والغالى فى الوصول بها الى ابعد غاياتها كما كان شأن الرسول ﷺ والمسلمين الأولين .

٢ ـ الروحانية وذلك بالتجافى عن الدنـيا ، والبعد عما أسف فيه ابناؤها من جمع حطامها الفانى ، والتكالب على شهواتها وملاذها المهلكة .

والاقبال على النفس تطهيراً لها وتزكـية ، ورقياً بها فى مدارج الكمال النفسى وذلك بذكر الله تعالى ، وفعل الطاعات من فرض ونفل .

حتى يبلـغ حالاً تعظم فيها فراسته ، ويقوى فيها عمق نظره ، وتـصدق فيها تنبؤاته وفـراسته كما روى عن عمر بـن الخطاب فى هذا الشأن فقـد قال عنه ولده عبد الله : ما قال أبـى فى شيء أظنه كذا . . الا كان كما ظـن . وقال فيه رسول الله ﷺ :« لو كان فى أمتى مـحدثون لكان منهم عمر ، وما سـلك عمر فجاً الا سلك الشيطان فجاً غـير فجه » كل ذلك كان نتيجة لروحانيته القـوية التى اكتسبها بقوة اليقين والتجافى عن دار الغرور .

٣ ـ الشجاعة بنوعيها شجاعة القلب وشجاعة العقل .

فالأولى تحمـله على أن لا يخاف غيـر الله تعالى ، ولا يتهـيب احداً سواه ، فيقدم فـى مضاء ، ويمضى فى حزم لا يضـعف ولا ينهزم مهمـا لاقى من الاهوال وواجه من الصعاب يتمثل موقف ابطال الايمان ويعيشها ﴿ **وكأيّن من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهـنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا ومـا استكانوا والله يحب الصابرين** ﴾ .

﴿ **واتل عليهم نبـأ نوح إذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكـم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكـلت فأجمعوا امركم وشركاءكم ، ثم لا يكـن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون** ﴾ .

﴿ **قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا** ﴾ .

﴿ **الذيـن قال لهم الـناس إن الناس قـد جمعوا لـكم فاخشـوهم فزادهم إيمـاناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ .

والثانيـة تدفعه الى أن يجـاهر برأيه ، ويصرح بـعقيدته ويصـدع بالحق الذى يتكلم به ويدعو الـيه ويعيش من أجله ، فلا يتهيب من مواجهـة الباطل ويتقصى من مصاولة العقول ومـصارعة الافكار بل يصادمها ويصارعها ويدمـغ بحقه باطلها حتى يضمحل ويزهق . والباطل كان زهوقاً .

٤ ــ الثقافة العامة الواسعة الآفاق والتى يكون معها ملماً باكبر ما يمكن من العلوم البشرية الخاصة والعامة ما كان منها وما يستجد فى الحياة فى حدود طاقة الداعى ، وما يتهيأ له منها ؛ إذ من غير الممكن استيعاب الشخص لكل العلوم والمعارف مهما بذل من جهد واستفرغ من وسع . وإنما المطلوب من الداعى أن لا يدع فرصة يمكنه فيها أن يزيد علمه الا زاده .

وأخيراً فهذه بعض مقومات الشخصية الكاملة نلفت اليها نظر الطالب المتحفز للدخول الى معركة الدعوة رجاء أن يسعى فى تحصيلها واكتسابها ليقيم عليها شخصيته ويكملها بها قبل أن يرمى بنفسه فى ساحة المعركة ، وحومة الصراع تأكيداً للنصر ، وتحقيقاً للنجاح .

فانه ما فاز ابطال الاسلام الأولون ولا نجحوا فى مختلف معاركهم العديدة الا بمثل هذه الشخصية الربانية الكاملة التى عجمت كل عود ، وعركت كل صعب فى الحياة وحققت لها نصراً فى دنيا الناس لم تعرف حياة البشرية له مثيلا .

وبتصفح تاريخهم الطويل تجد أيها الطالب أمثلة حية وصوراً ناطقة لما حققته تلك الشخصيات الكاملة من انتصارات باهرة فى مجالات الدعوة وآفاق التحرير .

طرق الدعوة

أ ــ العرض السليم

عرض الدعوة على المدعوين إليها عرضاً سليماً من كل ما يحول دون تفهمها وقبولها ضرورى لنجاح الدعوة والوصول بها إلى غاياتها وأهدافها فى إصلاح البشر وإعدادهم لسعادة الدنيا والآخرة .

والعرض السليم هو المقصود من لفظ الحكمة فى قول الله تعالى: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ .

وعليه فانه يجب أن تعرض الدعوة الاسلامية عرضاً قائماً على أساس الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، فيتبع فيها ما يلى :

١ ــ مراعاة حال المدعوين وقد أشارت الآية إلى أنهم ثلاثة أصناف : صنف يدعون بالحكمة وهم الخواص من أهل الفكر والفطنة والمعرفة فيخاطبون بالحجة النقلية والبراهين العقلية ، وذلك أنهم لصفاء نفوسهم واستنارة عقولهم يقبلون

دعوة الحق والخير وينقادون لها متى قامت عليهم الحجة وظهر لهم الدليل .

وصنف يدعون بالموعظة الحسنة وهـم عامة الناس وبسطاؤهم من أهل الإيمان والتقوى ، فهؤلاء لطيب نفوسهم وسلامة بواطنـهم وقلة فطنتهم يخاطبون بما يزيد فى رقة قلـوبهم ، واستقامـة أخلاقهم ، من مواعـظ الكتاب والسنـة ، فإن ذلك أهدى سبيلا إلى محيط الدعوة وساحاتها .

وصنف يدعون عـن طريق المناظرة السلـيمة والمجادلة بالتى هـى أحسن وهم أناس أهل فطنة وذكاء أشربوا حب الظهور والغلو بالجدل والمخاصمة ، فهم لخبث نواياهم وفساد سرائرهم لا تمكن دعوتهم بغير الاسلوب الجدلى الخالى من العنف والشدة والقائم علـى أساس الحجة القوية والقول الفصل إذ لا يمـكن إقناعهم إلا بذلك .

عدم المساس بكرامة المدعو ، أو الإخلال بشرفه بين الناس . فقد كتب رسول الله ﷺ الى هرقل ملك الروم فقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتـبع الهدى . أما بعد فإنى أدعوك بـدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله اجـرك مرتين ، فإن توليت فان عليك إثـم (اليريسيين) [1] ﴿ **يا أهل الكتـاب تعـالوا إلى كلـمة سواء بيننـا وبينكم أن لا نعبـد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخـذ بعـضنا بعـضـاً أرباباً مـن دون الله فإن تـولوا فقولوا اشهـدوا بأنا مسلمون** ﴾ .

فتضمن هذا الكتاب النبوى الشريف من جملة ما تضمن الأمور التالية :

١ ــ الاعتراف بكرامة المدعو .

٢ ــ الوعد بالخير والبشارة الحسنة .

٣ ــ النصح الخالى من الانتقاص .

٤ ــ الترفق فى الدعوة .

كما قرر مبدأ عدم المساس بكرامة المدعو ، والغض من شرفه . وهذا ما يجب على الداعى أن يلتزمه فى دعوته ويتحراه .

---

(١) الأرسين جمع أريس أى أكار بمعنى فلاح .

٣ ـ التدرج فى عرض أصول الدعوة وفروعها وتقديم الأهم فالأهم ، مثال ذلك أن يدعى شخص لا يؤمن بالإسلام ديناً الى الإيمان بان الاسلام دين صالح لاسعاد الناس ، وتحقيق كرامتهم الانسانية وسعادتهم فى الدنيا والآخرة فانه يكتفى فى ذلك بعرض محاسن الاسلام عليه ، ومزاياه التى يفوق فيها غيره من الأديان فان اقتنع وطلب عن رغبة الدخول فى الاسلام طلب منه النطق بالشهادتين، والاغتسال ، واداء الصلاة ، وترك الخبث فى المأكل والمشرب والمنكح، حتى إذا استأنس لذلك واطمأن اليه دعى إلى باقى شرائع الاسلام عند حلول وقتها ووجود مقتضاها فيدعى الى الصوم بحلول شهر رمضان ، والى الزكاة عند حلول أجلها ، وقرب اوانها .

ومن حديث معاذ فى الصحيحين تثبت هذه الحقيقة وتقرر كمبدأ للعرض السليم للدعوة . فقد قال له ﷺ: « إنك تأتى قوماً أهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فان هم أطاعوالذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى اموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردّ الى فقرائهم » الحديث .

ومثال آخر : أن يدعى شخص فاسق من المسلمين بتركه الصلاة وشربه الخمر مثلاً فانه يدعى أول ما يدعى إليه إقام الصلاة والمحافظة عليها ، حتى إذا فعل ذلك واستقام عليه دعى الى ترك شرب الخمر ؛ إذ لو دعى الى ترك الخمر وهو لا يصلى لا يتركها أبداً كما أنه لو دعى الى الاثنين معاً قد لا يصلى ولا يترك شرب الخمر بخلاف ما لو دعى الى الأهم أولاً وهو إقام الصلاة فانه إن صلى وأحسن الصلاة كان ذلك عوناً له على ترك شرب الخمر واجتنابها .

ولو رجعنا الى عهد التشريع الاسلامى لوجدنا بدون شك أن الصلاة فرضت قبل تحريم الخمر ومنعها ، وأن الخمر ما حرمت حتى تمنى المسلمون ذلك وقالوا : اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً ، ذلك لمنافاتها لاقامة الصلاة والمحافظة عليها .

يشهد لهذا ما روى أن عائشة رضى الله عنها قالت: أول ما نزل من القرآن آيات فيها ذكر الجنة والنار ، فلما ثبت الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو قال لهم فى أول الأمر لا تزنوا ولا تشربوا الخمر ، وامرهم بالصيام والزكاة لقالوا لا نترك الخمر والزنا أبداً . . .

ومثال ثالث: ان يدعى مسلم لاصلاح عقيدته إذ هو يتوسل بالأنبياء والأولياء، ويدعو غير الله ، ويذبح وينذر لغير الله تعالـى مثلا فان الحكمة فى الدعوة تقتضى أن يدعى أولاً لترك دعاء غير الله لصريح ان الدليل : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ . فان هو تـرك ذلك طلب مـنه ان يخلـص لله فى عبادة الـذبح والنـذر ، وإن يتوسل الـى الله بإيمانه وصـالح عمـله ،لا بعبـاد الله من انبيـائه وأوليائه وهكذا يقدم فى الدعوة الأهم فالأهم والجلى على الخفى ، والمجمع عليه على المختلف فيه .

٤ ــ اعتبارات أحوال النفس فيستغل الداعى منها الجانب العاطفى ويسخره فى خدمة دعوته وتحقيق اهدافها من استمالة الناس الى الدعوة وجذبهم الى صعيدها . فمثلاً عاطفة حب الوطن ، والميل الفطرى الـى الرغبة فى عزته وسعادته فى مكنة الداعى أن يـستغلهـا الى ابعد حد ممـكن فى نشر دعـوة التوحيد والاصـلاح متى استطاع أن يربط بين عنصرى المادة والروح فى هذا المجال .

٥ ــ ملاحظة الشعور العام فى المدعوين فـان على الداعية الحكيم أن يتحاشى ما أمكنه الاصطدام بـالشعور العام الذى عليه المدعوون ، وليبـدأ دعوته بعيداً عن ذلك ، فيصلح جوانب الـفساد شيئاً فشيئاً حتى إذا مهد الـطريق وأصبح يمكنه ان يجابه ذلك الشعور بما جند له من افكـار وهيأ له من وسائل تحين مواتاة فرصة من الفرص ، وقال كلمته صريحة فى إصلاح ذلـك المعتقد الباطل ، أو الخلق الفاسد أو البدعة المـنكرة ، ولنضرب لـذلك مثلاً أهل قرية شـاع بينهم اختـلاط الجنسين وتعارفوا عليه فأصبح الشعور العام عندهم استحسانه ، وعدم الاشمئزاز منه .

فإن الحكمة فى الدعوة تقتضى عدم مصادمة هذا الشعور العام فى أول الأمر، وتتطلب من الداعى أن يـبدأ دعوته بإعداد النفوس وتهيئتها أولاً لقـبول تغيير مثل هذا المنكر القبـيح والوضع الشاذ وذلك بتقوية الإيمان فى نفـوس مدعويه وتجسيد إيمانهم فـى صور شتى من الطـاعة لله والانقياد له ، والرهـبة منه ، والرغبـة فيما لديه سبحانه وتعالى حتى إذا أصبح بحال يتـأكد معها القدرة على تغيير ذلك المنكر والعادة السيئة أمر بتغييره بحزم وعزم مستخدماً كل طاقة أعدها وعون ادخره لمثله .

كل هذا من العـرض السليم للدعوة والحكـمة فيها وعلى قدر الـسير فى هذا الطريق والتزام هذه التعاليم يكون انتصار الدعوة ونجاح الداعى فيها بإذن الله تعالى وحسن توفيقه .

ب ـ البيان الشافى

من أهم الطرق التى على الداعى أن يلتزمها فى عرض دعوته على الناس ، ونقلهم إلى محيطها ، البيان الشافى والذى هو الموعظة الحسنة المذكورة فى قول الله تعالى: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ إذ الموعظة الوصية بالحق والخير ، واجتناب الباطل والشر بأساليب الترغيب والترهيب التى يرق لها القلب وينبعث على عمل الخير وترك الشر .

وما دامت الدعوة الاسلامية دعوة حق وخير تتنافى مع الباطل والشر ، فالدعوة اليها إذاً وصية الناس بالحق والخير ، ولما كانت تتنافى مع الباطل والشر فهى دعوة ايضاً الى ترك الباطل والشر . وحمل الناس على التزام الحق وفعل الخير ، وعلى ترك الباطل وتجنب الشر يحتاج الى أساليب بيانية من الترغيب والترهيب من شأنها التأثير على النفوس وبعث القلوب على العمل الصالح واجتناب الباطل والفساد والشر . وهذا يتوقف على مدى قدرة الداعى على وصف الخير والشر وتصويرهما بصورة واضحة ومختلفة تقربهما من الأذهان وتجعل المخاطبين يعيشون بكل احاسيسهم ومشاعرهم فى جو تلك الصور التى يجعلها الداعى بأسلوبه البيانى صوراً شاخصة الذوات بارزة الملامح ، للخير وجهه المشرق المحبوب ، وللشر وجهه الكالح المكروه .

ان الداعى الذى لا يقدر علي تصوير الحق والخير بالصورة التى تحبها النفوس وتميل اليها ، وتطلب العيش الى جانبها والحياة معها . ولا على تصوير الشر والباطل بالصورة التى تنفر منهما وتكره فيهما وتجعل طلب البعد عنهما والخلاص من اسبابهما غاية مطلوبة وهدفاً منشوداً ، لهو كالطبيب الذى لا يقدر على تشخيص الداء ولا على وصف الدواء ، فسعيه غير مشكور ، وعمله غير مبرور ولو بذل من الجهد والطاقة فوق ما تجرى به العادة . وبناء على هذا فانه يتحتم على الداعى أن يكون لنفسه ملكة بيانية كاملة يستطيع بها أن يبلغ دعوته بنجاح وينشرها بارتياح . وكيفية الحصول على هذه الملكة من البيان تكمن فى الوسائل التالية :

١ ـ حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً .

٢ ـ حفظ مئات الاحاديث النبوية ذات المواضيع المختلفة . من حكمة ووعظ وارشاد وتشريع .

٣ ـ حفظ آلاف الامثال والحكم الشعرية والنثرية .

٤ ـ اتقان علم البلاغة بفنونه الثلاثة المعانى ، والبيان ، والبديع .

٥ ـ التضلع الكبير فى اللغة العربية وقواعدها وآدابها .

٦ ـ التمرين المتواصل على إلقاء الخطب والمحاضرات المختلفة حتى يحصل على الملكة البيانية المطلوبة لكل داع يريد النجاح لدعوته ، والفوز فيها .

جـ ـ تنويع الخطط

الداعى المؤمن بدعوته ووجوب نشرها وإبلاغها الى الناس لا يترك طريقاً يصل به الى غايته فى إبلاغ دعوته ونشرها إلا اتبعه ، ولا سبيلا إلا سلكه ، ولا يرى فى ذلك إلا واجباً تحتم عليه القيام به ، وفريضة تعين عليه النهوض بها ، ولهذا كان تلوين الاسلوب فى الدعوة وتنويع الخطط من ضرورياتها ومستلزماتها. وهذا نبى الله نوح عليه السلام وهو مثال الدعاة الصادقين يجعل تنويع الاسلوب من الأسس التى أقام عليها دعوته ، فقد ذكر لربه تعالى أنه ما ترك سبيلاً لهداية قومه إلا سلكه ولا وسيلة نافعة إلا تذرع بها فقال : ﴿ **رب إنى دعوت قومى ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائى إلا فراراً وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً** ﴾ .

وبعد نوح سيد الدعاة وإمامهم محمد ﷺ فإنه ما ترك وسيلة أمكنه القيام بها إلا أتى بها ، ولا نوعاً من أنواع الخطط الكفيلة بالوصول بالدعوة إلى غاياتها إلا جاء به ، فقد كان ﷺ يأتى مجامع قريش ويعرض عليهم دعوته ويبلغهم رسالة ربه ، ويأتى الأسواق ويخطب فيها الناس داعياً الى الله سبحانه وتعالى . ولما تعذر عليه القيام بالدعوة بمكة ذهب الى الطائف وصادف من إعراض أهله ورفضهم لدعوته ما آسفه وأحزنه واتخذ من دار الأرقم بن أبى الأرقم نادياً لدعوته ومنبراً لها ، فكان يجتمع اليه المؤمنون فيها ويعلمهم ما يجب عليهم من طاعة الله تعالى وعبادته .

ومن أغرب مواقفه ﷺ فى دعوته أنه صعد مرة جبل الصفا ثم نادى بأعلى صوته : يا صباحاه يا صباحاه !فاجتمع اليه الناس فقال : « أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقى » ؟ قالوا : نعم . قال : « **إنى نذير لكم**

بين يدى عذاب شديد» . فقال أبو لهب : ألهذا أجمعتنا ؟ تباً لك !

ووقوفه يوماً على منازل بعض القبائل من العرب وهو يقول : « يا بنى فلان إنى رسول الله اليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به » .

وإذا بعمه أبى لهب وراءه يقول : « يابنى فلان لا تطيعوه ولا تسمعوا منه»!

واتخذ ﷺ من موسم الحج منبراً لدعوته ، وهناك بايع جماعة من أهل المدينة ، واتفق معهم على أن يبعث اليهم المضطهدين من أصحابه ليخلصهم من اضطهاد المشركين لهم .

ثم هاجر بعد ذلك بنفسه الى المدينة واتخذها مركزاً لدعوته ومنطلقاً لها ، ومنها راسل الملوك والأمراء فى أنحاء الجزيرة يدعوهم الى الاسلام ، كل هذا كان منه ﷺ تنويعاً لخطط الدعوة وتلويناً لأساليبها ، وهذا شأن كل مخلص فى دعوته صادق فيها .

وبناء على الذى سبق نشير الي بعض الخطط النافعة والأساليب المفيدة للدعوة فى هذه الظروف الراهنة وفى هذا الوقت الحاضر فنقول :

أولاً ــ الدرس : اتخاذ الداعية مجلساً له فى أحد المساجد التى يؤمها أهل البلد للصلاة فيها لإلقاء دروس دينية ، والمواظبة على ذلك عمل إيجابى فى محيط الدعوة الإسلامية ، وسيكون له نصيب من النجاح إن روعى فيه الأمور التالية :

١ ــ : الإخلاص فيه لله تعالى بحيث لا يكون له همّ سوى إرضاء الله تعالى ونشر دعوته .

٢ ــ : عدم أخذ أية مكافأة على الدرس ، ومن أية جهة كانت ، والاكتفاء بثواب الله عز وجل .

٣ ــ : التزام مراعاة الحكمة والموعظة الحسنة فى الدرس بحيث يتجنب كل ما من شأنه إثارة الجدل والخلافات العقيمة ، والاكتفاء بتقوية الإيمان فى نفوس الناس ، وتقوية ملكة التقوى فيها ، والتدرج بهم شيئاً فشيئاً الى طاعة الله تعالى وترك معاصيه .

ثانياً ــ المحاضرة : وهى من وسائل الدعوة ذات التأثير الكبير فيها ، فالداعى يلجأ الى المحاضرات من الوقت الى الوقت عندما يرى أن ذلك ضرورياً لنشر دعوته وإبلاغها للناس فيتخير موضوعاً هاماً يعده إعداداً خاصاً ، ويحاضر فيه الناس ، فلا يفرغ من إلقاء محاضرته حتى يكون قد ترك فيهم أثراً ، وغرس بينهم شجراً يجنى ثمره لدعوته بعد حين .

ثالثا ــ الكتابة : وتشمل التأليف والصحافة والنشرة ، فيتخذ الداعية من هذه منبراً لدعوته يبلغها منه الى الناس ، ويصلح بها من فسادهم . فالكتب والرسائل الصغيرة والنشرات كالكتابة فى المجلات والصحف السيارة كل ذلك لون من ألوان الدعوة ، ووسيلة من وسائلها ، فإذا لم يجد الداعية وسائل اخرى لجأ الى هذه الوسيلة ينشر بها دعوته الى الناس ويبلغهم إياها .

رابعاً ــ الجمعيات الخيرية والاصلاحية : تكوين الجمعيات فى المدن والقرى تحت اسم الخير والاصلاح ؛ لتنظيم العمل الخيرى والاصلاحى وتوجيهه حتى يثمر ويحقق الخير والاصلاح من وسائل الدعوة وخططها ، وبها يتمكن الداعى من نشر دعوته وتعميمها بين المواطنين ، وقد تكون هذه أهم وسائل الدعوة وخططها النافعة لاسيما فى المدن والقرى الكبيرة حيث يكثر السكان ويتعذر الاتصال بكل فرد منهم .

خامساً ــ الاندية الثقافية والرياضية : من الوسائل التى يلجأ اليها الداعى فتح الاندية الثقافية أو الرياضية ليتسنى له بواسطتها نشر دعوته وابلاغها الى الناس . ففى النادى يحاضر ، ويعقد الندوات العلمية ومن خلالها يوجه القلوب الى الله ويربط النفوس بخالقها . كما أن فتح نادى رياضى يمكن الداعى من الاتصال بالمرتاضين وإصلاح أعمالهم ، وتهذيب سلوكهم ، كما يتمكن من توجيههم ــ بحكم رياسته عليهم ــ الوجهة الاسلامية الصحيحة التى يريدها لهم ، ويرغب فى حملهم عليها أداء لرسالة دعوته ، وقضاء لواجب نشرها وابلاغها الى كل الناس .

سادساً ــ المراكز التبشيرية : كالمسجد والمدرسة والمستشفى فالمسجد يكون وسيلة للدعوة والتبشير بها إذا بنى فى بلد غير اسلامى كأوربا واليابان مثلاً وزوّد بإمام صالح يقيم فيه الصلاة ، ويجلس فيه لتعليم مبادئ الإسلام ، وعرضها بالحكمة على من يرد عليه فى المسجد من غير المسلمين ومن بعض المسلمين ان كانوا .

واما المدرسة والمستشفى فهذا النوع من وسائل نشر الدعوة ينفع كثيراً فى البلاد الفقيرة والمناطق المتخلفة اقتصادياً كبعض بلاد افريقيا .

فافتتاح مراكز للدعوة يشتمل الواحد منها على مدرسة ومستوصف صحى . المدرسة تعلم الدين واللغة العربية ، والمستشفى يفحص الأمراض ويعطى الدواء. كما يقوم المركز بتوزيع بعض الملابس على التلامذة سنوياً ، ويسد حاجة الطالب من الطعام الضرورى يومياً مهم جداً لنشر الدعوة الإسلامية إذ قد ثبت أن هذه المراكز من أهم وسائل نشر الدعوات فى مثل تلك البلاد ، فقد نجحت فيها الإرساليات التبشيرية المسيحية أكبر نجاح فانتشرت فيها المسيحية بصورة كبيرة حتى اصبحت عقيدة أغلب السكان فى بعض تلك البلاد الأفريقية .

د ـ كسب الأنصار

المراد من كسب الأنصار طلب رجال من ذوى الشأن والتقوى فى البلاد ليكونوا عوناً للداعى وأنصاراً له تعتز بهم الدعوة ، وتنتصر على أيديهم كما طلب ذلك موسى عليه السلام لدعوته حين قال: ﴿ **واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى** ﴾ . وقال: ﴿ **وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى** ﴾ فأجاب ربه عزوجل بقوله: ﴿ **سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً** ﴾ وكما طلب ذلك عيسى عليه السلام حين قال للحواريين: ﴿ **من أنصارى الى الله** ﴾ فأجابوه قائلين: ﴿ **نحن انصار الله** ﴾ ومثل موسى وعيسى فى طلب الأنصار وكسبهم لدعوة نبينا محمد ﷺ فقد كان يقول: « اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب» وأسره إسلام عمر سروراً بالغاً لما كان يرى فى إسلامه من تأثير فى الدعوة وفعلاً فقد انتقلت به من السرية التى كانت تعيش فيها الى الجهر بها واعلانها فى اوساط المشركين كما كان ﷺ يجزل العطاء لذوى المكانة فى نفوس أقوامهم بتآلفهم بذلك لما يعلم فى اسلامهم من نصرة للدعوة وأهلها وقد شرع الله فى الزكاة سهماً للمؤلفة قلوبهم ، ومهما يكن من أمر فان كل داع صادق فى دعوته يهمه أمر نجاحها يجد نفسه مضطراً الى البحث على من ينصره فيها ويعينه على نشرها وابلاغها ، وقد تكون هذه سنّة متبعة لدى كل أصحاب الدعوات على اختلاف دعوتهم وتباين أهدافها ومراميها .

طريقة كسب الأنصار

وليس المهم وجود رغبة للداعى فى كسب الانصار ولا فى ان يعلم أن كسب الانصار ضرورى لنجاح دعوته فحسب بل المهم اكثر هو أن يعرف الطريقة التى يتوصل بها الى كسب من يريد من الانصار لدعوته ولعل من المفيد فى هذا الشأن أن يتبع الداعى الخطوات التالية :

١ ــ الاتصال الشخصى: وهو ان يعلم الداعى أن شخصاً ما فى بلد ما يتمتع بسمعة طيبة أو نفوذ بين الناس مع كمال المروءة والشرف فيرى ان انضمامه الى الدعوة وقبوله لها سيكون ذا أثر فيها بما له من نفوذ مادى أو سلطان روحى بين أهل المجتمع الذى يعيش فيه فيقصده الداعى الى منزله ويتعرف إليه ويذكر له أهداف الدعوة الإصلاحية ومقاصدها الخيرية ثم يعرض عليه أن يكون من انصارها والعاملين علي نشرها والتمكين لها ويخبرء بأنه يرجو له أن يكون ممن يجرى الله على أيديهم الخير وأنه لا يزيده الله بهذه الدعوة الا رفعة وجاهاً بين الناس ، وبمثل هذه الطريقة يمكن استمالة الكثير من الناس ونقلهم الى صفوف الدعوة ومحيطها .

٢ ــ المراسلة:وهو أن يتصل الداعى ببعض الاشخاص النابهين ذوى الشأن ممن يرجو أن يكون لهم تأثير ما فى الدعوة إذا هم انضموا الى ركبها وذلك من طريق ارسال المؤلفات والرسائل والنشرات التى تحمل اسم الدعوة وتمثل مبادئها ثم يعرض عليه رغبته (كتابة) فى انضمامه الى الدعوة ومشاركته الفعلية فى خلقها لما فى ذلك من الخير له ولبنى جنسه من الناس .

٣ ــ الاكرام الشخصى : وهو ان يقوم الداعى بدعوة من يراه ذا اثر فى تقوية الدعوة ونصرتها فيدعوه الى منزله ويكرمه ويبالغ فى اكرامه ويكرر ذلك معه بتآلفه به ثم يعرض عليه الانضمام الى انصار الدعوة والمؤيدين لها وذلك برفق وتدرج حتى يتمكن من نقله الى محيطها ورفعه الى مستوى الداعين اليها وذلك من طريق التودد اليه والتقرب منه بإكرامه وإحسانه إليه .

٤ ــ الإحسان الخاص : وذلك بأن يتعرف الداعى الى ذوى العوز والحاجة فى البلد وينتخب منهم من يراه صالحاً للدعوة فيخصه بمساعدات مالية شهرية أو سنوية إعانة لهم على حياتهم ومساعدة على زمانهم يفعل ذلك جمعاً لقلوبهم على

الدعوة وترغيباً لهم فى نصرتها وحمايتها والذود عنها .

٥ ــ التكوين الشخصى : بأن يخص الداعية بعض الاشخاص ممن يحضرون دروسه ويغشون مجالسه بمزيد عناية فيكون منهم أفراداً تكويناً روحياً قوياً يصبحون معه خلفاء له فى دعوته وحواريين يمثلونه فى دعوته غيبة وحضوراً لما افرغ فى نفوسهم من روحه وإيمانه حتى اصبحوا صورة منه ومثلا له لايختلفون عنه فى كثير من الخصائص والصفات وهذه الطريقة تعتبر من أهم طرق تكوين الانصار وكسبهم إذ هى الطريقة التى كوّن بها رسول الله ﷺخلفاءه الراشدين وغيرهم من صحابته الهادين الأمر الذى أصبحوا به أمثلة عالية فى السموالروحى والكمال النفسى وخلفوه فى الدعوة الإسلامية ونشرها فى انحاء العالم بصورة كبيرة ، هذه بعض طرق كسب الأنصار وللداعى استعمال ما يراه منها أقرب الى تحقيق غرضه أو ما يتهيأ له منها إذ ما كل داع فى إمكانه أن يسلك كل الطرق وإنما يسلك منها ما يتيسر له ويكون فى قدرته واستطاعته .

هـ ــ الثبات عليها :

ثبات الداعى على دعوته ووقوفه صامداً فى وجه اعدائها والمناوئين لها لا يلين له جانب ولا ينهزم له روح ومهما كان التهديد والوعيد ومهما بلغ التنكيل والتعذيب أكبر عامل من عوامل نصره فى دعوته ونجاحه فى تحقيق اهدافه فيها ، وتغيير الخطط وتلوين الأساليب لا يعد انهزاماً للداعى ولا عدم ثبات كما أن مهادنة الأعداء أو الصفح عنهم أو الإغضاء أحياناً عما يرتكبونه من شر وفساد لا يُعد انهزاماً من الداعى ولا عدم ثبات له على دعوته لأن كل ذلك قد تفرضه الظروف وتجره الأحوال ويقع مثله للدعاة فى كل زمان ومكان إذ الانهزام وعدم الثبات الحقيقيين من الداعى هو ان يتخلى عن جوهر دعوته ويترك أسسها التى قامت عليها ، تنهار أمامه وتسقط وهو لا يحرك ساكناً أو يتنكر لها بجحودها وعدم الاعتراف بها أو بالعمل الذى يتنافى معها ولا يتفق ومبادئها وتعاليمها .

وقد هادن النبى ﷺ قريشاً بعض الوقت كما وادع اليهود عند قدومه المدينة وعقد مع بعض قبائل العرب معاهدات صلح ومهادنة فى حين أنه ﷺ لم يرض أن يتنازل عن دعوته قيد شعرة ولم يفتتن بكل المغريات من العروض التى قدمت له مقابل التنازل عن دعوته أو السكوت عنها فكان يرفض كل مطلب قد يراد منه النيل من الدعوة أو القضاء عليها ، ذلك وهو فى أصعب الظروف وأشد الاحوال

حتى وهـو محاصر فى شعـب أبى طالب يقول كـلمته الخالدة: « والله يـا عم لو وضعوا الشمـس فى يمينى والقمر فـى يسارى على ان أترك هذا الأمر مـا تركته أو أموت دونه » .

وكان ﷺ يوصى أصحابه بالثبات ويحثهم عليه فكانوا يتحملون ألوان العذاب وصنوف الاضطهاد فلا يردهم ذلك عن مبدئهـم ولا يجعلهم يتنكرون له وقد مات من مات تحت العذاب وهو ينشد :

فلست أبالى حـين أُقتل مسلماً   على أى جنب كان لله مصرعى

فذلك فى ذات الإله وإن يشأ   يبارك علـى أوصـال شلـو ممزع

كل هذا عائد إلى التربية النبوية التى رباهم عليها رسول الله ﷺ قائدهم وإمام دعوتهم وإلى ما كان القرآن الكريم يغذى بـه ارواحهم ويقوى به عزائمهم ويثبت قلوبهم من قصص المـؤمنين وأحوالهم المشابهة لواقع حياتهم ومـا هم عليه كقصة أصحاب الأخدود وغيرها من قصص تسلط الـباطل فيها على أهل الحق فى فترات من الـزمن إمتحـانا لاهله وتمـحيصاً لـهم ﴿ **قال المـلأ الذين اسـتكـبروا من قـومه لنخرجنك يا شعيـب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ فى مـلتنا قال أو لو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملـتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها إلا أن يشـاء الله ربنا وسع ربنا كل شىء علما على الله توكـلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** ﴾ .

وهدد فرعون السحرة المؤمنين بالصلب والـقتل إن لم يتنازلوا عن إيمانهم بالله فرفضوا فى إباء وشـمم ورضوا بالموت على ان يتركوا إيمانهـم وأسلموا ارواحهم لله وقالوا: اقض يا فرعـون ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنـيا وقالوا: ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين .

ومن هذا كله تتجلـى حقيقة الثبات على المبدأ وتلوح أعلام الـطريق للسالكين فلا يظن الـداعى أن طريقه دائماً مـحفوف بالأزهار والرياحـين ولا ان أيام دعوته كلها افراح ومسرات وإنما عليه أن يوطن نفسه على ركوب الأخطار واقتحام المشاق ومجابهة الصعاب ، وليكن زاده فى ذلك وسلاحـه فيه صلته بربه وإيمانه بنصر الله لأوليائه فقد يسهل عليه ما يلاقيه من العذاب ويهون عليه إن هو فاز بروحانية كبيرة تجعله يـستعذب العذاب فى ذات الله ويرتـاح للألم فى سبيله وهـذا بلال بن رباح

يسحب على الرمضاء فى القيظ وشدة لهيب الشمس فيقول مردداً كلمة التوحيد لما يجد لها من أثر برد الراحة فى قلبه :

أحد !! أحد !!

ومات ياسر وزوجته سمية تحت العذاب بعد أن عرض عليه كلمة كفر يقولها فيتخلص بها من العذاب فقال : والله ما كنت لألوث لسانى بالكفر بعد أن طيبه الله تعالى بالإيمان .

ومات خبيب شهيداً وهو يردد قوله :

ولست أبالى حين أُقتل مسلماً على أى جنبٍ كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

وتساقط الشهداء فى ميادين الجهاد دفاعاً عن دعوة الحق ونصراً لها وتعطرت الأرض بدمائهم الزكية فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا وأخيراً فالثبات على المبدأ وإن كان صعباً فانه مما لا يجد الداعى عنه محيصاً متى أراد نصر دعوته وبلوغها أهدافها فى الحياة ومن لم يعط الثبات فقد حرم النصر وباء بالخيبة والفشل وذلك ما يتحاشاه النبلاء ويأباه المصلحون فاسأل الله أيها الداعى الثبات واستعذ به تعالى من النكوص على العقب والرجوع إلى الوراء فقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الحور بعد الكور .

آداب الداعى

أو

ما ينبغى أن يكوّن عليه الدعاة من الصفات

أ ـ الصبر على الأذى فيها :

من لوازم الدعوات الاصلاحية بين الناس أن يتعرض أصحابها للأذى الشديد فى سبيل إبلاغها للناس ، ونشرها بينهم ، وذلك أن تحويل عقيدة الانسان وتغييرها من الصعب بمكان ، كما أن الخروج بالانسان من عاداته ومألوفه صعب عليه ، شاق على نفسه ، لا يفتأ يدافع عنه ، ويقاتل دونه حتى ينتصر فيه ، او يغلب عليه . فلذا كان من الضرورى أن يلقى الدعاة الأذى فى سبيل دعوتهم وأن يصابوا بالمكروه من أجلها كسنة إلهية لا تتخلف .

ورحم الله شيخ قريش ورقة بن نوفل إذ يقرر هذه الحقيقة بقوله للنبى ﷺ إبان ظهور نبوته : ليتنى فيها جذع ، ليتنى اكون حياً ، إذ يخرجك قومك . فيقول له رسول الله ﷺ :«أو مخرجى هم ؟»فيقول : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا أوذى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب (١) ورقة أن توفى . وترك رسول الله ﷺ وما أخبره به ، وقرره له من سنة الأذى والعداء للدعاة الصالحين . وحقاً فقد كانت كما أخبر سلسلة من الأذى متصلة الحلقات ما بين سب وشتم ، ونفى وتشريد ، ثم صراع دام ، وقتال مرير لم ينته إلا بمجىء نصر الله عند آخر حلقة من حلقات الأذى المكتوب على الدعاة الصالحين ومن اجل هذا كان من أهم ما ينبغى أن يكون عليه الداعية من الآداب النفسية التحلى بصفة الصبر وتحمل الأذى فى ذات الدعوة ، وفى سبيل نشرها .

فليصبر على بطء الدعوة ، وتعثر سيرها ، وعلى ما تصاب به من جزر ومد، وانتصار وانكسار ، الأمر الذى يضجر له الدعاة عادة ويسأموا منه ، ويملّوا السير فيه حتى ييأسوا من انتصار دعوتهم ومن بلوغها غايتها وأهدافها ، ﴿ **حتى إذا**

---

(١) لم يتعلق بأمر من الأمور ، أى لم يلبث حتى مات .

استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ﴾ .

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ﴾ .

فليتذرع الداعية بالصبر ، وليوطن نفسه عليه ، ولا يستعجل أمر نجاح دعوته، فان استعجال الأمور قد يؤدى الى الحرمان منها ، وليرضيه من دعوته : انها دعوة حق وخير ، وأنه مأجور على حملها ، معذور على عدم نجاحها : **﴿ إنك لا تهدى من احببت ، ولكن الله يهدى من يشاء﴾ ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾** وليتحمل الأذى فى سبيل إذاعتها والجهر بها ، واعلانها بين الناس وعرضها عليهم، وليكن ذلك فى غير كلل ولا ملل ، ولا خوف ولاوجل إذ الداعى مأمور بعرض دعوته على القريب والبعيد والعدو والصديق وهذا من شأنه أن يسبب له الأذى ، ويجر عليه البلاء فليتحمل ذلك وليصبر عليه حتى ينجز الله له وعده ويفتح عليه وينصره فيبلغ بدعوته مداها وبرسالته منتهاها ، ومما يكون عوناً للداعى على الصبر والتحمل فى سبيل دعوته أن يذكر دائماً ما كان يمس اخوانه الدعاة من بأساء وضراء وما كان يصيب امثاله من شدة وأذى ؛ فإن فى ذلك ما يهون عليه المصائب، وما يخفف عليه العناء .

فليذكر ما اوعد به نوح وهدد: **﴿ لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين ﴾** .

وما حكم به على إبراهيم إمام الموحدين: **﴿ قالوا اقتلوه أو حرّقوه ﴾** .

وما تؤومر به على امام المرسلين وقائد الغر المحجلين : **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ﴾**. وما كان يلقاه هو واصحابه البررة الاخيار من صنوف الأذى وألوان العذاب : فقد قام مرة ﷺ يصلى حول البيت فجاء احد المشركين بسلى جزور فوضعه على ظهره الشريف ،وأعداء الدعوة يضحكون فرحين بما صنع اخوهم بنبى الدعوة ﷺ وشكا إليه أصحابه ما يلاقونه من أعداء دعوتهم من أذى وعذاب ، فأجابهم ﷺ بقوله: « لقد كان فيمن قبلكم يؤتى بالرجل فيحفر له فى الأرض ويوضع المنشار على مفرق رأسه فينشر به، ويمشط مادون عظمه من لحم وعصب فلا يرده ذلك عن دينه . فاصبروا»!!

ب ــ الغيرة عليها :

الغيرة على الدعوة علامة حبهـا ، والإيمان بها ؛ إذ من لا يغار على دعوته لا يحبها ، ومن لا يغضب لها لا يؤمـن بها . فإذا كان الداعى يرى دعوته تهان ، أو تنقص ولا يغار علـيها ولا يغضب لها كان من غير شك غيـر محب لها ولا مؤمن بها بـأنها دعوة حـق وخير . فلـذا يجب على الـداعى إذا كان قلـيل الغيـرة على دعوته ، فاتـر الذب عنها ، لا يمتعض ان اسـتخف بها ، ولا يغضب ان انـتهكت حرماتهـا كان عليه أن يقوى إيمـانه بها ، ويوفر لهـا من نفسه الحب الكـافى حتى يصبح على حـال يغار معه عليها ويغـضب من أجلها . ويومئذ فقـط يكون صادقاً فى دعوته مخلصاً لله تـعالى فيها ، فيتوفر له بذلك أكبر عـامل من عوامل نجاحها وهو الصدق والاخلاص .

حقيقة الغيرة :

والغيرة ليسـت مجرد انفعال باطنى فى النفـس لا أثر له فى الخارج ولا وجود له بين الناس ، وإنما هى تلون فى الوجه ، وحدة فى الصوت ، وبطش باليد حتى يتغير المنكر ويزول .

دخل إبراهيم النبى عـليه السلام على بهو الآلهة فى بابل الـعراق فشاهد تلك الهياكـل الحجرية وهى تمثـل الباطل فى أكبـر مظاهره ، وأعظم صـورة من صوره فحركته الغيرة على دعوته ودفعته حيث مال علـى تلك التماثيل يفتك بها ويحطمها حتى جعلها جذاذاً متهاوية وقطعاً متناثرة .

ويوم فتح مكة دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام فوجد حول الكعبة ثلاثمائة صنم كل صنـم منها يمثل الكفـر والباطل فاندفع نحوهـا غاضباً يحطمهـا ويكسرها وهو يقرأ قول ربه تعالى: ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ ودخل مرة ﷺ حجرة عائشة زوجته رضى الله عنهـا فرأى ستاراً فيه تصاوير فتلون وجهه وغضـب حتى عرفت ذلك منه فـقالت : أتوب الى الله . فقال: « يـا عائشة أشد الناس عذابـاً عند الله يوم القيامة الـذين يضاهون بخلق الله تـعالى» . وجاءه مرة أسامـة بن زيد وهو حبه وابـن حبه ﷺ جاءه يتوسـط لامرأة قريشية اتـهمت بسرقة حلى فى تخفيف عقوبة الحد عليها فكلمه فى شأنها فغضب كأشد ما يغضب ذو غيرة من الـبشر وقال : « أتشفع فـى حد من حدود الله يا أسامـة ، لو سرقت

فاطمة بنت محمد وهى بضعة منى لقطعت يدها ، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ،وإذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد » .

وكان ﷺ يقول: « إن الله تعالى يغار وغيرة الله ان يأتى العبد ما حرم الله عليه» .

فالغيرة على الدعوة إذاً من صفات الداعى الصادق فى دعوته المؤمن بها دعوة حق وخير ينبغى لها أن تسود وتنتصر .

جـ ـ التجرد لها :

إن التجرد للدعوة من ضروريات نجاحها ، والداعى الذى لا يتجرد لدعوته لا ينجح فيها ، ولا يبلغ بها غايتها من التعميم والانتشار .

معنى التجرد :

وللتجرد معنيان احدهما : الجد والاجتهاد يقال تجرد للأمر إذا جد فيه واجتهد فى تحصيله ، وثانيهما : التفرغ للأمر والانقطاع اليه والداعى الصادق لا غنى له عنهما بحال من الاحوال فالجد فى نشر الدعوة وابلاغها وتذليل الصعاب والعقبات فى طريقها أمر لا بد منه ، والاجتهاد فى التعريف بالدعوة وعرضها على الناس ، وتيسير طريق الوصول الى فهمها ومعرفتها أمر متأكد على الداعى لازم له متى أراد نجاح دعوته والوصول بها إلى أهدافها وغاياتها التى يتوخاها لها ويرجو ان تبلغها فى هداية الخلق واسعادهم فى الدنيا والآخرة .

كما أن التفرغ للدعوة والانقطاع اليها أمر لابد منه لنجاح الدعوة وبلوغها أهدافها .

فالداعى الذى ينافس الناس فى جمع المال ، او توفيره ، وفى متع الحياة ولذائذها ويسابقهم فى أنعم المأكل والمشرب ، وأفخر الملبس والمسكن ، ويجاريهم فى كسب الشهرة والحصول على الجاه والسلطان لا يمكنه أن يؤدى واجبه إزاء دعوته فضلاً عن ان ينجح فى نشرها وابلاغها للناس وهدايتهم بها .

وبناء على هذا فإن على الداعى أن يتجرد لدعوته تمام التجرد فيعمل الليل والنهار ويواصل العمل فى غير سآمة ولا ملل ، ويتخفف ما امكنه ؛ إذ لا يفوز الا المخففون فلا يسمح لنفسه ان تورطه فى جمع حطام الدنيا ، او تغمسه فى

شهواتها ، أو تجرفه الى محيط ابنائهـا الذين لا هم لهم الا الدنيا ولا غاية لهم فى الحياة الا الحصول عليها والفوز بها ولا يترخصنّ الداعى بقول الله تعالى: ﴿ **وابتغ فيـما آتـاك الله الـدار الآخرة ولا تنس نصـيبك من الدنيا** ﴾ فإن ذلـك يقـال لرجـل أطغاه الثراء ، وابطرتـه النعمة ، واسره جمع المال ، فلم يعرف بنـعمة المال المنعم بها ، ولم يشكره علـيها فلا تصدق ولا صلى ، فيرشد بمثل هذه الحـكمة القرآنية الى أن يطـلب بالمال سعـادة الآخرة وذلك بشكـر الله المنعم عـليه ، وبطاعـته فى أوامره ونواهيه والى أن لا ينسـى نفسه فيما لا بد منه لقيام البـنية ، والحفاظ على البدن سليماً يؤدى وظائفه التى خلق لها وذلك بالأكل من الطيب والشرب فى غير اسراف ، والسكن الصالح واللباس الكافى فى غير مخيلة أو فخر وخيلاء .

أما الداعى الذى هو من خواص البشر لا مـن سوادهم وعامتهم فإن رسالته تتنافـى مع التكالب عـلى الدنيا ، والانغمـاس فى شهواتها والجـرى وراء اكتساب الشهرة والتحصيل على الجاه أو السلطان والنفوذ وله فى أصحاب الرسالات الذين سبقوه الاسوة الحسنة والقدوة الصالحـة فرسول الله ﷺ لم يشبع من خبز فى يوم واحد مرتين حتى لقى ربه تبارك وتعالـى . وعمر بن الخطاب لم يجمع بين إدامين فى وجبة طعام قط . وعلى بن أبى طالب قال لـلدنيا : يادنيا غرى غيرى فإنى قد طلقـتك ثلاثاً فـلا رجعة لك لـى بعد. وعمر بـن عبد العـزيز التزم يـوم ولى أمر المسلمـين بأن لا يضع لبنة عـلى أخرى ما دام خليـفة للناس ، فوجد يـوماً خادماً يعالج إصـلاح درجة من درج سلم منزله فـنهاه عن ذلك وقال : لقد آلـيت على نفسى أن لا أضع لبنة على أخرى ما دمت متـقلداً أمر المسلمين . وعبد الحميد بن باديس « الجزائرى » اعتزل قصور والده وترك أموالـه ولزم معهد تدريسه لا يبارحه الليل ولا النهار يلـقى فيه اكثر من عشرة دروس يومياً فى شتـى العلوم والفنون ، ويحرر مـجلة الشهـاب ، ويتصدى لـلرد على الخرافـيين والمبطلـين والمستعـمرين المسيحيين طوال الحياة حتى وافاه أجله ولم يؤوه بيت ، أو تصاحبه زوجة أو ولد. غير أنه ربى جيلا وأصلح خلقاً كثيراً ، ونشر رسالة وأدى أمانة . وعبد العزيز بن باز يعرض عليـه بناء منزل له بالمدينة المـنورة فيرفضه ويرضى أن يعيـش كغيره من فقراء المدينة والمهاجريـن فيها جلساؤه الفقراء ، وطعامه المتيسـر ، لباسه ما يستر ، ويقى الحر والبرد ، صمته فكر ، ونطقـه ذكر ، راحته عمل ، وعمله جهد ، قل ما يقيل بالنهار ، أو يهجع بالليل .

هؤلاء هم أصحاب الرسالات ، وهذا شأنهم فى الحياة ، فما لهم لا يتعللون بآية: ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ .

إن من خداع الداعى لنفسه وغشه لها وتغريره بها أيضاً أن يظن أنه بإمكانه أن يجمع لها بين ترف الحياة ومتعها ، وبين قيامه بأداء واجب الدعوة وما تقتضيه من عمل وحرمان . هذه فرية من أعظم الفرى ، وعلالة النفوس المرضى .

وخاتمة القول على الداعى أن يتجرد لدعوته ان كان صادقاً فيها ، وأن يقبل على أداء رسالته ان كان مؤمناً بها ، ولا تلهينه الأمانى عن بلوغ الآمال . فالجد من لوازم الدعوات ، والاجتهاد من ضروريات نجاحها ، والتفرغ لها والانقطاع اليها أمر لا غنى عنه .

فأيها الداعى تفرغ لدعوتك وانقطع لها تفز بنجاحها وتظفر بانتصارها .

د ــ الصدق فيها :

صدق الداعى فى دعوته يتمثل فى قوله وفى عمله ، كما يتمثل فى تفكيره وتقديره .

فأما صدقه فى قوله فيجب أن يكون الداعى صادق اللهجة بحيث لا ينافق فى قوله ، ولا يداهن فيه على حساب دعوته بل عليه أن يقول الحق ، ويصر على التمسك به ما دام هو الحق ؛ لأنه لا أضر على الداعى من القول بغير الحق أو التراجع عن الحق بعد معرفته والقول به : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ .

﴿**ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله** ﴾ .

وأما صدقه فى فعله فينبغى أن يكون الداعى متصفاً بالجدية فى فعله بحيث لا يتردد فى فعل عزم عليه ، ولا يتركه بعد الشروع فيه حتى ينفذه وينجزه فانه ما صدق فى فعله من تردد فيه أو تركه بعد الشروع : ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾ .

﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾ « ما كان لنبى أن يضع لأمته على رأسه فيضعها قبل أن يحكم الله بينه وبين عدوه » .

إن التـردد فى العـادة لا يكون الا نـتيجـة ارتياب وشـك والشك والارتـياب يتنافيان مع الايمان واليقين ، والإيمان والـيقين من أخص صفات الداعى ومن أهم عناصر نجـاحه فى إبلاغ دعوته ، فإذا فقـدهما فقد فقدَ كل شـىء . كما أن ترك العمـل بعد المضى فـيه يعتبر عـنوان الضعف ، وعـلامة فقدان الارادة والبـصيرة وفقدانهما يترك الداعى كالحجر لا ينفع ولا يضر وموجز القول فى هذا أن الصدق فى الـعمل يـتنافـى مع الكـسل ، ويتجـافى عن الـتردد ، ولا يتـفق مع الحـيرة والتخبط. والداعى الصادق هو من اتصف بالحزم والمضاء ، وعرف بصدق العزم. وقوة الارادة ونفاذ البصيرة وأما صدقه فى تفكـيره وتقديره فانه يحتم عليه أن يزن الأمور دائماً بميـزان الشرع والعقل . وأن يقدر الاشـياء بحسب طبائعـها وسنة الله فيها ؛ إذ ليـس من الصدق فى التفكـير والتقدير أن توزن الأمور بمـيزان الشهوات والأهواء ولا أن تقدر الأشـياء بالعوارض التـى لا تلبث أن تزول ، ولا بالـرغبات التى تقل وتكثر وتوجد وتنعدم ؟ .

وأخيـراً فعلى الـداعى أن يصدق فـى دعوته وذلـك بصدق لهـجته فى قـوله وبصدق عمله فى انجازه وتـنفيذه وبصدق تفكيره وتقديره بضـبط الاشياء وتحديدها والنظر إلى مآل الامور وعواقبها وليـعلم أن الداعى اذا خلا من الصدق فى دعوته والاخلاص لله تعالى فيها أنه لا يعدو ان يكون أحد رجلين مرائياً حسبه من دعوته أن يكتب كلمة فى صحيفة . أو يقول كلـمة على منبر أو يخطب فى جمهور ، أو يؤلف رسالة أو كتاباً فيثنى عليه الناس ويهنئونه بذلك .

أو مرتزقاً يأكـل بدعوته فيكفيه منـها أن يجلس على كرسى الـتدريس وحوله الناس يستمعون له ويصغون لما يقول ،ويتقاضى راتباً شهرياً أو مكافأة سنوية يعيش عليها شأنه شأن سائر الناس وعامتهم .

وليعلم ايضاً ان الداعى الصادق فـى دعوته هو رجل سرى حب دعوته روحاً فى جسـمه فأنطق منـه اللسان ، وحرك منـه البنان ، واستـولى على المشاعـر منه والوجدان ، فاصبـح يعيش لدعوته لا لنفـسه ، فلا يرضى بغير انـتصارها ولا تقر عينـه بغير نجـاحها ، لا يرى غيـر مشغول بـها ، ولا مفكراً فـى غير أمر نجـاحها وبلوغها غـاياتها ، خاطره لا يطيـب الا عند الحديث عنها ، وجـسمه لا يرتاح إلا بالعمل لها وأن من لم يكن من الدعاة بهذه المثابة فهو داع غير صادق فى دعوته ،

أو دعى فيها ملصق بها ، غير اصيل ولا سليل ، دعوته لها تصد عنها ، وانتسابه اليها ينفر منها ، فمن الخير له ولها ايضاً ان يريح نفسه منها ويريحها من نفسه ، فإن ذلك خير ، وأحسن تأويلا .

هـ ـ قوة الصلة بالله عز وجل :

الداعى فى امس الحاجة الى بصيرة ناقدة ، والى ارادة نافذة ، والى عون علوى لا ينقطع يتمكن بها من أداء رسالته ، وإبلاغ دعوته ، على اكمل الوجوه واحسنها . وقوة الصلة بالله تعالى هى التى توفر له ذلك وتمده به .

وبناء على هذا فان اتصاف الداعى بصفة قوة الصلة بالله تعالى اتصافاً حقيقياً أمر ضرورى لابد منه للداعى ولا غنى له عنه بحال .

ومعنى قوة الصلة بالله تعالى : أن يكون للداعى مجال من طاعة الله تعالى ، ومراقبته ، وذكره وشكره ، والرهبة منه والرغبة اليه بحيث تصفو نفسه ، وتزكو روحه ، وتفضل أخلاقه ، وتصح عقيدته ، ويعظم يقينه ، ويصدق لجؤه ويكبر رجاؤه وتقل رغبته فى الدنيا ، وتكثر فى الآخرة . فإنه بصحة العقيدة وقوة اليقين يعظم جانب التوكل فى نفسه فيصبح ذا قوة روحية لا تدفع ، وقدرة معنوية لا تقهر .

وبصفاء الروح تعظم فراسته وتصدق ظنونه ، وتصيب تقديراته . وتسمو أخلاقه ،ويكبر حلمه ، ويكثر صفحه ، ويقل عنده حب الأثرة والنفس وينعدم داعى الرغبة فى الشر والانتقام . وبرجائه فى ربه يتواصل عمله ، ويستمر نشاطه، ويستديم جهاده فى نشر دعوته وابلاغ رسالته .

وبقلة رغبته فى الدنيا وبزهده فيها يقوى عنده جانب خلق العفة والنزاهة ، فيعطى الناس فضله ويمنحهم رفده ، فيحترم بينهم ويسود فيهم ، لأن الناس لا يسودهم الا من استغنى عنهم وافتقروا اليه .

وبمثل هذه الخلال الفاضلة ، والصفات الحميدة والتى هى ثمرات قوة الصلة بالله عز وجل ويكتسب الداعى القوة المطلوبة له ، والعون الضرورى لمثله وهو يخوض معركة العقول والافكار مرة ، ومعركة الحديد والنار مرة أخرى .

فصبر رسول الله ﷺ ، وقوة توكله وشدة صبره وعظمة شجاعته ، كيقين أبى

بكر الصديق ، وفراسة عمر ، ونور عثمان، وكحكمة على وشجاعته ، وفقه ابن عباس ، وعدل ابن عبد العزيز كل ذلك ما كان الا نتيجة لقوة الصلة بالله تبارك وتعالى وها هى ذى آيات كتابه تقرر هذه الحقيقة وتثبتها : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** ﴾،﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ ، ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً** ﴾، ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان** ﴾، ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا** ﴾ ،﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا** ﴾ .

وفى الحديث الشريف يقول الله تعالى :« من آذى لى ولياً فقد آذنته بالحرب. ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، لئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » .

وأخيراً فعلى الداعى أن يعرف هذه الحقيقة ويعمل على تقوية صلته بربه تعالى الى أن تثمر له ما هو فى امس الحاجة إليه من البصيرة الناقدة ، والإرادة النافذة ، والعون الالهى الذى لا ينقطع وحينئذ يمكنه أن ينتصر فى معركة الدعوة، وينجح فى ساحة البلاغ .

نماذج وأمثلة

وهذه أمثلة صادقة ونماذج ناطقة تمثل مواقف شتى للدعاة الصالحين ، وهم يصارعون الباطل فى صوره المختلفة من كبر ــ وتقليد ــ وحسد ــ ونفعية وهوى. نختم بها هذه المذكرة رجاء أن يجد فيها الداعى ما يكون عوناً له على تحمل اعباء رسالته ؛ إذا هو ائتسى بالدعاة السالفين فى نشر دعوتهم ، فتحمل وصبر كما تحملوا وصبروا . ولم يضجر او يعجز كما لم يضجروا ولم يعجزوا ، ومن قبل قال الله تعالى للرسول ﷺ : ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** ﴾ .

أ ــ باطل الكبر: ــ

الكبر من الحوائل الكبيرة التى تحول عادة دون قبول المستكبرين للحق وإذعانهم له إذ الكبر كما قال الرسول ﷺ : « بطر الحق ، وغمط الناس » فاخطر ما يواجه الداعى من صنوف الناس المتكبرون فهم شر من يدعى الى الحق فيأباه ، والى الخير فيرفضه والطريقة التى تتبع فى دعوة هؤلاء ، ومعالجة كبريائهم هى القول اللين ، والعبارة الصادقة النزيهة مع عدم إطماعهم فى النزول اليهم أو الخضوع لكبريائهم بحال من الاحوال ، ولنأخذ لذلك أنموذجاً دعوة موسى عليه السلام لفرعون ؛ إذ قال الله تعالى له ولأخيه هارون عليهما السلام: ﴿ **اذهبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ فامتثل الرسولان أمر ربهما عز وجل ودعوا الرجل المتكبر بالقول اللين غير أن دعوتهما استمرت فى اطار الإصرار على احقاق الحق ، وعدم التنازل عن ذلك قيد شبر حتى أحق الله الحق على يد موسى وهارون وابطل الباطل بدعوتهما والله عزيز حكيم .

وبالرجوع الى الآيات القرآنية التى عرضت دعوة موسى لفرعون تتجلى حقيقة ما أشير إليه . من كبر فرعون وملئه وحكمة موسى فى دعوته وثباته عليها حتى نجاحه فيها بانتصاره وانهزام اعدائه .

ونموذجاً آخر :

كبر قوم نوح عليه السلام واصرارهم على الباطل واستكبارهم عن الحق ، فقد بعث نوح وقومه وثنيون يعبدون اصناماً آلهة دون الله رب العالمين . فقال :

﴿**ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾ . فصرفهم الكبر عن قبول الحق ، ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً** ﴾ وحملهم على الاستخفاف به وباتباعه فقالوا: ﴿ **ما نراك إلا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم اراذلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم كاذبين** ﴾ ودفعهم الطغيان الى أن قالوا : ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ .

ونوح عليه السلام يقابل كل تهديد ووعيد ، بصبر قوى شديد ، وكل استخفاف وازدراء بثبات ورباطة جأش بحيث لم تزل دعوته هى فى وضوحها وصرامتها وقوتها : ﴿ **ياقوم إنى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى** ﴾،﴿ **يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت ، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكُنْ أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من اجر ان اجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ .

حتى ختمت بما تختم به كل دعوات الحق والخير فى العالم وهو الظهور على الباطل ، والانتصار عليه: ﴿ **فكذبوه فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين** ﴾ .

وأنموذجا ثالثا :

شعيباً الرسول عليه السلام قال لقومه :﴿ **اعبدوا الله ، وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ، فكذبوه** ﴾ وقالوا: ﴿ **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا** ﴾ وسخروا منه واستهزأوا به وقالوا: ﴿**اصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى اموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد**﴾ وحملهم الكبر والغرور على أن قالوا له:﴿ **ما نفقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز** ﴾ وصبر شعيب على مقارعته لصنم الكبر ومقاومته للمستكبرين حتى وصل بدعوته إلى غاياتها حيث انتصر الحق بالحق وذهب الباطل وهلك المبطلون ، ووقف شعيب الداعى الحكيم امام منظر رهيب يشاهد قومه هلكى فى ديارهم جاثمين فيولى عنهم وهو يقول :﴿**يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين** ﴾.

ب ــ باطل التقليد :

ان تقليد الأبناء للآباء والخلف للسلف فيما يعتقدون ويعملون لمن الحوائل العظيمة التى تقف دون قبول المقلدين للحق ومعرفته ، بل كثيراً ما تدفعهم الى مناهضة الحق وأهله ، لكونه لم يكن مما يعتقد آباؤهم ، أو يعرفونه ومن هنا كان التقليد من اخطر ما يواجه الداعى فى طريق دعوته ، فليعرف هذا الداعى وليعلم أن العلاج الوحيد لمكافحة هذا الداء هو الدليل المنطقى ، والحجة النقلية الشرعية ، والبرهان العقلى فهذه الوسائل التى يمكنه ان يحرر بها المقلدين من أسر التقليد ، ويخلصهم من ربقته .

وكأنموذج : لمصارعة التقليد نذكر ابراهيم الخليل عليه السلام فلنعم المثال هو فى مقاومة باطل التقليد فقد قال لأبيه وقومه : ﴿ **ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون**﴾ .

فأجابه المقلدون : ﴿**وجدنا آباءنا لها عابدين** ﴾. فقال ابراهيم: ﴿ **لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين**﴾ فاستفهمه المقلدون : ﴿**أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟**﴾ فقال ابراهيم : ﴿ **بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين** ﴾ .

وسألهم مرة قائلا : ﴿**ما تعبدون**﴾ ؟ فأجابوه قائلين : ﴿**نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين** ﴾فاستفهمهم ليوبخهم ويقلع جذور التقليد من قلوبهم: ﴿**هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون**﴾ ؟ فأجابوه فى غفلة المقلد وأسر التقليد لا ﴿**إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون**﴾ .

وحاجوه مرة فى ربه فقال : ﴿ **أتحاجونى فى الله وقد هدان** ﴾ وخوفوه بأصنامهم فقال : ﴿ **وكيف أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شيء علماً ، أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟**﴾ .

واستمر إبراهيم يحارب التقليد فى أجلى صوره، وفى أعظم مظاهره وسلاحه ما قد بينا الحجج النقلية والادلة العقلية والبراهين المنطقية . حتى كسر أغلال التقليد ، وحطم أصنامه ورفع راية التوحيد ، وأعلى مناره .

جـ ــ باطل الحسد:

الحسد لا يقل شأناً فى باب الصوارف عن الحق والحوائل دونه بل هو أخطر من الكبر والتقليد إذ زيادة عن صرف صاحبه عن دعوة الحق والخير يحمله على الكيد للداعى والمكر به ما أمكنه ذلك وعليه فليحذر الداعى حسدة الناس وليكن منهم على وجل رجاء أن يسلم من أذاهم فى ذاته على الأقل .

أما دعوته فليعرضها عليهم فى صدق وصراحة وليدعهم إليها فى شجاعة ووضوح وما هم بضاريه شيئاً إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

وأصدق مثال لباطل الحسد نورده حسد اليهود لنبينا محمد ﷺ وأتباعه المسلمين . فإنه ما نزل ﷺ المدينة مهاجراً إليها من مكة حتى شرق اليهود بريقهم وحملهم الحسد أن كان النبى ﷺ من أولاد إسماعيل ولم يكن من بنى إسرائيل على أن ناصبوا الرسول العداء وحاولوا قتله بشتى الوسائل فسحروه وسموه [(١)] وحاولوا اغتياله بأخسّ الوسائط وحاربوه وألبوا العرب المشركين عليه . فعلوا كل هذا ورسول الله ﷺ واقف فى وجه اذاهم يدفعه بما استطاع من قوة ، ويدعوهم إلى الحق ويبينه لهم ويرغبهم فيه ويحذرهم مغبة معاداته وعدم قبوله حتى حكم الله بينه وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين . فلعنهم وأخزاهم ونصره عليهم .

د ــ النفعية .

المراد بالنفعية : أن شخصاً أو أشخاصاً ينتفعون بوضع ما من الأوضاع الفاسدة فيعز عليهم تغيير ذلك الوضع .

الأمر الذى يجعلهم يبذلون كل ممكن للحفاظ عليه ولو أدى ذلك إلى القتال دونه لما يرون من توقف أمر حياتهم على بقائه ووجوده وعلى سبيل المثال بائع صور أو تاجر خمر أو سادن ضريح أو قبر ، أو حاكم مستبد أو شريف مستغل فان كل واحد من هؤلاء لا يرضى بأية دعوة تحاول أن تغير وضعه الذى هو عليه ، وإن كان يعلم أنه وضع باطل أو فاسد وذلك حفاظاً على الذى يحصل له منه ، ولا سيما إذا كان أمر معاشه قائماً عليه ومن هنا كانت النفعية من أشد الحوائل ، وأصعب العقبات التى تحول دون قبوله دعوة الحق والخير ولعل من المفيد فى دعوة هؤلاء الانتفاعيين ان تقام دعوتهم على أساسين الأول : وعدهم بالخير ،

---

(١) اطعموه السم .

وبشارتهم بحال أحسن، ومستقبل أفضل . والثانى: أن يقدم لهم من النفع والخير ما يكون بعض العوض لهم عما يفوتهم بتغيير وضعهم الباطل الذى كانوا عليه .

ومن صور النفعية كحائل تحول دون قبول الحق والخير علماء اليهود واحبارهم على عهد رسول الله ﷺ ، فقد حملهم ما يحافظون عليه من رئاسة دينية لهم بين اليهود أن كتموا صفات النبى ﷺ فى التوراة وجحدوها وأولوها بأبعد التأويلات كل ذلك حتى لا يسلم اليهود فيفقدوا رئاستهم بينهم .

وصورة أخرى هى عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين بالمدينة فقد حارب الدعوة الاسلامية ، وناصبها العداء مذ أن دخلت المدينة ، حتى مات وذلك لأنه رأى أنها حالت بينه وبين ما كان يؤمله ويعيش له وهو ان يصبح رئيساً كملك بين الأوس والخزرج ، فقد كاد يصل الى هذا المنصب لولا أن دعوة الاسلام حالت دون ذلك بمشيئة الله تعالى .

هـ ـ الهوى :

اتباع الهوى أخطر ما يحول دون المرء وقبوله دعوة الحق والخير . حتى لا يكاد متبع الهوى يرجع عن باطل هو فيه أو ضلال يعيش عليه. قال تعالى: **﴿افرأيت من اتخذ إلـهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ﴾** ؟

وقال رسول الله ﷺ :إذا رأيت هوى متبعا (الحديث) فعليك بخاصة نفسك فى هذا ما يرشد الى عسر علاج مرض الهوى وأن صاحبه فرصة الهداية له قليلة.

وعليه فما على الداعى إلا أن يمضى فى إبلاغ دعوته ونشرها بين الناس معرضاً عن أصحاب الهوى غير ملتفت اليهم ، ولا مبال بهم ، حتى تخلفهم مواكب الدعوة وتصل الى فراديس جنانها وهم على أصنام الهوى فى جحيم الباطل عاكفون .

وختاماً فليذكر الداعى دائما أنه لا يملك من هداية الناس اكثر من نصحهم وإرشادهم وتبيين الحق لهم، أما هدايتهم فإلى الله دون سواه: **﴿ إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ﴿وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ﴾** .

الرسالة التّاسِعَة

الأخـلاق الإسـلاميـة

أو

ـ الحكمة العلمية ـ

كما يسميها علماء الأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـة

بسم الله رب العـالمين ، إله الأولين والآخرين والـصلاة والسلام على محمد المرسل رحمة للعالمين ورضى الله تعالى على آل نبينا وصحابته اجمعين .

وبعد :

لقد أطـبقت الشـرائع الالهيـة على فضيـلة الأخلاق الحسـنة وأجمعـت على ضرورة تربيتها فى النفوس وإصلاحها . مصداق ذلك قوله ﷺ :« إنما بعثت لأتمم صالح الأخـلاق » وفى لفظ « مكـارم الأخلاق » كما أجـمع علماء الاديـان عامة على شرف الأخلاق الفاضلة وسموها (بالحكمة العلمية) وفضلوها على العلم ، ولم يعـتبروا الفرد أو الأمة إلا بـالأخلاق الفاضلـة ، اشار الى هذا المعنـى أحمد شوقى فى قوله :

صلاح امرك للاخلاق مرجعه   فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقوله :

وإنما الامم الأخلاق ما بقيت   فان همُ ذهبت اخلاقهم ذهبوا

فلا غرو إذاً أن تقرر الجامـعة الإسلامية دراسة الأخلاق وتخصهـا بمزيد عناية واهتمام ، وأن تقررها فى كل من معهدها وكلياتها ضمن المواد الدراسية وأن تعنى بها عنايتها بغيرها من العلوم والمعارف الاسلامية الأخرى هذا :

وقد شاء الله تعالـى : ان تسند إلى إدارة الجامعة وضع مذكـرة فى هذا الشأن (الأخلاق الاسلامية) وإلقائها عـلى طلبة السنة الثالثة من كلية الـشريعة فاستعنت الله تعالى علـى ذلك وكتبت هذه المذكرة المبسـطة وألقيتها مع ما فـتح الله به على اثنـاء إلقاء فـصولهـا علـى التلامـيذ ورأيت اخـيراً ان تطـبع وتنـشر بـين الطلـبة والاخوان. رجاء عموم نفعها ، فيـسر الله ذلك . والحمد لله وها هى ذى المذكرة توضع بين يدى كل راغب فـى دراسة الأخلاق الاسلامية والتعرف إليها لـيكتسبها ويعيش فاضلا صالحاً عليها حقق الله ذلك لمبتغيه ، آمين .

الأخلاق الإسلامية

تعريف الأخلاق :

الأخلاق جمع خلق ، ويطلق لفظ الخلق على كل من الطبع ، والسجية ، والعادة ، والدين .

وحقيقة الخلق كما يقول ابن منظور صاحب لسان العرب : إنها صورة الإنسان الباطنة ، وهى نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها .

بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها ولتلك الصورة الباطنة اوصاف حسنة وسيئة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة اكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة .

ويعرف الغزالى الخلق فى كتابه إحياء علوم الدين تعريفاً دقيقاً .

فيقول : الخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة الى فكر وروية .

فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كانت تصدر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقاً سيئاً .

وبناء على هذا فلا الأفعال الجميلة والقبيحة ، ولا القدرة عليها تسمى الخلق الحسن أو القبيح وإنما الخلق الحسن أو القبيح هو الهيئة التى هى المصدر .

ويشهد لهذا ما لخص به رحمه الله تعالى تعريفه الدقيق هذا حيث قال : فالخلق إذاً هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة .

ولعلنا نزيد التعريف وضوحاً إذا قلنا : إن الخلق يطلق على كل من الافعال الحسنة والقبيحة ، وعلى المصدر الذى تصدر عنه تلك الأفعال وهى الهيئة النفسية وصورتها الباطنية، ويشهد للأول أى إطلاق الخلق على هيئة النفس وصورتها الباطنة رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله وقال الشاعر :

يا أيها المتحلى غير شيمته ... إن التخلق يأتى دونه الخلق

ويشهد للثانى اى إطلاق الخلق على الأفعال الحسنة أو القبيحة رواية الصحيح عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلق النبى ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، وكانت تعنى بذلك أنه كان ﷺ متمسكاً بآداب القرآن فاعلا لأوامره تاركاً لنواهيه ، متصفاً بما اشتمل عليه القرآن من المكارم والمحاسن والألطاف [1] .

تقسيم الخلق إلى غريزى ومكتسب

وينقسم الخلق عندهم الى غريزى ومكتسب ، فالغريزى: ما كان فطرياً فى الانسان مطبوعاً عليه لا يكد ولا يجد من أجل وجوده ، ولا حصوله عليه . وذلك كخلق حب الطعام والشراب ، وكالضحك ، والغضب ، وكالخوف ، والهرب وكالفرح والحزن ، عند وجود مقتضياتها ، أو مثيراتها ومن هذا جميع الغرائز البشرية كالتعجب ، وحب التملك ، وحب الاستطلاع .

وعلامة الخلق الغريزى أنه وراثى عام فى افراد الجنس كله ، وأنه يشارك الانسان فيه بعض الحيوانات الراقية .

غير أن إطلاق لفظ الغريزة أو الطبيعة على الاخلاق الغريزية أولى واصوب من إطلاق لفظ الخلق عليها ، كما يبدو مما سبق .

وأما المكتسب ، وسواء كان حسناً أو سيئاً فهو ما كان وجوده نتيجة رياضة وتمرين، أو عادة وتدين إذ الصورة الباطنة للنفس قابلة بإذن الله تعالى لتأثير التربية والرياضة فيها ، كما هى الصورة الظاهرة للإنسان ؛ لأنها بمثابتها .

إنه كما يمكن للانسان تحسين صورته الظاهرة وإصلاحها بإزالة الأوساخ والاقذار عنها ، وذلك بغسلها وتنظيفها أو باذهاب الامراض والاسقام عنها بمداواتها وعلاجها .

وكما يمكنه أيضاً تمرين لسانه على لحن من النطق خاص أو يده أو رجليه على حركة خاصة كالكتابة ، أو قيادة الدراجة مثلا ، ويصبح ذلك النطق ، أو تلك الحركة ملكة له لا يجد فى الحصول عليها أدنى كلفة أو مشقة وعسر .

يمكنه كذلك اصلاح الصورة الباطنة وتحسينها بالعبادات الشرعية التى وضعت

---

(١) الإحسان والإتحاف .

لغرض تهذيب النفوس وتزكيتها ، وإصلاح الأرواح وتطهيرها ، وبالآداب الدينية والعقلية التى تنمى بإذن الله ملكة الخير والجمال فى النفس ، حتى تصبح النفس طيبة خيرة تحب كل أنواع الخير وتميل اليها وترغب فيها كما تنفر من الشر وتكره الخبث وتبتعد عنهما .

ثبوت الأخلاق وتغيرها

وبناء على ما سبق فان الأخلاق بصورة عامة متغيرة غير ثابتة ، ومتبذلة لا لازمة إذ هى خاضعة لعوامل التربية فيها ، متأثرة بها ، فالاعتقاد والسلوك ، والبيئة والمعاشرة كل هذه تؤثر فى هيئة النفس الباطنة . فالعقيدة الصالحة السليمة تغير خلق الجبن والهلع الى خلق شجاعة وكرم ، والسلوك الصالح يغير خلق الفحش والانحراف الى خلق عفة واستقامة . والاقامة في البيئة الطاهرة ، والمعاشرة للجماعة الصالحة غالباً ما تؤثر فى الاخلاق والسلوك وتصلحها .

ومن هنا دعت الكتب الإلهية إلى تربية الاخلاق الفاضلة ، وحضت على ذلك فالرسول ﷺ يقول :« إنما بعثت لاتمم صالح الاخلاق » والله تعالى يمتن على المؤمنين بقوله: ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم** ﴾ ويأمر رسوله ﷺ أن يأخذ الصدقة من اموال المؤمنين لتطهيرهم من خلق الشح فيقول : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ .

غير أن التربية والمعالجة للأخلاق من أجل تغييرها ، أو إزالتها واحلال خلق آخر محلها قد يتعذر فى بعض الحالات ، ولا يكون للتربية والمعالجة أى أثر فى ذلك ؛ لتمكن الخلق السابق الذى يراد تغييره من هيئة النفس ورسوخه فيها .

وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة فى نفيه فى غير موضع للهداية التى هى الايمان بالمثل العليا ، ومن أعظمها الايمان بالله ورسوله وشرائعه ، والاستقامة التى هى النظاقة الروحية والسلوك الحسن ، عن الظالمين والفاسقين والمجرمين .

فى مثل قوله تعالى: ﴿ **واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾ وقوله :﴿ **فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ وذلك لان توغلهم فى الظلم والفسق والاجرام بعد استمرارهم عليه زمناً أصبح طبعاً لهم ، ووصفا لازماً

لا ينفك عنهم فحرموا هداية الله لهذه السنة الالهية وهى أن الفساد إذا اصبح طبعاً لصاحبه يحرمه الهداية حسب سنة الله تعالى فى تأثير الاعمال على النفوس .

تعديل الغرائز

وحتى الخلائق الغريزية فإنها ـ وإن كان الغالب فيها انها سجايا وطباع لا تتبدل ولا تتغير ، قد يمكن تعديلها أو توجيهها الي حيث يستفاد منها وينتفع بها ، فغريزة حب التملك مثلاً توجه الى حب العمل الجاد ،والكسب النافع ، وغريزة حب الاستطلاع قد توجه الى العلم والمعارف وتستغل فى ذلك ابعد استغلال . وهكذا فى الامكان توجيه أو تعديل الى حد ما كثير من الاخلاق الغريزية والانتفاع بها .

الأخلاق الاسلامية
وخصائصها

وصفنا الاخلاق بالاسلامية مفهم أن هناك أخلاقاً غير اسلامية وهو كذلك . غير أن وجود الفرق الكبير بين أخلاق المسلم وآدابه وبين أخلاق غير المسلمين من سائر الناس وآدابهم ، جعلنا لا نعتبر تلك الاخلاق والآداب الى جانب الاخلاق والآداب الاسلامية شيئاً .

وهذا ايضاً لا يعنى أن غير المسلم لا يكون له أى خلق فاضل ، ولا أى أدب سام رفيع ، إذ الواقع يشهد أن بين الناس من غير المسلمين من يعيش على بعض الاخلاق الكريمة ، ويتمتع ببعض الآداب الرفيعة ، وذلك كخلق العدل والرحمة والصبر والوفاء ، وكأدب المجالسة أو المحادثة ، والقول والمعاشرة وما اليها من الآداب أو الاخلاق التى يكتسبها الانسان بالدرس والمطالعة ، والرياضة والتمرين.

بيد أن اصالة الاخلاق الاسلامية وكمالها ، وخصائصها جعلتها ، تفوق كل الاخلاق وتسمو عليها وهذا عائد الى أن الاخلاق الاسلامية تدعمها عقيدة المسلم فى نفسه وينميها إسلامه فى سلوكه ، وعمله فليس منبعهما مجرد الفطرة الانسانية، واستحسان العقل البشرى .

كما هى الحال فى اخلاق غيره فحسب ، بل وتنبع من اصفى الينابيع واطيبها: الوحى الالهى ،والسنة المحمدية .

فلذلك كـان لها من الخصائص والمميـزات ما لا يوجد في غيـرها من اخلاق الناس وها هي ذى بعض تلك الخصائص التي امتازت بها نوردها كشاهد حق على ما نقول :

أ ـ شمولها

الأخلاق الاسلاميـة لا تقتصر علـى تهذيب الوجدان ، وتـنمية العاطـفة في الانسان ولا على تطهير النفس وارهاف الحس فحسب بل هى تشمل كذلك تهذيب الجوارح الظـاهرة وترويضها عـلى قول الحق ، وفعـل الخير ، وعلى ترك الـباطل واجتناب الشر وان كانت عنايتها بتهذيب النفوس واصلاح الأرواح اكثر من العناية بتهذيب الجوارح وتعويدها على التزام الحق ، وإتيان المعروف .

يشهد لصحة هذا وذاك ما في الوحي الالهى من مثل قوله تعالى: ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**﴾ .

وقوله تعالى ﴿ **قد افلـح من زكاها وقد خاب مـن دساها** ﴾ وقوله: ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين** ﴾ وقوله: ﴿ **ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب** ﴾ .

ففي قـوله: ﴿ **وسارعـوا الى مـغفـرة من ربـكم وجـنة عـرضهـا السـموات والأرض اعدت للمتقين** ﴾ دعوة الى ترك جميع الرذائل والآثـام الظاهرة والباطنة والى التخلى الكامل عن جميع النقائص والعيوب الخلقية والنفسية .

كما هى دعوة أخرى الى فعل جميع الصالحات والتحلى التام بجميع الفضائل الخلقية ، والكمالات النفسية .

وفي قوله: ﴿ **قد أفلح من زكاهـا ، وقد خاب من دساها** ﴾ دعوة صادقة الى تطهير النفس وتحليتها بالفضائل الخلـقية والكمالات النفسية مثل ما هى طلب إلهى بالابتعاد عن المؤثرات الخارجية على النـفس البشرية من الشرك والمعاصى ، وسائر أنواع النقائص والرذائل وفي قوله تعالى: ﴿ **وأحسن كما أحسـن الله إليك ولا تبغ الفسـاد في الأرض** ﴾ تربية للوجـدان وتنمية للعواطف ، وارهاف لـلحس وابعاد للمرء عـن رذيلة الشح والبخـل ،ونقيصة الظلـم والفساد ومن هذا قولـه تعالى: ﴿**ولا يأب كاتب أن يكـتب كما علمه الله فلـيكتب**﴾ في تربية الـوجدان الرحيم ،

والضميرالحسى والحس الصادق فإن التذكير بـحالة الجهل السابق ، وما أعقبها من العلم والمعرفة ، والمطالبة بالكتابة للمحتاج إليها شكراً على نعمة العلم بعد الجهل، والمعرفة بـعد عدمها لدعوة ربانـية الى تنمية العـواطف الانسانية وتهذيـب المشاعر البشرية ، وترقية للنفس حتى تصبح ذات كرامة فى الوجود .

ومن هذا قولـه تعالى: ﴿ **ولا تقف مـا ليس لك به عـلم ؛ ان السمع والـبصر والفؤاد كل أولئك كـان عنه مسؤولاً** ﴾ فإن فيه دعوة واضحـة الى تهذيب الجوارح الثلاث المذكورة اللسـان ،والسمع ، والبصر ، وتعويدها على أداء وظـائفها بعيدة عن الأذى والشر فاللسان ينبغى ان لا ينطق بغير الحق والعدل ، والخير والصدق، والسـمع ليـس له ان يسـمع الفـحش والـبذاء ، ولا الزور والـباطل والاخـتلاق والكذب من القول ، والبصر يجب ان لا يرسل يتتبع عورات الناس ، ويكشف ما يسترون .

ومنه ايضاً قوله تعالى: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ .

فإنها دعوة قرآنيـة الى تهذيب سلوك المسلم وإصلاحه ، فـالاختيال فى المشى والتكبر عن الخلق والاستطالة فى المنطـق ، والبذاء فى اللسان ، والعنف والغلظة فى المعاملة رذائل خلقية وسلوك فردى مذموم صرح هذا الوحى الإلهى بتحريمها ، والتنـفير منـها فكان ذلـك دعوة كريمة الى تـهذيب الجوارح وريـاضتها عـلى ترك الخلائق المذمومة وتعويدها على الاتـصاف بضدها من الخلال الحميدة ، والخصال الفاضلة الشريفة .

وكل مـاذكر وغيـره مما لم يـذكر وهو كثـير شاهـد صدق علـى أن الاخلاق الإسلاميـة شاملة ترعى الـظاهر والباطـن على حد سواء فـتهذب النفس وتـصلح السلوك بخـلاف غيرها من الاخلاق غير الاسلاميـة فإن نصيبها من تطهـير الباطن بتزكية النفـس وإصلاحها لا شىء ومن اصلاح الظاهر بتهـذيب السلوك وإصلاحه شىء ولكنه قـليل وغير راكز فى النفس ولاأصـيل فيها لحرمانه من الاعـتماد على ركيزة كل الـفضائل والكمالات الـبشرية ألا وهى الايمان بالله والـدار الآخرة إيماناً صحيـحاً ، إذ كل سلوك قويم ، وخـلق فاضل كريم لا يـنبع من هذه الحقـيقة ، ولايصدر عن هذا المعين ، ولا يكون فيضاً لهـذا المنبع العذب الأصيل إنما هو نفاق وخداع ، او تصنـع وتطبع لا تلبـث الاحوال المتغايرة والـظروف المتقلبـة أن تظهر

زيف ذلك ، وتكشف عن حقيقته إذ الأمر كما قال القائل :

يا أيها المتحلى غير شيمته ان التخلق يأتى دونه الخلق

وكما روى عمر : من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله .

وكشاهد على صحة هذه الحقيقة ما تغنت به أوروبا فى عصر نهضتها الحضارية من آداب وأخلاق وما آل إليه امرها اليوم ، وهى سائرة إليه بخطى سريعة من تحلل وشر وفساد ، فقد شاع بين افرادها التلصص وتفشت الجرائم ، وظهرت فيها الإباحية السافرة ، والعرى المفضوح ، وتدهورت فيها الاخلاق بصورة أذهلت العقلاء وصاح لهولها رئيس الكنيسة غير كاتم مخاوفه من ان الأمر سيؤدى بالعالم المسيحى إلى هاوية سحيقة لا يخرج منها ابداً ذلك لأن ما كان لأوروبا من أدب وخلق أيام نهضتها لم يكن قائماً على أساس الإيمان الصحيح بالله ورسالته واليوم الآخر . ولم يكن فى جملته نابعا من الوحيين الكتاب والسنة وإنما كان اشبه بتخلق وتصنع أوحته ظروف النهوض المراد لأوروبا بعد الجثوم الطويل على الجهل والفساد . فلذا من الطبيعى بعد بلوغ النهضة شأوها البعيد ، وغايتها القصوى ان تتدهور الاخلاق المصطنعة وتتحلل تلك الآداب المتكلفة وتعود الأحوال الى ما كانت عليه قبل زمن التخلق والتأدب وان قال قائل : ان ما قلته في أوروبا هو بعينه قد وقع للمسلمين فأصيبوا بتدهور فى اخلاقهم وآدابهم الأمر الذى لا يمكن انكاره بحال فى حين ان آداب المسلمين واخلاقهم قامت علي اساس الإيمان بالله واليوم الآخر ، ونبعت من وحى الكتاب والسنة . فكيف توفق بين هذا وذاك ؟

قلنا : إن ما اصاب المسلمين أولا لم يكن صورة عامة أو شبه عامة فى جميع الافراد ، وثانياً أن هذا ما كان إلا بعد أن انسلخ اغلب المسلمين من دينهم وعاشوا بعيدين عنه فلم تكن اخلاقهم تنبع من فيوضات الوحى الالهى ولا آدابهم من اصالة عقيدة الايمان بالله والدار الآخرة .

ب ــ إيجابيتها الصادقة

إن الدارس للأخلاق الاسلامية لا يسعه غير الاعتراف الكامل بإيجابيتها وفعاليتها وفى كامل محيط الحياة البشرية وأن السلبية كالأنانية الفردية لا مكان لهما فى الاخلاق الاسلامية وبحال من الأحوال .

وأدنى نظـرة يلقيهـا المرء وعلى أى خلـق إسلامى يتبـين له بوضوح إيجـابية الأخلاق الإسلامية، وفعاليتها وفي كامل الحياة .

وهذا ـــ على سبـيل المثـال ـ خلق الـكرم فانه لا يمـكن ان يفـهم منه غـير الايجابيـة ، وذلك ان الكرم وهو نقل خـير من شخص كريم الى آخـر فى حاجة اليه كما هو ـ الكرم إسداء معروف وبذل ندى ، وتفضل بجميل ، وتكرم باحسان علي غَيْرٍ هو أهل لذلك ومـستحق له . لا يتصور معه وهذه هى حقيـقته الإيجابية صادقة لا مجال للشك فيها أو الارتياب . !

وكخلق الكرم خـلق الحلم مثلاً فانه وإن بدا أنه مـجرد سكون ودعة ، خال من الفعل ، أو رد الفعل . فإنه في الحقيـقة وواقع الحياة إيجابى أكثر من غيره ، إذ الصفح عـن الجاهل ، والعفو عن المسـىء ، وعدم مؤاخذة السفيه ، ومـا يتبع ذلك كرد فعل من ندم الجـاهل على جهله ، والمسىء على إساءتـه ، والسفيه على سفهه وما يلزم ذلك ويـترتب عليه من اشاعة الغبطة فى النفـوس ، والطمأنينة في القلوب كل ذلك من إيجابية خلق الحلم وفـعاليته فى حياة المسلمين ولولا ذلك لما قال فيـه الرسول الاعظم ﷺ :« ليـس الشديد بالصـرعة ، إنما الشديد مـن يملك نفسه عند الغضب ».

وهل يقال فى الشدة والقوة إنها سلبية غـير إيجابية ؟ ومثل خلق الحلم خلق الصبر فهل من عاقل يدرك معنى الصبـر أو يفهمه إذا لم تكن هناك شدائد تخاض وصعاب تشق ، وآلام تتحمل ومغريات يعرض عنها ، وشهوات ومفاتن تترك ؟

وإذا كان ذو الصبر يخوض الشدائد بلا تضجر ، ولا تململ ، ويشق الصعاب بدون كـلل ولا ملل ، ويـتجرع غصـص الآلام بلا شكاة ولا أنـين ويتعالـى عن المغريات ويترفع عن الشهوات مع مواصلـته ، للصالحات ، واستدامته للخيرات . فأى وجه إذاً للسلـبية في خلق الصبر وإذا لم تـوجد السلبية فى خلق الـصبر فهل توجد في خـلق آخر من أخلاق المسلم ؟ كـلا إنه لا وجود للسلبـية في الاخلاق الاسلاميـة . وكيف توجـد السلبـية في اخلاق تـنبع من مـعادن الخير الالـهية ، وتفيـض من ينابيع الـرحمة الربانـية من مثل قول الله تـعالى : ﴿ **خذ العـفو وأمر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين** ﴾ ومثل ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ .

ان فى قوله تـعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ مبدأ من أسـمى المبادئ التى تكفـل للمجتمع المؤمـن به النهوض والتطور والـرقى نتيجة التعـاون المثمر ، والذى هو عام فـى جميع مجالات الحيـاة وفى قوله: ﴿ **خذ العفو وأمـر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ الدلالة الواضحـة على الايجابية الصـادقة ؛ إذ هى تأمر المسلم باللطف فـى المعاملة واللين والظرف فى الأخذ والعطاء ، وتـلزمه بالنهوض برسالة الأمر بالمعروف كلما خلا مـنه مكان أو فرغ منه وجود ، لان المعروف وجه الحياة السعـيدة المشرق متى غاب عن النـاس فارقتهم الحياة الكريمـة ، وغاب عنهم معناها الجميل .

وحتى قـوله :﴿ **وأعرض عـن الجاهـلين** ﴾ فإنـه لا معـنى للـسلبـية فـيه إذ الاعراض عن ذوى السفه والجهالات معناه الصـفح عنهم وعدم مؤاخذتهم ، وفى ذلك من مقاومة القوة الغاضبة ،ومصارعتها مالا يقدر عليه الا أبطال البشر « ليس الشديد بالصرعـة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغـضب » وقوله تعالى: ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عـداوة كأنه ولى حميم ،و ما يلقاها إلا الذين صبروا ومـا يلقاها إلا ذو حظ عـظيم** ﴾ فأين وجه السلبـية فى الأخلاق الاسلامية إذاً؟ وكيف تكون ؟

ومصادر الاخلاق الاسلامية تقول عقيدة المسلم (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) .

وتقول : من كان [١] له فضل ظهر فليعد بـه على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له الخ . . .

وتقول : خير الناس انفعهم [٢] للناس .

وتقول : تبسمك [٣] فـى وجه أخيـك صـدقـة وافراغـك مـن دلوك فى دلو أخيك، لك صدقة .

وتقول : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد [٤] بعضه بعضاً .

فكيف تعقل السلبية فى خلق امرئ يوقـف نفسه على خدمة الناس ، لينفعهم

---

(١) مسلم . (٢) القضاعى وعلم عليه السيوطى بالحسن .

(٣) البخارى . (٤) متفق عليه .

ويدفع الأذى عنهم ، ويذهب فى ذلك الى أبعد حد ممكن حتى إنه ليبسم فى وجوههم ترويحاً لنفوسهم ، ويميط الأذى عن طريقهم حفاظاً على ابدانهم أن ينالها سوء ، أو تلقى مكروهاً .

وأخيراً ان السلبية والأنانية ، وحتى الانتفاعية كل هذه لا وجود لها فى خلق المسلم ولا تتصل به من قريب أو بعيد ، وبينهما من المنافاة ما بين الحسنة والسيئة أو الفضيلة والرذيلة . وفيما تقدم من الشواهد والبراهين على ان لا سلبية فى خلق المسلم أكبر مقنع .

جـ ـ إنسانيتها العامة :

الاخلاق الاسلامية من فيوضات الرحمة الإلهية ، ورحمة الله وسعت كل شيء وانتظمت كل مخلوق فكما ان الرحمة لم تقتصر على مخلوق دون مخلوق كذلك خلق المسلم فى نفعه وعموم خيريته فما يفيض به خلق المسلم من رحمة واحسان ، لم يختص به انسان دون إنسان ، وما تثمره الأخلاق الاسلامية لأصحابها من سعادة وكمال لا يقصر على اصحابه بحال من الأحوال. ان خلق المسلم فى نفعيته وخيريته لشبيه بغيث السماء إذا نزل على الأرض فانه لا يقصر على طيب التربة دون خبيثها ولا على حر أشجارها دون هجينه إذ يسقى الكل ويروى الجميع .

فمن ظن ان خير المسلم المتدفق من خلقه وكمال نفسه يقصر على المؤمن دون الكافر وعلى البار دون الفاجر ، أو على القريب دون البعيد فقد أخطأ فى ظنه ، واساء فى فهمه وذلك نتيجة لجهله باخلاق المسلم ، وعدم معرفته لأسسها وقواعدها .

وإلا فكيف يرى قصور نفع خلق المسلم على المسلم فى الوقت الذى تعدى نفعه الإنسان إلى الحيوان إذ يقول الرسول ﷺ : « فى كل كبد رطبة أجر» . ويقول : « ان الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

ان من الاجحاف ، وعدم الانصاف ان توصف الأخلاق الاسلامية بالسلبية أو تنعت بالفردية أو توسم بالشعوبية التى لا تعرف الخير إلا لأهلها ، ولا تصنع المعروف إلا لذويها فى حين أنه لا يوجد خلق واحد فى الإسلام لا يتعدى نفعه

الى الغير ، ولا ينتقل فضله الى كافة الناس وقد سبقت شواهد ذلك فى الكرم ، والحلم والصبر فليرجع اليها .ان الاخلاق الاسلامية ربانية فى كرمها وفضلها إنسانية فى شمولها وعمومها ، قرآنية فى صلاح قواعدها ، وسلامة مبادئها .

انها مستوحاة من مثل قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ وقول رسوله ﷺ : « كلكم لآدم وآدم من تراب » وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض الدعائم التى قام عليها الخلق الاسلامى ، فكان خلقاً رحيما كريماً يسع كل الناس ،و يفيض الخير والرحمة حتى على الحيوان ومن هذه الدعائم .

١ ــ الايمان بالله رباً لجميع العالمين وإلها لكل الأولين والآخرين وهذه العقيدة توحى بالايخاء العام بين جميع الناس .

٢ ــ العدل العام وبين جميع الناس : ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ .

٣ ــ الحياة حق للجميع : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾ .

٤ ــ تحريم الظلم مطلقاً :« ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

٥ ــ حب الخير للجميع : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

٦ ــ وحدة الهدف والمصير : ﴿ **فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ .

وبعد إن أخلاقاً تقوم على مثل هذه الأسس الكمالية ، لا يمكن أن تكون غير إنسانية ولا يعقل أن تكون بعيدة عن الاصلاح الاجتماعى ، لا علاقة لها بغير اصلاح الفرد فى نفسه ، وهى بكل ما فيها تدعو الى الخير العام ، وتهدف الى سعادة الجميع وذلك لأصالتها فى ربانيتها ، الكاملة وبعدها فى انسانيتها العامة .

الأخلاق الإسلامية

دعامة الحكم والقضاء ،وإصلاح المجتمع

الأخلاق الاسلامية بوصفها مستمدة من الوحيين كتاب الله تعالى وسنة رسوله

ﷺ ،وتقوم على أساس العقل والفطرة ، الكتاب والسنة يمدانها بالقوة والجمال والعقل والفطرة يضفيان عليها حلة القبول والرضا .

كان من غير المستغرب فيها ان تكون دعامة للحكم والقضاء ،ولإصلاح المجتمع كذلك إذ الحكم فى الاسلام لله تعالى وحده هو الذى أنزل مادته واثبت شرعيته ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ وما للحاكم فى الإسلام إلا اتباع ما شرع الله من احكام ، وانزل من بيان ، وإنفاذ ذلك فى الناس ، واخذهم به تحقيقاً لكرامتهم وسعادتهم .

واتباع الحاكم والقاضى لما شرع الله تعالى من احكام ، وانفاذ ذلك بدقة كاملة واخلاص تام يتوقف بلا شك على مدى ما يتحلى به الحاكم أو القاضى من إيمان صادق بالله واليوم الآخر ، وما يتمتع به من خلق اسلامى فاضل كريم .

إنه بقدر إيمان الحاكم والقاضى وصلاح أخلاقهما ، واستقامة نفسهما تصدر أحكامهما عادلة رحيمة ، والعكس بالعكس صحيح كذلك .

وبهذا يصبح من غير المشكوك فيه تأثير الاخلاق فى توجيه الحكم وتسديد الحاكم والقاضى معاً . ويصح لنا وبكل تأكيد أن نقول ان الاخلاق الاسلامية وهى تعتمد على عقيدة الايمان بالله واليوم الآخر دعامة كبرى للحكم والقضاء فى الإسلام كما هى ركيزة كل اصلاح إجتماعى بين المسلمين ونزيد الموضوع إيضاحاً إذا قلنا ان الحاكم والقاضى الذى من أخص صفاته العلم ، ومن أخلاقه العدل ، وعقيدته الايمان بالله واليوم الآخر لا يكون من شأنه أو مما يتهيأ له أن يجور فى حكم يصدره أو يظلم فى قضاء يقضى به فى الناس لأن من كان خلقه العدل لا يحيف ومن وصفه العلم لا يجهل أو يضل ومن راقب الله تعالى وخاف مقامه بين يديه فلا يقوى على الفسق عن أمره ، ولا على الخروج عن طاعته ، وإذا كان هذا شأن الحاكم أو القاضى ذى الخلق الإسلامى فان شأن المتقاضى المسلم الذى يعيش على خلق الصدق والعدل أن لا يفجر فى خصومة ، أو يكذب فى دعوى ، أو يدعى ما ليس له بحق ، فى مال او عرض او نفس .

واذا كانت المحكمة الاسلامية تقوم على اساس هذا الطراز من القضاة والخصوم فان العدل الذى يتوفر فى هذه المحكمة لا يمكن ان يتوفر فى غيرها من محاكم غير المسلمين الأخلاقيين الصالحين وهذه بلا شك ثمرة طيبة للأخلاق

الاسلامية وبركة من بركاتها . هذا هو أثر الأخلاق الاسلامية فى الحكم والقضاء.

وأما أثرها فى إصلاح المجتمع فحدث ولا حرج ، فانه ما من تعاون بين الافراد والجماعات فى حقل البر والمعروف فعلاً وعملاً ، أو فى مجال المنكر والشر اجتناباً وتركا الا وهو ثمرة خلق الشعور بالواجب ، والقيام بالمسؤولية ، واداء فريضة التعاون المستمد من قول الله تعالى: ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾وما من جهاد ولا عمل ،ولا صبر ولا أمل يرى بين المسلمين الأخلاقيين افراداً أو جماعات ، الا نتيجة أخلاق إسلامية فاضلة تحلى بها الفرد المسلم ، وتزين بها دون سائر الناس .

إن من الحقائق المسلمة لدى علماء البشر وحكمائهم ورجال الاصلاح فيهم إن إصلاح المجتمعات البشرية يتوقف تماماً على مدى صلاح أخلاق الافراد ، واستقامة نفوسهم وإلى هذا الاشارة فى قول الرسول ﷺ :« إنما بعثت لأتمم صالح الاخلاق) وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

صلاح امرك للاخلاق مرجعه فقوم النفس بالاخلاق تستقم

كما ان من المسلم به عندهم أيضاً ان اى شر أو فساد أو تحلل وضعف يكون فى مجتمع ما إنما منشؤه فساد الاخلاق والنفوس . والعلاج الوحيد لذلك تقويم النفوس وإصلاح الاخلاق بل ذهبوا الى أبعد من ذلك فقالوا : ان الأمة هى المعانى والقيم التى يعيش عليها الافراد فان لم تكن معان كريمة ولا قيم فاضلة فلا أمة يشار اليها أو تعد فى الوجود وقد صاغ هذا المعنى الشاعر العربى فى قوله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فحكم بان الأخلاق هى الأمم فمتى وجدت الأخلاق الفاضلة الكريمة وجدت الأمم تبعاً لها ، وإذا انعدمت الأخلاق انعدمت الأمم .

الأخلاق الإسلامية
وآثارها فى المجتمع البشرى

للاخلاق الاسلامية آثار حميدة فى حفظ حقوق الناس ، وحسن معاملتهم ، فخلق الاحسان عند المسلم يحمله على الاعتراف بكل حق عليه ، ويساعده على

ادائه لاصحابه بكل سهولة ويسر .

● فالمسلم يعبد الله تبارك وتعالى بطاعته فى جميع ما أمره بفعله أو بتركه من معتقد ، أو قول أو فعل مع الغاية من حبه وتعظيمه مخلصاً له ذلك كله إيمانا منه أن هذا حق لله خالقه ورازقه عليه ، ويؤديه له قياماً بواجب العبودية والشكر .

● ويحسن بوالديه : بطاعتهما فى المعروف ، وإسداء الخير اليهما . وكف مطلق الاذى عنهما فلا يمنعهما خيرا ، ولا ينالهما بمكروه ، اعترافاً بحقهما عليه ، وشكرا لما قدما اليه من جميل ، وما اسديا اليه من معروف ، إذ هما علة وجوده،وسبب كينونته إنسانا فى هذه الحياة .

ويحسن الى أولاده بتغذيتهم وتربيتهم إنماء لاجسامهم وعقولهم وحفاظا على ارواحهم وابدانهم لما يشعر به من حق الابناء على الآباء ، والصغار الضعفاء على الكبار الاقوياء .

ويعترف بحقوق الزوجة ، وواجب معاشرتها بالمعروف فيبذل لها كل حق لها عليه فى طعامها وشرابها ،و كسوتها كما يكفل لها الكفاية والصيانة اللازمة حتى لا تهون أو تبتذل .

ويؤدى حقوق الأقارب ، ويقر بما لهم من واجب الإحسان فيطعم جائعهم ، ويكسو عاريهم ، ويداوى مريضهم ، وينصر مظلومهم ، ويكف الأذى عنهم ، مع تفقد احوالهم ، وزيارتهم فى ديارهم وأحيائهم ، كل ذلك من آثار خلق الاحسان فى المسلم .

ومثل الاقارب الجيران ؛ إذ خلق الاحسان يتناولهم بحكم واجب الاحسان اليهم وسواء كانوا أقارب ، أو اجانب اباعد ، مسلمين مؤمنين ، أو كافرين اهل ذمة أو معاهدين فلكل حقه من الاحسان المتمثل فى إسداء المعروف ، وصنع الجميل مع كف الأذى ودرء السوء ، والنصرة فى الحق والمعاونة على البر والتقوى.

وهذا الذى هو للجيران من الحقوق والاحسان هو عين ما يعترف به المسلم ذو الخلق الاسلامى لكل المسلمين ويؤديه لهم كاملا غير منقوص ؛ إذ خلق الاحسان فى المسلم يدفعه الى مساعدة منكوبى المسلمين ، ومواساة فقرائهم.ومداواة

مرضاهم ، ونصرة مظلوميهم . يعود مرضاهم ، ويشيع جنازة موتاهم ، ويشمت العاطس ، ويرد السلام، ويبر الاقسام . ويذهب خلق الاحسان فى المسلم الى ابعد حد فتجد آثاره الخيرية الطيبة ظاهرة فى الناس عامة لا فرق بين أحد وأحد اختلفت اجناسهم واديانهم أم اتحدت الكل يشملهم المسلم باحسانه ، فيقدم لهم النفع ويسوق إليهم الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً مع كراهته للشر لهم ومحاولة دفعه جهده ، وفى حدود ما يستطيع .

وحتى الحيوان البهيم ذى الكبد الرطبة فانه واجد من آثار خلق الاحسان فى المسلم رحمة تظهر فى إطعامه اذا جاع ، ومداواته إذا مرض ، وراحته إذا كل أو تعب ، وتأمين روعه اذا خاف كل ذلك لأن خلق المسلم مستمداً أصالة من الفطرة البشرية السليمة ومستوحى من تعاليم الكتاب وهدى السنة ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ يقول الرسول ﷺ [١] :« دخلت امرأة النار فى هرة : ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت » ويقول ﷺ[٢] :« فى كل ذات كبد حرا أجر » هذا ومن الآثار الحميدة لخلق المسلم فى المجتمع البشرى عامة ، والمجتمع الاسلامى خاصة عدم وجود أى أذى ، أو سوء أو شر يعترف به المسلم ، أو يقره فضلا عن ان ينال به الناس ، أو يمسهم بشىء منه . فدماء الناس واعراضهم واموالهم محرمة تحريماً كاملاً فى شريعة المسلم وآداب نفسه ، وقوانين اخلاقه « لاضرر ولا ضرار » اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح [٣] « فإنه اهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب» [٤] ان ترويع المسلم ، واخافته كضربه ، وضربه كقتله .

وان السب كالشتم ،وشهادة الزور كالسخرية والغيبة كالنميمة ، والغش كالخيانة والسرقة كالغصب كل هذه يحرمها دين المسلم ، ويأباها خلقه الفاضل الكريم فلهذا كان المجتمع الاسلامى الأول أيام كان للعقيدة الاسلامية سلطانها على النفوس وهيمنتها على السلوك وللدين آثاره فى النفوس وللأخلاق وزنها بين المسلمين كان له ــ المجتمع الاسلامى ــ من الكمال البشرى ما لم يكن ابداً لغيره من المجتمعات البشرية على اختلافها ومر عصورها وتعاقب دهورها ، حتى لقد

---

(١) متفق عليه . (٢) أحمد وابن ماجه .
(٣) مسلم . (٤) متفق عليه .

كانت المدينة المنورة على عهد صاحبها عليه الصلاة والسلام وعلى عهد خلفائه الراشدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانت تمثل المدينة الفاضلة التى حلم بها فلاسفة اليونان الأقدمون ونشدوها طول حياتهم ، ولم يظفروا برؤيتها ، ولم يفوزوا بتحقيقها كحلم راود نفوسهم دهراً من الزمن ثم اختفى ولو استمعنا الى التاريخ يروى لنا قصة العدل الاسلامى ، .والرحمة الايمانية ، وما عمر به الاسلام البلاد الذى سعدت برؤيته فيها حيث دخلها هادياً ومرشداً ومربياً مصلحاً متديناً محضراً ، وغمرها به من البر والاحسان والكرم والخير وما اشاع بين اولئك السكان من فضائل الحب والايثار ، والصفح والعفو ، والصدق والوفاء حتى اصبحوا خير الأمم ، وأفضل الشعوب ، وبلا منازع ومرة ثانية لو استمعنا الى شهادة التاريخ فى هذا كله وفى غيره لعرفنا يقيناً آثار الخلق الاسلامى فى اصلاح المجتمعات وتهيئة النفوس البشرية واعدادها لأن تكون من الكمال الروحى بحيث تدانى ملائكة السماء ، وتقرب فى طهارتها وصفائها وكمالها من سكان العالم العلوى وما ذاك الا لصفاء المنبع الذى استقى منه المسلم أخلاقه وعذوبة المورد الذى تروت به نفسه ، وشربت منه روحه ، فكان المسلم الحق يمثل ملاكاً يمشى على الأرض فلا فساد ولا شر ، ولا قبح ولا سوء ، إنما طهر وصفاء ، وكمال فى كل نواحى الحياة البشرية وخير لا يعرف حدوداً ، ولا نهاية أو غاية .

وهذه شهاد خالق الانسان والكمال ، ومبدع الانسان والجمال نسجلها أخيراً شاهد حق وصدق على سابق القول : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ وما ضرنا بعد هذه الشهادة الالهية الخالدة ان نستمع إلى شهادة (غوستاف لوبون) المؤرخ الفرنسى والكاتب الشهير وهو يقول : ما عرف العالم فاتحاً اعدل ولا ارحم من العرب قط .

الأخلاق الإسلامية

وآثارها فى تكوين الآداب العامة

لم تكن الآداب العامة ، والتى تتفاضل فيها المجتمعات البشرية ، وتتنافس فى كمالها ، والوصول بها إلى أقصى غاياتها لم تكن إلا السلوك المهذب الحسن الذى يرفع من قيمة الإنسان ، ويجعله جديراً بالتقدير والاحترام بين كافَّة الناس .

هذا وقد سبق أن عرفنا أن السلوك يتأثر بالأخلاق حسناً وقبحا وإلى أبعد

حد، بل لم يكن السلوك ، ومهما كان إلا أثراً طبيعياً للأخلاق البشرية ، فبحسب الخلق اعتدالاً ، وانحرافاً يكون السلوك كذلك .

وبناء على هذا فان سائر الآداب الاجتماعية التى يرعاها الأفراد ، ويتفاضلون فيها هى بالنسبة الى المسلم أصيلة فى نفسه ، قائمة على اساس عقيدته لا يتكلفها، ولا يتصنع فيها . فالتحية وهى من أظهر الآداب العامة بين الناس فالمسلم يقدمها لكل مسلم قريباً أو بعيداً ، معروفاً له ، أو غير معروف .

وكما يقدم المسلم التحية استناناً وأدباً فانه يردها أو أحسن منها وجوباً متحتما إيماناً منه بقول الله تعالى : **﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان علي كل شيء حسيباً ﴾** وقول الرسول ﷺ :« وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » البخارى .وتحية المسلم : السلام عليكم ، وردها :وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وهى مشعرة بمعنى الحياة والسلامة مما فيها من الآفات، والمنغصات فالمسلم إذا حيا أحداً من الناس أشعره بلفظ تحيته الاسلامية أنه لا يخيفه فى حياته ولا يروعه فيها ، فليأمن المسلم عليه ، وليقابل هذه التحية المتدفقة بالحياة الآمنة الطيبة بمثلها ، إذ ما جزاء الاحسان إلا الإحسان .

ومثل التحية فى الآداب الاجتماعية حسن المحادثة فإن المسلم يلتزم فيهما بآداب معينة تمليها عليه أخلاقه الاسلامية ، وتوحى بها إليه عقيدته فى الإيمان بالله واليوم الآخر ، إنه إذا حدث احداً لا يكذبه ، ولا يكذبه إذ صدق الحديث عنده واجب ، وحسن الظن بالمسلم لازم . ولا يمازحه بما يؤذيه ، ولا يماريه بما يضر ، أو يسقط أدبه أو مروءته ؛ لأن اذى الناس فى شريعته حرام ، ولا يحدثه بالظن لأن الظن اكذب الحديث ، ولا يسمعه لعناً ، أو سباً أو شتماً ، ولا بذاء فى القول، أو فحشاً فى المنطق لأن المسلم لا يكون لعاناً ولا طعاناً ولا فاحشاً ولا متفحشاً .

ولا يغتاب عند محدثه احداً ، ولا ينم له عليه ، لأن الغيبة ممقوتة محرمة والنميمة شر منها واكثر مقتاً .

وهكذا يلتزم المسلم ذو الاخلاق الفاضلة فى محادثته لغيره ما يوحيه اليه إيمانه، وما تمليه عليه عقيدته وما تفيضه عليه اخلاقه الاسلامية من الآداب السامية الرفيعة الخالية من التكلف والتصنع ، والتى لا يمكن أن تتوقر لأحد من بنى الناس

بصورتهـا الكاملة ولونهـا المشرق المضىء الا للمسـلم والمسلم فقط وكـالمحادثة فى قانون الاخلاق الاسلامية المجالسة فإن لها عنـد المسلم آدابها الخاصة بها ، فالمسلم إذا جالس احداً يتجنب كل ما من شأنه أن يؤذيه ، أو يضر به من قول سيئ ، أو فعل قبيح أو لفظ مؤذ ، أو نظر مضر .

إنه لا يفرق بين اثنين ليجلس بينهما إلا باذنهما ، ولا يقيم احداً ليجلس مكانه ولا يجلـس فى بيت احد إلا حيـث يأذن له ويطيـب خاطره وبجلوسـه فيه ، ولا يجلس على تكرمة أحد ، أو فى مجلسه الخاص به .

وإذا جلس حيث انتهى به المجلس حافظ على هدوء المجلس فلا يعبث ، ولا يقهقه ، ولا يرفع صوته ولا يصخب ، والتزم حسن الصمت فى نفسه فلا يحملق فى نظر ، ولا يتنخم او يتمخط غير مضطر ، ولا يتمطى ، أو يتغطى ، فإن ذلك مما يكرهه الناس ، ومن أتى الناس بمـا يكرهون فقد آذاهم ، والمسلم لا يؤذى ولا يقبل الأذى ،وكفى المرء أدباً فى نفسه اجتناب ما يكره من غيره .

والمسلم اللاأخلاقى لا يلتزم حسن السمت ، وجمال الهيأة ونظافة اللباس فى المجالس ويـتركها فى غـيرها ويتخلـى عنها فيـما سواها ، لا لا ، أبداً بـل حسن السمت وجمال الـهيأة ،ونظافة اللباس شعاره الدائـم ووصفه اللازم ، إذ موجب هذا الإيمان والخلق وما كـان كذلك فكيف يكون من شأن المؤمن تـركه أو التخلى عنه .

كما أن الاخـتيال والكـبر ، والامتهان والـضعة وهى صفـات ذميمة حـرمها الإسلام منـبع خلق المسـلم ، وحذر من الاتصاف بـها ، لا تكون بحـال صفات للمسلم ، ولا نعوتاً له يعرف بها بين الناس .

إن المسلم الأخـلاقى لا يختال فى مشـى ، ولا يتطاول فى قول ، ولا يـتكبر فيبطر حقـاً أو يغمط أحداً ، لأن منابع خلقه ومصـادر كماله تقول: ﴿ **ولا تصعر خدك لـلنـاس ، ولاتمش فـى الأرض مرحـاً ، إن الله لايحـب كل مـختـار فخـور ، واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك** ﴾ .

ألا فليعـلم الناس أن المسلـم طاهر نظيف : طـاهر الروح والقلب ، نـظيف الثوب والبدن ، والطهارة شطر إيمانه ، والنظافة قوام حياته . ولـم لا يكون كذلك وآيات كتابه تقول :﴿ **وثيابـك فطهر. والرجز فـاهجر** ﴾ ﴿ **إن الله يحب الـتوابين**

ويحب المتطهرين ﴾ ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ ، ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ ، ﴿فاعتزلوا النساء فى المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ .

وأحاديث نبيه ﷺ تصرح وتقول: الطهور شطر الإيمان . غسل الجمعة واجب على كل محتلم. لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ ، لايقبل الله صلاة بغير طهور . إن المسلم لا ينجس . ان الله جميل يحب الجمال إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى أثرها عليه .

من اغتسل يوم الجمعة ولبس أحسن ثيابه ، ومس من طيب أهله الحديث .

الأخلاق الإسلامية
وآداب الطعام والشراب

ان الأخلاق الإسلامية فى عمومها وشمولها تتناول طعام المسلم وشرابه فترسم لهما طريقاً خاصاً وتحوطها بآداب إسلامية عالية قلما تكون لغير المسلم فى هذه الحياة .

من تلك الآداب ما يلى :

١ ــ ان المسلم لا يأكل طعاماً ، أو يشرب شراباً لم يأذن الله تعالى له فيه ، ومهما قل أو مست الحاجة اليه وكثرت دواعيه .

٢ ــ لا يأكل مال أحد من الناس إلا برضاه وطيب نفسه .

٣ ــ المسلم الأخلاقى لا يتضيفن فى طعام أو شراب ولايتطفل فيهما فلا يحضر وليمة لم يدع إليها ، ولا يتناول طعاماً أو شراباً لم يؤذن له فى تناولهما .

وذلك اتقاء للاثم ، وخشية المذمة لأن خلق المسلم يأمر بترك الآثام ، واجتناب المذام .

٤ ــ المسلم يفتتح طعامه وشرابه ببسم الله ويختمه بحمد الله ، إذ فى الافتتاح ببسم الله إشعار بأنه لا يأكل ما لا يأذن له ربه فيه . كما ان فى الاختتام بحمد الله إعلاناً عن شكر الله المنعم عليه ، إذ شكر المنعم واجب أخلاقى لايتهاون المسلم فيه .

٥ ـ المسلم الأخلاقى فى طعامه وشرابه مثال القصد والاعتدال فهو لا يأكل حتى يجوع ، ولا يشرب حتى يعطش ، وإذا أكل أو شرب فلا يسرف ولا يترف .

٦ ـ يأكل بيمينه ومما يليه ويغض طرفه عن مؤاكليه تجنباً لأذاهم ، وابقاء على مودتهم وصفائهم ، يجيد مضغ طعامه ، ويتنفس ثلاثا خارج الإناء فى شرابه. أكله كشربه جالساً لا متكئاً ، ولا قائماً إذ الكتاب والسنة قضيا بهذا كله وهما مصدر أخلاقه ومورد كماله . فالكتاب يقول: ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾،﴿ **كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**﴾ والسنة تقول: « سم الله ياغلام وكل بيمينك ، لا آكل وأنا متكئ إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد ، الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين » .

آداب الطريق :

إن الأخلاق الإسلامية لم تكن لتغفل جانباً واحداً من جوانب الحياة الفردية أو الاجتماعية فلا تعالجه ، أو تضع له من القوانين الخلقية ما يتحقق معه للفرد أو الجماعة سلامة الحياة وطيبها تحقيقاً للوعد الإلهى فى قوله: ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ .

ومن هذا كان جلوس المسلم فى الطرقات أو السير فيها تتحكم فيه آداب إسلامية خاصة لا يباح للمسلم التقصى منها ، أو الخروج عنها بحال من الأحوال، ومن تلك الآداب :

١ ـ غض البصر فلا يفتح الجالس فى الطريق أو المار فيها بصره فى مارة من المؤمنات ، أو واقفة ببابها أو مستشرفة على شرفات منزلها ، مطلة من نافذة لحاجة لها ، كما لا يرسل نظره حاسداً لأحد أو زارياً محتقراً لآخر .

٢ ـ أن يكف أذاه عن المارة من سائر الناس فلا يؤذى أحداً بلسانه ساباً له أو شاتماً أو عائباً مقبحاً ، ولا بيده ضارباً لاكماً ، ولا سالباً لمال غيره غاصباً ، ولا معترضاً فى الطريق صاداً المارة قاطعاً لسبيلهم .

٣ ـ أن يرد سلام كل من سلم عليه من المارة إذ رد السلام واجب﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ .

٤ ـ أن يأمر بمعروف يراه قد ترك أمامه أو أهمل شأنه بين يديه وهو يشاهده

ضائعاً متروكـاً ، إذ هو مسؤول فى هذه الحالة عن الأمر بـه ، لأن الأمر بالمعروف فريضة كل مسلم يـتعين عليه ولا يسقط الا بالقيام ، ومثـاله أن ينادى للصلاة ولا يجيب الحاضرون فى مجـلسه فإنه يجب عليه أن يأمرهم باجـابة الداعى للصلاة ، لأن اجابة النداء للصلاة معروف فلمـا ترك وجب عليه ان يامر به . ومثال آخر ان يمر جـائع أو عار فان عـليه أن يـطعمـه أو يكسوه إن قـدر على ذلـك ، وإلا أمر باطعامه أو كسـوته ، لأن اطعام الجائع وكسوة العارى مـن المعروف الذى يجب أن يؤمر به .

٥ ــ أن ينـهى عن كل مـنكر يشـاهده يرتكب أمـامه إذ تغيـير المنكـر كالامر بالمعروف وظيفة كل مسلم لقوله ﷺ :« من رأى مـنكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » ومثاله أن يبغى احد أمامه علـى احد فيضربه ، أو يسـلبه ماله فإنه يـجب عليه فى هذه الحـال أن يغير المنكر فيقف فى وجه الظلم والعدوان فى حدود طاقته ، ومدى استطاعته .

٦ ــ أن يرشد الضال ويعلم الجاهل ، فـلو استرشده أحد فى بيان منزل ، أو هداية إلى طريق ، أو التعريف باحد مـن الناس لوجب عليه أن يبين المنزل ، وأن يهدى إلى الطريق ، وأن يعرف بمن يراد تعريفه .

كل هـذا وغيره من آداب المجـالس فى الطـرقات كأمـام المنازل ، والدكـاكين والمقاهـى والساحات الـعامة ، والحدائـق العمومـية ونحوهـا مما يأمر بـه الإسلام ويعتبره واجبا اخلاقياً لا ينبغى للمسلم تركه أو التهاون فيه بحال من الاحوال روى مسلـم عنه ﷺ قوله : « ايـاكم والجلوس فى الطـرقات ، فإن أبيتـم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها غض البصر وكف الأذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر» (مسـلم) ومن آداب المجالس التى أمر بها قـانون الاخلاق الاسلامية أن يستغفر الجالس ربه عند قيامه من مجلسه ليكفر بذلك ما عسى أن يكون قد أَلَمَّ به في مجلسه من ذنب صغير أو كبير بـأن يقول :« سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك » حيث جاءت السنة به وصحت .

ومن اهم مجالس المسلم التى يجلسهـا ويتعين عليه فيها آداب خاصة لا يجوز ان يهملها المـساجد ؛ إذ هى بيوت الله التى أذن أن ترفع ، ومـساجده التى أمر أن تعمـر ، فرفعها يـكون بتعظـيمها واحترامـها والتزام آدابهـا وعمارتها تـكون باداء

العبادات فيهـا مع تنزيهها عن كل ما لا ينـبغى فيها ومن آدابها التى يـرعاها المسلم ويحافظ عليها .

١ ــ أن لا يسمح لكافر ولا لجنب ، أو حائض ، أو نفساء بالمكث فيها لقول الرسول ﷺ :« لا احل المسجد لحائض ولا لجنب » .

٢ ــ الا يبيع فيها أو يشترى أو ينشد ضالة .

٣ ــ ان لا يجلس بها مجلس يتحدث فيها بحديث الدنيا .

٤ ــ ان لا يصخب فيها أو يرفع صوته بغير حاجة خطابة أو تدريس .

٥ ــ أن يلتزم فيها بحسن السمت والسكينة والوقار .

٦ ــ أن لا يجلس فيهـا قبل أن يصلى نافلة أو فريضة ما لـم يكن عند طلوع الشمس أو غروبها حيث لا صلاة نافلة ساعتهما .

٧ ــ أن لا يغشاها وهـو آكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً ، أو ما فيـه رائحة كريهة كالتبغ وما إليه .

٨ ــ أن يأتيها فى احسن ثيابه وأكمل حالاته من نظافة وطهارة ما مكنه ذلك.

لقول الرسول ﷺ:« ان هذه المساجد لا تصـلح لشىء من البول أو القذر إنما هى لذكر الله وقراءة القرآن » (مسلم) .

الأخلاق الإسلامية
والمطالب المادية للجسم

سبق أن عرفنا أن الاخلاق الإسلامية تعنى بإصلاح الجسم ، وتهذيب السلوك عنايتها بإصلاح الأرواح وتهذيب النفوس وتطهيرها .

والآن نريد أن نـعرف أن الأخلاق الإسلامـية لا تتعـارض مع المطالـب المادية للجسم ،ولا تتنافى مع حاجة الإنسان وسواء منها ما كان ضرورياً كالأكل والشرب واللباس ، والنوم ، والراحة ، أو طبيعياً كالزواج ، والعمل وحب المال، وكسبه، والسلامة البدنية والصحة العقلية بيد أن للأخلاق الإسلامية حق الهيمنة على هذه الضروريات والإشراف على سائر الحاجات من أجل ان يحفظ للانسان توازن كامل

بين مطالبه الـروحية ومطالبه المادية الجسمـانية ، فتكمل بذلك إنسانـيته ، ويرتقى ببشريته الى الكمال المقدر لها فى هذه الحياة .

ولنستعـرض كيفية جريان تلك الحـاجات المادية للجسم عـلى قوانين الاخلاق المنظـمة لها ، المحـددة لجميعـها تحديداً يـجعلهـا لا تخرج عن دائـرة الفضيـلة ، والكرامة الانسـانية فالأكل مثلاً فى عـرف الاخلاق الاسلامية ينقسـم إلى مباح ، ومحظور فالمباح للانسان أن يتناول منه ما يـقيم له أوده ،ويحفظ بنيته وصحته فى حدود عـدم الاسراف المضر بـالجسم ، والمخل بـالمروءة والدين والمحـظور كالميـتة والدم، ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله ؛ ومـا لا يملكه المرء بوجه من اوجه الملك المشروعـة ، وكذا ما كان ضـاراً أو فاسداً كالـسموم والمسـتقذرات ، فإنـه ، ليس للمسلم غير المضطر أن يتناول منه قلـيلاً أو كثيراً اما من كان مضطراً فإنه يجوز له تناول ما يقيم به صلبه ، ويحـفظ حياته . وذلك لقول الله تعالى: ﴿ **فمن اضطر فى مخـمصة غير متـجانف لإثم فإن الله عفـور رحيم** ﴾ ومثل الأكل الـشرب فان للمسلم ان يشرب ما هو فى حاجة إليـه من سائر المشروبات المباحة كالماء واللبن ، والعسـل وعصير الفواكـه على اختلافـه وتباين طعـومه ولكن ليس لـه ان يشرب المسكر ، ولا الفاسد من سائر المائعات وأن شرب ما اذن له فى شربه فلا يسرف إذ الاسراف حرام :

﴿ **وكلوا واشـربوا ولا تسرفـوا إنه لا يحب المـسرفين** ﴾ كمـا يجرى كـل من الأكل والـشرب فى قـانون اخلاقـى معروف تقـدم بيانـه قريبـاً فى آداب الطـعام والشراب فليرجع إليه .

واللباس كالأكل والـشرب فى حاجات الانسان الضرورية اذ لابـد للجسم من لبـاس يقيـه غائلة الحـر والبرد ، ويـحفظـه من الأذى العارض كـالشوك ولـسع البعوض والحشرات ونحوها . غير انـه لا يجرى إلا فى نطاق الأخلاق الإسلامية الفاضـلة،فلا يلبـس المسلم المحرم عـلى الرجال كـالحرير والذهب ولا يـختال أو يتكبر، ولا يلبس لبـاس شهرة يتميز به عن المسلمين فللمـسلم ان يلبس ويرتدى ما شاء من أنواع الاقمشة الـصالحة غير الحرير ما اخطأته اثنـتان الاسراف والمخيلة ، وللمسلمة ان تتـحلى بما تشاء من انواع الحلى وتتجمل بما تـراه من اللباس الجميل فى نطاق الاحتشام وستر المحاسن عن غير المحارم وكاللباس النوم فانه من ضرورات

البدن التى يتوقـف عليها بقاؤه ، ونماؤه فلذا كان القانـون الأخلاقى لا يمنع منه ، أو يضيق فيه ولكن يطالب ان يكون وفـق منهج الاعتدال العام ، فلا ينام المرء فى أوقات اداء الفرائض ، ولا ساعة نداء الواجب ولا قـبل صلاة العشاء ، حيث كره الرسول ﷺ النوم قبـل صلاة العشاء والحديث بعدها . كمـا أن هناك آداباً خاصة قبل الـنوم وبعده يراعيهـا المسلم فى نومـه وذلك كالطهـارة قبل النوم والنـوم على الجنب الأيمن ابتداء وقـوله ﷺ :« باسمك اللهم وضعت جنبـى ،وباسمك ارفعه الحديث » وكقول : « الحمـد لله الذى أحيانا بعد ما اماتنا والـيه النشور » « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » « له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير » عند الاستيقاظ منه ، وغير ذلك من الآداب التى تراعى عند النوم .

المطالب الطبيعية

ومثل المطالب الضرورية للجسم المطالب الطبيعية والتى منها

١ ــ الزواج فإنه لايتـنافى مع الأخلاق الفاضلة ولا يتـعارض معها إذ الزواج الشرعى حق طبيعى للإنسان أباحته جميع الشرائع وأذنت فيه جميع الأديان يقول فيه الله تـعالى: ﴿ **فانـكحوا مـا طاب لكـم من النـساء** ﴾ ويقول الـرسول ﷺ: « تناكحوا تناسلوا فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » ولكن يجب ايضاً أن يكون فى اطار الأخلاق الخـاص فلا ينكح المـرء ما لا يحل له نكـاحه كالمحرمات بـنسب أو مصاهرة أو رضاع ، أو عصمة الزواج ، أو مانع الشرك بالله .

ولا ينكـح بغير ولـى أو صداق ، وشهود ؛ إذ الـنكاح بدونـها يعد سـفاحاً محرماً . كمـا لا يتم الإفضاء إلى الزوجة إلا فـى حال السرية الكاملـة ، والتستر الشديـد ، فلا يقبـل الزوج امرأته ولا يـجسها أو يلاعـبها أو يقـول لها ما يـنافى الآداب العامة إلا فى حال من الخلوة التامة .

كما على الزوجين أن يريدا من تزويجهما الاحصان والاعفاف . وطلب النسل والحفاظ على النوع البشرى وأن يؤدى كل منهما ما عليه من حقوق العشرة للآخر ما يرغب أن يؤدى إليه . حتى يتـحقق مراد الله تعالى من قوله : ﴿ **ومن آياته أن خلق لـكم من أنفسكـم أزواجا لتسكنـوا إليها ، وجعـل بينكم مودة ورحـمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ .

٢ ــ العمل وكسب المال وهو حق طبيعى لـلفرد والجماعة لا يتنافى مع الشرع ولا يتعارض مع قـانون الاخلاق متى كان فى حدوده المشـروعة وإطاره الأخلاقى الخاص . فالـعمل لا يكون فـى اوقات الصلوات المفـروضة ولا فيما حـرم الدين العمل فيه كمصانع الخمر ومحلات بيعها أو كمصارف الربا وفروعها .

وكسب المال لا يكون بالتملك غيـر المشروع كالسرقة والاغتصاب ، والمصادرة ولا بالوسائل المحرمة كالغش والتدليس والـتطفيف فى الكيل والوزن والبيع الحرام وما إليه .

كما ان توفيره لا يكون على حساب منع الحقوق الواجبة فيه كالزكاة المفروضة ولا المتعينة علي الـفرد كالنفقة فى الجهاد والانفاق على الـنفس والزوجة والأبوين والاولاد ولا على إيثار شح النفس والبخل الطبيعى فتمنع منه الصدقات المستحبة، وتحرم مشاريع الخير وطرق البر والاحسان .

٣ ــ القوة والصحة البدنية فهذه ايضاً من الحقوق الطبيعية للفرد المقررة له فى سائر الشرائـع والقوانين فطلبها والعـمل على إيجادها وتوفيرهـا لا ينافى الاخلاق الفاضـلة أو يتعارض معـها ، وكيف والرسـول ﷺ يقول :« المؤمن القـوى خير وأحـب إلى الله مـن المؤمـن الضـعـيف وفـى كـل خير » ويقول : أحرص على ما ينفـعك ولا تعجز . فطلـب الصحة بالغذاء الصـالح واللباس الصالـح والسكن الصالح كاستعمال الأدوية والتقيد ببرامـج خاصة لحفظ الصحة كالحمية على بعض المطـعومات والمشـروبات هذه كـلها حق طـبيعى لـلفرد لا يـعارض فيهـا شرع ولا أخلاق..

غير أن سلطان الأخلاق فى مراقبته لهذه المطالب الجسمانية المادية لتجرى على قانونه الخاص ، لا يسمـح للفرد باسم توفير الصحة ، أو اكـتساب القوة أن يأكل حرامـاً أو يشرب حراماً أو يتداوى بـحرام ، أو يتمـتع بحـرام، أو يترك العـمل الواجب طلباً للراحة والاستجمام أو يقضـى أغلب أوقاته فى اللهو أو النوم بحجة المحافظة على توفير القوة ، والمحافظة على الصحة .

٤ ــ المزاح ، والرياضة ، والسباحة .

وأخيـراً فهذه المـطالب الـثلاثة هى ايـضاً مما لا يـتنافـى مع قانـون الأخلاق

الإسلامية ولا يتعارض معه فقد كان الرسول ﷺ يمزح ومما روى فى مزاحه قوله لمن قال له : احملنى يا رسول الله : لا أحملك إلا على ولد الناقة . فقال الرجل: أنه لا يطيقني يا رسول الله فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقوله : للعجوز التى سألته أن يدعو الله تعالى أن يدخلها الجنة : يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم وقال لها :أما قرأت قوله تعالى ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً** ﴾ « وقوله لامرأة من الأنصار إلحقى زوجك ففى عينيه بياض » فسعت إلى زوجها مرعوبة ، فقال لها : ما دهاك؟؟ قالت: « إن النبى ﷺ قال لى أن فى عينيك بياضاً ، فقال نعم والله وسواد» وقالت: « عائشة رضى الله عنها سابقت رسول الله ﷺ فسبقته ، فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك » والقانون الأخلاقى إذ يجيز هذه وياذن فيها لما فى ذلك من الترويح على النفس المكسب للنشاط الفكرى، المهيئ للصفاء الذهنى ، والمساعد على حفظ الصحة وزيادة وزن القوة ، لا يجيزها إلا تحت شروط معينة فالمزاح يجب أن لا يتعدى الحق إلى الكذب ؛ إذ كان الرسول ﷺ لا يقول فى مزاحه إلا الحق والرياضة على اختلافها يجب أن لا يباح فيها حرام ، أو يترك فيها واجب ، او يخل فيها بعفة أو حياء فلباس المرتاضين بلعب الكرة يجب أن يكون ساتراً لما بين السرة والركبة وكذا لباس المرتاضين بالسباحة وأن لا يختلط فيه الرجال بالنساء والذكور بالاناث وأن لاتترك فرائض الله وتتعدى حدوده والسباحة يجب أن تكون بقصد الاتعاظ والاعتبار ، أو الاكتشاف المقصود ، والاطلاع الهادف والمعرفة المثمرة لا لمجرد اللهو واللعب وانفاق المال ، كما يجب ان يحفظ فيها الدين والمروءة والشرف ومتى جرت هذه المطالب فى هذا النطاق من الاخلاق كان نفعها للجسم أكثر من ضررها عليه ، وكانت فائدتها المادية لاتقل أهمية عن الفوائد الروحية إذ كمال الروح من كمال البدن ، وكمال البدن من كمال الروح ، والعقل السليم فى الجسم السليم .

وأخيراً فبدء الدراسة الجزئية للمطالب المادية للجسم تبين لنا ان الأخلاق الإسلامية تحفظ للمسلم توازناً كبيراً بين روحه وبدنه ، فلا تطغى الروح على البدن ، فتعطل قواه وتموت بموته ولايطغى الجسد على الروح فيفسدها ويشقيها ، ويشقى معها ،ومن المعلوم أن الكمال البشرى والسعادة الإنسانية لا يتحققان إلا بوجود توازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، وهذا ما تهدف إليه الأخلاق الإسلامية المستمدة من الوحيين وتحققه للمسلم الحق .

الأخلاق الإسلامية
والمطالب المعنوية

لعلنا بدراستنا للمطالب المادية للجسم ومشاهدتنا من خلالها ذلك التوازن العجيب الذى تحفظه الأخلاق الإسلامية لـلفرد المسلم بين روحه وجسده اللذان هما قوام وجوده ، وجوهر حقيقته يصبح من السهل علينا أن ندرك حاجة الفرد المسلم إلى المطالب الروحية التى تثبت بها حقيقته ، وتكمل بها انسانيته فى هذا الوجود وذلك من العلم والمعرفة والتهذيب النفسى القائم على أساس التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل أما العلم والمعرفة فلم يكتف منهاج الأخلاق بطلبهما للفرد بل أوجب ذلك ايجاباً وألزم الفرد المسلم به إلزاماً إذ الاخلاق نفسها لا تتم إلا عن طريق العلم والمعرفة فلذا لم يكن من حق الفرد التزود بالعلم والمعرفة واكتسابها فحسب بل كان من الواجب عليه ذلك والذكر فى هذا كالأنثى فى علم العقائد والعبادات والأخلاق وقد أشادت آيات الكتاب بذلك فى مثل قوله تعالى : ﴿**هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون**﴾ ؟ وقوله جل وعلا : ﴿**وقل ربِّ زدنى علماً**﴾، وقوله جل ذكره : ﴿ **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ** ﴾ . وقوله تعالي : ﴿ **وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ كما نوهت به السنة فى حديث البخارى : «من يرد اللهبه خيراً يفقهه فى الدين ». وحديثه :« إنما العلم بالتعلم ». وكما روى فى السنن : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ».

وطلب الاخلاق للعلم طلب عام فى سائر العلوم النافعة والمعرفة المحققة لخير الانسان وسعادته ، وإن كان أكدها علم الشرع من عقائد وعبادات وسلوك ، ومما ينبغى التنبيه عليه هنا أن الأخلاق الاسلامية لا تزهد فى العلم ، أو تقلل من شأنه، ولا الدين الإسلامى يقف حجر عثرة فى طريق تعلم الفرد المسلم وتثقيفه ، ما دام العلم نافعاً غير ضار، والمعرفة مصلحة غير مفسدة وما يرى من جهل المسلمين ليس عائداً إلى سلطان الاخلاق أو الدين عليهم ، وإنما هو عائد إلى تمردهم على ذلك السلطان نفسه وعدم اذعانهم له وخضوعهم لقوانينه التى من أبرزها وجوب العلم على الفرد وتحتمه عليه الدال عليه مثل قوله تعالى: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ .

وأما تهذيب النفس :

بالتخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل فهو منهاج اخلاقى كامل يتطلب دراسة لا يكفيها من الوقت هذه العجالة [1] ولا يتحملها من هذه القرطاس الوريقات ، وبناء على قولهم مالا يدرك كله لا يترك جله ، فإنا نذكر طرفاً من كل من الرذائل والفضائل مع ذكر بعض ما ينفر من الرذيلة وما يرغب فى الفضيلة .
ولما كانت الحكمة قاضية بالتخلية قبل التحلية كما هى الاشارة فى قوله تعالى: ﴿**ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله**﴾ ، وقوله: ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض**﴾ إذ المسارعة إلى المغفرة معناها المبادرة الى ترك الآثام بالتوبة الصادقة ، والمسارعة إلى الجنة معناها التحلى بالايمان والعمل الصالح بعد التخلى عن الشرك والمعاصى .

أما الرذائل :

فجمع رذيلة ، والرذيلة ضد الفضيلة ، وإذا كانت الفضيلة الدرجة فى الحسن والكمال ، فالرذيلة إذاً الدركة في القبح والنقصان ، إذ هى عكس الفضيلة ونقيضها ، ومن الرذائل البعيدة فى القبح والنقصان العجب ، وهو إعجاب المرء بنفسه أو عمله ، أو حسب آدائه ، فيزهو على الخلق ويتعالى على الناس ، ويحتقرهم ، ولا يعترف بفضلهم .

والعجب محبطة للعمل ، مهلكة للمرء ، مفسدة للشرف ؛ أعجب إبليس بشرف أصله فتكبر عن طاعة ربه ، فأيسه الله من الخير وأيأسه من الرحمة . وأعجب المؤمنون فى غزوة حنين كثرتهم فلم تغنِ عنهم شيئاً وأصيبوا بهزيمة مريرة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وتولوا مدبرين .

فكفى بالعجب داء يصيب صاحبه بالغرور به عن طلب الكمال فلا يزال فى نقصان حتى لا يبقى له شرف بين الناس ولا مكانة فى الوجود .

ومن الرذائل الغرور ، وهو وليد العجب ، وحقيقته أن ينظر المرء الى ما يظهر له من قوته ، أو شرف نفسه فيخدعه ذلك، فيفرط فى الانحراف والباطل ، ويفرط فى الحق والاستقامة حتى يصبح من شر الدواب عند الله الصم البكم

---

(١) العجالة : ما يتعجل من كل شيء .

الذين لا يعقلـون، فالغرور داء عضال طـالما قتل ، وعلة مـزمنة كثيراً مـا أوبقت واهلكت ، والـغرور يولده العجـب ويسببه الغـفلة وينميـه النسيان فالخـلاص منه يكون بترك العـجب والابتعاد عن الغفلة ومـقاومة النسيان فذو البصـيرة النافذة لا يغتر بالعوارض الظاهرة وذو القلب الذاكر ، لا تصرفه عن الحق الخواطر وصاحب الضمير اليقظ لا يقع فى تفريط ، ولا ينزل بشطط (١) .

وكفى بالغرور رذالة ان يوبخ به الانسان يوم يلقى الديان: ﴿ **يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم** ﴾ ومن الرذائل المهلـكة الكبر وهو ان يرى المرء لنفـسه الفضل والمجد على غيـره فيحمله ذلك على التـكبر فيغمط الحق وغمـطه عدم الاذعان له والاعتراف به وبغمص الناس وغمصهم احتقارهم والاستهانة بهم ، كما فسر ذلك رسول الله ﷺ والمتكبرون يحشرون يوم القيامة فى صور الذر يطؤهم اهل الموقف لحقارتهم وهوانهـم على الله عز وجل والكبر فى النفس من المـعوقات لها عن كل كمـال إذ هو يمنع مـن طلب العـلم ويحمـل على الاصرار عـلى الجهل . وكـفى بالجهل للمرء قبحاً وشراً .

والمتكبرون مصروفون عن الخير ، مبعدون عن طرقه قال تعالى: ﴿ **سأصرف عن آياتى الذين يتكـبرون فى الأرض بغير الحق** ﴾ والمتكبر لا يدخل الجنة ولو كان ما فى قلبه من الـكبر لا يزيد على مثقال ذرة ؛ لما روى مسـلم :« لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » .

ومن الرذائل النفسية الرياء وهى ضـرب من الشرك ولون من النفاق وكلها لا فلاح معها .

وحقيقـة الرياء : عمل المرء الـعمل الصالح ابتـغاء محمدة النـاس ، أو ابتغاء مذمتـهم حذرمنها الـرسول ﷺ بقوله: « إيـاكم والشرك الأصغر !! قـالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء » ولذا كانت الأخلاق الاسلامية تتنافى مع الرياء ، وتتعارض معها على طول الخـط ؛ إذ خلق المسلم يسير دائماً فى اتجاه واحد لا يعدل عـنه ، وهو طلب الكـمال النفسى والـسمو الروحى ورذيلـة الرياء عائقة عن ذلك مانـعة من الوصول إليه وكيف يعمل من يتـصاغر بجوارحه ويذل بقلبه أم كيف يسمو بروحه من يرجو غير الله ، ويخشى سواه والمراد يتحرك دائما

---

(١) الشطط : التباعد عن الحق مجاوزة العدد المحدد . الجور فى الحكم .

فى دائرة الطمع والخوف فلا يبرح فى ذل الأولى وألم الثانى يعمه فيهما حتى يهلك أو يشاء الله نجاته بالتوبة عليه وانجذابه إليه فيعتقه من عبودية غيره ، ويحرره له ، فينفتح له باب الكمال فيكمل وتشرق فى نفسه أنوار التوحيد فيتبين أن محمدة الناس لا تغنى شيئاً ، وأن مذمتهم لا تضر شيئاً فيرتفع بنفسه ويسمو بروحه ، فيعز ويفضل ويسود .

ومن هذه الرذائل النفسية الموبقة الشح والحرص ، وهما من الأدواء المعضلة والامراض النفسية المهلكة لا يفلح عبد لم يقه الله شرهما ولم يحفظه من خطرهما : ﴿ **ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون** ﴾ حذر الرسول ﷺ من الشح بقوله: « اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » .

وإذا كان الشح : بخل وحرص . فالحرص قوة الشره الى الشىء والرغبة فيه وعظم التمسك والبخل به فهما إذاً خلق واحد من شر الأخلاق وأضرها ، واقبح الصفات النفسية وأرذلها ، لا يتفق مع الكمال النفسى ولا يجامعه ، ولا يتلاءم مع السمو الروحى ولا يصاحبه ، لما بينهما من التضاد والتباين ، وما فيهما من التنافى والتعارض وأخيراً فكل تلك الخلال الرذيلة ، والصفات الذميمة من العجب والغرور والكبر والرياء والشح والحرص مما يمقت الله تعالى عليه ، ويذم المتصف به فلا يبتغى أن يكون للمسلم خلقاً ولا صفة ؛ إذ أخلاق المسلم لا تكون إلا كريمة فاضلة وصفاته لا تكون إلا جميلة لما تنبع منه أخلاقه ، وتنبثق منه صفاته من الإيمان بالله واليوم الآخر ، والتصديق بالحسنى ، وحب الخير للجميع.

وأما الفضائل :

فواحدتها فضيلة وقد تقدم أنها الدرجة فى الحسن والكمال فإنها كثيرة ومنها :

١ ـ التواضع :وهو اللين والتذلل ، وضده القسوة والترصع والتكبر والترفع من الاخلاق الاسلامية الفاضلة التى أمر بها الاسلام وحث على التخلق بها ففى القرآن يقول تعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً** ﴾ وفى السنة يقول الرسول ﷺ :« إن الله تعالى اوحى الىّ ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على أحد ولا يبغى احد على أحد » مسلم .ويقول:« وما

تواضع أحد لله إلا رفعه » مسلم .

وليس التواضع فى اخلاق المسلم ضعة وهونا ، ورضاً بالدون ، وإنما التواضع لين جانب ورقة قول وحسن معاملة ، احترام الناس والاعتراف بحقوقهم وتسليمها اليهم ، مباشرة المرء عمله كأن يحمل متاعه ، ويغسل ثوبه ، ويحلب شاته ، ويعلف دابته ، أو يقود سيارته يماشى الفقراء واصحاب العاهات ، ويجالسهم ، ويؤاكلهم ، ويتحدث إليهم إلى غير ذلك من مظاهر التواضع الصادق الذى هو فضيلة خلق المسلم ، وأدب نفسه وآية إيمانه ، وعلامة خيريته بين الناس.

٢ ـ الإيثار: وهو خلق إسلامى فاضل كريم أثنى على أهله القرآن العظيم فى قوله : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ .

وحقيقة الإيثار أن يقدم المرء غيره على نفسه ويفضله عليها بالمرغوب فيه والمحبوب من طعام وشراب وغيرهما مما يحب الإنسان ويرغب فيه بحكم حاجته أو فطرته. عرف المسلمون الصالحون خلق الإيثار وعاشوا عليه وتنافسوا فيه ، فكان احدهم يجوع ليشبع غيره ، ويعطش ليروى سواه . روى البخارى أن ضيفاً نزل برسول الله ﷺ فلم يجد عند أهله ما يكرمه به ، ودخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى اهله ثم وضع بين يديه الطعام ، وأمر امرأته باطفاء السراج ، وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف إيثاراً على نفسه وأهله فلما أصبح قال له الرسول ﷺ: « لقد عجب الله من صنيعكم الليلة بضيفكم» ونزلت آية : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ .

وحكى غير واحد أن بشر بن الحارث اتاه رجل فى مرضه الذى مات فيه فشكا اليه الحاجة فنزع بشر قميصه الذى عليه فأعطاه إياه واستعار قميصاً مات فيه . . .

وأعجب من هذا وذاك ما حدّث به حذيفة العدوى حيث قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شىء من ماء ، وأنا أقول : ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به فقلت : اسقيك ؟ فأشار الىّ أن نعم . فإذا رجل يقول آه . . . فأشار ابن عمى الىّ أن انطلق به اليه فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال : آه . . . فأشار هشام أن انطلق به

إليه فجئته فـإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قـد مات ، فرجعت الى ابن عمى فإذا هو قد مات .

٣ ــ الزهد: وهو الإعراض عن الدنيا بالقـلب احتقاراً لها ، وعدم اعتداد بها لكثرة كدوراتها ، وسـرعة زوالها ، والاقبال على الآخرة بالقلب والـبدن لصفائها وطول بقائها .

هذا الزهد وبهـذا الحد هو أحد الأخلاق الإسلامية الـفاضلة التى يتحـلى بها المسلم الحق بين الناس فيستديم مودتـهم ، بعد الفوز بحب الله تعالى ورضاه ، إذ روى : ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس.

والزهد الذى هو من اخلاق المـسلم لم يكن ــ كما قد يظن ـــ لبس المرقعات من الثياب ، وترك الـطيبات من الطعام والشراب ، ولا ترك الحـرث والعمل إيثاراً للكسل ولا تفضيل البطالة على العـمالة .وإنما هو عزوف النفس عن الدنيا والرغبة فيهـا حتى لا يصبح لـها فى القلـب مكان ، ولا فى النـفس شأن فلا تكون سـبباً لقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ولا لوصل ما أمر الله به أن يقطع وحتى لاتطلب بديـن ، ولا تشتـرى بشـرف . إن أقبلَتْ لا يـفرح بهـا ، وإن أدبرت لا يـؤسف عليها.

وليس من الزهد ايضاًــ وهو الخلق الفاضل المحبوب ــ الاسترسال وراء مباح الشهوات ، والانغمـاس فى بحر اللذات . إن الزاهد بحق لا يأكل كـل ما يشتهى ولايشرب كل مـا هوى ، ولا يلبس أو يسـكن إلا ما سما أو غلا ، وإنمـا يأكل ما يسد جوعته ، ويحفظ بنيته ، يلبس ما يستر عورته ، ويحفظ مروءته ، ويسكن ما يرد عنه الأذى ويقيه من غائلة الحر فى الصيف ، والبرد فى الشتاء .

والزاهد قلـبه خلو من الحسـد والحقد ، فارغ من الطـمع والحرص ، إذ هذه من مستلزمات حب الدنيا ، والزاهد معرض من الدنيا راغب عنها .

ومن آيات الزهد فى الكتاب الكريم قـول رب العالمين فى خطاب إمام المرسلين **﴿ ولا تمدن عيـنيك إلى ما مـتعنا به أزواجـاً منهم زهرة الحـيوة الدنيا لـنفتنهـم فيه . ورزق ربك خيـر وأبقى ﴾** ، وقولـه: **﴿ بل تـؤثرون الحيوة الـدنيا والآخرة خـير وأبقى﴾** ، وقوله : **﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند**

ربك ثواباً وخير أملا ﴾ .

ومن أحاديث الرسول ﷺ فى الترغيب فى هذا الخلق الفاضل الكريم ما رواه ابن ماجه بسند جيد :« من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره ، وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة» ومن أحسن ما يؤثر عن السلف فى خلق الزهد قول الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى : جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا .

٤ ــ القناعة :وهى من صالح الأخلاق وفاضل الخلائق وسيلة لخلق الزهد ، وطريق الوصول اليه ، أن من لم يتصف بالقناعة والرضا لم يتصف بالزهد فى الدنيا ولا بالرغبة عنها ، لأن حقيقة القناعة الرضا بما قسم الله للعبد ، واكتفاؤه بما أحل له عما حرم عليه ، واستغناؤه بما أعطاه عما أعطى سواه فالطمع والسخط والبخل والحسد كل هذه ضد القناعة وضراتها لا تجتمع معها فى قلب ، ولا تتفق معها فى طريق الوصول إلى الكمال النفسى والسمو الروحى .

إن الزهد كما علمنا رغبة عن الدنيا وأخرى فى الآخرة واعراض عن الأولى بالقلب ، واقبال على الآخرة بالقلب والبدن معاً .

والقناعة سبيل الزهد والطريق الموصل اليه فكيف إذاً يجتمع الطمع مع القناعة أو يلتقى الحرص على الدنيا مع الزهد فيها . أو يتفق البخل بالدنيا وعدم الرغبة فيها ؟؟

ومن هنا كانت القناعة نعم الخلق للمسلم يكسبه الغنى مع الأخلاق ، والعز بدون سلطان ، رغب الرسول ﷺ بقوله :« طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به» (١) . وقوله:« ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس » (٢) .

ومن خير ما روى السلف فى مدح القناعة قول القائل :

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بياس فإن العز فى الياس

---

(١) مسلم . (٢) فى الصحيح .

واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ان الغنىّ من استغنى عن الناس

٥ ـ العدل: وهو من الأخلاق الإسلامية الفاضلة الكريمة التى يتحلى بها المسلم ، ويعيش عليها بين الناس مثالاً للاستقامة ، والعدل فلا يجور فى حكم ، ولا يظلم فى قول أوفعل يجتنب كبائر الذنوب وصغائرها ، ويبتعد من الفواحش ظاهرها وباطنها .

هذا العدل هو الذى أمر الله تعالى المسلم به فى قوله: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ وقوله: ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** ﴾ وقوله :﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ .

وهو القسط الذى أمر الله المؤمنين به فى قوله: ﴿**وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**﴾ وقوله :﴿ **كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين** ﴾ وأخبر الرسول ﷺ عن كرامة أهله عند الله يوم القيامة فى قوله ﷺ :« إن المقسطين عند الله على منابر من نور : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم ، وما ولوا » مسلم وأحمد . وقوله ﷺ:« سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ،وشاب نشأ فى عبادة الله » الحديث الصحيح .

ويتجلى خلق العدل فى سلوك المسلم بكامله فيشمل عقيدته ، وأقواله وأفعاله وأحكامه فلا يعتقد المسلم صاحب خلق العدل غير الحق ولا ينطق بغير الصدق ، ولا يفعل غير الخير ولا يحكم بغير الحق هذا شأنه فى سلوكه كله ، فلا يخرج عن دائرة العدل ولا يحاول التقصى عنها إلى الحيف والجور إذ هيمنة خلق العدل عليه ، تمنعه من ذلك ولا تسمح له به .

٦ ـ العفو :وهو ترك المؤاخذة على الذنب مع القدرة عليها بسلطان النفس ، أو سلطان الشرع ، وهو من أسمى الخلائق وأكرمها وأشرف الصفات وأنبلها يأتى دون العدل فى المرتبة ، وقد يشرف عنه أحياناً ويسمو فيفوق أحبه الله واتصف به كما فى الحديث الصحيح :«اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فأعف عنى » وذكر أهله بخير فى قوله :﴿ **والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ . وفى قوله : ﴿**وإذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾ ورغب فيه كما رغب فى فعل الخير فى قوله : ﴿**إن تبدوا خيراً أو تخفوه ، أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً**﴾ وقوله : ﴿**وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم**﴾. كتب الله تعالى على المؤمنين

القصاص ، وأذن فى المعاقبة بالمماثلة ، ولـكنه لم يترك دعوة عباده إلى العفو عن بعضهم مع القدرة على القصاص والمعاقبة : وقال تعالى: ﴿ **فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان** ﴾ وقال :﴿ **وجزاء سيئة سيئـة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ .

اقسم على شرف خلق العفو الرسول ﷺ في قوله :« ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة ،ومازاد الله عبداً بعـفو إلا عزاً ومـن تواضـع لله رفـعه الله» (مسلم) وذكر من شرف أهـله ما لا مزيد عليه فى قوله من روايـة الطبرانى عن أنس بسند حسن : إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعى سيوفهم على رقابهم تقطر دماً ، فازدحمـوا على باب الجنة فقيل من هؤلاء ؟ قيل الـشهداء كانوا أحياء مرزوقين ، ثـم نادى مناد : لـيقم من أجـره على الله فلـيدخل الجنـة ، ثم نادى الثانـية ليقم من أجـره على الله فليدخـل الجنة ، قال : ومن ذا الذى أجـره على الله؟ قال : العافـون عن الناس ثم نادى الـثالثة ليقـم من أجره على الله فلـيدخل الجنة وقام كذا وكذا ألفاً ، فدخلوها بغير حساب .

وبخلـق العفو أخـتم هذه الرسـالة سائلا الله تعـالى أن يعفـو عنى ويعـافنى ويرضى عنى ويرضنى ، وأن يعاملنى بلـطفه ويجعل دعوتى هذه تنال كل من دعا لى بخير أو أشركنى فى دعاء خير آمين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الرّسَالة العَاشِرة

المُسلـم الحـقّ

في هذه الصفحات الصورة الحقّة للمسلم الحق

كما بيّنها الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة

من المعلوم ان كل إنـسان يتكون من رأسه ويديه ورجلـيه ، وفى رأسه وجهه وسمعه وبصره وتفكـيره ، وعليه فسيجرى رسم هذه الأجزاء متتالـية حتى تكتمل الصورة المطلوبة للمسلم .

هذا ،ولم أرد برسـم هذه الصورة للمسلـم الحق إلا إبراز الشخصية الـكاملة للمـسلم الكامـل الذى يستحـق الاعزاز فى الدنـيا ، والتكريم فـى الآخرة وذلك لغرضين اثنين :

أولهما : إيـصاد الباب فى وجه كل دخيـل على الاسلام ،ينتسب إلـيه باطلا وزوراً .

وثانيهما : وضع مثالٍ عالٍ من المسلم لمن أراد أن يكون من المسلمين .

١ ــ القلب

نظراً إلى أن أهم عضو فى جسم الإنسان هو « القلب » وذلك لقول الرسول ﷺ: « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسدُ كله ، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كله ، ألا وهى القلب » .

فإنى قد ابتدأت برسم قلب المسلم قبل أعضائه التى يتكون منها جسمه وتبرز بها شخصيته ، قلب المسلم حىٌ صالح للتلقى والإرسال ، يعرف المعروف وينكر المنكر ، بخلاف قلب غيره فإنه ميت لايعرف المعروف ولا ينكر المنكر .

جاء فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: « تُعرَض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأىّ قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسوداً مرباداً كالكوز ، مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً » .

ومن مظاهر حياة قلب المسلم : أنه يحب ما أحب الله ويكره ما يكره الله ، يُذكر بالله عز وجل فيذكر ، ويخوَّف من الله فيخشى ويخاف .

وبناء على هذا فالقلب إذا كان يسارع إلى محبة ما يكره الله من الكفر والكافرين والظلم والظالمين والفساد والمفسدين وهو مقيم على بغض الإيمان والمؤمنين ، والصلاح والصالحين ، . . فليس هو بقلب المسلم .

وإذا كان القلب يذكر بالله وآياته ، وبنعم الله تعالى ونقمه فلا يذكر ، ولا يبرح مقيما على الباطل اعتقاداً وعملاً ، عاكفاً على الشر والفساد قولاً وفعلاً. . . فهذا القلب ليس بقلب المسلم ، قال تعالى: ﴿ **وإذا ذكروا لا يذكرون** ﴾ .

وإذا كان القلب يخوف بالله تعالى وعذابه فلا يرهب ولا يخاف ، ويستمر فى بغيه فى الأرض وعدوانه على الخلق ، فيقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسد فى الأرض فيهلك الحرث والنسل ،يستبيح الربا والزنا ويشيع الخمور والفجور. . . فهذا القلب ليس بقلب المسلم قال تعالى ﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾ .

٢ ــ الرأس

يتكون الرأس عادة من: الوجه ، والسمع ، والبصر ، والنطق وهى أجزاؤه وبه يكون التفكير ، وفى الوجه يكون الحياء .

فلنرسم هذه الاجزاء واحداً بعد واحد ، ولنبدأ بالتفكير ! . . .

١ ــ التفكير :

إن التفكير عند المسلم لا يخرج عن دائرة ما ينفع الناس فى معاشهم ومعادهم أعنى فى دنياهم وأخراهم ، هذا بصورة عامة ، وفيما ينفع المسلمين بصورة خاصة، وفيما ينفع به نفسه بصورة أخص .

وعليه فالرأس الذى يفكر فيما يضر الناس فى دنياهم وآخرتهم وبخاصة المسلمين وذلك بإلقاء الشبه اليهم وإثارة الفتن بينهم ، وإشعال نار الحروب فى أقطارهم وديارهم . . ليس برأس المسلم .

والرأس الذى لا يفكر فى واجب دعوة الخلق الى الخالق ، وتوجيه الناس عامة والمسلمين الى توحيد ربهم ومعرفته وعبادته ، وإنما يفكر فى صرف الناس عن ذلك وإبعادهم عنه ، وفيما يحول بينهم وبين توحيد الله تعالى وذكره وعبادته، ويحيل تفكيره إلى أقوال وافعال فيتخذ من شعار القوميات ما يفرق به بين المسلمين ، ويضع من القوانين والأنظمة ما يحارب به شريعة الله والمؤمنين. . . فهذا الرأس ليس برأس المسلم .

والرأس الذى لا يُرفع بكتاب ولا بسنة نبيه ﷺ ، ولا يعتز بعزة الإيمان والإسلام ؛ وإنما يعتز بعادات الجاهلية وقوانين الوثنية ويعتز بشعارات الكفر والالحاد . . . ليس برأس المسلم .

قال رسول الله ﷺ :« من أصبح وهمه غير الله فليس من الله ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم » .

٢ ــ الحياء :

وجه المسلم يملأه رواَّء الحياء ، ويجرى فيه ماء الاحتشام فلذا هو لا يفحش ولا يعربد ولا يجاهر بالسوء ، ولا ينطق بالفحش ولا بالبذاء .

وعليه فالوجه الصفيق الذى يبهت صاحبه المسلمين ويفترى عليهم ، ويرميهم

بما ليس فيهم ، ولا يحمر أو يخجل حياء واحتشاماً . . . ليس بوجه مسلم .

والوجه الخالى من الحياء الذى لا يتمعر عند قول السوء ولا يحمر عند فعل ما لا يحسن ، أو قول ما لا ينبغى . . ليس بوجه المسلم .

قال رسول الله ﷺ: «الحياء والإيمان قُرنا جميعاً فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر» وقال ﷺ: « الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » .

٣ ــ العين :

عين المسلم تنفتح لرؤية الخير وتغمض عند رؤية الشر ، فليست هى مفتوحة دائماً ، ولا هى مغمضة دائماً ، إذ المسلم يفتح عينه حين يرى مكاناً لفتحها ، ويغمضها حيث لا يرى مكاناً لفتحها ، أما غير المسلم فعينه مفتوحة للشر لا تغمض ابداً ، كما هى عن الخير مغمضة لا تفتح أبداً .

فالعين اللحاظة للعيون والمتتبعة للعورات المفتوحة للحرام لا تغمض ابداً . . ليست بعين المسلم قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ وقال الرسول ﷺ: « إياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله لابد لنا من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ :«إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غضُّ البصر ، وكفُّ الأذى ، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وقال ﷺ :« العينان تزنيان » وقال على رضى الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فأمرنى ان أصرف بصرى .

٤ ــ الأذن :

سمع المسلم كبصره لا يلقيه ولا يسمع به إلا حيث يرى أن فى السماع خيراً ، وان فى المسموع إذناً ؛ وإلا فلا يلقى سمعه ولا يسمع لان سمعه نعمة من الله تعالى فلا يصرف هذه النعمة فى معصيته وإنما يصرفها فى طاعته ليكون بذلك شاكراً لها.

ومن هنا كان السمع الذى يتلذذ صاحبه بسماع الباطل ويرتاح لسماع الزور والبهتان . . . ليس بسمع المسلم .

والسمع الذى يطرب صاحبه لسماع الغناء وألفاظ الفحش والبذء . . . ليس بسمع المسلم .

قال تعالى فى ذم اليهود ﴿ **سماعون للكذب أكّالون للسحت** ﴾ وقال رسول الله ﷺ: « من استمع الى حديث قوم وهم لـه كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » .

٥ ــ اللسان

منطق المسلم سليم لا عيب فيه وطاهر لا أذى منه ولا بأس به قوله الحق ، ونطقه الصدق ، لسانه لا يفتأ رطباً بذكر الله ، ولا يبرح يحمد الله على ما أتاه ، لا يسكت عن منكر يسمعه أو يراه ولا يخرس على معروف يضيع بين عباد الله ، وعليه فاللسان الذى لا ينطق بالحق ، ولا يفوه بالصدق . . ليس بلسان المسلم .

واللسان الذى يستبيح أعراض المسلمين فيلغ فى كل عرض ويستحل حرماتهم فيرتع بقالة السوء فى كل حرمة لهم . ليس بلسان المسلم .

واللسان الذى لا يتنزه صاحبه عن ان يكفه عن النطق بالفحش والبذاء ، والتكلم بألفاظ الهجر والكفر . . ليس بلسان المسلم .

واللسان الذى يطيب لصاحبه التمدح بالباطل وأهله ، والتغنى بالبغى وأصحابه ولا يقوى على قول كلمة حق يقولها لله ، ولا يقدر على كلمة حمد لله أو ثناء عليه . . ليس بلسان المسلم .

واللسان الذى يرى صاحبه المعروف بين الناس ضائعاً متروكاً ، فلا يأمر به ولا يحث أو يدعو إليه . . ليس بلسان المسلم .

واللسان الذى يرى صاحبه المنكر مرتكباً امامه ويُجاهَر به ويعلن عنه وهو قادر على إنكاره وتغييره فيخرس عنده ولا ينطق بكلمة تغيير ولا بعبارة نكير ، ولا يظهر منه ما يدل على إنكاره له أو امتعاضه منه ، أو اشمئزاز من رؤيته . . ليس بلسان المسلم .

قال تعالى : ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه**﴾ وقال رسول الله ﷺ: « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وقال عليه الصلاة والسلام :« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

٣ ــ اليد

يد المسلم مظهر من مظاهر قوّته وطاقة من طاقات قدرته فيستعملها فى البر

والخير ، ويستخدمها فى كل صالح للخلق نافع لهم . فهو يكفها عن أذى الخلق، ويمنعها من البطش بالناس ويسخرها فى طاعة الله ، فيجاهد بها أعداء الله ويميط بها الأذى عن عباد الله ؛ فيغير بها المنكر ، ويقرر بها المعروف .

ولهذا فاليد التى لا تستعمل فيما ينفع الخلق ويصلح حالهم ، ولا تستخدم فيما يعود عليهم بالخير العاجل أو الآجل ، وإنما تستعمل فى جلب الأذى والشر وتستخدم فى الباطل والفساد . . ليست بيد المسلم .

واليد التى لاتبرح ملطخة بالجريمة تبطش بالمسلمين وبأولياء الله وصالحى عباده . . ليست بيد المسلم .

واليد التى لا تفتأ تسلب اموال الناس وتغتصبها وتعتدى على اموال الغير وتصادرها . . لست بيد المسلم .

قال الرسول ﷺ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»وقال ايضاً ﷺ: « من اخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين » .

٤ ـــ البطن

بطن المسلم لم يكن سوى وسيلة لتغذية جسمه الغذاء الذى يحفظ به قوته البدنية ، تلك القوة اللازمة للقدرة على الحركة والعمل ؛ فيقوم بواجب العبودية لله تعالى بطاعته فى أداء فرائضه والوقوف عند حدوده .

فلم يكن ما يجعله المسلم فى بطنه من اكل وشرب غاية للأكل والشرب ، وإنما هو غاية للقدرة على العمل بطاعة الله تعالى أداء لواجب العبودية ، وتحقيقاً للغاية التى خلق من أجلها :﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

ولذا كان المسلم دون غيره لا يأكل فى بطنه حراماً ولا يشرب ممنوعاً لأنه يأكل ما يأكل ويشرب ما يشرب لأجل القوة على طاعة الله والعمل على مرضاته ، فكيف إذا يعصيه بنفس السبب الذى يريد أن يطيعه به .

ومن هنا كان والحق يقال : البطن الذى يأكل صاحبه ويشرب لذات الاكل والشرب . . ليس ببطن المسلم .

والبطن الذى يكون الطعام فيه قوة على معصية الله تعالى والفسق عن أمره والخروج عن طاعته . . ليس ببطن المسلم .

والبطن الذى يـزدرد فيه صاحبه ما حل وما حرم ومـا طاب وما خبث ، ولا تقضى شهوته مـن الطعام والشراب ولو اكل ما فى الأرض جميـعاً . . ليس ببطن المسلم .

قال رسول الله ﷺ : « المؤمن يأكل فى معى واحـد والكافر فى سبعة أمعاء » وقال ﷺ : « المؤمن يشرب فى معى واحد والكافر يشرب فى سبعة أمعاء » .

٥ ـ الفـرج

شهوة الفرج عند المسلم كشهوة البطن لاتعدو كونها وسيلة الى غيرها لا غاية مقصودة لذاتها .

فالمسـلم يعلم أن من وراء الـشهوة الغريزيـة أهدافاً ودونها غايـات ، فهو لا يأتيها كما يأتيها غيره من أهل الغفلـة والهوى ، وإنما يأتيها وهو ذو بصيرة بنتائجها ومعرفـة بالاهداف التى يـأتيها من أجـلها وهى إحـصان نفسه وإحـصان زوجه ، والابقاء علي رابطة الـزواج ثابتة قوية ، وعلى مودة الزواج ورحمتـه باقية نامية، بعد ابتغاء النسل والحفاظ على النـوع الإنسانى . ومن هنا كان المسلم لا يسرف فى هذه الشهوة ولا يأتيها من غير الوجـه الذى أبيحت منه وحلت به من زوجة حرة طاهرة أو أمة مؤمنة مملوكة له ظاهرة .

وعلـيه فالفـرج الذى لا يراعى صـاحبه اهداف هـذه الشهوة وغـاياتها عـند ارادتها . . ليس بفرج المسلم .

والفرج الذى يسرف صاحبـه فى إتيان الشهوة البهيمية حتـى لا يبالى أتاها فى حلال أم فى حرام ، ولا من حيث يحسن إتيانها أم يقبح . . ليس بفرج المسلم .

والفرج الـذى لا يقصر علـى الزوج أو ما ملكـت اليمين ولا يحـفظ مما دون ذلك . . ليس بفرج المسلم .

قال تعالى: ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظـون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ وقال رسول الله ﷺ: « ما من ذنب بعد الشرك اعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى رحم لا يحل له » .

٦ ـ الرجل

رجل المسلـم لا تمشى فى غير طريق الله تـعالى ، ولا تخطو فى غيـر مرضاته

فلا يغدو بها إلا إلـى خير ولا يروح إلا إلى مثله . . رجل المسلم يمـشى بها ولكن إلى الخير والاصلاح ، ويسعى بها ولكن الى مـيادين الشرف ويسابق بها ولكن فى مجالات البر والاحسان .

وبناء على هذا فالرّجل التى لا تمـشى مرة فى سبيل الله ولا خطوة واحدة فى مرضاة الله . . ليست برجل المسلم .

والرّجل التى تغدو ما غدت ، وتروح مـا راحت ، إلا الخير والمشى إلى الشر والفساد ، والباطل والمنكر . . ليست برجل المسلم .

والرّجل الـتى لا يعرف صـاحبها الـسعى إلى الخـير والمشى إلـى المعروف ولا المسابـقة فى ميـادين البر والاصـلاح وإنما يسعـى إلى الفسـاد ؛ ويمشى إلى الـشر ويسابق فى الباطل ، وينافس فى المنكر والفساد .. ليست برجل المسلم .

قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر** ﴾ وقال ﷺ: « من مشى مع ظالـم ليعينه وهو يعلمُ أنه ظالم فقد خرج من الاسلام » وقال: « من مشى مع ظالم فقد أجرم » .

لفت نظر : المسلـم الذى رسمنا صـورته هو ذاك الذى قال الله عـنه: « من آذى لى ولياً فـقد آذنته بالحرب ، ومـا تقرب إلىّ بالنوافـل حتى أحبه فإذا أحـببته كنت سـمعه الذى يسـمع به ، وبصره الـذى يبصر به ، ويـده التى يبطـش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه » البخارى .

مظهر المسلم

للمسلم مظهر بارز تكتمل به شخصيته ، وتتميز به ذاته عن شخصية غيره وذات سواه ، ومن هنا كان الاسلام لا يهمل شأن المظهر ، ولا يسقطه من حساب الحياة كما يرى بعض من لا بصيرة لهم فى الاسلام ولا معرفة لهم بدقائق أحكامه وأسرار شريعته .

حقاً . . ! الاسلام عنى بالبواطن اكثر من عنايته بالظواهر ولكنه لم يهمل الظواهر ولم يسقطها من حسابه أبداً .

وها هى ذى ثلاثة مظاهر من المظاهر التى عنى بها الإسلام فى المسلم وجعلها ذات طابع خاص به ألا وهى :

الشعر ـ واللباس ـ والنظافة :

أ ـ الشعر : فالشعر إذا كان فى الرأس فقد أمرَ باكرامه وذلك بدهنه وتطييبه وتسريحه وتشذيبه حتى يكون لائقاً صالحاً ، قال الرسول ﷺ :« من كان له شعر فليكرمه » . وإن كان فى الوجه فقد أمر باعفائه فى اللحية وتوفيرها حتى يملأ الوجه ويرويه ، ويصبح بذلك فارقاً بين وجه المسلم ووجه غيره من أهل الشرك والكفر ، وبين وجه الرجل ووجه المرأة مطلقاً ، قال الرسول ﷺ :« خالفوا المشركين أحفوا الشارب ووفروا اللحى » وقال ﷺ أيضاً :« لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء » ، وإن كان الشعر فى الشارب فقد أمر باحفائه أو قصه فقال ﷺ: « قصوا الشارب وأعفوا اللحى » .

ب ـ اللباس عادى : وأما اللباس فإنه :

أولاً ـ اعتبره فارقاً بين الرجل والمرأة ، فمنع الرجل أن يلبس لبس المرأة ومنع المرأة أن تلبس لباس الرجل فقال ﷺ: « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » . وذلك من أجل الحفاظ على قوة شخصية الرجل وبروز خصائصه التى تتم له بها القيومية على النساء .

وثانياً ـ نهى عن القدر الزائد عن حاجة الرجل منه فجعل ما زاد عن

الكعبين محرماً أو مكروهاً فقال ﷺ: « لا ينظر الله الى من جرّ ثوبه خيلاء » وقال ﷺ : « ما أسفل من الكعبين من الازار فى النار » .

ثالثاً ــ حرَّم لباس الشهرة ، وهو اللباس الذى يخالف به المسلم لباس مواطنيه ليشتهر فيهم لما فى ذلك من التمييز المؤدى إلى الكبر والخيلاء المحرمين .

قال ﷺ : « من لبس لباس شهرة ألبسه الله لباس مذلة يوم القيامة» .

رابعاً ــ حدد لباس المرأة بالطويل السابغ الذى يستر كل شىء منها إلا الوجه والكفين هذا فى بيتها ومع محارمها ، أما إذا خرجت من البيت أو كانت مع غير ذى محرم لها فإنه أمرها أن تخمر وجهها وتستر محاسنها ومواضع الزينة منها قال تعالى: ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾الآية .

خامساً ــ حرم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجل وأحل ذلك للنساء فقال رسول الله ﷺ وقد وضع فى يديه حريراً وذهباً : «هذان حرام على رجال أمتى حلٌ لإناثها » .

جـ ــ النظافة : وأما النظافة فقد فرضها على المسلم فرضاً فأوجب الوضوء للصلاة، وألزم بغسل الجنابة كل جنب ، وأمر بغسل الجمعة ، وانتدب إلى مس الطيب ولباس النظيف والأبيض لكمال النظافة فى المسلم ، والوصول إلى الغاية منها .

وأخيراً أليست هذه من المظاهر ؟ وقد اعتنى الإسلام بها ، وجعلها من مهام رسالته ومقاصد دعوته ؟ فكيف إذن يدعى كمال الإسلام من يحلق وجهه حتى لايبقى به شعرة واحدة تدل على أنه رجل ، ثم يتختم بالذهب فى يمينه ويساره ويلبس الحرير فى دثاره وشعاره ويستر بثيابه أعقابه وعراقيبه ، ويأذن لعقيلته وكريمته بأن تبدى زينتها وتكشف نحرها وساقها وتضع يدها فى يده وتخرج معه إلى الشارع عارية ، وهو لا يستحى من هذه المخالفات كلها ولا يخجل .

وقد يذَّكرَ فلا يذكر ولا يندم أو يستغفر ، وياليته وقف عند هذا الحد من الهد؛ بل ادعى أن الإسلام ليس بمظهر وأن هذه الحدود فى الشرع من القيود ، وأن التزامها من الجمود والرجعية والركود. .! فليقل لنا بربه ، لما أسقط هذا المظهر اتكالا على المخبر ماذا فى مخبره ؟ إيمان بالله حمله على أن يظل مجاهداً

فى سبيل الله ؟ وأن يبيت راكعاً ساجـداً تقرباً إلى الله ؟ أم حب لرسول الله حمله على أن يوقف حياته دفاعاً عن ملته وحماية لسنته ، وتبليغاً لدعوته ؟ فإن لم يكن فى مـخبره غيـر هذا فماذا فـى هذا المخبر سـوى نتن الإلحاد ، ومرض الـشك ، وعفونة الـشرك !؟ وختاماً : اللهم اهـد منا من ضل ،وأصلح مـن فسد ، وتب على من تاب وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

تنبيه ــ جميع أحاديث هذه الرسالة ما بين صحيح وحسن .

الرِّسَالة الحَادِيَة عَشَرَة

الشباب السعُودى

خصائصه . رسالته . مسؤوليته . ما يشكو منه .
ما يراد له . رسم طريق له إهابة به للسير
فى الطريق المرسوم له . أثمن فرصة
له لو يهتبلها .

فيصل الإسلام

يبايع لقيادة منظمة شباب المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقَـــدمة

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته ، وقام على ملته .

وبعـد :

إن الشباب السعودى الذى آثرنا مخاطبته فى هذه الرسالة ،والحديث إليه على صفحاتها ، ونحن نشعر بالقرب منه حتى لكأن كل شاب منه ماثل بين أيدينا يصغى لما نقول ويسمع لما نخاطبه به ، هذا الشباب ليس هو فى فتوته ، وكمال شبابه بأقل مستوى من شباب العالم الإسلامى ، ولا هو بأكثر منه قوة وعزماً ، وتدفق حيوية واكتمال نماء وإنما هو كغيره من شباب العالم الإسلامى غير أن له خصائص خلقية ، ومقومات روحية ليست لغيره جعلتنا نتوجه إليه بهذا الحديث دون غيره لنعلمه أن له رسالة ، وأن عليه مسؤولية ، وإنا نشكو منه أموراً ، ونريد له أخرى. وأن من واجبنا ما دمنا قد اتصلنا به وخاطبناه أن نرسم له طريقاً ــ ونحن أكثر منه تجربة وخبرة بالحياة ــ تمكنه من أداء رسالته ، والنهوض بمسؤوليته ، والتخلص مما نشكوه منه ، وتحقيق ما نريده له . ونحن نهيب به فى صدق ، وندعوه فى إخلاص إلى السير فى الطريق الذى رسمنا ؛ لأنه سبيل مجد ، والشباب للمجد . ــ عادة ــ طلاب !!

والآن وقد تحددت النقاط التى أردنا أن تكون مكان التقاء بيننا وبينه وهي : خصائصه ــ رسالته ــ مسؤوليته ــ ما نشكوه منه ــ ما نريده له ــ طريق السير الذى رسمنا له ــ إهابتنا به للسير فيه .

فلنبحثها معه بروح من المودة والاحترام .

خصائصه

إن للشباب السعودى خصائص روحية اختصه الله بها ومميزات لم تكن لغيره من شباب المسلمين ، تمكنه بدون شك لا من قيادة العالم الإسلامى فحسب بل من قيادة العالم الإنسانى بأسره ، وتلك الخصائص نشير إليها فيما يلى :

١ ــ وجوده فى أرض عريقة فى القداسة، متأصلة فى الكرم ، راسخة فى المجد ، بعيدة عن اللوث الحضارى المتعفن متسامية عن حمأة الماديات المرذولة .

٢ ــ كونه من أرومة بشرية سامية ، ومن سلالة هى خير سلالة فى العالم ، فقد جمع آباؤه بين مكارم العروبة الأصيلة ، وأخلاق الإسلام الشريفة ،ما كانوا به أمة ممتازة فى العالم ، بحيث لم يعرف الناس أمة خيراً منها ، ولم تكتحل عين الوجود بمثلها : شرف أصل ، ونور هداية ،وصلاح عقيدة ، وعزة سلطان ، وعدالة حكم ، ورحمة فتح ،وكمال خلق ، وصفاء روح .

٣ ــ ما أكرمه الله به من رعاية حرمه وحماية بلده وبلد رسوله ، ومن جعله أميراً للمسلمين فى حجهم ، وإماماً فى أداء مناسكهم وكفى بذلك شرفاً وفضلاً!!

٤ ــ طهارة المجتمع الذى يعيش فيه ، وبعده عن كثير من المفاسد التى وقع فيها غيره من المجتمعات بحيث لا يوجد مجتمع أنقى وأطهر ، ولا أصلح وأكمل من المجتمع السعودى اليوم ــ والحمد لله .

٥ ـ ما أنعم الله تعالى به عليه من حكم إسلامى عادل رحيم ، يقوم عليه ملك صالح له من الهمة العالية ، والحنكة السياسية ، ما يجعله مثال الملوك الصالحين فى العالم الإنسانى . ولا مبالغة .

وبعد فهذه الخصائص للشباب السعودى كافية فى أن تبوأه مركز القيادة للبشر، وأن تجعله حرياً بالنصر فى كل معركة من معارك الحياة ، وجديراً بالفوز والسبق فى كل ميدان .

كما هى خليقة أن تجعل منه المصلح المنتظر لإنقاذ المسلمين مما تردوا فيه من هوّة الفساد السحيقة ، والشر المستطير . عجل الله بخلاصهم ، وأنجاهم مما هم فيه آمين .

رسالته

وبهذا كانت للشباب السعودى رسالة مقدسة لم تكن لغيره من شباب المسلمين. وها نحن نحصرها له فى الجوانب التالية :

١ ــ صيانة عقيدته أن تفسد ، حماية أخلاقه أن تسوء ، الحفاظ على دولة القرآن أن تدول ، وعلى شريعة الإسلام فيها أن تزول ، أو تحول .

٢ ــ جمع شتات الجزيرة ، ولم شعث أبناء العشيرة ؛ إذ حرام أن تنقص «جزيرة الإسلام» من أطرافها أو يخيم الجهل على أحقافها ، ويعتم الفساد فى مدائن شامها . وابن بلد الله ناعم فى بحبوحة من العيش ، نائم فى دائرة من المجد .

٣ ــ تعهد تركة الآباء ــ الإسلام وشرائعه ــ إذ عبث بها العابثون . وأضاعها المفلسون .

إن البلاد ــ أيها الشباب ــ التى كان يزينها خلق الإسلام ، ويحكمها قانون القرآن ، وتمنعها قوة الإيمان قد أصبحت نهبى بين الكافرين ، وأمست حقول تجارب لنظريات الملاحدة الشيوعيين ، عمها ظلام الكفر بعد نور الإيمان ، وفشا فيها داء الجهل بعد صحة العلم ، وسلامة العرفان .

فمد إليها أيها الشباب يدك الطولى وهبها نفساً من أنفاسك الألى ، لتستبدل خوفها أمناً وذلها عزاً ــ وفسادها صلاحاً ، وشقاءها سعادة وهناءً.

وبعد فهذه جوانب رسالتك أوجزناها لك فى عبارة ، وأبرزناها فى إشارة فتقدم لحملها وسر بها إلى غاياتها ، واعلم أنك لن تعدم من الله العون ، ولا الأجر غير الممنون .

مسؤوليته

إن عليك أيها الشباب السعودى ــ لمسؤولية ، لو تصورتها لهالَكَ أمرها ، ولو فكرت فيها لأفزعك خطرها ، إنها مسؤولية ذات أبعاد كبيرة ، وتبعات خطيرة . وها نحن نكشف لك النقاب عن جوانب منها فى استفهامات قليلة علّك تعرف عنها ما يمكنك معه أن تقوم ببعض الواجب ازاء مسؤليتك الملقاة على عاتقك أيها الشباب وهاه ذى الاستفهامات .

١ ــ هل تدرى أنك بحكم رسالتك التى اوضحناها لك مسؤول بعض المسؤولية عن كل شبر فى الأرض يوجد فيه بغىٌ أو فساد ، أو ظلم أو اضطهاد ؟ وعن كل شقاء أو تعاسة تصيب بنى الانسان فى دنيا الحياة ؟

٢ ــ وهل تدرى أنك مسؤول عن ابلاغ رسالة محمد بجميع عقائدها وشرائعها واحكامها والى بنى الناس كلهم ، وأن هذه المهمة لا تنتهى حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ؟

٣ ــ هل تدرى ، أن أعين المسلمين فى مختلف بلادهم لا تبرح ترنوا إليك طالبة خلاصها من أسر الجهل والفساد ، وتحريرها من رق الشبهات والشهوات ؟

٤ ــ هل تدرى أن ما حلَّ بالعالم اليوم من فساد لايرجى له من إصلاح إلا من طريقك ، وأن مشاكل العالم الكبرى التى استعصى حلها لن يوجد لها حل كامل إلا عندك ؟

٥ ــ هل تدرى أن ما جاء فى هذه الاستفهامات ما هو إلا جزء يسير من مسؤليتك التى هى أعظم وأضخم بكثير مما نرسم أو نصور ؟؟

ما نشكوه منه

وإذاً فقل لى بربك هل يليق بمن هذه حاله ان يخلى ذهنه من كل شيء وأن يفرغ قلبه من كل هم إلاّ همّ الأكل والشرب واللباس والسكن ؟

وهل يليق به أن لا يكون له فى حياته من هدف إلا أن يدرس ويتعلم وينجح ويحصل على وظيف فيتوظف ويوفر له المأكل والمشرب والمسكن والمركب وليس غير .

وهل يليق أن يهجر المساجد وهى بيوت الله ، ويعمر المقاهى والملاهى وهى بيوت الشيطان ؟

وهل يليق به أن يستبدل بتلاوة القرآن وأناشيد البطولة ، وأهاجيز المناجاة ، وأراجيز الملاقاة يستبدلها بالولوع بسماع اصوات المغنين والمغنيات وبأقبح الألفاظ واحط العبارات ؟

وهل يليق به أن يرسف فى اغلال الشهوات ، وأن يستديم الحياة فى اصفاد

الماديات ، ولا يحاول الانعتاق ، أو يطلب الانطلاق ليعيش حراً فى دنيا الكمالات طليقاً فى سماء الروحانيات ؟

وهل يليق به أن يُسف فى الحياة حتى لا يرى له واجباً الا ترجيل شعره،وإطالة ثيابه ، وحلق وجهه ، وتنعيم بشرته ، وأن يتخذ من « الفصفص » مسلاة ، ومن رخيص القصص ملهاة .

وهل يليق به أن يعجب بأفكار الملاحدة ، ويتحمس لمبادئ الهدم والتخريب ويصغى باعجاب الى روايات الباطل ، وأحاديث الكذب والبهتان ؟

وهل يليق به أن يفتح قلبه ، ويفسح فى صدره لقبول آراء خصومه ، وافكار أعدائه تلك الآراء والأفكار التى لو اخذ بها لأدنته من الهاوية بعد أن تسلخه من معنى وجوده ، وتجرده من كل اعتبار ذى قيمة فى الحياة ؟

وإذا كان الجواب منك ــ يا شباب الحمى ــ هو لا . فإن هذا الذى لا يليق بمثلك قد شكوناه فى مرارة من بعض أفرادك ، واستنكرناه فى أسف من بعض أجزائك ، وهو ما لا نريده لك .

ما نريده له

وان قلت : وبعد فماذا تريد لنا أيها الشيخ ؟ أجبناك بأنا نريد لك ما يكملك ويرقيك ، نريد لك:

١ ــ بصيرة نيرة لا تخدع بالبهارج ، ولا ينطلى عليها الكذب ، ويخفى عليها البهتان والزور ، فلا ترتاح معها لسماع تضليل الاشتراكيين عملاء موسكو وحرفاء الماركسية الشيوعية، ممن استبدلوا بمبادئ الاسلام المبادئ اللينينية الشيوعية .

٢ ــ عقيدة توحيد قوية صلبة تتحطم دونها كل العقائد الباطلة ، وتذوب أمامها كل الفلسفات والأفكار الفاسدة التى يوحى بها الشيطان ويدعو اليها عملاؤه وأذنابه من بنى الإنسان ،وحتى لا نراك تدور فى دوامة من الظنون والاوهام ، ولا نلقاك وقعت فيما وقع فيه غيرك من شباب ما يسمى بالطلائع الثورية فى البلاد العربية حيث تورطوا فى الالحاد ، وكفروا بكل القيم الاسلامية والأخلاق الدينية فأصبحوا تائهين فى دنيا الباطل على وجوههم لا يهديهم دين،ولا يرشدهم كتاب .

٣ ـ روحاً وثابة تتعشق الفضائل ، وتهيم بحب المكارم ، تبعثك فى عزم للنهوض برسالتك والقيام بمسؤوليتك ، فتعيد تاريخ أسلافك بنشر رسالة الخير ، فى الناس ورفع كابوس الشر والفساد عنهم .

٤ ـ همة عالية ترتفع بها عن دنايا الأمور وسفساف الحياة وتكون بها مثالاً بين الناس تعلمهم معنى الخير وسمو الروح ، ونبل المشاعر ، وكرامة السلم ، وعزة المؤمن فى الحياة .

٥ ـ وعياً إسلامياً صحيحاً تزن به الاشياء ، وتقدر به الأمور ، تعرف به الحق من الباطل وتميز به الخير من الشر ، فلا يشتبه عليك صوت الاسلام الذى ينادى به إمامك وقائدك فيصل الاسلام إلى تضامن المسلمين وتكاتفهم ضد ما يحيق بهم من اخطار الالحاد ، وشرور الاباحية بصوت الاشتراكية الثورية الذى يدعو به دعاة الشيوعية فى البلاد العربية الى التخلص من الاسلام ومبادئه ، والايمان بالله وحقائقه ، وليس أدلّ على ذلك من الهول الذى اصابهم ، والرعب الذى افزعهم من كلمة التضامن الاسلامى . حيث اعلنوا فى صراحة أنهم ضدها وحرب عليها ، وإن همهم القضاء عليها حتى لا تكون ، وما دروا بذلك أنهم انسلوا من الإسلام انسلال الشعرة من العجين ولم يبق لهم مكان بين المسلمين ، إلا أن يتوبوا وهل يتوب ذو البدعة أو هل يتوب الشيطان ؟

٦ ـ عزيمة قوية تدفعك إلى تحقيق آمال الإسلام فيك ، وتنهض بك إلى تحقيق ما أنيط بك .

٧ ـ خلقاً إسلامياً فاضلاً تمتاز به بين الناس ، وتتفوق به عليهم فى كل مجالات الخير والصلاح ، وحتى تكون مثال الانسان الكريم والعبد الصالح فى الحياة .

وحتى تكون أهلا لقيادة البشر وسيادة الناس .

وأخيراً فهذا مجمل ما نريده لك ـ أيها الشباب السعودى الكريم فهل ترى فيه غير ما يرفعك ، ويسعدك ، ويكملك ، ويرقيك ، وإن قلت : لا ، ولكن كيف السبيل إلى الحصول على ما أردت ـ ونحن كما تعلم اكثرنا غارق فى محيط : حب الدنيا ، وكراهية الموت . فجوابنا إليك برسم طريق واضح المعالم ، قائم الاعلام متى سلكته وصلت إلى ما نريده لك من رفعة وسؤدد وما نطلبه لك من سعادة وخير .

وإليك الطريق فدونكه فاسلكه :

أ ـ اعدادك لروحك اعداداً صالحاً يمكنها من التغلب على جميع رعوناتها وشهواتها ، وميولها الطبعية السافلة ، وذلك بأخذك إياها بالرياضة والتمرين على الوظائف التعبدية التالية :

١ ـ قراءة القرآن : فتلزمها بتلاوة جزء كامل كل ليلة سحراً تصلى به ثمانى ركعات ، ثم توتر بثلاث .

٢ ـ الصيام : فتلزمها بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ولتكن الايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر .

٣ ـ الصدقة : فتلزمها بصدقة يومية بحسب وجدك على أن تكون دائمة لا تنقطع أبداً ، ولو قلّت .

٤ ـ الذكرى : فتلزمها بزيارة المقبرة مرة فى الاسبوع ، تقف فيها بين القبور متذكراً متأملاً تدعو لهم وتترحم عليهم ساعة ثم تنصرف .

٥ ـ التبتل : فتحبسها ساعة فى المسجد من كل يوم تنقطع فيها إلى الله تذكره وتدعوه ولتكن من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس تركع بعدها ركعات الضحى الأربع ، ثم تنصرف .

٦ ـ الخروج فى سبيل الله : فتلزمها بالمشى إلى الصلوات المكتوبة خمس مرات فى اليوم ماشياً على قدميك إلى ابعد مسجد فى مدينتك .

٧ ـ المؤاخاة : تلزمها بمؤاخاة الصالحين ، ومجالسة العارفين ، وتحبسها من الوقت إلى الوقت فى مجالس الفقراء والمساكين ، وتكرهها على ذلك إكراهاً .

٨ ـ الاستعانة : وتستعين على تربية نفسك بهذه الوظائف بالله تعالى فتسأله أن يعينك على نفسك ، وأن يقدرك على تربيتها وتهذيبها وتلح فى الدعاء حتى تظفر بذلك وتفوز .

ب ـ اصلاح خلقك إصلاحاً كاملاً يؤهلك لأن تسود فى الناس ، وتقودهم وذلك بالالتزام بما يأتى :

١ ـ طهارة قلبك من الغل والغش ، والحسد ، والعجب والرياء والكبر ، والسمعة وحب الشهرة ؛ تكون بحيث لا تحمل غلاً لأحد ، ولا تغش

احداً ، ولا تحسد غيرك مهما عظمت نعمة الله تعالى عليه ولا تعجب بنفسك فتستكثر عملك ، أو تستعظم رأيك ، ولا ترائى بعمل تعمله أو تسمع به رغبة فى المحمدة ، وطلبا للصيت والشهرة ، فإن ذلك كله مفسد عليك قلبك ، طامس لبصيرتك ومن فسد قلبه هلك ، ومن انطمست بصيرته عمى .

٢ ــ طهارة لسانك من قول السوء ، وحديث الكذب وشهادة الزور . فلا تقل في أحد قالة سوء ، ولا تكذب أحداً أو تكذب عليه ، ولا تشهد على أحد زوراً ، أو ترميه بما ليس فيه ؛ فإن ذلك مخل بشرف الانسان قاعد به عن الكمال.

٣ ــ حفظك فرجك إلا على زوجك ، واستعن على ذلك بغض بصرك عن المحارم ، وبعدك عن المآثم ؛ فإنه لا طهارة مع خبث ، ولا كمال مع إسفاف .

٤ ــ كفك يدك ورجلك عما لا يحل لك البطش به ولا المشى إليه ، فلا تتناول بيدك ما ليس لك بحق ، ولا تسع برجلك مسعى أنت آثم فيه ، أو به ؛ إذ الباغى لا كرامة له ، والجانى لا حرمة له .

جـ ــ إعدادك لجسمك إعداداً كافياً ليكون قادراً على حمل أعباء رسالتك ، وقويا على النهوض بجميع مسؤولياتك ، وذلك بالتزامك بالامور التالية:

١ ــ نظافة جسمك بالاغتسال والتطيب ، وتغيير الثياب كل يوم جمعة .

٢ ــ الغذاء الصالح وهو الطيب الحلال من كل مغذ نافع متجنباً الإسراف فى ذلك .

٣ ــ تنظيم وجبات الطعام ، متحاشياً إدخال الطعام على الطعام حيث ثبتت مضرته وتأكدت مفسدته .

٤ ــ الابتعاد من المكيفات مطلقاً سواء كانت تبغاً (أو رنجيلة) أو شمّه .

٥ ــ اجتناب عامة الكحوليات سواء منها ما كان مسكراً ، أو مخدراً ، أو مفتراً أو سامًا مهلكاً .

٦ ــ التوقى من شدة الحر ، والبرد ، واستخدام ما أمكن من وسائل التدفئة

والتبريد .

٧ ـ مزاولة الرياضات التالية : كرة القدم ـ السباحة ـ الرماية ـ العدو ـ السباق لما فى ذلك من تنشيط الجسم ، والقضاء على السِّمنِ فى البطن، والكسل فى الجسم .

٨ ـ قضاء فترة لا تقل عن ١٨ شهراً فى الجندية تتعلم خلالها فنون الحرب ، وإجادة استعمال سائر الاسلحة ، والوسائل الدفاعية المختلفة أداء لفريضة الجهاد ، وإعداداً للنفس على القدرة عليه .

إهابتنا به :

وأخيراً أيها الشباب فانا نهيب بك أن تسير فى هذا الطريق الذى رسمنا ، مختاراً هذا اللون من الحياة الذى اخترنا وإنا لك والله لناصحون ، وفى سعادتك والاسعاد بك لراغبون .

واعلم أنك اكبر من اكبارنا لك وأقدر على المسؤولية مما افترضنا فيك ، فلا تهن ولا تضعف ، واذكر دائماً أنا لم نجد املنا فى غيرك ، ولم نعثر على ضالتنا المنشودة فى سواك ؛ لاعادة المجد الضائع ، والكرامة المهدورة ؛ ولإحياء ما اندرس من شريعة الإسلام ، وما مات منها من سنن وآداب .

إن أمة الإسلام ـ أيها الشباب ـ تنتظر مخلصاً مما حلّ بها ، ومنقذاً مما هى فيه فإن لم تكن أنت مخلصها ومنقذها فمن ؟

ألست شباب فيصل الملك المسلم الصالح ، والقائد المحنك الناجح ؟

ألست شباب دولة القرآن ، وأمة القرآن ؟

ألست شباب معقل الإسلام ودائرة مجد الأنام ؟

فلم لا تكون إذاً امل أمة الإسلام الذى ترجوه ولم لا تكون مخلصها المنتظر، ومنقذها المأمول ؟

فرصة سانحة

وهاه ذى فرصة من أثمن الفرص قد سنحت لك فاهتبلها ، فإنها بمثابة شق الطريق لك ، وتمهيد السبيل لمسيرتك ، إنها فرصة تبنى حكومتك الرشيدة إنشاء

منظمة الشباب الإسلامى إجابة منها لرغبة رابطة العالم الإسلامى حيث تقدم أعضاؤها باقتراح بذلك حسبما نشر فى الصحف المحلية فى حينه . فقم يا شباب الفيصل المفدى بدور الطليعة فى هذا الشباب الإسلامى ، وبادر بأخذ زمام القيادة لهذه المنظمة الاسلامية ، اتخذها جسراً تعبر به إلى الوصول إلى غاياتك من إصلاح المسلمين ، وتخليصهم من الفتن التى حاقت بهم ، والويلات التى نزلت بديارهم .

قم إلى الفيصل المعظم فبايعه على قيادة هذه المنظمة ، وسر تحت راية قيادته، فإنه سيهيئ لك كل سبب للنجاح بإذن الله ، وسيمدك بكل عون ممكن وها أنا أسبقك إلى المبايعة ، وإن كنت قد خلفت عهد الشباب ولحقت بركب الكهول والشيوخ فهات يا فيصل الإسلام يدك أبايعك على قيادة منظمة الشباب الإسلامى، كما بايعناك قبل على قيادة كل المسلمين .

فإلى التنظيم والعمل ، ونحن جندك ، والله ناصرك ومؤيدك . ولتسمحوا لى جلالتكم أن أقترح أن يكون مركز منظمة الشباب بمدينة الرسول ﷺ تيمناً بذلك وتبركاً ، وليعود إلى مدينة الرسول اعتبارها فى قيادة المسلمين ، والوصول بهم إلى قمم المجد وذرى الكمال . والله اكبر ، والخلود للاسلام ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

الرِّسَالة الثَانية عَشَرَة

إلى اللاعبينَ بالنّار

كلمة قصيرة واعظة تهدف إلى إيقاظ النائمين

وتنبيه الغافلين

الإهــداء

الى كل أخ غرّته الحياة الدنيا ، فنسى مصيره فى الدار الأخرى . الى أولئك الذين يسيرون إلى الهاوية وهم لا يعلمون .

إلى الذين وضع العدوّ على أعينهم عصابة سوداء وقادهم إلى ساحة الهلاك والردى وهم لا يشعرون .

إلى جميع هؤلاء الاخوة المؤمنين أقدم هذه الكلمة الواعظة تعليماً لهم وذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين .

مقدمة الكلمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمد وآله وصحبه .

وبعد : ليس لى ما أقدمه بين يدى هذه الكلمة الواعظة سوى بيان الحقيقة التالية :

إن خطر الذنوب والمعاصى على الحكومات والشعوب أشد من غيره مما يراه الناس ويعتقدونه خطراً يهدد الحكومات بالسقوط ، والشعوب بالزوال والفناء . ومن الأدلة التاريخية على صحة هذه الحقيقة وصدقها هلاك الأمم والشعوب التالية : بعامل ذنوبها وسبب معاصيها :

١ ــ قوم نوح عليه السلام ، وكان نوع ذنوبهم فساد العقائد بالشرك والخرافات وكان هلاكهم بطوفان جارف أغرقوا فيه عن آخرهم.

وقال تعالى عنهم: ﴿ **مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً** ﴾ .

٢ ــ قوم هود عليه السلام ، وكانت ذنوبهم ومعاصيهم طغياناً تجاوز الحد ، واستكباراً فاق الوصف ، مع فساد فى العقيدة بعبادة غير الله وكان هلاكهم بعواصف هوجاء عاتية .

وقال تعالى عنهم: ﴿ **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية** ﴾ .

٣ ــ قوم لوط وكان ذنبهم إشاعة الفاحشة بينهم مع فساد العقائد ، وانحلال الأخلاق وكان هلاكهم بالامطار المصحوبة بالأحجار وخسف وزلزال جعل عالى البلاد سافلها ، وسافلها عاليها قال عز وجل عنهم: ﴿ **وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذَرين** ﴾. وقال: ﴿**فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربّك ، وما هى من الظالمين ببعيد** ﴾ .

٤ ــ قوم شعيب وكان من ذنوبهم أكل الربا ، والاحتيال على جلب المال بنقص الكيل والميزان ، وبخس الناس أشياءهم بطريقة انعدمت معها كافة الأخلاق، والقيم الإنسانية .

وكان هلاكهم بموجة من الحر الشديد ، أتت عليهم فلم تبق منهم القريب ولا البعيد قال تعالى عنهم: ﴿ **فأخذهم عذاب يوم الظلة؛ إنه كان عذاب يوم عظيم**﴾ .

٥ ــ قوم موسى ، وهم اليهود ، وكان من ذنوبهم الفسق عن أمر ربهم حيث أكلوا السحت والربا ، وقتلوا الصالحين والأنبياء ، وتدهورت أخلاقهم ، وفسدت طبائعهم حتى كانوا يقولون لرسلهم : سمعنا وعصينا . وكان ما عذبهم الله تعالى به أن كتب عليهم الذلة والمسكنة فعاشوا زهاء الثلاثة آلاف سنة مشردين، ملعونين أينما ثقفوا أذلوا وأهينوا .

٦ ــ أمة محمد ﷺ وعلى كافة إخوانه الأنبياء والمرسلين وكان من ذنوبهم التكالب على الدنيا والاسراف فى الشهوات وتنازع السلطان ، مع تعطيل لحدود الله والاعراض عن كتابه حيث تركت الفرائض وضيعت السنن ، وأوتى المنكر ، وأشيعت الفواحش وفسدت العقيدة ، وتدهورت الأخلاق .

وكان هلاكها بزوال سلطانها وذهاب ريحها وقوتها ، فعاشت دهراً من الزمن غير قصير مستعبدة مضطهدة ، ولما تخلصت من ربقة الاستعمار خرجت منه وهى مهيضة الجناح ، لا مال بيدها ولا سلاح ، تعيش تحت رحمة أعدائها إن منعوها الدواء قتلتها الأدواء ، وان حرموها مراكب السير عادت إلى ركوب الإبل والحمير.

وبتأمل هذه الحقيقة يتضح ما قلناه ، وقررناه من أن خطر الفسق والمعاصى على الحكومات والشعوب أشد من أى خطر من شأنه أن يسقط حكومة ، أو يديل دولة ، أو يبيد شعباً أو يهلك أمة .

وبناء على هذا فإن أعداء الحكومات والشعوب فى العالم الإسلامى هم فاسدو العقيدة من ملاحدة وخرافيين ، وأهل الفسق والمعاصى من معطلى الحدود، وتاركى الصلاة ومانعى الزكاة وشاربى الخمور وآكلى الربا ومعلنى الزنا . وهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة لكل شعب مسلم وحكومة مسلمة وهم الذين يجب أن يحاربوا بلا هوادة حتى يفيئوا إلى امر الله ، وإلى دينه يرجعون ، وإلا فانهم يعرضون الأمة الإسلامية لأوخم العواقب وأشد الأخطار ، ومن أقرب ما سيحل بهم من خزى ودمار ذهاب الاستقلال ، والعودة من جديد الى الذل والاستعباد الذى عاشوه عشرات السنين ، وهذا أقل ما يمكن أن ينزل بهم من

العذاب ، والا فليس ببعيد أن يجتاحهم عدو الشرق كما اجتاح التركستان ، أو عدو الغرب كما اجتاح الاندلس الأسبان .

من أجل هذا قدمت هذه النصيحة لقسم كبير من المسلمين ،وهم المرابون من أصحاب المصارف والتجار ، وغيرهم ممن استمرأوا الربا واستحلوه فأصبحوا لا يتحرجون من أكله ، ولا التعامل به . قدمت لهم هذه الكلمة الصريحة كنصيحة، لعلهم يثوبون إلى رشدهم فيتوبون ، وبذلك يبعد خطر معاصيهم على أممهم وشعوبهم . فيسلم الكل وينجوا الجميع .

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلان الحرب على المرابين

وبعد ؛ بناء على خطاب الله جل جلاله ، وعظم سلطانه ، والذى نصه بالحرف الواحد كما جاء فى كتابه المنزل على نبيه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ .

وقد أُعلنت الحرب رسمياً بين الله ورسوله من جهة وبين أكلة الربا والمرابين من جهة أخرى . وقد دارت رحى الحرب بين الفريقين كأشد ما تكون ضراوة وقوة وعنفاً ، وها هم أولاء أعداء الله ورسوله يسقطون صرعى فى كل مكان . ففى كل عام تبلغ خسائرهم فى الأرواح وحدها آلاف الرجال لتنقل جثثهم الى حفر النار . غير أن هذه الطائفة المهزومة ما برحت توالى حربها غير آبهة بخسائرها الفادحة فى الأموال والأرواح فما انهزم لها جيش فى ساحات المعركة إلا وأعقبته جيشاً آخر يحارب بشدة وعنف حتى ينهزم كسالفه ثم يخلفه جيش آخر . وهكذا تتسابق جيوش الهزيمة الى حيث تلقى حتفها مجللة بالخزى والعار .

الوساطة لإنهاء الحرب

كثيرون هم أولئك الذين يتألمون لنتائج هذه الحرب المدمرة ،ولم يجرؤوا على أن يتوسطوا فى انهاء هذه الحرب ، ولو يدلون بها الى تلك الطائفة المغرورة بكثرة جيوشها ، والمتورطة بجهلها فى حرب خاسرة لا تكون نتائجها النهائية إلا القضاء المبرم على كل مراب من افرادها فى هذه الحياة وذلك لأنها حرب غير متكافئة ، حرب بين أضعف مخلوق ، وبين قوى قاهر، له فى كل أمر المنتهى ، أضحك وأبكى ، وأمات واحيا ، وأهلك عاداً الأولى ، وثمود فما أبقى ، وقوم نوح من قبل انهم كانوا أظلم وأطغى ،والمؤتفكة أهوى فغشاها من العذاب ما غشى . الله أكبر ما أعظمه ، وما أعز جانبه ، وما أقوى سلطانه ، أدال دولة الأكاسرة وأزال سلطان القياصرة ، فلا غالب إلا هو ، ولا صاحب جبروت على الحقيقة سواه ،

مغرور من يعاديه ومخدوع من يعلن الحرب عليه . فيا معشر المرابين لا تغرنكم البطون ولا تخدعنكم الظنون ، إنه من يلعب بالنار يحترق ، ومن يقاوم لجج الخصم يغرق فاربأوا بأنفسكم قبل ان تحل بكم نقمة ، أو ينزل بكم عذاب .

واعلموا انه لولا وشيجة رحم حواء التى جمعتنا بكم ، ورابطة آدم التى ربطت مصيرنا بمصيركم ،ولولا أخوة الإيمان ، وما أخذ علينا من عهد البيان لما بحثت لكم عن طريق نجاة ، ولا بذلت من أجلكم موعظة ولا عرض جاه ، غير أنا لذلك قدمنا موعظتنا ، ونبذل جاهنا آملين أن يكون لسعينا فى نجاتكم أثر محمود ، وعمل صالح غير مردود .

وها هى ذى موعظتنا : فتصوروا معنا فداحة الجرم ، وقبح وفظاعة الذنب ، ثم خذوا مقاعدكم أمام هذه الشاشة البيضاء لتشاهدوا بأم أعينكم بشاعة ما أقدمتم عليه ، وجسامة ما تورطتم فيه ؛ فلعل ذلك يكون سبباً لتوبتكم ، وبالتالى عاملاً لنجاتكم إن شاء الله تعالى .

قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرَّم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف ، وأمره إلى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ . فانظروا إلى صورة المرابين عندما يقومون من قبورهم : بطونهم بين أيديهم ملأى بالحيات ، وهى كالخيام المضروبة عليهم ،وضآلة أجسامهم فى دقة أصابعهم ، ودقة عروقهم ، يقومون ويقعدون، ويحاولون النهوض فلا يستطيعون، يضربون رؤوسهم على صخور فلوسهم ، يتخبطون فى مشيهم ، وهم فى طريقهم إلى سجن (بولص) كأنهم مجانين أو سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد .

والآن فليخبرنا المرابون هل تأثروا بهذا المنظر المخيف المفزع فزالت من قلوبهم قساوتها ، ومن على أبصارهم غشاوتها ؟ أو لم يتأثروا فهم كما كانوا فنزيح لهم الستار عن منظر آخر هو أكبر هولاً وأشد فظاعة .

وإليهم هذا المنظر الآخر : روى البخارى فى صحيحه عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ :

« رأيت الليلة رجلين أتيانى ، فأخرجانى إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فردّه حيث كان. فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان . فقلت ما هذا الذى رأيته فى النهر ؟ قال آكل الربا » .

لاشك ان المنظر مهيل للغاية ، ومفزع الى حد كبير ، وأنه من الوضوح والبيان بحيث لا يحتاج الى تعليق أو تعقيب ، ومع هذا فإننا زيادة فى الإيضاح ومبالغة فى البيان .

نقول أمامكم أيها المرابون نهر من دم أحمر عبيط ، نهر كبير فليس ببركة ولا حوض صغير ، وها هو ذا آكل الربا يغمس فيه ، وكلما حاول الخروج منه ردّ إليه، يلقم حجراً فى فيه ليعود إلى قعره ، فيظل طافياً على سطحه ، راسباً فى قعره حتى إذا بلغ به الجهد والاعياء حاول الفرار وطلب الخلاص ، ولكن ذلك العملاق المرصد له والمعد لعذابه ، لا يزال يلقمه الحجر ويضطره إلى الانغماس فى النهر وذلك جزاء المرابين آلاف السنين وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين .

لعنة الرسول لآكل الربا

لا يعجبن المرابى من قساوة الحكم عليه ؛ فإنه لُعن على لسان نبينا محمد ﷺ ومن يلعن بلسان سلطان الأنبياء وإمام المرسلين لن يفلح أبداً . وكل عذاب يعذّبه آكل الربا قليل بالنسبة الى جرمه وعظيم ذنبه ، فمن أظلم ممن حارب الله ورسول الله ؟ روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه . وقال : هم سواء »!

حرمان آكل الربا من نعيم الجنة

روى الحاكم بسند قال : صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :« أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ، ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ــ وآكل الربا ــ وآكل مال اليتيم ــ والعاق لوالديه ».

فظاعة جرم آكل الربا

الفاحشة ممقوتة بالفطرة ، ومجرمة بالشرع ، والزنا أقبح الفواحش ، يدلك

على ذلك الموتة الشنيعة البشعة التى قضى الله أن يموت بها وهى الرمى بالحجارة حتى الموت . ومع هذا فان فاحشة آكل الربا أعظم من فاحشة الزنا وهذا بيان ذلك :

روى البغوى وابن أبى الدنيا وغيرهما عن عبد الله بن سلام موقوفاً عليه ، وسنده إليه صحيح قال: الربا اثنان وسبعون حوباً (إثما) أصغرها حوباً كمن أتى أمه (وقع عليها) فى الإسلام ، ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية وأخرج الحاكم وقال : صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل ان ينكح الرجل أمه .

بشارة ساخرة وتهكم بأكلة الربا عجيب

روى الطبرانى بسند قال المنذرى : لا بأس به أن عبد الله بن ابى أوفى رضى الله عنه ، وقف يوماً فى سوق الصيارفة ، وقال : يا معشر الصيارفة أبشروا ! ! قالوا : بشّرك الله بالجنة ، بم تبشّرنا يا أبا محمد ؟قال : قال رسول الله ﷺ : « أبشروا بالنار » !

قد يعتذرون

قد يعتذر المرابون بجهلهم للمعاملات الرباوية ، وعدم معرفتهم بضروب الربا وصوره المختلفة ، ومن أجل ذلك نضع امامهم هذه الصور المتعددة لأنواع من المعاملات الرباوية المحرمة :

الصورة الأولى : بيع الربوى بجنسه نسيئة

المراد من لفظ الربوى: البضاعة التى يدخلها الربا ، وذلك كالذهب ، والفضة، والطعام من مكيل مدخر، ومقتات موزون .

والمراد من لفظة النسيئة ، هو تأخير أحد النقدين ، أو الطعامين وقت عقد البيع وتسلم المبيع .

وبيان ذلك : أن يشترى المرء ذهباً بذهب ، أو فضة بفضة، أوبراً ببرّ ، أو تمراً بتمر مثلاً . فإنه يشترط لصحة هذه المعاملة وخلوها من الربا أن يتساوى المبيعان وزناً أو كيلاً ، وأن يجرى المبيع والتسليم فى مجلس واحد بحيث لا يكون أحد النقدين ، أو الطعامين حاضراً والآخر غائباً .

ودليل هذه الصورة قول الرسول ﷺ فى صحيح مسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ».

فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد .

ووجه الشاهد من هذا الحديث فى قوله : مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد. إذ أمر بتساوى النقدين ، أو الطعامين ، وأن يكون ذلك يداً بيد أى حاضراً فى المجلس .

الصورة الثانية : بيع ربوى بربوى من غير جنسه وأحد العوضين غائب

وبيانه: أن يبيع أحد ذهباً بفضة ، أو براً بتمر ، أو ملحاً بشعير مثلاً ؛ فإنه يشترط لخلو هذه المعاملة من الربا أن يكون البيع يداً بيد ، أى كل من السلعتين حاضر فى مجلس البيع ؛ فإن كان أحدهما غائباً ، والآخر حاضراً ، فسد البيع لأنه من الربا الحرام . ودليل هذه الصورة ما تقدم من حديث مسلم إذ جاء فيه قول الرسول ﷺ : « فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد». فلم يشترط سوى الحضور فى المجلس . أما التفاضل فجائز بحيث له أن يبيع كيلو ذهب بقنطار فضة ، أو وسقاً من تمر بصاع من بر ، مثلاً .

الصور الثالثة : بيع ربوى بجنسه متفاضلا

وذلك كأن يبيع أحد أُقة ذهب وزيادة أوقية مثلاً ، أو يبيع صاعاً من تمر بصاع من تمر وزيادة حفنة مثلاً ،أو وسقاً من بر بوسق وزيادة صاع أو اكثر أو أقل مثلاً. فهذه المعاملة ربوية لا تصح ودليلها قول الرسول ﷺ فى الصحيحين لبلال رضى الله عنه وقد جاءه بتمر برنى من أين هذا ؟ فقال بلال : كان عندنا تمر ردىء فبعت منه صاعين بصاع وأتيتك به لتطعم منه . فقال ﷺ : أواه ! عين الربا ، عين الربا؛ لا تفعل ؛ ولكن إذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به .

ووجه الشاهد من الحديث قوله ﷺ : لا تفعل ، حيث لم يأذن له أن يشترى صاعاً من تمر بصاعين ، وقال : عين الربا . أى هذا هو الربا بعينه .

الصورة الرابعة : بيع ذهب بذهب ، أو فضة بفضة وأحد النقدين مجهول الكمية

وذلك كأن يشترى أحد من آخر سيفاً محلى بالذهب بذهب،أو آنية فضة بفضة،

ولم تعرف كمية الذهب التى حلّى بها السيف أو كمية الفضة فى الآنية ، فإن هذا البيع لا يجوز للجهل بمقدار الذهب المقابل للذهب ، أو الفضة المقابل للفضة ، إذ الجهل بالتساوى كالعلم بالتفاضل ، والشارع نهى عن بيع الجنس بمثله متفاضلاً .

ودليل هذه الصورة قول الرسول ﷺ لفضالة بن عبيد رضى الله عنه : «لا يباع حتى يفصل » وذلك ان فضالة كان قد اشترى قلادة يوم خيبر وفى القلادة ذهب وخرز ، ففصلها فوجد فيها ذهباً اكثر مما اشتراها به من الذهب ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : «لا يباع الذهب المختلط بغيره حتى يفصل ».

السورة الخامسة : بيع بيعتين فى بيعة

وبيان ذلك أن يقول التاجر للمشترى : بعتك هذه البضاعة بمائة ريال نقداً ، أو بمائة وخمسين إلى أجل .

ودليل هذه المسألة ما رواه أصحاب السنن أبو داود والترمذى وصححه وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال : « من باع بيعتين فى بيعة فله أوكسهما ــ أى أقلهما ثمناً ــ أو الربا » .

وعللها مالك فى الموطأ بقوله : لأنه إن أخر المائة كانت مائة وخمسين ، وإن نقد المائة « دفعها » كان كأنما اشترى بها مائة وخمسين إلى أجل .

وقد فسرها الشافعى بغير هذا التفسير . كما رواه الترمذى فى جامعه .

والحقيقة أن آراء السلف قد اختلفت فى تحديد وجه بيع بيعتين فى بيعة ، وأحسن ما انتهوا اليه هو : إن المنع إذا قال التاجر خذ هذه بكذا نقداً ، أو بكذا إلى أجل ، ويفترقان وقد أخذ المشترى البضاعة ولم يعرف هل أخذ ذلك بالنقد ، أو إلى أجل . أما إذا عين المشترى فى المجلس أن ما أخذه أخذه نقداً أو نسيئة فلا كراهية .

والذى يدل عليه ظاهر الحديث وما فسره به مالك هو أن بيع سلعة واحدة بثمنين مختلفين من أجل التأخير لا يحسن ولا ينبغى . وخاصة إذا كانت الزيادة فاحشة كالربع أو الثلث أو النصف .

وقد فهم بعض أهل العلم هذا من الحديث ، ومالك قد لوّح له وأشار .

فليرجع إلى عبارته السابقة .

الصورة السادسة : بيع العينة

وذلك كأن يبيع رجل سلعة الى آخر بثمن إلى أجل ، ثم يشتريها منه نقداً بأقل مما باعها له ، ومثالها أن يبيعه قنطار سكر أو تمر بخمسين ريالاً إلى ستة أشهر ثم يشترى منه القنطار بأربعين ريالاً إلى ستة أشهر . وهو من ربا الجاهلية الحرام.

ودليل هذه المسألة ما رواه الدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها : أنها قالت لأم ولد زيد بن أرقم : بئس ما اشتريت بئس ما اشتريت ، إن جهاده مع رسول الله ﷺ قد بطل إلا أن يتوب .

وذلك لما قالت لها : يا أم المؤمنين إنى بعت غلاماً من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم نسيئة « إلى أجل » وإنى ابتعته « اشتريته » منه بستمائة نقداً .

الصورة السابعة : القرض بزيادة

وذلك كأن يقرض رجل آخر قرضاً مالاً ، أو طعاماً ، أو حيواناً ، ويشترط عليه إذا رد عليه قرضه زاده عليه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً .

ودليل هذه الصورة ما رواه البخارى عن أبى بريدة ، قال : قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام رضى الله عنه فقال لى : إنك بأرض الربا فيها فاش (منتشر) فإذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حمل تبن ، أو حمل شعير ، أو حمل قت فلا تأخذه فإنه ربا .

الصورة الثامنة : بيع رطب خرصاً بيابس كيلاً

وذلك أن يكون للرجل نخلاً فيبيع غلته خرصاً بتمر يابس كيلاً أو يبيع كرمه (شجر العنب) خرصاً بعنب يابس (زبيباً) وزناً ، أو يبيع زرعاً لم يحصد خرصاً بزرع كيلاً ، وذلك من أجل أن الرطب قد ينقص بعد اليبس فيكون أقل مما أخذ من صاحبه ، وبيع طعام بطعام متفاضلاً ربا .

ودليل هذه الصورة ما جاء فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن المزابنة ، وهى أن يبيع ثمر حائطه (بستانه) إن كان نخلاً بتمر كيلاً ، وإن كان كرماً أن يبيعه بزبيب كيلاً ، وإن كان زرعاً أن يبيعه بكيل

طعام . نهى عن ذلك كله .

علة تحريم ربا الفضل

والعلة فى تحريم هذه الصور وجعلها من الربا المحرم هى أنها تؤدى إلى أن يأكل المسلم مال أخيه بغير حق ، والله يقول : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ .

ومن هنا نهى رسول الله ﷺ عن أنواع كثيرة من البيوعات التى من شأنها أن تؤدى إلى أكل أموال المسلم بالباطل أو تقضى إلى إثارة العداوة بين المسلمين ، ووجود الخصومات والمنازعات بينهم ، وذلك : كبيع السلعة قبل قبضها ، وبيع الغرر ، وبيع المحرم والنجس ، وبيع العربون ، وبيع النجشى ، وبيع المسلم على بيع المسلم وبيع ما ليس عنده ، فنهى عن ذلك ﷺ كله وحذّر منه ومنعه منعاً باتاً سداً لباب الباطل والشر .

ربا الجـاهليــة

ربا الجاهلية: هو ما كان شائعاً معمولاً به فى عهد الجاهلية قبل الإسلام ، وله صور سنوردها إن شاء الله صورة بعد صورة تعليماً وتحذيراً . والفرق بين ربا الجاهلية وربا الفضل المتقدم بصوره هو أن ربا الفضل يؤدى إلى الربا ، ويكون سبباً فى الوصول إليه وأما ربا الجاهلية فإنه هو عين الربا وذاته ، وها هى ذى بعض صوره :

الصورة الأولى :

أن يكون للمرء دين على آخر سواء كان بسبب اقتراض ، أو بيع تأجل ثمنه ، أو عمل تأخرت أجرته فيطالبه بسداد الدين فيظهر عجزه ، ويقول له : أخرنى مدة وزد علىّ قدراً معيناً كثلاثة فى المائة أو أكثر أو أقل ، فيرضى بذلك الدائن ويؤخره إلى أجل على أن يزيد عليه القدر الذى اتفقا عليه . وقد يحل الأجر الثانى ويجد المدين نفسه عاجزاً عن أصل الدّين والفائدة ، فيطلب التأجيل مرة أخرى بزيادة ، وهكذا حتى يصبح الربا أضعافاً مضاعفة ويصدق عليه قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها**

الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

الصورة الثانية :

أن يطلب أحد من آخر قرضاً إلى أجل معين فيعطيه على شرط أن يضيف إلى أصل القرض فائدة ربوية كائنين فى المائة أو أكثر أو أقل يسددها مع رأس المال ، أو بعده أو قبله .

الصورة الثالثة :

أن يعقد المرء صفقة تجارية كبيرة لا يتسع لها ما بيده من النقود فيتولى مصرف من المصارف دفع ما عجز عنه من الثمن على أن يأخذ المصرف فائدة معلومة مقابل الثمن الذى سدده عن التاجر حتى حصل على السلعة التى أرادها وقصر عنها رأس ماله .

الصورة الرابعة :

أن يشرع أحد فى تأسيس مصنع أو بناية (عمارة) أو منزل فيحتاج إلى قدر من المال فيلجأ إلى مصرف من المصارف (البنوك) فيشترى له ما هو فى حاجة إليه من حديد أو أخشاب أو غيرها بسعر السوق ويضيف إلى رأس المال الذى دفعه سلعة للمحتاج قدراً من المال كفائدة مقابل الانتظار الذى قد يحدد له مدة بسنة أو نصف أو أكثر أو أقل .

الصورة الخامسة :

أن يحتاج المرء إلى قدر من المال يتّجر به ، فيذهب إلى أحد المرابين فيأخذ منه ألفاً أو عشرة أى القدر الذى يمكنه أن يتّجر به ويربح ، على أن يعطيه فى كل شهر قدراً معلوماً من المال مقابل ما هو يتصرف بماله ويربح ، وفى النهاية يرد عليه كامل ما أخذ منه أول مرة بلا نقص .

الصورة السادسة :

أن يتوفر للمرء قدر من المال فيضعه فى أحد المصارف (البنوك) التى تتعامل بالربا مقابل أن يعطى سنوياً نسبة معينة كائنين فى المائة أو واحد ونصف مثلاً . ولماذا يعطيه المصرف هذا القدر فى حين أن على صاحب المال أن يدفع للمصرف

قدراً مقابل حماية ماله وحراسته ؟ والجواب : لأن المصرف يعطيه لآخر جاء يطلب قرضاً ربوباً فأخذه بنسبة واحد أو اثنين فى المائة ، ويعطيه لآخر بنسبة ستة فى المائة فيكسب من طريق الأخذ من هذا والدفع لهذا ثلاثة أو أربعة فى المائة ، وهو جالس على كرسيه !

الصورة السابعة :

أن تبيع سلعة بثمن يزيد على سعر يومها ، تبيعها إلى أجل ، ثم تدفع سند الدين إلى البنك ، لتأخذ قيمة البضاعة الأصلية من المصرف (البنك) ، وهو يأخذ فائدة التأخير مقابل انتظار حلول الأجل المضروب لتسديد الدين فتكون بذلك قد توسطت للبنك فى الحصول على معاملة رباوية كسب من خلالها مالاً حراماً وأنت فيها بمثابة مخلب القط ، والعياذ بالله تعالى من شفاعة سيئة كهذه .

مضار ربا الجاهلية

لربا الجاهلية الذى تقدمت بعض صوره أضرار كبيرة ، ومفاسد خطيرة تضر بالفرد والمجتمع نشير إلى بعضها فى الأسطر التالية :

١ ــ تدسية نفس آكل الربا ، لأن أكل الربا إثم يدسى النفس ، ويحول دون طهارتها وزكائها .

٢ ــ التوصل إلى أكل أموال الناس بالباطل ، وذلك محرم بقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ .

٣ ــ حرمان المسلم من استثمار ماله وتنميته بواسطة الكسب الشريف ، الخالى من الاحتيال والغش ، والبعيد عن كل ما يجلب المشاقة بين المسلمين ، ويورث العداوة والبغضاء بينهم ، وذلك كاستثمار بالتجارة والزراعة والصناعة .

٤ ــ فتح الطرق المفضية بالمسلم إلى عداوة أخيه المسلم وبغضه وكراهيته .

٥ ــ إغلاق أبواب البر والإحسان فى وجه المسلم حتى لا يتزود لآخرته فيقرض أخاه المسلم بلا فائدة ، ويداينه أو ينتظر ميسرته وييسّر عليه ويرحمه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فتشيع المودة بين المسلمين ، وتتوفر روح الإخاء والتصافى بينهم .

٦ ــ تجمُّع الأموال فى خزائن المرابين وتجميدها ، وفى ذلك مفسدة اقتصادية عظيمة أشار إليها القرآن فى قول الله تعالى : ﴿ **كيلا يكون دُولة** « متداولاً » **بين الأغنياء منكم** ﴾ .

٧ ــ إشاعة الفقر وانتشاره بين الطبقات الفقيرة والمتوسطة ، إذ الفقير لا يمكنه أن يحصل على حاجته غالباً إلا من طريق القرض والاستدانة ، فإذا كان كل ما يشتريه من حاجات إنما يشتريه بأسعار زائدة ، لأن من يقرضه يقرضه بفائدة ، ومن يبعه سلعة إلى أجل يزيد فى سعرها اليومى نسبة الربع والثلث أدى ذلك حتماً إلى ازدياد فقره واشتداد فاقته ، والله المستعان .

الى السلم

يا أيها المرابون ادخلوا فى السلم كافة ، ولا يغرنَّكم الشيطان إنه لكم عدو مبين . واعلموا أن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل . وإنه قال لرسول الله ﷺ : ﴿ **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم** ﴾ . كما أمره وأمر الله مطاع أن يقول للمسرفين على أنفسهم أمثالكم : ﴿ **يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم**﴾ . فيا معشر المرابين أنيبوا إلى ربكم وأسلموا له وجوهكم وأموالكم من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واقبلوا عرض الله عز وجل لكم بالتوبة اليه قبل فوات فرصة العمر ، أو انقضاء فترة الإمهال القصيرة ويكفيكم عظة وعبرة ما حل بساحة أمثالكم من عذاب ، وما نزل بهم من خزى وعار وشنار !

وإليكم صورة العرض الكريم الذى قدّمت إليكم من ربكم العزيز الرحيم :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وان قلتم كيف نصنع بأموالنا التى بأيدى الناس ، وهى آلاف الريالات وملايينها ؟ أنتركها كلها ونمسى فقراء نتكفف الناس ، أم هل لنا من إذن باستردادها ، أو بعضاً منها من أيدى المدينين ثم ننهى بعدها كل المعاملات الربوية، أو ماذا نصنع أيها الوسيط ؟ بيّن لنا طريق السلامة الذى نسلكه لنخرج من هذه

الورطة التى أوقعنا فيها حب العاجلة ونسيان الدار الآخرة .

لقد أحسنتم أيها المرابون حيث استجبتم لنداء ربكم ، وأذعنتم لصوت الحق الذى يناديكم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وهاكم بياناً بالخطوات التى يجب عليكم اتباعها للخروج من ورطتكم ، والنجاة بأنفسكم إن كنتم صادقين :

فأولا : أن تعلنوا فى صدق عن استعدادكم لإلغاء جميع المعاملات الربوية كيفما كان أثرها على اقتصادكم وعلى أموالكم .

وثانياً : أن تعلموا أن جميع الأموال التى بأيديكم فى الخزائن أو المصارف والبنوك هى لكم وحلالكم ، وليس بمحرمة عليكم ولو كانت ملايين الجنيهات أو الدولارات والريالات ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ **فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

ففى هذا البيان الإلهى الكريم إذنٌ صريح لكم بأن ما بأيديكم من أموال هى لكم لا تطالبون بإرجاعها إلى أصحابها ، ولا بالخروج منها إلا أن تتصدقوا فذلك خير لكم ، ولن يتركم الله من اعمالكم شيئاً .

وثالثاً : الأموال التى هى بأيدى المدينين اليوم لكم منها رؤوس أموالكم التى أقرضتموها بفائدة للمدينين ، ترد إليكم كاملة غير منقوصة ، أما الفوائد الربوية فإنها تسقط كلها ، ولا حق لكم فى المطالبة بقرش منها ولا فلس ، فإنها موضوعة عن أصحابها . يقول ﴿ **وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتَظلِمون ولا تُظلَمون** ﴾ . ويقول الرسول ﷺ : « ألا إن ربا الجاهلية موضوع عنكم كله ، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا موضوع أبداً به ربا عمى العباس بن عبد المطلب » .

ورابعاً : إن هناك من المدينين من لم يقدر على سداد ما بذمته لكم من رأس مال أسلفتموه له ، فإنه يتعين عليكم انتظاره إلى أن تتيسر حاله ويصبح يملك ما يسدد به لكم ما عليه من ديون ، وهذا دون الفوائد الربوية إذ عرفتم إنها موضوعة تماماً فلا حق لكم بطلبتها لا من الموسر ولا من المعسر .

وخامساً : من الخير لكم ، ومما يصحح موقفكم مع ربكم عز وجل أن

تتصدقوا بالتنازل عن بعض رؤوس أموالكم التى هى عند بعض المعسرين الذين لم يجدوا سداداً يسددون به لكم ، وخاصة أولئك الذين عرفتم من حالهم أنه ليس فى الإمكان قدرتهم على دفع ما لكم عليهم لعجزهم وفقرهم الذى لا تشكون فيه. هذا وإليكم نص البيان الإلهى المشتمل على كل الخطوات التى أسلفتها لكم:

قال الله جل جلاله وعز سلطانه : ﴿ **وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ .

إنجاز وعد

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وإله الأولين والآخرين . والصلاة والسلام على محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أللهم إنك قلت وقولك الحق : ادعونى أستجب لكم ؛ وإنى أدعوك يا ألله لعبادك الذين تابوا إليك واتبعوا سبيلك أن تغفر لهم ما فرط من ذنوبهم وأن تكفر عنهم ما سلف من سيئات أعمالهم .

أللهم إنهم عبيدك خرجوا بفتنة عدوّك وعدوّهم عن طاعتك ، وقد أنابوا وأسلموا لك فاعف عنهم ، وارزقهم من فضلك ، واغنهم عمن سواك .

أللهم إنهم قد وجهوا إليك وجوههم ، ووضعوا بين يديك جميع أمورهم ؛ فكما حكمت عليهم بترك فوائد أموالهم الرباوية فتركوها إيماناً بك ، وطاعة لجنابك ، فاقض اللهم لهم بخير ما تقضى به لعبادك المؤمنين الصالحين ، فعوضهم من المال أكثر مما فقدوا ، وارزقهم من حيث احتسبوا ولم يحتسبوا ، إنى جئتك شافعاً لهم فاقبل شفاعتى ،ولا تخزنى يارب فيهم .

أللهم إنك قلت وقولك الحق : ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة** ﴾؛ وقد سألتك شافعاً لهؤلاء العبيد التائبين فاعطنى ما تعطيهم من واسع فضلك ،واغفر لى حوبى وخطاياى واسرافى فى امرى ، وارض عنى وعنهم ، واجبرنى فى واجرهم إنك الجبار والواحد القهار ، رب العالمين وأرحم الراحمين . وصلّ اللهم على خيرتك من خلقك ، وصفوة أنبيائك ورسلك نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

طريق الثروة ، وسبيل المجد

اعلموا أيها التائبون أن ربكم غنى ذو رحمة ، لا يريد ـ أبداً ـ بتحريم الربا عنكم التضييق عليكم ولا حرمانكم من أن تكونوا أرباب أموال طائلة ، أو ثروات هائلة ؛ فإنَّه جلت قدرته لا يوصد (يغلق) فى وجه عبده باباً من أبواب الشر ، الا ويفتح له أبواباً من أبواب الخير .

وإليكم طرقاً من أبواب الخير والثروة والغنى التى فتح الله فى وجوهكم مقابل باب الربا الذى أغلقه عنكم رحمة بكم وتجنيبا لكم من أسباب البوار والهلاك .

الباب الأول

التجارة

هذا الباب من أوسع أبواب الخير ، وأكثرها خيراً وبركة فقد روى الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « التاجر الأمين الصدوق المسلم مع النَّبِّيين والصديقين والشهداء يوم القيامة » وروى الحاكم وابن ماجه بإسناد صحيح: « التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة ».

وقد ذكر تعالى التجارة فى مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** ﴾ وقوله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة** ﴾ الآية .وقوله: ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ وقوله: ﴿ **وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله** ﴾ وقوله: ﴿**فليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم** ﴾ .

فالتجارة إذاً طريق من طرق الكسب والحصول على الثروة والمال بإذن الله تعالى فما يمنعكم أيها التائبون أن تلجوا هذا الباب بصدق وتتّجروا وتربحوا ، وميادين التجارة اليوم كقبل اليوم ميادين كثيرة واسعة ، وإن قلت رؤوس أموالكم وقصرت عن كبير التجارة فاكتفوا بالمتيسر القليل منها والقناعة غنى كبير ، أو أضيفوا إلى ما عندكم من أموال اخوانكم بالشراكة أو القراض والمضاربة ما يعظم به رأس مالكم وتقدرون معه على أكبر التجارات وأوسعها .

الباب الثانى

الصناعة

الصناعة أيها التائبون باب من أبواب الرزق واسع ، وطريق من طرق الحصول على الاموال ، وإيجاد الثروات الكبيرة ، فالصناعات المختلفة ليست طريق الثروة فحسب بل هى سبيل المجد والشرف فهل نهضت أمم الغرب من كبوتها ، وارتفعت من سقطتها وسفولها الذى دام قروناً ثم سيطرت على أمم العالم بغير الصناعة ، الصناعة التى بدأت بالفأس والمحراث حتى وصلت إلى الغواصات ، والطائرات ، والصواريخ عابرة القارات ؟؟

وهل قعد بالمسلمين ، وتركهم يعدّون من مناطق النفوذ سوى تأخرهم فى باب الانتاج الصناعى ؟ مع أن كتابهم يذكرهم بالصناعات وأهميتها .

﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم ﴾،﴿ آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً ، قال آتونى أفرغ عليه قطراً﴾ ﴿ وألنّا لهُ الحديد أن اعمل سابغات وقدّر فى السرد ﴾ ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾،﴿ ويصنع الفلك ﴾ قد تقولون هذا صحيح ، ولكن الصناعات تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة ، ومن أين لنا ذلك ؟

والجواب ليس من الشرط فى وجود صناعة ما أن تبدأ من أول يوم صناعة كبيرة ، كما أن التعاون بين المسلمين واجب **﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾** فأى مانع أن يشترك عشرات الإخوان المؤمنين فى إنشاء أية صناعة ولو بصورة مصغرة ثم تتطور حسب سنة الله فى تطور الأشياء ، حتى تصبح صناعة ثقيلة وكبيرة بعد أن كانت خفيفة صغيرة ، فهل مصانع (فورد) أو (رينو) للسيارات بدأت من أول يوم بتشغيل خمسين ألف عامل ، وانتاج ألف سيارة فى اليوم ؟

والجواب لا ، أبداً ، إنما بدأت بنفر قليل من العمال وبانتاج سيارة فى شهر أو أكثر وفى صورة حقيرة . هذا مع العلم أن المسلمين لا اختيار لهم فى هذا الشأن فإن الصناعات ووجودها بين المسلمين من الفروض الشرعية الكفائية فأمّا

جماعة توفق للقيام بهذا الواجب تكون قد اكتسبت شرفاً ، وأثلت مجداً تعيش تفاخر به مئات السنين فالى الصناعة أيها التائبون فإنها طريق الثروة وسبيل المجد !

الباب الثالث

الفلاحة

إن الفلاحة ، أو الزراعة لا تقل أهمية ــ أيها التائبون عن الصناعة والتجارة فى توفير الأموال ، وجمع الثروات بل هى أعظم أجراً روى البخارى فى صحيحه عن النبى ﷺ قوله: « ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير ، أو إنسان ، أو بهيمة إلا كان له به صدقة» . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : التمسوا الرزق من خبايا الأرض ، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة !!

وما قلناه فى الصناعة والتجارة من ضرورة اشتراك جماعة فى تكوين رأسمال يكفى للنهوض بمشروع صناعى ، أو تجارة كبيرة ويغل لأهله المال الكثير ، فقوله فى الزراعة أيضاً ، فإذا ما أردنا فلاحة ذات بال تنفع البلاد والعباد ، وتحقق لأصحابها الأموال الطائلة ، فلا بد من تحقيق مبدأ التعاون المأمور به فى كتاب الله عز وجل : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ فيشترك جماعة باقدار مالية متساوية ولو بلغ عدد المشتركين عشرات الإخوان ، وينشئون حقولاً ومزارع تعاونية يشغلون فيها مئات الإخوان العاطلين ويعيشون عشرات الأسر من اخوانهم المؤمنين وفى نفس الوقت يكتسبون الثروات المالية التي يريدون .

وعلى سبيل المثال من جهة ،ومن باب لفت النظر من جهة أخرى ، أقول: إن الأرض البور الموجودة فيما بين (المفرق) الى مستورة ــ وما بين مستورة الى رابغ الي جدة ، وما بين جدة الى مكة المكرمة ، كل هذه الأراضى الطيبة صالحة للزراعة ، وأنواعها المختلفة ، نظر اليها مرة أحد الفلاحين الحذاق ، وقال لى بالحرف الواحد ، لو تزرع هذه الأرض (بطراف) بقلة معرمة يصنع منها السكر لأنتجت ما يكفي لأن يسد حاجة السعودية من السكر ويزيد .

وأنا أقول أيها التائبون لو أنكم تجمعون رأسمال لا يزيد على مائة مليون ريال فقط ، لو يسهم فى جمعه كافة أغنياء المملكة ، وما أكثرهم فى هذا العهد ! لأمن

إنشاء ستين قرية عصرية نموذجية فى هذه الأرض البور التى سبق أن ذكرنا .

وبحساب الأرقام التى لا تكذب بقول : لنفرض أن القرية تتكون من واحد وعشرين منزلاً من بينها مسجد ، ودكان بقالة ، ومستوصف صحى يتكون المنزل من (مخزنين) وحسب العمل الجارى أن تكاليف المخزنين تبلغ خمسة عشر ألف ريال ، وعليه فمجموع تكاليف مبانى القرية ثلثمائة وخمسة عشر ألف ريال ، يضاف إليها حفر عشر آبار ، وشراء عشر مكائن لسحب الماء ، ومحراث آلى وبعض الأدوات الزراعية الخفيفة بمبلغ خمسة وثمانين ألف ريال فيصبح الجميع أربعمائة ألف ريال ، تكاليف القرية الواحدة بحقولها الزراعية الموزعة على ثمانية عشر فلاحاً . وعليه فالستون قرية عصرية لم تزد تكاليف إنشائها على أربعة وعشرين مليون ريال فقط . وإذا أضفنا إليها ستين قرية أخرى ، أصبح عدد القرى مائة وعشرين قرية بتكاليف هى ثمانية وأربعون مليون ريال لا غير ويبقى لدينا رصيد قدره اثنان وخمسون مليون ريال قد يكفى لإدارة تلك المزارع خمس سنوات حتى تصبح تغل وتنتج ما يوفر خمسين مليوناً سنوياً أو أكثر من هذا ، ومن الناحية (السكلوجية) أو النفسية ، أى صاحب ضمير حى فى صدر امرئ مؤمن يمر بطريق الحرمين ذاهباً أو آتياً فيجد عن يمين طريقه ، وشماله قرى عصرية بتخطيطها المنظم البديع وحقولها المكتنفة لها ، وكلها خضرة وماء وظلال ، فلا يقطع خمسة وعشرين كيلو حتى يمر بقرية من الطراز العصرى الجميل ثم لا ينثلج صدره غبطة وسروراً ، ويدعو للمنشئين والقائمين عليها بكل خير وبركة وبالتالى كيف لا يعترف بإيمان وحيوية وقدرة ومجد شعب وحكومة تحدث فى صحراء قاحلة هذه المعجزات ؟؟

وأخيراً فهل لكم أيها التائبون فى هذا الخير ؟ هل لكم فى هذا المجد والشرف هل لكم فى أن تضعوا أموالكم التى جمعتموها فى غالبها من الربا الحرام فى هذا الكوثر لتطيب وتطهر ، وتنمو صالحة وتكثر فهلا تقبلون هذه النصيحة فتفوزوا بشرف الدنيا ومجدها ، وسعادة الآخرة وكرامتها !! إن الأمر الى الله ، ثم اليكم وما أنا عليكم بحفيظ .

الباب الرابع

المصارف أو البنوك

والمصارف أيها التائبون من خير مصادر الثروة ، وطرق جلب المال الكثير ، متى وضعت على أساس إسلامى ، سليم ، خال من كل المعاملات الربوية فى الإسلام .

إنه من السهل أن ينشئ أهل القرية ، أو الحى فى المدينة مصرفاً يشارك فيه كل فرد بما لديه من مال متوفر زائد عن حاجته ، وتكون مهمة المصرف مايلى :

١ ــ قبول الودائع المالية النقدية ، وغيرها من السبائك والأشياء الثمينة .

٢ ــ تحويل العملة من نقد إلى نقد ، ومن بلد إلى بلد مقابل أجرة معلومة يقررها المصرف ،حسب الخدمة التى يقوم بها بواسطة السندات ، وغيرها

٣ ــ القرض الحسن الخالى من أى منفعة تعود على المصرف من المستقرض ، على أن يستوثق المصرف برهن صحيح يكفى الدين ويزيد . ولمدة محددة لا تخلّ بسير المصرف .

٤ ــ أصحاب الودائع يخيرون بين أن تستثمر أموالهم فى أعمال المصرف التجارية والصناعية والزراعية ، ويكون لهم من الربح بقدرها ، وعليهم من الخسران بمثلها على أساس الشركات أو المضاربة ، وبين أن تحفظ لهم ودائعهم مضمونة لهم ، متى أرادوها أو بعضها سلمت لهم ، على أن يأذنوا بطيب نفس للمصرف أن يستعملها مع جملة أمواله فى أموال المصرف ومشاريعه الإنمائية لأنه من غير المستحسن أن تبقى الأموال مخزونة بدون استثمارها والانتفاع بها . يقول الله تعالى: ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ ، والرسول ﷺ يقول :«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه »رواه مسلم .

٥ ــ يستثمر المصرف أمواله فى كل مشروع يرى فيه تحقيق أرباح ولو قلت . وذلك كالمقاولات المعمارية ، وإنشاء بعض المصانع المربحة النافعة ، وكالتجارات

المختلفة والمساهمة فى ضروب من الفلاحة وأصناف من الزراعة المغلة المنتجة .

٦ ــ التوسط للتجار والفلاحين والزراعيين وأرباب الصناعات الخفيفة لدى الشركات العالمية المختلفة فى جلب ما يحتاجون إليه بأثمان رخيصة بعيدة عن احتكارات بعض التجار النهمين الجشعين على أن يأخذ المصرف مقابل ذلك ربحاً بسيطاً مقابل عقد الصفقات وتقديم رأس ماله . واحضار السلعة للمستهلك من تاجر وفلاح وصانع .

أيها التائبون إن مصرفاً كهذا يقوم على أساس الخير والتعاون عليه لا يمكن أن تكون عواقبه غير حميدة ، ولا نتائجه فى الدنيا ولا فى الآخرة غير طيبة ولا مرضية ، وجربوا فإن التجربة أكبر برهان كما يقولون .

كلمة أخيرة

أيها التائبون لقد أرانى بالغت فى نصحكم ، وبذلت أقصى ما أملكه فى توجيهكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم ولم يكن لى من غرض أريده وأعمل عليه سوى إصلاحكم وهدايتكم . فمن أخذ الله بيده ، وانتشله من وهدته ، فتاب عليه وهداه ، وقاده إلى سبيل رضاه وأصبح يشعر بغبطة الرضا، ونعمة الهدى فليخبرنى لاهنئ نفسى واهنئه ، ولأحمد الله تعالى لى ، وإليه ، وليكن ذلك جزائى منه ، وإنى به لقانع . ومن تفضل على بجملة دعاء ، أو كلمة استغفار فإن له من الله ربى مثل ما دعا لى به . ومن يرحم يُرحم ، ومن يغفر يُغفر له .

والحمد والشكر لله ولى الإنعام ، والصلاة والسلام على محمد هادى الأنام وآله وصحبه الكرام .

الرِّسَالَة الثَالِثَة عَشَرَة

الجنّة دَار الأبرار

والطريق الموصل إليها

المقدمـــة

بسم الله ،والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه .

وبعد : فهذه كلمة قصيرة القيتها محاضرة بنادى أحد بالمدينة المنورة فاستحسنها الحاضرون وألح علىَّ بعضهم فى طبعها ونشرها بين الإخوان المسلمين فأجبتهم لذلك تحقيقاً لرغبتهم وأملاً فى أن ينفع الله بها من يقرأها كمن سمعها حقق الله ذلك آمين .

هذه هى الجنة دار السلام

يا وفد الرحمن .

هذه النوق البيض فامتطوها .

كأنى بهم وقد قاموا من قبورهم غير مذعورين ، ولا خائفين ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة : هذا يومكم الذى كنتم توعدون** ﴾ .

أقسم رسول الله يوما فقال ﷺ:«والذى نفسى بيده : إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة ، عليها رحال الذهب ، شراك نعالهم نور يتلألأ ، كل خطوة منها مثل مد البصر . وينتهون إلى باب الجنة » !

وفى القرآن الكريم: ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً** ﴾،﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ .

يا لسعة الدار ! !

ما أوسع دار السلام ! وما أطيب ريحها !

أما عرضها فكعرض السماء والأرض وأما ريحها فيوجد من مسيرة مائة عام ففى الكتاب الكريم: ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله** ﴾ وفى الحديث الشريف:« فإنّ ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » .

هذه الأبواب أيها الوافدون فادخلوها ! !

إن لدار المتقين ثمانية أبواب ، ما بين مصراعى كل باب مسيرة أربعين سنة ، والله ليأتين عليها يوم وهى كظيظ من الزحام .

علمنا أن أحد هذه الأبواب يسمى الريان وهو باب خاص بأهل الصيام .

وعلمنا أيضاً أن حلق هذه الأبواب من ياقوت أحمر على صفائح من ذهب .

روى مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ قوله:« إن ما بين مصراعين من

مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهى كظيظ من الزحام »
وقال مرة ﷺ وهو يتحدث عن وفد الرحمن : « وينتهون الى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ».

ماذا عند باب الجنة ؟

عند باب الجنة مباشرة على يمين الداخل أو شماله ، أو أمامه شجرة عظيمة ينبع من أصلها عينان أعدت إحداهما لشرب الداخلين ، والأخرى لاغتسالهم فيشربون من الأولى لتجرى نضرة النعيم فى وجوههم فلا يبأسون أبداً ، ويغتسلون من الثانية فلا تشعث أشعارهم أبداً .

وفى القرآن الكريم: ﴿ **وحلُّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً** ﴾ .

وفى الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ: « عند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحداهما جرت فى وجوههم نضرة النعيم ،وإذا شربوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم ابداً » .

مع أفواج الداخلين

نترك يا أخى القارئ الآن الكلمة للرسول ﷺ يحدثنا عن افواج الداخلين فاسمع له يقول: « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتمخطون ، ولا يتفلون . أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة . أزواجهم الحور العين . أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً فى السماء» .

وكيف يستقبلون ؟

هذا وفد الرحمن يا رضوان فاستقبله !

ما إن تطأ أقدامهم أبواب الجنة حتى يستقبلهم بالتهنئة والسلام جموع الملائكة الطاهرين ، وفى مقدمتهم رضوان خازن الجنان .

قال الله تعالى : ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، وقالوا**

الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ .

ماذا فى القصور ؟

الله أكبر الله أكبر ؟

من الذى يقوى على وصف قصورهم ، أو يحسن التعبير عن نعيمهم وسرورهم ، والله مكرمهم ومنعمهم يقول : **﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ، عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ، وحلُّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾** .

إن النبى ﷺ يا أخى القارئ وحده يمكنه أن يحدثنا بعض الحديث عن تلك القصور ، وما حوت من النعيم المقيم ،فلنستمع إليه فى هذا الحديث المقتضب القصير . من حديث له مسهب طويل هذا آخر رجل يدخل الجنة يقول: يا رب ألحقنى بالناس . فيقول : الحق بالناس ، فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً ، فيقال له : ارفع رأسك مالك ؟ فيقول رأيت ربى ! فيقال له : إنما هو منزل من منازلك ، ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود له . فيقال له : مه ! ! فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة . فيقول له : إنما أنا خازن من خزانك ، وعبد من عبيدك ، فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر ، وهو من درة مجوفة سقافها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها ، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة ، كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها ، كبدها مرآته ، وكبده مرآتها ، إذا أعرض عنها إعراضةً ازدادت فى عينه سبعين ضعفاً ، فيقال له أشرف فيشرف ، فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك .

الهدايا والتحف

وإذا ضمت وفد الرحمن القصور،وانتهوا إلى نعيم غمرهم بالسرور والحبور، توافدت عليهم جموع الملائكة المهنئة لهم ، وهى تحمل أجمل التحف وأحسن الهدايا ، وتقول : **﴿ سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار ﴾** .

يا لتفاوت الدرجات ؟

سبحان الله ما أعظم تفاوت درجات القوم وما أبعد ما بين قصورهم ومنازلهم تبعاً لكمال إيمانهم فى الدنيا وكثرة أعمالهم الصالحة فيها .

روى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال : «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم »، قالوا يا رسول الله : تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ،«قال بلى ، والذى نفسى بيده [1] رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» .

نظرة على أرض الجنة ؟

ما تظن يا أخى . فى أرض الجنة ؟ هل هى من تراب أبيض أو أحمر ، وهل حصباؤها من حجارة ملونة جميلة ، وهل جدران مبانيها من لبن فى غاية الحسن والجمال ، وهل الطين الذى يوضع بين اللبنات لرصفها وإحكامها من مزيج الرمل الأبيض والأسمنت الأزرق الناعم .

اعلم يا أخى القارئ أنه لا يستطيع أحد أن يجيبك عن تساؤلاتك هذه إلا من شاهد الجنة وعاش فيها ساعة كرسول الله ﷺ .

وها هم أولاء أصحابه يسألونه عنها ويقولون : حدثنا يا رسول الله عن الجنة ما بناؤها ؟ كما روى ذلك أحمد والترمذى فيقول : « لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها (الطين) المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » .

إلى جنة عدن ؟

جنة عدن ، وما ادراك ما جنة عدن ، دار كرامة اولياء الله ، ومنزل الأبرار منهم .

ما بالك يا أخى بدار بناها الله ، وبستان غرسه الله ، وبنعيم أعده الله لمن أطاعه وما عصاه .

---

(١) هذا كقوله تعالى : ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ .

ولا يشفى صدرك يا أخى ، بالحديث عنها سوى رسول الله ﷺ فاسمع إليه وهو يقول كما روى ذلك الطبرانى بسند جيد « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ،وملاطها المسك، وحشيشها الزعفران ، حصباؤها اللؤلؤ ، ترابها العنبر ، ثم قال لها انطقى، قالت : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ ».

فى الخيام :

فى الجنة خيام قطعاً لقول الله تعالى: ﴿ **حور مقصورات فى الخيام** ﴾ ولكن ما نوع هذه الخيام ،وما شكلها ؟وما هى مادة تكوينها ،وما مدى حسنها وجمالها.

وصف رسول الله ﷺ خيمة منها فقال :« إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة ، طولها فى السماء ستون ميلاً ، وعرضها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » .

من الخيام إلى السوق ؟

سبحان الله هل فى الجنة أسواق ! وكيف لا ! والله تعالى يقول: ﴿ **ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون** ﴾ فليس من المستغرب إذاً أن تتوق نفس أحدهم فى الجنة إلى دخول سوق من الاسواق وخاصة التجار المؤمنين الذين كانوا يربحون فى أسواق الدنيا ويربحون ، فيطلب ذلك ويدعيه ، فيخلق الله تعالى لهم أسواقاً يغشونها إتماماً للانعام فى دار النعيم وهذا مسلم يخرج لنا حديث السوق فى الجنة فيقول : إن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إن فى الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا فى وجوهم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فتقول لهم أهلوهم ؛ والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون ، وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » .

بين الأنهار والأشجار

هات يدك ــ أخى القارئ ــ نتجول قليلاً بين أنهار الجنة وأشجارها ،ونمتع النفس ساعة فى ذلك النعيم المقيم هيا بنا إلى الانهار الأربعة التى هى أصل كل نهر فى الجنة ، والتى هى نهر الماء ، ونهر اللبن ، ونهر الخمر ، ونهر العسل كما

اخبرنا بـذلك ربنا جل جلالـه فى قوله من سورة مـحمد ﷺ : ﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى** ﴾ .

وإلى الكوثر يا أخى ، إلى حوض النبى محمد ﷺ وأمته فإنه من أعظم أنهار الجنة وأحسنها . فـقد حدث عنه مرة ﷺ كما روى ذلك البخارى فـقال « بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ،فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هو الكـوثر الذى أعطاك ربك . قال : فضـرب الملك بيده فإذا طيـنه مسك أذفر » .

وقال مـرة أخرى فى رواية الـترمذى : «الكـوثر فى الجنـة حافتاه مـن ذهب ومجراه الـدر والياقوت ، تـربته أطيـب من المسك ، ومـاؤه أحلى من الـعسل ، وأبيض من الثلج ».

هذه هى الأنهار قد وقفنـا عليها ، وروينا النفس بالحديث عنـها ، فهيا بنا إلى الأشجار وثمارهـا . وليرو لنا إمام الحديث البخـارى طرفاً منها فلنسمـع إليه يقول قال رسول الله ﷺ :« إن فـى الجنة شجرة يـسير الراكـب فى ظلها مـائة عام لا يقطعها ؛ إن شئتم فاقرأوا :﴿ **وظل ممدود ، وماء مسكوب** ﴾ » .

ويحدث ابن عباس رضى الله عنهما عن هذا الظل الممدود فيقول : شجرة فى الجنة على سـاق قدر ما يسير الراكب المجد فـى ظلها مائة عام فى كـل نواحيها ، فيخرج أهل الجنـة ، أهل الغرف وغيرهم فيتحـدثون فى ظلها ، فيشتهـى بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله تعالى ريحاً مـن الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا روى هـذا الترمذى وحسنه ، وروى الحاكم وصححـه قوله : نخلة الجنة جذعها من زمـرد أخضر وكربها ذهب أحمر ، وسعفهـا كسوة لأهل الجنة . منها مقطعاتـهم ، وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشـد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبدة ليس فيها عجم .

إلى مطاعم الجنة

وهل فى الجنة مطاعم ؟

نعم فـيها مطـاعم ومشارب ، ولا يـنبئك مـثل القرآن واسـمع إليه يـحدثك

ويصف لك من ذلك الكثير . ففى سورة الإنسان يقول: ﴿ **ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قواريرا من فضة قدروها تقديراً ، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ، عيناً فيها تسمى سلسبيلاً** ﴾ ،فى سورة الزخرف يقول الله تعالى ﴿ **يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون** ﴾ .

وفى سورة الواقعة يقول : ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدّعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون** ﴾ .

ويتحدث رسول الله ﷺ عن أهل الجنة فى أكلهم وشربهم ، واصفاً لهم فيقول: « أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس » ويقول ﷺ : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم مع كل خادم صحفتان ، واحدة من فضة ، وواحدة من ذهب . فى كل صحفة لون ليس فى الأخرى مثلها ، يأكل من آخره كما يأكل من أوله ، يجد لآخره من اللذة والطعم مالا يجد لأوله ، ثم يكون بعد ذلك رشح مسك وجشاء ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون » .

الحلى والحلل

هل تريد أخى القارئ ــ أن تعرف شيئاً عن حلى أهل الجنة وحللهم؟ فأتركك للقرآن الكريم يصف لك طرفاً من ذلك فاسمع إليه فى سورة الكهف يقول: ﴿ **أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك** ﴾ وفى سورة الإنسان يقول: ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ، وحلوا أساور من فضة** ﴾. وفى الحج يقول عنهم: ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير** ﴾ .

أما الرسول ﷺ فإنه يصف ذلك النعيم العظيم فيقول : « من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا

أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ويقول :« ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أى ذلك شاء ، إن شاء أبيض وإن شاء أحمر ، وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » .

السرر والأرائك

إن نعيم جنات دار النعيم يعظم — يا أخى — على الوصف ويقصر دونه الضبط والحصر ، وكيف يحصر ما لا يفنى ولا يبيد ، وكيف يوصف ما لا يدرك كنهه ولا يعرف أوله ولا آخره .

قرأ عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قول الله تعالى: ﴿ **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق** ﴾ وقال : لقد أخبرتم بالبطائن فيكف بالظواهر ؟

وقيل فى قوله تعالى :﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾: لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائه خريف .

لنترك — يا أخى القارئ — الكلمة للقرآن الكريم يحدثنا عن أسرة القوم وأرائكهم ، فمن سورة الواقعة يقول : ﴿ **والسابقون السابقون. أولئك المقربون. فى جنات النعيم. ثلة من الأولين. وقليل من الآخرين. على سرر موضونة. متكئين عليها متقابلين** ﴾ ومن سورة الرحمن يقول: ﴿ **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق** ﴾ ويقول: ﴿ **متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان** ﴾ ومن سورة الإنسان يقول:﴿**وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً . متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً** ﴾ ومن سورة الغاشية يقول ﴿ **وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية. فى جنة عالية. لا تسمع فيها لاغية. فيها عين جارية .فيها سرر مرفوعة. وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة** ﴾ .

مع الحور العين ؟

إليك يا أخى كلمات قليلة من القرآن تتحدث عن نساء دار السلام جعلنى الله وإياك من سكانها فاصغ إليها فى إجلال وخشوع ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكاراً .عربا أترابا لأصحاب اليمين** ﴾ ،﴿ **فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ ،﴿ **وعندهم قاصرات الطرف عين .كأنهن بيض مكنون** ﴾

﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب. هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ ،﴿ إن للمتقين مفازاً .حدائق وأعنابا .وكواعب أتراباً . وكأساً دهاقاً ﴾ .

وبعد فإلى الرسول ﷺ يحدثنا عن هذا النعيم المقيم ويكشف لنا الستار عن بعض هؤلاء الحور لنزداد مقة وعشقاً ولنستحث الخطى إلى الوصول إلى العيش بجانبهن ، حدث مرة رسول الله ﷺ فقال: « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » .

وقال مرة: « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على ضوء كوكب درى فى السماء ، ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب » .

ويقول : « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لملأت الأرض ريح مسك ولذهب ضوء الشمس والقمر ».

شىء من الغنى والطرب :

تعال يا أخى نطرب ساعة قبل يوم الساعة يروى الترمذى عن النبى ﷺ قوله: « إن فى الجنة لمجتمعاً لحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن : (نحن الخالدات فلا نبيد) و (نحن الناعمات فلا نبأس) و (نحن الراضيات فلا نسخط) (وطوبى لمن كان لنا وكنا له) وإليك أخى القارئ مجتمعاً آخر لحور العين يا له من مجتمع لهن عجيب !! دونك النهر على حافتيه صفوف الحور العين يغنين بأصوات إنك والله لم تسمع مثلها قط يقول أبو هريرة رضى الله عنه: (إن فى الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون فى الجنة لذة مثلها) وقيل لأبى هريرة وما ذاك الغناء فقال :(إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس والثناء على الرب عز وجل) .

خيل فى الجنة ؟

إلى عشاق الخيل والمولعين بركوبها وامتطاء صهواتها نعيماً آخر تلذونه وتسعدون به إنه يوجد لكم خيول فى الجنة من الياقوت الأحمر لها أجنحة تطير بكم حيث شئتم قال عبد الرحمن بن ساعدة رضى الله عنه: كنت رجلاً أحب

الخيل فقلت يا رسول الله هل فى الجنة خيل ؟ فقال :« إن أدخلك الله الجنة ياعبد الرحمن ، كان لك فيها فرس من الياقوت له جناحان تطير بك حيث شئت» وقال فداه أبى وأمى ﷺ:« إن [1] فى الجنة لشجراً يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروق ولا تبول لها أجنحة خطوها مد البصر تركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم درجة ، يارب بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها ، فيقال لهم كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون وكانوا يصومون وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون » .

معهم فى تزاورهم !

إذا كان لأهل الجنة ما تشتهى أنفسهم فيها ولهم فيها ما يدعون فأى شيء أشهى على النفس من زيارة إخوان كان يربط بينهم فى الدنيا حب الله والسير فى الطريق إليه .

وعليه فهل تحصل زيارات فى الجنة يسرون بها وينعمون على تفاوتهم فى الدرجات ، وارتفاع المنازل ، وعلو المقامات ؟ نعم يا أخى القارئ الكريم ولم لا يكون لهم ذلك ، وكيف لا وقد علمت أن لهم فيها ما تشتهى أنفسهم وما يدعون ولنسمع إلى البزار رحمه الله تعالى يروى لنا فى ذلك الحديث النبوى التالى :« إذا دخل أهل الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعاً فيتكئ هذا ويتكئ هذا ، فيقول أحدهما لصاحبه : أتعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه : نعم ، يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا ».

أما أبو هريرة رضى الله عنه فيروى لنا ويقول : إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون ، عليها رجال الميس يثير مناسمها غبار المسك ، خطام أو زمام أحدهما خير من الدنيا وما فيها .

---

(١) تنبيه : جميع أحاديث هذه الرسالة خرجها المنذرى فى الترغيب وما فيها حديث غير مقبول قط .

أكرم زيارة

أية زيارة أكرم يا أخى ، وأية زيارة أعظم ، وأية زيارة أشهى على النفس وأحب لها من تلك التى هى زيارة الرب تبارك وتعالى !!

روى أبو نعيم فى حليته عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ قوله :« إذا سكن أهل الجنة أتاهم ملك فيقول لهم : إن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون ، فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد ، قالوا يارسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال :«زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ، ثم يسقون ، ثم يكسون ، فيقولون لم يبق إلا النظر فى وجه ربنا عز وجل ، فيتجلى لهم فيخرون سجداً فيقال لهم : لستم فى دار عمل ، إنما أنتم فى دار جزاء ».

سلام الله عليهم

بينما أهل الجنة فى نعيم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : سلام عليكم يا أهل الجنة .

وهو قول الله تعالى من سورة يس ﴿ **سلام قولاً من رب رحيم** ﴾ فلا يلتفتون إلى شىء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ، وتبقى فيهم بركته ونوره .

نعيم لا يوصف

إن نعيماً وعد الله به أهل وفادته ، ودار كرامته لا يستطيع امرؤ وصفه ومهما كان لسنا ذابيان فضلاً عن أن يعده أو يحده ، يقول الله تعالى فيه على لسان رسوله ﷺ : «لعبادى الصالحين ما لا عين رأيت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »ومصداق هذه فى القرآن الكريم :

﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾

إلى أعظم نعيم

﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾

هكذا يقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾ فقد ذكر

تبارك وتعالى ما أعده لأوليائه وأهل وفادته من النعيم المقيم فى جنات عدن ثم قال بعد ذكر النعيم العظيم: ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾ فعلم أن رضاه سبحانه وتعالى عن عباده هو أكبر نعيم يلقونه فى دار الإكرام والإنعام .

وهذا الإمام البخارى رحمه الله تعالى يروى لنا حديث أكبر الإنعام فيقول : قال رسول الله ﷺ :« إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير بيديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون : وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول ، أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » اللهم أجعلنا من أهل طاعتك ومحبتك ورضوانك آمين .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وهـذا هـو الطـريق

هذا هو الطريق أيها السائرون !

فإلى الجنة دار النعيم التى عرفها لكم .

وهذا هو طريقها واضحاً معبداً عليه أعلامه ، وفوقه أنواره وها أنتم فى مبتداه فسيرا حثيثاً إلى منتهاه حيث أبواب الجنة مفتحة أيها السالكون !!

إليكم الطريق كما رسمه رسول الله ﷺ فى قوليه :

١ ـ « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ،لا يزيغ عنها إلا هالك ».

٢ ـ « كلكم يدخل الجنة إلا من أبى »، قيل : ومن يأبى يارسول الله ؟ فقال: « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » إنه عليه الصلاة والسلام فى هذين الحديثين قد بيّن الطريق ورسمه واضحاً لكل ذى بصيرة فهلم أيها الإخوان لنسير سوياً ، اخواناً متحابين وأصدقاء متعاونين فهيا بنا هيا بنا ! !

واسمحوا لى أن أتقدمكم رائداً لكم لأصف طريقكم إلى جنة ربكم ، ودار إقامتكم وكرامتكم .

إن الطريق أيها الإخوة السائرون بين أربع كلمات : إثنتان سالبتان ، و إثنتان وموجبتان . فالسالبتان : الشرك والمعاصى ، والموجبتان : الإيمان والعمل الصالح.

من هذه الكلمات الأربع يتكون الطريق القاصد إلى الجنة دار الإقامة والكرامة.

وها هو ذا قد أشير إليه بكلمتى لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ؛ إذ الأولى تعنى أنه لا معبود بحق إلا الغفور الودود ، فليعبد وحده بالإيمان واليقين،والطاعة له ولرسوله بالصدق والإخلاص الكاملين . والثانية تعنى أن النبى محمداً هو الرسول الخاص ببيان كيف يعبد الله وحده فى هذه الأكوان ، وأنه لا يتأتى لأحد أن يعبد الله بدون إرشاده ﷺ وبيانه .

والآن أيها الإخوة السائرون فلنسلك الطريق مسترشدين بإشارة **لا إله إلا الله محمد رسول الله** ﷺ :

● فلنعتقد جازمين أن خالقنا هو الذى خلق هذه العوالم ودبرها بقدرته وعلمه ، ومشيئته وحكمته ، وفيها تجلت صفاته العلى وأسماؤه الحسنى . فبقدرته تعالى كانت هذه الأكوان ، وبعلمه تعالى اتحد وجودها وانتظم شأنها ، وسارت إلى غاياتها فى نظام محكم بديع .

● ولنعتقد جازمين أنه لا وجود لمشارك الله تعالى فى خلق هذه العوالم ، ولا مدبر لها معه سواه ؛ إذ لو كان ذلك لظهر فى العوالم التضارب والتناقض ، ولأسرع إليها الفناء والزوال: ﴿ **قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون** ﴾ .

● ولنعتقد جازمين أنه متى لم يكن لله تعالى شريك فى الخلق والتدبير فإنه لا يكون له شريك فى الطاعة والعبادة ، فلا ينبغى أن يعبد معه أحد أبداً سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً ، أو دون ذلك . من سائر المخلوقات . وسواء كانت العبادة صلاة أو دعاء ، أو صوماً أو ذبحاً ، أو زكاة أو نذراً ، أو طاعة في معصيته تعالى بتحريم ما أحل أو تحليل ما حرم أو بترك ما أوجب أو فعل ما حرم.

● ولنعتقد جازمين أن حاجة الناس إلى الرسل فى بيان الطريق إلى الجنة اقتضت إرسالهم ، وإنزال الكتب عليهم ومن هنا وجب تصديق كافة الرسل واتباعهم ووجب الإيمان بالكتب والعمل بما فيها مما لم ينسخه الله تعالى بغيره من الشرائع والأحكام كما وجب الإيمان بالملائكة ، والقدر والمعاد والحساب والجزاء . بهذه النقاط الأربع المشتملة على الإيمان الصحيح كنا قد قطعنا ربع الطريق إلى الجنة أيها السائرون فإلى الربع الثانى وهو العمل الصالح .

● فلنقم الصلاة بأن نتطهر لها طهارة كاملة ، ونؤديها فى أوقاتها فى جماعة أداء وافياً مستوفى كافة الشروط والفرائض والسنن والآداب فنوافق بها صلاة رسول الله ﷺ حيث قال :« صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

● ولنؤت زكاة أموالنا أهلها من الفقراء والمساكين والغارمين والمجاهدين ولنتحر فى إخراجها الجودة والكمال والإخلاص الكامل فيها لله تعالى .

● ولنصم رمضان بالإمساك عن المفطرات والبعد عن المتشابهات والمحرمات فى الأقوال والأفعال والخواطر والنيات .

● ولنحج بيت الله حجاً كحج رسول الله ﷺ موسوماً بالبرور وذلك بأدائه أداء صحيحاً خالياً من الرفث والفسق والجدال محفوفاً بالخيرات مفعماً بالصالحات .

● ولنبر الوالدين بطاعتهما فى غير معصية الله ، وبالإحسان اليهما ببذل المعروف وإسداء الجميل من القول والفعل ، مع كف الأذى عنهما ولو كان ضجراً منهما ، أو عدم رضا عنهما .

● ولنصل أرحامنا ببرهم وزيارتهم ، والسؤال عنهم ، والتعرف إلى أحوالهم ومساعدتهم بما فى القدرة وما هو مستطاع .

● ولنحسن إلى الجيران بإكرامهم المتمثل فى الإحسان اليهم وكف الأذى عنهم .

● ولنكرم الضيف إكرامه الواجب له باطعامه وإيوائه .

● ولنكرم المؤمن بتحقيق أخوته القائمة على أساس أداء حقوقه من السلام عليه عند ملاقاته ، وتشميته عند عطاسه . وتشييع جنازته عند مماته ، وعيادته إذا مرض ، وإبرار قسمه إذا أقسم .

● ولنعدل فى القول والفعل والحكم إذ العدل فى الكل واجب محتم ، وبه يستقيم أمر الدين والدنيا ، ويصلح شأن العباد والبلاد .

والى هنا تم نصف الطريق أيها السائرون ، ولم يبق إلا نصفه الآخر ، والذى هو ترك الشرك والمعاصى فلنواصل السير فى غير كلل ولا ملل ولنترك الشرك وذلك :

١ ــ بأن لا نعتقد أن مخلوقاً من المخلوقات كائناً من كان يملك لنفسه أو لغيره ضراً أو نفعاً بدون مشيئة الله وإذنه ، وعليه فلنحصر رغبتنا فى الله فلا نرغب فى أحد سواه فلا نسأل مخلوقاً ولا نستشفع أو نستغيث بآخر ، إذ لا معطى ولا مغيث إلا الله . فلنقصر رغبتنا فيه ، ورهبتنا وخوفنا منه .

٢ ــ بأن لا نصرف شيئاً من عبادة الله تعالى إلى أحد سواه ؛ فلا نحلف بغير الله ، ولا نذبح على قبر ولى من أولياء الله ، ولا ننذر نذراً لغير الله ، ولا ندعو

غير الله ولا نستغيث بسواه .

٣ ــ وبأن لا نعلق خيطاً أو عظماً أو حديداً نرجو بها دفع العين أو كشف الضر ، فإنه لايدفع العين ولا يكشف الضر إلا الله .

٤ ــ وبأن لا نصدق كاهناً أو عرافاً أو منجماً فيما يخبر به ويدعيه من علم الغيب ؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله .

٥ ــ وبأن لا نطيع حاكماً أو عالماً أو أباً أو أماً أو شيخاً فى معصية الله ، إذ طاعة غير الله بتحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم شرك فى ربوبية الله .

بهذه الخطوات الخمس أيها السائرون قد قطعنا نصف المسافة المتبقية ولم يبق إلا نصفها الآخر وهو ترك المعاصى وبعدها نصل إلى باب الجنة وندخلها إن شاءالله مع الداخلين فهيا بنا نواصل سيرنا أيها السالكون .

● فلنحفظ الدماغ فلا نفكر فيما يضر ، ولا ندبر ما يسوء من فساد أو شر .

● ونحفظ السمع فلا نسمع باطلاً من سوء أو فحش ، أو كذب أو غناء ، أو غيبة ، أو نميمة ، أو هجر أو كفر .

● ونحفظ البصر فلا نسرحه فى النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من اجنبية غير محرمة مسلمة أو كافرة ، عفيفة أو فاجرة .

● ونحفظ اللسان فلا ننطق بفحش أو بذاء ، ولا سوء أو كذب أو زور ، أو غيبة أو نميمة أو سب أو شتم أو لعن من لا يستحق اللعنة .

● ونحفظ البطن فلا ندخل فيه حراماً طعاماً كان أو شراباً فلا نأكل ربا ولا ميتة ولا خنزيراً ، ولا نشرب مسكراً ، ولا ندخن تبغاً ولا تنباكاً .

● ونحفظ الفرج فلا نطأ غير زوجة شرعية أو مملوكة سرية أباح الله وطئها وأذن فيه .

● ونحفظ اليد فلا نؤذى بها أحداً بضرب أو قتل ، ولا نأخذ بها مالاً حراماً ولا نلعب بها ميسراً ولا نكتب بها زوراً أو باطلاً .

● ونحفظ الرجل فلا نمشى بها إلى لهو أو باطل ، ولا نسعى بها إلى فتنة أو فساد أو شر .

- ونحفظ العهد ، والشهادة والأمانة ، فلا نخفر ذمة ولاننكث عهداً ، ولا نخلف وعداً ، ولا نشهد زوراً ولا نخون أمانة .

- ونحفظ المال فلا نبذره ، ولا نسرف فيه ، كما لا نهمله ولا نضيعه ، أو نتركه بدون إنماء أو إصلاح .

- ونحفظ الأهل والولد فى أبدانهم وعقولهم وعقائدهم وأخلاقهم فندفع عنهم ما يؤذيهم أو يضرهم أو يفسد أرواحهم ، أو عقولهم وندرأ عنهم كل ما يردى أو يهلك ويشقى .

وإلى هنا انتهى الطريق أيها السائرون فدونكم الجنة دار السلام فتهيأوا للدخول منتظرين رسل ربكم متى تصل إليكم حاملة استدعاء ربكم المنعم الكريم لتفدوا عليه وتحطوا الرحال بساحته . ويومها يفرح ، المتقون .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الرِسَالَة الرابعَة عَشَرَة

الأذكار وَالأَدْعِيَة النَّبَوِيّة

للفرقة الناجية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

باسمك ، اللهم ،وبحمدك اذكرك ، واشكرك ، واستغفرك واتوب إليك . أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى ، ورزقتنى وهديتنى ، فلك المنة العظمى ولك الحمد والثناء ، وأنت الغنى الحميد ، واصلى واسلم على صفوة خلقك وخاتم انبيائك ورسلك محمد الذى أنزلت عليه ذكرك الحكيم رحمة للعالمين .

وارض عن ازواجه وذرياته وسائر اهل بيته الطاهرين وعن صحابته اجمعين .

وبعد فان لذكر الله تعالى بين العبادات شأنا عظيما إذ أمر الله تعالى به فى غير ما آية من كتابه قال تعالى : ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾. وقال عز وجل :﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً**﴾ . وأثنى عليه اهله بقوله : ﴿**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات** ﴾. وقال فى بيان فضله رسول الله ﷺ :«ألا أُنبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم [1] وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا: بلى يا رسول الله قال : ذكر الله ». وقال ﷺ [2] :« مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت» وقال ﷺ :« سبق [3] المفردون قالوا : وما المفردون يا رسول الله قال ؟ الذاكرون الله كثيراً والذاكرات : ولما كان الذكر عبادة توقيفية كسائر العبادات لا مجال للإنسان فى وضعها أو توقيتها حتى أن موسى عليه السلام قال: يا رب علمنى شيئاً اذكرك وادعوك به فقال له ربه تبارك وتعالى : قل لا إله إلا الله وقد رأيت بعض الاخوان يذكرون الله ويتعبدونه بأوراد ليست فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ وهذا مما لا شك فيه أنه خال من الفائدة المقصودة منه وهى زكاة النفس ورضوان الله عز وجل إذ لا يزكى النفس ولا

---

(١) رواه الترمذى والحاكم بإسناد صحيح .

(٢) رواه البخارى . . . .

(٣) رواه مسلم .

يرضى الرب تبارك وتعالى إلا ما شرعه الله فى كتابه أو على لسان رسوله من العبادات التى رضيها لنفسه وندب إليها عباده ليتقربوا بها إليه سبحانه وتعالى فقد رأيت تأليف مجموعة من الأذكار والأدعية الثابتة عن رسول الله ﷺ والتى وردت محدودة الكيفية معلومة الوقت بحيث يأتى بها العبد على النحو الذى كان رسول الله ﷺ يأتى بها كيفية وكمية زماناً ومكاناً . وبذلك يتحقق المرجو منها من تزكية النفس والحصول على الرضوان الإلهى وقد سميتها الأذكار والأدعية النبوية للفرقة الناجية وقد ذكرتها مرتبة من ساعة أن يستيقظ العبد من نومه إلى أن يعود إليه من الليلة التالية فلم تخل حالة من شكر ولا ساعة من ذكر . ولا شك أن من وفقه الله تبارك وتعالى للاتيان بهذه الأذكار والأدعية فى كل اليوم والليلة كان من الذاكرين الفائزين بولاية الله ومحبته ورضوانه : ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

الذكر عند القيام من النوم

روى البخارى أن النبى ﷺ كان إذا استيقظ من نومه قال :

« الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ».

وروى ابن السنى بسند صحيح أنـه ﷺ قال: إذا استيقظ أحدكم من نومه فليقل :

« الحمد لله الذى رد على روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى فى ذكره ».

وروى أيضاً عنه ﷺ قوله :« ما من عبد [1] يقول عند رد الله تعالى روحه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ».

الذكر والدعاء عند لبس الثياب وخلعها

روى ابن السنى أنه ﷺ كان إذا لبس [2] ثوباً أو قميصاً أو رداء أو عمامة يقول :

«اللهم إنى أسألك من خيره وخير ما هو له واعوذ بك من شره وشر ما هو له »

وروى أيضاً أنه ﷺ قال : «من لبس [3] ثوباً جديداً فقال :

الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول لى ولا قوة

غفر له ما تقدم من ذنبه ».

روى فى الصحيحين أن النبى ﷺ كسا أم خالد خميصة وقال :

« أبلى وأَخْلِقِى »

وروى النووى عن ابن السنى أن النبى ﷺ قال [4] ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه :

« بسم الله الذى لا إله إلا هو »

الذكر والدعاء عند قضاء الحاجة

روى فى الصحيحين أنه ﷺ كان يقول عند دخول الخلاء :

---

(١) سكت عنه النووى .
(٢) سكت عنها النووى فى الأذكار
(٣) سكت عنها النووى فى الأذكار .
(٤) سكت عنه النووى فى الأذكار .

« اللهم إنى أعوذ بك من الخبث [(١)] والخبائث » .

وروى الترمذى أنه ﷺ قال : «ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم إذا دخل الكنيف أن يقول بسم الله » .

وروى بسند جيد عنه ﷺ قوله : «إذا دخلتم الخلاء فقولوا :

بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث » .

وروى ابن ماجة بسند جيد أنه ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال :

« الحمد لله الذى اذهب عنى الأذى وعافانى »

وروى الترمذى وغيره بسند صحيح أنه ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال : «غفرانك » .

الذكر والدعاء عند الوضوء

روى مسلم عنه ﷺ قوله :«من توضأ فقال :

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين .

فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ».

وروى النسائى بسند صحيح عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قوله : أتيت النبى ﷺ بوضوء فتوضأ فسمعته يقول :

« اللهم اغفر لى ذنوبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى » .

الذكر بعد تكبيرة الإحرام

روى مسلم أن النبى ﷺ كان إذا قام من جوف الليل وكبر تكبيرة الإحرام قال :

« وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول

---

(١) ذكران الشياطين وإناثهم .

المسلمين ».

وروى الجماعة دون الترمذى أن أبا هريرة قال: كان النبى ﷺ إذا كبّر فى الصلاة سكت هنيهة قبل القراءة . فقلت : يارسول الله بأبى أنت وأمى أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال « أقول :

« اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد » .

وروى مسلم وغيره عن على بن أبى طالب قوله كان النبى ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال :

« وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعاً لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله فى يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب إليك »

الذكر قبل القراءة

روى الترمذى وأبو داود أن النبى ﷺ قال قبل القراءة فى الصلاة « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه [(١)] ونفثه [(٢)] وهمزه[(٣)] »

الذكر فى الركوع

روى فى السنن أن النبى ﷺ قال« إذا قال أحدكم :

« سبحان ربى العظيم ثلاثاً فقد تم ركوعه »

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول فى ركوعه :

«سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى » .

---

(١) الكبر (٢) الشعر (٣) الموتة أى الجنون أو الصرع

وجاء فى صحيح مسلم عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول إذا ركع :

«اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك اسلمت خشع سمعى وبصرى ومخى وعظمى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين »

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول فى ركوعه وسجوده :

« سبوح قدوس رب الملائكة والروح »

الذكر عند الرفع من الركوع

وروى فى الصحيح أن النبى ﷺ كان يقول :

« سمع الله لمن حمده » حين يرفع صلبه من الركوع ويقول وهو قائم :

« ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد أهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد »

الذكر فى السجود

روى اصحاب السنن أن النبى ﷺ قال :« إذا سجد احدكم فليقل :

سبحان ربى الأعلى » ثلاثا وذلك ادناه :

وروى مسلم أن النبى ﷺ كان يقول فى سجوده :

« اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله واوله وآخره علانيته وسره » .

وروى أبو داود وغيره أن النبى ﷺ كان يقول فى سجود القرآن :

« سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته . اللهم اجعلها لى عندك ذكرا واعظم لى بها اجراً وضع عنى بها وزراً وتقبلها منى كما تقبلتها من داود عليه السلام »

الذكر ما بين السجدتين

روى أبو داود وغيره أن النبى ﷺ كان إذا رفع رأسه من السجدة قال:

« رب اغفر لى وارحمنى واجبرنى وارزقنى واهدنى وعافنى » .

الذكر فى الوتر

روى النسائي وغيره عن الحسن بن علـى رضى الله عنهما قال :علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى الوتر :

« اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيـمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما اعطيت وقنى شر ما قضيت فانك تقضى ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وصلى الله على النبى » .

الذكر بعد التشهد

ورد فى الصحيح أن النبى ﷺ قال:« إذا فرغ احدكم من التشهد فليتعوذ بالله من اربع يقول :

اللـهم إنى اعوذ بـك من عذاب جهـنم ومن عـذاب القبر ومـن فتنة المحـيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال » .

وجاء فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ كان يقول بين التشهد والسلام :

« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما أنت اعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

وروى فى الصحيح أن أبا بكر الصديـق قال يارسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال قل :

« اللهم إنـى ظلمت نفسـى ظلماً كثيراً ولا يـغفر الذنوب إلا أنت فـاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم »

الذكر بعد السلام

اخرج مسلم أن النبى ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا :

« أستغفر الله ـ أستغفر الله ـ أستغفر الله »

وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام »

وروى البخارى أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من صلاته وسلم قال :

« لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ولـه الحمد وهو على كل شىء قدير» « اللـهم لا مانع لما اعطيت ولا مـعطى لما منعت ولا يـنفع ذا الجد [١] منك

---

(١) الجد : الحظ والغنى والعظمة .

الجد » .

واخرج مسلم أن النبى ﷺ كان يقول دبر كل صلاة :

« لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن الجميل لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون »

وروى النسائى وأبو داود أن النبى ﷺ أخذ بيد معاذ وقال« يا معاذ إنى والله لأحبك : اوصيك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول :

اللهم أعنّى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »

وروى النسائى وابن حبان أن النبى ﷺ قال: من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسى لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت :

﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ .

وروى فى السنن أن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال امرنى رسول الله ﷺ أن اقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة « المعوذتان هما » .

﴿ قل أعوذ برب الفلق ــ وقل أعوذ برب الناس ﴾

وروى مسلم أن النبى ﷺ قال : «من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

وروى الترمذى أن النبى ﷺ قال : «من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة» .

وروى الترمذى وغيره أن النبى ﷺ قال : من قال فى دبر صلاة الصبح وهو ثانى رجليه قبل أن يتكلم :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير »

عشر مـرات كتب له عشـر حسنات ومحـى عنه عشـر سيئات ورفع لـه عشر درجات وكان يومـه ذلك فى حرز من كل مكـروه وحرس من الشيطان ولـم ينبغ لذنبٍ أن يدركه فى ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى »

وروى أبو داود أن مسلمـاً بن الحارث التميمى أسر اليـه النبى ﷺ قال : إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل :

« اللهم اجرنى من النار

سبع مرات فـانك اذا قلت ذلك ثم مت من لـيلتك كتب لك جـوار منها وإذ صليت الصبح فقل كذلك فإنك إن مت من يومك كتب لك جوار منها ».

وروى ابن ماجة أن النبى ﷺ كان إذا صلى الصبح قال :

« اللهم انى اسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً طيباً »

الذكر عند الخروج من المنزل

روى اصحاب السنن ان أم سـلمة رضى الله عنها قالـت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتى قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال :

« بسم الله توكلت على الله الـلهم إنى اعوذ بك أن اضل أو اضل أو ازل أو ازل أو اجهل أو يجهل علي »

وروي ايضاً أنّ النبى ﷺ قال : «من قال إذا خرج من بيته :

بسم الله توكلت علي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى »

يقال له كفيت ووقـيت وهديت وتنحى عنه الشيطان فيـقول له شيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ؟»

وروى مسلم عن ابن عباس أن النبى ﷺ خرج الى الصلاة وهو يقول :

« اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى لسـانى نوراً واجعل فى سمعى نوراً واجعل فى بصرى نـوراً واجعل من خلفى نـوراً ومن أمامى نوراً واجعل مـن فوقى نوراً ومن تحتى نوراً » .

الذكر والدعاء عند الأذان

اخرج مسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :اذا

قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر فقال احدكم : الله أكبر الله أكبر . ثم قال : أشهد أن لا إله الله ، قال أشهد أن لا إله الا الله ، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله فقال: أشـهد أن محمداً رسول الله ثـم قال :حى على الصـلاة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : حى على الفلاح ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال : الله أكبـر الله أكبر ، قال: الله أكبر الله أكبـر ، ثم قال : لا إله إلا الله، قال لا إله إلا الله من قلبه ، دخل الجنة .

وأخرج البخارى أن النبى ﷺ قال: من قال : حين يسمع النداء :

« اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائـمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته : حلت له شفاعتى يوم القيامة».

وروى ابو داود عـن ابن عمـر بسنـد جيـد أن رجلاً قال :«يـا رسول الله إن المؤذنين يفضلونـنا ، فقال رسول الله ﷺ :قل كما يقولون ، فإذا انـتهيت فسل تعطه » .

وروى التـرمذى وصححــه أن النبى ﷺ قـال : قد لا يرد الدعـاء بين الأذان والإقامة قـالوا: فماذا نقـول يا رسول الله ؟ قال : « سلوا الله الـعافية فى الـدنيا والآخرة » :

« اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة »

الصلاة على النبى ﷺ

روى مسلـم عنه ﷺ أنه قـال :« من صلى عـلىّ صلاة صلـى الله عليه بـها عشراً». وفى رواية له« من صلى علىّ واحدة صلى الله عليه عشراً ».

وروى الترمذى بسند حسن أنه ﷺ قال :« أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة ». وروى أبو داود والنسائى بسند صحيح أن النبى ﷺ قال :« ان من أفضل ايامكـم يوم الجمعة فاكثروا علـىّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتـكم معروضة علىّ ، فقالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (١) ؟ قال : إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء » .

---

(١) أصله أممت ــ أى بليت فحذفت احدى الميمين كما فى ظلت من ظللت حيث حذفوا إحدى اللامين .

وروى ابو داود بسند صحيح أنه ﷺ قال: « لا تجعلوا قبرى عيداً ، وصلوا عليَّ فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » .

وروى أيضاً أنه ﷺ قـال:« ما من أحد يسلم علـى إلا رد الله على روحى ، حتى أرد عليه السلام ».

وروى الترمذى بسند صحيح أنه ﷺ قال :البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل عليّ .

صيغ الصلاة على النبى ﷺ

١ ــ « اللهم صل عـلى محمد النبى وازواجه امهات المـؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد »

(رواها ابو داود عــن ابى هريرة) وأولـه قوله: من سره أن يـكتال بالمـكيال الأوفى إذا صلى علينا اهل البيت فليقل :

٢ ــ « اللهـم اجعل صلواتك وبركاتـك ورحمتك على سيد المـرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك رسولك » (رواها ابن ماجه)

٣ ــ « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مـجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل مـحمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » (رواها البخارى) .

٤ ــ « اللـهم صل علـى محمد وعلـى ازواجه وذريته كـما صليـت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كـما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » (رواه الشيخان) .

٥ ــ « اللهم صل علـى محمد وعلى آل محمد كما صلـيت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعـلى آل محمد كما باركت على آل ابراهـيم فى العالمين انك حميد مجيد ». (رواه مسلم) .

الذكر والدعاء عند الصباح والمساء

روى ابو داود والترمذى ان النبى ﷺ كان يقول إذا اصبح :

« اللهم بك اصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور »

وروى مسلم أن النبى ﷺ قال : من قال حين يصبح وحين يمسى :

« سبحان الله وبحمده »

مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثله أو زاد عليه.

وروى مسلم ايضاً أن النبى ﷺ كان إذا امسى قال :

« امسينا وامسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب اسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها واعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها رب اعوذ بك من الكسل وسوء الكبر واعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر ».

وإذا اصبح قال : اصبحنا واصبح الملك لله الخ ....

وأخرج مسلم أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : ما لقيت الليلة من عقرب لدغتنى البارحة ! ! فقال له اما لو قلت حين امسيت :

« أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق » لم يضرك

وروى ابو داود بسند صحيح أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله مرنى بكلمات اقولهن إذا اصبحت وإذا امسيت قال : قل :

« اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى [1] وشر الشيطان وشركه » .

قال :قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك .

وروى ابو داود أن النبى ﷺ قال: من قال حين يصبح :

اللهم ما أصبح بى من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر .

فقد أدى شكر يومه ومن قال ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته » .

وروى أنه ﷺ لم يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسى .

« اللهم إنى اسألك العافية فى الدنيا والآخرة ،اللهم انى اسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى اللهم

---

(١) المراد بشر النفس شر هواها .

احفظني من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك ان أغتال من تحتى » .

وروى أيضاً أنه ﷺ علم بعض بناته أن تقول حين تصبح :

« سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً » .

ويقول : من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى ومن قالهن حين يمسى حفظ حتى يصبح .

وروى أبو داود ايضاً أن النبى ﷺ دخل ذات يوم المسجد فوجد أبا أمامة : فقال يا أبا أمامة ما لى أراك جالساً فى المسجد فى غير وقت صلاة ؟ قال: هموم لزمتنى وديون يا رسول الله قال أفلا أعلمك كلاماً إذ قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟ فقال : بلى يارسول الله قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت :

« اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

قال فقلت ذلك فأذهب الله تعالى همى وغمى وقضى عنى دينى .

الاستغفار

روى البخارى أن النبى ﷺ قال سيد الاستغفار :

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة روى مسلم أنه ﷺ قال:« إنه ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » وروى ابو داود وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما قوله : كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة : رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم . وروى ابو داود وابن ماجة عنه ﷺ قوله : «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب ».

الدعاء عند الاستسقاء

وروى أبو داود بسند صحيح أنه أتت النبى ﷺ بواك فقال ﷺ :

« اللهم اسقنـا غيثاً مريعاً نافعاً غـير ضار عاجلاً غير آجل » فأطبـقت عليهم السماء .

وروى ايضاً بسند صحيح أنه ﷺ شكى اليـه قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له فى المصلى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فصعد على المنبر فكبر وحمد الله عز وجل ثم قال :

« انكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد امركم الله سبحانه ان تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم »، ثم قال :

« الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيـم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد اللهم انـت الله الذى لا إله إلا أنت الغنى ونحن الفقراء انزل عـلينا الغيث واجعل ما انزلت قوة وبلاغاً الى حين ، ثم رفـع يديه فلم يزل فى الرفع حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب او حول رداءه وهو رافع يديه ثم اقبل على النـاس ونزل فصلى ركعـتين فأنشأ الله عز وجـل سحابة فرعدت وبـرقت ثم امطرت بإذن الله تعالى فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم الى السكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال اشهد أن الله علي كل شيء قدير وانى عبد الله ورسوله » .

الدعاء عند الريح

اخرج مسلم أنه ﷺ كان يقول إذا عصفت الريح :

« اللهم انى اسـألك خيرها وخير ما فـيها وخير ما أرسلت بـه وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ».

الذكر عند الرعد

روى مالك عن ابن الزبير رضى الله عنـه أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال :

« سبحان من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » .

الذكر عند الأكل والشرب

روى فى الصحيح أن النبى ﷺ قال لعمر بن سلمة :

« سم الله تعالى وكل بيمينك ».

معنى سمّ الله تعالى : قل « بسم الله »

وروى أبو داود والترمذى أنه ﷺ قال :« إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى فى اوله وإن نسى أن يذكر الله تعالى فى أوله ، فليقل باسم الله أوله وآخره».

وروى مسلم أنه ﷺ قال :« إن الله ليرضى عن العبد ان يأكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب فيحمده عليها ».

الذكر بعد الفراغ من الأكل والشرب

أخرج البخارى ان النبى ﷺ كان إذا رفع مائدته قال :

« الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه غير مكفى [1] ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » .

وروى النسائى أن النبى ﷺ إذا قرب اليه طعام قال : « بسم الله » وإذا فرغ من طعامه قال :

« اللهم اطعمت واغنيت واقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما عطيت».

وروى الترمذى بسند حسن انه ﷺ قال من اكل طعاماً فقال :

« الحمد لله الذى اطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

---

(١) غير مكفى تعالى اذ هو الذى يطعم ولا يطعم وغير مودع أى غير مترك الطلب منه والرغبة إليه . ولا مستغنى عنه فمن ذا الذى يستغنى عن الله تعالى والخلق كله فقير إليه .

دعاء الضيف لصاحب الطعام

اخرج مسلم ان عبد الله بن بشير رضى الله عنه قال : نزل رسول الله ﷺ على ابى قال فقربنا اليه طعاماً ورطبة فأكل منها ثم أُتى بتمر فكان يأكله ويلقى النوى بين إصبعيه ويجمع السبابة والوسطى ثم أُتى بشراب فشربه ثم ناوله الذى عن يمينه قال : فقال أبى وأخذ بلجام دابته : ادع الله لنا فقال :

« اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم » .

وروى ابو داود وغيره بسند صحيح ان سعد بن عبادة جاء النبى ﷺ بخبز وزيت فأكل ﷺ ثم قال :

« افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة » .

وروى مسلم فى حديث طويل انه ﷺ لما طعم او شرب عند قوم رفع رأسه الى السماء فقال :

« اللهم اطعم من اطعمنى واسق من سقانى » .

دعاء من اهدى هدية ومن اهدى اليه

روى ابن السنى أن عائشة رضى الله عنها قالت: أهدى للرسول ﷺ شاة قال: اقسميها فكانت عائشة إذا رجع الخادم تقول ما قالوا ؟ يقول الخادم قالوا: « بارك الله فيكم » فتقول عائشة : وفيهم (بارك الله) نرد عليهم مثل ما قالوا ويبقى أجرنا لنا .

الذكر والدعاء فى المجلس وعند القيام منه

روى الترمذى بسند صحيح أن النبى ﷺ قال : من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك :

« سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا إله إلا أنت استغفرك واتوب إليك »

إلا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك ، وإذا كان المجلس مجلس خير كان ذلك الذكر كالطابع له ، كما ورد فى الحديث الصحيح :

وروى ابو داود بسند صحيح أنه ﷺ قال :«ما من قوم يقومون من مجلس لا

يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة .

وروى الترمذى بسند حسن أنه ﷺ لا يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه :

« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما حييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وأنصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » .

الذكر والدعاء عند دخول السوق

روى الترمذى بسند مقبول أن رسول الله ﷺ قال : من دخل السوق فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير » .

كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وروى ايضاً عن بريدة ان النبى ﷺ كان إذا خرج إلى السوق قال :

« بسم الله اللهم انى أسألك من خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة» .

الذكر والدعاء عند العطاس

روى البخارى ان النبى ﷺ قال : إذا عطس احدكم فليقل : « الحمد لله » وليقل له أخوه أو صاحبه : « يرحمك الله » .

فإذا قال له يرحمك الله فليقل له : « يهديكم الله ويصلح بالكم » .

الدعاء عند الدخول إلى الحمام

روى ابن ابى شيبة عن ابى هريرة موقوفاً عنه : نعم البيت الحمام يدخله المسلم ، إذ دخل سأل الله الجنة ، واستعاذه من النار .

وروى الطبرانى بسند صحيح عنه ﷺ قوله: « اتقوا بيتاً يقال له الحمام قالوا: انه ينقى وينفع قال من دخله فليستتر » .

الذكر عند الكرب

روى الشيخان ان النبى ﷺ كان يقول عند الكرب :

« لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إلـه إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم » .

وأخرج التـرمذى أنه ﷺ كان إذا كربـه أمر قال: « يا حـى يا قيوم برحـمتك أستغيث » .

وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : دعوات المكروب :

« اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نـفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت » .

الذكر والدعاء عند إصابة الهم أو الحزن

واخرج احمد بسند صحيح أن الـنبى ﷺ قال : ما اصاب عبداً هم ولا حزن فقال :

« اللهم انـى عبدك وابن عبدك وابن أمتـك ناصيتى بيدك ماض فـى حكمك عدل فى قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو انزلته فى كتابك أو علمـته احداً من خـلقك أو استـأثرت به فى عـلم الغيـب عندك ان تجعـل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب غمى » .

إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً .

الدعاء عند لقاء العدو

اخرج ابو داود والنسائى بسند صحيح ان النبى ﷺ كان إذا خاف قوماً قال :

« اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » .

وروى أبو داود بسند صحيح أنه ﷺ كان يقول عند لقاء العدو :

« اللهم أنت عضدى وأنت نصيرى بك اجول وبك اصول وبك اقاتل »

دعاء من همه دين

روى الترمذى بسند حسن أن مكاتباً اتى على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال: إنى عجزت عن كتابتى فأعنى ، فقال له ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً أداه عنك ؟ قل :

« اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك » .

الذكر لطرد الوسواس

روى فى الصحيح ان النبى ﷺ قال :« يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ اذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته ». لفظ الاستعاذة :

« اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم »

وفى رواية فى الصحيح عنه ﷺ : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خلق الله فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل :

« آمنت بالله ورسوله » .

واخرج أبو داود بسند جيد أن رجلا قال لابن عباس : ما شيء أجده فى صدرى ! ! قال : ما قلت ؟ قال : والله لا اتكلم به فقال له ابن عباس رضى الله عنه : أشيء من شك ؟ وضحك ، وقال : ما نجا منه احد حتى انزل الله تعالى: ﴿**فإن كنت فى شك مما نزلنا اليك**﴾الآية ثم قال له: إذا وجدت فى نفسك شيئاً فقل :

﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾

الذكر فى التعوذ والرقى

جاء فى صحيح البخارى ان النبى ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما يقول :

« أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة [١] ومن كل عين لامة[٢]»

ويقول أباكما كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق .

---

(١) الهامة ذات السم القاتل كالحية ونحوها .   (٢) اللامة التى تصيب ما نظرت إليه .

وروى فى الصحيحين أنه ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: « اللهم رب النـاس اذهب الباس واشف أنت الشافى لاشفـاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » .

وروى مسلم ان عثمان بن ابى العـاص شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده فى جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ : ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل « بسم الله » ثلاثا وقل سبع مرات :

« اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر » .

وروى الترمـذى بسند حسـن أن النبى ﷺ قال : من عـاد مريضاً لم يـحضر أجله فقال عنده سبع مرات :

« أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك » إلا عافاه الله .

الذكر عند رؤية المبتلى

روى الترمذى بسند حسن أن النبى ﷺ قال من رأى مبتلى فقال :

«الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا » .

وروى فى الصحيح انه ﷺ كان إذا أوى الى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قـل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ بـرب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع مـن جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه ومما اقـبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات، قالت عائشة: فلما اشتكى «المرض»كان يأمرنى ان افعل ذلك به.

الذكر والدعاء فى النكاح

روى غير واحد من اصحاب السنن بالسند الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة :

« الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهـده الله فلا مضـل له ، ومن يضـلل فلا هـادى له ، واشهـد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله »

﴿ يا أيها الناس اتقـوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخـلق منها زوجها وبث منـهما رجالاً كـثيراً ونسـاء واتقوا الله الذى تـساءلون به والأرحـام إن الله كان

عليكم رقيبا ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾.

وروى الترمذى بسند صحيح أن النبى ﷺ كان إذا رفأ [١] لإنسان قال : «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » .

وروى أبو داود بسند صحيح أنـه ﷺ قال: إذا تزوج احدكم امرأة أو اشترى خادماً فليقل: « اللهم انى اسألـك خيرها وخير ما جبلتها [٢] عليه وأعـوذ بك من شرها وشر مـا جبلتها عليـه ، وإذا اشترى بعيراً فلـيأخذ بذروة سنامه وليـقل مثل ذلك[٣] » وروى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال : لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال :

« بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشـيطان ما رزقتنا » فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً .

الذكر عند الولادة

روى الترمـذى بسند صحيـح أنه ﷺ أذَّن فى أذن الحسن بن عـلى رضى الله عنهما لما ولدته أمه فاطمة رضى الله عنها بالصلاة :

« الله اكبر الله اكبـر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محـمداً رسول الله إلى آخر الأذان » .

الذكر والدعاء عند رؤية باكورة الثمر

أخرج مسلم أن النبيﷺ كان يجاء إليـه بأول الثمر فيأخذه بيده ﷺ ويقول : « اللهم بارك لنا فى ثـمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فـى صاعنا وبارك لنا فى مدنا » .

ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان .

---

(١) دعا له بالالتئام وحسن العشرة .

(٢) جبلتها فطرتها وخلقتها .

(٣) وليقل مثل هذا من اشترى سيارة يركبها أو دباباً أو دراجة إذ المعنى والحكم واحد .

الذكر عند سماع صياح الديك أو نهيق الحمار

روى فى الصحيح أن النبى ﷺ قال : إذا سمعتم نهاق الحمير .

« فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فانها رأت شيطاناً وإذا سمعتم صياح الديك فاسألوا الله من فضله فانها رأت ملكاً » .

روى أبو داود بسند صحيح أنه ﷺ قال:« إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن فإنهم يرين ما لا ترون» .

الذكر عند رؤية المحبوب والمكروه

روى الحاكم وصححه أن النبى ﷺ كان إذا رأى ما يحب قال :

« الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات » وإذا رأى ما يكره قال :

« الحمد لله على كل حال »

الذكر فى السلام

روى الترمذى بسند حسن أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : السلام عليكم فرد عليه ، ثم جلس ، فقال النبى ﷺ: « عشر » ثم جاء آخر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه، فجلس . فقال: « عشرون » ثم جاء آخر ، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه ، فجلس ، فقال: « ثلاثون» (المراد بالعشرة والعشرين والثلاثين قدر الحسنات) .

وروى ايضاً بسند حسن أن النبى ﷺ قال : « اذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم اذا قام فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة » : ومعنى يسلم يقول :

(السلام عليكم ورحمة الله) .

الذكر عند رؤية ما يعجب

روى أحمد والحاكم بسند صحيح أنه ﷺ قال : اذا رأى أحدكم ما يعجبه فى نفسه أو ماله فليبرك عليه فإن العين حق ومعنى يبرك عليه يقول :

« اللهم بارك فيه » .

وروى عنه ﷺ أنه قال :« من رأى منكم شيئاً فأعجبه فليقل :

ما شاء الله لا قوة إلا بالله ».

ويشهد لهذا الحديث الضعيف قول الله تعالى: ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله**﴾: ويشهد له الحديث الصحيح الذى سبق ذكره. والله أعلم .

الذكر عند رؤية الهلال

روى الدارمى والترمذى بسند صحيح أنه ﷺ كان اذا رأى الهلال قال :

« الله اكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لماتحب وترضى ، ربنا وربك الله » .

قال اهل العلم : عندما يقول العبد هذا الذكر والدعاء يقوله وهو مستقبل القبلة لا وهو مستقبل الهلال ـ رووا هذا عن على وابن عباس رضى الله عنهم .

الذكر والدعاء عند الصوم

وروى أبو داود والنسائى بسند مقبول انه ﷺ كان إذا افطر يقول:

« ذهب الظمأ وابتلت العروق وأثبت الأجر إن شاء الله تعالى »

وروى أن عبد الله بن عمر كان إذا افطر قال :

« اللهم إنى اسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى »

الدعاء عند رؤية ليلة القدر

روى فى السنن بسند صحيح أن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : قولى :

« اللهم إنك عفوٌ تحب الْعَفْوَ فاعف عنى »

الدعاء عند القتال

اخرج الشيخان ان النبى ﷺ قال فى بعض غزواته لأصحابه :« لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال :

اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم »

دعاء من نزل به ضر لم يطقه

روى فى الصحيحين أنه ﷺ قال : لا يتمنين احدكم الموت من شر اصابه فإن كان لا بد فاعلا فليقل :

« اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى » .

دعاء من تصيبه مصيبة

روى فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : ما من عبد تصيبه مصيبة فليقل: « إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها » إلا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيراً منها .

ذكر ودعاء من بلغه وفاة أخيه

روى ابن السنى (١) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :

الموت فزع فاذا بلغ احدكم وفاة اخيه فليقل :

« إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه عندك فى المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه فى اهله فى الغابرين ولا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده» .

الدعاء للميت

روى مسلم أنه ﷺ صلى على جنازة فحفظ من دعائه عليها قوله :

« اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » .

حتى قال الصحابى الذى سمعه: تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت الذى دعا له رسول ﷺ وروى الحاكم وغيره وقال صحيح قوله ﷺ حين صلى على جنازة :

---

(١) سكت النووى فى الاذكار عن سند هذا الحديث فسكتنا عنه فالله أعلم بصحته .

« اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فاحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده » .

الذكر والدعاء عند زيارة القبور

روى مسلم أن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول :

« السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » .

وروى مسلم ايضاً عن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت يا رسول الله كيف أقول؟ قال قولى : « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المتقدمين منكم ومنا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون » .

وروى الترمذى بسند حسن أنه ﷺ مر بقبور بالمدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: « السلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا ولكم انتم سلفنا ونحن بالأمر».

وروى أنه ﷺ كان يعلم أصحابه اذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم : «السلام عليكم يا أهل الديار المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اسأل الله لنا ولكم العافية » .

الذكر والدعاء عند السفر

يستحب لمن أراد السفر الى جهة ما أن يستخير الله تعالى فى ذلك ، ودعاء الاستخارة وهو كما رواه مسلم بقوله : كان رسول الله ﷺ يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل :

« اللهم إنى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر « وتسميه باسمه » خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة امرى وعاجله وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضّنى به » .

روى النسائى بسند حسن انه ﷺ قال: من اراد أن يسافر فليقل لمن يخلف «استودعكم الله الذى لا تضيع عنده الودائع » .

روى الترمذى بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنه أنه كان يقول للرجل إذا اراد سفراً ادن منى اودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول : «استودع الله دينك وامانتك وخواتم عملك » .

ذكر النووى فى الاذكار أنه روى عن أنس رضى الله عنه قوله لم يرد رسول الله ﷺ سفراً إلا قال حين ينهض من جلوسه :

« اللهم اليك توجهت وبك اعتصمت اللهم اكفنى ما اهمنى وما لا اهتم له اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير اينما توجهت » .

روى مسلم أنه ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً الى سفر كبر ثلاثا ثم قال :

« سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والأهل »

وإذا انقلب راجعاً قالهن، وزاد فيهن: « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » .

وروى غير واحد بسند صحيح أن علياً رضى الله عنه اتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال :

(بسم الله) فلما استوى على ظهرها قال (الحمد لله) ثم قال ﴿ **سبحان الذى سخر لنا هذا** ﴾الآية .

اخرج النسائى وغيره بسند صحيح انه ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها :

« اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها واعوذك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها » .

واخرج مسلم انه ﷺ قال : من نزل منزلاً ثم قال :

« اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق »

لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك .

استعاذات مطلقة

روى مسلم أنه ﷺ كان يقول :

« اللهم إنى اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » .

روى مسلم أنه ﷺ كان يقول: « اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت وشر ما لم أعمل » .

وروى مسلم أنه ﷺ كان يقول :

« اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك انبت وبك خاصمت اللهم انى أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت والجن والانس يموتون » .

وروى مسلم أنه ﷺ كان يعوذ فيقول :

« اللهم انى أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء وجهد البلاء » .

أدعية مطلقة

روى مسلم أن النبى ﷺ كان يقول :

«اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر ».

وروى مسلم أنه ﷺ كان يقول :

« اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » .

الذكر والدعاء عند دخول المنزل

روى أبو داود ولم يضعفه قوله قال رسول الله ﷺ: إذا ولج الرجل بيته فليقل :

« اللهم إنى اسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا » ثم ليسلم على أهله .

روى مسلم أن النبى ﷺ قال : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال :أدركتم المبيت والعشاء ».

الذكر والدعاء عند الإيواء الى الفراش

روى مسلم أنه ﷺ كان إذا أوى الى فراشة قال :

« الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى» .

وروى الشيخان أنه ﷺ كان إذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد والمعوذتين ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات ورويا ايضاً أنه ﷺ قال :« من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه ».

الآيتان :

﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**﴾ الى آخر السورة .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه أتاه آت يحثو من الصدقة ــ وكان قد جعله النبى ﷺ عليها ــ ليلة بعد ليلة فلما كان فى الليلة الثالثة قال لأرفعنك الى رسول الله ﷺ قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ــ وكان أحرص شىء على الخير ــ فقال : إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم**﴾ حتى تختمها فانه لن يزال عليك من الله حافظ ولا

يقربك شيطان حتى تصبح . فقال رسول الله ﷺ: صدقك وهو كذوب « ذاك شيطان » .

وروى الشيخان عن على رضى الله عنه قوله : أتت فاطمة الى النبى ﷺ تسأله خادماً فلم تجده ووجدت عائشة فأخبرتها قال على: فجاءنا النبى ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا فقال :« ألا أدلكما علي ما هو خير لكما من خادم ، إذا أويتما الى فراشكما : فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين فإنه خير لكما من خادم» .

وأخرج مسلم أنه ﷺ كان إذا أوى الي فراشه قال :

« اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته . اللهم انت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر » .

وروى الشيخان عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ: إذا أويت الى مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل :

« اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى اليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا اليك آمنت بكتابك الذى انزلت وبنبيك الذى أرسلت » .

فإن متَّ من ليلتك متَّ على الفطرة . واجعلهن آخر ما تقول .

الذكر والدعاء عند الرؤيا

روى الشيخان ان النبى ﷺ قال :« الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ وليتعوذ بالله من شرها فانه لا تضره ان شاء الله تعالى» ، وفى رواية :« وليتحول عن جنبه الذى كان عليه ». لفظ التعوذ من الشيطان :

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ولفظ التعوذ من شر الرؤيا :

« اللهــم انى أعوذ بك مــن شر ما رأيت فى رؤيــاى أن يضرنى فــى دينى أو دنياى » .

الذكر والدعاء عند الاستيقاظ أثناء النوم

أخرج البخارى انه ﷺ قال : من تعارّ [1] من الليل فقال :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ولــه الحمد وهو على كل شىء قدير . الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيــم » ثم قال : « اللهم اغفر لى أو دعا استجيــب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته » .

الذكر والدعاء عند القيام للتهجد

روى الشيخان انه ﷺ كان اذا قام من جوف الليل يقول :

« اللهم لك الحــمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهــن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهــن ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحــق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق، اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهى لاإله إلا أنت » .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين .

---

(١) بتاء وعين مفتوحتين فألف فراء مشددة (أى استيقظ) .

الرسَالَة الخَامِسَة عَشَرَة

الدستور الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . له الخلق والأمر ، ومنه الشرع وله الحكم ، وهو العليم الحكيم . وصلوات الله تعالى وسلامه على صفوة خلقه ، وخاتم أنبيائه ورسله ، محمد المبعوث بأتم الشرائع ، وأقوم المناهج وأكمل القوانين . وعلى آله الطاهرين المطهرين ، وصحابته الراشدين المهديين.

وبعد : فنظراً لإعراض أكثر حكومات المسلمين عن الشريعة الإسلامية ، ورغبتهم عنها ، وحكمهم المسلمين بقوانين لم توضع أساساً لهم ولم تتفق مع عقائدهم وتعاليم دينهم ، وحتى أصبح المسلمون يعيشون فى وضع شاذ غريب عنهم ، لم يذوقوا معه طعم الحرية ، ولم يعرفوا فيه معنى للاستقلال ، وهم الذين جاهدوا طويلاً السلطة الاستعمارية الكافرة التى كانت تحكمهم بقوانينها الجائرة الفاسدة بعد زوال الحكم الإسلامى بذنوب الآباء ، وتفريط الأجداد . أقول : جاهدوا تلك السلطة بقوانينها الكافرة من أجل إقامة الحكم الإسلامى الذى هو بمثابة الحياة للوجود ، والروح للجسد .

وتبع هذا الوضع ــ الغريب عن المسلمين ــ فساد عام انتظم جميع وجوه الحياة .

ففى العقيدة : دب الإلحاد الى كثير من النفوس .

وفى الاخلاق : تفشى الفساد وانتشر التحلل .

وفى السلوك العام : ظهر الانحراف وكثر الشر .

وفى الحكم : عمت الفوضى وساد الظلم وتحكم الطغيان ، وأصبحت الحال تنذر بأخطار عظيمة أهونها ذهاب السيادة وفقدان الاستقلال ، أو نسخ هذه الأمة ذات القيم والاخلاق والمبادئ والأهداف بأمة لا قيم لها ، ولا أخلاق ، ولا مبادئ ، ولا أهداف ، شأنها شأن غيرها من أمم الكفر والإلحاد تعيش زمناً ثم تبيد.

وصاح أهل الحق فى كل ديار المسلمين مستنكرين هذا الوضع الغريب عن المسلمين ، ومطالبين ولاة المسلمين والقائمين على الحكم فيهم : بالعودة الى شريعة الإسلام ؛ لإنقاذ الأمة من الهوة السحيقة التى يمكن أن تتردى فيها ، وللحيلولة دون الكارثة العظمى التى ستتبع حتماً هذا الوضع الفاسد الغريب .

وتصامم الحكام عن سماع تلك الصيحات ولا أقول كرها لها فحسب ، بل وعجزاً عن الخروج من الدائرة التى تركهم الاستعمار الكافر فيها ، وعدم قدرة على التخلص من جاذبية الروح الثقافية الغربية التى عاشوا فى محيطها دهراً طويلاً، وزمناً غير قصير .

واعتذر بعضهم بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر ، وعدم قدرتها على مسايرة التطور الحضارى الحالى ،وهو عذر ــ فى عرف الشرع ــ أقبح من ذنب .

وتعلل بعض آخر بعدم وجود قانون إسلامى منظم يمكن تطبيقه ، والسير عليه .وقد يكون السبب الحامل لهم على هذا التعلل هو جهلهم بشريعة الإسلام، وعدم معرفتهم بها ، ولو لم يكن فى رجالات الإسلام من يعرف الشريعة الإسلامية وقوانينها على وجهها الصحيح لكانوا معذورين ــ بدون شك ــ عند الله تعالى وعند الناس . ولكن ما دام بين المسلمين من يعرفون الشريعة الإسلامية ويحسنون تطبيقها على الوجه المحقق للسعادة فى الدنيا والآخرة . وكان فى الامكان إسناد الأمر إليهم ، ووضع المسؤولية عليهم لينهضوا ببيان شريعة الله في كل جزئيات الحكم وكُليّاته وما على الحكام إلا إنفاذ تلك الأحكام ، وحمل الامة عليها بما لديهم من سلطان . لم يكونوا معذورين بحال من الاحوال ، وسيحاسبون أمام الله تعالى عن كل صغيرة وكبيرة أضاعوها لهذه الأمة ، وسواء كان ما أضاعوه لها ديناً أو دنيا .

وشفقة عليهم ، ورحمة بهم ، وقطعا لعذرهم ، وإبطالاً لحجتهم كذلك ، استخرت الله تعالى ، واستعنته عز وجل فى اقتباس دستور من الشريعة الإسلامية ينتظم كافة شؤون الدولة ، وعامة حاجات الأمة ، وسائر متطلبات الحياة حياة المسلم التى هى إيمان ورجاء ، وطهارة وكرامة ، كما هى عزة وسيادة ، وكما يريدها له ربه تبارك وتعالى حياةً طيبةً حيث قال : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**﴾ الآية ١٦ / ٩٧ .

وقد تم هذا الدستور بعون الله تعالى على نحو لا اشك فى أنه وإن كان قابلاً للتصحيح والتنقيح من رجالات الشريعة الإسلامية ، لا اشك فى أنه ما اخذت به حكومة مـن الحكومات الإسلامية وطبـقته نصاً وروحاً على كـل شؤون الدولة ، وسائر أمور الحياة إلا تحقق لها من الكمال الدنيوى والأخروى ما لم يتحقق لغيرها من أمم العالم وشعوبه بحال من الاحوال . والتجربة أكبر برهان . ألا فلنجرب!!

وذلك لانه مـن هدى الله عز وجل والذى قـال فيه : ﴿ **فمن اتبعَ هُداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ ٢٠ / ١٢٣ .

ومن طاعة مـحمد ﷺ والتى قال الله تعالـى فيها : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ ٢٤ / ٥٤ .

ومن الإيمان والعمل الـصالح اللذين يتحقق بهـما وعد الله فى قوله: ﴿ **وعدَ اللهُ الذين آمنـوا منكم وعملوا الـصالحات ليستخلـفنهم فى الأرض كما اسـتخلف الذيـن من قبلـهم ، وليمـكنن لهم ديـنهم الـذى ارتضى لهـم وليبدلـنهم من بـعد خوفهم أمناً** ﴾ ٥٥ / ٢٤ .

وأخيراً فهذا هو الدستور الإسلامى أضـعه بين يدى كل حاكم مسلم ، وأدعو إلى الأخذ به كل حكام المسلمين ، وكلى ثقة بأنه سيحقق لكل أمة تأخذ به بصدق ما يصبوا إليه افـرادها من عزة الدنيا وسعادتها ، وكرامة الآخرة . والـفوز بالنعيم المقيم فيها .

والدستور يشتمل على الاقسام التالية :

١ ــ القسم السياسى .　　　٢ ــ قسم الاحكام القضائية والجنائية .

٣ ــ قسم العقائد الإسلامية .　　٤ ــ قسم العبادات الشرعية .

والله تعالى أسأل أن يوفق الحكام المسلمين لـلعمل بما فيه ، وأن يحقق لهم به ما تتطلع اليه شعوبهم من عَيْش العز والكرامة ، وحياة الصفاء والطهارة وليسعدوا فى دنياهم وآخرتهم .

حقـق اللهم ذلـك إنك قوى قديـر . وسلام علـى المرسلين والحـمد لله رب العالمين .

الدستور الإسلامى

تعريفه :

الدستـور الإسلامى : إلهى مـوضوع لتكمـيل الإنسان ، وإسعـاده فى الدار الدنيا ، وفى الدار الآخرة .

معنى تكميل الإنسان :

يولد الإنسان ناقصاً فى معارفه ، وأخلاقه ، غـير كامل فى فضائله النفسية ، وقيمه الانسانية ، وآدابه الخلقية محتاجاً الى التكميل فى كل ذلك .

ورحمةً بـه وضع الله تعالـى له دستوره الإلـهى الذى هو شـرع الله وهداه ؛ ليكمل به ويصبح الإنسان المكرم عند ربه .

معنى السعادة:

السعادة فى هذه الحياة : تنعيم جسد الإنسان بالحصول على حاجاته من مأكل ومشرب ، ومـلبس ، ومسكـن خالية من الـعذاب ، الجسدى وسائـر الكدورات النفسية .

وفى الحياة الآخـرة : تنعيم الجسد والروح مـعاً بلذاذة النعيم الـكامل فى دار السلام .

القسـم السياسـى

وفيه ثمانية أبواب
مشتملة على أحد وعشرين
فصـــلاً وخمس وسبعين
مـــــادة

الباب الأول

فى الحكومة

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

فى تكوين الحكومة

وفيه خمس مواد:

المادة الأولى : فى وجوب نصب الإمام ، وتأسيس الحكومة .

أوجب الإسلام على أتباعه نصب إمام لهم ، وإقامة حكومة تساعد الإمام على إقامة الشرع ، وحمل الناس عليه ليسعدوا بذلك فى الدنيا والآخرة .

ودليل هذا الواجب الإسلامى أمور ثلاثة :

أولها : نَصْبُ الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ إماماً للمسلمين حيث أوجب عليه أن يحكم بين الناس بقوله : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم** ﴾ ٥/ ٥١ .
وأوجب التحاكم اليه بقوله : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ ٤ / ٦٤ .

وأوجب تعالى الاقتداء به فى قوله : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ ٣٣ / ٢١ .

وكان عليه الصلاة والسلام يعين الأمراء ، ويبعث بالولاة ، حكاماً وقضاة الى الأقاليم والمناطق ، وكل ذلك كان بإذن الله تعالى وعلمه ، فدل هذا على وجوب نصب الإمام للمسلمين ، وإقامة حكومة لهم .

وثانيها: أحاديث الرسول ﷺ القاضية بذلك نحو قوله :« إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا عليهم أحدهم ». (رواه أبو داود) . وقوله : «لا يحل لثلاثة نفر

يكونون بأرض فلاة إلا أمَّروا عليهم أحدهم ». (رواه أحمد عن ابن عمر) .

ثالثها: إجماع المسلمين على هذا الواجب ، ـ وهم لا يجتمعون على ضلالةـ ومبادرتهم الى القيام به ساعة وفاة نبيهم وإمامهم الأول ﷺ حيث بايعوا أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ يحكم المسلمين كما كان يحكمهم رسول الله ﷺ بشريعة ربهم ، وهدى نبيهم .

المادة الثانية : فى نصب الخليفة ووجوب طاعته . خليفة المسلمين ينصب عليهم بأحد أمرين :

أولهما: أن ينصب بطريقة اختيار أهل الحل [١] والعقد والإبرام والنقض فى الأمة له ، فبايعه على الحكم بالكتاب والسنة بإقامة العدل والشرع العلماء والصلحاء ورجال الحرب والاقتصاد ، فتبايعه الأمة تبعاً لهم على الحكم بالكتاب والسنة بإقامة الشرع والعدل ، وحينئذ تجب طاعته فى المعروف ، ويحرم الخروج عليه ما دام يحكم المسلمين بشريعة ربهم ، وهدى نبيهم مقيماً فيهم الشرع والعدل، وبهذه الطريقة نصِّب الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه.

وثانيهما : أن ينصب الخليفة [٢] نفسه بقوة السلاح ويدعو الناس الى مبايعته، فيبادر أهل الإبرام والنقض فى الأمة من علماء ورجال الحرب ، والمال ،

---

(١) طريقة الانتخابات العامة والمعمول بها فى كثير من البلاد الغربية فانها لا تخلو من جهل وغش ، وكلاهما لا يجيزه الاسلام ، وبيان ذلك : ان اكثر الناخبين لا يعرفون عن الرجل المنتخب أكثر مما يسمعونه من دعاة الانتخاب . والذين كثيراً ما تكون لهم أغراض خاصة فى شخص ما فيبالغون فى وصفه واطرائه للجماهير تضليلاً لهم وتغريراً بهم . والرجل المنتخب ليس بذى أهلية للمنصب ، كما أن صناديق الاقتراع كثيراً ما يعبث بها، وتزور الأوراق فيها بصورة فظيعة . وهكذا لا تخلو طريقة الانتخابات العامة من جهل وغش . وما قيمة اختيار يقوم على هذين الأساسين الجهل والغش ؟ !

ثم طريقة الاقتراع لا تحسن إلا فى حالة ما اذا ترشح للمنصب أكثر من واحد ، وتشاح الناس فى اختيارهم أحدهم ، فحينئذ يحسن الاقتراع عليهم لتعيين أحدهم .

(٢) ليس هذا الأمر بطريقة مشروعة لنصب الإمام ، وإنما هو امر اضطرارى يقع بدون رضا المسلمين ، ولا اختيارهم ، ثم لا يستطيعون رده ، فيبايعون الغالب رفعاً للشر وحسماً لمادة الخلاف المفضية عادة الى الفتن والشرور .

والاقتصاد ، فيبـايعونه على الحكم بالكتـاب والسنة بإقامة الشرع والعـدل، فيبايعه بقية المسلمين علـى ما بايعه عليه أهل الحل والعقد على الحكـم بالكتاب والسنة ، وإقامة الشرع والعدل . فـتجب حينئذ طاعته فى المعروف ، وتحرم مـعصيته فيه ، والخروج عنه بحال مـن الاحوال ، ما دام يحكم بالكتاب والسنـة ، ويقيم الشرع والعدل .

وأما وجوب طاعـة خليفة المسلـمين وإمامهم ، فبقـول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ ٤ / ٥٨ .

وبقول الـرسول ﷺ :« اسمعوا وأطـيعوا وان تأمّر عليـكم عبد حبـشى كأن رأسه زبيبة» (رواه البخارى وأحمد).

كما أن حرمة الخـروج على خليفة المسلـمين وإمامهم ، والتمرد عـلى حكمه ثبتت بقول الرسـول ﷺ : «من كره من أميره شيئاً فليصبـر ، فإنه من خرج على السلطان شبراً مات ميتة جاهليـة» (متفق عليه) هذا ولا تجب الطاعة ، ولا يحرم الخروج فى غيـر المعروف لقول الرسول ﷺ :« السـمع والطاعة على المـرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصـية [1] ، فإذا أمـر بمعصـية فلا سمع ولا طاعة» (متفق عليه) .

المادة الثالثة : فى صفات الخليفة :

لا يبايع على الخلافة ، أو الإمامة البيعة الاخـتيارية إلا من تتوفر فيه الصفات الآتية :

١ ــ الإسلام ، بأن يكون مؤمناً تقياً يؤدى فرائض الله ويجتنب نواهيه .

٢ ــ العقل السليم الراجح .

٣ ــ السلامة من العمى ، والصمم ،والخرس ، وسلامة اليدين والرجلين .

٤ ــ العلم بالكتاب والسنة ، وبأصول الشريعة وفروعها . وأن يكون مجتهداً

---

(١) مثال الأمر بالمعروف : أن يؤمر المسلم بأداء واجب ، أو فعل مباح فتجب عليه طاعة الإمام فى ذلك.
ومثال الأمر بـالمعصية : أن يؤمر المسلم بترك فريضة ، أو بـعمل محرم كزنا أو قـتل بغير حق فلا تجـب عليه الطاعة فى ذلك ، ولا تحرم عليه معصية أولى الأمر ، لأنه أمر بمعصية ولا طاعة فى معصية ، فليعلم هذا .

فى ذلك .

٥ ــ شرف النسب وطهارته .

أما اشتراط الإسلام؛ فلقول الله تعالى : ﴿ **وأولى الأمر منكم** ﴾ فى سياق خطاب المؤمنين ، فدل ذلك على اشتراط الإيمان فى الخليفة والإمام .

وأما اشتراط العقل ؛ فلأن التكاليف دائماً منوطة بالعقل .

وأما السلامة فى الحواس والأعضاء ؛ فلأن مهام هذا المنصب لا ينهض بها إلا من كان سليم الأعضاء والحواس .

وأما اشتراط العلم بالشريعة ؛ فلأنها القانون ومادة الحكم ، فمن لم يعرف الشريعة لا يمكنه الحكم بها ، ولا تنفيذها على الوجه المطلوب .

وأما شرف النسب ؛ فلأن الأنبياء كانوا يبعثون من أشراف أممهم ، والخليفة لما كان خليفة لرسول الله ﷺ فى أمته وشرعه كان ينبغى أن يكون شريف النسب[1] ، لا وضيعه ؛ لما فى ذلك من موجبات إجلاله واحترامه ، ثم طاعته والانقياد له ، يشهد لهذا قول أبى بكر الصديق : إن العرب لا تدين إلا لهذا الحىّ من قريش . وذلك لشرف قريش ومكانتها عند العرب .

المادة الرابعة : فى تكوين مجلس الخلافة ، وبيان مهمته .

يساعد الخليفة فى أعباء الحكم ومسؤولياته مجلس يدعى مجلس الخلافة، يتكون من نائب الخليفة الذى هو أشبه رجل به فى علمه وصلاحه ، وكفايته وقدرته على تحمل أعباء الخلافة ، ومهام الحكم . ومن خبراء صالحين من رجال العلم والحرب ، والصناعة ، والمال ، ممن يعتبرون أهل الحل والعقد فى البلاد .

وأما مهمة هذا المجلس فإنها زيادة على تسديد الخليفة ومساعدته بالرأى والمشورة ، عملاً بقول الله تعالى :

﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ [2].

---

(١) وعلى فرض تعذر وجود هذه الصفات مجتمعة فى رجل واحد من المسلمين ، فليختر أكمل المسلمين فى هذه الصفات بقدر الطاقة ، وما فى المستطاع ، وما لا يدرك كله لا يترك جله . كما قال الحكماء .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

وقوله : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ (١) .

واقتداء برسول الله ﷺ وعملاً بسنته ، حيث كان يستشير أصحابه ، وكانوا يشيرون عليه بما يرونه الخير فى الأمور فيقبل منهم مشورتهم ونصحهم ، حتى كانوا وهم حواريوه كأنهم وزراء له ﷺ . زيادة علي هذا فإنه يُسند إلى كل واحد منهم رئاسة وزارة من الوزارات المختلفة . فالفقيه يتخذهُ وزيراً للعدل والقضاء ، والعالمُ يتخذه وزيراً للتربية والتعليم ، والحربى يتخذه وزيراً للدفاع ، والاقتصادى يتخذه وزيراً للمالية والاقتصاد ، والصانع يتخذهُ وزيراً للصناعة ، وهكذا كل واحد يرأس وزارة فى ناحية اختصاصه الخاص به .

المادة الخامسة : فى حكم عزل الخليفة ، ونصب (٢) آخر بدلاً عنه .

لا يعزل الخليفة مادام قادراً على تحمل أعباء الخلافة ، ناهضاً بمسئولياتها لقول الرسول ﷺ فى رواية مسلم : « ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة بيده ، وثمرة قلبه فليعطه إن استطاع . فإن جاء آخر ينازعه ، فاضربوا عنق الآخر ». فإذا أخل بذلك لعجز أصابه ، أو مرض مزمن ألم به أو توفى بأجله ، فليبايع مجلس الخلافة نائبه الذى كان أشبه رجل به فى سائر صفاته المعتبرة ، ثم يدعى الناس الى مبايعة الخليفة الجديد علي الحكم بالكتاب والسنة ، وإقامة الشرع والعدل . ويعين نائب له ممن تتوفر فيهم صفات الخليفة من علماء المسلمين وصالحيهم ، ويرفع الى مجلس الخلافة الدائم .

---

(١) الشورى : ٣٨ .

(٢) لا معنى لتحديد مدة الخليفة بسنوات معدودة ، ثم تجدد بيعته ، أو يخلع من منصبه كما هو جار فى بعض البلاد الغربية ، اذ العبرة بسلامة الحكم ، وتحقّق أهدافه من اقامة العدل والشرع . فمتى حصل ذلك فلا معنى للتبديل والتغيير إلا اللهو واللعب أو العبث والفساد ، وهذا محرم فى الإسلام .

الفصـــل الثـــانى
فى الولاة

وفيه أربع مواد:

المادة الأولى : فى شروط الولاية .

كل ولاية فى الـدولة سواء كانت قضـاء ، أو وزارة ، أو ولاية، أو إمارة أو نظـارة ، أو إدارة لا يجوز أن تـسند لأى من الـناس إلا اذا توفـرت فيه الـشروط التالية :

١ ــ الإيمان والتقوى .لقول الله تعالى :﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [١].

فغير المسلم من المواطنين أهل الذمة ، وكذا المسلم الفاسق بكبيرة من الذنوب لا يسنـد اليهم مـنصب من المـناصب المذكـورة بحال ، إلا فى ضـرورة قصوى ، وعلى شرط أن تعمل الحكومة على إنهاء هذه الضرورة بإعداد كفء لهذا المنصب.

٢ ــ أن يكون ذا أهلـية بالعلم والمعرفـة فى شأن ما يسند إليـه من منصب ، وذلك لقـول النبى ﷺ :« إذا وسد الأمـر الى غير أهلـه فانتظر الـساعة [٢] » . (البخارى) .

٣ ــ أن لا يكون المرشـح للمنصب قد طلـبه ، أو سعى للحصول عـليه بأى سعـى كان لقـول الرسول ﷺ :« انّا والله لا نولـى هذا العـمل أحداً سـأله ، أو حرص عليه ». (مسلم) .

المادة الثانية : فى كيفية تعيين الولاة وغيرهم .

تسند المناصب الهامة فى الـدولة كالقضاء ، والوزارة ، والولاية ، والإمارة ، والقيادة والنظارة بأحد أمرين :

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) لفظ السـاعة أعم من أن يكون يـوم القيامة فقـط . بل إنه يتناول سـاعة هلاك كل شىء وخرابـه أو ضياعه وفساده.

اولهما : اختيار الدولة للشخص الذى تريـد إسناد المنصب اليه . وذلك بعد البحث والاسـتقصاء فى التعـرف الى أمانته وكفايتـه . إذ بهذه الطريقة كـان النبى ﷺ، والراشدون من بعده يعينون الأمراء ، والولاة ، والعمال .

ثانيهما : ترشيح أهل الإقلـيم ، أو المنطقة ، أو المدينة ، أو القـرية لشخص منهم تتوفر فيه شروط المنصب الذى يراد إسناده إليه ، من أمانة وكفاية (١) .

المادة الثالثة : فى مساواة الولاة لغيرهم من المـواطنين : يجب أن لا يتميز ذو المنصب فى الدولة عـلى غيره من المواطنين فى باب الحقوق والـواجبات بحال من الأحوال ، ولو كـان إمام المسلـمين نفسه ، وذلـك لأن المسلمين سـواسية تتـكافأ دماؤهم . ويسعى بـذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة على مـن سواهم . كما جاء فى الحديث الصحيح .

فليس لذى المـنصب مهما شرف منصـبه أن يتفضل على مـواطن مسلم ، أو ينتهك حرمته ، أو يسبه أو يضربه ، أو يأخذ ماله بغير حق واجب .

وإذا ما ثبت أن ذا منصب اعتدى على أى مواطن ، وبأى وجه من الاعتداء، فإن للمواطن كل الحـق فى أن يقيم على المعتدى دعوى الى الـقاضى ويحاكمه . وعلى القاضى أن ينصفه منه ويعطيـه ما أعطاه الشرع من حق كامل غير منقوص، ولو كان المعتـدى إمام المسلمين وخليفـتهم فمن دونه . فانه لـيس أحد أفضل ولا أكرم من رسول الله ﷺ . وقد قال : من أخذت له مالاً فـهذا مالى فليأخذ منه ، ومن ضربت له ظهراً فهذا ظهرى فليقتد منه .

والإمام علـى رضى الله عنه ادعـى عليه يهـودى دعوى فحاكـمه عند قـاضيه (شريح) ، فجلس أمام القضاء وهو خليفة المسلمين وإمامهم .

وفاطمـة بنت رسول الله ﷺ ، وهى سـيدة الأميرات فـى العالم . قال فـيها رسول الله ﷺ : والله لو سرقت لقطعت يدها !!

المادة الرابعة : فى حق المواطنين فى التوجيه والنصح .

---

(١) المراد من الكفاية العلم والقدرة والأمانة .

من حـق كل مواطن شـاهد حيفـاً ، أو اهمالاً أو سـوء تصرف من صـاحب منصب من مناصب الدولة إمام المسـلمين أو من دونه من الولاة والعمال أن يذكره وينصحه ويعظه ويوجهه بالـكلام الطيب ، والقول المعروف فى أدب ، واحترام ، وذلك لقول الرسول ﷺ فى الصحيح : «وان تناصحوا فى من ولاه الله امركم، وعلى من نصح له أن يتقبل النصح ويشكر عليه» .

وقد ثبت أن رجلا قال لعمر بن الخطاب وهو خلـيفة للمسلمين : اتق الله فينا يا عمر فأجابه عمـر قائلا : لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنـا . ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم .

وقال مرة : من رأى فىّ اعوجاجاً فليقومه .

وقال عثمان رضى الله عنه : إن وجدتم فى كتـاب الله تضعوا رجلى فى القيد فضعوا رجلى فى القيد .

وقال أبو بكر الصديق فى خطبة الخلافة : أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم . إن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى .

غيـر أنه لا يجوز تـوجيه الـنصح ، أو الإرشـاد بعبارات تـدل صراحة عـلى الاهانة والتحقـير ، وعدم الاحترام لولاة المسلمين . إذ الواجـب على كل مواطن احتـرام ولاة الامور وتوقـيرهم ، وذلك قـول الرسول ﷺ . إن مـن إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غيرْ الغالى فيه ، والجافى عنه . وإكرام ذى السلطان المقسط .

الفصل الثالث
فى كيفية حكم وإدارة الأقاليم التابعة للخلافة

وفيه مادتان :

المادة الأولى : فى تعيين نائب للخليفة .

يعين الخليفة نائبـاً له يتولى حكم وإدارة الإقليم التابع لـلخلافة « يسمى والى الإقليم » على أن تتوفر فيه غالب الشروط المطلوبة للخليفة نفسه من العلم بأصول

الشريعة وفروعها ، والتقوى ، والكفاية .

والاصل فى هذا عـمل الرسول ﷺ والخلفـاء الراشدين من بعـده ، إذ كانوا يعينون الولاة من طرفهم ليحكموا الأقاليم البعيدة عن عاصمة الخلافة ودارها .

المادة الثانية : في مجلس إدارة الإقليم .

على نائـب الخليفة إذا حل فـى الإقليم أن يكون لـه بالتزكية مـجلساً إقليـمياً يختار له أعضاءه من رجالات الإقليـم وغيرهم إن دعت الحاجة الى ذلك من أهل العلم والتقوى والكفاية ؛ بحيث يكون المجلس صورة مصغرة من مجلس الخلافة (الوزراء) ، فـيضـم أصحـاب الخبرات والـقدرات مـن أهل الـعلـم والحرب ، والاقتصاد والصناعة .

ويتخذ الـوالى من هذا المجلس سـنداً له وعدة يدير بـها الاقليم ويحـكمه ، فيستشير أعضاءه ، ويأخذ بصائب رأى أكثريتهم . كما يسند إلى كل عضو [1] منهم إدارة مصلحة من مصالح الدولة فى الإقليم ، فـمن الفقهاء يتخذ مديراً للقضاة ، ومن العلمـاء يتخذ مديراً للتعلـيم ، ومن الحربيين يتخذ مديـراً للأمن ، وهكذا ، فيـجعل كل ذى اخـتصاص مديـراً عاماً فى مـصلحـة اختصاصـه . ويربط جمـيع تصرفاتهم به فلا يبت أحدهم فى أمر يتعـلق بمصلحته إلا بعد عرضه على المجلس ومنـاقشتـه والموافقـة عليـه . وبعـدها يرفـع إلى مجـلس الخلافـة (الوزراء) ، للتصديق عليه وإقراره .

إيضاح :

إذا رأى وزير التـعليم مـثلا رأياً يتـعلق بوزارتـه ،فإنه يعـرضه على مـجلس الخلافة بكـامل أعضائه للنـظر فيه ، والتصديـق عليه . فإذا حاز موافـقة المجلس أمضاه الخـليفة . وبعث بـه الوزير الى كافـة مدراء التعليـم فى المناطق والأقـاليم لتنفيذه والعمل به .

وهكذا الأمر بالنسبة إلى كل وزير فى مجلس الوزراء .

---

(١) وعليه فمجلس الاقليم أشبه بمجلس الخلافة غير أنه أصغر صورة ، وأقل خطورة .

الفصل الرابع

فى إدارة المدن ، والقرى ، داخل الإقليم

وفيه تسع مواد :

المادة الأولى : فى تكوين المجلس المدنى .

يدير المدينة ، أو مجموعة القرى المتجاورة ، مجلس يطلق عليه اسم «المجلس المدنى» .

يتكون أعضاؤه من ذوى الخبرة فى كل شأن من شؤون الدولة بحيث يكون كل عضو فيه نائباً عن مدير من مدراء المصالح الحكومية .

فرئيس المجلس يكون نائباً عن والى الإقليم ، ورئيس الحسبة (الشرطة) ، يكون نائباً عن مدير الأمن العام فى الاقليم ، ورئيس المحكمة والقضاء يكون نائباً عن مدير العدل فى الاقليم . وهكذا حتى يكون المجلس المدنى صورة مصغرة من المجلس الاقليمى الذى هو صورة من مجلس الخلافة (الوزراء) .

المادة الثانية : فى مهمة المجلس المدنى .

مهمة المجلس المدنى تنحصر فى أمرين :

أولهما : البحث فى كل ما يرفع شأن المدينة ، ويحقق لها الخير والصلاح ، والتعاون على ذلك بعرض كل عضو المسائل التى ترد على مصلحته واستشارة كافة أعضاء المجلس فيها والأخذ برأيهم فى ذلك .

وثانيهما : ان كل عضو فى المجلس يرأس مصلحة خاصة من مصالح الخلافة (الدولة) فى المدينة ، وبناء على هذا فستتفرع عن المجلس المدنى المجالس الآتية:

١ ــ الحسبة (الشرطة) .

٢ ــ القضاء .

٣ ــ المالية .

٤ ــ التعليم .

٥ــ الاصلاح الاجتماعى .

المادة الثالثة : فى تكوين مجلس الحسبة وبيان مهامّه .

تتكون هيئة الحسبة من رئيس يدعى رئـيس هيئة الحسبة « الشرطة »، ويشترط فيه ان يكون عالماً بالـشريعة ذا تقوى وكفاية . ومن أعضاء عاملـين يساعدونه على تسيير أعمال الهيئة .ويوضع تحت تصرف هذه الهيئة عدد من الرجال الاكفاء يقلون ويكثرون بحسب سعة المدينة وضيقها ، يقومون بمهمة الحسبة والتى هى :

١ ــ المحافظة على الأمن والنظام داخل البلد .

٢ ــ تنظيم السير فى البلد والاشراف عليه .

٣ ــ تنفيذ الاحكام الشرعية التى تصدرها المحكمة على المواطنين .

٤ ــ الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فى البلد ، وبين المواطنين فيأمرون بكل معروف يرونه قد ترك بين الناس ، وينهون عن كل منكر يرونه قد ارتكب بين المواطـنين . وذلك لـقول الله تعـالى : ﴿ **ولتكـن منكم أمـة يدعون الى الخـير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المـنكر ، وأولئك هم المفلحون** ﴾ سورة آل عمران ١٠٤ .

المادة الرابعة: فى المجلس القضائى :

يتكون فى المدينة الواحدة ، أو مجموعة القرى المتجاورة محكمة قضائية تضم رئيساً وعدداً من القضــاة يساعدونه على إصدار الاحكام الشرعية فـى القضايا التى يرفعها المواطنون الى المحكمة للنظر فيها والحكم .

وذلك لقول الله تـعالى : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبيـنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** ﴾ سورة الحديد ٢٥ .

وقوله تعالى: ﴿**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾ . سورة النساء ٥٧ .

المادة الخامسة: فى المجلس المالى :

يتكون فى مدينة ، أو مجموعة القرى المتجاورة مجلس مالى « هيئة » ، يضم رئيــساً للصـندوق ، وكاتـباً ، وحاسبـاً وجباة ، تودع فـيه أموال الـدولة للجـمع

والصرف . يطلق عليه اسم فرع بيت المال ، ويكون مرتبطا بوزارة المالية ، وببيت مال الخلافة .

المادة السادسة: فى مجلس التعليم :

يوجد فــى مدينة من مــدن الخلافة ادارة للتـعليم تضـم مديراً وكتّاباً وحـسبة مهمتها الـقيام بشؤون التعليم ، وتنفـيذ ما يرد إليها من الإدارة العامة للـتعليم فى الاقليم من أوامر تتعلق بمهمة التربية والتعليم .

المادة السابعة: فى مجلس هيئة الاصلاح الاجتماعى وبيان مهامه .

يتكـون مجلس هـيئة الاصلاح الاجتـماعى من احـد كبار العلـماء بالشـريعة الإسلامـية رئيـسا ، ومن خـبير مـعمارى ، وطـبيب ، ورجـل اقتصـاد ، وآخر اجتماعى [١] .

ومهام هذه الهيئة هـي : كافة ما يتعلق بشؤون المدينة من النـاحيتين : الدينية والدنيوية وذلك ما يلى :

١ ــ الاشراف على البناء والتخطيط فى المدن والقرى .

٢ ــ النظافة العامة فى المدينة والقرية سواء بسواء .

٣ ــ تأمين الماء والنور فى المدينة والقرية ، وصيانتهما .

٤ ــ تأمين النقل واصلاحها داخل المدينة وبين القرى .

٥ ــ إعداد وسائل الاطفاء والإنقاذ ، والقيام بذلك عند حدوثه .

٦ ــ الإشراف عـلى الحفلات العامـة ومراقبتهـا ، وكذا الاجتماعات الـعامة كالمقاهى والأندية والملاعب الرياضية ، والمسابح البحرية وما الى ذلك .

٧ ــ مراقبة الأسواق ، والبضائع والسلع التجارية .

٨ ــ مراقـبة أزياء المواطنـين ، والمواطنات ، ومـلابسهم نسـاء ورجالاً ، فلا تسمح للرجل ولا للمرأة بالخروج عن آداب الزى الإسلامى المعروف .

---

(١) المراد بالرجـل الاجتماعى : من يـعرف احوال البلدة وسـكانها وذلك كتـاريخ المدينة أو القـرية ، وأنساب الساكنين وعاداتهم ، وطرق معايشهم ، وما الى ذلك من احوالهم الاجتماعية .

٩ ــ تنظيم الزى وتوحيده للطوائف الآتية :

العلماء ــ الجند ــ الحسبة ــ النساء ــ المرتاضون ــ الكشافة .

ففى الجند يوحد الزى مع وجود علامة فارقة بين الجندى المسلم ، والجندى الكافر ، كالطربوش بدلاً من القبعة مثلاً .

وفى رجال الحسبة يوحد زيهم وتوضع لهم علامة مميزة . وفى النساء تلزم المواطنة بأن تلبس درعاً سابغاً واسعاً فضفاضاً يستر قدميها ، وتتقنع بقناع يستر رأسها وعنقها بحيث لم يبد منها إلا دائرة الوجه والكفان فقط ، هذا اذا ترخصت[1] فى ذلك ، وإلاّ فإنها تتلفع بمرط (ملاءة) تستر جميع جسدها من قمة رأسها الى أخمص قدميها وهذا هو اللائق بها .

وفى العلماء يوحد زيهم ، ويلزمون العمامة لتكون فارقاً بينهم وبين عامة الناس .

وفى المرتاضين يوحد الزى ، ويكون السروال ساتراً لنصف الساق ،وكذا الكشاف مع إيجاد شعار للكشافة الإسلامية تفارق بها الكشافة غير الإسلامية.

كل ذلك حذراً من قول الرسول ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

المادة الثامنة : فى المجلس الصحى .

يتكون فى كل مدينة ، أو مجموعة القرى المتجاورة ادارة صحية يكون رئيسها نائباً عن مدير الصحة العام الذى هو نائب عن وزير الصحة فى مجلس الخلافة (الوزارة) ، وتكون مهمتها الاشراف على الاطباء والممرضين ، والمرضى ، والعلاج ، وكل شأن يتعلق بالعلاج والتمريض فى المشافى ، والمصحات ، والمستوصفات .

وتبذل هذه الهيئة من العناية الطبية والصحية ما يجعل مشافى الخلافة أحسن خدمة للمرضى ، وأكثر عناية بهم من جميع مشافى العالم ، وذلك لما أمر به

---

(١) بأن تأخذ بما ترخص فيه أهل العلم حيث أخذوا بظاهر قول الله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها .**﴾ . وقول الرسول لأسماء : «ان الجارية اذا بلغت المحيض لا يبدو منها إلا هذا وهذا » ، وأشار الى الوجه والكفين .فى حديث مرسل معروف .

المسلمون من الاحسان ، والاخلاص ، ولما يتصفون به من الرفق ، والرأفة والرحمة . ومما يجب أن تمتاز به مشافى الخلافة أيضاً كون تمريض الرجال خاصاً بالرجال ، وتمريض النساء خاصاً بالنساء .

المادة التاسعة : فى الجمعيات التعاونية .

بناء على أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، ونهيه عن التعاون علي الإثم والعدوان فى قوله :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان ﴾ [1] .

وتحقيقاً لهذا المطلب السامى تتكون فى كل أحياء مدن الخلافة ، وعامة قراها جمعيات تعاونية حيث يقوم رجال الحى أو القرية يعاونهم المجلس المدنى ببناء مسجد جامع فى حيهم أو قريتهم يتسع لكافة أفراد الحى أو القرية ذكوراً وإناثاً ، ويختارون إماماً لهم من أهل العلم والصلاح يسندون إليه أمر الصلاة بهم ، وجمعهم فى مسجدهم مرتين فى الأسبوع ذكوراً وإناثاً لدراسة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تثقيفاً لهم ، وتربية لأرواحهم وتقويماً لأخلاقهم .

ومن المسجد وأهله تنبثق اللجان الاصلاحية التالية :

١ ـ لجنة صندوق الحى ، أو القرية ، ومهمتها جمع الاشتراكات الشهرية من أفراد الحى أو القرية ، وحفظها فى صندوق الجمعية .

٢ ـ لجنة رعاية الحى أو القرية ، ومهمتها تفقد أحوال المتساكنين فى الحى أو القرية لمعرفة مريضهم ، ومحتاجهم ، وغائبهم ، ومظلومهم وظالمهم ، وتقديم ذلك فى بيان لإمام الحى ، أو القرية ، لتقديم المساعدة الفورية التى يفرضها الإسلام بحكم الجوار ، والأخوة الإسلامية .

٣ ـ لجنة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،ويتكون أفرادها من رجل الحسبة فى الحى والذى تعينه إدارة الحسبة العامة فى المدينة ، ومن عضوين آخرين من أهل الحى ، ومهمتها مراقبة سلوك أفراد الحى أو القرية ، ومعرفة كل من ترك معروفاً وهو قادر على فعله ، أو ارتكب منكراً وهو غير مضطر إليه ، واستدعاؤه

---

(١) المائدة : ٢ .

الى لجنة التأديب فى المسجد لأخذه بطرق تأديبها الخاصة .

٤ ــ لجنــة التأديب ، وتتــكون من إمام المسجــد وعضو من رجال الحــسبة ، وأمين صندوق الحي ، ومهمتها تأديب وإصلاح كل من يخل بواجبه فى المجموعة المتساكنة فى الحى أو القرية بتركــه المعروف ، أو ارتكابه المنكر من قول أو فعل أو اعتقاد .

وتستخدم هذه اللجنة فى إصلاح الأفراد وسائل التأديب التالية :

١ ــ الوعظ والنــصح ، إذ كان الرسول ﷺ يؤدب أصحابه بالــقول أحياناً ، فإن لم يجد ذلك انتقل الى المادة التالية :

٢ ــ المقاطعة بــهجره التام من كل أفراد الحى حتى مــن أقرب قريب له ، الى أن يتوب بفعل ما ترك من المعروف ، أو ترك مــا ارتكب من المنكر ، فإن لم تنفع هذه انتقل الى المادة التالية :

٣ ــ رفع الأمــر إلى دائرة الحــسبة فى المدينــة ، ومطالبتــها باسم كــافة أفراد الحى، أو القرية بإصــلاح الشخص أو نفيه من الحى أو القريــة ، لأنه عضو فاسد يخشى معه سراية فساده الى أفراد الحى الصالحين .

وهكذا الحال فيما اذا ارتكب حداً من حدود الله ، فإنه يرفع الامور فوراً الى دائرة الحسبة (المحافظة) لمحاكمته ، وإقامة الحد عليه بإذن والى الخليفة فى المدينة أو الإقليم .

الباب الثانى

فى قوى الأمن والدفاع

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

فى تكوين هيئة الدفاع

وفيه ثلاث مواد

المادة الأولي : فى وجوب الدفاع .

الدفاع عن أرواح المسلمين ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وعقائدهم واجب بالكتاب والسنة . قال تعالى : ﴿ **قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا** ﴾ (١) وقال : ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ (٣) . وقال رسول الله ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » . رواه أصحاب السنن وأحمد .

المادة الثانية: فى مجلس الدفاع الأعلى .

يتكون مجلس الدفاع الأعلى من وزير الدفاع الذى هو أحد أعضاء مجلس الخلافة . ومن قائد القوات المسلحة العام وهو عضو أيضاً فى مجلس الخلافة . ومن أركان حرب ،ومن نائب لكل أعضاء المجلس الثلاثة .

---

(١) آل عمران : ١٦٧ .

(٢) الحج : ٤٠ .

(٣) البقرة : ١٩٠ .

المادة الثالثة: فى ارتباط هيئة الدفاع بالخلافة .

بما ان وزير الدفاع والقائد العام عضوان فى مجلس الخلافة فإن وزارة الدفاع مرتبطة بمجلس الخلافة بطبيعة الحال . وعليه فلا تتخذ هيئة الدفاع التى هى المجلس الأعلى للدفاع أى قرار يتعلق بشأن الدفاع فى السلم والحرب إلا بعد عرضه على مجلس الخلافة ومناقشته ثم إقراره .

فليس لوزير الدفاع ، ولا لقائد القوات العام ، ولا لأركان حرب ، أو من دونهم من قادة وضباط أن يصدر أمراً الى الجيش أو بعض ألويته وكتائبه بالتحرك لقتال ما ، إلا بعد ابراز قرار مجلس [1] الخلافة وامضاء خليفة المسلمين ، وإلا فليس لافراد القوات المسلحة طاعته وامتثال أمره بحال من الاحوال .

الفصل الثانى

فى التجنيد أو الخدمة العسكرية

وفيه ثلاث مواد

المادة الأولى: فى وجوب الخدمة العسكرية .

بحكم قول الله تعالى : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ [2] .

وقوله : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن**﴾[3] .

---

(١) فى هذا ما يقى بعض الشىء الأمة والحكومة شر الانقلابات العسكرية ، التى أضحت خطراً متوقعاً دائماً وسيفاً مصلتاً على رأس الامم والحكومات . قضى على معنى الاستقرار فى كثير من البلاد . وجر ويلات كبيرة على شعوب تلك البلاد واهلها .

(٢) الحج : ٧٨ .

(٣) التوبة : ١١٢ .

وقول الرسول ﷺ :« من مات ولـم يغز ، أو يحدث نفسه بالغـزو مات ميتة جاهلية » [1] .

فإن التجنيد الـذى هو الخدمة العسكرية أمر واجب علـى كل شاب مسلم فى هذه الظروف التى تطـورت فيها الاسلحة وأساليب الدفاع ، بلغ الـثامنة عشرة من عمره ، وهو سليم العقل والجسم .

وبناء علي هذا فإن على كل شاب مسلم بلغ سن التجنيد أن ينخرط فى سلك الدفاع لقضـاء عامين فى التدريب والتمـرين على كل فنون الحرب ووسـائل القتال والدفاع .

المادة الثانية: فى هيئة التجنيد ومهمتها .

تتكون الهـيئة المختصة بتجـنيد الشباب للخـدمة العسكرية من نـائب عن قائد القوات المسلحـة ، وآخر عن أركان حرب ، وعضوين آخرين أحدهـما طبيب من وزارة الصحـة ،والثانى قـاض من وزارة العدل . ويـطلق علـى هذه الهيـئة اسم «الهيئة العليا للتجنيد والخدمة العسكرية » .

ومهمتها : استعراض المواليـد لكل سنة ، وإصدار الأوامر باستدعـاء البالغين سن التجنيد إلى مراكز التدريب حيث يخـتبرون صحياً ويلحقون بالتدريب والخدمة العسكرية المختلفة .

المادة الثالثة : فى مراكز التدريب .

ينشأ فى كل عمـالة من عمالات الخلافة وأقاليمها مركـز مجهز بكامل الآلات والأدوات الخاصة بالتدريب والتـمرين العسكرى بحيث يفى بحاجـة شباب المنطقة الذين ينخرطون كل سـنة بأعداد كبيرة . فى هذه المراكز التدريبيـة ، يتعلم الشباب المسلم ويتخرج قادراً عـلى أداء فريضة الجهاد بمعنى كلمة القـدرة حيث يحسن كافة وسائل القتال المختلفة .

وبعدها إن شاء المتـخرج البقاء فى صفوف الجيش وإن شـاء العودة الى الحياة المدنية فله ذلك ، على أن يسجل اسمه فـى سجل الجيش الاحتياطى العام ، حتى

---

(١) رواه أحمد ومسلم وغيرهما .

إذا ما دعى يوماً للجيش أجاب الدعوة ولبى الطلب ،وبهذا يكون له أجر المجاهدين قاتل أو لم يقاتل . لقول الرسول ﷺ : « ولكن جهاد ونيّة » (١) . وقوله : « من سأل الشهادة صادقاً أعطيها ولو مات على فراشه » .

وما دام الشاب قد تدرب للجهاد وسجل اسمه فى سجل المجاهدين ، فإن حكمه حكم المجاهد .

الفصل الثالث

فى التموين والتسليح

وفيه ثلاث مواد:

المادة الأولى: فى هيئة التسليح والتموين .

تتكون الهيئة المختصة بتموين الجيش وتسليحه من وزير الدفاع ، والقائد العام للقوات المسلحة ، وأركان حرب ، ووزير المالية والاقتصاد . وتكون هى الهيئة المسؤولة عن كل ما يلزم لتقوية الجيش وتطويره ، ليكون دائماً المتفوق على جيوش العالم .

المادة الثانية: فى إعداد السلاح .

على الهيئة المختصة بتسليح الجيش أن تحضر لأفراد الجيش كل أنواع السلاح المختلفة من القنبلة (الهيدروجينية) الى الحربة والسكين . وأن تبذل كل ما يمكن بذله ليكون جيش الخلافة فى مقدمة جيوش العالم ، سلاحاً ، وخبرة ، وقدرة .

وبهذا يتحتم إنشاء مصانع كبرى لانتاج أنواع السلاح المختلفة ، ولو بذلت فيه الحكومة والأمة كل طاقة وجهد ،ولو أدى بالأمة الى أن تأكل وجبة واحدة من الطعام ما دامت فريضة الله فى إعداد القوة متوقفة على ذلك .

قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ (٢) .

المادة الثالثة: فى ميزانية الدفاع .

جميع الأموال اللازمة لتمويل الجيش ، وتدريبه ، وتسليحه ، وإدارة مصانعه

---

(١) من حديث ابن عباس عند أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم .
(٢) الأنفال : ٦٠ .

تؤخذ من ميزانيــة الخلافة العامة ، كما هو الشأن فى سائـر الوزارات المختلفة فى الخلافة . وعند الحاجة يفـتتح اكتتاب للأمة يُسهم فيه سائر طبقـاتها بما يسد حاجة الجيش ، إذ هذا الإسهام واجـب شرعى على أفراد الأمة من أجل القـيام بفريضة الجهـاد التى هـى فريـضة كل مـسلم . قـال تعـالى : ﴿ **وجـاهدوا فـى الله حـق جهاده**﴾[1]. وقـال : ﴿ **انفروا خفـافاً وثقالاً ، وجاهدوا بـأموالكم وأنفسـكم ، فى سبيل الله** ﴾ [2] .

الفصل الرابع

فى استخدام القوى الدفاعية

وفيه مادتان:

المادة الأولى: فى الاذن باستخدامها .

لا يسمح أن تستخدم القوات المسلحة بحال من الاحوال إلا بإذن صريح يوقع عليه الخلـيفة ، وأعضاء مجلس الخـلافة (الوزراء) ، إن لم يكونوا كلـهم فعلى الأقل ثلثاهم ، وذلـك لأن الجهاد لابد فيه من أمر الخليفة ، والـقوات المسلحة لا تستخدم إلا فى الجهاد الشرعى الذى أذن الله تعالى فيه بقوله :

﴿ **أذن للذيـن يقاتلون بـأنهم ظلموا ، وإن الله عـلى نصرهم لـقدير** ﴾ [3] . وبقوله : ﴿**وإن طائفتان من المؤمـنين اقتتلوا فأصلحوا بينهمـا ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله** ﴾ [4] .

المادة الثانية: فى الحالات التى تستخدم فيها القوات المسلحة .

تستخدم القوات المسلحة بإذن الخليفة ، ومجلس الخلافة كما نصت على ذلك المادة الأولى من هذا الفصل . ولا تستخدم إلا فى الحالات التالية :

١ ــ إذا اعتدى على أرض الخلافة أو بحارها أو أجوائها .

٢ ــ إذا اعـتدى علـى رعايا الخـلافة المسـلمـين وغيرهــم من أهل الـذمة ،

---

(١) الحج : ٧٨ .
(٢) التوبة : ٤١ .
(٣) الحج : ٣٩ .
(٤) الحجرات : ٩ .

والحماية،وسواء كـان الاعتداء على الأرواح والأمـوال ،أو على الأعراض والأديان .

٣ ـ في اخضاع العصابات المسلحة من أهل الحرابة وقطاع الطرق ممن يخيفون السبـيل ويروعون الآمـنين ، بالسـطو على الامـوال وازهاق الأرواح داخل أرض الخلافة .

٤ ـ فـى قتال الـبغاة وهـم الجماعة يـخرجون عـن الخلافة ويـشقون عـصا الطاعة، رغبة فى الحـكم والتسلط ، فيقاتلون بموجب مادة قـتال أهل البغى ، فى باب القضاء من الدستور .

٥ ـ فى قتال من صدّ عن الإسلام ، أو اعترض طريق نشر هدايته بين العالمين.

ويعتبر القتال فى هذه الحالات الأربع قتالا شرعياً . ويعتبر أهله مجاهدين فى سبيل الله تعالـى ، ومن مات منهم مات شهيداً ، ومن عـاش عاش عزيزاً كريماً ، وذلك لـقول الله تـعـالى فـــى الحـالـة الأولى والثانـية : ﴿ **فمن اعـتدى عليـكم فاعتدوا عليه بمثـل ما اعتدى عليكم** ﴾ [1] وقوله ﴿ **وقاتلـوا فى سبيـل الله الذين يقاتلونكم**﴾ [2] .

وقوله فى الحالة الثالثة : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربـون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض** ﴾ [3] .

وقولـه فى الحالـة الرابـعة : ﴿ **وإن طائفـتان من المؤمنين اقـتتلوا فـأصـلحوا بينـهما، فإن بغـت إحداهما علـى الأخرى فقاتـلوا التى تبـغى حتى تفـىء إلى أمر الله**﴾[4] .

وقوله فـى الحالة الخامـسة : ﴿ **وقاتلـوهم حتى لا تكـون فتنة ويكـون الدين لله**﴾[5] . وقوله : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرَّم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتـوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ [6] .

---

(١) البقرة : ١٩٤ . (٢) البقرة : ١٩٠ . (٣) المائدة : ٣٣ .
(٤) الحجرات : ٩ . (٥) البقرة : ١٩٣ . (٦) التوبة : ٢٩ .

الباب الثالث

فى المال والاقتصاد

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

فى حرمة المال ، وكيفية دخله وهيمنة الدولة عليه

وفيه ثلاث مواد :

المادة الأولى: فى حرمة المال .

يعتبر الإسلام المال شيئاً محترماً ، فهو يأمر بإنمائه واصلاحه ، وينهى عن إفساده وإتلافه .ويحرم اغتصابه وسرقته . قال تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياماً** ﴾ (١) . وقال عز وجل : ﴿ **والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواماً** ﴾ (٢) . وقال : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ (٣) . وقال : ﴿ **ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم ، أو وزنوهم يخسرون** ﴾ (٤) .

المادة الثانية : فى طرق دخل مال الخلافة .

ميزانية الدولة التى هى بيت مال المسلمين تتكون من الأموال المجموعة من الطرق التالية :

١ ــ من المعادن والثروات الطبيعية فى أرض الخلافة .

---

(١) النساء : ٥ .

(٢) الفرقان : ٦٧ .

(٣) المائدة : ٣٨ .

(٤) المطففين :

٢ ــ من الزكوات المفروضة فى أموال المسلمين بقول الله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ (١) .

٣ ــ من مصانع الحكومة ومنشآتها العمرانية ومؤسساتها التجارية والفلاحية .

٤ ــ من رسوم البضائع التجارية المستوردة من خارج أرض الخلافة من تجار أهل الذمة ، والحربيين .

٥ ــ من تبرعات الأغنياء ، وطوابع البريد ،وما اليها .

٦ ــ الفىء والغنائم .

المادة الثالثة : فى هيمنة الدولة على المال .

المال عصب الدولة وقوام حياتها . فهى لا تكون بدونه ، ولا تقوى على أداء واجباتها بغير وجوده ، ولهذا يحق لها ، بل يجب عليها أن تهيمن عليه فتراقبه فى دخله وخرجه . وتفريقه وجمعه ولكن فى نطاق الحق والعدل ، ومراعاة الحلال والحرام .

فجمعه لا يكون أبداً من غير المصادر المشروعة التى أذن الله تعالى فى الاكتساب منها ، فلا يجمع مال الدولة ولا مال الأفراد من بيع المحرمات ، ولا من الفوائد الربوية ، ولا بالاغتصاب والسرقة ، ولا بمصادرة ، أو تأميم غير مشروع .

كما أن صرفه يجب أن لا يكون خارجاً عن دائرة مصلحة الأمة الخاصة والعامة بحال من الاحوال ، فلا ينفق المال سواء كان مال الدولة أو مال الأفراد فيما لا يحل الإنفاق فيه من المعاصى ، والإسراف والتبذير ، وسائر المحرمات . إن الإسلام يعتبر المال أداة نفع مشتركة بين أفراد المسلمين . قال تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ (٢) . وقال عز وجل : ﴿ **كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم** ﴾ (٣) .

فلا يحل إذاً انفاق المال من الدولة أو الأفراد فى غير ما يحقق مصلحة ظاهرة للفرد أو الأمة .

---

(١) التوبة : ١٠٣ . (٢) البقرة : ١٨٨ . (٣) الحشر : ٧ .

الفصل الثانى

فى إنماء مال الدولة

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى : فى الانماء داخل البلاد .

تنمية أموال الدولة أمر ضرورى من أجل أن يفى بجميع حاجات الدولة ، ومتطلباتها الكثيرة ، ومن هنا كان لابد من ضرب الحكومة بسهم كبير فى جميع الميادين التجارية والصناعية والفلاحية ، فتنشىء لها مؤسسات مختلفة صناعية ، وفلاحية ، وتجارية ، وذلك لتحقيق غرضين أساسيين وهما :

١ ــ تنمية أموال الدولة لتصبح تغل باستمرار وبذلك يحفظ كيان الدولة نامياً متطوراً قوياً .

٢ ــ لإيجاد وظيفة عمل لكل مواطن يتقاضى بموجبها المخصص لإعاشته ، وأفراد أسرته من ميزانية الدولة التى هى بيت مال المسلمين .

هذا ، ولكى تتمكن الحكومة من تحقيق أكبر هدف لها فى إيجاد عمل لكل مواطن فى الدولة ، يتقاضى بموجبه إعاشته وأفراد أسرته ، عليها أن تختص بجميع المرافق العامة فى البلاد وذلك كالمعادن والثروات الطبيعية ، والكهرباء ، والماء ، والمواصلات .

(تنبيه) :

لا ينبغى أن يفهم من هذا أن للحكومة أن تحتكر جميع الصناعات والتجارات من اصدار وتوريد دون أفراد الأمة ، لا ، لا . بل لأفراد الأمة وبكل حرية أن ينشئوا ما شاءوا من المؤسسات الصناعية والتجارية والفلاحية . وعلى الحكومة أن تشجعهم على ذلك . وما لها عليهم إلا شيئان : أولهما: أخذ الزكوات المفروضة. وثانيهما : النظر فى شؤون العمال المستخدمين لديهم ، بحيث لا يوظف أحد فى الشركات والمؤسسات الأهلية براتب وأجر أقل مما يتقاضاه الموظف فى شركات الحكومة ومؤسساتها ؛ إذ من أغراض الحكومة فى إنشاء المؤسسات

الصناعية والتجارية إيجاد عمل للمواطن يتقاضى بموجبه المخصص له فى بيت مال المسلمين (خزانة الدولة) .

وعليه فإذا وجدت الحكومة مؤسسات أهلية أمينة صالحة توظف لها أعداداً من المواطنين بقدر من المال يسد حاجتهم فى الحياة ، فإن ما عليها إلا مساعدة تلك المؤسسات وتشجيعها بما يكفل لها النمو واطراد النجاح .

المادة الثانية: فى تنمية مال الدولة خارج البلاد .

لا مانع البتة من أن تنمى الدولة الفائض من أموالها خارج حدود أرض الخلافة ، إذ ذلك يكسبها فائدتين كبيرتين :أولاهما: دخل مستمر على خزانتها من خارج بلادها ، وفى ذلك ما يدعم مركزها المالى ويقويه بين الدول والحكومات .

وثانيتهما: السمعة الطيبة بين الدول ، والنفوذ السياسى فى البلاد التى تستثمر فيها أموالها الفائضة على مشاريعها فى داخل بلادها .

الفصل الثالث

فى صرف مال الدولة وإنفاقه

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى: فى تحريم تبذير المال وإنفاقه فى المعاصى والمحرمات .

لقد حرم الشرع الإسلامى تبذير المال ، وإنفاقه فى المعاصى والمحرمات ؛ فلذا لا يحل لأى فرد من أفراد المسلمين سواء كان حاكماً أو محكوماً ، مسؤولاً أو غير مسؤول أن يبذر مال الله ، أو يتخوض فيه بغير حق ، سواء كان مال الدولة العام، أو مال الفرد الخاص وعلى المخالف العقاب . قال تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ (١) . وقال : ﴿ **ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً** ﴾ (٢) . وقال عز وجل : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا**

---

(١) البقرة : ١٨٨ .

(٢) الإسراء ٢٦ ، ٢٧ .

تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [١] .

المادة الثانية: في تحديد التبذير والإسراف .

يعتبر الإنفاق للمال تبذيراً واسرافاً اذا كان :

١ ــ زائداً على قدر الحاجة من طعام أو شراب ، أو لباس ، أو سكن ، أو مركب .

٢ ــ فى معصية الله تعالى ومعصية رسوله ﷺ بفعل ما نهيا عنه وحرماه من أكل أو شرب ، أو لباس أو نظر ، أو سماع، أو اقتناء ، أو ادّخار .

٣ ــ فيما لا يعنى من المباحات بحيث لا يحقق منفعة ظاهرة ، للفرد أو الجماعة أو يدفع عنهما مفسدة أو مضرة .

المادة الثالثة: فى مراقبة الدولة للمال .

بناءً على قول الله تعالى : **﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾** [٢] . وقوله: **﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً ﴾** [٣] . وقول الرسول ﷺ « إن الله حرم عليكم عقوق الامهات ، ووأد البنات ، ومنعَ وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال » .

المادة الرابعة: فى صرف مال الدولة وإنفاقه .

الدولة الإسلامية تتبع فى توزيع مالها أرقى الطرق ، وأعدل النظم التى يمكن أن يعرفها الناس فى هذا الوجود ، فهى تجرى احصاءاً عاماً دقيقاً لكل أفراد الأمة التى تحت ولايتها ، وفى ظل لوائها . وعلى أساس ذلك الاحصاء ، ومعرفة الأفراد المواطنين تضع ميزانيتها السنوية العامة ، فتجعل لكل فرد من أفراد الأمة قدراً شهرياً يكفل له الضرورى من القوت . غير أنها لا تدفع له ذلك القدر المخصص إلا مقابل عمل يقوم به للدولة ، فهى تلزم نفسها بإحداث وظيفة لكل فرد يقدر على العمل فى البلاد ليتسلم بموجبها المخصص له فى خزانة الدولة (بيت

---

(١) الأعراف : ٣١ .

(٢) البقرة : ١٨٨ .

(٣) النساء : ٥ .

المال) .

غير أن الدولة تراعى فى هذا جانبين مهمين أولهما أفراد الأسرة ، فذو زوجة وثلاثة أولاد مثلاً يعطى مرتباً شهرياً علي عمله الذى يقوم به ، لا يعطاه الذى لا أسرة له ، أو له أسرة أفرادها أقل من أسرة الأول . وثانيهما ذو المنصب المهم أو العمل الشاق ينبغى أن يزاد على مخصصه بما يشجعه علي الاستمرار في عمله ، والصدق فيه ، على أن لا تكون الزيادة فوق الضعفين .

وبناء على ما ذكر فإن مال الدولة ينفق فى طريقين أحدهما موظفى الدولة من الخليفة الى آخر موظف فى جهاز الدولة ، ومعنى هذا انه ينفق على كافة أفراد الأمة ، إذ ما من مواطن إلاوله عمل يشغله فى الدولة ليأخذ به المخصص له فى الميزانية كما تقدم .

وثانيهما مصادر التنمية التى هى مصانع الدولة ومتاجرها ، ومزارعها ، ومرافقها العامة ، والتى يعمل فيها أفراد الأمة كذلك ، وبه أصبح مال الدولة كله عائداً إلى الأمة .

الباب الرابع

فى التربية والتعليم

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

فى وجوب التعليم ، وبيان حقيقته ، ومدارسه ومواده

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى: فى وجوب التربية والتعليم .

تربية أبناء المسلمين واجبة بالكتاب والسنة . قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** ﴾ (١) . والأولاد من الأهل ، ووقايتهم من النار تستلزم تربيتهم وتعليمهم ، وقال رسول **الله** ﷺ : «مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

فالأمر بالصلاة يستلزم التربية والتعليم . كما أن الأمر بالتفرقة بينهم فى المضاجع يستلزم التربية الخلقية والآداب الاجتماعية والنفسية .

المادة الثانية : فى حقيقة التربية والتعليم .

المراد من التربية تنمية جسم الولد صالحاً سليماً ، وتنمية أخلاقه فاضلة سامية، وروحه طاهرة طيبة :

فالأولى تحصل بالغذاء الصالح المنظم ، وأنواع من الرياضة البدنية المرحة السهلة .

والثانية تحصل بالعقيدة الدينية والأخلاق الإسلامية ، والعبادات الشرعية

---

(١) التحريم : ٦ . .

كالصلاة وغيرها .

المادة الثالثة: فى إنشاء مدارس التربية والتعليم .

المدارس ودور العلم وسيلة لأداء واجب التربية والتعليم ،والوسيلة تعطى حكم الغاية . فإنشاء المدارس والمعاهد إذاً من باب الواجب المتعين .

ومن هنا وجب على الخلافة أن تنشئ فى كافة القرى والمدن مدارس تبنى على أساس من التقشف والبساطة ، غير أنها ينبغى أن تضم فى غالبها ملعباً للأطفال ، ومسبحاً لتعليم السباحة، ومسجداً للصلاة فالمدرسة للتعليم والمسجد للصلاة ، والمسبح لتعليم السباحة ، والملعب لمزاولة الألعاب الرياضية البدنية المختلفة .

المادة الرابعة: فى مادة التعليم .

مادة التعليم فى المرحلة الأولى من التربية والتعليم ، لا تخرج عن تعليم كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ المشتملة على العقيدة ، والفقه ، والأخلاق ، والآداب ،وما يلزم ذلك من قواعد الكتابة والقراءة ، وشىء من الحساب .

أما فى باقى مراحل التعليم فإن التعليم يشمل جميع العلوم والفنون التى يتوقف عليها كمال الأمة وسعادتها .

الفصل الثانى

فى تقسيم التعليم إلى اختيارى واضطرارى

وفيه خمس مواد :

المادة الأولى: فى التعليم الاضطرارى العام .

المراد من التعليم الاضطرارى ، أو الضرورى :هو ما لا يسع المسلم جهله بحيث يجد نفسه مضطراً الى طلبه ومعرفته . وذلك كمعرفة الله تعالى وتوحيده ،

ومعرفة عبادته وطـاعته ، ومعرفة رسوله ﷺ وسننه ووجوب اتـباعه ، وطاعته . وما الى ذلك من ضروريات الدين الإسلامى .

هذا التعلـيم يجب أن يعم كل فرد فـى الأمة ، وأن يكون إلزامياً يجـبر عليه أبناء المسلـمين وبناتهم ، إذ هذا العـلم هو المقصود بقول الـرسول ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . ويشهد له قول الله تعالى : ﴿ **فاقرأوا ما تيسر من القرآن** ﴾ [1] .

المادة الثانية : فى التعليم الاختيارى العام .

المراد من التـعليم الاختيـارى العام: هو ما كان من الـتعليم فى المـراحل بعد المرحلة الأولى الاضطرارية .

وتدرس فى هذه المراحل العلوم النافعة على اختلاف أنواعها ، وتباين منافعها وفوائدها . وذلك حسب المنهج التعليمى العام للخلافة ، وأفراد المسلمين مخيرون فى هذا التعليم فمن شاء منهم طلب هذا العلم ودرسه ، ومن شاء ترك .

كما أن الـطالب مخيـر فى دراسة ما شاء مـن العلوم والـفنون حسب رغـبته وميولـه حيث لا يكره علـى شىء من ذلك ، اللهـم إلا من تعين عليـه شىء من ذلك. كما فى المادة الرابعة من هذا الفصل .

المادة الثالثة: فى التعليم الاختيارى الخاص .

يتعين على الخلافة أن تنشئ فى كل مدن الخلافـة مدارس مهنية مختلفة يؤمها من شاء من أفراد المواطنين لتـعلم صناعة من الصناعات يمكنه أن يستـفيد بواسطتها عيشاً حراً شريفاً وأن يفيد البلاد نتاجاً صالحاً هى فى حاجة إليه .

على أن يصاحـب هذا التعليم المهـنى فى مدارسه برنامج أخـلاقى دينى يزود الطلاب بروح دينى طيب وخلق إسلامى كريم .

المادة الرابعة: فى التعليم الاضطرارى الخاص .

يتحتم علـى الخلافة إنشاء معاهـد دراسات عـليـا مختلفة تتـناول كل العلوم

---

(١) المزمل : ٢٠ .

والفنون ، كالطب والهندسة ، وغيرهما من العلوم الضرورية لحياة الأمة وقوتها . وأن يختار لـها الطلاب الصالحـين اختياراً خاصاً ويلـزمون بالدراسة فيـها إلزاماً . ولتكن هذه المعاهد من الكثرة بحيث يحـصل بها الاكتفاء المطلوب من وجود فنيين وخبراء فى كل فن من الفنون الضرورية لحياة الأمة وكمالها وقوتها .

وهذا من العلم الـكفائى الذى تأثم الأمة بتركه ، ولا تبـرأ ذمتها إلا بوجوده فيها .

المادة الخامسة : فى بعثات العلم خارج الخلافة .

إذا اضطرت الخلافة الى ابـتعاث مجموعة من الطلاب أو مـجموعات لدراسة فن من الفنون المفقودة فى بلادها ، ولم تتمكن من إيجادها ، وكانت تلك الفنون ضرورية ، وأرادت أن تبتعث طلاباً لدراستها ومعرفتها ، ونقلها الى أبنائها بواسطة من تبـتعثهـم ، وجب عليـها مراعاة ما يـلى كشروط لابـد من توفرهـا فى جواز الابتعاث ، وإرسال البعثات التعليمية :

١ ــ أن يكون ما يطلب من العلوم غير موجود فى دار الخلافة .

٢ ــ أن يُلزَم الطلاب المبتعثون بالزى الإسلامى ، وبتحريم جميع ما حرَّم الله ورسوله . وبالـقيام بجميع الـشعائر الدينيـة فى بلاد ابتعاثـهم ليتمكنـوا من حفظ عقائدهم ، وشعائرهم الدينية ، وأخلاقهم وآدابهم الإسلامية .

٣ ــ أن يجعـل على رأس كل مجمـوعة رقيب يقيـم معها يراقب سـلوكها ، ويرعى أفرادها .

ويعـطى من الصـلاحية ما يمـكنه مـن تأديب كل طـالب يحاول الخـروج عن الآداب الإسلامية ، أو الـتقصير فى أداء الواجـبات الدينية . كل ذلـك خشية أن يتسرب الفساد إلى أفراد الأمة من طريق البعثات التعليمية كما قد حصل بالفعل فى كثير من البلاد الإسلامية .

٤ ــ أن تعمل الخـلافة بسرعة على إيجـاد معاهد لتدريس كل فـن تحتاج اليه سداً لباب الابتعاث وإنهـاءً لمشكلة تعريض أبناء المسلمين لفـساد دينهم وأخلاقهم . كما هو مشاهد ومعروف .

الفصل الثالث

فى التعليم النسائى

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى: فى كون مستوى الرجل فوق مستوى المرأة .

ثبت شرعـاً وعقلا وعادة أن مستـوى المرأة فى قدراتها الـبدنية والعقـلية دون مسـتوى الرجـل . قال الله تعـالى : ﴿ **الرجال قـوّامون على الـنساء بما فـضل الله بعضهم على بعض** ﴾ (1) . وقال تعـالي : ﴿ **وللرجال علـيهن درجة** ﴾ (2) ومن هنا كـان الرجل تكثر عـنده دواعى طلب العـلم ومقتضـياته ، وتقل عنـده موانع ذلك .

والمرأة بالعكس منه حـيث تكثر عندها الموانع وتقل المقتـضيات ، فلهذا وجب أن يختلف المنهج التعليمى بين البنين والبنات اختلافاً كبيراً .

المادة الثانية: فى تحديد منهج التعليم ، وسنوات الدراسة للبنات :

بناء على ما جـاء فى المادة الأولى من هذا الفصل من الاختلاف الـطبيعى بين الابن والبنت ، بـحيث تكثر عند البـنت الموانع وتقل المقتضـيات بخلاف الابن ، فإنه يتعين تحديد منهج الدراسة وسنوات التعليم للبنات .

فيقتصر منهج التعليم للبنات على تعليم العقائد والعبادات ، وآداب المعاشرة ، والأخلاق الإسلامية الفـاضلة مع حفظ أجزاء من كتاب الله تعـالى ، وطائفة من أحاديث الرسول ﷺ المتعلقة بالمواضيع التى قررت دراستها .

وأما سنـوات التعلـيم فلتـحدد بخمس سـنوات فقط ، حـيث تدخل الـبنت المدرسة فى سن السادسة وتـبارحها بنهاية السنة العاشرة من عمـرها ولا تختبر أثناء

---

(1) النساء : ٣٤ .

(2) البقرة : ٢٢٨ .

الدراسة ، ولا تعطى شهادة [1] بعدها وإنما يكفيها أن تدرس المقرر لكل سنة دراسة وافية ، وتطبقه فى حياتها عملياً ، إذ القصد الأول والأخير من تعليم البنت المسلمة هو تربيتها ، وتعليمها أمر دينها ، وما يصلح أخلاقها .

المادة الثالثة : فى التعليم المهنى للبنات :

على الخلافة أن تؤسس فى كل مدن البلاد معاهد مهنية للبنات خاصة يتعلمن فيها ما يتفق وطبيعتهن من مهن يدوية خفيفة ، على أن تخضع هذه المعاهد للشروط الآتية :

١ ــ أن تكون مدة الدراسة ثلاث سنوات تبتدئ بالحادية عشرة ، وتنتهى بالرابعة عشرة من عمر البنت .

٢ ــ أن تلتزم البنت بالحجاب الإسلامى ، فلا تأتى المدرسة ولا تخرج منها إلا متخمرة ساترة لزينتها شأنها شأن كل النساء المسلمات فى ديار الخلافة .

٣ ــ أن يرافق هذه الدراسة المهنية الاختيارية دروس توجيهية دينية أخلاقية ، لتكميل البنت المسلمة وإعدادها لأن تكون امرأة صالحة .

المادة الرابعة : فى مهنتى التوليد والتمريض :

تنشئ الخلافة فى كل إقليم من أقاليم الخلافة معهداً كبيراً تنتخب له عدداً من الفتيات اللائى أنهين دراسة المرحلة الأولى ليتعلمن مهنتى التوليد والتمريض ، على أن تراعى فى هذه الدراسة الشروط التالية :

١ ــ أن تقبل طلبات الالتحاق فى هذه المعاهد الأولى فالأولى حتى يتم العدد المطلوب للدراسة فى هذه المعاهد .

٢ ــ المتخرجات من الممرضات يعملن فى الأروقة الخاصة بالنساء فى المستشفيات الحكومية ، إذ المسلمة لا يجوز لها أن تمرض غير ذى محرم لها فى

---

(١) فإن قيل : لم تحرمون البنت المسلمة من تعلم العلوم والمعارف الكونية ؟ . قلنا : لقد تعلمت هذه العلوم فى كثير من البلاد الإسلامية ، وكان ما أضاعته من دينها وأخلاقها ، وما جرته على المجتمع من فساد أكثر مما استفادته من تعلمها . والقاعدة الشرعية أنه متى زادت المضرة على المصلحة أو ساوتها بطل العمل أو حرم الشيء.

حال الاختيار .

وأما المولدات فلهن أن يعملن فى مشافى الولادة الحكومية ، ولهن أن يعملن خارجها .

٣ ــ أن تخضع الطالبــة المتخرجة لحجاب المسلمة شأنها شــأن غيرها من النساء المسلمات ، فالمهنة لا تخرج بها عن دائرة الأدب والصلاح [١] .

٤ ــ أن تــرافق هذه الدراســة دروس دينية أخــلاقية كمــا هو الشأن فــى كل المعاهد المهنية فى دار الخلافة .

---

(١) ونحن نرى أن الممرضات الأجـنبيات من الراهبات لم يمنعهــن حسن التستر فى ثيابهن عــن القيام بالواجب أحسن قيام .

الباب الخامس

فى التوجيه والإرشاد

وفيه فصل واحد :

وبه مادتان :

المادة الأولى: فى هيئة الإرشاد .

تتكون هيئة الإرشاد والتوجيه بناء على قول الله تعالي: ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون**﴾[1] .

ويختار لها خيرة العلماء الصالحين ، ويوضع تحت تصرفها كافة وسائل الاعلان والنشر من إذاعة وتلفزيون وصحافة وغيرها .

المادة الثانية: فى أعمال هيئة الإرشاد :

تقوم هيئة الإرشاد والتوجيه ، ويكون ضمن اختصاصها ما يلى :

١ ــ المراقبة لكل ما يقال وينشر فى البلاد ، فلا تسمح بنشر أو قول كل ما يمس بالشريعة الإسلامية التى هى قانون الدولة ،ودستورها الحاكم فى البلاد . ولها أن تتخذ من الإجراءات ما يناسب كل موقف .

٢ ــ استخدام الاذاعة والتلفزيون والصحافة فى الإرشاد والتوجيه لتكون أداة خير ونفع ، كما هو المطلوب ، لا أداة شر وفساد ، كما هو فى الواقع فى شتى بلاد العالم .

٣ ــ اختيار الوعاظ والمرشدين من أهل العلم الأكفاء ، وتوزيعهم على مساجد المدن والقرى ، والعمل معهم على رفع المستوى الروحى والخلقى والفكرى بين أفراد المسلمين فى كل ديار الخلافة وبلادها .

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

الباب السادس

فى شؤون العمل والعمال

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

فى تكوين الهيئة المشرفة وأعمالها

وفيه مادتان :

المادة الأولى: فى تكوين الهيئة .

تتكون هيئة العمل والعمال أو وزارتهما من خمسة أعضاء : أحدهم يكون عضواً فى مجلس الخلافة ويطلق عليه اسم : وزير ، أو رئيس . وتضم هذه الهيئة العليا بين أعضائها طبيباً ، ومهندساً ، وخبيراً اقتصادياً وفقيهاً شرعياً . ويكون لهذه الوزارة مديريات فى كافة مدن الأقاليم والمناطق . وتكوين هذه الهيئة كان بموجب قول الرسول ﷺ :« ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، وذكر من بينهم[1] رجلاً استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه ». وقوله ﷺ :« اعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه ».

المادة الثانية : فى اختصاص هذه الهيئة وأعمالها :

يدخل فى اختصاص هذه الهيئة أو الوزارة ، ويكون لها الحق فى الإشراف على جميع شؤون العمل والعمال . ومن ذلك :

١ ـ وضع الحد الأدنى للأجور على اختلاف الأعمال وطبائعها من أجل أن لا يضيع حق عامل ، أو يبخس فى عمله وذلك لقوله تعالى : ﴿ **ولا تبخسوا**

---

(١) رواه ابن ماجة بسند حسن .

الناس أشياءهم ﴾ [1] وقدرة العامل شىء وأى شىء يجب أن لا يبخس فيه .

٢ ـ النظر فى دعاوى العمال وأرباب العمل ، والحكم فيها بموجب الشرع الإسلامى .

٣ ـ التدخل لإنهاء الخلاف بين العمال وأرباب العمل ، وحل ما يعرض لهم من مشاكل بطريق تقريب وجهات النظر والمصالحة . لقول الله تعالى : **﴿ والصلح خير ﴾** [2] وقول الرسول ﷺ : «الصلح بين المسلمين جائز إلا صلحاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً ».

٤ ـ التوسط لأرباب العمل لدى الحكومة فى قضاء بعض حاجاتهم ومساعدتهم على تطوير أعمالهم وتوسيع دائرتها .

---

(١) الأعراف : ٨٥ .

(٢) النساء : ١٢٨ .

الفصل الثانى

فى نظام التقاعد للعمال

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى: فيمن يشمله نظام التقاعد :

يشمل نظام التقاعد أو الإحالة على المعاش كل موظفى الدولة وعمال المصانع، والمعامل ،وكذا العمال الدائمين لدى الفلاحين ، والتجار الكبار والصغار الذين يتقاضون أجراً شهرياً ، ويخصم منهم اشتراك التقاعد المقرر فى لائحة التقاعد الخاصة بتحديد النسبة المئوية التى تؤخذ من العامل .

يشهد لنظام التقاعد فى الإسلام قوله تعالى : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون** ﴾ (١) ، وقول الرسول ﷺ : « إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيما» ، (رواه البخارى).

المادة الثانية: فى كون الاشتراك فى نظام التقاعد على التخيير :

ليس هناك ما يلزم العامل شرعاً بالانخراط فى سلك التقاعد ، ولذا يجب أن يعرض على كل موظف وعامل موضوع التقاعد ، ويبين له فائدته ، وما يؤخذ من راتبه وما يرد له عند الإحالة الى التقاعد ، ويذكر له كافة الشروط الخاصة بنظام التقاعد ليكون على بيّنة من أمره ، ثم هو بالخيار فى الاشتراك وعدمه . فإن اختار الاشتراك دوّن اسمه فى سجل التقاعد ، وحسم منه القدَر المعين ، وأصبح بذلك عضواً فى المجموعة المشتركة . فإن بلغ سن الإحالة إلى التقاعد صرف له المستحق له ، وإن مات صرف لورثته من زوجة ووالد وولد . وإن تزوجت الزوجة سقط حقها ، وكذا إن بلغ الطفل أو تزوجت البنت .

المادة الثالثة : فى تحديد سن التقاعد ، وما يؤخذ من العامل :

---

(١) التين : ٦ .

ما دامت القضية اصطلاحية محضة خالية من الإلزام الشرعى ، فقد يكون من المناسب أن تكون السن التى إذا بلغها العامل أحيل إلى المعاش ما بين الستين إلى السبعين . وعليه فإذا بلغ العامل ستين سنة من عمره خيّر بين مواصلة العمل وكان قادراً عليه ، وبين الإحالة إلي المعاش فما اختاره فهو له . وفى حال اختيار العامل مواصلة العمل فإنه يبلغ به السبعين سنة فقط ،ثم يحال إلى المعاش حتماً .

وقد يحال الموظف أو العامل على المعاش وهو لم يبلغ السن المحدد لذلك فيما إذا أصيب بمرض فى جسمه بسبب العمل الذى يقوم به فى الدائرة أو المعمل .

وأما القدر الذى يؤخذ من العامل فإنه ينبغى أن لا يضر براتبه ، وأن يكون بالنسبة المئوية أخذاً وعطاء حتى لا يكون هناك إجحاف فى حق بعض الأفراد . فمن أخذ منه القليل يرد عليه القليل ، ومن أخذ منه الكثير يرد عليه الكثير .

المادة الرابعة: فى كون ما يأخذه المتقاعد أو ورثته لا يقل عن سهمه فى بيت المال:

بما أن ميزانية الدولة توضع على أساس أفراد الأمة كثرة وقلة ،بحيث يخصص لكل فرد من أفرادها ما يمكنه العيش به كفافاً ، بلا إسراف ولا تقتير ، وإن كان لا يأخذه إلا مقابل عمل يقوم به للدولة حسب قدرته ، إن كان ذا قدرة على أى عمل كان ، وإلا فقد يعطاه بلا عمل إن كان مقعداً لا يقوى على عمل .

وبناء على هذا فإنه يجب أن لا ينقص ما يأخذه المتقاعد على القدر المخصص له فى ميزانية الدولة بحال من الأحوال فالحد الأدنى لما يأخذه المتقاعد هو نصيبه فى بيت مال المسلمين (خزينة الدولة) .

الفصل الثالث

فى التأمين

وفيه مادتان :

المادة الأولى: فى معنى التأمين وحكمه :

التأمين مصدر أمن الشخص يؤمنه تأميناً إذا أزال المخاوف عنه . فكأنما

الواضعون لنظام التأمين أرادوا به إزالة المخاوف على الشخص الذى أمّن على سيارته ، أو بضاعته باشتراكه فى هيئة تتولى دفع غرامة ما قد يلحقه من أذى أو ضرر فى نفسه أو ماله مقابل القدر الذى يسهم به صندوق الهيئة كل شهر أو سنة حسب المتعارف عليه .

والإسلام لم يشرع التأمين المعروف اليوم والقائم على أساس المعارضة الخاصة ، وذلك لأنه ربط أتباعه برباط الأخوة المتين فجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، فإذا أصابت أحدهم مصيبة أتلفت بعض ماله أو أعضائه وجد من اخوانه المسلمين من يواسونه ويمسحون دموعه . فقد جعل له فى المال نصيباً مفروضاً ، قال تعالى فى كتابه : ﴿ **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** ﴾ [1] . فالمسلمون متضامنون متكافلون فى غير حاجة إلى مثل شركات التأمين. أما غير المسلمين الذين لا تربطهم أخوة الإيمان بالله ورسوله ، ولا تصل بينهم وشيجة الإسلام فهم فى حاجة إلى مثل هذه المنظمات التأمينية ليجدوا عند النكبات من يخفف عنهم آلامها ، وعند المصائب والنوائب من يعينهم أو يساعد .

ومع هذا فإن الإسلام لا يمنع التأمين الخاص بشروط خاصة ، إذ نصوصه تقول : المسلمون على شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . وكل عمل يقوى روابط الأخوة ويزيد فى متانتها حتى تؤدى ثمرتها من التعاون على البر والتقوى ، فهو عمل مشروع جائز .

المادة الثانية : فى حقيقة التأمين الجائز وشروطه :

التأمين الجائز الذى لايمنعه الإسلام هو أن يتفق أصحاب مهنة ما من المهن أو مصلحة من المصالح كسائقى السيارات مثلاً على مساهمة مالية متساوية ووضعها فى صندوق خاص بنيّة أن من يصاب من الشركاء بحادث يتعلق بمهنته فيصيبه بضرر أو تلف فى نفسه أو ماله يدفع له من الصندوق معونة لإصلاح سيارته ، أو مداواة جراحاته ، أو دفع دية لزمته بجناية سيارته .

---

(١) المعارج ٢٥ ، من أوجه تفسير المحروم : أنه الذى أصابت حاله جائحة أو عاهة فحرمته ما له بإتلافه ، أو إفساده .

مثل هذا التـأمين لا يمنعه الإسلام إذا هو خضـع للشروط التالية وتـوفرت فيه بكاملها :

١ ــ النية الصالحة وهى أن ينوى بذلك الـتعاون على البر المأمور به فى قول الله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ (١) والرحمة المـذكورة فى قول الله تعالى : ﴿ **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** ﴾ (٢) .

٢ ــ أن يدفع المخصص باختياره وبطيب نفسه .

٣ ــ تساوى المـشتركين فى القدر الذى يـدفعونه مساهمة فـى الصندوق ، إلا من تبرع بأكثر فلا منع .

٤ ــ أن يتسـاوى المشتركون فيما يـعطاه أحدهم عند نزول الحـادثة ، وإصابة المصيبة .

٥ ــ إذا انسحـب العضو من المنظمـة مللاً ، أو عجزاً ليس له أن يـطالب بما دفعه فى الصـندوق ، لأنه دفعه بنيّة البر والـصدقة ، فليس له أن يعود فـيه لقوله ﷺ : « العائد فى هبته كالعائد فى قيئه » (رواه البخارى) .

٦ ــ أن لا يستخدم المـال المتجمع فى الصندوق فى الأعمـال الربوية من أجل تنميتـه أو لغرض آخر .ولا بأس أن ينمى بطـرق خالية من الربا ، جائـزة التعامل كالتجارة والصناعة وغيرهما .

٧ ــ الهيئـة القائمة على الصـندوق كالكاتب والمحاسب والمحـافظ ، يأخذون أجرة أمثالهم من الصندوق مقابل أعمالهم .

[**تنبيه**] لا بأس بأن توقف الأوقاف الخيرية على مثل هذا الصندوق الخيرى التعاونى لأنه صندوق بر وإحسان تنفق أمواله على أصحاب النوائب والنكبات .

كما لا بأس بتشجيع الحكومة له ، بمال من خزانة الدولة .

---

(١) المائدة : ٢ .

(٢) البلد : ١٧ .

الباب السابع

فى الأعمال الخارجية للخلافة

وفيه فصلان :

الفصل الأول

فى علاقة الخلافة بالأمم والشعوب خارج حدودها

وفيه ست مواد :

المادة الأولى: فى بيان أنواع العلاقات :

العلاقات التى يمكن أن تكون بين الخلافة والدول المجاورة لها والبعيدة عنها هى:

العقيدة الإسلامية ــ الجوار ــ المنافع المتبادلة .والخلافة تعامل كل ذات علاقة من هذه معاملة خاصة بها حسب شريعة الإسلام التى هى قانونها الذى تحكم به.

المادة الثانية: فى بيان معاملة الدولة ذات العلاقة الإسلامية .

تعامل الخلافة الدولة والأمة الإسلامية المجاورة لها ، أو البعيدة عنها على أساس قول الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ (١) . وقوله جل جلاله: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ (٢) .وقول الرسول ﷺ :«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » فمتى كانت تلك الأمة مستقيمة على الإسلام كان لها حق المناصرة وواجب الدعم والتأييد . وإن كانت منحرفة عن الإسلام وشرائعه كان لها حق النصح ، وواجب التوجيه والتسديد حتى تفىء الى الحق وتستقيم على الشرع .

المادة الثالثة: فى معاملة الدولة التى علاقتها الجوار .

---

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) المائدة : ٢ .

فإن كانت الدولة المجاورة غير مسلمة فالخلافة تعاملها على أساس معاهدات : عدم الاعتداء وحسن الجوار ، على نحو مهادنة الرسول ﷺ لطوائف اليهود الثلاث بالمدينة عند هجرته إليها ، وإقامة الدولة الإسلامية بها فإن نقضت تلك الأمة المجاورة المعاهدة بالتعرض لأفراد المسلمين والمواطنين من غيرهم بالأذى ، أو لحدود الدولة بالاستيلاء ، أو الاعتداء ، أو صدت من يدعو إلى الإسلام فى ديارها ، أو تعرضت لمن أسلم من رعاياها بالأذى من أجل عقيدته وإسلامه ، فإن الخلافة تلغى المعاهدة من جانبها ، ثم تعرض عليها الإسلام ، أو الدخول فى حماية الإسلام بأن تصبح فى ذمة الخلافة بدفع أفرادها جزية معلومة ، أو القتال حتى يحكم الله بين الخلافة وبين أعدائها الكافرين .

المادة الرابعة : فى معاملة الدولة التى علاقتها المنافع المتبادلة .

تعامل الخلافة الدول التى لا تربطها بها سوى رابطة المصلحة المشتركة والمنفعة المتبادلة ، معاملة تلك الدولة لها مثلاً بمثل وسواء بسواء ، مع زيادة السماح للدعاة المسلمين بنشر الدعوة الإسلامية فى بلادها ، وبين أفراد رعاياها ، فإن منعت ذلك، أو تصدت للدعاة أو المسلمين فيها بأى أذى أو اضطهاد ، قطعت الخلافة علاقاتها معها ، واعتبرتها دولة غير صديقة لها ، وتركت كل تعامل معها حتى تتعهد بإخلاص لعدم التعرض لدعوة الإسلام والمسلمين فى بلادها بأى سوء أو أذى ؛ وذلك لأن الخلافة تنشئ دائماً علاقاتها مع الدول على أساس نشر الإسلام وإبلاغ دعوة الحق الى الخلق من الناس أجمعين .

المادة الخامسة : فى معاملة أهل الذمة .

أهل الذمة وأحكامهم ، وبيان معاملاتهم كل ذلك مبين فى المادة الثانية من الفصل الأول فى قسم الأحكام القضائية والجنائية من هذا الدستور فليرجع الى ذلك .

المادة السادسة : فى معاملة المحاربين ، ومعاهدتهم والصلح معهم .

أحكام المحاربين والهدنة والمعاهدة والصلح ، كل ذلك مبين فى المادة التاسعة فى الأصل الأول من قسم الأحكام القضائية والجنائية من هذا الدستور فليرجع إليه هنالك .

الفصل الثانى

فى تبادل الخلافة السفارات مع الدول

وفيه ثلاث مواد :

المادة الأولى: فى بيان الغرض الذى من أجله تفتح الخلافة سفارات لها فى دول أجنبية .

لا تفتح الخلافة سفارة لها فى دولة أخرى إلا لغرض سليم يحقق منفعة للدولة ، وذلك كأن يكون هناك رعايا مسلمون ، أو يكون هناك علاقات تجارية ، أو ثقافية تستلزم وجود ممثل للخلافة فى تلك البلاد . وأهم من هذا وذاك أن تفتح السفارة من أجل التوصل بها الى نشر الدعوة الإسلامية ، والقيام بواجب إبلاغ دعوة الإسلام إلى سكان تلك البلاد ، فهذا أسمى غرض وأنبله ، تفتح من أجله السفارات الإسلامية فى دول أجنبية وتتحمل خزانة الدولة من أجله باهظ التكاليف والنفقات .

المادة الثانية: فى بعض أنظمة خاصة بالسفارات .

ينبغى أن يراعى فى شأن السفارات التعاليم التالية ، وأن تطبق فى ذلك تطبيقاً كاملاً وبكل دقة ، وتلك التعاليم هى :

١ ــ عدم فتح أية سفارة أو ممثلية للخلافة وفى أية دولة ، إلا لتحقيق الأغراض المذكورة فى المادة الأولى من هذا الفصل . وذلك من أجل الحفاظ على أموال الدولة ، وحتى لا تنفق فى غير طائل وذلك حرام .

٢ ــ وجوب الاكتفاء بأقل ما يمكن من أعضاء فى السفارة ، وذلك كالسفير وكاتبه ، وهو نائبه ، وخادم ، ورجل الدعوة وعضوان معه ، وحارس لا غير ، وذلك من أجل تقليل النفقات .

٣ ــ وجوب تقيّد أعضاء السفارة أو الممثلية بالزى الإسلامى الكامل ؛ ليكون مظهرهم موافقاً لمخبرهم ودالاً على إسلامهم ، ومميزاً لهم عن غيرهم من

أهل الكفر .

وعليه فلا يسمح لأى عضو فى السفارة أن يتزيّا بغير الزى الإسلامى كيفما كانت الاعتبارات ، وذلك لما فى الزى الخاص من لفت النظر واسترعاء الانتباه إلى الإسلام .

٤ ــ تعيين مراقب خاص للسفارات ينتقل بينها ويراقب أعضاءها ، ويلاحظ سلوك كل فرد منهم . وأيما فرد يُخل بهذه النظم الخاصة ، أو ينحرف أى انحراف فى خلقه أو دينه يجب تأديبه ، وإبعاده ؛ كل ذلك للإبقاء على الوجه المشرق للدعوة الإسلامية متمثلاً فى أفرادها القائمين بها والساهرين عليها .

المادة الثالثة: فى كون السفارة مركزاً للدعوة الاسلامية .

يجب أن يضم مبنى السفارة فى كل بلد أجنبى توجد فيه للخلافة سفارة ؛ حجرة واسعة وكبيرة لتتخذ مسجداً يؤذّن على سطحها ، وتقام الصلوات الخمس فيها . فعندما يدخل وقت الصلاة يؤذن المؤذن بأعلى صوته ، ويصلى أعضاء السفارة ومن وجد من المسلمين معهم ، يؤمهم فيها رجل الدعوة فى السفارة ، والمخصص لها . وليتخذ من هذا المسجد الصغير داراً لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغها فى تلك البلاد .

ففى هذا المسجد الصغير يجلس أعضاء الدعوة يعرّفون بالإسلام كل من يريد معرفته ويعلمون مبادئه وشرائعه كل من يريد أن يتعلمها .

ومن هذا المسجد توزع الكتب والرسائل والنشرات الإسلامية .

وفى هذا المسجد ايضاً يتم التلاقى وتحصل الاجتماعات مع كل فرد يريد الإسلام أو التعرف إليه .

وأخيراً ، فبهذا يمكن أن يسقط واجب الدعوة الى الإسلام المتعلق بكل فرد مسلم قادر ، وبخاصة حكومة الخلافة والمسلمين .

الباب الثامن

فى هيئة الافتاء ـ أو المجلس التشريعى

وفيه فصل واحد : به ثلاث مواد :

المادة الأولى: فى وجوب تكوين هذه الهيئة ، أو المجلس .

يجب أن تكون فى الخلافة هيئة إفتاء أو مجلس تشريعى بحكم قول الله تعالى: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ (١) .

وقوله جل وعلا : ﴿ **فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾(٢) .

المادة الثانية: فى تحديد أعضاء هذه الهيئة .

قد يحسن أن يحدد أعضاء المجلس التشريعى بخمسة أعضاء ، بعد أن يكونوا قد اختيروا على علم من كافة ديار المسلمين بحيث يكونون أفقه وأعلم وأصلح ما فى العالم الإسلامى من رجال العلم والفقه .

المادة الثالثة: فى بيان مهمة هذا المجلس .

تنحصر مهمة المجلس التشريعى أو هيئة الافتاء فى عرض كل مسألة تحال إليها من مجلس الخلافة . على الكتاب والسنة ، والحكم فيها بالجواز أو المنع ، وذلك فى كافة الشؤون والأحوال .

ويجب أن يكون حكمها نافذاً ؛ فلا يجوز لأى فى الدولة ولو كان الخليفة نفسه أن يرفض حكماً حكمت به أو يهمله ، ولا يلتفت إليه ؛ لأن حكمها من حكم الله تعالى ،وحكم الله نافذ ، ولا معقب له .

كما يجب أن يحال الى هذا المجلس كافة المسائل التى لا نص لها فى هذا الدستور ، قبل الإعلان عنها والعمل بها ، وفى كافة ما يتعلق بشؤون البلاد والعباد ، فإن أقرها المجلس التشريعى أثبتت فى الدستور ووجب العمل بها ، وإن رفضها ولم يقرها رفضت ، ولم يجز العمل بها .

---

(١) النحل : ٤٣ . (٢) النساء : ٥٩ .

قسم

الأحكام القضائية والجنائية

وفيه ١٢ فصلا و (٨١) مادة [١]

مقدمة

بسم الله ، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

إيماناً بأن الحكم لله تعالى دون سواه ، وذلك لقوله عز وجل : ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ [٢] . وقوله : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ [٣]

وما القضاة إلا مبينون لأحكام الله تعالى ، ومظهرون لها . وما خليفة المسلمين ونوابه إلا منفذون لتلك الأحكام الإلهية التى يظهرها القضاة بما آتاهم الله من فهم لشريعته ، وعلم بها ؛ فإن الخلافة الإسلامية فى هذه الديار ، تقرر بصدق أن مادة الحكم فى جميع الشؤون والأحوال فى هذه البلاد لا تخرج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما فهمه علماء السلف منها ، واستنبطوه ، وما قد يفتح الله تعالى به من فهم فى كتابه على علماء مجلس الإفتاء فى هذه الديار الإسلامية ، والذى هو المجلس التشريعى فى هذه الخلافة الذى ترفع إليه كل حادثة وأمر يستجد ليعرضه على الأصلين : الكتاب والسنة ، فما وافقهما كان شرعاً وقانوناً ، وما لم يوافقهما يلغى ، ويضرب به عرض الحائط ، وليس لأحد أن يحكم به ، أو يعمل ، كائناً من كان .

وذلك طاعة لله ورسوله ، وتحقيقاً لمبدأ إيماننا بأن الإسلام نظام إلهى موضوع

---

(١) جميع هذه الفصول والمواد موجودة فى كتاب « منهاج المسلم » للمؤلف .

(٢) يوسف ٤٠ ، ٦٧ .

(٣) الأعراف : ٥٤ .

لتكميل الإنسان وإسعاده ، فى الدار الـدنيا ، وفى الآخرة . وحتى يشعر كل فرد من مسلم وذمّى فى هذه الديار الإسلامية بأن جـميع الأحكام التى تصدر عليه فى القليل والكثير ، ويطالب بتنفـيذها فى نفسه أو ما له ؛ إنما هى أحكام صادرة عن الله تعـالى ربِّ الجمـيع ، ومالِكِ الـكل ، والذى يجـب التسـليم لـه فى حكـمه وقضائه .

وأنه لا سـلطان عـلى أحـد فى هذه الأمـة إلا سلطـان الله عز وجـل . وما الخليفة وسلطته التنفيذية إلا منفذون لأمر الله تعالى وحكمه .

وإن القضاة والمفتين ليسوا إلا مبينين لحكم الله تعالى ، ومظهرين له .

وبناء عـلى هذا فإن الاحكـام الجنائية والـقضائية المـدونة في هذا القـسم من الدستور ، والتى هى أحكام شرعية مستندة الى أدلتها من الكتاب والسنة وما فهمه واستنبطه مـنهما فقهاء السلف الصـالح رضوان الله تعالى عليهم أجمـعين . تعتبر مادة الحكم فى كافة ديار الخلافة ، يحكم بـها القضاة على كافة افراد الأمة رؤساء ومرؤوسين ، أغـنياء وفقراء ، وتـنفذ فيهـم على حد سـواء ، ومن لم يسلـم بها ويتحاكم عند قضاتها اعتبر غير مسـلم ، وحرباً على المسلمين ، تجرى عليه أحكام المحاربين . قال تعالى : ﴿ **وإن تنازعتم فى شىء فـردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حـتى يحكموك فيما شجـر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا تسليما** ﴾ (٢) .

---

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) النساء : ٦٥ .

تقديم

توحيداً لعقيدة المسلمين الذين تظلهم راية الخلافة الإسلامية . وطلباً لنجاة كل فرد فى هذه الأمة المسلمة فى ديار الخلافة الإسلامية .

فقد رأينا أن تكون عقيدة السلف التى هى عقيدة النبى ﷺ وأصحابه والتابعين وتابعيهم من أهل القرون المفضلة ؛ ولانها العقيدة المجمع على سلامتها ، ولانها الحق الذى نزل به كتاب الله ، وبينته سنة رسول الله ﷺ .

وبناء على هذا فإنه لا يسمح لأى فرد من افراد الخلافة ، وكيفما كان شأنه، أن يعتقد غير هذه العقيدة السلفية التى هى عقيدة الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين، وتابعيهم من أهل القرون المفضّلة الأولى .

ومن رغب عن هذه العقيدة المحققة السلامة ، والضامنة لأصحابها النجاة بإذن الله تعالى ، الى غيرها من عقائد الخلف المختلفة المتنوعة ، والتى هى محفوفة بالمخاطر ، وغير مأمونة الجانب ،وأثرها فى تفريق المسلمين وتشتيت شملهم معروف لا ينكر ، ومعلوم لا يجحد .

فإن الخلافة تعتبره شخصاً غير كامل الرشد يتعين عليها أن تستتيبه ثلاثاً بالعودة الى عقيدة أهل القرون المفضلة أصحاب رسول الله والتابعين ، فإن تاب وإلا جرّدته من التبعية لها ، ونفته خارج حدودها ، ويومئذ لا يلومن إلا نفسه .

كما أن الخلافة لا تسمح لأى كان أن يطعن بالقول أو الكتابة فى عقيدتها بحال من الاحوال ، لا سراً ولا جهراً ، وتعتبر الطعن بالقول أو الكتابة فى عقيدتها التى هى عقيدة السلف الصالح ، طعناً فى الاسلام ذاته ، والذى هو مادة قانونها ، ودستور حياتها .

وعليه فإنها لا تسمح لشخص يطعن فى عقيدتها أن يبيت أكثر من ثلاث داخل حدودها ، فالنفى والإبعاد هما جزاء كل من يرغب عن عقيدة السلف فى هذه

الديار ، لأن من رغب عـن عقيدتهم فليس مـنهم ، ومن لم يكن منـهم فهو من غيرهم ، وعليه فليخرج من ديارهم ، وليكن مع من شاء .

هذا هو الاجراء العادل الرحيم تتخذه الخلافة حفاظاً على الاسلام ، ووحدة المسلمين فى هذه الديار الإسلامية . والله وليها وهو حسبها ونعم الوكيل .

قســم العقـائـــد

وفيه سبعة عشر فصلا [1]

(١) جميع هذه الفصول توجد مطبوعة فى كتاب « منهاج المسلم » للمؤلف .

الرِّسَالة السادسَة عَشرَة

أكبر مَشرُوع لإعَادة مَجد العَرب

وإنقاذ فلسطين

أسس المشروع

١ ـ الاعتراف بأخطاء الماضى السياسية والاجتماعية والعسكرية .

٢ ـ نكران الذات والذوبان فى روح الجماعة .

٣ ـ الإيمان الجديد برسالة العرب الإسلامية المقدسة .

٤ ـ هدم ما كان من حياة الباطل التى عاشتها أمة العرب زمناً غير قصير .

٥ ـ بناء جديد للمجتمع العربى يقوم على الدعائم التالية :

١ ـ توحيد العرب فى مجتمع واحد تحت راية واحدة وحكومة وقانون واحد من المحيط الى الخليج .

٢ ـ الاستقلال الكامل عن كل الدول غير الإسلامية .

٣ ـ الارتباط الوثيق بالدول والشعوب الإسلامية .

٤ ـ الانجاز السريع والسرية التامة .

٥ ـ القضاء على الوجود الصهيونى فى أرض العرب .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

تمهيـــد

إن درس الأسبوع الأخير من شهر صفر عام ٨٧ هـ الذى تلقته أمة العرب أمة محمد ﷺ وفى ديار العرب قاطبة كان درساً من أقسى الدروس وأشدها ألماً على النفوس ، وأكثرها اشتعالاً فى القلب ، وحرارة فى الكبد . ذلك الدرس الذى لقنتنا إياه ــ على غير استعداد منا ــ عصابات اليهود . ذلك الدرس الذى تمثل فى تحطيم أكثر قوانا وموت الآلاف من أبنائنا ، واحتلال جزء غال من أرضنا وافقدنا ثانى قبلتينا ، وثالث حرمينا المسجد الأقصى وياللخسران ؟ !

ذلك الدرس القاسى المرير قد تعلمنا منه ــ والعلم ينفع ــ ما يلى :

١ ــ أننا نحن أمة العرب كنا مخطئين فى تقديرنا للحياة وما تطلبه منا للبقاء والسيادة ، والعزة والكرامة .

٢ ــ أننا كنا مخطئين عسكرياً وسياسياً واجتماعياً .

٣ ــ أننا أمة العرب من المحيط إلى الخليج نتعرض حقاً وعاجلاً لا إلى سلب حريتنا واستقلالنا فحسب بل إلى فناء شامل ودمار تام ، وليس على يد الصهيونية العالمية والاستعمار الغربى فقط بل وعلى يد العالم الشيوعى كذلك .

٤ ــ أننا لم نجد ولن نجد فى دول العالم أجمع وشعوبه كافة من يتحمل معنا مسئوليتنا ، ويشاركنا بصدق فى آلامنا وآمالنا أبداً .

٥ ــ توحيدنا نحن أمة العرب ممكن ، وليس من المستحيل أبداً ، وأن من المرجو أن نصبح فى يوم ما من الأيام أمة واحدة لا حدود بينها ، ولا فواصل تفصلها، أو فوارق تفرق بينها .

٦ ــ أن مسئولية انقاذ هذه الأمة العربية باجيالها القادمة ملقاة على عاتق كل عربى لا فرق بين حاكم ومحكوم ، أو سائد ومسود .

٧ ـ أن النقطـة التى وقف عليها عقـرب ساعة حياة أمة العرب اليـوم تتطلب جهاداً مريراً وعملاً جاداً سريعاً ، وفى صمت خال من الضجيج والعجيج ، حتى تعود الى الحـياة الشريفة من جديـد ، وينتظم سيرها الـى غاياتها البعيـدة فى حياة العزة والكرامة وقيادة البشر أيضاً .

وبنـاء علي هـذا كله فـإنا نتـقدم الى أمـة العرب ـــ فى كل بـلادها شعـوباً وحكومات ـ بوجهـة النظر هذه والمتمثلة فى هذا المخـطط لإعادة مجد العرب ، وإنقاذ فلسطين ، وللحيلولة دون قوى الشر المستهدفة كيان أمـة العـرب ووجـودها وها نحـن نضعها ـ مـشروعاً ـ بين يـدى ملوك ورؤساء الأمة ، وندعـوهم الى التجرد الكامل فى هذه القضية المصـيرية : قضية إنقاذ شرف أمة العرب ، والإبقاء على وجودها المتعرض اليوم للزوال والفناء . ندعوهم الى الإخلاص التام فى هذه القضية الكبرى بحيث تذوب أطماع الإنـسان وتتلاشى أغراضه الخاصة ، وتختفى أنانيته الفردية ويصبح من روح الجماعـة لا ذات له ولا كياناً يعمل لحسابه أو يفكر فيـه . ندعوهم فـى لهفـة الى التضـحية بـاعتبـاراتهم الشـخصيـة ، ومناصبـهم الحكومية، ومراكزهم العالية . ندعوهم ونحن نعرف الي ما ندعوهم إليه ندعوهم الى الجهاد المرير ، والفداء القاتل ، والتضحية المميتة كل ذلك فى سبيل انقاذ ديار العروبة ديار الإسـلام ، وأمة العروبة أمة الإسلام ورسالة الإسلام حـيث تتعرض كلها للزوال والفناء .

ندعوهم الـى أن يضحوا بأنفسـهم فيسيروا فـى هذا الطريق الصعـب الشائك الذى لا بد من السير فيه لانقاذ الوجود الـعربى ، والحفاظ على كرامة أمة العرب ورسالتها فى الحياة .

وهذا هو نص المشـروع الذى نتقدم به فليـدرسوا أسسه ، وليتفهـموا أهدافه ومراميه ، وليحيلوه الى عقيدة ، وليتـرجموه الى عمل ، ويخرجوا به على الدنيا من جديد بأمة واحدة لا مـطمع فى تقسيمها ، وقوة واحدة لا مـجال لاضعافها ، وشعب واحد قوى يفرض على كل أعداء الأمة العربية وجوده واحترامه.

أسس المشروع مفصلة

أ ــ الاعتراف بأخطاء الماضى السياسية والاجتماعية والعسكرية

١ ــ الخطأ السياسى :

يجب أن نعترف ــ مستغفرين الله تعالى بأننا أخطأنا أكبر خطأ سياسى وذلك بتقسيمنا الوطن العربى الواحد الى أوطان شتى متعددة ، وفى توزيعنا المجهود العربى الواحد الى مجهودات متفرقة . وفى تقسيمنا الحكومة الواحدة الى حكومات متعددة وفى تقسيمنا الفكر العربى الواحد إلى أفكار شتى : شرقية وغربية ، يسارية ويمينية ، تقدمية ثورية ورجعية امبريالية .

وأخطأنا أكبر خطأ سياسى عندما لم نعترف بضعفنا وواقع حياتنا ، ونعمل على تقويتنا مستقلين فى قوتنا عن كلا المعسكرين الشيوعى والمسيحى ، لقد كنا ويعلم الله غير مستقلين حتى فى لقمة العيش فضلاً عن تسليحنا وآرائنا وأفكارنا . وأن كل الذى نتلقاه من الشرق أو الغرب مما قل أو كثر لا يخرج عن دائرة أنه ثمن ندفع سلعته غالية ندفعها من عقائدنا ، من أخلاقنا ، من أفكارنا ، من كرامتنا واستقلالنا . ومع هذا نتنافس فى هذا البيع الرخيص ، ونتسابق إليه وننصب أنفسنا دعاة لبعضنا عليه ،وسماسرة له حتى فاجأنا الأسبوع الأخير من صفر ٨٧ هـ ففتحنا أعيننا علي واقع مر ووضع بغيض كريه .

وأخطأنا سياسياً عندما أوجدنا عوامل القطيعة بيننا ، وأسرفنا فى إشاعة الشكوك والريب فى صفوفنا ،وإثارة الإحن والأحقاد فى نفوسنا ، وأبحنا لأنفسنا من قالة السوء ، والكذب والبهتان ، والسب والشتم ما لم يقدم عليه أمم الكفر الذين يعيشون بلا خلق ولا دين .

وأخطأنا سياسياً عندما أسرفنا فى تهديد إسرائيل وإيعادها بكل قاصمة للظهر مبيد للوجود ، مما جعلها تسرف أكثر ، ولكن في غير كلام التهديد والوعيد ، وإنما فى الإعداد العسكرى الذى أصبح يفوق ما لدينا من قوة عدة مرات ، والواقع يشهد . هذه بعض أخطائنا السياسية وإنه والله لو توفر بعضها لإسرئيل لما

استطاعت أن تعيش إلى اليوم فضلاً عن أن تغلبنا وتهزم جيوشنا ؛ وتستولى على أغلى أراضينا وأعز مقدساتنا « المسجد الأقصى » وما حوله .

٢ ــ الخطأ الاجتماعى :

ونعترف مستغفرين الله تعالى بأن مجتمعنا العربى ضعيف روحاً وجسماً فهو مجتمع بحسب الواقع تتحكم فيه العواطف الهوجاء ، وتستبد به الشهوات الجامحة، وتعيث بعقوله الأفكار المختلفة ، وتتقاسمه المذاهب المتعددة ، وتتجاذبه التيارات المختلفة ، فهو والحق يقال مجتمع أكثر أبنائه فاقدون للوعى الصحيح ، والادراك الصحيح والتفكير السليم والفهم السليم ، كل ذلك كان نتيجة لاهماله ، وعدم تربيته التربية الصحيحة التى يمليها تاريخه ، وتأمر بها شريعته ويوحى بها مركزه بين الأمم والشعوب .

وضعفه الجسمى لا يقل عن ضعفه الروحى فإن نسبة القادرين فيه على تحمل أعباء الجهاد ، والقيام بمسؤولية الدفاع لا تزيد بحال عن ٥٪ من مجموع المائة مليون عربى . وذلك أيضاً لعدم تربيته جسمانياً وإعداده لحياة الجهاد والنضال بالتدريب العسكرى والتمرين على كافة وسائل الدفاع والمقاتلة .

٣ ــ الخطأ العسكرى :

ونعترف مستغفرين الله تعالى بخطئنا العسكرى إذ أننا لم نعدّ للمعركة الخاسرة ما أعد لها عدونا ، ولم نهيئ لها ما هيأ هو لها ، وليس أدل على ذلك من شل قواتنا فى أقل من ثلاثة أيام حتى عجزنا عن الدفاع فضلاً عن الهجوم والاحتلال .

ووجه ذلك أن مائة مليون عربى ليس لها مليون جندى ولا تملك من الطيران والطيارين ثلاثة آلاف طيارة ولا ألفى طائرة فى حين أن العدو وهو مليونا نسمة على أكبر تقدير يملك جيشاً يزيد أفراده على المليون جندياً ويملك من الطيران والطيارين مالا نملكه نحن مائة مليون عربى . وهذا من الخطأ الفاحش والذنب العظيم ،إذ هو مخالفة صريحة لأمر الله تعالى فى قوله: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ فلنسأل أنفسنا ، هل بذلنا حقاً كل ما فى استطاعتنا فى باب التسليح وإعداد القوى ؟ فنكون قد أرضينا ربنا واستوجبنا نصره وتأييده ؟

هذا ما نشك فيه ، وآية ذلك أن الله تعالى قد حرمنا نصره وتأييده ، ولذلك خذلنا وانهزمنا شر هزيمة أمام العصابات اليهودية لعنة الله عليها .

الأساس الثانى

ب ـ نكران الذات ، والذوبان فى روح الجماعة . إن المقصود من هذا الاساس أن يذوب أفراد أمة العرب من المحيط إلى الخليج حكاماً ومحكومين فى ذات الجماعة العربية حتى يكونوا كالجسم الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى ، وحتى تنعدم الفوارق والحدود ، والفواصل بين العرب كلهم ، ويكون العربى فى جنوب الجزيرة كالعربى فى صحراء المغرب ، والعربى فى الدار البيضاء كالعربى فى بغداد . وحتى تختفى كلمة « أنا » « وبلادى » ويحل محلها نحن وبلادنا . وهكذا حتى تذوب كل الفوارق ، وتنتهى كل المميزات بالجملة والتفصيل ، ولم يبق إلا الروح الواحد والجسم الواحد فى البلد الواحد ، وليس هذا من المحال على الشعب العربى الذى يدين بدين الحق ، ويؤمن بصدق قول الرسول ﷺ :« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ». وإن جولة واحدة لجماعة من العلماء فى بلاد العرب تدعمها إذاعة وصحافة كل العرب تنتهى حتماً بصهر أمة العرب كلها فى بوتقة واحدة ، والخروج بها جسماً واحداً يشعر بشعور واحد ويفكر بتفكير واحد .

الأساس الثالث

جـ ـ الإيمان الجديد برسالة العرب المقدسة :

يجب أن نجدد إيماننا بأن للعرب رسالة مقدسة حملوا مسؤولية نشرها فى العالمين، وإبلاغها الي الناس أجمعين . تلك الرسالة تتلخص فى النقاط التالية :

● هداية الخلق الي معرفة خالقهم ، وعبادته عبادة تؤهلهم لسعادة الدنيا

والآخرة.

- تحرير البشر من أسر الجهل ، وقيود الظلم ، وأغلال الاستبداد والاستعباد البشرى .
- نصر قوى الحق والخير فى الأرض ، وخذل قوى الباطل والشر فيها.
- بسط سلطان العدل فى ربوع الأرض ، ونشر الهدى والخير بين العالمين .

ومن هنا كان لزاماً على أمة العرب لنشر هذه الرسالة المقدسة ، وإبلاغها إلى الناس أجمعين من الأخذ بالأسباب الآتية :

١ ـ هجر حياة اللهو واللعب بالكلية فلا مجال لديها للهو واللعب أياً كان نوعهما فلا مسارح ، ولا مسابح ولا مراقص أو مقاصف .

٢ ـ ترك السرف ، وحياة البذخ والابتعاد عن كل تورط فى ملاذ الحياة الخارجة عن حدود العدل والقصد تمشياً مع قول الله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ .

٣ ـ بناء حياة الأمة على أساس الجهاد ، وما يتطلبه من تعبئة الجهود والطاقات ، وإعداد النفوس والأرواح حتى تألف ذلك ، ويصبح خلقاً لها وعادة لا يسهل عليها تركها أو العدول عنها .

الأساس الرابع

د ـ هدم ما كان من حياة الباطل التى عاشتها أمة العرب زمناً غير قصير .

والمراد من هذا أن نحدث تغييراً جذرياً فى كل حياتنا البعيدة عن الحق المجانبة للصدق ، ومن ذلك :

١ ـ محو الخداع النفسى الذى كنا نخادع أنفسنا والغش الذى كنا نغشها به . فقد عشنا منذ زمن بعيد إلى اليوم ونحن بعيدون عن الإسلام مجانبون لتعاليمه نصّا وروحاً ، وندعى اننا مسلمون ، مؤمنون وهو غش منا وخداع لأنفسنا .وإلا فأين آثار الإسلام فى نفوسنا ، وأين مظاهره فى مجتمعاتنا ، وأين نتائج تلك

التعاليم الحكيمة فى واقع حياتنا ؟ ؟

٢ ـ إزالة نفسية التهرب من الحقائق وعدم مجابهتها بعزم وصدق . وإبدالها بروح قوية تعترف بالخطأ ، وتعمل على إصلاحه ، وتقبل النقد النزيه ، والتوجيه الصحيح وتنتفع بهما فى الإصلاح والعمل والإنتاج .

٣ ـ تغيير عقيدة أن الانتساب إلى الإسلام كاف فى اسعادنا في الدار الآخرة، وفى حمايتنا من الزوال والفناء فى هذه الدار ، بعقيدة أن الإسلام لا يكون له أى أثر فى حياتنا الأولى والآخرة إلا إذا أخذنا به عقيدة وعبادة وخلقاً ونظاماً وقانوناً وحكماً .

٤ ـ تغيير فلسفة الخداع بأن أمة العرب يمكنها أن تستغنى عن الإسلام ، وتبنى حياتها بعيدة عنه ، منفصلة عن كل شرائعه وقوانينه ، وتعز وتسعد فى هذه الحياة، بعقيدة :أن لا عزة ولا سعادة لأمة العرب إلا بالإسلام عقيدة ونظاماً وعملاً ، وقانوناً وحكماً .

الأساس الخامس

هـ ـ بناء جديد للمجتمع العربى يقوم على الدعائم التالية :

الدعامة الأولى :

توحيد العرب فى مجتمع واحد .

وذلك بتشكيل مجلس حكومة عربية يتكون من جميع ملوك ورؤساء حكومات البلاد العربية ، ويطلق على هذا المجلس اسم « حكومة الولايات العربية المتحدة » ويجرى على الفور العمل فى تحقيق الخطوات التالية :

١ ـ تشكيل هيئة من كبار العلماء المسلمين لوضع دستور لحكومة الولايات العربية المتحدة على أن لا تخرج كافة مواده وبنوده نصاً وروحاً عن الشريعة الإسلامية بحيث يطمئن كل عربى الى أنه محكوم بشريعة ربه ، وأن الحكومة ما هى إلا سلطة تنفيذ لا غير ، وعلى أن يشمل هذا الدستور كل شؤون الحياة ولا يغفل طرفاً منها ولو قل بحال من الأحوال .

٢ ـ تكوين مجلس شيوخ يضم كبار العلماء فى البلاد الإسلامية ليكون

المرجع الأعلى لحكومة الولايات العربيـة المتحدة بحيث لا تصـدر أمراً ، أو تضع لائحة فى شأن ما من شؤون الدولة إلا بموافقـته وتقريره وسواء ذلك فى السلم أو الحرب ، فى السياسة أو الاقتصاد .

٣ ـ تكوين هيئـة دفاع لحكومة الولايات العربية المتـحدة من وزراء الحربية ، وقواد الجيوش وأركانها يطلق عليها اسم « وزارة الدفاع » لحكومة الولايات العربية المتحدة .

٤ ـ تكوين هيـئة اقتصاد ومال تضم رجال المال والصنـاعة والتجارة والثروة المعدنية فـى بلاد العرب اليوم يطلـق عليها اسم «وزارة المال والاقتـصاد » لحكومة الولايات الـعربية المتـحدة . وتباشر عـملها فـوراً فى حصر موارد الـدولة ووضع ميزانية لها .

٥ ـ اعتبار الحكومات العربية الحالية حكومات ولايات تابعة للحكومة المركزية العامة المسماة بحكومة الولايات العربية المتحدة .

٦ ـ نسخ جميع الأنظـمة والقوانين السائدة فى البلاد العربيـة اليوم بالقوانين والأنظمة الجديدة التى نظمها الدستور الإسلامى الجديد الموضوع لحكومة الولايات العربية المتحدة .

٧ ـ اعتـبار الحدود القائـمة بين الأقاليـم العربيـة اليوم ملغـاة ، وأن الوطن العربى وطن واحد من المحيط إلى الخليج ويتبع ذلك فوراً ما يلى :

١ ـ توحـيد السياسة الخـارجية باعتبـار جميع السفـارات والقنصليـات اليوم سفارات وقـنصليـات حكومة الـولايات العربيـة المتحدة ، والـعمل الفـورى على إصلاح تلك السفارات وتعديلها . ودمجها فى بعضها .

٢ ـ إصدار عملة جديدة تحمل اسم حكومة الولايات العربية المتحدة ، وإلغاء ما عداها من سائر العمل المتداولة اليوم فى البلاد العربية .

٣ ـ إعـطاء المواطـنين العـرب حقائـب نفوس جـديدة تحمـل اسم حكـومة الولايات العربية المتحدة .

٤ ـ ربط سائـر الولايات العربيـة المتحدة من المحيـط غرباً إلى الخليـج شرقاً بخطوط مواصلات جوية وبرية وبحرية قوية بحيث تجعل المواطن العربى يتنقل فى

كل الولايات العربية عاملاً أو تاجراً ، وكأنه يتنقل فى اقليم واحد . كما تسهل مهمة الدفاع عن الوطن العربى وتجعل تنقل القوات من ثغر الى ثغر من السهولة والسرعة بحيث يمكن صد أى اعتداء فى أسرع وقت وبأقل تكليف.

الدعامة الثانية :

الاستقلال الكامل عن كل الدول غير الإسلامية .

وذلك بأن تعمل الحكومة فوراً على وضع خطة شاملة للاستغناء التدريجى السريع عن كل ما لا تنتجه مصانعها أو تخرجه أرضها ، أو يوجده فكر أبنائها ، حتى لا يمضى إلا يسير زمن وهى تعيش علي الاكتفاء الذاتى فى جميع المجالات . ومستقلة تمام الاستقلال بحيث يمكنها أن توالى من تشاء وتعادى من تشاء من الدول والشعوب فى غير حاجة أو ضعف .

الدعامة الثالثة :

الارتباط بالدول الإسلامية .

تعمل حكومة الولايات العربية المتحدة علي توثيق الصلات وتمتين الروابط الصادقة بينها وبين سائر الحكومات والشعوب الإسلامية ، ولا تدخر وسعاً فى نصح تلك الشعوب والحكومات ، ومساعدتها والأخذ بيدها في كل ما تحتاج إليه بوصفها الأمة القائدة والموجهة للمسلمين وبحكم الإمامة التى للعرب علي المسلمين؛ إذ العرب هم آل محمد ﷺ وورثة شريعته ، والأمناء عليها وعلى أتباعه من بعده ، وليس أدل على ذلك من أنه لم يصب المسلمين ما أصابهم من ضعف وذل إلابعد ما ضعف العرب وذلوا ، وذلك مصداق قول الرسول ﷺ :«إذا ذلت العرب ذل الإسلام ».

الدعامة الرابعة :

الانجاز السريع ، والسرية التامة .

يجب أن يتسم عمل الحكومة الموحدة في كل المجالات بسمتين :

الأولى : السرعة في الانجاز فما يقدر له سنة يجب أن يتم فى شهر ، وما قدر له شهر يجب أن يتم فى أسبوع وهكذا مسابقة منها للزمان وتطوراته

السريعة، وحتى تخرج فى أقرب وقت من دائرة التخلف المادى الذى عاشته أمة العرب زمناً طويلاً .

الثانية : يجب أن تختفى من محيط حكومة الولايات العربية المتحدة جميع مظاهر الادعاءات الفارغة ، والمبالغات الكلامية الجوفاء ، وبصورة نهائية ومن جميع أجهزة الأمة والدولة، ولم يبق إلا العمل والانتاج المتقن السريع لوناً من ألوان الدعاية للحكومة العربية والشعب العربى معاً . فلو دارت أفران الذرة فى بلادنا وفرغنا من ألف تجربة لقنبلتنا الذرية والهيدرجونية ، لم نقل أننا أجرينا تجربة واحدة أو أننا أنتجنا قنبلة واحدة . حتى لا يكون لحكومتنا وشعبنا من شعار سوى « الانجاز المتقن السريع والتكتم التام » .

الدعامة الخامسة :

القضاء على الوجود اليهودى الصهيونى فى أرض العرب :

لكى يمكننا القضاء الناجز التام على عصابات اليهود فى بلادنا يجب العمل بحزم على الأخذ بالأسباب التالية وفى فورية كاملة :

١ ــ تعبئة كل الجهود والطاقات في الولايات العربية المتحدة لإيجاد جيش عربى يفوق أكبر جيش فى العالم بحيث لا يقل عن ٣ ملايين جندى مسلحة تمام التسليح ، مجهزة كامل التجهيز لأننا إذ نحارب اسرائيل إنما نحارب كل قوى الصهيونية وهذا يحتم أن يكون الجيش العربى من الكثرة والقوة بحيث يحارب كل القوى التى تساند اسرائيل وتناصرها . كما أن حدود البلاد العربية الواسعة تتطلب من القوة ما يكفل حمايتها في كل الظروف والأحوال .

٢ ــ إعلان التقشف فى الشعب العربى إلى أجل غير محدود وتوفير ما يلزم من المال أولاً لشراء السلاح الكافى ليسلح الجيش العربى ، وثانياً لاقامة المصانع الفعالة لانتاج السلاح على اختلاف أنواعه ، وتفاوت آثاره فى الحرب المتطور بتطور هذا الزمان . فإذا كان لاسرائيل اليوم فرن للذرة يجب أن يكون لنا اليوم أفران للذرة أقوى وأضخم من فرن اسرائيل ، ولو أدى ذلك بالشعب العربى المسلم إلى أن يترك جميع الكماليات ، ويعيش دهراً على الخبز والماء .

٣ ــ تطويق اسرائيل تطويقاً كاملاً من جميع الجهات بقوة حربية هائلة تفوق

قوتها بثلاثة أضعافها ، وجعل حدودنا معـها أكبر ثغر من ثغور الدولة ، يجمع فيه من الرجال والسلاح ما لو طارت طائراتنا الحربـية فوق سماء اسرائيل لحجبت عنها الشمس ، ومـا لو أطلقت جمـيع مدافعنا المحـيطة بأرض اسرائيـل لدكت كل دار ومصـنع فى اسرائـيل كل ذلـك يجب أن يـتم فى صمـت وسرية ، وفـى أقرب وقت، وحرام أن يـسمع منـا ما كنا نـردده باطلاً من عـبارات : ندمر اسـرائيل ، نقضى على اسرائيل ، نرمى بالعصابـات اليهودية فى البحر عائدون عائدون . وما إلى ذلك مـن الكلمات التـى كانت عاملاً كبـيراً فى إيقاظ هـمم اليهود ، وتنـبيه احساسهم ، وخلـق نفسية غريبة عنهـم تقوى على الحرب وتنتصر فـيها . وتجربة الأسبوع الأخير من صفر ١٣٨٧ هـ أصدق برهاناً على ذلك .

الرِّسالة السَّابِعَة عَشرَة

مِحَن المسلمين وكيف الخروج منها

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

المحنــة الأولى

ضعف المسلمين

إن أول محنة أصابت المسلمين كانت ضعفهم الروحى والمادى معاً .

ففى الـروح فَقَدَ المسـلمون بصـفة عامة ثـقتهم بـربهم تبـارك وتعالى ، فـما أصبحوا يعولون على الله عز وجل فى أية مهمة يراد لهم القيام بها ، ولا يتوكلون عليه فى أى عـمل تتطلبه الحياة مـنهم ؛ فقعدوا عن طلـب الوحدة والاتحاد وهو واجب عـليهم ، وتـركوا الأخذ بـأسباب التـكتل والتـجمع المـفروض عليـهم ، والضرورى لبقائهم وقوتهم ، كل ذلك لخوفهم وجبنهم نتيجة ضعفهم وعجزهم . وبه أيضاً تركوا فريـضة الجهاد التى هى أكبر سهم فى الإسـلام ورضوا بأن يعيشوا أتباعاً للمعسكرات العالمية الشرقية منها والغربية ، وياللأسف والفضيحة معاً .

هذا فى الجانب الروحـى . وأما فى الجانب المادى فإنهم لا يقـلون ضعفاً عن الجانب الروحى بحال ، فـتراهم يعيشون فقراء الى أعدائهم الذيـن أصبحوا بحكم الاحتيـاج إليهم سادة لهـم ، مفتقرين الـيهم فى كل شىء حـتى فى لقمة الـعيش أحياناً فضلاً عـن سلاحهم وعتادهم ، وأدوات زراعتهم أو بنائـهم وآلات حملهم أو ركوبهـم مما هو من ضـروريات حياتـهم فضلاً عن كـمالياتـها ، بحيـث لو لم يستوردوا أسلحتهـم من عدوهم لم يتسلحوا ، ولو لم يشتروا أكـثر حاجياتهم من أعدائهم لم يعيشوا ، ويدل على ذلك ويشـهد له أنهم لو منعوا الدواء لأغلقوا كل مستشفى .

فكان هذا الضعف بجانبيه وفى ناحيـتيه الروحية والمادية من أعظم المحن التى أصابت المسلمين وأقساها على الإطلاق عرف ذلك من تأمله وفكر فيه .

ولا ينبغى أن يؤمل فى النهوض من هذه الكبوة ولا الخروج من هذه المحنة إلا بإيجاد هذه القوة المفقودة فى المجالين الروحي والمادى ، وهذا ما يجب أن يعمل له المصلحون من هذه الأمة ، وإلا فسوف لا تبرح أمة الإسلام تعيش فى هذا الهون والدون ، والذل والصغار أمداً لا يعرف نهايته إلا الله تعالى .

هذه بدون شك محنة قاسية ، والخروج منها لا يتأتى إلا بإيجاد هذا المفقود من القوتين الروحية والمادية معاً ، وبإيجاد هذا المفقود يتطلب من الجهد والجهاد ، والتضحية والمفاداة ما يكاد يجزم المرء العاقل بأن المسلمين اليوم ليسوا بأهل له ولا للقيام به ، وذلك لقوة الضعف وتمكنه من نفوسهم ، وشدة العجز وإحاطته بهم .

بيد أن طاقة الإيمان التى ما زالت تكمن فى نفوسهم كفيلة بدفعهم الى حيث النهوض والقوة متى فجرت بحكمة وسخرت بعلم .

والسؤال الآن هو : أين هى اليد القادرة اليوم على تفجير هذه الطاقة وتسخيرها للقوة والنهوض ؟ !

لى أن أترك الإخوة القراء يفكرون فى البحث عن هذه اليد القوية التى تقدر على جمع قلوب المسلمين فى قلب واحد ، وبالتالى تفجر تلك الطاقة من الإيمان فتقلب أوضاع المسلمين الشاذة عن سنن الهدى اليوم ، تقلبها رأساً على عقب وتحيل هذا الضعف الى قوة جبارة عظيمة تنحنى أمامها رؤوس الأعداء فى الشرق والغرب على حد سواء . ثم تعود على المسلمين بقيادتهم لسفينة الحياة والنجاة بها من الغرق الذى يتهددها .

وبعثور الإخوة القراء علي هذه اليد القوية الأمينة يخرج المسلمون من هذه المحنة القاسية الشديدة : محنة الضعف الروحى ، والتخلف المادى .

ومساهمة منى مع القراء فى البحث على هذه اليد المطلوبة لجمع قلوب المسلمين وتفجير طاقة الإيمان فيها لتقلب هذه الأوضاع الفاسدة الغريبة رأساً علي عقب وتحيل الضعف الى قوة ، والذل الى عز ، والهون الي كرامة أقول : إن هذه اليد المطلوبة ليست بيد زعيم عربى بعثى ينادى بخلق عربى لا يؤمن بالله ، كما هى ليست بيد قومى عربى يقول : إنه يؤمن بالقومية العربية سبباً لنهضة العرب وإعادة مجدهم وسيادتهم ، ولا هى أيضاً بيد ثورى تقدمى اشتراكى يصطنع الكلمات للاستهلاك ، والشعارات لستر العورات ، ولا هى كذلك بيد

شعوبى يتغنى بأمجاد شعبه ، أو يحتفل بذكريات جاهلية ما قبل الإسلام بقرون.

وإنما هى يد مؤمن موصول بالله تعالى مشدود بحبله عز وجل ، يحب الله تعالى ويحبه ،ذليل على كل المؤمنين عزيز على كل الكافرين ، يجاهد فى سبيل الله ، ولا يخاف عاقبة الأيام ولا لومة اللوام ، ولا يرهب قولة قائل ولا صولة صائل .

ذلكم هو الإمام القائد والرجل القادر على جمع قلوب المسلمين وتفجير طاقات الإيمان فيها ، والسير بالمسلمين قدما الى حيث يتبوءون مكانتهم ، ويتسلمون قيادتهم لصلاح البشرية جمعاء ، ويومئذ يفرح المسلمون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

تُرى من هذا الإمام القائد ؟ أهو المهدى المنتظر ؟ أم عيسى ابن مريم ؟ ليس شرطاً أبداً أن يكون أحد هذين الإمامين المنتظرين ، وإنما يكفى فيه أن يكون المؤمن الصادق ، الموصول بالله ، والمتمسك بحبله عز وجل ، يخشى الله تعالى ويتقيه ، ويجاهد فى سبيله، يحب فى الله ويبغض فى الله ، يعطى فى الله ويمنع فى الله .

كما أنه ليس شرطاً أيضاً أن يقوم بنفسه ويدعو المسلمين الى بيعته وطاعته ، وإنما على المسلمين – إن أرادوا الخروج من هذه المحنة – أن يطلبوه ويطلبوه حتى يجدوه ثم يبايعوه ويطيعوه ، ويومها يقوى على تفجير طاقة الإيمان فى قلوبهم ، ويقدر على قيادتهم والسير بهم الى حيث القوة والعزة والكرامة . وعندها وبلا شك ، إن شاء الله ، تنتهى هذه المحنة القاسية الشديدة ويستريح من عنائها وآثارها السيئة المسلمون .

المحنة الثانية

فرقة المسلمين وانقسامهم على أنفسهم

فرقة المسلمين كانت وما زالت السبب الأول فى ضعفهم وعجزهم وانهزامهم فى كل معارك الحياة . انها فرقة منكرة خطيرة قسمت الأمة الواحدة الى أمم ، والدولة الى دويلات . والجماعة الواحدة الى جماعات ، والطريقة الواحدة الى

طرق ، والمذهب الواحد الي مذاهب شتى . ويالأسى والأسف معاً . وسبحان الله كيف رضيها المسلمون لأنفسهم مع أن العقول قد اطبقت ، والشرائع الإلهية كلها قد أجمعت على ضرر الفرقة وسوء أثرها فى الأمم والجماعات، واعتبرتها داء عضالاً ، ومصاباً جللاً ، ومحنة قاسية شديدة تصاب بها الأمم والشعوب فتدمرها، وتقضى على حياتها ووجودها .

وهذا القرآن الكريم ينعاها على أهلها ، ويحذر المسلمين من الوقوع فيها فيقول : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾ . ويقول : ﴿ **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء**﴾ . ويقول : ﴿**وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾ .

نعم ــ أيها الاخوة القراء ــ الفرقة والاختلاف من طبائع البشر ، ومن مقتضيات وجودهم وحياتهم . قال تعالى : ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ .

وهذه الفرقة وهذا الاختلاف مردهما الي تباين العقول ، واختلاف المدارك والفهوم والى تعدد المصالح واختلاف الأغراض ، واختلاف الاستعدادات النفسية والجسمانية أيضاً .

غير أن لسطان الإيمان على النفوس ، وهيمنة روح الاخلاص على العمل والسلوك من الأثر الكبير ما يحول بإذن الله تعالى دون الفرقة والاختلاف فى الجماعة السعيدة والأمة المرحومة ، وهذا وجه الاستثناء فى قوله عز وجل : ﴿ **إلا من رحم ربك**﴾ فى آية : ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك**﴾ . أى فإنهم لا يختلفون لوجود المانع من ذلك وهو الإيمان الصادق والإخلاص التام فى أعمالهم لله تعالي . أما قوله : ﴿**ولذلك خلقهم**﴾ ففيه إشارة الى الاختلاف الذى يقتضيه تباين العقول ، وتعدد المصالح ، وتنوع الأغراض .

فإذا وجد المقتضى ، وعدم المانع كان الخلاف حتماً . عرف هذه الحقيقة ــ بوحى من الله ــ رسول الله ﷺ وقررها في قوله (من رواية الترمذي) : « ليأتين على أمتى كما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل . . »

«وإن بنى اسرائيل تفرقت علي اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار إلا ملة واحدة . قالوا : وما هى يارسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابى .»

فذكر أن الفرقة كائنة لا محالة ــ وقد كانت ــ وان ٧٢ ملة هالكة ، واستثنى من العدد ٧٣ ملة واحدة . فهى ناجية مرحومة وذلك لاجتماعها على الحق الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فلم تتقاسمها الاهواء ولا المذاهب ولا الطرق، وإنما اجتمعت على دين الله ولم تختلف فيه لسلطان الإيمان وروح الاخلاص فى العمل لله تعالى .

هذا وإذا بحثنا عن عوامل الفرقة الكائنة اليوم بين المسلمين فإنا نجدها تدور علي خمسة أسباب وهى :

١ ــ السياسة وتنازع الحكم .

٢ ــ عصبيّة الجنس أو الحرب والمبدأ .

٣ ــ عصبيّة المذاهب فى الأصول والفروع .

٤ ــ القول فى دين الله بالرأى ، والحكم فيه بالهوى .

٥ ــ دسائس أعداء الإسلام وكيدهم المتواصل للاسلام والمسلمين .

هذه أهم عوامل الفرقة والاختلاف بين المسلمين . وعليه فإذا أردنا الخروج بحق من هذه المحنة : محنة الفرقة والاختلاف بين المسلمين فلنعمل على القضاء على هذه العوامل ، وإنهاء هذه الأسباب . فعامل السياسة وتنازع السلطة يمكن القضاء عليه من طريق اقناع المسئولين ، وأرباب المصالح الخاصة أن بقاء هذه الدويلات الضعيفة الهزيلة مرهون ببقاء تنازع المعسكرين : الشرقى والغربى ، ويوم ينتهى باتفاق ، أو بتغلب أحد المعسكرين على الآخر ؛ فإن هذه الدويلات تنتهى من نفسها ، ويقضى عليها فى يومها ، فمن الخير اذاً أن تتحد هذه الدويلات فى دولة واحدة ، وان تتكتل هذه القوى المفرقة فى قوة واحدة يمكنها الوقوف فى وجه العدو الطامع فى ابتلاعها والقضاء عليها . فإذا أمكن اقناع المسئولين بهذا وأصبحت دولة الإسلام دولة واحدة فإن هذا العامل الخطير من عوامل التفرقة والخلاف قد قضى عليه واستريح منه .

وأما عامل عصبية الجنس أو الحرب فالقضاء عليه سهل ، ويأتى من طريق التوعية والتربية الإسلاميتين وتعميق معانى الإخاء الإسلامى فى النفوس ، وغرس الفضائل الخلقية فى القلوب وبإيضاح الخطوط العريضة للوحدة بين المسلمين ، والتعاون بين أفرادهم وجماعاتهم ، والمتمثلة فى قول الله تعالي : ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾. وقوله : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾، وقوله : ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾، وقوله : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾. وفى مثل قول الرسول ﷺ : «المسلم أخو المسلم» . «والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ». وقوله : «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ». وقوله : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» . بهذه التوعية والتربية الوجدانية يمكن القضاء على هذا العامل المدمر الخطير .

وأما عامل التعصب المذهبى فيمكن انهاؤه والتخلص منه بواسطة العودة بالمسلمين الى أصلى الدين الاسلامى وهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تعلماً وتعليماً وعملاً ، ورياضة الأمة على ذلك وأخذها بهذه الطريقة شيئاً فشيئاً حتى يتم خلاصها من هذه الفتنة والخروج بها من هذه المحنة .

ولنعلم أن الظروف الراهنة اليوم تساعد كثيراً على النجاح فى تحقيق وحدة الأمة المسلمة فى عقيدتها وعباداتها . فإن من غير المشكوك فيه أنه لو وُجد للمسلمين اليوم دولة خلافة اسلامية تلم شملها ، وتجمع شتاتها ، أو حتى رابطة اسلامية قوية يدين لها كل المسلمين بالحب والتقدير والولاء لأمكن توحيد أمة الاسلام والعودة بها الى ما كانت عليه أيام الراشدين . وذلك لوجود الوسائل والاسباب الكفيلة بتحقيق ذلك إن شاء الله تعالى .

وآخر عوامل الفرقة والاختلاف دسائس الأعداء وكيد الخصوم .

إن هذا العامل الخطير لا يكون مستقلاً بنفسه ولا يستقل أبداً إلا فى ساحات الحرب وحومة القتال ، وإنما هو مُذك لنار الفرقة ومهيّج للهيب الاختلاف من طريق تلك العوامل الأربعة السابقة ، وعليه فالقضاء على تلك العوامل المتقدمة قضاء على هذا العامل الخطير وانهاؤها انهاء له ؛ إذ دسائس الأعداء ليس لها ما تدس فيه سوى النعرات السياسية والحزبية والمذهبية والجنسية .

ومن هنا كان القضاء على تلك النعرات قضاء على دسائس العدو كما أسلفنا.

فإذا أمكن المسلمين اليوم بفضل الله تعالى ثم بالوعى الصحيح، والتعليم الهادف والتوجيه الصحيح القضاء على عوامل الفرقة والخلاف فقد نجت من هذه المحنة القاسية ونجت من كل المحن غيرها.

المحنة الثالثة

محنة اليأس الذى أصاب أكثر المسلمين، وقعد بهم عن العمل من أجل انقاذ المسلمين وانقاذ العالم أجمع

لا شك أن من المحن يأس المرء وقنوطه من خير يريد الوصول إليه، أو شر يريد التخلص منه، ومن المحن الكثيرة التى أصيب بها المسلمين اليوم هذا المرض الخطير والداء العضال اليأس من عودة عز الإسلام، والقنوط من رجوع قيادة العالم للمسلمين فى حين أن اليأس كالقنوط كلاهما مما حرَّم الله عز وجل على المؤمنين ففى يوسف يقول: ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله ؛ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾. وفى سورة الزُّمر يقول: ﴿**لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾.

ومع بالغ الأسى وشديد الأسف أقول: إن هذا الداء أو هذه المحنة محنة اليأس أصابت قادة المسلمين وعلماءهم وقتلتهم أكثر مما أصابت العوام والجهال وأوهنتهم، وهذا وجه من أوجه الخطورة فى محنة اليأس؛ لأن الداء فى الرأس أو القلب ليس هو فى خطورته كالداء فى باقى الجسم، فإذا أصاب اليأس رؤساء الأمة ومفكريها قعدت طبعاً عن الحركة بالمرة، وانقطع أملها فى النهوض والسير.

واستميح السادة العلماء والقادة المفكرين عذراً اذا قلت: إن ما يتعلل به البعض ويتخذه مبرراً ليأسه من عودة نهضة الإسلام وعودة قيادته للبشرية جمعاء ولا للمسلمين فحسب، وذلك من مثل قول الرسول ﷺ: « بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وطوبى للغرباء »، وقوله: « لا يأتى عليكم يوم إلا والذى بعده شر منه »، وقوله: « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق» أو كما قال. فليسمحوا لى اذا قلت ان مثل هذه الاخبار النبوية الصادقة لا ينبغى أن تحمل على اليأس، ولا أن تكون مبررة له أبداً؛ إذ لم يرد بها قائلها عليه الصلاة والسلام ذلك أبداً، بل أراد بها عكس ذلك تماماً أراد بها حفز المسلمين الى العمل الجاد،

وإيقاظ الهمم للعمل المتواصل ، والتَّنبه للشر دائماً . والحذر منه ، ومن الوقوع فيه ، وذلكم بالدؤوب على الجد والعمل ، والحرص على الحذر والحيطة دائماً . فلم يرد منه فداه – أبى وأمى – تخدير جسم المسلمين وحملهم على ترك العمل ، والاستسلام للفتن والمحن ، وإنما أراد به ما سبق أن قلته : الحفز ، والتيقظ ، والتَّنبُّه ، والتحذير .

ولو فكر هؤلاء الآيسون القانطون فى مسألة القضاء والقدر لاستنتجوا منها ما يبطل تعللهم وتبريرهم ليأسهم ؛ فإن عقيدة القضاء والقدر تلزم المؤمن أن يعتقد جازماً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه ومع ذلك يجب عليه أن يتوقى الشر ويحذره ، ويتعرض للخير ويعمل له ويبذل ما يمكنه من الجهد والطاقة فى التوقى والحذر ، وفى السعى للخير والعمل من أجل الحصول عليه ، ولا يحل له أبداً ان يترك العمل والحذر اتكالاً على نظام القدر العام ،وإذا كان هذا لا يحل هنا فإنه لا يحل له هناك ألا فلنفهم ! !

هذا وان الخروج من هذه المحنة ليتطلب جهداً كبيراً ، وعملاً جاداً متواصلاً.

فأولا : ينبغى معرفة النفس الخبيثة التى تنفخ فى جسم المسلمين هذا الروح من اليأس الخبيث القاتل ، ولا شك أنها نفس العدو ، العدو الذى ما برح يحط من قيمة هذه الأمة المسلمة ، وينتقص من قدرها ، ويضعف من شأنها ، ويسخر من مقوماتها وأسس كمالها من عقيدة وشريعة ومنهاج وقانون .

وثانياً : يجب أن نضرب المثل العملى بالانتاج الصالح والاخراج الممتاز فى كل مجالات العمل الصناعية مما يخرس ألسنة المنتقصين ويكمم أفواه الطاعنين .

وما أسكت العدو الحاقد ، وأخرس الخصم المناوئ مثل أن يرى أمة تتجمع بعد طول شتات وتستقيم بعد قرون من الاعوجاج ، وتنتج وتصنع فى جودة وامتياز .

فهل آن لنا – نحن المسلمين – أن نفكر في هذا الذى يخرس العدو وينكيه؟؟

والجواب عن هذا التساؤل لا مطمع فيه ما دام اليأس قد استولى على القلوب، والقنوط قد استحكم فى النفوس ، اذاً ألا فلنقاوم اليأس ولنحارب القنوط ، ومن الطريق الذى ذكرنا آنفاً ، فإذا خرجت أمة الإسلام من هذه المحنة

ونجت منها فقد قطعت شوطاً كبيراً فى طريق عزها وسبيل كرامتها ، ومنهج خيرها وسعادتها. والله المستعان .

المحنة الرابعة

محنة المبادئ الهدامة

من المحن القاسية الشديدة القساوة التى ابتليت بها أمة الإسلام كل أمة الإسلام محنة وجود مبادئ هدامة مخربة فى ديارها وبين أبنائها ، وهى مبادئ لا تستهدف من أمة الإسلام إلا وجودها كأمة لها ذاتيتها ومميزاتها وقيمها وأخلاقها وتاريخها وأملها وتطلعها ومن هذه المبادئ المدمرة الهدامة :

١ ــ الشيوعية .

٢ ــ الاشتراكية .

٣ ــ التقدمية الثورية .

٤ ــ الماسونية اليهودية .

٥ ــ الروطارية الماسونية .

هذه خمس مبادئ يصح إطلاق لفظ الكفر المنظم عليها فهى لم تكن إلا هو ولم تخرج عليه لا فى العرض ولا فى الجوهر ، لا فى الكنية والماهية ولا فى الحقيقة والذات . وإنها لمن أصل واحد كما سيذكر ، وهى وان كانت فى جميعها تستهدف المجتمع الإسلامى القرآنى بعقائده وشرائعه وآدابه وأخلاقه فإنها تختلف فى أسلوب العمل ، ومناورة الحرب ، وطريقة الخداع والتضليل ، وهى وان كانت بهذا التفصيل خمساً فإنها ترجع الى أصول ثلاثة لكل أصل منها فرع ، فالشعوبية أصل للاشتراكية والثورية أصل والتقدمية فرع لها ، والماسونية أصل والروطارية فرع لها ، وواضع هذه المبادئ بأصولها وفروعها واحد لا ثانى له ألا وهو عدوّ الله ورسوله والبشرية جمعاء ، ألا وهو اليهود واليهود وحدهم عليهم لعائن الله ، إذ غرضهم من ذلك القضاء على روح التدين فى العالم ليخلو لهم الجو فيتنفسوا الصعداء من طول ما خنقتهم الأديان ولعنتهم لخبثهم ومكرهم .

وليضربوا بالتالى ضربتهم فى اجلاء العرب المسلمين من بلادهم لإقامة دولتهم

الممتدة فى أرض كنعان ومن النيل الى الفرات ، وبعدها يفكرون فى وضع قدمهم الثقيلة الوطأة على العالم أجمع ، كما هو المخطط المرسوم لديهم ، وقد اكتشفه الناس وعرفه الكثير من بنى الناس ولم يبق سراً مكتوماً الى اليوم . ومبرر ذلك عندهم : أنهم شعب الله المختار ، وأنهم وحدهم المؤمنون الأطهار ، وأن من عداهم من الأمم والشعوب أنجاس كفار .

وكشاهد أورده على نيات القوم وخبثهم وارادتهم الشر بالعرب بالخصوص ما نشر قريباً فى الصحف اليهودية من أن استفتاء اجرى بين طلاب وطالبات اليهود فى دولة اسرائيل ، ومادة الاستفتاء : ماذا على دولة اسرائيل أن تفعله بالعرب الذين تحت سلطانها ــ ممن هم الآن تحت سلطتها وممن سيدخل طبعاً ــ ؟ فكانت نتيجة الاقتراع أن أكثر من ٧٥ ٪ تطالب بإبادة العرب وتطهير أرض اسرائيل منهم بحيث لا تستحى منهم الأبناء ولا النساء .

وبعد أخى القارئ فكيف المخرج من هذه المحنة القاسية ؟ المخرج لا يكون إلا من طريق واحد ألا وهو لعن كل هذه المبادئ والكفر بها واخراجها من ديار الإسلام ؛ إذ كلها يهودية صهيونية فى الأصل لا خير فيها ولا تفاضل بينها . وذلك من طريق ابراز المبادئ الإسلامية وملء الفراغ بها حتى لا يبقى مجال لهذه الطفيليات العفنة الخبيثة أن تنبت فى أرض الإسلام وديار المسلمين . بيد أن ابراز الشخصية المسلمة والمبادئ الإسلامية يتطلب جهاداً مريراً ، وصبراً طويلاً . غير انه لما كان لابد من هذا فإنه لا معنى للحيدة ، ولتكن المجابهة كما شاءت ان تكون صعبة مرهقة مضنية . فعلى الجماعات المسلمة أن تتلاحم في كل ديار المسلمين وأن تقف صفّاً واحداً وتجمع كل قواها وتضرب بجمعها هذه المبادئ الهدامة المخربة كلها فتميتها وتقضى عليها وترمى بها جيفة منتنة خارج ديارها والى غير رجعة ، والى الأبد إن شاء الله تعالى .

المحنة الخامسة

محنة الجهل بالاسلام

إن من أخطر المحن التى أصابت المسلمين وهم يقاسون من ويلاتها ويعانون من شدائدها ضعفاً وفساداً وشرّاً ، محنة جهل جماهير المسلمين بإسلامهم ، فى

الوقت الذى خمّت فيه ديار المسلمين بدور العلم ومدارسه بحيث لم تعرف بلاد المسلمين كثرة فى المدارس وعناية بالتعليم كما عرفتها اليوم . ومع هذا فالعلم يقل والجهل يكثر ، والجهال يسودون والعلماء يذلون ويهونون وهذا فى أغلب ديار المسلمين . ولعل السبب المباشر فى هذه فساد مناهج التعليم ، وسوء نيات الطالبين، وعدم الكفاية والاخلاص فى الاساتذة والمعلمين . أما المناهج التعليمية وهى السبب القوى فى هذه المحنة فقد نادى الكثير من المصلحين فى بلاد المسلمين بوجوب مراجعتها وتعديلها ووضعها على أسس سليمة تكفل للأمة المسلمة حاجاتها الضرورية الملحة فى الاصلاح الشامل لجانبى الحياة الدينى والدنيوى على حد سواء حيث لا غنى للأمة المسلمة عن أحدهما ، ولكن لا حياة لمن تنادى .

وأما سوء النية بالنسبة الى طلاب العلم فإن له أثراً كبيراً فى ذهاب بركة العلم وآثاره الطيبة فى نفوس أهله وذويه . وقد أصبح ـ مع الأسف ـ الكثير لا ينوى بطلبه العلم ولا يقصد به الا الجانب المادى البحت ـ ولعل جل المدارس ـ لم يبن إلا لهذا الغرض وحده ، وفى كل بلاد المسلمين .

وأما عدم الكفاية والاخلاص فى الاساتذة والمعلمين فإن له أكبر الأثر فى تربية الطالب وتوجيهه ؛ إذ كثيراً ما يرث الطلاب صفات معلميهم ، وقد يتقمصون كل شخصياتهم فيرثون عنهم كمالهم إن كانوا كاملين ، ونقصهم إن كانوا ناقصين ، وفى الحكمة المأثورة ، كيفما يكن المربّى يكن المربَّى .

ومن هنا كانت النتيجة سيئة للغاية ، فإن النفاق والذبذبة والالحاد أيضاً لم يعرف بين المسلمين الاميين منهم كما عرف المتعلمين والمثقفين كما يقولون، وكل هذا عائد قطعاً الى فساد مناهج التعليم من جهة والى سوء نية الطلبة ،وعدم كفاية واخلاص المعلمين من جهة أخرى . والمخرج من هذه المحنة صعب جداً مع العلم بأن آثار هذه المحنة سيئة وسيئة لا تقل وبالاً وشراً عن المحن السابقة واللاحقة ، وذلك لأن تغيير المناهج لا يملكه إلا ذوو السلطة فى بلاد المسلمين وهم فى أغلبهم ليسوا من الوعى الإسلامى والادراك والمسئولية والقدرة بحيث يمكنهم أن يغيروا هذه المناهج حتى تتناسب ومتطلبات الأمة المسلمة ، وما يجب أن يحققه لها التعليم من القوتين الروحية والمادية .

وعليه فقد تبقى هذه المشكلة بلا حل ويبقى المسلمون عاجزين عن الخروج

من هذه المحنة الصعبة ، وذلك لانها مرتبطة تماماً بالقانون العام الذى يحكم الأمة، والقانون ما دام ليس هو الإسلام فإن من الصعب جداً تغيير هذا الجانب وحده وتبقى سائر الجوانب أجنبية عن الأمة غير إسلامية .

بيد أنه فى الإمكان معالجة الموضوع من جانب آخر وهو جانب إصلاح النيّات من طريق التوعية الإسلامية والتوجيه الإيمانى بين الطلاب وذويهم ، وخاصة طلاب المعاهد والمدارس الدينية . وعلى سبيل المثال ما قلته وأقوله لطلاّب الجامعة الإسلامية وأنا أحد مدرسيها وهى أكبر مؤسسة علمية دينية فى بلاد المسلمين اليوم، والأمل معقود على طلابها أكبر من أن يعقد علي جيش إسلامى يتحرك الى الغزو والفتح ، لإشادة صرح الإسلام ، أو حمايته من التداعى والسقوط. هؤلاء الطلبة طالما قلت لهم وواجهتهم بهذه الحقيقة ، وهى أن عليهم واجباً ومسئولية ليست على غيرهم لأنهم يتهيئون بهذه العلوم الشرعية لا لأن يصبحوا قضاة فى جهاز دولة لا تحكم بالإسلام ، ولا تحكمه ، ولا معلمين للشريعة فى مدارس لا علم للشريعة بها ، وإنما ليصبحوا دعاة للاسلام ومبشرين به ، وهذا يتطلب منهم اخلاص النية وتحديدها . فالدعوة الى الإسلام يجب أن تكون فى اطارها الخاص المحدد بمثل قول الله تعالى : ﴿ **وما أسألكم عليه من أجر أن أجرى إلا على رب العالمين** ﴾ .

إن رسالتكم تتنافى مع طلب المادة وتتضادّ مع الرغبة فى الحياة الدنيا الفانية .

وعليه فمن الآن وأنتم بين جدرانى الجامعة مرنوا أنفسكم وروضوا أرواحكم على الصيام والقيام ، وعودوها على قبول آداب الشريعة وفضائلها ، وتحلوا بها قبل أن تدعوا الناس إليها ، فإن من النقص كل النقص أن يدعو المرء غيره إلى فضيلة لم يتحل هو بها ، أو القيام بواجب تخلى هو عنه وتركه . وقد جاء فى القرآن الكريم : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾. وفى الحكمة الشعرية : قول القائل :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فمن الآن أيها الطلاب أقبلوا على أنفسكم فكملوها ولحمل رسالة الحق اعدوها . وبكل صراحة أقول لكم : من أراد أن يطلب الدنيا بهذه العلوم الشرعية فليتق الله تعالى ولينقطع من الآن عن التعليم الشرعى وليطلب له علماً

مادياً يحق له أن يطلب به الدنيا وزينتها ، وهذا ـ والله لمن الصدق الذى هو أسمى الخلال وأفضل الخصال . وإن أبيتم إلا التعليم الدينى الشرعى فادعوا حقه بإخلاص النيّة والاستقامة عليه فذلك أزكى لكم ، وأبرك ، والله عليم بما أنتم صانعون .

المحنة السادسة

احتلال اليهود لأرض فلسطين

واستيلائهم على المسجد الأقصى

لاشك أن محنة قهر اليهود للمسلمين كل المسلمين باحتلال بلادهم والتحكم فى أمة كبيرة من نسائهم ورجالهم ، ثم بالاستيلاء على المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين لا شك أنها محنة شديدة الوطأة على النفوس قاسية على القلوب دونها كل المحن ؛ لأن اليهود أعداء الله هم أشد أعداء المسلمين عليهم وأقساهم كما قال تعالى : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ .

ومن أقسى المحن ـ ولا شك ـ أن يقهر المرء عدوه ويذله ويهينه ويتحكم فيه وقد استعاذ رسول الله ﷺ من قهر الرجال. حقاً إنها لمحنة لا تقاس وايم الله بمحنة تلك التى أصابت المسلمين فى أرض فلسطين حيث قتلوا وشردوا واستبيحت حرماتهم وديست كرامتهم ، وبالنعال وطئت مقدساتهم، وزاد فى ثقل الوطأة وفداحة الخطب وقساوة المحنة أن العدو القاهر المذل هو من أذل الناس وأقلهم شأناً ، وأرخصهم جنساً ما كان لمثلهم أن يسودوا ويحكموا ، فأصبح المسلمون معهم كما قال الشاعر :

الى الله نشكو أننا فى منازل تحكم فى آسادهن كلاب

هذه هى المحنة أخى المسلم وكيف الخروج منها ؟ والجواب إن شاء أخى القارئ وضعنا بعض الكيفيات للخروج منها وإن شاء تركناها كما هى حتى يأتى أجلها فإن أجلها لآت قريب لا ريب فيه ؛ إذ قال الصادق المصدوق ﷺ :«لتقاتلن اليهود ثم لتسلطن عليهم حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى

فاقتله» ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام والحديث فى صحيح مسلم قطعاً .

غير أننا ما دمنا نستعرض بعض محن المسلمين ونحاول وضع كيفيات للخروج منها فإنه لا مانع من ذكر كيفية للخروج من هذه المحنة القاتلة المميتة ، والذى رأيته مخرجاً من المحنة فقد تقدمت به برقياً لمؤتمر القمة الإسلامى بالرباط يوم انعقاده هناك بالعاصمة المغربية ، وهو نفس ما أبرقت به الى مؤتمر رؤساء الخارجية للدول الإسلامية ، ونصه بعد حذف الديباجة : نطالب بتكوين جيش إسلامى تحت قيادة إسلامية تساهم فيه كل الحكومات ذات الشعوب المسلمة بخير رجالها وأحدث ما تملك من سلاح حتى يكون أقوى جيش فى العالم وأقدر على رد كل اعتداء ، وتأديب كل معتدٍ .

ومهمة هذا الجيش الأولى تحرير الأراضى المقدسة ، ثم حماية كل بلد إسلامى يتعرض لاعتداء خارجى وفتنة داخلية كما هى الحال ــ يومها ــ فى الباكستان ، وكما هى اليوم فى الجنوب العربى حيث المسلمون ــ وليس فى البلاد سواهم ــ يكرهون بالحديد والنار على الكفر بالاسلام والإيمان بالمذهب الشيوعى، ومبادئ لينين وماوتسونك الالحادية ، وهم الآن يستصرخون ولا مصرخ ويستغيثون ولا مغيث ! !

هذا ما رأيته مخرجاً لهذه المحنة وما زلت أراه كذلك والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

المحنة السابعة

محنة الفسق العام

إن الخروج عن القانون والفوضى العامة فى السلوك الفردى والجماعى يُعدَّان من دون شك من الرزايا والمحن التى تبتلى بها الأمم والشعوب لما تفقدها من معنى الحياة وسعادتها ، وما تعرضها له من خراب ودمار . .

والمسلمون اليوم بصورة عامة يعيشون على فسق ظاهر، وخروج كامل عن القانون . فالفوضى فى العقائد والعبادات ، والأخلاق ، والآداب عامة كأن لم يكن هناك حدود ولا قواعد ولا قوانين يرجعون إليها فى حياتهم أبداً. وهذه

ظاهرة خطيـرة تنذر بشر مستطـير ، وستجر من الكوارث مـا لا يقادر قدره . ولا يعرف مداه ولا حصره . وبإلقاء نظرة خاطفة نرى مـا ذكرناه حقيقة ماثلة للعيان لا تقبل الأخذ والرد ولا الـنقاش والجدل . فالحدود معطلة كأن لم يـكن بشريعة الله حد واحد أمر أن يُقـام هذا قطعاً باستـثناء الحكومة العـربية السعودية مـع ملاحظة عدم إقـامة حد الـسرقة عـلى سراق الحـجيـج فى هذه الأعـوام الأخيرة ممـا جرّأ اللصوص الوافدين مع الحجاج على ترويـع وفجْع عدد كبير من الحجاج مما أصبح يذكر الناس بعد الفوضى فى الحجاز قبل دولة القرآن السعودية .

والعقـائد مختلفـة متنوعة فهـى ما بين مادية صرفـة ، وشركية وثنيـة ظاهرة ونفاقيـة مصطنعة متكـلّفة ، وارتيابيّه شكّيّة مزعزعـة ،وجهمية معطلـة ، وجبرية سلبية لا تبدى ولا تعيد .

والعبادات اختـيارية لا جبر فيها ولا إلزام ، الفـرضية منها كالنفلـية فمن شاء صلى،ومن شاء ترك،ومن شاء صام ومن شاء أفطر،ومن شاء زكى ومن شاء منع.

تغلبت الـبدع فيها على السنن ، فالـبدعة منصورة مشهورة ، والسـنة مخذولة مستورة . العادة مأتية مذكورة والعبادة منسيّة مهجورة .

والأخلاق جلها نفاق ، وعداوات وشقاق ، لو تساءلت : أين الصدق ، أين الوفاء ، أين المحبة ، أين الإخاء ، أين الأمانـة ، أين الحياء ؟ لما وجدت من يشير لك الى واحدة منها كلها ، وذلك لانعدامها فى المجتمع واختفائها فيه .

والآداب علقـم وصاب ، مهاترات كـلامية ، ومجـاملات سياسيـة لا تعرف الشجاعة فى الحق ، ولا الصراحة فى النطـق ، باسمها ضاعت الأمانة ،وأشيعت الخيانة ، وتظاهر المنكر ، وتوارى المعروف ، فاستبيحت المحرمات ، وأشيع الربا، وانتشر الـعهر والزنا ، وشربت الخمـور ، وأذيع الغناء والفحش والـبذاء ، وحتى الميسر والقمار أصبح تسليـة أهل كل دار . وخلاصة القول فى هذا أن هذه الموجة العاتية العارمة من الفسق عن شريعـة السماء والثورة عن قوانين الله لهى منن أخطر المحن التى يـقاسى منها المجتـمع الإسلامى ويعانى منـها جميع المسلـمين . ولكن كيف الخروج منها ، وما طريقه ؟

المخرج لن يـكون إلا بأحد أمـرين لا ثالث لهـما ، أولهمـا حكومة إسـلامية

عادلة قوية تقيم حدود الله وتحمى حماه ، فتضرب على أيدى كل المفسدين والعابثين ، وتقوى جانب الصالحين والمصلحين على قاعدة قول الملك الصالح كما حكى ذلك عنه رب العالمين فى قوله :

﴿أما من ظلم فسوف نُعذبه، ثم يرد إلى ربّه فيعذبه عذاباً نكراً ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ .

وثانيهما بجماعة إسلامية أو رابطة علمية تنذر لله حياتها وتوقف على الإسلام جميع طاقاتها تعمل على تبوُّء مركز القيادة الروحية لجميع المسلمين ، حتى إذا أصبح لها فى القلوب عرش ، وفى الجيوب قرش تجيل يد الإصلاح فى المسلمين، فتقف فى وجه الباطل والشر وتدفع فى مسيرة الحق والخير فما هى إلا جولات بعد صولات والفسق قد اختفى والباطل قد مات .

المحنة الثامنة

محنة انحراف المرأة المسلمة

أىّ ألم أشد إيجاعاً من ألم النفس عندما تشاهد شرفها يضيع وعرضها يدنس، وكرامتها تداس ؟ ؟

وأى محنة أشد وأقسى على المرء من أن يرى امرأته أو فتاته مستخدمة لغيره تأتمر بأمر الغير ، وتخضع لسلطانه ، وتعمل حسب رغبته ، وتتحرك طوع إرادته مقابل ثمن بخس : دريهمات معدودات ، وذلك ما يسمى براتب الوظيفة الشهرى، وأى اعتزاز بالنفس أو شعور بالكرامة يبقى عندما يرى المرء امرأته أو فتاته من بنت أو أخت ترجل شعرها كل صباح وتتعطر وتلبس أحسن ثيابها وهى كاشفة عن شعرها ونحرها وحتى عن سوقها وصدرها لتقضى ست ساعات مع شباب ذائب مائع وقح صفيق لا يعرف حياء ولا مروءة ولا كرامة ولا شرفاً همه أن يشبع غرائزه فى إسراف غير محدود ، واتراف غير معدود . وكل ذلك باسم العلم وتحت شعار طلب المعرفة .

وأىّ دين ــ أو خلق أو حياء يجده أو يبقى له ذاك الذى يجلس نساؤه ورجاله من آل بيته أمام شاشة (التلفزة) والكل يشاهد أجمل غادة وأحسن غانية الى

جنب احسن فتى واجمل شاب يتبادلان النظرات القاتلات ، والعبارات الساحرات والابتسامات الفاتنات ، ويسمع الجميع منهما ارخم الأصوات وأرق العبارات وقد يتم امامهم تبادل قُبل العشاق وتعانق طول الفراق وأى داء أدوأ من هذا الداء ، وأىّ سقم اشد فتكا بجسم الإنسان وهو يعيش على هذا اللون الرخيص من الحياة. وواقعه يردد مع الشاعر قوله :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجاء

هذه هى محنة انحراف المرأة المسلمة اليوم والرجال فى شتى بلاد الإسلام يقاسونها ويتجرعون غصصها ، وشرها ـ ومع الأسف ـ كل يوم يزداد استطاراً وداؤها استشراء وانتشاراً ، ولا يقابل ذلك من الرجال إلا بالمداهنة المتملقة والمجاملة المصطنعة المتكلفة ولسان حالهم يقول :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

وكيف المخرج من هذه المحنة يا ترى ؟ ؟

بالرجوع الى عناصر المحنة التى تكونت منها ، وبالنظر الى أسبابها التى تسببت عنها نعثر على كيفية الخروج منها : ان عناصر هذه المحنة لا تعدو كونها التعليم ، والتعليم وحده ، وأعنى بالتعليم ذاك التعليم الغير الهادف ، والذى لم يراع فيه شرف ولا قدسية ، ولم يلاحظ فيه دين ولا دنيا بالمعنى الصحيح لمفهوم كلمتى الدين والدنيا.

كما أن أسباب هذه المحنة لا تخرج أيضاً عن سبب واحد ألا وهو الوظيفة ذات الراتب المالى . وعليه فالخروج من هذه المحنة زيادة على ما يجب من حملة التوعية الإسلامية والتربية الدينية : إصلاح مناهج التعليم ، وحرمان المرأة من الوظيفة الحكومية وغير الحكومية إلا فى حدود معروفة وإطار معلوم . وبذلك تقل الرغبة من الآباء والأمهات فى دفع بناتهم الى المعاهد والكليات ، وطبيعياً ستعود المرأة يومئذ الى وظيفتها : ملازمة البيت والقيام بشؤونه والنهوض بأعبائه وما أكثر شؤون البيت وما أثقل أعباءه ، وإن هى قامت بذلك فقد كانت بحق نصف الرجل وجناحه الذى لا يطير إلا به ، وكانت أقدر بكثير على إسعاد الرجل

وبيته ، واستحقت بجدارة لقب المواطنة الصالحة والمرأة المنتجة التى يعتمد عليها الوطن كما يعتمد على الرجل وتؤثر فى بنائه وحمايته وفى قوته ومنعته كما يؤثر الرجل وأكثر . وهذا أقصى ما يطلب من الأفراد الصالحين بين الناس أجمعين .

آخر سهم

وأخيراً وبعد عرض هذه المحن الثمانى التى يعانى منها المسلمون فى الشرق والغرب ووضع ما أمكن من كيفيات للخروج منها متى أراد المسلمون ذلك فإنى وكعادتى فى الجدية فى الأمور والصدق فيها اغتنم هذه الفرصة وقد سنحت مع الإخوة القراء وقبل أن تبرح ، فأضع بين أيديهم وهم ما بين عالم وطالب علم والكل مسئول عن بذل ما يمكن بذله للخروج بالمسلمين من هذه المحن التى تهدد كيانهم وتريد أن تقضى على وجودهم : أضع بين أيديهم وأطالبهم بالعمل على التنفيذ والإنجاز السريع : خطتين لعمل إسلامى مثمر جدير بالإنقاذ والإسعاد .

أولاهما : تكوين وفد من خمسة علماء ربَّانيِّين صالحين وعلى رأسهم فضيلة رئيس الجامعة الإسلامية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، والتوجه فوراً الى رحاب جلالة الملك فيصل إمام الحرمين الشريفين حفظه الله وأيده بروح منه . ومطالبة جلالته بالموافقة على إعادة بناء الرابطة ــ رابطة العالم الإسلامى ــ من جديد ، وإسناد ذلك الى هذا الوفد الذى حضر لدى جلالته مطالباً بذلك .

وأما كيفية إعادة بناء الرابطة فقد سبق لى أن أبرقت بها الى مؤتمر رؤساء خارجية الدول الإسلامية بجدة ضمن اقتراح آخر ، ولا شك أن جلالته حفظه الله تعالى على علم به . وهذا نص ما أبرقت به فليقرأه القارئ الكريم وليطلع عليه وهو بعد حذف الديباجة :

العالم البشرى عامة ، والإسلامى خاصة مهدد بكارثة محققة ان لم ينقذه الله تعالى بالإسلام . وعليه فالمطلوب منكم فى مؤتمركم هذا أن تخطوا الخطوات التالية :

أ ــ إعادة بناء هيكل رابطة العالم الإسلامى بوضعه على أساس اختيار علماء ربانيين يختارون على علم من كافة ديار المسلمين ويسند إليهم ما يلى :

١ ــ وضع دستور إسلامى لأمة الإسلام يستقى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والفقه الإسلامى ، ويقدم لكل حكومة إسلامية للحكم به وتنفيذه .

٢ ــ فتح مراكز للرابطة فى كل بلد إسلامى تقوم الرابطة بواسطتها بإرشاد المسلمين وتوجيههم واصلاحهم عقيدة وسلوكاً .

٣ ــ مساهمة كل الحكومات المسلمة فى ميزانية الرابطة لتقوم برسالتها التربوية التوجيهية الاصلاحية بين كافة المسلمين .

٤ ــ احترام الرابطة وتقديسها من كافة المسلمين حكومات وشعوباً حتى تصبح كلمتها نافذة بين كافة المسلمين ، وتكون ظلاً كظل الخلافة الإسلامية يرجع إليها المسلمون فى كل ما يهمهم فى أمر دينهم ودنياهم .

هذا أيها الإخوة القراء ما جاء فى تلك البرقية ، وهو ما سيطالب به وفدكم يوم تكونونه لهذه المهمة العظيمة . واعلموا أن أمراً كهذا متى تحقق كان أكبر عمل إيجابى ، وأعظم خطوة سديدة فى إنقاذ المسلمين من شتى المحن والإحن والبلايا والرزايا إن شاء الله تعالى . فقوموا أيها الإخوة القراء بواجبكم والله معكم ولن يتركم أعمالكم . .

وثانيتهما : أن يعمل العلماء والمصلحون فى كل إقليم إسلامى على تكوين جمعيات تعاونية فى كافة أحياء مدن الإقليم وقراه بحيث يقوم رجال الحى أو القرية ، يعاونهم المجلس البلدى ببناء مسجد جامع فى حيهم أو قريتهم يتسع لكافة أفراد الحى أو القرية ذكوراً وإناثاً ، ويختارون إماماً لهم من أهل العلم والصلاح يسندون إليه أمر الصلاة بهم ، وجمعهم في مسجدهم مرتين فى الأسبوع ذكوراً وإناثاً لدراسة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تثقيفاً لهم ، وتربية لأرواحهم ، وتقويماً لأخلاقهم .

ومن المسجد وأهله تنبثق اللجان الإصلاحية الآتية :

١ ــ لجنة صندوق الحى ، أو القرية ، ومهمتها جمع الاشتراكات الشهرية من أفراد الحى أو القرية ، وحفظها فى صندوق الجمعية .

٢ ــ لجنة رعاية الحى أو القرية ، ومهمتها تفقد أحوال المتساكنين فى الحى أو القرية لمعرفة مريضهم ، ومحتاجهم ، وغائبهم ، ومظلومهم وظالمهم ، وتقديم

ذلك فى بيان لإمام الحى ، أو القرية لتقديم المساعدة الفورية التى يفرضها الإسلام بحكم الجوار والأخوة الإسلامية .

٣ ــ لجنة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويتكون أفرادها من رجل الحسبة (الشرطة) فى الحى أو القرية، ومن عضوين آخرين من أهل الحى ، ومهمتها مراقبة سلوك أفراد الحى أو القرية ، ومعرفة كل من ترك معروفاً وهو قادر على فعله ، أو ارتكب منكراً وهو غير مضطر إليه ، واستدعاؤه الى لجنة التأديب فى المسجد لأخذه بطرق تأديبها الخاصة .

٤ ــ لجنة التأديب وتتكون من إمام المسجد وعضو من رجال الحسبة (الشرطة) وأمين صندوق الحى ، ومهمتها تأديب وإصلاح كل من يخل بواجبه فى المجموعة المتساكنة فى الحى أو القرية بترك المعروف ، أو ارتكاب المنكر من قول أو فعل أو اعتقاد .

وتستخدم هذه اللجنة فى إصلاح الأفراد وسائل التأديب التالية :

١ ــ الوعظ والنصح ؛ إذ كان الرسول ﷺ يؤدب أصحابه بالقول أحياناً ، فإن لم يجد ذلك انتقل الى المادة التالية :

٢ ــ المقاطعة بهجره التام من كل أفراد الحى حتى من أقرب قريب إليه ، الى أن يتوب بفعل ما ترك من المعروف ، أو ترك ما ارتكب من المنكر ، فإن لم تنفع هذه الوسيلة انتقل الى المادة التالية :

٣ ــ رفع الأمر الى دائرة الحسبة (الشرطة) فى المدينة ، ومطالبتها باسم كافة أفراد الحى أو القرية بإصلاح هذا الشخص ، أو نفيه من الحى أو القرية ؛ لأنه عضو فاسد يخشى معه سراية الى أفراد الحى الصالحين .

وأخيراً لا أشك فى أن تحقيق هذين الأمرين سيحقق لأمة الإسلام خيراً كثيراً وسيخفف كثيراً من الآلام التى يعانيها المسلمون فى الشرق والغرب . كما لا أشك أن تحقيق هذين الأمرين من السهولة بمكان ، وأنه لا أيسر من ذلك متى نهضت الجماعة المؤمنة شاعرة بمسئوليتها ، تمد يدها بإخلاص لتسلّم زمام المبادرة والعمل والتكوين . والله وليها فى ذلك وناصرها وهو تعالى نعم المولى ونعم النصير .

الرِّسَالَة الثَّامِنَة عَشَرَة

هَكذا الحج المَبرُور وَ الزيارة

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

أخى المسلم . . . إذا أردت أن يكون حجك مبروراً تخرج به من ذنوبك كيوم ولدتك أُمك ، ويكون جزاؤك عنه الجنة فاتبع كيفية الحج التالية :

إذا عزمت على الخروج الى مكة فقلم أظفارك وتنظف ، واغتسل والبس إزاراً ورداء نظيفين ، والبس نعلين ، وإذا وصلت الى الميقات « آبار على » فصلّ ركعتين ، ثم انو نسكك ، وإن كنت تريد التمتع ــ وهو أفضل لك عندنا ــ فلبّ قائلاً : لبيك اللهم عمرة . وإن كنت تريد الإفراد ــ وهو أفضل لمن اعتمر قبل أشهر الحج ــ فقل : لبيك اللهم حجاً . وإن كنت تريد القران ــ وهو أفضل أن سقت معك هديا ــ فقل : لبيك اللهم حجاً وعمرة . ثم واصل التلبية :

لبيكَ اللهم لبيك ، لبيكَ لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك .

وإن كان خروجك الى مكة بطريق الجو فتنظف واغتسل والبس إزارك ورداءك ونعليك وصلّ ركعتين بمسجد المطار واركب طائرتك ، فإذا ارتفعت الطائرة من أرض المطار وفارقته بقدر دقيقة فانو نسكك ولبّ وواصل التلبية حتى تصل الى مكة المكرمة واحذر وأنت محرم ما يلى :

لبس الثياب ، تغطية الرأس ، مس الطيب ، قص الشعر ، قلم الظفر ، مباشرة النساء . وعدم النطق بفحش . وأكثر من فعل ما يلى :

التلبية ، الدعاء، الصلاة على النبى ﷺ ، الصدقة ، بذل المعروف من قول وفعل . وإذا وصلت مكة المكرمة فتطهر واقصد المسجد الحرام ، فإذا وصلته فادخل من أى أبوابه تيسر لك وقدّم رجلك اليمنى وقل : بسم الله ، اللهم صل على محمد وآله ، اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك. وإذا رأيت البيت ــ حرسه الله ــ فقل : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً وزد من شرّفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً . ثم ادخل المطاف كاشفاً عن كتفك الأيمن وتقدم الى الحجر الأسود وقبله إن تيسر أو المسه بيدك أو أشر إليه

ناوياً الطواف ، ثم طف جاعلاً البيت عن يسارك قائلاً : بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ وواصل طوافك مهرولاً فى الأشواط الثلاثة الأولى وماشياً فى الأربعة الباقية تدعو بما فتح الله عليك وتختم كل شوط بدعاء : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ،وكلما مررت بالركن اليمانى لمسته بيدك وبالحجر الأسود قبلته أو لمسته أو أشرت إليه حسب إمكانك وإذا فرغت من الطواف سبعة أشواط فأت مقام إبراهيم فصلِّ خلفه ركعتين ولو بعيداً منه . تقرأ فى الأولى الفاتحة والكافرون ، وفى الثانية الفاتحة والصمد . ثم ايت زمزم فاشرب منه وأكثر وادع بعد الشرب ما تحب من الخير وان قلتَ اللهم إنى أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء وعافية من كل بلاء فحسن . ثم تخرج الى المسعى من باب الصفا تالياً قول الله تعالى : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله .. الى عليم**﴾ . فإذا وصلت الصفا فاصعده واستقبل البيت وارفع يديك قائلاً : الله أكبر (ثلاثاً) لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، وادع بما شئت من الخير ، وانزل ساعياً الى المروة ، واذا كنت بين الميلين الأخضرين فخبّ (أى مسرعاً دون الركض) وإذا وصلت الى المروة فاصعده واستقبل البيت وقل ما قلته على الصفا ثم انزل ساعياً الى الصفا . وهكذا حتى تتم سبعة أشواط بثمانى وقفات (أربع على الصفا وأربع على المروة) وإذا فرغت من السعى فقصر شعرك « إن كنت متمتعا » والبس ثيابك فقد تمت عمرتك . وإن كنت مفرداً أو قارناً ، فلا تقصر ولا تتحلل وإنما ابق على إحرامك حتى ترم جمرة العقبة يوم النحر .

تنبيه : أنبهك أخى المسلم الى أن شأن مكة والحرم عظيمان فاحذر أن ترتكب فيهما أي ذنب ، فإن الله تعالى يقول: ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ فإياك والكذب والظلم والفحش وسماع الأغانى والباطل وحلق لحيتك وأذية عباد الله فى بيته وحرمه .

هذا وإذا كان يوم التروية ثامن الحجة فاغتسل وتجرد من ثيابك والبس إحرامك (إن كنت قد تحللت وانو الحج ملبياً به واخرج الى منى ضحى ملبياً فبت بها واقض جل هذا الوقت فى التلبية والدعاء والصلاة والسلام على النبى ﷺ .

وإذا صليت الصبح من يوم عرفة (تاسع الحجة) خرجت الى عرفة فنزلت بها ، وإذا أمكنك أن تأتى مسجد نمرة فتصلى الظهر والعصر مع الإمام جمعاً وقصراً فافعل فإنه خير. ثم توجه بعد ذلك الى جبل الرحمة فقف به مستقبلاً القبلة وقف حيث تيسر لك الوقوف لأن عرفة كلها موقف ، وأكثر من الذكر والدعاء وأفضل الذكر : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، حتى إذا غربت الشمس أفضت من عرفات الى مزدلفة فإذا وصلت فصل المغرب والعشاء قصراً (جمع تأخير) ثم بت فيها وإذا صليت الصبح وقفت مستقبلاً القبلة تذكر الله تعالى كثيراً وتدعوه الى قرب طلوع الشمس ثم تنفر الى منى بعد أن تلتقط إن شئت سبع حصيات لرمى جمرة العقبة ،وإذا وصلت الى منى فارم جمرة العقبة قبل الزوال بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة (الله أكبر) فإذا فرغت نحرت هديك وحلقت رأسك وقصدت مكة المكرمة لطواف الافاضة ، فإذا وصلتها فطف بالبيت حرسه الله كما طفت عند قدومك غير أنك لا تكشف عن كتفك ولا تهرول فإذا فرغت فصل ركعتين خلف المقام واخرج الى المسعى فاسع إن كنت حججت متمتعاً وإن كنت مفرداً أو قارناً فإن سعيك الأول يجزئك . ثم عد الى منى لتبيت بها ثلاث ليال ، وقد تم حجك .

وإذا زالت الشمس من اليوم التالى للعيد فارم الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة ، وتدعو بعد الفراغ من الرمى عند كل جمرة إلا جمرة العقبة فلا تدع بعدها وابدأ فى الرمى بالجمرة الصغرى التى تلى مسجد الخيف واختم بجمرة العقبة ، وهكذا افعل فى اليوم الثانى . وأن شئت تعجلت فخرجت من منى (قبل الغروب) الى مكة وان شئت بت ورميت فى اليوم الثالث، ثم أتيت مكة المكرمة لطواف الوداع . وعندما تعزم على السفر طف طواف الوداع على النحو الذى طفته فى طواف الافاضة ، ثم اخرج عائداً الى بلادك قائلاً : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

تنبيهات

١ ــ لا تطف إلا وأنت متوضئ ، وأما السعى فيجوز بدون وضوء .

٢ ــ لا تترك التلبية فى ذهابك من مكة الى منى ، ومن منى الى عرفات ،

ومن عرفات الى مزدلفة ، ومن مزدلفة إلى منى حتى ترمى جمرة العقبة ، ثم استبدلها بالتكبير بعد الصلوات الخمس أيام منى الثلاثة .

٣ ــ لا تخرج من عرفات قبل غروب الشمس .

٤ ــ بت بمزدلفة وإذا كنت مضطراً الى الخروج منها فعلى الأقل انزل بها وصل العشاءين واسترح بها الى أن يمضى جزء كبير من الليل واذكر الله وادع ثم اخرج منها الى عرفات.

٥ ــ لا ترم قبل الزوال ، وإن اضطررت الى التأخير فأخِّر الى المساء .

٦ ــ العاجز والمريض ينيب من يرمى عنه ولا حرج .

٧ ــ يجوز أن تشترط أثناء احرامك فتقول : لبيك اللهم لبيك محلى من الأرض حيث تحبسنى ، فإنه إن نزل بك حادث منعك من مواصلة الحج تحللت ولا شيء عليك .

٨ ــ يجوز للمفرد والقارن تأخير السعى الى ما بعد طواف الافاضة إن لم يتيسر بعد طواف القدوم .

٩ ــ علامة قبول حجك أن تجد نفسك عند رجوعك الى بلدك تحب الخير وتعمله وتكره الشر وتجتنبه ، تلازم المساجد والصلاة فيها ، وتبتعد عن المقاهى والجلوس فيها .

الزيــــارة

أخى المسلم : وإذا أردت أن تكون زيارتك مقبولة تثاب عليها فاتبع فيها ما يلى :

إذا عزمت على الزيارة فانو زيارة المسجد النبوى الشريف أولاً ، ثم إذا وصلت المدينة فانو التشرف بالوقوف على قبر النبى ﷺ والسلام عليه وعلى صاحبيه ، إذ الزيارة طاعة وكل طاعة تحتاج الى نية . وإذا وصلت فتطهر وادخل المسجد النبوى مقدماً رجلك اليمنى قائلاً : « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك » . ثم ايت الروضة الشريفة أو ما جاورها المسجد وصل ركعتين ، فإذا فرغت فاقصد الحجرة الشريفة واستقبل المواجهة وسلم على النبى ﷺ قائلاً : « السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك

يا نبى الله، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، صلى الله تعالى عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعين » .

ثم سلم على أبى بكر قائلا : « السلام عليك أبا بكر الصديق صفى رسول الله وثانيه فى الغار».

ثم سلم على عمر قائلاً : السلام عليك عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته .

ثم انصرف فى أدب ، واجلس فى ناحية المسجد ، وادع الله تعالى واسأله من خير الدارين وبهذا تمت زيارتك فإن شئت سافرت وإن شئت أقمت بالمدينة لتصلى أربعين صلاة فى مسجد رسول الله ﷺ حيث كان فى ذلك أجر كبير وخير كثير . وإن أمكنك زيارة مسجد قباء للصلاة فيه فافعل فإن زيارته كأجر عمرة . وإن زرت قبور الشهداء بأُحد وقبور أزواج النبى ﷺ وبناته وأصحابه والمؤمنين بالبقيع فحسن. وأنبهك أخيراً الى ما يلى :

١ ــ لا ترفع صوتك عند السلام على الرسول ﷺ ولا فى مسجده أبداً .

٢ ــ لا تفعل ما يفعله الجهال من طول الوقوف عند القبر الشريف والدعاء ورفع الصوت وإنما سلم كما بينت لك وانصرف واجلس فى المسجد وادع بما شئت من الخير ، تأدباً مع الرسول ﷺ .

٣ ــ لا تكثر من التردد على القبر الشريف ومزاحمة الزائرين عنده وأذيتهم ، فإنه يكفيك أن تزوره عند قدومك ، وعند سفرك الى بلادك ، وأكثر من الصلاة والسلام على رسول الله وآله وأنت جالس مستقبل القبلة فى مسجده الشريف ، وأكثر من دعاء الله تعالى بالخير لك ولاخوانك المسلمين ولمن قدَّم لك هذه النصيحة فى هذا البيان .

الرّسالة التَّاسِعة عَشَرة

اكبر مسَابقَة يشهدها العَالم الإسلامى

فى رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلم العزيز ! . . يا أخى عبد الله ووليه ! . .

● هل أتشرف بابلاغك ؟ ! !

● هل أسعد باعلامك ؟ ! !

● هل تعلم يا ساكن طيبة الطيبة ؟ ! !

● هل تدرى يا جار رسول الله ﷺ ؟ !

يا حامى حمى الرسول ﷺ ! . . ماذا أبلغك ؟ ! وبمَ أعلمك ؟ !

● إنها للبشرى السارة العظيمة ! . .

● إنها للفرحة الكبرى العميمة ! . .

هى تلك المسابقة العالمية التى تبتدئ بأول ليلة من شهر رمضان ولا تنتهى إلا بآخر ليلة منه ! . .

فاستعدّ يا ابن المهاجرين . . . وتهيأ يا حفيد الأنصار . . .

استعد لأكبر فرصة فى عامك . . . وأبرك موسم فى سنتك . . .

انها المسابقة العظمى التى أعلن عنها الملك العظيم فى كتابه الكريم بقوله: ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**﴾ إن جائزةهذه المسابقة لأكبر جائزة والله . . . (إنها الجنة) . . الجنة التى عرضها السموات والأرض والتى فيها من النعيم ما تشتهيه الأنفس ،وتلذ الأعين . . وفيها من المتع الروحية والجسدية ما لم تره عين ، ولم تسمعه أذن . ولم يخطر على قلب بشر أبداً .

وهل بعد الجنة أيها العاقل اللبيب من مطلب لأصحاب السمو الروحى والكمال النفسى ـ مثلك ـ سوى رضوان الحبيب والنظر الى وجهه الكريم ؟

واسمح لى الآن أن أصف لك ميدان المسابقة ، وأفصّل لك شروط السباق حتى يمكنك اللحاق بحلبتها ، والمشاركة عن بصيرة فيها .

إن ميدان هذه المسابقة الإسلامية هو شهر رمضان المبارك الذى تفتح فيه أبواب الجنان فلم يغلق منها باب .

وأما شروطها فهى :

أولاً ــ أن يتخلى المسابق عن كل محرم أو مكروه كان يأتيه فى حياته قبل هذه المسابقة وذلك كأن يردَّ الحقوق الى أصحابها ، وأن يتجنب الباطل والشر فى كل شكل أو صورة ،وأن يترك سماع الأغانى والزمر والتطبيل وأن لا يسمح به فى بيته ولا فى دكانه أو محل عمله .

وأن يترك لعب الورق ، ويبتعد عن مجالسه كما يبتعد عن سماع الغيبة والنميمة والكذب والزور وقول ذلك كله ، وأن يطهر لسانه من قول الفحش والبذاء وسماعه مطلقاً وأن يطيب فمه ومجلسه بترك المكيفات من تبغ وشيشة ونحوهما .

ثانياً ــ أن يقبل بعزم وتصميم على ما يلى :

أ ــ أن يعلن عن توبته لله تعالى قائلاً: « اللهم إنى أستغفرك من كل ذنوبى وأتوب إليك من كل معتقد وقول وعمل تكرهه ولا يرضيك فاغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور» .

ب ــ أن يعمل الصالحات الآتية :

١ ــ أداء الصلوات الخمس فى الجماعة لا يفوت ركعة منها .

٢ ــ قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار طوال شهر رمضان .

٣ ــ الاكثار من نوافل الصلاة فى الليل والنهار طوال شهر رمضان .

٤ ــ الصدقات بالمال أو الطعام والشراب واللباس بحسب يساره وسعته .

٥ ــ الإكثار من الدعاء والاستغفار وقت السحر من كل ليلة .

هذه هى المسابقة وتلك شروطها . . فهل لك يا ابن الأبطال فى السبق ؟ هل

لك فى الفوز بالحور العين ؟ هل لك فى أن تضيف الى عمرك عمراً جديداً؟ والى رأس مالك نصيباً موفورا : ربح ومدة ألف شهر أى ٨٣ عاماً و ٤ أشهر . . هل لك فى تكفير كل سيئاتك ومحو كل ذنوبك ؟ ! كل ذلك يحصل بدخولك بجد وإخلاص فى هذه المسابقة .

فارم أيها الشاب البطل والرجل الحكيم بجواد عزمك فى حلبة هذا السباق وسابق :

احفظ سمعك من الغناء والزمر والتطبيل ، ومن الغيبة والفحش فى القول والبذاء ، ومن يديك من أن تتناول محرماً بهما ، ورجليك من أن تمشى الى باطل أو لهو بهما وكف لسانك من أن تقول غيبة أو نميمة أو كذباً أو زوراً أو فحشاً أو بذاء ! . . اصرف قلبك عما لا يعنى ، وأخله من التفكير فيما ليس لك به ضرورة أو حاجة .

الله أكبر ! . . الله أكبر . . أقدم أيها البطل وابسط يديك بالعطاء ، تصدق فهذا أوان الصدقة ، اعكف فى بيت ربك راغباً راهباً ، لازمه ولا تخرج إلا لحاجة حتى يغفر لك ويتوب عليك . . مكانك يا أخى فى الصفوف الأولى ، لا تفوتك تكبيرة الإحرام من كل صلاة أبداً . . كتاب الله . . كتاب الله يا أخى . . لا يمضى عليك رمضان دون أن تقرأه كله قراءة محفوفة بالتدبر والخشوع ، والدعاء والدموع .

وسلام عليك فى السابقين وبارك الله فيك فى الفائزين ! ! .

الراجى أن تشركه فى دعائك : **الجزائرى.**

الرِّسَالة العُشْرُون

غَدًا توزع الجَوائز

فى أعظم مشهد إسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله ولى المؤمنين ومتولّى الصالحين ! . .

بسم الله الرحمن الرحيم ورب العالمين ! . .

بسم الله المنعم بأوسمة القبول على السابقين ! . .

يُعلَن لجماهير المتسابقين من المؤمنين والمسلمين أن غداً توزع فيه جوائز السابقين ليوم قريب ! .

إنه يوم العيد السعيد الذى لم يبق عليه إلا أن تحترق فحمة آخر ليلة من ليالى السباق . . . ليالى رمضان المشرقة العِذَاب . . . ليالى الأنس والشوق الى الحبيب القريب .

الله أكبر . . . الله أكبر . . . الله أكبر

- أيتها الجماهير المتسابقة !
- أيتها الفئات المؤمنة الآملة !
- أيتها المواكب الراكبة الى الله الراكضة !
- الى المشهد . . . الى مصلى العيد ! . .

هلموا . . هلموا . . خذوا بطاقات الحضور من بيوت إماء الله تعالى وعبيده الفقراء والمساكين بدفع صدقات فطركم اليهم ، ثم يمموا المشهد آملين راجين وبذكر ملككم العظيم لاهجين :

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

لا تزالوا مكبِّرين مهللين كذلكم حتى ساحة المشهد . . خذوا أماكنكم من قاعة المشهد مترنمين بتسبيح مليككم السبُّوح القدُّوس رب الملائكة والروح قائلين :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والآن معشر المتسابقين إليكم هذه القائمة بأسماء الفائزين فى مسابقة شهر رمضان العظمى :

أسماء الفائزين فى المسابقة :

عبد الله الذى كان لا يشهد صلاة الجماعة صبحاً ولا عصراً ولا عشاء فأصبح لا تفوته أية ركعة منها .

عبد الله الذى كان بينه وبين أحد أقربائه عداوة وشحناء فأزالها وصافى قريبه وبرّه وأحبه فى الله .

عبد الله الذى كان يؤذى جيرانه فترك أذاهم وابرّهم وأحسن إليهم تقرباً الى الله سبحانه وتعالى .

ولىُّ الله الذى كان يستهويه الطرب فيسمع الأغانى ويقضى جزءاً كبيراً من يومه وليله حول المذياع يسمع أصوات الشيطان ومزاميره فتاب من ذلك وأصبح إذا سمع صوت طرب أدخل إصبعيه فى أذنيه كى لا يسمع تقرباً الى الله تعالى .

ولىُّ الله الذى كان يأتى بيوت الله ورائحة فمه متغيرة بنتن التبغ والشيشة فاستحى من الله تعالى وترك ذلك تطهيراً لبيت ربه وتطيباً لفمه الذى يذكر به اسم ربه .

ولىُّ الله الذى كان بعض اصدقائه يدعوه الى السمر على لعب (الكيرم) والورق فكان بذلك يغضب مليكه وملائكته وصالحى إخوانه فعدل عن ذلك خوفاً من الله .

نكتفى بذكر هذه القائمة من أسماء الفائزين ونكبر الله : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . ثم لنستمع لهذا الهتاف :

- هنيئاً لمن سابق فسبق !
- هنيئاً لمن تاب واناب وقبل !
- هنيئاً لمن أحب الله فأحبه الله !

وانتم أيها المتخلفون عن ركب الفائزين لا تيأسوا من رحمة الله ، إن مليككم يقول : ﴿ **يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من**

قبل أن يـأتيكم الـعذاب ثم لا تنـصرون ﴾ إنه قد هـيأ لكم فـرصة أخرى للـسباق والفوز فاهتـبلوها ، إنها تبتدئ من يـومكم هذا ولا تنتهى إلا بسبـقكم وفوزكم ، فارموا اذاً بخيول العزم فى ميدان السبق ، واستعينوا بالصبر والصلاة ، واستعينوا على ترك الآثام بخوف المـقام ، وتقووا على الطاعة بذكر الساعـة ، وتغلبوا على الرذائل بكرهها وحب الفضائل .

ثم احذروا أيها المتسابقون الأبطال من العائق الأكبر ، احذروه أن يعوقكم كما عاق أمماً من قبلكم ،احذروه إنه :(حب الدنيـا وكراهية الآخرة) فأحبوا الآخرة بالاكثار من الزكاة والصلاة واكرهوا الدنيا بتقليل الرغبة فيها وبالتجافى عن الشهوات .

وأخيراً إلى الأخوة هذين المثالين العجيبين

المثال الأول : رجل شـديد وسخ الجـسم والثـياب تـفوح منـه رائحة الـنتن والتعفن الكبير ، من رآه كرهه وفر منه . ذهب الى نهر عذب فغسل جسمه وثيابه وتطيب بأجـود أنواع المسك والطيب ، فصار أحـسن الناس هيئة وأجملـهم منظراً وأطيبهم ريحاً ، ولم يلبث إلا يسيراً حتى رمى نـفسه فى حمأة منتنة فتمرغ فيها ، وعاد أقبح ما يكون منظراً ، وأنتن ما يمـكن ريحاً . . وذلك مثل من ترك المعاصى فى رمضان توبة منـه الى الرحمن ، ولما انقرض شهر رمضان عـاد الى معاصيه ، وراجع ما كان يأتيه فتهاون بالـصلاة ، وغفل عن ذكر الله . . نسى الله فأنساه الله نفسه فكان من الفاسقين .

المثال الثانى : رجل عليـل الجسم سقـيم البدن ، شـاحب الوجه ، مـصفر اللون، قد غارت عيناه ونضب ماء محياه . ساقته عناية الله الى مستشفى الأمراض المستعصـية فعـالج أوجاعـه ، وداوى اسقـامه ، فعـاد كأصح الـناس جسـماً ، وأنضرهم وجهاً غـير أنه لم يتمتع بتلـك الصحة ولم ينعم بذلك الـكمال إلا أياماً معدودة حـيث عاد الى أسباب اسـقامه وأوجاعه الأولـى يتعاطاها ويـجرى وراءها حتى عاودته الآلام وأحـاطت به من جديد الأسقام . . وذلك مـثل من أناب الى ربه ، وتاب فـى رمضان من ذنبـه ، ولما خرج رمضان عـاد الى معصيـة الديان ، فزين بيته بالصور والتماثيل ، ونام عن صلاة الليل وترك مجالس العلم وأقبل على مجالس اللعب واللهو ، فترك سماع القرآن وشغل سمعه بأصوات الشيطان .

فاحذر أيها المسابـق الفائز سبيل هذين الرجلين ، واربأ بـنفسك أن تكون من الخاسرين ، وسلام عليك فى الفائزين الصالحين .

الرِّسَالَة الوَاحِدَة والعُشرُون

بدَت طَلائِع وفود الله

فماذا أعددتم لها من « قِرى » يا أهل دار رسول الله ﷺ ؟ !

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وآله وصحبه ومن نصره ووالاه .

إليكم . . يا من تبوأ آباؤهم الدار والإيمان . . يا أحفاد المهاجرين ويا أبناء الأنصار . .

إليكم . . يا حماة الحمى ، ويا جيرة المصطفى ﷺ ، ويا أهل دار رسول الله ﷺ .

إليكم . . والى رحابكم الطاهرة ، وبيوتكم العامرة ، والى ساحات دوركم المباركة فى هذه الأيام تهفو قلوب ، وتحن نفوس وتتحرك أشواق ، وتشرئب أعناق فتتطاير بالأشباح الأرواحُ ، فمن طائر فى السماء ، وسابح فى الماء ، وضارب فى الغبراء . . والكل يؤم الدار ، ويقصد الجوار . .

وكأنى بطلائع تلك الوفود وقد أناخت بسوح هاتيك الديار ، نجائب الأسفار ، ورنت بالأبصار الى سكان دار المختار ﷺ تنتظر قِرى الاضياف ، ونزل الأشراف ! فأخبرونى وأنتم الأكرمون المستضافون . . أخبرونى بالذى أعددتم لضيفانكم ، وهيأتم لنزلائكم ؟ . .

وأرجو أيها الاخوة أن لا تعتبروا سؤالى هذا سؤال طفيلى غريب عن أهل الدار يسائلهم عما أوقدوا عليه النار ، وإنما الأمل أن تعدونى من حراس الحى يلزمنى ما يلزمكم من حماية الذمار ورعاية الدار ، ويتعين على ما يتعين عليكم من تأثيل مجد أو كسب حمد !

وبحكم هذا فهل لنا أن نتساءل : ماذا أعددنا من قرى لمن أموا دارنا جياعاً . . عطاشاً . . شعثاً . . غبراً . لا يشبعهم طعام . . ولا يرويهم ماء . . ولا يزيل شعثهم دهن ، ولا غبرتهم صابون . . لأنهم جياع الأرواح ، وعطاش النفوس ، وشعث الأخلاق وغبر الطباع . . أرداهم ـ إلا قليلاً منهم ـ ما أردى من ترف الحياة وأضناهم ما أضنى من قلة الصلاة .

فمثل هـؤلاء لا يكون (قراهم) منـا طعاماً ملُّوه ، ولا شرابـاً سئموه ، ولا دهـناً تـعفـنوه . . وإنمـا يكـون حلاوة الإيمـان ، وسلامـة الإسلام ، وجـميـل الاحسان! .

يا أهل حي رسول الله ﷺ :

إن مفقود ضيوفكم اليوم هو موجـودكم بالأمس ، فأعطوهم من الموجود ولا تتكلفوا المفقود . . إن ضيوفنا أيها الاخوة ليسوا فى حاجة الى أن نريهم فى ديارنا وجوهاً حليقة فقد أصحابها المروءة والحياء . ! ولا ألسنة سليطة تحذق السفه وتجيد البذاء ، وإنما هم فى حـاجة الى أن يروا فى ديارنا وجوهاً زانهـا الشعر ، وحلاها الطلاقة والبشر ، نضرتها ماء المروءة ورواؤها نور الشجاعة وبهاء الكرم .

إنهم فى حاجة الى أن يروا فى ديارنا الألسـنة العذاب الناطقة بالصواب ، إن تكلمت أشفت ، وإن سكتت سكنت ! .

يا سكان الحمى !:

إن قاصدى حماكم ليسوا فى حاجة الى أن يسمعوا الزمر والغناء فى دياركم ، لأن ذلك شر فروا منـه وهربوا من ساحته ، وداء أرادوا التـخلص من أرضه . . انهم فى حاجة إلى أن يسمعوا فى دياركم من صغاركم وكباركم كتاب الله تعالى ، وذكر الله وما والاه من قولة حق صائبة ، وحكمة عزيزة نادرة .

يا سكان المعرس !:

إن وفود ربكم ليسوا فـى حاجة الى أن يتعلموا عنكم كيـف يترفون ويسرفون وإنما فى حاجة إلـى أن يتعلموا عنكم الـكرم والسماحة ، والعفـة والقناعة ، إذ هذا هـو المفقود فـى ديارهم . . فـليكن المـوجود فى ديـاركم وقد طـلبوه منـكم فامنحوه .

يا حماة الرسول ﷺ !:

إن نزلاءكم ليسوا فـى حاجة الى أن تبثوهم شكوى الفقـر والحاجة فيكم . . ولا شكاة النفرة بينكم والفرقـة ، فإن هذا أمر ضاقت به صدورهم ، ووباء خمت به دورهم . . وإنما هم فى حاجة أن تبثوا فيهم انكم فى يسر وخير ، وانكم أخوة لا فرقة بينكم ولا نفـرة . . إخوان متعاونون وأحبة متصافون ليكـون ذلك تخفيفاً

لآلامهم ، ومداواة لجراحاتهم .

وأخيراً أيها الاخوة !:

هل لكم يا جيرة الرسول ﷺ أن تتنافسوا فى المكارم وتتسابقوا فى ميدان الفضائل فتستقبلوا وفود الله تعالى وقاصدى حمى رسوله ﷺ بوجوه طلقة وألسنة عذبة .. ونفوس عزيزة ، وأرواح شريفة .. صدق قول ، وحسن معاملة .. تلطف فى الخطاب ، ورقة فى الجواب .

ترشدون من ضل ، وتعلمون من جهل ، وتحلمون على من سفه ابتغاء وجه الله تعالى ، وإكراماً لنزلاء حمى رسول الله ﷺ .

فتنافسوا فى هذه الفضائل ، وتسابقوا فى ميدان المكارم ، وإنكم لأهل لذلك. وكيف وانتم درع الرسول ﷺ وسيفه المسلول ، حمى الله بكم الحرم ، ورعى بكم الذمم ، وجعلكم هداة الأمم .

وسلام عليكم ما وفيتم ، وللخيرِ هديتم .

الرِّسَالَة الثانَية والعُشرُون

نِداء وبلاغ

الى وفود الله تعالى فى رحابه الطاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم ــ وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبعد :

أيها المسلمون :

إن الصراع الدائر اليوم بين الشيوعية عدوة الأديان ،وبين الرأسمالية الطاغية أوشك أن يصل إلى نهايته ، والتى غالباً لا تكون إلا واحدة من ثلاث :

إما خراب العالم ودماره ، وإما انتصار الشيوعية العالمية الملحدة ، وإما انتصار الرأسمالية الغربية المتهودة .

وبناء على هذا فإن الإسلام والعالم الإنسانى سيكونان الضحية لا محالة لهذا الصراع الدائر وبدون شك .

وذلك أنه إذا انتصر المعسكر الشيوعى وهو الأقرب احتمالاً فإن العالم ستلتهمه نار الشيوعية الحمراء فلا تبقى فيه من معنى للحياة الإنسانية بالمرة ، ولم يعش الناس بعدها إلا عيشة حيوانية ينزو بعضهم على بعض فى الشوارع والطرقات .

وإذا انتصر المعسكر الرأسمالى المتهود ، فإن القضاء على الإسلام سيكون الهدف الأول لتلك القوة الرأسمالية المتهودة ، ويومئذ يسود وجه الحياة ، وتذهب معالم الهدى ، ويفنى عالم الأخلاق ، وتنطوى صفحة النور ويَاَلخسارة هذا العالم البشرى يوم تغرب عنه شمس الإسلام ويذهب نوره من وجه الأرض .

أيها المسلمون :

إن مسئولية إنقاذ العالمين الإسلامى ، والإنسانى منوطة بكم ، وملقاة على كواهلكم فاعرفوا هذا الواجب المقدس وبادروا الى انقاذ هذا العالم المتطلع اليكم،والذى لا أمل فى أحد من الخلق غيركم ؛ إذ أنتم وحدكم مظهر الرحمة الإلهية فى هذا الكون . بكم لا بغيركم من الناس يدفع الشر ، ويرفع الظلم، وتطهر الأرض من الباطل والفساد . .

أيها المسلمون :

لا تنسوا أن العالم كان قبل الإسلام فاسداً ، وأن الله تعالى قد أصلحه بإسلامكم يوم حمله إليه أسلافكم فعاش دهراً طويلاً فى نور وهداية. وأنه لم يصب بما أصيب به من الخسران ، ولم يتهدده الذى يتهدده الآن من الفناء والدمار إلا يوم أن تركتم قيادته وتخليتم عن إمامته .

أيها المسلمون :

إنكم قد تعجبون من هذه الدعوة الموجهة إليكم لإنقاذكم العالم ، وقد تضحكون ، وتسخرون ، وذلك لما ترون من تفككم وضعفكم ، وسوء أحوالكم : دويلات هزيلة متناثرة لا تربطها ببعضها رابطة ، وشهوات عارمة جامعة ، وأهواء مستبدة سائدة . بضائع النفاق رائجة وسلع الصدق والأخلاق كاسدة بائرة .

أيها المسلمون :

إننا نعلم من حالكم ما تعلمون ، ولكنا نعلم كذلك أنه لا منقذ للعالم من البشر إلا أنتم ، ولا رافع للإسلام من كبوته ، والبشرية من وهدتها سواكم ؛ إذ آلة الإنقاذ بأيديكم والرافعة الوحيدة للإنسان لديكم . فاجتماع سبعمائة مليون مسلم فى كتلة واحدة هى آلة الإنقاذ ، واتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ هو الرافعة التى رفع الله بها المسلمين الى مستوى قيادة الناس أجمعين .

أيها المسلمون :

إن وصولكم إلى غايتكم فى إنقاذ أنفسكم والبشرية جمعاء من الفساد والشر وما يتوقع لكم ولها من الفناء والدمار ، لأمر أسهل من محافظتكم على الشر الذى تعيشون فيه ، والوضع الفاسد الذى تجاهدون من أجل الإبقاء عليه . إن الأمر لن يكلفكم أكثر من إيمان واستقامة إيمان بالله ، واستقامة على أمره ، مع خلع آلهة الشهوات والأهواء .

أيها المسلمون :

إنكم قد تقولون إن دعوتنا هذه إليكم دعوة سلبية وأنكم قد مللتم هذه الدعوات السلبية وأنكم تريدون دعوة إيجابية تحقق ما تصبون إليه من خير

وكرامة ، وعز وإمامة .

وعليه فهاكم الدعوة الإيجابية إن كنتم فاعلين :

فبسم الله تعالى اتصلوا فوراً فى يومكم هذا برابطة العالم الإسلامى اذهبوا إليها فرادى وجماعات ، وتعاونوا معها على تحقيق الخطوات الإيجابية التالية :

أ ــ تكوين مجلس أعلى لعلماء الشريعة علماء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يشارك فيه كل قطر إسلامى بخير واصلح وأعلم من عنده من علماء الشريعة وحماتها .

ب ــ تسندون إلى هذا المجلس القيام الفورى بوضع ميثاق إسلامى يشتمل على ما يأتى :

١ ــ اعتبار الأمة الإسلامية في جميع بلادها أمة واحدة لافرق بين عربيها وعجميها ولا أبيضها وأسودها .

٢ ــ اعتبار مجلس العلماء الآنف الذكر سلطة عليا للأمة الإسلامية يرد إليه كل ما يتعلق بشأن الأمة الإسلامية فى حياتها العامة والخاصة . ديناً ودنيا .

٣ ــ وضع دستور للأمة الإسلامية مستمداً أصولاً وفروعاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بحيث يشمل حياة الأمة الإسلامية الدينية والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية والعسكرية .

٤ ــ دعوة الحكومات والشعوب الإسلامية الي المصادقة على هذا الميثاق ، والانخراط فى سلك هذه الوحدة الإسلامية المباركة التى هى أمل كل مسلم صادق .

٥ ــ اعتبار أى حكومة أو شعب يرفض هذه الوحدة والانخراط فيها خارجاً عن سبيل المؤمنين تجب معاداته وتحرم موالاته حتى يتوب بالرجوع الى وحدة المسلمين والانضمام إلى صفوفهم .

جـ ــ اتخاذ المدينة المنورة مقراً لمجلس علماء الأمة الإسلامية التشريعى والذى هو المرجع الوحيد لأمة الإسلام فى كل شؤون حياتها .

د ــ تعتبر الحكومة منخرطة فى وحدة المسلمين بتنفيذها الفعلى الصادق

للدستور الإسلامى الذى اقتبسه المجلس الاعلى للأمة الإسلامية من الكتاب والسنة ، وبعدم التنفيذ الكلى ، لا انخراط ولا موالاة . وأخيراً هذه هى الدعوة الإيجابية والبناءة فإذا عملتم أيها المسلمون على تحقيقها فقد أنقذتم الإسلام واجياله الصاعدة ، وانقذتم البشرية قاطبة ، وحررتم أرض قدسكم وطهرتم قبلتكم الأولى من رجس اليهود وإلا فانكم لن تبرحوا فى ذل وشقاء ، وفتنة وحيرة حتى تراجعوا هذه الدعوة وتنفّذوها .

واللهم اشهد فقد بلغت : أبو بكر جابر الجزائرى

المدينة المنورة ٤ / ١٢ / ١٣٨٧ هـ

الرّسَالَة الثَالِثَة والعشرُون

دعَـــاء وَدَعَـــوة

في عرفات

دعـــاء ودعـــوة [1]

نحمـدك اللهم حـمداً كثيراً ، ونـشكرك شكراً جـزيلاً ، ونسألـك أن تُصلى وتُسلم على نبيك نبى الرحمة محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

وإليك اللهمَّ فى هـذا اليوم المبارك السعيد يوم عرفةَ الأغـر الميمون نرفع أكف الضراعة سائلين إياك ضارعين إليك ، راغبين فيما عندك ، آملين فيما لديك ، فلا ترُد اللهم أكفنا صـفراً ، ولا تجعل غناءنا بك فقراً ولا رغبتنا فـيما عندك ، وأملنا فيما لديك خيبة وخسراً .

اللهـم إنا عبيـدك أبناء عبـيدك ، أبناء إمائـك ، نواصينـا بيدك ، ماض فـينا حكمك ، عـدلٌ فينا قضاؤك . إلـيك خرجنا ، وبساحـة إحسانك نزلنـا ، وبفناء رحمتك يا أرحم الراحمين أنخنا . أنت ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ، ولا معبود لنا سواك . اللـهم إنك تعـلم رغبتـنا فيك ، وحاجـتنا إليـك ، وأنت الغنـى ونحن الفقراء، وأنت القوى ونحن الضعفاء ، وأنت العزيز ونحن الأذلاء . فحقق اللهم رغبتنا ، واقض حاجتنا ولا تردنا خائبين ، إنك أرحم الراحمين ورب العالمين .

اللهم إنك تعلم ما حل بنا ، وما نـزل بديارنا ، وما نالنا من عدوك وعدونا، فقد أصبحنا ونـحن أولياؤك ، وأُمة أكرم أنبيائك أضعف الناس سـلطاناً ، وأقلهم شأناً، لا يرهب لنا جانب ، ولا نمنع من يد طالب ، نغزى فى عقر الدار ، ونسام الخسف باللـيل والنهار ، تجرأ علينا أحـقر العباد البوذة الهنـود ، وأذلنا أذل الخلق اليهود . فأبـدل اللهم ذلنا عزاً ، وضعفنـا قوة ، ورد إلينا بطاعتك سلـطاننا وعزة جانبنا ما سلبتنا بمعصيتك ، إنك بر كريم ، غفور رحيم .

اللهم إن ما اصابنـا وما نزل بنا قد كان بعدلك وذنوبنـا ، فأنت المحمود على حكمك ، ونحن المذمومـون بذنوبنا الملومون بمعاصينا من خلـقك . فتب علينا ، واعف عنا ولا تدم حالة السوء علينا ، فإنه لا راحم لنا غيرك ، ولا كاشف لما بنا سواك .

اللـهم إنه لا مفـر لنا ولا مهـرب منك إلا إليـك ، ولا منجا ولا مـلتجأ لـنا غيرك، أنت ربنا ولينا ، لا رب لنا غـيرك ولا ولى ولا مولى لنا سواك ، ندعوك

---

(١) كتب الدعاء أبو بكر جابر المدرّس بالجامعة الإسلامية ، والواعظ بالمسجد النبوى الشريف .

ونتوسل إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تخلصنا من ذل معصيتك، وأن تجنبنا من هلكة الكفر بنعمتك ، أن تنقذنا من غرق الغفلة عن ذكرك ، ومن حيرة السير فى غير صراطك ، ومن عماية الجهل بسننك ، وغواية البعد عن شريعتك، ومن وحشة الحياة بغير حبك وحب رسولك وأوليائك وصالحى عبادك .

اللهم إنك قلت ، وقولك الحق : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾، وقد أصابنا ذل وفقر ، وضعف وعجز ، وقلق وحيرة ، وهون ودون، ذلك بما كسبت أيدينا من الفرقة فى دينك ، واتباع غير صراطك المستقيم ، وبما جنت أنفسنا من حب العاجلة وإيثارها ، وكره الآخرة وتركها . فأضعنا الصلاة واتبعنا الشهوات ، خلطنا التوحيد بالشرك ، واستبدلنا الرشد بالغى . أبطلنا أحكام دينك ، وعطلنا حدود [1] شرعك اتبعنا هوانا بدلا عن اتباع شرعك ، وأطعنا شح أنفسنا عوضاً عن طاعتك وطاعة رسولك ، أعجبنا بآرائنا ، وآراء غيرنا من أعدائنا ولم نعجب بالإسلام الذى ارتضيته لنا ديناً ،ووضعته لنا صراطاً مستقيما ، ونهجاً قويما . فاللهم إن أصابنا كان بما كسبت أيدينا وجنت أنفسنا وإنا جئناك الآن مستعتبين ، ومن ذنوبنا متنصلين ، ومن سيئاتنا مستغفرين ، فأعتبنا يا ربنا وأغفر لنا ذنوبنا يا إلهنا ، وكفر عنا سيئاتنا يا مولانا ، وأبدل ذلنا عزاً ، وفقرنا غنى وضعفنا قوة ، وقلقنا سكونا ، وحيرتنا هداية ورشداً ، إنك أهل لذلك وقادر عليه .

اللهم إنك أمرتنا بالدعاء وواعدتنا بالاجابة ، ونحن قد رفعنا اليك أيدينا سائلين، ووجهنا اليك وجوهنا ضارعين ، وعلقنا بك قلوبنا آملين راجين فأنجز لنا وعدك، وحقق فيك رجاءنا ، ففرج ما بنا وأكشف هذا السوء عنا ، خلصنا مما نحن فيه إنك ولى ذلك وقادر عليه .

اللهم إنا لا نسألك أن تبدل سننك فينا ولكنا نسألك أن توفقنا للأخذ بها والعمل بمقتضاها إنك يا ربنا على صراط مستقيم .

اللهم إن من سننك فى خلقك أن جعلت صلاح الأمة فى صلاح علمائها

---

(١) هذا غير صادق قطعاً على حكومة هذه المملكة الطاهرة ، إذ ما من شك أن أحكام الله تطبق فيها وحدود الشرع تقام بها كما أنها خالية من مظاهر الشرك والفسق والعصيان ، إلا ما قل وندر .اللهم أدم ذلك لها واحفظه عليها ، فإنه لم يبق للمسلمين سواها .

وولاة أمورها ، وفسادها فى فسادهما ؛ فإنا نسـألك اللهم مخلصين لك الدين أن تصلح علماءنا وولاة أمورنا بتوفيقهم لمعـرفة عجزهم وتقصيرهم ، وبإعانتهم على تدارك ذلك منهم ، وتلافيه فيهم إنك ربنا نعم المولى ونعم المعين والنصير .

اللهم إن بـالمسلمين انقسـاماً وفرقة واختلافاً فهـيّئ بفضلك ورحمتـك علماء المسلمين لإصـلاح ذلك فينا بإلهامهـم يا ربنا أن يفهموا أن دين الله مـا جاء ليكون أداة شقاء ، وفرقـة للمؤمنين يخـتلفون فيه ، ويـتقاتلون ، وإنما جاء لـيوحّد سير المؤمنين فى طريق سعادتهم بإخلاص الدين لربهم وعبادته بما شرع لهم .

اللهم ألهمهـم أن يفهموا أن القول بالرأى فى دينك كـان وما زال سبب فرقة المسلمين واختلافهم ، وجنّبهم ذلك ، وابعدهم عنه ، وكن لهم ولياً مرشداً .

اللهـم ألهمهم أن يـفهموا أن مـن الاجحاف بمقام رسـول الله وقدره ، وعدم الانصاف له أن يُقدموا على قوله قول أحد الـناس ، أو على حكمه وقضائه قضاء أو حكم أحد من الناس . وأَعنهم اللهم على تجنب ذلك والبعد عنه .

اللهم ألهمـهم أن مداهنة العوام ، ومسايرة الحكام مـن أجل الحظوة والحطام كان وما زال سبب انتشار البدع ، وموت السُّنن ، وفساد البلاد والعباد . واحمهم من ذلك واحفظهم منه فإنك خير حافظ ، وأعزّ مجير .

اللهم أفهـمهم وأعلمهم أن ترك المسـلمين جهلاء بعقائد إسـلامهم ، وأحكام شرعهم ، وآداب دينهم الذى هو دينك ، كان ومـا زال السبب فى محنة المسلمين وضعفهم وشـقائهم. وخذ اللهم بـأيديهم ليعلمـوا المسلمين ويفقهـوهم ويؤدبوهم ويربوهم،وقوّهم على ذلك وأقدرهم عليه إنك ذو القوة المتين وعلى كل شيء قدير.

اللهم يا الله أصلح لنا علماءنـا وولاة أمورنا فإن فى صلاحهم صلاحنا، وفى هدايتـهم هدايتـنا . اللهـم اهدهم واصلـحهم ووفقـهم وسدّدهم وكـن لهم ولا تخذلهم فإنك ولى المؤمنين ومتولى الصالحين ، وأرحم الراحمين ورب العالمين .

اللهم يا من لك الخلق والأمر ، وبيـدك الملك ، وأنت على كل شيء قدير ، اليك وحـدك نرفع شكوانـا، وبين يديك فى هذا الـيوم المبارك ، وفى هـذا المقام الكريم ، والجمع العظيم ، نضع حاجتنا يا الله يا ربنا ويارب العالمين .

اللهم إنك تعلم ما أصابنا وما نزل بساحتنا ،وما حل بديارنا ، فإنَّا قد أصبحنا

بعد الهداية ضالّين ، وبعد العلم جاهلين ، وبعد الوحدة متفرقين ، وبعد العزة ذليلين ، وبعد المحبة متعادين ، وما ظلمتنا فى هذا يا ربنا ولكنا كنا الظالمين ؛ وقد أعرض الكثير منا عن ذكرك ، وترك الكثير منا طاعتك وطاعة رسولك ، والى بعضنا أعداءك ، دعاوى أولياءك ، فكان هذا فسقاً بنا عن أمرك ، وخروجاً عن طاعتك ، فآسفناك وأعصيناك ، واستوجبنا نقمتك ، واستحققنا عذابك ، ولولا واسع رحمتك ، وعظيم عفوك ، وكبير حلمك لأهلكتنا كما أهلكت من آسفوك ممن قبلنا ،ولكنك عفوت وغفرت ، فلك ياربنا الحمد على حلمك وعفوك ، ولك الشكر على إحسانك ولطفك ، ولك يا ربنا العتبى حتى ترضى .

اللهم اننا بعلمك علمنا أن صلاحنا بصلاح من ولَّيتهم أمرنا ، وقلدتهم زمام قيادتنا ، وأنهم كما أنت عليم بهم ، فنسألك اللهم ونضرع إليك أن تُصلحهم وتسددهم ، وتهديهم سبل الرشاد .

اللهم ألهمهم أن يعلموا عظم المسئولية التى تقلدوا ، وثقل الأمانة التى تحملوا ، وخطورة المنصب الذى نصبوا أنفسهم فيه ؛ أنه منصب الخلافة عنك وعن رسولك فى إقامة العدل والشرع ، والجهاد ، وحفظ العقائد والعروض والدماء والأموال .

اللهم ألهمهم أن يعلموا أن كل محاولة يبذلونها لإسعاد هذه الأمة المسلمة محاولة باطلة فاشلة إذا لم تكن أخذاً بالكتاب والسنّة وسياسة بهما .

اللهم ألهمهم أن يعلموا أن سياسة تقسيم أمة الإسلام الواحدة إلى أمم، ودولتها الواحدة إلى دول ، وقانونها الواحد إلى قوانين ، هى سياسة محرمة لا يحل أن تقيم عليها أمة الإسلام ثلاثة أيام ، وذلك لما تجره عليها وتجلبه لها من عجز وخوف وذل وهوان كما هى حالها الآن . والهمهم اللهم أن يتحدوا على الحق والهدى ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ، واجمع اللهم قلوبهم على تقواك ، وسيرهم على هداك ، وكوّن اللهم من هذه الدويلات المبعثرة هنا وهناك كوّن يا ربنا منها دولة واحدة تنصر بها دينك وكتابك وأوليائك إنك ربنا على كل شىء قدير .

اللهم ألهمهم أن يعلموا أنك لا تغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم ، وأعنهم على تغيير ما بأنفسهم من إعراض عن كتابك وسنة نبيك ، وتعطيل

لحدودك، وتضييع لفرائضك ، واهمال لأمرك حتى تغير ما بنا من عجز وضعف وذل وهوان، حتى تبدل عجزنا قدرة وضعفنا قوة، وفرقتنا وحدة ، وذلنا وهواننا كرامة وعزة .

اللهم إن صلاح أمة نبيّك فى صلاحهم وهدايتها فى هدايتهم فأصلحهم واهدهم وغيّر ما بنا وبهم وانصرنا وانصرهم على عدونا وعدوهم ، وكن اللهم لهم هادياً ونصيراً ، وبنا وبهم رؤوفاً رحيماً .

اللهم يا ذا الغنى والطوْل ، والقوة والحوْل ، يا ذا الفضل والإحسان ويا ذا الجلال والإكرام ، إنك قد أعطيت من فضلك منّا من أعطيت ، وأغنيت من جودك منّا من أغنيت . وحرمت منّا بعدلك من حرمت ، وأفقرت منّا بحكمتك من أفقرت ؛ لا تُسأل عما تفْعل ، ونحن المسئولون المحاسبون ، وإنك تعلم اللهم بخل أغنيائنا وشحّهم ، وجوع فقرائنا وحرصهم ، وأنه لا يُرضيك بخلٌ ولا شحٌّ، ولا جزع ولا حرص ؛ لذلك ندعوك اللهم ونتوسل إليك بإيماننا بك وبرسولك، وبحجنا لبيتك ، وخروجنا هذا اليك ووقوفنا هذا بين يديك أن ترزق أغنياء هذه الأمة الشكر على ما أعطيتهم فينفقوا المال فيما تحب أن يُنفق فيه من قِرى ضيف ، أو إكرام شريف ، أو إطعام يتيم ذى مقربة ، أو مسكين ذى متربة ، أَو بناء مسجد أو مدرسة ، أو مصنع أو مستشفى . وجنّبهم اللهم السّرف والتّرف ، وخل بينهم وبين الإنفاق فى معاصيك وما لايُرضيك حتى لا يتعرضوا لمقتك وسلبِ نعمتك ، فإنك خير مُعطٍ وخير آخذ .

ونسألك اللهم ونتضرع إليك أن ترزق فقراءنا التجمل والتعفف حتى لا يظهروا حاجتهم لغيرك ، ولا فاقتهم لمن عداك ، ولا يمدوا أيديهم لمن سواك يا الله، وأفهمهم أن سعادتهم فى حفظ ماء وجوههم لا فى ملء بطونهم وجيوبهم وأن المال إنما يطلب لصون العرض والشرف ، لا لتعريض العرض للنهش والعضّ، ولا لتقديم الشرف للامتهان والغض .

وارزقهم اللهم القناعة فإنها من الذل مناعة ، واسلك بهم سبل الرزق الحلال، فإنه خير فى الحال والمآل .

اللهم إنك قد أمرتنا بالدعاء وواعدتنا بالإجابة ، وقد دعوناك فاستجب لنا يا ربنا وأعطنا سؤلنا يا مولانا . فاغفر لنا وارحمنا ، وارض عنا وأرضنا ، وفرج ما

بنا ، وأبدل فرقتنا وحدة ، وذلنا عزة ، وجهلنا علماً ، وصلاتنا هداية ، واسلك بنا سبيل الرشاد ، وقنا العذاب فى الدنيا ويوم تبعث العباد يا الله يا الله يارب العالمين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وارحم الأحياء منهم والأموات .

وَصَلِّ اللهم وسلم وبارك على نبيّك محمد وآله وأزواجه وذرياته وصحابته أجمعين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

الرسالة الرابعة والعشرون

إعلام الأنام

بحكم الهجرة فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للّه الذى خلق كل شىء من أجل الإنسان [1] وخلق الإنسان من أجله سبحانه وتعالى ، وذلك بأن يذكره ويشكره ، بعبادته التى هى حبه غاية الحب وتعظيمه غاية التعظيم ، مع وافر الخشية وشديد الرغبة والرهبة ، تلك العبادة التى تتجلى فى طاعته وطاعة رسوله ﷺ بفعل المأمور ، وترك المنهى فى الاعتقادات والأقوال والأفعال .

والصلاة والسلام على النبى الأمى محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وسيد جميع الثقلين ، وعلى آله الطاهرين وصحابته من أنصار ومهاجرين . .

وبعد : فقد كثرت فى هذه الأيام تساؤلات حول هجرة المسلمين إلى بلاد غير المسلمين كاستراليا وأوروبا وأمريكا . هل هى هجرة جائزة أو ممنوعة وهل التجنس بجنسية الدولة الكافرة يعتبر ردة ، وما هو المخرج من هذه المشكلة العويصة الحل، لأن أعداد المهاجرين بلغ الملايين من المسلمين يضاف إلى ذلك أعداد من أبناء تلك البلاد الذين دخلوا فى الإسلام بدعوة المهاجرين من المسلمين إلى ديارهم .

لهذا رأيت أن أكتب هذه الرسالة لأبين فيها حكم الهجرة فى الإسلام مع وضع حل لمشكلة الهجرة الممنوعة ، وقد وقع فيها كثير من المسلمين ، واللّه تعالى أسأل أن ينفع بهذه الرسالة الدعوية كما نفع بغيرها إنه قدير ، وبالإجابة جدير ، وصلى اللّه وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أبو بكر جابر الجزائرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

---

(١) لحديث السنن : (يقول اللّه تعالى يا بن آدم لقد خلقت كل شىء من أجلك وخلقتك من أجلى) وفى القرآن الكريم . ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ﴾ . البقرة : ٢٩ .
وقوله : ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ﴾ . الجاثية :١٣ .
وقوله : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ الآية. الذاريات : ٥٦ .

تعريف الهجرة
وبيان حكمها

الهجرة : الاسم من هجر الشيء إذا تركه فهو هاجر له أي تارك .

وهاجر يهاجر مهاجرة من بلد إلى بلد آخر تاركاً للأول حالاً بالثاني فهو مهاجر، والهجرة في عرف الشرع : الانتقال من بلد الحرب أو الكفر إلى بلد السلم أو الإسلام .

فضل الهجرة

الهجرة في سبيل اللّه تعالى من أفضل الأعمال إذ هي كالجهاد في سبيل اللّه تعالى ، قال تعالى في سورة الحج: ﴿ **والذين هاجروا في سبيل اللّه ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم اللّه رزقاً حسناً وإن اللّه لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن اللّه لعليم حليم** ﴾ .

فقد وعدهم تعالى بالرزق الحسن إذ هم بمنزلة الشهداء أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة، ويوم القيامة يدخلهم مدخلاً يرضونه وهو الجنة دار السلام ـ وقال رسول الله ﷺ: « من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام » (١) .

وروى النسائي أن النبي ﷺ سئل عن عمل يستقيم عليه المرء ويعمله فقال له: «عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها » .

أفضل هجرة :

إن أفضل هجرة كانت من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة ، وأهلها أفضل المهاجرين بعد إبراهيم عليه السلام وذلك لثناء اللّه تعالى على أهلها في كتابه في مثل قوله : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من اللّه ورضواناً وينصرون اللّه ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾ .الحشر: ٨

---

(١) ذكره القرطبي في تفسير آية ومن يهاجر في سبيل الله من سورة النساء ولم يعزه إلى أحد .

وقول الرسول ﷺ : « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » . فلشرف هجرته ﷺ لم يرض بالتخلى عنها ليكون من الأنصار قال هذا وهو يطايب الأنصار عند قسمة غنائم غزوة حنين فى السنة الثامنة من الهجرة .

أنواع الهجرة :

الهجرة أنواع وهى كالتالى :

١ـ هجرة فرار بالدين .

٢ـ هجرة نصرة وتأييد .

٣ـ هجرة طلب علم .

٤ـ هجرة طلب رزق .

٥ـ هجرة خوف من الفتن .

وهذا بيان هذه الهجر [١] وتفاصيلها .

أولاً : هجرة الفرار بالدين :

إن الدين وهو عبادة الله تعالى بما شرع من عقائد وعبادات وأحكام وآداب وأخلاق مع حب الله تعالى غاية الحب وتعظيمه غاية التعظيم والرغبة إليه والرهبة منه هذا الدين هو علّة وجود الإنسان فى هذه الحياة وسر الوجود كله أرضه وسمائه .

فمن هنا إذا منع الإنسان من عبادة الله تعالى فى أي زمان أو مكان وجب عليه أن يهاجر إلى مكان يعبد فيه الله تعالى تلك العبادة التى يتوقف عليها سعادته وكماله فى الدنيا والآخرة فإن هو رضى بالبقاء فى الدار التى لم يتمكن فيها من عبادة الله ، ومات وهو ظالم لنفسه بترك الهجرة التى تسببت فى تركه العبادة فخبثت نفسه ولم تطهر كان العقاب شديداً إذ قال تعالى : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم**

---

(١) الهجر : جمع هجرة كحكمة وحكم وعبرة وعبر ، إلا أن القاموس واللسان والمنجد لم يذكروا لها جمعاً.

تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً* إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ﴾ النساء : ٩٧ ، ٩٨ .

فالآية الكريمة تحمل الوعيد الشديد لتاركى الهجرة وهم قادرون عليها . وإنما آثروا البقاء فى ديارهم وأموالهم بين آبائهم وإخوانهم على الهجرة التى تمكنهم من عبادة اللّه تعالى ، تلك العبادة التى خلقوا لها والتى لا كمال ولا سعادة للإنسان إلا عليها وبها . وهذه هى الهجرة التى فرضها الله تعالى على المؤمنين بمكة فهاجر بعض المؤمنين إلى أرض الحبشة إذ كان فيها ملك صالح هو أصحم النجاشى الذى أمن المسلمين وأكرمهم ، ثم كانت الهجرة إلى المدينة النبوية بعد بيعة العقبة الأولى والثانية إذ تضمنت البيعتان تأمين المهاجرين ونصرتهم . ولما أذن اللّه تعالى لرسوله بالهجرة إلى المدينة فهاجر أصبحت الهجرة إلى المدينة ذات ثلاثة أغراض الأول : الفرار بالدين والثانى : نصرة النبى ﷺ والثالث : طلب العلم ، إذ التشريع يتوالى فإن لم يكن المؤمن بالمدينة فاته العلم الذى ينزل من عند اللّه ويبينه رسول اللّه ﷺ وفاته العمل به أيضا ؛ لذا كانت الهجرة إلى المدينة من أوجب الواجبات وكان المتخلف عنها من غير المستضعفين متوعداً بقوله تعالى : **﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾** . النساء : ٩٧ .

ولما فتح الله على رسوله مكة وأصبحت دار إسلام ، أعلن رسول الله ﷺ عن انتهاء الهجرة من مكة إلى المدينة بقوله : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » . وفاز المهاجرون الأولون بأفضل هجرة وأعظمها أجراً ، وليهنأهم ذلك ، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

ثانيا : هجرة النصرة :

ومن أنواع الهجرة الواجبة هجرة النصرة وهى أن يطلب إمام المسلمين الهجرة إليه للجهاد معه ، ونصرة الإسلام والمسلمين معه فمتى كان للمسلمين إمام شرعى قائم بأعباء الخلافة والدعوة إلى الإسلام ونصرة المسلمين وطلب من أى مسلم الهجرة إليه إلا وجبت عليه الهجرة ، وإن تركها وهو قادر عليها ومات قبل توبته استوجب الوعيد الذى تضمنته آية النساء **﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم إلخ...﴾** .

وهذه كالهجرة التى كانت واجبة من مكة إلى المدينة إلا أنها دونها فى الفضل .

ثالثا : هجرة طلب العلم :

ومن الهجرة الواجبة الهجرة لطلب العلم ، وذلك بأن يوجد مسلم فى بلد لا يوجد به من يعرف الله تعالى ويعرف محابه ومساخطه من الواجبات والمحرمات ويعرف ما عنده لأوليائه الذين عرفوه وعبدوه باعتقاد وقول وفعل ما يحب ، وبترك ما يكره من الاعتقاد والقول والعمل والصفات ، ويعرف ما لديه تعالى من أنكال وجحيم وطعام ذى غصة وعذاب أليم أعده لأعدائه الكافرين به الفاسقين عن أمره .

فهذه الهجرة لطلب العلم واجبة على كل مسلم إلا أن يكون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً .

رابعاً : هجرة لطلب الرزق :

هذه الهجرة مشروعة وليست واجبة ، فإذا ضاق رزق المسلم فى بلد ما ، وأمكنه أن يرتحل عنه إلى بلد آخر يطلب الرزق فيه شرع له ذلك ، ويكون فيه مأجوراً متى صلحت نيته وحسن قصده وهو أن يطلب الرزق ليكف نفسه عن سؤال الناس وعن التطلع إلى ما فى أيديهم وحتى لا يحسدهم على ما آتاهم الله من فضله ، وحرمه هو ابتلاءً له . ويشترط لجواز هذه الهجرة أمران الأول : أن لا تكون إلى ديار الكافرين والثانى أن يأمن فيها على نفسه وعرضه ودينه إذ لا تجوز الهجرة إلى بلاد الكافرين لمجرد طلب الرزق ، كما لا تجوز إلى بلد لا يأمن فيه العبد على نفسه وعرضه ودينه .

خامساً: هجرة لطلب الحلال :

من الهجرة المشروعة الهجرة من بلد غلب على أهله أكل الحرام فمن وجد نفسه فى بلد أغلب قوت أهله من الحرام ، فهاجر طلباً للحلال كان مهاجراً فى سبيل الله تعالى ، وله أجر المهاجر .

إن طلب الحلال واجب فلما تعذر عليه فى بلد تعين عليه أن يطلبه فى بلد آخر .

ويدخل فى هذا الضرب من الهجرة أن يترك العبد تجارة أو وظيفة يغلب على

كسبه فيها المال الحرام .

سادساً : هجرة الفرار من البدع :

إذا وجد المسلم نفسه فى بلد يغلب على أهله البدع [1] لا سيما بدعة سب أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتمكن من إبطال تلك البدع فإن عليه أن يهاجر من ذلك البلد إلى آخر خال من البدع والضلالات إذ هذا من الفرار بالدين الواجب على المسلم القيام به حفاظاً على دينه الذى هو أعز ما يملك وخير ما يرجو ويؤمل فى هذه الحياة ، وقال ابن العربى فى قول مالك ولا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف . وهذا صحيح فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزل عنه قال تعالى : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره** ﴾ الآية. الأنعام :٦٨ .

سابعا : هجرة الفرار من الأذى :

ومن أنواع الهجرة الهجرة من بلد لا يأمن فيها المسلم من الأذى يصيب بدنه بالضرب أو القتل أو السجن وأول من هاجر خوف الأذى إبراهيم عليه السلام ، إذ عزموا على قتله فألقوه فى النار ولما سلمه الله وخرج منها سليماً لم تحرق منه إلا كتافة فى يديه ورجليه طلب الهجرة وقال إنى مهاجر إلى ربى سيهدين وهاجر معه زوجه سارة وابن أخيه لوط عليهم السلام وهاجر هذه الهجرة موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم . إنه لما قتل القبطى قتل خطأ تآمر فرعون وملؤه على قتله فهاجر إلى أرض مدين ، كما قال تعالى : ﴿ **فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين** ﴾ القصص :٢١ .

وهاجر هذه الهجرة كثير من الصحابة والسلف خوفاً مما ينالهم من تعذيب أعدائهم لهم .

ثامناً : هجرة الخوف من المرض :

إنه لما كان المسلم يعيش ليعبد الله تعالى ، والعبادة تكون مع سلامة البدن وصحته وإلا لما تأتى له ذلك ، لذا وجب على المسلم المحافظة على صحة بدنه

---

(١) ذكر القرطبى فى تفسيره أن مالكاً قال ليس لأحد المقام بأرض يسب فيها السلف ، ويعمل فيها بغير الحق ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة** ﴾ النساء : ١٠٠

وعقله وماله ، فإذا وجد المسلم نفسه فى بلد فيها الوخم والأمراض الملازمة تعين عليه الهجرة منها إلى أرض سليمة من الوخم والأمراض المنتشرة وقد أذن النبى ﷺ للعرنيين الذين استوخموا المدينة أن يخرجوا منها إلى الصحراء يرعون إبل الصدقة ويشربون من أبوالها وألبانها فإذا صحوا عادوا إلا أنهم لما صحوا ارتدوا والعياذ باللّه تعالى .

وقال القرطبى : وقد استثنى من هذا الخروج من أرض الطاعون فراراً منه ، لنهى النبى ﷺ عن ذلك ، قلت لأن مرض الطاعون عارض ومُعْدٍ فقد يحمله معه الهارب إلى بلد آخر فيتسبب فى أذية مسلمين آخرين .

تاسعاً : هجرة المحب إلى بلد الحبيب ﷺ :

إن الهجرة الفضلى إلى المدينة النبوية قد انتهت بفتح مكة ووفاة النبى ﷺ ، ودونها هجرة فاضلة وهى الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الصلاة فى مسجد رسول اللّه ﷺ فيها بألف صلاة (١) وليس وحدها من مرغبات الهجرة إليها بل هناك أمور أخرى منها أن النبى ﷺ كان يرغب فى الإقامة بها ، إذ قال : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » . وقال : « من مات بالمدينة كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ». وقال : « لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها اللّه خيراً منه». وقال : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » . وقال : « إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها ». ومنها أن الدجال لا يدخلها ومنها أن النبى ﷺ دعا لأهلها بالبركة فى صاعهم ومدهم . ومنها أن النبى ﷺ كان يحبها ، وحب ما يحب النبى ﷺ مشروع إن لم يكن واجباً ، إلى غير هذا من المرغبات فى سكنى المدينة النبوية للحياة والموت فيها واللّه أسأل أن يحيينى بها ويميتنى فيها ويبعثنى مع صالحى أهلها إنه بر رحيم .

عاشراً : هجرة الدعوة إلى اللّه عز وجل :

وهذه الهجرة من أفضل أنواع الهجرة وهى أن يهجر المسلم داره وبلاده إلى بلد آخر يدعو أهله إلى اللّه تعالى ليعرفوه ويعبدوه فيكملوا على تلك العبادة ويسعدوا فى الدارين .

---

(١) كل هذه الأحاديث الواردة فى فضل المدينة فى الموطأ والسنن والصحاح .

ولذا كانت اليوم فرصة عظيمة لأهل العلم لو اغتنموها بالهجرة إلى أهل القرى فى بلدان المسلمين إذ جلهم لا يعرفون الله تعالى ولا يعرفون عباداته ولا كيف يعبدونه سبحانه وتعالى لغلبة الجهل عليهم وانقطاعهم عن العلم وطلبه ، كما أن هناك جاليات إسلامية فى بلاد الغرب والشرق فى حاجة ماسة إلى معرفة الله تعالى ومعرفة أنواع عباداته وكيف يعبدونه تعالى بها . فلو أن أهل العلم يهاجرون إليهم للإقامة بينهم ليعرّفوهم بربهم عز وجل وبمحابه ومساخطه من الاعتقادات والأقوال والأفعال وكيف يؤدون تلك المحاب ، وكيف يتجنبون تلك المساخط كما يعرفونهم بما أعده من نعيم مقيم ، للمؤمنين به المتقين له ، وما له من أنواع العذاب للكافرين به الفاسقين عن أمره الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ ، لكانت هذه هجرة لهم تفوق فى الفضل كافة أنواع الهجرة ما عدا هجرة النبى ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة النبوية . ولكان للذين يساعدونهم على هذه الهجرة أجر عظيم ، لأن من دل على خير كان له مثل أجر فاعله [1].

---

(١) لفظ الحديث : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » . رواه مسلم .

إثم تارك الهجرة

إن الهجرة الواجبة إذا تركها العبد إيثاراً لداره وأهله وماله توجب لصاحبها عذاب اللّه تعالى فى الدار الآخرة قال تعالى : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان اللّه عفواً غفوراً** ﴾ . النساء ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

وقال رسول اللّه ﷺ : « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » . رواه أبو داود ، وقال الحافظ هذا محمول على من لم يأمن على دينه . وتجب الهجرة إذا وجد المسلم نفسه فى بلد يضطهد فيه من أجل دينه ويمنع من عبادة ربه التى خلق لأجلها . فإن كان قادراً على الهجرة فليهاجر إلى بلد آخر يأمن فيه على بدنه ودينه ، وإن كان عاجزاً كالمرأة والطفل والشيخ الكبير والمريض مرضاً لا يقدر معه على الانتقال والتحول فإنه معذور شرعاً للآية الكريمة . ومتى زال عذره هاجر وسوف يجد مراغماً كثيراً وسعة ، وإن مات فى طريق هجرته فقد وقع أجره على اللّه . قال تعالى : ﴿ **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً [1] كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى اللّه ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على اللّه ، وكان اللّه غفوراً رحيماً** ﴾ . النساء ١٠٠ .

هجرة الجاليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا واستراليا

إن هجرة المسلمين إلى غير بلاد المسلمين كان السبب الحامل عليها هو استعمار الدول الأوروبية لبلاد المسلمين إذ استعمرت بريطانيا وهولنده كل البلاد الإسلامية فى الهند والشرق الأقصى كما استعمرت بريطانيا جل بلاد المسلمين فى الشرقين الأدنى والأوسط كما استعمرت فرنسا وإيطاليا وأسبانيا شمال أفريقيا ولما حكم غير المسلمين ديار المسلمين وأصبح المسلمون محكومين بقوانين الدولة الحاكمة كان من

(١) المراغم : ما يرغم به عدوه الذى اضطره إلى الهجرة أى يذله ويكسر أنفه ويمرغه فى التراب وذلك بأن يجد فى هجرته داراً وأنصاراً ورزقاً واسعاً .

السهل عليهم أن يهاجروا إلى بلاد الدولة الحاكمة طلباً للرزق . إذ لم يصبح هناك فرق بين بلاد المسلمين وبلاد الكافرين الحاكمين إذ القوانين سائدة فى المستعمرات وفى بلاد المستعمر على حد سواء فكان هذا سبب هجرة بعض المسلمين إلى البلاد غير الإسلامية ونظراً إلى أن الدولة المستعمرة كتابية فلم تكره المهاجرين على التخلى عن دينهم ولا على اعتناق دينها المسيحى حتى أصبح فى كل دولة استعمرت المسلمين جاليات يقدر عددها بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف فى بعضها ونظرا للتسامح الدينى فى أمريكا فقد هاجر إليها من المسلمين عشرات الآلاف . والمهاجرون فى بلاد أوروبا وأمريكا صنفان : صنف متدين محافظ على قواعد الإسلام وشرائعه ،وصنف لا يعرف من الدين إلا اسمه وهو قليل والحمد للّه .

ومن هؤلاء المهاجرين من يبقى على تبعيته لدولته التى هاجر منها ومنهم من تجنس بجنسية الدولة التى هاجر إليها وهو باق على إسلامه يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت الحرام ويحرم المحرمات كالخمر والزنا والربا ويحل المحللات من طعام وشراب ونكاح وغيرها . هذه حالة الجاليات الإسلامية فى استراليا وأوروبا وأمريكا .

والسؤال المطروح الآن هو : هل هجرتهم هذه جائزة وهم غير آثمين أو هى محرمة وهم آثمون؟ وهل هناك فرق بين من هاجر إلى بلاد الكفر أيام حكم الدولة الكافرة لبلاده وبين من هاجر إليها بعد استقلال بلاده عن تلك الدولة الكافرة التى حكمت بلاده ؟؟ وبين من هاجر إلى أمريكا واستراليا وهما دولتان لم تستعمرا البلاد الإسلامية ؟؟ وما حكم أخذ جنسية الدولة التى هاجر إليها وهى قطعاً كافرة ؟؟

والجواب من الصعوبة بمكان ، ولكنى أستعين باللّه تعالى وأجيب عن هذه الأسئلة سؤالا بعد سؤال فإن أصبت فمن اللّه وإن أخطأت فمن نفسى وأستغفر اللّه وما أنا بملزم أحداً أن يرى ما رأيت ويقول ، به كما أنى غير لائم ولا عاتب على من لم ير ما رأيت ولم يقل ما قلت ، واللّه المستعان وعليه التكلان .

السؤال الأول

هل هجرة المسلم إلى بلاد الكفر جائزة ؟

والجواب : جائزة بشروط إن توفرت لها جازت وإلا فلا والشروط هى :

(١) أن لا ينوى تكثير سواد الكافرين ولا نصرتهم .

(٢) أن يأمن على دينه وماله وعرضه .

(٣) أن يكون السبب الحامل له على الهجرة شرعياً ،وذلك بأن يكون فراراً بدينه من الفتن أو يكون لطلب العلم أو رزق تعذر حصولهما عليه فى بلاد الإسلام أو يكون لدعوة إلى الإسلام أو لتعليم المسلمين .

السؤال الثانى

هل هناك فرق بين من هاجر إلى بلاد الكفر أيام حكم الدولة الكافرة لبلاده وبين من هاجر بعد استقلال بلاده عنها ، أو هاجر إلى بلد لم يستعمر بلده قط كأمريكا مثلا ؟

والجواب : إن توفرت له شروط مشروعية الهجرة الآنفة الذكر فى جواب السؤال الأول فالهجرة جائزة وصاحبها غير آثم إن شاء اللّه تعالى وإن لم تتوفر فالمهاجر إلى بلد الكفر الذى يحكمه قد يكون أخف إثماً ممن هاجر بعد استقلال بلاده أو هاجر إلى بلد لم تحكم بلاده قط .

السؤال الثالث

ما حكم أخذ جنسية الدولة التى هاجر المسلم إليها وهى كافرة ؟

والجواب : فقد رُفِعَ السؤال التالى إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ونص السؤال : ما حكم الإسلام فى إمام للمسلمين فى مسجد بأرض فرنسا يريد أن يبدل الجنسية من جزائرية إلى فرنسية . .

. . . هل هى ـ أعنى تبديل الجنسية من عربية جزائرية إلى فرنسية ـ أمر جائز ولا إثم فيه ولا يضرنى فى دينى أو هو شىء محرم يجب اجتنابه ؟ أفيدونى بالجواب كتابة جزاكم اللّه عن الإسلام والمسلمين خيرا .

وأجابت اللجنة بما يـلى : لا يجوز أن يتجنس باختياره بجنـسية دولة كافرة لما فى ذلك من التزامه بنظمهم والتحاكم إلى قـوانينهم وتبعيته لهم وموالاته إياهم ، ومن المعلوم أن فرنسا دولة كافرة حكومة وشعباً وأنت مسلم فلا يجوز لك التجنس واصبر واحتسب والله المستعان وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الرئيس : عبد العزيز بن عبد الله بن باز

نائب الرئيس : عبد الرزاق عفيفى

عضو اللجنة : عبد الله بن قعود ـ عبد الله بن غديان

رقم الفتوى : ٤٨٠١ وتاريخها ١٤٠٢/٨/١٣هـ .

كما رُفع سؤال آخر إلى اللجنة المذكورة بعد الفتوى الأولى بسنة وإلى القارئ نص السؤال والجواب .

قال السائل : سماحة الرئيس العام . . . لدى زيارتى لمكة لأداء العمرة التقيت بشاب مسلم وبعد تعـارفنا حدثنى بأنه قلق جداً من فتوى سمعـها فى اليوم السابق لأحد العلـماء يحدث بين المغـرب والعشاء خلف مقـام إبراهيم عليـه السلام وهذه الفتوى أن سائلاً طرح سؤالاً : ما حكم التجنس بجنسية أجنبية ؟ .

وكان الجواب علـى السؤال هو أن حكمـها حكم المرتد ، وكـان ذلك الشاب مصريـاً وتجنس بالجنـسية الكنديـة . . وكان من حديث الـشاب المصرى المتـجنس بالجنسية الـكندية أن المسلمين يلاقون احـتراماً وحقوقاً أفضل من بلادهـم بكثير ، حيث يلاقى المسلـمون الاضطهاد وسوء المعاملة وأنواع الإهانـة والتعذيب لا لشىء سوى أن يقـولوا ربنا الله ولمـا دار بينى وبين الـشاب المصرى من حديـث فى هذا الخصوص رأيت أن أطرح سؤالى على لجنتـكم الموقرة لإفادتنا بالجواب . والسؤال ما حكم التجنس بالجنسية الأجنبية فى الدول الكافرة ؟

وأجابت اللجنة بما يلى :

سبق أن صـدر منا فتـوى فى الموضوع برقـم ٢٣٩٣ هذا نصهـا : (لا يجوز لمسلـم أن يتجنس بـجنسيـة بلاد حكومتـها كافرة لأن ذلك وسـيلة إلى مـوالاتهم والموافقة على ما هم عليه من الباطل . أما الإقامة بدون أخذ الجنسية فالأصل فيها

المنع لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين ...** ﴾ الآية النساء :٩٧ ، ٩٨ .

ولقول النبى ﷺ : « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين المشركين ». ولأحاديث أخرى فى ذلك ، ولإجماع المسلمين على وجوب الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام مع الاستطاعة لكن من أقام من أهل العلم والبصيرة فى الدين بين المشركين لإبلاغهم دين الإسلام ودعوتهم إليه فلا حرج عليه إذا لم يخش الفتنة فى دينه وكان مرجواً التأثير فيهم وهدايتهم وصلى اللّه على نبينا محمد وآله .

وأخيراً كانت تلك فُتيا اللجنة الدائمة للإفتاء فى المملكة حرسها اللّه وحماها من كل باطل وشر آمين .

والفتيا كانت إجمالية وأقيمت على أساس من الاحتياط فأجازت الهجرة إلى بلاد الكفر بشروط ولم تجز التجنس بحال ولم تقل بكفر المتجنس على خلاف ما أفتى به رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بالجزائر الشيخ حمانى وهو أن من تجنس بجنسية دولة كافرة فقد ارتد ويحرم تزويجه بالمرأة المسلمة وتجرى عليه أحكام الردة كاملة من حرمانه من الإرث وعدم غسله ودفنه فى مقابر المسلمين إلا أن المفتى حمانى ـ عفا اللّه عنه ـ كان فى فتواه يرد علىَّ ويشنع أقبح تشنيع لأن الشيطان زين له بغضى وكراهيتى شأنه شأن غيره من عباد كثيرين يكرهوننى ويبغضوننى بغضاً شديداً بتزيين الشيطان لهم لأنه عدوى وعدوهم ويعلم اللّه أنى منذ كلفت ببلوغى الخامسة عشرة من عمرى ما آذيت مؤمناً ولا مؤمنة فى عرض ولا مال ولا جسم ولا سببت أحداً ولا شتمت آخر والحمد لله الذى حفظنى وتولانى وقد دعوت ربى غير مرة على من آذانى فأرانى اللّه فيه ما يكره ، لذا صرت أتحاشى الدعاء على مبغضىّ حتى لا يهلكوا .

وقبل أمس وأنا أكتب هذه الرسالة هتف بى هاتف من جدة فقال لى يا شيخ أنا أحبك وأعجبت من كتابك (هذا الحبيب) ووزعت منه فى أمريكا مئات النسخ وقد هدى الله تعالى عليه أناساً كثيرين وإنى زرت المدينة فوجدت أكثر أهلها يبغضونك أشد البعض فاعمل على إصلاح ما بينك وبينهم فقلت له يا محب لِمَ يبغضوننى ؟ وإنى والله ما آذيت أحداً منهم ولا من غيرهم فعلمت أن الشيطان هو

الذى زين للناس بغضى وكراهيتى لأنى أدعو إلى خلاف ما يدعو إليه . أدعو إلى التوحيد وهو يدعو إلى الشرك ، أدعو إلى الطهر وهو يدعو إلى الخبث ، أدعو إلى الإخاء والمودة بين المسلمين وهو يدعو إلى العداء والبغضاء ، أدعو إلى الإصلاح وهو يدعو إلى الإفساد. فمن هنا كان لا عجب أن يبغضنى أصحاب الأهواء وعُبَّاد المادة وأهل الجهل بمحاب الله تعالى ومكارهه؛ لأن الشيطان متمكن منهم للظلمة التى أصابت نفوسهم ، والعياذ بالله تعالى . هذا والآن فإلى بيان حكم الشرع الإسلامى فى التجنس .

والسؤال : ما هو التجنس ؟ والجواب : التجنس أن يطلب المرء تبعية الدولة من الدول المعاصرة فيعطاها فيصبح تابعاً لتلك الدولة يجرى عليه ما يجرى على أفرادها من أحكام وقوانين سياسية ومالية واجتماعية فى الجملة ودون تفصيل . وبما أن العلمانية سادت أكثر دول العالم فإن التدين أصبح حراً فللمواطن بالأصالة أو التبعية أن يتدين بما شاء فالمسلم إذا حصل على جنسية بريطانية لا يصبح نصرانياً والبريطانى إذا حصل على جنسية باكستانية لا يصبح مسلماً . وكذا الفرنسى إذا حصل على جنسية مغربية أو جزائرية أو تونسية لا يصبح مسلماً بل يبقى على دينه الذى اعتنقه أو ورثه عن آبائه وأجداده .

إذا عرف هذا فهل يصح أن يحكم على المسلم إذا أخذ جنسية دولة كافرة كأمريكا أو بلجيكا أو فرنسا أو بريطانيا وبقى على دينه الإسلامى عقيدة وعبادة يحل ما أحل الله ورسوله ويحرم ما حرم الله ورسوله هل يصح أن يحكم عليه بالكفر والردة كما حكم الشيخ حمانى مفتى الديار الجزائرية ؟ والجواب متروك لأهل العلم والنظر أما أنا شخصياً فلا أقول بكفره ولا بردته وأبرأ إلى الله تعالى من أن أكفر مسلماً وأحكم عليه بالردة كما أبرأ إلى الله تعالى ممن يكفر مسلماً أو يحكم بردته لمجرد أنه تابع لدولة كافرة قانونياً . وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج بيت الله الحرام ويحل ما أحل الله ورسوله ويحرم ما حرم الله ورسوله من المطاعم والمشارب والمناكح وغيرها .

وإن كان مفتى الديار الجزائرية يرى أن علاج مشكلة ملايين المسلمين يعيشون فى ديار الكفر هى الحكم بالردة على من تجنس منهم بجنسية دولة كافرة فأنا لا

أرى هذا علاجاً أبداً بل أراه زيادة فـى تعقيد المشكلة واستعصـاء حلها إن أريد لها ذلك .

إن حل هذه المشكلة يكون باتخاذ ما يلى وهو :

إرجاع كل مسلـم فى بلاد الكفر إلى بلاده الإسـلامية وبتهجير مـن أسلم فى بلاد الكفر إلى البلاد الإسلامية وهنـا يطرح هذا السؤال : هل فى الإمكان إرجاع المهاجرين وتهجير من أسلم من الكافرين إلى بلاد المسلمين ؟

وإذا كان الجواب : إن هذا من غير الممكن اليوم وغير متأتٍّ أبداً فما هو الحل إذاً يا تـرى ؟ والجواب : إن الحل لهـذا المشكل الـعويص لـيس فى الحكـم بردة المتجنس كما يرى مفتى الجزائر الشيخ حـمانى وإنما هو باتباع ما يلى : وهو تكوين لجنة عليا يـتكون أعضاؤها من كافة البـلاد الإسلامية تحت عنوان « اللجنـة العليا لرعاية المهاجـرين » وتكون لها ميزانية يـسهم فيها كل بلد إسلامـى بقدر معين من المال بحسب حال البلد قوة وضعفاً . وتتلخص مهام تلك اللجنة فيما يلى :

(١) بناء مساجد لهم يصلون فيها ويتعلمون الضرورى من دينهم الإسلامى .

(٢) تعـمير تلـك المساجد بـالأئمة الأكفـاء القادرين عـلى تربيـة إخوانهم روحـياً وسلوكياً وتزويدهم بالكتاب الصـالح النافع الذى يجمع ولا يفرق ويهدى ولا يضل كمنهاج المسلم للجزائرى .

(٣) العمل عـلى توحيد المهاجـرين فى البلد الذى هـم فيه بحيث تنـعدم الفوارق بينهـم ويصبحون جماعة واحـدة ليس لها انتماء إلا إلـى اللجنة العليـا لرعاية المهاجرين .

(٤) إيجاد تعليم لأبناء المهاجرين يتناسـب مع ما لديهم من وقت يتعلمون فيه ما لا بد منـه من العقيـدة والعبادة والخلق والأدب مـع اللغة العـربية لغة الـكتاب والسنة .

(٥) العمل على إيجاد تعاون بينهم يثمر ما يلى :

أـ وجود مجزرة ومقبرة ليأكلوا الحلال من اللـحوم وليقبروا موتاهم فى مقابر خاصة بهم .

ب - تكوين لجنة من ثلاثة علماء فى كل بلد فيه مهاجرون مهمتها :

١ - إصلاح ذات البين بين أفراد المهاجرين المسلمين ليتحاشوا التحاكم إلى محاكم غير إسلامية .

٢ - عقد النكاح بين الزوجين وتقرير فرقة الطلاق بينهما إذا خيف الضرر عليهما أو على أحدهما وتعذر الإصلاح برفع الضرر .

٣ - قسمة كل مسلم تركته وهو حى على ورثته وكتابة صك بذلك حتى إذا مات نفذ ما فى الصك كأنه وصية وحتى لا تتدخل السلطة الحاكمة فى تقسيم التركة حسب قوانينها .

٤ - إيجاد صندوق بر فى كل مساجد المهاجرين يسد حاجة المحتاج منهم ويقوم عليه ويديره لجنة العلماء الثلاثية آنفة الذكر .

٥ - إيجاد قانون مالى بينهم وذلك بإنشاء مصرف للإيداع والإنماء وفق الشريعة الإسلامية التى تحرم الربا وتبيح الربح بالتعاون المشروع .

هذا هو الطريق لحل مشكلة المهاجرين فى بلاد الكافرين فهل فى الإمكان سلوكه إنقاذاً لملايين المسلمين من الذوبان فى مجتمعات الكفر والإلحاد وأداء لواجب الدعوة إلى الإسلام فى وقت الدعوة فيه لا تكلف عرقاً ولا دماً إذ لم تزد على الدينار والصدق فى جمعه وصرفه لا غير .

فهل للشيخ حمانى مفتى الديار الجزائرية - عفا الله عنى وعنه - أن ينهض بهذا الواجب ، ويطوف بالبلاد الإسلامية مطالباً بتكوين هذه اللجنة العليا لرعاية المهاجرين لإنقاذ المسلمين المهاجرين من الذوبان فى ديار الكفر ، ولأداء واجب الدعوة إلى الإسلام التى تخلى عنها المسلمون متناسين قول الله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ . يوسف : ١٠٨ .

فمن هم أتباعه ﷺ غير أفراد أمته ؟ آه ثم آه وإن كان التأوه غير نافع يا عباد الله !!

وقبل أن ينهض المسلمون بهذا الواجب وهو حل مشكلة ملايين المهاجرين فى ديار الكفر أقدم فتياىَ التى أراها حلا جزئياً للمشكلة وهى أن على المسلمين

المهاجرين العودة إلـى بلادهم فوراً إذ هجرتهم ما كانت فراراً بـدينهم ، ولا كانت إلى دار إسلام بل كانت إلى دار كفر ، وقد تسببـت هجرتهم فى ضياع دينهم أيضاً فلا يسعهم البقاء على هذه الحال إلا بالالتزام بما يلى :

(١) أن ينـووا الربـاط فى سبـيل الله ، وذلك بـتكـثير سـواد المسلـمين فـى ديار الكافرين.

(٢) أن يقوموا بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٣) أن يصحـحوا عقائـدهم ، ويعبدوا ربـهم بما شرع لهـم ، ويهذبوا أخـلاقهم ويكملوا فى آدابهم لتكون دعوتهم بـالحال وهى أنفع من دعوة القال باللسان وليعلـموا أن هذا لا يتم إلا بوجـود علماء صالحين يـربونهم عقائـد وعبادات وأخلاقاً وآدابـاً فليطلبـوا هؤلاء العلماء ولـيطيعوهـم طاعة كاملة مـا أمروهم بالمعـروف ونهوهم عن المـنكر فإذا فعـلوا هذا وتحقق لـهم فهم مرابـطون فى سبيل الله ولهم أن يأخذوا جنسية الدولة التى هم فيها سواء كانوا مهاجرين أو مواطنين على شرط أن يـكون التجنس - وهو غير التدين قطـعاً - مساعداً لهم على دعوة الإسلام الـتى هم مرابطون من أجلها . هـذه فتياى والله أسأل أن تكون مرضية له عـز وجل نافعةً لعباده المؤمنين وأن لا يحـرمنى أجر اجتهادى فيها آمين .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الرسالة الخامسة والعشرون

القول الكريم الغالى فى الدفاع عن الداعية الغزالى

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن آمن به ، واتبع ما جاء به من هدى الله .

وبعد : فإن الدفاع عن الغزالى يتطلب تعريفاً به أولاً ليكون القارئ على علم به فيكبر فى عينيه ، ويرى للدفاع عنه وزنه وقيمته وعليه فمن هو الغزالى ؟

إنه أحد دعاة الإسلام فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين خطب وحاضر وحاور وكتب وألف وراسل دعوة إلى الإسلام ، ونصرة له ولأهله ما أصبح به عَلَماً من أعلام الإسلام فى ديار الإسلام وخارجها . إنه المصرى مولداً ومنشأ وتعلماً وتخرجاً ، جاب أقطار العالم شرقاً وغرباً، أقام ردحاً من الزمن بغرب جزيرة العرب وبشرقها ، وبالجزائر ردحاً آخر وأحسبه الآن بديار أهله ، ومربع صباه ، ومسرح دعوته ودعواه أحسن الله عاقبته وعاقبتى معه . آمين .

مآخذ واعتذارات

إن ما أخذ على الداعية الغزالى مما جاء فى كتابه الأخير « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » كان معذوراً فيه ، ولذا رفعت القلم لأدفع عنه ما هو معذور فيه ، لا يؤاخذ بين أهل العلم به .

وإلى القارئ الكريم ما أخذ على الداعية الغزالى ، وبيان عذره فيه .

أ ـ نسبته السلفيين اليوم إلى الجبر ، وهم برآء منه براءته هو منه أو أشد إذ الجبر حيلة شيطانية يبرر بها الفساق تروكهم للواجبات وكثرة إسرافهم فى المحرمات، حتى إذا ما قيل لهم : لم تتركون كذا من الواجبات وترتكبون كذا من المحرمات ؟ قالوا : نحن مجبورون . هذا قدر الله وقضاؤه فينا ، أتلوموننا عن ترك أو فعل ما كتبه الله علينا فى كتاب المقادير « اللوح المحفوظ » وقضى به علينا فى الأزل !!

وبناء على هذا فلا السلفيون جبريون ولا الداعية الغزالى كذلك وإنما نسبة السلفيين إلى الجبر كانت من الغزالى رد فعل لا غير ويدل على ذلك قوله الآتى :

لقد شاء الله لحكمة لا نعلمها أن يخلقنا ويرزقنا ، وقال فى وضوح : ﴿**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور**﴾الملك:٢ .

فجاء من زعم أن الحياة رواية تمثيلية خادعة ، وأن التكليف أكذوبة وأن الناس مسوقون إلى مصائرهم المعروفة أزلاً طوعاً أو كرهاً ، وأن الرسل لم يبعثوا لقطع أعذار الجهل ومنع الاحتجاج المرفوض بل المرسلون خدعة تتم بها فصول الرواية أو فصول المأساة !!

وبعد فهل الداعية الغزالى نسى أو جهل علة خلقنا ورزقنا وهى عبادة الله تعالى بذكره وشكره بطاعته فى أمره ونهيه ، حتى يقول : لقد شاء الله لحكمة لا نعلمها أن يخلقنا ويرزقنا وهو يقرأ أو يسمع من يقرأ قول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ . الذاريات : ٥٦ـ ٥٨ .

إنه لم ينس ولم يجهل أو يتجاهل وإنما آلمه وقوف صغار طلبة العلم من السلفيين الجزائريين فى وجهه يردون عليه بعض آرائه فى غير أدب ولا احترام ،

فحمل عليهم المكنسة يضربهم بها تأديباً لهم . فقال : فجاء من زعم أن الحياة رواية تمثيلية خادعة ، وأن التكليف أكذوبة . وإلا فهل هناك سلفى واحد يقول هذا القول ؟ اللهم لا . وأبعد من هذا وأكثر استحالة قوله الذى يعنى به السلفيين: وأن المرسلين لم يبعثوا لقطع أعذار الجهل ، ومنع الاحتجاج المرفوض بل المرسلون خدعة تتم بها فصول الرواية أو فصول المأساة . ويدل على صحة ما قلناه قوله أثناء هذه المقولة (إن الناس مسوقون إلى مصائرهم المعروفة طوعا أو كرهاً) فهل هذا القول مناف لعقيدة الإيمان بالقدر الذى هو ركن الإيمان السادس ، ونفاته هم مجوس هذه الأمة كما قال ابن عمر رضى الله عنهما ؟

والجواب لا ، لا ، إذ الإيمان بالقدر هو التصديق بأن كل ما يتم من سعادة وشقاء إنما يتم بعلم الله وتقديره له أزلاً . وإنما الغضب والانفعال الذى سببه صغار السلفيين للداعية الغزالى حيث لم يحترموا علمه وجهاده فى الدعوة فردوا آراءه المنافية للشرع والدعوة السلفية والإسلامية معاً ، وذلك كنقده لبعض أحاديث القدر مرة ، ورده لها مرة أخرى ، إذ قال بعد أن ذكر عدة أحاديث صحاح : . . . وهو أن الإنسان مسلوب المشيئة وأنه مقهور بكتاب سابق ، وأن سعيه باطل لأنه لا يغير شيئاً مما خط عليه فى الأزل !!

والحقيقة أن الداعية الغزالى لشدة ألمه من حال أمة الإسلام وهى تتخبط فى أودية من الضلال فاقدة للرشد وصلاح الحال صبَّ جام غضبه على السلفيين الصغار ، وأشنَّ على أحاديث القضاء والقدر غارةً شعواء لما سمع سلفياً صغيراً يعظ الناس ويذكرهم بأن المرء قد يعمل الصالحات وهو من أهل النار ، وقد يعمل السيئات وهو من أهل الجنة ، إذ العبرة بالخواتيم ، والحى لا يدرى بما يختم له وما قاله السلفى الصغير هو حق وليس بباطل . إلا أن الغزالى لحرصه على كمال الأمة الإسلامية وانطلاقها لتبنى ما هدمت وتصلح ما أفسدت لم يرتح لما قال السلفى الصغير . ومن الجائز أن يكون الغزالى غير بصير بعقيدة القدر ، لذا اشتبه عليه الجبر بالقدر ، مع أن السلفيين قديماً وحديثاً كباراً وصغاراً لم يكونوا أبداً جبريين ولا قدريين أو نفاةً للقدر والشيخ الغزالى بالتأمل فى كلامه يبدو أنه بعيد عن الجبر كل البعد إلا أنه قريب من القدرية بعض القرب ، وهو فى هذا معذور ، لأن هذا الطريق ضل فيه أقوام لا يحصون عداً . ولذا فإنى واضع صورة واضحة لهذا المعتقد العظيم أرجو أن ينتفع بها كل من ينظر إليها بصدق

وعناية فيسلم من الجبر وينجو من نفى القدر ، ويظفر بالمعتقد الحق فى باب القضاء والقدر الذى هو سادس أركان الإيمان الحق .

بداية الصورة :

نبدأ صورة الإيمان بالقدر بذكر الآيات القرآنية المقررة لمعتقد القضاء والقدر وهى قوله تعالى من سورة الأنعام : ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ .

إذ الكتاب فى الآية هو كتاب المقادير بإجماع المفسرين ومن ذهب إلى أنه من الجائز أن يكون القرآن الكريم لم ينف أبداً ما عليه المفسرون . وقوله عز وجل من سورة الأنعام أيضاً : ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين** ﴾ وهو كتاب المقادير قطعاً . وقوله تعالى من سورة يس : ﴿ **وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين** ﴾ وقد أجمع المفسرون أن المراد بالإمام المبين هنا هو كتاب المقادير أى اللوح المحفوظ .

وقوله تعالى من سورة القمر : ﴿ **إنا كل شىء خلقناه بقدر** ﴾ وعامة أهل التفسير على أن الآية نص فى تقدير الله تعالى للأشياء قبل خلقها . وقوله تعالى من سورة الحديد : ﴿ **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** ﴾ وكل المفسرين على أن الكتاب هنا هو كتاب المقادير . وقوله تعالى من سورة البروج :﴿ **بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ** ﴾ والمراد باللوح المحفوظ هنا كتاب المقادير .

والقرآن العظيم شأنه شأن سائر الموجودات له صورة ثابتة فى كتاب المقادير قبل وجودها فى عالم الموجودات . وقوله تعالى من سورة الأعلى : ﴿ **الذى قدر فهدى** ﴾ أى قدر سائر المخلوقات وكتبها فى كتاب المقادير ، وهدى كل من قدر له شيئا إلى طلبه وتحصيله حسب سنته تعالى فى إيجاد الأشياء وتحصيلها .

كانت تلك الآيات القرآنية المقررة لعقيدة القضاء والقدر ، وأما الأحاديث النبوية المثبتة للقدر والمبينة له فمنها حديث جبريل فى صحيح مسلم وفيه : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» والمراد من القدر : ما قدره الله تعالى وقضى به قبل وجوده ، ثم هو يوجد حسب

ذلك التقدير الأزلى بلا زيادة ولا نقصان ولا اختلاف فى حال ولا زمان ولا مكان. ومنها حديث البخارى وفيه : « كان الله ولم يكن شىء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب فى الذكر كل شىء » . والمراد بالذكر هنا اللوح المحفوظ .

ومنها حديث مسلم وفيه : « كل شىء بقضاء وقدر حتى العجز والكَيْس » ومنها حديث الشيخين البخارى ومسلم وفيه : « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة ، قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندعِ العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فييسَّر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة » . ثم قرأ : ﴿ **فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى** ﴾ الآيات من سورة الليل .

ومنها حديث الشيخين أيضاً : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » . ومنها حديث « لو قضى شىء لكان». وحديث السنن الصحيح :« واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » . وحديث ابن عمر عند أبى داود : « القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » والمراد بالقدرية نفاة القدر أى المكذبون به .

هذه نصوص الكتاب والسنة المثبتة لعقيدة القضاء والقدر المقررة لها فمن ردها مكذباً بها منكراً لها فقد كفر .

وزيادة فى البيان والتوضيح نقول : إن حقيقة القضاء والقدر هى اعتقاد المرء الجازم أن الله تعالى قبل أن يخلق الخلق كتب فى كتاب عنده كل ما قضى بخلقه وإيجاده من خير وشر مربوطاً بأسبابه التى جعلها مؤثرة فيه بإذنه فيوجد تعالى ما قضى بإيجاده فى وقته بحيث لا يتقدم ولا يتأخر ، وعلى الحال التى أرادها وقضى بها له فلا نقص ولا زيادة فى حال ولا صفة أبداً فكما قضى وقدر بعلمه السابق

وكتب فى كتاب المقادير يخرج المقدر إلى حيز الوجود وعالم الظهور ، فلا يقع فى ملكه إلا ما شاءه وأراده ، وهذا لكمال علمه وقدرته وحكمته . فمن رأى أن كائناً بوجود خارجاً عن علم الله وقضائه به وتقديره له فهو قدريٌّ مجوسيٌّ ، لأن المجوس ينسبون إيجاد الخير للنور وإيجاد الشر للظلمة جهلاً منهم وكفراً .

هذه حقيقة القضاء والقدر ، وبالرجوع إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية السابقة الذكر تظهر واضحة عقيدة القضاء والقدر كما بيناها والحمد لله .

فتنة الجبر ونفى القدر

إنه من جملة ما كاد به خصوم الإسلام المسلمين لإفساد عقيدتهم ، وإطفاء نور الحق فى قلوبهم ليعيشوا فى ظلمة الكفر فيسهل صيدهم وقيدهم ثم استعمارهم وإذلالهم : نفى القدر وإثبات الجبر ، وهو تناقض ظاهر إلا أن طائفة تبنت نفى القدر وأخرى تبنت الجبر ، فعُرفت الأولى بالقدرية ، والثانية بالجبرية ، وأهل السنة والجماعة برآء من كلتا الطائفتين ، إذ معتقدهم كما رضيه الله لهم : اعتقاد أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما قضاه الله وقدره كائن لا محالة ، وما لم يقض به ، ولم يقدره لن يكون أبداً ، وأن أفعال العباد الإرادية الاختيارية يثابون عليها إن كانت طاعة لله ورسوله ، ويعاقبون عليها إن كانت معصية لله ورسوله ، بهذا قضى الله جل جلاله ، فلا حق لأحد أن يطالب بالثواب بلا طاعة بالإيمان وصالح الأعمال ، ولا بالنجاة من العقاب مع الكفر والعصيان .

ومن هنا فلا معنى للجبر مع قطع يد السارق وقتل القاتل ورجم الزانى المحصن ، ورجم القاذف وجلد وتغريب الزانى غير المحصن ، كما لا معنى لنفى القدر والمرء العاقل يَجِدّ ويجتهد لتحصيل أمور فلم تحصل ، ويحذر ويحترس من أمور فتحصل . كما لا معنى لإهمال الأسباب أو إغفالها والله عز وجل لما كتب فى كتاب المقادير كتب لكل حادثة سببها التى تكون به فلا يكمل امرؤ ولا يسعد بغير الإيمان وصالح الأعمال مع تركه للشرك والعصيان ، كما لا يخسر امرؤ ويشقى إلا بالكفر والشرك والعصيان . وحديث مسلم صريح فى هذا القانون الإلهى : إذ فيه : فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، ويعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، فهذا قضاء الله وعدله فلا يدخل أحد الجنة بالشرك والمعاصى ، ولا يدخل أحد النار بالإيمان الصحيح والتوحيد وطاعة الله ورسوله .

هذا معتقد أهل الإسلام فى القضاء والقدر ، وما أنكره الشيخ الغزالى على بعض السلفيين هو معذور فيه لأمرين ، الأول : أن من المسلمين من يهمل الأسباب ويترك الأعمال ولما يصاب بالخسران يتعزى بالقضاء والقدر ، والثانى : أن تصوره لعقيدة القضاء والقدر غير واضح فى نفسه ولذا تحير فى أحاديث القضاء والقدر ، ورد بعضها وشك فى صحة بعضها .

تلبس الجنىّ بالإنسىّ

لقد أنكر الشيخ الغزالى تلبس الجنى بالإنسى تحت عنوان : « المس الشيطانى حقيقته وعلاجه » وهو معذور فى إنكاره إلا أن ما استشهد به على إنكاره يتعلق بالشيطان الرجيم الذى هو إبليس وذريته ، إذ استشهد بآية : ﴿ **وما كان لى عليكم من سلطان** ﴾ إبراهيم: ٢٢ . والآية صريحة فى أن إبليس وذريته لا سلطان لهم على الإنسان بحيث يلزمونه بارتكاب المعاصى قهراً له وجبراً دون إرادته واختياره. كما استشهد بآية آل عمران فى شأن حنَّة أم مريم عليها السلام حيث قالت : ﴿**وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ ثم قال : ومريم وابنها على أية حال من عباد الله الصالحين ، وليس للشيطان سلطان على أولئك ، كما استشهد بحديث مسلم : « كل بنى آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها» . وحمله أسلوبه الأدبى الساحر على أن قال : خيّل إلىّ أن الشيطان قابع تحت الرحم يستقبل الوليد القادم ، وهو شديد الحقد . ونسى الغزالى ـ عفا الله عنه ـ أن فى هذا التعبير مساساً بقول الرسول ﷺ . وأنه تعريض ببطلانه وعدم مصداقيته . وهكذا يتورط أدباء الكلام وهم لا يشعرون .

وخلاصة القول أن الشيخ الغزالى لم يذكر شاهداً واحداً على عدم دخول الجنى فى جسم الآدمى ، وإنما تكلم على عدم تأثير الشيطان على الإنسان لانعدام سلطانه على الإنسان وهو حق إذ لا يملك الشيطان إلا التزيين للقبائح ، والوسوسة لحمل الإنسان باختياره عليها . وأما موضوع تلبس الجنى بالإنسى فلم يذكر فيه سوى قوله : هل العفاريت متخصصه فى ركوب المسلمين وحدهم ، لماذا لم يَشْكُ ألمانى أو يابانى من احتلال الجن لأجسامهم ؟! فكان ذكره للشيطان دون الجن هروباً من قضية تلبس الجنى بالإنسى التى أنكرها المعتزلة قديماً ووافقهم الشيخ الغزالى عليها ، لأعذار سنذكرها بعد إن شاء الله تعالى .

أما كون الشيطان لا يصرع الإنسان ولا يكرهه على قول أو عمل ، فهذا لا خلاف فيه ، إذ لا سلطان للشيطان على الإنسان ، ولا يقدر على أكثر من التزيين والوسوسة كما تقدم .

هذا ولكى تتضح الحقيقة ويعلم المسلمون خطأ من ينكر تلبس الجنى بالإنسى نذكر مبينين أن العوالم أربعة وهى عالم الملائكة عليهم السلام وعالم الشياطين

وهم إبليس وذريته عليهم اللعائن أبداً . وعالم الجن وعالم الإنس [1]. أما عالم الملائكة فأصل مادة خلقه النور ثبت ذلك فى صحيح الحديث ، وأما عالم الإنس فأصل مادة خلقه الطين كما هو مبين فى القرآن الكريم ، وأما عالم الجن فأصل مادة خلقه النار لقوله تعالى : ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ الحجر: ٢٧ . وأما عالم الشياطين فأصل مادة خلقه إبليس وهو من الجان إلا أنه لما أبلسه الله تعالى لكبره وفسقه عن أمر ربه انمسخ وانسلخ من أصل خلقه ، وأصبح شراً كله لا خير فيه البتة ، وتوالد فكانت ذريته من جنسه لا خير فيها على الإطلاق ووصف الشر لازم لها ، فلا تعرف الخير ولا يصدر عنها .

وقد يلحق بإبليس وذريته فى الشر وانعدام الخير كل فاسق متمرد من الجن والإنس لقوله تعالى فى سورة الناس : ﴿ **من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس** ﴾ فلفظ الجن فى الآية شامل لإبليس وذريته وللمتمرد من الجن من فسقتهم وشرارهم .

ويزيد الأمر وضوحاً أن أعمال الملائكة كلها خير ، وأنهم لا يؤذون إنسياً ولا جنياً ، إلا أن يشاء الله ذلك فيأذن لهم ويأمرهم . كما أذن لهم فى قتال المشركين يوم بدر ، وفى إرسال الشهب على مسترقى السمع من شياطين الجن ومردتهم . وإن أعمال الشياطين كلها شر إذ هى تزيين للباطل وتحسين للقبيح والدعوة بالوسوسة إليه والحث عليه ، وإن أعمال الجن كأعمال الإنس تكون خيراً وتكون شراً ، فمن آمن بالله واستقام على طاعته وطاعة رسله كثر خيره وقل شره ، والعكس فيمن كفر وعصى فإنه يكثر شره ويقل خيره فكما أن الإنسان يظلم ويجور كذلك الجان يظلم ويجور .

وبحكم أن الإنسى لا يرى الجنى كما قال تعالى : ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ الأعراف :٢٧ . فإن الإنسى لا يؤذى الجنى إلا بطريق الخطأ كأن يبول عليه أو يصب عليه ماء حاراً ، أو يرمى عليه نجاسة ، أو يجلس عليه ، أو يضع فوقه شيئاً ثقيلاً ، أو يرميه بحجر ونحوه وهو لا يريده ولا يقصده لعدم رؤيته له ، وعدم علمه به . أما الجنى فإنه قد يؤذى الإنسى لرؤيته له وعلمه به ، ولولا حماية الله للإنسان ما نجا أحد من الناس. ومن تدبير الله تعالى لحماية

---

(١) عالم الحيوان مسخر لعالم الإنس لذا لا حاجة إلى ذكره مع العوالم الأربعة .

الإنسان أن خلق الجان خلقاً ضعيفاً يدل علـى ذلك أن الجن يأكلون فضلات طعام الإنسـان ، كما صرحـت بذلك الأحاديـث الصحـاح ، فالجن أشبـه فى ضعفـهم بالحيوان فالحيوان لا يأكل مما يزرع ولا مما يطـبخ ، وإنما هو تابع للإنسان فى غذائه وكذلك الجان .

والآن وقد اتضحت لنا حقيقة الجـان فهل يصح عقلاً أو شرعاً أن نقول : إن الجان لا يظلم الإنسان ، ولا يتلبس به ، ولا ينطق على لسانه ؟

والجواب : إن من المكابرة أو العناد أن نقول بخلاف ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة بعد ثبوت ذلك بالسنة الصحيحة ، ومشاهدة وإقرار أئمة الأمة وصلحائها وأفاضلها فى كل زمـان ومكان من عهد نزول الوحى إلى اليوم ، فـفى عهد النبى ﷺ فإن أحمـد وأبا داود وغيرهمـا قد رووا أن رجلاً جاء بغـلام تلبسه جـنى إلى النبى ﷺ فـقرأ عليه وضربه فخـرج منه الجنى ، كما رووا أن امـرأة جاءت بغلام يصرع إلى النبى ﷺ فقالت : إنه يصرع فى اليوم مرات فنفخ النبى ﷺ فى فيه ، وقال : أى عدو الله اخرج أنا رسول الله ، فنظر إليه النبى ﷺ بعد فإذا هو سليم معافى ما مسه شيء .

وما هنـاك حاجة إلى ذكر عـشرات الآلاف ممن أصيـبوا بمس الجن القـاسطين منهـم والمسلمين . ومـن قرأ سورتهم فى الـقرآن الكريم « سورة الجـن » فإنه لا يتردد فـي أنهم يؤذون ويظلـمون شأنهم شـأن الإنس ، ويبقى السـؤال هو : هل أنكر مسّ الجنـى للإنسى وتلبسه بـه الداعية الإسلامى الغزالـى ؟ والجواب : نعم أنكره فى رسائله ومـنها كتابه الأخير « السنة النبويـة . . . » وهو معذور فى إنكاره وهذا بيان عذره :

١) وجود مشعوذيـن دجاجلة يدعون أنهم يـخرجون الجن ويتحكمـون فيهم وهم لا يقدرون عـلى شيء ، ويأكلون أمـوال الناس بالباطـل ، وقد تؤدى الحال بأحدهم حتـى يقتل المصاب بالضرب والخـنق . وعليه فمن باب سـد الذريعة قال الشيخ الغزالى بعدم صحة تلبس الجنى بالإنسى ، فقد قال : ولست أحب أن أفتح باب الشعوذة والدجل والسحر باسم أن الشيطان احتل بدن الإنسان .

٢) بحكم أن الشيخ داعية إسلامى كان ولا بد أن يختلط بالعقلانيين وأن يرد مواردهم ويشرب منها فيتأثر بها . والعقلانـيون منهم غلاة ومنهم معتدلون فالغلاة

يعرضون كل ما يأتيهم حتى ولو كان وحى الله تعالى أو هدى رسوله ﷺ على عقولهم فما وافق عقولهم قبلوه وقالوا به ، وما لا ، رفضوه بل ويضربون به عرض الحائط ، والمعتدلون ومنهم علامتنا الغزالى إذا خالف الوحى الإلهى أو الهدى النبوى عقولهم فإن كان قرآناً أولوه وقالوا إنه من باب التمثيل ، وظاهره ليس مراداً ، وإن كان سنة ردوها بانتحال ضعف سندها أو شذوذها ، أو مخالفتها للواقع المنظور إليه بالعقل البشرى المتهافت .

٣) وثالث الأعذار وآخرها أنه لم يسمع ولم ير مصروعاً من غير المسلمين فعجب للأمر وقال : هل العفاريت متخصصة فى ركوب المسلمين وحدهم ، لم لا يشكو ألمانى أو يابانى من احتلال الجن لأجسامهم [١] ؟ .

والسؤال الآن هو هل الغزالى دخل مشافى فى أوروبا وأمريكا واليابان ولم ير مصاباً بالصرع الجنونى ؟ والجواب قطعاً إنه ما دخل وما سأل ، وإلا فمشافى المجانين فى أوروبا وأمريكا كثيرة . وشىء آخر هو أن الكفار لا يؤمنون بالله وكتابه ورسوله فكيف يؤمنون بالجن ؟ فلذا يطلقون على المجنون الذى يصرع وينطق الجنى على لسانه حال صرعه بأنه مزدوج الشخصية ، أو به انفصام عقلى إلى غير ذلك من التأويلات ؛ لأنهم لا يؤمنون بالله فكيف يؤمنون بالجن .

وأخيراً آمل من كل من بلغه أن الغزالى ينكر تلبس الجنى بالإنسى أن يقول : إن إنكاره لأمر مجمع عليه لا قيمة له ولا يصح الالتفات إليه بحال من الأحوال والغزالى معذور وقد تقدم بيان عذره ، والله يهديه ويتوب علينا وعليه .

---

(١) جاء هذا فى كتابه السنة النبوية . وهو يخاطب مسلماً شكا إليه الإصابة بالجن .

انتصار الشيخ الغزالى للمرأة المسلمة لتساوى الرجل فى كل شىء فى الشهادة ـ فى الدية ـ فى ولاية المناصب ما عدا الخلافة ـ وفى كشف وجهها واختلاطها بالرجال الأجانب ـ وفى غنائها للرجال والنساء معاً

وهذه أقواله المنقولة من رسائله ، مع بيان الحق فيها من الباطل حتى لا يغتر بها من لا علم له ولا بصيرة لديه فى دين الله وشرعه .

قال الغزالى فى شهادة المرأة . . وأقرر قبول شهادة المرأة فى كل شىء وفق النصاب الثابت فى ديننا .

وتجاهل الداعية الغزالى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما عليه أئمة الإسلام. فكتاب الله تعالى قال تعالى فيه فى النكاح والطلاق ﴿ **وأشهدوا ذوى عدل منكم** ﴾ الطلاق :٢ . ولم يذكر فى هذه الشهادة النساء . وقال فى شهادة الزنى : ﴿ **واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم** ﴾ النساء:١٥ . ولم يقل أربعاً منهن . وقال فى شهادة القذف ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة** ﴾ النور :٤ . ولم يذكر النساء . وقال فى شهادة المال : ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء** ﴾ . البقرة :٢٨٢ .

إنه لما أراد تعالى استشهاد النساء نص عليه بقوله ﴿ **وامرأتان** ﴾ ، فهذا كتاب الله تعالى خص الشهادة فى الدماء والحدود بالرجال ، وأذن فى الأموال للنساء على أن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد . ورسول الله ﷺ يذكر النساء ويقول : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين » الحديث . وسئل عن معنى ناقصات عقل فقال : أليست شهادتهن على النصف من شهادة الرجال ؟ يعنى آية البقرة فى شهادة الأموال .

وإن فرضنا أن الجزائرى ـ صاحب الدفاع ـ لم يفهم مراد الله تعالى من هذه الآيات المقررة للشهادات فى الدماء والحدود والأموال فهل يعقل أن الرسول ﷺ لم يفهم مراد الله تعالى منها وهو اللسان المبين لها .

وعليه فليراجع الغزالى السنة النبوية فهل يجد فيها أن رسول الله ﷺ حكم برجم أو جلد أو نكاح أو طلاق أو رجعة بغير شهادة ذوى عدل من الرجال المسلمين .

إن الرسول ﷺ يعرف مدى ضعف المرأة الفطرى ، كما يعرف أن من الإحسان للمرأة المسلمة إبعادها عن مجتمعات الرجال ومجالسهم صيانة لها وحفاظاً على كرامتها وكرامة ذويها من زوج ووالد وولد وأخ وعم .

هذا والغزالى هنا معذور ، وعذره أنه يريد أن يُرى الغرب الصليبى الكافر أنه لا فرق بين الإسلام وأنظمة الغرب الكافر فى احترام المرأة وتقديرها ، فإن كان المانع للغرب فى الدخول فى الإسلام الخوف من امتهان المرأة وعدم تقديرها فليعلموا أن الإسلام يحترم المرأة ويقدرها أكثر منهم . وعليه فليدخلوا فى الإسلام.

ولنسأل الآن الغزالى عن الذين دخلوا فى الإسلام من الغربيين بما قدمت لهم من تنازلات وهى على حساب الإسلام والمسلمين قطعاً والجواب : ولا واحد مع الأسف !!

وقال فى دية المرأة : « وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل وهذه سوءة خلقية وفكرية رفضها الفقهاء المحققون فالدية فى القرآن واحدة للرجل والمرأة » .

كان هذا قول الغزالى وهو قول فاسد باطل مردود ، وبيان ذلك :

١) مغالطته المفضوحة وهى قوله : وأهل الحديث يجعلون دية المرأة إلخ . . والقضية ليست خاصة بأهل الحديث كما يغالط غزالينا بل الفقهاء وأهل الحديث فيها سواء إذ مالك كالشافعى كأحمد كأكثر فقهاء الأحناف الكل على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل حتى كانت القضية إجماعية ، ولا عبرة بمن شذ عن إجماع المسلمين ولا يقول بالشاذ إلا مفتون .

٢) قوله رفضها الفقهاء المحققون : فمن هم الفقهاء المحققون عمر بن الخطاب أم على بن أبى طالب ، أم عبد الله بن مسعود أم زيد بن ثابت أم معاذ بن جبل رضى الله عنهم أجمعين ؟! . أم رفضها فقهاء المدينة السبعة سالم بن عمر وخارجة وإخوانهم ؟!، لا ، لا اللهم إن هؤلاء ما رفضوا ، فمن هم الذين رفضوا يا غزالى ، سيقول : إنهم أصحاب الرأى وليس له إلا هذا القول . وأمة الإسلام ترفض كل رأى يخرج عن إجماعها أو يحاد كتاب ربها وهدى نبيها .

٣) قوله : « وهذه سوءة خلقية وفكرية » هذه القولة لا أحسب أن يهودياً أو نصرانياً ساخطاً على الإسلام وأهله يقول مثلها فى رجالات الإسلام كالصحابة والتابعين وأئمة الفقه والمحدثين .

٤) قوله : « فالدية فى القرآن واحدة للرجل والمرأة » . فهل هذه القولة كافية التدليل بالقرآن على تساوى دية الرجل والمرأة ؟ والجواب قطعاً لا ، لا ، إذ القرآن لم يعين مقدار الدية ولم يحدده بمائة ألف أو أكثر أو أقل بل ترك الأمر للرسول ﷺ إذ هو الذى أناط به بيان القرآن إذ قال له : ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ النحل : ٤٤ . وفعلا بين الرسول ﷺ أن دية المرأة الكاملة على النصف من دية الرجل وبه عمل المسلمون إلا من شذ ولا قيمة ولا وزن للشاذ فى قضاء الشرع .

ولنستمع إلى الإمام الشافعى وهو يقول حاكياً الإجماع [(١)] على أن دية المرأة نصف دية الرجل إذ قال : لم أعلم مخالفاً من أهل العلم قديماً ولا حديثاً فى أن دية المرأة نصف دية الرجل .

وإن عاب الغزالى هذا الحكم على المسلمين لما ظهر له من عدم الإنصاف للمرأة فإنا نلفت نظره إلى أن الله تعالى وهو رب المرأة ورب العالمين وأرحم بها منها بنفسها قد أعطاها ثلث التركة وأعطى أخاها ثلثيها فهل للغزالى أن يقول هذا إجحاف وعدم إنصاف ؟ لو قالها ولا أخاله يقولها : إذ لو قالها لسقط كافراً لا يساوى جناح بعوضة . لقد جهل الغزالى قاعدة : أن العبرة بالكيف لا بالكم . إن دينار الذهب يساوى عشرة من دراهم الفضة لأن دينار الذهب قد يسد حاجة صاحبه وسبعة دراهم لا تسدها . فالرجل يا غزالى يسد مسد عشرة نسوة لا امرأتين فقط فى باب الحماية والدفاع ، وفى باب البناء والتعمير ، والتحصيل والإنتاج . إن ملياراً من الذهب يا غزالى لا يساوى امرأة مؤمنة ولا رجلا مؤمناً ، ولكن لما أذن الرب تعالى فى الدية فضلاً منه ورحمةً ، نظر الشارع الحكيم إلى أن المرأة إذا فقدها ذووها لم تصب حياتهم بخلخلة وهزة عنيفة كما لو فقدوا فحلاً

---

(١) ما ذكره الشافعى رحمه الله فى الإجماع ، ذكره غير واحد من السلف ، ومن أراد التأكد من صحة ما ذكر ، فليراجع الكشف للدكتور ربيع الهادى .

من رجالاتهم وهم حماة الذمار وحراس الدار ودافعو الشنار والعار . إنهم فقدوا الرجل الساعى على الأرملة واليتيم الحامى للعرين المدافع عن الأمة والدين ، لذا تعين إعطاء فاقديه ضعف دية المرأة ، وبذلك تقر العين .

كل هذا قد خفى على الغزالى فقام يشنع على أهل الإسلام كأنه من غيرهم بأنهم ما أنصفوا المرأة إذ جعلوا ديتها على النصف من دية الرجل !!!

والغزالى فى هذا كما فى غيره معذور ، لأنه لا يريد أن يسمع الغرب الكافر أن الإسلام بشرائعه يخالف الغرب فى قوانينه لا سيما فيما يتعلق بالمرأة ، لأن الغرب أله المرأة فأصبح فى عداد عبدة الفروج والأهواء ومرة أخرى أقول : إن الغزالى فى هذا معذور ، لأنه يريد للغرب أن يدخل فى الإسلام ، ولا بد إذاً من تلطيف الجو له ، وتخفيف كثافة نور الإسلام حتى لا تعشوا أبصار الغرب عن رؤيته وحتى يُرى لهم سهلاً خفيفاً يمكنهم قبوله والدخول فيه . والسؤال هنا : هل مثل هذا عذر يقبل من الداعية الغزالى ؟ والجواب متروك لذوى البصائر والنهى .

وقال فى ولاية المرأة مدافعاً عنها فى المجتمع الإسلامى لتتحرر فتكون كالمرأة فى الغرب الصليبى أو الشرق الشيوعى ، لأنها متى تحررت وكانت أكثر تحرراً من نساء الغرب دخل الغرب فى الإسلام ، لأنه أصبح ملائماً للخُلُق الذى صنعته لهم اليهودية العالمية .

قال : « إننا لسنا مكلفين بنقل تقاليد عبس وذبيان إلى أمريكا واستراليا إننا مكلفون بنقل الإسلام وحسب ، وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة فلهم ما شاءوا ، ولدينا وجهات نظر تجيز ذلك كله ، فلم الإكراه على رأى ما » ؟!

إن قول الغزالى : ولدينا وجهات نظر تجيز ذلك كله أى تجيز أن تكون المرأة المسلمة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة إن كان يعنى نفسه ومن ضل من العقلانيين والعلمانيين والاشتراكيين الإسلاميين فله ولهم أن يجيزوا ما شاءوا أو يمنعوا ما شاءوا . وإن كان يعنى المسلمين من أهل السنة والجماعة فقد كذب ورب الكعبة . فالمسلمون عاش نبيهم محمد ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة يبنى ويؤسس صرح أمة الإسلام فوالله ما ولى امرأة حكم قرية ولا مدينة ، ولا قضى امرأة فى قرية

ولا مدينة ، ولا عيَّن امـرأة وزيرة فى أى شأن من شؤون الدولة لا الـداخلية ولا الخارجية ، لا التعليم ولا المال ولا الفلاحة ، ولا بعث بامرأةٍ سفيرة إلى أية دولة أو بلاد تمثله وحكومته فيها .

وعاش من بـعده خلفـاؤه الراشدون قرابـة أربعين سنـة . وقد امتد سـلطان دولتهم شرقاً وغرباً حتى شمل قرابة نـصف سكان المعمورة يومئذ ، فوالله ما ولوا امرأة حكماً ولا قـضاءً ، ولا وزارة ولا سفارة باستثناء كذبـة : أن عمر ولى امرأة حسبة سوق المدينة وهى كذبة معلومـة مرفوضة مطرودة . وجاء من بعدهم خلفاء الأمويين والعباسيين فوالله ما ولوا امرأة شيئاً مما ذكر الغزالى أنه يجيزه ، واستمرت الحال كذلك إلى عهد هـذه الاستقلالات المزيفة والدويلات المتناثرة المـتنافرة جلها من صنائع الاستعـمار والماسونية فرأى المسلمون المغلوبـون عن أمرهم وسمعوا أن امرأة ما من بلد كذا عـينت سفيرة ، وأخرى وزيرة ، وثالثة قاضـية ورابعة شرطية إلخ . .

مع هذا الإجماع الفعـلى يتملق الداعية الغزالى النسـاء والغرب معاً ويقول إن له وجهة نظر تجيز أن تكون المرأة المسلمة حاكمة وقاضية ووزيرة وسفيرة ؟ إن المرأة المسلمـة سيدة طاهرة كريمة حـسبها وظيفـة شريفة هى إدارة البيـت وإسعاد الزوج وتربية الأولاد بعد إنجابها لهم مع ما هو أعظم وظيفة وأشرف عمل وهو عبادة الله تعالى بإقام الصلاة والصيام ، والصدقات ، وشىء آخـر ينبغى أن يعلمه المتملقون للنساء والمتـزلفون للغرب الكافر وهو أن جـريمة الزنى تعتبر أكبر جـريمة بعد الشرك وقتل النـفس ، لذا فرض الله الحجاب علـى نساء المؤمنين بـاستثناء القواعـد منهن لكبر سنهن ، والمفروض عليها الحجاب يتعذر عليها مباشرة الحكم والقضاء والقيام بالوزارة أو السفـارة ، لأن هذه الوظائف تتطلـب حتماً مقابلة الـرجال غير المحارم والاختلاط والخلـوة بهم ، وهذا مما حرم الله تعالـى فى كتابه وعلى لـسان رسوله ﷺ والشرع والعقل معاً يقضيان بأن ما يؤدى إلى حرام فهو حرام .

وأخيراً فإن إجازة الغزالى للمرأة المسـلمة أن تكون حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة لا يعدو مجرد دعـوى لا دليل عليها ولا بينة تثبتهـا ، هو معذور فيها . وعذره أنه يريد الغـرب الكافر أن يدخل فى الإسلام ، لذا هو يعمـل على تهذيب شرائع الإسلام حتى توافق أمزجة الغرب ، ومشتهياته . وهل يقدر على ذلك .

وكتب الداعية الغزالى فى كشف وجه المرأة المسلمة واختلاطها بالرجال الأجانب فى كتابه : « السنة النبوية . . » كتب العنوان التالى : « معركة الحجاب » ودلالة هذا العنوان على أن الغزالى يخوض معركة حامية مع الله ورسوله لإبطال الحجاب وإسقاطه من الشريعة الإسلامية لتخرج المرأة المسلمة كاشفة عن وجهها سافرة فى وضح النهار ليرى وجهها كل من هب ودب . دلالة واضحة لا تحتاج إلى أدنى تفكير أو تأمل ، وهو فى هذا معذور لأنه يريد إرضاء الغرب الكافر بالإسلام والمتألم جداً من الحجاب الذى حرمه من النظر إلى وجوه المسلمات ، وقد كشف هو وجوه نسائه للمسلمين . يشهد كما قلت عنوان كتاب له اسمه «مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه » .

والسؤال الآن هو هل إذا أسقط المسلمون الحجاب من دينهم ورفضه نساؤهم كما يريد الغزالى ومن على شاكلته يدخل الغرب فى الإسلام لا أحسب أحداً يقول نعم أبداً حتى ولو أبيح لهم كل محرم ، وأسقط عنهم كل واجب ، وإذا فعلنا هذا ففيم يدخلون وبنية الإسلام قد تهدمت وسفينة النجاة قد غرقت ؟

وهذه المعركة ضد الحجاب قد أجلب لها الغزالى ما أمكنه من أدلة وشواهد إلا أنه قد انبرى له الشيخ سلمان بن فهد العودة فى كتابه « الحوار » فنسف كل أدلته وأبادها نصرة لله ورسوله والمؤمنين ، وبذلك انتهت المعركة التى خاضها الغزالى ضد الحجاب ، وانتهت بتقرير الحجاب وفرضيته على نساء المؤمنين إلا من رخص الله تعالى لها أن تكشف وجهها وذلك لكبر سنها وقعودها عن الحيض والحمل ولم يبق للرجال من إربة فيها .

ومع هذا فإنى أذكر أدلة لا تتجاوز عدد أصابع اليد إلا أنها لا تبقى بإذن الله تعالى فى نفس المؤمن والمؤمنة أدنى شبهة فى وجوب حجاب المسلمات وها هى تلك الأدلة :

١) قوله تعالى من سورة النور : ﴿ **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن** ﴾ . النور : ٦٠ . هذه الآية الكريمة محكمة للأخلاق ودلالتها على الحجاب للمرأة المسلمة دلالة قطعية إذ رفع الحرج عن القواعد فى أن يكشفن عن مواضع

الزينة منهن على شرط أن لا يستعملن أدوات الزينة من كحل فى العينين أو خضاب فى اليدين أو أسورة فى اليدين أو خلاخل فى الرجلين . أقول : رفع الحرج عن القواعد اللائى لا يرجون نكاحاً لكبر سنهن دال على أن غير القواعد ممن يرجون النكاح لصغرهن وعدم تقدم السن بهن عليهن الإثم إن وضعن ثيابهن وخرجن كاشفات الوجوه إذ المراد من الثياب ما تستر به المرأة مواضع الزينة منها وذلك كالخمار والعجار ، أما ما تستر به جسمها من درع ليس من المعقول أن يؤذن لها فى وضعه وتخرج عارية إذ هذا لا يصح حتى من الأطفال أبناء أربع سنوات فكيف بالنساء المتأهلات للنكاح والولادة . وثبوت الإثم على غير القواعد من النساء مقتض للحرمة موجب لها ، ولذا كان كشف وجه المرأة المسلمة للأجانب محرماً وصاحبته آثمة ومن أفتى بجوازه آثم أيضاً بل هو أكبر إثماً .

وفى قوله تعالى : ﴿ **وأن يستعففن خير لهن** ﴾ ترغيب للعجائز فى الإبقاء على الحجاب وهو ستر الوجه وعدم الاختلاط بالأجانب حتى الوفاة ، وحسب المؤمنة أن يختار لها ربها البقاء على خمارها وملاءتها حتى تلقاه عز وجل فيرحمها بالنجاة من النار ويكرمها بدخول الجنة دار النعيم المقيم .

٢) إن الحجاب ضرب على نساء المؤمنين فى السنة السادسة من الهجرة يوم وليمة زينب أم المؤمنين رضى الله عنها وذلك بقول الله تعالى : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ الأحزاب :٥٣. كما نزل فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾ . الأحزاب :٥٩ .

والجلباب هو الخمار وليس هو الدرع الساتر لجسم المرأة من عنقها إلى قدميها، وقوله يدنين واضح الدلالة فى أنه الخمار وإدناؤه من الوجه والعنق والصدر لأجل ستر مواضع الزينة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن** ﴾ النور: من الآية ٣١. إذ المراد من الزينة مواضعها وهى لا تكون إلا فى الشعر والوجه والعنق والصدر ، والخمار إذا أدنى غطى ذلك كله وستره . ويؤكد ما قلناه ويقرره حديث أبى داود وغيره عن إحدى نساء النبى ﷺ أنها قالت لما نزل قول الله تعالى : ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ الأحزاب :٥٩ : خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان ، فهذا ظاهر فى الخُمُر توضع على الرؤوس ثم تدنى من الوجوه

والأعناق والصدور لتغطيتها ، وهذا معنى الحجاب لغة وشرعاً وهو حجب ما لم يكن محجوباً عن الأنظار حتى لا يرى ولا ينظر إليه .

٣) قوله تعالى من سورة النور المدنية : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**﴾ أجمع أهل التفسير واللغة على أن المراد من الزينة هنا مواضعها ، إذ الكحل كالحناء كالأقراض كالقلائد كالأساور كالخواتم كالخلاخل لا تقوم بنفسها وإنما بالأعضاء التى تتزين بها وقد نهى الله تعالى المؤمنات عن إبداء زينتهن فلزم أن يسترن كل مواضع الزينة ، ومِنْ أظهرها الرأس إذ فيه الشعر وهو زينة والوجه إذ الكحل فى العينين والأحمر فى الشفاه ، والأبيض فى الخدين ، والتزجيج فى الحاجبين . وبهذا وجب ستر الوجه وتغطيته حتى لا تظهر الزينة التى نهيت المؤمنة عن إبدائها لغير محارمها .

٤) قوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ النور : ٣٠ . وقوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ النور: ٣١. فهذا أمر مقتض للوجوب وهو موجه للرجال والنساء معاً ، فتعين على المكلفين من المؤمنين والمؤمنات أن يطيعوا الله ربهم بغض أبصارهم وإلا لزم الفسق عن أمر الله ، والعياذ بالله .

والسؤال هنا كيف يمكن للمؤمنين والمؤمنات غض أبصارهم إن كانت الوجوه مكشوفة والاختلاط عام فى البيوت والشوارع والأسواق ودوائر العمل ، إنه لا يمكن ، إنه تكليف بما لا يطاق وهو مرفوع عن هذه الأمة إذاً فكيف المخرج ؟ والجواب : إنه الحجاب والحجاب لا غير ، وحقيقته حجب النساء عن الرجال الأجانب ففى البيوت حجرة النساء غير حجرة الرجال وفى المساجد مؤخرها للنساء ومقدمها للرجال ، وفى المشافى أروقة للنساء غير أروقة الرجال ، وكذا المعامل والمصانع لكلٍّ معملٌ خاص به ومصنع خاص به ولم يبق إلا المشى فى الشوارع للوصول إلى العمل فيلزم المرأة أن تسبل على وجهها من خمارها حتى تغطى وجهها ومحاسنها حتى تصل إلى منزلها أو محل عملها وبذلك يطاع الله . ومع ستر الوجوه فإن على الرجال كما على النساء غض البصر بحيث لا ينظر أحد الجنسين إلى الآخر ، لأن لفظ غض البصر: عام فى النظر إلى الوجه وباقى الجسد. وأنجع الطرق لأداء هذا الواجب هو إبعاد الجنسين عن بعضهما بعضاً ما

أمكن ذلك وتأتّى ، أما أن يسمح بالاختلاط كما يريده دعاة السفور والفجور معاً فتوجد المرأة حيث يوجد الرجل فى البيت والدائرة والسوق ، ويكتفى بإطالة الثياب وتغطية الرأس وترك الوجوه سافرة مكشوفة والاختلاط عام ، وندعى أنا أطعنا الله فى أمره بالحجاب وأمره بغض البصر فهذا كذب وباطل تجب التوبة منه والبراءة من دعاته والقائلين به .

٥) حديث عائشة رضى الله عنها فى الموطأ وغيره إذ قالت : « كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها وإذا جاوزونا كشفناه ». والسؤال لو كان وجه المرأة مكشوفا دائما كما يرى ذلك الداعية الغزالى وأضرابه أى معنى لأمرها بكشفه إذا أحرمت بحج أو عمرة ألم يكن من باب تحصيل الحاصل ؟ نظيره أمر المحرم بكشف رأسه ، فلو كان الرأس مكشوفا دائما لا يؤمر المحرم بكشف ما هو مكشوف لأنه عبث ينزه عنه الشارع الحكيم .

من هنا تأكدنا أن وجه المرأة مستور عن الأجانب كشعرها وعنقها وصدرها ، فإذا خرجت تخمرت حتى لا يرى وجهها ، إذا أحرمت أمرت بكشف وجهها ليعلم أنها محرمة وإذا حصل اختلاط بالرجال أسبلت على وجهها ما تستره به ، وتعيد كشفه فور بعد الأجانب عنها كما قالت أم المؤمنين .

وأخيراً هذه بعض أدلة وجوب الحجاب وستر وجه المؤمنة على الأجانب من الرجال وما أورده الغزالى فى جواز كشف الوجه فقد كفانى صاحب الحوار هدمه ونسفه من أساسه . والغزالى معذور فيما يدعيه ، لأنه يتصور فى ذهنه أنه فى الإمكان أن يسفر نساء المؤمنين ويختلطن بالرجال الأجانب فى كل مكان ويتم غض البصر وتطغى العفة ويعظم الحياء ويسود الطهر ، ولا يحدث فجور ولا يقع زنى. إن هذا التصور أسهل منه بناء قصر بين السماء والأرض بحيث لا جاذبية تحكمه ، ولا أعمدة تدعمه .

وما حمل الغزالى الداعية على هذا التصور العجيب إلا الرغبة فى أن يصبح المجتمع المسلم كالمجتمع الغربى رجاء أن يدخل الغرب فى الإسلام بعد أن أبعد عنه شبح الموت الذى يخيفه من الإسلام وهو إبعاد النساء عن الرجال فى كل مكان . وهل يدخل الغرب فى الإسلام إذا أنكرنا الحجاب وأبحنا الاختلاط ؟

والجواب لا ، لا ألف مرة .

وقال فى إباحة غناء المرأة وسماع صوتها ما قاله ابن حزم الظاهرى فى رسالته « السماع » ولم يزد عليها إلا شواهد من المجتمع الأوروبى الكافر كقول يهودية أسلمت فى أمريكا إذ قالت : إن الأوروبيين يحترمون احتراماً بالغا «بتهوفن» و «باخ » فى الموسيقى و « فردى » و« واجنر » فى الأبرا و « شكسبير » فى المسرح ويلقبونهم بالسادة العظام ، ويعتبرون تكريس الحياة لأى فرع من هذه الفنون الجميلة من أشرف المقاصد وأكثرها جداً .

وكقولها : إذا عرفت موهبة شخص ما بالتفوق الفنى ، وغالباً ما يقع ذلك بعد سنوات من رحيله حُسب فى زمرة العظماء الخالدين . وقولها ويحقق الروائيون التقليديون خلودهم عندما تطبع كتبهم مرات ومرات ، وتمدح على أنها أعمال أدبية عظيمة يلزم كل طالب فى المدارس أن يدرسها .

وكقولها : ويخلد مؤلفو الموسيقى السيمفونية والأبرا بأداء إنتاجهم مراراً وتكراراً فى قاعات الاحتفالات العظمى فى المدن الكبرى ، كما يكرم أعظم المغنين والعازفين بتسجيل أعمالهم على الأشرطة والاسطوانات .

إن الشيخ الغزالى فى دفاعه عن إباحة الغناء وسائر الفنون الجميلة كالموسيقى والتمثيل والمسرحيات معذور فى هذا الدفاع لأنه يريد للمجتمع الإسلامى أن يلحق بركب الحضارة الأوروبية ويتفوق لعل الأوروبيين الصليبيين يسلمون إذا رأوا الإسلام لا يتعارض مع ما هم عليه من مظاهر الحضارة التى تبيح كل شىء حتى عقد النكاح بين الذكرين !!

وما ينبغى هنا أن يعلم هو أن فتنة الغناء فى العالم الإسلامى وما جرته من بلاء كفتنة إبطال الحجاب وكشف وجوه النساء فى كل مكان ، وما جر ذلك من شر وفساد ، إنما كانت ثمرة عراك مرير خاضه عملاء الماسونية فى البلاد الإسلامية. واليوم وقد استيقظ المسلمون وحاولوا تصحيح مسارهم فى طريق الهدى فظهرت اللحى الجميلة فى وجوه الفحول وأخذ المؤمنات يسترن وجوههن ، وعزفت نفوس المؤمنين عن الأغانى والموسيقى ، وتنزهوا عن التمثيل والتصفيق ، وصرخوا منددين بالربا المجمع على تحريمه ، وبالتصوير المغضب لله ورسوله والمؤمنين، وأخذت مظاهر العودة إلى الهدى المحمدى تلوح فى ديار الإسلام كل

ديار الإسلام بين الشباب والشابات فاستعمل السواك وقصرت الثياب التى كانت تسحب فى الأرض ، وجر المؤمنات ثيابهن التى كانت إلى الركب أو نصف الساق اقتداء بالصحابيات والمؤمنات السالفات ، أقول : لما رأت الماسونية هذه الرجعة المخيفة لها المرعبة لأرباب الأهواء والشهوات ، طلبت من يمد لها يده لإيقاف هذا الزحف الإصلاحى ، ولا أدرى كيف استجاب لها مثل الداعية الإسلامى الكبير الإمام الغزالى فكتب مرة كلمة نشرت فى الصحف تحت عنوان « احذروا التدين الفاسد » فذكر منه اللحية ، والنقاب ، والسواك وتقصير ثياب الرجال والتصوير ، ثم أصدر أخيراً كتابه « السنة النبوية . . » دافع فيه عن أغراض الماسونية دفاعاً عجباً وهو لا يشعر بخدمته للماسونية التى تريد أن تحيل البشرية إلى حيوان مسخر لليهود إلى يوم القيامة . والغزالى ينزه قطعاً وذلك لإيمانه وعلمه وأصالته فى الإسلام ، ولهذا أخذنا العجب مما كتب واضطررنا لرد ما كتبه حتى لا تنتكس دعوة الإصلاح التى تجرى فى كل ربوع العالم الإسلامى .

وأخيراً هل ابن حزم الظاهرى فى إباحته الغناء فى القرن الرابع الهجرى كان مدفوعاً بتيار قوة الثالوث المجوسى اليهودى الصليبى لضرب الإسلام بالمكر والخديعة بعد العجز عن مقاومته بحرب السلاح والأبطال ؟ والجواب : الاحتمال قريب جداً ويقويه أن دولة الأندلس قبل سقوطها سنت قانوناً يقضى بإدخال الموسيقى للمشافى لعلاج المرضى بها ، وبذلك كانت فتيا ابن حزم بإباحة الغناء بمثابة مسمار دق فى نعش أمة الأندلس المسلمة ، والتى أصبحت فى خبر كان ، إذ قتل أهلها وشردوا ونصّروا وكفروا ، وعادت ديار الإسلام إلى ديار الكفر والصليب الحاقد .

وأعود للتدليل على بطلان فتوى الغزالى التى استقاها من معين ابن حزم الذى كان سبب هلاك ودمار أمة الإسلام فى الأندلس .

فأقول : هل ابن حزم المبيح للغناء يقارن بمالك بن أنس القائل ــ وقد سئل عن الغناء : إنما يفعله الفساق عندنا ، وهل رد ابن حزم للأحاديث المانعة من الغناء بضروب المحلاّت والتأويلات يجعل الغناء مباحاً وقد أجمع أئمة الفقه والحديث على تحريمه ، إذ ذكر الإجماع غير واحد من أهل العلم كالآجرى وغيره .

وهل من المعقول المقبول أن تحبط أعمال أمة ويتحقق عمل واحد ؟ أَيُكَذَّبُ

الصحابة والسلف ويصدق ابن حزم المعروف بشطحاته الظاهرية التى رفضها كل العقلاء ؟ وشىء آخر يا داعية الإسلام يا غزالينا هل غناء من سبق الذى أباحه ابن حزم ووافقته أنت عليه وحرمه أئمة الإسلام كغناء اليوم الذى يذاع من أمواج الأثير فيسمعه القريب والبعيد والبار والفاجر وهو مصحوب بالمعازف وآلات الطرب على تنوعها واختلافها ؟ وهل ظهر للغناء الذى كان يتعاطاه الفساق فى الغابات ورؤوس الجبال ، وبطون الكهوف وسراديب البيوت ما ظهر للغناء اليوم من الخنا والدعارة والشر والفساد ؟

أليس من الحمق وسوء التدبير وفساد الرأى أن يدعى اليوم إلى الغناء بإعلان إباحته ، بعدما خمّت أجواء البلاد منه ، أم لأن مظاهر التوبة منه ومن غيره أقلقت راحة الماسونية العالمية فأوحت إلى عملائها والمتأثرين بها وهم لا يشعرون أن يعيدوا الكرة فى الدعوة إلى مظاهر الفساد كالغناء والسفور ، لأنها أغاظها أن أصبحت تمر عشرات السيارات فلا يسمع فيها صوت غناء ، ويمر المرء بعشرات الدور والمقاهى فلا يسمع صوت الغناء ، فأفزعتها هذه الحال فأوحت إلى من يستجيب لها بحمل راية الدعوة إلى الغناء والسفور خشية أن يطهر المجتمع الإسلامى وتيأس اليهودية العالمية من بقاء دولة اليهود فضلاً عن توسعها حتى تضم ما بين النيل والفرات .

آه ثم آه ثم آه ، وهل ينفع ألف آه ؟.

إلى هنا كَلَّ القلم من شدة الألم، وضاقت النفس من قوة الرفس فلنترك داعينا الغزالى مع أخطائه الكبرى فى تمجيد الاشتراكية والتمدح بالمجوسية الخمينية حيث لا يجد من يعتذر له مثلى أتركه لصاحبى الكشف ، والحوار ، فقد أزاحا الستار ، وبينا العوار ومن لم يستره الليل لا يستره النهار ، ومن لم ير بالتوبة الجنة فسيرى بالأبصار النار . والأمر لله الواحد القهار .

الرسالة السادسة والعشرون

كيف تُسلم

كيف تسلم ؟

الإجابة عن هذا السؤال عبارة عن
مرحلتين يقطعهما من يريد الإسلام
والدخول فيه ، ولكل مرحلة خطوات
يخطوها المريد فلا ينهى آخر خطوة إلا
وقد أسلم لله رب العالمين وأصبح أهلا
لكرامة الدارين وسعادتهما بإذن الله تعالى .

المرحلة الأولى

وفيها عشر خطوات

الخطوة الأولى : النطق بالشهادتين

يحسن [1] قبل النطق بالشهادتين أن يُعَرَّف بما يلى :

١ ـ أن خالق السموات والأرض وما فيها من سائر المخلوقات هو الله تعالى وأنه لذلك كان الإله الحق الذى يُعبد ولا يُعبد معه غيره .

٢ ـ أن عبادة الله تعالى هى طاعته بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه من العقائد والأقوال والأعمال .

٣ ـ أن نبيه الذى نبأه وأرسله ليبلغ عنه عباداته إلى الناس ويبين لهم كيف يعبدونه بها هو محمد عبد الله ورسوله فإذا فهم هذا واقتنع به قيل له : انطق بالشهادتين : قل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فإذا قالها فقد دخل فى الإسلام .

الخطوة الثانية : الطهارة

فإذا نطق المرء بالشهادتين وقد عرف معناهما عُلِّم كيف يتوضأ ويغتسل ليصلى إذ الصلاة عبادة لله لا تقبل إلا بالطهارة . فيوضع له الماء الطهور ويقال له : قل بسم الله ، واغسل كفيك ثلاث مرات ، ثم تمضمض ثلاثاً واستنشق الماء وانثره ثلاثاً ،واغسل وجهك ثلاثا، واغسل يدك اليمنى إلى المرفق ثلاثا، واليسرى كذلك، وامسح رأسك وأذنيك مرة واحدة ، واغسل رجلك اليمنى إلى الكعب واليسرى كذلك .

ويعلم الغسل بأن يقال له قل : بسم الله واغسل كفيك قبل أن تدخلهما فى الإناء ثلاثاً ناوياً الغسل ثم توضأ كما علمت ، ثم [2] خلل أصول شعرك بالماء ثم

---

(١) استحسنت هذا ، لأن غير العربى لا يفهم معنى الشهادتين إذا نطق بهما أما العربى فإنه فاهم معناهما بمجرد النطق بهما . فلذا كان المشركون يأبون أن يقولوا لا إله إلا الله .

(٢) كيفية الغسل هذه واردة فى الصحيح . .

اغسل رأسك مع أذنيك ثلاث مرات ، ثم أفض الماء على شقك الأيمن من أعلاه إلى أسفله ، ثم الأيسر كذلك ظاهراً وباطناً ، قد تم غسلك مع وضوئك .

الخطوة الثالثة : الصلاة

فإذا توضأ واغتسل عُلِّم كيف يصلى ركعتين ، فيقف مستور العورة ، مستقبل القبلة ويكبر رافعاً يديه حذو منكبيه قائلا: الله أكبر ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا [1] الله والله أكبر. ثم يركع بأن يحنى ظهره ويمده واضعاً كفيه على ركبتيه قائلا: الله أكبر ويسبح وهو راكع قائلا: سبحان ربى العظيم ثلاث مرات فأكثر، ثم يرفع رأسه رافعاً يديه قائلا : سمع الله لمن حمده . ربنا لك الحمد حمداً طيباً مباركاً فيه وهو قائم معتدلاً ، ثم يهوى إلى السجود قائلاً : الله أكبر ، فيضع جبهته وأنفه على الأرض ويسبح قائلاً : سبحان ربى الأعلى ثلاثاً وأكثر ، ثم يرفع رأسه قائلاً : الله أكبر فيجلس ويقول وهو جالس : رب اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى . ثم يسجد كما سجد أولاً ، ثم يقوم قائلاً الله أكبر فيأتى بركعة أخرى على نحو ما فعل فى الأولى ، ثم يجلس فيتشهد قائلاً : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ويصلى على النبى قائلا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، ويسلم قائلاً : السلام عليكم ورحمة الله ملتفتاً عن يمينه ، السلام عليكم ورحمة الله ملتفتاً عن يساره .

وإذا دخل وقت فريضة من الصلوات الخمس فليصلها كما يلى : فإن كانت الظهر أو العصر أو العشاء فإنه يصلى ركعتين ، ويجلس فيتشهد ثم يقوم فيصلى ركعتين ويتشهد ويسلم . وإن كانت المغرب فإنه يصلى ركعتين ويجلس فيتشهد ويقوم فيصلى ركعة ، ويجلس فيتشهد ويسلم، وإن كانت الصبح فيصلى ركعتين ويجلس فيتشهد ويسلم .

---

(١) يكتفى بهذا الذكر عن الفاتحة مادام لم يحفظها فإذا حفظها لا يجزئه إلا قراءتها .

الخطوة الرابعة : القراءة فى الصلاة

يعلم قراءة الفاتحة وأن الصلاة لا تصح بدونها مادام قادراً على تعلمها وحفظها ، وهى ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ فإذا قرأها فى الصلاة قال : آمين .

كما يعلم سورة الكافرون وهى ﴿ **قل ياأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين** ﴾ .

* كما يعلم سورة الصمد وهى : ﴿ **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ .

ويؤمر أن يقرأ بالفاتحة والكافرون فى الركعة الأولى من كل صلاته ،وبالفاتحة والصمد فى الركعة الثانية من كل صلاته ، وأما الركعتان الأخيرتان من صلاة الظهر والعصر والعشاء فإنه يقرأ فيهما بالفاتحة فقط وكذا الأخيرة من صلاة المغرب .

الخطوة الخامسة : نواقض الطهارة

يعلم أن الصلاة لا تقبل بدون طهارة وهى الوضوء والغسل وقد عرفهما فى الخطوة الثانية . وليعلم أن نواقض الوضوء - أى مفسداته - هى كل ما يخرج من السبيلين - مخرج البول ومخرج الغائط - من ريح وضراط وعذرة ، وبول ، ومذى ، فعندما يخرج واحد مما ذكر فسد الوضوء ولا تصح الصلاة حتى يتوضأ . كما يعلم أن من جامع امرأته فأدخل ذكره فى فرجها فقد وجب عليه الغسل ، وكذا إن احتلم فخرج منه منى فقد وجب عليه الغسل ، وكذا إن لامس امرأته فأمنى أي خرج منه المنى فقد وجب عليه الغسل فلا يجوز له أن يصلى أو يدخل المسجد أو يقرأ القرآن حتى يغتسل والمرأة كالرجل وتزيد عليه بغسلها من الحيض والنفاس ، فإذا حاضت المرأة وانقطع دمها وجب عليها الغسل وكذا إن نفست وانقطع دمها وجب عليها الغسل كذلك ولا تدخل المسجد وهى حائض أو نفساء

حتى ينقطع دمها وتغتسل ، ولا يجامعـها زوجها وهى حائض أو نفساء حتى تطهر بانقطاع الدم وتغتسل .

الخطوة السادسة : التنزه عن النجاسات

ولْيُعلَّم أن العبد إذا أراد الصلاة ينبغى لـه أن يكون متوضئاً ، وأن يكون بدنه وثيابه والأرض الـتى يصلى علـيها طاهرة أى ليس فـيها نجاسة . والنـجاسات هى البول والعذرة ، والدم ، وبول الحيوان الذى لا يؤكل لحمه وكذا روثه.

الخطوة السابعة : المحرمات

ويعلم المحرمات على المسلم هى فيما يلى :

فى المشارب : الخمر وكل مسكر والحشيشة ونظائرها .

فى المطاعم : الميتة ولحم الخنزير ، وما ذبح لغير الله،ومال الغير بدون رضاه .

فى الملابس : الذهب والحرير على الرجال لا على النساء .

فى المنـاكح :كل الـنساء إلا امرأتـه التى عقـد عليهـا عقداً شرعـياً،وهى من غـير محارمه[1] .

فى القول : الكذب ، شهادة الزور ، السب ، قولة السوء .

فى المعاملات : السرقة ، الغش ، خلف الوعد ، الغدر ، الخيانة ، الظلم .

فى الأخلاق : الكبر ، العجب ، الحسد ، الفخر ، الخيلاء .

فى الآداب : كشف العورة ، النـظر إلى عورة غيره ، الدخول على بـيوت الغير بدون استئذان منه .

الخطوة الثامنة : الزكاة

يعلم أن المسلم إذا كان له مال وبلغ نصـاباً وجب عليه أن يزكيه بإخراج جزء منه للفقراء والمساكين ، والأموال التى تجب فيها الزكاة هى ما يلى :

---

(١) المحارم هن : الأم والجدة والبنت والأخت والعمة والخالة ، وبنت الأخ وبنت الأخت والأم من الرضاعة والأخوات منها ، وأم الزوجة ، وزوجة الأب ، وزوجة الابن .

١ ـ الحبوب والثمار والواجب فيها العشر إذا بلغت نصاباً وهو خمسة قناطير ، وكانت تسقى بغير آلة ، وإلا ففيها نصف العشر لا غير .

٢ ـ بهيمة الأنعام وهى الإبل والبقر والغنم إذا حال عليها الحول وبلغت النصاب ، ونصاب الإبل خمسة أبعرة وفيها شاة [١] ، ونصاب البقر ثلاثون بقرة وفيها عجل [٢] ، ونصاب الغنم أربعون شاة وفيها شاة واحدة [٣] .

٣ ـ الذهب والفضة والعُمَل القائمة مقامهما اليوم إذا حال عليها الحول وبلغت نصاباً ، والنصاب فى الذهب سبعون قراما ، وفى الفضة أربعمائة وستون قراماً ، والعُمَل إذا بلغت قيمتها سبعين قراماً ـ زكيت بربع العشر كالذهب والفضة .

الخطوة التاسعة : صيام رمضان

يعلم أن صيام رمضان قاعدة الإسلام فلا يسلم العبد إلا إذا صامه وأن الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ورمضان هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية ويكون تسعة وعشرين يوماً ويكون ثلاثين ، فيصام لرؤية الهلال ، ويفطر لرؤيته والمسافر والمريض يفطران ويقضيان .

الخطوة العاشرة : حج بيت الله الحرام

يعلم أن الإسلام لا يتم إلا إذا حج العبد بيت الله الحرام بمكة المكرمة وذلك إن كان قادراً مالياً وبدنياً . فإن كان غير قادر فإسلامه كامل وإن لم يحج . والحج أن يحرم المسلم من الميقات بأن يتجرد من الثياب ويلبس إزاراً ورداءً ويلبى قائلاً : «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا

---

(١) ثم فى كل خمسةٍ شاة. ففى العشرين أربع شياة . ثم إذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض من الإبل وهى ما كملت سنة ودخلت فى الثانية .

(٢) وإذا بلغت أربعين ففيها مسنة أوفت سنتين . فإذا زادت ففى كل أربعين مسنة . وفى كل ثلاثين عجل .

(٣) حتى إذا بلغت مائة وواحدة وعشرين ففيها شاتان ، ثم فى كل مائة شاة . . .

شريك لـك » . فإذا وصل مكة طاف بـالبيت سبـعة أشواط ، وسعى بين الـصفا والمروة سبعة أشواط . ووقف بعرفة يوم التاسع من شهر الحجة وهو الشهر الثانى عشر من شهور السنة القمرية .

ويعلم أن العبـد إذا خطا هذه الخطوات العشر فقـد دخل فى الإسلام وأصبح مسلماً ، وإذا ثـبت على إسلامه حتى مـات دخل الجنة بإذن الله تعـالى وكان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

المرحلة الثانية

وفيها عشر خطوات

الخطوة الأولى : لازم الإيمان

ليعلم المسلم أن للإسلام لازماً للإيمان بالله رباً وإلهاً موصوفاً بكل كمال منزهاً عن كل نقصان . لازماً وهو : الإيمان بملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره . فمن لم يؤمن بشيء من هذه بطل إسلامه وعاد إلى الكفر .

أما الملائكة : فهم خلق عظيم خلقهم الله تعالى من نور ، ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ ، يسبحونه الليل والنهار ولا يفترون .

وأما الكتب : فإنها كثيرة بأيدى الناس منها اليوم أربعة: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن. وقد نسخها الله تعالى بالقرآن فلم يجز العمل بكتاب منها إلا القرآن العظيم ، فإنه جمع كل ما فى تلك الكتب من الهدى والنور قبل تحريفها وتبديلها . وأصبح القرآن كتاب الهداية والإصلاح لكل الأمم والشعوب المؤمنة به .

وأما الرسل : فإنهم كثير جاء فى القرآن الكريم ذكر خمسة وعشرين منهم . وأعاظمهم وهم أولو العزم خمسة هم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ،وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

وأما اليوم الآخر : فهو يوم القيامة يبعث الله الأموات ويجمعهم لفصل القضاء ويجزى كل واحد بما عمل من خير أو شر فأهل الإيمان والعمل الصالح يدخلهم جنته ويحل عليهم رضوانه ، وأهل الكفر والشرك والمعاصى يدخلهم دار عذابه ويحل عليهم سخطه .

وأما القدر : فهو أن كل شيء خلقه الله تعالى ويخلقه فى هذه الحياة الدنيا من خير وشر قد كتبه الله فى كتاب المقادير قبل خلقه وإيجاده فلا يقع شيء فى هذه الحياة إلا سبق به علم الله تعالى ووقع بإذنه .

الخطوة الثانية : لازم الحب والبغض

ليعلم المسلم أن حب ما أحب الله تعالى وبغض ما أبغض من العقائد والأقوال والأفعال والذوات والصفات لازم لحب الله تعالى فمن أحب الله تعالى

وجب عليه أن يحب كل ما يحب الله تعالى ويبغض كل ما يبغض الله تعالى وبذلك يكون ولياً لله تعالى ، ومن أبغض ما أحب الله تعالى ، وأحب ما أبغض الله تعالى فهو عدو الله وليس بولى له ، إذ شرط الولاية الموافقة .

ليعلم المسلم أن تعلم سائر ما يحب الله تعالى وكيف يفعل ذلك لله تعالى ويتقرب به إليه واجب أكيد لا يصح إهماله أو التفريط فيه بحال. كما أن تعلم سائر ما يبغض الله تعالى ويكره من العقائد والأقوال والأفعال والصفات والذوات واجب أكيد أيضاً من أجل أن يتجنبه المسلم ويتركه ويكرهه لكراهية الله تعالى له.

إذ لازم محبة الله تعالى أن يحب العبد ما يحب ربه ويكره ما يكرهه وبهذا تتأكد الولاية بين العبد والرب تبارك وتعالى .

الخطوة الثالثة : زائد الصلاة

ليعلم المسلم أن للصلاة زوائد غيرها ؛ إذ الصلوات الخمس قاعدة الإسلام ، وزوائدها ـ نوافلها ـ كثيرة منها المؤكد ، ومنها غير المؤكد ، ومنها المستحب فقط . وفعل هذه الزوائد عن الصلوات الخمس يقرب من الله تعالى ويجلب محبته للمسلم ورضاه عنه ، وهذا أكبر ما يتمناه المسلم .وهذا بيان تلك الزوائد مفصلا:

أ ـ المؤكد منها وهو :

١ ـ رغيبة الفجر وهى ركعتان قبل صلاة الصبح .

٢ـ الوتر وهو ثلاث ركعات بعد صلاة العشاء .

٣ ـ صلاة العيدين وهى ركعتان فى جماعة .

٤ ـ صلاة الاستسقاء وهى ركعتان فى جماعة .

٥ ـ صلاة الخسوف والكسوف وهى ركعتان فى كل ركعة ركوعان .

ب ـ غير المؤكد منها وهو :

١ ـ صلاةالضحى وهى أربع ركعات فأكثر عند ارتفاع الشمس .

٢ ـ تحية المسجد عند دخول المسجد قبل أن يجلس وهى ركعتان .

٣ ـ ركعتان قبل صلاة الظهر ، وركعتان بعدها .

٤ ـ ركعتان قبل صلاة العصر .

٥ ـ ركعتان بعد صلاة المغرب .

٦ ـ ركعتان بعد صلاة العشاء .

جـ ـ المستحب منها وهو :

١ ـ قيام الليل وهو الصلاة فى آخر الليل إحدى عشرة ركعة فأكثر مع الوتر .

٢ ـ ركعتان بعد الوضوء .

٣ ـ ركعتان بين كل أذان وإقامة .

٤ ـ صلاة الحاجة وهى ركعتان يسأل الله تعالى بعدهما حاجته التى يريد قضاءها .

٥ ـ ركعتان فى مسجد الحى الذى يسكنه عند القدوم من السفر .

الخطوة الرابعة : زائد الزكاة

ليعلم المسلم أن الزكاة التى هى قاعدة الإسلام دونها صدقة التطوع ، وهى إنفاق مال فى سبيل الله يتقرب به المسلم إلى ربه عز وجل ليدفع عنه المكروه ، ويكشف عنه السوء ، ويبارك له فيما رزقه ، وليس لهذه الصدقة حد ولا عد وخيرها ما كان غير منقطع ولو كان قليلا ، وأكثرها أجراً الصدقة الجارية التى لا تنقطع زمناً طويلا كالأوقاف ، وبناء المساجد ودور الأيتام ، ومعاهد العلم . وصدقة الجهاد تضاعف بمليون ضعف وأقلها بسبعمائة ضعف .

الخطوة الخامسة : زائد الصيام

ليعلم المسلم أن صوم رمضان قاعدة الإسلام التى لا يقوم إلا بها وعليها وراءه صيام زائد عنه يتقرب به المسلم إلى ربه ليرفع به درجات ، ويقرب به من رضا ربه عز وجل وهو ما يلى :

١ ـ صيام ستة أيام من شهر شوال .

٢ـ صيام اليوم التاسع والعاشر من شهر المحرم وهو أول شهور السنة القمرية

٣ ـ اليوم التاسع من شهر الحجة وهو يوم الحج « عرفة » .

٤ ـ صيام ثلاثة أيام من كل شهر وهى الثالث عشر ، والرابع عشر، والخامس عشر .

٥ ـ يوم الاثنين ويوم الخميس من كل أسبوع .

٦ ـ صيام يوم وإفطار يوم من كل السنة وهو أعظم صيام التطوع وأفضله لمن قدر عليه ، ولم يخل بأمور دينه ودنياه .

الخطوة السادسة : زائد الحج والعمرة

ليعلم المسلم أن الحج الذى هو قاعدة الإسلام التى لا يقوم إلا عليها ولا يتم إلا بها دونه حج التطوع ، وهو أن من حج الفرض من المسلمين له أن يتطوع بحج واعتمار متى أمكنه ذلك ولو فى كل خمس سنوات مرة ، والتطوع بالحج والعمرة من أفضل أعمال البر وأعظم القرب التى يتقرب بها المسلم إلى ربه عز وجل ليرفعه درجات ما يكفر عنه السيئات .

والتطوع بالعمرة يكون مع الحج أو قبله أو بعده وكون العمرة فى رمضان أعظم أجراً إذ عمرة فى رمضان تعدل حجة مع النبى ﷺ والعمرة هى زيارة بيت الله للطواف به والسعى بين الصفا والمروة ويحرم لها المسلم كما يحرم للحج ، ويخرج منها بحلق شعر رأسه أو تقصيره .

الخطوة السابعة : ذكر الله تعالى

ليعلم المسلم أن ذكر الله تعالى من أعظم القرب وأشرف العبادات التى يكون بها القرب من الله تعالى وتعظم بها الصلة بالله تعالى ويحفظ بها المسلم من الوقوع فى الذنوب والآثام . وهو قسم خاص وعام .

فالذكر الخاص هو فيما يلى :

١ ـ قول : بسم الله عند كل عمل وقول ذى شأن ، كالأكل والشرب واللباس والجماع والركوب والخطابة والكتابة ودخول المسجد والمنزل ويجب قولها عند التذكية « ذبح الحيوان » ومعها : الله أكبر .

٢ ـ قول : الحمد لله ، بعد الفراغ من الأكل والشرب واللباس ، وعند حصول كل خير ونعمة .

٣ ـ قول : سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له مرة واحدة بعد كل صلاة مفروضة .

٤ ـ قول : بسم الله ، والحمد لله ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له

مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون مرة واحدة عند ركوب الدابة أو السيارة أو الباخرة أو الطائرة .

والذكر العام هو فيما يلى :

١ ـ قول : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم بلا حد ولا عد .

٢ ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة فى الصباح .

٣ ـ قول : سبحان الله وبحمده مائة مرة فى اليوم أو الليل .

٤ ـ أستغفر الله بعد كل صلاة ثلاث مرات ، أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، ثلاثاً بعد الصلاة المفروضة أيضاً .

٥ ـ قراءة القرآن العظيم آيات أو سورٍ من المصحف وبدونه .

٦ ـ الدعاء : رب اغفر لى وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم بلا عد .

٧ ـ يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث بلا عدد .

٨ ـ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

الاستعاذة : وهى من الذكر الخاص وهى :

١ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند بداية القراءة للقرآن الكريم .

٢ ـ أعوذ بوجه الله العظيم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، عند دخول المساجد ، ويزيد بعدها : اللهم صل على محمد اللهم اغفر لى ذنبى وافتح لى أبواب رحمتك ، وعند الخروج من المساجد كذلك .

٣ ـ أعوذ بالله من الخبث والخبائث الرجس النجس الشيطان الرجيم عند دخول المرحاض .

٤ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم آمنت بالله عند وجود وسواس فى النفس .

٥ ـ بسم الله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا عند الجماع .

٦ ـ اللهــم إنى أعوذ بك مــن عذاب جهنم وعــذاب القبر ومــن فتنة المــسيح الدجال ، وفتنة المحيا والممات بعد التشهد الأخير من الصلوات الخمس، ويسلم بعدها .

الخطوة الثامنة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ليعلم المــسلم أن من الواجب على المــسلم إذا رأى معروفا قد تركــه مسلم أن يذكره بفعــله ويأمره به . وإذا رأى منكراً قد ارتــكبه مسلم أن يذكره بتــركه وينهاه عن فعله . وذلك عندما يتحقق أن المــتروك حقاً هو معروف وأن المرتكب هو حقاً منكر ويأمر بالمعروف برفق وينهى عن المــنكر بغير عنف فإن خاف الأذى ولم يطقه يسكت ولكن يغيره بقلبه فيكرهه ويبتعد منه ومن أهله .

الخطوة التاسعة : الجهاد فى سبيل الله

ليعلم المــسلم أن الجهاد من واجبات الإســلام التى يجب على المســلم القيام بها، ويكون الجهاد بالمال كما يكون بالنفس ؛ فإن أمر إمام المسلمين به لقتال الكفار المحاربين ،أو المسلمين الباغين وجب على المسلم أن يجاهد بماله أو بنفسه أو بهما معاً .

وجهاد النفس واجب كذلك ، وهو حملهــا على أن تتعلم أمور الدين وتعمل بها وتعلّمها لغيرها من الناس .

الخطوة الأخيرة : طلب العلم

ليعلم المسلــم أن طلب العلم من أوجب الواجبات التى عــلى المسلم أن يقوم بها . والمراد بالعلم : معرفة الله تعالى بأســمائه وصفاته ومعرفة ما يحبه تعالى من العقائد والعبــادات والأخلاق والآداب والأحكام الشرعية ومعرفة ما يــكرهه تعالى من ذلك كله . مع معرفة كيف يؤدى العبادات ، وكيف يجرى الأحكام .

وأعظم العلم أن يعلم المسلم أنه لا يجــوز له أن يعتقد أو يقول أو يعمل حتى يعلم حكم الله تــعالى فيما أراد أن يعتقده ،أو يقوله أو يعمــله فإن علم اعتقد أو قال أو علــم ، وإن لم يعلم يــسأل أهل العلــم لقول الله تــعالى : **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**.

وأخيراً : فليعلم كل من يطلع على هذه الرسالة أن كل ما جاء فيها من عقائد وعبادات وواجبات وتعاليم هو من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرسالة السابعة والعشرون

نصيحـة إيمانيـة

إلى عـصابة الطريقة العزمية

بسم الله الرحمن الرحيم

نصيحة إيمانية

إلى عصابة الطريقة العزميّة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ! أيها العزميون لقد وصلنى العدد الواحد والستون من مجلتكم « الإسلام وطن » وهى تحمل حملة شعواء منكرة عجيبة على كل من السلفيين والإخوان المسلمين فى العالم الإسلامى بصورة عامة ، وعلى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وناصحكم الجزائرى وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والحكومة السعودية بصورة خاصة .

وهذه افتراءاتكم وأباطيلكم أيها العزميّون أضعها أمام القارئ المسلم ليعرف أولا حالكم وما عليه من البغض والعداء للإسلام الحق والمسلمين الصادقين ، ولنظهر زيفها وبطلانها أمام العالم الإسلامى ثانيا ! !

(أ) كتب شيخ طريقتكم الصوفية أبو العزائم تحت عنوان « أيها القرنيون هلا فقهتم ؟» ابن تيمية زلّ فى عقيدته فى الخالق فقد قال بالتجسيم والتشبيه !

(ب) وكتب أحمد البدوى يقول . . وجد [1] كل الطوائف التى تنتمى لفكر السلفية من إخوان مسلمين ـ جهاد ـ تكفير ـ هجرة ـ قطبيين . . الخ ، وكل جماعة تصلى وراء إمام ، وتعتقد أن الأخرى كافرة !!! .

وكتب أيضا يقول : أبو بكر الجزائرى الكاهن الوهابى . . . الخ وكتب أيضا يقول : كبير الكهنة الوهابية عبد العزيز بن باز . . . الخ ، وكتب أيضا يقول : لكن الإرادة الإلهية شاءت أن توقع المكفرين فى المكفرين .

وواصل طعنه المجنون فيقول : إن تلك الأفكار التى يبثها الوهابية . . . الخ ووضعت وزارة المستعمرات الانجليزية وقتئذخطة دقيقة لهدم الإسلام ليقوم بتنفيذها قرن الشيطان النجدى . . . . إلخ .

وواصل هراءه قائلا : ومازالت الأفكار الوهابية مرتبطة بأعداء الأمة الإسلامية . . وتختم عصابة العزمية حملتها بقول بطلها البدوى : وأعتقد يقينا

---

(١) يعنى أن أحدا زار السجن فى مصر فوجد . . . إلخ .

أننا ندرك الآن كيف تمارس الوهابية بكهنتها وسدنتها وقادتها عملية خداع وتضليل المسلمين فى الوطن الإسلامى باسم الإسلام وتجديده .

كانت تلك بعض افتراءاتكم وأباطيلكم أيها العزميون الساخطون على السلفيين ودولة التوحيد وحماتها ، وإلى القارئ الكريم بيان زيفها وبطلانها ، وما تدل عليه من سوء قصدكم وفساد قلوبكم ، ياإخوة الكيد للإسلام والمسلمين ! لا أكثر الله من أمثالكم آمين .

قول شيخكم عز الدين ماضى أبى العزائم : أيها القرنيون هلا فقهتم !! والسؤال الآن هو من هم القرنيون ؟ والجواب : إنه يعنى السلفيين أعداء الشرك وأهله ووسائله ومظاهره من تقديس مشائخ الطرق ، وضرب القباب ، وشد الرحال إلى أضرحة الأولياء للعكوف عليها ودعائها وتقديم القرابين لها من ذبح ومال لسدنتها الضالين المضلين من أمثال دعاة الطريقة العزمية .

وإن قلت أيها القارئ الكريم : كيف أطلق أبو العزائم لفظ القرنيين على السلفيين ؟ والجواب : هو أنه لحنقه وتغيّضه على الدعوة السلفية التى قضت على التصوف ورجاله ، والطرق الصوفية ودعاتها ، وما كانت تجنيه من أموال وما تتربع عليه من كراسى التبجيل والتعظيم من أغلب أفراد الأمة الإسلامية التى جهّلها الاستعمار الغربى بأيدى رجال الطرق ومشائخ التصوف لم يجد أبو العزائم ما يشفى به صدره سوى أن ينسب أعداءه السلفيين إلى الشيطان إذ جاء فى الحديث الشريف (١) : أن الشمس تطلع على قرن الشيطان فلذا تحرم صلاة النافلة عند طلوعها ، كما أنه يشير إلى حديث آخر صحيح وهو أن النبى ﷺ قال : «اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا »، قال بعض الصحابة وفى نجدنا ـ يعنى الشرق ـ فقال ﷺ : « هناك الزّلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان (٢) » أى من ثَمَّ يخرج قرن الشيطان ، وهذا دال على ما تقدم من أن الشيطان يُرى عُبّاده أنه يحمل الشمس بقرنيه حين طلوعها .

ودال على أن الفتن تأتى من الشرق وفعلا قد جاءت فتن عظام من الشرق فالخوارج كانوا فى الشرق والروافض في الشرق ، والتتار فى الشرق وهى فتن

---

(١)كما عند البخارى ومالك فى موطئه .

(٢) رواه البخارى .

عظام إلا أن أعداء التوحيد من مشايخ الصوفية والطرقية عَمُوا عن كل ذلك ورَأوْا أن دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ تغمده الله برحمته ـ التى قام بها بالديار النجدية من جزيرة الإسلام فأنقذ بها المسلمين من الشرك والجهل وعبادة القبور ، وصرف عنهم الخرافة والضلالة والبدعة ، وعاد بهم إلى عهد سلف الأمة الصالح وهو أن يعبد الله تعالى بما شرع فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. فلما رأى أعداء الإسلام من رجال الاستعمار أوْعَزُوا إلى رجال الطرق والزوايا فى بلاد الإسلام الرازحة تحت كَلْكَل استعمارهم أوعزوا إليهم أن يندِّدوا بداعية الإصلاح ورجاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما انضم إليهم من علماء بُصراء فقام خطباء المساجد ومدرسو الفقه فيها بحملة منكرة وهى تكفير الشيخ وتلامذته وكل من دعا بدعوته فى العالم الإسلامى ونسبوهم إلى مذهب خامس[1] زائد على المذاهب الأربعة كما فعلوا بشيخ الإسلام أحمد بن تيمية فى القرن السابع ، إذ مازالت مؤلفاتهم ورسائلهم تحمل تكفير شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكذا شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب رحمهما الله برحمته الواسعة .

وبعد أن ظهرت دعوة الحق وطلعت شمس الهداية الإلهية وأوجد الله بتلك الدعوة الصحيحة السليمة دولة عبد العزيز بن سعود ، هذه الدولة التى أرت العالم نموذجا صالحا للدولة الإسلامية رجاء أن يقتدى بها دول الأمة الإسلامية ، ولكن مع الأسف الشديد أنهم حرموا الاقتداء بها والانضمام إليها فكانت دول العالم الإسلامى دولا لا إسلامية فلا يؤمر فيها بإقام الصلاة ولا بجباية الزكاة ولا يؤمر فيها بمعروف ولا ينهى عن منكر ، وسبب هذه الصرفة الحاقدة أن أعداء الإسلام من مجوس ويهود ونصارى وأعوانهم من رجال الطرق ودعاة التصوف المزيَّف

---

(١) قالوا : هذا الباطل والافتراء المقيت وهم يعلمون أن مذهب الشيخ محمد وتلامذته هو المذهب الحنبلى أحد مذاهب أهل السنة والجماعة ، ولكنه المكر والخديعة والتضليل المتعمد ، وعموا أو نسوا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تميمى الأصل عريق النسب فى بنى تميم لا يشك فى هذا ذو عقل ولا ذو علم من الناس

إن بنى تميم الذين هم قوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل سعود هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ :«هم أشد أمتى على الدجال » رواه البخارى . وقال فيهم أبو هريرة رضى الله عنه : ما زلت أحب بنى تميم منذ ثلاث سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هم أشد أمتي على الدجال »، وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ : « هذه صدقات قومنا » وكانت سبية منهم عند عائشة رضى الله عنها فقال لها رسول الله ﷺ : «اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل » رواه البخارى .

قاموا بحملة ضد الدولة السعودية التى لم تر الدنيا فى أيامنا هذه أطهر منها ولا أعدل ولا أرحم ، ولا أدل على ذلك من قول أبى العزائم وأحمد البدوى هذا القول العفن الكاذب الباطل الذى يكفر فيه السلفيين على الإطلاق وهّابيين ــ كما يقول ــ أو غير وَهّابيين من إخوان مسلمين وهم يعلمون أن من كفَّر مسلما فقد كفر . . . (١).

ومواصلة لفضح جريمة العزميين أقول: إن قول البدوى: (أبو بكر الجزائرى الكاهن الوهابى) هذه المقولة الباطلة قد كفر بها الكاتب العزمى إذ كفَّر مسلما ، لأن الكاهن كافر بل شر كافر .

إن السبب الحامل له على تكفير الجزائرى هو لما علم أن الجزائرى داع إلى الله تعالى بدعوة الرسول ﷺ القائمة على التعريف بالله وبمحابه ومكارهه وكيف يؤدى المؤمن تلك المحاب ، وكيف يستجنب تلك المكاره ، وضمَّن ذلك التنديد بالشرك وأهله وبيان مظاهر الشرك فى الأمة الإسلامية والتحذير من دعاة الشرك؛ والبدع . وفعلا قد رأى آثار تلك الدعوة الإصلاحية السلفية فى البلاد المصرية لذا أعلن الحرب على السلفيين ، وكفّر الجزائرى المسلم وكفّر أيضا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ــ الذى كثيرا ما أقول اللهم زد فى عمره من عمرى وذلك لكثرة نفعه وقلة نفعى للإسلام والمسلمين ــ كفّره بقوله : (كبير الكهنة الوهابية عبد العزيز بن باز). إن هذا القول الذى قاله فى أعلم رجل وأتقاه وأكثره نفعا للإسلام والمسلمين لم يجرؤ على قوله يهودى ولا نصرانى من أعداء الإسلام وخصومه فكيف يقوله من يدعى الإسلام والوسطية (٢) فيه ، لا أشك أن الحامل له على هذا هو تغيضه الفائق وحقده الذى لا حد له على السلفية التى تنشرها دولة آل سعود الأماجد بواسطة علمائها وأموالها أداء لواجب الدعوة إلى الله تعالى بأن يعبد الله تعالى وحده بما شرع ليطهر العابدون ويزكوا فيكملون ويسعدون فى الحياتين .

وأخيرا فإنى أدعو بحرارة وصدق رجال عصابة العزمية بالديار المصرية أن

---

(١) رواه مسلم بمعناه .

(٢) هذه دعوى جاءت فى مجلتهم وأنهم يدعون إلى الدين الوسط أى لا إفراط فيه ولا تفريط وهم ورب الكعبة لكاذبون !!

يعلنوا عن توبتهم الصادقة ويتخلوا عن طريقتهم المبتدعة الضالة وينضموا إلى ركب السلفية وهى الفرقة الناجية لا غير طلبا لنجاة أنفسهم من النار ، إذ قال الرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : « افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ففى الجنة »، فقال أحد أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين : من هم يارسول الله ؟ قال : « هم الذين يكونون على ما أنا عليه اليوم وأصحابى » (١) .

وبهذا رسم طريق النجاة عن النار وهو أن يكون العبد فى عقيدته وعبادته وأحكامه وأخلاقه وآدابه على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهذا يتم للعبد بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بعد العلم بهما .

والسؤال الواجب طرحه هنا هو : هل كان لرسول الله ﷺ وأصحابه مذاهب وطرق سوى صراط الله المستقيم الذى ما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يسأل الله تعالى الهداية إليه والثبات عليه ، وذلك فى قول المصلى : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » وهذا الذى بيّنه (٢) رسول الله ﷺ حينما خط خطا مستقيما وخط على جنباته خطوطا ، وقال: هذا سبيل الله وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ﴿ **وأنَّ هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتَّبعوا السُّبل فَتَفَرَّقَ بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ (٣) أى إنه باتباعنا صراط الله الذى تركنا (٤) رسول الله ﷺ عليه نتقى عذاب الله فى الدنيا والآخرة .

لذا فإنه لا نجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة إلا باتباع صراط الله المستقيم الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فهل ياتُرى كان لهم طريقة أو مذهب أو شيخ أو إمام يتبعونه فلا يَردُون ولا يَصْدُرون إلا عليه ، ولو خالف كتاب الله

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك واللفظ له .

(٣) الأنعام : (١٥٣) .

(٤) يشهد لهذا قوله ﷺ : « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » رواه أحمد فى مسنده .

وسنة رسوله ﷺ ؟

والجواب لا ، لا والله ماكان لهم إلا كتاب الله وهدى رسوله محمد ﷺ ، فوالله ماعرفوا مذهبا اعتزاليا ولا أشعريا ولا خارجيا ولا رافضيا ، ولاعرفوا طريقة نقشبندية ولا تجانية ولا عزمية قط ،ولا اتبعوا غير صراط الله المستقيم الذى جاء به كتاب الله وبيّنه رسول الله ﷺ .

ومن هنا كانت السلفية لا تعنى أكثر من أن على كل عبد يريد النجاة من النار أن يجتهد فى أن يكون فى عقيدته وعباداته وقضائه وآدابه وأخلاقه على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ولذا لا أرى حاجة إلى أن يقول المرء : (أنا سلفى) أو الجماعة الفلانية سلفية ، إذ واجب كل مسلم أن يكون سلفيا بمعنى أن معتقده وعبادته وقضاءه وأخلاقه وآدابه على نحو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وعندئذ فكلمة « مسلم أو مؤمن » تُغنى عن كل انتساب، والله عز وجل عرّف المسلمين بقوله : ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله**﴾ (١) ، وقال تعالى فيهم : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ (٢) .

والرسول ﷺ عَرّف المسلم والمؤمن بالإسلام والإيمان فى أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى » (٣) ، وقال « المسلم أخو المسلم » (٤) ، وقال : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » (٥) ، وقال : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه الشريفة» ﷺ(٦) وصحابته وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وهذا هو المنهج الذى انتهجته بتوفيق من الله وعون منه سبحانه وتعالى إذ جلست بالمسجد النبوى الشريف ملتقى العالم الإسلامى أربعين سنة أعلم طالبى العلم وأجيب سائله ولم أخرج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قيد شعرة وأنا

---

(١) التوبة : (٧١) .

(٢) الحجرات : (١٠) .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه مسلم .

(٦) رواه البخارى .

أعلم بذلك ولا أقول للطالب ولا للسائل ما مذهبك ولا ما طريقتك ؟ وأكتفى ببيان الهدى المحمدى له ليأخذ به إن وفق لذلك .

وألفت عقيدة المؤمن على ضوء معتقد رسول الله ﷺ ومعتقد أصحابه والأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ولم أخرج فى ذلك قيد شعرة عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأنا جازم أنه ما من مؤمن يأخذ بما فى هذا الكتاب من معتقد إلا كان من الفرقة الناجية .

وألفت منهاج المسلم وهو كتاب شامل للعقيدة والآداب والأخلاق الإسلامية والعبادات والمعاملات التى هى بيان الحلال والحرام والجائز والممنوع فى البيع والشراء والمناكح والمطاعم والمشارب والملابس وبيان الحدود وإقامتها والجهاد وأحكامه ولم أخرج فى هذا الكتاب عن الكتاب والسنة وفقه الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى ، لذا انتفع به أهل السنة والجماعة من أهل المذاهب الأربعة .

ولا أدرى عمن خرجوا عن أهل السنة والجماعة كالزيدية والإباضية والإمامية والجعفرية هل انتفعوا به أو لا ولا إخالهم ينتفعون به لأن أئمتهم وعلماءهم يحولون بينهم وبينه للإبقاء عليهم خاضعين لهم تابعين لما يهدونهم إليه .

أما أهل السنة والجماعة فقد انتفعوا بهذا الكتاب فى الشرق والغرب وبذلك أصبحت الأمة إلى طريق الاجتماع أقرب منه إلى طريق الافتراق كما كانت قبل القرن الماضى ١٣٠٠ هـ .

ثم ألفت رسالة سميتها الدستور الإسلامى تشتمل على بيان بيعة الإمام وكيفية إدارة شئون المسلمين دينا ودنيا سياسة ومالا واقتصاداً على ضوء الكتاب والسنة وفقه الأئمة ورغبت أن يُطبع مع كتاب المنهاج ليصبح كتاب المنهاج دستورا لأمة الإسلام ونبهت إلى أنه ينبغى أن تتكون لجنة عليا من فقهاء المذاهب الأربعة وتنظر فيما يجد من الأمور وما يظهر من الأحداث فتنظر فى الكتاب والسنة ثم فى فقه الأئمة وما تراه أقرب إلى رضا الله تعالى تلحقه بالمنهاج الذى هو دستور الأمة، وقد عرضت هذا الدستور على أكثر الملوك والرؤساء فى الأمة الإسلامية فلم يوفق أحد للنظر فيه والأخذ به (١) .

---

(١) وكتبت رسالة سميتها (الدولة الإسلامية) عرضت فيها قواعد الدولة الإسلامية فى تكوينها وسياستها فى كل مجالات الحياة دينا ودنيا وضمنتها أمثلة ونماذج للكمال الإسلامى الفذ فى هذه الحياة ،ولم يرغب حاكم ولا محكوم فى النظر فيها وتطبيقها فى واقع الحياة ممن لم يحكموا شرع الله فى مواطنيهم .

ونظراً لتهيؤ الأمة الإسلامية فى هذه الآونة لقبول الحق والعمل به مادام يحقق لها وحدتها وكمالها وسعادتها إذ دلّ على ذلك كما قدمت قبول أكثرها للعمل بما فى كتاب المنهاج لكونه من الكتاب والسنة ولم يخرج عن فقه الأئمة الأربعة أئمة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أجمعين .

فقد خطوت ـ بإذن الله تعالى ـ خطوة مباركة فى طريق وحدة أهل السنة والجماعة وهى أنى ألفت كتابا سميته (كتاب المسجد وبيت المسلم) ضمنته ثلاثمائة وستين آية وحديثا نبويا صحيحا مشروحا مبينا لما تضمنته الآية والحديث من هداية إلهية تقود إلى السعادة والكمال فى الحياتين ، فلو أن العلماء يتجردون لله عز وجل فلم يبق فى قلوبهم إلا حب الله تعالى وخشيته فيأخذون فى الدعوة الصادقة إلى نشر هذا الكتاب ـ كتاب المسجد وبيت المسلم ـ بين كافة المسلمين عربا وعجما حتى لا يبقى مسجد فى حى من أحياء المدن ولا مسجد فى قرية من القرى الإسلامية ولا بيت من بيوت المسلمين إلا والكتاب يقرأ ويدرس فيه كل ليلة وعلى مدار السنة : ليلة آية وليلة حديثا .

إنه بهذه الحال حسب سنة الله تعالى لا يبقى بين أفراد مسجد الحىّ ، ولا أفراد مسجد القرية ولا أفراد الأسرة لا يبقى بينهم ولا فيهم ولا معهم جاهل بالله تعالى وبمحابه وبمكارهه و لا بما عنده لأوليائه ، ولا بما لديه لأعدائه ، ويومها يختفى الخلاف وتنتهى الفرقة ويذهب الشر والفساد والخبث ويحل محلها الخير والصلاح والطهر والصفاء ، وتتجلى الأخوة الإيمانية وتظهر المودة والرحمة الإسلامية فلا يبقى بين إخوة الإيمان جائع ولا عار ، ولا بين إخوة الإسلام مظلوم ولا مهضوم وتتقارب أمة الإسلام ويدنو بعضها من بعض فلا تلبث أن تلتحم وتصبح أمة واحدة تعيش تحت راية الحكم الإسلامى الرحيم العادل القوى العزيز الظاهر . ويومها تمد يدها للبشرية الهابطة والتائهة فى أودية الضلال فتنتشلها من وَهْدَة الكفر والظلم والشر والخبث والفساد ، وعندها يتحقق الموعود على لسان سيد كل مولود محمد ﷺ فى قوله الثابت الصحيح : «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، وذل ذليل. عزاً يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر » (١) .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده .

ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وأخيرا !! لا يفوتني أن أوجه ندائي من المدينة النبوية المنورة الشريفة إلى المسئولين في جمهورية مصر العربية بأن يوقفوا صاحب تلك المهاترات التي يثيرها مع مريديه وإخوان طريقته : عز الدين ماضي أبو العزائم ، حيث إنها لا تعمل إلا على هدم الكيان الإسلامي المتماسك والذي تنشد الأمة المسلمة زيادة توطيده وتثبيته إذ رمى علماء المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم مفتي ديارها بصفة الكهانة ـ يعني ضمننا تكفيرهم وبالتالي تكفير هذه الدولة الإسلامية التي أخذت على نفسها بفضل من الله تعالى حماية مقدسات المسلمين وخدمة الحرمين الشريفين جزاهم الله خيرا وكلّل خطاها بالتوفيق والسداد آمين .

هذا وأعود مرة أخرى إلى أصحاب الطريقة العزمية وعلى رأسهم أبو العزائم شيخ الطريقة لأدعوهم إلى التوبة النصوح وذلك بالتخلي عن طريقة الضلال والانضمام إلى طريقة الهداية والفلاح ، وذلك بأن يعبدوا الله تعالى بما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ وأن يرفضوا البدع ظاهرا وباطنا ويتعلموا هدى الله من الكتاب والحكمة وتفسير أئمة الهدى من سلف هذه الأمة الصالح لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى رأسهم أئمة الإسلام الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله أجمعين ورحمنا معهم بمنه وكرمه إنه جواد كريم بر رحيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبها

راجي عفو ربه ومغفرته

أبو بكر جابر الجزائري

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

في ١٧/٦/١٤١٣ هـ

الرسالة الثامنة والعشرون

كتــاب مفتوح

إلى مسؤولى أمة الإسلام

علماءَ وحكاماً

دعوة صالحة

أسأل الله عز وجـل خـير الدنيا والآخرة لكل مؤمن يرفـع هـذه الرسالة إلـى مسؤولى الأمة مـن علماء وحكام ليقوموا بواجبهم فى إنقاذ أمتهم مما هى فيه من الجهل والشر والفساد .

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الكتاب

بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ، ومن آمن به واهتدى بهداه .

أما بعد فـإن المسؤولين عن أمة محمـد ﷺ بعده هم علماؤها وحـكامها ، إذ ورد فى الأثر الـصحيح : « صنـفان من النـاس إذا صلحا صلـحت الأمة ، وإذا فسدا فسـدت الأمة : العلماء والأمـراء » . ويكفى فى الدلالـة على مسؤوليـتهما وضمان صـلاح الأمة فى صلاحـهما ، وفسـادها فى فسـادهما : أمر الله تـعالى بطاعتهما بعد طاعته وطاعـة رسوله ﷺ فى قوله عز وجل فى سورة النساء : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ الآية .

ومن هم أولو الأمر من المسلمين إن لم يكونوا العلماء والأمراء ؟

إن عامة أهل التفسـير على أنهم العلماء والأمراء ، إذ هم الـذين يأمرون بأمر الله وأمر رسوله ، وينهون بنهى الله ونهى رسوله ﷺ .

فالعلماء يأمرون وينهون لعلمهم بأوامر الله وأوامر رسوله ونواهيهما . . .

والأمراء يلزمون الأمة بفعل أوامر الله وأوامر رسوله ، كما يلزمونها بترك ما نهى الله عنه ، ونهى عنه رسوله ﷺ ، وذلك لـسلطانهم المخول لهم من قبل الله سبحانه وتعالى ، إذ أمر تعالى بطاعتهم فـيما أمر به وأمر به رسوله وفيما نهى عنه تعالى ونهى عنه رسولهﷺ .

وسر هذه الـطاعة لله ورسولـه وأولى الأمر والحكـمة منهـا هو كمال الـفرد والأمة وسعادتهما ، إذ أوامر الله ورسوله لا تـكون إلا بما فيه سعادة الفرد والأمة كما أن نواهيهما لا تكون إلا عما فيه شقاء الفرد والأمة وخسرانهما ، وذلك لعلم الله تعالى وحكمته ورحمته بعباده .

وتقريراً لـهذه الحقيقة الـتى هى صلاح الأمة فى صـلاح علمائها وأمـرائها ، وفسادها فى فساد علمائها وأمرائها نلقى نـظرةً فاحصة على تاريخها الطويل ، فإننا نرى بكل تـأكيد أن ما بلغته أمـة الإسلام من عز وسيادة ، وطهر وصـفاء وسعادة

وهناء فى قرونها الذهبية الثلاثة الأولى كان نتيجة صلاح أمرائها وعلمائها ، وأن ما بلغته فى فترات من تاريخها بعد ذلك من ذل وهُونٍ ، وفساد وشقاء كان نتيجة فساد علمائها وأمرائها .

وهذا تفصيل لما أجمل فى تلك النظرة التاريخية السريعة الخاطفة فلننظر إليه بعناية فى الصفحات التالية :

الأولى : إن الإسلام الذى هو إسلام القلب والوجه لله تعالى بدأ برسول الله ﷺ ، ثم برجل حر هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ورجل مملوك هو بلال، وطفل صغير هو على بن أبى طالب ، وامرأة حرة هى خديجة رضى الله عنهم أجمعين ، ولم يمض ربع قرن أى خمسة وعشرين عاماً حتى دخل فيه سكان ما دون نهر السند شرقاً إلى الأندلس غرباً ، ووالله ما أُكره ـ فيما أعلم ـ على الدخول فيه ، ـ أى : فى الإسلام ـ رجل ولا امرأة ، وإنما ما إن لاحت أنوار طاعة الله ورسوله وأولى الأمر حتى دخل الناس فى دين الله ـ الإسلام ـ أفواجاً، كانت هذه صورة لاتساع رقعة الإسلام ، ودخول الأمم والشعوب فيه ، وأخرى فى الطهر والصفاء والعدل والرحمة ، وهذه نماذج مصغرة لها :

الصورة الأولى : العدل والرحمة :

لقد صح سنداً ودراية أن علياً رضى الله عنه قد فَقَدَ يوماً درعه فوجدها فى يد يهودى ، فقاضاه إلى قاضيه شريح ، وجلس إلى جنب القاضى ، وقال معتذراً: لولا أن خصمى يهودى لاستويت معه فى المجلس ، ولكننى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أصغروهم من حيث أصغرهم الله » ـ أى أذلوهم ـ وقال القاضى : قل يا أمير المؤمنين !! فقال : نعم هذه الدرع التى فى يد هذا اليهودى درعى لم أبع ولم أهب . فقال شريح القاضى : ماذا تقول يا يهودى ؟ فقال اليهودى : درعى وفى يدى . فقال القاضى : ألك بينة يا أمير المؤمنين ؟ فقال : نعم قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعى ، فقال شريح القاضى : شهادة الابن لا تجوز للأب . فقال على : رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ». فقال اليهودى : أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين .

والآن هل تجلت هذه الصورة فى العدل فى غير الإسلام وأهله وأيام صلاح الأمراء والعلماء ؟

إنه حاكم عام يتقاضى إلى أحد قضاته ويحكم عليه ولا يغضب ولا يسخط ويسلم بالحكم ولا يتوعد ولا ينتقم أو يهدد .

فهل تم هذا أو وقع فى غير الإسلام وأهله ، أو يمكن أن يتم ويقع فى غيره من أنظمة البشر وقوانينها الجاهلية ؟؟

كانت هذه صورة فى العدل ومثلها والله كثير ، وها هى ذى أخرى فى الرحمة . .

فقد أخرج ابن عساكر عن أبى صالح الغفارى : « أن عمر رضى الله عنه كان يتعهد عجوزاً كبيرة السن عمياء فى بعض أطراف المدينة النبوية يسقى لها ، ويقوم ببعض أمرها ، وذلك من الليل ، فكان يأتيها أحياناً فيجد غيره قد سبقه إليها فسقى لها ، وقضى لها بعض حاجاتها ، وحاول عمر رضى الله عنه أن لا يسبقه إلى خدمة هذه العجوز ، فكان يسبقه ـ مع الأسف ـ فعزم عمر على أن يرصده ليعرف من هذا السباق للخير فوجده أبا بكر الصديق رضى الله عنه » . فلننظر إلى مقام هذين الخليفتين ومنزلتهما العالية فى الأرض وفى السماء على حد سواء ، وهما يتسابقان إلى خدمة ورحمة عجوز عمياء مهجورة فى أطراف المدينة ، فهل مثل هذه الرحمة يتم ويقع فى غير الإسلام وأهله الصادقين فيه القائمين عليه بالعلم والعمل .

وها هى ذى صورة ثالثة فى الزهد فى طلب المناصب التى يطلبها من يطلبها عند فساد العلماء والأمراء بالحيل والرشوة والخيانة للعهد والأمانة معاً ، كما هو واقع الأمة الإسلامية يوم فقدت صلاح أمرائها وعلمائها ، إنها صورة صادقة فى الزهد فى طلب المناصب والوظائف للجاه والمال .

فقد روى وصح أن الإمام الشافعى رحمه الله تعالى قال للخليفة هارون الرشيد : « يا أمير المؤمنين : « إن اليمن يحتاج إلى قاض » ، فقال هارون الرشيد الخليفة رحمه الله تعالى للإمام الشافعى رحمه الله تعالى : « اختر رجلاً نوله إياه»، فقال الشافعى لتلميذه الإمام أحمد بن حنبل وكان يتردد عليه لطلب العلم :

« ألا تقبل قضاء اليمن يا أحمد ؟ » فرد عليه الإمام أحمد قائلاً : « إنما أختلف عليك لطلب العلم المزهّد فى الدنيا ، فتأمرنى أن آتى القضاء ، ولولا العلم لما كلمتك بعد اليوم » ، فاستحى الشافعى وسكت !!» .

إن هذه الصور الثلاث لمظاهر العدل والرحمة والزهد . . . إنها وغيرها من صور الكمال الذى عرفته أمة الإسلام أيام علمها وطهرها وعزها وسيادتها لا يأتى عليها عد ، ولا يحصيها فرد ، وقد كانت ووجدت يوم تعاون الأمراء والعلماء على صلاح الأمة وكمالها وطهارتها وسعادتها وعزها وسيادتها ، كانت هذه الصفحة الأولى .

والثانية : إنها يوم اختل ذلك التعاون المفلح المربح المسعد لأمة الإسلام بين العلماء والأمراء ، ولما اختل الناس بفساد العلماء والأمراء إلا من رحم الله ، ظهر الجهل والظلم والشر والفساد ، وهبطت أمة الإسلام من سماء مجدها وكمالاتها إلى مستوى أرضى هابط لا ترتفع عنه ، ولا تعود إلى سماء كمالاتها التى عاشت فيها وعمرتها ثلاثة قرون إلا بالتعاون الصادق بين العلماء والأمراء الصالحين ، التعاون على تربية الأمة بدنياً وخلقياً وعقلياً وروحياً بعد تزكية نفوسها بالإيمان الصحيح والعمل الصالح ، وإبعادها عن كل مدسيات النفوس من الشرك والمعاصى وكبائر الذنوب والآثام ، إن هذه التربية وهذه التزكية هى التى رفعتها إلى سماء كمالاتها ، وهى التى تعود بها اليوم أيضاً إلى مستواها الرفيع الذى عاشته قروناً عدة ، وذلك متى صلح العلماء والأمراء وتعاونوا على تربيتها وتزكيتها . كانت تلك صور لرفعة الأمة وسعادتها وكمالها .

وهذه صور أخرى كنماذج لهبوط الأمة وفسادها وخسرانها فلننظر إليها بعين الاعتبار رجاء أن نعمل على تغيير هذا الواقع المرير الذى تعيشه أمة الإسلام اليوم ومنذ ألف سنة تقريباً .

فالصورة الأولى : الفرقة ، وما الفرقة ؟! إنها التمزق والاختلاف الذى أصبحت به أمة الإسلام أمماً ، ودولة الإسلام دولاً ، ودين الإسلام أدياناً ، مذاهب وطرائق قدداً ، ولسنا فى حاجة إلى تفصيل هذه الفرقة وهذا الخلاف إذ الواقع شاهد .

الصورة الثانية : الجهل ، وما الجهل ؟ إنه الجهل بالله تعالى رباً وإلهاً ذا

أسماء حسنى ، وصفات علا ، وبمحابه ومساخطه ، وبشرائعه وأحكامه ، ووعده الصادق لأوليائه ، ووعيده الشديد المرعب لأعدائه ، هذا الجهل هو الداء العضال الذى سبب موتها وهلاكها .

وأوضح صورة لذلك حكم الغرب الصليبى لها ، واستغلاله واستذلاله لها فترة غير قصيرة من الزمن ، كما هو معلوم ومشاهد ، وآثاره دالة عليه وهى الإعراض عن تحكيم شرع الله ، وتحكيم قوانين الغرب الكافرة الهابطة ، وذلك فى كل ديار الإسلام من أندونيسيا شرقاً إلى موريتانيا غرباً باستثناء دولة آل سعود التى أوجدها الله تعالى على يد عبد العزيز ، لتكون آية له فى العالمين على أن الأمن من الخوف والجوع ، وأن الطهر والعدل بين الناس لا يتمان وجوداً إلا بتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

والصورة الثالثة : وهى صورة بشعة تغنى عن مئات الصور التى تمثل هبوط أمة الإسلام ، وما حل بها من الفرقة والجهل والضعف والشر والظلم والخبث والفساد .

إن هذه الصورة هى فتيا صنعها رجال الاستعمار الفرنسى فى بداية احتلالهم لشمال أفريقيا وللجزائر بالذات ، ومضمون هذه الفتيا : أن حكم فرنسا أرحم وأعدل وأصلح من الحكم العثمانى الذى يمثل حكم الخلافة الإسلامية لأمة الإسلام ، وقدمت تلك الفتيا السياسية الماكرة الخبيثة إلى أبرز شخصية علمية فى الديار التونسية فوقعت عليها مصادقة على صحتها ونفعها ، ثم قدمت إلى أبرز عالم مصرى بالاسكندرية فوقع عليها مصادقاً على نفعها بعد صحتها ، ثم قدمت إلى أبرز عالم بمكة المكرمة عاصمة الإسلام وقبلته ومحط أنواره ، ومصابيح هدايته فوقع عليها وباركها ، كل تلك التوقيعات مقابل عدد من الجنيهات الذهبية ، ثم ردت إلى رجال فرنسا لتخفيف آلام حملتهم على شمال إفريقيا لاستعمارها واستغلالها والتحكم فيها قرناً من الزمن .

والآن وبعد هذا التحليل السليم والصحيح والتصوير الصادق الدقيق ، فلنعلم أن إنقاذ أمة الإسلام مما حل بها ووقعت فيه من الفرقة والجهل والضعف والشر والفساد ، وأن العودة بها إلى سماء مجدها ظاهرة طاهرةً قوية متآلفة متحابة لا يتمان ــ بإذن الله تعالى ــ إلا بتعاونكم أيها العلماء والحكام تعاوناً صادقاً سليماً صحيحاً .

ولنعلم أن تعاونكم ـ وفقكم الله ـ لأمرٌ سهل ، لا صعوبة فيه ، ولا مشقة ولا عناء يعتريه ، إنه لا يكلفكم ديناراً ولا درهما ، إذ أمر الله تعالى به ، وأمر الله تكليف لا حرج فيه ، قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ وقال تعالى فى نفى الحرج ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ .

وإليكم صورة واضحة لكيفية التعاون المطلوب لإنقاذ أمة الإسلام مما وقعت فيه من الفرقة والخلاف والضعف والعجز ، وكان ذلك كما تقدم بسبب الجهل بالله تعالى ومحابه ومكارهه وما يترتب عليه من الخبث والظلم والشر والفساد ، حيث هبطت أمة الإسلام من سماء كمالها وطهرها وصفائها وعزها وقوتها إلى أرض النقص والعجز والهون والدون ، وهو ما أراده لها عدوها الماكر بها الحاقد عليها ، المتربص بها منذ أن رآها سَمَتْ وارتفعت بعد أن طابت وطهرت وعزت وظهرت ، وهذا العدو أيها الأمراء والعلماء وفقكم الله غير مجهول لنا ولا خافٍ علينا إنه الثالوث الأسود ، المجوس ، واليهود ، ورجال الكنيسة النصرانية . إنه وإن كان لا حاجة هنا إلى بيان سبب عداوتهم للإسلام ومكرهم بأهله إذْ هو الحسد والخوف من ذهاب رئاستهم ومصادر عزهم وكرامتهم بين إخوانهم الذين ضللوهم وحرموهم من نور الإسلام وهداية الإيمان وكمال الإحسان .

وكيفية التعاون المطلوب بين العلماء والأمراء المحقق لأمة الإسلام عودتها إلى سماء كمالاتها وعزها وطهرها ، وإلى صفائها الروحى ، وسموها الأدبى ، وكمالها الخلقى ، هى طريق واحد لا ثانى له وهو أخصر الطرق وأيسرها ، إنه لا يكلف مالاً كما تقدم ذكر بيان ذلك وبيانه ، إنه جهاد النفس لا غير ، جهاد النفس بإخراجها من ظلمات الجهل ، وذلك بتعليمها الكتاب والحكمة ، وتزكيتها بالتربية الروحية على أيدى أرباب البصائر والنهى وهم علماء الكتاب والسنة من أهل السنة والجماعة .

والطريقة المثلى لذلك أن يدعو الأمراء والعلماء كافة أفراد الشعب فى مدنهم وقراهم لشهود صلاتى المغرب والعشاء فى مساجد أحياء مدنهم وقراهم وذلك كل ليلة ولا يتخلف إلا ذو عذر من مرض أو خوف فما أن تدق الساعة السادسة مساءً

حتى يوقف العمل فى المزارع والمصانع والمتاجر والمكاتب ويقبل أهل الحى والقرية بنسائهم وأطفالهم ورجالهم على بيوت ربهم وما أن يصلوا المغرب حتى يجلس لهم عالم ربانى ، وهم بين يديه ، والنساء وراء ستار ، والأطفال دونهن والرجال أمامه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، كما قال تعالى فى منَّته على المؤمنين : ﴿ **يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** ﴾ .إلى أن يؤذن العشاء فَيَصلون ويعودون إلى بيوتهم وأنوار المعرفة تغمرهم ولا يزالون كذلك يتعلمون الكتاب والحكمة ـ أى القرآن والسنة ـ حتى لم يبق بينهم جاهل ولا جاهلة ، وبذهاب الجهل وحلول العلم محله يتحقق الكمال المطلوب لهم ومظاهره كالآتى :

١ ـ الوحدة فى العقيدة والعبادة والسلوك .

٢ ـ المودة والإخاء والتعاون بينهم على البر والتقوى .

٣ ـ اختفاء مظاهر الانحراف فى السلوك ، فلا غيبة ولا نميمة ، ولا حسد ، ولا كبر ، ولا سرقة ، ولا غش ، ولا خداع ، ولا خيانة .

٤ ـ تحقيق ولايتهم لله تعالى وذلك بإيمانهم وتقواهم له عز وجل ، إذ بالعلم يقوى إيمانهم ، وبالعلم يعرفون محاب الله ويأتونها ، وبالعلم يعرفون مكاره الله ويجتنبونها ، وإذا تحققت لهم ولاية الله أصبحوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبذلك تمت سعادتهم فى الدارين إذ قال تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

وإن قيل كيف يأمر العلماء والأمراء بالانقطاع إلى الله تعالى كل يوم من المغرب إلى العشاء طوال الحياة ؟

والجواب : إن فى العالم المتحضر كأوروبا إذا دقت الساعة السادسة مساء وقف العمل ، وأقبل أفراد الشعب على الملاهى ، والمقاهى ، والمراقص والمقاصف ، ونحن إذ نوقف دولاب العمل نذهب إلى بيوت الرب تعالى نستمطر رحماته ، ونتعلم الكتاب والحكمة ، ونزكى أنفسنا ، ونحفظ بذلك أبداننا ، وأرواحنا ، وآدابنا ، وأخلاقنا ، فأى الفريقين أحق بالصواب فيما يذهب إليه بعد تركه لعمله ؟؟

والجواب معروف ، طالب الهدى أحق بالصواب من طالب الضلال ، وطالب السعادة أصوب من طالب الشقاء ، وطالب الكمال أصوب من طالب الخسران .

وأمر آخر ينبغى أن نعرفه وهو أن ما تعانيه الأمة الإسلامية فى جميع بلادها من تكفير الحكام ولعنهم ومحاولة الخروج عليهم وتحزُّب الأحزاب عليهم ، والخلافات بين طلبة العلم والعلماء وما يجرى فى بعض البلاد من القتل والتشريد والتعذيب فى السجون بصورة كثيراً ما أقول فيها إن عذاباً يوجد فى سجون بعض البلاد الإسلامية والله لا يوجد فى عذاب النار يوم القيامة ، وأنا أعنى بذلك ما يرتكبون مع المساجين من فاحشة اللواط والعياذ بالله تعالى .

ولنترك هذا إلى ما هو أدهى وأمر من فساد العقيدة التى هى ضامن السعادة أو الشقاء يوم القيامة ، إلى هبوط الأخلاق وانحراف السلوك ، إنك لا تشاء أن ترى كبيرة مرتكبة من السرقة والزنى ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا ، وشرب المسكرات وتعاطى المخدرات إلا ورأيت وسمعت .

أما الكذب والغيبة ، والحسد وخلف الوعد ونكث العهد فلا تسأل لكثرتها وعمومها وفشوها وانتشارها .

أما الطعن فى العلماء وانتقاصهم وعدم احترامهم وتوقيرهم فلا تسأل ، فإنها ظاهرة غريبة ما كانت تعرف بين المسلمين حتى فى عصور هبوطهم بجهلهم وفساد عقائدهم وضعف إيمانهم ، وتسلط الأعداء عليهم وحكمهم لهم بقوانين كفرهم وفسادهم وضلالهم .

وهنا أطلب السماح من القارئ والمستمع لأنى قد أطلت فى سرد الأحداث المؤلمة ، وكشف النقاب وإزاحة الستار عما تعيشه وتعانيه أمة الإسلام من فساد وشر وظلم وخبث . وإن كان لا بد من ذلك ، لأن طلب الدواء يتقدمه معرفة الداء ، متى أراد الطبيب البرء والشفاء .

وأخيراً أيها العلماء والأمراء وأعنى بالأمراء حكام المسلمين من ملوك ورؤساء وسلاطين ووزراء ، وأعنى بالعلماء علماء الشريعة الإسلامية من أهل السنة والجماعة .

إن ما تعانيه أمتكم من شر وفساد وظلم وخبث وسقوط ، وقد مر بكم ذلك فى هذه الورقات التى كتبتها لكم وأبعث بها إليكم رجاء أن تنهضوا بواجبكم فتنقذوا أمتكم أيها المسؤولون عنها فى الدنيا والآخرة ، واعلموا أنه ـ والله ـ لا سبيل إلى إنقاذها مما أَلَمَّ بها وحل بديارها من الظلم والخبث والشر والفساد ، إلا ما بينته لكم فى هذه الرسالة وهو أن تتعاونوا علماء وحكاماً على ترغيب الأمة (١) وإكراه من لم يرغب فى الحضور كل ليلة من المغرب إلى العشاء فى بيوت الله تعالى لتلقى العلم والمعرفة من معين الكتاب والسنة ، وذلك لتصحيح العقيدة وتقوية الإيمان ، وتزكية النفوس بعمل الصالحات ، واجتناب السيئات الملوثات للنفس .

ومتى قوى الإيمان وزكت النفوس فإنه لم يبق مكروه بين المسلمين وأصبحوا كما أراد الله تعالى لهم خير أمة أخرجت للناس ، ومثلاً أعلى فى الكمال البشرى، يقتدى بها وتفيض أنوار هدايتها على العالم الإنسانى فيدخل فى الإسلام وينجو من خزى الدنيا وعذاب الآخرة من شاء الله تعالى له ذلك .

يا حكاماً ويا علماء إنكم مسؤولون عن هداية الأمة وسعادتها ، فتعاونوا على ذلك ، فإنه يتحقق بإذن الله تعالى لكم ، ولأمتكم .

﴿ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾..

فيا علماء علموا الأمة وعظموا الحكام وبينوا لهم بم يحكمون وكيف يحكمون، ويا حكاماً ارحموا الأمة ووقروا العلماء ، واستشيروهم فى مهام أموركم واستعينوا بالله وتوكلوا عليه ، فإنه لن يتركم أعمالكم (٢) .

واعلموا أن ما دعيتم إليه يا علماء ويا حكام وهو إنقاذ أمة الإسلام مما تعانيه من الفرقة ،والظلم ، والشر ، والفساد ، لا يتم حسب سنة الله فى الناس إلا على الطريقة التى بينت لكم فى هذه الرسالة وهى كما علمتم تعاونكم على تعليم الأمة الكتاب والحكمة ، وذلك بترغيبها ، بل وإلزامها بحضور مجالس العلم

---

(١) هذا الإكراه هو من باب إكراه الوالد ولده على فعل خير يرجو له ثوابه ، أو على ترك منهى عنه يخاف عليه عقابه .

(٢) لن يتركم : أى لن يخيب جهودكم ولن ينقصكم أجركم .

اليومية فـى بيوت الله تعالى ، وذلك بين المـغرب والعشاء من كل ليـلة على مدى الحياة .

والنســاء والأطفال كالرجال ، الجـميع يجلـس بين يدى العالِم المـربى الوارث لوظيفة الرسول ﷺ فى تعـليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس بحـملها على فعل ما يزكـى من الصالحات وعـلى إبعادها عـما يُدَسّى من السيئات ، وذلك لتـفلح وتنجو من الخيبة والخسران ، إذ قال تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكـاها وقد خاب من دساها** ﴾ .

واذكروا يا علماء ويـا حكاماً وفقكم الله وهدى وأصلح عـلى أيديكم أن هذا الانقطـاع الجماعى من الســاعة السادسة إلى الـثامنة فى بيـوت الله لتعليم الـكتاب والحكمة لم يكـن مما ينكر عليكم أو يسـتغرب منكم ، إذ العالَم الكافـر كله يترك العمل اليومى من الـساعة السادسة مساء إلى السابعة صبـاحاً ، وأين يذهب عندما يترك العمل ؟! إنـه يذهب إلى المقاهى والملاهى ، وضروب اللهـو والباطل ليزداد هبوطاً فى مسارح الحيوانية ، ومتاهات الشياطين .

هذا . . واعلموا يا حكام ويا علماء ـــ سدد الله خطاكم فى هذا السبيل الذى دعيتم إليـه ـــ أن ما قد يقال لكم مـن أن هذا الانقطاع اليومى إلـى بيوت الله لمدة ساعتين قد يؤثر فى اقتصاد الأمة ، وضـعف إنتاجها ، إنه والله لقول باطل ، وإن عكسه لـهو الواقع ، إن العلـم المزكى للنفـوس المهذب للأخلاق لا يتـولد عنه إلا الحزم والعـزم والصدق والوفاء ، والـنهوض بالواجبـات واحترام الحقوق والـصبر على أدائها ، يضاف إلى ذلك ما يورث العلم الربانى من تطهير النفوس من أوضار الشح والبخل والإسراف فى الشهوات .

وهذه حال توفر المال وتفيضه على مستـحقيه من أفراد الأمة بخلاف ما ينتجه الانغماس فى الـشهوات وضروب اللهو والباطـل التى يهرع إليها العـمال بعد ترك العمل مساءً من الشح والبخل والحرص على المال .

وإن أردتم أيها العلـماء والحكام وفقكم الله وأنقـذ بكم أمة الإسلام إن إردتم برهنة على صحـة ما دعيتم إليه ، وطلب منكم وهو جمـع أفراد القرية والحى فى بيـوت الله لتلقـى الكتاب والحـكمة لتـصفية الـعقول وتهـذيب الأخلاق والسـمو بالآداب بعد تزكية النـفوس التى هى سلم النجاة من النار ودخول الجـنة لما علمتم

من حكمة الله تعالى فى قوله : ﴿ **قد أفلح من زكاهـا وقد خاب من دساها** ﴾ ، فإن البرهنة على صحة ما دعيتم إلـيه هى أن تجرى تجربة فى قرية واحدة لمدة أربعة أشهـر ، ثم ينظـر فى سلـوك وحال أهل تلـك القرية أو الحـى بالنـظرة الدقيـقة الفاحصة ، فإن تبين صـحة هذه التزكية اليومية فى وقت لا عمـل فيه سوى اللهو واللعب وإضاعة الوقت ، وإن شئتم حلفت لكـم على صحة ما دعيتم إليه وبينت لكم .

وإن وجد خلل فى نجاح هذه التربية وهذا التـعليم فإنه يعود إلى ضعف المربى وعدم قدرته ، ولذا يتعين على العالِم المربى أن يتخلى عن التمذهب بمذهب خاص من مذاهب الأئمة الأربـعة وهى : الحنفى ، والمالكى ، والشافـعى ، والحنبلى ، أما ما عداهـا من مذاهب الرفض والخوارج ، فـلا ينظر إليهـا ، إذ ما وضعت إلا لتمزيق الأمة والاستـيلاء على حكمها للتنكـيل بها بعد تجهيلها وإبعـادها عن سبيل نجاتها وفلاحها .

أما المذاهب الأربعة فهى مذاهب حق مستوحاة من الكتاب والسنة إلا أن الأمة لما هبطت من علياء كمالها أخذ التعـصب يقوى بين الفقهاء حتى أصبح كل مذهب كأنه شرع مستقل خاص بأهله العاملين به ، فلا يبين لغيرهم ولا يأخذ به سواهم.

ولذا فالمفـروض فى المربى أن يكون عـالماً بالكتاب والسـنة مفضلاً لهـما على غيرهما ، لا يرد ولا يصدر إلا عليهما مستعيناً على فهمهما بما رآه أئمة الإسلام وما قالوا به وقرروه من الصحابة والتابعين وتابـعيهم وعلى رأسهم الأئمة الأربعة مالك والشافعى وأحمد وأبو حنيفة رحمهم الله أجمعين .

ونظراً لـقلة العلـماء المربين فى هـذه الظروف ، فإن كتـابى (منهاج المسـلم) المشتمل على العقيدة المنجيـة التى هى عقيدة رسول الله ﷺ وأصحابه ، والآداب الإسلامية والأخلاق الفـاضلة الممثلة لأخلاق رسول اللـه ﷺ وأصحابه الأفاضل والعبادات من الطهارة إلى الحج والمعاملات الخـاصة والعامة من الجهاد إلى القضاء وأحكامه . هذا الكـتاب صالح لأن يربى به المربون المؤمنين فـى مساجدهم إذ هو لم يخرج عـن مذاهب أهل السنة والجـماعة الأربعة وكل مسـائله العلميـة مقرونة بأدلتها النقلية من الكتاب والسنة .

كما أن هناك كتاباً آخر هو (عقيدة المؤمن) قد اشتمل على العقيدة الإسلامية

التى هى عقيدة رسول الله ﷺ وأصحابه مفصلة مبينة واضحة ، فتربية المسلمين فى مساجدهم عليها وتعليمهم إياها مما هو - والله أعلم - من الكتاب والحكمة .

كما أن هناك تفسيراً هو (أيسر التفاسير) وعليه نهر الخير فى إمكان كل طالب علم أن يدرسه فى مساجد الأمة ويربى عليه ، ويعمل به وهو تفسير خال من الخلافات والروايات الضعيفة والآثار غير النافعة التى حشيت بها كثير من التفاسير لكتاب الله تعالى .

كما أن هناك نموذجاً آخر لتعليم الكتاب والحكمة وهو : (كتاب المسجد وبيت المسلم) الحاوى لثلاثمائة وستين آية وحديثاً . . . فهذا الكتاب على مثله تربى الأمة إذ تتعلم يوماً آية ويوماً حديثاً ، فتحفظ الكتاب والسنة وتفهم ، وتعمل وتكمل وتسعد بإذن الله تعالى .

وكذلك كتاب : (نداءات الرحمن) الحاوى لسبعين نداء من نداءات الرب تبارك وتعالى لعباده المؤمنين ، وقد حوت كل ما يكمل عليه المؤمنون ويسعدون من العقائد والعبادات والأحكام والآداب والأخلاق .

فمن هنا يصبح من السهل تربية الأمة فى مساجدها وتعليمها الكتاب والحكمة فتتحد عقيدتها ، وعباداتها، وأحكامها، وآدابها ، وأخلاقها ، ويتم المطلوب من إنقاذ أمة الإسلام من ظلمة الجهل وآثاره المدمرة والعياذ بالله ، إذ كل ما حل بالأمة وما تعانيه من ذل ، وهون ، ودون ، وخلاف، وصراع، وفتن، وظلم ، وشر ، وخبث، وفساد هو نتيجة جهلها بالله تعالى ، ومحابه ومكارهه ، وما عنده لأوليائه من نعيم مقيم وما لديه لأعدائه من عذاب أليم .

تلك المحاب التى هى جميع ما أمر الله تعالى وأمر به رسوله على وجه الإيجاب أو الندب والاستحباب من الإيمان وصالح الأقوال والأعمال والصفات[1]، وتلك المكاره التى هى جميع ما نهى الله تعالى عنه ونهى رسول الله من المحرمات والمكروهات من الاعتقادات ، والأقوال ، والأعمال ، والصفات .

وبما أن محاب الله ومكارهه حواها كتاب الله وسنة رسوله القولية والفعلية والتقريرية [2] ، فإنه لا سبيل إلى علم ذلك إلا بدراسة الكتاب والسنة ، وذلك

---

(١) كالتواضع ، والحلم والأناة .
(٢) السنة التقريرية : أن يعمل بين يديه أحد أصحابه عملاً فيقره عليه .

بالاجتماع في بيوت الله تعالى كما سبق أن بينته وكررته لعلمي أنه لا سبيل إلى إنقاذ أمة الإسلام مما هي فيه من ضعف وهون ودون وفرقة وخلاف ، وظلم وشر ، وجهل إلا بالعودة الصادقة إلى بيوت الله وتلقى الكتاب والحكمة فيها من علماء أهل السنة والجماعة الذين ألموا ولا أقول أحاطوا بالكتاب والسنة ، وما دَوّنه فقهاء الأمة ، وعلى رأسهم الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد رحمهم الله أجمعين .

ونظراً لقلة هؤلاء العلماء بالكتاب والسنة ، وما دوَّنه الأئمة ، وإلى حاجة كل مسجد من مساجد الأمة في مدنها وقراها ، وهي مئات الآلاف إن لم تكن ملايين ، فإن الأخذ بما وضعتُ للأمة وتقدم بيانه من (منهاج المسلم) و(عقيدة المؤمن) و(نهر الخير على أيسر التفاسير) و(كتاب المسجد وبيت المسلم) ، و(نداءات الرحمن لأهل الإيمان) أضف إلى ذلك (هذا الحبيب) في سيرة الحبيب ﷺ .

إن الأخذ بهذه المؤلفات سهل ميسر فكل طالب علم يقرأ ، ويفهم ما يقرأ ، يقوم بهذا الواجب إن شاء الله تعالى ، وبهذا لا يتوقف هذا العمل الإصلاحي الضروري الواجب القيام به لإنقاذ أمة الإسلام .

وأخيراً إليكم يا حكاماً ، ويا علماء وفقكم الله للنهوض بهذا الواجب المقدس الذي هو إنقاذ أمة الإسلام مما حل بها وأحاط من مصائب وويلات لا سبيل إلى الخروج منها إلا بالأخذ بما سُطر في هذه الرسالة التوجيهية النافعة بإذن الله تعالى، وإليكم هذه التنبيهات . .

وأولها : أن تعلموا أيها الحكام والعلماء ـ أيدكم الله ـ أنكم مسؤولون عن إنقاذ أمة الإسلام لما خولكم الله تعالى من سلطان وعلم ، بهما يتم الإنقاذ والإصلاح .

وثانيها : أن تعنوا بقراءة هذه الرسالة وتفهُّم ما حوته من بيان للإنقاذ والإصلاح ، ولا يحملنكم تصور العجز وعموم فساد الأمة على إلغاء الرسالة وعدم النظر فيها ، بل اعزموا على تطبيق ما فيها من هدىً وإصلاح .

وثالثها : أن لا تستعظموا جمع أهل الحي أو القرية في مسجدهم الجامع نساء

وأطفالاً ، ورجالاً ، كـل ليلة لتلـقى الكتاب والحكـمة ، وتزكية النـفوس ، فإن ذلك وإن كان يبدو عظيماً ، فإنه والله لمن السـهل الميسر ، إنه ما إنْ يألفوه أربعين يوماً إلا وهو أسهل عليهم وأخف من أى عمل كان خارج بيوتهم فى داخل مدنهم وقراهم .

ورابعها : هو أن يبدأ العلماء بزيارة الحكام وبحث القضية مع بعضهم بعضاً، ودراستـها بعنـاية ، وعلى الجـانب الذى انـشرح صدره لهـذا العمل الإصـلاحى الإنقاذى العظيم أن يعمل على ترغيـب الجانب الآخر ، وبيان منافع هذا العمل ، وأن عوائده عظيـمة وهى على الجميع حاكـمين ومحكومين ، علماء ومـتعلمين ، حتى يتلاقى الجانبان على العمل بهذه الخطة الإصلاحية الضرورية .

وخامسها : أن يبدأ العـلماء فوراً بعد اتفاقـهم مع حكامهم عـلى دعوة أفراد القرية أو الحـى إلى المسجد وترغيبـهم فى ذلك بصورة حازمة ، وعـلى الحكام أن يصدروا أوامرهم بالحضور ، أو عدم التخلف إلا من ضرورة قصوى ، كمرض أو تمريض ونحوهما ، إذ بهذا يتم التعاون بين الحكام والعلماء على إنقاذ الأمة .

وسادسها : أن على العـالم المربى فى مسـجد الحى أو القرية أن يـعرض عن الخلاف فلا يذكره للأمة ولا يقول : إن المذهـب الفلانى يرى كذا . . وإن مذهبنا يرى غيره ، وذلك حفاظاً على وحدة الأمة فى عقيدتها وعباداتها وأحكامها ، وقد ذكرت أن كتاب منـهاج المسلم ، وعقيدة المـؤمن ، وكتاب المسجد وبيـت المسلم ، ونداءات الرحمن ، نماذج صالحة لتوحيد الأمة ، والإغضاء عن الخلافات المذهبية، فعلى غرارها المربى يسير ويربى ويعلم تحت شعار الكتاب والحكمة حتى تتحد الأمة فى مسارها ، وتصل إلى غـاياتها من وحدتها وقوتها ، وتزكية نـفوسها ، وتهذيب أخلاقها وسمو آدابها ، وتتحقق كلمة الله تعالى فيها فى قوله تعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ .

وسابعها : وهو أخـطرها : أن يعـلم من نهـض بهذا الواجـب من العلـماء والحكام أنـهم سيواجهون نـقداً مريراً ، واعتراضـات واسعة عديدة ، بل وطـعناً شديداً ، وذلك مـن أجل إيقاف هذه الدعوة الربـانية التى لا سبيل إلـى إنقاذ أمة الإسلام مما هى فيه من الـفرقة والجهل والشر والفساد ، والعودة بـها إلى سموها

وكمالها ، وقيادتها للبشرية وهدايتها إلا بها ، فلنذكر هذا أيها الحكام والعلماء .

وفقكم اللـه للنهوض بهذا الواجـب ، واصبروا على ما قد تلاقـون من نقد وطعن واعتـراض ، بل وعداء ، فإن العاقبـة لكم ، والنصر حلـيفكم ، لأن الله تعالى مع المتقين ، ومع الصابريـن ، ومع المحسنين ، ومن كان الله معه فلا يخاف ولا يحزن ، وانتفاء الخوف والحزن لازمهما النصر والأمن والفرح . والحمد لله .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب

العالمين

الرسالة التاسعة والعشرون

إعلم ياأخي

تنج وتسعد

وإن قلت أعلم بماذا ؟

وأنجو مم؟ وأسعد بم ؟

قلت لك :

اعلم بالله خالقك ، وبمحابه ومكارهه ، وأحب ما يحب وافعله ،واكره ما يكره واتركه تنج من عذاب النار وتسعد بدخول الجنة دار الأبرار

والسلام عليك ما علمت وعملت وعلّمت

من أخيك :

أبو بكر جابر الجزائرى

فى ٢٦ /٣/ ١٤١٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أخـى أن الأخوة التى تربـطنا ببعـضنا بعـضا هى أخوة أصلـنا وهو آدم وحواء ، إن البشـر كلهم عربهـم وعجمهم أبيـضهم وأسودهم أبوهـم آدم وأمهم حواء ؛ لذا فهم إخوة لبعضهم بعضا .

ومن واجب الأخ على أخيه أن يحب له الخيـر ويكره له الشر ويدعوه إلى ما فيه سـعادته ، ويحـذره مما فيه شقـاوه وهأنذا ياأخى أدعـوك إلى العلـم ؛ إذ فيه سعادتك وأحذرك من الجهل ؛ إذ فيه شقاوتك .

والعلـم الذى أدعوك إليـه هو أن تعرف أنـك مخلوق كـسائر المخلـوقات من الإنسان والحـيوان وكل الموجودات مـن السماء وما فيـها من شمس وقـمر ونجوم وكواكب وما يدور فيها من رياح وما ينـزل منها من أمطار . ومن الأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبـال ، وأشجار ونباتات وحيوانات على اختلافـها وتنوعها فى منافعها ومضارها وفى ظروفها وأوقاتها .

وسؤالى الآن ياأخى هو هل عرفت خالـق هذه المخلوقات من هو وما أسماؤه وما صفاته ؟

إنه : الله . ومعنى الله : الإله المعبود بحق . ومعنى المعبود : المطاع حبا فيه وتعظيمـا له وخوفا منه ورهبة . ومـعنى بحق أن عبادته واجـبة له ؛ إذ هو الذى خلق الإنسان ورزقه وحفظه من الآهات والمهالك إلى نهاية أجله .

وأما غـيره مما عـبده الجهـال من الأصنـام والأحجار والجـبال لا حق لـه فى العبادة؛ إذ هو نفسه مخلوق لله ، والله هو خالقه .

فكيف يعبد مع الله ؟ إن هذا ظلم من أكبر الظلم وأفظعه .

الآن عرفـت يا أخى اسم الخـالق وأنه الـله فإذا أردت أن تـسأله حاجـة من حوائجك فـادعه بـ يا الله واطلب مـا تريد فإنه يعـطيك طلبك ، إذا عـلم أنه فى صالحك وأنه نافع لك ، أمـا إذا علم أن ما طلبته غير نافع لـك فإنه يصرف عنك بدله عذابا قد يصـيبك لولا أنه يدفعه عنك . فلذا يجـب دعاؤه فى كل حاجة من حاجات الإنسان فى هذه الحياة .

لقد عرفت يا أخى اسم خالقك وخالق كل شىء فى هذا الوجود . وهو الله لتدعوه به فيجيب دعوتك إن رأى فيها خيراً لك . فاعلم أيضا أن من أسمائه القوى والعليم والحكيم والرحيم . فادعه بها يا قوى يا عليم يا حكيم يا رحيم وإليك معنى هذه الأسماء الأربعة .

١ ـ القوى هو ذو القدرة علي خلق وإيجاد كل ما يريد خلقه وإيجاده فهو ذو قدرة لا يعجزها شىء أبداً .

٢ ـ العليم هو ذو العلم الذى أحاط بكل شىء فلا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ـ يعلم دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء، إذ الخلق كله هو خالقه والعالم به قبل خلقه فكيف يخفى عليه شىء منه بعد أن أوجده وخلقه؟

٣ ـ الحكيم هو ذو الحكمة والحكمة هى وضع كل شىء فى موضعه فهو الله الحكيم الذى يخلق ما يخلق ، ويترك ما يترك ، ويعطى ما يعطى ويمنع ما يمنع من سائر المخلوقات لحكمة رآها فى ذلك فكل ما يشاهد من تغيرات فى العالم كله فضلا عن الإنسان حين يمرض أو يصح أو يعطى أو يمنع ، أو يولد أو يموت الكل قائم على حكمة الله العليم الحكيم القوى القدير .

٤ ـ الرحيم أى ذو الرحمة التى وسعت كل شىء ، فالدجاجة بتلك الرحمة التى أوجدها الله فيها تدخل أفراخها تحتها عطفاً عليهم وتعلمهم كيف ينقرون الحب رحمة بهم ، والفرس ترفع حافرها وهى ترضع مهرها مخافة أن تطأه بحافرها وذلك رحمة به ، والمرأة يتحول دمها الأحمر إلى لبن أبيض عندما تلد مولودها لترضعه اللبن الأبيض الخالص . هذه وغيرها مظاهر رحمة الله بخلقه تلك الرحمة التى وسعت كل شىء .

لذا يا أخى ادع الله ربك بهذه الأسماء فقل يا ألله يا قوى يا قدير يا عليم يا حكيم يا رحيم واسأل حاجاتك منه فإنه سميع الدعاء قريب مجيب .

واعلم أن لله تعالى أسماء غير الخمسة التى ذكرت لك منها الرب والرحمن والغفور والشكور والحليم .

وأصغ إلىَّ أخبرك عن كلمة (تعالى) التــى ذكرتها لك فى قولى واعلم أن الله تعالى : إن كلمة تــعالى معناها أن الله فوق خلقه ، وإن الخلـق كلهم تحت عرشه وسرير ملكه، فهو تــعالى عن مشابهة المخلوقات له فى ذاته وصــفاته وأفعاله وأنه المنزه عن خلقه وعن كل ما يصفه به الجـهال من نسبة ولد إليه ، أو إله أى معبود يعبد معــه أو عجز أو نسيان أو عدم معرفة بـشىء خفى فهو تعالى أى تــنزه وتباعد وارتفع وتقدس عــن كل ما يصفه به الجهـلة من الإنس والجن . هذا معنــى كلمة (تعالى) ويحسن أن نقولها كلما ذكرنا اسمه فنقول الله تعالى هو الذى خلق ورزق وأعطى ومنع . وهو الذى أمات وأحيا وأعز وأذل إذ هو وحده الرب لكل شىء ، هذا والآن أشرح لك معنى أسماء الله الخمسة التى ذكرتها لك وهى :

١ ـ الربّ من أسمــاء الله تعالى ، ومــعناه : الخالق الرازق المـدبر لأمور مَنْ خلقهم ورزقهم ، معبودهم الحق الذى لا معبود لهم سواه .

٢ ـ الرحمن: أى الله ذو الرحمة الواسعة التى وسعت كل مخلوقاته فالخليقة كلها تتراحم بــرحمته، فهو تعالى رحمان الدنــيا والآخرة أى يرحم عباده فى هذه الحياة الدنــيا ، ويرحم أهل طاعته فى الحيــاة الآخرة التى تكون بعد نهاية هذه الحياة التى يحياها الخلق اليوم وقبل اليوم من عهد آدم إلى اليوم وإلى نهايتها المحددة لها وذلك بفناء الخلق والكون . ثم تأتى الحياة الآخرة ، التى لا تفــنى ولا تزول كهذه الحياة وسأعرّفك بــها بعد إن شاء الله تعالى .

٣ ـ الغفــور: أى ذو المغفرة أى لذنوب عــباده التائبين إلــيه المستغفــرين له أى الطالبين منه مغــفرة ذنوبهم . والذنوب هى ما يعلق بنفــوسهم من ظلمة وخبث نتيجة معــصيتهم له بترك ما أمرهم بفعلــه ، أو بارتكاب ما نهاهم عن فعله .

٤ ـ الشكور: أى كثـير الشكر لعباده المؤمــنين به وبرسله ولقائــه . من يعمل منهم حسنة يجزيه بها عشراً أو أكثر إلى سبعمائة أو أكثر .

٥ ـ الحليم:أى ذو الحلم والصفح والعــفو عن عباده المؤمنين به وبرسله ولقائه وكتبه . فقد يذنب العبد ذنبا ويحلم الله تعالى عليه ويصفح ولا يعاجله بالعقوبة بل يمهله حتى يتوب من ذلك الذنب ويتركه نادماً مستغفراً تائباً .

وهذا من حلـمه تعالى على عـباده ، وكيف لا ، وهو الغفـور الحليم والآن فهل عرفت الله ربك ورب العالمين يا أخى ؟ قـل لى : نعم عرفته بأسمائه . وهل عرفت أنه منزه عن النقائص كلها . فلا شريك له فى الخلق والرزق والتدبير ؟ قل لى : نعم قد عرفت ذلك . وعرفت أنه العليم الحكيم القوى القدير .

إذا عرفت هذا فاعرف شيئا آخر وهو أن الله تعالى خلق الجن والإنس بعد ما خلق هذا الكون كـله خلقهم من أجل أن يعبدوه . فـقد قال تعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ وهل تدرى يا أخى ما هى العبادة التى يعبد الله تعالى بها ؟ إنها طاعته بفعل ما أمرهم بفعله ، وطاعته بترك ما أمرهم أن يتركوه . وهل تدرى السر فـى عبادة الله تعالـى ما هو ؟ إنه تحقيق سعـادتهم وكمالهم فـى الدنيا ونجاتهم من النـار ودخولهم الجنة فى الدار الآخرة ، وذلك لأن ما يأمـرهم بفعله كله حق وخير وعدل ، وكل ما ينهاهم عن فعله كله باطل وشر وظلم ، وسعادة الدنيا لا تتم إلا باعتقاد الحق وفعل الخيـر وإقامة العدل بين العباد . وتجنب الباطل والشر والظلم والخبث . وأما سعادة الدار الآخرة فإنها متوقفة على طهارة الأرواح وزكاة النـفوس فمن كانت روحـه طاهرة ونفسه زكـية قبله اللـه تعالى فرفعـه إليه وأدخله جنته . والنفـس لا تزكو إلا على ما أمر الله تعالى بفعـله من اعتقاد الحق وفعل الخير وإقامة العـدل . مع إبعادها عما يخبثها من اعتقـاد الباطل وفعل الشر والظلم والفساد .

وهل تعلم يا أخى حكم الله تعالى الصادر على الإنس والجن فى أن من زكّى نفسه أفـلح وفاز بدخول الجنـة ، ونجا من دخول النار ، وأن مـن دسّى نفسه أى خبثـها بأوضار الذنـوب والآثام خاب وخسـر وحرم دخول الجنة وأدخـل النار دار البوار والخسران . وحكم الله تعالى هذا جاء مبيناً فى كتابه القرآن العظيم فى قوله تعالى من سورة والشمس وضحاها إذ قال تعالى فيها : ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾. ومعنى أفلح فاز بدخول الجنـة . بعد النجاة من دخول النار، ومعنـى خاب من دساها أى خـسر حيث حـرم من دخول الجنة وأدخـل النار دار العذاب والخسران .

ومعذرة يا أخى لقد ذكـرت لك أن لله ربنا كتاباً جاء فيه حـكمه الصادر على الإنس والجن بالـسعادة أو الشقاء وما عـرفتك بكتاب الـله تعالى . وإليك تـعريفاً

كافيا لكتاب الله تعالى . الذى هو القرآن العظيم . إن هذا الكتاب أنزله الله تعالى فى ظرف ثلاث وعشرين سنة بواسطة ملك من ملائكته تعالى له جبريل، لم ينزله جملة واحدة ، ولكن أنزله مفرقاً بحسب الأحوال والظروف وما فيها من متطلبات حياة الإنسان فى الدنيا والآخرة فهو كتاب فيه بيان كل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

وإن قلت من هم المسلمون ؟ قلت لك يا أخى إنهم من آمنوا بالله رباً لا رب غيره ومعبوداً لا معبود سواه ، وأسلموا له قلوبهم ووجوههم ، فقلوبهم لا تتقلب إلا فى طلب حبه تعالى ورضاه . ووجوههم لا تنظر إلا إليه فى طلب منافعهم ودفع مضارهم إذ لا يملك النفع إلا هو تعالى ، ولا يدفع الضر سواه وذلك لقدرته وعجز غيره من سائر خلقه . فهؤلاء الذين أسلموا قلوبهم ووجوههم لله فآمنوا به وبكتابه ورسوله ولقائه، هم الذين لهم البشرى من الله تعالى بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار .

أتذكر أخى أنى قلت لك إن القرآن كتاب الله فيه تبيان كل شىء فاصغ إلى أسمعك بعض ما جاء فيه من الهدى والرحمة .

إن هذا القرآن ما آمن به إنسان أو جان وقرأه وفهم معانيه وعمل بما فيه من الشرائع والأحكام ، وصدق بما حواه من علوم الغيب والأخبار إلا أصبح من أفضل الخلق وأكملهم وأسعدهم ، وأطيبهم وأطهرهم وأعدلهم وأرحمهم . هذا فى الدنيا . وأما فى الآخرة فإنه فى جنات النعيم حيث لا مرض ولا هرم ولا موت ، ولا ألم ولا حزن ولا خوف ، ولا تعب وإنما هى نعيم دائم وسعادة خالدة. وأما من كفر به أو أعرض عنه فلم يؤمن به أو لم يقرأه ولم يعرف ما فيه فلم يعمل بما دعا إليه من الإيمان والعمل الصالح ، ولم يجتنب ما نهى عنه وحذر منه من الكفر والشرك والفجور والفسق والخبث والظلم . فإنه فى الدنيا فى ضلال وشقاء وفى الآخرة فى عذاب النار وهو عذاب دائم لا ينقطع إنه شراب الحميم . وأكل الزقوم ، ولباس من قطران ، يسحبون فى النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر وهى النار يعيشون فى غربة حيث لا أب ولا أم ولا أخ ولا أحداً أبداً ممن كانوا يعرفونهم ، فلذا يعظم كربهم ويقوى حزنهم ويشتد عذابهم.

هذا ولو استطعت أن تتصفح القرآن وتقرأه لرأيت العجب العجاب فى أخبار

أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم ، وأحوال أهل النار وما هم فيه من الخزى والبوار ، وعذاب النار !! لوتسألنى أخى قائلا : على من أنزل الله تعالى هذا القرآن ؟ لأجبتك شاكراً لك سؤالك وقلت لك إنه أنزله بواسطة الملك الذى سبق أن ذكرته لك وهو جبريل عليه السلام . إنه على عبده ورسوله محمد بن عبد الله من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وإبراهيم هو أبو الأنبياء إذ جلهم من ولده . ومحمد الرسول كان ولد فى مكة البلد الذى فيه بيت الله تعالى الذى بناه إبراهيم ليحجه المسلمون ويطلبون من الله حوائجهم من تكفير ذنوبهم وحفظهم مما يضرهم ووقايتهم من العذاب والشقاء . وإكرامهم بدخول الجنة يوم يلقون ربهم . فمكة أقدس بلاد الله لأن فيها بيت الله ، لذا اختار الله محمداً وأرسله رسولا لأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم ولأنه فى مكة بلده المقدس الأمين وحفظه الله تعالى من التلوث بالإثم من صباه حتى بلغ الأربعين من عمره فأعده بذلك ليوحى إليه كلامه بواسطة ملكه جبريل وكان أول لقاء معه فى غار بجبل حراء حيث كان محمد ﷺ ينقطع عن الناس حتى لا يشاهد الباطل والمنكر والفجور حفاظا على روحه حتى لا تتلوث فتخبث وتصبح لا تخاف الله ولا تحبه ولا تطلب رضاه .

وإن قلت لى : لم قلت ﷺ ؟ قلت لك : لأن الله تعالى صلى عليه وصلى عليه ملائكته وأمر عباده المسلمين له أن يصلوا عليه إذ جاء فى كتاب الله القرآن ، قوله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ ، فلذا لا يسعنا أبداً إذا ذكرناه باسمه أو بصفته إلا قلنا : ﷺ.

وأول ما أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل وهو فى غار جبل حراء بمكة هو قوله تعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . ثم واصل تعالى نزول القرآن بواسطة جبريل مدة عشر سنوات فنزل الكثير من القرآن . ثم عرج به إلى السماء أى رفعه إليها وأدخله جنات عدن فشاهد قصورها وأنهارها ، ورأى فى كل سماء من فيها من الأنبياء عليهم السلام ، إذ رأى آدم وعيسى ويحيى وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم عليهم السلام ، ثم رفعه إليه وكلمه كفاحاً بلا واسطة وفرض عليه وعلى المسلمين الصلوات الخمس ، وهى خمس مناجات يناجى فيها المسلم ربه فى اليوم والليلة ثم عاد إلى مكة المكرمة وأقام بها ثلاث سنوات والقرآن ينزل والرسول يبين ما ينزل عليه ويدعو الناس إليه ، ثم هاجر من

مكة إلى المدينة النبوية مهاجره ﷺ كما جاء ذلك فى التوراة والإنجيل ، وأقام بها عشر سنوات وهو وأصحابه يدعون إلى الله تعالى ليعبد وحده ويجاهدون من جاهدهم . ثم توفى رسول الله ﷺ ، وقد تم نزول القرآن كاملا . فلم ينقص منه حرف ولا كلمة كما هو فى اللوح المحفوظ وها هو محفوظ فى صدور المسلمين مكتوب بسطورهم . ومن آمن به وقرأه وعمل بما فيه نجا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، ومن أعرض عنه فهو فى ذل وشقاء وخسران فى الدنيا والآخرة بهذا قضى الله سبحانه وتعالى .

وإن قلت يا أخى لم زدت كلمة « سبحانه » قبل تعالى ؟ قلت لك يا أخى إن كلمة سبحانه معناها تنزيهه عما لا يليق به من العجز والنقص فمن ذكر الله وقال سبحانه كان قد أقر واعترف بأن الله منزه عن سائر العيوب والنقائص إذ هو الرب الحق الذى لا رب غيره يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعطى ويمنع ، والإله الحق الذى لا إله يستحق أن يعبد إلا هو . وكل عبادة تصرف لغيره فهى منكر وظلم وباطل .

وإن قلت زدنى حديثا بيانياً عن الرسول محمد ﷺ قلت لك ذلك ياأخى إنه خاتم أنبياء الله تعالى ورسله إذ قال تعالى فى كتابه القرآن : ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾ . إذ ذكره تعالى باسمه محمد وقرر رسالته ، وبين أنه آخر الأنبياء فلا شيء بعده وفعلا فقد مضى عليه نحو من ألف وأربعمائة وخمسة عشر عاماً ولم يظهر نبى فى العالم . وصدق الله العظيم.

هذا أولا ، وثانيا إن الإيمان برسالته وما جاء به من الهدى والشرع الحكيم ضرورى للعبد ، وإلا فلا فائدة من الإيمان بالله وكتابه إذ لم يؤمن برسوله إذ هو ﷺ الذى يعرف العباد بربهم ويعلمهم ماذا يجب عليهم لربهم من العبادات وكيف يعبدون الله بها ليكملوا ويسعدوا .

والعبادات اعتقادات وأقوال وأفعال . فما كان منها محبوبا لله تعالى لأنه أمر به فعلوه كما بينه لهم رسوله ﷺ ، وما كان مكروها لله تعالى لأنه نهى عنه تركوه وابتعدوا عنه . لهذا يا أخى أصبح وجود الرسول ضرورياً والإيمان به واجبا ومحبته وطاعته من الضروريات ، وإلا فلا نجاة للعبد من عذاب الله وسخطه يوم لقائه والوقوف بين يديه يوم القيامة للحساب ثم الجزاء إما بالنعيم المقيم فى الجنة دار الأبرار وإما بالعذاب الأليم فى النار دار البوار .

كما أريد يأخى أن أعرفك بيوم القيامة فإليك بعض المعلومات عنه :

١ ـ إن الإيمان به ركن من أركان الإيمان ، فلا إيمان لمن لا يؤمن به ، وأركان الإيمان التى يبنى عليها إيمان العبد هى : الإيمان بالله وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر وهو يوم القيامة ، والقدر خيره وشره . فهذه ستة أركان عليها يبنى إيمان العبد فيصبح مؤمنا ، وإن أنكر ركنا منها أو أكثر كفر وأصبح كافراً غير مؤمن وهو من أهل النار يوم القيامة .

٢ ـ سمى بيوم القيامة ، لأن الناس يقومون فيه من قبورهم أحياء لأجل الحساب والجزاء على أعمالهم فى هذه الحياة الدنيا وسمى أيضا باليوم الآخر لأنه آخر يوم وليس بعده يوم آخر كما هى أيام الحياة الدنيا يذهب يوم ويأتى آخر . فيوم القيامة يوم واحد لا ينتهى أبداً .

٣ ـ يسبقه فناء هذه الدنيا وزوالها نهائيا ؛ إذ ينفخ ملك يقال له إسرافيل نفخة الفناء فيموت كل إنسان وحيوان فى هذه الدار الدنيا وتتحلل الكائنات فالجبال تصبح هباء ، والسماء تذوب ذوباناً والنجوم تتناثر ، ويعود الكون كما كان قبل خلقه سديماً وبخاراً . ثم تتجمع ذرات الأرض وتصبح أرضا بيضاء كخبزة نقية . ثم ينزل الله تعالى عليها ماءً فتنبت البشرية بواسطة عظم صغير يقال له عجب الذنب يكون فى آخر فقرات ظَهر الإنسان . يحفظ فى ذرات الأرض . ومنه يركب الخلق بهذا أخبر رسول الله ﷺ . ثم ينفخ إسرافيل نفخة البعث فإذا الخليقة كلها واقفة على أرض واحدة هى أرض المحشر ثم يجىء الرب تبارك وتعالى والملك صفا صفا . ويجرى الحساب . فمن ثقلت موازينه أفلح بالنجاة من النار ودخول الجنة . ومن خفت موازينه خسر دخول الجنة وحشر فى النار .

هذا واعلم أن من كان يؤمن بالله ولقائه وعبد الله تعالى وحده ثم ارتكب ذنوباً ولم يتب منها فإنه بعدما يعذب فى النار يخرج منها إلى الجنة مقابل إيمانه وصالح أعماله . فإن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً .

والآن وبعد هذا الذى عرفته يا أخى من العلم الضرورى فإنى رغبة فى سعادتك ونجاتك فإنى أرسم لك طريق النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار ،

وهم المؤمنون المطيعون .

وإليك بيان الطـريق : إنه طريق مبدؤه اليوم أى هذه الحيـاة و نهايته **غداً** أى الحياة الآخرة إنه لا ينتهى بالسالـك إلا إلى باب الجنة أو باب النار وإن هذا الطريق للسعادة هو أربع خطوات خطوتان إيجابيتـان وخطوتان سلبيتان . كطريق الشقاوة أيضا أربـع خطوات خطوتان إيـجابيتان وخـطوتان سلبـيتان . وإليك بيـان طريق السعادة بخطواته الأربع وهى :

الأولى : الإيمان بالـله وملائكـته وكتبـه ورسله واليـوم الآخر والقدر خـيره وشره . ومعناه التصديق الجازم بوجود الله تعالى رباً أى خالقا رازقا مدبراً للخلق مالكا له سيـداً فيه معبوداً فى الأرض والسماء . لا إلـه غيره ولا رب سواه . كما هو التصديق بكل ما أمر تعالى بالإيمـان به من أمور الغيب والشهادة ، وأخبرت به رسله عليهم السلام .

والثانية : هى عمل الصالحات . والصالحات هى جمـيع ما تعبد الله تعالى به عباده المؤمـنين من الأقوال والأفعال كالـوضوء والغسل والصلاة والـزكاة والصوم والحـج والجهـاد والربـاط والذكـر والدعـاء وتلاوة كـتاب الـله تـعالـى وإطعـام الجائع،وعـيادة المريض ، ودفـع الظلم عـن المظلوم .وتـعليم الجـاهل ، وإرشاد الضال ،وبـر الوالدين ، وصلـة الأرحام والإحسان إلى الـيتامى والمسـاكين وابن السبيل ، والجيران والصاحب .

هذه الأعـمال الصالحـة شرعها الـله تعالـى لعباده المـؤمنين لتـزكى نفوسـهم وتطهرها ، وبـذلك يحبهم ويرضى عـنهم ويدخلهم جنـته . إلا أن هذه الأعمال الصالحة يشترط لتزكيتها للنفوس شرطان لا بد من توفرهما :

الأول : الإخلاص فيه لله تعالى بأن يعملـه العبد طاعة لله تعالى . ولا يريد به شيئا غير رضا الله تعالى بطاعته .

والثانى : أن يفعله كما بينه رسول الله ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ، ولا تقديم ولا تأخير وفى وقته المحدد له ومكانه المعين له .

وإليك أخى شرح هذا الشرط الأكيد :

مثلا الصلاة فالصلاة لا تزكى النفس إلا إذا أداها العبد وهو طاهر الثياب والبدن متوضئ ومستور العورة ومستقبل القبلة وفى أوقاتها المحددة لها . وعلى الكيفية التى بينها رسول الله ﷺ فلا يزيد فيها شيئا ، ولا ينقص منها شيئا ولا يقدم بعض أجزائها على بعض ولا يؤخر . بل عليه أن يؤديها كما بينها جبريل لرسول الله ﷺ وكما بينها رسول الله ﷺ للمؤمنين .

وكذا سائر العبادات فالصيام ، لو صام وأفطر قبل المغرب بخمس دقائق لبطل صومه فلم يزك نفسه ، ولم يطهرها والزكاة لو نقص منها درهماً واحداً لبطلت ولم تزك نفسه والحج لو ترك ركناً واحداً من أركانه بطل حجه ولم يزك نفسه . وهكذا سائر العبادات إذا لم يرد بها وجه الله ، ولم تؤد كما بينها رسول الله ﷺ لم تزك النفس وإذا لم تزك نفس العبد حرم دخول الجنة وتعين عليه دخول النار.

وهنا اعلم ياأخى أن معرفة الطريق لا بد منها لسالكه وإلا ضل وهلك ، لذا وجب على المرء أن يعرف العبادات التى هي العمل الصالح ويعرف كيفية أدائها ، وعلى سبيل المثال الوضوء فإن الله تعالى قد أمر به فى كتابه فكيفيته هى أن يقول العبد بسم الله ، ثم يغسل كفيه ثلاث مرات ، ثم يغسل فمه بمضمضة الماء فيه ثلاث مرات ، ثم يغسل أنفه بأن يجذب الماء بأنفه وينثره بنفسه ثلاث مرات ويغسل وجهه ثلاث مرات ، ثم يغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ، ثم اليسرى كذلك ، ثم يمسح رأسه وأذنيه مرة واحدة ، ثم يغسل رجله اليمنى إلى الكعب ثم يغسل اليسرى كذلك .

هذا هو الوضوء . وأما الغسل الذى أمر الله تعالى به إذا جامع الرجل زوجته، أو احتلم فخرج منه المنى فإن الغسل هو أن يغسل كفيه ثلاثا ناويا الغسل الذى أمر الله تعالى به ، ثم يغسل فرجيه وما حولهما ، ثم يتوضأ كما سبق ثم يغسل رأسه وأذنيه ثلاثا ، ثم يغسل شقه الأيمن من أعلاه إلى أسفله ثم الأيسر كذلك بحيث يعمم الماء على كل جسده . هذا الغسل ، وإن هو مرض أو لم يجد ماء يتوضأ به أو يغتسل به إن كان جنبا فإنه يتيمم وهو أن يضرب بكفيه الأرض ويمسح وجهه مرة واحدة ثم يضرب كفيه على الأرض ويمسح يديه اليمنى واليسرى .

وأما الصلاة فإنها ذات هيئة خاصة فلا بد من معرفتها وإليك أخى بيانها :

وهو : أن يقف العبد متطهراً مستقبل القبلة وهى بيت الله الذى بمكة ثم يرفع يديه قائلا الله أكبر ثم يقرأ الفاتحة ﴿ **الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ ثم يقرأ سورة أخرى من القرآن أو آيات من سورة ، ثم يركع بأن يمد ظهره ويضع كفيه على ركبتيه ، ويسبح الله قائلا سبحان ربى العظيم ثلاثا أو أكثر ، ثم يرفع رأسه قائلا : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ويقف معتدلاً قائلا حمداً كثيراً طيبا مباركاً فيه ، ثم يهوى إلى السجود فيضع وجهه علي الأرض الجبهة والأنف معاً . ثم يسبح قائلا سبحان ربى الأعلى ثلاثا أو أكثر ثم يرفع رأسه ويجلس قائلا : رب اغفر لى وارحمنى وعافنى واهدنى وارزقنى . ثم يسجد ، ثم يقوم ويقرأ ويفعل كما فعل فى الركعة الأولى فإن كانت الصلاة صلاة الصبح فإنه يزيد ركعة ويجلس فيتشهد ويسلم ، وإن كانت صلاة الظهر أو العصر أو العشاء فإنه يزيد ركعة بعد الأولى ويجلس فيتشهد ، ثم يقوم فيزيد ركعتين يقرأ فيهما بالفاتحة فقط ثم يتشهد ويسلم، وإن كانت الصلاة صلاة المغرب فإنه يزيد ركعة واحدة بعد التشهد الأول ويتشهد ويسلم ، لأن المغرب ثلاث ركعات والصبح ركعتان والظهر والعصر والعشاء أربع ركعات .

ومعنى التشهد هو أن يقول : التحيات لله والصلوات والطيبات . السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وإن كان التشهد هو الأخير . فإنه يصلى على النبى ﷺ قائلا . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. ثم يسلم قائلا : السلام عليكم ورحمة الله عن يمينه ، ثم أخرى عن يساره وبهذا تمت صلاته . فله أن يستغفر ويسبح ويدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة .

بهذا يا أخى قد بينت لك الخطوتين الإيجابيتين ، وأكرر لك القول فيهما قبل

أن أنتقل إلى الخطوتين السلبيتين فأقول إن الخطوتين الإيجابيتين هما الإيمان الصحيح، والعمل الصالح فالإيمان الصحيح : التصديق بوجود الله تعالى رباً وإلهاً لا رب غيره ولا إله سواه ،والتصديق الجازم أيضا بكل ما أمر الله تعالى عباده بالإيمان به والملائكة والكتب والرسل والبعث الآخر والجزاء والقدر والقضاء .

وأما العمل الصالح فهو ما شرع الله تعالى للمؤمنين من أقوال وأعمال وآدائها على النحو الذى بينه رسوله ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ، لذا فلا عمل صالح يزكى النفس ويطهرها إلا ما شرعه الله تعالى فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

ولذا وجب على المؤمن أن يعرف الأعمال الصالحة وأن يعرف كيف يؤديها بشروطها وأركانها حتى تنتج له الحسنات المزكية للنفس المطهرة لها .

وبعد معرفتك للخطوتين الإيجابيتين فإليك بيان الخطوتين السلبيتين إنهما :

الشرك ، والمعاصى : أى بأن تترك الشرك بالله تعالى فى عبادته ، وأن تترك فعل المحرمات . ولما كان الترك لا مشقة فيه ولا عناء كانت الخطوتان سلبيتان لا عمل فيهما ولا كلفة إذ هما ترك الشرك والمعاصى والترك راحة بخلاف العمل فإن فيه المشقة والعناء . فاذكر هذا يا أخى وإليك بيان الشرك الذى تتركه للاتقاء ، وطهارة نفسك وزكاتها لأن الشرك والمعاصى يخبثان النفس ويدسيانها فتحرم رضا الله تعالى عنها ، وجواره فى الجنة دار الأبرار .

الشرك هو اعتقاد وجود إله يعبد مع الله تعالى . كما هو عبادة غير الله تعالى مع الله ؛ إذ من عبد شيئا جعله إلهاً مع الله .

أما اعتقاد وجود إله غير الله فهو اعتقاد فاسد باطل صاحبه أحط إدراكاً من البهائم ؛ إذ خالق العوالم كلها العلوية كالسفلية هو الله تعالى ، ولا خالق معه قط ، والمشركون من العرب كانوا يؤمنون بالله خالقا رازقا مدبراً .

إذ أخبر تعالى عنهم فى كتابه القرآن بقوله ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى تؤفكون** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله قل أفلا تتقون** ﴾ .

ولما ألَّهوا أصناماً وعبدوها مع الله بدعوى أنها تشفع لهم عند الله تعالى حكم

الله بكفرهم وشركهم فهم كافرون مشركون وأمرهم بالإيمان الصحيح ، والعبادة الخالصة لله تعالى . فمن آمن وعبد الله تعالى وحده نجا من عذاب النار ودخل الجنة ، ومن مات على الكفر والشرك حرم من الجنة ودخل النار لأن من آمن وعبد الله وحده زكى نفسه وطهرها بالإيمان والعبادة التى هى العمل الصالح فقد حكم الله تعالى بفلاحه وهى النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار . ومن كفر فلم يؤمن وعبد غير الله تعالى خاب وخسر فدخل النار وحرم من دخول الجنة دار الأبرار . وذلك لحكم الله تعالى فى قوله ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ وقد سبق أن عرفته يا أخى. هذا وإليك مظاهر الشرك فى الناس :

١ ـ النصارى يعبدون عيسى وأمه وروح القدس « جبريل عليه السلام » إذ جعلوا هؤلاء الثلاثة الأقانيم إلهاً واحداً يعبدونه فهم لذلك كافرون مشركون مخلدون فى النار إلا من تاب منهم قبل موته .

٢ ـ المجوس يعبدون النار وبعض الكواكب ،ويكفرون بالله تعالى وبعباداته .

٣ ـ اليهود إذ عبدوا العزير وقالوا هو ابن الله فهم كافرون مشركون .

٤ ـ البوذة والهندوك وغيرهم ممن يعبدون آلهة ، وتركوا عبادة الله وكفروا بها فهم كافرون مشركون .

٥ ـ جهال المسلمين هم يؤمنون بالله رباً وإلهاً لا رب غيره ولا إله سواه ولجهلهم بأنواع العبادة يعبدون مع الله الأولياء والصالحين من المؤمنين المسلمين .

وإليك مظاهر شركهم فى عبادة الله تعالى لتتجنبها وتبعد عنها فتنجو من النار وتفوز بدخول الجنة دار الأبرار .

١ ـ دعاء غير الله تعالى أى سؤال غير الله تعالى قضاء الحاجات إذ يقولون : يا سيدى فلان ويسمون ولياً مات وبنوا على قبره قبة ووضعوا على قبره تابوتاً ووضعوا عليه ستائر من حرير وكتان جميل: اشف مريضى أو رد على غائبى ، أو سدد عنى دينى إلى غير هذا من طلب الحاجات .

٢ ـ الاستعانة بالأولياء الأموات : يا سيدى فلان أنا بك وبالله أنا فى حماك، أنا دخيلك أستعين بك وبالله ادع الله لى يفرج كربى أو يقضى حاجتى .

٣ ـ النذر للأولياء إذ يقول أحدهم يا سيدى فلاناً إذا شفى الله تعالى مريضى أو رد على ولدى ، أو عطف على زوجى أو قضى دينى أشترى لك أزراً أى ستائر فوضع على قبر الولى أو أذبح لك كبشاً . أو أجدد بناء قبتك أو أصبغها بصبغة جديدة إلخ .

٤ـ الذبح للأولياء وإقامة حفلات سنوية لهم حيث يجتمعون قرب الضريح ويأتون بذبائح ويقيمون حفلات أذكار وأناشيد ويدعون صاحب الضريح ويستعينون به .

٥ ـ الحلف بغير الله تعالى كالحلف بالأولياء والصالحين ، ثم وحق سيدى فلان ورأس سيدى فلان وكالحلف بمن يتحدون معه من الناس كأن يقول ورأسك. أو وحياتك أو الطعام الذى أكلنا .أو والنبى إلى غير ذلك من الأيمان والحلف بغير الله تعالى والرسول ﷺ أخبر أن الحلف بغير الله شرك فقال ﷺ « من حلف بغير الله فقد أشرك » . وبيان وجه الشرك أن التعظيم لله تعالى فمن حلف بغير الله تعالى فقد عظم المحلوف به وجعله مثل الله تعالى وبذلك يكون قد أشرك فى عظمة الله تعالى غيره من عباده ومخلوقاته . ونقض قوله : لا إله إلا الله . إذ من قال لا إله إلا الله لا يعترف بعبادة غير الله ، ولا يعبد مع الله غيره أبداً . إذ غير الله مهما كان لا يستحق العبادة ؟ لأنه مخلوق مرزوق والله خالقه ورازقه فكيف إذاً يعبد مع الله ؟؟؟

ومن مظاهر شرك جهال المسلمين أيضا :

١ ـ نقل المريض إلى ضريح الولى وطلب الشفاء بذلك .

٢ ـ العكوف حول الضريح اليوم والليلة لطلب الحاجات .

٣ ـ التمسح بقبور الصالحين والطواف بها رجاء قضاء الحاجات كل هذا الشرك يفعله جهال المسلمين وهم لا يعتقدون أنه شرك محرم يوجب لصاحبه الخلود فى عذاب النار ، وذلك لجهلهم بالقرآن والسنة ، وعدم طلبهم العلم منهما ، وأحيانا لعدم وجود علماء بالكتاب والسنة يعرفونهم بتوحيد الله تعالى ووجوب عبادته وحده ، وأن من عبد معه غيره كان مشركا مخلدا فى النار .

وأخيراً أحذرك يا أخى إن آمنت وأسلمت أن تبقى جاهلاً بعبادات الله وكيف

تؤديها ، أو تشرك فيها غير الله من نبـى أو ولى أو غيرهما فإن ذلك يحبط عملك ويخبث نفسك وتكون من الخاسرين لما علـمت من حكم الله تعالى فى عباده وهو **﴿ قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾** .

والآن وقد عرفـت الشرك ورأيت مـظاهره فى النـاس فابتعـد عنه واجتـنبه ، واعبـد الله وحـده . وبذلـك تكون قـد خطوت الخـطوة الأولـى من الخطـوتين السلبيتين . ولم تبق لك إلا خطوة ترك المعاصى المدسية للنفوس المخبثة لها فاتركها وإليك مظاهرها لتكون منها على علم فتحذرها ولا تقع فيها :

١ ـ أكل أموال النـاس بالباطل أي بغيـر حق ، وذلك كسرقته أو اخـتطافه أو الغش فيه أو التزوير للحصول عليه ، أو التعامل بالربا للحصول عليه .

٢ ـ أذية المؤمن بأى أذى كقتله أو ضربه أو سبه أو شتمه أو انتهاك عرضه أو أكل ماله أو إفساده عليه .

٣ ـ شرب الخمر واستعـمال المخدرات كالأفيون والكوكيين والحـشيشة وسائر المخدرات المفسدات للعقل والموقعة فى السفه والشر .

٤ ـ ترك الصلاة أو التهاون فى أدائها .

٥ ـ الإفطار فى رمضان بلا عذر مرض أو سفر .

٦ ـ عقوق الوالدين بعدم طاعتهما فى المعروف وعدم الإحسان إليهما.

٧ ـ أذية الجار وعدم الإحسان إليه .

٨ ـ حب ما يكره الله ، وكره ما يحب الله من الاعتقادات والأقوال والأفعال والصفات .

٩ ـ قطع صلة الأرحام من الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والخالات . ومن إليهم من أبناء وبنات .

١٠ ـ الكذب فى القول وعدم الصدق فى الحديث .

١١ ـ الغيبة وهى ذكر المؤمن بما يكره وهو غائب .

١٢ ـ النميمة وهى نقل الحديث مشوها للإساءة.

١٣ ـ شهادة الزور وهى أن يشهد بالباطل لإبطال حق أو لإحقاق باطل .

١٤ ـ نقص الزكاة أو عدم إخراجها وقد وجبت عليه فى ماله .

١٥ ـ عدم الحج وهو قادر على أدائه لوجود مال وقدرة بدنية وأمن سبيل .

١٦ ـ أذية أهل الذمة فى أموالهم وأبدانهم وأعراضهم .

هذا واعلم يا أخى أن كل هذا الذى ذكرت لك من المعاصى هو محرم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . ولولا الرغبة فى الاختصار لك حتى لا يطول عليك المطلوب من العلم والمعرفة لذكرت لك كل معصية بدليلها من الكتاب والسنة .

والآن أرجع بك يا أخى إلى الحديث عن حكم الله تعالى الصادر على كل إنسان وجان وهو أن من زكى نفسه فاز بالنجاة من النار ودخول الجنة ،وأن من دسى نفسه خاب بحرمانه من الجنة وخلوده في النار ، وذلك يوم القيامة ، وأذكرك بما علمت من أن زكاة النفس تكون بالإيمان الصحيح ، والعمل الصالح ، وأن تدسية النفس تكون بالشرك والمعاصى ، وقد عرفتك بالإيمان والعمل الصالح كما عرفتك بالشرك والمعاصى وذلك لتطلب نجاة نفسك من النار وسعادتها بدخول الجنة دار الأبرار .

وأختم حديثى إليك بأمرين عظيمين وهما :

الأول : التوبة ومعناها الرجوع إلى طاعة الله ورسوله بعد معصيتهما بفعل حرام أو ترك واجب فمن عصى الله تعالى بترك واجب أوجبه عليه فلم يعمله ، ثم ندم واستغفر وفعل الواجب الذى تركه فإن نفسه تطهر من ذاك الذنب الذى ارتكبه وهو ترك الواجب وتخبث النفس به ، وتعود لنفسه زكاتها وطهارتها .

كما أن من فعل محرماً وتخبثت نفسه به وتدست ثم تاب أي رجع إلى الله نادماً مستغفراً بعد ترك المحرم فإن نفسه تعود إليها زكاتها وطهارتها حسب سنة الله تعالى فى عباده .

والثانى : أن تعلم أن أعظم هدف تعمل على تحقيقه لك هو أن تصبح ولياً لله تعالى ، والله وليك وبذلك تنجو من الخوف والحزن فى الدنيا والآخرة ، وإذا انتفى عنك الخوف والحزن حل محلهما الأمن والفرح .وتلك هى السعادة

التى تـتم للعبـد فى الجنة دار السـلام حيث هو فى جـوار ربه يريه وجهـه الكريم ويسلم عليه سلاما قولا من رب رحيم .

هذه الولاية يا أخى تتحقق لك بأمرين الأول الإيمان كما علمته قبل ، وتقوى الله عز وجل وهى الخوف مـنه تعالى خوفا يحملك على طـاعته وطاعة رسوله ، وما أمرك بـطاعته كـطاعة الوالديـن وأولى الأمر من الـعلماء والأمـراء وذلك فى المعروف لا فى المنكر . فاذكر هذا . وسر هـذا أن الإيمان يدفع إلى العمل الصالح ويقوى عليه .وأن طاعـة الله وطاعة رسوله بفعل الأمر وترك النهـى تطهر النفس وتزكيهـا كما سبق أن علمـته ، ومن زكت نفسـه وطهرت روحه أحبه اللـه تعالى وقربـه وأدناه ، والـله لا يحـب ولا يقـرب ولا يدنـى إلا أولياءه وهـم المؤمـنون المتقون. هيا ندعو الله تعالى أن يجعلنا منهم.

اللهم يا ألله اجعلنا من أوليائك وصالحى عبادك

وارض عنا كما رضيت عنهم ،إنك ولينا ووليهم

وسلام على المرسلين ،

والحمد لله رب العالمين .

الرسالة الثلاثون

يا علماء الإسلام

أفتونـا

يا علماء الإسلام
أفتونا !!!

أفتونا فى رجل من جلدتنا يتكلم بلساننا ويدين بديننا وينكر ويرد من ديننا ما يلى:

١) رده للسنة ورفضه الأخذ بها .

٢) إنكاره على فقهاء الإسلام أن فى الشريعة فرضا وسنة ومندوبا ومكروها .

٣) إنكاره أن يكون رجب من الأشهر الحرم .

٤) إنكاره أن يكون مقام إبراهيم هو الحجر الذى بنى به إبراهيم البيت .

٥) إنكاره السعى بين الصفا والمروة.

٦) إنكاره أن يكون الإحصار فى الحج بمنع العدو .

٧) إنكاره لما يبينه رسول الله ﷺ ووضعه البديل له حتى لا يعترف بالسنة .

٨) إنكاره تجرد المحرم من المخيط وكشف رأسه حال إحرامه .

٩) إنكاره وجوب الغسل من الاحتلام .

١٠) إنكاره ترك الحائض الصلاة والصيام حال الحيض .

١١) إنكاره أن تكون الصلاة أكثر من ركعتين.

١٢) إنكاره أن يكون المراد بالسبع المثانى سورة الفاتحة .

١٣) إنكاره مشروعية رفع اليدين فى الدعاء .

١٤) إنكاره للتاريخ الإسلامى.

١٥) إنكاره وجوب القتال فى سبيل الله .

١٦) إنكاره الأدلة الشرعية لبيان الأنصبة فى الزكاة.

١٧) إنكاره الختان فى الإسلام.

١٨) إنكاره الصلاة على الميت .

١٩) إنكاره أن يكون إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

٢٠) إنكاره أن يكون الرسول ﷺ جمع بين أكثر من أربع نسوة . .وغيرهذا كثير.

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة »

الحمد لله متم نوره ولو كره الكافرون ، ومظهر دينه ولو كره المشركون والصلاة والسلام على رسوله وخاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد : فإن حماية الملة المحمدية بإظهارها ورد ما يلصقه بها أعداؤها ، وما يحرفونه من شرائعها وأحكامها أمر واجب متعين على كل مسلم عرف ذلك وقدر عليه .

وها هو ذا صاحب كتاب « البيان بالقرآن » المطبوع مع الأسف بالدار البيضاء من المملكة المغربية الإسلامية وهو الدكتور مصطفى كمال المهداوى ، يظهر اليوم فى صورة مجدد العصر فيرد سنة الرسول ﷺ جملة وتفصيلا ، وكذا كل أثر للصحابة رضى الله عنهم ، وللتابعين رحمهم الله أجمعين ، ويرد كذلك كل تفسير للمفسرين ، بل ويطالب أمة الإسلام بمحو كل حديث أو أثر أو تفسير لكتاب الله أثر عن سلف الأمة الصالح ، وأن تأخذ فقط بكتاب الله تعالى . فمنه تأخذ عقائدها وعباداتها وأحكامها وآدابها وأخلاقها وسياستها فى الحرب والسلم ، وفى المال والاقتصاد كذلك ولا ترجع فى شىء من ذلك إلى تشريع رسول الله ﷺ ، أوإلى بيان أصحابه ، أو تفسير التابعين أو فقه الأئمة أجمعين . ومن شك فى دعوى هذا الرجل وصحتها فليتأمل الصفحة الأولى من هذه الرسالة وما حوته من عشرين رقما كل رقم يشير إلى إنكاره وتكذيب له فإنها كافية فى صحة ما قلته عنه ووصمته به .

ولهذا كتبت هذه الرسالة ووجهتها إلى علماء الأمة الإسلامية مطالبا إياهم بفتوى جماعية تصدر فى أقرب وقت وهى دعوته للتوبة الصادقة بتكذيب نفسه واعترافه بزلته ومحو كتابه وإحراقه ودفنه ، فإن أبى وأصر على موقفه قتل كفراً لا حداً ، وجمع كتابه وأحرق ثم لا يسمح لأى أحد بإظهاره أو تناوله ؛ لما يدعو إليه من الكفر والإفساد والإضلال .

كتبه

أبو بكر جابر الجزائرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

فى ١٤١٣/١/٤هـ

(١) رده للسنة ورفضه الأخذ بها :

إذ جاء فى صفحة (١٠) من كتابه : « وإن ما يوصف بأنه سنة رسول الله ﷺ من حيث كونها تكميلا للقرآن أو تفصيلا أو تفسيراً له مردود بما سبق من الآيات ومرفوض كذلك » .

إنه بهذا الموقف من سنة الرسول ﷺ المفسرة للقرآن المفصلة لمجمله والله يقول : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليه** ﴾ : بهذا الرد للسنة قد كفر صاحب البيان بالقرآن مصطفى كمال المهداوى . ووجب استتابته فإن تاب وإلا وجب قتله كفراً .

(٢) إنكاره على فقهاء الإسلام

أن فى الشريعة فرضا وسنة ومندوبا ومكروها إذ جاء فى صفحة (١٢) من كتابه : « لذلك فليس ثمة فرض وسنة ومندوب ومكروه وما شابه ذلك من التقسيمات فى الدين » .

فقوله هذا دلالته على تجاهل السنة وإنكار إجماع الأمة أمر مسلم لا جدال فيه . والذى ينكر السنة وإجماع الأمة لا يتصور أبداً أنه من أهل هذه الملة المحمدية .

(٣) إنكاره أن يكون رجب من الأشهر الحرم

وجعله بدله شهر شوال إذ قال فى صفحة (٨٨) من كتابه : « . . . وبذلك فإن الأشهر الحرم هى الأشهر الأربعة السابقة على شهر صفر وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم » .

فإنكاره لما أجمعت عليه الأمة وعلى رأسها نبيها ﷺ من أن رجب هو الشهر الرابع من الأشهر الحرم يجعل هذا المدعى الإسلام أكبر معول لهدل الإسلام . . وعليه فلا يحل السكوت عنه ويجب استتابته أو قتله .

(٤) تكذيبه لرسول الله ﷺ فى

أن مقام إبراهيم هو الحجر الذى كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه ويرفع بناء البيت وهو تكذيب للأمة وتاريخها وتشريعها إذ قال فى صفحة (٩١) من كتابه

« مقام إبراهيم هو المكان الذى كان يقوم فيه إبراهيم مصلياً ».

ويواصل هـراءه وافتراءه فيقول وهـو معروف من الكـعبة بالضلـع ذى الباب الذى يؤدى إلى داخلها .

إنه بهذا الـهراء يقرر مبداه فـى رد كل ماجاء وصح عن رسـول الله ﷺ ولا أدرى ما الحامل له على هذا الهدم للإسلام . إن أمـر هذا الرجل لعجيب . **فمقام** إبراهيم كـان بجانب البيت حـيث تركه إبراهيم بـعد فراغه من بناء الـبيت وجاءت السيول فزحـزحته وأبعدته وهو فى مـكانه الذى تركه فيه رسـول الله ﷺ وصلى خلفه بأمر الله تعالى وصلى المسلمون مـن الصحابة والتابعين إلى اليوم فيجىء هذا الرجل العجيب فيبطل ويهدم ما أقره رسول اللـه ﷺ وبناه بالسنة القولية والفعلية ولا يدرى ما الحامل لهذا الرجل على الهدم والإبطال أمجنون هو أم مسحور؟!.

(٥) إنكاره للسعى بين الصفا والمروة

وتقريره الـطواف بهما لا السـعى بينهمـا إذ قال فى كتابه صـفحة (٩٢ـ٩٣): «وتيسيراً لـلحاج أقيم السقف فوق الـصفا والمروة ولا تثريب على هـذه الفكرة فى شىء غير أن هذا السقف قـد أقيم على جدارين متقابلين بنى أحـدهما فوق الصفا وبنى الآخر فوق المروة وكان يتعين بناء هذين الجدارين وراءهما حتى يستطيع الحاج أن يطوف بـهما كما أمـره الله . والطواف بشـيئين يعنـى الدوران حولهمـا وليس السعى بينهما ».

فانظروا يا مسلمون ! كيف يتخبط هذا المجنون إنه بإنكاره للسنة وإعراضه عن بيان الرسول ﷺ وتشريعه بإذن ربه فهم من قوله تعالى : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمـن حج البيت أو اعتمر فلا جناح علـيه أن يطوف بهما** ﴾ فهم أن لا سعى بين الصفا والمروة ولكن الدوران بينهما فتخيل أن هناك بناء وأن الحاج يطوف به كما يطوف بالبيت ، وجهله هذا وضلاله كان من كفره بالسنة وعدم الاعتبار بها والتمسك بها وإلا فالرسول ﷺ سعى بـين الصفا والمروة وقال : « أبدأ بما بدأ الله به» وسعـى أصحابه وهـم ألوف وهو يشاهـدهم . وسن لهـم الخبب بين المـيلين الأخضرين ، وأن هذا السعى شرع إحياء لذكرى هـاجر أم إسماعيل عليهما السلام إذ كانت تطلب الماء لولدها لما ظمئ ونفـد ماؤها فرأت أقرب جبل إليها وهو الصفا فأتته وعلتـه وتطلعت فلم تر شيئا وقـابلها جبل المروة فسعت إلـيه ولما وصلت إلى

بطن السيل خبت لتتجاوز بسرعة وتصل إلى المروة وتعلوه وتتطلع إلى الماء ففعلت ذلك سبع مرات فأحيا الله تعالى هذه الذكرى لها وجعلها عبادة ومنسكا من مناسك الحج .

فسبحان الله ! كيف يتجاهل هذا الضال المضل هذه الشعيرة ويدعى أن السعى ليس بمشروع وإنما المشروع الطواف ! .

(٦) إنكاره أن يكون الإحصار بمنع العدو

الحاج من دخول مكة لأداء المناسك وتفسيره الإحصار بأنه مجىء الحاج فى آخر شهر الحجة الذى يسميه المحرم .

وإنكاره أن يكون الهدى هو الذبح فى الحرم من شاة أو بقرة أو بعير . إذ قال فى صفحة (٩٦) من كتابه : « فإن أحصر الحاج بأن جاء فى أواخر محرم ولم يبق له من الأيام ما يكفيه للاطمئنان فى المناسك فلا جناح عليه أن يؤجل العمرة إلى ما بعد انقضاء الأشهر الحرم ، ولا تجوز العمرة فى هذه الحالة إلا بالهدى ﴿**فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى**﴾ أى تقديم هدية إلى البيت الحرام ﴿**هديا بالغ الكعبة**﴾ بحسب ما يستطيعه كل حاج محصر من وجده ويفى بذلك تقديم الثريات والفرش أو خزانات المصاحف أو غير ذلك مما تعمر به المساجد من الهدايا على أن يكون ذلك قبل الحلاقة » .

فانظروا يا مسلمون ! كيف يحرف هذا الضال المضل شرع الله ويفترى على الله وعلى عباده . ويتجاهل المعلوم من الدين بالضرورة كل هذا من أجل أن لا يعترف بسنة رسول الله ﷺ وتشريعه لأمته وبيان شرع الله تعالى لها وإلا فالإحصار بالعدو الذى نزلت فيه الآيات كان للنبى ﷺ وأصحابه وهو ما تم فى صلح الحديبية إذ منعتهم قريش من الاعتمار سنة ست فذبحوا هديهم بالحديبية وعادوا إلى المدينة واعتمروا من عام قابل حسب الصلح الذى تم بين الرسول ﷺ وقريش . كما هو معلوم بالضرورة للمسلمين فكيف ما يخجل هذا الضال المضل ويقرر الإحصار بأنه مجىء الحاج فى آخر الحجة الذى يعبر عنه بالمحرم كفرا وتضليلا ، وأعجب من هذا تفسيره الهدى بالهدايا تهدى إلى البيت من ثريات وفرش وخزانات للكتب إلى غير ذلك . وعدم اعترافه بأنه ذبح الأنعام . وهو فى هذا أنكر الكتاب والسنة وسخر من الأمة وجهلها وضللها من نبيها ﷺ وصحابته إلى هذا اليوم .

(٧) تقريره أن من كانت معه امرأته فى الحج

بأن حجت فى صحبته ولم يستطع هديـا يقدمه للبيت من أثاث وغيره أن عليه أن يصوم العشرة أيام كلها فى الحج إذ قال فى صفحة (٩٧) : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فإن لـم يجد جاز له أن يصوم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة بـعد أن يعود من حجه إن لم يـكن أهله حاضرى المسـجد الحرام ، أما إن كان أهله معه فى الحـج فيجب عليه صيام الأيام العشـرة كلها ذلك لأن الأهل فى هذه الحالة عون له على الصيام » .

فاعجبوا يا مسلمون ! من هذا المحرف لشـرع الله المبدل لكلماته وكيف يصح السكوت عنه ويسمح لكفره أن ينتشر بين المسلمين آه ثم آه .

إنه بتـقريره هذا قـد كذب الله ورسـوله وسخر مـن المسلمـين واستهزأ بـهم وبكتابهم ونبيهم .

إذ المسلمـون مجمعون على أن مـن عجز عن الهدى وقد وجـب لأنه تمتع أو قرن ، وهو من غير سكان الحرم أن يصوم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع ولا عبرة بـكون زوجته مـعه مصاحـبة له فى حـجه واعتمـاره لأن قول الله تـعالى : ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام﴾ فهم منه الرسول ﷺ وأصحابه وسائر المسلمين إلى اليوم أن معناه لم يـكن مقيما بمكة سواء كانت له زوجة أو لم تكن .

فانظروا كيف يحرف هذا الضال المضل كتاب الله وشرعه .

(٨) تجاهله لما بينه رسول الله ﷺ

وعدم اعترافه به ووضع بديل له حتى لا يعترف بسنة رسول الله ﷺ وبيان ما شرع الله للمؤمنين إذ قال فى كتـابه فى صفحة (١٠٠) : « وإنما يجوز للحاج إن كان مريضا أو به أذى من رأسه يقعده عن الحلاقة أو يمـنعه منها أن يفتدى بالصيام ويجوز بيوم واحد أو أكثـر فى الحج أو بعد رجوعه منه لورود النص عـليه مطلقا من أى قيد والمطـلق يجرى على إطلاقه مـالم يقيده نص آخر فى الـقرآن ذاته كما يجوز بصدقة يؤديها الحاج ليتيم أو فـقير أو مسكين . . . ويجوز كذلك بأداء منسك من المناسك كطواف بالبيت أو صلاة فـى مقام إبراهيم أو طواف بالصفا والمروة أو

خلود إلى ذكر الله عند المشعر الحرام أو إفاضة من عرفات» . فانظروا يا علماء الملة! إلى هذا المتنكر لرسول الله ﷺ المتجاهل المعادى له كأنه أكبر عدو له . فالله تعالى قال :﴿ **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ وفسر الرسول ﷺ فى حديث الصحيحين المراد من الصيام وأنه ثلاثة أيام والصدقة وأنها إطعام ستة مساكين لكل مسكين مد من بر أو شعير والنسك وأنه ذبح شاة فيجىء هذا العدو لرسول الله ﷺ فيفسر الصيام بأنه يوم فأكثر ويفسر الصدقة بأنها مطلق صدقة قلّت أو كثرت ويفسر النسك بأنه طواف بالبيت أو صلاة فى مقام إبراهيم أو طواف بالصفا والمروة أو خلود إلى ذكر الله عند المشعر الحرام أو إفاضة من عرفات .

فاعجبوا يا علماء ! لهذا العدو لرسول الله ﷺ ، كيف يحجر على رسول الله ﷺ تفسير وبيان كلام ربه ويبيح ذلك لنفسه فالرسول ﷺ فسر الفدية وأنها إطعام ستة مساكين والصيام وأنه ثلاثة أيام والنسك وأنه ذبح شاة فيرفض تفسير رسول الله ﷺ وبيانه ثم يفسر هو الصيام بأنه صيام يوم فأكثر والفدية بأنها إطعام مسكين والنسك بأنه عبادة من طواف أو صلاة أو سعى أو إفاضة من عرفة أو ذكر عند المشعر الحرام .

وانظروا كيف مازال مصراً على أن المقام زاوية من البيت يصلى فيه وأن السعى طواف بكل من الصفا والمروة لا سعى بينهما وكيف سخر من أمة الإسلام بتجهيلها من نبيها إلى آخر عالم من علمائها يا للعجب !!! .

(٩) إنكاره وتكذيبه بتجرد المحرم من

المخيط ، وكشف رأسه ، وانتعاله ، ويوم عرفة وأنه تاسع شهر الحجة وبالتقاط الحصى ورمى الجمرات وبتحديد الطواف بأنه سبعة أشواط إذ قال فى كتابه صفحة (١٠٣) : « ولا نجد فيما أوحى إلى محمد بن عبد الله ﷺ من كتاب ربه ما يقيد الحاج بلباس معين لا يجوز الحج بغيره أو بيوم من أيام الأشهر الحرم لا يصلح الحج إلا فيه أو يسوغ له أن يلتفت عن ذكر ربه فى المشعر الحرام ليلتقط من الحجارة مايلقم بها نصبا فى منى لم ينزل الله بها من سلطان ، ولا نجد كذلك فيما أوحى إلى محمد بن عبد الله ﷺ ما يفرض على الحاج فى حجه مناسبات محددة معدودة للطواف بالبيت العتيق أو بالصفا والمروة » .

فانظروا يا علماء الإسلام ! كيف يكذب هذا الرجل الضال المضل بما هو معلوم من الدين بالضرورة إنه ينكر على أمة الإسلام تجرد المحرم من المخيط إنه ينكرأن يوم عرفة الذى قال فيه الرسول ﷺ :« الحج عرفة » والله يقول : ﴿**فإذا أفضتم من عرفات**﴾ هو تاسع الحجة وقد وقف فيه رسول الله ﷺ وعليه إجماع المسلمين ، إنه ينكر رمى الجمرات وينفر منه حتى قال إنه نصب لم ينزل الله به من سلطان وعمى أن أعظم سلطان هو بيان رسول الله ﷺ وتشريعه لأمته بما أمره به ربه فما تقولون يا علماء الإسلام فى مثل هذا المبدل لشرع الله والهادم له ؟؟؟

(١٠) إنكاره الغسل من الاحتلام

إذ قال فى صفحة (١١٤) : « ولعله من نافلة القول أن ننبه إلى أنه ليس من المنطق فى شىء أن نقيس الاحتلام بالجنابة كما يقول البعض فيفرض الاغتسال من الاحتلام كما فرض الاغتسال من الجنابة ».

إن إنكاره هذا لما أجمعت عليه الأمة وقرره رسولها صلوات الله وسلامه عليه فى حديث البخارى : لما احتلم عمار بن ياسر رضى الله عنه فتمرغ فى التراب فقال له رسول الله ﷺ : «إنما يكفيك أن تفعل كذا وكذا ومسح وجهه وكفيه ».

يعتبر سخرية منه من أمة الإسلام كافة وعلى رأسها نبيها ﷺ فهل مثل هذا الرجل يسكت عنه ويترك يسرح ويمرح يا علماء الإسلام ؟

(١١) إنكاره مشروعية ترك الحائض الصلاة والصيام أيام حيضها :

إذ جاء فى كتابه صفحة (١١٨) بعد أن ذكر آية : ﴿ **ويسألونك عن المحيض...** ﴾ إلخ قال : « وبذلك فإن المرأة تمتنع عن زوجها فى المحيض لأنه أذى ، ولا يحل له أن يقربها حتى تطهر منه ولا نجد فى كتاب الله ما يرخص لها أن تترك الصلاة أو تدع صيامها . وعليها بالتالى أن تصلى فى المحيض بعد أن تطهر ما ظهر منها وتتوضأ لصلاتها » .

فانظروا يا مسلمون ! كيف عبث هذا الضال بإجماع المسلمين على أن الحائض لا تصلى أيام حيضها ولا تقضى ما فاتها من صلاة أيام حيضها وأنها تفطر ولا

تصوم حتى تطهر ثم تقضى مافاتها من صيام وكيف والرسول ﷺ يقول فى صحيح الحديث تقضى الحائض الصيام ولا تقضى الصلاة ففى حديث البخارى عندما قال : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين » فقيل له فى ذلك فقال : «أرأيت أنها إذا حاضت تترك الصلاة والصيام » الحديث .

إن رجلا يجرؤ على تكذيب رسول الله ﷺ ورد إجماع المسلمين كيف يرضى به مسلما بين المسلمين ؟ .

(١٢) إنكاره أن تكون الصلاة أكثر من ركعتين فى الحضر والسفر على حد سواء

وأن صلاة الخوف ركعة واحدة إذ جاء فى كتابه صفحة (١٢٣) قوله : «وصفت صلاة الرسول كما قام بها إماماً لمن كان معه على حذر من الكافرين بإقامة الصلاة ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ وظهر من ذلك أنه أقامها بركعتين فوجب اعتبار إقامة الصلاة فى جميع أوقاتها وفى النفل بها بركعتين لكل صلاة ، لأن المطلق يجرى على إطلاقه ، مالم يقيده النص فى القرآن » .

فياعباد الله المسلمين ! أترضون بمن يحرف دينكم ويكذب رسولكم ﷺ ويجهل علماءكم ويهدم أعظم ركن فى دينكم ألا وهو الصلاة إنكم إن رضيتم ـ ولا إخالكم ترضون ـ هدمتم دينكم بأنفسكم وإن لم ترضوا فما هو موقفكم من هذا الرجل الهدام ؟! .

(١٣) إنكاره وتكذيبه أن يكون مراد الله

بالسبع المثانى التى آتى رسوله محمداً ﷺ سورة الفاتحة وآياتها السبع التى تقرأ فى كل ركعة من الصلوات الخمس وسائر نوافل الصلاة إذ قال فى كتابه صفحة (١٢٧) : « الفاتحة من القرآن العظيم وبتنزيله على قلبه ﷺ أصبح رسولا وهو من قبل أن يقضى إليه وحيه بشرا سويا بالسبع المثانى ، وهى العينين [١] والأذنين واليدين والرئتين والكليتين واللوزتين والرجلين ، فهو ﷺ بشر بالسبع المثانى كما

---

(١) نصب العينين وما بعدها خطأ إذ هما خبر والخبر مرفوع وما أكثر اللحن والخطأ فى كتابه !!.

يسمع ويرى بعينين وأذنين يأخذ ويعطى بيدين كريمتين يتنفس برئتين ويتقدم ويتأخر برجلين طاهرتين . وهو ﷺ رسول بالقرآن العظيم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس: كذلك هى السبع المثانى وذلك هو القرآن العظيم . » .

والآن أرأيتم أيها المسلمون كيف تجلى تعمد هذا الضال المضل فى تحريف الشريعة الإسلامية أصولا وفروعا ، وكيف يسف فى تحريفه حتى يجعل السبع المثانى التى هى آيات الفاتحة السبع والتى قال فيها رسول الله ﷺ هى السبع المثانى التى أوتيت والقرآن العظيم ، يجعلها العينين والأذنين والرئتين والكليتين واللوزتين والرجلين وهل هناك بشر لم يؤته الله تعالى هذه الأعضاء حتى يمن بها على رسوله ﷺ دون غيره من سائر البشر ؟ آه .

ما أضل هذا الرجل وما أعظم عداءه لرسول الله ﷺ إنه لا يريد أن يثبت له نبوة ولا رسالة ولا مقاما محمودا ، ولا أمة تحبه وتتبعه فيما جاء به ودعا إليه .

(١٤) إنكاره وتكذيبه بمشروعية رفع اليدين

فى الدعاء ومسح الوجه بهما بعد الفراغ من الدعاء إذ جاء فى صفحة (١٧٠): « واعتاد المسلمون أن يبسطوا أيديهم نحو السماء إذا مادعوا ربهم ، ولا تجد أصلا لهذه العادة إلا عند اليهود فقد جاء فى سفر الملوك إلخ . . . أما مسح الوجه بعد الانتهاء من الدعاء فلم نجد له أصلا على الإطلاق ، وربما تواتر الناس على هذه العادة بعد أن رأوا آباءهم يمسحون جباههم مما علق بها من التراب من أثر السجود ».

أرأيتم أيها المسلمون سخف عقل هذا الرجل الذى تجلى إنكاره فى أمر معلوم من الدين بالضرورة إذ لا يوجد مسلم تحت أديم السماء ومنذ بزوغ النور المحمدى فى الدنيا يجهل أن رفع اليدين إلى الله تعالى أثناء الدعاء مما جاء به النبى ﷺ وفعله وقرره وتوارثه أجيال الإسلام جيلا بعد جيل إلى اليوم وجاء هذا المجنون ينكره على المسلمين ويقول هذه العادة أخذها أهلها من اليهود .

وانظروا كيف يعلل لنفيه مسح الوجه باليدين بعد الدعاء بأن المسلمين رأوا آباءهم يمسحون التراب من وجوههم إذا سجدوا فظنوا أن هذا المسح من الدين .

(١٥) ينكر أن يكون المغرب هو الذى

يفطر فيه الصائم وتصلى فيه صلاة المغرب ينكر أن يكون بعد غروب الشمس ويقرر أنه بعد غياب الشفق الأحمر بعد غروب الشمس وهو المعروف عند كافة المسلمين أنه بداية دخول وقت صلاة العشاء إذ جاء فى كتابه صفحة (١٨٨) قوله: « وبدلالة الآيات البينات جميعها فإن الليل لا يبدأ إلا بغياب الشفق الأحمر من الأفق الغربى تماماً أقبل الليل أفطر الصائم وحل له الطعام والشراب والرفث ».

اسألوه يا علماء ! عن الحامل له على الخروج على ماأجمع عليه المسلمون وبعد أربعة عشر قرناً وهو أن غروب الشمس أى غيابها فى الأفق الغربى هو بداية الليل وفيه وجب إفطار الصائم ودخل وقت صلاة المغرب ، وأما ذهاب الشفق الأحمر فهو وقت دخول صلاة العشاء فقد بين هذا رسول الله ﷺ بالقول والفعل ثلاث عشرة سنة وخلفته فى ذلك أمته أربعة عشر قرنا وزيادة .

وأعجب من هذا التخبط فى الضلال فهمه لدلوك الشمس بأنه يبدأ بغروب الشمس ، إذ قال فى صفحة (١٩١) : « ولا يفوتنا أن نذكر بأنه إذا غربت الشمس فقد وجبت صلاة الدلوك متصلة إلى غسق الليل » .

إنه يرى يا للعجب أن دلوك الشمس هو غروبها مع أن الله تعالى يقول : ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل**﴾ فدلوك الشمس هو انزلاقها ودحوضها من وسط السماء فإذا مالت إلى الغروب وجبت صلاة الظهر ثم العصر، وإذا جاء غسق الليل وهو ظلامه بغروب الشمس وجبت صلاة المغرب ثم العشاء، فكيف يسكت عن هذا المحرف لدين الله المبدل له بهواه ورغبة فى نفسه لذلك ؟

(١٦) رفضه للتاريخ الإسلامى

وهو شامل للسيرة النبوية وتاريخ أصحابه وتاريخ السنة والتفسير والفقه إذ قال فى صفحة (٢٠٣): « أولا أن نرفضه كله جملة وتفصيلا ونريح أذهاننا من هذا العنا وهو ما أقترحه وأفضله » .

فانظروا أيها العلماء الراشدون كيف يريد هذا الضال المضل أن يمسح تاريخ أمة الإسلام بالجملة ماصح منه وما لم يصح ؟ وهو بذلك يريد إنهاء الإسلام كما هى رغبة أعداء الإسلام من مجوس ويهود ونصارى ، أمثل هذا يسكت عنه ويرضى

بنشر كتابه بين المسلمين ؟.

إن واجبكم أيها العلماء ! أن تعقدوا اجتماعا كبيرا عاجلا ويدعى فيستتاب ثلاثا فإن تاب فذاك وإلا قتل كفراً لا حداً .

(١٧) إنكاره وجوب القتال فى سبيل الله

إلا دفاعا عن الدين أو الوطن أو نصرة للمستضعفين وأن الإسلام لا يكره أحدا على القتال ، إذ جاء فى صفحة (٢٣٨) قوله : « الدعوة إلى القتال فى سبيل الله كالدعوة إلى دين الله سواء بسواء لا إكراه فيها فمن شاء فليقاتل ومن شاء فليقعد.

وفى صفحة (٢٣٥) قال : « مثل الذين يكرهون الناس على القتال كمثل الذين يرفعون السياط على رقاب المؤمنين ليحملوهم إلى المساجد إذا نودى للصلاة أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم والله غنى عن العالمين » .

وجاءت العناوين التالية :

(١) فى صفحة (٢١٥) قتال مانعى الجزية .

(٢) فى صفحة (٢١٨) القتال لرد العدوان.

(٣) فى صفحة (٢١٩) القتال دفاعاً عن المستضعفين .

(٤) فى صفحة (٢٢٣) القتال دفاعاً عن الدين .

(٥) فى صفحة (٢٢٤) قتال ناقضى الميثاق .

(٦) فى صفحة (٢٢٧) القتال دفاعاً عن المسلمين .

(٧) فى صفحة (٢٢٨) القتال دفاعاً عن الديار .

(٨) فى صفحة (٢٣٠) قتال المنافقين .

(٩) فى صفحة (٢٣١) قتال الفئة الباغية .

إنه قد استشهد على إنكار وجوب القتال فى سبيل الله بالآيات القرآنية التى تأذن بالقتال أو تأمر فى ظروف خاصة ومنها مادلت على ما عنون به فى تسعة

مواضع ، ولكنه أخفى وجحد الآية الصريحة فى وجوب القتال لإنقاذ البشرية من النار ودخول الجنان بعد إصلاح أخلاقها وآدابها ورفع الظلم عنها وتطهيرها من الخبث الذى دنس أنفسها وحطها إلى مستوى الحيوان أو أرذل ،أخفى آية : **﴿ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾** وجحد آية : **﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾** وتجاهل ماأجمعت عليه أمة الإسلام من وجوب الجهاد لهداية الخلق وإسعادهم ، إلا فى حالة العجز والضعف فيتوقف الجهاد إلى حين ينتهى العجز والضعف فإذا انتهى العجز وحالة الضعف ينظر إمام المسلمين البلد الذى يحاد بلاد الإسلام فيجهز جيشه ويرسله إلى ذلك البلد فينزل بساحته ويراسل حكامه مطالبا إياهم بواحدة من ثلاث : الأولى : أن يدخلوا فى رحمة الله وهى الإسلام حيث هو طريق نجاتهم وسعادتهم فإن أبوا ، فالثانية : وهى أن يدخلوا فى ذمة المسلمين ويفتحوا أبواب بلادهم ليقيم فيها المسلمون العدل ويطهرونها من رجس الخبث ، وليتمكنوا من معرفة الإسلام فيدخل فيه من شاء الله رحمته وإسعاده فإن أبوا ، فالثالثة : وهى القتال حتى يحكم الله بينهم بنصر من ينصر وخذلان من يخذل وبذلك يتم أداء واجب الجهاد فى سبيل الله لإنقاذ البشرية وإسعادها دنيا وأخرى .

فهذا ماأخفاه المهداوى وغطاه إرضاء للجهلة والمقلدين الذين يقولون : إن الإسلام جاء لاستعباد البشر وإذلالهم واحتلال بلادهم وأكل أموالهم وهم والله لكاذبون ، إنما جاء الإسلام لتحرير البشر وإسعادهم .

وفضيحته الأخيرة هى فى المثل الذى ضربه لإنكاره الجهاد لإنقاذ البشرية وإسعادهم حيث قال : « كمثل الذين يرفعون السياط على رقاب المؤمنين ليحملوهم إلى المساجد إذا نودى للصلاة » .

إن هذه الجملة لا تزيد على كونه ينكر أحكام الشرع فلا يرى رجم زانٍ ولا قتل قاتل ولا قطع يد سارق ولا تعزير متهاون بالصلاة أو بغيرها من الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات . . . . وحَسْبُه كفراً موقف كهذا وما أكثره !! .

(١٨) إنكاره الأدلة الشرعية لبيان

الأنصبة فى مال الزكاة والمقدار الواجب فيها إذ جاء فى كتابه صفحة (٢٨٩) قوله : « قد تكون الزكاة على فترة من المسلمين قد تحددت بربع العشر أو بغير ذلك من النسب بحكم أو نفقة أو تشريع ولا نستطيع أن نثبت ذلك ولا نستطيع أن ننفيه فلا نجد من بين أيدينا ولا من خلفنا دليلا ينص على صحة ذلك أو يقوم على دحضه ».

إن الحامل لهذا الضال المضل على تجاهل أنصبة الزكوات ومقاديرها فيما وجبت فيه هو كفره بالسنة النبوية وإجماع الأمة ، فلذا لم يقل بنصاب فى الزكاة إلا فى الحرث فقط . لقول الله تعالى : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ . أما الذهب والفضة والأنعام وهى الإبل والبقر والغنم فلم يذكر منها شيئا .

وقد حاول الهرب من اللعنة وهى تلاحقه إذ قال قد تكون الزكاة على فترة من المسلمين قد تحددت بربع العشر أو بغير ذلك من النسب بحكم أو نفقة أو تشريع ولا نستطيع أن نثبت ذلك ولا نستطيع أن ننفيه . ثم يفصح عن كفره بالسنة وإنكاره للإجماع إذ يقول : « فلا نجد من بين أيدينا ولا من خلفنا دليلا ينهض على صحة ذلك أو يقوم على دحضه » .

إن بيان الأنصبة ومواقيت الزكاة وشروط إخراجها فاضت به كتب السنة الصحيحة من الموطأ والصحيحين وغيرها وإجماع الأمة على ذلك أمر لم يقل بنفيه أو تجاهله أحد قط قبل هذا الضال المضل . لذا وجب استتابته أو يقتل كفراً لا حداً .

(١٩) تجهيله علماء التفسير فى هذه الأمة

وتأويله كلام الله حسب هواه وإن خالف أمة الإسلام من نبيها إلى آخر عالم منها . إذ جاء فى ص (٣٠٧) قوله : ﴿ **ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير** ﴾ « يرى المفسرون أن المعنى المقصود من الآية الثانية هو صنع الدروع المنضبطة ونرى بادى الرأى أن خليفة يؤتى من العلم والحكمة مثل ماأوتى داود عليه السلام ما كان لينبه إلى مثل ذلك فصنع الدروع من أعمال الحدادة إلخ . . . » .

والسبب الحامل له باختياره لهذه الآية هو أن النبى ﷺ ذكر فى غير ما حديث، جهاد داود وصبره وحكمته وصيامه فأراد هذا الضال المضل أن يغطى ذلك بتأويله لهذه الآية تأويلا لم يقل به أحد قبله من رسول الله ، إلى يومنا هذا.

فاعجبوا ياعباد الله من السبب الحامل لهذا الضال المضل عن دفن السنة وإقبارها حتى لا يرى منها نور ولا يهتدى بها مؤمن فى هذه الحياة ولا أدرى ما الحامل على هذا الكفر والعياذ بالله ؟!!.

(٢٠) رغبته الملحة فى انعدام السنن والآثار

بين المسلمين حتى لا يبقى لهم إلا القرآن العظيم ليقول فيه أصحاب الأهواء بما شاءوا وإضلالا للأمة وإبعاداً لها عن الهدى والصراط المستقيم إذ جاء فى كتابه ص (٣٢٨) قوله : « ويروى عن أبى حنيفة النعمان رحمه الله أنه أحرق كل كتبه فى حياته ولم يترك من كتبه شيئا من بعد موته » .

ويعلل لذلك فيقول : « وترى أنه ما فعل ذلك رحمه الله إن كان قد عمله إلا عملا بما روى عن النبى ﷺ أنه قال من كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه ، فرأى - أى أبو حنيفة - أن كلامه أولى بأن يمحى فمحاه بنفسه ».

وما ذكر من رواية أن النبى ﷺ نهى أصحابه عن كتابة غير القرآن إلا لأنها تخدم مذهبه فى ترك السنة وما أجمعت عليه الأمة ليسود هو العالم الإسلامى ويقوده إلى الشر والفساد بعد الكفر والضلال.

والرسول ﷺ نهى عن كتابة غير القرآن مخافة أن يختلط القرآن بغيره فلما تم القرآن واستعرضه على جبريل مرتين وكتبه الصحابة أذن فى كتابة السنة وكتبها أصحابه والتابعون لهم ، وهذا أمر اجتمعت عليه الأمة لكن هذا الضال المضل يريد صرف الأمة عن اتباع نبيها لتضل والعياذ بالله !!.

(٢١) إنكاره الختان فى الإسلام

إذ قال فى صفحة (٣٤٩) : « ونقول إنه قد فرض علينا ولكنه لم يفرض علينا بأمر ربنا بل فرضناه نحن على أنفسنا وقلنا إن الرسول - ﷺ - قد فرضه علينا بل قلنا إنه هو نفسه ﷺ قد ختن قبل أن يدرى أو يدرى أحد ما الكتاب وما

الإيمان ، ولو بحثنا فى أصل الختان فى التاريخ لوجدناه عند بنى إسرائيل ».

وساق الحديث عن بنى إسرائيل والذى يعنينا هنا أيها العلماء أن هذا الرجل الضال المضل ينفى مشروعية الختان فى هذه الأمة ويكذب بكل حديث أو أثر يثبت هذه السنة الشرعية ويقررها ، مع العلم أن الإجماع قائم على سنة الختان وأنه لا يوجد تابعى واحد ولا صحابى لم يختتن .

فما ندرى ماذا يريد هذا الذى يكذب أمة بكاملها وعلى رأسها نبيها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إنه أمر عجب فأفتونا يا علماء الإسلام فيه ؟

(٢٢) إنكاره إباحة الله تعالى للمؤمن

أن يتزوج أكثر من زوجة ، وحتى رسول الله ﷺ إذ قال فى صفحة (٣٨٤): « ليس لمؤمن أن ينكح إلا زوجة واحدة ، أما الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة فلا توجد إحداهن إلا لإيواء اليتيم » .

وقال فى صفحة (٣٨٥) : « ولقد نرى أن رسول الله ﷺ قد حرم عليه النساء على فترة من رسالته ، وهو ما لم يفرض على أحد غيره من المؤمنين ، ولا نجد فى القرآن ما يرخص له أن ينكح أكثر من زوج واحدة فى وقت واحد إلا فى حدود الأزواج الأربعة أو فى ملك اليمين وفق ما شرع الله لعباده المؤمنين » .

فانظروا يا علماء ! كيف خرج هذا الضال على أمة الإسلام بمذهب فى النكاح جديد وهو أنه لا يحل لمؤمن أن يتزوج ثانية أو ثالثة أو رابعة إلا لإيواء اليتيم ، ومن أين أتى بهذا المذهب من قوله تعالى : ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم** ﴾ الآية .

فانظروا كيف فسر الآية بتفسير عجيب أملاه عليه هواه وشياطينه فخرج على المسلمين بمذهب حرمة تعدد الزواج إلا ما كان لإيواء يتيم ويهون هذا أنه حتى الرسول ﷺ .

قال فى كتابه صفحة (٣٨٥) :«ولا نجد فى القرآن ما يرخص للرسول ﷺ أن ينكح أكثر من زوج واحدة فى وقت واحد إلا فى حدود زواج الأربعة أو فى ملك اليمين وفق الشرع لعباده المؤمنين» .

إنه كذب الأمة بكاملها بأن نبيها عليه الصلاة والسلام أذن له فى الزواج بتسع وتوفى ﷺ على تسع من النساء ، وأن نكاح الأربع بشرط العدل جائز بالكتاب والسنة وإجماع الأمة . فهل يليق أن يسكت عن هذا الضال المضل وهو يحطم فى شرع الله ويتعالى على أمة الإسلام وحتى على نبيها ﷺ ؟.

أفتونا يا علماء مأجورين ؟؟

(٢٣) إنكاره الصلاة على الميت وكذا

صلاة الاستسقاء إذ قال فى صفحة (٤١٦): « أما إقامة الصلاة بأى حركة من حركاتها قياما أو ركوعا أو سجوداً فلا تجب إلا فى مواقيتها لله تبارك وتعالى فرضا أو نفلا ولا تجوز أبدا لميت أو لغائب أو للاستسقاء أو لغير ذلك مما نجده اليوم عند المسلمين بغير سلطان من الكتاب المجيد ».

ولما واجهته آية ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً** ﴾ وهى فى منع الصلاة على من مات من المنافقين قال : « ويبين من هذه الآية الكريمة أن المسلمين قد استثنوا من هذا النهى فيجوز الصلاة عليهم كما يجوز القيام على قبورهم ، وذلك فى صلاة قائمة يصلى بها الأحياء على الأموات بالرحمة والدعاء والحب والوفاء والبر والصدقات » .

ففسر الصلاة على الميت التى صلاها رسول الله ﷺ مآت المرات وصلاها أصحابه مآت الآلاف وصلتها الأمة بلايين المرات فسرها بأنها الرحمة والدعاء والحب والوفاء والبر والصدقات كل هذا من أجل أن يكذب رسول الله ﷺ والمؤمنين ويبطل الصلاة على موتى المسلمين ألا لعنة الله عليه من ضال مضل !

(٢٤) إنكاره وراثة العم وابن العم

إذ قال فى ص ٤٢١ : « ومن هذا القول : قول إمام المفسرين ابن جرير الطبرى : جاء فقهاء الشريعة بميراث العصبة فورّثوا العم وأبناء العم مهما نزلوا وهم لا يرثون بالقرآن شيئا ولا ينبغى لهم ولا لغيرهم أن يرث شيئا بعد ما بين الله فى كتابه العزيز الذين يرثون تفصيلا . . . » .

وتجاهل على عمد قول الرسول ﷺ : «ألحقوا الفرائض بأهلها وما بقى فلأولى رجل ذكر» ليبيح لنفسه الخروج على أمة الإسلام فى توريث العصبة عند

بقاء شيء من التركة بعد أخذ أصحاب الفروض فرائضهم ، فلو مات رجل وترك زوجة وبنتا فللزوجة الثمن وللبنت النصف ، وما بقى لمن ؟ إنه لابن الأخ إن كان أو للعم أو ابن العم .

ويهرب هذا الضال من الحق كالمجنون فيسمى ما بقى بعد الفرائض نفلا مستشهدا بالآية :﴿ **قل الأنفال لله والرسول** ﴾ فيقرر أن ما بقى بعد الفرائض لا يعطى للعصبة من عم وابن عم وإنما هو نفل يتصدق به ، إذ جاء فى صفحة (٤٢٧) بعد أن مثل لمسألة العول قال :« المسألة الثانية هى ما يسميها الفقهاء بمسألة العول ، أما المسألة الأولى فيسميها مسألة النفل هو الزيادة ومازاد فى حساب المواريث أو فى أى حساب غيره فهو لله وللرسول ينفق فى سبيله ».

فانظروا ياعلماء الأمة كيف خرج هذا الضال بمذهب اخترعه فجعل ما بقى من التركة بعد أخذ أصحاب الفروض فروضهم هو نفل لله والرسول . كل هذا حتى يخرج على المسلمين بتشريع جديد يجهل به رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين وأمة الإسلام جمعاء والسبب الحامل له هو إنكاره للسّنة من أجل أن تضل أمة الإسلام فتصبح لقمة سائغة لأعدائها يقودونها كيف شاءوا كما حصل لها يوم أفسدوا عقيدتها وحرموها من نور الكتاب والسنة فاستعمرت ديارها من أندونيسيا شرقا إلى الدار البيضاء غربا .

(٢٥) إنكاره وتكذيبه بما رآه رسول الله ﷺ

ليلة الإسراء والمعراج من الملائكة والجنة وما فيها ، وما تم من كلام الله له وما فرضه عليه وعلى أمته من الصلوات الخمس إذ جاء فى كتابه ص (٥١٥) قوله: « لا حاجة لنا فى الضلال البعيد الذى يقدمه المؤرخون فى ليلة الإسراء لقد أسرى الله سبحانه وتعالى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ولقد رأى رسول الله ﷺ من آيات ربى الكبرى ، ما هى هذه الآيات ؟ لا علم لنا بهذا ولا لآبائنا بل هى درجة من درجات التفضيل التى آثره الله بها على عباده المؤمنين كما فضل بعض النبيين على بعض بما لا علم لنا به ولا طاقة لنا بإدراكه ، فنحن دون هذا المستوى ولا قبل لنا بقياس هذا التفضيل».

إنه بهذا النفى المؤكد رد كل ما جاء فى الصحاح من أحاديث الرسول ﷺ المتعلقة بالإسراء والمعراج وهذا أساس فتنته وهى رد السنة النبوية وإلغاء الأحاديث

النبوية الصحيحة إيقاعا للأمة فى فتنة عجز عن إيقاعها فيها المجوس واليهود والنصارى والملاحدة الدهريون أن الرسول ﷺ قد بين لأمته مارآه فى إسرائه ومعراجه تقريرا لعقيدة الإيمان بالدار الآخرة وما فيها من جنة ذات نعيم مقيم ونار ذات خسران وبوار فجاء هذا الضال المضل ليغطى ذلك ويستره عن الناس ليعيشوا فى ظلام الجهل والكفر والعياذ بالله .

والآن ما جزاء هذا الضال المضل ؟؟ أجيبوا يا علماء !! .

(٢٦) إنكاره وتكذيبه بأن يكون إسماعيل بن

إبراهيم عليهما السلام إذ جاء فى ص (٥٣٩) قوله : « إنا لا نعرف لإبراهيم عليه السلام إلا زوجا واحدة هى التى بشرها الله بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب أما إسماعيل عليه السلام فلم يقل أحد إنه ابن إبراهيم من زوج أخرى إلا اليهود . فى أسفارهم ومن شايعهم فى ذلك من المسلمين فيما جاءوا من الأساطير» .

فانظروا يا علماء الإسلام كيف ينكر هذا الضال وينكر ماأجمعت عليه أمة الإسلام فيدعى أن إسماعيل لم يكن بابن إبراهيم ، والله يقول عن إبراهيم : **﴿إنى ذاهب إلى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾** .

انظروا كيف رد أحاديث الرسول ﷺ فى الصحاح وهى تثبت حقيقة ما أنكره هذا الضال وكذب به وهو أن إسماعيل والدته هاجر القبطية وأن إبراهيم لما ولدت له إسماعيل نقلها إلى وادى مكة لما أصاب سارة زوجه وبنت عمه من الغيرة النسوية .

إن هذا الأمر لا ينكره ذو عقل فضلا عن ذى الدين ، والذى حمله على هذا هو أنه مسخر لدفن أحاديث الرسول ﷺ وإقبارها ليفصل الأمة عن نبيها لتهلك بحجة أن القرآن فيه كفاية ولا حاجة إلى غيره . . . ألا لعنة الله على الظالمين الماكرين الخادعين ! .

(٢٧) إنكاره لترك إبراهيم عليه السلام هاجر

وإسماعيل بواد مكة الأمين وتكذيبه وسخريته بمن يسعى بين الصفا والمروة إذ جاء فى ص (٥٤٠) و ص (٥٤١) قوله : « وليس فى القرآن بينة ظاهرة على أن إسماعيل كان ابنا لإبراهيم ولا نعلم له زوجا غير التى جاءتها البشرى ولا نعلم أن له ابنا غير إسحاق ويعقوب ولا نعلم ختانا فى الدين ولا نعلم بئر الرواء التى جعلها رواة الأساطير من المسلمين بئر زمزم إلى أن يقول وهو قدوة الأنبياء من بعده يترك زوجا تحمل طفلا من صلبه فى الخلاء حتى كاد يقتلها الظمأ لولا أن تفجر ماء زمزم ثم يقال كذلك يسعى الحجيج بين الصفا والمروة ، إن هذا لمن أسوأ ما جاءت به الأساطير وأحق أن يمحى وأن الذين جاءوا به ما لهم به من بينة وما يجدونه فى كتاب منير » .

فاسمعوا ياعلماء الملة يا حماة الدين يا علماء المسلمين كيف كذب وأنكر وسخر منكم إنه أنكر أن يكون إسماعيل ابنا لإبراهيم عليهما السلام ، إنه أنكر وكذب أن يكون لإبراهيم هاجر أم إسماعيل ، إنه أنكر أن بئر زمزم كانت بضرب جبريل الأرض بعقبه ففاضت زمزم وقال فى ذلك رسول الله ﷺ :« رحم الله أم إسماعيل لو تركتها لكانت عينا معينا »، إنه أنكر وكذب بالختان والرسول ﷺ يخبر بأن أول من اختتن إبراهيم وأن نبى الختان محمد ﷺ ،إنه أنكر وكذب أن يكون إبراهيم عليه السلام ترك هاجر وطفلها إسماعيل بجوار البيت العتيق ،إنه يقول فى هذه الأخبار الصادقة التى قررها رسول الله ﷺ وأصحابه وأهل الإيمان من أهل الكتاب والإسلام يقول فيها : إنها من أسوأ ما جاءت به الأساطير وأحق أن تمحى. وإن الذين جاءوا به وهو قطعا رسول الله ﷺ ما لهم به من بينة متجاهلا مكذبا بقول الرسول ﷺ « ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه» .

إن واجبكم أيها العلماء لتسلم لكم عقيدتكم ويثبت إيمانكم أن ترفعوا أصواتكم عالية وتطالبون الحكام المسلمين بالبحث عن هذا الرجل الضال المضل وإحضاره أمام لجنة من كبار العلماء ويطلبون منه التوبة فإن تاب ورجع إلى الحق وكذب نفسه وأمر بإحراق كتابه فذاك وإلا فقتله كفرا لا حدا فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن فى قبور المسلمين . . . . ألا فافعلوا .

(٢٨) إنكاره أن يكون الرسول ﷺ جمع بين

تسع نسوة وتقريره أنه لم يجمع إلا بين أربع واحدة منهن زوجة والثلاث الباقيات مجرد إيواء لهن من أجل يُتمٍ إذ جاء فى كتابه ص (٦٢٣) قوله : « ولا نعلم عدد أزواجه ﷺ ولكننا نعلم بيقين أنه لم يكن ليجمع بين أكثر من أربع أزواج فى وقت واحد الأولى زوجة والثلاث من بعدها إيواء فذلك حكم الله الذى كان يتبعه ، ولم يرخص له بتجاوز ذلك ».

أرأيتم يا علماء الإسلام كيف كذبكم . . من نبيكم إلى آخر عالم منكم إذ أنتم تعتقدون أن الله خص نبيه بخصائص دون سواه من أمته منها : أنه أحل له أن يتزوج أكثر من أربع وفعلا جمع بين تسع ، وجاء هذا الضال المضل يركض ليكذبكم ويكذب عليكم فيقرر أن النبى ﷺ لم يتزوج إلا واحدة وآوى إليها ثلاثا لعلة يُتمٍ ونحوه . . . . فما هو موقفكم يرحمكم الله؟

(٢٩) إنكاره وتكذيبه أن تكون عائشة

أم المؤمنين رضى الله عنها هى التى رماها ابن أبىّ بالفاحشة فى حادثة الإفك المعروفة والتى نزل فيها قرآن يقرأ إلى اليوم ، إذ جاء فى ص (٦٢٤) قوله: «إن حديث الإفك إنما أنزل فى امرأة مؤمنة من نساء المؤمنين برأها الله بكلماته ، وما من أحد يستطيع أن يقيم البينة على اسمها أو اسم زوجها أو أسماء الذين جاءوا بالإفك المبين فيها » .

إنه بهذا يا علماء ! يقرر : أنه لا يصدق رسول الله ﷺ فى حديث صح عنه قط . . أن حادثة الإفك التى آلمت رسول الله ﷺ وسائر المؤمنين وأبكت عائشة وأمرضتها ، والتى اهتزت المدينة النبوية لهولها ينفيها ، وحتى حادثة الجمل يكذب بها وينفيها وقد أخبر بها رسول الله ﷺ قبل وقوعها بقرابة ثلاثين سنة وهى من أعلام نبوته صلوات الله وسلامه عليه ، سلوه ماذا يريد بهذا الكذب والإنكار لأصول الدين وفروعه وتاريخه فهل يخبركم ؟

إنه لا يدرى ما الحامل له على ذلك لاستيلاء فتنة حب الظهور عليه حتى أصبح يتناقض تناقضا عجيبا يقرر الشىء وينفيه ، ينفى الشىء ويقرره.

(٣٠) إنكاره أن يكون قد غسل قلب النبى ﷺ

وشق صدره ﷺ فى بادية بنى سعد ، وليلة الإسراء والمعراج بالمسجد الحرام، إذ جاء فى كتابه ص (٦٣٧) قوله: « كان طاهر القلب والثياب يداه مبسوطتان إلى الماء يسبغ بهما على وجهه الكريم وأطرافه فى الصلاة ، لم يكن بحاجة إلى من يغسل قلبه ».

إن قضية شق صدر النبى ﷺ فى بادية بنى سعد وهو فى سن الصبا كشق صدره ﷺ ليلة الإسراء مما أجمعت عليه أمة الإسلام فنفيها تكذيب لأمة الإسلام أولا، وثانيا تكذيب للنبى ﷺ إذ هو المخبر بذلك فكيف يجرؤ هذا الضال المضل على تكذيب أمة بكاملها وعلى رأسها رسولها ﷺ ، إنه لأمر عجب ، وسكوت المسلمين عليه أعجب فانظروا يا مسلمون ! ماذا أنتم عاملون .

(٣١) إنكاره وتكذيبه بما أصاب المسلمين

من هزيمة فى وقعة أحد بسبب مخالفة الرماة أمر الرسول ﷺ ببقائهم فى أماكنهم كيفما كانت الحال إذ جاء فى كتابه ص (٦٤٤) قوله الباطل : « ولقد نتوقف قليلا مع رواة الأساطير عن حقيقة ما يقدمونه من أحاديث الرماة الذين عصوا الرسول ـ ﷺ ـ فتركوا مواقعهم يوم أحد وطمعوا فى الغنائم حتى كر عليهم خالد بن الوليد فسحقهم وسحق الجند من ورائهم . إننا لا نجد سندا لهذه الرواية فى القرآن بل على العكس من ذلك فإننا لا نجد إلا ما يدحضها ويكشف زيفها ويثبت أنها أقحمت على السيرة لتحريف صراط الله الذى بينه الله مفصلا فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه » .

والآن يا علماء الإسلام ما رأيكم وما حكمكم على رجل ينكر ويكذب بأكبر حادثة فى تاريخ الإسلام نزل فيها قرآن ونطق بأحداثها إجمالا وتفصيلا رسول الأنام ﷺ ويبالغ فى الإنكار إذ يقول فإننا لا نجد إلا ما يدحضها ويكشف زيفها مع أن وقعة أحد نزلت فيها آيات تتجاوز العشرين آية من سورة آل عمران ، وقوله تعالى : ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم** ﴾ كاف فى لعن هذا المكذب المفترى الذى نصب نفسه خصما للسنة والتاريخ الإسلامى والفقه والعلم الشرعى ، إن كتب الحديث وعلى رأسها صحيح الإمام البخارى رحمه الله وكتب التفسير وعلى رأسها تفسير ابن جرير

رحمه الله، وكتب السير ، وعلى رأسها سيرة ابن هشام رحمه الله كلها تذكر هذه الحادثة بشواهد من الكتاب والسنة وهذا الضال يسخر من ذلك كله ويبطله بجرة قلم.

أفتونا يا علماء الإسلام فى هذا الضال المضل ، قولوا كلمتكم الواضحة الصريحة ، إنها المحاكمة ثم القتل كفرا لا حدا إن رفض التوبة .

(٣٢) إنكاره وتكذيبه مشروعية ملك اليمين

إذا توفرت شروطه ووجدت دواعيه إذ جاء فى كتابه ص (٦٨٤) قوله : « من ذلك تفسير ملك اليمين على أنه حق امتلاك الإنسان لأخيه الانسان رقيقا مع أن ملك اليمين هو إيواء المسلم لأخيه الإنسان الذى فقد المأوى بسبب من أسباب الحرب أو الكوارث برعايته وولاية أمره بالمعروف والإحسان » .

فانظروا يا علماء الإسلام كيف أنكر هذا الضال وحرف حكما شرعيا جاء به الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة.

إنه يقول : إن الذين فسروا ملك اليمين بأنه استرقاق وملك لإنسان بسبب حرب الجهاد لإعلاء كلمة الله بأن يعبد الله وحده .

يقول هذا تفسير خاطئ وتحريف لكلام الله ، ويفسره هو بهواه بقوله هو إيواء المسلم لأخيه الإنسان الذى فقد المأوى بسبب من أسباب الحرب أو الكوارث. من الجائز أن يكون هذا الضال يتملق الذين يطعنون فى الإسلام ففسر لهم ملك اليمين بأنه إيواء لاسترقاق إلا أن تملقه هذا لا ينبغى أن يكون على حساب شريعة الله تعالى وتجهيل أهل الإسلام وعيبهم من نبيهم ﷺ إلى آخر مؤمن منهم .روا رأيكم يا علماء الإسلام فى هذا الضال المضل !!

(٣٣) رده للسنة النبوية وكتب الفقه والعقيدة

والتاريخ الإسلامى وإصراره على أنه لا حاجة بعد القرآن إلى سنة ولا إلى فقه ولا ، . . ولا . . إذ جاء فى كتابه ص (٧٤٨) قوله : « ومن الكرب العظيم أنهم يظنون أنهم هم العلماء وأنهم يحسنون صنعا من الذين يزينون للناس ما أخرجوا لهم من الكتب والمفتريات والروايات والأساطير ويقولون هى من عند الرسول ـ ﷺ ـ وليس هناك أثر بعد الرسول ـ ﷺ ـ إلا هذا القرآن ».

فانظروا يا علماء ! واعجبوا من قوله : « وليس هناك من أثر بعد الرسول ﷺ إلا هذا القرآن ».

والرسول ﷺ يقول : « ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه ».

إنه بإصراره على أن لا يطلب علم شرعى إلا من القرآن وحده يريد من أمة الإسلام أن تضل الطريق وتهوى فى مكان سحيق لا تخرج منه أبداً.

فهل من الممكن أن كل مسلم يقدر على أن يعرف بم يعبد الله تعالى ؟ وكيف يعبد من القرآن دون بيان الرسول ﷺ ؟ وهل فى الإمكان لولا أهل الحديث والفقهاء أن يبقى بيان الرسول ﷺ فى متناول كل مسلم ومسلمة يعرف به بم يعبد الله وكيف يعبد ؟

يا علماء الإسلام إن هذا الضال يريد إضلال أمة الإسلام فما هو موقفكم؟.

(٣٤) وأخيرا يا علماء الإسلام اسمعوا !

ما قال مضللكم ومجهلكم فى آخر كتابه ص (٨٣٩) : « لو أنك رأيت الحجيج فى منى لرأيت أن الشيطان قد أقام لنفسه نصبا من الحجارة ليحشر عباد الله حوله ثلاثة أيام فى الأشهر الحرم يقذفون الحجارة بالحجارة فى صراع دموى مع أنفسهم فيسقط الناس صرعى أو يضيقون ذرعا بعذاب بئيس ، وكان ذلك عند الشيطان نصيبا مفروضا » !!!

هل قوله هذا يخرج عن كونه استهزأ بنسك رمى الجمار أليس الله تعالى هو الذى شرع لعباده على لسان رسوله ﷺ رمى الجمار أيام التشريق ، أليس ظاهر قوله هذا يدل دلالة واضحة أن الشيطان هو الذى شرع للناس رمى الجمار بعد أن أقام لنفسه نصبا من الحجارة ويوضح هذا قوله ليحشر عباد الله حوله .

وقوله فى الأشهر الحرم يقرر به افتراء بأن الأشهر الحرم هى شوال وذو القعدة والحجة والمحرم دون رجب .

وأخيرا ما هو موقفكم يا علماء الأمة من هذا الرجل الذى رأيتم مواقفه ضد الرسول ﷺ وضد أمته وضد تشريع رسول الله وشرع الله ؟.

(خاتمـــة)

وأخيراً ! فليعلم كل ذى دين ويقين أن مطالبتى علماء الإسلام بإصدار فتوى جماعية تدور على مطالبة صاحب كتاب « البيان بالقرآن » بالتوبة العاجلة الصادقة، وإحراق كتابه ، وإلا فبإقامة حد الردة عليه ليقتل كفراً ، ثم تجمع كل نسخ كتابه وتحرق ، ويعلن عن منع تداول هذا الكتاب وقرائته منعا باتا ، إنها ـ مطالبتى ـ غضبة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين حيث سخر هذا الضال المضل من الكل وخرج عن تعظيم وتقدير واحترام الكل .

وأحلف بالله ! إنه لو كان أبا لى أو ابنا ما ترددت فى مطالبة علماء الإسلام باستتابته أو إعدامه ، قلت هذا وأقوله حتى لا تأخذ العاطفة النسبية أو الوطنية أحدا من المسلمين فيستنكر المطالبة بهذه الفتوى ، أو يرى غيرها خيرا منها .

والله على ما أقول وكيل

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أبو بكر جابر الجزائرى

رسائل الجزائرى

الثانيــة

خمسة عشرة رسالة

فى مواضع علمية وإصلاحية مختلفة

عنى بنشرها وتصحيحها

مؤلفهـــا

أبو بكر جابر الجزائرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

بالمدنية المنورة

دمهور ت - ٠٤٥/٣٢٨١٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل الجزائري

الثانية

Abu Baker Jaber Al Jazaery
Profit Mohd. Mosque's Teacher
Madina Munawarah
Tel. 8371500
P.O.Box 871 Saudi Arabia

أبوبكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف
المدينة المنورة
هاتف ٨٣٧١٥٠٠
ص.ب ٨٧١ المملكة العربية السعودية

DATE ....

التاريخ ٧/٥/١٤١٥هـ

تفويض

فوضت أنا الموقع أدناه أبوبكر جابر الجزائري المؤلف
فوضت مكتبة أضواء المنار ودار السيف للنشر والتوزيع وعملائها
محمد بن عبد المحسن الخويس لطباعة رسائل الجزائري الأولى
والثانية والثالثة والرابعة، وهذا تفويض مني بذلك

المفوض
أبوبكر جابر الجزائري
٧/٥/١٤١٥هـ

أبوبكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الأولى : ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م
الطبعة الثانية : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م

دمنهور ت ٣٢٨١٩٩/٠٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

هذا وقد تجمع لدى نحو من خمس عشرة رسالة فى مواضع علمية وإصلاحية مختلفة كنت قد نشرتها مفرقة واحدة بعد واحدة بحسب كتابتها والحاجة الداعية إليها فى سلسلة بعنوان : (من رسائل الدعوة) وقد رأيت جمعها فى سفر واحد على غرار المجموعة الأولى لتكون هذه المجموعة الثانية بإذن الله تعالى .

وقد راعيت فى ترتيبها المناسبة الموجودة بين كل رسالة وأخرى فمثلا رسالة المشاكل التى تعترض الدعوة الإسلامية إلخ . . . وضع بعدها رسالة : نماذج من الدعاة الصالحين . ورسالة الدولة الإسلامية ، وضع بعدها : هذا هو الطريق ، ورسالة دراسات فى مسائل من علوم القرآن وضع بعدها : رسالة كيف يتطهر المؤمن ويصلى ، والمناسبات بين كل رسالة والتى يليها ظاهرة لمن يتأمل .

وأخيراً لا يفوتنى أن أنبه هنا إلى أن السلامة من الأخطاء المطبعية ، وحتى غير المطبعية مما هو من سبق القلم ، أو غلبة الوهم ، أو سوء إدراك ، أو ضعف تصور لبعض القضايا أو المسائل ، لا تكاد توجد فى مؤلف صغيراً أو كبيراً فى هذا الزمان لضعف القوة العلمية من جهة ولما ابتلى به الناس من العجلة فى الأمور ، وترك التبصر والأناة من جهة أخرى ، مما سبب اضطرابات كبيرة فى حياة الناس .

ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولذا فعلى القارئ الكريم أن يقف عند كل عبارة نابئة ، أو معنى خفى ، أو تركيب قلق . بسبب تقديم أو تأخير أو سقوط حرف أو كلمة ، حتى يتبين له الحق أو الصواب ، وإلا سأل من هو أعلم منه ، وفوق كل ذى علم عليم . والله أسأل أن ينفع بهذه المجموعة من الرسائل كما نفع بسابقتها ، إنه قدير ، وبالإجابة جدير ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

دراســات فى

مسائل من علوم القرآن

دراسات فى مسائل من علوم القرآن

المسألة الأولى ـ فى بيان المراد من علوم القرآن :

لكى يعرف مدلول هذا المركب الإضافى « علوم القرآن » ينبغى أن يشرح كل مفرد منه على حدة .

وعليه فالعلوم جمع علم ، وهو مصدر « علم » بمعنى أيقن أو عرف ، وهو مرادف للمعرفة والفهم مصدر عرف وفهم .

وقد اختلف فى وضع حد له بحسب اختلافات مذاهب مريدى الوضع له ، فاللغويون يعرفونه : بأنه نقيض الجهل ، أو هو إدراك الشىء بحقيقته . والأصوليون يقولون : إنه معرفة الشىء على ما هو عليه . والحكماء يقولون : إنه صورة الشىء الحاصلة فى العقل . وعلماء الكلام يقولون : إنه صفة نفسية تتكشف بها الأشياء لمن قامت به .

وهو فى الشرع : معرفة الرب تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة محابه تعالى ومساخطه التى أنزل بها كتابه وقام ببيانها رسوله ﷺ ، وهى أوامره ونواهيه ، وما يترتب عليها من وعد ووعيد ، مع معرفة كيفيات فعل تلك المحاسن التى بعضها من أفعال القلوب ، وبعضها من أفعال الجوارح ، وأهل هذا العلم الشرعى هم أهل الخشية لله تعالى ، دليله قوله عز وجل من فاطر : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ (1) .

وأما القرآن : فهو فى الأصل مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآناً وضع علماً على كتاب الله تعالى كلا أو بعضا ، والفرقان : مثله فى كونه مصدراً وضع علماً لكتاب الله تعالى يعرف به ، ولا يطلق إلا عليه .

وحده الجامع المانع : إنه كلام الله تعالى المعجز بألفاظه ومعانيه ، المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر المكتوب فى السطور ، المحفوظ فى الصدور .

وعلومه كثيرة ، وهى معارف جمة تتصل به اتصال الأجزاء بذواتها ، والصفات

---

(1) فاطر : ٢٨ .

بموصوفاتها ـ فمن ذلك : معرفة ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وتفسيره وأحكامه ، وبلاغته وإعجازه ، وخاصه وعامه ، ومطلقه ومقيده ، ورسمه وتجويده ، ومكيه ومدنيه ، وعدد آياته وكلماته ، وكيفية نزوله ، وأول وآخر ما نزل منه ، وغريبه وإعرابه ، وقرائه وقراءاته ، والمناسبات بين سوره وآياته ، ومفسريه وطبقاتهم ، وتفاسيره النقلية الأثرية ، والعقلية العلمية ، والموضوعية الخاصة ، إلى غير ذلك من علوم القرآن التى بلغ بها بعضهم ٧٧٤٥٠ [1] علماً ، وكلها تدور على ثلاثة أمور هى أم علوم القرآن ، وعليها مداره ، وهى : التوحيد ، والأخبار ، والديانات ، كما قال ابن جرير أو التوحيد ، والتذكير ، والأحكام كما قال غيره . والمعنى لا يختلف كبيراً ولا كثيراً ، إذ التوحيد : يشمل معرفة الخالق جل وعز ، وأسمائه وصفاته ، وأفعاله الحاصلة بالنظر فى آياته ومخلوقاته ، ويشمل توحيده تعالى فى ربوبيته ، وألوهيته ، وفى أسمائه ، وصفاته . والأخبار : تشمل قصص الأولين ، والوعد والوعيد ، وما به كل منهما من أنواع الجزاء فى الدنيا والآخرة ، وبهذا يكون التذكير والديانات : تشمل سائر الأحكام والأعمال التكليفية التى بها طهارة الباطن وصفاؤه ، واستقامة الظاهر وكماله .

هذا وسنكتفى بدراسة مسائل معينة من هذه العلوم القرآنية ، لعدم القدرة على الاستيعاب ، ولحاجة طالب التفسير إليها دون غيرها وتلك هى :

١ ـ بيان كيفية نزول القرآن الكريم ، وأول وآخر ما نزل منه .

٢ ـ أسباب النزول .

٣ ـ القراء والقراءات .

٤ ـ التفسير والتفاسير ، والمفسرون وطبقاتهم .

٥ ـ المحكم والمتشابه .

٦ ـ العام والخاص .

٧ ـ المطلق والمقيد .

٨ ـ المكى والمدنى .

٩ ـ إعجاز القرآن وكونه آية محمد ﷺ فى إثبات نبوته ، وما يستتبع ذلك من مسائل

---

(١) هذا بناء على عدد كلماته وهى ٧٧٤٤٨ مضروبة فى أربعة إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحد ومقطع .

فرعية تتعلق بهذه المسائل الأمهات .

مسألة فرعية : فى بيان تأريخ علوم القرآن :

إن بداية تأريخ علوم القرآن ترجع إلى بداية نزول القرآن نفسه حيث أمرت آية العلق : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ (١) ، أمرت بالقراءة والكتابة بالقلم ، والقلم هو آلة الكتابة والتدوين ـ كما أن آية سورة القيامة : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه** ﴾ (٢) ، إشاره واضحة إلى جمع القرآن وقراءاته وتفسيره ، ومن علوم القرآن كما تقدم : رسمه وقراؤه وقراءاته ، وتفسيره ومفسروه ، فقد كان النبى ﷺ كلما نزلت آية ، أو آيات أو سورة ، أملاها على كتّاب الوحى من أصحابه كما تلقاها عن جبريل عليه السلام ، فكتبوها وقرأوها ، وكان يومها التطبيق العملى لما تحمله الآيات من شرائع وأحكام كافياً فى تفسيرها وبيان معانيها وما قد يخفى من ذلك لإبهامه ، بسبب إجماله ، أو عمومه ، أو خصوصه يسألون عنه الرسول ﷺ فيبينه لهم فى الحال ، لعدم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة .

وتوفى رسول الله ﷺ والتحق بالرفيق الأعلى ، وزال مانع الكتابة والتدوين ، فكتبت السنة ودونت ، وجلها عبارة عن بيان للقرآن الكريم وتفسير له ، كما قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى .

وعلى عهد أبى بكر رضى الله عنه جمع المصحف المنتمى إليه رضى الله عنه فقد قال : إن الموت أسرع بأهل القرآن ، وأنه يخشى على القرآن الضياع بموت حفاظه ، فأمر الصحابة أن يجمعوا ما بأيديهم من قرآن مكتوب ، فجاءوا به مكتوبا على الرقوق والعظام وجريد النخل وغيرها ، فكان ذلك بداية رسم القرآن وجمعه فى مصحف واحد .

وعلى عهد عثمان رضى الله عنه ظهر الاختلاف بين القراء فى بعض ألفاظ ـ القرآن الكريم ـ فأمر رضى الله عنه بجمع ما عند الناس من مصاحف فجمع ، ثم عهد إلى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وممن عرفوا بالعدل والضبط والحفظ والإتقان ، كأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم ، عهد إليهم أن يكتبوا المصحف مرة أخرى ، فكتبوه فى مصحف واحد سمى فيما بعد بالمصحف الإمام ، وأتلف ما عداه

---

(١) العلق : ١ ـ ٥ .　　(٢) القيامة : ١٦ ـ ١٩ .

من المصاحف التى كانت بأيدى المسلمين ، وبعث بنسخ من المصحف الإمام إلى أهل الأمصار ، كالعراق ، والشام ، ومصر ، ليقرأوا بها ويجتمعوا عليها ، وبذلك قضى على الاختلاف الذى خافه الصحابة وأبناؤهم وارتاعوا له أيما ارتياع .

واعتمد الصحابة وأبناؤهم من التابعين وتابعى التابعين على الرواية دون ـ الكتابة والتدوين ـ ، وساعدهم على ذلك ما يثمره العمل بالعلم من توضيح المعلوم وترسيخه فى النفس وتعميقه فيها ، فروى التفسير عن كبار الصحابة كعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم أجمعين . رواه عنهم تلامذتهم كمجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وزيد بن أسلم وغيرهم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين . ولما أخذ نور النبوة يخفت لتقدم الزمان رزق الله تعالى أمة القرآن بالفقهاء فاستنبطوا أحكام الفقه ودونوها ، فحملهم ذلك على أن يبحثوا عن جملة من علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، والمجمل والمبين .

وهكذا نجد أن تاريخ علوم القرآن بدأ بنزول القرآن ، وأخذ ينمو ويتطور شيئاً فشيئاً إلى القرن الرابع الهجرى ، حيث كتب الحوفى [1] تفسيراً جمع فيه العديد من علوم القرآن ، كالتفسير ، والناسخ والمنسوخ ، والأحكام والقراءات ، وفى القرن السادس ألف فى علوم القرآن كفن متميز ابن الجوزى كتابه « فنون الأفنان فى علوم القرآن » وفى القرن السابع ألف السخاوى كتابه « المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز » وفى القرن الثامن كتب الزركشى كتابه « البرهان فى علوم القرآن » وفى القرن التاسع ألف السيوطى كتابه « الإتقان فى علوم القرآن » .

وإلى هنا كان قد اكتمل هذا الفن ، وطاب ثمره ونضج ، وأصبح من يكتب فيه إنما هو ينقل عن غيره ، ليس له فيه يد سوى الاختصار ، أو التوضيح والتصحيح .

المسألة الثانية :فى بيان كيفية نزول القرآن . وأول وآخر ما نزل منه :

النزول مصدر ، نزل الشيء من أعلى إلى أسفل نزولاً إذا انتقل منحدراً من مكان أعلى إلى ما هو دون ، وسواء كان قد نزل بنفسه أو بواسطة ، ويكون فى المحسوسات والمعقولات ، فيقال : نزل المطر من السماء ، كما يقال نزل الوحى من السماء ، فالماء جسم

---

(١) هو على بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفى ، المتوفى سنة ٣٣٠ هـ واسم كتابه (البرهان فى علوم القرآن نقلاً عن كتاب مناهل العرفان) .

محسوس ، والوحى خبر معقول ، وبناء على هذا : فالقرآن الكريم وهو كلام الرب تبارك وتعالى بحروفه ومعانيه ، نزل وحياً بواسطة جبريل على قلب سيد المرسلين محمد ﷺ .
قال الله جل جلاله : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين** ﴾ (١) ، والروح الأمين هنا هو « جبريل عليه السلام » بإجماع أهل التفسير .

ولنزول القرآن أحوال ثلاثة ينبغى معرفتها :

الأولى : تنزله من الله تعالى إلى اللوح المحفوظ حيث كتب فيه كسائر المقدرات التى قدرها الله تعالى ، وكتبها فى هذا الكتاب الذى هو اللوح المحفوظ ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ **بل هو قرآن مجيد ، فى لوح محفوظ** ﴾ (٢) وقوله عز وجل : ﴿ **إنه لقرآن كريم ، فى كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين** ﴾ (٣) .

الثانية : تنزله من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، إذ ثبت بعدة روايات موقوفة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ولما كان مثل هذا لا يقال بالرأى فقد سلم جماهير المفسرين صحة هذه الروايات ، ولم يروا الوقف فيها مانعاً من قبولها أو وحيا لردها ، لا سيما وفى كلام الله تعالى ما يشهد بصحتها وذلك كقوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ (٥) مع العلم أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ فى كل شهور السنة ، والليلة المباركة على الصحيح أنها « ليلة القدر » وهى لا تكون على الصحيح إلا فى رمضان ، فترجح بهذا أن نزول القرآن فيها كان جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا ، وإن كان اللفظ محتملاً لأن يكون معناه : ابتداء نزوله فى ليلة القدر على ضرب من التجوز ، كقوله تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾ (٦) ، حيث ابتدىء نزوله فيه ، إذ فاجأ الحق الرسول ﷺ فى غار حراء ونزل عليه : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ (٧) الآية .

الثالثة : تنزله على النبى ﷺ منجماً ، نجما بعد نجم ، بحسب الأحوال والمقتضيات ، فى خلال ثلاث وعشرين سنة تقريباً ، ويدل لهذا قوله تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً** ﴾ (٨) .

---

(١) الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥ . (٢) البروج : ٢١ ، ٢٢ . (٣) الواقعة : ٧٧ ـ ٨٠ .
(٤) الدخان : ٣ . (٥) القدر : ١ . (٦) البقرة : ١٨٥ .
(٧) العلق : ١ . (٨) الفرقان : ٣٢ : ٣٣ .

ولهذا التنجيم حكم بالغة مقصودة ذكر أهل العلم منها الكثير ومنها :

١ - تثبيت فؤاد النبى ﷺ وتقوية قلبه ، إذ تجدد الوحى من الوقت إلى الوقت ، وتكرار نزول الملك به يكسب الرسول ﷺ ثباتاً على الحق الذى جاء به وقام بالدعوة إليه ، وقد يزيد فى طمأنينة نفسه ، وفرح قلبه ما يراه من عناية ربه تعالى به ، وهو يبعث إليه برسوله ، وينزل عليه وحيه وكلامه . كما أن فى التنجيم للقرآن تيسيراً على الرسول ﷺ فى حفظ الوحى ، وفهمه ومعرفة حكمه وأحكامه ، وما يحصل للرسول ﷺ من هذا التثبيت والتيسير، والشعور بعناية الله مما يثلج الصدر ويفرح القلب يحصل كذلك لأصحابه وأتباعه المؤمنين به .

٢ - ما فى التنجيم من مسايرة الأحداث ومماشاة الحوادث ، إذ قد يطرأ أن يسأل صاحب التنزيل عليه الصلاة والسلام من قبل المشركين عن شيء لم يكن يعلمه ، فينزل القرآن بالجواب عنه نحو سؤالهم عن الجبال والساعة كما فى قوله : ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً** ﴾ (٢) وقوله : ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى** ﴾ (٣) . أو يسأل من قبل الموحدين كسؤالهم عماذا ينفقون ، وعن اليتامى كما فى قوله تعالى : ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ **ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير** ﴾ (٥) فينزل القرآن بالجواب المطلوب ، وهذا لم يكن ليتحقق لو لم ينزل القرآن منجماً .

٣ - الإعلام الواضح الصريح بأن القرآن كلام الله تعالى وليس فيه من كلام البشر شيء ، وسواء كان الرسول المنزل عليه ، أو كان غيره من سائر البشر ، إذ نزوله منجماً بحسب المقتضيات والأحوال المختلفة يدل دلالة عقلية على أن الرسول ﷺ كان يتلقاه ساعة نزوله عليه وحياً لم يكن به علم قبل تنزله ووصوله إليه .

وأكبر دلالة عن هذا كونه ينزل منجماً فى مدد مختلفة ، ويتم منسقا منظماً محكماً فصيحاً بليغاً معجزاً كأنه أملى وكتب فى جلسة واحدة ، فسبحان الله القائل : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ (٦) .

مسألة فرعية :

ثبت رواية وصح سنداً أن النبى ﷺ كان إذا نزلت عليه الآية أو الآيات يقول :

---

(١) طه : ١٠٥ . (٢) الأعراف : ١٨٧ . (٣) البقرة : ٢١٩ .
(٤) البقرة : ٢٢٠. (٥) النساء : ٨٢ .

« ضعوها فى مكان كذا من سورة كذا » مع أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب ، فيضعها الكاتب فى المكان الذى حدده الرسول ﷺ له فتكون أكثر التئاماً وانسجاماً وإحكاماً من اللبنات المرصفة من قبل بناء ذى خبرة عليم ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ (١) .

أما أول ما نزل منه على الإطلاق فهو صدر سورة العلق لحديث الشيخين عن عائشة رضى الله عنها وفيه قالت : « أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ (٢) .

وأما سورة المدثر فتعتبر أول ما نزل من حيث أنها نزلت أول ما نزل بعد أن فتر الوحى ، ثم عاد النزول . أما أن تكون أول ما نزل مطلقاً ، فلا هذا بالنسبة إلى الأولية المطلقة ، أما النسبية فسورة الفاتحة ، والقلم ، وأول المزمل ، وسورة المسد ، فهذه من أوائل ما نزل من القرآن بلا خلاف ، كما أن أول سورة نزلت فيها سجدة هى سورة النجم ، هذا وهناك أوليات فى النزول باعتبار آخر ، وذلك كقول الصحابى أول ما نزل فى مشروعية القتال قوله تعالى : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا** ﴾ (٣) من سورة الحج .

وأول ما نزل فى تحريم الخمر قوله تعالي : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** ﴾ (٤) ، وأول ما نزل فى محرمات الطعام آية الأنعام : ﴿ **قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طعام يطعمه** ﴾ (٥) الآية ، أول ما نزل من سورة التوبة : ﴿ **انفروا خفافا وثقالا** ﴾ (٦) الآية ، وأول ما نزل من سورة آل عمران : ﴿ **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** ﴾ (٧) ، ثم نزلت بقيتها بعد غزوة أحد .

---

(١) هود : ١ . (٢) العلق : ١ ــ ٥ . (٣) الحج : ٣٩ . (٤) البقرة : ٢١٩ .
(٥) الأنعام : ١٤٥ . (٦) التوبة : ٤١ . (٧) آل عمران : ١٣٨ .

أما آخر ما نزل من القرآن : فإنه من سورتا المائدة ، والنصر ، لحديث مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما « إن آخر سورة نزلت : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ » وحديث عائشة عند الترمذى والحاكم « آخر سورة نزلت المائدة فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه » الحديث .

ومن الآيات آية البقرة : ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله** ﴾ (١) الآية ، فقد روى أنها نزلت قبل وفاة رسول الله ﷺ بتسع ليال ، أما آية المائدة : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ (٢) ، فإنها نزلت فى حجة الوداع ، وبينها وبين وفاة رسول الله ﷺ أكثر من ثمانين يوماً ، ولعل المراد من الإكمال إكمال الشرائع ، والإحكام ، لا إكمال نزول القرآن ، ولذا قيل إنه لم ينزل بعدها حلال ولا حرام .

وهناك عدة آيات ورد عن الصحابة القول بأنها من آخر ما نزل من القرآن كآية الكلالة ، وأول هذا القول بأنها آخر ما نزل من آيات المواريث .

ومما ورد أنه آخر ما نزل آية الربا وآية الدين ، والآيتان من آخر التوبة : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ (٣) ... إلى آخر آية النساء : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً** ﴾ (٤) ... ويبدو أن هذه الآخرية فى هذه الآيات نسبية وهو الحق .

وأما آخر ما نزل على الإطلاق فهو آية : ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ (٥) .

مسألة فرعية :فى بيان كيفية تلقى الرسول ﷺ للقرآن الكريم :

ما من شك فى أن الرسول ﷺ كان قد تلقى القرآن وحياً من ربه عز وجل قال تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا** ﴾ (٦) وقال تعالى : ﴿ **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ (٧) ، وقال تعالى : ﴿ **وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم** ﴾ (٨) ، وقال الرسول ﷺ نفسه فى حديث أبى هريرة عند مسلم : « ما من الأنبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله أمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحى الله إلى ، فأرجوأن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

---

(١) البقرة : ٢٨١ . (٢) المائدة : ٣ . (٣) التوبة : ١٢٨ . (٤) النساء : ٩٣ .
(٥) البقرة : ٢٨١ . (٦) الشورى : ٥٢ . (٧) النحل : ٢ . (٨) النمل : ٦ .

وقد ذكر تعالى لوحيه إلى أنبيائه طرقا جاء ذكرها فى قوله عز وجل من سورة الشورى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم** ﴾ (١) .

فالطريقة الأولى : لتلقى كلام الله تعالى هو : الإيحاء وهو إلقاء الكلام الإلهى فى روع المتأهل لذلك من نبى ورسول ، فيفهم عن الله تعالى ما ألقى به إليه من كلامه ، جازماً أنه كلام الله تعالى ووحيه إليه .

والطريقة الثانية : أن يكلم الله تعالى من يشاء من رسله من وراء حجاب فيسمعه كلامه ، ويحجبه عن رؤيته ، كما تم ذلك لموسى عليه السلام فى جبل الطور إذ ناداه ربه هناك وقال : ﴿ **يا موسى إنى أنا الله رب العالمين** ﴾ (٢) ، فقال موسى : يارب : أكلامك أسمع أم كلام رسولك ؟ فقال بل كلامى ، وكما كلم نبينا محمداً ﷺ بالملكوت الأعلى ليلة الإسراء والمعراج ، وفرض عليه الصلوات الخمس وراجعه فى ذلك عدة مرات كما جاء ذلك فى الحديث الصحيح .

والطريقة الثالثة : أن يرسل رسولا من الملائكة فيوحى بإذنه ما يشاء وعلى هذه الطريقة الأخيرة كان نبينا ﷺ يتلقى القرآن وكان الرسول الذى يرسل إليه من الملائكة هو جبريل عليه السلام فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول ، قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً » .

والملاحظ هنا أنه لما كان من سنة الله تعالى أن التفاهم التام فى الخطاب لا يتم إلا بين متجانسين ، كان لا بد من أن ينخلع أحد الرسولين جبريل أو محمد ﷺ من هيئته ليتجانس مع أخيه فيحصل التفاهم بينهما فى الخطاب ، ففى الحالة التى ينخلع فيها جبريل من هيئته التى خلقه الله تعالى عليها فيتمثل رجلاً لا يجد الرسول ﷺ أية صعوبة أو مشقة ، بخلاف ما إذا لم يتمثل له بشراً فإنه ﷺ يعالج من الشدة لينخلع عن بشريته ما يجعل جبينه يتفصد عرقا كما قالت عائشة ، وكما قال هو ﷺ : « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت » .

---

(١) الشورى : ٥١ .　　(٢) القصص : ٣٠ .

المسألة الثالثة : فى أسباب النزول :

إن المراد من أسباب النزول هو ذكر الحوادث [١] التى كانت سببا فى نزول الآيات ، وليس معنى هذا أن القرآن الكريم نزل كله بمقتضيات الحوادث ، بل منه ما نزل ابتداء وهو أكثره ، ومنه ما نزل جوابا لسؤال ، أو بيانا لحكم حادثة من الحوادث وهو القليل ، وكان أول من ألف فى بيان أسباب النزول على بن المدينى شيخ البخارى ، ثم ألف بعده فيه الواحدى ، ثم الجعبرى حيث اختصر كتاب الواحدى ولم يزد عليه شيئاً كما قال السيوطى ، ثم ابن حجر ، ثم السيوطى أخيراً كتابه : « لباب النقول فى أسباب النزول » .

ومما ينبغى أن يعلم فى هذا الشأن أن معرفة أسباب النزول لا تتأتى إلا من طريق الرواية الصحيحة إذ لا مجال فيها للرأى والعقل البتة ، وقد ذكر الواحدى حديثا رفعه تضمن الوعيد عن كذب القرآن بأن يقول نزل فى كذا وهو لم ينزل فيه ، ونص الحديث : « اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار » .

والرواية فى أسباب النزول إن كانت من الصحابى فإن حكمها حكم الرفع ، وإن كانت من التابعى فلا تقبل لعلة الإرسال إلا إذا اعتضدت بشاهد آخر ، وكان الراوى من أهل التفسير مثل مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب ، ومسروق وغيرهم من التابعين .

وقد اختلف العلماء فيما إذا قال الصحابى ؛ هذه الآية نزلت فى كذا ولم يذكر سبب النزول لها أي الحادثة المعينة لها هل هو من قبيل المسند ، أو من قبيل التفسير غير المسند ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، والبخارى يجعل هذا من قبيل المسند . والصحيح أن الصحابى إذ لم يذكر سببا وإنما قال : نزلت فى كذا ، إن كلامه محتمل لبيان الحكم ، ولبيان السبب بدون ترجيح .

---

(١) من الحوادث التى اقتضت نزول الآيات . الخصومة التي دبت بين الأوس والخزرج فنزل فيها آية آل عمران : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا** ﴾ ـ الآية ١٠٠ ـ وقراءة من قرأ وهو ثملان « يأيها الكافرون أعبد ما تعبدون » فنزلت : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** ﴾ ـ النساء : ٤٣ . أو كانت رغبة صحابى كالآيات التى وافق بها عمر ربه من ذلك آية ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ ـ البقرة ١٢٥ ـ وآية الحجاب ، وآية ﴿ **عسى ربه** ﴾ التحريم : ٥ . حيث اجتمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة .

فائدة معرفة أسباب النزول :

إنه لا التفات لقول من قال : إنه لا طائل تحت معرفة أسباب النزول بعلة أنها ليست بأكثر من معرفة تاريخ نزول بعض الآيات القرآنية ، فقد ثبت أن لمعرفة أسباب النزول فوائد جمة هى فى غاية الأهمية منها :

١ ـ الوقوف على معنى الآية وإزالة الإشكال عنها ، إذ قال الواحدى لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، إذ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن ، ذكر هذا السيوطى فى كتابه الإتقان فى علوم القرآن .

٢ ـ معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم الشرعى وهذا مما يزيد المؤمن إيماناً ، ويجعل غير المؤمن يؤمن لما ينكشف له من علم الله ورحمته وصدق النبى فى رسالته .

٣ ـ أن يكون اللفظ عاما ويقوم دليل على تخصيصه ، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته ، إذ دخول صورة السبب قطعى ، وإخراجها بالاجتهاد ممنوع كما هو مذهب الجمهور ، وذلك كما حدث لأبى حنيفة . وحمدا لله تعالى إذ أخرج الأمة المستفرشة من قول الرسول ﷺ فى الصحيح « الولد للفراش وللعاهر الحجر » أخذا بعموم اللفظ ، ولم يبلغه السبب الذى قال فيه الرسول ﷺ : « الولد للفراش » ، فى حين أن الخبر ورد فى وليدة زمعة ، إذ قال عبد بن زمعة : هو أخى وابن وليدة أبى ، ولد على فراشه ، وقال الرسول ﷺ « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ، فأثبت للأمة فراشا ، وأخرجها أبو حنيفة لأنه لم يبلغه السبب .

٤ ـ معرفة من نزلت فيه الآية إن كانت قد نزلت فى شخص ، أو أشخاص ، وتعيين المبهم فيها كتعيين المجادلة وزوجها وهما خولة بنت ثعلبة وأوس بن الصامت رضى الله عنهما ، وأهم هذه الفوائد الأربع الأولى ولكى يتضح أمر أهميتها نذكر الأمثلة الآتية :

أشكل على مروان بن الحكم فهم قوله تعالى : ﴿ **لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم** ﴾ [1] ، وقال

---

(١) آل عمران : ١٨٨ .

لئن كان كل امرىء يفرح بما أوتى ويحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون ، حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت فى أهل الكتاب حين سألهم النبى ﷺ عن شىء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، ورأوا أنهم أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه ـ روى هذه القصة الشيخان .

فهم عثمان بن مظعون وعمرو بن معد يكرب من قوله تعالى : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ (١) الآية أن الخمر مباحة ولو علما سبب نزول الآية لما قالا ما قالا ، إذ سبب نزولها : أن أناسا قالوا لما حرمت الخمر : كيف بمن قتلوا فى سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهى رجس ؟ فنزلت الآية . روى هذا أحمد والنسائى وغيرهما ، وذكره السيوطى فى الإتقان .

أشكل على بعضهم معنى الشرط فى قوله تعالى : ﴿ **واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر** ﴾ (٢) ، حتى قال الظاهرية : لا عدة على الآيس إذ لم ترتب فأزال هذا الإشكال سبب نزول الآية ، وهو : أنه لما نزلت آية البقرة فى بيان عدد النساء قالوا : قد بقى عدد من عدد النساء لم يذكر الصغار والكبار ، فنزلت فعلم بذلك حكمهن . أخرجه الحاكم .

ما يفهم بالبداهة من عدم اشتراط استقبال القبلة سفرا أو حضرا وذلك من قوله تعالى : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ (٣) ، وهو خلاف الإجماع ، والذى يزيل هذا اللبس هو معرفة سبب نزول الآية الكريمة ، وهو صلاة المسافر على الراحلة ، والظاهرة أنها نزلت فى جماعة عميت عليهم القبلة فاجتهدوا وصلوا إلى أنحاء مختلفة ، فلما أصبحوا تبين لهم أنهم أخطأوا فى معرفة القبلة ، فأعذرهم الله تعالى .

ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾ (٤) الآية ، من أن السعى ليس بركن فى الحج والعمرة ، لكن بمعرفة سبب نزول الآية يبطل هذا الفهم ويزول الإشكال ـ وهو أنه كان فى الجاهلية صنمان أحدهما على الصفا ، والثانى على المروة ، فلما جاء الإسلام تحرج المسلمون من السعى بين الصفا والمروة لذلك ، فأنزل الله تعالى الآية فى رفع الحرج الذى وجدوه فى أنفسهم وأما السعى فهو ركن الحج والعمرة لقول الرسول ﷺ : « اسعوا فإن الله قد كتب عليكم السعى » وكان إذا خرج إلى السعى يقول : « أبدأ بما بدأ الله به ويقرأ الآية » .

---

(١) المائدة : ٩٣ .   (٢) الطلاق : ٤ .   (٣) البقرة : ١١٥ .   (٤) البقرة : ١٥٨ .

ما فهمه الإمام مالك من حصر محرمات الطعام ، فيما ذكر من آية الأنعام ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه** ﴾ [1] الآية .

إذ الآية نزلت فى مناقضة عرض المشركين الذين كانوا على المضادة والمحادة لشرع الله تعالى حيث حرموا ما أحل الله ، وأحلوا ما حرم مكانه ، قال لهم : لا حلال إلا ما حرمتموه ، ولا حرام إلا ما أحللتموه ، فكانت بمثابة من يقول لشخص : لا تأكل اليوم حلاوة ، فيقول : لا آكل اليوم إلا الحلاوة ، والعرض المضادة لا النفى ولا الإثبات على الحقيقة ، فكأن الله تعالى قال لهم : لا حرام إلا ماأحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، ولم يقصد حل ما وراءه ، إذ المقصود إثبات التحريم لا إثبات الحل ، حتى قال إمام الحرمين : هذا فى غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعى إلى ذلك لما استجزنا مخالفة مالك فى حصر المحرمات فيما ذكر فى الآية .

مسألة فرعية ـ عموم اللفظ وخصوص السبب :

لقد اختلف فيما إذا عم اللفظ وخص السبب بأيهما يأخذ المجتهد ؟ فذهب الجمهور وهو الحق إلى : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بدليل نزول آيات عديدة فى أسباب خاصة ، وقد عم الشارع ما دلت عليه من أحكام ، من ذلك آية الظهار . فقد نزلت فى أوس بن الصامت وزوجه خولة بنت ثعلبة ، والإجماع على أن الحكم عام فى كل من ظاهر من امرأته ، وأن الكفارة تلزمه متى أراد ـ المسيس ، وكذا آية اللعان ، فقد نزلت فى هلال بن أمية ، أو عويمر العجلانى ، والإجماع على أن من قذف امرأته ولم يكن له شهداء أن يلاعن أو يقام عليه حد القذف ، وكذا حد القذف فإنه نزل فى سبب خاص ، وهو من رمى أم المؤمنين رضى الله عنها ، ومع هذا فالإجماع على حد من قذف محصنا أو محصنة من المؤمنين والمؤمنات ، وكذا حد السرقة نزلت بسبب سرقة امرأة ثابت بن قيس ، وهو حكم عام لا ينكره أحد من المسلمين .

والصحابة إذا قالوا : آية كذا نزلت فى كذا ، لا يعنون أبداً أن حكمها خاص بمن نزلت فيه ، بل هى تتناوله أولا ثم تعم كل من هو بمنزلته ، فآية الكلالة نزلت فى جابر بن عبد الله ، ولكنها عامة فى كل من يورث كلالة من المسلمين ، اللهم إلا إذا كان اللفظ لا عموم فيه ، أى غير دال على العموم فحينئذ يقصر الحكم على من نزلت الآية فيه فقط ولا

---

(١) الأنعام : ١٤٥ .

تتعداه إلى غيره ، وذلك كآية الليل ﴿ **وسيجنبها الأتقى** ﴾ [(١)] فإنها نزلت فى أبى بكر الصديق وهى خاصة به لا تتناول غيره بحال ، لأن لفظ « الأتقى » لا عموم فيه ، إذ « أل » ليست موصولة فتعم ، وليست داخلة على جمع معرفة له فتعم أيضا ، وإنما هى داخلة على مفرد ، وهى للعهد فخصت بمن نزلت فيه وهو الصديق رضى الله عنه .

١ ـ إذا جاءت روايتان فى نازل واحد من القرآن وذكرت كل من الروايتين شيئا صريحا غير ما تذكره الأخرى نظر فيهما فإما أن تكون إحداهما صحيحة والأخرى غير صحيحة ، وهنا تعتمد الصحيحة وتلغى الأخرى ، ومثالها ما روى الشيخان عن جندب قال : اشتكى النبى ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتته امرأة فقالت : يا محمد : ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأنزل الله : ﴿ **والضحى** ﴾ [(٢)] إلخ ... وروى الطبرانى وابن أبى شيبة عن حفص ابن ميسرة عن أمه عن أمها وكانت خادم رسول الله ﷺ أن جروا دخل بيت رسول الله ﷺ ، فدخل تحت السرير إلخ . وفيه امتنع الوحى من النزول كذا ليلة فلما أبعد الجرو نزلت ﴿ **والضحى** ﴾ إلخ ... فرواية الصحيحين تقدم على هذه الرواية لعدم صحتها . وإما أن تكون كلتاهما صحيحة ولكن لإحداهما مرجح دون الأخرى ، مثالها رواية البخارى عن ابن مسعود قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب [(٣)] فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم : لو سألتموه ؟ فقالوا حدثنا عن الروح ؟ فقام ساعة ورفع رأسه ، فعرفت أنه يوحى إليه ، حتى صعد الوحى ، ثم قال : ﴿ **قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ [(٤)] ، مع رواية الترمذى عن ابن عباس : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل ، فقالوا : اسألوه عن الروح ، فسألوه فنزل ﴿ **يسألونك عن الروح** ﴾ [(٥)] الآية . فالخبران صحيحان بيد أن الأول له مرجح دون الثانى وذلك أنه من رواية البخارى وهى تقدم على رواية الترمذى وأن راويها ابن مسعود وقد شاهد الحادثة ، بخلاف ابن عباس فإنه لم يحضر القصة ، فلذا تقدم رواية البخارى وتذكر سببا لنزول الآية ، وتلغى رواية الترمذى ، وإما أن تكون كلتاهما صحيحة ولا مرجح لإحداهما على الأخرى ، ولكن يمكن الأخذ بهما معاً فيؤخذ بهما معا باعتبار تعدد الأسباب والنازل واحد مثاله قصة كل من عويمر العجلانى ، وهلال بن أمية إذ كلاهما شكا إلى رسول الله ﷺ ماذا يصنع لو

---

(١) الليل : ١٧ .
(٢) الضحى : ١ .
(٣) جريدة النخل كشط خوصها ، والجمع عسب .
(٤ ، ٥) الإسراء : ٨٥ .

وجد مع امرأته رجلا ؟ فنزلت آية اللعان فى ذلك ، والقصتان صحيحتان ولا مرجح ، والجمع بينهما ممكن وهو أن يكون الزمن الذى أتى فيه السائلان متقاربا جدا فنزل الحكم لهما معا .

وإما أن تكون كلتاهما صحيحة ولا مرجح والجمع غير ممكن لتباعد الزمان فالحكم هنا أن تقول بتكرار النزول لفائدة تعظيم الشيء ، نزل فيه القرآن مرتين ، أو للتذكير به عند حدوث سبب خوف نسيانه ، أو لأن حكم المسألة لا يختلف فتنزل الآية تعليماً بأن الحكم واحد ، وذلك كأن يسألك أحد عن حكم مسألة فتقرأ عليه الآية المتضمنة لحكمها ، ثم يسأل آخر عن نفس القضية فتقرأ عليه نفس الآية .

٢ ــ قد يتعدد النازل والسبب واحد ، وذلك لفائدة الإقناع ، وهداية الخلق وبيان الحق كما قال صاحب مناهل العرفان .

مثاله نزول آية آل عمران لما قالت أم سلمة : يا رسول الله لا أسمع ذكر النساء فى الهجرة بشيء فأنزل الله: ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** ﴾ (١) إلخ ، رواه الترمذى ، وروى الحاكم أنها قالت : يا رسول الله يذكر الرجال ولا تذكر النساء فأنزل الله تعالى : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ... ﴾ (٢) إلخ .

فقد تعددت الآيات النازلة فى هذا الشأن مع أن السبب واحد ، وهو سؤال أم المؤمنين عن عدم ذكر النساء مع الرجال فى الهجرة وغيرها من صالح الأعمال .

المسألة الرابعة ــ فى القراء والقراءات :

١ ــ القراء :

القراء جمع قارىء على وزن كاتب كتاب ، وهو أسم فاعل من قرأ يقرأ فهو قارىء ، والمراد به هنا إمام من أئمة القراءات السبع المشهورة والتى يقرأ بها المسلمون من تاريخ وجود أولئك القراء رحمهم الله تعالى إلى يومنا هذا ، وهم سبعة : نافع ، وعاصم ، وحمزة ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الله بن كثير ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعلى الكسائى .

وهناك أئمة آخرون دون هؤلاء ، وهم ثلاثة أبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف وبهم تكمل القراءات العشر ، ودون أولئك وهؤلاء أربعة قراء آخرون قراءاتهم شاذة ، الحسن البصرى ، وابن محيصن ، ويحيى اليزيدى ، والشنبوذى ، وبهم تكمل القراءات الأربع عشرة .

---

(١) آل عمران : ١٩٥ . (٢) الأحزاب : ٣٥ .

منها سبع متواترة مشهورة ، ودونها ثلاثة وهى متواترة فى الجملة غير أنها أقل من السبع فى المرتبة ، وأما الأربع الباقية فهى قراءات شاذة لا يقرأ بها ولا يعول عليها .

وهذه نبذة يسيرة من تاريخ أولئك الأئمة القراء رحمهم الله تعالى :

نافع : وهو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى ، أخذ القراءة عن أبى جعفر القارىء ، وعن سبعين من التابعين ممن أخذوا عن عبد الله ابن عباس ، وأبى هريرة عن أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالمدينة النبوية توفى ١٢٩ هجرية اشتهر بالرواية عنه قالون ، وورش .

فأما « قالون » فهو أبو موسى عيسى بن مينا النحوى ، لقب بقالون لجودة قراءاته ، لأن لفظ قالون معناه : الجيد فى أصل الوضع ، قرأ على نافع واختص به كثيرا توفى سنة ٢٢٠ هجرية . (١)

وأما « **ورش** » وهوعثمان بن سعيد المصرى يكنى أبا سعيد ، ولقب بورش لشدة بياضه ، لأن الورش فى اللغة لفظ يطلق على شىء يصنع من اللبن يضرب به المثل فى البياض ، رحل إلى المدينة فقرأ على نافع ، ثم رجع إلى مصر فانتهت إليه رئاسة الإقراء بها ، وكان حسن الصوت جيد القراءة توفى سنة ١٩٧هـ .

عاصم : هو أبو بكر عاصم بن أبى النجود الأسدى ، فقد كان قارئاً متقنا ذا فصاحة ، وحسن صوت بقراءة القرآن ، قرأ على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله ﷺ ، كما قرأ أيضا على أبى عبد الرحمن بن حبيب السلمى ، معلم الحسن والحسين رضى الله عنهما ، الذى قرأ على على بن أبى طالب الذى أخذ قراءته عن رسول الله ﷺ ، روى عنه شعبة وحفص بدون واسطة ، توفى بالعراق سنة ١٢٧ هـ .

أما « شعبة » وهو مشهور بابن عياش بن سالم الأسدى ويكنى أبا بكر توفى سنة ١٩٣هـ .

وأما « حفص » فهو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز ، كان ربيب عاصم

---

(١) قال فيه رواية الشاطبى رحمه الله تعالى :

فأما الكريم السر فى الطيب نافع ... فذاك الذى اختار المدينة منزلا
وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم ... بصحبته المجد الرفيع تأثلا

(٢) قال فيه وفى رواية الشاطبى :

وبالكوفة الغراء منهم ثلاثة ... أذاعوا فقد ضاعت شذى وقرنفلا
فأما أبو بكر وعاصم اسمه ... فشعبة راويه المبرز أفضلا
وذاك ابن عياش أبو بكر الرضا ... وحفص وبالإتقان كان مفضلا

تربى فى حجره وقرأ عليه ، فكان بذلك أدق من شعبة ، توفى سنة ١٨٠ هـ [٢] .

حمزة : هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفى ، قرأ على أبى محمد سليمان ابن مهران الأعمشى ، على يحيى بن وثاب ، على زر بن حبيش ، على عثمان وعلى ، وابن مسعود على رسول الله ﷺ ، كان ورعا عالما بكتاب الله تعالى مجوّدا له ، توفى بحلوان سنة ١٥٦ هـ روى عنه خلف وخلاد.

أما « خلف » فهو أبو محمد خلف بن هشام بن طالب بن البزار ، كان زاهداً عابداً توفى سنة ٢٢٩ هـ .

وأما « خلاد » فهو أبو عيسى خلاد بن خالد الأحول الصيرفى ، روى عن سليم بن عيسى ، عن حمزة كان أضبط أصحاب سليم وأجلهم عرفاناً وتحقيقاً ، توفى بالكوفة سنة ٢٢٠ هـ وفيه رواية يقول الشاطبى :

وحمزة ما أزكاه من متورع ... إماما صبوراً للقراءة مرتلا

روى خلف عنه وخلاد الذى ... رواه سليم متقناً ومحصلا

عبد اللّه : بن عامر اليحصبى نسبه إلى يحصب فخذ من حمير ، ويكنى أبا نعيم ، تابعى جليل لقى واثلة بن الأسقع ، والنعمان بن بشير رضى اللّه عنهما ، أخذ القراءة عن المغيرة بن أبى شهاب المخزومى ، عن عثمان بن عفان عن رسول اللّه ﷺ ، توفى بدمشق سنة ١١٨ هـ اشتهر بقراءته هشام وابن ذكوان ولكن بواسطة أصحابه .

أما « هشام » فقد أخذ عن عيراك بن خالد المزى ، عن يحيى بن الحارث الذمارى ، عن ابن عامر ، وكان هشام هذا قاضياً فقيهاً محدثاً ثقة ضابطاً توفى بدمشق سنة ٢٤٥ هـ .

وأما « ابن ذكوان » فهو أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشى الدمشقى أخذ القراءة عن أيوب بن تميم ، عن يحيى بن الحارث الذمارى عن ابن عامر ، قال عنه أبو زرعة : إنه الحافظ الدمشقى ، لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان فى زمن ابن ذكوان عندى أقرأ منه توفى سنة ٢٤٢ هـ .

عبد اللّه بن كثير : هو أبو محمد أو أبو معبد عبد اللّه بن كثير الدارى كان إمام الناس فى القراءة بمكة ، تحفه السكينة ويحوطه الوقار لقى من الصحابة عبد اللّه بن الزبير ، وأبا أيوب الأنصارى ، وأنس بن مالك ، روى عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبى بن كعب عن رسول اللّه ﷺ ، وقرأ على عبد اللّه بن السائب المخزومى ، وقرأ عبد اللّه هذا على أبى

ابن كعب ، وعمر بن الخطاب وكلاهما قرأ على رسول الله ﷺ توفى سنة ١٢٠ هـ وقد اشتهر بالقراءة عنه بواسطة أصحابه ـ البزى وقنبل .

أما البزى : فهو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن نافع بن أبى بزة ، كان إماما ضابطا ثقة انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة ، روى عن عكرمة بن سليمان ، عن شل بن عبادة وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير ، كان إمام المسجد الحرام ومقرئه ومؤذنه توفى سنة ٢٥٠ هـ .

وأما قنبل : فهو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد المخزومى المكى يكنى أبا عمرو ، ويلقب بقنبل لشدته ، إذ القنبل فى اللغة الغلام الحاد الرأس الخفيف الروح ، كان إماماً فى القراءة ضابطاً ثقة ، يؤمه الناس من أقطار الأرض ، أخذ القراءة عن أبى الحسن أحمد القواص ، عن وهب ، عن القسط بن شبل ، ومعروف كلاهما قرأ على ابن كثير توفى سنة ٢٩١ هجرية .

قال صاحب الشاطبية :

ومكة عبد اللّه فيها مقامه　　　هو ابن كثير كاثر القوم معتلاً

روى أحمد البزى له ومحمد　　　على سند وهو الملقب قنبلا

أبو عمرو زبان : بن العلاء بن عمار البصرى كان من أعلم الناس بالقراءة مع صدق وأمانة وثقة فى الدين ، روى عن مجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، عن أبى ابن كعب عن رسول الله ﷺ ، توفى سنة ١٥٤ هـ اشتهر بالقراءة عنه الدورى ، والسوسى ، ولكن بواسطة اليزيدى أبى محمد يحيى بن المبارك العدوى المتوفى سنة ٢٠٢ هجرية .

أما الدورى : فهو أبو عمر حفص بن عمر المقرى الضرير ، لقب بالدورى نسبة إلى الدور موضع من بغداد ، كان ثقة ضابطاً ، أول من جمع القراءات ، روى عن اليزيدى عن أبى عمرو توفى ٢٤٦ هجرية .

وأما السوسى : فهو أبو شعيب صالح بن زياد ، روى عن اليزيدى ، عن أبى عمرو ، وكان ثقة ضابطاً توفى سنة ٢٦١ هـ وفيه وفى صاحبيه يقول الشاطبى :

وأما الإمام المازنى صريحهم　　　أبو عمرو البصرى فوالده العلا

أفاض على يحيى اليزيدى بسيبه　　　فأصبح بالعذب الفرات معللا

أبو عمرو الدورى وصالحهم أبو　　　شعيب هو السوسى عنه تقبلا

الكسائى : وهو أبو الحسن على بن حمزة النحوى ، لقب بالكسائى لأنه كان فى

الإحرام لا بسأً كساء ، قال أبو بكر الأنبارى : اجتمعت فى الكسائى أمور كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم بالغريب ، وكان أوحد الناس بالقرآن توفى سنة ١٨٩ هجرية اشتهر بالرواية عنه أبو الحارث والدورى .

أما « أبو الحارث » فهو الليث بن خالد المروزى ، كان من أجلاء أصحاب الكسائى ثقة وضبطاً توفى سنة ٢٤٢ هـ وأما « الدورى البغدادى » فقد تقدم وفى الكسائى وفى رواية يقول الشاطبى :

وأما على فالكسائى نعته لما كان فى الإحرام فيه تسربلا

روى ليثهم عنه أبو الحارث الرضا وحفص هو الدورى وفى الذكر قد خلا

وبعد هؤلاء الأئمة السبعة يأتى الثلاثة المتممون للعشرة وهم :

١ ـ **أبو جعفر** : وهو يزيد بن القعقاع القارى نسبة إلى موضع بالمدينة يسمى قارا أخذ عن عبد الله بن عباس ، وأبى هريرة ، عن أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ توفى سنة ١٣٠ هجرية ، اشتهر بالرواية عنه أبو موسى عيسى بن وردان الحذاء ، وأبو الربيع سليمان بن مسلم ابن جماز .

٢ ـ **يعقوب** : هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمى ، قرأ على أبى المنذر سلام بن سليمان الطويل ، وقرأ سلام على عاصم ، وعلى أبى عمرو توفى سنة ٢٠٥ هـ .

٣ ـ **خلف** : هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف قرأ على سليم غن حمزة كما قرأ عن ثلاثة قراء قرأوا عن عاصم توفى سنة ٢٢٩ هجرية .

وبعد هؤلاء يأتى الأربعة قراء والذين تعتبر قراءاتهم شاذة على الصحيح وهم :

١ ـ **الحسن البصرى** : وهو الحسن بن أبى الحسن يسار أبو سعيد البصرى كان سيداً من سادات التابعين تقوى وورعاً وزهداً توفى سنة ١١٠ هجرية .

٢ ـ **ابن محيص** : وهو محمد بن عبد الرحمن السهمى المكى مقرىء أهل مكة مع ابن كثير توفى سنة ١٢٣ هجرية .

٣ ـ **يحيى اليزيدى** : هو يحيى بن المبارك بن المغيرة الإمام أبو محمد العدوى البصرى المعروف باليزيدى توفى سنة ٢٠٢ هجرية .

٤ ـ **الشبوذى** : هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن العباس بن ميمون أبو الفرج

الشبوذى الشطوى البغدادى توفى سنة ٣٨٨ هـ .

(تنبيه) :

مما ينبغى التنبيه عليه هو أن القراء المذكورين من أصحاب القراءات ـ الأربع عشرة قد سبقوا بقراء من الصحابة والتابعين ممن هم أكثر حفظاً وعلماً وثقة وضبطاً ، وإنما اشتهر هؤلاء الأئمة لتفرغهم لكتاب اللّه تعالى وعنايتهم بحفظه وضبطه وتجويده ، حتى أصبحوا فيه أئمة يرحل إليهم ويأتيهم الناس من أقطار الأرض للأخذ عنهم ، لما عرفوا به من الثقة والإتقان فى الحفظ والضبط ، فاجتمعت الأمة على قراءتهم ورواياتهم وأصبحت قراءات من عداهم شاذة لا يؤخذ بها ولا تقبل من أصحابها ، فكان حالهم أشبه بحال أئمة الفقه من الأئمة الأربعة رحمهم اللّه تعالى ، فكما حفظ اللّه تعالى لأمة الإسلام دينها بالفقهاء حفظ لها كتابها بهؤلاء القراء ، وذلك تدبير اللّه لعباده المؤمنين وفضله عليهم فللّه الحمد والمنة .

ولنذكر على سبيل المثال القراء الحفاظ الأوائل وهم طبقتان :

١ ـ **طبقة الصحابة** : وعلى رأسهم عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد اللّه بن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعرى ، وكل الذين أرسلهم عثمان بالمصحف الإمام إلى سائر الأقطار الإسلامية لينشروه ويعلموه حتى تجتمع الأمة عليه ، وكذلك كان والحمد للّه رب العالمين .

٢ ـ **طبقة التابعين** : وهم كسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبد اللّه بن عمر ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن يسار وأخوه عطاء بن يسار ، وزيد بن أسلم ، ومسلم بن جندب ، وابن شهاب الزهرى ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ومعاذ بن الحارث ، وكل هؤلاء بالمدينة المنورة ، وعطاء بن أبى رباح ، وطاوس ، وعكرمة ، وابن أبى مليكه ، وعبيد بن عمير ، وغيرهم وهؤلاء كانوا بمكة المكرمة .

وعامر بن عبد القيس ، وأبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وجابر بن زيد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وغيرهم وهؤلاء كانوا بالبصرة .

وعمر بن شرحبيل ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمى ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن نضلة ، وأبو زرعة بن عمرو ، وسعيد بن جبير ، والنخعى ، والشعبى ، وهؤلاء كانوا بالكوفة .

والمغيرة بن أبى شهاب المخزومى صاحب مصحف عثمان ، وخليد بن سعيد صاحب أبى الدرداء ، وغيرهما وهؤلاء كانوا بالشام .

٢ ـ القراءات :

القراءات : جمع قراءة ، والقراءة مصدر قرأ يقرأ قرآنا وقراءة فهو قارىء والكتاب مقروء ، وهى فى الاصطلاح : علم بكيفيات أداء كلمات القرآن التى تختلف أحياناً بين رواية وأخرى ، وعزو كل صيغة لمن قرأ بها من أئمة القراءات .

والمقرىء : العالم بالقراءات التى رواها مشافهة عن مقرىء آخر ممن رووها بالتسلسل مقرئاً عن مقرىء إلى النبى ﷺ ، وهو يقرئها ويعلمها .

والقارىء : من شرع فى الإفراد إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات .

نشأة علم القراءات :

إن نشاة علم القراءات كانت يوم قال الرسول ﷺ : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » رواه البخارى ، فمن ثم أخذ الصحابة يتلقون القراءات فكان منهم من يقرأ بحرف واحد ، ومنهم من يقرأ بحرفين ، ومنهم من يقرأ بأكثر ، وعنهم رضى اللّه تعالى عنهم أخذ التابعون القراءات ، وأخذها عنهم تابعوهم ، وعنهم أخذها من بعدهم فامتدت سلسلة القراءات ، متواترة إلى يومنا هذا ، إذ قراءة القرآن الكريم لا تتم لأحد إلا من طريق التلقى المشافه والسماع المباشر ، لا يكفى فيها الكتابة ومجرد القراءة من الكتاب .

وبالتواتر والقراءة المشافهة والتعليم المباشر تلقى أئمة القراءات كتاب اللّه تعالى بحروفه السبعة التى نزل بها ، فأتقنوه حفظاً وضبطاً وورثوه القراء من بعدهم بأوجهه التى نزل عليها وهى سبعة ، كما جاء ذلك فى صحيح الأحاديث ومنها ما أخرجه البخارى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما إذ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف » قال ابن شهاب الزهرى بلغنى أن ذلك فى الأمر يكون واحداً لا يختلف فى حلال ولا حرام كما روى الشيخان أيضاً أن عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول اللّه ﷺ فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللّه ﷺ فكدت أساوره ـ أو أثبه ـ فى الصلاة ، فانتظرته حتى سلم ، ثم لببته بردائه ، فقلت من

أقرأك هذه السورة ؟ قال : أقرأنيها رسول اللّه ﷺ ، فقلت له : كذبت ، فواللّه إن رسول اللّه أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها ، فانطلقت أقوده إلى رسول اللّه ﷺ ، وقلت : يا رسول اللّه إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأتني سورة الفرقان ، فقال رسول اللّه ﷺ : أرسله يا عمر ، اقرأ يا هشام ، فقرأ هذه قراءة التي سمعت يقرأها ، قال رسول اللّه ﷺ : هكذا أنزلت ، ثم قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » .

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف :

إن الحكم التي نزل القرآن على سبعة أحرف لأجلها كثيرة نشير إلى بعض منها فنقول :

١ ـ التخفيف على الأمة المسلمة والتيسير والتسهيل عليها ، فإن لهجات العرب المختلفة كان يصعب معها قراءة القرآن على لهجة واحدة لا تختلف ، والأمة أمية في بداية أمرها بعيدة عن العلم والتعلم ، فرحمة بها أنزل اللّه تعالى كتابه القرآن الكريم على سبعة أحرف ، فيقرأ كل قبلي بما يسهل عليه ويتيسر له من تلك الحروف السبعة ، وهي عبارة عن أوجه القراءات يشهد لهذا الذي قلناه رواية الترمذي وهي رواية صحيحة لا مطعن فيها ، وفيها يقول رسول اللّه ﷺ : « قلت يا جبريل : إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » . وقد تقدم في رواية الشيخين ـ أن النبي ﷺ كان يطلب من اللّه تعالى الزيادة من أوجه القراءات واللّه يزيده حتى نزل القرآن على سبعة أحرف وانتهت الزيادة إليها ، وهي كافية شافية والحمد للّه .

٢ ـ جمع الكلمة القرآنية الواحدة بين حكمين شرعيين يحتاج كل منهما إلى جملة من الكلام مستقلة لتدل عليه ولكن بفضل قراءة الكلمة الواحدة على وجهين كانت تدل لكل وجه من القراءتين على حكم خاص ، مثال ذلك آية المائدة : ﴿ **وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين** ﴾ (١) ، فقد قرئت كلمة ﴿ **وأرجلكم** ﴾ بقرائتين النصب والجر ، فدلت قراءة النصب على وجوب غسل الرجلين في الوضوء ، ودلت قراءة الجر على جواز المسح على الخفين على الشروط التي بينتها السنة في ذلك ، ومثال آخر آية البقرة ﴿ **حتى يطهرن** ﴾ (٢) . فقد قرئت بقراءتين التخفيف

---

(١) المائدة : ٦ . (٢) البقرة : ٢٢٢ .

والتشديد ، فأفادت كل قراءة حكماً خاصاً ، فقراءة التخفيف أفادت أن الحائض إذا انقطع دم حيضها حل وطؤها لزوجها ، وأفادت قراءة التشديد أن على الحائض الغسل متى انقطع دم حيضها ، وأن الزوج لا يغشاها إلا بعد اغتسالها من حيضها .

٣ ـ بيان الحكم المبهم فى الآية بواسطة حروف من الأحرف التى قرئت بها الآية مثال ذلك آية النساء ﴿ **وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة ، وله أخ أو أخت فلكل منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث** ﴾ (١) الآية ، فإن الأخوة هنا لم يدر هل هم لأم ، أو لأب أو أشقاء ، ولكن قراءة : وله أخ أو أخت لأم ، بزيادة كلمة لأم بينت أن المراد من الأخوة هنا وهو أنهم لأم ، لا لأب ، ولا أشقاء لأم وأب .

ومثال آخر : آية المائدة وهى قوله تعالى فى بيان كفارة اليمين : ﴿ **فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم أو تحرير رقبة** ﴾ (٢) ، فإن قراءة أو تحرير رقبة مؤمنة دلتا على اشتراط الإيمان فى الرقبة ، ولولا هذه القراءة لكان الأمر مبهماً عندنا ولم نعرف ما إذا كان الإيمان مشروطاً فى الرقبة أو غير مشروط ، ولكن بفضل وجهى القراءة فى الآية زال ـ الإبهام ـ وعرفنا اشتراط الإيمان فى الرقبة المطلوبة فى الكفارة ولم نلجأ إلى الاجتهاد فى بيان الحكم .

٤ ـ دفع توهم معنى غير مراد من الآية ومثاله قراءة فامضوا إلى ذكر الله من سورة الجمعة فإن قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع** ﴾ (٣) الآية قرىء بوجهين بلفظ ﴿ **فاسعوا** ﴾ ، وبلفظ ﴿ **فامضوا** ﴾ ، فلولا قراءة فامضوا لتوهمنا أن المطلوب منا هو السرعة فى المشى إلى صلاة الجمعة فى حين أن المطلوب هو المشى بسكينة ووقار ، ولكن بقراءة فامضوا اندفع ذلك التوهم غير المراد من الآية ولهذا كان تنوع القراءات قائماً مقام تعدد الآيات .

مسألة ـ فى بيان المراد من السبعة أحرف :

إن الأنظار قد اختلفت فى بيان معنى كون القرآن قد أنزل على سبعة أحرف ، وأن الآراء والأقوال فى هذه المسألة قد تعددت وتشعبت حتى ذهب بعضهم إلى أن هذا لشبيه بالمتشابه الذى يؤمن به ، ولا يسأل عنه ، ولما لم يكن هناك داع إلى سرد الآراء التى أبديت

---

(١) النساء : ١٢ . (٢) المائدة : ٨٩ . (٣) الجمعة : ٩ .

فى هذه المسألة فإنا نكتفى بذكر الرأى الذى رجحه أكثر المحققين ، وهو حقيقة رأى تطمئن النفس إلى صحته وصوابه ، ويحسن القول به والتمسك بمثله وهو أنه اختلاف النطق ببعض الكلمات القرآنية وتعدد أوجه ذلك فيها تخفيفاً على الأمة وتسهيلاً عليها فبأى وجه قرأ المرء أجزأه ذلك ، كما هو زيادة بعض الحروف أو المفردات فى بعض الجمل والتراكيب ، أو نقص ذلك لحكمة من الحكم ، وقد سبقت الإشارة إلى ذكر بعضها ، وهذا بيان ذلك الاختلاف فى النطق ببعض الكلمات أو فى زيادة بعض الحروف والمفردات من بعض التراكيب أو نقصها ، وهى كلها أوجه وقراءات صحيحة .

١ ـ اختلاف فى وجوه الإعراب فى مثل ﴿ **ذو العرش المجيد** ﴾ [١] برفع المجيد على أنه خبر أى وصف للّه تعالى ، وبجره على أنه وصف للعرش ، وكلا الإعرابيين صحيح ، والمعنى عليها صحيح ، ومثل هذا كثير فى كتاب اللّه وهو حرف من الأحرف السبعة لما فيه من التيسير والتسهيل .

٢ ـ اختلاف فى تصريف الأفعال وصيغها نحو ﴿ **ربنا باعد بين أسفارنا** ﴾ [٢] وبعد من سورة سبأ فهما وجهان قرىء بهما هذا الفعل ، وهما صحيحان قراءة ومعنى ، ونحو ﴿ **يعكفون** ﴾ بضم الكاف الذى هو عين الفعل وكسرها ، ونحو ﴿ **تذكرون** ﴾ ، ﴿ **وتتذكرون** ﴾ ، ﴿ **ويعلمون** ﴾ ، ﴿ **وتعلمون** ﴾ فكل هذه أوجه وهى من الحروف السبعة التى نزل بها القرآن تيسيراً وتسهيلاً .

٣ ـ اختلاف فى الأسماء بالإفراد والجمع نحو ﴿ **وتمت كلمات ربك** ﴾ بالجمع ﴿ **وكلمة** ﴾ [٣] بالإفراد ، ونحو ﴿ **ومعصية الرسول** ﴾ [٤] بالإفراد (ومعصيات) بالجمع ، ونحو ﴿ **والذين هم لأمانتهم** ﴾ بالإفراد ﴿ **ولأماناتهم** ﴾ [٥] بالجمع ، ونحو هذا كثير فى القرآن العظيم .

٤ ـ اختلاف بالتقديم والتأخير نحو ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق** ﴾ [٦] ، فقد قرىء وجاءت سكرة الحق بالموت ، بتقديم لفظ الحق على لفظ الموت ، كما قرىء ﴿ **إذا جاء نصر اللّه والفتح** ﴾ [٧] بتقديم لفظ الفتح على النصر ، وهكذا « إذا جاء فتح اللّه والنصر » غير أن هذا التقديم والتأخير لم يثبت فى المصحف الإمام لأن رسمه لم

---

(١) البروج : ١٥ . (٢) سبأ : ١٩ .
(٣) الأنعام : ١١٥ . الأعراف : ١٣٧ . هود : ١١٩ . (٤) المجادلة : ٨ ، ٩ .
(٥) المؤمنون : ٨ . المعارج : ٣٢ . (٦) ق : ١٩ .
(٧) النصر : ١ .

يتحمله ، بخلاف الاختلافات الأخرى فإن الرسم يتحمله فلفظ « كلمة » التى قرئت بالإفراد والجمع قد تكتب التاء فيها مفتوحة فتكون إشارة إلى قراءة الجمع ، ولفظ ﴿ **مالك** ﴾ من سورة الفاتحة قد قرىء مالك بإشباع الميم ، وملك بدونه ، غير أنه ترسم فتحة الميم قائمة إشارة بها إلى قراءة مالك بالإشباع ، وهكذا فى كل ما يوافق المصحف الإمام ، أمَّا ما يخالفه فلا يثبت قراءة متواترة بعد كتابة المصحف العثمانى .

٥ ـ اختلاف بالنقص والزيادة نحو قوله تعالى من سورة الحديد ﴿ **ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد** ﴾ (١) فقد قرىء فإن الله الغنى الحميد بدون الضمير ﴿ **هو** ﴾ ونحو ﴿ **تجرى من تحتها الأنهار** ﴾ (٢) من سورة التوبة فقد قرىء تجرى تحتها بإسقاط لفظ (من) وهذا الاختلاف بالنقص والزيادة ثابت فى عدة آيات من القرآن الكريم .

٦ ـ اختلاف بالإبدال أى إبدال حرف بدل آخر نحو ننشرها وننشزها قرىء بالراء والزاى ونحو وطلع منضود وطلع منضرد و ﴿ **كالعهن المنفوش** ﴾ (٣) وكالصوف المنفوش بإبدال كلمة بدل أخرى .

٧ ـ اختلاف اللهجات كالترقيق والتفخيم ، والإدغام وعدمه ، والإظهار والإخفاء والإمالة وعدمها فى شتى الكلمات القرآنية مما هو موافق للهجات القبائل القرشية التى نزل القرآن بلسانها .

فهذه الاختلافات الثابتة فى المصاحف العثمانية وكلها قراءات جائزة صحيحة تمثل الأحرف السبعة التى أنزل القرآن عليها تيسيراً وتسهيلاً ، وإن لم تكن كلها فإنها بعضها إذ المصحف الإمام كتب على آخر عرضة عرضها جبريل للقرآن على النبى ﷺ ، فمن الجائز أن تكون بعض الأحرف أى الوجوه التى قرىء بها أولاً ، قد استغنى عنها أخيراً فلم يكتب فى المصحف العثمانى .

أما أن يقال : إن المصحف العثمانى لم يكتب إلا على حرف واحد من الأحرف السبعة كما هو رأى ابن جرير الطبرى فهذا غير معقول مع وجود هذه الأوجه المختلفة من القراءات المتواترة ، نعم إن القراءات السبع ليس معناها أنها الأحرف السبعة . وأقرب دليل على بطلان هذا القول : إن القراءات عشر بل أربع عشرة قراءة .

---

(١) الحديد : ٢٤ . (٢) التوبة : ٧٢ . (٣) القارعة : ٥ .

وإنما القول الصحيح هو أن الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن موجودة فى القراءات المتواترة والشاذة مفرقة فيها وإن لم تكن كلها فجلها كما سبق أن ذكرنا . والله أعلم .

المسألة الخامسة ـ فى التفسير والتفاسير والمفسرين وطبقاتهم ـ

١ ـ التفسير :

إن التفسير وإن كان جزءاً من علوم القرآن وهى علوم مختلفة متعددة فإنه هو المقصود بالذات من معظمها ، لأن التفسير هو شرح كلام الله تعالى ليفهم المراد منه ، وهذا الشرح يتوقف على وسائط شتى لا يتم الشرح الكامل المبين للمراد من كلام الله تعالى إلا بها ، وتلك الوسائط من بينها علوم القرآن كمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه والمجمل والمبين ، والمطلق والمقيد ، والعام والخاص ، وما إلى ذلك .

ومن غير علوم القرآن مما يتوقف التفسير عليه هو علوم اللغة والصرف والنحو والبلاغة بفنونها الثلاثة ، فهذه كلها وسائط وآلات يتوقف عليها تفسير كلام الله تعالى .

معنى التفسير :

التفسير لغة : التوضيح والبيان مأخود من فسر الشىء يفسره تفسيرا إذا أبانه أو كشف عنه الغطاء فأبانه .

والتفسير بالمعنى الاسمى لا المصدرى أو هو فى الاصطلاح قد اختلف العلماء فى وضع حد له .

فقال الزركشى فى البرهان : التفسير هو : علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على محمد ﷺ وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه .

ويذكر مادة استمداده فيقول : واستمداده من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات .

ويذكر ما يساعد على تحقيقه والإصابة فيه فيقول : ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ .

وقال أبو حيان : صاحب البحر المحيط فى تعريفه : علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب ، وتتمات ذلك .

فأراد بقوله : كيفية النطق بألفاظ القرآن : علم القراءات ، وبقوله : ومدلولاتها : علم اللغة ، وبقـوله : الإفرادية والتركيبية : ما يشمل علم النحـو والصرف والبيان والبديع ، وبقوله : ومعانيها التى تحمل عليها ما يشمل الحقيقة والمجاز ، وبقوله : وتتمات ذلك ما هو كمعرفة الناسخ وأسباب النزول .

وقال بعضهم فى تعريفه : إنه علم يبحث فيه عن أحوال القرآن من حيث دلالته على مراد اللّه تعالى بقدر الطاقة البشرية .

هذه تعريفات ثلاثة نضيف إليها تعريفين لنا فنقول :

إذا كان معنى التفسير فى اللغة التوضيح والتبيين ، فالتفسير للقرآن الكريم هو شرح مفرداته ، وبيان معانيها مفردة ومركبة ليفهمها المؤمنون فتنفعهم فى تكميل إيمانهم وزيادة معارفهم وتحقيق هداهم وتقواهم .

أو هو : علم يبحث فى الكلام الإلهى مفرداً ومركباً لإظهار مراد اللّه تعالى منه فى حدود ما يوفق إليه المفسرون ، من أجل أن يعبد اللّه تعالى فيسعد بذلك العابدون له سبحانه وتعالى .

التأويل والتفسير :

هل التأويل هو التفسير أم بينهما فرق كبير ؟

إن التأويل مصدر أول الشىء يؤوله تأويلاً إذا قدره وفسره .

وفعله المجرد آل يؤول أولاً ومآلا إذا رجع ، وعليه فأول الكلام فسره بما يرجع إليه ويحتمله من المعانى .

ومن هنا يكون التأويل بمعنى التفسير فيرادفه ، وعلى هذا درج ابن جرير فى تفسيره إذ يقول : القول فى تأويل قوله تعالى كذا كذا ...... كما أثر عن مجاهد قوله : إن العلماء يعلمون تأويله أى ما يرجع إليه معنى اللفظ من المعانى المحتملة له .

ويكون بمعنى العاقبة كما فى قوله تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى اللّه والرسول إن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ (١) أى عاقبة .

فيفارق التفسير الذى هو شرح اللفظ وبيان معناه .

---

(١) النساء : ٥٩ .

ولهذا قيل : التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية ، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية ، وذلك إن التفسير معناه : الكشف والبيان ، والكشف عن مراد اللّه تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن رسول اللّه ﷺ ، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحى وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالطوا الرسول ﷺ ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معانى القرآن الكريم .

وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل ، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها فى لغة العرب ، واستعمالها ، بحسب السياق ، ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعانى من كل ذلك .

التأويل بالمعنى الاصطلاحى :

وهناك معنى اصطلاحى للفظ التأويل عند كل من الأصوليين والمتكلمين وهو : صرف اللفظ عن ظاهره لمقتضى ، فإن كان المقتضى صحيحاً كان التأويل مقبولاً ، وإن كان المقتضى فاسداً كان التأويل باطلاً غير مقبول ، والمراد من المقتضى هو الدليل الصارف لمعنى اللفظ الراجح إلى المعنى المرجوح .

التأويل عند شيخ الإسلام ابن تيمية :

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن التأويل بمعنى التفسير هو دلالة الكلام نفسها فما كان من الكلام طلبيا فتأويله نفس الفعل المطلوب وما كان خبرياً فتأويله هو نفس الشيء المخبر به .

آراء فى معنى التأويل :

وأخيراً نختم هذا التحقيق بعرض آراء العلماء فى معنى كل من التفسير والتأويل :

قال أبو عبيدة : التفسير والتأويل بمعنى واحد .

وقال الراغب : التفسير أعم من التأويل ، وأكثر ما يستعمل التفسير فى الألفاظ والتأويل فى المعانى .

وقال البغوى : التأويل صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة .

وقال الماوردى : التفسير القطع بأن المراد من اللفظ كذا ، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع على أن المعنى هو كذا ...

حكم تعلم التفسير

إن الحكم الشرعى فى تعلم تفسير كتاب اللّه تعالى هو الفرض الكفائى الذى لا يسقط إلا بوجود من يقوم به بين المسلمين ، فيتعين على الجماعات المسلمة أن يكون فيها من يعرف ما خاطبها به ربها تبارك وتعالى فى كتابه الكريم من أمور شرعه ووعده ووعيده ، وهذا أمر لا خلاف فيه بين أهل العلم ، إذ شأنه شأن كل العلوم والمعارف التى يتوقف عليها حفظ الأمة وبقاء قوتها وكمالها وسعادتها فى الحياتين ، فإنها فروض كفاية إذا وجد فى الأمة من يحسنها ويعلمها يسقط الواجب عن باقى الأمة .

هذا حكم تعلم تفسير كتاب اللّه تعالى ككل ، أما تفسيره كأجزاء فإن منه ما لا يسع الفرد المؤمن جهله بحال ، كمعرفته تعالى بأسمائه وصفاته ومعرفة توحيده فى عبادته كمعرفة ما أحل اللّه وما حرم من المناكح والمطاعم والمشارب ، وما فرض من العبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، إذ مثل ذلك معرفته متعينة على كل مسلم ومسلمة ويشهد له ما روى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما فى قوله : التفسير أربعة : حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تفسره العرب بألسنتها ، وتفسير تفسره العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا اللّه .

فقوله : رضى اللّه عنه : حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته هو عين ما ذكرناه آنفا من أن بعضاً من تفسير كتاب اللّه لا يسع المؤمن جهله بحال من الأحوال ، لأنه من الفروض العينية التى لا يعذر المؤمن بتركها .

فضل علم التفسير :

إن أشرف العلوم على الإطلاق علم الشرائع الإلهية ، وذلك لما جاءت به من النور والهدى ، والإنسان فى حاجة ماسة فى حياته الدنيا إلى النور يهتدى به ، وإلى هدى يعيش عليه طوال حياته حتى يكمل فى دنياه ويسعد فيها وفى أخراه .

والقرآن الكريم قد حوى من الشرائع الإلهية ما يضمن للمتمسك بها الهداية فى الدنيا والفوز فى الآخرة ، قال ابن عباس رضى اللّه عنه : ضمن اللّه تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ، وتلا قوله تعالى : ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ (١)

---

(١) طه : ١٢٣ .

وبما أن العمل بما فى القرآن يتوقف على معرفة ما جاء فيه من عقائد وشرائع وأحكام وآداب ، وهذه المعرفة تتوقف على فهم الكتاب وتفسيره تفسيراً تنكشف به حقائقه ، وتتجلى فيه معانيه ، وتظهر أحكامه وتبين شرائعه فيسهل العمل بما فيه ، فإن طلب تفسير كتاب اللّه تعالى من أشرف المطالب ، وأسمى الرغائب ، وإن الجد فى ذلك والاجتهاد لمن أفضل القرب ، وأزكى الأعمال ، ولذلك بذل رجال فى حفظ القرآن ومعرفة تفسيره من الأوقات والجهود والطاقات ما لم يبذله غيرهم فيما سواه ، فابن عمر رضى اللّه عنه قضى نحوا من ثمان سنوات فى حفظ سورة البقرة ، وابن مسعود قال : والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب اللّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب اللّه منى تناله المطايا لأتيته . ومجاهد بن جبر رحمه اللّه قال : عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره أوقفه عند كل آية منه ، يريد يسأله عن معناها وما فيها من هدى .

وما تفاضل العلماء فى شىء تفاضلهم فى فهم كتاب اللّه تعالى ومعرفة حقائقه واكتشاف أسراره ، قال على رضى اللّه عنه لما سئل عما خصهم به رسول اللّه ﷺ من معارف دون غيرهم : إلا ما فى الصحيفة وكان فيها حكم حرم المدينة النبوية ، وحكم العقل فى الديات ، أو فهما يؤتاه الرجل فى كتاب اللّه ، فقوله رضى اللّه عنه أو فهما يؤتاه الرجل فى كتاب اللّه تعالى دال على ما لتفسير كتاب اللّه تعالى وفهمه من فضل عظيم ، وشرف لأهله كبير ، ومن هنا كان طلب فهم كتاب اللّه تعالى بتفسيره ومعرفة ما فيه من الهدى والنور من أفضل القرب وأحسن العبادات ، وكان أهله التالون له ، والعالمون به العاملون بما فيه أهل اللّه وخاصته جعلنا اللّه تعالى منهم وحشرنا فى زمرتهم وأحل علينا معهم رضوانه إنه رحيم ودود .

تفاوت الصحابة ومن بعدهم فى فهم كتاب اللّه تعالى

إن القرآن الكريم وإن كان قد نزل بلسان عربى مبين ، وكان الصحابة رضوان اللّه عليهم هم أهل ذلك اللسان المتفوقين فيه بل المختصين به فصاحة وبيانا ، فإنهم رضوان اللّه تعالى عليهم كانوا متفاوتين فى فهم كتاب اللّه تعالى متفاضلين فيه غاية التفاضل ، وإذا كان هذا حال أصحاب رسول اللّه ﷺ وهم الذين عاصروا التنزيل ، وسمعوا من رسول اللّه ﷺ تفسيره ، وعلموا منه بيانه فكيف بمن أتى بعدهم فإنهم كانوا ولا شك أكثر تفاضلاً فى فهم كتاب اللّه تعالى ومعرفة معانيه ، وسنجلى هذه الحقيقة أكثر عند الحديث عن طبقات

المفسرين إن شاء الله تعالى رب العالمين ومن أمثلة تفاوت الأصحاب رضى الله عنهم فى معرفة معانى كلام الله تعالى وشواهده ما يلى :

١ ـ لما نزل قول الله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهو مهتدون** ﴾ (١) تحرج الصحابة وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ هلكنا إذا ؟ وأشكل عليهم معنى الآية حتى بين لهم رسول الله ﷺ المراد منها ، وهو أن الظلم فيها الشرك لا مجرد ظلم النفس بارتكاب منهى أو ترك بعض الواجب ، وقال لهم ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح لقمان عليه السلام : ﴿ **يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ (٢) .

٢ ـ لما نزل قوله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ (٣) أخذ عدى بن حاتم عقالين أسود وأبيض وجعل يستيقظ من نومه ينظر فيهما ، ولم يستبن له الفجر بهما فأخبر الرسول ﷺ فبين له المراد منها ، وإنما الفجر الكاذب وما يأتى بعده من ظلام لا يلبث إلا قليلاً حتى ينبلج الفجر الصادق .

٣ ـ قرأ عمر رضى الله عنه على المنبر : ﴿ **وفاكهة وأبا** ﴾ (٤) ، ثم قال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فلامها قائلاً : إن هذا لهو التكلف يا عمر . كما روى عن أبى بكر مثل هذا حتى قال : فأى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا أنا قلت فى كتاب الله برأى ؟ .

٤ ـ أشكل على عائشة رضى الله عنها قول الله تعالى : ﴿ **فسوف يحاسب حساباً يسيرا** ﴾ (٥) ، بعد أن سمعت الرسول ﷺ قال : « من نوقش الحساب عذب » فسألت الرسول ﷺ فأعلمها قائلاً : « إنما ذلك العرض » أما من نوقش الحساب عذب لا محالة .

والمقصود من هذا أن يعلم أن تفسير كلام الله تعالى والقول فيه والبحث عن مراد الله تعالى منه أمر عظيم ، فعلى كل من رام ذلك وقصد إليه أن يعد له عدته ويحضر له أسبابه من علم بلغة العرب يشمل مفرداتها وتراكيبها ، وآدابها ، وأساليبها ، وحقائقها ، ومجازاتها ، ومن علم بالشريعة الإسلامية عقائدها ، وأحكامها ، وعبادتها ، وعلم بالسنة رواية ودراية ،

---

(١) الأنعام : ٨٢ . (٢) لقمان : ١٣ . (٣) البقرة : ١٨٧ .
(٤) عبس : ٣١ . (٥) الانشقاق : ٨ .

ومن معرفة أقوال العلماء وأرائهم ومواهبهم ومذهبهم إلى غير ذلك ، مضافاً إليه ما لا يقل عنه أهمية وهو تقوى اللّه تعالى ، وصدق فى طاعته ، مع صحة القصد فيما يقول حتى يلقى بذلك التسديد من اللّه تعالى والعون له على ما يروم ، كما قال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن اللّه لمع المحسنين** ﴾ (١) .

مصادر التفسير :

إن للتفسير مصادر يؤخذ منها أهمها أربعة هى :

أ ـ القرآن الكريم :

فيفسر القرآن بالقرآن وهذا أصح مصادره وأقلها عناء وأيسرها طلباً ، فالمفسر ينظر فى القرآن فيجمع ما تكرر منه فى موضوع واحد ، ويقابل الآيات بعضها ببعض فيجد ما أجمل فى موضع قد بين فى موضع آخر ، وما أطلق فى مكان قد قيد فى مكان آخر ، فيفسر المجمل بالمبين ، ويحمل المطلق على المقيد إن وجد المصير لذلك ، ويفيد العام بالخاص ، وهذه بعض الأمثلة لذلك .

١ ـ الإجمال : إن للإجمال فى القرآن أسباباً منها : الاشتراك فى الاسم ، ومثاله لفظ « العتيق » فإنه مشترك بين القديم ، والمعتق من الجبابرة والكريم غير أن هذا المجمل فى قوله تعالى : ﴿ **وليطوفوا بالبيت العتيق** ﴾ (٢) قد بين بقوله تعالى : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً** ﴾ (٣) فبان أن المراد بالعتيق القديم .

أو الاشتراك فى الفعل كلفظ « عسعس » فإنه فعل مشترك بين أقبل وأدبر غير أن قوله تعالى من سورة المدثر : ﴿ **والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر** ﴾ (٤) بين المراد من عسعس وأنه أدبر ، وليس أقبل .

أو الاشتراك فى الحرف كقوله تعالى : ﴿ **ختم اللّه على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة** ﴾ (٥) فإن الواو حرف مشترك بين أن تكون للعطف أو ـ الاستئناف غير أن آية الجاثية بينت أنها هنا للاستئناف إذ قال تعالى : ﴿ **وجعل على بصره غشاوة** ﴾ (٦) . وهى جملة مستأنفة فدلت على أن الواو فى آية البقرة للاستئناف لا للعطف على ما قبلها .

---

(١) العنكبوت : ٦٩ .　(٢) الحج : ٢٩ .　(٣) آل عمران : ٩٦ .
(٤) المدثر : ٣٣ ، ٣٤ .　(٥) البقرة : ٧ .　(٦) الجاثية : ٢٣ .

ومنها الإبهام فى اسم جنس نحو ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات** ﴾ [(١)] فلفظ كلمات مبهم وهو اسم جنس مجموع فبين هذا الإبهام قوله تعالى من سورة الأعراف : ﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ [(٢)] .

٢ ـ **فى حمل المطلق على المقيد** : وذلك كاشتراط العدالة فى شهود البيع ، حيث قيد الشهود بالعدالة فى الرجعة والوصية ولم يقيدوا فى البيع ، فوجب حمل هذا المطلق على ذلك المقيد لوجود المقتضى وهو الحاجة إلى المحافظة على حقوق الأفراد .

وكاشتراط الإيمان فى الرقبة حيث أطلقت فى رقبة الظهار ، وقيدت فى رقبة القتل ، فتعين حمل المطلق على المقيد لوجود المقتضى وهو كرامة المؤمن وفضله على الكافر .

٣ ـ **تقييد العام بالخاص** : وذلك كتقييد عموم قوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم** ﴾ [(٣)] ، الآية بحالة المضطر فى مخمصة ، وكتقييد تحريم الدم المسفوح حيث أطلق تحريم الدم فى عدة آيات وقيد بوصف المسفوح فى آية الأنعام وسيأتى تفصيل هذه المسائل عند بحث عام القرآن وخاصه ، ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه إن شاء الله تعالى .

ب ـ السنة :

إن السنة النبوية الصحيحة تعتبر من أهم مصادر تفسير القرآن الكريم وعليها المعول وإليها المرجع فى كل ما خفى من أحكام الشرع التى جاءت فى كتاب الله عز وجل ، إذ أنها الشارحة للقرآن الموضحة له يقول الله تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ [(٤)] ، فمن طلب تفسير حكم من أحكام الله تعالى فى كتابه وأعياه ذلك فعليه بالسنة فإنها الكفيلة بذلك ، وهذا ما فهمه معاذ رضى الله عنه وأقره عليه رسول الله ﷺ حيث قال حين بعثه إلى اليمن : « فبم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ، قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدره ، وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » قال ابن كثير : هذا الحديث فى المسند والسنن بإسناد جيد .

جـ ـ أقوال الصحابة :

وفى المرتبة الثالثة من مصادر التفسير تأتى أقوال الصحابة فمن لم يجد البيان فى

---

(١) البقرة : ٣٧ . (٢) الأعراف : ٢٣ . (٣) المائدة : ٣ . (٤) النحل : ٤٤ .

الكتاب أو السنة رجع إلى أقوال الصحابة وأحكامهم وفتاواهم فإنهم ، كما قال ابن كثير : أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التى اختصوا بها دون غيرهم ممن لم يعاصروا نزول الوحى ولم يواكبوا الدعوة الإسلامية وهى تنمو وتعظم ، والقرآن يمدها بذلك النمو وتلك العظمة لا سيما علماء الصحابة كالخلفاء الراشدين ، وعبد الله بن مسعود الذى قال : والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته. وكعبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان كتابها الذى دعا له الرسول ﷺ بقوله : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فنالته هذه الدعـوة » فكان إمام التفسير بلا منازع ، وقد اعترف بذلك كبار الصحابة وعلماؤهم كعمر ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .

د ــ أقوال التابعين :

إن المراد بالتابعين أولئك العلماء الصالحون الذين لم يشأ الله تعالى أن يفتحوا أعينهم على النور المحمدى ، ولم يكرموا بوجودهم فى عصر التنزيل ، لكونهم ولدوا بعد وفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحى ، غير أنهم فتحوا أعينهم على بقايا النور المحمدى بين أصحابه وأكرموا بالجلوس بين أيديهم والتتلمذ لهم ، والأخذ عنهم ما أصبحوا به قدوة لمن بعدهم وهداة لهم فى طريق الإيمان والعلم والتقوى ، فما ورد عنهم من تفسير لكتاب الله لا يعدل به غيره ، ولا يسوى به سواه مما قاله ورآه من بعدهم من علماء الإسلام وذلك لميزة الشرف الذى أكسبهم الله تعالى إياه بوجودهم فى عصر أصحاب رسول الله ﷺ عصر العلم الصحيح والفهم الصحيح ، إذ كانوا أبر الناس قلوبا ، وأصدقهم حديثا ، وأخلصهم لله عبادة ، وأكثرهم له خشية ، لا سيما كبارهم كمجاهد بن جبر الذى قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها ، ومن هنا قال فيه سفيان الثورى .

إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

وكسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وأبى العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة فى رعيل عظيم من علماء التابعين والنابهين أولى الشأن فى فهم الكتاب والسنة رحمهم الله تعالى أجمعين .

فهذه أهم مصادر التفسير وهناك مصادر غيرها بيد أنها غير موثوقة وذلك

كالرواية عن أهل الكتاب قد تذكر كشاهد فقط للاعتبار ، وليس بحجة فى تفسير كلام الله تعالى .

وكأقوال العلماء ممن جاءوا بعد التابعين ، وكدلالة اللسان العربى على معانى القرآن حيث نزل به وعلى طرائقه وأساليبه ، فهذه يستعان بها ولا يعول عليها ، وقد يفتح الله تعالى على صالح عباده فى فهم كتابه ما قد يتفوق به الآخر على الأول واللاحق على السابق ، ولكن هذا لا يعد مصدراً من مصادر التفسير التى يرشد إليها طالب التفسير ليأخذ بها ويتعلم بواسطتها وحسبه ما تقدم ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

ما يحتاج إليه المفسر من العلوم

إن مما لا خلاف فيه بين أهل العلم أن يكون المفسر قد ألم بشتي العلوم وعرف الكثير مما لا بد منه لمعرفة كتاب الله تعالى ، والفهم الصحيح له ، وذلك أن سنن الحياة قاضية بأن كل صنعة يزاولها الإنسان لا بد له فيها من أدوات تمكنه منها ، وتساعده على إخراجها صالحة نافعة .

وعلم التفسير فن جليل من فنون العلم التى لا يدركها طالبها إلا بمعرفة أسبابها ووسائطها ، ومن هنا كان لطلب علم التفسير بالرأى أدوات لا يحل لأحد الخوض فيه إلا بعد إعداد تلك الأدوات وتوفرها مع حذقها بالقدر الذى تتسع له الطاقة البشرية المحدودة ، وتلك الأدوات هى :

١ ـ **علم اللغة العربية** : وذلك بمعرفة معانى مفرداتها بحسب وضعها ومعرفة تراكيبها ، وذوق أساليبها المختلفة ، يشهد لهذا ما روى أن مجاهداً رحمه الله تعالى قال : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغة العرب .

٢ ـ **علم الصرف** : إذ بواسطتة تعرف أبنية الكلمات وصيغ النطق بها ، كما تعرف الجموع ومفرداتها ، فكلمة (وجد) مثلا لا يعرف معناها إلا بمعرفة مصادرها فإن كان المصدرالوجود فهى بمعنى كان والكون ضد العدم ، وإن كان المصدر وجدا بضم فسكون ، فهى بمعنى إصابة الشىء والظفر به ، أو الطول والسعة فى الرزق ، وإن كان الوجد بفتح فسكون فهى بمعنى الحب الشديد ، وإن كان الموجدة فهى بمعنى الغضب ، كما أن كلمة (أم) جمعها أمهات ، وليس (إماما) كما ظن بعضهم

ذلك ففسر قوله تعالى من سورة الإسراء : ﴿ **يوم ندعوا كل أناس بإمامهم** ﴾ [(١)] أى بأمهاتهم ، وبرر غلطه الشنيع بأن ذلك كان مراعاة لحق عيسى عليه السلام ولإظهار شرف الحسن والحسين رضى الله عنهما ، كما هو للستر على أولاد الزنى وعدم فضيحتهم .

٣ ـ **علم الاشتقاق** : وهو معرفة الكلمات المشتقة من بعضها ، ومن غير تحريف ليؤمن اللبس ويسلم من الخطأ فى المعنى فكلمة اللباس مثلا مشتقة من اللبس الذى هو الخلط ، إذ الثوب يلابس الجسم أى يخالطه ، وكلمة المسيح مثلا مشتقة من المسح ، فقد لقب عيسى ابن مريم عليه السلام بالمسيح ، لأنه كان يمسح على ذى العاهة فيبرأ بإذن الله تعالى ، وسمى المسيح الدجال مسيحا ، لأن عينه ممسوحة ، أو لأنه يمسح الأرض بطوافه بها كلها فى أقصر وقت .

٤ ـ **علم النحو** : إذ لولا الإعراب لما عرف الفاعل من المفعول فى مثل﴿ **وورث سليمان داوود** ﴾ [(٢)] فلم يدر من الوارث من الموروث ، ولا الجانى من المجنى عليه فى مثل قتل اللص صاحب الدار .

٥ ـ **علم القراءات** : وقد تقدم لنا بيان فوائده وحاجة المفسر إليه .

٦ ـ **علم أصول الفقه ، والحديث ، والتوحيد** : لما يرشد إليه الأول من معرفة الخاص والعام ، والمجمل والمبين ، وكيفية استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية ، ولما يساعد عليه الثانى من معرفة السنة المبينة للقرآن إذ به يعلم الحديث الصحيح الذى يصلح للاحتجاج والعمل ، والحديث الضعيف الذى لا يصلح للاحتجاج والعمل ، ولما يهدى إليه الثالث من معرفة ما يجب لله تعالى ، وما يستحيل عليه ، وما يجوزفى حقه سبحانه وتعالى ، وكذا ما يجب للرسل ، وما يستحيل فى حقهم وما يجوز ، وكل هذا يعصم المفسر من الوقوع فى الخطأ فى فهم مراد الله تعالى من كلامه العزيز .

٧ ـ **علم التاريخ** : إذ به يعرف المفسر عن الأمم السابقة أطوارها وأدوارها وأسباب قوتها وضعفها ، وصلاحها وفسادها ، ويعرف أيامها وتاريخ وجودها ، فقد أبطل الله تعالى دعوى اليهود والنصارى فى أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا أبطلها بحجة التاريخ إذ قال تعالى : ﴿ **يأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل**

---

(١) الإسراء : ٧١ .　　(٢) النمل : ١٦ .

إلا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾ [1] .

٨ ـ **علم النفس والاجتماع البشرى** : إذ بمعرفة أحوال النفس من رغبة ورهبة ، وأمل ويأس ، وضجر وصبر ، وشح وسخاء ، تعرف أوجه الخطاب المختلفة فى كلام الله تعالى وهو يخاطب الإنسان : ﴿ **يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك** ﴾ [2] ، ﴿ **يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه** ﴾ [3] ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جذوعا ، وإذا مسه الخير منوعا** ﴾ [4] ، ﴿ **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ [5] وبمعرفة الاجتماع البشرى وما ترتب عليه من التعاون والتنافس ومن الاختلاف والافتراق ، وما يؤدى إليه حب السلطة وتنازع البقاء من ملاحم وحروب ، وما ينجم عن التقليد وحب الذات من حسد وبغضاء ، يعرف المفسر الكثير من أسرار القصص فى القرآن وفوائد الأمثال المضروبة فيه ، كما يسهل عليه معرفة الأحكام المدنية والجنائية وما إلى ذلك مما حواه الكتاب الكريم من خير وهداية .

(تنبيه) :

إن العلوم التى ذكرت ليست ضرورية بالنسبة لمن يفسر القرآن بالمأثور عن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين ، وإنما هى ضرورية لمن يفسر القرآن بالرأى والعقل ، إذ هو الذى يحتاج إلى تلك العلوم ، وإلا لم يجز له أن يتكلم فى كلام الله تعالى ويقول بمجرد الرأى ، إذ هذا حرام بإجماع علماء الإسلام .

ما يحتاج إليه المفسر من معرفة الأدوات الخاصة :

إن الذى تقدم من العلوم العامة التى يحتاج إليها المفسر كان بمثابة الأدوات العامة ، وما نريد أن نذكره هنا هو بمثابة الأدوات الخاصة ، وهو عبارة عن معرفة معانى كلمات فى اللغة خاصة بعضها حروف وبعضها أسماء وظروف ، وبعضها أفعال لا يستغنى عن معرفتها المفسر بحال من الأحوال وهذا بيانها ، بعد ذكر المقدمة التالية :

---

(١) آل عمران : ٦٥ ـ ٦٧ .. (٢) الانفطار : ٦ ، ٧ . (٣) الانشقاق : ٦ .
(٤) المعارج : ١٩ ـ ٢١ . (٥) فصلت : ٤٦ .

للننظر إلى قوله تعالى : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين** ﴾ (١) فإنه بغض الطرف عما تحمله العبارة من أسلوب التشكيك الذى يجعل الخصم لا يتطرف فى الإنكار ، ولا فى التصامم عن سماع الحق الذى يدعى إليه ، فإن استعمال على فى الهدى ، واستعمال فى فى الضلال وهما حرفا جر ، له دلالته البعيدة وهى أن صاحب الهدى مستحل بالحق الذى هو عليه يصرف النظر ويسرحه كيف شاء لقوته وعلوه ، وصاحب الضلال منغمس فى ظلماته تائه فى مهامه لا يدرى إلى أين يتجه وإلى أين يروح ، وللننظر أيضا إلى قوله تعالى : ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف** ﴾ (٢) . . . الآية .

فقد عطف على الجملة الأولى والثانية بالفاء ، وعطف على الأخيرة بالواو مع أن كلا من الفاء والواو حرف عطف ، بيد أنه لما كان بين الجملتين الأولى والثانية ترتيب طبيعى ، لأن بعث المشترى يكون قبل وصوله إلى السوق قطعا ، والنظر إلى البضاعة وتخير أزكاها مترتبا على بعث أحدهم إلى السوق ، كما أن النظر إلى السلعة متقدم على شرائها ، فشراؤها مترتب قطعا على النظر إليها واختيارها ، فحسن لذلك العطف فى الجملتين الأوليين بالفاء المفيدة للترتيب والتعقيب ، ولما كان التلطف غير مترتب على أية جملة مما تقدم بل هو مطلوب فى كل حال لم تعطف جملته بالفاء فعطفت بالواو ، ومن هنا كانت معرفة معانى الأدوات من أهم المهمات لمن يخوض غمار التفسير .

وهذا بيان مختصر لجملة من تلك الأدوات الخاصة .

أ ـ الهمزة :

إن الهمزة من الأدوات التى يكثر استعمالها ، وأصل وضعها أنها للاستفهام والنداء بيد أنها فى الاستفهام أصلية ، ولذا اختصت بين أدواته الكثيرة بأمور وهى :

١ ـ جواز حذفها مع بقاء عملها نحو : ﴿ **أفترى على الله كذبا أم به جنة** ﴾ (٣) .

٢ ـ أنها ترد لطلب التصور والتصديق معا ، بخلاف هل فإنها لا تكون إلا لطلب التصديق ، وسائر الأدوات تكون للتصورفقط ، فتقول فى طلب التصور بالهمزة : أعلمت أنك مخطىء ، وتقول فى التصديق : ﴿ **الله أذن لكم أم على الله تفترون ؟** ﴾ (٤) إذ التصور إدراك مفرد ، والتصديق إدراك نسبة بين شيئين .

---

(١) سبأ : ٢٤ .　(٢) الكهف ١٩ .　(٣) سبأ : ٨ .　(٤) يونس : ٥٩ .

٣ ـ أنها تدخل على الإثبات نحو ﴿ **أأنتم أشد خلقا أم السماء** ﴾ (١) وعلى النفى فتفيد التذكير والتنبيه والتحذير نحو ﴿ **أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى ؟** ﴾ (٢) وقد تفيد التعجب من الأمر العظيم نحو ﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ؟** ﴾ (٣) .

٤ ـ أنها لأصالتها فى الاستفهام تقدم على العاطف بخلاف غيرها من أدوات الاستفهام نحو ﴿ **أو لم يروا إلى الطير فوقهم** ﴾ (٤) ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ (٥) ﴿ **أثم إذا ما وقع آمنتم به** ﴾ (٦) فقد تقدمت فى هذه الأمثلة وليس ذلك لغيرها ، نحو ﴿ **فكيف تتقون** ﴾ (٧) ﴿ **فأين تذهبون** ﴾ (٨) ﴿ **فأنى يؤفكــون** ﴾ (٩) ﴿ **فهل يهلك إلا القوم الفاسـقـون** ﴾ (١٠) ﴿ **فأى الفريقين أحق بالأمن** ﴾ (١١) ﴿ **وما لكم لا تؤمنون** ﴾ (١٢) .

٥ ـ دخولها على الشرط نحو ﴿ **أئذا متنا ....** ﴾ (١٣) .

٦ ـ لا يستفهم بها إلا بعد أن يهجس فى النفس إثبات مايستفهم عنه بخلاف هل ، نحو : أعندك زيد ؟ .

ب ـ أحد :

من خصائص كلمة (أحد) أنه أكمل من لفظ واحد ، فإنك إن قلت : لا يقوم لفلان واحد ، جاز أن يقوم له اثنان ، أو أكثر بخلاف لو قلت : لا يقوم له أحد فإنه لم يجز أن يقوم له أحد ، ومن خصائص أحد أنك لو قلت : ليس فى الدار واحد جاز أن يكون من الناس والحيوان كالطير والدواب ، بخلاف لو قلت : ما فى الدار أحد فإنه خاص بالآدميين.

ومن خصائصها أيضا أن الغالب فيها أن تكون بعد النفى نحو ﴿ **أيحسب أن لم يره أحد** ﴾ (١٤) ، ﴿ **ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ (١٥) ، وإن كانت فى الإثبات جاز أن تكون بمعنى واحد نحو ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ (١٦) ، بخلاف واحد فإنها تكون بعد النفى

---

(١) النازعات : ٢٧ . (٢) طه : ١٣٣ . (٣) البقرة : ٢٤٣ . (٤) الملك : ١٩ .
(٥) المؤمنون : ١١٥ . (٦) يونس : ٥١ . (٧) المزمل : ١٧ . (٨) التكوير : ٢٦ .
(٩) العنكبوت : ٦١ ، والزخرف : ٨٧ (١٠) الأحقاف : ٣٥ . (١١) الأنعام : ٨١ .
(١٢) الحديد : ٨ . (١٣) المؤمنون : ٨٢ .ومواضع أخرى .
(١٤) البلد : ٧ . (١٥ ، ١٦) الإخلاص : ٤ . ١ .

والإثبات.

ومن خصائصها أيضا أنها تكون للمذكر والمؤنث نحو ﴿ **لستن كأحد من النساء** ﴾ (١) كما تكون للجمع أيضا نحو ﴿ **فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ (٢) ، وتجمع على آحاد وآحدين بخلاف واحد فإن مؤنثه واحدة ، ولا جمع له من لفظه بل جمعه ثلاثة.

جـ ـ إذ :

من أحوال (إذ) أنها تكون اسما لما مضى من الزمان فى الغالب ، وهى ظرف أو مضافة إلى الظرف نحو ﴿ **فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾ (٣) ، ﴿ **ويومئذ تحدث أخبارها** ﴾ (٤) ، وقد تكون مفعولا به فى نحو ﴿ **واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم** ﴾ (٥) ، وتكون بدلا من المفعول به فى نحو ﴿ **واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا** ﴾ (٦) بدل اشتمال من مريم ، وقد تكون ظرفا للمستقبل فى نحو قوله تعالى : ﴿ **فسوف يعلمون ، إذ الأغلال فى أعناقهم** ﴾ (٧) ، فيعلمون مستقبل لفظا ومعنى لدخول سوف الاستقبالية عليه فكانت بمنزلة إذا التى هى لما يستقبل من الزمن.

ومن أحوالها أيضا أنها تكون تعليلية نحو ﴿ **ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون** ﴾ (٨) أى لن ينفعكم اشتراككم فى العذاب لأجل ظلمكم ، ونحو ﴿ **وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم** ﴾ (٩) أى لأجل أنهم لم يهتدوا به يقولون هذا إفك قديم ، ونحو ﴿**وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا** ﴾ (١٠) أى لأجل اعتزالكم قومكم ومايعبدون من دون الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا.

ومن أحوالها أنها تضاف حتما إلى الجمل الإسمية أو الفعلية غير أن الفعلية لا بد وأن يكون فعلها ماضيا لفظا ، أو معنى على الأقل ، نحو قوله تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله**

---

(١) الأحزاب : ٣٢ . (٢) الحاقة : ٤٧ . (٣) التوبة : ٤٠ . (٤) الزلزلة : ٤ .
(٥) الأعراف : ٨٦ . (٦) مريم : ١٦ . (٧) غافر : ٧٠ ، ٧١ . (٨) الزخرف : ٣٩ .
(٩) الأحقاف : ١١ . (١٠) الكهف : ١٦ .

معنا ﴾ [1] ، فقد أضيفت فى الجملة الأولى إلى جملة فعلية فعلها ماض ، وأضيفت فى الثانية إلى الإسمية وأضيفت فى الثالثة إلى الفعلية وفعلها مستقبل لفظا لكنه ماض معنى .

د ـ إذا :

لإذا حالات :

الأولى : أنها تكون للمفاجأة وتختص حينئذ بالجمل الإسمية ولا تحتاج إلى جواب ، ولاتقع فى الابتداء ومعناها الحال نحو قوله تعالى : ﴿ **فألقاها فإذا هى حية تسعى** ﴾ [2] ، ونحو قوله تعالى : ﴿ **فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ [3] وكونها حرفا أرجح من كونها اسما .

والثانية : أنها ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه ، وهى متضمنة معنى الشرط ، وتختص بالدخول على الجمل الفعلية وتحتاج إلى جواب ، وهو أى الجواب فعل أو جملة اسمية مقرونة بالفاء نحو ﴿ **فإذا جاء أمر الله قضى بالحق** ﴾ [4] ، ونحو ﴿ **فإذا نقر فى الناقور ، فذلك يومئذ يوم عسير** ﴾ [5] وقد تخرج عن الاستقبال إلى الحال فى نحو ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾ [6] ، ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾ [7] ، كما تكون للماضى فى مثل قوله تعالى : ﴿ **وإذا رأوا تجارة** ﴾ [8] الآية ... إذ نزلت الآية بعد وقوع كل ما ذكر فى الآيات قبل ، كما تخرج عن الشرطية فى نحو ﴿ **وإذا ما غضبوا هم يغفرون** ﴾ [9] ، فهى هنا ظرف فقط ولذا لم تقترن الجملة بعدها بالفاء .

ومن خصائصها أنها تختص بالدخول على المتيقن والمظنون وعلى الكثير بعكس أن الشرطية فإنها تستعمل فى المشكوك والموهوم والنادر من ذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم** ﴾ [10] إلى قوله تعالى : ﴿ **جنبا فاطهروا** ﴾ [11] الآية ، فدخلت إذا على الوضوء لكثرته ، ودخلت أن على الغسل لقلته .

هـ ـ آل : ولها أحوال :

الأولى : أن تكون موصولة وذلك فيما إذا دخلت على أسماء الفاعلين والمفعولين نحو المسلمين والمكرمين .

---

(١) التوبة : ٤٠ . (٢) طه : ٢٠ . (٣) العنكبوت : ٦٥ . (٤) غافر : ٧٨ .
(٥) المدثر : ٨ ، ٩ . (٦) الليل : ١ . (٧) النجم : ١ . (٨) الجمعة : ١١ .
(٩) الشورى : ٣٧ . (١٠ ، ١١) المائدة : ٦ .

الثانية : أنها تكون حرف تعريف وهى نوعان :عهدية وجنسية ، والعهد إما ذكرى أو ذهنى أو حضورى ، فالذكرى نحو : ﴿ **كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول** ﴾ [1] ، والذهنى نحو ﴿ **إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه** ﴾ [2] والحضورى نحو ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ [3] .

والجنسية إما لاستغراق أفراد الجنس كافة وهى التى تخلفها كل حقيقة أو ادعاء فمثال الأولى ﴿ **والعصر ، إن الإنسان لفى خسر** ﴾ [4] ، استثنى منه ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ [5] . ومثال الثانية ﴿ **آلم ذلك الكتاب** ﴾ [6] الكامل فى بابه .

وإما لبيان الماهية وهى التى لا تخلفها كل نحو ﴿ **وجعلنا من الماء كل شىء حى** ﴾ [7] إذ لا يصح أن يقال من كل الماء ، وإنما الصحيح أنه من بعضه فقط .

والفرق بين المعرفة للماهية أى الحقيقة وبين اسم الجنس النكرة كما بين المطلق والمقيد ، فالمعرف بها يكون كالمقيد إذ معرفة الحقيقة مقيدة بحضورها فى الذهن ، واسم الجنس النكرة يدل على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد لها .

الثالثة : أنها تكون زائدة زيادة لازمة كالداخلة على الأسماء الموصولة أو غير لازمة كالزائدة على بعض الأعلام نحو العباس ، أو للغلبة كالمدينة والنجم .

و ـ ألا :

ولها معان منها التنبيه وتدخل على الجملة الإسمية والفعلية نحو ﴿ **ألا إن وعد اله حق** ﴾ [8] ﴿ **ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم** ﴾ [9] ، ومنها التحضيض وهو الطلب بحث والعرض وهو الطلب برفق ، وتختص بالدخول على الجمل الفعلية نحو ﴿ **ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة** ﴾ [10] .

ز ـ إلا :

ولها حالان الأولى : أنها للاستثناء متصلا ومنفصلا نحو فهمت البحث إلا مسألة ونحو ﴿ **فبشرهم بعذاب أليم ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون** ﴾ [11] .

---

(١) المزمل : ١٥ ، ١٦ . (٢) التوبة : ٤٠ . (٣) المائدة : ٣ . (٤ ، ٥) العصر : ١ ـ ٣ .
(٦) البقرة : ١ . (٧) الأنبياء : ٣٠ . (٨) يونس : ٥٥ . (٩) هود : ٨ .
(١٠) التوبة : ١٣ . (١١) الانشقاق : ٢٤ ، ٢٥ . (١٢) الأنبياء : ٢٢ .

والثانية : أنها تكون بمعنى غير فيوصف بها ويعرب الاسم بعدها إعراب غير نحو قوله تعالى : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ (١) أى غير الله إذ لا يصح أن تكون هنا استثنائية (٢) لأن آلهة نكره فى الإثبات فلا عموم ، فلا يصح الاستثناء منه ، ولأنه يغير المعنى حينئذ لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا ، وهو باطل باعتبار مفهومه .

حـ ـ أم :

وهى حرف عطف وتكون متصلة ومنقطعة ، فالمتصلة هى ما كان ما قبلها وما بعدها لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، وهى قسمان :

١ ـ أن تتقدم عليها همزة التسوية نحو : ﴿ **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ (٣) ونحو ﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص** ﴾ (٤) .

٢ ـ أن يتقدم عليها همزة يطلب بها وبأم التعيين فى نحو ﴿ **آلذكرين حرم أم الأنثيين** ﴾ (٥) وتسمى فى هذا النوع بالمعادلة لمعادلتها للهمزة فى إفادة التسوية فى القسم الأول والاستفهام فى القسم الثانى .

ويفترق هذان القسمان من أربعة أوجه :

الأول : أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحق جوابا لأن المعنى معها ليس على الاستفهام.

والثانى : أن الكلام معها قابل للتصديق والكذب لأنه خبر ، والخبر محتمل للصدق والكذب بخلاف أم التعيينية فإن الاستفهام معها على حقيقة نحو أزيد عندك أم عمر ؟ فلهذا تستحق الجواب بالتعيين .

والثالث : أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلا بين جملتين ، ولا يكون الجملتان معها إلا فى تأويل المفردين ، وتكون الجملتان فعليتين واسميتين ومختلفتين فمثال المختلفتين ﴿ **سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون** ﴾ (٦) .

---

(١) الأنبياء : ٢٢

(٢) قال الرازى : ولا يجوز أن يكون بمعنى الاستثناء لأنا لو حملناه على الاستثناء لكان المعنى لو كان فيهما آلهة ليس معها الله لفسدتا ، وهذا يوجب بطريق المفهوم أنه لو كان بهما آلهة معهم الله أن لا يحصل الفساد ، وذلك باطل لأنه لو كان فيهما ألهة فسواء لم يكن الله معهم أو كان فالفساد لازم .

(٣) البقرة : ٦ .

(٤) إبراهيم : ٢١ .

(٥) الأنعام : ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٦) الأعراف : ١٩٣ .

والرابع : أن أم التعيينية تقع بين المفردين وهو الغالب نحو ﴿ **أأنتم أشد خلقا أم السماء** ﴾ (١) وتقع بين جملتين ليس في تأويل مفردين نحو أظلمت زيدا أم هو ظلمك ؟ .

أما أم المنقطعة وهي التي لا يفارقها الإضراب غير أنه تارة تكون له مجردا ، وتارة تتضمن مع ذلك استفهاماً إنكاريا بمعنى النفي فمثال الأول نحو ﴿ **آلم ، تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه** ﴾ (٢) ، ومثال الثاني قوله تعالى : ﴿ **أم له البنات ولكم البنون** ﴾ (٣) أي بل أله البنات ولكم البنون إذ مجيئها هنا للإضراب المجرد عن الاستفهام الإنكاري باطل لما فيه إثبات المحال على الله تعالى وأم المنقطعة هذه ثلاثة أقسام :

١ ـ أن تكون مسبوقة بالخبر المحض نحو ﴿ **آلم ، تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه** ﴾ (٤) .

٢ ـ أن تكون مسبوقة بهمزة لغير استفهام نحو ﴿ **ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها** ﴾ (٥) إذ الهمزة هنا للإنكار بمعنى النفي أى ليس لهم ذلك والمتصلة لا تقع بعده همزة الإنكار .

٣ ـ أن تكون مسبوقة باستفهام بغير الهمزة نحو ﴿ **قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور** ﴾ (٦) ، لأن الاستفهام لا يدخل على الاستفهام وهل هنا للاستفهام .

(تنبيهان)

الأول : قد تأتي أم محتملة للاتصال والانقطاع في نحو ﴿ **قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعملون** ﴾ (٧) ، إذ يجوز هنا أن تكون معادلة بمعنى أى الأمرين كائن على سبيل التقرير لحصول العلم بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة أي بل تقولون على الله مالا تعملون .

الثاني : قد تأتي أم زائدة كما قيل في قوله تعالى : ﴿ **وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ، أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين** ﴾ (٨) أى أنا خير ... الخ

---

(٦) النازعات : ٢٧ . (٢) السجدة : ١ ـ ٣ . (٣) الطور : ٣٩ . (٤) السجدة : ١ ـ ٣ .
(٥) الأعراف : ١٩٥ . (٦) الرعد : ١٦ . (٧) البقرة : ٨٠ . (٨) الزخرف : ٥١ ، ٥٢ .

أما المفتوحة الهمزة المشددة الميم فإنها .

حرف شرط وتفصيل وتوكيد .

وكونها للشرط دل عليه وجود الفاء بعدها لازمة نحو ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر** ﴾ (١) ، ﴿ **فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا** ﴾ (٢) وكونها للتفصيل فهو غالب أحوالها نحو أما السفينة فكانت لمساكين ، وأما الغلام ، وأما الجدار .

وكونها للتوكيد فهو مفهوم منها بدليل أن قولنا : زيد ذاهب ليس فيه توكيد ، بخلاف أما زيد فذاهب ، فإن المعنى فيه هو أن زيد ذاهب لا محالة أي مهما يكن من شيء فإن زيدا ذاهب لا محالة .

(تنبيهات)

١ ـ لا بد وأن يفصل بين أما والفاء فاصل سواء كان مبتدأ أو خبرا ، أو جملة شرطية ، أو مفعولا ، أو مجرورا ، فمثال الأول : أما زيد فذاهب . ومثال الثاني : أما في التفسير فموعظة ، ومثال الثالث : ﴿ **فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان** ﴾ (٣) ومثال الرابع : ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر** ﴾ (٤) ، ومثال الخامس : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ (٥) .

٢ ـ ليس (أما) في قوله تعالى : ﴿ **أماذا كنتم تعملون ؟** ﴾ (٦) من نوع أما التي هي أداة شرط وتفصيل وتوكيد ، بل هي مركبة من أم المنقطعة وما الاستفهامية .

٣ ـ قد تحذف الفاء في جواب أما إذا كان الجواب قولا نحو ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم** ﴾ (٧) إذ التقدير فيقال لهم : أكفرتم ، وكذا ﴿ **وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم** ﴾ (٨) أي أما الذين كفروا فيقال لهم : ألم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول المقرون بفاء الجواب .

إما مكسورة الهمزة وتأتي لثلاثة معان :

١ ـ الإبهام في قوله تعالى : ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب**

---

(١) الضحى : ٩ ، ١٠ . (٢) البقرة : ٢٦ . (٣) الواقعة : ٨٨ ، ٨٩ .
(٤ ، ٥) الضحى : ٩ ، ١١ . (٦) النمل : ٨٤ . (٧) آل عمران : ١٠٦ .
(٨) الجاثية : ٣١ .

عليهم ﴾ [1] .

٢ ـ للتخيير فى قوله تعالى ﴿ **إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا** ﴾ [2] ونحو ﴿ **فإما منا بعد وإما فداء** ﴾ [3] .

٣ ـ وللتفصيل فى ﴿ **إما شاكرا وإما كفورا** ﴾ [4] .

ملاحظتان :

الأولى : لا خلاف فى أما الأولى أنها غير عاطفة ، وإنما الخلاف فى الثانية فالأكثر على أنها عاطفة ، وأنكره ابن مالك وجماعة وذلك لملازمتها غالبا الواو العاطفة ، وقالوا : إنما ذكرت مع حروف العطف لمصاحبتها لحرف العطف وهو الواو ، فالعطف إذا للواو ، لا لها .

الثانية : ليست فإما فى قوله تعالى : ﴿ **فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً** ﴾ [5] من إما التى هى للابهام والتخيير والتفصيل بل هى إن الشرطية زيدت عليها ما فكانت إما فلنتنبه .

أو : حرف عطف ترد لمعان منها :

١ ـ الشك من المتكلم نحو قوله تعالى : ﴿ **قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم** ﴾ [6] .

٢ ـ الإبهام على السامع وتشكيكه نحو قوله تعالى : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين** ﴾ [7] .

٣ ـ التخيير بين المعطوفين إذا امتنع الجمع بينهما نحو تزوج هندا أو أختها . كل السمك أو اشرب اللبن .

٤ ـ الإباحة حيث لا يمتنع الجمع نحو ﴿ **ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت أبائكم** ﴾ [8] ... الآية ، ونحو جالس العباد أو الزهاد .

٥ ـ التفصيل بعد الإجمال نحو ﴿ **وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا** ﴾ [9] أى قال بعضهم كذا ، وقال بعضهم كذا .

---

(١) التوبة : ١٠٦. (٢) الكهف : ٨٦ . (٣) محمد : ٤ .
(٤) الإنسان : ٣ . (٥) مريم : ٢٦ . (٦) الكهف : ١٩ .
(٦) سبأ : ٢٤. (٧) النور : ٦١ . (٩) البقرة : ١٣٥ .

٦ ـ الإضراب كـ (بل) وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ **وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ (٢) ، أى بل أدنى .

٧ ـ مطلق الجمع نحو : ﴿ **لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ (٣) .

٨ ـ ومعنى إلا فى الاستثناء ومعنى إلى وينصبان المضارع بعدهما بإضمار أن نحو قول الشاعر :

وكنت إذا أغمزت فتاة قوم ... كسرت كعوبها أو تستقيم

وقوله :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر

وفى قراءة أبى : ﴿ **تقاتلوهم أو يسلموا** ﴾ .

* أى بالكسر والسكون حرف جواب بمعنى نعم فتكون لتصديق المخبر وإعلام المستخبر ولوعد الطالب ، ولا تقع إلا بعد استفهام وقبل القسم نحو : ﴿ **ويستنبئونك أحق هو قل أى وربى إنه لحق** ﴾ (٤) .

أى المشددة وتكون لمعان :

الشرط نحو : ﴿ **أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ (٥) .

الاستفهام نحو : ﴿ **أيكم زادته هذه إيمانا ؟** ﴾ (٦) الموصولية نحو : ﴿ **لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا** ﴾ (٧) وصلة إلى نداء ما فيه أل نحو يا ـ أيها الناس ، يأيها النبى .

الباء المفردة .

ترد لمعان أشهرها الإلصاق وهو تعلق أحد المعنيين بالآخر نحو : ﴿ **وامسحوا برؤوسكم** ﴾ (٨) ومن معانيها ما يلى :

١ ـ التعدية كالهمزة نحو : ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾ (٩) أى أذهبه .

٢ ـ الاستعانة وهى الداخلة على الة الفعل نحو بسم الله ، وكتبت بالقلم .

(١) الصافات : ١٤٧ . (٢) النجم : ٩ . (٣) طه : ٤٤ .
(٤) يونس : ٥٣ . (٥) الإسراء : ١١٠ . (٦) التوبة : ١٢٤ .
(٧) مريم : ٦٩ . (٨) المائدة : ٦ . (٩) البقرة : ١٧ .

٣ ـ السببية وهى تدخل على سبب الفعل نحو : ﴿ **فكلا أخذنا بذنبه** ﴾ (١) ، ويعبر عنها بالتعليلية أيضا نحو : ﴿ **ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل** ﴾ (٢) .

٤ ـ المصاحبة نحو : « اهبط بسلام» (٣) « **قد جاءكم الرسول بالحق** » (٤) « **فسبح بحمد ربك** » (٥) .

٥ ـ الظرفية زمانا ومكانا نحو : ﴿ **نجيناهم بسحر** ﴾ (٦) ، ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر** ﴾ (٧) .

٦ ـ الظرفية زمانا ومكانا نحو : ﴿ **نجيناهم بسحر** ﴾ ، ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر** ﴾ وقوله : ﴿ **إلا كما أمنتكم على أخيه** ﴾ (٨) .

٧ ـ المجاوزة نحو ﴿ **فاسأل به خبيرا** ﴾ (٩) أى عنه بدليل يسألون عن أنبائكم ، وهل تختص بالسؤال قيل: لا بدليل ﴿ **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ (١٠) أى وعن أيمانهم ، ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام** ﴾ (١١) أى عنه .

٨ ـ التبعيض كمن نحو: ﴿ **عينا يشرب بها عباد الله** ﴾ (١٢) أى منها .

٩ ـ الغاية كإلى نحو : ﴿ **وقد أحسن بى** ﴾ (١٣) ، أى إلىَّ .

١٠ ـ المقابلة وهى الداخلة على الإعواض نحو : ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ (١٤) ، لطيفة لم لم يقل هنا أنها للسببية ، كما قال المعتزلة ، لأن المعطى بعوض قد يعطى مجانا وأما المسبب فلا يوجد دون السبب .

١١ ـ التوكيد وهى الزائدة نحو : ﴿ **وكفى بالله** ﴾ (١٥) ، ﴿ **وأسمع بهم وأبصر** ﴾ (١٦) ، وهل هى فى كفى بالله بمعنى التوكيد والتقوية ،قال ابن هشام : هو من الحسن بمكان .

بل : وهى حرف إضراب إذا تلاها جملة ولها حالان :

الأولى : أن تكون إضرابية أى إبطالية لما قبلها نحو : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا**

---

(١) العنكبوت : ٤٠ . (٢) البقرة : ٥٤ . (٣) هود : ٤٨ . (٤) النساء : ١٧.
(٥) النصر : ٣ . (٦) القمر : ٣٤ . (٧) آل عمران : ١٢٣.
(٨) يوسف : ٦٤ . (٩) الفرقان : ٥٩. (١٠) التحريم : ٨.
(١١) الفرقان : ٢٥ . (١٢) الإنسان : ٦ . (١٣) يوسف : ١٠٠.
(١٤) النحل : ٣٢ . (١٥) النساء : ٤٥ ، ومواضع أخرى . (١٦) مريم : ٣٨ .

سبحانه بل عباد مكرمون ﴾ (١) ، أى بل هم عباد مكرمون ، فقد أبطل الدعوى الأولى وهى اتخاذ الرحمن ولدا ، وأثبت ما بعد بل وهو أن الملائكة عباد الله تعالى وليسوا بأبناء له تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

والثانية : أن تكون انتقالية أى الانتقال من غرض إلى غرض بدون الغاء الأول وإبطاله نحو : ﴿ **ولدينا كتاب ينطق بالحق وهو لا يظلمون بل قلوبهم فى غمرة من هذا** ﴾ (٢) فما قبل بل هو باق على حاله ولم يبطل ومثل قوله تعالى : ﴿ **قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا** ﴾ (٣) ، فإن ما قبل بل هو كما قال تعالى غير أن الكلام انتقل بواسطة بل من موضوع إلى موضوع .

وإذا تلاها مفرد نحو ما جاء زيد بل عمر فهى للعطف ولم يقع مثلها فى القرآن .

بلى حرف يأتى لمعنيين .

١ ـ أن يأتى رداً لنفى يقع قبلها نحو : ﴿ **ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون** ﴾ (٤) أى عملتم ، ونحو ﴿ **لايبعث الله من يموت بلى** ﴾ (٥) أى يبعثهم ، ونحو قالوا ﴿ **ليس علينا فى الأميين سبيل** ﴾ (٦) ثم قال : ﴿ **بلى** ﴾ أى عليكم سبيل .

٢ ـ أن تأتى جواباً لاستفهام دخل على نفى فتفيد إبطاله ، وسواء كان الاستفهام حقيقياً نحو أليس زيد بقائم ؟ فنقول بلى أى هو قائم ـ أو توبيخاً نحو : ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى** ﴾ (٧) ﴿ **أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى** ﴾ (٨) أو تقريراً نحو : ﴿ **ألست بربكم قالوا بلى** ﴾ (٩) أى أنت ربنا .

(**لطيفة**) يروى عن ابن عباس أنه لو قال قائل بعد هذا الاستفهام : ﴿ **ألست بربكم** ﴾ لو قال : نعم كفر ، إذ معناه أنه أقر بأن الله تعالى ليس بربهم ، والواقع خلافه إذ هو ربهم ورب كل شيء .

ثم حرف له أحوال منها :

١ ـ التشريك فى الحكم لأنها حرف عطف نحو جاء زيد ثم عمرو ، وقد يتخلف هذا فيها فتكون زائدة كما فى قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت**

---

(١) الأنبياء : ٢٦ . (٢) المؤمنون : ٦٢ ، ٦٣ . (٣) الأعلى : ١٤ ـ ١٦ .
(٤) النحل : ٢٨ . (٥) النحل : ٣٨ . (٦) آل عمران : ٧٥ .
(٧) الزخرف : ٨٠ . (٨) القيامة : ٣ ، ٤ . (٩) الأعراف : ١٧٢ .

وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ﴾ [1] ، وقيل : إن الجواب مقدر وهى عاطفة عليه .

٢ ، ٣ ـ الترتيب والمهلة أى التراخى نحو سافر بكر ثم أبوه ، وقيل قد يتخلف هذا فيها كما في قوله تعالى : ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾ [2] لأن الهداية سابقة على الإيمان والعمل الصالح ، وقيل : هو مؤول بثم دام على الهداية بدليل قوله تعالى : ﴿ **وأمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا** ﴾ [3] ، أى داموا على الإيمان والتقوى .

٤ ـ تكون للتباين فى الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمانية بل ليعلم موقع ما يعطف بها حاله نحو قوله تعالى : ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا** ﴾ [4] حيث عطف على قوله : ﴿ **فك رقبة ، أو إطعام في يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا متربة** ﴾ [5] ، مع أن الإيمان مقدم على فك الرقبة والإطعام ، وإنما عطف الإيمان يتم لتراخى الإيمان وتباعده فى المرتبة والفضيلة على العتق والصدقة لا فى الوقت لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره .

٥ ـ قد تأتى للتعجب فى مثل قوله تعالى : ﴿ **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ [6] بعد قوله ﴿ **الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور** ﴾ [7] وقيل : هى هنا لتراخى وبعد ما بين الكفر وخلق السموات والأرض .

٦ ـ تأتى للاستئناف فى نحو قوله تعالى : ﴿ **وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ، ثم لا ينصرون** ﴾ [8] ، فلذا لم يجزم الفعل بعدها ، لأنه عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الأخبار ابتداء ، كأنه قال : ثم أخبركم أنهم لا ينصرون .

٧ ـ قد تأتى بمعنى الواو العاطفة فى مثل : ﴿ **فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون** ﴾ [9] أى والله شهيد .

٨ ـ وقد تأتى زائدة فى مثل قوله تعالى : ﴿ **ثم تاب عليهم** ﴾ [10] لأن تاب جواب إذا من قوله : ﴿ **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم** ﴾ [11] .

---

(١) التوبة : ١١٨ . (٢) طه : ٨٢ . (٣) المائدة : ٩٣ .
(٤) البلد : ١٧ . (٥) البلد : ١٣ ـ ١٦ . (٦ ، ٧) الأنعام : ١
(٨) آل عمران : ١١١ . (٩) يونس : ٤٦ . (١٠ ، ١١) التوبة : ١١٨ .

ظن : الأصل فيها أن تكون للاعتقاد الراجح كقوله تعالى : ﴿ **إن ظنا أن يقيما حدود الله** ﴾[1] ، وقد تستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى : ﴿ **الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم** ﴾[2] وللفرق بين التى للشك والتى لليقين فى القرآن ضابطان :

١ ـ أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو لليقين ، وحيث وجد مذموماً متوعداً بالعقاب عليه فهو للشك .

٢ ـ أن كل ظن يتصل بعده أن الخفيفة فهو لشك نحو : ﴿ **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول** ﴾[3] ، وقوله : ﴿ **إن ظنا أن يقيما حدود الله** ﴾[4] .

وكل ظن يتصل به أن المشددة فالمراد به اليقين نحو : ﴿ **إنى ظننت أنى ملاق حسابيه** ﴾[5] ﴿ **وظن أنه الفراق** ﴾[6] .

والمعنى فيه أن المشددة للتأكيد فدخلت على اليقين ، وأن الخفية بخلافها فدخلت على الشك ، مثال الأول : ﴿ **وعلم أن فيكم ضعفاً** ﴾[7] ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾[8] ، ومثال الثانى : ﴿ **وحسبوا أن لا تكون فتنة** ﴾[9] ، والحسبان الشك .

(**تنبيه**) : قد يأتى فعل ظن بمعنى كذب كما فى قوله تعالى : ﴿ **إن هم إلا يظنون** ﴾[10] أى يكذبون .

على : حرف جر لها معان أشهرها الاستعلاء حسا ومعنى : ﴿ **وعليها وعلى الفلك تحملون** ﴾[11] ، ﴿ **ولهم على ذنب** ﴾[12] وتكون للمصاحبة فى نحو : ﴿ **وآتى المال على حبه** ﴾[13] أى مع حبه ، ونحو: ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** ﴾[14] أى مع ظلمهم وتكون بمعنى من نحو : ﴿ **إذا اكتالوا على الناس يستوفون** ﴾[15] أى من الناس ، ونحو : ﴿ **إلا على أزواجهم** ﴾[16] أى من أزواجهم لقولهم : احفظ عورتك إلا من زوجتك ، وتكون للتعليل نحو : ﴿ **ولتكبروا الله على ما هداكم** ﴾[17] أى لهدايته إياكم ، وتكون للظرفية نحو : ﴿ **ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها** ﴾[19] أى فى حين غفلة ، ونحو :

---

(١) التوبة : ١١٨ . (٢) البقرة : ٢٣٠ . (٣) البقرة : ٤٦ .
(٤) الفتح : ١٢ . (٥) البقرة : ٢٣٠ . (٦) الحاقة : ٢٠ .
(٧) القيامة : ٢٨ . (٨) الأنفال : ٦٦ . (٩) محمد : ١٩ .
(١٠) المائدة : ٧١ . (١١) الجاثية : ٢٤ . (١٢) المؤمنون : ٢٢ .
(١٣) الشعراء : ١٤ . (١٤) البقرة : ١٧٧ . (١٥) الرعد : ٦ .
(١٦) المطففين : ٢ . (١٧) المؤمنون : ٦ . المعارج : ٣٠ . (١٨) البقرة : ١٨٥ .
(١٩) القصص : ١٥ .

﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان** ﴾ [1] أى فى زمن ملكه .

وتكون بمعنى الباء فى نحو **حقيق على أن لا أقول على الله** أى بأن كما فى قراءة أبى .

فائدة :

حيث وردت على فى حق الله تعالى فإن كانت فى جانب الفصل كان معناها الوقوع وتأكيده نحو : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ [2] .

عن : حرف جر أشهر معانيه المجاوزة : نحو : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** ﴾[3] أى يجاوزونه ويبعدون عنه ولها معان أخرى منها :

البدل فى نحو : ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً** ﴾ [4] .

التعليل نحو : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة** ﴾ [5] أى لأجل موعدة وتكون بمعنى على فى نحو : ﴿ **فإنما يبخل عن نفسه** ﴾ [6] ، وبمعنى من فى نحو : ﴿ **يقبل التوبة عن عباده** ﴾ [7] بدليل فتقبل من أحدهما ، وبمعنى بعد فى نحو : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ [8] بدليل أن فى آية أخرى ﴿ **من بعد مواضعه** ﴾[9] .

عند : ظرف مكان تستعمل فى الحضور والقرب حسيين كانا أو معنويين نحو ﴿ **فلما رآه مستقراً عنده** ﴾ [10] ، ﴿ **عند سدرة المنتهى** ﴾[11] ، ونحو : ﴿ **قال الذى عنده علم من الكتاب** ﴾ [12] ، ﴿ **ابن لى عندك بيتاً فى الجنة** ﴾ [13] فالعندية هنا دالة على قرب الشرف ورفعة المنزلة .

ولا تستعمل إلا ظرفاً أو مجرورة ، نحو : ﴿ **قال الذى عنده** ﴾ [14] وفيمن عندك وتعاقبها لدى ولدن نحو : ﴿ **لدى الحناجر** ﴾ [15] ولدى الباب ﴿ **وعلمناه من لدنا علماً** ﴾ [16] .

---

(١) البقرة : ١٠٢ . (٢) البقرة : ١٨٥ . (٣) الرعد : ٤٠ .
(٤) النور : ٦٣ . (٥) البقرة : ٤٨ ، ١٢٣ . (٦) التوبة : ١١٤ .
(٧) محمد : ٣٨ . (٨) الشورى : ٢٥ . (٩) النساء : ٤٦ . المائدة ١٣ .
(١٠) المائدة : ٤١ . (١١) النمل : ٤٠ . (١٢) النجم : ١٤ .
(١٣) النمل : ٤٠ . (١٤) التحريم : ١١ . (١٥) النمل : ٤٠ .
(١٦) غافر : ١٨ . (١٧) الكهف : ٦٥ .

الفاء : وترد على أوجه :

الوجه الأول أن تكون عاطفة فتفيد ثلاثة أمور :

أحدهما : الترتيب معنوياً كان نحو : ﴿ **فوكزه موسى فقضى عليه** ﴾ [1] أو ذكريا ، وهو عطف مفصل مجمل نحو : ﴿ **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه** ﴾ [2] ، ونحو : ﴿ **سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة** ﴾ [3] ، ﴿ **ونادى نوح ربه** ﴾ [4] فقال : ولو قيل فى هذه أنها تفسيرية لكان له وجه ، إذ هو تفصيل بعد إجمال وذلك هو التفسير .

ثانيهما : التعقيب وهو فى كل شيء بحسبه وبذلك ينفصل عن التراخى فى نحو : ﴿ **أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة** ﴾ [5] ، ﴿ **خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة** ﴾ [6] .

ثالثها السببية نحو : ﴿ **فوكزه موسى فقضى عليه** ﴾ [7] ، ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾ [8] .

الوجه الثانى : أن تكون لمجرد السببية من غير عطف نحو : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك** ﴾ [9] لأنه لا يعطف الإنشاء على الخبر ، ولا الخبر على الإنشاء فهى هنا لمجرد السببية .

الوجه الثالث : أن تكون رابطة للجواب حيث لا يصلح لأن يكون شرطاً بأن كان جملة إسمية أو فعلية فعلها جامد أو طلبى ــ أمر ــ أو استفهام نحو : ﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعونى** ﴾ [10] ، ﴿ **قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ [11] ، أو ما فى لفظا ومعنى ومقرون بحرف استقبال .

الوجه الرابع : أن تكون للاستئناف فى نحو : ﴿ **كن فيكون** ﴾ [12] بالرفع .

فى : حرف جر له معان : أشهرها الظرفية نحو : ﴿ **غلبت الروم ، فى أدنى الأرض** ﴾ [13] حقيقة كما فى هذه الآية أو مجازاً فى نحو : ﴿ **ولكم فى القصاص حياة** ﴾ [13] ، ﴿ **لقد كان فى يوسف وأخوته آيات** ﴾ [14] .

---

(١٩) القصص : ١٥ . (١) البقرة : ٣٦ . (٢) النساء : ١٥٣ .
(٣) هود : ٤٥ . (٤) الحج : ٦٣ . (٥) المؤمنون : ١٤ .
(٦) القصص : ١٥ . (٧) البقرة : ٣٧ . (٨) الكوثر : ١ ، ٢ .
(٩) آل عمران : ٣١ . (١٠) الملك : ٣٠ . (١١) البقرة : ١١٧ . ومواضع أخرى .
(١٢) الروم : ٢ ، ٣ . (١٣) البقرة ١٧٩ . (١٤) يوسف : ٧ .

وتأتي للمصاحبة نحو : ﴿ **ادخلوا فى أمم** ﴾ (١) أى معهم ، ونحو فى تسع آيات أى معها .

وتأتي للتعليل نحو : ﴿ **فذالكن الذى لمتننى فيه** ﴾ (٢) أى لأجله ، ﴿ **لمسكم فيما أفضتم فيه** ﴾ (٣) أى لأجله .

وتأتي للاستعلاء نحو : ﴿ **ولأصلبنكم فى جذوع النخل** ﴾ (٤) أى عليها .

وتأتي بمعنى الباء نحو : ﴿ **يذرؤكم فيه** ﴾ (٥) أى بسببه ، وبمعنى إلى نحو : ﴿ **فردوا أيديهم فى أفواههم** ﴾ (٦) أى إليها وبمعنى من نحو ﴿ **يوم نبعث فى كل أمة شهيداً** ﴾ (٧) أى منهم ، بدليل الآية الأخرى ، وبمعنى عن نحو : ﴿ **فهو فى الآخرة أعمى** ﴾ (٨) أى عنها (٩) .

وتأتي للمقايسة وهى الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق نحو : ﴿ **فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل** ﴾ (١٠) .

قد : وهى حرف مختص بالدخول على الفعل المتصرف الخبرى المثبت المتجرد من ناصب وجازم ومن حرف تنفيس ماضياً كان أو مضارعاً ولها معان منها :

١ ـ التحقيق مع الماضى نحو : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ (١١) ، وتقربه من الحال فقولنا : قام زيد ، محتمل لأن يكون قيامه قريباً من زمن الإخبار أو بعيداً لكن إذا قلنا : لقد قام زيد كان قيامه فى الحال ، أو قريباً منه مثاله قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة .

٢ ـ وجوب دخولها على الماضى الواقع حالاً أما ظاهرة نحو : ﴿ **وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا** ﴾ (١٢) ، أو مقدرة نحو : ﴿ **هذه بضاعتنا ردت إلينا** ﴾ (١٣) أى قد ردت إلينا وقوله : ﴿ **أو جاءوكم حصرت صدورهم** ﴾ (١٤) أى قد حصرت صدورهم .

---

(١) الأعراف : ٣٨ . (٢) يوسف : ٣٢ . (٣) النور : ١٤ .
(٤) طه : ٧١ . (٥) الشورى : ١٠ . (٦) إبراهيم : ٩ .
(٧) النحل : ٨٩ . (٨) الإسراء : ٧٢ .
(٩) هذا غير صحيح بدليل ﴿ **لم حشرتنى أعمى** ﴾ طه : ١٢٥ . إذ لا مانع من أن يحشر الكافر أعمى وهو حق ثابت بالكتاب والسنة .
(١٠) التوبة : ٣٨ . (١١) المؤمنون : ١ . (١٢) البقرة : ٢٤٦ .
(١٣) يوسف : ٦٥ . (١٤) النساء : ٩٠ .

٣ ـ التقليل مع المضارع نحو قد يصدق الكذوب أى لتقليل الفعل الذى دخلت عليه وقد تكون للتأكيد والتحقيق مع المضارع فى مثل قوله تعالى : ﴿ **قد يعلم ما أنتم عليه** ﴾ [١] ، ﴿ **قد يعلم الله المعوقين منكم ...** ﴾ [٢] الآية .

٤ ـ التكثير نحو : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك فى السماء** ﴾ [٣] أى كثيراً ما نرى تقلب وجهك فى السماء .

٥ ـ التوقيع نحو قد يقدم الغائب ، يقال لمن يتوقع قدومه وعليه خرج قوله تعالى : ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها** ﴾ [٤] ، لأن خولة الشاكية كانت متوقعة إجابة ربها تعالى لدعائها .

الكاف : وهى حرف له معان منها :

١ ـ التشبيه وهو أشهرها نحو : ﴿ **وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام** ﴾ [٥] .

٢ ـ التعليل نحو قوله تعالى : ﴿ **واذكروه كما هداكم** ﴾ [٦] أى لأجل هدايته إياكم ونحو : ﴿ **ويكأنه لا يفلح الكافرون** ﴾ [٧] أى أعجب لعدم فلاحهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة** ﴾ [٨] . أى لأجل أن لهم ألهة .

٣ ـ التوكيد وهى زائدة وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾ [٩] ، إذ لو كانت غير زائدة للزم إثبات المثل لله تعالى وهو محال ، والتقدير ليس مثل الله تعالى شىء وإنما أفادت التوكيد وهى زائدة ، لأن نفى مثل المثل نفى للمماثلة بطريق برهانى عجيب . لأنه إذا بطل أن يكون للمثل مثل بطل أن يكون للذات مثل من باب أولى .

٤ ـ ترد اسماً بمعنى مثل فتكون فى محل إعراب ، ويعود عليها الضمير نحو قوله تعالى : ﴿ **كهيئة الطيرفأنفخ فيه** ﴾ [١٠] فالضمير فى فيه عائد على الكاف الاسمية وهى محل نصب لتخلق المتقدمة .

٥ ـ وتكون حرف خطاب فى مثل أسماء الإشارة نحو ذاك وذلك ، وكذا فى الضمائر على الراجح نحو إياك وقيل : هى مضاف إلى لفظ إيا الذى هو ضمير نصب .

---

(١) النور : ٦٤ . (٢) الأحزاب : ١٨ . (٣) البقرة : ١٤٤ .
(٤) المجادلة : ١ . (٥) الرحمن : ٢٤ . (٦) البقرة : ١٩٨ .
(٧) القصص : ٨٢ . (٨) ص : ٥ (٩) الشورى : ١١ .
(١٠) آل عمران : ٤٩ .

كاد : وهى فعل ناقص يكون منه الماضى والمضارع فقط ، وأسمه مرفوع وخبره مضارع مجرد من أن ومعناه المقاربة ، فنفيه نفى للمقاربة وإثباته إثبات لها ، نحو كاد يحفظ الدرس أي قارب حفظه ولم يحفظه ، وما كاد يحفظ أى لم يقارب حفظه ، وعليه فقول الكثيرين بأن كاد نفيها إثبات وإثباتها نفى ليس صحيحا .

كان : فعل ماض ناقص ومعناه فى الأصل المضى والانقطاع نحو : ﴿ **كانوا أشد منكم قوة** ﴾ [1] ، وتأتى بمعنى الدوام والاستمرار نحو : ﴿ **وكان الله غفورا رحيما** ﴾[2] . أى لم يزل كذلك أزلا وأبدا ، وعلى هذا تخرج جميع صفات الله تعالى المقترنة بكان ، ولذا قال الرازى : كان فى القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الأزل والأبد نحو : ﴿ **وكان الله عليما حكيما** ﴾ [3] .

الثانى : المضى والانقطاع وهو الأصل نحو : ﴿ **وكان فى المدينة تسعة رهط** ﴾ [4] .

الثالث : بمعنى الحال نحو : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ [5] .

الرابع : بمعنى الاستقبال نحو : ﴿ **يخافون يوما كان شره مستطيرا** ﴾ [6] .

الخامس : بمعنى صار نحو : ﴿ **وكان من الكافرين** ﴾ [7] .

وتأتى كان بمعنى ينبغى فى نحو : ﴿ **ما كان لكم أن تنبتوا شجرها** ﴾ [8] ، ﴿ **ما يكون لنا أن نتكلم بهذا** ﴾ [9] ، وبمعنى حضر أو وجد نحو : ﴿ **وإن كان ذو عسرة** ﴾ [10] أى وجد ، ﴿ **وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾ [11] كما ترد زائدة للتأكيد فى نحو : ﴿ **وما علمي بما كانوا يعملون** ﴾ [12] ، أى بما يعملون .

كل : اسم موضوع للدلالة على الإحاطة .

بأجزاء المفرد نحو أكلت الرغيف كله ، ﴿ **ولا تبسطها كل البسط** ﴾ [13] ، أو لاستغراق أفراد اسم الجنس المضاف هو إليه نحو : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [14] ، ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه** ﴾ [15] ، فإن كان للتوكيد لازم الإضافة نحو جاء القوم كلهم ، وأكلت الخبزة كلها ، وإلا فيجوز إضافته وقطعه عنها نحو ﴿ **كل الطعام**

---

(١) التوبة : ٦٩ . الروم : ٩ . (٢) النساء : ٩٦ . ومواضع أخرى . (٣) النساء : ١٧ . ومواضع أخرى .
(٤) النمل : ٤٨ . (٥) آل عمران : ١١٠ . (٦) الإنسان : ٧ .
(٧) البقرة : ٣٤ . (٨) النمل : ٦٠ . (٩) النور : ١٦ .
(١٠) البقرة : ٢٨٠ . (١١) النساء : ٤٠ . (١٢) الشعراء : ١١٢ .
(١٣) الإسراء : ٢٩ . (١٤) آل عمران : ١٨٥ . (١٥) الإسراء : ١٣ .

كان حلاً لبنى إسرائيل ﴾[1] ، ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾[2] .

(تنبيه)

إن أضيفت كل إلى نكرة وجب مراعاة معناها ، فلذا جاء الضمير مفردا مذكرا فى قوله تعالى : ﴿ **وكل شىء فعلوه من الزبر** ﴾[3] ، وجاء مفردا مؤنثا فى قوله تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾[4] .

وإن أضيفت إلى معرفة جاز مراعاة لفظها ومعناها فمثال الأول : ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** ﴾[5] فروعى هنا لفظ كل ، وكذا قوله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ، فقد روى فيه أيضا لفظ « كل » وهو مفرد مذكر فلذا لم يقل راعون ، ولا مسئولون .

ومثال الثانى : كل الطلاب واقف بالباب ، أو واقفون بالباب ، وإن قطعت عن الإضافة جاز مراعاة لفظها ومراعاة معناها نحو قوله تعالى : ﴿ **قل كل يعمل على شاكلته** ﴾[6] ، فروعى هنا لفظها ، وقوله : ﴿ **كل له قانتون** ﴾[7] فروعى هنا معناها وعلة هذا أن لفظ كل مفرد ، ومعناها الجمع ، فلذا جاز مراعاة لفظه ومعناه .

مســألة :

كل : إذا وصلت بما صارت أداة لتكرار الأفعال ، وعمومها قصدى ، وفى الأسماء ضمنى نحو : ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها** ﴾[8] ، فإذا جردت منها انعكس الحكم وصارت عامة فى الأسماء بالقصد ، وفى الأفعال بالضمن فقط ، ويظهر الفرق بينهما فى قول المرء : كل امرأة أتزوجها فهى طالق ، تطلق كل امرأة يتزوجها ، وتكون عامة فى جميع النساء لدخولها على الإسم وهو قصدى ولو تزوج امرأة ثم تزوجها مرة أخرى لم تطلق فى الثانية ، لعدم عمومها قصدا فى الأسماء ، ولو قال : كلما تزوجت امرأة فهى طالق فتزوج امرأة مرارا طلقت فى كل مرة ، لاقتضائها عموم الأفعال قصدا وهو التزوج .

---

(١) آل عمران : ٩٣ . (٢) يس : ٤٠ . (٣) القمر : ٥٢ .
(٤) آل عمران : ١٨٥ . (٥) مريم : ٩٥ . (٦) الإسراء : ٨٤ .
(٧) البقرة : ١١٦ . الروم : ٢٦ . (٨) النساء : ٥٦ .

لعل : حرف تنصب الاسم وترفع الخبر وله معان منها :

١ ـ التوقع وهو الترجي في المحبوب نحو : ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ [١] .

والإشفاق في المكروه نحو : ﴿ **لعل الساعة قريب** ﴾ [٢] .

٢ ـ التعليل نحو : ﴿ **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ [٣] .

٣ ـ الاستفهام في نحو : ﴿ **لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً** ﴾ [٤] ، ﴿ **وما يدريك لعله يزكى** ﴾ [٥] ولذا علق بيدرى .

وحكى البغوى عن الواقدى أن لعل في القرآن كلها للتعليل ، إلا في قوله : ﴿ **لعلكم تخلدون** ﴾ [٦] فإنها للتشبيه ، ولذا قرىء في الشاذ كأنكم تخلدون .

لو : وهى حرف شرط في المضى يصرف المضارع إليه ، عكس أن الشرطية وتختص بالدخول على الفعل ولو تقديرا نحو : ﴿ **قل لو أنتم تملكون** ﴾ [٧] .

وجوابها مضارع منفى بلم أو ماض مثبت أو منفى بما ، والغالب على المثبت دخول اللام عليه نحو : ﴿ **لو نشاء لجعلناه حطاما** ﴾ [٨] ، والغالب على المنفى تجرده منه نحو : ﴿ **ولو شاء ربك ما فعلوه** ﴾ [٩] .

(تنبيه)

قد ترد لو شرطية في المستقبل وهى التى يصح موضعها أن نحو : ﴿ **ولو كره المشركون** ﴾ [١٠] كما ترد للتمنى نحو : ﴿ **لو أن لنا كرة** ﴾ [١١] فيصح وقوع ليت بدلها .

أقسام التفسير

إن واقع التفسير اليوم يجعله عدة أقسام ، وإنه ليجمل بطالب التفسير أن يعلم بما يمكن من هذه الأقسام العدة ، ليكون على بصيرة في فهم كتاب الله تعالى ، وبيانه للناس بلاغا عن رسول الله ﷺ القائل : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » في الصحيح .

وسنذكر بعون الله تعالى هذه الأقسام بإيجاز فنقول :

---

(١) البقرة : ١٨٩ . ومواضع أخرى . (٢) الشورى : ١٧ . (٣) طه : ٤٤ .
(٤) الطلاق : ١ . (٥) عبس : ٣ . (٦) الشعراء : ١٢٩ .
(٧) الإسراء : ١٠٠ . (٨) الواقعة : ٦٥. (٩) الأنعام : ١١٢ .
(١٠) التوبة : ٣٣ ، والصف : ٩ . (١١) البقرة : ١٦٧ ، الزمر : ٥٨ .

الأول منها التفسير بالمأثور وهو أربعة أنواع :

الأول : تفسير القرآن بالقرآن ، وذلك كأن يذكر الله تعالى فى كتابه لفظا مجملا ويبينه بلفظ آخر مثال ذلك « الهلع » فى قوله تعالى من سورة المعارج : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا** ﴾ (١) فإنه فسره بقوله : ﴿ **إذا مسه الشر جزوعا وإذ مسه الخير منوعا** ﴾ (٢) ، « وعسعس » فى قوله من سورة التكوير : ﴿ **والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس** ﴾ (٣) فإن لفظ « عسعس » محتمل لإقبال الليل وإدباره ففسره قوله تعالى من سورة المدثر : ﴿ **والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر** ﴾ (٤) ، ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾ (٥) من سورة البقرة فإن الكلمات المبهمة هنا فسرت بقوله تعالى من سورة الأعراف : ﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ (٦) ، ﴿ **أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم** ﴾ (٧) ، من سورة المائدة ، فما يتلى علينا مجمل فسر بقوله تعالى من السورة نفسها : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ...** ﴾ (٨) الآية .

وهذا النوع من أنواع التفسير بالمأثور هو أصحها وأسلمها ، ولذا قال السلف : خير ما فسر به القرآن القرآن .

الثانى : تفسير القرآن بالسنة ، وهذا النوع مساو فى الصحة والسلامة للنوع الذى تقدمه على شرط أن تكون السنة المفسرة ثابتة عن النبى ﷺ ، صحيحة لا مطعن فيها ، مثال ذلك تفسيره ﷺ الظلم بالشرك فى قول الله تعالى من سورة الأنعام : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ (٩) فقد خفى معنى الظلم هنا على الصحابة ، فخافوا أن يكون معنى الظلم هنا عاما يشمل ظلم كل امرىء لنفسه بذنب من الذنوب ، فسألوا الرسول ﷺ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه يا رسول الله ؟ فقال لهم ﷺ : إنه الشرك : ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح ﴿ **يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ (١٠) من سورة لقمان .

وتفسيره ﷺ المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى من سورة الفاتحة .

وتفسيره الخيط الأبيض والخيط الأسود من قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ **وكلوا**

(١ ، ٢) المعارج : ١٩ ـ ٢٠ . (٣) التكوير : ١٧ ، ١٨ . (٤) المدثر : ٣٣ ، ٣٤ .
(٥) البقرة : ٣٧ . (٦) الأعراف : ٢٣ . (٧) المائدة : ١ .
(٨) المائدة : ٣ . (٩) الأنعام : ٨٢. (١٠) لقمان : ١٣ .

واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ [1] ، فسره بظلمة الليل وضياء النهار ، وتفسيره ﷺ الحساب اليسير فى قوله تعالى : ﴿ **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ [2] من سورة الانشقاق فسره بالعرض ، إذ حدث مرة فقال : « من نوقش الحساب عذب » ففهمت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن بين الآية والحديث المذكورين تعارضا فسألت الرسول ﷺ عن ذلك ؟ فقال لها : « إنما ذلك العرض » .

الثالث : تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابه رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، كابن عباس ، وعلى بن أبى طالب ، وغيرهما من كبار الصحابة وعلمائهم كأبى بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وابن مسعود ، وأبى بن كعب ، وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، فمتى صحت الرواية عنهم فى تفسير لفظ قرآنى تعين قبوله ، ولا يصح العدول عنه إلى قول غيره من أقوال التابعين ومن أتى بعدهم ، وذلك لأن الصحابة رضى الله عنهم شهدوا نزول القرآن وبيان الرسول ﷺ له بالقول والفعل ، وطبق عليهم كما نزل وأمروا به ، مع سلامة عقائدهم وطهارة أرواحهم وخلوص ألسنتهم من لوثة العجمية لعدم اختلاطهم بالأعاجم من الناس كثيرا ، فلذا كانوا أعرف الناس بكلام الله تعالى بلا منازع .

الرابع : المأثور عن التابعين ، وهم تلامذة ابن عباس ، وابن مسعود ، وعلى ابن أبى طالب ، وأبى بن كعب الأنصارى ممن تلقوا التفسير عن كبار الصحابة وعلمائهم ، وأولئك هم كمجاهد بن جبر ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس ، والضحاك ، ومسروق ، وقتادة ، والحسن البصرى ومن إليهم .

فالمروى من التفسير عن هؤلاء وأمثالهم من التابعين يقدم ويفضل عن تفسير من أتى بعدهم من علماء الإسلام على اختلاف طبقاتهم ، وتباين شأنهم فى التفسير ، وذلك لأن ما يروى عن التابعين من التفسير غالبه مأثور عن الصحابة أو مرفوع إلى النبى ﷺ ، ومن هنا وجب اعتباره والأخذ به وتقديمه على غيره من تفسير من أتى بعدهم ، وهذا إن صحت الرواية عنهم ، وانتهت بسند صحيح إليهم ، وإلا فلينظر فيه فإن وافق سبيل الله تعالى وسار معها قبل ، وإلاوجب رده وإلاعراض عنه ونعنى بسبيل اللّه تعالى هنا أن يكون التفسير للفظ القرآنى موافقا لدلالة اللفظ عليه بلا تكلف ، وأن يكون هاديا إلى ما يهدى إليه القرآن الكريم من توحيد الله تعالى وعبادته بفعل أوامره واجتناب نواهيه وإقامة حدوده ، ومن الإيمان برسوله محمد ﷺ وطاعته وتعزيزه وتوقيره وتعظيمه ومحبته ومحبة آل بيته

---

(١) البقرة : ١٨٧ . (٢) الانشقاق : ٨ .

وأصحابه ، ومن نصر دينه وأمته وموالاتها ، وموالاة من يواليها ومعاداة من يعاديها ، أما إذا كان التفسير المأثور لا يهدى إلى مثل هذا ، بل يهدى إلى نقيضه فهو باطل مردود لا يقبل وإن صح فيه النقل عن التابعى أو الصحابى ، وحاشا أن يصح من هذا النوع شيء ، لأن الله حافظ هذا الدين وعاصم هذه الأمة من الاجتماع على الخطأ والضلالة .

هذا وإن هذه الأنواع الأربعة من أقسام التفسير وإن تفاضلت فيما بينها فكان أولها أعلاها ، وآخرها أدناها فإنها تندرج كلها تحت قسم واحد وهو التفسير بالمأثور المقابل للتفسير بالرأى أو المعقول .

الثانى من أقسام التفسير :

وهو التفسير بالدراية العلمية ، وحقيقتها : أن يكون المفسر لكتاب اللّه تعالى ذا علم ودراية واسعة بالشريعة الإسلامية أصولاً وفروعاً ، فيفسر كلام اللّه تعالى ، لبيانه للناس وهدايتهم به معتمداً فى تفسيره على بيان القرآن نفسه وعلى ما صح من تفسير النبى ﷺ ، وتفسر أصحابه والتابعين لهم ، ثم على دلالة الألفاظ القرآنية على معانيها ، إذ صاحب الدراية العلمية كان قد عرف لغة العرب التى نزل بها القرآن وحفظ مفرداتها وفهم تراكيبها ، وتذوق أساليبها وألم بإشاراتها وكناياتها .

وهو بهذا يكون قد جمع بين التفسير بالرواية والدراية ، فأصبح أقرب إلى فهم كتاب اللّه تعالى ، وأبعد عن الوقوع فى الخطأ فيه ، وهذا التفسير المحمود صاحبه ، المطلوب وجوده بين المسلمين ، والمعول عليه فى فهم كتاب اللّه تعالى والعمل به ، والاهتداء بهديه ، وأقرب مثال للتفسير من هذا النوع هو تفسير ابن جرير الطبرى المعروف : بجامع البيان ، وكذا تفسير أبى الفداء ابن كثير رحمهما اللّه تعالى ورضى عنهما .

القسم الثالث من أقسام التفسير :

التفسير بالرأى وبالمعقول ، وهو تفسير كتاب اللّه تعالى بغير المنقول والمأثور عن رسول اللّه ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بل هو تفسير باجتهاد المفسر الخاص ، ورأيه الذى تكون له من معارفه السابقة التى من بينها معرفة اللغة العربية بمفرداها وتراكيبها ، وأساليبها البلاغية المختلفة ، والقول الفصل فى هذا : أن المفسر بالرأى إذا كان من أهل المعرفة بشريعة الإسلام أصولاً وفروعاً ، وكان من أهل الإيمان والتقوى ، وكانت معرفته بلغة العرب معرفة واسعة كافية جاز له ذلك ، إذ هو مأمون من أن يضل بكتاب اللّه فيحرم ما

أحل أو يحلل ما حرم ، أو يلصق به ما ليس منه ، أو يخرج عن دائرة ما يدعو إليه القرآن ويهدى إليه من الإيمان والتقوى ، وإن كان المفسر بالرأى قليل المعرفة بلغة العرب بعيداً عن صادق الإيمان وحقيقة التقوى فإنه يحرم عليه أن يفسر القرآن بمحض رأيه ومجرد عقله ، وذلك لما يقضى به الأمر إلى القول على اللّه تعالى بدون علم وهو من أعظم الذنوب ، وأكبر الخطايا لقول اللّه تعالى : ﴿ **قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير حق ، وأن تشركوا باللّه ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على اللّه ما لا تعلمون** ﴾ (١) ، ولقول الرسول ﷺ : « واتقوا الحديث علىَّ إلا ما علمتم ، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذى وإسناده لا بأس به .

(تنبيه)

قد يستثنى من التفسير بالرأى الممنوع ما كان من جنس التدبر لكتاب اللّه تعالى للعبرة والاتعاظ ، إذ المؤمن مطلوب منه أن يقرأ القرآن ويتدبره قال تعالى : ﴿ **كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب** ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ (٣) ، ومن هنا كان لا بأس بالمؤمن ولو قلت معرفته باللغة العربية وبالشريعة الإسلامية أن يقرأ ويتدبر معانيه لما يكسبه ذلك من الخشية ورقة القلب ، وصلاح الخلق والحال .

القسم الرابع : التفسير بالإشارة :

إن هذا القسم من أقسام التفسير هو فى حقيقتة تحريف لكلام اللّه تعالى وافتراء على اللّه عز وجل ولذا هو محرم باطل لا تحل قراءته ، ولا يجوز نقله وتداوله إلا لبيان فساده والرد عليه وإنكاره ، وهو ضربان :

الأول : ما كان من تفسير الصوفية ، فإنهم وإن لم يأتوا فيه بباطل من القول وزور غير أنهم قالوا على اللّه تعالى ما لم يقل ، وألزموه بمعنى لم يرده وكفى بهذا إثماً عظيماً وضلالا مبيناً .

وهذا نموذج من تفسيرهم بالإشارة : لما أنهى النيسابورى تفسير قوله تعالى : ﴿ **إن اللّه يأمركم أن تذبحوا بقرة ...** ﴾ (٤) الآيات قال فى التفسير الإشارى : ذبح البقرة إشارة

---

(١) الأعراف : ٣٣ . (٢) ص : ٢٩ .
(٣) النساء : ٨٢ . محمد : ٢٤ . (٤) البقرة : ٦٧ .

إلى ذبح النفس البهيمية ، فإن فى ذبحها صلة القلوب بالله تعالى وهو الجهاد الأكبر . ما هى ؟ إنها بقرة أى نفس تصلح للذبح بسيف الصدق « لا فارض » فى سن الشيخوخة فيعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف قوته البدنية كما قيل : الصوفى عند الأربعين لا فارض ، « ولا بكر » فى سن شرخ الشباب يستويه شكره .

﴿ **عوان بين ذلك** ﴾ [(١)] لقوله تعالى : ﴿ **حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة** ﴾ [(٢)] صفراء إشارة إلى صفرة وجوه أصحاب الرياضات ﴿ **فاقع لونها** ﴾ [(٣)] يريد صفرة زين لا صفرة شين فإنها سيما الصالحين ، ﴿ **لا ذلول تثير الأرض** ﴾ [(٤)] لا تحتمل ذلة الطمع ، ولا تثير بألة الحرث أرض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ﴿ **ولا تسقى الحرث** ﴾ [(٥)] لا تسقى حرث الدنيا بماء الوجه عند الخلق فيذهب بهاؤه عند الحق .

﴿ **مسلمة** ﴾ [(٦)] من آفات صفاتها ، وليس علامته طلب غير الله تعالى .

الثانى : ما كان من تفسير غلاة الباطنية وزنادقه الشيعة وضلالهم ، وهذا نموذج لتفسيرهم لبعض آيات الكتاب الكريم .

﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ [(٧)] أى عائشة رضى الله عنها وأخزاهم ولعنهم .

﴿ **يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾ [(٨)] أى موالاة على رضى الله عنه ، الوضوء عبارة عن موالاة الإمام .

الغسل : تجديد العهد ممن أفشى سراً من أسرارهم من غير قصد .

الصفا : النبى ﷺ ، والمروة على رضى الله عنه .

الجنة : راحة الأبدان من التكاليف ، والنار : مشقة الأبدان بمزاولة التكاليف .

أنهار الجنة : اللبن ، العلم الباطن : الخمر : العلم الظاهر ، العسل : علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة .

هذا والتقويم الصحيح لهذا الهراء الباطل هو أنه ليس بتفسير لكلام الله تعالى ، وإنما هو تحريف له وتبديل وتغيير ، يريد أصحابه من وراءه إفساد ملة الإسلام والقضاء عليه ،

---

(١) البقرة : ٦٨ . (٢) الأحقاف : ١٥ . (٣) البقرة : ٦٩ . (٤) البقرة ٧١ .
(٥ ، ٦) البقرة : ٧١ . (٧) البقرة : ٦٧ . (٨) المائدة : ١ .

لأنهم لم يكـونوا أبداً مسلمين ولا مؤمنين ، وإنما هم مجوس حانقون عن الإسلام كائدون له ، لم يفتؤوا متعاونين فى الظاهر والباطن مع أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ، فاللهم العنهم واقطع دابرهم وأرح أمة الإسلام منهم ، ومن كيدهم وشرهم ، إنك على كل شىء قدير .

(تنبيهان) :

الأول : إن هناك ما يسمى بالتفسير العلمى والمراد به استنباط العلوم الكونية والآلية الصناعية من آيات القرآن الكريم كالحساب والجبر والطب والهندسة والنجوم والسحر والهيئة والفلك والذرة وما إلى ذلك من العلوم الكونية والمعارف البشرية .

وقد قال بهذا النوع من التفسير بعض علماء الإسلام المتقدمين كالغزالى والسيوطى ، والمتأخرين كصاحب الجواهر ، إذ حشا تفسيره بالعلوم الكونية بصورة لا نظير لها ، وقد أنكر هذا الضرب من التفسير الإمام الشاطبى رحمه اللّه تعالى ، وهومحق لأنه خروج بالقرآن عن القصد الأول منه ، والذى هو الهداية الروحية والعقلية ، والاستقامة على منهاج الحق والخير لإعداد الإنسان للكمال وتهيئته بالإيمان والعلم والتقوى لسعادة الدنيا والآخرة .

الثانى : أن بعض أهل العلم تناول من كتاب اللّه تعالى جانباً خاصاً فأولاه عنايته وخصه بالشرح والتفسير دون سائر ما فى القرآن الكريم من آيات بينات ، ويسمى هذا بالتفسير (الموضـوعى) وذلك لتنـاوله موضوعاً خاصاً كالأحكام ، أو الأمثال ، أو القصص ، أو الجدل ، أو الإعجاز ، أو الناسخ والمنسوخ ، وما إلى ذلك ، ومن أشهر هذه التفاسير الموضوعية أحكام القرآن للجصاص ، وأحكام القرآن لابن العربى ، وأسباب النزول للواحدى ، وإعجاز القرآن لمصطفى صادق الرفاعى .

التفاسير :

بعد بياننا للتفسير بالمعنى الاسمى ، وبياننا لحكمه وفضله ، ومصادره وأقسامه ، وما يحتاج إليه المفسر من العلوم العامة ، وما يحتاج إليه من الأدوات الخاصة ، نذكر الآن جملة من التفاسير بالمعنى المصدرى ، سواء منها ما كان بالمأثور والرواية ، أو ما كان الرأى والدراية ، والقصد من هذا وضع قائمة بأسماء أشهر التفاسير قديماً وحديثاً يذكر فيها إمام كل تفسير اسم صاحبه وتاريخ وجوده وقيمة تفسيره من الناحية العلمية ليرغب فيه ، أو

يرغب عنه ، ليكون طالب التفسير ذا إلمامة بطائفة من التفاسير المتداولة وغيرها ، والعلم بالشيء خير من الجهل به ، وها هي تلك القائمة مرتبة بحسب تاريخ وجود أصحابها الزماني :

١ ـ **جامع البيان في تفسير القرآن** : للإمام ابن جرير الطبري ، المولود سنة ٢٢٤ هـ وهو يقع في ثلاثين جزءاً ، جمع فيه مؤلفه بين الرواية والدراية ، إذ صنيعه فيه أنه يشرح اللفظ القرآني شرحاً يبرز معناه في صورة واضحة جلية في عبارة مختصرة شافية ـ في غالب تفسيره ـ ثم يعقب على ذلك يذكر المأثور من أقوال أهل التفسير كابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وسعيد بن جبير وغيرهم مستشهداً بالمأثور على صحة ما ذهب إليه في تفسير الآية التي فسرها ، وهو لسبقه في الجمع بين الرواية والدراية يعتبر إماما بحق لكل من أتى بعده من المفسرين ، ويعد تفسيره مرجعاً مهماً في باب التفسير ، لا يستغنى عنه بحال .

ويلاحظ هنا أن الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى كان قد تمذهب بمذهب الإمام الشافعي فترة من الزمن ، ثم كون مذهباً خاصاً به اجتهاداً منه في نصوص الكتاب والسنة فتحرر من التقليد ، فلذا لم يظهر في تفسيره أي تأثر بأي مذهب من المذاهب الفقهية على خلاف للمفسرين المقلدين .

٢ ـ **بحر العلوم** : لأبي الليث السمرقندي الفقيه الحنفي المتوفى سنة ٣٧٥ هـ وهو من التفسير بالمأثور غير أنه لا يذكر إسناده إلى من يروى عنهم ، ولا يعقب في الغالب على الروايات التي يوردها عن السلف مستشهداً بها على المعنى القرآني الذي يقول به على خلاف ما عليه الإمام ابن جرير في تفسيره ومن مميزات هذا التفسير أن مؤلفه يذكر الإشكالات التي قد ترد على ظاهر اللفظ القرآني ثم لا يجيب عنها ، كما يعرض للفظ الذي يوهم الاختلاف أو التضاد ويزيل الإبهام ، ولذا فالتفسير قيم نافع وهو يقع في ثلاثة مجلدات كبار مخطوطة حيث لم يطبع بعد ، خرج أحاديثه زين الدين قاسم بن طلوبغا الحنفي سنة ٨٥٤ هـ .

٣ ـ **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** : لأبي إسحق الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ وهو تفسير كبير الموجود منه أربع مجلدات مخطوطة تنتهي إلى آخر سورة الفرقان ، بمكتبة الأزهر ، وباقيه مفقود ، وقيل يوجد هذا التفسير بمكتبة إسكوريال من أسبانيا .

وهذا التفسير جمع فيه مؤلفه بين النقل والعقل ، يتوسع مؤلفه فى المسائل النحوية والفقهية ويكثر النقول ، ولا يميز بين صحيحها وضعيفها حتى قيل فيه : إنه كحاطب ليل ، قال فيه شيخ الإسلام بن تيمية : والثعلبى هو فى نفسه كان فيه دير ودين ، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع ، ومن كلمة شيخ الإسلام هذه تظهر قيمة هذا التفسير الذى قال فيه مؤلفه : إنه جمعه مستخرجاً إياه من زهاء مائة كتاب .

٤ ـ **معالم التنزيل** : لأبى محمد البغوى المحدث الشافعى المتوفى سنة ٥١٠ هـ وهو تفسير مطبوع على هامش تفسير ابن كثير ، وهامش الخازن وهو جامع بين الرواية والدراية ، مهذب لا بدع فيه ، ولا تضليل به ، نقله المؤلف من تفسير الثعلبى كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد سئل عن أى التفاسير أقرب إلى السنة : الزمخشرى أم القرطبى ، أم البغوى أم غير هؤلاء ؟؟ فقال : وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدع والأحاديث الضعيفة البغوى ، لكنه مختصر من تفسير الثعلبى وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التى فيه ، وحذف أشياء غير ذلك ، ومن هذه الكلمة لشيخ الإسلام تظهر قيمة معالم التنزيل للبغوى ، وأنه تفسير نافع صالح للاستفادة منه ، والتعويل على ما جاء فيه فى باب التفسير ، وقال فيه صاحب كتاب التفسير والمفسرون الشيخ محمد حسين الذهبى ، والذى اعتمدنا عليه فى كتابة هذه التراجم قال فيه : وعلى العموم فالكتاب فى الجملة أحسن وأسلم من كثير من كُتب التفسير بالمأثور ، وهو متداول بين أهل العلم .

٥ ـ **المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز** : لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى المغربى المتوفى سنة ٥٤٦ هـ .

وهو تفسير جليل جامع بين الرواية والدراية عمدة فى التفسير والحق يقال : يرغب فيه ويعول عليه ، كان هذا التفسير المبارك مخطوطة وقد يسر اللّه تعالى طبعه فى هذه الأيام فطبع وأصبح الحصول عليه سهلاً متيسراً والحمد للّه .

قومه ابن خلدون بقوله فى مقدمته : جاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك فى كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى ، فنكتفى بكلمة ابن خلدون هذه فى تقويم هذا التفسير الجليل .

٦ ـ **مفاتيح الغيب** : لأبى عبد الله التميمى البكرى الطبرستانى الرازى ، والمعروف بالفخر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

والكتاب موسوعة علمية فى المعقولات ، يقوم على أساس الدراية فقط ولا شىء من الأثر والرواية فيه إلا ما قبل وندر ، فهو من باب التفسير بالرأى والمعقول حتى قال بعضهم : إن تفسير الرازى فيه كل شىء إلا التفسير ، وليس كما قال بل فيه من التفسير الشىء الكثير ، وإنما عيبه أن صاحبه حانق على السلفية ناقم عليها متعصب لمذهب الخلف القائم على أساس تأويل صفات الحق عز وجل وهو مذهب باطل ، وبالجملة : فصاحب هذا التفسير فى باب الصفات يكاد يكون جهمياً خالصاً والعياذ بالله تعالى ، وإن تعجب فعجب قولهم فى تفسيره ، وقد ألف ابن خزيمة كتاباً سماه كتاب التوحيد وهو كتاب الكفر ... ومن خلال النظر فى هذه الكلمة تظهر قيمة هذا الكتاب ومدى انتفاع المسلم به !!!

٧ ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** : للقاضى البيضاوى الفارسى الشافعى المذهب المتوفى سنة ٦٨٥ هـ أخذه مؤلفه من عدة تفاسير كالكشاف للزمخشرى ، ومفاتيح الغيب للرازى وغيرهما ، وكان مؤلفه رحمه الله تعالى عالماً ضليعاً فى شتى الفنون وخاصة فى العلوم العربية ، فجاء تفسيره مرجعاً يرجع إليه فى كثير من المسائل العلمية الدقيقة ، ولذا تداوله العلماء وعلقوا عليه وحشوا حتى بلغت حواشيهم ما ينيف على أربعين حاشية من بينها حاشية الشهاب الخفاجى .

وصف هذا التفسير صاحب كشف الظنون فقال : كتاب عظيم الشأن غنى عن البيان لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعانى والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالإشقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات ، وضم إليه ما ورى زناد فكره من الوجوه المقولة فجلا رين الشك عن السريرة ، وزاد فى العلم بسطة وبصيرة .

ومن خلال وصف صاحب كشف الظنون له تظهر قيمة هذا التفسير المعدود من التفسير بالرأى والدراية لا بالمأثور والرواية .

٨ ـ **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** : لأبى البركات النسفى الحنفى المتوفى سنة ٧٠١ هـ وهو تفسير متوسط الحجم يقع فى أربع مجلدات ، أخذه مؤلفه من الكشاف للزمخشرى ، ومن أنوار التنزيل للبيضاوى ، قال صاحب كشف الظنون فى وصفه :

مختصراً من تفسير الكشاف جامعاً لمحاسنه متحاشياً مساوئه ، ومن تفسير البيضاوى حتى أنه ليأخذ عبارته بنصها أو قريباً منه ويضمنها تفسيره .

وهو من التفسير بالدراية وينتصر صاحبه فى المسائل الفقهية للمذهب الحنفى ويعرض للقراءات السبع ولا يزيد عليها ، وبالجملة : فالكتاب صالح للنظر فيه والاطلاع عليه والأخذ منه عند الحاجة إليه .

٩ ـ **لباب التأويل فى معانى التنزيل** : لعلاء الدين الخازن المتوفى بحلب سنة ٧٤١ هـ وقع هذا التفسير فى سبع مجلدات ، أخذه مؤلفه من البغوى ومن عدة تفاسير ، سمته أنه يكثر من الإسرائيليات ، وغرائب الأخبار ، ونفائس الآثار ، وفيه من شتى العلوم والحق يقال ، وهو تفسير نافع وخاصة فى باب الوعظ والإرشاد جمع بين الدراية والرواية غير أنه إلى الدراية أقرب إلى الرواية على كثرة ما فيه من الروايات والأخبار .

١٠ ـ **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** : لنظام الدين أبى الحسن الخراسانى المعروف بالقمى النيسابورى المتوفى حسبما قال صاحب كشوف الظنون سنة ٧٢٨ هـ وهو تفسير بالمعقول أخذه مؤلفه من عدة تفاسير من بينها الكشاف للزمخشرى والتفسير الكبير للرازى وغيرهما .

وهو تفسير جامع لشتى العلوم والفنون كالقراءات والفقه ، وعلم الكلام والفلسفة ، والكونيات ، ولم يخل حتى من الإشارات الصوفية ، فكان بذلك تفسيراً جامعاً لا يستغنى عنه طالب العلم ، ولنترك لصاحب روضات الجنات ، يقوم لنا هذا الكتاب فيقول : تفسير القمى من أحسن شروح كتاب الله تعالى المجيد وأجمعها للفوائد اللفظية والمعنوية ، وأحوزها للفوائد القشرية واللبية ... والكتاب مطبوع على هامش ابن جرير الطبرى ، ومتداول بين أهل العلم فى الشرق والغرب .

١١ ـ **البحر المحيط** : لأبى عبد الله محمد بن يوسف الغرناطى المعروف بأبى حيان المتوفى سنة ٧٤٥ هـ وهو تفسير جليل يقع فى ثمانى مجلدات كبيرة ، وهو من التفسير بالدراية ، سمته الخاصة به الإعراب للمفردات القرآنية وشرحها بعناية كافية ، ولا يخلو من اللطائف كالمناسبات بين السور والآيات ولا من النكات البلاغية ، والمسائل الفقهية ، وهو مرجع من مراجع التفسير بحق ، أخذ مؤلفه الكثير من تفسيرى : ابن عطية والزمخشرى ، واعتمد كل الاعتماد على كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لأبى النقيب رحمه الله تعالى ، والذى بلغت أجزاؤه مائة جزء كما قال عنه أبو حيان نفسه .

١٢ ـ **تفسير القرآن العظيم** : لعماد الدين أبى الفداء ابن كثير الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ وشهرة هذا التفسير تغنى عن التعريف به وهو تفسير جامع بين الرواية والدراية ، خال من البدع والضلالات ، يقرر عقيدة السلف وينصرها ويذكر من الروايات صحيحها وسقيمها حتى إذا قضى ما أراده شاهداً ، أو عظة أوعبرة على تلك الروايات وصحح صحيحها وأبطل باطلها ، فلذا كان هذا التفسير من أنفع التفاسير وأكثرها تداولاً بين علماء المسلمين ، وهو متوسط بين الطول والقصر ، يقع فى أربع مجلدات كبيرة ، وقد اختصره الشيخ نسيب الرفاعى الشامى بحذف كل الروايات الضعيفة منه والاكتفاء بالروايات الصحيحة فيه .

١٣ ـ **تنوير المقياس من تفسير ابن عباس** : ولم يكن ابن عباس قد جمع هذا التفسير ولا كتبه ، وإنما جمعه أبو طاهر الفيروزآبادى صاحب القاموس المحيط المتوفى رحمه اللّه وأسانيده فيه لا تخلو من الوضع بحال وحسبنا أن يقول الإمام الشافعى رحمه اللّه تعالى : لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبه مائة حديث ، وقيمة هذا التفسير العلمية أنه ينظر فيه ، ولا يعول عليه ، وهو يعد من التفسير بالمأثور على كل حال .

١٤ ـ **الجواهر الحسان فى تفسير القرآن** : لأبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبى الجزائرى المتوفى سنة ٨٧٦ هـ وتفسيره يقع فى أربع مجلدات ، وهو عبارة عن اختصار كامل لتفسير ابن عطية مع نقول أخرى نقلها مفسرة من أكثر من مائة تفسير ، إذ قال رحمه اللّه تعالى فى مقدمته ما نصه : فإنى قد جمعت لنفسى ولك فى هذا المختصر ما أرجوا أن يقر اللّه به عينى وعينك فى الدارين ، وقد ضمنته بحمد اللّه تعالى المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة مما رأيته أو رويته عن الإثبات ، وذلك قريب من مائة تأليف ، وما فيها تأليف إلا وهو لإمام مشهور بالدين ، ومعدود فى المحققين أ هـ .

ومن كلمة المؤلف هذه تظهر قيمة هذا التفسير ، وأنه تفسير جامع بين الرواية والدراية جدير بالنظر فيه والإطلاع والاستفادة منه ، وحسبه أن يكون مختصر المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسى ، فجزاهما اللّه خيراً على عملهما ، وصالح نيتها .

١٥ ـ **الدر المنثور فى التفسير المأثور** : للحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ وهذا التفسير هو التفسير الوحيد الذى رأيناه للمتأخرين لم يجمع إلى الرواية

الدراية ، فهو أثرى محض ، أو رد فيه مؤلفه ما أمكنه ووصلت إليه يده من الأحاديث التى رواها السلف فى التفسير ، سواء ما كان منها صحيحاً أو ضعيفاً . أو موضوعاً ، ولم يتعرض لما رواه فى هذا التفسير من الآثار بتصحيح أو ترجيح ، فلهذا يحتاج هذا الكتاب إلى تخريج أحاديثه بتصحيح ما صح منها ، وتضعيف ما ضعف ، لتكون الفائدة منه أكبر والأخذ منه أنفع وأسلم ، والكتاب يقع فى ستة مجلدات اختصره مؤلفه من كتاب كبير له يسمى « ترجمان القرآن » كان قد جمع فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف ، وقيمة هذا التفسير لا تنكر وفوائده لا تحد ولا تحصر وذلك لمن كان ذا خبرة بنقد الأحاديث ، ومعرفة صحيحها وسقيمها وعليه : فليكن المطالع لهذا الكتاب على حذر ، والأخذ منه على بينة من الأمر حتى لا يعنى غير الثمر ولا يدخر مالا يدخر .

١٦ ـ **تفسير الجلالين** : جلال الدين المحلى المتوفى سنة ٨٦٤ هـ وجلال الدين السيوطى ، اشترك هذان العالمان فى تأليفه ، ففسر الجلال المحلى سورة الكهف وما بعدها إلى سورة الناس ، ثم فسر سورة الفاتحة وتوفى فجاء الجلال السيوطى ففسر البقرة وما بعدها إلى آخر سوة الإسراء فنسب التفسير إليهما معاً ، وهو تفسير مبارك نفع اللّه تعالى به ، ولولا تأويل الجلالين آيات الصفات جرياً منهما على مذهب أهل الكلام لكان هذا التفسير من أجل التفاسير وأكثرها نفعاً وبركة ، فإنه على اختصاره مفسر لكلام اللّه تعالى مبيناً المراد منه ، وهو يعتبر من التفسير بالدراية يطبع أحياناً على هامش المصحف الكريم ، ويطبع أحياناً جزءاً مستقلاً وعليه حاشية للصاوى تحتاج إلى تصحيح وتنقيح ، إذ كثيراً ما يتهجم على أعلام السلفيين ويطعن فيهم بل يسبهم ويشتمهم وما كان له ذلك لولا فساد معتقده وضلال عقله والعياذ باللّه تعالى ، ولولا تخبط الصاوى فى مسائل العقيدة ، وعداؤه السافر للسلفيين لكانت حاشيته نافعة ومفيدة ، ومن ميزة تفسير الجلالين أنه إذا كان اللفظ القرآنى يحتمل معنيين أو أكثر أنه يأخذ بما رجحه أهل التفسير منها ، فلذا كان أصح التفاسير العقلية المعتمدة على الدراية دون الرواية .

١٧ ـ **السراج المنير** : للعلامة شمس الدين الشربينى المعروف بالخطيب الشربينى المتوفى سنة ٩٧٧ هـ ، وهو تفسير وسط بين الطول والقصر أخذه مؤلفه من عدة تفاسير كالبغوى ، والبيضاوى ، والرازى ، وغيرهم فجمع فيه بين الرواية والدراية ، إن

عرض للقراءات لا يتجاوز بعض السبع منها ، وإن تعرض للإعراب لم يتجاوز ما تدعو إليه الحاجة ، يعنى بالمسائل الفقهية ويقررها يوهن الأحاديث والآثار الضعيفة وينبه عليها ولا يغفلها ، يذكر فى الغالب المناسبات من الآيات تبعاً للرازى وغيره ، يورد الإسرائيليات أحياناً ولا يتعقبها بتصحيح ولا إبطال على خلاف ما يورد من السنن والآثار فإنه كما ذكرنا منها يصح منها الصحيح ، ويضعف الضعيف ، وبالجملة : فهذا التفسير المعروف بالسراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير ـ تفسير صالح للاطلاع عليه ، والأخذ منه والانتفاع به وقد قومه مؤلفه فى كلمة ختامية هذا نصها : فدونك تفسيراً كأنه سبيكة عسجد ، أو در منضد ، جمع من التفاسير معظمها ، ومن القراءات متواترها ، ومن الأقاويل أظهرها ، ومن الأحاديث صحيحها وحسنها ، محرر الدلائل من هذا الغث ، مظهراً لدقائق استعمالنا الفكر فيها إذا الليل جن .

١٨ ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** : لأبى السعود المتوفى بالقسطنطينية سنة ٩٨٢ هـ ، وهو تفسير متوسط بين الطول والقصر مطبوع فى خمسة مجلدات ، يمتاز بدقة تعبيره ، وحسن بلاغته ، ومتانة أسلوبه يعرض عن قصد لبلاغة القرآن وإعجازه ، يشرح الألفاظ القرآنية بأجود الكلمات العربية ، يكشف أحياناً عن المناسبات بين الآيات السابقة واللاحقة ، قلما يورد الإسرائيليات ، يذكر الأحكام الفقهية ويرجح بلا إطالة ولا يبدى التعصب لمذهب معين من مذاهب أهل الفقه ، لا يغفل ذكر القراءات ولا يعض أوجه الإعرابات ، ولذا كان هذا التفسير من أجل تفاسير المتأخرين ، أقبل عليه العلماء وقد أولوه وامتدحوه وأثنوا عليه ، قال صاحب العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم : وقد أتى فيه بما لم تسمح به الأزمان ، ولم تقرع به الآذان ، فصدق المثل السائر ، لم يترك الأول للآخر ، وقال فيه صاحب الفوائد البهية فى تراجم الحنفية : وقد طالعت تفسيره وانتفعت به وهو تفسير حسن ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، متضمن لطائف ونكات ومشتمل على فوائد وإشارات ، وقال فيه صاحب كشف الظنون : انتشرت نسخه فى الأقطار ووقع له التلقى بالقبول من الفحول الكبار ، حسن سبكه ، وصدق تعبيره فصار يقال له : خطيب المفسرين ، ونكتفى فى تقويم هذا الكتاب بما قال أهل العلم فيه ، وهو تفسير بالدراية لا بالرواية لا عيب فيه يذكر ، ولا شين به يشهر غير تقليد مؤلفه لصاحب الكشاف فى ذكر أحاديث فضائل السور وهى

أحاديث موضوعة عند أهل المعرفة بالخبر .

١٩ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** : للقاضى محمد بن على بن محمد الشوكانى اليمنى المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ وهو تفسير وسط بين القصر والطول يقع فى خمسة مجلدات كبيرة ، حوى من العلوم والمعارف ما جعله فى طليعة كتب التفسير المعتبرة ذات القيمة والشهرة فهو يعرض للمسائل الفقهية ويحررها بإخلاص وصدق نية بعيداً عن التبعات المذهبية ، كما يعرض عند الحاجة إلى المناسبات بين الآيات وإن كان ينكر التكلف فى هذا ويعيبه على أصحابه .

يشير إلى القراءات ، ويخرج عليها بعض معانى الآيات ، ولا يغفل الاستدلال بالآثار ولا الاستشهاد بالأشعار ، يعتمد فى نقله كثيراً على القرطبى ، وابن عطية ، والنحاس ، وميزة هذا التفسير أنه سلفى المذهب والعقيدة ، لا يرى رأى الخلف فى الصفات ولا يتعصب تعصب المقلدين فى الفقهيات ، فكان باعثاً لقارئه على النظر والاجتهاد نافخاً فيه روح التحرر من تقليد الآباء والأجداد وبالجملة : ففتح القدير جدير بالاطلاع عليه ، والأخذ منه ، والانتفاع به لسلامته وصحة ما فيه ، وناهيك بتقرير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة دراسته فى كل كلياتها على تباينها واختلافها .

٢٠ ـ **روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى** : لشهاب الدين السيد محمود أفندى البغدادى المعروف بالألوسى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ وهو تفسير جليل جمع فيه مؤلفه بين الرواية والدراية ، وانتقى له صفوة علوم من تقدمه من المفسرين كابن عطية ، والزمخشرى ، والرازى ، والبيضاوى ، وأبى السعود ، وغيرهم فتراه إذا نقل عن البيضاوى يقول : قال القاضى ، وإذا نقل عن الرازى يقول : قال الإمام ، وإذا نقل عن أبى السعود يقول : قال شيخ الإسلام ـ لقد حوى هذا التفسير علوماً شتى ، وفنوناً عدة ، ففيه الأدب والنقد ، وفيه البلاغة ونحو وفيه الفقه والقراءات ، وفيه البحث من المناسبات بين السور والآيات ، وفيه العلوم الطبيعية والكونية والسياسة الشرعية ، كان مؤلفه سنى المذهب سلفى المعتقد غير أنه جارى أرباب الإشارات من متهوكى التصوف فخلط تفسيره بالتفسير الإشارى ، وهو تفسير مذموم ، لا خير فيه ، كما سبق لنا القول فيه بيد أنه لما كان يجعله فى آخر بحث الآيات مستقلاً عن التفسير لم يشن تفسيره ولم يضر به .

٢١ ـ **تفسير المنار : للشيخين المصلحين الجليلين** : الشيخ محمد عبده المصرى ، والشيخ محمد رشيد رضا الشامى من علماء القرن الرابع عشر الهجرى وتفسيرهما « المنار »

يقع فى اثنى عشر مجلداً ،وهو تفسير لم يكتمل لوفاتهما قبل إكماله ، ويا للرزية إذ توفى الشيخ محمد عبده فى منتصف سورة النساء ، وتوفى الشيخ محمد رشيد رضا فى منتصف سورة يوسف عليه السلام ، وكون هذا التفسير لم يكتمل لوفاة صاحبيه لم ينقص ذلك من قدره ولم يحط من قيمته فإنه والحق يقال : تفسير لم يؤلف مثله فى باب التفسير قط ، وقد قرأت هذا الكتاب ونفعنى اللّه تعالى به كثيراً ولم أر له نظيراً فى شرح الآيات القرآنية ، وبيان ما فيها من الهداية الإلهية ، إنه بحق تاج التفاسير ولو كمل لما كان له نظير ، لا يستغنى عنه المصلح والداعى بحال ، إذ هو خير كتاب فى التفسير عقيدة وهداية ودراية ورواية أدباً ولغة حديثا وفقها ، إصلاحاً وسياسة ، فجزى اللّه تعالى مؤلفيه خير الجزاء وأسكنهما جنة المأوى .

٢٢ ـ **أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن** : للعلامة الشيخ أبى عبد اللّه محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى السلفى نزيل المدينة النبوية المتوفى بمكة المكرمة سنة ١٣٩٣ هـ .

وهوكتاب يقع فى ثمان مجلدات كبيرة ، وهو من أصح التفاسير وأكثرها نفعاً وبركة ، لأنه من تفسير القرآن بالقرآن ، ولأن مؤلفه رحمه اللّه تعالى كان على جانب كبير من التقوى والصلاح ، جمع فيه مؤلفه بين الرواية والدراية وهو وإن لم يكن تفسيراً لكل أى القرآن الكريم ، لالتزام صاحبه بتفسير مجمل الآيات القرآنية بمبينها من الكتاب ، فإنه كريم جمع علوماً شتى كالبلاغة ، والبيان ، والفقه ،والأصول ، يمتاز بطابعه السلفى ، إذ هو يقرر العقيدة السلفية وينصرها ، ويذكر المسائل الفقهية ، ويحررها على ضوء الكتاب والسنة ، ولا يتعصب لمذهب معين من مذاهب الفقهاء رحمهم اللّه ينصر منها ما نصره الدليل الشرعى من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس وبالجملة : فالكتاب قيم نافع يجمل اقتناؤه ، ويحسن الرجوع إليه والاعتماد عليه لا سيما مقدمته فإنها من أنفع المقدمات لفهم كتاب اللّه تعالى وتفسيره يتعين على طالب التفسير دراستها والإلمام بها فإنها مفيدة جداً ونافعة بإذن اللّه تعالى .

طبقات المفسرين

بعد أن عرفنا التفسير والمفسرين ، وعرفنا جملة من تفاسيرهم يحسن بنا أن نعرف طبقات المفسرين .

إن المفسرين طبقات أربع : أعلاها أولها ، وأدناها آخرها .

فالطبقة الأولى : هى طبقة الصحابة رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين ، وأهل هذه الطبقة من رجال التفسير مختلفون فمنهم المكثر ومنهم المقل ، فمن المكثرين عبد اللّه بن عباس وعبد اللّه بن مسعود ، وعلى بن أبى طالب ، وأبى بن كعب ، ومن المقلين أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبد اللّه بن الزبير ، وأبو موسى الأشعرى ، غير أن هؤلاء أكثر رواية فى التفسير من أبى هريرة ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد اللّه ، وعبد اللّه بن عمرو بن العاص ، وعبد اللّه بن عمر ، وعائشة أم المؤمنين رضى اللّه تعالى عنهم أجمعين .

المروى عنهم التفسير من الصحابة :

والذين روى لهم التفسير من الصحابة وكانوا فيه أئمة أربعة : هم عبد اللّه بن عباس ، وعبد اللّه بن مسعود ، وعلى بن أبى طالب ، وأبى ابن كعب ، وذلك لجلالتهم وفضلهم ومزيد علمهم . فابن عباس رضى اللّه عنهما كان يسمى حبر هذه الأمة ، ويلقب بترجمان القرآن ، دعا له الرسول ﷺ بأن يفقهه فى الدين ، ويعلمه التأويل فنالته دعوة الرسول ﷺ ، كان عمر رضى اللّه عنه يقدمه على مشايخ الصحابة ويعرض عليه ما يشكل من المسائل ، وقال فيه على رضى اللّه عنه : أن ابن عباس ينظر إلى الغيب من وراء ستر دقيق .

وأما عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه فيكفيه شرفاً وفضلاً أن يقول فيه الرسول ﷺ : « من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » .

أثنى عليه عمر لما قال لأهل الكوفة : إنى قد بعثت عماراً أميراً وعبد اللّه بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من أصحاب رسول اللّه ﷺ من أهل بدر فاقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بعبد اللّه على نفسى ، وكان رضى اللّه عنه يقول : « والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب اللّه إلا وأنا أعلم فيم نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب اللّه منى تناله المطايا لأتيته ، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

وأما على بن أبى طالب فحدث عن فضله وفضائله وعلمه بكتاب اللّه وفقهه ولا حرج ، فقد واكب الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى وعاش أحداثها ، وحمل راياتها ، وبرز فيها جهاداً وعلما ، وفتياً ، وقضاء ، قال عنه ابن عباس الحبر : ما أخذت من تفسير القرآن فعن على بن أبى طالب ، وذكر قوله : واللّه ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت

وأين نزلت ، وإن ربى وهب لى عقلاً عقولا ، ولساناً سؤولا .

ومن أقوى الأدلة على جلالة على فى التفسير قوله وقد سئل : هل خصكم الرسول بشىء أهل البيت ؟ فقال لا ، إلا فهما يؤتاه الرجل فى كتاب اللّه تعالى . أو ما فى هذه الصحيفة ، وكان فيها بيان الديات ، وحرم المدينة .

وأما أبى بن كعب الأنصارى أبو المنذر فإنه أول من كتب لرسول اللّه ﷺ ، أثنى عليه عمر رضى اللّه عنه قال : أبى سيد المسلمين قال فيه رسول اللّه ﷺ : « أقرؤهم أبى بن كعب » ، ولما نزلت سورة البينة أمر اللّه تعالى الرسول ﷺ أن يقرأها عليه ، فقال يا أبا المنذر : إن اللّه تعالى أمرنى أن أقرأ عليك سورة البينة ، فقال كعب اللّه سمانى لك ؟ قال نعم ، فجعل أبى يبكى من الفرح بنعمة اللّه وفضله ورحمته عليه ، وزاد فى مكانة أبى العلمية علمه بالكتاب الأول ، و الديانات السالفة واستكتاب الرسول ﷺ له فى الوحى فحاز بذلك ما لم يحزه غيره من علوم القرآن والسنة ، وكان وارث النبوة بحق ، ولا عجب مع هذا أن يكون أبى فى طليعة أئمة التفسير من أصحاب رسول اللّه ﷺ .

فالرواية عن هؤلاء الأعلام الأربعة هى أصل التفسير ومصدره لدى التابعين وتابعيهم ، ومن أتى بعدهم من علماء هذه الأمة ، ولذا كان لكل واحد من هؤلاء الأئمة الأربعة الأعلام رواة طرق انتقل بها علم التفسير إلى من بعدهم .

ومن هنا وجد الفرصة سانحة الوضاعون والدساسون فأخذوا يضعون القول على هؤلاء وينسبون إليهم بغية التضليل والإفساد ، فكان إذا لابد من إحصاء تلك الطرق ونقدها وبيان الصحيح من الفاسد منها ، فما ثبت عن هؤلاء الأعلام بروايات ثابتة ، وطرق صحيحة ، وإلا رد ولم يقبل .

وهذا بيان أولئك الأعلام وطرق الرواية عنهم :

١ ـ الرواية عن ابن عباس :

إن الرواية عن ابن عباس رضى اللّه عنه فى التفسير بلغت من الكثرة بحيث لا يكاد يخلو تفسير لآية فى كتاب اللّه تعالى إلا ولابن عباس رواية فيه ، ولكن فهل كل هذه الروايات ثابتة عنه صحيحة ؟ والجواب قطعاً لا ... وإنما شهرة ابن عباس وباعه الطويل فى علم التأويل جعلت كل من يرى رأيا من أهل الباطل ويريد إلصاقه بالكتاب العزيز رفعه إلى ابن العباس ، بيد أن اللّه تعالى قيض حفظاً لدينه وكتابه من اللعب والعبث به رجالاً من السلف تتبعوا تلك الروايات وصححوا منها ما صح وأبطلوا ما بطل ، وهذه هى الرواية

الصحيحة عن ابن عباس وأجود الطرق إليه رضى الله عنه :

١ - طريق معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، وهذه هى أجود طرق إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال فيها الإمام أحمد : إن بمصر صحيفة فى التفسير رواها على بن أبى طلحة عن ابن عباس لو دخل فيها رجل إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً ، وقال الحافظ بن حجر : هى عند البخارى عن أبى صالح وقد اعتمد عليها فى صحيحه فيما يعلق عن ابن عباس .

وقد اعتمد هذه الطريق ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن المنذر بواسطة بينهم وبين أبى صالح ، وعلى بن أبى طلحة احتج به مسلم فى صحيحه وكذا سائر أصحاب السنن .

٢ - طريق قيس بن مسلم الكوفى عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وهذا الطريق صحيح على شرط الشيخين ، وكثيراً ما خرج منها الفريابى والحاكم فى المستدرك .

٣ - طريق محمد بن إسحاق صاحب المغازى والسير عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وهو طريق حسن الإسناد .

٤ - طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير تارة ، عن أبى مالك وتارة عن أبى صالح ، عن ابن عباس .

(تنبيه)

السدى الكبير وإن اختلف فيه فإن مسلماً خرج له ، وكذلك أصحاب السنن الأربعة ، وهو تابعى متشيع ، قال السيوطى فى الإتقان : وروى عن السدى الأئمة مثل الثورى ، وشعبة بن الحجاج ، غير أن التفسير الذى جمعه رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقوا عليه ، ومع هذا فقد قالوا : إن أمثل التفسير تفسير السدى الكبير .

هذه أربع طرق للرواية عن ابن عباس فى التفسير تعتبر طرقاً صالحة مقبولة عند أكثر أهل العلم ، وما عداها كطريق الضحاك بن مزاحم الهلالى ، عن إبن عباس وطريق مقاتل بن سليمان ، وطريق محمد بن السائب الكلبى وطريق عطية العوفى فإنها طرق غير مأمونة ولا مرضية عند أهل العلم بهذا الشأن .

٢ - الرواية عن عبد الله بن مسعود :

للرواية عن ابن مسعود خمس طرق كلها صالحة مرضية عند أهل العلم إلا الخامسة

منها فإنها طريق أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ، وعيبها أن الضحاك لم يلق ابن مسعود فكانت منقطعة لذلك .

الأولى : طريق الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود وهذه أصح أسلمها ، وقد اعتمدها البخارى فى صحيحه .

الثانية : طريق مجاهد ، عن أبى معمر ، عن ابن مسعود وهذه أيضاً طريق صحيحة .

الثالثة : الأعمش ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود وهى طريق صحيحة خرج البخارى منها .

الرابعة : طريق السدى الكبير ، عن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود خرج منها الحاكم فى المستدرك مصححاً ما يخرجه منها .

الخامس : طريق أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود . وقد تقدم وجه عيبها .

٣ ـ الرواية عن أبى بن كعب :

إن الرواية عن أبى بن كعب لكثيرة جداً ، ولم تسلم من الوضع والكذب وما حرر أهل العلم من تلك الروايات المتكاثرة المتعددة هو طريقان بهما يثبت التفسير عن أبى بن كعب رضى اللّه عنه والطريقان هما :

١ ـ طريق أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب .

٢ ـ طريق وكيع ، عن سفيان ، عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبى بن كعب ، عن أبيه .

فهذان الطريقان هما اللذان يثبت بهما التفسير عن أبى وما عداهما فغير مأمون من الكذب والوضع ، فالطريق الأولى أخرج منها الحاكم وأحمد فى مسنده ، وكذا ابن جرير وابن أبى حاتم ، والثانية أخرج منها أحمد فى المسند وإسنادها حسن لضعف عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال فيه الترمذى : إنه وإن كان صدوقا فقد تكلم فيه ، وقال فيه البخارى : كان أحمد بن حنبل وإسحق بن إبراهيم والحمدى يحتجون بحديث عبد الله البن محمد ابن عقيل ، وهو مقارب الحديث .

٤ ـ الرواية عن على رضى الله عنه :

إن الرواية عن على رضى الله عنه خطرة جدا ، تحتاج إلى بحث وتحر كبيرين وذلك لما وضع عليه الشيعة من الكذب الذى لا يعد كثرة تأييد لمذهبهم الباطل الذى ما وضع إلا

لضرب الإسلام والتخلص منه .

ولذا فإن أهل العلم بالرواية لم يعتمدوا فى الرواية إلا ثلاث طرق فقط هى :

١ ـ طريق هشام ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة الساعاتى ، عن على وهى طريق صحيحة خرج منها البخارى وغيره .

٢ ـ طريق ابن أبى الحسين ، عن أبى الطفيل ، عن على وهذه طريق صحيحة خرج منها ابن عيينة فى تفسيره .

٣ ـ طريق الزهرى ، عن على زين العابدين ، عن أبيه الحسين ، عن أبيه على وهذه طريق صحيحة جدا حتى عدها بعضهم من أصح الأسانيد مطلقا ، غير أنها لم تشتهر كالطريقين قبلها نظرا لما ألصقه الضعفاء والوضاعون بزين العابدين من الروايات الباطلة .

الطبقة الثانية ـ طبقة التابعين :

إنه بعد انقراض علماء التفسير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم حل محلهم فى بيان كتاب الله تعالى وتفسيره للناس جماعة من التابعين هم فى الواقع تلامذة أولئك الأعلام الأجلاء من أصحاب رسول الله ﷺ ، وهؤلاء التابعون الوارثون لعلم الصحابة هم :

١ ـ مجاهد بن جبر المكى المقرىء المفسر أبو الحجاج المخزومى مولى السائب بن أبى السائب كان أحد الأعلام الأثبات ، ولد فى خلافة عمر وتوفى بمكة وهو ساجد سنة ١٠٤ هـ .

٢ ـ عكرمة هو أبو عبد الله عكرمة البربرى المدنى مولى ابن عباس ، وأصله من بربر المغرب ، روى عن مولاه ابن عباس ، وعن على بن أبى طالب ، وعن أبى هريرة وغيرهم .

٣ ـ سعيد بن جبير وهو أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الوالبى مولاهم كان حبشى الأصل أسود اللون أبيض الخصال سمع جماعة من الصحابة . روى عن ابن عباس ، وابن مسعود وغيرهما ، توفى فى شعبان سنة ٩٥ هـ قتله الحجاج بن يوسف لا جزاه الله خيراً .

٤ ـ طاوس هو أبو عبدالرحمن طاوس بن كيسان اليمانى الحميرى مولى بحير بن رسان ، وقيل مولى همدان ـ روى عن العبادلة الأربعة وغيرهم ، كان من عباد أهل اليمن ، سادات التابعين توفى بمكة سنة ١٠٦ هـ .

٥ ـ عطاء هو أبو محمد عطاء بن أبى رباح المكى القرشى مولاهم روى عن ابن ابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو وغيرهم كان من سادات التابعين فقها وعلما وورعا ، قال فيه أبو حنيفة : ما رأيت فيمن لقيت أفضل من عطاء ، ولا لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفى . توفى سنة ١١٤ هـ كان رحمه الله أسود أعور أفطس أشل أعرج ، وعمى قبل وفاته رحمه الله رحمة واسعة .

إن هؤلاء الأعلام الخمسة كانوا بمكة التى تعتبر مدرسة ابن عباس وهم تلامذته فيها ، ودون هؤلاء أئمة آخرون هم أبو العالية ، ومحمد بن كعب القرطى المدنى ، وزيد بن أسلم ، كانوا بالمدينة ونعتبر مدرستهم وعنهم أخذ أهل المدينة التفسير وروايتهم رحمهم الله تعالى كانت عن على ، وابن عباس ، وأبى .

ودون هؤلاء الأئمة أعلام آخرون هم علقمة بن قيس ، ومسروق ، والأسود بن يزيد ، ومرة الهمدانى ، وعامر الشعبى ، والحسن البصرى ، وقتادة بن دعامة السدوسى وكانوا جميعا بالعراق التى تعتبر مدرسة بن مسعود فى التفسير .

فعن هؤلاء الأئمة الأعلام من كبار التابعين وساداتهم أخذ التفسير ورواه عنهم من جاء بعدهم وهم يعرفون بتابعى التابعين ، وهى الطبقة الثالثة من طبقات المفسرين .

ملحوظة :

قد اختلف فى قبول التابعى فى التفسير وأخذه عنه على مذهبين فقال قوم : يقبل قول التابعى فى التفسير ويؤخذ عنه ، وقال آخرون : لا يقبل ولا يؤخذ به إن كان مجرد قول له أو رأى ارتاه ، أما إن كان مستنده الرواية يرفعها إلى النبى ﷺ أو يوقفها على الصحابة فإن ما قاله التابعى يقبل ويؤخذ به قطعا .

وما نراه فى المسألة : أنه يستأنس بقول التابعى فى التفسير ويتخذ شاهدا ويعتبر به ، ولكن لا يكون حجة على من خالفه ، اللهم إلا إذا كان قد أجمع التابعون على القول والرأى فإن إجماعهم إذا يكون حجة على من خالفهم فيه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : قال الحجاج وغيره : أقوال التابعين ليست حجة فكيف تكون حجة فى التفسير ؟ يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم ، وهذا صحيح أما إذا أجمعوا على الشىء فلا يرتاب فى مونه حجة فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم

حجة علـى بعض ولا على من بعدهم ويرجع فى ذلك إلى لفظ القرآن ، أو السنة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة فى ذلك .

الطبقة الثالثة :

إن الطبقة الثالثة للمفسرين هى طبقة تابعى التابعين ورجالها هم أئمة العلم الذين ورثـوا التفسير والعلم عن سادات التابعين وكبارهم ، وأعلام هذه الطبقة هم سفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، ويزيد بن هرون ، وروح بن عبادة ، وعبد بن حميد ، وعبد الرزاق ، وآدم بن أبى إياس وغيرهم كأبى بكر بن شيبة ، وعلى بن أبى طلحة والبخارى ، وكانوا جميعا من رجال الحديث ورواته ونقاده المختصين ، فلذا كان جمعهم للتفسير ليس استقلالا وإنما كان تابعا لأبواب الحديث المختلفة ، والتى منها التفسير كما هو مشاهد اليوم فى صحيح البخارى وغيره .

الطبقة الرابعة : من طبقات المفسرين :

إن رجال هذه الطبقة الرابعة من طبقات المفسرين هم الذين جاءوا بعد تابعى التابعين آخذين عنهم متتلمذين لهم ، بيد أنهم فصلوا التفسير عن أبواب الحديث فاستقل فى عهدهم التفسير عن الحديث وأصبح علما قائما بذاته ، مستقلا بنفسه .

ورجال هذه الطبقة أشهرهم ابن ماجة ، وابن جرير ، وأبوبكر بن المنذر النيسابورى ، وابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ بن حيان ، والحاكم ، وأبو بكر بن مردوية رحمهم الله تعالى أجمعين .

وكان تفسير هؤلاء كمن سبقهم من أئمة التفسير من تابعى التابعين ، والتابعين مرويا بالأسانيد إلى رسول الله ﷺ ، أو إلى الصحابة أو التابعين ، ولم يكن فيه شىء من غير المأثور اللهم إلا ما كان من ابن جرير الطبرى فإنه أول من جمع فى تفسيره بين الرواية والدراية حيث كان يجمع الروايات المأثورة ويرجح بعضها على بعض ، ويزيد ما تدعو الحاجة إليه من إعراب لفظ أو توجيه قراءة ، أو شاهد من شعر العرب ، ثم يذكر ما يفسر به الآية فيقول : القول فى تأويل قول الله تعالى كذا وكذا ويذكر التفسير الذى حصل عليه من الرواية والدراية ، فكان بذلك أول من جمع بين التفسير بالمأثور والمعقول ، وبه أصبح إماما للمفسرين الذين جاءوا بعده إلى يومنا هذا .

ملاحظة :

عندما يتناول أحدنا تفسير مجاهد ، أو تفسير سفيان بن عيينة، أو غيره من تفاسير التابعين يستقله جدا ، فإذا نظر إلى تفسير ابن جرير ومن أتى بعده من تفاسير الطبقة الرابعة ، ومن جاء بعدهم يجده كبيرا ذا مجلدات عدة قد تبلغ العشرات فيتساءل عن السبب ونحن نجيبه فنقول : إن هذا عائد إلى أن أهل العصر الأول عصر الصحابة لم يكونوا فى حاجة إلى تفسير أكثر من بعض المعانى القرآنية ، لأن القرآن نزل بلغتهم وعلى أساليب محادثاتهم فلم يصعب عليهم فهم معناه ، ثم جاء أهل عصر التابعين فكانت حاجتهم إلى فهم كثير من معانى القرآن لاختلاطهم بالعجم وسريان لوثة العجمة إلى ألسنتهم ، ثم جاء أهل عصر تابعى التابعين فكانت حاجتهم أكبر إلى فهم كثير من معانى القرآن لأن العربية ضعف سلطانها بينهم وأخذت العجمة تطغى فيهم لانتشار الإسلام فى العالم وإقبال المسلمين عليه ، ثم جاء أهل العصر الذى بعدهم فكانوا لا يعرفون العربية إلا بالتعلم والدراسة فكانت حاجتهم إذا لا إلى بعض معانى القرآن بل إلى كل كلمة ومعنى فى القرآن .

ومن هنا بالطبع سوف يكبر التفسير بكبر الحاجة فبدل أن كان يفسر من القرآن بعض المعانى ، ثم بعض المعان منه والكلمات أصبح يفسر كل ألفاظه ومعانيه .

المناسبات من السور والآيات

معنى المناسبات :

المناسبات جمع مناسبة وهى فى اللغة : المشاكلة والمقاربة ، قال الحافظ السيوطى فى الإتقان : مرجعها فى الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص ، عقلى أو حسى ، أو خيالى ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنى كالسبب والمسبب والعلة والمعلول ، والنظيرين والضدين .

فائدتها :

إن الفائدة من وجود المناسبة بين الآيات هى جعل أجزاء الكلام بعضها لا آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء ، وبما أن القرآن الكريم معجز بألفاظه ومعانيه ، ألفاظه فى غاية الفصاحة ... ومعانيه فى غاية الصرف بحيث لا يدانى فى ذلك بحال من الأحوال ، فإن وجود مناسبات بين آية وسورة تربط بين

أجزائه ربطا محكما حتى لكأن كلماته المباركة الطيبة قد نظمت فى سلك من نور ، أقول : فإن فى وجود هذه المناسبات لمظهر آخر من مظاهر الإعجاز القرآنى ، فمعرفة الأسباب إذا هى الوقوف على سر من أسرار كون القرآن معجزا ، وأى إعجاز أكبر من أن يقول قائل ، أو يتكلم متكلم مدة ثلاث وعشرين سنه تقريبا وفى ظروف مختلفة ، وأحوال متباينة ، ودواع متنوعة فيبلغ قوله مائة وأربع وعشرة سورة عدد آياتها ستة آلاف آية وزيادة ، وعدد كلماتها سبع وسبعون ألف كلمة وزيادة .

ثم يأتى كلامه على طوله وكثرته وتنوع أغراضه ، فى هذه الفترة الطويلة من الزمن يأتى منسجما متلائما مرصوفا محكما ، لا خلل فيه ، ولا انفكاك بين أجزائه متناسب المبادىء والخاتم ، والأوائل والأواخر حتى لكأنه قيل فى ساعة واحدة ، وفى موضوع واحد ، اللهم إن هذا لهو الإعجاز المبين ، الذى وقفت البشرية دونه عاجزة لا تبدىء ولا تعيد منذ أن نزل إلى أن يرفع .

اختلاف العلماء فى المناسبات بين الايات والسور :

لقد اختلف أهل العلم قديما وحديثا فى هل توجد حقيقة مناسبة بين كل آية وآية من القرآن الكريم ، وبين كل سورة وأخرى من سوره العظيمة العديدة ؟

فقال قوم : يوجد ذلك ، وقال آخرون : بنفيه فى الجملة ، ونكتفى بعرض رأيين مختلفين فى هذه المسألة العلمية ، لنثبت بذلك هذا الخلاف ، ثم نورد ما نراه حقا وصوابا فى المسألة .

الرأى النافى :

صاحب هذا الرأى هو عز الدين بن عبد السلام إذ قال: المناسبة علم حسن لكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد مرتبط أوله وآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة ، لم يقع فيه الارتباط ، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه ، إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الكلام فضلا عن أحسنه ، فإن القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة ، شرعت لأساب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض اهـ .

الرأى المثبت :

وصاحب هذا الرأى هو الشيخ ولى الدين الملوى ، إذ قال : قد وهم من قال : لا

يطلب للآى الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة ، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما فى اللوح المحفوظ مرتبه سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، الذى ينبغى فى كل آية أن يبحث أول كل شىء عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففى ذلك علم جم ، وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له ا هـ .

إنه من خلال هذا العرض لهذين الرأيين المختلفين يعلم أن أهل العلم على خلاف فى هذه المسألة ، فهم ما بين مثبت لها مطالب بتقريرها والبحث عنها ، وبين ناف لها ناه عن البحث عنها .

ومن المثبتين لها الشيخ بدر الدين البقاعى الذى ألف تفسيرا فى ذلك سماه « نظم الدور فى تناسب الآى والسور » ، والشيخ أبو جعفر بن الزبير شيخ أبى حيان ، إذ ألف كتابا فى ذلك سماه « البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن » ـ والحافظ السيوطى إذ ألف جزءا سماه « تناسق الدور فى تناسب السور » .

ومن النافين لها بل من المنكرين على مثبتيها القاضى الشوكانى صاحب تفسيرفتح القدير ، إذ كتب فى رد هذه المسألة نيفا وأربعين سطرا من تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ **يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم** ﴾ [(1)] من أول سورة البقرة ، وقال منهيا كلامه : ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر فى ساحتها كثير من المحققين ، وإنما ذكرنا هذا البحث فى هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع بنى إسرائيل بعد أن كان قبله مع آدم أبى البشر عليه السلام ، فإذا قال متكلف : كيف ناسب هذا ما قبله ؟ قلنا : لا كيف ...

هذا ورأينا فى هذه القضية هو أن نفى وجود المناسبات بين السور والآيات فى الجملة خطأ لا يقر عليه صاحبه لأن بعض المناسبات ظاهر يكاد ينطق لا ينكره إلا مكابر ، وسكوت علماء السلف عن البحث عن المناسبات ليس دليلا على عدم وجودها ، كما أن جهل بعض أهل العلم بها لا يكون كذلك دليلا على عدم وجودها .

كما أن إثبات المناسبات بين كل السور والآيات بالتفصيل قد يكون تكلفا لا يحمد

---

(١) البقرة : ٤٠ .

عليه صاحبه ، ولا يوافق عليه ، وذلك لا لأن المناسبات غير موجودة فعلا بل لعجز الإنسان عن الإحاطة بذلك والوصول إلى غاياته ، فالقضية إذا هى كما قال القائل :

والنجم تستصغر الأبصار صورته   والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر .

فالمناسبات موجودة غير أن بعضها يكون ظاهراً وبعضها يكون خفيا ، فما كان ظاهرا طلبناه وقلنا به ، وما كان خفيا وكلنا أمره إلى منزله سبحانه وتعالى ، ولا عيب على من جهله ولا ضرر على من ترك البحث عنه والخوض فيه .

هذا هو رأينا فى هذه المسألة أبديناه واضحا والله نسأل أن يكون حقا وصوابا .

قاعدة فى معرفة المناسبات :

إن من الآيات ما يكون بعضه متعلقا ببعض كأن تكون الثانية متممة للأولى فمثل هذا لا تطلب له مناسبة ، لأنه مرتبط ببعضه البعض ارتباط الكلى بجزئياته نحو قوله تعالى : ﴿ **والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها** ﴾ (١) إلى قوله تعالى : ﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ (٢) فهذه عشرة آيات مرتبطة ببعضها البعض لأنها أجزاء قسم وجوابه فمثلها لا يبحث لها عن مناسبة تربط بينها .

وكذلك الحال إذا كانت الآية الثانية مقررة لمعنى الأولى مؤكدة له ، أو كانت مفسرة لها أو بدلا منها ، ككثير من آى القرآن الكريم فمثل ذلك لا تطلب له المناسبة لكون الآيات مرتبطة ببعضها ارتباط المفسر بالمفسر ، وبالمؤكد له ، والبدل بالمبدل منه نحو : ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة** ﴾ (٣) فآية ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة** ﴾ بيان لمعنى آية الغاشية وآية ﴿ **عاملة ناصبة** ﴾ صفة لآية ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة** ﴾ ، فمثل هذه الآيات لارتباطها ببعضها البعض لا تطلب لها المناسبة ولا معنى لذلك .

أما إذا لم يظهر بين الآيات ارتباط فإنه ينظر ، فإن كانت الثانية معطوفة على الأولى بحرف العطف المشترك فى الحكم فإنه لا بد من مناسبة هناك بين المعطوف والمعطوف عليه ، مثال ذلك : ﴿ **قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ (٤) فآية ﴿ **وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ معطوفة على آية ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ ، والمناسبة : هى فعل طاعتين مختلفتين هما زكاة الفطر ، وذكر الله فى صلاة العيد ، ترتب عليهما فلاح فاعلهما .

(١ ، ٢) الشمس : ١ ـ ١٠ .   (٣) الغاشية : ١ ـ ٣ .   (٤) الأعلى : ١٤ ، ١٥ .

وإن لم تكن الثانية معطوفة على الأولى وبدت أنها مستقلة تماما عن الأولى بحث حينئذ عن المناسبة بينهما فقد تكون :

١ ـ التنظير ، لأن إلحاق النظير بالنظيرمن دأب العقلاء ، وذلك كقوله تعالى من سورة الأنفال : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك الحق ...** ﴾ (١) الآية ، فإن هذه الآيات بدت وكأنها مستقلة عما سبقها ، ولا مناسبة بينهما فى حين أن المناسبة قوية وهى التنظير بين الآيات السابقة وهى ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول** ﴾ (٢) ، فالنظير الأول هو كراهية الأصحاب رضى الله عنهم لنزع الغنائم من أيديهم مع رغبتهم فيها وحرصهم عليها ، فقد كرهوا هذا وسوف تكون عاقبته خيرا لهم ، والنظير الثانى هو كراهية بعضهم للخروج مع الرسول ﷺ لتلقى قريش وقتالها فى بدر مع أن العاقبة كانت خيرالهم ، فالمناسبة بين هذه الآيات كانت التنظير .

ومن هذا قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولا** ﴾ (٣) الآية ، فإنها بدت وكأنها لا مناسبة لها بما سبقها ، غير أن الواقع أن هناك مناسبة قوية وهى التنظير بين الآيات ، وذلك أن تحويل القبلة إلى المسجد الحرام ، وجعل المسلمين يستقلون عن اليهود الخصوم لهم فى قبلتهم كان نعمة من الله تعالى على المسلمين ، هى كنعمة إرسال الله تعالى فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم .

(تنبيه) :

١ ـ كل ما لا يتم الكلام إلا به من صفة وصلة وعلة وجواب فهو من نفس الكلام .

٢ ـ التضاد بين المعانى التى تحملها الآيات ، إذ بضدها تتبين الأشياء ، والتضاد هو أن يذكر الإيمان ويذكر ما يضاده وهو الكفر ، أو يذكر النعيم ويذكر ما يضاده وهو الشقاء وما إلى ذلك من المتضادات حسا أو معنى ... مثال ذلك ما جاء فى فاتحة سورة البقرة ، حيث ذكر تعالى المتقين وصفاتهم وما جازاهم به من الهداية فى الدنيا والفلاح فى الآخرة ، ثم ذكر الكافرين وصفاتهم وما أعده لهم من عظيم العذاب ، فكانت المناسبة بين الآيات الضدية ومثل هذا كثير فى القرآن الكريم كالترغيب ، والترهيب ، والوعد ، والوعيد ، والحق ، والباطل .

---

(١) الأنفال : ٥ .　　(٢) الأنفال : ١ .　　(٣) البقرة : ١٥١ .

٣ ـ الاستطراد وهو ذكر معنى في كلام ، وقبل الانتهاء منه يذكر معنى آخر ، وبعد الانتهاء منه يعود إلى المعنى الأول فيتممه ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى** ﴾ [(١)] فإن السياق كان بيان فتنة إبليس لآدم وزوجه عليهما السلام وبيان كيف أخرجهما من الجنة بوسواسه لهما ، وقبل انتهاء السياق استطرد فذكر منته تعالى على بنى آدم بما أنزل عليهم من اللباس وأرشدهم إلى الشكر بالتقوى عاد إلى السياق الأول يحذر بنى آدم من فتنة الشيطان حتى لا يفتنهم عن دينهم فيجلب لهم الشقاء والحرمان .

٤ ـ حسن التخلص ، وهو قريب من الاستطراد نحو قوله تعالى : ﴿ **والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين** ﴾ [(٢)] إلى قوله : ﴿ **ولا تخزنى يوم يبعثون** ﴾ [(٣)] فإنه تخلص إلى ذكر المعاد ووصفه الجنة والنار .

(تنبيه) :

الفرق بين الاستطراد وحسن التخلص هو : أن الاستطراد يترك صاحبه المعنى الذى كان يتكلم فيه فجأة ، ويذكر معنى آخربسرعة ، ثم يعود إلى المعنى الأول فيتممه ، وأما حسن التخلص فإن صاحبه لا يعود إلى السياق الذى كان يقول فيه بل يتركه ولا يعود إليه بمجرد أن يتخلص منه إلى السياق الجديد لأدنى مناسبة كلامية .

٥ ـ الانتقال من حديث إلى حديث آخر تنشيطا للسامع مفصولا بكلمة : هذا . وهو ضرب من حسن التخلص مثاله قوله تعالى من سورة ص وقد ذكر الأنبياء وكراماتهم ، ثم قال : ﴿ **هذا وإن للمتقين لحسن مآب** .. ﴾ [(٤)] الآية ثم لما ذكر ما أعد للمتقين من النعيم المقيم فى دار السلام قال : ﴿ **هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم** ... ﴾ [(٥)] الآيات ، فذكر أهل النار وما لهم فيها من ألوان العذاب وصنوف الشقاء .

٦ ـ حسن المطلب وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقديم الوسيلة إليه نحو : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين ، أهدنا الصراط المستقيم** ﴾ [(٦)] ، فقد خرج إلى الغرض وهو سؤال الهداية بعد ذكر الوسيلة من حمد الله وتمجيده والتقرب إليه بعبادته وحده .

---

(٢) الأعراف : ١٦ . (٢ ، ٣) الشعراء : ٨٢ ، ٨٧ . (٤) ص : ٤٩ .
(٥) ص : ٥٥ . (٦) الفاتحة : ٥ ، ٦ .

(تنبيه) :

إن المناسبة بين السور أخفى من المناسبة بين الآيات ، ومع هذا فقد تكون أحيانا المناسبة بين السورة والأخرى فى غاية الظهور ، كما هى بين سورتى الفيل وقريش ، وقد تكون خفية لا يتفطن لها إلا الحذاق ، كما هى بين سورتى العلق والقدر ، فإن الضمير فى ﴿ **أنزلناه** ﴾ عائد إلى القرآن الذى أمر الرسول ﷺ بقرائته فى قوله : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ (١) وعود الضمير على متقدم دال على ارتباط كامل بين السابق واللاحق ، فهذه المناسبة خفية جدا ومن أجلها وضعت القدر بعد العلق .

قاعدة هامة فى معرفة المناسبات :

ذكر السيوطى فى الإتقان أن بعض المتأخرين قال : (إن الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسات الآيات والسور فى جميع القرآن هو أن تنظر إلى الغرض الذى سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات فى القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر انجرار الكلام فى المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التى تقتضى البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء استشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية وسورة وسورة) .

المحكم والمتشابه

تمهيد :

يحسن بنا قبل أن نقول فى المحكم والمتشابه من كتاب الله تعالى أن نعرف مدلول هذا اللفظ « المحكم والمتشابه » فى لغة العرب التى نزل القرآن بها كما قال تعالى : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين** ﴾ (٢) وعليه فالمحكم اسم مفعول من أحكم الشىء يحكمه إحكاما فهو محكم له ، والشىء محكم كمتقن وزنا ومعنى ، يقال : أتقن الشىء إتقانا فهو متقن أى محكم وموثق ،

---

(١) العلق : ١ . (٢) الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥ .

وأحكمه إحكاما إذا أتقنه ومنعه من الخلل والفساد والاضطراب ، ومنه أحكم البناء إذا أتقنه بالرصف والإحكام حتى منعه من التداعى والسقوط ، واشتقاق هذه المادة ـ مادة الحكم ـ من حكمة الفرس وهى حديدة توصل باللجام وتجعل فى فم الفرس تمنعه من التصرف فى مشيه وجريه على خلاف ما يريد راكبه .

ومن هنا قالوا : حكمه وأحكمه إذا منعه من فعل شر أو فساد ، وسموا الحاكم حاكما ، لأنه يمنع الناس فعل ما لا يجوز فعله ، وسميت الحكمة حكمة وحكما ، لأنها علم وفقه دقيقان يمنعان صاحبهما من فعل ما لا ينبغى فعله .

والمتشابه : اسم فاعل من تشابه الشىء عليه فهو متشابه إذا شبه بعضه بعضا فلم يميزه ، ومثله اشتبه عليه الأمر اشتباها إذا اختلط فلم يقدر على التمييز بين أفراده ، ومن الأول قول الله تعالى فى بنى إسرائيل : ﴿ **إن البقر تشابه علينا** ﴾ (١) ، أى شبه بعضه بعضا فلم نهتد إلى البقرة المطلوبة منا .

وفى حديث مسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات » ، وفى لفظ متشابهات والمعنى واحد وهو أن الشىء يتجاذبه طرفا الحلة والحرمة فيتردد بينهما لما فيه من مقتضيات كل منهما فليس أمره على كثير من الناس ولا يميزه إلا العلماء ، فإن كان حلالا ألحقوه بالحلال ، وإن كان حراما ألحقوه بالحرام ، وأما غير العالم فإنه يتركه لئلا يفعل ما لا يجوز فعله .

المحكم والمتشابه فى الاصطلاح :

ذلك مدلول كلمتى المحكم والمتشابه فى عرف اللغة أما مدلولهما فى عرف الشرع فإنه قد يختلف فى عرف اللغة ولكنه لا يفارقه بعيدا حيث أن كلا منهما لم يخرج عن الإحكام والمنع فى الأول ، واللبس والخفاء فى الثانى ، وهذا بسط ذلك وبيانه : ورد ذكر المحكم والمتشابه فى عدة مواضع من القرآن الكريم .

الأول : قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم ، يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ (٢) .

---

(١) البقرة : ٧٠ .　　(٢) آل عمران : ٧ .

والثانى : قوله تعالى من سورة هود عليه السلام : ﴿ **الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ (١) .

والثالث : قوله تعالى من سورة الزمر : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء** ﴾ (٢) .

وبالرجوع إلى هذه الآيات يتبين لنا :

أن آية آل عمران قد أثبتت وجود محكم فى القرآن ، ومتشابه ، وأن آية هود قد أثبتت أن فى آى القرآن إحكاما ، وتفصيلا ، وأن آية الزمر قد أثبتت أن بين آيات القرآن الكريم تشابها ، وفيها تكرارا ، وبالدراسة لهذه الآيات نرى أن آية الزمر تقرر أن القرآن الكريم آيه متشابه فى حروفه وكلماته وجمله وتراكيبه ، وفى قصصه وأخباره ، وفى وعده ووعيده ، متشابه فى عدل أحكامه وصدق أنبائه ، وفى جمال تراكيبه وحسن تنسيقه وقوة إعجازه وصحة براهينه ، وأنه فى تشابهه وتكراره كسلسلة ذهبية مفرغة لا يدرى أين طرفاها ؟ ولا يميز بين حلقاتها لحسنها وتشابهها .

وأن آية هود عليه السلام تقرر أن القرآن الكريم لحكم نظمه ومعناه ، فلا خلل فى كلماته وتراكيبه ، ولا تضاد أو اختلاف بين معانيه ومفاهيمه ، ولما كان الإحكام والإتقان لمنع الخلل يقتضى الإجمال وكان الإجمال يقتضى التفصيل فصل الله تعالى كل مجمل فى كتابه ، وأخبر عن ذلك بقوله : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ (٣) .

وأن آية آل عمران تقرر : أن آى القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين إلى محكم ومتشابه وأن المحكم هو أصل القرآن ومعظمه ، وأن المتشابه آيات قليلة منه ، وأن أهل زيغ القلوب يعرضون عن المحكم منه فلا يعملون به ولا يهتدون بهديه ، ويقبلون على المتشابه منه يتبعونه لإثارة الفتن تضليلا وتشكيكا ، وأن ــ المتشابه منه ما استأثر الله بعلمه ، ومنه ما اختص أهل الرسوخ فى العلم بمعرفته ، وأن المؤمنين الصادقين هم الذين يؤمنون بمحكم القرآن ومتشابهه فيعملون بالمحكم الذى علموه ، ويفوضون أمر المتشابه إلى الله منزله ويقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب .

---

(١) هود : ١ .　　(٢) الزمر : ٢٣ .　　(٣) هود : ١ .

والسؤال الآن هو ما المراد بالمحكم والمتشابه الذى انقسمت آيات القرآن إليهما ؟

والجواب يكون بدراسة هذه الآية مرة أخرى ، قوله تعالى : ﴿ **منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾ (١) ... فما المراد بالمحكم والمتشابه من آيات القرآن الكريم ؟

لقد سبق أن قلنا : إن مرد مادة الإحكام إلى المنع من وقوع خلل أو اضطراب أو إفساد ، وأن مرد مادة المتشابه إلى اللبس والخفاء ، وعليه : فالمحكم من آيات القرآن ما كان واضح المعنى دالا على حكم شرعى فى العقائد والعبادات أو المعاملات أو الآداب ومكارم الأخلاق هو نص فيه أو ظاهر ، لا إجمال فيه فيفصل ، ولا خفاء فيه فيؤول .

والمتشابه : ما كان خفى المعنى لم يسق للدلالة على حكم شرعى تتوقف على مثله سعادة الإنسان أو شقاؤه فى الحياة الدنيا والآخرة ، وخفاء معناه كائن لعجز الإنسان عن إدراكه أو لغرابة لفظه أو اشتراكه أو إجمال معناه أو إيجاز لفظه .

وبناء على هذا فالمتشابه نوعان :

أحدهما : ما كان خفاء معناه عائدا إلى عجز الإنسان عن إدراكه والإحاطه به ، وذلك كإدراك كنه ذات الله تعالى ، وكنه صفاته عز وجل ، وكمعرفة الغيوب التى أخبر تعالى عنها واستأثر بعلمها كآجال الناس ومصائرهم ، ووقت قيام الساعة ، وزمان ظهور علاماتها الكبرى كخروج الدابة ، وظهور المسيح الدجال ، وما إلى ذلك مما لا سبيل للإنسان إلى معرفته وإدراك كنه حقيقته .

وثانيهما : ما كان خفاء معناه عائدا إلى إجمال فى المعنى ، أو اختصار فى اللفظ ، ونحو ذلك وهذا يعلمه أهل العلم الراسخون فيه ، ويجهله سواهم من عامة الناس ، ويدل على هذا التقسيم الآية الكريمة التى نحن بصدد الكلام عليها إذ قوله تعالى : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله** ﴾ (٢) ، بالوقف التام على اسم الجلالة يشير إلى النوع الأول من المتشابه وهو ما استأثر الله تعالى بعلمه دون عباده لحكم اقتضت ذلك ، وهذا النوع هوالذى يحرم على العبد الخوض فيه ، ويجب عليه التفويض فى أمر فهمه إلى منزله ، يدل لهذا قوله ﷺ وقد قرأ الآية ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾ (٣) إلى ﴿ **وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ (٤) ثم قال : فإذا رأيتم الذين

---

(١) آل عمران : ٧ . (٢ ، ٣ ، ٤) آل عمران : ٧ .

يتتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله تعالى فاحذروهم [١] ومن أجل هذا ضرب عمر صيغا حتى جعل ظهره دبرة ، كلما برأ جلده حتى صار ظهره كالدبرة لأنه وجده يتبع المتشابه من الآيات ، ويقول فيها للفتنة والتضليل ، ثم نفاه ومنع على الناس مخالطته والاتصال به حماية لهم من فتنته والعياذ بالله .

كما أن الوقف فى الآية على قوله تعالى : ﴿ **يقولون آمنا به** ﴾ [٢] ، وتركه على اسم الجلالة فتكون الواو للعطف لا الاستئناف ، يشير إلى النوع الثانى ويدل عليه إذ من القرآن ما هو خفى الدلالة بسبب غرابة اللفظ كالأب فى قوله تعالى : ﴿ **وفاكهة وأبا** ﴾ [٣] ، أو اشتراكه بن معان متعددة كلفظ اليمين فى قوله تعالى : ﴿ **فراغ عليهم ضربا باليمين** ﴾ [٤] فلفظ اليمين غير ظاهر المعنى لتردده بين معان مختلفة وهى اليد والقوة والإقسام ، أو ابجازه كقوله تعالى : ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾ [٥] أو تقديمه وتأخيره كقوله تعالى : ﴿ **الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما** ﴾ [٦] ، فتأخير قيما سبب خفاء بخلافه لو تقدم فكان أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا لكان لاخفاء فيه ، غير أنه يفقد الحكمة المقصودة منه.

بيد أن أحبار الأمة وعلماؤها يعلمون تأويل هذا الخفى ويبينونه للناس كما هو معلوم بين المسلمين ومشاهد فى كل زمان ومكان ، ولعل قول على رضى الله عنه « **أو فهما يؤتاه الرجل فى كتاب الله** » يشير إلى هذه الحقيقة وهى أن من المتشابه من الآيات ما يعلمه الراسخون فى العلم كما هو ظاهر الآية الكريمة ، ويؤكدها دعاء الرسول ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » ، فنالته دعوة الرسول ﷺ فأصبح ترجمان القرآن ، وقد سئل عن هذه الآية فقال : إنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله .

إيضاحات :

الأول : اختلف العلماء سلفا وخلفا فى تحديد مدلول لفظ المحكم والمتشابه فى هذه الآية ، وهذه بعض أقاويلهم :

١ ـ المحكم الواضح الدلالة الظاهر الذى لا يحتمل النسخ ، والمتشابه الخفى الذى لا يدرك معناه عقلا ولا نقلا وهو استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة .

---

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما . (٢) آل عمران : ٧ . (٣) عبس : ٣١ .
(٤) الصافات : ٩٣ . (٥) النساء : ٣ . (٦) الكهف : ١ .

٢ ـ المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل ، والمتشابه هو ما استأثر الله تعالى بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال ، والحروف المقطعة .

٣ ـ المحكم ما لا يحتمل إلا وجها واحدا ، أما المتشابه فهو ما احتمل عدة وجوه .

٤ ـ المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان ، والمتشابه عكسه وهو ما احتاج إلى بيان ولم يستقل بنفسه ، فكان تارة يؤول بكذا ، وتارة يؤول بكذا لاحتماله عدة وجوه فحصل الاختلاف فى تأويله .

٥ ـ المحكم هو السديد النظم والترتيب الذى يفضى إلى إظهار المعنى المستقيم من غير مناف ، وأما المتشابه فهو الذى لا يحيط العلم بمعناه المطلوب من حيث اللغة إلا أن تقترن به أمارات أو قرائن تبينه .

٦ ـ المحكم ما كان نصا أو كان ظاهرا ، والمتشابه ما لم يكن كذلك ، لأن اللفظ الذى يحمل معنى إما أن يحمل معنى آخر غيره أولا ، الثانى النص ، والأول إما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أولا الظاهر ، والثانى إما أن يكون مساويا أولا ، الأول هو المجمل الثانى المؤول ، فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم ، والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه .

الثانى : إن منشأ المتشابه يعود إلى أمرين قد أشرنا إليهما آنفا وهما :

١ ـ عجز الإنسان عن إدراك ما لا يمكن إدراكه ، وذلك كمعرفة ذات الرب تبارك وتعالى ، وإدراك حقيقة صفاته كاستوائه على العرش ونزوله إلى السماء الدنيا ، ومجيئه لفصل القضاء ، ومثل هذا الغيب الذى يجب الإيمان به ، والإنسان عاجز عن إدراك كنه حقيقته كالبعث والجزاء ونعيم الجنة ، وشقاء النار ، وكعذاب القبر ونعيمه ، وسؤال الملكين فيه .

ومن هذه الحروف المقطعة فى فواتح عدد من السور فى القرآن الكريم .

وهذا أحد نوعى المتشابه فى الآيات القرآنية .

٢ ـ هو ما يمكن فهم معناه غير أنه لتشابه معناه خفى خفاء لا يتأتى لغير الراسخين فى العلم تأويله وفهم معناه وقد قدمنا أن هذا الخفاء مرده إلى اللفظ ، أو إلى اللفظ والمعنى معا .

فالأول : ما كان خفاؤه بسبب غرابة اللفظ نحو كلمة الأب فى قوله تعالى : ﴿ **وفاكهة وأبا** ﴾ [١] ، أو كان بسبب اشتراكه كلفظ اليمين فى قوله تعالى : ﴿ **فراغ عليهم ضربا باليمين** ﴾ [٢] ، أو كان سببه إيجاز اللفظ وقد تقدم مثاله ، أو بسط اللفظ كقوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ [٣] ، إذ سبب خفاء معناه كان لزيادة الكاف فيه ، إذ لو قيل ليس مثله شيء لكان واضحا فى معناه ، لكن لما زيد الكاف لحكمة عالية أرادها الله تعالى وجد خفاء فى المعنى يعجزعن إدراكه غير الراسخين فى العلم .

والثانى : ما كان اشتباهه الذى تسبب عنه خفاؤه فى الفظ والمعنى معا وذكر له الراغب الأمثلة الآتية .

١ ـ ما كان من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو اقتلوا المشركين .

٢ ـ ما كان من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾ [٤] .

٣ ـ ما كان من جهة الزمان كالناسخ والنسوخ نحو : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾ [٥] .

٤ ـ ما كان من جهة المكان والأمور التى نزلت الآية فيها نحو : ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ [٦] ونحو : ﴿ **إنما النسيء زيادة فى الكفر** ﴾ [٧] فإن من لم يعرف عاداتهم فى الجاهلية يتعذر عليه فهم هذه الألفاظ القرآنية.

٥ ـ ما كان من جهة الشروط التى يصح بها ويفسد كشروط الصلاة والنكاح .

الثالث :ذكر أهل العلم أن للمتشابه من آيات الكتاب حكما عالية ، وذكروا منها ما يلى :

١ ـ رحمة الله بالعباد اقتضت أن لا يطلعهم على الغيب ، إذ ليس في صالح الإنسان أن يطلع على الغيب ، أو يعلم ما أخفى عليه ، إذ لو اطلع على ذلك لربما هلك به .

٢ ـ الابتلاء والاختبار وهى حكمة من الإيمان بالغيب ، إذ لو علم الإنسان بالمشاهدة الملائكة ورأى بعض أحوال الآخرة عيانا كرؤية عذاب القبر ونعيمه وما إلى ذلك لما كفر أحد ، والإيمان قائم على أساس الغيب والتصديق به .

---

(١) عبس : ٣١ . (٢) الصافات : ٩٣ . (٣) الشورى : ١١ . (٤) النساء : ٣ .
(١) آل عمران : ١٠٣. (٢) البقرة : ١٨٩ . (٣) التوبة : ٣٧ .

٣ ـ إقامة الدليل على عجز الإنسان وضعفه مهما عظم استعداده وغزر علمه إذ الحروف المقطعة آلم ، طس ، حم ، من جنس كلامه المؤلوف له المعتاد عنده ، ومع هذا وهى ذات معانى كبيره لم يعرف لها ، معنى وكانت من المتشابه عليه وذلك لعجزه ، فإذا ظهر له عجزه تواضع لله وخضع له ، وعلم أنه لا علم له إلا ما علمه الله كما قالت الملائكة : عندما قام دليل عجزها : ﴿ **سبحانك لا علم لنا ألا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ (١) .

٤ ـ ابتلاء العقول بالمتشابه ليظهر إيمانها وتصديقها وإسلامها وإذعانها أو يظهر كفرها وجحدوها كابتلاء الأبدان بالتكاليف الشرعية لتقوم بها ، وتفعلها طاعة لله وتسليما .

فوائد :

الأولى : قالت العلماء : يجب رد المتشابه إلى المحكم فى ذات الله وصفاته فيرد كل ما أوهم التشبيه إلى قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ (٢) .

ويرد كل ما أوهم غير العدل من أفعال الله تعالى وأحكامه إلى قوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ (٣) .

ويرد كل ما أوهم نسبة الخلق إلى غير الخالق إلى قوله تعالى : ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾ (٤) .

ويرد كل ما أوهم نسبة الهداية والإضلال إلى غير الله تعالى إلى قوله عز وجل : ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا كأنما يصعد فى السماء** ﴾ (٥) .

الثانية : أخرج ابن مردوية عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قال : « إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه عليكم فآمنوا به » .

الثالثة : فى آيات الصفات وأحاديثها مذهبان لدى المسلمين مذهب حق وهو

---

(١) البقرة : ٣٢ . (٢) الشورى : ١١ . (٣) النحل : ٩٠ .
(٤) الزمر : ٦٢ . (٥) الأنعام : ١٢٥ .

مذهب السلف ، ومذهب باطل ، وهو مذهب الخلف ، فمذهب السلف هو : الإيمان بظاهرها مع تنزيه الله تعالى عما يوهمه ذلك الظاهر من تشبيه الخالق بالمخلوقين ، وتفويض الأمر فيه إلى الله تعالى .

ومذهب الخلف هو : تأويل ما ورد من نصوص فى ذلك بحمله على المجاز أو الكناية ليتفق النقل مع العقل ، ويجمع المذهبين قول صاحب الجوهرة :

وكل نص أوهم التشبيها أوله ، أو فوض ورم تنزيها

الرابعة : يجب على كل مسلم ومسلمة إزاء آيات الصفات وأحاديثها ستة أمور وهى :

١ ـ **التقديس** : وهو تنزيه الرب تعالى عن مشابهته للحوادث ، مع إيمانه الجازم بما وصف الله تعالى به نفسه فى آياته ، أو وصفه به رسوله فى أحاديثه من صفات ذاتية كاليد والأصبع والقدم والعين ، أو صفات فعلية كالاستواء والنزول والمجيء ، تحقيقا لمفهوم قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ (١) ، إذ مفهوم هذه الآية الكريمة المحكمة : هو تنزيه الله تعالى عن صفات المحدثين وسمات المخلوقين ، وإثبات صفتى السمع والبصر له عز وجل ، وهذا معنى قول أهل العلم : إثبات لا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل .

٢ ـ **التصديق** : وهو الإيمان بما قاله الله تعالى ، وقاله رسوله ﷺ ، وأن ما ذكر الله تعالى عن نفسه وما ذكره عن رسوله هو حق على الوجه الذى أراده الله وأراده رسوله ﷺ .

٣ ـ **الاعتراف بالعجز** : وهو أن يقر العبد بالعجز عن إدراك كنه ذات الرب تعالى ، وإدراك كنه صفاته سبحانه وتعالى ، كما قال مالك وقد سئل عن قوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ (٢) ، الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة ، وكما قال ابن عباس ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، ومن ادعى علمه فهو كاذب .

٤ ـ **السكوت عن السؤال إزاء ذات الرب تعالى وصفاته ، فلا يسأل** : كيف ذات الله تعالى أو كيف يده أو قدمه ، أو مجيئه ، أو استواؤه ، كما قال مالك رحمه الله

---

(١) الشورى : ١١ .

(٢) طه : ٥ .

تعالى : والسؤال عنه بدعة .

٥ ـ **الإمساك عن التصرف فى الألفاظ الواردة فى ذات الله تعالى وصفاته** : وهو الإقرار لتلك الكلمات كما هى بدون تصريفها ، ولا تفريعها ، ومثال ذلك :

فقد وصف الله تعالى نفسه بأنه استوى على العرش ، وقال تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ (١) ، فلا يجوز أن نقول الرحمن جلس على عرشه ، ولا نقول يستوى بالمضارع ، ولا هو مستو باسم الفاعل ، فلا نصرف الفعل الذى دل على صفة من صفات الرب تبارك وتعالى ، إلا إذا ورد عن النبى ﷺ تصريفه إلى مضارع ، أو إلى اسم فاعل مثلا ، ولا نفرع عنه فنقول فى صفة اليد : الكف ، والساعد ، والعضد لأنها من لوازم اليد ، بل نذكر اللفظ الوارد فى الكتاب أو السنة ونمره كما ورد بلا تصريف ولا تفريع ، تحاشيا للقول على الله تعالى بدون علم وهو من أعظم أنواع الذنب .

٦ ـ **الكف** : وهو كف العقل عن التفكر فى ذات الله تعالى وفى كنه صفاته عز وجل ، لاستحالة إدراك ذلك ، ولما يؤدى إليه من التشبيه والتمثيل المنزه عنهما الرب تعالى ولذا ورد (٢) « وتفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذات الله » فإن التفكير فى المخلوقات يزيد فى قوة الإيمان بالخالق عز وجل ، وأما التفكر فى ذاته وهو طلب ما لا سبيل إلى إدراكه فإنه يؤدى إلى الأوهام والوساوس والظنون والشكوك ، وهى كلها مهلكات للعبد والعياذ بالله تعالى .

العام والخاص

تعريف:

إن العام من الألفاظ الشرعية كتابا كانت وسنة هو ما استغرق كل صالح له من غير حصر نحو لفظ « كل » من قوله تعالى : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ (٣) .

---

(١) طه : ٥ .

(٢) ذكره ابن كثير فى سورة النجم عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وأن إلى ربك المنتهى** ﴾ ـ آية : ٤٢ ـ ونصه : والحديث الآخر الذى فى السنن : « تفكروا فى المخلوقات ولا تفكروا فى ذات الله ، فإن الله تعالى خلق ملكا ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلثمائة سنة » .

(٣) طه : ٢٦ .

والخاص خلافه وهو اللفظ القاصر على ما دل عليه نحو لفظ محمد رسول الله ﷺ ، فالاسم الكريم (محمد) خاص بما دل عليه ولا يتناول غيره .

ألفاظ العموم :

إن للعموم ألفاظ خاصة هى كالأدوات له وهى :

١ ـ كل مبتدأ نحو : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ (١) ، أو تابعه نحو : ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون** ﴾ (٢) .

٢ ـ الذى نحو : ﴿ **والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** ﴾ (٣) .

٣ ـ اللذان نحو : ﴿ **واللذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما** ﴾ (٤) .

٤ ـ الذين نحو : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ (٥) .

٥ ـ التى نحو : التى تحفظ فرجها وتؤدى فرضها تستوجب رضا ربها .

٦ ـ اللاتى نحو : ﴿ **واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن** ﴾ (٦) الآية .

٧ ـ أى نحو : ﴿ **أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ (٧) .

٨ ـ ما الشرطية نحو : ﴿ **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** ﴾(٨) .

٩ ـ من الشرطية نحو : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ (٩) .

١٠ ـ الجمع المضاف نحو : ﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم** ﴾ (١٠) .

١١ ـ المعرف بأل نحو : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ (١١) ... الآية .

١٢ ـ اسم الجنس المضاف نحو : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** ﴾ (١٢) ، أى كل أمر من أوامره .

---

(١) الرحمن : ٢٦ . (٢) الحجر : ٣٠ ، ص : ٧٣ . (٣) الزمر : ٣٣ .
(٤) النساء : ١٦ . (٥) العنكبوت : ٦٩ . (٦) النساء : ١٥ .
(٧) الإسراء : ١١٠ . (٨) البقرة : ١٩٧ . (٩) الزلزلة : ٧ ، ٨ .
(١٠) النساء : ١١ . (١١) المؤمنون : ١ . (١٢) النور : ٦٣ .

١٣ ـ النكرة فى سياق النهى نحو : ﴿ **فلا تقل لهما أف** ﴾ (١) .

١٤ ـ النكرة فى سياق النفى نحو : ﴿ **وإن من شىء إلا عندنا خزائنه** ﴾ (٢) .

١٥ ـ النكرة فى سياق الامتنان نحو : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهورا** ﴾ (٣) .

العام أنواع ثلاثة :

إن العام من الألفاظ الشرعية ثلاثة أنواع هى :

الأول : العام الباقى على عمومه وهو نادر جدا ، وعزيز فى الأحكام الفرعية ، إذ ما من عام إلا ويتصور فيه الخصوص ، فلننظر إلى قوله تعالى : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم** ﴾ (٤) فإننا نجد لفظ الناس عاما يتناول فى الظاهر كل بنى آدم ذكورا وإناثا غير أنه فى الواقع مخصوص بغير المكلفين .

ولفظ الميتة فى قوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم الميتة** ﴾ (٥) عام فى كل ميتة لأنه معرف بأل غير أنه مخصوص بحالة الاضطرار وبميتة الحوت والجراد .

أما فى غير الأحكام الفرعية فإن العام موجود بكثرة نحو : ﴿ **إن الله بكل شىء عليم** ﴾ (٦)و ﴿ **إن الله لا يظلم الناس شيئا** ﴾ (٧) ، ﴿ **ولا يظلم ربك أحدا** ﴾ (٨) فالنكرات الثلاث فى هذه الجمل القرآنية عامة ولا يدخلها الخصوص أبدا قال السيوطى رحمه الله تعالى : بعد الفكر الطويل قد استخرجت آية من كتاب الله فى الأحكام لا يدخلها التخصيص بحال وهى قوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم** ﴾ (٩) فإنه لا خصوص لها .

الثانى : العام المراد به الخصوص وهو اللفظ العام الذى لم يرد الشارع شموله لجميع أفراده ، وذلك كأن يكون العام ذا أفراد فيطلقه الشارع وهو لا يريد إلا فردا من أفراده ، فيكون من قبيل العام الخاص نحو لفظ « الناس » وهو لفظ عام فى جميع الناس غير أنه أريد به فرد واحد من أفرادهم وهو نعيم بن مسعود الأشجعى ، أو أعرابى ابن خزاعة ، وذلك فى قوله تعالى من سورة آل عمران : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم**

---

(١) الإسراء : ٢٢ . (٢) الحجر : ٢١ . (٣) الفرقان : ٤٨ .
(٤) الحج : ١ . (٥) المائدة : ٣ . (٦) الأنفال : ٧٥ . ومواضع أخرى .
(٧) يونس : ٤٤ . (٨) الكهف : ٤٩ . (٩) النساء : ٢٣ .

فاخشوهم فزادهم إيمانا ﴾ [1] فلفظ الناس الأول أطلق وأريد به فرد واحد ، وهو نعيم بن مسعود ، أو أعرابي ابن خزاعة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** ﴾ [2] فلفظ الناس عام أريد به الخاص وهو رسول الله ﷺ حسده اليهود على نبوته وفضله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب** ﴾ [3] فلفظ الملائكة عام فى جنس الملائكة عليهم السلام غير أنه أريد به فرد واحد منهم وهو جبريل عليه السلام ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ [4] ، فالموصول لفظ عام يتناول كل الكافرين ، ولكنه مخصوص هنا بمن سبق فى علم الله تعالى شقاوتهم بعدم إيمانهم مهما جاءهم من بشير ونذير .

الثالث : العام المخصوص : وهو اللفظ العام يرد عليه ما يخصصه من أدوات التخصيص ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **والعصر . إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا ...** ﴾ [5] الآيات ، فلفظ الإنسان عام فى كل إنسان ورد عليه المخصص وهو الاستثناء فأصبح خاصا بالكافرين دون المؤمنين الصالحين .

والمخصص إما أن يكون متصلا أو منفصلا ، والمتصل منه خمسة أنواع كلها وردت فى القرآن الكريم وهى :

١ ـ الاستثناء نحو قوله تعالى : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ [6] فالموصول عام هنا وخصص بالاستثناء فمن تاب منهم رد عليه اعتباره فى قبول شهادته ، ورفع عنه وصف الفسق .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون** ﴾ [7] فلفظ كل شىء عام فى كل شىء غير أنه خصص بالاستثناء فأخرج منه وجه الحق تبارك وتعالى فلا يلحقه الفناء والهلاك .

٢ ـ الوصف نحو : ﴿ **وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** ﴾ [8] فلفظ نسائكم عام ، لأنه نكرة مضافة

---

(١) آل عمران : ١٧٣ . (٢) النساء : ٥٤ . (٣) آل عمران : ٣٩ . (٤) البقرة : ٦ .
(٥) العصر : ١ ـ ٣ . (٦) النور : ٤ ، ٥ . (٧) القصص : ٨٨ . (٨) النساء : ٢٣.

إلى معرفة فهو عام فى كل النساء غير أنه خصص بالوصف وهو قوله اللاتى دخلتم بهن .

٣ ـ الشرط نحو قوله تعالى : ﴿ **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا** ﴾ (١) ، فلفظ الذين يبتغون عام فى كل عبد يطلب المكاتبة غير أنه خصص بالشرط وهو قوله تعالى : ﴿ **إن علمتم فيهم خيرا** ﴾ (٢) .

٤ ـ الغاية نحو قوله تعالى :﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ (٣) فالموصول عام فى كل أفراده بحيث يقاتل كل أفراده غير أنه خصص بالغاية وهى إعطاؤهم الجزية عن يد وهم صاغرون ، فإذا أعطاها الفرد أو الجماعة كف عنهم القتال .

٥ ـ بدل البعض نحو قوله تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾ (٤) فلفظ الناس عام فى كل فرد من أفراد المسلمين غير أنه خصص ببدل البعض وهو من استطاع إليه سبيلا ، فمن بدل لفظ الناس العام .

وأما المخصص المنفصل فقد يكون آية مذكورة فى موضع آخر من كتاب الله تعالى ، أو يكون سنة نبوية صحيحة ، أو يكون إجماعا ، أو قياسا فمثال الآية قوله تعالى : ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ (٥) فإنه عام فى كل مطلقة غير أنه خصص بآية الأحزاب ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها** ﴾ (٦) كما خصص بقوله تعالى من سورة الطلاق : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ (٧) فآية الاعتداد بالإقراء عامة فى كل مطلقة غير أنها خصصت بالمطلقة قبل البناء حيث لا عدة عليها ، وبالحامل والآيس فإن عدة الأولى بوضع حملها وعد الثانية بالأشهر وهى ثلاثة أشهر .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾ (٨) وهو عام فى كل النساء غير أنه مخصوص بآية النساء ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم** ﴾ (٩) ... إلخ ومثال العام

---

(١) النور : ٣٣ . (٢) النور : ٣٣ . (٣) التوبة : ٢٩ .
(٤) آل عمران : ٩٧ . (٥) البقرة : ٢٢٨ . (٦) الأحزاب : ٤٩ .
(٧) الطلاق : ٤ . (٨) النساء : ٣ . (٩) النساء : ٢٣ .

المخصوص بدليل منفصل من السنة قوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم** ﴾ (١) فإن هذا اللفظ القرآنى عام فى كل ميتة ودم فخصصته السنة وهى قوله ﷺ : « أحل لنا ميتان ودمان فالميتان السمك والجراد ، والدمان الكبد والطحال » ومنه قوله تعالى : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ (٢) فهو لفظ عام فى كل بيع وفى كل ربا غير أن الأول خص بما نهى عنه رسول الله ﷺ من سائر البيوع الفاسدة كبيع ما ليس عنده ، وبيع الغرر ، وبيع المحرم كالخمر والصور وما إلى ذلك ، والثانى خص ببيع العرايا حيث أجاز ذلك الرسول ﷺ رخصة للأمة لحاجتها لذلك ، ومنه ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ (٣) فهو عام فى كل سرقة غير أنه خص بالسنة بما دون ربع دينار ، ومثال خاص بالإجماع آية المواريث وهى عامة فى كل وارث مخصوصة بالعبد فإنه لا يرث إجماعا ، ومثال ما خص بالقياس آية الزنا : ﴿ **فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾ (٤) خص منها العبد بالقياس فإنه لا يجلد إلا خمسين جلدة قياسا على الأمة التى عليها نصف العذاب فقط بقوله تعالى : ﴿ **فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب** ﴾ (٥) .

فروع :

الأول : يوجد بقلة خاص قرآنى مخصص لعموم سنة نبوية مثاله قوله تعالى : ﴿ **حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ (٦) فإنه مخصص لعموم قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ... وأن محمدا رسول الله » ومن قوله تعالى : ﴿ **ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين** ﴾ (٧) ، فإنه مخصص لعموم قوله ﷺ : « ما أبين من حى فهو ميت فالأصواف والأوبار والأشعار تبان بالجزمن الحيوان الحى » ، وهى طاهرة حلال بالإجماع ، فخص القرآن عموم السنة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله** ﴾ (٨) فقد خص عموم قوله ﷺ : « إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار » .

الثانى : اختلف فى العام إذ سيق للمدح أو الذم فهل يبقى على عمومه أو لا ؟ ، والمذهب الوسط فى هذه المسألة الفرعية أنه يبقى على عمومه ما لم يعارضه عام آخر لم

---

(١) المائدة : ٣. (٢) البقرة : ٢٧٥ . (٣) المائدة : ٣٨ . (٤) النور : ٢ .
(٥) النساء : ٢٩ . (٦) التوبة : ٢٩ . (٧) النحل : ٨٠ . (٨) الحجرات : ٩ .

يسق لذلك ، فإن عارضه خص ولم يعم مثاله مع عدم المعارض قوله تعالى : ﴿ **إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم** ﴾ (١) ، فإن لفظ الأبرار والفجار كل منهما عام وبقى على عمومه فى كل بار وفاجر ، وإن سيق الأول للمدح والثانى للذم ، ومثاله مع المعارض قوله تعالى : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ (٢) ، فإنه سيق للمدح وهو عام وظاهره أنه يعمّ الأختين بملك اليمين جمعا بينهما ، غير أنه عارضه فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين** ﴾ (٣) فإنه شامل لجمعهما بملك اليمين ولم يسق للمدح ، فحمل الأول على غير ذلك بأن لم يرد تناوله له .

ومثاله فى الذم قوله تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة** ﴾ (٤) الآية فإنه سيق للذم وظاهره يعم الحلى المباح ، غير أنه عارضه فى ذلك حديث جابر : « ليس فى الحلى زكاة » فحمل الأول على غير ذلك .

الثالث : اختلف فى ثلاثة من أنواع الخطاب هل تعم أو تخص من خوطب بها لا غير وهى :

١ ـ خطاب الرسول ﷺ نحو : ﴿ **يأيها النبى** ﴾ (٥) ﴿ **يأيها الرسول** ﴾ (٦) فقيل : يعم أمته ، لأن أمر القدوة أمر لأتباعه وقيل : لا يعم لأن الصيغة خاصة به ، والصحيح فى هذه المسألة أن القرائن هى التى تحدد ، فإن دلت قرينة على عمومه عم ، وإن دلت على خصوصه خص ، فمثال الخاص للقرينة قوله تعالى : ﴿ **يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ (٧) ، ومثال العام : ﴿ **يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين** ﴾ (٨) ، ﴿ **يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة** ﴾ (٩) فالأول خاص به ﷺ لأنه هو المبلغ عن الله تعالى ، والثانى والثالث عام يتناول الأمة لأن ـ تقوى الله مأمور بها النبى ﷺ وأمته ، وكذلك الطلاق الأول ـ العدة مأمور به النبى ﷺ وأمته .

٢ ـ الخطاب ﴿ **بيأيها الناس** ﴾ هل يشمل الكافر والعبد فى المسألة خلاف والأصح أنه يشملهما لعموم الخطاب .

٣ ـ الخطاب ﴿ **بيأيها الناس** ﴾ هل يشمل المؤمنين ، الأصح أنه لا يعمهم ، كما أن

---

(١) الانفطار : ١٣ ، ١٤ . (٢) المؤمنون : ٥ ، ٦ . (٣) النساء : ٢٣ .
(٤) التوبة : ٣٤ . (٥) ورد فى القرآن الكريم ١٠ مرات . (٦) ورد مرتين فى القرآن الكريم .
(٧) المائدة : ٦٧ . (٨) الأحزاب : ١ . (٩) الطلاق : ١ .

الخطاب ﴿ يبأيها الذين آمنوا ﴾ لا يشمل أهل الكتاب ، لأنهم غير مكلفين بفروع الشريعة .

المجمل والمبين

.تعريف:

ما المراد بالمجمل والمبين ؟ ؟

إن المراد بالمجمل من كلام الله وكلام رسوله ﷺ هو ما كان خفى الدلالة على المعنى المراد منه ، والمبين خلاف المجمل وهو ما اتضحت دلالته ، وفهم المعنى المراد منه .

ووجود مجمل فى كلام الله تعالى أمر لا ينكر غير أن المجمل هو مما لا تتوقف عليه سعادة الأمة الإسلامية وكمالها فى الدنيا والآخرة ، وإن وجد مجمل له مساس بحياة المسلمين فإنه يوجد له مبين قطعا سواء من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ .

أسباب الإجمال :

للإجمال أسباب هى :

١ ـ الاشتراك وهو أن يدل اللفظ القرآنى على معنيين أو أكثر مثل كلمة (عسعس) فإن أصل وضعها الدلالة على معنى الإدبار والإقبال فكان قوله تعالى : ﴿ **والليل إذا عسعس** ﴾ (١) مجملا لأنه متردد بين أدبر وأقبل غير أنه وجد له مبين من سورة المدثر وهو قوله تعالى : ﴿ **كلا والقمر ، والليل إذ أدبر ، والصبح إذا أسفر** ﴾ (٢) فبين أن عسعس معناه أدبر فى آية التكوير كما أن لفظ « القرء » مجمل لتردده بين الطهر والحيض واحتماله كلا منهما غير أن السنة بينت المراد منه وأنه الطهر ، وذلك لحديث الصحيح وهو أن ابن عمر طلق امرأته وهى حائض فأخبر عمر رضى الله عنه رسول الله ﷺ ذلك ، فقال له : « مره ليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها » ، فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن** ﴾ (٣) .

٢ ـ الحذف أى حذف حرف من حروف المعانى من التركيب فيتسبب عن حذفه خفاء فى المعنى المراد مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **وترغبون أن تنكحوهن** ﴾ (٤) فإن

---

(١) التكوير : ١٧ . (٢) المدثر : ٣٢ ـ ٣٤ . (٣) الطلاق : ١ . (٤) النساء : ١٢٧ .

المحذوف قبل أن المصدرية قد يكون (فى) وقد يكون (عن) ، فإن كان (فى) كانت الرغبة فى نكاحهن ، وإن كان المحذوف (عن) كانت الرغبة فى عدم نكاحهن.

٣ ـ اختلاف مرجع الضمير فإن قوله تعالى من سورة فاطر : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ [١] ، قد اختلف فى مرجع الضمير من قوله يرفعه هل هو عائد إلى عائد العمل الصالح ، أو إلى الله تعالى فسبب هذا الاحتمال خفاء فى المعنى فكان إجمالا فى الكلام .

٤ ـ احتمال العطف والاستئناف فى قوله تعالى : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ... ﴾ [٢] فإن الواو فى والراسخون محتملة للعطف ، فيكون الراسخون فى العلم يعلمون تأويل بعض المتشابه ، فسبب هذا الاحتمال إجمالا فى اللفظ .

٥ ـ التقديم والتأخير لبعض أجزاء الكلام يسبب إجمالا فى المعنى وخفاء فى المراد منه ، مثال قوله تعالى : ﴿ **يسألونك كأنك حفى عنها** ﴾ [٣] .

فإن أصل التركيب : يسألونك عنها أى عن الساعة كأنك حفى بها ، فلما أخر لفظ عنها عن موضعه سبب خفاء فى المعنى فكان إجمالا فى التركيب ، ومثله : ﴿ **الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما** ﴾ [٤] فإن أصل التركيب أنزل على عبده الكتاب قيما ، ولم يجعل له عوجا ، فلما أخر لفظ قيما سبب خفاء فى المعنى فكان التركيب به مجملا .

إيضاح :

قد يقع التبيين متصلا نحو قوله تعالى من الفجر بعد قوله : ﴿ **كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ [٥] ، فقوله من الفجر بيان للخيطين اللذين يحتمل أن يكون المراد منهما حقيقتهما أو كنايتهما وهى ضوء النهار وظلام الليل .

وقد يقع البيان منفصلا فى آية أخرى بعيدا من الآية المجملة المطلوب لها البيان نحو قوله تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات** ﴾ [٦] ، من سورة البقرة فإن الإجمال فى الكلمات جاء بيانه فى سورة الأعراف وهو قوله تعالى : ﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم**

---

(١) فاطر : ١٠ . (٢) آل عمران : ٧ . (٣) الأعراف : ١٨٧ .
(٤) الكهف : ١ . (٥) البقرة : ١٨٧ . (٦) البقرة : ١٣٧ .

تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [1] كما أن قوله تعالى من سورة القيامة : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة** ﴾ [2] دال على جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة ، ومبين لآية الأنعام وهى قوله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ [3] ، وأن المراد من عدم إدراك الأبصار له الإحاطة به لا مجرد الرؤية الثابتة بآية سورة القيامة الآنفة الذكر، وكذا قوله تعالى : ﴿ **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره** ﴾ [4] ، بعد قوله : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ [5] فإنها بينت أن المراد به الطلاق الذى يملك المطلق الرجعة معه ولولاها لكان الطلاق منحصرا فى الطلقتين ، وقد ورد أن النبى ﷺ سئل عن الطلقة الثالثة ؟ فقال : « التسريح بإحسان » ونحو قوله تعالى من سورة الزخرف : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا** ﴾ [6] ، فالموصول مجملا لا يدرى المراد منه ، وبين بأنه الأنثى من سورة النحل فى قوله تعالى : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به** ﴾ [7] .

وقد يقع التبيين بالسنة مثل قوله تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ [8] ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ [9] فهذه كلها مجملة لاتدرى كبقياتها ، وما هو المراد منها حتى بينها الرسول ﷺ بقوله وعمله فأصبح المراد منها ظاهرا معلوما يباشره كل مسلم .

المطلق والمقيد

تعريف:

المطلق : اسم مفعول من أطلق فى كلامه عممه ولم يقيده .

والمقيد : خلافه وهو اسم مفعول من قيد الكلام تقييدا . إذا بين معناه وحدده ، فمثال القول المطلق قوله تعالى : ﴿ **وأشهدوا إذا تبايعتم** ﴾ [10] ، فإن الشهود لم يقيدوا فى هذه الآية بأى قيد يحددهم ، ومثال القول المقيد قوله تعالى : ﴿ **وأشهدوا ذوى عدل منكم** ﴾ [11] ، فإن لفظ الشهود هنا قيد بالعدالة .

---

(١) الأعراف : ٢٣ . (٢) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ . (٣) الأنعام : ١٠٣ . (٤) البقرة : ٢٣٠ .
(٥) البقرة : ٢٢٩ . (٦) الزخرف : ١٧ . (٧) النحل : ٥٨ ، ٥٩ . (٨) البقرة : ٤٣ . ومواضع أخرى .
(٩) البقرة : ١٩٦ . (١٠) البقرة : ٢٨٢ . (١١) الطلاق : ٢ .

أدوات التقييد :

إن للتقييد أدوات منها :

١ ـ القيد بالوصف وذلك كقوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم** ﴾ [١] فلفظ الدم هنا مطلق يعم كل دم ، غير أنه قيد بالمسفوح من آية الأنعام : ودما مسفوحا فحل ما عداه من الدماء غير المسفوحة وهى المختلطة باللحم والعظم .

٢ ـ القيد بالشرط فى مثل قوله تعالى : ﴿ **فيمت وهو كافر** ﴾ [٢] من قوله من سورة البقرة : ﴿ **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة** ﴾ [٣] ، فلفظ من يرتد مطلق عام فى كل مرتد وظاهره أن كل مرتد يحبط عمله كقوله تعالى : ﴿ **ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الاخرة من الخاسرين** ﴾ [٤] من سورة المائدة ، غير أن قوله تعالى : ﴿ **فيمت وهو كافر** ﴾ [٥] وذكر قيدا فلا يحبط عمل مرتد إلا إذا مات وهو كافر والعياذ بالله تعالى .

٣ ـ القيد بالغاية ومثاله قوله تعالى فى آية الوضوء : ﴿ **فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق** ﴾ [٦] فقد قيد غسل اليدين بالمرافق ، والمطلق فى آية التيمم إذ قال تعالى : ﴿ **فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** ﴾ [٧] فقيد هذا المطلق بذاك المقيد فكان بعض العلماء يمسح اليدين إلى المرفقين فى التيمم .

كيفية العمل فى المطلق :

إن كيفية العمل فى هذه المسألة الأصولية المتعلقة بنصوص الكتاب والسنة المطلقة والمقيدة هى : أن يحمل المطلق على المقيد قياساً من جهة وكون الوضع اللغوى يقتضى هذا من جهة أخرى ، لأن العرب من أساليب كلامهم الإيجاز والاختصار فيطلقون اللفظ أحياناً ولا يقيدونه اكتفاء بما قيد به فى موطن آخر من كلامهم .

وعليه : فيحمل النص الشرعي المطلق على المقيد بقيد من القيود التى ذكرناها آنفا ، وهذا بشرط أن يتحد الحكم ولا يختلف ، أما إذا اختلف فإنه لا يحمل مع الاختلاف مطلق على مقيد .

---

(١) المائدة : ٣ . (٢ ، ٣) البقرة : ٢١٧ . (٤) المائدة : ٥ .

(٥) البقرة : ٢١٧. (٦) المائدة : ٦ . (٧) النساء : ٤٣ ، المائدة : ٦ .

أمثلة لما اتحد فيه الحكم فحمل المطلق فيها على المقيد :

١ ـ تحريم الدم ورد مطلقاً فى ثلاث آيات من القرآن وورد فى آية رابعة مقيداً وهى آية الأنعام إذ قال تعالى : ﴿ **قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة و دما مسفوحاً أو لحم خنزير** ﴾ (١) ، فقد ذكر هنا الدم مقيداً بالمسفوح وهو السائل فحمل المطلق فى الآيات الأخرى على هذا المقيد فكان لا يحرم من الدم إلا ما كان مسفوحاً أما ما كان بالعروق أو المخ أو اللحم فلا يحرم لأنه ليس من المسفوح .

٢ ـ تقييد آيات المواريث المطلقة بالآيات المقيدة كقوله تعالى : ﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ (٢) إلخ ، فإنها مطلقة وآية ﴿ **من بعد وصية يوصى بها أو دين** ﴾ (٣) مقيدة فحملت المواريث المطلقة على المقيدة فلا تقسم تركة ورثتها إلا بعد إخراج الوصية وتسديد الدين .

٣ ـ إطلاق الشهادة فى البيع فى قوله تعالى : ﴿ **وأشهدوا إذا تبايعتم** ﴾ (٤) وتقييدها بالعدالة فى الإشهاد على الطلاق والرجعة والزواج لقول الله تعالى : ﴿ **وأشهدوا ذوى عدل منكم** ﴾ (٥) فحمل المطلق على المقيد واشترطت العدالة فى شهود البيع وغيره .

٤ ـ أطلق لفظ ﴿ **الرقبة** ﴾ فى آية الكفارة الظهار واليمين ، وقيد بالإيمان فى آية كفارة القتل ، فحمل أهل العلم المطلق على المقيد واشترطوا لصحة العتق إيمان المعتوق ، فلا تجزىء رقبة كافرة فى كفارة ظهار أو يمين ، كل هذا لأن الحكم متحد فى هذه الأمثلة التى قدمنا ، أما إذا اختلف الحكم فلا يحمل مطلق على مقيد .

مثالان لما اختلف فيه الحكم :

١ ـ ورد الأمر بغسل الأعضاء الأربعة فى الوضوء ، والأمر بمسح عضوين فى التيمم فقط وهما الوجه واليدان ، فهل يحمل مطلق التيمم على مقيد الوضوء فيمسح الرأس والرجلان فى التيمم ؟ والجواب لا ، وذلك لاختلاف الحكم وهو أن الوضوء عبادة خاصة ، والتيمم عبادة خاصة ، فلا يصح فيهما حمل مطلق إحداهما على مقيد الأخرى .

٢ ـ ذكر فى كفارة الظهار ثلاثة أمور : الصيام والعتق والإطعام ، ولم يذكر فى كفارة

---

(١) الأنعام : ١٤٥ . (٢) النساء : ١١ . (٣) النساء : ١١ ، ١٢ .
(٤) البقرة : ٢٨٢ . (٥) الطلاق : ٢ .

القتل إلا العتق والصيام ، فهل إذا عجز القاتل عن العتق لعدم وجود ما يعتق أو لعدم وجود ما يشترى به الرقبة ينتقل إلى الإطعام كصاحب كفارة الظهار ؟

والجواب لا ، وذلك لاختلاف الحكم إذ الأول ظاهر من امرأته ، والثانى قتل نفساً مؤمنة ، فلا يحمل المطلق فى كفارة القتل على المقيد فى كفارة الظهار .

(تنبيه)

إن دل دليل على إطلاق لفظ وجب إبقاؤه على إطلاقه ، وإن دل دليل على تقييد لفظ وجب تقييده ، مثاله : فقد دل الدليل على وجوب تتابع صيام كفارة الظهار والقتل فوجب العمل على ذلك ، ودل الدليل على تفرقة صيام التمتع بقوله تعالى : ﴿ **فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم** ﴾ [1] فوجب العمل على تفريقه ، وأطلق صيام كفارة اليمين وقضاء رمضان ، فوجب بقاؤه على إطلاقه لأن إلحاقه بأحد القيدين ليس بأولى من الآخر ، وذلك لتنافى القيدين بالتفرقة والتتابع .

إعجاز القرآن

وكونه آية محمد فى إثبات نبوته ﷺ

تمهيد :

إن البحث فى إعجاز القرآن ، وإثبات كونه معجزاً ليس مقصوداً لذاته وإنما هو وسيلة لأشرف غاية وأنبلها ، وهى إثبات نبوة من نزل عليه ، وأوحى به إليه ، وذلك لتوقف سعادة الإنسان وكماله على الإيمان بهذه النبوة ، والحياة على منهاجها القويم ، صلى اللّه على صاحبها أفضل صلاة وسلم عليه أزكى تسليم ، ومن هنا فقد عنى كثير من أهل العلم قديماً وحديثاً بإعجاز القرآن فألفوا فيه الرسائل ووضعوا الكتب لما فى ذلك من إثبات الرسالة المحمدية وتقريرها ، تلك الرسالة التى لو أخذت بها البشرية لنجت من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، ومن بين الذين ألفوا فى هذا الموضوع وكتبوا الحافظ السيوطى فى « الإتقان » والزركشى فى « البرهان » والزرقانى فى « مناهل العرفان » ، وقبلهم الخطابى والرمانى ، والزملكانى ، والباقلانى ، وما كتبه الأخير قال فيه ابن العربى المعافرى : إنه لم يؤلف مثله .

---

(١) البقرة : ١٩٦ .

تعريف :

الإعجاز : مصدر أعجزه الشيء يعجزه إعجازاً إذا فاته ولم يقدر عليه ، ومنه : ﴿ **وما أنتم بمعجزين فى الأرض ...** ﴾ [1] الآية . ، وإعجاز القرآن لفظ مركب تركيباً إضافياً أضيف فيه المصدر إلى فاعله ، وحذف مفعوله ، إذ التقدير : إعجاز القرآن الخلق فى الإتيان بمثله كلا ، أو بعضاً كسورة أو عشر منه .

بداية التحدى :

إن بداية تحدى القرآن الكريم للعرب الذين نزل بلغتهم كانت يوم أنكروا أن يكون ـ القرآن كلام اللّه تعالى ووحيه أنزله على رسوله المستلزم لإنكار نبوة صاحبه المنزل عليه محمد ﷺ .

كيف كان التحدى ؟

إنه لما واجهت قريش دعوة التوحيد ـ لا إله إلا اللّه ـ واضحة صريحة مستهدفة أوثانها تريد إزالتها والقضاء عليها بل وإنهاء وجودها الذى طالما حجب القلوب عن نور الحق والعقول عن هدى اللّه ، أن تفكر فيه ، أو تهتدى به ، وكان القرآن الكريم هو حامل راية الكفاح ضد تلك الآلهة ، يوالى هجماته المركزة على باطل الأوثان وأهله ، فيسفه الأحلام ويسخر من عقول المشركين ويستهجن سلوكهم ، ويتحداهم فى آلهتهم كما هو ظاهر آياته التالية :

﴿ **إنكم وما تعبدون من دون اللّه حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ [2] .

﴿ **إن الذين تدعون من دون اللّه لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ [3] .

﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللّه من لا يستجيب له يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ [4] .

﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون** ﴾ [5] .

---

(١) العنكبوت : ٢٢ ، الشورى : ٣١ .   (٢) الأنبياء : ٩٨ .   (٣) الحج : ٧٣ .
(٤) الأحقاف : ٥ ، ٦ .   (٥) الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢ .

﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ، ألهم أرجل يمشون بها ؟ أم لهم أيد يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ (١) .

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ (٢) .

لما واجهت قريش حامية حمى الوثنية والذائدة عن حياضها بسيف عزم باطلها لما واجهت دعوة الحق : **﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾** (٣) .

لما واجهت هذه الدعوة في حرارتها وقوة تأثيرها لم تجد بداً من أن تثير الشبه حول حامل رايتها وهو القرآن ، فتشكك الناس فيه وفي صحته وخيريته ، وسلكت لذلك مسالك متعددة ، فقالت : **﴿ ما هذا إلا أساطير الأولين ﴾** (٤) ، **﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾** (٥) ، **﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾** (٦) ، **﴿ إن هذا إلا إفك افتراه ﴾** (٧) ، **﴿ أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾** (٨) ، وأخيراً قالت : **﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾** (٩) ، ولما بلغت هذا الحد من التبجح والاستهتار والاستخفاف تعين تحديها كسراً لحدة تغاليها في الباطل وتعاليها على الحق ، وهكذا بدأ التحدي فأنزل الله تعالى في ذلك قوله من سورة الإسراء : **﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾** (١٠) .

ومعنى هذه الآية : هو قطع طمع معارضة القرآن والانتصار عليه ، واستحالة الإتيان بمثله حتى لو اجتمع على ذلك الإنس والجن ، وكان بعضهم لبعض كمساعداً ومعيناً .

كما أنزل قوله جل ذكره : **﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ،**

---

(١) الأعراف : ١٩٤ ، ١٩٥ (٢) الأعراف : ١٧٩ . (٣) فصلت : ٦ ، ٧ .
(٤) الأحقاف : ١٧ . (٥) المدثر : ٢٤ . (٦) المدثر : ٢٥ .
(٧) الفرقان : ٤ . (٨) الفرقان : ٥ . (٩) الأنفال : ٣١ .
(١٠) الإسراء : ٨٨ .

وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ، وأن لا إله إلا هو ، فهل أنتم مسلمون ﴾ [1] .

وأنزل قوله فى تحدى المشركين لا بالقرآن كله ، ولا بعشر سور مثله بل سورة واحدة من مثله : ﴿ **وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾** [2] .

إلى أين انتهى هذا التحدى ؟

إن هذا التحدى القرآنى الكبير قد انتهى بيأس المشركين يأساً تاماً من أن يعارضوا القرآن المعجز لهم بأى وجه من الوجوه ، ومن هنا غيروا خطتهم فى محاربتهم للحق ، وفى دفاعهم عن الباطل فراحوا يطالبون النبى ﷺ بالمعجزات المادية الحسية كالتى كانت للأنبياء من قبله ، ﴿ **فقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ﴾** [3] ، ﴿ **وقالوا يأيها الذى أنزل عليه الذكر إنك لمجنون ، لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ﴾** [4] ، ﴿ **وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ﴾** [5] ، وهم يعبثون بهذه الخوارق الكونية وهو ما يعرف فى لسان الشرع بالمعجزات وهى الأمور الخارقة للعادة المقرونة بالتحدى السالمة عن المعارضة كناقة صالح وعصى موسى عليهما السلام ، وألحوا فى المطالبة ، والله تعالى لم يجبهم لذلك رحمة بهم ، إذ من سنته تعالى فى هذا الشأن أن الناس إذا طالبوا بالآيات وألحوا فى طلبها يجابون لها مشروطة بإيمانهم أو هلاكهم ، وهو يعلم أن هؤلاء المشركين فاقدون لكل استعداد يجعلهم يؤمنون إن رأوا الآيات ، كما قال تعالى : ﴿ **ولو أننا نزلنا عليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾** [6] ، ﴿ **ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾** [7] ، فلذا لم يجبهم تعالى لهذا بل كان يصرفهم عنه كلما طلبوا منه ، وليس معنى هذا أن الله تعالى لم يعط نبيه محمداً ﷺ من المعجزات ما يؤمن عليه البشر فقد أعطاه عشرات المعجزات ، كحنين الجذع له ، ورده عين قتادة بعد ما تدلت على وجنته ، وكتكثير الطعام له حتى أن المد الواحد يكفى بضعة مئات ، غير أن هذه المعجزات ما

---

(١) هود : ١٣ ، ١٤ . (٢) يونس : ٣٧ ، ٣٨ . (٣) طه : ١٣٣ .
(٤) الحجر : ٦ ، ٧ . (٥) الأنعام : ٣٧ .
(٦) الأنعام : ١١١ . (٧) الحجر : ١٤ ، ١٥ .

كانت مقرونة بالتحدى كراهية أن لا يؤمن بعدها من طلبها ، فيهلك .

أكبر آية وأعظم معجزة :

إن أكبر آية على وحدانية اللّه تعالى ، وصدق نبوة رسوله محمد ﷺ هو القرآن الكريم بفصاحته وبلاغته وبشرائعه وأحكامه بعلومه ومعارفه ، بغيوبه وأنبائه ، بهدايته وتأثيره ، بسلامته وحفظه .

لما ألح المشركون فى طلب الآيات كما جاء ذلك فى مواضع شتى من القرآن الكريم قال تعالى لهم : ﴿ **أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾ (١) فأكبر آية كانت لمحمد ﷺ على صدق نبوته وثبوت رسالته هى هذا القرآن الكريم ، وهى آية عقليه باقية ببقاء البشرية على هذه الكرة الأرضية ، وفيها يقول عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيح « ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه اللّه إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

إن المعجزات العادية والآيات الكونية تنتهى بالساعة التى ظهرت فيها ، وبالأفراد الذين شاهدوا ظهورها ، فهى لذلك محدودة التأثير سريعة الزوال والنسيان ، وإن قامت بها الحجة على من شاهدها ، فإن من لم يشاهد لم تقم بها عليه حجة ، من هنا كانت آية القرآن العظيم أعظم الآيات ، وأكثرها نفعاً ، وأجلها قدراً ، وأكبرها تأثيرا على النفوس لأنها آية عقلية ، سلطانها على النفوس أقوى من سلطان الآيات الكونية فلذا قال ﷺ : « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » أى اتباعاً ، وهو كما قال : فلم تكن أمة فى الأرض من أمم الدين الصحيح أكبر من هذه الأمة المحمدية .

وإذا كان القرآن أكبر آية فإن كون النبى محمد ﷺ أمياً لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يجلس بين يدى أستاذ قط ، ثم هو يوحى إليه بمثل هذا القرآن العظيم فيمليه على أصحابه فيكتبونه آيات وسورا حتى يكتمل سفرا لاسفر أعظم منه فيه من شتى الفنون والعلوم ، وصنوف الهداية الإلهية ما هو عجب فى بابه فيحيى اللّه به نفوساً ميتة ، ويفتح به قلوباً غلفاء ، ويسمع به آذاناً صما وتتحقق على شرائعه وآدابه حضارة إسلامية لم تر عين الوجود مثلها ، إن هذا لمعجزة من أعظم المعجزات كما قال القائل :

---

(١) العنكبوت : ٥١ .

وأخيراً :

وبعد الصراع المرير بين التوحيد والشرك فى مكة ، وبعد استنفاذ المشركين كل قواهم فى محاربة دعوة التوحيد وصاحبها وكتابها : دعوة التوحيد هى لا إله إلا اللّه ، وصاحبها هو محمد رسول اللّه ﷺ ، وكتابها هو القرآن الكريم ، حتى عذبوا كل من يقول لا إله إلا اللّه ، محمد رسول اللّه ، وألجأهم إلى الهجرة إلى الحبشة مدة وإلى المدينة أخرى ، وبلغ بهم حرصهم على خنق دعوة الحق فى مهدها والقضاء عليها قبل اكتمالها ، واستفحال أمرها حتى جعلوا نقاط تفتيش على مداخل مكة المكرمة ليتعرفوا إلى هوية كل داخل إلى مكة ، وفى القرآن الكريم مصداق هذا : ﴿ **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم : قالوا أساطير الأولين** ﴾ (١) ، إذ كان الرجل يسمع لدعوة الحق فى مكة فيأتى ليتعرف عليها فيسأل فى نقاط التفتيش عما جاء به ، فيقول : سمعت كيت وكيت ، فيقولون له : أساطير الأولين : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ (٢) .

بعد هذا أو ذاك ، وبعد حرب ضروس ذاق فيها المشركون مرارة القتل والأسر ، والهزيمة على أيدى من استضعفوهم بالأمس واضطهدوهم ، وألجأوهم إلى الهجرة وترك الدار والأهل والمال ، يرفع من دار الهجرة صوت علوى كريم : ﴿ **يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، فلا تجعلوا للّه أنداداً وأنتم تعلمون ، وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون اللّه إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ (٣) .

إن هذا الصوت العلوى الذى ارتفع لهم من المدينة النبوية معقل التوحيد ، ومأرز الإيمان ، وعاصمة الإسلام يعاودهم مرة أخرى فيخاطب ضمائرهم ، وينادى عقولهم ، ويحرك مشاعرهم ، فيدعوهم إلى عبادة ربهم ليقوا أنفسهم من نقمه وسخطه وعذابه ، محذراً إياهم من الإصرار على الشرك بعد معرفتهم بطلانه ، وسوء عاقبة أهله ، ويدعوهم إلى التعقل والتفهم فيقول : ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله** ﴾ (٤) إن المفروض فيكم أن لا يبقى عندكم إلى الآن شك فى أن ما أنزله اللّه تعالى

---

(١) النحل : ٢٤ .	(٢) فصلت : ٢٦ .	(٣) البقرة : ٢١ ـ ٢٤ .	(٤) البقرة : ٢٣ .

على عبده ورسوله محمد ﷺ هو الحق والخير والرحمة والهدى ، وعلى فرض بقاء شيء من الشك فى نفوسكم فعارضوه فأتوا بسورة من أمى مثل صاحبه الذى نزل عليه ، ولكم أن تستعينوا على ذلك بكل من ترون أنه يعينكم على الخروج من ورطتكم ، من شاهد وغائب ، إن كنتم صادقين فى دعواكم أنكم لم تستعينوا أن يكون هذا النور نزل من عند اللّه على من اصطفاه اللّه له فأوحاه إليه ، وأنزله عليه .

ثم يحملهم على اليأس النهائى فى معارضة فيقول لهم : ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا** ﴾ [١] ، ويطلب إليهم بعد وضوح الدليل على عجزهم أن يكفوا وجوههم من النار التى هى لازمة للكافرين المجاحدين المعاندين .

ومن يوم أن قال تعالى : ﴿ **ولن تفعلوا** ﴾ إلى يومنا هذا كان الزمن قد تجاوز ألفاً وثلثمائة ونيفاً وتسعين سنة ، ولم يستطع المشركون المناوئون للقرآن من كل الأمم والشعوب لم يستطيعوا أن يأتوا بسورة من مثله ، فهذا هو التحدى القرآنى للعالمين ، وهذا هو إعجاز القرآن للناس أجمعين ، فبم كان هذا الإعجاز أبألفاظ القرآن دون معانيه ؟ أم بألفاظه ومعانيه ؟ أم كان بصرف ربانى لمعارضيه ؟ .

القرآن معجز بألفاظه :

إن ألفاظ القرآن الكريم مفردات وجملاً وتراكيب وبغض الطرف عما تحمله من معانى جليلة جميلة معجزة بأتم معنى كلمة الإعجاز ، فلا طاقة لأحد من الناس أن يتحداها ويأتى بمثلها ، وذلك لا نتقائها من سامى الكلمات فى لغة العرب وشريف مفردات لغتها لفى الذروة ، من ذلك فلم ترد كلمة واحدة من عشرات آلاف الكلمات مستهجنة أو مسترذلة أو غير فصيحة فى بابها ، وهذا يقر به ويعرفه كل ذى ذوق بلغة العرب ومعرفة فصاحة مفرداتها وبلاغة تراكيبها ، والأكثر إعجازاً من ذلك تناسب الكلمات عند إسنادها ، وفى حال تركيبها فتتلائم فى الجمل وتتآخى فى التراكيب وتتناسب فى الكلام حتى تكون كأنها سبيكة ذهبية أو صوت ملائكى يهز القلوب هزاً ، ويحرك الضمائر والمشاعر تحريكاً ، لا يفعل مثله أى كلام على الإطلاق وهذه صورة من ذلك التناسب : جاء من سورة الرحمن : ﴿ **وجنى الجنتين دان** ﴾ [٢] ، فلفظ « الجنى » رقيق جميل ولفظ « الجنتين » أكثر رقة وجمالاً ولفظ « دان » له نغم خاص ذو حلاوة غريبة ، وعند التركيب تكون من تلك الكلمات الثلاث كلام تقصر دونه قرائح البلاغيين ، وتنعقد عن مثله ألسنة

---

(٣) البقرة : ٢٤ . (٢) الرحمن : ٥٤ .

البيانيين ، وما ذاك إلا لجمال الكلمات وتناسب تركيبها إذا لو طلبنا فى لغة العرب مفردات ثلاث أخرى تنوب كل واحدة منها عن الأخرى وركبناها فقلنا : « وثمر البستانيين قريب » لأصبح التركيب فى غاية الحطة والسفول ، ولما بقى له من حلاوة ولا طلاوة .

وجاء من سورة أخرى : ﴿ **وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب** ﴾ [1] فمفردات هذا التركيب كل واحد منها فى غاية الجمال والفصاحة « أخرى تحبونها » ، « نصر » ، « من الله » ، « وفتح قريب » ولما ركبت ازدادت حسناً وجمالاً ولو أردنا استبدال كل كلمة بما يدل على معناها فقلنا : واحدة تودون تأييد من الإله ، وانتصار دان ، لكانت الكلمات هابطة لاجمال فيها ولاحسنا ، ولو ركبناها وقلنا : وواحدة تودونها تأييد من الإله ، وانتصاراً دان ، لكان الكلام ، ممجوجاً ساقطاً بارداً ، تغلق دونه طرق الإسماع وتقفل أمامه أبواب القلوب ، وهذا دال على أن القرآن معجز بألفاظه مفردة ومركبة كما قلنا سابقاً .

القرآن معجز بمعانيه :

وكما أن القرآن معجز بألفاظه هو معجز كذلك بمعانيه ، ولهو بمعانيه أشد إعجازا منه بألفاظه وتراكيبه ، وهذا بيان ذلك .

إن معانى الخير والهدى ، والرحمة والإحسان ، والحق والعدل ، والمعروف والجميل ، هذه المعانى هى التى جعلت القرآن العظيم يتسامى فوق كل كلام بشرى ، ويرتفع إلى مستوى تستحيل معه مداناته فضلاً عن مساواته والتفوق عليه ، ولكل هذه المعانى النبيلة مظاهر تتجلى فيها :

المظهر الأول : مظهر الخير :

لقد قرر القرآن معانى الخير كلها ، وجاء بها ، ودعا إليها ، فأمر بالبر والتعاون عليه فى قوله فيه : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ [2] والبر : اسم جامع لكل خير ، ونهى عن ضد الخير وهو الشر وحذر من إتيانه فى قوله : ﴿ **ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [3] والإثم : اسم جامع لكل ضار فاسد يضر بالإنسان فى جسمه أو عقله أو عرضه أو روحه ، وأمر بالصدق ، وهو من الخير أمر به فى القول والفعل ونهى عن ضده وهو الكذب والخيانة فقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ [4] وقال : ﴿ **يأيها**

---

(١) الصف : ١٣ .　　(٢ ، ٣) المائدة : ٢ .　　(٤) التوبة : ١١٩ .

الذين آمنوا لا تخونوا اللّه والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ [1] وأمر بصلة الرحم وإيتاء ذى القربى ما هو حق لهم من المعروف والبر والصلة والإحسان وهذه كلها من الخير ، فقال : ﴿ **والذين يصلون ما أمر اللّه به أن يوصل** ﴾ [2] ، ومما أمر اللّه به أن يوصل هو الأرحام ، لأنها رباط المجتمع السليم القوى الذى يوفر لأفراده السعادة والهناء ، وقال : ﴿ **فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** ﴾ [3] وأمر بالوفاء فى كل العهود والعقود والالتزامات الشخصية والدولية فقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾ [4] وأمره بها نهى عن أضدادها من النكث والخلف والنقض ، وأمر بالزكاة ودعا إلى الصدقات إشاعة للخير بين الناس ، وتعميماً للفضل بينهم والإحسان ، ونهى عن البخل والشح ومنع المعروف فقال : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ [5] ، وقال : ﴿ **والمتصدقين** ﴾ [6] ، وقال : ﴿ **وأقرضوا اللّه قرضاً حسناً** ﴾ [7] .

المظهر الثانى ـ مظهر الهدى :

إن دعوة القرآن إلى الهدى العام فى العقيدة والفكر ، والعقل والعمل فى عشرات من آياته ، مع نهيه الواضح الصريح عن كل ضروب الضلال وطرقه ، لأمر يدعو إلى العجب حقاً ، فإنه لم يعهد مثله فى كتاب سماوى قط ، ولنسمع إليه وهو يدعو إلى الهدى فى العقيدة ويقول : ﴿ **يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [8] ، ويقول : ﴿ **إن ربكم اللّه الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك اللّه رب العالمين** ﴾ [9] ويقول : ﴿ **إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه** ﴾ [10] ويقول : ﴿ **اللّه خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ [11] ويقول : ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾ [12] هذا كله فى عقيدة الإيمان بالرب تعالى وتوحيده فى ألوهيته وعبادته .

ويقول فى عقيدة البعث والجزاء : ﴿ **يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم**

---

(١) الأنفال : ٢٧ . (٢) الرعد : ٢١ . (٣) الروم : ٣٨ .
(٤) المائدة : ١ . (٥) البقرة : ٤٣ . ومواضع أخرى . (٦) الأحزاب : ٣٥ .
(٧) المزمل : ٢٠ . (٨) البقرة : ٢١ . (٩) الأعراف : ٥٤ .
(١٠) فصلت : ٦ . (١١) الروم : ٤٠ . (١٢) البقرة : ١٦٣ .

ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴾ (١) ويقول : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ (٢) .

ويقول في هدى الفكر والعقول : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ (٣) ويقول : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾ (٤) ، ويقول : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (٥) ، ويقول في هدى الأعمال وصلاح السلوك : ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ (٦) ، ويقول : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (٧) ، ويقول : ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (٨) ، ويقول : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ (٩) .

المظهر الثالث في الرحمة والإحسان :

إن دعوة القرآن إلى الرحمة والإحسان لتكاد تكون هي المظهر العام له ، فما من حكم من أحكامه إلا وطابع الرحمة والإحسان فيه واضح جلي حتى ولو كان في قطع يد السارق ، أو جلد الزاني أو رجمه ، وزيادة عن كون القرآن كله رحمة كما قال منزله سبحانه وتعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ (١٠) ، ﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة

---

(١) الحج : ٥ . (٢) فصلت : ٣٩ . (٣) لقمان : ٢٠ ، ٢١ .
(٤) سبأ : ٤٦ . (٥) البقرة : ١٦٤ . (٦) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .
(٧) الزلزلة : ٧ ، ٨ . (٨) النساء : ١٢٤ .
(٩) النساء : ١١٤ . (١٠) الإسراء : ٨٢ .

للمؤمنين ﴾ [١] ، فإن دعوته إلى الرحمة والإحسان قوية صادقة تتجلى فى العديد من سوره فمن سورة البلد يقول : **﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتوصوا بالمرحمة ﴾**[٢] .

ومن سورة النحل يقول : **﴿ إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾** [٣] ، ومن آل عمران يقول : **﴿ فبما رحمة من اللّه لنت لهم ﴾** [٤] ، ومن سورة المؤمنون يقول : **﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون ﴾** [٥] ، ومن سورة البقرة يقول : **﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾** [٦] ، **﴿ وأحسنوا إن اللّه يحب المحسنين ﴾** ومن سورة الأنعام يقول : **﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾** [٧] ، وحسبنا فى ذلك أن تكون أول سورة منه ، بل وأول آية تحمل معنى الرحمة وتشيعها إلى أبعد حدودها **﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ، الحمد للّه رب العالمين ، الرحمن الرحيم ﴾** [٨] .

المظهر الرابع ـ فى الحق والعدل :

إن القرآن الكريم نزل بالحق ولإحقاق الحق ، قال تعالى : **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾** [٩] وقال : **﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾** [١٠] ، وقال : **﴿ يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴾** [١١] كما أن الدين الذى القرآن كتابه هو دين الحق قال تعالى فيه : **﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى باللّه شهيداً ﴾** [١٢] وقد أقام اللّه تعالى منزله أمر السماء والأرض على الحق قال تعالى : **﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾** [١٣] ودبر تعالى الكون له على مبدأ الحق : **﴿ يريد اللّه أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾**[١٤] .

أما العدل فقد أمر اللّه تعالى به : **﴿ إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾** [١٥] وأرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لإقامة العدل فى الأرض كما قال تعالى : **﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس**

---

(١) يونس : ٥٧ . (٢) البلد : ١٧ . (٣) النحل : ٩٠ . (٤) آل عمران : ١٥٩ .
(٥) المؤمنون : ٧٥ . (٦) البقرة : ٨٣ . (٧) الأنعام : ١٥١ .
(٨) الفاتحة : ١ ، ٢ . (٩) النساء : ١٠٥ . (١٠) الإسراء : ١٠٥ .
(١١) يونس : ١٠٨ . (١٢) الفتح : ٢٨ . (١٣) الحجر : ٨٥ .
(١٤) الأنفال : ٧ ، ٨ . (١٥) النحل : ٩٠ .

بالقسط ﴾ (١) . والقسط هو العدل ، وأمر اللّه تعالى بالعدل فى القول والفعل والحكم ، فقال تعالى : ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا ، هو أقرب للتقوى وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ (٣) .

وأخيراً فهذه المعانى الخيرة الكريمة السامية الشريفة من الهدى والرحمة والإحسان والعدل والحق لم يكن فى استعداد أى إنسان أن يأتى بمثلها ، ولم يعرف فى أمة من الأمم كتاب حوى مثلها وقرر أصولها ودعا إلى إقامة الحياة البشرية على أسسها ، إنه يمثل هذه المعانى الرفيعة التى ضمها القرآن العظيم بين آياته وكلماته كان الإعجاز ، الإعجاز الحق الذى لا مرية فيه ، فإن القرون تمر متطاولة والتحدى قائم ، والإنس والجن عاجزون عن الإتيان بمثله ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ (٤) .

وها هو ذا الكذاب الأثيم مسيلمة يعارض سورة من أقصر سور القرآن الكريم فيهزم مفضوحاً شر فضيحة ، إذ يقول فى معارضة سورة الكوثر : (إنا أعطيناك الجواهر ، فصل لربك وهاجر ، إن شانئك هو الكافر) .

فلننظر إلى كذبه وهرائه أنه يقول : إنا أعطيناك الجواهر ، فهل مسيلمة أعطى محمداً جواهر لا ، واللّه ، ولا جوهرة واحدة ، وهل لدى رسول اللّه ﷺ جواهر ؛ لا ، واللّه ما له من جواهر ، ويقول : إن شانئك هو الكافر ، فهل كان فى قريش من ينسب محمداً إلى الكفر ؟ لا ، واللّه ما قال له أحد يوما إنك كافر ، فكيف يصح إذا قوله : إن شانئك هو الكافر . إذ هذا القول يستلزم أن قائلاً قال له : إنك كافر فينفى عنه هذا القول ويرد على من نسبه إليه مقصوراً عليه .

إن أدنى تأمل يكشف زيف الكذاب مسيلمة ، ويظهر الفرق الكبير بين معانى القرآن السامية الشريفة وبين تفاهات مسيلمة الساقطة الهابطة المجردة من كل معانى الصدق والحق والخير والمعروف .

---

(١) الحديد : ٢٥ . (٢) الأنعام : ١٥٢ .
(٣) المائدة : ٨ . (٤) الإسراء : ٨٨ .

آيات الإعجاز فى القرآن :

الأولى :عجز العرب عن مناهضته : إن عجز العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان لا سيما فى الفترة التى كان ينزل فيها القرآن عجزهم عن مناهضته ومعارضته مع دواعى المعارضة له لأكبر آية وأعظم دليل على إعجاز القرآن لكل من رام معارضته أو يرومها إلى يوم الدين ، إن سكوت أولئك الفصحاء البلغاء والقرآن يتحداهم ﴿ **فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ (١) لم يكن إلا سكوت عجز وانهزام أمام سلطان القرآن العظيم الذى قهر نفوسهم وسخر من عقولهم ، وسفه أحلامهم وقطع طريق النصرة عنهم ، فاعترفوا بجلاله وعظيم سلطانه ، وها هو ذا الوليد بن المغيرة يسجل اعترافه بعجزه أمامه فيقول وهو يخاطب بعض رجال قومه : فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ، ولا برجزه ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته .

هذه شهادة عدو لدود له وهى تقرر أن القرآن يعلو ولا يعلى عليه ، وأنه يحطم مادونه ، والفضل ما شهدت به الأعداء كما قيل .

الثانية ــ أنباء غيبه : إن من آيات الإعجاز القرآنى إخباره بالغيب الذى يشمل غيب السماء والأرض والحياة الدنيا والآخرة فإنه ليس فى استطاعة أى إنسان أن يخبر بغيب السماء ، ويتحدث عن الملكوت الأعلى إلا أن يكون رسولا يوحى إليه بذلك ، والقرآن الكريم وصف الحياتين ، وما فيهما من دقيق وجليل ، تكلم على مبدأ الخليقة ومنتهاها ، وبداية الانقلاب الكونى ونشوء الحياة الثانية ، تحدث عن الأمم الماضية والشعوب الغابرة متعرضا لتفاصيل فى أخبارها يتعذر على من عاش أحداثها ، وشاهد وقائعها أن يقول فيها بمثل ما قال القرآن الكريم فيها ، ولم تكن أنباء غيبه محصورة فيما مضى من أحداث الكون ووقائعه ، ولا مصورة على غيب السماء والدار الآخرة حيث لا مطمع لأحد فى معرفة ذلك والقول فيه إلا من طريق الوحى الإلهى ، بل تناولته أنباء غيبه المستقبل القريب والبعيد ، فقد قرر هزيمة فارس وانتصار الروم عليها وأخبر بها قبل وقوعها بسبع سنين ، أخبر بهزيمة قريش فى بدر قبل وقوعها بنحو من سبع سنين فقال : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ (٢) ، وكان الأمر كما قال : قرر أن أولئك الخائفين بالمدينة والذين قضوا فترة

---

(١) يونس : ٣٨ .
(٢) القمر : ٤٥ .

يظلون فيها بأسلحتهم يحملونها على عواتقهم ويبيتون بها مضاجعة لهم لا تفارقهم ، أخبر أنه سيستخلفهم فى الأرض ، ويمكن لهم فيها ويبدل خوفهم أمناً ، ولم يمض على إخباره بهذا أكثر من سبع سنوات حتى أصبحوا خلفاء فى الأرض يدبرون ملكها بلا منازع ، ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** ﴾ (١) .

ومن أعظم غيوبه فى الأرض إعلانه عن نظام الزوجية فى كل الكائنات إذ قال : ﴿ **ومن كل شىء خلقنا زوجين** ﴾ (٢) : وقال : ﴿ **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ﴾ (٣) ، وتصديق الحياة له فيما أعلنه وقرره ، فقد وصلت الكشوفات العلمية والبحوثات الكونية إلى معرفة ما أخبر به القرآن ، وانتهت إلى تقرير ما قرره منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، وهو أن كل ذرة فى الكون مكونة من ذكر وأنثى ولم يخرج شىء عن نظام الزوجية أبداً ، وصدق الله العظيم ، ﴿ **ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ (٤) .

الثالثة ـ سلامة تراكيبه وصحة معناه : إن القرآن ـ والذى نزله ـ لأصدق حديث وأصحه وأبلغ كلام وأفصحه ، فلا كلام أسلم منه فى ألفاظه ومعانيه ، ولا كلام يدانيه فى خيريته وطيبته ، إنه أبعد كلام عن الإسقاط والسقوط والهبوط ، إنه لم توجد فيه ـ والله ـ ولو إشارة يإذن إلى فعل شر أو باطل أو فاسد أو قبيح ، فضلا عن عبارة تدعو إلى شىء من ذلك أو غيره من كل أنواع الظلم أو الفساد أو القبح أو الشر .

إنه لم يتناقض فى حكم من أحكامه ، ولم يختلف فى خبر من أخباره ، ولم يوجد فيه خلل فى لفظ ولا تركيب ولا معنى ، على كثرة أحكامه وأخباره ، وجمله وتراكيبه ، وعلى اختلاف أحوال نزوله ، وطول الزمن الذى نزل فيه .

الرابعة ـ أمية من نزل عليه : إن من أعظم آيات القرآن أن يأتى به أمى لم يقرأ ولم يكتب قط ، ولم يدخل كتابا أو مدرسة ولم يجلس بين يدى أستاذ أبدا فى حين أن ما حواه كتابه من العلوم الإلهية والبشرية ما يحير الفكر ويدهش العقل لدقته وصحته واتساع نطاقه حتى شمل القانون ، والاقتصاد ، وعلم الاجتماع وعلوم الأديان ، ومباىء الصحة والنظريات الفلكيـة ، والعلوم النفسية ، وما إلى ذلك مما يحيل العقل البشرى وجوده عند

---

(١) النور ٥٥ .
(٢) الذاريات : ٤٩ .
(٣) يس : ٣٦ .
(٤) الذاريات : ٤٩ .

أمى من البشر ، غير أنه وجد فعلا عند النبى الأمى محمد ﷺ ، فدل على أنه نبى الله ورسوله ، وإنالكتاب كلام الله ووحيه ، وأن الإتيان بمثله مستحيل وهذا هو الإعجاز القرآنى الذى دل عليه أمية من أنزل عليه وصدق من قال :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة ... فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

ومن قال :

الله أكبر إن دين محمد وكتابه ... لا هدى وأقوم قيلا

لا تذكروا الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فاطفىء القنديلا

أوجه الإعجاز فى القرآن :

قال كثير من أهل العلم فى أوجه الإعجاز القرآنى ، وحدد كل منهم ما رآه وجها للإعجاز ، ومن بين أولئك العلماء الذين تكلموا فى أوجه الإعجاز فى القرآن القاضى أبو بكر الباقلانى إذ قال : وجه الإعجاز ما فيه من النظم والتأليف والتوصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد فى كلام العرب ، ومباين الأساليب خطاباتهم ، ولهذا لم يمكنهم معارضته.

وقال الرازى : وجه الإعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من العيوب .

وقال آخر : وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به ، لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة ، وعلت مركباته معنى ، بأن يوقع كل فن فى مرتبته العليا فى اللفظ والمعنى .

وقال آخرون : بعض ما ذكر وغيره ، وكلامهم متداخل يكمل بعضه بعضا .

وأقول : إن وجه إعجاز القرآن كائن فى فصاحة مفرداته وجمالها ، وحسن تراكيبه وبلاغتها ، وشرف معانيه وسلامتها من الاختلاف والتضاد ، أو التعارض والتناقض ، وفى كونه منزلا على أمى لم يقرأ ولم يكتب .

مسائل :

اختلف كثير من أهل هذا الفن فى عدة مسائل منه نوردها هنا ، ونذكر ما هو الراجح منها بحسب ما يبدو لنا والله الهادى إلى أوجه الحق والصواب :

١ ـ هل الإعجاز القرآنى يوجد فى كل آية من القرآن ، أو فى سورة منه أو فى كل آياته وسوره ؟

فى هذه المسألة مذهبان ، والصحيح : أنه معجز بكله ، ومعجز بالسورة منه أو أكثر ، أما الآية منه ، والآيتان فليس فيهما وجه الإعجاز لأن التحدى كان به كله كما فى آية بنى إسرائيل : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن** ﴾ (١) . . . الآية ، كما كان بعشر سور منه فى آية هود : ﴿ **أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات** . . ﴾ (٢) الآية ، كما كان بسورة واحدة منه كما فى آيتى يونس والبقرة : ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله** ﴾ (٣) .

٢ ـ هل يوجد بين مفردات القرآن وتراكيبه تفاوت فى الفصاحة والبلاغة ؟

والجواب : نعم ، وحكمة ذلك التفاوت : أنه جار على كلام العرب المتحدين به وكلامهم إذا طال يشمل الفصيح والأفصح ، فلكى يتم الإعجاز بالقرآن جاء على سنن كلامهم جامعاً بين الفصيح والأفصح ، والبليغ والأبلغ ، مع أن كل كلمة منه ، وكل تركيب بالذروة العليا من الفصاحة والبلاغة .

٣ ـ هل من إعجاز القرآن الصرف عن معارضته ؟

والجواب أن الصرفة وإن قال بها بعض أهل العلم فإنها لم تقع بدليل محاولة غير واحد معارضة القرآن ومن بين من حاول ذلك مسيلمة الكذاب ، وقد سبق فى أثناء بحث هذا الموضوع بيان معارضته لسورة الكوثر المباركة حيث قال عليه لعائن الرحمان : (إن أعطيناك الجواهر ، فصل لربك وهاجر إن شانئك هو الكافر) .

وعليه فإعجاز القرآن كان بنظمه المرصف المحكم ، وبلاغته البالغة حدا يعجز الوصف عنه وبعلومه المختلفة ، وغيوبه الكثيرة ، ولم يكن بالصرفة كما قال النظام المعتزلى ، ولا كما قال أبو إسحاق الإسفراييني السنى .

ومع هذا فإنه مادام الغرض من الإعجاز هو إثبات أن القرآن كلام الله تعالى ، وأن المنزل عليه هو رسوله فإن الصرفة عند من يراها تحقق هذا ، الغرض وتفيده قطعا ، إذ صرف الله تعالى الناس عن معارضة القرآن معناه : أيها الناس إن كنتم فى شك من صحة ما أنزلت على عبدى ورسولى فأتوا بسورة من مثله ، فإن عجزتم عن ذلك كان عجزكم

(١) الإسراء : ٨٨ . (٢) هود : ١٣ . (٣) البقرة : ٢٣ .

دليلا على أن هذا القرآن وحيي وكلامي ، فآمنوا بي وبرسولي ، فصرفهم عن المعارضة وهم قادرون عليها أظهر لقدرة الله تعالى وإثبات وحيه ورسوله ، والله أعلم وكتابه أعز وأحكم .

كون القرآن معجزة محمد ﷺ

وأخيراً تأتي حصيلة البحث ونتيجته (بحث كون القرآن معجزا) وهى إثبات نبوة من نزل عليه وتقرير رسالته بين العالمين .

لقد سبق أن ذكرنا فى سياق هذا الموضوع أن سر الإعجاز القرآنى وعلته هو كونه معجزة للذى أوحى به إليه وشرف بإنزاله عليه ، والقصد من وراء ذلك أن تؤمن البشرية به ، وتعمل بهديه فتكمل وتسعد فى دنياها ، تكمل فى آدميتها وتسعد فى حياتها ، كما تتهيأ بذلك لكمال الآخرة وسعادتها .

ولما كانت المعجزات ضرورة لا بد منها لتصحيح دعوى النبوة وإثباتها لمن ادعاها من أنبياء الله ورسله عليهم السلام ، فقد أعطى الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ أعظم معجزة عقلية خالدة بخلود الحياة باقية ببقائها وهى القرآن تقريرا لنبوته وإثباتا لرسالته .

فالقرآن العظيم إذا بإعجازه للناس عن الإتيان بمثله ، أو بسورة من مثله هو معجزة معنوية عقلية من أعظم المعجزات تفوق كل المعجزات التى أوتيها من قبله من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كما تفوق المعجزات المادية الكونية التى كانت له ﷺ وهى كثيرة ، والتى كانت خالية من التحدى غير مقرونة به ، لمانع منع من ذلك وهو عدم استعداد قومه للإيمان بتلك المعجزات فيما لو تحداهم بها ، فرحمة بهم لم يجيبهم إلى ما طلبوا من الآيات مع إلحاحهم فى ذلك ، إذ لو أجابهم فأراهم الآيات المادية التى طلبوها ولم يؤمنوا لأهلكهم عامة كما هى سنته تعالى فى الأمم السابقة ، فلذا كان يحيلهم على معجزة القرآن العلمية الخالدة ، ﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الايات عند الله وإنما أنا نذير مبين ، أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾ [1] .

ومن هنا كانت المعجزة الحقة الخالدة لمحمد ﷺ هى معجزة الوحى الإلهى ، يتلوه رسول الله ﷺ فيهدى به الله من شاء من عباده ويدخله فى رحمته ، وهى معجزة علمية

---

(١) العنكبوت : ٥٠ ، ٥١ .

عقلية تتناسب مع تطور العقل البشرى وتقدمه العلمى ، وتتفق مع عموم رسالته ﷺ وخلودها فهى معجزة أكبر فائدة من غيرها وأعظم أثرا فى هداية الناس ، وهذا ما أفصح عنه رسول الله ﷺ فى حديث البخارى بقوله : « ما من الأنبياء نبى إلا أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وكان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » وقد حقق الله رجاءه ، والحمد لله .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين .

نماذج من

الدعاة الصالحين

نماذج من الدعاة [١]

الصالحين

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه .

وبعد : فإن دعاة الإسلام فى كل زمان ومكان هم دعاة الحق والخير الناهون عن الباطل والشر .

الإسلام : ونعنى بالإسلام : دين الله الذى جاءت به كل الرسل عليهم السلام .

دعاة الإسلام : ونعنى بدعاة الإسلام : أولئك المصطفين الأخيار من أنبياء الله تعالى ورسله نوحا عليه السلام فمن بعده إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، وحوارييهم وأنصارهم ممن يتبعون سنتهم ويهدون بهديهم .

الحق : ونعنى بالحق : الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده بما شرع لعباده أن يعبدوه به من كل أعمال القلوب ، والألسن ، وسائر الجوارح ، ليعدهم به للكمال والسعادة فى الحياتين.

الخير : ونعنى بالخير كل الفضائل النفسية والخلقية مما ينجم عنه طيبة النفس وطمأنينتها ، وهدوء الخاطر وصلاح البال ، مما تتحقق به لسعادة الإنسان فى هذه الحياة ، ويتهيأ به للسعادة فى الدار الآخرة .

الباطل : ونعنى بالباطل : الإيمان بالطاغوت وعبادته دون الله تعالى أو مع عبادته عز وجل من كل ألوان الكفر وضروب الشرك ، وما يستتبع ذلك من البدع والأهواء المنافية للشرع والعقل معا .

---

(١) النماذج : جمع نموذج ، والأنموذج مثله ، وقال صاحب القاموس فى الأخير لحن ومعناه : المثال (معرب) ، والجمع : نموذجات وأنموذجات ، وقول صاحب القاموس لحن خطأ فيه كثيرون ، وقالوا إنها دعوى لا تصح له ، وسمى الزمخشرى الأنموذج .

الشر : ونعنى بالشر كل الرذائل والخطايا مما يفقد الإنسان طهارة نفسه ، وفضائلها ، ويحرمه السعادة فى الدنيا والآخرة .

وهذه أمثلة حق صادقة ، ونماذج حية ناطقة تمثل مواقف شتى للدعاة الصالحين ، وهم يدعون إلى الحق والخير ، وينهون عن الباطل والشر ولنبتدىء بأول أولئك الرسل نوح عليه السلام ، فنستعرض جوانب من حياة هذا الداعية الكبير ، لتكون نموذجا صالحا للداعية المسلم اليوم يأخذ به ، وينسج على منواله فيكمل فى دعوته ، ويشرف بها ، ويبلغ الغاية المنشودة فيها ، وهى هداية وإصلاح من أراد الله تعالى هدايتهم وإصلاحهم من الناس .

أ ـ نوح عليه السلام :

فمن هو نوح عليه السلام ؟ وما هى الجوانب الهامة فى حياته الدعوية التى يمكن للداعية المسلم الاستفادة منها فى مجال الدعوة الإسلامية ؟

إن نوحا هو عبد الله ورسوله نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ (إدريس) بن برد ابن مهلاييل بن فينسن بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، هكذا يقول النسابون ويقولون : إن بينه وبين آدم عشرة قرون أى ألف سنة ، هذا هو نوح عليه السلام .

وأما الجوانب الهامة فى حياته الدعوية فهى تتمثل فى الأرقام التالية :

١ ـ طول صبره .

٢ ـ صدق لهجته .

٣ ـ تلوينه أسلوب دعوته .

٤ ـ شجاعته وعظم توكله على ربه عز وجل .

٥ ـ صدق لجاءه إلى ربه سبحانه وتعالى .

١ ـ صبره الطويل :

وعن صبره الطويل نقول : إن نوحا عليه السلام قد قضى فى الدعوة إلى ربه تعالى من أجل أن يؤمن به ، ويعبد وحده ، دون سواه ، قضى دهرا طويلا ، دعا فيه قومه إلى عبادة الله تعالى وحده ، وإلى تقواه ، وإلى طاعته هو بوصفه رسول الله والمبلغ عنه فقال : ﴿ **يا قوم إنى لكم نذير مبين ، أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ، يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى** ﴾ (١) .

ولاقى فى ذلك من الأذى ما لم يلقه كثير من الداعين إلى الله تعالى ، فقد كذبه قومه ووصفوه بالجنون ، ووصفوا أتباعه من المؤمنين بالاسترذال ، ولم يعترفوا لهم بأى فضل عليهم ، فقالوا : ﴿ **ما نراك إلا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا** (٢) **بادى الرأى** (٣) ، **وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين** ﴾ (٤) ، ولم يقفوا عند حد

---

(١) نوح : ٣ ـ ٤ .

(٢) الأراذل : جمع الأرذل : أى أكثر رذالة ، وهو المحتقر الذى لا فضيلة له .

(٣) بادىء الرأى : أى ابتداء من غير تفكر فيك ، ولو فكروا فيك لما اتبعوك .

(٤) هود : ٢٧ .

التكذيب والعيب بل تجاوزوه إلى التهديد بالموت ، فقالوا : ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ (١) والرجم عندهم بالحجارة وسيلة من وسائل الإعدام ، كرجم الزناة المحصنين فى الإسلام .

ولما أنذرهم عاقبة شركهم وتكذيبهم وإجرامهم ، وخوفهم بعذاب الله تعالى سخروا منه ، وطالبوه بالعذاب متحديين له فى ذلك ، فقالوا : ﴿ **يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين** ﴾ (٢) .

قضى نوح عليه السلام فى دعوته دهرا طويلا فلم يكل خلاله ولم يمل حتى أوفى على تسعمائة وخمسين عاما ، وبعدها رفع شكواه إلى ربه عز وجل فقال : ﴿ **رب إن قومى كذبون ، فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين** ﴾ (٣) وقال : ﴿ **أنى مغلوب فانتصر** ﴾ (٤) .

وبعد أن سبر غور القوم وحلل نفسياتهم ، وعرف مركب طباعهم ، وأيقن أنهم لا يؤمنون ، بناء على وحى الله تعالى له بذلك : ﴿ **أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** ﴾ (٥) ، وعلى ما شاهده من حال أجيالهم المتلاحقة وهم يتواصون بالكفر به وبتكذيبه فى دعوته ، دعا عليهم قائلا : ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا** ﴾ (٦) ، ولم يكن هذا عن قلة صبر منه عليه السلام ، وإنما كان خوفا منه على الجماعة المؤمنة أن يفتنها أولئك الكفار الفجار فيحولوها عن معتقدها ، ويضلوها عن سبيل ربها ﴿ **إنك إن تذرهم يضلوا عبادك** ﴾ فلذا دعا ربه بهلاك الكافرين وتدميرهم قطعا لدابر الكفر والكافرين ، وإنهاء لفتنة الشرك فى الأرض والمشركين .

٢ ـ صدق لهجته :

وعن صدق لهجته نقول : إنه كان عليه السلام صادق اللهجة ، واضح البيان وافى النصيحة ، ظهر ذلك من أقواله ، وهو يخاطب قومه فى شتى المواقف والعديد من المجالات ، فلنستمع إليه وهو يخاطب قومه آمرا إياهم بعبادة الله وحده ، إذ لا إله لهم غيره ، معللا لهم أمره بعبادة الله وحده بخوفه عليهم عذاب يوم عظيم ، فيقول : ﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** ﴾ (٧) .

---

(١) الشعراء : ١١٦ .　(٢) هود : ٣٢ .　(٣) الشعراء : ١١٧ ، ١١٨ .　(٤) القمر : ١٠ .
(٥) هود : ٣٦ .　(٦) نوح : ٢٦ ، ٢٧ .　(٧) الأعراف : ٥٩ ـ ٦٣ .

ولما رد عليه ملأهم قائلين : ﴿ **إنا لنراك فى ضلال مبين قال : يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين و أبلغكم رسالات ربى ، وأنصح لكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ، ولتتقوا ولعلكم ترحمون** ﴾ (١) ، وقال فى بداية دعوته وهو يبلغها قومه لأول مرة : ﴿ **ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر ، إن أجرى إلا على رب العالمين ، فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ (٢) ولما ردوا عليه دعوته قائلين : ﴿ **أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** ﴾ (٣) ؟ ، رد عليهم قائلا : ﴿ **وما علمى بما كانوا يعملون ، إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون ، وما أنا بطارد المؤمنين ، إن أنا إلا نذير مبين** ﴾ (٤) .

ومن خلال هذا الحوار القصير فى هذه الجمل التى جاءت فى القرآن الكريم وسمعناها عنه عليه السلام وهو يدعو قومه إلى الإيمان بالله وعبادته وحده دون من سواه ، تظهر الحقيقة التى لفتنا النظر إليها وقررناها ، وهى صدق لهجته عليه السلام فى دعوته ، وصدق اللهجة (٥) فى الدعوة عامل من عوامل نجاحها ، والبلوغ بها إلى غاياتها .

٣ ـ تلوينه أسلوب دعوته :

وعن تلوينه أسلوب دعوته نقول : إن نوحا عليه السلام لم يدخر وسعا ، ولم يأل جهدا فى سبيل إبلاغ دعوته ، ونشرها بين قومه ، حتى ملوا ذلك منه ، وضجروا له فكانوا يجعلون أصابعهم فى أذانهم حتى لا يستمعوا ما يقول لهم ، وما يدعوهم إليه من عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة ما سواه ، ويستغشون ثيابهم فيغطون بها رؤوسهم حتى لا يروه ولا ينظروا إليه من شدة كراهيتهم له وبغضهم إياه .

ولم يمنعه ذلك من مواصلة دعوته فيهم متذرعا بكل الوسائل الممكنة ، فلم يترك بابا لإبلاغ دعوته إلا طرقه ، ولا سبيلا إلا سلكها ، وكان لحكمته فى دعوته يراعى حال مدعويه ، فيسر القول إلى بعضهم ، ويجهر به إلى بعض آخر بحسب ما تتطلبه حال الأشخاص المدعويين ، إذ من الناس من يكون ذا أنفة وحمية وكبر لا يرضى أن يجهر له بالقول ، أو يدعى إلى الحق والخير ، أو التوبة والاستغفار علانية بين الناس ، ومنهم السهل الطبع اللين العريكة ، الذى لا يشمئز من دعوته جهرا ، ولا ينقبض أو يغضب إذ دعى إلى الحق والخير بين الناس .

---

(١) الأعراف : ٥٩ ـ ٦٣ . (٢ ، ٣ ، ٤) الشعراء : ١٠٦ ـ ١١٥ .

(٥) اللهجة : اللسان ، ولغة الإنسان التى جبل عليها واعتادها ، يقال فلانٌ فصيح اللهجة ، وصادق اللهجة ، (منجد) .

وهذا من نوح عليه السلام تلوين لدعوته ، وبحث لها عن كل ما يمكنها من الذيوع والانتشار ، ثم الفوز والانتصار ، ولنستمع إليه وهو يعرض شكاته ويرفعها إلى ربه تعالى ليعذره وينصره : ﴿ **قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا ، فلم يزدهم دعائى إلا فرارا ، وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى أذانهم واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا ، ثم إنى دعوتهم جهارا ، ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ما لكم لا ترجون لله وقارا** (١) **وقد خلقكم أطوارا** ﴾ (٢) فمن خلال هذه الشكاة التى رفعها نوح إلى ربه تتجلى حقيقة دعوة نوح عليه السلام ، وأنه كان ذا بصيرة فى دعوته وعلم بها ، يلون أساليبها ، ويتحين الفرص لإبلاغها وإنجاحها ، يعتمد فى دعوته على أسلوب الترغيب طورا والترهيب طورا آخر ، ليأخذ النفوس بالحكمة ويحذ بها إلى محيط الدعوة بالرغبة أو الرهبة ، وهذا شأن الداعية الحكيم فى دعوته العليم بها البصير بمتطلبات نجاحها .

٤ ـ شجاعته وعظم توكله :

وعن شجاعتة وعظم توكله أقول : إن نوحاعليه السلام كان ذا شجاعة عظيمة شأنه شأن سائر الأنبياء والمرسلين ، وإن تفاوتوا فى ذلك قوة وضعفا ، أما توكله على ربه تعالى فقد كان مضرب المثل بحق ، وتتجلى هاتان الصفتان : قوة الشجاعة ، وعظم التوكل فى الموقف التالى : جاء من سورة يونس عليه السلام قول الله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركائكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم أقضوا إلى ولا تنظرون** ﴾ (٣) وبتدبر هذه الآية الكريمة على النحو التالى :

نوح عليه السلام يشعر بأن قومه قد استثقلوا ظله وسئموا الحياة معه ، وما أصبحوا يطيقون سماع كلامه ، ولا رؤية وجهه كل ذلك كان نتيجة لدعوته إياهم إلى عبادة الله تعالى وتقواه ، وهم يصرون على الشرك والفسق ولا يريدون تركهما ولا تحول عنهما بحال .

---

(١) ترجون : بمعنى تأملون من الله تعالى وقارا لكم إن أنتم آمنتم به وعبد تموه وحده دون سواه : أو ترجون بمعنى تعتقدون أى ما لكم تعتقدون وقار الله وتعظيمه بأن تعبدوه وحده وتتركوا عبادة غيره وهو قد خلقكم أطوارا ... الخ .

(٢) نوح : ٥ ـ ١٤ .　　(٣) يونس : ٧١ .

كما يشعر أن قومه يهددونه بالقتل ويتوعدونه به فى غير موطن : ﴿ **قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ (١) ، فيعلمهم فى وضوح أنه لا يخاف الموت ولا يرهبه ، وأنه قد توكل على ربه عز وجل ، فلذا هو لا يخاف سواه ، ولا يعتمد على غيره بحال من الأحوال ويدلل على عدم خوفه من الموت ، وعلى عظم توكله على ربه فيرشدهم إلى طريقة قتله والتخلص منه إن كانوا يعتزمون ذلك حقا ويريدونه ويبالغ فى التدليل على شجاعته وعظم توكله على ربه ، فينبههم إلى أنهم عندما يجمعون أمرهم على قتله ينبغى لهم أن لا يترددوا فى ذلك ، حتى لا يفشلوا فى مهمتهم ولايكون أمرهم غمة عليهم .

بهذا التدبر للآية يتضح لنا أن نوحا عليه السلام كان من أقوى الناس شجاعة ومن أعظمهم توكلا على ربه تعالى .

وقوة الشجاعة ، وعظم الوثوق فى الله تعالى والتوكل عليه من أخص صفات الدعاة الصالحين وبدونهما لا يقوى الداعى على تحمل رسالة الدعوة إلى الله تعالى وإبلاغها إلى الناس .

صدق لجأه إلى ربه :

وعن صدق نوح فى لجئه إلى ربه نقول : إن نوحا عليه السلام كان صادق اللجأ إلى الله تعالى منيبا إلى ربه مسلما إليه متوكلاً فى كل شأنه عليه يظهر هذا بوضوح فى مثل قوله : ﴿ **إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله ، فعلى الله توكلت** ﴾ (٢) وفى قوله : وقد ازدجره قومه بعد صراع مرير تجاوزت مدته مئات السنين : ﴿ **أنى مغلوب فانتصر** ﴾ (٣) ، قال تعالى فى الإخبار عن حاله مع قومه فى تكذيبهم له ، وزجرهم إياه : ﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ، فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر** ﴾ (٤) أى انتصر يا ربى ، فانتصر الله تعالى له فأنجاه وأغرق أعداءه ولما هدده قومه وتوعدوه ، وقالوا : ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ (٥) لجأ فى صدق إلى ربه يطلب نصرته ، وأن يخلصه من قومه العتاة الطغاة الفاسقين فقال : ﴿ **رب إن قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين** ﴾ (٦) ، كما قال تعالى عنه : ﴿ **ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ، وجعلنا ذريته هم**

---

(١) الشعراء : ١١٦ . (٢) يونس : ٧١ . (٣) القمر : ١٠ .
(٤) القمر : ٩ ، ١٠ . (٥) الشعراء : ١١٦ . (٦) الشعراء : ١١٧

الباقين ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على نوح فى العالمين ، إنا كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ [١] .

وأخيرا فنبى الله تعالى نوح عليه السلام اجتمع له من صفات الكمال فى الداعية ما كان به أول الدعاة فقد جمع بين طول الصبر ، وصدق اللهجة ، وكمال البيان ، وتلوين الأسلوب مراعاة لحال من يدعوهم بعد معرفته لنفسياتهم وعظم الشجاعة ، وقوة التوكل وكمال الوثوق ، وصدق اللجأ ، وهى صفات ما اجتمعت لداع من دعاة الحق والخير ، والناهين عن الباطل والشر إلا كان مثالا يحتذى ، وكانت حياته نموذجا صالحا يتمثل بها فى حياة الدعوات الإصلاحية بين بنى الناس .

فعلى أبنائنا النابهين الذين اختاروا لأنفسهم أن يكونوا دعاة حق وخير وأئمة هداية وإصلاح أن يتحلوا أولا : بالصبر واليقين لقول الله إذ بهما تنال الإمامة فى الدين ، قال تعالى : **﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾** [٢] .

وثانيا : أن يترسموا خطى الدعاة الصالحين وينسجوا على منوالهم ، وقد قدمنا لهم أصدق نمودج للداعية الصالح عرفته البشرية بعد سيد الدعاة محمد ﷺ ، ألا وهو أبو البشر الثانى نوح أحد أولى العزم من الرسل ، فليذكروا منه طول صبره ، وصدق لهجته ، وكمال بيانه ، وتلوينه لأسلوب دعوته ، وعظم شجاعته وقوة توكله وصدق لجأه إلى ربه ، فإنهم بذلك يكتسبون من صفات الكمال فى الدعاة ما يعينهم على أداء مهمتهم وإبلاغ رسالتهم ، حقق الله تعالى لهم ذلك .

وسلام على نوح فى العالمين ، وعلى محمد فى المرسلين

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الصافات : ٧٥ ــ ٨١ .

(٢) السجدة : ٢٤ .

ب ـ إبراهيم عليه السلام

من هو إبراهيم ؟

إنه أبو الأنبياء والضيفان إبراهيم بن آزر « تارخ » بن ناحور بن ساروع بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام .

هذا هو إبراهيم فى نسبه اسما وكنية ، أما إبراهيم فى كمالاته النفسية ، فإنه أمة كاملة ، وليس فردا واحدا ، كما قال عنه ربه تعالى فى كتابه الكريم القرآن العظيم : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم** ﴾ (١) .

وذلك لما جمع الله تعالى فيه من الكمالات البشرية التى لا تجتمع إلا فى الأمة من الناس (العدد الكثير) فقد طفحت حياة الخليل بصنوف الابتلاءات ، وضروب البطولات ما أصبح به مثالا صالحا ، وأسوة حسنة لكل راغب فى الكمال البشرى يفوز به بين العالمين ، هذا وإن المرء ليحار عندما يريد أن يستعرض حياة كريمة شريفة ، نادرة فى خصائصها فذة فى نعوتها وشمائلها كحياة إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، إذ تزدحم أمامه جحافل الكمالات الإبراهيمية ، فلا يدرى ماذا يستعرض منها ، وقد تشاكلت فى الحسن وتسامت فى الجلال والجمال ، وهذه كواكبها الزهر تلوح فى سماء الحياة الإبراهيمية أنها : الدعوة ، والحجة ، والبلوى ، والهجرة ، والخلة ، والقدوة ، والرحمة ، والأمة ، وزاد فى إشراق هذه الكواكب أن الأرض يومها كانت مقفرة من الحق والخير ، مظلمة لا ضوء فيها ولا نور ، ساد فيها الظلم وتحكمت فى أهلها الأوثان انحرفت فيها الفطر البشرية ، وتحجرت منها العقول الآدمية ، فعبد الناس الأصنام ، وخنعوا للظلم واستكانوا للطغيان ، والآن وقد أظلمت سماء الحياة البشرية ، وتغشت أرضها ، وحل بها ما كان بأرض بابل والكلدانيين من سائر أنواع الكفر والظلم والشر والفساد والطغيان .

فهل لنا أن نستعير لها من كواكب الحياة الإبراهيمية ما تستنير به وتشرق من جديد ، ولم لا . . . ؟ وما المانع لنا . . . ؟.

وعليه فبسم الله ، وعلى بركته نستعرض تلك الصفات الثمانية التى عددناها كواكب

---

(١) النحل : ١٢٠ ، ١٢١ .

زهرا فى حياة إبراهيم الخليل ، صفة بعد أخرى ، وما منها إلا وتمثل جانبا هاما من حياة إبراهيم المفعمة بجلائل الأعمال ، وعظائم مثل الكمال ، فلنستعرضها علنا نكتسب من حياة أبى الأنبياء وإمام الموحدين إبراهيم الخليل ما يساعدنا على النهوض بأعباء ما أنيط بنا بوصفنا ـ مسلمين ـ من واجب الدعوة إلى الله تعالى ليعبد وحده بما شرع أن يعبد به فيكمل بذلك العابدون فى دنياهم ويسعدوا فى أخراهم .

١ ـ إبراهيم الدعوة :

عند التأمل لا يرى أن هناك مبالغة فى نسبة إبراهيم إلى الدعوة وإضافته إليها فى قولنا : إبراهيم الدعوة ، أو فى كل ما ننسبه إليه من صفاته الكمالية التى امتاز بها عليه السلام ، وذلك لأن إبراهيم عليه السلام غلبت عليه هذه الصفات فأصبحت كل صفة تمثل شخصية مستقلة ، وذاتا متميزة متفردة فإبراهيم يمثلها وهى تمثله فقولك دعوة إبراهيم ، كقولك إبراهيم الدعوة ، سواء بسواء فعن إبراهيم الدعوة نقول : إن إبراهيم عليه السلام قد اضطلع بأمر الدعوة إلى الله تعالى فى سن مبكرة جدا ولعل فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل** ﴾ (١) ، دلالة واضحة على أنه ابتدأ الدعوة إلى الله فى حداثة سنه ، ويرجح هذا أيضا أنه بدأ بدعوته أباه قبل قومه وذلك لكونه فى حجره وكفالته .

وفى دعوة إبراهيم أباه إلى عبادة الله تعالى وحده ، وخلع عبادة الأصنام قبل دعوة غيره من أهل بلاده دلالة قوية على رشد إبراهيم وحكمته ، فقد أمر نبينا محمد ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين فى قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ (٢) ، فجمعهم ودعاهم كما جاء ذلك مبينا فى سيرته ﷺ حيث ناداهم فعم وخص حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا ، أنقذى نفسك من النار » والآيات القرآنية التى عرضت دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه هى آيات سورة مريم عليها السلام ، فلنوردها ولنقف على موطن العبرة والهداية منها .

قال تعالى : ﴿ **واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ، إذ قال لأبيه يا أبت : لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يغنى عنك شيئا** ﴾ (٣) ، ففى نهيه عليه السلام أباه عن عبادة الأصنام بأسلوب الاستفهام الذى هو أخف على النفس من صيغة النهى (لا تفعل) مظهر من مظاهر الحكمة فى الدعوة ، لأن آزر بحكم أنه والد كبير السن له حق التبجيل

---

(١) الأنبياء : ٥١ . (٢) الشعراء : ١١٤ . (٣) مريم : ٤١ ـ ٤٥ .

والاحترام يتنافى معه مخاطبته بصيغة الأمر الدالة على العلو والقهر ، وفى وصفه إله آزر الذى يعبده بأنه لا يسمع ولا يبصر ، ولا يغنى عنه شيئا متى أراد الله تعالى أن يعذبه إن هو استمر على الكفر به وعبادة غيره ، مع أنه إخبار بالواقع الذى لا ينكره آزر عليه لعائن الله ، إلا أنه أسلوب دعوى عال لا يرقى إليه إلا ذو القدم الراسخة فى الدعوة ، لأن آزر كان غافلا تماما عن كون آلهته لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ، وإنما يعبدها تقليدا لغيره من أهل بلاده ، فيسلب إبراهيم عنها أخص صفات الألوهية كان قد أماتها فى قلبه ، وهيأه بذلك للإيمان بالله السميع البصير الذى هو على كل شىء قدير .

وقوله له : ﴿ **يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا** ﴾ [1] فإنه عليه السلام تحاشى أن يصم والده بوصمة الجهل التى يأباها الإنسان حتى ولو كان جاهلا حقا ، كما أنه لم يصف نفسه بالعلم تمدحا وتعاليا على والده ، وإنما أخبره أنه جاءه من العلم ما لم يأته هو ولو أتاه ما أتى إبراهيم من العلم لما طلب له إليه أن يقوده إلى الهدى ، ولكان هو القائد له ولنفسه أيضا ، وهو أسلوب عظيم لا يشعر معه المدعو بأدنى غضاضة ، أو أية إهانة ، أو انتقاص كرامة ، فلا يتعقد نفسيا ولا يتحطم شخصيا ، ومتى بقيت للمدعو كرامته وشخصيته أمكنه أن يأخذ مع الداعى له ويعطى ، وهو طريق الوصول إلى معرفة الحق ، وبالتالى إلى الهداية المطلوبة لمن شاءها الله تعالى له .

وقوله له : ﴿ **يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا** ﴾ [2] .

فإنه بعد إقناعه والده أن ما يعبده لا يسمع ولا يبصر ، ومن كان كذلك لا يعبد عقلا ولا شرعا ، مع استمرار آزر على عبادته أعلمه فى هذه الجملة الكلامية أنه إنما يعبد الشيطان ، ونهاه عن ذلك معللا له النهى بأن الشيطان كان وما زال للرحمن عز وجل عصيا ، وطاعة العاصى تعرض المطيع للعذاب الذى ينال العاصى ، إذ ـ طاعة العاصى للسلطان تعتبر معصية للسلطان نفسه ، وبذا ينالهما جزاء المعصية معا ، ولهذا قال له فى إشفاق ورحمة به : ﴿ **يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا** ﴾ [3] ، إذ يجمعه وإياه صعيد العذاب بعد أليم التوبيخ والعتاب فتتم الولاية بينهما بسبب القرب الذى حصل لهما .

(١ ، ٢) مريم : ٤١ ـ ٤٥ .　　　(٣) مريم : ٤٥ .

وقوله له : ﴿ **سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حنفا** ﴾[1] ، بعد غضب والده عليه وتهديده له بعذاب الرجم بالقول أو الفعل ومطالبته بالبعد عنه وهجرته له دهرا طويلا ، إذ قال له : ﴿ **أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا** ﴾[2] ، أقول : إن قوله له : ﴿ **سلام عليك سأستغفر لك ربى** ﴾[3] ، بعد كل الذى سمع منه من تهديد ووعيد ، وما قد يراه من هجران وحرمان ، لقول من أسد الأقوال لا يقوله إلا من أوتى رباطة الجأش ، ورحمة القلب ، وهما من ضروريات الداعى الناجح ، ولذا كان الخليل إمام الدعاة وقدوتهم فى الحياة .

وبعد هذا العرض والسماع لدعوة إبراهيم لأبيه وأقرب الناس إليه نستعرض دعوة إبراهيم وهو يوجهها إلى قومه وأهل بلده لنقف على مظاهر كماله فى دعوته العامة بعد الخاصة ، ولنطلب ذلك من سورة العنكبوت إذا جاء فيها قول الله تعالى : ﴿ **وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ، وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾[4] .

ففى هذه الجمل الكلامية التى وجهها إبراهيم عليه السلام إلى قومه الوثنيين ، وحكاها عنه القرآن الكريم ، لتكون حافزا كبيرا للمنزل عليه نبينا محمد ﷺ على إبلاغ دعوته إلى قومه ، وثباته عليها ، ائتساء بإبراهيم إمام الموحدين واقتداء به فى مجال الدعوة والبلاغ المبين .

كما تكون درسا نافعا لكفار قريش ، ولكل مشركى العرب ، إذ يتعلمون من خلالها بطلان الشرك الذى هم عليه ، وأحقية التوحيد الذى يدعون إليه .

ففى قوله : ﴿ **يا قوم اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾[5] .

فى هذا القول الكريم من مظاهر العلم والحكمة وسلامة التوجيه ، وحسن الدعوة ما

---

(١) مريم : ٤٧ . (٢) مريم : ٤٦ . (٣) مريم ٢٧ . (٤ ، ٥) العنكبوت : ١٦ ـ ١٨ .

لا يقادر قدره ، الأمر الذى يجعل إبراهيم أحد نماذج الدعاة الصالحين ، الذين يؤتسى بهم ويقتدى باتباعهم .

وإن أمعنا النظر وأعملنا الفكر فى هذه الكلمات التى ألقاها إبراهيم فى قومه دعوة لهم إلى الحق ، وإرشادا لهم إلى سبيله تجلت لنا ينابيع الحكمة وعناصر العلم الغزير الواسع وأساليب البيان الفتان .

إن فى قوله : (**يا قوم**) بدل (أيها المشركون) من استمالة قلوب القوم ، واستهواء نفوسهم ما يجعلهم لا ينفرون من سماع دعوته ، والتأمل فيها ، لأن القومى عادة لا يريد لقومه ما يضرهم أو يسىء إليهم ، ولكن يريد لهم ما ينفعهم ويرفعهم .

وفى قوله (**اعبدوا الله**) تقرير منه للإيمان بوجود الله تعالى ، ونفى للتعطيل الذى هو مذهب الملاحدة الدهريين ، لأن أمرهم بطاعة الله تعالى مستلزم للإيمان به عز وجل .

وفى قوله (**اتقوه**) بعد أمرهم بعبادة الله تعالى ، نهى لهم عن الشرك فى عبادته سبحانه وتعالى ، لأن التقوى لله تعالى مستلزمة لعدم قطع عبادته ولإفراده تعالى بها ، وعدم إشراك غيره فيها ، فيكون قوله هذا كقول الله تعالى فى القرآن الكريم من سورة النساء : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ﴾ [1] .

وفى قوله : ﴿ **ذلكم خير لكم** ﴾ ما يجذبهم إلى التعقل والتفكر فيما يدعوهم إليه من الهدى والخير ، حيث أشعرهم بأن ما يدعوهم إليه من عبادة الله وتقواه بنفى الشرك عنه ، والاستمرار فى عبادته خير لهم فى الحال والمال من الكفر والشرك لما يثمره الإيمان والطاعة والتوحيد من الكمال النفسى ، والاستقامة فى الحياة الدنيا وما يستتبع من سعادة الدنيا والآخرة ، ولما يعقبه الكفر والشرك والعصيان من آثار سيئة فى النفس والسلوك ، وما يستلزم ذلك من الردى والشقاء والهلاك فى الحياتين .

وفى قوله : ﴿ **إن كنتم تعلمون** ﴾ ، دعوة لهم إلى الارتفاع بنفوسهم عن منحدر التقليد والجمود إلى مستوى العلم والتفكير ، فإن من يعلم الخير والشر ، والحق والباطل ويقدر على التمييز بينها يدرك أن عاقبة الحق والخير أحمد من عاقبة الباطل والشر ، وأن عبادة الله وتقواه خير من الكفر والشرك ومعصية الله .

وفى قوله : ﴿ **إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا** ﴾ [2] قصر لهم على

---

(١) العنكبوت : ١٦ ـ ١٨ . (٢) العنكبوت : ١٦ ، ١٧ .

الحقيقة التى يتجاهلونها وهى أنهم ليسوا على شىء فى عبادتهم لأوثانهم ، لأن الأوثان من صنع أيديهم ، وبذلك لم تعد تكن أبدا أهلا لأن تعبد مع الله الخالق لكل شىء ؛ إنها فى الواقع لم تعد أن تكون إفكا ائتفكوه ، وكذبا اختلقوه ، فلا يصح عقلا أن تعبد بحال من الأحوال ، وهى مفتقرة فى وجودها إلى من صنعها ، ولو حكم العقل فى القضية لحكم بعبادة الصانع وبطلان عبادة المصنوع .

وفى قوله : ﴿ **إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا** ﴾ (١) برهنة منه عليه السلام على بطلان عبادة تلك الأوثان ، لأنها لا تملك لعابديها رزقا ، والإله يعبد ويتوسل إليه بالطاعة وشتى القرب ليهب الرزق والخير والبركة والعافية ، فإن كان لا يملك ذلك فهو لا يهبه ، ولذا فلا حق فى عبادته وطاعته ، وهكذا قرر إبراهيم بطلان آلهة قومه بهذا المنطق من الكلام ، لحكمته وعلمه عليه السلام .

وفى قوله : ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له** ﴾ (٢) : بناء لصرح التوحيد على أساس بطلان الشرك وتهاويه ، فإن الآلهة التى لا تملك الرزق يجب أن نرفض عبادتها ، وأن يتجه المفتقرون إلى الذى يملكه ويعطيه فليعبدوه ليهبهم الرزق ، وليشكروا له ذلك ليحفظه عليهم ويزيدهم منه ، فإن شكر النعم بحفظ العبد ويستوجب المزيد .

وفى قوله : ﴿ **إليه ترجعون** ﴾ (٣) : تذكير لهم بالمعاد والحياة الآخرة ، ليربى فى نفوسهم ملكة التقوى لله تعالى ويحيى فى قلوبهم عقيدة البعث والجزاء التى قد تكون الوثنية أتت عليها وأماتتها فى نفوسهم .

وفى قوله : ﴿ **وإن تكذبوا فقد كذب أمم قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ (٤) ، إعلان منه عليه السلام أنه يتكلم من مركز القوة وأنه ليس براعب ولا راهب فهو يقول قولته ، وينفذ دعوته فإن استجابوا وآمنوا ووعدوا واستقاموا نجوا من العذاب وفازوا بالنعيم ، وإن كذبوا فليس ذلك بضائره شيئا ، فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم كهود وصالح ، ونوح من قبل ، وما ضر ذلك رسل الله فى شىء بل أنجاهم الله وأهلك المكذبين ، وليس هناك ما يخافه الدعاة إلى الله تعالى من عدم استجابة الأقوام لهم ، إذ ما عليهم إلا البلاغ المبين ، وقد بلغوا وبينوا .

٢ ـ إبراهيم الحجة :

وعن إبراهيم الحجة نقول : لقد أخبر الرب تبارك وتعالى أنه أتى خليله إبراهيم حجته

(١ ، ٢) العنكبوت : ١٦ ، ١٧ . (٣ ، ٤) العنكبوت : ١٧ ، ١٨ .

التى تفوق كل حجة ، وتعظم سائر الحجج ، أنها حجة خالق العقول والحجى يمنحها من يشاء ، وقد وهبها إبراهيم ليتغلب بها على كل من يحاجه ، ويريد أن يحاجه ، قال تعالى : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم** ﴾ (١) .

ولما كانت قوة الحجة من أسباب النصر على الخصوم ، وكان الداعية المسلم يعتمد على قوة الحجة فى دعوته لأن ذلك من أسباب نجاحها فإنا نستعرض هنا موقفين عظيمين لإبراهيم عليه السلام قارع فيهما الحجة وانتصر فيهما على خصوم التوحيد من قومه ، ليشاهد من خلال الاستعراض كيف كان الخليل عليه السلام يرد حجج المبطلين ، وينتصر على الظالمين والمشركين بما آتاه الله من العلم والحكمة ، وقوة الحجة لعل من يقتدى به عليه السلام فى أساليب دعوته وكيفية استخدام حجة ربه ليظهر على خصومه وينتصر على أعداء دعوته .

الموقف الأول : كان له مع الطاغية النمروز البابلى الذى ادعى الربوبية أول من ادعاها من الخلق ، وقد عرض هذا الموقف القرآن الكريم عرضا موجزا فى عدة جمل لا تتجاوز العشر حيث قال الله تعالى من سورة البقرة : ﴿ **ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ (٢) .

وعرض هذا الموقف يكون كالتالى : بابل من بلاد العراق ملك جبار يقال له : النمرود ابن كنعان بن كوشى بن سام بن نوح عليه السلام ، امتد ملكه حتى شكل كل المعمورة يومئذ ، ودام زمن ملكه نحوا من أربعمائة سنة ، فغره طول العمر وسعة الملك ، وقوة السلطان فادعى الربوبية ، كما ادعاها من بعده فرعون مصر على عهد موسى عليه السلام ، فحضر مجلسه إبراهيم عليه السلام بعد حادثة إلقائه فى النار ونجاته منها ، فدعاه إلى الإيمان بالرب تبارك وتعالى فأنكر الطاغية أن يكون هناك رب غيره ، وأخذ يناظر إبراهيم فى شأن وجود الله تعالى وربوبيته لكل شىء ، وما حمله على ذلك إلا كبرياؤه واغتراره بسعة ملكه وطول عمره .

وحاول الطاغية أن يقنع إبراهيم بأنه لا رب له إلا هو ، وأنه هو الرب لا غير فأنكر

---

(١) الأنعام : ٨٣ .
(٢) البقرة : ٢٥٨ .

عليه ذلك إبراهيم ورده ، وكان الطاغية قد سأل إبراهيم عن ربه فقال : إبراهيم ﴿ **ربى الذى يحيى ويميت** ﴾ فعرفه له بصفاته الخاصة به ، وهى الإحياء والإماتة ، وهما من مظاهر وجود الله تعالى وعلمه وقدرته ، وتدبيره للكون والحياة ، لأن من قدر على إعطاء الحياة وسلبها قادر على كل شىء ممكن فى هذه الحياة ، وهو الرب الحق الذى يستحق عبادة الخلق ، أما من لا يحيى ولا يميت ولا يرزق الأحياء ، ولا يدبر حياتهم فليس للربوبية بحال من الأحوال ، وعرف الطاغية أنه مهزوم أمام هذه الحجة الباهرة وقال من أجل الحفاظ على مركزه والبقاء على ماء وجهه وصيانة لموقفه المنهار أمام قوة الحق : ﴿ **أنا أحيى وأميت** ﴾ ، وبهذا قد اعترف ضمنا أن هناك ربا غيره ، وكل ما فى الأمر أنه هو أيضا رب يحيى ويميت كما يحيى رب إبراهيم ويميت ، وتقول الأخبار : إنه عمد إلى جانيين فى السجن قد استوجبا القتل فدعاهما إلى مجلسه فنفذ حكم الإعدام فى أحدهما وعفا عن الآخر ، وبذلك خدع عقول الحاضرين من أهل بطانته ورجال مجلسه ، وأنه فعلاً يحيى ويميت ، إلا أن إبراهيم تفطن للخدعة وعرف المغالطة وقال له : إنك أحييت حيا ، ولم تحيى الميت والرب الحق يحيى الميت ويميت الحى ، وإن بقيت على مغالطتك فإن اللّه يأتى بالشمس من المشرق صباح كل يوم ، فأت بها أنت من المغرب ، ولم يجد الطاغية فى هذا مجالاً للمغالطة والتضليل كما وجد ذلك فى الأولى ، كما أنه لم يجد ما يقدمه حجة تدحض حجة إبراهيم ، فانقطع الطاغية وبهت ، وبان زيف حجته وبطلت دعواه ، وقامت الحجة عليه للّه .

نتائج هذه المناظرة :

نلخص ثمرة هذا الموقف فى النقاط الست التالية :

١ ـ قوة السلطان وسعة الملك وطول العمر من موجبات الغرور والطغيان للإنسان .

٢ ـ الدعاة يغشون مجالس الملوك لنصحهم ووعظهم وإرشادهم ، أو لدعوتهم إلى ربهم ، ولا ينقص ذلك من شرفهم ولا يمس بكرامتهم .

٣ ـ صاحب الرسالة يبلغها ولا يهاب فى ذلك سلطاناً ولا يخاف بطشاً ولا عدوانا .

٤ ـ الإدلاء بالحجة يكون بعد الإنكار أو ظهور علاماته .

٥ ـ الانتقال بالحجة من القوية إلى الأقوى لإفحام الخصم وإقامة الحجة عليه .

٦ ـ النصر والغلبة لدعاة الحق وناصريه ، والهزيمة والانكسار لدعاة الظلم والقائمين عليه .

وأخيراً إن السر في هذا الانتصار الباهر الذى حققه إبراهيم على خصمه النمرود عليه لعائن اللّه تعالى هو موالاة اللّه تعالى لإبراهيم فإن من والاه اللّه تعالى أخرجه من كل ظلمة ، وأمده بكل نور وبه ينتصر ويظهر إذ ذكرت هذه القصة تدليلاً على قوله تعالى : ﴿ **اللّه ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ (١) .

الموقف الثانى : جاء هذا الموقف فى قول اللّه تعالى من سورة الأنعام ، وحاجه قومه ، قال : ﴿ **أتحاجونى فى اللّه وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً ، وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون ؟ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم باللّه ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون** ﴾ (٢) .

ولنستعرض أحداث هذا الموقف على النحو التالى :

إنه بعد أن ألان إبراهيم جانبه لوالده ، وعرض عليه دعوة اللّه تعالى فى لطف وظرف وأدب ، وازداد عتو آزر وظهر إصراره على كفره ، وعدم تراجعه عن موقفه العدائى لإبراهيم داعى اللّه تعالى الأمين ، هنا تغير موقف إبراهيم إزاء آزر ، فاتسم بنوع من الشدة والصرامة فقال ما قصه اللّه تعالى فى كتابه من سورة الأنعام : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أأتتخذ أصناماً آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين** ﴾ (٣) ، وفى هذا تصريح كامل بتضليل آزر وقومه خال من كل مواربة أو مجاملة .

ورأى إبراهيم عليه السلام أن يسلك فى هداية قومه طريق الوقوف بهم على مظاهر الكون ، وآيات اللّه فيه ليريهم خطأهم فى عبادة غير اللّه تعالى من تلك الأصنام التى لا تخلق شيئاً ولا تنفع ولا تضر أحداً علهم يثيبون إلى رشدهم ويعودون إلى عبادة ربهم الحق الذى خلقهم ورزقهم ويميتهم ثم يحييهم وهو على كل شىء قدير .

فلما أظلم الليل بغروب شمس النهار ، وطلع كوكب من الكواكب المنيرة ونظر إليه وقال فى أسلوب استفهامى إنكارى : هذا ربى أى أهذا ربى ؟ كما تزعمون ؟ فلما أفل الكوكب وغاب بغروبه فى الأفق قال : لا أحب الأفلين ، وبذلك قرر عدم صلاحية الكوكب للألوهية لذهابه وطلب غيره مما قد يصلح لذلك ، ﴿ **فلما رأى القمر بازغاً قال**

---

(١) البقرة : ٢٥٧ . (٢) الأنعام : ٨٠ ، ٨١ . (٣) الأنعام : ٧٤ .

هذا ربى فلما أفل ﴾ [1] القمر ، ﴿ **قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين** ﴾ [2] ، فأرى إبراهيم قومه وأسمعهم أنه باحث عن آية ، طالب له متطلع إلى يوم يعرف فيه ربه الذى خلقه ورزقه وخالق كل العالمين حتى رأى ـ الشمس بازغة وهى أعظم كوكب فى السماء وأكثر الكواكب إشراقاً ونوراً وضياء فلما رآها ﴿ **قال هذا ربى هذا أكبر** ﴾ [3] ، فلما أفلت بغروبها وذهاب جرمها واختفائه عن أعين الناس واجه قومه بالحقيقة التى ينشدها لهم ﴿ **يا قوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾ [4] ، وهنا حاجه قومه فى توحيد ربه فأنكروا عليه ذلك كما أنكروا عليه براءته من آلهتهم فانبرى لهم قائلاً : ﴿ **أتحاجونى فى اللّه وقد هدان** ﴾ [5] ، فكيف يصح عقلاً أن أتنكر لربى رب السموات والأرض فأنكر وجوده أو أنكر توحيده ، والحال أنه قد هدانى لمعرفته فعرفته ، وإلى صراطه المستقيم فسلكته ، أبعد كل هذا تحاجونى فى ربى أما ترون أم أنكم قوم لا تعقلون ؟ ، ولما رأوا من إبراهيم الإصرار على التوحيد ، وإبطال الشرك والتنديد به ، وشاهدوا استخفافه التام بآلهتهم المدعاة الباطلة خوفوه بآلهتهم ، وأنها ستنتقم لنفسها ولعابديها منه إن هو بقى على معاداتها والاستخفاف بها والسخرية منها .

فرد عليهم إبراهيم قائلاً : سأبقى على توحيد اللّه ، وعلى الدعوة إليه ، منددا بشرككم ساخراً من آلهة باطلكم ، ولا أخاف تلك الآلهة التى تشركون بها أن تصيبنى بشىء ، إذ أنها لا تنفع ولا تضر لضعفها وحقارتها ، إن هى إلا أصنام نحتموها بأيديكم ، وعبدتموها بأهوائكم ، فكيف تضر ، أو يخاف منه ضر أو شر ، اللهم إلا إذا أراد ربى أن يصيبنى بشىء عقوبة لى تقصير منى فى عبادته ، أو ابتلاء لى فى طريق دعوته للصبر عليها ، أو أتخلى عنها ، فإن ذلك من مقتضيات حكمة اللّه وعلمه ، فقد وسع ربى كل شىء علما .

ثم بعد إقامة الحجة عليهم فى بطلان آلهتهم وعجزها عن إصابته بأى أذى أو سوء لم يرده اللّه تعالى له ، أقبل عليهم يوبخهم بجهلهم وغفلتهم وعدم تذكرهم إذ لو علموا بطلان ما هم عليه ، ولم يجهلوا الحق الذى يدعون إليه ، ولم يغفلوا عن واقع الحياة التى يعيشون وتذكروا فى أنفسهم أن ما يخوفون به إبراهيم ، إنما هو جماد لا حياة فيه ، ولا سمع ولا بصر له فكيف يمكنه أن يضر إبراهيم ، أو يناله بأدنى سوء ، لما خوفوه عليه السلام بما اتخذوا من أصنام آلهة ، ولكنهم جهلاء غافلون فاقدون لكل تدبر أو تذكر .

(١ ـ ٥) الأنعام : ٧٧ ـ ٨٠ .

وبعد أن وبخهم على جهلهم وغفلتهم ، وعدم تذكرهم ، عاد لحجاجهم عله يكسر من أغلال تقليدهم ويمزق غفلتهم ، ويخفف من تبلد حسهم فيتبينوا الحق ويرجعوا إليه فتتم هدايتهم وينجوا من غوايتهم ، فقال لهم فى أسلوب الاستفهام التعجبى المثير للنفس ، المحرك للضمير : وكيف أخاف أنا ما أشركتم من آلهة لا سمع لها ولا بصر ، ولا قدرة لها على نفع أو ضر ، ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم فى ربوبية اللّه تعالى وعبادته ما لم ينزل به سلطاناً من هذه الأوثان التى تعبدون ، والآلهة التى تزعمون ، مع أن الشرك ظلم عظيم يستوجب فاعله العقوبة الشديدة والعذاب الأليم .

وختم حجاجه عليه السلام بقوله : فأى الفريقين أحق بالأمن من الخوف إن كنتم تعلمون ، فريق الإيمان والتوحيد والطاعة ؟ وهو أنا ، أم فريق الكفر والشرك والمعصية ؟ وهو أنتم ، أجيبوا عن سؤالى هذا إن كان لديكم علم تجيبون به ، وإلا فاعترفوا بجهلكم ، وضعف مسلككم فى حجاجكم ، فإن ذلك أولى بكم ، وأليق بمثلكم أيها المحجوجون المغلوبون .

وإلى هنا انتهى الحجاج بين إبراهيم وقومه بانتصار إبراهيم وغلبته وانكسار قومه وهزيمتهم ، والنتائج التى تستخلص من هذا الحجاج قد تلخص فيما يلى :

١ ـ مراعاة الأدب فى الدعوة والمناظرة بعدم استعمال الكلمة الخشنة النابية ، إلا إذا خرج الخصم المجادل عن تلك الحدود من الآداب المرعية فى الجدال والمناظرة .

٢ ـ مراعاة حال المدعو ، وتقديم البيان والهدى إليه شيئاً فشيئاً والأخذ بيده تدريجاً تدريجاً إلى أن يوصل به إلى محيط الهدى ودائرة النجاة إن قدر له ذلك ، وإلا فقد أعذر إليه وبرئت ذمة الداعى .

٣ ـ من واجب منكر الباطل على غيره أن يتبرأ منه كما تبرأ إبراهيم من الشرك والمشركين ، والازدراء منه بتناقضه ، إذ كان ينهى عن الشىء ويفعله أو يرضى به .

٤ ـ تخويف المشركين إبراهيم من آلهتهم أن تمسه بسوء ، سنة باقية فى الناس إلى اليوم ، فكثيراً ما يخوف القبوريون اليوم المصلحين من الأولياء والصالحين الأموات إذا المصلح الداعى أنكر على الناس دعائهم والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم .

٥ ـ صاحب الحق أولى بالدفاع عن حقه وتحمل الأذى فى ذلك من صاحب الباطل ، غير أن الناس اليوم على خلاف ذلك فإنا نرى أصحاب الباطل يبذلون الكثير من الجهد

والمال فى سبيل نصرة باطلهم ويتحملون فى سبيل ذلك الكثير من الأتعاب ، ونرى على العكس من ذلك أصحاب الحق فإنهم فى الغالب لا يبذلون لنصرة حقهم نفسا ولا مالا ، ولا يتحملون تعباً كبيراً ولا صغيراً .

٦ ـ الحق وإن ظهر لا بد له من تأييد بقوة حجة ، أو سلطاناً ، وإلا لما سلم أهل الباطل له ، ولا ما أذعنوا له ، واعترفوا به .

والحق وإن علا ليس بمؤيد	حتى يحوط بجانبيه حسام
خط الرسول بيديه خندقاً	ومشى تحوطه قنى وسهام

٣ ـ إبراهيم (البلوى) :

وعن إبراهيم البلوى نقول : إن ما ابتلى به إبراهيم عليه السلام من صنوف البلوى ، وضروب الامتحان ليعد وحيداً فى بابه ، فريداً فى حياة الابتلاء والاختبار ، إنه لم يعرف فى تاريخ البشرية الطويل وخاصة بين أصحاب الرسالات من ابتلى ابتلاء إبراهيم الخليل ، كل ذلك ليعد لمنصب الإمامة التى لم يتسمه ولم يرق إليه سوى إبراهيم عليه السلام ، قال تعالى فى ذلك : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً** ﴾ (١) .

إن ما ابتلى به إبراهيم فصبر له وفاز بحسن عقباه لكثير جدا ، وها نحن نذكر طرفاً منه :

١ ـ إرساله وحده إلى أمة غارقة فى الوثنية : ضاربة فى الضلال ، على رأسها ملك جبار طال عمره واتسع ملكه فغره ذلك فادعى الربوبية ، فهو لا يرى رباً سواه ، ولا ملكاً حاكماً غيره إلى مثل هذه الأمة وهذا الملك يبعث إبراهيم ليندد بالشرك والوثنية ويصرخ فى وجه الظلم والطغيان فيحمل رسالته بكفه وينادى بأعلى صوته : ﴿ **ماذا تعبدون أئفكاً آلهة دون اللّه تريدون ، فما ظنكم برب العالمين ؟؟** ﴾ (٢) ﴿ **ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون** ﴾ (٣) ﴿ **ما تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين** ﴾ (٤) ، ﴿ **هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ، قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وأباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لى إلا رب العالمين** ﴾ (٥)

---

(١) البقرة : ١٢٤ . (٢) الصافات : ٨٥ ـ ٨٧ .
(٣) الأنبياء : ٥٢ . (٤ ، ٥) الشعراء : ٧٠ ـ ٧٧ .

﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجعلهم جذاذا إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون** ﴾ (١) .

٢ ـ إلقاؤه فى النار : ورأى المشركون آلهتهم متساقطة مبعثرة متناثرة فثارت ثائرتهم ، وتأججت نار الحمية فى قلوبهم ، وتساءلوا عمن فعل بآلهتهم الخراب والدمار ، وألحق بها الخزى والعار ، وعلموا أنه الفتى الساخط عليها الناقم منها إبراهيم وأحضروه وناظروه فكبتهم وأذلهم وألحق المهانة بهم وبآلهتهم ، فحاكموه وظلما حكموا عليه ، فبنوا تنوراً أعظم تنور وأحرقوا فيه النار حتى كانت جحيماً لا تطاق القوه فيها ، فكان هذا كذلك امتحاناً من أقسى الامتحانات ، وابتلاء نادراً فى باب الابتلاءات .

٣ ـ هجرته إلى الشام :

وثالث الابتلاءات أن يهاجر إبراهيم فيترك أهله وبلاده ، ويقول : ﴿ **إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم** ﴾ (٢) إنه بعد أن أنجاه الله من النار بكلمة الله تعالى : ﴿ **يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾ (٣) فكانت كما أراد الله برداً وسلاماً على إبراهيم ، فخرج منها ولم يمسسه سوء ، ولم ينله مكروه ، قرر إبراهيم الهجرة فخرج مهاجراً يؤم أرض الشام وبلاد كنعان ، فخروجه من بلاده عليه السلام تاركاً كل شىء وراءه وهو يتجه إلى مجهول من البلاد ليس له فيه صديق أو حميم يعتبر ابتلاء من أعظم أنواع الابتلاءات .

٤ ـ إسكانه امرأته وولده بوادى مكة :

بأمر الله تعالى أسكن إبراهيم هاجر إسماعيل وولدها وادى مكة حيث لا زرع ولا ضرع والمرأة شقيقة الرجل ، والولد فلذة كبده ، فليس من غير الإبتلاء القاسى الشديد أن يضع الرجل زوجه وولده فى مكان بعيد ليس فيه ماء ولا مرعى ، ولا جار ولا دار ، ويقفل راجعاً فتقول له امرأته : لمن تتركنا هنا ؟ آلله أمرك ، فيقول : نعم ، فتقول : إذا فاذهب فإنه لا يضيعنا ، ويذهب ويترك امرأته وولده امتثالاً لأمر ربه تعالى .

---

(١) الأنبياء : ٥٧ ، ٥٨ . (٢) العنكبوت : ٢٦ .
(٣) الأنبياء : ٦٩ .

٥ ـ رؤياه ذبح ولده :

ومن أعظم البلايا التى ابتلى بها إبراهيم وحى اللّه تعالى إليه مناماً أن يذبح ولده إسماعيل قرباناً له تعالى ، إنه بعد أن كبر إسماعيل وبلغ حد السعى والعمل رأى إبراهيم عليه السلام رؤياه العظيمة التى توحى بذبح إسماعيل قربانا للّه تعالى فقال لإسماعيل الغلام : ﴿ **يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟** ﴾ (١) ، فأجابه إسماعيل قائلاً : ﴿ **يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء اللّه من الصابرين** ﴾ (٢) ، وخرج إبراهيم بإسماعيل إلى منى ليذبحه هناك ، وفعلا تله للجبين ، وأمر مديته على رقبة الابن الصابر وإذا الحديد لم يقطع ، وإذا بمناد يقول : خذ الكبش واترك الغلام ، وفداه اللّه بذبح عظيم فذبحه ونجا إسماعيل وقال اللّه تعالى : ﴿ **يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين** ﴾ (٣) .

٦ ـ بناء البيت :

إذا كان التكليف من الإبتلاء فإن تكليف إبراهيم ربه ببناء بيت له بوادى مكة حيث لا رجال ولا مال ولا عدة ولا عتاد فيقوم إبراهيم بمساعدة ولده إسماعيل بإنشاء بيت عظيم عجزت قريش وهى أمة عن إتمامه عند تجديد بنائه لتكليف جد شاق ابتلى به إبراهيم إعداداً له ليصبح إمام الناس وخليل رب العالمين ، ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً ، وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾ (٤) ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ (٥) .

ونهض إبراهيم بهذا التكليف وبنى البيت الذى أمر ببنائه ، فكان هذا نوعاً من الابتلاء الذى ابتلى به إبراهيم فصبر عليه ، فكان بذلك إبراهيم البلوى والوفاء .

٧ ـ ختانه نفسه :

وآخر هذه البلايا التى ابتلى بها إبراهيم فصبر لحكم ربه برضا مولاه الذى ابتلاه أمر اللّه تعالى له بأن يختتن بعد أن بلغ ثمانين من السنين ، فاختتن إبراهيم بقدوم ، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ فى صحيح الأحاديث .

(١ ، ٢) الصافات : ١٠٢ . (٣) الصافات : ١٠٤ ، ١٠٦ .

(٤) الحج : ٢٦ . (٥) البقرة : ١٢٧ .

إنه بهذه السلسة ذات الحلقات السبع من الابتلاءات العظيمة أصبح بها إبراهيم بحق إبراهيم البلوى الوفاء ، وفاز بلقبين عظيمين لم يفز بهما غير إبراهيم وهما الإمامة ، والخلة ، فكان إبراهيم إمام الموحدين ، وخليل رب العالمين .

فسلام عليه فى العالمين ، وسلام عليه فى المرسلين

٤ ـ إبراهيم (الهجرة) :

إن الهجرة فى دين اللّه تعالى شأناً ناهيك بها إنها تعدل الجهاد فى ذات اللّه كما قال تعالى : ﴿ **والذين هاجروا فى سبيل اللّه ، ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم اللّه رزقاً حسناً ، وإن اللّه لهو خير الرازقين ، ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن اللّه لعليم حليم** ﴾ (١) .

ومن هنا كان العالمون من سلف هذه الأمة يقول أحدهم : لا أبالى أكنت فى قبر مجاهد ، أو مهاجر .

وما ذاك إلا أن الابتلاء بهما متساو فى المشقة ، متعادل فى المثوبة والأجر .

وإبراهيم عليه السلام أول من سن الهجرة فى ذات اللّه فقال بعد أن أنجاه اللّه من النار ﴿ **إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم** ﴾ (٢) ، فهاجر من بابل العراق إلى الأرض المباركة من الشام ، وترك وراءه الوطن والأهل والمال ، واتجه إلى أرض مجهولة لديه ، وبلاد بعدت عليه ، فراراً بدينه ، وهجراً لقومه وأهله وما يعبدون من دون اللّه ، فخرج إبراهيم ومن آمن معه وهو ابن أخيه لوط عليه السلام ، واتخذ من أرض الشام دار هجرة ، فكانت الشام تعرف بعد ذلك (بمهاجر إبراهيم) ، وسن هذه الهجرة كغيرها من الهجر فى ذات اللّه : أن يتمكن المهاجر من عبادة اللّه تعالى بعد أن عجز عنها فى بلاده ، وبين قومه وأن لا يرى المنكر أمامه وهو عاجز عن تغييره ، وأن يطلب من الأسباب ما يمكنه من الجهاد نصرة للحق وأهله ، وإرغاماً للباطل وحزبه .

٥ ـ إبراهيم (الخلة) :

وعن إبراهيم الخلة (٣) نقول : إن إبراهيم عليه السلام بذل كل شىء فى سبيل حب

---

(١) الحج : ٥٨ ، ٥٩ . (٢) العنكبوت : ٢٦ .

(٣) الخلة : أقصى المحبة وفى وجه اشتقاقها أقوال كثيرة أشهرها وأقربها أنها من تخلل الحب كل مسالك النفس وتعلقه بكل جزئيات البدن ، وعليه قول القائل : قد تخللت مسلك الروح فى وبذا سمى الخليل خليلاً .

اللّه تعالى فغلب عليه ذلك حتى كان لا يطعم الكافر طعام ولا يسقيه شراباً ، وإلى ذلك الإشارة فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم باللّه واليوم الآخر** ﴾ (١) ، فقد طلب الرزق من الثمرات لمن آمن فقط دون من كفر ... فرد اللّه تعالى ذلك بقوله : ﴿ **ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير** ﴾ (٢) .

وفى هذا تقول الآثار : إن كافراً استقرى إبراهيم يوماً فسأله طعاماً فقال له : أن تؤمن بربى أطعمك ؟ فقال الكافر : لا أترك دينى من أجل لقمة طعامك وانصرف . فأوحى اللّه تبارك إلى إبراهيم : عبدي أطعمه منذ سبعين سنة وهو كافر بى ولم أمنعه الطعام لكفره ، وأنت استطعمك يوما فاشترطت عليه أن يترك دينه الذى هو عليه منذ سبعين ، فلحقه إبراهيم واعتذر إليه وأطعمه ، فقال له الكافر : ما بذلك يا إبراهيم ؟ قال : لقد أوحى اللّه إلى بكذا وكذا ، فقال الكافر : أو قد وقع هذا ؟ مثل هذا ينبغى أن يؤمن به ويعبد فأسلم الكافر .

وتقول الآثار : إن جبريل وميكائيل وإسرافيل لما نزلوا ضيفاً على إبراهيم وهم فى طريقهم إلى قرى لوط ، وقدم لهم الطعام وامتنعوا أن يأكلوا ، فقال لهم ألا تأكلون ؟ فقالوا : إنا لا نأكل طعاماً إلا بحقه ، فقال : كلوا بحقه قالوا : وما حقه ؟ قال أن تسموا اللّه فى أوله وتحمدوا اللّه فى آخره ، فالتفت جبريل إلى ميكائيل وقال : حق للرجل أن يتخذه ربه خليلا .

ومهما يكن فإن الخلة نالها إبراهيم ـ كما قال تعالى : ﴿ **واتخذ اللّه إبراهيم خليلا** ﴾ (٣) ـ نالها بتوحيده وصبره وصدقه وحبه ووفائه ورحمته وهجرته وطاعته ونصيحته ، ومن أعظمها أن يطلب إليه الحبيب أن يقدم له فلذة كبده فلم يتردد إبراهيم وقدم إسماعيل قرباناً للّه تعالى فأي ابتلاء أعظم من هذا الابتلاء ؟ وكيف واللّه تعالى يقول فيه : ﴿ **إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين سلام على إبراهيم ، إنا كذلك نجزى المحسنين** ﴾ (٤) .

٦ ـ إبراهيم (القدوة) :

وعن إبراهيم القدوة نقول : إن إبراهيم بمواقفه البطولية المشرفة تأهل لأن يكون قدوة

(١ ، ٢) البقرة : ١٢٦ . (٣) النساء : ١٢٥ . (٤) الصافات : ١٠٦ ـ ١١٠ .

لمن جاء بعده من أهل الإيمان والصلاح ، وحسبنا فى ذلك أن يقول اللّه تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون اللّه كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ، أبداً حتى تؤمنوا باللّه وحده** ﴾ (١) .

فقد جعل اللّه تعالى إبراهيم قدوة لأهل الإيمان يقتدون به فى شتى مواقفه التى نجملها فيما يلى : فى توحيد اللّه ، فى البراءة من الشرك وأهله ، فى الهجرة فى ذات اللّه ، فى الصبر على طاعة اللّه ، فى الوفاء بكل التزام للّه .

ضرب إبراهيم المثل فى كل هذه الجوانب من حياة الإيمان والإسلام والإحسان فأصبح مثالاً يحتذى ، وقدوه صالحة بها يقتدى .

٧ ـ إبراهيم (الرحمة) :

وعن إبراهيم الرحمة نقول : إنه لا أدل على رحمة إبراهيم التى غلب وصفها عليه حتى أصبح يعرف بها من أن يبتليه ربه تعالى بذبح ولده إسماعيل ، لأنه ابتلاء يرفع المبتلى إلى درجة الخلة يكون أقسى أنواع الابتلاء ، وأشده ، فالأمر بذبح فلذة الكبد امتحاناً من رجل عرف بالرحمة القلبية حتى كان ينادى بالأب الرحيم ، دال على رحمة إبراهيم وشاهد صدق عليها .

ومن مظاهر رحمة إبراهيم قوله وهو يناجى ربه : ﴿ **فمن تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم** ﴾ (٢) ، فإن فى قوله : ﴿ **فإنك غفور رحيم** ﴾ تلويحاً أشبه بتصريح بأن يقول : ومن عصانى فيما هو غير الشرك والكفر فاغفر له وارحمه ، فإنك غفور رحيم .

٨ ـ إبراهيم (الأمة) :

وعن إبراهيم الأمة نقول : إن وصف إبراهيم بلفظ الأمة كان من وصف اللّه تعالى له بذاك فى قوله من سورة النحل : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا للّه حنيفا ولم يك من المشركين، شاكراً لأنعمه** ﴾ (٣) .

ووصف اللّه تعالى هذا له بأنه أمة يعتبر شهادة من اللّه تعالى له بذلك وكفى باللّه شهيداً .

---

(١) الممتحنة : ٤ .　　(٢) إبراهيم : ٣٦ .　　(٣) النحل: ١٢٠ ، ١٢١ .

ومعنى أمة : أنه جامع للكمالات والفضائل التى لا توجد مجتمعة إلا فى أمة من الناس وهو العدد الكبير ، كما أن معنى أمة دال على أن ما تقوم به الجماعة من الناس يقوم به الفرد الموسوم بأنه أمه ، وعلى سبيل المثال نقدم رسول اللّه لهذه الأمة محمد ﷺ ، فنجده فداه أبى وأمى كان قائماً بما تقوم به أمة من الناس وتعجز عنه ، فالرسالة ، والإمامة والقضاء ، والإفتاء والقيادة فهذه المهام من المناصب لا يقوم بها عادة إلا أفراد عديدون فإذا قام بها فرد كان بذلك أمة وصح وصفه بأنه وحده أمة .

وهكذا كان إبراهيم أمة فإنه عاش دهراً طويلاً لا يعبد اللّه ويوحده فى الأرض إلا هو ، ولا يأمر بمعروف وينهى عن منكر فى الأرض سواه ، ثم قد جمع من الفضائل النفسية وكمالات البشرية مالا يجتمع عادة إلا فى العدد الكثير من الناس .

والعبرة من هذه الصفات الكمالية التى استعرضناها لإبراهيم عليه السلام هى أن يجد فيها الداعية المسلم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة فيتمثلها فى حياته وهو قائم برسالة الحق والخير يعرضها على الناس ويدعوهم إلى الأخذ بها والتمسك بما فيها من الإصلاح والهدى ليكملوا ويسعدوا ، فتساعده على حمل رسالته والوصول بها إلى حيث يريد أن يصل بها من إصلاح الناس وهدايتهم ليكملوا ويسعدوا فى الحياتين ، وسلام على إبراهيم فى المرسلين ، والحمد للّه رب العالمين .

جـ ـ موسى الكليم

من نماذج الدعاة إلى اللّه تعالى ، وإلى الحق والخير موسى النجى الكليم عليه الصلاة والتسليم .

ترجمته :

فمن هو موسى الكليم ؟ إنه موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، لقب بالكليم وهو لقب تشريف عظيم ، إذ كلمه ربه تعالى كفاحا أى مواجهة بدون واسطة ملك أو غيره ، كما يلقب بالنجى لمناجاة اللّه تعالى له ، وثم له الكلام والمناجاة بطور سيناء ، قال تعالى : ﴿ **واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبيا ، وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا** ﴾ [1] .

---

(١) مريم : ٥١ ـ ٥٣ .

كانت حياة هذا الرسول الكريم والداعية المخلص العظيم مليئة بالبطولات والتضحيات موحية بمعانى القوة والكمال ، والخير والجمال ، وإنه لمن غير المتيسر استعراض كل تلك الحياة ، والوقوف منها على كل مواطن العظة والعبرة فلذا حسبنا منها لقطات قليلة ، ونظرات عابرة يسيرة تعود على من يقف عليها ، وينظر فيها بفوائد روحية ، وطوائلة خلقية لم يتوفر على مثلها لو درس حياة أمم وأجيال ، من غير أمثال هؤلاء الرجال .

هذا وما سنلقى عليه نظرة خاطفة من حياة موسى النجى الكليم وهى كما تقدم مليئة بالعبر والعظات ، زاخرة بالبطولات والتضحيات ، هو الكمالات النفسية التالية :

بلاؤه وصبره ، نجدته وعفته ، قوته وأمانته ، شجاعته وقوة حجته ، صدقه ووفاؤه ، إخلاصه وتوكله ، علمه وتواضعه .

بلاؤه وصبره :

فعن بلائه وصبره نقول : إن البلاء الذى اكتنف حياة النجى الكريم موسى الكليم عليه السلام من لدن ولادته إلى وفاته ، لبلاء عظيم ، وفى قوله تعالى من سورة طه : ﴿ **وفتناك فتوناً** ﴾ [1] إشارة واضحة إلى صنوف البلاء الذى لازم حياة موسى الكليم من المهد إلى اللحد فسلام عليه فى المبتلين ، وسلام عليه فى الصابرين .

وها هى ذى نقاط سوداء نشير بها إلى صور عدة من ذلك البلاء : وفى ذلك عبرة للمعتبرين ، وذكرى للذاكرين .

خوف أمه عليه ، وهى حامل به ، من أن يطلع عليه مجرمو آل فرعون ساعة وضعه ، فيذبحوه تنفيذاً لقرار فرعون بذبح المواليد الذكور فى ذلك العام .

وضعه فى صندوق خشبى وإلقاؤه فى اليم كلما أحست أمه بحركة ، أو سمعت صوتاً عند باب منزلها خوفاً عليه من آل فرعون أن يقتلوه ، حتى كان يوم انقطع فيه الحبل وذهب الماء بالتابوت إلى قصر آل فرعون الناقمين عليه الطالبين له ، فكان هذا فتوناً أى فتون .

تحريم الله تعالى المراضع عليه ، فلم يرضع منهن واحدة وهو يتضور جوعاً ، ويتألم عطشاً فترة من الزمن ، حتى رد إلى أمه فأرضعت وأخذت أجرة عليه ، فكان هذا بلاء ، وكان فتوناً أى فتون .

---

(١) طه : ٤٠ .

هم فرعون بقتله لما تشاءم منه ، حتى شفعت آسيا له بقولها : ﴿ **قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا** ﴾[1] فكان هذا بلاء به وفتوناً له أى فتون .

قتله القبطى (خطأ) وما لحقه من جراء ذلك من الهم والغم ، وما أصابه من الخوف نتيجة ائتمار الملأ به ليقتلوه ، بالنفس التى قتلها ، فقضى أياماً خائفاً يترقب ، فكان هذا بلاء عظيماً صبر موسى عليه .

هجرته وحده من أرض مصر إلى مدين بلا زاد يأكله ولا ظهر يركبه فناله من الجوع والإعياء ما هو بلاء أو أشد من البلاء .

رعيه الغنم بالصحراء وهو الذى عاش فى قصور الأمراء حتى قضى عشرا من السنين فى أرض الغربة بعيداً عن والدته وأخته وأخيه ، فكان هذا من البلاء الذى نزل به وصبر عليه .

تكليفه وإن كان فيه تشريفه بحمل رسالة إلى فرعون الطاغية الجبار ، مدعى الربوبية وزاعم الألوهية ، مضمونها : أن يتخلى عن دعوى الربوبية والألوهية للّه ويعبد اللّه الذى لا إله غيره ولا رب سواه ، وأن يرسل مع موسى بنى إسرائيل عباد اللّه إلى الأرض المقدسة التى كتب اللّه ، فكان فى هذا من البلاء ما فيه ، فصبر موسى عليه .

خوضه المعركة الفاصلة بينه وبين السحرة تلك المعركة التى أوجس فيها موسى خيفة حتى قال له ربه تعالى : ﴿ **لا تخف إنك أنت الأعلى** ﴾[2] ، فكان هذا من البلاء .

حجاجة لفرعون وآله عدة سنين يقارع فيها الحجة بالحجة ويقابل فيها البرهان بالبرهان ، ويسمع فيها من التهديد والوعيد ، ما هو بلاء أو أعظم من البلاء .

رده بعض بنى إسرائيل فى غيبته بعبادتهم العجل ، وما ناله فى ذلك من هم وما أصابه من حزن وغم وما تملكه من جزاء ذلك من غضب حتى ألقى الألواح فتكسرت وأخذ برأس هارون أخيه يجره إليه عاتباً عليه مؤنباً إياه ، أليس هذا من البلاء ، فصبر عليه موسى .

خروجه بخيار قومه إلى الطور ليطلب لبنى إسرائيل التوبة ويسأل لهم العفو والمغفرة ، وتعنت أولئك المختارين معه ، وطلبهم رؤية اللّه جهرة ، حتى أماتهم اللّه وأحياهم بأخذ الصاعقة لهم وهم ينظرون ، وعدم أخذهم التوراة ، وتمردهم على موسى فى ذلك حتى شق اللّه الجبل فوق رؤوسهم فأخذوها مكرهين خائفين ، أليس هذا من البلاء المبين ؟

---

(١) القصص : ٩ .　　(٢) طه : ٦٨ .

لموسى الكليم ؟ وقد صبر عليه .

اشتراط اللّه تعالى لقبول توبتهم أن يقتل بعضهم بعضا ففعلوا حتى بكى موسى وهارون خوفاً من فناء بنى إسرائيل ، وسألا اللّه تعالى أن يرفع عنهم القتل فاستجاب اللّه تعالى لهم ، وتاب على بنى إسرائيل إنه هو التواب الرحيم ، أليس هذا من البلاء المبين الذى صبر عليه موسى الكليم ؟

خروجه مع بنى إسرائيل لقتال العمالقة بأرض القدس ، ونكول قومه عن قتالهم ، وإظهارهم الجبن والخوف منهم بقولهم ﴿ **إن فيها قوماً جبارين** ﴾ ، ﴿ **لن ندخلها حتى يخرجوا منها** ﴾ ، وإسائتهم الآدب معه عليه السلام إذ قالوا له : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾ (١) ، أليس هذا من البلاء المبين ؟

ما قضاه فى التية مع بنى إسرائيل من حياة طويلة تعرض فيها لألوان من تعنت بنى إسرائيل وسوء أدبهم ، وقبح سلوكهم الأمر الذى لا يطيقه إلا مثل موسى الكليم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، أليس هذا من البلاء المبين والصبر العظيم الذى جعل موسى فى عداد أولى العزم الصابرين ؟ لاقى موسى عليه السلام كل هذه الضروب من البلاء ، فصبر عليها ، فكان بذلك أحد أولى العزم الصابرين الذى أمر إمام الأنبياء محمد ﷺ بأن يصبر كما صبروا فى قول اللّه تعالى : ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** ﴾ (٢) ، وهم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم ، عليهم السلام .

نجدته وعفته :

وعن نجدة موسى وعفته المثاليتين نقول : ومن كمالات موسى الكليم النفسية والخلقية نجدته وعفته ، وهما خلتان كريمتان يتنافس فى اكتسابهما والاتصاف بهما أعاظم الرجال ، وبما أن هاتين الخلتين تغلبان على حياة الكليم الروحية والخلقية فإنا نكتفى بذكر حادثتين وعرض موقفين تتجلى لنا فيهما خلتا النجدة والعفة عند موسى النبى النجى عليه السلام .

إن الحادثة الأولى وحياة موسى كلها أحداث : مروره بالقبطى والإسرائيلى وهما يقتتلان ، واستغاثه الثانى به ليخلصه من الشدة التى أنزلها الأول به ، وما تردد موسى فى نجدته وإغاثته حيث وكزة القبطى وكزة قضى فيها عليه ، فكانت هذه مظهراً من أجل المظاهر لنجدة موسى وقوته .

---

(١) المائدة : ٢٤ . (٢) الأحقاف : ٣٥ .

والثانية : كانت عندما جلس تحت الشجرة يستظل بظلها قريباً من ماء مدين والرعاة يسقون ويصدرون ، وامرأتان تذودان غنمهما حتى لا تختلطا بالرعاء حفاظاً على شرفهما ، وإظهاراً لكمال عفتهما ، فيتقدم الكليم مدفوعاً بخلة النجدة المتأصلة فى نفسه ، وكأنه أسد هيصبور وعلى ما هو عليه من وعثاء السفر وغلبة الجوع ، فيسقى لهما غنمهما ويتولى إلى الظل الذى كان به ، كأسد يعود إلى عرينه ، فأخر موسى بنجدته المتقدم وقدم المتأخر ، وكذلك أهل النجدة يفعلون .

فهاتان هما الحادثتان وقد تجلت لنا فى كل منهما خلة النجدة لدى موسى عليه السلام ، أما الموقفان فأولهما كان عندما تقدمته الفتاة المرسلة إليه لتأتى به إلى والدها ليجزيه على معروفه الذى أهدى ، وجميله الذى أسدى ، وقد عبثت الريح بدرع الفتاة فانكشف منها بعض ساقها فأبت عفة موسى عليه السلام أن ينظر منها إلى ما كشف الريح عنها فقال لها : يا فتاة الطهر ، إمشى وراء الظهر ، وأرشدينى إلى الطريق بحصى تقذفين بها .

فكان هذا موقفاً رائعاً لموسى تجلت فيه عفته أكبر التجلى ، وثانيهما كان فى استئجاره نفسه من والد المرأتين يرعى له غنمه أتم أجلين وأوفاهما « عشر حجج كاملة » مقابل شبع بطنه وإحصان فرجه ، إن عملاً كهذا من شاب فى مقتبل العمر ، وقوة الفتوة ليعد نادرة النوادر ، فى حياة الشباب وما كان ذلك إلا لشرف أصل موسى ، وكرم محتده وزكاة روحه وعفة نفسه ، إن هذه المواقف المشرفة التى وقفها موسى وهو يهيئ لحمل الرسالة ويعد للإمامة والقيادة ، لما ينبغى أن يكون نصب أعين الدعاة فى كل بلاد اللّه ، إن النجدة والعفة متى خلت النفس منهما خف وزنها ، ورق حبل كمالها ، وأصبحت نفساً لا عبرة بها ، ولا وزن لها وأنى لها يومئذ أن تقود أو تسود .

قوته وأمانته :

وعن قوة موسى وأمانته نقول : إن القوة والأمانة فى الرجل من مؤهلاته الكبرى لتسنم المراتب العالية ، والارتقاء إلى المناصب الشريفة السامية ، وإن حمل رسالة الحق والخير والإصلاح إلى الناس لمنصب شريف ، ومرتبة عالية فلا يرشح لهما إلا من توفر لديه مؤهل القوة والأمانة ، وقد جمع اللّه تعالى لعبده ورسوله موسى عليه السلام بين القوة والأمانة : قوة البدن وقوة العزم وقوة الروح ، وأمانة النفس ، وأمانة القول ، وأمانة العمل ، فكان قوياً أميناً ، وكان أهلاً لحمل أعظم رسالة فى تاريخ بنى إسرائيل ، وإن أردنا أن نشير إلى بعض الأحداث التاريخية فى حياة موسى التى ظهرت فيها قوته وأمانته ، زيادة على

شهادة بنت شعيب له بذلك وهى ترشحه للعمل فى مال أبيها ، إذ قالت : ﴿ **إن خير من استأجرت القوى الأمين** ﴾ (١) .

فإنا نذكر حادثة قتله القبطى بضربة واحدة مالها ثانية فكانت هى القاضية ، قال تعالى فيها : ﴿ **فوكزه موسى فقضى عليه** ﴾ (٢) .

كما نذكر أنه على ما أصابه من جهد ، وما مسه من جوع ونصب فى رحلته الشاقة وسفره الطويل (والسفر قطعة من العذاب) استطاع أن يرفع غطاء البئر ، وقد كان صخرة كبيرة لا يضعها ولا يرفعها بحال إلا عصبة من الرجال وهو المنظر الذى شهدته فتاته فعرفت به قوته ، وشهدت بها له عند أبيها ساعة ما رشحته للعمل فقالت : ﴿ **يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين** ﴾ (٣) هذا عن قوة موسى أما عن أمانته فحدث ولا حرج وحسبه أن يقرر وصفه بالأمين القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **أن أدوا** (٤) **إلى عباد الله أنى لكم رسول أمين** ﴾ (٥) .

والأمانة وصف لازم لكل أرباب الرسالات ، وحاملى شرف النبوات وموسى نبى الله ، ورسول الله ، ولهذا نكتفى من جانبنا فى إثبات أمانة موسى وتقريرها ، بإعادة استعراض الحادثة التى سبق أن استعرضناها مستدلين بها على خلة العفة النفسية لموسى ، وهى حادثة بنت العبد الصالح لما صحبته من منزله قريباً من الماء ، إلى منزل والدها حيث جمعت الطريق بينهما فى خلوة كاملة ، فقد روى أنه عندما بدا له بعض جسمها عارياً مكشوفاً لم تسمح له أمانته أن ينظر إليها فاضطر إلى أن يمشى أمامها وهى دليله ، كل ذلك من أجل أن لا يخون أمانته بنظرة يلقيها على جسم لا يحل له النظر إليه ، كأن موسى قرأ ما قرأناه فى كتاب الله ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** ﴾ (٦) .

إن موسى لم يقرأ هذا الذى قرأناه ، ولكنه كان أميناً بالفطرة التى فطره عليها الله جل جلاله ، فسلام عليه ذا نجدة وعفة وسلام عليه قوياً أميناً .

شجاعته وقوة حجته :

وعن شجاعة موسى وقوة حجته نقول : إن الشجاعة فى اعتقاد الحق وقوله والعمل به

---

(١) القصص : ٢٦ .　　(٢) القصص : ١٥ .　　(٣) القصص : ٢٦ .

(٤) الآية من سورة الدخان ونصها : ﴿ **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ، أن أدوا إلى عباد الله إنى لكم رسول أمين** ﴾ . (الآية : ١٧ ، ١٨) .

(٥) الدخان : ١٨ .　　(٦) غافر : ١٩ .

تعتبر من أنبل الخلائق ، وأسمى الفضائل ، وأكرم الشمائل ، وفى الحديث الشريف « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » ، وإن كانت الشجاعة على نوعين : شجاعة قلوب ، وشجاعة عقول ، والأخيرة قليلة ، والأولى كثيرة .

إن الشجاعة فى القلوب كثيرة   وأرى شجعان العقول قليلاً

وكلا أنواعى الشجاعة محمود محبوب ، وإن كانت شجاعة العقول أكثر حمداً لاختصاصها بالنوع الإنسانى دون شجاعة القلوب حيث يشارك فيها الإنسان الحيوان ، ومن أشجع من ذى اللبدة ملك السباع الأسد !!

ونبى اللّه موسى عليه السلام أوتى من الشجاعة بنوعيها حظاً كبيراً وقسطاً وفيراً ، ولنستعرض بعض الجوانب من حياته لنشاهد المواقف الشجاعة التى وقفها عليه السلام ، وبها تتجلى لنا شجاعة موسى القلبية والعقلية معاً وعلنا نأتسى به فى شجاعته فنكتسب خلة شريفة: الدعاة أحوج ما يكونون إلى مثلها فى حياة الدعوة التى هى حياة العمل والجهاد .

تقدم موسى عليه السلام برسالته إلى فرعون وهى رسالة مزدوجة جانب منها يطالب فرعون بالإيمان باللّه تعالى ومعرفته وخشيته : إذ أمر اللّه تعالى موسى أن يقول لفرعون : ﴿ **هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى** ﴾ (١) ، وجنب يطالبه بالسماح لشعب بنى إسرائيل أن يذهبوا مع موسى إلى الأرض المقدسة من بلاد الشام « فلسطين » إذ أمر اللّه تعالى موسى وهرون أن يقولا لفرعون : ﴿ **إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم ، قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى** ﴾ (٢) .

ولما عرف فرعون مضمون الرسالة وما تحمله من دعوة صريحة إلى الإيمان باللّه وحده ، والكفر بكل الطواغيت التى تعبد من دون اللّه ، ما تردد فرعون اللعين فى تهديد موسى بالسجن مرة وبالقتل أخرى ، إذ قال : ﴿ **لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين** ﴾ (٣) ، وقال لرجال دولته : ﴿ **ذرونى أقتل موسى وليدع ربه** ﴾ (٤) . فمثل هذا التهديد والوعيد من طاغية كفرعون من شأنه أن يرهب ويخيف ، ويجعل المطالب بالحق يتخلى عن مطالبته بعذر الضعف والعجز لكن موسى الشجاع لم يفت ذلك من

(١) النازعات : ١٨ ، ١٩ .   (٢) طه : ٤٧ .
(٣) الشعراء : ٢٩ .   (٤) غافر : ٢٦ .

عضده ، ولم يفل من قوة عزمه فقابل تهديد فرعون ووعيده بشجاعة لا نظير لها ، إذ لم يزد أن قال : ﴿ **إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب** ﴾ (1) . فقرر التوحيد وأبطل الشرك وذم الكبر وأهلهما ، فهذا موقف بطولى نادر قد وقفه موسى يسمع فيه رعد التهديد ويرى برق الوعيد ، فلم يضعف لذلك ولم يهن فكان مظهراً من مظاهر شجاعة موسى النادرة الفذة .

وموقف آخر : يتجلى فى تقديمه عليه السلام السحرة عليه فى إلقاء حبالهم وعصيهم التى استحالت فى اللحظة الأولى إلى حيات وثعابين تملأ ساحة العرض الأمر الذى أوجس موسى منه خوفه فى نفسه .

فإن تقديم موسى لخصمه عليه فى إظهار قوته والضرب بها أمامه لمظهر عظيم من مظاهر الشجاعة القلبية والعقلية معاً .

وموقف ثالث : وإن ذكرنا له فيه جانبين عظيمين تمثلت فيهما نجدته عليه السلام وقوته ، فإن اندفاعته القوية نحو الجبار القبطى وهو يصاول الإسرائيلى الضعيف المستضعف ، وأخذه إياه بتلك القوة وبدون تردد ولا تهيب حتى أزهق روحه لمظهر جلى لشجاعة موسى القلبية التى هى زينة الرجال وحلية الأبطال .

هذا عن شجاعته أما عن قوة حجته فحسبنا فى تجلية ذلك وبيانه أن نسمع لهذا الحوار الكبير الذى دار بين موسى النبى الكليم وبين خصمه فرعون الجبار العنيد ، أرسل الله تعالى موسى وأخاه هرون عليهما السلام برسالة إلى فرعون وملائه ، فقالا : ﴿ **إنا رسول رب العالمين : أن أرسل معنا بنى إسرائيل** ﴾ (2) ، فرد فرعون على هذا الطلب بقوله : ﴿ **ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين ...** ﴾ (3) يريد اللعين بهذا الخطاب : القدح فى رسالة موسى واستبعاد أن يكون رسولاً حيث ذكر بفضله عليه فى تربيته فى قصره ، وبقتله القبطى وهى جناية قتل تقعد بصاحبها عن شرف الرسالة فرد موسى على الفور وفى شجاعة نادرة قائلاً : فعلتها إذاً ـ أى ذاك ـ وأنا من الضالين أى الجاهلين ﴿ **ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكماً وجعلنى من المرسلين ، وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل** ﴾ (4) .

وواصل فرعون رده على قول موسى وهرون إنا رسولا رب العالمين قائلاً : وما رب

---

(1) غافر : ٢٧ . (2) الشعراء : ١٦ ، ١٧ .

(3) الشعراء : ١٨ ، ١٩ . (4) الشعراء : ٢١ ، ٢٢ .

العالمين ؟ فأجاب موسى بقوله : ﴿ **رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين** ﴾ [(١)] ، فالتفت فرعون إلى رجاله قائلاً : كالمتعجب المستخف المكذب لقوله الحق : ألا تستمعون ؟ وشعر موسى بمكر فرعون واستهتاره لموقفه منه ورسالته إليه فقال : ﴿ **ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ [(٢)] ، ولما خاف فرعون على رجاله أن يكون قول موسى الحق قد زلزلهم ، وحرك كامن الفطرة فى نفوسهم فيكفروا به ويؤمنوا بالله وحده قال فى أسلوب ماكر مضلل تنفيراً لقلوب ملائه من قول موسى حتى لا يعتبروه ويعتدوا به : ﴿ **إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون** ﴾ [(٣)] .

وأراد اللعين بهذا الجواب أن يرمى برجاله فى الخصومه ليتحملوا معه عبء المعركة فقال : ﴿ **إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون** ﴾ [(٤)] . فأثار بذلك غضبهم وأجج نار حميتهم ، بعد أن أظهر نفسه فى مظهر المترفع فى مستوى لا يصل إليه أحد فيرسل إليه أو يخاطبه بغير إجلاله وإكباره ، وعرف موسى هذا فرد عليهم بقوله الأول الذى أزعجهم وزلزل الأرض من تحت أقدامهم : ﴿ **رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون** ﴾ [(٥)] فأعلمهم أن الذى أرسله هو رب كل شيء وليس لأمتهم ورب آبائهم الأولين فقط ، ولوح لهم بأن هذه الحقيقة يدركها كل من يعقل ، إذ كل الكون حادث مفتقر إلى محدث له ، فرب العالمين ورب السموات والأرض وما بينهما أي خالق ذلك ومالكه والمدبر له هو الذى أرسل موسى وهرون إلى فرعون وملائه برسالة الحق .

وأدرك فرعون الحجة التى أدلى بها موسى ، وأنها لا تقاوم بحال فلاذ اللعين بالتهديد والوعيد حفاظاً على موقفه المنهار ، وإبقاء على سلطانه الذى أخذ يتداعى تحت ضربات الحق المرسوية فقال فى صفاقة وعدم حياء : ﴿ **لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين** ﴾ [(٦)] . ظاناً أن موسى سيخفيه التهديد والوعيد فيتخلى عن حجاجه قبل أن يفضحه ويهزمه ، وعرف موسى هذا فأبى إلا أن يضطره إلى الحوار ليجلله بالخزى والعار فقال له : ﴿ **أو لو جئتك بشىء مبين ؟** ﴾ [(٧)] فقال اللعين مضطراً إلى ترك الانسحاب من الميدان : ﴿ **فأت به إن كنت من الصادقين** ﴾ [(٨)] .

علمه وتواضعه :

وعن علم الكليم وتواضعه فى طلبه نقول : إن موسى عليه السلام أتاه الله حكماً

---

(١) الشعراء : ٢٤ . (٢ ـ ٤) الشعراء : ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) الشعراء : ٢٨ . (٦ ـ ٨) الشعراء : ٢٩ ـ ٣١ .

وعلماً كما قال تعالى : ﴿ ولـما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً ﴾ [1] شأنه فى ذلك شأن سائر الأنبياء المرسلين يعلمهم ربهم علوماً ، ويؤتيهم معارف ما يصبحون بها أهلاً لهداية الناس وإصلاحهم ، بيد أن لموسى عليه السلام ميزة خاصة به فى رغبته فى العلم والاستزادة منه ، ويدلك على ذلك قول الرسول ﷺ فى صحيحى الحاكم وابن حبان : « قال موسى : يا رب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به قال : قل : لا إله إلا اللّه ، قال يارب : كل عبادك يقولون هذا » الحديث . . . ففى هذه الرواية الصحيحة تطلع كبير من موسى عليه السلام إلى المزيد من العلم والمعرفة ، ورغبة أكيدة فى طلب العلم والتفوق فيه ، وقد بلغ موسى من العلم مبلغاً جعله لا يرى بين الناس من هو أعلم منه يدل لذلك رواية البخارى ، والتى فيها قول الرسول ﷺ : « بينما موسى فى ملأ من بنى إسرائيل إذ جاءه رجل فقال : أتعلم أحداً أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى اللَّه عز وجل إلى موسى : بلى ، عبدنا خضر . فسأل السبيل إلى لقيه » .

ويدل على علم موسى عليه السلام وتبريزه فيه كراهيته للجهل أيضاً وتنديده بالجاهلين ، فإنه لـما قال لبنى إسرائيل قومه : ﴿ إن اللّه يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [2]. وردوا عليه قائلين : ﴿ أتتخذنا هزواً ؟ قال أعوذ باللّه أن أكون من الجاهلين ﴾ [3] . إذ لا يقف مثل هذا الموقف إلا جاهل ، كما أنه لما طلب إليه قومه [4] أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه ، رد عليهم فوراً قائلاً : ﴿ إنكم قوم تجهلون ﴾ [5] . ففى الأولى استعاذ موسى من الجهل ، وفى الثانية ندد به ونسب إليه كل انحراف فى العقيدة وهو كذلك فإن سائر المعاصى والذنوب التى يغشاها الناس ناجمة عن الجهل باللّه تعالى وقواعد دينه وأحكام شرعه ويشهد لهذه الحقيقة قول اللّه تعالى : ﴿ إنما يخشى اللّه من عباده العلماء ﴾ [6] فقد خص تعالى العلماء بخشية ولم يرها لأهل الجهل به وبشرائعه وأحكام دينه .

هذا عن علم موسى الواسع ، ومعارفه الكبيرة أما عن تواضعه فى طلب العلم فحدث ولا حرج إذ لولا تواضعه عليه السلام عند الطلب لـما جاز قصب السبق فى باب العلم ، إذ العلم لا يناله إلا المتواضعون فى طلبه والحصول عليه ، ويشهد لهذا قول مجاهد رحمه اللّه تعالى : لا يتعلم العلم مستحى ، ولا متكبر . ويشهد لتواضع موسى عليه السلام فى

---

(١) القصص : ١٤ . (٢ ، ٣) البقرة : ٦٧ .

(٤) كان ذلك لما مروا بأهل قرية يعكفون على أصنام لهم يعبدونها ، فقالوا لموسى : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ رد عليهم قائلاً : ﴿ إنكم قوم تجهلون ﴾ . (الآية ١٣٨ من سورة الأعراف) .

(٥) الأعراف : ١٣٨ . (٦) فاطر : ٢٨ .

طلب العلم حادثتان جليلتان ، الأولى: إقامته مع شعيب عليه السلام عشر سنين ، إن ظاهر القضية يبدو أن موسى ما أقام لدى شعيب يرعى غنمه إلا لعفة نفسه وإشباع بطنه ، ولكن القضية فى باطنها : أنها إقامة طلب علم وتربية روحية تخرج بعدها موسى أهلاً لحمل رسالة الحق والخير ، فإن العيش فى كنف عبد صالح يوجه ويرشد ويعلم ويحلم لأكبر مدرسة يتعلم فيها المتعلمون ويتخرج فيها المتخرجون . إن رضا موسى برعى غنم شعيب ليعيش بجواره ، ويتلقى العلم منه لضرب من ضروب التواضع فى طلب العلم ، هذه الأولى . والثانية : أنه لما قام خطيباً فى بنى إسرائيل وأعجب به أحد الشباب فسأله قائلاً : أتعلم أحداً أعلم منك يا موسى ؟ فقال : لا ، وأوحى اللّه تعالى إليه قوله : بلى ، عبدنا خضر ، طلب الرحلة إليه وسأل ربه السبيل إلى لقيه ، فجعل اللّه تعالى له آية تدله عليه ، وترشده إلى مكان لقيه ، وفعلاً رحل موسى فى طلب عبد اللّه ووليه خضر ووجده ، ومن خلال ما دار بينهما من حديث تتجلى لنا حقيقة تواضع موسى فى طلبه العلم ، إذ قال له موسى عليه السلام وهو نبى ورسول وقائد أمة وإمامها : ﴿ **هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً** ؟ ﴾ (١) فمن سؤاله هذا وهو سؤال تلطف كبير ، تظهر حقيقة تواضع موسى فى طلب العلم ، وأجابه خضر قائلاً : ﴿ **إنك لن تستطيع معى صبراً** ﴾ (٢) لأنى على علم مما علمنى الله وأنت على علم مما علمك اللّه ﴿ **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** ﴾ (٣) أجاب موسى فى تواضع تام : ﴿ **ستجدنى إن شاء اللّه صابراً ، ولا أعصى لك أمراً** ﴾ (٤) ففى قوله عليه السلام : ستجدنى إن شاء الله صابراً ، تلطف كبير واستعطاف عظيم لعبد اللّه خضر فى أن يسمح له بالسير معه والطلب عنه وفى قوله : ﴿ **ولا أعصى لك أمراً** ﴾ (٥) من التواضع فى طلب العلم ما لا يقادر قدره ، ولا يعرف كنه حقيقته إلا ذو البصيرة فى هذا الشأن .

ونزيد حقيقة تواضع موسى فى طلب العلم وضوحاً فنقول : إن نبياً نجيا مكلماً قائداً مسؤولاً عن أمة بكاملها يذكر له أن عبداً من عباد اللّه أعلم منه ، فيتخلى على الفور عن كل مهامه وشرف منصبه ، ويطلب الرحلة إلى من هو أعلم منه ليتعلم عنه ، ويتحمل المشاق الصعاب فى سبيل لقيه فإذا لقيه تواضع له إلى حد أن قال له : (إنى لا أعصى لك أمراً) إذ لازم هذا القول أنه لو أمره بأعظم الأمور وأشقها على النفس لما تردد فى القيام بها طاعة لأستاذه ، وتواضعاً منه فى طلب العلم ، وهكذا يكون طلب العلم ، وهكذا يكون طلابه .

(١ ـ ٥) الكهف : ٦٦ ـ ٦٩ .

إخلاصه وتوكله :

وعن إخلاص الكليم وتوكله نقول : إن الإخلاص وهو إرادة اللّه تعالى بكل النيات والأقوال والأعمال بحيث لا يلتفت العبد فى نيته أو قوله ، أو عمله إلى أحد من الناس ، هذا الإخلاص هو أساس الدين ، وقوامه قال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا اللّه مخلصين له الدين** ﴾ (١) . ﴿ **فاعبد اللّه مخلصاً له الدين ، ألا للّه الدين الخالص** ﴾ (٢) . وأجدر الناس بهذا وأحقهم به هم أنبياء اللّه ورسله ، وذلك لكمال معرفتهم باللّه تعالى ، وقوة صلتهم به عز وجل ، وأنبياء اللّه تعالى ورسله قد يتفاوتون فى صفات الكمال الذى أتاهم ربهم ، فيكون لأحدهم صفة يشاركه فيها كل الأنبياء والرسل ، غير أنه يكون فيها أكمل من غيره ، فتغلب تلك الصفة عليه فيعرف بها ، وليس معنى ذلك أن إخوانه من الأنبياء والمرسلين ليسوا موصوفين بها ، وإنما برز هو فيها فقط فغلبت عليه فذكر بها ، ومن ذلك صفة الإخلاص فقد وصف اللّه تعالى بها نبيه موسى بقوله من سورة مريم : ﴿ **واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيا** ﴾ (٣) . فوصفه بالإخلاص وهو وصف لم يذكره لغيره من سائر المرسلين إلا ما كان من يوسف عليه السلام إذ قال فيه : ﴿ **إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ (٤) وذلك لتجلى هذه الصفة فى موسى وغلبتها عليه فى سائر إراداته وأقواله وأعماله ، ولنا أن نلحظ ذلك بوضوح فى مثل قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام : ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾(٥) فإن دعائه ربه تعالى على فرعون وآله بالطمس على أموالهم ، والشد على قلوبهم والمراد من الطمس على أموالهم إما أن تكون حجارة ، وإما أن تذهب فى الأرض ، وتغور فيها فلا يعثر عليها ، والمعنى الأول وارد عن السلف ، إذ قيل : عثر فى ديارهم على كيس فيه حمص وبيض قد حول حجارة ، وإما الشد على قلوبهم فإنه الطبع عليها والختم لأنها ما أصبحت موجهة للإيمان ، وهذا كقول نوح عليه السلام : ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً** ﴾ (٦) .

قال ابن كثير رحمه اللّه تعالى : وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضباً لله ولدينه على فرعون وملائه ، أقول : ومثل هذا لا يكون إلا من قوة الإخلاص الذى عرف به الكليم عليه السلام .

---

(١) البينة : ٥ . (٢) الزمر : ٢ ، ٣ . (٣) مريم : ٥١ .

(٣) قرىء فى السبع مخلصاً بفتح اللام أيضاً ، وهو من الاصطفاء لا من الإخلاص .

(٤) يوسف : ٢٤ . (٥) يونس : ٨٨ . (٦) نوح : ٢٦ ، ٢٧ .

وفى مثل قوله : ﴿ **أغير اللّه أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين** ﴾ (١) قال هذا لقومه بعد أن طلبوا إليه أن يجعل لهم صنماً يعبدونه ، إذ مروا بقوم يعتكفون على أصنام لهم ، فاستهواهم ذلك المنظر ، وأثر فى نفوسهم المريضة فطالبوا بأن يكون لهم إله كما لأولئك المشركين آلهة ، ونسوا اللّه تعالى وقد أنجاهم من عدوهم ، فلما قالوا ذلك غضب موسى عليهم وصاح فى وجوههم قائلاً : ﴿ **إنكم قوم تجهلون** ﴾ (٢) ، ﴿ **إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، قال أغير اللّه أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين** ﴾ (٣) . فغضبه عليه السلام وشدة إنكاره على قومه ما أرادوه من الشرك مظهر كبير من مظاهر إخلاص موسى وقوته فى ذلك .

هذا وتوكل موسى على اللّه تعالى فى كل شأنه ظاهرة قوية فى حياة موسى عليه السلام ، وصفة بارزة فى حياته وغالبة عليها : أن خروجه من أرض مصر وحيداً وهو شاب عاش فى الترف وتربى فى النعيم ، فلولا توكله على ربه لما هاجر تلك الهجرة التى لم يتوفر لها سبب واحد من أسبابها سوى توكله على ربه عز وجل وتعاقده مع شعيب فى ديار الغربة يقيم عشر حجج يرعى فيها الغنم ويطلب العلم ، ويتربى فيها على الكمالات النفسية مظهر من مظاهر التوكل القوى عند موسى عليه السلام .

وخروجه بأسرته من أرض مدين عائداً إلى مصر حيث خرج منها خائفاً من آل فرعون وهم يطلبونه بالنفس التى قتلها مظهر عظيم من مظاهر توكل الكليم ، وإلا كيف يعود إلى بلاد أهلها يطالبونه بدم لهم عليه يريدون أن يقتلوه به لولا التوكل الذى غلب على النفس فحجب منها كل ما عداه .

ولا يقولن قائل : إن طلب موسى من ربه أن يزوده بما يكون له عوناً على أداء رسالته إلى فرعون وملائه حيث طلب من ربه أن يشرح له صدره وييسر له أمره ويحلل عقدة من لسانه ، وأن يجعل له وزيراً من أهله وهو هارون عليه السلام ، ولا يقولن قائل : إن هذا قادح فى كمال التوكل عند موسى ، لأن الأخذ بالأسباب لا ينافى التوكل ولا يكون قادحاً فيه بحال ، كما إن الخوف مما من شأنه يخاف منه لا يقدح فى شجاعة المرء وبطولة البطل ، وهذا أمر معلوم لدى العالمين ، لا يرتاب فيه ولا يخاصم عليه ، ومما يحكى لنا صفة التوكل القوية لدى موسى عليه السلام مطالبته قومه بالتوكل على اللّه تعالى فى غير موطن ، من ذلك قوله : ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم باللّه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ، فقالوا على اللّه**

(١) الأعراف : ١٤٠ .　　(٢ ، ٣) الأعراف : ١٣٨ ـ ١٤٠ .

توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ [1] فإنه عليه السلام لغلبة هذا الوصف عليه ، ولكثرة ما انتفع به أصبح يراه خير معين لقومه على اقتحام المشاق ، وتحمل الصعاب ، كما لا يرى إيماناً وإسلاماً بدون توكل على الله تعالى وحده ، وهو كذلك فإن من آمن بالله تعالى رباً كافياً وإلهاً حقاً أسلم له وجهه وقلبه لا يسعه أن لا يتوكل عليه بحال من الأحوال .

إذ التوكل : الاعتماد على ذى الكفاية من العلم والقدرة والحكمة وتفويض الأمر إليه ، وسكون النفس إلى كفايته ، وعدم تغلب القلب فيما هو فاعله ، هذا هو التوكل مع قيد أن ما كان من الأمور المتوكل فيها مما وضع الله تعالى له الأسباب لتحصيله ، أو للنجاة منه ، فإن التوكل لا يتم إلا إذا أحضر العبد تلك الأسباب ووفرها إن كان ذلك فى استطاعته ، وما لم يكن منها مستطاعاً له ، فلا يكلف به ولا يسأل عنه أو يحاسب عليه .

وأخيراً : فإن صفات الكمال التى ذكرنا لموسى عليه السلام من البلاء والصبر ، والنجدة والعفة والقوة والأمانة والشجاعة وقوة الحجة والعلم والتواضع فيه والإخلاص والتوكل ليس المراد أنا نثبتها له عليه السلام ، لأن من الناس من شك فى ثبوتها له ، أو حاول نفيها عنه فذكرناها نحن مقررين لها بعد إقامة الدليل على ثبوتها ، وإنما القصد من ذكرنا أن يأتسى به فيها دعاة الإصلاح اليوم فتكمل شخصيتهم كمالاً تصبح به ذات تأثير على من يدعونهم إلى الله تعالى ليوحدوه ويطيعوه فيتهيؤوا بذلك لسعادة الدارين ، بعد النجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

ومن هنا وجب على الداعى أن يستعرض هذه الصفات ويوطن النفس على محاولة الاتصاف بها ، فيكون له خلق الشجاعة والنجدة والعفة والصبر والتوكل والتواضع فى طلب العلم ، وذلك برياضة نفسه على ذلك وأخذها به شيئاً فشيئاً حتى تصبح هذه الفضائل صفات ثابتة لها فإن أغلب الفضائل النفسية مكتسبة يحصل عليها المرء بالرياضة والاجتهاد ، ولكل مجتهد نصيب ، هذا وسلام على محمد فى المرسلين ، وسلام على موسى فى العالمين ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) يونس : ٨٤ ـ ٨٦ .

عيسى ابن مريم عليه السلام

من نماذج الدعاة الصالحين فى معارض الكمال البشرى عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام وهو رابع أولى العزم من الرسل ، وخاتمة سلسلة النبوة فى بنى إسرائيل ، وطلبا لوجوه الائتساء وصالح القدوة فى عظماء الرجال من دعاة الحق الصالحين نستعرض حياة هذا النبى الكريم ، والرسول الطاهر الرحيم علنا نكتسب من ذلك الكمال الذى أوتيه عليه السلام بعض ما نكمل فى أخلاقنا وأرواحنا ، لنقوى على أداء واجب الدعوة التى حملناها على ضعفنا وقلة مؤهلاتنا العلمية والنفسية .

وقبل استعراضنا لمظاهر الكمال فى حياة هذا الرسول الكريم نترجم له بالجمل الآتية : فنقول : عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله وكلمة الله التى ألقاها إلى مريم ، واسم (عيسى) معرب عن يشع ومعناه السيد أو المبارك ، ووالدته مريم بنت عمران من صلحاء بنى إسرائيل ، ومعنى (مريم) بالعبرية الخادم أو خادمة الله ، ويحمل هذا الاسم معنى المرأة التى لا تقدر على مقابلة الرجال والاختلاط بهم كما روى أن النبى ﷺ سأل فاطمة رضى الله عنها عن أحب شىء إلى المرأة ، فقالت : أن لا ترى الرجال ، وأن لا يراها الرجال ، فرد عليها ﷺ قائلا ـ وقد ضمها إلى صدره : « ذرية بعضها من بعض » ، وهى إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** ﴾ (١) .

حملت به والدته بنفخة من روح القدس ، نفخها فى كمها فسرت إلى فرجها ، فكان عيسى عليه السلام بكلمة التكوين كما قال تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ (٢) فلذا لقبه رسول الله ﷺ بكلمة الله فى قوله : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها (٣) إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » كما كان يلقب بروح الله فينادى بذلك فيجيب ، وذلك لأن النفخة كانت من جبريل بأمر الله تعالى ويشهد له قوله تعالى : ﴿ **والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا** ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ **يأهل الكتاب لا تغلوا فى**

---

(١) آل عمران : ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) آل عمران : ٥٩ .
(٣) متفق عليه .
(٤) الأنبياء : ٩١ .

دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [1] .

ولدته الصديقة أمه البتول بقرية بيت لحم فى فلسطين ، وحفت ولادته آيات عجيبة أظهرها تكلمه فى المهد حيث قال : ﴿ **إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا** ﴾ [2] ، وقد أعلمت بهذا والدته عليها السلام ساعة أن بشرها الملك بذلك : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين** ﴾ [3] .

وعاش عيسى عليه السلام بين بنى إسرائيل مع والدته ، ولاقى هو ووالدته من صنوف الأذى ما صرح به القرآن الكريم فى غير آية منه : فقد بهتوا والدته ورموها بما هى منه براء ، واتهموه عليه السلام بالسحر ، وكذبوه فى رسالته إليهم ، وآخر الأمر عزموا على قتله وطوقوا منزله بشرطهم واقتحموا عليه المنزل غير أن اللّه تعالى خيب أملهم وأضل سعيهم ، فألقى الشبه على رجل منهم فظنوه هو فصلبوه ، وما قتلوا عيسى وما صلبوه بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ، ورفع عليه السلام إلى السماء وعمره ثلاث وثلاثون سنة وسينزل فى آخر أيام هذه الحياة ، ويتمم بقية عمره على هذه الأرض فيعيش أربعين سنة يقضيها إماما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، كما جاء ذلك فى صحاح الأحاديث ، فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا .

هذا ومظاهر الكمال التى نريد استعراضها فى حياته عليه السلام هى الطهارة ، والزهد ، والحكمة وكمال اليقين .

طهارته عليه السلام :

وعن طهارة المسيح عيسى ابن مريم نقول : إن الطهارة الروحية ضرورية لتلقى الوحى الإلهى من الواسطة فى ذلك وهم الملائكة عليهم السلام ، ومن هنا كان كل الأنبياء أطهار الأرواح أزكياء النفوس معصومين من فعل كل ما يلوث الروح ويخبث النفس ، بيد أن عيسى ابن مريم عليه السلام قد بلغ فى هذا الشأن مستوى رفيعا جدا تميز به بين إخوانه

---

(١) النساء : ١٧١ . (٢) مريم : ٣٠ ـ ٣٣ . (٣) آل عمران : ٤٥ ، ٤٦ .

الأنبياء والمرسلين ، ويشهد لذلك ثلاثة أمور :

الأول : إن الشيطان لم يقربه أبدا ، وذلك لاستجابة الله تعالى لجدته جنة فى دعائها ، إذ قالت لما ولدت مريم ، : ﴿ **رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ، وإنى سميتها مريم ، وإنى أعيذها بك ، وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ (١) فاستجاب الرب تبارك وتعالى لها ، وحفظ مريم وولدها عيسى عليه السلام من الشيطان ، وفى هذا المعنى يقول الرسول الكريم نبينا محمد ﷺ : « ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه إياه ، إلا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة ، راوى الخبر اقرأوا إن شئتم : ﴿ **وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ أخرجه الشيخان البخارى ومسلم . وإذا حفظ وهو صبى فحفظه وهو كبير يستعيذ بربه من الشيطان ويقدر على لعن الشيطان ومخالفته فيما يدعوه إليه أولى وآكد ، روى أنه عليه السلام قام يوما على الأرض بدون فراش وتوسد حجرا ونام فوجد لذة النوم ، فجاءه إبليس عليه لعائن الله وقال له: يا عيسى ألست تزعم أنك لا تريد شيئا من عرض الدنيا ، فهذا الحجر من عرض الدنيا ، فقام فأخذ الحجر ورمى به إليه ، وقال : هذا لك مع الدنيا .

والثانى : أنه عليه السلام لما انتهت إليه البشرية تطلب إليه أن يشفع لها عند الله عز وجل ليفصل بها فى عرصات القيامة وقد طال بها الموقف ، واشتد بها الحال ، وغضب الرب عز وجل غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله . فلم يذكر عيسى عليه السلام عند اعتذاره لها ذنبا ، كما ذكر ذلك آدم ، ونوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام وعلى نبينا الصلاة والسلام ، أثبت هذا رسول الله ﷺ فى حديث الشفاعة فى صحيح مسلم .

وبهذاعلم أن عيسى عليه السلام كان من أطهر الناس روحا وأزكاهم نفسا ، وأكثرهم زهدا وأقواهم يقينا ، وسنذكر شواهد لذلك فيما يلى : .

والثالث : أن الله تعالى أيده بروح القدس يسدده ويعينه ويدفع عنه ، فكان جبريل عليه السلام لا يكاد يفارقه فترة حياته كلها حتى رفعه الله تعالى إليه ، فمصاحبة جبريل عليه السلام له فى أغلب أحواله من شأنها أن تزيد فى صفاء روحه عليه السلام وزكاة نفسه لما فى ذلك من البركة والعصمة ، إذ ما زالت مجالسة الصالحين والحياة معهم حصنا منيعا للعبد لا يقر به معه شيطان ولا يفشى فيه إثما أو قطيعة .

---

(١) آل عمران : ٣٦ .

ويشهد لهذه الحقيقة وهى أن مجالسة الصالحين من الملائكة ومن الناس من شأنها أن تزيد فى طهارة الروح وزكاة النفس ، ما ثبت عن النبى ﷺ « كان أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى ﷺ القرآن ، فإذا لقيه عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة » .

ووجه الائتساء فى هذا الضرب من الكمال الروحى هو أن يعمل الداعى الناشىء على تزكية نفسه وتطهير روحه بفعل ما يزكى النفس ويطهرها من الإيمان والعمل الصالح ، وبإبعادها عن كل ما يدسيها ويلوثها من الشرك والمعاصى مستعينا فى ذلك بالله تعالى ثم بمجالسة الصالحين من عباد الله المؤمنين ، إذ طهارة روح الداعى ضرورية للتأثير على نفوس المدعوين إلى الله تعالى وحملهم على طاعته والإنابة إليه والتوكل عليه .

زهده عليه السلام :

وعن زهد عيسى عبد االله ورسوله نقول : إذا كان الزهد هو احتقار الدنيا وعدم الرغبة فى حطامها ، والتقليل من متاعها إلابقدر البلاغ ، والعزوف عما يتكالب عليه أبناء الدينا من جمع المال والانغماس فى الملاذ والشهوات الجسمانية البهيمية ، مع الرغبة الملحة فيما عند الله تعالى ، والسعى الحثيث المتواصل إلى ذلك باليقين والعبادة والتوكل ، إذا كان هذا هو الزهد المطلوب للكمال البشرى والمتعين لأن يكون وصفا لازما لدعاة الحق والخير من كمل البشر وسادات الناس ، فإن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كان مضرب المثل فى هذا الباب بحيث لم يزهد زهده أحد ممن سبقه أو تأخر عنه باستثناء خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، وها هى ذى أثار مروية فى زهد المسيح عليه السلام فى الدنيا نوردها شواهد حق على زهده عليه السلام ، ونماذج كمال للاقتداء به عليه السلام فيها ، وموعظة وذكرى للذاكرين ومن هذه الآثار ما روى أنه قال للحواريين : يا معشر الحواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا ، وصاغ هذا المعنى أحد الحكماء فى بيتين من الشعر فقال :

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

كل ما أوردناه من الآثار المتعلقة بحياة نبى الله تعالى عيسي عليه السلام هو من البداية لابن كثير .

كما روى أنه قال لحوارييه : وبحق أقول لكم من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم فى المزابل مع الكلاب كثير ، وقال يا معشر الحواريين : اجعلوا كنوزكم فى السماء ، فإن قلب الرجل حيث كنزه ، وروى أنه عليه السلام خرج على أصحابه وعليه جبة صوف ، وكساء وتبان حافيا باكيا شعثا مصفر اللون من الجوع ، يابس الشفتين من العطش فقال : السلام عليكم يا بنى إسرائيل أنا الذى أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله ، ولا عجب ولا فخر ، أتدرون أين بيتى ؟ قالوا أين بيتك يا روح الله ؟ قال بيتى المساجد ، وطيبى الماء ، وإدامى الجوع ، وسراجى القمر بالليل ، وشعارى خوف رب العزة ، وجلسائى الزمنى والمساكين ، أصبح وليس لى شىء ، وأمسى وليس لى شىء ، وأنا طيب النفس غير مكترث ، فمن أغنى منى وأربح ؟ .

وثمرة معرفة هذا الجانب من حياة عيسى عليه السلام هى أن يحرص الداعى الناشىء على اكتساب خلق الزهد والتحلى به بين الناس ، فإن الداعى متى زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة ، ورأى الناس ذلك منه مالوا إليه ، وأقبلوا عليه ، وبذلك يسهل عليه تعليمهم وهدايتهم وإصلاحهم .

حكمته عليه السلام :

وعن حكمة عيسى نبى الله ورسوله عليه السلام نقول : إذا كانت الحكمة هى السداد والإصابة فى الأمور ، أو هى وضع الأشياء فى مواضعها اللائقه بها ، كما هى الحلم والعلم والفقه فى دين الله تعالى ومعرفة أسرار شرعه ، فإن عيسى عليه السلام كان عالماً حليما ذا إصابة وسداد فيما يقول ويعمل ، ينطق بالحكمة ويعلمها ، روى أن امرأة من [1] عجائز بيت لحم بعثت إليه بطفلها يقول له : إن أمى تطلب منك إبرة ، فكأنه عليه السلام استهجن هذه الطلبة ، ولم يكن يملك الإبرة فقال للغلام : اطلب تجد ، فعاد الغلام إلى أمه وأخبرها بما قال له السيد المسيح ، فجاءته تعتب عليه ردها ولدها خائبا ، فقال لها عليه السلام ، إنى أعطيت ولدك حكمة وهى خير من إبرة ، فقلت له : اطلب تجد ، ولم يكن لدى إبرة فأعطيها إياه ، فسكت غضب المرأة ، وندمت على عتابها ! !!

وروى أنه كان يقول للحواريين : كما ترك لكم الملوك الحكمة فاتركوا لهم الدنيا ، كأنه يعنى بالحكمة علم الشرع والعمل به والاهتداء بهديه .

---

(١) هذه الرواية لم تكن من البداية .

وروى أنه كان يقول للحواريين : لا تحدثوا بالحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، والأمور ثلاثة ، أمر بين رشده فاتبعوه ، وأمر بين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله عز وجل، وقال لأصحابه يوما : أنتم ملح الأرض فإذا فسدتم فلا دواء لكم وإن فيكم خصلتين من الجهل : الضحك من غير عجب ، والصبحة من غير سهر ، يريد بالصبحة النوم بعد صلاة الصبح .

ومن حكمه عليه السلام قوله : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والنظر يزرع فى القلب الشهوة ، ورب شهوة أورثت صاحبها حزنا طويلا ، وكان يقول : طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله ، وكان يقول : لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة فى قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء ، وقالت له امرأة يوما : طوبى لحجر حملك ولثدى أرضعك ! ! فقال طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه .

هذه بعض ما أثرى من حكمه عليه السلام ، والقصد من إيرادها الإشارة إلى كمال عيسى عليه السلام فى هذا الباب ، وندب الداعى إلى الله تعالى إلى أن يتعلم الحكمة ويعمل بها حتى يصبح من أهلها ، ويورث الحكمة شيئان : العمل بالكتاب والسنة ، وكثرة الصمت ، لأن العمل بالكتاب والسنة يعصم من الخطأ فى العمل والحكم ، وكثرة الصمت يعصم من الخطأ فى القول والتقدير ، وقديما قال لقمان عليه السلام : الصمت حكمة وقليل فاعله .

كمال يقينه عليه السلام :

وعن كمال يقين عيسى عليه السلام نقول : فقد روى أن الحواريين فقدوا يوما نبيهم عيسى عليه السلام فسألوا عنه ، فقيل لهم : إنه توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه هناك ، فلما انتهوا إلى البحر ، وجدوه عليه السلام على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى ، وعليه كساء قد ارتدى بنصفه ، وأتزر بنصفه الآخر ، فلما قرب منهم قال له بعضهم ولعله أفضلهم : ألا أجيء إليك يا نبى الله ؟ فقال بلى ، فوضع الرجل إحدى رجليه فى الماء ، ثم ذهب ليضع الأخرى ، فقال : أوه ، غرقت يا نبى الله ، فقال عيسى عليه السلام : أرنى يدك يا قصير الإيمان ، لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء .

وقيل له عليه السلام يوما : بأى شيء تمشى على الماء ؟ فقال : بالإيمان واليقين ، فقالوا : إنا آمنا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت ، قال : فامشوا إذا فمشوا معه فى الموج فغرقوا فقال لهم : ما لكم فقالوا خفنا الموج ، قال : ألا خفتم رب الموج ! فأخرجهم ، ثم ضرب بيده

إلى الأرض فقبض بها ، ثم بسطها ، فإذا فى إحدى يديه ذهب ، وفى الأخرى مدرا وحصى ، فقال : أيهما أحلى فى قلوبكم ؟ قالوا : هذا الذهب قال : فإنهما عندى سواء .

هذه صورة واضحة من كمال يقين عيسى عليه السلام أبرزناها للداعى الناشىء ليتصورها دائما فى نفسه ، ويتمثلها فى حياته ، فتكون عونا له على تقوية صبره وكمال يقينه ، إذ حاجته إلى الصبر واليقين فى باب الدعوة أشد من حاجته إلى غيرهما من أسباب نجاح الدعوة ، وعوامل فوزه فيها ، قال تعالى : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [1] ، ومن هنا قيل بالصبر واليقين تنال الإمامة فى الدين .

---

(١) السجدة : ٢٤ .

إمام الدعاة محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم

إذا كان بين عظماء الرجال نماذج من دعاة الحق والخير صالحون فإن محمدا رسول الله ﷺ هو إمامهم وقدوتهم فى كل كمال كانوا عليه ، ودعوا الناس إليه .

فمن هو محمد رسول الله ﷺ ؟

إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نظير بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

ولد محمد رسول الله ﷺ بدار أبي يوسف ولدته آمنة بنت وهب بن زهرة بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ، ولدته صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل الموافق لأغسطس عام (٥٧٠) ميلادية ، مات والده عبد الله بن عبد المطلب وهو حمل فى بطن أمه ، فكفله جده عبد المطلب ، وماتت والدته وهو ابن ست سنين ، فحضنته أم أيمن جارية أبية ، ومات جده عبد المطلب فكفله عمه أبو طالب .

مظاهر الكمال المحمدى :

إن الكمال فى محمد رسول الله ﷺ لا يأتى عليه وصف ، ولا يمكن أن يوضع به كشف ، فصفاء نفسه التى أشرقت بنور الله ، فكانت كأصفى مرآة قد انعكست عليها مظاهر الكمال البشرى كله ، حتى كان محمد رسول الله ﷺ مضرب الأمثال فى كل كمال ، وبذلك قدم لإمامة الأنبياء ، وجعل قدوة للمؤمنين .

وها نحن نذكر بعض جوانب الكمال المحمدى ليورد عليه الطالب الداعى قلبه ، ويحيله بخاطره فيحصل على طاقة من الكمال النفسى ما يكون عونا له على حمل رسالته ، وأداء واجب دعوته التى تحملها بإيمانه وعلمه .

الاستعداد الروحى لتلقى الوحى :

وعن استعداد محمد رسول الله ﷺ الروحى لتلقى الوحى نقول : إن النبى الكريم

محمدا ﷺ كان قبل إنبائه وبعثته آية فى النظافة والطهر ، نظافة العرق وأصالته وطهارة الروح وسلامته ، لقد اتصلت أرومته بأصل جماله وكماله إبراهيم ، والذى كان محمد ﷺ أشبه الناس به كما أخبر بذلك عن نفسه وانحدر سلسبيل النقاء فى أصلاب الآباء حتى انتهى إلى قرار مكين فنبع منه محمد خير الناس أجمعين ، هكذا كانت نظافة العرق الكريم والنسب الشريف ، وأما طهارة الروح وسلامته فحسبنا أن نلقى نظرة على ربيع حياته ، فتتجلى لنا من معانى الطهر آياته ، وتفصح لنا عن سلامة روحه السنة عداته .

لقد كان محمد رسول الله قبل نبوته فى شبابه وفتوته يتمتع بأفضل الأخلاق ، وأطيب الشمائل فلم يؤثر عنه ما يخل بمكارم الأخلاق قط ، إنه لم يأت ولا مرة واحدة ما كان يأتيه بنو قومه أبدا ، فلم يسجد لصنم ، ولم يشرب خمرا ولم يلعب قمارا ولا ميسرا ، ولم يستقسم بزلم ولم يظلم فى عرض أو مال أو دم أحدا ، لقد كان بشهادة أعدائه وخصوم دعوته مثاليا فى أخلاقه وناهيك بإجماع قريش على إضفاء لقب الأمين عليه ، هذا اللقب الذى لم يضفر به أحد فى ديارها وبين شبابها ورجالها أبدا ، لقد كان فداه أبى وأمى ونفسى وإنى لصادق ، كان أمينا فى سره وفى علنه ، وفى قوله وفى عمله ، أمينافى غيبه وفى مشهده أمينا فى كل شيء وعلى كل شيء .

وإذا كانت قريش قد أجمعت على منحه ذلك اللقب السامى الكريم وهو لقب الأمين ، فإن الله تعالى قد أقسم له فى مطلع نبوته على أنه على خلق عظيم وهى شهاده لا تعدلها شهادة والله شهادة إذ قال تعالى فى فاتحة سورة القلم : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجرا غير ممنون ، وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [(١)] .

إن الكمال الروحى الذى عاش عليه محمد رسول الله ﷺ وعرف به قبل نبوته لم يكن نتيجة تربية أم أو أب ، أو أثر تعليم أستاذ أو مرب قط ، وإنما كان أثر عناية الله تعالى به ، فالله الذى أوجده ليكون واسطة بينه وبين عباده فى تبليغ دينه وشرعه هو الذى حماه من كل ما يلوث نفسه ويعكر صفاء روحه ، وكان ذلك إعدادا له لحمل رسالة الله إلى عباد الله ، إذ حمل مثل تلك الرسالة يتطلب كمالا نفسيا ، يكون صاحبه فيه مثلا أعلى لغيره من سائر الناس ، وكذلك كان رسول الله ، وها هو ذا فداه أبى وأمى ونفسى يحدث عن صيانة الله تعالى له وحفظه ليبقى طاهرا زكيا فيتأهل لما هيئ له من الوحى والنبوة ، فيقول كما روى البيهقى عن على رضى الله عنه : يقول : « ما هممت بشيء مما كان أهل

---

(١) القلم : ١ ــ ٤ .

الجاهلية يهمون به إلا ليلتين ، كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاء غنم أهلها وقلت لصاحبى : أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان ، فقال : بلى ، قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة فسمعت عزفا بالغرابيل والمزامير ، فقلت ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة فجلست أنظر ، وضرب الله على أذنى ، والله ما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى ، فقال : ماذا فعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئا ، ثم أخبرته بالذى رأيت ، وذكر أنه حصل له مرة أخرى فتم له مثل الذى حصل فى الأولى ، ثم قال : فو الله ما هممت ولا عدت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى [١] الله عز وجل بنبوته .

نزول الوحى :

إن تلك الطهارة الروحية الكاملة التى كان عليها محمد بن عبد الله قبل نبوته وبعثته هى التى هيأته بإذن ربه تعالى للاصطفاء للنبوة والرسالة فكان بعد الوحى إليه ونزول جبريل عليه نبى الله ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

إنه على رأس الأربعين من عمره المبارك نبى ﷺ ، إذ جاءه الحق وهو بغار حراء بعد أن كان قد حبب إليه الخلاء وكان ذلك فى شهر رمضان حيث نزل عليه جبريل عليه السلام وهو به فضمه إلى صدره وأرسله ثلاث مرات وهو يقول له : اقرأ ، فيرد قائلا : ما أنا بقارىء ، وفى الرابعة قال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ [٢] .

فذهب بها ﷺ إلى زوجه خديجة رضى الله عنها يرجف بها بوادره ، وهو خائف على نفسه ، فهدأت رضى الله عنها من روعه ، وسكنت من اضطراب نفسه وهى تقول له : والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

وانطلقت به رضى الله عنها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد ، وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل ما شاءالله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى بصره ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ،

---

(١) ذكر هذه الحادثة ابن كثير فى تاريخه ، وقال فيها : هذا حديث غريب جدا وقد يكون عن على نفسه ، وقد يكون قوله فى آخره حتى أكرمنى الله بنبوته والله أعلم ، أهـ .

(٢) العلق : ١ ـ ٥ .

فقال له ورقة : يا بن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس [١] الذى نزل الله على موسى ليتنى أن أكون فيها جذعا يا ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال ﷺ : أو مخرجى هم ؟ قال نعم : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى » . وأثناء فترة الوحى تبدى له جبريل عليه السلام فى صورته الملائكة وقد سد الأفق ، وله ستمائة جناح ثم أخذ يدنو منه ويتدلى حتى كان منه [٢] قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه ما أوحى ، ونزل عليه قوله تعالى : ﴿ **يأيها المدثر ، قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر** ﴾ [٣] .

الدعوة سرا :

وبعد فترة الوحى التى فترها وكانت سنتين ونصف سنة حمى الوحى وتتابع ، وآمنت خديجة وورقة بن بوفل أول من آمن برسالة رسول الله ، ثم آمن على بن أبى طالب وكان صبيا فى حجر رسول الله ﷺ ، وآمن بعده زيد بن حارثة الكلبى وكان مولى رسول الله ﷺ ، وصلى هؤلاء مع رسول الله ﷺ إلا ورقة فإنه مات قبل مشروعية الصلاة ، وكانت قبل الإسراء ركعتين فى الصباح وركعتين فى المساء لقوله تعالى : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** ﴾ [٤] ، ثم أسلم أبو بكر رضى الله عنه ، وأسلم بدعوته نفر كريم كان منهم عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ولما استجابوا لدعوته رضى الله عنهم أجمعين أتى بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وصلوا ، فكانت هذه فضيلة لأبى بكر تضاف إلى أخرى قال فيها رسول الله ﷺ : « ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قحافة ما عكم عنه (تلبث) قال رؤيه (وانصاع وثاب بها ولما عكم) حين ذكرته له وما تردد فيه » ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح ، ثم الأرقم بن أبى الأرقم ، الذى اتخذ رسول الله ﷺ من داره مركزا للدعوة يعلم فيها من آمن أصحابه ويصلى بهم طيلة ما كانت الدعوة سرا بمكة وبين قريش ، وأسلم فى هذه الفترة من النساء غير خديجة أسماء بنت عمير امرأة جعفر بن أبى طالب ، وأمها هند بنت عوف بن

---

(١) صاحب سر الملك ، الحاسوس فى الخير والجاسوس فى الشر .

(٢) كناية عن القرب ، والقاب : ما بين القوس وطرفه وهو مقلوب الأصل قابا قوس .

(٣) المدثر : ١ ـ ٧ . (٤) طه : ١٣٠ .

الحارث أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج الرسول ﷺ ، وأخت لبابة أم الفضل امرأة العباس ، وهى والدة عبد الله بن جعفر جواد العرب فى الإسلام وتزوجها أبو بكر الصديق بعد استشهاد جعفر بموته فولدت له محمدا ، وتزوجها بعد وفاة أبى بكر على رضى الله عنه فولدت له يحيى ، فما أكثر بركة هذه المؤمنة ، وما أعظم يمنها رضى الله عنها وأرضاها .

واستمرت الدعوة سرا زهاء ثلاث سنوات فأنزل الله تبارك وتعالى قوله : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾ (١) .

الدعوة جهرا :

امتثل رسول الله ﷺ أمر ربه فجهر بدعوته التى كانت سرا ، ولما رأت قريش ذلك ، لا سيما بعد أن ذكر آلهتهم وعابها ناصبته العداء ، وأجمعت على خلافه وعداوته ، ووقف أبو طالب إلى جنب رسول الله ﷺ يذود عنه ويحميه ، حتى اضطرت قريش إلى إرسال وفدها يفاوض أبا طالب فى شأن رسول الله ، ويطلب منه أن يمنع رسول الله ﷺ من تسفيه أحلامهم ، وسب آلهتهم ، وعيب دينهم ، أو يخلى بينهم وبينه لينالوا منه ، وعرض أبو طالب وجهة نظر وفد قريش على رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : « يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه ما تركته » واستعبر رسول الله فبكى ، ثم قام ، فناداه أبو طالب ، وقال : اذهب يا بن أخى فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشىء أبدا .

ولما علمت قريش بعدم خذلان رسول الله ﷺ مشت إلى أبى طالب تساومه فى الموضوع ، فقدمت له شابا هو أنهد فتى فى قريش وأجمله ، وقالت : خذ هذا بدل ابن أخيك فاتخذه ولدا وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك فنقتله فإنما هو رجل برجل ، فرد أبو طالب قائلا : والله لبئس ما تسوموننى ! أتعطونى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ، هذا والله مالا يكون أبدا .

ولما بلغ الأمر هذا الحد ، أظهرت قريش عداءها السافر ، وأخذت تشن حربا ضروسا على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه ، وقد كثر عددهم وتزايد أمرهم فأغرت برسول الله ﷺ سفهاءها فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله ﷺ

---

(١) الحجر : ٩٤ .

مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مبادىء لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وحدث أن نال أبو جهل من رسول الله ، وكانت حين أبو جهل يسب ويشتم رسول الله ﷺ مولاة لعبد الله بن جدعان تسمع فلما جاء حمزة وكان فى قنص ، أخبرته بما صنع أبو جهل إزاء رسول الله ﷺ فاحتمل حمزة الغضب ، وطلب أبا جهل حتى وجده ضربه ضربة عنيفة فشج رأسه وقال له : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟؟ ولما رأت قريش أن حمزة قد أسلم علمت أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ﷺ ، وكان أول من جهر بالقرآن وأسمعه قريشاً عبد اللّه بن مسعود حيث اجتمع أصحاب رسول اللّه ﷺ يوماً وقالوا : واللّه ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه فقال عبد اللّه : أنا ، فأبوا عليه ذلك غير أنه أبى إلا أن يكون هو ، فذهب فى ضحى النهار إلى المسجد فوقف عند المقام ، وقريش فى أنديتها حول المسجد وقرأ بأعلى صوته : ﴿ **بسم اللّه الرحمن الرحيم ، الرحمن علم القرآن** ﴾ (١) ولما سمعت قريش قراءته تأملوا ، وجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه فجعلوا يضربونه فى وجهه ، ولما عاد عبد اللّه وأثر الضرب فى وجهه قال له أصحابه : هذا الذى خشيناه عليك ، فقال : ما كان أعداء اللّه أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً ، فقالوا : لا قد أسمعتهم ما يكرهون ، ولما عز المسلمون بإسلام حمزة رضى اللّه عنه وعظم أمرهم وكثر عددهم كشرت قريش عن نابها وضاعفت من أذاها للمؤمنين الذين ليس لهم مناعة من قومهم ، ولما رأى رسول اللّه ﷺ ذلك عرض على المستضعفين الهجرة إلى الحبشة ، فقال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل اللّه لكم مخرجاً مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة (٢) .

وما زال أذى قريش منصباً على رسول اللّه ﷺ والمؤمنين من أصحابه ، بحيث لا يستطيع أحد من المؤمنين أن يصلى فى المسجد الحرام حتى أسلم عمر رضى اللّه عنه وقاتل قريشاً حتى صلى حول الكعبة وعندها عز المسلمون بعمر بن الخطاب وأصبحوا يصلون حول الكعبة جهاراً نهاراً كما قال عبد اللّه بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نستطيع أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه ، بيد أن

(١) الرحمن : ١ ، ٢ .

(٢) كان عدد المهاجرين ٨٣ رجلاً ما عدا أطفالهم الذين هاجروا معهم ومن ولد فى الهجرة .

قريشاً لما رأت انتصار المؤمنين بعمر رضى اللّه عنه جنت جنونها وركبت رأسها وطالبت من أبى طالب وبنى هاشم تسليم الرسول ﷺ للقتل ، ولما فشلت فى ذلك أمرت بمقاطعة بنى هاشم مقاطعة تامة فلا يباعون ولا يبتاع منهم ولا يكلمون ، ولا يقدم لهم أدنى مساعدة ولا تقضى لهم أية حاجة وحاصرتهم فى شعب أبى طالب ، وكتبت بذلك صحيفة وعلقتها بالكعبة ودام حصارها للرسول ﷺ وبنى هاشم ثلاث سنوات جاع فيها بنو هاشم حتى أكلوا ورق الشجر ، وقيض اللّه تعالى رجالا من قريش منهم هشام بن عمرو بن الحارث ، وزهير بن أمية بن المغيرة ، والمطعم بن عدى ، فأتوا على الناس وهم حول الكعبة وقالوا : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى ، لا يباعون ولا يباع منهم ، واللّه لا نقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، وانتهى الأمر بنقض الصحيفة وخروج بنى هاشم والحمد للّه ، وعلى أثرها توفى أبو طالب ، وتوفيت خديجة رضى اللّه عنها ، فاشتد الكرب برسول اللّه ﷺ وعظم ألمه وحزنه.

ومن سجل التاريخ أنهم عذبوا فى ذات اللّه تعالى من المؤمنين فى مكة سمية أم عمار ابن ياسر ، وولدها ، وزوجها ، فقد ماتت سمية تحت العذاب قتلها أبو جهل بحربة طعن بها فى فرجها ، فكانت أول شهيده فى الإسلام . كما عذب بلال إذ كان مولاه أمية بن خلف الطاغية الجمحى يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا ، واللّه لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد ، وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه وكانوا أهل بيت الإسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء [1] مكة فيمر بهم رسول اللّه ﷺ فيقول : صبراً آل ياسر موعدكم الجنة .

الدعوة فى دار الهجرة :

إنه بعد موت أبى طالب أشتد أذى قريش برسول اللّه ﷺ فخرج إلى الطائف يطلب نصرة رجال من ثقيف فعمد إلى ثلاثة نفر من سادة ثقيف وهم عبد ياليل بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، وأخوهما حبيب بن عمرو فكلمهم فى شأن نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قريش بعد أن دعاهم إلى اللّه سبحانه وتعالى فأسمعوه ما آلمه ، مآلم كل مؤمن إذ قال له الأول : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان اللّه أرسلك ، وقال

---

(١) الرمضاء : الرمل الحار من شدة حرارة الشمس .

الثانى : أما وجد اللّه أحداً يرسله غيرك ، وقال الثالث : واللّه لا أكلمك أبداً ، لئن كنت رسولاً من اللّه كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على اللّه ما ينبغى لى أن أكلمك ، فقام رسول اللّه من عندهم وقد يئس من جبر ثقيف .

وواصل رسول اللّه ﷺ عرض نفسه على القبائل العربية فى أسواقها وعلى مياهها ، يدعوهم إلى اللّه تعالى ويطلب النصرة على قومه الذين آذوه وبالغوا فى أذاه .

ولما أراد اللّه تعالى أن يعز رسوله وينصر دينه ، خرج رسول اللّه ﷺ على سابق عادته إلى موسم الحج يدعو إلى ربه ، ويطلب نصرته على قومه فشاء اللّه تعالى أن يلقى نفراً من الخزرج عند العقبة فدعاهم إلى اللّه تعالى وقرأ عليهم ما شاء اللّه من القرآن فآمنوا وأسلموا ، وكانوا ستة نفر منهم : أسعد بن زرارة من بنى النجار ، فلما عادوا إلى المدينة نشروا الدعوة حتى لم يبق بيت إلا فيه ذكر لرسول اللّه ﷺ والإسلام ، ولما كان الموسم من العام المقبل ، وأتى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوا رسول اللّه ﷺ بالعقبة وبايعوه على الإسلام بأن يعبدوا اللّه ولا يشركون به شيئاً ، ولما لم يكن فى نصوص البيعة ذكر الحرب قيل فيها بيعة النساء وذلك لعدم فرض القتال يومئذ ، ونصوص البيعة هى الواردة فى قوله تعالى من سورة الممتحنة : ﴿ **يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن باللّه شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين** ﴾ (١) الآية .

ولما أرادوا العودة إلى المدينة بعث معهم رسول اللّه ﷺ مصعب بن عمير رضى اللّه عنه يقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم فى دين اللّه ، فذهب معهم ونزل على أسعد بن زرارة رضى اللّه عنهما ، وكان يؤمهم فى الصلاة ، خرج يوماً أسعد بن زرارة بمصعب بن عمير إلى حائط لبنى الأشهل ، فاجتمع عليهما ناس من المسلمين فسمع بذلك سعد بن معاذ ، فقال لأسيد بن حضير ، وكل منهما كان سيداً فى قومه ، فقال سعد لأسيد بن حضير : لا أبالك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارينا ليسفها ضعفائنا فازجرهما وانههما أن يأتيا دارينا بعد ، ولولا أن أسعد أمنا من حيث علمت لكفيتك ذلك ، فذهب أسيد بعد أن أخذ حربته ، فلما رآه أسعد ، قال يا مصعب : هذا سيد قومه قد جاءك فأصدق اللّه فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلمه ، فجاء أسيد ووقف عليهما وقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفائنا ، اعتزلا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ثم

---

(١) الممتحنة : ١٢ .

ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن : فقالا أسيد ما أحسن هذا الكلام وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ففعل أسيد ذلك ، ودعا أسيد سعد بن معاذ فحضر مجلس مصعب فأسلم ، وهكذا انتشر الإسلام بالمدينة بإسلام أسعد بن زرارة ووجود مصعب بن عمير ، وبدخول أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ فى الإسلام، فلم تكن إلا أيام قلائل وما فى المدينة بيت إلا وفيه إسلام ومسلمون إلا ما قل وندر .

وما أن دارت السنة دورتها وخرج حجاج المدينة من المسلمين والمشركين إلى موسم الحج ، وخرج معهم مصعب بن عمير رضى الله عنه ، واتصل مصعب برسول الله ﷺ مع رجال من أهل المدينة بمكة وواعدهم رسول الله ﷺ (العقبة) أيام التشريق ، وحج الجميع وقضى الحج ، ولما كانت ليلة الميعاد مع رسول الله ﷺ خرجوا فى نصف الليل يتسللون من رحالهم حتى نزلوا بالشعب عند العقبة ينتظرون رسول الله ﷺ ، وما هى إلا ساعة وإذا برسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب حضر وهو مشرك يومئذ ليطمئن على ابن أخيه ويستوثق له من مسلمى المدينة فيما عاهدوه عليه ، وتمت بيعة العقبة الثانية بين رسول الله ﷺ وبين نحو من ثلاثة وسبعين رجلاً من الخزرج والأوس وكانت البيعة بعد أن تكلم العباس أول متكلم فقال : يا معشر الخزرج : إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ، ومنعة فى بلاده ، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فقال الخزرج : قد سمعنا ما قلت : فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغب فى الإسلام ، ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون به نساءكم وأبناءكم » وإلى هنا قام البراء بن معرور رضى الله عنه فأخذ بيد رسول الله ﷺ ، وقال : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا (١) ، وقاطعه أبو الهيثم بن التيهان قائلاً يا رسول الله : إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها ــ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال : بل الدم الدم (٢) والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ،

---

(١) أزرنا : كناية عن النساء ، إذ الإزار يكنى به عن المرأة .

(٢) الهدم كناية عن الحرمة فمعنى الحديث : ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم أهل الهدم الدار تهدم وقد كانت تحوى الحرمات وتحوطها .

أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، ثم خطب سعد بن عبادة الأنصارى فكرر ما قاله العباس بن عبد المطلب تقريباً ، فقال أهل المدينة : إنا نأخذه ـ رسول اللّه ـ على مصيبة المال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول اللّه إن نحن وفينا بذلك ؟ قال : الجنة ، عندئذ قالوا : ابسط يدك يا رسول اللّه نبايعك فبسط ﷺ يده فبايعوه ، واختار منهم اثنى عشر نقيباً وهم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد اللّه بن رواحة ، ورابع بن مالك ، والبراء بن معرور ، وعبد اللّه بن عمرو بن حارثة ، والمنذر بن عمرو بن خنيس ، وهؤلاء من الخزرج ، ومن الأوس : ابن خزام ، وعبادة بن الصامت بن قيس ، وعبادة بن الصامت ابن ديلم ، وأسيد بن حضير بن سماك ، وسعد بن خيثمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير ، وعاد أهل البيعة إلى المدينة ولم يتخلف منهم إلا سعد بن عبادة حيث أسرته قريش ، وذلك أن قريشاً لما بلغها بيعة أهل المدينة للرسول ﷺ على حربها طلبت أهل البيعة فلم تدركهم حتى تحملوا راحلين فنجوا إلا سعدا أدركته فأسرته فهو فى أسرها حتى أطلقه اللّه تعالى من أسرها بواسطة جبير بن مطعم بن عدى بعد أن عذبته قريش العذاب الشديد .

وما أن وصل المبايعون المدينة انتشر خبر البيعة فى ربوع المدينة وتحولت فعلا المدينة إلى دار إسلام وقلعة من قلاعه ، وعندئذ أمر رسول اللّه ﷺ أصحابه أن يهاجروا إليها فهاجروا إرسالاً ، ولحق بهم مهاجروا الحبشة كذلك وانتظر رسول اللّه ﷺ أمر ربه بالهجرة حتى جاء الإذن فخرج مع أبى بكر الصديق مهاجراً إلى المدينة ، وكان فى هجرتهما آيات منها ما كان فى غار ثور ، ومنها فى شاة أم معبد ، ومنها مع سراقة بن جعشم .

أما غار ثور فقد أعمى اللّه تعالى المشركين عن رؤية الرسول ﷺ وصاحبه فيه ، وهم يقلبون الحجارة حجراً حجراً بحثاً عنه ﷺ ، ولم يروه ، إذ العناكب نسجت (١) على فم الغار والحمامة عششت وبيضت فى الحال مما جعل المشركين لا يشكون أن ليس بالغار أحد وهم يمرون به فى كل لحظة متتبعين الآثار ، حتى قال أبو بكر : لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا ، فأجابه الرسول ﷺ ما ظنك ؟ (٢) باثنين اللّه ثالثهما يا أبا بكر ، وفى القرآن الكريم ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره اللّه إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن اللّه معنا** ﴾ (٣) .

---

(١) خبر نسج العنكبوت وتعشش الحمامة ذكره البزار ومسنده .

(٢) أخرجه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وأحمد .

(٣) التوبة : ٤٠ .

وأما شاة أم معبد فالآية فيها أنها كانت فى دارها بعد أن كانت لا تحلب لما أصابها من جهد السنة الشهباء ، إذ مر رسول اللّه ﷺ مع أصحابه بخيمة أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة جلدة برزة تختبىء بفناء بيتها وتطعم وتسقى من يمر بها ، فسألها : هل عندها شىء يشترونه منها ؟ فقالت : واللّه لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى ، والشاه عازب ، فنظر رسول اللّه ﷺ إلى شاة فى كسر البيت ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : هذه شاه خلفها الجهد عن الغنم ، فقال هل بها من لبن ؟ فقالت هى أجهد من ذلك ، قال : أفتأذنين لى بحلبها ؟ قالت : قم بأبى وأمى ، إن رأيت بها حليباً فاحلبها ، فدعا رسول اللّه ﷺ بالشاة فمسح ضرعها ، وذكر إسم اللّه ، وقال : اللهم بارك لها فى شاتها ، فتفاجت ودرت واجترت ، فدعا بإناء لها يربص [1] الرهط فحلب فيه حتى علته الرغوة ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب ﷺ آخرهم فشربوا جميعاً عللا بعد نهل ، ثم حلب فيه آنية حتى ملاء الإناء فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها ، وجاء زوجها فوجد عندها اللبن فعجب وقال : من أين لك هذا ؟ والشاة عازب ولا حلوبة بالبيت ، فقالت : إنه مر بنا رجل [2] مبارك كان حديثه كيت وكيت ، فقال زوجها أبو معبد : واللّه إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه ، صفيه لى يا أم معبد فوصفته له ، فقال : هذا واللّه صاحب قريش ، ولو كنت وافقته لا لتمست أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

أما سراقة فالآية فيه أنه لما بلغه أن قريشاً جعلت مائة بعير لمن يرد عليها رسول اللّه ﷺ حياً أو ميتاً ركب فرسه وحمل سلاحه وخرج فى طلب رسول اللّه ﷺ ، وما أن سار وجدّ به السير حتى أخذ فرسه يعثر فى الأرض ، وكلما عثر الفرس يسقط سراقة على الأرض ، وهكذا عدة مرات فلما رأى أنه دنا من رسول اللّه ﷺ ورفاقه عثر الفرس وذهبت يداه فى الأرض وسقط سراقة عنه ، ورأى دخاناً كالأعصار فعرف حين رأى ذلك أنه الرسول ﷺ قد منع منه وأنه ظاهر لا محالة ، فنادى : أنا سراقة بن جعشم انظرونى أكلمكم ، فواللّه لا أربيكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه ولما عاد سراقة خائباً لامه أبو جهل . فأنشده الأبيات التالية :

أبا حكم واللّه لو كنت شاهداً	لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً	رسول ببرهان ممن ذا يقاومه ؟

(١) يشبع الجماعة .

(٢) أصبح آل أبى معبد يؤرخون به فيقولون : بعد أن جاءنا الرجل المبارك أو بعد أن رأينا الرجل المبارك .

عليك بكف لقومه عنه فإننى　　أرى أمره يوماً تبدو معالمه

بأمر يود الناس فيه بأسرهم　　بأن جميع الناس طرا يسالمه

ومن أولى آيات الهجرة أنه لما خرج رسول اللّه ﷺ وصاحبه من الغار ولم يعرف أين كان اتجاههما جاء رجل من الجن من أسفل مكة وأخذ يتغنى بالأبيات التالية من الشعر ، والناس يتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة :

جزى اللّه رب الناس خير جزائه　　رفيقين حلا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالبر حيث تروحا [1]　　فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بنى كعب مكان فتاتهم　　ومقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها　　فإنكم وإن تسألوا الشاة تشهد

فيا لقصى ما زوى اللّه عنكم　　به من فعال لا يجازى وسؤدد

فما حملت من ناقة فوق رحلها　　أبر وأوفى ذمة من محمد

ووصل الرسول ﷺ مع صاحبه أبى بكر الصديق المدينة ، ودخلها من جنوبها حيث نزل بديار بنى عمرو بن عوف بضاحية قباء ، وكان ذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول ، فأقام بها خمسة أيام دعا فيها إلى اللّه تعالى وتلا القرآن وعلم المؤمنين دين اللّه تعالى وصلى بالناس ، وبنى مسجد قباء فكان أول مسجد بنى فى الإسلام ، وترك منازل بنى عمرو بن عوف قاصداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة فصلاها فى حى بنى سالم بن عوف بالمسجد الذى يعرف الآن مسجد الجمعة بواد يقال له : (رانوناء) فكانت أول جمعة تصلى فى دار الهجرة وعرضت له رجالات أحياء الأوس والخزرج كل يطلب النزول إليه ويقول : أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعه ، والرسول ﷺ يأبى عليهم ذلك ، وكلما اعترضوا ناقته لينيخوها بأحيائهم يقول لهم : دعوها فإنها مأمورة حتى وصل إلى حى بنى النجار من أخواله [2] فبركت الناقة وألقت بجرانها [3] فى المكان الذى بنى فيه المسجد النبوى الشريف على مقربة من دار أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى رضى اللّه عنه ، والذى نزل عليه رسول اللّه ﷺ ضيفاً وبقى بمنزله حتى بنيت الحجرات الشريفة فسكنها

---

(١) وردت ترحلا من الرحيل .

(٢) لأن أم عبد المطلب والد عبد اللّه أبى الرسول ﷺ أمه سلمى بنت عمرو من بنى عدى بن النجار .

(٣) الجران ما يصيب الأرض من البعير وبطنه .

رسول الله ﷺ .

وكان أول عمل قام به الرسول ﷺ بالمدينة بناء مسجده الشريف والذى شارك فى حمل حجارته وهو يرتجز ويقول :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وعمار بن ياسر يرتجز ويقول :

لا يستوى من يعمر المساجد يدأب فيه قائماً قاعداً

ومن يرى عن الغبار حائداً

ففهم أحد الصحابة أنه يعرض به ، فهدده بالضرب فغضب لذلك رسول الله ﷺ وقال : مالهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار .

ودخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه بحمل اللبن فقال يا رسول الله : قتلونى يحملون على مالا يحملون ، فأخذ رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده وهو يقول : -

ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية .

ولم تدر السنة حتى استجمع للرسول ﷺ إسلام الأنصار فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهله ، إلا ما كان من ثلاث أو أربع بيوتات من الأوس فإنهم بقوا على شركهم ، وتم بناء المسجد والحجرات فى خلال تلك السنة ، وأول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة تلك التى رويت عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ونصها : أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وأتيتك مالاً وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمه طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وخطب مرة أخرى أيضاً فقال : « إن الحمد لله ،، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ،

قد أفلح من زينه اللّه فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا ما أحب اللّه ، أحبوا اللّه من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام اللّه وذكره ، ولا تقس عنه قلوبكم فإنه من كل ما يخلق اللّه يختار ويصطفى ، وقد سماه اللّه خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد والصالح من الحديث ، ومن كل ما أوتى الناس من الحلال والحرام فاعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته ، واصدقوا اللّه صالح ما تقولون بأفوهكم ، وتحابوا بروح اللّه بينكم إن اللّه يغضب أن ينكث عهده ، والسلام عليكم » .

ومن أجل ما قام به رسول اللّه ﷺ من الأعمال فى مجال الدعوة بالمدينة بعد بنائه المسجد وجمع المؤمنين فيه للصلاة والتربية والتعليم هو كتابه الذى كتبه بين المهاجرين والأنصار ، وقد ضمنه موادعته يهود المدينة ، ومعاهدتهم وإقراره لهم على دينهم وأموالهم ، وما شرط لهم ، واشترط عليهم وهو كتاب يقع فى أكثر من ثلاث صفحات تضمن خطوطاً سياسية إصلاحية حربية وسلمية لا نظير لها فى معاهدات الناس وكتاباتهم فى هذا الشأن بحال من الأحوال ، وهو فى كتاب السيرة لابن هشام .

ومن أجل الأعمال كذلك مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار حيث قال فى مجمع حاشد من المهاجرين والأنصار : « تآخوا فى اللّه أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : هذا أخى » فكان رسول اللّه ﷺ وعلى بن أبى طالب أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين ، وهكذا حتى لم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا آخى أحد وأخاه ، واللّه أكبر ماذا نتج عن هذه المؤاخاة من الخير والبركة الأمر الذى لا نظير له ولم تعرف الدنيا له مثيلاً ، كل ذلك فى نطاق الدعوة إلى اللّه تعالى التى يجب أن يتخذ لها كل الأسباب الكفيلة ببلوغها وانتشارها وانتصارها وإسعاده للناس عليها فى الدنيا والآخرة ..

وبعد هذه الخطوات الجبارة التى خطاها الرسول ﷺ فى مضمار الدعوة بدار الهجرة اتسع الطريق أمامه فداه أبى وأمى ، فضاعف الجهود ، إذ نجم النفاق بين سكان المدينة من عرب مشركين ويهود على حد سواء ، وأخذت التجمعات والتكتلات ضد الرسول والمؤمنين تظهر هنا وهناك ، وتبعتها الإتصالات بالعدو بمكة ، وعظم الأمر ، واشتد الخطب ، ووقف الرسول ﷺ والمؤمنون وقفة البناء الشامخ والجبال الراسية فلا تزعزع ولا تضعضع ، ولكن الجهاد بالسيف والمال والقال والحال حتى نصر اللّه أولياءه وخذل أعداءه ولكن ما

بين ذلك من الأحداث الجسام والأعمال العظام مالا يأتى عليه وصف !!! وليراجع له كتب السير والمغازى فإنه كان العجب العجاب فى حياة الدعوة بالمدينة وحياة سيد الدعاة بها صلى الله عليه وآله وصحبة وسلم تسليماً كثيراً .

الصورة المثالية فى شخصية الرسول ﷺ :

إن الصورة المثالية الكاملة فى شخصية الرسول الكريم ﷺ تتجلى فى خلقه وفى خلقه معاً ، وهى بالغة فى كل منهما منتهى الكمال ، والحمد لله واهبه والمتفضل به ، أما فى خلقه ﷺ فإن أصحاب السير وجميع كتب من كتب فى السيرة المحمدية مجمعون على أن محمداً رسول الله ﷺ كان أكمل الناس ذاتاً ، وأجملهم وجهاً ، وأحسنهم قداً واعتدالاً ، ولنترك الرواة الصادقين يصفون لنا الذات المحمدية كما رأوها وعرفوها ، فقد روى مسلم عن البراء أنه قال : كان رسول الله ﷺ رجلا مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، عظيم الجمة إلى شحمة أذنية ، عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه ﷺ ، كما روى مسلم عن أنس رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرفه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت مسكه ولا عنبره أطيب من رائحة رسول الله ﷺ ، وقال الحسن بن على رضى الله عنهما : سألت هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافاً ، وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به ، فقال : كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ، أطول من المربوع وأقصر من المشذب « البائن الطول » عظيم الهامة رجل الشعر أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب ، سوابغ من غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرينين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ، أدعج ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، مفلح الأسنان ، دقيق المسربة . كان عنقه جيد دميه فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادنا متماسكا ، سواء البطن والصدر بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس (رؤوس العظام) أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، سائل الأطراف عبل الذراعين (غليظهما) خمصاً الإخمصين ينبوعهما الماء ، إذا زال زال تقلعاً ، ويخطو تكفؤا ، ويمشى هوناً ، إذا مشى كأنما ينحط من صبب . وإذا التفت إلتفت جميعاً ، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام .

وأما فى خلقه العظيم فإنه بأبى هو وأمى كان مثالاً من أمثلة الكمال البشرى ، فلا

يسامى فى أخلاقه ولا يدانى بحال فهو فريد دهر الدنيا ووحيد عصرها .

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفرى

وها نحن نستعرض شذرات [1] من ذهب كماله فى كل مجالات حياته الأخلاقية والنفسية والعقلية لنقف على عين الحقيقة ، ونعرف الكمال المحمدى الذى كان به سيد الدعاة الصالحين وإمامهم أجمعين .

فى عفوه وحلمه :

إن العفو كالحلم كلاهما من الأخلاق الإنسانية الفاضلة ، وإن الاستقصاء للشمائل المحمدية غير محتمل أصلاً ، ولقد أحسن من قال :

إنما مثلوا صفاتك النـــاس ... كمـــا مثل النجـوم الماء

ولذا فاننا نكتفى دائماً بنماذج لذلك الكمال المحمدى فى كل مظهر من مظاهره ، ومن شمائل الحلم والعفو عنده ﷺ نذكر الأمثلة الثلاثة الأتية :

١ ـ صح أنه كان ﷺ فى غزاة فأعطى رجاله فرصة للاستراحة فيها فانتشروا فى واد يستريحون تحت ظلال أشجاره وأتى هو شجرة فعلق ﷺ سيفه فى أحد أغصانها ونام ، فجاء أعرابى من المشركين فاخترط السيف وقال للرسول ﷺ من يمنعك اليوم منى يا محمد ؟ فرفع رسول اللّه ﷺ رأسه وقال الله : فارتاع الرجل وسقط السيف من يده فتناوله الرسول ﷺ وقال : « من يمنعك أنت الآن منى ؟ فقال الأعرابى : لا أحد فعفا عنه رسول اللّه ﷺ وانصرف » إن هذا لهو العفو بعد المقدرة الذى يستحق صاحبه إلاجلال والإكبار ، وكان رسول اللّه ﷺ هو ذاك .

٢ ـ قسم ﷺ مالاً بين أصحابه فجاءه أعرابى فجذبه من طرف ردائه وقال : هذه قسمة ما أريد بها وجه اللّه ، فغضب رسول اللّه ﷺ ، وما زاد على أن قال : ويحك من يعدل إذ لم يعدل اللّه ورسوله ؟ ورحم اللّه أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر .

٣ ـ دخل أعرابى المسجد ، واضطرته الحاجة إلى التبول فانتحى ناحية من المسجد وأخذ يبول ، فانتهره أصحابه رضوان اللّه عليهم أجمعين ، وصاحوا فيه ، فقال لهم رسول اللّه ﷺ : دعوه لا تزرموه (أى لا تقطعوا عليه بوله) فتركوه حتى قضى بوله ، ثم أمر

---

(١) الشذرة والجمع شذرات بالتحريك وشذور قطع الذهب تلتقط من معدنه .

رسول الله ﷺ بدلو من ماء فصبه عليه فحلم الرسول ﷺ هذا أنطلق الأعرابى فقال : اللهم ارحمنى وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد تحجرت واسعاً يا أخا العرب » .

رجاحة عقله :

من الكمالات المحمدية رجاحة عقله ﷺ ، ولنورد برهاناً على ذلك أربعة مواقف كانت له ﷺ اثنان منها فى عهد ما قبل الإسلام ، واثنان فى عهد الإسلام وهى أربعة مواقف من عشرات أو مئات المواقف كل موقف منها دال على ما أوتى ﷺ من رجاحة العقل وكمال الإدراك .

فالأول : هو حضوره ﷺ حلف الفضول وقوله فيه : « لقد حضرت حلف الفضول بدار عبد اللّه بن جدعان ، وما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار عبد اللّه بن جدعان ـ حمر النعم ولو دعيت به لأجبت [1] إن هذا الحلف عقد على أساس نصرة المظلوم والوقوف إلى جنبه حتى يؤخذ له الحق ممن ظلمه ، فحضور النبى ﷺ هذا الحلف مؤيداً له مغتبطا به ، حتى قال : ما أحب أن لى به حمر النعم ، دال على كمال عقله ﷺ ورجاحته .

والثانى : حكمه ﷺ بأن يوضع الحجر الأسود فى ثوب ، ثم تأخذ بأطرافه القبائل القرشية حتى إذا بلغ الحجر مكانه من جدار البيت تناوله هو ووضعه فى موضعه ، وكذلك فعل حتى قضى بذلك على فتنة متوقعه وخصومة قائمة من أشد الخصومات أوشكت أن تزهق فيه الأرواح ، فدل تصرفه الحكيم هذا على رجاحة عقله وكماله الذى أهله لأن يكون أكمل الناس عقلاً بلا منازع .

والثالث : أنه لما دخل مكة يوم الفتح منتصراً ووجد رجالات قريش قد تجمعوا حول الكعبة ينتظرون حكم الفاتح المنتصر عليهم ماذا يفعل بهم ، ناداهم قائلاً : « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

إن هذا الموقف المثالى فى تاريخ العظماء ينم قطعاً على ما أوتى رسول اللّه ﷺ من رجحان العقل وكماله ، الأمر الذى أصبح به مثلاً عالياً فى هذا الشأن .

والرابع : أنه تنازله لقريش على كتابة لفظ الرحمن الرحيم ، وعلى لفظ رسول اللّه

---

(١) عبارة ابن هشام : لقد شهدت فى دار عبد اللّه بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو أدعى فى الإسلام لأجبت .

فى كتابة وثيقة المعاهدة التى أبرمها مع قريش عام صلح الحديبية إذ أمر الكاتب أن يكتب بسم اللّه الرحمن الرحيم فقال ممثل قريش الدبلماسى سهيل بن عمرو : أمسك ، لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم ، فتنازل عن ذلك وكتب باسمك اللهم ، ولما قال للكاتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول اللّه قال ممثل قريش : أمسك لو شهدت أنك رسول اللّه لم أقاتلك ، ولكن اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللّه ، فتنازل عن ذلك وكتب ، فى حين أن أصحابه وعلى رأسهم عمر وعلى رضى اللّه عنهم قد كرهوا ذلك وأبوا أن يفعلوه ، ورأوه أنه إعطاء للدنية فى دينهم .

غير أن النتائج الطيبة التى عقبت ذلك التنازل دلت على قصر نظر القوم ، وبعد نظر الرسول ﷺ ، وكمال عقله ورجاحته ، الأمر الذى كان به مضرب المثل فى كمال العقل وحسن السياسة وكمال التدبير .

رحمته :

إن الرحمة التى كان يحملها قلب محمد ﷺ كانت رحمة مثالية لم يحظ بها أحد من الناس ، ولم تكن وصفاً فى كمالها لغيره ﷺ وها نحن نعرض لبعض مظاهرها التى تجلت فيها فنقول : رفع إليه ولده إبراهيم وهو مريض يجود بنفسه فوضعه بين يديه وبكى ﷺ وقال : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .

وزار مرة قبر أمه فوقف عليه وبكى طويلاً وانصرف وهو يقول : « استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى ، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى » .

ولما فتح ﷺ حصن بنى أبى حقيق من خيبر أتى رسول اللّه ﷺ بصفية بنت حيى بن أخطب وبأمراة أخرى فمر بهما بلال على قتلى يهود ، فلما رأتهم الجارية التى مع صفية صاحت وصكت وجهها ، وحثت التراب على رأسها ، فلما رأى رسول اللّه ﷺ بتلك الجارية ما رأى ، قال : أنزعت منك الرحمة يا بلال تمر بالمرأتين على قتل رجالهما ؟

هذا ولم تكن رحمته ﷺ قاصرة على بنى الناس مؤمنهم وكافرهم فحسب ، بل دعت ذلك إلى الحيوانات ، فقد قال وهو يقرر الرحمة ويحض عليها ويورثها فى القلوب : « فى كل ذات كبد رطبة أجر » . ويقول : « عذبت امرأة فى هرة أو ثقتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت » وقال : « بينما كان كلب يطيب

بركية كاد يقتله العطش إذ رأته امرأة بغى من بغايا بنى إسرائيل ، فنزعت موقتها فسقته فغفر الله لها به » .

كرمه :

إن الكرم النفسى الذى يتحلى به رسول الله ﷺ لا يأتى عليه الوصف ، وكيف يوصف كرم من لم يسأل شيئاً طول حياته وهو فى حوزته فقال : لا أبداً ، خرج يوماً وعليه حلة من أجمل الحلل وأبهاها فرآه أحد أصحابه ، فقال يا رسول الله : أعطينها فدخل رسول الله ﷺ بيته فخلعها وآتاه بها فأعطاه أياها ، ولم يسأله لمَ ؟ وكان قصد الرجل السائل أن تمس جلده بعد أن مست بشرة رسول الله ﷺ لما يره فى ذلك من البركة .

وجاءه مرة رجل يسأل مالاً ، فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع الرجل إلى قومه وقال يا قوم : أسلموا فإن محمد يعطى عطاء من لا يخاف الفقر ، أو قال من لا يخشى الفاقة .

وبايع مرة جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فى جمل له ، قد كل من السفر فباعه إياه بكذا مائة درهم ، ولما جاء يتقاضاه الثمن أعطاه الثمن والجمل معاً ، الله أكبر فماذا عسانا أن نذكر هذا من كرم محمد ﷺ أنه بحق أكرم من على الأرض بلا نزاع .

عدله :

إن المثالية فى عدل محمد ﷺ ، والعدل خلق من أخلاق النفس الكاملة ، تتجلى فى مواقف عديدة كانت له ﷺ وإنا لنكتفى منها بذكر موقفين فقط .

الأول : أنه لما سرقت المخزومية وجاء أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه جاء مدفوعاً برجالات قريش ليشفع لها عند رسول الله ﷺ ليسقط عنها حد السرقة وهو قطع يدها ، قال له الرسول ﷺ وهو غضبان : أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها .

وثانيهما : أنه ﷺ عدل صفوف أصحابه المجاهدين فى وقعة بدر ، وكان بيده قدح من القداح يعدل به الصفوف للقتال ، فرأى سواد بن غزية حليف بنى عدى بن النجار متقدماً على الصف فطعن فى بطنه بالقدح الذى بيده وقال : استو يا سواد ، فقال يا رسول الله : أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى من نفسك ، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، وقال : استقد . إن فى هذين الموقفين من مظاهر العدالة مالا يقادر قدره .

شجاعته :

إن شجاعة قلب النبى ﷺ لم تكن أقل من شجاعة عقله ، إنه قد بلغ فيها بحق المثالية التى لا توصف ، وناهيك فى إثبات هذا الخلق العظيم أن يقول أفذاذ الأبطال كعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، وغيرهم ممن عرفوا بالبطولات النادرة ، والشجاعات الفذة أن يقولوا : « كنا إذا حمى الوطيس واشتد البأس نلوذ برسول الله ﷺ نتقى به » .

وشاهد آخر : قد انهزم الجيش الإسلامى يوم حنين هزيمة منكرة وتفرق رجاله هاربين فى كل واد ، ويثبت رسول الله ﷺ كالجبل الأشم فى الميدان يقاتل وحده وينادى أصحابه فثابوا إليه وقاتلوا معه حتى انتصروا وهزموا أعداءهم شر هزيمة .

وشاهد آخر : على شجاعته ﷺ هو شهادة أنس بن مالك بقوله كما روى ذلك مسلم : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاها رسول الله ﷺ راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس أبى طلحة عرى فى عنقه السيف وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا » .

وحسبنا دليلا على شجاعة رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ **فقاتل فى سبيل الله لا تكلف نفسك وحرض المؤمنين** ﴾ (١) فلولا علم الله تعالى بما وهب رسوله من الشجاعة التى لا توجد عند غيره لما كلفه بأن يقاتل وحده .

إن شخصاً يكلف بالقتال وحده ، وقتال من ؟ إنه قتال كل أهل الكفر على الأرض ، وما على الأرض يومها إلا كافراً باستثناء تلك الحفنة المؤمنة من أصحابه رضى الله عنهم لشخص هو أشجع من طلعت عليه الشمس وغربت فى دنيا الناس ، ذلك هو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وأخيراً : إن هذا الكمال الخلقى الذى أصبح به محمد رسول الله ﷺ أكمل إنسان وأفضله وأعظمه على الإطلاق ، الأمر الذى أهله بحق لأن يكون مثالا أكمل للدعاة الصالحين ونموذجاً نادراً بين كل دعاة الحق والخير فى دنيا الدعوة والدعاة ، إنما هو مستمداً من مصدر كل كمال ، ونابع من فيض ربانى لا يعرف النضوب ولا يغيض ، ولكنه سلسبيل

(١) النساء : ٨٤ .

متدفق لا يقف ولا ينتهى ذلكم هو القرآن الكريم الذى استمد منه محمد رسول اللّه ﷺ كماله النفسى والخلقى فكان مثالاً للكمال البشرى فى هذه الحياة ، ولقد صدقت أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى اللّه عنها وقد سئلت عن خلق رسول اللّه ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن » .

وها هى ذى أوصافه ﷺ فى القرآن تلك الأوصاف التى استحق بها أن يكون خير الدعاة بل سيدهم وإمامهم ولا فخر ، فلنوردها ذكراً ولنورد الخاطر عليها ورداً .

وصفه ربه تعالى بكمال الخلق وعظمته فقال من سورة القلم : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجراً غير ممنون ، وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (١) .

ووصفه بكامل الرأفة وعظيم الرحمة بما لم يصف به غيره من صالحى عباده فقال تعالى من سورة التوبة : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ (٢) .

ووصفه بكمال العدالة ، وحمل شرف الرسالة ، وقوة الهداية فقال تعالى من سورة الأحزاب : ﴿ **إنا أرسلنك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ (٣) .

ووصفه بالمزكى للنفوس المهذب للأخلاق والمثقف للعقول المطهر للأرواح فقال تعالى من سورة الجمعة : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ (٤) .

ووصفه بأنه برهان على نفسه فى إثبات رسالته وتقرير نبوته وكمال هدايته لخلقه قال تعالى من سورة النساء : ﴿ **يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ، فأما الذين آمنوا باللّه واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيما** ﴾ (٥) .

ووصفه بكمال الشجاعة وقوة الاعتصام باللّه والتوكل عليه فقال من سورة النساء والأعراف : ﴿ **فقاتل فى سبيل اللّه لا تكلف إلا نفسك** ﴾ (٦) .

---

(١) القلم : ١ ــ ٤ . (٢) التوبة : ١٢٨ . (٣) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦

(٤) الجمعة : ٢ . (٥) النساء : ١٧٤ ، ١٧٥ . (٦) النساء : ٨٤ .

وقال : ﴿ **قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ، إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين** ﴾ (١) .

ووصفه بكمال العبودية له وشرفه باختصاصه به دون سواه من سائر عباده الصالحين فقال تعالى من سورة الجن : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا** ﴾ (٢) وقال من سورة الإسراء : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ (٣) .

ووصفه بأنه الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر المحل للطيبات المحرم للخبائث ، وهى صفات عظيمة وكمالات عديدة مازه بها وفضله بمثلها تعظيماً له وتكريماً فقال تعالى من سورة الأعراف : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ (٤) .

هذه بعض صفات الكمال المحمدى فى القرآن الكريم وغيرها كثير اكتفينا بها إشارة إلى أن الكمال المحمدى فى النفس والخلق إنما هو مستقى من فيض القرآن الذى هو ينبوع الكمالات وبحر الفيوضات ، وها نحن نذكر طرفا آخر مما أدب الله تعالى رسوله فكمله وللمعالى أهله ورفعه فجعله أسوة للمؤمنين وقدوة للصالحين ، ولنعرف بذلك سر الكمال المحمدى الذى أصبح به أنموذج الدعاة الصالحين ، وأفضل الخلق أجمعين .

قال تعالى له وهو يؤدبه : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ (٥) .

وقال له : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾ (٦) .

وقال له : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾ (٧) .

وقال له : ﴿ **فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل**

---

(١) الأعراف : ١٩٥ ، ١٩٦ . (٢) الجن : ١٩ . (٣) الإسراء : ١ .
(٤) الأعراف : ١٥٧ . (٥) الأعراف : ١٩٩ ، ٢٠٠ . (٦) فصلت : ٣٤ .
(٧) آل عمران : ١٥٩ .

غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ، ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ، وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ (١) .

وقال له : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا ، إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدني ربي لأقرب من هذا رشدا ﴾ (٢) .

وقال له : ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ، فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا ، واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما ، واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما يعملون خبيرا ، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ (٤) .

وقال له : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ (٥) .

وقال له : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين ﴾ (٦) .

---

(١) طه : ١٣٠ ــ ١٣٢ . (٢) الكهف : ٢٣ ، ٢٤ . (٣) الإنسان : ٢٣ ــ ٢٦ .

(٤) الأحزاب : ١ ــ ٣ . (٥) المائدة : ٤٩ . (٦) الجاثية : ١٨ ، ١٩ .

نماذج أخرى من الدعاة الصالحين

« أبو بكر الصديق »

إن عرضنا لهؤلاء النماذج من الدعاة الصالحين لم يكن المقصود منه استيفاء كل كمال كانوا عليه فى حياتهم ، فإن ذلك يتطلب منا وقتاً وجهداً فى حين أن الجانب المهم فيما نتوخاه من حياة هؤلاء النماذج الصالحين هو جانب الدعوة إلى اللّه تعالى ، فنعنى بإبرازه ليكون قدوة لنا ومثالا صالحا لنحتذيه ، ننسج على منواله ، عسى اللّه تعالى أن يهبنا بعض ما وهبهم من الإخلاص له فى الدعوة للّه تعالى والصدق فيها والجد الذى لا يعرف الهزل والعمل الذى لا يعرف الكلل ولا الملل .

لقد كانت النماذج الأولى التى استعرضنا جوانب حياة الدعوة فيها هى أعاظم الرسل من أولى العزم عليهم الصلاة والسلام ، هم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ أجمعين .

أما المجموعة الثانية من نماذج الدعاة الصالحين فهى الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى رضى اللّه عنهم أجمعين .

ولنبدأ استعراضنا بأبى بكر الصديق ، فمن هو أبو بكر الصديق ؟ إنه عبد اللّه بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى .

كنى أبى بكر ولقب بالعتيق ، والصديق وهما لقبا شرف وكمال فالأول من العتاقة التى هى الحسن والجمال فى الوجه ، والثانى من الصديقية التى هى أسمى ألقاب الصالحين فى الحياة وكأن ذلك لصدقه وتصديقه فهو أول من أمن من الرجال بالرسول ﷺ وصدقه فيما جاء به وقد قال ﷺ ما معناه : « ما من أحد عرضت عليه الإسلام إلا وكانت له كبوة إلا أبا بكر رضى اللّه عنه » .

هذا هو أبو بكر بن أبى قحافة من حيث اسمه وكنيته ولقبه ونسبه .

أما أبو بكر من حيث كمالاته النفسية والخلقية ، والتى هى مدار الأسوة للدعاة الناشئين فنستعرض طرفا منها فنقول : إن فضل أبى بكر نتركه للرسول ﷺ وحده يذكره لنا ويقف بنا عليه ، فما هناك من هو أصدق من رسول الله ، ولا أعرف بأبى بكر الصديق منه فلنستمع إلى أعظم بيان فى هذا الشأن ، روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من أمن الناس على فى صحبته وماله ، أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام » .

إن هذا الخبر الصادق يعلن عن سمو أبى بكر وعلو شأنه بحيث لا ينبغى لأحد أن يطمع فى درجة أبى بكر بحال من الأحوال ، ولو اكتفينا بذكر هذا الخبر فى بيان فضل أبى بكر لكان كافياً ، غير أن حبنا للصديق يأبى علينا أن لا نذكر المزيد من فضائله .

أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن تبع منكم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، فقال رسول الله ﷺ : ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة » .

وأخرج البيهقى فى كتابه شعب الإيمان عن عمر رضى الله عنه : لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم .

عفته :

ومن كمالات الصديق النفسية والخلقية التى اشتهر بها بين قومه فى الجاهلية قبل الإسلام : أنه لم يشرب خمرا قط ولم يقل شعرا كذلك ذكر هاتين الخلتين لأبى بكر بن عساكر حيث روى ذلك عن عائشة رضى الله عنها بسند صحيح قالت : والله ما قال أبو بكر شعرا قط فى جاهليته ولا فى إسلامه ، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية .

وهذا دال على كمال الرجل العقلى ومدى مروءته تأبى عليه أن يسف فى قول أو عمل يتنزه عنهما عظماء الرجال ، وهذا الكمال هو الذى رشح أبا بكر الصديق للدعوة إلى الإسلام قد دعا أخيار قريش فى الجاهلية إلى الإسلام فأجابوه طواعية واختيارا وهم من كانوا كبار الصحابة وخيارهم فيما بعد كعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ،

وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام وغيرهم من رجالات الإسلام بمكة . ذكر ابن عساكر الرواية التالية وأنها مع غرابة سندها لا تتعارض مع حياة الصديق وتطلعاته إلى الكمال حتى فى عهد الجاهلية قبل الإسلام قال فيها ابن عساكر : قيل لأبى بكر الصديق فى مجمع من أصحاب رسول اللّه ﷺ : هل شربت الخمر فى الجاهلية ؟ فقال : أعوذ باللّه ، فقيل له : ولم ؟ قال : كنت أصون عرضى وأحفظ مروءتى فإن من شرب الخمر لم يحفظ عرضه ، وأضاع مروءته ، وكيف يحفظ مروءته أو يصون عرضه من يفسد عليه عقله فيصبح فى حالة سكر ، لا فرق بينه وبين المجانين ، إذ قد يقول الهجز ويأتى العهر وهو لا يرى ما قال ولا ما فعل ، والعياذ باللّه تعالى .

كمال عقله :

إن كمال العقل فى المرء مصدر شرفه وينبوع كملاته ، ومن أوتى كمال العقل تأهل للعبادة بين الناس والشرف فيهم والسلطان عليهم ، وإن حظ الصديق من كمال العقل كان وافرا كبيرا ، ولنورد تدليلا على ذلك بعض مظاهر ذلك لنشاهد من خلالها كمال عقل الصديق رضى اللّه عنه فنقول :

١ ـ إسلامه المبكر الذى لم يسبقه فيه أحد من رجال قريش أبدا بشهادة الكثيرين كعلى بن أبى طالب ، وزيد بن أرقم ، وابن عباس وغيرهم وفى ذلك قال حسان بن ثابت شاعر رسول اللّه ﷺ والدعوة الإسلامية رضى اللّه عنه :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة … فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البريئة أتقاها وأعدلها … إلا النبى وأوفاها بما حملا

والثانى التالى المحمود مشهده … وأول الناس منهم صدق الرسلا

٢ ـ ثناء الرسول ﷺ عليه فى غير موطن من مواطن الشرف والكمال . أخرج البخارى عن أبى الدرداء رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « هل أنتم تاركون لى أصحابى ؟ أنى قلت : أيها الناس إنى رسول اللّه إليكم جميعا ، فقلتم : كذبت ! ! ! وقال أبو بكر : صدقت ! ! !

وأخرج االترمذى عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ما

لأحد عندنا يدا إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه اللّه بها يوم القيامة ، وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر » .

ولننه الحديث عن كمال عقل أبى بكر الصديق بالإشارة إلى أحداث جسام تجلى فيها عقل أبى بكر ورجحانه بما لا تزيد عليه .

الأولى : ثباته يوم وفاة الرسول حيث ذهلت العقول ، وطاشت الأحلام وقال عمر : ما قال [1] فقام أبو بكر يخطب الناس ويهدىء من روعهم ، ويسكن من نفوسهم . ويقول : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حى لا يموت ، وقرأ : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئا وسيجزى اللّه الشاكرين** ﴾ [2] .

الثانية : لما قبض رسول اللّه ﷺ ونجم الشر وارتد من ارتد من العرب وقالوا : نصلى ولا نزكى ، أتى عمر رضى اللّه عنه أبا بكر وقال له : يا خليفة رسول اللّه تألف الناس وارفق بهم وإنهم بمنزلة الوحش فقال : له أبو بكر رجوت نصرتك ، وجئتنى بخذلانك ، جبارا فى الجاهلية خوارا فى الإسلام ؟ ؟ بماذا عسيت أن أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى هيهات هيهات ، مضى النبى ﷺ وانقطع الوحى ، واللّه لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى ، وإن منعونى عقالا .

والثالثة : هى استخلافة عمر بن الخطاب على المسلمين ذلك الاستخلاف الذى لم تر الدنيا خيرا منه قط إلا ما كان من استخلاف رسول اللّه ﷺ له رضى اللّه عنه ، ذلك الاستخلاف الذى بدأه باستشارة خيار أصحاب رسول اللّه ﷺ واحد واحدا ، فقد استشار عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وسعيد بن زيد ، وأسيد بن حضير فى أناس من المهاجرين والأنصار وذلك لما ثقل فى مرضه الذى توفى فيه ، وقد قال له بعض : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته ؟ وقال أبو بكر باللّه تخوفنى ؟ أقول : اللهم إنى استخلفت عليهم خير أهلك ، أبلغ عنى ما قلت من وراءك ثم

---

(١) قول عمر رضى اللّه عنه كما رواه أبو هريرة : أن رجالا من المنافقين يدعون أن رسول اللّه ﷺ قد توفى ، وأن رسول اللّه ﷺ ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران ، وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ، وواللّه ليرجعن رسول اللّه كما رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول اللّه مات .

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

دعا عثمان فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب ، إنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا ، وإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيرا ، فإن عدل فذلك ظنى به ، وعلمى فيه ، وإن بدل فلكل امرىء ما اكتسب والخير أردت ، ولا أعلم الغيب ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ [1] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أمر بالكتاب فختمه ، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً ، فبايع الناس ورضوا به .

فكان فى هذه الخلافة من عز الإسلام وامتداد سلطانه ، ونصرة المسلمين وصلاح حالهم ما لم يكن يخطر على بال أحد ، فدلت هذه وسابقتاها على ما أوتى أبو بكر من رجاحة العقل ، وكماله وكمال العقل ورجاحته من ضروريات الداعى الناجح ومن أخص صفاته الكمالية .

شجاعته :

إن الشجاعة القلبية لا تقل أهمية عن الشجاعة العقلية بالنسبة لدعاة الحق والخير من رجال الدعوات بين الناس ، وإذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مضرب المثل فى رجحان العقل وكماله وقد وقفنا على مظاهر ذلك فى الكلمة السابقة فإن الصديق كان فى باب الشجاعة القلبية مضرب المثل أيضا ، ولنكتف فى التدليل على ذلك وإثباته ببعض الوقائع فقط إذ لا يخامرنا شك أبدا فى شجاعة أبى بكر الصديق ولنترك للبزار يذكر لنا فى مسنده الحديث الطريف التالى : قال : قال على رضى الله عنه : أخبرونى من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت ، فقال : أما أنى ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه ، ولكن أخبرونى من أشجع الناس ؟ قالوا : لا نعلم فمن ؟ قال أبو بكر الصديق : إنه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشا ، فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً سيفه على رأس رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحدا من المشركين ، فهو أشجعنا .

إن شهادة بطل كعلى طبقت شهرة شجاعته الآفاق لأكبر دليل على شجاعة أبى

(١) الشعراء : ٢٢٧ .

بكر الصديق ، وها هو ذا على مرة أخرى يذكر من شجاعة أبى بكر ما يبهر العقل ويقرر تفوق أبى بكر الصديق على أصحاب رسول الله ﷺ فى الشجاعتين العقلية والقلبية ، قال على رضى الله عنه : ولقد رأيت رسول الله ﷺ وقد أخذته قريش ، هذا يجبأه (يبغته) وهذا يتلتله (يحركه ويزلزله) وهم يقولون : أنت الذى جعلت الآلهة إلها واحدا ؟ قال على : فوالله ما دنا أحد منا إلا أبو بكر ، فكان يضرب هذا ويجبأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول : ويلكم ﴿ **أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله** ﴾ (١) .

وأخيرا فقد أخرج البخارى عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ فقال : رأيت عقبة بن أبى معيط جاء إلى النبى ﷺ وهو يصلى فوضع رداءه فى عنقه فخنقه به خنقا شديداً فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه وقال : « ﴿ **أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾ (٢) إن تقدم أبى بكر لدفع عقبة بن أبى معيط وتخليص رسول الله ﷺ من أذاه ودفع ذاك الشقى عليه لعائن الله على مرأى ومسمع من رجالات قريش المتواطئة على الجريمة الراضية بما صنع أخوهم لموقف بطولى ينم على شجاعة نادرة لمن قام به وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه .

جـوده وكـرمـه :

إن الجود والكرم من صفات الكمال فى الإنسان ، وما زالت البشرية منذ أن كانت تقدس هذين الوصفين فى الإنسان وتعتبرهما من مظاهر الكمال النفسى فى الإنسان .

بيد أن أصحاب الدعوات والذين يوقفون حياتهم على نصر دعواتهم ، لا مناص من أن يتكلفوا الجود والكرم ، ويوطنوا له النفس على ذلك حتى يصبح الجود والكرم من أخص صفاتهم ، إذ الجود والسخاء والكرم وهى ثلاث وإن اختلفت لفظا فإنها متحدة معنى ، وهى بذل المعروف ، وتقديم الإحسان ، والمبالغة فى ذلك إلى حد الإيثار على الأهل والولد والنفس ، وبذلك يملك الداعى النفوس ، ويجذبها إلى محيط دعوته ، كما قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإحسان إنسانا

وإن أبا بكر الصديق وهو أحد نماذج الدعاة الصالحين من غير النبيين قد كان مع عفته

(١ ، ٢) غافر : ٢٨ .

وكمال عقله وعظم شجاعته جواداً كريما يبذل فى سبيل اللّه ، وينفق على نصرة دينه ورسوله ما لا يبذله غيره ، وذلك ثابت فى السنن .

وحسبنا من ذلك قول الرسول ﷺ المتقدم : « إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا غير ربى خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام » وأصرح من هذا فى بذل أبى بكر فى سبيل نصرة رسول اللّه ودين اللّه تعالى رواية أحمد عن أبى هريرة إذ فيها قوله ﷺ : « ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر رضي اللّه عنه » ، ولما سمع هذا الثناء العطر من فم رسول اللّه ﷺ ينحدر كأنه الغمام على قلب ظمآن ، بكى رضى اللّه عنه وقال : هل أنا ومالى إلا لك يا رسول اللّه ! ! !

وأقوى من هذا أيضا رواية الترمذى عن أبى هريرة وفيها قوله ﷺ : « ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له يدا يكافئه اللّه بها يوم القيامة ، وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر » ! !

وتقول الآثار وهى متواترة بين رجال السلف ونسائهم : أن أبا بكرالصديق أسلم وعنده أربعون ألف دينار من ذهب فأنفقها كلها فى سبيل اللّه نصرة لرسول اللّه ، وإنقاذا للمعذبين من المماليك المؤمنين كبلال وغيره ، وفيه جرى قول اللّه تعالى : ﴿ **وسيجنبها الأتقى ، الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى** ﴾ (1) .

ولا ننسى أن نسينا ما قال أبو قحافة لما هاجر أبو بكر ، وما صنعت معه حفيدته أسْماء بنت الصديق ، إذ لو ترك أبو بكر لأهله مالا لما وضعت أسماء الحجارة فى كوة المنزل ووضعت عليها منديلا وقالت للشيخ تطمئنه ، وتبدد من مخاوفه : ضع يدك ياجدى على هذا فإنه قد ترك لنا أبو بكر فلم نرزأ فى ماله إن رزئنا فى نفسه .

وما دمنا نورد هذه الشواهد لا لندلل بها على كرم أبى بكر فحسب بل لنحيى فى نفوسنا ونحن نتهيأ لحمل رسالة دعوة الإسلام هذا الخلق الكريم ، خلق الجود والسخاء والكرم لضرورة الدعوة والداعى إليه ، فإننا سنعرض مسابقة عمر وأبى بكر فى هذا المضمار كما رواها أبو داود والترمذى علنا نخرج منها وقد أشبعت أرواحنا بمعانى البذل فى سبيل اللّه ، وتهيأت نفوسنا لذلك ، وأصبحنا بحمد اللّه نضرب فى هذا السبيل بسهم غير قصير ولا قليل .

---

(1) الليل : ١٧ ـ ٢١ .

وهذا عرض المسابقة قال عمر رضى اللّه عنه : أمرنا رسول اللّه ﷺ أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا عندى ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يوما - فجئت بنصف مالى ، فقال لى رسول اللّه ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله .

وأتى أبو بكر رضى اللّه عنه كل ما عنده - فقال رسول اللّه ﷺ : يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم اللّه ورسوله فقلت : لا أسبقه فى شىء أبدا .

انتهت المسابقة كما هو ظاهر بفوز الصديق وسبقه ، وفضل السبق يظهر فى كون المسبوق عمر بن الخطاب أزهد الناس فى الدنيا ، وأقوى الناس فى فعل الحق وقوله ، والسؤال هو ما نصيبنا نحن من هذا الخلق الضرورى للداعى ؟ إنه بإجراء الخاطر على مثل هذا الأمثال لأعاظم الرجال لانعدم روح الجود ، ولا نفقد نفسية الكرم ، وإن ما أنصح به الداعى الناشىء أن يمرن نفسه ويروضها شيئاً فشيئاً على اكتساب هذه الخلال والاتصاف بهذه المعانى الروحية الكريمة ، وأنه لا بد أخد منها بنصيب غير قليل لا سيما عبد هيأه اللّه تعالى لدعوة عباده إليه فسوف يمده بكل ما يؤهله لذلك ، وإنا والحمد للّه لواجدون من ذلك أثرا فى نفوسنا ، وإن كان يقل أحياناً ويكثر أخرى .

علم أبى بكر رضى اللّه عنه :

ومن جود أبى بكر إلى علمه وفقهه رضى اللّه عنه :

إن الجانب العلمى فى حياة الداعى يعتبر من أهم جوانب حياته إذ بدون العلم بدعوة اللّه تعالى والفقه فى أسرارها والبصيرة فى شرائعها وأحكامها ، لا يتأتى للمرء مهما كان صادقاً مخلصاً أن يدعو إلى اللّه تعالى ، ويفيد الناس بدعوته أن من لا يعرف اللّه تعالى ولا يعرف الطريق الموصل إليه سبحانه وتعالى ، ليس من حقه ولا من شأنه الدعوة إليه إذ فاقد الشيء لا يعطيه .

ولما كان أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه أحد نماذج الدعاة الصالحين كان لابد من الكشف عن جانب حياته العلمية والفقهية ليقتدى به فى ذلك ويؤتسى ، إذ الغرض من دراسة هذه الشخصيات التى لمعت اسماؤها فى دنيا الدعوة وازدهرت بدعوتها الحياة هو الاقتداء بهم وتقمص حياتهم ، ليكون المقتدى بهم خلفا لهم فى دعوتهم ، يبلغها كما بلغوها ، ويبينها للناس كما بينوها وبذلك تتصل حلقات الدعوة ويستمر هدى اللّه فى الناس .

إن أبا بكر الصديق على جانب كبير فى العلم والفقه ، إذ كان كبار علماء الصحابه يعترفون له بذلك ويعدونه أعلمهم وأفقهم فى دين اللّه تعالى ، ولنذكر شواهد ذلك براهين على علم أبى بكر وكماله فيه وعلى فقهه فى شرع اللّه وتفوقه فيه ولما عسانا أن نكتسب من علم أبى بكر وفقهه .

١ ـ روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنه أن النبى ﷺ خطب يوما فقال : إن اللّه تعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند اللّه تعالى ، فبكى أبو بكر ، وقال نفديك بآبائنا وأمهاتنا ، وقال أبو سعيد : فعجبنا لبكاء أبى بكر ، وقلنا : يخير اللّه عبدا من عباده بين الدنيا وبين ما عنده فيختار ما عنده فيبكى أبو بكر ، ولكن لم يلبث حتى عرفنا أن المخبر هو رسول اللّه ﷺ ، وأن ذلك كان نعيا لحياة رسول اللّه ﷺ لنا ، فعرفنا أن أبا بكر كان أعلمنا .

٢ ـ قوله رضى اللّه عنه في أهل الردة كما هو فى الصحيح : واللّه لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة واللّه لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول اللّه ﷺ لقاتلتهم عليه . هذا القول منه رضى اللّه عنه دل على طول باع أبى بكر فى العلم وعلى سعة آفاقه فى فهم نصوص الشريعة ومعرفة أسرارها ، وكيفية وجه الاستنباط منها إذ قال الزكاة أخت الصلاة ، فواللّه لأقاتلن من فرق بينهما واندهش الصحابة لموقف أبى بكر وعلى رأسهم عمر ولكن لم يلبثوا إلا قليلا حتى ظهر لهم الحق واستصوبوا رأى أبى بكر فى المسألة وقاتلوا أهل الردة حتى خضعوا للإسلام .

٣ ـ موقفه رضى اللّه عنه من صلح الحديبية ورضاه به وسكون نفسه إليه فى حين اضطرب عمر رضى اللّه عنه وقال ما لا ينبغى أن يقال إزاء قضاء رسول اللّه ﷺ وحكمه الأمر الذى جعل عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ ، مخافة لكلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيرا .

وبيان الحادثة كما فى البخارى وسيرة ابن هشام أنه لما التأم الأمر بين الرسول ﷺ وقريش ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر رضى اللّه عنه فأتى أبا بكر رضى اللّه عنه وقال : يا أبا بكر أليس برسول اللّه ؟ قال : أبو بكر بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى : قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر إلزم غرزه ، فإنى أشهد أنه رسول اللّه ، قال عمر : أنا أشهد أنه رسول اللّه ، ثم أتى

رسول اللّٰه فقال : يا رسول اللّٰه ألست برسول اللّٰه ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : فعلام تعطى الدنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبد اللّٰه ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى .

لقد قارن أهل العلم بين موقف أبى بكر من هذه القضية وبين موقف عمر رضى اللّٰه عنهما فخرجوا بنتيجة حاسمة ألا وهو فقه أبى بكر وسعة علمه ، وأنه أعلم أصحاب رسول اللّٰه ﷺ على الإطلاق .

وهناك مظاهر كثيرة تجلى فيها فقهه وعلمه رضى اللّٰه عنه .

حسبنا منها قول النبى ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب اللّٰه » ، وقوله فى رواية الترمذى : « لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره » .

حلمه وتواضعه :

وبما أن الحلم والتواضع من مكارم الأخلاق والداعى الصادق فى دعوته لا غنى له عنهما بحال من الأحوال ، إذ ضد الحلم السفه والطيش ومقابل التواضع الكبر والعياذ باللّٰه ، فمن هنا نذكر بعض مظاهر هاتين الخلتين الكريمتين فى أبى بكر الصديق وهو أحد نماذج الدعاة الصالحين بعد الأنبياء المرسلين فنقول ذكر السيوطى فى كتابه تاريخ الخلفاء الراشدين أن ابن عساكر رحمه اللّٰه تعالى أخرج فى كتابه أن أنيسة قالت : نزلت بفناء أبى بكر ثلاث سنين قبل أن يستخلف ، وستة بعدما استخلف ، فكان جوارى الحى يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن ، إن عملا كهذا أبو بكر الوزير والصاحب الأول والصديق الأوفى لرسول اللّٰه ﷺ ، ثم وهو خليفة المسلمين كافة يتنازل فى تواضع لا نظير له عند أمثاله فى دنيا الناس أبدا فيحلب لجوارى الحى أغنامهن ، إنما لمثل فى التواضع لا يسامى فيه أبو بكر ولا يدانى بحال من الأحوال .

وأخرج ابن عساكر أيضا عن أبى صالح القفارى أن عمر بن الخطاب رضى اللّٰه عنه كان يتعهد عجوزا كبيرة من النساء عمياء فى بعض أطراف المدينة يسقى لها ويقوم ببعض أمرها وذلك من الليل ، فكان يأتيها أحيانا فيجد غيره قد سبقه إليها فسقى لها وقضى بعض حاجاتها فحاول عمر أن لا يسبقه إلى خدمة هذه العجوز فكان يسبقه فعزم عمر على أن يرصده ليعرف من هو السباق للخير فوجده أبا بكر الصديق ، والعجب فى ذلك أنه كان يفعل ذلك أيام خلافته رضى اللّٰه عنه فقال عمر لما تبين له أنه أبو بكر : أنت هو لعمرى !

فهذه كالتي سبقت من مظاهر التواضع الفذ النادر الذي لم يعرف به أحد غير أبي بكر الصديق رضى اللّه عنه ، وأخرى فقد روى عنه رضى اللّه تعالى عنه أنه كان إذا مدح يقول : « اللهم أنت أعلم منى بنفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ، وأغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون » .

هذا عن تواضع أبى بكر رضى اللّه عنه أما حلمه فالحديث عنه يطول ومن أحلم من أبى بكر ؟ أخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن الأصبهانى قال : جاء الحسن بن على رضى اللّه عنهما إلى أبى بكر وهو على منبر النبى ﷺ فقال : أنزل عن مجلس أبى ، فقال صدقت : إنه مجلس أبيك وأجلسه فى حجره وبكى ، فقال على رضى اللّه عنه : واللّه ما هذا عن أمرى فقال أبو بكر : صدقت ، واللّه ما أتهمك .

إن هذه الحادثة إن تمت على وجهها كما رويت تكشف عن مدى حلم أبى بكر الصديق وتجعله بحق مضرب المثل فى الحلم وضبط النفس ورباطة الجأش ، وصدق القول وسلامة الصدر ولنستعرض جزئيات الحادثة مفصلة ليتبين لنا وجه الكمال النفسى فيها ، ونظهر حقيقة الحلم الذى كان خلق أبى بكر رضى اللّه عنه .

يجلس أبو بكر على منبر رسول اللّه ﷺ وهو خليفته فى أمته بإشارته ﷺ وإجماع الأمة عليه ، فيأتيه من يقول له : إنزل من على منبرنا فإنه مجلس أبينا وجدنا ، فلا يتردد أبو بكر فى اعترافه بالحق فيقول : نعم إنه مجلس أبيك ولا يكتفى بدل الغضب بالاعتراف الصريح ، بل يرفع الغلام المنحنى له العاقب عليه فى حجره ويبكى ، وما أبكته كلمة الحسن ، وإنما أبكاه فراق رسول اللّه ﷺ ، ويتفطن أبو الحسن لتصرف ولده الصغير الذى حمله فقد جده الذى كان يجلس على منبره فيأتيه فيجلسه ومعه عليه فيقول لأبى بكر : إنزل عن مجلس أبى وهى كلمة مثيرة للغاية ولو كانت من صبى صغير لا يعقل ، إذ قد يظن أن الغلام مدفوع لأن يقول هذا ، وهو ما جعل أبا الحسن رضى اللّه عنهما يقول لأبى بكر مقسما له باللّه تعالى : أن هذا ما صدر عن أمره ، وإنما هو من تعرف الحسن فقط ، وعرف أبو بكر نفسية ابن عم رسول اللّه وخاف إن ظن به غير رحابة الصدر وسلامة النية وطيب الطوية فبادر بتصديقه ونفى التهمة عليه بقوله : صدقت وواللّه ما أتهمك .

ولنكتف فى الاستشهاد على حلم أبى بكر وتواضعه بهذا أسلفنا ونحن نعلم أن كمال أبى بكر النفسى الذى نظمه فى سلك الدعاة الصالحين ، ولا يأتى عليه قول ، ولا تتسع له الصفحات مهما كبرت وطالت .

حسن سياسته :

إن الكمال النفسى الناجم عن الإيمان الكامل والعلم الواسع والتقوى العامة ، يؤهل صاحبه لحسن السياسة وسلامة الحكم وقوة القيادة والحكمة فيها وهذا الذى تم للصديق بحذافيره وبرز فيه مكان مثال الحاكم العادل ، والسياسى البارع والقائد المظفر الرشيد ويكفينا شاهدا على كمال أبى بكر فى رشده وحسن سياسته ، وعظمة قيادته ، من عشرات الشواهد والتى من أبرزها إعلان الحرب على المرتدين ، وقتالهم إلى أن أخضعهم للإسلام وعادوا إليه ، وتسيير جيش أسامة الذى عبأه رسول الله ﷺ ، وحال دون تحركه وخروجه إلى بلاد الشام مرض رسول الله ﷺ ثم وفاته فإن أبا بكر - والفتنة قائمة والمسلمون فى أحرج المواقف وأصعب الأحوال قد أنفذ جيش أسامة كما أراد الله ورسوله فكان فى ذلك من الخير والنصرة للإسلام والعزة مالا يقادر قدره .

أقول : يكفينا من شاهد خطبته التى خطبها بعد أن تمت بيعته خليفة لرسول الله ﷺ على المسلمين ، فقد رسم فى تلك الخطبة التاريخية الشهيرة سياسة فى الحرب والسلم وفى الحكم والقضاء كما فى القيادة والتدبير فقال : يا أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له إن شاء الله تعالى والقوى فيكم ضعيف عندى حتى أخذ الحق منه إن شاء الله تعالى ولا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا قوم ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى يوم قط إلا عمهم الله تعالى بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

ففى هذه الخطبة الموجزة الفصيحة البليغة قرر أبو بكر بيعة المسلمين له فى تواضع كامل ، حيث قال : قد وليت عليكم ولت بخيركم ، وقابل فيها الإحسان بالإساءة ، وطالب بايعيه بإعانته فى حال إحسانى فى حكمهم وإدارة شؤونهم ، وبتقويمه وتسديده فى حال خطئه وإساءته كما أعلمهم أن القوى والضعيف أمام الحق متساويان ، وأنه لا بد من إنصاف القوى من الضعيف مهما كانت قوة القوى وضعف الضعيف ، وأعلن مبدأ الجهاد وقرره ودعا إلى القيام به ، وحذر من الخيانة والفساد والشر وختم خطابه بتقرير مبدأ البقاء للإصلاح بقوله : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فيكم ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة عليكم » ، فاشتمل خطابه على دعائم سياستة وخطط حكمها فضرب بذلك

المثل واستلم من يومئذ القيادة وساس الأمة بما رسم من خطوط فكان أشبه بنبى فى أمة بعد نبيها محمد ﷺ .

وفاته رضى اللّه عنه :

ولم تكتمل الثلاث سنوات التى تولى فيها أبو بكر الصديق المسلمين حتى وافاه أجله فتوفى فى بيته نتيجة مرض لازمه قرابة نصف شهر ودفن بجوار نبيه وحبيبه ولحقت روحه بالرفيق الأعلى فسلام اللّه عليه ومغفرته ورضوانه .

أخرج الحاكم عن عائشة رضى اللّه عنها أنها قالت : كان أول بدء مرض أبى بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما بارداً فحم خمسة عشر يوما لا يخرج فيها إلى صلاه ، وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وله ثلاث وستون سنة فرضى اللّه عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه .

عمر بن الخطاب

إن كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه الأول فى سلسلة الدعاة الصالحين فى هذه الأمة بعد نبيها ﷺ فإن عمر بن الخطاب يكون الحلقة الثانية من تلك السلسلة فهو أفضل هذه الأمة وأكرمها على ربه تعالى بعد أبى بكر الصديق ، ولا نزاع ، فمن هو عمر يا ترى ؟ وما هى مظاهر كماله التى يقتدى به فيها ، وهو أنموذج من الدعاة الصالحين ؟

وفى الجواب نقول : إن عمر بن الخطاب هو الفاروق ثانى الخلفاء الراشدين ، والده نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى العدوى القرشى ، يكنى أبا حفص ، ولقبه الفاروق لأن الله تعالى فرق بإسلامه بين الحق والباطل من السابقين الأولين ، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وأسلم فى السنة السادسة من البعثة المحمدية ، تقدم إسلامه فلم يسلم قبله إلا أربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة ومن مميزاته أنه قرشى شغل سفارة قريش فى الجاهلية ، أعز الله تعالى بإسلامه الإسلام ، بشر بالجنة وشهد له بها رسول الله ﷺ فى حياته ، وصاهر رسول الله ﷺ حيث زوجه ابنته حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وكان ثانى الخلفاء الراشدين الأربعة ، وله أوليات سما به عن غيره وفاز بها دون سواه منها :

إنه أول من سمى بأمير المؤمنين ، وأول من وضع التاريخ الهجرى ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سن قيام شهر رمضان وأول من عس بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من جلد فى الخمر ثمانين جلده ، وأول من اتخذ الدرة وكانت أهيب من سيف ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول من فتح الفتوح ، ومصر الأمصار وبرد البريد ، وله أوليات غير هذه فحسبنا منها ما ذكرنا .

ومن مظاهر كمالات عمر التى يقتدى به فيها ما يلى :

١ ـ شجاعته :

إن عمر كان مضرب الأمثال فى الشجاعة القلبية والعقلية معا ، والأحداث التالية تجلى لنا حقيقة شجاعة عمر وتظهرها كما هى آية فى بابها لا يشك فيها ولا يرتاب .

أ ـ إعلان إسلامه : فقد روى أنه لما أراد الله إسلامه خرج إلى المسجد الحرام ليلا وقد ضرب أخته المخاض فدخل فى أستار الكعبة ـ لعله يدعو الله تعالى أن يخفف عن أخته ويسهل أمر ولادتها فجاء رسول الله ﷺ فدخل الحجر فصلى ما شاء الله أن يصلى ثم انصرف ، قال عمر : فسمعت ـ يعنى من قراءة رسول الله شيئا لم أسمع مثله ، فخرج ، قال : فاتبعته ، فقال من هذا ؟ فقلت : عمر ، فقال يا عمر : ما تدعنى لا ليلا ، ولا نهارا فحسبت أن يدعو على ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، فقال يا عمر : أسره يعنى أمر إعلان شهادته وإسلامه ، فقلت : لا ، والذى بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك . فلهذه الرواية وهى إحدى روايات وردت فى إسلام عمر رضى الله عنه تدل على شجاعة عمر القلبية والعقلية معا ، فقد أقسم أن يجاهد بعقيدته الإسلامية ولا يبالى بمن ينتقده فيها ولا بمن يؤذيه من أجلها .

ب ـ إعلانه عن هجرته : فقد روى أن المؤمنين لما كانوا يهاجرون من مكة يخرجون منها متسللين مختفين خشية أن يعلم بهم المشركون فيردوهم ويفتنوهم إلا عمر لما أراد الهجرة فإنه أعلن عن هجرته .

أخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال : ما علمت أحدا هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه ، وانتضى فى يده أسهما ، وأتى الكعبة وأشرف قريش بفنائها فطاف سبعاً ثم صلى ركعتين عند المقام ، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال : شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه ويتم [1] ولده ، وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى ، فما تبعه منهم أحد .

جـ ـ شهوده مع رسول الله ﷺ المشاهد الحربية كلها فلم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ قط ، وكان ممن ثبت معه يوم أحد فدل هذا على شجاعة عمر التى هى مضرب الأمثال ، ومناط قدوة للرجال والأبطال .

٢ ـ زهده :

إن الزهد فى الدنيا والإعراض عن طلب زينتها والعزوف عن شهواتها دلالة على كمال إيمان المرء ورجاحة عقله ، إذ الدنيا حقيرة ، وزينتها خداع وشهواتها آلام تدفع بآلام

---

(١) يتم من باب ضرب وعلم .

أشد منها وفى الحديث : « لو كانت الدنيا تساوى جناح بعوضة لما سقى الكافر منها جرعة ماء » .

وفى القرآن الكريم : ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾ (١) .

ومن هنا كان أكمل الناس إيمانا وأرجحهم عقلا من عزف عن الدنيا ، وترفع عنها ، واستهان بشهواتها وتخلى عنها إلا ما كان بلاغا لا بد منه .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه كان مثلا ناطقا فى هذا الباب ، وباستعراضنا لمواقفه التالية تتأكد هذه الحقيقة عندنا ، ويثبت زهد عمر لدينا .

ذكر السيوطى فى كتابه تاريخ الخلفاء الراشدين أن ابن سعد أخرج أن حفصة وعبد الله ابنى عمر وغيرهما كلموا عمر : فقالوا : لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق ؟ قال : أكلكم على هذا الرأى ؟ قالوا : نعم ، قال : قد علمت نصحكم ، ولكنى تركت لعل الصواب تركنى صاحبى على جادة ، فإن تركت جادتهما لم أدركهما فى المنزل .

وذكر القرطبى فى تفسيره عن قتادة أنه قال : ذكر لنا أن عمر رضى الله عنه قال : لو شئت كنت أطيبكم طعاما وألينكم لباسا ، ولكنى ستبقى طيباتى للآخرة ، قال : ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله ، قال : هذا لنا ؟ فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير ؟ !

فقال : خالد بن الوليد : لهم الجنة ، فاغرورقت عينا عمر بالدموع ، وقال : لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام ، وذهبوا هم فى حظهم بالجنة ، فلقد باينونا بونا بعيدا .

وذكر ابن سعد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميصه . وذكر ابن سعد أيضا أن عثمان النهدى قال : رأيت على عمر إزارا مرقوعا بأدم ، وقال : وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة حججت مع عمر فما ضرب فسطاطا ولا خباء كان يلقى الكساء على الشجرة ويستظل تحته ، وقال : قال عبد الله بن عيسى : كان فى وجه عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء .

---

(١) الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥ .

والذى ينبغى أن يذكر هنا ونحن نستعرض زهد عمر من خلال ذكريات حياته الخالدة فى عالم الفضائل والكمالات أن زهد عمر قد تلقاه دروسا عملية من سيد الزاهدين كلهم محمد بن عبد الله ﷺ ، وهذا مسلم يروى لنا الرواية التالية فيقول : إن عمر رضى الله عنه دخل على النبى ﷺ وهو فى مشربته حين هجر نساءه قال : فالتفت فلم أر شيئا يرد البصر إلا أهبا جلودا معطونة قد سطع ريحها ، فقلت يا رسول الله : أنت رسول الله وخيرته ، وهذا كسرى وقيصر فى الديباج والحرير ؟ قال : فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال : أفى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا ، فقلت : استغفر لى ، فقال : « اللهم اغفر له » . فبمثل هذا الدرس النبوى تشبعت روح عمر بمعانى الكمال وأصبح عمر فى ذلك نعم المثال .

٣ ـ عدله :

إن عدل عمر قد طبقت لشهرته الآفاق ، وما هناك من المسلمين من يذكر لديه عمر ولم يذكر عدله فى أمة رسول الله ﷺ يوم استخلف عليها حتى كان لفظ العدل مقرونا فى ذهن كل مؤمن بابن الخطاب رضى الله عنه ، وكعدله لشدته فى الحق وعدم تساهله فى شىء منه ، ولنذكر بعض مظاهر عدل عمر وشدته فى الحق ، ذكر ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال : كنا جلوسا بباب عمر رضى الله عنه فمرت جارية فقالوا : هذه سرية أمير المؤمنين ، قال عمر : ما هى لأمير المؤمنين بسرية ،ولا تحل له ، إنها من مال الله تعالى ، فقلنا : ماذا يحل له من مال الله تعالى ؟ قال : ألا لا يحل لعمر من مال الله تعالى إلا حلتين : حلة للشتاء وحلة للصيف ، وما أحج به واعتمر ، وقوتى وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين ، وقال خزيمة بن ثابت رضى الله عنه : كان عمر إذا استعمل عاملا كتب له واشترط عليه أن لا يركب برذونا ، ولا يأكل فقيا ولا يلبس رقيقا ، ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات ، فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة .

وروى عن ابن جرير قال : أخبرنى من أصدقه أن عمر بينما هو يطوف عاسا متفقدا أحوال الناس ليلا سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وأرقنى أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر : مالك ؟ قالت : أغزيت زوجى منذ أشهر ، وقد اشتقت إليه ، قال : أردت سوءا ؟ قالت : معاذ الله ! فقال : فأملكى عليك نفسك فإنما هو البريد إليه .

فبعث إليه ثم دخل على حفصة فقال : إنى أسائلك عن أمر قد أهمنى فأفرجيه عنى ، كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟ فخفضت حفصة رأسها واستحت ، فقال لها عمر : إن الله لا يستحى من الحق ، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر ، وإلا فأربعة أشهر ، فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر .

وروى أن أبا موسى الأشعرى وكان عاملا لعمر رضى الله عنهما ، وأنه أعطى يوما رجلا من رجاله بعض سهمه فرفض أن يقبله ، فجلده أبو موسى عشرين سوطا ، جز شعر رأسه عقوبة له ، فأخذ الرجل شعره وأتى عمر فشكا إليه ما لقى من عامله أبى موسى رضى الله عنه فكتب عمر إلى أبى موسى : سلام عليك ، أما بعد : فإن فلانا أخبرنى بكذا وكذا فإن كنت فعلت ذلك فى ملأ من الناس فعزمت عليك لقعدت له فى ملأ من الناس حتى يقتص منك ، ، وإن كنت فعلت ذلك فى خلاء من الناس فاقعد له فى خلاء من الناس ، فقدم الرجل على أبى موسى وتعاظم الناس الأمر ، وقالوا له : اعف عنه ، فقال الرجل : لا والله ، لا أدع حقى لرجاء أحد من الناس ، فلما قعد أبو موسى للقصاص رفع الرجل رأسه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى قد عفوت .

ومثل هذه الحادثة وهى من أكبر مظاهر العدل فى الحكم حادثة المصرى الذى سابق ابنا لعمرو بن العاص والى مصر على عهد عمر رضى الله عنه فقد شكا المصرى إلى عمر وقال له : إن الوالى أجرى الخيل وسابقنى ابنه فسبقته ، فغضب ابنه محمد بن عمرو ووثب على يضربنى بالسوط ويقول : خذها وأنا ابن الأكرمين ، فبعث عمر إلى عمرو وابنه محمد ، فقدما إليه من مصر ، فأجلسهما عمر فى مجلس القصاص ، ونادى عمر قائلا أين المصرى وأعطاه الدرة وقال له : اضرب ابن الأكرمين ، فضربه المصرى حتى أخذ حقه منه ، ثم قال عمر بن الخطاب : اجعلها على صلعة عمرو ، فو الله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه . فقال المصرى : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى ، فقال عمر : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه ، ثم التفت إلى عمرو قائلا فى غضب : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ؟

ومن مظاهر العدل الشورى ، وقد عرف عمررضى الله عنه بما لا مجال للشك فيه

أنه كان يستشير أصحابه ويعرض عليهم كل ما يهمه من أمر المسلمين إذا التبس عليه ، ويسترشد بآرائهم ، ويأخذ بما يراه أقرب إلى الحق والصواب في كل ما يشبه عليه من الأمور ويختلط .

والرواية التالية تمثل نموذجا لما يراه عمر فى الشورى ويؤمن به ، روى أنه قال لأصحابه يوما : دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى قالوا : فلان ، قال : لا حاجة لنا فيه ، قالوا : فمن تريد ؟ قال : أريد رجلا إذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، وإذاكان أميرهم كان كأنه رجل منهم ، قالوا : ما نعرف هذه الصفة إلا فى الربيع بن زياد الحارثى قال : صدقتهم فولاه ، ،

وروى أن أهل الكوفة قدموا يوما يشكون أميرهم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم فقال : من يعذرنى من أهل الكوفة إن وليتهم التقى ضعفوه [1] وإن وليتهم القوى فجروه [2] فقال المغيرة بن شعبة : يا أمير المؤمنين : إن التقى الضعيف له تقواه ولك ضعفه ، وإن القوى الفاجر لك قوته وعليه فجوره ، قال : صدقت أنت القوى الفاجر فاخرج إليهم .

٤ ـ علمه :

إن علم عمر بن الخطاب كان مسلما به بين علماء الصحابة رضوان الله عليهم ولو اكتفينا بقول على رضى الله عنه فيه : إذ ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط لكفانا دليلا على علم عمر ، ولو طلبنا شهادة على علم عمر لكفتنا شهادة عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، إذ قال الأول : لو أن علم عمر وضع فى كفة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لرجح علم عمر بعلمهم ، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم أخرجه الطبرانى فى الكبير . وقال الثانى : أى حذيفة رضى الله عنه : كان علم الناس مدسوسا فى حجر عمر .

وليس إدل على علم عمر رضى الله عنه من موافقاته للقرآن الكريم تلك الموافقات

---

(١) ضعفوه : جعلوه ضعيفا بالاحتيال عليه والخروج عن طاعته أو نسبوه إلى الضعف فيكون كاستضعفوه أى نسبوه إلى الضعف وهو العجز .

(٢) فجوره : نسبوه إلى الفجور وهى ارتكاب المعاصى وأصله الميل عن القصد والعدول عن الحق .

التى يرى فيها عمر الرأى فينزل القرآن بموافقته فيمارآه وتقريره ومن ذلك أسرى بدر إذ رأى قتلهم ، ورأى غيره فداءهم فنزل قول الله تعالى : ﴿ **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾ (١) .

ومنه رأيه فى احتجاب نساء الرسول حيث قال للرسول ﷺ : لو أمرت أمهات المؤمنين أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب : ﴿ **فإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ (٢) .

ومنه رأيه فى الصلاة ، خلف المقام وإشارته بذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ (٣) .

ومنه قوله لما تمالأ بعض نساء الرسول ﷺ لغيرتهن فاعتزلهن رسول الله ﷺ : يا رسول الله : ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن ، فإن الله معك والملائكة ، وجبريل وميكائيل ، وأنا ، وأبو بكر ، والمؤمنون معك ، فأنزل الله تعالى قوله :﴿ **عسى ربه إن طلقكن** .... ﴾ (٤) ، الآيتين .

والذى عرف إيمان عمر وتقواه لم يشك فى علمه أبدا ، لأن العلم نور يقذفه الله فى قلوب عباده المؤمنين المتقين ، فليس هو بكثرة الرواية ولا بكثرة الدرس والتحصيل كما يقولون ، وتلك الفراسة القوية التى أوتيها عمر وشهد بها رسول الله ﷺ فى قوله : « لو كان فى أمتى محدثون لكان منهم عمر وشهد بها ابنه عبد الله حيث قال : ما قال أبى فى شىء أظنه كذا ، ، إلا كان كما ظن ما هى إلا من نور علمه وصفاء روحه ، وقوة يقينه .

فعن هذه الثلاث مكتمله تتولد الفراسة ويعظم الفرقان فيصبح صاحبها يقول فلا يخطىء ، ويظن فلا يكذب ، وما أحوج الداعى إلى الله تعالى إلى مثل علم عمر وإيمانه وقوة يقينه ليحظى بالفرقان ويظفر بالفراسة فينجح فى دعوته ، ويصل إلى أقصى ما يريده لها من الذيوع والانتشار .

٥ ــ تواضعه :

إن تواضع عمر رضى الله عنه ليس مقصورا على خدمة الأرامل ، وضعفه المسلمين ، ولا على أكله الخشن ولباسه الخشن ، فإن وراء ذلك ما هو أعظم إنه معرفة الحق والخضوع

---

(١) الأنفال : ٦٨ . (٢) الأحزاب : ٥٣ . (٣) البقرة : ١٢٥ . (٤) التحريم : ٥ .

له وقبوله ممن يقوله ويدعوه إليه ولنكتف فى ذلك بالرواية التالية : خطب عمر الناس يوما فنهى فى خطابه عن التغالى فى المهور فقامت امرأة فقالت : يا عمر أنصدقك أم نصدق قول الله تعالى ؟ وفى لفظ : أيعطينا الله وتمنعنا يا عمر يقول الله تعالى : ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا** ﴾ (١) فقال عمر : صدق الله وكذب عمر ، وأصابت المرأة وأخطأ عمر ، وفى رواية كل الناس أفقه منك يا عمر .

٦ ـ سياسته وقضاؤه :

إن سياسة عمر الرشيدة السديدة التى كان من آثارها الفتوحات العظيمة ، إذ تم على عهد حكمه فتح العراق وفارس والشام وفلسطين ومصر ، وازدهرت على عهده البلاد الإسلامية ازدهاراً لم تزدهر قبله ولا بعده مثله أبداً ، فعز الإسلام والمسلمون ، ونعمت أمة الإسلام بالأمن والرخاء فى كل ديارها ، ومن هنا لم تصبح بنا حاجة إلى ذكر نماذج من أوجه سياسته لأمة الإسلام التى حكمها بإذن الله عمر رضى الله عنه .

أما قضاؤه فحسبنا أن نستعرض له كتابه إلى أبى موسى الأشعرى حيث جمع فيه أصول القضاء وقواعده ، وأتى فيه بما لم يعرفه القضاء فى أى عصر من عصور الأمة الإسلامية خلا عهد رسول الله ﷺ ، وخليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهذا نص الكتاب فلنقرأ متمليه متأملين فيه ، فإنه لوحة مشرفة فى القضاء ، ودستور خالد للقضاه فى دنيا المسلمين ، قال رضى الله عنه : أما بعد :

فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة فعليك بالعقل والفهم وكثرة الذكر ، فافهم إذا أدلى إليك الرجل بالحجة ، فاقض إذا فهمت ، وأمض إذا قضيت فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على المدعى واليمين على من أنكر .

والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً ، وحرم حلالاً ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهى إليه ، فإن جاء ببينة أعطيته حقه وإلا استحللت عليه القضية ، فإن ذلك أبلغ فى العذر وأجلى للعمى ، ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق

---

(١) النساء : ٢٠ .

خير من التمادى فى الباطل ، الفهم الفهم فيما يختلج فى صدرك مما ليس فى كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ ثم اعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى اللّه تعالى وأشبهها بالحق ، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً فى حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنينا فى ولاء أو نسب أو قرابة ، فإن اللّه تولى منكم السرائر وأدرى بالبينات والإيمان ، وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس عند الخصومة ، والتنكر عند الخصومات ، فإن القضاء عند مواطن الحق يوجب اللّه تعالى به الأمر ، ويحسن به الذكر فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه اللّه تعالى ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما ليس فى قلبه شانه ، لأن اللّه تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً .

فما ظنك بثواب من اللّه فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام .

٧ ـ وفاته رضى اللّه عنه :

إن وفاة عمر قد يستغربها المرء إلى حد الإنكار لولا أن أمرها أصبح بين المسلمين من الضروريات التى لا يختلف فيها الإنسان ، مع الإنسان وذلك التواتر العظيم الذى تم لها ، ووجه الغرابة فيها أن عمر الخليفة العادل والإمام الراشد والأمير الصالح الذى أحبه كل المسلمين ، ولم يبغضه حتى الكافرون يموت قتيلاً فى عاصمة الإسلام ، بل فى محراب الصلاة ، والمسلمون يصلون وراءه وهم مئات أو ألوف .

ولكن الذى تبلغه دعوة عمر لنفسه بأن يموت شهيداً بالمدينة المنورة ويعلم استجابة اللّه دعاء أوليائه يبطل استغرابه وينتهى إنكاره فقد صح عنه رضى اللّه عنه أنه كان يسأل اللّه تعالى فيقول : اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ووفاة فى بلد نبيك .

واستجاب اللّه لعمر دعوته وحقق له أمنيته ، ففى يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، طعن عمر رضى اللّه عنه وهو يصلى فى المحراب ، طعنه أبو لؤلؤة المجوسى غلام للمغيرة بن شعبة وبقى يعالج تلك الطعنة حتى توفاه اللّه ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين هجرية فى مثواه الأخير فى حجرة عائشة مع رسول اللّه ﷺ ، والصاحب الصديق أبى بكر رضى اللّه عنه وكان لوفاة عمر من الآثار السيئة على الإسلام والمسلمين ما يعجز المرء عن ذكره والقلم عن حصره ، إذ كانت حياة عمر بابا مغلقاً دون الفتن وبموت عمر انكسر الباب ، وما جت الفتن ، فلم تزل

بالمسلمين إلى يومنا هذا كما جاء ذلك فى صحيح البخارى إذ جاء فيه قول عمر : أيكم يحفظ قول النبى ﷺ فى الفتنة ؟ قال حذيفة : فتنة الرجل فى أهله وماله وولده وجاره ، تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال : ليس عن هذا أسألك ، ولكن التى تموج كموج البحر ، قال : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً ، قال عمر : أيكسر الباب أم يفتح ؟ قال : بل يكسر ، قال عمر : إذا لا يغلق أبداً ، قلت : أجل ، وسئل حذيفة هل كان عمر يعلم أنه الباب ؟ قال : نعم كما أن دون غد ليلة .

عثمان بن عفان

فى سلسلة الدعاة الذهبية يأتى النموذج الثالث وهو عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضى اللّه عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه .

نسبه :

فمن هو عثمان بن عفان ؟ إنه عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى ، الأموى المكنى بأبى عمرو ، والملقب بذى النورين ، صاحب رسول اللّه ﷺ ، مجهز جيش العسرة المبشر بالجنة على بلوى إصابته .

فضائله :

إن لذى النورين عثمان بن عفان من الفضائل والكمالات ما لم يكن لغيره من كثير من الدعاة الصالحين ونماذجهم ، بيد أن الفضائل والكمالات التى هى مجرد عطاء إلهى لا دخل للمرء فى كسبها والحصول عليها لا نحب أن ـ نستعرضها إلا لماما لأن الائتساء بها لا يتأتى للمرء وإنما الائتساء يكون فى الفضائل والكمالات النفسية التى جرت سنة اللّه تعالى باكتسابها والحصول عليها بواسطة الرياضة والجد والعمل ومن فضائل عثمان التى لا مطمع للمرء فى الحصول عليها ، أنه ختن رسول اللّه ﷺ تزوج اثنتين من بناته هما : رقية ، وأم كلثوم ، فقد زوجه النبى ﷺ فى الجاهلية ابنته رقية وأسلم وهاجر فهاجرت معه ، وتوفيت أيام وقعة بدر ، فزوجه رسول اللّه ﷺ بعدها أم كلثوم رضى اللّه عنها ، فتم له أن تزوج بنتين من بنات النبى ﷺ ، الأمر الذى قالت فيه العلماء : إنه لم يتفق لأى إنسان فى هذه الحياة أن تزوج بنتى رسول قط إلا عثمان بن عفان رضى اللّه عنه .

ومن فضائله الذاتية التى لا مجال للقدوة فيها أنه كان أجمل رجل فى هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، فقد أخرج ابن عساكر عن عبد اللّه بن حزم المازنى رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه !!

ومن فضائله غير المكتسبة استحياء الملائكة منه ورسول اللّه ﷺ فقد أخرج الشيخان

أن النبى ﷺ جمع ثيابه وغطى ساقيه لما دخل عليه عثمان وقال : « ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة » !!

أسبقيته :

لقد أسلم عثمان وحسن أسلامه فى أول من أسلم حيث لم يسلم قبله من رجال قريش إلا أبو بكر الصديق ، فكان رابع أربعة من المسلمين إذ أسلم قبله زيد ، وعلى ، وأبو بكر الصديق ، أسلم بدعوة الصديق فكان من السابقين الأولين .

وهاجر أول من هاجر إلى الحبشة من المسلمين فكان أول المهاجرين رضى اللّه عنه وأرضاه ، وفى هجرته يقول رسول الله ﷺ : صحبهما اللّه ، إن عثمان أول من هاجر إلى اللّه بأهله بعد لوط .

فمبادرته إلى الإسلام وإلى الهجرة تدل على كمال عقله ورجاحته ، وكذلك كان رضى اللّه عنه من أرجح أصحاب رسول اللّه ﷺ عقلاً ، ومن أزكاهم نفساً ، وأطيبهم قلباً ، وأسماهم خلقاً .

صلابته فى دينه ، وصدقه فى إيمانه :

لقد كان عثمان رضى اللّه عنه ذا صلابة فى دينه ، صادقاً فى إيمانه الأمر الذى كان فيه مثالا يحتذى وإماماً به يقتدى ـ ولنذكر مثالين لذلك بهما تنكشف لنا هذه الحقيقة :

الأولى : فقد أخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : لما أسلم عثمان بن عفان أخذ عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطاً ، وقال له : ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث ؟ واللّه لا أدعك أبداً حتى تدع ما أنت عليه . فقال عثمان : والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صلابته فى دينه تركه وحل وثاقه فصبره رضى اللّه عنه على الوثاق وما يتبعه من حرمان وهو من هو فى قومه شرفاً وعزاً ورفاهة عيش وحسن حال دال على قوة إيمانه وصلابته فيه .

والثانية : أنه لما داهم المدينة الغوغاويون من مصر مطالبين الخليفة بعزل والى مصر والقصاص منه حيث قتل رجلاً منهم ظلماً ، وهاجت الفتنة فى المدينة ، ودخل عثمان بيته فكان لا يقدر على الخروج منه دخل عليه المغيرة بن شعبة فقال له : إنك إمام العامة ، وقد نزل بك ما ترى وإنى أعرض عليك خصالاً ثلاثاً : إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عدداً

وقوة ، وأنت على الحق وهم على الباطل ، وإما أن نخرق لك باباً سوى الباب الذى هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكة ، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها ، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام ومعهم معاوية ، فقال رضى اللّه عنه : إما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول اللّه ﷺ فى أمته بسفك الدماء ، وإما أن أخرج إلى مكة فإنى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول « يلحد رجل من قريش بمكة عليه نصف عذاب العالم » فلن أكون أنا ، وإما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول اللّه ﷺ ، فرفض عثمان كل هذه المقترحات براً محتسباً ، لأن رسول اللّه ﷺ قال له يوماً : « يا عثمان إنه لعل اللّه يقمصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى وكذلك كان ، أراده المنافقون أن يخلع نفسه من إمارة المسلمين ، وهى القميص ، فلم ير ذلك وصبر للبلاء حتى لقى اللّه تعالى شهيداً مخضباً بدمه فى منزله بجوار رسول اللّه ﷺ ، فرضى اللّه عن عثمان وأرضاه .

سخاؤه وكرمه :

إن السخاء والكرم من صفات الكمال فى الداعى ، وقد لا يعثر على داعية إسلامى كان عارياً من صفة السخاء والكرم ، إذ ضدهما الشح والبخل وهما من عوائق الدعوة ، إذ الناس بفطرتهم لا يؤثر فيهم إلا من يكرمهم ويسخو عليهم ، أما من يهينهم ويبخل عليهم فلا يستجيبون له نداء ، ولا يقبلون منه دعوة .

وعثمان بن عفان ذو النورين وهو أحد الدعاة الصالحين كان كريماً سخياً لم يلمز بشح ، ولم يطعن فيه ببخل فوصله لأرحامه وصلته لأقاربه مما نقمه عليه كثير ، وكان سبب تلك الفتنة التى أودت بحياته رضى اللّه عنه ، وإن طلبنا شاهداً على سخاء عثمان وكرمه فإنا لا نجد خيراً من تجهيزه لجيش العسرة ، وتسبيله بئر رومه ، فقد أخرج الترمذى عن عبد الرحمن بن خباب : قال : شهدت النبى ﷺ وهو يحث على جيش العسرة ، فقال عثمان ابن عفان : يا رسول اللّه : على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل اللّه ! ثم حظى على الجيش ، فقال عثمان يا رسول اللّه : على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل اللّه ! ثم حظى على الجيش ، فقال عثمان يا رسول اللّه : على ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله فنزل سول اللّه ﷺ وهو يقول : « ما على عثمان ما عمل بعد هذه شىء » !!!

وأخرج الترمذى عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبى ﷺ بألف

دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره ، فجعل رسول الله ﷺ يقلبها ويقول : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » مرتين .

وكتجهيزه جيش العسرة حفره بئر رومه ، فقد أخرج البخارى عن أبى عبد الرحمن السلمى أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال : أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله ﷺ ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من جهز جيش العسرة فله الجنة » ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من حفر بئر رومه فله الجنة » فحفرتها ، فصدقوه بما قال .

سياسته :

كان قد غلب على عثمان طابع التقوى والرفق واللين فكان فى هذا الجانب من أقوى أصحاب رسول الله ﷺ وناهيك بالشهادات التالية : قالت عائشة لما بلغها مقتل عثمان ، قتلوه وأنه والله لأوصلهم للرحم وأتقاهم للرب ، وهو أحد المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وقال فيه عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : رحم الله أبا عمرو وكان والله أكرم الجعدة وأفضل البررة ، هجادا بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، نهاضا عند كل مكرمة ، حييا أبيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله ، وقال فيه غير واحد : إنه كان طيب النفس حليما متواضعا رفيقا بالناس ، قال فيه المسعودى : كان عثمان فى نهاية الجود والكرم والسخاء والبذل فى القريب والبعيد .

فغلب جانب الورع والتقوى والحلم والكرم جانب السياسة والحزم والدهاء فلذا كان ضعيفا فى سياسة ، قال فيه بعضهم كان عثمان بن عفان شيخا كبيرا ضعيف الإرادة فلم يستطع الاضطلاع بأعباء الحكم رغم نزاهته وفضائله رضى الله عنه الكثيرة ، وقد أثار بسياسة الضعف التى سار عليها مع انحيازه إلى ذوى القربى ومحاباتهم كراهة بعض الناس من أهل المدينة ومن غيرهم من أهل الأمصار مما جر عليه تلك الفتنة التى انتهت بقتله ، وما انتهت فى الحقيقة إلى اليوم إذا كانت بداية ولم تكن لها نهاية ، والله غالب على أمره ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومع ضعف سياسة عثمان رضى الله عنه فقد كانت خلافته خيرا وبركة على المسلمين ، فقد شهد المسلمون على عهده من الأموال والخيرات وكثرة الفتوحات ما لم يشهدوه فى خلافة من قبله ولا من بعده ، ويكفى من ذلك فتح إفريقيا والذى كان خطوة أولى إلى فتح بلاد الأندلس .

علمه رضى الله عنه :

أما علم عثمان فكان علماً غزيراً ، كتب للرسول ﷺ ، واتخذه سفيرا بينه وبين قريش فى صلح الحديبية ، واستخلفه على المدينة فى غزوته ذات الرقاع ، وقد روى له ستة وأربعون حديثا ومائة ، ويكفيه علما حفظه كتاب الله وهى منقبة اختص بها إذ لم يجمع القرآن من الخلفاء الراشدين سواه ، وكذا من الخلفاء غيرهم مما جاء بعدهم إلا المأمون ابن هارون الرشيد فإنه كان جامعا للقرآن حافظا له ، ومن حفظ القرآن من أولئك البررة السابقين كمن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه.

كراماته :

إن لكل ولى كرامة عند الله ، وكيف لا يكرم الله وهو ذو الكرم والفضل أولياءه وما يكرم به الله أولياءه من الكرمات أنواع ، منها الدعوة المستجابة ومنها أن يثار الله تعالى ممن أذى وليه وعاداه ، ومن كرامات عثمان على ربه تعالى ما أخرجه أبو النعيم فى الدلائل عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن جهجاه الغفارى قام إلى عثمان وهو على المنبر يخطب فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته ، فما حال الحول على جهجاه حتى أرسل الله فى رجله الأكلة فمات منها، ومنها ما أخرجه ابن عساكر عن يزيد بن حبيب قال : بلغنى أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان عامتهم جنوا ، والعياذ بالله تعالى .

وفاته رضى الله عنه :

قضى عثمان رضى الله عنه اثنتى عشر سنة فى خلافة المسلمين منها ست سنوات لم ينقم المسلمون فيها عليه شيئا أبدا ، بل كان فيها أحب إلى قريش من عمر بن الخطاب، قال الزهرى : لأن عمر كان شديدا عليهم فأما عثمان فلان لهم ووصلهم .

وبعد الست سنوات الأولى توانى عثمان رضى الله عنه واستعمل أقرباءه على الأمصار ، وعزل كثيرا من أصحاب رسول الله ﷺ من غير أقرباءه ، قال الزهرى : وكتب لمروان بخمس أفريقية ، وأعطى أقرباءه وأهل بيته المال، وتأول فى ذلك الصلة التى أمر الله بها ، وقال : إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما ، وإنى أخذته فقسمته فى أقربائى ، فأنكر الناس عليه ذلك ، وفى السنة الأخيرة من خلافته وهى سنة خمس وثلاثين كثرت شكاوى أهل الأمصار ، ولا سيما أهل مصرمن ولاتهم ، وكانوا يطلبون من عثمان أن يعزلهم فلا يعزلهم ، وجاء أهل مصر يشكون وليهم الأموى ابن أبى سرح ، فكتب إليه

عثمان كتابا هدده فيه طالبا منه أن يكف عن الرعية ظلمه ، فلم ينته ابن أبى سرح عما نهاه عنه عثمان ، وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان حتى قتله ، وعندئذ تجمع كثير من الغوغاوين وأوباش الناس وجاءوا إلى المدينة وطالبوا الخليفة بخلع ابن أبى سرح فاستجاب لهم وخلعه ، وولى محمد بن أبى بكر الصديق بدله وكتب إليه كتاب العهد وأمره أن يتوجه إلى مصر ، فسار محمد بن أبى بكر الصديق إلى مصر فى ركب من الناس وفى أثناء الطريق شاهدوا غلاما أسود على بعير يخبطه خبطا كأنه طالب أو مطلوب فرا بهم أمره فأوقفوه وسألوه من أنت ؟ فمرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ، ومرة يقول : أنا غلام مروان ، فقال له محمد بن أبى بكر : إلى من أرسلت ؟ قال : إلى عامل مصر ، قال : بماذا ، قال : برسالة ، قال : معك كتاب ؟ قال : لا ـ ففتشوه فوجدوا الكتاب فى أداوة قد يبست فنقوها وأخرجوا الكتاب فاجتمعوا عليه وقرأوه ، وإذا فيه : إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل فى قتلهم ، وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيى ، واحبس من يجيء إلى يتظلم منك ليأتيك أمرى فى ذلك .

وبهذا رجع محمد بن أبى بكر ومن معه ، وكانوا قد ساروا ثلاثة أيام رجعوا إلى المدينة واجتمع عليهم الناس وقرأوا الكتاب على عثمان فأنكر أن يكون قد كتب به أو أمر بكتابته ، ثم اجتمع على ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعمار ، ونفر من الصحابة وكلهم يدرى ، ثم دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير فقال له على : هذا غلامك ؟ قال : نعم ، والبعير بعيرك ؟ قال : نعم ، قال : فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ، ولا علم لى به ، قال على له : فالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك ، وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به ؟فحلف بالله ما كتب هذا الكتب ولا أمر به ولا وجه الغلام إلى مصر قط ، وعرفوا أن الخط خط مروان ، وأنه هو الذى قام بهذه المؤامرة ، فطلبوا من عثمان أن يسلم إليهم مروان ، فخاف أن يقتلوه وعز عليه ذلك فأبى أن يسلمه إليهم ، ولا زم بيته معتصما فيه ومروان معه ، فحاصر الناقمـون من الأمصار بيت عثمان وترك على ابنيه الحسن والحسين يحرسان الباب ، ويردان كل من يريد اقتحام المنزل على عثمان ، غير أن البغاة تسوروا الدار من منزل أحد الجيران ، ودخلوا عليه يتقدمهم محمد بن أبى بكر وأخذ بلحيته ، فقال له عثمان : والله لو أراك أبوك لساءه مكانك منى ، فتراخت يده ، وتركه وانصرف ، ودخل رجلان عليه فوجاءه حتى قتلاه ، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وأخرج ابن عساكر أن الذى قتل عثمان رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له : حمار ومن أحسن ما

رثى به عثمان من المراقى رضى الله عنه وأرضاه قول كعب بن مالك :

فكف يديه ثم أغلق بابه	وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم	عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم	العدواة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده	عن الناس إدبار الرياح الجوافل

وكانت وفاة عثمان رضى الله عنه على ما قيل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء بالبقيع ، على عمر نيف على الثمانين سنة ، فرضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه .

على بن أبى طالب رضى الله عنه

هـذا هـو الأنمـوذج الرابع والحلقة الأخيـرة من السلسلـة الثـانيـة لنماذج مـن دعـاة الصـالحين ألا وهـو أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه .

نسبه :

إن نسب على بن أبى طالب هو النسب الشريف لرسول الله ﷺ ، إذ هما أبناء العم فمحمد رسول الله هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى هو بن أبى طالب بن عبدالمطلب ، ومن هنا وبهذا وحيل على النسب الشريف إلى عدنان المنحدر من إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام .

وكنيته رضى الله عنه أبو الحسن ، أو أبو السبطين : الحسن والحسين ابنى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، بيد أن له كنية أخرى هى من أحب الكنى إليه ألا وهى : أبو تراب ، ولهذه الكنية سبب هو أنه خرج يوما مغاضبا لفاطمة رضى الله عنهما فأتى المسجد ونام فيه ، فجاء رسول الله ﷺ يطلبه فقالت له : لقد خرج مغاضبا فطلبه رسول الله ﷺ فوجده فى المسجد نائما والتراب قد علا بعض جسمـه ، فجعـل ﷺ ينفض التراب عنـه و يقول : قم أبا تراب ، فكانت تلك كنيته المفضلة لديه .

علمه :

إن من أهم جوانب حياة الداعية الإسلامى الجانب العلمى إذ العلم ضرورى للداعية المسلم وفى مثل هذا الجانب تكون الأسوة ، وعلى بن أبى طالب كان على جانب كبير من العلم والفقه فى دين الله تعالى وحسبه شهادة الرسول ﷺ له بقوله : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » أخرجه الترمذى والحاكم وهو حسن الإسناد، وليس كما قيل موضوعا ولا صحيحا ، لذا قال السيوطى فى تاريخه : ومن شعب العلم التى برز فيها على رضى الله عنه القضاء ، فقد كان أقضى أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد شهد له بذلك عبد الله بن مسعود حيث قال : أفرض أهل المدينة وأقضاهم على بن أبى طالب . أخرجه ابن عساكر.

كما أخرج الحاكم قول ابن مسعود رضى الله عنه : كنا نتحدث ان أقضى أهل المدينة على .

وأخرج ابن سعد فى طبقاته عن ابن عباس قوله : كنا إذا حدثنا ثقة عن على بفتيا لانعدوها ، وكما أخرج عن عمر رضى الله عنه أنه كان يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو الحسن ومن الأقوال المأثورة مشكلة ولا أبا حسن لها ، بل هو قول عمر رضى الله عنه .

ولا عجب أن يطول باع ابن أبى طالب فى العلم حتى لا يدانى أو يجارى وهو الصاحب الذى عرف رسول الله ﷺ وصاحبه من يوم نبى إلى أن قبض عليه الصلاة والسلام .

أخرجه الحاكم وصححه عنه رضى الله عنه قوله : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت يا رسول الله : بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ولا أدرى ما القضاء ؟ فضرب صدرى بيده ، ثم قال : اللهم أهد قلبه ، وثبت لسانه ، فو الذى خلق الحبة ما شككت فى قضاء بين اثنين .

وهذه الرواية تكشف عن سر علم على وفقهه فى دين الله تعالى . وكعلمه الواسع بالقضاء علمه بالتفسير والأدب والحكمة .

فعن الأول نستشهد بما أخرج ابن سعد رضى الله عنه إذ قال : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، إن ربى وهب لى قلبا عقولا ، ولسانا صادقا ناطقا ، كما أخرج أيضا عن أبى الطفيل قال : قال على : سلونى عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد علمت بليل نزلت أم بنهار ، وفى سهل أم فى جبل .

ويشهد لهذين القولين : قوله رضى الله عنه فى الصحيح : ما خصنا رسول الله ﷺ نحن آل البيت بشىء إلا ما فى هذه الصحيفة أوفهما يؤتاه الرجل فى كتاب الله .

وعن الثانى والثالث نستشهد بالروايات التالية ــ أخرج أبو نعيم فى حليته عنه وقال : قال على رضى الله عنه : الحزم سوء الظن ، والقريب من قربته المودة وأن بعد نسبه والبعيد من باعدته العداوة ، وأن قرب نسبه ولا شىء أقرب من اليد إلى الجسد وأن اليد إذا فسدت قطعت ، وإذا قطعت حسمت .

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عنه رضى الله عنه أنه قال : خمس خذوهن عنى : ألا يخافن أحد منكم إلا ذنبه ، ولا يرجون إلا ربه ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم ، وإن

الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان ، وإذا ذهب الرأس ذهب الجسد . وقال : الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ألا لا خير فى عبادة لا علم فيها ولا علم لا فهم معه ، ولا قراءة لا تدبر فيها .

سرعة بداهته وقوة حجته :

مما تميز به على بن أبى طالب بين أصحاب رسول الله ﷺ سرعة البداهة ، فقد كان يسأل عن المعضلات فيجيب بما هو شفاء فيها على البداهة بدون ترو ولا تفكر ، وكان ذا حجة قوية إذ قال أو خطب ، أو خاصم ونذكر لسرعة بداهته الحادثة التالية : ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب فى الجزء الثالث عند الكلام عن على رضى الله عنه قال : روى عن زر بن حبيش أن رجلين جلسا يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلما وضعا الغذاء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم ، فقالا : اجلس للغذاء فجلس وأكل معهما واستوفوا فى أكلهم الأرغفة الثمانية ، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال : خذا هذاعوضا عما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازع الرجلان فى قسمة الدراهم الثمانية بينهما ، وقال صاحب الخمسة الأرغفة : لى خمسة دراهم ، وقال لصاحب الثلاثة : لك ثلاثة دراهم ، فأبى صاحب الثلاثة الأرغفة إلا أن تكون الدراهم بينهما نصفين ، فارتفعا إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وقصا عليه قصتهما ، فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة :قد عرض عليك صاحبك ما عرض ، وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة ، فقال : لا والله ، لا رضيت منه إلا بغير الحق ، فقال على رضى الله عنه ، ليس لك فى مر الحق إلا درهم واحد ، وله سبعة ، فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين ، وهو يعرض على ثلاثة فلم أرض ، وأشرب على بأخذها فلم أرض ، وتقول لى الآن : إنه لا يجب فى مر الحق إلا درهم واحد ، فقال له على : عرض عليك صاحبك الثلاثة صلحا فقلت : لم أرض إلا بمر الحق ، ولا يجب لك بمر الحق إلا واحد ، فقال الرجل : فعرفنى بالوجه فى مر الحق حتى أقبله ، فقال على رضى الله عنه : أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثا ، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ، ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا الأقل ، فتجعلون فى أكلكم على السواء ؟ قال : بلى ، قال : فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، وإنما لك تسعة أثلاث ، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا ، أكل منها ثمانية ، ويبقى له سبعة ، وأكل لك واحدا من تسعة ، فلك واحد ـ أى درهم ـ بواحدك ، وله سبعة

بسبعته فقال الرجل : رضيت الآن ! ! !

فهذه الحادثة تدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به على ويمتاز به من سرعة البداهة وذلك لفرط ذكائه وصفاء نفسه ، ونظير هذه الحادثة قضاؤه فى التى ولدت لستة أشهر بأن الولد للزوج بعد أن حكم عليها عثمان رضى الله عنه بالرجم لكونها أتت بولد زنى ، نظر على فى قول الله تعالى : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ﴾ [1] فقال : الحولان للرضاع والستة أشهر للحمل ، فمن ولدت لستة أشهر فما فوق فالولد للزوج ، ومن ولدت لأقل فالولد لغير الزوج .

أما عن قوة حجته فكتاب الشريف الرضى المعروف بنهج البلاغة قد حوى الكثير من خطب على ورسائله ، وحجاجه ومنافراته وهى تفيض بالبلاغة والحكمة وفصل الخطاب ، فليرجع إلى ذلك الكتاب من شاء ليقف على كمال على فى بيانه وبلاغته وقوة حجته ، وهى حاجة الداعى الناجح فى دعوته ، ولنذكر هنا وصفا له رضى الله عنه وصفه به ضرار الصدائى بأمر من معاوية ، إذ روى ابن عبد البر فى الاستيعاب أن معاوية رضى الله عنه قال يوما لضرار الصدائى : يا ضرار صف لى عليا ، فقال : أعفنى يا أمير المؤمنين ، قال : لتصفنه ، قال : أما إذ لا بد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ـ شديد القوى يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته وكان غزير الغيرة طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما حسن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين ، ولا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأسَ الضعيف من عدله ، وأشهد أنه لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى سدوله ، وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يا دنيا غرى غيرى ، إلى تعرضت أم إلى تشوقت ! هيهات هيهات!! قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق !!!

فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها وهو فى حجرها . . . أو قال : واحدها فى حجرها .

---

(١) الأحقاف : ١٥ .

فمن هذا الوصف الصادق تتجلى كمالات على رضى الله عنه النفسية التى هى موضع الاقتداء ، ومحط الائتساء ، إنها علم وحلم وإيمان وتقوى وكياسة ، وحسن سياسة ، وشجاعة قلب ، ورجاحة عقل ، زهد فى الدنيا شديد ورغبة فى الآخرة وحب فيها أكيد .

وفى مثل هذه الخلال الجميلة ، والخصال الحميدة ، يكون الاقتداء ويطلب الائتساء .

شجاعته وبطولته :

إن شجاعة على وبطولته سار بين الناس مسار الأمثال فما ذكرت الشجاعة ولا البطولة إلا وذكر على بن أبى طالب معهما ، إن أول فدائى فى الإسلام كان على بن أبى طالب وذلك أنه لما عزم الرسول ﷺ على الهجرة بعد قرار قريش القاضى بقتله ﷺ على أيدى جماعة من شباب القبائل القرشية ليتوزع دمه بين القبائل فلا يقدر بنو هاشم على طلبه ، تركه على فراشه وخرج ﷺ وظل المشركون بباب المنزل ينتظرون خروج رسول الله ﷺ ، وإذا بالذى يخرج على بن أبى طالب فسقط فى أيديهم ، ونجا رسول الله ﷺ من بينهم ، وضرب بذلك على أعلى مثل فى الفدائية والتضحية .

والشواهد على شجاعة على وبطولته كثيرة فلنكتف منها بذكر ما يلى :

١ ـ اضطلاعه رضى الله عنه يوم بدر بحمل لواء رسول الله ﷺ ، ومبارزته الوليد بن عقبة وقتله إياه على الفور فلم يمهله ، وعلى يومئذ ابن عشرين سنة .

٢ ـ تقليد رسول الله ﷺ له الراية يوم خيبر ، وما أظهر رضى الله عنه من بطولات خارقة فى غزوة خيبر ، وحسبه أن كان فتح خيبر على يديه رضى الله عنه.

٣ ـ ثباته مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، ويوم حنين وبلاؤه البلاء الحسن فى هاتين الوقعتين العظيمتين.

٤ ـ شهوده كل غزوات رسول الله ﷺ بحيث لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ قط ، اللهم إلا ما كان من غزوة تبوك ، حيث خلفه رسول الله ﷺ بالمدينة على أهله ، ولما قال على رضى الله عنه : تخلفنى يا رسول الله مع النساء والصبيان ؟ قال له رسول الله ﷺ : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى.

٥ ـ عدم تخلفه عن الجهاد مع الراشدين قبله أبى بكر وعمر وعثمان ، ومواقفه الشهيرة فى كل الحروب التى خاضها أصحاب رسول الله إلى أن توفى رضى الله عنه وأرضاه .

وموجز القول : أن عليا رضى الله عنه كان مثالا عاليا فى الشجاعة والبطولة ، وأنه أسوة صالحة فى هذا الباب لمن أراد الائتساء به رضى الله عنه فى شجاعته وبطولاته .

عدله وسياسته :

إن خلافة على رضى الله عنه كانت أربع سنوات وتسعة أشهر فقط ، ومع ما صاحبها من فتن داخل الجماعة الإسلامية وأشهرها وقعة الجمل ، وصفين ، وقتال الخوارج بالنهروان ، فإنها كانت خلافة راشدة أتم الله بها العصر الذهبى فى تاريخ أمة الإسلام ، وقد روى فى ذلك قول الرسول ﷺ الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا .

لقد ساس على الأمة الإسلامية بالعدل والرحمة ، وأخذها بالعلم ، والحكمة ، ومن مظاهر عدله فى الأمة أنه كان لا يحبس مالا فى بيت المال بل يوزعه كله حتى أنه كان يكنس بيت المال بيده ويصلى فيه ، رجاءأن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين .

ذكر الطبرى فى تاريخه ج ٦ ص ٩٠ عن أبى رافع خازن بيت المال فى عهد على قال : دخل على يوما وقد زينت ابنته ، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال كان قد عرفها ، فقال : من أين لها هذه ؟ لله على أن أقطع يدها ، فلما رأيت جده فى ذلك قلت : أنايا أمير المؤمنين زينت بها ابنتة أخى ، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها ؟ فسكت .

ومن ذلك أنه فقد يوما درعة فوجدها بيد يهودى فقاضاه إلى قاضيه شريح ، وتقدم فجلس إلى جنب القاضى وقال : لولا أن خصمى يهودى لا ستويت معه فى المجلس ، ولكنى سمعت النبى ﷺ يقول : « أصغروهم من حيث أصغرهم الله » ، فقال القاضى : قل يا أمير المؤمنين : فقال : نعم ، هذه الدرع التى فى يد هذا اليهودى درعى لم أبع ولم أهب ، فقال شريح : إيش تقول يا يهودى ، قال : درعى وفى يدى ، فقال شريح : ألك بينة يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعى ، فقال شريح : شهادة الابن لا تجوز للأب ، فقال على : رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » ! ! فقال اليهودى : أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه ، أشهد أن هذا هو الحق ، وأشهد أن لا إله

إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأن الدرع درعك ، وحسب علي شهادة على عدله ورحمته وحكمته ، أن يقول فيه رسول الله ﷺ : « على مع القرآن ، والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض » ، رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أم سلمة رضى الله عنها .

ومن هنا كانت سياسة على قرآنية تعتمدعلى الصدق والوفاء والعدل والرحمة والحكمة بعيدة عن الخداع والمكر والدهاء وهى عناصر تقوم عليها سياسة أبناء الدنيا فى كل زمان ومكان ، وأما ابن أبى طالب رضى الله عنه فما أبعده عن هذه الأجواء والمناخات الوبيئة الخانقة التى لا تصلح لحياة الربانيين مثل على رضى الله عنه .

ونختم هذا الفصل فى الحديث عن عدل على وسياسته بكلمة قالها فيه أحد الغربيين : قال : كان على يعوزه حزم الحاكم ودهاؤه ، برغم ما كان يمتاز به من الفضائل الكثيرة ، فقد كان نشيطا ذكيا بعيد النظر بطلا فى الحرب ، مشيرا ، حكيما ، وفيا شريف الخصومة نبغ فى الشعر والبلاغة واشتهرت خطبه وأشعاره فى الشرق الإسلامى .

وكانت تنقصه الحنكة السياسية وعدم التردد فى اختيار الرسائل أيا كانت لتثبيت مركزه ، ومن ثم تغلب عليه منافسوه الذين عرفوا أول الأمر أن الحرب خدعة ، والذين كانوا لايتورعون عن ارتكاب أى جرم يبلغ بهم الغاية ويكفل لهم النصر .

إثبات هذه المقالة لهذا الغربى لا تفارقها مع ما قرناه من بعد حكم على ، وسياسته عن المكر والدهاء والخداع والتضليل التى هى سدى ولحمة الساسة والسياسة اليوم وقبل اليوم من غير الربانيين كالخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

وفاته رضى الله عنه :

إن وفاة على رضى الله عنه كانت بالكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من رمضان سنة أربعين هجرية ، وذلك أنه لما انتهت معركة الجمل وعاد على رضى الله عنه إلى الكوفة ، خرج معاوية بن أبى سفيان ومن معه من أهل الشام خرجوا عنه رضى الله عنه ، فبلغ ذلك عليا فسار إليهم فالتقوا بصفين فى شهر صفر سنة سبع وثلاثين ، واقتتلوا ودام القتال أياما ، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها ، وكان ذلك مكيدة منهم دبرها عمرو بن العاص ، فكره الناس الحرب ، وتداعوا إلى الصلح ، وحكموا الحكمين ، فحكم على أبا

موسى الأشعرى ، وحكم معاوية عمرو بن العاص ، وكتبوا بينهم كتابا على أن يوافوا رأس الحول بأذرح [1] فينظروا فى أمر الأمة ، فافترق الناس ، ورجع على إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام فخرج على على رجال من أصحابه وقالوا : لا حكم إلا الله ، وعسكزوا بحروراء [2] فسموا بذلك الخوارج ، فبعث إليهم على رضى الله عنه ابن عباس فخاصمهم وحاجهم فرجع منهم أناس كثير إلى طاعة على رضى الله عنه ، وثبت على الباطل منهم أناس كثير وساروا إلى النهروان وعرضوا للسبيل فسار إليهم على فقتلهم بالنهروان وذلك سنة ثمان وثلاثين ، واجتمع الناس بأذرح فى شعبان من هذه السنة ، وحضرها سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وغيرهما من الصحابة ، فقدم عمرو بن العاص أبا موسى الأشعرى مكيدة منه فتكلم وخلع عليا ، لأن أصل التحكيم كان على أساس أن يخلع كل من معاوية وعلى ، وتختار الأمة بعد ذلك برضاها من شاءت غير أن عمرو استعمل دهاءه فقدم أباموسى ليتكلم ويخلع صاحبه ففعل ، ولما تكلم عمرو لم يخلع صاحبه ـ معاوية ـ بل أقره ، وبايع له ، فتفرق الناس على هذا ، وصار على على خلاف من أصحابه ، حتى كان يعض على أصبعه ويقول : أعصى ويطاع ، وهنا انتدب ثلاثة من الخوارج أنفسهم لقتل على ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص بحجة أنهم هم الذين فرقوا كلمة المسلمين وشتتوا أمرهم ، وكان الخوارج الثلاثة عبد الرحمن ملجم المرادى ، والبرك بن عبد الله التميمى ، وعمرو بن بكير التميمى وقد اجتمعوا بمكة وتعاهدوا على أن يقتل عليا بن ملجم ، ويقتل معاوية البرك ، ويقتل عمرا عمرو بن بكير ، على أن يتم ذلك فى ليلة واحدة وهى ليلة السابع عشر من رمضان ، فأما قاتل معاويةفإنه لم يتمكن منه ، وأما قاتل عمرو فإنه لم يقتل عمرا ، وإنما قتل خارجة ، لأنه تربص بعمرو عند باب المسجد فلم يخرج عمرو تلك الليلة لأنه كان مريضا ، فانتدب قاضيه خارجه بن حذافة ليصلى بالناس فضربه ظنا منه أنه عمرو بن العاص فقتله ، ولما تبين له أنه لم يقتل عمرا قال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فكانت مثلا سائدا بين الناس ، وأما قاتل على فقد تمكن منه عند خروجه من منزله وهو ذاهب إلى المسجد لصلاة الصبح ، وبموت على رضى الله عنه انتهت الخلافة الراشدة ، وانتقلت إلى الملك العضوض كما ورد بذلك الخبر .

واستشهد على وفى عمره ثلاث وستون سنة فرضى الله عنه وأرضاه ومن كراماته أنه قال لابنه الحسن : رأيت رسول الله ﷺ الليلة وقلت له يا رسول الله : ماذا لقيت من الأمة

---

(١) قرية من قرى الشام .   (٢) حاروراء : موقع بالكوفة .

من الأود واللدد [1] ؟ فقال لى : ادع الله عليهم ، فقلت : اللهم ابدلنى بهم خيرا منهم وبدلهم بى شرا لهم منى ، وما أن فرغ من قص رؤياه على الحسن حتى ناداه مناديه للصلاة ، فخرج من الباب ينادى أيها الناس : الصلاة الصلاة فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف فأصاب جبهته إلى قرنه ، وكان ذلك صبيحة الجمعة ، فأقام الجمعة والسبت وقبض ليلة الأحد ، فرضوان الله عليه فى المؤمنين ، وسلامه عليه فى المسلمين .

(١) الأود : الكد والتعب . اللدد : الخصومة الشديدة .

السلسلة الثالثة

من نماذج الدعاة الصالحين

الحلقة الأولى من هذه السلسلة

الإمام أحمد بن حنبل

لما كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى علما من أعلام الدعوة الإسلامية جعلناه الحلقة الأولى فى السلسلة الثالثة من سلاسل ثلاث لنماذج من الدعاة الصالحين .

نسبه :

فمن هو الإمام أحمد ؟

إنه أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال العربى العدنانى ، إمام الفقه والحديث ، يكنى بأبى عبد الله الشيبانى قدم به أبوه من مروز ، حملا فى بطن أمه فهو مروزى ، وولد ببغداد ونشأ بها فهو بغدادى .

الكمال الأحمدى :

إننا إذ نستعرض حياة الرجل العظيم إنما نهدف دائما إلى مكان الائتساء فيها ، فلذا لا نعمد غالبا إلى ذكر الكمالات الوهبية فى الرجل العظيم ، لأنها محض هبة الله لمن يشاء من عباده ، وإنما نعرض للكمالات النفسية الكسبية إذ هى محط الائتساء ومجال الاقتداء ، وهكذا فعلنا فى استعراضنا لحياة من قدمنا من نماذج الدعاة الصالحين ، وكذلك نفعل مع من سنذكر فى هذه السلسلة الأخيرة ، فلا نستعرض من حياة الداعية المثالى إلا ما كان فيه مجال للقدوة والائتساء ، وذلك كالعلم والجد فى طلبه ، والحلم والتفوق فيه ، وكالورع والزهد ، والصبر والثبات والكرم والسخاء والصدق والوفاء .

ومن الكمال الأحمدى الذى سنعرضه طلبا للأسوة فيه : العلم ، وقوة الحجة فيه

والورع والزهد والصبر على المكاره ، والثبات على المبدأ والربانية التى هى أم الكمالات النفسية.

علمه وقوة حجته فيه :

وعن علم الإمام أحمد نقول : إن أبا عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى قد طلب العلم طلباً عاديا فلم يطلب الحديث ، ولم يجلس بين يدى رجاله إلا بعد أن بلغ السادسة عشرة من عمره ، كما ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين له ، غير أنه فارق دياره ورحل فى طلب الحديث والفقه فيه فجاب البلاد طولا وعرضا ، ورحل إلى اليمن ماشيا على قدميه ، لقلة ذات يديه ، وأقام بها زهاء العامين يطلب الحديث من رجالها كعبد الرزاق صاحب المسند ونالته فى ذلك مشقة كبيرة ظهرت على جسمه وصحته العامة ولما وصل مكة وقيل له : أجهدت نفسك يا أبا عبد الله قال رحمه الله : ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبد الرزاق كتبنا عنه حديث الزهرى عن سالم بن عبد الله عن أبيه وحديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، كما روى الحديث عن يحيى بن معين وإسحاق بن راهوية ، والشافعى رحمهم الله تعالى ، وقد دعاه إلى زيارة مصر فلم يقدر لعجزه المادى ، ولما التقى به فى رحلته الثانية إلى بغداد قال له : يا أبا عبد الله إذا صح الحديث عندك فأعلمنى به أذهب إليه حجازيا كان أو شاميا ، أو عراقيا ، أو يمنيا ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى إن فى قول الشافعى هذا لأحمد لإجلالا كثيرا وشهادة فى العلم عظيمة .

وحسب الإمام شهادة مسنده الذى خرجه من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألف ، وجمع فيه من الحديث ما كاد يحوى الكتب الستة إلا قليلا ، وقال ولده عبد الله :كان أبى يحفظ ألف ألف حديث أى مليون حديث .

وها هى ذى شهادات العلماء بالعلم والسعة فيه ، والفضل والكمال لديه ، قال الإمام الشافعى : خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

وقال البخارى : لما ضرب أحمد بن حنبل كنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسى يقول : لو كان أحمد فى بنى إسرائيل لكان أحدوثة .

وقال أبو عمر النحاس وقد ذكر أحمد يوما فى الدين : ما كان أبصره وعن الدنيا ما كان أصبر ! وفى الزهد ما كان أخيره ! وبالصالحين ما كان ألحقه وبالماضين ما كان أشبهه !

عرضت عليه الدنيا فأباها ، والبدع فنفاها !

وقال على بن المدينى : إذا ابتليت بشىء فأفتانى أحمد لم أبال إذا لقيت ربى كيف كان ، وقال يحيى بن معين : كان فى أحمد بن جنبل خصال ما رأيتها فى عالم قط كان محدثا وكان حافظا ، وكان زاهدا وكان عاقلا .

وقال أبو زرعة الرازى : ما أعرف فى أصحابنا أسود الرأس أفقه منه ، يعنى أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى أجمعين .

أما عن قوة حجته فى علمه :

فحسبنا للكشف عنها وإثباتها أن نورد بعض ما كان يرد به على أسئلة المبتدعة المبطلين من المعتزلة المارقين فى مجلس الامتحان أيام المحنة .

قال المعتصم : ناظره يا عبد الرحمن كلمه ، فقال عبد الرحمن : ما تقول فى القرآن ؟ فأبى أن يجيب ويسأل عبد الرحمن قائلا : ما تقول فى علم الله ؟ فلم يجب عبد الرحمن المعتزلى ، فيقول أحمد : إن القرآن من علم الله فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن علم الله مخلوق ، ومن قال بذلك فقد كفر ، ، .

فقال المعتزلى : إن الله كان فى الأزل ولم يكن معه القرآن .

فيقول أحمد : لقد قلت إن القرآن من علم الله ، فإذا قال قائل كان الله ولا قرآن معه فكأنه قال : كان الله ولا علم له .

المعتزلى : هو ضال مبتدع يا أمير المؤمنين .

الإمام : يا أمير المؤمنين يأتونى بآية من كتاب الله أو بسنة من سنن رسول الله ﷺ حتى أجيبهم إليها .

المعتزلى : فأنت لا تقول إلا ما فى كتاب الله وسنة رسوله ؟

الإمام أحمد : وهل يقوم الإسلام إلا بهما .

المعتزلى : إن الله يقول : ﴿ **خالق كل شىء** ﴾ [1] والقرآن شىء فهو إذا مخلوق !

الإمام : إن هذه الآية عامة أريد بها الخصوص لا العموم كقوله تعالى : عن الريح التى

---

(١) الأنعام ١٠٢ . ومواضع أخرى .

أهلك بها قوم هود : ﴿ **تدمر كل شيء بأمر ربها** ﴾ [(١)] فهل دمرت كل شيء حقا ، أو أنها لم تدمر إلا ما أراد الله ، ،

المعتزلي : ويقول : إن الله تعالى يقول : ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون** ﴾ [(٢)] فهل يكون محدثا إلا المخلوق ؟

الإمام : إن الذكر هو في القرآن جاء في قوله تعالى : ﴿ **ص ، والقرآن ذي الذكر** ﴾ [(٣)] فهو هنا معرف بالألف واللام ، وفي الآية الأولى بدون الألف واللام فهذه غير تلك .

المعتزلي : إن عمران بن معين يروي عن رسول الله ﷺ قوله : « إن الله خلق الذكر » ، وفي ذلك تقرير من النبي ﷺ بأن القرآن مخلوق .

الإمام : أخطأت ، فالرواية التي رويناها عن عمران وغيره من ثقات أهل الحديث هي « أن الله كتب الذكر » .

المعتزلي : أليس رسول الله ﷺ يقول : « تقرب إلى الله ما استطعت ، فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء هو أحب إليه من كلامه » !

أحمد : بلى ، فلا روى ذلك عن رسول الله ﷺ .

المعتزلي : إن فيه دليلا على أن القرآن مخلوق !

أحمد : لست أجد فيه هذا الدليل !

المعتزلي : إذا قرأت القرآن لتتقرب به إلى الله تعالى ، أليست كلمات مؤلفة من حروف وأصوات ، وهل يتألف من حروف وأصوات إلا الكلام المخلوق فهل نجد لك مفرا بعد إذ أمرنا الرسول ﷺ أن نتقرب إلى الله بتلك الألفاظ إلا أن تسلم بأن القرآن مخلوق !

الإمام : القرآن كلام الله قديم غير مخلوق ، وأما أفعالنا فيه إذا كتبناه أو تلفظنا به فهي مخلوقة ، ورسول الله ﷺ يقول : « زينوا القرآن بأصواتكم » ، فالقرآن إذا غير أصواتنا المخلوقة التي نزينه بها ، الكلام كلام الباريء ، والصوت صوت القاريء .

المعتزلي : إن تشك بأن القرآن كلام الله غير مخلوق معناه أنك تنسب إلى الله تعالى جوارح يتكلم بها كالمخلوقين وتشبيه الخالق بالمخلوقات كفر !

(١) الأحقاف : ٢٥ . (٢) الأنبياء : ٢ . (٣) ص : ١ .

الإمام : هو أحد صمد ، لم يلد ، ولم يولد ، لا عدل له ولا شبيه ، وهو كما وصف نفسه ، حدثنى عبد الرازق عن معمر عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن النبى ﷺ قال : « إن اللّه كلم موسى بمائة ألف كلمة وعشرين ألف كلمة وثلثمائة كلمة ، وثلاثة عشر كلمة ، فكان الكلام من اللّه والاستماع من موسى ، فقال موسى : أى رب أنت الذى تكلمنى أم غيرك ؟ قال اللّه تعالى : « يا موسى أن أكلمك لا رسول بينى وبينك » فهذا ما يخبر به رسول اللّه ﷺ عن ربه ، وأنا ما أقول إلا ما يقول رسول اللّه ﷺ .

المعتزلى : كذبت على رسول اللّه ﷺ .

أحمد : إن يك هذا كذباً منى على رسول اللّه ﷺ . فقد قال اللّه تعالى : ﴿ **وكلم اللّه موسى تكليماً** ﴾ (١) .

وقال : ﴿ **ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ (٢) . فهو قول منه ، وليس خلقاً ، من خلال هذا الحوار الذى دار بين الإمام وبين المعتزلة الخصوم ، تتجلى لنا حقيقة أن أحمد بن حنبل كان قوى الحجة وذلك ما رمناه من عرض هذا الجزء من المناظرة التى دامت أياماً بين الإمام وخصومه وانتصر فيها حقه على باطلهم .

زهده وورعه :

إن الزهد لتقليل الدنيا ـ وهى قليلة ، واحتقارها وهى حقيرة ولو كانت تساوى عند اللّه جناح بعوضة لما سقى الكافر منها جرعة ماء ، والرغبة عنها إلى الآخرة إيماناً بها وبخيراتها ودوامها والآخرة خير وأبقى ، كما أن الورع هو الكف عن شهواتها وترك محرماتها والتقلل من مباحاتها ، والبعد عن متشابهاتها طلباً للسلامة منها حتى يترك مالاً بأس به مخافة ما به بأس .

وبناء على هذا فإن الزهد والورع كل منهما صفة كمال فى الإنسان المسلم ، وهما سلم إلى درجات الفضل والكمال والتفاوت بينهما عظيم جداً ، ومن هنا لم يكن أهل الورع والزهد فى درجة واحدة بل بينهما من التفاضل ما اللّه به عليم وهذا الإمام أحمد بين أهل الزهد والورع ، يعتبر مثالاً عالياً ، وقدوة صالحة فلم يسبقه فى هذا المجال أحد ، ولم يلحقه آخر ، والروايات التالية وهى صحيحة السند إلى الإمام أحمد أخرجها البيهقى ورواها عنه ابن كثير فى بدايته تثبت الحقيقة وتؤكدها .

(١) النساء : ١٦٤ .　　　(٢) السجدة : ١٣ .

ولنكتف في باب الورع بروايتين منها فقط :

الأولى : قال يوماً الإمام الشافعي لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين إن اليمن يحتاج إلى قاض ، فقال له الرشيد : أختر رجلاً نوله إياه فقال الشافعي لأحمد وكان يتردد عليه لطلب العلم : ألا تقبل قضاء اليمن يا أحمد ؟ فقال أحمد : إنما أختلف إليك لطلب العلم المزهد في الدنيا ، فتأمرني أن أتي القضاء ، ولولا العلم لما كلمتك بعد اليوم !!

فاستحى منه الشافعي وسكت .

إن رغبة أحمد عن الولاية وهي مما يتسابق الناس إليه ويتنافسون في الحصول عليه ، بل مما يتقاتلون على طلبه والظفر به لم تكن إلا ورعاً منه ، إذ طلب الولاية مباح ، ولكن تركها أحمد وهي لا بأس بها خشية الوقوع فيما به بأس .

والثانية : أنه جاع ثلاثة أيام لقلة ذات يده فاستعرض دقيقاً من أحد إخوانه ولما وصل إلى أهله عرفوا حاجته إليه فأسرعوا في خبزه وإنضاجه ووجدوا تنوراً لولده صالح مسجوراً فأنضجوا قرص الخبز فيه ، فلما قدم إلى أحمد وكأنه لا حظ سرعة تقديم الخبز له فسألهم فأخبروه أنهم طبخوه في تنور صالح ولده وكان صالح يتقاضى راتباً من الدولة فامتنع من أكله وواصل جوعه من ورعه ، فأي ورع أعظم من هذا الورع أمن أجل أن ولده يأخذ الجوائز المالية من السلطان يمتنع من أكل خبز يطبخ في تنوره المسجور ، وهو ولده والولد وماله لوالده ؟ فضرب أحمد بهذا رقماً قياسياً في الورع لا يمكن أن يناله أحد سواه .

أما عن زهده رحمه اللّه تعالى فحدثِ ولا حرج قال أبو داود رحمه اللّه تعالى : كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة ، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، وما رأيت أحمد ذكر الدنيا قط .

ولم يكن هذا منه رحمه اللّه تعالى إلا احتقاراً للدنيا وعدم التفات إليها وذلك لقلتها وسرعة زوالها وهذا هو الزهد في الدنيا .

وحكى ولده عبد اللّه رحمهما اللّه تعالى معاً فقال : كنا في زمن الواثق الخليفة العباسي في ضيق شديد فكتب أحد الصالحين إلى أبي ــ لا شك أنه سمع بحاجة أحمد وما هو فيه من ضيق كتب إليه : أن عندي أربعة آلاف درهم ورثتها من أبي ، وليست صدقة ولا زكاة ، فإن رأيت أن تقبلها أبعثها إليك : فامتنع أحمد من قبولها ، فكرر عليه

الرجل قبولها فأبى أن يقبلها ورضى بحاجته وما به من خصاصة ، وعرض عليه أحد التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة جعلها باسمه فأبى أن يقبلها ، ورد عليه قائلاً : نحن فى كفاية وأنت جزاك اللّه عن قصدك خيراً ، كما عرض عليه شيخه عبد الرزاق باليمن يوماً ملء كفه دنانير وهو فى أمس الحاجة إليها لنفاد ماله وانقطاعه عن بلده فلم يقبلها .

وأعظم من هذه وسابقتها أنه سرقت ثيابه باليمن فجلس فى بيته ورد عليه الباب ، ووفده أصحابه فجاءوا إليه فسألوه فأخبرهم فعرضوا عليه ذهباً فلم يقبله ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ، ليكتب لهم به ، فكتب لهم مقابله فكان أخذه منهم بأجره عمل ، ولم يكن بإحسان .

صبره على المكاره وثباته على المبدأ :

إن كان الصبر هو حبس النفس على الطاعة بحيث لا تتركها فى سراء ولا ضراء وحبسها عن المعصية فلا تغريها فى يسر ولا فى عسر وحبسها على البلاء فلا تضجر ولا تجزع فإن الإمام أحمد كان بذلك إمام الصابرين ، وقدوتهم بحق فقد صبر فى مواطن الصبر كلها فلم يضعف ولم يهن بحال من الأحوال حتى غدا صبره فى محنته مضرب الأمثال وأغنى بمحنته تلك التى امتحن فيها ببدعة القول بخلق القرآن حيث أن الخليفة المأمون العباسى كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق ـ كما قال ابن كثير ، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفى الصفات عن اللّه عز وجل ، واتفق أن خرج إلى غزو الروم فكتب إلى نائبه ببغداد وهو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى هذه البدعة ، فلما وصل الكتاب إليه قام فاستدعى أئمة الحديث ودعاهم إلى هذا الباطل فامتنعوا فهددهم بالضرب وقطع الرواتب والأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع أحمد بن حنبل وآخر يقال له : محمد بن نوح ، فحملهما على بعير وسيرا إلى الخليفة ، حيث أمر بهما ، وكان ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الأعراب يقال له : جابر بن عامر فسلم على الإمام أحمد ، وقال له : يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا ، فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب اللّه فأصبر على ما أنت عليه فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل ، وإنك إن لم تقتل تمت ، وإن عشت عشت حميداً ، قال أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمى .

ولما اقتربا من جيش الخليفة ونزلا بمرحلة دونه جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول : يعز عليَّ أن أقول لك يا أبا عبد اللّه : المأمون قد سل سيفه ، وهو يقسم بقرابته من رسول اللّه ﷺ لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بسيفه ، فجثى أحمد على ركبته ، ورفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته ، فما كان آخر الليل خرجاً الصريخ ينعى موت المأمون ، ولم تكد تنفرج حتى ولى الخلافة المعتصم والتف حوله غلاة المعتزلة وشحنوه بالباطل وكان أشد على أهل السنة من المأمون ، فردا إلى بغداد فى سفينة مع بعض الأسارى ومات ابن نوح فى الطريق وأودع أحمد السجن مدة ثمانية وعشرين شهراً ، قضاها والقيد فى رجليه لم ينزع عنهما ، فكان يصلى إماماً بأهل السجن ، والقيد فى رجليه رحمه اللّه تعالى ، ولما تمت هذه المدة أحضر أحمد أمام الخليفة وليسأل ويضرب ويطلب إليه القول بالبدعة ، فيرفض ويعذب ، حتى مل سائلوه ومعذبوه .

وضح من هول العذاب من حوله من السامين والمنفرجين ، والإمام صابر ثابت يقرع الحجة بالحجة ، ويدفع ضجة الباطل بلجة الحق ، فيضمحل الباطل ويعلو الحق ، حتى كتب اللّه له النصر وفاز بلقب بطل المحنة وإمام الثبات والصبر .

وهكذا صبر أحمد وثبت على مبدأ الحق فلم يبدل ولم يغير فكان مثال الكمال فى الصبر والثبات على المبدأ فرحمه اللّه رحمة واسعة وخلد ذكراه ، وجعل الجنة مثواه .

ربانيته ووفاته :

وأخيراً : ربانيته ووفاته :

إن ربانية أحمد وهى قوة صلته بربه تعالى ونسبته إليه ، ولصوقه بجنابه عز وجل حتى ما كان يعرف إلا به تعالى فمبلغ القول فيها إنها كانت ربانية قائمة على التوحيد الخالص ، والعلم اليقين الكامل ، والزهد لا فيما عند اللّه ، والفقر إلا إلى اللّه ، ولتجلى هذه الربانية القوية نورد طرفاً من موجز كلامه وآخر من مظاهر كماله فنقول :

لما حمل أحمد من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم أتوه بسويق ليفطر من الضعف الذى أصابه فامتنع دائم صومه ، وحين حضرت الصلاة صلى معهم فقيل له : صليت فى دمك ، فقال : صلى عمر وجرحه ينصب دماً ، ولما أقيم ليضرب

بالسياط انقطعت تكة سراويله فخشى أن تنكشف عورته فحرك شفتيه بالدعاء ، فعادت سراويله كما كانت ، وما حرك به شفتيه هو قوله : يا غياث المستغيثين ، يا إله العالمين ، إن كنت تعلم أنى قائم لك بحق فلا تهتك لى عورة ، وقيل له يوماً : ادع اللّه تعالى لنا ، فقال : اللهم إنك تعلم أنك على أكثر مما نحب فاجعلنا على ما تحب دائماً وسكت ، فقيل له : زدنا ، فقال : اللهم إنا نسألك بالقدرة التى قلت للسموات والأرض أتينا طوعا أو كرها فقالتا أتينا طائعين ، اللهم وفقنا لمرضاتك ، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ونعوذ بك من الذل إلا لك ، اللهم لا تكثر لنا فنطغى ، ولا تعل علينا فنسىء ، وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلاغاً لنا فى دنيانا ، وغنى من فضلك .

وقال صالح ولده : كان أبى لا يدع أحداً يسقى له الماء ليتوضأ فرمى بالدلو فخرج ملآن فقال : الحمد للّه ، فقلت له : يا أبت ما الفائدة بذلك ؟ فقال : يا بنى أما سمعت قول اللّه تعالى : ﴿ **قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ؟** ﴾ (١) .

وعن مظاهر كماله نقول :

لما انكشفت الغمة وزالت المحنة وولى أمر المسلمين المتوكل على اللّه وكان سلفياً يحب أهل السنة والجماعة بعث بصلة للإمام أحمد فلم يقبلها فأصر الخليفة إلا أن يقبلها وأصر أحمد على عدم قبولها جعلها الخليفة فى ولده وأهله فقال أحمد : لولده وأهله يلومهم إنما بقى لنا أيام قلائل ، وكأننا وقد نزل بنا الموت فإما إلى الجنة وإما إلى النار ، فنخرج من الدنيا وبطوننا قد أخذت من مال هؤلاء !!! فاحتجوا عليه بقول الرسول ﷺ لعمر : ما جاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرف فخذه ، وابن عمر وابن عباس قبلا جوائز السلطان ، فقال : وما هذا وذاك سواء ، ولو أعلم أن هذا المال أخذ من حقه وليس بظلم ولا جور لم أبال .

ولما علم المتوكل ببراءة أحمد مما نسب إليه حيث وشى به الواشون فحوصر بيته ليلاً وفتشه تفتيشاً دقيقاً عما يثبت ولاءه للعلويين وتواطؤه معهم بعث إليه الخليفة مع أحد صحابه بعشرة آلاف درهم ، وقال : هو يقرئك السلام ويقول لك : استنفقه هذه ، فامتنع من قبولها ، فقال الحاجب : يا أبا عبد اللّه : إنى أخشى من ردك إياها أن تقع وحشة بينك وبين الخليفة والمصلحة لك قبولها ، فوضعها عنده ثم ذهب ، فلما كان من آخر الليل

---

(١) الملك : ٣٠ .

استدعى أحمد أهله وبنى عمه وعياله ، وقال : لم أنم هذه الليلة من هذا المال ، فجلسوا وكتبوا أسماء جماعة من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ، ولما أصبحوا فرقوها كلها حتى الكيس الذى كانت به تصدق به ولم يعط منها أهله وأولاده وعياله شيئاً وهم فى غاية الجهد والفاقة والفقر ، وهكذا تجلت ربانية أحمد وصدقه فيها فكان بذلك إماما وقدوة فيها وفى غيرها من سائر الكمالات النفسية .

وعن وفاته نقول : مرض أحمد متى صح ذلك الجسم الذى أضناه الصيام وأقعده القيام ، مرض مرضه الذى توفى فيه أوائل شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ، قال ابنه صالح : دخلت على والدى يوم الأربعاء ثانى ربيع الأول وهو محموم يتنفس الصعداء وهو ضعيف فقلت له : يا أبت ما كان غذاؤك قال : ماء الباقلاء ، وأقبل الناس الأفاضل على عيادته وتوافد الأكارم على بيته ، فكتب رحمه اللّه تعالى وصيته ، وكان يئن فى مرضه ، ولما بلغه عن طاوس كراهة الإثنين تركه حتى كانت ليلة وفاته أن ، وهى ليلة الجمعة الثانى عشر من ربيع الأول ، ومن غريب ما حدث له فى تلك الليلة أنه سمع وهو يقول : لا ، بعد ، لا ، بعد فقال له ابنه صالح : ما هذه اللفظة التى تلهج بها ؟ فقال : إن الشيطان واقف بزاوية البيت وهو عاض على أصبعه ويقول : فتنى يا أحمد ، فأقول لا ، بعد ، لا ، بعد ، ولما دنا الأجل قال لأهله : وضئونى وخللوا أصابعى فوضئوه ولما فرغوا من وضوئه فاضت روحه وهو يذكر اللّه تعالى ، فإلى رحمة اللّه يا أسوة الصالحين وقدوة الزهاد والورعين ، والسلام عليك فى الآخرين والأولين .

الحلقة الثانية
من السلسلة الثالثة من نماذج
الدعاة الصالحين
شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

حقاً إذا ذكر الدعاة الصالحون فى أمة الإسلام أن يذكر على رأسهم أحمد بن تيمية الحرانى شيخ الإسلام ، وإمام الهدى ، محيى السنة وقامع البدعة ، وناشر راية الإصلاح فى العالم الإسلامى .

وحقاً إن فى حياة هذا الداعى الكبير لأسوة حسنة ، لمن يرغب فى الاتساء بالصالحين وتمثل جوانب الكمال فى حياتهم ، ولما كانت حياة شيخ الإسلام كلها مجالاً للقدوة ، والاتساء فإنا نكتفى بذكر أبرز الجوانب فيها تعلمه وزهده ، وحلمه ، وشجاعته وصبره وكمال عبوديته ، وحسن دعوته وقبل عرض هذه الجوانب الكمالية فى الحياة الأحمدية .

نعرف به رحمه الله تعالى فنقول من أحمد بن تيمية ؟

ونجيب بأنه : الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن الإمام مجد الدين أبى البركات عبد السلام بن أبى محمد بن عبد اللّه بن أبى القاسم بن محمد بن الخضر بن على بن عبد اللّه بن تيمية (1) الحرانى ولد يوم الإثنين العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ ، وهاجر به والده إلى دمشق عندما أغار التتار على بلاد الإسلام سنة ٦٦٧ هـ وتوفى بقلعة دمشق ليلة الإثنين لعشرين خلت من القعدة الحرام سنة ٧٢٨ هـ .

علمه رحمه اللّه :

نبدأ فى الحديث عن شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى من منطلق كماله ألا وهو العلم وطلبه وحصوله عليه وتفوقه فيه : فنقول لقد طلب أحمد بن تيمية العلم صغيراً ولازم الدرس والتحصيل كبيراً حتى فاز بأنواع العلوم والمعارف ما أصبح به إماماً للعلماء ،

---

(1) تيمية هذه هى أم الجد الأعلى لشيخ الإسلام نسب إليها ولدها لكونها كانت عالمة واعظة ، فنسب إليها ولدها وعرف بها .

وشيخاً للإسلام والمسلمين فى سائر أنحاء العالم الإسلامى .

وها هى ذى شهادات فحول علماء عصره ومصره له بذلك فلنستمع إليها :

قال ابن النجار ـ كما ذكر ذلك بهجة البيطار ـ : قدم بابن تيمية والده إلى دمشق ، فأخذ الفقه والأصول على والده ، وسمع من خلق كثيرين منهم الشيخ شمس الدين ، والشيخ زين الدين بن المنجا ، والمجد بن عساكر ، وقرأ العربية على ابن عبد القوى ، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه وعنى بالحديث ، وسمع الكتب الستة ، والمسند مرات وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه ، والفرائض والحساب والجبر والمقابلة ، وغير ذلك من العلوم ، ونظر فى الكلام والفلسفة ، وبرز فى ذلك على أهله ، ورد على رؤسائهم وأكبارهم ، وتأهل للفتوى والتدريس ، ولم يبلغ العشرين سنة ، وتضلع فى علم الحديث وحفظه ، حتى قال من قال : إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث ، وأمده اللّه تعالى بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم ، وبطء النسيان ، حتى قال غير واحد : إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه ، وألف فى أغلب العلوم التآليف العديدة ، حتى قال الحافظ الذهبى : وما أبعد أن تصانيفه تبلغ خمسمائة مجلد .

وقال الحافظ المزى : ما رأيت مثله (أى ابن تيمية) ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب اللّه وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه ، وقال ابن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه ، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد ، وقلت له : ما كنت أظن أن اللّه بقى يخلق مثلك !!!

وقال الشيخ إبراهيم الرقى : إن تقى الدين يؤخذ عنه ويقلد فإن طال عمره ملأ الأرض علماً وهو على الحق ، ولا بد أن يعاديه الناس لأنه وارث علم النبوة .

وقال : قاضى القضاة ابن الحريرى : إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو ؟ .

وقال الحافظ الزملكانى : قد أعطى ابن تيمية اليد الطولى فى حسن التصنيف ، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين ، وقد ألان اللّه تعالى له العلوم كما ألان لداود الحديد ، كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله ، وقال :

ماذا يقول الواصفون له   وصفاته جلست عن الحصر

هـو حجـة للـه قاهـره		هـو بيننـا أعجوبـة الـدهـر

هـو آية فى الخلق ظاهـرة		أنـوارها أربـت عـن الفـجـر

هذه بعض شهادات العلماء لابن تيمية وغيرها كثير ، وهى شهادات حق وصدق ليس فيها مجازفة ولا مواربه أبداً ، فإن الرجل أجمل مما وصف به ، وأعظم قدراً مما قيل فيه .

زهده رحمه الله :

إن الزهد وهو الرغبة عن المال والجاه وسائر أعراض الدنيا لتفاهتها وحقارتها وقلة قطرها ، صفة كمال فى الرجال وشيخ الإسلام ابن تيمية كان أكمل أهل عصره فى هذا الوصف وصف الزهد ، لأنه كان أعرف الناس بفضل الزهد ، وشرف أهله ولولا زهده لما نال من العلم والتقسى والبصيرة فى دين الله والهدى ، وحسبنا تدليلاً على زهده أن نذكر الروايتين التاليتين :

الأولى : قال ابن فضل الله العمرى : كان يجيىء ابن تيمية من المال فى كل سنة ما لا يكاد يحصى ، فينفقه جميعه آلافا ومئات ، ولا يلمس منه درهماً بيده ، ولا ينفق آخر فى حاجته ، وكان إذا لم يجد ما ينفقه على من يسأله يعمد إلى شىء من لباسه فيدفعه إليه ، قال : وهذا مشهور عند الناس من حاله .

والثانية : قال أحدهم : كنت يوماً جالساً بحضرة شيخ الإسلام ابن تيمية فجاءه إنسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجاً إلى ما يقيم به ، فنزع الشيخ عمامته ومن غير أن يسأله الرجل وقسمها نصفين فاعتم بنصفها ، وأعطى الرجل المحتاج نصفها الآخر فاعتم به .

حلمه رحمه الله تعالى :

إن الحلم خلق فاضل ، وكمال نفسى قل من يظفر به ، والعلماء كثيرون ولكن أهل الحلم فيهم قليل .

إذ الحلم : ضبط النفس عند الغضب ، أو هو عدم الغضب ، والغضب فطرى ، ولكن الحلم كسبى ومن لا يغضب لا يحلم ، وأكثر مظاهر الحلم عند اشداد سورة الغضب وحب الإنتقام ممن اعتدى وظلم ، فمن أوذى وقدر على أذية من أذاه ولم يفعل فقد حلم وعفا وغفر وفى القرآن الكريم : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة**

كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [1] .

ومن هنا كان عظماء الرجال وخاصة دعاة الحق والخير من أعلم الناس وأكثرهم صفحاً وعفواً ولقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية المثل فى باب الحلم ، فإنه على كثرة من آذاه وعاداه لم يثبت أنه انتقم يوماً من أحد منهم حتى ولو مكن منهم ، وهذا غاية الحلم ونهايته أنه لما نقل ابن تيمية إلى الديار المصرية وسجن بالجب بقلعة الجبل سنة ونصفاً ، ولما أفرج عنه واجتمع بالسلطان فى حفل كبير ضم القضاة والأمراء وأعيان البلاد ، وأكرم الشيخ إكراماً عظيماً ، وشاوره السلطان فى قتل بعض أعدائه وخصومه فامتنع الشيخ من ذلك ، ولم يقبل أن يقتل أحد بسببه ، وجعل كل من آذاه فى حل من أمره ، وهكذا تتجلى فى أحمد صفة الحلم التى هى عنصر من أقوى عناصر الكمال فى الدعاة الصالحين ، وبذا كان ابن تيمية نموذجاً صالحاً فى حياة الدعوة ودنيا الدعاة .

شجاعته وصبره :

إن شجاعة أحمد بن تيمية بنوعيها العقلية والقلبية كانت نادرة فى الرجال وقد أصبح بها والحق يقال : أسوة صالحة للمؤمنين ، وليس أدل على شجاعته القلبية والعقلية معاً من تلك الوقفة الجبارة التى وقفها فى وجه جيوش التتار ، وما أقام به من حشد القوات وجمع الطاقات لقتالهم ، وهو العالم الزاهد الربانى ، فقد جعل اللّه تبارك وتعالى طرد تلك القوة الفاتكة العاتية التى دمرت وخربت وعاثت فى ديار الإسلام فساد على يديه وبسبب ما قام به كانت له مواقف مع بعض ملوك التتار نادرة فى الشجاعة والتضحية والفداء .

فقد روى أن ملك الكرج أراد أن يفتك بأهالى دمشق فيسبى نساءهم وذراريهم ، ويغنم أموالهم ، فبذل مالاً كثيراً للسلطان غازان المغولى والذى كان قد أسلم أول من أسلم من ملوك المغول ، بذل له أموالاً طائلة لينحلى بيته ويبين لسكان دمشق ، وبلغ الخبر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية فقام من فوره ، وانتدب رجالاً من وجوه البلاد وكبرائهم ، من ذوى النهى والعقول الراجحة ، ولما وصلوا إلى السلطان المغولى أخذ الشيخ يحدثه بقول اللّه ورسوله ﷺ فى العدل وغيره ، ويرفع صوته على السلطان ويقرب منه فى أثناء حديثه حتى كاد يلصق ركبته بركبتى السلطان ، والسلطان مع ذلك مقبل عليه ، مصغ لما يقول شاخص ببصره إليه لا يعرض عنه ، وذلك مما أوقع اللّه تعالى فى نفسه من المحبة

---

(١) فصلت : ٣٤ ، ٣٥ .

والهيبة للشيخ حتى سأل قائلاً من هذا الشيخ ؟ فإنى لم أر مثله ، ولم أر من هو أوقع منه حديثاً فى نفسى ولا رأيتنى أعظم انقياداً لأحد منه ! وقال الشيخ للترجمان قل للسلطان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين وعملا الذى عملت : عاهد فوفنا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت وجرت ، فبذل الشيخ نفسه فى طلب حقن دماء المسملين فبلغه الله ذلك فكان سبباً ، وكان رحمه الله تعالى يقول : لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض فى قلبه ومن مظاهر شجاعته أيضاً أن أحداً من المسلمين شكا إليه ما فعل به أحد السلاطين ، وكان هذا السلطان ذا جبروت ظلم واعتدى وأخذ أموال الناس ، فذهب إليه الشيخ ولما دخل عليه قال له السلطان فى تهكم وازدراء : إنى كنت أريد أن آتى إليك ، لأنك عالم زاهد ، فأجابه الشيخ قائلاً : موسى كان خيراً منى ، وفرعون كان شراً منك وكان موسى يجىء إلى باب فرعون كل يوم ثلاث مرات ، ويعرض عليه الإيمان .

ومن مظاهر شجاعته أيضاً أن وشى به أحد خصومه المبطلين إلى الملك الناصر لدين الله فأحضره السلطان ووجه إليه تهمة الخيانة فقال له : بلغنى أنك قد أطاعك الناس وأن فى نفسك أخذ الملك ، فلم يكترث أحمد بالتهمة الباطلة وقال فى هدوء ورباطه جأش ، وثبات قلب وبصوت عال : أنا أفعل ذلك ؟ والله إن ملكك لا يساوى عندى فلساً واحداً ، فتبسم السلطان من ذلك وقال : والله إنك لصادق ، وأن الذى وشى بك لكاذب وهذا من جراء ما ألقى الله تعالى فى قلبه من الهيبة العظيمة والمحبة الدينية ولولا ذلك لكان يفتك به .

هذا عن شجاعة ابن تيمية رحمه الله تعالى ، أما عن صبره فحدث ولا حرج وحسبنا أن نعرف أن حياته كلها قضاها فى جهاد متواصل بالسيف واللسان والقلم فما كل ولا مل ، ولا ترك دعوة الإصلاح فى كل حياة المسلمين حتى توفاه الله تعالى فى قلعة دمشق .

وماذا نقول عن صبر ابن تيمية وهو القائل : ماذا يبغى الأعداء منى : أو ما يصنع أعدائى بى أنا جنتى وبستانى فى صدرى أين رحت فهى معى لا تفارقنى ، أنا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، وإخراجى من بلدى سياحه وكان يقول : المحبوس من حبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه .

كمال عبوديته :

إن تحقيق العبودية بالعبادة والتوكل ، وصدق اللجاء ، والإنابة إلى الله تعالى بكل

حال من صفات شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الغالبة عليه ، فلننظر إليه عندما يؤمر به إلى السجن كيف تكون حاله : ذكر صاحب الكواكب الدرية : إن الشيخ لما أمر به إلى السجن بقلعة دمشق أظهر السرور بذلك ، وقال : إنى كنت منتظراً ذلك ، وهذا فيه خير عظيم ، وروى أنه لما سجن بمصر بسجن القضاه بحارة الديلم صار الحبس بالعلم والتعلم والعبادة والدين خيراً من كثير من الزوايا والأربطة والمدارس ، وصار عدد كبير من المساجين إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده ، وكثر المترددون إلى الشيخ حتى صار السجن يمتلىء بهم .

وكان رحمه اللّه تعالى يقول فى سجوده وهو محبوس : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادك وكان يقول : المحبوس من حبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه ولما دخل القلعة وأصبح داخل سورها قال : فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمه وظاهره من قبله العذاب ، فكان يرى فى السجن جنة الدنيا لما يحققه له من القرب من ربه بالتفرغ لعبادته والانقطاع إلى اللّه تعالى فيصبح فى جنة أنس ونعيم نفس ، حكى عنه عارفوه أنه مع كثرة ما يهدد ، ويضايق ويحبس كان أطيب الناس نفساً وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وما هذا إلا لقوة إيمانه ، وكمال عبوديته وصدق توكله .

حسن دعوته :

إنه من غير المشكوك فيه أن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية كما كان رجل جهاد ، بالنفس والمال فى سبيل اللّه ، كان رجل دعوة وإصلاح ، وقد كملت رجولته فى ذلك فلم يدانيه أحد من معاصيره ، ولا ممن جاءوا بعده بحال من الأحوال ، وهذا من فضل اللّه عليه ، واللّه يؤتى فضله من يشاء وهو الحكيم العليم .

تصدى ابن تيمية لمحاربة الفساد المستشرى فى أمة الإسلام والمتمثل فى الحكام والعلماء والعباد من المتصوفة والمبتدعة والخرافيين ، فقاومه بالحجة والبرهان انبرى لما قاومته الحكام وبالوعيد والتهديد ، والسجن والحرمان ، وتصدى له العلماء ، بالإنكار بالأحكام والتشنيع والوشايات لدى الحكام وتصدى له المتصوفة والمبتدعة بالكيد والمكر والدس والخداع والكذب والتضليل .

ووقف الشيخ وحده فى الميدان ليس له من ولى ولا نصير إلا ربه تعالى وكفى باللّه ولياً ونصيرا ، وكان ما أجمع عليه أعداؤه فيه ثلاث مسائل أدعوا أنه خالف فيها الإجماع

وهى طلاق الثلاث والوسيلة ، وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ، هذه أبرز ما اجتمع عليه أعداء الشيخ فحاربوه عليها حرباً ضروسا بلا رحمة ولا شفقة ، فما تركوا وسيلة للنيل من الشيخ إلا استعملوها ، فكذبوا عليه ، وزوروا وافتروا ، وقالوا ما لم يقله عدو فى عدوه والشيخ صابر محتسب بقرع الحجة بالحجة ، ويبين زيف الدعاوى ، وافتراء المفترين ، كل ذلك بأسلوب نزيه ، وكلام طيب ، وقول حسن فلا يغلظ فى قول ، ولا يجفو فى عبارة ، ولا يحاول انتقاص أحد ، أو النيل من كرامته إن كان من ذوى الكرامات ، الأمر الذى يعد فيه ابن تيمية فريداً وحيداً أشبه رجل بنبى فى دنيا الرجال ، وكان إذا التبس عليه أمر أو خفيت عليه حال أو لم يتبين وجه الحق فى مسألة فزع إلى ربه يستعمله ويستهديه فكان يقول فى جوف الليل وقد انقطع إلى ربه : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيم فيه مختلفون ، اهدنى لما أختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم ، فيعلمه ربه ويهديه إلى وجه الحق الذى التبس عليه ، وما مات ابن تيمية حتى أوضح منهج الإسلام ، وأقام سبيل الدعوة ، وفتح اللّه به عيوناً عميا وأسمع بدعوته آذاناً صما ، وهدى به قلوباً زائغة عن الحق حائرة فى طلب الهدى ، وكل من أتى بعده من رجال الإصلاح والدعوة فى هذه الأمة إنما هو من مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية فرحمه اللّه رحمة واسعة .

وفاته رحمه اللّه تعالى :

بعد أن أظهر اللّه تبارك وتعالى الحق على يدى عبده ووليه ، أحمد بن تيمية ، فى مسائل كثيرة من أهمها العقيدة الإسلامية بجوانبها الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات . وبعد أن استنارت ديار الإسلام بعلوم شيخ الإسلام ، وتبددت دياجير الظلام التى عاشتها بلاد الإسلام زمناً غير قصير وفى ليلة الإثنين لعشرين خلت من شهر ذى القعدة عام ٧٢٨ هـ ـ قبض اللّه تعالى إليه روح عبده الصالح ، ليكرمها على ما قدمت من تضحيات جسام طلباً لمرضاة ربها ، ورغبة فيما لديه من الكرامة ، وفى ظهر يوم الإثنين خرجت جنازة شيخ الإسلام من المسجد الأموى بدمشق بعد أن صلى عليها عقب صلاة الظهر يشيعها إلى مثواها الأخير ، خلق جزر النساء منهن فقط تمكن خمسة عشر ألف امرأة مشيعة لجنازة الإمام وقالوا : إنه لم يتخلف عن جنازة الإمام ابن تيمية من سكان دمشق من حكام وأمراء ورجال علم ، وصلاح وعامة الناس إلا ثلاثة نفر كانوا أعداء ألداء

للشيخ ، تخلفوا خوفاً على أنفسهم من أن يرجمهم المسلمون بالحجارة لغضبهم عليهم وحزنهم على شيخهم وهم يودعونه الوداع الأخير .

فرحم اللّه أحمد بن تيمية ورزقنا الأسوة به فى طلبه العلم وفى صبره وشجاعته وجهاده وحسن دعوته .

الحلقة الأخيرة

من سلسلة نماذج من الدعاة الصالحين

إن الحلقة الأخيرة فى سلسلة نماذج من الدعاة الصالحين هى شيخ الإسلام :

محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه تعالى .

تعريف :

فمن هو يا ترى محمد بن عبد الوهاب ؟

إنه أبو عبد اللّه محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد التميمى ، المولود بقرية العيينة سنة ١١١٥ هجرية من البلاد النجدية الواقعة شمال مدينة الرياض العاصمة للملكة العربية السعودية .

جوانب الكمال فى الشيخ رحمه اللّه :

إننا فى هذه السلسلة من أول حلقة فيها إلى هذه الأخيرة منها لا نعرض كثيراً لكمال فى الداعية إذا كان وهبياً غير كسبى بعلة أن الوهبى لا تتأتى الأسوة فيه وإنما الأسوة تكون نى الكمال الكسبى ، ولذا لا نبرز من حياة الداعى إلا جوانب خاصة فى حياته لكونها محط الاتيساء ، ومجال الاقتداء وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الحلقة الأخيرة فى سلسلة الدعاة الصالحين ممن أثرنا الكتابة عنهم للاقتداء بهم والاهتداء بهديهم ـ حياته كلها عظات وعبر وما من جانب منها إلا وهو صالح لأن يكون قدوة صالحة للمقتدين ، وأسوة حسنة للمؤتسين ونظراً للحاجة الماسة للاختصار فإنا نكتفى بأبراز الجوانب التالية من حياته المليئة بالبر والهدى وهى طلبه العلم ورحلته فى سبيله ، كماله العلمى ، دعوته الإصلاحية ، صبره ومالاقى من أذى فى سبيل الدعوة ، نجاحه فى دعوته ، سر نجاحه فيها .

طلب الشيخ العلم ورحلته فى ذلك :

ما من شك أن النبوغ فى كل شىء لا بد له من عوامل تساعد عليه ومن عوامل نبوغ

الشيخ التى أثرت فى حياته العلمية وكانت السبب البارز فى نبوغ الشيخ فى العلم وتفوقه فيه على أقرانه ، أن والده الشيخ عبد الوهاب بن سليمان كان عالماً فقيها ملماً بالكتاب والسنة ففتح الشيخ عينيه على نور العلم فى بيت والده فأخذ منه ما كان طاقة له اقتدار بها على استيعاب شتى الفنون والعلوم وبخاصة العلوم الشرعية وفى أثناء طلبه العلم ببيت والده قد ولع بمطالعة كتب الشيخين المصلحين الكبيرين شيخى الإسلام أحمد بن تيمية ، وابن القيم الجوزية ، فانفتح له بمطالعة كتبهما آفاق واسعة بعيدة فى العلم والتطبيق ، ونظر إلى ما حوله وإذا العلوم الشرعية فى واد والناس فى واد آخر ، العلوم الشرعية تدعو إلى أن يعبد اللّه تعالى وحده وأن لا يعبد إلا بما شرع ، والناس أكثرهم لا يعبدون اللّه وحده ، ولا يعبدونه بما شرع ولكن بما ابتدعوا وحسنوا ، فالشرك بأنواعه الأكبر والأصغر ، والخفى والجلى ، شائع ذائع معمول به ، وأكثر العبادات أعطيت حكم العادات ، فلا تأثير لها فى تزكية النفس وإصلاحها وذلك لخلوها من متابعة الرسول ﷺ ، ومن روح الإخلاص للّه تعالى .

وهنا أخذ الشيخ تفكير عميق ، وتواردت عليه أسئلة عديدة :

هل ما عليه المسلمون اليوم فى هذه الديار هو فرض للّه تعالى ؟ وهل المسلمون فى غير هذه البلاد أحسن حالاً من هؤلاء ؟ ما هى مقومات إصلاحهم ، وعلى ما يصلحون ، وتقفز إلى ذهنه إجابات متعددة ، قد يكون منها : إن مقومات إصلاحهم أن يعلموا فإن أكثرهم لا يعلمون ، وأن ما يصلحون عليه لن يكون غير ما صلح عليه المسلمون الأولون : إنه الرجوع إلى كتاب اللّه وسنة رسوله تعلماً وعلماً وعملاً وتطبيقاً وتحرك الداعية الموهوب فى محيط بلده ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف ، فتقابل دعوته بالإستنكار الشديد بل وبالتجهيل له أحياناً والتسفيه ، ورأى أن الرسوخ فى العلم ضرورة لمن أراد أن يقوم بالدعوة الإسلامية واقتنع برأيه وهنا عزم على الرحلة إلى ديار الإسلام لتحقيق غرضين ساميين أولهما : التزود من العلم والإكثار من المعرفة ، والثانى : الاطلاع على أحوال المسلمين ومعرفة ماهم عليه من الهدى والضلال .

وحان موعد الحج إلى بيت اللّه فخرج الشيخ حاجاً وتمكن بذلك من الإتصال المباشر بالعالم الإسلامى فعرف ما عليه المسلمون علماء وجهالا ، وأن حالهم لا تختلف عن حال أهل بلاده النجدية ، وقضى حجه ، وجلس إلى العديد من علماء المسجد الحرام ، وأخذ عنهم ثم شد الرحل زائراً المسجد النبوى الشريف ، وتم له التشرف بالوقوف على قبر

الرسول ﷺ فزاره وزار صاحبيه ، وجلس إلى العلماء وكانوا كثيرين بالمسجد النبوى حتى لكأن المسجد النبوى جامعة قائمة بذاتها ، فأخذ الحديث عن رجاله ، وأخذ التفسير عن علمائه ، وتضلع فى كثير من العلوم كالفقه الحنبلى ، والتوحيد السلفى ، ثم رحل إلى البصرة فطلب العلم بها من كبار علمائها ثم رحل إلى الشام ، كما روى راجلاً بلا زاد ولا راحلة حتى كاد يهلك فى بعض أسفاره ، إلا أن الله أنجاه ، وكذلك ينجى الله تعالى أولياءه .

ولما امتلأ وطابه وطال فى العلم باعه ، ورسخت فى المعرفة قدمه عاد إلى بلاده النجدية ، وقد عرف أحوال المسلمين ، وعرف ما هم عليه من شرك وضلال وجهالات جهلاء ، وغوايات دهماء وأيقن أنه لا دواء ولا شفاء إلا بالعلم والعمل ، العلم بشرع الله تعالى والعمل به ، فوطن نفسه لذلك واستعان بالله تعالى وبدأ دعوته .

كماله العلمى :

إن آية كمال علم المرء ورسوخه فيه هو ما يتحلى به من صفات الكمال النفسى وما يقوم به من دعوة وعمل ، ومن هنا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب على درجة من الكمال العلمى لا تدانى ولنستمع إلى الشهادة التالية قال بعض من ترجم له : كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى علماً من الأعلام ناصراً للسنة مانعاً للبدعة ، خبيراً مطلعاً ، إماما فى التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأصوله ، وعلوم الآلة كالنحو ، والصرف والبيان ، عارفاً بأصول عقائد الإسلام وفروعها ، كشافاً للمشكلات حلالا للمعضلات ، فصيح اللسان فى الحجة ، مقتدراً على إبراز الأدلة وواضح البراهين بأبلغ عبارة وأبينها تلوح ، على محياه علامات الصلاح ، وحسن السيرة وصفاء السريرة ، يحب العباد ويغدق عليهم من كرمه ويصلحهم ببره وإحسانه ، ويخلص لله فى النصح والإرشاد ، كثير الاشتغال بالذكر والعبادة قلما يفتر لسانه عن ذكر الله .

ومن مؤلفاته العديدة ما يلى :

١ ـ استنباط من القرآن (يقع فى جزئين)

٢ ـ مختصر صحيح البخارى .

٣ ـ أصول الإيمان .

٤ ـ كتاب الكبائر

٥ ـ آداب المشى إلى الصلاة .

٦ ـ مختصر الإنصاف والشرح الكبير فى الفقه .

٧ ـ كشف الشبهات .

٨ ـ مختصر السيرة .

٩ ـ الثلاثة الأصول .

١٠ ـ نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين .

١١ ـ مختصر زاد المعاد .

١٢ ـ مسائل الجاهلية .

وبهذه تبين أن الشيخ الداعية الكبير ما أطلق عليه لقب شيخ الإسلام إلا لكمال علمه ، وما حققه به من هداية لخلق لا يحصون عدا ، ولا يعدون كثرة ولا يخطىء المرء ، إن قال : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وإن كان تلميذاً للإمامين الجليلين : ابن تيمية ، وابن القيم فى علومه ، وأفكاره ، ومقومات دعوته ، وأسباب جهاده ، فإنه قد كان له الفضل الكبير فى مد دعوة الإصلاح التى قام بها الإمامان المذكوران آنفا بعد أن انكمشت ، وكادت تذوى وتموت ، فبعث الله الشيخ فجدد حياتها وأمدها بروح قوية ودفعها بحركة اطرد بها سيرها ، وحتى بلغت ما بلغ الليل والنهار فى هذه الأيام ، وهذا عائد إلى ما وهب الشيخ من صدق نية وصفاء طويه ، وإخلاص لله تعالى فى السر والعلانية .

دعوته الإصلاحية :

بدأ الشيخ دعوته الإصلاحية التى أطلق عليها المغرضون من ذوى النيات السيئة (المذهب الوهابى) بدأها رحمه الله تعالى بقرية الحريملا حيث انتقل إليها والده الشيخ عبد الوهاب من العيينة وكانت حالة البلاد النجدية العقائدية من أسوأ البلاد حالاً ، إذ كان بها بعض القبور المنسوبة إلى بعض الصحابة رضى الله عنهم كانت تحج ، ويطلب منها حجاجها وزائروها قضاء الحاجات ، ويستغيثون بها عند الشدائد ، وإلمام الملمات ، ومن بين تلك القبور قبر زيد بن الخطاب ولم يقف أمر أهل الجهل والباطل على عبادة القبور فحسب بل استغاثوا بالأشجار والأحجار . فقد كان أهل المنفوحة يتوسلون بفحل نخل ، ومن ذلك قول العانس من النساء : يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول .

وما أن أعلم أهل بلاده بضلالهم ، وأنكره عليهم حتى قام الناس رجالاً ونساء ينكرون على الشيخ ويناصبونه العداء لطول ما ألفوا من الباطل وما اعتادوا من الضلال ومع هذا فقد اهتدى أناس على يد الشيخ وأصبحوا أنصاراً وأعواناً .

ولما أذن الله بنصر دينه ، بيت بعض العبيد الأنكاد المناجيس للشيخ فتسوروا عليه جدار المنزل وأرادوا الفتك به ، غير أن الله أيقظ رجالاً من أهل الحى فصاحوا فيهم فهربوا ، وهنا قرر الشيخ العودة إلى بلاده وكان بها حاكم صالح يقال له عثمان بن حمد بن معمر ، فتلقى الشيخ بغاية الحفاوة والتكرم وعرض الشيخ عليه الدعوة فقبلها بعد أن عرف أنها حق وأن غايتها إصلاح العباد والبلاد وبانضمام هذا الأمير إلى الدعوة عزت فأمكن الشيخ أن يعلنها داوية ، وأن يغير الباطل بيده بعد أن عجز عن تغييره بلسانه فهدم قبة زيد بن الخطاب وقطع ما كان يعظم من الأشجار فعظم شأن الشيخ وذاع صيته فى البلاد .

وهنا شعر حاكم الأحساء بخطر الدعوة إذا استفحل أمرها فكتب إلى واليه عثمان بن معمر يقول له : إن المطوع الذى عندك قد فعل وفعل فإذا وصلك كتابى هذا فاقتله ، وإلا قطعنا عنك خراجك ، فخاف عثمان على مركزه فأمر بإخراج الشيخ من بلده ، فخرج الشيخ يمشى على رجليه ووراءه فارس موكل به .

ومن كرامات الشيخ رحمه الله أن الفارس الموكل به قد هم بقتله فى الطريق بإيعاز من ابن معمر ، غير أنه لما هم ارتعدت يده وخارت قواه ولم يفعل ، فكفى الله الشيخ شره والحمد لله ، وهذه ثمرة من ثمار ذكر الله تعالى والتوكل عليه ، إذ كان الشيخ فى طريقه لا يفتر عن ذكر الله ومن الحين إلى الحين يردد قول الله تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ (١) ، ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ (٢) .

وصل الشيخ قرية الدرعية ونزل ضيفاً على الشيخ عبد الرحمن بن سويلم وخاف الأخير على نفسه من الأمير محمد بن سعود أمير المنطقة ، فسكن الشيخ من روعه ، وطمأنه على نفسه فسكن وهدأ ، وعلم بوجود الشيخ عند ابن سويلم أعيان البلاد وضواحيها ، فزاروا الشيخ خفية فوعظهم ورغبهم فى الخير ، بين لهم أهداف دعوته وأنها دعوة حق وخير ، وكان للأمير محمد بن سعود أخوان وزوجة صالحة ، فعزموا ثلاثتهم على أن يذكروا للأمير عن وجود الشيخ ويرغبونه فى زيارته والاتصال به ، ونصرته وتأييده ففعلوا فزار الأمير الشيخ فدعاه إلى التوحيد ، وبينه له ، ورغبة وبشره بنصر الله تعالى إن

(١ ، ٢) الطلاق : ٢ ، ٣ .

هو نصر دينه ، واقتنع الأمير بالمبدأ وأعلن تأييده للشيخ ونصرته على إبلاغ دعوته ، غير أنه اشترط على الشيخ شرطين الأول : أن لا يرجع الشيخ عنه إن نصرهم الله ومكن لهم ، والثانى : أن لا يمنعه من أخذ الخراج المضروب على أهل الدرعية وقت الثمار فأجابه الشيخ إلى ذلك فقال : أما الأول فالدم بالدم والهدم بالهدم ، وأما الثانى فلعل الله يفتح عليك الفتوحات وتنال من الغنائم ما يغنيك الله به عن الخراج .

وهنا دخلت الدعوة طوراً جديداً إذ علم الناس بانضمام الأمير محمد بن سعود إلى صف الدعوة ، فعرفوا أن الشيخ عز جانبه ، فأخذ الناس يفدون من أنحاء البلاد النجدية عليه لا سيما من سبق أن اقتنع بالدعوة وآمن بها ، وكثر عدد الأنصار فخافها أصحاب المنافع المادية فناصبوها العداء ، وبدأت الحرب بين فريق الهدى وفريق الضلال ، ودارت المعارك دامية ، ونصر الله جنده ، فأخذت القرى النجدية تسقط الواحدة تلو الواحدة ولم تمض سنوات حتى سقطت العاصمة الرياض ودخلها الإمامان إمام القلم ، وإمام السيف ، وتكونت أول دولة قرآنية فى البلاد النجدية وذلك سنة ١١٨٧ هـ وبعدها بسنة توفى الإمام محمد بن سعود ، وبويع لولده عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وهنا أسند الشيخ مهام الأمور إلى الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود وتفرغ لنشر العلم ، والدعوة فأقبل على إلقاء الدروس ومراسلة العلماء والحكام فى أنحاء العالم الإسلامى ، يشرح لهم الدعوة وبيين لهم حقائق التوحيد ، ويظهر لهم ماهم عليه من الباطل والضلال ، ووصل صوت الشيخ إلى أقاصى البلاد الإسلامية وأجابه من أراد الله هدايته ، وأعرض من لم يكن أهلاً للخير والفلاح ، هذه دعوة الشيخ الإصلاحية التى أثمرت وجود دولة إسلامية بكاملها اتسع نطاقها حتى غزت على يد الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود العراق ووصلت إلى كربلاء وأوقعت بأهلها خسائر جساماً وهدمت قبة الحسين بها .

صبر الشيخ وما لاقى من أذى :

إن ما لاقاه الشيخ من الشدائد وما قاساه من أذى الناس فى سبيل الدعوة إلى الحق أمر لا يوصف وحسبه أن عاش مجاهداً طيلة عمر مديد بلغ إحدى وتسعين سنة [1] وحسبنا من ذكر صبر الشيخ ذكر مواطنه وقد مر بنا بعضها من ذلك سفره فى طلب العلم إلى الشام على رجليه حيث لم يجد راحلة ولا دابة يركبها ، وما لاقى من مشاق السفر مما أشرف معه على الهلاك خروجه من العيينة بأمر بن معمر وهو حاسر الرأس حافى القدمين

(١) إذ ولد الشيخ سنة ١١١٥ هـ وتوفى سنة ١٢٠٦ هـ .

خائفاً يترقب ، وقد هم الفارس الموكل به فى الطريق بقتله ، فاستل سيفه وأراد أن يضرب الشيخ ، غير أن اللّه تعالى أنزل به رعباً فشل معه فى ضرب الشيخ ، الحروب التى دارت فى بلاد نجد وشنها عليه وعلى الأمير محمد بن سعود أعداء الإصلاح والتوحيد تلك الحروب التى دامت سنوات كلها خاضها الشيخ جنباً إلى جنب مع الأمير محمد بن سعود والموحدين ، وقد يغنينا عن مزيد ذكر الأحداث الجسام التى يتجلى فيها صبر الشيخ تحمله الأذى فى سبيل دعوة الحق ، أن أخاه سليمان وهو شقيقه قد تصدى له يوماً فى إبان الدعوة وظهورها ، تصدى له أخوه فطعنه بسكين طعنات قاتله وفر والتحق بصفوف أعداء الدعوة الإسلامية ، غير أن اللّه تعالى رحمه ببركة دعاء الشيخ فتاب وعاد إلى صفوف دعوة الحق وناصرها حتى مات .

نجاح الشيخ فى دعوته وسر ذلك النجاح :

إن نجاح دعوة الشيخ أمر ظاهر لا يشك فيه ، وقضية مسلمة لا يجادل فيها فما من دعوة إصلاحية ظهرت بعد دعوة الشيخ وفى كل ديار المسلمين شرقاً وغرباً إلا وهى ترديد لصدى دعوة الشيخ رحمه اللّه تعالى ، وبالرغم من العنف الذى واجه دعوة الشيخ والشدة التى حوربت بها من قبل السياسيين والعلماء والانتفاعيين من ذوى النيات الفاسدة ، والأغراض الخبيثة فإنه لم يبق صقع من إصقاع العالم الإسلامى إلا وفيه مؤمنون قلوا أو كثروا يترحمون على الشيخ ويدعون بدعوته ، ويسيرون على منهجه فى الدعوة إلى اللّه تعالى وخير ما يقال فى هذا الحديث عن نجاح دعوة الشيخ : إن دعوة الشيخ شابهت دعوة المصطفى ﷺ فى كل مراحلها والتى انتهت بنصرها ، ولنورد وجوه الشبه فنقول : إن النجدية صورة خاصة كانت عند ظهر الشيخ فى غاية الفساد والضعف من حيث العقائد والأخلاق والسلوك العام والخاص ، وكذلك كانت حال مكة والبلاد حولها عند بعثة الرسول ﷺ ، عندما بدأ الشيخ دعوته فى نجد بدأها سراً وكان المؤمنون بها قلة لا تذكر ، ولاقت من الضغط الشديد والعداء العنيد « مما اضطر الشيخ إلي الهجرة من الحريملا إلى العيينة ، ثم إلى المدينة ، وكذلك أتباعه كالذى حصل لرسول اللّه ﷺ ، حتى أسفروا بدار الهجرة والإيمان بالمدينة المنورة .

عندما آمن بدعوة الشيخ الأمير محمد بن سعود وانتصر لها أصبحت الدرعية مركز الدعوة ومنطلقها كالذى تم للرسول ﷺ وأصحابه بالمدينة النبوية ، إذ بعد الهجرة إليها والاستقرار بها أصبحت مركز الدعوة ومنطلقها ، بدأ جهاد الشيخ المسلح من الدرعية كما بدأ جهاد رسول اللّه ﷺ المسلح من المدينة ، انتصرت الدعوة الإسلامية على يد

رسول الله ﷺ وأصحابه بعد أن خاض الرسول ﷺ وأصحابه المعارك البطولية ضد جيوش البغي والطغيان ، انتهت بتطهير مكة وكل شبه الجزيرة من الشر ومظاهره والفساد وآثاره ، وأعلن فيها عن التوحيد والحق والعدل وسادها طهر وصفاء وعدل وأمن ورخاء ، وانتصرت دعوة الشيخ فى نجد أيضاً بعد معارك طويلة خاضها الشيخ وآتباعه على الحق وانتهت بتطهير البلاد النجدية من الشرك والخرافة والباطل والشر والفساد وسادها العلم والعدل وحل بها الأمن والرخاء بتكوين دولة آل سعود بها الأمر الذى لا مجال لإنكاره .

ففى هذه المراحل كلها كان الشبه بين الدعوتين كبيرا مع الفارق الذى هو النبوة وعدمها ، وآخر وجوه الشبه أن الرسول ﷺ راسل الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام لسعادتهم وكمالهم ، فراسل كسرى وقيصر وغيرهما ، فكذلك الشيخ راسل أمراء وعلماء العالم الإسلامى يدعوهم إلى الإسلام ، ومن بين ما أذكر رسالة وجهها إلى علماء جامع الزيتونة بتونس ، ورسالة وجهها إلى الملك سليمان ملك المغرب ، وقد رحب الأخير بالرسالة وشرحها لرجاله وقدمها للأئمة فى خطبة الجمعة ضمنها أهداف الدعوة الإسلامية ، جزى الله تعالى كلا من المرسل والمرسل إليه خير الجزاء .

وأخيرا : إن سر نجاح دعوة الشيخ يكمن فى أمور يجب أن لا تغيب عن ذهن الداعى الإسلامى الذى يريد أن يبلغ الكمال فى دعوته وتلك الأمور هى :

١ ـ العلم والمعرفة والرسوخ فى ذلك ، الأمر الذى يمكن الداعى من إظهار الحجج ، ومقاومة الباطل ، وإظهار زيف التضليل مهما طلى وحسن ونمق .

٢ ـ قوة الصلة بالله تعالى ، وذلك بالإكثار من القربات ، وفعل الطاعات .

٣ ـ الترفع عن الدنيا والزهد فى حطامها الفانى ، وعدم الالتفات إلى ملاذها .

٤ ـ الإخلاص فى الدعوة إلى الله تعالى ، وعدم نسوبها بأمة شرك ما .

٥ ـ الصبر والتحمل وعدم الكلل أو الملل بحال من الأحوال .

٦ ـ توطين النفس على الجهاد وخوض معاركه عندما يحين وقته ويتعين القيام به .

هذه الأمور كلها قام بها الشيخ واتصف بها فى مثالية نادرة ، فكانت سر نجاحه فى دعوته وبلوغها أهدفها فى الهداية والإصلاح ، ولا يسعنا هنا إلا أن نترحم على الشيخ ، ونسلم عليه ، فرحمة الله عليك يا ابن عبد الوهاب ، وسلام عليك فى المجاهدين ، وسلام عليك فى الدعاة الصالحين .

من رسائل الدعوة

الدولة الإسلامية

تأليف

أبو بكر الجزائري

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين
النبى الأمى محمد وآله وصحبه أجمعين

التعريف

وبعد :

الدولة الإسلامية

رسالة من رسائل الدعوة

ترسم الصورة الصادقة لما تكون عليه الدولة الإسلامية فى عصر الحضارة ، والتقدم العلمى الذى غير كثيرا من معالم الحياة ، وبدل جوانب كبيرة من مظاهر التفكير البشرى .

وتعطى العالم الإنسانى نموذجا للحياة السعيدة الفاضلة التى جاء الإسلام بتحقيقها للناس أجمعين ، متى آمنوا به دينا وعملوا به منهجا ، وحكموا به قانونا ، وتقيدوا به نظاما .

وتهيب بكل محبى السعادة البشرية ، والعاملين على تحقيقها لبنى الإنسان أن يجعلوا الدولة الإسلامية التى هى الآن (فكرة) تحملها هذه الرسيلة الصغيرة حقيقة واقعة يعيش عليها الناس وتسعد بها البشرية جمعاء ، وذلك من طريق الإيمان والجهاد .

أساس الدولة الإسلامية

الإيمان .

الأمة .

مادة الحكم .

الحاكم .

الحكومة .

هذه خمسة أسس عليها يقوم بناء الدولة الإسلامية ، تلك الدولة التى تكفل ـ بإذن الله تعالى ـ سعادة الفرد والمجتمع ، والتى هى الأمل الذى تتطلع إليه البشرية فى كل أنحاء العالم الإنسانى والأمنية الغالية لكل العقلاء فى الأرض والحاجة الملحة لكل البشر فى هذا الوجود .

والأمل معقود فى الشبيبة الإسلامية الناهضة أن تقوم بمهام إيجاد هذه الدولة المأمولة المرتقبة ، والتى إن وجدت حققت بإذن ربها ـ للعالمين الإسلامى والإنسانى كل خير وسعادة .

الأساس الأول

للدولة الإسلامية

الإيمان

تعريف:

* الإيمان روح يسري في الأجسام الميتة فتحيا بإذن الله .

* والإيمان طاقة هائلة إذا تفجرت دكت كل ما حولها من صخور الجمود ، وحصون الأوهام والمخاوف ، وقضت على جيوش الشر والباطل .

* والإيمان نور من الله تعالى متى يشع فى قلب امرىء أضاء لصاحبه كل الآفاق فى الكون والحياة .

* والإيمان خصيصة بشرية تتغير بها المفاهيم ، وتتبدل بها الغرائز ، وتجعل من الإنسان الضعيف قوة يتمكن بها من القهر والاستعلاء على كل ما حوله من مخلوقات هذا الوجود الأرضى .

* والإيمان رحمة إلهية يدخل الله فيها من يشاء من عباده ، فمن أدخله فيها فقد تأهل لكل سعادة بشرية ، وتهيأ للوصول إلى أرقى ما يمكن أن يصله الإنسان من الكمال البشرى فى هذه الحياة .

عناصر الإيمان

ومبنى الإيمان هذه العناصر الستة :

* الإيمان بالله تعالى .
* الإيمان بلقاء الله سبحانه وتعالى .
* الإيمان بكتاب الله عز وجل .
* الإيمان برسول الله محمد ﷺ .
* الإيمان بالمثل العليا فى الحياة .
* الإيمان بأقضية الله تعالى ومجارى أقداره .

هذه هى العناصر التى يقوم عليها الإيمان الذى هو أحد أسس الدولة الإسلامية الخمسة التى تنبنى عليها . فتحقق للبشرية السعادة التى تحلم بها ، وتطلبها ، وتتطلع إليها منذ زمن طويل . ولم تجد إلا فى ظل هذه الدولة التى يجب أن تكون ، لأنها ضرورات الحياة البشرية فى هذا الوجود .

أ ـ الإيمان بالله تعالى :

ما كان لدولة تقوم على أساس الإلحاد ونكران الحق ، والكفر بالله عز وجل وكتابه ورسوله ، ولقاء الله تعالى ، ما كان لها أن تحقق خيرا أبدا ، ولا ينبغى أن يطلب منها ذلك ، أو ترجى فيه ، لأن عنصر كل خير وهو الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، وما يستتبعه من الإيمان بملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، هو أساس قيام الدولة الإسلامية ، ومعناه ـ الإيمان أن كل فرد من أفراد الأمة والحكومة يؤمن بوجود الله تبارك وتعالى ، وأنه فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، العزيز الحكيم . رب كل شىء ومليكه لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

كان ولم يكن شىء قبله ، وكتب فى الذكر ما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة .

خلق الملائكة وهم من أعظم وأجل مخلوقاته ، وأطهرهم وأصفاهم . خلقهم من نور ، وطبعم على الخير ، فهم عباده المكرمون ، لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وخلق الجان من مارج من نار ، وطبع منهم إبليس وذريته عى الشر فهم غواة شريرون خبثاء يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، وما يرى فى الناس من مظاهر الشر والفساد هو من عمل إبليس وذريته ، بدعوتهم إليه ، وتحريضهم عليه وجعل باقى الجن قابلين للهداية والغواية فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك .

وخلق الإنسان من طين فسواه ونفخ فيه من روحه . وجعل نسله من سلالة من ماء مهين . فصور فى الأرحام فأحسن التصوير ، وجعل السمع والبصر والفؤاد ، ليذكر ويشكر . وجعل كلا من الجن والإنس قابلا للشكر والكفر ، وللكمال والنقص ، فأنزل إليهم الكتب ، وبعث فيهم الرسل توضيحاً للمحجة ، وإقامة للحجة ، فمن أخذ بهداية الله من إنس وجان نجا من الخسران . وفاز بالجنان . ومن لم يأخذ بها هلك ، وباء بالخسران وحرم نعيم الجنان .

وجعل أهل طاعته بذكره وشكره هم أهل محبته ورحمته ، وجعل أهل معصيته بنسيانه وكفره هم أهل بغضته وعذابه .

وخلق الحيوان لحكم كثيرة هو يعلمها ، وأسرار عجيبة اطلع من شاء عليها . وأنزل لعباده من الأنعام ثمانية أزواج فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع كثيرة ومشارب لذيذة . وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة ، ويخلق ما يشاء وهو العليم القدير .

ولازم هذا المعتقد أمور هي :

١ ـ أن لا يدين فى الأمة أحد إلا لله ، إذ لا إله إلا الله ، ولارب سواه وعليه فلا آمر ولا ناهى ، ولا شارع ، ولا مطاع على الحقيقة إلا الله .

٢ ـ الاعتراف التام بنظام القدر ، وأن كل شىء كان به ، وجرى بحسبه ، فلايجوز لأحد فى الأمة أن يسخط قضاء الله ، أو يبدى عدم رضا بأى حكم من أحكام الله تعالى .

٣ ـ الإيمان الكامل بعالم الملائكة ، وبما وصفهم الله تعالى به ، وبما أخبر به عنهم من طاعتهم وطهارتهم وقربهم .

٤ ـ التصديق بوجود الجن وأعمالهم وأحوالهم ، وأن منهم شياطين لا خير فيهم هم سبب إغواء الإنسان وإفساده وأن منهم خلقا آخر ذا قابلية للطاعة والمعصية ، قد كلف بطاعة الله وطاعة رسوله . فمن أطاع فقد تحرى رشدا ومن عصى فقد كان لجهنم حطبا .

٥ ـ وجوب تكريم الإنسان ، واحترام آدميته ، والمحافظة على سلامة فطرته وعنصر الخير فيه .

٦ ـ تحقق كمال الإنسان بهداية الله تعالى التى هى شرائعه ، وأحكامه وكون سعادته بها ، ونقصه وخسرانه بعدم أخذه بها ، ومجانبته لها .

٧ ـ تقرير رحمة الحيوان ، وتعيين رعايته ،ولزوم حمايته ليبقى صالحا للانتفاع به ، والاستفادة منه .

ب ـ الإيمان بلقاءالله سبحانه وتعالى :

كل فرد فى الدولة الإسلامية ملتزم بمبدأ الإيمان بالحياة بعد الموت والبعث بعد الفناء ، والحشر للحساب والجزاء . وهذا معنى الإيمان بلقاءالله سبحانه وتعالى ، وبيوم القيامة واليوم الآخر ، وما يستتبع ذلك من أحوال أهل الموقف وأهواله ، ومن نعيم أهل النعيم فى الجنة دار الأبرار ، ومن شقاء أهل الشقاء فى النار دار الفجار .

ويعتبر هذا المعتقد فى أهمية المعتقد الأول بالنسبة لكل فرد من أفراد الأمة والدولة ، إذ عليه مدار توجيه الإنسان وإصلاحه فهو بمثابة الطاقة المحركة نحو الخير والاستقامة ، والتى بدونها لا يتم إصلاح الفرد ولا توجيهه بحال من الأحوال .

ومن هنا كان الإيمان بالبعث والجزاء ضرورة من ضرورات الحياة ـ الفاضلة ، فلا استغناء عنه ولا بديل أبدا ، وذلك لتعذر تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق لدى المواطنين بدونه . وعظمة الدولة وعز جانبها وقوة سلطانها ، إنما هى مستمدة من صحة أفرادها وسلامتهم.

والفرد إذا لم يكن مؤمنا بعلم الله تعالى بأفعاله ، وقدرته عى مجازاته بها ، خيرها وشرها ، حسنها وسيئها ، وبأن ذلك كائن لا محالة يوم يلقى ربه عز وجل فى الحياة الثانية بعد نهاية هذه الحياة الأولى فإنه (الفرد) يتعذر إلى حد الاستحالة تهذيبه وإصلاحه .

ومتى بقى الفرد غير مهذب ولا صالح فإن وجوده خطر على الهيئة الاجتماعية ، وضرر أى ضرر ، ومن الحزم إصلاحه أو إقصاؤه . وإصلاحه بدون عقيدة البعث والجزاء منتف قطعا . ولم يبق إلا الإقصاء ممكنا فليقص عن الدولة الإسلامية كل فرد لايؤمن بالله تعالى ، ولقائه ، حفاظا على سلامة الدولة والهيئة الاجتماعية ، وأمنها .

ولازم هذا المعتقد أمور هى :

١ ـ إيثار الدار الآخرة على الدنيا ، والتطلع إلى ما أعد الله تعالى إلى أوليائه فيها ، وهذا من شأنه أن يبعث على الإكثار من الصالحات ، والتنافس فى الخيرات ، والمسابقة إليهما وهذا عنوان المجتمع الصالح السعيد .

٢ ـ قلةالرغبة فى الحياة الدنيا ، وهذا منبع أكثر الفضائل كالشجاعة والكرم والإيثار ، والحلم ، والتواضع ، والصدق والوفاء .

٣ ـ الإحسان فى الأعمال بإتقانها وتجويدها ، وطلب معالى الأمور ، وإحسانها ، وترك نقائصهاوسفسائها.

٤ ـ الائتلاف ، وحب الجماعة ، والتعاون على البر والتقوى .

جـ ـ الإيمان بكتاب الله عز وجل :

إن القرآن الكريم الذى هو كتاب الله صدقا وحقا أنزله الله وحيا على رسوله محمد ﷺ . هذا الكتاب الذى هو من أعظم الأدلة ، وأقوى البراهين على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته ، وكماله المطلق . يؤمن به كل مواطن فى الدولة الإسلامية ، وأنه حقا كتاب الله ووحيه أنزله على رسوله محمد ﷺ وأوحاه إليه فنسخ به الكتب السابقة وضمنه شرائعه وهدايته فهو مصدر التشريع الأول ، ومنبع الهداية الكاملة ، فلا يقدم عليه شرع ولا يعدل به سواه .

فما أحل من شيء فهو الحلال ، وما حرم فهوالحرام . أخباره كلها صدق يجب قبولها واعتمادها ، ولو أنكرها الناس أجمعون . وأحكامه كلها عدل يجب تنفيذها ، والرضا بها ، والتسليم لها ، ولو خالفها الناس أجمعون . يدعى المواطنون حفظه ودراسته وتعلمه وتعليمه ، ويشجعون على ذلك بإكرام أهله الذين هم أهل الله وخاصته ، واحترامهم ،

وتبجيلهم ، وتقديمهم على غيرهم فى المناصب والرتب وخاصة من كان منهم فقيها عالما بسنة الرسول ﷺ .

ولازم هذا المعتقد أمور هى :

١ ـ تقرير شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، إذ كتاب الله دال على وجوده وعلمه وقدرته وكماله . ونزوله على محمد ﷺ دال على نبوته ورسالته .

٢ ـ التصديق بكل ما أنزل الله على رسله من كتب ، وما أوحى إليهم من شرائع ، إذالإيمان بكتاب الله مستلزم الإيمان بكل كتاب أنزله الله تعالى .

٣ ـ كون القرآن ناسخا لما سبقه من الكتب كما هو الحق والواقع مستلزم لعدم الالتفات إلى تلك الكتب ، ولعدم الأخذ منها والاعتماد عليها فى شىء من الشرع ، إذ ما بقى فيها من وحى الله تعالى قد بطل مفعوله بنسخه بأخر الكتب وهو القرآن الكريم ، وما لم يكن وحيا مما وضعه علماء أهل الكتاب من الترهات والأباطيل ، فإنكاره وعدم الاعتراف به واجب فضلاً عن قبوله والأخذ به فى عقيدة ، أو شرع .

٤ ـ كفرمن حكم بغير القرآن ، أو حرف شرائعه أو بدلها ، أو رفض بعض أحكامه ولم يقبلها .

٥ ـ تقرير مبدأ أن القرآن الكريم هو مصدرالتشريع الإسلامى الأول ، وتليه سنة الرسول ﷺ الصحيحة ثم الإجماع المعتبر ، والقياس الصحيح .

د ـ الإيمان برسول الله محمد ﷺ :

يؤمن كل فرد من أفراد الدولة الإسلامية بنبوة محمد العربى ورسالته ﷺ ، وأنه خاتم النبيين فلا نبى يأتى بعده ، ولا رسول ، وأن رسالته عامة لكافة الناس وفى كل أنحاء العالم . وأن البشر كلهم أبيضهم وأسودهم مطالبون تكليفا إلهيا بالإيمان به ، وباتباعه فى كل ما جاء به من الدين والهدى والشرع .

وأن الدين الذى جاء به وهو الإسلام قطعا هو منهج الحياة الإنسانية الكامل الذى يكفل لها أفرادا وجماعات ، أمما وشعوبا سعادة الحياتين الدنيا والآخرة ، إن هى أمنت به وسارت عليه فى ظروفهاوسائر حياتها .

ولازم هذا المعتقد أمور هى :

١ ـ الإيمان بسائر الأنبياء والمرسلين الذين سبقوا فى التاريخ وتقدموا كنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ، إذ الإيمان برسول واحد من رسل الله تعالى مستلزم عقلا وشرعا للإيمان بكل الأنبياء والمرسلين ، لأنه لا معنى للإيمان ببعض والكفر ببعض إلا اتباع الهوى ، والتعصب الأعمى والعياذ بالله تعالى من ذلك .

٢ ـ عدم الاعتراف بأية دعوة أو نبوة بعد محمد ﷺ ، ومهما كانت ، ومن أى مصدر أتت ، وأية جهة (جاءت) ، لإخبار الله تعالى بختم النبوات بالنبوة المحمدية .

٣ ـ وجوب ترك العمل بأية ملة أو نحلة من هذه الديانات الباطلة التى أصر عليها المتنسبون إليها ، وبقوا متشبسين بها كاليهودية ، والنصرانية وغيرهما ، وذلك لنسخ كل الديانات السابقة والشرائع المتقدمة بدين الإسلام ، والمنسوخ يبطل العمل به عقلا وشرعا .

٤ ـ لزوم اتباع الرسول ﷺ ، وطاعته فى أمره ونهيه ، وتصديقه فى كل ما أخبر به ، وجاء به من الشرع والغيب .

٥ ـ فرضية توقيره ﷺ وتعظيمه ومحبته محبة فوق النفس والأهل والمال .

هـ ـ الإيمان بالمثل العليا فى الحياة :

يؤمن المواطن فى الدولة الإسلامية بالحسنى ، ويصدق بالخير . ويعترف بسامى الأخلاق ، ومعالى الأمور كالصدق فى الحديث ، والوفاء بالعهد ، وإنجاز الوعد ، وحفظ الأمانة ، وخلق الحياء ، وحب الخير ، والرأفة بالخلق ورحمتهم ونصرة المظلوم ، ومساعدة المحتاج ، وإغاثة اللهفان ، وتأمين الخائف والإنصاف من النفس ، وأداء حق الجار ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، وتوقير الكبار ، ورحمة الصغار ، وإجلال لكل الفضل ، واحترام أهل السبق فى الخير . ويترجم هذا الاعتراف وذلك الإيمان بقوله وعمله فلا يرى بين الناس إلا متحليا بتلك الصفات قائمة بتلك الكمالات .

كما ينكر الموطن فى الدولة الإسلامية أضداد ذلك من الكذب ، وخلف الوعد ، وإضاعة الأمانة ، والبذاء ، والفحش فى القول والعمل ، والقسوة ، والجفاء ، وقطع الرحم ، وأذية الجيران ، وإنكار المعروف ، وإهمال الحقوق ، وحب الذات والأنانية ، وإهانة الكبار ، واحتقار الصغار ، وما إلى ذلك من ذميم الصفات ، وقبيح الأقوال ، وسيئ الأفعال .

ولازم هذا الإيمان والاعتراف هو :

كمال الخلق ، وسمو الروح ، وشرف النفس ، وقوة الشخصية . وهذه هى الصفات الأساسية لتكوين الشخصية المثالية ، وإبراز الصورة الحقة للإنسان الصالح الذى يستحق خلافة الله فى الأرض ووراثتها وبالتالى إنقاذ البشرية من الشقاء والخسران ، وقيادتها إلى شاطىء السعادة والسلام .

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** ﴾ (١) .

و ـ الإيمان بأقضية الله تعالى ومجارى أقداره :

يؤمن المواطن فى الدولة الإسلامية بمبدأ القضاء والقدر ويعترف بنظام السنن والأسباب فى الكون كله . فهو موقن بأن كل ما كان ، أو سيكون من أحداث في العالم كله علوه وسفليه إنما كان بعلم الله تعالى وتقديره له ، ولم يخرج شىء من كليات الحوادث ولا جزئياتها عن ذلك العلم والتقدير ، وبيان ذلك أن الرب تبارك وتعالى قبل أن يخلق العالم كتب فى كتاب (هو كتاب المقادير) كل ما أراد خلقه من سائر الكائنات فى العوالم كلها ، وقدر لكل حادثة أو مخلوق ذاته ، وحدد صفاته ، وزمانه ومكانه ، بحيث لا يقع شىء من أحداث العالم إلا وفق ما كتب الله تعالى فى ذلك الكتاب من حيث ذات الشىء ، وصفته وزمانه ومكانه ، وأسبابه التى يتم خلقه وإيجاده بها ، وهذا أمر ظاهر فى صفحة الكون يقره كل ذى عقل ، ويراه كل ذى بصيرة .

إن أحداث الكون كلها جارية وفق نظام القدر العجيب فلاحياة ، ولا موت ، ولا صحة ، ولا مرض ، ولا غنى ، ولا فقر ، ولا عز ، ولا ذل ، ولا كمال ، ولا نقص ، ولا سعادة ، ولا شقاء يقع أو يتم خارج نظام القدر الذى ربط الله تعالى به الأكوان كلها ، وجعلها لا تخرج عنه بحال من الأحوال .

ونتيجة هذا المعتقد الإيجابية ، والتى لا تحقق إلا به هى :

أن صاحب هذا المعتقد لا يحزن على شىء فاته ولم يدركه من متاع هذه الحياة الدنيا أبدا لعلمه واعتقاده أن ما فاته ، لم يكن قد قدر له أزلا ، ولذا لا يمكنه أن يدركه

---

(١) الأنبياء : ١٠٥ .

بحال من الأحوال ، فتسلم نفسه من الحزن الممزق ، والهم القاتل ، والكرب المضنى مما يصيب لا محالة الذين لا يؤمنون بهذا المبدأ السامى الكريم ، كما لا يفرح بما أوتيه من متاع الحياة الدنيا الفرح الذى يفقده توازنه فيسرف ويظلم ، ويحتال ويتكبر فيصبح شرا ووبالا على بنى جنسه من الناس ، وذلك لأن صاحب هذا المعتقد يعلم أن ما أوتيه إنما بعطاء الله تعالى وتقديره له ، ولم يكن بقدرته الخاصة ولا تدبيره الفردى فالله تعالى هو الذى قدره له وهداه لطلب أسبابه وأقدره على تحضيرها ، وصرف الموانع عنه حتى كانت النتيجة التى كانت ، فلا يعقل إذا أن يكفر بنعمة الله عليه ، فيصرفها ضده ، وفى غير ما يرضيه ، من الطغيان على الناس والبغى والتكبر عليهم ، كما هى حال الكافرين بمبدأ القضاء والقدر من سائر الناس ، وكل الأجناس .

وكما يؤمن المواطن فى الدولة الإسلامية بالقضاء والقدر ويعترف بنظام السنن والأسباب ، وتفسير ذلك : أن كل حدث يتم فى الكون إنما يتم بسبب خاص له قد قدره الله له ، وربط وجوده به ، فلا تكون سعادة ولا شقاء ، ولا تقع حياة ولا موت ، ولا صحة ولا سقم ، ولا غنى ولا فقر ، ولا عافية ولا بلاء إلا بأسبابها الخاصة التى قدرت معها ، وأنيط أمر وجودها بها . ومن هنا يرى المؤمن نفسه ملزما بمعرفة أسباب كل ما أراد الوصول إليه ، والحصول عليه من خير الدنيا والآخرة وكرامتها ، وبمعرفة أسباب كل شر يخافه وشقاء يخشاه فى الدنيا والآخرة ، فيتعلم تلك الأسباب ، ويحذقها ، ثم يعد أسباب الخير والسعادة ليحصل عليهما ويتجنب أسباب الشر والشقاء لينجو منهما ، كل هذا يفعله إيمانا منه أن الرب تبارك وتعالى لما قدر الأشياء قدر معها أسبابها فهى لا توجد إلا بها .

ولازم هذا المعتقد أمور هى :

١ ـ عدم أسى المؤمن وحزنه على ما قد يفوته من متاع هذه الحياة الدنيا .

٢ ـ عدم الفرح بما فى يد المؤمن من حطام الدنيا ، فلا يسرف ويظلم أو يطغى ويتكبر . فيكون شرا على الهيئة الاجتماعية .

٣ ـ وجود باعث للشكر فى نفس المؤمن يحمله على شكر النعم بصرفها فيما ينفع ولا يضر ، وفيما يرضى المنعم سبحانه وتعالى ولا يسخطه .

٤ ـ وجود باعث للصبر فى نفس المؤمن يساعده على تحمل كل مكروه يصيبه فى الحياة .

٥ ـ وجوب معرفة الأسباب والسنن الإلهية فى الكون لتعد أسباب كل نافع وتحصر للحصول عليه ، ولتجنب أسباب كل ضار للخلاصة منه والنجاة .

الأمة

مقوماتها

العلـم .

الإيمـان .

الخلـق .

الحـرية .

الكـرامـة .

الأساس الثانى

للدولة الإسلامية

الأمة

تعريف :

لفظ الأمة يطلق على كل مجموعة من المخلوقات قد وحد بينها الجنس أو النوع ، أو الخاصة .

وعليه فلفظ الأمة جنس عام يحوى العديد . من الأفراد أو الأجناس المتميزين بالنوعية .

والموارد من الأمة التى هى الأساس الثانى للدولة الإسلامية هو مجموعة من الأمم والشعوب المختلفة ربطت بينها عقيدة واحدة ، ونظام واحد ، وهدف مشترك ، وغاية موحدة لها ومقوماتها خاصة بها ، عليها يبنى وجودها .

مقومات الأمة فى الدولة الإسلامية :

للأمة التى هى أحد أسس الدولة الإسلامية مقومات يبنى عليها وجودها وهى :

العلم ـ والإيمان ـ والخلق ـ والحرية ـ والكرامة .

فهذه خمسة عناصر فعالة قوية منها يتكون وجود الأمة . وكل أمة لايقوم وجودها على هذه العناصر فهى أمة غير موجودة حقيقة ، وإن وجدت فهى لا تستحق الوجود فضلا عن الاحترام والتقدير ، والقيادة ، والسيادة .

الفرد أصل الأمة :

الأمة لا تتكون إلا من أفراد ، ومن شرط الأفراد الذين تتكون منهم الأمة أن يكونوا أحياء بروح الإيمان غير أموات بداء الكفر ، علماء بخالق الكون ، وسننه فيه ، غير جهال بذلك ، ولا متجاهلين ، ولذا كان المفروض فى كل فرد من أفراد الأمة أن يكون عالما ، مؤمنا ، ذا أخلاق فاضلة حر الفكر والإرادة ، ذا كرامة موفورة .

شرح تلك العناصر :

١ ـ **العلم** : والمراد منه : معرفة الرب تبارك وتعالى بواسطة آيات كتابه القرآنية ، وآيات خلقه الكونية . ومن طريق آلائه على عباده ونعمه عليهم .

ومعرفة الطريق الموصل إليه تعالى بواسطة الكتاب والسنة . وهو أيضا ـ العلم ـ معرفة الرسول ﷺ بواسطة كتابه الذى جاء به ونزل عليه ، ومعجزاته التى تحدت العقول فبهرتها ، وتعالت على النفوس فقهرتها . فآمن به وبرسالته رجال كانوا أبر الناس قلوبا ، وأرجحهم عقولا ، وأصفاهم أرواحا ، وأزكاهم نفوسا ، وأرحم الناس إذا ظهروا ، وأعدلهم إذا حكموا . فكان ذلك من آيات صدق نبيهم وصحة ﷺ نبوته وعظمة رسالته .

وهو ـ العلم ـ : معرفة القرآن كتاب الله تعالى بواسطة معرفة لغته التى نزل بها ، وسيرة الرسول ﷺ التى مثله فيها ، وطبقه عليها بصورة لا أتم منها ولا أكمل أبدا .

٢ ـ **الإيمان** : وقد تقدمت عناصره التى هى الإيمان بالله تعالى وبما جاء به رسوله محمد ﷺ ، وأخبر به عنه من شأن الشرع والغيب ، والقضاء والقدر ، والآخرة والنعيم والشقاء فيها .

فإن المراد منه هنا : أن يكون الفرد في قوة إيمانه بحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن لا يكون له خيرة فى حكم حكم الله به ورسوله ، ولا فى قضاء قضى له الله ورسوله ، ومهما كان شاقا على النفس ثقيلا على الطبع ، وأن يكون هواه تابعا لما

جاءبه رسول الله ﷺ لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه .

ويحصل هذا للفرد بالصدق فى الإيمان واليقين فيه ومن مظاهر الصدق فى الإيمان ، والرهبة من الله والرغبة فيما عنده والإيمان بوعد الله تعالى لأوليائه وبوعيده لأعدائه ، إذ لا إيمان لمن لا يرجو الله ، ولا يخافه . ولا يقين لمن لا يترك معصية الله خوفا من الله ولا يقبل على طاعة الله راجيا حسن مثوبة الله .

ومن هنا كان الفرد فى الدولة الإسلامية يعيش على الصدق واليقين فى نفسه فحبه وبغضه ، وعطاؤه ، ومنعه ، وحياته ومماته كلها لله تعالى ومن أجله فهو يعبد ويتوكل ، ويعمل ويحسن . كل ذلك فى رهبة من الله ورغبة فيما لديه .

٣ ـ **الخلق االفاضل** : وهو يتجلى فى الإنصاف من النفس ، والإحسان فى القول والعمل ، والعدل فى القول والحكم ، وفى حسن المعاملة ، والوفاء ، وصدق الحديث ، والشجاعة والكرم ، والإيثار ، والحلم ، والحياء ، والصبر ، والتحمل ، وفى توقير الكبير ، ورحمة الصغير ، وفى العفة والنزاهة والشرف .

هذه مظاهر الخلق الفاضل والذى هو لازم لأفراد الأمة المسلمة لا ينفك عنهم ، ولا يعيشون بدونه وهو من معطيات إسلامهم ، وءاثار إيمانهم ، وينابيع معرفتهم .

٤ ـ **الحرية** : وهى لازمة للفرد المسلم ، وتشمل عقيدته ، وتفكيره ، وعمله . فالمسلم الحق لا يذله الطمع فى أحد غير الله ، ولا يسترقه الخوف من شىء إلا من الله تعالى ، ولا تأسره الشهوات ، ولا تستعبده الملذات ، فهو حر تام الحرية فى عقيدته ، كما هو حر فى تفكيره ، فلم يخضع لأى ضغط خارج عن عقيدته فيحمله على أن يفكر بتفكير غيره ، أو يرى برأى سواه ، وذلك لسمو عقيدته وقوة سلطانها على روحه ووجدانه . إنها لشمولها ـ لمجالات الحياة ، وآفاقها الواسعة لم تسمح له أن يفكر فى غير ما تمليه عليه ، وتدعوه إلى تحصيله من كل كمال بشرى وكرامة إنسانية .

٥ ـ **الكرامة** : وهى الخصيصة الآدمية التى وهب الله تعالى الإنسان ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم** ﴾ (١) فلم يكن الفرد المسلم ليتخلى عنها ، أو يقبل المساس بها ، أو المساومة فيها ، إذ هى عنصر كماله ، وتاج سلطانه ، فلا معنى لحياته بدونها ، وهو يرى توفيرها لجسمه ودينه وعقله ، وعرضه ، وماله ، فلا يقبل أن يؤذى فى جسمه بضربه أو قتله ،

---

(١) الإسراء : ٧٠ .

ولا فى دينه بانتقاصة أو عدم احترامه ، ولا فى عقله بتضليل أو فساد ، ولا فى عرضه بأن ينال منه أدنى منال ، ولا فى ماله بسرقته أو اغتصابه ، أو الاعتداء عليه بحال من الأحوال .

وخلاصة القول فى هذا : أن الفرد المؤمن العالم ذا الخلق الفاضل ، والحر الإرادة ، الموفور الكرامة ، هو الخليقة الحية فى تكوين جسم الأمة القوية .

فمن الأفراد المؤمنين العارفين الأخلاقيين الأحرار الكرماء تتكون الأمة المسلمة التى هى أحد أسس الدولة الإسلامية ، والسؤال الملح الآن هو : من أين يؤتى بمثل هؤلاء الأفراد وكيف يتم تكوينهم هذا التكوين الصحيح السليم ، وما هى عوامل ذلك وأسبابه ؟؟؟

ولعل الجواب الصحيح هو أن نقول : إن الفرد يأتى من طريق الإعداد والتربية والتكوين .

فعندما يوجد الرجل الكامل الملهم أمكن إعداد الأفراد وتربيتهم وتكوينهم التكوين الصحيح السليم . والذين يصبحون به الخلايا الحية فى جسم الأمة .

أما عن عوامل ذلك الإعداد ، وتلك التربية وأسبابها فإنا نقول : إنها تنحصر فى الإيمان الصحيح ، والقانون التربوى السليم ، والسلطة الحاكمة الرشيدة ، فالإيمان الصحيح يهيىء النفوس لتقبل الفضائل والقانون التربوى يغرس الفضائل وينميها ، والسلطة الحاكمة الرشيدة تحميها وتحافظ عليها حتى لا تتلاشى وتضيع .

وقد تقدم بيان الإيمان الصحيح ، وسيأتى بيان القانون التربوى السليم والسلطة الحاكمة الرشيدة ضمن الحديث عن مادة الحكم والحاكم إن شاء الله تعالى .

الحكم الإسلامى

خصائصه :

الربانية .

العدالة

الشمول

السلامة .

الصلاحية .

الأساس الثالث
للدولة الإسلامية

مادة الحكم

تعريف :

إن الموارد من مادة الحكم التى هى أحد أسس الدولة الإسلامية ، التى تقوم عليها هو أن يكون القانون الذى يسود الأمة ، وتحكم به ، وينظم سائر علاقاتها بالحياة كلها ، والكون جميعه أن يكون مادة وشرحاً وتفسيراً من وحى الله تعالى رب العالمين ، لا يخرج منه شئ عن ذلك ، ولو قل . وهذا لأمور عينت ذلك وحتمته وهى :

ربانيته ـ عدالته ـ شمولته ـ سلامته ـ صلاحيته

١ ـ ربانيته :

لقوله تعالى : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين** ﴾ [(١)] .

وتعنى كلمة الربانية النسبة إلى الرب تبارك وتعالى . وذلك من ثلاثة أوجه :

---

(١) الشعراء : ١٩٢ .

الأول : أنه تنزيله ، وتشريعه أوحاه إلى رسوله ، وأمره بتبليغه وتنفيذه .

الثانى : أنه يشد كل شىء فى الحياة الخاصة والعامة للأمة والفرد ، ويربطه بالرب عز وجل ، إذ جميع مواده تهدف إلى غاية واحدة وهى : أن يعبد اللّه فى الأرض وحده دون شريك ، عبادة قد توقف عليها كل كمال البشر وسعادتهم فى الحياتين .

الثالث : أنه مادة تربية للأفراد والجماعات فى أرواحهم وعقولهم وأخلاقهم وأفكارهم ، فهو المنهج التربوى الوحيد الذى لا غنى عنه ، ولا بديل له فى تكوين الفرد المؤمن الصالح ذى الأخلاق الفاضلة والحرية والكرامة ، والذى سبق أن بينا أنه هو الخلية الحية فى جسم الأمة المطلوبة للدولة الإسلامية المثالية التى هى حاجة العالم البشرى اليوم .

٢ ـ عدالته :

لقوله تعالى : ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً** ﴾ (١) .

إن عدالة القانون الإلهى يجب أن تكون مسلمة مقطوعاً بها وذلك لسببين هما :

الأول : علم الشارع وهو الرب تبارك وتعالى بالمشروع لهم من خلقه وهم عباده ، إذ أنه تعالى قد أحاط بكل شىء علما فلا يخفى عليه شىء من أحوال عباده ، وأمورهم ، وحاجياتهم ، ومتطلبات حياتهم ، وذلك من أول نشأتهم إلى منتهى أمرهم .

الثانى : غناه سبحانه وتعالى عن كل ما سواه من سائر مخلوقاته ، وكماله المطلق . وبناء على هذا فإن علمه تعالى بخلقه وغناه عنهم يحيل معنى الحيف والجور فيما يشرع بباده ويضع لهم من قوانين يحفظ بها عليهم كل ما يحمونه من أبدانهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وعقولهم ، وأديانهم ، لأن عدم العدالة فى الشرع ينشأ عن أحد شيئين : جهل الشارع بظروف وأحوال وحاجات ومتطلبات حياة من يشرع لهم ، وكلا الأمرين منتف عن اللّه عز وجل ، وبذلك ثبت العدل فيما يشرع لعباده ، وانتفى منه الحيف والجور البتة .

٣ ـ شموله :

لقوله تعالى : ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾ (٢) .

الحكم الربانى لا يكون إلا عادلا ، ولا يكون إلا شاملاً لكل ما تتطلبه حياة الإنسان ،

---

(١) الأنعام : ١١٥ . (٢) الأنعام : ٣٨ .

حاوياً لكل عناصر الخير التى يكون بها الحكم صالحاً ، إذ موضوع الحكم هو الإنسان من حيث كونه إنساناً فى علاقته بالخالق والكون والحياة وفى عقيدته ، وعقله ، وروحه ، وجسمه ، وعواطفه ، وأفكاره ، وآماله ، وأشواقه ، وسعادته ، وشقائه ، فى أولى حياتيه ، وفى أخراهما ، وفى البرزخ بينهما فلا بد إذاً ، وأن يلبى الحكم الربانى كل هذه الرغبات ، ويستجيب لكل هذه المتطلبات ، وكذلك كان فالحكم الإسلامى يتناول الإنسان من ساعة علوقه نطفة فى جدار رحم أمه إلى أن يوضع فى قبره عند نهاية حياته الأولى . فما من حالة من حالاته إلا ولها حكم فى الشرع يخصها ، ومادة فى القانون تتعلق بها .

وهذا الشمول مع الإحاطة بجميع شؤون الحياة والإنسان مع الربانية الكاملة هو الذى جعل الحكم الإسلامى أحد أسس الدولة الإسلامية التى لا تقوم إلا بها ، ولا تبنى إلا عليها .

٤ ـ سلامته :

لقوله تعالى : ﴿ **ومن أحسن من الله حكما** ﴾ (١) .

الحكم الربانى سليم من الخطأ فلا يقع فيه خطأ أبداً وسليم من الإغفال ، فلا يغفل جانباً من جوانب الحياة بحال من الأحوال . وهو يتناول الإنسان بوصفه إنساناً ، والكون حوله فلا يغفل شيئاً يتعلق بحياة الإنسان أو ينساه أبداً . وهو سليم من التغيير والتبديل ، والتحريف والتزييف ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون** ﴾ (٢) . فلا يأتى لأحد أن يعمد إليه فيحرفه ، أو يزيد فيه أو ينقص منه . ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ (٣) . وهذا ما جعل النفوس تسكن إلى قضائه ، وترضى بقوانينه ، وتسلم بأحكامه ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ (٤) .

٥ ـ صلاحيته :

لقوله تعالى : ﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ (٥) .

الحكم الربانى يمتاز بصلاحيته الكاملة ، إذ هو موضوع لبنى الإنسان كلهم أبيضهم وأصفرهم ، أولهم وآخرهم حاكمهم ومحكوميهم ، فحيثما وجد الإنسان ، وفى أى

---

(١) المائدة : ٥٠ . (٢) الحجر : ٩ . (٣) فصلت : ٤٢ .
(٤) النساء : ٦٥ . (٥) طه : ١٢٣ .

مكان أو زمان وجد كان القانون الربانى سبيل هدايته ومادة تربيتة ، ومنهج إصلاحه وطريق سعادته .

إنه القانون الإلهى الذى لا يؤثر فيه الزمان مهما بعد ، ولا المكان مهما نأى ، ولا إختلاف أجناس الناس مهما عظم . إنه وضع ليساير الإنسان فى مواكب حياته كلها ، ويطوره ويرقى به إلى أسمى قمة الكمال المرجو له فى هذه الحياة . وهو فى نفسه قار ثابت لا يتطور ، ولا يتبدل أو يتغير بحال من الأحوال . ومن رام تطويره ، بإخضاعه لسنن الهوى ، وتسييره فى دروب الشهوات فقد رام إخراجه عن طبعه ليفسده ويفقده هدايته وصلاحيته .

وأخيراً فربانية الحكم الإسلامى وعدالته وشموله وسلاميته وصلاحيته هى التى حتمت أن يكون أحد أسس الدولة الإسلامية التى يجب أن يقوم عليها ، كما أنها لا توحد قوية صالحة محققة للإسعاد البشرى إلا بها .

ووجب على المصلحين فى العالم أن يعملوا متضامنين على تحقيق حلم البشرية فى إيجاد الدولة الإسلامية التى تحقق سعادة الإنسان ، وتجنبهم من الخسران .

صفاته :

كيف ينصب ؟

كيف يحكم وبماذا ؟

ماذا يسمى ؟

مهامه .

الأساس الرابع

للدولة الإسلامية

الحاكم

الحاكم فى الدولة الإسلامية هو أحد أسسها التى لا تنبنى إلا عليها ، ولا تقوم إلا بها . ولم يكن بأقل شأناً من بقية أسس الدولة بل هو أهمها وأخطرها إذ صلاح الدولة بصلاحه وفسادها من فساده .

وكلمة الحاكم فى الدولة الإسلامية تعنى الرجل المسلم ذا الكفاية من العقل ، والتقوى ، والقدرة ، والشجاعة .

المؤهل بهذه الصفات لبيعة المسلمين ، وتقديمه عليهم فى أمور دينهم ودنياهم ، ليحكمهم بشرع الله حكماً قائماً على مبدأ الشورى ، والعزم الصادق ، والتوكل المطلق ﴿ **وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ [1] .

والغاية من نصب الإمام وبيعته إقامة الدين ، وحفظ العباد والبلاد وذلك بواسطة الحكم العادل والحكومة القوية الرشيدة .

كيفية تنصيب الحاكم :

إن الطريقة المثلى التى ينصب بها الحاكم فى الدولة الإسلامية ، هى اختيار أهل الحل

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

والعقد فى الأمة ، والإبرام والنقض فيها من العلماء ، وأمراء الجيوش ، وأرباب التجارة والصناعة لرجل مسلم ذى كفاية ، وكفاءة يبايعونه وتبايعه الأمة معهم على كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ لإقامه الدين ، وإنقاذ الأحكام الشرعية ، وإقامة الجهاد لإعلاء كلمة اللّه تعالى .

كيف يحكم الأمة ، وبماذا ؟

ويحكم من ينصب إماماً للأمة فى الدولة الإسلامية يحكم بواسطة أمرين :

أحدهما : جهاز حكومة قوية يقيمها الحاكم بعد مبايعته مباشرة باختيار الأفراد الصالحين وتزكيتهم من ذوى الكفايات والكفاءات من الإيمان ، والعلم والتقوى ، والقدرة فيعين منهم نائبه ، ووزراءه ، ومجلس شوراه ، والولاة ، والقضاة ، ويقسم البلاد إلى مقاطعات أو ولايات ، أو عمالات ، وينصب عى كل إقليم والياً ينوب عنه فى تصريف شؤون الأمة ، ورعاية مصالحها ، وحماية ما يحميه كل أفرادها من دين وعقل وعرض وبدن وما ل .

والثانى : الدستور الإسلامى المستمد نصاً وروحاً من الوحيين الكتاب والسنة ، وما استنبطه منهما علماء سلف الأمة الإسلامية الصالح من رجال الفقه الذين اجتهدوا فى استخراج الأحكام الشرعية من الكليات العامة فى الكتاب والسنة مما هو كالشرح والتفسير للعمومات فى الوحيين والخصوصات فيهما .

ماذا يسمى الحاكم ؟

الاسم الذى يطبق على الحاكم فى الدولة الإسلامية انطباقاً شرعياً وصحيحاً هو الإمام ، لأنه يؤم المسلمين فى الجهاد والصلاة ، ويتقدمهم فى عظائم الأمور ومهامها غير أنه ليس شرطاً أن يسمى بهذا الإسم دون غيره من الألقاب والأسماء كالسلطان ، والخليفة ، والملك ، والرئيس ، إذ العبرة فى كونه مبايعاً بيعة شرعية ، لإقامة الدين ، وإنقاذ الأحكام الشرعية ، وإقامة الجهاد فى سبيل اللّه ، لإعلاء كلمة اللّه وفى كونه أهلاً لذلك بما وهبه اللّه تعالى من صفات الكمال البشرى من الإيمان ، والعلم ، والتقوى ، والقدرة ، والشجاعة ، كما أنه ليس شرطاً لازماً توفر هذه الصفات بصورة مثالية لا نظير لها . وإنما يكفى فى ذلك أن يكون فيها أمثل من غيره من المؤمنين والمسلمين ومتى أمكن ذلك وتهيأ أيضاً ، والأفقه

يبايع إماماً للمسلمين من ليس حاوياً تلك الصفات ، إذا لم يوجد بين المسلمين من هو أمثل منه فيها وأكمل .

مهام الحاكم :

والمهام التى يتطلع بها الحاكم فى الدولة الإسلامية هى إقامة الدين وإنقاذ الأحكام الشرعيـة ، وإدارة الحكومة وتصرف شؤون الأمة ، وحماية أفرادها وبلادها ، ورعاية ذلك . وإمامة المسلمين فى صلاتهم ، وإقامة الجهاد بينهم ، لإعلاء كلمة اللّه تعالى بحماية دينه ، وكتابه ، وعباده المؤمنين . وحتى يعبد اللّه وحده ، ولا تكون فتنة ، ويكون الدين كله للّه .

الحكومة فى الدولة الإسلامية

عناصر وجودها :

الحاكم .

القانون

الأمة

الأساس الخامس
للدولة الإسلامية
الحكومة

تعريف :

الحكومة هى آخر الأسس التى تقوم عليها الدولة الإسلامية ، ومدلول لفظ الحكومة يعنى : كل أجهزة الدولة التى يقيمها الحاكم الذى هو إمام المسلمين ، والتى بواسطتها يدير شؤون العباد والبلاد إدارة صالحة ، تحقق سعادة الفرد والجماعة فى إطار صفاء الروح ، وعزة الإيمان ، وأخوة الإسلام ، والكرامة الآدمية ، وذلك من جميع الوزارات ، والقيادات والولايات ، والبلديات ، ومن سائر مصالح الدولة المختلفةِ التى تعود إليها لتقوية كيانها ، وبسط نفوذها ، وتعزيز سلطانها ، وهيمنتها مما يجّعلها قادرة على تحقيق أهدافها المنوطة بها من حماية البلاد والعبادة ، ونشر رسالتها : رسالة الهدى والنور فى العالمين .

عناصر وجود الحكومة :

والحكومة فى الدولة الإسلامية تستمد وجودها ، وطاقة قدرتها من ثلاثة أشياء رئيسية فى كيانها وهى : الحاكم والقانون ـ والأمة . أما الحاكم فإنه يمنحها الصلاحية اللازمة للتخطيط والعمل والتنفيذ داخل إطار الدستور الإسلامى الذى هو مادة الحكم فى الدولة الإسلامية ، والمعبر عنه بالقانون ، إذ لا مشاحة فى الألفاظ ما دامت الحقيقة واحدة وهى أن الحكم للّه ، لا سواه ، وما الحاكم إلا منفذا لأحكام اللّه تعالى فى عباده ، وما العلماء إلا مبينين لأحكام اللّه تعالى مظهرين لها فى الصورة التى هم يوقنون أنها مرضية من اللّه تعالى

لموافقتها مرادة من خطابه لعباده المؤمنين .

وأما القانون فإنه يمدها ـ الحكومة ـ بخط السير واضحاً محدداً خالياً من اللبس والالتواء والغموض ، إذ به وحده يمكنه أن تسير إلى أهدافها فى راحة وطمأنينة ، وتصل إلى غاياتها من الطهارة والصفاء ، والأمن والرخاء ، وتحقيق السعادة العاجلة والآجلة لجميع المنضمين تحت رايتها ، والسائرين فى ركاب هدايتها وقيادتها من جميع الناس .

وأما الأمة فإنها تهبها ـ بإذن اللّه تعالى ـ القدرة والإنجاز بما تمدها به من خيرة رجالتها الأكفاء الصالحين وبما تهيئها له من فرص صالحة للعمل والتنفيذ ، إذ الأمة هى الحقل العام للعمل الحكومى ، والمعرض الصالح للإنتاج والتقديم ، وفيهما يظهر مدى صلاح الحكومة ، وقدرتها ، ومدى عجزها وفسادها .

فالأمة بمثابة المرآة التى يظهر فيها وجه الحكومة على حقيقته إن كان حسناً مشرقاً فهو حسن مشرق ، وإن كان دميماً مظلماً فهو كذلك .

وليس هو أجهزة الدعاية من صحافة ، وإعلام ، وإذاعة وتلفزيون . كما هى عليه أكثر حكومات الناس اليوم حيث الكذب والتزوير ، وتشويه الحقائق وقلب الأمور .

وخلاصة القول فى هذا الأساس الأخير للدولة الإسلامية : أن الحكومة هى الحاكم ، والقانون والأمة ، إذ لا حكومة قوية رشيدة بلا حاكم قوى رشيد .

ولا حكومة صالحة بلا قانون صالح ، ولا حكومة عظيمة بلا أمة عظيمة .

العرض والتطبيق

تلك هى الدولة الإسلامية بأسسها القوية ، وبنائها الشامخ وهى تمثل الحق والهدى والخير فى دنيا البشر وبين العالمين .

وهذا عرض سريع يقف بالقارىء على كل مظاهر الحياة فى تلك الدولة حكومة وأمة ، وينقله بسرعة من ميدان النظريات إلى ساحة العمل الواقعى والتطبيق الصادق فإلى ذلك العرض والتطبيق فى الصفحات التالية :

يقف فيها القارىء الكريم على كل مرافق الحياة فى الدولة الإسلامية المثالية المنشودة ، ويرى بنفسه لون الحياة الفاضلة الكريمة التى تحياها الأمة الإسلامية ، والأنظمة الدقيقة التى تربط كل حياتها بالخالق ، والكون والحياة .

ولنبتدىء مع أخى القارى جولتنا بزيارة أقدس مكان فى دولة الإسلام ، ألا وهو المسجد .

فإلى المسجد إذا ، لنقف على مظاهر الحياة فيه ، ونرى ما إذا كانت تلك النظريات التى تقدمت ، لها حقيقة وواقع أم هى مجرد نظريات خيالية لا حقيقية لها ، ولا وجود فإلى ...

المسجد

ارفع رأسك ـ أخى ـ وانظر ماذا كتب على باب المسجد . فرفع أخى رأسه وقرأ العبارة التالية :

هذا بيت اللّه . والباب خاص بدخول النساء .

وطلبنا بابا آخر للمسجد فوقفنا على باب واسع جميل قد كتب أعلاه ـ هذا بيت اللّه . والباب خاص بدخول الرجال . فدخلنا فإذا مسجد رفيع البناء ، فسيح الأرجاء يتسع لأهل حى كامل من أحياء مدينة من المدن ، وقد قسم بسياج من نحاس أصفر حيث خصص القسم المؤخر منه للنساء ، والمقدم للرجال . وكتب فى لوحات جميلة بخط عربى جميل : العبارات التالية :

هذا مصلى النساء من المسجد لحديث الرسول ﷺ : « خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ـ وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها » . ودخلنا المسجد والشمس تدنو من حجابها ، وما بالمسجد إلا نفر قليل من الرجال والنساء ، وما راعنا إلا تدفق الرجال والنساء ، والأطفال على المسجد حتى ظننا أنه لم يبق بالبلد أحد . وما أن أذن للمغرب وأقيمت الصلاة ، وصلت تلك الجماهير صلاة المغرب والسنة بعدها حتى جلس على كرسى عال رجل مهيب ذو لحية كثة ، وصوت جهورى شجى ، واستنصت الناس فأنصتوا ، وأخذ يقرر حقائق الإيمان ، ومظاهره ، وآثاره فى النفس ، والسلوك فأثار المشاعر ، وهز النفوس ، واستمر على حديثه ساعتين كاملتين . وتلك الجماهير منصتة خاشعة مقبلة بوجوهها وقلوبها محدقة بأبصارها حتى نودى لصلاة العشاء وصلت وانصرفت فى سكينة وهدوء ، وقد تزودت بطاقات جديدة من الإيمان والمعرفة وعادت إلى منازلها للسكون والاستراحة وهى أكثر ما تكون إيماناً وجا ورجاء .

ورأينا الاتصال بإمام المسجد لنتعرف على بعض ما ينبغى أن نعرفه بخصوص المسجد وأهله ، فابتدرنا الإمام وهو داخل إلى مقصورته فسلمنا عليه . واستاذنا فى الدخول معه فأذن ودخلنا ، فقلنا : لقد أعجبنا بما رأينا من سعة هذا المسجد ، وكثرة جمهور المصلين به ، وحسن آدابهم فى استماعهم للدرس ، وفى دخولهم للمسجد وخروجهم منه ، فهل لك أن تعطينا فكرة صالحة حول نظام المساجد فى بلادكم ، ورغبة الناس فى الحضور إليها وآدابهم الممتازة فيها ؟؟؟

فقال : نعم ولا مانع عندى من ذلك ، واسمعا أحدثكما : إن النظام الإسلامى الذى تعيش عليه الدولة والأمة يقرر أن الإنسان مكون من روح وجسم ، كما هو واقعه المشاهد المحسوس ، وأن لكل من روحه وجسمه ضروراته الخاصة به ، وأن الإنسان مأمور بتوفير متطلبات جسمه من هواء وغذاء وماء ودواء ، ليبقى نامياً صالحاً يؤدى وظائفه فى الحياة ، كما هو مأمور بتوفير متطلبات روحه من عقيدة صالحة وعمل صالح مزك لها ، لتبقى مشرقة طاهرة .

وإنطلاقاً من هذا المبدأ المعترف به رسمياً فإن نظام تخطيط المدن ، وإنشاء القرى والمستعمرات ، يحتم بأن يوجد فى كل قرية من القرى وحى من الأحياء السكنية مسجداً يتسع لكل أفراد القرية ، أو الحى ويزود بخيرة العلماء الربانيين لتعليم الجماهير المؤمنة وتربيتهم التربية التى تنمى إيمانهم ، وتهذب شعورهم وتصلح أخلاقهم .

كما هو الشأن بالنسبة إلى المشافى ، فإنه ينشأ فى كل قرية ، أو حى مستشفى لعلاج أجسام الأفراد ، والمحافظة على مستواهم الصحى . فالمستشفى يقابل المسجد وكل منهما يقدم خدمة خاصة ومماثلة ، هذا للجسد وذلك للروح وإذا كان من ضروريات المستشفى أن يزود بأحسن الأدوية وأنجحها ، وبخيرة الأطباء الأكفاء ، فالمسجد كذلك يجب أن يزود بأنفس الكتب وأنفعها ، وبخيرة العلماء الصلحاء ، وبهذا يتحقق للمواطن فى الدولة الإسلامية الحفاظ على جسمه وروحه صالحين يؤديان وظائفهما فى الحياة . فتكمل بذلك إنسانية الفرد ، ويسعد فى دنياه ، ويتهيأ للسعادة الحقة فى أخراه .

وهنا سكت الإمام هنيهة ، ثم استأنف حديثه وقال : هذا بالنسبة إلى المساجد ونظامها فى بلادنا ، والرسالة التى تؤديها إلى جماهيرنا . وأما بالنسبة إلى رغبة الناس فى الحضور إلى المساجد ، وحسن آدابهم فيها ، فإن لذلك حديثاً خاصاً سأحدثكما به ـ إن شاء اللّه ـ وهو أن هذه الأمة قد ارتفعت درجة الوعى بين أفرادها إلى مستوى عال جداً ، وكان

ذلك نتيجة التعليم والتربية اللتين يتلقاهما الجماهير فى المساجد . وأكبر برهان على ذلك أن تخرجا من المسجد وتتجولا فى شوارع المدينة وترقبا عن كثب سلوك المواطنين فإنكما بدون شك ستجدان نظام الحياة وأسلوبها وطابعها يختلف تماماً مع ما عليه غير هذه الأمة من سائر الناس ، ممن لا تظلهم راية الدولة الإسلامية ، ولا يحكمهم شرع اللّه تعالى ومرد ذلك إلى شيئين اثنين :

أولهما : إيمان هذه الأمة الكامل .

وثانيهما : قوة السلطة الحاكمة وإيجابيتها .

فإيمان الأمة باللّه ولقائه ، ووعده ووعيده ، جعلها تنظر إلى الحياة الدنيا وأنها ميدان عمل جاد وصالح لا غير فلا مكان فيها للهو ولا للعب ، وطبع فى ذلك حياتها كلها بطابع الجد والحزم ، وأخفى منها مظاهر الباطل واللهو والعبث فأورثها ذلك ما ستشاهدانه من كمال فى كل مجالات حياتها .

وأما قوة السلطة فأنها مكنتها من الاستقامة على المنهج ، والتطبيق للقانون ، فاكتملت لها قوة العلم والإرادة ومن مظاهر ذلك أنه لا يسمع فى كل البلاد طولاً وعرضاً إلا صوت واحد هو صوت إذاعة الدولة فقط ، كأن لم يكن فى العالم إذاعة غيرها كما أنها ـ إذاعة الدولة ـ تذيع طول النهار وشطر من الليل ، وتسمع فى كل أرجاء البلاد ، لوجود سماعات فى كل شوارع المدينة وساحاتها تنقل إلى كافة جماهير الأمة صوت الدولة وبرامجها الإذاعية المقتصرة على نشرات الأخبار وتلاوة القرآن الكريم ، وعلى أكبر قدر من التعليم والإرشاد والتوجيه فى كل ميادين الحياة الجادة الكريمة .

ومما يلفت النظر أنه لا يوجد فى الإذاعة عندنا صوت غناء ولا موسيقى البتة ، كما أنه إذا بقى من آخر النهار نصف ساعة توقفت الإذاعة ، وتوقف العمل فى المصانع والمتاجر والأسواق والحقول ، وأهرع أهل الأحياء والقرى بنسائهم وأطفالهم إلى المساجد لأداء صلاة المغرب ، ولتلقى العلم والمعرفة على النحو الذى شاهدتما آنفا حتى إذا صليت العشاء عادوا إلى منازلهم مزودين بطاقات جديدة من الإيمان والعلم والمعرفة فيتناولون طعام العشاء ثم ينامون فور فراغهم من ذلك تطبيقاً لمادة : كراهية النوم قبل صلاة العشاء ، والحديث بعدها إلا لضرورة تستدعى ذلك ، وهذا الذى سهل عليهم أن يستيقظوا قبل غيرهم بأكثر من ثلاث ساعات فيصلون الصبح فى بعض الساعة وينطلقون إلى ميادين العمل ، ذو الحقل

فى حقله وذو المصنع فى مصنعه ، وذو المتجر فى متجره وصاحب المكتب فى مكتبه فيعملون وينتجون ، والناس نائمون لم يستيقظوا بعد . فعظم لذلك الإنتاج عندهم ، وكثر الخير فيهم وعمت البركة بلادهم ، وتمتعوا والحمد لله ــ بما لم يتمتع به غيرهم من زينة الله التى أخرج الله لعباده والطيبات من الرزق ، وصدق فيهم قول ربهم : ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾ (١) .

ومن المسجد إلى ...

السوق

ولما كنا من الغد رأينا أن نزور أحد أسواق المدينة لنتعرف إلى أحوال هذه الأمة خارج المساجد ، حيث تظهر الأشياء على حقيقتها خالية من التكلف والتصنع ووصلنا إلى السوق فإذا باب واسع كبير قد كتب عليه فى أعلاه العبارة التالية :

(الأسواق موائد الله فتلمسوا الرزق من الأسواق)

وبخط واضح كتبت الجملة الآتية : من لم يعرف أحكام التجارة فلا يدخل علينا أسواقنا .

ودخلنا السوق ، وملنا إلى أحد الباعة فى زاوية قريبة من الباب وسألناه بعد السلام عليه قائلين هل تؤخذ ــ أيها الشيخ منكم ضريبة البيع فى هذه السوق ؟ فتغير وجه الرجل وقال : ماذا تعنيان بضريبة البيع أيها الرجلان ؟ قلنا : ضريبة البيع . فقال تعنيان بها المكس ؟ قلنا نعم . قال نعوذ بالله أن يكون فى أسواقنا مكس . إن المكس حرام . فكيف تقره دولة الإسلام ؟ وتبيحه لنفسها ؟؟ معاذ الله أن يكون هذا فى بلد إسلامى ، وأمة إسلامية وهما يسودهما حكم إسلامى .

وتركنا الرجل بعد أن اعتذرنا إليه لنقف على شيخ كبير يبيع كزبراً وتوابل وحوامض ونسلم عليه فيرد السلام ونقول له : هل ما تحصل عليه من ربح قليل ببيع هذه التوابل والحوامض يسد حاجتك وحاجة أسرتك أيها الشيخ ؟

فيجيبنا قائلاً : نعم والحمد لله ، وأنا سعيد جداً ، إنى لخير من رجل يعمل براتب كبير

---

(١) الأعراف : ٣١ .

يتقاضاه من مؤسسة تتعامل بالربا ، وخير بكثير من رجل يحصل على ربح طائل من بيع المحرمات كالخمر والتبغ والصور والتماثيل واسطوانات الأغانى ، كما إنى أسعد من رجل يمد يده للناس متسولاً أعطوه أو منعوه .

وتركنا الرجل وقد ذكرنا بأوضاع بلادنا الفاسدة ، وما عليه إخواننا من أكل الربا وبيع المحرمات ، وهى نتيجة حتمية لغيبة الحكم الإسلامى عن بلادنا . وواصلنا تجوالنا فى السوق ونحن مندهشون لما رأينا من هدوء السوق ، وسكونه فلا صياح ولا صخب ولا جلبة ، ولا ضجيج على خلاف المعروف من أسواق الناس .

وتركنا السوق ونحن نردد العبارة التى قرأناها على بابها : (من لم يعرف أحكام التجارة فلا يدخل أسواقنا) بعدما سجل أحدنا الملاحظة التالية :

- لا ضريبة مكس على الباعة ، لأن المكس حرام .

- بائع كزبر وتوابل أسعد حالاً من ذى الأرباح الطائلة ، والرواتب الضخمة لأنه يعيش من الحلال ، وأولئك يعيشون من الحرام .

وغير بعيد عن السوق يلفت نظرنا وجود لوحة نحاسية جميلة قد كتب عليها بخط عربى العبارة التالية هنا : المصرف الأهلى ، للقرض والإيداع والتحويل .

ورغبنا فى التعرف إلى مثل هذا المصرف لنقف على أنظمة العمل فيه وكيفية التعامل معه من قبل المواطنين المسلمين ، ودخلنا المصرف فوجدناه يضم بين جدرانه عدداً محدوداً من الموظفين وهم كاتبان ، وحاسب ، وصارف ، وخازن ، وحارس لا غير .

فيجيىء الرجل يطلب قرضاً فيقدم وثيقة بيده فتتسلم منه فيسجلها الكاتب ، ويكتب له طلباً بالقرض المطلوب ، ويحوله إلى الخازن (أمين الصندوق) فيصرفه له على الفور المبلغ المطلوب وينصرف ويجيىء آخر وبيده نقود يريد إيداعها فى المصرف فيسلمها إلى الحاسب فيدعها ، أيضاً ويكتب له سنداً بها ، يدفعه إليه ، ثم يحولها إلى الخازن فيضعها فى الخزانة ، ويجيىء ثالث بيده نقود يريد تحويلها إلى بلد ما ، فيقدمها إلى الحاسب فيحسبها ، ويلفها لفافة ويكتب عليها اسم المحول والمحول إليه ، وعنوان كل منهما ثم يحولها إلى الكاتب على يمينه ، فيكتب له سنداً بنفس المبلغ المحول ، ويعطيه إياه ليرسل به إلى المحول له بواسطة البريد ، ويحول الكاتب المبلغ إلى الخازن فيودعه فى الخزانة ، وينصرف الرجل ، وقد حول ما أراد تحويله بكل هذه السهولة واليسر .

وهكذا يجرى العمل فى هذا المصرف ، وفى سائر المصارف فى الدولة الإسلامية كما قيل لنا ، وهو أمر عجب بالنظر إلى تلك التعقيدات التى نعرفها فى البنوك والمصارف فى غير هذه البلاد الإسلامية .

وهممنا بالخروج من المصرف ولكنا وجدنا أنفسنا مأخوذين بما رأيناه مدهوشين بما شهدناه من دقة النظام وسرعة العمل ، وحسن المعاملة الأمر الذى دعانا إلى أن نتصل بأحد الكاتبين ونقول : هل فى الإمكان أن نسأل إخوتكم بعض الأسئلة التى تتعلق بنظام المصارف فى بلادكم ؟

فقال : نعم ، ولكن بعد نهاية العمل . وواعدنا ساعة من نهار نأتيه فيها . وفى الوقت المحدد أتيناه فوجدناه فى انتظارنا ، فدخلنا المكتب عليه ، وسلمنا فرد السلام ، وقال : تفضلوا مرحباً بأخوى الإسلام وأشار أن اجلسا فجلسنا على كرسيين حوله ، ثم قال : تفضلا أيها الأخوان بأسئلتكما فسأله زميلى قائلاً : على أى أساس تقام هذه المصارف عندكم ؟ فأجاب قائلاً : الحمد للّه ، والصلاة والسلام على رسول اللّه وبعد : فبحكم أننا مسلمون مأمورون بالصدق والوفاء ، وفعل الخير والرغبة فيه ، والتعاون عليه فإن أهل كل حى من أحياء المدن ، وأهل كل قرية من القرى يكونون مصرفاً كهذا المصرف فى حيهم أو قريتهم ، فيودع فيه كل فرد ما يتوفر له من نقد بحيث لا يبقى فى جيبه أكثر من مصروفه الشهرى ، وكل ما زاد يضعه فى المصرف وذلك من أجل غرضين :

أولهما : أن حفظ ماله فى المصرف وهو لا يرغب فى تنميته به ، ولكن فى صيانته وحفظه ، حيث يوضع فى المصرف ضمن الودائع التى تحفظ لأصحابها . غير أنه يتفضل بالإذن للمصرف ليستعمله فى مشاريعه الإنمائية ، ويحتسب أجره على اللّه تعالى .

وثانيهما : أن يضعه فى المصرف بقصد إنمائه والربح به فيجعله فى المصرف مثل سهم من الأسهم فى مؤسساته المختلفة من تجارية وصناعية وزراعية ، وإنشائية عمرانية . ويكون الربح والخسران بحسب الأسهم ، قلة وكثرة كما هو معلوم فى باب المضاربة والشركات فى الفقه الإسلامى .

ومن هنا كان المصرف يقرض المحتاج من المواطنين إلى آجال بعيدة وقريبة وبلا فائدة ، وكل ما فى الأمر يستوثق فى دينه برهن ما يضعه المستقرض تحت يد المصرف ، وقد لا يطالب المصرف بوضع رهن أبداً لما يعيش عليه المواطنون من الوفاء والصدق ، إذ هما من مبادىء الكمال الذى تقوم عليه حياة المسلم فى هذه الدار .

كما يقوم المصرف بكافة التحويلات المالية من بلد إلى بلد آخر ، داخل هذه الدولة الإسلامية وبلا فائدة بالمرة ، ولا تقولا أيها الأخوان كيف يقرض المصرف ويحول بلا فائدة ، وله عمال موظفون يتقاضون أجوراً شهرية ؟ لأنكما علمتما أن المصرف يساهم فى مشاريع كبيرة تدر عليه أرباحاً عظيمة منها يسدد أجور عماله وسائر مصروفاته اللازمة له ، ولتعلما أيضاً أيها الأخوان أنه ليس شرطاً أن يساهم المصرف فى كل ما ذكر من المشاريع والمؤسسات المختلفة ، إذ قد يكتفى بمشروع واحد وذلك بحسب رأس المال الموجود لديه لأن المهم أن يتيح للمواطن المسلم فرصة تنمية ماله إن كان يرغب فى تنميته أو فرصة حفظه إلى ساعة الحاجة إليه مع المثوبة من اللّه تعالى على إذنه للمصرف باستخدامه فى مشاريعه الضرورية له ، لأداء واجبه بين المسلمين فى البلاد .

وهنا نظرْ محدثنا إلى ساعة فى جيبه ، وقال : هذا وقت المسجد فلنذهب إلى المسجد ، وذهب وتبعناه فإذا مسجد الحى على ما شاهدنا أمس فى سعة وكثرة المؤمنين به ، وحسن آدابهم فيه .

وتمنا ليلتنا ، وبعد صلاة الفجر ، وانتشار الناس فى أعمالهم رأيت مع زميلى أن نذهب إلى أحد المقاهى ،

فإلى ...

المقهى

وليس بعيداً من منزلنا يوجد مقهى فأتيناه ، فإذا به مقهى واسع جميل قد كتب على لوحة فوق بابه العبارات التالية :

على كل من جلس هذا المجلس أن يقوم بما يلى :

١ ـ رد السلام على من سلم عليه .

٢ ـ أن يأمر بالمعروف إذا ترك أمامه .

٣ ـ أن ينهى عن منكر ارتكب بين يديه .

٤ ـ أن يرشد من استرشده .

ودخلنا المقهى فإذا بنايته تضم رواقين واسعين قد وضع فى كل منهما مناضد جميلة ،

صفت حولها كراسي مريحة . أما الرواق الأول : فهو عبارة عن مكتبة للقراءة الإخبارية ، والنشرات الإعلانية .

وأما الثانى : فهو معد للشرب والاستراحة المؤقتة كمرفق من المرافق الضرورية لحياة المدن . ولفت نظرنا واستدعى انتباهنا أمران :

أحدهما : الهدوء التام الناتج عن قلة الحركة ، وانعدام الضخب والضجيج على خلاف المعروف فى المقاهى .

وثانيهما : الطريقة التى يطلب بها المرء حاجته من صاحب المقهى وهى أنه يوجد بكل منضدة زر يضغط عليه المريد لشيء من صاحب المقهى فيؤشر له إلى المنضدة الطالب صاحبها فيأتيه فوراً ويسأله عن طلبه ، ويقدمه له ، من غير حاجة إلى تلك النداءات والصيحات المقلقة التى عرفها الناس فى مقاهى غير هذا البلد الإسلامى العظيم .

وتركنا المقهى متعجبين من دقة التنظيم ، وجمال المنظر ، وتوفير الراحة ، وعرفنا أن مرد ذلك إلى الإسلام الذى هو دين هذه البلاد وقانونها ، ومنهاج حياتها فلا عجب أن ترتفع به هذه الأمة وتبلغ الكمال البشرى ، وهى تعيش عليه عقيدة وعبادة ، وتحكمه شريعة وقانوناً ، وتطبقه نظاماً .

ورأينا زيارة مرفق آخر من مرافق هذه البلاد للتعرف على حياة هذه الأمة والوقوف على كل شيء فيها ، ووقع اختيارنا على زيارة أحد الملاعب الرياضية فإلى ...

الملعب إذاً

وسألنا على أقرب ملعب منا فأرشدنا إلى ملعب « الجهاد » فقصدناه وعلى بابه الواسع الكبير قرأنا العبارة التالية :

« الجهاد فريضة والرياضة إعداد له »

واستأذنا فى الدخول فأذن لنا وطلبنا الاتصال بمدير الملعب فتم لنا كذلك . وهذا زميلى يسأل ليتعرف على ما يجرى فى هذا الملعب من أنواع الأنشطة الرياضية المختلفة فيقول : هل لكم يا أخى أن تعطونا صورة واضحة عن أنواع الرياضات المختلفة التى تزاول فى بلادكم ؟

وكان مدير عام الرياضات المختلفة من جسمانية وعقلية حاضراً بمجلس المدير فأحالنا

المدير على سعادته فرحب بذلك ، وقال : إليكما هذا المخطط الرياضى فإن به الجواب عن كل ما أردتما معرفته فى هذا الخصوص . وأدخل يده إلى درج جنبه فأخرج كتاباً ، وناوله صاحبى فتسلمناه شاكرين ، وانتحينا ناحية من غرفة المدير الواسعة لنقرأ الكتاب ، وتصفحناه فإذا به وقد كتب على غلافه العبارة التى قرأناها على باب الملعب مضافاً إليها عبارة « العقل السليم فى الجسم السليم » وعلى الصفحة الأولى جدول كامل بأنواع الرياضات المختلفة هذه صورته :

الرياضة البدنية :

١ ـ كرة القدم .

٢ ـ السباحة .

٣ ـ الرماية .

٤ ـ العدو .

٥ ـ السباق .

٦ ـ قيادة السيارات والدبابات والطائرات .

وفى الصفحات التالية من المخطط تفاصيل تلك الرياضات البدنية :

أولاً كرة القدم : ويزاولها الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٢٥ سنة .

وأعد لها الملاعب الآتية : ملعب الجهاد ، وملعب النصر ، وملعب كذا وكذا ووقتها المحدد لها من بعد صلاة العصر إلى ما قبل صلاة المغرب بنصف ساعة . واللباس المخصص لمزاولها هى صدرية خفيفة صيفاً ، وثقيلة شتاء ، ووسطاً فى الاعتدال . وسروال يصل إلى نصف الساق ، ولا يصف ولا يشف ، ولا يجوز البتة أن يكشف اللاعب شيئاً مما بين سرته وركبته .

ثانياً : السباحة وقد أعد لها مسبح النجاة ، ومسبح كذا .. وكذا ..

ووقت هذه الرياضة المحدد لها هو من بعد صلاة الصبح . وشرطها أن يزاولها الأحداث الذين تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والخامسة عشرة ، ويكون ذلك تحت إشراف الخبراء المختصين ، ويعطى المتخرج شهادة بحسن السباحة .

ومدة التعليم فيها سنة كاملة . ، ولا يزاولها إلا منتسب رسمياً فى الدورة ، ويشترط أن يكون لباس السابح سروالاً قصيراً يستر ما بين سرته وركبتيه ، وأن لا يكون رقيقاً يصف

البشرة ، أو يشف منها .

ثالثاً : **الجسمانية** ويزاولها الأطفال والشبان والرجال الذين لا تتجاوز أعمارهم الخمسين سنة . ووقتها من بعد صلاة الصبح مباشرة إلى قبيل طلوع الشمس .

وميادينها : ميدان القوة ، وميدان الحياة ، وميدان كذا .. وكذا ..

ويلاحظ أنه يحسن أن تكون هذه الميادين قريبة من المساجد وتؤدى هذه التمارين الرياضية بواسطة خبراء مختصين لذلك ولا يشترط لها لباس خاص باستثناء طلاب المدارس إذ الغرض منها المحافظة على جسم المسلم نشيطاً حيوياً بعيداً عن الترهل المقعد عن النشاط والحركة الخفيفة ، وعن السمن الباعث على الخمول والكسل مما قد يعوق عن أداء فريضة الجهاد فى سبيل الله .

تنبيهان :

١ ـ ألعاب الرماية ، والعدو ، وسباق الخيل ، وقيادة الدراجات والسيارات ، أوالدبابات والطائرات تجرى فى ملاعب الجيش . وتحت خبراء من رجاله ، وتصرف جوائز المتسابقين من ميزانية الجهاد مباشرة .

٢ ـ ليعلم كل مسلم مواطن أن الغرض من مزاولة هذه الرياضات هو إعداد الجسم صالحاً لأداء فريضة الجهاد ، قادراً على تحمل أعبائها . وما الجهاد إلا عبادة من سائر العبادات . وعليه فلا يصح أبداً أن يتسبب أى نشاط رياضى فى أية معصية لله تعالى ولرسوله ﷺ بحال من الأحوال . لا بقول ولا بفعل . وعلى طالب الرياضة أن يباشرها بنية التقرب إلى الله تعالى بحفظ جسمه صالحاً للجهاد .

ومن هنا لم يكن من داع لأن تزاول المسلمة هذه الأنواع من الرياضات لسقوط فريضة الجهاد عنها . اللهم إلا ما كان من ألعاب خفيفة مريحة فى أفنية مدارس البنات الصغيرات اللائى لم تتجاوز أعمارهن التاسعة من السنين .

وبقراءة هذين التنبيهين كنا قد فرغنا من تصفح المخطط الذى ناولنا سيادة المدير العام . واكتفينا بذلك عن السؤال حيث عرفنا ما أردنا معرفته ورددنا النسخة المعطاة لنا ، وودعنا شاكرين .

خرجنا من الملعب ونحن نفكر فى زيارة مرفق آخر من مرافق هذه الأمة المسلمة العظيمة واقترحت على صاحبى أن أزور أحد المصانع فقال لى : كيف السبيل إلى ذلك ؟

فقلت سؤال أحد هؤلاء التجار القائمين على متاجرهم وفعلاً وقفنا على بائع أقمشة وسلمنا فرد السلام وقلنا : هل لكم أيها الأخ أن تدلونا على أحد المصانع أو المعامل القريبة من مكاننا هذا ؟ فقال نعم . وأن أقرب معمل منكم الآن هو معمل الأحذية النسائى ، فقلنا : وهل يسمح بزيارته ؟ فقال نعم . وما المانع ، وأنتما غريبان لكما حق الزيارة لكل مكان فى البلاد . وما عليكما إلا أن تركبا سيارة أجرة من هنا ، وهى تصل بكما إلى المعمل فى بضع دقائق إن شاء اللّه تعالى ، فشكرناه ، وانصرفنا لنركب السيارة فركبناها إلى ...

المعمل

وأثناء سيرنا قلنا للسائق : هل فى الإمكان زيارة معمل الأحذية النسائى والتعرف على مجارى الأعمال فيه ؟

فأجاب أن نعم ، وذلك بواسطة مدير العمل الذى يديره بواسطة زوجه فإذا اتصلتما به ، وطلبتما منه ذلك فسيلبى طلبكما ويطلعكما على كل ما ترغبان فى معرفته .

وبعد دقائق ، وصلت بنا السيارة إلى باب المعمل ، فنزلنا شاكرين للسائق ظرفه وملاطفته لنا ، وقرأنا على باب المعمل العبارة التالية :

هذا معمل الأحذية النسائى

رحم اللّه عبداً عمل عملاً فأتقنه .

وكان على باب المعمل حارس فطلبنا منه أن يستأذن لنا مدير المعمل للدخول عليه ففعل ، ودخلنا فسلمنا فرد السلام واستجلسنا فجلسا وأمر لنا بكوبى لبن فشربنا . وسأله صاحبى قائلاً : إن لنا رغبة فى التعرف على هذا المعمل فهل لسعادتكم أن تعرفونا ببعض الإنتاج فيه ؟ فقال : نعم . وأردف قائلاً : إن هذا المعمل هو أحد معامل الدولة التى تنشئها فى كل مدن البلاد وبقصد سد حاجة الأمة من كل ما تحتاج إليه من جهة ، وبقصد تشغيل الأرامل واللاتى لا عائل لهن من زوج أو ولد . فهذا المعمل خاص بإنتاج الأحذية ، وهناك معامل أخرى فى مختلف الصناعات الخفيفة قد أعدت خصيصاً لتشغيل النساء الراغبات فى العمل لحاجتهن إلى ذلك .

وأخذ يصف لنا المعمل فقال : إن هذا المعمل : ينقسم إلى قسمين يفصل بينهما جدار خشبى . أحد القسمين للرجال والآخر للنساء ، ولكل قسم أبوابه الخاصة به للدخول والخروج . ويدار القسم النسائى بواسطة خبيرة ماهرة تكون فى الغالب زوجاً للمدير العام للمعمل .

وفى القسم الثانى من المعمل يجرى العمل فى كل ما لا يتطلب مهارة فائقة ولا جهداً كبيراً . وما يتم من العمل فى القسم النسائى يحول إلى قسم الرجال بواسطة نوافذ وفتحات خاصة بالجدار الفاصل بين قسمى المعمل لإتمام العمل وإخراجه نهائياً . فالقسمان يكمل بعضها بعضاً .

وهنا قاطعت المدير قائلاً : كم عدد العاملات فى هذا المعمل ؟ فأجابنى قائلاً : قرابة الثلثمائة عاملة لا غير . وهى نسبة كما ترى هابطة ، وذلك لعدم رغبة المرأة المسلمة فى العمل خارج منزلها ، ولولا الضرورة لما وجد هذا العدد من النساء العاملات فى مثل هذا المعمل .. وأضاف قائلاً : وأغلب هؤلاء العاملات من متخرجات المعاهد المهنية فقال زميلى : سبحان الله ، وهل هناك معاهد مهنية للبنات عندكم ؟ قال : نعم . وعلل لإجابته قائلاً : إن البنت عندنا تدرس منهجاً تربوياً تعليمياً خاصة لمدة أربع سنوات ، تبتدىء بالسادسة من عمر البنت ، وتنتهى بالعاشرة منه تدرس خلالها الضرورى من أمور الدين وما يكفيها من التربية وما يهذبها من الأخلاق ، ثم تغادر المدرسة وهى لا تحمل شهادة مدرسية قط .. ولكنها تحمل فقها فى الضرورى من دينها وصلاحها فى نفسها ، وتهذيبها فى شعورها وسلوكها .

ومن كانت من أسرة فقيرة أو كانت دميمة لا يرغب فى الزواج منها عادة ، وأرادت أن تتعلم مهنة قد تحتاج إليها فى مقبل حياتها ، فإنها تلتحق بأحد المعاهد المهنية للبنات لتدرس به ثلاث سنوات المهنة التى تختارها . طبعاً مع برنامج علمى تربوى يزيد فى علمها ، وتهذيب نفسها .

فإذا أتمت ثلاث سنوات كان لها الحق فى الالتحاق عاملة بأحد هذه المعامل التى أعدت خصيصاً لتشغيل مثلها من البنات الراغبات فى العمل . وقاطعت كلامه قائلاً : إنه بناء على ما ذكرتم ياسعادة المدير أن البنت عندكم لا تدرس دراسة تؤهلها لأن تكون كاتبة أو حاسبة فى مصالح الحكومة ودوائرها ، أو فى مكاتب المؤسسات والشركات الوطنية قال نعم ، ومعاذ الله أن يكون مثل هذا ، إنه يا أخى وبلا شك مسخ للمرأة المسلمة وتعذيب لها ، بل هو الوأد لحياتها . ثم أردف قائلا : ولم تعرض المرأة المسلمة مثل هذا ؟ أمن أجل لقمة العيش أم لأجل أن تفسد عليها دينها ، لتفسد على الرجال دينهم ؟ وأى قيمة للحياة إذا فسد الدين فيها ، وعاش الناس بلا دين مقطوعى الصلة بالله هابطين إلى قذر هذه الحياة ، لا هم لهم إلا الكسب المادى ، والجرى وراء الشهوات ؟ إن عملا

كالذى ذكرت يا أخا الإسلام قد يوجد فى مجتمعات لا تدين بالإسلام أما فى أمة تدين بالإسلام ، وتعيش على مبادئه كهذه الأمة فهيهات هيهات أن يسلك هذا المسلك المنافى للكمال الذى تعيش له أمة الإسلام وتدعو إليه .

وشىء آخر يا أخى وهو أن العمل لكسب العيش عندنا إنما هو وسيلة لعبادة اللّه تعالى وطاعته ، فإذا كان قد يؤدى إلى معصية اللّه تعالى ، وترك طاعته فإنه لا خير فيه . ووجب تركه ، وتحتم تجنبه . ، وإلا كنا كمن يضيع الغاية بالحرص على الوسيلة ، وهو منتهى الحمق والخطل فى الرأى .

وواصل حديثه قائلاً : إن للنساء عندنا مكانة ، ولهن بيننا حرمة عظيمة . فكيف نعرض شرف المرأة المسلمة للضياع ، أم كيف نقدم طهرها وقداستها للابتذال والامتهان ؟

إن النساء شقائق الرجال وأمهات الأشبال . وإن عملهن فى المنازل أعظم فائدة من خارجها . وما تقدمه المرأة للرجل فى البيت من خدمة لا يمكن أن يعوض بشىء أبداً .

ومن هنا كلنا نمقت كل عمل يرمى إلى المساس بشرف المرأة ، أو يعرضها للمهانة والاحتقار . كما نمقت كل حركة تهدف إلى إخراج المرأة عن طبيعتها لتصبح سلعة رخيصة يسومها ، ويطمع فيها فقراء الإيمان والدين والأخلاق من همل الرجال وضيع الشبان .

وعند هذا الحد من الكلام قال سعادته : أرانى قد أطلت الحديث معكما أيها الإخوان على حساب العمل ، فأرجو أن تعذرانى إن عدت إلى عملى ، واستودعنا اللّه تعالى وانصرف إلى عمله . وقبلنا وداعةّ اللّه تعالى وانصرفنا نحن إلى وجهتنا مغادرين المعمل عائدين إلى المنزل ، وقد تملكنا شعور غريب من جراء الدرس الذى لقنا إياه مدير المعمل بحديثه عن المرأة وتعلمها وعملها فى هذا البلد الإسلامى العظيم ، وأصبحنا نشعر بأن ما عليه بلادنا ليس بشىء وأن الإسلام ليس هو الذى عليه قومنا ، إذ ما من يوم يمضى علينا فى هذه البلاد إلا ويتكشف لنا جديد من حياة هذه الأمة المسلمة بحق ، فنرى معه بوضوح مدى بعد إخواننا وبلادنا عن الإسلام وهم يدعونه ، ويزعمون أنهم مسلمون .

وبينما نحن فى طريقنا إلى المنزل ، وإذا بآذان الظهر يرتفع عالياً بصوت شجى ينطلق منحدراً من سماعات معلقة بأعمدة الكهرباء كأنما ينحدر من علياء السماء ، وما أن فرغ المؤذن من آذانه حتى وقفت الحركة نهائياً . فوقفت الحافلات وسيارات الشحن والسيارات

الصغيرة كل واحدة بمكانها الذى أدركها الآذان وهى سائرة عليه ، وذلك عند آخر كلمة قالها المؤذن وهى كلمة : لا إله إلا اللّه .

وانطلق الناس إلى مساجد الأحياء زرافات ووحدانا ، فاستحال المنظر إلى مظاهرة عظمى لم نشهد مثلها طول حياتنا . وبعد دقائق معدودات أقيمت الصلاة ، وتمت وخرج الناس من المساجد متدفقين كالسيول العارمة . وعادت الحياة حياة العمل كأحر ما تكون الحياة وأقواها حركة ونشاطاً وحيوية . فأخذ هذا المنظر من نفوسنا مأخذا عظيماً وقلنا : هذه هى أمة الإسلام التى كنا نسمع عنها ونقرأ ولا نراها فقد رأينا اليوم وعشنا معها فى بلادها ، والحمد للّه .

وقضينا يومنا وليلتنا بين المنزل والمسجد . ولما أصبحنا . وأصبح الملك للّه عزمنا على زيارة مرفق آخر من مرافق حياة هذه الأمة المسلمة ووقع الاختيار هذه المرة على زيارة الثكنة العسكرية فإلى :

الثكنة العسكرية

وبعد ساعة من الزمن كنا بباب ثكنة عسكرية كبيرة للجيش الإسلامى قد كتب على لوحة جميلة فوق بابها بخط كوفى جميل العبارات التالية :

ثكنة الجيش الكبرى

رباط يوم فى سبيل اللّه خير من الدنيا وما فيها .

من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق . وكل عبارة من هذه العبارات قد كتب فى سطر خاص بها . واستأذنا فى الدخول فأذن لنا ودعانا ، وقابلنا فى غرفة الأركان أحد قادة الجيش الإسلامى ، وحيانا ورحب بنا ، وأجلسنا على كرسى مقابل له ، ودار بيننا الحديث التالى :

القائد : هل للأخوين من حاجة فنسارع إلى قضائها ؟

نحن : نعم . وشكراً للّه لك يا سعادة القائد .

القائد : ما حاجتكم واللّه أسأل أن يوفقنى لقضائها ؟

نحن : حاجتنا أيها القائد المحترم : معرفة بعرض أنظمة الجند وقوانين التجنيد ، وأهداف الجيش ، وطريق تدريبه وتسليحه ، وما إلى ذلك من كل ما يتعلق بالجيش الوطنى لديكم .

القائد : حاجتكم مقضية إن شاء اللّه تعالى غير أن هناك أسرار للجيش لا يطلع عليها سوى هيئة أركانه ، وقيادته العليا . بيد أنه فى الإمكان معرفتكما لأكثر ما ترغبون فى معرفته بواسطة كتاب :

(النظام العام للجيش الإسلامى)

واستحضره بواسطة أحد الضباط ، وناولنا إياه قائلاً : تفضلا فاقرآ ، فإذا فرغتما منه رداه إلينا .

وعلى كرسى حجرى فى حديقة الثكنة الداخلية جلست مع صاحبى نقرأ الكتاب الحاوى لكل أنظمة جيش هذه الدولة الإسلامية وبعد ساعة فرغنا من قراءته ، ورددناه ، وودعنا القائد وصحبه من الضباط شاكرين وانصرفنا ، وقد ارتسم كل ما فى ذلك الكتاب فى نفوسنا من شدة تأثرنا ، وإعجابنا لما حواه من الأنظمة الدقيقة ، والقوانين الصالحة الحكيمة حتى أنه أمكننا إملاؤه كاملا ساعة عودتنا إلى المنزل ، ولم نسقط منه عبارة واحدة . فقد كان غلاف الكتاب ذا ثلاثة ألوان : أبيض وأخضر وأحمر ، كأنما روى فيه قول من قال : بيض صنائعنا ، خضر مرابعنا ، حمر مواقعنا .

قد كتب على غلافه بحروف سوداء بخط عربى جميل الجملة الآتية :

النظام العام للجيش الإسلامى

وجاء فى الصفحة الأولى ديباجة قصيرة فى نحو خمسة أسطر ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد أداءً لفريضة الجهاد ، وتنفيذا لأمر الله تعالى فى قوله : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ (1) . وحماية لبلاد المسلمين ، وعقائدهم ، وأرواحهم ، وأموالهم ، وأعراضهم أنشىء الجيش الإسلامى ، وسلح بأحدث الأسلحة ، ودرب ويدرب على أحسن أساليب القتال ، وأجداها وأكبرها أثرا فى الحرب ، وفعاليته والله ولى الأمر وإليه المصير . ونعم المولى هو ونعم النصير :

وجاء فى الصفحة الثانية العنوان التالى :

---

(1) الأنفال : ٦٠ .

محتوى هذا الكتاب

يحتوى هذا الكتاب على ثلاثة فصول وخاتمة

وفى الصفحات التالية تفاصيل ذلك

الفصل الأول : فى هيئة الدفاع

وفيه ثلاثة بنود :

البند الأول : فى وجوب الدفاع

إن الدفاع عن أرواح المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، وعقائدهم واجب محتم بالكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ **قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا** ﴾ [١] . وقال عز من قائل : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز** ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ [٣] ، وقال رسول الله ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد » .

البند الثانى : فى هيئة الدفاع العليا

هيئة الدفاع العليا تتكون من وزير الدفاع الذى هو أحد أعضاء مجلس الدولة الأعلى ، ومن قائد القوات المسلحة العام وهو عضو كذلك فى مجلس الدولة ومن أركان حرب ، ومن نائب لكل واحد من المذكورين .

البند الثالث : فى ارتباط هيئة الدفاع بمجلس الدولة

يحكم وزير الدفاع ، والقائد العام للجيش الإسلامى عضوان فى مجلس الدولة الأعلى ، فإن هيئة الدفاع مرتبطة بمجلس الدولة الأعلى بطبيعة الحال .

وبناء على هذا فإنه ليس لهيئة الدفاع أن تتخذ أى قرار يتعلق بشأن الدفاع فى السلم والحرب على حد سواء إلا بعد عرضه على مجلس الدولة الأعلى ومناقشته ، وإقراره ومن هنا فليس لوزير الدفاع ، ولا لقائد القوات العام أو أركان حرب ، أو غيرهم من قادة

---

(١) آل عمران : ١٦٧ . (٢) الحج : ٤٠ . (٣) البقرة : ١٩٠ .

الجيش وضباطه أن يصدر أمرا إلى الجيش ، أو إلى بعض ألويته أو كتائبه بالتحرك لقتال ما إلا بعد إبراز قرار مجلس الدولة الأعلى الممضى من إمام المسلمين وحاكمهم ، ومن لم يكن له ذلك فليس لأفراد القوات المسلحة طاعته ، وامتثال أمره بحال من الأحوال .

الفصل الثانى
فى التجنيد

وفيه ثلاثة بنود :

البند الأول : فى وجوب التجنيد

يجب على كل شاب مسلم بلغ الثامنة عشرة من عمره أن ينخرط فى سلك الجندية لقضاء عامين فى التدريب على فنون الحرب ،. ووسائل القتال حتى يحذقها ويصبح قادرا على استخدامها بمهارة ، وذلك لأمر الله تعالى بالجهاد فى قوله :

﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ (١) ، وقوله : عز وجل : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون** ﴾ (٢) .

وقول الرسول ﷺ : « من مات ولم يغز ، أو يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من نفاق » .

ولما كان الجهاد لا يتم إلا بمعرفة وسائله وإعدادها فإنه يتعين على كل شاب مسلم أن ينخرط فى سلك الجيش لمعرفة وسائل الجهاد ، وعلى الدولة أن تعدها له ، وتدربه عليها .

البند الثانى : فى هيئة التجنيد ومهمتها

تتكون هيئة التجنيد من نائب عن قائد القوات المسلحة وآخر عن أركان حرب وعضوين آخرين أحدهما : طبيب من وزارة الصحة ، والثانى : قاض من وزارة العدل ، وتسمى هذه الهيئة بهيئة التجنيد العليا .

ومهمتها : استعراض المواليد لكل سنة ، وإصدار الأوامر باستدعاء البالغين السن القانونية للتجنيد إلى مراكز التدريب حيث يختبرونه صحيا ، ويلحقونه بالتدريب العام .

---

(١) الحج : ٧٨ .   (٢) التوبة : ١١١ .

البند الثالث : فى مراكز التدريب

ينشأ فى كل ولاية من ولايات الدولة مركز مجهز بكامل الآلات والأدوات الخاصة بالتدريب العسكرى لتدريب شباب الولاية ليصبح قادرا على أداء فريضة الجهاد متى دعى إليها أو تعينت عليه .

الفصل الثالث
فى استخدام القوى الدفاعية

وفيه مادتان :

المادة الأولى : فى الإذن باستخدامها

لا يسمح أن تستخدم القوات المسلحة بحال من الأحوال إلا بإذن صريح يوقع عليه إمام المسلمين ، وأعضاء مجلس الدولة الأعلى ، وذلك لأن الجهاد لا بد فيه من أمر إمام المسلمين والقوات المسلحة لا تستخدم إلا فى الجهاد الشرعى الذى أذن الله تعالى فيه بقوله : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير** ﴾ (١) .

وبقوله : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله** ﴾ (٢) .

المادة الثانية : فى الحالات التى تستخدم فيها القوات المسلحة

تستخدم القوات المسلحة بإذن إمام المسلمين ومجلس الدولة الأعلى كما نص على ذلك البند الأول من هذا الفصل ، ولا تستخدم إلا فى الحالات التالية :

١ ـ إذا اعتدى على أرض الدولة الإسلامية أو بحارها ، أو أجوائها .

٢ ـ إذا اعتدى على رعايا الدولة الإسلامية وغيرهم من أهل الذمة والحماية وسواء كان الاعتداء على الأرواح والأموال ، أو على الأعراض والأديان .

٣ ـ فى إخضاع العصابات المسلحة من أهل الحرابة وقطاع الطرق ممن يخيفون السبيل ، ويروعون الآمنين بالسطو على الأموال ، وإزهاق الأرواح ، داخل أرض الدولة الإسلامية.

---

(١) الحج : ٣٩ .   (٢) الحجرات : ٩ .

٤ ـ في قتال البغاة وهم الجماعة يخرجون عن إمام المسلمين ودولته ويشقون عصا الطاعة رغبة في الحكم وحبا في التسلط . فيقاتلون بموجب مادة قتال أهل البغي في باب القضاء من الدستور الإسلامي .

٥ ـ في قتال من صد عن الإسلام . أو اعترض طريق نشر هدايته بين العالمين .

ويعتبر في هذه الحالات الخمس قتالا شرعيا ، ويعتبر أهله مجاهدين في سبيل الله تعالى ، ومن مات منهم مات شهيدا ومن عاش عاش عزيزا كريما ، وذلك لقول الله تعالى في الأولى والثانية : ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم** ﴾ (٢) ، وقوله في الحالة الثالثة : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض** ﴾ (٣) .

وقوله في الحالة الرابعة : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ (٤) . وقوله في الحالة الخامسة : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ (٥) وقوله : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ (٦) .

الخاتمة

وتشمل على أحد عشر تنبيها

١ ـ حتما تقام صلاة الجماعة بين سائر أفراد القوات المسلحة وذلك في الحرب والسلم على حد سواء .

٢ ـ تقام أربع محاضرات أسبوعية بين كافة القوات المسلحة في ثكناتها ومراكز تدريبها ـ يلقيها علماء مختصون في التربية الروحية ، وفنون الحرب ، واستخدام الأسلحة

---

(١) البقرة : ١٩٤ . (٢) البقرة : ١٩٠ . (٣) المائدة : ٣٣ .
(٤) الحجرات : ٩ . (٥) الأنفال : ٣٩ . (٦) التوبة : ٢٩ .

وألوان الدفاع ، وفى كل ما يجد فى فنون الحرب وأسلحتها تحصينا للقوات المسلحة من تسرب الضعف الروحى والمادى إليها ، وإبقاء على قدراتها وكفاءتها صالحة للجهاد .

٣ ـ يبنى فى كل مركز للجيش وثكنة مسجد جامع يتسع لكافة أفراد المركز أو الثكنة ويزود بمكتبة عامة يختار لها أنفع الكتب للمجاهد المسلم .

٤ ـ رسميا يكون للجندى المسلم زى خاص به ، وشعار يميزه عن غيره من جنود الكفر والضلال .

٥ ـ لزاما يكون فى كل ثكنة هيئة قضائية تقضى بين أفراد القوات المسلحة فيما يشجر بينهم ، وتصدر أحكامها وفق شريعة الله وتنفذ فور صدورها .

٦ ـ يبتدىء كل تدريب عسكرى ، أو رياضى لأفراد الجيش بعد صلاة الصبح مباشرة . ولتصل الصبح فى أول وقتها دائما ولا تتأخر .

٧ ـ يصح استخدام بعض القوات المسلحة أيام السلم فى مصانع الدولة وسائر منشآتها المختلفة استغلالا للطاقات المتوفرة لدى القوات المسلحة على شرط عدم إنهاك قوى الجندى فى العمل فلا يخرج العمل عن كونه رياضة بدنية لا غير .

٨ ـ يمنح الجندى المتزوج إجازات نصف شهرية بعد كل أربعة أشهر التى هى مدة الإيلاء المقررة فى القرآن العظيم .

٩ ـ الجندى ذو الأولاد والزوجة يعطى معاشا لزوجه وأولاده بالمعروف .

١٠ ـ لا يقبل أهل الذمة فى الجيش كيفما كانت ثقافتهم وقدراتهم الحربية ، لقول الرسول ﷺ : « إنا لا نستنصر بمشرك » . ولا يجوز أن يطلعوا على أسرار الجيش . كما لا تسند إليهم وظائف تتعلق بالدفاع أبدا .

١١ ـ ممنوع قطعا وجود آلات لهو أو غنى بين الجنود ، وأوقات الفراغ تعمر بالتعليم والعبادات والقرب الشرعية لأن الجندى فى عبادة ما دام فى سلك الجندية وعليه فلا معنى للهو واللعب فى صفوفه وبين أفراده . وبعد قراءتنا لما حواه « النظام العام للجيش الإسلامى » وما اشتمل عليه من فصول وبنود تفيض بالحيوية والقوة أيقنا أن هذه الأمة جديرة بالاحترام .

ونظر إلينا القائد وعرف تأثرنا فقال : إن الكتاب قد لا يعطى الصورة الحقيقية للواقع الذى ترجمه ، فهل لكما أن تتجولا معى فى بعض منشآت الجيش ؟ فقلنا نعم . ولا أحب إلينا من ذلك . فقال : على بركة الله وركب سيارة وركبنا معه . وبعد ساعة كنا بباب مصنع كبير لإنتاج الأسلحة الثقيلة ، ودخلنا المصنع وتجولنا فى ورشه المختلفة ، ووقفنا على أنواع كثيرة من الأسلحة التى تصنع فى تلك الورش التى يحويها ذلك المصنع الهائل الكبير .

وعدنا إلى الثكنة التى انطلقنا منها ، وقد حان وقت صلاة الظهر فأذن المؤذن وتقاطر الجنود من كل نواحى الثكنة وتلاحقوا فامتلأ بهم المسجد واكتفى ، وأقيمت الصلاة فصلينا ، وعند انصرافنا مال بنا القائد إلى مكتبة المسجد الملاصقة لجداره الغربى ، وإذا بها مكتبة فاخرة ذاخرة بأنواع الكتب العلمية القيمة النافعة ، وإذا بنظارها والقائمين عليها يناولون كل طالب مطلبه ، ويتقبلون من كل راد ما رده ، وذلك فى نشاط كبير وأدب رفيع . وبزيارتنا للمصنع والمسجد والمكتبة أيقنا أن ما حواه الكتاب الذى طالعناه عن نظام الجيش الإسلامى كان حقاً وصدقاً ، وكان نظاماً مطبقاً واقعاً وفعلاً .

وإلى هنا . والآن نودع سعادة القائد وننصرف ...

وبعد صلاة الغداة من اليوم التالى ونحن نتناول طعام الفطور قلت لصاحبى ما هى وجهتنا اليوم ؟ فسكت صاحبى ولم ينبس ببنت شفة ولعله قد سئم من كثرة الزيارات التى قمنا بها لتلك المرافق المختلفة فى هذه الدولة الإسلامية فقلت له : مالك لا تجيب ؟ فقال ما أرانا فى حاجة إلى زيادة التعرف على ما فى هذه البلاد فإن ما رأيناه كاف فى الاستدلال على صحة ما جاء فى دستورها من قواعد الكمال البشرى ودقة النظام الإسلامى وعظمة الدولة الإسلامية . فقلت هذا صحيح ، ولكنه غير مانع من زيادة الوقوف والتعرف على مرافق هذه الدولة المثالية . فقال لى صاحبى ، وهو يبتسم : فليكن ما تريد .

وعزمنا هذه المرة على زيارة وزارة المال والاقتصاد ، فإلى

وزارة المال والاقتصاد

وسرعت مع صاحبى حتى وصلنا إلى مبنى الوزارة ودخلناه ، واستأذنا فى الدخول على الوزير فأذن لنا ، ودخلنا عليه فسلمنا ورد السلام . وطلب منا الجلوس على كرسى إلى جانبه فجلسنا ثم قال : هل للأخوين من حاجة ؟ فقلنا نعم ، وهى أن لنا رغبة فى التعرف على النظام المالى فى الدولة الإسلامية التى سعادتكم على رأس وزارة ماليتها واقتصادها . فقال بعد أن ابتسم : إن الحديث فى هذا الباب يطول أيها الفتيان ، غير أنى أحيلكما على قراءة النظام المالى للدولة الإسلامية وهو مطبوع فى كتاب صغير وضعته الدولة لذلك . ومن خلال قراءته تقفون على كل ما أردتما الوقوف عليه فى هذا الشأن ، وأؤكد لكما سلفاً أن النظام المكتوب مطبق حرفياً ، فكما هو مكتوب على الورق هو مطبق ومعمول به على صعيد الواقع . وأدخل يده إلى درج أمامه فأخرج نسختين وناول كلا منا واحدة وقال : اقرآ وبعد فراغكما ردا النسختين إلى فلان وأشار إلى أحد الموظفين بمكتبه . وأستأذننا فى الانصراف قائلاً : لقد دعيت من قبل مجلس الدولة الأعلى ، وأنا فى طريقى إلى هناك فهل تسمحان أيها الأخوان ؟ فقلنا : نعم وفقك اللّه ، وانصرف وتركنا بغرفته . وانتحينا ناحية منها لنقرأ الكتاب الحاوى للأنظمة المالية والذى عنوانه (النظام المالى للدولة الإسلامية) وتصفحنا الكتاب ، وإذا ديباجته حرفياً ما يلى :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على النبى الأمى محمد وآله وصحبه وسلم

يعتبر الإسلام المال شيئاً محترماً ، فهو يأمر بتنميته وإصلاحه ، وينهى عن إفساده وإتلافه ، ويحرم اغتصابه ومصادرته قال تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل اللّه لكم قياماً** ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ **ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزءا بما كسبا نكالاً من اللّه واللّه عزيز حكيم** ﴾ (٤) .

وقال رسول اللّه ﷺ : « من اغتصب شبر أرض طوقه سبع أرضين يوم القيامة » .

---

(١) النساء : ٥ . (٢) الفرقان : ٦٧ .

(٣) المطففين ١ ــ ٣ . (٤) المائدة : ٣٨ .

ولذا فقد وضع هذا النظام المالى للدولة ليكون حداً لا يجوز تعديه ، ومرجعاً فى هذا الشأن يرجع إليه ، إذ قد بينت فيه طرق دخل مال الدولة وخرجه ، وكيفية إنمائه واستثماره وهيمنة الدولة عليه لمراقبته ، والحيلولة دون إنفاقه فيما يضر من معاصى الله تعالى ومعاصى رسوله ﷺ .

أو فيما هو خارج عن مصلحة البلاد والدولة والأمة تلك آخر كلمة فى الديباجة .

وأما محتوى الكتاب بعدها فإنه قد وضع فى الصفحة المقابلة وجاء فيه : أن هذا النظام المالى للدولة قد أثبت فى ثلاث فصول وخاتمة . وفى الصفحات الآتية تفصيل ذلك .

الفصل الأول

فى حرمة المال ، وكيفية دخله وهيمنة الدولة عليه :

وفيه بندان :

البند الأول : فى طرق دخل مال الدولة

ميزانية الدولة التى هى بيت مال المسلمين تتكون من الأموال المجموعة من الطرق التالية :

١ ــ من المعادن والثروات الطبيعية فى أرض الدولة .

٢ ــ من الزكوات المفروضة فى أموال المواطنين المسلمين .

٣ ــ من مصانع الحكومة ، ومنشآتها العمرانية ومؤسساتها التجارية والصناعية والفلاحية والزراعية .

٤ ــ من رسوم البضائع التجارية المستوردة من خارج البلاد من تجارة أهل الذمة ، والمعاهدين .

٥ ــ من تبرعات الأغنياء ، ومن طوابع البريد . وما إلى ذلك .

٦ ــ من الفيء والغنائم التى يحصل عليها الجيش الإسلامى فى حروبه الإسلامية المقدسة .

البند الثانى : فى هيمنة الدولة على المال .

المال هوعصب الدولة وقوام حياتها ، فهى لا تكون بدونه ، ولا تقوى على أداء

واجباتها بغير وجوده ، ولهذا يحق لها ، بل يجب عليها أن تهيمن عليه فتراقبه فى دخله وخرجه ، وتفريقه وجمعه ، ولكن فى نطاق الحق والعدل ومراعاة الحلال فيه والحرام .

فجمعه لا يكون من غير المصادر المشروعة التى أذن اللّه تعالى فى الاكتساب منها . فلا يجمع مال الدولة التى أذن اللّه تعالى فى الاكتساب منها . فلا يجمع مال الدولة ولا مال الأفراد من بيع المحرمات ، ولا من الفوائد الربوية ، ولا بالاغتصاب والسرقة ، ولا بالمصادرة والتأميم غير المشروع .

كما أن صرفه يجب أن لا يكون خارجاً عن دائرة مصلحة الأمة الخاصة والعامة بحال من الأحوال ، فلا ينفق المال وسواء كان مال الدولة أو مال الفرد فيما لا يحل الإنفاق فيه من معاصى اللّه عز وجل ، إذ المال أداة نفع مشتركة بين أفراد المسلمين ، قال تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** ﴾ (١) ، وقال : ﴿ **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ (٢) . فلا يحل إذاً إنفاق مال الدولة أو الأفراد فى إسراف وبذخ ، ولا فى تبذير ، ولا فيما لا يحقق مصلحة ظاهرة للفرد أو الدولة .

الفصل الثانى
فى إنماء مال الدولة

وفيه بندان :

البند الأول : فى الإنماء داخل البلاد

تنمية أموال الدولة أمر ضرورى من أجل أن يفى بجميع حاجات الدولة ، ومتطلباتها الكثيرة ، ومن هنا كان لابد من ضرب الحكومة بسهم كبير فى جميع الميادين التجارية والصناعية والفلاحية ، فتنشىء لها مؤسسات مختلفة صناعية وفلاحية وتجارية وذلك لتحقيق غرضين أساسيين وهما :

أولا : تنمية أموال الدولة ، لتصبح تغل باستمرار ، وبذلك يحفظ كيان الدولة نامياً متطوراً قوياً .

ثانياً : لإيجاد وظيفة عمل لكل مواطن يتقاضى ، بموجبها المخصص لإعاشة أفراد عائلته من ميزانية الدولة التى هى بيت مال المسلمين .

---

(١) النساء : ٥ . (٢) النساء : ٢٩ .

هذا ولكى تتمكن الحكومة من تحقيق أكبر هدف لها فى إيجاد عمل لكل مواطن فى الدولة يتقاضى بموجبه إعاشته وأفراد أسرته .

عليها أن تختص بجميع المرافق العامة فى البلاد ، وذلك كالمعادن والثروات الطبيعية ، والكهرباء والماء والمواصلات .

(تنبيه)

لا ينبغى أن يفهم من هذا أن للحكومة أن تحتكر جميع الصناعات والتجارات من إصدار وتوريد ، أفراد الأمة ، لا ، لا ، بل لأفراد الأمة وبكل حرية أن ينشئوا ما شاءوا من المؤسسات الصناعية والتجارية والفلاحية ، وعلى الحكومة أن تشجعهم على ذلك وما لها عليهم إلا شيآن : أولهما : أخذ الزكوات المفروضة ، وثانيهما : النظر فى شؤون العمال المستخدمين لديهم بحيث لا يوظف أحد فى الشركات والمؤسسات الأهلية براتب وأجر أقل مما يتقاضاه الموظف فى شركات الحكومة ، ومؤسساتها ، إذ من أغراض الحكومة فى إنشاء المؤسسات الصناعية والتجارية إيجاد عمل للمواطن يتقاضى بموجبه المخصص له فى بيت مال المسلمين (خزانة الدولة) .

وعليه فإذا وجدت الحكومة مؤسسات أهلية أمينة صالحة توظف، لها أعداداً من الموظفين بقدر من المال يسد حاجاتهم فى الحياة فإن ما عليها إلا مساعدة تلك المؤسسات ، وتشجيعها بما يكفل لها النمو واطراد النجاح .

البند الثانى : فى تنمية مال الدولة خارج البلاد .

لا مانع البتة من أن تنمى الدولة الفائض من أموالها خارج حدود أرض الدولة إذ ذلك يكسبها فائدتين كبيرتين :

أولهما : دخل مستمر على خزانتها من خارج بلادها ، وفى ذلك ما يدعم مركزها المالى ويقويه بين الدول والحكومات .

وثانيهما : السمعة الطيبة بين الدول والنفوذ السياسى فى البلاد التى تستثمر فيها أموالها الفائضة على مشاريعها فى داخل بلادها .

الفصل الثانى
فى صرف مال الدولة

وفيه أربعة بنود :

البند الأول : فى تحريم تبذير المال ، وإنفاقه فى المعاصى والمحرمات .

لقد حرم الشرع الإسلامى تبذير المال وإنفاقه فى المعاصى والمحرمات فلذا لا يحل لأى فرد من أفراد المسلمين سواء كان حاكماً أو محكوماً ، مسؤولاً أو غير مسؤول أن يبذر مال اللّه ، أو يتخوض فيه بغير حق ، سواء كان مال الدولة العام أو مال الفرد الخاص . وعلى المخالف العقاب . قال تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ (١) ، وقال : ﴿ **ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** ﴾ (٢) وقال عز وجل : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ (٣) .

البند الثانى : فى تحديد التبذير والإسراف .

يعتبر الإنفاق للمال تبذيراً وإسرافاً إذا كان :

١ ـ زايداً على قدر الحاجة من طعام أو شراب أو لباس أو سكن أو مركب .

٢ ـ فى معصية اللّه تعالى ومعصية رسوله ﷺ بفعل ما نهياً عنه وحرماه من أكل أو شرب أو لباس أو نظر أو سماع ، أو اقتناء أو ادخار .

٣ ـ فيما لا يعنى من المباحات بحيث لا يحقق منفعة ظاهرة للفرد أو الجماعة أو يدفع عنهما مفسدة أو مضرة .

البند الثالث : فى مراقبة الدولة للمال :

بناء على قول اللّه تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل اللّه لكم قياماً** ﴾ (٥) . وقول الرسول ﷺ : « إن اللّه حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

---

(١) البقرة : ١٨٨ .　(٢) الإسراء : ٢٦ ، ٢٧ .　(٣) الأعراف : ٣١ .

(٤) البقرة : ١٨٨ .　(٥) النساء : ٢٩ .

البند الرابع : في صرف مال الدولة وإنفاقه .

الدولة الإسلامية تتبع فى توزيع مالهما أوفى الطرق ، وأعدل النظم التى يكمن أن يعرفها الناس فى هذا الوجود . فهى تجرى إحصاء عاماً دقيقاً لكل أفراد الأمة التى تحت ولايتها ، وفى ظل لوائها ، وعلى أساس ذلك الإحصاء ومعرفة أفراد المواطنين تضع ميزانيتها السنوية العامة فتجعل لكل فرد من أفراد الأمة شهرياً يكفل له الضرورى من القوت .

غير أنها لا تدفع له ذلك القدر المخصص إلا مقابل عمل يقوم به للدولة ، فهى تلزم نفسها بإحداث وظيفة لكل فرد يقدر على العمل فى البلاد ليتسلم بموجبها المخصص له فى خزانة الدولة (بيت المال) غير أن الدولة تراعى فى هذا جانبين مهمين أولهما : أفراد الأسرة ، فذو زوجة وثلاثة أولاد مثلاً يعطى مرتباً شهرياً على عمله الذى يقوم به لا يعطاه الذى لا أسرة له ، أو له أسرة أفرادها أقل من أسرة الأول وثانيهما : ذو المنصب المهم أو العمل الشاق ينبغى أن يزداد على مخصصه بما يشجعه على الاستمرار فى عمله والصدق فيه على أن لا تكون الزيادة فوق الضعفين .

وبناء على ما ذكر فإن مال الدولة ينفق فى طريقين :

أحدهما : موظفى الدولة من إمام المسلمين إلى آخر موظف فى جهاز الدولة ، ومعنى هذا أنه ينفق على كافة أفراد الأمة إذ ما من مواطن إلا وله عمل يشغله فى الدولة يأخذ به المخصص له فى الميزانية كما تقدم .

وثانيهما : مصادر التنمية التى هى مصانع الدولة ومتاجرها ، ومزارعها ومرافقها العامة والتى يعمل فيها أفراد الأمة كذلك وبه أصبح مال الدولة كله عائداً إلى الأمة .

الخاتمة

وفيها تنبيهات :

الأول : كون الدولة تقوم بسد حاجة كل مواطن فى هذه البلاد غير مانع من أن يقدم المسلم لنفسه شيئاً يجده عند ربه يوم يلقاه ، إذ اللّه تعالى يقول : ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً** ﴾ [1] ، والرسول ﷺ يقول : « واتقوا النار ولو بشق تمرة » . ولذا تعين أن ينشأ فى كل مسجد من مساجد البلاد صندوقان

---

(١) المزمل : ٢٠ .

أحدهما للبر ، والثاني للجهاد ، فيوضع الأول على يمين الداخل للمسجد ، والثانى على يساره ، وقد كتب على صندوق البر العبارة التالية :

أيها المسلم : هذا الصندوق بر يصرف ما تجمع فيه من صدقات المتصدقين على الأرامل واليتامى والمساكين من العجزة وأهل العاهات ، وذلك تحت إشراف هيئة المسجد فقدم لنفسك خيراً تجده عند اللّه هو خيراً وأعظم أجراً .

وقد كتب على صندوق الجهاد ما يلى :

أيها المسلم : اذكر أن الجهاد فريضة اللّه عليك ، وأن الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس . واعلم أن الجيش الإسلامى فى حاجة دائمة إلى المزيد من السلاح والتطوير .

وإلى العديد من الرجال ، وتدريبهم وإعدادهم صالحين لخوض معارك الجهاد المنتظر ، والدائر الآن ، فإن واجبك بسخاء ، وضع فى هذا الصندوق ما لم تكن فى حاجة إليه .

واعلم أن درهم الجهاد يضاعف إلى سبعمائة ضعف .

الثانى : لا مانع من أن يكون أهل المهنة الواحدة كسائقى السيارات والفلاحين أو الجزارين ، أو النجارين أو عمال المصانع أو غيرهم ممن تجمعهم مهنة واحدة أن يكونوا صندوقاً يطلقون عليه اسم (التأمينات الاجتماعية) . وينبع فى تكوين القواعد والشروط التالية :

١ ـ النية الصالحة وهى أن ينوى بذلك التعاون على البر المأمور به فى قول اللّه تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ [(١)] . والرحمة المذكورة فى قول اللّه تعالى : ﴿ **وتواصوا بالصبر ، وتواصوا بالمرحمة** ﴾ [(٢)] .

٢ ـ أن يدفع المخصص باختياره ، وطيب نفسه .

٣ ـ تساوى المشتركين فى القدر الذى يدفعونه مساهمة منهم فى الصندوق إلا من تبرع بأكثر فإنه لا حجر عليه .

٤ ـ أن يتساوى المشتركون فيما يعطاه أحدهم عند نزول الحادثة وإصابة المصيبة .

٥ ـ إذا انسحب العضو من المنظمة مللا أو عجزاً ليس له أن يطالب بما دفعه فى الصندوق لأنه دفعه بنية البر والصدقة ، فليس له أن يعود فيه لقوله ﷺ : « العائد فى هبته

(١) المائدة : ٢ . (٢) البلد : ١٧ .

كالعائد فى قيئه » .

٦ ـ أن لا يستخدم المال المجتمع فى الصندوق فى الأعمال الربوية من أجل تنميته ، أو لغرض آخر ، ولا بأس أن ينمى بطرق خالية من الربا جائزة التعامل كالتجارة والصناعة وغيرهما .

٧ ـ الهيئة القائمة على الصندوق كالكاتب والمحاسب والمحافظ يأخذون أجرة أمثالهم من الصندوق مقابل أعمالهم .

الثالث : لا بأس بأن توقف الأوقاف الخيرية على مثل هذا الصندوق الخيرى التعاونى لأنه صندوق بر وإحسان . تنفق أمواله على أصحاب النوائب والنكبات ، كما لا بأس بتشجيع الحكومة له بمال من خزانة الدولة .

الرابع : مادام المال بلغة يتبلغ بها المسلم ووسيلة يتوسل بها لسعادته فى حياته الأولى والآخرة فإنه للمسلم فى هذه البلاد أن يوقف ويحسب ما شاء من دور وضياع وآبار وعيون على المساجد أو العلماء ، والفقراء أو الجهاد ، ويسجل ذلك فى كتابة العدل ، ويقدم صك ما أوقفه إلى وزارة الأوقاف لتقوم برعايته وتنميته وصرفه للجهة الموقوف عليها حسب شروط الواقف .

ولما فرغنا من قراءة ما جاء فى النظام المالى للدولة الإسلامية رأيت صاحبى وكأنما بدا عليه إعجاب كبير بما رأى من النظام السليم . فسألته قائلا كيف رأيت النظام المالى فى دولة الإسلام ؟

فقال رأيت عجبا لم أر مثله قط ، إنه العدل والدقة والتنظيم فقلت له : أين هذا من الأنظمة الاشتراكية التى طالما غنى لها وصفق المغرورون بالباطل والمخدوعون بالوعود الكاذبة ؟

فقال صاحبى وقد تنهد : إن الفرق بين هذا وذلك كما بين الأرض والسماء ، والسعادة والشقاء . فقلت : إذا هيا بنا نواصل زياراتنا إلى كل مرفق من مرافق هذه الدولة الإسلامية ، لنخرج بصورة واضحة عنها ، وحتى يمكننا أن نبشر بها ، وندعوا المسلمين إلى الأخذ بقانونها ، ليسعدوا بسعادتها ويفوزوا بالكمال الذى فازت به فى هذه الحياة الدنيا .

وقال لى صاحبى : إلى أين تريد أن تذهب الآن ؟ فقلت : إلى محافظة هذه المدينة فإنه

من المهم جدا أن نعرف نظام المحافظة المعمول به فى هذه البلاد الإسلامية فقال : وليكن ذلك .

فقلت : على بركة الله وسرنا بخطى سريعة إلى

المحافظة

ووصلنا إلى دارها وكانت قريبة من منزلنا ، فدخلناها ، واستأذنا على سعادة المحافظ فأذن لنا فدخلنا وسلمنا فرد السلام ، وكان رجلا مهيبا قد تخطى الأربعين من عمره له لحية كثة سوداء تضرب إلى صدره ، وقد اعتم بعمامة لم تر العين أحسن منها ، ولا أجمل منها اليوم ، وبيده نسخة من دستور الدولة الإسلامية كأنه يطالعها أو يبحث عن شئ فيها . وما أن تبادلنا التحية حتى رحب بنا واستجلسنا فجلسنا على مقربة منه . وسألنا قائلا : هل للأخوين حاجة تقضى ؟

فقلنا : نعم . ومثلكم يفعل بإذن الله . فقال : ما حاجتكما ؟ فقلنا : رغبة فى الاطلاع على نظام البلديات عندكم ، وطرق إدارة المدن والقرى فى ظل الدولة الإسلامية التى ترفرف عالية فى سمائها راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . فقال : ستحقق رغبتكما إن شاء الله تعالى . ونادى أن يا إبراهيم بن أحمد فأجابه مسرعا : لبيك : فقال : ناولنى نسختين من نظام إدارة المدن والقرى فى أقاليم الدولة ، فدخل إبراهيم مكتبا مقابلا، فأخرج نسختين ، فقال له المحافظ : ناول كلا من الأخوين نسخة ففعل .

وانتحينا ناحية من مكتب المحافظ نقرأ الكتاب الذى قدم إلينا وإذا قد كتب على غلافه بحروف جميلة العبارة التالية .

نظام إدارة المدن والقرى فى أقاليم الدولة

وفتحنا الكتاب فإذا ديباجته ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين

وبعد:

هذا نظام إدارة المدن والقرى فى داخل أقاليم الدولة الإسلامية قد أعد من قبل علماء الشريعة الإسلامية ووافق عليه إمام المسلمين ومجلس مشورته موافقة اجتماعية حيث كل بنوده كانت مستمدة من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وقد أصبح العمل به حتما محتما ، وعلى المجالس المدنية ومحافظى المدن ، ومشايخ القرى أن يعملوا بموجبه ، ومن رأى أن بندا من بنوده يتنافى مع آية من كتاب الله تعالى ، أو سنة من سنن الرسول ﷺ الصحيحة ، أو قضاء من أقضية أصحابه رضى الله عنهم فليدفع ذلك إلى مجلس الدولة الأعلى ليحال إلى هيئة التشريع للتحقق مما رأى ، ومتى رؤى أنه الحق وجب أن يرجع إليه وأن يثبت هذا النظام ، ويجرى العمل به فور إقراره ، إذ الحق أحق أن يتبع ، ولا هدى إلا هدى الله وما الحكم إلا حكمه . وهو ولى الأمر والتدبير .

صدر هذا النظام ، وتم التصديق عليه من قبل إمام المسلمين ومجلس الدولة الأعلى . بتاريخ كذا ..

وجاء فى الصفحة المقابلة لصفحة الديباجة ما يلى : يحوى هذا النظام تسعة أبواب :

الباب الأول : فى تكوين المجلس المدنى .

الباب الثانى : فى بيان مهمة المجلس المدنى .

الباب الثالث : فى تكوين مجلس الحسبة .

الباب الرابع : فى تكوين مجلس القضاء .

الباب الخامس : فى تكوين المجلس المالى .

الباب السادس : فى تكوين مجلس التعليم .

الباب السابع : فى تكوين هيئة الإصلاح وبيان مهامها .

الباب الثامن : فى تكوين المجلس الصحى ولبيان مهامه .

الباب التاسع : فى « الجمعيات التعاونية » .

وجاء فى الصفحات التالية من الكتاب تفصيل تلك الأبواب بابا بابا

الباب الأول : فى تكوين المجلس المدنى

يدير المدينة ، أو مجموعة القرى المتجاورة مجلس يطلق عليه اسم المجلس المدنى ويتكون أعضاؤه من ذوى الخبرة فى كل شأن من شؤون الدولة بحيث يكون كل عضو فيه نائبا عن مدير من مديرى المصالح الحكومية .

فرئيس المجلس يكون نائبا عن والى الإقليم ، ورئيس الحسبة (الشرطة) يكون نائبا عن

مدير الأمن العام فى الإقليم ، ورئيس المحكمة والقضاة يكون نائبا عن مدير العدل فى الإقليم . وهكذا حتى يكون المجلس المدنى صورة مصغرة من المجلس الإقليمى الذى هو صورة من مجلس الدولة الأعلى .

الباب الثانى : فى مهمة المجلس المدنى

مهة المجلس المدنى تنحصر فى أمرين أولهما : البحث فى كل ما يرفع شأن المدينة ويحقق لها الخير والصلاح والتعاون على ذلك بعرض كل عضوللمسائل التى تدل على مصلحته واستشارة أعضاء المجلس فيها والأخذ برأيهم فى ذلك . وثانيهما : أن كل عضو فى المجلس يرأس مصلحة خاصة من مصالح الدولة فى المدينة وبناء على هذا فستتفرع عن المجلس المدنى المجالس الآتية :

١ ـ الحسبة « الشرطة »

٢ ـ القضاء

٣ ـ المالية

٤ ـ التعليم

٥ ـ الإصلاح الاجتماعى

الباب الثالث : فى تكوين مجلس الحسبة وبيان مهامها

تتكون هيئة الحسبة من رئيس يدعى رئيس هيئة الحسبة « الشرطة » فيه أن يكون عالما بالشريعة ذا تقوى وكفاية . ومن أعضاء عاملين يساعدونه على تسيير أعمال الهيئة . ويوضع تحت تصرف هذه الهيئة عدد من الرجال الأكفاء يقلون ويكثرون بحسب سعة المدينة وضيقها يقومون بمهمة الحسبة والتى هى :

١ ـ المحافظة على الأمن والنظام داخل البلد .

٢ ـ تنظيم السير فى البلد والإشراف عليه .

٣ ـ تنفيذ الأحكام الشرعية التي تصدرها المحكمة على المواطنين .

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى البلد وبين المواطنين .

فيأمرون بكل معروف يرونه قد ترك بين الناس وينهون عن كل منكر يرونه قد ارتكب

بين المواطنين . وذلك لقول الله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ (١) .

الباب الرابع : فى المجلس القضائى

يتكون فى المدينة الواحدة أو فى مجموعة القرى المتجاورة محكمة قضائية تضم رئيسا وعددا من القضاة يساعدونه على إصدار الأحكام الشرعية فى القضايا التى يرفعها المواطنون إلى المحكمة للنظر فيها والحكم .

وذلك لقول الله تعالى : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** ﴾ (٢) . وقوله تعالى : ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ (٣) .

الباب الخامس : فى المجلس المالى

يتكون من كل مدينة أو مجموعة من القرى المجاورة مجلس مالى « هيئة » يضم رئيسا للصندوق وكاتب وحاسب وجباة تودع فيه أموال الدولة للجمع والصرف يطلق عليه إسم فرع بيت المال ويكون مرتبطا بوزارة المالية وببيت مال الدولة .

الباب السادس : فى مجلس التعليم

يوجد فى كل مدينة من مدن الدولة إدارة للتعليم تضم مديرا وكتابا وحسبة مهمتها القيام بشؤون التعليم وتنفيذ ما يرد إليها من الإدارة العامة للتعليم فى الإقليم من أوامر تتعلق بمهمة التربية والتعليم .

الباب السابع : فى مجلس هيئة الإصلاح الاجتماعى وبيان مهامه

يتكون مجلس هيئة الإصلاح الاجتماعى من أحد كبار العلماء بالشريعة الإسلامية رئيسا ومن خبير معمارى وطبيب ورجل اقتصادى وآخر اجتماعى .

ومهام هذه الهيئة هى : كافة ما يتعلق بشؤون المدينة من الناحيتين الدينية والدنيوية وذلك ما يلى .

١ ـ الإشراف على البناء والتخطيط فى المدن والقرى .

---

(١) آل عمران : ١٠٤ . (٢) الحديد : ٢٥ . (٣) النساء : ٥٨ .

٢ ـ النظافة العامة فى المدينة والقرية سواء بسواء .

٣ ـ تأمين الماء والنور فى المدينة والقرية وصيانتهما .

٤ ـ تأمين النقل وإصلاحها داخل المدينة وبين القرى .

٥ ـ إعداد وسائل الإطفاء والإنقاذ والقيام بذلك عند حدوثه .

٦ ـ الإشراف على الحفلات العامة ومراقبتها وكذا الاجتماعات العامة كالمقاهى والأندية والملاعب الرياضية والمسابح البحرية وما إلى ذلك .

٧ ـ مراقبة الأسواق والبضائع والسلع التجارية .

٨ ـ مراقبة أزياء المواطنين والمواطنات وملابسهم نساء ورجالا فلا تسمح للرجل ولا المرأة بالخروج عن آداب الزى الإسلامى المعروف .

٩ـ تنظيم الزى وتوحيده للطوائف الآتية :

العلماء ـ الجند ـ الحسبة ـ النساء ـ المرتاضون ـ الكشافة ففى الجند يوجد الزى مع وجود علامة فارقة بين الجندى المسلم والجندى الكافر ، كالطربوش بدلا عن القبعة مثلا وفى رجال الحسبة يوجد زيهم وتوضع لهم علامة مميزة ، وفى النساء تلزم المواطنة بأن تلبس درعا سابغا واسعا فضفاضا يستر قدميها ، وتتقنع بقناع يستر رأسها وعنقها بحيث لم يبد منها إلا دائرة الوجه والكفان قط ، هذه فيما إذا ترخصت فى ذلك ، وإلا فإنها تتلفع بمرط « ملاءة » تستر جميع جسدها من قمة رأسها إلى أخمص قدمها وهذا هو اللائق بها .

وفى العلماء يوجد زيهم ويلزمون العمامة لتكون فارقا بينهم وبين عامة الناس .

وفى المرتاضين يوجد الزى ويكون السروال ساترا لنصف الساق وكذا الكشاف مع إيجاد شعار خاص بالكشافة الإسلامية .

كل ذلك حذرا من قول الرسول ﷺ :« من تشبه بقوم فهو منهم »

الباب الثامن : فى المجلس الصحى

يتكون فى كل مدينة أو مجموعة القرى المتجاورة إدارة صحية يكون رئيسها نائبا عن مدير الصحة العام الذى هو نائب عن وزير الصحة فى مجلس الدولة ، وتكون مهمتها الإشراف على الأطباء والممرضين والمرضى والعلاج وكل شأن يتعلق بالعلاج والتمريض

فى المشافى والمصحات والمستوصفات .

وتبذل هذه الهيئة من العناية الطبية والصحية ما يجعل مشافى للخلافة أحسن خدمة للمرضى وأكثر عناية بهم من جميع مشافى العالم وذلك لما أمر به المسلمون من الإحسان والإخلاص ، ولما يتصفون به من الرفق والرأفة والرحمة ومما يجب أن تمتاز به مشافى الدولة أيضا كون تمريض الرجال خاصا بالرجال وتمريض النساء بالنساء .

الباب التاسع : فى الجمعيات التعاونية

بناء على أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، ونهيه عن التعاون على الإثم والعدوان فى قوله :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (١)

وتحقيقا لهذا المطلب السامى تتكون فى كل حى من أحياء الدولة الإسلامية ، وعامة قراها جمعيات تعاونية حيث يقوم رجال الحى والقرية ، يعاونهم المجلس المدنى ببناء مسجد جامع فى حيهم أو قريتهم يتسع لكافة أفراد الحى أو القرية ذكورا وإناثا ، ويختارون إماما لهم من أهل العلم والصلاح يسندون إليه أمر الصلاة بهم وجمعهم فى مسجدهم مرتين فى الأسبوع ذكورا وإناثا لدراسة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تثقيفا لهم ، وتربية لأرواحهم وتقويما لأخلاقهم .

ومن المسجد تنبثق اللجان الإصلاحية التالية :

١ ـ لجنة صندوق الحى والقرية ومهمتها : جمع الاشتراكات الشهرية من أفراد الحى أو القرية ، وحفظها فى صندوق الجمعية .

٢ ـ لجنة رعاية الحى أو القرية ومهمتها : تفقد أحوال المساكين فى الحى والقرية لمعرفة مريضهم ، ومحتاجهم ، وغائبهم ، وظالمهم ، ومظلومهم . وتقديم ذلك فى بيان لإمام الحى أو القرية ، لتقديم المساعدة الفورية التى يفرضها الإسلام بحكم الجوار والأخوة الإسلامية .

٣ ـ لجنة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويتكون أفرادها من رجل الحسبة في الحى والذى تعينه إدارة الحسبة العامة فى المدينة ، ومن عضوين أخرين من أهل الحى

---

(١) المائدة : ٢ .

ومهمتها مراقبة سلوك أفراد الحى أو القرية ، ومعرفة كل من ترك معروفا وهو قادر على فعله ، أو ارتكب منكرا وهو غير مضطر إليه ، واستدعاؤه إلى لجنة التأديب فى المسجد لأخذه بطرق تأديبها الخاصة بها .

٤ ـ لجنة التأديب ، وتتكون من إمام المسجد وعضوا من رجال الحسبة ، وأمين صندوق الحى ومهمتها تأديب وإصلاح كل من يخل بواجبه فى المجموعة الساكنة فى الحى أو القرية بتركه المعروف ، أو ارتكابه المنكر من قول أو فعل ، أو اعتقاد . وتستخدم هذه اللجنة فى إصلاح الأفراد وسائل التأديب التالية :

١ ـ الوعظ والنصح ، إذ كان الرسول ﷺ يؤدب أصحابه بالقول أحيانا ، فإن لم يجد ذلك انتقل إلى المادة التالية :

٢ ـ المقاطعة بهجره التام من كل أفراد الحى حتى من أقرب قريب له ، إلى أن يتوب بفعل ما ترك من المعروف أو ترك ما ارتكب من المنكر ، فإن لم تنفع هذه الوسيلة انتقل إلى المادة التالية .

٣ ـ دفع الأمر إلى دائرة الحسبة فى المدينة ، ومطالبتها باسم كافة أفراد الحى أو القرية بإصلاح الشخص ، أو نفيه من الحى أو القرية ، لأنه عضو فاسد يخشى معه سراية فساده إلى أفراد الحى الصالحين .

وهكذا الحال فيما إذا ارتكب حدا من حدود الله تعالي فإنه يرفع الأمر فوراً إلى دائرة الحسبة (المحافظة) لمحاكمته ، وإقامة الحد عليه بإذن والى إمام المسلمين فى المدينة أو الإقليم .

وبعد قرائتنا لهذا النظام ازددنا إعجابا بهذه الدولة ، وقلنا : إن وراء هذا التوفيق المنقطع النظير سرا من الأسرار ، وليس بعيدا أن يكون هذا السر هوصدق إيمان هذه الأمة ، وصحة يقينها ، وإلا فما أكثر الحكومات التى تنتسب إلى الإيمان وتدعيه ، وأين هذه من تلك ؟

وما كان منا إلا أن خرجنا من مكتب المحافظ مودعين من به ، وغير مخفين إعجابنا مما رأينا ، ولا استحساننا لما شاهدنا من نظام مدهش عجيب .

وعدنا إلى المنزل ، والرغبة تلح فى نفوسنا على مواصلة الزيارات لكل المرافق والمؤسسات فى هذه الدولة الإسلامية التى نزاد كل يوم إعجابا بها ، وتقديرا لها .

وقلت لصاحبى : بما أننا زرنا المحافظة لم لا نزور الولاية ، وقد كان المفروض أن نزورها قبل زيارة المحافظة . فقال لى : الرأى ما تراه ، فقلت : إذا غدا إن شاء الله نزور الولاية بإذن الله تعالى فقال صاحبى : وليكن ذلك .

وما أن أصبحنا وطلعت شمس النهار علينا حتى قلت لصاحبى : هيا بنا ننفذ ما عزمنا أمس عليه من زيارة الولاية . فقال صاحبى : على بركة الله ومشينا إلى

الولايــة

وفى طريقنا عرجنا على أحد باعة اللبن فسلمنا عليه فرد السلام واستبعناه كوبى لبن فباعنا ، فشربنا وكان صاحبى قد تناول الكوب بشماله وشرب ونسيت أنا أن أذكر اسم الله تعالى عند شربى ، وأعطينا البائع الثمن ، فقبضه فى غضب ، وقال : لا بركة فى دراهمكما أيها الرجلان فقلت : لم يا شيخ ؟ فقال : أما أنت فإنك شربت ولم تذكر اسم الله عند شربك ، وأما صاحبك فإنه تناول الكوب بشماله وأردف قائلا : فمن أى البلاد أنتما؟

قلنا : من بلاد إسلامية هى كذا .. فقال : لا كلا ، فكيف تكونان من بلد إسلامى وتجهلان أبسط السنن ؟ فقلنا : إننا لا نجهلها أيها الشيخ ، إننا نعلم أن النبى ﷺ أمرنا بالأكل باليمين ، كما أمرنا بالتسمية عند الأكل والشرب . فقال لغلام معه : سم الله يا غلام ، وكل بيمينك ، ولا تأكل بشمالك فإن الشيطان يأكل بشماله .

وهنا قال الشيخ : وهذه أعظم ، أتعلمان أمر الرسول ﷺ وتتركانه استخفافا به وعدم مبالاة ، إن هذه لأخت الردة والعياذ بالله ، فما دهاكما أيها الرجلان ؟ ؟ فقلنا : لا تثرب علينا أيها الشيخ ، ولا تعتب ، إنه قد مضى على بلادنا زمن طويل ، وأحكام الله فيها معطلة ، وشرائعة مضيعة حتى درست بيننا سنن الهدى ، وعفت آثار الآداب الإسلامية فى بلادنا .

ولو قدر لك أيها الشيخ الصالح أن زرت بلادنا ورأيت كيف هجرت المساجد وعمرت المقاهى ، وترك سماع القرآن لسماع الألحان ، ورغب عن طلب علم الكتاب والسنة إلى طلب علم الجغرافيا والحساب ، وكيف ترجل النساء ، وتخنث الرجال ، واستبدل بحكم الله ورسوله حكم أعداء الله ورسوله وكيف أصبح زعماء البلاد ومفكروها والمسيرون للأمور فيها أصبح همهم الوحيد أن تصبح الأمة المسلمة بينهم أمة

كافرة ، ويعدون هذا خدمة للأمة وصدقا فى الوطنية ، ويحسبون كل مرحلة يقطعونها فى هذا المضمار ـ مضمار التكفير ـ انتصارا وكسبا جديدا . ونسوا أو تناسوا أن كل ما فى الأمر أنهم يمسخون فى الأمة المؤمنة لتصبح أمة كافرة ، إن هذا ما قد عجز عنه الكافر الذى استعمر بلادنا زمنا طويلا ولم يقدر عليه ، قد قام به إخواننا وعقدوا العزم على تحقيقه . وقد قطعوا فيه مع الأسف شوطا بعيدا . إنك أيها الشيخ لو دخلت بلادنا لم تستطع أن تفرق بين أمتنا وإخواننا ، وبين أمة الكفر وإخوان الضلال ، لا فى المظهر ، ولا فى المخبر .

وهنا لاحظنا أن الشيخ قد اغرورقت بالدموع عيناه وبكى فبكينا معه وقال : معذرة يا بنى . ورفع يديه إلى السماء ودعا طويلا ، وقال : اللهم فرج على إخواننا كربهم ، ولا تبتلنا بما ابتليتهم إنك ربنا وربهم .

وهنا شكرنا للشيخ ـ بائع اللبن ـ عواطفه ورحمة قلبه ، وانصرفنا مواصلين سيرنا إلى دار الولاية ، فوصلنا إليها ، وإذا هى بناية ضخمة على بابها حارس من الأشاوش تقدمنا إليه وسألناه عن وجود الوالى بها فأجبنا بنعم فطلبنا منه أم يخبر الوالى برغبتنا فى زيارته ففعل وخرج وهو يقول : ادخلا تفضلا فقد أذن لكما ، فدخلنا ، وإذ بالوالى بباب غرفته قائما ينتظرنا .

فسلمنا عليه فرد السلام بأحسن ، واستجلسنا بجواره فجلسنا وسألنا عن حاجتنا فأخبرناه بها وهى رغبتنا فى معرفة نظام الولايات فى هذه الدولة الإسلامية العظيمة فقال : لا أحسب أن حديثى يفى لكما بغرضكما ولذا فإنى أقدم لكما نظام الولايات عندنا مكتوبا فى كتيب صغير فتقرآنه فتعرفان كل ما أردتما معرفته فى هذا الخصوص فقلنا : الرأى ما ترى يا سعادة الوالى . وتفضل بإعطائنا الكتاب ، فقال : حبا وكرامة ، ونادى : سعيد . سعيد بن عمرو ، فأجاب المنادى قائلا لبيك وحضر فقال له : ابغنى نسختين من نظام الولايات فدخل الرجل مكتبا مجاورا وخرج والنسختان بيده ، فأمره الوالى بإعطاء كل منا نسخة ففعل ، فتسلمنا النسختين وشكرنا الوالى على جميله .

وانتحينا كعادتنا فى مثل هذه الحال ، ناحية من غرفة الوالى لنقرأ الكتاب حتى نرده بعد فراغنا من قراءته .

وتصفحنا الكتاب ، وإذا هو عبارة عن خمس صفحات وضعت فى غلاف سميك جميل ومحتواه بعد الديباجة ، والتى هى حمدا لله تعالى ، والثناء عليه والصلاة والسلام

على نبيه محمد وآله وصحبه :

يشتمل هذا النظام على بابين : الأول :في الولاة وصفاتهم وطريقة توليتهم . وبه أربعة فصول . والثانى : فى كيفية حكم وإدارة أقاليم الدولة وفيه فصلان .

وهذا تفصيل ذلك :

الفصل الأول من الباب الأول

شروط الولاية

كل ولاية فى الدولة سواء كانت قضاء ، أو وزارة ، أو ولاية ، أو إمارة ، أو نظارة ، أو إدارة لا يجوز أن تسند لأى من الناس إلا إذا توفرت فيه الشروط التالية :

١ ـ الإيمان والتقوى لقوله تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (١) . فغير المسلم من المواطنين كالذمى ، وغير التقى كالفاسق بكبيرة من المسلمين لا يسند إليه منصب من المناصب المذكورة ، إلا فى حال الضرورة القصوى ، وعلى شرط أن تعمل الدولة على إنهاء هذه الضرورة فى أقرب وقت بإعداد كفىء لهذا المنصب .

٢ ـ أن يكون ذا أهلية بالعلم والمعرفة فى شأن ما يسند إليه من منصب ، وذلك لقول الرسول ﷺ : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

٣ ـ أن لا يكون المرشح للمنصب قد طلبه ، أو سعى للحصول عليه بأى سعى كان لقول الرسول ﷺ : « إنا لا نولى هذا العمل أحدا سأله ، أو حرص عليه » .

الفصل الثانى

فى كيفية تعيين الولاة وغيرهم

تسند المناصب الهامة فى الدولة كالقضاء ، والوزارة ، والولاية ، والإمارة والقيادة والنظارة بأحد أمرين : أولهما : اختيار الدولة للشخص الذى تريد إسناد المنصب إليه ، وذلك بعد البحث والاستقصاء فى التعرف إلى أمانته وكفايته ، إذ بهذه الطريقة كان النبى ﷺ والراشدون من بعده يعينون الأمراء والولاة والعمال .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

ثانيهما : ترشيح أهل الإقليم ، أو المنطقة ، أو المدينة ، أو القرية لشخص منهم يكون قد توفرت فيه شروط المنصب الذى يراد إسناده له من أمانة وكفاية وهى العلم والقدرة .

الفصل الثالث

فى مساوات الولاة لغيرهم من المواطنين

يجب أن لا يتميز ذو المنصب فى الدولة على غيره من المواطنين فى باب الحقوق والواجبات بحال من الأحوال . ولو كان إمام المسلمين نفسه ، وذلك لأن المسلمين سواسية تتكافؤ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة على سواهم كما جاء فى الحديث الصحيح . فليس لذى المنصب مهما شرف منصبه أن يتفضل على مواطن مسلم ، أو ينتهك حرمته ، أو يسبه أو يضربه ، أو يأخذ ماله بغير حق واجب .

وإذا ما ثبت أن ذا منصب اعتدى على مواطن بأى وجه من الاعتداء ، فإن للمواطن المعتدى عليه الحق فى أن يقيم على المعتدى دعوى فى المحكمة ويحاكمه ، وعلى القاضى أن ينصفه منه ، ويعطيه حقه كاملا ، ولو كان المعتدى إمام المسلمين أو أحد وزرائه ، ورجال حكمه . إذ ليس هناك من هو أفضل ولا أكرم من رسول الله ﷺ وقد قال : « من أخذت له ماله فهذا مالى فليأخذ منه ، ومن ضربت له ظهرا فهذا ظهرى فليقتد منه » . وعلى بن أبى طالب وكان إماما للمسلمين قاضاه يهودى إلى قاضيه شريح فأجلسه القاضى أمامه إلى جنب خصمه اليهودى ، وهو إمام المسلمين وحكم عليه . وفاطمة بنت محمد سيدة نساء الدنيا قال فيها رسول الله ﷺ : « والله لو سرقت لقطعت يدها » .

الفصل الرابع

فى حق المواطنين فى النصح والتوجيه

من حق كل مواطن فى الدولة شاهد حيفا ، أو إهمالا ، أو سوء تصرف من صاحب منصب من مناصب الدولة . إمام المسلمين أو من دونه من الولاة والأمراء والعمال أن يذكره وينصحه ، ويعظه ، ويوجهه بالكلام الطيب ، والقول المعروف فى أدب واحترام وذلك لقول الرسول ﷺ : « وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، وعلى كل من نصح أن يتقبل النصح ويشكر عليه » .

فقد قيل يوما لعمر بن الخطاب وهو إمام للمسلمين : اتق الله فينا يا عمر ، فأجابه عمر قائلا : لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم . وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو إمام للمسلمين : إن وجدتم فى القرآن أن تضعوا رجلى فى القيد فضعوها فى القيد . وقال أبو بكر الصديق وهو إمام للمسلمين : أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم : إن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى . غير أنه لا يجوز توجيه النصح ، والإرشاد بعبارات تدل صراحة على الإهانة والتحقير ، وعدم الاحترام لولاة المسلمين إذ الواجب على كل مواطن احترام ولاة الأمور وتوقيرهم ، لقول الرسول ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المسقط » .

الباب الثانى

الفصل الأول منه

فى تعيين نائب لإمام المسلمين

يعين إمام المسلمين نائبا له يتولى حكم وإدارة الإقليم التابع للدولة ، يسمى والى الإقليم ، على أن تتوفر فيه غالب الشروط المطلوبة لإمام المسلمين نفسه من الإيمان ، والعلم والتقوى ، والأمانة والشجاعة .

الفصل الثانى

فى مجلس إدارة الإقليم

على نائب إمام المسلمين إذا حل فى الإقليم الذى ولى فيه أن يكون له بالتزكية مجلسا إقليميا يختار له أعضاؤه من رجالات الإقليم وغيرهم أن دعت الحاجة إلى ذلك ، يختارهم من أهل التقوى والكفاية بحيث يكون المجلس صورة مصغره من مجلس الدولة الأعلى ، فيضم أصحاب الخبرات والقدرات من أهل العلم والحرب والاقتصاد والصناعة .

ويتخذ الوالى من هذا المجلس سندا له وعدة يدير بها الإقليم الذى تحت ولايته فيستشير أعضاءه ، ويأخذ بصائب رأى أكثريتهم . كما يسند إلى كل عضو منهم إدارة مصلحة من مصالح الدولة فى الإقليم ، فمن الفقهاء يتخذ مديرا للقضاة ومن العلماء يتخذ

مديرا للتعليم ، ومن الحربيين يتخذ مديرا للأمن وهكذا . . فيجعل كل ذى اختصاص مديرا عاما فى مصلحة اختصاصه ويربط جميع تصرفاتهم به فلا يبت أحدهم فى أمر يتعلق بمصلحة إلا بعد عرضه على المجلس ، ومناقشته والموافقة عليه . وبعدها يرفع إلى مجلس الدولة الأعلى للتصديق عليه وإقراره .

ويلاحظ هنا أنه إذا رأى أى وزير من وزراء الدولة رأيا فيما يتعلق بمهام وزارته فإنه يعرضه على مجلس الدولة الأعلى للنظر فيه وإقراره أو رفضه ، وإذا حاز الموافقة امضاه إمام المسلمين ، وبعث به الوزير إلى كافة مديرى شؤون وزارته فى سائر أقاليم الدولة ومناطقها لتنفيذه والعمل به .

وبعد فراغنا من قراءة الكتيب الحاوى لنظام الولايات . قلت لصاحبى : كيف وجدت نظام الدولة الإسلامية فى تعيين الولاة ، وكيفية إدارتهم لولايات الدولة فى أقاليمها المختلفة ؟؟

فقال لى فى اندهاش وإكبار : وجدته خير ما يمكن أن يكون نظاماً على وجه الأرض ولا يبعد أن يكون سر هذا النجاح هو توفيق اللّه تعالى لعباده الصالحين ، الذين أخبر أنهم يرثون الأرض فى قوله : ﴿ **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** ﴾[1] .

وأردف صاحبى قائلاً : إنه لـما استقامت هذه الأمة على منهج اللّه الذى هو الإسلام منحها اللّه تعالى توفيقه فهى لا تخطو خطوة إلا سددها فيها ، ولا تقوم بعمل إلا أنجحـها فيه . فقلت له : إذا عرفنا سبب إخفاق حكوماتنا وفشلها وخيبتها وخسرانها ؟ قال : نعم ، إنه الحرمان من التوفيق الإلهى ، وإلا فكم نراهم يبذلون من جهود مضنية . ويقدمون من التضحيات الجسام لرفعة أممنا وشعوبنا وإسعادهم ولم تكن النتائج دائماً إلا أصفاراً على الشمال .. وقاطعت صاحبى قائلاً : فهل تعرف لهذا الحرمان من التوفيق سبباً ؟ فقال : نعم وبدون شك إنه الإعراض عن ذكر اللّه تعالى وهداه ، وهما كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ . ولا أرى من سبب سوى هذا . فقلت له : أنت متأكد مما تقول ؟ قال نعم . إنى متأكد مما أقول إنه لم يحرم المسلمين فى غير هذا البلد . من توفيق اللّه ربهم إلا إعراضهم عن ذكره وتركهم لهداه . ومصداقه قوله تعالى : ﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾[2] .

---

(١) الأنبياء : ١٠٥ . (٢) طه : ١٢٣ ، ١٢٤ .

فقلت له : إذا أرأيت لو يرجع المسلمون إلى الإسلام الصحيح فيحكمون شرائعه فى كل شؤون حياتهم ، فهل يرجع اللّه إليهم بهدايته وتوفيقه ، ونصره وتأييده ؟ قال : نعم وبدون شك ، وما المانع ؟ واللّه تعالى يقول : ﴿ **إن اللّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ (٢) ، ويقول : ﴿ **وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً** ﴾ (٣) .

وهنا سألت صاحبى قائلاً : هل اقتنع أخى أن دولة تقوم على تلك الأسس التى سبق أن وقفت عليها وعرفت . لا تكون إلا خير دولة عرفها التاريخ البشرى على وجه الأرض ؟ قال : نعم ، وكيف لا ؟ وقد رأيتها بعينى ، ولمستها بيدى ومشيتها برجلى . وها أنا أقضى فيها هذه الأيام برفقتك ، ولا أحب إلا من أن تطول إقامتى فيها حتى أمتع نفسى بكل ما فيها من كمال وجمال ، وسعادة وحسن حال . فقلت له : إذاً أنت مستعد الآن لمواصلة التجوال معى فى هذه الدولة التى أعظمت وأكبرت . قال نعم . وامش بنا إلى حيث شئت فقلت : إنى أرغب فى زيارة وزارة الخارجية لهذه الدولة لنعرف نظامها الخارجى ، وكيف علاقاتها بالدول الأخرى ، وعلى أى أساس هى تقيم علاقاتها مع غيرها من دول العالم .

فقال صاحبى : الأمر سهل . فلنذهب إلى مقر الوزارة وسوف يمدوننا بنظام مكتوب كما حصل لنا فى سائر الدوائر التى زرناه ، وسوف تعرف ما رغبت يا صاحبى فى معرفته ، وبكل يسر وسهولة . فهيا بنا إلى مقر الوزارة .

وغادرنا مبنى الولاية فى طريقنا إلى مبنى ..

وزارة الخارجية

واستوقفنا سيارة أجرة فوقفت فركبناها . ولما سارت قليلاً قال سائقها : أيها الأخوان لعل أتعاب الغربة أنستكما آداب الركوب . واندهشنا لقوله ، وقلنا : ما هى آداب الركوب ؟ فقال : أن يقول المرء عند وضعه رجله على السيارة بسم اللّه ، والحمد للّه ، حتى إذا استوى جالساً قال : « سبحان اللّه الذى سخر لنا هذا وما كنا مقرنين ، وإنا إلى ربنا

(١) النحل : ١٢٨ . (٢) الروم : ٤٧ .
(٣) النور : ٥٥ .

لـمنقلبون » . إذ بهذا أرشد اللّه تعالى عباده المؤمنين فى قوله من سورة الزخرف من كتابه الكريم : ﴿ **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ، لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ، وتقولوا : سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لـمنقلبون** ﴾ (١) .

فقلنا معتذرين : إننا لم نترب على هذه الآداب فى بلادنا أيها الأخ ولم نعرفها فقال : سبحان اللّه ، ماذا تعرفون فى حياتكم ؟ وكأنما شعر بتحرجنا فأعرض عن الموضوع ، وسألنا قائلاً : إلى أين تريدان الذهاب ؟ فقلنا : إلى مقر وزارة الخارجية . فقال : على بركة اللّه تعالى ، ودفع السيارة فما هى إلا دقائق ونحن بباب المبنى ، فاستنزلنا فنزلنا ، ودفعنا إليه الأجرة فأباها ، وسلم علينا ، وانصرف . فقلت لصاحبى : يا للعجب فى هذا البلد ، وهذه الأمة .

سائق سيارة أجرة يعيش على هذا الكمال البشرى . ينكر علينا جهلنا بآداب الركوب ، ويطايبنا حتى يذهب الألم فى نفوسنا .. ويركبنا مجاناً ، مراعاة لغربتنا ويحيينا وينصرف فى لطف وظرف .

أين هذا السائق من سائقى السيارات فى بلادنا ؟ أولئك الذين إذا تعطلت سيارة أحدهم لخلل فى جهازها لم يترك كلمة سوء إلا قالها ، ولا كلمة كفر إلا نطق بها ، وإذا قيل له فى ذلك . يقول فى وقاحة : إنا إذا لم نكفر عليها لا تمشى .. أنظر .. أنظر إلى الفرق يا صاحبى . إنه فرق أمة تعيش على الحكم الإسلامى والنظام الإسلامى . والحياة الإسلامية ، وأخرى تعيش على حكم الطاغوت ، وحياة الفسوق والفجور . آه . ثم آه ... إلى متى وأمتنا فى هذا الظلام الحالك ؟؟ .

وهنا قال لى صاحبى والبكاء يخنقه : هون على نفسك يا أخى إن للّه قضاء فى خلقه سوف ينفذه . وإن مع العسر يسرا ، ولعل أيام المحنة قد أذنت بالذهاب . وأيام النعمة قد وقفت على الأبواب ...

فقلت : لعل .. وعسى . واستأذنا فى الدخول على وزارة الخارجية فأذن لنا ودخلنا فسلمنا ورد علينا بأحسن . وسألنا عن حاجتنا فبيناها ، والتمسنا قضائها وكانت حصولنا على مكتوب يحوى الأنظمة الخارجية للدولة الإسلامية وقدم لنا ذلك ، وكان عبارة عن

---

(١) الزخرف : ١٢ ــ ١٤ .

لائحة صغيرة ذات ثلاث نبود :

البند الأول : فى بيان الغرض الذى من أجله تفتح الدولة الإسلامية سفارات لها فى دول أجنبية .

لا تفتح الدولة الإسلامية سفارة لها فى دولة أخرى إلا لغرض سليم يحقق منفعة للدولة ، وذلك كأن يكون هناك رعايا مسلمون . أو يكون هناك علاقات تجارية ، أو ثقافية تستلزم وجود ممثل للدولة الإسلامية فى تلك البلاد .

وأهم من هذا وذاك أن تفتح السفارة من أجل التوصل بها إلى نشر الدعوة الإسلامية . والقيام بواجب إبلاغ دعوة الإسلام إلى سكان تلك البلاد . فهذا أسمى غرض وأنبله تفتح من أجله السفارات الإسلامية فى دول أجنبية ، وتتحمل خزانة الدولة من أجله باهظ التكاليف والنفقات .

البند الثانى : فى بعض أنظمة خاصة بالسفارات .

ينبغى أن يراعى فى شأن السفارات التعاليم التالية ، وأن تطبق فى ذلك تطبيقاً كاملاً ، وبكل دقة . وتلك التعاليم هى :

١ ـ عدم فتح أية سفارة ، أو ممثلية للدولة الإسلامية ، وفى أية دولة إلا لتحقيق الأغراض المذكورة فى البند الأول من هذا النظام ، وذلك من أجل الحفاظ على أموال الدولة وحتى لا تنفق فى غير طائل ، وذلك حرام .

٢ ـ وجوب الاكتفاء بأقل ما يمكن من أعضاء فى السفارة ، وذلك كالسفير وكاتبه ، وهو نائبه ، وخادم ، ورجل الدعوة ، وعضوان معه . وحارس لا غير . وذلك من أجل تقليل النفقات .

٣ ـ وجوب تقيد أعضاء السفارة ، أو الممثلية بالزى الإسلامى الكامل ، ليكون مظهرهم موافقاً لـمخبرهم ، ودالاً على إسلامهم ، ومميزاتهم عن غيرهم ، وعليه فلا يسمح لأى عضو فى السفارة أن يتزيى بغير الزى الإسلامى ، كيفما كانت الاعتبارات ، وذلك لـما فى الزى الخاص من لفت النظر ، واسترعاء الانتباه إلى الإسلام .

٤ ـ تعيين مراقب خاص للسفارات يتنقل بينها ، ويراقب أعضائها ، ويلاحظ سلوك كل فرد منهم ، وأيما فرد يخل بهذه النظم الخاصة ، أو ينحرف أى انحراف فى خلقه أو دينه يجب تأديبه وإبعاده . كل ذلك للإبقاء على الوجه المشرق للدعوة الإسلامية

متمثلاً فى أفرادها القائمين بها والساهرين عليها .

البند الثالث : فى كون السفارة مركزاً للدعوة الإسلامية يجب أن يضم مبنى السفارة فى كل بلد أجنبى توجد فيه للدولة الإسلامية سفارة يجب أن يضم حجرة واسعة كبيرة لتتخذ مسجداً يؤذن على سطحها ، وتقام الصلوات الخمس فيها .

فعندما يدخل وقت الصلاة يؤذن المؤذن بأعلى صوته ، ويصلى أعضاء السفارة ومن وجد من المسلمين معهم يؤمهم فيها رجل الدعوة فى السفارة والمخصص لها وليتخذ من هذا المسجد الصغير دار النشر للدعوة الإسلامية وتبليغها فى تلك البلاد . ففى هذا المسجد الصغير يجلس أعضاء الدعوة يعرفون بالإسلام كل من يريد معرفته ، ويعلمون مبادئه ، وشرائعه كل من يريد أن يتعلمها . ومن هذا المسجد توزع الكتب والرسائل والنشرات الإسلامية . وفى هذا المسجد أيضاً يتم التلاقى ، وتحصل الإجتماعات مع كل فرد يريد الإسلام أو التعرف عليه .

وأخيراً : فبهذا يمكن أن يسقط واجب الدعوة إلى الإسلام المتعلق بكل فرد مسلم قادر ، وبخاصة الدولة الإسلامية ورجالها .

فقرأنا هذه اللائحة المتضمنة لبعض الأنظمة الخارجية للدولة الإسلامية فزاد ما قرآناه فى إعجابنا بهذه وإكبارنا لها . كما أذكى نار الحزن والألم فى نفوسنا ، إذ ذكرنا بما عليه خارجيات دولنا التى تزعم الإسلام ، والإسلام لا يقر لها بذلك ، إذ لم تكن تمثله فى قليل ، ولا كثير . فلم يكن هناك فرق بين نظام خارجية أية دولة من دولنا وبين نظام دولة أخرى من دول الكفر أبداً ، وإن كان هناك فرق ففى الإسراف والإتلاف ، والهون والدون .

سلمنا تلك اللائحة لأحد موظفى مكتب الوزير وودعنا شاكرين وانصرفنا عائدين إلى منزلنا فوصلناه ، وقد أرهقنا تعب نفسى شديد فقضينا بقية يومنا نتردد بين المنزل والمسجد حتى آوانا المبيت فبتنا ، ولما تنفس الصباح ، وصلينا بالمسجد الغداة طرق آذاننا صوت إعلان بوفاة ، وكان المتوفى أحد القضاه ، ويشيع جثمانه من المستشفى إلى مثواه بمقبرة المعلاة . وقلنا هذه فرصة أخرى قد أتاحها اللّه لنا لنزور أهم ما يزار فى هذه الحياة ، وقصدنا

المستشفى

ووصلنا قبيل جماهير المشيعين واتصلنا بأحد الموظفين ، وسألناه قائلين : هل بين أطباء

هذا المستشفى طبيبات وهل بين ممرضيه ممرضات ؟ فقال : نعم ولكن الأطباء والممرضين بمعالجة الرجال مختصون ، والطبيبات والممرضات بمعالجة النساء مختصات وقلما تدعوا الحاجة إلى أن يعالج الطبيب امرأة فى هذا المستشفى ، ولا تدعو الحاجة أبداً إلى أن تعالج المرأة الرجل . أما التمريض فلايمرض الرجل المرأة ، ولا المرأة الرجل البتة . وأردف قائلاً : هذا فى أيام السلم ، أما فى أيام الحرب فقد تدعوا الحاجة إلى أن يمرض ويعالج النساء الرجال ، ولا حرج .

وتعرف هذه بحالة الضرورة ، وتقدر بقدرها ، ولا تأيد عليها . وهنا قلنا له : هل لك أن تطوف بنا فى أروقة المستشفى ؟

فقال : نعم . وطاف بنا كل أروقة المستشفى ، ووجدنا ما أخبرنا به حقاً فلم نر فى الجناح الخاص بالرجال من نساء ، ولا طبيبات ، ولا ممرضات ، ولا بالجناح الخاص بالنساء من رجال ممرضين ولا أطباء وما زلنا نطوف بأقسام المستشفى حتى وصل مشيعوا الجنازة وسلمت إليهم فابتدروها ، وعلى الأعناق حملوها ، وسار موكبها فى صموت رهيب إلى

المقبرة

وأتوا بها على ساحة كبيرة قريبة من المقبرة ، ولكنها لا تتصل بها ، فوضعت ، وتقدم أحد أوليائها للصلاة عليها ، فصلى وصلى الناس وراءه صلاة الجنازة المعروفة وحملت مرة أخرى فى صمت إلى أن وضعت على شفير القبر ، ووقف الرجال حولها وتولى أحدهم وضعها فى قبرها . وأهالوا التراب عليها فوارها ، وما أن فرغوا حتى قال قائل منهم : سلوا لأخيكم الثبات فإنه الآن يسأل ، فدعوا للميت وسألوا له التثبيت ، والمغفرة والرحمة ، وانصرفوا ، وأثناء انصرافهم كانوا يقدمون لذوى الهالك تعازيهم فيقول الرجل . لأخيه : أعظم اللّه أجر وأحسن عزاك ، وغفر لميتك ، فيرد الآخر عليه قائلاً : لا أراك اللّه مكروهاً فى عزيز لديك . وعاد كل مشيع إلى أهله ، أو محل عمله ، وتعجبنا مما رأينا ، وقلنا : سبحان اللّه !! جنازة قاض تشيع وتدفن بهذه البساطة !!

إن وراء هذا سراً ولا شك . فلنسأل عنه ، ولكن من نسأل ؟ واتفقنا أن نسأل إمام المسجد فإنه أجدر بإجابتنا وأحرى بها !! وحانت صلاة الظهر ودخلنا المسجد مع أفواج الداخلين وصلينا مع المصلين ، وقضيت الصلاة ، ودخل الإمام مقصورته كعادته ، واتبعناه ودخلنا معه ، وقلنا بعد تحيتنا له ، وسلامنا عليه : يا شيخنا المحترم ، لقد قدر لنا اليوم أن

نحضر تشييع جنازة فى هذا البلد ، فشيعناها مع المشيعين لها من مستشفى كانت به . إلى قبرها الذى وريت فيه ، وقد فقدنا معها الكثير مما كنا نعرفه للجنائز فى بلادنا . إننا لم نر باقات الزهور التى كنا نراها تتبع الجنازة ، وتوضع على القبور . كما أننا لم نر علم الدولة . وقد كنا نراه يوضع على سرير الميت إن كان من رجالها : أو المسؤولين فيها كما لم نسمع أصوات الموسيقى التى كنا نسمعها عند تشييع جنازة كبير من كبراء الدولة ، أو عظيم من عظمائها .

وافتقدنا أيضاً ما هو دون ذلك من الهيللة ، وقراءة البردة والهمزية عند التشييع ، وقراءة القرآن أثناء الدفن وبعده بأصوات مختلطه عالية مرتفعة . الأمر الذى أدهشنا وأحدث تساؤلات كثيرة فى نفوسنا ، وخاصة ما رأينا من تسوية القبور بالأرض وعدم رفعها بزخرفتها والبناء عليها .

فهل لشيخنا الكريم أن يكشف لنا عن سر ذلك ، ويريح نفوسنا مما أهمنا وسوف لا نقصر فى شكره ، وحسن الثناء عليه ؟؟

فقال الشيخ : نعم واجعلا شكرى والثناء على شكراً للّه وثناءً عليه ، فإنه أحق بذلك منى ، وأولى به . وإليكما بيان ما طلبتما أيها الرجال .

١ ـ إن اتباع الجنائز بالموسيقى ، ولفها فى علم الدولة ، ووضع باقات الزهور عليها ، وعلى القبور ، كل هذا من عمل الكافرين وليس من سنن المسلمين ولذا فقدتموه فى جنازة رجل من هذا البلد المسلم .

٢ ـ رفع الأصوات بالتهليل ، وقراءة البردة والهمزية ، والصلاة والسلام على خير البرية أثناء حمل الجنازة ، وتشييعها إلى المقبرة كل هذا وإن فعلتموه باسم الدين متوسلين به فى زعمكم إلى ربكم ليرحم ميتكم . فإنه بدعة ليست من سنن الإسلام فى شىء .

٣ ـ عدم قراءة القرآن على القبور ، وتسويتها بالأرض ، وعدم تفاضلها بزخرفتها والبناء عليه كل هذا من سنن الإسلام غير أنكم لـما ألفتم خلافه فى بلادكم اندهشتم ، وتعجبتم ، وإلا فإن كل من درس شيئاً من سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه عرف أن قراءة القرآن على القبور لم تكن معروفة عند أصحاب الرسول ﷺ ، كما أن نصوص السنة متوافرة فى تحريم البناء على القبور وتجصيصها وضرب القباب على قبور الصالحين منها .

وإنما ضعف إيمان قومكم فأصبحوا عاجزين عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ حتى فى ترك محرم فضلاً عن القيام بواجب يتطلب جهداً ومالاً . وأن مرد ذلك كله إلى ضعف الإيمان وعدم الصدق فيه .

وهنا قاطعت الشيخ قائلاً : هل ترى أن قومنا غير مؤمنين أيها الشيخ ؟ فأجاب قائلاً : معاذ الله أن أقول : إنكم غير مؤمنين . فقلنا له : إذا كنا مؤمنين مثلكم فلم نهض إيمانكم بكم هذا النهوض ، فارتفعتم إلى هذا المستوى من الكمال فى الدين والدنيا معاً ، ولم ينهض بنا إيماننا فقعدنا عن كل كمال ، وتورطنا فى كل ضعف وفساد ؟

ورد الشيخ علينا قائلاً : إننا متفقون فى أصل الإيمان ولكننا مختلفون فى كماله . والإيمان كالطاقة الدافعة المحركة فإذا قوى فى النفس دفع إلى العمل الصالح وحرك إلى ترك المحارم واجتناب المفاسد . وإذا ضعف قصر عن ذلك . وقد قلت لكما آنفا : إن مرد العجز عن القيام بالواجبات ، وترك المحرمات هو ضعف الإيمان وعدم الصدق فيه . فضعف إيمان أمتكم وقوى إيمان أمتنا ، فكان الفرق الذى رأيتما ولمستما . وإليكما بيان ذلك وتوضيحه :

إن أمتنا لما آمنت بالله ربا يرحم ويعذب ، وإلها يطاع ويعبد ، صدقت فى إيمانها ، فأخذت نفسها بطاعته ، والتسليم له . فلم تشك فى عمله وحكمته ، ولا فى عدله ورحمته كما لم تشك فى قوته وقدرته ، فسلمت الأمر كله له ، ولم يصبح لها معه هوى ولا رأى ، فصدقت أخباره ونفذت أحكامه ، وأطاعته فى أوامره ونواهيه وأحبته تعالى ، وأحبت فيه ، وأحبت كل ما يحب ، وكرهت كل ما يكره ، وأصبح الله تعالى غايتها التى لاغاية لها بعدها فى هذه الحياة ، فكان كل تفكيرها فيما يرضيه ، وكل همها محصور فيما يقربها منه ، ويزلفها إليه ، ووفرت كل طاقتها لتحقيق طاعته والإيمان به ، والصدق فيه .

وعلى خلاف هذا أمتكم أيها الرجلان فإنها وإن آمنت بالله رباً وإلهاً فإنها لم تعظمه ، ولم تطعه كما يجب أن يعظم ويطاع . بل فرغ قلب أمتكم من كل حب الله ، وتعظيم له ، فلم تسلم وجهها لله ، ولم تتوكل عليه . وكان نتيجة لفقد ذلك أن ارتابت فى أخباره ، وشكت فى عدالته ، فلم تحكم شرعه ، ولم تذعن لأمره ولا لنهيه ، فتركت كثيراً من الفرائض والواجبات ، وارتكبت كثيراً من المحرمات . والمنهيات . فقست بذلك قلوبها وأضحت تكره لقاء ربها ، وتخاف من فراق الحياة وأمست ولا هم لها إلا ما يحقق شهوات بطونها وفروجها ، فانقطعت عن السير فى طريق الكمال ، وأسرعت فى سبيل

الضلال فضلت وتاهت .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم التفت الشيخ إلينا ، وقال وهو فى غاية الانفعال : إنكم يا إخواننا لم تصدقوا فى إيـمانكم . وها أنذا اضرب لكم مثلاً ، وهو أنكم محكمون بحكومات على رأسها ما تسمونهم بالملوك والرؤساء ، وقد آمنتم بهم حاكمين ذوى سلطة عليا يرحمون بها المطيعين ، ويعذبون بها العصاة المجرمين .

فهل تجيزوا لأنفسكم أن تسبوهم فى مجالسكم وتشتموهم فى شوارعكم وأسواقكم ؟؟؟

فهل تهملون مراسيمهم ولا تنفذونها ساعة إعلانها ووقت توقيعها وإصدارها ؟

وهل تردون عليهم أحاديثهم ، وتكذبونهم فى أخبارهم ؟

وهل تعطلون أحكامهم متى قضوا بها ، وأمروا بتنفيذها ؟

وهل تسخرون من قوانينهم التى يشرعونها لكم ، ويسنونها فيكم ؟

وهل تستبدلون شرائعهم بشرائع غيرهم غير ملتفتين إليها ، ولا مبالين بها ؟

فقلنا : لا ، لا أيها الشيخ ، ولو فعلنا هذا لـما انتظمت لنا دولة ولـما كان لنا حكم ، ولا انقلبت حياتنا إلى فوضى وهرج لاحد لهما .

فقال الشيخ : سبحان الله هكذا تعتقدون ؟ فقلنا : نعم . ولا نشك فى هذا أبداً . فقال الشيخ : فكيف إذاً ينفعكم إيـمانكم بالله وأنتم لا تجلون الله إجلاكم لحكامكم ، ولا تطيعونه طاعتكم لهم ، ولا تحترمون بشرعه تعالى احترامكم لـما شرعه حكامكم ، إنكم قد جعلتم الله تعالى أهون عليكم من حكامكم ، وأقل شأناً منهم . ولولا رحمة الله بكم لمسكم بموقفكم هذا منه تعالى ومن شرائعه وأحكامه عذاب عظيم .

ولـما بلغ الشيخ بحديثه إلى هذا الحد شعرنا بمدى زلة أمتنا وعرفنا سبب شقائها . وانهارت لحديث الشيخ أعصابنا ، وخارت قوانا .

وعرف ذلك فينا . فقال مسرياً علينا ، ومخففاً من وقع كلامه فينا : إن قضاء الله العدل ، وحكمه نافذاً ، فلا تأسوا ولا تحزنوا . فعسى الله أن يتوب عليكم ويرحمكم فإن رحمته وسعت كل شىء . وقاطعنا حديثه قائلين : ادع الله لأمتنا يا شيخ يتوب عليها

ويرحمها . فقال : سأفعل إن شاء الله وعاد إلى حديثه عن عدم صدق أمتنا فى إيمانها فقال :

ألستم تؤمنون بالملائكة ، وأن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان ؟ فقلنا : بلى . فقال : فهل فى أمتكم من إذا أراد أن يبصق تحاشى أن يبصق عن يمينه ، لأن الكرام الكاتبين عن يمينه ؟

هل فى أمتكم من إذا أراد أن يرتكب فاحشة ذكر وجود الملائكة عن يمينه فتركها حياء منهم ؟

هل فيها من إذا تكلم تحاشى أن يتكلم بغير مّا يعنيه خشية أن يكتب عليه الملائكة ما لا ينفعه يوم يلاقى ربه ، وساعة يقف بين يديه ؟

هل فيكم يا قوم من يترك أكل الثوم ، أو البصل نيئاً ، أو يترك التدخين خشية أن يؤذى بالرائحة الكريهة الملائكة الكاتبين ؟؟؟؟

فقلنا : لا . وفى كل ذلك . فقال : وأى معنى لإيمانكم بالملائكة إذا مع انعدام كل هذه المستلزمات له ؟ إنه مجرد دعوى لا حقيقة لها ، ولا وجود .

وألستم تؤمنون بالكتب السالفة والرسل السابقين ؟ قلنا : بلى : فقال : إن مجرد التصديق بالكتب السالفة والرسل السابقين يكفى المؤمن اليوم . أما بالنسبة إلى آخر الكتب وهو القرآن ، وخاتم الرسل وهو محمد ﷺ فإنه لا يكفى فى ذلك مجرد التصديق أبداً .

بل لابد للإيمان بالقرآن من قراءته ، ومعرفته أحكامه وشرائعه والأخذ بذلك وتطبيقه فى كل مجالات الحياة ، كما لا بد للإيمان بالرسول محمد ﷺ من حبه وتعظيمه وتصديقه فى كل أخباره ، وطاعته فى كل أوامره وزواجره . وأنه لا يقدم على قوله قول أحد ولا رأيه ، وإلا كان الإيمان بالكتب والرسل مجرد دعوى كذلك لا حقيقة لها . ولا وجود . وحينئذ أى نفع يحصل من مثل هذا الإيمان وأى خير يحققه للإنسان ؟؟

ولهذا لم يتحقق لأمتكم من الخير والكمال ما تحقق لأمتنا ، لأن أمتكم لم تحقق إيـمانها بالصدق فيه . وأمتنا آمنت وصدقت فكان ما شاهدتما ، لا ما سمعتما .

فالإيمان .... الإيمان ، يا بنى والصدق الصدق فيه ... ! .

هذا هو الطريق

اللهم أهدنا إليه وأحسن سَيرنا عَليه

إلى الحاكمين أولا ...

إلى جماعات المسلمين ثانيا ...

كتبهـــا

أبو بكر الجزائرى

بِسمِ اللَّه الرحَمِن اَلرِحَيِم

خطبة الرسالة :

* باسمك اللهم تفتتح الكتب والرسائل .

* وبإذنك اللهم تجدى وتنفع الوسائل .

* وإليك اللهم وحدك منتهى الرغائب .

* فصل اللهم وسلم على نبينا محمد إمام المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

* واهد اللهم من أوضحت لهم هذا الطريق إليه .

* وأحسن اللهم سلوكهم له وسيرهم عليه .

* وهيىء اللهم لى ولهم من أمرنا رشدا .

* ولا تقطع اللهم عنا من عظيم فضلك مددا .

استعراض للواقع الذى يعيشه المسلمون اليوم

بين يدى الطريق استعرض مع السالكين الواقع الذى يعيشه المسلمون اليوم ، ليعلموا مدى الحاجة الماسة إلى سلوك هذا الطريق ، وأنه لا خيار لهم فى ذلك متى أرادوا النجاة لأنفسهم ، وللأجيال الآتية بعدهم .

إن المسلمين اليوم ــ دويلات كبيرة أو صغيرة ، وأقليات كثيرة أو قليلة ــ يعيشون واقعاً مراً لا يغتبطون فيه ، ولا يحسدون عليه .

وهذه لمحات خاطفة نلقيها على هذا الواقع المر ونكتفى بها عن الاستعراض الشامل ، والعرض التفصيلى الذى لا يزيد القلب إلا كمدا وحزناً ، والنفس إلا ألما وحسرة .

١ ــ فى بلاد العرب :

إن العرب وهم الذين قد اختير آباؤهم السالفون لحمل رسالة الإسلام ، وإبلاغها إلى الناس كافة ، لينجوا بها ، ويستعدوا عليها ، وفعلاً فقد حملوها وبلغوها ، ونجت بها ، وسعدت عليها أمم كثيرة ، ولا ينكر هذا إلا جاهل ، أو مكابر مجاحد .

إن هؤلاء العرب الأحفاد قد مزقتهم الأهواء ، وعبثت بهم أيدى الأعداء فتمكن منهم الحانقون على الإسلام ، الناقمون منه من كل قوى الشر فى الأرض فسلخوهم من الإسلام ، وأبعدوهم عن ساحته ، وقد كان درعهم الواقى ، وحصنهم المنيع ، ومصدر قوتهم الروحية والمادية معاً ، فتنكروا ــ مع الأسف ــ له ، وأصبحوا حرباً عليه من حدثهم عنه ازدروه واحتقروه ، ومن دعاهم إليه أخافوه ، وعذبوه أحياناً ، ونكلوا به .

تقاسمت هؤلاء العرب الأحفاد ــ الأهواء ، ومزقتهم الشهوات ، فتفرقوا أيادى سبا ، فأصبحوا لذلك سخرة لأعداء الإسلام وأعدائهم ، يسخرونهم كما شاؤا ، ولما شاؤا حتى قال قائل [١] منهم مؤخراً : (يجب أن نحافظ على توازن النفوذين الأمريكى والروسى فى المنطقة) أى فى بلاد العرب ، يا للعجب !!!

---

(١) صدر هذا القول فى شبه تصريح لمؤتمر قمة جبهة الرفض الذى انعقد مؤخراً بالعاصمة الجزائرية ، وحضرته مجموعة دول العرب الدائرة فى فلك المعسكر الشيوعى .

إن معنى هذا القول من هذا المسؤول هو بلا شك مساعدة العرب عدوهم على التمكين ، له في بلادهم ، ومعنى آخر لهذا القول هو مساعدة العدو على احتلال الدار ، وبقاء العار ، وسبحان اللّه ! ماذا أصاب العرب ، وماذا حل بديارهم من ذل ، وهون ، ودون ؟!!

إن العرب الذين كانوا بالأمس القريب مثال العزة والكرامة ، والمروءة ، والشهامة أصبحوا اليوم أمثلة للمذلة ، والمهانة ، وأصبحت ديارهم التى كانت بالأمس حصوناً منيعة ، وقلاعاً رفيعة لا تنالها أيدى الأعداء ، ولا يدخلها من لا نأذن له ولا نشاء ، وأصبحت ساحات لتجارب النظريات ، وحقولاً لزرع فنون الخبث والعبث ، ومباءات لألوان الهون والدون ، والفسق ، والعجون ، آه ، ثم آه ! ! !

إن القلب ليذوب كمداً ، وإن النفس لتذهب حسرات عندما نرى هذا ونرى فلسطين أرض قدسنا ، ومعقل عزنا وبها كرائمنا ، وفلذات أكبادنا تدنس برجس الصهاينة اليهود ، وتجلل بعار احتلالهم لها ، وبخزى انتصارهم على العروبة فيها .

وآه ، ثم آه ! ! ! إن القلوب لتذوب كمداً ، وإن النفوس لتذهب حسرات عندما نرى طائفة تمزق منا فتقتطع جزءاً غالياً من جنوب جزيرة إيماننا ، ومدار عزنا وكمالنا ، وتحوله دار كفر وعدوان ، بعد أن كان دار إيمان وإسلام ، ثم تجعله / ياللمصيبة / حصناً لأعدائنا ، وقلعة فى أيدى خصومنا ، لإذلالنا وتهديد بلادنا ، لتدميرها والقضاء عليها ، آه ، ثم آه ! ! ماذا دهى العروبة والإسلام ، وماذا حل بساحتهما ، ونزل بديارهما ؟ ؟ ؟

إن القلب ليتقطع ، والنفس لتتمزق عندما نشاهد رجال مغرب العروبة والإسلام تهدر دماؤهم ، وتزهق أرواحهم ، وتبدد أموالهم ، وكل طاقاتهم إرضاء لأطماع الشيوعية البغيضة التى تريد أن تقتطع من صحراء العروبة والإسلام قطعة كقطعة عدن ، من جنوب اليمن فتتخذها مركزاً لإدارة الفتن ، وقلعة لتهديد أمننا وإيماننا ، ثم القضاء على سلامتنا وإسلامنا ، آه ، ثم آه !!! ماذا أصابنا ، وماذا نزل بديارنا حتى أصبحنا خناجر فى أيدى أعداء ديننا ، وخصوم عقيدتنا يقتلوننا بها ، وهم جالسون على أرائكهم آمنون فى ديارهم .

آه ، ثم آه ! ! إن القلب ليذوب كمداً ، وإن النفس لتذهب حسرات عندما نشاهد ونرى إخواننا من فلسطيننا ولبناننا يقتلون ويذبحون فى مجزرة رهيبة دامت قرابة نصف عقد من السنين يستصرخون فلا يصرخون ، ويستغيثون فلا يغاثون حيث عجزت جيوش قرابة عشرين دولة عربية إسلامية عن إنقاذهم ، وإطفاء نار الفتنة فى ديارهم ،

ووالله لو كان العرب كما يريد الإسلام أن يكونوا لـما دامت محنة لبنان ثلاثة أيام ، وذلك بتحويل قوة الردع إلى قوة فتح ، ولا احتلت لبنان فى ثلاثة أيام ، ولا ألقى القبض على كل عناصر الشر بها ، وضرب على أيديهم ولو بالقضاء عليهم ، وإن غضب اليهود أو تحركوا جعل من لبنان مجزرة ومقبرة لهم ، فيها يجزرون ، ويقبرون ، ولا يبعثون إلى يوم ينشرون ،،،

ولكن العرب قومنا وإخواننا هداهم الله قد أخطأوا الطريق ، طريق الإيمان الذى به يأمنون ويعزون ، وضلوا السبيل سبيل الإسلام الذى به يسلمون وينتصرون ، وهم مع هذا يا للأسف يحسبون أنهم مهتدون ، فمن يهديهم إذاً بعد الله ؟؟؟

إنه قد أصبح من غير السهل إفهامهم ، فضلاً عن اقناعهم بأن ما هم عليه ليس من الهدى فى شيء ، وأن كل ما يمضى زمان على اقتناعهم بواقعهم ورضاهم به يخسر فيه الإسلام والمسلمون بل العالم أجمع كل فرصة للخلاص من هوة الشر والفساد التى تردى فيها أكثر المسلمين والناس أجمعون ، وأنه لا منفذ لهم ولا للعالم كله إلا الإسلام ، ولا نجاة لهم ولا لغيرهم من بنى الناس من خسران الدنيا والآخرة إلا بالإسلام لله رب العالمين .

٢ ــ فى بلاد العجم :

إن بلاد المسلمين العجم وهى أوسع بلاداً من بلاد العرب ، وشعوبها أكثر شعوباً من شعوب العرب ، قد أصيبت هى الثانية بما أصيبت به بلاد العرب وشعوب العرب فبالأمس البعيد قد خسر الإسلام دار الخلافة وشعبها على أيدى عصابة مارقة من أبنائها ، وبالأمس القريب قد فقدت دولة الإسلام الكبرى باكستان نصفها حيث شطرها العدو المزدوج [١] إلى شطرين . ومنذ أشهر قليلة قد سقطت أكبر قلعة للإسلام فى بلاد العجم وهى أفغانستان بلاد الأبطال والشجعان حيث هدمت أركانها على أيدى عصابة مارقة من أبنائها من عملاء الشيوعية صنيعة ولعبة اليهودية العالـمية .

ولم يكن كل هذا الذى أصاب ديار العرب والمسلمين إلا نتيجة طبيعية لإعراض العرب والمسلمين عن الإسلام وبعدهم عنه ورضاهم بالحياة خالية منه ، بعيدة عن شرائعه وقوانينه التى هى مصادر القوة والخير ، وينابيع الرحمة والعدل فى الأرض .

(١) المراد به : الهنود الهنادك عبدة البقر ، والاتحاد السوفياتى « الروس » الدب الأحمر ، ذاك الذى رمى بأسطوله فى البحر حيث منع قوات باكستان من التحرك ، وترك الهنود الكافرين يجزرون باكستان ويسلخونها حتى قسموها بعد مقتلة عظيمة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الإسلام المعاصر .

والتعليل المنطقى لهذا الذى أصاب المسلمين فى ديارهم وعقولهم وعقائدهم هو أن خصوم الإسلام ما فتئوا منذ أن كان الإسلام وهم يكيدون له ، ويحاربونه فى الظاهر والباطن حتى تمكنوا منه وضربوه حتى كادوا يقضون عليه وباختصار القول : إن كل ما أصاب الإسلام والمسلمين إنما هو من كيد أعداء الإسلام والمسلمين ومكرهم ، وحربهم الباردة والساخنة والمستمرة على الإسلام والمسلمين إلى كتابة هذه الكلمات وستستمر إلى ما شاء الله تعالى .

ومن عجب أن المسلمين كلهم أو جلهم يعلمون هذه الحقيقة ، ويصرحون بها ، فيقولون : إن أعداء الإسلام هم الذين فرقوا المسلمين ، وأضعفوهم وأبعدوهم عن الإسلام مصدر وحدتهم وقوتهم ، ثم هم لا يحاولون حتى مجرد محاولة أن يخرجوا من هده الوضعية السيئة ، التى وضعهم فيها خصومهم ، وأعداء معتقدهم ووجودهم حتى لكأنهم مسحورون أو شبه مسحورين .

وبالجملة : فإن المسلمين من غير العرب كالمسلمين من العرب فى كل أوضاعهم ، وسائر أحوالهم ، لا يختلف بعضهم عن بعض فى كل ما أصابهم ، وحل بديارهم من إلحاد وشر ، وفسق وظلم وفساد ، فالداء واحد ، ولهذا لا يكون الدواء إلا واحداً ، والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو ما هو الدواء ؟

والجواب : إن الدواء هو الإسلام ، والطريق إليه هو ما سنوضحه بعد العبارة التالية :

إننا بعد هذا العرض الموجز لحال المسلمين عرباً وعجماً ، وانطلاقاً من واقع حياتهم الراهنة نستعين الله تعالى على بيان طريق النجاة لـمن أرادها ، والسعادة لـمن رغب فيها من سائر المسلمين حاكمين ومحكومين .

وإلى الحاكمين أولاً :

إن الطريق إلى نجاة الحاكمين فى بلاد المسلمين وسعادتهم يتمثل فى النقاط الأربع التالية :

* الاعتراف التام بأن الاستمرار على هذا الخطأ والباطل سيؤدى حتماً إلى صواب لا حق ، فيقرهم الله تعالى عليه . وإنما هو خطأ وباطل لا يجوز قبولهما ، ولا الإقرار عليهما ، وذلك لحكمهم المسلمين فى الجملة بدون رضاهم ، وبغير شرع ربهم الذى يكفل لهم نجاتهم وسعادتهم .

* الاعتراف التام بأن الاستمرار على هذا الخطأ والباطل سيؤدى حتماً إلى شقائهم وشقاء من يحمونهم من المسلمين فى دنياهم وأخراهم ، لأن الاستمرار على الخطأ والباطل لا ينجم عنه إلا تفاقم الشر والفساد ، وازدياد الضعف والنقصان فى حال المسلمين دينا ودنيا إلى أن يتعرض المسلمون كلهم إلى الزوال والفناء .

* الإيمان بوجوب تدارك الموقف وتصحيح الوضع للنجاة ، ولعودة حياة العزة والقوة ، والعدل والرحمة والخير للمسلمين كل المسلمين ، ومعنى هذا إنه التوبة المأمور بها فى قول الله تعالى : ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [1] وهى توبة تشمل كل مظاهر الحياة بين المسلمين فيستبدل الخبث بالطهر ، والفساد بالصلاح ، والظلم بالعدل ، والشر بالخير ، وكل السيئات بالحسنات .

* اجتماع الملوك والرؤساء العرب والمسلمين أو من قبل منهم مبدأ التوبة هذا وتاب ، اجتماعهم فى المدينة النبوية أو العاصمة لدولة الإسلام الأولى ، لاتخاذ القرارات الأربع التالية :

١ ـ الإعلان عن اتفاق المؤتمرين على ضرورة عودة الحياة الإسلامية فى بلاد المسلمين عقيدة ، وعبادة ، وأدباً ، خلقاً ، وحكماً ، ونظاماً ، وشرعاً ، لإنقاذ المسلمين مما حل بهم ، ونزل بديارهم من ضعف ، وذل وهون ودون .

٢ ـ تكوين لجنة موسعة من علماء الشريعة فى البلاد الإسلامية ، وأن يعهد إليها بوضع دستور إسلامى لأمة الإسلام تؤخذ كل بنوده ومواده نصاً ، وروحاً من الكتاب العزيز ، والسنة الصحيحة ، والفقه الإسلامى المستنبط من الوحيين فى عصر الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام الصالحين .

٣ ـ الإعلان عن استئناف الحياة الإسلامية فور صدور هذه القرارات ، وذلك بوجوب إقامة الصلاة بين كل أفراد الأمة الإسلامية إقامة إجبارية ، وبوجوب منع الخمر شراباً ، وتجارة ، وإنتاجاً لها ، وصناعة بين كل أفراد المسلمين ، وبوجوب إلزام الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة الزى الإسلامى والحجاب الإسلامى ومنع الاختلاط بين النساء والرجال منعاً كلياً وفى كل المجالات ، وبوجوب تطهير الإعلام فى ديار المسلمين صحافة ، وإذاعة وتلفازاً ، ومسرحاً تطهيره من نشر وإذاعة وإظهار كل ما يمس العقيدة الإسلامية ، والخلق الإسلامى ، أو يتنافى مع مبادىء الإسلام ، وتعاليمه

---

(١) النور : ٣١ .

القائمة على أساس الطهر والكمال النفسى ، والخلقى فى الحياة .

وبوجوب إيقاف سائر المعاملات الربوية ، وتصفيتها ، واستبدال هذه البنوك الربوية بمصارف وبنوك إسلامية يسهم فيها كل مسلم ومسلمة تقوم على أساس منع الربا ، وحظر التعامل به ، وبوجوب تعقب الملاحدة فى بلاد المسلمين واضطرارهم إلى العودة إلى حياة الإيمان ، والعمل ، والجهاد فى الحياة ، ومن رفض منهم ذلك يحكم فيه السيف فهو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان ،

٤ ـ الإعلان عن موعد بدء تنفيذ مواد الدستور [١] ، والأخذ بها ، وتطبيقها يوم الفراغ من وضعه ، وتقديمه لأعضاء مؤتمر القمة الإسلامى الذى انعقد أول مرة فيبدأ بتعيين إمام المسلمين ، ومجلس حكومته المكون من ممثلين صالحين لكل الأقاليم الإسلامية التى رضى حكامها بالوحدة الإسلامية فى ظل الحياة الإسلامية والدستور الإسلامى ، ثم بالتطبيق الحر فى كل مواد الدستور وبنوده شريعة وسياسة ، بكل صدق وجد وإخلاص .

هذا وكلمة أخيرة نقولها للحاكمين فى ديار المسلمين بعد أن بينا الطريق لهم فى صدق وإخلاص وولاء : طريق نجاتهم ونجاة شعوبهم وسعادتهم جميعاً وفى الحياتين أيضاً ، نقول لهم : واللّه الذى لا إله غيره ولا رب سواه ، إنه لا نجاة لهم مما هم فيه من حيرة ، وقلق ، وضعف ، وعجز ، ولا مما يتوقع لهم من كوارث ، ومحن ، وبلاء ، وعذاب دنيوى ، وأخروى ، وشقاء ، ولا نجاة لهم من كل ذلك إلا بسلوك هذا الطريق .

كما نقول لهم ونقسم : إن سلوك هذا الطريق الذى بينا لكم ـ أداء لواجب نصحكم ـ لأيسر وأسهل وآمن من سلوك الطريق المعاكس الذى تسيرون فيه وتفرضون على المسلمين ـ وهم كارهون ـ سلوكه والسير فيه بقوة الحديد والنار !!!

كما ننصح لهم بأن عليهم ـ إذا كانوا مجبرين بقوة عالية خفية على السير فى هذا الطريق المعاكس للإسلام من أجل إذلال المسلمين وإفنائهم ، أو مسحهم فى عقولهم ، وقلوبهم ، وفى كل مميزات حياتهم لتبقى حياتهم لتبقى بلادهم مناطق نفوذ ، أو تمهيداً لاحتلالها من قبل اليهود تحقيقاً لحلمهم فى إقامة مملكة إسرائيل على أرض الناس أجمعين .

ننصح لهم بأن يتحرروا فى شجاعة وإيمان من سيطرة هذه القوة الخفية ، ويرفضوا

---

(١) إن الدستور الإسلامى كفيل بحل كل مشاكل الحياة ، وبالإجابة عن كل التساؤلات لأنه من معين الوحى الإلهى الذى لا ينضب ، ومن علم اللّه الذى لا يحاط به ، وكلماته تعالى التى لا تنفد .

طاعتها ، والسير فى طريقها ، وليطيعوا اللّه تعالى ، وليسلكوا سبيله ، وليمشوا فى طريقه ، ولن تضرهم تلك القوة الخفية ولن تستطيع أن تنال منهم منالا أبداً ، لأنهم برفضهم طريقها وقبول طريق اللّه تعالى قد أصبحوا أولياء للّه ومن كان اللّه وليه فإنه لو اجتمع عليه من بأقطارها لم يضروه شيئاً .

وإن هم عجزوا عن التحرر من هذه القوة الخفية بترك طريقها واتباع طريق الإسلام دين الله الذى لا يشقى سالكه ولا يضل فى الحياة أبدا ، لقوله تعالى : ﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ (١) فإن عليهم أن يهربوا من سآمة الحكم ، وينجوا بأنفسهم ، ويتركوا الأمر لأمة الإسلام تتحمل مسؤوليتها بنفسها إن أحسنت فلها ، وإن أساءت فعليها ، فإنه والله لأن يرضى العاقل بأن يصبح كناسا من كناسى البلديات فى ديار المسلمين بعد أن كان ملكا أو رئيسا ، خير له من أن يبقى على رأس شعب من شعوب الإسلام يحكمه بغير شريعة الله ، ويسوسه بسياسة تتنافى فى جملتها مع حياة الإسلام وتطلع المسلمين ، ، ،

هذه كلمة نصح قدمتها أيها الحاكمون المحترمون بعد بيان طريق النجاة لكم ، فإن أخذتم بها نجوتم وسعدتم وذلك ما أريده لكم ولكل المسلمين ، وإن كانت الأخرى فحسبى أن نصحت والأمر لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإلى الجماعات الإسلامية ثانيا :

وإلى الجماعات الإسلامية العاملة فى الحقل الإسلامى فى كل أنحاء العالم بيان طريق نجاحها فى عملها الإصلاحى ووصولها إلى أهدافها وغاياتها من إقامة المجتمع الإسلامى والحكم الإسلامى ؟ ليعبد الله وحده لا شريك له ، ولتظهر أمة الإسلام ، وتسود وتحكم ، وتقول .

إليك أيتها الجماعات الطريق واضح المعالم ، ظاهر الأعلام فاسلكيه فى صدق ، وامشى فيه بجد وحزم ، واعلمى أنه لا سبيل إلى تحقيق ما تصبين إليه وتهدفين إلى تحقيقه إلا بالسير عليه والمشى فيه ، وأنه ـ أى الطريق ـ ليتمثل فى الأبعاد الثلاثة الآتية :

الأول : الاعتراف بالواقع الذى يعيشه المسلمون كل المسلمين ، وهو واقع جد مؤلم ومؤسف ومحزن أيضا ، فليعترف به ولا يتجاهل بحال من الأحوال وها هى ذى صورة

(١) طه : ١٢٣ .

واضحة لهذا الواقع الجد مؤلم فلينظر فيها ولتتأمل ملامحها حتى يكون الاعتراف مبنيا على أساس العلم فيساعد ذلك على قبول هذا الطريق الذى تدعى الجماعات الإسلامية إلى سلوكه والسير فيه إلى أن تتحقق أهدافها وتصل إلى غايتها فى إيجاد المجتمع الإسلامى وإقامة الحكم الإسلامى فيه .

ملامح الصورة :

إن صورة الواقع المؤلم الذى يجب على الجماعات الإسلامية الاعتراف به ملامح بارزة ، ومخيفة منها يتكون وجهه المكفهر الكالح ، فلننظر إليها وهى :

١ ـ الفرقة :

إن مما لا شك فيه أن واقع المسلمين اليوم قائم على أساس الفرقة والاختلاف فدولتهم دويلات تعد بالعشرات ، وجماعاتهم جماعات تعد أيضا بالعشرات ، قانونهم الذى يحكمهم قوانين شتى ، وفكرهم الذى تنبع منه سياستهم وتخطيطهم لكل حياتهم أفكار متعددة ، ومتناقضة متضاربة أيضا .

٢ ـ العداء :

إن العداء الموجود اليوم بين المسلمين عداء مستحكم شديد وهو قائم بين الحكومات فيما بينها ، وبين الجماعات كذلك ، وحتى بين الأفراد فلذا لم يوجد أى تعاون صادق بين المسلمين وفى أي مجال من مجالات الحياة ، مع أن التعاون بين المسلمين مبدأ أساسى فى كمال حياتهم ، وطهرها ، وسعادتها ، لقول الله تعالى لهم : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ (١) ومنذ أن حلت العداوة بين المسلمين محل المحبة ترك بينهم واجب القيام بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، إذ لا يتم هذا الواجب على وجهه الكامل المثمر إلا بين جماعات متوائمة متحابة ، وما دام لا وئام ، ولا حب بين المسلمين حكومات ، وجماعات وأفرادا فلا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ، وإذا ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى بلد عمه الفساد وهلك أهله لا محاله (٢) .

---

(١) المائدة : ٢ .

(٢) مصداق هذا قوله ﷺ : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ،ثم لتدعونه فلا يستجيب لكم » رواه أحمد والترمذى وحسنه .

٣ ـ قسوة القلوب :

إن ظاهرة قسوة القلوب بين أفراد المجتمع الإسلامى لظاهرة غريبة وخطيرة فى نفس الوقت .

غريبة ، لأن طبيعة العقيدة الإسلامية القائمة على أساس الإيمان بالبعث والجزاء ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا** ﴾ (١) ، وعلى مبدأ الرحمة والإخاء ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ (٢) ، « الراحمون يرحمهم الرحمن » (٣) « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (٤) .

يتنافى معها قسوة القلوب التى تنجم عادة عن الكفر والظلم .

وخطيرة لأن مجتمعا تنعدم فيه الرحمة حتما ينقطع منه الخير ، ويعمه الشر ، ويكثر فيه الفساد ، وبالتالى ينتظم أهله التعاسة والشقاء .

وإن بحثنا عن سبب وجود هذه الظاهرة أو الكارثة فى الحقيقة وجدناه فيما أصاب العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين من تخلخل ، وضعف نتيجة الكيد المستمر للإسلام والمسلمين ، والذى ابتدأ بقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وانتهى بإسقاط الخلافة الإسلامية ، ثم بنشر مذهبى الإلحاد والإباحية فى ديار المسلمين ، الإلحاد الذى يتزعمه المعسكر الشيوعى الاشتراكى ، صنيعة اليهود ، والإباحية التى تقوم بنشرها الرأسمالية الغربية بزعامة أمريكا اليهودية ، فعن المذهب الأول انتقلت شعارات الكذب ، والخداع والتضليل ، كالتقدمية الثورية ، والاشتراكية العربية والإسلامية ، فأنست المسلمين قيادة الإسلام ، وحكم الإسلام ، وعدالة الإسلام ، ورحمته ، وعن المذهب الثانى انتقلت حرية الرأى والفكر ، والحرية الشخصية ، وفصل الدين عن الدولة ، وعزل الشريعة الإسلامية عن الحياة كل الحياة ، والتعليم المخرب للعقول ، والقاضى على الخلق والكرامة ، وبالتالى السفور والفجور وأندية العرى والقمار ، وإظهار الأغانى ، أو إيجاد المسابح والمسارح فى سلسلة جهنمية يطوق بها عنق الإسلام ، لخنقه والقضاء عليه ، والذى تولى القسط الأكبرمن هذه الجريمة هم وزراء الإعلام ، والتربية والتعليم ، والشباب والرياضة فى بلاد المسلمين ، جرهم لذلك غفلتهم عما تقدمه لهم الماسونية من سم قاتل ، فى قوالب مختلفة من الخيرات ، والاستشارات وهم لا يشعرون .

---

(١) المزمل : ٢٠ .　　(٢) الحجرات : ١٠ .　　(٣) حديث صحيح .　　(٤) حديث صحيح أيضا .

وتتجلى ظاهرة قسوة القلوب بين المسلمين فى مجالين : **الأول** : بين الأغنياء والفقراء ، **والثانى** : بين ذوى الحاجات من المسلمين وبين من على أيديهم قضاؤها ولو كان من أصغر الموظفين القائمين على بعض مصالح المسلمين ، فبين الأغنياء لا يوجد على الحقيقة أى مظهر للرحمة ، والبر ، والإحسان ، يشار إليه بالبنان ، فلا يوجد إلا غنى يسكن قصور الملوك ، وفقير يسكن أكواخ الحطب ، وبيوت القصدير ، وغنى يركب أحدث أنواع السيارات ، وفقير يمشى على رجلين حافيتين ، وغنى تصنف له أنواع الطعام ، وتصفف بين يديه فى كلتا وجبتيه ، وفقير محروم من كل الكماليات يعانى آلاما من فقده الضروريات .

وبين الموظفين وأصحاب الحاجات لا يوجد أيضا أى مظهر من مظاهر الرحمة والشفقة ، أو التقديم والتكريم ، كأن الموظف القائم على المصلحة موعز إليه بإتعاب المواطن ذى الحاجة ، وإهانته ، وتعذيبه حتى أصبح من المعلوم لكل الناس أن صاحب الحاجة إن لم يكن له واسطة لا تقضى حاجته إلا بعد عناء ، ومشقة ، وفوت وقت طويل ، هذا إن قضيت له ، وإلا فما أكثر من تموت حاجاتهم فى نفوسهم ، وتقبر مصالحهم فى مقابرآمالهم وآلامهم .

٤ ـ الكذب والخيانة :

إن ظاهرة انعدام الصدق والأمانة بين المسلمين اليوم لظاهرة خطيرة للغاية حيث شملت أغلب وجوه الحياة بين المسلمين ، فلم يسلم منها وجه واحد ، فقد ظهر الغش وفشت الخيانة فى كل مرافق الحياة ، فظهر ذلك بين الرؤساء والمرءوسين وبين العمال والموظفين ، وبين الصناع والتجار والفلاحين ، وحتى بين العلماء والمتعلمين ، حتى لكأن المسلمين لم يؤمروا فى شريعة ربهم بأمانة ، ولم ينهوا عن خيانة ، ولم يدعوا إلى صدق ، ولم يحذروا من كذب قط ، مع أن نصوص الشرع تقول : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ (١) ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ (٢) ويقول الرسول ﷺ : « أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك (٣) » ويقول : « من غش فليس منا » (٤) ويقول : « عليكم بالصدق وإياكم والكذب . . . » (٥) ومع كل هذه النصوص وغيرها شاع الغش ، وانعدمت الأمانة حتى إن المرء لو أراد أوقية عسل خال من الغش أو سمن لم يجدها فى أسواق المسلمين والعياذ بالله تعالى .

---

(١) النساء : ٥٨ .　　(٢) الأنفال : ٢٧ .　　(٣، ٤، ٥) حديث صحيح .

٥ ـ زيغ القلوب :

إن زيغ القلوب أصبح ظاهرة معروفة بين كثير من المسلمين لا سيما طبقة الأثرياء ، والمثقفين ، والحاكمين ، ويظهر ذلك فى استخفافهم بشريعة الله ، ونقدهم لها ، وإعراضهم عنها ، وعيشهم بعيدا عن التخلق بأخلاقها ، والتأدب بآدابها ، وعن مزاولة فرائضها وسننها ، كما يظهر بوضوح أكثر فى تكييف حياتهم الخاصة تكييفا ألحقهم باليهود والنصارى ، وذلك بتشبههم بهم ، فى كل شأن من شؤون حياتهم ، والرسول ﷺ يقول : « ومن تشبه بقوم فهو منهم » (١) .

٦ ـ كبائر الإثم والفواحش :

إن كبائر الإثم والفواحش والتى ما ظهرت في أمة إلا دمرتها وقضت على طهرها وصفائها ، وبالتالى على وجودها بالمرة ، قد ارتكبت بين أمة الإسلام بصورة مهيلة ، مفزعة مخيفة ، **فالربا** : وهو من أكبرها قد أصبح مباحا تتعاطاه الحكومات والمؤسسات وحتى الأفراد تجارا وموظفين على حد سواء ، **والزنى** : وهو من أعظم الفواحش قد انتشر ، وظهر بين المسلمين بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ هذه الأمة ، نتيجة لتهيئة وسائلة ، وإتاحة الفرص لطالبه وذلك بإشاعة الأغانى فى بيوت المسلمين ، وعرض صور النساء والمومسات ، وصور الزناة من الرجال على شاشة السينمات والتلفزات ، والسماح للنساء بالسفور والتبرج الجاهلى فى الأسواق والشوارع ودور العمل وما إليها من المدارس والجامعات.

الأمر الذى دفع برجال الأمة ونسائها إلى التكالب على فاحشة الزنى حتى أصبحت السلامة من هذه الفاحشة نادرة جدا بين شباب هذه الأمة وشاباتها .

وككبيرة الربا ، فاحشة الزنى ، **الظلم** ، **والجور** ، **والقمار** ، **والتلصص** ، **والسرقة** ، **وقتل النفس** ، **والرشوة** فى الأحكام والمعاملات ، كل هذه مرتكبة معمول بها على مرأى ومسمع من كل المسلمين و لا قلب يحزن ولا نفس تخاف ، ألا فلتعرف هذه الجماعات الإسلامية ، وليبنوا بناء دعوتهم الإصلاحية لإيجاد المجتمع الإسلامى ، وإقامة الحكم الإسلامى فيه على أساسه والذى هو اعتراف بواقع مر وجد أليم .

---

(١) رواه أحمد .

الثانى :إن البعد الثانى من الأبعاد الثلاثة التى يتكون منها طريق الوصول إلى إيجاد المجتمع الإسلامى وإقامة الحكم الإسلامى فيها هو العمل الإصلاحى على أساس الاعتراف بواقع الأمة الإسلامية اليوم وعدم تجاهله وهو واقع مر ، وجد مؤلم كما أسلفنا .

وهو أى العمل على أساس الاعتراف بالواقع يتطلب الإخلاص فى العمل ، والصبر عليه ، والحلم والأناة فيه ، والحكمة ، والعلم ، والتنظيم فى كل ذلك .

فإن الضجر ، وسرعة الغضب ، والعجلة ، لا يتأتى لصاحبها عمل ناجح مثمر أبدا ، كما أن الخلط والفوضى ، والجهل لا ينتج عنها ، غير ضلال السعى ، وخيبة الأمل ، كما هو معروف بين العاملين بصدق وجد فى هذه الحياة ، ومن هذه النقاط الست يتكون الطريق المطلوب بيانه للجماعات الإسلامية العاملة فى الحقل الإسلامى الصحيح .

الإخلاص :

وهو التجرد من كل الحظوظ النفسية ، والأغراض الدنيوية بحيث لا يكون للجماعة العاملة غرض سوى الإصلاح كما قال نبى الله شعيب عليه السلام فيما قصه القرآن عنه :

﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ (١) ، إذ اتخاذ العمل الإصلاحى وسيلة إلى تحصيل حظ نفسى من سمعة ، أو جاه ، أو منصب ، أو مال ، أو أى كسب مادى شرك فيه ، والشرك محبط للعمل مبطل له ، فى قوله تعالى : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ (٢) ، كما أن الناس إذا رأوا للعامل المصلح رغبة فيما فى أيديهم من مال أو سلطان رغبوا عن دعوته وأعرضوا عنها ، وكلما اتضح لهم ميله إلى دنياهم وحبه لما خولهم الله تعالى من مال ، أو دولة ، ازداد نفورهم منه ، وحذرهم له ، ثم لم يلبثوا أن يقاوموه ويحاربوه دفاعا عن مكانتهم ، وما بأيديهم ، فلهذا وجب على الجماعات الإسلامية أن ينطلق عملها من مبدأ الإخلاص الكامل ، وهو كما مر : التجرد التام لله تعالى فى عملها ، فلا تعمل لأى غرض سوى غرض واحد وهو أن يعبد الله تعالى وحده بما شرع لعباده أن يعبدوه به ، مما أنزل به كتابه ، وأرسل به رسوله ، ليكمل العابدون ويسعدوا فى الحياتين .

---

(١) هود : ٨٨ .   (٢) الزمر : ٦٥ .

الصبر :

والمراد به : حبس النفس على ما تكرهه وتنفر منه ، وله مواطن كثيرة منها :

١ ـ حبسها على طاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله ﷺ ، وأولى الأمر فى الجماعة الإسلامية ، وذلك بامتثال الأمر ، واجتناب النهى ، فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، فى حدود الطاقة البشرية .

٢ ـ حبسها ـ النفس ـ بعيدة عن معصية الله ومعصية رسوله ﷺ وأولى الأمر فلا يسمح لها بأن تترك أمرا وهى قادرة على فعله ، أو ترتكب أى نهى لم تكره على ارتكابه .

٣ ـ حبسها على الرضا والتسليم بما يقضى الله تعالى به على عبده المؤمن ، وما يصيبه به امتحانا له ، أو لذنب ارتكبه لقوله تعالى : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ (٢) وقوله : ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ، قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم** ﴾ (٣) .

وعليه فإنه لا ضجر ، ولا سخط ، ولا خروج عن الطاعة بحال من الأحوال ، إذ هذه تتنافى مع الصبر المطلوب للسالكين فى هذه الطريق ، طريق النجاة والسعادة .

٤ ـ الصبر على العمل الإصلاحى بعدم تركه أو التخلى عن بعض واجباته ، وتكاليفه فشلا وضعفا .

٥ ـ الصبر على بطء سير الدعوة ، وعلى تعثرها فى طريق نجاحها، وعلى نقد بعض الناس لها ، أو معاداتهم لها ، ونفرتهم منها ، إذ هى طبيعة الناس إزاء دعوات الخير والإصلاح فى كل زمان ومكان : ﴿ **وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم** ﴾ (٤) .

٦ ـ الصبر على طاعة أولى الأمر من المسلمين لقوله ﷺ : « عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى ، كأن رأسه زبيبة » (٥) فلا خروج على الأمير ، ولا محاولة ذلك بحال إلا بشرطين :

---

(١) محمد : ٣١ . (٢) الشورى : ٣٠ . (٣) آل عمران : ١٦٥ .

(٤) فاطر : ٢٥ . (٥) رواه مسلم بغير هذا اللفظ .

الأول : أن يظهر منه الكفر البواح أى الظاهر الواضح لقوله ﷺ :« إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » .

الثانى : أن يكون للمسلمين شوكة(1) ، وقوة تمكنهم من خلع الكافر ونصب المؤمن بدون إراقة دماء المسلمين ، وإزهاق أرواحهم .

الحلم والأناة فيه :

أى فى العمل الإصلاحى الذى يقوم به الفرد فى الجماعة الإسلامية ، إذالحلم والأناة خصلتان يحبهما الله تعالى ورسوله ﷺ ، وضد الحلم والأناة سرعة الغضب ، والعجلة بالمؤاخذة،وهما مضران بصاحبهما ، مفوتان عليه كثيرامن فرص الهداية والإصلاح ، وعليه فليكن الفرد فى الجماعة حليما لا يغضب على من يجهل عليه ، أويسىء إليه ، ولا يبادره بالمعاقبة والمؤاخذة ، ذا أناة لا يستعجل النتيجة إذا عمل، ولا يسارع فى إصدار حكم بقول أو عمل ، وليكن بعيدا عن التسرع ، ومظاهر النزاع والطيش ، إذ لا يصلح بهداية الناس وإصلاحهم إلا من كان أكمل منهم هداية ، وأقدرهم على إصلاح .

الحكمة فى التنظيم والعلم :

إن الحكمة فى العمل ا لإصلاحى ضرورية ، وحقيقتها : هى إعطاء كل شىء ما يناسبه ، ووضع كل شئ فى المكان اللائق به ، وبها يكون السداد فى الأمور ، والإصابة للأغراض ، والوصول إلى الغايات بقليل من الكلفة ، واليسير من المشقة ، ولا تتم لعبد إلا إذا كان قد أشبعت روحه بعلم الكتاب والسنة ، إذ الحكمة فيها ، وهما مصدرها ، ولاتطلب إلا منهما .

وأما التنظيم فى العمل الإصلاحى فإن المراد منه : ترتيب الأعمال ،وتقديم بعضها على بعض بحسب وجودها ، وافتقار بعضها إلى بعض حتى لا تختلط بعضها ببعض ، فتتعقد وتتعطل ، إن النظام فى العمل الإصلاحى هو بمثابة المفتاح لفتح خزائن الأموال، فلو جاء أحد إلى خزانة مال حديدية يريد فتحها بدون مفتاحها الخاص بها لما أمكنه ذلك ، ولا

---

(1) هذا يتهيأ للجماعات الإسلامية إذا كان المسلمون الصالحون فى الإقليم يشكلون نسبة كبيرة من الأمة كنصفها أو ثلثيها ، أما إذاكانوا أقلية ، والفاسدون أكثرية ، فلا يتأتى لهم ذلك ، وعليهم أن يصبروا حتى تتهيأ الأمة لمثل ذلك بكثرة الصلاح فيها ، والمصلحين والصالحين .

ما نال منها شيئا أبدا، ومهما قلبها وضربها . ولكن بمفتاحها الخاص يفتحها ، يطلع على ما فيها ويخرج منها ما يشاء .

فالقلوب البشرية أوعية لا يفتحها المصلح إلا بمفاتيحها الخاصة بها وهى الصبر ، والحلم والأناة ، والحكمة ، والنظام والعلم .

وأما العلم وهو شامل لمعرفة طرق الهداية ، ولمعرفة الوسائل والغايات ، فالذى يجهل طرق الهداية لا يصل بمن يريد هدايته إليها ، والذى لا يعرف الوسائل ولا كيفية استعمالها لا يمكنه أن يسلك بأحد طرق الهداية ، ويصل به إليها فيهديه ، والذى لا يعلم النتائج والغايات لايتأتى له أن يحدث عنها ، أويصدقها حتى يرغب فيها ، ويحمل الناس على حبها ، والرغبة فى العمل من أجلها ، ولذا كان العلم من ضروريات العمل الإصلاحى الناجح ، ولا حق لغيرالعالم فى أن ينصب نفسه هاديا للناس مصلحا لجهله بما يدعوهم به من الحكم والوسائل والنظام ، ولما يدعوهم إليه من كمال المقاصد ، وشريف الغايات ، ونبل الأهداف المتمثلة فى النجاة والسعادة والكمال فى الحياتين .

الثالث (1) اتباع خطة العمل التالية :

إنى أعلم أنه ليس لى من حق فى وضع خطة عمل لجماعات المسلمين ، وحسبى ما بينته فى الأرقام السالفة ، إن وضع خطة كاملة للعمل الإصلاحى لجماعات المسلمين ينبغى أن يجتمع عليه عدد من رجال العلم والإصلاح فى أمة الإسلام ، فتوضع الخطة المتكاملة بناء على خبرات سابقة ، وتجارب عديدة فى بلاء طويل لأحوال المسلمين ، لتكون الخطة ناجحة لدى العاملين بها ، والقائمين على تنفيذها ، ولكن نظرا لعدم وجود أولئك العلماء المصلحين مجتمعين على هذا الأمر ، عاملين على تحقيقه فقد أسست لنفسى عملا كهذا ، على خطورته ، ووعورة مسالكه ، وبينت طريقا إصلاحيا للحاكمين ، والجماعات المسلمين ، وكلى أمل وثقة أن سلوكه لا ينتهى بالسالكين إلا إلى نجاتهم وكمالهم، وسعادتهم فى الدنيا والآخرة .

والخطة الموضوعة لسالكى هذا الطريق من الجماعات الإسلامية تتمثل فى الخطوات الست التالية :

---

(1) هذا هو البعد الثالث من الأبعاد الثلاثة التى يتكون منها الطريق وقد تقدم الأول والثانى فليرجع إليهما .

الخطوة الأولى :

إن الخطوة الأولى هى تكوين جماعة للمسلمين [١] فى كل قرية ، وفى كل حى من أحياء المدن الكبرى ، أو الصغرى ،فى كل إقليم من أقاليم البلاد الإسلامية تسمى الواحدة من هذه الجماعات بجماعة المسلمين ، ويكون لكل جماعة إدارتها من أمير ، ومجلس شورى ، وأعضاء عاملين ، ويكون لتلك الجماعات فى الإقليم مجلس واحد يشرف عليها ، وينظم سير عملها ،يسمى بالمجلس لجماعات المسلمين فى ذلك الإقليم الإسلامى ، ويكون مقره فى عاصمة الإقليم أو إحدى مدنه الكبرى .

الخطوة الثانية :

هى بيان عمل جماعة المسلمين ومباشرته :

إن لجماعة المسلمين الثابتة الوجود شرعا بحديث مسلم « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ،. فقلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام إلخ . . . » عمل معروف فى كتب الفقة الإسلامى الذى هو شريعة المسلمين ومجمل القول فى هذا العمل : إنه كل ما كانت تقوم به حكومة إمام المسلمين عندوجودها وقدرتها من إطعام الجائع ، وكسوة العارى ، ومداواة المريض ، وإرشاد الضال ، وتعليل الجاهل ، وحماية عقائد المسلمين ، وأرواحهم وأعراضهم ، وأموالهم ، وديارهم ، ومن ذلك واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله .

الخطوة الثالثة :

هى العمل الفورى على توحيد كل الجمعيات الإسلامية فى البلد الإسلامى ودمجها فى جماعة واحدة ،هى جماعة المسلمين ،التى تنشأ فى كل قرية من القرى الإسلامية ، وكل حى من أحياء مدنهم ، وهذا التوحيد ضرورى للعمل الإصلاحى ولا مبرر لغيرة أبدا ، إذ هدف المسلمين واحد ، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له ، ولا يتحقق هذا الهدف كاملا إلا فى المجتمع الإسلامى ، وظل الحكم الإسلامى ، وهذا متوقف بدوره على وحدة المسلمين ، وتعاونهم على البر والتقوى ،ووجود جمعيات متعددة تذهب بريح الأمة

---

(١) الجماعات الإسلامية الموجودة قبل هذا التكوين يجب أن تندرج فى هذا التكوين الجديد ، ولا ينبغى أن تخرج عنه بحال توحيدا للأمة ، والعمل الإصلاحى بينها .

، وتضعفها ويبدد جهدها وطاقتها ، فلم تصبح قادرة على العطاء والحياة .

الخطوة الرابعة :

في تفصيل العمل وتنظيمه :

إن هذه الخطوة لمن أهم خطوات هذا الطريق إذ عليها تدور سائر أعمال جماعة المسلمين ، فهى الكل فى الكل ، والبداية والغاية وبيانها كالتالى :

(أ) تكوين هيئة الجماعة فى القرية أو الحى من المدينة ، وهى عبارة عن لجنة رئيسية تحتها لجان فرعية تقوم كل لجنة بعمل خاص ، فاللجنة الرئيسية تتكون من أمير الجماعة ومستشارين له لا يقل عددهم عن ثلاثة أنفار من صالحى أهل القرية أوالحى ، ومهمة هذه الهيئة الإرشاد ، والتوجيه ، وإدارة عمل الجماعة .

(ب) تكوين لجان العمل وهى :

١ ــ لجنة الكتابة .

٢ ــ لجنة المالية .

٣ ــ لجنة الحكم والفتيا .

٤ــ التعليم والتربية .

٥ ــ لجنة البر والإحسان .

٦ ــ لجنة الأنشطة الرياضية .

٧ ــ لجنة الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

فلجنة الكتابة مهمتها : رسائل الدعوة ونشراتها التى تقوم الجماعة بنشرها أداء لمهمة الوعظ والإرشاد والدعوة إلى البر والمعروف وتسجيل وكتابة أسماء وعناوين كل أفراد الجماعة فى الحى أو القرية وكتابة الدخل المالى لصندوق الجماعة ، وخرجه ، ودفع حسابات بيانية بذلك كل شهر .

ولجنة المالية مهمتها : جمع الاشتراكات والتبرعات ، والزكوات من أفراد جماعة المسلمين فى الحى أو القرية ، وحفظها فى صندوق الجماعة ، والدفع منها عند الحاجة إن

كان بإذن من أمير الجماعة موقعا بتوقيعه ، مبينا فيه سبل الإنفاق ، والقدر المطلوب إنفاقه بلفظ صريح .

ولجنة الحكم مهمتها : فض النزاع ، وإنهاء الخلاف الذى قد يقع بين أفراد جماعة المسلمين فى القرية أوالحى ، وفى حال استعصاء الخلاف ، أو احتدام النزاع ، وعجز اللجنة عن إنهائه فإنه يرفع إلى أميرالجماعة ومجلس شوراه فإن أمكن إنهاؤه فذاك ، وإلا رفع إلى محاكم البلد ، والقضاء فيها .

ولجنة التعليم والإرشاد مهمتها : تعليم أفراد الجماعة أمور دينهم ، وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم وصلاح أمرهم ، ويتم ذلك للبعض بواسطة حلق العلم التى تعقد فى المسجد كل يوم ، وللبعض الآخر بواسطة الدرس العام الذى يلقيه أمير الجماعة كل أسبوع فى مسجد الجماعة .

ولجنة الأمر بالمعروف مهمتها : ملاحظة سلوك المسلم فى الحى أو القرية فإن رأته ترك معروفا أمرته بفعله فى رفق ، وإن رأته ارتكب منكرا نهته عن فعله فى رفق كذلك ، وتستعمل اللجنة فى ذلك أسلوب الوعظ والإرشاد فإن نفع ، وإلا رفعت الأمر إلى أمير الجماعة ومجلسه لإصلاح هذا الفرد بما تراه من وسائل مشروعة .

ولجنة البر مهمتها : تفقد أفراد جماعة المسلمين ورعاية أحوالهم فتطعم جائعهم ، وتكسوا عاريهم ، وتداوى مريضهم ، وترفع الظلم عن مظلومهم ، وتيسر عن معتسرهم ، وترحم ضعيفهم ، وتعاونهم على البر والتقوى .

ولجنة الرياضات مهمتها : رعاية شباب القرية أو الحى صحيا ، وعقليا ، وذلك بمزاولة ألوان الرياضة المختلفة والتى ثبتت جدواها ، وتحقق نفعها لمن يأتيها من سائر أنواع الرياضات التى تحفظ الجسم ناميا ، صالحا يقدر على أداء فريضة الجهاد ، والعقل صالحا راجحا ، يقدر على التفكير ، والإبداع ، والاختراع .

الخطوة الخامسة :

وهى المحافظة على العمل الإصلاحى ، وإنجاحه .

إنه بعد إنشاء هذه الجماعات الإسلامية على النحو الذى سبق بيانه يجب أن تعظم عناية القائمين عليه بالمحافظة على سيره فى طريقه حتى لا يختل ، أو يضعف ، أو يتعطل لا قدر الله تعالى ، فرعايته من أوجب الواجبات وآكدها ، فيتعين على القائمين به والمسيرين

له التفانى فى حفظه ، وبقائه نامى العمل ، مطرد النجاح ، وذلك ببذل كل ما فى الوسع ، وإنفاق كل رخيص وغال ، إذ فشل هذا العمل الإصلاحى للأمة الإسلامية معناه الموت بأتم معناه ، وليس هو مجرد تعطل حركة إصلاحية ، أو خيبة أمل فى مشروع خيرى فقط .

إن أعداء الإسلام لا يسرهم بحال عمل إصلاحى كهذا يعود بالمسلمين إلى سابق عزهم ، وخالد مجدهم ، بعد أن يرد إليهم اعتبارهم ، فى كونهم أمة ، قائدة ، سادت العالم ، وقادته إلى الخير والكمال زمنا غير قصير ، ولذا فإنهم سوف يشككون فى صلاح هذا العمل الحركى الإصلاحى ، وفى قيمته الكبيرة ، وفى جدواه ، فينبغى أن لا يلتفت إليهم حتى ولو حاربوه ، فليتذرع بالصبر ، والحلم والشجاعة ولا يمكنون من إحباطه ، إذ لا يسرهم إلا ذاك ، وأنهم سوف يتذرعون إليه بكل الوسائل حتى بإخسها فليعرف هذا وليتفطن له ، وليحذر منه [1] حتى لا يمكن أعداء الإسلام من إيقاف هذا العمل أو عدم إنجاحه ، وليصبر على ذلك إلى أن ينجح هذا العمل الإصلاحى الذى هو المنزع الأخير لأمة الإسلام فى هذه الأيام ، وإلى أن يظهره الله تعالى وينجحه ، ويومها ييأس المبطلون المناوئون ويهلكون ، أو يتوب الله على من يشاء منهم فينجو بهذه الحركة الإسلامية الإصلاحية ويسعد بها كغيره من سائر العاملين بها الراضين بها .

الخطوة السادسة :

إيجاد قيادة عليا لجماعات المسلمين [2] إن من الضرورى لهذا العمل الإسلامى المنظم أن تكون له قيادة عليا ، تشرف عليه ، وتنظمه وترعاه ، وتوجهه ، وتكون المرجع الأخير لكل جماعات المسلمين فى بلادهم ، يتحاكمون إليها ، وينهون أمرهم إلى قضائها وحكمها .

فمجرد ما يوجد هذا العمل فى إقليمين أو أكثر من بلاد المسلمين ، يتعين أن يكون من أمراء جماعات المسلمين فى تلك الأقاليم مجلس أعلى لرعاية العمل الإسلامى وتوجيهه ، ليتم التعاون بين سائر المسلمين العاملين فى هذا الميدان الإصلاحى ، إذ التعاون ضرورة بين المسلمين ، ولا يتحقق التعاون المثمر إلا بمثل هذه القيادة العليا التى قد تربط بين كل جماعات المسلمين وفصل ما بينهم حتى يشعروا أنهم أمة واحدة ، كما أراد الله تعالى

---

(١) الضمير فى قولنا له ومنه ، واسم الإشارة قبلهما يعود إلى تشكيك الأعداء وتوسلهم بكل الوسائل لإحباطه وإفساده .

(٢) إن هذه القيادة العليا قائمة مقام الخليفة عند فقده ، كما أن جماعة المسلمين قائمة مقام إمام المسلمين عند فقده أو عجزه .

لهم أن يكونوا : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ (١) .

خاتمة :

وأخيرا فهذا هو الطريق قد بينته لأخوة الإسلام ، وهوطريق واضح مستقيم ، السير عليه مأمون العثرات ، وسلوكه محمود النهايات .

وإنه لآمن وأسلم ، وأرجى أن يحقق سالكوه ما يصبون إليه من إقامة المجتمع الإسلامى ، والحكم الإسلامى ، ليعبد الله وحده ، ولينجوا المسلمون ويسعدوا .

إنه لآمن وأسلم وأرجى من طرق شتى سلكها كثيرمن المؤمنين لهذه الغاية ، وما وصلوا إليها ، وما فازوا بها .

ومن هذه الطرق :

١ ـ طريق انتقاد الحاكمين ، وإنقاصهم ، والتلذذ بتكفيرهم وتفسيقهم مع التقاعس عن العمل الإصلاحى المثمر ، والانغماس أحيانا فى حمأة الرذائل والشهوات .

٢ ـ طريق التنظيم السرى ، والإعداد الثورى للإطاحة بالحكم وأهله والذى ظهر عقمه وعدم جدواه ولم يجن منه أصحابه سوى التعذيب ، والتقتيل والتشريد .

٣ ـ طريق الجمعيات الدينية القليلة العطاء التى يكتفى فيها أصحابها بأقل البذل ، وأدنى الجهد ، فيمضى الزمن الطويل عليها وهى مجرد رسوم لا ظل لها ولا ثمر .

٤ ـ طريق الازدواجية التى يعمل أصحابها فى الظاهر تحت رسم جمعية دينية ، وفى الباطن يتبنون شعارات الأنظمة السرية وهو طريق يكثر فيه الاستغلال ، والاستذلال لما فيه من طبيعة النفاق السياسى ، وغالبا ما يؤول أمر القائمين عليه إلى الشقاق فيما بينهم والخصام ، كما أنه لم يعرف أن طريقا من هذه الطرق قد حقق للمسلمين خيرا ، أو وقاهم ضيرا .

ومرة أخرى أقول : إن طريق جماعات المسلمين هو الطريق السوى المرضى المأمون العثرات ، المحمول للعواقب والنهايات وإن السيرعليه ، والسلوك فيه ليس بأصعب من

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

السير على تلك الطرق ، التى بعضها ضيق غير قاصد وبعضها مظلم ملتق ، وقد جربت كلها فلم يجد منها طريق ، ولم ينفع منها آخر فلم يبق إذا إلا طريق واحد وهوسبيل جماعة المسلمين الذى هوسبيل المؤمنين الذى قال تعالى فيه :

﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ (١) .

وقال فيه الرسول ﷺ : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » ألا فليستعن بالله وليتق فيه الأخوة المؤمنون ، وليحيوا هذه السنة ، وليقيموا هذا الواجب الذى تركه المسلمون من زمن طويل حتى حل بهم ما حل من العجز والضعف ، وأصابهم ما أصابهم من المحن والفتن ، وليعلموا أنه لانجاة لهم ، ولا مخرج مما هم فيه إلا سلوك هذا الطريق ، والسير عليه مهما كان شاقا أوطويلا ، مع أنه لا مشقة فيه ولا طول ، ما دام تحقق الهدف شريفا والوصول إلى الغاية مضمونا بإذن الله تعالى من قبلهم : **﴿ وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ﴾** (٢) .

---

(١) النساء : ١١٥ .

(٢) النور : ٥٥ .

كيف يتطهر المؤمن ويصلى

رسالة قيمة فى بيان كيفية الطهارة والصلاة
على ضوء الكتاب والسنة

كتبهـا
أبو بكر جابر الجزائرى

مقدمــــــة

الحمد لله رب العالمين ، القائل : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ (١) وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على من نزل عليه : ﴿ **وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين** ﴾ (٢) ورضى الله تعالى عن آل رسول الله وأصحابه الراكعين القانتين ، ورحم الله من أمته الغر المحجلين .

أما بعد : فهذه رسالة صغيرة فى بيان الطهارة والصلاة نضيفها إلى رسائل الدعوة أداء لواجبها وقيامها بمسؤوليتها راجين لنا من الله تعالى القبول ، ولإخواننا المسلمين النفع المأمول ، هذا وإن كان هناك ما يجدر التنبيه إليه فى مقدمة .

---

(١) البقرة : ٢٢٢ . (٢) الشعراء : ١١٧ ـ ١١٩ .

رسالة كيف يتطهر المؤمن ويصلى

هو أن العمل بما فى هذه الرسالة هو عمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، إذ جميع مسائلها مسندة إلى أدلتها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة وبناء على هذا فإنه لكل مسلم كيفما كان مذهب قومه وما عليه أهل بلاده أن يتطهر على الكيفية المبينة فى هذه الرسالة ويصلى ولا يخاف بحمد الله فسادا فى طهارته ، ولا نقصانا فى صلاته وحسب المسلم صحة طهارته وقبول صلاته ، حقق اللهم لنا ولهم ذلك إنك سميع الدعاء قريب مجيب .

الطهـــارة

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن الله تعالى قد أمرنا بالطهارة فى قوله : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ [(١)] وفى قوله : ﴿ **وإن كنتم جنبا فاطهروا** ﴾ [(٢)] وفى قوله : ﴿ **ولكن يريد ليطهركم** ﴾ [(٣)] بعدما أمر المؤمنين بالوضوء ، والغسل ، والتيمم ، وأخبر تعالى أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين فى قوله : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ ، وأن الرسول ﷺ قال : « الطهور شطر الإيمان » [(٤)] ، وقال ﷺ : « مفتاح الصلاة الطهور » [(٥)] وقال : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » [(٦)] .

نوعا الطهـــارة

اعلم أخى المسلم أن الطهارة نوعان :

طهارة باطنية : وهى تطهر القلب من الشرك وهو تعلق القلب بغير الرب تبارك وتعالى خوفا أو طمعاً ، ومن الغل لأفراد المؤمنين ، أو الحقد عليهم ، والحسد لهم ، والتكبر عليهم ، أو احتقارهم والاستخفاف بهم ، وتكون هذه الطهارة للقلب بتوحيد الله تعالى وهو تعلق القلب به تعالى دون سواه ، فلا يخاف العبد إلا الله تعالى ولا يطمع فى غيره سبحانه وتعالى ، وبموالاة المؤمنين ، وحب الخير لهم والعفو عن مسيئهم ، والتواضع لهم واحترامهم وإكرامهم .

وطهارة ظاهرة : وهى تطهير جسم المصلى وثيابه والمكان الذى يصلى فيه ، وذلك من سائر النجاسات كبول الآدمى ، وبول ما لا يؤكل لحمه من الحيوانات ، والعذرة والروث والدم والقيح ، والمذى والمنى ويكون ذلك بغسلها بالماء [(٧)] الطاهر وهو الباقى على أصل خلقته بحيث لم يخالطه شىء يغير طعمه أو لونه أو ريحه حتى تذهب عينها ، ولا يضر بقاء أثر الدم ، كما أن المنى يكفى فيه سلته [(٨)] بعود إن كان رطبا ، وفركه باليد

(١) المدثر : ٤ .
(٢ ، ٣) المائدة : ٦ .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه أحمد والترمذى وغيرهما وهو حسن الاعتماد .
(٦) متفق عليه .
(٧) لإجماع علماء الإسلام على ذلك .
(٨) السلت : النحث والإزالة والمسح إلخ .... .

إن كان يابساً ، لقول عائشة رضى الله عنها : « كنت أفرك المنى من ثوب رسول الله ﷺ إذا كان يابسا ، وأغسله إن كان رطبا » رواه الدارقطني وهو مرسل وله شواهد فى الصحيح تقويه ، وإن غسل بالماء فحسن لقول عائشة فى الصحيحين : أنه ﷺ : « كان يغسل المنى ثم يخرج إلى الصلاة فى ذلك الثوب وأنا أنظر أثر الغسل فيه » وهذه تسمى بطهارة الخبث .

والوضوء ، والغسل ، والتيمم ، وتسمى بطهارة الحدث وهذا بيانها :

الوضـــوء

اعلم ـ أخي المسلم ـ أن الله ذكر فرائض الوضوء فى قوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين** ﴾ (١) .

فذكر غسل الوجه ، واليدين إلى المرفقين ، ومسح الرأس ومنه (٢) الأذنان ، وغسل الرجلين إلى الكعبين ولازم ذلك من الدلك (٣) ، والترتيب بين الأعضاء المذكورة ، والموالاة فى غسلها ، والنية فى بدئه للحديث الصحيح : « إنما الأعمال بالنيات » هذه هى فرائض الوضوء فاعرفها ، وأن الرسول ﷺ سن السواك (٤) ، والتسمية (٥) ، وغسل (٦) الكفين ، والمضمضة (٧) ، وكون الوضوء ثلاثا ثلاثا (٨) ، فهذه هى سنن الوضوء فاعرفها أيضا ، واعلم أنه لا يتم الوضوء إلا بفرائضه وسننه .

وهذه كيفية الوضوء مرتبة فتعلمها :

تسوك بعود ونحوه (٩) ، ثم قل بسم الله : (ناويا الوضوء) ، وأفرغ الماء على كفيك

---

(١) المائدة : ٦ .

(٢) روى أبو داود وأحمد أنه ﷺ مسح برأسه وأذنيه مسحة واحدة .

(٣) روى أحمد وغيره أنه ﷺ توضأ فجعل يدلك ذراعيه .

(٤) لحديث الموطأ : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء » .

(٥) لحديث أبى هريرة فى مجمع الزوائد وهو حسن : « إذا توضأت فقل : بسم الله والحمد لله » ... إلخ .

(٦) لحديث الصحيحين : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا » .

(٧) لحديث الصحيح أنه ﷺ تمضمض واستنشق واستنثر بثلاث غرفات .

(٨) لحديث أحمد وغيره : إذا توضأتم فابتدؤوا بأيمانكم .

(٩) لحديث الصحيحين .

فاغسلهما ثلاثا ، ثم اغسل فمك ثلاثا ، واستنشق الماء بأنفك واستنثره ثلاثا ، ثم اغسل وجهك من منبت الشعر المعتاد فى أعلى الجبهة إلى منتهى اللحية طولا ، ومن وتد الأذن إلى وتد الأذن الأخرى عرضا ، ثلاث مرات ، ثم اغسل يدك اليمنى مع المرفق ثلاثا مخللا أصابعها (١) ثم اغسل اليسرى كذلك ،ثم امسح برأسك بادئا من مقدمه منتهيا إليه : فتمر بيديك إلى القفا ، ثم تردهما إلى حيث بدأت ، وتمسح أذنيك ظاهرا وباطنا مسحة واحدة ، ثم اغسل رجلك اليمنى مع الكعب حتى تعممها بالماء ثم اغسل اليسرى كذلك .

تنبيهات

أ ـ لا تسرف فى الماء :

فإن النبى ﷺ كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع ، وهو أربعة أمداد كما روى ذلك فى الصحيحين ، وأطل غرتك وتحجيلك وذلك بأن تغسل جزءا من مقدم رأسك زائدا عن الفرض الذى هو منبت الشعر المعتاد فى أعلى الجبهة ، وأن تغسل ما فوق المرفقين فى يديك وما فوق الكعبين فى رجليك ، لحديث الصحيح : « إن أمتى يأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء » فقال أبو هريرة من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل .

ب ـ يفسد الوضوء أمور فاعرفها وهى :

١ ـ الخارج من السبيلين من بول ومذى وغائط وضراط وفساء ، لقوله تعالى : ﴿ **أو جاء أحد منكم من الغائط** ﴾ (٢) وقوله ﷺ فى الصحيحين : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » ، والحدث كل ما خرج من السبيلين فهو يشمل كل ما تقدم ذكره .

٢ ـ النوم إذا كان المرء مضطجعا (٣) أوعلى جنب أما من كان قاعدا ممكنا مقعدته من الأرض فنومه لا ينقض وضوءه لرواية مسلم « أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينتظرون العشاء الآخرة حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤون » ، وذلك لأنهم جلوس غير مضطجعين .

---

(١) لحديث ابن عبايس رضى الله عنه عند أحمد والترمذى : إذا توضأت فخلل أصابع يديك .

(٢) المائدة : ٦ .

(٣) لحديث أحمد وأبى داود : « العينان وكاء السه فمن نام فليتوضأ » والسه : حلقة الدبر .

٣ ـ زوال العقل وهو تغطية الشعور وذهاب الإدراك وسواء أكان بجنون أم بإغماء مرض ، أم بسكر ونحوه ، إذ قد يحدث المرء في حال زوال عقله وهو لا يشعر .

٤ ـ مس الذكر بباطن الكف أوالأصابع إن لم يكن حائل من ثوب ونحوه ، وذلك لحديث بسرة بنت صفوان فى الموطأ : « من مس ذكره فلايصلى حتى يتوضأ » ، وحديث أحمد : « من أفضى بيده إلى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضـوء » .

جـ ـ المسح على الخفين : ـ

يجوز للمسلم إذا توضأ ولبس خفيه أو جوربيه السميكين أن يمسح عليهما يوما وليلة إذا كان مقيما ، وثلاثة أيام بلياليها إذا كان مسافرا ، لحديث صفوان عند الترمذى والنسائى وهو صحيح الإسناد : أمرنا أن نمسح على الخفين إذا نحن أدخلناهما على طهر ثلاثا إذا سافرنا ويوما وليلة إذا أقمنا ، ولا نخلعهما إلا من جنابة .

الغسل

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن العبد يجب عليه الغسل إذا أجنب بخروج منى فى نوم أو يقظة من رجل أو امرأة [١] ، أو بجماع ولو بدون إنزال أى خروج منى ، لقول الرسول ﷺ فى الصحيح : « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » وهذا لقوله تعالى : ﴿ **وإن كنتم جنبا فاطهروا** ﴾ [٢] .

وكيفية الغسل هى ـ كما روتها عائشة رضى الله تعالى عنها ـ إذ قالت كان النبى [٣] ﷺ إذا أراد أن يغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه قبل أن يدخلهما فى الإناء ، ثم غسل فرجه ، ويتوضأ للصلاة ، ثم يشرب شعره الماء (أى يخلل أصول شعر رأسه بالماء) ثم يحثو على رأسه ثلاث حثيات ، ثم يفيض الماء على سائر جسده (بادئا بالشق الأيمن قبل الأيسر ، والأعلى قبل الأسفل) .

تنبيهات

١ ـ إذا اغتسل المرء على النحو الذى ذكرت عائشة رضى الله عنها فليس عليه أن يعيد

---

(١) لحديث البخارى : فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت ؟ قال : نعم إذا رأت الماء .

(٢) المائدة : ٦ .   (٣) رواه البخارى وغيره .

الوضوء إلا أن ينقض وضوءه بناقض فساء أو مس ذكر مثلا .

٢ ـ الجنب لايجوز له أن يقرأ القرآن ، أو يدخل المسجد وكذا الحائض والنفساء لحديث على رضى الله عنه عند الترمذى [(١)] أن النبى ﷺ كان يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا ، ولرواية أبى داود : « فإنى لا أحل المسجد لحائض ولا لجنبٍ » [(٢)] .

٣ ـ على المسلم أن يغتسل يوم الجمعة قبل الصلاة ؟ لقول الرسول ﷺ : « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » [(٣)] .

التيمم

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن العبد إذا وجب عليه الوضوء أو الغسل ولم يجد الماء لوضوئه أو غسله ، أو وجده ولم يقدر على استعماله لمرض ونحوه فإنه يتيمم ويصلى ، لقوله تعالى : ﴿ **وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم الغائط من أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا** ﴾ الآية [(٤)] .

وقول الرسول ﷺ فى رواية أحمد والترمذى الصحيحة : « إن الصعيد طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين » .

وكيفية التيمم هى :

أن تقول بسم الله ، وتضرب الأرض الطاهرة بيديك فتمسح بهما وجهك وكفيك لحديث البخارى أن النبى ﷺ قال لعمار بن ياسر رضى الله عنهما : « إنما كان يكفيك أن تفعل هكذا وضرب بكفيه الأرض ثم مسح بهما وجهه وكفيه إلى الرسغين » أى بدون الذراعين .

تنبيهات

١ ـ ينقض التيمم كل ما ينقض الوضوء ، وكذا وجود الماء قبل الدخول فى الصلاة لمن فقد الماء فتيمم وأراد الدخول فى الصلاة .

٢ ـ إذا تيمم العبد جاز له أن يصلى ما شاء من فرائض ونوافل ما لم يبطل تيممه بناقض من

---

(١) لقد صحح هذا الحديث الترمذى وغيره وضعفه بعض .

(٢) صحح هذا الحديث غير واحد من أئمة الحديث .

(٣) رواه الشيخان .　　　(٤) النساء : ٤٣ .

نواقضه ، وإن تيمم عند دخول كل صلاة من الصلوات الخمس فحسن .

الصلاة

اعلم ـ أخى المسلم ـ إن الصلاة التى تطهرت لها هى ذات كيفية خاصة لا تصح إلا عليها ، وهيئة لا تقبل إلا بها ،وذلك بأن تكون موافقة للكيفية والهيئة التى صلى عليها رسول الله ﷺ ، إذ قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » (١) .

وعلامة صحة صلاة العبد وقبولها أن نجده منتهيا عن الفحشاء بعيدا عن المنكر ، لأن الصلاة متى صحت وقبلت نهت صاحبها عن ذلك لقول الله تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ (٢) .

وهاك ـ أخى المسلم ـ بيان الكيفية المطلوبة للصلاة فتعلمها وصل على مثلها تزك نفسك ، وتكن أهلا لمرضاة ربك :

إذا أتيت مسجدك مطهرا لابسا ثيابك الطاهرة الساترة وقد دخل وقت الصلاة فأقم الصلاة قائلا الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد (٣) أن لا إله إلا الله أشهد ، أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، ثم قف مستقبل(٤) القبلة معتدلا جاعلا سترة (٥) بين يديك كجدار أو عمود أو نحو ذلك ، وارفع (٦)يديك حذو منكبيك مستحضرا فى نفسك (٧) الصلاة التى تريد أداءها ، قائلا : الله (٨) أكبر ، وضع يديك(٩) فوق صدرك الكف اليمنى فوق اليسرى ، وقل سبحانك(١٠) اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا

---

(١)رواه البخارى . (٢) العنكبوت : ٤٥ .

(٣) رواه مسلم أن النبى ﷺ أمر بلالا أن يشفع الآذان ويوتر الإقامة .

(٤) لرواية الشيخين أن النبى ﷺ قال : للمسئ صلاته : « إذا قمت للصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر » ... إلخ .

(٥) روى البخارى « إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها » .

(٦) لرواية البخارى أنه ﷺ كان يرفع يديه مع التكبير .

(٧) لحديث الصحيح : « إنما الأعمال بالنيات » .

(٨) لحديث أحمد والحاكم الصحيح : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

(٩) لحديث مسلم أنه ﷺ كان يضع يده اليمنى على يده اليسرى فى الصلاة .

(١٠) لحديث أبى داود والحاكم .

إله غيرك ، ثم استعذ [١] وبسمل سرا فى نفسك ، ثم اقرأ الفاتحة[٢] وسورة [٣] أو آيات جهرا إن كنت فى الصبح أو المغرب أو العشاء ، فإذا فرغت فاسكت[٤] هنيهة (وقتا قصيرا) ترد فيها نفسك ، ثم ارفع يديك حذو منكبيك ، واركع مكبرا ، فمكن يديك من ركبتيك ، ومد ظهرك فى اعتدال غير منكس[٥] رأسك ولا رافعه وقل سبحان ربى العظيم [٦] وبحمده سبع مرات أو خمسا أو ثلاثا ، ولا تنقص من الثلاث ، وإن قلت بعد ذلك سبحانك اللهم [٧] ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى مرة واحدة فحسن ، ثم ارفع رأسك قائلا سمع الله لمن حمده ، رافعا يديك حذو منكبيك حتى إذا اعتدلت قائما قلت : ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، ثم اسجد مكبرا فضع جبهتك وأنفك على الأرض ، وكذا كفيك وأطراف قدميك [٨] مجافيا أى مباعدا يديك عن جنبيك ، غير مفترش ذراعيك ، ثم سبح قائلا : سبحان ربى الأعلى وبحمده سبعا أو خمسا أو ثلاثا ولا تنقص من الثلاث ، ثم اسأل الله [٩] ما شئت من خير الدنيا والآخرة ، ثم ارفع رأسك مكبرا فاجلس مفترشا رجلك اليسرى [١٠] قاعدا عليها حتى تطمئن جالسا وتقول : رب اغفر لى وارحمنى [١١] واهدنى وعافنى وارزقنى ، ثم اسجد مثل سجودك الأول ، ثم انهض معتمدا على يديك إلى الركعة الثانية قائلا : الله أكبر حتى تستوى قائما ، ثم بسمل سرا واقرأ جهراً الفاتحة وسورة أقصر[١٢] من التى قرأت فى الركعة الأولى ، ثم اركع واسجد كما فعلت فى الركعة الأولى ، ثم اجلس للتشهد ، وقل : التحيات لله والصلوات [١٣] الطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ثم انهض مكبرا رافعا يديك [١٤] حذو منكبيك حتى تستوى قائما ، ثم بسمل واقرأ الفاتحة سرا ، ثم اركع واسجد كما فعلت سابقا ، ثم انهض مكبرا للركعة

---

(١) لحديث أبى داود .
(٢) لحديث البخارى : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .
(٣) لحديث البخارى .
(٤) لحديث صحيح .
(٥) لحديث أبى داود والحاكم الصحيح .
(٦) لحديث أبى داود .
(٧) لحديث أحمد وأبى داود .
(٨) لحديث البخارى .
(٩) لحديث البخارى
(١٠) لحديث البخارى .
(١١) لحديث الصحيحين .
(١٢) لحديث الصحيح .
(١٣) لحديث البخارى .
(١٤) لحديث الترمذى الصحيح .

الرابعة إن كنت تصلى رباعية على صدور قدميك (١) معتمدا بيديك على الأرض حتى تستوى قائما ، ثم بسمل واقرأ واركع واسجد كما فعلت فى الركعة السابقة ثم اجلس متوركا تفضى (٢) بوركك اليسرى إلى الأرض وتخرج قدميك من ناحية واحدة جاعلا اليسرى تحت فخذك وساقك ، ناصبا اليمنى ، ثم تلقم كفك اليسرى ركبتك اليسرى ، وتتشهد مادا سبابتك تحركها تشير(٣) بها ، فتقرأ التشهد كما سبق ، ثم تصلى على (٤) النبى ﷺ قائلا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . و تستعيذ بالله من أربع (٥) قائلا : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر المسيح الدجال ، ثم تدعو بما شئت من خير الدنيا والآخرة ، ثم تسلم عن يمينك قائلا : السلام عليكم(٦) ورحمة الله وتسلم عن يسارك كذلك ، وإن اكتفيت بتسليمة واحدة (٧) أجزأتك ، والتسليمتان أعظم أجرا ، ثم تقول بعد السلام : أستغفر الله (٨) ثلاثا ، وتقول : اللهم أنت السلام ومنك(٩) السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام ، وتقول : اللهم أعنى على ذكرك (١٠) وشكرك وحسن عبادتك وتقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى (١١) لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، وهو على كل شىء قدير ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، وتقول : سبحان (١٢) الله ثلاثا وثلاثين ، والحمد لله ثلاثا وثلاثين ، والله أكبر ثلاثا وثلاثين ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، مرة واحدة ، وتقرأ آية الكرسى (١٣) والصمد والمعوذتين ، وصل على النبى ﷺ ، وادع الله تعالى بما شئت من خير الدنيا والآخرة فإن الدعاء فى السجود وعقب الصلاة مرجو الإجابة .

---

(١) لحديث الصحيحين .
(٢) لحديث مسلم .
(٣) لحديث الصحيحين .
(٤) لحديث البخارى .
(٥) لحديث البخارى .
(٦) لحديث أبى داود والنسائى الصحيح .
(٧) لحديث الصحيح .
(٨) لحديث مسلم .
(٩) لحديث النسائى والترمذى وأبى داود .
(١٠) لحديث أحمد والحاكم والبيهقى الصحيح .
(١١) لحديث البخارى .
(١٢) لحديث الصحيحين .
(١٣) لحديث النسائى والطبرانى « من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » .

واعلم ـ أخى المسلم ـ أن هذه الأذكار الواردة بعد الصلوات الخمس ليست واجبة وإنما هى مستحبة ، فعلها رسول الله ﷺ ورغب فيها ، فاجتهد أن تأتى بها دبر كل صلاة مكتوبة فإنها من الباقيات الصالحات . وراع آدابها فأت بها سرا فى نفسك وأنت حاضر القلب ، خاشع الجوارح راغبا راهبا ، فإن ذلك أرجى لقبولها والإثابة عليها كأن يسهو عن التشهد الأوسط فلم يأت به ، فإنه إذا أتم صلاته وقبل أن يسلم يسجد سجدتين ثم يسلم .

تنبيهات

الأول : فى السهو فى الصلاة :

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن المصلى إذا سها فى صلاته وجب عليه أن يسجد سجدتين إرغاما للشيطان ، وذلك :

وكان يسهو فيسلم من ركعتين أو أقل أو أكثر ، ثم يتذكر فإنه يقوم فيكبر ويتم صلاته ، ثم إذا أتمها وسلم سجد سجدتين وتشهد وسلم .

وكان يسهو فلا يدرى أصلى ثلاثا فى الظهر مثلا ، أو أربعا فإنه يصلى الركعة التى شك فيها ، ثم يتشهد وقبل أن يسلم يسجد للسهو سجدتين ، ثم يسلم .

وكان يسهو فيقرأ فى الجهرية سرا فإنه يسجد قبل سلامه سجدتين ثم يسلم .

وكان يسهو فيقرأ فى السرية جهرا ، فإنه يسجد بعد السلام سجدتين ثم يتشهد ويسلم ، وهذا كله لقول الرسول ﷺ : « من شك فى صلاته فليسجد سجدتين بعدما يسلم » (١) ، ولسجوده صلى الله ﷺ غير مرة للسهو كما هو فى الصحيح .

الثانى : فى حكم المسبوق :

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن المسلم إذا أتى المسجد ووجد الصلاة قائمة لا يحل له أن يدخل فى صلاة نافلة سواء كانت سنة الفجر أو غيرها لقوله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » (٢) وإنما عليه أن يدخل فورا مع الإمام على أى حال وجده قائما أو

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة وصححه .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

راكعا أو ساجدا أو جالسا ، ويلغى تلك الركعة ولا يحسبها إلا إذا وجد الإمام قائما أو راكعا فركع معه بأن كبر تكبيرة الإحرام قائما معتدلا ، ثم كبر للركوع وركع مع الإمام لم يرفع رأسه فإنه يعد تلك الركعة ، لحديث الترمذى (١) : « إذا أتى أحدكم الصلاة والإمام على حال فليصنع كما يصنع الإمام » ، وحديث أبى داود : « إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجود فاسجدوا ولا تعدوها شيئا ومن أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة » .

ثم إذا قام لقضاء ما فاته يجعل ما أدركه مع الإمام أول صلاته ، ويتم ما فاته لحديث البخارى : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وأنتم تمشون ، وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » .

فمثلا من أدرك مع االإمام ركعة من الظهر فإنه يأتى بعد سلام الإمام بركعة يقرأ فيها الفاتحة والسورة ، ثم يجلس يتشهد ، ثم يقوم فيأتى بركعتين يقرأ فيما بالفاتحة فقط .

ومن أدرك اثنتين أتى بالركعتين (٢) بالفاتحة فقط ، وكذا من أدرك ثلاثا فإنه يأتى بالرابعة بالفاتحة فقط ، بناء على قوله ﷺ : « وما فاتكم فأتموا » .

الثالث : فى موقف الإمام والمأمومين وتسوية الصفوف :

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة لقوله ﷺ فى حديث مسلم ،« سووا صفوفكم ، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » .

وأن وقوف الإمام أولا ، ثم الرجال خلفه ، ثم الصبيان ، ثم النساء كذلك من إقامة الصلاة فلا يجوز أن يتقدم الإمام أحد من المأمومين ، ولا أن يتقدم الصبيان عن الرجال ، ولا النساء عن الصبيان أو الرجال لحديث البخارى أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « صليت أنا واليتيم فى بيتنا خلف النبى ﷺ وأمى خلفنا » .

وإن كان مع الإمام رجل واحد وقف الرجل على يمين الإمام لحديث أنس أيضا أن النبى ﷺ صلى به وبأمه أو خالته قال : فأقامنى عن يمينه ، وأقام المرأة خلفنا .

الرابع : فى مبطلات الصلاة :

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن الصلاة يبطلها أمور فكن على علم بها وهى : ـ

---

(١) حديث الترمذى ضعيف وقد تقوى بشواهد كبيرة وعليه العمل عند جماهير الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى اليوم .

(٢) قال الفقهاء رحمهم الله تعالى : من أدرك أقل من ركعة يقوم لأداء ما فاته مكبرا وكذا من أدرك ركعتين ، أما من أدرك غير ذلك فإنه يقوم بلا تكبير ، ولم أقف على سنة فى هذه المسألة غير أنها معقولة لمن تأملها .

١ ـ الأكل أو الشرب فمن أكل أو شرب وهو فى صلاته بطلت عليه لقوله ﷺ : « إن فى الصلاة لشغلا » متفق عليه .

٢ ـ الكلام ، فمن تكلم فى صلاته لغير إصلاحها بطلت عليه لقوله ﷺ فى حديث مسلم : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس » .

٣ ـ القهقهة فمن ضحك فى صلاته فقهقه بطلت عليه لقوله ﷺ فى حديث الطبرانى وسنده لا بأس به : « لا يقطع الصلاة الكشر ولكن يقطعها القهقهة » والكشر التبسم وفتح الفم بدون الصوت .

٤ ـ العمل الكثير فمن عمل عملا كثيرا وهو فى صلاته بطلت عليه ، أما العمل اليسير فإنه لا يبطلها إذ ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ صلى مرة بالناس فجاءت أمامه بنت ابنته زينب وهى صغيرة فتعلقت به فكان يحملها وهو قائم ، فإذا سجد وضعها ، ولم يبطل ذلك صلاته .

٥ ـ ترك ركن من أركان الصلاة فمن ترك ركنا من أركان صلاته بطلت عليه ، لقوله ﷺ للذى ترك الطمأنينة والاعتدال فى صلاته : « ارجع فصل فإنك لم تصل » فى الصحيح .

٦ ـ ذكر صلاة فائتة فمن دخل فى صلاة وتذكر أنه لم يصل التى قبلها بطلت عليه صلاته ، فليصل التى قبلها أولا ثم يصلى التى بعدها ، إذ ترتيب الصلوات الخمس فيما بينها واجب بالكتاب والسنة .

٧ ـ ذكر الحدث أو طروءة فمن دخل فى الصلاة وذكر أنه على غير وضوء أو انتقض وضوءه بطلت صلاته فليخرج منها وليتوضأ وليعد صلاته لقوله ﷺ فى الصحيح : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور » .

٨ ـ كشف العورة فمن صلى مكشوف العورة بطلت صلاته ، لقوله تعالى : ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ [1] وعورة الرجل ما بين سرته وركبتيه ، وعورة المرأة فيما عدا وجهها وكفيها ، لقوله ﷺ : « لا يقبل الله صلاة حائض بغير خمار » والخمار ثوب تخمر أى تغطى به رأسها وعنقها وجيوب درعها السابغ الذى يستربطون قدميها .

٩ ـ استدبار القبلة فمن استدبر القبلة وهو فى الصلاة بطلت صلاته لقوله تعالى : ﴿ **فول**

---

(١) الأعراف : ٣١ .

وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ (1) .

(فائدتان)

وأختم لكم ـ أخي المسلم ـ هذه الدراسة عن الطهارة والصلاة بذكر فائدتين عظيمتين ، إحداهما : تتعلق بالوضوء ، والأخرى : تتعلق بالصلاة فالتي تتعلق بالوضوء هي : أن من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء كما هو في صحيح مسلم ، وأن من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء من أمور الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ، كما في صحيح البخاري .

وأما التي تتعلق بالصلاة فهي : أن من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة زائدة على الفرائض والوتر بنى الله تعالى له بيتا في الجنة كما هو في صحيح مسلم .

وهذه الركعات قد ورد تعينها في عدة أحاديث صحيحة وهي ركعتان قبل الفجر ، وركعتان قبل الظهر ، وركعتان بعدها ، وركعتان قبل العصر ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء .

فاجتهد ـ أخي المسلم ـ في تحصيل هذا الفضل واحرص عليه من قبل أن يأتي يوم يكون خير ما يتمناه المرء أن يعود إلى الحياة الدنيا ليصلي ركعتين فيها ويموت .

وختاما : سلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

---

(1) البقرة : ١٤٤ .

التربية في الإسلام

كتبهـــا

أبو بكر الجزائرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد الناس أجمعين .

محمد المرسل رحمة للعالمين ، وآله وصحابته والتابعين .

أما بعد : أيها الإخوة والأبناء فإنى أحييكم جميعاً بتحية الإسلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأستعين الله تعالى فى محاضرتى إياكم بهذه الكلمة حول التربية فى الإسلام آملاً أن تجدوا فى كلمتى هذه موعظة وذكرى ، أو تحدث لكم علماً وفكراً .

ولنبدأ حديثى إليكم بشرح كلمة التربية وتعريفها ، فنقول : إن لفظ التربية مصدر ربى الشىء من الكائنات الحية كالإنسان والحيوان ، أو النامية كالشجر والنبات تربية ؛ إذا قام على تنشئته وتربيته ، أو إنمائه وإصلاحه حتى بلغ به غاية كماله .

وعليه فكل قائم على تربية إنسان أو حيوان أو شجر أو نبات لينمو ويصلح ويبلغ الكمال المتهيىء للوصول إليه ، بفطرته ، وحسب سنة الله تعالى فيه فهو مرب له ، والشىء المقام على إنمائه وإصلاحه مربى .

ومن هنا كانت التربية مطلقاً فنا خاصاً وعلماً مستقلاً له أصوله وقواعده ، فتربية الأشجار والنباتات على اختلافها وتباين منافعها وخواصها هى علم مستقل يعرف بعلم النبات ، والمشتغلون بذلك هم الفلاحون والمزارعون .

وكل فلاح ينتج بقدر خبرته ، وما يبذله من جهد وطاقة ، وما يصرفه لفلاحته من عناية ، وليس ذلك بخارج عن نظام السنن الكونية التى وضعها الخالق تعالى للإنبات والجنى والحصاد .

كما أن تربية الحيوان تختلف باختلاف أنواعه ، ولكل نوع منه طرق فى تربيته خاصة به ، ومربون مختصون ، والذى يعنينا فى هذا الموضوع ـ أيها الإخوة والأبناء ـ هو تربية الإنسان بصورة عامة ، والمسلم بصورة خاصة .

فالإنسان وهو كائن حى له فى الكمال وطلبه مجال واسع كبير ، قد هيىء بفطرته للوصول إليه ، والحصول عليه ، بيد أن ذلك متوقف على قوانين تربوية خاصة لايتم إلا عليها ، وتربية الكمال البشرى فى الإنسان تتناول منه أربعة جوانب هيئ : جسمه ، وعقله . وخلقه ، وروحه .

فتربية جسم الإنسان ليبلغ الكمال فى نمائه وبقائه تعتمد على إصلاح غذائه من طعام وشراب ، وعلى نقاء الهواء الذى يتنفس فيه وعلى المحافظة على جسمه بتجنيبه التغيرات الهوائية الشديدة من برد قارس ، وحر شديد ، ولذا كانت العناية بلباسه وسكنه ضرورية لنماء جسمه وبقائه صالحاً يؤدى وظائفه ، كما يعتمد فى تربية الجسم الإنسانى على أنواع من الرياضات البدنية المختلفة ذات الوسائل والطرق الخاصة ، والتى تؤدى بها ، وهى سهلة ميسرة تدرك بأدنى جهد ، وبأقل تكلفة والحمد للّه .

وأما تربية عقله ليكمل إدراك الإنسان ويصبح ذا قدرة كافية على الفهم والتذكر ، والتصور والتقدير للأمور ، وإصدار الأحكام الصحيحة على ما يعقله ويراه من المعقولات والمحسوسات فتتوقف على الدرس والتعليم ، والتجربة ، والملاحظة ، والنظر فى الكونيات والتأمل فيها ، إذ بذلك يكمل عقل الإنسان ، وتقوى مداركه وتسمو السمو اللائق به .

وأكثر ما ينفع فى هذه التربية العقل العلوم النافعة الصحيحة ، وأكبر ما يضر بها ، المعقولات الباطلة ، والخرافات الضالة والتصورات الفاسدة والعياذ باللّه تعالى .

وأما تربية خلقه فإن الأخلاق البشرية مفتقرة فى تربيتها وتنميتها وإصلاحها حتى تصبح أخلاقاً فاضلة كريمة إلى قوانين ضابطة وإلى مربين قادرين ، والأصل فى القوانين الأخلاقية أن لا تكون من وضع البشر الذين تزدحم عندهم الأغراض المادية ، وتتضارب فى نفوسهم الشهوات البهيمية ، وتتحكم فى أغلبهم الأهواء فتذلهم ، ولا يبقى لهم معها أدنى قسط من الإرادة والحرية والاختيار ، وإنما تكون تلك القوانين دائماً من وضع الشرائع السماوية الثابتة بالوحى الإلهى والنازلة به وتقرير الرسل لها ، وتمثيلها على مسرح الحياة الإنسانية .

هذه أيها الإخوة والأبناء ـ إشارة خفيفة خفية إلى تربية الإنسان فى جسمه وعقله وخلقه ، أما تربية روحه فإنها من أشد أنواع التربية صعوبة ، وأكثرها تعقيداً ، وأعظمها افتقاراً إلى قوانين خاصة بها ، وإلى مربين مختصين فيها ، لأن حاجات الروح ومتطلباتها

ليست ظاهـرة كحاجات الجسد ولا ميسـورة كحـاجات العقـل . إن الروح من أمـر اللّه ﴿ و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ [1] ، وما كان من أمر اللّه ، فما مدى تأثير الإنسان فيه ، أو تأثيره عليه .

إن للأرواح فى تربيتها قوانين ضابطة ، وسننا ثابتة ، كما هى فى الأجسام وسائر الحيوانات ، ومع خفاء الروح ، وعدم ظهوره فإن المقارنة بينه وبين الجسم ممكنة ، وإجراؤها كالتالى : فالجسم يطرأ عليه المرض بسبب المؤثرات الخارجية فيعتل ، ويداوى بالمناسب من الأدوية فيبرأ ويشفى بإذن اللّه تعالى ، والروح يطرأ عليه المرض كذلك بسبب المؤثرات الخارجية فيداوى بالمناسب من الأدوية الروحية التى هى العبادات الشرعية فيبرأ ويشفى بإذن اللّه تعالى .

الجسم إذا مرض تظهر عليه أعراض المرض من صفرة الوجه وشحوبته ، وضعف الجسم وهزاله ، فيعجز عن التفكير والقول ، والحركة والعمل .

والروح إذا مرض تظهر عليه كذلك أعراض مرضه ، كالسرقة والخيانة ، والكذب والنفاق ، وتعاطى المخدرات ، وارتكاب كبائر الإثم والفواحش .

والجسم يتلوث بالأوساخ والأدران فيغسل بالماء والصابون وأدوات التنظيف فيطهر وينظف ، والروح كذلك يتلوث بأوضار الذنوب والمعاصى كبيرها وصغيرها ، فيتطهر بالتوبة التى هى الإقلاع عن الذنب ، والاستغفار والندم ، وفعل الصالحات فيعود إليه صفاؤه وطهره ، ويظهر عليه ذلك كالجسم سواء بسواء .

وانطلاقاً من هذا المبدأ كان المصلحون ومازالوا يطالبون المسئولين فى أمة الإسلام بأن يعنوا بأرواح المواطنين كما يعنون بأجسامهم فإذا كانوا ينشئون المشافى ويزودونها بالمختصين من الأطباء ، وبأحسن الأدوية وأنجعها فإن عليهم أن ينشئوا كذلك المساجد ويزودوها بالعلماء الربانيين ، وبالكتب الشرعية القيمة النافعة ، وذلك فى كل قرية وحى من المدينة حفاظاً على أرواح المواطنين حتى لا تفتك بها الأمراض فتودى بحياتهم وتهلك !!!

إنهم لعنايتهم بأجساد مواطنيهم يعلنون من الوقت إلى الوقت عن أسبوع النظافة

---

(١) الإسراء : ٨٥ .

فيعبئون له الجهود الكبيرة ، والطاقات العديدة فيزيلون من المدن والقرى كل أثر للوسخ ، وكل مظهر غير لائق بجمال المدينة أو القرية كما يقولون ، كل ذلك للحفاظ على راحة المواطنين وسلامة أجسامهم .

ولم يشاءوا يوماً أن يقيموا أسبوعاً للنظافة الروحية ، ويعلنوا عنه ، ويحددوا موعده ، ويسخروا له الإذاعة والتلفاز ، والصحافة والخطباء ، والوعاظ ، والعلماء فيجمعوا النساء والرجال فى المساجد ، والأحواش ، والأحياء فى حملة قوية يكافحون فيها الأمراض الروحية من السفور والفجور ، والكذب والخيانة ، والشرك ومظاهره ، والمعاصى لله والرسول ﷺ وآثارها ، مهيبين بكل المواطنين أن أن يستقيموا على منهاج الإسلام فى عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وآدابهم وأخلاقهم فيقيموا الصلاة ، ويجتنبوا كل ما حرم الله .

إن أسبوعاً يقام فى السنة من هذا النوع يحفظ للمواطنين أرواحهم سنوات عدة من التلوث والأمراض الفتاكة التى تردى وتهلك الفرد والجماعة فى الدنيا والآخرة .

إن من الخطأ ـ أيها الإخوة والأبناء ـ أن تكرس الجهود للعناية بالأجسام وتهمل الأرواح فلا يلتفت إليها ، ولا تعطى أدنى قسط مما تحتاج إليه من العلاج والدواء ، إن الإنسان كما هو جسم هو أيضاً روح ، وأن الجانب الروحى فيه هو الأصل ، وهو الذى يخلد سعيداً أو شقياً ، أما الجسم فإن مآله الفناء والتلاشى والاضمحلال ، شأنه شأن هذه المادة التى مصيرها الفناء والزوال .

فهلا يعى هذا ويفهمه المسؤولون عن المسلمين من أمراء وعلماء فى ديار الإسلام !!

وبعد : فهذه كلمة عامة قدمتها بين يدى حديثى عن التربية فى الإسلام لأقول : إن التربية فى الإسلام لها مكانة خاصة بين شرائعه وأحكامه حتى أنها لتنزل فى الذروة من ذلك فلا يعلوها شىء ، وإن قال أمرؤ : إن ذروة سنام الإسلام الجهاد ، فأين مكان التربية إذا ؟ قلنا : إن الجهاد فى الإسلام نوع من التربية الروحية والبدنية معاً ، بل هو أحد طرقها النافعة ذات الأثر الكبير على الأرواح تهذيباً وتزكية وإصلاحاً .

وما هذا الهبوط الذى أصاب غالب المسلمين اليوم فى العقائد والأخلاق والسلوك الخاص والعام الفردى والجماعى إلا نتيجة طبيعية لترك المسلمين هذا النوع من التربية ، ألا وهو التربية بالجهاد فى سبيل الله تعالى .

إنى لا أشك أبداً فى أن هذا التكالب على الدنيا ، وهذا الإقبال على سفاسف الأمور ، وهذا الانغماس فى الرذائل والشهوات بهذه الصورة المفزعة بين المسلمين اليوم وقبل اليوم ، ومنذ أن وضع علم الجهاد فى سبيل اللّه تعالى لم تكن إلا نتيجة حتمية لترك فريضة الجهاد التى هى أحد فرائض الإسلام وواجباته الضرورية ، من أجل أن يكون الدين كله للّه .

هذا ـ أيها الإخوة والأبناء ـ وإن التربية فى الإسلام للتتناول من الفرد المسلم بدنه ، وعقله ، وخلقه ، وروحه ـ وهى أربعة جوانب تكون وحدتين الأولى الجسم والعقل ، والثانية الخلق والروح ، وبين جزئى كل وحدة ارتباط وثيق ، فالعقل لا يكمل بدون كمال الجسم ، ولا ينمو إلا بنمائه فكلما تقدمت سن الطفل تقدم نماء العقل كذلك حتى ينضج العقل مع بلوغ الجسم كماله ، وإذا عاد الجسم بسبب الكبر إلى الضعف عاد العقل كذلك إلى الضعف حتى الخرف [1] ، وهو الرجوع إلى أرذل العمر ، الذى استعاذ منه الرسول ﷺ فقال : (اللهم إنى أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر) ، والمقصود من هذا أن بين العقل والجسم ارتباطاً واضحاً ، كما أن بين الخلق والروح وهى الوحدة الثانية ارتباطاً وثيقاً ، بيد أنه يخفى على كثير من الناس ، ووجهه : أن الخلق عرض من أعراض الروح فإذا كان الروح سليماً كان الخلق سليماً ، وإذا كان الروح مريضاً كانت الأخلاق كذلك ، فالخلق مرآة تنعكس عليها صورة الروح البشرى ، وتجلى فيها ، وبهذا كان الارتباط بين الروح والخلق كاملاً ووثيقاً أيضاً .

ومن هنا كانت التربية فى الإسلام تتناول الجوانب الأربعة فى المسلم كوحدة واحدة متكاملة لا يسمح بتجزئتها وتفكيكها ، إذ من مجموعها يتكون الفرد المسلم المتأهل للخلافة فى ملكوت الأرض ، والخلد بعد الموت فى ملكوت السماء .

والسؤال الآن ـ أيها الإخوة والأبناء ـ هو هل فى استطاعتنا التدليل على صحة ما قلناه وجزمنا به من أن التربية فى الإسلام تتناول من الفرد جسمه ، وعقله ، وخلقه ، وروحه ؟ وللإجابة عن هذا السؤال نستمع إلى نصوص الكتاب والسنة وهى تثبت ذلك وتقرره ، ففى تربية الجسم تقول : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** ﴾ [2] وظاهر أن إرضاع الولد تربية لجسمه بما يغذى به من اللبن ، وبعد فطام الطفل واحتياجه إلى الطعام يتعين على الوالدين الإنفاق على ولدهما بما يحفظ جسمه حياً نامياً من طعام

---

(١) الخرف : فساد العقل من الكبر .　　(٢) البقرة : ٢٣٣ .

وشراب ، وكساء إلى سن بلوغه ، وفى الحديث « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول » ، وفى القرآن الكريم : ﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً** ﴾ (١) ، وهى نصوص قطعية فى وجوب تربية الوالدين لولدهما جسمانياً ، وبما أن الجسم والعقل بينهما ارتباط وثيق كما قدمنا ، إذ نماء العقل تابع لنماء الجسم ، فإن كل عناية بالجسم هى عناية بالعقل ، وأن تربية أحدهما هى تربية للآخر ، ومن هنا نجد أن الإسلام كما حرم كل ما يضر بالجسم من السموم وغيرها حرم كل ما يضر بالعقل كالخمر والمخدرات ، والشرك والسحر والخرافات ، وكل ما يفسد العقل أو يضله ، وما ذاك إلا للعناية بتربية العقل والمحافظة عليه بوصفه جانباً مهماً فى بناء الفرد المسلم الذى هو لبنة فى بناء المجتمع الإسلامى .

أما تربية الخلق فى الإسلام فإن حظها أوفر ، والعناية بها فى شريعة الإسلام أكبر .

وحسبنا شواهد على ذلك ثناء اللّه تعالى على رسوله بحسن خلقه فى قوله : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (٢) ، وأمره إياه بمحاسن الأخلاق بقوله : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ (٣) ، وبقوله : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾ (٤) ، وكما أن قوله تعالى فى بيان أهل الجنة : ﴿ **الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس واللّه يحب المحسنين** ﴾ (٥) . إشادة بالأخلاق الفاضلة وتكريم لها بل ودعوة إلى تربيتها ، هذا فى الكتاب ، أما فى السنة فحسبنا من ذلك قوله ﷺ : « البر حسن الخلق » و أن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة بل صرح الرسول ﷺ فى هذا الباب بما هو أعظم مما ذكرناه إذا قال : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق أو مكارمها » ، فجعل الغاية من بعثته عليه الصلاة والسلام إتمام مكارم الأخلاق ، هذا وبما أن بين الروح والخلق ارتباطاً قوياً كما أسلفنا فإن العناية بتربية الخلق هى نفسها العناية بتربية الروح ، وأن أى كمال فى الروح أو نقص فيه ينعكس على الخلق قطعاً ، يضاف إلى ذلك أن سائر الوظائف التعبدية المشروعة فى الإسلام ومن سائر العبادات والقربات كالصلاة ، والصدقة ، والصوم ، والحج ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والإيمان والجهاد ، ما شرعت إلا لتربية الروح البشرى وتزكيته وتطهيره ، إعداداً له للكمال الدنيوى والأخروى ، وتلك الغاية من التربية فى الإسلام .

---

(١) الإسراء : ٢٤ . (٢) القلم : ٤ . (٣) الأعراف : ١٩٩ .
(٤) فصلت : ٣٤ . (٥) آل عمران : ١٣٤ .

من هنا كانت التربية فى الإسلام واجباً ضرورياً يحرم إسقاطه ، ويعاقب على تركه فى الدنيا والآخرة ، إذ يسر الدين تربية الإنسان .

ليبلغ الكمال البشرى المهيأ له فى جسمه وعقله وخلقه وروحه ، ويلحظ هذا بوضوح فى كون عناصر الدين التى يتكون منها هى العقيدة والعبادة ، والخلق و المعاملة ، فالقيام بهذه المبادىء الأربعة يتيح للإنسان أكبر فرصة لتربية جسمه وعقله وخلقه وروحه ، وما زكى من زكى من المسلمين ، ولا كمل من كمل منهم إلا بالأخذ بهذه المبادىء الإسلامية وتطبيقها على الوجه المطلوب ، ولا أحسب أن أحداً من المسلمين الواعين ينكر هذا أو يجهله ، وليس أدل على ما قررناه من قوله تعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ (١) ، فما التزكية المذكورة فى الخطاب إلا التربية الروحية والخلقية ، كما أن تعليم الكتاب والحكمة ما هو إلا تربية عقلية ، إذ الروح يزكو بالعبادات وبمكارم الأخلاق ، والخلق يفضل ويشرف بانعكاس أنوار القلب عليه ، تلك الأنوار القلبية الحاصلة من أداء العبادات واستعمال مكارم الأخلاق ، كما أن تعلم الكتاب والسنة أى الحكمة سبيل قويم ، وطريق تربوى عظيم فى إصلاح العقول والأجسام وتنميتها وتكميلها ، إذ من المعترف به لدى كل العالمين أن العقول تروض على أنواع المعارف وفنون العلوم النافعة حتى تبلغ الكمال فى ذلك ، كما أن رياضة الأجسام وتربيتها لتنمو وتصلح وتكمل لاتتم إلا على طريق العلم والمعرفة .

إن مبادىء علم الصحة وأولياتها بل ونهاياتها جاءت كلها فى بعض آية واحدة من كتاب الإسلام القرآن الكريم .

وفى خبر واحد من سنة نبى الإسلام محمد ﷺ فالآية هى قوله تعالى من سورة الأعراف : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ (٢) ، والخبر هو قوله ﷺ فمن جامع الترمذى : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فاعلاً ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

والمقصود من هذا ــ أيها الإخوة والأبناء ــ إن التربية فى الإسلام واجبة ، وأن كمال الإنسان وإسعاده متوقفان على التربية ، وأن الإسلام قد وضع للتربية من الأسس والقواعد مالا يحتاج المرء المسلم معه إلى غيره أبداً ، وعلى سبيل المثال نذكر قول الرسول ﷺ :

---

(١) الجمعة : ٢ .　　(٢) الأعراف : ٣١ .

« مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » ، وقول عمر رضى الله عنه : لاعب ابنك سبعاً ، وأدبه سبعاً ، وصاحبه سبعاً ، وقوله : من حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والقراءة والسباحة والرماية ، وأن لا يرزقه إلا حلالاً طيباً . كما نذكر قول الله تعالى من سورة لقمان : ﴿ **يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ (١) ، ونذكر بآيات الحكمة من سورة الإسراء من قوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ (٢) إلى قوله : ﴿ **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة** ﴾ (٣) . لندلل على صحة ما قلناه من أن الإسلام قد وضع منهجاً متكاملاً للتربية الكاملة التى تشمل الأجسام والعقول والأخلاق والأرواح ، بما لم يوجد له نظير فى الأديان السابقة ولا فى الأنظمة البشرية الحاضرة .

وإذا كان الإسلام قد أوجب التربية على المسلمين ووضع لها مناهجها فإنه لم يغفل جانب المربين ، فقد عنى أكبر عناية برجال التربية فحث على احترامهم وحض على تقديرهم ، وأوجب طاعتهم ، وفرض محبتهم ، وشاهد ذلك ما فرض الله تعالى على المسلم من الإيمان بالنبى ﷺ ، ومحبته وطاعته ، إذ هو أول المربين فى هذه الأمة وأكملهم على الإطلاق ، ولا يكمل أحد ولا يسعد أبداً إلا على الإيمان به ومحبته وطاعته .

والآن ـ أيها الإخوة والأبناء ـ وقد عرفنا أن الإسلام أوجب التربية ووضع لها منهجها الكامل ، كما عرفنا من قبل أن سعادة المسلم وكماله متوقفان على تربيته ، فما نصيب المسلمين اليوم من هذه التربية ؟ إنه لا شىء يذكر ، وإن بحثنا عن سر هذا الحرمان الذى أصبحت أمة الإسلام معه كما قال القائل :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

وجدناه يتمثل بحق فى انعدام رجال التربية الأكفاء الصالحين بين المسلمين .

إن الحلقة المفقودة فى حياة المسلمين اليوم هى انعدام المربين القادرين فيها ، مع أن وجودهم ضرورى لكمال الأمة وسعادتها ، ولا أخالكم تعللون التدهور الأخلاقى ، والعقلى والروحى ، الذى حل بأمة الإسلام ، وأصبح ظاهرة واضحة فى حياتها ، إلا بعلة فقدها المربين منذ زمن طويل ، ومما يزيد فى المحنة ويضاعف الألم أن الأمة الإسلامية

---

(١) لقمان : ١٧ ـ ١٩ . (٢) الإسراء : ٢٣ . (٣) الإسراء : ٣٩ .

لطول ما فقدت التربية الصحيحة قد فقدت أيضاً الاستعداد النفسى لقبول التربية كذلك ، إنه لا فائدة من وجود الدواء والأطباء إذا كان المريض يرفض التداوى ويأباه .

ومن هنا كان الخطر جسيماً ، وكان إنقاذ المسلمين مما هم فيه من فساد فى كل جوانب الحياة الإسلامية صعباً شديد الصعوبة ، غير أن اليأس يجب أن لا يسمح له بأن يصل إلى القلوب ، وعلى المفكرين أن يبحثوا عن طريق يسلكونه لوجود المربين ، ولتهيئة الأمة لقبول التربية .

وأن الخطوات الأولى فى ذلك هى إيجاد شعور بين المسلمين بالحاجة إلى التربية الإسلامية ، فإذا وجد هذا الشعور قوياً وعاماً بين كل أفراد المسلمين أمكن أمة الإسلام أن تبحث عن المربين الصالحين ، وأن تضع نفسها بين أيديهم ليربوها حتى تبلغ الكمال المنشود لها ، والمتطلعة هى إليه .

وذلك من صفاء الروح ، ووافر الكرامة ، وعظيم القوة ، وقيادة البشر وهدايتهم .

ولعل خير من يقوم بإيجاد هذا الشعور فى الأمة وتعميمه بين سائر أفرادها وفى كل بلادها هم طلبة العلم من علماء منتهين ، ومتعلمين مبتدئين ، وأولى من يسبق إلى هذا الميدان ويرمى بجواد عزمه فيه هم علماء الجامعة الإسلامية بهذه المدينة النبوية وطلابها ، وهم يمثلون الأمة الإسلامية جمعاء والعالم الإسلامى أجمع .

وأخيراً ــ أيها الإخوة والأبناء ــ وبعد تقرير هذه الحقيقة المرة وهى عدم وجود مربين لأمة الإسلام فى هذه الأيام ، وعدم وجود الاستعداد الكافى فى الأمة لقبول التربية الإسلامية وهى حقيقة جد مؤلمة ، فإنى كعادتى لا أبخل على أمة الإسلام بآرائى وإن كانت ضعيفة ، ولا أضن عليها بجهودى وإن كانت ضئيلة خفيفة ، فأتقدم واضعاً بين يديها طريقتين لتربيتها جماعية ، وفردية فلتختر أيهما ترى أجدى لها وأنفع .

فالجماعة هى : أن يتعاون أهل كل حى من أحياء المدن ، وأهل كل قرية من القرى ، على إنشاء مسجد جامع كبير يتسع لكل أفراد الحى أو القرية ثم يطلبون له عالماً بالكتاب والسنة ، ومقتدياً بسلف الأمة ، ويسندون إليه أمر تعليمهم وتربيتهم عقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ، ويعاهدونه على السمع له والطاعة ، كى يمكنوه من صلاحهم وتربيتهم ، وعليهم أن يفوا له بذلك وفاء تاماً غير منقوص . فيجتمعون له فى مسجدهم الجامع كل يوم بين العشائين لا يتخلف منهم أحد إلا لعذر سفر أو مرض أو خوف . فيعلمهم الكتاب

والسنة ويزكيهم بالآداب والأخلاق الإسلامية ، وهكذا يستمر في تعليمهم وتربيتهم يتدرج بهم حتى يتعلموا ويكملوا في عقولهم وأخلاقهم ويسموا بأرواحهم ، وحتى يعمهم الطهر والصفاء ، وتظهر قوتهم وترتفع كرامتهم وتعود إليهم سيادتهم وقيادتهم .

وهذه الطريقة هي عين الطريقة النبوية التي سلكها رسول الله ﷺ بأصحابه مدة حياته ، وفي أيام الاضطهاد بمكة اتخذ فداه أبي وأمي ونفسي دار الأرقم بن أبي الأرقم مجلساً له ولأصحابه يعلمهم ما يوحى إليه من الكتاب ويربيهم على الفضائل والكمالات النفسية وهذا معنى التزكية في قوله تعالى : ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** ﴾ (1) ، ولما انتقل إلى المدينة مهاجراً نزل بجنوبها في ديار بني عمرو بن عوف من قباء فكان أول عمل قام به للإصلاح بناء قباء ، فجمع المؤمنين من أهل ذلك الحي فيه وأخذ يعلمهم ويربيهم ، ولما دخل المدينة ونزل بها كان أول عمل قام به أيضاً بناء مسجده الذي شارك في بنائه بالتخطيط له ، والعمل اليدوي فيه ، لقد كان ينقل الحجارة بيديه الكريمتين الشريفتين ويقول : (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة) ، ولما تم بناؤه في بضعة أيام جمع فيه المؤمنين من الأنصار والمهاجرين يصلي بهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وما هي إلا شهور ولا أقول أعوام وإذا رجال ونساء يتخرجون في المسجد من خير رجال ونساء العالم إيماناً وتقوى وعلماً وحكمة ، سياسة وكياسة . في القضاء هم أعدل أهله ، وفي الحرب هم أبطالها ، وفي السياسة أولئك دهاقنتها ، وفي الآداب والأخلاق والكمالات النفسية أنهم مضرب أمثالها .

وعنه فداه أبي وأمي ونفسي أخذ هذه الطريقة التربوية الرشيدة الحكيمة أصحابه رضوان الله عليهم فكانوا نماذج كمال في التربية البشرية فربوا الأمم والشعوب التي فتحوا بلادها ونزلوا ديارها في الشرق والغرب ، فتخرج في المساجد الجامعة رجال ونساء لا يحصون كثرة ـ كانوا أمثلة حية للكمال البشري بين الناس ، فازدهرت بهم الحياة ، وشرفت بهم البشرية ورأت الدنيا في أيامهم من الطهر والصفاء والكرامة والعزة القعساء ، ما لم تره في عمرها الطويل على تداول دولها ، واختلاف أجيالها ، ولما مات أولئك المربون أقفرت الحياة وأصابها الظلام ، وحل بها الخراب والدمار ، فبكائي على أولئك الماضين ، ونحيبي على أولئك السالفين !!!

هذا ـ أيها الإخوة والأبناء ـ وإني لعلى يقين كامل أنه ما من مجموعة من المسلمين

---

(1) البقرة : ١٢٩ .

فى أى دار من ديار المسلمين تؤمن بالله صادق الإيمان ، وتتوكل عليه حق التكلان ، وتسلك هذا السبيل الذى وضحت فى تعليمها وتربيتها ، فتبنى المسجد الجامع ، وتطلب له المربى العليم الحكيم المهتدى بهدى سلف الأمة الصالحين ، وتعهد إليه بتربية نفسها وتعليمها ، وتعاهده على ذلك وتسمع له وتطيع ، إلا حصل لها من الخير والكمال فى كل مجالات حياتها ما حصل نظيره للسالفين الأولين من صدر هذه الأمة الصالح .

ورحم الله إمام دار الهجرة مالك بن أنس إذ قال : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

كانت تلك الطريقة التربوية الجماعية أيها الإخوة والأبناء ، أما الطريقة التربوية الفردية ، فإنها وإن كانت نافعة بإذن الله محققة للكمال الروحى للفرد المسلم غير أنى أرى أنه لا يصار إليها إلا عند تعذر وجود الطريقة الجماعية التى أسلفنا ذكرها وذلك لعموم نفع تلك ، وخصوص نفع هذه ، وتقديم النفع على الخاص مذهب العقلاء فى هذه الحياة .

والطريقة هى : أن الفرد المسلم المريد تزكية نفسه وتكميلها لتكون أهلاً للكرامة والسعادة فى الدنيا والآخرة ، إما أن يكون ذا علم بالكتاب والسنة وسيرة الرسول ﷺ ، وسلف هذه الأمة الصالح ، وإما أن يكون أمياً لا علم له بذلك ، فإن كان الأول وهو العالم بالكتاب والسنة وسيرة صالحى هذه الأمة فإن عليه أن يخطو فى تربية نفسه الخطوتين التاليتين :

الأولى : أن يلزم نفسه وإن كانت كارهة بالقيام بالفرائض الدينية والنهوض بالواجبات الشرعية ، كما يلزمها فوراً بترك كل منهى لله ورسوله ، وسواء فى ذلك ما يتعلق بالقلب ، أو الجوارح ، وليأخذها فى الفعل والترك بالقوة والحزم ، حتى يحصل لها ملكة التقوى فى بضعة أيام . ثم يأخذ فى رياضتها على فعل نوافل العبادات المختلفة من صلاة وصيام وصدقة وغيرها ، وعلى التحلى بمكارم الأخلاق والتجمل برفيع الآداب ، يوالى ذلك لها ويواصله معها ، وهى تترقى فى درج الطهر والكمال إلى أن تبلغ الكمال المنشود لها فتتأهل لولاية الله تعالى وكرامته ، وهى الغاية المطلوبة من التربية الإسلامية .

والخطوة الثانية : هى أن على هذا الفرد المسلم المريد لتربية نفسه أن يبحث على عبد صالح عالم بالكتاب والسنة وسيرة سلف هذه الأمة ، بصير بعيوب النفس ، خبير بأحوالها ، وإن قل عنه درجة فى العلم والحال ويطلب منه بحكم الأخوة الإسلامية نصرته على نفسه ، وإعانته على تربيتها ، وتصفيتها ، ويتعهد له بالطاعة الكاملة والمتابعة التامة فى كل

ما يأمره به ، ويرشده إليه ، والصبر على ذلك كما فعل موسى بنى إسرائيل عليه السلام مع عبد الله الخضر عليه السلام إذا قال موسى عليه السلام للخضر : ﴿ **هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا** ﴾ ؟ (١) . فقال له الخضر : ﴿ **إنك لن تستطيع معى صبرا** ﴾ (٢) ، رد موسى قائلاً : ﴿ **ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً** ﴾ (٣) . فلننظر كيف طلب موسى العلم والتربية مع كماله فى ذلك .

وكيف تلطف فى عرض نفسه على المربى : ﴿ **هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً** ﴾ ؟ (٤) .

وكيف التزم بالطاعة فى كل أمر يأمره به مربيه ، وإن كان شاقاً على النفس غير محبوب لها ، ولا مرغوب .

وكيف تعهد له بالصبر على تقبل ما تقتضيه التربية من خفض المربى ورفع مربيه عليه ، ومن الحرمان الكثير من متطلبات النفس ومبتغياتها ، أثناء التربية والتعليم .

ولا بأس أن يكتب هذا المريد بمراده عهداً يقول فيه : بعد الديباجة يا أخى إنى أردت أن أستعين بالله ربى ، ثم بك على تربية نفسى وتهذيب خلقى ، وتكميل عقلى . فها أنذا بين يديك ، حالى مكشوفة لديك ، أسألك بالله ربى وربك ما رأيت فى نقصاً إلا أمرتني بإكماله ، ومنعتنى من إهماله ، ولا أبصرت بى عيباً إلا بصرتنى به ، وساعدتنى على إصلاحه ، لقد عاهدتك على طاعتك وعدم معصيتك (فخذ بيدى أخذ الله بيدك ، واحتسب أجرك على الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا الملزم به نفسه فلان . .) ؟

وأخيراً أيها الإخوة والأبناء ــ لقد حاضرتكم ، وقلت كلمتى بينكم . فهل من أثر ــ وإن قل تركته فيكم ، إن كان فذاك غاية مرادى ، وإن لم يكن فحسبى أنى محصت النصح ، وأخلصت القول بيد أن كلمتى على قلة بيانها ، وكثرة إيجازها واختصارها لا أحسبها قصرت دون الوصول إلى قلوب الأبناء ولا أظنها نبت على أذهان أكثر الأحباء ، فلذا فإن أثرها بإذن الله مأمول الحصول وأجرها بمن الله تعالى مرجو الوصول .

وأشكركم إخوانى وأبنائى على استماعكم وحسن إصغائكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بالجامعة الإسلامية .

(١ ــ ٤) الكهف : ٦٦ ــ ٦٩ .

هذه نصيحتي

إلى كل أخ شيعي

كتبها

أبو بكر الجزائري

الإهداء

إلى كل أخ شيعى

حر الضمير ، والفكر ، محب للحق والخير يرغب فى العلم والمعرفة .

أهدى هذه الكلمة القصيرة ، ولا آمل منه أكثر من أن يقرأها معتقدا أنى قدمت له فيها نصيحة كما اعتقدت أنا ذلك .

والســـــلام

الجزائرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وآله وصحبه .

وبعد : فإني كنت ـ والحق يقال ـ لا أعرف عن إخواننا شيعة آل البيت إلا أنهم جماعة من المسلمين يغالون في حب آل البيت ، وينتصرون لهم : وأنهم يخالفون أهل السنة في بعض الفروع الشرعية بتأولات قريبة أو بعيدة ولذلك كنت امتعض كثيرا بل أتألم لتفسيق بعض الإخوان لهم ، ورميهم أحيانا بما يخرجهم من دائرة الإسلام ، غير أن الأمر لم يدم طويلا حتى أشار على أحد الإخوان بالنظر في كتاب هذه الجماعة لاستخلاص الحكم الصحيح عليها ، ووقع الاختيار على كتاب (الكافي) وهو عمدة القوم في إثبات مذهبهم وطالعته وخرجت منه بحقائق علمية جعلتني أعذر من كان يخطئني في عطفي على القوم ، وينكر على ميلي إلى مد آرائهم رجاء زوال بعض الجفوة التي لا شك في وجودها بين أهل السنة وهذه الفئة التي تنتسب إلى الإسلام بحق أو بباطل ، وها أنذا أورد تلك الحقائق المستخلصة من أهم كتاب تعتمد عليه الشيعة في إثبات مذهبها ، وأني لأهيب بكل أخ شيعي أن يتأمل هذه الحقائق بإخلاص وإنصاف ، وأن يصدر حكمه بعد ذلك على مذهبه ، وعلى نسبته إليه ، فإن كان الحكم قاضياً بصحة هذا المذهب ، وسلامة النسبة إليه أقام الأخ على مذهبه واستمر عليه ، وإن كان الحكم قاضيا ببطلان هذا المذهب وفساده ، وقبح النسبة إليه وجب على الأخ نصحا لنفسه وطلبا لمنجاتها أن يتركه ويتبرأ منه وليسعه ما وسع ملايين المسلمين كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

كما أني أعيذ بالله تعالى كل أخ يتبين له الحق ثم يصر على الباطل جمودا وتقليدا أو عصبية شعوبية أو حفاظاً على منفعة دنيوية فيعيش غاشا لنفسه سالكا معها مسلك النفاق والخداع ، فتنة لأولاده وإخوانه ولأجيال تأتي من بعده يصرفهم عن الحق بباطله ويبعدهم عن السنة ببدعته ، وعن الإسلام الصحيح بمذهبه القبيح .

وهاك أيها الأخ الشيعي هذه الحقائق العلمية التي هي أصل مذهبك ، وقواعد نحلتك

كما وضعتها لك ولأجيال خلت من قبلك يد الإجرام الماكرة ، ونفوس الشر الفاجرة لتبعدك وقومك عن الإسلام باسم الإسلام وعن الحق باسم الحق ، :

ها كها يا أخ سبعا من الحقائق تضمنها كتاب (الكافى) الذى هو عمدة مذهبك ، ومصدر شيعتك ، فأجل فيها النظر ، واعمل فيها الفكر واسأل الله تعالى أن يريك فيها الحق كما هو الحق ، وأن يعينك على انتحاله ويقدرك على احتماله .

إنه لا إله إلا هو ، ولا قادر سواه .

الحقيقة الأولى

استغناء آل البيت وشيعتهم عن القرآن الكريم بما عند آل البيت من الكتب الإلهية الأولى التي هى التوراة والزبور والإنجيل

إن الذى يثبت هذه الحقيقة ويؤكدها ، ويلزمك أيها الأخ الشيعى بها هو ما جاء فى كتاب (السكانى) من قول المؤلف « باب » [1] أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التى نزلت من الله عز وجل وأنهم يعرفونها كلها على اختلاف ألسنتها ، مستدلا على ذلك حديثين يرفعهما إلى أبى عبد الله وأنه كان يقرأ الإنجيل والتوراة والزبور بالسريانية.

وقصد المؤلف من وراء هذا معروف وهو : أن آل البيت وشيعتهم تبع لهم يمكنهم الاستغناء عن القرآن الكريم بما يعلمون من كتب الأولين .

وهذه خطوة عظيمة فى فصل الشيعة عن الإسلام والمسلمين ، إذ ما من شك فى أن من اعتقد الاستغناء عن القرآن الكريم بأى وجه من الوجوه فقد خرج من الإسلام ، وانسلخ من جماعة المسلمين ، أليس من الرغبة عن القرآن الذى يربط الأمة الإسلامية بعقائده ، وأحكامه ، وآدابه فيجعلها أمة واحدة أليس من الرغبة عنه دراسة الكتب المحرفة المنسوخة والعناية بها ، والعمل بما فيها ؟

وهل إلا رغبة عن القرآن لا تعد مروقا من الإسلام وكفرا ؟ وكيف تجوز قراءة تلك الكتب المنسوخة المحرفة والرسول ﷺ يرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى يده ورقة من التوراة فينتهره قائلاً : « ألم ءاتيكم بها بيضاء نقية » ؟ !

إذا كان الرسول ﷺ ، لم يرض لعمر مجرد النظر فى تلك الورقة من التوراة فهل

---

(١) جـ ١ كتاب الحجة ص ٢٠٧ الكافى .

يعقل أن أحدا من آل البيت الطاهرين يجمع كل الكُتب القديمة ويقبل عليها يدرسها بألسنتها المختلفة ، ولماذا الحاجة إليها أم لأمر ما يريده منها ؟

اللهم إنه لاذا ، ولا ذاك وإنما هو افتراء المبطلين على آل البيت بيت رسول رب العالمين من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين .

وأخيرا فإن الذى ينبغى أن يعرفه الأخ الشيعى هو أن اعتقاد الاستغناء عن القرآن الكريم الكتاب الذى حفظه الله فى صدور المسلمين وهو الآن بين أيديهم لم تنقص منه كلمة ، ولم تزد فيه أخرى ولا يمكن ذلك أبدا لأن الله تعالى تعهد بحفظه فى قوله : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (١) وهو كما نزل به جبريل الأمين على قلب سيد المرسلين ، وكما قرأه رسول الله ﷺ ، وقرأه عنه آلاف وقرأه من بعدهم من ملايين المسلمين متواتراً إلى يومنا هذا .

إن اعتقاد امرىء الاستغناء عنه أو عن بعضه بأى حال من الأحوال هو ردة عن الإسلام ومروق منه لا يبقيان لصاحبها نسبة إلى الإسلام ، ولا إلى المسلمين .

الحقيقة الثانية

اعتقاد أن القرآن الكريم لم يجمعه ولم يحفظه أحد من أصحاب النبى ﷺ ، إلا على والأئمة من آل البيت

هذا الاعتقاد أثبته صاحب كتاب (الكافى) جازما مستدلا عليه بقوله عن جابر قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ما أدعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما نزل إلا على بن أبى طالب والأئمة من بعده .

والآن فاعلم أيها الأخ الشيعى هدانى الله وإياك لدينه الحق وصراطه المستقيم ، إن اعتقادا كهذا وهو عدم وجود من جمع القرآن وحفظه من المسلمين إلا الأئمة من آل البيت اعتقاد فاسد وباطل القصد منه عند واضعه هو تكفيرالمسلمين من غير آل البيت

---

(١) جـ ١ كتاب الحجة ص ٢٨ الكافى .

(١) الحجر : ٩ .

وشيعتهم ، وكفى بذلك فسادا وباطلا وشرا والعياذ بالله تعالى وإليك بيان ذلك :

١ ـ تكذيب كل من ادعى حفظ كتاب الله وجمعه فى صدره أو فى مصحفه كعثمان ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن مسعود وغيرهم من مئات أصحاب رسول الله ﷺ وتكذيبهم يقتضى فجورهم وإسقاط عدالتهم ، وهذا ما لا يقوله أهل البيت الطاهرون ، وإنما يقوله أعداء الإسلام وخصوم المسلمين للفتنة والتفريق .

٢ ـ ضلال عامة المسلمين ما عدا شيعة آل البيت ، وذلك أن من عمل ببعض القرآن دون البعض لا شك فى كفره وضلاله ، لأنه لم يعبد الله تعالى بكل ما شرع ، إذ من المحتمل أن يكون بعض القرآن الذى لم يحصل عليه المسلمون مشتملا على العقائد والعبادات والآداب والأحكام .

٣ ـ هذا الاعتقاد لازمه تكذيب الله تعالى فى قوله : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [1] وتكذيب الله تعالى كفر ، وأى كفر ؟

٤ ـ هل يجوز لأهل البيت أن يستأثروا بكتاب الله تعالى وحدهم دون المسلمين إلا من شاء وا من شيعتهم ، أليس هذا احتكارا لرحمة الله ، واغتصابا لها ينزه عنه آل البيت ، اللهم إنا لنعلم أن آل بيت رسولك براء من هذا الكذب ، فالعن اللهم من كذب عليهم وافترى .

٥ ـ لازم هذا الاعتقاد أن طائفة الشيعة هم وحدهم أهل الحق والقائمون عليه ، لأنهم هم الذين بأيديهم كتاب الله كاملا غير منقوص فهم يعبدون الله بكل ما شرع ، وأما من عداهم من المسلمين فهم ضالون لحرمانهم من كثير من كتاب الله تعالى ، وهدايته فيه ، يا أيها الأخ الشيعى إن مثل هذا الهراء ينزه عنه الرجل العاقل فضلا عمن ينسب إلى الإسلام والمسلمين ، وأنه ما مات رسول الله ﷺ ، حتى أكمل الله تعالى نزول كتابه ، وأتم بيانه ، وحفظه المسلمون فى صدورهم وسطورهم وانتشر فيهم وعمهم وحفظه الخاص والعام ، ولم يكن آل البيت فى شأن القرآن وجمعه وحفظه إلا كسائر المسلمين سواء بسواء ، فكيف يقال : إنه لم يجمع القرآن ولم يحفظه أحد إلا آل البيت ، ومن ادعى ذلك فهو كذاب ! !

أرأيت لو قيل لهذاالقائل : أرنا هذا القرآن الذى خص به آل البيت شيعتهم أرنا منه

---

(١) الحجر : ٠٩ .

سورة أو سور ، يتحداه فى ذلك ، فماذا يكون موقفه ؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

الحقيقة الثالثة

استئثار آل البيت وشيعتهم دون المسلمين بآيات الأنبياء كالحجر والعصا

يشهد لهذه الحقيقة ويثبتها ما أورده صاحب الكافى بقوله : عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال : خرج أمير المؤمنين عليه السلام فى ليلة مظلمة وهو يقول : همهمة ، همهمة ، وليلة مظلمة خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم ، وفى يده خاتم سليمان ، وعصا موسى .

وأورد أيضا قوله عن أبى حمزة عن أبى عبد الله [1] عليه السلام قال : سمعته يقول : ألواح موسى عندنا ، وعصا موسى عندنا ، ونحن ورثة النبيين .

وبعد : أيها الأخ الشيعى إن هذا المعتقد فى هذه الحقيقة بالذات يلزمك أمورا فى غاية الفساد والقبح ، لا يمكنك وأنت العاقل إلا أن تتبرأ منها ولا تعترف بها وهى :

١ ـ تكذيب على رضى الله عنه فى قوله : وقد سئل : هل خصكم رسول الله ﷺ آل البيت بشىء ؟ قال : لا إلا ما كان فى قراب سيفى هذا فأخرج صحيفة مكتوبا فيها أمور أربعة ، ذكرها أهل الحديث .

٢ ـ الكذب عليه رضى الله عنه ، بنسبة هذاالقول إليه .

٣ ـ الازدراء من نفس صاحب هذا المعتقد ، والدلالة القاطعة على تفاهة فهمه ، ونقصان عقله وعدم احترامه لنفسه ، إذ لو قيل له : أين الخاتم أو أين العصا ، أو أين الألواح مثلا لما حار جوابا ، ولما استطاع أين يأتى بشىء من ذلك وبه يتبين كذب القصة من أولها إلى آخرها ، وأوضح من ذلك : فإنه قد يقال : لو كان ما قيل حقا لم لا يستخدم آل البيت هذه الآيات كالعصا والخاتم فى تدمير أعدائهم والقضاء عليهم ، وهم تعرضوا لكثير من الأذى والشر من قبلهم .

---

(١) جـ ١ كتاب الحجة ص ٢٢٧ من الكافى .

٤ ـ إن الهدف من هذا الكذب المرذول هو إثبات هداية الشيعة وضلال من عداهم من المسلمين ، والقصد من وراء ذلك الإبقاء على المذهب الشيعى ذا كيان مستقل عن جسم الأمة الإسلامية ، ليتحقق لرؤساء الطائفة ، ولمن وراءهم من ذوى النيات الفاسدة والأطماع الخبيثة ما يريدونه من العيش على حساب هدم الإسلام وتمزيق شمل المسلمين ، وإذا كان هذا المعتقد يحقق مثل هذا الفساد والشر فبئس من معتقد هو ، وبئس من يعتقده أو يرضى به .

الحقيقة الرابعة

اعتقاد اختصاص آل البيت وشيعتهم بعلوم ومعارف نبوية والهيه دون سائر المسلمين .

ومستند هذه الحقيقة ما أورده [1] صاحب (الكافى) بقوله عن أبى بصير قال : دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فقلت : جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ ، علم عليا عليه السلام ألف باب من العلم يفتح منه ألف باب قال : فقال : يا أبامحمد : علم رسول الله ﷺ ، عليا عليه السلام ألف باب يفتح له من كل باب ألف قال : قلت : هذا بذاك ، قال : ثم قال يا أبا محمد : وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة، قال : قلت : جعلت فداك وما الجامعة ؟ قال : صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع النبى ﷺ ، وأملاه من فلق فيه وخط على بيمينه كل حلال وحرام ، وكل شىء يحتاج إليـه الناس حتى الأرش والخدش ، قال : قلت : هذا والله العلم ، قال : إنه لعلم وليس بذاك ، ثم نكث ساعة ثم قال : عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر ؟ قال : وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل قال : قلت : إن هذا العلم قال : إنه العلم وليس بذاك ثم سكت ساعة ثم قال : وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ومايدريهم ما مصحف فاطمة قال : قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاثة مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد قال : قلت : هذا والله العلم ، قال : إنه العلم وليس بذاك ثم سكت ساعة ثم قال : وإن عندنا علم ما كان

---

(١) جـ ١ كتاب الحجة ص ١٣٨ من الكافى .

وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

« انتهى بالحرف الواحد »

وبعد : إن النتيجة الحقيقية لهذا الاعتقاد الباطل لا يمكن أن تكون إلا كما يلي :

١ ـ الاستغناء عن كتاب الله تعالى وهو كفر صراح .

٢ ـ اختصاص آل البيت بعلوم ومعارف دون سائر المسلمين ، وهو خيانة صريحة تنسب إلى النبي ﷺ ، ونسبة الخيانة إليه ﷺ ، كفر لا شك فيه ولا جدال .

٣ ـ تكذيب علي رضي الله عنه في قوله الثابت الصحيح : لم يخصنا رسول الله آل البيت بشيء ، وكذب على علي كالكذب على غيره حرام لا يحل أبدا .

٤ ـ الكذب على رسول الله ﷺ ، وهو من أعظم الذنوب وأقبحها عند الله إذ قال عليه الصلاة والسلام : « إن كذبا على ليس ككذب على أحدكم ،من كذب على متعمدا فليلج النار » .

٥ ـ الكذب على فاطمة رضي الله عنها بأن لها مصحفا خاصا يعدل القرآن ثلاث مرات ، وليس فيه من القرآن حرف واحد .

٦ ـ صاحب هذا الاعتقاد لا يمكن أن يكون من المسلمين ، أو يعد من جماعتهم ، وهو يعيش على علوم ومعارف وهداية ليس للمسلمين منها شيء .

٧ ـ وأخيرا فهل مثل هذا الهراء ، الباطل والكذب السخيف تصح نسبته إلى الإسلام دين الله الذي لايقبل دينا غيره . ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[1] .

وعليه فقل أيها الأخ الشيعي معي لننجوا معا من هذه الورطة الكبيرة :

اللهم إنا نبرأ إليك مما صنع هؤلاءالكاذبون عليك وعلى رسولك وآل بيته الطاهرين من أجل إضلال عبادك ، وإفساد دينك ، وتمزيق شمل أمة نبيك ورسولك محمد ﷺ .

(١) آل عمران : ٨٥ .

الحقيقة الخامسة

اعتقاد أن موسى الكاظم قد فدى الشيعة بنفسه

أورد صاحب الكافى هذه الحقيقة [1] بقوله : إن أبا الحسن موسى الكاظم (وهو الإمام السابع من أئمة الشيعة الاثنى عشرية) .

قال : الله عز وجل غضب على الشيعة فخيرنى نفسى ، أو هم . فوقيتهم بنفسى .

بعد ما فرضوا عليك الإيمان بها وتصديقها ؟ مدلولها حسب ألفاظها قطعا :

والآن أيها الأخ الشيعى فما هو مدلول هذه الحكاية التى ألزموك باعتقادها إن موسى الكاظم رحمه الله تعالى قد رضى بقتل نفسه فداء لأتباعه ، من أجل أن يغفر الله لهم ، ويدخلهم الجنة بغير حساب .

تأمل أيها الأخ الشيعى وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه من صالح المعتقد والقول والعمل ، تأمل هذه الفرية ولا أقول غير الفرية وذلك ، لمجانبتها الحق وبعدها كل البعد عن الواقع والصدق ، تأملها فإنك تجدها تلزم معتقدها بأمور عظيمة كل واحد منها لا ترضى أن ينسب إليك ، أو تنتسب أنت إليه ما دمت ترضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، وتلك الأمور هى :

١ ـ الكذب على الله عز وجل فى أنه أوحى إلى موسى الكاظم بأنه غضب على الشيعة ، وأنه خيره نفسه أو شيعته ، وأنه فداهم بنفسه ، فهذا والله لكذب عليه عز وجل ، وهو يقول : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ [2] .

٢ ـ الكذب على موسى الكاظم رحمه الله وبهته بهذه الفرية التى هو منها والله لبراء .

٣ ـ اعتقاد نبوة موسى الكاظم رحمه الله ، وما هو والله بنبى ولا رسول ، فقول المفترى : إن الله أخبر موسى الكاظم بأنه غضبان على الشيعة ؟ وأنه يخيره بين نفسه وشيعته ، فاختار شيعته ورضى لنفسه بالقتل فداء لهم يدل دلالة واضحة بمنطوقه ومفهومه على نبوة موسى الكاظم .

---

(١) جـ ١ كتاب الحجة ص ٢٦٠ الكافى .

(٢) الأنعام : ٢١ . ومواضع أخرى .

مع العلم بأن المسلمين مجمعون على كفر من اعتقد نبوة أحد بعد النبى محمد ﷺ ، وذلك لتكذيبه بصريح قوله تعالى : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ (١) .

٤ ـ اتحاد الشيعة والنصارى فى عقيدة الصلب والفداء ، فكما أن النصارى يعتقدون أن عيسى فدى البشرية بنفسه ، إذ رضى بالصلب تكفيرا عن خطيئة البشرية وفداء لها من غضب الرب وعذابه ، فكذلك الشيعة يعتقدون بحكم هذه الحقيقة أن موسى الكاظم خيره ربه بين إهلاك شيعته ، أو قتل نفسه فرضى بالقتل وفدى الشيعة من غضب الرب وعذابه ، فالشيعة إذا والنصارى عقيدتهما واحدة ، والنصارى كفار بصريح كتاب الله عز وجل فهل يرضى الشيعى بالكفر بعد الإيمان .

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وأخيرا انقذ نفسك أيها الأخ الشيعى وتبرأمن هذه الخزعبيلات والأباطيل ، ودونك صراط الله وسبيل المؤمنين .

الحقيقة السادسة

اعتقاد أن أئمة الشيعة بمنزلة رسول الله ﷺ ، فى العصمة والوحى ، والطاعة وغيرها إلا فى أمر النساء فلا يحل لهم ما يحل له ﷺ .

هذا المعتقد الذى يجعل أئمة الشيعة بمنزلة رسول الله ﷺ أثبته صاحب (الكافى) بروايتين .

أولهما أنه قال : قال كان المفضل عند أبى عبد الله فقال له : جعلت (٢) فداك أيفرض الله طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء ؟ فقال له أبو عبد الله (الإمام) : لا ، الله أكرم وأرحم وأرأف من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحا ومساء .

فهذه الرواية تثبت بمنطوقها أن أئمة الشيعة قد فرض الله طاعتهم على الناس مطلقا ،

---

(١) الأحزاب : ٤٠ .

(٢) جـ ١ كتاب الحجة ٢٢٩ الكافى .

كما فرض طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأنهم (أئمة الشيعة) يوحى إليهم ، ويتلقون خبر السماء صباحا مساء ، وهم بذلك أنبياء مرسلون أو كالأنبياء المرسلين سواء بسواء .

واعتقاد نبى يوحى إليه بعد النبى محمد ﷺ ، ردة فى الإسلام وكفر بإجماع المسلمين ، فسبحان الله كيف يرضى الشيعى المغرور بعقيدة تفترى له افتراء ، ويلزم اعتقادها ليعيش بعيدا عن الإسلام كافرا من حيث أنه ما اعتقد هذا الباطل إلا من أجل الإيمان والإسلام ليفوز بهما ويكون من أهلهما .

اللهم اقطع يد الإجرام الأولى التى قطعت هؤلاء الناس عنك ، وأضلتهم عن سبيلك .

وثانيتهما قال : عن محمد بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الأئمة [١] بمنزلة رسول الله ﷺ ، إلا أنهم ليسوا بأنبياء ، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبى فأما ماخلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله ﷺ .

هذه الرواية فإنها وإن كان فى ظاهرها بعض التناقض فإنها كسابقتها تقرر عصمة الأئمة ووجوب طاعتهم ، وأنهم يوحى إليهم ، لأن عبارة الأئمة بمنزلة الرسول إلا فى موضوع النساء صريحة فى أنهم يوحى إليهم وأنهم معصومون وأن طاعتهم واجبة ، وأن لهم جميع الكمالات والخصائص التى هى للنبى ﷺ .

والقصد الصحيح من وراء هذا الاختلاف والكذب الملفق ـ أيها الأخ الشيعى ـ هو دائماً فصل أمة الشيعة عن الإسلام والمسلمين للقضاء على الإسلام والمسلمين ، بحجة أن أمة الشيعة فى غنى عما عند المسلمين من وحى الكتاب الكريم ، وهداية السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وذلك بما لديها من مصحف فاطمة الذى يفوق القرآن الكريم ، والجفر والجامعة ، وعلوم النبيين السابقين ووحى الأئمة المعصومين الذين هم بمنزلة الرسل إلا فى مسألة نكاح من أربع نسوة ، وما إلى ذلك مما سلخ أمة الشيعة المعتقدة لهذا الاعتقاد من الإسلام وسلها من المسلمين انسلال الشعرة من العجين .

ألا قاتل الله روح الشر التى اقتطعت قطعة عزيزة من جسم أمة الإسلام ، باسم الإسلام ، وأبعدت خلقا كثيرا عن طريق آل البيت باسم نصرة آل البيت .

---

(١) جـ ١ كتاب الحجة ص ٢٧٠ الكافى .

الحقيقة السابعة

اعتقاد ردة وكفر أصحاب رسول الله ﷺ ، بعد وفاته ما عدا آل البيت ونفرا قليلا كسلمان ، وعمار ، وبلال

هذا المعتقد يكاد يجمع عليه رؤساء الشيعة من فقهائهم وعلمائهم وبذلك تنطق تآليفهم وتصرح كتبهم ، وما ترك الإعلان به أحد منهم غالبا إلا من باب التقية الواجبة عندهم .

وتدليلا على هذه الحقيقة وتوكيدا لها نورد النصوص الآتية :

جاء فى كتاب روضة الكافى للكلينى صاحب كتاب الكافى صفحة ٢٠٢ قوله : عن حنان جاء عن أبيه عن أبى جعفر قال : ارتد الناس بعد النبى ﷺ ، إلا ثلاثة هم المقداد ، وسلمان ، وأبو ذر ، كما جاء فى تفسير الصافى والذى هو من أشهر وأجل تفاسير الشيعة وأكثرها اعتبارا رويات كثيرة تؤكد هذا المعتقد وهو أن أصحاب رسول الله قد ارتدوا بعد وفاته إلا آل البيت ونفرا قليلا كسلمان ، وعمار ، وبلال رضى الله تعالى عنهم .

أما بخاصة الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ففى كتب القوم نصوص لا تحصى كثرة فى تكفير الشيعة لهم ، ومن ذلك ما جاء فى كتاب الكلينى صفحة ٢٠ حيث قال : سألت أبا جعفر عن الشيخين فقال : فأوفا الدنيا ولم يتوبا ، ولم يتذكروا ما صنعا بأمير المؤمنين فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ! !

وأورد أيضا فى صفحة ١٠٧ قوله : تسألنى عن أبى بكر وعمر ؟ فلعمرى لقد نافقا وردا على الله كلامه وهزئا برسوله وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وبعد : أيها الأخ الشيعى فهل المعقول الحكم بالكفر والردة على أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم حواريوه وأنصار دينه ، وحملة شريعته ـ رضى الله عنهم ـ فى كتابه وبشرهم بجنته على لسان نبيه ﷺ ، حمى الله بهم الدين ، وأعز بهم المسلمين ، وخلد لهم ذكرى فى العالمين ، وإلى يوم الدين ، فقل لى بربك أيها الأخ الشيعى : ألم يكن لهذا التفكير واللعن والبراء لأصحاب رسول الله ﷺ ، ومنهم هدف وغاية ؟ بلى أيها الأخ إن

هناك هدفا وأى هدف ، وغاية وأى غاية ، إن الهدف هو القضاء على الإسلام خصم اليهودية والمجوسية وعدو كل شرك ووثنية .

وإن الغاية هى إعادة دولة المجوس الكسروية بعد أن هدم الإسلام أركانها وقوض عروشها ومحا أثر وجودها وإلى الأبد إن شاء الله تعالى ، وهاك إشارة مغنية عن عبارة : ألم يقتل ثانى خليفة للمسلمين بيد غلام مجوسى ؟

ألم يحمل راية الفتنة ضد الخليفة عثمان فيذهب ضحيتها ، وتكون أول بذرة للشر والفتنة فى ديار المسلمين ، واليهودى عبد الله بن سبأ ؟ وفى هذه الرحم المشؤومة تخلق شيطان الشيعة وولد من ساعته يحمل راية بدعة (الولاية) (والإمامة) كسيفين مصلتين على رأس الإسلام والمسلمين .

وبالدعوة إلى الولاية كفر أصحاب رسول الله ﷺ ولعنوا ، وكفرو ولعن كل من يرضى عنهم أو يترضى عليهم من المسلمين .

وببدعة الإمامة حيكت المؤامرات ضد خلافة المسلمين وأثيرت الحروب الطاحنة بين المسلمين وسفكت دماء وهدم بناء وعاش الإسلام مفكك الأوصال ، مزعزع الأركان أعداؤه منه كأعدائه من غيره ، وخصومه من المنتسبين إليه ، كخصومه من الكافرين .

على هذا الأساس أيها الأخ الشيعى وضعت عقائد الشيعة وسن مذهبها فكان دينا مستقلا عن دين المسلمين ، له أصوله ومبادئه ، وكتابه وسنته ، وعلومه ومعارفه وقد تقدم فى هذه الرسالة مصداق ذلك وشاهده .

فارجع إليه وتأمله إن كنت فيه من الممترين ، ولولا القصد السيئ والغرض الخبيث لما كان للولاية من معنى يفرق المسلمين ، ويبذر بذرة الشر والفتنة والعداء فيهم .

إذ المسلمون أهل السنة والجماعة والذين هم وحدهم يطلق عليهم بحق كلمة المسلمين لا يوجد بينهم فرد واحد يكره آل بيت رسول الله فلماذا تمتاز طائفة الشيعة بوصف الولاية وتجعلها هدفا وغاية ، وتعادى من أجلها المسلمين بل وتكفرهم وتلعنهم كما سبق أن عرفت وقدمناه .

والإمامة أيضا أليس من السخرية والعبث أن يترك الإسلام للمسلمين أمر اختيار من يحكمهم بشريعة الإله ربهم ، وهدى نبيهم فيختارون من شاءوا ممن يرونه صالحا لإمامتهم وقيادتهم بحسب كفاءته ومؤهلاته فتقول جماعة الشيعة لا ، لا ، يجب أن يكون موصى

به ، منصوصا عليه ـ ومعصوما ويوحى إليه ، ومتى يجد المسلمون هذا الإمام ؟ أمن أجل هذا تنحاز الشيعة جانبا تلعن المسلمين وتعاديهم ؟ .

إذا أيها الأخ الشيعى إن عقيدة الولاية والإمامة لم تكن إلا وسيلة للتضليل والتغرير الغرض منها هدم الإسلام وتمزيق شمل المسلمين .

فهلا تربأ بنفسك فتعتقها من أسر هذه العقيدة الباطلة ، وتخلصها من هذا المذهب المظلم الهدام ! !

أيها الأخ اعلم إنك مسؤول عن نجاة نفسك ونجاة أسرتك فابدأ بإنقاذهما من عذاب الله ، واعلم أن ذلك لا يكون إلا بالإيمان الصحيح والعمل الصالح ، وأن الإيمان الصحيح كالعمل الصالح لا تجدهما إلا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإنك ـ وأنت محصور فى سجن المذهب الشيعى المظلم لا يمكنك أن تظفر بمعرفة الإيمان الصحيح ، ولا العمل الصالح إلا إذا فررت إلى ساحة أهل السنة والجماعة حيث كتاب الله خاليا من شوائب التأويل الباطل الذى تعمده المغرضون من دعاة الشيعة للإضلال والإفساد .

وتجد السنة النبوية الصحيحة خالية من الكذب والتشييع وبذلك يمكنك أن تفوز بالإيمان الصحيح والعقيدة الإسلامية السليمة ، وبالعمل الصالح الذى شرعه الله تعالى لعباده يزكى به أنفسهم ، ويعدهم به للفوز والفلاح .

فهاجر أيها الأخ الشيعى إلى رحاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فإنك تجد مراغما كثيرا وسعة .

واعلم أخيرا أنى لم أتقدم إليك بهذه النصيحة طمعا فيما عندك أو عند غيرك من بنى الناس أو خوفا منك أو من غيرك من البشر كلا والله ، وإنما هو الإخاء الإسلامى ، وواجب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، هذا الذى حملنى أيها الأخ على أن أقدم إليك هذه النصيحة راجيا من الله تعالى أن يشرح صدرك لها ، وأن يهديك بها إلى ما فيه سعادتك فى دنياك وآخرتك .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

المحاضرة الثالثة :

هؤلاء هم اليهود

فاعتبروا يا أولى الأبصار

تأليف

أبو بكر الجزائرى

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

فهذا موضوع دراسةٍ وافيةٍ لأمةٍ ملأت أحاديثُها أسماعَ الدنيا ، وغنّى بذكر أسلافها الوجود ، وفاخر بأمجاد أجدادها الكون زمناً غير قصير . طلعت على الدنيا طلوعَ الدرارى المضيئة فى آفاقها ، وأشرقت بها الحياة إشراقةَ الشمسِ فى سمائها . تلك هى الأمة التى قال الله تعالى فيها : ﴿ **ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين** ﴾ [1] ذلك يوم كانت لله فأضفىَ عليها من إفضالهِ ما تسامت به على العالمين ، وذلك يوم كانت بالله فمَنَحَها من قُواه ما سادت به جميع العالمين . ﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين** ﴾ [2] . هذا ... ويوم أصبحت هذه الأمة لغير الله هبطت من علياء سماء كراماتها ، ونزلت من سامق مَجْدٍ أثَّلَه آباؤها وأجدادها فهبطت إلى أرض الحياة الهابطة أفاعى سامّة ، وحيات ناهشة ، ثعانين تمتص الدماء وأراقط تشرَبُ الدمَّاء ، نزلت إلى دُنْيا الناس ، شياطينَ وسواس . فضجَّ الكون لهول آثامها ، وأقشعرّ أديمُ الحياة لِعظم جرائمها فلعنتها الأرض الطاهرة ، وسخطتها السماء الصافية . جزاهم الله ببغيهم ، وما ظلمهم ولكنّ كانوا هم الظالمين .

ويوم لم تكن بالله وَهنَ عَظْمُ قُواها ، وتقطّعت حبال العزم من يُمناها ويُسراها فسقطت بائِسةَ يائِسَةً تحوط بها المسكنةُ من كل جوانبها ، وتغشاها المذلّة من فوقها ومن تحتِ أرجلها ، ولا يزال ذلك حالهّا ما لم تمتد إليها يدُ الإسلام فتنقذها ، وذلك بالإيمان به ، والدخول بصِدْق فيه : ﴿ **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾ [3] . فحبل الله تعالى هو الإسلام ، وحبل الناس ما يُعقد لهم من ذمة ، وما يُعطونه من أمان . أمست تلك الأمة التى كانت تُناطح عزتُها الجوزاء ، وتُغطى مفاخرُ آبائها وأجدادها أديمَ الأرض والسماء .

---

(١) الجاثية : ١٦ . (٢) المائدة : ٢٠ . (٣) آل عمران : ١١٢ .

أمست أمةً مهينةً حقيرة ، وأضْحَتْ بعد صلاحها وهدايتها حرابى فى تَلَوِنُّها ، وسوام أبرص فى نفث سمومها ، وفيراناً فى إشعال نيران الفتن وإيقادها ، وجرذاناً خسيسةً خبيثة فى تخريب قواعد الحياة الفاضلة وتدميرها . وفى القرآن الكريم خبرُ العليم الحكيم : ﴿ **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها اللّه ، ويسعون فى الأرض فساداً ، واللّه لا يحب المفسدين** ﴾ (١) . وصدق اللّه ، فإن تاريخ الحروب البشرية من لدن سقوط هذه الأمة لو استنطقناه لأجابنا بأن أصابع اليهود كانت وراء كل حرب منها تَحُوكُ خيوطها وتجمع حَطَبَها ، وتُضرِم نارها ، ولم نخطىء أبداً إذا ما قلنا : بأن حَرْبَ الأحزاب ضدَّ الرّسول ﷺ والمؤمنين وهى أكبر حرب تألّب فيها الكفر يومَها على الإيمان ، والشركُ على التوحيد ، ولولا أن اللّه سلم لحلت كارثةٌ بالمؤمنين ، وعاد ظلامُ ليلِ الحياةِ بعد طلوع فجرها . تلك الحرب كانت مِن صُنع اليهود وتخطيطهم ، كما أن فتنة عثمان رضى اللّه عنه كانت من تدبيرهم ، وأن فتناً كثيرةً عاشتها أمة الإسلام كانت من عمل أيديهم . كما أن الحروب العالمية الثلاث كانت بإجماع آراء الساسة العالِميين بإيقاد اليهود لنِيرانها وإعدادهم لإثارتها . هذا عن الحروب البشرية وما جَرت من ويلات وخراب على العالم أجمع . أمّا عن الإفساد والتخريب فكلمة اللّه الصادقة : ﴿ **ويسعون فى الأرض فساداً** ﴾ (٢) . بدلالة المضارع فيها المقتضية للتجدد والحدوث ــ كافيةٌ فى الشهادة بأن اليهود لم يبرحوا يُخططون لتدمير العالم وتخريبه بقلب أوضاعه منذُ ليلِ وجودِهم منبوذين مذمومين مدحورين لفسقهم عن أوَامرِ ربهم ، وتمرُّدِهم عن شرائعه . ويكفى فى التدليل على ذلك أن نذكر أن الديانة المسيحيّة لم يُفسدْها فحولّها إلى ديانةٍ شركيّة ، وخرافةٍ عقليةٍ سوى اليهود . وأن الإنجيلَ كتاب المسيحيّة المقدس اليهودُ هم الذين عبثوا به تحريفاً وتبديلاً حتى أصبح الإنجيل الواحد عدة أناجيل . وقد لا نخطىء ولا نفتات أيضاً إذا قلنا : إن أصابع اليهود كانت وراء كثير من الطرق الصوفية الغالية ، ووراء كثير من المذاهب الإسلامية المنحرفة عن الخط الإسلامى الصحيح ، كالباطنية والحلولية ، وما تفرع عنهما من بهائية وقاديانية ونصيرية درزية ، وإسماعيلية علوية ، وشيعية جعفرية ، أو إماميّة جافية . وهناك ما هو أعظم وأخطر وأسوأ كالمذهب الشيوعى المادى والمذهب الوجودى الإبَاحِىِّ ، والمذهب الماسونى المدمر ، والاشتراكى المخرِّب ، كل هذه المذاهب الهدامة الحارقة المخربة المدمرة هى من وضع اليهود ، وبناتِ فكرهم ، وتخطيط أيديهم لتدمير العالم وتخريبه عقائدياً ، وأخلاقياً ، كل ذلك ليخلوا الجو للطائفة اليهودية أن تبرز قوةً روحية صالحة

(١ ، ٢) المائدة : ٦٤ .

ـ فى نظرهم ـ لسيادة العالم وتسخيره لخدمة يهود هم شعب الله المختار كما يأفِكُون . وبرتكولات صهيون شاهدة بذلك فلنطّلع عليها . هذا وإن أعددنا هذه الكلمات العابرة عن اليهود تاريخاً وسلوكاً إن أعْدَدنَاهَا درساً فإن لنا أن نستخلص منها النتائج التالية : ـ

١ ـ شرف الآباء والأجداد غير مُغْنٍ فتيلاً عن الأبناء والأحفاد إذا هم لم يسلكوا سبيل المجد والشرف الذى سلكه آباؤهم وسار عليه أجدادهم ، وهذا ما قرره رسولنا الأعظم محمد ﷺ بقوله : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبُه » (١) .

٢ ـ أن المجد والشرف كالعزة والكرامة لن تكون من نصيب أحدٍ إلا مَن كان اللّه فوقف كلٍّ حياته على اللّه تحقيقاً لمبدأ : ﴿ **قل إن صَلاتى ونسكى ومحياى ومماتى للّه رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت** ﴾ (٢) .

٣ ـ أن ما شاهده العالم من حروب وما ذاقه من ويلاتها فى هذه الحقبة من الزمن أى مِن لدن فسدَ شعبُ بنى إسرائيل ووطن نفسه على إفساد العالم وتخريبه لصالحه كما يُفكر ويعتقد ، يتحمل اليهود مسئوليتها ؛ إذ هم المدبرون لها ، الموقدون نار فتنتها .

٤ ـ أن المذاهب الهدامة المخربة على اختلاف أسمائها ، هى من وضع اليهود وتصميمهم ، وإن رَوَّجها الأغرار الأغمار المخدوعون من غير اليهود تحت شعارات غير يهودية ونسبوها إلى أشخاص غير يهود .

هذه أربع نتائج أستخلصناها : من هذه العبارات السابقة ، أما العبرة وهى ما أردنا أن نتحراه فى كل كلمة من هذا الحديث القصير فهى : أن على المسلمين أن يتحركوا فى اتجاه جديد وهو اتجاه الإيمان الصادق الباعث على العمل الصالح ، والعلم الصحيح المثمر لخشية اللّه تعالى فى القلوب ؛ إذ بهما وحدهما يكون اكتساب المجد والحصولُ على العزة والكرامة . وأن يطرِحوا جانباً الاغترار بشرف النسبة إلى الإسلام دون العملِ بمنهاجه والسير فى خطه المستقيم ؛ فإن اليهود لم يُغن عنهم ما كان لآبائهم إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب من رفعة وكمال ، ولا لداود وسليمان من مفاخرَ وأمجاد ، ولم تَحُل كرامة آبائهم وشرف أجدادهم دون ما تورطوا فيه من شر وفساد ، وذل وصغار يوم انحرفوا عن خط السير الذى كان يسير عليه آباؤهم الأفضلون . كما أن على المسلمين أن يتبرأوا بل يكفروا بِكُل مبدأ غير مبدأ الإسلام . وأن يحذروا كلَّ (أموضة) تظهر فى العالم تخالف

---

(١) هذا بعض حديث رواه مسلم .

(٢) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

شرع اللّه وسواء كانت فى الملبس أو المأكل والمشرب ، والمسكن أو المركب ، أو فى التخطيط والتشريع فإنها من صنع اليهود لتخريب الذمم والضمائر وإفساد الأخلاق والعقول : إنها بمثابة الطرود البريدية الملغمة.

نشأة اليهود

والآن ـ أيها القارىء الكريم نلقى نظرةً خاطفة على نشأة اليهود بذكر أصولهم الطاهرة آتين على تلك الفروع الفاسدة الخبيثة ، وما أثمرته من خراب ودمار فى العالم ، قصدَ العظة والاعتبار ، واللّه من وراء القصد . فنقول : لما هاجر إبراهيم عليه السلام من أرض العراق إلى أرض الشام هاجر معه ابن أخيه هاران وهو لوط عليه السلام ، وكان قد أرسله اللّه تعالى إلى المؤتفكات وهى خمس مدن من أعظمها سدوم وهى التى أقام بها نبى اللّه تعالى لوط ، وأتاه ضيف إبراهيم عليهم السلام بها . فدعا لوط أهل تلك البلاد إلى عبادة اللّه تعالى وتوحيده ، ثم إلى ترك ما شاع بينهم وفشا فيهم من ارتكاب فاحشة اللواط إتيان الذكران من العالمين وهى أبشع فاحشة ارتكبت على وجه الأرض حتى اليوم . فكذب القوم لوطاً ، وأصروا على كفرهم وفسادهم ، وأذن اللّه تعالى بعذابهم وتطهير الأرض من رِجسهم فأرسل ملائكة قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل لإهلاكهم ، وكان يومها إبراهيم عليه السلام بأرض فلسطين على فراسخ معدودة من تلك البلاد ، فنزل الملائكة عليه ضيوفاً وكان من شأنهم ما قص اللّه تعالى فى كتابه . ومحل الشاهد من ذلك أن الملائكة بشرت امرأةَ إبراهيم سارَّة ، وهى قائمة مع زوجها على خدمة أولئك الضيوف بَشَّرَتْها بمولود على عقمها ، وشيخوخة زوجها ، وأن المولود سيكبر ويتزوج ويولد له ولدٌ هو يعقوب (إسرائيل) عليه السلام . وهذا ما جاء فى سورة هود من القرآن الكريم ؛ إذ قال تعالى : ﴿ **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة . قالوا : لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب** ﴾ (١) . وكَبِر إسحق المبشر به وتزوج على عهد والديه فيما روى وولد له ولدٌ هو يعقوب النافلة ؛ لقوله تعالى من سورة الأنبياء : ﴿ **ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين** ﴾ (٢) . وبولادة يعقوب وهو الملقب بإسرائيل ولدت هذه الأمة أمةُ بنى إسرائيل ذات الأصول السامقة فى سماء الشرف والكمال ، والفروع الهابطة فى

---

(١) هود : ٦٩ ـ ٧١ . (٢) الأنبياء : ٧٢ .

مهاوى الخسة والنقصان . ولا يخفى ـ على الحضور ـ سببُ تلك الرفعة ، ولا علّةُ هذا الهبوط والانحدار . إن رفعة الأصول كانت بطاعة اللّه وإن حطة الفروع كانت بمعصية اللّه فاعتبروا يا أولى الأبصار !

سبب هجرة إبراهيم

وقد يتساءل المرءُ عن سبب هجرة إبراهيم من أرض العراق إلى أرض الشام ، وعن الداعى إليها ، والدافع عليها ، وما كان هناك إلى ذكر ذلك ومعرفته لولا ما فيه من العبرة التى نتوخاها دائماً فى حديثنا هذا عن اليهود . إن السبب المباشر لهجرةِ إبراهيم من بابل العراق إلى الأرض المباركة الشام هو أذَى قومِه وعلى رأسهم والده آزر ، واضطهادُهم له من أجل دعوته إلى ربه سبحانه وتعالى ، وذلك بأن يُعبَدَ اللّهُ وحده ولا يشرك به سواه . إنهم قد اضطروه إلى الهجرة ، وألجأوه إليها بعد أن حكموا عليه بالإعدام وباشروا تنفيذَه فيه ، فألقوه فى أتون جحيم يُذيب الحديد غير أن اللّه سلم ونجى وليّه وأحبط كيدَ أعدائه : ﴿ **قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين** ﴾ (١) ، وموجز القول : أن إبراهيم كاد لآلهة المشركين وحطمها فعلاً ، وحوكم عَلَناً ، وحُكم عليه ، ونفّذ الحكم ، فألقى فى النار ، غير أنه نجاه اللّه وبعدها مباشرةً قرر الهجرة فهاجر إلى أرض الشام . كما جاء ذلك فى غير موضع من القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ **فآمن لَهُ لُوطُ وقال إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم** ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ **فلمّا اعتزلهم وما يعبدون من دون اللّه وهبنا له إسحق ويعقوب** ﴾ (٣) . وبهجرة إبراهيم إلى الشام تمّ الذى سبق أن ذكرناه .

والعبرة من حادثة الهجرة هذه : أن الداعى المخلص إذا لم تَنبُت دعوتُه فى أرضٍ مّا طلب لها أرضاً أخرى ، وإذا لم تُجْدِهِ فى تحقيق دعوته وسائل غيّرها بوسائل أخرى ، وهذه سنة الدّعاة الصادقين غير أنه لا ينبغى أن يكون التغيير على حساب الصبر والثبات : إنهم عليهم السلام ما كانوا يلجأون إلى التحول والتغيير إلا بعد الثبات الطويل والصبر المرير ، وحتى يستخدموا كل ممكن ، ويجرّبوا كل جائز معقول ؛ فإذا أعيتهم الحيل ، وفشلت فى أيديهم الوسائل طلبوا الانتقال والاستبدال . وذلك هو مبدأ الهجرة الواجب اتخاذُه والعملُ به ويومها لن يعدم الداعى رِفدَ اللّه وتأييدّه . قال اللّه تعالى فى إبراهيم : ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون اللّه وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً ،**

---

(١) الأنبياء : ٦٨ ـ ٧٠ . (٢) العنكبوت : ٢٦ . (٣) مريم : ٤٩ .

ووهبنا لهم من رحمتنا ، وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ (١) . وقال تعالى فى هجرة المسلمين : ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾ (٢) .

يعقوب بأرض كنعان

وإذا ما عُدنا ـ أيها القارىء الكريم إلى الحديث عن نشأةِ بنى إسرائيل فإنا نلاحظ أن يعقوب وهو إسرائيل عليه السلام لم يَجْرِ له ذكر فى القرآن الكريم أيام طُفولتِه وصباه ، وكذا الحال بالنسبة إلى والده إسحق عليهما السلام ، اللهم إلا ما كان من خبر البشارة بهما ففى سورة هود عليه السلام : ﴿ فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ﴾ (٣) ، وفى سورة الصافات : ﴿ وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ (٤) . أمّا إسماعيل عليه السلام فقد جاء الحديثُ بذكر طفولته فى الكتاب والسنة معاً ففى القرآن : ﴿ ربّ هبْ لِى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يابنىَّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت أفعل ما تُؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ (٥) الآيات ... فالطالب المبشر إبراهيم ، والغلام المبشر به إسماعيل وهذا أصح قولين فى المسألة . كما جاء فى الصحيح قصةُ سَفَر إبراهيم بجاريته هاجر المصريّة وإسكانِها مكة مع ولدها إسماعيل عليهم السلام ، وأن إبراهيم كان يزورهما وأن إسماعيل تزوج من جرهم ، وزاره مرة إبراهيم بعد موت والدته هاجر ، فلم يجدِه بالمنزل وإنما وجد زوجه الجرهمية فعهد إليها : أن تقرىء زوجها السلام وتقول له : غير عتبة بابك ، ومعنى ذلك أنه أمره بطلاقها وذلك لِـمَا رأى من عدم خيريتها وصلاحها لولدِه . فطلقها إسماعيل طاعة لوالده ، وعملاً بإرشاده كما جاء فى القرآن أن إسماعيل شارك إبراهيم عليهما السلام فى بناء البيت ؛ فقد ورد ذلك فى قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ (٦) الآيات ...

أما يعقوب عليه السلام فلم يذكر فى القرآن الكريم بعد البشارة به إلا وهو نبى ورسول حيث ورد ذكره فى سورة يوسف عليه السلام ، باسمه الصريح فى قوله تعالى :

---

(١) مريم : ٤٩ ، ٥٠ .
(٢) النساء : ١٠ .
(٣) هود : ٧١ .
(٤) الصافات : ١١٢ ، ١١٣ .
(٥) الصافات : ١٠٠ ـ ١٠٢ .
(٦) البقرة : ١٢٧ .

﴿ **واتبعتُ مِلّة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب** ﴾ [1] ، وفى قوله : ﴿ **إلا حاجةً فى نفس يعقوب قضاها ، وإنه لذو علم لـما علمناه** ﴾ [2] ، وبعنوان الأبوة فى قوله تعالى : ﴿ **إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** ﴾ [3] . وذُكر له فيها ولولده يوسف وإخوته الأحد عشر حوادث جسام مؤلمة ظاهرها محرق وباطنها مشرق انتهت تلك الحوادث التى دامت مدة تقارب الأربعين سنة انتهت بانتقال تلك الأسرة الإسرائيلية بكاملها من أرض كنعان (فلسطين) إلى أرض مصر . وبرزت فى تلك الحوادث أمور ذات بال نذكر منها ـ للعبرة ـ ما يلى : ـ

أ ـ إقبال يعقوب عليه السلام على ولده يوسف وخاصة بعد الرؤيا التى رآها ، وتعلُّقُه به لما تجلى فيه من مخايل النبوة ، دون باقى إخوته ، حمل أولئك الإخوة على الكيد له والمكر به ، الأمرُ الذى عرضه للهلاك ، وانتهى به إلى البيع رقيقاً يخدم فى بيت العزيز بمصر ووجه العبرة من هذه أن على الأب الحازم ذى الأولاد العديدين أن يتحاشى العطف الكبير ، والميل الكثير إلى أحد أبنائه دون باقيهم ؛ لئلا يوقعهم فى بغض أخيهم ، والحقد عليه ، وكذا صاحب الزوجين أو الزوجات عليه أن يتحاشى إظهار الحب لبعض دون البعض ، وإلا تسبب لنفسه ولمن أحب من أزواجه فى متاعب وآلام هو فى عافية وأمنٍ منها .

ب ـ أن يوسف عليه السلام تَعَرَّضَ لـمحن قاسية جداً ، **أولاها** : إلقاؤه فى الجب . **وثانيتُها** : بيعُه عبداً بثمن بخس وهو الحر الكريم بن الكريم ، بن الكريم **وثالثُها** : تعلُّق قلب امرأة العزيز به ومراودتها إياه عن نفسه . **ورابعتُها** : دُخُولُه السجن ، ومكثه فيه نحواً من سبع سنوات والعبرة فى هذه من وجوه : ـ

١ ـ أن اللّه تعالى لم يتخلَّ عن يوسف وَلِيّه وهو فى غَيَابَةِ الجب بل كان معه بلطفه ورحمته وآنسه حتى خرج منها سليماً معافى .

٢ ـ أن يوسف لما رفض عرْضَ امرأة العزيز الرخيص وأبى الخيانة ، وقال فى صدق : ﴿ **معاذ اللّه إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ [4] ، جزاه اللّه تعالى على صدقه ووفائه بخير جزاءٍ وأحسنه ، فإنه لمّا همَّ بضرب تلك المرأة المتعالية عليه بسلطانها المدلّة عليه بجمالها أراه ربه من الكرامات ما صرفه عنها كما قال تعالى : ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ [5] فَصَرفَ عنه السوء ،

---

(١) يوسف : ٣٨ . (٢) يوسف : ٦٨ . (٣) يوسف : ٤ .
(٤) يوسف : ٢٣ . (٥) يوسف : ٢٤ .

وهذا من حفظ اللّه تعالى لأوليائه ، وعصمته لأنبيائه .

٣ ـ أن يوسف آثر السجنَ وغياهبَه على العيش ورغدِه خارجه صيانة لنفسه عن السوء ، وبعداً بها عن مواطنه ؛ إذ قال رب السجن أحبّ إلىّ مما يدعوننى إليه .

٤ ـ أن يوسف لما ظهر لأهل السجن مشارقُ معارفه ، وطلعت عليهم شمس أسرار نبوّته نسب ذلك لربه وعلّله بصادق علّته فقال : ﴿ **ذلكما مما علمنى ربى ، إنى تركت ملّة قوم لا يؤمنون باللّه وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ما كنا لنا أن نشرك باللّه من شىء** ﴾ (١) .

٥ ـ أنه عليه السلام لم تُنسه آلامُ السجن وأتعابُه ولا غربته وأحزانُه رسالةَ ربّه فقد دعا زميليه فى السجن إلى عبادة اللّه تعالى وتوحيده ، وأقام لهم البرهان على بطلان الشرك باللّه والكفر به وهو يقول : ﴿ **يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خيرٌ أم اللّهُ الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل اللّه بها من سلطان ، إن الحكم إلا للّه أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٢) .

٦ ـ أنه عليه السلام لّما غفل تلك الغفلة عند باب السجن وهو يودع زميله الذى حكمت المحكمة ببراءته وإعادته إلى خدمته بالقصر ، فقال : ﴿ **اذكرنى عند ربك** ﴾ (٣) ، فأنسى الشيطانُ زميلَه أن يذكره عند ربه ـ على أحد تفسيرين ـ فأطال اللّه مدة سجنه فكانت بضع سنين .

وهَذا وإن كان من باب قولهم : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فإن العبرة فيه أن اللّه تعالى أمر بالتوكل عليه ، وأحب المتوكلين من عباده ، وأخبر أن من توكل عليه كفاه . كما شرع الأخذ بالأسباب ، وأمر باستعمالها غير أن الأسباب تختلف فمنها ما يجوز استعماله ، ومنها مالا يجوز ، وقد يشتبه على غير البصير العارف ذلك فيترك التوكل ظناً منه أنه إنما أخذ بسبب جائز ، وهو فى الواقع غير جائز فيُحَرم لذلك معونة اللّه وكفايته للمتوكلين عليه .

ومثال ذلك إعطاء الرشوة للحاكم ، والركون إلى الظالم ، ومداجاته ، وتملق ذوى

---

(١) يوسف : ٣٧ ، ٣٨ .　(٢) يوسف : ٣٩ ، ٤٠ .　(٣) يوسف : ٤٢ .

السلطان أو الطول والغنى ، ومجاراتهم فى ميادين الأهواء والشهوات ، فهذه قد يعدها غير البصير من باب : الأخذ بالأسباب الموصلة إلى تحقيق أغراض الشخص ، والمؤمّنة لبعض منافعه ومصالحه وهى فى الحقيقة منافية للتوكل على اللّه تعالى والاعتماد عليه ؛ لأنها أسباب محرّمة قد نص الشارع على تحريمها ومنعها . هذا ، وقد يرفع مقام المرء فى باب المعرفة باللّه والتوكل عليه ، فيحسن به ترك بعض الأسباب التى عُرفت بالتجربة أنها غير ضرورية : كما ترك عمران بن حصين التداوى ، أو الكى ، وكما رفض الصديق الطبيب وقال : الطبيب أمرضنى . وجاء فى صحيح الخبر أن سبعين ألف من هذه الأمة منهم عكاشةُ رضى اللّه عنه يدخلون الجنة بغير حساب ، وجاء فى تعليل ذلك أنهم كانوا لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيّرون وعلى ربهم يتوكلون . فليذكر هذا أولئك الذين يدّعون الإيمان باللّه والتوكل عليه وهم يتّجِرون بالمحرمات ، ويتعاملون بالربويات ، وليذكره أولئك الذين يتركون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حفاظاً على مناصبهم ، وقد يغشون المحرمات ويتركون الواجبات بدعوى المجاملة ، والرغبة فى ترك الفوضى والتشويش .

وأخيراً فبعد تلك الحوادث المحرقة كانت العاقبة المشرقة ، فقد رأى الملك رؤياه ، الأمر الذى استدعى إخراج يوسف من السجن ، وإعلانَ براءته ، وإسناد وزارة المال والاقتصاد إليه ، وفى هذا الأخير يقول اللّه تعالى : ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين** ﴾ (١) . وأدار يوسف بعلمه وأمانته شؤون الوزارة وتمَّ له بذلك المنصب الحساس أن دبّر أمرَ استقدام كافة أسرته إلى مصر ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً ، وقال : ﴿ **يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً وقد أحسن بى ؛ إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى ؛ إن ربى لطيف لما يشاء ؛ إنه هو العليم الحكيم** ﴾ (٢) .

إسرائيل وبنوه بمصر

والآن ـ أيها القارىء الكريم وباستقدام يوسف عليه السلام لأبويه وإخوته وأهليهم أجمعين إلى مصر فقد أصبحت مصر الوطن الثانى لبنى إسرائيل بالهجرة إليه ، وفى قوله تعالى حكاية عن يوسف : ﴿ **وائتونى بأهليكم أجمعين** ﴾ (٣) وهو يخاطب إخوته الوافدين عليه للميرة دليلُ على أنه لم يبق من أسرة يعقوب بن إسحاق عليهما السلام بأرض كنعان أحد .

---

(١) يوسف : ٥٦ . (٢) يوسف : ١٠٠ . (٣) يوسف : ٩٣ .

وأن الجميع نزلوا مصر وأصبحت لهم داراً بدلاً من أرض كنعان التى نزلها إبراهيم عليه السلام مهاجراً إليها من أرض العراق . وبمرور الزمن تكونت من تلك الأسرة المهاجرة إلى مصر أمةٌ كبيرة يزيد عدُّ أفرادِها على نصف مليون نسمة ، وما زالت بمصر إلى أن خرج بها موسى وهارون عليهما السلام بعد جهاد كبير لفرعون وملائه من الأقباط والملاحظ هنا أن يوسف عليه السلام نبّىء وأرسل بمصر دون سائر إخوته ؛ إذ هو الذى صرح القرآن برسالته فى قوله : ﴿ **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً** ﴾ [1] ، أما إخوته فالظاهر من حالهم أنهم لم يكونوا أنبياء ولا رسلاً ، وسلوكهم ينبىء بذلك ، فما اقترفوه من ذنب إزاء والدهم وولده يوسف يتنافى مع منصب النبوة ومقام الرسالة . وإن قيل : أليسوا هم الأسباط المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط** ﴾ ؟ [2] . قيل : المراد من الأسباط الأنبياء الذين هم من أولاد يعقوب إخوة يوسف ؛ إذ الأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى قريش ، فقبائل قريش انحدرت من عدنان ، والأسباط انحدروا من ولد يعقوب الاثنى عشر . والجدير بالتنبيه إليه هنا أن القرآن الكريم لم يذكر عن بنى إسرائيل بعد استيطانهم مصر شيئاً إلى عهد موسى وهرون عليهما السلام اللّهم إلا ما كان من نبوة يوسف ودعوته إلى التوحيد بين المصريين ، وشكّهم فى رسالته كما هو صريح قوله تعالى من سورة غافر : ﴿ **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً** ﴾ [3] ، وإلا ما كان من ذكر استضعاف الفراعنة لبنى إسرائيل فى قوله تعالى : ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض** ﴾ [4] . والمراد بهم قطعاً بنو إسرائيل . وبناءً على هذا فإن بنى إسرائيل لم يسعدوا بمصر طويلاً ، وأن حالهم تغيرت بعد موت يوسف الرسول عليه السلام ، واعتبرهم الأقباط أجانب عن بلادهم ـ إن لم يعتبروهم مستعمرين لهم ـ فعاملوهم معاملة أساءوا إليهم فيها ، ولا يبعد أن يكون سببَ ذلك ما لاحظوه فى بنى إسرائيل من شرف الأصل وسمو الفرع . وتَطلُّع من كان هذا حالَه إلى الملك والسيادة لا يخفى ، فخافوهم لذلك وحسدوهم فعاملوهم بأقسى أنواع المعاملة وأشدها ؛ لا سيما وأنه لم يكن لبنى إسرائيل مِن يدٍ يدفعون بها عن أنفسهم لغربتهم وقلة عددهم ، وعدم وجود من يتعاطف معهم خارج البلاد المصرية ؛ إذ

---

(١) غافر : ٣٤ . (٢) البقرة : ١٣٦ .

(٣) غافر : ٣٤ . (٤) القصص : ٥ .

هم أغْرَابٌ فى كل المنطقة لأن المعروف أن إبراهيم عليه السلام وهو الأصل الكريم الذى انحدروا منه كان عراقياً هاجر إلى أرض الشام فتكونت له بها أسرة فى فلسطين ثم نزحت هذه الأسرة إلى مصر كما تقدم بيانه ، وبقى بأرض الشام سكانها الأصليون وهم الكنعانيون . ومن هنا كان ادعاء اليهود اليوم بأن فلسطين أرضهم وبلادهم إدعاء باطل لا أصل له . كما هو ظاهر فى هذه الحقيقة التاريخية الثابتة .

عهد الإنقاذ

وبينما بنو إسرائيل يرزحون تحت الاستعباد الفرعونى ويخضعون لأعظم تعسّف عرفه الإنسان حيث يُذبح أبناؤهم ويستحيا للخدمة نساؤهم وهم من هم ؟ أبناء أولئك الآباء البررة الصالحين إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وإذا بامرأة عمران الإسرائيلية تحمل بجنين سيكون إنقاذُ بنى إسرائيل بإذن اللّه تعالى على يديه . وتتولى عناية اللّه تعالى حماية المولود ورعايته ، فيسلم من الذبح المقرر لأمثاله وينجو منه بأعجوبة تدبير اللّه سبحانه وتعالى ؛ إذ أوحى إلى أمه : ﴿ **أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم** ﴾ (١) . ففعلت ونجا المولود من الذبح المحتم على مواليد بنى إسرائيل فى تلك الحقبة من الزمن . ومن تعاجيب اللّه تعالى أن موسى المنقذ لشعب إسرائيل لن يتربى إلا فى قصر فرعون وفى حضن امرأته وهناك وفى البلاط الملكى يشبّ موسى ويترعرع تَرْعَاه عينُ اللّه ، وتحرسه عنايته ، وكيف وقد قال تعالى له : ﴿ **وألقيت عليك محبةً منى ولتصنع على عينى** ﴾ (٢) . وبينما موسى فى ريعان شبابه وعنفوانه يتجول فى شوارع العاصمة إذا برجلين يقتتلان أحدهما من شيعته والثانى من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ومات لفوره . فكان هذا سبب خروج موسى الأول من مصر ﴿ **فخرج منها خائفاً يترقب ، قال ربّ نجنى من القوم الظالمين** ﴾ (٣) . وقادته الأقدار ، وساقته العناية الإلهية إلى أرض مدين ليقضى سنوات معدودات فى أرض مدين . وما إن أتم عَقد اتفاقية مع شعيب عليه السلام وهى عقد إيجارِ رَعْىِ غنم ثمانى أوعشر حجج ، مقابل إشباع بطن وإحصان فرج . حتى تاقت نفسه إلى العودة إلى الوطن لزيارة الإخوان والأم ، وسار موسى بأهله يريد بلاده ، تِلك التى نشأ فيها وتربّى فى أحضانها ، وإذا بالقدر يخبىء له أعظم مفاجأة فى تاريخ حياته المليئة بالأحداث تلك هى التى تمت حسب تدبير اللّه تعالى بالشاطىء الأيمن من الوادى المقدس فى البقعة المباركة من الشجرة ؛ إذ ناداه ربه : ﴿ **يا موسى إننى**

---

(١) القصص : ٧ . (٢) طه : ٣٩ . (٣) القصص : ٢١ .

أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى ﴾ (1) . وتَمّتَ نبّأه ربُه وأرسله ، وسلّحه وزوده ، وبعث به إلى فرعون وملائِه ، مطالباً بأسمى مطلب وأشرفه ، وهو الاعتراف بالله تعالى رباً وإلهاً ، لا رب غيره ولا إله سواه ، وتحرير بنى إسرائيل ، والخروج بهم إلى الأرض المقدسة التى كتب الله لهم إذ هم أبناءُ أوليَائه وأهل طاعته فى ذلك الزمن !

ولولا مخافة السآمة على القارىء الكريم لا ستعرضنا الآيات القرآنية التى اشتملت على حياة موسى الكليم من لدن حمل أمه به إلى هذه اللحظة من حياته وهو يتهيأُ لأكبر مجابهة كانت بين إنسان وإنسان ، وهى مجابهة موسى لفرعون . غير أن الخوف على القارىء من السآمة لا يمنعنا من الإشارة إلى نقطتين حساستين يجب الوقوف عندهما ، ألا **وهما** : **أولاً** : أن هذا التاريخ التفصيلى الدقيقَ الصادقَ الذى نستوحيه من القرآن الكريم يُحدث به أمىٌّ لا يقرأ ولا يكتب يُحيلُ العقل البشرى أن يكون غير وحى إلهى تلقاه محمد رسول الله ، من الله . وعليه فنبوّة محمد ﷺ ورسالته إنكارهما يعد ضرباً من الجنون ، وتنكُّراً للعقل البشرى وإهداراً لكرامته بالمرة . **وثانياً** : أنه عندما تم أمر الله تعالى لموسى بالإرسال إلى فرعون ، وتقدم بطلبه إلى ربه سبحانه وتعالى يطلب فيه التأييد والنصر علّلَ ذلك بقوله : ﴿ **كىْ نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً** ﴾ (2) فجعل الغاية من الانتصار على الباطل وإقامة دولة الحق على أنقاضه التسبيحَ الكثير والذكرَ الكثير . وهذا التعليل الحكيم من موسى للنصر هو ما جاء تعليلاً من الله تعالى لنصر المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ حيث قال تعالى من سورة الحج : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ (3) . فدل هذا وذاك على أنه يجب أن تكون الغاية دائماً من الجهاد والانتصار على الكفر والظلم هى أن يُسبحَ اللّهُ تعالى بعبادته وحده ، ويذكرَ بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . لا أن تكون الغايةُ من الجهاد والنصر الاستعلاء والتسلطَ على المواطنين ، وسوقَهم بعصا القوانين الوضعية ، وأخذهم بالمبادىء العلمانية حيث ينسى الله فلا يذكر ، ويعصى فلا يطاع ولا يشكر ، كما هى حال الناس اليوم فى ديار كانت بالأمس القريب معاقلَ للإسلام وحُصُوناً ، فأضحت اليوم حقولَ تجاربَ للنظريات المادية ، ومدارسَ لمحوِ العقائد الإسلامية ، وطمس للقيم الأخلاقية .. ووا أسفاه ؛ ويا حزناه ! ويا ألَماه ! فما أشقى المسلمَ اليوم وما أتعسَه ! إذ هو أسير فى أيدٍ لا تَرْحمُ ، وفى معتقل لا يرى فيه النورَ طول الحياة ! آه ، ثم آه !!

---

(1) طه : 14 . (2) طه : 33 ، 34 . (3) الحج : 41 .

والآن ـ أيها القارىء الكريم ـ بِدَاية المعركة مع موسى وفرعون ، وصل موسى مصرَ أرضَ المعركة مُزوَّداً بعُدَّة كافية بإذن الله فى قهر العدو والانتصار عليه ، وهى العصا ـ واليد ـ ووزارة هارون . وباشر موسى عليه السلام مهمته فقال لفرعون : ﴿ **هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى** ﴾ ؟ (١) . فردَّ فرعون قائلاً : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ (٢) . وقال موسى يا فرعون إنى رسول ربِّ العالمين فأرسل معى بنى إسرائيل ، فكذب فرعون موضوع الرسالة وامتنع من إرسال بنى إسرائيل ، فأراه موسى من الآيات الكبرى والمعجزات العظمى ما جعل فرعون يتورط فى اتهام موسى بالسحر ويقول : ﴿ **إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى** ﴾ (٣) . ولا ندرى فِيمَا هِيَ مُثْلَى ؟ أفى العلوِّ والفساد . أم هى على حدْ قولِهم اليوم : الثورية التقدمية والاشتراكية العربية الإسلامية .

ولم يتردد فرعون فى الدفاع عن باطله كما هى طريقةُ المبطلين وسنتُهم فى كل زمان ومكان ، فطالب موسى بالمواجهة الفاصلة معه ، وأن يحدد موعداً لذلك فاختار موسى يومَ عيد لهم يجتمع فيه سائر طبقات شعبهم . فقال : موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ، فجمع فرعون شاة طاقاته ، وأحضر جميع سَحَرَتِه من رجاله وتمت أعظم مباراة بين المُعجزة الإلهية والمكائد السحرية ، وانهزم الباطل وانتصر الحق ، وآمن السحرة وكثيرمن الخلق . ورأى فرعون زعزعة مركزه ، واهتزاز الأرض من تحت رجله فأراد تلافى الموقف قبل استفحال الشر ، وانفلاتِ زِمامِ الأمر . فهدد السحرة وتوعدهم ، وبالخيانة الوطنية اتهمهم وقال : ﴿ **إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ؛ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ؛ ثم لأصلبنكم أجمعين** ﴾ (٤) . وانفذ الطاغيةُ وعيدَه فى السحرة فصلبهم وقتلهم ولم يعدم أيضاً من وزراء الشر ، وبِطانة السوء من يقول مُسلياً إياه ومُغرياً له بمواصلة القتل والتهديد : ﴿ **أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، ويذرك وآلهتك** ﴾ (٥) . فقال الطاغية : ﴿ **سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون** ﴾ (٦) .

ظاهرة خطيرة

يَحسُن لفتُ النظر إليها .. وهى أنه لما هدد فرعونُ موسى وبنى إسرائيل بالبطش

---

(١) النازعات : ١٨ ، ١٩ .　(٢) النازعات : ٢٤ .　(٣) طه : ٦٣ .

(٤) الأعراف : ١٢٣ ، ١٢٤ .　(٥ ، ٦) الأعراف : ١٢٧ .

والفتك كما تقدم . قال موسى لبنى إسرائيل وقد ارتفعت رؤوسهم التى طالما انحنت أمام الطغيان والظلم ـ قال يا قوم : ﴿ **استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾ (١) .

أجاب قوم موسى ـ مع الأسف ـ على دعوة الصبر والصمود التى وجهها موسى إليهم ، أجابوا بجواب دل على مرض نفوسهم ، وضعف إرادتهم ، وانهزام أرواحهم ، ولا يبعد أن يكون هذا أثراً من آثار طول الذل والعبودية والاضطهاد الذى عاشوه ، فقالوا : ﴿ **أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا** ﴾ (٢) .

فكانت هذه منهم بداية خطيرة لها ما بعدها . غير أن موسى عليه السلام صبر على هذه الظاهرة الخطيرة وقال نافحاً من روح الإيمان فى تلك الأشباح الخاوية والأرواح المتفانية : ﴿ **عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ (٣) .

وواصل موسى دعوته فى عزم وتصميم يطالب فرعون بأن يرسل معه بنى إسرائيل إنهاءً لتعذيبهم واضطهادهم وخروجاً بهم إلى أرض القدس . وفرعون يراوغ مرةً ، ويعاند ويكابر مرةً أخرى ، وموسى يُريه من الآيات ما يضطره إلى التسليم مبدَئياً بمطلبه فيعدهُ ثم لا يلبث أن يحلفَ وينكث ، ويُمانع فى إرسال بنى إسرائيل حتى إذا اضطرته الآيات المخيفة إلى الاعتراف بالحق صاح قائلاً : ﴿ **يا موسى ادع لنا ربك لئن كشف عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل** ﴾ (٤) .

بداية استقلال

وأخيراً ـ أيها القارىء ـ ولما طال تلكُّؤ فرعون وملائه فى التسليم بمطالب موسى ، أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هرون أن يتخذا لبنى إسرائيل داراً مستقلة عن الأقباط ، بعيدة عنهم فى مكان مّا من البلاد المصرية يقيمون فيها الصلاة ويجمعون فيها شتاتَهم استعداداً للخروج من ديار مصر إلى ديار الشام . كما قال تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة ، وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين** ﴾ (٥) .

(١ ـ ٣) الأعراف : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٤) الأعراف : ١٣٤ .

(٥) يونس : ٨٧ .

وامتثل الرسولان أمر ربهما ، وتَمَّ ذلك على أحسن الوجوه . وبه أصبح بنو إسرائيل شبه مستقلين عن السلطة الحاكمة التى تأرجحت تحت ضربات المعجزات القاهرة ؛ فلم تصبح قادرة على اضطهاد بنى إسرائيل والرجوع بهم إلى الخدمةِ والاستذلال والاستغلال . ولما أكتمل أمر بنى إسرائيل فى تلك المنطقة فاجتمع أفرادهم ، وقويت نفوسهم بإقام الصلاة ، وصحت عزائمهم بما بُشِّروا به من قرب ساعة الخلاص أوحى اللّه تعالى إلى موسى : ﴿ **أن أسر بعبادى إنكم متبعون** ﴾[١] .

ساعة الخلاص والنجاة

وفى صبيحة مشرقة من يوم أغر (وهو عاشر المحرم الحرام) ـ إغراق فرعون فى يوم عاشور وليس هو يوم الخروج ـ خرج بنو إسرائيل من ديار مصر بقيادة موسى وهارون عليهما السلام متجهين نحو البحر فى طريقهم إلى الأرض المقدسة التى وُعدوا بها .

وعَلم فرعون ـ من قبلُ ـ بما عزم عليه بنو إسرائيل من الخروج من بلاده والتخلص من سلطانه ، فأعلن التعبئة العامة فى كامل مملكته كما قال تعالى : ﴿ **فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين : إن هؤلآء لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون ، وإنا لجميع حاذرون** ﴾[٢] .

وخرجت جحافل فرعون تغطى السهلِ والوعر وكلها عزم وتصميم على استرجاع بنى إسرائيل إلى نير الاستعباد ، وعهد التّعَسّف والاضطهاد . وما إن شاهد بنو إسرائيل جيوش فرعون تتقدم نحوّهم حتى صاحوا قائلين : ﴿ **يا موسى إنا لمدركون** ﴾[٣] ! فأجابهم موسى مطمئناً لخواطرهم مذهباً الخوف من نفوسهم : ﴿ **كلاّ ! إن معى ربّى سيهدين** ﴾[٤] . وأوحى اللّه تعالى إلى موسى : أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق ، ودخل بنو إسرائيل يمشون على يَبسٍ من الأرض حتى اجتازوا البحر إلى شاطىء السلامة ، ورأى فرعون مسلك بنى إسرائيل من البحر فرمى بجنوده ونفسِه فى عَرض البحر مُتْبِعاً بنى إسرائيل ، ولما توسط البحر هو وجنوده أطبق اللّه عليهم البحر . فغرقوا وهلكوا ولم ينجُ منهم أحد اللهم إلاّ ما كان من فرعون فإن اللّه تعالى قد أنجى جُثّتَه لتكون آية لمن يراها فيعتبرِ بها وحصل أن فرعون أثناء غرقه آمن وأسلم فقال : ﴿ **لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾[٥] فقيل له : ﴿ **الان ، وقد عصيتَ قبل وكنت من المفسدين** ﴾[٦] . وكان حاله كحال القائل :

(١ ، ٢) الشعراء : ٥٢ ـ ٥٦ . (٣ ، ٤) الشعراء : ٦١ ، ٦٢ . (٥ ، ٦) يونس : ٩٠ ، ٩١ .

أتَتْ وحياض الموت بينى وبينها

وجادت بوصل حين لا ينفع الوصلُ

ورُدَّ عليه إيمانه ولم يُقْبل منه إسلامه ؛ لأن الإيمان الاضطرارى ، والإسلام غير الاختيارى لا ينتفع بهما صاحبهما قال تعالى : ﴿ **يوم يأتى بعض آيات** [1] **ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً** ﴾ [2] ، وقال الرسول ﷺ : « إن اللّه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .

العبرة

والآن نتساءل : ما هى العبرة فى هذا العرض السريع لهذه الفترة من تاريخ بنى إسرائيل ؟ ونجيب فنقول العبرة تتلخص فى ثلاث نقاط : ـ

الأولى : أن طاقة الإنسان كقدرته محدودة . فالإنسان مهما أوتى من قدرة فهو عاجزٌ أمام قدرة اللّه تعالى ، لا يستطيع أن يفعل شيئاً أبداً ، ففرعون رغم ما أوتى من قوة نادرة فى أمثاله من البشر ، فقد وقف أمام قدرة اللّه تعالى عاجزاً تتحداه فلم يقدر على فعل شىء حتى إنقاذُ نفسهِ عَجز عنه فأدركه الغرق فغرق ومات .

والثانية : أن القيادة الحكيمة ضرورية للخروج من المآزق الحرجة ، والفتن المظلمة ، فقد كان لقيادة موسى الحكيمة وهو يتلقى التأييد والعون من اللّه تعالى كان لها أثر كبير فى تحرير بنى إسرائيل ، وإنجائهم من ورطتهم والخروج بهم من محنتهم .

والثالثة : الاستعانة بالصلاة ـ قد أثبتت فعاليتها فى تطهير النفوس ، وتقويم الأخلاق ، وتقوية الإيمان ورفع المعنويات ؛ لأنها تصل العبدَ بمصدر القوة وهو اللّه تعالى القوى المتين فيقوى بذلك ؛ ولهذا فرضت على بنى إسرائيل بمجرد حصول أدنى قَدْرٍ من الاستقلال الشخصى كما قال تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة ، وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين** ﴾ [3] .

وهنا فليسمح لى القارىء الكريم أن أسجلَ الحقيقة التالية وهى أن الدولة السعودية

---

(١) المراد من الآيات هنا العلامات الكبرى لقيام الساعة وذلك كطلوع الشمس من المغرب ، وخروج الدابة ونزول عيسى عليه السلام .

(٢) الأنعام : ١٥٨ . (٣) يونس : ٨٧ .

اعتمدت فيما اعتمدت عليه فى دعمها وتقويتها ونشر راية الحق والعدل فى ربوعها إقامَ الصلاة ، فقد كان أئمة المساجد يتعهدون كلَّ صلاة فجر أفراد الحىَّ ليعرفوا من شهد الصلاة ومن تخلَّفَ عنها . وقد حدثنى أحد أبناء الملك عبد العزيز رحمه اللّه : أن والدهم غفر اللّه له كان يتولى بنفسه إيقاظ جميعَ أفراد الأسرة فى آخر كل ليلة ؛ ليصلوا الصبح فى جماعة ويشهد لهذه الحقيقة أننا لو نظرنا إلى هذه الدول الإسلامية التى نشأت فى هذه الحقبة الزمانية لوجدناها نشأت ضعيفة مهلهة تعمها الفوضى ويسودها القلق والاضطراب ، ويكثر فيها الشر والفساد ، وما عِلّة ذلك إلا أنها يوم أنشئت لم تُنشأ على أساس إقامة الصلاة المطهرة للنفوس المزكية للأرواح الناهية عن الفحشاء الصارفة عن المنكر . ومصداق هذا قوله تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر اللّه أكبر** ﴾ (١) .

العهد الجديد أو عهد الحرية لبنى إسرائيل

بهلاك فرعون وجنده ـ ونجاة موسى وقومه ابتدأ بنو إسرائيل عهداً جديداً من حياتهم الاجتماعية والدينيّة والسياسية بَيْدَ أن آثار الماضى ورواسبه لم تبرح تعكّر صفْوَ عهد بنى إسرائيل الجديد وهو عهد الحرية والكرامة . فإنهم وهم سائرون على ساحل سينا البحرى وأعلام الهدى ترفرف على رؤوسهم وبينهم رسولان عظيمان موسى وهارون . مروا بأهل قرية يعكفون على أصنام لهم ، وما إن رأوهم حتى قالوا : ﴿ **يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة** ﴾ (٢) . فما كان من موسى إلا أن وبّخهم ووعظهم وذكرهم بقوله : ﴿ **إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، قال أغير اللّه أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين** ﴾ (٣) .

وهنا لنا أن نقول : إنه ليس من غريب الصدف أن يقع مثل هذا فى أمة محمد ﷺ . وقد وقع بالفعل وفى معية رسول اللّه ﷺ ، فقد خرج رسول اللّه ﷺ بالمسلمين عام الفتح من مكة يريد هوازن وثقيفاً حيث بلغه تجمعهم لقتاله ، وأثناء مسيره قال له من قال من المسلمين الحديثى عهد بكفر : يارسول اللّه اجعل لنا ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط وهى شجرة ينيطون بها أسلحتهم ويعلقونها عليها تبركاً بها واستمداداً للنصر ببركتها ، فرد عليهم رسول اللّه ﷺ غاضباً متعجباً : سبحان اللّه إنها السنن مَازِدْتُمْ أن قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى : أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة .. ونحن هنا نقول : سبحان

---

(١) العنكبوت : ٤٥ .
(٢ ، ٣) الأعراف : ١٣٨ ـ ١٤٠ .

اللّه متعجبين من أولئك العلماء المسلمين الذين يَدعون عصمة هذه الأمة من الشرك ، وهو يتخلل ديارها ويَنشأ عليه صغارُها ويَهرَم عليه كبارها . ولم يسلَم منه إلا مرحوم برحمة اللّه الخاصة جعلنى اللّه وإياك أيها القارىء الكريم مِنْهُمْ ، اللهم آمين .

الزلة الكبرى

والآن ـ تأخذ الحوادث تَكْشِف لنا عن تغيّر ذلك العنصر الكريم وفساده فساداً يدهش العقول ويحيرها . وقد يتساءل المرء عن سبب ذلك ولولا ما ظهر على يد أخوة يوسف غفر اللّه لهم من كذب على أبيهم وحسدٍ ومكر بأخيهم لجزمنا بأن أسباب هذا الفساد فى هذا العنصر الطيب الأصل كان نتيجة مَانالَ بنى إسرائيل من ذل وفقر ، وتعذيب واضطهاد فى العهد الذى قضوه فى مصر بين الأقباط تحت الحكم الفرعونى القاسى الشديد . فساءت لذلك أخلاقهم ، وفسدت طباعهم ، وتغيّرت نفسياتهم إلا من شاء اللّه سلامته منهم .. وهذا يصح أن يكون تعليلاً مقبولاً ؛ إذ قد رأينا بأم أعيننا كيف أثر الاستعمار الغربى فى طباع المسلمين وأخلاقهم ، وكيف بدل من نفسياتهم وأفسد عليهم الكثير من دينهم فى حين أن المجتمع الغربى لم يكن فى شر وجاهلية المجتمع القبطى على عهد الفراعنة ، كما أن فترة الاستعمار الغربى للمسلمين لم تَطلْ مُدتُها كما طالت على بنى إسرائيل ، هذا .. ونعود إلى متابعة الأحداث فى تاريخ بنى إسرائيل ونقف عند كل حادثة نستْجلى العبرة منها ونستوحى الموعظة إذ هذا الذى نتوخاه من محاضرتنا هذه فنقول : إن بنى إسرائيل بعد أن استقلوا عن السلطة المصرية ونزلوا ساحل البحر من سينا أصبحوا فى حاجة إلى قانون ودستور يساسون به ويحكمون بواسطته ومن هنا سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل سأله ذلك وواعده ثلاثين يوماً يصومها ثم يأتى موضع المناجاة من الطور فيعطيه الكتاب الذى يحكم به بنى إسرائيل ، وترك موسى بنى إسرائيل بعد أن استخلف عليهم أخاه هارون النبىّ عليه السلام ، ووصاه عليهم بالإصلاح بينهم ، ونهاه عن اتباع سبيل المفسدين فيهم . وذهب موسى إلى ربه صائماً الليل والنهار مواصلاً للصوم غير أنه مضّى الثلاثين يوماً أنكر تغيّر خُلُوفِ فمه فاستاك ، فزالت تلك الرائحة التى هى أطيب عند الله من ريح المسك [1] فأمرته الملائكة أن يصوم عشرةَ أيام أخرى ليكلّم ربه تعالى بذلك الخلوف الذى أنكره فغيره بالاستياك ، فكمل له أربعون يوماً كما قال تعالى :

(١) يستشهد لهذا حديث الصحيح : « لخلوف فم الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسك » .

﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ (١) ، وقال موسى لأخيه هارون أخلفنى فى قومى ، وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين . وما زال موسى فى مهمته التى ذهب لأجلها وهى مهمة الإتيان بكتاب يحكم به بنى إسرائيل ، وإذا بالسامرى أحدِ أفراد بنى إسرائيل يجمع حُلىَّ نساء بنى إسرائيل ويصوغ منه عجلاً ذهبياً له خوار ، ويدعى فيهم أنه إلههم وإله موسى ، ويدعوهم إلى عبادته ، ويستجيب له كثيرون فيعكفون على عبادته ، ولمّا قال لهم هارون : ﴿ **يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتَّبعونى وَأَطيعُوا أمرى : قالوا لن نبرح عليه عاكفين ، حتى يرجع إلينا موسى** ﴾ (٢) . فكانت هذه زلة كبرى أحدثت انقساما وشراً خطيراً فى شعب بنى إسرائيل ، ودلت على وجود تعفّن فى بعض أفراد ذلك الشعب ، وفساد أخلاقى وعقلى كبير ، ورجع موسى وهو يعلم مسبقاً ما حدث فى قومه ؛ إذ قد أخبره ربه عز وجل بذلك : ﴿ **فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلّهم السامرىُّ** ﴾ (٣) . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ، وألقى الألواح غضباً لربه فتكسَرت ، وعاتب أخاه ، ثم تلافى الموقف بحكمة فأمر بإحراق العجل وبرده ثم بنسْفِه فى اليم . وعاقب السامرى رأسَ الضلالة وصانعَ الفتنة بما يستحق ، ثم جمع الألواح التى كتب اللّه له وتكسرت بسبب إلقائها للغضب الذى تملكه كما قال تعالى : ﴿ **وكتبنا له فى الألواح من كل شىء** ﴾ (٤) . وقال : ﴿ **وفى نسختها هدى ورحمةٌ للذين هم لربهم يرهبون** ﴾ (٥) .

العبرة

والعبرة من هذه الحلقة القصيرة فى تاريخ بنى إسرائيل ـ هى **أولاً** : أنه بعد استقلال الأمة أو الشعب لا بد لها من دستور إلهى تحكم به تلك الأمة المستقلة . قد عرف هذه الحقيقة بنو إسرائيل وطالبوا موسى بها ولم تعرفه الشعوب الإسلامية اليوم ، فكانت تستقل شعباً بعد آخر عن الاستعمار الغربى ، ولم تطالب بالدستور الإسلامى ، ولم تبحث عنه بل تجاهلته ولم ترضى به ورضيت بدستور الدولة الكافرة التى كانت تحكمها به ، وهو دستور من وضع البشر الفاسد . أليست هذه زلةً أكبرَ من زلة بنى إسرائيل التى وقفنا عندها آنفاً ؟ إنها واللّه لزلة عظمى كان لها أسوأ الأثر فى حياة المسلمين اليوم ، فما هذه الردة العارمة ، والفساد العام ، والشر المنتشر فى ديار الإسلام إلا نتيجة لتلك الزلة الكبرى التى لا تكفّر إلا بالرجوع إلى تحكيم الدستور الإسلامى الذى هو كتاب اللّه وسنة رسول اللّه ﷺ .

---

(١) الأعراف : ١٤٢ . (٢) طه : ٩٠ ، ٩١ . (٣) طه : ٨٥ .
(٤) الأعراف : ١٤٥ . (٥) الأعراف : ١٥٤ .

وثانياً : أن بنى إسرائيل ما زالت آثار المعجزات العظمى قائمة بينهم ، ومنها انفلاق البحر لهم ، ونجاتهم وهلاك عدوهم ، وقد حدثت فيهم فتنة الشرك وعبدوا غير اللّه تعالى جهلاً وغفلة ، فهل بعد هذا يستغرب أن يعبُدَ فئام من المسلمين اليوم القبور والأحجار والأشجار باسم التبرك ، والاستشفاع والتوسل . مع بعد الزمن عن عصر النبوّة ، وأيام المعجزات المحمدية ؟ وكيف يسوغ لمن ينتسب إلى العلم وطلبه أن يدافع عن هذا الشرك الذى وقع فيه خلق كَثير من هذه الأمة . وبحجة عصمة الأمة من الوقوع فى الشرك ، وما ندرى كيف رَأَوْا هذه العصمة ، ونصفُ الأمة أمامهم غارق فى الردة والشرك الأصغر والأكبر والجلىّ والخفى . فما أعجبَ حالَ هؤلاء العلماء ، وما أغرب موقفهم !!

زلـة أعـظم

ونعود إلى سَرْد الأحداث فى بنى إسرائيل لاجتناء العبر ، وسنقف عما قريب على زلة لبنى إسرائيل أعظم من الزلة الكبرى السابقة : إنه بعد الذى حصل فى بنى إسرائيل من عبادة العجل ، اختار موسى من مشائخ قومه سبعين رجلاً وذهب بهم إلى ميقات ربهم ليعتذروا على زلة قومهم وليطلبوا التوبة لهم مما وقعوا فيه من عبادة العجل ، وما إن وصل موسى بهم إلى الطور ونزل الغمام على الجبل ودخلوا فيه ، وأخذ موسى يناجى ربه وهم يسمعون كلامه ، حتى قالوا : يا موسى أرنا الله جهرة ، فعاقبهم الله تبارك وتعالى على طلبهم الفاجر هذا ، فأخذتهم الرجفة فماتوا لفورهم ، وسأل موسى ربه حياتهم فأحياهم الله له وهو يقول : ﴿ **ربِّ لو شئتَ لأهلكتهم من قبل وإياى ، أتُهلِكُنا بما فعل السفهاء منا** ﴾ [(١)] ؟

ورجع بهم موسى ومعه شروط التوبة المطلوبة لبنى إسرائيل ، ولما وصلوا خطب موسى فى الناس ، وأخبرهم بكيفية توبتهم فقال : ﴿ **يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم** ﴾ [(٢)] ، فامتَثَلُوا أمر الله تعالى وجلس الذين عبدوا العجل ، وقام الذين لم يعبدوه على رؤوسهم يحملون الخناجر ، وألقى الله تعالى عليهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضاً إلى أن انجلت الظلمة عنهم ، وقد قتل منهم قرابة السبعين ألف قتيل فكان ذلك توبة لهم من قُتِلَ ومن بقى .

---

(١) الأعراف : ١٥٥ .　　(٢) البقرة : ٥٤ ، ٥٥ .

العبــرة،

ولنقف أيها القارىء الكريم لحظة نسجّل عبرتنا فنقول : إنها زلة كبرى زلها هؤلاء القوم الخيار ، إنهم بعد أن سمعوا كلام الله وهو يأمر وينهى قالوا : ﴿ **يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** ﴾ (١) . وإذا كان هذا يصدر من عِلْية القوم وخيارهم فكيف بسوقتهم وأوباشهم ! إنها ظاهرة أكدت أن فى القوم من ينطوى على فساد خلقى كبير ، وخُبْثٍ نفسى عجيب وسوف تنكشف لنا كل حلقة من حلقات هذه السلسلة التاريخية لبنى إسرائيل عن عجيب وغريب فى طباع بعض اليهود ونفسياتهم مما يؤكد أن ما نُسب إلى حكمائهم من برتكولات تحمل مخططاً إرهابيا لتدمير العالم الإنسانى والقضاء على كل خير فيه ، لا يعد تزويرا عليهم ولا كذبا ينسب إليهم ، وهذا جزء العبرة ، وجزؤها الآخر هو أن ما اشترط لقبول توبتهم كان شرطاً قاسياً فى ظاهر الأمر غير أنه فى باطنه رحيم وعادل ، لأن تلك القلوب القاسية المتمردة الشاردة لا يصلحها إلا ما كان شديداً من الأمر قاسياً ، فما أصاب المسلمين على أيدى هلاكو التترى من ويلات القتل والتخريب والتدمير كان عقوبة قاسية فى أمة مرحومة ، غير أن الأمة المرحومة إذا أعرضت عن ذكر الله ، وتمردت عن شرعه فقست قلوبها وفسقت عن أمر ربها استوجبت التأديب القاسى والعقاب المربّى الأشد .

ومن هنا يجب أن نعلم أن سنة الله لا تُحابى ، فالناس فى نسبتهم إلى الله تعالى واحدة وهى نسبة عبيد إلى ربهم ، فمن أحسن منهم فله الحسنى ، ومن أساء فله السوآى ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

زلة ثالثة

وهذه زلة ثالثة للقوم يحسن أن نمهد لذكرها ببيان الحقيقة التالية وهى أن الجماعة إذا فسدت وتأصل فيها الفساد يصبح من العسير إصلاحها ، ولا بد للمصلحين فيها أن يصبروا على محاولة علاجها زمناً طويلاً ينتهى بانتهاء تلك العناصر الفاسدة بالكلية ، وبوجود عناصر جديدة صالحة تختلف تمام الاختلاف عن تلك العناصر المتهالكة القديمة ، وستتجلى لنا هذه الحقيقة فى الحلقة التالية أما هذه الزلة الثالثة التى نريد الوقوف عليها للعظة والاعتبار فهى : أن بنى إسرائيل لما أنزل الله تعالى على موسى التوراة ، وهى كتاب

(١) البقرة : ٥٤ ، ٥٥ .

فيه الهدى والنور ، أنزله الله ليحكم به النبيون فى بنى إسرائيل ما تعاقبوا إلى ما شاء الله تعالى . وأمر موسى بنى إسرائيل بقراءته وفهمه وتطبيق شرائعه وتنفيذ أحكامه ، اعتذروا له عن عدم قبول ذلك والقيام به ، وذكروا عجزهم عن ذلك وعدم قدرتهم عليه ، فكان هذا منهم تمرداً خطيراً ، وزلة لا تقل عما تقدمها من زلات عظيمة ، وطالب موسى عليه السلام القوم بالامتثال والطاعة فتأبّوا عليه وتمنعوا ، وما أقسى قلوب القوم ! وما أغلظ طباعهم ! ! وكان من المناسب لإخضاعهم لأمر الله تعالى ولو مؤقتا أن يرفع الله تعالى فوق رؤوسهم جبلاً بكامله وهو جبل الطور تهديدا لهم وتخويفاً ، ولما رأوه فوقهم كأنه ظلة أذعنوا لأمر الله تعالى وتعهدوا وأعطوا عهداً وميثاقاً بأخذِ الكتاب وقراءته والعمل بما فيه ؛ كما قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** ﴾ (١) . غير أنه ومع الأسف لم يمض عنهم غير قليل زمن حتى نقضوا عهدهم ونكثوا ، فتعرضوا بذلك للعنة الله وغضبه كما قال تعالى : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم** ﴾ (٢) .

العبرة من هذه الحادثة المعينة : أن هذه الأمة الإسرائيلية وهى تتدرّج للسقوط فى هاوية سحيقة تكادُ تذهب بوجودها فضلا عن ريحها وقوتها ؛ لكفرانها بنعم ربها ، وتمرُّدِها على شرائعه وأحكام دينه ، لا يستغرب منها أن ترفض القانون السماوى وأن تعتذر عن قبوله لاَ مِنْ أجْلِ عدم صلاحيته كما يقول كفار المسلمين اليوم ، بل بعجزها وعدم قدرتها عن تحمُّل أعبائه ، ولعل الموعظة كالعبرة قد تجلت الآن واضحة وهى أن الأمة الإسلامية اليوم برفض أكثرها للحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ورغبتها عن ذلك ، بل وبتصريح بعضها بأن الشرع الإسلامى أصبح غير صالح لحكم البشر وقيادتهم قد أصبحت تتدرّج إلى هاوية أعمق من تلك التى سقط فيها بنو إسرائيل ، لمّا رفضوا كتاب الله ، بعدم حفظه وتنفيذ ما فيه ، ولن تكون هذه الهاوية تيهاً فى مشكلة فلسطين فقط بل قد تكون ذهابَ الحرية والاستقلال ، وعودةَ الاستعمار سواء كان الغربى الذى سوف لا يرحمها حتى ببعض الرحمة التى عرفتها له من قبل أو الشرقى الذى سوف يمسخها مسخاً لا تبقى معه تلك الأمة التى عرفها التاريخ ماجدة طاهرة صالحة .

إلى الأرض المقدسة

وبعد كل الذى جرى ـ أيها القارىء الكريم ـ من أحداث جسام عزم موسى على

(١) البقرة : ٦٣ . (٢) المائدة : ١٣ .

السير ببنى إسرائيل نحو الأرض المقدسة ، فجمع بنى إسرائيل وخطب فيهم ، فوعظهم وذكرهم وحثهم على الجهاد والصبر وحذرهم من الإحجام والانهزام . كما حكى ذلك القرآن عنه فى قوله : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياءَ وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين ، يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين** ﴾ (١) ، غير أن القوم جبنُوا عن القتال ، اعتذروا بقوة عدوهم ، وقالوا : ﴿ **إن فيها قوماً جبّارين وإن لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون** ﴾ (٢) . والعجب من القوم أنهم اشترطوا لدخولهم الأرض المقدسة خروُج العمالقة منها . فيا تُرى من يُخرجهم منها ؟ فهل كانت يومئذ أممٌ متحدةٌ كما هى اليوم تطالب بإخراج العمالقة وتصدر قراراً بإخراجهم فيخرجون ليدخل على إثرهم بنو إسرائيل ؟ أم هى العقلية المتحجّرة ، والفهمُ السقيم ، والانهزامية المفضوحة . وإن صَحَّ لنا أن نعلل هذا العجز والضعف المحيط ببنى إسرائيل بأنه كان نتيجة الاضطهاد الفرعونى لهم عِدةً قرون ، فإن هناك علةً أخرى وهى أن النقباء الاثنى عشر الذين بعث بهم موسى عليه السلام إلى أرض القدس ليكتشفوا مدى قوةِ العدوّ ويقيّموها بالقيمة الصحيحة لها ، ليكون موسى القائد على علم بذلك قبل خوض المعركة فإن هؤلاء النقباء لما دخلوا البلاد وعادوا ، عادوا وكلُّهم مخاوفُ ، فهوّلوا من شأن العمالقة وعظموا من أمرهم ما أصبحوا به الطابور الخامس ، فبثّت تلك الأخبار الخيالية عن العمالقة وقُوّتِهم الرعبَ والخوفَ والهلع فى نفوس بنى إسرائيل الأمر الذى جعلهم يقفون من أمر القتال هذا الموقف المتداعى المنهار ومن باب الإنصاف أن نذكر أن اثنين من النقباء وهما : يوشع بن نون ، وكالباً لم يخونا فيفشيا سِرَّ مَارأيا من أمر العمالقة وهذا من إنْعام الله تعالى عليهما ولذا بقيا صامدين يطالبان بالقتال ، كما قال تعالى : ﴿ **قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ (٣) فقد شجعا بنى إسرائيل على القتال وهم على مشارف المدينة باقتحام أبوابها ومفاجأةِ العدوِ وضربهِ ضربةً تفقده صوابه ، ولو فعلوا لكانت لهم النصرةُ والغلبة على عدوهم ، ولكن ما نشره النقباء الآخرون من أخبار خيالية للغاية وكذلك يفعل الخوف بأصحابه ــ جعل بنى إسرائيل يجبنون وينهزمون قبل القتال حتى قالوا : لموسى عليه السلام : ﴿ **فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون** ﴾ (٤) .

(١ ، ٢) المائدة : ٢٠ ــ ٢٢ . (٣ ، ٤) المائدة : ٢٣ ــ ٢٦ .

وهنا رأى موسى أنه لا جدوى من دفع هؤلاء الجبناء الرعاديد إلى المعركة وهم لها كارهون ، ومن حَوْمَتِها فارُّون ، فتبرأ منهم واعتذر إلى ربه قائلا : ﴿ **ربِّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** ﴾ (١) . فأجابه ربُّه تبارك وتعالى بقوله : ﴿ **فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين** ﴾ (٢) .

العبرة

والعبرة من هذه الحادثة تَكْمُن فى شيئين اثنين :ـ

أولهما : فقد الاعتبار والاعتداد بالشخصية الناشىء عن حياة الذل والمهانة زمنا طويلا مِن شأنِه أن يَترك صاحبه دائماً يشعر بالضعف والعجز أمامَ عدوِّه ، فلا يقدر على حربه وخوض المعارك ضِدَّه .

وثانيهما : الإعلان عن قوة العدو ونشر أخبارِها مُبالغاً فيها ومهُوَّلةً ، من شأنه أن يصيب نفوسَ الجيوش بفقدِ المعنوياتِ والانهزامِ ، قبل الالتحام . وقد استعملت هذا السلاح ألمانيا الهتلرية فى الحرب العالمية الثانية ، ونجحت فيه أيَّما نجاح فى إبّان زحفها والتهامها لقارة أوربا تقريبا . كما استعمله اليهود اليوم وحقق لهم ما حقق ، ولولا ما حدث فى رمضان ٩٣ لكان العالم إلى اليوم مازال يعتقد أن جيش اليهود لا يغلب ولا يقهر .

حادث التيه

ونعود الآن ـ أيها القارىء الكريم إلى بنى إسرائيل وقد أغضبوا عليهم ربّهم ونبيّهم بجبنهم وخوفهم . إنهم بعد أن تعرضوا لغضب الله تعالى وعقابه بتركهم الجهاد ، وخوفهم من العباد ، تاهوا فى صحراء سينا فكانوا يرحلون يوميّا ويقيمون فلا يتجاوزون مسافة تسعة فراسخ . قضوا على هذه الحال أربعين سنة كاملة لا تنقص ولا تزيد . جرت لهم خلالها أمور بعضها مشرق وبعضها محرق فمن المشرق ما أكرمهم اللهُ به من تظليلِ الغمام لهم ، ونُزولِ المنّ والسلوى عليهم وتَفَجُّر الماء العذب من حجر كان معهم ، وإحياءِ القتيل لهم وإخباره بقاتله دَفعاً لاصطدام قبائلهم وحقناً لدمائهم .

(١ ، ٢) المائدة : ٢٣ ـ ٢٦ .

ومن المحرق أنهم سَئِمُوا المن والسلوى ، وطالبوا بتغيير طعامهم ولم يصبروا عليه فعوتبوا على ذلك ، ﴿ **أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم** ﴾ [١] .

ومنها أنهم آذوا موسى عليه السلام ، فقالوا إنه آدر ، ولذا هو لا يغتسل معنا ، وبرَّأه الله من هذه السبّة ، فاغتسل يوماً ووضع ثوبه على حجر فهرب الحجر به فخرج موسى يعدو وراءه ويقول : ثوبى حجر . . ثوبى حجر . حتى مر الحجر بجمع من بنى إسرائيل ورأوا بأعينهم سلامته من الأدرة ، والتى هى انتفاخ إحْدى الخصيتين . وفى القرآن الكريم : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً** ﴾ [٢] ، ومنها وفاة الرسولين العظيمين موسى وهارون عليهما السلام .

هذا وبعد مضى مدة التيه بأحداثها ، وانقراض ذلك الجيل العاجز الضعيف ونُشوء جيل صحراوى جديد يتمتع بسلامة الروح ، وقوة الإرادة ، قاد يوشع بن نون وهو خليفة موسى فى قومه قاد بنى إسرائيل لقتال العمالقة ، وحاصر بلادهم ، وقاتلهم قتالا مريراً ، وفى أُمْسِيةِ جُمْعَةٍ من آخر أيام القتال اقتربت جيوش بنى إسرائيل من أبواب المدينة لاقتحامها ، وإذا الشمس كادت تغرب ، وإذا غربت وقف الزحف لحرمة القتال فى السبت وحكم ليلة السبت حكمُ نهارها ، وخاف يوشع القائد الربّانى ضياع الفرصة وفواتها ، فسأل ربه أن يحبس عليه الشمس ساعة ، فحبسها الله تعالى عليه حتى أَتَمّ مأموريّته من اقتحام الأبواب ودخول المدينة واحتلالها .

وبسقوط العاصمة فى إيدى بنى إسرائيل . أخذت تلك البلاد تنهار المقاومة فيها وواصل يوشع احتلاله لها بلداً بعد آخر ، حتى استتبّ له الأمر فى كلها ، وبذلك تكونت أول مملكة لبنى إسرائيل تضم الأرض المباركة كلها شرقها وغربها كما قال تعالى : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها** ﴾ [٣] . واستمرت مملكة بنى إسرائيل قوية صالحة زمناً طويلاً حتى أخذوا فى السرف والترف ، ففسقوا عن أمر الله وخرجوا عن طاعته ، فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسلط الله عليهم البابليين فغزوهم ، واجتاحوا بلادهم فسلبوا ونهبوا وقتلوا وخربوا بيت المقدس وأحرقوا التوراة ومزقوها ، وأخذوا التابوت إلى بلادهم وحَرَموا منه بنى إسرائيل ، والتابوت عبارة عن صندوق فيه بقايا مما ترك آل موسى وهارون ، وكان بنو إسرائيل إذا

---

(١) البقرة : ٦١ . (٢) الأحزاب : ٦٩ . (٣) الأعراف : ١٣٧ .

قاتلوا عدواً لهم حملوه معهم متبركين به ، فترتفع معنوياتهم ويصمدون للقتال .

وعاش بنو إسرائيل بعد هذه الهزيمة وهذا التشريد أقسى ظروف وأشدها ، فقد تكون أسوأ وأشد من الظروف التى يعيشها الفلسطينيون اليوم ، ومنذ أن طردهم اليهود المعاصرون أبناء أولئك اليهود الغابرين الذى نستجلى العبرة من تاريخهم فى حديثنا هذا .

واستمر الاحتلال البابلى لبلادهم طيلة سبعمائة سنة تقريباً ، وبنو إسرائيل يعيشون فى أتعس حال وأسوءها ، وكان ذلك جزاءاً وفاقاً لفسقهم وفجورهم . وما الله بظلام للعبيد .

العبرة

والعبرة فى هذه تتجلى من قوله تعالى : ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلنَّ علواً كبيراً ، فإذا جاء وعْدَ أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً** ﴾ (١) .

فكانت هذه الأولى ، ففساد بنى إسرائيل بالعمل بالمعاصى ، وعُلُوُّهم بالتمرد عن الشرع وإهدارهم للعدل ، وحكمهم بالظلم هو الذى جَرَّ عليهم نكبة وجلب لهم محنة دام تسعمائة سنةٍ تقريباً ؛ إذ قيض الله تعالى لهم شر عباد له وهم البابليون بقيادة بختنصر ، فأنزلوا بهم ذلاً وعاراً دام مئات السنين جزاء فسادهم وعلوهم ، وتلك سنة الله تعالى فى كل أمة يعطيها الله دولة وسلطاناً فتسرف وتفسق وتظلم . ولْيعتبرْ أولوا الأبصار .

العهد الثانى

لبنى إسرائيل

وبعد مضىّ زمن طويل من التشريد على بنى إسرائيل ، وبلادهم محتلة من قبل البابليين وهم يعيشون محرومين منها حرمان العرب اليوم من أرض فلسطين ، نبتت فى بنى إسرائيل نابتة صالحة من شبيبة عاشت على التشريد والحرمان ، فذكرت مجد آبائها السالف ، وعزمت على البحث عن طريق للخلاص من المحنة التى تعيشها أمتها زمناً طويلاً ، وكان فيهم عبد صالح هو النبىّ شَمْوِيلْ عليه السلام ، فذهبوا إلى نبيهم والتفُّوا حوله ، وقالوا : عَيِّنْ لنا قيادة نقاتل تحت رايتها فى سبيل الله ، وتسترد مجدنا وبلادنا ، ولما

---

(١) الإسراء : ٤ ، ٥ .

يعلمه النبىّ شمويل من الضعف والتفكك صارحهم بأنه يخاف عليهم إن تعين القتال لم يستطيعوه ولم يصبروا عليه فأجابوه بقولهم : ﴿ **وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا** ﴾ (١) . فعيّن له شمويل ملكاً قائداً هو طالوت ، وكان أهلاً لقيادتهم بما آتاه الله من الكفاية العلمية والبدنية . غير أن القوم لأمراضهم النفسيّة ، والتعفن الخلقى الذى يتوارثه البعض عن البعض نتيجة الفسق والانحطاط المستمر فى فئام منهم ، اعترضوا على نبيّهم فى تعيين طالوت ملكا لهم ، ولم يَخْضَعُوا لقيادته إلاّ بعد أن أظهر الله كرامة على يديه ، وهى رجوع التابوت إليهم تحمله الملائكة من أرض العراق إلى ديارهم . وبذلك قبلوا ولايته وانضوَوْا تحت رايته ، وقادهم إلى ساحات الشرف وميادين القتال ، وأثناء سيرهِ بهم ، اختبرهم ليعرف من يصلح للجهاد منهم ممن لا يصلح ، فقال : ﴿ **إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غُرفهَ بيده** ﴾ (٢) . فلم يشرب منه من تلك الألوف إلا ثلثمائة وبضعة عشر عِدة أصحاب بدر ، ولما جاوز النهر هو ومن معه من المؤمنين ، قال بعضهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، وجالوت هو قائد قوات العدو فرد عليهم أهل اليقين منهم قائلين : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ (٣) . ولما برَزوا للعدو ﴿ **قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ (٤) وطالب جالوت بالمبارزة على عادة الحروب القديمة . فخرج له شابٌ مهيأٌ للكمال مخصوص بعناية إلهية هو داود بن إيشا فبارزه فهزمه وقتله . فرشّحه هذا النصر المبكِّر لقيادة بنى إسرائيل فيما بعد ، والتحم الجيشان ، وهزم المؤمنون الكافرين بإذن الله كما هى سنة الله تعالى فى كل معركة يلتقى فيه الإيمان بالكفر .

وبهذا النصر استرد بنو إسرائيل بلادهم وسلطانهم ، وأصبحت لهم دولة عزتها تناطح الجوزاء حيث كانت على عهد سليمان مملكة يمتد سلطانها على الشرق والغرب ، وهذا هو عهد بنى إسرائيل الثانى وهو عهد قوة وازدهار لا نظير لهما . واستمرت الحال كذلك صالحةً حتى أترفوا مرة أخرى وأسرفوا فتبرّجت نساؤهم ، وفسق كبارهم ولهى ولعب وعربد شبانهم ، وجار فى الحكم قضاتهم فقتلوا الأنبياء والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، تنازعوا الملك وسفكوا الدماء ، وجاء وعد الآخرة كما قال تعالى :

---

(١) البقرة : ٢٤٦ . (٢ ـ ٤) البقرة : ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ما علوْا تتبيراً ﴾ (١) . فسلط الله عليهم الروم فغزاهم القائد الرومي إسْبَانُوس بأمر قيصر الروم ، وثلَّ عرشهم ، ومزق ملكهم ، وكان آخر ملوك اليهود الملكُ اغرْبَاس الطاغية الظلوم الغشوم ، وبسقوط هذه المملكة اليهودية على يد الروم تشرد اليهود وهاموا على وجوههم فى العالم يلقون التعاسة والذل والمهانة حيثما حلوا وارتحلوا جزاء فسقهم وظلمهم ، وكتب الله عليهم ذلاً لايبرح ومسكنةً لا تزول وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

والعبرة هنا كما هى هناك : الانحراف عن الشرع ـ الظلم ـ الفساد ـ الخلاعة ـ المجون . هذه دائماً هى عوامل السقوط والهبوط ، وأسباب الدمار والخراب . فلو تتبعنا أنواع المظالم والفواحش والجرائم التى ارتكبها اليهود فى عهد ما بين موت سليمان إلى نهاية ملكهم لملأت آلاف الأسفار وهى جرائم سوداء يكفى فيها شهادة القرآن إذ يقول : ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (٢) .

تشرد اليهود فى العالم

أو العهد الأخير لليهود

إنه أيها القارىء الكريم بسقوط آخر مملكة لليهود على أيدى الروم تشرد اليهود فى العالم وذهبوا كل مذهب تطاردهم لعنات السماء فى كل مكان ، غير أنهم لم ييْأسوا من عودة ملكهم ، ومن الانتقام من العالم بأسره إن هم ظفروا به وملكوه وتحكموا فيه ؛ فلهذا لم يبرحوا يخططون ، ويضعون الخطط الجهنمية المدمرة للبشرية ، فكانوا وراء كل فتنة فى العالم ، وخلف كل حرب يوقدون نارها بين الناس ، ولما اشتدت عليهم وطأة الروم النصارى أعدائهم أخذوا يبحثون عن أماكن للهجرة بعيدةٍ عن أيدى أعدائهم يأمنون فيها ، وحتى يواصلوا عملهم لإعادة مملكة إسرائيل فى الأرض المقدسة فيما بين النيل والفرات ، ونظراً لخلوّ جزيرة العرب من سلطان الروم الذى كان يقسو عليهم ، أخذوا ينزحون إليها

---

(١) الإسراء : ٦ ، ٧ .   (٢) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .

فنزلوا تيما وخيبر وفدك ويثرب [1] لا سيما وأن التوراة قد بشرت بنبوة جديدة سيكون لها شأن كبير فكان يحدوهم الأمل أن يكون النبىُّ المنتظر المبشر به المنقذ لهم مما هم فيه . وقد حكى القرآن هذا الأمل لليهود فى قوله : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾ [2] . وتطلع اليهود حسب بشارات التوراة إلى النبى المنقذ الذى سيخرج من جبال فاران ، وتكون يثرب دار هجرته ، وعاصمة حكمه ، وأخذ الزمن يقترب ، وأضحت أيام النبوة الجديدة معدودة ، وظهرت فى الكون إرهاصات ، ولاحت فى الأفق تباشير .

وطلع الفجر ، وظهرت النبوة المرتقبة ، وبعث محمد ﷺ فى مكة المكرمة وطارت بخبر نبوته الركبان ، وبلغ اليهود النبأ كما بلغ غيرهم ، وأخذوا يرتقبون الأحداث ، ويتحسسون مجارى الأمور ، وكانت قريش تبعث إليهم بالتساؤلات والاستفسارات ؛ لَعلْم قريش بأن اليهود أهل كتاب وهم أعرف بشأن النبوة والنبى ، فكان اليهود يصدقون قريشاً أحياناً ، وعلى سبيل المثال : أن قريشاً بعثت مرة تسألهم عن نبوة محمد ﷺ ومدى صدقه فيها ، فقالت اليهود : سلوه عن ثلاثة أشياء فإن أجاب عنها كلها ـ أو لم يجب عن شىء منها فإنه ليس نبىّ ، وإن أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحد فهو نبىّ فروا رأيكم فيه . سلوه عن فتية فُقِدوا فى الزمن الأول فإنه كان لهم حديث عجيب ، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره ؟ ، وعن الروح . فكان فى جوابهم هذا طابع الصدق فيما سئلوا عنه . وتوالت الأحداث وتجلى لليهود أن محمدا ﷺ هو النبى المنتظر ، وأنه من ولد إسماعيل ، لا إسرائيل ، وتأكدت معرفتهم بما لم يُبْقِ للشك مجالا ، وفى القرآن : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ [3] . ورأوا أن فى اتباعه والإيمان به قضاءً على آمالهم فى عودة ملك بنى إسرائيل وسيادتهم ، وأن فى قبول الإسلام واعتناقه إنهاءً كاملا وذوباناً تاماً لشعبهم .

فعزموا مِنْ سَاعَتَئِذٍ على عدائه ومناوأته . ومن ثم ما أصبحوا يصدقون قريشا إذا سألتهم عن شأن النبى واستفسرت عن حاله والحادثة التالية تؤكد هذا ، فقد وقع أن سافر كعب بن الأشرف مع وفد إلى مكة وذلك عقيب وقعة بدر ليقدموا التعازى لقريش ، ويعقدوا حلفا معها ضد محمد ﷺ ، ويخبروها عن عزمهم على نقض المعاهدة التى بينهم وبين الرسول ﷺ .

---

(١) يثرب اسم مدينة الرسول ﷺ قبل الإسلام . (٢) البقرة : ٨٩ .

(٣) البقرة : ١٤٦ ، الأنعام : ٢٠ .

ولما ارتابت قريش في صدق اليهود ، وخافت مكرهم وهم قوم بُهْت ، امتحنتهم ، فقال لهم أبو سفيان بن حرب زعيم قريش يومها ، وهم ضيوف في منزله : إن كنتم صادقين فيما قلتم فاسجدوا لهذين الصنمين . فسجدوا ، ثم قال أبو سفيان لكعب بن الأشرف : إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ، ونحن أميون ولا نعلم ، فأينا أهدى سبيلا نحن أم محمد ؟ فقال كعب : أعرض عليّ دينكم ، فقال أبو سفيان : نحن نسقى الحاج ، ونقرى الضيف ، ونفك العانى ، ونصل الرحم ، ونعمر بيت الله ونطوف به ، ومحمد ﷺ فارق دين آبائه ، وقطع الرحم ، وفارق الحرم ، وديننا القديم ، ودينه الحديث ، فقال كعب : بل أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ (١) !.

اليهود بالمدينة النبوية

والآن أيها القارىء الكريم نعود إلى المدينة النبوية لنرى موقف اليهود من الرسول ﷺ وقد نزلها مهاجراً هو وعدد من المؤمنين به . فنقول : نزل الرسول ﷺ المدينة وكانت يومئذ تدعى يثرب ، نزلها مهاجراً بعد أن هاجر إليها كثير من المؤمنين بإذنه ، فدخل الإسلام المدينة بقائده وجنده ، واليهود يكوِّنون منها زاويتين منفرجتين جنوباً وشرقاً .وهم قبائل ثلاث : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، ولكل قبيلة أحلافها ومواليها من الأوس والخزرج . كما أن هناك يهوداً شمال المدينة يسكنون خيبر ، وتيما ، وفدك وما إليها من قرى ، وكانت لهم بالفعل شوكة قوية في هذه البلاد لا يُستهان بها ، فكان من الحكمة أن يعقد الرسول ﷺ مع يهود المدينة المجاورين له فيها معاهدات سِلْم وحسن جوار ، فعقد ﷺ مع كل قبيلة عقد أمان ، وهذه فقرات من نصوص تلك المعاهدات : وأنّه مَن تبعنا من يهود فإنَّ له النّصْرُ غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ــ وأنَّ اليهودَ يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وأن ليهودِ بني فلان ما ليهود بني فلان إلاّ من ظَلَم وأثِم فإنه لا يوتغ (٢) إلا نفسهَ وأهل بيته ، وإن الله على أبَرِّ هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ــ وأن النصر للمظلوم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلاّ من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بَرَّ

(١) النساء : ٥١ .
(٢) لا يهلك .

واتّقى ، ومحمدٌ رسول الله ﷺ إلى آخر ما جاء فى كتاب الموادعة .

بيد أن اليهود فى هذه الفترة بالذات قد انعدم فيهم ما كان من بقايا الخير إلا قليلا ، وذلك لطول العهد بينهم وبين أنبيـائهم الذين كانوا يذكرونهم بالله تعالى ، ويخوفونهم نقمه : كما قال تعالى : ﴿ **فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ (١) . فبمجرد أن شاهدوا الرسول بالمدينة والمؤمنون من أنصار ومهاجرين يلتفون حوله امتلأت قلوبهم غيظاً وصدورهم حنقا ، وكادوا يغصون بريقهم . وزاد فى آلامهم النفسية انتصاره ﷺ على المشركين يوم بدر . فما كان منهم إلا أن كاشفوا المؤمنين بالعداء ، وصرحوا به . وشعر الرسول ﷺ بعدم ارتياحهم لانتصاره فى بدر فجمعهم فى مكان ما من المدينة ودعاهم إلى الإسلام ، وحذرهم من مغبة كفرهم وفسقهم ، ومن نقض معاهداتهم معه . فقال قائلهم فى صراحة : لا يغرنك من نفسك ان قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلْتنا لعرفت أنا نحن الناس ، فأنـزل الله تعالى فيهم قولـه : ﴿ **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مِثليهم رأىَ العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ (٢) .

وهذا من الغيب الذى أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر . فقد نقض اليهود عهودهم قبيلةً بعد أخرى ، فغلبوا كما أخبر الله تعالى ، وهذه صورة لذلك النقض والغَلَب الذى تم بحول الله وقوته : ــ

١ ــ نقض بنى قينقاع وغلبهم ، وسبب هذا النقض أن امرأة من العرب قد قدمت بجلب لها تبيعه فى سوق بنى قينقاع فباعته ، وجلست إلى صائغ تريد شيئاً فجعل يهود يريدونها على كشف وجهها فأبت ذلك فعَمد أحدهم إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتُها فجعلوا يضحكون بها ــ وهذه ظاهرة تدل على انحطاط اليهود الخلقى ، وفسادهم النفسى فى ذلك الزّمن ، وما كان من تلك المرأة العربية إلا أن صاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودى فقتله ، وشد اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون ووقع الشر بينهم وبين يهود بنى قينقاع فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه . وألَحَّ عليه ابـن أبىّ (٣) فوهبهم له ، ولـم يقتل منهم أحداً ،

---

(١) الحديد : ١٦ .　　(٢) آل عمران : ١٢ ، ١٣ .

(٣) هو رئيس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، وكان بنو قينقاع أحلافا له .

وأجلاهم ﷺ عن المدينة فلحقوا بالشام .

٢ ـ نقض بني النضير عهدهم . وذلك أن النبي ﷺ خرج إليهم يستعين بهم على أداء دية رجلين معاهدين من المشركين قتلهما أحد المسلمين جهلاً بعهدهما ، فلما وصل رسول الله ﷺ إلى بني النضير ، وأخبرهم خبره ، قالوا : نعينك يا أبا القاسم على ما أحببت ، ثم خلا بعضهم ببعض ، وقالوا : إنكم لن تجدوه على حالٍ كهذه ، والرسول ﷺ جالس مع أصحابه إلى جدار من بيوتهم ، فقالوا لبعضهم : من يعلوا هذا البيت فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله ويُريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جِحاش اليهودى : هو لذلك . وأُوحِيَ إلى رسول الله ﷺ بما دبره اليهود له ، فقام لفوره كأنه يريد حاجته ، ثم انطلق مسرعاً إلى المدينة ولحق به أصحابه وبهذا الغَدر فى النقض أعلن رسول الله ﷺ الحرب عليهم ، وتهيأ لقتالهم ، وخرج إليهم فحاصرهم حتى نزلوا من حصونهم ، ولم يقتل منهم أحداً ، وأجلاهم من المدينة فتركوا أموالهم ، وذهبوا بنسائهم وأطفالهم إلى خيبر ورحّبت بهم فنزلوها .

٣ ـ نقض بني قريظة ، وكيفيته : أن وفداً تشكل من يهود بني النضير نُزلاء خيبر برئاسة اللعين حُيَيْ بن أخطب ، وسلاَّم بن أبى الحُقيق ، وأخيه كنانة وكلُّهم نضريّون وخرجوا يُؤَلِّبون العرب ويحزبون الأحزاب على حرب رسول الله ﷺ ، وزار الوفد مكة وحرض قريشاً وحثها على الحرب ، ثم ذهب الوفد بعد نجاحه فى مكة إلى بنى أسد وغطفان فحرضوهم على الحرب وأطلعوهم على عزم قريش على هذه الحرب واستعدادها لخوضها . ثم أتى الوفد المدينة متسللا واتصل بقريظة وأطلعها على ما تَمَّ ، وما زال معها يفتل غاربها حتى وافقت على نقض معاهدتها مع رسول الله ﷺ والدخول فى حرب الأحزاب ، على أن يكون دورها فيها أن تطعن الرسول ﷺ من خلف عندما يحتدم القتال ويشتدُّ بين الفريقين .

وبهذا نقضت قريظة عهدها ، وأعلنت حربها ، ولما فشل المشركون فى حملتهم وعادوا من حيث أتوْا خائبين ؛ إذ كفى الله المؤمنين القتال فلم يقع قتال . فرجع رسول الله ﷺ من الخندق ظهر يوم الأربعاء، وأمر بقتال بنى قريظة فأمر أصحابه على الفور أن يخرجوا إليهم ، وقال : « لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة » ، فخرجوا إليهم وحاصروهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وقد حكم فيهم بقتل مقاتليهم . فقُتلُوا جميعاً ، واسترقّ نساؤهم وأطفالهم وذلك جزاء الغَدرِ والخيانة ، وبناءً على إعلان يهود

خيبر الحربَ بإيوائهم النّضَريين والمشاركة المعنوية فى حرب الأحزاب غزاهم رسول الله ﷺ وهزمهم ودخل بلادهم وهو يقول : « إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ، وبهذا انكسرت شوكة اليهود بالجزيرة نهائياً ، وخرجوا منها حيث لا يعودون إلى الأبد . إن شاء الله تعالى .

العبـرة

والعبرة من هذا ـ أيها القارىء الكريم أن اليهود لا عهد لهم ولا ذمة ، وأنه لذلك لعنهم الله تعالى لعنة أبدية ، وجعل قلوبهم قاسية لا ترق وطباعهم غليظة لا تلين فقال تعالى عنهم : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيةً** ﴾ (١) . وقال : ﴿ **أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون** ﴾ (٢) . فأصبح مع هذا من غير المعقول أن يُطْمأنّ إلى معاهدة تُعقدُ مع اليهود ، أو مهادنة أو موادعة بحال من الأحوال ؛ إذ من المؤكد أنهم سينقضونها لأول فرصة تسنح لهم فمن الحكمة والحزم محاربتهم وقتالهم إلى كسر شوكتهم وذهاب ريحهم ، والله المستعان بعد ذلك على مؤامراتهم وغشهم وخداعهم .

للاعتبار

وأخيراً وللاعتبار . . نختم حديثنا هذا عن اليهود بمقارنات لا مفارقاتَ فيها . ومن خلال ذلك تتجلى للسامعين حقائق كبرى على المسلِم الواعى الشاعر بمسئوليته نحو إسلامه ، والمطالب بتقديم شيء لنصرة دينه ، أن يتفهمها جيِّداً ، ويَحفظها ويعيشَ يفكِّرُ فيها ، ويتحرك ويعمل على ضوئها .

وها هى ذى المقارنات مستوحاة من القرآن الكريم ، شأنُها شأنُ كل هذا الذى تقدم من الحديث بعبره وعظاته فإنه مُسْتقى من القرآن ومُستَوْحى منه ، ولذا فهو من الصدق والصحة بمكان .

١ ـ **أخلاق اليهود** : إن الانحطاط الخلقى فى الأمة لا شك أنه يزيد فى طول

---

(١) المائدة : ١٣ . (٢) البقرة : ١٠٠ .

محنتها ، وصعوبة ما تلاقيه من ضعف وانهزام واليهود ساءت أخلاقهم ، وانحطت إلى درجة لا نظير لها بين كثير من أمم العالم وشعوبه . فالحسد وهو أسوأ الأخلاق وأرذلها كان الطابعَ الغالب على اليهود ، والحسود لا يسود ـ فقد حسدوا المسلمين على هداية الله تعالى لهم ، وحملهم ذلك على معاداتهم ومحاربتهم ، ثم على الكيد لهم والمكر بهم وإلى يومنا هذا قال تعالى : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق** ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** ﴾ (٢) ؟ والاستفهام هنا للتقرير ، إذ أم هذه بمعنى بلْ ، والهمزة الاستفهامية . وإذا كان الحسد من الأمراض الاجتماعية العائقة عن النهوض والكمال ، فهل المسلمون معافون منه ، ومظاهره بارزة فى كثير من جوانب حياتنا أفراداً وجماعات ؟ ألا فلْنعتبر !

وكالحسد الجبن وحب الحياة وَهُما خلقان ذميمان من أسوأ الأخلاق وأقبحها ، فإنهما ما زال من أخلاق اليهود المتأصِّلة فيهم ، ويكفى فى الدلالة على هذا قوله تعالى : ﴿ **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا** ﴾ (٣) . وقوله : ﴿ **لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرىً محصنة أو من وراء جدر** ﴾ (٤) . وقوله : ﴿ **وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون** ﴾ (٥) ـ وما ذاك إلا لجبنهم قطعاً . وقال تعالى فى بيان حبهم للحياة وحرصهم عليها : ﴿ **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة** ﴾ (٦) . وإذا كان الجبن وحب الحياة من عوامل الهزائم ، وأسباب الضعف والقعود عن طلب المجد والكمال ، وقد قعدا باليهود عن ذلك قروناً طويلة ، فهل المسلمون اليوم بعيدون من ساحة هذين الخلقين المرذولين ؟ ولو لم يكونا من أخلاق كثيرين من المسلمين اليوم فكيف استطعنا أن نصبر على مدينة قدسنا تدوسها نعال يهود ؟ وعلى شعب كامل يتحكم فيه إخوان القردة والخنازير ؟ . وفى كل عام يحتل اليهود جانباً من بلادنا فنعجز عن قتالهم وإخراجهم ، ونطالب أمم العالم أن يخرجوهم عنا ، أليس هذا هو موقف اليهود الأولين قالوا : ﴿ **وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون** ﴾ (٧) .

٢ ـ نفسيات اليهود : النفسيات المريضة التى كان عليها اليهود نفسيّة الاغترار ، وقد

---

(١) البرة : ١٠٩ . (٢) النساء : ٥٤ . (٣) آل عمران : ١١٢ .
(٤) الحشر : ١٤ . (٥) آل عمران : ١١١ .
(٦) البقرة : ٩٦ . (٧) المائدة : ٢٢ .

كانت هذه النفسية من أسباب ضلال اليهود وقعودهم عن طلب العز والمجد دهرا طويلا ؛ ولإثبات هذه الحقيقة نقرأ قول الله تعالى : ﴿ **وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون** ﴾ (١) . وقوله جلَّ ذكرُه : وقالوا : ﴿ **لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات** ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ **نحن أبناء الله وأحباؤه** ﴾ (٣) ـ وإن شاركهم فى هذا النصارى . وقوله : ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ (٤) يعنون أنها مَلأى (٥) بالعلوم والمعارف فهم فى غير حاجة إلى مزيد مما جاء به محمد ﷺ . كلّ خبر من هذه الأخبار الإلهية دال بصدق على هذه النفسية المنحطة فى اليهود وهى الاغترار ، فجرأتهم على اقتراف الجرائم واجتراح السيئات ، وقعدت بهم عن العمل والإنتاج والجهاد زمناً طويلاً عاشوه مشردين فى بلاد العالم يغشاهم الذل والصغار آناء الليل وكلّ النّهار . وإذا كانت هذه النفسيةنفسية الاغترار من أسباب ضلال اليهود وقعودهم عن طلب المجد والشرف زمناً غير قصير . فهل المسلمون اليوم معافون من هذه النفسية المضله المقعدة عن طلب العز والكمال ؟ وإن أنصفنا الواقع قلنا : لا ، والله . وكيف ، وأغلب المسلمين اليوم يعيش على الاغترار بأن الإسلام وإن هجر كتابه ، وعُطّلت أحكامه ، ونبذت شرائعه ، وحورب من أبنائه ، أنه بخير ولا خوف عليه أبدا ، وأنه خالد باق . وأن المسلم مهما أجرم وأفسد ، وفسق وفجر فإنه محطٌّ رحمة الله وكرامته ، ولا يمكن أن يدخل النار أو يخلد فيها بحال من الأحوال إلى غير ذلك من الادعاءات التى تتنافى مع القرآن فى قوله : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجز به ، ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيراً** ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ **بلى من كسبَ سيئةً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ (٧) ، ومُثل نفسية الاغترار عند اليهود نفسية الفسق وقساوةِ القلب .

إن مما عرف به اليهود من النفسيات الخبيثة فسقهم وقساوةُ قلوبهم وهى من أسباب محنتهم وشقائهم . فقد نَعَى القرآن ذلك عليهم وسجّله فى غير آية مِن آيِه . ومن ذلك قوله صدقت أخباره : ﴿ **ولو آمن أهلُ الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ **فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون** ﴾ (٩) . ومن مظاهر فسقهم أكْلُهم الربا وقد نُهوا عنه . وأكلُهم أموالَ الناس

(١ ، ٢) آل عمران : ٢٤ . (٣) المائدة : ١٣ . (٤) البقرة : ٨٨ .

(٥) هذا أحد وجهى تفسير للآيةوالوجه الثانى : أنها غلف بمعنى مغشاة باغطية فلا تعى ما يقال لهم .

(٦) النساء : ١٢٣ . (٧) البقرة : ٨١ .

(٨) آل عمران : ١١٠ . (٩) الحديد : ١٦ .

بالباطل ، وهذا يَحصلُ لهم عادة من طريق الرشوة ، والغش فى المعاملات ، والتدليس فى المبيعات ، وبيع المحرمات وأكلِ ثمنها . ومن مظاهر قسوة قلوبهم : جُرْءتُهم على الكذب على الله تعالى بتحريفِ كلامه ، وتأويل أحكامه ، ونسبةِ كثير من النقائض إليه ، تعالى الله عن ذلك وتنزّه عَمّا يَصِفون ، ومن مظاهر قسوة قلوبهم كذبُهم على الأنبياء ، وقتلُهم إياهم بغير حق وصدهم عن سبيل الله ، إلى غير ذلك من الجرائم والعظائم التى لا تصدر إلاّ عن ذوى القلوب القاسيةِ الآثمة ، وها هى ذى آيات القرآن شاهدة عن كلّ هذا قال الله تعالى عنهم : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ (١) ـ وقال : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ **إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً** ﴾ (٤) . إلى غير ذلك من الآيات الناطقة بفسق اليهود وقسوة قلوبهم ، الأمر الذى كان سبباً فى غضب الله عليهم ولَعْنهِ إياهم . وخِزْيِه لهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

والآن ــ أيها القارىء الكريم ــ ونحن نتمثل قول الحبر ابن عباس رضى الله عنهما : نِعم أبناء العم لكم اليهود . فما كان حُلواً فهو لكم ، وما كان مراً فهو لهم . نتساءل فنقول : هل فسق اليهود عن أمر ربهم ، وخروجهم عن طاعته ، وقساوةُ قلوبِهم عند ذِكْرِهِ ، وعدم الخوف من تهديده ووعيده الأمر الذى جرأهم على سبه تعالى وشتمه ، وسب أنبيائه وقتل من نالته أيديهم منهم ، هل هذه الجرائم إذا صدرت عن اليهود تغضب الله تعالى ويلعن بها ويوعد عليها ، ويعذب ويشق بها . وإذا صدرت عن المسلمين فإنها لا تغضب الله تعالى ، ولا يلعن بها ولايوعد عليها ولا يعذب بها ؟ وإذا كان الجواب قرآنيا : ﴿ **من يعمل سوءاً يُجز به** ﴾ (٥) . ﴿ **ومن يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يره** ﴾ (٦) ــ ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ (٧) ، ﴿ **فلما آسفونا انتقمنا منهم** ﴾ (٨) . (**ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** ﴾ (٩) .

فهل يغنى المسلمين عن الواقع الذى يعيشون ، والمستقبل المظلم الذى ينتظرهم ، وهم متقمِّصون فى الجملة ثوب اليهود ، ويترسمون خطاهم ، ويتتبعون سننهم فى كل فسقهم وفجورهم ، وحتى فى جرءتهم على الله بالكذب والافتراء عليه ، فَلَقد عُطِّلت أحكام

(١) آل عمران : ١٨١ . (٢) المائدة : ٦٤ . (٣) آل عمران : ٢١ .
(٤) النساء : ١٥٦ . (٥) النساء : ١٢٣ . (٦) الزلزلة : ٨ .
(٧) المدثر : ٣٨ . (٨) الزخرف : ٥٥ . (٣) يوسف : ١١٠ .

الشرع بينهم ، واستبيح المحرم فيهم ، تبرّجت النساء ، وأكل الربا ، وشاع الزنا ، نقضت العهود ، وزُوِّر الشهود ، ضيّعت الصلاة ، واتبعت الشهوات ، ظلم حكامهم ، وارتشى قُضاتُهم ، وَذَلَّ وزَلَّ علماؤُهم ، وَالَوْا الكافرين ، وعادوا المؤمنين ، وانسلخوا من الإيمان والحياء ، وباعوا فى شتّى المواقف الدين بالدنيا . فهل ترون أن نسبتهم إلى الإسلام أغنت عنهم شيئاً فلم يهونوا ولم يذلوا ولم يخطوا ، وإذا لم تغن عنهم هذه النسبة اليوم فهل تغن عنهم غداً ، وإذا لم تغن عنهم فى هذه الحياة فهل تغن عنهم فى الحياة الآخرة ؟

والسلام عليكم أخى القارىء ما آمنت واعتبرت ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

إلى الفتاة السعودية

والمسئولين عنهـا

حررهـا

أبو بكـر جابـر الجزائـرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

والمدرس بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم

وبعـد :

فهذه رسالة « إلى الفتاة السعودية والمسئولين عنها » أملاها الشعور بواجب البيان فى قول الله تعالى : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ [1] . وفى قوله جل جلاله : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ [2] .

وحمل على نشرها ودفع إليه خطر حملة التشكيك المركزة على حجاب المرأة المسلمة فى ديار الله فى هذه الأيام .

نقدمها بإخلاص آملين أن تجد فيها الفتاة السعودية دعماً قوياً لموقفها الصمودى فى وجه التحديات التى تريد منها أن تنزل من علياء كرامتها ، وأن تتخلى عن طهارتها ، وقداسة حجابها لتصبح نذلة مرذولة كأولئك الساقطات اللائى عبثت بهنّ يدُ الأهواء والشهوات فتركتهن غارقات فى وحل حياة لا مفهوم لها ولا معنى .

ومن المؤسف جداً أن طريق الخلاص من هذه الورطة قد تعذر على أكثرهن ، فلم يبق لهن أى مجال للنجاة ، وتحتم أن تسير حياتهن هكذا إلى نهايتها ، وهى نهاية مؤلمة ، وخاتمة سوء والعياذ بالله .

---

(١) البقرة : ١٥٩ .

(٢) آل عمران : ١٨٧ .

يا فتاة السعودية

إفهمي ما أقول لك

يا فتاة السعودية : إن يداً ماكرة خبيثة خادعة قد امتدت إليك فى هذه الأيام لتنزلك من علياء كرامتك ، وتهبط بك من سماء مجدك ، وتخرجك من دائرة سَعْدَك ، فاقطعيها بسرعة وشدة فإنها يد مجرمة ظالمة .

يا فتاة السعودية : إن نفساً خبيثة شريرة قد تصَدّتْ لفتنتك وإخراجك من جنتك ، لتنزع عنك لباسك ، فالعنيها ، واستعيذى بالله منها ، فإنها تريد شقاءك وتعاستك فى دنياك وأخراك .

يا فتاة السعودية : إن فتنة كبرى قد دبرت لك من أجل مسخك والعبث بعرضك وجسمك فلوذى بربك ، واحتمى بحماه ، فإنه لا ينجيك منها إلا الله .

يا فتاة السعودية : إن عيناً حاسدة قاتلة قد أسرعت إليك نظرتها ، وبدت عليك آثارها ، فقد أصبح من أخواتك من تستثقل ملاءتها ، وتتبرم من خمارها ، فاستعيذى بالله من هذه العين الحاسدة ، واسترقى منها فإن الرقية طيبة نافعة .

يا فتاة السعودية : إن حقداً عظيماً تحمله قلوب مظلمة قاسية لا خير فيها البتة تحمله لبلادك الطاهرة ، ودولتك الظاهرة ، لدينك الحنيف ، ومجد أبائك المنيف ، وإنى لأخشى أن تكونى أنت الضحية الأولى ، لهذا الحقد العظيم ، فاربئى يا فتاة بنفسك ، واطلبى نجاتها بطهارتها وزكاتها ، وإياك أن تمكنى العدو من نفسك بخروجك من معقلك ، وترك حجابك ، واعلمى أن فى ملازمة الدار خير حافظ ، وأكبر ستار ، وأن فى التزام الحجاب سبباً للمناعة من أقوى الأسباب ، فالدار . . . الدار . . . والحجاب . . . والحجاب . . .

واسمعى أقل لك

هل تدرين ما اليد الخادعة الماكرة التى حذرتك منها آنفاً ؟

إنها العناوين المشوقة ، والمقالات الساحرة ، والكلمات الأدبية التى امتلأت بها أعمدة الصحف والمجلات ، والتى تطالب جميعها بحريتك ، وتقدمك ، وتطورك ومشاركتك فى الحياة . يكتبها عملاء الماسونية ، ويحررها أُجَرَاء الإباحية لإضلالك ، والتغرير بك حتى تتركى حجابك ، وتخرجى من طهرك وعفافك وتصبحى مسخاً ورجساً نجساً لا خير فيك لنفسك ولا لذويك .

فإذا عرفت يا فتاة هذا فالعنى تلك المقالات ، واشجبى كاتبيها ، واسخرى منها واهزئى بمحرريها ، ولا تفتحى فى مثلها عينيك ناظرة ، ولا فمك قارئة ، ولا قلبك واعية ، فإنها يد الإجرام امتدت إلى سعادتك لتغتالها ، وإلى شرفك لتهينه ، وإلى كرامتك لتدوسها بنعلها الخبيث الثقيل .

وهل تدرين ما النفس الخبيثة الشريرة التى ذكرت لك أنها تصدت لفتنتك ؟ إنها ما تسمعين من كلمات النقد للحجاب ، والطعن فى مشروعيته ، والتهوين من شأنه ، والتخفيف من تبعة تركه وإنكاره ، ومن كونه ـ الحجاب ـ مظهراً من مظاهر التخلف والتأخر ، وأن الإيمان فى القلوب لا فى ستر الوجه والجيوب ، وأن الزينة المطلوب إخفاؤها من المرأة المسلمة هى فى غير وجهها وكفيها . . . إلى غير ذلك من الكلمات الباطلة المضلِّلة التى يتبرع بها مجاناً أرباب الهوى ، ويتطوع بها فى حرص أصحاب الشهوات ، كل ذلك من أجل تشكيك فى إيمانك وحيائك ، وزلزلتك فى عفتك وشرفك ، والقضاء على صلاحك وطهارتك ؛ لتخرجى لهم فى النهاية عارية سافرة يشبعون غرائزهم من النظر إلى جسمك ، ويقضون وَطَرَ نفوسهم فى مغازلتك ، والحديث معك لا ستر من حجاب ، ولا مناعة من حياء . . .

وهل تدرين ما الفتنة الكبرى التى تدبر لك من أجل مسخك والعبث بك ؟ إنها ـ يا بنت الإسلام ـ تعريتك من ثيابك ، وتجريدك من إيمانك ، وسلخك من حيائك ، وإلقاؤك فى الشوارع والطرقات وقحة عارية من كل خير ، بذيئة اللسان ، كريهة المنظر ، سخرة

للشياطين ، وأحبولة لإبليس وذريته أجمعين ، بك يصيدون ضعاف الإيمان ، ومهزوزى العقيدة ، ليكونوا منهم مجتمعاً فاسداً مهلهلاً ضعيفاً ، لا هدف له ولا شرف ، غايته من حياته قضاء شهواته ، وأمله المنشود أن يحسن المجون والضرب على العود .

فبك إذاً لا بسواك أيتها الفتاة يتوصل الشيطان وعملاؤه وأتباعه إلى غاياتهم المنشودة من استبدال هذا الشعب المؤمن الطاهر بشعب كافر فاجر ، على أن تكونى أنت الآلة لهذا التغيير والتبديل ، فاربئى إذاً بنفسك أن تكونى للشيطان مخلب قط ، ولعملائه شرك صيد ، فتفطنى لهذه الفتنة التى تدبر لك ، فأطيلى ثيابك ، ووفرى حجابك ، واكتفى من العلم بما يعرفك بالله ويدنيك من حبه تعالى ، ويقربك من مرضاه ، والزمى المنزل ، ولا تفارقى الدار . وإياك أن ترضى بعمل خارجها ، فإنها حصنك الحصين ، ودرعك المتين ، متى فارقتها تخطفتك يد الشياطين وسلبتك الحياء والدين ، وتركتك أعجوبة الدنيا ، وسخرة العالمين .

وهل تدرين يا فتاة السعودية عين من تلك التى حسدتك فى حيائك وطهرك ، وحصانتك وحجابك ، فرمتك بنظرتها الصائبة فتركتك حيرى مفتونة ؛ تريدين الحجاب لأنه حكم ربك ، وقضاء دينك ، وسنة الصالحات من قبلك ، وتريدين السفور ، لأنه سنة العصر الحاضر ، وحاجة من حوائج سكان الحواضر ؛ قامت مدينة الغرب عليه ، ورنت عين الشرق إليه ، فهو سلم السعادة ، وسنة النجاة فى هذه الحياة . . . كما يقول المبطلون عبدة الهوى وصرعى الشهوات ، ممن لم يبرحوا يزينون لك السفور ويحسنونه فى نظرك ، ويُكْرِهُون إليك الحجاب ، ويُبَغّضُونه إلى نفسك ، وكل ذلك باسم العلم والتقدم والحرية ، والمشاركة فى الحياة الاجتماعية .

ومن آثار هذه العين التى أصابتك أن أصبح عدد من أخواتك يستثقلن العباءة ، ويتبرمن منها . فمنهن من ترفعها إلى ركبتها ، ومنهن من ترفعها إلى نصف جسمها ، ومنهن من هى تخوض الآن تجربة قاسية مريرة وذلك بنزعها الخمار عن وجهها ، والمعنقة عن رأسها ، ومشيها فى الشارع متلفتة مرتاعة كأنها جانية تخاف إلقاء القبض عليها ، أو خبلى معتوهة بها مس من جنون ، فخرجت لما بها حاسرة الرأس ، كاشفة عن وجهها ، لا تدرى (وهى القمر) فى أى فلك تدور ؟ وحَقّقَتْ بذلك أمل الراغبين فى العبث بها ، وأتمت مقصود الحاسدين لها على حجابها وحيائها ، حيث خطت الخطوة الأولى وهى أصعب الخطوات ، وهم ينتظرون بفارغ الصبر متى تتم الخطوة الثانية ؟

وهى إلقاء العباءة نهائياً ، والتخلص من الحجاب ، ومستلزمات الحجاب من الإيمان ، والحياء ، والطهر ، والصفاء . ويومها تقر أعينهم ، حيث ظلت وباتت تدور فى فلكهم ، وهى ماجنة فاجرة ، خليعة رقيعة ، يلعبون بها لعب الأولاد بكرتهم ، ويعبثون بها عبث الكلاب بجيفتهم .

فالله الله يا محمية الإيمان ، ومحفوظة الإسلام ، ومحروسة الإحسان . الله الله فى حجابك ، وحيائك ، وإيمانك ، وطهارة روحك ، وزكاة نفسك ، وفى مستقبلك ومقامك بين يدى ربك ، فلا تغترى بعارض كلماتهم ، ولا بظاهر أقوالهم ، فإنهم ماكرون خادعون ، ومنافقون كاذبون ، أغيظيهم بعدم السماع لهم ، وأهينيهم بعدم الالتفات إليهم ، واقتليهم حسرة بتوفير حيائك ، وملازمة بيتك وحجابك ، وحسبك من العلم ما تعرفين به الله والطريق الموصل إليه ، ومن الدنيا بيتاً تعمرين ، وأولاداً تربين ، وزوجاً تطيعين وترضين ، وسلام عليك فى الصالحين .

وهل تدرين حقد من ذاك الذى نبهتك إليه ؟

إنه حقد جماعات كثيرة دَأَبَتْ منذ القديم على تحطيم المجتمع الإسلامى ، وتقويض أركانه ، والقضاء على روح الإيمان ، ومظاهر العزة والقوة فيه ـ ومع الأسف ـ فقد أفلحت فى مسعاها الخبيث فى كثير من بلاد المسلمين ، وبلغت ما أرادته منها ، وما أملته لها من تدميرٍ ، وتخريبٍ ، وقضاء على حياة الإيمان ، والحياء والطهارة ، والصفاء . ولم يستعص عليها إلا ديارك المقدسة هذه وأنت فيها . وذلك لما أكسبها القرآن من مناعة ، وما أحاطتها به شريعة الإسلام وهى تطبق فيها من حصانه . بيد أن هذا الاستعصاء لم يُفقد تلك الجماعات المخربة الأمل فى الوصول إلى ما عقدوا العزم عليه من إلحاق ما يمكن من تخريب وتدمير بهذا البلد المقدس ، ليسقط كغيره ، وهو آخر معقلٍ بقى للإسلام يحتمى فيه ، وآخر مأرَزٍ بقى للإيمان يأوى إليه ، ولذا فهم يضاعفون الجهود ، ويشددون الضربات ، ويتذرعون بكل الوسائل ، ولو كانت الغاية فى الخسة والنذالة ـ للوصول إلى ما أرادوه من تدمير هذا الحصن الأخير من حصون الإسلام ، وقد شجعهم على مواصلة كيدهم ، وأطمعهم فى الوصول إلى غايتهم ما لاح من بريق النجاح المتمثل فيما يلى : ـ

١ ـ سماعك بدون تحفظ لمختلف الأغانى الماجنة التى تفيض بروح الخلاعة ، والتهتك ، والاستهتار .

٢ ـ رغبة الكثير من أخواتك عن الزواج ، وبناء البيت ، وتكوين الأسرة ، بحجة أن ذلك

عائق عن مواصلة الدرس والتحصيل .

٣ ـ تطلع الكثير من زميلاتك المتعلمات إلى ما تطلع إليه أخواتها فى غير هذه المملكة من الوظيفة ، وإن لم تكن شريفة تضطرها إلى أن تقف كل صباح أمام مرآتها تتجمل لرفقاء العمل ، وزملاء الوظيفة من أولئك الذين لا همّ لهم إلا إرواء غلتهم ، وإشباع نهمتهم فى الاستمتاع بالمرأة ، ولو بالنظر إليها ، والحديث معها .

هذه ثلاث خطوات قد خطوتها ، وما كان لك يا فتاة أن تخطيها ؛ فقد شجعت بذلك الحاقدين على مواصلة حقدهم ، والكائدين لك ولبلادك على إنفاذ كيدهم ، فهل تتراجعين عنها فور قراءتك هذه الرسالة ؟ وبذلك تخيبين أملهم وتقضين على أطماعهم ، وتحولين بينهم وبين ما يشتهون . فهلا تفعلين يا بنت الإسلام ، ويا فتاة الإيمان . . . ؟

وسلام عليك ما فعلت فى الصالحات السالفات . . .

بإيمانك أخاطبك

والآن يا فتاة اسمحى لى أخاطبك بإيمانك لعلك تتذكرين :

ألست تؤمنين بالله ورسوله ؟

ألم تكونى ترجين الله والدار الآخرة ؟

ألم تعتقدى تحريم ما حرم الله ورسوله ؟

وإن قلت : بلى ـ ولا أظنك إلا تقولين ذلك ـ فاعلمى أن إيمانك بالله ورسوله يوجب عليك طاعتهما ، وأن رجاءك الله والدار الآخرة يحتم عليك العمل لهما ، وأن تحريمك ما حرم الله ورسوله اعتقاداً يوجب عليك تحريم ما حرماه قولاً وعملاً ، وإذا عرفت هذا ، فاعلمى أيضا أن الله ورسوله قد حرما تحريماً قطعياً التبرج والسفور ، كما حرم الفسق والفجور ، وأن الله ورسوله قد أمرا المؤمنات بغض أبصارهن ، وحفظ فروجهن .

ونهى المؤمنات عن إبداء شىء من زينتهن ، كما أمرهن بضرب خمرهن على جيوبهن فقال عز من قائل : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾ (١) .

---

(١) النور : ٣١ .

وأمر رسوله ﷺ أن يقول آمراً باسمه تعالى أزواجه وبناته ونساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن فى قوله عز وجل من سورة الأحزاب : ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن** . . ﴾ (١) . كما أمره أن يقول باسمه تعالى لنسائه ﷺ : ﴿ **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولاً معروفاً ، وقرن فى بيُوتكن ولا تَبَرّجْنَ تَبَرّجَ الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله** ﴾ . . . الآية (٢) .

فتأملي يا فتاة البلاد هذه الكلمة الربانية ؛ وهى تنهى أزواج الرسول ﷺ الطيبات الطاهرات تنهاهن عن الخضوع بالقول (وهو ترقيق العبارة ، وتليين اللفظ ، وترخيم الصوت عند مخاطبة الرجال الأجانب) وتأمرهن إذا قلن أن يقلن قولاً معروفاً (أى غير زائد على الحاجة ، ولا خارجاً عن حد القصد والاعتدال ، وذلك بالاستطرادات فى الحديث ، وتكرير العبارات ، وذكر ما لا حاجة إليه ، ولا يتوقف عليه فهم الكلام .

كما تأمرهن أن يقرن فى بيوتهن ، ويلزمن دورهن ، فلا يخرجن إلا من حاجة ضرورية تستدعى خروجهن ، وتطلبه . وإذا خرجن بحكم الحاجة فلا يخرجن سافرات ولا متبرجات ، وإنما يخرجن مستترات غير متجملات ولا متعطرات . . .

وقد يقال لك إن هذا التشديد فى شأن الحجاب هو خاص بأزواج النبى لهم : ولماذا ؟ ألأنهن محط ريبة دون نساء المؤمنين ؟ أم لأن الله تعالى أراد أن يضيق على أزواج رسوله ﷺ ويعذبهن . وحاشاهن أن يكون محط الريبة وهن الطيبات الطاهرات ، ومعاذ الله أن يكون تعالى يريد التضييق على أزواج نبيه ﷺ وتعذيبهن وهو يقول : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ (٣) .

وإنما خصهن بالذكر وهن الأميرات الشريفات ليكن ... عالياً لسائر المؤمنات يقتدين بهن فى الكمال النفسى ، ويتمثلن حياتهن حياة الطهر ، والعفة ، والحياء ، والاحتشام .

وإن لم يكن هذا صحيحاً وإلا فما معنى قوله تعالى وهو يخاطب كل مؤمنة قاعد عن الحيض والحمل والزواج لكبر سنها وشدة ضعفها ويقول : ﴿ **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن ، والله سميع عليم** ﴾ (٤) .

---

(١) الأحزاب : ٥٩ . (٢) الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣ . (٣) الأحزاب : ٣٣ . (٤) النور : ٦٠ .

أليس معنى الآية أن الله تعالى قد رفع الحرج عن المؤمنة الكبيرة السن فأذن لها فى ترك الحجاب بشرط أن لا تتبرج بزينة . ثم أرشدها إلى ما هو خير وهو لزوم الحجاب وعدم تركه فى حالة الكبر والعجز كما هو فى حال الفتوة والقوة ؟.

والآن يا فتاة السعودية ما موقفك من هذه الهداية الإلهية ، وهذا الكمال الذى وهبك الله ، والفضل الذى فضلك به ؟

أترضين بما رضى الله لك ، وتحمدينه تعالى وتشكرينه على ما وهبك من نعمة الهداية ، وكمال الشرف ، فتحافظى على حجابك وحيائك ، ولزوم بيتك ، وطاعة ربك وزوجك ؟ وتضربى بكل دعوة إلى السفور باسم التحرر والتطور عُرْضَ الحائط ، وتهزئى بأصحابها ، وتسخرى منهم ، معلنة لهم سخطك عليهم ، وبغضك لهم ، لأنهم أرادوا ذبح شرفك ، وهدركرامتك ، وتلويث طهرك ، والقضاء على شرف آبائك وسيادة بلادك . أم تسخطين ما رضى الله ، وتكرهين ما أحب ، وتكفرين هدايته ، ولا تشكرين نعمه فتجرى وراء سراب السعادة الخادع الذى ما برح دعاة السفور يلوحون به إليك ، تغريراً بك ، وتضليلاً لك ، حتى أقنعوا ــ مع الأسف ــ بعضاً من أخواتك بأن سعادة المرأة لا تتم إلا بمشاركتها للرجل فى سائر مجالات الحياة ، وفى كل شؤونها بحيث توجد حيث يوجد الرجل ، وتكون حيث يكون فإن كان فى جوقة الطرب فهى فى جوقة الطرب ، وإن كان فى الإذاعة فهى فى الإذاعة ، وإن كان على شاشة التلفزيون فهى على شاشة التلفزيون ، وإن كان فى الجامعة أو الدائرة فهى فى الجامعة أو الدائرة ، وإن كان فى ساحة المصنع ، أو واجهة المعرض فهى معه فى المصنع والمعرض ، وبالجملة تكون رجلة كالرجل وفى كل شىء حتى فى لبس البنطلون ، وحسر الرأس وترجيل الشعر وتصفيفه وتصنيفه ، وبذلك فقط تتم سعادة المرأة ، ويسود قومها ، وتعز بلادها . هكذا أقنعوها كما أقنعوا كثيرا من أخواتها فأصبحوا يرون ويعتقدون أن نهضة البلاد وعزتها ، وسعادة الأمة ، وتقدمها مرهون بسفور المرأة ، وخلاعتها بحيث تتخلى عن الحجاب ومستلزماته من إيمان ، وحياء ، وطهر ، وصفاء . ولذا ترينهم اليوم ــ لاقتناعهم ــ لمكتبون على الصحف والمجلات داعين إلى حرية المرأة ، حاضين على نهضتها وتقدمها ، مطالبين بتعليمها وتثقيفها ، مروجين لخلاعتها وسفورها ، متمنين بجدع أنوفهم أن يرونك حاسرة الرأس ، كاشفة الوجه ، والصدر ، والنحر ، تلبسين نصف الدرع ، وتملئين دور الحكومة ومكاتبها ، ومحلات التجارة وأسواقها .

وأخيراً لكى تعرفى ويعرفوا معك أن هذا الذى اقتنعوا به ، وأصبحوا دعاة إليه ، ليس من موجبات العزة ، ولا من مقومات النهضة ، ولا من محققات السعادة ، وإنما هو من موجبات الذلة ومن عوامل السقوط ، وأسباب الخذلان والشقاء ، أعرض أمام أنظاركم الصورة الكلامية الآتية : ـ

الصورة القاتمة

أو

المصير الأسود

اعلمى يا فتاة السعودية أنه منذ نيف وخمسين عاماً بدأت حركة تحرير المرأة فى العالم العربى على أيدى جماعة من العرب التقدميين كما يسمونهم ، فارتفعت أصوات خطباء ومحاضرين تطالب بتحرير المرأة المسلمة ، وانعتاقها من الحجاب ، وانطلقت أقلام كتاب بارعين تحرر المقالات وتنشرها على أنهر الصحف ، وأعمدة المجلات ، ونادت تلك الأصوات والمقالات جميعها بحرية المرأة ، وتخليصها من عادة الحجاب ، ولزوم البيت ، والخضوع للآباء ، والخنوع للأزواج ، والبعد عن الحياة الاجتماعية والسياسية . وواتتها فرصة وجود الأمة العربية المسلمة مستعبدة للأجنبى الكافر ، مستعمرة له ، ترزخ تحت نيران استعماره ، وتئن تحت كلكله الثقيل ، تتوجب لما يصب عليها من جام غضبه ، وما يسومها به من سوء العذاب ، فنسبوا ـ مكرا وخديعة ـ كل ما حل بالأمة المسلمة من تأخر ، وضعف ، وهون ، ودون ، إلى حجاب المرأة وعفتها وحيائها ، وبعدها عن التعليم العقيم ، والسياسة الفاجرة ، والحياة الاجتماعية الفاسدة . وانخدع كثير من النساء وأولياؤهن بتلك الأقوال المعسولة الكاذبة ، وأخذت الفتاة المسلمة تتمرد على الحجاب ، وتحاول التخلص منه ، فبدأت لأول مرة بإلقاء البرقع الذى كان على وجهها ، ونزع النقاب من على الوجه كذلك ، فظهرت الوجوه وضيئة مشرقة ، ما يحجبها برقع ولا يغطيها نقاب ، مثل ما أخذ يحدث الآن من بعض أخواتك المتعلمات ومع كامل الأسف .

وكانت خطوة جريئة من المرأة ؛ يومئذ صفق لها دعاة السفور ، وهتف بها رواد الفجور من عملاء الماسونية اليهودية العالمية .

ثم سارت الحال على سنة التدرج المعروفة ، فما هى إلا فترة من الزمن حتى امتدت يد التحرر إلى الخمار الذى كان يستر شعر الرأس الأسود الفاحم أو الأصفر الفاقع فأسقطته ، وبدى لأول مرة رأس المرأة المسلمة مكشوفاً لا شيء عليه يستره عن أعين الناس من أجانب وأقارب . وبذلك شُل جسم الحياء في المرأة ، ولم يعد قادراً على منعها من أن تحدث و تجالس ، أو تصافح ، وتضاحك أيضاً من شاءت من الرجال خاصة وخاصة أصدقاء الزوج وأقاربه وإن بعدوا أو سفلوا . . .

وتأتى بعد ذلك الخطوة الأكثر جرأة على الملاءة « العباءة » فتلفها كالثوب الخَلِق وترمى بها بعيدا من ساحة الحياة . وتخرج المرأة المسلمة لأول مرة فى تاريخ إسلامها في درع سابغ « طويل » جميل تحته غلالة لطيفة ، وما فوقه شيء .

وسفرت المرأة المذكورة فى بلاد الإسلام سفورا واضحا تاما كما أراد لها عباد الهوى وأرباب الشهوات ، وبذلك كفرت السافرة وكفر معها مشجعوها على السفور بعدة آيات من القرآن الكريم . والكفر بالبعض كالكفر بالكل عند جميع المسلمين . . .

ويحسن هنا أن ننبه إلى أن خطوات السفور كان الزمن بينها متفاوتاً جداً بحسب قوة المؤثرات وضعفها . ففى بعض البلاد كانت الفترة ما بين كشف المرأة وجهها وتعرية رأسها عشر سنوات أو أكثر ، وما بين كشف وجهها ورأسها والتجرد من العباءة عشرين سنة أو تزيد ، وفى بعض قد تكون مدة الانتقال من خطوة إلى أخرى أقل مما ذكر أو أكثر . نبهت إلى هذا لأن كثيراً من المخدوعين والمخدوعات عندنا يحسبون أن المرأة السعودية إذا كشفت عن وجهها لا يسرى الكشف فيها إلى رأسها ولا إلى جسمها لعصمة خاصة بها . وما ندرى من أين أتتها هذه العصمة أو العصامية ؟ إلا أن تكون من خداع المضللين والمفتونين ، بل الذى نجزم به أن المرأة فى السعودية إن فتح لها باب السفور لولجته فى شهور معدودة ، وليس فى سنوات محدودة . وإن كانت هناك عصمة والحق يقال ففى فيصل الإسلام وحكومته . فما دام هذا الفيصل العظيم وما دامت حكومته القرآنية فالعصمة للفتاة السعودية موجودة متوفرة والحمد لله . ولكن هل يخلد فيصل الإسلام وهل تخلد حكومته ؟

ومن هنا يجب أن نطلب العصمة لفتاتنا من إيمانها ، وحيائها ، وحجابها ، وطهارة روحها ، من تمسكها بإسلامها ، والمحافظة على طاعة ربها ونبيها ﷺ لا من سوط السلطان ، ولا من عامل الزمان .

وبعد هذا التنبيه نعود إلى الحديث عن المصير الأسود الذى صارت إليه المرأة المسلمة فى شتى بلاد المسلمين والذى تقاد إليه الفتاة السعودية وهى لا تشعر ولا تريد . فنقول : وجاءت أيام استقلال الأمم والشعوب وتحررها من ربقة الاستعمار الغربى ، وأخذت بلاد العرب تستقل وتتحرر ، وتكونت فيها حكومات وأنشئت فيها وزارات للتعليم ، وفتحت فيها مدارس ، واحتلت البنت المسلمة الكثير من مقاعدها والحمد لله ، غير أنه على أعتاب تلك المدارس ذبح الإيمان والحياء قرباناً للشهوات والأهواء ، وأصبحت حقائب بعض المتعلمات ملأى برسائل الحب والغرام المتبادلة بين الطلاب والطالبات ، وتطورت الحال فأزهقت روح الطهر والعفاف عند كثير من الطالبات ، وأصبحت الفتاة الطالبة تقدم فى غير خجل ولا حياء خطيبها لأبيها وتقول : هذا أحبه يا أبى ويحبنى وأريد أن أتزوج لأنى جربته وجربنى وعرفت عنه وعرف عنى ، وهذه هى طريقة الزواج السعيد كما يقول العلم السيكولوجى « النفسى » ولم يجد والدها بداً من أن يقرن بينهما فى الظاهر بعد أن قرن الشيطان بينهما فى الباطن . . .

وتفاقمت الأزمة ولم يعد حل عقد القران لها حلاً ، فأنشئت دور الحضانة لإيواء اللقطاء المنحدرين فى أكثرهم من أصلاب الطلاب وبطون الطالبات ، غير أن الأيام لم تبخل على بنيها بنفحة حبوب ضد الحمل ، فأصبحت حقائب الطالبات لا تخلوا من تلك الحبوب ، وبها تنفس الكثير الصعداء ووجد للمعضلة حلها ، لولا أن مشكلة البكارة ما زالت تعكر صفاء الزوج السعيد ، فقد يريد متلاعب أن يخزى فتاة وأسرتها فيعلن ليلة زفافها إليه أنها مفتضة ولا بكارة لها ، ويقيم الدنيا ويقعدها بالصياح والضجيج ، ويغرق الفتاة وأسرتها فى بحر من الخزى والعار ، فكانت هذه مشكلة أخرى ، غير أنها لم تعدم حلها أيضاً ، فقد نُمِىَ إلينا أن مسؤولاً كبيراً فى تلك البلاد الإسلامية المنكوبة بمثله ، والموبوءة بهذا الوباء صرح قائلاً فى غير خوف ولا حياء : يجب أن لا تعطى مسألة البكارة أية أهمية أبداً ، وخاصة بين المثقفين والمثقفات ، ولازم هذا القول : أن على القضاء الشرعى أن يهمل مثل هذه الشكوى ، ولا يقيم لها وزنا ، وعلى المواطنين أن يترفعوا عن هذا السفساف الذى هو من بقايا تركة القرون المتخلفة . . .

وكنتيجة حتمية لذلك السفور ، وهذا التبرج الجاهلى الكبير ، ولنفس التعليم الفاسد الذى غايته المثلى ، وهدفه الأسمى الوظيفة الحكومية وغير الحكومية امتلأت دور الحكومة ، ومصالحها بالموظفات ، وازدحمت بالتالى بهن المسارح ، ودور السينما ،

وكذلك المسابح ، والمصطفات ، وضَمّتْ البلاد بالخبث وعمها فساد وانْمَسَخَ المجتمع الإسلامى فأصبح غيره بالأمس فى مظهره ومخبره وظاهره وباطنه .

وفى خضم هذا التدهور والفساد ساد الآباء والأمهات اعتقاد أن فتاتهم إذا لم تتعلم لا تتوظف ، وإذا لم تتبرج حتى تلبس « المينى جيب » نصف الثوب لم تتزوج . فأقبل الآباء والأمهات على زج بناتهم فى مذابح الشرف والدين (المدارس ، والوظائف) ، وأذنوا لفتاتهم أيضاً أن تخرج من البيت تتجمل بكل ممكن من أنواع التجميل ، ثم تخرج عارية شبه كاسية ، يفوح مسكها ، ويعبق عطرها لتريح الشيطان من فتنته ، وتنهض وحدها بمهمته ، وهى بهذا جديرة ، وعلى مثله قديرة .

غير أن الحال لم تدم طويلاً حتى ملّ الشباب هذه الحياة وأخذ كثير منهم ينزلقون من مستواهم الرجولى إلى منحدر التخنث والميوعة ، فحلقوا وجوههم ودهنوها ، وصبغوا شعورهم وأطالوها ، ونافسوا الفتيات الفاتنات فى ضروب التجميلات . وساءت الأحوال ، وتدهورت الأخلاق ، واختلط الحابل بالنابل ، والمقبل بالمدبر ، والذكر بالأنثى . وفقدت المرأة التى كان يلوح لها بسعادة التحرر والتطور ، فقدت لا سعادتها فحسب بل وجودها كله كامرأة ذات قيمةٍ فى المجتمع ووزنٍ فيه ، إذ لم تعد ـ مع الأسف ـ تلك المرأة التى تتمتع باحترام الآباء والأزواج ، ولا تلك التى تحاط بالقداسة والتعظيم ، وإنما أصبحت أشبه بمحترفة تطلب العيش ، وتقرع كل باب للعمل لعلها تحصل على وظيفة ـ ولو غير شريفة ـ تدر عليها دراهم معدودة تنفق أكثرها فى المساحيق للتجميل ، وفى الثياب القصيرة الجميلة للفتنة ولفت الأنظار . . .

وأخيرا هذا المنحدر الفظيع الذى انحدرت إليه المرأة المسلمة فى كثير من بلاد الإسلام . وهذا هو المصير الأسود الذى صارت إليه فهل ترضين يا فتاة السعودية لنفسك بمثله ؟ ؟ فتواصلى إصغاءك لخادعيك ، وحسن استماعك للمُغَرِّرِين بك ، تقرأين ما يكتبون ، وتعين ما يقولون ، وهم يشجعونك على اقتحام هذا الخطر ، والنزول فى هذا المنحدر . . .

إنهم اليوم لا يطلبون منك أكثر من كشف وجهك ، وبحجة أن كشف الوجه مختلف فيه بين أهل العلم فى كونه من الزينة التى يجب أن تخفيها المسلمة أو من غير الزينة مما لا يجب عليها إخفاؤها .

غير أنهم يعلمون علم اليقين ـ بحكم التجارب الطويلة العديدة ـ أنك يوم تكشفين عن وجهك ويذهب ماؤه وحياؤه ستكشفين لهم عن رأسك وصدرك ، ثم عن ساقيك وإلى نصف فخذيك .

إنهم يا فتاة السعودية لا يشكون ولا يرتابون فى هذا منك أبداً . لأن التجارب قد سبقت مع مثلك من الفتيات فى وقت كان الإيمان أعمق جذوراً فى النفوس ، والحياء أكثر سيطرة على الروح والوجدان .

ومرة أخرى فهل ترضين يا فتاتنا الطاهرة بهذا المصير الأسود الذى أوقفناك على صورته القاتمة ؟ هل ترضين ؟

والله تعالى أسأل أن يكون جوابك ، لا ، لا ، لا نرضى ، وكيف وأنا فتاة الإسلام ، وغادة ينابيع الطهر والهدى . . .

والآن وقبل أن أقدم نصيحتى الأخيرة إليك اسمحى لى أن أهمس فى أذنيك بالكلمات التالية :

ـ إنك اليوم بحجابك مُتَوَسَّلٌ إليك ، مخطوبة . وغداً يوم ترمين الحجاب كما يريد لك المغرورون بك تصبحين أنت المُتَوَسِلَةَ للأزواج الخاطبة لهم .

ـ أنك اليوم بحجابك وطهرك تُخدمين فى قصرك ، ويوفر لك جميع حاجاتك ، وغداً يوم تتخلصين من الحجاب كما يحب منك عملاء الماسونية ، الأذناب تخدمين وغير زوجك وأبى أولادك ؛ وإنمامدير عملك ، ورئيس شغلك ، وتوفرين له ما يحتاج إليه .

ـ إنك اليوم مرموقة يُتطلع إليك ، وغداً يوم تتركين الحجاب تصبحين رامقة متطلعة ، تتعرضين لعل هناك من يُقبل عليك ، ولا أحسبك واجدة غير نذل عربيد يعبث بك أياماً ، ثم يرمى بك كالخرقة البالية لا ترفعين ، ولا ولا ترقعين .

ـ إنك اليوم بحجابك تتمتعين باحترام والديك ، وكل قريب إليك ، وغداً يوم تنسلخين من الحجاب تصبحين محتقرة مدفوعة بالأبواب .

ـ إنك اليوم بحجابك تشعرين بإيمانك وكرامتك ، وغداً يوم تتنكرين للحجاب ستفقدين حتماً ما تشعرين به اليوم من رفعة الكرامة ، وعزة الإيمان .

ـ إنك اليوم بحجابك واجدة إسلامك وإيمانك وحياءك ، وغداً يوم تكفرين

بالحجاب لا تجدين حياءً فى وجهك ، ولا إيماناً فى قلبك ، سنة الله فيمن مضين قبلك .

هذا ما أردت أن أهمس فى أذنيك به وقد همست . ولم يبق إلاّ أن تحفظى ولا تضيعى ، وإن حفظت فلك ، وإن ضيعت فعليك .

ونصيحتى لك

ـ إنها أيتها الفتاة السعودية : أن تقابلى كل دعوة لترك حجابك بكشف وجهك ، أو ترك ملاءتك ، تقابليها والقائمين بها بالاحتقار والازدراء . وسواء كانت من معلمة مشفقة ، أو مرشدة ناصحة ، أو كاتب يتباكى على حريتك ، أو مذيع يزعم العمل على تأديبك وتهذيبك.

ـ إنها أن ترضى بما رضى الله لأمهات المؤمنين ، أزواج سيد المرسلين . من لزوم البيت ، وترك التبرج الجاهلى ، حيث قال لهن : ﴿ **وقَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرّجْنَ تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله** ﴾ (١) .

ـ إنها أن تفضلى حياة التستر والحياء ولو مع شغف العيش ، وقلة الريش ، على حياة الكشف والوقاحة ولو مع سعة الرزق والرفاهة .

ـ إنها أن تتخذى من البيت مقر حياتك ، ووكر فراخك ، فيه تعيشين وبه تبضين وتفرخين . وأن تحيليه للزوج والأولاد جنة وارفة الظلال ، وإن ضاق الرزق ، وقل المال ، وذلك بإيمانك وحيائك وطهرك وصفائك ، بحمايتك له ، ورعايتك لما فيه ، بطاعتك الزوج بطاعة الله ، وبتربية الأولاد على سنن الآباء والأجداد ، أقوياء فى أبدانهم وأديانهم ، سالمين فى عقولهم وأفكارهم ، عمداً للبلاد ، وعُدَداً للجهاد .

ـ إنها أن تعلمى أن الحياة زهرتها إلى ذبول ، ونجم سعادتها فيها إلى أفول ، ولأن تقدمى فيها لآخرتك ركعتين صالحتين خير لك مما بين المشرقين والمغربين .

ـ إنها أن تعلمى أن السعادة الحقة فى الدنيا ليست فى وفرة الطعام والشراب ولا فى لذة النكاح ، وطيب المنام ؛ إن هذه لسائر الحيوان كما هى للإنسان . وإنما السعادة الحقة فى إيمان بالله ورسوله صحيح تشرق له النفس ، وينقى به الضمير ، وفى عمل صالح

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

ينشرح به الصدر ، وتسمو به الروح .

ـ إنها أن تعلمى أن الجمال المطلوب للفتاة ليس هو فقط جمال الذات ، وإنما هو كذلك جمال النفس ؛ ولئن تقدم الفتاة جمال ذاتها خير من أن تقدم جمال نفسها ؛ إذ الأول تُعْذَرُ فيه ؛ لأنه ليس من كسبها ، والثانى قد تؤاخذ عليه ؛ لأنه من كسبها وعمل يدها .

ـ إنها أن تعلمى أن أجمل ما فى الفتاة الحياء ، وأنك إن تفقديه تفقدى معه كل جمال ، وتصبحين بدونه شيطانة فى زِيِّ إنسانة . ولن يعوضك إياه يوم تفقدينه علم ، ولا وظيفة ولو كانت شريفة ، ولن يكون لك بدلاً عنه بحالٍ من الأحوال لإطلاء وجه ، وتعرية جسم ، ولا كثرة مال .

ـ إنها أن تعلمى أن فتنة المرأة اليوم كانت فى التعليم فاحذرى أن تقعى فيما وقع فيه غيرك ، إنه باسم العلم والمعرفة حدث كل ذلك الذى عرضت عليك فى الصورة القاتمة التى مرت بك . وعليه فإذا طلبت العلم فاطلبيه لمعرفة الله تعالى ، ومعرفة الطريق الموصل إليه عز وجل ، إذ هو العلم الواجب عليك تعلمه ومعرفته ، وإياك أن تطلبيه لمجرد المعرفة ، أو لغرض الوظيفة وإن كانت شريفة . فإن أكثر الهالكات من المتعلمات والموظفات .

ـ أنها أن تعلمى أنه يكفيك من العلم ما تعرفين به طريقك إلى الله تعالى . وذلك بالإيمان به وعبادته ورجائه ، وليس متعذراً عليك أن تطلبى هذا القدر من غير الثانوية والجامعات . فقد كانت المرأة المسلمة تتعلم فى بيتها من أفراد أسرتها من أبيها أو أخيها أو عمها أو خالها . تتعلم من علوم الدين والأخلاق والآداب ما لم تفز به اليوم أو تظفر به مَنْ تتنقل طول عمرها بين مدارس الدنيا وجامعاتها . وإياك أن تصغى إلى قول من يقول : الوظيفة أمان من الفقر . فإن هذا القول باطل وغير صحيح بالنسبة إليك ، وقد يصح بالنسبة إلى رجل يعيل زوجاً وأولاداً . أما امرأة يُعليها زوجها ويعيل أولادها فغير صحيح أبداً .

واعلمى أخيراً أن أمك ، وجدتك ، وأم جدتك ، وجدتها إلى هاجر أم إسماعيل عليه السلام قد عشن طول حياتهن آكلات شاربات كاسيات مستورات وبدون هذا العلم المادى ، ومن غير هذه الوظيفة السخيفة .

فهلا تقتدين بأولئك الصالحات ، وسلام عليك فى القانتات الحافظات .

وأنتم أيها المسؤولون

إليكم يا آباء الفتيات ، ويا أمهاتهن ، إليكم جميعاً نوجه الكلمة التالية تذكيراً وتحذيراً ، وما يذكر إلاّ أولوا الألباب : ـ

ـ أيكم يقدر على أن يفرغ على ابنته برميلاً من النفط « البنزين » ثم يشعل فيها النار فَتَحْرَقُ حتى تصير فحماً ؟

إنكم تقولون ـ وبدون شك ـ : ما منا أحد يقدر على فعل ذلك أبداً . ونحن نقول : إن الذى يسمح لابنته أن تطلب هذا العلم المادى ، ويشجعها على طلبه حتى تسفر وتتبرج وتلبس « المينى جيب » نصف الثوب تتجمل به للمدارى ورؤساء العمل ، ورفقاء المهنة ، لرجل أقدر على أن يفعل بابنته ما بادرتم بنفيه من إفراغ النفط عليها وإحراقها بالنار ! !

وبيان هذا أن البنت التى زج بها فى مدرسة مادية الغاية من دراستها فيها أن تتأهل لوظيفة ، وأثناء طلبها العلم تروض شيئاً فشيئاً على السفور ونبذ الحياء فلا تنتهى دراستها إلا وهى سافرة متبرجة لا إيمان لها ولا حياء ، ثم تطلب وظيفة تقضى فيها جل وقتها مع زملاء العمل تصافح هذا ، وتسلم على هذا ، وتتصنع للجميع بحكم قانون اللياقة والصلاحية للعمل . إن فتاة كهذه لم يبق لها مجال أن تعبد الله ، وتبكى من خشيته ، وإذاً فمآ لها مآل عبد لم يعبد الله ، ولم يبك يوماً من خشيته : النار وبئس المصير .

والذى هيأ لها هذا المصير أب شجعها على هذا السلوك ، وأم حببت لها هذه الطريقة فى الحياة . كل ذلك باسم السعادة والمستقبل الأفضل ، والحياة الكريمة ، وما إلى ذلك من كلمات الخداع والتضليل ! ! !

ـ أيكم يعلن عن استعداده لمعصية الله ورسوله ، والله تعالى الذى تؤمنون به رباً وإلهاً قوياً عزيزاً لا يخلف الميعاد يقول : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** ﴾ (١) .

قد تقولون ـ وبدون تردد ـ : ما منا أحد مستعد لمعصية الله والرسول أبداً .

---

(١) الجن : ٢٣ .

فنقول لكم : ألم يأمر الله تعالى بغض البصر وحفظ الفرج ؟

وإذا قلتم : بلى أمر الله تعالى المؤمنين بالغض من أبصارهم ، وبحفظ فروجهم .

قلنا لكم : وكيف يتأتى لكم ذلك إذا كان نساؤكم وبناتكم سافرات ومتبرجات ، تمتلىء بهن المحلات العامة والخاصة ، وتغص بهن الأسواق والشوارع يوجدن فى كل مكان بلا ساتر من ثياب ، أو حياء من دين ؛ والجواب الصحيح أن معصية الله والرسول والحال هذه لا مناص منها ، ولا محيد عنها ، تلك المعصية التى قلتم : إنكم غير مستعدين لها ؛ لأنها توجب العذاب ، وتحتم الشقاء .

ـ أيكم ينكر أن يكون غير مسئول عن زوجه وبناته اللائى فى حجره وتحت رعايته والله تعالى يقول : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾ (١) .

وإن قلتم : نحن لا ننكر مسئوليتنا على نسائنا وبناتنا ، قلنا لكم : ألم يأمر الله تعالى المؤمنات أن يدنين عليهن من جلابيبهن بمعنى يخفين زينتهن عن الرجال الأجانب وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ (٢) . ألم ينه تعالى المؤمنات مطلق المؤمنات عن إبداء زينتهن لغير محارمهن بقوله لأجل من قائل : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** . . . الآية ﴾ (٣) .

وإذا فهل يتفق ومسئوليتكم ترك الحبل على الغارب ، وإهمال أزواجكم وبناتكم يعصين الله تعالى ، ويستبحن ما حرم عليهن ، فيخرجن متعرضات للرجال وهن بلا جلباب ولا نقاب . فى تبرج جاهلى كبير ! ! !

ـ أيكم يرى أن كشف المرأة لوجهها ليس كشفاً لزينتها ، وإظهاراً لأحسن محاسنها ؟ ؟ قد تقولون بسرعة : نعم كلنا يرى أن كشف المرأة لوجهها ليس كشفاً لزينتها ، وإبداءً لمحاسنها ، ولا معصية فى ذلك لله ولا للرسول ﷺ .

ونحن نقول لكم ما أدلتكم الشرعية على ما رأيتم من جواز كشف الوجه ؟ فتقولون : الاستثناء فى قول الله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** . . . الآية ﴾ (٤) . وحديث أسماء عند أبى داود وفيه أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ

---

(١) التحريم : ٥ . (٢) الأحزاب : ٥٩ .

(٣) النور : ٣١. (٤) النور : ٣١ .

وقال لها : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرَى منها إلا هذا وهذا . وأشار إلى وجهه وكفيه » .

فنقول لكم مبينين الحق لكم : إن قوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** .. ﴾ [1] الآية تدل على أمرين :

أولهما : تحريم إظهار المرأة المسلمة زينتها لغير محارمها .

والثانى : العفو عما ظهر من تلك الزينة . **فالأمر الأول** : دلالته من الآية قطعية مجمع عليها بين كافة أهل الإسلام سلفا وخلفاً ، وهو تحريم إبداء المرأة لشىء من زينتها لغير محارمها . **وأما الثانى** : وهو عدم مؤاخذتها عما ظهر من زينتها فمختلف فيه اختلاف كبير . فمن قائل المستثنى هو ما ظهر من زينتها بغير إرادتها واختيارها ، وذلك كالثياب الظاهرة فوق جسمها ؛ لقول اللّه عز وجل : ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ الآية [2] . والمراد بالزينة هنا الثياب التى تصح بها الصلاة . ومن قائل المستثنى فى الآية هو ما لا تقدر على إخفائه فى كل حال وذلك كالكف ، إذ به تتناول وتعطى ولا بد من ظهوره عند ذلك ، وكعينها التى تبصر الطريق بها ، وكالخاتم فى الأصبع ، والخضاب فى اليد ، والكحل فى العين ... إذ كل هذا يتعذر على المؤمنة إخفاؤه ، وإذا تعذر القيام بالواجب سقط .

ومن قائل المستثنى : الوجه والكفان . ولما كانت الدلالة ضعيفة جداً ، ولا يستطيع مؤمن أن يجزم بأن اللّه تعالى أراد بما استثناه الوجه والكفين ، ولا سنة صحيحة بينت مراد اللّه فى هذا الاستثناء ؛ إذاً حديث أسماء ضعيف أعله أبو داود راوية بعلة الإرسال ، وأجمع أهل الحديث على ضعفه ، وآخرهم شيخ المحدثين اليوم : ناصر الدين الألبانى حفظه اللّه تعالى ، وأهل العلم من المسلمين مجمعون على أن الحديث ضعيف لا يحل الأخذ به فى تحليل حرام ، أو تحريم حلال أو إثبات معتقد دينى ، أو حكم شرعى أبداً ، وإنما قد يؤخذ به فى بعض فضائل الأعمال فقط ، لا فى مسألة كهذه فيها تحليل ما حرم اللّه تعالى . ومن هنا الجمهور من علماء السلف والخلف على أن كشف المرأة وجهها لغير ضرورة لا يحل أبداً إذ هو من سائر المحرمات فى الشرع الإسلامى .

ولنسمع إلى بعض أقوال أهل التفسير فى هذه الآية : قال ابن كثير : —

---

(١) النور : ٣١ .　　(٢) الأعراف : ٣١ .

(أى لا يُظْهِرّنَ شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه) . قال ابن مسعود رضى اللّه عنه : ـ كالرداء ، والثياب ، وقال بقول ابن مسعود : الحسن البصرى ، وابن سيرين ، وأبو الجوزاء ، وإبراهيم النخعى ، وقال مالك إمام دار الهجرة : « إلا ما ظهر منها : الخاتم والكحل . وقال القرطبى : ـ ظاهر الزينة هو الثياب . وقال ابن عطية أحد أئمة التفسير : ويظهر لى بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بأن لا تبدى شيئاً من زينتها ، وأن تجتهد فى الإخفاء بكل ما هو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابد منه ، أو إصلاح شأنها ونحو ذلك . فما ظهر على هذا الوجه مما تؤدى إليه الضرورة فهو معفو عنه . وقال البيضاوى فى تفسيره : ـ إلا ما ظهر منها : أى عند مزاولة الأشياء : كالثياب ، والخاتم فإن سترها حرج ، والحرج مرفوع يقول اللّه تعالى : ﴿ **لا يكلف اللّه نفساً إلا وسعها** ﴾[1] ، ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾[2] .

هذا وشىء آخر نقوله لكم فى صراحة : وهو أن بداية السفور والتبرج الجاهلى الذى عليه جل نساء المؤمنين اليوم فى ديار المسلمين ، إنما بدأ من كشف الوجه بإزالة البرقع والنقاب عنه حتى بات وأصبح وأضحى وظل وأمسى من المعلوم بالضرورة أن من كشفت من الفتيات عن وجهها اليوم . ستكشف غداً حتماً عن رأسها وصدرها وساقيها ، وحتى فخذيها ، ولا يجادل فى هذا أولا يسلمه إلا مغرور مخدوع ، أو مُضَلّلٌ مُغَرِر خَادِعٌ يعمل لحساب الماسونية العالمية التى جعلت من أهدافها القضاء على الإسلام عقيدة ، وبيتاً ، ومجتمعاً ، ودولة .

وبناء على هذا فإن اليد التى تحاول أن تحسر الحجاب عن وجه فتاتنا اليوم يجب الضرب عليها ، وأن اللسان الذى يدعو فتاتنا إلى نزع حجابها بإسقاط ملاءتها ينبغى أن يقطع ، وذلك حفاظاً على طهارة مجتمعنا ، وإبقاء على الكرامة التى أكرمنا اللّه تعالى بها حيث أُهّلنَا لحماية دينه ، وإظهار شريعته بتحكيم كتابه ، وإحلال حلاله ، وتحريم حرامه ، فى وقت انحسر فيه ظل الإسلام من كثير من بلاد المسلمين حيث عُطلت الحدود ، وضُيّعت الفرائض ، وأميتت السنن ، وأحييت البدع ، واستبيحت المحارم ، وأحل الحرام ، وحرم الحلال . فى هذا الوقت بالذات اتخذ اللّه تعالى منا ومن بلادنا وحكومتنا شاهداً ، وحجة على الناس لئلا يقولوا : وُجِدنَا فى عصر ظننا فيه أن الإسلام لم يعد صالحاً ليحكم كتابه ، ولا لتظهر شرائعه ، ولا ليهتدى بمناره فى سبل الحياة القاتمة ، ودروبها المظلمة .

(١ ، ٢) البقرة : ٢٨٦ .

وإذاً فكيف لا نعتز بهذا الكمال ، ولا نفاخر به ، ولا نحافظ عليه ، ومن أجل إرضاء حفنة من عباد الشهوات ، وأرباب الأهواء نسمح لفتاتنا التى هى مضرب المثل فى العفة ، والطهر ، والاحتشام ، والحياء فى ديننا اليوم أن تقع فى الهواة التى وقع فيها ملايين من نساء الناس بالإغضاء عنها . وهى التى تحاول أن تكشف وجهها اليوم لتكشف عن رأسها غداً .

لا . لا يا إخواننا بل يجب أن نقف صفاً واحداً فى وجه كل دعوة يقصد بها المساس بحجاب فتاتنا ، أو النيل من عفتها وطهارتها بأىّ وجه من الوجوه . واللّه حسبنا وناصرنا ، وهو نعم المولى لنا ونعم المصير .

اتقوا الله فى هذه الأمة

فى جواز أى من أنواع النسك

وإتمام المسافر وراء الأئمة

بحث تضمن الرد على من ادعى عدم صحة صلاة المسافر إذا أتمها وراء الإمام المقيم ، وعلى من زعم بطلان الإفراد بالحج لمن لم يسق الهدى .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأرحم الراحمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد المرسل رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين ، وصحابته المهتدين .

وبعد : فإن من الأمثلة العامية التى ما زالت العامة فى بلادنا ترددها : قولهم : (إن البعير إذا طاح [1] كثر جزاروه) وهذا المثل ينطبق اليوم تمام الإنطباق على أمتنا المسلمة ؛ فإنها منذ ألف سنة وزيادة لا تخرج من محنة إلا إلى أخرى ، ولا تنجو من هلكة إلا لتقع فى مثلها ، تكالب عليها أبناء الدنيا أجمعون فلم يبق من لم يضرب بسيفه المسموم فى جسم هذه الأمة الرحيمة الكريمة ، وهى ثابتة تصبر وتتحمل لطيب أصلها وزكاة فرعها إلى أن تُسَلِّمَ الدنيا كلها ، وتعترف لها بالفضل والخير ، على العالم أجمع . ومن أقسى المحن وأشد الضربات على هذه الأمة الطيبة الخيرية تلك التى تتلقاها من أبنائها وفلذات أكبادها . وقديماً قال الشاعر الحكيم :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

إن من أبنائها من تنكر لها ، وأخذ يتجهمها ، ومنهم من شرع لها المذاهب لتذهب كل مذهب فلا تجتمع ولا تلتقى ، ومنهم من سن لها الطرق لتخطىء طريق الله فلا تهتدى ، ومنهم من قاد لها جيوش الاحتلال والاستعمار لا متلاكها والسيادة عليها ، ومنهم من استورد لها المبادئ الهدامة لهدم قواعد دينها ، ونسف عقائدها ، ومنهم من سن لها القوانين الوضعية لصرفها عن قانون الحق ، والبعد بها عن هدى الكتاب والسنة . ومنهم ... ومنهم ...

وآخر هؤلاء علماء أفاضل تكن لهم الأمة ــ ونحن معها ــ كل احترام ، وتبدى لهم كل تقدير ، رأوا بأم أعينهم أشلاء الأمة ممزقة ، وعظامها مكسرة ، ودماءها فى كل بلد

---

(١) طاح : أشرف على الهلاك .

مهدورة فلم يرق لهم ويا للأسف إلا أن يضربوا فى ذلك الجسم المكدود [1] ، والهيكل المتداعى المهدود . غير مبالين بالنتائج ، ولا مكترثين بالعواقب بلغت ما بلغت من السوء والوخامة ، ومن المحزن للقلوب جداً أن تكون ضرباتهم باسم التخلص من التقليد ، وتحت شعار الاجتهاد ، وعدم إهمال الأدلة من الكتاب والسنة ، فقالوا بلسان حالهم وشاهد أعمالهم : إن من الجائز أن يخطىء سلف هذه الأمة الصالح ، وصدرها الطيب الطاهر ، ويَرِث خطأَه خلفُه بعده ، وتستمر سلسلة الخطأ إلى يومنا هذا . ولا غرابة ولا عجب . ومن ذلك ـ حسب زعمهم أو فهمهم خطأ الخلفاء الراشدين ، وأصحاب رسول الله ﷺ أجمعين ، ومن بعدهم من التابعين وأئمة المسلمين المحسنين فى تجويزهم الإفراد بالحج وتصحيحهم صلاة المسافر وراء الإمام المقيم .

وهذا وأيم الله مما زاد فى محنة الأمة وحيرتها وبلبلة أفكارها ، وشكوكها ومخاوفها . وما كان أغنى هؤلاء الأفاضل عن إثارة مثل هذه الفتن ، أو ما كان أشغل الأمة عن مثلها ؛ إذ هى تعانى من آلام الفرقة وتقاسى من أتعاب الإلحاد الذى يغزو بنيها ، والفسق العام الذى انتظم جل أفرادها . فلو بر هؤلاء العلماء الأفاضل بأمتهم المسلمة لتجنبوا معها مثل هذه المسالك الدقيقة ، والإثارات المزعزعة لطمأنينة النفوس ، والمحيرة للعقول والأفكار ولا سميا أن الأمة تقف اليوم فى مفترق الطرق حيرى تتطلع إلى من يمد يده إليها لينقذها من فتنتها ويخلصها من محنتها ، ويخرجها من ورطتها الكبرى التى تعيشها ، وورطة الفرقة والانقسام والضعف والتخلف . إن الأمة اليوم ـ أيها العلماء الأفاضل ـ فى حاجة إليكم لتضمدوا جراحتها ، وتجبروا كسورها لا لتزيدوا فى تعميق الجروح وتضعيف الآلام . ألا فلنتق الله فى هذه الأمة ، ولنعمل على لم شعثها ، ورأب صداعها ، وجمع شتاتها ، ولكتن لها فى صدق كما هى لنا بحق ؟

إن الأمة فى حاجة إليكم أيها العلماء الأفاضل لتطهروا عقائدها مما تراكم عليها من أكوام الخرافات ومركوم الشركيات فحجبها عن نور القرآن ومنعها من هداية السنة وحال بينها وبين السير فى جادة الحياة حياة الطهر والصفاء والعزة والكرامة .

ألم يكفيكم أيها العلماء الأفاضل خدمة لهذه الأمة أن تقوموا أخلاقها وتهذبوا مشاعرها ، وتثقفوا عقولها ، وتنقوا أفكارها فتعدوها بذلك لتعرف مكانتها وتنهض بمسئوليتها بين أمم العالم وشعوبه ؟

---

(١) المكدود : المغلوب .

ألم يكن جديراً بكم أيها العلماء المحترمون وأنتم نور حياتها ، وقادة سفينتها وهداة مسيرتها وروادها إلى كل خير أن تعملوا على تخليصها من أسر الأهواء والشهوات وتحريرها من رق العبودية لغير الله تعالى ، وسلطان الحكم بغير ما أنزل الله تعالى .

كل هذا وغيره كان المفروض فيكم أيها العلماء المصلحون ، أن ينهضوا به ، وتنطلقوا في ميادينه عاملين مصلحين براً بأمتكم ، وأداء لرسالتكم ، وإبراء لذمتكم من تبعة البلاغ والبيان . غير أنكم مع الأسف تركتم كل هذه الميادين أو بعضها ورحتم تبحثون عن خلافات قديمة قد اندملت جراحاتها ، وزالت آلامها وإن بقيت آثارها بقعاً سوداء في تاريخ الأمة فتبعثونها من جديد لتزيدوا بها في آلام الأمة وأتعابها ومحنتها .

إن الأمة اليوم أيها العلماء الأفاضل لتدعوكم في صدق ومرارة إلى ترك مثل هذه الخلافات وعدم إثارتها والخوض فيها تضييقاً لشقة الخلاف بينها ، وتقريباً لساعة وحدة الصف فيها . كما أنها تسائلكم عن النتائج الطيبة ، والآثار الحميدة التي يمكن أن يخلفها مثل هذه المسائل الشاذة التي هي ـ والواقع يشهد ـ بمثابة قذائف يُرمَى بها في صفوف الأمة فتنسف بناءها ، وتهد من كيانها ، وتتركها هاوية ضعيفة .

وذلك كقول بعضكم : إن المسافر إذا أتم صلاته وراء الإمام المقيم بطلت صلاته . وهذه واحدة ، والثانية : إصرار بعضكم على تخطئة من حج مفرداً ومطالبته بالتوبة من إفراده بالحج ، والتحلل الفوري بعد طوافه وسعيه ولو كان بمنى ليلة عرفة .

وقبل إيضاح خطأ القوم في كلتا المسألتين ، وتبيين ذلك للأمة لِتُعرض عنه ولا تلفت إليه ، وتبقى لها ثقتها في سلفها الصالح تقتدي به وتهتدي بهداه الذي هو من هدَى الله تعالى وهَدْيِ رسوله ﷺ نقول لهم : يا علماءنا ، ومحط ثقتنا ، وأدلاءنا في متاهات هذه الحياة نناشدكم الله تعالى ونسائلكم به أن تقدروا ظروفنا وتراعوا ضعفنا ، وأن تمتثلوا أمْرَ نبينا فينا : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا وسددوا[1] وقاربوا » فلا تحملونا على عزيمة وأنتم تجدون لنا في دين الله تعالى رخصة .

ومن عرف منكم شيئاً في هذا الدين وفتح الله تعالى له فيه ، ولم يكن معلوماً لسلف أمتنا ولا معمولا به فيها فليعمل به في خاصة نفسه ، ولا يدع الناس إليه ، حتى لا يفتح على

---

(١) هذا بعض حديث صحيح .

الأمة باباً من الشكوك والأوهام فتزداد حيرتها ، وتتسع شقة الخلاف بينها ، ولكم فى رسول اللّه ﷺ أسوة حسنة فقد قال لعائشة رضى اللّه تعالى عنها فى الحديث الصحيح : لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين ... ؟

إن الأمة المسلمة اليوم أحوج إلى الرفق بها والمواساة منها فى أى يوم مضى . فارحموها أيها العلماء يرحمكم اللّه تعالى .

وبعد فهذا أوان الشروع فى بيان الخطأ فى المسألتين المشار إليهما سابقاً :

المسألة الأولى

فى بيان خطأ من زعم أن صلاة المسافر تبطل إذا أتمها وراء الإمام المقيم

إن خطأ صاحب هذا الزعم فى هذه المسألة لا يحتاج بيانه إلى أكثر من إيراد الأسئلة التالية : والإجابة عنها ، ومن خلال ذلك يفهم القارىء المسلم خطأ القوم وبطلان ما ذهبوا إليه فى هذه المسألة التى بلبلوا بها أفكار العوام وشوشوا بها على العلماء ، فأساءوا إلى الأمة والدين معاً من حيث أرادوا الإحسان إليهما . وهذا شأن العبد إذا حرم توفيق اللّه تعالى .

اللهم لا تحرمنا توفيقك ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد سواك .

وهذه هى الأسئلة المطلوبة لبيان خطأ أصحاب الزعم المذكور :

١ ـ هل تعلمون أن قول اللّه تعالى من سورة النساء : ﴿ **وإذا ضَرَبْتُم فى الأرض فليس عليكم جناحٌ أن تَقْصُروا من الصلاة إن خفتم أن يَفتنكم الذين كفروا** ﴾ [1] دالٌ على أن قصر الصلاة للمسافر رخصْة ، وأن علماء كثيرين من السلف والخلف فهموا من هذه الآية الواضحة الدلالة أن القصر رخصة وليس بعزيمة ، ومن بين هؤلاء العلماء عالم قريش الإمام محمد بن إدريس الشافعى رحمه اللّه تعالى ، وكذا مالك ، وأحمد من الأئمة ، وأن فهمهم هذا من الآية صححته السنة النبوية الصحيحة فقد أخرج مسلم فى صحيحه عن على بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : قال

(١) النساء : ١٠١ .

اللّه تعالى : ﴿ **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** ﴾[1]... وقد أمِنَ الناس ؟ فقال له عمر : لقد عجبت مما عجبت (أنت) منه فسألت رسول اللّه ﷺ فقال : « صدقة تصدق اللّه بها عليكم فاقبلوا صدقته » .

٢ ـ وهل تعلمون أن عثمان بن عفان رضى اللّه عنه وهو أحد الخلفاء الراشدين المأمور باتباع سنتهم بقول الرسول ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ... » قد أتم الصلاة بمنىً وهو مسافر وأتمّ معه وراءه آلاف من الصحابة والتابعين رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين وهم مسافرون وبدون شك ، فلو كان قصر الصلاة عزيمة لا رخصة فهل يجوز للآلاف من الصحابة والتابعين أن يتموا صلاتهم فتبطل عليهم ، ويسكتوا على ذلك . اللهم إن هذا لا يظن بأصحاب رسول اللّه ﷺ ، ولا بسلف هذه الأمة الصالح .

٣ ـ وهل تعلمون أن عائشة أم المؤمنين راوية حديث (فرضت الصلاة ركعتين ركعتين) هذا الحديث الذى هو دليلكم فى المسألة ، قد أتمت صلاتها فى السفر غير ما مرة ، وكانت تُسأل عن ذلك فتقول : إنه لا يشق عليها ذلك ، والحديث مخرج فى الموطأ لمالك رحمه اللّه وفى غيره من مصادر الشريعة الصحيحة .

فهل يظن بأم المؤمنين وهى راوية الحديث الذى استدللتم به أنها تتعمد بطلان صلاتها فتصليها فى السفر أربعاً ؟ اللهم لا . ولكنها فهمت من كلام ربها عز وجل أن قصر الصلاة كان رخصة كما هو ظاهر نص الآية الكريمة ، وكما بين الرسول ﷺ فى قوله لعمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : « صدقة تصدق اللّه بها عليكم » . فمن احتاج إلى الصدقة أخذها ومن استغنى عنها تركها . وكيف وهى التى كانت يأتيها الرجل من الصحابة أو التابعين فيقول لها : إن رسول اللّه ﷺ قال كذا .. وكذا .. فترى ما حدث به مخالفاً للآيات الكريمة ، فتقول له : لا يابن أخى إن رسول اللّه ﷺ لم يكن ليخالف ربه فإن اللّه تعالى يقول كذا وكذا ... فترد رواية الحديث إذا وجدتها تخالف القرآن ، أو تتعارض معه فللّه درها من أم ، وللّه درها من عالمة نحريرة ، وفقيهة بصيرة !!

٤ ـ وهل تعلمون أن ابن مسعود رضى اللّه عنه كما روى ذلك عنه أبو داود فى سننه بسند صحيح : صلى أربعاً ، فقيل له : لم عبت على عثمان ثم صليت أربعاً ؟ فقال : الخلاف كله شر ، وفى رواية : إنى لأكره الخلاف . فهل يظن بعبد اللّه بن مسعود أنه يعتمد بطلان صلاته فيصليها أربعاً ثم يتعلل بكراهيته للخلاف ؟ لا ... ولكن يقال :

(١) النساء : ١٠١ .

إنه كان يفهم أن القصر رخصة واظب عليها رسول اللّه ﷺ وحث على فعلها ، فكانت سنة من السنن التى لا ينبغى تركها إلا لعذر كهذا ، وإن تركت لأمر مَا فلا تبطل صلاة العبد لتركها .

وإذا تبين من هذه الأسئلة أن القصر للمسافر رخصة واظب عليها رسول اللّه ﷺ وحث على قبولها فكانت بذلك سنة مؤكدة لا ينبغى أن تترك إلا لداعٍ اقتضى تركها ، فهل يصح لأحد كائناً من كان أن يقول : من أتم صلاته وهو مسافر فصلاها أربعاً بطلت عليه ؟ اللهم لا . وإذا كان هذا فيمن أتم وهو منفرد أو إمام فكيف بمن أتمها مع إمام مقيم تجب متابعته ، وتحرم مخالفته بقول النبى ﷺ : « إنما جعل الإمام ليؤتم به » ، وقوله : « لا تختلفوا على إمامكم ... » الحديث .

ومن هنا ما أصبحنا فى حاجة إلى مزيد بيان لتخطئة من زعم بطلان صلاة المسافر إذا أتمها وراء الإمام المقيم ، غير أننا قطعاً لدابر هذه الفتنة التى أشعلوا نارها بين المسلمين نزيد الأمر إيضاحاً فنقول : لقد روى مالك فى الموطأ : أن ابن عمر رضى الله عنهما وهو صاحب رسول الله ﷺ والراوى لحديث « صلاة السفر ركعتان من ترك السنة فقد كفر » . روى عنه مالك بسند من أصح الأسانيد : أنه رضى الله عنه كان إذا صلى فى السفر مع إمام مقيم أتم صلاته ، وإذا صلى وحده قصر . وهذا نص الرواية : حدثنا نافع أن ابن عمر : كان يصلى بمكة عشر ليال يقصر الصلاة إلا أن يصلى مع الامام فيصلى بصلاته . وقال مالك أيضا : حدثنا نافع ، أن ابن عمر كان يصلى وراء الإمام بمنىً أربعا ، فإذا صلى لنفسه صلى ركعتين . وروى مسلم فى صحيحه أن ابن عباس رضى الله عنهما سئل عن إتمام المسافر وراء المقيم فقال : نعم يتم ، وتلك سنة أبى القاسم . وهذا نص الرواية : عن موسى بن سلمة قال : كنا مع ابن عباس رضى الله عنهما بمكة قلت : إذا كنا معكم صلينا أربعا ، وإذا رجنا إلى رحالنا صلينا ركعتين ؟ قال : سنة أبى القاسم .

وقد أجمع الأئمة الأربعة مالك ، والشافعى ، وأحمد ، وأبو حنيفة الذى يرى وحده : أن القصر عزيمة أجمعوا ورب محمد ﷺ على أن المسافر إذا صلى وراء المقيم وجب عليه أن يتم صلاته مع الإمام ، ولا يسلم من ركعتين ولا يجلس ينتظر أمامه حتى يسلم فيسلم بعده كما قال هؤلاء الزاعمون بطلان صلاة المسافر وراء المقيم إذا أتمها ، وقد احتج بهذا الإجماع الإمام الشافعى رحمه الله على أن قصر الصلاة رخصة وليس بعزيمة ، وقال : لو كان عزيمة ما أجمعت الأمة من عصر النبى ﷺ إلى عهد الشافعى على أن من صلى من مسافر وراء مقيم وجب عليه أن يتم : وسبحان الله كيف غفل هؤلاء عن مثل هذا

وقالوا ببطلان صلاة من أتم وراء المقيم ؟ وأعظم من هذا أننا نتحداهم علنا أن يأتونا بنقل صحيح يثبتون فيه أن أحدا ممن كانوا يفدون على رسول الله ﷺ بالمدينة من الوفود ، وكذا من وفدوا إليها من المسلمين على عهد الصحابة والتابعين ، وتابع التابعين ، ومن بعدهم إلى يومنا هذا ممن يحجون ويزورون المسجد النبوى ، كان يخالف إمام المسجدين الحرام والنبوى فيصلى معه ثم يسلم من ركعتين قبل سلام الإمام ، أو يجلس ينتظر الإمام حتى يسلم فيسلم بسلامه كما يفعل هؤلاء الزاعمون ، نتحداهم فى هذا وإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فليتقوا الله فى هذه الأمة وليكفوا من إثارة هذه الشبه والشكوك التى لن يستفيد منها إلا دعاة الهدم والتخريب ، وليرجعوا إلى الحق فإن الرجوع إلى الحق فضيلة .. وقد يقولون : إنكم ما أنصفتمونا فى هذا البيان حيث أغفلتم الأدلة التى اعتمدنا عليها فى زعمنا بطلان صلاة المسافر إذا أتمها وراء المقيم . ونحن نصفة لهم ودفعا لهذا الاحتمال نقول : إن ما اعتمده هؤلاء من النصوص هو ثلاثة أحاديث أولها : حديث عائشة رضى الله عنها فى الصحيح ونصه قالت : « فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر ، فأقرت صلاة المسافر ، وزيد فى صلاة الحضر » وفى رواية للبخارى فى كتاب الهجرة عن عروة عن عائشة قالت : « فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبى ﷺ ففرضت أربعا » . وثانيها : حديث ابن عمر عند ابن حزم « صلاة السفر ركعتان من ترك السنة فقد كفر » . وثالثهما : حديث ابن عباس : « إن الله فرض الصلاة على نبيكم فى الحضور أربعا ، وفى السفر ركعتين » . هذه أقوى الأدلة وأشهرها التى استدل بها الأحناف على وجوب القصر مع إيجابهم الإتمام مع الإمام المقيم ، وعدم السماح للمسافر أن يقصر مع الإمام المقيم بحال من الأحوال واستدل بها هؤلاء على بطلان صلاة من أتم من المسافرين وراء الإمام المقيم وعدوا الإتمام وراءه منكرا يجب تغييره .

وهذا بيان وجه الحق فى هذه الأدلة التى تمسكوا بها . أما حديث عائشة وهو أقواها فهو **أولا** : موقوف عليها ، فلم ترفعه إلى الرسول ﷺ كما أنها لم تشهد زمن فرض الصلاة .

وثانيا : أنه معارض بالآية الكريمة الدالة على أن الصلاة كانت تامة ثم رخص الله تعالى فى قصرها لعلة السفر ، ودلالة الكتاب أقوى للقطع بصحة سندها ولظهور لفظها فى محل النزاع أكمل ظهور إذا رفع الجناح فى القصر واضح فى ذلك .

وثالثا : هو متناقض مع حديث ابن عباس عند مسلم : « فرضت الصلاة فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين » وهى تقول : « فرضت ركعتين ركعتين ثم زيدت فى الحضر وأقرت فى السفر » . كما هو أيضا معارض برواية الطبرانى عن على رضى الله عنه أن تجارا سألوا رسول الله ﷺ فقالوا : إنا نضرب فى الأرض فكيف نصلى ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾(١) . ومعنى هذا أن الصلاة لم تفرض ركعتين وإنما فرضت أربعا ، ورخص الله تعالى للمسافر فى قصرها فكانت ركعتين فى السفر . ومعارض بما فى شرح المسند لابن الأثير من أن قصر الصلاة كان فى السنة الرابعة للهجرة ، وهذا يوافق نزول سورة النساء ومشروعية صلاة الخوف ، وأكبر من كل ما سبق أن عائشة راوية الحديث رضى الله عنها قد خالفته وأتمت صلاتها غير مرة فى السفر .

ومن أجل هذه الإحتمالات قال الأئمة الثلاثة : مالك ، وأحمد ، والشافعى رحمهم الله تعالى أجمعين قالوا : إن قصر الصلاة فى السفر رخصة وليس بعزيمة ، بيد أن مواظبة الرسول عليها جعلته أى القصر للمسافر سنة من السنن التى لا يسع البعد تركها .

وأما حديثا ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما فيكفى فى ترك العمل بظاهرهما أن كلا من الراويين رضى الله عنهما كان إذا ائتم بمقيم أتم صلاته ، وإذا صلى وحده قصرها ، كما تقدمت الروايات بذلك مع أن حديث ابن عمر صريح فى كون القصر سنة وليس بواجب لقوله : ومن ترك السنة فقد كفر . كما أن قوله : فقد كفر ، لا يحمله على ظاهره إلا ذو غفلة أو جهل كبير ، إذ اللفظ إما أن يكون خارجا مخرج التغليظ نحو قول النبى ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » . وإما أن يكون المراد من ترك السنة تركها استخفافا بها وإنكارا لها ، أو يكون المراد بها جميع السنن فتكون أل فى لفظ السنة لاستغراق الجنس ؛ إذ ما من مسلم إلا وهو تارك لسنة أو سنن ، ولم يقل أحد سلفا ولا خلفا أنه كافر بتركه سنة من السنن .

هذا وهناك أحاديث أخرى غير هذه الثلاثة ولكنها متعارضة متضاربة لفظا ومعنى . أَلْهَمَ الله جل جلاله الحافظ بن حجر عالم السنة الذى لم تظل الخضراء ، لم تقل الغبراء رجلا أعلم منه بسنة رسول الله ﷺ فى عصره وإلى يومنا هذا فيما نعلم ، ألهمه الله تعالى فجمع شتات تلك الروايات وقال : والذى يظهر لى أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء

---

(١) النساء : ١٠١ .

ركعتين ركعتين إلا المغرب ، ثم زيدت بعد الهجرة عقبها إلا الصبح ، ثم بعد أن استقر فرض الرباعية خفف منها فى السفر عند نزول الآية : ﴿ **وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ الآية ...

ويؤيد ذلك ما رواه ابن الأثير فى شرح المسند : من أن قصر الصلاة كان فى السنة الرابعة من الهجرة ، فعلى هذا يكون المراد من قول عائشة رضى الله عنها فأقرت صلاة السفر أى باعتبار ما آل إليه الأمر من التخفيف ، لا أنها استمرت منذ فرضت .

وحينئذ فلا يلزم أن يكون القصر عزيمة ، ولا أن من أتم صلاته فى السفر تبطل عليه لا سيما إذا كان مؤتما بإمام مقيم تجب متابعته وتحرم مخالفته .

ويشهد لهذا الجمع والتخريج أن جميع من رووا أحاديث فرض الصلاة ركعتين فى السفر قد أتموا الصلاة فى السفر ، سواء فى ذلك عائشة أم المؤمنين أو ابن عمر ، أو ابن عباس رضى الله عنهم أجمعين .

وأخيرا فقد يقول لنا هؤلاء الأفاضل : إنكم مقلدون حيث تركتم ظواهر النصوص ، واتبعتم عائشة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن سعود ، والأئمة الأربعة فى جواز إتمام المسافر صلاته إذا صلاها وراء إمام مقيم . ونحن نقول لهم : إنا لم نترك العمل بظواهر النصوص إلا بعد النظر فيها ومعرفة ظواهرها وبواطنها . ووجود ما عارضها من نصوص أخرى أقوى منها ، وأحوال وقرائن تجعل العمل بظواهرها مجازفة بدين الله تعالى وتغريرا كبيرا به .

وبناء عليه فنحن لسنا بمقلدين كما تظنون أو تعولون ، وإن أبيتم إلا وصمنا بالتقليد فنحن مقلدون ولكن لكتاب الله ، وعائشة ، وعثمان ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وكل الصحابة ، والتابعين ، والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين ، وأنتم مقلدون أيضا ولكن لمن من الناس ؟ ؟

والجواب لابن حزم الظاهرى فقط . وحينئذ فأينا أهدى سبيلا ؟ من قلد أمة يستحيل أن تجتمع على ضلالة ، أم من قلد رجلا واحدا بقدر ما يصيب يخطىء ؟

وإذا كان الجواب معلوما . فسلام على المنصفين بعد المرسلين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المسألة الثانية

فى بيان خطأ من زعم أن الإفراد بالحج لا يصح

إنا لنكتفى فى بيان بطلان هذا الزعم بمجرد عرض المسألة على القارىء عرضاً يتناول أحداثها وجميع ملابساتها ، وبين يدى ذلك نقدم المعادلة والمقارنة التاليتين ؛ ليكون القارىء على علم مسبقاً بنتيجة البحث :

المعادلة:

من يقول بوجوب (1) التمتع		من يقول بجوازه أو استحبابه
ابن عباس رضى الله عنهما	*	الصحابة كلهم وعامة التابعين
فالنسبة واحد إلى عشرات الملايين ١ / ١٠,٠٠٠,٠٠٠		
ابن حزم غفر الله له	*	الأئمة الأربعة والأمة كلها
فالنسبة واحد إلى مئات الملايين ١/١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠		
ابن القيم رحمه الله	*	كل أهل العلم فى أمة السنة والجماعة
فالنسبة واحد إلى آلاف الملايين ١/١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠		
عالم فاضل عفا الله عنه	*	جميع أمة الإسلام باستثناء الروافض
فالنسبة واحد إلى ملايين الملايين ١/١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠		

المقارنـة:

قد يقول قائل : العبرة ليست بالكثرة وإنما بإصابة الحق ، فنقول : هل من المعقول والمشروع أن يجتهد فرد فى معرفة الحق فى مسألة ما ، وتجتهد أمة بكاملها فى معرفة ذلك الحق فتخطىء الأمة ويصيب الفرد ، وفى تلك الأمة من هو أعلم وأصلح وأتقى وأبر من ذلك الفرد ، اللهم إنه لا يقول بمعقولية هذا أو مشروعيته إلا أحد رجلين : مجنون ، أو جاهل بدين الله لا يتوقع منه شىء .

---

(١) لازم وجوب التمتع فساد الإفراد وبطلانه .

وهذه صورة المقارنة :

من يقول بوجوب التمتع	**من يقول بجوازه أو استحبابه**
ابن عباس رضى الله عنهما	* أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على ، ابن مسعود ، ابن عمر ، وكل الصحابة .

هل هناك من يفضل فهم وعلم ابن عباس على فهم وعلم الشيخين وأصحاب رسول الله ﷺ ؟

ابن حزم غفر الله له	* مالك ، الشافعى ، أحمد ، أبو حنيفة ، كل علماء السلف

هل هناك من يفضل فهم وعلم ابن حزم ، على فهم وعلم الأئمة الأربعة وكل علماء السلف ؟

ابن القيم رحمه الله	* ابن تيمية ، النووى ، ابن حجر ، ابن كثير ، وكل علماء الأمة المعاصرين

هل هناك من يفضل فهم وعلم ابن القيم ، على فهم وعلم شيخه ابن تيمية والنووى وكل علماء السنة أجمعين .

عالم فاضل عفا الله عنه	* عبد العزيز بن باز ، محمد الأمين الشنقيطى ، محمد ابن إبراهيم ، وكل العلماء المسلمين المعاصرين

وبعد فهذا هو العرض :

١ - روى الشيخان واللفظ لمسلم : عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع فقال رسول الله ﷺ : « من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل . ومن أراد منكم أن يهل بحج فليهل . ومن أراد أن يهل بعمرة فليفعل . قالت : فأهل رسول الله ﷺ بحج ، وأهل ناس معه ، وأهل ناس بالعمرة والحج ، وأهل ناس بعمرة . وكنت ممن أهل بعمرة » .

من هذا الحديث أخذت الأمة دليلها على جواز أنواع النسك الثلاثة ومنه أخذ أفضلية الإفراد من قال بذلك : كمالك والشافعى رحمهما الله تعالى .

٢ - روى مسلم عن جابر رضى الله عنه فى صفة حج النبى ﷺ قال : « أهللنا مع رسول الله ﷺ بالحج ، فلما قدمنا مكة أمرنا أن نحل ونجعلها عمرة ، فكبر ذلك علينا وضاقت به صدورنا ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فما ندرى أشىء بلغه من السماء ؟ أم شىء من قِبَلِ الناس ؟ فقال أيها الناس : أحلوا ، فلولا الهدى الذى معى فعلت كما فعلتم . قال جابر : فأحللنا » .

٣ - وفى لفظ له : قال : « أحلوا من إحرامكم فطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ، وقصروا ، وأقيموا حلالاً حتى إذا كان يوم التروية فأهلوا بالحج ، واجعلوا التى قدمتم بها متعة ، قالوا : كيف نجعلها متعة ، وقد سمينا الحج ؟ قال : افعلوا ما آمركم به فإنى لولا أنى سقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم به ، ولكن لا يحل منى حرام حتى يبلغ الهدى محله » .

٤ - وفى لفظ له : حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال : « لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت ، لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحلل وليجعلها عمرة ، فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله : ألعامنا هذا أم لأبد الأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة فى الأخرى وقال : دخلت العمرة فى الحج ، لا ، بل لأبد أبد .

٥ - وفى لفظ له أيضاً قال : أمرنا أن نفضى إلى نسائنا فنأتى عرفة تقطر مذاكيرنا المنى قال : فقام النبى ﷺ فينا فقال : « قد علمتم أنى أتقاكم لله ، وأصدقكم ، وأبركم ، ولولا هديى لحللت كما تحلون ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، لم أسق الهدى ، فحلوا فحللنا ، وسمعنا وأطعنا » .

٦ - وفى لفظ لعائشة فى الموطأ : قالت : فنزلنا بسرف فخرج إلى أصحابه فقال : « من لم يكن منكم معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ، ومن كان منكم معه هدى فلا . قالت عائشة : فالآخذ بها والتارك من أصحابه فأما رسول الله ﷺ ورجال من أصحابه فكانوا أهل قوة وكان معهم هدى فلم يقدروا على العمرة » .

٧ - وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانوا يرون أن العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور فى الأرض ، ويجعلون المحرم صفراً ، ويقولون إذا برأ الدبر ، وعفا الأثر ، وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر . قدم النبى ﷺ وأصحابه صبيحة

رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة فتعاظم ذلك عندهم ، فقالوا يا رسول الله : أى الحل ؟ قال : الحل كله .

هذه سبع روايات أحاديثها كلها صحاح إن أعدنا النظر فيها تجلت أمامنا الحقائق التالية :

١ ـ أن النبى ﷺ خير أصحابه فى ذى الحليفة بين الإحرام بالإفراد ، والقران والتمتع .

٢ ـ أنه ﷺ لما وصل إلى سرف قال لأصحابه : من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ففعل بعض ، ولم يفعل بعض آخر .

٣ ـ أنه ﷺ لما وصل مكة وطاف وسعى أمر من لم يسق الهدى من أصحابه أن يفسخ حجه إلى عمرة ، فعظم ذلك على الصحابة وكبر فى نفوسهم فترددوا طويلاً ، وتلكئوا حتى قالوا ما قالوا : غير أن رسول الله ﷺ ما زال يأمرهم ويرغبهم فى الفسخ ، ويطيب نفوسهم ، حتى سمعوا وأطاعوا وحل منهم من لم يسق الهدى ، أما من ساق الهدى فإنه لا يتأتى له الفسخ والتحلل لقول الله تعالى : ﴿ **ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبْلغَ الهدْىُ محِلّه** ﴾ [1] ومحله بمنىّ أيام التشريق .

٤ ـ أنه ﷺ سئل عن هذا الفسخ الذى أمر به من لم يسق الهدى ورغب فيه هل هو خاص بتلك السنة أو عام ؟ فأجاب السائل بأنه عام وليس بخاص بل لأبد الأبد .

٥ ـ أنه ﷺ أخبر بأن العمرة دخلت فى الحج إلى يوم القيامة .

وبعد أيضا فإن هذه الحقائق الخمس التى تجلت لنا من النظر فى تلك ـ الروايات الصحيحة هى مدار الخلاف بين أهل العلم منذ عهد الراشدين حتى إن أبا جعفر الطحاوى كتب فى مسألة واحدة منها وهى هل حَجُ النبى ﷺ كان إفراداً أو قراناً كتب فيها أكثر من ألف صفحة . . .

وإلى القارىء خطوط الخلاف ليتتبعها ويسير عليها إلى نهاية البحث ، ساعتئذ يخرج بالنتيجة الصحيحة وهى أن كلاً من أنواع النسك الثلاثة جائز وفاضل أيضا ولكن باعتبار خاص .

---

(١) البقرة : ١٩٦ .

فإلى تلك الخطوط :

توفى رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع ، وتولى أبو بكر الصديق خلافة المسلمين وجاء الحج من العام نفسه ، فحج أبو بكر بالناس مفرداً وحج معه المسلمون مفردين تبعاً لإمامهم . ووالى أبو بكر الحج سنى خلافته فكان لا يحج إلا مفرداً ، والناس تبعا له حتى توفى ، وولى عمر بن الخطاب أمر المسلمين فكان يحج مفردا ويأمر الناس بالإفراد ويقول : أنشئوا للحج سفراً ، وللعمرة سفراً ، فإنه أكمل لحجكم وعمرتكم ، وكان المسلمون لا يخالفونه فى ذلك فقد جاء فى الصحيح أن أبا موسى الأشعرى لما قدم من البلاد التى كان فيها أفتى بالتمتع ، فقال له قائل : رُوَيْدَك بعض فتياك ، فإنك لا تدرى ما أحدث أمير المؤمنين فى النسك بعد ، فلقى أبو موسى عمر رضى الله عنهما فسأله فقال عمر : قد علمت أن النبى ﷺ قد فعله ـ بمعنى أذنَ فى التمتع ـ لا أنه تمتع ؛ إذ حج رسول الله ﷺ قارنا كما تقدم ـ ولكن كرهت أن يظلوا معرسين بهن فى الأراك ثم يروحوا بالحج تقطر رءوسهم . فكف أبو موسى عن فتياه رضاً بقول عمر واقتداء به .

ومات عمر رضى الله عنه وولى أمر المسلمين بعده عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فكان يحج بالمسلمين مفرداً ، وكان ينهى عن التمتع وعن القران كذلك ، حتى إن علياً رضى الله عنه لما رأى نهى عثمان عن القران قرن بالحج ولبّى جهرة بحج وعمرة فقال : لبيك اللهم حجاً وعمرة . وقال : ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحدٍ كما ورد ذلك في الصحيحين .

ومات عثمان وولى خلافة المسلمين علىّ رضى الله عنهما ، وحصل الذى حصل وولى ابن الزبير أمر المسلمين فى الحجاز فحج بالناس مفرداً ونهى عن التمتع ائتساء بالخلفاء الراشدين ، فتصدى له ابن عباس وكان يعارضه فى النهى عن التمتع ، ويحتج إليه بالأحاديث التى تقدمت فى هذا البحث ، والناس من وراء ابن الزبير يخالفون ابن عباس فى رأيه ويحتجون عليه بعمل الخلفاء الراشدين ، وعمل الأنصار والمهاجرين . ورواية البخارى التالية ترينا ما كان عليه ابن عباس رضى الله عنهما من إصرار على جواز التمتع ، وأنه سنة النبى ﷺ ، ولا ينبغى تركها . قال البخارى : أخبرنا ابن جمرة قال : تمتعت فنهانى الناس ـ هذا فى زمن ابن الزبير ـ فسألت ابن عباس فأمرنى بالتمتع ، فرأيت فى المنام كأن رجلا يقول لى : حج مبرور وعمرة متقبلة . فأخبرت ابن عباس فقال : الله أكبر سنة أبى القاسم .

فهذه الرواية فى الصحيح تكشف لنا عما كان عليه ابن عباس من الرغبة فى التمتع والناس يخالفونه في ذلك ، وتزيد هذه الحقيقة وضوحاً وثبوتاً رواية مسلم الآتية : روى مسلم عن مسلم القرى قال : سألت ابن عباس عن متعة الحج فرخص فيها ، وكان ابن الزبير ينهى عنها . فقال ابن عباس : هذه أم ابن الزبير تحدث أن رسول الله ﷺ رخص فيها فادخلوا عليها ، فدخلنا عليها فإذا امرأة ضخمة عمياء فقالت : قد رخص رسول الله فيها .

والمدقق للنظر حقاً فى أمر ابن عباس رضى الله عنهما يرى أنه كان فى بداية أمره يدعو إلى الاعتراف برخصة التمتع فقط ، وأن التمتع جائز ومشروع ، ثم مع مرور الزمن وموت الخلفاء الراشدين ، وكثير من أصحاب رسول الله ﷺ تغير نظره فى المسألة ، فأصبح لا يكتفى بتقرير جواز التمتع بالعمرة ، بل يطالب بوجوب التمتع وحتميته ، فقد روى ابن حزم فى المملى عن كريب مولاه أن ابن عباس كان يقول : ما طاف رجل بالبيت إن كان حاجاً إلا حل بعمرة إذا لم يكن معه هدى ، ولا طاف ومعه هدى إلا اجتمعت له حجة وعمرة .

ويقول : والله ما تمت حجة رجل قط إلا بمتعة إلا رجل اعتمر فى وسط السنة . ويدل لهذا التطور فى رأى ابن عباس رضى الله عنهما الرواية التالية :

روى مسلم أن رجلاً قال لابن عباس : ما هذه الفتيا التى قد تشغبت بها الناس تقول : إن من طاف بالبيت فقد حل . فقال : سنة نبيكم وإن رغمتم . وقال عبد الرازق حدثنا معمر بن كريب قال : قال عروة بن الزبير لابن عباس : ألا تتقى الله ترخص فى المتعة . فقال ابن عباس : سل أمك يا عروة . فقال عروة أما أبو بكر وعمر فلم يفعلا . فقال ابن عباس : والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله ، أحدثكم عن رسول الله ﷺ ، وتحدثونى عن أبى بكر وعمر فقال عروة : لهما أعلم بسنة رسول الله ﷺ وأتبع لها منك . فسكت ابن عباس لجواب عروة له ، إذ من غير المشكوك فيه أن الشيخين أعلم بسنة رسول الله ﷺ من ابن عباس وأتبع لها منه .

وواصل ابن عباس دعوته فى التابعين يطالب بوجوب التمتع ، ويرى أن من طاف بالبيت فقد حل ، ولا يرى للمفرد بالحج أن يطوف بالبيت حتى يأتى عرفات . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يخالفه فى ذلك ويرد عليه ، ورواية مسلم التالية تؤكد ذلك . روى مسلم عن وبرة قال كنت جالساً عند ابن عمر فجاء رجل فقال : أيصلح لى أن أطوف

بالبيت قبل أن آتى الموقف ؟ فقال : نعم . فقال : إن ابن عباس يقول : لا تطف بالبيت حتى تأتى الموقف . فقال ابن عمر : فقد حج رسول الله ﷺ فطاف بالبيت قبل أن يأتى الموقف فبقول رسول الله أحق أن نأخذ أو بقول ابن عباس ، إن كنت صادقاً ؟

وفى لفظ لمسلم : سأل رجل ابن عمر : أطوف بالبيت وقد أحرمت بالحج ؟ فقال : وما يمنعك ؟ قال : إنى رأيت ابن فلان يكرهه وأنت أحب إلينا منه رأينا قد فتنته الدنيا . فقال ابن عمر : سنة الله ورسوله أحق أن تتبع من سنة فلان إن كنت صادقاً .

وأخيراً رواية الشيخين : عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل القرشى : أن رجلاً قال له : سل لى عروة بن الزبير عن رجل يهل بالحج فإذا طاف بالبيت أيحل أم لا ؟ قال عروة : قد حج النبى ﷺ ، فأخبرتنى عائشة رضى الله عنها أن أول شىء بدأ به حين قدم أنه توضأ ، ثم طاف بالبيت ثم لم تكن عمرة ، ثم حج أبو بكر رضى الله عنه فكان أول شىء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ، ثم حج عمر رضى الله عنه ففعل ذلك ، ثم حج عثمان رضى الله عنه فرأيته أول شىء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ، ثم معاوية وعبد الله بن عمر ، ثم حججت ، مع أبى الزبير بن العوام فكان أول شىء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ، ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعلون ذلك ، ثم لم تكن عمرة ، ثم آخر من رأيت فعل ذلك ابن عمر ثم لم ينقضها عمرة ، وهذا ابن عمر عندهم . فلا يسألونه ؟ ولا أحد ممن مضى ما كانوا يبدءون بشىء حتى يضعوا أقدامهم من الطواف بالبيت ثم لا يحلون ، وقد رأيت أمى وخالتى حين تقدمان لا تبتدئان بشىء أول من البيت تطوفان به ثم لا تحلان . وقد أخبرتنى أمى أنها أهلت هى وأختها والزبير وفلان وفلان بعمرة فلما مسحوا الركن حلوا .

(تضاد فى المسألة)

وإذا كان ابن عباس يرى فى آخر عهده وجوب التمتع ، ولا يرى لأحد أن يطوف بالبيت مفرداً إلا حل بعمرة إلا أحداً اعتمر وسط السنة ، فإن هناك غيره من يرى عكس ما يراه فى هذه المسألة ، والروايات التالية تبين لنا ذلك :

روى مسلم فى صحيحه عن أبى نضرة قال : كنت عند جابر بن عبد الله رضى الله عنه فأتانا آت فقال : ابن الزبير وابن عباس اختلفا فى المتعتين ، فقال جابر : فعلناهما مع رسول الله ﷺ . ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما .

فهذه الرواية فى الصحيح تُثْبت نهى عمر رضى الله عنه عن متعة النساء ومتعة الحج ، وأن جابراً كغيره من أصحاب رسول الله ﷺ تركوا ذلك اقتداء بعمر رضى الله عنهم أجمعين .

روى البيهقى فى السنن الكبرى : أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أتى عمر بن الخطاب فشهد عنده أنه سمع رسول الله ﷺ فى مرضه الذى قبض فيه ينهى عن العمرة . قال النووى : وروى هذا الحديث أبو داود فى سننه ، وقد اختلفوا فى سماع سعيد بن المسيب عن عمر لكنه لم يرو هنا عن عمر بل عن صحابى غير مسمى والصحابة كلهم عدول .

وروى أبو داود والبيهقى أيضاً : أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال لأصحاب النبى ﷺ : هل تعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن كذا . . وكذا . . وعن ركوب جلود النمور ؟ قالوا : نعم . قال : فتعلمون أنه نهى أن يقرن بين الحج والعمرة فقالوا : أما هذا فلا . . فقال : أما إنها معهن ولكنكم نسيتم . والقصد من إيراد هاتين الروايتين إثبات جانب مضاد من أصحاب رسول الله ﷺ لابن عباس فى رأيه فى وجوب التمتع .

وروى مسلم فى صحيحه عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قوله : كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد ﷺ خاصة .

وروى عنه قوله : كانت لنا رخصة . يعنى المتعة فى الحج .

وروى عنه قوله : لا تصلح المتعتان إلا لنا خاصة يعنى متعة النساء ومتعة الحج .

وروى عنه أنه مر به أبو إبراهيم القمى بالربذة فذكر له المتعة فقال : كانت لنا خاصة دونكم .

فهذه الروايات فى الصحيح عن أبى ذر تدل على أن هناك من أصحاب رسول الله ﷺ كأبى ذر ، وعمر ، وغيرهما من يرى عدم جواز الفسخ أى فسخ الحج إلى العمرة . واسمع إلى سعد بن أبى وقاص والضحاك فى رواية الموطأ ، وقد ذكرا التمتع بالعمرة إلى الحج فقال الضحاك : لا يفعل ذلك إلا جاهل بأمر الله عز وجل . فقال سعد : بئس ما قلت يابن أخى ، فقال الضحاك ، فإن عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك ، فقال سعد : صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه .

وقد تقدم رد عمر بن الخطاب عن أبى موسى الأشعرى فى الصحيح وقد أقنع عمر أبا موسى فترك الإفتاء بالتمتع ، إذ جاءفى رد عمر رضي الله عنه قوله : أن نأخذ بكتاب الله فإنه يأمر بالتمام قال تعالى : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ (١) ، وأن نأخذ بسنة النبى ﷺ فإنه لم يحل حتى نحر هديه . ويفهم من قول عمر هذا : أنه كان ينهى عن الفسخ أى فسخ الحج إلى عمرة الذى يراه ابن عباس واجبا ولعل هذا كان لفهم منه أن الفسخ الذى حصل لأصحاب رسول الله ﷺ عام حجة الوداع كان خاصاً بتلك السنة (٢) كما فهم ذلك أبو ذر الغفارى رضى الله عنه ، وأنها مجرد رخصة . أما الكمال والأفضلية ففى إتمام الحج والعمرة بأن يحرم بالعمرة فى غير أشهر الحج حتى إذا أتمها عاد إلى أهله ، وإذا جاء شهر الحج أحرم بالحج مفرداً ولم يحل حتى يأتى الموقف « عرفه » ويرمي جمرة العقبة .

وهذا لعمر الله أتم وأكمل وأعظم أجراً ، ويشهد له قول المصطفى ﷺ فى الصحيح : « إنما أجرك على قدر نصبك » ، وقوله : « عن ربه فى مباهاته تعالى ملائكته بالحجيج يوم عرفة : « هؤلاء عبادى أتونى شعثاً غُبْراً » .

وكيف تكون الشعثة أو تحصل الغبرة لمن اغتسل يوم التروية بمكة وتطيب ثم أتى عرفة صباح غد ؟

وهل قول الله تعالى : ﴿ **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى** ﴾ (٣) الآية . . . يدل على غير أن التمتع بالعمرة إلى الحج رخصة من فعلها وترك الأكمل الأتم ، وهو إتمام الحج إفراداً إلى الموقف عليه جزاء وهوذبح ما استيسر من الهدى ، فإن عجز صام عشرة أيام بدلاً عن ذلك . وسبحان الله ماذا أعطى عمر بن الخطاب من دقة الفهم فى شرع الله . وكيف وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ : « لو كان فى أمتى محدثون لكان عمر » ، وقال فيه وفى الصديق : « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر »(٤) . وكيف وهو الذى نزل القرآن غير مرة بموافقته ، وكان يقول : وافقت ربى فى كذا وكذا ويذكرها تحدثاً بنعمة الله عليه . وفيه قال رسول الله ﷺ : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » . ورضى الله عنه وهو يُعرب عن رغبته فى إسعاد المؤمنين وإصلاحهم إنى

---

(١) البقرة : ١٩٦ .

(٢) الظاهر أن معنى كونه خاصا أى فى كونه واجبا عليهم فى تلك السنة لكون رسول الله ﷺ وجه إليهم الخطاب وأمرهم ، فالفسخ وإن كان جائزاً أصبح من حقهم ، واجبا ، إذ لا يحل لهم مخالفة أمر رسول الله ﷺ .

(٣) البقرة : ١٩٦ .

(٤) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن حذيفة وهو صحيح لا مطعن فيه .

أعلم أن التمتع جائز ولكنى كرهت أن يظلوا معرسين بهن فى الأراك ثم يروحوا إلى عرفات تقطر رؤوسهم . يعنى بالاغتسال من الجماع .

وقد يقول قائل ممن لا نصيب لهم فى فهم نصوص الشريعة إلا ما طفا على سطح العبارات : كيف يقول عمر هذا ويكرهه والرسول ﷺ قد أمر به وغضب لتركه ؟ ولو شئنا لتركنا هذا القائل فى حيرته يتردد حتى يهلك بتجهيل عمر رضى الله عنه وتفسيقه . ولكننا نقول : إن عمر رضى الله عنه فهم فهماً لا نشك أنه وافق فيه مراد الله ورسوله ، من أن الأمر بالفسخ كان تشريعاً بيّن الله تعالى فيه على لسان رسوله ﷺ رخصة التمتع والفسخ لما فيهما من الرفق بالمؤمنين ولذا قال ﷺ : « إنها للناس كافة » وقال « إنها لأبد الأبد » . ولم يكن ذلك الأمر دالاً على وجوب الفسخ ولا على أفضليته أبداً وإنما الأفضلية فى إتمام الحج والعمرة . على النحو الذى أمر الله تعالى به فى قوله : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ [1] . وهى أن يحرم بعمرة فى وسط السنة ثم يعود من عامه فيفرد الحج ، ويحج ولا يتحلل حتى يرمى جمرة العقبة كما كانت أم المؤمنين عائشة تفعل وكما كان جل أصحاب رسول الله ﷺ من مهاجرين وأنصار يفعلون ، وما مثل هذه الرخصة فى الفسخ والتمتع بالنسبة إلى إفراد الحج والعمرة إتماما لهما إلا كرخصة ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لمن كان لا يقدر على تحمل العذاب بالضرب والسجن أو القتل . أما من قدر على التحمل والصبر وقال كلمة الحق وعذب فى ذلك فهل من قائل يقول : إن الذى أخذ بالرخصة فسكت ولم يمسه سوء هو ومن أمر ونهى فعذب وقتل فى الأجر سواء ؟ معاذ الله أن يقول هذا عاقل والرسول ﷺ يقول :« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائرٍ فأمره ونَهَاه فقتله »[2] .

فلينظر هؤلاء الشغوفون برخصة الفسخ وهم يفسقون من يتركها طلباً للأفضل منها . كيف يقعون فى أسوأ فهم وأقبحه وحاشا الحبر ابن عباس فإنه كان يقول بتفضيل عدم الفسخ لمن يعتمر وسط السنة وقد تقدمت الرواية عنه فلتراجع هناك .

والآن نعود إلى مواصلة السير بالقارىء على تلك الخطوط التى نحن سائرون عليها فى بيان خطأ القائلين ببطلان حج الإفراد فنقول :

مات ابن عباس رضى الله عنهما ولم ير رأيه ويقل به إلا نفر قليل من تلامذته ،

---

(١) البقرة : ١٩٦ .

(٢) رواه الحاكم الضياء عن جابر وعلم عليه السوطى بالصحة .

ككريب مولاه ، وعنه عطاء ، وطاووس من التابعين ، وأما كل الصحابة والتابعين فكانوا كما علمت ما بين من يأمر بالإفراد وينهى عن التمتع والفسخ ، وبين من يجيز الكل الإفراد والتمتع والقران والفسخ أيضاً وانقرض عصر الصحابة والتابعين والأمر ما علمت بلا زيادة ولا نقصان .

وجاء عصر تابعي التابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السلف وقد انتهى من يقول : بوجوب التمتع كابن عباس ، ولا من يمنع الفسخ والتمتع ، كعمر ، وعثمان ، وابن الزبير وغيرهم من الصحابة والتابعين ، فأجمعت الأمة على جواز أنواع النسك الثلاثة ، الإفراد والتمتع والقران .، واختلفت في أيّ هذه الأنواع أفضل فذهب مالك والشافعي إلى أفضلية الإفراد ، وذهب أحمد إلى أفضلية التمتع ، وذهب إلى أفضلية القران أبو حنيفة ورحم الله الجميع فإن لكل مستنداً رجح به وجهة نظره فيما رآه الأفضل .

كما أنهم أجمعوا على أن من اعتمر في غير أشهر الحج أو اعتمر فيها وعاد إلى أهله ، ثم أحرم من عامه حاجاً فإن الإفراد أفضل له وهذا الذي أجمع عليه الصحابة كابن عباس وعمر وعثمان وأصحاب رسول الله ﷺ ولم يختلفوا فيه .

كما أن من لم يعتمر في وسط السنة فالتمتع له أفضل من الإفراد ثم الاعتمار بعد الحج في أشهره فقد روى مالك في الموطأ عن ابن عمر قوله : والله لأن اعتمر قبل الحج وأهدى أحب إليّ من أن أعتمر بعد الحج في ذي الحجة .

وهذا الذي صرح به شيخ الإسلام في منسكه وفتاواه ، وحكى إجماع الصحابة والأئمة عليه ، وهو أن كلاً من النسك أفضل باعتبار ، فالإفراد أفضل إذا كان المفرد بالحج قد اعتمر في تلك السنة وعاد إلى أهله ثم حَجّ من عامه . كما أن من ساق الهدى من بلده أو من الحل إلى الحرم فالقران له أفضل لموافقته حج رسول الله ﷺ الذي اختاره الله تعالى له ، والله لا يختار لرسوله إلا ما كان أفضل . وأما من لم يسق الهدى ولم يعتمر في وسط السنة فإن التمتع له أفضل من أن يفرد بالحج ثم يعتمر في شهر ذي الحجة ، إذ تقدم أن ابن عمر أقسم بالله تعالى على أنه يتمتع ويهدى أحب إليه من الإفراد ثم الاعتمار بعد نهاية الحج في شهر ذي الحجة كما يفعل العوام اليوم ، ومن لا بصيرة لهم .

ومضت أربعة قرون ودخل الخامس والأمة مجتمعة على جواز أى من أنواع النسك الثلاثة إلا ما كان من الشيعة فإنهم يقولون : بوجوب التمتع ، وبحكم تكفيرهم لأصحاب

رسول الله ﷺ وخاصة الشيخين أبا بكر وعمر فإن خلافهم لا يلتفت إليه ، ولا يعد قادحاً فى إجماع الأمة على جواز أى من النسك . وأثناء القرن الخامس برز للوجود على بن حزم الأندلسى المعروف بأبى محمد الظاهرى فخرج عن الإجماع وشنع عن أئمة الإسلام وجهلهم ، وقال : بوجوب التمتع وبعدم جواز الإفراد ، غير أنه لم يقل برأيه أحد ، وبقى إجماع المسلمين على ما كان قبل لم يتأثر بقول ابن حزم ومخالفته ، واستمرت الأمة على اجماعها كذلك إلى القرن السابع ، فجاء ابن القيم وكتب كتابه زاد المعاد فأثار قضية التمتع مرة أخرى ورأى أن التمتع أفضل أنواع النسك ، وأن المفرد إذا لم يَسُق الهدى وجب عليه أن يفسخ حجه إلى عمرة وهو رأى ابن حزم الظاهرى بلا زيادة ولا نقص حتى أنه نقل كلامه من المحلى حرفياً .

غير أن إجماع الأمة لم يتأثر أيضاً بما كتب ابن حزم ولا بما نقل ابن القيم غفر الله لهما ، ومضت الأمة على إجماعها على جواز أنواع النسك الثلاثة إلى السبعينات من هذا القرن اطلع من اطلع على ما كتب ابن حزم ، وما نقل ابن القيم فقال : بوجوب التمتع وفساد الإفراد إذا لم يكن مع المفرد هدى ساقه من الحل إلى الحرم . وصادفت القضية الوعى الإسلامى الجديد ، ورغبة المؤمنين فى العودة إلى الكتاب والسنة فأحدثت فى نفوس صغار الطلبة بلبلة فكرية واضطرابا نفسياً متعباً . وكثرت التساؤلات وتحيرت العقول . ورأينا أنه لا بد من الوقوف بأبنائنا الطلبة والمتعلمين على حقيقة هذه القضية تبياناً للحق وهداية للناشئة المسلمة من هذه الحيرة . وبناء على هذا فقد عرضنا المسألة عرضاً سليماً خاليا من التعصب ، أو المغالطة لا كما يفعل المغرضون وأصحاب الأهواء ، وتحقيقاً لهذا المبدأ وسيراً فى هذا الخط المستقيم نورد ما اعتمد عليه من قال : بعدم صحة الإفراد إلا بشرط الهدى وهم من عرفت : ابن عباس من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وابن حزم الظاهرى فى القرن الخامس

والروافض من غلاة الشيعة وغيرهم

وابن القيم فى القرن السابع

وعالم فاضل فى القرن الرابع عشر

وبإسقاط الروافض من الحساب وهم ساقطون قطعاً يبقى من يقول بعدم صحة الإفراد إلا بشرط سوق الهدى أربعة أفراد من مجموع أمة الإسلام التى لا يعرف عدد أفرادها فى

كل عصنورها إلا الله تعالى وحده .

وهذه هي الأمور التي اعتمدها الزاعمون بطلان الإفراد نوردها مجملة إثباتاً لها ، ثم نوردها مفصلة لبيان وجه الحق فيها وبذلك يتضح أنها ليست أدلة صالحة للاحتجاج بها على ما ذهبوا إليه وأرادوه من بطلان حج الإفراد :

١ ـ صيغة الأمر في قوله ﷺ « افعلوا ما آمركم به » .

٢ ـ غضبه ﷺ لما تلكأ أصحابه وترددوا ولم يحلوا .

٣ ـ تمنيه ﷺ عدم سوق الهدى حتى يجعل حجه عمرة . موافقة لأصحابه الذين لم تطب نفوسهم بالتحلل دونه ﷺ .

٤ ـ قوله ﷺ لسراقة لما سأله عن الفسخ الذى أمر به : « لا ، بل لأبد أبد » .

٥ ـ قوله ﷺ : « دخلت العمرة فى الحج مرتين » .

هذه خمسة أمور هى أحوال لابست المسألة فمن جمد على ظواهر ألفاظها ولم يعط قيمة للقرائن والأحوال اللفظية والمعنوية قال : بوجوب التمتع ووقع فى ورطة نسخ القران ، أو تخصيص آية بمجرد فهم من السنة لم يقل به أهل السنة ورجالات العلم وحذاق الشريعة كأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وابن مسعود ، وابن عمر ، والزبير ، وجابر ، وأبى موسى ، وأبى ذر ، وابن الزبير ، وعروة ، وعائشة أم المؤمنين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان ، والأئمة الأربعة ، وسائر المؤمنين .

وأما من أعطى قرائن الأحوال والألفاظ ما تستحق من العناية والاعتبار فقد قال بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وعمل بهما معاً ولم يضرب أحدهما بالآخر ، وكان قد أجلّ أصحاب رسول الله ﷺ ولم يجهلهم أو يفسقهم ولم يتّبع غير سبيل المؤمنين . وأراح واسترح .

وهذا تخريج تلك الأحوال وحملها على أحسن محاملها فلنقف عليه لنزداد يقيناً بصحة ما ذهب إليه أصحاب رسول الله ﷺ وخاصة الراشدين منهم ، وما قال به وعمل كل المؤمنين من سلف وخلف ما خلا الأربعة (١) الأنفار الذين سبق أن وضحنا أسماءهم غير مرة .

---

(١) هؤلاء يعتبرون رؤوسا فى المسألة ولا مانع أن يكون لكل تابع فى رأيه هذا .

أما صيغة الأمر فإنها ليست فى خطاب الله ولا رسوله ﷺ دائماً للوجوب.. إذ قد تكون لمجرد الإباحة ، أو للندب أو للإرشاد إلى ما هو أولى وخير ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم ، وذلك لوجود قرينة لفظية أو معنوية تصرف الأمرعن الوجوب إلى غيره من الإباحة أو الندب ، أو الإرشاد وهنا فى هذا الأمر النبوى الكريم « افعلوا » قرائن وأحوال تصرفه عن الوجوب إلى بيان الجواز ، أو الندب والاستحباب ، منها : إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من منع الاعتمار فى أشهر الحج . فقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه بأن يفسخوا حجهم إلى عمرة يتمتعون بها إلى الحج قطعاً لدابر شرع الجاهلية واستئصالاً لما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرم الله تعالى على عباده افتراء على الله عز وجل . وقد يحلو لهؤلاء الزاعمين وجوب التمتع أن يقولوا : ما هناك حاجة إلى هذا ؛ لأن النبى ﷺ قد اعتمر فى ذى القعدة وهو من أشهر الحج ، كما أنه قد أذن لأصحابه فى التمتع فى ذى الحليفة وأن هناك من أهل به ، كما أنهم لما وصلوا إلى سرف رغّبهم أيضاً فى التمتع ، ولم يعزم فيه على أحد فأخذ به من أخذ وترك من ترك كما قالت عائشة رضى الله تعالي عنها فى حديثها المتقدم .

ونحن نقول سبحان الله ألم يكفهم قول الحبر ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث الصحيحين المتقدم ونصه : كانوا يرون العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور فى الأرض ، ويجعلون المحرم صفراً ، ويقولون : إذا برأ الدبر ، وعفا الأثر ، وانسلخ صفر حلّت العمرة لمن اعتمر . فقدم النبى ﷺ وأصحابه صبيحة راحة مهلين بالحج الخ ...

وقوله فى المسند الصحيح : والله ماأعمر رسول الله ﷺ عائشة فى ذى الحجة إلا ليقطع بذلك أمرأهل الشرك ، فإن هذا الحى من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون : إذا عفا الأثر وبرأ الدبر وانسلخ صفر حلّت العمرة لمن اعتمر . وما أعمرها إلا بعد نهاية أعمال الحج كما هو معروف .

وإن قدروا على إخفاء هذه أو تأويلها ، فهل يقدرون على تأويل أو إخفاء قول جابر رضى اللّه عنه : أمرنا أن نفضى إلى نسائنا فنأتى عرفة تقطر مذاكيرنا المنى !! فليسألوا قائلى هذه المقالة هل قالوها فرحين متبجحين بها أمام رسول اللّه ﷺ ؟ أم قالوا مستعظمين لأمر التحلل منكرين للفسخ بالعمرة فى أيام الحج ؟ حتى قام فيهم رسول اللّه ﷺ خطيباً وقال : « أيها الناس قد علمتم أنى أتقاكم للّه وأصدقكم وأبركم ، ولولا هديى لحللت كما تحلون » . وكيف المخرج لهم إذا أضفنا قول جابر : فكبر ذلك علينا وضاقت به صدورنا ؟

ألم يكف كل هذا قرينة دالة على أن الأمر لم يكن إلا للتشريع وبيان جواز الفسخ والاعتمار فى أيام الحج ، وليس لإيجاب التمتع وإبطال ما عداه من الإفراد أو القران .

وإن جاز أن ينكروا هذه القرينة الصارخة بصرف الأمر عن الوجوب ، فهل يمكنهم إنكار قرينة مخالفة الراشدين والصحابة والتابعين لظاهر هذا الأمر ، حيث حج الشيخان ، وعثمان رضى اللّه عنهم نحواً من أربع وعشرين عاماً مفردين ، ومعهم كافة أصحاب رسول اللّه من أنصار ومهاجرين . فأىّ قرينة حالية أكبر من هذه القرينة لصرف ذلك الأمر عن الوجوب إلى بيان الجواز . أرأيت لو أضفنا إلى ذلك نهى عمر عن التمتع طيلة أعوام خلافته . فهل يعقل أن يكون الأمر للوجوب كما يقولون ويتركه الراشدون ويعملون بخلافه وتتبعهم أمة الإسلام كل أمة الإسلام على ذلك ، اللهم إنا نبرأ إليك من أن يظن هذا بأصحاب نبيك وأمته .

وقد يقولون فراراً من هذه المواجهة : لعل الراشدين كانوا يسوقون الهدى معهم فلذا كانوا يفردون . ومعناه : أن الراشدين كانوا يَحْتالُون على أمر رسول اللّه الواجب اتباعه بسوق الهدى حتى يتمكنوا من ترك الأمر وإهماله ، ليفردوا بالحج إمعاناً فى الخروج عن أمر رسول اللّه ﷺ . اللهم إنا نبرأ إليك أن يظن هذا فى الشيخين اللذين قال فيهمارسولك : « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر » . وفى أصحاب رسولك الذين رضيت عنهم ، وأثنيت عليهم .

وإن أبوا إلا هذا الظن وجاروا الشيعة فى الطعن فى الشيخين ، وأصحاب رسوله ﷺ فإنا نقول : هل تستطيعون بطريق صحيح إثبات سوق الهدى فى كل تلك السنوات التى كانوا يفردون فيها وهى نحو من أربع وعشرين سنة ؟ فإن لم تستطيعوا لن تستطيعوا فاعترفوا بالحق وأذعنوا له وقولوا بجواز الإفراد والتمتع والقِران كما قال كتاب اللّه ورسول اللّه وأَوْليَاءُ اللّه ، وعندها تريحون وتستريحون .

وأما غضبه ﷺ فإنه لم يكن إلا غضباً طبيعياً أثاره تردد القوم الطويل ، وتحرجهم من فسخ الحج إلى عمرة ذاك التحرج الذى لا معنى له ما دام رسول اللّه ﷺ يأمرهم ويرغبهم ويذكر لهم أنه أتقاهم وأبرهم وأصدقهم ، وأنه لولا هديه لحل معهم كما يحلون ، وهم يقفون حيارى مترددين كالمنكرين ، فطبيعى إذاً أن يغضب رسول اللّه ﷺ وأن يكون غضبه لا لأن مأموريه تركوا واجباً من واجبات الشرع أو فريضة من فرائضه . وإنما لعدم مبادرتهم لما أرشدهم إليه ، ورغبهم فيه وحثهم عليه ولا سيما أن مراد الشارع من إبطال ما

كان عليه أهل الشرك لا يتحقق كاملاً إلا بفسخهم حجهم إلى عمرة ؛ وفي هذا الوقت بالذات..

وأما تمنيه ﷺ عدم سوق الهدى والتحلل فلم يكن دالاً على أكثر من تطييب خواطر أصحابه لما فاتهم من الإبقاء على إحرامهم ، ولم يفهم منه أهل المعرفة بلغة العرب وأحوال الكلام وأسراره غير ترغيب المخاطبين فى الفسخ وحملهم عليه حتى يتم التشريع عن طريقهم . نظير هذا حمل اللّه عز وجل رسوله ﷺ على الزواج بزينب بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة ليبطل بذلك عادة التّبنّى وأحكامه فى الجاهلية فهل من قائل بعد ذلك : إنه يجب على كل من كان له متبنّى فى الجاهلية أن يتزوج مطلقته ؟ اللهم لا . ومن هنا كان القران لمن ساق الهدى أفضل بإجماع المسلمين من فسخ الحج إلى العمرة ، وكيف وهو الحج الذى اختار اللّه لرسوله ﷺ وهل يختار إله لنبيّه مفضولا ؟ اللهم لا . وحتى لو عاش النبى ﷺ إلى قابل ولم يسق الهدى وجعل حجه عمرة لبيان جواز الفسخ وحمل الناس عليه ولإبطال شرع المشركين لما دل ذلك على أفضلية الفسخ على القران ؛ وإنما دل على أن الرسول ﷺ تنازل من فاضل إلى مفضول تحقيقاً لهدف خاص ومصلحة عامة ، فيكون أجره أعظم ومثوبة أكبر لما فاته من حجة الفاضل ، على حد من ترك شيئاً للّه عوضه اللّه خيراً منه . يدرك هذا كل ذى بصيرة فى دين اللّه ومعرفة بأسرار شرعه وأحوال نبيّه ﷺ .

وأما قوله ﷺ : « لا ، بل لأبد أبد »(١) لما سئل عن الفسخ الذى أمر به ، **فإنه** دال دلالة واضحة على جواز الفسخ والاعتمار فى أشهر الحج لكل مسلم أراد ذلك بلا تحرج أبداً ، ولم يكن تشريعاً خاصاً ينتهى بتلك السنة أو بأولئك الأصحاب رضوان اللّه تعالى عليهم ؛ إذ لم يكن القصد من الأمر بالحل مجرد التخفيف عن أصحابه فى تلك السنة فقط كما فهم بعض ، وإنما أراده تشريعاً عاماً لا ينتهى ما دام البيت يحج ، فلكل مسلم أن ينتفع بهذه الرخصة متى شاء بلا حجر ولا نكير . تمشياً مع قول اللّه عز وجل : ﴿ **فمن تمتع**

---

(١) هنا مسألتان أولاهما : أن المباح إذا أمر به الرسول شخصاً أصبح واجباً من حقه ، لأن طاعة النبى ﷺ واجبة . وأما من لم يؤمر به فإنه يبقى فى حقه مباحاً على الأصل مثال هذا : مسألة الفسخ هذه فإنها فى حق المأمورين بها فى حجة الوداع واجب ، وأما من عداهم فهى بالنسبة إليهم على الأصل وهو الجواز . وثانيتهما : أن النبى ﷺ إذا فعل المكروه والمباح بقصد بيان الجواز ، انقلب فعله له طاعة أى قربة من القرب مثاله : لو أن الرسول ﷺ عاش إلى قابل ولم يسق الهدى وتحلل بعمرة لكان فعله هذا قربة له ، وإن كان فى الأصل مباحاً أى الفسخ وليس بقربة بل رخصة .

بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ... ﴾ الآية (١) .

وأما قوله ﷺ : « دخلت العمرة فى الحج مرتين » حال إجابته سراقة بن مالك لما سأله عن حكم فسخ حجهم إلى عمرة ، فلنسمع أولاً إلى ما قال فيه أهل العلم من السلف : روى ابن حزم فى المحلى عن طاوس أنه سئل عن قول الرسول ﷺ : « دخلت العمرة فى الحج » ؟ فأجاب قائلاً : هو الرجل يفرد بالحج ويذبح ، فقد دخلت له عمرة فى الحج فوجبتا له جميعاً . وروى عن مجاهد أنه كان يقول : من جاء حاجاً فأهدى هدياً فله عمرة مع حجة . فهذان التفسيران عن السلف دلا على معنى واحد ، وهو أن المفرد إذا ساق الهدى أو اشتراه من الحرم وذبحه كان له مع حجته عمرة ؛ لأن أفعال الحج هى أفعال العمرة ولا فرق . ومن هنا إذا ذبح المفرد هدياً فى منى كان كمن قرن حجة وعمرة فتمتا له معاً ، والعلة هى أن أعمال الحج والعمرة واحدة : طواف وسعى ، فكل من طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة فقد حج البيت واعتمر . غير أنه إن لبّى بهما معاً وسماهما ، أو تحلل بعد طوافه وسعيه وجب عليه دم وإن عجز عنه فصيام ، وإن لم يتحلل لم يجب عليه شىء . غير أنه إن ذبح تطوعاً كان له أجر حج وعمرة ؛ لأن عمل الحج هو عمل العمرة وليس هناك شىء زائد إلا الهدى فمن أهدى وهو مفرد حصل له أجر حج وعمرة والحمد للّه . هذا الذى فهمه طاوس ، ومجاهد رحمهما اللّه تعالى من قوله ﷺ : « دخلت العمرة فى الحج » . وهو فهم صحيح سليم . ولم يكن دالا على وجوب الفسخ لمن أفرد ولم يسق الهدى كما فهم الزاعمون ذلك .

وزيادة فى الإيضاح نورد ما نقله النووى عند شرح هذه العبارة فى صحيح مسلم قال : واختلف فى معناه على أربعة أقوال :

أصحها وبه قال الجمهور معناه : أن العمرة يجوز فعلها فى أشهر الحج إلى يوم القيامة ، والمقصود به بيان بطلان ما كانت الجاهلية تزعمه من امتناع العمرة فى أشهر الحج ، وهذا القول الذى قال به الجمهور : لا منافاة بينه ، وبين قول طاوس ، ومجاهد .

وثانيها : جواز القران : وتقدير الكلام دخلت أفعال العمرة فى أفعال الحج إلى يوم القيامة . وهذا ملائم أيضاً لما سبق .

ثالثها : سقوط العمرة لدخولها فى الحج وهذا باطل ضعيف لا قيمة له لمعارضته

---

(١) البقرة : ١٩٦ .

بالقرآن الكريم ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ... ﴾ الآية [٢] .

رابعها : وهو قول أهل الظاهر جواز فسخ الحج إلى العمرة قال : وهذا ضعيف .

ويبدو أن ضعفه من حيث دلالة اللفظ عليه لا من حيث الحكم ؛ إذ جواز الفسخ دل عليه ما تقدم .

والآن فهذه ستة أقوال فى تفسير هذه العبارة النبوية الكريمة من السلف والخلف ولم يكن قول منها دالاً على وجوب التمتع ، فهل يعقل أن يقول رجل برأيه ، ونسبة الصواب إليه نسبة واحد إلى سبعة . إن هذه العبارة النبوية دالة على وجوب التمتع ، ويجيز لنفسه أن يطالب المسلمين بوجوب اعتقاد فهمه ، وإلا فهم عصاة مخطئون ومقلدون جامدون . وسبحان الله ما فى هذه الحياة من عجائب !!

---

(١) البقرة : ١٩٦ .

خاتمة البحث

بناء على هذه الدراسة الدقيقة لهذه المسألة الفقهية نسجل بحمد اللّه تعالى نتيجتها لتكون فى متناول كل من يطلع على هذا البحث الذى تم فيه بتوفيق اللّه تعالى ، ومعونته إحقاق الحق وإبطال الباطل فى هذه المسألة التى بلبلت الأفكار ، وأثارت تساؤلات كثيرة ما كانت لتكون لو فكر مثيروها فى نتائجها قبل إثارتها والخوض فيها . ولكن ما قدر يكون ، والحمد للّه الذى وفقنا لإظهار الحقيقة فيها ، والوقوف بالإخوة المسلمين عليها كما هى .

وهى :

١ ـ جواز الإحرام بأىّ من أنواع النسك الثلاثة : الإفراد ، والتمتع ، والقران لقول الرسول ﷺ فى حديث الشيخين : « من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل ، ومن أراد منكم أن يهل بحج فليهل ، ومن أراد أن يهل بعمرة فليفعل » .

٢ ـ جواز فسخ الحج لمن أراد أن يفسخ حجه إلى عمرة بشرط : أن لا يكون قد ساق هدياً معه وذلك ؛ لترخيص الرسول ﷺ لأصحابه فى ذلك لما طافوا وسعوا بين الصفا والمروة ، وإعلانه أن هذه الرخصة عامة وليست خاصة ، ولأبد أبد كما تقدم فى حديث الصحيحين .

٣ ـ من أفرد بالحج ولم يفسخ حجه إلى عمرة ، ثم ذبح هدياً كان له حجة وعمرة لقول الرسول ﷺ : « دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » . على تفسير طاوس ، ومجاهد له بذلك .

٤ ـ لأنْ يتمتّع الحاجّ بعمرة ، أو يفسخ حجه إلى عمرة ويهدى خير له من أن يفرد بالحج ، ثم يعتمر بعد انقضاء الحج من التنعيم أو الجعرانة كما يفعل بعض من لا علم لهم . وذلك لقول ابن عمر رضى اللّه عنهما فى الموطأ : واللّه لأن أعتمر قبل الحج وأهدى أحب إلى من أن أعتمر بعد الحج فى ذى الحجة .

٥ ـ تفضيل أحد النسك على غيره يحتاج إلى قدر زائد يفضل به ، فالإفراد أفضل

من التمتع والقِران لمن اعتمر فى وسط السنة وعاد إلى أهله ثم حج من عامه ذاك . والقِران أفضل لمن ساق الهدى ، والتمتع أفضل لمن لم يعتمر فى وسط السنة ولم يسق الهدى معه .

هذا التفصيل الذى أوردناه ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن عليه إجماع الأمة ، وبمراجعة هذا البحث الذى نختمه بهذه الخلاصة يتضح صحة ما قاله شيخ الإسلام : من إجماع الأمة على هذا التفصيل فى التفضيل . والله الموفق للحق والهادى إلى سواء السبيل . وصلى الله على النبى محمد وآله وصحبه أجمعين .

التدخين

مادة وحكماً

حررها

أبو بكر جابر الجزائرى
الواعظ بالمسجد النبوى الشريف
والمدرس بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

الإهــداء

الحمد لله وبعد :

فإلى أولئك الباحثين عن الحق ، الراغبين فيه ، والطالبين له ، والذين يسوءهم أن يعتقدوا غيره ، ويقولوا أو يعملوا سواه .

إليهم جميعاً أتقدم بهذه الكلمة حول التدخين « مادة وحكما » .

راجياً لهم أن يجدوا فيها ما يشفى صدورهم وينير طريقهم وهم راكضون إلى الحق سائرون على ساحة الطمأنينة والرضى .

انلنى اللهم وإياهم ذلك إنك كريم قدير .

القائل أخوكم : **أبو بكر الجزائرى**

التدخين
مادة وحكماً

مقدمة :

بسم الله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وآله وصحابته أجمعين ، وبعد :

إن عقلاء الناس مجمعون على وجوب طلب ما ينفع ، وترك ما يضر ، ورحى الحياة دائرة منذ أن كانت على هذا المبدأ المسلم من كافة العقلاء وهو طلب ما ينفع وترك ما يضر ، بيد أن إدراك الناس لما ينفع أو يضر يختلف اختلافاً كبيراً بين إنسان وآخر ، وهذا عائد إلى تفاوت المدارك البشرية فى القوة والضعف والسلامة والنقص ، فكم من نافع نافع رأى قوم أنه ضار فتركوه لما توهموا من ضرره ، وكم من ضار ضار أقبل عليه الناس اعتقدوا نفعه فأتوه وفعلوه ، يضاف إلى ذلك أن أشياء كثيرة قد يخفى أمرها ويلتبس حالها ، ولا يدرى هل هى من النافع الذى يجب أن يطلب أو من الضار الذى يجب أن يجتنب ويترك ، ويشهد لهذه الحقيقة الحكمة المحمدية القائلة « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس »[1] إن الحلال هو النافع ، والحرام هو الضار ، ومنهما ما هو معلوم النفع بالضرورة ، ذلك كنفع العسل ، أو معلوم الضرر بالضرورة كضرر السم ، وكنفع الإحسان ، وضرر الإساءة ، ولكن دون ذلك أمور كثيرة لا يعرف نفعها أو ضررها إلا ذوو الخبرة . والإدراك الصحيح من عقلاء البشر وحكمائهم ، ومن ذلك مادة التبغ أو الدخان كما يقول العوام ، فقد خفى أمرها والتبست على كثير من الناس حالها فقال أناس : بضررها وتركوها ودعوا إلى تركها واجتنابها ، وقال آخرون : بخلاف ذلك ونفوا عنها الضرر وقالوا : بإباحتها لسلامتها من الضرر واستعملوها (كيفاً) وأباحوها واتجروا فيها بيعاً وشراء وتهادوها هدايا فاخرة إلى الأقارب والأحباب .

والحق : أن هذه المادة السامة الفاسدة قد شغلت أذهان كثير من الناس فى الشرق والغرب ، وأصبح من الضرورى المساهمة بكلمة عادلة منصفة بعيدة عن مؤثرات الهوى والمنفعة تبين للناس الحيارى الباحثين عن الحق حكم هذه المادة المكيفة ليكونوا على بينة من

---

(١) الحديث رواه مسلم فى صحيحه عن نعمان بن بشير .

أمرهم إن هم شربوها أو تركوها .

ومن هنا رأيت أن أقول كلمة فى هذه القضية العالمية التى استعصى حلها على الناس ، سائلاً اللّه تعالى التوفيق فيها لما هو الحق الذى يرضيه ، وأن ينفع بها من يقرأها أو يسمعها من عباده ، إنه قدير وبالإجابة جدير .

مــادة التدخـــين

يسمح لى الإخوة القراء والسامعون إن أنا تكلمت فى بعض الأسطر بلغة النحاة لأبين حقيقة مادة كلمة التدخين أولاً ، ثم أعود وإياهم إلى لغة المعرفة السهلة والبيان الواضح القريب .

إن التدخين أيها الإخوة فى لغة العرب : مصدر فعله دخن مضعفاً يدخن تدخيناً ، إذ صيغة التفعيل دائماً مصدر لفعل مضعف العين ، كالتكليم من كلم والتسليم من سلم والتعليم من علم .

فالتدخين إذا مصدر ، وهو فعل المرء المدخن إذا هو أشعل السيجارة أو الغليون وامتصها بشدقتيه ، ليخرج بذلك دخاناً أبيض كثيفاً من فمه ومنخريه .

ومن هنا أصبح لفظ الدخان الخارج من فم المدخن ومنخريه يطلق فى أكثر بلاد العرب والعجم على مادة التدخين نفسها ، بغلبة كثرة الاستعمال وله مع هذا أسماء أخرى منها : التتن يطلقه عليه غالباً أهل البلاد الذين يكرهون عنه ، ولم أعرف وجه اشتقاق هذا اللفظ له ولعله مشتق من النتن ، يكرهون التدخين وينهون عنه ، فلخبثه وكراهية المؤمنين له أطلق عليه لفظ التتن محرفا عن كلمة النتن ، ومنها : التبغ وهو الاسم الذى يعرف به الدخان فى أغلب بلاد العالم ، وهو أصدق اسم أطلق عليه ، لأنه مأخوذ من كلمة تباغو التى هى اسم لجزيرة فى خليج المكسيك قد وجدت فيها هذه النبتة الخبيثة ، ومنها نقلت إلى أسبانيا ، ثم إلى أوربا ، وبعد ذلك انتشرت فى كامل القارة الأوربية ، ومن ثم دخلت بلاد العرب بواسطة الغزو الأوربى يحملها المستعمرون النصارى فانتشرت فى بلاد المسلمين عرباً وعجماً ، وقد يقال لما لم يقاوم العلماء المسلمون عادة التدخين بين المسلمين قبل انتشارها واستفحال أمرها ؟ والجواب أنهم قد قاوموها كأشد ما تكون المقاومة بيد أن سنة تأثر المغلوب بالغالب لم تنجح معها مقاومة العلماء للتدخين ، فعم وطم وتورط فيه كثير ممن ينتسبون إلى العلم فكانوا مثالاً سيئاً للمسلمين والعياذ بالله تعالى .

ومن هنا قد يعد التدخين فى بلاد المسلمين مظهراً من مظاهر آثار الاستعمار الغربى ومخلفاته السيئة ، وعاداته القبيحة التى ورثها فى البلاد التى نكبت باستعماره واحتلاله ومن تلك المخلفات الفاسدة : تربية الكلاب فى الدور ، والإسلام يحرم ذلك وينهى عنه ،

وسفور المرأة المسلمة وحلق لحى الرجال ، ولبس البنطلون الضيق ليس فوقه شيء ، وحسر الرأس ، ومجاملة أهل الفسق والنفاق ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بدعوى حرية الرأى ، والسلوك الشخصى ما لم يمس بحقوق الغير إلى غير ذلك من سيىء العادات وقبيحها .

وقد يقال : إن هناك عادات سيئة مخالفة لحياة المسلمين لم يخلفها الاستعمار ، وإنما وجدت بين المسلمين بعد خروج الاستعمار من بلادهم ورحيله من ديارهم ، فبما تفسر هذه الظاهرة الغريبة ؟

والجواب : إن التأثير النفسى الذى كان للمستعمرين الغربيين على نفوس المسلمين مازال كما كان أو أشد به ، لأن ولوع المغلوب بتقليد الغالب وهى سنة بشرية ما زال مسيطرا على نفسية الفرد المغلوب بالأمس ، وإن تخلص من سيطرة غالبه باستقلاله السياسى عنه ، إن صح أنه فعلاً قد استقل عن سالبة حريته واستقلاله أمس ، وتأكيداً لهذه الحقيقة أقول : إننى الآن والقلم بيدى أبيض هذه الكلمة تناولت جريدة يومية (الشرق الأوسط) فطالعنى فى صفحتها الأولى العنوان التالى (عيد الآباء) وتحت العنوان صورة لأسرة أوربية تحت الصورة الكلمات الآتية : هذا العيد لم نحتفل به بعد فى العالم العربى ، إنه عيد الآباء الذى احتفلت به أوربا والولايات المتحدة ، والعرب ينتظرون الآن أن ينقل هذا العيد إلى ديارهم لينسوا فى هذا اليوم متاعبهم وهمومهم ويحسوا بلمسة تقدير من أبنائهم لما يفعلونه من أجلهم .

إنه لمن البديهى أن يفهم أن الواضع لهذا العنوان وما رسم تحته ، وما كتب عليه ، قد نصب نفسه وكيلاً لتوريد محاسن الغرب ومساوئه لبلاد العرب المسلمين ، وهو يدعو فى حرارة إلى استيراد العرب لهذا العيد الجديد ، ولا لشىء سوى أنه جديد فى الغرب يجب أن ينقل إلى بلاد العرب كغيره من عشرات البدع والضلالات .

إن الهزيمة النفسية التى أصابت المسلم جعلته لا يفكر فيما يريد أخذه من الغرب أو عن الغرب ، إذ الغالب السابق طبع فى نفسه أن كل ما يحدثه الغرب ، أو يأتى به أو يفعله أو يقوله هو غير قابل للنقض فضلاً عن الرفض وعدم القبول ، ومن هنا قام صاحب العنوان المذكور يجر بكلتا يديه جيفة العيد الأوربى ليقدمها للعرب المسلمين ، ظاناً أنه قدم خيراً كثيراً للعالم العربى ، وغاب عن ذهنه تماما أن العرب المسلمين هم أصحاب رسالة الإسلام الكاملة الخالدة والتى لا ترضى بالتلفيق ولا بزيادة فيها ولا نقصان منها ، وهذا نص قانونها

يقول :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾(١) .

إن العيد فى الإسلام ليس مجرد أكل وشرب ولهو ولعب كأعياد الكافرين وإنما هو زيادة على ذلك ذو شعائر تعبدية هى المقصودة منه بالذات ، العمل بها يزكى النفس ويطهرها فيعدها للكمال والخلود ، وهذه الشعائر لا ترقى عقول البشر لوضعها بحال من الأحوال ، فمن هنا كانت دعوة صاحب العنوان للعيد الأوربى دالة على غفلة كبيرة أو جهل عظيم ، وهو فى الواقع معذور ., لأن جل المسلمين اليوم بحكم الانهزام للغرب الذى ورث الولوع بتقليده ، أصبحوا لا يفقهون إلا بقلوب الغربيين ، ولا يبصرون إلا بأعينهم ولا يسمعون إلا بآذانهم . وصدق اللّه العظيم إذ يقول لهم : **﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾**(٢) .

فلننظر كيف علل القرآن بما أصابهم من فقدهم الانتفاع بحواسهم علله بالغفلة التى ضربت أطنابها على قلوبهم ، فقال أولئك هم الغافلون ، فحسر الغفلة فيهم إشارة إلى عليتها أصابهم ، ونزيد هذه الحقيقة وضوحاً وهى تأثر المغلوب بالغالب والولوع بتقليده من غير فكر ولا رؤية وفى كل شيء حسنا كان أو قبيحاً فنذكر هنا أن رباط الرقبة وهو ما يسمونه (قرفاط) لم يكن فى أول أمره رباطا للزينة والتجميل كما هى الحال اليوم إنما الأصل فيه أن جيشاً من أوربا الشرقية غزا إحدى الممالك فى أوربا الغربية وانتصر عليها ، وكان ذلك الجيش يعلق أفراده قلادة فى أعناقهم هى فى الواقع تميمة يراد بها دفع المكروه وجلب المحبوب فرآها أفراد الأمة المهزومة فى أعناق أفراد الجيش الغالب ، فقلدوه فيها على سنة المغلوب مولع بتقليد الغالب ، ويمضى الزمان واستعملت تلك القلادات فى أعناق الرجال فطورت حتى أصبحت رباطا يعنى به المتحضرون ويتنافسون فيه للأناقة والتجميل .

وزيادة فى تقرير حقيقة أن المسلمين فى الجملة مادخنوا إلا تأثرا بالغرب الذى استعمر بلادهم وحكم شعوبهم زمناً غير قصير وذلك بالدليل أنهم يعرفون أن التدخين ليس بفضيلة ، ولا هو من مكارم الأخلاق ، أو من شيم الرجال بل ترى أكثرهم يمقته بل

---

(١) المائدة : ٣ .   (٢) الأعراف : ١٧٩ .

ويلعنه ، وعلى سبيل المثال نورد القصة التالية :

كنت أعرف رجلاً أحسبه من الصالحين ولا أزكى على الله أحداً وكان مبتلى بالتدخين ، فكان إذا أراد الخلاء حمل علبة السجائر حتى إذ جلس على كرسى بيت الخلاء (المرحاض) أشعل سجارته ودخن أثناء تبوله وبذلك يقضى حاجتيه معاً ، ويخرج فيتوضأ ويقول : إن الدخان خبث فليؤت فى محل خبيث ، وصدق هذا الرجل الصالح فإن نتن التدخين لا يناسبه إلا العذرة ، ومن هنا تعين على العقلاء إذا ما ابتلوا بهذه العادة أن يختاروا لها ما يناسبها من المحل اللائق بها كالكنف والمراحيض ، ومن غريب شعور هذا الرجل وقد توفاه الله أني سمعته يوماً يقول : لعن الله اليهود والنصارى ، إنهم من حقدهم على الإسلام والمسلمين وكيدهم لهم بمكرهم بهم إنهم أطلقوا لفظ السيادة على الدخان الخبيث فهم يقولون : (سيقريط) وهو يريد بذلك أن كلمة سيد وهى عند أهل المغرب الإسلامى ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب الأقصى ، بمعنى السيد اختصارا فبدل أن يقول أحدهم : السيد أحمد ، أومحمد يقول : سى أحمد ، وسى محمد ، ومن ذلك (سيقريط) فهو يرى أن كلمة سيقريط ، مركبة من كلمة سى بمعنى السيد وقريط . وهذا من غريب شعور هذا المؤمن إزاء الدخان ومورثيه فى أمة الإسلام ، فالغرب فيما أظن أنهم لم يريدوا ما فهمه هذا المؤمن من إطلاق لفظ السيادة على أخبث شىء وأنتنه وهو التبغ وعربه بعض العرب إلى سيجارة وجمعها سجائر .

ومن حال هذا العبد الصالح يعرف أن العادة إذا تأصلت فى النفس وتمكنت منها يصعب تركها ، وأن شعور المرء بفسادها وعدم إياقتها غير كاف فى أن يتركها من ابتلى بها ، ولذا ما رأينا أحداً ترك عادة التدخين لأنها فاسدة وغير لائقة ، وإنما تركها من تركها إما بمنع الطبيب له منها ، وإما بإيمانه بأن الله حرمها وما حرمه الله وجب تركه والابتعاد عنه ، ومهما كانت حال المؤمن إلا ما استثنى الله تعالى من الضرورات التى قد تبيح المحظورات ، هذا وقبل أن ننتقل من بيان مادة التدخين إلى حكمه فى الإسلام نعود فنذكر ما سبق أن عرفنا به مادة التدخين حيث قلنا : ومنها أى من أسماء الدخان « التبغ » وهو الاسم الذى يعرف به الدخان فى أغلب بلاد العالم وهو أصدق اسم أطلق عليه ، لأنه مأخوذ من كلمة (تباغو) التى هى اسم لجزيرة فى خليج المكسيك ، وقد وجدت فيه هذه النبتة الخبيثة ومنها نقلت إلى أسبانيا ، ثم انتشرت بسرعة إلى أوربا ، ومن ثم دخلت بلاد العرب بواسطة الغزو الأوربى يحملها المستعمرون النصارى فانتشرت فى بلاد المسلمين

عرباً وعجماً .

ومع كفاية هذا التعريف فإنى أورد هنا بعض ما كتبه فى تعريفه محمد فريد وجدى صاحب دائرة معارف القرن العشرين ، حيث قال فى المجلد الثانى من صفحة خمسمائة وست وعشرين : (التبغ) وهو ما يسميه الناس الآن بالدخان ، وهى شجرة أمريكية الأصل ولكنها تزرع الآن فى سائر بلاد أوربا فتبلغ من متر إلى متر ونصف ، وهى تنبت فى جميع البلاد المعتدلة ولكنها تنبت فى البلاد الحارة ، وتصل فى الطول إلى نحو خمسة أمتار ، وأوراقها المخففة تستخدم تدخيناً ومضغاً وسعوطاً هذه العادة من آخر العادات التى منى بها هذا الإنسان الضعيف : فقد زعم باحث فى مجلة من المجلات الفرنسية عن خسائر تعاطى هذه المادة يوازى خسائر الخمر على النوع البشرى .

هذه العادة لم تكن موجودة فى العالم قبل اكتشاف أمريكا فى القرن الخامس عشر ،. وسبب سريانها فى أوربا هم النوتية الأسبانيون ، فإنهم رأوا متوحشى أمريكا يدخنون فقلدوهم وجاءوا بهذه العادة إلى أوربا فانتشرت فيها وقد بحث العلماء كثيراً فى سبب شيوع هذه الآفة بين النوع الإنسانى على ما فيها من ضرر فزعمه أن السبب فى ذلك هو الخدر الذى يحدثه على المخ فيهدئه إذا كان مضطرباً ، فينساق صاحبنا إلى تعاطيه وهو غافل عما يحيق به من المعاطب الصحية التى لا تنفح بعج ،،

هذا ولصاحب دائرة المعارف كلاماً طويلاً يتعلق بمضار التدخين وبيان الكميات المستهلكة منه فى العالم ، ونصائح للمدخنين بترك التدخين فوراً أو تدريجياً لما له من الآثار السيئة على حياتهم فمن أراد ذلك فليرجع إليه فى المجلد الثانى المشار إليه آنفا .

وأخيراً فذلكم هو التبغ أو الدخان من حيث التعريف بمادته وصناعته وتاريخه أما من حيث حكمه فى الشرع الإسلامى وما ، ينبغى للمسلم أن يقف عليه من ذلك ففى الأسطر التالية :

إن الدخان (التبغ) لم يكن معروفاً فى زمن التشريع الإسلامى ولا موجوداً يتعاطاه الناس بينهم حتى يعرض له الشارع فيذكره ويذكر حكمه إنه لم يزل آن ذاك فى طى الغيب ، وليس معقولاً أن يسمي الشيء قبل ولادته ووجوده ، فكيف إذا يخص التدخين بحكم شرعى وهو لم يزل غيباً ، وإنما عندما يستهل ويظهر للوجود يسمى باسم يخصه ويحكم عليه بالحل أو الحرمة بحسب إثارة من النفع أو الضرر ، ولذا ما كان من حق أحد منا أن يقول : لو كان الدخان حراماً لما لم يذكر تحريمه فى الكتاب أو السنة ؟ ومع هذا فإن

فى القرآن والسنة كليات يدخل تحتها كل جزئى من جنسها ، وقواعد يوضع عليها كل مشابه لها فى الحكم أو المشارك لها فى الوصف ، ويثبت هذه الحقيقة ويقررها مثل قوله تعالى : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (٢) .

ومن تلك الكليات العامة فى الكتاب العزيز تحريم اللّه تعالى للإثم وأمره بتركه فى قوله تعالى : ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه ، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون** ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ **قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا باللّه ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على اللّه مالا تعلمون** ﴾ (٤) .

فقوله تعالى : ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** ﴾ (٥) أمر صريح للمسلمين بترك الإثم ، سواء ما كان منه ظاهراً أو باطناً سرياً أو علنياً ، كما أن تحريمه بنص صريح فى الآية الثانية ، إذ قد اشتملت الآية على تحريم أصول المفاسد والمضار الستة ومن بينها الإثم .

وهو لفظ يطلق على كل ضار فاسد قبيح كالذنب ، والخمر ، والقمار ، وكل مالا يحل اعتقاده أو قوله أو عمله ، وبالتتبع الاستقرائى يوجد أن سائر المحرمات فى الشرع تدور عللها على ما فيها من ضرر أو قبح أو فساد وهذه تنافى النفع والحسن والصلاح ، وإذا خلت الأشياء من النفع والحسن والصلاح كانت ذنوباً وآثاماً يجب تركها ، ويحرم فعلها ومن هنا كان حكمنا على التدخين بالإباحة أو الحظر متوقفاً على معرفة ما فيه من النفع والحسن والصلاح ، أو الضرر والقبح والفساد فإن كان الدخان نافعاً حسناً صالحاً كان مباحاً ، وإن كان ضاراً فاسداً قبيحاً كان محظوراً .

وهنا يجب التنبيه إلى أن الناس قد يختلفون فى تقدير كل من موجبات الإباحة والحظر ومعرفتها والحكم بوجودها أو نفيها فى الأشياء وذلك لاختلاف الفهوم بينهم ، ومن هنا كان المرجع الوحيد فى ذلك هو شرع اللّه تعالى الذى لا يتطرق إليه الخطأ ولا الإغفال بحال من الأحوال فهو الحكم العدل فى كل الأمور ، فما أباحه فهو المباح وذلك لخلوه من موجبات الحظر ، وما حظره فهو المحظور لمقتضى الحظر فيه وليس معنى هذا إننا لا نرى الاستحسان العقلى ولا نقول به ، وإنما لا نقول باستقلاله عن الشرع لا سيما عند

---

(١) النحل : ٨٩ . (٢) الحشر : ٧ . (٣) الأنعام : ١٢٠ .
(٤) الأعراف : ٣٣ . (٥) الأنعام : ١٢٠ .

التعارض ، ولا يخفى على العقل علة ذلك وهى أن العقول تختلف قوة وضعفاً وسلامة وعطبا ، وقد يعرض لذى العقل عارض هوى أو شهوة فيغلب على عقله فيفسد عليه الحكم على الشىء بأنه نافع غير ضار أو صالح غير فاسد أو حسن غير قبيح أو العكس ، إذ آفة الهوى أو الشهوة من أخطر الآفات على العقل البشرى .

وبعد هذه المقدمة العقلية الشرعية نعود إلى ما نحن بصدد الحكم عليه وهو الدخان ، فلنستعرض أحواله وأحوال متعاطيه علنا نستشف من ذلك ما يساعدنا على الحكم عليه بالإباحة أو المنع ، بناء على كونه إثماً أو غير إثم ، والإثم كما قدمنا ما كان قبيحاً ضاراً فلننظر إلى رجل أمامنا وهو جالس أو قائم أو ماش وقد أخرج من جيبه علبة صغيرة فاستخرج منها ملفوفاً أبيض وفوراً أوقد ناراً ووضعها على رأس ذلك الملفوف الأبيض فأحرقه ، ولما أخذت النار تسرى فى أجزائه والدخان يتصاعد أدخل طرفه فى فيه وأخذ يمتصه بشدقتيه بقوة مما يساعد على احتراقه فجعل الدخان الأبيض الكثيف يخرج من فم الرجل ومن منخريه ، وهو يواصل الامتصاص بشدة ، والدخان الأبيض يتصاعد وهو يقذفه عن يمينه مرة وعن شماله أخرى ، وثالثة أمامه . فهل فعل هذا الرجل ومنظره حسن غير قبيح ؟ أنا لا أشك أن كل عاقل راجح العقل سيقول : إنه منظر قبيح ، وقبيح جداً لا سيما إذا عرف أن فعله هذا لم يكن لغاية صحيحة ، كمنفعة راجحة أو دفع مضرة حاصلة وإنما فعله إرضاء لشهوته ، واتباعا لهواه ، أو تقليداً لغيره ممن هم ليسوا بقدوة صالحة لعباد الله ، ومن هنا يصدر الشرع حكمه على التدخين بأنه قبيح فاسد ، ويلحقه سائر الذنوب والآثام التى يحرم ارتكابها ويجب اجتنابها .

وإذا ثبت قبح التدخين وفساده فإن الضرر قطعاً سوف لا يفارقه ، إذ كل فاسد قبيح ضار لا محالة ، وكيما نصل إلى الحقيقة بالبحث ، والحقيقة بنت البحث كما يقولون . فإن البحث يتطلب منا تحقيق شيئين الأول معنى الضرر ، والثانى المحل الذى يصاب بالضرر ، أما الضرر فإن لفظه يدل على عدة معانى كلها تدور على كون الشىء خالياً من المنفعة أو مسبباً شدة وضعفاً أو سوء حال أو نقصا فى شىء آخر ، وأما المحل الذى يصاب بالضرر فهو بالنسبة إلى المسلم بدنه ، ودينه ، وعقله ، وعرضه ، وماله .

وهذه هى الخمس الكليات التى أطبقت الشرائع الإلهية على صيانتها للإنسان وحفظها عليه ، إذ هى قوام حياته وعليها مدار سعادته فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا وضعت الشريعة الإسلامية العقوبات الزاجرة لكل من يفسد على المسلم هذه الكليات أو يضره فيها بأدنى ضرر فوضعت عقوبة القتل لمن جنى على إنسان بقتله، أو فساد عقله أو دينه ووضعت عقوبة القطع لمن يسرق مال غيره، وعقوبة الرجم حتى الموت لمن ينتهك أعراض الناس فيزنى بنسائهم، وعقوبة الجلد لمن يقذف المحصنين فيخل بشرفهم ويمس أعراضهم وهم أعفاء طاهرون.

واعتبرت ـ أى الشريعة ـ أن كل ما أدخل ضرراً أو نقصاً على تلك الكليات منفردة أو مجتمعة فهو جناية محرمة يستوجب فاعلها العقوبة عليها.

وأن كل ضار بها أو بواحدة منها هو ممنوع الاستعمال فاسد الاعتبار، قبيح الصورة لا يصح فعله ولا يجوز إقراره ولا السكوت عليه، هذا وبعد تحقيقنا لمعنى الضرر، والمحل الذى يصيبه نتسائل فنقول: هل فى التدخين من ضرر؟ وهل الكليات الخمس تتعرض لضرر التدخين عند المدخنين؟ والجواب أما كون التدخين مضراً فهذا مما لا شك فيه أبداً، وبإثبات الضرر بالتدخين تثبت إصابة الكليات الخمسة به.

وهذا بيان ذلك

الكلية الأولى: الجسم البشرى:

إن الأجسام البشرية محترمة ومحرمة معا فلا يحل إصابتها بأى أذى إلا ما كان من جسم المحارب فإنه لا حرمة له فى سائر الشرائع، ومن جنى على غيره جناية أو ألحق به أذى فيها فإنه يضرب على يديه ويؤخذ منه ما يهدر به حقه فى حرمة جسمه واحترامه.

والتدخين مضر بالجسم فاتك به معرض له للتلف والهلاك ولما كان معرفة كون التدخين مضراً بالأجسام البشرية من خصائص الأطباء واختصاصاتهم فإننا نترك الكلمة هنا لأحد الأطباء المسلمين هو الدكتور محمد على البار عضو الكلية الملكية للأطباء فى لندن يقول كلمته فى ضرر التدخين ويؤدى شهادته على ذلك، قال حفظه اللّه تعالى: إن للتبغ مواد سامة كثيرة أخطرها ما يلى:

١ ـ النكتين: وهو أخطر السموم التى عرفها الإنسان لحد اليوم، إذ يكفى فى قتل إنسان فى أوج شبابه أن يعطى مقدار (مليجرام) وهو جزء من مليون من الكيلو جرام ـ فى وريده، مع العلم أن السيجارة الواحدة لا تخلو أبداً من مليجرام إلى ثلاثة منه بحسب كبرها وصغرها وتركيبها.

٢ ـ غاز أول أكسيد الكربون ، وهو غاز سام يستنشقه المدخن فيسبب له نقصاً كبيراً فى كمية الأكسجين الموجودة فى دمه ، مما ينتج عنه أن تدخين عشرين سيجارة فى اليوم يفقد المرء خمس دمه ، ومعنى هذا أنه أفقد خمس طاقة جسمه ، وأى ضرر أكبر من هذا الضرر ؟

٣ ـ القار ، أى الزفت أو القطران ويوجد فى كل سيجارة ما بين ١٥ ـ ٣٠ مليجراماً من هذه المادة السامة ، والتى يتسبب عنها عند المدخنين التهابات الشعب الهوائية الحادة المزمنة ، هذا ويقول الدكتور البار فى أثناء بحثه العلمى فى مادة التدخين : معلومات تهمك ويوجزها فى النقاط التالية :

* ـ إن كل سيجارة تدخن تنقص من عمر المرء خمس دقائق ونصف ، وهو نفس الوقت الذى يقضيه المرء فى تدخين السيجارة .

تقول الإحصائيات الرسمية التى نشرها تقرير الكلية الملكية للأطباء ببريطانيا عن التدخين : إن من بين كل ثلاثة مدخنين ، واحداً منهم على الأقل سيلقى حتفه قبل الأوان بسبب التدخين .

* ـ إن من يدخن عشرين سيجارة فأكثر معرض للإصابة بجلطة القلب بأضعاف أضعاف غير المدخنين .

* ـ وأخيراً إن أمراض السرطان ـ الربو ـ العقم ـ ضعف النسل ـ تصلب الشرايين ـ تشوية الجنين ـ جلطات القلب ، كل هذه الأمراض أثر من آثار التدخين ، ومع أضرار بالغة بالإنسان لا يصبح معها أى شك فى حرمة التدخين ، ووجوب تركه والإبعاد عنه ، وإلا فعلى الدين والعقل العفا والسلام .

الكلية الثانية : العقل :

إن العقل هو الخصيصة التى امتاز بها الآدمى عن غيره من سائر الحيوانات ، وعليه ـ أى العقل ـ مناط التكليف ، إذ بدونه لا يكلف المرء فعلاً ولا تركاً ، ومن هنا كان كل ما يعرض العقل البشرى للضعف أو التلف من سائر المؤثرات الداخلية أو الخارجية محرماً تحريماً شرعياً لا يحل استعماله ، ولا يجوز ارتكابه أبداً ، ولأجل هذا حرم السحر ووضعت له عقوبة زاجرة وهى القتل (١) الحديث حد الساحر ضربة بالسيف وأقل عقوباته

---

(١) نقلاً عن مجلة الخطوط الجوية السعودية أهلاً وسهلاً الصادرة هذا العام ١٤٠٠ .

السجن والعذاب حتى التوبة أو الموت ، هذا إذا لم يقتل متعاطى السحر بسحره ، أما إن قتل فلا خلاف فى قتله ، وحرمت الخمر والحشيشة وسائر المسكرات والمخدرات على اختلافها وتباين أجناسها ووضع لها حداً زاجراً وهو الجلد ثمانين جلدة فى ملاء من الناس تنكيلاً بالفاعل المجرم على نفسه ، ونكالا لغيره ممن قد تحدثه نفسه بارتكاب هذه الجريمة الضارة بالعقل وهو الجوهر الفرد الذى لا يعوض أبداً من فقده الإنسان .

وما شرع هذا الحد وهو جلد ثمانين جلدة للجانى إلا أن الإسكار والتخدير والتفتير كلها مضرة بالعقل موقفة لنشاطه ولو ساعة إصابة المرء مادة ذلك .

وحرم الكذب وشهادة الزور وقول الزور مطلقا لما فى ذلك من إضلال العقول البشرية وإيقاعها فى التصورات الخاطئة والمفاهيم الباطلة والتصديقات الكاذبة .

ووضعت لذلك العقوبات الزاجرة أقلها السجن والتأنيب والتأديب .

وحرم الشرك بأنواعه لما فيه من الإضرار الكبير بالعقل البشرى والهبوط بالفكر الآدمى إلى أسواء ما يمكن أن يصل إليه المرء من الإسفاف والهبوط ، هذا وإذا أمعنا النظر فى سائر المكيفات وعلى رأسها التبغ وجدناها بلا مراء تؤثر فى العقل الإنسانى وتضر به ، ولا أدل على ذلك من أن المدمن على التدخين إذا فقد الدخان يكاد يفقد رشده وكل قواه العقلية ، ولا يخفى ذلك على غيره أبداً بل يصرح قائلاً : إنى لا أكاد أفهم أن عينى مغمضتان ، إن ذهنى كال تماما ، إن عقلى قد أخطأنى ، وذلك لأنى لم أدخن ....

وبهذا كان أضرار التدخين بالعقل أمراً بديهيا من القبحة والعيب المكابرة فى ذلك والتشكيك فيه ، ولذا وجب تحريم الدخان والامتناع عنه ، والدعوة إلى تركه ، بل وجب إلحاقه بالمسكرات بجلد المدخن ثمانين جلدة أمام طائفة من المدخنين تنكيلاً به ، ونكالا لغيره .

الكلية الثالثة : المال :

إن حرمة المال فى سائر الشرائع كحرمة الدم والعرض لا تقل خطراً عنها أبداً ، إن الشريعة الإسلامية كثيراً ما تقرن نصوصها بين المال والدم والعرض ففى معرض البذل والجهاد قرن القرآن الكريم بينهما في مثل قوله : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم** ﴾ [١] وقوله : ﴿ **وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم** ﴾ [٢] ، وفى

(١) التوبة : ١١١ .   (٢) الصف : ١١ .

معرض المنع والتحريم قرنت السنة النبوية الصحيحة بهما فى خبر « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام » . وفى معرض الموت والفداء قرنت السنة بينهما كذلك « من قتل دون ماله فهو ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

ولما لا يكون المال بهذه المثابة وهو قوام الحياة وعصبها ولا تقوم الحياة بدونه أبداً ، وهذه آيات الكتاب شاهدة بذلك فمن سورة النساء يقول تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا** ﴾ [1] فقوله : قياما وقيما ، وهما قراءتان سبعيتان معناه : أنه تعالى جعل الأموال قوام حياتنا أى حياتنا تقوم عليها كما يقوم البناء على أساسه ، إذ مقاييس الناس متوقفة على المال ، ولما كانت كذلك وكان المال فعلا قوام الحياة وعصبها الذى يشدها وتقوم عليه .

وليس أدل على ذلك من أن الله تعالى تولى قسمتها بنفسه فأعطى كل ذى حق حقه ، ولم يكن ذلك إلى غيره سبحانه وتعالى فأعطى البنت النصف وكذا الأخت ، وأعطى الأم الثلث والسدس ، وأعطى الزوجة الربع والثمن ، وجعل الذكر مثل حظ الأنثيين ، فهذه إشارة قوية إلى أهمية المال فى الإسلام ، وأكثر من ذلك تحريم الله تعالى لتبذيره والإسراف فى إنفاقه ، والأمر بالعدل فى ذلك إذ قال تعالى : ﴿ **ولا تبذر تبذيراً** ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾ [3] .

ولذا كان الإجماع على تحريم إفساد المال كإتلافه أو تحريفه ، أو إهماله أو تضييعه ، ومن هنا كان الثمن الذى يشترى به الدخان قل أو كثر إتلافا له ، وإحراقا وإفسادا وتضييعاً فلا يحل أبداً لأنه مال ينفق فى إدخال الضرر على جسم الإنسان ، وكل ما أدخل الضرر على جسم الإنسان فهو حرام كما تقدم بيان ذلك ، ولأنه مال ينفق فى غرض غير صحيح بل ينفق في هوى نفس وشهوة فاسدة وتقليد لأهل الكفر والفسق .

بهذه الاعتبارات عرفنا أن التدخين عمل فاسد ، وأنه مضر بالمال كما هو مضر بالجسم ، ولذلك فهو حرام حرمة الخمر ، والإسراف والتبذير ، وفساد المال .

---

(١) النساء : ٥ .	(٢) الإسراء : ٢٦ .	(٣) الفرقان : ٦٧ .

الكلية الرابعة : العرض :

إن العرض وهو نفس الإنسان أو ما يصونه منها ، وهو موضع المدح أو الذم منه تعريفات لأهل العلم وهى تدور حول ذلك المعنى الكريم الذى يشعر المرء العاقل أنه هو حياته المعنوية التي يرضى بموت جسمه وفنائه ولا يرضى أن تمس تلك الحياة بأدنى مساس ، ولذا نراه عندما يمس عرضه يثور كالأسد يحمله ويدافع عنه ، إن العرض جوهر غال نفيس عند كل عقلاء الناس مؤمنهم وكافرهم يخاطر أحدهم بنفسه وماله دفاعا عن عرضه وحماية له ، حتى لا يمس أو يخدش بأى عيب قد يلحق به واعترفت بقدسية الأعراض كل الشرائع والقوانين ، وناهيكم بشريعة الإسلام التى قد جعلت جلد ظهر الآدمى المحرم ثمانين جلدة حدا مانعا من التعرض لأعراض الناس والمساس بها فمن قال فى أخيه قالة سوء فقذفه بفاحشة الزنى واللواط وجب عليه أن يقيم البينة على دعواه ، أو يكشف على ظهره ليجلد ثمانين جلدة على ملأ من الناس قال تعالى : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ [1] .

كما حرمت الشريعة الإسلامية كل ما يضر بعرض الإنسان ويخدش فيه إذ حرمت الكذب والافتراء والبهتان والغمز واللمز ، والتنابز بالألقاب ، والسب والشتم ، وما إلى ذلك من كل ما يؤذى الإنسان فى عرضه ويمس به كسائر الفواحش والقبائح .

والسؤال الآن هو هل التدخين يضر بالعرض فيحرم لذلك ؟

والجواب الصحيح هو أن التدخين ضار بالعرض ، ماس به مؤثر فيه بالغض والحط ، بل معرض له للإهانة والابتذال ، ويستدل لذلك بأمور منها : أن المرء قبل أن يشتهر بين الناس بالتدخين لا يجرؤ حياء أن يدخن أمام أقاربه كأبويه وإخوته وأعمامه وأخواله ، ولا أمام أهل الفضل والصلاح كالعلماء والصالحين من الناس ، وهذه ظاهرة معروفة لا تنكر وتفسيرها هو شعور المرء بقبح التدخين لأن مناره مجرد الشهوة والهوى ، لأنه من عمل غير الصالحين ، وهذه شهادة الفطرة السليمة على أن التدخين ماس بالعرض مضر له وكفى بها شهادة ! ! !

ومنها : أنه قبل التدهور الأخلاقى للمسلمين ما كانت المرأة العفيفة تدخن بحال من

---

(١) النور : ٤ ، ٥ .

الأحوال ، ولقد عشت فى المغرب الإسلامى قرابة ثلاثين سنة ما رأيت امرأة واحدة تتعاطى التدخين اللهم إلاما كنا نسمعه من أن بنات الخطيئة فى دور البغاء يدخن ، وهذا دليل قاطع على أن التدخين ضار بالعرض ، فإنه لما كانت المرأة أشد حياء من الرجل ، وأكثر حفاظا على عرضها تأخر ظهور هذه المفسدة بين النساء ، وما ذلك إلا لقبحها وكونها مظهرا من مظاهر السفة واتباع الشهوة والهوى ، وتقليد من لا خير فيهم .

ومنها : لو أن إمام يخطب الناس على منبره يوم الجمعة فجلس بين الخطبتين لتلك الاستراحة القليلة فأخرج سيجارة وأشعلها يدخن بها أثناء خطبته لخرج الناس كلهم من المسجد وهم يلعنونه وما صلى معه أحد ، وما ذاك إلا أن تعاطى الدخان يتنافى وكمال الإيمان والرجال وأنه مظهر من مظاهر الهبوط النفسى ، وهو دليل على أضرار التدخين بالعرض والكرامة والمروءة فإذا لا غرابة فى إلحاقه بالمحرمات الضارة بإحدى الكليات الخمس التى يحرم كل ما ألحق بها ضرراً أو فساداً .

الكلية الخماسة والأخيرة : الدين :

إن هذه الكلية ليست بأقل شأناً من سابقاتها فأخرناها لذلك ، لا أبدا ، بل هى أم تلك الكليات وأساسها ، إذ هى علة الوجود البشرى بل علة كل الحياة ، ولذا فقد يتسامح المرء المسلم فى دمه أو ماله أو بعض عرضه ، ويحتسب ذلك أجرا عند ربه ، ولكنه لا يتسامح أبدا فى دينه بل يفديه بنفسه وماله وبكل ما يملك فى حياته ، وذلك لأنه سبيل كماله ومفتاح دار سعادته .

إن الدين وهو بهذه الدرجة من القدسية والجلال يضر به التدخين ضررا فاحشا كبيرا وقد يفسده على صاحبه ويحرمه جناه الطيب من الجنة ورضوان الله تعالى .

وهذا بيان ذلك :

إن الصلاة وهى عمود الدين وسعادة العبد ونجاته تدوران عليها صحة وفسادا ، وقبولا ورفضا إذ أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صحت وقبلت صح كل عمل له صالح وقبل ، وإن فسدت ورفضت رفض كل عمل صالح له ، فلا يثاب عليه ولا يجزى وهذه حقيقة صرحت بها كل الأحاديث الصحيحة ولشهرتها لسنا فى حاجة إلى إيرادها .

هذه الصلاة وهى بهذه المثابة فى التأثير على سعادة العبد وشقائه يضر بها التدخين ضررا بالغا إلى حد أنه يبطلها ، وذلك لأنه الصلاة تتوقف على شرط الطهارة من الحدث أعنى تتوقف على الوضوء لقول رسول الله ﷺ فى الصحيح : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » وقوله : « لا يقبل الله صلاة بغير وضوء » ، وبما أن التدخين عبارة عن ابتلاع الدخان والنار فى جوف المدخن ، وقد كان المسلمون فى أول الإسلام يتوضؤون مما مست النار ونسخ الله تعالى الوجوب وبقى الندب والاستحباب.

والثانية ما تصاب به أنسجة الجسم وخلاياه من الفتور والاسترخاء أثناء التدخين وهذه علة موجبة للوضوء بلا خلاف بين المسلمين ويشهد لذلك مشروعية الوضوء من أكل لحم البعير فقد قيل لرسول الله ﷺ « أنتوضأ من لحم الغنم يا رسول الله ؟ قال : « لا » ، فقالوا : أنتوضأ من لحم الإبل ؟ قال : « نعم » وذلك لما فى لحوم الإبل من الذهومة القوية والدسم الكثير بحيث يحصل لأكله فتور فى أنسجة جسمه وخلاياه يتعين معه الوضوء متى أراد الصلاة وهى مناجاة الله تعالى ، وعروج روحانى يحتاج معه صاحبه إلى نشاط جسمه وخفته وطهارته من كل عوائق السمو والكمال الروحى ، ومن هنا كان من يدخن ويرمى بالسيجارة عند باب المسجد ويدخل ويصلى كمن أحدث حدثا موجبا للوضوء ودخل يصلى ولم يتوضأ فهل تصبر على ذلك ؟ اللهم لا ، ولوأنصفنا الشرع وأنصفنا أنفسنا لقلنا : اللهم إنه لا فرق بين الرجلين ، وطالبنا المدخن أن يتوضأ بعد التدخين ، كما نطالب من أحدث أن يتوضأ ولكن غفلة العلماء وعدم البصيرة فى الدين فإن المدخن يحشو جوفه دخانا ونارا فكيف لا يتوضأ ، إن المدخن ينفث عفونة ونتنا كعفونة الغائط فكيف لا يتوضأ ؟ إن المدخن تصاب أنسجة جسمه وخلاياه بالفتور أكثر مما يصيبه من أكل لحم الجزور فكيف لا يتوضأ ؟

والنتيجة الحتمية أن الدخان مضر بأعظم أصل من أصول الدين ، وركن من أركانه ، ألا وهو الصلاة ، فكيف لا يكون بذلك حراما يجب تركه وعدم فعله من المسلم الذى يرجو الله والدار الآخرة ؟ ؟ ؟

هذا وإن ضرر التدخين بالدين ليس مقصورا على الصلاة فحسب بل هو ضار بجوانب أخرى من دين المرء منها : أن المدخن يؤذى الحفظة من الملائكة الكرام والكاتبين ، إذ هو ينفث بقوة الدخان الأبيض برائحته الكريهة على الملكين وهما يتأذيان

من كل رائحة كريهة لحد أنهما لا يدخلان مع المرء بيت الخلاء كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ ولذا يكره أن يبصق المرء عن يمينه أو عن شماله حتى لا يؤذى الملكين كما جاء ذلك فى الخبر وأدل من ذلك حديث الصحيح « من أكل ثوما أو بصلا أو كراتا فلا يقربن مساجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » ولذا فإنهم لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة ولا يحضرون الجنب ما دام على جنابته .

ومنها أن المدخن يؤذى زوجته بالمسلمة برائحة فمه إذا قبلها ، إذ لا يسلم فمه من رائحة الدخان الكريهة وأذية الزوجة محرمة وإصابتها بضر يخولها أن تطالب بدفعه أو تطلق كما هو معلوم من الشريعة عند من درسها وعرف أحكامها .

ومنها أنه أى المدخن يؤذى جلسائه من غير المدخنين أذى كبيرا وأذى الناس حرام ، إذ القاعدة الشرعية تقول « لا ضرر ولا ضرار » ، عرف هذا حتى الهنادكة الكفار فقد ركبنا طائرة هندية فرأينا الملاحين يركبون غير المدخنين على مقاعد خاصة بعيدة عن مقاعد المدخنين . ذلك الدين هو كل شيء عند المؤمل شعورا منهم بأذية التدخين ، وهذا كاف فى الاستدلال بأن التدخين مضر بدين المرء ذلك الدين الذى هو كل شيء عند المؤمن ، فالذى يؤذى كل يوم بتدخين خلقا كثيرا معناه أنه يعود يوميا بحصيلة من الذنوب تزيد على حسناته إن كانت له حسنات فيخسر خسرانا مبينا ، والعياذ بالله تعالى .

ومنها أن المدخن قد تشبه بالكفار وبأهل النار وكلاهما حرام على المسلم أن يتشبه بهما ففى الصحيح « نهى رسول الله ﷺ عن التشبه بالمجوس ، والمشركين ، واليهود والنصارى » ، فى غير ما حديث لحكم عالية وأهداف سامية ليس هذا مجال بحثها والكشف عنها ، وفى السنن « نهى رسول الله ﷺ أن يضطجع المؤمن على بطنه وقال إنها ضجعة أهل النار » والمدخن قطعا متشبه بالكفار والفساق لأنهم الذين ورثوا هذه العادة السيئة إلى المسلمين .

كما هو متشبه بأهل النار أن أهل النار عند زفيرهم فى جهنم يخرجون الدخان والنار من أفواههم ومناخرهم كما يخرج ذلك المدخن اليوم والعياذ بالله تعالى من أهل النار وحالهم ومن التشبه بهم .

وأخيرا فهل يعد هذا البيان من بيان فى كون التدخين ضارا فاسدا قبيحاً يساوى الإثم

ويعادله فيحرم كما حرم ، ويجب تركه كما يترك والله تعالى يقول : ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون** ﴾ [1] .

وصدق الله العظيم وصلى الله وسلم على نبيه الكريم

---

(١) الأنعام : ١٢٠ .

إلى الإيمان والجهاد

كتبهـــا
أبو بكر جابر الجزائرى
الواعظ بالمسجد النبوى الشريف
والمدرس بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الإيمان والجهاد

بين يدى هذه الدعوة

المحمود لله جل جلاله ، والمصلى والمسلم عليه محمد عبده ورسوله ، والمرضى عنهم صحابته وآله ، والمترحم عليهم خلفاؤه وأتباعه .

أما بعد ، ،

فإنه بين يدى دعوتى هذه المسلمين إلى الإيمان والجهاد ، لينقذوا أنفسهم من الورطة الكبرى التى وقعوا فيها نتيجة لعدم اتباعهم هدى ربهم ، وإعراضهم عن ذكره ، وهو سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى ، وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ، ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ، إن فى ذلك لآيات لأولى النهى** ﴾ (١) .

بين يدى هذه الدعوة ، إلى الإيمان والجهاد أضع بين يدى مدعوى من المسلمين المرآة التالية ، لينظروا فيها وجه الواقع الذى هم عليه ، وهو واقع كما يعلم الله مر شديد المرارة ، سيىء إلى أبعد حدود السوء ، رجاء أن يكون ذلك باعثا لهم على الاستجابة لهذه الدعوة ، فيؤمنوا ويجاهدوا ، فينقذوا أنفسهم ، فينجوا ويكملوا ويسعدوا فى كلتا الحياتين إن شاء الله تعالى .

وها هى ذى المرآة صافية فليتناولها المسلمون ، ولينظروا وجه واقعهم فيها ، فإنها تظهره لهم بحمد الله واضحا جليا .

---

(١) طه : ١٢٣ ـ ١٢٨ .

إن هذه المرآة ، آية من كتاب الله ربنا نزل بها جبريل على نبينا ، إنها قوله تعالى من سورة الأعراف : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض ، واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ، من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون** ﴾ (١) .

..... إن كل من ينظر بصدق فى هذه الآية الكريمة وهى كالمرآة الصافية تتجلى له الحقائق التالية :

١ ـ أن الله تعالى قد أكرم المسلمين وأنعم عليهم ، أكرمهم بالإسلام ، وأنعم عليهم بالقرآن ، واجتباهم وهداهم ، اجتباهم لحمل رسالة الحق والهدى والنور والعدل والخير للناس كافة ، وهداهم إلى سبل السلام والسعادة والكمال فى الدنيا والآخرة .

٢ ـ أن ماتم للمسلمين فى سالف عهدهم وماضى تاريخهم من الرفعة والكرامة ، والعزة والسيادة كان بتمسكهم بالقرآن الكريم وأخذهم به ، واتخاذهم له إماما وقائدا لهم فى كل دروب الحياة ومسالكها ، بوصفه هدى الله الذى لا يضل ولا يشقى من اتبعه ، فاتبعه المسلمون الأولون وأخذوا به فما ضلوا يومئذ ولا شقوا .

٣ ـ أنه نتيجة لانسلاخ المسلمين من آيات الله انسلاخا جزئيا أو كليا فى كثير من ديارهم وبلادهم قد فقدوا المناعة العلمية والحصانة القرآنية فأتبعهم الشيطان فكان أكثرهم من الغاوين ، ولما غوت أكثريتهم سقطوا وهبطوا ففقدوا سيادتهم وانتزعت من أيديهم قيادتهم ، فضربت عليهم الذلة ، وحرموا شرف الملة فتنكر أغلبهم للإسلام منبع سعادتهم ومصدر سيادتهم وقيادتهم ، وتعرفوا على الكفر مبعث شقائهم وبلائهم ، فعظمت لذلك محنتهم ، وازدادت حيرتهم ، وصدق عليهم هذا المثل الذى ضربه ربهم لغيرهم ويا للأسف .

٤ ـ أنه لا سبيل إلى استرداد العز والمجد المفقودين ، واستعادة السيادة والقيادة المسلوبتين إلا بالأخذ بالآيات القرآنية ، لأنها الرافعة الإلهية ، إنها كما رفعت أسلافهم السابقين من هوة الشرك والكفر والضلال ، وصيرتهم فى أقل من ربع قرن سادة الدنيا

---

(١) الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٨ .

وقادتها : رحمة وعدلا ، وحكمة وعلما ، فسترفعهم اليوم من هوة السقوط ، ووهدة الهبوط ، وترد عليهم ما فقدوا من عزة ومجد ، وما سلبوا من قيادة وسيادة ، بعد أن ترفع ما حل بهم من عار وما نزل بساحتهم من ذل وصغار .

٥ ـ أن المسلمين اليوم وقبل اليوم ومن زمن غير قصير قد أخلدوا إلى الأرض ، وركنوا إلى الحياة الدنيا ، وكيفوا حياتهم على متطلباتها المادية الهابطة ، وتخلوا عن القيم الروحية ، وابتعدوها من كل ما يؤدى إليها ، وبذلك تعذر على من يروم رفعهم ورفقهم بالآيات القرآنية وهى الرافعة الحقة الفذة تعذر عليه أن يرفعهم من الحضيض المادى الذى هدوا إليه ، وسقطوا فيه وأأسفاه ، ويا لشدة حسرتاه ! ! !

٦ ـ أن المسلمين بتركهم هدى ربهم وإعراضهم عن ذكره عوقبوا باتباع أهوائهم ، والتنكر لهداية عقولهم ، فهاهم أولاء يعيشون بغير هداية من عقل أو دين ، فعمتهم بذلك الحيرة ، وانتابهم القلق ، واضطربت حياتهم اضطرابا ينذر بأوخم العواقب وأسوء الأحوال .

٧ ـ أن مثلهم فى حيرتهم وقلقهم واضطراب حياتهم كالمثل الذى ضرب الله تعالى فى هذه الآية ، وهو مثل ضربه الله تعالى لمن أتته آيات ربه فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فغوى ، واتبع هواه بدل عقله ، أو هدى ربه ، فكان فى حيرته واضطراب حياته كالكلب إن يحمل عليه يلهث ، وإن يترك يلهث .

٨ ـ أن اختيار الكلب فى هذا المثل القرآنى ليكون مثلا لمن ترك آيات الله بعد أن جاءته فعرفها وآمن بها ، ثم تنكر لها وأعرض عنها فأخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فحاطت به الخطايا وأصابته الرزايا ، وحلت به الويلات والنكبات فتحير واضطرب وقلق ، وفقد الهدى والرشد ، وحرم الطمأنينة والسكينة ، إنما كان لصفتين فى الكلب لا توجدان فى حيوان غيره ، ألا وهما : الحيرة ، والتبعية ـ فالحيرة والقلق والاضطراب النفسى كل هذه الصفات بارزة فى الكلب وقد عبرت عنها الآية الكريمة أيما تعبير ، إذ قالت : ﴿ **فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث** ﴾[1] ، وكذلك حال المنسلخين من آيات الله ، والمخلدين إلى الأرض المتبعين أهواءهم بدل عقولهم وهدى ربهم ، وهى حال أكثر المسلمين المسؤولين اليوم وغير المسؤولين ، وإن لم يكن منهم غير مسؤولين .

وأما التبعية ، ، وهى العجز عن الاستقلال بالنفس صفة ظاهرة فى الكلب أكثر من

---

(١) الأعراف : ١٧٦ .

غيره من سائر الحيوانات ، فهو إذا فقد إنسانا يتبعه ويمشى وراءه ويعيش فى كنفه طلب إنسانا آخر يتبعه ويعيش فى كنفه ،كما قال أحد الحكماء ، وهو أحمد شوقى فى خواطره : الذليل بغير قيد مقبل ، فهو كالكلب ، إذا لم يسد بحث عن سيد ، وهذه حال المخذولين ممن أتتهم آيات الله فتركوها وأعرضوا عنهاواتبعوا أهواءهم فانتابتهم الحيرة وساورتهم المخاوف ، فاضطربوا وزلزلوا زلزالا شديدا .

وشاهد هذه الحقيقة المؤلمة أن أقاليم كثيرة من بلاد المسلمين ما إن تحررت من حكم المستعمرين الغربيين حتى وضعت نفسها باختيارها فى تبعية عدو لها شرقيا كان أو غربيا ، بحيث لا تستطيع أن تستقل عنه بحال من الأحوال ، وإن خادعوا أنفسهم وضللوها بأن تبعيتهم لعدوهم إنما هى تبعية صداقة ومنافع متبادلة لا غير ، والواقع لا يقر هذا بل يكذبه ويرده ، إذ عدو كبير شرس طاع طامع كروسيا الحمراء أو البيضاء ذات العشرات الملايين ، والقوات المادية التى لا تقاوم تبذل صداقتها لمجموعة من شبه البدو قد لا يزيد عددهم على المليون نسمة ، فتضع على رأس أحدهم قبعة من نسبها ، وعلى كتفه بندقية من صنعها ، وترفع من شاءت منهم إلى قمة القيادة وتدعوه قائداً ، وقد تستضيفه فى بلادها وتحتضن به بين رجالاتها ، وتسمح له بأن يخطب فيقول ، وتصفق له فيطرب وينتشى حتى لكأنه كسرى فى أيامه أو قيصر على عهد حياته وما يدرى هذا المصنوع المخدوع أنه بذلك يسخر منه ، ويضحك عليه ، ويسخر لخدمة أطماع الدب الأحمر فى نسف العقائد الإسلامية ، وتدمير الروح الإيمانية وإلا فمتى كان الحمل صديقا للذئب ، وهل كان فى تاريخ البشر أن العاجز الضعيف يخطب الأقوياء وده ، ويطلبون صداقته ؟ اللهم لا .

وأخيرا ، فإن هذه الأرقام الثمانية التى سقناها فى مقدمة هذه الدعوة لتمثل الصورة الحقيقية لأمة الإسلام اليوم ، والتى قد انعكست على مرآة الآية الكريمة صورة دميمة شوهاء سيئة المنظر ، ترهب وتفزع .

وبما أن سنة الله ماضية فى أنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أى لا يغير ما بقوم من ذلة ومهانة ، وعجز وضعف ، وشر وفساد حتى يغيروا ما بأنفسهم من صفات الكفر والنفاق ، والشرك والشك وسيىء الأخلاق فإن تغيير ما عليه المسلمون اليوم من تلك الصورة الشوهاء لتصبح صورة حسناء لا يتم إلا على مبدأ الإيمان الصحيح والجهاد الصادق لا يمكن أن يحصل أى تغيير فى هذه الأمة يبدل عجزها نشاطاً ، وضعفها قوة ،

وفسادها صلاحا وشرها خيرا .

ولذا فإنا ندعوها فى صدق وحرارة إلى الإيمان فآمنوا أيها المسلمون آمنوا بالله ربا إذ لا رب لكم غيره ، ولا إله على الحقيقة لكم سواه ، إنكم أيها المسلمون مربوبون لله قطعا ، وإلا فدلونا على من خلقكم ، أم خلقتم من غير شيء أى بدون خالق ، أم أنتم الخالقون ؟ اللهم أنه لا ذا ولا ذاك فلم نخلق من دون خالق ، ولم نكن الخالقين ، بل الله خلقنا وخلق كل شيء وهو أحسن الخالقين .

ألا فليرفع الغافلون رؤوسهم إلى السماء فوقهم وليسألوها : من بناها ؟ والكواكب فيها من كوكبها ، والأفلاك بها من أدارها ؟ وليسألوا الشمس من خلقها ناراً ، وضربها دينارا ، وعلقها فى السماء منارا والقمر من أناره وأداره والرياح من أرسلها وصرفها ، والسحب من أثارها وسخرها وأجراها ، وأنزل منها ماءهاوأمطارها ، ألا فلينظر الغافلون المعرضون إلى الأرض تحتهم من خلق تربتها وبارك فيها فهى تمدهم بأغذيتهم التى بها حياتهم ، ولا تكل من الإنبات ولا تمل من الإخراج والإنتاج ، ليلها ساج ونهارها داج ، فليسألوا جبالها من أرساها وأنهارها من أجراها ، وليسألوا أشجارها من أنبتها ، ومن أخرج ثمارها ، وليسألوا الأرض وعليها مستقرهم وفيها مستودعهم من أودع باطنها معادنها : فحمها ونفطها ، وما بينهما من غالى المعادن ورخيصها ، وسافلهاوعاليها ، وليعلموا أن كل ذلك لم يخلقوه ، ولولا الله لما أمكنهم أن يستخرجوه ، ولا أن ينتفعوا به .

وهذه أنعامهم إبلها وبقرها ، وأغنامها ومنها شطر غذائهم وكسائهم فليسألوها من خلقها وسخرها فبعضا يأكلون ، وبعضا يركبون فما لهم إذا لا يؤمنون ؟

ودون الأنعام حيوانات كثيرة برية ، وبحرية لا يأتى عليها عد ، ولا يحصرها أحد ، منها الطائر فى السماء ، ومنها السارح فى الغبراء ، ومنها السابح فى الماء ومنها المستكن فى الإحشاء ، فليسألوها من خلقها وكملها وجملها ، وألهمها سنن حياتها فى تناسلها وتربية أولادها ، وهداها إلى طلب أقواتها ، لتحفظ حياتها إلى آجالها المقدرة ، لها فليسألوها تخبرهم بأنه الله الذى لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وما لهم إذا لا يؤمنون ، ولهداه يتبعون ؟ ؟

وليسألوها من الحشرات النحلة من ألبسها الحبر ، وقلدها الإبر ، وسخرها طاهية للبر من ألهمها أن تتخذ من الجبال بيوتها ، وليسألوها كيف تصنع خلاياها وتحفظ رعاياها وليسألوها كيف تأكل الثمر ، وكيف تحيله عسلا فيه شفاء البشر فإنها تخبرهم بلسان حالها

إنه الله الذى لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وليستنبئوا النملة من أدق خلقها ، وأعظم خلقها ، ومن علمها إنشاء عساكرها وقرأها ، ومن ألهمها صبرها ، ووهبها ذكاءها ؟ فليستنبئوها كيف تدبر ممالكها ، وتسوس أفرادها وجماعاتها فإنها تنبئهم بأنه الله ، وليس إلا الله ، وما لهم إذا لا يؤمنون ولهداه لا يتبعون ، ولندائه لا يسمعون .

وليسألوا دودة الحرير عن كيفية خلقها ، وأطوار نشأتها ، إنها تخرج من بيض كبزر التين ، وتصبح أما والدة فى خلال شهرين ، كيف تفرز لعابا لزجا فيجف بمخالطة الهواء ، وتصير خيوطا حرير تلتف بها ، وتتراكم عليها ، حتى إذا اكتملت وبلغت منتهاها ، أتاها مربوها فنزعوا عنها ثيابها وباعوها حريرا هو أجود أنواع الحرير وأثمنه وأعلاه ، فليسألوها من خلقها ، ومن لصنع الحرير هداها تخبرهم بأنه الله ، الذى لا إله غيره ولارب سوه ، فمالهم إذا لا يؤمنون ولهداه لا يتبعون ، ولندائه لا يستجيبون ؟ ؟ !

وليسألوا بينهم ، كيف كان أحدهم ؟ ألم يكن نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة ، ثم مضغة ، ثم أصبح بشرا سويا ؟ فليسألوه عن عناصر تكوينه من جمعها وألف بينها فتمازجت واتحدت ، وكونت إنسانا يكاد يكون عالما مستقلا بذاته ، لما فيه من شتى عناصر الكون ؟ وليسألوه كيف يسمع ويبصر ، وكيف يعقل ويفكر ، وكيف يضحك ويبكى ، ويفرح ويحزن فليسألوه من أين أتاه ذلك وكيف تم له ، فإنه يخبرهم بأنه أتاه من ربه ، وتم من خالقه ، الذى لا إله إلا هو ولا رب سواه ، إذا فما لهم لا يؤمنون ولهدى ربهم لا يتبعون؟

وليسألوا القرآن العظيم من أنزله وحفظه فليسألوه عن العلوم التى حواها ، والغيوب التى أنبأ بها ، هل جاءت على خلاف ما أشار أو ذكر فليسألوه عن نظام الزوجية فى الكون كله ، كيف أخبر به وأعلنه ، وكيف صدقه العلم الحديث وادعى له ، ليسألوه عن كل العلوم والمعارف من ضمنه إياها فحواها كلها ووعاها ، فهى مكنونة فى ثناياه ، ومودعة فى حناياه .

فليسألوا فإنه يخبرهم بأنه الله الذى لا إلا هو ولا رب غيره ، فما لهم إذا بربهم لا يؤمنون ، ولهداه لا يتبعون ؟ ؟

وإن قالوا : آمنا وصدقنا ، قلنا : وما لهم لا يؤمنون ، وآيات الله تتلى عليهم ورسوله منهم وفيهم ، وهذه أحاديثه قد ملأت سمع الدنيا وبصرها وتلك معجزاته أخبارها متواترة

بين الورى شائعة ذائعة ، ومبالغة فى النصح لهم والبيان نقول : إن لكل شىء حقيقة فما حقيقة إيمانكم أيها المؤمنون ؟

أهى فى إضاعة الصلوات واتباع الشهوات ، أم هى فى استبدال الحكم الشرعى بالقانون الوضعى ؟

أهى فى استباحة الربا أم فى إشاعة الزنا ؟ أهى فى محادة الله ومناقشة الرسول بتعطيل الكتاب وهجر السنة أم هى مولاة الكافرين ومعاداة المؤمنين ؟ ؟

أهى فى تجزئة بلاد المسلمين وتقسيم ديارهم ، أم هى فى الحدود المظروبة ، والقيود المشدودة .

فليخبرونا بربهم عن حقيقة إيمانهم ، أهى فى الغش والخيانة أم هى فى خلف الوعد ، ونكث العهد ، أهى فى شرب الخمر ، أم هى فى مظاهر اللهو والباطل ، أهى فيما شاع بينهم من الكذب والزور ، أم هى فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى أصبح المعروف بينهم منكرا والمنكر معروفا ، ألا فليخبرونا عن حقيقة إيمانهم فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فليؤمنوا ، وذلك ما طلبناه منهم ودعوناهم إليه ، ألا فليؤمنوا وليعلموا أن حقيقة الإيمان لا توجد بغير الإيمان الظاهر والباطن بحكم الله ورسوله ، وقضائها ، قال تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** ﴾ (١) . فمن بلغه حكم الله أو حكم رسوله فى النفس أو الولد أو المال ، ثم يرى أنه يملك حق الرفض والقبول فما هو بمؤمن ما هو بمؤمن ، وإن صام وصلى ولم يزن ولم يسرق ، ومن دعاه الله ورسوله لأمر فيه حياته الروحية أو الجسمانية أو هما معا فتوانى أو رفض فهو عرضة لأن يسلب الإيمان ، ويحرم الهدى فلا يؤمن بعد ولا يهتدى قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تحشرون** ﴾ (٢) .

من دعى إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ، أو إلى حكمها فرفض وأعرض ولم يقبل حكم الله ولا حكم رسوله ، ولم يدعى لحكمها فما هو بمؤمن ، ما هو بمؤمن وإن تصدق وجاهد وحج قال تعالى فى شأن المنافقين : ﴿ **ويقولون أمنا بالله وبالرسول وأطعنا ، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين ، وإذا دعوا إلى الله**

---

(١) الأحزاب : ٣٦ . (٢) الأنفال : ٢٤ .

ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ [١] وقال في المؤمن حقا وصدقا : **﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾** [٢] .

والآن ، ، هل حقيقة الإيمان ثابتة لنا متوفرة بيننا بالصورة التى نطمئن على صحة إيماننا وإجابيته ؟ وما دمنا لا نجزم بصحة الدعوى أليس من الخير لنا أن نجدد إيماننا ونؤمن ، وهل غير الإيمان طريق إلى النجاة والسعادة ؟ أم هانت علينا أنفسنا حتى لا تطلب لها نجاة ولاسعادة وهل بين العقلاء من لا يطلب لنفسه النجاة والسعادة ؟ إذا فإلى الإيمان الحق أيها المسلمون ، فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزل على رسوله فلنؤمن بالله ربا وإلها ونعبده ونتقيه ، ونؤمن بمحمد نبياً ورسولاً ونحبه ونتبعه ونطيعه ، ونؤمن بالقرآن إماما وشرعا ومنهجا ونهتدى به ونتبعه ، ولنعلم أننا لا نطمئن إلى صحة إيماننا حتى نرى صفات المؤمن متمثلة بالفعل فينا ، ومتجلية فى كل مظاهر حياتنا ، ومن أخص صفات المؤمنين : الموالاة بالحب والنصح والنصرة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وطاعة الله وطاعة رسوله قال تعالى : **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾**[٣] .

كما هى أى صفات المؤمنين ، وجل القلب ، عن ذكر الرب ـ وزيادة الإيمان عند سماع آيات الرحمن ، توكل على الله وحده دون سواه ، وإقام الصلاة ، وإنفاق من رزق الله ، قال تعالى : **﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾** [٤] .

هذا وإن غم علينا الأمر ولم نتبين صحة إيماننا فى معارض صفات المؤمنين الصادقين ، ومظاهر حياتهم : حياة الإيمان والجهاد ، والعلم والتقوى ، فلنزن إيماننا فى ميزان آية الأحزاب فإنه ميزان قسط لا يبخس وحكم عدل لا يزيد ولا ينقص قال تعالى : **﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم .... ﴾** [٥] .

---

(١) النور : ٤٧ ، ٤٨ . (٢) النور : ٥١ . (٣) التوبة : ٧١ .
(٤) الأنفال : ٢ ـ ٤ . (٥) الأحزاب : ٣٦ .

إن هذه الآية المحكمة من كتاب الله تعالى نص صريح قطعى فى أن العبد المؤمن لا يملك خيرة إزاء حكم الله تعالى وحكم رسوله وقضائهما وأنه لا يسعه إلا الإذعان والتسليم، وبناء عليه فإن من رأى أنه يملك حق الرفض والقبول لأحكام الله ورسوله بمعنى إن شاء استجاب للحكم ، وإن شاء لم يستجب ، فما هو بالمؤمن ولا يدخل فى عداد المؤمنين بحق وصدق .

هذا هو الميزان الحق فلنزن أيها المسلمون إيماننا فيه فإن وجدنا أنفسنا مؤمنين حقا وصدقا فلنحمد الله تعالى على أن خطونا فى سبيل النجاة والسعادة الخطوة الأولى ، ولنستعن الله تبارك وتعالى لنخط الثانية ، وهى الجهاد فى سبيل الله ، فبسم الله تعالى وإلى ميادين الجهاد .

وإن قلتم : ما هو الجهاد الذى تدعونا إليه ؟ وأين مبادئه ؟ وكيف نجاهد ؟ وبماذا نجاهد ومن نجاهد ؟ قلنا : نعم لكم الحق أن تتبينوا خطواتكم الحاسمة والأخيرة فى طريق النجاة والسعادة قبل أن تخطوها ، واسمحوا لى قبل الإجابة والبيان أن أنبه إلى جميع الأمراض النفسية والخلقية وحتى الجسدية ، والتى يشكوا منها المسلمون اليوم وقبل اليوم إنما هى نتيجة حتمية لترك الجهاد فى سبيل الله ، ولذا فلا علاج لتلك العلل والأمراض المستعصية فى الأمة الإسلامية إلا بالجهاد بعد الإيمان .

ولنجب الآن ، على أسئلتكم لنبين طريق الجهاد حتى نجاهد إن شاء الله تعالى فنقول : إن الجهاد هو بذل الجهد ، واستفراغ الطاقة ، وما فى الوسع فى دفع الشر والفساد فى الأرض .

ولما كان دفع الشر والفساد لا يتأتى إلا بمجاهدة من يثيرهما ويسببهما وهو أربع طوائف الكفار والفساق والنفس والشيطان ، وهذه هى ميادين الجهاد التى سألتم عنها وطلبتم بيانها ، إما بماذا نجاهد فإن وسائل الجهاد والآن تختلف باختلاف العدو الذى يجاهد ، فالعدو الكافر يجاهد بالمال والنفس واللسان ، لقول الرسول ﷺ : « جاهدوا المشركين[1] بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » .

وجها دالفساق يكون باليد واللسان والقلب لحديث : « من رأى منكم منكرا فليغيره

---

(١) رواه أحمد وأبوداود .

بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وجهاد الشيطان يكون بدفع ما يأتى به من الشبهات ، وترك ما يزينه من الشهوات ، إذ لا شوكة للشيطان يؤذى بها ، ولا سلاح يستخدمه ضد الإنسان إلا الشبهات يلقى بها فى القلوب ، والشهوات يثيرها فى النفوس للإغواء والإفساد والإضلال .

وجهاد النفس وهى أخطر الأعداء الأربعة المذكورة فجهادها يكون بحملها بقوةوشدة على أن تتعلم شريعة الله وتعمل بها ، وتعلمها لغيرها من الناس ، كما يكون بصرفها عن هواها ، وإبعادها عن دعواتها التى لا تبرح تعاودها ، وتحس إليها كلما تركت مجاهدتها ، وأهملت مقاومتها .

وبعد هذا البيان المجمل عن معنى الجهاد وبماذا يكون ،وما هى ميادينه فإننا ، ، إيضاحا للسبيل ومواجهة للواقع كما هو بصعوباته وملابساته وظروفه غير العادية نبسطه ونوصله للمسلمين الغافلين إعذارا وإنذاراً فنقول : إن الجهاد أحد سهام الإسلام ، وذروة سنامه ، ومن أفضل أعماله ، وأحبها إلى الله تعالى ، وبه قوام الملة وسلامة الأمة وعليه المعول بعد الله تعالى فى تقويم الأخلاق وإصلاح النفوس وتزكيتها ، أوجبه الله تعالى بقوله : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ (١) ورغب فيه قوله : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ (٢) ، وحذر من عاقبة تركه بقوله : ﴿ **وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ (٣) وبالغ فى الترغيب فيه ، والدعوة إليه ، والاضطباع بأعبائه فقال : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب** ﴾(٤) .

كل هذا الخطر الجهاد وعظيم دفعه ، وكثرة خيره وبركته ويمنه ألا فليجاهد المسلمون المؤمنون حتى ينجوا ويسعدوا بعد أن يكملوا ويعزوا .

وإليهم هذا البيان بكيفية الجهاد والسير فى مضماره حتى الوصول إلى أهدافه وغاياته ، فأولا وقد خطونا الخطوة الأولى فحققنا الإيمان وبذلك سهل علينا اقتحام المشاق ، وخوض الصعاب ، وفعل المكروه للنفس غير المحبوب لها ، ولا المرغوب عندها .

---

(١) الحج : ٧٨ . (٢) العنكبوت : ٦٩ . (٣) البقرة : ١٩٥ . (٤) الصف : ١٠ – ١٣ .

فلنجاهد ولنبدأ بأخطر الأعداء **وهو النفس** ، وجهادها يكون بحملها وهى كارهة أو راضية على أن تعرف الله ربها جل جلاله بأسمائه وصفاته وتعرف محابه من العقائد والعبادات والآداب والأخلاق ، وتعتقد ، وتعبد وتتأدب وتتخلق حتى تبلغ الكمال فى ذلك ، كما تعرف مكارهه تعالى من فاسد العقائد ، وباطل العبادات ، وقبيح الآداب السيىء الأخلاق فتكره ذلك كله وتتجنبه ، وتتبرأ منه ومن أهله براءة صحيحة صريحة ، لا يشوبها ود ولا ولاء لمن حاد الله ورسوله ، ولو كان أقرب قريب ، ولنعلم هنا أن هذا العلم لا يحصل لها إلا بالتعلم لحديث : « إنما العلم بالتعلم » وأن هذه التربية للنفس لا تتم إلاعلى يد مرب عليم حليم ، ورث ذلك عن الربانيين ورثة النبى ﷺ وخلفائه فى أمته من بعده وهذا المطلب وإن عز فإن هناك سبيلا قد توصل إليه ، أو تقرب منه ، ألا وهى أن يأخذ أهل الأحياء فى المدن ، وأهل القرى فى قراهم أن يأخذوا أنفسهم بالحزم والعزم ، فى جدية المسلم وصدق المؤمن يأخذوا أنفسهم فيفرغوها قبل صلاة المغرب من كل أعمالهم الدنيوية ، ليذهبوا بنسائهم وأطفالهم إلى مسجد الحى أو القرية الجامع ليتلقوا كل ليلة العلم والحكمة من أهلها ممن أهلهم الله تعالى لذلك من مشائخ العلم والتربية الروحية وذلك كل ليلة من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وطوال السنة ، وعلى مدى الحياة وبذلك يفوزون بالعلم والتربية ويصبحون فى وقت قصير علماء حكماء أهلا لكل كمال وخير نتيجة مجاهدتهم نفوسهم وانتصارهم عليها حيث أرغموها على أن تعلم وتعمل وتعلم ، ففازت بالطهر والكمال وتهيأت لسعادة الحال والمآل .

هذا **جهاد النفس** ، ، أما جهاد الفساق وهم الذين فسقوا عن أمر الله وأمر رسوله بتركهم الواجب ، أو بفعلهم الممنوع ، فإنه يكون بالاتصال الشخصى بهم ، ودعوتهم إلى طاعة الله ورسوله والاستقامة على الطريقة المفضية بالعبد إلى النجاة والسعادة والكمال ، ويكون ذلك بأسلوب الترغيب بوعد الله لأوليائه والترهيب بوعيد الله تعالى لأعدائه ، كما يكون بنقلهم إلى مجالس التعليم والتربية بالمساجد ، وبإظهار العطف عليهم والتردد إليهم ، مما يذهب نفرة نفوسهم ويزيل قساوة قلوبهم .

ومما قد يساعد على هداية هذه الطائفة من الناس وإصلاحهم اعتبارهم أسرى فى يد العدو ، ومد يد العون لهم مساعدة لهم على التخلص من أسر العدو لهم ، وفك العافى ومقاداة الأسير واجب إسلامى ، ومن حق المؤمن على أخيه المؤمن ، وأسر الشيطان أضر من أسر الإنسان ، بيد أنه أيسر منه وأهون ، أضعف كيد الشيطان قال تعالى : ﴿ **إن كيد**

الشيطان كان ضعيفاً ﴾ (١) ، إنه مهما كان انحراف الفرد المسلم بغشيانه كبائر الإثم والفواحش فإن توبته ممكنة وعودته إلى الطاعة والاستقامة ليست مستحيلة . إن زيارة إخوان له فى منزله المرة بعد المرة بتودد إليه ، وتحبب إلى ذقه ، وتقديم هدايا مناسبة له تدل على صدق الود ، وتأكيد الحب تفعل فى نفسه ما لا يفعله السحر بأصحابه ، وقديما قال الشاعر الحكيم :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

وفى الخبر تهادوا تحابوا ، والنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ، وإذا أحب المرء أخاه أطاعه ، وقبل منه ما يقول ، واستجاب لما يدعوه إليه ، لا سيما بالمعروف والخير .

وأخيرا ، ، إن من أنجح الوسائل وأنفعها فى إصلاح الفرد المسلم إذا فسد وانحرف واستحوذ عليه الشيطان فأدخله فى حزبه بعد أن أوقعه فى أسر زيارة الإخوان الصالحين وتوددهم له ، وإكرامهم إياه ، وإظهار الشفقة له والرحمة به ، وتذكيره بكرامته الإيمانية وفضيلته الإسلامية ، وفتح باب الرجاء له ، والأخذبيده شيئا فشيئا حتى يخلص من أسره ويعود إلى وطنه وأهله أى إلى المسجد ومجالس التعليم والتربية فيه .

وأما جهاد الشيطان فإنه وإن كان أيسر أنواع الجهاد وأقله مشقة وأحقه مؤونة فإنه لاستمراره الليل والنهار ، وعدم انقطاعه إلا فى حال اللجأ إلى الله تعالى والاستعاذة به وقد لا يسمح للعبد أن يلجأ إلى ربه ويستفيد به ، فلذا كان جهاد الشيطان جهادا عسيرا .

وأنفع ما يدفع به هذا العدو الملازم الشرس هو معرفة أنواع أسلحته التى يستخدمها فى إغواء الإنسان وإفساده وهى تكاد تنحصر فى ثلاثة أنواع :

الشبهة ، والشهوة ، والتزيين ــ فإنه يقذف بالشهوة فى نفس العبد فيفجر كل طاقات غرائز الإنسان ويهيج أعصابه فيشعل نار الفتنة التى لا سبيل إلى إخمادها إلا بالاتصال الفورى بالله سبحانه وتعالى وطلب العون منه : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ (٢) .

كما يرمى بالشبهة فى القلب فيثير الشكوك ، ويحرك خواطر السوء فيصيب الضحية بالحيرة والتردد ، فيختر العزم ، ويقل العمل ــ ويتعرض الإنسان لشبه الموت أو الجنون ، أما سلاح التزيين فهو أقوى أنواعه وأكثرها فتكا بالإنسان إذ قال لعنه الله فى

---

(١) النساء : ٧٦ . (٢) الأعراف : ٢٠١ .

صفاته وعدم خوف من الله أو حياء : ﴿ **لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين** ﴾ [(١)] ، فإنه لديه من القدرة ما يقلب به العجوز الشيطان من النساء فى عين ناظرها وكأنه حوراء أو غادة حسناء ، ويضفى مسحة خيالية من الجمال على الأشياء الدميمة القبيحة فإذا هى فى نظر الضحية من أجمل الأشياء وأحسنها ، إنه قد يجعل المر حلوا والخبيث طيبا والعياذ بالله تعالى .

ومن هنا فحرب هذا العدو اللعين يجب أن تعتمد على رد كل شبهة يلقيها ، وإبعاد كل شهوة يثيرها ، والتفطن الواعى لكل طلاء وتزيين يحاول به الإيقاع فى شراكه وحبائله ، فرد الشبه ومقاومة الشهوات ، وكشف ستر التزيين هو السلاح الذى يحارب به هذا العدو اللعين ، وقبل كل ذلك وبعده اللجأ الصادق إلى الله تعالي والاحتماء بجنابه من الشيطان ومكائده ، فجلمة « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » يقولها المؤمن تبعد الشيطان وتبطل كل عمل له ، والقلب الحى واللسان الذاكر لا يقرب صاحبهما الشيطان ولا يحوم حول حمى قلبه ونفسه .

هكذا ، ، يقاوم هذا العدو ويجاهد وبالانتصارعليه يخلو أمام المرء المجال للنظر الصحيح ، والتفكير النافع ، وبالتالى العمل المثمر الصالح .

وأخيرا جهاد الكفار وهو أعظم أنواع الجهاد وأنفعها وأكبر بركة ويمنا وخيرا .

وهو لا يتم إلا على مراحل متتالية ، الثانية بعد الأولى ، والثالثة بعد الثانية ، فأولى مراحله القيام بأنواع الجهاد الثلاثة المتقدمة ، وهى جهاد النفس ، وجهاد الفساق وجهاد الشيطان ، ولا يصح الانتقال من هذه المرحلة إلا بعد أدائها كاملة والفراغ منها تماما ، إذ بها يتكون المجتمع الإسلامى القادر على تحمل أعباء جهاد الكفار ، ومواصلته حتى النصر فلا تبقى فتنة ويكون الدين كله لله .

إن الفرد كالجماعة فالذى لا يجاهد نفسه ولا ينتصر عليها لا يقدر على جهاد غيرها بحال من الأحوال ، وقد دلت التجارب الحاسمة على صحة هذه النظرية وسلمها واقع حياة هذه الأمة فى تاريخها الطويل .

وبعد هذه المرحلة تأتى المرحلة الثانية مباشرة وهى تكوين الدولة الإسلامية التى تمثل الإسلام قلبا وقالبا مظهرا ومخبرا لأن أفرادها أصبحوا صالحين قادرين على تحمل

---

(١) الحجر : ٣٩ .

مسؤولياتهم فى الحياة فإذا وجدت هذه الدولة الإسلامية القائمة على أسس متينة وهى عقيدة التوحيد ، والعبادة الخالية من البدع ، والحكم السليم والأدب الرفيع ، والخلق الفاضل ـ والاستقلال الكامل عن دول الكفر والشرك والضلال .

ومع هذا فلا بد من قضاء فترة قد تطول أو تقصر تبنى فيها قوتها المادية بعد أن بنت قوتها الروحية القائمة على مبدأ الإيمان والعلم والتقوى واليقين .

والقوة المادية ذات جناحين متكاملين لا تتم إلا بهما وهما : القوة الاقتصادية والقوة البشرية .

فالقوة البشرية تقوم على أساس إعداد كل فرد فى الأمة ليكون سليم الجسم قوية صحيح العقل راجحة ، ليمكنه أن يقوم بواجب الجهاد بجدارة واستحقاق .

فيتلقى كل فرد فى الأمة التعليم العسكرى والتدريب الحربى حتى يحذق كل فنون الحرب والقتال فتصبح الأمة كلها قادرة على أداء فريضة الجهاد التى لا تنتهى إلا بانتهاء الفتنة فى الأرض وكون الدين كله لله سبحانه وتعالى .

وأما القوة الاقتصادية فإنها تنبنى على أساس الإنتاج الصناعى والزراعى حتى لا تأكل الأمة المسلمة المجاهدة إلا مما تزرع وتنسج ، ولا تتسلح إلا مما تصنع ، فتحشد الدولة الإسلامية كل طاقاتها لتحقيق هذا المبدأ الضرورى وفى أقرب أوقاتها .

فإذا تمت هذه المرحلة على وجهها المطلوب واكتملت بها القوتان الروحية والمادية فإنها تنتقل إلى المرحلة الثالثة والأخيرة وهى مرحلة جهاد الكفار وقتالهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ـ وذلك أداء لرسالة الإسلام وقيامابفريضة الجهاد فى سبيل الله والتى هى عنصر حياة وكمال الأمة الإسلامية وسعادتها وأداة الصلاح والخير فى الأرض كلها .

والقيام بهذه المرحلة ، يفتقر إلى أمرين أساسيين : هما الهجرة إلى الله ، والغزو فى سبيل الله .

أما الهجرة فحقيقتها أن تفتح الدولة الإسلامية أبوابها لكل مسلم ومسلمة يعيش خارج حدودها لينضم تحت لوائها ويؤدى واجبه معها فى الغزو والجهاد لإعلاء كلمة الله ولا تكتفى بقبول المهاجرين فقط بل عليها أن تطالب المسلمين بالهجرة وتدعوهم إليها على سبيل الحتم والوجوب لأن دارها هى دار الإسلام ، وما عداها فدار الحرب ، وعليها

أن تتحمل أعباء هذه الهجرة كما تتحمل أعباء **الجهاد** ، ويسهم فى هذا التحمل كل فرد فى الدولة المسلمة من أنصار ومهاجرين على حد سواء ، كما كانت الدولة الأولى فى الإسلام حيث فرض الله الهجرة ، والجهاد وآخى رسول الله ﷺ بين أفرادها ونزل القرآن فيهم يقول : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ **والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا** ﴾ (٢) .

ومعلوم بالضرورة ،، إن الدولة ما فتحت أبوابها للمهاجرين ودعتهم إلى الهجرة إليها حتى كانت قد أعدت لكل فرد قادر على العمل عملا زراعيا أو صناعيا أو وظيفيا يتقاضى بموجبه أجرا يسد حاجته الضرورية من غذاء وكساء ، إذ ما من شبر فى بلادها إلا وعليه حقل زراعة أو دار صناعة .

وبالمهاجرين يعظم جانب الدولة ويعز ، إذ عماد الدولة المجاهدة ومركز قوتها ومصدر طاقتها : القوة البشرية الصالحة للدفاع والقتال ، تلك كانت الهجرة وقد وضحنا صورتها وبينا حقيقتها ، أما الغزو فإنه الغاية التى تذرعت الدولة للوصول إليها وبذلت الغالى والرخيص فى سبيل تحقيقها ، فإن كلمة الغزو تعنى أن الدولة الإسلامية بمجرد أن استكملت قوتيها الروحية ، والمادية ، ودعت المسلمين إلى الهجرة إليها قد استجابت لنداء الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ (٣) .

فإن كان ما يلى حدودها حكومة تحكم شعبا مسلما فإنها تعرض عليها بكل صراحة ووضوح قبول الحكم الإسلامى والانضمام إلى الدولة الإسلامية التى يسودها شرع الله ويسكنها أولياؤه من المسلمين والمفروض بل الواقع أن تلك الدولة سوف لا تتردد فى قبول العرض وتنضم فورا وتصبح جزءاً من دولة الإسلام ، وإن كان ما يلى حدودها دولة كافرة فإنها تسلك معها المسلك السليم الصحيح الذى سلكه رسول الله وأصحابه مع أمثالها من دول الكفر وأمته ، وهو مراسلة تلك الدولة وتخييرها بين ثلاث لا رابع لها هى : الإسلام فتصبح جزءا من الدولة الإسلامية لأفرادها ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، إذ

---

(١) الحشر : ٨ ، ٩ .　　(٢) الأنفال : ٧٢ .　　(٣) التوبة : ١٢٣ .

الكل عبيد الله تجرى عليهم شرائعه وأحكامه العادلة وينالون فضله ويفوزون برحمته ورضوانه على حد سواء فإن أبت الإسلام فقبول الحماية بالدخول فى ذمة الدولة الإسلامية لتجرى فيها أحكامه العادلة وتفسح المجال لأفراد تلك الأمة للتعرف إلى الإسلام ودراسته عليهم حتى يسلموا فينجوا من عذاب الدنيا والآخرة وخرابهما ، ويسعدون فى حياتهما .

فإن أبت فإعلان القتال ــ لا القتل ــ حتى يحكم الله بينهما ، والعاقبة للمتقين وهكذا تواصل دولة الإسلام نشر رسالة الخير والعدل والرحمة فى ربوع الأرض ، والناس يدخلون فى رحمة الله ويخرجون من عذابه يوما بعد يوم وعاما بعد عام، حتى لا تكون فتنة فى الأرض أى لا يضطهد مؤمن من أجل عقيدته وعبادة ربه ، ويكون الدين كله لله فيعبد وحده ويسود حكمه ، وتلك الغاية من الحياة ، والهدف منها ــ والله المستعان وعليه التكلان .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

القضاء والقدر

كتبها

أبو بكر جابر الجزائري

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

والمدرس بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

مواضع الرسالة

١ ـ المقدمة .

٢ ـ الكون ومظاهر التنظيم فيه .

٣ ـ كيف كان الكون ؟

٤ ـ سر النظام فى الكون .

٥ ـ القضاء والقدر .

٦ ـ ثمرة الرضاء بالقضاء .

٧ ـ لا جبر ولا نفى للقدر ، الإنسان فاعل مختار والله خالق الإنسان وخالق أفعاله .

٨ ـ إرادة الله تعالى ومشيئته .

٩ ـ سوء فهم إرادة الله تعالى أوقع الكثير فى الحيرة والخطأ .

١٠ ـ الجزاء من ثواب وعقاب قائم على أساس الرحمة والعدل .

١١ ـ الحسنة والسيئة من الله تعالى .

أو الحسنة من الله والسيئة من النفس ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

القضاء والقدر

الحمد لله الذى خلق كل شىء فقدره تقديرا ، وصلاة الله تعالى وسلامه على صفوة خلقه محمد وآله وصحبه .

وبعد : فإنه لا تزال العقيدة الإسلامية منذ أحداثها فى العالم ذلك الانقلاب العظيم ، وهزتها العنيفة لاركانها المتداعية ، وخلخلتها للكيان البشرى المهزوز ، منذ ذلك الانقلاب الهائل العظيم الذى أطاح بصروح الباطل ، ودك عرش الشر والكفر والفساد ، لا تزال العقيدة الإسلامية تستهدف للطعن الشديد ، وتتعرض للنقد القاسى المرير من خصومها الألداء رأعدائها الأشداء ، من يهود ونصارى ، ومجوس وملحدين على حد سواء .

علماً منهم أن سر ذلك الانقلاب العظيم الذى وقع فى الكون على أيدى أصحاب رسول الله ﷺ ، وأتباعهم من التابعين من المؤمنين المحسنين إنما كان فى العقيدة الإسلامية ، فلهذا لم يبرح أولئك الخصوم يشككون فيها ويطعنون حتى زلزلوها فى نفوس أكثر المسلمين ويومها فقط تسنى لهم أن يوقفوا تيارها ، ويقطعوا أسلاك أنوارها ، فتعود الظلمة إلى العالم الإنسانى ، وتصاب البشرية بنكسة كبيرة أدت بها إلى مهاوى الرد وأسقطتها فى جحيم لا يطاق .

ولنذكر فى هذا وعلى سبيل المثال فقط ـ أيها الإخوان والأبناء ـ إن عقيدة القضاء والقدر وهى أحد أجزاء العقيدة الإسلامية وليست كلها أبداً ، وقد تعرضت لطعن عنيف ، وتشكيك سخيف بصورة تدعو إلى العجب والإستغراب ، فإنه لم تكد تذهب آثار شمس النور المحمدى المتخلف مع البقية الباقية من أصحاب رسول الله ﷺ حتى ظهر فى المسلمين مبدأ نفى القدر ، والقول بالجبر ومذهب الاعتزال ، والتشييع ، ونجم الشر واستطار ، وطرق كل الأقطار ، وتعرضت أمة الإسلام بعقائدها وبلادها ، وبكل وجودها إلى أعنف الهزات التى زلزلت كيانها ، وأخذ ت تتهاوى تحت ضربات الخانقين وطعنات الناقمين .

ولما هوى ذلك النجم الذى أضاء المعمورة ، وغمر الحياة بالهدى والخير قال الذين كفروا : تشفينا من الإسلام ، وإمعانا فى الإجرام : إن ما أصاب المسلمين من انهيار وسقوط ، بعد التفك الكبير والضعف ، كان نتيجة بعض العقائد عندهم ، وخصوا بالذكر عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ، وكان ذلك منهم إفكا مفترى وكذباً مقلوباً ، مشوهاً للحقيقة ، إذ الواقع هو أن ـ الذى أحل بالمسلمين ما أحل بهم من ضعف وهون ودرن ، إنما كان نتيجة فساد عقيدة القضاء والقدر عندهم ، بما دس فيها الأعداء ، وما شوهوها به من تأويل باطل ، وتحريف قضى عليها وأماتها فى نفوسهم أو كاد .

وهذا من أشد ما يملأ النفس أسى وحزنا ، فإنهم الأعداء ما زالوا يفسدون على المسلمين عقائدهم ويشككونهم فيها حتى تخلوا عنها فضعفوا لذلك وهانوا ثم انبروا يقولون : إن ضعف المسلمين كان من جراء عقائدهم التى يعيشون عليها معتقدينها ، منفعلين بها ، مستجبين لها ،،

ومن المؤسف حقاً أن أكثر المسلمين ما زالوا إلى اليوم لم يعرفوا داءهم ولا ما كادهم به أعداؤهم فإننا نرى كثيراً منهم يلوك بلسانه عقيدة القضاء والقدر ، ويحتج بها مرة على فسقه وتهربه من مسؤوليته ومرة يتجنى بها على اللّه تعالى ربه ، فينسب إليه الظلم ، ويعترض عليه فى قضائه ومجارى أقداره وعادل أحكامه .

ومن هنا رأيت أن أقول كلمة فى هذا المعتقد ـ القضاء والقدر ـ لعل اللّه تعالى ينفع بها من يسمعها أو يقرأها ممن هم فى بلبلة فكر ، واضطراب نفس من عقيدة القضاء والقدر ، فينقطع بلبال فكرة ، وينتهى اضطراب نفسه فيؤمن ويرضى ويعمل فينجو ويسعد ، واللّه المستعان وعليه التكلان ، وها هى الكلمة فى الصفحات التالية مقدماً لها بثلاث كلمات تهميدية .

الأولى : الكون ومظاهر التنظيم فيه

إن كلمة الكون ـ أيها الإخوان والأبناء ـ تعنى هذا الوجود من العوالم العلوية والسفلية كالأرض والسماء وما فيهما ، وما بينهما ، وهو كون هائل عظيم يحوى عوالم كثيرة لا تحصى عدداً ولا حدا كل عالم منها يقف العقل البشرى أمامه حائراً مدهوشاً ، ففى سمائنا الدنيا هذه وحدها بلايين الكواكب والنجوم ، وإنها لتختلف فى أحجامها ، وأبعادها ، وقوانين سيرها كما أنها من غير شك تختلف فى أجرامها ، ومحتوياتها ،

وخصائصها .

وفى أرضنا هذه التى نعمرها ونعيش عليها عوالم لا تقل عظمة وروعة عن العوالم العلوية ، ففى عالم الإنسان ، كعالم الحيوان ، كعالم النبات عجائب فى الخلق وعجائب فى العدد والكثرة ، وعجائب فى الخصائص والطباع .

كل هذا الكون الضخم العجيب ـ أيها الإخوان والأبناء ـ قد ربطت بين أجزائه كلها علويها وسفليها أنظمة من السنن الإلهية الدقيقة المدهشة ، فسار الكون كله متحدا متناسقا إلى غاية لم ينته إليها بعد ، وإذا ما وصلها يكون قد استنفذ طاقته وانتهى ، ولذلك قطعا أجل مسمى عند الله لا بد وأن ينتهى إليه ، قال تعالى من سورة الأنعام : ﴿ **وهو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ، ثم أنتم تمترون** ﴾[1] .

هذا الكون المدهش المحير تجرى فيه ـ أيها الإخوان والأبناء ـ حوادث هائلة عظيمة كل حادثة منها لها عواملها وأسبابا ، ومقتضياتها الخاصة بها فدورة الأفلاك ، وسير الكواكب ، وهبوب الريح واختلافها ، وتراكم السحب ، وسقوط الأمطار ، ونبات الزرع ، وتوالد الإنسان والحيوان ، وما يتجدد من موت وحياة ، كل هذا خاضع لسنن تحكمه فتقوده لحكم عالية ، وأعراض صالحة سامية ، فليس بين هذه الأحداث والحوادث الجارية فى الكون ما هو عار عن حكمه متوخاة ، ولا ما هو جار على غير قانون ثابت يربطه بكل أجزاء الحياة .

ومن أجل هذا التنظيم السارى فى كل أجزاء هذا الكون ـ أيها الإخوان والأبناء ـ ما شك الذين أوتوا العلم فى أن رب هذا الكون جل جلاله وعظم سلطانه قد علمه قبل خلقه كلا وتفصيلا ، ووضع له هذا النظام الذى يحكمه قبل وجوده ، ثم ربطه به بعد أن أوجده فهو يسير فيه لا يتخلف عنه ولا يخرج عليه ، وهذا النظام هو سر إطراد الحياة الدنيا وبقائها إلى أجلها الذى تنتهى إليه ، وهو بالتالى نظام القضاء والقدر الذى دعت رسل الله جميعاً إلى الإيمان به والرضى بكل مجاريه خيرها وشرها سواء .

الثانية : كيف كان الكون أو الوجود

الوجود ـ أيها الإخوان والأبناء ـ قائم لا معنى لإنكاره ، ولا حاجة إلى إقامة الدليل على وجوده ، وإنما المسألة التى شغلت أذهان الباحثين فيه قديماً وحديثاً فهى قدم العالم

---

(١) الأنعام : ٢ .

وحدوثه ـ أى هل الوجود قديم أزلى ، أو حادث سبقه عدم وطرأ عليه وجود ؟

أطبق أكثر علماء البشر على حدوث العالم وذلك لعله التغير ، فإن العقول البشرية قاضية بحدوث كل متغير ، والكون أو الوجود متغير فهو إذا حادث غير أزلى قطعاً ، هذا كان استدلال العلماء على حدوث العالم ، واستمر كما هو إلى القرن التاسع عشر الميلادى الذى نعيشه ، حتى اكتشف قانون الطاقة المتاحة والذى أثبت بما لا مجال للشك فيه ـ كذا يقول علماء الكون اليوم ـ إن العالم لم يكن أزليا أبداً ، وإنما هو حادث مخلوق ، كما لم يكن أبدياً أبداً بل لابد له من نهاية حتماً ، وسر ذلك أن الطاقة الحرارية المتاحة تنتقل دائماً من جسم حرارى إلى آخر على خلافه ، ولا يمكن أن يكون العكس ، فهذه الطاقة المتاحة لابد أن يكون هناك من أتاحها أولاً ، إذ العدم السابق لا يمكن أن ينتج شيئاً ، فتعين أن يكون هناك خالق أزلى ، وبه بطل أن يكون الوجود أزلياً كما أدعى بعض الفلاسفة الملحدين ، ولزم أن يكون حادثاً له بداية ، وما كان له بداية كانت له نهاية حتماً ، وفى تقرير هذه الحقيقة العلمية يقول أحد علماء الغرب : وهكذا أثبتت حتماً ، وفى تقرير هذه الحقيقة العلمية يقول أحد علماء الغرب : وهكذا أثبتت البحوث العلمية دون قصد أن لهذا الكون بداية ، فأثبت تلقائياً وجود الإله ، لأن كل شيء ذى بداية لا يمكن أن يبتدىء بذاته ، ولابد أن يحتاج إلى المبدىء الأول وهو الإله الخالق سبحانه وتعالى ، وفى القرآن الكريم مصداق هذا حيث جاء فيه قوله تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ (١) .

ويحكم هذا القانون السابق الذكر ـ أيها الإخوان والأبناء ـ وهو قانون انتقال الطاقة من الأجسام الحرارية إلى غيرها ، وهى عملية مستمرة فإن هذه الطاقة ستنفذ فى يوم من الأيام وعندئذ تنتهى هذه الحياة ، هكذا يقول علماء الكون ، وهى نظرية سليمة غير أن نهاية الحياة أخبر عنها خالقها بأنها تكون عند نهاية الأجل المسمى لها ، ولا تكون بفقد الطاقة الحرارية ، ولكن باختلال الأفلاك ، كما قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا** ﴾ (٢) ، ﴿ **إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت** ﴾ (٣) ، و ﴿ **إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ (٤) . بيد أن أولئك العلماء حسبهم أنهم قد أثبتوا بطريقتهم العلمية الخاصة حدوث العالم ، وعدم أبديته ، وأنه

---

(١) فصلت : ٥٣ .
(٢) الواقعة : ١ ـ ٦ .
(٣) التكوير : ١ ـ ٣ .
(٤) الإنفطار : ١ ، ٢ .

لابد من فنائه ونهاية هذه الحياة الدنيا .

وبعد هذا ـ أيها الإخوان والأبناء ـ فإن السؤال الملح وهو كيف كان بدء الوجود أو كيف كان هذا الكون ؟ وعند الجواب عن هذا السؤال انقطعت السنة الماديين من كونيين وغيرهم فلم يحاروا جواباً وأنى لهم أن يجيبوا بشيء سوى الهوس والتخمين والحدس ، أو الظن والكذب والخرص ، ومن تلك الظنون والتخرصات قول بعضهم : إن الأرض قد انفصلت عن الشمس شرارة ملتهبة ثم بردت بعد ملايين السنين وتحجزت وأصبحت ذات قشرة ترابية ، فتهيات بذلك للخلق والحياة عليها ، وأما الحياة فإنهم يقولون : إنها بدأت خلية بسيطة ثم أخذت تتطور وتتكاثر حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن ، ثم لو سئلوا وقيل لهم : إذا كانت الأرض قد انفصلت عن الشمس ، والشمس قد انفصلت وسائر الكواكب والنجوم وهى ملايين بتقديراتكم عم كان انفصالها ؟ وخلية الحياة وهو يقولون : إنه لا يبعد أن تكون قد جاءت فى شكل جرثومة من بعض الكواكب الأخرى ، لم لا تكون إذا خلية أخرى قد وقعت على كوكب القمر مثلاً ونمت فيه كما نمت على الأرض ، وأصبح فى القمر عالم من الأحياء كعالمنا الأرض هذا ؟ وهم يقولون : القمر خال من الحياة حسب ما أودعوه من مشاهدة سطح القمر عند نزولهم على سطحه كما يزعمون !! والحمد لله القائل : ﴿**ما أشهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا**﴾ [1] . فقد أغنى سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن هذه الهواجس والوساوس والتخرصات والظنون ، حيث أخبر تعالى وهو الخالق عن كيفية خلقه الكون وكفى بمن خلق مخبرا ، وكيف لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، إذ يقول تعالى : ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ، وجعلنا السماء سقفا محفوظاً وهم عن آياتها معرضون ، وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون**﴾ [2] ويقول : ﴿ **قل أئنكم لتفكرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ [3] هذا

---

(١) الكهف : ٥١ . (٢) الأنبياء : ٣٠ ـ ٣٣ . (٣) فصلت : ٩ ـ ١٢ .

خبره تعالى عن خلق الكون ، وأما عن خلق الإنسان والجان والحيوان والنبات فيقول تعالى : ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ (٢) ، ويقول : ﴿ **والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ، منهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، إن الله على كل شيء قدير** ﴾ (٣) ، ويقول : ﴿ **فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا ، وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعاً لكم ولأنعامكم** ﴾ (٤) .

أين هذا الإيمان الوافى والقول الشافى والنبأ اليقين فى خلق الإنسان والكون من ذلك الهراء الخواء ، والخرص والتخمين ، بل الكذب والإفك المبين بينهما كما بين الوجود والعدم ، والسمع والصمم .

وأين ــ أيها الإخوان والأبناء ــ هؤلاء من أولئك ، هؤلاء هدوا بإيمانهم لمعرفة الحق فعرفوه وقبلوه وسكنت له نفوسهم وآثروه ، وأولئك ضلوا بكفرهم فآثروا العمى على الهدى ، فعارضوا العلم الحق بالشبهات ، وردوا اليقين بالشك واليمين .

المؤمنون أضاء لهم نور الوحى المبين فرأوا فى نوره أهل الظلمات فى آرائهم يعمهون ، وفى ضلالتهم يتهوكون ، وفى ريبهم يترددون والكافرين لاح لهم فى بيداء الهوى سراب ، فجروا وراءه ظانين أنه الحكمة وفصل الخطاب ، ولما انتهوا إليه بعد كلال وجدوه خيبة أمل وسوء ما آل قال تعالى : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب ، أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ...** ﴾ (٥) .

الثالثة : سر النظام فى الكون

لقد أصبح ــ أيها الإخوان والأبناء ــ معلوماً بالضرورة لدى العالمين بأحوال الكون ، أن الكون كله علوية وسفليه مربوط بنظام دقيق هو غاية فى الدقة ، فمن أكبر حجم فيه

(١) الرحمن : ١٤ ، ١٥ . (٢) الحجر : ٢٦ ، ٢٧ . (٣) النور : ٤٥ .
(٤) عبس : ٢٤ ــ ٣٢ . (٥) النور : ٣٩ ، ٤٠ .

ككوكب الشمس مثلا إلى أصغر شيء كنواة الذرة ، الكل مشدود بقوانين عجيبة ، ومحكوم بسنن ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ، كما صرح بذلك القرآن الكريم : ﴿ **فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾ (١) ، ولو فرض أن سنة من تلك السنن التى تربط الكون قد اختلت لخرب العالم أجمع ، ففى العالم العلوى مثلا لو أن خللا طرأ على النظام الشمسى بخروج بعض الكواكب عن مسارها واصطدامها ببعض الكواكب الأخرى لكانت نهاية العالم ، ولو أن حرارة الشمس زادت نسبتها على ما هى عليه الآن بعض الزيادة أو نقصت على ما هى عليه بعض النقص لما أمكن الحياة على الأرض للاحتراق الذى يصيبها فى الحال الأولى ، أو التجمد الذى يصيبها فى الحال الثانية ، هذا فى العالم العلوى ، وفى العالم السفلى لو أن نسبة الأكسجين وهى واحد وعشرون فى المائة زادت على نسبة الهواء فكانت خمسين مثلا لاحترق كل شيء قابل للاحتراق ، كما أنها لو نقصت عن هذه النسبة المحددة لاختنق البشر ، ولم تمكن الحياة أبداً ، هذا مجرد مثال سقناه للأنظمة العامة التى أوجدها الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون وربط بها الحياة وجعلها متوقفة عليها ، وأما النظام الخاص والموضوع لكل كائن فى الحياة فهو نظام مدهش جداً ، إنه يوجد لكل كائن سنن خاصة به فى وجوده ، ونشأته ، وتطور حياته ، وفى طرق معاشه ، وإكتساب رزقه ، وسنن تناسله ، وحفظ نوعه ، وكيفية موته وفنائه ، وأكثر هذه السنن الخاصة بالأحياء معلومة لمن تأملها وفكر فيها ، ومن هذه السنن أذكر على سبيل المثال ثلاث سنن من سنن اللقاح فى الإنسان والحيوان والنبات . فأقول :

إن الميل الفطرى الذى يجده الرجل إلى امرأته ، والمرأة إلى زوجها ، وذلك الغشيان الخاص للنسل وحفظ النوع ، عمل يتم وفق سنة موضوعة للإنسان لحفظ نوعه ، ولتحقيق تعاون بين الزوجين ينتج عنه حفظ الأولاد وتربيتهم توجد الظاهرة التالية وهى أن الرجل يبقى فى حاجة إلى غشيان المرأة حتى فى حال حبلها بخلاف الحيوان فإنه إذا حبلت أنثاه عافها وتركها مما يدل على أنه مفطور على إتيانها لا لغريزة الشهوة المركبة فيه كما هو الظاهر فقط ، وإنما للنسل ، والذى بواسطته يتوفر للإنسان غذاءه من اللحم والدين ومشتقاته ، والصوف والشعر والوبر لفراشه ولباسه فى حين أن الحيوان ينصرف عن أنثاه فى حال حبلها ، وتنقطع المودة بينهما وذلك لعدم الحاجة إلى التعاون بينهما على تربية الولد وحفظه كما هى الحال فى الإنسان فى تربية أولاده وحفظهم ولعل هذه الظاهرة توجد فى الحيوان الذى يفتقر إليه ولده فى تربيته وحفظه إلى أمد معين . فسبحان من

---

(١) فاطر : ٤٣ .

أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

هذا ـ أيها الإخوان والأبناء ـ فى الإنسان والحيوان ، وأنه ليبدو معقولاً ، أما فى النبات فإنه والله لم يأخذنى العجب من شيء من ظواهر هذا الكون كما أخذنى من ظاهرة كيفية عملية لقاح شجر التين ، وحقاً إنها لظاهرة جد عجيبة تأخذ بلب وعقل المتأمل فيها ، الناظر إليها : إنه يوجد فى نوع شجر التين شجر منه يعرف بذكر التين ، وفى أواسط الربيع وبعد ما يورق كل من ذكره وأنثاه يخرج كل منهما حباً صغيراً هو ثمره المعتاد ، غير أن الملاحظ فى ذلك أن حب الذكر يكبر بسرعة حتى إذا ما تهيأ حب الأنثى للقاح حسب سنة الله تعالى فيه ، كان حب الذكر قد ينع فيأخذ الفلاح ثمرة الذكر اليافعة فيعلقها بأغصان الشجرة الأنثى فيخرج من حبة الذكر المعلقة ذباب صغير فى غاية الصغر ، ويعرف ذلك الذباب طريقه إلى حبة الأنثى فيدخل من مكان على سطحها قد أعد لذلك هو أشبه ما يكون بفرج حيوان ، فيدخل ذلك الذباب ، حاملاً معه مادة بيضاء قد علقت بجسمه الصغير ثم يخرج منها بعد أن يكون قد أتم عملية اللقاح ، ليدخل فى حبة أخرى ليلقحها ، وهكذا حتى يلقح عدداً كثيراً من حبات التين الصغيرة المهياة للتلقيح ، وبعدها يموت وقد أتم مهمته التى خلقه الله تعالى لها ، وهكذا ـ أيها الإخوان والأبناء ـ تتم هذه العملية المعقلة العجيبة التى هى من أقوى البراهين على وجود الله وعلمه وقدرته وعظيم تدبيره ، فسبحانه الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، لا إله إلا هو ولا رب سواه ، والآن وأنا فى غاية التأثر والإعجاب بهذه الظاهرة الكونية فى لقاح شجر التين لا يسعنى إلا أن أسجل كلمة استودعها الله تعالى ليردها على يوم القيامة فينفعنى بها ، وهى أن ظاهرة كهذه فى لقاح هذا الشجر الطيب المبارك يستحيل أن تتم بالضرورة أو الصدفة أو الطبيعة كما يقول الملاحدة والطبيعيون : (وإنما ـ والله لا تتم إلا بخلق وتقدير وتدبير خلاق عليم مدبر حكيم وهو الله رب السموات والأرض وما بينهما ورب كل شيء ومليكه ـ الذى أشهد شهادة علم ويقين أنه الله الذى لا إله إلا هو القائم بالقسط العزيز الحكيم) .

وأخيراً : فهذا النظام فى الكون كله علوية وسفليه لم يكن إلا نتيجة قدر وعلم سبقاه ، فكان كل شيء فى هذا الكون على مقتضى ذلك التقدير الأزلى القديم الذى هو القضاء والقدر ، والذى لا يتم إيمان عبد مؤمن إلا به ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

القضاء والقدر

إخوانى وأبنائى ، لكى يسهل علينا معرفة القضاء والقدر ينبغى أن نرجع بالذاكرة إلى تلك المقدمات الثلاث ، وما سقناه فيها من أحاديث فى خلق الكون والنظام الذى ربط به ، والسنن التى تحكم كل أجزائه ، وما وقفنا عليه من عجيب الخلق والتدبير فى هذا الكون كله ، فى الإنسان فى الحيوان ، فى النبات ، فى الجمادات .

لقد رأينا أن النظام الشمسى فى غاية الدقة أن لكل كوكب من الكواكب بل لكل نجم من النجوم ، وهى ملايين مساره الذى يسير فيه ومداره الذى يدور فيه على مر هذه الحياة الطويلة ، ولم يقع أن خرج كوكب عن مداره الذى يدور فيه ، أو نجم عن مساره الذى يسير فيه ، إذ لو وقع ذلك لانتهى العالم من الوجود ، كما رأينا سنن الله تعالى فى حياة الإنسان ، والحيوان ، والنبات نشوءا وتطورا ، ونماء وبقاء وفناء ، وأن ذلك مربوط بسنن لا تتبدل وبذلك انتظمت الحياة فهى تسير إلى غايتها المحدودة لها ، وعرفنا أن هذا هو سر القدر وتفسيره .

ومن هنا صح لنا أن نعرف القضاء والقدر بأنهما علم الله تعالى الأزلى بكل ما أراد إيجاده من العالم والخلائق ، وتقدير ذلك الخلق وكتابته فى الذكر الذى هو اللوح المحفوظ ، كما هو حين يقضى بوجوده فى كميته وكيفيته ، وصفته وزمانه ، ومكانه ، وسبابه ، ومقدماته ونتائجه بحيث لا يتأخر شئ من ذلك عن إبانه ، ولا يتقدم عما حدد له من الزمان ، ولا يتبدل فى كميته بزيادة أو نقصان ، ولا يتغير فى هيئة أو صفة بحال من الأحوال ، وذلك أولا لسعة علم الله تعالى الذى علم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وعظيم قدرته عز وجل والتى لا يحدها شئ ولا يعجزها آخر ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وثانياً لربطه تعالى الوجود كله بقانون السنن الذى يحكم كل أجزاء الكون علويه وسفليه على حد سواء ، هذان هما القضاء والقدر ، اللذان لا ينكرهما إلا مكابر مجاحد أو جاهل معاند ، إذ هما يتجليان فى شكل قوانين ثابتة فى كل كائن فى هذا الوجود من الفلك ، إلى النور والحلك ، ومن الإنسان إلى الحيوان ، ومن النباتات إلى الجمادات ، ولنستمع بآذان صاغية إلى الخلاق العليم والصانع الحكيم سبحانه وتعالى وهو يخبر عن قدره وحكمته فيه ، ومشيئته له وقضائه به : ﴿ **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك**

على الله يسير ﴾ (١) ، ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ (٢) ، ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ، ومن لستم له برازقين ، وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ (٣) ، ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (٤) ، ﴿ ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ (٥) ، ﴿ خلق كل شئ فقدره تقديرا ﴾ (٦) ، ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ (٧) ، ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى ﴾ (٨) .

هذا ـ أيها الإخوان والأبناء ـ ولم ينكر القدر ، والإنسان المخلوق المحكوم بقوانين القدر التى يستطيع أن يخرج عنها بحال من الأحوال ، لا ينكر عليه إذا أراد أن يبنى منزلا أن يرسم له صورة كاملة على ورقة صغيرة ثم يأخذ فى بنائه فيخرجه ـ إن كان قادراً عليما ـ صورة طبق الأصل ، فلا يتخلف شئ مما قدره فيه ، ولا يختلف فيه شيء عما رسمه له ، إذا كان الإنسان على ضعفه وعجزه لا يستغرب منه ذلك ـ بل يحمد عليه ، ويثنى عليه به ، فكيف يستغرب مثل ذلك من الله الخلاق العليم ذى القوة المتين !

وإذا فكيف وجد من ينكر القدر ويجادل فيه ؟ وقبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغى أن نذكر هنا أن القدر قدران : قدر سلمه وآمن به كل المؤمنين بالله تعالى ولم ينكره أحد أو يمار فيه آخر ، وهذا النوع من القدر هو ما كان مثل خلق العالم وما فيه من سنن ، ويجرى فيه من أحداث كالحياة والموت ، والقحط والجدب ، وما ينزل بالإنسان من مصائب لم يتسبب هو فيها ، ولم يكن له قدرة بحال على دفعها ، وككونه يولد جميلاً أو دميما ، طويلاً أو قصيراً ، وفى زمن كذا دون غيره من الأزمنة فى بلد كذا دون غيره من البلاد مثلاً ، وككون القدر مضى بسعادة المرء أو شقائه ، كما مضى بتحدد رزقه وأجله ، فهذا النوع من القدر هو من مراد قوله تعالى : **﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾** (٩) ، وقول الرسول ﷺ فى رواية الترمذى الصحيحة : « **اعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » .

وهذا النوع من القدر كما يجب الإيمان به يجب الرضا به والتسليم لله تعالى فيه فإنه

---

(١) الحديد : ٢٢ . (٢ ، ٣) الحجر : ١٩ ـ ٢١ . (٤) القمر : ٤٩ .
(٥) طه : ٤٠ . (٦) الفرقان : ٢ . (٧) الأحزاب : ٣٨ .
(٨) الأعلى : ١ ـ ٣ . (٩) الحديد : ٢٢ .

جار على وفق علم اللّه ، وبناء على مشيئته وحكمته ، وواقع على أساس تدبيره ملكه وخلقه ،، إنه ما من حادثة تحدث فى الكون إلا وللّه تعالى فيها حكمة عالية مقصودة ، ومن هنا قبح بالمرء أن يتبرم من هذه الأحداث المقدورة ، كما جمل به أن يقابلها بكامل الرضا ومطلق التسليم .

ثمرة الرضا بالقضاء

وللرضا بهذا القضاء نتائج سارة وثمرات طيبة ، ومن تلك النتائج السارة والثمرات الطيبة : أنه يكسب صاحبه قوة الشكيمة ومضاء العزيمة ، إذ من اطمأنت نفسه إلى أن ماأصاب المرء لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، خلت جميع أعماله من الحيرة والتردد وانتفى من حياته القلق والاضطراب ، لأنه بمجرد ما يترجح لديه الإقدام على أمر ما أقدم عليه ، فى غير خوف ولا هيبة أو تردد ، ومنها : أنه لا يحزن على ماض ، ولا يغتم أو يكرب لحاضر ، ولا يؤلمه هم المستقبل ، وبذلك يكون أسعد الناس حالا ، وأطيبهم نفساً وأصلحهم بالا ، وأهداهم خاطراً ، ومنها أيضاً : أنه يكون من أشجع الناس عقلاً وقلباً وأكرمهم قولا ونفسا من عرف أن أجله محدود ، ورزقه معدود ، فلا الجبن يزيد فى عمره ، ولا الشح يزيد فى رزقه نافس فى البطولات ، وسابق فى المكرمات ومما لا شك فيه أن هذه الصفات قد تجلت واضحة فى سلف هذه الأمة أمة الإسلام أيام كانت عقيدة القضاء والقدر واضحة فى نفوسهم قوية فى قلوبهم ، فقد فاقوا الناس شجاعة وكرما ، وصبرا وحلماً ومعرفة وعلماً ، الأمر الذى تمكنوا به من سيادة العالم وقيادته مدة من الزمن طويلة غير قصيرة .

والآن يحسن بنا أن نجيب عن السؤال الذى أرجأنا الإجابة عنه وهو : كيف وجد من ينكر القدر ويجادل فيه ؟ فيقول : لقد علمنا من الكلمة التى استطردناها هنا عند إرجائنا الإجابة عن هذا السؤال ، إن القدر الذى وجد بين المسلمين من ينكره ويجادل فيه ليس هو القدر العام الذى يشمل الكون كله ، وما يجرى فيه من أحداث لا يد للإنسان فيها ولا قدرة على دفعها أو تغييرها إذ هى جارية على نظام السنن التى يقول تعالى فيها : ﴿ **سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾ (١) ، وإنما هو القدر الخاص المتعلق بفعال العباد سيئها وحسنها ، صالحها وفاسدها ، وأول ما ظهر القول فيه كان على عهد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الراشد ، وذلك فى حدود المائة الأولى من الهجرة قال به وأظهره ودعا إليه غيلان الدمشقى حتى قتله هشام بن عبد الملك ، وهذا لا ينافى ما روى من أن القول بنفى القدر كان فى أواخر أيام الصحابة رضى الله عنهم ، إذ ما قيل فى تلك الأيام لم يعد كونه مجرد قول ، قاله فرد أو أفراد فأنكره عليهم من وجد من

---

(١) فاطر : ٤٣ .

أصحاب رسول الله ﷺ ، كابن عمر ، وابن عباس رضى الله عنهم حتى قضوا عليه ، وأخمدوا فتنته إلى حين ، ونفى أولئك النفر للقدر معناه أن الأمور المتعلقة بأفعال العباد لم تقض أزلا ، ولم تكتب فى كتاب المقادير ولم يعلمها الله تعالى قبل اللوح المحفوظ ، ويبدو أن الطائفة التى قالت : بنفى القدر بهذا المعنى قد دحضت حجتها ، وذهب باطلها وانتهت ، لأن نصوص الكتاب والسنة فى إثبات القدر بمعناه الخاص والعام متكاثرة متضافرة بحيث يعد منكرها كافراً لا مقام له بين المسلمين ، وها نحن نورد تلك النصوص تسجيلاً لها فى هذا المقام بهذه المناسبة ليرتادها القلب كلما ران عليه من آثار الشبه التى لا تبرح تمن للقلب وتتواجد حوله للإغواء والفتنة ومن تلك النصوص قوله تعالى : ﴿ **إنا كل شئ خلقناه بقدر** ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ **وخلق كل شئ فقدره تقديرا** ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى** ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ، ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسيرا** ﴾ (٤) ، وقول الرسول ﷺ فى رواية مسلم : « إن الله تعالى قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » ، وقوله ﷺ فى رواية البخارى : « كان الله ولم يكن شئ معه ، وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ ، ثم خلق السموات والأرض » ، وقوله عليه الصلاة والسلام فى رواية أبى داود : عنوان ، فقال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى٥٧٧٥٧٧« أول ما خلق الله القلم يوم القيامة » ، وقوله ﷺ لبعض أهل بيته وقد لاموا أنسا فى بعض تقصيره فى إحضار شئ طلبوه منه : « دعوه فلو قضى شىء لكان » وقول ابن عمر رضى الله عنهما فى صحيح مسلم : وقد أخبر بأن ناساً يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ـ قوله لمن أخبره بذلك : « إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني برئ منهم ، وأنهم برآء منى » ، والذى يحلف به ابن عمر لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه فى سبيل الله ، ما قبل ذلك منه حتى يؤمن بالقدر ، وقد تقدم حديثه عند الترمذى وفيه قوله ﷺ : « رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

غير أنه قد وجد فيما بعد من يقول بنفى القدر عن أفعال العباد ، فزعم أن العبد يخلق أفعاله بنفسه ، وأن الله تعالى لا دخل له فى ذلك ، ولا عمل ، وأن أفعال العباد لم تقدر ، ولم يعلمها الله تعالى قبل وجودها ، وقالوا : كيف يفعل الله تعالى القبيح وهو ينهى عنه ويحرمه ، وهذا هو أساس شبهتهم التى بنوا عليها مذهبهم فى كون الله تعالى لم يخلق

(١) القمر : ٤٩ . (٢) الفرقان : ٢ .
(٣) الأعلى : ١ ـ ٣ . (٤) الحديد : ٢٢ .

أفعال العباد ولم يقدرها ، وإنما العبد وحده هو الخالق لأفعاله ، وأضافوا إلى شبهتهم هذه شبهة أخرى ، وهى قولهم كيف يخلق الله أفعال العباد ثم يعاقبهم عليها ، وأصبحوا بهذا يعرفون بالقدرية أى نفاة القدر ، ولزمهم أن العبد ما دام يستقل بخلق أفعاله فقد أصبح ربا يخلق ما أراد أن يخلق من الأفعال ، وبطل بذلك التوحيد الذى هو أصل الدين وأساسه ، ومن هنا سموا بمجوس هذه الأمة لتعدد الخالقين بحسب مذهبهم فى أن الإنسان خالق أفعاله بمقتضى قدرته وعلمه ، لا بمقتضى قدرة اللّه تعالى وعلمه .

وعلى العكس من نفاة القدر كانت طائفة الجبرية من المعتزلة ، وأول من ظهر منهم الجعد بن درهم ، وكان قد تلقى مذهب الجبر من يهودى من يهود الشام ، وتلقاه عنه الجهم بن صفوان رئيس الطائفة الجهمية نفاة الصفات المعطلين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مذهب القدر كمذهب الجبر كلاهما من صنع اليهود ، لإفساد عقيدة المسلمين ، إذ سبق أن ذكرنا أن أول من قال بنفى القدر غيلان الدمشقى الذى قتله هشام بن عبد الملك ، ولا يبعد أن يكون غيلان هذا قد تلقاه من يهود الشام أيضاً .

وحقيقة الجبر : أن الإنسان لا يخلق أفعاله ، ولا ينبغى أن تنسب إليه إلا على سبيل المجاز ، فهى نسبة فعل لا نسبة إرادة واختيار إذ هى أفعال الله تعالى أجرأها على يد العبد ، بدون إرادة من العبد ولا اختيار ، ولازم هذه العقيدة أن العبد غير مؤاخذ على أفعاله ، وأنه لا يعاب منه فعل ولا يلام عليه ولو كان فى غاية القبح والفساد ، ولذا كان هذا المذهب أفسد وشرا من سابقه المذهب القدرى المجوسى .

والذى ينبغى أن يلاحظ هنا أن عقيدة الجبر بالرغم من كونها أكثر ضرراً وفساداً من عقيدة نفى القدر ، فقد ظلت ظاهرة فى المسلمين سارية فيهم وبدون إرادة منهم لها ، ولا رغبة لهم فيها ، ولعل السبب يعود فى ذلك إلى أن عقيدة الجبر تلقى التبعة عن العبد فيها يرتكب من المعاص ويقارف من الذنوب وتجعله معذوراً أمام نفسه ، حتى قال بعض ضحايا هذا المعتقد الخطير :

أصبحت منفعلاً لما يختار ... منى ففعلى كله طاعات

وكم قعد هذا المعتقد الخاطئ الفاسد بكثير من المسلمين عن العمل الجاد النافع فضعفوا وهانوا وأصيبوا بكل قاصمة لظهر ، حتى أصبحوا مضرب المثل فى العجز

والكسل والتخلف فى ميادين العمل والإنتاج ، ووجد ـ بسببهم ـ العدو الكافر مجالاً للطعن فى عقيدة الإسلام ، والاحتجاج على المسلمين فيما أصابهم ونزل بهم بسلوك هؤلاء الذين قتلهم معتقد الجبر ، وأفسد عليهم دينهم ودنياهم فأصبحوا يرون أحياء وهم أموات ويبررون موتهم وقعودهم عن كل خير يكسبه غيرهم ويسعد به فى حياته يبررونه بمثل قول شاعرهم :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

جنون بك أن تسعى لرزق ويرزق فى غيابته الجنين

فلننظر كيف انتقل مذهب الجبر إلى مذهب معطل قاتل لا يقود أهله إلا إلى خسران الدنيا والآخرة ، أرأيتم لو أخذ الناس كلهم بهذا المذهب ماذا كان يحدث فى الحياة ؟ كانت تنتهى ، وكفى ».

فسبحان اللّه ! ماذا يفعل التضليل بالناس ، وهذا شأن كل المذاهب الهدامة التى هبطت بالإنسان إلى منزلة دون منزلة الحيوان ، وبالتأمل يظهر لنا أن جميع المذاهب الهدامة فى العالم كانت من صنع اليهود الحاقدين على البشرية والناقمين عليها ، ومن هنا فإنى لا أشك أن مذهب الجبر كمذهب القدر كمذهب التشيع كأكثر طرق التصوف ، الكل طبخ فى مطابخ اليهود وقدم طعاماً مسموماً للمسلمين ليموتوا به ، ويهلكوا عليه ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

والآن حان لنا أن نعرض عقيدة القدر والقضاء عرضاً أكثر وضوحاً وتحديداً من ذى قبل وتحت عنوان :

لا جبر ولا نفى القدر .

الإنسان فاعل مختار .

واللّه خالق الإنسان .

وخالق أفعاله .

إنه قد صعب على غير الموفقين من الناس التوفيق بين كون الإنسان لأفعاله مريداً لها مختاراً فيها ، مهيأ للثواب عليها إن كانت خيراً ، وللعقاب عليها إن كانت شراً ، وبين كون اللّه تعالى هو خالقه وخالق أفعاله خيرها وشرها مع عدل اللّه ، وتنزيهه عن الظلم

أيضاً .

ومن هنا انقسموا فرقاً فقالت فرقة منهم : أن العبد هو خالق أفعاله بنفسه ، وليس للّه تعالى فيها دخل البتة ، واعتذروا بكون أفعال الإنسان منها ما هو شر قبيح ، ومثله ينزه عنه اللّه تعالى ، ولا تجوز نسبته إليه ، فالتزموا بناء على هذا بمبدأ نفى القدر عن أفعال العباد أى لم يعلمها اللّه أزلا ، ولم يقدرها ، ولم تكتب فى الذكر : كتاب المقادير ، ولزمهم فى معتقدهم هذا أن يكون للكون غير خالق واحد ، وهو رد صريح لقول اللّه تعالى : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ **واللّه خلقكم وما تعملون** ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ **ذلكم اللّه ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل** ﴾ (٣) .

فكانوا بهذا مجوساً ، لإثباتهم خالقين مع اللّه تعالى فى الكون ، وقد روى أحمد وأبو داود بسند حسن أن النبى ﷺ قال : « القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم » .

وقالت فرقة أخرى : بعكس ما قالت الأولى (القدرية) فكانوا على النقيض معهم ، إذ قالوا : إن العبد لا إرادة له فى أفعاله ولا اختيار ، وليس هو بالفاعل على الحقيقة أبداً ، وإنما الفاعل هو اللّه عز وجل ، وما ورد فى القرآن من نسبة الفعل إلى العبد كقوله تعالى : ﴿ **وما تفعلوا من خير يعلمه اللّه** ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ **واللّه عليم بما يفعلون** ﴾ (٥) إلى غير ذلك من الآيات التى تسند الفعل إلى العبد خيراً كان أو شراً ، فإنما هى نسبة مجازية علاقتها السببية ، ولم تكن نسبة حقيقية أبداً ، إن هى إلا أفعال اللّه تعالى أجراها على يد العبد ، والعبد مجبور عليها غير مريد لها ولا اختيار له فى فعلها وتركها ، ولزمهم بذلك أن لا يكون فى فعل العبد قبح ولا حسن ، ولا خير ولا شر ، وبالتالى فلا حساب عليها ولا عقاب ، وبناء على مذهبهم هذا فإنه لم يبق من معنى لبعثة الرسل : وإنزال الكتب ، ووضع الشرائع ، ومن هنا كان هذا المذهب مذهب التعطيل والجبر ، أسوأ وأفسد من مذهب نفى القدر .

وقال فريق ثالث : إنه ما دام اللّه تبارك وتعالى قد نفى الظلم عن نفسه فى قوله : ﴿ **إن اللّه لا يظلم مثقال ذرة** ﴾ (٦) ، ﴿ **وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾ (٧) ، وحرمه عليه وعلى عباده فى قوله فى حديث مسلم : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ،

---

(١) الأعراف : ٥٤ . (٢) الصافات : ٩٦ . (٣) الأنعام : ١٠٢ .
(٤) البقرة : ١٩٧ . (٥) النور : ٤١ . (٦ ، ٧) النساء : ٤٠ .

وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » فكيف يجوز إذا عقلا أن يكتب على العبد أزلا أعماله ليقوم بها حتماً ، ثم يؤاخذه عليها ، بل ذهبوا إلى أكثر من هذا القول بشجاعة وقبحاً فقالوا : ما دام اللّه تعالى علم مصير العبد وقرره حيث قدره بكتابته فى كتاب المقادير العام : اللوح المحفوظ ، وأصبح العبد لا محالة صائراً إليه شاء أم أبى أحب أم كره ـ فكيف يؤمر العبد إذا وينهى ويطالب بالطاعة وترك المعصية ، والأمر قد بت فيه وفرغ منه ، إنما يؤمر وينهى من لم يحدد له مصير ، وتقرر له نهاية ، فبدل هذا يؤمر وينهى ليتقرر مصيره بحسب استجابته لما أمر به ونهى عنه ، وعدمها ، هذا ملخص هذا المذهب الثالث ، وإنه ليبدوا أن أصحابه مترددون بين إثبات القدر ونفيه ، والقول بالجبر وعدمه ، ولزمهم فى مذهبهم هذا ما أصبحوا به شراً من إبليس ألا وهو الاعتراض على اللّه تعالى ونسبة الظلم إليه ، وهو المنزه عن الظلم ، البعيد عن كل نقص ، سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وأخيراً : قد يحسن أن نسمى هذه الفرقة الحيرى المترددة بالإبليسية وإن كانت شراً من إبليس .

وهدى اللّه أهل الإيمان والتقوى إلى الحق الذى اختلفت فيه تلك الفرق فضلت عنه وجانبته وعاشت بعيدة عنه وهى ما بين مجوسية نافية لأقدار اللّه تعالى مثبتة باطلاً فى العالم متعددين ولا خالق إلا اللّه سبحانه وتعالى ، وبين جبرية معطلة لشرع منكرة للعقل ، وبين إبليسية معترضة على اللّه تعالى فى قدره نافية لمشيئته وحكمته شاكة فى عدله ورحمة قضائه .

هداهم ـ أى أهل الإيمان والتقوى ـ إلى الحق بإذنه فآمنوا بقضاء اللّه وقدره ، وعدله ورحمته ، وإرادته ومشيئته وحكمته ، وحسن تدبيره ، فقالوا : لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن بقدر اللّه ، ذلك القدر الذى هو سر لنظام الحياة ، وهو علم اللّه الأزلى وتقديره لكل شئ وكتابته فى اللوح المحفوظ ، فلا يزيد شئ عما كتب ولا ينقص ، الأحداث الصغار التى تجرى فى الكون كالأحداث الكبار ، والأعراض والصفات : كالأجسام والذوات ، كل شئ منذ كان الكون ، أو سيكون إلى انقراض الكون قد جرى به العلم ومضى فيه التقدير وكتب فى الذكر حتى عجز الخاملين ، وكيس النابهين ، روى مسلم فى صحيحه عنه ﷺ قوله : « عنه كل شئ بقدر حتى العجز والكيس » . وأخرج الشيخان عن على رضى اللّه أعنه ن النبى ﷺ قال : « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة » ، وقالوا يا رسول اللّه : أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : « اعملوا فكل

ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة ، ثم قرأ : ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى** ﴾ (١) الآية ، كما روى البخارى أن النبى ﷺ قال لأبى هريرة : « جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر » .

آمن هؤلاء الموفقون بالقضاء والقدر والعدل والإرادة والمشيئة والحكمة ، ولم يصعب عليهم كما صعب على غيرهم التوفيق بين كون فعل العبد قد قدره الله تعالى له ، وكتبه عليه وسبق به علمه قبل التقدير والقضاء ، وبين كون العبد فاعلا لفعله مريداً له مختارا فى فعله وفى تركه ، يحاسب به ويجزى عليه ، ولا بين كون العبد فاعلا لفعله وبين كون الله تعالى خالقا للعبد وخالقا لفعله ، ولا بين كون الله تعالى يقضى العبد ما شاء من قضاء ، ثم يأمره وينهاه ويجزيه حسب عمله الذى قدره له وكتبه له .

فقالوا : إن الله تعالى لما قدر ما للعبد وما عليه من خير وشر ، وسعادة وشقاء قد قدره مربوطا بأسبابه ، فالخير أسبابه وللشر أسبابه كما قدر أن العبد يأتى تلك الأسباب ويعمل بها بمحض إرادته التى قدرها له ، وحرية اختياره الذى قضى له به ، فلا يصل العبد إلى ما كتب عليه وقدر له من سعادة أوشقاء إلا بواسطة تلك الأسباب التى يفعلها غير مكره عليها ، ولا مجبور على فعلها ، والحجة ، فى ذلك قول الرسول ﷺ : « إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ، فيدخله به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار ، فيدخله به النار » رواه مالك وغيره . ودلالته ظاهرة فى أن الله تعالى إذا كتب على العبد أزلاً السعادة أو الشقاء كتب له كذلك أنه يعمل بالأسباب التى تسعد أو تشقى ، تلتم السعادة أو الشقاء على أساس نظام الأسباب ، كما أن الاستدلال بنظام الكون العام له وجه أيضا فإن الإنسان جزء من الكون كله ، والكون جميعه مربوط بسنن وقوانين تحكمه إلى نهاية أجله فلم لا يكون ـ إذا ـ الإنسان كذلك ، مبدؤه وسعيه مصيره مربوط كذلك بسنن تحكمه لا يمكنه الخروج عنها بحال من الأحوال ، وهى نظام القضاء والقدر ، وما الفرق بين الإنسان والكون إلا أن الإنسان منظور فى سعيه إلى إحدى غايتين : السعادة أو الشقاء فهو واصل بسعيه إلى إحداهما لا محالة ، فلذا اختلف سعيه عن سعى غيره من سائر الخلق ، ومن أجل هذا أعطى قدرا زائدا عن سائر الخلق وهو الإرادة

---

(١) الليل : ٥ ، ٦ .

والاختيار فى سعيه فالكون من غير الإنسان يسعى مسعاه الذى قدر له لا يخرج عنه ، لأنه غير منظور فى سعيه إلى إحدى الغايتين ، وإنما إلى غاية واحدة لا تتخلف فلذا لم يعط إرادة ولا اختيارا ، وكان بعكسه الإنسان الذى أعطى الإرادة والاختيار فتحمل بها الأمانة بعد أن رفضها الكون كله : ﴿ **إن عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا** ﴾ [1] .

إن الإنسان مخلوق لله تعالى مربوب له كسائر الخلق ، كالشمس والقمر والنبات والحيوان ، يقوم بفعله كما تقوم سائر المخلوقات بما أناط بها ربها تعالى من أفعال تقوم بها ، وإنما الفرق بين الإنسان وسائر الخلق أن الإنسان أعطى إرادة واختيار العلة التكليف والجزاء عليه بخلاف غيره فإنه لا جزاء له على عمله الذى يقوم به لعدم منحه إرادة حرة واختيارا كاملا ، إن شاء فعل ، وإن شاء ترك ، فيصل إلى إحدى غايته بما أراد من عمل واختياره لنفسه بمحض إرادته واختياره .

ومن هنا لو أن العبد أكره على عمل وأجبر عليه لم يترتب عليه حساب ولا جزاء بثواب أو عقاب ، لعلة فقده الإرادة والاختيار التام .

وبهذا تم لأولئك الموفقين التوفيق بين كون فعل العبد قد قضاه الله تعالى أزلا على العبد ، فهو فاعله لا محالة ، وبين كون العبد مريدا لفعله مختارا له يثاب على حسنه ويعاقب على سيئه .

وقالوا : فى كون العبد فاعلا لفعله قائما به ، والله خالقه وخالق فعله : إن الكون كله مخلوق لله تعالى وليس ثم من خالق غيره سبحانه وتعالى : ﴿ **ذلكم الله ربكم خالق كل شىء** ﴾ [2] ، والإنسان من جملة أجزاء الكون المخلوق فهو إذا مخلوق والله خالقه وخالق الكون كله ، وهل المخلوق يخلق ؟ اللهم لا ، إن الأفلاك تدور ، والكواكب تسير ، والشجر ينمو ، والحيوان يعمل عمله ، فيأكل ويشرب ويتوالد ، فهل يقال لهذه المخلوقات من الكون : إنها خالقة لأفعالها ؟ أم الله هو الذى خلقها وخلق أفعالها وإذا كان الجواب واحداً وهو أن الله تعالى هو الذى خلقها وخلق أفعالها فبأى منطق نخرج أفعال العباد عن هذا الحكم العام ؟ والإنسان من جملة أجزاء الكون مربوط بنفس السنن التى تربط الكون ، أم من أجل كون الإنسان مريدا لأفعاله مختارا لها ، فإن ذلك منحه دون

---

(١) الأحزاب : ٧٢ . (٢) غافر : ٦٢ .

سائر الخلق لعلة أن يثاب على فعله أو يعاقب فقط ، وليس بمخرجه عن كونه عبدا لله ربوبا ، الله خالقه وخالق أفعاله ، كما خلق غيره وخلق أفعاله وسائر المخلوقات فى الأرض والسموات .

وبهذا تقررت هذه الحقيقة وثبتت ناصعة وهى أن الإنسان فاعل لأفعاله ليس خالقا لها ، والله خالق الإنسان وخالق لأفعاله ، ونزيد الأمر توضيحا ، والحقيقة تقريرا فنقول أليس الإنسان ينطق ، ويسمع ويبصر ويعقل والله هو الذى جعله كذلك ؟

أليس الإنسان يذهب ويجئ ويأخذ ويعطى ، ويرفع ويضع والله هو الذى أقدره على ذلك ؟

أليس الإنسان يحب ويكره ، ويريد ويشاء ويختار والله هو الذى هيأه لذلك ؟

إذا فما دام الله تعالى ، هو الذى جعله وأقدره ، وهيأه لكل أفعاله تلك فهو خالقه وخالق أفعاله بلا جدل ولا يراع ، وكل ما فى الأمر أن الإنسان مريد لأفعاله الإرادية ، مختار لها والله هو الذى جعله كذلك لعلة الابتلاء والجزاء ...

وهنا يقال للذى لا تنتهى وساوسه فى هذا الباب : يا عبد اخسأ ، لا تعد قدرك! ولا تعترض على ربك ، إنك تسأل ولا يسأل ، خلقك ولم تخلقه ، كنت به ، وكان ، ولم تكن ...

وقالوا : فى كون الله تعالى قدر للعبد أزلا ما شاء من قدر وقضى به عليه ، ثم هو يأمره وينهاه ويجزيه بحسب استجابته لأمره ونهيه وعدمها ــ قالوا :

أولا : إن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، له الملك وله الحمد ، ولا يسأل عما يفعل وذلك لكمال علمه وعدله وحكمته ورحمته .

وثانيا : أن فعل الله وتقديره وحكمه كله عدل وخير ، فليس فى أفعال الله تعالى ، ولا تقديراته ولا أحكامه ظلم ، أو شر قط ، قضى بهذا العقل وصح به النقل فهو سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** ﴾ (١) ، ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ (٢) ، ورسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة فيقول : « والخير بين يديك ، والشر ليس إليك ... »

---

(١) النساء : ٤٠ . (٢) فصلت : ٤٦ .

إن الظلم والشر وإرادتهما لم تكن من صفات المحدثين وسمات المخلوقين ، أما ذو العرش المجيد الفعال لما يريد الغني فقد تنزه عن الظلم وفعل الشر ، وكيف وهو الزمر بالعدل في قوله : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾[1] ، والناهي عن الظلم في قوله : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » ، والمرغب في فعل الخير بقوله ، ﴿ **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** ﴾[2] ، والآمر به في قوله : ﴿ **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾[3] .

وثالثا : ما هو الظلم ، وما هو الشر ؟ أليس الظلم في مفهوم كل العقلاء هو وضع الشئ في غير موضعه ، وأن الشر هو كل فعل خلا من نفع أو زاد ضرره عن نفعه ، بلى ...

إذا فهل تعذيب عاص متمرد على ربه فاسق باختياره وإرادته عن أمر مولاه ، عازم على مواصلة الفسق مصمم على المعصية ولو عاش دهر الدهارير ، وأبد الآباد وما يحدث نفسه بالتوبة ولم يردها وهو قادر عليها بما وهبه الله من قدرة وما منحه من إرادة .

فهل يا معشر العقلاء تعذيب هذا الإنسان يعد ظلما وشرا ؟ اللهم لا ...

رابعا : إنه بحكم ملكية الله تعالى لعباده بخلقه إياهم ورزقه لهم ، وتدبيره لأمورهم له الحق المطلق أن يتصرف فيهم بما يشاء فلو عذبهم أجمعين لما كان ظالما لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا من أعمالهم ، وبهذا صح الخبر ، إذ روى أحمد وأبو داود وابن ماجة بسند لا بأس به عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله : « لو أن الله عز وجل عذب أهل السموات ، وأهل الأرض عذبهم ، وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار » .

وخامسا : أن الله تعالى لما قدر مقادير العباد من عمر ورزق وسعادة وشقاء ، قدر ذلك مع موجباته وأسبابه ، بحيث لا ينفك قدر مهما كان عن سببه ـ إلا أن شاء الله ـ كما هي الحال بالنسبة إلى سائر أجزاء الكون فإن الكل مربوط بنظام السنن محكوم

---

(١) النحل : ٩٠ .　(٢) البقرة : ١٩٧ .　(٣) الحج : ٧٧ .

بقوانينها من أكبر جرم إلى أصغره كخلية النواة ، ويشهد لهذه الحقيقة مثل قول الرسول ﷺ : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » ـ من حديث ابن مسعود عند مسلم ، والشاهد من الحديث إثبات نظام الأسباب ، فلما كان لدخول الجنة أسباب ولدخول النار أسباب ، فإن العبد مهما عمل بخلاف أسباب سعادته أو شقائه فإنه لا بد فى النهاية أن يعمل مريدا مختارا بأسباب ما كتب له أو عليه فى كتاب المقادير ليوافق علم الله وتقديره ، وهو فى نفس الوقت مريد مختار لم يكره على ما فعل ، ولم يجبر علي ترك ما ترك .

إن هذه الحقيقة مدهشة حرية بالوقوف عندها ، والتفكير فيها ، إنى لا أشك فى أن عبدا أدرك كنه هذه الحقيقة العظيمة إدراكا صحيحا سليما ، ثم لا يتصدع أمام عظمة الله ولا يخر ساجداً بين يديه . وبيان هذه الحقيقة أن الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الكون بخمسين ألفا من السنين علم أنه سيخلق فى يوم كذا ، وتاريخ كذا ، فى مكان كذا وكذا ، عبدا اسمه كذا ووصفه كذا وكذا ، وعلمه الذى سيختاره بمحض حريته هو كذا وكذا ، ليتحقق له به كذا وكذا من خير أو شر سعادة أو شقاء وكتب كل ذلك فى كتاب عنده وفى نفس الوقت المعين ، والمكان المحدد يوجد ذلك العبد ويربيه إلى غاية بلوغه أشده وهو صحيح الحواس سليم العقل ، ثم تعرض له أمور متعددة ، وأحوال مختلفة فيختار منها ما يراه لنفسه وهو بعيد عن كل إكراه أو جبر ، فيفعل الذى اختاره لنفسه بكامل إرادته واختياره ثم يجد نفسه بالتالى قد وافق ما كتب له فى ذلك الأزلى القيم ، ولم يخالفه فى شئ ولم يخطئه فى قليل أو كثير فسبحان من هذا عامه ، وهذه قدرته ... سبحان الله العظيم ، سبحان ذى العز والجبروت ، والملك والملكوت والكبرياء والعظمة .

إرادة الله تعالى ومشيئته

إن مما له صلة وثيقة بموضوع القضاء والقدر ـ مسألة الإرادة والمشيئة ، فلنسمع كلمة فى هذا الموضوع تبين وجه الحق فيه ، وتهدى للتى هى أقوم فى هذه المسألة الخطرة من مسائل الاعتقاد المهمة وكلمتنا فى هذا تدور حول شيئين : الأول ـ إثبات إرادة الله تعالى ومشيئته بالبرهانين النقلى والعقلى ، والثانى ـ إن إساءة فهم إرادة الله تعالى أوقع كثيرين فى ضلال مبين ، وخطأ وشر عظيمين .

أما إثبات إرادة الله تعالى ومشيئته فيكفى فى ذلك سرد الأدلة السمعية وهى أخباره تعالى وأخبار رسوله ﷺ ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ [٢] ، هذا فى إرادته ، ويقول فى مشيئته : ﴿ **ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون** ﴾ [٣] ويقول : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ [٤] ، يقول الرسول ﷺ فى إثبات إرادة الله تعالى « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » ويقول فى إثبات مشيئته تعالى : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » إن فيما ذكرناه من أخباره تعالى وأقوال رسوله ﷺ وهو قليل من كثير ، لدليل كاف فى إثبات إرادة الله تعالى ومشيئته سبحانه وتعالى ولنشفع هذا الدليل السمعى بدليل عقلى فنقول : إن كون الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه مستلزم لإرادته تعالى ومشيئته ، إذ لو لم يكن مريدا لكان مكرها ولو كان مكرها لما تأتى له إيجاد العوالم ، والتصرف فيها ، وتدبيرها بمقتضى الحكمة والمصلحة ، كما أن كون الإنسان مريدا شائيا مقتض إرادة الله تعالى ومشيئته إذ من غير المعقول أن يكون المخلوق مريداً شائياً ، ويكون الخالق لا إرادة له ولا مشيئة ، بل العقل يقضى بإثبات إرادة الخالق ومشيئته مخلوقتان معه ، فلذا ما أراد المخلوق شيئا ولا شاءه إلا وقد أراده الخالق وشاءه قبل ذلك وإلا لزم أن يكون المخلوق أقوى من الخالق مستقلا بالأمر عنه ، وهو محال عقلا وشرعا ، قال تعالى :

---

(١) البقرة : ١٨٥ .
(٢) النحل : ٤٠ .
(٣) الأنعام : ١١٢ ، ١٣٧ .
(٤) التكوير : ٢٩ .

﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾ [1] ، وقال : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾ [2] .

هذا فى إثبات إرادة الله تعالى ومشيئته ، وأما عن إساءة فهم كثير من الناس لهما ، وما ترتب على ذلك من ضلال وشر وفساد ، فإننا نقول : إنه من غير المجازفة فى الكلام أن قلنا : أنه ليس هناك فى المؤمنين من ينفى إرادة الله تعالى ومشيئته ، وإنما هناك سوء فهم لهما ترتب عليه ضلال لايقل خطورة عن ضلال أهل الجبر ونفاة القدر ، وهذه المسألة أيضا الناس فيها طرفان ووسط فهى نظير مسألة القضاء والقدر ، وقد تقدم بيانها بما فيه كفاية من أخذ الله بيده فحماه من زيغ القلوب وضلال العقول ، فالوسط نجا هنا كما نجا هناك ، والطرفان ضلا هنا كما ضلا هناك والله المستعان ، وهذا بيان ضلال القوم : إن الطرفين منهما مفرط ومنهما مفرط ، فالطرف المفرط هو من زعم أن لا إرادة يخضع لها ، ولا مشيئة إلا إرادته هو ومشيئته ، فجميع أفعاله فى زعمه لا تخضع إلا لإرادته وحده ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما أكره على قوله أو فعله بقوة سلطان قاهر له ، فألجأه بالقوة المادية إلى قول ما لا يريد أو فعله ، وما عدا ذلك من تصرفاته فهو لا يخضع إلا لإرادته ومشيئته فقط وهذا الضلال فى هذه المسألة هو ضلال الملاحدة الذين لا يؤمنون بوجود الله تبارك وتعالى ولا بسلطانه على خلقه .

بيد أن شاركهم فيه طائفتان من المؤمنين ، إحداهما ، تقول : إن الله تعالى منزه على أن يريد ضلال ضال ، أو كفر كافر ، أو يشاء فعل الفواحش ، وارتكاب القبائح ، فنفوا بهذا إرادة الله تعالى ، ومشيئته فى أكثر حوادث العالم الجارية فيه ، ولزم هذا أن الله تعالى قد يقع فى ملكه ما لا يريد ، وأن هناك مشارك له فى خلق الحوادث ، وإيجادها بإرادة مستقلة عن إرادة الله تعالى ، وهذا قطعا ضلال وشرك يتبرأ منهما ويستعاذ من مثلهما ، وقالت الأخرى وهى مما لا رأى لهم فى هذا الموضوع ولا علم وإنما هى مجموعة من جهلة المسلمين ومقلدهم ، وأكثرهم من مثقفة المستغربين ، قالوا : إنه لا دخل لمشيئة الله تعالى فى أفعالنا ، وإنما مرد أفعالنا إلى إرادتنا الخاصة ومشيئتنا ، فما شئنا فعلناه ، وما لم نشأه لم نفعله ... ولذا نراهم ينكرون بشدة على من يقول سأفعل كذا غدا إن شاء الله ، ويردون عليه فى غضب وزمجرة لا تقل : إن شاء الله ، قل : سأفعل فقط ، لا تقل لنا : إن شاء الله هذه الكلمة خليها جانبا ، وقل : سأفعل كذا وكفى ...

---

(١) النحل : ١٧ . (٢) التكوير : ٢٩ .

ومن مظاهر ضلالهم هذا أن أحدهم يتكلم بأخبار مستقبلة خالصة فلا يقيد خبرا واحدا منها بمشيئة الله تعالى ، فيخبر أنه سيسافر ، أو يبيع أو يشترى ، أو يبنى أو يهدم أو يأخذ أو يعطى ، ولا يقيد من ذلك بمشيئة الله شيئا ـ بل يطلق أقواله إطلاق من لا يؤمن بغير إرادته ومشيئته ، ولا أدل على ذلك من أن مذيع النشرات الجوية فى أغلب الإذاعات والتلفزات الإسلامية من عربية وعجمية ، يطلقون أقوالهم جازمين بوقوع مداولاتها كأن الأمر لهم وحدهم وليس لهم فيه مشارك فيقول أحدهم : ستهب الرياح غدا شرقية وغربية ، وستنزل أمطار غزيرة فى منطقة كذا ، وستتراكم السحب على كذا وتنزل ضخات من مطر خفيف إلى غير ذلك من أخبارهم اليومية ، ولم يقيدوا منها شيئا بمشيئة الله تعالى ، فدل ذلك على عدم إيمانهم بمشيئة الله تعالى ولا إرادته ، ولا أنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ومن كان بينهم يؤمن بإرادة الله ومشيئته فإنه يترك الاستثناء بمشيئة الله تعالى ، خوفا من الملاحدة حوله أو مجاملة لهم فيصبح قرينا لهم فى الشرك والضلال ، هذا حال الطرف المفرط ... وأما الطرف المفرط ، وهو لا يقل ضلالا وباطلا عن مقابله فإنه يهدر ما منح الله عبده من إرادة ، وما وهبه ممن مشيئة تليق بآدميته ، وتتفق مع ما هيأه له من التكليف الذى يتقرر به مصيره فى الحياتين كما سبق بيانه عند الكلام على القضاء والقدر ، فقالوا : إنه لا إرادة لعبد ولا مشيئة البتة ، وإنما الإرادة والمشيئة لله تعالى وحده ، وأنكروا أن يكون للعبد إرادة أو مشيئة ، فساقهم هذا المعتقد الفاسد إلى ضلال لا حد له ولا حصر ، حتى أصبحوا به معطلة أسوأ حالا من الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا بشرعه أو لقائه ، وانعكست عندهم الأمور واختلطت الأشياء ، فأصبح القبيح عندهم حسنا ، والحسن قبيحا ، والكفر كالإيمان ، والفسق كالفجور ، فكل عامل هو مطيع لله سواء من عمل بطاعته أو عمل بمعاصيه ، الكل مبرأ من تبعة عمله وجريرة فعله ، فلا ذنب ولا وزر ، ولا عذاب ولا عقاب ، وذلك لأن كل عامل هو يعمل بإرادة الله تعالى ومشيئته ، لا بإرادة نفسه ومشيئته ، فالعبد لا إرادة له ولا مشيئة ، ولنستمع إلى أحدهم وهو يترجم هذا المذهب الفاسد القبيح فى بيت واحد من العشر فيقول :

أصبحت منفعلا لما يختاره منى ففعلى كله طاعات .

ومبنى هذا المذهب الباطل الذى أهدر ما وهب الله من إرادة ومشيئةوأهدر بالتالى كل القيم والشرائع مبناه على قاعدة تقول : العبد الفاعل مطيع للإرادة موافق للمراد ، يريدون إرادة الله ومراده ، وعليه فلم يبق ذنب ولا مذنب على وجه الأرض ، إذ الناحر

للإنسان مطيع للديان ، والصائم الظمآن موافق لمراد الرحمن ، فهما إذا فى هذا المذهب متساويان .

ودون هذه الطائفة طائفة أخرى أخذت كذلك مبدأ الإرادة للإنسان ولا مشيئة ، ولكن لا عن علم وفهم وإنما اتباعا للهوى ، وجريا وراء الشهوات ، فإن أحدهم يأتى ما يأتى من الباطل ، ويرتكب ما يرتكب من الذنوب ، وإن قيل له فى ذلك ، قال : هذه إرادة الله ومشيئته ، ولو شاء الله ما فعلت وإنما أنا عبد لا أخرج عن إرادة الله ومشيئته . وهذه حال كثير من المسلمين اليوم وقبل اليوم ومنذ فشا الفساد فى عقائد الأمة وانتشر الزيغ فى صفوفها نتيجة عمل يد الهدم والتخريب التى ما برحت تطعن فى جسم أمة الإسلام حقداً عليها وحسدا لها ، ولو كان هذا القول منهم نابعا من اعتقاد صحيح : وهو أنهم خاضعون لمشيئة الله وأقداره فيهم لكان حسنا منهم وصح لهم ، ولكنه لا صلة له بقلوبهم البتة ، وإنما هو مجرد قول يلوكونه بألسنتهم لدفع المذمة عنهم ، والملامة عليهم ، فكان شأنهم شأن المشركين الذين حكى القرآن عنهم قولهم : ﴿ **لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء** ﴾ [1] ، فإنهم لما دعوا إلى عبادة الله تعالى وحده ، وإلى ترك التحريم لما أحل الله تعالى من بحائر الإبل وسوائبها ، احتجوا مبررين شركهم وافترائهم على الله بمشيئة الله وأنه لو شاء الله عدم شركهم لما أشركوا ، ولو شاء عدم تحريمهم لما حرموا ، ولم يكن هذا منهم إلا دفاعا عن باطلهم وضلالهم ، وما كان أبدا عن اعتقاد صحيح بأنهم خاضعون لأقدار الله ، عاملين بمراده ، طالبين لرضاه نازلين عن مشيئتهم لمشيئته ، إذ لو كان هذا هو المراد من قولهم لكانوا مؤمنين صادقين ، وكان من السهل إقناعهم بترك الشرك بالله والافتراء عليه ، لأن الله تعالى حرم ذلك ونهى عنه ، ولو كان مرادا له محبوبا لديه لما نهوا عنه ولا ما حرمه .

وهنا يحسن التذكير بقاعدة جلية وحكمة ثمينة ، وضعها الهداة المهتدون من فرقة الوسط الناجون وهى لا يحتج بالإرادة والقدر على المعائب ، ولكن يحتج بهما على المصائب ، فالمعائب وهى الذنوب والمعاصى ما دام الله تعالى قد حرمها على عباده ، وكرهها لهم ، ، ومنهم وأنزل بذلك كتبه وبعث رسله ، فإن العبد إذا غشيها مريدا وتلبس بها مختارا لا يصح عقلا أن يحتج بالقدر الذى هو علم الله وتقديره لأحداث الكون خيرها وشرها ، وكتابتها فى الإمام المبين بخلاف المصائب التى تصيب المرء ولم يكن قد

---

(١) الأنعام : ١٤٨ .

تسبب فيها بترك طاقة ، أو مخالفة سنة من سنن الله الشرعية أو الكونية ، فإنه قد قيل له فى ذلك : صح منه الاحتجاج بالقدر والإرادة الكونية ، إذ لم يكن ذلك بإرادة منه ولا اختيار ، كالرجل يسقط عليه جدار أو تلسعه حية ، أو تنقلب به سيارة ولم يكن قد علم بتصدع الجدار وجلس تحته ، ولا بوجود الحية ونام عليها ، ولا تجاوز حد السرعة المعتادة لسيره ، أما إن تسبب فى هذا فلا حق له فى الاحتجاج بالقدر بل عليه أن يتحمل نتائج معصيته ، ومعاقبة ربه له بمخالفة سننه وإهماله الأسباب المشروطة لسلامتها .

وبالمناسبة يذكر هنا احتجاج آدم وموسى عليهما السلام ، فإن موسى عليه السلام قال لآدم لائما له : أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فرد عليه آدم عليه السلام محتجا على المصيبة التى شكاها موسى ، وهى الخروج من الجنة قائلا : أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ، فحج آدم موسى وغلبه فى الحجة ، لأن المصائب يحتج فيها بالقدر بخلاف المعائب ، لأن المصيبة لم يردها الإنسان ولم يأتها مختارا لها مؤثرا إياها ، وإنما تقع عليه بدون علم منه ، ولا إرادة ولا اختيار ، فيحسن الاحتجاج عليها بالقدر تخفيفا من آلامها ، وثقل وطأتها على النفس المصابة ، أما المعائب أى الذنوب فإن العبد يأتيها مريدا لها وهو يعلم أن الله حرمها وكرهها ، فإذا فعلها لم يصح منه عقلا ولا شرعا أن يحتج عليها بإرادة الله وقدره بحال من الأحوال .

وقد يكون من اللائق هنا رواية حديث احتجاج موسى وآدم ـ عليهما السلام ـ لسماع نصه كاملا كما رواه الشيخان إذ جاء فيها عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى فقال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال آدم : أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وأعطى لك التوراة بيده ، أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أنْ يخلقنى بأربعين سنة ، فقال النبى ﷺ : « فحج آدم موسى » وقد روى الحديث بألفاظ أخرى نكتفى بهذه من بينها والله المستعان .

سوء فهم إرادة الله تعالى أوقع الكثير فى الحيرة والخطأ

قد ثبت بالتجربة والملاحظة أن خللا بسيطا يقع فى جهاز ضخم كطائرة الكونكورد الفرنسية البريطانية ، أو بناية كبرى كناطحات السحاب الأمريكية قد يفسده ويدمره ويحيله إلى خراب ودمار ، وكذلك فهم عقيدة القدر والإرادة والمشيئة إذا وقع فيه أدنى انحراف ، وبأى وجه أو صورة أوقع صاحبه فى ضلال وخطأ لا حد لهما ، إن أكثر الذين تبلبلت أفكارهم ، واضطربت نفوسهم فى عقيدة الإرادة والمشيئة من المسلمين كانوا ممن

غفلوا عن كون القدر هو نظام الحياة الذى يحكمها من نواتها إلى نهايتها ، وأنه يجب أن يمضى كما علم وكتب ، وأن تغيير شىء منه معناه خراب الحياة بكاملها و لذا تحتم على العبد التسليم به وله ، وحرم عليه إنكاره ، والاعتراض عليه ، كما لا يحل بحال الاحتجاج به ، أو الاتكال عليه ، هذا هو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

أو كانوا ممن جهلوا أن إرادة الله تعالى ومشيئته منها تنقسم إلى إرادة كونية قدرية ، وهى تلك التى لا يناط بها تكليف الإنسان ، ولا إثابته ولا معاقبته ، وهى الإرادة التى كان بها القدر ونظامه ، والتى لا حق للإنسان أن ينظر إليها بغير عين الرضا والتسليم ، وإلا أصبح محاربا لله معارضا لنظامه ، يدعى السمو إليه والتعالى عليه ، وهو مخلوقه الذى لا غنى به عنه حتى فى أنفاسه التى يرددها والهواء الذى يتنفس فيه ، والضوء الذى يبصر به ، والظلام الذى يهجع فيه .

وإلى إرادة شرعية دينية وهى التى أناط بها سبحانه وتعالى تكليف الإنسان وثوابه ، وهى التى يجب على العبد أن ينزل عليها ، ويطيع ربه فيها كما يحرم عليه التمرد عليها والخروج عنها ، وهى التى قد نزلت ببيانها وتفاصيلها كتب الله تعالى ، وبعثت للدعوة إليها وتعليمها رسل الله ، وهى جميع ما شرع الله لعباده من عقائد وعبادات ، وأحكام وحدود وآداب ، ومحاسن أخلاق ، وهى التى من أجلها منح الله تعالى العبد ما منحه من القدرة والإرادة ، والمشيئة والاختيار ، ليبتليه مختبرا له أيستجيب لما أراده ربه منه وشاءه له من عبادته وطاعته ، أم يرفض الاستجابة فلا طاعة ولا عبادة : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** ﴾[1] ، وهى الإرادة التى قد يختلف فيها مراد الله تعالى ومحبوبه ، فيأمر بها عباده وينهى ، ومنهم من يمتثل ومنهم من لا يمتثل فقد أمر الله تعالى عباده بالإيمان به وبرسله وبطاعته وطاعة رسله ، وأحب لهم الطاعة والإيمان وكره لهم الكفر والعصيان ، وبما منحهم من القدرة والإرادة والمشيئة أمكنهم من أن يمتثلوا ، أو يرفضوا بمحض إرادتهم وكامل اختيارهم ، ليترتب على ذلك جزاءهم بإثابة المحسنين ، وعقوبة المسيئين .

هذه هى الإرادة الدينية الشرعية كما ينبغى أن تعلم ، وأما الإرادة الكونية القدرية ، والتى سبق بيانها فإن الله تعالى لم يجعل للعبد قدرة على الخروج عنها والتمرد عليها بحال من الأحوال ، لأنها لا تتعلق بأفعال العبد الإرادية الاختيارية التى هى التكليف والجزاء ، إلا

(١) الإنسان : ٢ ، ٣ .

من حيث أنه تعالى شاءها أن تكون أزلا كذلك فكانت ، طردا لعموم إرادته حتى لا يخرج شيء من الكون عنها .

وزيادة فى إيضاح الإرادة الكونية والتى لا سبيل للإنسان إلى الخروج عنها نقول : فهل يمكن للإنسان أن يرفض أن يكون ذكرا إذا كان أنثى ، أو العكس ، أو يرفض أن يكون أسود إذا كان أبيض ، أو يرفض أن يكون قصيرا إذا كان هو طويلا ، أو يرفض أن يولد فى بلد كذا ، أو تاريخ كذا ، إذا كان فى بلد وزمان غير ما كان فيه ؟ والجواب فى كل هذا لا ولم ؟ والجواب هو أن إرادة الله تعالى الكونية لا يعصى فيها ولا تتخلف بحال من الأحوال ، لأنها مناط نظام الكون ، وآية الربوبية وموجب الألوهية لله سبحانه وتعالى وبخلافها الإرادة الشرعية التكليفية المتعلقة بأفعال العباد الإرادية الاختيارية ، فإن الله تعالى أقدر العباد على امتثالها ورفضها ليبتليه ، ثم يجزيه ، وأخيرا إنه لا يسع العبد أمام هذه العظمة الإلهية إلا أن يسجد لله هيبة وإجلالا ، وأن يذكره ويشكره اعترافا وتقديرا ، وبذلك تتم كرامته ، وتكمل إنسانيته ، ويستقيم فى حياته استجابة لما أراد الله منه كونا وقدرا ، وشرعا ودينا .

الهداية والضلال

ومثل الخطأ فى فهم الإرادة الخطأ فى الهداية والإضلال ، فقد أساء كثيرون فهم مثل قوله تعالى : ﴿ **فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم** ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ **كذلك زينا لكل أمة عملها** ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ، فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء** ﴾ (٣) . فقالوا : كيف يضله ويعذبه ؟ وكيف يزين له عمله ، ثم يعاقبه عليه ؟ وقالوا : أين العدل والرحمة فى ذلك ؟ ونصبوا أنفسهم بجهلهم خصوما لربهم ، فهلكوا بجهلهم وشقوا بسوء فهمهم ، ولو وفقوا لسلموا لله تعالى فى حكمه ، ولم يعترضوا عليه فى تدبيره لأمر خلقه ، إذ الخلق له والأمر ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون** ﴾ (٤) ولكن القوم لم يوفقوا فسلكوا مسلك الشيطان ، فى الاعتراض على الرحمن ، فأصابهم بذلك إبلاس وخذلان ، لو وفقوا ــ وقد عرفوا أن الله يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء ، للجأوا إليه راغبين خائفين يسألونه أن يهديهم ، ويستعيذونه أن يضلهم ، لأنه مالك ذلك وقادر عليه ، لو وفقوا لأتوا بابه سائلين وللاذوا بجانبه محتمين ، حيث لاح لهم سبيل الهدى : ﴿ **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** ﴾(٥) ، ولكن ما وفقوا فاتبعوا خطوات الشيطان فباءوا بالحرمان والخسران والذى قادهم لهذا الهوان ، جهلهم بربوبية الله ، وسوء ظنهم في الديان ، فجهلهم بالربوبية التى من مقتضياتها التربية والإصلاح ، ومن مستلزماتها الهداية والإضلال ، هو الذى جعلهم يسألون كيف ، وليس من حقهم أن يسألوا ، وسوء ظنهم بربهم فى تقديره وحسن تدبيره جعلهم يعترضون على حكمه ، ويستخفون بحكمته ، فهلكوا بجهلهم وسوء ظنهم بربهم فما أسوأ حالهم ، وما أخسر مآلهم ....

والحقيقة التى خفيت عليهم فضلوا هى أنهم لم يعلموا أن الله تعالى إنما يضل من يضل بعد أن يعذر إليه بتبيين سبل الهدى واضحة ، وبمنحه القدرة الكافية على السير فيها ، فإذا آثر العبد ــ بعد العلم ــ الضلال على الهدى ، ولاه الله ما تولى فكان ذلك عدلا منه

---

(١) إبراهيم : ٤ . (٢) الأنعام : ١٠٨ . (٣) فاطر : ٨ .

(٤) الأنبياء : ٢٣ . (٥) الكهف : ١٧ .

تعالى لا ظلم فيه ، ﴿ **وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ [(١)] ، إنهم لم يعلموا أن الهداية كالضلال كل منهما يتم حسب سنن الله تعالى فى خلقه ، والسنة فى الإضلال كالسنة فى الهداية وهى الإيثار ، والرغبة ، والطلب ، والعمل ، فمن آثر الهداية ورغب فيها وطلبها وعمل بأسبابها تمت له ووجد من الله تعالى عونا له على تحصيلها وتحقيقها ، وهذا ، من رحمة الله بعباده وفضله عليهم ، ومن آثر الضلالة ورغب فيها وطلبها وعمل بأسبابها تمت له ، ولم يجد من الله تعالى صارفا عنها ، وهذا من عدل الله تعالى فى عباده وحسن تدبيره فيهم .

وجهلوا سنة الله تعالى فى تزيين الأعمال لأصحابها فأنكروا على الله ذلك ، وقالوا : كيف يزين الباطل والشر لعبده حتى إذا فعله عاقبه عليه ؟ وما علموا أن هذا التزيين إنما يتم حسب سنة إلهية لا تتخلف وهى أن المرء إذا آثر العمل باختياره وأحبه من نفسه ، ولازمه غير منفك عنه زمنا طويلا أصبح ذلك العمل زينا حسنا عنده ، وإن كان شيئا قبيحا عند غيره ، والعمل الفاسد كالعمل الصالح فى هذه السنة كلاهما يزين لفاعله بهذه الطريقة ، غير أنه من رحمة الله تعالى بعباده وعظيم إحسانه إليهم حذرهم فى كتبه وعلى ألسنة رسله من استدامة العمل الفاسد والإصرار عليه ، ودعاهم إلى تركه والتوبة منه قبل أن يبلغ من نفوسهم حد التزيين ويصل إلى مستواه ، فيزين لهم حسب سنة الله ويومها يتعذر عليهم تركه والإقلاع عنه ، وفى هذا يقول تعالى : ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا** ﴾ [(٢)] ، ويقول : ﴿ **كذلك زينا لكل أمة عملهم** ﴾ [(٣)] ، فمن استجاب لتحذير الله وترك فاسد الأعمال وسيئها نجا ، ومن تجاهل التحذير ، وواصل فى سبيل الغنى السير ، هلك ، ومن نجا فقد نجا برحمة الله وفضله حيث هيأ له أسباب النجاة وأعانه على الأخذ بها ، ومن هلك فقد هلك بعدل الله حيث نهاه عن الغى فآثره على الرشد ، ودعاه إلى التوبة فرفضها ، وأصر على خلافها ، حتى وصل فى عمله حد التزيين ، فزين له فرآه حسنا ، وبذلك فقد الاستعداد لقبول دعوة الخير والهدى ومضت فيه سنة الله فى التزيين ، فهلك مع الهالكين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، رما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين .

---

(٦) التوبة : ١١٥ .   (٢) فاطر : ٨ .   (٣) الأنعام : ١٠٨ .

الجزاء من ثواب وعقاب
قائم على أساس الرحمة والعدل

ومن غفلة بعض المؤمنين عن كيفية إجراء الثواب والعقاب على العباد فى الدنيا والآخرة ، تورطوا فى جدل وخصومات لا معنى لها ولا داعى إليها فى مسألة العدل والظلم ، حتى ضل منهم خلق كثير ، وفتنتهم جاءت من غفلتهم عن نظام السنن الذى هو نظام القدر ، نابع منه ، وداخل فيه ، وليس خارجا عنه ولا متنافيا معه ، وهذا بيان ذلك أن الله تبارك وتعالى جعل للأعمال الإرادية الاختيارية التى يقوم بها الإنسان أثرا فى نفسه وبحسب ذلك الأثر يكون الجزاء من ثواب وعقاب .

ومن هنا كان العمل الإرادى كعمل الناسى ، والمخطىء ، والمكره ، والمجنون لا تأثير له على النفس أعنى أن النفس البشرية لا تتأثر بذلك العمل حسب سنة الله تعالى فى ذلك ، فلا ثواب ولا عقاب ...

أما ما كان من العمل إراديا اختياريا فإنه لا محالة من تأثر النفس به ، فإن كان العمل صالحا ، أى من الأعمال التى شرعها الله تعالى لعباده ، لتزكية أرواحهم وتطهيرها ، لتتأهل بذلك لمجاورته فى الملكوت الأعلى كان التأثر والانطباع وصفا حسنا للنفس ، ويسمى ذلك الانطباع حسنة ، وقد يطلق لفظ الحسنة على نفس العمل المسبب لذلك على سبيل المجاز الذى علاقته السببية .

وإن كان العمل سيئا أى مما جعله الله تعالى حسب مؤثرا على النفس بالظلمة والتدسية ليكون مؤهلا للإنسان لمجاورة الشيطان فى جهنم من عالم الشقاء كان الانطباع أو الأثر وصفا سيئا للنفس ، ويسمى ذلك الانطباع سيئة وجمعها سيئات ، كما قد يطلق لفظ السيئة على العمل المكسب لها إطلاقا مجازيا علاقته السببية أيضا ، وقد جاء هذا فى عدة آيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** ﴾ [1]

---

(١) الشمس : ٩ ، ١٠ .

وقوله : ﴿ **إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم** ﴾ [(١)] ، ، فالوصف مشعر بعلية الحكم فالبرور والفجورهما سبب دخول النعيم والجحيم ، وقوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير** ﴾ [(٢)] ، وقوله : ﴿ **إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون ، لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون** ﴾ [(٣)] .

فالإيمان والعمل الصحيح سبب فى تطهير النفس ، والإجرام بالشرك والمعاصى سبب فى تدسيتها وبحسب ذلك الأثر الطيب أو الخبيث يكون الجزاء بالثواب والعقاب ، ومصداق هذا ورد فى كتاب الله من سورة الأنعام حيث جاء قوله تعالى : ﴿ **سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم** ﴾ [(٤)] وأنه وإن كان للآية معنى غير الذى أردنا وهو أنه تعالى سيجزى المشركين بوصفهم الكذب بما حرموا من الأنعام والحرث افتراء من الله ، فإن المعنى الذى أردناه قائم بالآية وهو أن الجزاء على الأعمال الصالحة البشرية التى اقتضت سنة الله انطباعها بأفعال العبد الإرادية الاختيارية ، ما جعله الله تبارك وتعالى مؤثرا فى النفس ، وذلك من كل ما شرع من الأعمال الصالحة ، وما حرم ومنع من الأعمال الضارة الفاسدة مما يقوم به ويعلمه قلب الإنسان وجوارحه على حد سواء .

وبناء على هذا فإن الجزاء جار على أساس من الرحمة الإلهية والعدل فالعبد كسب عمله بمحض إرادته واختياره ، فإن كان الكسب مما يجب الله تعالى حيث شرعه لعباده وأمرهم به ورغبهم فيه أعانه عليه ، بعد ما وفقه للقيام به ، ثم أثابه عليه الحسنة بعشر أمثالها ، فكان جزاء تغلب عليه الرحمة والإحسان وإن كان الكسب مما كره الله لعباده ، ونهاهم عنه وحظره عليهم تخلى الله عن فاعله خذلانا له ، لأنه آثر معصيته على طاعته ، وسخطه على رضاه ، ثم هو إن لم يغفره له بموجب من موجبات المغفرة كالتوبة أو العفو الإلهى ، وعاقبه عليه كان العقاب بمحض العدل : السيئة بمثلها فلا حيف ولا ظلم .

وهكذا قد تقرر ما توخيناه من إثبات هذه الحقيقة وتقريرها ، وهى أن الجزاء والثواب والعقاب على كسب المرء قائم على أساس الرحمة والعدل الإلهى ، خال من الإساءة والظلم ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما** ﴾ [(٥)] .

---

(١) الانفطار : ١٣ ، ١٤ . (٢) البروج : ١١ . (٣) الزخرف : ٧٤ ـ ٧٦ .
(٤) الأنعام : ١٣٩ . (٥) النساء : ٤٠ .

الحسنة والسيئة

من الله

أو من النفس

بين يدى الحديث من الحسنة والسيئة ، وهل هما من عند الله تعالى ، أو الحسنة من الله ، والسيئة من النفس ، نظرا إلى قوله تعالى من سورة النساء : ﴿ **وإن تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا** ﴾ (١) ، مع قوله عز وجل من نفس السورة : ذات السياق : ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا** ﴾ (٢) .

أقول : بين يدى تحقيق هذه المسألة ، والتى هى جزء هام من مسائل العقيدة الإسلامية ، وذات صلة وثيقة بموضوع القضاء والقدر والجبر والاختيار ، والإرادة والمشيئة ، والجزاء بالعدل والرحمة وهو ما سبق لنا القول فيه بالتفصيل ، وبالقدر الذى فتح الله علينا به ، ورأينا أنه كاف ــ والحمد لله ــ فى تحقيق المعتقد الذى يرضى الله تعالى ، ويرضاه من عبده ويرضى به عنه أقول : إن الحسنة وهى ما يحسن لدى الإنسان مما يتلائم مع مزاجه فيورث باطنه صفاء وطهرا ، أو جسمه نعومة ونضرة ، وهى بهذا المعنى قسمان : حسنة سببها الإيمان والعمل الصالح ، أو هى حسنة الطاعة لله ورسوله ﷺ ، وحسنة سببها الإنعام الإلهى على العبد بما يريح جسمه من الوصب والنصب ، ونفسه من الغم والهم وذلك بما يؤتيه من مال وولد ، وسلامة بدن ، ونصروعز ومجد .

والسيئة ضد الحسنة وهى ما لا حسن لدى الإنسان حسن مما لا يتلائم مع مزاجه وطبعه أو هى ما يسوءه فى باطنه ، ويضره فى ظاهره ، وهى بهذا قسمان أيضا : سيئة سببها الشرك والمعاصى إذ هما حسب سنة الله تعالى يورثان النفس ظلمة وخبثا فتمرض لذلك وتشقى ، وسيئة سببها الانتقام الإلهى ، وذلك كأمراض الجسم وعلله وضياع المال ،

(١ ، ٢) النساء : ٧٨ ، ٧٩ .

والهزيمة فى الحروب وفقد الكرامة ، وذهاب الشرف ، وبناء على هذا فالحسنة التى هى بمعنى طاعة الله ورسوله ﷺ يوفق الله تعالى العبد لفعلها ، والإتيان بها على الوجه الذى شرع الله سبحانه وتعالى هذه الحسنة لا تنسب إلا إلى الله تعالى ، إذ هو الذى شرعها للعبد وعامه إياها وأمرها بفعلها لها ، وأعانه عليها ، ووعده بحسن المثوبة عليها ترغيبا له فى فعلها ، كما أنه كتبها له أزلا ، وقضى بها له قدرا ، فهذه الحسنة نسبتها إلى غير الله تعالى خطأ فاحش لا يقر عليه أبدا .

والسيئة التى هى بمعنى معصية الله ورسوله ﷺ ، ومخالفتهما فى أمرهما ونهيهما هذه السيئة إذا فعلها العبد بإرادته واختياره ، مؤثرا المعصية على الطاعة ، والمخالفة على الامتثال فهذه السيئة لا تنسب إلا إلى العبد فاعلها ، ولا يصح نسبتها إلى الله تعالى لأن الله تعالى لم يشرعها ولم يأمر بها ولم يرغب فيها ، بل حرمها ، وتوعد عليها منفرا منها ، فكيف تصح نسبتها إلى الله تعالى ، اللهم لا وكيف والله تعالى يقول : ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ (١) .

وأما إن كانت الحسنة بمعنى النعمة والبلاء بالخير كالمال والولد ، والصحة والعافية فى ذلك وكالنصر والظفر والعز والجاه ، وكانت السيئة بمعنى النقمة والابتلاء بالشر وذلك كالنقص فى المال والأنفس والهزائم فى الحروب وما إلى ذلك من الشدائد والكروب فكلاهما ـ أى الحسنة من هذا النوع والسيئة ـ كلاهما من عند الله تعالى ، لأنه عز وجل هو الذى يبلو عباده امتحانا وانتقاما حسب مقتضيات حكمته فى تربية عباده وتدبير شأنهم ، قال تعالى : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ، كلا ...** ﴾ (٣) .

ومن هنا لما كان المنافقون بالمدينة ينسبون الحسنة بمعنى النعمة له تعالى ، وينسبون السيئة التى بمعنى النقمة والبلاء والشر ينسبونها إلى رسول الله ﷺ رد الله تعالى عليهم قولهم هذا وعابه لهم ، ونسبهم إلى سوء الفهم ، وقلة الإدراك وأخبر مقررا أن كلاً من هذين النوعين من الحسنة والسيئة هما من عند الله تعالى عز وجل : ﴿ **قل كل من عند الله ، فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً** ﴾ (٤) ، وبهذا زال والحمد لله الإشكال

---

(١) النساء : ٧٩ .
(٢) الأنبياء : ٣٥ .
(٣) الفجر : ١٥ ـ ١٧ .
(٤) النساء : ٧٨ .

الذى كان يقف عنده كثير من المؤمنين حيارى ، لا يكادون يقولون : إن فى الآيات تناقضاً ، أو أن بينها تعارضاً ، فى حين أنه لا تناقض بينها ولا تعارض فيها ، وحاشاً كتاب الله أن يضرب بعضه بعضا ، تناقضاً أو تعارضاً ، وكيف يكون ذلك والله منزله بنفيه عنه يقول : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا** ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ **وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ (٢) .

ويحسن التنبيه هنا إلى أن العبد وإن نسبت إليه السيئة التى هى المعصية لله ورسوله ، والتى يرتب عليها تدسية النفس وتلويثها ليس معنى ذلك أن العبد قد فعل ما لم يكن قد كتب عليه أزلا ، وقضى به عليه قدراً ، لا والله ، بل ما فعل إلا ما كتب عليه أن يفعله ، كما أن كون العبد أتى المعصية باختياره وفعلها بنفسه مريداً لها ، لا يدل على أنه خالق فعله فيها ، بل الخالق هو الله الذى خلق إرادته واختياره .

وإنما لم تنسب السيئة التى هى المعصية لله ورسوله ﷺ إلى الله تعالى ، لأن الله تعالى حرمها ونهى عن فعلها ، وتوعد عليها ، ولم يرضها لعبده كما رضى له الطاعة ، إذ قال تعالى : ﴿ **ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾ (٣) ، مع العلم والتسليم أن الله لوشاء أن يحول بين العبد بين فعله المعصية أو الطاعة لفعل ، وهو على ذلك لو شاء قدير ، لكنه لم يفعل ، لأنه خلق هذا المخلوق ليبتليه فى هذه الحياة : ﴿ **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾ (٤) . فلذا منح العباد إرادة واختيارا يتأتى لكل واحد بهما أن يسلك أى سبيل شاء من سبل الهدى أو الضلال ، وبسلوكه الذى أراده واختاره يصل إلى الغاية التى جعل السبيل مؤدياً إليها ، وأصلا بالسالك إلى بابها ومنتهيا به إليها ، سنة الله . ﴿ **فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾ (٥) .

وأخيراً : أنه قد يظن البعض أن مشيئة العبد كافية فى إيجاد ما يريده ويرغب فى حصوله ، وهو ظن باطل خاطىء قطعاً ، وذلك أولا أنه قد ثبت بالمشاهدة والحس أن العبد كثيراً ما يريد الشيء ويرغب فى تحصيله ويبذل كل وسيلة من شأنها أن تحقق الشيء المطلوب ، ثم يخيب العبد فى سعيه ، ولم يفز بمراده ، وثانياً أن القدر قد سبق فى كل ما هو كائن إلى يوم القيامة فلم يكن فى الكون إلا ما كتب أزلا وقدر أن يكون ، وبهذا يعلم أن مشيئة العبد التى يتحقق بها المراد هى نفسها مكتوبة أزلا ومحكوم بوجودها فى إبانها

---

(١) النساء : ٨٢ . (٢) فصلت : ٤١ ، ٤٢ . (٣) الزمر : ٧ .
(٤) الملك : ٢ . (٥) فاطر : ٤٣ .

ليتحقق بها ذلك الفعل الذى أراد العبد أن يفعله ، وآثر فعله واختاره على غيره ، وفى هذا نقرأ قوله تعالى : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ (١) .

وتوضيح ذلك أن العبد ليس له أن يشاء إلا ما سبق به الكتاب ، فإذا سبق كتاب المقادير بشىء يقع على يد العبد أوجد الله تعالى للعبد مشيئة تدفعه إلى إتيان العمل وخلق له اختيارا فى نفسه يرجح به الفعل على الترك ، فيكون ذلك المقدور .

وبهذا تتأكد الحقيقة العظمى وهى أن الرب غير العبد ، وأن العبد غير الرب سبحانه وتعالى ، ويتبع ذلك أن لا تكون للعبد مشيئة مستقلة عن مشيئة الرب وسابقة لها ، وأن لا يكون للعبد من حق أن يسأل الرب تبارك وتعالى : لم فعل كذا ؟ أو لم لم يفعل كذا ؟ قال تعالى : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ (٢) .

---

(١) التكوير : ٢٩ . (٢) الأنبياء : ٢٣ .

المشاكل التى تعترض الدعوة الإسلامية ودعاتها وسبل معالجتها

حررها

أبو بكر جابر الجزائرى
الواعظ بالمسجد النبوى الشريف
والمدرس بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

المشاكل التى تعترض الدعوة الإسلامية ودعاتها وسبل معالجتها

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن آمن به ووالاه .

وبعد :

إنه قبل الحديث عن المشاكل التى تعترض الدعوة والدعاة يحسن بنا أن نقدم كلمة قصيرة موجزة نجدد بها معنى الدعوة فى أذهاننا ، ونحيى بها الصورة الحقيقية للدعوة الإسلامية فى نفوسنا ، وبعدئذ نتحدث عن المشاكل التى تعترض الدعوة الإسلامية ودعاتها ، وعن سبيل معالجتها ، ووضع الحلول الملائمة لها ، فنقول :

إن الدعوة الإسلامية هى حمل رسالة الإسلام ، رسالة محمد ﷺ إلى الناس كافة ، تلك الرسالة الربانية التى تقوم على المبادىء الثلاث الآتية :

١ ـ الإيمان .

٢ ـ الإسلام .

٣ ـ الإحسان .

كما جاء ذلك فى صحيح مسلم حيث أعلن عنها الرسول الكريم وصدق عليها الروح الأمين ، وشهد عليها خيرة المؤمنين ، وفى ملأ لا نظير له فى العالمين .

فالمبدأ الأول : وهو الإيمان معناه التصديق الجازم بكل ما جاء به رسول الله عن الله ، وأخبر به عنه من شأن التوحيد ، والشرع والمعاد والحساب والجزاء .

والمبدأ الثانى : وهو الإسلام معناه : الانقياد التام ، والتسليم الكامل ظاهراً وباطناً بقبول شرائع الله تعالى ، وتنفيذ أحكامه ، وعدم التخير فيها ، أو الرفض ولو لأقل قليل منها .

والمبدأ الثالث : وهو الإحسان معناه : مراقبة الله تعالى فى كل عمل يقوم به العبد ، حتى تكون سائر أعماله موافقة تمام الموافقة لما شرع الله تعالى فى كتابه القرآن الكريم وعلى لسان رسوله محمد النبى الأمين .

وحتى تكون جميع نياته ومقاصده وأعماله خالصة للّه تعالى : خالية من الالتفات إلى غيره عز وجل .

هذه الرسالة بمبادئها الثلاثة ذات الطبيعة الخيرة ، والروح الإصلاحية النيرة هى الدعوة الإسلامية التى بعث بها محمد رسول اللّه رحمة للعالمين وحرزا للأمين ، وهى الرسالة التى حملها رسول اللّه وجاهد دونها وجالد حتى بلغت كل دار فى شبه جزيرة العرب ، وبلغ هداها ديار فارس والروم ، وقام بحملها بعده حواريوه وأنصاره من أمته فبلغوا بها البربر والروم غرباً ، وفارس والهند والسند شرقاً .

تلك هى رسالة محمد ﷺ ، وهى الدعوة الإسلامية التى يجب على المسلمين بعد أن يكملوا بها ، ويسعدوا عليها أن يحملوها إلى الناس أجمعين ليكملوا أيضاً بها ، ويسعدوا عليها ، إذ هى رحمة اللّه التى يجب أن تعم سائر عباده ، ونعمته التى ينبغى أن ينعم بها كل عبيده .

إنه ليس من الإنصاف والعدل فى شىء أن تستأثر أمة أو شعب برحمة اللّه ونعمته ، ويحرمها سائر الأمم والشعوب عن خلقه .

ومن هنا كان لابد لرسالة الإسلام أن تحمل إلى الناس ، وتقدم لهم وتعرض عليهم ليكملوا بها ويسعدوا عليها ، إذ لا سبيل إلى أكمالهم وإسعادهم إلا برسالة الإسلام ، ولذا لو أكرهوا على قبولها ، وأجبروا على الأخذ بها لكان الإكراه والإجبار أمراً معقولاً ، وشيئاً محبوباً مرغوباً كحال المريض يأبى الدواء فيكره عليه ، ويجبر على استعماله ولم يكن إكراهه واجباره غير مستحسن ولا محمود .

إن الناس اليوم ما بين مؤمن بدعوة الإسلام ورسالته وكافر بهما جاحد لهما ، غير أن الجميع فى حاجة ماسة وملحة أيضاً إلى رسالة الإسلام .

فالمؤمنون فى حاجة إليها لزيادة كمالهم وإتمام إسعادهم ، والكافرون فى حاجة إليها لتكسبهم الكمال والسعادة ، وبحكم الظروف الراهنة فقد أصبحت طرق توصيل هذه الدعوة إلى الناس مؤمنهم وكافرهم أصبحت واحدة وهى الإبلاغ والإقناع .

وإلى أن تتغير هذه الظروف وأحوال الناس فيها فستبقى طرق التوصيل واحدة لا تختلف بين توصيلها إلى المسلمين ، وإلى الكافرين ، إذ أغلب شعوب العالم اليوم باستثناء المعسكر الشيوعى ، تسمح بفتح مراكز للدعوة الإسلامية فى بلادها وبين سكانها

ومواطنيها ، كما تسمح بالكتابة والنشر والخطبة والمحاضرة للدعوة إلى الإسلام والتمسك به ، والعمل بما جاء فيه من خير وهدى وبناء على هذا فمجال الدعوة الإسلامية ودعاتها كل العالم الإنسانى على رحابته وسعته اللهم إلا ما كان من شعوب المعسكر الشيوعى فإن الستار الحديدى المضروب عليها لا يسمح بدخول دعوة الإسلام إليها ، فإن هذا الجزء من العالم ينبغى أن يرجأ إلى أن تتغير الظروف وتسمح بدخول دعوة الإسلام إلى تلك الشعوب المنكوبة بالمذهب المادى ، والمحرومة من هداية اللّه ورحمته . والسؤال الآن هو ، كيف تكون الدعوة ؟ وبم تكون ؟

أما عن كيف تكون فإنا نجيب : أنها تكون بإبلاغ الناس رسالة الإسلام ، وتعريفهم بها ، وتفهيمهم أصولها ومبادئها وتبيين ما فيها من الخير والهدى وإقناعهم بخيريتها وصلوحها ، وبأنها طريق نجاتهم ، وسبيل سعادتهم ، وأنها رسالة اللّه تعالى إليهم ليكملوا بها فى آدميتهم ، ويسعدوا بها فى كلتا حياتهم : الأولى والأخرى.

وأما بم تكون فإنا نجيب بأنها تكون بالدعاة المؤهلين بالعلم والتقوى المزودين بالفطنة والذكاء ، المتميزين بالورع والزهد فى الدنيا ، أولئك الدعاة الذين تجد دعوتهم طريقها إلى قلوب الناس فتفتح مغاليقها ، وتصل إلى أعماق النفوس فتستميلها وتستهويها ، وإلى العقول فتقنعها وتستحكم فيها .

هذا وإن قيل : من أين اليوم للدعوة الإسلامية بمثل هؤلاء الدعاة ؟ وكيف الحصول على مثلهم ؟

كان الجواب : أن يفتح معهد تربوى تعليمى ذو منهج خاص مهمته تخريج أمثال أولئك الدعاة تناط بهم مهمة الدعوة إلى اللّه تعالى بين عباده ليعبدوه ويتوكلوا عليه ، ويذكروه ولا ينسوه ، ولا يكفروه وإلى أن يتم افتتاح هذا المعهد ، ويتكون أولئك الدعاة يجب أن تستمر الدعوة فى سيرها الحالى ومهما كان السير بطيئاً وكان الوصول إلى الغاية فى هداية العباد بعيداً .

وإن نحن اعترفنا بأن قلة وجود الدعاة الأكفاء الصالحين المؤهلين مشكلة فى حد ذاتها تعترض سبيل الدعوة ، وتعوق سيرها كما هو الواقع ، فإن حلها الملائم لها لن يكون إلا بافتتاح مثل المعهد الذى أشرنا إليه واقترحناه آنفا ، ذلك المعهد التربوى التعليمى الكفيل إن شاء اللّه تعالى بإمداد الدعوة الإسلامية بطاقات جديدة من الدعاة كل عام .

وليشارك فى إنشاء هذا المعهد وتسييره كافة الجهات المسؤولة فى البلاد الإسلامية ، وليختر له صفوة البقية الباقية من رجال العلم والتربية فى دنيا المسلمين .

وإذا ما تم إنشاء هذا المعهد وأخذ يمد الدعوة الإسلامية كل سنة بعشرات الدعاة الأكفاء الصالحين ذوى المؤهلات العلمية والنفسية ، فإن مشكلة كبيرة من المشاكل التى تعترض طريق الدعوة الإسلامية ، وتقف كحجرة عثرة فى طريق سيرها ، ووصولها إلى أهدافها المنشودة لها من هداية الناس وإصلاحهم تعتبر قد انحلت والحمد للّه رب العالمين .

هذا ، وربما أن المشاكل التى تعترض طريق الدعوة الإسلامية ، وتعوقها عن السير فيه كثيرة وكثيرة جداً فإنا نكتفى بذكر طرف منها يعد من أهم تلك المشاكل وأكثرها تعويقاً للدعوة فى سيرها ، وطريق انتشارها واتساع نطاقها .

ولنضع له الحلول الملائمة فى حدود ما يتسع له نطاق البحث فى هذه العجالة من الكلام ، علنا وعسانا نقدم بذلك خدمة للدعوة الإسلامية التى هى واجب الأفراد كما هى واجب الجماعات ، وإن اختلفت المسؤوليات بحسب القدرات والإمكانيات المعنوية والمادية بين فرد وآخر ، وجماعة وأخرى قوة وضعفاً .

وإلى السادة أعضاء المؤتمر تلك المشاكل مقرونة بحلولها الملائمة لها فليتأملوها وليروا فيها ما يرون .

المشكلة الأولى :

المشكلة الأولى من المشاكل التى تعترض طريق الدعوة اليوم هى عدم وجود دولة إسلامية قوية تغزو وتجاهد تفتح البلاد وتنشر دعوة اللّه تعالى بين عباده من أجل إكمال آدميتهم وإسعادهم فى الدنيا ، وإعدادهم لسعادة الدار الآخرة ، كما كانت الحال فى صدر أمة الإسلام وعلى عهد سلفها الصالح .

هذه مشكلة عويصة مستعصية للغاية ، ولا سبيل إلى حلها إلا بإيمان المسلمين اليوم بضرورة توحيد دويلاتهم المبعثرة هنا وهناك ، وإدماجها كلها فى دولة واحدة لتصبح الدولة الإسلامية القوية المنشودة التى يحكمها شرع اللّه ، ويسودها قانون السماء ، ويصرف أمورها بإذن اللّه عبد صالح من عباد اللّه الصالحين تبايعه أمة الإسلام كل أمة الإسلام عن طواعية واختيار تبايعه على السمع والطاعة ، والجهاد فى سبيل اللّه لإعلاء

كلمة اللّه يسوسها هذا العبد الصالح بسياسة الإسلام ويساعده على ذلك حكومة إسلامية قوية ، ومن ورائها الأمة المحمدية بكل أفرادها وسائر طاقاتها .

فإن لم يؤمن المسلمون بهذه الضرورة الملحة حتى لا يوجدوا الدولة الإسلامية القوية القادرة على الغزو والفتح ، ونشر دعوة الإسلام بين الأنام فلا أقل من أن يقوم قائم منهم للّه فى تلك الدويلات الموزعة الممزقة الضعيفة الهزيلة لعدم صلة قوية تربطها باللّه مصدر كل قوة فى هذه الحياة ويعلن فى صرامة عن قومه للّه ، ويعد أمته للجهاد والغزو والفتح وليعز باسم اللّه ، وليجاهد على بركة اللّه ، ويفتح البلاد بإذن اللّه ، ولينشر دعوة اللّه بين عباد اللّه ، ولترتفع راية الحق والعدل فى بلاد اللّه بين عباده وليسد العدل ، وليعم الخير والهدى ولتغمر رحمة اللّه ، كل خلق اللّه ولتجد دعوة الإسلام فى ظل الدولة طريقها إلى كل البلاد والعباد .

المشكلة الثانية :

المشكلة الثانية التى تعترض طريق الدعوة الإسلامية هى عدم وجود جماعة للمسلمين يدينون لها بالولاء والطاعة تقوم بشؤون الدعوة الإسلامية تجهيزاً وتنظيماً وإعداداً وإنفاذا ، مستخدمة طاقات الأمة المسلمة من مال ورجال .

إنه بدون هذه الجماعة المسلمة التى تنوب عن الدولة المجاهدة فى حال غيابها وعدم وجودها بين المسلمين لسبب وآخر ، لا يمكن لدعوة الإسلام أن تنتشر وتحقق أغراضها فى هداية الناس وإصلاحهم على أيدى أفراد مبعثرين متباعدين لا تربطهم رابطة ولا يوجه عملهم ويحدده لهم منهج ولا نظام .

هذه مشكلة ، وحلها مستعصى أيضاً وإلى حد كبير ، إذ مضى زمن غير قصير ونحن ننادى بتكوين هذه الجماعة لضرورة العمل الإسلامى والدعوة الإسلامية إليها ولم تكن هناك استجابة تذكر اللهم إلا ما كان من تكون رابطة العالم الإسلامى ، تلك الرابطة التى لو خلصت فيها النيات ، وصحت فيها العزمات ، وقام أعضاؤها بواجبهم فيها ، وأدوا أمانتهم لها كاملة غير منقوصة ، لكانت الرابطة هى جماعة المسلمين المنشودة ولكانت حال المسلمين ودعوتهم اليوم غير الحال ، ولكن ــ ومع بالغ الأسف ــ إلى الآن لم يعرف المسلمون أن لهم رابطة ، وأنهم مطالبون بالالتفات حولها والتعاون معها ، وتقديم الولاء والطاعة فى صدق لها ، لأنها الممثلة الشرعية لهم ، ولم تعرف الرابطة نفسها أنها رابطة

المسلمين فتطالبهم بحقها فى الطاعة والتعاون والولاء .

المشكلة الثالثة :

والمشكلة الثالثة من المشاكل التى تعترض طريق الدعوة وتعوقها عن سيرها مشكلة عدم وجود تنظيم كامل ، وتنسيق تام بين الدعاة المسلمين ، إذ فى البلاد الإسلامية جماعات عدة من أشهرها جماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة التبليغ ، وجماعة أنصار السنة ، وجماعة السلفيين وكل هذه الجماعات تقوم بنشاط فى حقل الدعوة الإسلامية كل فى حدود طاقته وإمكانياته ، غير أنه لما لم تكن لهذه الجماعات رابطة تربطها ببعضها البعض فتوحد جهودها ، وتنظم سير عملها ، وتوفق بين أهدافها وأساليب دعوتها ، كانت جهودها مبعثرة ، وطاقاتها مبددة ـ فلم يظهر لها أثر محسوس قوى فى مجال الهداية والإصلاح يطمئن المسلمين على عقائدهم وأخلاقهم ، ومستقبل بلادهم وأولادهم ، بل نجم عن تفرق هذه الجماعات العاملة فى محيط الدعوة الإسلامية بلبلة أفكار واضطراب نفوس كثير من أفراد الأمة ، وأوجد شكا عاماً فى الدعاة والدعوات على حد سواء .

وحل هذه المشكلة أتى عن طريق وضع منهج موحد لكل تلك الجماعات ما ذكرنا منها لأهميتها وما لم نذكر وهى كثيرة على أن يكون المنهج الموضوع لها وافياً بغرض الجميع ، يشترك فى وضعه عناصر عليمة من ممثلى تلك الجماعات ، ثم تدمج تلك الجمعيات بعد توحيد أغراضها وأهدافها ووسائل عملها تدمج فى جماعة واحدة هى جماعة المسلمين التى هى ضرورة من ضرورات أمة الإسلام عند فقد السلطان أو فساده أو ضعفه لتقوم بواجباتها ، وتحافظ على وجودها .

وبعد إتمام عملية الدمج والتوحيد تكون لها هيئة عليا تتولى الإدارة والتسيير والتنظيم ، والسير بالدعوة الإسلامية إلى غاياتها المقصودة وأهدافها المنشودة فى هداية الناس وإصلاحهم وإسعادهم .

المشكلة الرابعة :

المشكلة الرابعة من المشكلات التى تعترض الدعوة الإسلامية ودعاتها وتقف حائلاً عائقاً دون وصول الدعاة إلى نتائج حاسمة فى دعوتهم بسيادتها بين الناس وانتشارها هذه المشكلة هى مشكلة عدم وجود موارد مالية كافية ودائمة تنهض بعبء الدعوة والدعاة .

إنها مشكلة تعترض طريق كل من الدعوة والدعاة ، فالدعوة إن لم يصحبها بذل وعطاء مالى قد لا تقتصر على الفقراء وأصحاب العاهات وذوى الحاجات بل يتعدى هؤلاء إلى الأغنياء والموسرين ، لأن السخاء والإحسان لهما سلطان وأى سلطان على النفوس فى استمالتها ، والقلوب فى استمالتها ، وقديماً قال الحكيم :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإحسان إنسانا .

فأيما دعوة لا ينال الناس منها خيراً ، ولا يصيبهم بها معروف ، فهى دعوة مرغوب عنها لا يفرح الناس بها ، ولا يميلون إليها ولا يسمعونها ، حتى تفتح الأسماع بالعطاء القلوب بالسخاء .

والداعى إن لم يتفرغ للدعوة ، وتستقل به حتى لكأنه وقف عليها لا يتعداها إلى غيرها ، فتكون ـ الدعوة ـ شغله الشاغل ، وهمه الكامل لا يمكنه أن يسمع دعوة الله تعالى ، أو يبلغها ، فضلاً عن أن يهدى العباد ويصلح فاسدهم .

ولا سيما إذا كانت الحاجة تدفعه إلى أن يقبل الإحسان ، ويرضى بالمعروف ويصنع لهم ممن يعلمهم ويرشدهم ، أو يربيهم ويهديهم .

إن الداعى إذاً عنصر الزهد فيما عند الناس ، ومبدأ اليأس مما فى أيديهم فإنه يفقد كل مقومات دعوته ، ولم ينفعه بعد ذلك علمه ولا إخلاصه ولا حرصه ولا اجتهاده .

فلا بد إذاً من إغناء الدعاة ، وسد جميع حاجاتهم بالصورة الكاملة التى لم يبق معها للداعى أى التفات إلى غير دعوته ، وحمل رسالته وإنفاذها وإبلاغها إلى غاياتها من الهداية والإصلاح .

هذه المشكلة المالية لا تقل عسراً وصعوبة عن المشكلات السالفة الذكر وحلها يكون ـ إن شاء الله ـ بإنشاء صندوق للدعوة الإسلامية التى هى واجب كل المسلمين ، يساهم فيه كل الحكومات الإسلامية بمبالغ مالية ثابتة وذات قيمة فعالة ، لا مجرد رمز أو مشاركة للبركة .

كما يدعى الأغنياء المسلمون من أرباب الشركات والمصانع والمؤسسات التجارية والفلاحية للمساهمة الجادة الفعالة بأموالهم فى هذا الصندوق وسواء كانت الأموال من الزكوات أو المبرات والهبات الخيرية أو كانت فريضة الجهاد الواجبة على كل مسلم فى هذه الحياة .

وقد يوسع نطاق هذا الصندوق حتى يشمل الأوقاف توقف عليه والنذور تنذر له والكفارات تصرف فيه ، لأنه ما من باب من أبواب مصارف الزكاة والصدقات إلا وفى هذا الصندوق باب مفتوح منها له .

وما يدرينا أن هذا صندوق قد يشتد ويقوى ، ويكبر ويعظم حتى يصبح فى يوم من الأيام صندوق جهاد ، ودعوة ، فيمول الدعاة ويجهز الغزاة ؟؟

المشكلة الخامسة :

المشكلة الخامسة من المشاكل التى تعترض الدعوة والدعاة معاً ، وتتطلب الحل السريع الناجز مشكلة أن بعض الحكام فى البلاد الإسلامية يمنعون بواسطة نظراء الأوقاف الدعاة من دخول المساجد لإلقاء المواعظ والدروس فيها فيوقفون سير الدعوة ويعرقلون عمل الدعاة فيها مما كان له أثر سيء للغاية فى نفوس المؤمنين ، إن هذه المشكلة قائمة وتعانى منها الدعوة الإسلامية ، إذ كثير من الأقطار الإسلامية لم يسمح فيها لأى داعية إسلامى أن يقول فيها كلمة ، ومهما كانت سلامة دعوته وصفاتها ، وصدقها .

وحل هذه المشكلة يكون بالاتصال الرسمى بالحكومات القائمة فى الديار الإسلامية ، ومطالبتها بمنح الدعاة الإسلاميين الذين تبعثهم الهيئة العليا للدعوة الإسلامية يحملون شارتها الخاصة بها ، إذناً خاصاً يمكنهم من الاتصال بسائر المسلمين فى مساجدهم ، ومحلات اجتماعاتهم من أندية وغيرها لأداء رسالتهم فى توجيه المسلمين ووعظهم وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم دنيا وأخرى .

هذه هى أهم المشاكل التى أرى أنها فعلاً تعترض طريق الدعوة الإسلامية ، وطريق دعاتها قد بينتها فى إيجار ، ووضعت لكل مشكلة حلها المناسب لها بعد ذكر المشكلة وبيانها مباشرة ، وإننى أعتقد أن لا يوجد فى تلك الحلول الموضوعة ما لا يعقل أو لا يقبل متى صح العزم وصدقت النيات وأريد الوصول إلى تحقيق المأمول .

وأخيراً : أتقدم بكل تواضع وأدب إلى أعضاء المؤتمر الموفقين بهذا المقترح الذى أرى أن انفضاض المؤتمر بدون تحقيقه يعد فشلاً للمؤتمر فى مهمته التى انعقد من أجلها وأنفق ما أنفق من جهد ومال .

هذا المقترح :

هو تكوين هيئة من رجال هذا المؤتمر يطلق عليها اسم الهيئة أو اللجنة التحضيرية

للإعداد لتكوين الهيئة العليا لجماعة المسلمين وتعطى هذه اللجنة التحضيرية مهلة ستة أشهر تجرى خلالها اتصالات مكثفة وتنقلات واسعة بين البلاد الإسلامية لاختيار الأعضاء الصالحين للهيئة العليا لجماعة المسلمين للدعوة الإسلامية ورعاية شؤون المسلمين ، وبعد أن تتم اتصالاتها واختياراتها لأعضاء الهيئة تعقد اجتماعاً خاصاً بالمدينة المنورة لتأسيس الهيئة الدائمة ، ثم الإعلان ، تكوينها وعن مقرها الدائم بالمدينة المنورة تيمناً وتبركاً .

ثم تأخذ الهيئة فى العمل على حل تلك المشاكل الخمسة التى أسلفنا ذكرها مع الحلول الملائمة لها .

فلحل المشكلة الأولى :

تتقدم ببرنامج وحدة للدول الإسلامية واضحاً مفصلاً كافلاً لحقوق الفرد والجماعة ، محققاً للسعادة والكمال البشرى ، مرشحاً أمة الإسلام لقيادة البشرية وسيادتها ، وتطلب من الحكام المسلمين تحقيق وحدة المسلمين بإنشاء الدولة الإسلامية الموحدة ذات التطلعات إلى القوة والعزة والكرامة والسعادة .

ولحل المشكلة الثانية :

وهى عدم وحدة جماعة المسلمين ، فإنها لم تفعل أكثر من أن تعلن عن وجودها ، وتعرف المسلمين بها ، وتطالبهم بطاعتها ، والالتفات حولها ، إذ هى الجماعة المنشودة بنفسها ، ثم تأخذ فى العمل فتنشىء لها فروعاً فى كل البلاد الإسلامية ، وتفتح لها مراكز عمل فى شتى أنحاء العالم وتوصل رسالتها فى الدعوة ، والعمل إلى أن يكتب الله تعالى لها ما تستحق من فوز وكرامة .

ولحل المشكلة الثالثة :

وهى عدم وجود تنظيم وتنسيق بين الدعاة فى البلاد الإسلامية ، فإنها بحكم أنها أصبحت الهيئة الشرعية الوحيدة التى تمثل المسلمين فى داخل البلاد الإسلامية وخارجها ، لها الحق فى أن تنظم عمل الدعاة ، وأن تنسق بين مختلف الجمعيات التى أصبحت المهيمنة عليها والقائمة عليها . فلم تعد هناك مشكلة عدم وجود تنظيم أو تنسيق بالمرة .

ولحل المشكلة الرابعة :

وهى عدم وجود موارد مالية تنهض بالدعوة الإسلامية فإنها تعلن عن إنشاء صندوق

للدعوة الإسلامية وتطالب الحكومات الإسلامية بالمساهمة والمشاركة لأنه صندوق الدعوة والجهاد ، فلا يعفى منه أى مسلم مكلف ولا تبرأ ذمة أحد من المسلمين إلا بالمساهمة والمشاركة فيه بحسب حاله من اليسار والإعسار .

ولحل المشكلة الخامسة :

وهى منع بعض الحكام المسلمين رجال الدعوة من إلقاء دروسهم ومواعظهم بالمساجد بين المسلمين ، فإنها تتصل رسمياً بأولئك المسؤولين وتطالبهم بمنح أذونات خاصة لرجال الدعوة المنتسبين إليها ممن يحملون شاراتها المميزة لهم ، وسوف لا تعدم الاستجابة من كل من تتصل به وتطالبه باسم الإسلام وأمته ورجال دعوته .

هذا هو المقترح وقد قدمته فى صدق وقناعة ، وإنى لأطالب بإلحاح السادة أعضاء المؤتمر أن يقروه فى توصياتهم ويعزموا على تحقيقه قبل اختتام المؤتمر أعماله ، كما أعيد إلى الأذهان ما سبق أن قلته وأعلنته : وهو أن انقضاء المؤتمر على غير تحقيق ما جاء فى مقترحى هذا يعد بدون شك فشلاً ذريعاً للمؤتمر ، وهذا ما نستعيذ بالله تعالى منه لأنه من باب حبوط الأعمال وخسرانها ، وقانا الله وإياكم من كل فشل وخيبة وخسران ، والله المستعان وعليه التكلان .

أدب الزيارة

للمدينة النبوية

كتبها

أبو بكر جابر الجزائري

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

والمدرس بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل المدينة

الحمد للّه رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام الأكملان التامان على من أرسله ربه رحمة للعالمين ، محمد عبد اللّه ورسوله ، وآله الطاهرين ، وصحابته أجمعين .

أما بعد : فاعلم أخى المسلم أن لمدينة رسول اللّه ﷺ شرفاً كبيراً ، وقدراً رفيعاً ، ومنزلة عند الرسول والمؤمنين عظيمة فى رواية البخارى :

وإليك دليل ذلك من أحاديث رسولك ﷺ إذ قال : « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهى المدينة ، تنفى الناس ، كما ينفى الكير خبث الحديد » .

وقال أيضاً : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز [١] الحية إلى جحرها » .

وقال ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعنا ، وفى مدنا ، وكان بأبى هو وأمى إذا قدم من سفر ، فنظر إلى جدران [٢] المدينة أوضع راحلته [٣] ، وإن كان على دابة حركها من حبها أى حب المدينة » .

وقال : « المدينة حرم ما بين عائر [٤] إلى ثور ، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة اللّه والملائكة ، والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ، أى لا يقبل منه فرض ، ولا نفل مادام محدثاً أو مؤويا لمن أحدث .

وبناء على هذا أخى المسلم فإنه يجب عليك إن كنت ترجو اللّه والدار الآخرة يجب عليك ما يأتى :

١ ـ أن تحب مدينة الرسول ﷺ بحب الرسول ﷺ لها ، إذ محبة ما يحب اللّه ورسوله إيماناً وديناً ، وكراهة ما يحب اللّه ورسوله كفراً ونفاقاً .

---

(١) معنى يأرز : ينضم ويتجمع فيها ، كما تنضم الحية وتتجمع فى جحرها .

(٢) لفظ البخارى جدران جمع جدار . (٣) الراحلة : البعير وأوضعها أسرع مشيها .

(٤) عائر : هو جبل عير المعروف بآبار عليّ جنوبا وشرقا ، وثور جبل صغير وراء جبل أحد من شماله

٢ ـ أن تحذر جهدك أن تحدث فيها حدثاً وإن وجدت نفسك عاجزاً عن عدم الإحداث فيها ، فإن كنت من غير ساكنيها فلا تأتها ، وإن كنت من المقيمين بها فارحل منها إلى بلاد أخرى فإن أرض اللّه واسعة ، حتى إذا تاب اللّه عليك فارجع . فإن المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد ، وإن كنت من أهل أحداث الشر فيها ورأيت حالك صالحة معافى فى بدنك ومالك فلا تغتر بذلك ، فإنك ممهل فقط لعلك تتوب ، وإلا فلابد من نفيك بخبثك .

وأذكر هذه الموعظة : دعى الخليفة عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز دعاه إلى الشام ، لأمر ما فركب عمر دابته ، وخرج متجهاً إلى الشام حتى إذا تجاوز ثنية الوداع أوقف دابته واستقبل المدينة وبكى طويلاً ثم انصرف ، فقال له مولاه : بأبى أنت وأمى يا عمر ما أبكاك ! فقال له عمر رحمه اللّه تعالى : خشيت أن أكون ممن نفتهم المدينة يا فلان .

بيان معنى الإحداث :

إنه أخى المسلم من النصح لك أن أبين لك معنى الإحداث بالمدينة ، ذلك الذى لا يقبل من فاعله صرف ولا عدل ، ويلعنه اللّه والملائكة والناس أجمعون ، رجاء أن تتجنبه وتتحاشى فعله ، اعلم أن الحدث هو الظلم هكذا فسره غير واحد من علماء هذه الملة الإسلام ، والظلم معناه عام يشمل كل ما وضع من الأمور والأشياء فى غير موضعه .

وبما أن المدينة بلد قدس وحرم حرمها رسول اللّه بإذن اللّه ، لا يصاد صيدها ، ولا يعضد شجرها ولا يقيم بها غير مسلم ، كان معنى الإحداث فيها : ارتكاب ما لا يجوز فيها من جميع ما لم يأذن اللّه تعالى ورسوله فى اعتقاده أو قوله أو فعله من سائر المحدثات من البدع والضلالات ، والمحرمات من كل أنواع الباطل والمنكرات ، ومبالغة فى النصح لك أخى المسلم فإنى أذكر لك بعض الإحداث لتتجنبها وتتجنب من أحدثها فلا تؤويه بنصرته ، لا حمايته وإليك هى :

١ ـ فتحك « استوديو » للتصوير صور فيه الرجال والنساء ، وذلك للعن رسول اللّه ﷺ للمصورين .

٢ ـ فتحك « صالون » حلاقة تحلق فيه لحى الرجال من المؤمنين والشبان المسلمين ، للعن رسول اللّه ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء وحلق الوجه هو عين التشبه

بالنساء ، ولأمر رسول الله ﷺ بإعفاء اللحى وقص الشوارب .

٣ ـ فتحك مصرفاً « بنكاً » تعطى فيه قروضاً بفوائد قلت أو كثرت .

٤ ـ فتحك دارا للسينما تعرض فيها أفلام اللهو والباطل وأفلام الدعارة والخلاعة .

٥ ـ فتحك متجراً تتعامل فيه بالعنية ، فتبيع السلعة إلى أجل وتشتريها بثمن أقل فى الحال ، لتحريم رسول الله ﷺ ذلك والتنديد به فى قوله : « إذا ظن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة » إلخ .

٦ ـ اتجارك فى بيع المحرمات كالصور والتماثيل ، وأدوات الطرب ، والشعور الصناعية « لبروك » .

٧ ـ إقامتك حفل عرس واستجلاب مغنية تغنى بأعلى صوتها للنساء والرجال طوال الليل بأثمان باهظة أو قليلة .

٨ ـ اتخاذ آلة تلفاز تبث صور النساء والرجال وتملأ بيتك بأصوات الغناء والمزامير .

٩ ـ فتحك دكاناً تبيع أشرطة الأغانى على اختلافها لكبار أهل العهر والفساد .

١٠ ـ إقامتك للموالد ، وحضرات الذكر المبتدعة ودعوتك إلى ذلك وتشجيعك عليه .

هذه كلها من أحداث الشر والفساد فى مدينة الرسول ﷺ ، والتى يشملها قوله ﷺ : « المدينة حرم من عائر إلى كذا ... من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » .

إن كل ما لم يكن فى المدينة على عهد رسول الله ﷺ من الباطل والشر ، والظلم والفساد من كل ما حرم الله ورسوله ، أو سبب شراً وفساداً فى المدينة النبوية فهو حدث يعرض فاعله لذلك الوعيد الشديد .

فضل المسجد النبوى

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن المسجد النبوى الشريف هو من أفضل المساجد وأكبرها قدراً ، وأعظمها شرفاً ، وحسبه أنه أول مسجد أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ

بيديه ، وأقام عشر سنين به ، فيه نزل الوحى ، وفى رحابه تردد جبريل ، الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من بيوت اللّه ، إلا المسجد الحرام ، ولذا شرعت زيارته ، واستحب السفر إليه ، بقوله ﷺ : « ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » .

فاعرف هذا ـ أخى المسلم ـ والتزم الأدب فيه ، فاخفض صوتك وقلل كلامك إلا من ذكر اللّه ، وما والاه ، ولا تنم فيه إلا ضرورة ، ولا ترم فيه بقذارة ، ولا تؤذ فيه أحداً من عباد اللّه لا بيدك ولا بلسانك ولا بعينك فإن أذية المسلم حرام ، وكونها فى مسجد رسول اللّه أشد حرمة ، وقد ورد الترغيب فى الصلاة فيه ، بقوله ﷺ : « الصلاة فى مسجدى هذا بألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام » وورد أن من صلى [1] فيه أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وبرئ من النفاق » .

والمقصود من هذا ـ أخى المسلم ـ أن تحرص على الصلاة فى مسجد رسول اللّه ﷺ ، حتى لا تفوتك صلاة فيه رجاء أن تفوز بهذا الفضل وتحصل على هذا الخير ، وأن ينجيك اللّه من العذاب ويقيك من النار ، ويبرئك من النفاق .

فضل الروضة الشريفة

واعلم ـ أخى المسلم ـ أن بمسجد رسول اللّه ﷺ مكاناً هو ما بين الحجرة الشريفة التى فيها قبر رسول اللّه ﷺ وبين المنبر الذى يخطب عليه الخطيب اليوم ـ يسمى الروضة ، وهو أشرف مكان فى المسجد النبوى ، قال فيه رسول اللّه ﷺ : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى » .

فلهذا يتنافس الصالحون فى الجلوس للعبادة فى هذا المكان الذى هو روضة من رياض الجنة فإن استطعت ـ أخى المسلم ـ أن تجلس فيه لقراءة القرآن والصلاة والذكر والدعاء من غير أن تؤذى أحد بالمزاحمة فافعل فإن فى ذلك الفضل العظيم والخير الكثير ، وإياك أن تحدث حدث سوء بها بالحديث بكلام الدنيا أو بإلقاء قذر ، أو تقول باطلاً أو تعمل ببدعة ، أو تدعو إليها ، فإن فى ذلك الخطر العظيم .

---

(١) رواه أحمد وقال المنذرى : رواته رواة الصحيح وراه الترمذى ، والطبرانى .

فضل الحياة بالمدينة والموت بها

اعلم ـ أخي المسلم ـ أن سكنى المدينة والعيش فيها حتى الموت بغية الصالحين ، وأمل كل المؤمنين الكاملين ، وذلك لما في سكناها والموت بها من الفضل العظيم ، قال في ذلك رسول اللّه ﷺ : « لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة ، أو شهيداً » (١) .

وقال ﷺ : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل اللّه فيها من خير منه ، ولا ثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » (٢) . وقال ﷺ : « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت ، فإنه من مات بها كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة » (٣) . وكان عمر رضي اللّه عنه يقول : « اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ . فإذا عرفت هذا ـ أخي المسلم ـ وجب عليك أن تصبر على طاعة اللّه ورسوله ﷺ وفعل أمرهما وترك نهيهما ، كما تصبر على ما قد يصيبك من المكروه ، فلا تجزع ولا تتسخط ، أو تضجر ، بل عليك أن تحتسب تصبر حتى يدركك الموت وأنت في مدينة رسول اللّه ﷺ فتفوز بشفاعته أو شهادته لك يوم القيامة ، وذلك خير يرجو المؤمن ويأسله .

كيفية زيارة المسجد النبوي الشريف

اعلم ـ أخي المسلم ـ أن على من أراد زيارة المسجد النبوي للصلاة فيه ، أن ينوي ذلك عند خروجه من بلده إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ، فإذا أتى المدينة توضأ ولبس أحسن ثيابه ، وأتى المسجد ، فإذا دخل قدم رجله اليمنى وقال : بسم اللّه ، والصلاة والسلام على رسول اللّه ، أعوذ باللّه العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ، ثم يأتي الروضة الشريفة ، أو ما جاورها من المسجد فيصلي ما كتب اللّه له من صلاة ركعتين فأكثر ، يدعو في سجوده ، وبعد فراغه من الصلاة بما فتح اللّه عليه وليختر من الدعاء أعجبه إليه ، كما قال رسول اللّه ﷺ ، وبهذا تمت زيارته للمسجد النبوي الشريف .

---

(١) رواه مسلم والترمذي .　(٢) رواه مسلم .　(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن .

السلام على رسول الله ﷺ فى قبره وعلى صاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما

ثم يأتى الحجرة المشرفة من جهة القبلة فيقف مستقبلها فى أدب واحترام ، ويسلم على رسول الله ﷺ قائلاً : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعين ، وبارك عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعين ، كما صلى وبارك على إبراهيم وآل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

ثم يتنحى قدر ذراع إلى اليمين ، ويسلم على أبى بكر الصديق قائلاً السلام عليك أبا بكر الصديق صفى رسول الله وثالثه فى الغار ورحمة الله وبركاته . جزاك الله عن أمة محمد خيرا ، ثم يتنحى قليلاً إلى اليمين أيضاً ويسلم على عمر بن الخطاب قائلاً : السلام عليك عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته جزاك الله عن أمة الإسلام خيراً .

وإلى هنا تمت زيارتك لرسول الله ﷺ ولصاحبيه رضى الله تعالى عنهما ، فانصرف .

التوسل إلى الله تعالى بالرسول ﷺ وهل يجوز ؟

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن العبد لا يؤمن إلا إذا آمن بالرسول محمد ﷺ لقوله تعالى : ﴿**آمنوا بالله ورسوله**﴾ (١) .

ولا يصح إيمانه بالرسول ﷺ إلا إذا أحب الرسول ﷺ أكثر من حبه لنفسه وولده ووالده وماله والناس أجمعين ، لقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده وماله والناس أجمعين » (٢) .

ولا يكمل إيمانه به ﷺ إلا بطاعته ، موالاته وموالاة المؤمنين به المتبعين لما جاء به المطيعين له ، وبناء على هذا فإذا تعذر عليك قضاء حاجة ، أو تعسر عليك أمر من أمور دنياك التى ترجوا الخير فيها من الله تعالى فتوسل إلى الله تعالى بإيمانك بالرسول ﷺ أو

---

(١) البقرة : ١٣٦ .

(٢) رواه البخارى وفى لفظ أهله وماله والناس أجمعين .

بحبه أو طاعته ، أو العمل بسنته فتقول : اللهم إنى أسألك متوسلاً إليك بإيمانى بنبيك نبى الرحمة محمد ﷺ أن تقضى حاجتى ، أو تقول : اللهم إنى أسألك متوسلاً إليك بمحبتى لنبيك نبى الرحمة محمد ﷺ فى قضاء حاجتى فاقضها لى ــ وسم حاجتك ــ فإنها تقضى بإذن اللّه تعالى ، أو تقول : اللهم إنك تعلم أنى ما خرجت من دارى ، ولا أتيت من بلادى إلا لزيارة مسجد رسولك ﷺ للصلاة فيه ، وقد صليت وسلمت على رسولك محمد ﷺ وصاحبيه ، فإن كنت قبلت منى ذلك فاقض حاجتى ، سم حاجتك ، فإنها تقضى لك إن شاء اللّه تعالى واعلم ــ أخى المسلم ــ أن هذه هى الوسيلة المشروعة التى يعطى اللّه تعالى بها ، ويستجيب ، وأما الوسائل المحرمة التى لم يشرعها اللّه تعالى فإن العمل بها ضلال وباطل فاحذرها ولا تتوسل بها فإنها لا تنفعك بل تضرك .

الأدعية الفاضلة المأثورة

اعلم ــ أخى المسلم ــ أنه لم يرد عن رسول اللّه ﷺ دعاء معين ندعو به فى مسجد رسول اللّه ﷺ ولا فى غيره من المساجد .

ولذا فكل مؤمن يتخير من الدعاء ما يعجبه ويدعو به .

وها أنذا أذكر لك جملة من الأدعية المأثورة عن رسول اللّه ﷺ ، فاحفظها على ظهر قلب وادع بها دائماً فى سجودك وبعد الصلاة ، وبعد أداء أية عبادة ، أو فعل طاعة من الطاعات وإليك هى :

* اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ .

* اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله .

* اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل .

* اللهم إنى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك العدل فى الرضا والغضب وأسألك القصد فى الغنى والفقر .

* اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

* اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى .

* اللهم اجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، والموت راحة لى من كل شر .

* اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، ومن العجز والكسل ، ومن الجبن والبخل ، ومن المأثم والمغرم ، ومن غلبة الدين وقهر الرجال .

* اللهم إنى أعـ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيىء الأسقام .

* اللهم إنى ـلك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى .

* اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى ، واحفظنى من بين يدى ومن خلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ، ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى .

* اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلم به منى .

* اللهم رب النبى محمد ﷺ اغفر لى ذنبى ، وأذهب غيظ قلبى ، وأعذنى من مضلات الفتن وما أبقيتنى .

* اللهم متعنى بسمعى وبصرى وسائر قواى ما أحييتنى واجعله الوارث منى ، واجعل ثأرى على من ظلمنى ، وانصرنى على من عادانى ، وألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى .

* اللهم إنى أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى .

* اللهم أعط نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

* اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ومن دعوة لا يستجاب لها .

* اللهم اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات ، وارحمنى ووالدى والمؤمنين والمؤمنات ، وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

آداب زيارة قبر الرسول ﷺ

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن حرمة رسول اللّه ميتاً كحرمته وهو حى ، فما لا يجوز أن تعمله معه وهو حى لا يجوز أن تعمله معه بعد وفاته ﷺ ، ولذا أحذرك من فعل الجهال الذى يفعلونه عند زيارة قبره ﷺ وهو :

١ ـ أنهم يقفون واضعى أيديهم على صدورهم كأنهم فى الصلاة .

٢ ـ أنهم يطأطئون رؤوسهم ويغمضون أعينهم .

٣ ـ أنهم يقفون يدعون طويلاً وهم مستقبلون القبر الشريف .

٤ ـ أنهم يرفعون أصواتهم بالدعاء ، وبعضهم يقرأ الدعاء من كتاب مكتوب عنده .

٥ ـ أن منهم من يقف بعيداً فى نواحى المسجد ويستقبل الحجرة الشريفة ، ويضع يديه على صدره ويغمض عينيه ويدعو ويصلى ويسلم .

اعلم ـ أيها المسلم ـ إن هذا الذى ذكرت لك كله سوء أدب مع رسول اللّه ﷺ وسوء الأدب معه ﷺ حرام إذ لو كان فداه أبى وأمى حياً كما كان مع أصحابه لما تجرأ أحد أن يفعل ذلك معه أبداً ، وما كان ﷺ يسمح لأحد يسلم عليه أن يطأطئ رأسه ويغمض عينيه ويضع يديه على صدره ثم يسلم عليه ، ولا كان يسمح لأحد أن يأتى بين يديه ويدعو اللّه تعالى عنده ، ولا كان يقف الرجل بعيداً عنه بعشرات الخطوات ، ويطأطئ رأسه ويغمض عينيه ويضع يديه على صدره ، ويسلم عليه ولو فعل هذا أحد لأدبه ، وإنما كان الرجل يأتى إليه ﷺ فيقف قريباً منه ويسلم عليه بصوت خافض كله أدب ووقار ، فاحذر يا أخى عمل هؤلاء الأعجام أو الجهال فإنهم فرقوا بين حياة الرسول وموته فى التعظيم والطاعة والأدب وذلك لجهلهم .

زيارة المسلمة للمسجد النبوى
وقبر الرسول ﷺ

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن المسلمة إذا زارت المسجد يجب عليها أن تدخل من أبواب النساء وهى مستترة كاملة السترة فلا يبدو منها شعر ولا وجه ولا صدر ولا ساق ،

ولا تتقدم إلى الأمام بل تصلى فى آخر المسجد إذ ذاك أفضل لها وأعظم أجرا لقول الرسول ﷺ « خير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها » ، وتصلى ما كتب الله تعالى لها وبذلك تمت زيارتها للمسجد النبوى الشريف ، والأفضل لها أن تلزم منزلها ولا تأتى المسجد إلا قليلا ، وخاصة إذا كان الزحام كأيام الحج والأعياد .

وليس لها أن تأتى الحجرة لتسلم على رسول الله ﷺ في قبره ، لأن النساء على عهد الرسول ﷺ ما كان يأتينه يسلمن عليه أبدا ، اللهم إلا إذا كان للمرأة حاجة عنده فإنها تأتيه وتعرض حاجتها عليه ليقضيها لها ، أو تسأله عن أمر من دينها ، أما أنها تأتيه وهو بين الرجال لتسلم عليه فهذا ما كان أبدا .

ولذا فلتتق الله المؤمنة ، ولا تفعل ما يفعله الجاهلات اليوم من الباطل والمنكر ، وهو الإتيان جماعات جماعات يسوقهن المزورون من الرجال ويقفون بهن أمام الحجرة ويلقنوهن السلام والدعاء ، إن هذه بدعة منكرة ما عرفتها النساء المؤمنات على عهد الرسول وأصحابه ولا فى عهد التابعين والأئمة رحمة الله عليهم أجمعين .

فيكفى المؤمنة إذا دخلت المسجد أن تجلس فى آخره في رواق النساء و تصلى ما كتب الله تعالى لها من صلاة ، ثم تستقبل القبلة وتصلى على نبيها وتسلم عليه بقدر ما يفتح الله عليها عشر مرات أو مائة أو أكثر فإن من صلى على النبى ﷺ مرة صلى الله عليه بها عشرة .

زيارة مسجد قباء

اعلم ـ أخي المسلم ـ أن مسجد قباء هو أول مسجد بنى فى الإسلام ، فقد أمر النبى ﷺ ببنائه لما نزل مهاجرا بديار بنى عمرو بن عوف ، فبنى وصلى فيه رسول الله ﷺ بضعة أيام ، ثم دخل المدينة فبنى مسجده الشريف ، ولذا كان النبى ﷺ يزوره يصلى فيه ، وكان يأتيه راكبا أحيانا وماشيا أحيانا . وقال : « من تطهر فى بيته ، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة » [١] .

ولذا كان ابن عمر رضى الله عنهما يأتيه يصلى فيه ، ويرى أن زيارة مسجد قباء للصلاة فيه يوم السبت أفضل ، لفعل الرسول ﷺ ذلك .

---

(١) رواه أحمد والنسائى وابن ماجة والحاكم .

واعلم أن المسلمة فى زيارة مسجد قباء كالمسلم ، فإنها إن تطهرت فى بيتها وأتت مسجد قباء للصلاة فيه وصلت كان لها كأجر عمرة .

فلذا يؤذن للمسلمة فى زيارة مسجد قباء ، كما يؤذن لها فى مسجد الرسول ﷺ إن أمنت الفتنة وزحام الرجال .

زيارة مقبرة البقيع

اعلم – أخى المسلم – أن زيارة القبور للرجال سنة مستحبة لفعل الرسول ﷺ وإذنه فى ذلك : « لا سيما زيارة مقبرة البقيع فقد صح أنه ﷺ كان يزورها ليلا وقال : إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وأن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتى عليهم » .

وقال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » (١) وكان إذا زار البقيع قال : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لا حقون ، أنتم فرطنا ، ونحن لكم تبع ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم اغفر لهم ، اللهم ارحمهم » .

ولهذا يشرع للمسلم إذا زار المدينة النبوية ، أو كان قاطنا بها أن يزور مقبرة البقيع ، فيسلم على أهلها ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة وله على ذلك أجر .

وأنبهك – أخى المسلم – إلى أن النساء معفوات من زيارة القبور – فلا تتكلف مؤمنة الذهاب إلى أية مقبرة لتسلم على أهلها وتدعو لهم .

وهذا من رحمة الله تعالى بهن ، كما أسقط عنهن كثيرا من التكاليف كالجهاد ، وصلاة الجمعة والجماعة وما إلى ذلك ، غير أن زيارة القبور شدد الشارع فى منعهن منها ، فلم يسمح لهن بحال فى زيارة القبور حتى قال رسول الله ﷺ : « لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد ، والسرج » وذلك لضعف قلب المرأة ، ودقة شعورها ، فإنها قد لا تتمالك إذا رأت قبر وليها من أب ، أو أخ ، أو ابن ، أن تبكى وتنوح ، وتقول ما لا يرضى الله تعالى ، فلهذا لا يجوز للمسلمة أن تزور القبور مطلقا ، لا مقبرة البقيع ، ولا

---

(١) رواه مسلم .

مقبرة الشهداء بأحد ، ولا غيرهما من مقابر المسلمين .

زيارة الشهداء بأحد

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن من زار المدينة النبوية فى حج أو عمرة أو استقلالا ، أو كان من سكانها أنه يشرع [1] له زيارة قبور شهداء أحد وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ، ومصعب بن عمير صاحب رسول الله ﷺ وغيرهما من شهداء وقعة « أحد » رضى الله عنهم أجمعين ، وزيارتهم لا تختلف عن زيارة سائر المقابر فيسلم عليهم الزائر ، ويدعو لهم بما ورد عن رسول الله ﷺ كما تقدم فى الكلام على زيارة البقيع ، ولا يشرع لأحد أن يدعو لنفسه أو لغيره من الناس عند زيارة المقابر وإنما يخص بالدعاء أهل المقبرة فقط .

وعليه فإن ما يفعله المزورون من تلقين الزائرين بعض الأدعية ليس من السنة فى شئ ، وكان عليهم أن يعلموهم الكلمات الواردة عن رسول الله ﷺ فى السلام على أهل المقابر ، ويكتفون بذلك .

فضل جبل أحد

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن جبل أحد فاضل لقول الرسول ﷺ فيه :

« أحد جبل يحبنا ونحبه » فلذا يحبه المسلم بحب الرسول ﷺ له ، ومشاهدته ممكنة إذ كل من زار شهداء أحد شاهده من بعد ، ولما لم يشرع الرسول ﷺ الوقوف عليه أو الصعود إليه ترك السلف الصالح ذلك ، ما يفعله الجهال من الذهاب إليه ، والوقوف عليه ليس دالا على مشرعية ذلك .

وحسب المؤمن أن ينظر إليه من بعد ويحبه بحب رسول الله ﷺ له .

---

(١) (**تنبيه**) : لا تشرع زيارة جبل أحد وليس فى الذهاب إليه من أجر لأن زيارته ليست بقربة من القرب ، وإنما الزيارة لشهداء أحد للسلام عليهم والترحم والاستغفار لهم .

هل هناك أماكن بالمدينة
يتقرب بزيارتها

اعلم ـ أخى السلم ـ أنه لم يبق بعد الذى بينت لك من مكان تشرع زيارته بالمدينة ويثاب عليه فاعله فقط .

غير أن الناس يأتون كثيرا من مساجد المدينة كمسجد القبلتين ومسجد الغمامة ، ومسجد الإجابة ، وعملهم هذا ليس بحجة ولا دين وإنما هو من حب الاستطلاع والوقوف على الآثار فقط .

ولو أن أحدهم جلس فى مسجد رسول الله ﷺ ساعة يتعلم فيها علما ـ أو يقرأ فيها آية من كتاب الله ، أو يصلى ركعتين خير له وأفضل من تلك الزيارات المحدثة التى لم يأمر بها رسول الله ﷺ ، ولم يرغب مجرد الترغيب فيها .

هذا وأنصح لك أخى المسلم أن تلزم المسجد النبوى وحلق العلم فيه ما دمت بالمدينة النبوية ، وأن تقلل من التجوال فى الأسواق والجلوس فى المقاهى ، لأنك دخلت حرم رسول الله ﷺ ونزلت بداره وأنخت بساحته فالزم الأدب جهدك ، وراع حرمة هذا الحرم ، واذكر ما علمتك إياه ، وما نصحت لك به فى هذه الرسالة ، فاعمل به فإنك تفوز بأفضل زيارة ، وتحصل على أعظم أجر ومثوبة ، حقق الله لك ذلك ، آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين والأئمة رحمة الله عليهم أجمعين .

* وجدت فى الطبعة الأولى بعض الأخطاء المطبعية ـ الغير مقصودة ـ لذا وجب التنبيه عليها .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٧	٣	للتقوى	وأقرب للتقوى﴾(٣)
	٤	تحكموا بالعدل) (٣)	﴿وإذا حكمتم تحكموا بالعدل﴾ (٣)
	الهامش	ـ	(٣)النساء :٥٨.
١٤٨	١	حنفا	حنيفًا
	١٦	إبلاع	إبلاغ
	١٨	والبلاع	والبلاغ
١٥٠	١٤	بحفظ	يحفظ
	١٩	براعب	براغب
	٢٤	البلاع	البلاغ
١٥١	١٢	النمروز	النمروذ
١٥٤	١٩	تقصير	على تقصير
١٦٥	٢٤	حيث وكزة	حيث وكز
١٦٩	٢٢	فعلتها	﴿ فعلتها
	٢٣	الضالين	الضالين ﴾
١٧٦	١٨	ال سلام	السلام
١٧٩	١٣	البلاع	البلاغ
	٢٢	وصاع	وصاغ
١٨٣	٣	نمادج	نماذج
١٨٤	١٢	نضفر	نظفر
١٨٦	١١	بوفل	نوفل
١٩٩	١	أنطلق	أنطق
٢٠٢	١٦	تكلف نفسك	تكلف إلا نفسك
٢٠٥	١٠	يعملون	تعلمون
٢١٥	١٦	وستة	وثلاثة
٢١٧	١٧	يوم	قوم
	٢١	ولت	ولست
	٢٢	إحسانى	إحسانه
	٢٦	للإصلاح	للأصلح
٢٢٠	٩	يجاهد	يجاهر
٢٢١	١	تساوى	تساوى عن الله
٢٢٥	٥	فإذا	وإذا
٢٢٩	٨	إصابته	أصابته
٢٣١	٢٥	سول	رسول
٢٤٢	١٣	الرسائل	الوسائل
٢٤٩	٥	أن	أنا
	١٨	مالاً	ما
	١٩	بأس	لا بأس
٢٥٠	١٠	فاستعرض	فاستعاض
٢٥١	٢٤	فتخمل	فتحمل
٢٥٢	٥	خرجًا	خرج
	٢١	لا	إلا
	٢٥	ينصب	ينضب
٢٥٣	٥	أتينا	ائتيا
	١٨	ماجاك	ما جاءك
	٢٣	صحابه	أصحابه
٢٥٤	٦	الإثنين	الأثنين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٧	٩	والتقسى	والتقى
	٢٢	اشداد	اشتداد
٢٥٨	١٦	فساد	فساداً
	٢٠	لينحلى بيته وبيين	ليخلى بينه وبين
٢٥٩	٤	عاهد فوفنا	عاهدا فوفيا
	٥	المسملين	المسلمين
٢٦٠	١٨	معاصيره	معاصريه
٢٦١	٩	يتعله	يستعمله
	١١	فيم	فيما هم
٢٦٣	٩	للملكة	للمملكة
	١٤	الاتيساء	الاتساء
٢٦٧	٢٠	ألقوا	ألفوا
٢٦٩	١٩	عند	عندما
	٢٤	أسفروا	استقروا
٢٧٧	١١	للعالملين	للعالمين
٢٨٠	٢	وطبعم	وطبعهم
	٣	عى	على
٢٩٣	٩	االفاضل	الفاضل
	١٣	ولا	فلا
	١٤	وءاثار	وآثار
٢٩٤	١	بانتقاضة	بانتقاصه
٢٩٦	١٦	بناء	وبناء
	١٧	بادة	لعباده
٣٠٠	٣	إنقاذ	إنفاذ
	١٠	عى	على
	٢٥	والأفقه	وإلا فقد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠١	٤	وإنقاذ	وإنفاذ
٣٠٣	١	مرادة	مراده
٣٠٤	٢٥	إيمانا وجا ورجاء	إيمانا ورجاء
٣١٤	١٧	فجلسا	فجلسنا
٣١٧	٢٢	وشكراً لله لك	وشكراً لله ثم لك
٣٢٩	١٣	زايداً على قدر	زائدا عن قدر
	١٤	نهياً	نهيا
٣٣٠	٢	يكمن	يمكن
	٥	شهرياً يكفل	شهرياً ما يكفل
	٢٣	واتقوا	اتقوا
٣٣١	١١	إلا من أن	إلا أن
٣٤٧	١	به ذا	بهذا
٣٥٩	٩	والعجون	والمجون
٣٦١	٢٣	صواب لا	صواب
	٢٤	حق	لاحق
٣٦٦	٢٥	الخيرات	الخبرات
٣٧٨	١٠	الغائط من	من الغائط
٣٩١	٤	كأن يهو	فى السطر ١١
	٥، ٦	—	فى السطرين ١٢، ١٣
	١١	كان	كأن
٤٠٠	٨	أن أن	أن
٤٠١	٦	للتتناول	لتتناول
٤٠٢	١٨	إذا	إذ

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٤٢٤	٢٥	التفكير	التكفير
٤٢٥	٧	، واليهودى	اليهودى
	١٠	كفر	كُفِّرَ
٤٢٩	١٢	الذماء	الدماء
٤٣١	٧	الله	لله
٤٣٦	٢	الس جن	السجن
٤٣٧	١	ومج اراتهم	ومجاراتهم
	٢٥	بأهليكم	بأهلكم
٤٤٢	١٣	يرواع	يرواغ
	١٦	ربك	ربك بما عهد عندك
	١٦	كشف	كشفت
٤٤٧	١	وقال	﴿ وقال
	٢	المفسدين	المفسدين ﴾
٤٤٨	٥	يسوع	يسوغ
	١٧	لأهلكتهم	أهلكتهم
٥٣٧	٣	فهو ،	فهو شهيد ،
٥٣٩	٥	السفة	السفه
	١٠	الخماسة	الخامسة
٥٤٠	٢	لأنه	لأن
٥٤١	٦	بالمسلمة	المسلمة
—	١٤	بتدخين	بالتدخين
٥٤٥	٤	لله	الله
٥٤٨	١٠	طاع	طاغ
	١٢	نسبها	نسجها
٥٥١	٢٤	يدعى	يذعن
٥٥٤	٢٠	الخطر	لخطر

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٥٥٧	١٠	فجلمة	فجملة
٥٥٨	٩	راجحة	راجحه
٥٥٦	٢	تشفينا	تشفيًا
	٣	التفك	التفكك
	٥	درن	دون
	١٨	فكرة	فكره
٥٦٧	١١	وأسبابا	وأسبابها
	١٤	وأعراض	وأغراض
	١٥	حكمه	حكمة
٥٦٨	٢	لعله	لعلة
	١٢	—	يحذف السطر
	١٢	وفى تقرير	تنقل إلى سطر ١٣
٥٦٩	٦	وتحجزت	وتحجرت
	١٤	أو دعوه	ادعوه
	٢٣	لتفكرون	لتكفرون
٥٧٠	٢٥	علوية	علويه
٥٧١	٢٣	والدين	واللبن
٥٧٢	١٥	المعلقة	المعقدة
	٢٤	علوية	علويه
٥٧٤	٢٣	ضروك	يضروك
٥٧٧	١٦	« أول ما خلق الله القلم	تنقل أول السطر
	١٦	عنوان	تحذف
	١٦	٥٧٧ ٥٧٧	تحذف
	٢٤	م	لم
٥٧٨	١٥	أجرأها	أجراها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
	٢١	فيها	فيما
	٢٢	المعاص	المعاصى
٥٨٠	٢٤	ضاعفها	يضاعفها
٥٨١	٥	فرع	فرغ
	١٣	فصلت	فضلت
	١٥	لشرع	للشرع
٥٨٢	١٢	فاللخير	فللخير
	٢٠	تلتسم	تلتئم
٥٨٥	٢	الزمر	يأمر
٥٨٦	٢٠	عامه	علمه
	١٠	مفرط	مفرّط
٥٨٨	١٠	مفرط	مفرِط
	١٠	المفرط	المفرّط
٨٩	١٢	المفرط	المفرّط
—	١٢	المفرط	المفرِط
٥٩٤	١٢	يهيديهم	يهديهم
٥٩٥	١	لضل	ليضل
٥٩٧	١٠	من	على
	١٦	يجب	يحب
٥٩٨	٤	تصيبهم	تصبهم
٥٩٩	٤	عامه	علمه
	٤	أمرها	أمره
	٤	لها	تحذف
٦٠٩	٦	قومه	قومة
	٢٥	بالالتفات	بالالتفاف
٦١١	١٤	إذًا	إذا لم يتحقق
٦١٢	١٩	إتجار	إيجار

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦١٣	١٤	لم	لن
٦٢٩	٣	السلم	المسلم

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢٢٢ / ١٩٩١

رسائل الجزائرى

الثالثة

ست عشرة رسالة
فى مواضيع دينية وإصلاحية مختلفة

عنى بنشرها وتصحيحها
مؤلفها
أبو بكر جابر الجزائرى
الواعظ بالمسجد النبوى الشريف
بالمدنية المنورة

دمهور ت ٣٢٨١٩٩٠/

Abu Baker Jaber Al Jazaery
Profit Mohd. Mosque's Teacher
Madina Munawarah
Tel. 8371500
P.O.Box: 871 Saudi Arabia

أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف
المدينة المنورة
هاتف ٨٣٧١٥٠٠
ص.ب ٨٧١ المملكة العربية السعودية

DATE ....

التاريخ ١٤١٥/٥/٧هـ

تفويض

فوضت أنا الموقع أدناه أبو بكر جابر الجزائري المؤلف
فوضت مكتبة أضواء المنار ودار لينة للنشر والتوزيع وعملاءها
محمد شكري عبد المحسن الكومي في طباعة رسائل الجزائري الأولى
والثانية والثالثة والرابعة، وهذا تفويض مني بذلك

المفوض
أبو بكر جابر الجزائري
٧/٥/١٤١٥هـ

أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م
الطبعة الثانية: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م

دمنهور ت ـ ٣٢٨١٩٩/٠٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسائل التى تضمنها هذا السفر المبارك الكريم

●● الرسالة الأولى

الصلاة

الصـــــــلاة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .

وبعـــــد :

الصلاة[١] ما الصلاة ، [٢]وما أدراك ما الصلاة ! ؟ علة[٣]الوجود وضريبة الحياة هي الـذكـر وهى الشكـر[٤] الإقرار بها إيمان ونكرانها كفران أولى العبادات [٥] وآخرها ومبدأ الصالحات ومختتمها[٦] سلم الوصول[٧] ومعراج القبـول الحـد الفاصل[٨]بين الكفر والإيمان والبرزخ الحاجز للشك عن الإيقـان شقيقـة[٩] الزكاة ، وصاحبة[١٠]الحياة لا تباين الأولى ولا تفارق

١) : الصـلاة : لغـة : الـدعاء . وشرعا : عبادة روحية بدنية ذات ركوع وسجود ، وتلاوة ، وتسبيح ودعاء ، قوامها الخشوع فيها . تفتتح بالتكبير ، وتختم بالتسليم .

٢) : ما اسم استفهام مبتدأ والصلاة خبر والجملة خبر الصلاة ، والرابط تكرار المبتدأ ، والاستفهام للتفخيم من شأنها والتعظيم لقدرها .

٣) : كون الصلاة علة الوجود ظاهر فى قوله تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . وقوله فى الحديث القدسى : يا ابن آدم لقد خلقت كل شىء من أجلك وخلقتك من أجلى . فعلة الوجود الإنسان وعلة وجود الإنسان العبادة ، والعبادة هى الصلاة فالصلاة إذاً هى علة الوجود فلذا جُرم تارك الصلاة جرم من أفسد الكون كله ، وعطل الحياة جميعها !!

٤) : لقوله تعالى : « وأقم الصلاة لذكرى » وقوله : « اعملوا آل داود شكراً » فلما أمر آل داود بالشكر قام فيهم داود خطيباً . وقال أكفونى النهار أكفكم الليل . فما شئت بعدها أن ترى فى مسجد آل داود راكعاً أو ساجداً أو قائماً فى أية ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته حتى أن سليمان عليه السلام مات وهو قائم يصلى فى المحراب .

٥) : نعم أول ما فرض من العبادات البدنية والمالية الصلاة : إذ فرضت فى السنة العاشرة من البعثة ولم يكن قد فرض قبلها سوى كلمة التوحيد (٦) لحديث آخر ما تفقدون من دينكم الصلاة .

(٧) : بها يصل العبد إلى مقام الولاية والتقوى ، ومنازل القرب قال تعالى « فاسجد واقترب » وفى الحديث « أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجـــد » .

(٨) الحديث : « مابين العبد والكفر إلا ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

٩) : وذلك لاقترانها بها فى آى القرآن : « أقيموا الصلاة واتوا الزكاة » ، وقول الصديق الزكاة شقيقة الصلاة والله لأقاتلن من فرق بينهما .

١٠) : صاحبة الحياة : إذ لاتسقط عن المؤمن إلا بانتهاء الحياة بوفاة الإنسان .

الثانية ما بقيت الحياة .(١٠)

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ فى السماء كان فرضها(١١) وفى الأرض بركتهـا ونـورهـا ، قرة(١١)عين النبى وروح (١٢) كل ولى ملاذ الفـزع(١٣)الخائف ومأمنه وعدة المجاهد المصابر ومسلحته(١٤) وصاة(١٥) محمد النبى الامى ومنتهى مهمة ابن الخطاب الأبى طب القلوب وشفاؤها وزكـاة النفـوس(١٧) وصلاحها ، أولى(١٨) وصفـة الـدواء وآخـرتهـا وآمره النفس (١٩) المؤمنة وناهيتهـــــــا .

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ بها كان الإسراء ، ولها كان المعـراج حدثان لم يشهد الكون مثلهما ، الصلاة سرهما وعلة حدوثهما ، تلك هى الصـلاة جَنَّة الحياة وفـردوسهـا ، داخلهـا الرَّوْح والريحان ، وخـارجها شواظ النار ولهيبها . سجدتها (٢٠) تزن الدنيا وما فيها ؛ إذ بها

---

١٠) : الإجماع أن الصلاة فرضت فى السماء ليلة الإسراء والمعراج .

١١) : لقوله صلى الله عليه وسلم : « جعلت قرة عينى فى الصلاة » .

١٢) : الـروح : الراحة والفرح فأولياء الله هم المؤمنون المتقون يجدون فى الصلاة الراحة والفرح ويشهد لهذا حديثا : « أرحنا بها يابلال » . « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

١٣) : إذ كان النبى ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

١٤) : المسلحة : مركز أمامى للجنود ، كما هى موضع السلاح . والجماعة ذوو السلاح .

١٥) : لحديث « أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيمانكم » .

١٦) : لحديث الموطأ : أن عمر كتب إلى عماله يقول لهم : إن أهم أمركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها « أحفظ » الحديث ..

١٧) : كل العبادات مشروعة لتزكية النفس والصلاة من أكبر العبادات تزكية للنفس .

١٨) : وذلك أن الله تعالى لما ذكر هلع الانسان وهو داء خطير ذكر وصفة لعلاج الهلع فابتدأها بالصلاة ، وختمها بالصلاة ، وذلك فى قوله تعالى « إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » إلى « والذين هم على صلاتهم يحافظون » فوصف الدواء وجعله مركبا من ثمانية أرقام أولها الصلاة وآخرها الصلاة اقرأ الآية من سورة المعارج .

١٩) : إشارة إلى قوله تعالى . « وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» . فإنها بما توجده فى النفس من الصفاء يصبح العبد يرى المعروف فلا يتركه ، ويرى المنكر فلا يرتكبه .

٢٠) : صح عن ابن عمر رضى الله عنهما قوله : لو أعلم أن الله تعالى تقبل منى سجدة واحدة لما كان غائب أحب إلى من الموت : لأن الله تعالى : إنما يتقبل الله من المتقيـــن .

يقرب (٢١) البعيد وبيعد القريب، سر إبلاس إبليس (٢٢) ، ومعيار النفيس من الخسيس

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ! فريضة لاتسقط إلا (٢٣) بالموت ، وواجب لا يؤخر ولا يفوت . جبريل أول من (٢٤) أمّ بها ، والبيت الحرام أول محرابها . مواقيتها مواعيد (٢٥) مَراقٍ وتلاق .. أول وقتها رضوان ، وآخره غفران ، (٢٧) ووسطه الروح والريحان . ينادى لها من على المنارات بأعلى الأصوات ولم يكن هذا لغيرها من سائر العبادات . فكان ذلك آية فضلها ، وعلامة شرفها على غيرها من كل الطاعات وسائر القربات .

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ ! بالحسن والمعروف آمرة ، وعن الفحشاء والمنكر ناهية ، الطهارة مفتاح بابها ، والله (٢٨) أكبر كلمة السّر فيها ، الخشوع روحها العلويّة ، والتسبيح (٢٩) أنفاسها الزكيّة . إنها الإيمان ، وقوامُ الإسلام ، وشاهد الإحسان . قوامها الجامع والجماعة ، بهما يضاعف (٣٠) أجرُها ، وتمّ للمشائين (٣١) لها نورُها ، هى العهد

---

٢١) : لقوله تعالى فاسجد واقترب . قرب بها سلمان وأبعد بها أبو طالب .

٢٢) : إبلس إبليس لتركه السجود ، ولذا ورد أن المؤمن إذا قرأ السجدة فسجد صرخ إبليس واويلاه !! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فكانت له الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فكانت لى النار .

٢٣) : أو بالجنون فإن المجنون رفع عنه القلم حتى يفيق ومثله النائم .

٢٤) : لما فى الموطأ من أن جبريل نزل فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزل فصلى . الحديث فى أوقات الصلاة .

٢٥) : لأن الصلاة معراج العبد بروحه إلى ربّه عز وجل .

٢٦) : لحديث « المصلى يناجى ربّه ، وأن الله تعالى ينصب للعبد وجهه فى الصلاة » .

٢٧) : لحديث . « أول الوقت رضوان الله ووسطه رحمة الله وآخره مغفرة » .

٢٨) : إذ لا تصح الصلاة إلا بتكبيرة الإحرام وبلفظ الله أكبر فقط .

٢٩) : سبحان ربى العظيم فى الركوع وسبحان ربى الأعلى فى السجود ثلاثا فأكثر .

٣٠) : لحديث « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة » .

٣١) : لحديث : « بشر المشائين فى الظلمة بالنور التام يوم القيامة » .

والوعد . تعهّد الله لمن أداها وحافظ عليها أن (٣٢) يدخله جنته ، وأن يلبسه حلتــه .

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ! ؟ هى الخير وجماعه ، وعنصر الكمال فى الإنسان وقوامه . سبب (٣٣) خيبة الشيطان ، وعلة خسران تاركها من إنس وجان . هى الرحمة والرحموت (٣٤) ، والفضل والفضلوت ، القائم فيها على رأسه البر (٣٥) يُذر ، ومنتظرها الملائكة تدعو له وتستغفر (٣٦) . حامية النظام ، وحارسة الأنام . أغنت عن الدرك (٣٧) والبوليس وما أغنى عنها غال ولا رخيص . سر الحياة وعقد نظامها ، بها الحياة مشرقة طاهرة زاهرةً ، وبدونها عفنة مظلمة وحالكة كالحة .

الله ، الله عبد الله فى الصلاة ، فإنها العروة الوثقى ، والدوحة العظمى ، المتمسك بها آمن من الانقطاع والمستظل بوارف ظلها ما ظمأ ولا جاع .

---

٣٢) : لما صح من قوله ﷺ : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد إلى قوله كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة » الحديث .

٣٣) : إشارة الى أنه أمر بالسجود فأبى فأبلسه الله تعالى وخيّبه .

٣٤) : الرحموت كالملكوت الاسم من الرحمة دال على الكثرة والاتساع .

٣٥) : البر : الخير وهذا الحديث « إذا قام العبد فى صلاته ذر البر على رأسه » الحديث .

٣٦) : الحديث الصحيحين : والملائكة يصلون على أحدكم مادام فى مجلسه الذى صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له اللهم ارحمه مالم يحدث .

٣٧) : دليل هذه القضية واقعان الأول واقع دولة الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين بالمدينة النبوية فإن تلك الدولة تحقق لها من الأمن والطمأنينة مالم يتحقق لغيرها بحيث انعدمت فيها الجريمة انعداماً كاملا ، وفى نفس الوقت لم يكن فيها نظام شرطة ولا درك قط . وما ذاك إلا بإقامة الصلاة . والثانى واقع دولة الملك الصالح عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى فإنه تحقق لدولته من الطهر والأمن مالم يقع نظيره فى دنيا الناس إلا ماكان من دولة الراشدين . وماذاك إلا بإقامة الصلاة . حيث أقيمت الصلاة فيها بصورة ما وجدت إلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والراشدين . وسرّ ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فمتى أقيمت انعدمت الفحشاء والمنكر . وهما أصل كل فساد وشر وإذا انعدما انعدمت الجريمة معهمـا ولم يحوج الأمر إلى درك ولا بوليس . أما مع عدم إقامة الصلاة فو الله لاينفع شىء أبداً . وهل نفع أمريكا دركها وأوربا بوليسها ؟

فالصلاة ياعبد الله الصلاة ، والسلام عليك ما أقمتها وأدمتها ، ورحمة الله !! واسمح لى أخى الحاج قبل أن أنهى حديثى معك على هذه الوصية أن أنبهك إلى أمر مهم جداً وهو أن العبادة التى هى سرّ الحياة ، وجنة الدنيا والاخرة يفسدها الشرك فيها وعدم الإخلاص فيها لله تعالى فاحذر ذلك غاية الحذر كما قد يبطل مفعولها فى تزكية النفس وتطهيرها الإخلال بأدائها على الوجه المشروعة عليه فلذا وجب مراعاة كيفيتها الواردة من الشارع عليها فلا يزاد فيها ولا ينقص منها ولا يقدم منها مؤخر ، ولا يؤخر مقدم فاذكر هذا واعتن به .

وأخيرا وفاء بما وعدتك به من بيان كون العبادة جنة الدنيا والآخرة معا أقول لما كانت الجنة هى دار النعيم والنعيم هو كل ما خلا من الحزن والخوف والهم والغم ووافق مزاج الإنسان ، ولاءم طبعه من سائر الطيبات والمستلذات والمتع الجسميّة والروحيّة فان العبادة سبب وجود هذا النعيم للعبد فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا أطلقنا عليها اسم جنة الدنيا والآخرة من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب . أمّا كونها سببا لجنة الآخرة فإن ذلك ثابت فى القرآن الكريم قال تعالى : وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ، وما عملهم إلا العبادة . وأما كونها سببا لنعيم الدنيا وسعادتها فإنه ثابت أيضا بالقرآن الكريم قال تعالى : ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة والحياة الطيبة هى الخالية من الخبث والهم والغم والخوف والحزن وقال تعالى : ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال ولو أن أهل الكتاب أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وما الإيمان والتقوى فى الآية الأولى ، ولا إقامة التوراة والإنجيل وما أنزل من وحى الله وشرعه فى الآية الثانية إلا العبادة ، وما البركات المفتوحة من السماء

والأرض ، وما الأكل من فوق ومن تحت إلا عبارة عما يعم الله تعالى به أهل عبادته من الخيرات والبركات مع ذهاب الخوف والحزن مع اشراقات الروح وأنس النفس بذكر اللّه تعالى ومراقبته ، وبذلك تتحول الحياة الدنيا إلى جنة أشبه بجنات الآخرة .

●● الرسالة الثانية

الْجمل فى زكــاة العُمَــل

بســــم الله الرحمـــن الرحيم

مقدمة الرسالة

الحمـد لله ربِّ العـالمـين ، والصلاة والسلام على محمد المرسل رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين .

وبعــد :

فقد كثرت تساؤلات الإخوة المسلمين عن نصاب زكاة العُملِ المختلفة حيث نابت عن العين (١) ، وقَامَتْ مقام النقدين ولم يك بُدٌّ من معرفة نصاب كل عملة من تلك العمل التى تجاوزت العشرات إلى المئات ؛ إذْ لكل دولة عملتها الخاصة بها ، وذلك كالريال السعودى والدينار الأردنى والدرهم المغربى والليرة السورية والجنيه المصرى والروبية الباكستانية وما إلى ذلك مما يكثر عدّه ، ولا يفيد ذكــره..

ومعرفة نصاب كل عملة من هذه العمل المتعددة المختلفة لا يتم إلاَّ بالرجوع إلى الأصل وهو معرفة الدرهم والدينار الشرعيين ، وزنتهما بالجرام المتداول عالميا اليوم ، فإذا عرف ذلك عرف نصاب كل عملة يراد زكاتها من هذه العمل كما سيأتى ذلك مبيَّناً فى هذه الرسالة ـ إن شاء الله ـ عند الكلام على زكاة العين : الذهب والفضة .

---

(١) العين : الذهب والفضة وكذا النقـدان..

ونـظراً إلى حاجـة المسلم إلى معرفة جملة من أحكام الزكاة عامة فقد ضمنت هذه الرسالة التى سميتها « الُجمل فى زكاة العُمل (١) » بيانا عَامًّا لأكثر أحكام الزكاة فذكرت حكم الزكاة وحكمتها ، وعقوبة مانعها ، وما تجب فيه الـزكـاة من العـين والحرث والماشية ، وما لا تجب فيه الزكاة ، وأنصبة الزكاة فى كل المزكيات ، وبيان مصارف الزكاة عامَّة ، وزكاة الفطر خاصـة ، وبـذلك كانت الرسالة وافية ، والله أسأل أن ينفع بها ، وألا يحرمنى أجرها ، إنه قدير وبالإجابة جدير ، وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) العمل جمع عملة ، والعملة مايعطاه العامل من أجرة ولما كانت هذه الأوراق تُعطى أجرة العامل قيل فيها عملة ، وجمعت بالدارجة على عمل وعمـلات .

حكـــم الزكـــاة

لاخلاف بين المسلمين فى فرضية الزكاة ووجوبها على كل مسلم ملك نصابا من المال سواء كان المالك ذكراً أو آنثى كبيراً أو صغيرا ، وذلك لأدله الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة .

فمن أدلة الكتاب قول الله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ وقوله جل شأنه ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ فى عدَّة مواضع من كتابه العزيز . وقوله عز وجل فى المشركين : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** ﴾ فجعل تعالى الأخوة فى الدين متوفقة على إيتاء الزكاة ، فمن منع الزكاة فلا أخوة له بين المسلمين بل يجب أن يُقاتل عليها حتى يؤديها أو يهلك فيها .

ومن أدلة السنة قوله ﷺ فى الصحيح : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » . فكون الزكاة قاعدة بنى عليها الإسلام دليل على وجوبها لتوقف بناء الإسلام وتمامه عليها . وقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث معاذ فى الصحيح : إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم .

ومن أدلـة الإجمـاع قتال أبى بكر الصديق رضى الله عنه أهل الردة ما نعى الزكاة وقوله : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه وقد وافقه على ذلك كافة الصحابة رضى الله عنهم وقاتلوا معه أهل الردة بإجماع لم يشذّ عنه أحد .

حكمـــــة الزكاة

الزكاة كغيرها من سائر العبادات، ماشرعها الله تعالى وهو العليم الحكيم إلاَّ لِحِكَم عالية تدور كلهـا على إكمال الإنسان المؤمن وإسعاده فى الحياة الدنيا والآخرة .

ومن تلك الحِكم العالية التى شرعت لها الزكاة فى الإسلام ما يلـــى :

١ ـ تطهير روح المؤمن من رذيلة الشح والبخل ودائها الفتاك .

٢ ـ تزكية نفس المؤمن من أوضـار الـذنـوب والآثام وآثارهما السيئة على القلوب .

٣ ـ كفـاية الفقـير المسلم وسـد حاجتـه وإكرامه عن ذُلِّ سؤال غير ربه تعالـــى .

٤ ـ التخفيف من هَمِّ المدين المسلم بسداد دينه وقضاء ما وجب عليه من ديون الغرمـــــاء .

٥ ـ جمع القلوب المشتتة على الإيمان والإسلام والانتقال بها من الشكوك والاضطرابات النفسية لعدم رسوخ الإيمان فيها إلى الإيمان الراسخ واليقين التام .

٦ ـ تجهيز المقاتلين فى سبيل الله ، وإعداد العدد والعتاد الحربى لنشر الخير ورفع راية العدل بين الناس حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

٧ ـ تحرير الأرقاء بشرائهم من مالكيهم وإعتاقهم فى سبيل الله ليتمكنوا من الحياة الحـرة التى يعبـدون فيهـا الله تعـالى عبـادة تكملهم وتسعدهم .

٨ ـ مساعدة المسلم المسافر إذا انقطع فى طريقه ولم يجد ما يكفيه مؤونة سفره مساعدة من الزكاة بما يسد حاجته حتى يعود إلى داره .

٩ ـ تيسير تداول المال وانتقاله من يدٍ إلى يد ومن شخص إلى آخر للانتفاع

به ؛ إذ لو لم تفرض فيه الزكاة لبقيت أموال كثيرة مجمدة مكنوزة عند أصحابها أزمنة طويلة معطلة لا ينتفع بشىء منها .

١٠ ـ تطهير المال المزكى ونماؤه ببركة طاعة الله تعالى فيه .

وبعد ؛ فهذه جملة من الحكم السامية التى شرعت لها صدقة الزكاة وغيرها كثير ؛ إذ لا يحيط بأسرار الشرع وحكمه إلا الله عز وجل . وقد جاء أكثر هذه الحكم التى ذكرناها فى آية مصارف الزكاة من سورة التوبة فى قوله تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل** ﴾ .

عقـــــوبة مانع الزكـــاة

اعلم أن مانــع الزكاة إما أن يكون منعه لها ناتجاً عن جحود بوجوبها وإنكار لفرضيتها ، وهو فى هذه الحال كافر لا سبيل له إلى دخول الجنة إن مات على هذه الحال من الكفر والجحود ، وإماًّ أن يكون المانع لها ليس عن جحود بوجوبها ولا إنكار لفرضيتها ، ولكن عن شح نفس وبخل بالمال ، وهذا المانع لها إن قدر عليه فأخذت منه قهراً وكرهاً أجزأته ولا يحاسب عليها يوم القيامة.ولكن إذا لم يقدر عليه ، ولم تؤخذ منه ومات وهو مانع لها فهذا الذى يعاقب عليها يوم القيامة ويعذب بها . وهاك دليل ذلك وبيانه من الكتاب والسنة .

أما دليل الكتاب فقول الله تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** [١] ﴾وقوله تعالى : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيُطَوَّقونَ ما بخلوا به**

---

(١) من سـورة النساء .

يوم القيامة(١) ﴾

وأما دليل السنة فقد روى البخارى أنّ النبى ﷺ قال : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاتـه مُثِّل له يوم القيامـة شجاعاً أقرع له) زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بِلِهْزمتيه يعنى شدقيه ، ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ثم تلا : لا يحسبنَ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية .

وروى مسلم وأحمد عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : ما من صاحب كنز لايؤدى زكاته إلا أحمِىَ عليه فى نار جهنم فيجعل صفائح فيُكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيلَهُ إمَّا إلى الجنة وإما إلى النار .

وما من صاحب إبل لا يؤدى زكاتها إلا بطح لها بقاع (٢) قرقر كأوفر مَا كانت تستنّ(٣) عليه ، كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يَرَى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

ومـا من صاحب غنم لا يؤدى زكـاتهـا إلا بطح لها بقـاع قرقر كأوفر ما كانت فتـطؤه بأظـلافهـا ، وتنـطحـه بقـرونها ، ليس عقصـاء(٤) ولا جلحاء ، كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، **ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار** » الحديث .

وروى مسلم قوله ﷺ : « ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس .

---

(١) من سـورة آل عمـران ..
(٢) القاع : المستوى من الأرض وكذلك القرقر .
(٣) تَسْتِنّ : تعدو وتجرى مرحة نشطة يقال استن الفرس إذا عدا لمرحه ونشاطه .
(٤) العقصاء : الملتوية القرون ، والجلحاء التى لاقرن لها .

ما تجـــــــب فيه الزكاة من المال

إن ما تجب فيه الزكاة من الأموال هو مابينه رسول الله ﷺ بقوله أو عمله أو تقريره ، إذ القرآن الكريم أجمل ذلك ولم يفصله ، وعَمَّمه ولم يخصصه بناءً على أنَّ السنة النبوية هى التى تتولى بيان ذلك وتفصيله ، كما قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر ؛ لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون** [1] ﴾

ومن الآيات الآمرة بالزكاة وهى مجملة تحتاج إلى بيان وفيها عموم يحتاج إلى تخصيص قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض [2] ﴾ فقد تضمنت الآية الأمر بالزكاة فى المكتسب من المال والخارج من الأرض ، وكذا قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مَمَّا رزقناكم [3] ﴾ تضمن الأمر بالإنفاق مطلقا فيشمل الزكاة وغيرها . فالآية الأولى لم تبين مقدار ما تجب فيه الزكاة وهو النصاب ، ولم تبين ما يزكى من الخارج من الأرض كالبر والتمر وما لا يزكى كالخضر والفواكه مثلا ، والآية الثانية أجملت الأمر بالنفقة ، ولم تفصل : هل المراد من النفقة الزكاة ، وإذا كانت الزكاة فما هو نوع المال الذى يزكى وما مقداره ؟ وما الذى لا يزكى مما هو عفو لاتجب فيه الزكاة ؟ ومن هنا جاءت السنة النبوية ببيان ذلك وتفصيله وإلَيْكَهُ فيما يلـــى :

١ ـ الذهب والفضة وهما النقدان وما يقوم مقامهما من أنواع العُمل المختلفـــة .

٢ ـ عروض التجارة المدارةُ منها والمحتكرة على حد سواء .

٣ ـ الركاز وهو دفن الجاهلية ، وهو المال يوجد مدفونا فى الأرض .

---

(١) من سورة النحل .

(٢) من سورة البقرة .

(٣) من سورة البقرة .

٤ ـ المعادن النافعة كالحديد والنفط والفحم الحجـرى .
٥ ـ الماشية وهى الإبـل والبقـر والغنـم .
٦ ـ الحبوب من مقتات مدخر كالبر والشعير والتمر والزيتون .

شروط وجوب الزكـــاة

إن لوجوب الزكاة فى مال المرء المسلم شروطا لابد من توفرها ، وإلا فلا زكاة تجب فى مال لم تتم فيه شروط زكاته وهى :

١ ـ الملْك التام بأن يكون المسلم مالكاً لذلك المال ملكاً تامًّا بحيث يكون بيده وتحت تصرفه ، ولا يخل بشرط الملكية أن يكون المال تحت يد غيره إذا كان يقدر على تحصيله متى شاء تحصيله ليصبح فى يده ، وذلك كالدَّين يكون على ملىء أو غير مُعْسر .

٢ ـ النضجُ والطيب فى التمر والحبوب ، إذ لا زكاة على حب قبل اشتداده ولا على تمر قبـل نضجـه واستوائه . قال تعالى : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** [١] ﴾

٣ ـ الحـول وهـو مضى السنة من يوم ملك النصاب فى ذلك على النقدين والأوراق المالية والماشية .

٤ ـ النصاب وهو بلوغ المال حدًّا معينا وضعه الشارع لزكاته ، والنصاب يختلف باختـلاف الأمـوال المزكاة فالنصاب فى الماشية غيره فى المال والحـــرث .

وهــذا بيان الأنصبــة :

١ ـ فى النقدين : الذهب والفضــة .

إن نصاب الذهب سواء كان تبراً أو كان مَصوغاً عشرون ديناراً ، والدينار وزنه اثنتان وسبعون حبة شعير من الشعير المتوسط المنزوع الطرفين . ووزنها بالجرام ثلاثة جـــرامات ونصف جرام .

---

(١) من ســورة الأنعام .

وعليه فإذا ضربت الثلاثة جرامات والنصف فى عشرين كان الحاصل سبعين جراماً ، وهو نصاب الذهب ، فمن ملك هذا المقدار من الذهب وقد حال عليه الحول فقد وجبت فيه الزكاة .

والواجب فى زكاة الذهب ربع العشر، وعليه فالواجب فى سبعين جراما : جرام وثلاثة أرباع الجرام ، وما زاد فبحسابه مهما بلغ ، ففى كل مائة جرام جرامان ونصف ، أوقيمتها من العُمل المتداولة بين الناس اليوم .

٢ - فى الفضة وهو خمس أواق والأوقية أربعون درهماً فالأربعون مضروبة فى خمسة فالحاصل مائتا درهم وهو نصاب الفضة لحديث الصحيح : « ليس فيما دون خمس أواق صدقــة » .

والدرهم زنتـه إحدى وخمسون حبة شعير ، ووزنه بالجرام جرامان وثلاثة من عَشر جرامات [٣ و ٢] فإذا ضربت فى مائتين كانت أربعمائة وستين جراما وهو نصاب الفضة والواجب فيه ربع العشر كالذهب . وعليه ففى أربعمائة وستين جراما : أحد عشر جراما ونصفا ، أو قيمتها من العُمل المتداولة ، وعليه فمن ملك أربعمائة وستين جراما من الفضة أو قيمتها من العمل وحال عليه الحول فقد وجب عليه زكاته وهو ربع العشر أى بنسبة اثنين ونصف فى المائة .

٣ - فى الإبل وهو خمس ذود أى خمسة من الإبل لقول الرسول ﷺ فى الحديث الصحيح : « ليس فيما دون خمس ذود [١] صدقــة » .

فمن ملك خمسة أبعرة وحال الحول عليها وهى مملوكة له فقد وجب عليه زكاتها وهى شاة من الغنم .

٤ - فى البقر وهو ثلاثون بقرة فمن ملك ثلاثين بقرة وحال عليها الحول فقد وجب عليه زكاتها . والواجب فيها عجل تبيع يتبع أمه ولا يستقل

---

(١) الذود : الإبل لايتجاوز عددها الثلاثين ولا يقل عن الثلاثة وهو جمع لا واحد له .

بنفسه لصغر سنه لحديث معاذ رضى الله عنه : « بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرنى أن آخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعاً أو تبيعة ومن كل أربعين مسنة »(١)

٥ - فى الغنم وهو أربعون شاة فمن ملك أربعين شاة ضأنا كانت أو معزاً خليطا منهما وحال عليها الحول فقد وجب عليه فيها شاة أوفت سنة ودخلت فى الثانية لحديث أنس رضى الله عنه : « وفى صدقة الغنم فى سائمتها إذا كانت أربعين ففيها شاة إلى عشرين ومائة فإذا زادت ففيها شاتان إلى مائتين » (٢)

٦ - فى الحبوب والثمار وهو خمسة أوسق لقول الرسول ﷺ : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » . والوسق ستون صاعا والصاع أربعة أمداد بمد الرجل المتوسط غير قابض كفيه ولا باسطهما(٣)

وعليه فمن ملك خمسة أوسق من حب أو تمر بحصوله عليها من زرعه أو نخله أو شجره فقد وجب عليه فيها زكاتها وهى عشرها إن كانت تسقى بماء السماء أو العيون أو كانت عثرية لا تسقى بماء وإن كانت تسقى بالسواقى والمكائن أو الدلاء والآبار ففيها نصف العشر .
ففى كل خمسة أوسق نصف وسق أو ربعه .

٧ - فى الركاز وهو الخمس لقول الرسول ﷺ : « فى الركاز الخمس » والركاز هو دفن الجاهلية وعليه فمن وجد كنزاً مدفونا من كنوز الجاهلية وجب عليه أن يزكيه بمجرد العثور عليه بنسبة عشرين فى المائة وهى الخمس .

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة .
(٢) رواه البخارى رحمه الله .
(٣) بناء على هذا فإنَّ لكل فلاح أن يتخذ آنية تتسع لأربعة أمداد بلا زيادة ولا نقصان ويكيل بها ثماره وحبوبه فستون كيلة منها بوسق ومن ملك خمسة أوسق زكاها بنصف وسق أو بربعه كما تقدم حسب سقى الزرع .

٨ ـ فى المعادن وهو ربع العشر كزكاة النقدين غير أنه لا يشترط له الحـــــول .

وعليه فكلما استخرج صاحب المعدن كمية بلغت نصاب الذهب أو الفضة زكاها فور استخراجها ولا ينتظر بها الحول . هذا الذى قرره مالك فى موطئه مستدلا عليه بما شاع بين أهل المدينة أن رسول الله قطع لبلال بن الحارث المزنى معادن القبلية وهى من ناحية الفُرع فتلك المعادن كان لا يؤخذ منها إلا الزكــــــاة .

٩ ـ فى الحلى وهو ما يتحلى به النساء من مصوغات الذهب والفضة ويشترط لوجوب الزكاة فيه ما يلى : أن يبلغ نصابا وأن تنوى صاحبته مع التحلى الادخار للحاجة وأن تمنع إعارته إن طلبت منها وعليه فإن لم يبلغ الحلى نصاباً أو كان لمجرد التحلى به ولم تمنع إعارته فلا زكاة فيه على مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف .

بيان كيفيـة زكاة الماشيـة

أ ـ الإبـل :

إذا ملك المسلم خمس ذوْد من الإبل وحال عليها الحول وهى فى ملكه وجب عليه فيها شاة من الضأن وإذا ملك عشراً وجب عليه فيها شاتان ، وإذا ملك خمس عشرة وجب عليه فيها ثلاث شياه ، وإذا ملك عشرين وجب عليه فيها أربع شياه ، وإذا ملك خمساً وعشرين وجب عليه فيها بنت مخاض [١] ، وهى ما أوفت سنة ودخلت فى الثانية فإن لم يجدها أجزأه ابن لبون [٢] وهو ما أوفى سنتين ودخل فى الثالثة حتى تبلغ سِتّاً وثلاثين فيجب فيهـا بنت لبـون وهى ما أوفت سنتين ودخلت فى الثالثة حتى تبلغ ستة وأربعين ففيها حِقّة [٣] وهى التى أوفت ثلاث سنوات ودخلت فى الرابعة

---

(١) بنت مخاض : بنت الحامل يقال مخضت الناقة فهى ماخض إذا حملت .

(٢) ابن لبون : اللبون من الإبل ماوضعت حملها الثانى .

(٣) الحقة : والجمع حقاق وهى مابلغت سنا يطرقها الفحل فيها .

حتى تبلغ فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمسة وسبعين ففيها جذعة(١) وهى التى أوفت أربع سنين ودخلت فى الخامسة وهى أكبر أسنان الإبل حتى تبلغ تسعين ففيها بنتالبون، حتى تبلغ مائة وعشرين فيها حقتان فإذا زادت على ذلك ففى كل أربعين بنت لبون وفى كل خمسين حقة .

وهذا جدول يوضح ذلك :

جـدول رقـم (١) فى بيان زكاة الإبـل

من	إلى	الواجب
٥	٩	شـاة
١٠	١٤	شاتـان
١٥	١٩	ثـلاث شيـاه
٢٠	٢٤	أربع شيـاه
٢٥	٣٥	بنت مخاض
٣٦	٤٥	بنت لبـون
٤٦	٦٠	حقـة
٦١	٧٥	جذعـة
٧٦	٩٠	بنتا لبون
٩١	١٢٠	حقتـان

فإذا زادت على المائة والعشرين فالواجب فى كل أربعين بنت لبون وفى كل خمسين حقة وهكذا مهما بلغـت .

(١) الجذعة : هى ماجذعت مقدم أسنانها أى أسقطتـه .

ب ـ البقـــر :

إذا ملك المسلم ثلاثين بقرة إلى تسع وثلاثين وجب عليه فيها عجل تبيع أو فى سنة كاملة ، وإذا ملك أربعين إلى تسع وخمسين وجب عليه فيها مسنة أوفت سنتـين كاملتـين وإذا ملك ستين إلى تسع وستين وجب عليه فيها عجلان تبيعان وإذا ملك سبعين إلى تسع وسبعين وجب عليها فيها مسنة وتبيع ثم فى كل ثلاثين تبيع وفى كل أربعين مسنة وهكذا مهما بلغـــت .

وهذا جدول يوضح ما سبـــق :

جـــدول رقم (٢) فـــى بيان زكاة البقـــر

من	إلى	الواجـــب
٣٠	٣٩	عجل تبيع
٤٠	٥٩	مسنـــة
٦٠	٦٩	تبيعـــان
٧٠	٧٩	مسنة وتبيــع

ثم إذا بلغت ثمانين فما فوق ففى كل ثلاثين تبيع وفى كل أربعين مسنة وعليه ففى الثمانين مسنتان وفى التسعين ثلاثة عجاجيل وفى المائة مسنة وعجــلان تبيعـــان .

ج ـ الغنـــــم :

إذا ملك المسلم أربعين رأساً من الغنم إلى مائة وعشرين وجب عليه فيها شاة فإذا زادت واحدة إلى مائتين ففيها شاتان. فإذا زادت واحدة إلى

ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه فإذا زادت واحدة إلى أربعمائة ففيها أربع شياه فإذا زادت واحدة إلى خمسمائة ففيها خمس شياه ، ثم فى كل مائة . شاة مهما بلغــــت .

وهــذا جدول يوضح ذلك ويبيّنــه :

جــدول رقم (٣) فى بيان زكاة الغنــم

من	إلــى	الواجــب
٤٠	١٢٠	شــاة
١٢١	٢٠٠	شاتــان
٢٠١	٣٠٠	ثلاث شياه
٣٠١	٤٠٠	أربع شيـاه
٤٠١	٥٠٠	خمس شياه

تنبيهــات تتعلق بزكاة الماشيــة

الأول : الوقص لا زكاة فيــه

والوقص هو العدد بين الفريضتين ، والإجماع قائم على أنه لا زكاة فيه ؛ والـوقص لا يكون إلا فى زكاة الماشية فقط ؛ أما زكاة الحرث والعين فلا وقص فيهما ؛ إذ مازاد على الفريضة يزكى بحسابه قلة وكثرة .

ومثـال الـوقص فى الإبل : أن يملك المسلم تسعا من الإبل فإنه يزكى الخمس ذود بشــاة ، ولا يزكى الأربعــةالأبعرةالبـاقية حتى إذا زادت فأصبحت عشرا فإنه يزكيها بشاتين . ومثاله فى البقر : أن يملك المسلم ثلاثين بقرة فيزكيها بعجل فإذا زادت واحدة أو أكثر فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ، فالعدد ما بين الثلاثين والأربعين وقص لا زكاة فيها . ومثاله من الغنم : أن يملك المسلم أربعين شاة فيزكيها بشاة واحدة فإذا زادت فلا زكـاة فيما زاد حتى تبلغ مائة وإحدى وعشرين فيزكيها بشاتين ، فالعدد مابين الأربعين إلى مائة وعشرين وقص ولا زكاة فيه .

الثانى : الأنواع يضم بعضها إلى بعض . فالضأن والمعز نوعان ، والبقر والجاموس نوعان ، والبُخْتُ [١] والعراب [٢] نوعان،ويضم كل نوع إلى نوعه فى الزكاة،وتخرج الزكاة من أكثر النوعين .

الثالث : الخليطان يتراجعان بالسويَّة .

إذا كان هناك اثنان لكل منهما عدد من الإبل أو البقر أو الغنم وكان راعيهما واحداً ، ومراح ماشيتهما واحداً ، والفحل واحداً فهما خليطان ، فإن للمصدِّق أخذ الواجب فى تلك الماشية ، وهما يتراجعان بالسويَّة وذلك كأن يكون لهما أربعون شاة فيأخذ المصدِّق منها شاة ، فالذى أخذت الشاة من غنمه يرجع على صاحبه بما أخذ منه؛ إذ الساعى أو المصدق ينظر إلى الماشية المختلطة فيعدها ويأخذ ما وجب فيها والخليطان يتراجعان بينهما بالسوية .

الرابع : لايجمع بين مفترق ، ولا يفرق بين مجتمع خشية الزكاة .

نهى رسول الله ﷺ عن جمع المفترق ، وتفريق المجتمع خشية الصدقة [٣]

ومثاله أن يكون لرجلين مائتا شاة وشاتان ، فالواجب عليهما ثلاث شياه فإذا شعرا بمجىء المصدِّق فرقا غنمهما فأصبح لكل واحد مائة شاة وشاة فقط فيجب عليهما شاتان بدل ثلاث .

أو يكون لكل واحد منهما أربعون شاة مستقلة فإذا شعرا بمجىء المصدق جمعاها حتى لايجب فيها إلا شاة واحدة ، إذ لو تركت متفرقة لوجب فى كل أربعين شاة ولكن إذا جمعاها وأصبحت غنما واحدة فإن فيها شاة واحدة .

---

(١) البُخت : الإبل الخراسانية .

(٢) العراب : كرائم الإبل السالمة من الهجنة .

(٣) رواه أهل الصحاح .

الخامس : اشتراط السوم فى الماشيــة :

الجمهور من أهل العلم على أن السوم شرط فى وجوب الزكاة . وعليه فمن كانت له ماشية يعلفها ولم تكن ترعى فى المراعى العامة فلا زكاة فيها وإن بلغت نصاباً لقول الرسول ﷺ : « فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة »(١).

فقولـه : سائمـة الـرجل اعتبر به السوم شرطا عند الجمهور وعملوا به فأسقطوا الزكاة على المعلوفة نظراً لكلفة العلف .

السادس : الخيــل لا زكاة فيهــا .

الإجماع على أنه لا زكاة فى الخيل لقول الرسول ﷺ : « ليس على المسلم فى عبده ولا فى فرسه صدقة »(٢)

غير أن الخيل إذا كانت للنسل بأن كانت ذكوراً وإناثاً يرى بعض أهل الفقه الزكاة فيها فيخرج عن كل فرس ديناراً سنويا . وهو رأىٌ ضعيف لم يره الجمهــور .

السابع : السخلة تعد ولا تؤخذ هى ولا الأكولــة :

إن السخلة والجمـع سخـال : بنت الشـاة التى ما زالت صغيرة يحملها الراعى لصِغَرها وعدم قدرتها على المشى . هذه السخلة يعدها المصدق على أصحابهـا ولا يأخذها فى الصدقة وإنما يأخذ الكبيرة . كما لا يأخذ الأكولة وهى السمينة المُعَدَّة للأكل ولا الرُّبَّى وهى التى تربى ولدها ، ولا المخاض وهى الحاملَ ولا الفحل لأنّ هذه المذكورات من كرام الأموال .

والـرسـول ﷺ قال لمعاذ رضى الله عنه : « إياك وكرائم أموالهم » وهى خيارها لما فى ذلك من أذى أهل المال المسلمين وأذية المسلم حــرام .

---

(١) رواه البخــارى .

(٢) رواه مالك عن أبى هريرة رضى الله عنه فى الموطـأ .

بيان كيفيـة زكاة الثمـار والحبوب

أ ـ الثمـــار .

الثمار جمع ثمرة ، ثمرة كل شيء نتاجه والمراد بالثمار هنا ثلاثة أشياء : هى التمر والزيتون والعنب ، إذْ غيرها لم يصح عن النبى ﷺ ولا عن أصحابه رضى الله عنهم ما يدل على وُجوب الزكاة فيه ، ومن احتج بآية البقرة (١) على زكاة ما عدا الثلاث المذكورة آنفا فإنه محجوج بأن الآية مجملة والسنة مبينة ، ولم يأمر رسول الله ﷺ الأنصار وكانوا أهل حقول بزكاة غير التمر والعنب والزيتون من سائر أنواع الثمار ، ولذا الجمهور على أنه لا زكاة فى الفواكه كالتفاح والرمان ولا فى الخضر كالقثاء والبطيخ ، ولا فى البقول كالبصل والثوم ولا فى القَضْب كالبرسيم لعلف الدواب والغنم . وإنما الزكاة فى الثمار والحبوب التى تقتات (٢) وتدخر ، أما القضب والبقول والفواكه والخضر فلا زكاة فيها لأنها لا تقتات ولا تدخر وما كان منها مقتاتا فإنه لا يدخر وما كان يدخر فإنه لا يقتات والاقتيات والادخار هما الوصف الملائم لوجوب الزكاة .

الواجب فى زكاة الثمـار والحبـوب :

والواجب فى زكاة الثمار والحبوب هو العشر ، فمن ملك نصاباً وهو خمسة أوسق من تمر أو زيتون ، أو عنب فقد وجب عليه زكاة فإن كان يسقى بماء العيون والأمطار والأنهار أو كان عثريا (٣) فإن الواجب فيه العشر ، وإن

---

(١) هو قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ .

(٢) المقتات : مايتخذ قوتا يعيش عليه الإنسان فى حال الاختيار لا فى حال الضرورة

(٣) العثرى : هو البعل وهو مايشرب بعروقه ولا يسقى بماء .

كان يسقى بالحبال والدلاء أو المكائن ففيه نصف العشر لقول الرسول ﷺ : « فيما سقت(٢) السماء والعيون والبعل العشر ، وفيما سُقى بالنضح(٣) نصف العشر » .

تنبيهـــــات

الأول : العنب إن صلح أن يكون زبيباً فإنه يزكى بعد أن يصير زبيباً إذا بلغ خمسة أوسق ، والزيتون يزكى بعد عصره فتخرج الزكاة من زيته إذا بلغ نصاباً وهو خمسة أوسق .

الثاني : ما كان من الرطب والعنب والزيتون لا يصلح أن يكون تمراً وزبيباً وزيتاً خُرِصَ(٣) فإذا بلغ نصاباً زكى ثمنه بعد بيعه رطبا وعنبا وزيتونـــا .

الثالث : الجنس إذا اختلفت أنواعه جودة ورداءة أخرجت الزكاة من وسطه فيُتحاشى خيارُه كما يتحاشى أردؤه ويخرج من وسطه ، وذلك كالتمر فإن منه الجيد جداً كالعجوة ومنه الردىء جداً كالحُلَيَّة والجعرور وما إلى ذلك ، وهذا تمشيا مع إرشاد الرسول ﷺ إذ قال لمعاذ رضى الله عنه : « إياك وكرائم أموالهم » . وقول عمر رضى الله عنه : عُدَّ عليهم السخال ولا تأخذها منهم . والسخال : الصغير من الغنـــــم .

الرابع : ما كان من الثمار كاللوز والجوز ، والفواكه كالتفاح والخوخ والبرتقال والكُمَّثْرَى يبلغ خمسة أوسق ويزيد ، الأحوط لدين المسلم أن يزكى ماباعه منه بأثمان كبيرة ، ولو بنسبة اثنين ونصف فى المائة كزكاة العين كما قيل فى زكاة الخيل إذا كانت للنمـــاء والنســـــل .

الخامس : لو بلغ العسل(٤) كميات كبيرة كخمسة قناطير من العسل

---

(١) رواه مالك فى المـوطأ .

(٢) المراد من النضح : السقى بالسواقى والمكائن والدلاء إذا النضح هو الرش بالماء .

(٣) خُرِصَ : قدر بالحزر وهو على الشجرة و النخلة قبل جداده أو قطفـه .

(٤) ورد فى زكاة العسل حديث ضعيف ولذا الجمهور على عدم زكاته ولأن العادة لايجنى منه كميات كبيرة تبلغ خمسة أوسق أو تزيد .

فأكثر فإن الأحوط زكاته كذلك ولو بزكاة ثمنه بربع العشر كالنقدين .

السادس : من باع تمرا قبل بدو صلاحه ، أو زرعا قبل اشتداد حبه واستوائه فزكاته على المشترى إلا أن يشترط عدم زكاته فيكون عندئذ على البائع ، ومن باع التمر بعد بدو صلاحه والزرع بعد استوائه فزكاته على البائع بلا خلاف .

ب ـ الحبــــوب :

المراد من الحبوب فى باب الزكاة ما كان مقتاتاً [١] مدخرا من سائر أنواع الحبـوب كالـبر والشعير والفول والحمص والعدس والسلت والذرة والأرز واللوبيا والجلبانة وما شابه ذلك من أنواع الحبوب والقِطنيَّة.

فمن حصد من ذلك خمسة أوسق فما فوق وجب عليه زكاته وهى العشر فيما يسقى بدون مؤونة ونصف العشر فيما يسقى بمؤونة ، وذلك بعد حصـاده ودرسه وتصفيته لقول الله تعالى : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ [١]

تنبيهـــــــات

الأول : أنـواع الجنس الواحد يُضم بعضها إلى بعض فى الزكاة ، فالـذهب يُضم إلى الفضـة ، والبر والشعير والذرة والسلت والأرز يضم بعضها إلى بعض فإذا بلغ المجموع خمسة أوسق وَجَبَتْ فيها الزكاة وإلا فـــلا .

والقطنية كالفول والحمص والجلبان واللوبيا والعدس يُضم بعضها إلى بعض فإن بلغت خمسة أوسق زكيت وإلا فلا . والزيتون تضم أنواعه إلى بعضها ، ويزكى إن بلغ خمسة أوسق والتمر جنس تحته أنواع بلغت أكثر من مائة نوع منها الجيد ومنها الردىء يضم بعضها إلى بعض فإن بلغت خمسة أوسق وجبت فيها الزكاة وإلا فــــــلا .

---

(٢) قيد الاقتيات يخرج به مثل الفلفل والبصل والبرسيم وقيد الادخار يخرج به الفواكه والخضر كالبطيخ والطماطم .
(١) الآية من سورة الأنعـام .

الثانى : الدّين لايسقط زكاة الثمار والحبوب :

إن الدين يسقط زكاة النقدين فمن كان له ألف درهم وعليه دين أسقط دينه أولا وما بقى زكاه إن بلغ نصاباً .

غير أن الدين لايسقط زكاة الثمار والحبوب والماشية فمن حصد ألف قنطاربُرًّا وعليه مائة درهم مثلا فإنه يجب عليه أن يزكى بُره بلغ دينه ما بلغ ، لأن الزكاة متعلقة بعين الحب والثمار لا بذمة صاحبه كما هى الحال فى النقدين : الذهب والفضة .

اللهم إلا أن يكون قد استدان صاحب الحرث لأجل الحرث كشراء بذر ، أو استئجار آلة حرث أو حصاد ، أو دياس ففى هذه الحال يسقط دينه المترتب على الحرث ويزكى مابقى . هكذا رأى بعض أهل [1] العلم ، وهو رأى حسن يتفق ورحمة الإسلام بأهله .

الثالث : لا زكاة على شريك لم تبلغ حصته نصاباً .

إذا كان فى النخل أو العنب أو الزيتون أو الحرث مطلقا شركاء فجدُّوا تمرهم أو قطفوا عنبهم أو جنوا زيتونهم ، أو حصدوا زرعهم واقتسموه بينهم بحسب أنصبتهم فى الشركة، فإن من حصل منهم على نصاب أى خمسة أوسق زكى نصيبه، ومن حصل منهم على أقل من نصاب فلا زكاة عليه .

بيان كيفية زكاة النقدين

أ ـ الذهب :

الذهب ويقال له التِّبر قبل أن يضرب أو يصاغ ، وَاحِدُه ذهبة : جوهر كريم معروف ومنه الأحمر والأصفر . وتجب الزكاة فيه إذا بلغ نصاباً ،

(١) يروى هذا عن عطاء وهذا نص قوله فى المجموع للنووى : تكون المؤونة من وسط المال لايختص بتحملها المالك دون الفقراء ؛ لأن المال للجميع فوزعت المؤونة عليه . كما يروى عن ابن عباس وعمر رضى الله عنهم وكذا سفيان الثورى رحمه الله تعالى .

ونصابه عشرون ديناراً ، والدينار زِنَته اثنتان وسبعون حبة شعير ، وزنتها بالجرامات ثلاثة جرامات ونصف جرام ، فإذا ضربت فى عشرين ديناراً صارت سبعين جراماً وهى نصاب الذهب ، فمن ملك هذا المقدار ملكاً تاماً وحال عليه الحول وجب عليه زكاته وهى ربع العشر : جرام وثلاثة أرباع الجرام ؛ إذ فى الأربعين جرام وفى الثلاثين ثلاثة أرباع جـــــرام .

ومن ملك أقل من سبعين جراماً وملك من الفضة أو العُمل النقدية ما يكمل به سبعون جراما وجبت عليه فيه الزكاة ، إذ الفضة تضم إلى الذهب والعُمل قائمة مقامهما . وذلك لحديث الصحيح : وفى الرقة ربع العشـــــر .

ب : الفضَّـــة :

الفضة ويقال لها الرِّقة والورق : جوهر كريم أبيض تضرب منه الدراهم كما تضرب الدنانير من الذهب ، ويصاغ منها الحلى للنساء كما يُصاغ من الذهب ، وتتخذ منها الأوانى للأكل والشرب ، ويحرم الأكل والشرب فى آنيتهما على المسلم لقول الرسول ﷺ : « لا تشربوا فى إناء الذهب [1] والفضة ، ولا تلبسوا الديباج والحرير فإنه لهم فى الدنيا وهو لكم فى الآخرة يوم القيامة » .

وتجب الزكاة فى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة إذا بلغت نصابا والنصاب فيها خمس أواق ، لقول الرسول ﷺ : « ليس فيما دون خمس أواق صدقة[2] » .

والأوقية أربعون درهماً ، فإذا ضرب الأربعون فى خمسة عدد الأواقى كان الحاصل مائتى درهم وهو نصاب زكاة الفضة بالدراهم ، والدرهم إحدى وخمسون حبة شعير وزنتها بالجرامات : جرامان وثلاثة من عشرة هكذا (٣ و ٢) فإذا ضربت فى مائتين عدد الدراهم كان الحاصل أربعمائة

---

(١) رواه مسلم .
(٢) فى الصحيح .

وستين جراما ، وهو نصاب الفضة بالجرامات ، والواجب فيه ربع العشر كالذهب سواء بسواء .

وعليه فمن ملك أربعمائة وستين جراما من الفضة ملكاً تاما وحال عليها الحول وجب عليه زكاتها بربع العشر ، وهو أحد عشر جراما ونصف جرام ومن ملك أقل من نصاب وكان معه ذهب أو عملة يكمل بها النصاب وجب زكاة ذلك لأن الذهب يضم إلى الفضة ، والفضة إلى الذهب والعُمل قائمة مقامهما فتضم إليهما ويطلق على الكل لفظ النقد أو العين .

ح : عروض التجارة :

العروض جمع عرض بفتح العين وسكون الراء : مايُعرض للبيع والشراء من سائر السلع والبضائع . ووجبت الزكاة فيها لأنها أموال مُعَدَّة للنماء والزيادة ولحديث : فى الإبل صدقتها وفى البقر صدقتها وفى البز صدقته [١] .

وحديث أبى دواد [٢] : كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى يُعَد للبيع . ولا زكاة فى العروض واجبة إلا إذا توفرت فيها ثلاثة شروط وهى : المِلْك التام ، وحول الحول ، ونية الاتجار بها فإن نقص شرط فلا زكاة .

وكيفية زكاة العروض أن ينظر فيها أولاً : هل هى محتكرة أو مُدارة ، فإن كانت مُدارة أى تدخل وتخرج كلما باع صاحبُها كمية اشترى أخرى ليبيعَها وهكذا لاتستقر البضاعة عنده حتى يبيعها ويشترى أخرى

---

(١) الحديث رواه البيهقى والدار قطنى والحاكم وصححه . والشاهد منه قوله « وفى البز صدقته » إذ البز : الكتان وهو من عروض التجارة ، وكذا الإبل والبقر إذا كانت للتجارة فإنها تزكى زكاة الأموال لازكاة الأنعام .

(٢) الحديث ضعفه بعضهم وسكت عنه أبو داود . وماسكت عنه أبو داود يحتج به أهل العلم ويصلح للعمل بــه .

كاصحاب الحوانيت والدكاكين من بائعى البقول والأقمشة وأدوات البناء وأوانى الطبخ وما إلى ذلك فصاحب هذه العروض التجارية عليه أن يقوم الموجود بدكانه رأس كل حول ، ويضيف إليه الناص من النقود ويزكيه بنسبة ربع العشر أى اثنين ونصف فى المائة إذا بلغ الجميع نصاباً .

وإن كانت محتكرة وهى التى يترصد بها التاجر غلاء الأسعار ، ولا يبيعها إلا إذا غلت وارتفعت أسعارها ، ولو مكثت عنده سنين عديدة ، وذلك كالاتجار فى الأراضى والمبانى والمواشى من خيل وإبل وبقر وغنم وبعض الأثاث المنزلى وما إلى ذلك مما لايديره التاجر ، وإنما يحتكره حتى يبيعه بغلاء فزكاة هذه العروض عند مالك رحمه الله تعالى وهو المذهب الذى اخترناه فى هذه المسألة بالذات لِمَا فيها من الرفق . والتيسير أن يزكيها صاحبها يوم يبيعها إن بلغت نصابا لعام واحد ولو مكثت عنده أعواماً . ووجه الرفق فيها : أنَّ المسلم قد تكون عنده نقود فيشترى بها قطعة أرض أو منزل أو بهيمة ينتظر بها الغلاء لعل الله تعالى يكسبه منها ربحاً فيحول الحول ولم تبع ، وما عنده من النقد ما يفضل عن قوته فيقع فى حرج كبير إذ ليس له ما يزكى به ذلك العرض الذى اشتراه بنيَّة الربح فيه . فمن الرفق به أن يمهل حتى يبيع ولو بعد سنين، فإذا باع عرضه زكاه فورا لعام واحد إذْ لو طالبناه بزكاة سنين قد تستغرقه الزكاة، وهذا يتنافى مع رحمة الإسلام وعدالته . مع العلم أنه لا نص صريحاً فى المسألة ولا إجماع بل الظاهرية لا يرون الزكاة فى العروض التجارية بالمرة لعدم الدليل القاطع فى ذلك ، ومع هذا فلو أن المسلم زكّى ما يحتكره كل سنة لكان أحب إلينا ، لا سيما والتطوع محمود وفى الحديث : « إلا أن يشاء ربها » . وإذا باع المحتكر عروضه زكاها فوراً ولا ينتظر بثمنها الحول . والوجب فيها هو الواجب فى النقدين : ربع العشر أى اثنين ونصف فى المائة .

د ـ الديــــون :

الديون جمع دين وهو ما تعلق بذمة إنسان لآخر من عرض أو نقد إلى أجل معين أو إلى غير أجـــل .

وكما يكون المسلم دائنا يكون مدينا ، فالدائن إذا حال الحول على ما عنده من نقد أو عرض تجارة فإنه ينظر إلى ديونه التى له على الغير فإن كانت مرجوّة الحصـول عليها ، وذلك بأن كانت بذمة مقرٍّ بها غير معسر فإنه يحصيهـا ويضمها إلى ما عنده من مال أو عرض تجارة حال عليه الحول ويزكيها معه . وإن كانت ديونه ميئوساً منها أو شبه ميئوس لكونها بذمة منكر لها أو مقر بها وهو معسر لا سداد له فإن هذه الديون يزكيها يوم قبضها ولو بقيت سنوات شأنها شأن عروض التجارة المحتكرة فإنها تزكى يوم بيعها لعام واحد ولو بقيت سنوات عدة والمدين إذا حال الحول على ما عنده من نقد أو عرض تجارة فإنه يحصى ما عليه من الديون ويسقطها مما عنده فإن بقى به ما تجب فيه الزكاة زكاه وإلاَّ فلا . مثاله : أن يكون لمسلم مائة ألف درهم حال عليها الحول وعليه دين هو مائة ألف أو أكثر فإنه لازكاة عليه ، وإنما عليه أن يسدد ديون الغير التى بذمته ، وإن كان له ألف درهم وحال عليه الحول ، وعليه دين وهو أربعمائة درهم فإنه يسقطها من الألف فيبقى ستمائة فيزكيها ، دون الاربعمائة لأنها لغيره وليست له ولأن صاحبها سوف يزكيها يوم يقبضها أو قبل قبضها .

تنبيهات

الأول : إن فى مسألة زكاة الديون خلافاً طويلا بين أهل كل مذهب ، وما مشينا عليه هو مذهب مالك وقد استدل عليه فى الموطأ بعمل عثمان بن عفان رضى الله عنه وعمل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ،

والاقتداء بالخلفاء الراشدين خير من القول بالرأى .

الثاني : أنّ من قبض شيئا من دينه ينظر فيه فإن كان بالغاً نصاباً ، أو كان عنده مال غيره وجبت فيه الزكاة ضمه إليه وزكاه معه ، وإن كان ما حصل عليه من الدين لم يبلغ نصاباً عرف عدده حتى إذا تسلم قدراً آخر من دينه ضمه إليه وزكاه إن بلغ نصابـــــاً .

الثالث : إن كان لمسلم دين على فقير لا يجزئه أن يجعلَه من الزكاة ويبرئه منه ، لأن هذا الفقير معسر لايقدر على سداد هذا الدين ، وعليه فقد أصبح المالك غير قادر عليه،فملكه إذاً غير تام والزكاة تجب بشرط الملك التـام . ولـذا لا يزكى هذا الـدين حتى يتسلمـه ولو بقى سنوات بذمة الفقير ، ولا يزكيه إلا مرة واحدة كما تقدم بيانـــــــه .

هـــ ـ المال المستفـــاد :

إن المراد من المال المستفاد : مَا حصل عليه المسلم من إرث أو هبة أو عطية ، أو أجرة عمل أو كراء دابة أو سيارة ، أو أجرة منزل أو دكان ، أو أرض وما إلى ذلك . فهل فى هذا المال زكاة ؟ وهل يشترط له الحول ؟ وهل حوله خاص به ؟ أو هو حول ما عند صاحبه من مال سابـــق ؟

والجواب : أنه مادام هذا المال المستفاد عيناً أى ذهبا أو فضة أو عملة تقـوم مقـام الـذهب والفضة فإن فيه الزكاة ، لأن الزكاة تجب فى العين والحـرث والمـاشية ، وهـذا المـال المستفاد عين فالزكاة واجبة فيه إذاً بلا خلاف ، وأما الحول فعامة المسلمين من صدر الإسلام إلى اليوم على أنه شرط فى زكاة المال المستفاد ، فمن استفاد مالاً بإرث أو هبة أو كراء أو إجارة أو عمل قام به فإنَّ هذا المال لا يزكى حتى يحول عليه الحول ، أو يكون للمسلم مال غيره حال عليه الحول فإنه يجمعه معه ويزكيهما معاً ، أمّا أن يزكى المـال المستفـاد فور استفادته بدون مرور الحول عليه فهذا مخالف

لإجماع المسلمين (١) ، فقد كان أبو بكر رضى الله عنه (٢) إذا أعطى الناس أعطياتهم يسأل الرجل : هل عندك مال وجبت عليك فيه الزكاة ؟ فإن قال : نعم . أخذ من عطائه زكاة ذلك المال ، وإن قال : لا ، أَسْلَمَ إليه عطاءه ولم يأخذ منه شيئا ، ومعنى هذا أن يستقبل بما أُعطيه من مال حولا كاملاً من يوم تسلمه .

وهذا الذى عليه المسلمون من عهد نبيِّهم ﷺ إلى اليوم : أن من استفاد مالاً لا يزكيه حتى يحول عليه الحول ، أو يكون له مال وجبت فيه الزكاة فإنه يضمه إليه ويزكيهما مَعــاً .

فالمسلم يرث المال أو يعطاه هبة أو يحصل عليه بعمل قام به أو باستئجار منزله أو دابته أو أرضه فإنه ينفق منه على نفسه وأهله ويتصدق منه فإذا حال الحول وبقى منه شىء يبلغ نصاباً زكاه ، أو يكون له مال آخر حال عليه الحول فإنه يزكيه ولو لم يحل الحول على المال المستفاد لوجود مال سابق وجبت فيه الزكاة ، وقد تقدم أنَّ أبا بكر إذا أعطى الرجل سأله : هل عندك مال وجبت فيه الزكاة ؟ فإذا قال : نعم أخذ الزكاة من أعطيته التى هى مال مستفـاد .

ولو قلنا بزكاة المال المستفاد فور الحصول عليه إذا بلغ نصاباً لكنا قد أبطلنا قاعدة شرعية وهى الحول ، وهذا مالا نقدر عليه ، إذ اشتراط الحول أمر مجمع عليه بين المسلمين ، فليس من حق أحد أن يسقطه باجتهاد .غير أن هناك طريقاً سليما لا بأس أن يوجه المسلم إليه وهو أن يقال لذى الدخل الكبير من رواتب عالية إيراد إجارات كبير يزيد على نفقة المسلم إن هذه الأموال نعمة من الله تعالى فأنفق منه فى وجوه البر والإحسان ، ولا تكتف

---

(١) خالف فى هذا عثمان ووافقه ابن عباس رضى الله عنهم ثم انعقد الإجماع على أن المال المستفاد لازكاة فيه حتى يحول عليه الحول وابن عباس قال بعدم اشتراط الحول فى مسألة الأعطية السنوية ، التى كان الخلفاء يعطونها للمسلمين من بيت المال كل عام لافى كل مال مستفاد .

(٢) رواه مالك فى الموطـأ .

بالزكاة من الحول إلى الحول فإن فى المال حقا غير الزكاة . وقد قال رسول الله ﷺ لعمر رضى الله عنه : « إذا جاءَك من هذا المال شىء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وكل وتصدق » . فمثل هذا التوجيه والإرشاد نافع ، ويصبح المسلم معه ينفق من ماله أكثر من واجب الزكاة .

و ـ زكاة الأوراق الماليـــة :

إن المـراد من الأوراق المـالية تلك العمل المختلفة كالدولار والفرنك والـدينار والريال والدرهم والجنيه والليرة والروبية المصنوعة من الورق أو النيكل أو الحديد ، وأصبحت بديلا عن الدينار الذهبى والدرهم الفضـــى .

هذا وبـما أن الجمهـور من الفقهـاء يرون ضَمَّ الذهب إلى الفضة ، والفضة إلى الذهب فى تكميل النصاب وإخراج الزكاة من أحدهما بدلا عن الآخر فإنه لا مانع من تقويم العملة النقدية بالذهب أو الفضة وإخراج زكاتها بما قُوِّمَتْ به إن بلغ نصاباً ، فإذا كان نصاب الذهب : سبعين جراما كما تقدم وكان مابيد العبد من العملة يساوى هذا القدر جاز إخراج زكاته بحساب نصاب الذهب ، كما أنه إذا كان نصاب الفضة أربعمائة وستين جراما ـ كما تقدم ـ وكان عند المرء المسلم مبلغ من العملة يساوى هذا القدر من الفضة جاز له أن يخرج زكاته بحسابه إذْ هو فى الحالين لا يعطى ذهباً ولا فضة ولكن يعطى عملة بلده من الريال أو الدرهم أو الدينار أو الجنيه مثلا .

بيـــان وتوضيح :

لقد علمنا مما سبق أن نصاب الذهب سبعون جراما وذلك لأننا أخذنا بما قَرَّره سلف الفقهـاء المـالكية من أن الدينار زنته اثنتان وسبعون حبة شعـير ، فأخذنا الاثنتين والسعين حبة من الشعير فوزناها بميزانِ دقيق

فوجدناها تساوى ثلاثة جرامات ونصفا فضربنا فى عشرين ديناراً نصاب الذهب الشرعى فكانت سبعين جراما . وعليه فمن كان لديه من العملة ما يساوى قيمة سبعين جراما من الذهب فقد وجبت عليه الزكاة، فيزكى ماعنده من العملٍ بنسبة ربع العشر أى اثنين ونصف فى المائة وبهذا أصبح الأمر ميسراً سَهْلاً إذ مَا على المسلم إذا حال الحول على ما عنده من المال الذى هو عُمل فى الغالب ما عليه إلا أن يأتى بائع ذهب ويسأله عن قيمة سبعين جراماً من الذهب أو أربعمائة وستين جراماً من الفضة فإذا أعلمه بها نظر هل هذا المبلغ الذى ذكره له عنده أولا ؟ فإن وجده عنده علم أنَّ الزكاة وجبت عليه وزكى ما عنده وإن كان ما عنده أقل مما أخبره به بائع الذهب علم أن ماله لم يبلغ نصاباً وأنه لا زكاة عليه فيه .

وزيادة فى التوضيح لينظر فى الجدول التالى رقم (١)

الدينار	وزنه بالشعير	وزنه بالجرام	النصاب بالدينار	قدره بالجرام	الواجب
١	٧٢	٣	٢٠	٧٠	١

وذلك أنَّنا لما عرفنا أن الدينار الشرعى زنته ٧٢ حبة شعير ووزناها فوجدناها ثلاثة جرامات ونصفا ، ضربناها فى عشرين نصاب الذهب فوجدناها سبعين جراما فعلمنا أنه نصاب الذهب . وبما أن الواجب هو ربع العشر ففى الأربعين جرام وفى الثلاثين جرام إلا ربعاً أى ثلاثة أرباع ، وهو الواجب فى السبعين جراما نصاب الذهب [1]

(١) ليعلم من يقرأ هذه الرسالة : أننا نظرنا فى كتب الفقة القديمة والحديثة ، وأنَّ مَارجحناه من أن نصاب الذهب هو سبعون جراماً ، ونصاب الفضة هو أربعمائة وستون جراما فى حين أن من قائل من يقول : نصاب الذهب خمسة وثمانون جراما ونصاب الفضة خمسمائة وخمسة وتسعون جراما .

إن مارجحنته قائم على الحقائق التالية :

(أ) أن الأخذ بالأقل هو الأحوط لدين المسلم وأنفع للفقير المسلم .

(ب) أن زنة الدينار باثنين وسبعين حبة شعير وزنة الفضة بخمسين حبة وخُمُسَالحبة عليه الفقهاء المالكية وهو أضبط وأيسر وأحوط .

(ج) قيمة الخمسة والثمانين جراما من الذهب تساوى مايقارب ثلاثة آلاف ريال وزيادة من الريالات السعودية وهذا مبلغ لم يقل أحد اليوم أنه نصاب الريالات أو أية عملة أخرى وذلك لكبره وكثرته !!!

كما أننا أخذنا بتقدير المالكية فى الفضة لانضباطه وحياطته وسهولته ويسره ، إذ نصاب الفضة خمس أواق والأوقية أربعون درهما ، وعليه فمائتا درهم هى نصاب الفضة ، والدرهم زنته خمسون وخمسا[1] حبة شعير وقد وزناها بالجرامات فكانت جرامين وثلاثة من عشرة ، فضربناها فى المائتين نصاب الفضة الشرعى فوجدناها أربعمائة وستين جراماً .

وعليه فمن ملك من العُمل المختلفة ما تساوى قيمة أربعمائة وستين جراما من الفضة فقد وجبت عليه الزكاة فليخرجها من عُملته بنسبة ربع العشر أى اثنين ونصف فى المائة .

وهذا جدول توضيحى لذلك رقم (٢) .

الدرهم	زنته بالشعير	زنته بالجرام	النصاب بالدرهم	قدره بالجرام	الواجب فيه
١	٥١	٢,٣	٢٠٠	٤٦٠	١١,٥

وذلك أننا لما عرفنا أن الدرهم الشرعى زنته إحدى وخمسون حبة شعير ووزناه فوجدناها جرامين وثلاثة من عشرة ضربناها فى مائتين نصاب الفضة بالدرهم فوجدناها أربعمائة وستين جراما . فعلمنا أنه نصاب الفضة ، وبما أن الواجب هو ربع العشر ، ففى الأربعمائة : عشرة جرامات ، وفى الستين : جرام ونصف الجرام ، وهو الواجب فى الأربعمائة والستين جراما نصاب الفضة .

---

(١) تنبيه : قد ذكرنا أن زنة الدرهم بالتقدير المالكى الذى اعتمدنا عليه وحياطته ويسره هو خمسون حبة شعير وخمسا حبة ، غير أننا فى الوزن والتقدير ألغينا الكسر وأتممنا الحبة فجعلنا الكمية إحدى وخمسين حبة ، وذلك للإعتبارات التالية .

(أ) أن المسألة اجتهادية إذ هناك من قال بأكثر من هذا العدد .

(ب) أن الحب الشعير قد يختلف وزنه بعض الشىء بحسب الخصب وعدمه ، فزيادة ثلاثة أخماس الحبة غير ضائر . وحسبنا أنا قدرنا الكمية الواجب فيها الزكاة بأربعمائة وستين ومن الفقهاء من قدرها بخمسمائة وخمسة وتسعين جراما ومن هنا فلا خوف فى زيادتنا ثلاثة أخماس حبة شعير فى كل درهم .

مصارف الزكــاة

إن الجهـات والأشخـاص الذين تصرف لهم الزكاة مما تولّى الله تبارك وتعالى بيانه ولم يكله إلى غيره ، وقد أجمل تعالى ذلك فى آية واحدة من كتابه وهى قوله تعالى من سورة التوبة :

﴿ إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم ﴾ .

وهذا بيــان ذلك :

١ ـ الفقـراء : جمع فقـير وهو من لايجد كفايته وكفاية من يعول من زوجة وولد إن كان له زوجة أو ولــد .

والمراد من الكفاية : ما يكفى من طعام وشراب ، وكساء ومسكن

(٢) المسـاكين : جمع مسكين هل هو من له شىء لا يكفيه مؤونة حياته فيكون أحسن حالاً من الفقير ، أو هو من لاشىء له بالمرة ، ولا يقدر على الكسب لزمانة أو عائق آخر فيكون أسوأ حالاً من الفقير ؟؟

فى التفرقة بين الفقير والمسكين خلاف . ولذا لم يضر المسلم إذا لم يفرق بينهما لاسيما وأن الجمهور على جواز إعطاء الزكـاة لصنف واحد من الأصناف الثمانيــة .

(٣) العاملون عليها : جمع عامل وهو من يعمل فى جبايتها وتحصيلها أو فى كتابتها وتدوينها أو حراستها وحمايتها أو تفريقها وتوزيعها . والأولى أن يكون العاملون عليها من بنى هاشم من آل البيت حتى يأخذوا كفايتهم منها برسم الوظيفة لأن الصدقة لا تحل لهم لشرفهم ، إذ قال رسول الله ﷺ : « إن الصدقة لاتحل لآل محمد ، إنها أوساخ الناس » [١] .

(١) رواه البخارى ومسلم .

فالعاملون عليها يُعطون أجر عملهم ولو كانوا أغنياء غير محتاجين ؛ إذ لكل عامل أجر وهم قد عملوا على جمعها وتفريقها فيعطون منها لقاء ذلك العمـــل .

(٤) المؤلفة قلوبهم وهم أناس يكون لهم شأن وخطر اجتماعى بمعنى أنَّ لهم أثرا ما فى الحياة الاجتماعية فيعطون من الزكاة دفعا لشرهم ، أو جلبا لخيرهم وقد يكون أحدهم مؤمنا ضعيف الإيمان وقد يكون كافراً . فالمؤمن منهم يُعطى ليسكن قلبه وتطمئن نفسه بالإيمان فينقطع شره ويصل خيُره . والكافر يُعطى ليرغب فى الإسلام ويدخل فيه ، أو يحترمه ويقف موقف المدافع عنه المناصر لـــه .

والمؤلفة قلوبهم قد يوجدون أيام ضعف المسلمين وينقطعون أيام عزّه لذا فإن عمر رضى الله عنه قد أوقف جريان هذا المصرف لعزة الإسلام على عهده .

(٥) فى الرقاب : الرقاب جمع رقبة والمراد بها العبد أو الأمة يشترى بمال الـزكـاة ليعتق فتكمـل حريته ويتم تصرفه فيصبح عضوا نافعا فى الهيئة الاجتماعية ويتمكن من عبادة الله كحضور الجُمع والجماعات والجهاد والحج والاعتمار وما إلى ذلك مما كان مقيداً عنه لا يمكنه آداؤه مع الرق والعبودية لغيره . ولذا يشترط أن يكون الرقيق مسلمـــــا .

ويعطى العبد لتحرير كله أو بعضه إن كان مبعضاً . ويعطى المكاتب ما يتمم به نجوم كتابته ليتم تحريره فى أقرب وقت .

(٦) والغارمين جمع غارم وهو المدين لغيره بدين عجز عن سداده لقلة ذات يده فأهَمَّه ذلك فيعطى من الزكاة إذا كان قد ارتكب الدين لأحد أمـــــرين .

أولهما : إصلاح ذات البين [1]

ثانيهما : إصلاح نفسه وأهله (فيكون ما أنفقه مرتكبا به الدين قد أنفقه

---

(١) المراد من إصلاح ذات البين أن يكون هناك خلاف بين جماعتين أو فردين فيتدخل المؤمن ليصلح بينهما فينفق فى سبيل إصلاح ذات بينهم أموالا استدانها لذات الغرض

فى غير معصية الله تعالى بحيث لم ينفقه فى حرام ، ولا فى إسراف أو تبذير .

(٧) فى سبيل الله المراد من سبيل الله : الجهاد فى سبيل الله بهذا فسره عامة أهل العلم فيشترى من الزكاة العتاد الحربي ويعطى المجاهدون المتطوعون (٢) مايسدد حاجتهم من الزكاة وألحق عمر رضي الله عنه وكثير من أهل العلم الحج والعمرة بسبيل الله فيعطى الحاج أو المعتمر ما يساعده على أداء حجه أو عمرته إن لم يكن قد حَجَّ فرضه واعتمـــــر .

(٨) ابن السبيل المراد من ابن السبيل المسافر يحتاج فى سفره إلى ما يواصل به سفره حتى عودته إلى بلاده فيعطى من الزكاة ما يساعده على ذلك وهل يشترط أن يكون السفر مباحاً ؟ نعم ينبغى أن يكون المسلم قد سافر لغرض صحيح ، اما إذا كان سفره لمعصية فلا يعطى من الزكاة لما فى ذلك المساعدة على المعصية وهذا مما لايجوز ولا يقر عليه أحد

هذه مصارف الزكاة الثمانية التى جاءت فى الآية الكريمة وليس هناك للزكاة مصارف غيرها ، غير أن هناك مسائل ينبغى التنبيه إليها وهى :

١ ـ الجمهور على جواز دفع الزكاة لصنف أو أكثر من الأصناف الثمانية .

وليس واجباً أن توزع الزكاة على كل الأصناف الثمانية فى حال وجودها فى وقت واحد .

٢ ـ يجوز إعطاء الغارم ما يسدد كل دينه أو بعضه .

٣ ـ لايجوز اعطاء الزكاة لكافر أصالة أو مرتد ، ولا لتارك الصلاة للقول بكفـــره .

٤ ـ لايجوز إعطاء الزكاة لغنى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لَا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب » .

٥ ـ لايجوز إعطاء الزكاة لمن تجب النفقة عليهم كالزوجة والولد والوالديـــــن .

٦ ـ يجوز إعطاء المرأة زكاة مالها لزوجها إن كان فقيراً لإعطاء امرأة ابن

(١) أما المندون من المرتزقة وهم الذين يأخذون رواتب شهرية من الدولة ، فلا يعطون من الزكاة .

مسعود زكاتها لزوجها عبد الله وإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك .

٧ ـ لايجوز إعطاء الزكاة لبنى هاشم ، ولا بأس أن يوظفوا فيها ليأخذوا أجرهم منها مقابل عملهم .

٨ ـ لاتنقل الزكاة من بلد إلى بلد إلا من ضرورة تستدعى ذلك كمجاعة أو يكون إمام المسلمين هو الذى ينقلها لمصلحة العامة .

٩ ـ من استفاد مالا وجبت فيه الزكاة فى غير بلده أخرج زكاته فى البلد الذى اكتسبه فيه،ولا ينقله إلى بلده إلا من ضرورة كما قدمنا .

١٠ ـ يجوز اعطاء الفقير من الزكاة ما يكفيه لعدة أشهر أو لسنة كاملة .

١١ ـ إذا كان الرجل معروفا بقبوله الزكاة لظهور فقره لا بأس بعدم إعلامه بأن ما أعطيه من الزكاة وإلا وجب إعلامه بأن ما أعطاه إياه من الزكاة ، ثم هو إن شاء أمسكه أو رده إن علم أنه من غير أهل الزكاة .

صـــدقة الفطـــر

تعريفها ، وحكمتهـــا :

صدقة الفطر ، ويقال لها زكاة الفطر وزكاة النفوس والفطرة : هى صدقة يخرجها المسلم قبل صلاة عيد الفطر شكراً لله تعالى على نعمة التوفيق لصيام رمضان وقيامه يختم بها المسلم عمل رمضان يرجو بركتها ومثوبتها ويغنى بها أخاه الفقير المسلم عن السؤال يوم العيد يوم فرح المسلمين بنعمة الإسلام .

حكمهـــا :

صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى ، كبيراً أو صغيراً حرًّا أو عبداً ، تجب على المسلم وعلى من يعولهم وينفق عليهم من زوجة وولد وخادم .

فرضها رسول الله ﷺ وبين مقدارها كما جاء ذلك فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما « فرض رسول الله زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين . »

بيـــان مقدارهـــا :

زكـاة الفطر صاع أو أربعة أمداد ، والمد : حفنة الرجل المعتدل غير قابض أصابعه ولا باسطها لحديث ابن عمر فى الصحاح : « صاعاً من شعير » الحديث . والأحوط أن يزاد على أربع حفنات مثل نصف حفنة لاحتمال نقصان حفنة الرجل اليوم عن حفنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

بيـــان ماتخرج منـه :

تخرج زكاة الفطر من غالب قوت أهل البلد من بُرٍّ أو شعير أو أرز أو تمر أو زبيب أو إقط [1] ولا خلاف فى هذا . وكل ما كان أجود فهو خير وأفضـــــل .

هل يجوز اخراجهـــا نقوداً ؟

الجمهور على عدم الجواز وهو الصحيح لأن النبىَّ ﷺ لم يذكر ديناراً ولا درهما وكان التعامل بهما قائما . غير أنه إذا تعذر اخراج الطعام يجوز ضرورة إخراج النقدين بدلاً عن الطعام حتى لا تتعطل الفريضة .

وقت إخراجهـــــا :

وقت إخـراج زكـاة الفـطر المستحب : مابـين صلاة الصبـح وصلاة العيد : ويجوز إخراجها قبل ذلك ، إذ تجب زكاة الفطر بدخول ليلة العيد وإخـراجهـا بعـد صلاة العيد فما دون ذلك إلى الغروب مُجزىء لحديث السنن : فَرض النبى ﷺ صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمةً للمساكين ، من أداها قبل صلاة العيد فهى زكاة ومن أداها بعد

(١) الإقط : اللبن المجفف .

صلاة العيد فهى صدقة من الصدقات .

ويحرم تأخيرها عن يوم العيد إلا لضرورة كغيبة المال أو آخذها ، وذلك لحديث : « أغنوهم فى هذا اليوم عن المسألة » .

كما يجوز إخراجها قبل يوم العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة لحديث مالك عن نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يبعث بزكاة الفطر إلى الذى تجمع عنده قبل الفطر بيومين أو ثلاثة

مصرفـــــها :

مصرف زكاة الفطر على الصحيح أنه الفقراء والمساكين لحديث « أغنوهم - يعنى المساكين - فى هذا اليوم عن المسألة » إلا أن يرى الإمام غير ذلك فهو له ؛ إذ تصرفه مبنى على أساس المصلحة العامة للمسلمين ، إذ من الجائز أن تجمع زكاة الفطر ويتولى الإمام إخراجها حيث يرى النفع للمسلمين .

مسألتـــان :

الأولى : يجوز إعطاء زكاة الفطر الواحدة إلى اثنين من الفقراء أو أكثر ، كما يجوز إعطاء عدة فطرات إلى فقير واحد وهو مذهب الجمهـــور .

الثانية : تسقط زكاة الفطر عمّن لم يكن له فضل عن قوته وقوت من يعول يوم العيد ، وتجب على من يكون له فضل عن قوته وقوت من يعول يوم العيـــــد .

الفهـــــرس

الموضـــــوع

●● الرسالة الثالثـــة

هكـــذا
الحج المبرور والزيارة

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة و سلام على رسول الله وبعد

أخي المسلم . . . إذ أردت أن يكون حجك مبرورا تخرج به من ذنوبك كيوم ولدتك أمك ، ويكون جزاؤك عنه الجنة فاتبع كيفية الحج التالية :

إذا عزمت على الخروج إلى مكة فقلم أظفارك وتنظف ، واغتسل والبس إزاراً ورداء نظيفين ، والبس نعلين ، وإذا وصلت الى الميقات « آبار على » فصل ركعتين ، ثم انوِ نسكك ، وإن كنت تريد التمتع ـ وهو أفضل ـ فلبِّ قائلاً : لبيك اللهم عمرة . وان كنت تريد الافراد ـ وهو أفضل لمن اعتمر قبل أشهر الحج ـ فقل : لبيك اللهم حجاً . وان كنت تريد القران ـ وهو أفضل ان سقت معك هديا ـ فقل لبيك اللهم حجاً وعمرة . ثم واصل التلبيـــة .

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك .

وإن كان خروجك الى مكة بطريق الجو فتنظف واغتسل والبس إزارك ورداءك ونعليك وصلِّ ركعتين بمسجد المطار واركب طائرتك ، فإذا ارتفعت الطائرة من أرض المطار وفارقته بقدر دقيقة فانو نسكك ولبِّ وواصل التلبية حتى تصل الى مكة المكرمة واحذر وأنت محرم ما يلـــى :

لبس الثياب ، تغطية الرأس ، مس الطيب ، قص الشعر ، قلم الظفر ، مباشرة النساء . النطق بفحش . وأكثر من فعل ما يلـــى :

التلبيـــة ، الدعاء ، الصلاة على النبى ﷺ ، الصدقة ، بذل المعروف من قول وفعل . وإذا وصلت مكة المكرمة فتطهر واقصد

المسجد الحرام ، فإذا وصلته فادخل من أى أبوابه تيسر لك وقدِّم رجلك اليمنى وقل : بسم الله ، اللهم صل على محمد وآله ، اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك . وإذا رأيت البيت ـ حرسه الله ـ فقل اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريمًا ومهابة وبراً وزد من شرّفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيمًا وتكريمًا ومهابة وبراً ثم ادخل المطاف كاشفاً عن كتفك الأيمن وتقدم الى الحجر الأسود وقبله إن تيسر أو المسه بيدك أو أشر اليه ناويا الطواف . ثم طف جاعلا البيت عن يسارك قائلاً : بسم الله والله أكبر اللهم ايماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ وواصل طوافك مهرولا فى الأشواط الثلاثة الأولى وماشياً فى الأربعة الباقية تدعو بما فتح الله عليك وتختم كل شوط بدعاء : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وكلما مررت بالركن اليمانى لمسته بيدك وبالحجر الأسود قبلته أو لمسته أو أشرت اليه حسب امكانك وإذا فرغت من الطواف سبعة أشواط فأت مقام ابراهيم فصل خلفه ركعتين ولو بعيداً منه . تقرأ فى الأولى الفاتحة والكافرون ، وفى الثانية الفاتحة والصمد ، ثم إيت زمزم فاشرب منه وأكثر وادع بعد الشرب بما تحب من الخير وان قلت اللهم إنى أسألك علمًا نافعاً ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء وعافية من كل بلاء فحسن ، ثم تخرج إلى المسعى من باب الصفا تالياً قول الله تعالى : « **إن الصفا والمروة من شعائر الله . . الى عليم** » (١) . فإذا وصلت الصفا فاصعده واستقبل البيت وارفع يديك قائلاً : الله أكبر (**ثلاثاً**) لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل

١) تمام الآية : فمن حجَّ البيتَ أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما . ومن تطوع خيراً : فإنّ الله شاكر عليم .

شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، وادع بما شئت من الخير ، وانزل ساعياً الى المروة ، واذا كنت بين الميلين الأخضرين فخبّ (**أى مسرعا دون الركض**) واذا وصلت الى المروة فاصعده واستقبل البيت وقل ما قلته على الصفا ثم انزل ساعياً الى الصفا . وهكذا حتى تتم سبعة أشواط بثماني وقفات (**أربع على الصّفا وأربع على المروة**) واذا فرغت من السعى فقصر شعرك « **ان كنت متمتعا** » والبس ثيابك فقد تمت عمرتك وان كنت مفرداً أو قارنا ، فلا تقصر ولا تتحلل ، وإنما إبق على إحرامك حتى ترمى جمرة العقبة يوم النحـــــر .

تنبيـه : أنبهك أخى المسلم الى ان شأن مكة والحرم عظيمان فاحذر أن ترتكب فيهما أى ذنب ، فإن الله تعالى يقول : « **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** » فإياك والكذب والظلم والفحش وسماع الأغانى والباطل وحلق لحيتك وأذية عباد الله فى بيته وحرمه .

هذا واذا كان يوم التروية ثامن الحجة فاغتسل وتجرد من ثيابك والبس إحرامك (**ان كنت قد تحللت**) وانو الحج ملبياً به واخرج الى منى ضحى ملبياً فبت بها واقض جل هذا الوقت فى التلبية والدعاء والصلاة والسلام على النبى ﷺ . واذا صليت الصبح من يوم عرفـة (**تاسـع الحجـة**) خرجت الى عرفة فنزلت بها ، واذا أمكنك أن تأتى مسجد نمرة فتصلى الظهر والعصر مع الإمام جمعا وقصرا فافعل فإنه خير . ثم توجه بعد ذلك الى جبل الرحمة فقف به مستقبـلاً القبلة وقف حيث تيسر لك الوقوف لأن عرفة كلها موقف ، وأكثر من الذكر والدعاء وأفضل الذكر : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، حتى اذا غربت الشمس افضت من عرفات الى مزدلفة فإذا وصلت

فصلَ المغرب والعشاء قصراً (جمع تأخير) ثم بت فيها وإذا صليت الصبح وقفت مستقبلاً القبلة تذكر الله تعالى كثيراً وتدعوه الى قرب طلوع الشمس ثم تنفر الى منى بعد ان تلتقط ان شئت سبع حصيات لرمي جمرة العقبة ، وإذا وصلت الى منى فارم جمرة العقبة قبل الزوال بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة (الله أكبر) فإذا فرغت نحرت هديك وحلقت رأسك ولبست ثيابك وقصدت مكة المكرمة لطواف الافاضة ، فإذا وصلتها فطف بالبيت حرسه الله كما طفت عند قدومك غير انك لا تكشف عن كتفك ولا تهرول فإذا فرغت فصل ركعتين خلف المقام واخرج الى المسعى فاسع ان كنت حججت متمتعاً وان كنت مفرداً أو قارناً فإن سعيك الأول يجزئك ، ثم عد الى منى لتبيت بها ثلاث ليال ، وقد تم حجك .

وإذا زالت الشمس من اليوم التالي للعيد فارم الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة ، وتدعو بعد الفراغ من الرمي عند كل جمرة إلا جمرة العقبة فلا تدع بعدها وابدأ في الرمي بالجمرة الصغرى التي تلي مسجد الخيف واختم بجمرة العقبة ، وهكذا افعل في اليوم الثاني . وان شئت تعجلت فخرجت من منى (قبل الغروب) الى مكة وان شئت بت ورميت في اليوم الثالث ، ثم أتيت مكة المكرمة لطواف الوداع . وعندما تعزم على السفر طف طواف الوداع على النحو الذي طفته في طواف الإفاضة ، ثم اخرج عائدا الى بلادك قائلا : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ، لا إله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

تنبيهـــــــات

١ - لاتطف إلا وأنت متوضىء ، وأما السعى فيجوز بدون وضوء .

٢ - لاتترك التلبية فى ذهابك من مكة الى منى ، ومن منى الى عرفات ، ومن عرفات الى مزدلفة ، ومن مزدلفة الى منى حتى ترمى جمرة العقبـة ، ثم استبدل بها التكبير بعد الصلوات الخمس أيام منى الثلاثة .

٣ - لا تخرج من عرفات قبل غروب الشـــمس .

٤ - بت بمزدلفة واذا كنت مضطـــرا الى الخروج منها فعلى الأقل انزل بها وصل العشائين واسترح بها الى أن يمضى جزء كبير من الليل واذكر الله وادع ثم اخرج منها الى منـــــــى .

٥ - لا ترم قبل الزوال ، وان اضطررت الى التأخير فأخر الى المساء .

٦ - العاجز والمريض ينيب من يرمى عنه ولا حـــرج .

٧ - يجوز أن تشـترط أثنـاء احرامك فتقول : لبيك اللهم لبيك محلى من الأرض حيث تحبسنى ، فانه إن نزل بك حادث منعك من مواصلة الحج تحللت ولا شىء عليـــــــك .

٨ - يجوز للمفـرد والقارن تأخير السعى الى ما بعد طواف الإفاضة إن لم يتيسر بعد طواف القدوم .

٩ - علامـة قبول حجك أن تجد نفسك عند رجوعك الى بلدك تحب الخـير وتعمله وتكـره الشر وتجتنبـه ، تلازم المسـاجد والصلاة فيها ، وتبتعد عن المقاهـى والجلوس فيهـــــا .

●●●●●●●●●●●●●●

الزيـــــارة

أخى المسلم . وإذا أردت أن تكون زيارتك مقبولة تثاب عليها فاتبع فيها ما يلى :

إذا عزمت على الزيارة فانو زيارة المسجد النبوى الشريف أولاً ، ثم اذا وصلت المـدينـة فانو التشرف بالوقوف على قبر النبى ﷺ والسلام عليه وعلى صاحبيه ، إذ الزيارة طاعة وكل طاعة تحتاج الى نية . وإذا وصلت فتـطهر وادخل المسجد النبوى مقدماً رجلك اليمنى قائـلا : **« بسم الله والصـلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ، ثم ايت الروضة الشريفة أو ما جاورها من المسجد وصل ركعتين ، فاذا فرغت فاقصد الحجرة الشريفة واستقبل المواجهة وسلم على النبى ﷺ قائلا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعيـن »** .

ثم سلم على أبى بكر قائلا **« السلام عليك أبا بكر الصديق صفى رسول الله وثانيه فى الغار »** .

ثم سلم على عمر قائلا : **« السلام عليك عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته »** .

ثم انصرف فى أدب ، واجلس فى ناحية المسجد ، **وادع الله** تعـالى واسـأله من خير الدارين وبهذا تمت زيارتك (**وإن شئت أقمت بالمدينة لتكثر من الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ فإن فى ذلـك أجراً كبيراً وخيراً كثيراً**) . وإن أمكنك زيارة **مسجد قباء للصلاة فيه فافعل** فإن الصلاة فيه كأجر عمرة . **وإن** زرت **قبور الشهـداء** بأحد وقبور أزواج النبى ﷺ **وبناته وأصحابه والمؤمنين** بالبقيع فحسن . **وأنبهك أخيراً الى ما يلى** :

١ ـ لاترفع صوتك عند السلام على الرسول ﷺ ولا فى مسجده أبداً .

٢ ـ لا تفعل ما يفعله الجهال من طول الوقوف عند القبر الشريف والدعاء ورفع الصوت وإنما سلم كما بينت لك وانصرف واجلس فى المسجد وادع بما شئت من الخير ، تأدبا مع الرسول ﷺ .

٣ ـ لا تكثر من التردد على القبر الشريف ومزاحمة الزائرين عنده وأذيتهم ، فإنه يكفيك أن تزوره عند قدومك ، وعند سفرك الى بلادك ، وأكثر من الصلاة والسلام على رسول الله وآله وأنت جالس مستقبل القبلة فى مسجده الشريف ، وأكثر من دعاء الله تعالى بالخير لك ولإخوانك المسلمين ولمن قدم لك هذه النصيحة فى هذا البيان :

أبو بكر الجزائري غفر الله له

وعفا عنه آمين

●● الرسالة الرابعـة

حُسن المقال فى ثبوت رؤية الهـلال

بســـم الله الرَّحمن الرَّحيم

مقدمة

الحمد لله فالق الحبِّ والنَّوىٰ ، وجاعل الليل سَكَنا ، والشمس والقمر حسبانا ، وهو العزيز العليم . والصلاة والسلام على النبىّ الأمىّ محمد المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله وصحابته أجمعين .

وبعـد : فقـد كثـر فى هذه الأيام القيل والقـال ، حول ثبـوت رؤية الهلال ، وتوحيد الفطر والصيام . واضطربت لذلك نفوس ، وحارت له عقول وأفكار ، وتطلع المسلم إلى معرفة الحق فى هذه القضية الإسلاميّة . وكان لابد من كلمة شافية (وإن لم تكن كافية) تنير الطريق ، وتهدى إلى معرفة الحق فى هذه المسألة التى أصبحت تُحدِث فى كل عام مشاكل وتثير تساؤلات وأصبح لها ـ فعلا ـ آثار سيئة فى بعض بلاد المسلمين . وما كان مثل هذه ليكون لو عرف الحق فى هذه المسألة وقبلته نفوس المسلمين .

فكتبت هذه الكلمة إسهاماً منّى فى حل هذه المشكلة ، وهى تدور على سؤالين اثنين :

بم يثبت الصوم والإفطار ؟ وهل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين مع تباعد ديارهم ممكن ؟

وبسم الله تعالى أقول : إنه بمعرفة ما يثبتُ به الصيام والإفطار شرعاً والالتـزام به تنحل هذه المشكلة العويصة الحل ، التى أوجدت متاعب لبعض المسلمين فى بلادهم .

وأما مسألة توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين على اختلاف بلادهم وتنائى ديارهم فهى فى الحقيقة مشكلة ليس مما ينبغى للمسلمين أن يرهقوا أنفسهم فى البحث عن حلها - كما سنبيّنه إن شاء الله تعالى أثناء البحث فيها .

هذا - والله تعالى أسأل أن ينفع إخوة الإسلام حكوماتٍ وشعوباً بهذه الرسالة التى حملت إليهم كلمة الحق واضحة ، والمعرفة سهلة ميسرة اللهم آمين . وسلام على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين .

السـؤال الأول

بم يجب الصـوم والإفطار ؟

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد فإن الصيام عبادة محضة تَعبَّد الله تعالى بها الأمم والشعوب قبل هذه الأمة ، وعلته حصول ملكة التقوى التى بها يقى العبد نفسه خزى الدنيا وعذاب الآخرة . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات** ﴾(١) .

وقد عيَّنَ الله تعالى زمن هذه العبادة وأنها شهر رمضان فقال عز وجل : ﴿ **شهرُ رمضان الذى أُنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيّناتٍ من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصُمْه** ﴾(٢) .

وحدد وقتها وأنه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس من كل يوم من شهر رمضان فقال عز من قائل : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾(٣) .

وبيّن الرسول ﷺ معنى قوله تعالى : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ وأنه رؤية هلال رمضان وسواء رآها الفرد المسلم أو رآها غيره ، وبلغته وهو حاضر غير مسافر ، وصحيح غير مريض .

فقال ﷺ : « **إذا رأيتموه فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غُمّ عليكم فاقدروا له** »(٤) . وقال : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن**

---

(١) الآية من سـورة البقرة .
(٢) الآية من سـورة البقرة .
(٣) الآية من سـورة البقرة .
(٤) رواه مسلـم .

غَبِيَ عليكم فكملوا عدة شعبان ثلاثين »(٥) . وقال : « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غُمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين »(٦) . وقال : « إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا مرة تسعة وعشرين ، ومرة ثلاثين » .

ونهى ﷺ عن صيام يوم الشك فقد أخرج أبو داود والترمذى والبخارى تعليقا عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قوله : « من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم » .

وأجاز الصيام برؤية الرجل الواحد فقد روى أبو داود والترمذى والنسائى أن أعرابيا جاء النبىّ ﷺ فقال رأيت الهلال ، فقال : أتشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : يابلال أذن فى الناس فليصوموا غداً » .

وعلى ضوء هذه النصوص من الكتاب والسنة ، والتى صام عليها المسلمون وأفطروا أربعة عشر قرنا وبضع سنوات نقرر الحقائق التالية . وفيها الجواب الشافى عن سؤالنا السابق : بم يجب الصوم والإفطار ؟

---

(٥) رواه الشيخان وغَبِى بفتح الغين وكسر الباء مخففة بمعنى غمّ عليكم أى حال دون الرؤية سحاب أو ضباب وقتر .

(٦) رواه مسلم .

الحقيقة الأولى
لا يجب صيام ولا إفطار
إلا بيقين الرؤية

بسم الله وبعد فإن صيام رمضان كإنهائه لا يتم شرعا ودينا إلا بيقين دخول شهر رمضان وانقضائه ، لأن الصوم عبادة محضة فلا تصح فى غير زمنها إذ المقصود منها تطهير النفس وتزكيتها ، ولا يتم ذلك ولا يحصل من العبادة إلا إذا أدّيت فى وقتها المحدد لها بيقين مع استيفاء باقى شروطها .
واليقين فى ثبوت الصيام أو الإفطار يتم بأحد شيئين لا ثالث لهما وهما :

الأول : الرؤية أى رؤية الهلال بالعين المجردة ، وذلك فى حال الصحو للسماء ، وعدم السحاب والغيم والقتر ، وذلك بأن يرى الهلال عدل من المسلمين وإن خفت العدالة فى الناس لغلبة الجهل وعدم التربية الدينية استكثر من الشهود .

وقولنا : بالعين المجردة يخرج الرؤية بالمجاهر ومكبرات النظر فإنها لايعتد بها لأن الله تعالى ورسوله ﷺ لم يكلّفانا بما فيه عسر ومشقة ولم يتعبدنا الله تعالى بما فيه الحرج قال تعالى :
﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ . ومطالبة المسلم باتخاذ آلة تكبر المرئيات من العسر والحرج المنتفيين بنص الكتاب العزيز . والرسول ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وهو لا يعنى بقوله هذا إلا الرؤية بالعين المجردة حسب واقع الذين خاطبهم بهذا اللفظ الكريم من نبىّ رحيم .

الثانى : إكمال شعبان ثلاثين يوما للصيام وإكمال رمضان ثلاثين يوما للإفطار ، وذلك فى حال وجود غيم أو سحاب ليلة الثلاثين من شعبان أو رمضان . ودليل هذه قوله ﷺ : « فإن غمّ عليكم فاقدروا له » . وفى

بعض ألفـاظ الحديث المروي بها « فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » . وعبـارة « فاقـدروا » تدل على إكمال شعبان فى حال الغيم ثلاثين وإكمال رمضان كذلك ثلاثين فى حال السحاب أو القتر أو الغيم ، إذ لا فرق بين الصيام والإفطار ، لأنّه لا يصام إلا رمضان ولا يفطر إلا شوال .

وبما تقدم يتقرر مبدأ أن لاصيام ولا إفطار إلا بيقين ، وهو مدلول قوله ﷺ : « صومـوا لرؤيتـه وأفـطروا لرؤيتـه » المقرر لمبدأ اليقين فى الصوم والإفطار ، إذ اليقين ثبت برؤية الهلال ، أو بإكمال الشهر ثلاثين يوماً ، إذ لاشهر أكثر من ثلاثين يوماً وعليه فمتى اكتمل شعبان أو رمضان ثلاثين يوما كان الصيام أو الإفطار يقينياً لا شك فيه .

وهذا هو المطلوب للعبادة ذات الوقت المحدد لا يصح وقوعها إلا فيه وبيقين تام . فمن شك فى طلوع الفجر لا يصح أن يصلى الصبح حتى يتيقن طلوع الفجر . ومن شك فى غروب الشمس لا يصلى المغرب إلا بعد اليقين من غروب الشمس . لما تقرر من أن العبادة لا تثمر زكاة النفس وطهارة الروح إلا إذا استوفت شروطها من الوقت وغيره إذا كانت مرتبطة بوقت معين .

الحقيقة الثانية

الشهر تسعة وعشرون يوماً أو ثلاثون

إن كون الشهر لا تزيد أيامه على الثلاثين يوماً ولا تنقص على التسعة والعشرين أمر مسلّم لا نزاع فيه . ومرد ذلك إلى تنقل القمر فى منازله ، فإذا كان آخر منازله أصابه المحاق الذى هو أشبه بالكامل فلا يرى ليلة الثلاثين فيكون الشهر ثلاثين يوماً . ويرى أحيانا ليلة الثلاثين فيكون الشهر تسعة وعشرين يوما قال تعالى : ﴿ **والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل : لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ .

قرر هذه الحقيقة العلمية النبىُّ ﷺ بقوله : « الشهر تسعة وعشرون يوما فإذا رأيتم الهلال فصوموا . وإذا رأيتموه فافطروا فإن غم عليكم فاقدروا له »(١) . وقال ﷺ : « الشهر هكذا ، وهكذا . . . مرة تسعة وعشرين يوماً ، ومرة ثلاثين »(٢) .

وهكذا تتقرر هذه الحقيقة العلميّة بما لا يتطرق إليه الشك بحال وهو أنَّ الشهر كما أراد الله وعز وجل يكون بحسب سُنة الله تعالى فى الهلال من كونه يبدو صغيراً ، ويتكامل حتى يكون بدراً ، ثم يتناقص حتى يصيبه المحاق فى آخر أيامه وهى أيام الثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين . وبغض الطرف عن السبب الناشىء عنه ذلك ، فإن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما ، ويكون ثلاثين وذلك لأن رؤيته ليلة الثلاثين

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى .

من شعبان ممكنة ، وإنما لدقة الهلال ومحاقه ليلة الثلاثين قد لا يرى فى أغلب البلاد . ولو عنى به فى سائر البلاد لرؤى إن شاء الله تعالى ذلك .

وقول علماء الفلك قد تكون الرؤية ليلة الثلاثين غير ممكنة باطل ، إذ الهلال ما مات ولن يموت حتى يولد كما يزعمون حتى قال بعضهم : إن من ادَّعَى رؤية الهلال ليلة الثلاثين وهو لم يولد كمن ادَّعى أنه رأى الولد ولمسه وغسله وهو لم يولد ما زال فى بطن أمه ، وإنما القمر هو هو فى جسمه وحجمه الذى خلقه الله تعالى عليه يتنقل فى منازله التى قدرها الله تعالى له لفائدة الإنسان وصالحه ، وإنما يغيب ويظهر بحسب ما يظلله من جرم الشمس التى هى أخته تنتقل فى بروجها بحساب دقيق لا يقدر عليه إلا الله خالقهما وخالق كل شىء .

ومن تنقل الشمس فى بروجها والقمر فى منازله تكونت الأيام والشهور والأعوام والقرون والدهور . كما قال تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأهلة . قل هى مواقيت للناس والحج** ﴾[١] . وقال تعالى : ﴿ **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً . وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾[٢] . وقال عز وجل : ﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمرَ ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** ﴾[٣] .

وأخيرا فبهذا قد تقرر قطعيا أن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما ، ويكون ثلاثين كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ وقرره بقوله ـ فداه أبى وأمى ـ « الشهر هكذا وهكذا : مرة تسعة وعشرين يوما ، ومرة ثلاثين » .

---

(١) الآية من سورة البقرة .
(٢) الآية من سورة يونس .
(٣) الآية من سورة يس .

الحقيقة الثالثة

وجوب ترائى الهلال ، وحرمة ترك ذلك للحساب

لِيَعْلَم القارىء الكريم مرة أخرى أن الصيام كالإفطار : صيام رمضان وإفطار أول شوال مما تعبد الله تعالى بهما أمة الإسلام على لسان نبيّه محمد ﷺ ، إذ قال : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » . فلا يجب صوم إلا برؤية ولا فطر كذلك . ومن هنا وجب على المسلم الذى يعيش فى مكان ما منفرداً بنفسه ، كما يجب على الجماعة كثروا أو قلوا فى الحاضرة كانوا أو بادية يجب على الجميع أن يطلبـوا رؤية هلال شعبـان لأجـل رمضان ، وتطلب رؤية رمضان لرمضان ، وشوال وتطلب رؤية شوال للفطر فى أوله .

أما طلب رؤية شعبان فمن أجل أننا إذا عرفنا أول يوم من شعبان(١) . وغم علينا ليلة الثلاثين منه لوجود سحاب أو غيم أو قتر لم نصم يوم الثلاثين لأنه يوم شك ، لأن الشهر كما تقدم وتقرر أن الشهر قد يكون ثلاثين يوما وقد يكون تسعة وعشرين . ونحن لا نصوم إلا على يقين تام ، فلذا وجب أن نكمل عدة شعبان ثلاثين يوما ، إن من الجائز أن يكون شعبان تاما أى ثلاثين فلا يجوز أن نصوم آخر يوم من شعبان ، لأنه غير رمضان والله تعالى لم يتعبدنا بصيام غير رمضان .

وأما طلب رؤية هلال رمضان : فلأجل صيام رمضان الذى فرض الله تعالى علينا صيامه . فمساء التاسع والعشرين من شعبان وعند غروب الشمس وجب على المسلمين فى أىّ مكان كانوا أن يَتَراءَوْا هلال رمضان ، فإن رأوه صاموا ، وإن لم يروه لغيم ونحوه لم يصوموا وأكملوا شعبان ثلاثين يوماً ، ثم صاموا فى اليوم التالى فإنه من رمضان قطعا ، إذ الشهر لا يكون

(١) يبدو أن فى العبارات تكراراً نعم فيه بعض التكرار استلزمه واجب البيان للعامة .

واحداً وثلاثين أبداً كما قرر ذلك رسول الله ﷺ بالوحى الإلهى (١) الذى لا يتطرق إليه الإغفال أو الخطأ أو النسيان . بحال من الأحوال .

وأما طلب رؤية هلال شوال : فلأجل أن لا نصوم غير رمضان ، ونحن متعبدون بصيام رمضان لا بصيام غيره ، فليلة الثلاثين من رمضان يجب على المسلمين أن يتراءوا الهلال ويبذلوا جهدهم فى تحرى الرؤية فإن رؤى الهلال أصبحوا مفطرين ، وكان رمضان تسعة وعشرين يوما وهو شهر شرعىّ لا فرق بينه وبين الشهر الكامل . وإن لم نر الهلال لغيم ونحوه فلا يحل أن نفطر لاحتمال أن يكون رمضان ثلاثين يوما ، ونحن متعبدون بأن لا نصوم ولا نفطر إلا على يقين تام ، فلذا أوجب أن نكمل رمضان ثلاثين يوما ثم نفطر . ويكون فطرنا على يقين كما كان صومنا على يقين .

وإذا عُرف هذا وتقررت حقيقة : ألا صوم ولا فطر إلا بيقين ، وأن اليقين **لا يحصل إلا برؤية هلال رمضان فى الصوم وهلال شوال فى الإفطار** أو إكمال شعبان ثلاثين يوما فى حال الغيم ، وإكمال رمضان ثلاثين يوماً أيضا فى حال عدم الرؤية لغيم أو قتر . وأنه يجب على المسلمين أن يتراءوا هلال شعبان لأنه وسيلة إلى معرفة رمضان « وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » . وأن يتراءوا هلال رمضان لصيامه وهلال شوال لفطره تمشياً مع قول الرسول ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » . فإذا عرف هذا وذاك فليعلم أن ترك الرؤية وإهمالها إعتماداً على الحساب أمر باطل شرعا ، ولا يحل للمسلمين أن يأخذوا به . وإن هم فعلوا ذلك فقد عصوا الله ورسوله وتعرضوا لفتنة تصيبهم أو عذاب أليم لقولة تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾(٢) وقد رأينا مصداق هذا الوعيد الإلهى فى إقليمين من بلاد المسلمين زيّن الشيطان لبعض علمائهم وبعض أمرائهم الصيام والإفطار على الحساب الفلكى

(١) لقوله تعالى من سورة النجم : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ .

(٢) الآية من سورة النور .

فتركوا ترائى الهلال واعتمدوا على الحساب فكانوا يعلنون بكل جرأة أن بداية صيام رمضان يوم كذا ، ونهاية رمضان وبداية الإفطار يوم كذا ، وذلك قبل دخول رمضان وشوال بأيام . فإذا رؤى هلال رمضان قبل اليوم الذى قرروه له صام بعض مواطنيهم ، وكذا فى الفطر ، لأن المسلم الصحيح الإسلام لا يمكنه أن يرى هلال رمضان ولا يصوم ، أو يرى هلال شوال ولا يفطر طاعة للعلماء والأمراء ، لأن الطاعة واجبة لهم فى المعروف لا فى المنكر ، وترك الصيام أو الإفطار بعد ثبوت الرؤية معصية لله ولرسوله ﷺ ، لأن الله تعالى قال : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ ، والرسول ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، وهما أمران من الوحى الإلهى مقتضيان للوجوب وترك الواجب معصية محرمة بإجماع . وإذا صام أو أفطر المسلمون من مواطنيهم قياما بالواجب بطشوا بهم ، ونالوا منهم ، وتعيش لذلك بلادهم كل عام فى قلق واضطراب فى بداية رمضان وفى نهايته . وما سبب ذلك إلا ترك العمل بصريح الكتاب والسنة . ولولا أنهم حرموا توفيق الله عز وجل بسبب ذنوبهم لما تكرّرت هذه المحنة بينهم ، إذ يكفيهم أن يعرفوا أن مواطنيهم مسلمون وأنهم لا يطيعونهم فى غير المعروف فيرجعوا إلى الحق والرجوع الى الحق فضيلة ويكونوا لجاناً لرؤية الهلالين أو الأهلة فى أطراف الإقليم ووسطه لترائى الهلال ، وبحسب الرؤية إثباتاً أو نفياً يعلنون الصيام أو الإفطار ، وبذلك يرضون ربهم ، ويريحون مواطنيهم من ألم القلق والتعب كل عام .

ولكنّهم مع الأسف مصرون على الخطأ عناداً وكبراً وأصبح حالهم حال من قال الله تعالى فيهم : ﴿ **أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسناً ؟** ﴾ وجواب هذا الاستفهام محذوف تقديره : فمن يهديه إلى معرفة الحق والعمل به بعد الله تعالى ؟ لا أحد لا أحد أبداً .

الحقيقة الرابعة

اختلاف المطالع معتبر شرعا

لا أحسب أن هناك عالماً بالكونيات يجهل تأثير خطوط العرض والطول على الأقاليم الأرضية . إن من المحسوس المشاهد طول الليل والنهار وقصرهما فى بلاد دون بلاد بحسب موقع البلد من خطوط الطول والعرض ، وبحسب الفصول من صيف وشتاء وربيع وخريف . وهو أمر تابع لتنقل الشمس فى بروجها ، وموافاة الأرض ومسامتتها لها . كما أن من المحسوس المشاهد أن الليل يدخل فى شرق البلاد قبل غربها ، ويطلع النهار كذلك ، وهو ناشىء عن دورة الشمس فى فلكها . ولا يقال عن دورة الأرض ، إذ الأرض إن دارت فدورتها ينبغى أن لا تتنقل فيها من برج إلى آخر ، وإنما تدور فى فلكها الخاص بها دورانا منتظما بحيث لا تزحف فيه أدنى زحف بتقدم أو تأخر أو ارتفاع أو انخفاض وعلى مدى الحياة .

ومن هنا كانت مطالع الشمس والقمر مختلفة ومعتبرة شرعاً ، قال تعالى : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** ﴾ . فاختلاف الليل والنهار كما يكون بدخول آخر وخروج الثانى لمصالح الناس وانتظام الحياة ، يكون كذلك بقصر هذا وطول ذاك . وقصر الليل وطول النهار والعكس ناشئان قطعا عن مطالع الشمس المختلفة نتيجة تنقل الشمس فى بروجها التى تنزل فيها بدقة حسابيّة فائقة .

هذا والذى نريد أن نصل إليه من بيان هذه الحقيقة هو أن اختلاف المطالع ثابت ، وأن الشارع قد اعتبره ، وهو ظاهر فى الصلاة ، فلم يكن من الممكن بحال أن يتحد المسلمون فى الصلوات الخمس ولا حتى فى

صلاة واحدة منها ما دامت ديارهم متنائية ، وبلادهم متباعدة ، إذ يدخل الوقت فى إقليم ولا يدخل فى آخر . وبما أن الوقت المعين للعبادة يعتبر جزءاً منها فإنها لا تصح إلا فى وقتها المحدد لها ، ولهذا امتنع أن يتحد المسلمون فى صلاة واحدة . والصيام كالصلاة فى كون الوقت معتبراً فيه . وقد رأى الحبر ابن عباس رضى الله عنه هذه الحقيقة وطبقها فعلا فقد رُفع إليه نبأ أن أهل الشام رأوا الهلال(١) يوم كذا ، ولم ير أهل المدينة فيه هلال فاختلف صومهم فلم يأمر أهل المدينة بالفِطر تبعاً لأهل الشام بناءً على أن لكل أهل إقليم رؤيتهم ، وبمقتضاها يصومون ويفطرون . ولهذه القاعدة أثر عظيم فى راحة المسلمين كما سنبيّنه فى الحقيقة التالية إن شاء الله تعالى .

---

(١) الحديث رواه مسلم وأصحاب السنن ونصه : عن كُريب مولى ابن عباس أن أم الفضل بعثته إلى معاوية بالشام فقال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة . ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر . فسألنى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما . ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة . فقال أنت رأيته ؟ فقلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية . فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه . فقلت : ألا نكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا . هكذا أمرنا رسول الله ﷺ .

الحقيقة الخامسة

اختلاف المسلمين فى الصيام والإفطار تبعاً لثبوت الرؤية وعدمها أمر محمود وغير مذموم شرعاً

يرى كثير من المسلمين فى هذه الأيام أن اختلاف المسلمين فى الصيام والإفطار أمر منكر لا يجيزه الشرع ، وأنه مظهر من مظاهر الضعف فى المسلمين وعلامة على تفرقهم وسوء سياستهم . وهو خطأ وجهل بالشريعة وحقائقها كخطأ وجهل من ألغى الرؤية واعتمد على الحساب بحجة أن الحساب ينهى الخلاف فى الصيام والإفطار بين المسلمين ، متشبثاً بقول الرسول ﷺ : « إنا أمة أميّة لا تكتب ولا تحسب ، الشهر هكذا وهكذا » . فظن هذا البعض أنه متى أصبحت أمة الإسلام تكتب وتحسب ، ولها مراصد فلكية وعلماء فلك استغنت عن الرؤية وتخلت عنها نهائيا وأصبحت تصوم وتفطر على ما يضعه كل سنة علماء الفلك والحساب من تقاويم حسابيّة .

وما علم هؤلاء أن رؤية الهلال كثيراً ما تختلف مع التقويم ، فيثبت التقويم الرؤية وهى تنفيها ، وينفى التقويم الرؤية وهى تثبتها يقيناً ، وهذا أمر ثابت ومتكرر ويقينىّ ، وإبطاله يعتبر مكابره وعناداً يشينان صاحبهما ويزريان به بين العقلاء .

وبناءً على هاتين الحقيقتين : وهما لا صيام ولا إفطار إلا بيقين ، وإن اختلاف المطالع معتبر شرعا فإن صيام أهل إقليم ما من بلاد المسلمين ، وإفطارهم لعدم ثبوت الرؤية اليقينية عندهم هو مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية ، وهو بالتالى عين الإيمان وآية الإسلام أيضا ، والصائمون كالمفطرين مأجورون على صومهم وإفطارهم . وليس بينهم مذموم ، ولا

فيهم غير محمود ، إذ الكل عامل بطاعة الله وطاعة رسوله متبع لشرع الله ورسولـه ﷺ . ولا يذم المسلمين فى هذا الاختلاف أو يشنع عليهم إلا جاهل بشرع الله ورسوله ﷺ . كما أن هذا الاختلاف القائم على اساس طاعة الله ورسوله فى ثبوت الرؤية وعدم ثبوتها هو مظهر من مظاهر الإيمان والإسلام كما قدمنا ، لأن التمسك بطاعة الله ورسوله إيمان ، والتفريط فى ذلك وعدم المبالاة به كفر وعصيان .

وأمر آخر وهو أن أمة الإسلام عاشت قرونا طويلة كغيرها والمواصلات السريعة معدومة بينها ، وهى تصوم فى إقليم وتفطر فى آخر بحسب الرؤية وعدمها ولا يلوم أحد أحداً ، ولا يؤمر الناس بقضاء ما نقص بحسب عدم الرؤية ، وما ذاك إلا لاعتبار اختلاف المطالع والعمل به ، وفيه من الرحمة ونفى الحـرج والعسر ما يدركـه العاقل بأدنى تأمل أو تفكر ، ولكن أكثر الناس لا يفكرون .

الحقيقة السادسة

فى وجوب التأكد من صحة الرؤية

إنه تمشيا مع قاعدة الشك لا يُبطلُ اليقين، وأن الصيام كالإفطار لا يتمَّان إلا على أساس من اليقين التام بدليل حرمة صوم يوم الشك فى حديث عمار : « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم » . فإنه يجب التأكد من صحة الرؤية فلا يلتفت إلى رؤية من يدعى أنه رأى الهلال ليلة التاسع والعشرين من شعبان أو رمضان أو رجب قبل شعبان وذلك لأن الرؤية ليلة التاسع والعشرينَ غير ممكنة ، لأن الهلال يطلع فيها من المشرق قبل طلوع الشمس بزمن لا تدركه الشمس فيه ، وسيغرب الهلال قطعا قبل غروبها . وحينئذ تتعذر رؤيته إن لم تستحل وذلك لدقة الهلال ورقته وشدة ضوء الشمس وقوته . كما أن عامة الفقهاء يشترطون لرؤية هلال شوال عدلين من المسلمين كما أن أكثرهم يشترط ذلك لرؤية هلال رمضان أيضا ، ومن اكتفى منهم بعدل واحد عملا بحديث الأعرابى الذى أتى النبىّ ﷺ فقال : إنى رأيت الهلال فاستشهده النبىّ ﷺ أى قال له : أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ فشهد ، ثم أمر بلالاً أن يؤذن فى الناس أن يصوموا فصام المسلمون فإنه يُقال : إن الأعرابى كان صحابيا والصحابة عامتهم عدول ومع ذلك فإنّ رؤيته أقرها الوحى الإلهىّ ؟ إذ لو لم تكن ثابتة فى نفس الأمر لنزل الوحى يبينُ عدم صحتها ، وردها الرسول ﷺ لذلك .

ومادمنا متفقين على اشتراط العدالة فى مدّعى الرؤية انفرد أو تعدّد ، لأن الله تعالى اشترطها فى كتابه فى قضايا مشابهة كالطلاق والرجعة والبيع ونحوه كما أن الرسول ﷺ اشترطها فى الأعرابى مدعى الرؤية حين سأله

عن إسلامه كما تقدم ، فإن العدالة اليوم فى أكثر المسلمين هى شبه معدومة ، إذ العدل فى الإسلام من يجتنب الكبائر ويتقى فى الغالب الصغائر ، ومن هو الذى لم يغش الكبائر ويندر منه فعل الصغائر إلا من قلَّ ، ورحم ربى عز وجل ؟

ولهذا وجب التأكد من صحة الرؤية ولا يؤمر المسلمون بصوم أو فطر إلا بيقين تام ، وذلك يتم بما يلى :

١ ــ أن تكون الرؤية ممكنة ، وذلك كأن تكون ليلة الثلاثين لا ليلة التاسع والعشرين .

٢ ــ أن يدعى الرؤية أكثر من واحد لعدم توفر شروط العدالة فى أكثر الناس ، والفقهاء رحمهم الله تعالى يقولون : إذا خفَّت العدالة استكثر من الشهود جَبْراً لنقص شرط العدالة .

٣ ــ لا تقبل رؤية فاسق أو أكثر بحال لعدم اعتبار الشارع بشهادة الفاسق إذ قال تعالى : ﴿ **فلا تقبل لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون** ﴾(١) .

٤ ــ أن يمثل مدعى الرؤية أمام قاض عادل أو حاكم عالم بصير يسأله ويحقق معه فى صفة رؤيته وكيفيتها . فإذا جاءت الرؤية على طريق سليم واضح ، مراعى فيه ما ذكر من الشروط الأربعة قبلت ، وأعلن للمسلمين عن ثبوتها وأمروا بالصيام أو الإفطار ، فيصومون أو يفطرون على يقين من صحة صومهم أو فطرهم وهذا هو المطلوب لتعظيم شعائر الله ، والله يقول : ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾(٢) .

---

(١) الآية من سورة النور .
(٢) الآية من سورة الحج .

الحقيقة السابعة

فى بيان حكم من رأى الهلال
ولم تقبل شهادته

إذا رأى المرء المسلم هلال رمضان وتأكد من صحة رؤيته ، ولم يبق فى نفسه شك أنه رأى الهلال ، ولم تقبل شهادته لعدم عدالته أو لكونه واحداً لا ثانى معه ، أو أن التحقيق الذى أجرى معه من قبل القاضى لم يصحح رؤيته ، أو لأى اعتبار آخر ، وجب عليه أن يصوم فى خاصة نفسه ولا يأمر أى أحد من المسلمين أن يصوم معه حتى لو كان زوجه أو ولده أو أباه أو أمه ، ولا ضرر عليه فى ذلك ، وهو بخير وعافية والحمد لله .

وأما إذا رأى هلال شوال ولم تقبل رؤيته لقصورها ونزولها عن المستوى الذى تقبل فيه الرؤية كما قدمنا فإن عليه أن يتهم نفسه بالقصور ، ويذكر أنه رأى الهلال وحده وفى الأمة من هو أحدُّ منه بصراً ، وأعرف بمكان الرؤية منه ، فكيف يراه هو وحده ، ولا تراه أمة كاملة معه ، ويصوم مع الناس ولا يفطر وحده أبداً ، وهذا أمر اقتضاه الاحتياط لدين العبد فإن رؤيته غير يقينيّة وصيامه يقينىّ ، وفطره لم يقم على أساس اليقين ، واليقين لا يزول بالشك . ومثل هذا من يسمع بالرؤية بواسطة المذياع فى إقليم غير الإقليم الذى هو فيه فإن عليه أن يصوم احتياطا لدينه ، إذ قد سمع بالرؤية ، وليس له ، ولا عليه أن يدعو الناس إلى الصيام ما داموا لم يروا الهلال فى إقليمهم .

وكذلك الحال بالنسبة إلى الإفطار فإنه إن سمع برؤية هلال شوال ، ولم يره أحد من أهل إقليمه فلم يفطروا فإن عليه أن يفطر فى خاصة نفسه ولا يتجاهر بالفطر بل عليه أن يُسر إفطاره ويخفيه تمام الإخفاء ، ولا يعلنه أبداً

كما ليس له أن يطلب من أحـد أن يفطر ولو كان أقرب قريب ، وليترك الناس يصومون ويفطرون بيقين الرؤية عندهم .

هذا كله فى أهل إقليم يعتنون بالرؤية ويطلبونها بجد وصدق ثم لم تثبت عنـدهم . وذلك لاختلاف المطالع كما قدمنا . أما إذا كانوا لا يعتبرون الرؤية ولا يعتمدونها فى صيام ولا إفطار ، وإنما يعتمدون على الحساب فإن عليه أن يصوم على الرؤية المسموعة ويفطر هو وأهل بيته الذين يأتمرون بأمره من ذوى قرابته ، ويدع أمر العامة خشية الفتنة والأذى يصيب المسلمين .

هل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين ممكن ؟

بسم الله وبعد : فإن فى الإجابة عن هذا السؤال ثلاث حقائق الأولى وهى [**ثامنة الحقائق**] التى تضمنتها هذه الرسالة .

وبيانها : أنه لم يسبق للمسلمين طيلة أربعة عشر قرنا أن اتحدوا فى صوم أو فطر قط ، وذلك لتنائى الديار ، وتباعد البلاد والأقطار ، وعدم وجود مواصلات سلكية أو لاسلكية تنقل أخبار الرؤية وتصل بها إلى المسلمين فى شتى بلادهم ، ومختلف أقطارهم طيلة هذه الحقبة الطويلة من حياة المسلمين . فهل يتم اليوم توحيدهم فى صيام أو إفطار ؟ إنه أمر مستبعد غير أنه ممكن ، وهذا ما سنتحدث عنه فى الحقيقة الثانية وهى [**تاسعة الحقائق**] فى هذه الرسالة .

وبيانها : أنه قد يتم توحيد الصيام والإفطار بين بلاد المسلمين فى هذه الأيام بأحد أمرين :

الأول : وضع تقويم حسابى فلكى يتفق عليه المسلمون ويوزع عليهم فيصومون ويفطرون عليه . وهذا ما سبق أن بيَّنا أنه لا يصح بحال ، والإسلام لا يجيزه ، ولذا فلا يمكن أن يتم عليه توحيد صيام أو إفطار حتى أهل إقليم واحد فضلا عن أقاليم شتى متباعدة بعضها فى المشرق وبعضها بالمغرب .

ثانيا : أن يعهد إلى حكومة الحرمين « السعودية » وهى متوسطة بين أقطار العالم الإسلامى ، يعهد اليها أن تتلقى أنباء الرؤية من كافة أنحاء البلاد الإسلاميّة وذلك لليلة الصيام وليلة الإفطار ، وتذيع ذلك بأدلته اليقينيّة على العالم الإسلامىّ بواسطة التليفون والتلكس والإذاعة ، وعليه

يصـوم المسلمـون ويفطرون(١) سواء منهم من رأى الهلال ومن لم يره ، وبذلك يتم توحيد المسلمين فى الصيام والإفطار . وهو أمر ممكن وجائز ، غير أنه ما دام المسلمون ـ ما عدا السعوديين ـ لا تحكمهم شريعة الله ، ولا يساسون بسياسة الإسلام العادلة الرحيمة فإن اتفاقهم على أن يعهدوا لمثل الدولة السعودية لتتلقى منهم أنباء الرؤية ، ثم تذيعها لهم ليصوموا أو يفطروا عليها ويقبلوها ، أمر متعذر إلى حد الاستحالة ، إذ قد جربوا فى أبسط من هذا فلم يتفقـوا عليه ولم يتحـدوا فيه ، وذلـك لفقـدانهم الاستعداد الروحى لقبول الحق والإذعان له ، وأكثرهم معرض عن ذكر الله ، ولا يخاف الله ولا يرجوه مع أن اتحاد المسلمين فى أىّ شىء وعلى أىّ شىء يفزع أعداء الإسلام ويخيفهم فلذا يعملون على عدم تحقيقه بحال من الأحوال ، ويساعدهم على ذلك سوء حال المسلمين ، وبعدهم عن الله عز وجل بترك عبادته والإعراض عن ذكره ، والعياذ بالله تعالى .

هاتان حقيقتان والثالثة وهى [عاشرة الحقائق] فى هذه الرسالة .

وهذا بيانها : وهو أن يُعلم أن فرصة إمكان توحيد الصيام والإفطار فى العـالم الإسلامىّ موقوفة على بقاء هذه المواصلات العصريّة الحديثة وإلا فإنها يوم تنتهى الطاقة بأن تنفد أو بحرب ذريّة تقضى على مسخّريها ، وعلى الصناعة وصناعها لا يبقى من مطمع فى توحيد صيام ولا إفطار ، ويعود الأمر كما بدأ : الإقليم الواحد بعض مدنه صائم والبعض الآخر مفطر ، ولا يلوم أحـد على أحـد ، والكـل معذور ومأجور ، وذلك لبعد ما بين البلاد ، وليس هناك مواصلات غير عادية من تليفون أو مذياع ، ولم يبق إلا البريد العادى والذى لا يصل فيه خبر الرؤية من بلد إلى آخر إلا فى فترة أسبوع من الزمن أو أكثر كما كانت الحال قبلا .

وإذا عرف هذا فلم يبق من معنى لتأسف الكثيرين وإعلان سخطهم

---

(١) يستثنى من ذلـك من يختلفـون عن بلاد المسلمين بالليل والنهار كسكان أمريكا مثلا إذ ليلنا نحن سكان الشرق الأوسط نهارهم ، ونهارنا ليلهـم .

على الحكـومات الإسلامية التى لم تَسْعَ فى توحيد الصيام والإفطار ، ولم تعمل على تحقيقه بين البلاد الإسلاميّة .

وإلى هنا نكون قد أجبنا على سؤالنا : هل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين ممكن ؟

وخاتمة القول فى هذه القضية :

- أن على أهل كل بلد إسلامىّ أن يتحروا بكامل العناية رؤية هلال كلٍّ من شعبان ورمضان وشوال .
- وأن لا يصوموا أو يفطروا إلا على رؤية ثابتة يقينيّة ، وذلك لقول الله تعـالى : ﴿ فمن شهـد منكم الشهر فليصمه ﴾ وقول الرسول ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » .
- وأن تتم الرؤية بالعين المجردة ، فلا يلتفت فيها إلى مكبرات النظر ولا إلى القواعد الحسابيّة الفلكية ، إذ الله تعالى لم يتعبدنا إلا بما هو داخل فى مكنتنـا واستـطاعتنا ، إذ نحن أمة كبيرة بعضنا فى الشرق وبعضنا فى الغـرب ، ومنـا الحضـارى ، ومنا البادى ، ومنا العالم ومنا الجاهل ، وشريعتنا باقية ببقاء الكون ، تتغير الحياة ، ولا تتغير هى ولا تتبدل .
- وأن الرؤية تتم برؤية الهلال ليلة الثلاثين ، أو بإكمال شعبان أو رمضان ثلاثين يوما .
- وأن يتأكد من صحة الرؤية فلا تقبل رؤية غير العدل من الناس ، وأن تكون الرؤية ممكنة بأن تكون ليلة الثلاثين لا ليلة التاسع والعشرين .
- وأن من رأى الهلال من المسلمين ولم تقبل شهادته بالرؤية لعدم استيفائها شروط الصحـة المشروطة لها فإن عليه أن يصوم احتياطا لدينه ، وإن كانت رؤيته لهلال شوال فلا يفطر احتياطاً لدينه كذلك .
- وأن الفرد أو الجماعة إذا بلغتهم الرؤية بواسطة الإذاعة وأهل إقليمهم تحروا الرؤية ولم تثبت عندهم ، لهم أن يصوموا أو يفطروا ولكن سرّاً فلا يستعلنوا بصيام ولا إفطار ، أمّا إذا كان أهل بلادهم لا يتحرون الرؤية

ولا يعتمدونها فإن عليهم أن يصوموا ويفطروا على خبر الإذاعة مع عدم استعلانهم بصيام أو إفطار خشية الفتنة .

- وأن المسلمـين لو اغتنموا فرصة وجود هذه المواصلات الحالية فصاموا أو أفطروا متحدين لكان ذلك خيراً لهم وأبرأ لذمتهم وإن هم لم يفعلوا فلا حرج ، ولا إثم فيما أرى والله أعلم .

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أبو بكر جابر الجزائرى
باريس فى ١٧ / ١١ / ١٤٠٣ هـ

فهـــرست

●● الرســالة الخامســة

من المسئول عن ضياع الاسلام

من المسئول عن ضياع الإســـلام

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

بين يدى الرسالـــــة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ، ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون . والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وخيرة خلق الله ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته أجمعين .

أما بعد :

فإنّ واجب البيان الذى أخذ الله تعالى على أهل الكتاب فى قوله : **﴿ وإذ(١) أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه ﴾** .

وتحريمه تعالى كتمان ما أنزل من البينات والهدى فى قوله : **﴿ إن الذين(٢) يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾** .

وَجَعلَ الرسول ﷺ الدين النصيحة فى قوله : **﴿ الدين النصيحة (٣) لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾** .

---

(١) الآية من سورة آل عمران .

(٢) الآية من سورة البقـرة .

(٣) الحديث أخرجه مسلم بلفظ أتم .

هذه الأمور الثلاثة هي التي اقتضت مِنّى أن أكتب هذه الرسالة وأتشرف بتقديمها إلى مسئولى أمة الإسلام ، وعامتهم .

والقصد إبراء الذمة مع رجاء أن يجعلها الله جل وعلا سببا لحفظ ما بقى من الإسلام (١) ، واسترداد بعض ما ضاع منه ، فإن هذا على الله يسير ، والله على كل شيء قدير .

الإسلام الضائع

لا شك فى أن أكثر الناس لا يعرفون الإسلام . وأن تصور أكثرهم له تصور خاطىء وذلك لأسباب كثيرة منها :

١ ــ غلبة الجهل بين المسلمين فى حقبة طويلة من الزمن قد تزيد على خمسمائة عام .

٢ ــ عدم قيام حياة أغلب المسلمين على أصوله وفروعه وأحكامه وآدابه .

٣ ــ بُعد زمان تطبيقه فى الأرض ، وعدم رؤية أكثر المسلمين لتطبيق شرائعه وأحكامه فى واقع الحياة .

٤ ــ ما طرأ على عقائد المسلمين من الشرك والخرافات ، وعبادتهم من البدع والمحدثات .

٥ ــ تشويه أعداء الإسلام له . وطمس أكثر معالم الجمال والكمال فيه بألسنتهم وأقلامهم وأفلامهم تنفيرا للناس منه ، وصداً لهم عن الأخذ به حتى لايكملوا ولا يسعدوا .

لهذا وجب تحديد مفهوم كلمة الإسلام ، وتعيين المراد منها إذا هى

---

(١) المراد من ضياع الإسلام : ترك العمل به لا فقد شئ من شرائع الإسلام فإن شرائع الإسلام محفوظة فى بطون الكتب وإنما الضائع من الإسلام هو العمل به ، حيث عطلت أحكامه ، وضيعت فرائضه وسننه فى أكثر بلاد المسلمين . فإنهم ....

أطلقت ، لاسيما ونحن ندعو إلى المحافظة على مابقى منه ، وإلى استرداد ما ضاع بسبب ترك أكثر المسلمين لفرائضه وسننه وآدابه بعد تعطيل أحكامه ، والإعراض عن كتابه .

فالإسلام هو دين الله وشرعه الذى أوحاه إلى نبيّه محمد ﷺ لإصلاح البشر وإكمالهم فى عقولهم واخلاقهم ، وإسعادهم فى أرواحهم وأجسادهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وذلك نتيجة عملهم به : عقائد ، وعباداتٍ ، وأحكاما ، وأخلاقا ، وآدابا .

هذا هو الإسلام ، وضده الكفر وهو عدم العمل بالإسلام : عقائد ، وعبادات ، وأحكاماً ، وأخلاقا ، وآدابا ، ولازم الكفر بقاء الإنسان فاسداً غير صالح ، وناقصا غير كامل فى عقله وخُلقه ، شقيا غير سعيد فى جسده وروحه ، وذلك فى الدنيا والآخرة معاً .

دفع شبهة :

قد يقول قائل هنا : إنَّ ما سَبَقَ أنْ قُلْتَه إنَّما هو مجردُ دعوىٰ ، فهل لك أن تثبتها بالبرهان العقلى ؟

فنقول : نعم ، ونحن معك فى أن أية دعوى إذا لم تقم عليها بَيِّنَةٌ فهى دعوى ساقطة ، لاتناقش بل لا ينظر فيها مجرد النظر .

ولكن ما قلناه نحن وادّعيناه من كون الإسلام هو أداة الإصلاح والإكمال والإسعاد البشرى . والكفر الذى هو ضد الإسلام هو أداة الإفساد والخسران والشقاء الإنسانى فى الدنيا والآخرة معاً ، نقيم عليه أكثر من بيّنة ، ونبرهن على صحته بأكثر من برهان . ولكن حسبنا من ذلك البينتان التاليتان والبرهان الآتى بعدهما :

البيّنة الأولى : حال العرب فى شبه جزيرتهم قبل الإسلام ، إذ كانوا يعيشون على أسوأ الأحوال ، وشر الظروف : وثنيّة وكهانة ، فوضىٰ فلا نظام ولا قانون ، جهل فلا علم ولا معرفة ، فقر ولا غنى ، غلظة فى الطباع وجفاء فى النفوس

يما أن جاء الإسلام وآمنوا به وعملوا به ـ وفى ربع قرن فقط وهى فترة زمانية قصيرة قد لاتكفى لإقامة مشروع صناعىّ ، والقيام عليه حتى ينتج ويتحسن إنتاجه ـ حتى تبدّلت الوثنيّة والكهانة إلى ربانية صادقة لها نورها وهدايتها ، والفوضى إلى نظام دقيق محكم ، وشرع شامل انتظم كل جوانب الحياة ، فلم يُغفِل منها جانبا ، إذ تعلق بحياة الإنسان كلها من ساعة وجوده نطفة فى رحم أمه إلى أن يُوارىٰ فى قبره بعد موته . والجهل وعدم المعرفة إلى علم واسع ومعرفة شاملة تعلقت بالحياة والكون كليهما . والفقر وعدم الغنىٰ إلى غنىً واسع لم تشهد ديارهم مثله منذ أن كانت . فقد سجل التاريخ الصحيح أن عامل إفريقيا الشمالية كتب يوما إلى الخليفه يقول : إنا لم نجد من يقبل الزكاة فى هذه الديار فماذا نصنع بأموال الزكاة ؟ فكتب إليه الخليفة أن اشتر بها عبيداً وحررهم فى سنبيل الله عز وجل . والغلظة والجفاء إلى ظُرْف ولُطْف ومودة وإخاء صادقين قلما وجد(١)لهما نظير فى حياة الناس . وبالجملة فقد أصبحت تلك الديار بعد أن أشرق فيها نور الإسلام تمثل المدينة الفاضلة التى طالما حلم بها فلاسفة اليونان ولم يروها فى عالم الوجود ، حتى تجلت فى ديار العرب بعد أن أشرق فيها نور الإسلام المحمدىّ . هذه بيّنَةٌ . . . وأخرى وهى :

البيّنة الثانية : وهى أنه لما ساءت حال المسلمين فى كل ديارهم بتخلّى أكثرهم عن العمل بالإسلام ، واضْطَربَ حبل النظام ، وسادت الفوضى ، وعم الفساد وانتشر الشر فى كل جزيرة العرب والتى كانت بالأمس القريب معقل الفضائل والكمالات ، ومحط الإشراق والهدايات ، شاء الله تعالى أن يُرىَ عباده آية كبرى تشهد بصحة الإسلام وصدق قضاياه ، وسلامة قوانينه ، ونجاعة الأخذ به ، وأنه لاسبيل إلى الإكمال البشرى والإسعاد الإنسانى إلا بالأخذ بالإسلام وتطبيق شرائعه ، فجاء

---

(١) اعتبر لفظ الظرف واللطف شيئا واحد ، ولفظ المودة والإخاء شيئا واحداً ولذا عاد اللفظ مثنى عليهما فى صادقين . وفى لهما .

تعالى بعبده المؤمن الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى فاقام دولة على أساس الإسلام وجعل شعارها الذى تحمله رايتها : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » بمعنى أن الأرض التى تظللها راية تحمل كلمة الإخلاص والتوحيد لايُعبد فيها إلا الله ، ولا يتبع فيها إلا رسول الله ﷺ . وتصدى رحمه الله للعقيده التى فسدت فأصلحها وللصلاة التى تركت فاقامها ، وللزكاة التى مُنعت فجباها . وأحيا مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكوّن هيآته فى كل البلاد وخولهم سلطة مطلقة مكنتهم من أداء واجبهم فأمروا بالمعروف حتى عُرف ، ونهوا عن المنكر حتى أنكر وزال فساد تلك الديار التى تظللها راية التوحيد أمْنٌ وسلام ومودة وإخاء وطهر وصفاء عادت بها الحياة سيرتها الأولى أيام كانت دولة الخلفاء الراشدين .

وإلى الآن نورها وبركتها يعيش فيهما المواطنون السعوديون ومن نزل دارهم حياة والله لا يوجد نظيرها فى دنيا الناس اليوم أجمعين !!

وبعد : فَتَانِكَ(١) الْبَيِّنَتَانِ اللتان لا تردان ، والحجتان اللتان لا تدحضان .

وأما البرهان فإنا نقول لطالبه : انظر معنا بعين الجد والصدق إلى الكون كله فإنا نجده قد ربطه خالقه عز وجل بنظام ثابت دقيق عليه مدار اسْتِمْرَارِيَّتِهِ وبقائه صالحاً يؤدى وظيفته إلى نهاية أجل الحياة ، ونجد سنن الحياة ظاهرة فى كل الكائنات الحيّة ، وأنها لاتتبدل ولا تتغير ، ومن تلك السنن أن الجسم البشرىَّ يقوم على أساس الغذاء والهواء والماء وعلى هذه الثلاثة ينمو ويصلح ويبقى يؤدى وظائفه إلى نهاية أجله ، وإن هذه السنة فيه لاتتبدل ولا تتغير بحال من الأحوال ، فإذا علمت هذا فاعلم أيضا أن الخالق عز وجل قد وضع لغذاء الإنسان الروحىّ ، ولكماله العقلى

---

(١) تان : تثنية « تا » وهو اسم إشارة للمؤنث يقابله « ذا » اسم إشارة .

والخلقى ، والجسمى ، وإسعاده فى روحه وجسمه وفى كلتا الحياتين الأولى هذه والآخـرة الحتمية الإتيان ، قد وضع لذلك « الإسلام » فما من فرد أو جماعـة أو أمة أخذ به فى جدّية وصدق إلا حصل له الكمال والإسعاد وبمعناهما الكامل الشامل . ومامن فرد ، أو جماعة أو أمة أعرضت عنه فلم تأخذ به إلا حصل لها العكس وهو النقصان والخسران والشقاء وفى كلتا الحياتين معاً . وفى تلك سنة الله ، « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

ومـا إخالك ياصاحبى تطلب بعد هذا البرهان برهانا . وإن ارتبت فجرب الإسلام فإن التجربة أكبر برهان . أو أسلم تسلم وآمن تأمن . وما وراء هذا البيان بيان !!

وأخيراً زيادة فى التأكيد وتطمينا للخواطر ، وإبعاداً لسحاب الشكوك ، ودخان الظنون الفاسدة أقسم الله تعالى على ثبوت هذه الحقيقة وصحتها وسلامتها وهى أنه لا كمال ولا سعادة فى الحياتين للإنسان إلا على مبدء الأخـذ بالإسـلام كل الإسـلام ، عقـائده وعباداته وأحكامه ، وأخلاقه وآدابـه . فأقـول والله العـظيم الـذى لا إلـه غيره ولا ربّ سواه : إنّ الإنسان[١] لا ينجو من الخسران ، ولا ينعم بالكمال والإسعاد فى الدنيا والآخرة إلا على العمل بالإسلام دين الله الحق لايقبل دينا سواه .

وهكذا نبالغ فى النصح والبيان ، ليهلك من يهلك عن بيّنة ويحيا من يحيا عن بيّنة . والله من وراء القصد . والحياة والفوز للإسلام والآخذين به ، والهلاك والخسران للمعرضين عنه .

---

(١) وذلك لأن الله تعالى قد أقسم على هذه الحقيقة فى كتابه فى قوله : ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

كيف ضاع الإسلام ؟

ذَلِكَ قولنا عن الإسلام الضائع وهو كما عرّفناه : آلة الإكمال الإنسانى ، والإسعاد البشرىّ .

أما عن كيف ضاع فإنا نقول ـ والأسى يملأ القلب ، والحسرة تُمزق النفس ـ : إن الإسلام فى حد ذاته لم يضع ولن يضيع ، وذلك لتولى الرب تعالى حفظه بحفظ كتابه كما قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون** ﴾[1] .

وإنما الذى ضاع ويضيع هو العمل به ، حيث أصبح اليوم ومنذ عدة قرونَ لا يظهر على أغلب حياة المسلمين ، فكان وكأنه ضاع ، وهو فى الحقيقة لم يضع ، إذ هو موجود قائم يكمل ويسعد عليه بعض المؤمنين غير أن العبرة كل العبرة ليست بوجوده كنزاً محفوظاً لا ينتفع به ، وإنما العبرة بالعمل به ، والانتفاع بعقائده وشرائعه وقوانينه وأحكامه ، والتحلّى بآدابه الرفيعة وأخلاقه السامية بين الناس .

ومن هنا صح لنا القول بأن الإسلام ضائع . ولما كان السؤال هو كيف ضاع الإسلام أى ماهى الأسباب التى جعلت المسلمين يتخلون عنه فى الجملة ، حتى اختفى من مظاهر حياة أكثرهم أو كاد ، اللهم إلا ماكان من مثل الأذان والصلاة والصيام . فالجواب : أن هناك عوامل كثيرة اقتضت ضياع الإسلام بترك العمل بشرائعه بين المسلمين حتى تعسوا وشقوا ، بعد أن هانوا وذلوا زمناً غير قصير . ومن أهم تلك العوامل مايلى :

١ ـ الجهل به أى بالإسلام عقائد وشرائع وأحكاما وأخلاقا وآداباً .

بحيث أصبحت نسبة من يعرف الإسلام بين المسلمين لا تزيد

---

(١) الآية من سورة الحجر .

على عشرة فى المائة ، وعلى أكثر تقدير . وهى نسبة غير كافية فى حمل الناس على العمل بالإسلام . وفى المثل : من جهل شيئا عاداه(١)
. وهذه حقيقة لا يسع المرء إنكارها إذ العالمون بالإسلام العارفون بأنـه مصدر سعادتهم وكمالهم لايتأتى لهم أن يعيشوا بعيدين عنه ، ولايقدرون أن يحيوا بدونه بحال من الأحوال ، والله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(٢) .

٢ ـ ما ألصق به أى بالإسلام من بدع وضلالات حجبت عن الناس كثيرا من حقائقه ، وسترت عنهم معظم معارفه الصحيحة ، وحالت دون تذوق المسلم طعم الإيمان وحلاوته .

٣ ـ حرمـان أكثـر المسلمـين من تطبيق الأحكام الشرعية فى بلادهم . وإنفاذها فى أنفسهم زمناً طويلا ، الأمر الذى سبب الجرأة الكبيرة على انتهاك حرمات الشرع الإسلامىّ ، وتَعَدّى حدوده .

هذه أهم العـوامل التى كانت السبب المباشر فى ضياع الإسلام بين المسلمين مع الأسف !

(١) لما كان المثل هو القول السائر بين الناس فهذه الجملة أصبحت سائرة بين الناس فصح إطلاق لفظ المثل عليها ، وإن لم تكن من أمثال العرب المأثورة عنهم فى دواوين اللغة والأدب .
(٢) الآيـة من سورة فاطـر .

من المسئول عن ضياع الإسلام ؟

هذا السؤال فرض نفسه ، والإجابة عنه متعيّنة وذلك مادمنا نبحث عن طريق استعادة الإسلام ؛ لنكمل به ، ونسعد عليه قناعة منا بأنه لا سبيل إلى الكمال والسعادة فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا بالإسلام ، والإسلام فقط ، ونجيب عن السؤال فنقول : إن مسئولية ضياع الإسلام مسئولية مشتركة بين أعدائه وأوليائه أى أعداء الإسلام وأوليائه : فأعداؤه كادوا له ، وأولياؤه فرطوا فيه ، وبين كيد الأعداء ، وتفريط الأولياء كان ضياع الإسلام مع الأسف !!

ومن هم الأعداء ، ومن هم الأولياء ؟

أمّا الأعداء فهم المتحالفون ضده وعليه وهم المجوس واليهود والنصارى . المجوس الناقمون على الإسلام الذى أسقط عرش كسرى ، وأخمد نار فارس . واليهود الحاسدون للعرب على النبوة المحمديّة ، والرسالة الإسلامية وانتقال مجدهما إلى أولاد إسماعيل بدل بنى إسرائيل ، والحاقدون على الإسلام الذى كاد يقضى على الأمل اليهودى الصهيونى فى إعادة مملكة إسرائيل من النيل إلى الفرات . والنصارى الصليبيون الخائفون من نور الإسلام أن يشرق على الديار الأوربيّة فيغمرها بالهدى ، والنور فتتهاوى كنائسهم ، وتسقط عروش ملوكهم لا سيما بعد أن شاهدوا آثار هداية الإسلام فى بلاد الأندلس . والإسلام إسلام !!

وأمّا الأولياء فهم الأمراء والعلماء ، فالأمراء فرطوا فى إقامة الشرع ، وحماية حدوده بما أوتوا من قوة ، وماخُوِّلوا من سلطان . وأما العلماء فقد فَرَّطوا فى العمل به[١] ، والدعوة إليه ، بعد بيان أحكامه ، وتعليم شرائعه وآدابه .

---

(١) هذا بالنسبة إلى من فرط وإلا فغير المفرطين كثير ، ولكن المفرطين أكثر وبتفريطهم ضاع الإسلام .

وإن قيل : لقد عرفنا تفريط أولياء الإسلام فيه ، فما هو كيد أعدائه له ؟ قلنا : إن كيد التحالف الثلاثى للإسلام كان بإثارة النزعات والنعرات بين أمم الإسلام وشعوبه ، كما كان فى إيجاد المذاهب المتعددة والطوائف المختلفة ، والطرق الملتوية المنحرفة•بعد بذر بذور الفرقة والشقاق فى صفوف أمة الإسلام ، فسرى ذلك اللوث إلى العقائد ففسدت ، وإلى الأخلاق فساءت ، وإلى الأعمال فحبطت . ولما سقطت أمة الإسلام نتيجة ذلك الكيد من علياء مجدها وأوج كرامتها أجهز عليها الصليبيّون فجزروها وتقاسموها واستعمروها واستذلوها واستعبدوها زمناً غير قصير . وبمارحمة من الله وفضل استعادت أمة الإسلام إلا قليلا منها وجودها واستردت سلطانها ، ولكن مع الأسف لم تَسْتَعِدْ عقلها ، ولم تسترد قلبها ، فأصبحت تفكر بعقلية الغرب ، وتعيش بلا قلب !!

وهنا احتار المصلحون ووقفوا أمام هذه المعضلة مدهوشين ، يرددون هذه الجملة الاستفهامية : كيف تصلح أمة لا قلب لها ، وهى تفكر بعقلية عدوها الكافر بدينها وحقها وقيمها ؟ ؟

وكان لابد من اتخاذ خطوة فى سبيل إصلاحها وهى إقناعها أولاً بوجوب التفكير بعقليتها الإسلاميّة لا بعقلية عدوها الإلحاديَّة . وثانيا العمل على إعادة قلبها المؤمن الذى يؤمن بالله ولقائه ، والوحى وضرورته ، ذلك القلب الذى يعقل عن الله كلامه ، ويفقه مراد الله من خطابه فى مثل قوله تعالى : **﴿ فإمّا يأتينكم مِنيّ هدى فمنَ اتّبعَ هُداى فلا يَضلُّ ولا يَشقى ، وَمَنْ أعرض عن ذكرى فإنّ له مَعيشةً ضنكاً ، ونحشُرهُ يومَ القيامة أعْمَى ، قال ربِّ لم حشرتَنِي أعمَى وقد كنتُ بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتى فنسيتَها وكذلك اليوم تُنسى ، وكذلك نَجزى من أسْرَفَ ولم يؤمنْ بآيات ربّه ، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبْقَى ﴾**[1] !!

---

(١) الآيات من سورة طـه .

وإلى الآن لم تنجح هذه الخطوة فى أكثر أمة الإسلام ويالِلأسف ! وللتدليل على صحة ما قلنا نذكر التالى :

إن العالم الإسلامى كله من أندونسيا شرقا إلى المملكة المغربية غرباً شريعة الله التى هى وحيه وهداه معطلة فيه بنسب متفاوتة حتى إن بعض البلاد لاتطبق فيها أحكام الشريعة الإسلاميّة إلا بنسبة عشرة من مائة ، وأعلى نسبة قد لاتزيد على ثلاثين من مائة . والمملكة العربية السعودية وحدها التى تطبق فيها شريعة الإسلام بأعلى نسبة إذ قد تزيد على خمس وتسعين من مائة ، ولذا صح أن نقول : إنها البلاد الوحيدة التى يُطبّق فيها شرع الله فى بلاد المسلمين اليوم . وقد نال السعودية من تطبيق الشريعة وتحكيمها الخير الكثير ، ومن مظاهر هذا الخير الأمن الذى يسودها ، والطهر الذى تعيش عليه ، والعزة والكرامة التى يتمتع بها أبناؤها إلى جانب يُسر الحياة وهناءة العيش فيها . والحمد لله ؛ إذ الفضل فضله فى ذلك كلّه وحده .

وكان المفروض فى المسلمين كلّ المسلمين من غير سكان هذه المملكة التى سعدت بتحكيم شريعة الله فيها أن يعتزوا بهذه الدولة ويفاخروا بها ؛ لأنها دولة الإسلام ، وأن يحيطوها بهالة من التقديس ؛ لأنها تحمى حَرَمَيْهم ، وتطبق شريعة ربّهم ، وتمثّل إسلامهم ولو تمثيلا غير كامل - والكمال لله - غير أن الواقع مع الأسف كان خلاف ذلك ؛ إذ المرء - والله - لايكاد يسمع كلمة ثناء بخير على هذه الدولة فى الوقت الذى يسمع آلاف كلمات الطعن والانتقاص ، بذكر النقائص والعيوب !!

ويعجب المرء من هذا الموقف العدائى السافر ، ويبحث عن أسبابه ومبرراته فلا يجد له سبباً ولا مبرراً بحال ؛ إذ المفروض فى المسلم أن يستر عن أخيه المسلم ، ويعذره إن أخطأ ماوجد له عذراً . وأن يحسن الظن به ويحمله على أحسن المحامل ما أمكنه ذلك ، هذا فى حال وجود العيب والخطإ به ، فكيف مع البراءة والسلامة ، ولا سيما إن فى هذه الدولة

المسلمة من الكمال والخير الشيء الكثير . وفوق ذلك أنها حامية الحرمين ، وحاملة راية التوحيد : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

فلم يعبد فيها إلا الله ، ولم يتبع فيها غير رسول الله . وهي ميزة لعمر الله - لا توجد في بلد من بلادنا الإسلاميّة سواها .

فلماذا إذاً هذا الموقف الشاذ عن الفكر الإسلامي ، والبعيد كل البعد عن العقليّة الإسلاميّة ، وحتى الوعي الإسلامي من جانب المسلمين كل المسلمين إلاّ ما قل وندر ، وما هي أسبابه الحاملة عليه ، وبواعثه الدافعة إليه ؟؟

وليسمح لي كل مسلم وإني معتذر إليه إن قلت في الجواب : إن مرد هذا الموقف الشاذ من أغلب المسلمين وإن كان ما قدّمنا من أن أمة الإسلام لا قلب لها ، وأنها تفكر بعقلية أعدائها نتيجة الغزو الفكري الذي غزاها بعد احتلال بلادها واستغلال خيراتها واستعباد أحرارها وتغيير معالم حضارتها كما سبق أن ذكرنا فإن مرده إلى السببين التاليين :

الأول : هو تسمم الفكر الإسلامي من جراء قبوله كل مايأتي من الغرب من خير وشر وحسن وقبيح بدون مافرْز وَلاَ تخيير ، ولا نقد ولا تعيير ، والغرب وهو مشطور إلى شطرين : صليبيّ متعصب ، وشيوعي بلشفي حاقد يستحيل أن يرضى عن أمة إسلامية أو بلاد إسلاميّة تطبّق فيها شريعة الله ، ولا تطبق فيها قوانينه الغربيّة الوضعية ؛ فيذكرها بغير الطعن والانتقاص ، والسخرية والازدراء ، وهذا شأن الكافر مع المسلم طوال الحياة . وبما للغرب من إعلام قوى : صحافة وإذاعة ورواية وتمثيل طبق أقطار الأرض كلها وملأها بالكذب والتضليل فأصاب ذلك البلاد الإسلاميّة فأصبح المسلمون يرددون أنشودة عدوهم ويتغنون بأغانيه وكلها انتقاص للإسلام وشرائعه ، وتهكم وازدراء للقائمين به ، والداعين إليه ، فتورط المسلمون في هذه الفتنة إلا من رحم الله وهم قليل . وقد يتحفظ الغرب الكافر في طعنه في دولة الإسلام وانتقاصه لها أحيانا إلاّ أن مُتَبَنِّي

الفكـر المـاركسى من المسلمـين ، وكذا المحركين منهم بأصابع اليهودية العـالمية كالـروافض لا يتحفـظون فتراهم يجاهـرون بعـداوتهم الكـاملة للسعودية فضلا عن سبها وشتمها بعد انتقاصها والكيد لها والمكر بها . هذا سبب ! ! !

الثانى : أن الساسة فى بلاد المسلمين وخاصة الأجهزة الحاكمة منهم مضـطرون إلى السـتر عن أنفسهم من معـرّة حكم المسلمين بغير شرعة ربهم ، وهم يطالبونهم بذلك ويلحون عليهم ، وهم معرضون عن ذلك مصروفون عنه بما لا يعرف له سبب معقول . فهم من هنا لا يستطيعون أن يذكروا السعودية بخير وإن كانت تحسن إليهم ، ولها أكبر حق عليهم قد سبق أن أشرنا إليه آنفا ، فلا نرى الإعلام الإسلامى يذكر أىّ جانب من جوانب الخير فى الديار السعودية ، أو يبرز أىّ مظهر من مظاهر الخير والكمال فيها . فهذا الإغفال المتعمد ، خاضع طبعاً للحكم القائم جعل المواطنين المسلمين فى كل بلادهم لا يعرفون خيراً فى السعودية ولا يذكرونه بحال ، بَيْد أن ذكر المثالب ، وتعداد المعايب فهى على طرف لسان أكثرهم وهم لا يشعرون !!

هذا وإن كان الطعن والانتقاص وإخفاء الحقائق ، وستر الفضائل ، ونشر المعايب والمثالب من الغرب الكافر الحاقد الحاسد قد يتحمل لأنه عدو فإن ذلك من إخوة الإسلام والمصير والحال والمآل لا يتحمل ولايطاق [١]

---

١ تنبيــــه

إنى أشعر فعلا أنى قد مسست بجناب الحاكم المسلم . وما كان ينبغى لى ذلك ؛ لأن إجلال الحاكم المسلم واجب ، واحترامه معروف ، ولهذا فإنى أعتذر وأكرر اعتذارى طالبا الصفح عنى والعفو . مع تنبيهى إلى أن ماذكرته مما اعتذرت منه حق وأن على الحاكم المسلم المضطلع بأعباء مسئولية حكم المسلمين أن يتعود سماع كلمة الحق وقبولها لا سيما إن كانت من شخص لا غرض له إلا الخير والإصلاح . هذا ولظنى الجميل فى أكثر حكام المسلمين اليوم أنى أعتقد أن مثل هذا النقد الهادف والذى اضطررت إليه سوف لايكون مانعاً لهم من القيام بواجبهم الذى أدعو إليه فى هذه الرسالة وهو تطبيق كل من خطتى المحافظة على مابقى من الإسلام داخل بلاد المسلمين وخارجها . وشكرى مع احترامى لهم سلفـــا .

وقديما قال الشاعر :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

وشىء آخر وهو إن كان للساسة المسلمين مايبرر سكوتهم أو سترهم وإخفاءهم لآثار تحكيم الشريعة فى البلاد السعودية من الخير والكمال فإن العلماء والصلحاء والمفكرين والمصلحين فى العالم الإسلامى لا يوجد ما يبرر سكوتهم عن ذكر الخير فضلا عن تورط أكثرهم فى العيب والانتقاص ، وإنكارهم لتطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد السعودية مع أن آثار ذلك التطبيق مرئية محسوسة ، وهذه عدد منها ننشرها على سبيل المثال فَلْيُنْظر إليها :

١ ـ إقام الصلاة فى طول المملكة وعرضها بكيفيّة إلزاميّة .

٢ ـ جباية الزكاة جباية كاملة تطبيقا لأمر الله عز وجل .

٣ ـ وجود هيآت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل قرية ومدينة عَمَلاً بقول الله تعالى : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ . وهذه هى الأسس الأربعة التى يجب أن تنبنى عليها كل دولة إسلامية ، ومع الأسف فقد قامت للمسلمين فى بلادهم دول ، ولم تُبن واحدة منها على هذه الأسس فحرمت أمة الإسلام من جراء ذلك خيراً كثيرا .

٤ ـ لا يوجد فى طول البلاد السعودية وعرضها تمثال ، ولا قبة ، ولاتذكار لم يأذن فيه الإسلام ، كما لا يوجد فيها قبر ولا ضريح ولا شجر ولا حجر يُعبد من دون الله بأىّ نوع من أنواع العبادة . فى حين أن بلاد المسلمين الأخرى غارقة فى ذلك وفى شر منه .

٥ ـ إقامة حدود الزنى ، والقذف ، وشرب الخمر ، والردة والكفر .

٦ ـ القصاص فى الأطراف والنفس ، وأخذ الديات الشرعية ، والأرش فى الجنايات حسب تقدير الشريعة الإسلامية فى ذلك .

٧ - عدم السماح بظهور أيّة بادرة إلحادية من أيّ فرد ، وذلك كالطعن فى الإسلام ، أو سب الله تعالى أو الرسول ﷺ ، أو التمذهب بمذهب إلحادى كافر كالمذهب الشيوعى أو البهائى أو القاديانى فى حين أن بلاد المسلمين تعج عجيجا بهذه العظائم مع كامل الأسف .

٨ - منع اختلاط النساء بالرجال منعا باتا ، ومن لازم ذلك عدم السماح بتوظيف المرأة المسلمة وعملها مع الرجال وفى أيّة دائرة حكومية أو مؤسسة أهلية ، أو غير أهلية .

٩ - استقلال التعليم النسائى عن الرجالى استقلالا كاملا وفى كل مرحلة حتى إن سائق سيارات حمل البنات إلى مدارسهن يجب أن تركب امرأته إلى جنبه حتى لا يضطر إلى مخاطبة الطالبة المسلمة .

١٠ - منع الخمر إنتاجا ، وتصديراً وتوريدا وبيعا وشربا ، وكل مسكر محرم .

١١ - التعليم ، والعلاج ، وتجهيز الموتى ودفنهم مجانا بلا أدنى مقابل .

١٢ - لاضريبة تذكر على المواطن السعودى الأمر الذى لا وجود له فى كل العالم ولم يكن هذا أيام الرخاء السعودى فقط بل هو من أيام قيام هذه الدولة الإسلامية وذلك لأن الإسلام يحرم إثقال كواهل المسلمين بالضرائب وإذلالهم بأنواع الخراج .

وأخيراً فهذه بعض مظاهر الخير والكمال وقد تجاوزت العشرة المظاهر عدًّا ما كانت لتكون بحال لولا تطبيق الشريعة الإسلاميّة فى تلك الديار .

وسبحان الله فكيف عمى عنها أكثر المسلمين فهم يرونها ولايذكرونها فى حين أن ألْسنة أكثرهم مشغولة بترديد مايذكره إعلام الغرب العدو الكافر من أن الأمير فلانَ فعل كذا . . . والسعودى الفلانى ترك كذا . . . والسعودية أصبحت أمريكية ، إلى غير ذلك من قَذِر الكلام وساقطه الذى يُذيعه وينشره على عمد من سبق أن ذكرنا من أجهزة المثلث المجوسى

اليهودى الصليبى صرفا لأنظار المسلمين عن الإسلام وفضائله ، وتطبيق الشريعة الإسلامية وبركاتها من جهة ، وإطفاءً لهذا القبس المتبقى للمسلمين يشع بنور الله ويضىء للملتفين حوله سبيل السعادة والنجاة من جهة أخرى ، وحتى لايبقى للمسلم المطالب بشرع الله والمنادى بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله مايستشهد به ويشير إليه فى دنيا الناس قاطبة . وياللأسف الشديد . وسبحانك اللهم أخيراً كيف لا يعرف هذا المسلمون . وكيف يجهلون أو يتجاهلون !!

تنبيه

إنى لا أشك فى أن قارىء هذه الرسالة وَقَدْ قُدّمت إليه ، ووضعت من أجله ، لأنه مسلم يجب أن يتحمل مسئولية إسلامه . سيلاحظ أن حماساً شديداً قد كتبت به هذه الفقرات المتعلقة بلوم المسلمين عن صمتهم عن ذكر مظاهر الخير والكمال فى السعودية نتيجة تطبيق الشريعة الإسلامية فيها ، وقد يتساءل عن سبب هذا الحماس فأجيب أخى بأن سببه أمران لاثالث لهما ويعلم الله أنى لم أشعر بدافع غيرهما أولهما : الانتصار للحق بإظهاره بعد تعمد الناس جحوده وكفرانه . وثانيهما : أنّ مِن خُلقى الذى وهبنيه ربى عز وجل أنى أتألّم فى حياتى أشد الألم من شيئين الأول سماع الكذب والبهتان ، والثانى رؤية جحود الفضل وإنكار المعروف لأهله .

وقد بليت بالتعايش مع أناس لا أسمع من أكثرهم إلا الكذب وقول الزور والبهتان . ولا أرى لأكثرهم إلا جحود الفضل ونكران الجميل والمعروف كما هى حال أكثر المسلمين مع السعودية ، لأن أمة الإسلام اليوم أكثر أبنائها ينظرون بعين الغرب ويفكرون بعقلية الغرب ولايعقلون عن الله كلامه ، ولايفهمون من خطابه مراده لتعذر وجود القلب المؤمن الموقن . وإنالله وإنا إليه راجعون .

كيف يحفظ ما بقى من الإسلام
داخل بلاده وخارجها

الحمد لله ـ وبعد :

فإن مضمـون هذا العنـوان من هذه الرسالة هو المقصود بالذات من كتـابتها وتقديمها لخاصة المسلمين وعامتهم ، إذ هو البحث عن طريق يتـوصـل بها إلى الحفـاظ على ما بقى معمولا به من شرائع الإسلام بين المسلمين داخل بلادهم وخارجها . وذلك كالجاليات الإسلامية فى بلاد أوربا ، وأمريكا ، وبعض أقطار آسيا وأفريقيا .

وبعـد البحث الجـاد والتفكـير الطويل هدانى ربى عز وجل إلى أن الطريق بالنسبة إلى الجاليات الإسلامية لحفظ الإسلام بينهم ، ونمائه ونشره وتعميمه فى تلك الديار الكافرة به والتى يرجى لها أن تؤمن به فى يوم ما من الأيام فتسعد به ، وتكمل عليه إذ لا سبيل إلى الإسعاد البشرى ، والكمال الإنسانى إلا على الإسلام كما سبق أن بينا ووضحنا فى هذا البحث من هذه الرسالة . أقول إن الطريق للحفاظ على الإسلام بين الجاليات الإسلامية يكون على النحو التالى :

١ ـ تكوين هيئة عليا يمثل كل عضو فيها دولة من الدول الإسلامية فى العالم الإسلامى .

٢ ـ وضع ميزانيّة سنويّة تُسهم كل دولة إسلامية فيها بحسب قدرتها المالية قوة وضعفا . على أن لاتتخلف أيّة دولة عن الإسهام فى هذه الميزانيّة المشـتركة بحال من الأحوال حتى ولو تجمع قسطها من مواطنيها بطريق التبرع أو الضرائب الملزمة .

٣ ـ دمج جمعيات كل إقليم من الجمعيات الإسلاميّة فى جمعية واحدة تتـولى إدارتهـا كافة المؤسسات الإسلامية من مساجد ومدارس ومكتبات وأندية رياضية فى ذلك الإقليم ، على أن تشرف عليها الهيئة العليا للدعوة الإسلامية والمحافظة على الإسلام بين أهله خارج بلاد المسلمين (راجع رقم واحد) من هذا النظام الخاص بالجاليات الإسلامية .

٤ ـ مهام الهيئة العليا تنحصر فى جمع المالية وإعدادها من دول الإسلام الصغيرة والكبيرة والغنيّة والفقيرة على حد سواء ، وتوزيعها وصرفها على الجمعيات الإسلامية الموجودة فى خارج البلاد الإسلامية بمقادير تتفاوت بحسب العمل الإسلامى فى ذلك الإقليم قوة وضعفاً . كما تقوم بالإشراف العام على سير العمل الإسلامى فى كل إقليم فيه جماعة إسلامية ، وتقدم التوجيه اللازم والإرشاد المطلوب لسير العمل الإسلامى واطراده ونمائه فى تلك الديار .

٥ ـ مهام كل جمعية تنحصر فى التالى :

ـ بناء المساجد وإعمارها بالأئمة والمؤذنين والمدرسين والوعاظ المرشدين

ـ إنشـاء المـدارس الدينيّة لتعليم أصول الدين الإسلامى وفروعه ، وذلك بحسب حال المسلمين كثرة وقلة

ـ تقويم نفوس المسلمين وتزكيتها ، وتهذيب أخلاقهم وترقيتها لتبلغ الكمال الخلقى والتهذيب النفسى المطلوب للمسلم القدوة الذى يدعو إلى الله تعالى بلسان حاله كما يدعو بلسان قاله ، والأول أبلغ وأنفع .

وينبغى أن يركز فى الجاليات الإسلامية على هذا الجانب أكثر من غيره إذ هو الغاية الشريفة والمقصودة من تنظيم العمل الإسلامى فى ديار غير المسلمـين ، لأن الدعوة الإسلامية التى كانت واجبة بالجهاد والبيان قد أصبحت اليوم بالمقال وحسن الحال فقط ، ولم يبق من معنى للسلاح ، وأكبر بلاد العالم مفتوحة للدعاة المسلمين ، والناس يدخلون فى الإسلام أفواجاً . لاسيما فى أوربا الغربية وأمريكا واليابان .

٦ ـ توحيد المنهج التربوى والتعليمى بين سائر الجمعيات . فالعقيدة لا تكون إلا سلفية للإجماع على نجاة صاحبها . والفروع تكون على منهج الوحى الإلهىّ « قال الله » « قال رسول الله ﷺ » ، فتقرر وتدرس الكتب التى على غرار منهاج المسلم وعقيدة المؤمن لأبى بكر جابر الجزائرى ، وذلك لتوحيد قلوب المسلمين وأعمالهم ، والبعد بهم عن الفرقة والخلاف ، ولطلب السعادة لهم والنجاة فى الدنيا والآخرة .

٧ ـ إبعاد الجماعات الضالة والمضللة من ساحة العمل الإسلامىّ فى تلك الديار مثل البهائية والقاديانية والشيعة الروافض ، والطرق الصوفية الغالية فى التصوف من غلاة الحلولية والباطنيّة . وذلك بإظهار ضلالها ، وتحذير الناس منها ، والحيلولة بينهم وبين الاتصال بهم طلبا لنجاة الناس من شر هذه الفرق الضالة والمحسوبة على الإسلام وهو منها براء .

على نحو من هذه الخطة يمكن بفضل الله تعالى العمل فى حقل الدعوة الإسلامية خارج ديار المسلمين فيحفظ لمسلمى الجاليات بها إسلامهم ناميا مطرد النماء والانتشار بين سكان تلك الديار ، وبذلك تبرأ ذمة المسلمين من واجب الدعوة إلى الإسلام بين أمم العالم وشعوبه .

أمّـا المحافظة على ما بقى من العمل بالإسلام فى بلاد المسلمين فإنه بالنظر إلى عدم جَدْوَى العمل تحت شعار الأحزاب والجمعيات والمنظمات الدينيّة مطلقا حيث رأينا أن المنظمة أو الجمعية بمجرد ماتنمو ويأخذ عملها فى الظهور والانتشار حتى تصطدم بالنظام الحاكم فتتحطم عندئذ وتموت ، وتجر عواقب سيئـة على الإسلام والمسلمين وبناء على هذا فقد تعينّ أن تُطلب سبيلٌ أخْرى للحفاظ ـ على الأقل ـ على المتبقى من العمل بشريعة الإسلام بين المسلمين فى ديارهم وإلا فإن ربع قرن كاف لا قدر الله فى ضياع ما بقى من الإسلام فى بلاد المسلمين ، ويومئذ يحل ظلام وظلم لم تعرف بلاد المسلمين نظيره حتى فى عهد الجاهلية الأولى والعياذ بالله تعالى .

ولـذا فإنى أهيب بكل ذى قلب حىّ وروح طاهرة تحمل حب الخير والجميل أن يتبنّوا هذه الخطة التى أرسمها هنا وأن يعملوا على تنفيذها بكل صدق وإخلاص من أجل إنقاذ البقية الباقية من الإسلام فى بلاد المسلمين .

إن الإسلام يتعرض فى هذه الأيام الراهنة لهزة عنيفة ولولا لطف الله تعـالى لأودت به وأتت عليه ولم يبق من كتـابه إلا رسمه ولا منه هو أى الإسلام إلا اسمه . وفى الحديث « إن آخر ما تفقدون من دينكم الصلاة » .

وَمَـرَّةً أخـرى أهيب بذوى المـروءة الآدميّة والغيرة الإسلامية فى بلاد المسلمين من رؤساء حاكمين ، ومرءوسين محكومين أن يدرسوا هذه الرسالة دراسة صادقة وأن ينظروا فى خطتى العمل للحفاظ على الباقية من العمل بالإسـلام فى ديار المسلمـين وخـارجهـا ، وأن يتجردوا لله تعالى ويطلبوا رضاه ، وما عنده من خير الدنيا والآخرة ويعملوا على تنفيذ هاتين الخطتين بكل ما أوتوا من قوة وسلطان والله معهم ولن يترهم(١) أعمالهم .

والخطة الأولى قد تقدمت وهذه الثانية تلك للحفاظ على الإسلام فى بلاد غير المسلمين . وهذه للحفاظ على الإسلام فى بلاده وبين أهله . .

فإليكم أيها المصلحون الخطة مفصلة وإنها لسهلة ميسّرَة لا كلفة فيها ولا أدنى مشقة . إنها لا تكلفكم أكثر من تَفَهُّمها بروح طيّبة ونيّة صالحة ، وعزيمة صادقة .

إنها : تشكيل لجنـة : فى كل مسجـد من مسـاجـد القرى والأحياء السكنيّة والمـدن الإسـلاميّة ، تتكـون اللجنـة من عمـدة الحىّ أو شيخ القـرية ، وإمام المسجد ومدرسه ورجل من أعيان الحىّ أو القرية يطلق عليها اسم لجنة القرية أو الحىّ .

---

(١) أى ولن ينقصهم أجر أعمالهم الخيرية الإصلاحيّـة .

مهــام اللجنة :

ومهام تلك اللجنة التى تقوم بها بالتعاون مع أفراد الحىّ او القريه هى :

١ ـ إجراء إحصاء عام لسكان الحىّ أو القرية لمعرفة الأفراد وأسرهم وأعمالهم وعناوينهم ؛ لأجل زيارتهم والاتصال بهم ، ومعرفة أحوالهم ؛ لمعونتهم عند حاجتهم إلى ذلك .

٢ ـ تربية وتعليم كافة أفراد الحىّ أو القرية رجالاً ونساء بواسطة الدروس التربويّة التعليميّة التى تلقى فى المسجد مساء كل يوم فيما بين صلاتى المغرب والعشاء ومِن قبل مدرس المسجد وواعظه المختص بذلك .

٣ ـ تفقد كافة أفراد القرية أو الحىّ ومعرفة أحوالهم من صحة ومرض ، وغنىً وفقر ، واستقامة وانحراف ، وتقديم العون والمساعدة لهم عملاً بمبدأ الأخوة الإسلامية ، وحكم الجيرة والمواطنة ، وتنفيذاً لأمر الله تعالى فى قوله ﴿ **وتعاونوا على البر [1] والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ .

٤ ـ الإصلاح بين المتخاصمين ومساعدتهم على حل مشاكلهم بطريق الشرع مالم تستعص فإن استعصت أحيلت إلى المحاكم البلدية المختصة بذلك .

٥ ـ تأديب من يخل بأوامر الشرع ، أو يعبث بالآداب الإسلاميّة التى يعيش عليها المواطنون ، وبحسب حال المواطن يكون التأديب ، ولايكون إلا بعد تقديم النصح و الارشاد له وتعليمه بما ينبغى له ويجب عليه والإعذار إليــه .

---

(١) البـر : الخير كله والآية من سورة المــائدة .

وفى حالة عدم جدوى النصح والإرشاد والتأديب الأدبى المعنوى الذى تقدمه اللجنة . فإن أمره يرفع إلى حاكم الحىّ أو القرية ليتولى تأديبه بما يراه ، ولو بإبعاده من الحىّ أو القرية التى أفسد فيها ولم يصلح .

٦ ـ إنشاء صندوق مالى فى الحىّ أو القرية ، ومساهمة كل مواطن فيه بقدر معين بحسب حاله يساراً وإعساراً ، على أن يكون حِسبَةً لله تعالى بمعنى أن القدر الذى يسهم به الفرد المواطن ينوى به ثواب الآخرة لامردود الدنيا ، ولذا يجوز أن توقف الأوقاف على هذا الصندوق حيث مصارفه هى مصارف البر والإحسان وإن كان خاصاً بأهل الحىّ أو القرية .

ومن مصادر تنمية هذا الصندوق الزكاة الواجبة ، وصدقات التطوع ، والنذور الشرعية .

٧ ـ زيادة فى تقوية أواصر المحبة والإخاء بين سكان الحىّ أو القرية يفتح صنـدوق مالى يحفظ فيه المـواطنـون الـزائـد من المـال على حوائجهم الضروريّة ، وينمى لهم بواسطة إنشاء متجر فى الحىّ رابح ، أومصنع منتج ، أوزراعة مغلة مثمرة ، وتكون الأرباح والخسائر بحسب المقادير التى يضعها المواطنون .

ومن لم يرغب فى تنمية زائد ماله ، يحفظ له بلا ربح ولا وضيعة إذ هو أمانة إذن فى التصرف فيها وهى محفوظة له مضمونة يتسلمها كلًا أو بعضا متى شاء بلا وكس وَلاَ مُمَاطلة .

٨ ـ فتح معهد مهنىّ بحسب حال القرية أو الحى يتعلم فيه بعض أبناء المواطنين بعض المهن اليدوية التى تساعدهم على اكتساب العيش فى عزة وكرامة .

٩ ـ فتـح ناد رياضىّ يزاول فيه أبنـاء القـرية أو الحىّ الـرياضـات الإسـلامية المختلفة كالسباحة والرماية والمسابقة تقوية لأبدانهم ، وتنمية لأفكارهم وعقولهم ، إذ العقل السليم في الجسم السليم كما قيل .

وبعد فهذه أهم الواجبات التى تقوم بها لجنة الحىّ أو القرية المكونة فى المسجد ، وهى مهام لعمر الله جديرة بالتقدير والاحترام ، ومتى قامت بها اللجنة وتمت على أحسن وجوهها فإنها تكون مثلا عاليا للإصلاح البشرى النابع من روح الإخاء الإسلامىّ ، والتعاون الإيمانى وهو أمر واجب القيام به فى أمة تؤمن بالإسلام وتعمل به لتكمل وتسعد .

هل يعود الإسلام ، ويكمل الناس ويسعدون عليه ؟ ؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول : أمّا كون الإسلام إذا عاد للحياة من جديد وعمل به الناس كملوا وسعدوا عليه فهذا أمر مقطوع به ولا شك فيه بحال ؛ لأن الإسلام وُضع وَضع السنن والقوانين الثابتة التى لاتتخلف نتائجها أبداً . فلا يمكن أن تعمل جماعة أو أمة أو حتى فرد بالإسلام عقائد وعبادات ومعاملات وآدابا وأخلاقا ثم تتخلف النتائج الموضوع الإسلام لها فلا تكمل الجماعة أو الأمة أو الفرد عقليًا وخلقيًا ولا تسعد حالاً ومآلا ، وذلك لأن قانون الكمال والإسعاد البشرى هو الإسلام حيث شاء الله ذلك وأراده . وقد جرب الإسلام وصحت التجربة فكمل العاملون بالإسلام وسعدوا فى غير ما زمان ومكان ، والتجربة أكبر برهان كما يقال . فإن العرب قد سعدوا وكملوا بالإسلام فى عصره الأول عندما طبق الإسلام التطبيق المطلوب منه ، وأصبح العرب الذين كانوا قبل الإسلام أسوأ الناس حالاً أصبحوا أكمل وأسعد من على الأرض قاطبة ، وفى تلك الظروف الصعبة الشديدة القاسية فكيف لو طبق الإسلام اليوم فى عصر الذرة وغزو الفضاء فى أمة أو جماعة ؛ فإنه بلا شك ستصبح تلك الأمة المطبق فيها الإسلام أكمل الناس وأسعدهم ولتكونن حياتها فى كمالها وسعادتها أشبه بحال أهل النعيم المقيم فى دار السلام بالملكوت الأعلى يوم القيامة .

وأما هل يعود الإسلام أو لايعود إلى الحياة من جديد ليحيلها إلى كمال بشرى وسعادة إنسانيّة لم يسبق لها مثيل فهذا مالا يملك أحد الإجابة الصحيحة عنه سواء بالنفى أو الإيجاب ؛ إذ هو من الغيب والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . وإنّما عودة الإسلام ممكنة وجائزة وليست

هى من قبيل المحال وليس من حق أحد أن ينفى عودة الإسلام بصورة جازمـة ؛ إذ الأقـرب إلى سنن الكون ونظام الحياة أن يعود الإسلام من جديد لتكمن عليه أمم العالم وشعوبه ويسعدون عليه . لاسيما وقد جرب الناس فلسفات شتى وأنظمة عديدة مختلفة من وضع البشر وتقنينهم وقد أفلست جميعها . ولم يتحقق بها كمال الإنسان ولا سعادته .

فأى مانع إذاً أن تقوم أمة عظيمة كألمانيا الغربية أو بريطانيا فى يوم من الأيام وتطبق الإسلام عقيدة وشريعة وآداباً وخلقاً فتكمل وتسعد عليه ، ويتحقق موعود الله تعالى ها فى قوله : ﴿ **ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنـجيــل ، ومـــاأنــزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ الآية والمراد بما أنـزل إليهم من ربهم القرآن كتاب الإسلام والجـامـع لشرائعـه والحـاوى لكـل ما فى الإسـلام من عقـائد وعبادات ومعاملات وآداب وأخلاق .

ومـع هذا فإنـه ينبغى أن لايغيب عن أذهـاننا أن هناك إشارة قرآنية وأخرى حديثيّة تدل كل واحدة منهما على عودة الإسلام وظهوره فى الأرض وسيادته .

فالإشارة القرآنية فى قوله تعالى من سورة التوبة والفتح والصف :

﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون** ﴾ ـ أو ـ ﴿ **الكافرون** ﴾ .

وأما الحديثيّة فأظهرها ما جاء فى أحاديث المهدى وفيها « يملأ الأرض عدلاً وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا » . كما إن هناك سنة صحيحة تشير إلى عودة الإسـلام وظهـوره وسيادتـه على غيره من الأديان ، ولفـظها : « ليبلغن هذا الدين مابلغ الليل والنهار ، ولا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل » . أو كما قال ﷺ .

بيدَ أنـه لما كان الإسـلام قائما موجوداً ومعمولاً ببعض شرائعه وسعد وكمـل عليه القـائمـون به ، وكانت حاجَة البشر اليوم ماسة إلى الكمال والإسعـاد فإنا ندعو ونلح فى الدعاء كافة الراغبين فى الإصلاح والكمال والإسعاد من عرب وعجم ومسلمين وغير مسلمين الأخذ بالإسلام دين الإكمال والإسعاد وننعى عليهم هذا التسويف والتباطؤ ، والبشرية تعانى من طغيان المادة وإجحافها ومن الجوع الروحى والخواء النفسى والهبوط الخلقى ، والضَياع الشخصىّ ، الأمر الذى لا ينكره عاقل ، ولايجاحد فيه أحد أو يكابر إلا من سفه نفسه ، ورضى أن يكون فى عداد البهائم من الحيوانات .

لاسيما وأن التعصب الدينىّ قد خف كثيراً إن لم يكن قد انقرض فى كثير من بلاد العالم . فلم يبق من مانع يمنع من الأخذ بالإسلام بوصفه الأداة الحقة لإكمال البشرية وإسعادها جسما وروحاً ودينا وآخرة .

فإلى الإسلام ياعقلاء الناس فإنه الآلة الرافعة للبشرية من سقوطها فى وهدة المادة وطغيانها . وإن أبيتم فالخسارة عليكم . وما على الرسول إلا البلاغ !!

خلاصة ما جاء فى الرسالة من حقائق علميّة ثابتة

الحمد لله وبعد : فإلى القارىء الكريم خلاصة ما اشتملت عليه هذه الرسالة من حقائق علمية ثابتة هى جديرة بالتأمل والأخذ بعين الاعتبار ممن يريد الإصلاح والخير لنفسه وللناس أجمعين .

١ ـ لم يكن الباعث على تقديم هذه الرسالة سوى ما وجب على العلماء من البيان ، وماتحتم من واجب النصيحة لحكام المسلمين وعامتهم .

٢ ـ إن أكثر الناس يجهلون معنى الإسلام ، ولهذا هجره من هجره منهم ، وحاربه من حاربه منهم ، ولم ينتفعوا به فى حياتهم فعاشوا أشقياء ناقصين فى كل مجالات حياتهم الروحيّة والجسميّة معاً .

٣ ـ الإسلام هو دين الله الذى أوحاه إلى نبيّه محمد ﷺ لإصلاح الناس وإكمالهم فى عقولهم وأخلاقهم ، وإسعادهم فى أجسامهم وأرواحهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وذلك إن هم عملوا به عقائد وعبادات وأحكاما وأخلاقا .

٤ ـ إقامة بيّنتين وبرهان عقلى على صحة أن الإسلام هو آلة الإكمال والإسعاد البشرى : الأولى حال العرب فى الجاهلية ، ثم فى الإسلام ، والثانية سكان شبه الجزيرة العربية بعد فساد الحكم فيها وضياع الشرع الإسلامى بينها ، ثم بعد أن حكمها القرآن وساده الإسلام الصحيح على عهد حكم السعوديين . والبرهان : أن الإسلام وضع وضع السنن التى لا تتخلف نتائجها مثل الماء يروى والطعام يشبع والنار تحرق والحديد يقطع فإن كانت هذه لاتتخلف نتائجها فكذلك شرائع الإسلام لاتتخلف نتائجها فى الإكمال والإسعاد .

٥ ـ عوامل ضياع العمل بالإسلام هى جهل الناس به ، وما ألصق به من بدع وخرافات ، وحرمان أكثر المسلمين من تطبيق شرائعه بينهم .

٦ ـ بيان كيف ضاع الإسلام بين أعدائه وأوليائه ، ومن هم أولياؤه ، ومن هم أعداؤه .

٧ ـ استردت أمة الإسلام استقلالها ، ولكن لم تسترد عقليتها ولا قلبها المؤمن الحيّ البصير .

٨ ـ ضرب مثل لتعطيل الشريعة الإسلامية بنسب متفاوتة فى بلاد المسلمين وأن أعلى نسبة لتطبيقها هى فى المملكة السعودية ، وبيان كيف نالها بذلك الخير الكثير الذى لم يحظ به سواها من بلاد المسلمين قاطبة وكون المسلمين عميا عن هذا الخير لايرونه ولا يذكرونه .

٩ ـ موقف البلاد الإسلامية الشاذ من دولة السعوديّة وردّ ذلك إلى عاملين الأول تسمّمُ الفكر الإسلامى نتيجة قبول المسلمين كل ما يأتى من الغرب ، والثانى ستر الحكام المسلمين عن أنفسهم فضيحة حكمهم المسلمين بغير شريعة ربهم .

١٠ ـ مظاهر الخير وآثار فائدة تطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد السعودية وهى أكثر من عشر مظاهر تجلت فيها فائدة تطبيق الشريعة الإسلامية .

١١ ـ بيان طريقة لحفظ ما بقى من الإسلام خارج بلاد المسلمين ، بذكر تكوين هيئة عليا للدعوة الإسلامية ومساهمة أمة الإسلام فى صندوق ميزانيتها ، وبيان مهامها التى تقوم بها .

١٢ ـ المحافظة على ما بقى من الإسلام داخل بلاد المسلمين ، وذكر طريقة ناجحة لذلك إن اتبعت بصدق وحزم ، ودعوة المسلمين إلى اتباع هذه الطريقة للحفاظ على ما بقى من الإسلام .

١٣ ـ تفصيل الخطة وذكر لجان الحىّ والقرية ، وبيان مهامها التى تقوم بها من الإصلاح بين المواطنين ، وبيان أن الخطتين المذكورتين للحفاظ على مابقى معمولا به من الإسلام بين المسلمين داخل بلاد المسلمين وخارجها هو المقصود من كتابة هذه الرسالة ونشرها وتقديمها للمسلمين .

١٤ ـ إمكـان عودة الإسلام إلى الحياة وسعادة الناس وكمالهم عليه ، وتقرير الحقيقة السابقة وهي أن لاكمال ولا سعادة إلا بالإسلام .

١٥ ـ بشـارة الكتاب والسنة بظهور الإسلام ، وتطبيقه الأرض كلها حتى لا يبقى بلد إلاّ ويدخله ويسعد أهله عليه ويكملون به

المحتــــوى

●● الرســالة السادسة

الى التصوف يا عباد الله

بسم الله الرحمـــن الرحيـــم

مقدمـــــــة

الحمد لله على نعمة الاسلام ، وكفى بها نعمة . والصلاة والسلام على محمد نبى الاسلام وكفى به نبيا ورســـولا .

ورضى الله عن آل نبينا وصحابته فاضلا ومفضـــولا .

وبعـد فانه ـ ويا للاسف الشديد ـ قد ظهرت الدعوة للتصوف من جديد ، وبعد أن ظن المصلحون أنها قد مضت فلا ترجع ، وماتت فلا تنشر . وذلك بعد أن أظهروا زيفها ، وكشفوا عوارها ، وأزحوا الستار عما تخفى وراءها من جيوش الخراب والدمار ، تلك الجيوش الكافرة الفاجرة التى ما فتئت تضرب فى جسم أمة الاسلام حتى مزقته أشلاء ، وطرحته لكــلاب الاستعـمار أجـزاء ، فامتصـوا دمـه ، وأكلوا لحمـه ، وكسروا عظمه ،، وواروه التراب ، وظنوا أنه لايبعث الى يوم الحساب .

ومـا ان نشر الله أمة الاسلام بعد موتها ، وعادت الى الحياة من بعد

مفارقتها ، ورآها العدو الثالوث المركب من اليهود والمجوس والنصارى ، رآها وقد تحررت ديارها ، وتخلصت من نير الاستعمار الغربى بلادها وأقطارها ، فلم يعد فيها سلطة لكافر ، ولا سلطان لكفار آلمها تحررها ، وأكربها وأحزنها خلاصها واستقلالها حتى راح يبحث عن عملائه الأقدمين ، وجنوده المخلصين من دعاة التصوف ، وأدعياء المتصوفين ، فأخذ يجمع شتاتهم ويحرك طلائعهم ويدفع بهم فى المعركة لضرب أمة الاسلام مرة أخرى ليوهنوها ويضعفوها ويومها يضعها مرة أخرى تحت كلكله ليمتص دمها ويأكل لحمها وعظمها كما فعل بها فى المرة الأولى ـ والعياذ بالله تعالى .

ومن هنا ـ وقد رأينا بأم أعيننا تحرك أدعياء التصوف الزائف ، ودعاة المتصوفة المرتزقة نحو أمة الاسلام ليزيدوا فى محنتها ، وتوسيع هوة الشقاق والخلاف بينها ، فهذا يؤلف كتابا ويكتب رسالة ، وذاك يفتح زاوية ويوزع مناشير ، وآخر يعقد مؤتمرا ويقيم احتفالات يشكك فى الدعوة الاصلاحية السلفية ، ويطعن فى دعاتها وحماة راياتها قديما وحديثا .

وساعد على تحرك هذا الباطل وأعان على انتشاره تخوف بعض الحاكمين فى أغلب بلاد المسلمين من الدعوة السلفية التى أحياها بعد موتها فى العالم الاسلامى الامامان الجليلان :

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فى الديار الشامية ، ومحمد بن عبد الوهاب فى الديار النجدية .

اذ الأول نشر الله تعالى تراثه الفكرى والعلمى الاصلاحى على أيدى الحكام السعوديين ـ جزاهم الله خيرا ـ وذلك بعد أن طوقها الزمان بأيدى دعاة التصوف والضلال ، فأقبل طلبة العلم فى كافة أنحاء العالم الاسلامى يقرءون لابن تيمية أفكاره الاصلاحية ، ويتقمصون شخصيته السلفية الطاهرة النقية ، فأظهر الله دعوة الحق الدعوة السلفية فى كافة أرجاء العالم الاسلامى .

وأما الامام الثانى وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، فحسبـه أن أثمـرت دعـوتـه المملكة العربية السعودية هذه المملكة التى احتضنت دعوته السلفية فبلغت بها من الكمال ما أصبحت به تحاكى دولة الراشدين السلفيين من الصحابة والتابعيـن .

أعود فأقول : لقد ساعد على تحرك المتصوفة فى هذه الأيام ، واظهار دعوتهم تخوف بعض الحكام فى بلاد المسلمين من الدعوة السلفية ، إذ رأوا فيها ما يبعث على الانقلاب الفكرى والروحى قد يؤدى أخيرا الى انقلاب ادارى شامل يقضى على مظاهر الفسق والفجور فى ديار المسلمين ، ويعود بالأمـة الاسـلامية الى عهـد سلفها الصالح عهد تحكيم الكتاب والسنّة والهجرة والجهاد الى أن تبلغ أمة الاسلام غاياتها فى الطهر والصفاء والعزة والكرامة حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .

لهذا التخوف تحالف بعض جهال الحكام مع ضلال المتصوفة على محاربة دعاة الدعوة السلفية الاسلامية بين المسلمين فترى بعضا منهم لا يؤمنون بالله ولقـائـه لما أصـاب قلوبهم من الالحاد الماركسى يساعدون على نشر التصـوف البـاطل فيسهمون فى اقامة الحفلات الصوفية ويسهلون أمور القائمين عليها ، ويحوطونهم بعناية وحماية فى الوقت الذين يضطهدون دعاة الاصلاح ، وينكلون بهم ، ويسكتونهم .

ومن هنا ـ اخى المسلم ـ وجب التنبيه بسرعة الى خطر هذه الدعوة الصـوفية الجـديدة قبل استفحال أمرها ، وانتشار شرها بين المسلمين ، والتى يخشى أن تضع بلاد المسلمين مرة أخرى تحت وطأة الاستعمار بعد أن أنقذها الله تعالى منه بدعوة الاسلام التى حمل رايتها السلفيون وجاهد المسلمون تحتها حتى تحررت ديار المسلمين وبلادهم من الاستعمار الغربى الغاشم الظلوم .

وقياما بهذا الواجب أكتب هذه الرسالة وأنشرها بين المسلمين اعلاما لدعاة التصوف المزيف أن يكفوا عن دعوتهم فانه لا مجال اليوم بين المسلمين

لقبول هذه الدعوة الزائفة ، وقد استضاءوا بنور الوحى ، واستناروا بهدى الكتاب والسنة واهتدوا عليهمـــا .

وعرفوا ما أصابهم وما حل بديارهم من المحن والفتن قرونا طويلة من جراء دعاة التصوف ، وما رموا به أمة الاسلام من قاصمات الظهر .

وتحـذير لأمـة الاسلام عن أن تنخدع مرة أخرى بشعارات التصوف وبهـرجـه الكـاذب ، وزخـرفه الباطل ، والمؤمن لايلدغ من جحر مرتين وحسبى أن أقول للجميع ، أن التصوف اما أن يكون هو الاسلام ، أو يكون غيره ، فان كان هو الاسلام فحسبنا الاسلام ، وان كان غيره فلا حاجة بنا اليـــه .

وعليه فلا تصوف بعد اليوم ، ولكن الكتاب والسنة تعلما وعلما وعملا ودعـوة . فهذا سبيل النجاة ، وطريق الكمال والاسعاد لأمة الاسلام فى الدنيا والآخـــرة .

وحتى يكون المسلمون على بصيرة من أمر التصوف ، وشعاراته الزائفة ودعاوى دعاته الباطلة ، فلا يقعوا فى مصائد دعاته وحبائل حاملى شعاراته الكـاذبـة أقدم لهم فى الصفحات التالية صورة واضحة للتصوف المحذر منه ، والمنتبه الى خطره ، حتى اذا ما عرفوه ابتعدوا عنه ، وبذلك يسلمون من شره وينجون من خطـــــره .

كما أقدم لهم أخيرا صفحات مشرقة هى البديل عن التصوف المنبوذ ، الذى حذرناهم منه ونبهناهم الى خطره ، بما يعرفون به الطريق الى الله تعالى والسير اليه ، فيكملون بطاعته ويصفون بذكره ، ويسعدون بأنسه والقرب منه . حقق اللهم لى ولهم ذلك ، انه على ذلك قدير وبالاجابة جديـــــــر .

التصـــوف وأصـــوله

(أ) التصـوف :

ما هو التصوف ؟

لقد اختلف منتحلوه فى وضع حد له حتى بلغت تعاريفهم له نحوا من ألفى تعريف ، كلها حدود ورسوم لا واقع لها فى الخارج .

والتعريف الصحيح للتصوف هو : أنه بدعة « ضلالة » من شر البدع ، وأكثرها اضلالا ، وأكبرها ضلالة ، اذ لم يعرف التصوف فى زمن نزول الوحى . ولا بعده والى أن انقرض من شاهد نزول الوحى المحمدى وعاصر نبيه صلى الله عليه وسلم فلم يرد لفظ التصوف على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، فلم يحدث عنه ولم يخبر به ، اللهم الا ماكان من تحذيره صلى الله عليه وسلم من البدع والاحداث فى الدين فى مثله قوله : « اياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » (١)

وقوله : « من احدث فى امرنا هذا مآليس منه فهو رد » (٢) .

فانه قطعا يدخل فى البدع والمحدثات التى أشار اليها الحديث النبوى الشريف .

وكما أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحدث عنه ولم يخبر به فضلا عن أن يشرعه ويدعو اليه ، فان الصحابة رضوان الله عليهم لم يؤثر عن أحد منهم أنه عرف التصوف أو نطق به ، وكذا التابعون من أبناء الصحابة وأبناء أبنائهم وهم أهل القرون المشهود لهم بالخيرية والفضل فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « خيركم قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » فانه لم يعرف بينهم ولم يؤثر عن أحد منهم ، لا بالعبارة ولا بالاشارة ، فلذا هو بدعة قطعا ولا شك فى بدعيته واحداثه .

(١) رواه أبو داود والترمذى وهو حديث صحيح .

(٢) رواه مسلم .

وحتى أهـل اللسان العربى انكروا ان يكون لفظ التصوف عربيا اذ صيغـة التفعـل لا بد وأن تكون مشتقة من فعل لازم يؤتى بها لأغراض كالمطاوعة أو التكلف كالتعلم والتشجع من فعلى علم ، وشجع اللازمين . والتصوف ما هو الفعل المشتق منه ؟

هل فعله صفا يصفو . أو صف يصف ، والجواب لا فلم يرد من صفا التصوف ولا من صف كذلك . ولذا التصوف بدعة فى شكلها وموضوعها يأباها الكتاب والسنة ، ولغتهمـــا معـــا .

وغير ضائرنا قول أحد الراكضين فى الدعوة إلى التصوف فى هذا الأيام [١] أن أنكار بعض الناس علي هذا اللفظ (التصوف) بأنه لم يسمع فى عهد الصحابة والتابعين مردود ؟ اذ كثير من الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة واستعملت ولم تنكر كالنحو والفقه والمنطـــــق .

وفات هذا الشيخ أن انكار السلفيين للفظ التصوف ومعناه أن التصوف استعمـل معـولا لهدم الاسـلام ، وتفتيت عقـائـده ، وابـطال شرائعـه وأحكـامه . وأما لفظ النحو والفقه فقد استعمل لحفظ الاسلام والابقاء عليه ، ولفهمه ومعرفة ما جاء به من الهدى والنور والخير ، وشتان ما بين الاصطلاحين : ان الأول وضع للهدم والتخريب ، والثانى وضع للبناء والتعمير ومن يسوى بين ما يبنى وما يهدم ؟

ان التصوف ـ أخي المسلم ـ ليس هو كما يقول دعاته باطلا وزورا : انه علم تعرف به أحوال تزكية النفس وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية ، ولا هو استعمال كل خلق سنى ، وترك كل خلق دنى ، ولا هو كل ما عرفوه به ووضعوا له من حدود ورسوم لا تعدو كونها حبرا على ورق .

---

(١) هو عبد القادر عيسى شيخ الطريقة الشاذلية بالشام ، فى كتابه حقائق عن التصوف . والذى دلس فيه وغش أمة الإسلام بحيث لم يذكر من التصوف إلا الوجه المشرق ، وأخفى عن علم الوجه المظلم الملىء بالشرك والبدع المحرمة والكفريات .

وانما هو بحسب واقع المتصوفين منذ أن نشأ التصوف فى القرن الرابع واستغله الزنادقة والباطنية وغلاة الحاقدين على الاسلام من يهود ومجوس وصليبيين لضرب العقيدة الآسلامية ووحدة المسلمين وقوتهم ، وانما هو أى التصوف أسلوب من الاحتيال والنصب والتدجيل يبتدىء بذكر الله وينتهى بالكفر به والعياذ بالله تعالى . أوله اتباع وآخره ابتداع ، ظاهره التقوى والطهر ، وباطنه الفجر والعهر .

الله ، الله ياعباد الله ، كم عانت أمة الاسلام من الفرقة والانقسامات بسببه ، وكم ضيمت ونالها من الشر والسوء على أيدى دعاته ومتبنيه ، استعان به الاستعمار على فتح الدار ، والحاق العار ، كم اتخذ العدو المداهم لبلاد المسلمين فى الشرق والغرب من عيون تدله على ضعف المسلمين وعوراتهم ، وألسن تخبره عما يخفيه المسلمون عن عدوهم من أمور حربهم وسلمهم ، وذلك من مشايخ الطرق والتصوف ، والتاريخ حافل بهذه المخازى وصفحاته تقر بذلك ولا تنكره وتعترف به وتشهد عليه .

وسوف نذكر صورا حية ، وأمثلة صادقة عن ذكر كل أصل من أصول التصوف والتى ظاهرها مشرق وباطنها محرق ، والتى مازال المضللون والمخدوعون المغرورون يعرضون الوجه المشرق منها ويخفون الوجه المظلم المحرق ، ولا أدرى ما يحملهم على ذلك ، ألم يكن فى هدى الله ورسوله من فنون التربية ، وأنواع العبادة ما يزكى النفوس ، ويطهر الأرواح ، ويهذب الأخلاق ، ويوصل العبد الى حضرة القدس ، ويذيقه طعم الأنس بربه سبحانه وتعالى .

بلى : ان فى ذلك لغنى كبيرا عن شطحات التصوف ، وخيالات المتصوفين ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(ب) أصــــول التصـــوف :

ان للتصوف أصولا تواضع عليها أهل هذه البدعة منذ نشأتها ، فلا تعرف حقيقة التصوف الا بالنظر فى تلك الأصول ، والوقوف على ما فيها من حق وباطل ، وخطأ وصواب وسنكتفى بذكر أصول منها وهى أهمها ، ومن خلال استعـراضها نتبين ما جرته هذه البدعة على أمة الاسلام من أضرار وأخطار .

والغرض من هذا كله تنبيه أمة الاسلام وتحذيرها من الوقوع فى حبائل هذه البدعة مرة أخرى ، حيث نشط اليوم دعاتها من أدعيائها والمغرورين ببهرجها وزخرف القول فيها ، ولا يبعد أن يكون المحرك لأدعياء التصوف فى هذه الأيام بالذات أصابع الماسونية العالمية ، لما رأت من تحرك الشباب المسلم نحو الاسلام واقباله على التدين الصحيح المستقى من الوحيين : كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخافت من عاقبة هذه الصحـوة أن تنقلب نهضـة اصـلاحية شاملة فتنقذ العالم الاسلامى من سيطرتها ، وتخلصه من أنيابها ، وتنتشله من أظفارها الناشبة فيه منذ أن أردتـه صريعـا بسكـين التصـوف الـزائف البغيض ، وها هى ذى تلك الأصول نستعرضها أصلا بعد أصل ، لنرى ماتحمله من خراب ودمار لأمة الاسلام الخيرية الكريمـــــــة .

الأصـــــل الأول

الطريقـــة

ماذا تعنى كلمة الطريقة ؟

انها تعنى اتصـال المـريد (١) بالشيخ وارتبـاطه به حيا وميتا (٢) وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المريد باذن من الشيخ أول النهار وآخره ، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ . وهذا العقد يعرف بالعهد ، وصورته أن يتعهد الطرف الأول وهو الشيخ بأن يخلص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة ، متى ناداه مستغيثا به ، كما يشفع له يوم القيامة فى دخول الجنة ، ويتعهد الطرف الثانى وهو المريد بأن يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدال غيرها من سائر الطرق بها .

هذه هى الـطريقـة عنـد المتصوفة ، وهى أحد أصول التصوف عند أصحابه ، وهذا بيان ما فيها من الباطل والشر والفساد :

١ـ تقسيم أمـة الاسـلام بين مشـائـخ ضلال جهـال يستغلونهم ويتحكمـون فيهم ، ويحرمـونهم من نعمـة الـوحـدة الإيمانية والأخـوة الاسلامية ، ان المعروف أن العداوة متأصلة بين طوائف الطرق الى حد أن بعضهم لا يجالس البعض ، ولا يؤاكله ولا يشاربه بل ولا يزوجه ولا يتعاون معه ويقول هذا ليس بأخى من الشيخ ، وكفى بهذه التفرقة بين المسلمين باطلا وشرا وفسادا .

٢ ـ تفريق أمة الاسلام ، وتمزيق وحدتها ، اذ ما قامت الطرق الا على

---

(١) المراد بالمريد من يريد الوصول إلى الله تعالى بطريق الأذكار والمحافظة عليها .

(٢) اذ مات الشاذلى مثلا واتباعه باقون إلى اليوم . وكذا سائر الطرق .

آساس تفرقة المسلمين وتجزئتهم وتفكيك عرى وحدتهم الروحية والسياسية ليسهل قهرهم والتسلط عليهم ، كما حصل لهم فى عهود الاستعمار البائدة ، وها هى ذى آثار ذلك باقية الى اليوم فأمة الاسلام أمم ، ودولتهم دول ، ـ ولا حول ولا قوة الا بالله .

٣ ـ افتراء الشيخ على المريد بأن يخلصه من الشدائد ، وينقذه من المهالك متى استعان به وناداه ، كما يحضر له عند الموت فيلقنه الشهادتين ، ويخاصم عنه فى قبره الملكين ، وأخيرا يشفع له يوم القيامة فيجوز على الصراط بمعية الشيخ ويدخل الجنة بشفاعته .

فهذا من الشيخ ، زيادة على أنه افتراء وكذب ، لا يحل مثله ولا يجوز بحال من الأحوال ، فان فيه تضليل المسلم والتغرير به ، وحمله على اعتقاد الباطل والعمل بموجبه الأمر الذى قد يفضى به الى الشرك والكفر والعياذ بالله تعالى .

وتضليل المسلم وغشه وخداعه من أعظم الذنوب وأكبر الآثام .

٤ ـ قطع المريد عن كل ما سوى شيخ الطريقة ، وذلك لاستغلاله والتحكم فيه ، حتى انهم ليحظرون عليه أن يزور أى ولى حيا كان أو ميتا ، فقد جاء فى كتاب الطائفة التجانية (الرماح) ما نصه : الثانى من شرط الطريقة عدم زيارة واحد من الأولياء الأحياء أو الأموات .

الأصـــل الثانـــى

الشيخ المـأذون لـه

ان من أصول أصحاب الطرق من مشائخ المتصوفة ضرورة وجود شيخ مأذون له فى اعطاء الورد للمريد ، أو من ينوب عنه من خليفة للشيخ ، أو مقدم فى الطريقـــة .

وهذه لعمر الله احدى الوسائل التى يستعملها مشائخ الطرق لصيد عوام المسلمين وجهالهم من أجل تسخيرهم ، واستغلال كل طاقاتهم المالية والبدنية لخدمة الشيخ ونائبيه من مقدم وغيـــره .

وبيان هذه الوسيلة : أنه من باب كلمة حق أريد بها باطل فاتخاذ شيخ عارف بالله تعالى والطريق الى الله تعالى من أجل التعلم عنه والاقتداء به فى كمالاته الروحية والأخذ بتربيته الاسلامية ، أمر محمود ومأمور به ، اذ لايمكن لأى أحد ان يعرف الله تعالى ، ويعرف محابه ومساخطه ويعرف كيف يعبده ويتقرب اليه ، الا اذا تتلمذ لمشائخ العلم ، وتعلم منهم ، وتربى تحت رعايتهم وكامل عنايتهم ، ولكن الخطأ فى اشتراط أن يكون الشيخ مأذونا له فى اعطاء الورد ، وسلوك الطريقة ، ولو كان أميا جاهلا ، وهـذا هو الواقع اذ جل مشائخ الطريق أميون ، ومن علم منهم فعلمه محدود جدا لا يتجاوز معرفة بعض أركان الاسلام كالصلاة مثلا . إنهم لايعنون بالاذن أكثر من أن يكون من نصب نفسه شيخا للطريقة قد خدم شيخـا مثله من سلسلة مشائخ الطريقة خدمة طويلة فوهبه ذلك الشيخ الوارث لقب الشيخ وأعطاه الاذن باعطاء الورد ، والمشيخة على كل أتباع الطريقـــــة .

ومن هنا أصبحوا يدعون أن طرائقهم الباطلة ذات سند متسلسل الى

الحضرة النبوية ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ، ومنهم من يدعى عدم الحاجة الى تسلسل السند ، اذ هو قد أخذ طريقته عن النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة يقظة لا مناما كالشيخ أحمد بن محمد التجانى ، إذ جاء فى كتابه : جواهر المعانى صفحة ٩٧ ما نصه : « وأما سند الطريقة المحمدية (التجانية) فانه أخبرنى فقال : انا اخذنا عن مشائخ عدة فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصود ـ وانما سندنا وأستاذنا فى هذا الطريق عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فقد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه صلى الله عليه وسلم ، فليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف .

وأما فضل أتباعه [1] فقد أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من أحبه فهو حبيب للنبى صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يكون وليا قطعا .

فانظر أيها المسلم البصير كيف يفترى القوم الكذب على الله ورسوله والمؤمنين بدون حياء ولا خوف ولا وجل ؟

ومن العجيب ما رأينا من افتراءات المتصوفة أن شيخ الطريقة الشاذلية بالديار الشامية عبد القادر عيسى قد ذكر عن مورثه الطريقة الشاذلية وهو الشيخ محمد الهاشمى التلمسانى الجزائرى [2] ذكر بسلسلة مشائخ الطريقة منه الى النبى صلى الله عليه وسلم وهى سلسلة ضمت كثيرا من غلاة الباطنية ودجاجلة المتصوفة والعياذ بالله تعالى ، والسلسلة مشتركة بين أربع طرق : القادرية والشاذلية والدرقاوية ، والعليوية ، ومن أفظع الكذب وشره أن ترفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويكون الرسول فيها ـ فداه أبى وأمى ـ محابيا لثلاثة من أصحابه وهم أبو بكر الصديق وأنس بن مالك وعلى بن أبى طالب دون سائر أصحابه رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين ، اللهم انا نبرأ اليك من الكذب على رسولك واتهامه بالمحاباة

---

(١) يريد أتباع الشيخ أحمد التجانى .

(٢) فى كتابه دقايق عن التصوف الذى ضلل فيه المسلمين ، حيث ذكر الوجه الجميل للتصوف وأغفل عن عمد الوجه القبيح له .

والتحيز فى ابلاغ الهدى وبيان سبيل الرشاد ، ونشهد أن رسولك محمدا صلى الله عليه وسلم قد بلغ كل ما أوحيت اليه وأمرته ببلاغـــه ..

ومما يفضح هذه الفرية القبيحة أن البخارى روى فى سنده الصحيح الى على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : ما عندنا شىء الا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عائر الى كذا » الحديث . . فنفى أن يكون رضى الله عنه قد خصه النبى صلى الله عليه وسلم بشىء لم يعلمه أمته ، وهذا مسلم أيضا روى فى صحيحه عن طريق أبى الطفيل : كنت عند على فأتاه رجال فقال : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر اليك ؟ فغضب ، ثم قال : ما كان يسر الينا شيئا يكتمه عن الناس ، غير أنه حدثنى بكلمات أربع . وفى رواية له : ما خصنا بشىء لم يعلم به الناس كافة الا ما كان فى قراب سيفى هذا فأخرج صحيفة مكتوب فيها : لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق من الأرض [1] ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثـــا .

والشاهد من هذا نفى على رضى الله عنه أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد خصه هو وآل بيته بشىء لم يعم به كافة الناس .

وبابطال هذه الفرية الباطلة سقط بناء التصوف وانهدم فلا يقام ولا يرفع أبدا .

ان بدعة التصوف قامت على أساس ان النبى صلى الله عليه وسلم أسر لعلى وأبى بكر وأنس بعلم الحقيقة فكانوا يعرفون الحقيقة والشريعة ، وعامة الصحابة لا يعرفون الا الشريعة ، ومن هنا جاء علم الباطن والظاهر ، وضُرب الاسلام على أيدى غلاة الروافض والباطنية والزنادقة من اليهود والمجوس المنتسبين الى الاسلام لهدمه وتقويض أركانه . وقد فعلوا مع الأسف ونجحوا ، ومن المحزن المؤسف أن يأتى بعد هذا رجال

(١) معناه : أنه غير العلامة الفاصلة بين الجار فى الأرض أو المزرعة .

يركضـون اليوم وهم يحملون نفـايات التصوف يبشرون به ويدعون اليه خيب الله سعيهم . وأحبط أعمالهـــــم .

والمقصـود من وراء وضع هذا الأصل من أصول الطرق الصوفية هو احتكـار الشيخ للطريقـة بسد كل الطرق الموصلة الى الايمان بالله تعالى ومعرفته ومعرفة محابه ومكارهه ، وكيفية عبادته والتقرب اليه للفوز بمحبته ومـرضاته وجناته بعد ولايته فى حياته ، وبذلك يجد العبد نفسه مضطرا للأخـذ بطريقة من الطرق الموضوعة فى الظاهر للهداية والتربية الروحية والسلوكية ، وفى الباطن للتجهيل والتضليل معا .

ولو كانت طرق المتصوفة وافية ببيان سبيل الله تعالى ، كافيةً فى تربية المسلم دينا وخلقا وعقلا وفكرا ، لهان الأمر ، ولكن المعروف بالضرورة عن مشائخ الطرق أنهم لا يعطون المريد أكثر من الورد ، وبعض التوجيهات الخاصة كالمحافظة على الصلوات الخمس ، والورد ومحبة اخوان الطريقة أو الشيخ ، كما يقـولون مع توصيته وتحذيره من أن يأخذ عن شيخ آخر أو ينتمى الى طريقة أخرى .

بهذا مضت فترة غير قصيرة على أمة الاسلام وهى جماعات متباينة لا يعــطف بعـضهــا على بعض . هذا قادرى ، وهــذا شاذلى ، وهــذا نقشبندى ، وهذا رفاعى ، وهذا درقاوى وذاك هبرى ، وعليوى .

وتمسـك كل فريق بشيخ وورد وطـريقة وجماعة ، ومن هنا سهل على أعداء الاسلام الاستيلاء على ديار الاسلام فوضعوا المسلمين قاطبة تحت حكمهم واستعمروهم واستغلوهم ، وهم الذين وضعوا للمسلمين الطرق والتصـوف لتفـرقتهم واذهـاب ريحهم ، ليسهـل أخذهم والتحكم فيهم واستعمار ديارهم واستغلال خيراتهم اذ هم القائلون (فرق تسد) [١] .

ومما يؤسف له ويتعجب منه أيضا أن تعود اليوم الطرق من جديد وينشط

---

(١) هذه الجملة عبارة عن قاعدة وضعها غلاة أعداء الاسلام ، حيث لا توجد إلا فى قواميسهم الاجرامية .

دعاتها ، بعد أن عرف المسلمون أذاها واكتووا بنارها . وعانوا من شرورها وأضرارها .

وكلمة أخيرة : ان من غريب التناقض فى الطرق الصوفية أن أصحابها يشترطون فى الشيخ المربى ذى الاذن الخاص أن يكون متحليا بصفات الكمال التى لايمكن أن توجد حتى فى بعض الأنبياء ، ومع هذا تراهم ينصبون مشائخ ويضعونهم على رأس طرق يعطون الورد ويربون ، وليس لهم من تلك الصفات معشار معشارها .

ولنستمع الى قراءة ما جاء فى جواهر المعانى للتجانى الجزء الثانى الصفحة الخامسة والثمانون بعد المائة : « أما ما هى حقيقة الشيخ الواصل فهو الذى رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر الى الحضرة الإلهية نظرا عينيا وتحقيقا يقينيا ، فان الأمر أوله محاضرة ، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف ، ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق ؟ ثم مشاهدة وهو تجلى الحقائق بلا حجاب لكن مع خصوصية ، ثم معاينة ، وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ، ولا بقاء للغير والغيرية عينا وأثرا ، وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء ، فليس فى هذا الا معاينة الحق فى الحق بالحـــق .

فلم يبق الا الله لا شىء غيره فما ثم موصول ولا ثم واصل » . . الى أن يقول الشيخ التجانى فى جواهره : « فهذا هو الشيخ الذى يستحق أن يطلب ، ومتى عثر المريد على من هذه صفته فاللازم فى حقه أن يلقى بنفسه بين يديه كالميت بين يدى غاسله لا اختيار له ولا ارادة ، ولا اعطاء له ولا افادة . . ومتى أشار عليه بعمل أو أمر فليحذر من سؤال بلم ؟ وكيف ؟ وعلام ؟ ولأى شىء فانه باب المقت والطرد » .

هذا ولا ينكر القوم وجود هؤلاء العارفين بل يقرون بوجودهم ويحددون حتى أماكن وجودهم وتواجدهم .

واسمع صاحب الجواهر يقول : « وأما الشيخ الذى هذه صفته وكيف

يتصل به ، وبماذا يعرف ؟

فالجواب أن الشيوخ المتصفين بهذا الأمر كثيرون ، وأغلبهم فى المدن الكبار فانها مقرهم . وأما معرفتهم والاتصال بهم فانه عسير أغرب وجودا من الكبريت الأحمر لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم . وذلك لعلة اقتضت منهم ذلك ، وهى أن العامة لفساد نظام الوجود لا يريدون أن يتعلقوا بهم الا من أجل ما يريدون من أغراضهم الدنيوية ، وشهواتهم المادية ، فلذا خلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتارا عنهم باظهار أمور من الزنى والكذب الفاحش والخمر وقتل النفس ، وغير ذلك من الدواهى التى تحكم على صاحبها أنه فى سخط الله وغضبه . والأمور التى يقتحمها العارفون فى هذا الميدان انما يظهرون صورا من الغيب لا وجود لها فى الخارج ، انما هى تصورات خيالية يراها غيرهم حقيقة . وما فعلوا ذلك الا استتارا لهم عن العامة حفظا لمقاماتهم وتحريرا لآدابهم .

والآن أسألك أيها القارىء البصير : هل حقا يوجد هؤلاء العارفون بالصفات التى تقدمت نقلا عنهم ؟

لماذا يقرون بوجودهم ويقرونه ثم ينفون لقياهم والحصول عليهم ؟ هل مثل هذا الكذب والباطل يقره الاسلام ، أو يرضى به مسلم عاقل ؟ هل هناك فتنة أعظم وأعم من أن يرتكب أعظم الفواحش ، ويغشى أعظم الآثام من يكون وليا لله تعالى عارفا به ، يفعل ذلك كله من أجل أن لا يعرف أنه ولى الله عارف به حتى لا يتعلق به ويتطلب صحبته بحجة أن نظام الوجود قد فسد ـ وما فسد وانما هم الذين فسدوا ـ وأن العوام لا يطلبون صحبة العالم العارف الا للحصول على الدنيا ؟؟

آه ثم آه لقد عجزت عن ادراك هذه التخبطات او المخططات ، وما يراد منها ، وانى لفى حيرة من معرفة السبب الحامل لرجال من أهل العلم ينصبون أنفسهم دعاة لهذا الظلام ليلقوا بالأبرياء المساكين من عامة هذه الأمة المسلمة فى مثل هذا الباطل ولينشروا الفساد .

الأصـــل الثالـــث

العهد أو البيعة والمصافحة والتلقيـن

ان من اصـول طرق المتصـوفـة على اختـلافهم وتبـاين أورادهم وأهدافهم : أن يعاهد المريد شيخ الطريقة أو خليفته فيها أو نائبه عنها ، يعـاهـده على الالتـزام بالـورد والطاعة والمحبة ، وملازمة الطريقة وعدم استبدال طريقة أخرى بها حتى الموت ، وذلك بأن يضعَ يده فى يد الشيخ ، ويشبـك أصـابعـه فى أصابع الشيخ ويغمض عينيه ويقول له الشيخ : عاهـدنى على التـزام الـورد بشروطـه ويلقنـه الورد ، ومن هذه العملية التقليدية وضعوا كلمات العهد والبيعة والتشبيك والتلقين .

ويستدلون على هذه العملية المصطنعة بما يتناقلونه حكاية عن على رضى الله عنه اذ قالوا : ان عليا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله دلنى على أقرب الطرق الى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا على عليك بمداومة ذكر الله تعالى فى الخلوات ، فقال على رضى الله عنه : أهكذا فضيلة الذكر وكل الناس يذكرون ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ياعلى لاتقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله ، الله ، فقال على : كيف أذكر يارسول الله ؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غمض عينيك ، واسمع منى ثلاث مرات ثم قل انت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا الـه الا الله ثلاث مرات مغمضـا عينيه رافعـا صوته ، وعلى يسمع ، ثم قال على رضى الله عنه : لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع .

ذكر هذه الحكاية وهى لاشك كذب بحت على رسول الله صلى الله عليه

وسلم وعلى على بن أبى طالب رضى الله عنه وعلى سائر المؤمنين .

ذكرها صاحب الرماح بلفظ : روى الشيخ يوسف الكورانى المشهور بالعجمى فى رسالة أن عليا رضى الله عنه . . . . الـخ .

وعلى أساس هذه الفرية وضع القوم هذا الأصل من أصول الطريقة وهو العهد أو البيعة ، والمصافحة والتشبيك والتلقين .

فانظر أخى القارىء وقانى الله واياك شر الكذب والابتداع كيف وضع الطرقيون أصولا بنوا عليها طرائقهم وهى أوهى من بيت العنكبوت ، اذ مثل هذه الحكاية السخيفة ينزه العاقل لسانه عن ذكرها فضلا عن نسبتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لكن القوم لايتورعون عن ذكر أفظع الكذب وأفحشه .

وقد يستدلون على أصل البيعة وأخذ العهد ببيعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأخذ العهد على بعضهم فى الجهاد والنصح لكل مسلم ، ولكن شتان ما بين ذا وذاك .

والسلفيون لا ينكرون ان يطلب المربى ممن يربيه ان يعاهده على فعل الطاعات وترك المنكرات والالتزام بآداب الطلب والطالب ، رجاء أن يواصل الطالب العمل بطاعة الله ورسوله فعلا وتركا حتى يكمل ويسعد ، ولكن ننكر أن يكون العهد أصلا وطريقة متبعة فى دين الله تعالى .

اذ بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم هى بيعة المسلمين لمن يلون أمرهم من الخلفاء والأمراء والأئمة المسلمين ، هذه هى البيعة الشرعية لا المبايعة والمعاهدة على طاعة الله ورسوله ، ان هذه فى عنق كل مسلم يشهد أن لا الـه الا الله وأن محمـد رسول الله فبمجرد أن يشهد العبد لله بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة فقد بايع والتـزام .

غير أن للمتصوفة الطرقيين غرضا هاما فى وضع هذا الأصل من أصول الطريقة هو الاستيلاء على أرواح المؤمنين والتأثير على نفوسهم ليبقوا سخرة

لهم يتحكمون فيهم كما شاءوا ولا حول لهم ولا قوة معهم ، بل لا ارادة ولا اختيار ، فقد رأيت من يخرج من نصف ماله لشيخ الطريقة ، ورأيت من يحلف بالله كاذبـا ولا يحلف بالشيخ صادقـا ، ورأيت من يخاف الشيخ ويرهبه أكثر مما يخاف الله تعالى ويرهبه . وانا لله وانا اليـه راجعـون .

وخلاصة القول أن أخذ العهد وان كان له أصل فى الشرع وهو بيعة الـرسول صلى الله عليه وسلم ، وبيعة المسلمين للامام فانه بدعة محدثة وأحـدثت لاستغـلال العوام والبسطاء من المسلمين للتأثير على نفوسهم بقصد تسخيرهم والتحكم فيهم لصالح شيخ الطريقة وأتباعه المقربين منـه .

هذه حقيقة البيعـة عند الطرقيين والمتصـوفة .

أما التلقين وتغميض العين والتشبيك فهى بدعة أيضا ، الغرض منها ايجاد ناموس وطقوس خاصة يتم بها التأثير على نفسية العوام ، لايقاعهم فى شبكـة الصيد وهى الطريقة لتسخيرهم والتسلط عليهم باسم الشيخ والعهد والطريقة كما أن الورد الذى اشترطت له هذه الشروط من الشيخ المأذون له العارف بالله والعهد والتلقين وتغميض العين والتشبيك ماهو الا بدعة فى شكله لم يرد عن الشارع أكثر أوراد المتصوفة ، وما ورد لم يشترط له أى شرط ، وانما يأتى به المؤمن عملا بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعا له فى أى وقت أمكنه ذلـك .

ومما يدل على أن الأوراد ماهى الا حبائل صيد صيد بها العوام نسبة الـورد الى الشيخ فيقال ورد فلان وورد فلان فنسب الأوراد الى المشائخ بقصد الحصول على الرئاسة والرفعة على العوام وبينهم اذ لو أرادوا وجه الله تعالى لعلموا المسلمين الأذكار والأدعية الورادة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأخذوا عليهم عهدا فيها ولا ميثاقا ، اذ هى من نوافل العبادات فلا يصح أن ترفع الى مستوى الفرائض والواجبات ، ويا ليت القوم اكتفوا

بتلقين وتعليم ما ورد عن الشارع ، بل انهم يحدثون أورادا من الأذكار والأدعية لا تخلو من ألفاظ الشرك ومقاصـــــــده .

وحسبك بورد (الياقوتة) عند الطائفة التجانية ، اذ هذا الورد عندهم من أفضل الاوراد وأقدسها حتى انهم يمنعون قراءته على غير المتطهر ، ويشـترطون أن تكون الطهارة مائية بمعنى يكون التالى للورد متوضئا لا متيمـا . فانـظر كيف أجاز الشارع قراءة كتاب الله بغير وضوء وهم لا يجيزون قراءة ورد الياقوتة بدون وضوء ؟ أليس هذا تفضيلا لكلام المخلوق على كلام الخالق ؟ ألم يكن تفضيل كلام المخلوق على كلام الخالق كفرا ؟ بلى انه لكفر لو كانوا يعقلون .

وكورد الياقوتة ورد الجزولى وهو ما يعرف بدلائل الخيرات فهذا الورد قدم له بأحاديث موضوعة ترغيبا للعامة فى قراءته ، حتى أصبح يناهض القرآن الكريم فتدخل المسجد فى بعض البلاد فتجد قراء دلائل الخيرات أكثر من قراء القرآن الكـريم .

وما أكثر الأوراد البدعية والشركية عند القوم اذ هى بضاعتهم وسلم وصـولهم الى أغراضهم المادية . . وسنعرض لها ببعض البيان فى الأصل الرابع الآتى بعـد .

الأصـــل الرابـــع

الاوراد الصوفية وما فيها من حق وباطـل

الأوراد : جمع ورد وهـو فى اللغـة : مكان الورود أو زمانه ، أو الماء المورود نفسه .

وفى عرف الشرع : ما يأتيه المسلم من نوافـل العبادات ، ويتعاهده طوال حياته .

وفى اصطلاح الصوفية وأصحاب الطرق هو أحد أصول الطريقة المهمة ذات الخطر والشأن فى حياة المريد ، وهى عبارة عن أذكار وأدعية يعطيها الشيخ العارف المأذون له ، أو نائبه عند تعذر لقياه والاتصال به لموته أو بعد داره ، يعـطيها للمريد ليصفو عليها باطنه ويصل بها الى مقام المكاشفة والمشاهدة والفناء فى ذات الله تعالى ، حتى لا يبقى واصل ولا موصول كما قال قائلهم :

فلم يبق الا الله فلا شىء غيره — فما ثم موصول ولا ثم واصل

أمـا الادعيـة : فأكثـرهـا ينـظمونها فى شكل أحزاب فيقال حزب الشاذلى ، وحزب الحداد ، وحزب كذا وكذا .

ولا تخلو بحال من كلمات الشرك والكفر والابتداع كالتوسل بالأموات والاستغاثة بهم ودعاء غير الله تعالى .

وأما الأذكار : فمنها ما هو حق مشروع كالهيللة أى لا اله الا الله ويسمونه ذكر العامة ، ومنها ما هو غير مشروع كالذكر باللفظ المفرد نحو : الله ، الله أو حى ، حى ، يسمـونـه بذكر الخاصة ، ومنها ما هو باطل وضلال كالذكر بلفظ ضمير الغيبة نحو : هو ، هو ، هو ويسمونه بذكر خاصة الخاصة .

فانظر كيف يصنفون الذاكرين ثلاثة أصناف ، خيرهم يسمونهم العامة وشرهم يسمونهم خاصة الخاصة . نعوذ بالله من هذا الضلال المبين ، ونبرأ الى الله تعالى من هذا الكذب المشيـــن .

هذا ويأتى الخطأ فى الأذكار الصوفية فى صور هذه منهـــا :

١ ـ تحديد الأوراد فى كمياتها وكيفياتها وأوقاتها ، وأعنى بكمياتها أعدادها ، فان كان الشارع قد أطلق لفظ الذكر ولم يحدده بكمية وعدد معين فلا يصح تحديده ولا تعيينه ، ومن حدد أو عين فقد ابتدع . والبدعة ضلالة ، وأعنى بالكيفية أن يؤتى بالذكر فى جماعة وبصوت واحد ، وهى كيفية مخالفة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حال الذكر ، كما أعنى بالأوقات تعيين وقت معين لا يؤتى به الا فيــه .

٢ ـ وضع صيغ وألفاظ لم ترد عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم فى الشريعة بالضرورة أن أى ذكر لم يرد عن الشارع فهو باطل ، لأنه تشريع زائــد .

٣ ـ الاجتماع عليه ورفع الأصوات به ، واحداث حركات منكرة كالتمايل والقفز والرقص والتصفيق .

٤ ـ مصاحبة الذكر بالعزف والتصفيق ، وهو ما يسمى بالمدائح والقصائد فهذه لا تعذب لهم ولا تطيب الا على أنغام المرد ، وأصوات المعازف ، والدفـــوف .

٥ ـ وضع أجور معينة ومحددة على كل نوع من الذكر بأن يقال من قال كذا فله أجر كذا ، من غير أن يرد عن الشارع ، وعلى سبيل المثال قول الشيخ التجانى فى صلاة الفاتح ، وأنها تعدل كذا ، ولقائلها من الأجر كذا

ولنستمع اليه فى كتاب الرماح ص ٦٩ من جـ ٢ وهو يقول : وأما صلاة الفاتح لما أغلق فانى سألته (١) صلى الله عليه وسلم عنها ، فأخبرنى أولا أنها بستمائة ألف صلاة ، فقلت له : هل فى جميع تلك الصلوات أجر

(١) سؤاله الرسول صلى الله عليه وسلم : يدعى التجانى أنه سأله يقظة لا مناما . وهو كذب محض .

من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم يحصل فى كل منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة .

وسألته صلى الله عليه وسلم هل : يقوم منها طائر واحد الحد المذكور فى الحديث لكل صلاة ؟ وهو الطائر الذى له سبعون ألف جناح الى آخر الحديث ، أم يقوم منها فى كل صلاة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة فى كل مرة ، وعدد ألسنة طائر واحد ، كما قال الشيخ رضى الله عنه ألف ألف ، ألف ألف ألف ألف ألف ألف لسان الى أن تعد ثمانية مراتب . وستمائة وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف ألف لسان الى ان تعد سبع مراتب ، وسبعمائة ألف ألف ألف ألف لسان الى أن تعد خمس مراتب فهذا مجموع عدد الألسنة ، وكل لسان يسبح الله تعالى بسبعين لغة فى كل لحظة ، وثوابها للمصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فى كل مرة .

هذا فى غير الياقوتة الفريدة ، أما فيها فانه يخلق فى كل مرة ستمائة ألف طائر على الصفة المذكورة ، ثم قال رضى الله عنه وأرضاه وعنا به ، فسألته صلى الله عليه وسلم عن حديث : ان الصلاة عليه تعدل ثواب أربعمائة غزوة ، وكل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صحيح ، فسألته صلى الله عليه وسلم عن عدد هذه الغزوات ، هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق مرة أربعمائة غزوة ، أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة ، وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة ؟

فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه : ان من صلى بها أى بالفاتح لما أغلق . . . الخ مرة واحدة حصل له ثواب ما اذا صلى بكل صلاة وقعت فى العالم من كل جن وانس وملك ستمائة ألف صلاة من أول الدهر الى وقت تلفظ المصلى بها .

والآن أخى القارىء المسلم البصير هل يسرك الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل الذى يفترى الكذب على الله وعلى رسوله

والمؤمنين يعد من المؤمنين ؟

هل حقا أن الشيخ أحمد التجانى يخرج له الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة ويشافهه ويسأله كما سبق أن قرأت فى هذا الفصـــــل ؟

ان الله تعالى يقول : « انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون » (١) .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٢)

أرأيت أخى المسلم كيف يبنى الطرقيون طرقهم على الكذب تغريرا بالمسلمـين وتضليلا لهم ، ان الـطريقـة التجـانية تعتبر من أكبر الطرق الصوفية وأوسعها انتشارا ، فان أتباعها يوجدون من نيجيريا غربا الى تركيا شرقا ، ومع هذا فقد رأيت كيف قامت هذه الطريقة على الكذب الذى لا يصـدق ؟ والبـاطل الذى لا يصح ولا يقبل ، وعلى مثلها فقس سائر الطرق التصوفية ، ومشائخ التصوف ، وابرأ الى الله تعالى منهم وأسأله أن يقيك والمسلمين شر فتنتهـــم .

وخلاصة القول فى هذا الأصل أن أوراد الصوفية من أذكار وصلوات وأدعية ومـدائـح وقصائد شعرية لا تخلو أبدا من الكذب وألفاظ الشرك ومعتقداته ، ولا يفارقها الابتداع فى ألفاظها وأعدادها ، وأوقاتها ، وأكثرها ما وضع الا لضرب أمة الاسلام بتمزيق شملها ، وتفتيت قوتها ، وادخال الزيغ والضلال فى معتقداتها والبدع فى عباراتها ، حتى لا تقوم لها قائمة ولا تزكو لها نفس ولا يستجاب لها دعوة ـ والعياذ بالله تعالى .

---

(١) سورة النحل .

(٢) رواه الشيخان وغيرهما .

الأصـــل الخامس

الخلـــوة

من أصول طرق الصوفية « الخلوة » وهى لغة مصدر خلا يخلو خلاء وخلوة إذا انفرد بنفسه عن غيره من سائر الناس ـ وفى اصطلاح الصوفية : انفـراد المـريد باذن الشيخ وتحت رقابته ورعايته فى سرداب أو دهليز من الأرض مدة لاتزيد على الأربعين ليلة ، ولا تقل على عشر ليال ، مستدلين على مشروعيتها بتحنث النبى صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة بغار حراء ، حيث كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء الليالى ذوات العدد كما جاء ذلك فى الصحيـح .

وعلى مدتها بمواعدة الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أربعين ليلة اذ قال تعالى : « **واذ واعدنا موسى أربعين ليلة** » (١) .

وبحديث « من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى فى صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار » (٢) .

وبـاعتكـاف النبى صلى الله عليه وسلم عشر ليال فى رمضان التماسا لليلـة القـــدر .

وللخلوة عندهم شروط بلغوا بها ستة وعشرين شرطا ذكرها صاحب الرماح (٣) التجانى نقلا عن الوصـايا القدسية (٤) والخلاصـــة المرضيـة .

والمقصود من وراء تلك الشروط أنه اذا لم يف المريد بها أو لم يات بها

---

(١) سورة البقرة .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى بلفظ آخر .

(٣) جـ ٢ ص ١٧٧ .

(٤) لعلها للسهروردى .

على الوجه الأكمل لا يتم له مراده من الوصول الى الله تعالى حتى يصبح من أهل الكشف والمعرفة اللدنيـــة .

والشروط المذكورة أكثرها صالح معقول ، وذلك كأن يقوى المريد نفسه على السهر ، والذكر ، وقلة الأكل والشرب ، والعزلة ، وكملازمة الطهارة والصلاة والصيام .

ولكن هناك شروط فاسدة وباطلة وهى المقصودة بالذات من الخلوة عند واضعى هذا الأصـل المحدث للاضلال والتغرير والتضليل ، ومن تلك الشروط الباطلة الفاســـــدة ما يلـى :

١ ـ قولهم فى الشرط الرابع : أن يدخلها (الخلوة) كما يدخل المسجد مستعينا مستمدا من أرواح مشائخه بواسطة شيخـه .

ووجه الباطل فى هذا الشرط : أن الاستعداد وسواء كان بركة أو عونا أو فتحا لا يكون الا لله تعالى الذى بيده كل شىء ، وقدير على كل شىء ، أما ارواح المشائخ أو روح شيخه فلا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئا ، فكيف يطلب منها مددا ليس فى حوزتها ولا فى استطاعتها ، ومن هنا كان هذا الشرط باطلا لأنه دعوة الى الشرك بالله وتقرير له بأسلوب المكر والخداع .

٢ ـ قولهم فى الشرط السادس : وليشتغل بالذكر حتى يتجلى له مذكوره وهو الله تعالى فى زعمهم قطعا ، فاذا أفناه عن الذكر به فتلك المشاهدة .

والضلال فى هذا الشرط الفاسد هو اعتقادهم أن الله تبارك وتعالى يتجلى بالذكر حتى يفنيه فيه ، وبذلك تحصل له المشاهدة لذات الرب أو أنواره جل وعلا ، وهذا كذب وباطل اذ الرب تعالى لم يتجل لأحد من خلقه فى الأرض . وقد تجلى تعالى للجبل فجعله دكا ، وخر موسى طالب الرؤية مغشيا عليه « فلما أفاق قال : سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين » فانظر الى الدجل والكذب الصوفى فى هذه وفى غيرها ، وما قام طريق القوم الا

على مثل هذا الكذب والافتراء على الله وعلى عباده ، والعياذ بالله تعالـــــى .

٣ ـ قولهم فى الشرط الثامن : « ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه فانه رفيقه فى طريقه وهو معه بمعناه وبروحانيته ، فان من هو شيخ حقيقة تكون روحانيته رفيقة ومتعلقة بروحانية كل واحد من مريديه وان كانوا ألفـــا » .

فتأمل ايها القارىء البصير كيف يتلطف واضع هذا الضلال فى التدرج بالعبد الى ساحة الكفر حيث يجعل من الشيخ الها روحه المعبر عنها بالروحانية مع كل روح من أرواح مريديه حتى لو كانوا ألفا ، أليس هذا معنى قوله تعالى فى علمه واحاطته وقدرته : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » الآية من سورة المجادلة .

هذا وان كانت الخلوة تحمل فى بعض شروطها الكفر والضلال ، فان البعض الاخر يحمل البدع والإحداث الحرام وهذا بيان ذلك :

١ ـ أن تكون الخلوة مظلمة ، وهو شرط ما أنزل الله به من سلطان وكثيرا ما يتسبب ظلام الخلوة فى اختلاط المريد فيخرج منها كالمجنون فى نطقه وتفكيره وسائر عملـــــه .

٢ ـ دوام السكوت طيلة ما هو فى الخلوة ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى حديث أبى إسرائيل .

٣ ـ أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الناس وأصواتهم مما أدى بهم الى جعلها تحت الأرض كالدهاليز المظلمة وهذه الوضعيه بدعة منكـرة .

٤ ـ أن لايتفكر المريد أثناء خلوته فى معنى آية قرآنية أو حديث نبوى بدعوى أن ذلك يشغله عن الواردات الحقيقية التى يطلبها بالذكـر والخلوة ، وهذا الشرط فاسد وباطل لايقر عليه الشرع أبدا لما فيه من النهى عن طلب العلم والمعرفة من الكتاب والسنة .

٥ ـ أن لايدخل المريد الخلوة ولا يخرج منها الا باذن الشيخ المربى ، وأن يكـون بين يدى الشيخ كالميت بين يدى غاسله لايقترح ولا يعترض أبدا ، وفى هذا قتل لشخصية المسلم وهدر لكرامته وسلب لارادته ، وهذا لا يحل فعله بالمسلم أبـدا .

٦ ـ دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستعداد ، اذ هو الذى عينه الحق سبحـانـه وتعـالى للافـاضة على المريد ، ولا يحصل له الفيض الآ بواسطته دون غيره ، ولو كانت الدنيا كلها مملوءة بالمشائخ ، اذ متى يكون فى باطن المريد تطلع الى غير شيخه لم ينفتح باطنه الى الحضرة الوحدانيـــــــة .

فانظر أخى المسلم البصير كيف جعل الشيخ الها ثانيا حيث أمره أن يعلق قلبه دائما به بالاعتقاد والاستمداد ، وانظر كيف حجروا على المسلم أن يطلب العلم من غير شيخ الطريقة ولو كانت الدنيا كلها مشائـــــخ .

وانظر كيف كذبوا على الله تعالى بقولهم : أن الشيخ عينه الحق سبحانه وتعالى للافاضة على المريد ، من أعلمهم أن الشيخ عينه الله للافاضة ، وبماذا يفيض الشيخ على المريد ؟

سبحانك اللهم هذا بهتان عظيـم .

هذه هى الخلوة التى لم تعد أن كانت شبكة لصيد الرجال لاستعبادهم واستغـلالهم بقتـل شخصيتهم وافسـاد عقـولهم وقلوبهم والهبوط بهم الى مستوى الدراويـش .

والسؤال الآن : هل الاسلام وهو دين التربية الكاملة للعقول والأرواح والأخـلاق جاء بالخلوة ، وربى بها ، من يثبت ذلـك بسند صحيح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى أحد أصحابه أو التابعين لهم باحسان .

ان الاسلام بريء من هذه الخزعبلات والترهات والأباطيل لأنه دين

حياة وسعادة وكمـال .

نعم فى الاسـلام سنـة الاعتكـاف فى المساجد فى رمضان طلبا لليلة القـدر ، وفى الاسـلام الاعتزال اذا ساءت أحوال الناس وخاف المسلم الفتنة فى دينه ، أبيح له أن يعتزل الناس فيبقى فى منزله أو مزرعته أو فى باديتـه يرعى غنمـه كما جاء ذلك فى حديث البخارى « سيكون فى آخر الـزمان خير مال الرجل المسلم شويهات يتبع بهن شعاف الجبال ومواقع القطر فرارا بدينـــه » .

أمـا السراديب المـظلمة والدهاليز الموحشة فانها لقتل الأرواح وافساد العقول والقلوب وهذا من كيد أعداء الاسلام لأهل الاسلام ، والعياذ بالله تعالى .

الأصـــل الســـادس

الكشـــف

ان الكشف وان كان أحد أصول الطرق الصوفية فهو فى الواقع غاية لما يصبو اليه المريد من أجله قبل الخلوة وحشر نفسه فيها ، واطرح بين يدى الشيخ متخليا عن كل شىء حتى عن ارادته وعقله فى سبيل الحصول على أن يصبح من أهل الكشف .

وحقيقـة الكشف عنـد المتصوفة : هى أن ينكشف للقلب من أنوار الغيوب ما ينال به الصوفى من المعارف مالا يناله العقل منها ، ووراء مرتبة الكشف مرتبـة أخرى أسمى هى مرتبة التجلى ، وهى أن تظهر الذات الالهية فى عين المظاهر الوجودية .

ومن عجيب المغـالـطات الصوفية أن يقول الشيخ للمريد اذا أدخله الخلوة لا يكن همك الكشف والتجليات ، اصرف قلبك عن ذلك بالمرة ، ان القصد هو صفاء روحك فقط ، وان انكشف لك شىء فلا تكتمه عن الشيخ فتكون قد خنته وهو مربيـــــــك .

ولنتساءل هنا : ما الذى ينكشف لصاحب الخلوة ؟ اللهم لا شىء البتة ولم اذا هذه الطقوس والأوضاع والتراتيب الخلوية المبتدعة ؟

والملاحظ هنا فى تعريف القوم للكشف والتجلى أمران :

الأول : أن ادراك ما وراء العقل بواسطة الكشف محال وهم يرونه من باب الجـائز الممكن وهى مكابرة خادعة ، اذ كل ماكان من وراء العقل ادراكه محال ، اذ المدركات من سائر الكائنات لا يتم ادراكها فتصورها الا بالعقل ، واذا فقد الانسان العقل انعدم ادراكه لأى شىء على حقيقته ، وصار يهذى فى كلامه ويقول مالا يعقـــل .

والثانى : أن ظهور الذات الالهية (١) فى عين المظاهر الوجودية عندما يتم للمريد التجلى كما يزعمون كذبا وباطلا ، هو ما يعرف عند أهل العلم بوحدة الوجود ، وهو من أكفر الكفر وأبطل الباطل وأمحل المحال عند علماء الاسلام .

اذ وحدة الوجود منشؤها التخيلات الباطلة والتصورات الكاذبة التى يلقيهـا الشيطان فى قلوب طالبى الأسرار وكشف الحجب عن القلوب والنفوس لأجل رؤية الحق تبارك وتعالى والتلقى عنه بدون واسطة ، كما يشير الى ذلك قول رابعة العدوية فتأملـه :

أحبـك حبـين حب الهـوى	وحبا لأنـك أهـل لذاكـا
فأمـا الـذى هو حب الهوى	فشغلى بذاتـك عما سواكـا
وأمـا الـذى أنـت أهـله	فكشفك لى الحجب حتى أراكـا

فقوها : فكشفك لى الحجب حتى أراك صريح فى طلب القوم لرؤية الرب تبارك وتعالى ، وهو من طلب الممنوع قضاء وقدرا وشرعا ، فلما عنى القـوم بذلـك وطلبـوه بالخلوات والأذكـار ، أتـاهم الشيطان بتخيلات وتصورات فبدت لهم الكائنات ، وأن الله تعالى قد ظهر فيها فلا يرون الا الله تعالى فى زعمهم حتى قال أحد أئمتهم من غلاة التصوف وهو الحلاج الذى اذا ذكروه ترضوا عنه وترحموا عليه قال (٢) :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا	فنحن روحـان حلتـا بدنا
فاذا أبصرتـنـى أبصرتـه	واذا أبصرتـه أبصرتـنـا

هذا وان القوم لم يقفوا عند الحلول والاتحاد ، فان بعضهم قد بلغ بهم الضلال حتى ادعى من ادعى منهم أنه هو الله الرب تعالى ، وأنه يقول للشىء كن فيكون ولنسمع الى ماذكر صاحب جواهر المعانى للتجانى عن الشيخ عبد القادر الجيلانى اذ قال : وأمر لى بأمر الله أن قلت كن فيكـون .

(١) طالع الرماح جـ ١ ص ١٥١ .

(٢) الحلاج هو أبو الحسن بن منصور ولد عام ٢٢٤ ومات مصلوبا عام ٣٠٩ على أيدى أحد الحكام المسلمين ، وفى أيامه انتقل التصوف من جانبه العملى إلى جانبه النظرى . كذا قيل .

وهذا الجيلى وهو من كبار الصوفية يقول :

لى الملك فى الدارين لم أر فيهما

سواى فارجو فضله أو فأخشاه

وقد حزت أنواع الكمال واننى

جمال جلال الكل ما أنا الا هو

وانى رب للأنام وسيـــــد

جميع الورى اسم وذاتى مسماه

قولـه أقمـأه الله ـ انى رب للأنام وسيد جميع الورى ادعاء للربوبية صريح يكفر صاحبه ولا يصح تأويله بغير الكفر أبدا .

كما أن قوله : لى الملك فى الدارين ظاهر بل هو نص صريح فى ادعاء الربوبية أيضا . والعجيب ممن يدعون التصوف اليوم أنهم اذا ذكروا هؤلاء الـزنادقة الحلوليين يترضون عنهم ويترحمون عليهم ، كأنهم لم يعلموا أن الرضا بالكفر كفر ، وأن من يترحم على كافر فضلا عن أن يترضى عنه فقد ارتكب الجرائم ، وجنى على نفسه أعظم جناية .

والمقصـود ـ أخى المسلم ـ مما ذكرنا أن دعوى الكشف والتجلى هى التى جرت القـوم الى القـول بالحلول ، ووحدة الوجود ، ثم الى ادعاء الربوبية المطلقة والعياذ بالله تعالى من الحور بعد الكور ، ومن الغواية بعد الهدايـــــة .

الأصـــل الســـابع

الفنــــــاء

من أصول المتصوفة الفناء . وحقيقته : أن المريد اذا داوم على الاكثار من الذكر تحصل له بذلك طمأنينة القلب (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) ثم يعتريه الذهول ثم السكر بحب المذكور ، ثم الفناء عن الأكوان بمعنى أنه لايصبح يرى شيئا ثم يفنى عن الفناء حتى اذا وصل الى هذا الحد انمحق الغير والغيرية بهدم جميع الرسوم والأطلال ، وانمحاق جميع الآثار . فلم يبق الا معاينة الحق فى الحق للحق وبالحق ، ويعرفون الفناء بأنه عبارة عن اضمحلال الكائنات ـ فى نظرهم ـ مع وجودها ، وأنه الغيبة عن نسبة أفعالهم اليهم أو هو بأن يكون الولى بحال لا يشاهد فيها شيئا غير الله تعالى ، كما لا يشاهد فى النهار الكوكب اذا طلعت الشمس .

هذا وعند ما توزن أقوالهم هذه فى الفناء فى ميزان الشرع وينظر اليها بمنظار الوحى : الكتاب والسنة لم يبق منها الا ما يحصل للقلب المؤمن من الطمأنينة والهداية بذكر الله تعالى ـ وعلى شرط أن يكون الذكر بالمشروع من الأذكار وعلى النحو الذى جاء الشارع به وبينه من الكمية والكيفية وذلك لقول الله تعالى : « **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » .

أما تلك الشطحات والترهات من السكر والذهول والفناء وفناء الفناء والانمحاق ، فانها لا تعدو كونها مقدمات كاذبة باطلة فاسدة وضعوها لتنتج لهم شر النتائج وأفسدها وهى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود . على هذا قولهم اذا وصل المريد هذا الحد انمحق الغير والغيرية ، ولم يبق يشاهد الا الله تعالى ، فتصبح الكائنات كلها الله فى زعمهم أقمأهم الله ولعنهم ، فما لهم عموا عن قول الله تعالى :

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .
وقولـــه « قل هو الله احـــــد » .
وقولـــه « ولم يكن له كفوا أحـد » .
كما عموا عن قول الله تعالى : « قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقـــا » .
هذا وكى تعلم أيها المسلم انا لا نكذب على القوم ولا نشنع عليهم بغير باطلهم ، وما هم عليه من الكفر والزيغ والالحاد فلنسمع الى امامهم محيى الدين بن عربى وهو يقول : سبحان من خلق الأشياء وهو عينهـــــا .
أليس قوله هذا هو عين وحدة الوجود ؟
ولنسمع الى قول اخر أو لاخوانه من أئمة الصوفية :

فيحمدنى وأحمده ويعبدنى وأعبــده

ان معنى هذا القول فى هذا البيت من الناظم الفاجر ، أن الرب تعالى قد حل فى الشيخ فأصبحا واحدا يحمد بعضهما بعضا ، ويعبد بعضهمـا بعضا أى كفر أعظم من هذا وأى افتراء ودجل أقبح من هذا .
ولنسمع الى الجيلى أحد أئمة المتصوفة يقول مقررا للحلول والاتحاد .

وانى رب للأنام وسيـد جميع الورى اسم وذاتى مسماه

فقد بالغ الشيخ فى ضلاله حتى أصبح يخبر بأنه هو الله لا غيره . كل هذا ناتج عن سكرة الحب الكاذب ، وضلال الفناء ، وباطل الانمحاق وانهدام الغيرية كما يزعمون ويفترون .
وبالجملة ان الفناء لم يرد به كتاب ولا سنة ولا عرفه سلف هذه الأمة ، وانما هو خدعة صوفية وخلسة شيطانية من وضع اليهودية العالمية والمجوسية الفارسية توصل بها الى تكفير الكثير من المسلمين بادخال عقائد المجوس والنصارى فى عقائدهم الاسلاميــــة .
وهكذا يفعل الأعداء ، والويل لمن لم يعرف عدوه .

الأصـــل الثــامن

الظاهر والباطن ، والشريعة والحقيقة

ان من أصول المتصوفة ، وقواعد طرقهم البدعية تقسيم العلم الى ظاهر وبـاطن ، والـدين الاسـلامى الى شريعـة وحقيقة ، وأضافوا الى الدين الاسـلامى (الـطريقة) ، وقالوا : الطريقة هى الوسيلة ، والثمرة هى الحقيقة ، وهذا التقسيم للعلم والشريعة ، وتلك الاضافة للدين لاشك أنه من أكبر الاحداث فى دين الله تعالى ، وسبحان الله كيف يتصرفون فى دين الله وكـأنهم مأذون لهم بالـزيادة والنقصان ؟ وكأنهم عموا عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » . وقوله : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » .

وسبحان الله كيف لا يتورعون عن الكذب على أئمة الاسلام فينسبون اليهم شر البدع وأسوأها ، ولنسمع ما يقولون عن مالك امام دار الهجرة رحمه الله تعالى القائل من ابتدع فى الاسلام بدعة فرآها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة وذلك لأن الله تعالى يقول : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

انهم قالوا ان مالكا رحمه الله تعالى قال : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، فانظر كيف يفترون على مالك الكذب وهو السيف المصلت على رؤوس المبتدعة وهم يعلمون ليبرروا بكذبهم ما وضعوا من أصول وقواعد لم ينزل الله بها من سلطان وكأنهم على وفاق مع واضعى قاعدة : (الغاية تبرر الواسطة) وهم اليهود ، والا فقل لى بربك كيف يكذبون على امام جليل من أئمة الاسلام مثل هذا الكذب الفاضح الممقوت .

فهل من المعقول أن يقول عالم بشريعة الله قائم بنشرها وتعليمها والذب عنها كمالك رحمه الله تعالى : ان من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق أى صار طالبا للفسق قائما به والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » (١)

وهل التصوف عرف على عهد مالك ، وأصبح ذا شأن حتى يقول مالك ما قالوا من الكذب والباطل ؟ اللهم لا ، لا ، إن التصوف لم يظهر ولم يعرف بين المسلمين الا بعد انقراض أهل القرون المفضلة ، وأخذ الشر والفساد ينتشران فى بلاد المسلمين .

والذى لايشك فيه أن للقوم من وراء هذا الأصل أهدافا يهدفون اليها ويريدون تحقيقها والوصول اليها وهى تتلخص فى النقاط التاليــة :

* تحويل أمة الاسلام الى أمة سلبية ، لا تبدى ولا تعيد ، تعيش على الفقر والتزهد والاتكال حتى تبيد وتفنى ، وهذا هو الهدف الرئيسى الذى من أجله وضــع التصــوف ، وشــارك فى وضعه ونشــره والدعوة اليه أكبر خصــوم الاســلام وأعــدائــه من زنــادقــة اليهــود والنصــارى والمجوس ، وساعدهم على ذلك أغرار المسلمين وجهالهم مع شديد الأسف .

استبــاحة المحرمات وغشيان كبائر الاثم والفواحش وبخاصة المشائخ المربين من رؤساء الطرق تسترا تحت شعار قولهم : الحقيقة غير الشريعة ، فكم ارتكبت من فواحش ، واستبيحت من حرمات بدعوى أن الحقيقة غير الشريعــة ، اذ يجوز لصــاحب الحقيقــة مالا يجوز لصــاحب الشريعة فى حكمهم وما تقتضيه أصولهـــــم .

ويحتجــون على هذا الباطل بخرق الخضر عليه السلام للسفينة وقتله للغلام الزكى ، واقامته لجدار اليتيمين ، وانكار موسى عليه ذلك بدعوى أن موسى كان من أهل الظاهر فأنكر ، والخضر من أهل الباطن فأقر ، وما دروا أن الخضر فعل ما فعل بأمر الله ووحيه اليه حسب شريعته التى تعبده

---

(١) رواه البخارى فى كتاب العلم .

الله تعالى بها ، ولهذا لما قال له الخضر : انى على علم مما علمنى الله ، وأنت على علم مما علمك الله ، سكنت نفس موسى واطمأن ، اذ كانت الشرائع تتعدد بتعدد الرسل ، ولم تجتمع الشرائع الا فى شريعة الاسلام حيث نسخ الله كل ما سبقها من الشرائع التى جاءت بها الرسل قبل النبى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك بطل العمل بغير شريعة الاسلام التى ظاهرها هو باطنها ، وباطنها هو ظاهرها شريعة واحدة لا ثانية لها ولا ثالثة .

وبنـــاء على هذافانه لا حجة لهم على تقسيم العلم الى ظاهر وباطن ، والدين الاسلامى الى شريعة وحقيقة .

* صرف المسلمين عن العلوم الشرعية ، وتزهيدهم فيها ، وشغلهم بما يسمونه بالعلوم الباطنية الخيالية ، ويدل على صحة هذا قول الجنيد ـ وهو امام المتصوفة فى زمانه : أحب للمبتدى ـ المريد ـ أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله : الكسب ، وطلب الحديث ، وأحب ان لا يقرأ ولا يكتب لانه أجمع لهمه ، فمعنى لايقرأ ولا يكتب ؟ انه لا يتعلم ، واذا لم يتعلم فكيف يعبـد الله تعالى عبادة تزكى نفسه وتؤهله لولاية الله تعالى ، كأنهم يقولون : ان المريد ليس فى حاجة الى العلم ولا الى العبادة اذ يكفيه الـذكـر والأوراد يلازمها حتى يصبح من أهل الكشف والعلم اللدنى ، وبذلك يستغنى بعلم الباطن عن العلم الظاهر وبعلم الحقيقة عن الشريعة .

هذا هى النهاية التى وضعوا لها هذا الأصل وهو تقسيم العلم الى باطن وظـاهـر ، والدين الى شريعة وحقيقة ، وهو نهاية ينسلخ فيها العبد من المعرفة والايمان والتقوى ، ويعيش على الجهل والالحاد والفجور ، والعياذ بالله تعالى .

أقطـــاب الصوفية وأولياؤهـــم

الأقطـــاب :

الأقـطاب : جمع قطب ، والقـطب لغة : ما عليه مدار الشيء ومنه قطب الرحى ، وفي اصطلاح المتصوفة : القطب هو سيد الوجود في كل عصـــر (١) .

وهو للوجود بمنزلة الروح للجسد فكما أن الجسد لاقيام له الا بالروح فكذلك الوجود كله قائم بالقطب ، فاذا زالت روحانية القطب من الوجود انعدم الوجود كله ، وهذه القوة للقطب يقولون انها من تحمله لسر الاسم الأعظـــــم .

ويقولون في كيفية وصول القطب الى مرتبته القطبانية أن القطب يترقى في مراتب كمال المعرفة والمشاهدة والمراقبة حتى يصل له التحقق بالله في كل مرتبة وبذلك يكون سيدا للوجود .

هذا وما نقرره هنا أمور منهـــا :

١ ـ أن القوم يكذبون وأمرهم مبني على الكذب ، ثم هم في نفس الوقت يدعون أنهم لايحيدون عن الكتاب والسنة قيد شعرة ، ويتبجحون بذلك بلا حياء ولا خجل . أرأيت لو قيل لهم : في أي آية أو في أي سنة جاء ذكر القطب وصفاته وخصائصه ، ومراتب ترقياته ، حتى وصل الى مرتبة القطبانية فأصبحت له السيادة على الوجود كله ؟

قطعا انهم لا ينطقون ونحن نقول : اللهم انه لا يوجد للقطب ذكر في كتاب ولا سنة ، وانما يوجد ذكره وصفاته ومراتب ترقياته في كتب الزنادقة من غلاة الباطنية الناقمين على الاسلام والمسلمين .

٢ ـ اذا كان الكون والوجود كله قائما بروحانية القطب فماذا بقي لله تعالى ؟ وما معنى قول الله تعالى : **« الله لا اله الا هو الحي القيوم »** ، اذا

---

(١) طالع في هذا المعنى كتابه : الجواهر / الرماح للتجانية .

كانت القيومية للأقطاب فى كل شىء وعلى كل شىء ؟؟

٣ ـ لو سألناهم عن كيفية تحمل القطب لسر الاسم الأعظم فهل يقدرون على الاجابة اللهم لا ، انهم يفترون الكذب ، والله لا يهدى القوم الكاذبين .

وسؤال آخر : كيف عرف أقطابهم بسر الاسم الأعظم دون سائر عباد الله ؟

ان الأحاديث النبوية الصحيحة تكاد تجمع على ان اسم الله الأعظم لايخرج عن كونه الله أو الحى ، أو القيوم وأن ليست خاصيته فى ادارة الملك والملكوت والتصرف فى الكائنات ، وانما هى فى أن العبد اذا سأل به ربه أعطاه من الممكنات ما كتبه له وقضى به له أزلا وقدره . وعلى شرط أن لايتعدى فى الدعاء فان الله تعالى حرم ذلك بقوله : « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين** » ومن الاعتداء أن يسأل مالم تجر به سنن الله تعالى بين الخلق فى هذا الوجود . ومن ذلك أن يسأل الله أن يجعله متصرفا فى الكون .

هذا ومن أغرب مايسمع عن القطب والقطبية ادعاء الشيخ أحمد بن محمد التجانـــى [٢]

أنـه خاتم الاولياء والاقطاب فلا ولى بعده ولا قطب أبدا ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا نبى بعده ولا رسول أبدا .

ما أبعد هذه المقارنة ، وما أغربهـــا ؟ !!

الأوليـــاء :

الأولياء جمع ولى وهو لغة من يتولى الأمر قياما به ، ومحافظة عليه ولذا يطلق على الحاكم ، والوصى ، والقريب . وفى عرف الشرع : الولى هو المؤمن التقى ، وذلك لقول الله تعالى : « **ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم**

---

(١) راجع الرماح والجواهر للتجانية .

ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » (١)

وظهور الكرامات على يديه ليست شرطا فى اثبات الولاية ، وان كانت من لوازم الولاية ، والاستقامة على الشرع قياما بالأمر ، واجتنابا للنهى من أظهر الكرامات وأجلهـــــا .

وأما الولى عند المتصوفة ، فقد عرفه صاحب الطريقة التجانية بعد أن سئل عنه فقال : « الولى من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة الأفعال والصفات » !! وهو كما ترى تعريف غامض لاشتراطه الخصوصية مع قيد المشاهدة ، مع العلم أن الله تعالى لا يتولى الا المؤمن التقى ، ولا تتم التقوى الا بالعلم وهو معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، ومعرفة محابه ومكارهه ليفعل المحاب ، ويتجنب المكاره .

والسر فى غموض تعريف القوم للولى هو احتكارهم للفضائل كى لا تكون لغيرهم من سائر المؤمنين والمسلمين ، وبذلك تختص الولاية بمشائخ الطرق المأذون لهم فى اعطاء الورد والتربية الخلوية ، ومن هنا كان الولى عند الصوفية لا يعرفه الا الخواص ، أما عامة المسلمين فلا سبيل لهم الى معرفة الولى ، يشهد لهذه الحقيقة ويقررها مايلى :

سئل الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد التجانى عن الله تعالى وعن الولى أيهما معرفته أصعب ؟ (٢)

فقال : معرفة الولى أصعب من معرفة الله تعالى ، وعلل ذلك بقوله : لتمييز صفـات الله تعالى لمباينتها لصفات الخلق ، أما الولى فان صفاته كصفات سائر الناس من الأكل والشرب والنكاح . . . الخ .

فلذا هو لايتميز ولا يعرفه الا الخواص . وأبعد المرسى وهو من أئمة

---

(١) سورة يونس .
(٢) طالع الرماح والجواهر .

الصوفية فى تعريف الولى حتى قال : ان الولى لو كشف للناس لعبدوه لأن حقيقة الولى أنه يسلب من جميع البشرية ، ويتحلى بالأخلاق الالهية ظاهرا وباطنا ، ولذا لو كشف الولى للعبد لعبده .

وقالوا ان دائرة الولى أوسع من دائرة النبى .

وهذا تفضيل منهم للولى على النبى بأسلوب خفى (١) .

وعللوا ذلك بأن دعوة الأنبياء خاصة بأممهم ، ودعوة الولى عامة ، فلذا هو أوسع دائرة ، ولازم هنا أن الولى أفضل من النبى ، وهو كما ترى ضلال مبين .

واشترطوا للولى الأوسع دائرة أن يكون مأذونا له فى الدعوة بالاذن الخاص لا بالاذن العام ، الذى هو مثل قوله صلى الله عليه وسلم « بلغوا عنى ولو آيــــة » (٢) .

والاذن الخاص يحصل عليه اما باذن الشيخ المأذون له ، واما بالكلام اللدنى الذى اقام جل أصحاب الطرق طرائقهم عليه ، وهو ضلال وكذب ، وكفر والعياذ بالله تعالى .

وقالوا : (٣) ان من نهض الى دعوة الخلق الى الله تعالى بالاذن العام وليس له شىء من الاذن الخاص لم يشفع بكلامه ، ولم يقع عليه اقبال ، فان لسان الحق يقول له بلسان الحال فى بساط الحقائق ، ما أمرناك بهذا ، ولا أنت له بأهل ، انما أنت فضولى .

ويعظمون من شأن الولاية حتى قالوا : من ادعى أنه ولى يموت كافرا والعياذ بالله ، والحكاية التالية تكشف لنا عن مدى بعد الولاية فى اعتقاد القوم واحتكارهم لمنصبها ومقامهــــا .

ليبقى كل المؤمنين أعداء لله تعالى غير أولياء له الا ما كان من مشائخ

---

(١) يشهد لهذا قول بعضهم مقام النبوة فى برزخ فوق الرسول ودون الولى .
(٢) رواه البخارى .
(٣) الرماح والجواهر .

التصوف وأئمتهم فانهم الأولياء .

قال الشيخ أحمد التجانى فى كتابه الجواهر فى رجل لا يمشى الا ساترا وجهه قال : ولعله بلغ مرتبة الولاية ، فان من بلغها يصير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقته طرفة عين ، وان فارقه وانحجب عنه مات لحينه ، وحسبك أخى المسلم بهذا التعريف للولى من تعريف ، انه سخرية وهزء بعقول المؤمنين .

هذا والذى يستنتج من صنع القوم فى تعريف الولى ، انهم يحتكرون هذه الألقاب لاستغلال العامة بها ، والتحكم فيهم بواسطتها .

فدل هذا على أن التصوف قد استغل استغلالا فاحشا فى ضرب أمة الاسلام وتحطيمها والقضاء عليها ، فكم عانت أمة الاسلام من اتعاب ، وكم ذاقت من ويلات ، وكم تعرضت لفتن أثارها استعمار الغرب لجل بلادها ، وذلك منذ أن ظهر التصوف النظرى الفلسفى فى حدود القرن الثالث الهجرى . ومع ظهور اليوم دعاة للتصوف ، اذ عز عليهم أن تحررت أمة الاسلام من الاستعمار الغربى ، فجاءوا يركضون يؤلفون الكتب وينشرون الرسائل يدعون الى التصوف من جديد وما علموا أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

لمحات من الوجه المظلـــم
للتصـــــوف

تبيانا للحق ، ومبالغة فى التحذير من الوقوع فى حبائل صيد المتصوفة ننشر بعض كلمات الكفر التى أثرت عن أئمة الصوفية .

١ ـ (ليس على المخلوق أضر من الخالق)

أبو طالب المكى صاحب كتاب قوت القلوب

٢ ـ (أنا أعشق الله والله يعشقنى)

أبو الحسن النـــورى

٣ ـ علماء الرسوم (الشريعة) يأخذون خلفا عن سلف .
والأولياء يأخذون عن الله مما ألقاه فى صدورهم .

ابـــن عربـــى

ومعنى هذا القول ان الأولياء فى غنى عن الشريعة الاسلامية حيث هم يتلقون عن الله تعالى مباشرة .

وهذا والله الكفر . وهو مذهب كثير من الروافض فليتأمل .

٤ ـ أنا الحق وصاحبى وأستاذى ابليس وفرعون .

الحـــلاج لعنه الله

٥ ـ ان العارف من يرى الحق فى كل شىء بل يراه عين كل شىء وهذا هو معنى وحدة الوجود والحلول والاتحاد .

صاحب هذا الكفر محيى الدين بن عربى

٦ ـ قيل للتلمسانى هذا ، اشارة الى جثة كلب أجرب ميت ـ أيضا هو ذات الله ؟ فقال وهل ثم شىء خارج عنهـا ؟

فلننظر كيف جعل التلمسانى وهو أحد أئمة الصوفية كل شىء فى ذات الله حتى الكلب الأجرب الميت .

أعوذ بالله من هذا الكفــر العفن .

٧ ـ اللهم انشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أجد ولا أمس الا بهـــا .

من أوراد الشاذليــة

ان معنى هذه الجملة من الكفر ان صاحبها لا يرضى بلا اله الا الله ويرضى بأن يكون جزءا من الله ، تعالى الله ـ أن يحل فى مخلوقه ، أو يتحد به ، أو يتوحد ـ معه علوا كبيــرا .

٨ ـ القرآن شرك كله ، وانما التوحيد فى كلامنا .

التلمسانى

٩ ـ وأمـا واضـع هذا العلم « التصـوف » فهو النبى صلى الله عليه وسلم ، علمـه الله بالـوحى والالهـام ، فنزل جبريل أولا بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض ، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهـــه .

ابن عجيبـــة

انـظر كيف يبرر دجله بالكـذب على الله ورسـولـه وجـبريل وصالح المؤمنين . وبذلك قرر فرية أن الحقيقة تقابل الشريعة ، وأن كلا منهما مما شرع الله تعالى سبحانك اللهم هذا بهتــان عظيـــم .

١٠ ـ خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله

التجانـــى

ولازم قول التجانى هذا أن أقطاب الصوفية وهو على رأسهم أعلم بالله وأعرف بشرائعه المتضمنة محابه ومساخطه من الأنبياء .

أليس هذا هو الكفـــر ياعباد الله ؟

١١ ـ مقام النبوة فى برزخ   فوق الرسول ودون الولى

معنى هذا البيت الصوفى ـ خربه الله ـ أن الولى أفضل من النبى ومن يعتقد هذا كيف لا يكفر ؟

١٢ ـ أنا سيد الأولياء كما أن النبى سيد الأنبياء ، ولا يشرب ولى ولا يسقى الا من بحرنا من نشأة العالم الى النفخ فى الصور ، واذا جمع الله تعالى خلقه فى الموقف ينادى مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من فى الموقف يا أهل المحشر هذا امامكم الذى كان مددكم منـــه .

أحمد التجـــانى

أناشدك الله تعالى أيها القارىء أن تقول ما اذا كان هذا الكلام كذبا على الله ورسوله وعلى المؤمنين . ولا أخالك الا قائـــلا :

اللهم ان هذا كذب بحت عليك وعلى رسولك وعلى المؤمنين ، ان هذه الـدعـوى أخى المسلم لم يدعهـا نبى ولا رسـول ، فكيف يدعيها أحمد التجانى وتقبل منه يا للعجب ؟ !

١٣ ـ قد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنى أنا القطب المكتوم منه الى مشافهة يقظة لا منامــــــا .

التجانــــى

وقد سئل عن معنى المكتوم فقال : هو الذى كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين الا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فانه علم به وبحاله ، وهو الذى حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الالهية واحتوى على جميعهـــــا .

فانظر كيف ادعى التجانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أخبره يقظة لا مناما ، ومشافهة لا بواسطة ، بأنه القطب المكتوم ، اللهم ان هذا كذب على رسول الله وعلى عبادك ، فالعن اللهم من كذب عليك وعلى رسولك وعلى عبادك المؤمنين .

١٤ ـ ان الفيوض التى تفيض من ذات سيد الـوجود تتلقاها ذوات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النفخ فى الصور وخصصت بعلوم بينى وبينه منه مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل بلا واسطة .

وقوله ـ لا رضى الله عنه ـ وهو يشير بأصبعه السبابة والوسطى روحى وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا ، روحه تمد الرسل والأنبياء ، وروحى تمد الأقطاب والأولياء من الأزل الى الأبد .

التجـــانى

انـظر أخى المسلم كيف عد التجانى نفسه ربا أزليا روحه تمد أرواح الأقطاب والأوليـاء من الأزل الى الأبـــد .

١٥ ـ لا يبلغ الرجل منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوى الى منازل الكلاب .

الشعرانـــى

والسؤال هل فعل هذا أبو بكر الصديق حتى أصبح صديقا ؟ هل فعل هذا عمر بن الخطاب ، هل فعل هذا مالك بن أنس ؟

اللهم لا لا كيف اذا يدعى الشعرانى هذه الحقيقة ؟

اعلم أخى أن عامة أئمة التصوف فى ضلال وسعر ، انه لا يستغرب من الشعـرانى هذا الادعـاء البـاطـل والضلال المحموم . وهو صاحب طبقات الأوليـــاء .

واليك طائفة من أولياء الشعرانى فى طبقات أوليائه :

١ ـ محمد الحضرى : الذى صعد المنبر يوم الجمعة فخطب فقال : أشهد أن لا اله لكم الا ابليس عليه الصلاة والسلام ثم نزل فسل السيف فهـرب جميع المسلمـين من المسجد ، وزعم الشعرانى أن هذا الولى قد خطب الجمعة يومئذ فى ثلاثين مسجدا من مساجد القطر المصرى [١] .

٢ ـ الرجل الذى يسكن فى ماخور المومسات (بيت الدعارة) يشفع لكل من يأتيهن ـ عند الله ـ ويمسكه الى أن يكاشف بقبول شفاعته فيه ومغفرة الله له .

٣ ـ أبو خوزة : كان رضى الله عنه كما يقول الشعرانى اذا رأى امرأة

(١) هذا بناء على أن الولى عند القوم يتمثل بالصور الكثيرة والأمكنة المختلفة كالشياطين والملائكة .

أو شابا أمرد راوده عن نفسه وحسس على مقعدته وسواء كان أميرا أو وزيرا ولو كان بحضرة والده .

٤ ـ على وحيش : كان كما يقول الشعرانى اذا رأى شيخ بلد أو غيره نزله من على الحمارة ويقول له أمسك رأسها حتى أفعل فيها فان أبى شيخ البلد تسمر فى الأرض لا يستطيع أن يمشى خطوة .

أخى المسلم وقانى الله واياك شر هذه الفتن أرأيت كيف يفقد الهوى أصحاب العقول ويذهب بأبصارهم وبصائرهم ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ روى عنه : « حبك الشىء يعمى ويصم » [1] .

فانظر كيف تجرد هؤلاء بأهدافهم من عقولهم ، وغضوا عن رؤية الحق أبصارهم ، فعميت بصائرهم فأصبحوا يرون أفسق الخلق ، وأكفرهم ، وشرهم وأفسدهم أولياء لله تعالى اذا ذكروهم ترضوا عنهم أو ترحموا عليهم كأنهم أصحاب الرسول أو تابعوهم .

هذا ولنختم هذه العجائب بأعجب منها وهى لامام التجانية ومددهم كما يدعون ويزعمون .

الأولى : أن القطب المكتوم « التجانى » هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء فكل ولى لله تعالى من كبر شأنه ومن صغر لا يتلقى فيضا من حضرة نبى الا بواسطته رضى الله عنه من حيث لا يشعر به

انظر كيف ادعى التجانى أنه هو القطب المكتوم أو ادعى له بذلك وأنه الواسطة بين سائر الأنبياء ، فكل الأولياء من آدم الى قيام الساعة يتلقون من فيضه ، ولازم هذا أنه أزلى أبدى وهذا من أفظع الكذب ، وأسوأ الافتراء ، هذه الأولى والثانية أفظع .

الثانية : أن الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود رضى الله عنه تتلقاها ذات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النفخ فى الصور ،

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

وخصصت بعلوم بينى وبينه (١) منه مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل بلا واسطة وأنا سيد الأولياء كما أنه سيد الأنبيـــاء .

أليست هذه أفظع ؟ ! و الثالثة أشد فظاعـــة .

الثالثة : قال وهو يشير بأصبعيه السبابة والوسطى : روحى وروحه صلى الله عليه وسلم ، هكـذا ، روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء ، وروحى تمد الأقطاب والاولياء من الازل الى الأبــد .

انظر أيها المسلم البصير كيف جعل الرجل نفسه ربا أزليا ، روحه تمد الأقطاب والأولياء من الازل ، اذ هو قديم الوجود ، الى الأبد اذ هو دائم الوجود ، أليس هذا هو الكفر والكذب معا ؟؟

الرابعـة : من ترك وردا من أوراد المشائخ لأجل الدخول فى طريقتنا هذه المحمدية التى شرفها الله تعالى على جميع الطرق آمنه الله فى الدنيا والآخرة فلا يخاف من شىء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخ أيا كان من الأحياء أو الأموات ، وأما من دخل زمرتنا « طريقتنا » وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى ولا يفلح أبدا . فانظر أخى المسلم كيف كذب الشيخ واحتكر وادعى ما ليس له ، ولا ندرى ما السبب الحامل له على هذه الدعاوى والأكاذيب ، ان أمره والله لعجيب .

والخامسة : قال أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما ، قال لى أنت من الآمنين ، وكل من رآك من الآمنين ان مات على الايمان ، وكـل من أحسن اليك بخـدمـة أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب (٢) .

ان هذه الدعوى أخى المسلم لم يدعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها : اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا .

وقال للرجل الذى قال : ادع الله تعالى أن يجعلنى منهم « سبقك بها عكاشة » وهو طلب أن يكون ممن يدخلون الجنة بغير حساب ، والتجانى

(١) يريد بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) كل هذه البوائق التجانية جاءت فى كتاب الجواهر الجزء الأول ص ٩٧ وما بعدها .

يقول له كل من خدمك أو أطعمك يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب . أليس هذا هو الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرسول يقول « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » (١)

والأخيرة : قال : ان صلاة الفاتح لم تكن من تأليف البكرى (٢) ولكنه توجه الى الله تعالى مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات ؟ وسر جميع الصلوات ، وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة فى صحيفة من النور . ثم قال الشيخ فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والانس والملائكة .

وقال : وقد كان أخبرنى صلى الله عليه وسلم عن ثواب الاسم الأعظم - فقلت : انها أكثر منها ، فقال صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم منها ، ولا تقوم له عبادة . . . الخ .

فانظر كذبه وافتراءه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته . اللهم العن من كذب على رسولك والمؤمنين تغريرا بهم وتضليلا .

---

(١) رواه البخارى وغيره .
(٢) الجواهر .

الاســـلام نعم البديــــل

اذا كنا قد هدمنا أركان التصوف ونقضنا أحواله وقطعنا فروعه لأنه نحلة مفـتراة . وبضـاعـة مزجاة بلى بها المسلمين مروجوها وخدع بها المؤمنين واضعوها فانا نضع بين يدى طلاب السعادة والكمال فى الحال والمآل خير بديل يحقق لهم صفـاء الـروح وسلامة القلب وتهذيب الأخلاق وتطييب المشاعر وارهاف الاحساس ، ألا وهو الاسلام طريق السعادة وسلم الكمال .

الاسلام الذى أمر الله تعالى نبيه نوحا عيه السلام أن يكون من أهله اذ قال : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (١) .

والـذى دعا ابراهيم ربه أن يجعله وولده اسماعيل يدينان الله به ومن ذريتهما أمة تدين لله به كذلك فقالا فى دعائهما : « **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** » (٢) .

الاسـلام الـذى وصى به ابراهيم بنيه ويعقوب فقال « **يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون** » (٣) .

الاسلام الذى سأل يوسف الصديق والكريم ابن الكريم ربه أن يتوفاه عليه اذ قال فى ابتهاله ودعائه : « **فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين** » (٤) .

الاسلام الذى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن نفسه أنه أول أهله وأنه أمر أن يكون منه فى قوله : « **وأنا أول المسلمين** » ، « **وأمرت أن أكون من المسلمين** » .

الاسلام الذى أخبر الرب تعالى أنه هو الدين الحق عنده ، وأنه لا يقبل دينا سواه وذلك فى قوله تعالى : « **ان الدين عند الله الاسلام** » وقوله « ومن

(١) سورة يونس . (٣) سورة البقرة .
(٢) سورة البقرة . (٤) سورة فاطر .

يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاســــرين ».

الاسلام الذى رضيه تعالى لأمة نبيه دينا فى قوله تعالى : **« ورضيت لكم الاسلام دينـــــا ».**

حقيقـــــة الاسلام

ذلـك هو الاسـلام البـديل عن التصـوف المبتـدع المضلل به وهـذه حقيقته ، ان للاسلام حقيقة واحدة لاتتعدد ، وهى ايمان العبد بالله تعالى ربا والها واسلام قلبه وجوارحه له مع مجاهدة وصبر فى مراقبة وافتقـــار .

تلك حقيقة الاسلام ، وهذا بيانهـا :

(أ) الايمان بالله ربـــا :

ان الايمان بالله ربا معناه : تصديق العبد بوجود الرب تعالى وتصديقه تعالى فى كل ما أخبر به عن نفسه ، وخلقه وقضائه وشرعه ، وأنه خالق كل شىء ومـالكـه ، قدير على كل شىء ، عليم بكـل شىء ، ذو الأسماء الحسنى ، والصفات العلا

(ب) الايمان بالله الها :

ان الايمان بالله الها ، معناه : أن الله تعالى هو المعبود الحق ، وأنه اله الأولين والآخرين فلا معبود لهم سواه ، خلق الانس والجن لعبادته ، من أطاعه منهم أكرمه فى دار كرامته [١] ومن عصاه أهانه وأشقاه فى دار المهانة .

(ج) اسلام القلب للرب :

ان اسلام القلب للرب تبارك وتعالى معناه أن القلب المسلم لله عز وجل لا يتقلب الا فى طلب مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فلا يخشى ولا يرهب

---

(١) دار الكرامة الجنة ودار المهانة النار .

غير الله ، ولا يطمع ولا يرغب فى غير الله ، يحب بحبه ، ويبغض ببغضه يوالى فيه ويعادى فيه ، ولا يرى منة لأحد غيره .

(د) اسلام الجوارح للرب عز وجل (١) :

ان اسلام الجوارح للرب تعالى معناه : اخضاع الجوارح السبعة التى هى السمع ، والبصر ، واللسان ، واليدان ، والرجلان ، والبطن ، والفرج .

فالسمع لا يسمع الا ما أذن الله تعالى فى سماعه ، وكان فى مرضاته ، واللسان لاينطق به الاذاكرا لآلائه شاكرا لنعمائه أو داعيا اليه تعالى أو معرفا به ، أو محدثا بجلاله مخبرا بكماله ، وآمرا بمعروف أمر به ، أو ناهيا عن منكر نهى عنه .

واليدان لا يبطش بهما أحدا ، ولا يبسطهما معطيا الا بعد الأمر والاذن ، والا فهما مقبوضتان مسلمتان لله .

والرجلان لا تمشيان خطوة فما فوقها الا باذن أو فى مراد الله مشى ولا سعى الا فى الله وباذن الله .

والبطن شهوته مقصورة على المباح من الطعام والشراب . فيأكل المسلم ويشرب مما أذن فيه الله وفى غير ترف ولا مخيلة ولا سرف (٢) .

والفرج وهو أخطر الجوارح وشرها محفوظ بحفظ الله ومقصور على ما أذن فيه الله من زوجة ابتغاء الانجاب والاحصان ، أو سرية رحمة بها أو دعت الضرورة اليها (٣) .

---

(١) سميت الجوارح جوارح لأن الإنسان يجترح بها أى يكسب الخير ويكتسب الشر .

(٢) الخيلاء والفخر .

(٣) السرية : الأمة يطؤها سيدها .

(هـ) المجاهـدة :

ان الجهـاد من الاسـلام ذروة سنامه ، اذ به تحمى بيضة الاسلام ، وتنشر راية عدله ورحمته بين الأنام ، والمجاهدة من الجهاد وهى قوام اسلام المرء وعماده بها يحسن اسلام العبد ويبلغ كماله .
وحقيقة المجاهدة أنها مقاومة ملل النفس وميلها بما يجعلها دائما تعمل فى نشـاط مع استقـامتهـا على المنهج الاسلامى الدائر بين الأفعال والتروك الظاهرة والباطنة ، والقائم على التجرد لله تعالى فيه والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم عليه .

(و) الصبـــــــر :

ان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فكما لاحياة لجسد بلا رأس فانـه لا اسلام بلا صبر ، ان الصبر ضد الضجر ، وما بعد الضجر الا الترك ، فاذا ضجر العبد من تحمل أعباء الاسلام ترك ، واذا ترك هلك .
ان العدو غادر وماكر والحمل ثقيل ، والعقبة كؤود والشقة بعيدة ، فكان لابد للسائر من صبر وللسالك من تحمل ، من البداية حتى النهاية ، والا كان الانقطاع وعقبه الخسران ، والعياذ بالرحمن منهما معـا .

(ز) المراقبـــة :

ان المـراقبة معناها مراقبة العبد ربه تعالى حال سيره اليه ، على درب الاسلام حتى الوصول الى دار السلام حيث الجوار الكريم ، والنعيم المقيـــــم .
وللمراقبة مرتبتان : عليا ، ودنيا ، فالعليا أن يكون العبد أثناء سيره الى الله تعالى بالذكر والشكر على حال كأنه يرى الله تعالى ويشهده ، وبذلك

يعظم خوفه منه ، ويقوى رجاؤه فيه ، ويكبر أنسه به . والمرتبة الدنيا أن يكون السائر أثناء سيره الى الله عز وجل بالفعل والترك على حال هو موقن فيها بأن الله تعالى مراقب سيره ، شاهد عمله فيه ، لا يخفى عليه شيء من ظاهر أمره ولا باطنه ، وثمرة المراقبة احسان السير واستمراره على درب الاسلام فى أمن وسلام حتى دخول دار السـلام .

والمـراقبـة بمرتبتيها علياها ودنياها اذا قومت تقويم عدل وانصاف ، وجـدت أنها ملاك الأمر كله وعليها مدار الفلاح كله ، اذ قبول العمل متوقف على حسنه وجودته وكماله ، وما سيرنا الى الله تعالى الا أعمالنا الظاهرة والباطنة التى كلفنا بها وانتدبنا لها فان أديناها محسنين فيها قبلها منا وأثابنا عليها فأنزلنا دار كرامته ، وأنعم علينا برضوانه والنظر الى وجهه الكريم وذاك غاية الفوز العظيم ، وان أسأنا فيها ردت علينا فحرمنا ثوابها وانقلبنا خاسرين . ومن هنا كان الاحسان ثلث الاسلام كما جاء فى حديث جبريل الأمين [1] « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وما الاحسان الا المراقبة بمرتبتيها فليأخذ المسلم نفسه بها ، ويجاهدها فيها حتى تكون حاله الغالبة وبذلك يأمن العثار فى سيره ، والانقطاع فى طريقـه

(ح) الافتقـار :

الافتقـار لازم العبد ، اذ لا غنى له عن الله بحال وانما المطلوب من الافتقار اقرار العبد به واعترافه بواقعه واظهاره لله تعالى ، واطراحه بين يدى الله تعـالى لا يملك لنفسـه حولا ولا طولا ، فينشـأ عنه التوكل الكامل والتفويض التام لله تعالى ، وفى كل شأن من شئون العبد وأحواله وأموره ، فيصدق بذلك اللجأ الى الله تعالى والفرار اليه دون سائر خلقه ، وبذلك تكمل انابة العبد الى ربه ، وتعظم رغبته فيه ، ورهبته منه ، وينجم للعبد عن هذه الحال حال أكمل وهى حال الاضطرار الدائم الى الله تعالى فى

(١) اذ فيه سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والاحسان فكان الإحسان ثلث الدين الإسلامى .

اصلاح شأنه وتزكية نفسه ، ووقايته من الآفات ، وحفظه من المعوقات حتى يبلغ الكمال فى اسلامه الظاهر والباطن لله تعالى ، وبذلك يتأهل للفيوضات الالهية فيحبه الله ويحببه الى صالحى عباده ، أو يخلع حلة رضاه ويكون بمنزلة القرب التى هى أسمى المنازل وأشرفها اذا سأل صاحبها أعطى ، واذا دعا أجيب ، واذا استعاذ أعيذ ، واذا استنصر نصر ، واذا قبضه مولاه أدناه وأنزله منازل الابرار وخلع عليه حلل رضاه ورضوانه وتلك الحسنى وهذه الزيـــــادة .

وبعـد : فاعلم أخى المسلم أن الاسـلام البديل عن بدعة التصوف وضلال المتصوفين لا يتم للعبد الا بالعلم والمعرفة ، العلم بالله والمعرفة بمحابه ومساخطه ومصدر هذا العلم وهذه المعرفة هو الكتاب والسنة ، وهما لا ينالان الا بالدرس والطلب الجاد ، والحفظ والفهم ، ولابد لذلك من مشائخ علم متضلعين فى علم الكتاب والسنة ، عليهم أنوار العلم وعليهم سيماء الايمان وفيهم بركة التقوى ، فاطلبهم وارسل اليهم ولازمهم حتى تتعلم ما لابد منه لسيرك الى ربك ، ولا تطمعن فى الوصول بدون أن تبـذل هذا النـول [١] ، والا فأنت مفتـون مغرور ، وأعيذك ونفسى من الافتتان والغرور ، وأحذرك أن تصدق أن ولاية الله يحظى بها من لا يعرف الله تعالى ، ولا يعرف محابه ومكارهه من الاعتقادات والأقوال والأعمال ، فهيهات هيهات أن يطأ عبد بساط القدس وسواء كان من الجن أو الإنس ما لم تزك نفسـه وتطهر روحه ، وتفضل أخلاقه ، وذلك بواسطة الايمان والعمل الصالح وفق ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد اجتناب الشرك ومعصية الله ورسول الله .

---

(١) النول : ما يعطى من أجر السفينة للاركاب .

الأوراد النبويـــة

البديل عن

الأوراد الصوفيـة

ماهى الأوراد ؟

الأوراد جمع ورد ، وقد تقدم بيان ذلك لغة واصطلاحا أثناء الكلام على أصول التصوف عند الصوفية ، والذى يهمنا هنا أن نرشد المسلم الى بعض الأوراد النبوية لتكون بديلا له عن الأوراد الصوفية المحدثة والتى لا تخلو غالبا مما لايجوز التقرب به الى الله تعالى ، مما لا يزكى النفس ، ولا يهذب الروح والمشاعر ولا يطيبهمـــا .

(أ) مشروعية الأوراد :

ان الأوراد التعبـدية مشروعة بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقد قال تعـالى : « يا أيهـا الـذين آمنـوا اذكـروا الله ذكـرا كثـيرا وسبحوه بكرة وأصيـــلا » (١) .

وأما السنة فقد قال صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر مثل الحى والميت » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » (٣)

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه مسلـــم .

(ب) تفاضل الأذكـــار :

لا شك أن بعض الأذكار أفضل من بعض بمعنى أنه أكثر أجرا وأعظم مثوبة عند الله تعالى ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الذكر لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » [١] .

وكون بعض الأذكار أعظم أجرا دال على أنها أكبر تزكية للنفس وتطهيرا للروح وتطييبا للمشاعر ، اذ قرب العبد من الرب تعالى هو بحسب زكاة نفس العبد وطيب روحه .

(ج) من أفضل أنواع الذكر سبعة وهى :

١ ـ لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لحديث البخارى : « من قال لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه » .

٢ ـ سبحان الله وبحمده : لحديث صحيح : « من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » .

٣ ـ سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم . لحديث الصحيحين « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » .

٤ ـ سبحـان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر . لحديث مسلم : والترمذى : « لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

---

(١) رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وصححه

(٢) هذا ولا يفوتنا أن ننتبه إلى أن قراءة القرآن من أعظم أنواع الذكر وأن الحرف الواحد يعطى عليه تاليه عشر حسنات ، وأن المسلم لابد له من ورد يومى يتلو فيه على الأقل مائة آية للأحاديث الواردة فى ذلك ومن أوراد الصالحين فى قراءة القرآن أنهم يختمونه فى كل أسبوع مرة .

والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس » وقوله فى رواية احمد وهى صحيحة : « أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » ، وقوله فى رواية مسلم وغيره : « أحب الكلام الى الله تعالى أربع : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت ، وهن من القرآن » .

٥ ـ سبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر الصلوات الخمس . لحديث صحيح ، وتقال مجتمعة هكذا سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة ، ويختم المائة بقوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . أو يقولها مفردة : سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين والله أكبر ثلاثا وثلاثين ، ويختم المائة بقوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

وكذا تقال عند النوم من كل ليلة لحديث على وفاطمة فى السنن ، غير أن التكبير يكون أربعا وثلاثين فتتم المائة تسبيحة بدون ذكر لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

٦ ـ سبحان ربى العظيم وبحمده ثلاثا أو أكثر فى الركوع من كل صلاة فريضة أو نافلة لحديث السنن لما نزلت ، « فسبح باسم ربك العظيم » قال صلى الله عليه وسلم « اجعلوها فى ركوعكم » .

٧ ـ سبحان ربى الأعلى وبحمده ثلاثا أو أكثر فى السجود من كل صلاة لحديث السنن لما نزلت « سبح اسم ربك الأعلى » . . قال « اجعلوها فى سجودكم » .

(د) من أفضل أنواع المحامد :

من أفضل أنواع المحامد الخمسة التالية :

١ ـ يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك . لحديث أحمد وابن ماجه ، وفيه أنها عضلت على الملكين فلم يدريا كيف

يكتبانها لقائلها . . . الحديث (١) .

٢ ـ الحمد لله ، لحديث ابن ماجه فى سننه ، عن أنس بن مالك : « ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله الا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ » .

٣ ـ الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، لحديث الطبرانى واسناده حسن : « أن رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكا يبتدرون كلمتك ـ أيهم يرفعها الى الله تبارك وتعالى » .

٤ ـ الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ، عند القيام من النوم ، لحديث صحيح : « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من نومه قال : الحمد لله . . . الخ » .

٥ ـ اللهم ما أصبح بى من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك . لك الحمد ولك الشكر . لحديث أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح اللهم . . الخ فقد أدى شكر يومه ، ومن قال ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته » .

(هـ) من أفضل أنواع الاستغفار خمسة وهى :

١ ـ سيد الاستغفار لحديث الصحيحين عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا انت ، قال ومن قالها من النهار

(١) عضلت : اشتدت وعظمت واستغلق عنها معناها .

موقنا فمات من يومه قبل ان يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنـة .

٢ ـ استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه لحديث الطبرانى فى الأوسط وأبو داود والترمذى والنسائى عن البراء بن عازب عنه صلى الله عليه وسلم « من قال دبر كل صلاة أستغفر الله وأتوب اليه غفر له وان كان فر من الزحف » (١) .

٣ ـ أستغفر الله ثلاثا دبر كل صلاة لحديث صحيح « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من صلاته قال ثلاثا استغفر الله أستغفر الله أستغفر الله » .

٤ ـ رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم ، لحديث ابن عمر رضى الله عنه فى السنن انه قال : « كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة فى المجلس الواحد » .

٥ ـ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك لحديث الترمذى الحسن الصحيح « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم . . الخ الا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك ، واذا كان المجلس مجلس خير كان ذلك الذكر كالطابع له » .

(و) ومن أفضل أنواع الاستعاذات ثمانية وهى :

١ ـ أعيذك بكلمة الله التامه من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

ويقول اذا عوذ نفسه أعيذ نفسى بكلمة الله التامة . . . الخ .

واذا عوذ غيره قال أعيذك . . . الخ .

---

(١) فى بعض ألفاظ الحديث زيادة وقد ذكرتها فى أول الحديث

لما جاء فى الصحيح « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بها الحسن والحسين رضى الله عنهما ويقول كان أبوكما يعوذ بها اسماعيل واسحق عليهما السلام » [١] .

٢ - بسم الله ، ثلاثا وأعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، سبعا لحديث مسلم : « ان عثمان بن العاص شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا وقل : سبع مرات أعوذ بقوة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

٣ - اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال [٣]

٤ - أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، لحديث أبى داود والترمذى والحاكم وصححه (تقال عند الفزع من النوم وعند بداية النوم وفى كل وقت) .

٥ - أعوذ بوجه الله الكريم وبكلماته التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ، وشر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن .

(رواه مالك فى الموطأ)

٦ - أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء أعظم منه وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ .

(رواه مالك فى الموطأ)

٧ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، تقال عند القراءة وعند

---

(١) المراد من ابيهما إبراهيم عليه السلام .

(٣) رواه أبو داود .

الغضب ، وعند الوسواس - لحديث مسلم وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده »[١]

لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

٨ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه تقال : عند فتتاح صلاة الليل (لما فى السنن والمسند لأحمد) .

(ز) من افضل انواع الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ما يلى :

١ - اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد - رواه البخارى .

٢ - اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد .

(متفق عليه)

٣ - اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد .

(رواه مسلم)

٤ - اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات .

(رواه البخارى ومسلم)

٥ - اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائدالخير ورسول

(١) الضمير فى لو قالها عائد إلى الرجل الغضبان المذكور فى القصة .

الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .

(رواه غير واحد من أصحاب الصحاح والسنن)

(ط) من أفضل الأدعيـــة :

ان من أفضـــل الـدعـاء ما كان جامعـا للخـيرات مفيضـا باذن الله بالبركات . ومن الأدعية الجامعة ما يأتى :

١ ـ اللهم أعنى على ذكـرك وشكـرك وحسن عبـادتـك (يقال بعد الصلوات) رواه النسائى وأبو دواد .

٢ ـ اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى .

اللهم استر عوراتى وآمن روعاتـــى .

اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى [1] يقال فى الصباح والمساء .

٣ ـ اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيهـا معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى لها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر .

٤ ـ اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك .

(يدعى به لقضاء الدين ـ رواه الترمذى وحسنه)

٥ ـ اللهم اهـدنى فيمن هديت ، وعـافنى فيمن عافيت ، وتـولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فانك تقضى ولا يقضى عليك ، وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ، تباركت

---

(١) الترمذى وحسنه .

ربنا وتعاليت .

وصلى الله على النبى (رواه النسائى عن الحسن بن على رضى الله عنهما) .

(يقال فى القنوت)

٦ ـ اللهم بك نصبح وبك نمسى ، وبك نحيا ، وبك نموت ، واليك النشور . وفى المساء يقول واليك المصير . . .

اللهم اجعلنى من أعظم عبادك عندك حظا ونصيبا فى كل خير قسمته فى هذا اليوم أو فى هذه الليلة وفيما بعده من نور تهدى به أو رحمة تنشرها أو رزق تبسطه أو ضر تكشفه أو ذنب تغفره ، أو شدة تدفعها ، أو فتنة تصرفها ، أو معافاة تمن بها برحمتك ، انك على كل شيء قدير .

***

وبعد فتلك ست مجموعات من أفضل أنواع الأذكار ، والمحامد والاستغفار والاستعاذات ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والأدعية النبوية .

فاتخذ ـ أخى المسلم ـ منها وردك اليومى ، والزمه ولا تتركه تكن أن شاء الله تعالى من الذاكرين .. وراع فيه عند أدائه حضور القلب ، والخشوع للرب تعالى تكن ـ ان شاء الله تعالى ـ من الصالحين .

وذلك أمل الآملين وغاية العاملين الصابرين .

اللهم حقق فيك رجاءنا وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين ، وصل اللهم وسلم وبارك على نبيك محمد وآله وصحبه أجمعين .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة
فى جمادى الآخرة من عام ١٤٠٤ هـ .
كان الفراغ من تصحيحها فى المدينة النبوية .
فى شهر رجب الفرد من عام ١٤٠٤ هـ .

فهـــرست

●● الرسالة السابعـة

فصل الخطـاب فى المرأة والحجـاب

المحتـــوى :

« بين يدى الرسالـــة »

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعــد :
أفتتح حديثى فى هذه الرسالة بالسؤالين التاليين :
لماذا أكتب ؟ ولمن أكتب ؟ وأجيب فأقول :
أما لماذا أكتب ـ فان واجب البيان الذى أخذ الله تعالى على العلماء هو الـذى جعلنى أكتب ، قال تعـالى : « **واذا أخـذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتـاب لتبيننـه للنـاس ولا تكتمـونه** » (١) ، وقال عز وجل « **ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئـك يلعنهم الله ويلعنهم الـلاعنـون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** » (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار)(٣)

واما لمن اكتب ـ فانى اكتب للذين يؤمنون بالله تعالى ربا ، وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا ، سواء من كان منهم مؤمنا حقا وصدقا ، او ادعاء ونطقا

---

(١) الاية ٨١ من سورة آل عمـران .
(٢) الآية ١٥٨ من سورة البقـرة .
(٣) رواه أحمد والحاكم وأصحاب السنن الأربعة وهو صحيح الاسناد .

فلولا واجب البيان ووجود مؤمنين ولو حكما ينبغى ان يبين لهم لما كتبت ، وذلك لعدم غناء الكتابة فى موضعى هذا الذى أردت أن أكتب فيه .

ولم يكن هذا عن يأس ، ولا ملال نفس ، وانما عن تجربة قاسية سبقت ، وحال مشابهة مضت ، ولو سئل الاعلام [1] وحقوق المرأة فى الاسلام لأجاب كل منهما وقال : ان قوما سحرتهم الحياة أو أسرتهم الشهوات لن تنفعهم المواعظ وان عظمت ، ولن تهديهم الدلائل وان ظهرت ، فهم الى قضاء الله سائرون ، والى منتهى أمرهم منتهون ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا هم الظالمين .

---

١ ـ الاعلام وحقوق المرأة فى الاسلام للمؤلف مطبوعتان

« حقـــائق لابد من بيانهـــا »

الحقيقة الأولى : (سعادة الانسان فى هذه الحياة رهن عمله بمنهج الله تعالى فيها)

ان سعادة الانسان فى هذه الحياة الدنيا ، وهى أمنه وكرامته ، وتوفر غذائـه وكسائه وطيب مسكنه وسلامة عقله وبدنه ، وكمال خلقه وطهارة روحه ، هذه السعادة المنشودة لكل العقلاء من بنى الناس لا يمكن أن تتم للانســان بحـال إلا على طريق الاسلام الصحيح عقيدة وعبادة ، ايمانا وعملا صالحا ، كما ان سعادته فى الحياة الثانية وهى نجاته من النار ودخوله الجنة مع الأبرار ، لا يمكن أن تتم إلا على الإسلام الصحيح أيضا عقيدة وقولا وعملا .

ان كون سعـادة الانسان متوفقة على إسلامه لربه الاسلام الصحيح الذى يمثله الوحى الالهى فى كتاب الله وهدى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، حقيقـة ثابتـة ثبوت العقليات التى يستحيل دفعها أو رفضها ، واليقينيات التى يذعن العقل لها ويسلم الوجدان بها ، ولذا فإنا لا نطلب البرهنة عليها بأكثر من ايراد شاهد أو شاهدين من وحى الله تعالى عليها ، وذلك بناء على ان حديثنا هذا هو مع المؤمنين دون غيرهم فلذا يكفى صحة هذه الحقيقة واثباتها ايراد الشاهد والشاهدين فقط من الوحى الالهى كتابا كان أو سنة ، وهذا شاهد من وحى الله تعالى فى الكتاب ، قال تعالى : « **فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** [١] » .

فاتباع الهدى هو الاسلام الصحيح عقيدة وقولا وعملا ، ونفى الضلال والشقاء مستلزم لاثبات ضدهما ، وهما الهداية فى الدنيا لكل ما يكمل المرء ويسعده والسعادة فى الآخــــــرة .

هذا ولو أحوج الأمر فى اثبات هذه الحقيقة الى دليل عقلى لكان ايراد الدليل الآتى كافيا فى ذلك :

---

(١) من سورة طه . آية (١٢٣) .

وهو ـ أى الدليل ـ ان السنن الكونية مسلم بها بين كافة العقلاء ، وانها لا تتخلف ولا تتبدل مالم يشأ الله تعالى تخلفها او تبدلها ، لأنه واضعها ، وواضع الشيء قادر على تغييره بلا منازع ، فالنار تحرق ، والماء يغرق ، والحديد يقطع سنن لا تتبدل ، ويوم شاء الله تعالى تخلف نتائجها تخلفت ، إذ النار القى فيها ابراهيم ولم تحرقه ، والماء دخله موسى مع بنى اسرائيل ولم يغرقوا فيه ، وأغرق به فرعون وجنوده أجمعون ، والمدية [1] التى وضع ابراهيم على رقبة اسماعيل الذبيح وامرَّها لم تقطع لأنّ الله تعالى لم يشأ ذلك .

من هذه السنن أن الاسلام الصحيح وضعه الله تعالى للاسعاد البشرى فى كلتا الحياتين ، فلا سعادة للانسان الا به و عليه فى الدنيا والآخرة على حد سواء وهذا دليل عقلى تذعن له العقول السليمة وتسلمه ، قال تعالى فى مثل هذه السنن « **فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا** » [2]

وأخيرا ، هذا واقع الأمم اليوم والشعوب ، وقد بلغت فى الكمال المادى مبلغا لم تحلم به الانسانية قبل ، ولم يخطر على بال احد أن مثله يكون ، فأرونى أمة أو شعبا تحققت له السعادة المنشودة للانسان فى هذه الحياة والتى هى أمنه وكرامته وتوفر غذائه وكسائه ، وطيب مسكنه وسلامة عقله وبدنه ، وكمال خلقه وطهارة روحه وزكاة نفسه .

وما وجد لفرد أو جماعة أو شعب من شيء من هذه السعادة ، إنما كان له ذلك بقدر أخذه من الاسلام عقيدة وقولا وعملا .

الحقيقة الثانية : (عدو المسلمين من أنفسهم) :

ان هذه الحقيقة الثانية قد تبدو غريبة غير أنه بالنظر والتأمل فى قول

---

١ ـ المدية : السكينة ، هكذا روى والذى عليه المحققون أنه لم يكن امرارا للسكين ، وانما كان تهيء فقط وفداه الله تعالى قبل وضع المدية على عنقه فكان من النسخ قبل الفعل .

٢ ـ الآية ٤٣ من سورة فاطر .

الرسول صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم من كتاب الفتن (إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وانى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وان ربى قال : يا محمد انى اذا قضيت قضاء فانه لايرد ، وانى اعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ليستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال : من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا » .

انه بالنظر الصحيح فى هذا الحديث الشريف وبالتأمل البصير فيه تزول الغرابة عن هذه الحقيقة ، وهى أن عدو المسلمين من أنفسهم لا من غيرهم ، وليس معنى هذا أنه لا يكون للمسلمين عدو من غير أنفسهم يريد استذلالهم واستغلالهم والتسلط عليهم والتحكم فيهم أو يريد افناءهم والقضاء عليهم ، اذ الحديث الشريف يثبته ، وانما لايكون الا بعد ان تنحرف أمة الاسلام عن جادة الحق ، وتعيش فى أودية الباطل والضلال فتفسق عن أمر الله وتخرج عن طاعته ، فتختلف وتتقاتل حتى يقتل بعضها بعضا . ويومئذ يسلط الله تعالى عليها عدوا من سوى نفسها فيستبيح بيضتها كالذى تم لها بالفعل فيما مضى وكالذى ينتظرها فيما يستقبل إن لم تعد الى الجادة وتستقم على منهج الله ، كما يريد الله .

ان التدليل على اثبات هذه الحقيقة لفى الواقع الذى عاشته أمة الاسلام ولا يستطيع أحد انكاره ، انه من يوم أن ذبحت خليفتها ، وقاتلت امامها ، وفرقت كلمتها ومزقت دولتها ، وهى تعانى الآلام ، وتتجرع الغصص حتى سلط الله عليها عدوا من سوى نفسها وهو الاستعمار الغربى ، فاستباح بيضتها واستحل حرماتها ، وملك عليها أمرها وبلادها وسامها الخسف .

فقضت فترة طويلة وهى مغلوبـة على أمـرهـا مثخنـة بجـراحـاتها تعسة بوجودها ، محكومة بسلطان عدوها ، وما كان ذلك ليكون لولا الانحراف والفسق . الانحراف فى العقائد والفسق عن الشرائع ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا هم الظالمين .

الحقيقة الثالثة : (لما عادت أمة الاسلام الى الله تعالى عاد الله اليها) :

انـه بعـد مضى فترة من الـزمن طويلة عاشتهـا أمة الاسلام مستذلة مستغلة يتحكم فيها الكفر والكافرون عرفت أن محنتها أتتها من نفسها ، وأن طريق خلاصها من محنتها فى العودة الى ربها ، فصاح العلماء مطالبين بالعودة الى الاسلام الصحيح . واستجابت امة الاسلام فى شتى بلادها وأقبلت على ربها فجاهدت واستشهدت وأخذت تتحرر وتستقل فتكونت مجمـوع من الـدول الاسـلامية وظهـرت على سطح المعمـورة كيانـات اسـلامية . من بينها دولة الملك عبد العزيز ـ غفر الله له ورحمه آمين ـ واخذت تظهر لأمة الاسلام دول هنا وهناك حتى تم تحرير كل بلادها من سلطان عدوهـا ـ باستثنـاء فلسـطين لما لها من واقـع خاص وهو وضع استثنائى لايشبه به ويقاس عليه [١] ، وكان تحرير أمة الاسلام واستقلالها ثمرة طيبة لعودتها الى ربها ، اذ تلك العودة الصادقة هى التى نفخت روح الكفـاح وسهلت البـذل والعطاء ، والجهاد والاستشهاد ، فبذلت الأمة وأعطت وجاهدت واستشهدت حتى استقلت وتحررت .

وهكذا لما عادت أمة الاسلام الى الله تعالى بالايمان وصالح الأعمال عاد اليها فخلصها وحررها ، وصدق الله العظيم القائل : « **عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا** » [٢] .

---

١ ـ الذى أراه فى قضية فلسطين : أنها فتنة امتحن الله تعالى بها العرب ليتوبو اليه ويعودوا الى كتابه وشرعه بعد فسقهم وانحرافهم .

٢ ـ الآية وان كانت فى بنى اسرائيل فانها صالحة للاستشهاد بها ، ان أمة الاسلام أولى بالرحمة ، ومن عاد الى الله بالتوبة عاد إليه بالقبول ، ومن عاد الى المعصية عاد الله اليه بالعقوبة ان شاء وهو على كل شىء قـدير .

الحقيقة الرابعة : (كفر النعم مؤذن بزوالها) :

ان تخلص المسلمين من سلطان المستعمر الكافر ، وتحررهم من حكمه الجائر يعتبر نعمة من أجل النعم وأتمها ، امتن الله بها على الأمة الاسلامية اذ نجاهم من حكم الغرب المستعمر الذى كان يسومهم سوء العذاب ، كما منَّ ذلك على بنى اسرائيل إذ قال : « وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب » وكان المفروض فى المسلمين أن كل دولة تتحرر ، وقد تحرروا تباعا ، واحدة بعد اخرى ـ أن ينشئوا الدولة الاسلامية الموحدة بقيادة (المملكة العربية السعودية بحكم مركزها الدينى) وذلك لأمــرين :

الأول : تقوية لجانب الدولة الاسلامية الوحيدة الموجودة يومئذ .

الثانى : لتحتمى بها وتطبق شريعة الله معها ، ويكون هذا شكرا لله تعالى على نعمة الانعتاق والتحرر من سلطان الكفــر .

غير أن الواقع المر والمؤسف والمؤلم ايضا أن كل دولة تتحرر أخذت تتقوقع على نفسها وتكون لها ذاتا مستقلة عن الدولة الاسلامية الموحدة ، فنجم عن ذلك ضعف هذه الدويلات المستقلة ، وبعدها عن شرع الله تعالى ومع ذلك لم يعاجلهم بالعقوبة بل أمهلهم ، وهذا عائد الى حلمه تعالى وحكمته ، ولكن الاهمال أو الانتظار ليس معناه الترك .

ولـذا فان ساعـة قريبـة تنتظرهم ، فيحيل نعماءهم بأساء وسعادتهم شقاء ، فيسلبهم ما أعطاهم ، لأنهم ما شكروا ، فيوقعهم عز وجل فى أحـد الـدركين ، درك المسخ أو النسخ ، فانه ان سلط عليهم المعسكر الصليبى المتهود مسخهم فلم يبق لهم ذاتا يتميزون بها ، ولا كرامة من خلق أو دين يعتزون بها فيفقدون لغتهم ودينهم بعد أن يفقدوا استقلالهم وحكمهم وهـذا هو المسـخ المبين ، وأن سلط عليهم المعسكر الشيوعى مسخهم مسخا كاملا فحولهم الى مقاطعات تابعة للجمهوريات السوفياتية

فلم يبق لهم ذاتا ولا صورة ولا تاريخا ولا لغة ولا وجودا كما فعل بالجمهوريات الاسلامية السابقة حيث يعبث بها السوفييت ويسخرها كما يشاء .

هذه حقيقة يجب أن تعلم ، وعلى المسلمين إن أرادوا نجاتهم اذا لم يصروا على الانقسام والفرقة والكفر بنعمة الله عليهم أن يعترفوا بها وان يعملوا على تفادى هذا الخطر باجتماعهم على الحق وسيرهم فى منهاجه بتكوين الدولة الاسلامية الواحدة التى يحكمها الشرع ويسوسها نظام الاسلام الحكيم .

الحقيقة الخامسة : (عداء ظالم للدولة الأم) :

ان من المسلم به لدى المراقبين لأحوال الأمة والدول الاسلامية أن الدولة الاسلامية التى أنشئت على أسس اسلامية بحتة وتحكيم نظام الاسلام فى مجالات الحكم والادارة وتنفيذ أحكام الله تعالى فى عباده على الوجه الذى يرضيه ، هى الدولة السعودية التى كونها الملك عبد العزيز آل سعود كما أن من المسلم به أيضا أن هذه الدولة تحقق لها من الأمن والطمأنينة ما لم يتحقق لغيرها من الدول المعاصرة ، فكان الواجب والحال ما ذكر أن تتحد هذه الكيانات الاسلامية مع الدولة الأم فتطبق شريعة الله وتحكم بينهم كتاب الله فى شئون الحياة السياسية أو على أضعف الوجوه اعتبارها قدوة وأسوة والعمل على تنسيق السياسات الداخلية والخارجية مع الدولة الاسلامية الواحدة كما حدث أخيرا فى مجلس التعاون الخليجى .

غير أن الواقع المؤسف أن هذه الشعوب التى تحررت بالايمان والجهاد لتصبح عضوا فى جسم دولة الاسلام يمدها بالقوة والحيوية . رأيناها كلما تحرر منها شعب ولى وجهه شطر الشرق أو الغرب معرضا عن الاسلام ودولته وحكمه ونظامه .

ويا ليت الأمر وقف عند عدم الاتحاد مع الدولة الاسلامية الموحدة بل

تعـداه الى ما هو أسـوء وهـو انتقاد أسلوبها فى حياتها الاسلامية وتأليب الأعداء عليها كانهم يريدون منها أن تسقط تحكيم الشريعة المحمدية فى سياستها الداخلية والخارجية لتسقط كما سقطوا وتهبط إلى حضيض الشر والفساد كما هبطوا ، ويومئذ تفرح روما وتزغرد موسكو ، وأن بكت مكة وتوجعت المدينة ، إذ لم يكن للاسلام فى دنيا الناس الا هذه الدولة التى أوجدها الله تعالى ليقيم بها الحجة على خلقه فى أن القرآن مازال كما نزل صالحا ، تطبيق مافيه من أحكام وسياسات شرعية تكسب الخير وتورث العـزة والكـرامـة ، والسؤال المحير فى هذا الباب . هو هل هذه الارادة الشريرة نابعة من نفوس أصحابها ؟ أو هى مملاة عليهم من قبل معسكرات أعداء الاسلام .

وقد لا نجانب الصواب ان قلنا : انها مزدوجة نابعة من نفوس البعض ومملاة على البعض الآخر ، ولذلك علتان :

الأولى : الحسد ـ وكل ذى نعمة محسود .

الثانية : الخوف على المصالـــح .

فالحسد يحمل البعض على كراهية الدولة الاسلامية ، وعلى انتقاصها لأجل ما تتمتع به من أمن وطمأنينة ومكانة مرموقة بين الأمم ، والخوف على المصالح من قبل أعداء الاسلام الشيوعية والصهيونية والصليبية الحاقدة عليهم على الكيد والمكر والدس والخداع من أجل الابقاء على مصالحهم فى بلاد المسلمين ، اذ قوة الشر الكافرة ما برحت تتوجس خيفة من عاقبة الـدولـة الاسلامية التى دستورها القرآن وعقيدتها التوحيد أن تقتدى بها الشعـوب الاسـلامية فى تحكيم الشريعة ، وفى الانضمام الى الدولة الأم لاحياء الخلافة الاسلامية قوية فى القرن العشرين .

وحسبنـا دليلا على هذه الحقيقـة وثبوتها ما سمعناه ونسمعه من أفواه الكثيرين وما قرأناه ونقرأه من كتب وصحف كثيرة .

وما العداء للاسلام لصرف الانظار عن دولة الاسلام وابعاد المسلمين

عن الاقتداء بها إلا محاولة الحفاظ على مصالحهم المادية ، وهو عداء ظالم لدولة الاسلام التى ما قصرت يوما ما فى نصرة المسلمين ولا تعرضت يوما بسوء للاسلام او المسلمين .

الحقيقة السادسة : (وجوب نصرة الدولة الأم على كل مسلم ومسلمة اليوم) :

هذه آخر الحقائق الست التى لابد من معرفتها وهى أنه يجب على كل مسلم ومسلمة فى دنيا الناس اليوم نصرة قيام الدولة الاسلامية الموحدة بقيادة المملكة السعودية والوقوف الى جنبها ، لأنها دولة الاسلام ، وما للاسلام والمسلمين غيرها ، إذ هى الدولة التى تحكم الشرع الاسلامى ، وتدعو الى تحكيمه وتمثل الاسلام وتدعو اليه عقيدة وعبادة وتحكيما ، فنصرتها لذلك واجبة .

إن من الواجب موالاة دولة تحمى الحرمين ، وتنصر المسلمين وتحكم الاسلام وتدعو إلى تحكيمه ، دولة معاداتها ، والعمل على إفسادها أو اسقاطها ، وانتقاصها والطعن فيها جناية على أمة الاسلام لأنها تمثل قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

ان واجب كل مسلم داخل هذه المملكة الاسلامية أو خارجها أن ينصر هذه الدولة ولا يخذلها ، فان لم يجد ما ينصرها به ، وهو داخلها ، فليكف عن معصية الله تعالى ورسوله فيها فيكون ذلك من نصرته لها وان كان خارجها ولم يجد ما ينصرها به كف لسانه عنها فلم يذكرها بسوء ، فذلك من نصرته لها كل هذا لأنها المملكة الاسلامية المتبقية للاسلام والمسلمين فى عالم تسوده الفتن ، اللهم انصرها بالاسلام ، واجعل لها من لدنك وليا ونصيرا .

المـــــــرأة

من هى المراة ؟

انها أخت الرجل وأمه وبنته وجدته وخالته وعمتـــه .

انها لو لم تكن لما كان [١] الرجل ، .فما أحوج الرجل اليها ، وما أفقره الى مثلها انها أم الأنبياء والمرسلين ، ووالدة العلماء والصالحين انه ما من عظيم من عظماء الـرجـال الا والمـرأة أمه ووالدته وفوق هذا إنها أمة الله تعالى وعابدته ، من أذاها آذانه بالحرب فليحمل سلاحــــــه .

هذه هى المرأة فى علياء كرامتها ، وسماء مجدها وفلك شرفها فمن يقدر على أن ينزلها منها و يجردها من ثوب مجدها ودرع شرفهـــا ؟ .

حقـوق المرأة المسلمة :

* أن حقـوق المـرأة ثابتـة لها ثبـوت رواسى الجبال فمن يقوى على انتزاعها منها أو اهدارهاهـــا ؟

* ان الحياة حق من حقوقها من أراد سلبها حياتها سلبت حياته قبلها .

* ان الـطهـارة بنـوعيهـا الحسية والعضـوية حق من حقـوق المـرأة المسلمة ، فمن أراد تلويثها بدنس الجريمة أو تخبيثها بقذر الاثم فقد ظلمها .

ان الحياء والاحتشام زينة المرأة المسلمة وحق من حقوقها ، فمن أراد سلبها ذلك لتعرو من جمالها وتعطل من زينتها فتصبح صفقة شوهاء ، فقد اعتدى عليها وظلمها .

١ ـ اعنى بالرجل ماعدا ادم عليه السلام من سائر الرجال .

* ان صنع البنين والبنات انماء للحياة وطرد لبقائها الى أجلها المحدود لها حق من حقوق المرأة الخاصة بها ، فمن أراد تعويقها عن صناعتها أو اضعاف انتاجها منها بسفاح أو اجهاض أو جب [١] فقد ظلمهـــــا .

* ان تقرب المرأة المسلمة الى ربها وتزلفها الى مالكها بفعل الصالحات وترك المنكرات طلبا لنجاتها ، والفوز بجوار ربها فى دار الكرامة حق من حقوق المرأة ، فمن أراد صرفها عن ذلك أو منعها منه فقد ظلمهـــــا .

* ان تملك المرأة للمال صامته [٢] وناطقه ، وتصرفها فيه أو انفاقه فى غير اسراف ولا معصية لله حق من حقوقها ، فمن نازعها فيه فقد ظلمهـــا .

* ان انفاق الوالد على ابنته ، والزوج على زوجته ، والولد الراشد على أمه وجدته حق ثابت شرعا وعرفا للأنثى وهى بنت وزوجة وأم وجدة ، فلا تحتاج معه وهى تملكه الى التصعلك ومزاحمة الرجال طلبا للقوت ، فمن أنكر هذا الحق عليها او نقصها اياه فقد ظلمها .

* ان تحلى المرأة لزوجها بشتى انواع الحلى ، وتجملها له بأنواع من التجميل حق من حقوقها الثابتة شرعا لها ، فمن أراد منعها من ذلك فى غير أيام حدادها على زوجها فقد ظلمها .

* ان تعلم المرأة المسلمة لكتاب ربها وسنة نبيها والتفقه فى مسائل دينها ومعرفة أحكام شرع ربها وتعلم ما يساعد على تحقيق ذلك طلبا للنجاة والكمال والسعادة فى الحال والمآل حق من حقوقها ، فمن نازعها فيه أو أراد منعها منه فقد ظلمهـــا .

---

١ - الجب القطع ،
والمراد منع الحمل باستعمال الحبوب الخاصة لذلك او بقطع الرحم واستئصاله منعا للحمل والولادة .

٢ - المراد بالمال الصامت
ما كان ذهبا أو فضة أو عقارا والمراد بالمال الناطق ما كان حيوانا كالغنم والابل والبقر .

* ان خروج المرأة باذن زوجها أو وليها لزيارة أقاربها ، أو للصلاة فى بيت ربها حق من حقوقها المقررة شرعا لها ، فمن نازعها فيه فقد ظلمهـــــا .

* ان طلب المرأة المسلمة العلاج فى مرضها ولو أدى الى عرض نفسها على طبيب رجـل فى صحبـة زوجها أو وليها حق من حقوقها الشخصية المعترف بها شرعا فمن منعها منه فقد ظلمهـــا .

* ان طلب المـرأة المسلمـة الـطلاق وتمكينهـا منه عند اساءة الزوج بتعذيبها أو حرمانها من حقوقها الزوجية حق من حقوق المرأة المسلمة ، فمن أنكره عليها أو حاول حرمانها منه فقد ظلمهـا .

* ان عمل المرأة الفقيرة بترميل أو بيتم أطفالها ولا غنى لها من مال أو أب أو أخ ، عملها بعيدة عن الرجال لتكتسب لنفسها ويتاماها حق من حقوقها ، فمن نازعها فيه فقد ظلمهـــــا .

وبعـد : فهـذه حقـوق المـرأة المسلمـة ، وتلك كرامتها ، فهل ترى الاسـلام منعهـا شيئـا من حقـوقها ، أو أهدر لها جانبا من كرامتها . . اللهم . . لا . . لا .

اذا فما هذه الدعوى الماسونية اليهودية القائمة فى بلاد المسلمين والمطالبة بحقـوق المـرأة ؟ أم هنـاك حقـوق غير ما ذكـرنا ؟ نعم . . أنهم يعنون بحقـــوق المرأة .

المساواة ـ أى مساواتها للرجل ، وفيما ذا ؟ فى الارث وعصمة الزواج والاختلاط والعمل العام ، والوظيفة الخاصة والعامة معا ، ومعنى هذا أنه الكفـر بالله ورسوله وشرعه وهذا الذى تسعى إليه الماسونية اليهودية وهو هدفها الأكبر الذى لم تبرح على تحقيقه مهما طال العمل وشق ، غير أنه كفر لاشرف فيه ولا كرامة ، إذ من الكفر ما فيه شرف وكرامة ، وهذا الكفر لا يريدونه للمسلمين ، اذ غرضهم فى اقامة مملكة إسرئيل فى العالم لايتحقق مع وجود كرامة آدمية وشرف انسانى من عزة وصدق ووفاء ورجولة وعزة

نفس ، وانما يتحقق مع الدياثة والتخنث والاباحية وحكم المرأة وتحكمها فى الرجل ، وما الى ذلك مما يقضى على الشهامة فى الرجل والغيرة والمروءة عنده .

وقولنا فيما يريدون المساواة فيه مع الرجل : انه كفر بالله ورسوله وشرعه هو كما قلنا لان المساواةفى الارث ، وعصمة الزواج والاختلاط والعمل العام والولاية الخاصة لاتتم الا بمحو آيات الارث والنكاح والحجاب من الكتاب الكريم ومحو آيات قرآنية تمثل حظا كبيرا من القرآن كفر باجماع المسلمين .

انهم لايقولون : اكفروا أيها المسلمون ، لانهم يخافون من غضبة المسلمين لو واجهوهم بالأمر بالكفر صراحة ، لأن فى المسلمين بقية خير ، ويوم تهلك هذه البقية لاقدر الله سوف ينفذون مخططهم بالحديد والنار كما فعل عملاؤهم (١) الشيوعيون فى روسيا والصين ، وما ينبغى أن يلفت النظر إليه هو أن دولة الاسلام الأم كما سميناها وهى هذه المملكة الاسلامية حماها الله من لوث اليهودية ووقاها شر الماسونية ، هى الربوة الطاهرة والجبل الأشم التى بقيت صامدة صابرة فى وجه الأطماع الماسونية وعملائها لم ينالوا منها منالا ، ولم يحققوا فيها آمالا على كثرة الجهود المبذولة منذ نشأة هذه الدولة لتوهينها وكسر قرونها وسحبها الى مطرحة الجيف فى العالم ، وهى الدول التى كفرت بالله ، وأعرضت عن ذكره وتنكرت لشرعه وهداه .

والسؤال المطروح الآن هى : هل أيست قوى الشر التى سخرتها الماسونية اليهودية من النيل من دولة الاسلام ، فتركتها ولم تصبح تغرى بها سفهاءها ولا تشلى عليها كلابها ؟

---

١ ـ اقول عملاؤهم لأن الشيوعية فكرة يهودية ماسونية او جدها علماء اليهود ونظراؤهم فى العالم للتعجيل بمسخ الانسانية والقضاء على قيمها من الكرامة والرجولة والخلق والتدين حتى يسهل عليهم امر إعادة مملكة اسرائيل ، وقد نجحوا فى هذا المضمار نجاحا كبيرا ، اذ أوربا العدوة لليهود أصبحت بقرة حلوبا لهم الا فليعلم هذا . .

والجواب الصحيح : انها ما أيست من النيل منها ، ولا من دول العالم الاسلامى التى انسلخت من الاسلام ودارت فى فلك الكفر والكافرين .

وللتدليل على صحة عدم يأس الماسونية من النيل من دولة الاسلام ، وأنها تبذل جهودا كبيرة فى سبيل هدم هذا المعقل الاسلامى المتبقى للاسلام والمسلمين فى دنيا الناس أجمعين ـ أذكر أن الحملة الصحفية المركزة التى تقوم بها الصحف والمستهدفة المرأة السعودية وحجابها وطهارتها لأثر ظاهر من آثار العمل الماسونى الجاد للنيل من دولة القرآن حماها الله .

وان المطالبة بفتح مجالات مشبوهة لنشاطات المرأة . وأن فكرة البنك النسائى ، والنادى الرياضى النسائى ، والصحافة النسائية يتلاقى مع الاستراتيجية الماسونية للهدم والتخريب وان لم يقصد كتابنا ـ هداهم الله ـ ذلك ولم يخطر لهم على بال ، غير أنه من الجائز أن يؤثر السحر الماسونى فى الفرد فيعمل فى الخط الماسونى وهو لايشعر وعلى سبيل المثال : أذكر أن احدى صحفنا انتزعت فتيا من جهة مسئولة بجواز نظر الخطيب الى خطيبته ، فصاغت الصحيفة الفتيا فى قوالب كلامية مثيرة ومهيجة ووالله ما أن قرأت تلك العناوين حتى علمت أن الماسونية ستستفيد منها لأنها تسير فى الخط الماسونى بلا التواء ولا تعريج ، وما راعنى الا وكتاب من بلد عربى يرد علي يحمل العبارات التالية : أحق ما نشرت جريدة كذا . . من أن العدل السعودى والافتاء يجيزان لقاء الخطيب بخطيبته ، فأجبت السائل بأن المسأ لة من باب « حق أريد به باطل » فجواز نظر الخطيب الى من يخطب ليكون أدعى للمودة وأدوم لها أمر مجمع عليه بين المسلمين ، وذلك لاذن الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك غير أن الكاتب ما أراد ما أراده من أفتاه ، الكاتب يريد مطلق لقاء بلا قيد ولا شرط فقد يلقاها منفردة فينظر اليها وقد يصحبها لذلك ويخلو بها أياما أو شهورا ، وهذا لم يرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما المراد لله ورسوله والمؤمنين ان يجلس الخاطب مع ولى المخطوبة وتمر الفتاة المخطوبة بين أيديهما فيرى

منها الخاطب ما هو فى حاجة الى معرفته من قصر وطول ، بياض أو سواد ، سمن أو هزال ، جمال أو دمامة ثم لايراها بعد الا أن يقدر بينهما زواج فيراها عندما يعقد عليها عقدة النكـــاح .

ولما كان هذا الأمـر معلوما بالضرورة جوازه ، علمنا أن السؤال عنه وانتزاع فتيا به لم يكن عن حسن قصد ولا عن صلاح نية ، وانما لغير ذلك وهو البحث عن سبيل تمكن القوم من الاختلاط المريب بحجـة « جواز لقاء الخطيـــب لخطيبته » .

ولذا ، ما أن نشر المقال حتى تجاوب معه هواة السفور ودعاة الاختلاط وفرحوا به ، بل واحتجوا على المسلمين به ، وقالوا : هذه السعودية دولة الاسـلام عدلها وافتـاؤها ، الكل يجيزون لقاء الخطيب بخطيبته ، فلم تمنعونه أنتم أيها المتزمتـــــــون .

وفـذلكـة هذا الحديث أن الماسونية عدوة الاسلام والانسانية لم تكن لتيأس من النيل من دولتنا ولم تكن لتهادننا مهما كان الثمن غاليا ، فلذا فان الـواجب على حماة هذه الـدولة ورجالها الصادقين أن يفتحوا أعينهم وأن يضـاعفـوا جهـودهم ويواصلوا سهـرهم حتى لا يمكنوا دعاة الاختلاط والسفـور من النيل من دولـة القـرآن أى نيل ، والله معهم وناصرهم ، وليعلموا أن المسلمين قد صحوا بعد نومتهم ، وأن الحجاب قد أخذ يعود من جديد لديار الاسلام . فان الطالبات كغيرهن فى بلاد كثيرة كالمغرب والجزائر وتونس ومصر قد أصبحن يرتدين الزى الاسلامى ويظهرن ذلك بفخر واعتزاز ، وعليه فلنصبر على حجاب نسائنا حتى يعود الركب الينا وتسـير قافلة الاسـلام الى المجـد والخلود . . والخيبـة والـويل للماسونية وعملائها فى ديار الإسلام وفى غيرها الى اليوم الوعود

● ● ●

« الحجــــــاب »

بعد تعريفنا بالمرأة وحقوقها ، وما قدمنا من حقائق هامة وما استطردنا من مسائل ذات بال نعود الى القول فى الحجاب فنعرفه أولا ، ثم نذكر مشروعيته ثانيا فنقول :

إن الحجاب معناه حجب المرأة المسلمة من غير القواعد من النساء عن أنظار الرجال غير المحارم لها ومدلول لفظ الحجاب أوسع من هذا المعنى ، إذ يطلق لفظ الحجاب ويراد به الساتر والمانع ، ومنه سمى حاجب العين حاجبا لأنه يمنع العين من أغلب الاصابات ، وسمى حارس السلطان حاجبا لأنه يمنع من الدخول عليه الا باذنه خشية الأذية تصيبه ، وحاجب الشمس هو ما يبدو عند طلوعها أو غروبها من قوس منحن كأنه حاجبَ عين الانسان وبعض العوام يطلقون لفظ الحجاب على الحرز يكتب للمنع من العين أو الجان وهو ادعاء باطل وعمل لايجوز .

مشروعيــــة الحجاب :

انــه لما كانت فاحشة الزنى من أخطر الفواحش وأكثرها ضررا بالهيئة الاجتماعية وأكبرها تلويثا للروح الانسانية وأعظمها افسادا للأعراض والأموال والابدان حرمها الشارع تحريما قاطعا لامجال للشك فيه أو الارتياب ، اذ نصوص تحريمها صريحة واضحة لاتحتمل غير التحريم التام ، قال تعالى : **« ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا »** ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم **« البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم »** (١) ، ولما كانت العقوبة بالموت خطيرة

---

١ ـ هذا بعض حديث رواه مسلم وغيره ونصه

(خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر .. الخ) .

اذ هى من أقسى العقوبات شرع الله تعالى رحمة بعباده المؤمنين عدة وسائل وقائية من شانها أن تحول دون وصول العبد الى فاحشة الزنى ذات الخطر الكبير والعقوبة الاكبر .

ولنذكر هذه الوسائل هنا مجملة ليقف القارىء عليها ، ومنها يعرف الحكمة فى مشروعية الحجاب فلا ينكره بعد ولا يستهجنه بل يحبذه ويعترف بصلاحية مشروعيته ، فيؤمن به ويسلم للشارع فيه ، وهذا هو القصد المتوخى لنا من هذه الرسالة .

ومن تلك الوسائل التى تضمنها سورة واحدة من كتاب الله تعالى وهى سورة النور ، وذكرت فيها متسلسلة الواحدة تلو الواحدة دلالة على خطرها وكبير تأثيرها فى مقاومة فاحشة الزنى والحيلولة دون وقوعها فى المجتمع الاسلامى مجتمع الطهر والصفاء .

١ ـ الحكم بجلد الزانى البكر والزانية مائة جلدة مع تغريب [١] عام قال تعالى « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** » ـ النور .

٢ ـ المنع من نكاح الزانية قبل توبتها ، وكذا انكاح الزانى قبل توبته اخذا بالحيطة اذ من اعتاد الفاحشة لا يأمن ان يعاودها ، قال تعالى « **الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين** » ـ النور .

٣ ـ مشروعية حد القذف وهو رمى الفرد المسلم بكلمة الفاحشة واتهامه بها قال تعالى « **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون** » وعليه فمن قذف امرأة مؤمنة عفيفة أو مؤمنا عفيفا بكلمة

---

١ ـ التغريب مشروع بالوحى الثانى وهو السنه .

الفاحشة وجب عليه أن يحضر أربعة شهود على صحة ما قاله أو يجلد حدا على ظهره ثمانين جلدة مع اسقاط عدالته حتى يتوب توبة نصوحا .

٤ ـ مشروعية اللعان ـ وهو أن يرمى الرجل امراته بالفاحشة ولم يكن له شهود يشهدون على صحة دعواه فان عليه ان يلاعنها أمام القضاء ابراء لساحته من التلوث وعليها أن ترد لعانه تطهيرا مما لاثها من الرمى بالفاحشة ، قال تعالى « **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة احدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة ان لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ، ويدرؤ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين** » النور ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ .

٥ ـ وجوب حسن الظن بالمؤمن فمن حدثه أن فلانا أو فلانة فعل كذا وجب عليه أن يرد عليه قائلا هل تستطيع أن تأتى باربعة شهداء ؟ اذا فهذا إفك مبين ، قال تعالى : « **لو لا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا : هذا إفك مبين ، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء** (١) » .

وعلة هذا وما سبقه هو مطاردة الفاحشة من الألسنة حتى لا تتسرب الى القلوب فتعمل فيها حتى تسيطر عليها وعندئذ تمثلها الجوارح فى حيز الوجود والعياذ بالله تعالى .

٦ ـ تحريم مجرد الرغبة فى ظهور الفاحشة بين المؤمنين ، وهذا مطاردة للفاحشة من القلوب حتى لاتنتقل الى الجوارح قولا أو عملا ـ والعياذ بالله تعالى ـ قال تعالى : « **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » .

---

(١) هذا وأن نزل فى براءة أم المؤمنين من الإفك فإنه أدب عام لسائر المسلمين وشرع لا يختص بواحد دون آخر ، إذ العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب .

٧ - تحريم اتباع خطوات الشيطان فى طريق الفاحشة ، وذلك بعدم الاصغاء الى ما يلقى الشيطان فى النفس من تزيين الفاحشة والتفكير فيها ، والسير فى سبيل الوصول اليها بالقول أو الفعل ، قال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر** » .

٨ - وجوب الاستئذان عند ارادة دخول بيوت المؤمنين كيلا تقع عين المؤمن على امرأة غافلة فى البيت فيسبب ذلك فتنة قد تؤدى الى الهلاك التام ، قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا** (١) **وتسلموا على أهلها ، ذلك خير لكم لعلكم تذكرون** » .

٩ - وجوب غض بصر الرجل عن النظر الى المرأة الأجنبية عنه ، وغض بصر المرأة عن النظر الى الرجل الأجنبى عنها ، لأن النظر بريد الزنى - والعياذ بالله تعالى - قال تعالى : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** » ، **وقال** : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** . . » **الآيات** .

١٠ - تحريم ابداء المرأة زينتها لغير محارمها من زوج أو أب وولد ومن اليهم من المحارم ، قال تعالى : « **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن** . . » الآيات .

١١ - منع المؤمنة من احداث صوت بحليها يسمعه الرجل خشية أن يسبب لهم « حديث نفس فينتقل إلى فكرة قد يطلب تحقيقها فى الواقع والعياذ بالله » ، قال عز وجل : « **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** » .

١٢ - وجوب تعاون المسلمين على تزويج عزابهم من نساء ورجال حتى

---

(١) الاستئناس : هو الاستئذان .

لايبقى فى القرية أو الحى عازب تخشى فتنته ، قال تعالى : « **وانكحوا الأيامى منكم** » والأيامى : جمع أيم ، وهو من ليس متزوجا من ذكر أو أنثى فالرجل أيم والمرأة أيم اذا لم يكن لهما زوج .

وبعـد : فهذه اثنتا عشرة وسيلة شرعها الله تعالى وأمر عباده المؤمنين باستعمالها طاعة له عز وجل والمراد منها : منع وقوع فاحشة الزنا بين المؤمنين والمؤمنات ابقاء على طهر مجتمعاتهم وصفاء أرواحهم ، وما الحجاب الا وسيلة اخرى من جملة الوسائل المتعددة شرعه الله تعالى للوقاية من وقوع الفاحشة ، ولما شرعه تعالى أصبح حكما شرعيا يجب على المؤمن والمؤمنة معا احترامه وتنفيذه طاعة لله تعالى .

غير أن وسيلة الحجاب تعتبر من أنفع الوسائل وأقواها فى منع الفاحشة بحيث لو لم يأمر الله تعالى بها لكان العقل يأمر بها ويوجبها ، وذلك لأن غض البصر واجب والزنى حرام والمؤمن مأمور بأداء الواجب وهو غض بصره والامتناع عن الحرام وهو حفظ فرجه عن الزنى ، فعلى المؤمن إذاً أن يبحث عن وسيلة تمكنه من طاعة ربه تعالى فى امتثال امره واجتناب نهيـــه .

وما هو بواجد وسيلة اجدى ولا أنفع من الحجاب بعد العمل على ابعاد المرأة من ساحة الرجال ، والرجل من ساحة النساء ، وان اضطرت المرأة لان تمر بسـاحة الرجال مرة فى اليوم أو الاسبوع أو الشهر خمرت وجهها. ومرت فى طريقها آمنة من الفتنة مأمونا منها ، وذلك بفضل الحجاب أما أن يؤذن بالاختـلاط وكشف وجوه النساء ومحاسنهن ، ثم يؤمر العبد بغض بصره وحفظ فرجه فهذا تكليف بما لايطاق ، وهو ما خلت منه شرائع الله تعـالى . ولـذا فالاختـلاط بوجـود النساء مع الرجال فى الأماكن العامة والخاصة وبدون ستر الوجوه والمحاسن من النساء لم يكن من شرع الله تعالى أبدا وانما هو من شرع الشيطان عليه لعائن الرحمن نعم قد يقع الاختلاط بقلة فى أحـوال خاصـة فيمكن معـه غض البصر من المؤمن والمؤمنـة اذ

الاختـلاط النـادر يسهـل على المرأة معه أن تخمر وجهها وتغض بصرها بخلاف الاختلاط الدائم أو المتكاثر ، فان التستر معه كغض البصر مما يتعذر ، ولا يمكن وقوعه ، عرف هذه الحقيقة سلف هذه الأمة وصدرها الصالح ، فحالوا دون اختلاط النساء بالرجال ففى المساجد خص النساء بأواخرها وفى البيوت جعل للرجال مجالس وللنساء مجالس اخرى ، وكان أصحـاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم يأذنون لنسائهم بالخروج الى المسـاجـد بالليل فيشهـدن صلاتى العشاء والصبح دون صلوات النهار كالظهر والعصر والمغرب غالبا ، ففى الموطأ عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم ليصـلى الصبـح فينصرف النسـاء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس » وكل هذا منهم تطبيقا لحكم الحجاب وطلبا لغض أبصارهم وحفظ فروجهم حيث أمروا بذلك وشدد عليهم فيــه .

● ● ●

وجـــوب الحجـــــاب

علـــى

المرأة المسلمة

مما سبق عرفنا مشروعية الحجاب وأنه وسيلة من أنفع الوسائل فى غض البصر وحفظ الفرج ، والآن نريد أن نقول ان الحجاب وان كان مشروعا فى جملة وسائل من جملتها الحيلولة دون تلوث المجتمع الاسلامى بالفواحش فانه واجب على المرأة المسلمة وجوبا عينيا لا يسعها تركها بحال مادامت لم تقعد عن الحيض والحمل والنكاح ، وهذه أدلة هذا الوجوب صريحة واضحة لاتقبل الرد والتأويل :

قوله تعالى « **يأ يها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم ، والله لا يستحى من الحق ، واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** » من سورة الأحزاب .

فهذه الآية الكريمة تعرف باية الحجاب اذ هى أول آية نزلت فى شأنه وعلى أثرها حجب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وحجب المؤمنون نساءهم وهى نص فى فرض الحجاب اذ قوله تعالى « **واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب** » قطعى الدلالة فى ذلك ، ومن عجيب القول أن يقال ان هذه الآية نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم فهى خاصة بهن دون باقى نساء المؤمنين ، اذ لو كان الأمر كما قيل لما حجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم ولما كان لاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للخاطب أن ينظر لمن يخطبها معنى أبدا .

وفوق ذلك أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم جعلهن الله تعالى أمهات المؤمنين ، اذ قال الله تعالى : « وأزواجه أمهاتهم » [1] فنكاحهن محرم على التأبيد كنكاح الأمهات ، فأى معنى اذا لحجبهن وحجابهن اذا كان الحكم مقصورا عليهن ، ومن هنا كان الحكم عاما يشمل كل مؤمنة الى يوم القيامة ، وكان من باب قياس الأولى ، فتحريم الله تعالى التأفيف للوالدين يدل على تحريم ضربهما من باب أولى ، وهذا الذى دلت عليه نصوص الشريعة وعمل به المسلمون .

ب ـ قوله تعالى : « **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى . وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله** » من سورة الأحزاب .

فى هذه الآية الكريمة دلالات كبرى كلها تؤكد حكم الحجاب وتقرره وهى كالتالى :

١ ـ منع المؤمنة من ترقيق قولها وتليينه اذا تكلمت مع أجنبى عنها ليس محرما لها .

٢ ـ تقدير وجود مرض الشهوة فى قلوب بعض المؤمنين وهو علة نهى المرأة عن ترقيق قولها اذا قالت .

٣ ـ وجوب تحديد العبارة والتكلم على قدر الحاجة بحيث لاتزيد المرأة اذا تكلمت مع أجنبى فى كلامها ماليس بضرورى للافهام ، فلا يجوز منها اطناب ولا استطراد بل يجب أن تكون كلماتها على قدر حاجتها فى خطابها ..

٤ ـ لزوم المرأة المسلمة بيتها وهو مقر عملها الطبيعى فلا تخرج الا لحاجة ماسة اذ البيت هو محل تربية أولادها وخدمة زوجها وعبادة ربها بالصلاة والزكاة وذكر الله وما والاه .

٥ ـ تحريم التبرج وهو خروج المرأة المسلمة من بيتها كاشفة من وجهها

---

١ ـ من سورة الأحزاب وأولها « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه .

مظهرة لمحاسنها غير خجلة ولا محتشمة حييـــة .

ان هذه الـدلالات الخمس من هذه الآية فى خطاب أمهات المؤمنين رضى الله عنهن كل واحدة منها دالة بفحواها على فرضية الحجاب وتحتمه على المرأة المسلمة ، غير أن المبطلين لم يروا ذلك فقالوا فى هذه الآية والتى قبلها : انها نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم وهى خاصة بهن ولا تعلق لها بغيرهن من نساء المؤمنين وبناتهم ، وهو قول مضحك عجيب ، وذلك لأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين اللائى لا يتوقع منهن ارتكاب الفاحشة .

وهاتان الآيتان مثلهما مثل إقسام الله تعالى لرسوله بأنه لو أشرك لحبط عمله وكان من الخاسرين فى آية الزمر مع العلم أن رسول الله معصوم لا يتأتى منه الشرك ولا غيره من الذنوب ، ولكن الكلام (من باب اياك أعنى واسمعى ياجارة) وعليه فاذا كان الرسول على جلالته لو أشرك لحبط عمله وخسر فغيره من باب أولى ، كما أن الحجاب لما فرض على نساء النبى وهن أمهات المؤمنين كان على غيرهن من باب أولى ويبدو أنه لما كان الحجاب مخالفا لما كان عليه العرب فى جاهليتهم ولم يشرع تدريجا وشيئا فشيئا حتى بالقوة اذ لايمكن فيه التدريج ، فلما شرع دفعة واحدة كان أمرا عظيما ، فبدأ الله تعالى فيه بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لايقال وما أكثر من يقول يومئذ ، والمدينة مليئة بالنفاق والمنافقين : انظروا كيف ألزم نساء الناس البيوت والحجاب وترك نساءه وبناته غاديات رائحات ينعمن بالحياة ، الى آخر ما يقول ذوو القلوب المرضى فى كل زمان ومكان ، فلما فرضه على نساء رسوله صلى الله عليه وسلم لم يبق مجال لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ترغب بنفسها عن نساء الرسول صلى الله عليه وسلم فترى السفـور لها ولا تراه لأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وبناته ، وهذا يعرف عند علماء الأصول بالقياس الجلى ، ومن باب أولى كتحريم ضرب الأبوين قياسا على تحريم التأفيف فى قوله تعالى : « ولا تقل لهما أف ولا

تنهرهما وقل لهما قولا كريمـــا ».

جـ ـ قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ». هذه الآية من سورة الأحزاب وهى متأخرة فى التلاوة عن الآيتين قبلهـا أبطلت دعوى الخصوصية فى الحجاب حيث أشركت فى الخطاب نساء المؤمنين باللفظ الصريح وهى تطالب المؤمنات اذا خرجن من بيوتهن لحاجة استدعت ذلك أن يغطين وجوههن ويسترن محاسنهن ، اما التعليل فى الآية فهو يشير الى المجتمع الاسلامى فى تلك الايام وأنه كان مخلخلا مهـزوزا لوجـود أغلبية فيه من المنـافقين والمنافقات والمشركين والمشركات وحكم الرسول ﷺ لم يستقر بعد والأمن لم يستتب بدليل أن المنافقين كان منهم من يتعـرض للجوارى فى الشوارع ويغازلهن لإيقاعهن فى الريبة ، فمن باب الوقاية العاجلة أمر الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول آمرا ازواجه وبناته ونساء المؤمنين به اذا خرجت احداهن لحاجتها أن تغطى رأسها ووجهها لتعرف أنها حرة وليست جارية تخدم البيوت فلا يتعرض لها اولئك المنافقون بالكلام المريب والمغازلة الفاتنة ، والمقصود من الكلام أن هذه الآية مؤكدة لفرضية الحجاب ومقررة له ودعاة السفور يقولون إن هذه الآية لم تأمر بتغطية الوجوه وإنما أمرت بتغطية الراس فقط وهو فهم باطل إذ الجلباب هو ما تضعه المراة على راسها ، فكيف يقال لها أدنى الجلباب من راسك تغطية ؟.

وإنما تدنيه من رأسها لتغطى به وجهها هذا هو المعقول والمفهوم من كلام العرب ثم مجرد تغطية الرأس لا تمنع من المغازلة المخوفة وإنما يمنع منها تغطية الوجه بالمرة ، اما كاشفة الوجه فإن النظر إليها ومنها بسهل المكالمة فالمغازلة كما قال الشاعر الحكيـــــم :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقـــــاء

د ـ قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم

ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون » ـ النــور .

ان فى تقديم الأمر بغض البصر عن النظر الى غير المحارم على الأمر بحفظ الفروج من الفاحشة اشارة واضحة الى أن النظر بريد الزنى فقد لاتقع فاحشة الزنى الا بعد النظر فمن أباح لنفسه أن ينظر الى امراة لاتحل له بشهوة كان قد مهد الطريق للوصول الى الفاحشة معها ، ومن غض بصره خوفا من ربه جعل بينه وبين الزنى خندقا لايمكنه ان يصل معه الى الفاحشة الا بعسر وتكلف شقــــة .

ومن هنـا أمر الله تعالى بغض البصر وحرم النظر لغير ضرورة كما هو صريح لفظ يغضوا من أبصارهــــم .

هـ ـ قوله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن . . » الآية .

ان دلالة هذه الآية على الحجاب قوية اذ تضمنت الأمر بغض البصر وحفظ الفرج فحفظ الفرج لا يتم الا بغض البصر ، وغض البصر لا يتم الا بالحجاب التام ، وتقدم لنا فى هذا الباب أن غض البصر يتأتى لأحد الجنسين وكلاهما مأمور به إذا لم يكن هناك اختلاط ، اما مع الاختلاط فلا يتأتى وليس فى امكان أى مؤمن أو مؤمنة أن يطيع ربه فى هذا الأمر بحال ، ومن هنـا كان مدلـول كلمـة الحجـاب ليس هو أن تغطى المرأة محاسنها فحسب بل مدلـوله الحق هو أن يكون هناك حاجب وحاجز يحول دون اختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء وعندئذ يمكن غض البصر وحفظ الفـرج ، ولمـا كان خروج المـرأة ضروريا لما يطرأ لها من أمـور تستدعى خروجها ، اذن لها فى الخروج ولكن غير مبدية لزينتها بل ساترة لها الا ما لايمكن ستره كعين تبصر بها أو كف تتناول به أو ثياب عليها ، وهذا معنى الاستثناء فى الآية : « الا ما ظهر منها » وبه فسره غير واحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهــــم .

وأما قوله تعالى فى الآية : « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن» وهم الأزواج وآباؤهم والأبناء وأبناء الأزواج والاخوان وأبناؤهم وأبناء الأخوات مضافا اليهم النسـاء المؤمنات وما ملكت أيمانهن من عبد رقيق ، والتابع لأهل البيت من غير ذوى الاربة [1] من الرجال والاطفال الذين لم يظهروا على عورات النسـاء ، فذكر هؤلاء واحدا بعد واحد دال على أهمية الحجاب ووجـوب احـترامـه والعمل به بين المسلمين ، واى تساهل فيه يدل على ضعف ايمان العبد ورقة دينه بعد عناية القرآن به هذه العناية التى ما حظى بها كثير من الأحكام الشرعية .

و ـ قوله تعالى : « **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** » .

ان دلالـة هذه الآية على الحجـاب الكـامل أظهر وأقوى من الآيات السابقة وذلك لأن إثارة الفتنة بسماع صوت الخلخال فى الرجل اذا ضربت المـرأة برجلهـا وهى تمشى أقـل بكثـير من فتنـة النظر الى وجهها وسماع حديثها ، فاذا حرم الله تعالى بهذه الآية على المرأة أن تضرب الأرض برجلها خشية ان يسمع صوت حليها فيفتن به سامعه كان تحريم النظر إلى وجهها وهو محط محاسنها أولى واشد حرمـــــة .

ز ـ قوله تعالى : « **والقواعد من النساء اللاتى لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم** » أن دلالة هذه الآية الكريمة على وجوب الحجاب على النساء المسلمات دلالة قطعية لاتقبل التأويل ولا الجدال بحال وهذا بيان ذلك :

١ ـ المـراد من القواعد النساء اللائى تقدمت بهن السن فقعدن عن

---

(١) ذوى الحاجة . المراد أنهم كبار السن من الشيوخ الهرمين والمعاتية الذين لا حاجة بهم إلى النساء .

الحيض والحمل وهن العجائز ومن فى حكمهن ممن أيست من الحيض والحمل وان لم تصل الى سن العجز الكامـــــل .

٢ ـ الرخصة التى أعطيتها هى ان تخرج احداهن بدون ملاءة ولا عجار كاشفة عن وجهها وراسها وعنقها لكن بشرط ان لاتتحلى بشىء من الحلى كالخاتم فى الاصبع والخضاب فى الكف والسوار فى المعصم والكحل فى العين والخلخال فى الرجل ، وهذا معنى قوله فى الآية : « **غير متبرجات بزينـــة** » .

٣ ـ ترغيب الله تعالى لهن فى البقاء على الحجاب بقوله « **وان يستعففن** خير لهن » يا سبحان الله إن فى قوله تعالى « وان يستعففن » إشارة ربانية إلى أن طلب العفاف يكون بالابقاء على الحجاب وان طلب الفاحشة يكون بترك الحجاب !!

٤ ـ ختم الآية بصفتى السمع والعلم لله تعالى اشارة الى أنه على المرأة المرخص لها فى الخروج بترك الحجاب لكبر سنها أن تحذر التعسف فى استعمال الرخصة كأن تتدعى القعود وليست هى بقاعدة أو تتزين بشىء من انواع الزينة وتخرج باسم الرخصة متبرجة بزينتها فتنة للناظرين من المؤمنين .

٥ ـ انه لو لم يكن الحجاب واجبا على المرأة المسلمة وهو عدم الخروج من البيت الا لحاجة ماسة ، وعندما تخرج ، تخرج ساترة لوجهها وكل محاسنها الا مالا يمكن ستره كاللباس الظاهر أو العين تبصر بها طريقها ، وتعرف بها حاجتها ، أو الكف تتناول به أو تعطى لما كان لهذه الآية الكريمة من معنى أبدا ، لانها رفعت الجناح الذى هو الاثم والحرج على القواعد اذا تركن الحجاب غير متبرجات بزينة ، فلو كان لكل امراة قاعد أو شابة أن تضع ثيابها وتخرج بلا حجاب ولا ساتر لترى الرجال ويرونها لما كان لهذه الرخصة معنى ولا حكم ، وهذا مفهوم من الآية بالبداهة ، ولذا كانت هذه الآية نصا صريحا فى الحجاب ويتوب الله على من تــــاب .

« الخاتمـــــــــة »

وختاما ، فهذه رسالة « فصل الخطاب فى المرأة والحجاب » قد أوحاها الواجب وأملاها الضمير ونشرتها الرغبة الصادقة فى تجنيب هذه البلاد شر الغير وإبعادها من ساحة الخطر ، إذ هى بلاد أنعم الله تعالى عليها بعظيم النعم نعم الدين والدنيا ، والأولى والأخرى ، وكل ذى نعمة محسود ، وذو الحسد لايقف فى الاضرار عند حد ، فلذا وجب تنبيه أبنائنا واخواننا فى هذه الديار ديار الله الى ما يكيده المحسدة لهم وما يمكرونه بهم انهم يريدون أن يهدموا البناء من أساسه ويقوضوا البيت من أركـــــانه .

يريدون أن ترمى فتاة الايمان وغادة الاسلام النقاب والحجاب وتخرج عارية كاليهودية أو النصرانية وقد فارقها الحياء والايمان ، اذهما صنوان اذا ذهب أحـدهمـا ذهب الثـانى وبذلك ينطفىء النور ويعتم ظلام الفسق والفجور ، ويتخلى الله عمن تخلى عن الايمان به والاسلام له ، والاحسان فيه والحياء منه ، ومن تخلى الله عنه لايدرى فى أى واد يرمى به فيهلك مع الهالكين .

فيا معشر الأبنـاء والاخوان اقبلوا نصيحة مجرب طال ركوبه على متن الحياة فعرف حلوها ومرها وصالحها وفاسدها وطيبها وخبيثها . وعرف سنن الله تعالى فيها ، تلك السنن التى لاتحابى أحدا من خلق الله بل تجرى وفق ماسنها الله تعالى له فالطعام يشبع ، والماء يروى ، والنار تحرق ، والحديد يقـطع ، والسفور يقود الى الفجور ، والفجور خروج عن نظام الحياة ، والحياة من خرج عن نظامها فارقته وفارقها ومن فارق الحياة مات ، ومن مات فات ، والفائت لايطلب لاستحالة ادراكه ، واستواء حياته بمماته .

فأبقوا يا أبنائى على حجاب نسائكم فجنبوهن الاختلاط ، وأبعدوهن من أي ارتباط لم يكن ارتباط زوج بزوجة أو أم بأولاد ، فذلك خير ، والخير

مرغــوب ومـطلوب ، فاطلبـوه بصيانـة الأعـراض ، وطهـارة الأعـراق والأنساب ، واياكم ورغبات الشباب الجامحة ، وتطلعات الفتيان والفتيات الـطامحـة ، فان الانسياق وراءهـا والجرى فى مجراها يؤدى بكم الى هدر كرامتكم وسلب عزكم وضياع مجدكم ، ويومئذ تندمون وتبكون وهل ينفع الندم أو يجدى البكاء ؟ لقد ذهب الفسق عن أمر الله ورسول الله بجنة العـرب ـ الانـدلس الخضراء ـ وذهب الكفـور والفجور بالجمهوريات الاسلامية وحولها الى اقاليم سوفياتية .

فالله الله يا أبنائى ، وانى لكم ناصح أمين ، فى دولتكم . فشدوا من أزرها وقووا من دعائمها وأركانها باقامة الصلوات وترك الشهوات ، فان أقواما أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات قد خسروا فى الحياة والممات ، فاربأوا بأنفسكم أن تكونوا مثلهم والله معكم ولن يتركم أعمالكـــــــــــــم .

المدينـــــــــة المنورة فى ٢/٩/١٤٠١ هـــ .

●● الرســالة الثامنـة

الإنصاف فيما قيل فى المولد من الغلو والإجحاف

﴿ بســـم اللـــه الـرحــمن الرحيـــم ﴾

الانصاف فيما قيل فى المولد من الغلوّ والاجحاف

تصدير :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد فقد ترددت كثيرا فى الكتابة فى هذا الموضوع ـ المولد النبوى ـ احتراما لِلْجَناب المحمدى الشريف وتقديراً له ، ولكن بعد أن أصبح بين المسلمين من يكفر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا فى شأن المولد وجدتنى مضطرا إلى كتابة هذه الرسالة راجيا أن تضع حدّاً لهذه الفتنة التى تثار كل عام ، ويهلك فيها ناسٌ مـن المسلمين ، ولاحول ولا قوة إلا بالله

لقد سمعت قبيل شهر ـ ربيع الأول ـ إذاعة لندن البريطانية تقول إن مفتى الـديار السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز يكفّر من يحتفل بالمولد النبوى مما أثار سخط العالم الاسلامى ، فاندهشت للخبر وما فيه ، من باطل وتهويل ، إذ المعروف عن سماحة المفتى القول ببدعية المولد ، والنهى عنها لا تكفير من يقيم [1]ذكرى المولد ولا من يحتفل فيها . ولعل هذا من كيد الرافضة الناقمين على السعودية التى لا مجال عندها للبدع والخرافات والشرك والضلالات .

ومهما يكن فإن الأمر قد اصبح ذا خطورة ، ووجب على آهل العلم آن يبَينـوا الحق فى هذه المسـألة الخطيرة التى أدَّت إلى أن أبغض المسلمون

---

(١) وقد كتب سماحة المفتى الشيخ عبد العزيز بن باز فى رد بدعة المولد وإنكارها ردوداً كثيرة فلم يقل بكفر أَحَدٍ ممن يحيون ذكرى المولد أبداً ، وإنما قول إذاعة لندن هذا هو من باب الإجحاف والكذب المختلق للإثارة والفتنة ، وإلا فما كتبه مفتى المملكة موجود فليرجع إليه .

بعضهم بعضا ، ولعن بعضهم بعضا . فكم من أحد يقول لى مشفقا على : إن فلانا يقول إنى ابغض فلانا لأنه ينكر الاحتفال بالموالد ، فأعجب من ذلك ، وأقول : فهل الذى ينكر البدعة ويدعو إلى تركها يبغضه المسلمون ؟ إن المفروض فيهم أن يحبوه لا أن يبغضوه وأدهى من ذلك وأمر أن يشاع بين المسلمين أن الذين ينكرون بدعة المولد هم أناس يبغضون الرسول ﷺ ولا يحبونه ، وهذه جريمة قبيحة كيف تصدر من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ إذْ بغض الرسول صلى الله عليه وسلم أو عدم حبّه كفر بَوَاحٌ [١] لا يبقى لصاحبه أية نسبة إلى الاسلام والعياذ بالله تعالى .

وأخيرا فمن اجل هذا وذاك كتبت هذه الرسالة أداءً لواجب البيان من جهة ، ورغبة فى وضع حدّ لهذه الفتنة التى تتجدد كل عام ، وتزيد فى محنة الاسلام من جهة أخرى . والله المستعان وعليه وحده التكلان .

(مقدمة علمية هامة)

إننى أنصح فى صدق لمن أراد قراءة هذه الرسالة ليعلم حكم الشرع الاسلامى فى ما يسمى بالمولد النبوى الشريف أن يقرأ هذه المقدمة باعتناء عدّة مرات حتى يطمئن إلى فهمها ، ولو أدى ذلك به إلى تكرار قراءتها عشر مرات ، وان تعذر عليه فهمها فليقرأها على طالب علم حتى يساعده على فهمها فهما جيداً وصحيحا لاخطأ فيه .

فإنّ فهْمَ هذه المقدمة لا يُفيد فى فهم قضية المولد المختلف فيها فحسب بل يُفيده فى كثير من القضايا الدينية التى يتنازع فيها الناس عادة : هل هى بدعة أو سنة وإن كانت بدعة هل هى بدعة ضلالة ، أو بدعة حسنة ؟

وسأبسّط للقارىء المسلم العبارة ، وأقرب إليه الاشارة ، وأضرب له المثل وأوضحه ، وأدنى منه المعنى وأُقَرِّبُه ، رجاء أن يفهم هذه المقدمة الهامة ، والتى هى كالمفتاح ، لفهم المغلق من مسائل الخلاف فيما هو دين وسنة يعمل به ، أو هو ضلال وبدعة يجب تركُهُ والبعدُ عنه .

(١) البواح : الظاهر المكشوف يقال فعل الشىء بَواحا بفتح الباء أى جهارا فى غير سرّ ولا إخفاء

وبسم الله أقول : اعلم أخى المسلم أن الله تبارك اسمه وتعالى جَدّه قد بعث رسوله نبينا محمداً ﷺ وأنزل عليه كتابه القرآن الكريم من أجل هداية الناس وإصلاحهم فيكملوا ويسعدوا فى دنياهم وأخراهم قال تعالى **﴿ يا أيها الناسَ قد جاءكم برهان من ربكم وآنزلنا اليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فيسدخلهم فى رحمةٍ منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما (١) ﴾**

وبهذا عرفنا آن هداية الناس واصلاحهم ليكملوا فى أرواحهم ، ويفضلوا فى أخلاقهم لاتتم إلا على الوحى الالهى المتمثل فى كتاب الله وسنه رسوله ﷺ . فإن الله عز وجل يوحى بالأمر والرسول يبلغه ويبين كيفية العمل به ، والمؤمنون (٢) يعملون به ، فيكملون عليه ويسعدون به ، ولنا أن نحلف بالله العظيم أيها القارىء الكريم : أنه لا سبيل الى إكمال الناس وإسعادهم بعد هدايتهم وإصلاحهم إلا هذا السبيل وهو العمل بالوحى الإلهى الذى تضمنته السنة والكتاب .

وسِرّ هذا آيها القارىء الفطن : أن الله تعالى هو ربّ العالمين أى خالقهم ومربيهم ومدبّر أمورهم ومَالِكُهَا عليهم فالناس كلهم مفتقرون إليه فى خلقهم وايجادهم ، ورزقهم وإمدادهم وتربيتهم وهدايتهم وإصلاحهم ليكملوا ويسعدوا فى كلتا حياتيهم . وقد جعل تعالى سنناً للخلقِ عليها يتم خلقهم وهى التلاقح (٣) بين الذكر والأنثى ، وجعل كذلك سنناً عليها تتم هدايتهم وإصلاحهم ، وكما لا يتم الخلق إلا على سنته فى الناس لا تتم كذلك الهداية والاصلاح إلا على سنته تعالى فى ذلك وهى العمل بما شرع الله فى كتابه وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتطبيق ذلك على الوجه الذى بينه رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا كان لا مطمع فى هداية أو سعادة أو كمال يأتى من غير طريق شرع الله بحال من الأحوال .

---

(١) هذه الآية من خاتمة سورة النساء . وقد اشتملت على ذكر ماقلنا من ان الله تعالى قد أرسل رسوله وانزل كتابه لهداية الناس وإصلاحهم . فالبرهان فى الآية هو النبى محمد ﷺ عند كثير من أهل التفسير ، والنور فى الآية هو القرآن الكريم . فافهم .

(٢) هذا معنى قول أهل العلم : على الله الوحى وعلى الرسول البلاغ ، وعلى المؤمنين الطاعة .

(٣) سواء فى ذلك الإنسان والحيوان بريا أو بحريا ، والنبات على اختلافه وكثرة أنواعه ، ولا يستثنى من هذه السنة الا آدم وحواء وعيسى ابن مريم عليهم السلام .

وها أنت تشاهد أهل الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها فهل اهتدوابها أو كملوا أو سعدوا عليها ؟ وذلك لأنها ليست من شرع الله ، كما أننا نشاهد القوانين التى وضعها الناس لتحقيق العدالة بين الناس وحفظ أرواحهم وأموالهم وصيانة أعراضهم وتكميل أخلاقهم فهل حققت ما أريد منهـا ؟ والجـواب لا إذ الأرض قد خمت من الجـرائم والموبقات كما نشاهد أهل البدع فى أمة الاسلام وأنهم أفسد الناس عقولا ، وأرذلهم أخلاقا ، وأحطهم نفوسا كما نشاهد ايضا أكثر المسلمين لما عدلوا عن شرع الله إلى ما شرع الناس من تلك القوانين التى هى من وضع غير الله تعالى كيف تفرقت كلمتهم ، وحقر شأنهم وذلوا وهانوا ، وماذاك إلا لأنهم يعملون بغير الوحى الالهى . واسمع القرآن الكريم كيف يندد بكل شرع غير شرع الله تعالى ﴿ شرعوا[1] لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ولـولا كلمة الفصل لقضى بينهم ﴾ واستمع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهـو يقـول : « من أحدث[2] فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » « ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ومعنى رد مردود[3] على صاحبه يقبل منه ولا يثاب عليه ، وعلة ذلك : أن العمل الذى لم يشرعه الله تعالى لا يؤثـر فى النفس بالتزكية والتطهير لخلوه من مادة التطهير والتزكية التى يوجدها الله تعالى فى الأعمال التى يشرعها ويأذن بفعلها .

وانـظر إلى مادة التغـذية كيف اوجدها الله تعالى فى الحبوب والثمار واللحوم فكان فى أكل هذه الأنواع غذاء للجسم ينمو عليها ويحتفظ بقواه ، وانظر إلى التراب والخشب والعظام لما أخلاها من مادة التغذية كانت غير مغـذية . وبهـذا يظهر لك أن العمل بالبدعة كالتغذية بالتراب والحطب والخشب فاذا كان آكـل هذه لا يتغذى فكذلك العامل بالبدعة لا تطهر روحه ولا تزكو نفسه .

وبناء على هذا فكل عمل يُراد به التقرب إلى الله تعالى للحصول على الكمال والسعادة بعد النجاة من الشقاء والخسران ينبغى أن يكون اولا مما

(١) الآية فى سورة الشورى .

(٢) الحديث رواه مسلم .

(٣) الرد مصدر أريد اسم المفعول فرد بمعنى مردود ، يعنى غير مقبول ، وما لم يقبل كيف يثاب عليه ؟ وسر ذلك أنه لم يحدث حسب سنة الله فى الخلق ـ زكاة للنفس ولا طهارة .

شرع الله تعالى فى كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يكون ثانيا مؤدًّى على نحو ما أداه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مراعى فيه كميته أى عدده بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص منه ،وكيفيته بحيث لا يقدم فيه بعض أجزائه ولا يؤخر . وزمانه بحيث لايفعله فى غير الوقت المحدد له . ومكانه فلا يؤدّيه فى غير المكان الذى عينه الشارع له . وان يريد به فاعله طاعة الله تعالى بامتثال امره . أو التقرّب اليه طلبًا لمرضاته والقرب منه ، فإن فقد العمل واحدة من هذه الاعتبارات : آن يكون مشروعا ، وأن يؤديه على النحو الذى أدّاه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان يريد به وجه الله خاصة بحيث لا يلتفت فيه الى غير الله سبحانه وتعالى . فانه يبطل ، ومتى بطل العمل فإنه لا يؤثر فى النفس بالتزكية والتطهير بل قد يؤثر فيها بالتدسيّة والتنجيس واصبر على أوضح لك هذه الحقيقه بالأمثلة التالية :

١ - الصلاة فإنها مشروعة بالكتاب قال تعالى ﴿ **فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين[١] كتاباً موقاتا** ﴾ (وبالسنة) قال رسول الله ﷺ خمس[٢]صلوات كتبهن الله الحديث . فهل يكفى العبد أن يصليها كيف شاء ومتى شاء ،وفى أىّ زمان أو مكان شاء ؟ والجواب لا ، بل لا بد من مراعاة باقى الحيثيات من عددها وكيفيتها ، وزمانها ومكانها فلو صلى المغرب أربع ركعات بأن زاد فيها ركعة عمداً بطلت ، ولو صلى الصبح ركعة واحدة بأن نقص منها ركعة لما صحت . وكذلك لو لم يراع فيها الكيفية بأن قدّم بعض الأركان على بعض لم تصح ، وكذا الحال فى الزمان والمكان فلو صلى المغرب قبل الغروب ، أو الظهر قبل الزوال لما صحت ، كما لو صلى فى مجزرة أو مزبلة لما صحت لعدم مراعاة المكان المشروط لها .

٢ - الحج فإنه مشروع بالكتاب والسنة قال تعالى ﴿ **ولله[٣]على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الآية من سورة النساء .

(٢) رواه مالك وغيره ونصه كاملا : خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، فمن جاء بهن لم يضيّع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة .

(٣) الآية من سورة آل عمران .

وسلم يأيها الناس(١) قد فرض الله عليكم الحج فحجوا . فهل للعبد أن يحج كيف شاء ومتى شاء ؟ والجـواب لا بل عليه أن يراعى الحيثيات الأربع وإلا لما صح حجه وهى الكمية فيراعى عدد الأشواط فى كل من الطواف والسعى فلو زاد فيها أو نقص منها عمداً فسدت ، والكيفية فلو قدم الطواف على الاحرام ، أو السعى على الطواف(٢) لما صح حجه ، والزمان فلو وقف بعرفة فى غير تاسع شهر الحجة لما صح حجه ، والمكان فلو طاف بغير البيت الحرام أو سعى بين غير الصفا والمروة أو وقف بغير عرفة لما صح حجه .

٣ ـ الصيام فإنـه عبـادة مشروعـة عليها أمر الله وأمر رسوله قال تعالى ﴿ يأأيها(٣) الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ الآية وقال رسول الله ﷺ : « صوموا(٤) لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فاكملوا شعبـان ثلاثـين » . فهـل للعبـد أن يصوم كيف شاء ومتى شاء ؟ والجواب لا بل عليه مراعاة الحيثيات الأربع وهى الكمية فلو صام أقل من تسعة وعشرين أو ثلاثين يوما لما صح صومه كما لو زاد يوما أو أياما لما صح ذلـك منه لاخلاله بالكمية وهى العدد ، والله تعالى يقول ﴿ ولتكملوا العدة ﴾ والكيفية فلو قدم أو أخّر بأن صام الليل وأفطر النهار لما صح منه ، والزمان فلو صام شعبان أو شوالاً بدل رمضان لما صح منه ، والمكان وهو المحل القابل للصيام فلو صامت حائض أو نفساء لما صح منها .

وهكذا سائر العبادات لا تصح ولا تقبل من فاعلها إلا اذا راعى فيها كل شروطها وهى :

١ ـ أن تكون مشروعة بالوحى الالهى لقول الرسول ﷺ « من(٥) عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »

٢ ـ أن يؤديها أداء صحيحا ملاحظا فيه الحيثيات الأربع : الكمية بمعنى العدد والكيفية وهى الصفة التى عليها العبادة ،والزمان الذى حدّد

---

(١) رواه مسلم وغيره فى خطبة خطبها رسول الله ﷺ يأيها الناس الخ . . .

(٢) تقديم السعى على الطواف إذا كان لضرورة لا يضر ولا يبطل الحج به ، لإذن الرسول ﷺ فى ذلك بقوله : افعل ولا حرج لمن سأله عن تقديم بعض أفعال الحج عن بعض .

(٣) الآية من سورة البقرة . (٤) اتفق عليه البخارى ومسلم . (٥) رواه مسلم .

لها ، والمكان الذى عين لها .

٣ ـ أن يخلص فيه لله تعالى بحيث لا يشرك فيها أحداً كائناً من كان .
ومن هنا كانت أيها الأخ المسلم البدعة باطلة وكانت ضلالة ، كانت باطلة لأنها لا تزكى الروح إذ هى من غير شرع الله أى ليس عليها أمره ولاأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت ضلالة لأنها أضلت فاعلها عن الحق فأبعدته عن عمل مشروع يزكى نفسه ويجزيه به ربّه ويثيبه عليه .

[تنبيه]

اعلم أخى المسلم وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن العبادة المشروعة بالكتاب والسنة أى عليها أمر الله ورسوله قد يطرأ عليها الابتداع ويدخلها الإحداث فى كميتها أو كيفيتها أو زمانها أو مكانها فتفسد على فاعلها ولا يثاب عليها ولنضرب لك مثلا بالذكر فإن الذكر مشروع بالكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ **يأأيها**(١) **الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا** ﴾ **وقال رسوله** ﷺ : « **مثل الذى** (٢) **يذكر ربه والذى لا يذكُرُهُ مثل الحى والميت** » . ومع مشروعيته فقد داخله الابتداع عند كثير من الناس فأفسده عليهم ،وحرمهم ثمرته من تزكيةالنفس وصفاء الروح ، وما يترتب على ذلك من مثوبة ورضوان . إذ بعضهم يذكر بألفاظ غير مشروعة مثل الذكر بالاسم المفرد : الله ، الله ، الله أو بضمير الغيبة المذكر : هو ، هو ، هو ، وبعضهم يذكر بنداء الله تعالى عشرات المرات ولا يسأل شيئا فيقول : ياللطيف ، ياللطيف ، ياللطيف . وبعضهم يذكر الله مع آلات الطرب ، وبعضهم يذكر بلفظ مشروع بنحو الهيللة (٣) ولكن فى جماعة بصوت واحد مما لم يفعله الشارع ولم يأمر به أو يأذن فيه ،فالذكر عبادة شريفة فاضلة ولكن نظرا إلى ما داخله من الابتداع فى كمية أو كيفية وهيئة بطل مفعوله وحرم أهله مثوبته وأجره .

وأخيرا ألخص للقارىء الكريم هذه المقدمة النافعة فاقول : إن ما

---

(١) الآية من سورة الأحزاب .

(٢) رواه البخارى ، ومسلم بلفظ : مثل البيت الذى يذكر الله فيه ، والبيت الذى لا يذكر فيه مثل الحىّ والميت .

(٣) الهيللة : هى لا اله الا الله .

يتعبد به العبد ويتقرب به إلى الله . لينجو من عذابه ويفوز بالنعيم المقيم في جواره بعد أن يكون قد استكمل به فضائل نفسه في الدنيا وصلح عليه أمره فيها لا يكون ولن يكون إلا عبادة مشروعة أمر الله تعالى بها في كتابه ، أو استحبها أو رغب فيها على لسان رسوله . وأن يؤديها المؤمن أداءً صحيحا مراعى فيها الحيثيات الاربع : الكمية . والكيفية ، والزمان والمكان مع الاخلاص فيها لله تعالى وحده .

فان كانت العبادة غير مشروعة بالوحى الالهى فهى بدعة ضلالة ، وإن كانت مشروعة واختلّ أداؤها بعدم مراعاة حيثياتها الأربع أو داخلها الابتداع فى ذلك فهى قربة فاسدة ،وإن خالطها شرك فهى عبادة حابطة باطلة لا تجلب رخاء ،ولا تدفع بلاء ،والعياذ بالله تعالى .

تتمة نافعة
فى بيان السنة والبدعة

إنه قبل تعريف البدعة ينبغى تعريف السنة ، إذ السنة من باب الأفعال والبدعة من باب التروك ،وما يفعل مقدم على ما يترك ، كما أنه بتعريف السنن تعرف البدع ضرورة .

فما هى السنة إذن ؟

السنة لغة هى الطريقة المتبعة ، والجمع سنن . وشرعا هى ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن الله تعالى لأمته من طرق البر وسبل الخير ،وما انتدبها اليه من الآداب والفضائل ،لتكمل وتسعد .

فإن كان ما سنه قد أمر بالقيام به والتزامه فذلك السنن الواجبة التى لا يسع المسلم تركها ،وإلا فهى السنن المستحبة التى يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها .

واعلم أيها القارىء أن النبى ﷺ كما يسن بقَوْلِهِ يَسُنّ بفعله وتقريره إنه صلى الله عليه وسلم إذا عمل شيئا وتكرر منه بالتزامه له يصبح سنة للأمة إلا أن يدل الدليل على أنه من خصوصياته ﷺ كموالاة الصيام

مثلا ، وإن سمع بشىء أو راه بين أصحابه ، وتكرر ذلك الشىء مرات ولم ينكره ﷺ كان سنة بتقرير الرسول صلى الله عليه وسلم له . اما مالم يتكرر فعله أو رؤيته أو سماعه فإنه لا يكون سنة ، إذ لفظ السنة مشتقٌّ من التكرار ولعله مأخوذ من سنّ السكين إذا حكها على المسن المرة بعد المرة حتى أحدَّتْ أى صارت حادة بمعنى أنها تَنفذُ فى الأجسام وتقطعها .

فمثال ما فعله ﷺ مرة واحدة ولم يكرره فلم يصبح سنة جمعه[1] بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء فى غير عذر سفر ولا مرض ولا مطر فلذا لم يكن سنة متبعة لدى سائر المسلمين .

ومثال ما سكت عنه وأقره مرة واحدة فلم يكن لذلك سنة يعمل بها المسلمون ما روى من أن امرأة نذرت[2] إن رد الله رسوله سالماً من سفر كان قد سافره ﷺ مع أصحابه تضرب بالدف على رأسه فَرَحاً بعودته سالما عليه الصلاة والسلام ففعل هذه المرأة وإقرار الرسول لها بعدم نهيها عنه مرة واحدة لم يجعل هذا العمل سنة وذلك لعدم تكراره مرات .

ومثال ما تكرر من فعله ﷺ فاصبح سنةً يعمل بها المسلونَ بلا نكير : استقباله ﷺ الناس بوجهه وجلوسه بين يدى الصف بعد انتهائه من الصلاة المكتوبة فهذه الهيئة من الجلوس لم يأمر بها صلى الله عليه وسلم ولكن فعلها وتكررت منه مئآت المرات فكانت بذلك سنة كل إمام يصلى بالناس .

ومثال ما تكرر مما رآه أو سمعه فاقره فأصبح سنة المشى أمام الجنازة ووراءها إذ كان يرى أصحابه منهم من يمشى وراء الجنازة ومنهم من يمشى أمامها مراراً عديدة فأقرهم على ذلك بسكوته عنهم ، فكان المشى وراء الجنازة وأمامها سنة لاخلاف فيها . هذه هى السنة كما عرفتها أيها الأخ المسلم فاذكرها دائما واضف اليها سنة أحد الخلفاء الراشدين الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين لقوله ﷺ فعليكم بسنتى[3]

---

(١) حديث الجمع بين الصلاتين فى الحضر رواه مسلم عن ابن عباس وهذا نصه : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء بالمدينة المنورة فى غير خوف ولا مطر .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال فيه حسن صحيح غريب . وهو حديث طويل ذكره فى مناقب عمر رضى الله عنه ، والمذكور هنا طرف منه حيث الشاهد فقط .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وصححه .

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ . (١)

أما البدعة فإنها نقيض السنة مشتقة من ابتدع الشىء إذا أوجده على غير مثال سابق . وهى فى عرف الشرع : كل مالم يشرعه الله تعالى فى كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ من معتقد أو قول أو فعل ، وبعبارة أسهل : البدعة هى كل مالم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه دينا يعبد الله به ، أو يتقرب به إليه من اعتقاد أو قول أو عمل مهما أضفى عليه من قداسة وأحيط به من شارات الدين وسمات القربة الطاعة .

وهذه أمثلة للبدعة فى كل من الاعتقاد والقول والعمل نوضح بها حقيقة البدعة تعليما وتحذيرا ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

مثال البدعة الاعتقادية : اعتقاد كثير من المسلمين أن للصالحين ديواناً أشبه بحكومة سريّة فى العالم عنه يصدر التولية والعزل ، و الاعطاء والمنع ، والضر والنفع وأهله هم الأقطاب ، والأبدال . وكم سمعنا من يستغيث بهم قائلا يارجال الديوان ويأهل التصريف من حر ووصيف (٢) .

واعتقادأن ارواح الأولياء على افنية قبورهم تشفع لمن زارهم وتقضى حاجاته ، ولذا نقلوا إليهم مرضاهم للاستشفاع بهم . وقالوا : من أعيته الأمور فعليه بأصحاب القبور واعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب وينظرون فى اللوح المحفوظ ،ويتصرفون بنوع من التصرف وسواء كانوا أحياءً أو أمواتا ولذا اقاموا لهم الحفلات واتخذوا لهم القرابين وجعلوا لهم مواسم واعياداً ذات مراسم خاصة (٣) .

فهذه وغيرها كثير من البدع الاعتقادية التى لم تعرف على عهد رسول الله ﷺ ،ولا على عهد أصحابه ولا عهد أهل القرون الثلاثة المشهود لها بالصلاح فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم خيركم قرنى (٤) ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

---

(١) النواجذ الأنياب وقيل الأضراس .

(٢) الوصيف : الخادم المملوك ضد الحر .

(٣) اعتقاد أن هناك ديوانا والاستغاثة برجاله ودعاؤهم هذا كله من الشرك الأكبر .

(٤) متفق عليه ، وتمامه : ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن

مثال البدعة القولية : سؤال الله تعالى بجاه فلان ـ وبحق فلان مما جرى عليه النـاس وقلّد فيه صغـيرهم كبيرهم وآخرهم أولهم ، وجاهلهم عالمهم حتى عدوا هذا من أشرف الوسائل وأعظمها يعطى الله تعالى عليها ما لم يعط على غيرها ويا ويل من يجرؤ على إنكار هذه الوسيلة فإنه يُعدّ مارقاً من الدين مبغضاً للأولياء والصالحين . فى حين أن هذه البدعة القولية التى اطلقـوا عليها اسم الوسيلة لم تكن معروفة على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد السلف الصالح ، ولم يردْهَا كتاب ولا سنة وأقرب القول فيها أنها من وضع الزنادقة من غلاة الباطنيَة لتعويق المسلمين عن وسائل نافعة تفرج بها كرباتهم ، وتقضى بها حاجاتهم كوسائل الصلاة والصدقات والصيام ، والدعوات والاذكار المأثورة .

ومن هذا الابتداع فى القول : ما تعارف عليه أغلب المتصوفة من إقـامة حضرات الذكر أحياناً بلفظ هو هو حى ، والله ، بأعلى أصواتهم وهم قيام ويقضون فى ذلك الساعة والساعتين حتى يغمى على بعضهم ، وحتى يقول أحدهم الهجر وقد ينطق بالكفر وقد قتل أحدهم أخاه وهو لا يشعر حيث طعنه بسكين .

ومثله الاجتماع على المدائح والقصائد الشعرية بأصواتِ المرد وحالقى اللحى والضرب على الطار والعود ، أو الدف والمزمار ، فهذه البدع القولية وغيرها كثير ، والله قسماً به تعالى ما كانت على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهـد أصحـابـه وانـما هى من وضـع الـزنادقة والمخربين لدين الاسلام المفسدين لأمته لصرفهم عن النافع الى الضار ، وعن الجد الى اللهو والهزل .

مثـال البدع الفعلية : البناء على القبور وخاصة قبور من يعتقدون صلاحهم ، وضرب القبـاب على قبـورهم ، وشـد الـرحـال إلى زيارتها والعكوف عليها ، وذبح الغنم والبقر عندها وإطعام الطعام حولها كل هذا لم يعرفه رسول الله ﷺ ولا أصحابه ، ومثله خروج بعض الناس من المسجد الحرام القهقرى ، وكذا من المسجد النبوى حتى لا يستدبر البيت العتيق أو القبر النبوى عند خروجه فهذه بدعة فعلية أيضا لم يعرفها صدر هذه

الامة الصالح ولكن أحدثها المتنطعون من الناس .

ومن ذلك وضع توابيت خشبية على أضرحة الاولياء وكسوتها بأفخر الكتان وتجمير الضريح بالبخور وإيقاد الشموع عليه .

هذه أيها القارىء الكريم أمثلة لبعض البدع فى الاعتقاد والقول والعمل والتى اكتسبت طابع البدعة فى العبادات ومثلها البدع فى المعاملات كسجن الزانى بدل اقامة حد الزنى عليه ، وكذا سجن السارق وضربه بدل اقامة حد السرقة عليه وهو قطع يده ، وكإشاعة الأغانى وتعميمها فى البيوت والشوارع والأسواق إذ مثل هذا الطرب العاتى والمدح الماجن لم يعرفه صدر هذه الأمة الصالح رضوان الله عليهم . ومن هذه البدع العملية ترسيم الربا والاعلان عنه ، وعدم إنكاره ، ومثله سفور النساء وتبرجهن واختلاطهن بالرجال فى الأماكن العامة والخاصة كل هذا من الاحداث المشين والمعرض لأمة الاسلام للمحو والزوال ،وآثار ذلك ظاهرة فى أمة الاسلام لا تحتاج إلى تدليل ولا تبيين ، ولا حول [1]ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) إن قيل : لم تذكر لا حول ولا قوة فى مثل هذا الموضع ؟ قلت لتفريج الهم ؟ لحديث أبى هريرة : لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسع وتسعين داء أيسرها الهم رواه ابن أبى الدنيا وحسنه السيوطى .

فــــرعٌ مهـــمٌ
فى بيان الفرق بين البدعة والمصالح المرسلة

اعلم أخى المسلم فقهنى الله وإياك فى دينه أنه قد تسلَّلَ إلى حق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلم فى التشريع النافع المزكى للنفس المطهر للروح المهيىء للمسلم للسعادة والكمال فى الدنيا والآخرة ، وتسلَّلَ إليه أناس تحت شعار ما يسمونه بالبدعة الحسنة ، فوضعوا للمسلمين من البدع ما أماتوا به السنن ، وأغرقوا أمة القرآن والسنة فى بحور من البدعة الأمر الذى انحرف به أكثر أمة الاسلام عن طريق الحق وسنن الرشاد وما هذه المذاهب المتطاحنة المتناحرة ، والطرق المختلفة المتباينة إلا مظهر من مظاهر الانحراف فى الأمة نتيجة استحسان البدع ، واطلاق وصف الحسن على البـدعة فيبتدع الرجل بدعا يضاد بها سنن الهدى ويصفها بالحسن فيقول عند ترويج بدعته هذه بدعة حسنة لتؤخذ عنه وتقبل منه ، فى حين أنه من المضادة للشارع صلى الله عليه وسلم أن يقال بدعة حسنة بعد أن قال رسول الله ﷺ « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » ومع الأسف فقد انخدع بعض أهل العلم لهذا التضليل المتحايل على حق الله تعالى وحق رسول الله ﷺ . فى التشريع فقال : إن البدعة تجرى عليها الأحكام الشرعية الخمسـة من الوجوب والندب والاباحة والكراهة والحرام ، وقد تفـطن لهذا الامـام الشاطبى رحمه الله ، واليك رده على هذا التقسيم ، وإنكاره وجود بدعة حسنة فى دين الله تعالى قال[١] رحمه الله تعالى :

« ان تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة واجراء الأحكام الخمسة عليها هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعى بل هو فى نفسه متدافع ، لأن من حقيقـة البـدعة أن لا يدل عليها دليل شرعى ، لامن نصوص

---

(١) كتاب الموافقات الجزء الأول صفحة ١٩١

الشرع ، ولا من قواعده ، إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثَمَّ بدعة ، ولكان العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور بها ، أو المخيَّر فيها . فالجمع بين عدّ تلك الأشياء بدعاً . وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متناقضين .

أخى القارىء أرأيت كيف أنكر الامام الشاطبى رحمه الله تعالى أن تكون البدعة حسنة والرسول يقول فيها : ضلالة . وكيف أنكر على من زعم أن البدعة تجرى [١] عليها الأحكام الخمسة بمعنى أنها تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة ، إذ لو دل عليها دليل الشرع لما كانت بدعة ، إذْ البدعة هى مالم يدل عليه دليل الشرع من كتاب أو سنة أواجماع أو قياس ، فإن دل عليها الدليل الشرعى أصبحت ديناً وسنة لا بدعة « فافهم »وإن قلت : كيف تطرق هذا الخطأ إلى علماء أجلة أفاضل كالقرافى مثلا فقالوا باجراء الأحكام الخمسة على البدعة ؟ قلت لك إن سبب ذلك الغفلة ،واشتباه المصالح المرسلة بالبدع المحدثة ، وهذا بيان ذلك :

إن المصالح المرسلة جمع مصلحة ،وهى ما جلبت خيرا أو دفعت ضيراً ولم يوجد فى الشريعة ما يدل على ثبوتها أو نفيها ،وهذا معنى « مرسلة » أى لم تقيد فى الشريعة باعتبار أو إلغاء ولذا عَرَّفها بعضهم بقوله : المصالح المرسلة كل منفعة داخلة فى مقاصد الشرع دون أن يكون لها شاهد بالاعتبار أو الالغاء ومعنى قوله : داخلة فى مقاصد الشرع . يريد أن يقول إن الشريعة قائمة على أساس : جلب المنافع ودرء المفاسد . فما حقق للمسلم خيراً أو دفع عنه شراً جاز للمسلم استعماله بشرط أن لا يكون قد ألغاه الشارع لما فيه من مفسدة جلية أو خفية ،فليس من حق امرأة أن تزنى لما يحصل لها من المنفعة المادية ، لأن هذه الوسيلة كالمنفعة المتوسل إليها قد ألغاها الشارع وأبطلها . كما ليس من حق المرء أن يتوسل الى جلب ثروة أو تَحْقيق مطلب من مطالبه الشخصية بالكذب أو الخيانة أو الربا ؟ لأن هذه المَصالح قد ألغاها الشارع ولم يعتبرها لمنافاتها لِمَقاصِدِهِ الكبرى فى

---

(١) نقل هذا القرافى فى فروقه وانخدع له مع الأسف

الجمع بين سعادة الروح والجسد معاً .

ومن أمثله ما اعتبره الشارع : تحريم الحشيشة فإنها وإن لم ينص على تحريمها داخلة فى تحريم الخمر ، فلا يقال تحريم الحشيشة من المصالح المرسلة ؟ لأن الشارع حرم الخمر لما فيها من ضرر والحشيشة كذلك فهى محرمة بالاعتبار الشرعى لا بوصفها مصلحة تحقق بها دفع شر عن المسلم .

ومن ذلك الزام المفتىّ الغنىّ بالصيام فى الكفارة لكون العتق أو الاطعام أهون عليه ، فنظراً الى مصلحة الشريعة حتى لا يتجرأ على انتهاكها الموسرون من أهل الثروة والمال ألزم الغنىّ بالصيام ، فهذه المصلحة باطلة لأن الشارع قد اعتبر الغاءها ، والمصالح المرسلة ما لم يشهد لها الشارع باعتبار أو إلغاء ، وهنا الشارع قد شهد لهذه بالالغاء حيث لم يأذن بالصيام إلا عند العجز عن العتق أو الاطعام ، قال تعالى : ﴿ **فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم** ﴾ و مثل كفارة اليمين هذه كفارة الجماع فى نهار رمضان فليس من حق المفتى أن يفتى الغنى بالصيام دون العتق أو الاطعام واعلم أيها القارىء أن المصالح المرسلة والتى يسميها مُرَوِّجُو البدع بالبدعة الحسنة . تكون فى الضروريات والحاجيات والتحسينات أى فيما هو ضرورى لحياة الفرد والجماعة ، أو فيما هو حاجة من حاجات الفرد أو الجماعة وان لم يكن ضروريا لهما ، أو فيما هو من باب الكماليات والتحسينات فقط . . فليس هو بضرورى ولا حاجى .

وعلى سبيل المثال لا الحصر كتابة المصحف الكريم وجمع القران العظيم على عهد كل من أبى بكر [١] وعثمان رضى الله عنهما فليس هذا العمل من باب البدعة ، وإنما هو من باب المصالح المرسلة ، إذ حفظ القرآن من الزيادة والنقصان والمحافظة عليه حتى يرده الله اليه فى آخر الحياة واجب على المسلمين فلما خافوا عليه الضياع بحثوا عن وسيلة تحقق لهم ذلك

---

(١) مع أن هذا يعد من سنة الخلفاء الراشدين التى أمرنا باتباعها .

فهداهم الله تعالى الى جمعه وكتابته فكان عملهم هذا مصلحة مرسلة إذ لم يشهد لها الشرع باعتبار ولا إلغاء ، وإنما هو من مقاصده العامة فهل لأحد أن يقول إن هذا العمل بدعة حسنة أو سيئة ؟ لا ، بل هو من المصالح المرسلة الضرورية .

ومثال المصالح المرسلة الحاجة إلى اتخاذ المحاريب فى قبلة المسجد ، إذ لم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم محاريب فى المساجد ، وإنما لما انتشر الاسلام وكثر المسلمون وأصبح الرجل يدخل المسجد فيسأل عن القبلة وقد لا يجد من يسأل فيحتار فى شأن القبلة فدعت الحاجة الى وضع طاق فى قبلة المسجد يهتدى به الغريب الى القبلة ، ومثل هذا زيادة عثمان الأذان الأول لصلاة الجمعة فإنه لما عظمت المدينة وأصبحت عاصمة الاسلام واتسعت دورها وأسواقها رأى عثمان رضى الله عنه أن يؤذن للناس قبيل الوقت لينبههم وهم فى غفلة البيع والشراء فإذا جاءوا ودخل الوقت أذن المؤذن وقام فخطب الناس وصلى .

فهذا ليس من الابتداع إذ الأذان مشروع للصلاة ، وقد يؤذن لصلاة الصبح بأذانين أيضا ، وإنما هو من المصالح المرسلة التى فيها نفع المسلمين وإن لم تكن من ضرورياتهم ، ولكنها تحقق لهم نفعاً ما بتنبيههم إلى قرب دخول وقت الصلاة الواجب عليهم حضورها ولما كان الشارع لم يشهد لمسألة المحراب أو الأذان باعتبار ولا إلغاء ، وكانت المسألتان تدخلان فى مقاصد الشرع صح أن يقال إنهما من المصالح المرسلة ، فالأولى من الحاجيات والثانية من التحسينات والكماليات .

ومن هذه المصالح المرسلة التى غالط فيها بعض أهل العلم أو غلطوا فيها وادعوا انها بدعة حسنة . وقاسوا عليها كثيرا من البدع المنهى عنها : بناء المنارات والمآذن فى المساجد لابلاغ صوت المؤذن إلى اطراف المدن والقرى إعلاما لهم بدخول الوقت أو قربه . وكالمآذن اتخاذ مكبرات الصوت لسماع خطبة الامام وقراءته وتكبيراته فى الصلاة ، وكذا قراءة القرآن قراءة جماعية (١) فى الكتاتيب من أجل حفظ القرآن . فهذه من المصالح المرسلة

(١) هذه المسألة كثر فيها القيل والقال فى بلاد المغرب إذ أهل المغرب الأدنى والأوسط والأقصى أى تونس والجزائر والمغرب « مراكش » يقرأون ما يسمونه بالحزب ، دبر بعض الصلوات الخمس وهى قراءة جماعية بصوت واحد وهى هيئة قراءة محدثة فنظر فيها بعض أهل العلم فقال بمنعها لأن الهيئة محدثة لم تكن معروفة على عهد السلف . ونظر إليها بعضهم فأجازها لأنها

التى لم يشهد الشارع لها باعتبار ولا الغاء ولكنها داخلة فى مقاصده العامة فليس من حق أحد أن يقول فيها إنها بدع حسنة ويقيس عليها ما حرم رسول الله ﷺ من الابتداع فى الدين بقوله : **« إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »** .

وخلاصة القول أيها القارىء أن المصالح المرسلة غير البدع المحدثة فالمصالح المرسلة لا ترد ولاتقصد لذاتها ، وإنما تراد وسيلة لحفظ واجب أو أدائه ، أو درء مفسدة ، أو تجنبها أما البدع فإنها تشريع يُضاهى به شرع الله مقصود لذاته ، لاوسيلة لغيره من جلب نفع أو دفع ضر ، والتشريع المقصود بذاته من حق الله تعالى وحده ، إذ غير الله عز وجل لا يقدر على وضع عبادة تؤثر فى النفس البشرية ، بالتطهير والتزكية وما الانسان بأهل لذلك أبدا . وعليه فليلزم المرء حدّه وليطلب ما هو له ، وليترك ما ليس له فإن ذلك خير له وأسلم .

= وسيلة لحفظ القرآن . وما قلته أنا لأهل تلك البلاد كان جيما بين النظرين : وهو إن كان المراد من هذه القراءة الجماعية التعبد فلا تصح لأنها محدثة ، وإن كان المراد منه المحافظة على القرآن حتى لا يضيع بينهم فهى من المصالح المرسلة التى يجيزها أكثر أهل العلم ، والله أعلم .

المـــوالد عامـــة
وحكـــم الاســـلام عليـــها

إن كلمة الموالد جمع مولد مدلولها لايختلف بين إقليم إسلامى وآخر إلا أن كلمة مولد لا تطرد فى كل البلاد الاسلامية إذْ أهل بلاد المغرب الأقصى (مراكش) يسمـونها بالمـواسم فيقـال : موسم مولاى إدريس مثلا ، وأهل المغرب الأوسط « الجزائر » يسمونها بالزرد جمع زردة فيقال زردة سيدى أبى الحسن الشاذلى مثلا ، وأهل مصر والشرق الأوسط عامة يسمـونها الموالد فيقولون مولد السد زينب ، أو مولد السيد البدوى مثلا وسماها أهل المغرب بالمواسم لأنهم يفعلونها موسميا أى فى العام مرة .
وسماها أهل الجزائر بالزردة باعتبار ما يقع فيها من ازدراد الأطعمة التى تطبخ على الذبائح التى تذبح للولى ، أو عليه بحسب نيات المتقربين ، وسماها من سماها بالحضرة إما لحضور روح الولى فيها ولو بالعناية والبركة ، أو لحضور المحتفلين لها وقيامهم عليها .

هذا بالنسبة إلى مجرد التسمية أما بالنسبة إلى ما يجرى فيها من أعمال فإنها تختلف كيفا وكـمًّا بحسب وعى أهـل الاقليم ، وفقـرهـم وغنـاهـم والقاسم المشترك بينهم فيها ما يلى :

١ ـ ذبح النذور والقرابين للسيد أو الولى المقام له الموسم أو الزردة أو المولد أو الحضرة .
٢ ـ اختلاط الرجال الأجانب والنساء الأجنبيات .
٣ ـ الشطح [١] والرقص وضرب الدفوف والتزمير بالمزامير المختلفة .
٤ ـ إقامة الأسواق للبيع والشراء وهذا غير مقصود غير أن التجار يستغلون التجمعـات الكـبري ويجلبون اليها بضائعهم لعرضها وبيعها وعندما

---

(١) الشطح كالرقص هو لغة الانخفاض والارتفاع ، والرقص محرك الراء والقاف مصدر رقص غير أن الشطح لم يذكر له فى اللغة فعل فيما علمت من بحثى ، وإنما الشطّح بكسر الشين والطاء المشددة لفظ يزجر به العريض من أولاد المعز . وهو من أتى عليه سنة .

يوجد الطلب والعَرْضَ تقوم السوق على ساقها ، وناهيك بأسواق منى وعرفات .

٥ ـ دعاء الولى أو السيد والاستغاثة به والاستشفاع وطلب المدد وكل ما تعذر الحصول عليه من رغائب وحاجات وهو شرك أكبر والعياذ بالله .

٦ ـ قد يحصل شيء من الفجور وشرب الخمور ، ولكن لا يطرد هذا لا فى كل البلاد ولا فى كل الموالد .

٧ ـ مساعدة الحكومات على إقامة هذه المواسم بنوع من التسهيلات وقد تسهم بشيء من المال أو اللحم أو الطعام . فقد كانت فرنسا فى بلاد المغرب بأقاليمه الثلاثة تساعد حتى بتخفيض تذكرة الاركاب فى القطار ، وكذلك بلغنى أن الحكومات المصرية تفعل ومن أغرب ما نسمع عن هذا الوفاق أن حكومة اليمن الجنوبى وهى بلشفية خالصة تشجع [١]هذه الموالد ولو بعدم إنكارها التى أنكرت الاسلام عقائد وعبادات وأحكاماً . ولهذا دلالة كبرى وهى ان هذه الموالد ما ابتدعت إلا لضرب الاسلام ، وتحطيمه والقضاء عليه .

ومن هنا كان حكم الاسلام على هذه الموالد والمواسم والزرد والحضرات المنع والحرمة فلا يبيح منها مولداً ولا موسماً ولا زردة ولا حضرة ، وذلك لأنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الاسلامية ، وإفساد حال المسلمين ، ويدلك على ذلك مناصرة أهل الباطل لها ووقوفهم إلى جنبها ومعها ، ولو كان فيها ما يوقظ الروح الاسلامى ، أو يحرك ضمائر المسلمين لما وجدت من حكومات الباطل والشر الا محاربتها والقضاء عليها .

هذا وهل دعاء غير الله والذبح والنذر لغير الله ، غير شرك حرام ؟ وهذه الموالد ما قام سوقها إلا على ذلك . وهل الرقص والمزامير واختلاط النساء بالرجال إلا فسق وحرام ؟ وما خلت تلك الموالد والمواسم من شيء من هذا فكيف اذاً لا تكون حراماً ، وهل هذه الموالد عرفها رسول الله وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ؟ والجواب : لا ، لا ومالم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه دينا فهل يكون اليوم دينا ؟ وما لم

(١) حدثنى بهذا أبناء الجنوب أنفسهم .

يكن دينا فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . سئل مالك رحمه الله تعالى عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء فقال للسائل : هل الغناء حق ؟ قال : لا ، قال اذاً فماذا بعد الحق الا الضلال . فهذه الموالد على اختلافها ما فيها من حق ألبتة ، ومالم يكن حقا فهو باطل ، إذ ما بعد الحق الا الضلال . ومن ثَمَّ أصبح المولد النبوى الشريف عبارة عن اجتماعات فى المساجد أو فى بيوت الموسرين من المسلمين يبتدىء غالباً من هلال ربيع الأول إلى الثانى عشر منه ، يتلى فيها جانب من السيرة النبوية كالنسب الشريف وقصة المولد ، وبعض الشمائل المحمدية الطاهرة الخَلْقية منها والخُلُقية مع جعل اليوم الثانى عشر من شهر ربيع يوم عيد يوسع فيه على العيال ، وتعطل فيه المدارس والكتاتيب ، ويلعب فيه الأطفال أنواعا من اللعب ، ويلهون ألوانا من اللهو هكذا كنا نعرف المولد ببلاد المغرب ، حتى إذا جئنا بلاد المشرق وجدنا المولد فيها عبارة عن اجتماعات فى بيوت الأغنياء والموسرين يعقد تحت شعار ذكرى المولد النبوى الشريف وليس خاصا عندهم بشهر ربيع الأول ولا باليوم الثانى عشر منه ، بل يقيمونه عند وجود أية مناسبة من موت أو حياة ، أو تجدد حال ، وكيفيته : أن تذبح الذبائح وتعد الأطعمة ويدعى الأقارب والأصدقاء وقليل من الفقراء ، ثم يجلس الكل للاستماع فيتقدم شاب حسن الصوت فينشد الأشعار ويترنم بالمدائح وهم يرددون معه بعض الصلوات (١) ثم يقرأ قصة المولد حتى إذا بلغ : وولدته آمنة مختوناً . قام الجميع إجلالا وتعظيما ووقفوا دقائق فى إجلال وإكبار تخيلا منهم وضع آمنة لرسول الله ﷺ ، ثم يؤتى بالمجامر وطيب البخور فيتطيب الكل ، ثم تدار أكؤس المشروبات الحلال فيشربون ثم تقدم قصاع الطعام فيأكلون وينصرفون ، وهم معتقدون أنهم قد تقربوا إلى الله تعالى بأعظم قربة .

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن جلّ القصائد والمدائح التى يتُغنَّى بها فى المولد لا يخلو من ألفاظ الشرك وعبارات الغلو الذى نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله : **لا تطرونى (٢) كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وانما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله** » كما يختم الحفل بدعوات

(١) نحو صلى عليك الله ياعلم الهدى ما حن مشتاق إلى لقاك . بإشباع الكاف من لقاك .

(٢) رواه البخارى ومسلم

تحمل الفاظ التوسلات المنكرة ، والكلمات الشركية المحرمة لأن جل الحاضرين عوام أو غلاة فى حب التوسلات الباطلة التى نهى عنها العلماء كالسؤال بجاه فلان وحق فلان والعياذ بالله تعالى ، واللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

هذا هو المولد فى عرف الناس اليوم ومنذ ابتداعه على عهد الملك المظفر سنة ستمائة وخمس وعشرين من الهجرة النبوية .

أما حكمه فى الشريعة الاسلامية فإنا نترك للقارىء الكريم الافصاح عنه إذ قد عرف من خلال هذا البحث أن المولد أحدث فى القرن السابع فقط ، وأن كل مالم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه دينا لم يكن لمن بعدهم دينا . والمولد فى عرف الناس اليوم لم يكن موجودا على عهد الرسول وأصحابه ولا على عهد أهل القرون المفضلة وإلى مطلع القرن السابع قرن الفتن والمحن ، فكيف يكون إذا دينا ؟ وإنما هو بدعة ضلالة **بقول الرسول ﷺ : « إياكم ومحدثات[1] الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »**

وزيادة فى إيضاح الحكم نقول : إذا كان الرسول ﷺ قد حذرنا من محدثات الأمور وأخبرنا أن كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة وأن مالكا رحمه الله تعالى قال : لتلميذه الامام الشافعى[2] رحمه الله تعالى : إن كل مالم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه دينا لم يكن اليوم دينا . وقال : من ابتدع فى الاسلام بدعة فرآها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد خان الرسالة ، وذلك لأن الله تعالى قال : **﴿ اليوم[3] أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾** وأن الامام الشافعى رحمه الله تعالى قال : كل ماأُحدِثَ مما يخالف كتابا أو سنة أو إجماعا فهو بدعة .

فهل يكون المولد النبوى بالمعنى العرفى غير بدعة ، وهو لم يكن سنة من سنن الرسول ولامن سنن الخلفاء الراشدين ، ولا من عمل السلف الصالح ، وإنما أحدث فى القرون المظلمة من تاريخ الاسلام حيث

---

(١) رواه أصحاب السنن وهو صحيح السند . (٢) ويرى أيضاً أنه قاله لابن الماجشون . (٣) الأية من سورة المائدة .

نجمت الفتن وافترق المسلمون ، واضطربت أحوالهم وساء أمرهم ثم إننا لو سلمنا جدلا أن المولد قربة من القرب بمعنى أنه عبادة شرعية يتقرب بها فاعلها إلى الله تعالى لينجيه من عذابه ، ويدخله جنته فإنا نقول : من شرع هذه العبادة الله أم الرسول ﷺ ؟ والجواب لا ، وإذاً فكيف توجد عبادة لم يشرعها الله ورسوله وهذا مستحيل . وشيء آخر أن العبادة لها حيثيات أربع ، كميتها وكيفيتها وزمانها ومكانها فمن يقدر على إيجاد هذه الحيثيات وتحديدها وتعيينها ؟ لا أحد . وعليه فلم يكن المولد قربة ولا عبادة بحال من الأحوال ، وإذا لم يكن قربة ولا عبادة فماذا عساه أن يكون سوى بدعة ؟؟

المولد النبوى الشريف
وحكم الاسلام فيه

تعريف المولد

ما هو المولد النبوى الشريف ؟

إن المولد النبوى الشريف فى عرف اللغة العربية هو المكان أو الزمان الذى ولد فيه خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . فمولده المكانى ـ فداه نفسى وأبى وأمى ـ هو دار أبى يوسف المقام عليها اليوم مكتبة عامة بمكة المكرمة . ومولده الزمانى هو يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول من عام سبعين وخمسمائة من تاريخ ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

هذا هو المراد من كلمة المولد النبوى الشريف فى العرف اللغوى ، والذى لم يعرف المسلمون غيره طيلة ستة قرون وربع قرن أى من يوم نزول الوحى إلى مطلع القرن السابع الهجرى ، ثم بعد سقوط الخلافة الاسلامية الراشدة وانقسام بلاد المسلمين وتمزقها وما تبع ذلك من ضعف وانحراف فى العقائد ،والسلوك ، وفساد فى الحكم والادارة ظهرت بدعة المولد النبوى الشريف كمظهر من مظاهر الضعف والانحراف فكان أول من أحدث هذه البدعة الملك المظفر صاحب إربل من بلاد الشام[١] غفر الله لنا وله ، وأول من ألف فيها مولدا أبو الخطاب بن دحية سماه : التنوير فى مولد البشير النذير قدمه للملك المظفر الأنف الذكر فأجازه بألف دينار ذهبا .

ومن طريف ما يعلم فى هذا الشان أن السيوطى ذكر فى كتابه الحاوى أن الملك المظفر مبتدع بدعة المولد قد أعد سماطاً فى أحد الموالد التى يقيمها وضع عليه خمسة آلاف رأس غنم مشوى ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة

---

(١) الصواب أنها من أعمال الموصل لا الشام .

فرس ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين الف صحن حلوى . وانه آقام سماعا للصوفية من الظهر إلى الفجر ، وكان يرقص فيه بنفسه مع الراقصين . فكيف تحيا أمة ملوكها دراويش يرقصون فى حفلات الباطل ، وإنا لله وإنا اليه راجعون . وإن قيل : وإذا كان المولد بدعة أفلا يثاب فاعله على أفعال البر التى فيه من ذكر ودعاء واطعام طعام ؟ نقول : هل يثاب على صلاة فى غير وقتها ؟ هل يثاب على صدقة لم تقع فى موقعها ؟ هل يثاب على حج فى غير وقته ؟ هل يثاب على طواف حول غير الكعبة أو على سعى بين غير الصفا والمروة ؟ فإن قيل فى كل هذه لا ، لا ، قيل كذلك فى أفعال البر المصاحبة للمولد لا ، لا ، لعلة الاحداث فيها والابتداع الذى صاحبها ، وإذ لو صح ذلك وقبل من فاعله لأمكن الاحداث فى الدين ، وهذا مردود بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من أحدث[1] فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد .

علل غير كافية
فى إقامة المولد

إن مما يدل على أن مسألة المولد النبوى الشريف قد اتبع فيها الهوى ولم يتبع فيها الشرع تبرير أهلها لها بالعلل الخمس الآتية وهى :

١ ـ كونها سنوية يتذكر فيها المسلمون نبيهم ﷺ ، فيزداد حبهم وتعظيمهم له .

٢ ـ سماع الشمائل المحمدية ، ومعرفة النسب النبوى الشريف .

٣ ـ إظهار الفرح بولادة الرسول صلى الله عليه وسلم لما يدل ذلك على حب الرسول وكمال الايمان به .

٤ ـ إطعام الطعام وهو مأمور به ، فيه أجر كبير لا سيما بنية الشكر لله تعالى .

٥ ـ الاجتماع على ذكر الله تعالى من قراءة القرآن والصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام .

---

(١) تقدم وانه رواه مسلم فى صحيحه .

هذه خمس علل تعلل بها بعض مجيزى المولد وهى علل كما سترى غير كافية وباطلة أيضا لما فيها من معنى الاستدراك على الشارع ، بتشريع مالم يشرعه مع الحاجة إليه . وإليك أيها القارىء بيان بطلان هذه العلل واحدة بعد أخرى .

١ ـ كون المولد ذكرى الخ هذه تصلح أن تكون علة لو كان المسلم لا يذكر النبى ﷺ فى كل يوم عشرات المرات فتقام له ذكرى سنوية أو شهرية يتذكر فيها ليزداد بذلك إيمانه به وحبه له ، أما والمسلم لا يصلى صلاة من ليل أو نهار الا ذكر فيها رسوله وصلى عليه فيها وسلم . ولا يدخل وقت صلاة ولا يقام لها إلا ويذكر الرسول ، ﷺ ويصلى عليه . إن الذى تقام له ذكرى خشية النسيان هو من لا يذكر . أما من يذكر ولا ينسى فكيف تقام له ذكرى حتى لا ينسى ، أليس هذه من تحصيل ما هو حاصل ، وتحصيل الحاصل عبث ينزه عنه العقلاء .

٢ ـ سماع بعض الشمائل المحمدية الطاهرة والنسب الشريف هذه علة غير كافية فى إقامة المولد ، لأن معرفة الشمائل المحمدية والنسب الشريف لا يكفى فيها أن تسمع مرة فى العام ، وماذا يغنى سماعها ، مرة وهى جزء من العقيدة الاسلامية ؟ إن الواجب على كل مسلمٍ ومسلمة أن يعرف نسب نبيه صلى الله عليه وسلم وصفاته كما يعرف الله تعالى : بأسمائه وصفاته . وهذا لابد له من التعليم . ولا يكفى فيه مجرد سماع تلاوة قصة المولد مرة فى العام .

٣ ـ إعلان الفرح الخ هذه علة واهية ، إذ الفرح إما أن يكون بالرسول ﷺ أو بيوم ولد فيه ، فإن كان بالرسول ﷺ فليكن دائما كلما ذكر الرسول ولا يختص بوقت دون وقت ، وإن كان باليوم الذى ولد فيه ، فإنه أيضاً اليوم الذى مات فيه ، ولا أحسب عاقلا يقيم احتفال فرح وسرور باليوم الذى مات فيه حبيبه وموت الرسول ﷺ أعظم مصيبة أصابت المسلمين حتى إن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يقولون : من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته برسول الله ﷺ . أضف إلى ذلك أن الفطرة البشرية قاضية : أن الانسان يفرح بالمولود يوم ولادته ، ويحزن

عليه يوم موته ، فسبحان الله ، كيف يحاول الانسان غرورا تغيير الطبيعة ؟

٤ ـ إطعام الطعام الخ هذه العلة أضعف من سابقاتها ؟ إذ إطعام الطعام مندوب إليه مرغب فيه كلما دعت الحاجة اليه فالمسلم يقرى الضيف ويطعم الجائع ويتصدق طوال العام ، ولم يكن فى حاجة إلى يوم خاص من السنة يطعم فيه الطعام ، وعليه فهذه ليست بعلة تستلزم إحداث بدعة بحال من الأحوال .

٥ ـ الاجتماع على الذكر الخ هذه العلة فاسدة وباطلة لأن الاجتماع على الذكر بصوت واحد لم يكن معروفا عند السلف فهو فى حد ذاته بدعة منكرة . وأما المدائح والقصائد بالأصوات المطربة الشجية فهذه بدعة أقبح ولا يفعلها إلا المتهوكون [1] فى دينهم والعياذ بالله تعالى .

مع أن المسلمين العالمين يجتمعون كل يوم وليلة طوال العام فى الصلوات الخمس فى المساجد وفى حلق العلم لطلب العلم والمعرفة ، وما هم فى حاجة الى جلسة سنوية الدافع عليها فى الغالب الحظوظ النفسية من سماع الطرب والأكل والشرب .

شبهٌ ضعيفةٌ

احتج بها المرخصون

فى الاحتفال بالمولد

اعلم أخى المسلم فتح الله تعالى علىَّ وعليك فى العلم والعمل أنه عند ماأحدثت بدعة المولد فى مطلع القرن السابع وفشت وانتشرت بين الناس لوجود فراغ روحى وبدنى معاً ، لترك المسلمين الجهاد وانشغالهم بإطفاء نيران الفتن التى أشعل نارها أعداء الاسلام وخصومه من اليهود والنصارى والمجوس ، وتأصلت هذه البدعة فى النفوس وأصبحت جزءاً من عقيدة

(١) التهوك : التحير والتهور والاضطراب فى القول . فالمتهوكون : المتحيرون المتهورون المضطربون فى الدين

كثير من أهل الجهل لم يجد بدًا بعض أهل العلم كالسيوطى رحمه الله تعالى من محاولة تبريرها بالبحث عن شبه يمكن أن يشهد بها على جواز بدعة المولد هذه وذلك إرضاء للعامة والخاصة أيضا من جهة ، وتبريرا لرضى العلماء بها وسكوتهم عنها لخوفهم من الحاكم والعوام من جهة أخرى .
وهاك بيان هذه الشبه مع إظهار ضعفها وبطلانها لتزداد بصيرة فى هذه القضية التى اضطررنا لبحثها وبيان الحق فيها .

والشبه المذكورة تدور على أثر تاريخى ، وثلاثة أحاديث نبوية ، ومثير هذه الشبه وبطلها هو السيوطى غفر الله تعالى لنا وله ، وما كان أغناه عن مثل هذا وهو أحد علماء القرن العاشر قرن الفتن والاحن والمحن ، والعجيب أنه فرح بهذه الشبه وفاخر بها وقال : إنى وجدت [(١)] للمولد أصلاً فى الشرع ، وخرجته عليه ، ولا يستغرب هذا من السيوطى وهو كما قيل فيه حاطب ليل، يجمع بين الشىء وضده .

الشبهة الاولى فى الأثر التاريخ وهو ماروى من آن آباهب [(٢)] الخاسر رؤى فى المنام ،فسئل فقال : إنه يعذب فى النار ،إلا أنه يخفف عنه كل ليله اثنين ، ويمص من بين أصبعيه ماء بقدر هذا وأشار إلى رأس أصبعه وأن ذلك كان له بسبب إعتاقه جاريته ثويبة لما بشرته بولادة محمد ﷺ لأخيه عبد الله بن عبد المطلب ، وبإرضاعها له ﷺ ورد هذه الشبهة وإبطالها من أوجه :

١ ـ أن أهل الاسلام مجمعون أن الشرع لا يثبت برؤى الناس المنامية مهما كان ذو الرؤيا فى إيمانه وعلمه وتقواه ، إلا أن يكون نبى الله فإن رؤيا الأنبياء وحى والوحى حق .

٢ ـ أن صاحب هذه الرؤيا هو العباس بن عبد المطلب والذى رواها عنه رواها بالواسطة فالحديث إذا مرسل ، والمرسل لا يحتج به ولا تثبت به عقيدة ولا عبادة ،مع احتمال أن الرؤيا رآها العباس قبل إسلامه ورؤيا الكافر حال كفره لا يحتج بها إجماعا .

٣ ـ آكثر أهل العلم من السلف والخلف على آن الكافر لا يثاب على صالح عمله إذا مات على كفره ،وهو الحق ،لقول الله تعالى﴿ وقدمنا

(١) الحاوى فى الفتاوى للسيوطى .

(٢) انظر فتح البارى فى هذه المسألة فقد أفاد فيها وأجاد

إلى ما عملوا من عمــل فجعلنـاه هبـاء منثـورا ﴾ وقـولـه عز وجل : . . . **﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾** وقول رسول الله ﷺ ، وقد سألته عائشة رضى الله عنها عن عبد الله بن جدعان الذى كان يذبح كل موسم حج ألف بعير ويكسو ألف حلة ، ودعا إلى حلف الفضول فى بيته هل ينفعه ذلك يارسول الله ؟ فقال : لا ، لا لأنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » وبهذا يتأكد عدم صحة هذه الرؤيا ، ولم تصبح شاهدا ولا شبهة أبدا .

٤ ـ ان الفرح الذى فرحه أبو لهب بمولود لأخيه فرح طبيعى لا تعبدى ، إذ كل إنسان يفرح بالمولود يولد له ، أو لأحد إخوانه أو أقاربه ، والفرح إن لم يكن لله لايثاب عليه فاعله ، وهذا يضعف هذه الرواية ويبطلها . مع أن فرح المؤمن بنبيه معنى قائم بنفسه لا يفارقه أبدا لأنه لازم حبه ، فكيف نحـدث له ذكرى سنوية نستجلبه بها ، اللهم إن هذا معنى باطل ، وشبهة ساقطة باطلة لا قيمة لها ولا وزن فكيف يثبت بها إذا شرع لم يشرعه الله لاعن عجز ولاعن نسيان ولكن رحمة بعباده المؤمنين فله الحمد وله المنة .

الشبهة الثانية فيما روى من أن النبى ﷺ قد عق [١] عن نفسه ، بعد شرعه العقيقة لأمته ، وبما أن جده عبد المطلب قد عق عنه ، والعقيقة لاتعاد ، دلّ هذا على أنه فعل ذلك شكرا لله تعالى على نعمة ولادته أو يمكن حينئذ أن يتخذ هذا أصلا تخرج عليه بدعة المولد

هذه الشبهة أضعف من سابقتها ، ولا قيمة لها ولا وزن ، إذ هى قائمة على مجرد احتمال ان النبى ﷺ قدعق شكـرا على نعمة إيجاده والاحتمال أضعف من الظن ، والظن لا تثبت به الشرائع ، والله يقول **﴿ إن بعض الظن إثم ﴾** والرسول ﷺ يقول : **« إياكم والظن[٢] فإن الظن أكذب الحديث »** .

وشىء آخر هو هل ثبت أن العقيقة كانت مشروعة لأهل الجاهلية وهم

---

(١) لم أعرف هذه الرواية من خرجها ولا من أسندها ، والسيوطى ذكرها بصيغة التمريض ، ولا اخالها تصح .

(٢) حديث صحيح رواه مالك والشيخان .

يعملون بها حتى نقول إن عبد المطلب قدعق عن ابن ولده ، وهل أعمال أهل الجاهلية يعتد بها فى الاسلام ، حتى نقول : اذا عق النبى ﷺ عن نفسه شكرا لاقياما بسنة العقيقة ، إذ قدعق عنه ؟؟ سبحان الله ما أعجب هذا الاستدلال وما أغربه وهل إذا ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم ذبح شاة شكرا لله تعالى على نعمة إيجاده وامداده يلزم من ذلك اتخاذ يوم ولادته ﷺ عيدا للناس ؟ ولم لم يدعُ الى ذلك رسول الله ﷺ ويبين للناس ماذا يجب عليهم فيه من أقـوال وأعـمال ؟ كما بين ذلـك فى عيدى الفطر والأضحى . أنسى ذلك أم كتمه وهو المأمور بالبلاغ ؟ سبحانك اللهم إن رسولك مانسى ولاكتم ولكن الانسان كان أكثر شىء جدلا .

الشبهة الثالثة فيما صح من أن النبى ﷺ صام (١) يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه ولما سئل عن ذلك قال إنه يوم صالح أنجى الله تعالى فيه موسى وبنى اسرائيل الحديث .... ووجه الشبهة فيه : انه لما صام النبى ﷺ وأمـر المؤمنين بالصيام فى هذا اليوم شكرا لله تعالى على نجاة موسى وبنى إسرائيل ، لنا أن نتخذ نحن يوم ولادة النبى صلى الله عليه وسلم لايوم صيام ولكن يوم أكلٍ وشرب وفرح ، فما أعجب هذا الفهم المعكوس ، والعياذ بالله تعالى ، إذ المفروض أننا نصوم كما صام النبى صلى الله عليه وسلم لاأننا نقيم المآدب والأفراح بالطبول والمزامير ، فهل الله تعالى يشكر بالطرب والاكل والشرب ؟ اللهم لا ، لا . ثم هل لنا من حق فى أن نشرع لانفسنا صياما أو غيره ، وإنما واجبنا الاتباع فقط . وقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء فكان صيامه سنة وسكت عن يوم ولادته فلم يشرع فيه شيئا فوجب أن نسكت كذلك ، ولا نحاول أن نشرع فيه صياما ولا قياما فضلا عن اللهو واللعب .

الشبهة الـرابـعة فيما صح عنه ﷺ من آنه كان يصوم (٢) يوم الاثنين والخميس ، وتعليله بقوله : **أما يوم الاثنين فإنه يوم ولدت فيه وبعثت فيه وأما يوم الخميس فإنه يوم تعرض فيه الأعمال على الله تعالى فأنا أحب أن يعرض عملى على ربى وأنا صائم »**

(١) صيام يوم عاشوراء ثابت فى الصحاح والسنن

(٢) رواه ابن ماجه وغيره وهو صحيح .

ووجه الشبهة عندهم والتى خرجوا عليها بدعة المولد هى كونه ﷺ صام يوم الاثنين وعلله بقوله « **إنه يوم ولدت فيه وبعثت فيه** » ورد هذه الشبهة وإبطالها وإن كانت أضعف من سابقاتها من أوجه : **الأول** : أنه إذا كان المراد من إقامة المولد هو شكر الله تعالى على نعمة ولادة الرسول ﷺ فيه فإن المعقول والمنقول يحتم أن يكون الشكر من نوع ما شكر الرسول ربه وهو الصوم ، وعليه فلنصم كما صام ، وإذا سئلنا قلنا إنه يوم ولد فيه نبينا فنحن نصومه شكرا لله تعالى ، غير أن أرباب الموالد لا يصومونه ، لأن الصيام فيه مقاومة للنفس بحرمانها من لذة الطعام والشراب ، وهم لا يريدون ذلك ، فتعارض الغرضان فآثروا ما يحبون على ما يحب الله وهى زلة عند ذوى البصائر والنهى ، **والثانى** أن الرسول ﷺ لم يصم يوم ولادته وهو اليوم الثانى عشر من ربيع الأول إن صح أنه كذلك ، وإنما صام يوم الاثنين الذى يتكرر مجيئه فى كل شهر أربع مرات أو أكثر ، وبناء على هذه فتخصيص يوم الثانى عشر من ربيع الاول بعمل ما دون يوم الاثنين من كل أسبوع يعتبر استدراكا على الشارع وتصحيحا لعمله وما أقبح هذا إن كان والعياذ بالله تعالى . **والثالث** هل النبى ﷺ لما صام يوم الاثنين شكرا على نعمة الايجاد والامداد وهو تكريمه ببعثه الى الناس كافة بشيرا ونذيرا أضاف إلى الصيام احتفالا كاحتفال أرباب الموالد من تجمعات ومدائح وأنغام ، وطعام وشراب ؟ والجواب لا ، وانما اكتفى بالصيام فقط إذاً ألا يكفى الأمة ما كفى نبيها ، ويسعها ما وسعه ؟؟ وهل يقدر عاقل أن يقول لا . وإذا فلم الافتيات على الشارع والتقدم بالزيادة عليه ، والله يقول ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ويقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم** ﴾ ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** » ويقول : « **إن الله حدَّ حدودا فلا تَعْدُوهَا ، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء**

---

(١) أخرجه ابن جرير ورواه الحاكم وصححه عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه

في غير نسيان ، ولكن رحمة لكم فاقبلوها ولا تبحثوا عنها » (١)

(البديل الخير)

وإن قيل لك أيها القارىء الكريم : إنكم قد أبطلتم بدعة المولد بما أجلبتم عليها من خيل الحجج ورجل البراهين ، فما هو البديل عن هذه البدعة التى ما كانت تخلو فى الجملة من بعض الخير ؟ قل لهم إليكم البديل الخير :

أما عن قراءة قصة المولد وما تضمنته من استعراض للنسب الشريف والشمائل المحمدية الطاهرة فإن البديل عن ذلك أن يأخذ المسلمون أنفسهم بالجد ، فيجتمعوا فى مساجدهم كل يوم من بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء على عالم بالكتاب والسنة يعلمهم أمور دينهم ، ويفقههم فيه ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، ويومئذ سيتعلمون النسب الشريف ويدرسون الشمائل المحمدية ويتصفون بما فيه الأسوة منها وبذلك يصبحون حقًا من أتباع رسول الله ﷺ وأحبائه المحتفين به صدقا وحقا لا ادعاءً ونطقا .

وأما عن الذكر وقراءة القرآن فإن البديل أن يكون لأحدهم ورد فى الصباح وورد فى المساء ، وورد فى آخر الليل . أما ورد الصباح : فسبحان الله (١) وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ، و ـ لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير مائة مرة . وورد فى المساء : استغفر الله لى ولوالدى وللمؤمنين مائة مرة ، والصلاة على النبى ﷺ مائة مرة ، وأما ورد آخر الليل فصلاة ثمان ركعات يقرأ فى كل ركعة ربع جزء ، ويختم صلاته بثلاث ركعات يصلى اثنتين ويوتر بواحدة . مع المحافظة على صلاة الجماعة فى بيوت الله خاصة البردين لحديث « من صلى البردين (٢) يدخل الجنة » والبرذان العصر والصبح .

وأما عن السماع فالبديل الخير أن يقتنى عددا من تسجيلات عظماء المجودين أمثال كامل يوسف البهتيمى ، والمنشاوى ، والصيفى ، والدروى والطبلاوى ، وكلما جفت نفسه وشعر باليبوسة فليفتح مسجله وليصغ

(١) هذه الأذكار بأعدادها ثابتة فى الصحاح والسنن ، وكذا ورد الصلاة اخر الليل .

(٢) رواه الشيخان .

يستمع فإنه يطرب الطرب الحق المثير الشوق إلى الله تعالى ، والرغبة فى جواره الكريم .

وأمـا عن إطعـام الـطعام وازدراده مع الاخوان فبابه مفتوح وطريقه معـروف والعامة يقولون : (من بيد[١] ، كل يوم عيد) فلا يتوقف على احتفال ولا طاعة ولا امتثال فليطبخ طعامه وليدع الفقراء وحتى الاغنياء وليأكل وليحمد الله تعالى ، وليشكره ، ومن يشكر الله يزده ، والله خير الشاكرين .

غلوّ فى المولد شائن

إن ممايدعو إلى الأسى والأسف معا وجود كثير من أصحاب الموالد والمحبذين لها ومن بينهم طلبة علم قد غلوا فى تمجيد هذه البدعة ، وأكبروا من شأنها وتعـظيمهـا إلى حدٍّ أن بعضهم لا يتورع أن ينسب من ينكرها بوصفها بدعة محدثة ضلالة أن ينسبه إلى الكفر والمروق من الدين بقوله : فلان يبغض الرسول ﷺ أو يكرهه ، لأنه لا يحب المولد أو يكره الاحتفال بالمولد ، وهو يعلم أن من يكره الرسول ﷺ أو لايحبه يكفر بذلك بإجماع المسلمين ، ومن هنا كان قوله فلان يكره الرسول ﷺ تكفير له ، وتكفير المسلم لايحل أبدا . ومع العلم أنه لا ينكر البدعة ولا ينهى عنها ويحذر منها إلا مؤمن وصالح أيضا ، فكيف يكفَّرُ أو يتهم بالكفر والعياذ بالله ، وكأن هؤلاء الغلاة فى شأن هذه البدعة عَمُوا عن قول الرسول ﷺ فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما المتفق على صحته البخارى ومسلم : « إذا قال الرجل لأخيه : ياكافر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » وصموا عن قوله ﷺ فى حديث أبى ذر المتفق عليه أيضا : **« من دعا رجلا بالكفر ، أو قال : عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه »** أى رجع عليه ما قالـه من الكفر أو اللعن . إن هذا السلوك لشىء يدعو إلى العجب والاستغراب حقا إن من حق المسلم على المسلم أن يأمره بالمعروف إذا تركه وينهاه عن المنكر إذا ارتكبه ، فإذا قام المسلم بحق أخيه فأمره أو نهاه

---

(١) بإشباع ضمة الدالين ، وهذا الاشباع عوض عن الضميرين المحذوفين ، إذا الاصل من بيده المال فكل يوم عيده .

يجازيه أخوه المأمور أو المنهى بأسوإ جزاء وأقبحه بنسبته إلى الكفر والعياذ بالله تعالى وهذا فى الحقيقة عائد إلى سوء أحوال المسلمين ، وفساد قلوبهم وأخلاقهم بسبب بعدهم عن التربية الاسلامية ، التى هى قوام حياة المسلمين ، وسبب سعادتهم وكمالهم . إذ قد انعدمت هذه التربية منذ قرون عدة وانعدم بينهم من يقوم بها فيهم مع شديد الأسف ، وهذه الأمة المحمدية حاجتها إلى التربية الروحية والخلقيه أمس حاجاتها إليها ، إذ ما كملت فى الصدر الأول ولا سعدت إلا عليها قال تعالى : ﴿ **هو[1] الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته** ويزكيهم **ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ فتزكية الرسول ﷺ لأصحابه هى تربية نفوسهم على الكمالات ، وأخلاقهم على الفضائل بما يغذوهم به يوميا من أنواع المعارف ويروضهم عليه من أنواع السنن والآداب حتى كملوا وطهروا . وقام بعده حواريوه وأصحابه بتربية المسلمين فى كل الامصار والبلاد التى انتشروا فيها ، وخلفهم بعد وفاتهم تلامذتهم من التابعين ، وتابعى التابعين مع من بعدهم ، وسارت أمة الاسلام كاملة طاهرة خيرة إلى أن انعدمت فيها هذه التربية وانعدم رجالها . فسادتها الفوضى والانقسام ، وتقاسمتها الأهواء والشهوات ، وتولى فى يوم من الأيام تربيتها رجال ليسوا أهلا لذلك فزادوافى سوء حالها واضطراب امرها فكانوا كما قيل : (ضغثا على إبالة) وأخيرا ما علىَّ إلا أن أنصح لأخى المسلم الذى أصر على هذه البدعة وعز عليه أن يتركها لاقتناعه بجوازها أو فائدتها ونفعها ، أو لطول ما اعتاد فعلها وألف إقامتها أنصح له أن يعذر أخاه المسلم اذا نهاه عنها أو انكرها عليه ؟ لأنه مأمور بذلك من قبل المحتفل به صلى الله عليه وسلم ، **إذ قال« من[2] رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » وبقوله : « لتأمرن بالمعروف[3] ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم »** إن المفروض فى المسلم اذا أمره أخوه بمعروف أو نهاه عن منكر أو

---

(١) الآية من سورة الجمعة . ونظيرها من آل عمران : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم ﴾ الايه .

(٢) رواه ملسم .

(٣) رواه أحمد والترمذى وحسنه أوله : والذى نفسى بيده لتامرن الخ .

نصح له بفعل خير وترك شر أن يستجيب له ، أو يرد عليه ردا جميلاً كأن يقول جزاك الله خيرا لقد أديت واجبك معى . وأنا مبتلى عسى الله أن يعفو عنى . أو يقول هذه بدعة غير أنى رأيت بعض أهل العلم أقرها أو عمل بها أو أجازها ، فاتبعتهم وإنى أرجو أن لا يؤاخذنا الله هكذا ينبغى أن يكون المسلمون ، لا أن يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا اتباعا للهوى وتعصبا للآراء ، وغلوا فى الدين غير الحق والعياذ بالله تعالى من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق .

إجحاف غير لائق

إن مما ينبغى أن يعلم ويقال أيضا تمشياً مع مبدإ الانصاف من (١) النفس أن أكثر الذين يقيمون حفلات المولد النبوى الشريف من المسلمين إنما يقيمونها حبا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب الرسول دين وإيمان ، وحب من يحب الرسول واجب ، فلذا لا يصح من المسلم ولا ينبغى له ان يبغض أخاه المسلم لفعله بدعة كهذه قد وجد أكثر الناس فى بلاده وفى العالم الاسلامى يفعلونها ، ولم يحمله عليها ، ولا دفعه إليها غالبا الا عاطفة الحب لنبيه صلى الله عليه وسلم والرغبة فى التقرب الى الله تعالى بذلك . وإلا كان ذلك إجحافاً غير لائق بمثله .

وكما لايصح أن يبغضه لا يصح أيضا أن يصفه بالشرك والكفر لمجرد احتفاله بالمولد أو إتيانه الحفل إن دعى اليه فإن مثل هذه البدعة لا تكفر فاعلها ولامن يحضرها ووصم المسلم بالكفر والشرك أمر غير هين وقد تقدمت (٢) الاحاديث فى ذلك فلا غلو أيها المسلم ولا إجحاف ولكن العدل والانصاف ، والا لعن بعضنا بعضا وخسرنا وجودنا كأمة تهدى بالحق وبه تعدل .

---

(١) جاء هذا فى حديث عمار بن ياسر فى كتاب الايمان من صحيح البخارى ، نصه : قال عمار : ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان : الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار . ظاهر هذا الحديث الوقف غير أنه روى مرفوعا .

(٢) تحت عنوان غلو شائن قبل صفحتين .

إن ما يجب على المسلم حيال أخيه المسلم المرتكب لهذه البدعة « بدعة المولد »أن يعلمه حكمها الشرعى ، ثم يأمره برفق أن يتركها مبينا له أنه لا فائدة يجنيها منها لأنها بدعة وكل بدعة ضلالة ، والضلالة غير الهداية . وأن أبى نهاه برفق كذلك ولا يكثر عليه من التشنيع والتقبيح لفعله كيلا يحمله على العناد والمكابرة ، فيهلك ، ويهلك معه لتسببه فى إهلاكه . ويؤمئذ يخسران معا ، إن المواجهة بالمكروه كان النبى ﷺ يتحاشاها ، ويقول : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ويريدون أن يفعلوا كذا وكذا ......

لأن الطبع البشرى هكذا لا يتحمل المواجهة بالمكروه ، حتى ولو كان أتى المكروه وفعله ، ورحم الله تعالى الامام الشافعى إذ أثر عنه قوله : « من نصح أخاه سرا فقد نصحه ، ومن نَصَحَهُ علنا فقد فضحه » :

هذا كله فيما إذا كانت البدعة المنهى عنها ليس فيها من اعمال الشرك وأقواله شىء ، وذلك كدعاء غير الله تعالى أو الاستغاثة به وكذبح لغيره عز وجل أو قيام فى خشوع من مظاهر العبادة لغير الله تعالى . وانما هى إظهار الفرح بمولد الرسول ﷺ وإطعام الطعام شكرا لله تعالى على نعمة الاسلام الذى بعث الله به نبيه محمداً ﷺ . أو قراءة شىء من السيرة النبوية أو سماع بعض المدائح الخالية الفاظها من الشرك والغلو فى المدح ولا اختلاط فيها بين النساء والرجال ولا وجود منكر ، ولا ترك معروف كترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها .

أما إذا صاحب هذه البدعة شىء من الشرك فى الأقوال أو الأفعال أو داخلها باطل أو فساد فإن على المسلم المنكر لها أن يشدد فى الانكار ، ولا بأس أن يغلظ فى القول بحسب المنكر الموجود قوة وضعفا وعليه أن يطالب فى إصرار بترك المنكر من شرك وغيره من المعاصى المحرمة ، ولو أدى ذلك إلى مقاطعة فاعله وهجرانه فقد كان السلف الصالح إذا رأى أحدهم أخاه يأتى منكرا أنكره عليه فان أصر عليه هجره حتى يتركه . وإن كان هناك فارق بيننا وبينهم ، وهو أن المقاطعة اليوم لا تنفع لأنها لا تكون كاملة بحيث تؤثر على الأخ المقاطع لهذا فترك الهجران مع بقاء دعوة الأخ ومراوضته على فعل ما ترك من الواجب ، أو ترك ما ارتكب من الحرام

أجدى وأنفع .

وخلاصة القول فى هذا أن بدعة المولد كثيرا ما تكون خالية من أفعال الشرك وأقواله . ومن فعل المحرمات ففى هذه الحال ينكرها المسلم على إخوانه برفق ولين بعد تعليمهم حكمها الشرعى وترغيبهم فى ترك البدع مطلقا . لأنهم ما فعلوها إلا بدافع الايمان والرغبة فى الأجر فيراعى مقاصد الناس وبواعث أعمالهم وهذا من الحكمة المأمور بها المسلم فى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

أما فى حال وجود شرك أو باطل أو فساد أو شر مصاحب لهذه البدعة فإن الانكار يكون بحسبه شدة ويسرا قوة وضعفا . وليكن الرائد فى ذلك والحامل عليه أداء حق الله تعالى وواجب نصح المسلمين ومساعدتهم على الاستقامة على دينهم ليكملوا ويسعدوا فى الدنيا والآخرة . والله من وراء القصد وهو المستعان وعليه وحده التكلان .

الخاتمة

لعل بعضنا ممن يقرءون هذه الرسالة قد يتساءلون قائلين : إذا كان المولد النبوى الشريف بدعة محرمة كسائر البدع لم سكت عنها العلماء وتركوها حتى ذاعت وشاعت وأصبحت كجزء من عقائد المسلمين ، أليس من الواجب عليهم أن ينكروها قبل استفحال أمرها وتأصلها ولم لم يفعلوا ؟؟

ونجيب الاخوة المتسائلين فنقول : لقد أنكر هذه البدعة العلماء من يوم ظهورها وكتبوا فى ردها الرسائل ، ومن قدر له الاطلاع على كتاب المدخل لابن الحاج عرف ذلك وتحقق . ومن بين الردود القيمة رسالة الفاكهانى تاج الدين عمر بن على اللخمى السكندرى الفقيه المالكى صاحب شرح الفاكهانى على رسالة ابن أبى زيد القيروانى والتى سماها « المورد فى الكلام على المولد » وسنثبت نصها فى هذه الخاتمة غير أن الأمم فى عصور انحطاطها تضعف عن الاستجابة لداعى الخير والاصلاح بقدر قوتها على الاستجابة لداعى الشر والفساد . لأن الجسم المريض يؤثر فيه أدنى أذى يصيبه ، والجسم الصحيح لايؤثر فيه إلا أكبر أذى وأقواه ، ومن الامثله المحسوسة ، أن الجدار المتداعى للسقوط يسقط بهبة ريح أو ركلة رجل . ولذا فلا يدل بقاء هذه البدعة وتأصلها فى المجتمع الاسلامى على عدم إنكار العلماء لها ، وهاهى ذى رسالة تاج الدين الفاكهانى نقدمها شاهدا على ذلك .

قال رحمه الله تعالى بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : [أما بعد : فإنه قد تكرر سؤال جماعة من المباركين (١) عن الاجتماع الذى يعمله بعض الناس فى شهر ربيع الاول ويسمونه المولد : هل له أصل فى الشرع أو هو بدعة وحدث فى الدين ؟ ؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا ، والايضاح عنه معينا ، فقلت وبالله التوفيق : لاأعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة ، ولاينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة فى الدين المتمسكون بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها المبطلون ،

(١) يعنى به من بارك الله فيهم من المسلمين الذين يريدون أن يجعلوا الله بما شرع ، لا بما ابتدع أهل الأهواء .

وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون بدليل انا إذا أدرنا عليها الأحكام الخمسة قلنا إما أن يكون واجبا أو مندوبا ، أو مباحا أو مكروها أو محرما . وليس هو بواجب اجماعا ، ولا مندوبا ، لأن حقيقة المندوب : ما طلبه الشارع من غير ذم على تركـه ، وهذا لم يأذن فيه الشارع ، ولافعله الصحابة ، ولا التابعون ، ولا العلماء المتدينون فيما علمت ، وهذا جوابى عنه بين يدى الله تعالى إن عنه سئلت ولا جائزا أن يكون مباحا ، لأن الابتداع فى الدين ليس مبـاحـا بإجماع المسلمين فلم يبق الا أن يكون مكروها أو محرما ، وحينئذ يكون الكلام فى فصلين ، والتفرقة بين حالين :

أحدهما : آن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه فى عياله لا يجاوزون فى ذلك الاجتماع أكل الطعام ، ولا يقترفون شيئا من الآثام . هذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة ، إذ لم يفعله أحد من مقتدى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الاسلام ، وعلماء الأنام ، سرج الأزمنة ، وزين الأمكنة .

والثانى : أن تدخله الجناية ، وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشىء ونفسه تتبعه ، وقلبه [١] يؤلمه ، ويوجعه لما يجد من ألم الحيف وقد قال العلماء : أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف [٢] ، ولا سيما إن انضاف إلى ذلـك شىء من الغنـاء مع البطون الملأى ، وآلات الباطل من الدفوف والشبابات ، واجتماع الرجال مع الشباب المرد ، والنساء الفاتنات ، إما مختلطات بهم ، أو مشرفات ، والرقص بالتثنى والانعطاف ، والاستغراق فى اللهـو ، ونسيان يوم المخـاف ، وكـذلك إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهتيك [٣] والتطريب فى الانشاد ، والخروج فى التلاوة والذكر عن المشروع ، والأمر المعتاد ، غافلات عن قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ وهذاالذى لا يختلف فى تحريمه اثنان ، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان ، وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب ، وغير المستقلين من الآثـام والـذنـوب . أنهم يرونه من العبادات لامن الأمور المنكرات

(١) يدل هذا التعبير انهم كانوا يجمعون المال من الناس باسم المولد ، وهو كذلك إذ مازال الموالد التى تقام على الأولياء إلى اليوم يجمعون المال من عموم الناس للحصول على بركة الولى وشفاعته .

(٢) بالقوة والكره . وقالوا ما أخذ بوجه الحياء فهو حرام .

(٣) طلبت معنى هذا اللفظ فى المعاجم فاعيانى ولعله من الفاظ المجون

المحرمات فإنا لله ، و إنا اليه راجعون . بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ
ولله در شيخنا القشيرى حيث يقول فيما أجزناه :

قد عرف المنكر واستنكر ال	معروف فى أيامنا الصعبهْ
وصـار أهل العلم فى وهدة	وصار أهل الجهل فى رتبهْ
حادوا عن الحق فما للـذى	ساروا به فيما مضى نسبهْ
فقلت للأبـرار أهل التقـى	والدين لما اشتدت الكربهْ
لا تنكروا أحوالكم قد أتت	توبتكم فى زمن الغـــربهْ

ولقد أحسن الامام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول : لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب . هذا مع أن الشهر الذى ولد فيه الرسول ﷺ - هو ربيع الأول هو بعينه الذى توفى فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه ، وهذا ما علينا أن نقول ، ومن الله نرجو حسن القبول .

إلى هنا انتهت رسالة تاج الدين الفاكهانى المسمى : « المورد فى الكلام على المولد » ومن عجائب الحياة أن السيوطى وقد ذكرها فى حاويه ومنه نقلناها حرفيا قد حاول الرد عليها فلم يفلح فكان رده ساقطا باردا لأنه يجادل بالباطل ليدحض به الحق ، والعياذ بالله تعالى . وقد عرفت أيها القارىء شبهات السيوطى التى فرح بها ظانا أنه قد استخرج لبدعة المولد أصلا من الشرع وعرفت ردنا عليه بما ينير الطريق لطالبى الحق والراغبين فى العيش عليه ، فلذا لا يضرك عدم اطلاعك على رد السيوطى المومى اليه ، فإن نظرك فى شبهاته يغنيك عن النظر فيه . هذا وان قرأت رسالتى هذه ولم يفتح لك فيها ، ومازلت حيران شاكا فى بدعة المولد أنها بدعة ضلالة . فأكثر من الدعاء التالى فإن الله تعالى يقطع حيرتك ويلهمك الصواب ويهديك إلى الرشد ، وهو على كل شىء قدر ، وبالإجابة جدير . وهذا هو الدعاء :

« اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل
فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب
والشهادة أنت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون
اهدنى لما اختلف فيه من
الحق بإذنك ، إنك
تهدى من تشاء
إلى صراط
مستقيم

****
*****
****
***
**
*

●● الرســالة التاسعة

كمال الأمة فى صلاح عقيدتها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله الذى هدى بعد الضلالة ، وأصلح بعد الفساد . والصلاة والسـلام على النبى محمد الشافع المشفع يوم المعاد . وعلى آله الأمجاد ، وصحابته الأنجاد .

وبعد فإن الفساد فى الأرض منكر وقبيح وأشد قبحا منه ونكارة ما كان بعد الإصلاح

إن الذى يفسد فى الأرض بعد إصلاحها تكون حاله كمن أتى إلى قصر قد تمّ بناؤه ، وارتفع مناره ، وأضاءت أنواره ، وعمره سكانه فهدمه عليهم فأهلكهم . أو كالذى يأتى إلى حديقة غنّاء قد التفّت أشجارها ، وطاب ثمارهـا ، وفـاح أريج أزهارها ، وسعد بها أهلها وروادها ، فيشعل فيها ناراً ، فتحـــور رمـاداً ، أو يغـوّر ماء سقياهـا فتـذوى أزهـارهـا وتيبس أشجارها ، وتتقلص ظلالها ، وتعود قفراً موحشا أو بيداء مشمساً ، لا ظل بها ولا ماء ، ولا شجر ولا زهر ولا ثمر .

إن هادم القصر بعد بنائه ، ومحرق الحديقة بعد إزهارها وإثمارها وإن

كانا أقبح جُرماً ممن يهدم خربة من الخرائب ، أو يشعل النار فى زريبة من الـزرائب ، فإن من يأتى بلاداً قد طهـرت عقائـد أهلهـا من الشرك والضـلالات ، وسلمت عبـاداتهم من البـدع والمنكـرات فينشر بينهم الاعتقـادات الفـاسدة الباطلة ويورث فيهم البدع المفسقة والمكفّرة لهو ـ والله ـ أقبح جرما وأكبر إفساداً من هادم القصر بعد إشادة بنائه ، ومحرق الحديقة بعد إزهارها وإثمارها .

وذلك لأن الأوَّلَيْن أفسدا مالاً وهو أفسد قلوبا وعقولا ورجالا .

وشتان ما بين من يفسَد المال وبين من يفسد القلوب والعقول والرجال

هذا وقد شاء الله تعالى أن يناولنى أحد تلامذتى كتابا(١) رآه عجبا فيما قد حوى من الأباطيل ، وما اشتمل عليه من التضليل ، ومن المؤسف جداً أن يكون الكتاب لأحد علماء هذه الديار التى قد نعمت زمنا غير قصير بطهارة العقيدة ، وسلامة العبادة ، وصلاح الحال والشأن .

فرأيت أن من واجب النصيحة أن أكتب كلمة موجزة قصيرة فى بيان عظم جرم من يفسد فى هذه البلاد السعودية بعد أن أصلحها الله تعالى بدعوة ابن عبد الوهاب ، ودولة ابن السعود رحمهما الله تعالى وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء . وليكن موضوعها : شرح آية : ولا تفسدوا فى الأرض بعـد إصـلاحها . حيث يمكن التنبيه إلى ما جاء فى الكتاب المذكور آنفا من عظائم الأمور الباطلة والمعتقدات الفاسدة ، وإنى وإن كنت لم استوف التنبيه عليها كلها فقد نبهت إلى أخطرها وشرها . والله أسال أن يتوب على صاحبها ، وأن يجنب المسلمين شرها وخطرها فيحفظ لهم عقائدهم من الزيغ والضلال ، وعباداتهم من الفساد والبطلان ؛ إذ فى ذلك عصمة أمرهم ، وبه نجاتهم وفوزهم . . .

اللهم آمين .

---

(١) اسـم الكتـاب : الذخائـر .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فى الْأرضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا . . ﴾

الشـــرح :

موقع الآية من القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿ ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ﴾ هو بعض آية من سورة الأعراف ، ونصها الكامل هكذا : ﴿ ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصـلاحهـا ، وادعـوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ الآية : ٥٦ .

من المخاطب بهذه الآية ؟

لا شك أن المخـاطب بهذه الآية الكـريمـة : أمـة نبينـا محمـد ﷺ بقسميها : أمة الإجابة ، وأمة الدعوة .

ما المراد بالفساد المنهىّ عنه فى الآية ؟

إن الفســاد ضد الإصــلاح ، ويكــون فى العقــائـد والعبـادات ، والأحكام ، والأخلاق ، والآداب ، كما يكون فى الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والمعادن أيضا . وهذا بيان ذلك :

الفساد فى العقائد : يكون بتوريث العقائد الشركيَّة فى النفوس ، ودعوة الناس إليها ، ونشرها بينهم ، وتزيينها لهم ، وتحبيبها إليهم .

وفى العبادات : يكون بالدعوة إلى تركها ، وإهمالها ، والتزهيد فيها ، وشغل الناس عنها . كما يكون بإفسادها بالإحداث فيها ، وإدخال أنواع من الشرك والبدع عليها .

وفى الأحكام : يكون بتعطيلها ، والاستعاضة عنها بغيرها مما هو ليس

من شرع الله تعالى . كما يكون بتحريفها وإخراجها عن مدلولها بالتفسيرات الباطلة ، والتأولات البعيدة عن مدلولها ، ومراد الله تعالى ورسوله منها .

وفى الأخلاق : يكون بالتنفير من الفاضلة الحسنة منها ، وتبغيضها إلى النفوس بضروب من المكر والحيل ، وإحلال العادات السيئة ، والأخلاق الرذيلة محلها ، وذلك مثل الكذب المنافى للصدق ، والخيانة المنافية للأمانة ، والوقاحة المنافية للحياء والحشمة ، واللؤم المنافى للكرم ، والعجلة المنافية للأناة ، والضجر المنافى للصبر .

وفى الآداب : يكون بالعربدة والقحة ، والتفحش والبذاء المنافية للعفة والحياء والتجمل والاحتشام .

ويكون الفساد : فى الإنسان بامتهانه ، والغض من شرفه ، والإمساس بكرامته . كما يكون بضربه أو كسر عضو من أعضائه أو فساد جارحة من جوارحه أو تعطيل وظيفتها ، أو قتله وإزهاق روحه ، كما يكون بإفساد عقله ، وذلك بإسكاره أو تخديره ، أو سحره ، وما إلى ذلك مما يعطل إدراك الإنسان ، وفهمه . وقوة تمييزه بأى ضرب من ضروب الإفساد العقلى .

ويكون الإفساد : فى الحيوان بتعطيل منافعه كقطع نسله ، أو قتله وإزهاق روحه .

ويكون فى النبات : بقطع أشجاره ، أو إحراق محاصيله ، أو بمنع الماء عنه ليذوى ويهلك ، كما يكون بترك العناية به فى غرسه ، وسقيه ، وجنيه ، وجداده ، وحصاده ، إذ كل ذلك من إفساده وإهلاكه .

ويكون الإفساد : فى المعادن بعدم استخراجها ، وتعطيل منافعها ، وبالحيلولة دون حفرها والتنقيب عنها . كما يكون بمنع تصديرها ، وبيعها إلى من يُصنّعها ، أو يسوّقها ؛ لينتفع بها ، وينفع غيره بها ، كما يكون أيضا باستخدامها فيما يضر الإنسان ولا ينفع بأىّ نفع من أنواع النفع

الخاص أو العام .

هذا . . . وما المراد بالأرض المنهيّ عن الإفساد فيها فى الآية ؟

والجـواب : أنها كل أرض دخلهـا الإسـلام فآمن أهلهـا بعد كفر ، ووحدوا بعد شرك ، وعزوا بعد ذل وشرفوا بعد مهانة ، وَأمِنُوا بعد خوف ، واتحدوا وتنظموا بعد فوضى واختلاف ، وطهروا وكملوا بعد خبث ونقصان .

وما معنى قوله فى الآية ﴿ بعد إصلاحها ﴾ ؟

معنـاه أن البـلاد الإسلامية كانت قبل دخول الإسلام إليها واعتناق أهلها له ، كانت فاسدة فى عقائدها ، وعباداتها وأحكامها وأخلاقها وآدابها فأصلحهـا الله تعـالى بالإسـلام أى بعقائده ، وشرائعه ، وقوانينه وآدابه وأخلاقه ؛ ولذا فكل من عمل فى ديارالإسلام بغير ما جاء به الإسلام فهو مفسد فى الأرض بعد إصلاحها يشهد لصحة هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية إذ قال : « إن الله تعالى بعث محمداً إلى أهل الأرض وهم فى فساد فأصلحهم الله به فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين فى الأرض »

هل استمرار الإصلاح شرط فى عدم الفساد ؟

. . . نعم ، إذ إفساد الصالح أقبح شرعا وعقلا من إفساد الفاسد ، وسواء بإطالة مدة فساده ، أو بالزيادة فيه . وبالأمثلة التالية تتضح هذه الحقيقة وتتأكد إن شاء الله :

١ ـ دار كفر لم يدخلها الإسلام ولم تعمل به كفرنسا أو ألمانيا يفتح فيها إنسان مصنعا لصنع التماثيل ، أو بنكا للربا ، أو مرقصا للنساء ، أو حانوتا لبيع الخمر والمخدرات . إن هذا العمل قطعا فاسد غير صالح ، ولكن كونه فى دار فساد لم يصلحها الله تعالى بالإسلام لا يستنكر كثيراً ، ولا يستقبح ، كما يستنكر ويستقبح لو قام به إنسان فى بلد إسلامىّ كتركيا أو باكستان ، أو مصر أو السودان ، وذلك لأن هذه الديار قد سبق أن أصلحها الله تعالى بالإسلام ، وطهرها من مثل هذه المفاسد والرذائل ، وذلك بشرائعه وقوانينه وأحكامه ، فمن أحدث فيها شراً أو فساداً فقد أفسد فيها بعد إصلاحها .

٢ ـ لو أن العمل الفاسد المذكور فى المثال السابق قد قام به إنسان فى البلاد السعوديّة ففتح مصنعاً أو معرضاً لصنع الصور والتماثيل وبيعها والاتجار فيها ، أو فتح بنكا للربا ، أو داراً للهو والغناء فإن عمله يستنكر أكثر ، ويستقبح أشد ، ويستوجب فاعله لعنة الله ومقته وغضبه ، وذلك لأن البلاد السعودية قد أصلحها الله تعالى بحكم آل سعود بتطبيقهم فيها شرع الله . وإنفاذ أحكامه فى أهلها فصلحت بعد فساد ، فمن جاء يعمل فيها بما يخالف شرع الله تعالى ودين الإسلام ، فقد جاء ليفسد فيها بعد إصلاحها ، وهذا عين ما نهى الله تعالى عنه فى هذه الآية التى نشرحها ونبيّن معناها . ومراد الله تعالى منها وهى قوله جَلَّ ذِكْرُه : ﴿ وَلَا تفسدوا فى الأرض بعدَ إصلاحِها ﴾ .

هل العمل بالفساد إفساد ؟

. . . نعم ، إن العامل بالفساد كمروجه والداعى إليه كلاهما مفسد فى الأرض بعد إصلاحها ؛ إن آخذ الربا فى الاثم كمعطيه ، ومقتنى الصور والتماثيل كصانعها وبائعها ، وشارب الخمر كبائعها ، والراضى بتعطيل أحكام الشرع كمعطلها ، الجميع مذنبون آثمون وإن تفاوتوا فى عظم الجرم ، وأثره فى النفوس والجزاء عليه يوم الجزاء .

هل الإفساد المباشر كغير المباشر ؟

والجواب عن هذا السؤال لا يختلف عن السابق وهو أنه لا فرق بين من يباشر الإفساد وبين من لايباشرهُ إذا كان راضيا به ساكتا عنه وهوقادر على تغييره وإنكاره بقول أوعمل ، ثم لا يغير ولا ينكر ، والفساد يستشرى أمامه وينتشر .

إن سنة الله تعالى وحكمه فى مثل هذا أن يؤاخذ فاعل الفساد والراضى به الساكت عنه معاً . قال تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن[1] الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** ﴾ .

وتعليل هذه السنة أو تحليلها هو أن السكوت عن الفساد والإفساد بعدم مقاومتهما من شأنه أن يشجع العاملين بالفساد على مواصلته كما يغرى غير العاملين به أن يعملوا به ، وبذلك يكثر ويعم جميع الأمة ومرافق الحياة فيها فإذا عمّ وشمل كل الأمة أهلك العامة والخاصة معاً .

ومثال هذا الجسم البشرى إذا مرض فإنه إذا عولج بعناية وخبرة حصل له البرء والشفاء بإذن الله تعالى ، وإذا أهمل وترك للمرض ينخر فى جسمه ويستشرى فيه فإنه لا يلبث أن يهلك لا محالة حسب سنة الله تعالى .

ومن هنا وجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتعين على كل فرد

---

(١) الآيـة من سـورة الأنفـال .

صالح لذلك أن يقوم به استجابة لقول الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكـراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان » .

لقد دل هذا الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم فى صحيحه أن الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر من الإيمان . وأن التغيير لازم بحسب حال الفرد المسلم قوة وضعفاً ، وإن آخر مواقف الإنسان المؤمن أن ينكر المنكر بقلبه . والإنكار بالقلب هو كراهية المنكر وعدم الرضا به ، لأن الإنسان حسب طبعه إذا لم يكره الشىء أحبه . وإذا أحبه رضى بوجوده ، ودافع عنـه وحمـاه ، وبذلك يصبح الراضى بالمنكر الساكت عنه كفاعله سواء بسواء ، يستوجبان العقوبة معاً .

ولهـذا - ويعلم الله - إنى لخائف من ظاهرة سكوت مواطنينا فى هذه الديار السعودية التى أصلحها الله تعالى بالحكم الإسلامى على يد عبده « عبـد العزيز » وأولاده حفظهم الله تعالى وحفظ بهم دينه وحرمه وكتابه وأولياءه آمين .

إن ظاهرة ترك الصلاة بين مواطنى هذه الأمة أصبحت معروفة كغيرها من ظواهر بدو الشر والفساد كتخلى بعض النساء عن الحجاب وكالتعامل بالربا ، والإسراف فى سماع الأغانى والمزامير ، والسهر الطويل على الأفلام المحرمة بواسطة آلة « الفيديو » ، وأخطر من ذلك وجود دعوة إلى الشرك والخـرافـة والضـلالة فى أرض التوحيد التى طالما عاشت دون سائر بلاد المسلمين نقيّة طاهرة من كل مظاهر الشرك والبدع والخرافات بفضل الله تعالى ، ثم بفضل إقامة « عبد العزيز » دولته على مبدء التوحيد الخالص ، والمتابعة لرسول الله ﷺ دون من سواه ، فكان علمها يحمل كلمة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . إعلاماً منه أنه لا يعبد فى أرض يظللها هذا العلم إلا الله ، ولا يتبع فيها إلا رسول الله ﷺ .

وإن قيل ماهو مظهر هذه الدعوة إلى الشرك والبدع والضلال ؟ قلنا على

سبيل المثال : كتاب الذخائر . فقد حمل هذا الكتاب المطبوع المنشور راية الـدعـوة إلى الشرك والضـلال . وهـذه خمس عشرة مسألة شركية محضة أو داعية إلى الشرك محرضة عليه نذكرها تعليما وتحذيرا نقلناها من الكتاب المذكور والله من وراء القصد :

الأولى : ما جاء تحت عنوان : أحسن الصيغ للسلام على رسول الله ﷺ . إذ جاء فيه قولـه : واشفـع لى يارسول الله . وقوله : نحن وفدك يارسول الله جئناك . . . فاستغفر لنا ، واشفع لنا عند ربك ، واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا . . .

فقوله فاستغفر لنا ، واشفع لنا ، واسأله أن يمن علينا هو طلب دعاء وطلب مسألة من رسول الله ﷺ ، ورسول الله غير الله قطعاً ، فكيف تحل **مسألة ودعاء غير الله تعالى ؟ ألم يكن هذا شركا صراحاً ياعباد الله ؟ ! إنه** دعا غير الله ، والله يقول : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً** ﴾ . إن دعاء غير الله بإجماع المسلمين شرك فى عبادة الله ، والدعاء هو العبادة ومخها .

فكيف يحل لأحد أن يقف على قبر رسول الله ﷺ ويدعوه ويطلب منه لو كان هذا جائزاً لم مافعله أحد من أصحابه أو آل بيته ، لم مافعله التابعون أو تابعوهم من أهل القرون المفضلة ؟

نعم لم يفعلوه لأنه الشرك بالله عز وجل فى أعظم عبادة وهى الدعاء . . .

لقـد أصـابت أصحـاب رسول الله ﷺ رزايا كثيرة ، ونزلت بهم محن وشدائد صعبة وكذا التابعين من بعدهم ، ولم يؤثر عن أحدهم أنه وقف على قبر رسـول الله ﷺ وسـألـه حاجتـه ، أو شكـا إليه مايجده من همّ أو كرب ، أو استغاث به على عدو ، أو طلب منه أن يسأل الله تعالى له نصراً أو تأييداً ، أو مغفرة لذنب ، أو شفاعة يوم القيامة ، كل ذلك لأنهم يعلمون أن سؤال غير الله تعالى شرك وكفر .

نعم ، إن رسـول الله ﷺ كان يسأل ويعطى ويستغفر للمؤمنين أيام حياته فى دار التكليف والعمل .

أما بعد التحاقه بالرفيق الأعلى فإن سؤاله ظلم له وأذيّة ، وهدم لأصل التـوحيد الـذى جاهد فى سبيل إقراره ثلاثا وعشرين سنة . فكيف يجيز لنفسه من يدعى العلم أن ينصب نفسه داعية لهدم مابناه رسول الله ياعباد الله

وخلاصة القول فى هذه المسألة أن صاحب الذخائر بدعائه رسول الله ﷺ وبسؤاله إيّاه قد ظلم وأشرك وفى نفس الوقت قد فتح للناس بابا للشرك والعياذ بالله تعالى ؛ إذ ما استغاث الناس بالأولياء ولانذروا لهم النذور ولا ذبحـوا لهم ولا على قبـورهم إلا على مثل قول صاحب الذخائر وتجويزه الاستغاثة والدعاء وطلب الحاجة من غير الله تعالى ، وهو الشرك الذى ما بعث الله تعالى رسوله محمداً وإخوانه من الأنبياء والمرسلين إلا لمحاربته ، وصرف الناس عنه ، إذ قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة(١) رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

والـطاغـوت : كل ماصرف وجـه المرء وقلبه ولسانه عن الله تعالى ، بالتوجه إليه ، وتعليق القلب به ، وذكره وسؤاله رغبةً إليه أو رهبة منه .

الثانية : عنايته بصلاة الفاتح وشرحه لألفاظها .

إن عناية صاحب الذخائر بشرح ألفاظ صلاة الفاتح إقرار واضح منه بها ، وتحبيذ لها ، ودعوة إليها وإلى طريقة صاحبها ، فهو إذاً بهذا أصبح داعية كفر وضلال فى ديار التوحيد والإيمان .

إن صاحب الذخائر يعرف كما نعرف نحن أن الطائفة التجانيّة تفضل صلاة الفاتح المبتدعة للتضليل وصرف الناس عن مصدر كمالهم وهدايتهم القرآن الكريم ، إذ فضلوا الصلاة الواحدة منها على ستين ألف ختمة من القرآن ، وتفضيل كلام المخلوق على كلام الخالق كفر بإجماع المسلمين .

---

(١) الآيـــة من ســورة النحـــل .

إن صاحب الذخائر يعرف كما نعرف نحن أن صلاة الفاتح يقول واضعوها ومروجوها للتضليل والفتنة : إن الرسول ﷺ قد شافه بها الشيخ يقظة لا مناماً وعلمه إياها لتكون صلاة خاصة بالطائفة التجانية . وصاحب الذخائر يعتقد كما نعتقد نحن وسائر علماء الإسلام أن الرسول ﷺ ما خرج لأحد بعد موته ، ولا علم أحداً من أمته بعد موته شيئا لم يعلمه أمته فى حياته ، وأن دعوى مشافهة التجانى أو البكرى للنبى ﷺ يقظة دعوى باطلة وكذب محض ، وافتراء ممقوت . وإن لازم اعتقاد صحة صلاة الفاتح كفر بواح عليه ألف برهان وبرهان وبيان ذلك :

١ ـ الكذب على رسول الله ﷺ بأنه خرج إلى الدنيا بعد موته وشافه الشيخ وأعطاه صلاة الفاتح والكذب على رسول الله ﷺ كتكذيبه كلاهما كفر بالعبد والعياذ بالله تعالى .

٢ ـ أن الرسول ﷺ كتم هذه الصلاة ولم يبلغها الأمة عدة قرون ، ثم بلغها بعد ذلك ، ونسبة الكتمان إلى الرسول ﷺ كفر بإجماع المسلمين .

٣ ـ تفضيل الفاتح على القرآن وهو تفضيل لكلام المخلوق على كلام الخالق عز وجل وهو كفر بالإجماع .

وأخيراً فمن هو الشيخ التجانى صاحب الفاتح الذى يتشرف صاحب الذخائر بسيادته عليه ؛ إذ يقول قال سيدى فى أمثاله كالبكرى والهيتمى والنبهانى ؟ إنه ـ التجانى ـ أكفر رجل ظهر فى عصره ، وأكبر دجال مبطل عرفته الدنيا فى أيامه وهذا بيان ذلك :

جاء فى كتاب الطائفة التجانية « جواهر المعانى » على لسان الشيخ وبالحرف الواحد ما يلى :

● إن الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود تتلقاها ذوات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور

فأى كذب ياعباد الله وأى تدجيل وتضليل أعظم من هذا الكذب

والتدجيل والتضليل ؟

إنه كذب على الله تعالى وعلى رسول الله ﷺ وعلى أمة الإسلام والبشرية جمعاء .

إنه قول على الله بدون علم ومن أعظم المفاسد القول على الله تعالى بدون علم . فقد ذكر تعالى أصول المفاسد فى آية الأعراف وختمها بأعظمها : ﴿ **وأن تقولوا على الله مالا تعلمون** ﴾

وآخر

● إذا جمع الله يوم القيامة الخلق ينادى فى الموقف مناد بأعلى صوته بحيث يسمعه كل من فى الموقف :

ياأهل المحشر هذا إمامكم الذى كان مددكم منه . فأى كذب وتضليل أعظم من هذا ؟

فمتى كان التجانى يمد الخلائق ، وبماذا كان يمدها ؟ إن هذا الذى يقوله دعوى ربوبية واضحة صريحة وأىّ كفر أعظم من ادعاء الربوبية للخلق ؟

وثالث . . . .

● روح النبىّ ﷺ وروحى هكذا مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى ، روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروحى تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد

أىّ كذب وكفر ودجل أعظم من هذا ياعباد الله إنه لم يـزد صاحـب هذا القول على أن ادعى الربوبية والقيومية والحياة الأزلية الأبدية . أعوذ بالله من هذا الكفر القذر الوسخ .

وافضح مما سبق قوله :

● قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله من لدن آدم إلى النفخ فى الصور!!

ومن المعلوم بالضرورة أن عامة الأنبياء والرسل وسائر الحواريين والأصحاب من أشرف الأولياء وخيارهم ، ومعنى هذا أن التجانى رجلاه ـ

قطعهما الله ـ فوق كل رقاب الأنبياء والمرسلين من آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ . اللهم إنا نبرأ إليك من هذا الكفر والدجل ومن كل من يقره ويدعو إليه كصاحب الذخائر .

وأخيراً قوله :

● أعمار الناس كلها ذهبت مجانا إلا أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق ، فقد فازوا بالربح دنيا وأخرى ولا يشغل بها عمره إلا السعيد .

وبعد : فهل بعد معرفة لازم صلاة الفاتح ، ومعرفة من هو صاحبها يجوز لمسلم يحترم عقله ودينـه أن يدعو إلى هذه الصلاة بتحبيذها وشرح ألفاظها والعناية بها ؟

اللهم لا ، لا ، إلا أن يكون داعية فتنة وضلال بين المسلمين . والعياذ بالله تعالى .

والثالثة : فأنت بابُ الله

هذا عنوان فى كتاب صاحب الذخائر وضعه ليذكر تحته قصيدة شركية للبكرى المصرى ليتخذ من ألفاظ الشرك والكفر الواردة فيها دليلا على جواز دعاء النبى ﷺ وسؤاله عند قبره ، وفى كل مكان ، والعياذ بالله من الضلال وأهله .

وقبـل أن نورد بعضِ أبيات القصيدة الحـاملة للشرك الداعية إليه ، نسأل : هل يجوز إطلاَقُ لفظ باب الله على الرسول ﷺ ؟ إن إضافة أىّ شىء لله تعالى لايجوز إلا بتجويز الوحى الإلهىّ له ، إذ ليس من حق أىّ أحد أن يضيف لله تعالى أو ينسب إليه شيئا لم يضفه أو ينسبه هو تعالى إلى نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ . وعليه فهل ورد فى الكتاب أو السنة أن الرسول باب الله ؟

والجواب لم يرد هذا للفظ قط فى كتاب[١] ولا سنة ، ولم يعرفه سلف هذه الأمة . فكيف إذاً يقره صاحب الذخائر ويجعله عنواناً فى كتابه لينشر

(١) نعم ورد لفظ باب الله على لسان غلاة الشيعة وكبار الزنادقة الباطنيين حيث أطلقوا على أحد رؤسائهم من غلاة الكفر باب الله ، وهو البهـاء لعنه الله تعالـى .

تحته الكفر الصراح ؟

إن صاحب الذخائر بالتأمل الدقيق فى كتابه « الذخائر » يظهر للمتأمل البصير أن الرجل يحمل روح النقمة والتحدى للسلفيين والإمعان فى إغاظتهم ، وإلا فقل لى بربك ماحمله على نشر الكفر والضلالة بهذه الصورة الشوهاء إلى حد أنه يتعمد اختيار هذه اللفظة [أنت باب الله] فيجعلها عنواناً بارزاً وينشر تحتها الشرك الصراح . والعياذ بالله تعالى .

وهذه بعض أبيات قصيدة البكرى التى قال فيها صاحب الذخائر :

إنها مجرَّبة لقضاء الحوائج ، وحدد لها وقتا تقال فيه وهو آخر الليل ، وطلب من قائلها أن يكرر منها البيت الشركى التالى :

فعجل بإذهاب الذى أشتكى

فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

وهو يعنى بذلك قطعا غير الله تعالى . واقرأ الأبيات ياعبد الله لتتأكد من صحة ذلك :

فأنت باب الله أى امرىء	أتاه من غيرك لا يدخل
فلذ به من كل ما تشتكى	فهو شفيع وآيناه يقبل ؟
وحط أحمال الرجا عنده	فإنه المرجع والمؤمّل
وناده إذ أزمة أنشبت	أظفارها واستحكم المعضل
فعجل بإذهاب الذى أشتكى	فإن توقفت فمن ذا أسال ؟

بأدنى تأمل لمحتوى هذه الأبيات الشركية يرَى أن المقرّرَ لهذه القصيدة ، إنما يقرر بصراحة اللياذ بغير الله تعالى ، ودعاءه ، ووضع الرجاء بساحته ، ونداءه وطلب تفريج الكرب منه ، ومثل هذا لا يكون من عارف بالله عز وجل ، ولا يصدر عن مؤمن يعتقد عقيدة التوحيد ، وإلاّ كيف ينادى من لا يسمعه ولا يراه ولا يقدر على إعطائه أو إنجائه ، ويقول له عجل بإذهاب الذى أشتكى ، فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

أعمى عن الله تعالى فلم يره ، أم كفره فلم يذكره ؟

وأخيراً إن قصيدة البكرى هذه بما حملت من ألفاظ الشرك والكفر لايقرها ويدعو إلى قراءتها لقضاء الحوائج فى الأسحار الوقت الذى ينزل فيه رب العزة والجلال إلى سماء الدنيا ويقول : هل من سائل فأعطيه سؤاله ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ ويقول فى قائلها : القطب الكبير سيدى محمد ابن الحسن البكرى المصرى إلا عبد يمعن فى التضليل ونشر الشرك بأى ثمن ولو كان بحشر نفسه فى زمرة المشركين وهو يعلم ذلك ويوقن به .

الرابعة : جواز طلب الشفاعة منه ﷺ

هكذا جاء هذا العنوان فى كتاب الذخائر يحمل طابع التضليل ؛ إذ لم يبين وقت طلب الشفاعة منه ﷺ واكتفى بذكر حديث أنس رضى الله عنه عند الترمذى وهو حديث أعله الترمذى بالغرابة مع معارضته لحديث عائشة فى الصحيح . ونص حديث الترمذى : « سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال أنا فاعل . وسأله قائلا : أين أجدك ؟ فقال عند الصراط » . . . الخ . . . وهذه المواطن الثلاثة التى جاءت فى حديث عائشة رضى الله عنها حيث قالت : فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة يارسول الله ؟ فقال فى ثلاثة مواطن فلا .

والمواطن الثلاثة هى عند الصراط ، والميزان ، وعند تطاير الصحف التى فيها أعمال العباد . فدل ذلك أن صاحب الذخائر يضلل ويغالط ليجيز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ عند قبره ، وهو أمر مجمع على تحريمه وبطلانه ؛ إذ الشفاعة لا تطلب إلّا من الله تعالى ؛ لأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، ثم طلب الشفاعة من الرسول ﷺ كطلب الاستغفار منه كطلب أىّ شىء هو دعاء وسؤال لغير الله تعالى فلا يجوز أبداً لأنه من الشرك .

والسلفيون الذين هم محل نقمة صاحب الذخائر لاينكرون شفاعة النبىّ ﷺ يوم القيامة ؛ إذ هى ثابتة بالكتاب والسنة ، وإنما ينكرون أن تطلب فى الدنيا من غير الله تعالى . ومن هنا جاء صاحب الذخائر يغالط ، فوضع العنوان المذكور مبهما ليس فيه متى نطلب الشفاعة ، وذلك مر

أجل أن يقول : إن ما ينكره السلفيون من طلب الشفاعة من النبىّ ﷺ هو ثابت ، وطلب الشفاعة من النبىّ ﷺ جائز فيحمل الناس على الشرك ، بتضليله والعياذ بالله تعالى .

الخامسة : جواز التوسل بغير النبىّ ﷺ

إن من له أدنى إلمام بنفسية القوم يفهم من هذا العنوان : المعنى التالى : إذا كان التوسل جائزا بغير النبى ﷺ فكيف ينكر السلفيون « الوهابيون » جوازه بالنبى ﷺ ويمنعونه ، وينسبون فاعله إلى الشرك ؟

والسلفيون أو الوهابيون كما يعبرون فى خلواتهم ومجالسهم الخاصة لا ينكرون التوسل المشروع لا بالنبىّ ولا بغيره ، بل هم يقولون بمشروعية التوسل ، وكيف لا ، والله تعالى يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ الآية . . وإنما ينكرون الشرك ويندددون به وبفاعله ومعتقده والداعى إليه ، وهو دعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة والحاجة منهم ، والإقسام بهم ، والذبح والنذر لهم ، والعكوف على قبورهم ونقل المرضى إليهم ، والتمسح بقبورهم وجدران وأبواب أضرحتهم إلى غير ذلك من أفعال الشرك التى يسميها القبوريون وسيلة واستشفاعا وتبركًا .

وجاء كتاب الذخائر يدعو إليه بمثل هذه العناوين المضللة . والعجيب أن استدلال الذخائر على جواز التوسل بغير النبىّ ﷺ كان بمسألة توسل عمر بالعباس رضى الله عنهما . وهى مسألة معروفة بين أهل العلم أخرجها أصحاب الصحاح والسنن . وخلاصتها : أن جفافا أصاب المدينة لانقطاع المطر وأضر بها حتى أصبح ذلك العام يسمى بعام الرمادة ، فخرج عمر رضى الله عنه يستقى بالمسلمين ، فلما وصل إلى المصلى بدل أن يصلى هو بالناس أمر العباس أن يصلى بهم وذلك لكبر سنه وقرابته من رسول الله ﷺ وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا والآن نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فاستجاب الله لهم فسقاهم والحمد لله .

والحادثة دليل واضح على عدم جواز التوسل بالأموات حتى ولو كان الميت رسول الله ﷺ إذ عمر لم يتوسل برسول الله ﷺ لما كان ميتاً وتوسل بالعباس لأنه حى يصلى ويدعو وهم يؤمنون كما كان رسول الله ﷺ يدعو وهـم يؤمنون ويستجيب الله تعالى لهم ويسقيهم بفضله ورحمته وكرامة لنبيه ﷺ .

والآن فهل السلفيون ينكرون التوسل بدعاء الرجل الصالح وصلاته ؟ الجواب لا .

إذاً فما مقصود صاحب الذخائر عند ماكتب : جواز التوسل بغير النبىّ ﷺ مستدلا بتوسل عمر بالعباس رضى الله عنهما ؟

إن مقصوده : ماسبق أن بيناه : الدعوة إلى التوسل بالأموات ، وذلك بدعائهم والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم بحجة أنهم أحياء فى قبورهم ؛ إن التوسل بالأحياء لاخلاف فى جوازه بين المسلمين .

وبهذا كان كتاب الذخائر داعية شرك وضلالة . وتمويه العناوين وتضليلها لا يخفى الحقيقة بحال .

السادسة : ليس لنا إلا إليك يارسول الله فرارنا !

هذه الجملة جعلها صاحب الذخائر عنواناً فى كتابه وكتب تحتها مالذ له وطاب من التمويه والتلبيس .

والجملة فى الأصل هى شطر بيت لأحد الأعراب امتدح فيه الأعرابى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يدعو الله تعالى لهم بالمطر لما أصاب أرضهم من المحل والقحط ودعا لهم رسول الله ﷺ واستجاب الله تعالى له وسقى أرض الأعرابى وبلاده .

فبدل أن يستدل صاحب الذخائر بهذه الحادثة على نبوّة رسول الله ﷺ وكرامته على ربه تعالى ، ورحمة الله وقربها من عباده جاء يستدل بها على جواز الشرك والعياذ بالله تعالى إذ لو قال هذه الجملة أحد بعد وفاة رسول الله ﷺ [ليس لنا إلا إليك يارسول الله فرارنا] لكان كاذباً أولا ، وكان

قوله شركا وكفراً ثانيا . أما كونه كاذباً ؛ فإن الخائف أو العطشان أو الجوعان فى غياب رسول الله ﷺ لا يفر إلى رسول الله ﷺ وإنما يفر إلى أحد يسمع شكواه ، ويرى اضطراره ويعلم شدة حاجته فيطلب منه أن يؤمنه أو يسقيه أو يطعمه أو يقضى حاجته .

وصاحب الذخائر نفسه لو جاع اليوم أو عطش أو خاف لا يفر إلى رسول الله ﷺ وإنما يفرّ إلى غنىّ أو قوىّ من الناس !!

وأما كونه شركا وكفراً فإن الفرار لا يكون إلا إلى الله فى كل أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل قال تعالى ﴿ ففروا إلى الله ﴾ ! ولما كان نزول المطر أمراً لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، وكان الرسول ﷺ مستجاب الدعوة لكرامته على ربه تعالى أتاه الأعرابى وطلب منه أن يستقى لهم ، وقال قصيدته التى من ضمن أبياتها ذلك السّطر الذى جعله صاحب الذخائر عنواناً للتضليل .

ومعنى كلام الأعرابى : أنهم لم يجدوا من يفزعون إليه ليدعو الله تعالى لهم ليسقيهم إلا رسول الله إذ هو المرجو أن يستجاب له فقال ما قال . هذا كله إن صحت الرواية والله أعلم بصحتها وما أظنها تصح بالصورة التى عرضها عليها صاحب الذخائر .

والآن فهل يجوز لمؤمن أن يقول اليوم ليس لنا من نفر إليه إلا رسول الله ؟ والجواب لا ، لا ، لأن رسول الله ﷺ التحق بربه فلا يسمعنا ولا يرانا ولا يعرف عنا ولا يدعو الله تعالى لنا كما كان حياً بيننا يدعو الله لنا فيستجيب له ويسقينا .

وإنما فرارنا إلى الله تعالى وحده ندعوه ونتوسل إليه بصيامنا وصدقاتنا وصلاتنا فيسقينا ، ومن أبى أن يفر إلى الله وفرّ إلى غيره فقد كفر بالله تعالى وأشرك به .

وأخيراً فلم ذكر صاحب الذخائر هذه الرواية والغالب على الظن أنها

باطلة لاتصح لا سيما بالعرض الذى عرضها عليه . وعنون لها بعنوان يحمل طابع الدعوة إلى الشرك ؟

والجواب : لأن القبوريين هذا دأبهم كلما سنحت الفرصة لهم دعوا إلى الشرك الذى يسمونه توحيداً وإيمانا تحت شعار التوسل والوسيلة والتبرك والاستشفاع بحب النبىّ ﷺ وحب الأولياء والصالحين من أقطابهم وأبدالهم وسلاطين البر والبحر عندهم !!

السابعة : كرامات لزائر قبر النبىّ ﷺ .

ذكر صاحب الذخائر تحت هذا العنوان قول بعضهم : لزائر قبر النبىّ ﷺ عشر كرامات وسردها واحدة بعد واحدة هكذا : يُعطى رفع الدرجات ، يبلغ أسنى المطالب ، قضاء المآرب ، بذل المواهب ، الأمن من المعاطب . . . الخ .

والسؤال الآن هو من هذا البعض القائل ؟

والجواب : إن كان رسول الله ﷺ فنعم وهو كما قال وأخبر والله ذو فضل عظيم ، وإن كان غير رسول الله ﷺ فهو كاذب مفتر على الله ورسوله والمؤمنين . ومادام الرسول ﷺ لم يقل ولم يخبر به ، ولم يرد به خبر ولم تصح به رواية . فلم إذاً هذا الكذب والدجل ، وما المقصود منه ؟ ؟

والجواب : إن المقصود من هذا الكذب هو الرد على السلفيين المنكرين فى زعم القوم لزيارة قبر النبىّ ﷺ هذا من جهة ، ومن أخرى التهييج والإثارة على السلفيين الذين ينكرون شد الرحال لزيارة القبور والعكوف عندها والتمسح بجدرانها وتمريغ الوجه واللحية على ترابها ـ كما هو نصرة القبوريين وتأييدهم لمدهم فى ضلالهم وظلمة جهلهم والعياذ بالله تعالى .

فى حين أن السلفيين لايجيزون ولا يمنعون عن رأى لهم أو هوى عندهم وإنما هم مع الشرع الحنيف فما أجازه الشرع أجازوه ، ومامنعه منعوه .

إن السلفيين أو الوهابيين كما يقولون لاينكرون زيارة قبر الرسول ﷺ ولا

قبر أيّ مؤمن أو مؤمنة بل يرون ذلك من فضائل الأعمال ومستحباتها وذلك لقول الرسول ﷺ : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » . كما زار ﷺ قبر أمه وزار قبور الشهداء بأحد ، وكان يزور مقبرة البقيع ويسلم على أهلها ويستغفر لهم ويترحم عليهم .

واتباعا لسنة أبى القاسم ﷺ السلفيون يزورون قبور المؤمنين على وجه الندب والاستحباب ، ولا ينكرون على من يزور قبور المؤمنين زيارة شرعية ، وإنما ينكرون شد الرحال والسفر البعيد لزيارة أيّ قبر من قبور المسلمين ، وذلك لأن نبيهم ﷺ لم يأذن فيه بقوله : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام : ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » ولذا هم يعدون من المخالفة للنبىّ ﷺ أن يسافر المسلم من بلد إلى بلد من أجل زيارة قبر أحد نبيًا كان أو وليا أو غيرهما ، وينصحون المسلمين ويعلمونهم أن لا يسافروا إلى المدينة النبوية بقصد زيارة قبر النبىّ ﷺ خاصة ، وإنما ينوون بسفرهم زيارة المسجد النبوى الشريف للصلاة فيه أولاً ، ثم إذا زاروا المسجد نووا زيارة قبر نبيهم وزاروه فسلموا عليه وعلى صاحبيه وانصرفوا . وهذا هو الحق فى هذه المسألة ، وعلى هذا كان سلف هذه الأمة . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

الثامنة : استحباب زيارة قبر النبىّ ﷺ عند الحنابلة :

والسؤال الذى يثيره هذا العنوان من كتاب الذخائر هو لم خص الحنابلة بالذات دون المالكية والشافعية والأحناف باستحباب زيارة قبر النبىّ ﷺ فى حين أن الإجماع منعقد على استحباب زيارة قبر النبىّ ﷺ لمن كان بالمدينة النبوية ؟

والجواب أنه لما كان الحنابلة قديما وحديثا هم حاملو راية السلفية ذكر قول أحد فقهائهم وهو ابن قدامة رحمه الله تعالى ؛ ليبالغ فى التشنيع على منكرى زيارة القبر النبوىّ البدعيّة من السلفيين ؛ إذ الزيارة السنيّة مستحبة ولا ينكرها أحد . هذا هو السبب الحامل لصاحب الذخائر على كتابة

العنوان المذكور وماذكر تحته من استحباب ابن قدامة لزيارة القبر النبوى الشريف .

التاسعة : التمسح بشباك الحجرة النبوية .

ذكر تحت هذا العنوان المثير من كتابه الذخائر كراهة السلف الصالح للتمسح بشباك الحجرة النبوية ، ومنعهم له لما فى ذلك من الغلو المؤدى إلى الشرك . ثم عاد فوراً فذكر استحباب التمسح بالشباك وذلك للخواص من الناس فقال : إن للخواص أن يتمسحوا بالشباك ويمرغوا وجوههم ولحاهم فى تراب الحجرة والقبر ، والسؤال الآن : ماسر هذا التناقض عند هذا الرجل ، يمنع الشىء ويبيحه كأن القضية تابعة لهوى الرجال متى شاء الرجل أجاز ومتى شاء منع . إن سر هذا التناقض هو التضليل المتعمد المقصود إنه نظر إلى كثرة المنكرين للتمسح بالشباك إذ السلفية اليوم قد طبقت أقطار العالم الإسلامى وأصبحت هى مذهب المسلمين ، فهابهم وخاف من إنكارهم فقال بكراهة التمسح ، ثم ذكر الغرض الأصلى لكتابه وهو نصرة خصوم السلفيين من القبوريين فعاد فدلس ظانا أن هذا التدليس ينفعه فى تغطية الحق وتعميته فقال باستحباب التمسح وحتى التمرغ وتعفير اللحية والوجه ولكن للخواص . ومن هم الخواص الذين يجوز لهم من الشرك والضلال مالا يجوز لغيرهم ياترى ؟ ولعل الجواب الصحيح أنهم أصحاب الأحوال الذين يدعون علم الباطن من غلاة المتصوفة الذين يبيحون لأنفسهم مايحرمونه على غيرهم من الكفر والشرك والفسق : إذ هم الذين فى حال خمرتهم يشربون الخمور ويفعلون الفجور ، ويقولون الهجر وينطقون بالكفر ، وذلك فى حال سكرة الحب كما يقولون ويؤثر عنهم .

وبعد : مسكين هو صاحب الذخائر ! كيف يعرض نفسه لهذه المهازل والتناقضات بلا أجر ولا مثوبة اللهم إلا ما كان من إرضاء طائفة مريضة القلوب ضعيفة النفوس لاقيمة لها ولا وزن بين باقى هذه الأمة وصلحائها .

وخلاصة القول أن صاحب الذخائر بأساليبه هذه وعناوينه يدعو إلى الشرك والضلال من حيث يقصد أو لايقصد ، لأن تعليم الناس جواز التمسح بالشبابيك والأعتاب وجدران الأضرحة وتقبيلها وتمريغ الوجوه واللحى عليها معناه افعلوا كل شىء من الشرك ولكن لا بنيّة الشرك ولكن بنيّة التبرك والتوسل والاستشفاع . وهذا شأن المفتونين والعياذ بالله تعالى .

العاشرة : زيارة القبر الشريف والتبرك به ، وأنها من أفضل الأعمال .

اشتمل هذا العنوان الموضوع للإثارة والفتنة والتضليل اشتمل على ثلاث قضايا هذا بيانها :

الأولى زيارة القبر الشريف وهذه المسألة لا خلاف فيها بين المسلمين إذ زيارة القبور سنة مستحبة للرجال المؤمنين دون النساء ، وذلك لقول الرسول ﷺ وفعله فقد قال : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » وزار قبر أمه بعد أن استأذن ربّه فى ذلك فأذن له كما زار قبور الشهداء والبقيع .

ونهى عن زيارة النساء للمقابر بقوله : « لعن الله زوارات القبور » الحديث . والسلفيون لا ينهون عن زيارة القبور مطلقا وإنما ينهون عما كان منها بدعيا كشد الرحال وإقامة الحفلات وذبح الذبائح ونداء أصحابه والاستعانة بهم ، وما إلى ذلك من إيقاد الشموع عليها وتجميرها وتعطيرها أو وضع باقات الزهور عليها .

والثانية : التبرك ومعناه التماس البركة وطلبها بزيارة القبر والشارع الحكيم لم يرد عنه أن زيارة القبور تكون لطلب البركة سواء كان صاحب القبر نبيّا أو ولياً أو كان غيرهما ، وإنما تكون لأغراض لم تكن البركة منها ؛ إذ هى التذكير بالآخرة طلبا لرقة قلب المؤمن وخشوعه حتى يقبل على الآخرة فيتزود لها بالأعمال الصالحة ، كما يحصل له العزوف عن الدنيا فتقل رغبته فيها وبذلك يكثر خيره ، ويقل شرّه ، وهذا ظاهر من قوله ﷺ « فإنها تذكركم الآخرة » .

كما أن زيارة القبور تفيد المزار وينتفع بها ، وذلك من السلام عليه والاستغفار له والترحم عليه .

كما أن الزائر نفسه ينتفع بسلامه على إخوانه الموتى واستغفاره لهم وترحمه عليهم ؛ إذ فى ذلك أجر ومثوبة لمن قام به محسناً محتسباً .

أما موضوع البركة فى زيارة القبور فإنه لم يجر له ذكر على لسان الشارع قط ، وإنما ذكره من ذكره من أهل الأهواء والبدع فقط ؛ إذ لم يؤثر هذه المعنى عن السلف ولم يذكره كتاب ولا سنة ، ولم يكن من أغراض الزيارة فى شىء ، وإنما قال به القبوريون الذين يجيزون تمرغ الوجوه واللحى على تراب القبور طلبا للبركة التى لم يشبعوا منها حتى ولو أكلوا تراب القبر كله وزادوا والعياذ بالله .

والحقيقة التى يجب أن لاتخفى عن العارفين هى أنها دعوة إلى الشرك تحت عنوان التماس البركة !!

والقضية الثالثة : كون زيارة القبر الشريف من أفضل الأعمال هذه القضية لا نسلم لقائلها حيث لم يورد عليها نصا صريحا من كتاب ولا سنة ، ولا قولا صحيحا من سلف هذه الأمة وأنَّى له ذلك . وعليه فهى قضية باطلة ، ولم تكن زيارة القبر الشريف المستحبة فى درجة الصلاة ولا الجهاد ولا الحج ، ولا بر الوالدين ، وإنما هى من فضائل الأعمال كسائر النوافل وحسبها ذلك .

إنه ليس من حق أىّ إنسان غير رسول الله ﷺ أن يقول فى قول أو عمل هو من أفضل الأعمال ، ومن قال فهو قائل على الله تعالى بدون علم وقد حرم الله تعالى القول عليه بدون علم ؛ لأنه الكذب على الله ؛ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ؟

هذا ولو كان فضل الأعمال يعرف بالرأى لما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عنها فيجيبهم مبيناً لهم ، وحديث ابن مسعود فى الصحيح شاهد على ذلك .

وأخيراً ما الذى حمل صاحب الذخائر على وضع هذا العنوان ، ومادليله على كون الـزيارة من أفضل الأعمال ؟؟ الجواب عن الأول : إنه إغاظة السلفيين ، وعن الثانى مانسبه إلى ابن القيم كذبا وميناً ، إذ لم يصح عنه أنـه قال : زيارة القـبر الشريف من أفضـل الأعمال ، وماذكره صاحب الذخائر من أبيات من نونية ابن القيم ليس فيها ما يدل على ذلك أو يشهد له ثم ابن القيم ليس ممن يحتج بقولهم فى إثبات الحقائق الشرعية ، لأنه خلفى ، ليس بسلفى من أهـل القرون المفضلة ، وإنما هو عالم مصلح سلفىّ العقيدة والسلوك فإن قال الحق قبل منه وأثنى به عليه ، وإن قال خلافه رد عليه .

الحادية عشرة : عمر رضى الله عنه لم يقطع شجرة بيعة الرضوان .

هذا العنوان صريح فى نفى صاحب الذخائر قطع عمر رضى الله عنه شجرة بيعة الرضوان .

والسؤال الآن هو لم ينفى صاحب الذخائر قطع عمر للشجرة ، حيث يقول : إن عمر رضى الله عنه ماقطعها إلا لأنها لم تكن هى شجرة بيعة الرضوان ، أمّا لو كانت هى ماقطعها أبدا ؛ لأن عمر رضى الله عنه يجيز التبرك بآثار الصالحين ويزيد هذا المعنى تقريراً فيقول : إن عمر لم يقطعها ليمنع التبرك بالآثار ، أو أنه لا يرى ذلك ، بل لم يقع ذلك المعنى فى قلبه أصلا ، ولم يخطر على باله أبداً !!!

إن هذه الجملة من قول صاحب الذخائر صريحة فيما قلنا من أنه يعتقد أن عمر رضى الله عنه لو علم أن الشجرة التى قطعها هى الشجرة التى تمت تحتها البيعة لما قطعها مهما فعل الناس تحتها ، ومهما اعتقدوا فيها ، ولو كان الشرك بعينه ، هذا ولنستمع إلى قول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى هذا المعنى ونقارن بينه وبين قول صاحب الذخائر فإن النتيجة ستظهـر لنا واضحة جليّة ، وهى أن صاحب الذخائر ناقم على الذين يزيلون الآثار ويذهبونها مخافة ماوقع ويقع حولها من الشرك ، وما حصل

ويحصل بسببها من الشر والفساد حيث عبدت آلالف الأشجار وأُلهت مع الله آلالف الآثار .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ، فى تعليله كون شجرة بيعة الرضوان قد أخفيت(١) عن الناس : وهو أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير ، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضرّ كما نراه الآن مشاهدا دونها !!!

فلننظر كيف أفصح الحافظ عن سبب إخفاء الشجرة أو قطعها وهى مخافة أن يعظمها بعض الجهال فيفضى ذلك بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر .

أما صاحب الذخائر فإنه يقرر أن عمر ماقطع الشجرة التى روى وصح أنه قطعها إلا لأنها ليست الشجرة التى تمت تحتها بيعة الرضوان ، لأن تلك قد أخفيت على الناس . أما لو علم عمر أنها هى التى تمت تحتها البيعة لما قطعها وترك الناس يتبركون بها ، لأن عمر مجيز ذلك ومهما أفضى ذلك بالناس إلى اعتقاد مالا يجوز اعتقاده وفعل مالا ينبغى فعله .

وبهذا تبيّن بوضوح أن صاحب الذخائر داعية شرك وضلالة والعياذ بالله تعالى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كما أن لازم دفاعه عن عدم قطع عمر للشجرة أنه ناقم على السلفيين الذين يقطعون الأشجار ويزيلون الآثار إذا خيف وقوع الشرك واعتقاد الباطل بسببها . وهذا هو الجواب لسؤالنا الأول وهو : لَم ينفى صاحب الذخائر قطع عمر لشجرة بيعة الرضوان . والله المستعان !

الثانية عشرة : تفضيله البقعة التى ضمت جسد رسول الله ﷺ عن الكعبة والعرش .

---

(١) ذكر الحافظ فى الفتح أن هناك خلافا فى هل شجرة بيعة الرضوان قد أخفيت ، أو أنها هى التى قطعها عمر رضى الله عنه ، وقد علل رحمه الله تعالى لخفائها أن حقا أخفيت عن [illegible] ، أو قطعها إن هى قطعت ، وهو مخافة أن يعتقد بعض الجهال أن لها قوة نفع أو ضر فيفضى بهم ذلك إلى مثل ماهو مشاهد اليوم من الشرك والباطل فيما هو دون الشجرة التى وقع تحتها خير كثيــر .

وهنا ـ أخى القارىء ـ تساؤلات عدة هى : لم يثير صاحب الذخائر هذه المسألة بالذات ؟

هل هى من عقائد المسلمين ؟ هل الناس مكلفون بفهم واعتقاد هذه المسألة ؟ هل هناك من جدل قد أثير حول هذه المسألة فجاء صاحب الذخائر لينهيه ويريح المسلمين منه ببيان الحق الذى اختلفوا فيه ؟

إن الجواب عن كل هذه التساؤلات أن شيئا من ذلك لم يكن . وإذاً فأى داع للخوض فى مثل هذه المسألة حتى يصبح المرء يقول بغير علم ويحكم بدون دليل ؟ إنه لو كان فى اعتقاد هذه المسألة والعلم بها خير للأمة عاجلا أو آجلا لبينه رسول الله ﷺ . إذ ما ترك ﷺ خيراً إلا دل الأمة عليه ، ولا شراً إلا حذرها منه .

ومادام ﷺ قد سكت عن هذه المسألة ألا نسكت عنها نحن ، ويسعنا ماوسع صدر هذه الأمة وسلفها الصالح ؟

والجواب نعم قد سكتنا والحمد لله واسترحنا وأرحنا ، غير أن صاحب الذخائر لم يسكت وأثار هذا الموضوع الميت المعدوم ؛ لتصوره الباطل وهو أن السلفيين لا يحبون النبىّ ﷺ ولا يعظمونه ، ولا يفضلونه ولا يتبركون بآثاره ولذا هم لا يحتفلون بليلة المولد . وهو تصور كاذب خاطىء لا صحة له البته ومن أجل هذا جاء يدعوهم إلى الاحتفال بالمولد والتبرك بالآثار من طريق أن مجرد البقعة التى لامست جسد رسول الله ﷺ أصبحت به أفضل من الكعبة بيت الله ، ومن العرش عرش الرحمن عز وجل .

هذا هو الباعث لصاحب الذخائر والحامل له على إثارة هذه المسألة التى ليست من عقائد المسلمين فى شىء ، والتى لم يجر لها ذكر فى كتاب ولا سنة ، ولم يخض فيها أبداً سلف هذه الأمة ، وإنما قال فيها من قال من سادات صاحب الذخائر وأقطابه من أمثال النبهانى والبكرى والقسطلانى والتجانى !!

ولما كان قصد مثير هذه المسألة هو التشهير بالسلفيين لأنهم لايحتفلون

بالمولد النبوى الشريف وهو مولد من تربة قبره أفضل من الكعبة والعرش إن صحت الدعوى فإنا نهمس فى أذنه وأذن أوليائه والعالم أجمع أن السلفيين أو الوهابيين كما يسميهم لو شرع الله تعالى لهم فى كتابه أو على لسان نبيّه ﷺ الاحتفال بالمولد ، لما سبقهم لذلك صاحب الذخائر ، ولا من وراء صاحب الذخائر من كل القبوريين والخرافيين .

الثالثة عشرة : مقارنته بين ليلة المولد وليلة القدر ، وتفضيل إحداهما على الأخرى بدون علم ولا هدى ، ولا كتاب منير .

اعلم ـ أخى القارى ـ أن هذه المسألة هى نظير سابقتها وهى تفضيل البقعة التى ضمت الجسد النبوى الطاهر على الكعبة والعرش ، وكلتاهما لا داعى لذكرهما وإثارتهما ، وذلك لسكوت الشارع الحكيم عنهما ، وعدم تعرضه لشىء منهما ولو بإشارة فضلا عن عبارة . ولكن صاحب الذخائر يأبى إلا ذكرهما وإثارة موضوعهما لغرض فى نفسه قد أفصحت عنه عناوين كتابه غير مامرة . وهو دفاعه عن بدعة المولد ودعوته المسلمين إلى إحيائها والقيام بها كما هو التشهير بمن ينكرها ولا يقرها وهم السلفيون عامة والسعوديون خاصة .

ولبيان الحق فى هذا المسألة نقول . إن صاحب الذخائر بإثارته لهذه المسائل يضلل المسلمين عن قصد أوعن غير قصد . وبيان ذلك من وجهين :

الأول فى الباعث له على تفضيل إحدى الليلتين على الأخرى . فهل ياترى بحث هذا الموضوع سلف الأمة وقارنوا فيه بين الليلتين ورجحوا فضل إحداهما على الأخرى ؟ والجواب : لا ، لا . إن سلف الأمة لم يبحثوا هذا الموضوع ولا قالوا فيه بشىء قط . فلم إذاً يثار اليوم هذا البحث ، وما الفائدة منه . وما هو المقصود به ؟

والجواب : قد أثير هذا الموضوع وفى هذه الديار بالذات للفتنة والتضليل والعياذ بالله تعالى وأما الفائدة منه فإنها ـ والله ـ لا فائدة ألبتة ؛

إذ ليلة القدر قد فضلها الشارع على ألف شهر ، وحث على قيامها ، ودعا إليه ورغب فيه . وأما ليلة المولد فلم يجر لها ذكر على لسان الشارع ، ولم يخصها بشىء ، ولم يعرف لها سلف الأمة الصالح أى فضل أو مزية بالمرة ، وما هى إلا ليلة كسائر الليالى وظرف لما يقع فيها من خير أو غيره .

وأما المقصود من إثارة هذا البحث فإنه هدم التوحيد وأركانه فى شخصية المنكرين لبدعة المولد والمنددين بها من السلفيين .

والثانى : أن المضللين من المسلمين بالعلماء أمثال صاحب الذخائر يعتقدون أن السلفيين بإنكارهم لبدعة المولد ، وعدم احتفالهم بها يبغضون الرسول ﷺ ولا يحبونه فجاء صاحب الذخائر يصحح لهم اعتقادهم هذا ويؤكده لهم وهو اعتقاد باطل فيقول كيف لايحتفل السلفيون بالمولد وليلة المولد أفضل من ليلة القدر التى يحتفى بها ويحتفل أهل السماء وأهل الأرض ؟ !

وأخيراً إنه لو لم يكن لصاحب الذخائر هدف معين يهدف إليه وهو إرضاء أصحاب الشعور المعادى للسلفيين لينال الحظوة لديهم داخل المملكة وخارجها لما أثار مثل هذه المواضيع ، ولم كتب رسائله فيها ، ولكان نجا من محذور قوله تعالى : ﴿ **ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها** ﴾ ؛ إذ هذه المملكة كما قلنا وقررنا غير مامرة قد أصلحها الله تعالى بدعوة ابن عبد الوهاب ودولة ابن السعود ، فمن جاء يدعو فيها إلى البدع والشركيات إنما جاء ليفسد فيها بعد إصلاحها . والله تعالى هو الذى يتولى جزاءه على إفساده فى أرض قد أصلحها .

الرابعة عشرة : حياة النبىّ ﷺ

إن صاحب الذخائر يعلم كغيره من علماء المسلمين وعامتهم أن النبىّ ﷺ قد مات الموتة التى كتبها الله عز وجل على كل نفس وأخبر عنها بقوله : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ .

وعليه فمن أنكر موت الرسول ﷺ ـ إن لم يكن فى ذهول الحيرة . وفى

عنف صدمة الفاجعة كما حصل لعمر رضى الله عنه ـ فقد كفر لتكذيبه الله تعالى ورسوله ﷺ ، إذ قد أخبر تعالى عند موت رسوله ﷺ بقوله : ﴿ **إنك ميّت وإنهم ميتون** ﴾ . وقوله : ﴿ **وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ وقوله : ﴿ **ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** ﴾ الآية .

وأخبر هو ﷺ عن موته فى أحاديث صحاح كثيرة ، وقد مات فعلا وغُسل وكفن وصُلى عليه ودفن فى بيته ﷺ ، وبكاه النساء والرجال والأطفال من مؤمنى الإنس والجان ، وها نحن الآن نبكيه وامحمداه ، واحزاناه ، وا أسفاه ، على موت وفراق رسول الله !! وكان بعض أصحابه يقول : من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته فى رسول الله ليتعزى بذلك ويصبر !

كما يعلم صاحب الذخائر وغيره من علماء المسلمين وأكثر عامتهم أيضا أن روح النبىّ ﷺ وهو أشرف الأرواح وأطهرها وأحبها إلى الله تعالى وأكرمها عنده كغيره من سائر الأرواح حىّ لايموت مرة أخرى بعد الموتة الأولى ؛ وإن أرواح المنعمة تتفاوت فى النعيم ، والمعذبة تتفاوت أيضا فى العذاب المهين ؛ إذ بهذا نطقت الآيات وصرحت الأحاديث ، وهو معتقد أهل السنة والجماعة من هذه الأمة المسلمة .

وإذاً ، فلم جاء صاحب الذخائر يركض فيجمع من الأخبار والآثار الغث والسمين ؛ ليثبت حياة النبىّ ﷺ بعد موته ؟ أكان فى الأمة من أنكر حياة النبى ﷺ البرزخيّة فجاء صاحب الذخائر يقيم الدليل على من أنكرها ؟ ومادام لا يوجد بين المسلمين من يقول بعدم حياة رسول الله ﷺ وحياة كل الأموات من مؤمنين وكافرين فى البرزخ ، فلم هذا الركض الفارغ والحماس الكاذب من صاحب الذخائر ياترى ؟ ؟

والجواب إنه إرضاء القبوريين وهم الذين جهلوا ربهم فلم يعرفوه فقادهم جهلهم بربهم تعالى إلى قبور الأنبياء والأولياء والصالحين فجعلوها

محط آمالهم . ومفزعهم عند تغير أحوالهم ونزول الشدائد بهم فترى أحدهم إذا مسه ضر أو نزل به بلاء فزع إلى تلك القبور يدعو أصحابها ويستغيث بهم ويستشفع بحرمتهم ويسأل الله بحقهم وجاههم والعياذ بالله تعالى من الشرك وأهله .

ولما حكمت دولة التوحيد الحجاز وهدمت القباب وحيل بينهم وبين مايشتهون من نداء الرسول ﷺ والاستغاثة به والعكوف على قبره والتمسح به وتعفير الوجه وتمريغه على تربته وحتى الكذب عليه بأنه رد السلام على فلان ومد يده إلى فلان ، وقد رآه فلان وسمعه فلان إلى غير ذلك من الكذب والباطل ثارت ثائرتهم ونطقت أبواقهم فأخذوا يكفرون السعوديين ويقولون فيهم أقبح الأقوال وأفضحها .

ونصر الله دعوة الحق على يد ابن السعود ورجاله ، وأخذت أركان الباطل تتزلزل ، وصحون الشرك والخرافة تتداعى وتسقط فى كل بلاد المسلمين حيث وجد ـ والحمد لله ـ فى كل إقليم من بلاد المسلمين علماء عارفون يدعون إلى التوحيد والعمل بالسنة وترك الشرك والبدعة . وأخذ فعلاً القبوريون والمفتونون بالخرافات والبدع يخفون حنقهم ويسرون دعوتهم إلى الباطل بعد أن بهرهم نور الحق ، وغمرتهم كثرة الموحدين ، غير أنهم ـ مع الأسف ـ لم ييأسوا .

ويبدو أنهم اليوم لما رأوا فتوراً فى دعوة التوحيد بين رجال حكومة التوحيد لانشغالهم بمهام حكمهم ، وتغير الظروف والأحوال عليهم تحركوا محاولين الظهور من جديد ، وما كتاب الذخائر إلا جس نبض ، لأنه كتاب يحمل الدعوة الواضحة إلى الشرك والخرافة والابتداع ، فلو قدر له أن ينتشر وسلم من الرد عليه وبيان زيفه وباطله وسوء قصد صاحبه لتبعه كتب وكتب تدعو إلى الشرك والخرافة فى وضوح وصراحة . وأين ؟ فى أرض أصلحها الله بعد فساد ، وطهرها بعد خبث إنها ديار الحرمين الشريفين ، قبلة المسلمين وقدوتهم فى أمور دينهم . . . والعياذ بالله تعالى .

الخامسة عشرة : دفاعه عن إسلام أبوى الرسول ﷺ ، ونجاتهما من النـار وأنهما فى الجنـة وترضيه عنهما . وحكمه بنجاة أهل الفترة من لدن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ ، **وتقـريره كـذبة إحياء الله تعالى أبوى الرسـول حتى آمنا به** ﷺ ثم ماتا . . إلى غير ذلك من الأكاذيب التى فاضت بها قواميس الشيعة الروافض .

وقبل بيان زيف هذه الدعاوى وإبطالها إحقاقا للحق وبياناً للهدى ، والرشد نتساءل فنقول :

هل دفاع صاحب الذخائر عن هذه المجموعة من الأكاذيب كان لغرض سليم ؟

هل أمة الإسلام اليوم فى حاجة ماسة إلى معرفة هذه الترهات والأباطيل ؟

هل من ضرورىّ العقيدة الإسلامية الإيمان بهذه الأكاذيب والترهات ؟

والجواب : لا ، لا ، وألف لا أيضا .

إذاً فما هو الدافع لنشر هذه الأباطيل ؟

والجواب : ماسبق أن قلنا وبيناه إنه محاولة إحياء دعوة الشرك والخرافة بعـد موتهـا فى هذه الـديار الإسـلامية الـطاهـرة ديار التوحيد والإسلام الصحيح . وقاها الله شر هذا الكيد والدس الرخيصين . اللهم امين .

هذا وعن كشف زيف تلك الترهات والأكاذيب فإنا نقول :

١ ـ عن فرية إحياء الله تعالى للرسول ﷺ أبويه حتى آمنا به وماتا على ذلك وهما فى الجنة

فإنا نقول : إن هذا لعمر الله فرية من أعظم الفرى على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ، وعلى المؤمنين والمسلمين ؛ إذ لو كان هذا الاحياء حقاً ثابتاً ، وتمّ فعلا لأخبر به الرسول ﷺ وأعلنه لأصحابه ، وعرفه أهل بيته وعامة المؤمنـين ، ولعرفه بعدهم التابعون وتابعوهم ولانتهى إلى الأئمة الأربعة

وقرّروه ضمن عقائد المسلمين وعدوه من جملة المعجزات المحمدية ، والآيات النبويّة . أما وإنه لم يرد به خبر صحيح ولم يقل به صحابى ولا تابعى ولا إمام من أئمة الإسلام والمسلمين . وقد صح خلافُه تماما ونقيضه قطعا وذلك كقوله ﷺ لما زار قبر أمه وبكى عنده ، وقيل له فى ذلك فقال : « استأذنت ربى فى أن أزور قبر أمىّ فأذن لى ، واستأذنته فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى » وقال للرجل الذى سأله عن أبيه وقد مات مشركاً فقال : أين أبى يارسول الله ؟ فأجابه قائلا فى النار ، فلما ولى وكانه غير راض بالخبر ومادل عليه من كون أبيه فى النار ناداه الرسول ﷺ فلما أقبل قال له : أبى وأبوك فى النار !

مع مخالفة هذا الإحياء المزعوم لسنن الله تعالى وشرائعه وهداية كتابه وهدى نبيّه ﷺ . والحال مابيّنا يعد باطلا ومنكراً ، واعتقاده ضلال وحرام . وحسب مفتريه أنه كذب على الله ورسوله والمؤمنين !

٢ ـ عن فرية كون أبوى رسول الله ﷺ فى الجنة نقول إن إبطال هذا الباطل وردّ هذا الكذب قد جاء من رسول الله ﷺ نفسه فكفانا المؤونة إذ جاء فى صحيح مسلم ماذكرناه آنفاً من قوله ﷺ للرجل « أبى وأبوك فى النار » . كما جاء فى السنن ماسبق أن ذكرناه وأيضا من أنه ﷺ استأذن ربه فى الاستغفار لأمه فلم يأذن له ، وهذه مصداق قوله تعالى من سورة التوبة : ﴿ ما كان للنبىّ والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبيّن لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ .

فهل بعد هذا ياعباد الله يجوز لمؤمن أن يكذِّب الله ورسوله ويرد قولهما ، ويقرر الكذب والباطل المأثور عن مثل السيوطى فيقول : إن أبوى الرسول فى الجنة ؟ ؟

اللهم إن هذا مركب لا يركبه إلا مغامر بدينه وعقيدته وصلته بالإسلام والمسلمين .

٣ ـ عن فرية أن أبوى الرسول ﷺ ماتا على الفطرة فنقول إن هذا

تحريف لكلمة « الفَترة » إلى « الفطرة » وذلك أن المسلمين مجمعون ؛ لنصوص الكتاب والسنة على أن مشركى العرب كانوا من أهل الفترة ، وأنهم فى النار بأخبار الله تعالى ، وأخبار رسوله ﷺ .

أما الفطرة فهى التوحيد ، وليست الزمن الذى انقطع فيه من يعرف الله تعالى ويعرف محابَّه ومساخطه وهو الفترة الزمانية ، وإنما الفطرة التوحيد كما قال تعالى : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ ، وقال رسوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . فأهل الفطرة هم الموحدون وأولادهم والأطفال الصغار الذين لم يبلغوا الحلم وسنّ التكليف من أهل الشرك والكفر .

وكون أهل الفترة الخاصة فى النار اليوم غير مانع أن يدخل منهم الجنة من شاء الله تعالى أن يدخلها غداً يوم القيامة ، ونعنى أصحاب الفترة الخاصة أولئك الذين وجدوا فى وقت انقطع فيه تماماً الوحى الإلهى فلم يبق بين الناس أحد يعرف عن الله تعالى وشرائعه شيئا ، فهؤلاء ورد أنهم يمتحنون يوم القيامة مع أطفال المشركين ، والمجانين ومن ولدوا صمًّا لايسمعون ، وعميا لايبصرون بأن يؤمروا بدخول النار فمن كان مستعداً للإيمان والطاعة فى دار الدنيا لو كلف بهما فإنه يطيع الأمر ويذهب إلى النار ليدخلها طاعة لله عز وجل وعندئذ يُصرف عنها ويدخل الجنة . ومن كان غير مستعد للإيمان والطاعة فيها لو كلف فى الدنيا فإنه يعصى أمر الله فى عرصات القيامة وحينئذ يُضطر إلى دخول النار . وهنا نعلن رجاءنا أن يكون أبوا رسول الله ﷺ ممن يمتحنون فيطيعون ويدخلون الجنة مع من دخلها من المؤمنين والمسلمين . والأمر لله فإنه أعلم وأعز وأحكم .

وننبه هنا إلى أن قوله تعالى من سورة الإسراء : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ، المراد من نفى العذاب فيها عذاب الدنيا بالإبادة والاستئصال الذى نزله الله تعالى بالأمم والشعوب التى يبعث إليها رسله فتتحداهم وتكذبهم ، وتطالبهم بالآيات على الإيمان ، ثم لما تعطى الآيات

تتنكر لها وتستمر على تكذيبها وكفرها وجحودها . لا عذاب الآخرة كما قد يفهم من لا علم عنده بأحكام الله وقضايا شرعه .

إن الله تعالى لم يكن شأنه أن يعذب أمة من الأمم بعذاب الإبادة والاستئصال بدون أن يعذر إليها بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى من سورة القصص : ﴿ **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وماكنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون** ﴾ .

٤ - عن فرية أن مشركى العرب من لدن إسماعيل إلى عبد الله والد الرسول ﷺ ناجون من النار بدعوى أنهم من أهل الفترة ، نقول هذه كذبة ما أقبحها وفرية ما أعظمها ، إنها ردّ صريح لأخبار الله تعالى وأخبار رسوله ﷺ ، وتكذيب للّه ورسوله والعياذ بالله . إنها لخروج عن إجماع المسلمين وتحريف لشرع رب العالمين . ولا ندرى ما حمل صاحب الذخائر على هذه الورطة ، وما أوقعه فى هذه التهلكة ؟ ؟

إن الأمر لو كان كما قرر صاحب الذخائر من نجاة العرب المشركين من لدن إسماعيل عليه السلام إلى عبد الله والد رسول الله ﷺ لكان الجهل خيراً من العلم . والكفر خيراً من الإيمان ، ولكانت بعثة الرسول ﷺ شؤما على العرب والبشرية ونحساً ، وهل من قائل بهذا ياعباد الله ؟ ؟

وخلاصة القول إن صاحب الذخائر قد تورط بجهله وهلك بسوء قصده . ودعوتنا له أن يتوب إلى ربه قبل موته فإن من تاب تاب الله عليه ، ومن توبته أن يرد باطل كتابه « الذخائر » بحق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيكتب رسالة يعلن فيها للمسلمين أن معظم ما جاء فى « ذخائره » هو كذب وباطل فلا يغتر به مسلم ولا يجوز أن يعتقده أو يقول به مؤمن . ثم يعمل على جمع ما يمكن جمعه من كتابه الذخائر ويتلفه بإحراقه أو دفنه . وبذلك تبرأ - إن شاء الله - ذمته وتصح توبته ، ويعود إليه اعتباره فى جماعة المسلمين . والرجوع إلى الحق خير من التمادى على الباطل .

والله وحده المسئول أن يتوب علينا وعليه ، وأن يرينا جميعاً الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه . إنه ولى ذلك والقادر عليه •

سبحانك ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

المحتوى

●● الرسالة العاشـــرة

النصائح الأزواج
قدمت لبيت الله الحجاج

فاتحـــة :

• بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن اتَّبع هداه .

وبعـد ـ أخى الحاج ـ إنه أداءً لواجب نصحك الذى أوجبته أخوتك رأيت أن أتقـدم إليك بهذه العرائس من النصائح ؛ لتستمتع بها روحيا وعقليا ، وأنت فى رحلتك المباركة الخالدة تتنقل فى رياض العبادة ، وتنّسم فى رحـاب الله نسيم الـرحمـة والغفـران . فخذها أزواجا خمسة بلا مهر تقدمه ، ولا وليمة تقيمها سوى أن تقول لربى تعالى وربك الذى لا إله غيره ولا رب سواه : رَبِّ إنّ عبــدَك قد نصحنى لك يرجـو بذلـك أن تُعافيه ، وتعفو عنه ، وتغفر له وترحمه ، وتتولاه ولاتتركَه ، فأعطه اللهمَّ ذلك ، وأعطنى مثلَه إنى أخوه وهو أخى ، وأنت ربنا البَرّ الرحيم على كل شىء قدير .

الزوج الأول
مـــن
النصائح الأزواج
الإيمان ، والتقوى

١ ـ الإيمــان

هل تدرى ـ أخى الحاج ـ ما الإيمان الذى أنصح لك به ؟
إنه شاطِىء النجاة ! وبرُّ السلامة ! وساحة الأمان ! ودار الاطمئنان .

إنه حمى الله الذى لا يأمن إلا من نزل به ، ولا تنتهى حيرة ولا يذهب خوف ولا قلق ولا فزع من لم يحل به ، وينزلْ بساحته .
إنّ الإيمان مشتقٌّ من الأمان ولذا فإن العبد لايَزَالُ خَائفاً فى الحياة حتى يؤمن بالله ، فإذا آمن أمن ، وإذا أسلَمَ سلم .
وهل تدرى ـ أخى الحاج ـ ما حقيقة الإيمان الذى تُنصح به ، وتُدعى إليه ؟ إنه تصديقك الجازم الخالى من أىِّ شك أوريب أو تردّد : إيمانك بالله ربًّا وإلهاً ، وبكل ما أمرك الله تعالى بالإيمان به من الملائكة ، والكتب ، والرسل ، والبعث الآخر ، والقضاء والقدر . هذه حقيقة الإيمان المنصوح لك به . واسمح لى أن أحدثك عنه حديثا مختصراً تزداد به معرفة ويقينا فأقول : إنك بالإيمان بالله تعالى ربًّا وإلهاً تكون قد عرفت سر حياتك ، وعلَّةَ وجودك ، وسر وعلة الحياة والكون كله من حولك ، وبذلك تأخذ مداركَ حول حقائق العبادة التى خُلقت لها فلا تبرح تسير فى فلكها ، شأنك فى ذلك شأن الكواكب فى مساراتها ، والأفلاك فى مداراتها فلا تكل من طاعة ، ولا تملّ من قرب أوحب . وبه تكون أمِنت من الخسران ، وفزت بالجنان ، وألْبستَ حُلَلَ الرضوان . إنك بإيمانك بالملائكة تكون قد اكتشفت عالم الطهر والصفاء ، وتعرّفت إلى إخوان روحك ، ورفقاء رحلتك فى عبادتك لربك فيعظم بهم أنسك ، ويكمل بهم قربك ، وتعرف بهم سر وصول خبر السماء إلى الأرض فى أقل من لحظة عين ، أو ثانيتها ، وسر الموت والحياة وطبيعتها . وبطهر أولئك الأطهار وصفائهم وخيريتهم تطّلع على العالم الآخر ذى الطبيعة الشريرة والخبث

والظلمة ، وهو عالم الشياطين ، إذ بضدها تتميز الأشياء .

إن مايرى من طهر وصفاء وخير إنما هو قد فاض[١] من عالم الطهر والخير والصفـاء . كما أن ما يرى من ظلمـة وخبث وشر إنما قد فاض من عالم الظلمة والخبث والشر .

وإنـك بمعـرفتـك هذه التى أثمرها لك إيمانك بالملائكة الأطهار قد تعظم رغبتك فى الطهر والصفاء وتحن إلى مواكبة أهلهما فلا تلبث أن تطهر وتصفو وتواكب ، وبذلك تكمل وتسعد .

وإنك بإيمانك بكتب الله عامة والفرقان خاصة تكون قد أكدت إيمانك بالله . . ومـلائكتـه وقـررتـه فى نفسـك ، وبلغت به اليقـين المـطلوب للمؤمـنين ، إذ كتب الله فيها كلامه ، والملائكة قد تنزلت به ، فالإيمان بالكتب يثبت الوجودين وجود الله تعالى ووجود الملائكة بطريق برهانيّة تذعن لها العقول ، إن الإيمان بالكتب يزيد فى طاقة الإيمان بالله وملائكته مع ضميمة ما يكسبه الإيمان بالكتب من علم الغيوب والشرائع والأحكام الأمر الذى يجعل المؤمن الموقن فى موكب قول الله تعالى : « وما يعقلها إلا الْعَالِمُون »

وبإيمانك برسل الله كافة وبخاتمهم وإمامهم نبيّنا محمد ﷺ خاصة تكون قد أوجدت لنفسك خير مثال تحتذى به فى طلبك الكمال البشرى ، ووفرت لك مربيًا عليما حكيمًا تربى بواسـطتـه روحك وعقلك وخلقك فلا تزال تكمل فى ذلك ما لازمت طاعته وواصلت السير معه ترسم خطاه ، وتقتفى آثاره ، مع ما تكتسبه من العلوم والمعارف ، وما تصل إليه من اليقينيات فى حقائق علم الغيب والشرع .

وبإيمانك بالبعث الآخر وهو الإيمان باليوم الآخر تكون قد ولدت مرة أخرى ؛ إذا الأولى كانت من ضيق بطن أمك إلى سعة الدنيا ورحابتها ،

---

(١) يشهد لصحة هذا المعنى حديث الترمذى والنسائى وابن حبان : أن للشيطان لمة باابن ادم وللملك لمة الحديث .

والثانية من نكد الدنيا وشقائها ، إلى نعيم الآخرة ، وسعادتها . وخير من ذلك أنك تخلصت من أسر هذه الحياة الدنيا ، ونجوت من غرورها وفتنتها وهى كما هى كاذبة خادعة لاتفى بوعد ، ولا تثبت على عهد . إنك بمعرفتك الخالدة الصادقة الوافية تكون قد استغنيت بجمالها وكمالها عن قبح الأولى ونقصانها

هذا بعض ما يكسبك إيمانك بالدار الآخرة ، وغيره كثير ، وحسبك أنك أصبحت ذا حياتين وذا زوجين تأخذ من الأولى ماينفعك للآخرة ، وتقسم بين الزوجين بحسب خيرية كل منهما وطول بقائهما .

وإنك بإيمانك بالقدر تكون قد أذهبت عن نفسك حزن ماتراه قد فاتها ، وأرحتها من عناء الفرح بعرض الدنيا ومتاعها ، إذ القدر معناه : أن كل شىء كان فى هذه الحياة الدنيا أو يكون قد سبق به علم الله تعالى ، وقضى بوجوده مقدراً له زمانه ومكانه وكمِّيته وكيفيته فلا يتخلّف فى شىء من ذلك ويختلف فيه .

ولذا كان القدر عبارةً عن نظام الكون والحياة يسير كل شىء وفقه بلا زيادة ولا نقصان . وهذا ما قرره الرسول ﷺ بقوله فى رواية مسلم « كل شىء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » . وقوله : « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك رُفعت الأقلام وجفّت الصحف » .

فمن آمن بنظام القدر ذهب حزنه وخوفه وقل حرصه وتعبه ، وفاز بتقوى الله تعالى والإجمال فى الطلب .

(ب) - التقــوى

التقوى زوج الإيمان . وقبل أن تعرفها أخى الحاج وهى المنصوح لك بها ينبغى أن تعرف أن تلازماً تاماً بينها وبين الإيمان حتى لكأنهما زوجان لا لا ينتج الأول منهما إلا بالثانى .

واعلم أخى الحاج - أن ما ينتجه الإيمان والتقوى إذا اجتمعا للعبد هو خير ما فوقه خير ، وأمل دونه كل أمل ، إنه مجموع ثلاثة أشياء هى ولاية الله تعالى وهى غاية الغايات ، ومنتهى الإرادات ، وانتفاء الخوف والحزن عن العبد فى الدنيا والآخرة ، والبشرىٰ العاجلة والآجلة . وهاك النص القرآنى المثبت لذلك قال تعالى من سورة يونس عليه السلام : ﴿ ألا إنّ أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرىٰ فى الحياة الدنيا والآخرة ، لاتبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

واسمح لى بأن أنبهك إلى أن ماذكر لأهل التقوى من النتائج الطيبة ومما سيذكـر إن شاء الله تعالى لم تكن فيه التقوى المنصوح لك بها مجردة عن الإيمان بحال من الأحوال ، بل الإيمان هو المحل الأول فيها والثانى ، وإنما لشـدة افتقـار التقوى للإيمان ، وعدم تصور وجودها بدونه يذكر القرآن الكـريم ثمار التقوى لأهلها المؤمنين المتقين ، إما بصيغة وعود صادقة ، أو أخبار جازمة يذكرها مجردة عن ذكر الإيمان لعدم وجود تقوى مثمرة بدون إيمان صحيح . وذلـك كقـوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ، فثمرة التقوى هنا شيئان هما : الخلاص من كل ضيق ، والخروج من كل محنة أو فتنة ، والرزق الطيب الذى لامنة فيه لأحد غير الله تعالى وهو أطيب الرزق وأهنأه وأمرأه .

وكقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » ، والثمرة هنا : تيسير الأمور وتسهيلها لذى التقوى ، حتى لايكرب ولا يشقى أو يتعب .

وقوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئـاتكم ﴾ . والثمرة هنا شيئان هما : حصول الفرقان وهو نور البصيرة الباطنى ، وإدراك خاص توجده التقوى فى القلب أو العقل يميز به صاحبه بين كل المشتبهات كالحق والباطل والرابح والخاسر ، والضار والنـافـع . والشىء الثانى تكفير السيئات التى قد يجترحها العبد نتيجة ضعفه البشرى ، أو تلك التى اكتسبها قبل حصول الفرقان له .

وقوله تعالى : ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾ . وقوله : ﴿ إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أترابا وكأسا دهاقا ، لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً جزاء من ربك عطاءً حساباً ﴾ . فهذه أخبار إلهية بما أثمرته التقـوى لأهلها من النجاة من النار ، وهى أكبر مخوف مرهوب ، والفوز بالجنة وما فيها من النعيم المقيم وهو أعظم مرغوب محبوب .

والآن ـ أخى الحاج ـ بعد أن عرفت من خلال ما حدثتك به عن تلازم التقوى مع الإيمان ، وعن ثمار التقوى ونتائجها الطيّبة مما جعلك حقيقة تتشوف إلى معرفة التقوى ؛ لتعمل على تحقيقها بعد تحصيلها فإنى أسألك لأثـير رغبـة المعـرفة فى نفسك فأقول لك : ماهى التقوى المطلوبة منك والمنصوح لك بها ؟

وقبل أن أعرفك بها أكرر لك القول بأنك وإن عرفتها لم تكن لتظفر بها وتحصل عليها ما لم توجد لها شرطها الذى هيهات هيهات أن توجد بدونه ألا وهو الإيمان الصحيح ، وأعنى بالصحيح ما وافق مراد الله تعالى منه فى أمره لعباده به فى مثل قوله : ﴿ آمنوا بالله ورسوله ﴾ ، واخباره عن أهله فى قوله : ﴿ ولكنّ البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ .

وعـلامة صحة إيمان المؤمن بموافقته لمراد الله تعالى من أن يتحقق له خمس صفات وهي : الموالاة التّامّة للمؤمين والمؤمنات بالنصرة والمحبة . الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وإقام الصلاة . إيتاء الزكاة . طاعة الله

ورسوله ﷺ .

فإن لم تحصل للعبد هذه الصفات دل ذلك على عدم صحة إيمانه فليراجع نفسه ، والله المستعان .

وقد وردت هذه الصفات المطلوبة لصحة الإيمان فى قول الله تعالى من سورة التوبة حيث قال تعالى فى ذلك : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ﴾ . فهذه الآية الكريمة نص فى ذلك فلتقرأ ولتتأمل

والآن وقد عرفت ـ أخى الحاج ـ شرط نفع التقوى أعرفك بالتقوى لتعرفها . . فتعمل على تحصيلها وتحقيقها فتفوز بولاية الله تعالى التى هى رأس الأمر وملاكه ، ومفتاح دار السلام . فأقول : التقوى اسم جامع لفعل ما يحب الله تعالى من الاعتقادات والأقوال والأفعال . ومن الأفعال أفعال القلوب كمحبة الله والخوف منه والرغبة إليه . والحب فيه والبغض لأجله . وترك مايكره من ذلك .

وهى تستلزم العلم فلا تقوى بدون علم ، إن معرفة مايحب الله عز وجل ومعرفة مايكره من المعتقدات والأقوال والأفعال لاتحصل بدون العلم بحال من الأحوال . فلا يعرفن امرؤ ربّه ما لم يكن ذا يقين بربّه ، وعلم كامل بمعرفة محابه ومكارهه ، ومصداق هذا قول الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فقد قصر الخشية على العلماء دون غيرهم ممن لا يعلمون . فإذا عرف العبد المؤمن أن الله تعالى يحب الصلاة مثلا وأراد أن يتقرب بها إليه تعالى وجب عليه أن يعرف كيف يصلى ، وإذا علم أن الله تعالى يأمر بالطهارة وجب عليه أن يتعلم كيف يتطهر ، وهكذا سائر القرب والعبادات التى هى محابّ الله تعالى . ومن هنا تتأكد الحقيقة وهى أنه لاتقوى بدون إيمان صحيح وعلم كامل بمعرفة مايتقى الله فيه من محاب ومساخط .

وأخيراً فلتعلم أخى الحاج أن الطريق إلى تحقيق الإيمان والتقوى هو ذكر الله تعالى وشكره ، إن الذكر يورث دوام المرقبة ، والمراقبة تحفظ الإيمان وتزيد فيه والشكر يورث دوام الطاعة ، والطاعة تقوى التقوى وتزيد فيها .

فعليك إذنْ بالذكر والشكر لتحقيق الإيمان والتقوى والظفر بنتائجها الطيّبة .

ولما كان الذكر والشكر من النصائح الأزواج فسوف نحدثك عنهما ونعرفك بهما فاطلب ذلك فيما يأتى من الكتاب . والسلام عليك ما انتظرت وقرأت وعرفت وعلمت .

الزوج الثـــانى
مـــن
النصائح الأزواج
الذكـــر والشـــكر

(أ) ـ الذكـــــر

أخى الحاج هل تدرى ما هو الذكر الذى أنصح لك بملازمته ، وعدم تركه والتفريط فيه ؟ وهل تدرى ما قيمته ، وما ثماره ، وما هى نتائجه ؟ ؟ ؟

وبعد : فإن كنت تدرى فحسبى أن أذكرك وإن كنت لاتدرى فإنى أعلمـك ، وعـلى كلا الحالين أفيدك وتفيدنى ، وهذا شأن أخوة الإيمان والإسلام ينفع بعضهم بعضاً .

أما ماهو الذكر ؟ فإنى أؤخر الإجابة عنه ؛ ليكون آخر ما تقرأ فيستقر فى ذهنك فتحفظ وتعمل وبذلك تكمل وتسعد وهذا هو مطلوبنا لك .

وأمـا عن قيمة الذكر ، وثماره ونتائجه فإليك بيان ذلك من الروايات الحديثية الصحيحة التالية :

١ ــ رواية أبى هريرة المتفق عليها وفيها يقول الله تعالى : « أنا عند ظنّ عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه »

فقل لى بربك ــ أخى الحاج ـ هل هناك ما هو خير وأشرف للعبد من أن يكون الله جل جلاله معه ؟ إذا دعاه أجابه وإذا سأله أعطاه ، وإذا استنصره نصره .

وهل هناك ما هو خير وأشرف للعبد من أن يذكره الله تعالى فى نفسه ،

أو فى ملأ من أهـل السـماء وهم خير من أهـل الأرض وأشرف ، لأنهم يسبحون الليل والنهار لايفترون

الله أكبر ، ماذا يثمر ذكر العبد ربَّه من شرف وكمال وخير !!

وسبحان الله كيف ينسى العبد ربه !!

٢ ـ رواية أبى موسى الأشعـرى عنـد البخارى وفيها يقول الرسول ﷺ : « مثل الذى يذكر ربّه والذى لا يذكره مثل الحىّ والميت » . إن هذه الرواية الصحيحة قاضية بأن الناس مابين حىٍّ وميت ، وأن الحىّ منهم من يذكر الله تعالى ويعيش على ذكره ، وأن الميت من لا يذكر الله عز وجل ، ولا يلازم ذكره .

وبناء على هذا فالذكر روح وحياة ، وتركه عدم وموت .

وحسب الذكر فضلا أن تكون به الحياة ، ويكون بدونه الموت والوفاة .

تلك كانت رواية البخـارى .

أما رواية مسلم فإنها تصنف البيوت إلى صنفين صنف يذكر فيه الله ، وصنف لا يذكـر فيه الله ، فتقول : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه ، والبيت الذى لايذكر الله فيه مثل الحىّ والميت » .

وعليه فإن خلاصـة مجموع رواية الشيخين : أن الذكر حياة ، وتركه موت . وسر هذه الحقيقـة أن الله تبـارك وتعـالى خلق الإنسان ورزقه ، ليذكره ويشكره ، ووهبه الحياة لأجل ذلك . فإذا ترك الـذكر والشكر تعطل الغرض الذى لأجله خلق ، فكان كالعدم وهو المـوت !

٣ ـ : رواية أبى الدرداء عند الترمذى والحاكم وصححها الأخير ، وفيهـا يقـول الـرسول ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخـير لكم من أن تلقـوا عدوكم فتضربـوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى ، قال : ذكرالله تعالى !! »

فهل بعد هذا الخير من خير ؟ وهل بعد هذا الفضل من فضل ؟ وهل

بعد هذه الثمار الشهية والنتائج الطيبة المرضية من ثمار أو نتائج ؟ ؟ إن هذا الخبر النبوى الصحيح قد فضل الذكر المنصوح لك أيها الحاج به فضلةً على سائر الأعمال ، ورفعه إلى مستوى لايصل إليه عمل من صالح الأعمال ، بحال من الأحوال ، حيث جعله خير الأعمال ، وأزكاها عند الله ، وأرفعها لدرجات العبد ، وأفضل من صدقة الذهب والفضة ، وخير من قتال الكفار والاستشهاد فى ذلك . وهل يستغرب فى ذكر الله تعالى هذا ؟

وقد علمنا أن الذكر هو علة الحياة كلها وسر وجودها ، وما الإنفاق والجهاد إلا ضرب من الذكر ، ونوع من أنواعه ، كما سيأتى بيانه .

نكتفى أخى الحاج ـ بهذ الإشارة فى الإجابة عن سؤالنا لك : هل تدرى ما قيمة الذكر ، وما ثماره ، وما هى نتائجه .

ونجيب عن أول سؤال صدرنا به . . حديثنا إليك وهو هل تدرى ماهو الذكر الذى ننصح لك به وبملازمته ، وعدم التفريط فيه . فنقول : إن الذكر ضد الترك والنسيان ، وكما يكون باللسان ، يكون بالجنَان . فآلته القلب واللسان ، وقد ينفرد اللسان بالذكر كما قد ينفرد القلب به ، وخيره ما تواطأ فيه القلب واللسان .

وانفراد اللسان بالذكر دون القلب لاخير فيه إن استمر القلب مشغولاً لاهياً عن المذكور سبحانه وتعالى .

وأما انفراد القلب بالذكر فقد يكون فى مواطن كثيرة خير من الذكر باللسان ، ومن تلك المواطن ما يلى :

١ ـ أن تعرض للنفس شهوة محرمة وتريد قضاءها فيذكر العبد بقلبه مقام ربه فيخاف ويحجم عن قضائها ، ويقلع عنها ويبعد عن ساحتها بعد أن كاد يتردى فيها ، فهذا الموطن من ذكر القلب من أشرف المواطن .

٢ ـ أن يطيف بالقلب عدو الله إبليس للإغراء بالفتنة والإيقاع فى المعصية

فيذكر العبد ربّه بقلبه فيستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فيذهب عنه ما كان قد أَلَمَّ بنفسه من فتنة إبليس . قال تعالى فى هذا : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

٣ - أن يقصِّر العبد المنيب فى الطاعات فيذكر وعد الله لأوليائه من أهل طاعته فينطلق يعمل وينافس ويسابق المجدِّين والمشمِّرين حتى ينفسهم ويسبقهم .

٤ - أن تلوح الحياة الدنيا بزينتها من مال أو شهوة أو شهرة أو شرف فيتذكر العبد المنيب وعيد الله لأهل معصيته ، وما أعد لأهل معصيته من النكال والعذاب فيكف ويعرض وينصرف .

هذا والذكر باللسان وقد عرفت فضله وشرفه وثماره ونتائجه فاعلم أنه لا يثمر تلك الثمار ولا يحقق تلك النتائج إلا إذا استوفى شروطه التالية :

١ ـ أن يكون بالألفاظ التى شرعها الله تعالى ، واستحب أن يذكر بها ، وهى تتفاوت فى الفضل فأعلاها : لا إله إلا الله لحديث « أفضل الذكر لا إله إلا الله » ثم « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » لحديث « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لاإله إلا الله الخ . . » ثم « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » لحديث الصحيح : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » ثم « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » لحديث الصحيح : « قلت بعدك أربع كلمات » الخ . . . ثم « سبحان الله والحمد لله والله أكبر » دُبُر كل صلاة وعند الإيواء إلى فراش النوم لحديث على وفاطمة : « إذا أويتما إلى فراشكما » الخ ثم تلاوة القرآن الكريم ، والاستغفار والصلاة على النبى المختار » .

٢ ـ أن يكون العبد الذاكر عالما بمدلولات الألفاظ عارفاً بمعناها موقنا بها .

٣ ـ أن يكون قلبه متواطئا مع لسانه فلا ينفرد أحدهما بالذكر دون الثانى .
٤ ـ أن يأتى الذاكر بألفاظ الذكر كما وردت عن الشارع فلا يزيد فيها ولا ينقص منها ولا يقدم مؤخراً منها ولا يؤخّر مقدّما ، إذ مراعاة الكمية والكيفية ضرورية لإنتاج الذكر وإثماره .

هذا هو الذكر المطلوب وتلك شرائطه فالزمه فإنك لم تخلق إلاّ له ، واذكر ما قد عرفت من فضائله يسهل عليك ملازمته ويظل لسانك رطبا به . وهنيئا لك سلفا .

(ب)ـ الشـــــكر

اعلم أخى الحاج ـ أن الشكر الذى أنصح لك به وبملازمته وعدم التفريط فيه أنه صنو الذكر وقرينه الذى لايكاد يفارقه ، بيد أنه أعم من الذكر إذ كل شاكر ذاكر ، وما كل ذاكر ، شاكر ، فمن قال الحمد لله على نعمه حصلت له ذكر وشكر .

ومن قال : لا إله إلا الله ذكر ولم يشكر حتى يعبد الله وحده لا شريك له .

ومن قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ذكر ولم يشكر ، ومن قام فصلى صلاة فقد ذكر وشكر . ومما يدل على تلازم الذكر والشكر قول الله تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرونِ ﴾ . فقد طلب الحق تبارك وتعالى فى هذا الخطاب من عباده المؤمنين كلاً من الذكر والشكر ، وواعد بالجزاء من ذكر وشكر . ثم إن الذكر ضده الترك والنسيان ، والشكر ضده الجحود والكفران . ومن جحد شيئا لم يذكره ، ومن كفر شيئا لم يظهره . فظهر بهذا أن الذكر والشكر زوجان لافرق بينهما ، وهما مطلوبان من العباد معاً .

وقد عرفت الذكر فى حديث سبق لنا معك أيها الحاج الكريم ، فما هو الشكر المنصوح لك به لفضله وأهميته ؟

إن الشكر المطلوب من العبد أن يعيش عليه ولايفارقه طوال حياته هو عبادة الله تعالى التى هى طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه مع حبه غاية الحب وتعظيمه غاية التعظيم ، وخوف سببه الشعور بالتقصير ورجاء أوجده الطمع فى الثواب على الطاعة .

إن نعمة الله على العبد بخلقه ورزقه استوجبت عبادته شكراً له على نعمة الإيجاد والإمداد أى الخلق والرزق .

روى أنه لما أتمَّ الله نعمته على آل داود عليه السلام وذكرهم بها وهى نعم عظيمة أمرهم بشكرها وبقوله ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ . قام داود عليه السلام خطيباً فى آل داود الذين هم آله ، وقال اكفونى النهار أكفكم الليل ، فما شئت أن ترى فى مسجدهم راكعاً أوساجداً فى أيّة ساعة من ليل أونهار إلا وجدت حتى إن سليمان عليه السلام مات وهو قائم يصلى معتمداً على عصاه .

كما صح عن نبينا محمد ﷺ أنه لما أنزل الله تعالى عليه قوله ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخّر ﴾ قام من الليل حتى تورّمت قدماه ، فرقّت له أم المؤمنين عائشة وقالت له فى ذلك فأجابها بقوله : « أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟

فدلّ هذا على أنّ الشكر هو العبادة ، وأن أعظم العبادة الصلاة ؛ لاشتمالها على الذكر والشكر معاً كما قدمنا .

هذا هو الشكر العامّ المطلوب من العبد لله تعالى . أما الشكر الخاص على نعمة من النعم تحصل للعبد فهو مجموع ثلاثة أمور وهى :

١ ـ الاعتراف بالنعمة للمنعم عزَّ وجلَّ بذكرها منسوبة إليه .

٢ ـ حمده عليها باللسان ، والثناء عليه بها مادامت ثابتة له ينعم بها بين الناس .

٣ ـ صرفها فى مرضاته ، والاستعانة بها على طاعته سبحانه وتعالى .

فمجموع هذه الأمور الثلاثة هو شكر النعم الخاصة ، فمن أنعم الله عليه بنعمة علم أو مال ، أو جاه ، أو فراغ ، أوصحة وعافية لا يتم شكره لله تعالى عليها إلا بالاعتراف لله بها ، وحمده عليها ، وثنائه عليه بها مع صرفها فى مرضاته ، فإن هو جحدها ولم يذكرها ، ولم يحمد الله تعالى عليها ، ولم يثن بها عليه ، ثم صرفها فى غير مرضاته من سائر معاصيه فقد كفر هذه النعمة وما شكرها .

ولنعلم هنا أنه يترتب على شكر النعمة وعدمه أمران :

الأول : بقاء النعمة وزيادتها والانتفاع بها فى الدين والدنيا لمن شكرها .

والثانى : عدم الانتفاع بها ، وسلبها ، والحساب عليها لمن كفرها ولم يشكرها . ودليل هذا قوله تعالى من سورة إبراهيم عليه السلام ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ .

بعض أسرار الشكر وفضائله :

إن من أسرار الشكر أنه مع الذكر يمثلان علّة الحياة كلها ، فلو سأل سائل عن علة هذا الوجود بكل ما فيه ، وطلب الجواب على ذلك ، وأمكنه أن يتلقاه لكان الجواب : هى الذكر والشكر ، لأن الله تعالى أحب أن يذكر ويشكر فخلق الوجود بما فيه الإنسان والجان ليذكر بذلك ويشكر وهذا ظاهر فى قوله تعالى من سورة والذاريات : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، وقوله فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم لقد خلقت كل شىء لأجلك ، وخلقتك لأجلى » : أى لتذكرنى وتشكرنى .

ومن أسرار الشكر أن الله تعالى يعطى العبد الخير ويزيده منه من أجل أن يشكره عليه ، ويدل على هذا قوله تعالى ﴿ ويتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ .

أما فضائل الشكر فإنها كثيرةٌ وقد نكتفى منها بذكر ما يلى :

١ ـ أن الله تعـالى يحبـه ، وما أحب الله تعالى شيئا إلا شرف بذلك وفضل ، وقد روى مسلم عن أنس بن مالك أن النبىّ ﷺ قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها » . فهذا دليل أن الله تعالى يحب الحمد والحمد هو رأس الشكر .

ويدل لهذا رواية ابن ماجه وفيها أن النبى ﷺ قال : « ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله إلا كان الذى أعطاه أفضل مما أُخَذَ » وهذا دليل ظاهر أيضاً على أن الله تعالى يحب الحمد الذى هو الشكر ، إذ ورد أن الحمد رأس الشكر .

٢ ـ أن الشكر يحفظ النعمة من الزوال ، وسرّ ذلك أن العبد إذا اعترف بالنعمة وأخذ نفسه أن لايصرفها إلا فى مرضاة الله تعالى فإنه لايسرف ولا يبـذر بل يعتدل فى تصرفه ويقتصد ، والاعتدال فى الأمور والقصد فيها يسبب بقاء خيرها وسلامتها وصلاحها واستمرار ذلك لها حتى يخرج بها العبد عن حدود القصد والعدل فتسوء وتفسد وتضمحل وتذهب .

٣ ـ أن النعم تزيد بالشكـر وتكثـر عليه حسب وعد الله الصادق فى قولـه : ﴿ لئن شكـرتم لأزيدنكم ﴾ وبيان ذلك : أن العلم نعمة فإذا شكرها العبد بتعليم ذلك العلم والعمل به فإن ذلك من شأنه أن يبقى على العلم ويزيد فيه ، كما أن المـال نعمـة فإذا شكـرها العبد بالاقتصاد فى إنفاقه ، وعدم إتلافه ، وعرف حق الله فيه فانفق منه مرضاة لله تعالى ومن ذلك أداء الحقوق المتعلقة به كالزكاة وغيرها فإن هذا المال يزكو بإذن الله وينمو ويبارك فيه .

وأخيراً ـ أخى الحاج ـ أكرر نصحى لك بعد أن عرفت الذكر والشكر وعرفت فضائلهما أنصح لك بملازمتهما ملازمتك للإيمان والتقوى ، وقد كملت عليهما وسعدت بهما ، فإن الذكر والشكر علّة حياتك ، وسر وجودك ونجاتـك فأنت بهما حى كريم ، وبـدونهما عدم محض لا وجود لك ولا كرامة . فاذكر هذا معى . والسلام .

الزوج الثالث
من
النصائح الأزواج
الهجرة والجهاد

(أ) ـ الهجــرة :

بسم الله وبعد : فالهجرة والجهاد زوجان قلما يفترقان . . حتــى لكأن أحدهما أصل للثانى . وفى القرآن الكريم : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله . أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم ﴾ .

ودعوات الحق فى كل زمان ومكان لاتخلو غالباً منهما ، بل وقد لا تقوم إلّا عليهما والنصح بهما لذى الإسلام والإيمان نصح بما لابد له منه ؛ لتحقيق الإسلام وتثبيت الإيمان ، وإفاضة الإحسان ، والإبقاء على ذلـك كله من أجل الإكمال والإسعاد فى الحياتين ؛ ولذا فإنى أنصح لك ـ أخى الحـاج الكـريم ـ بمعـرفـة الهجـرة والجهـاد ، واستعـمالهـما وقاية لإيمانك وحصناً لإسلامك عند الشعور بتهديدك فيهما من قبل أعداء الإيمان والإسلام من ذوى الكفر والخبث والفساد والشر الذين لم يبرحوا حرباً على المؤمنين والمسلمين منذ زمن المهاجر الأول إلى اليوم وإلى انتهـاء حياة الإيمان والإسـلام قرب انقـراض الكون عند ما لم يبق من يقول : الله ، الله . كما جاء ذلك فى صحيح الأخبار .

وإن سألت عن الهجرة أو تساءلت وأردت أن أعرفك بها فاصغ إلّى أحدثْك بما يعرفك بها وبفضلها وحِكمها وحكمتها .

أما الهجرة : فهي الاسم من هجر المكان يهجره هجراً وهجراناً إذا تركه لما لحقه به من أذًى فى دينه أو عرضه أو ماله أو بدنه ، أو مما يخاف أن يحصل له من مكروه فيه .

. . والهجرة الشرعية هى الانتقال من بلد يضطهد فيه المؤمن لإيمانه والمسلم لإسلامه وهو عاجز عن رفع الاضطهاد الذى ناله من أجل إيمانه وإسلامه إلى بلد آخر يأمن فيه على نفسه ودينه . وأول من سن الهجرة الشرعية إبراهيم الخليل عليه السلام فقد هاجر بامرأته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام من أرض العراق إلى أرض الشام كما قال تعالى عنه فى سورة العنكبوت ، ﴿ فآمن له لوط وقال : إنى مهاجر إلى ربّى إنه هو العزيز الحكيم ﴾ .

وأعظم هجرة تمت فى تاريخ الإنسان هى هجرة الرسول محمد ﷺ وأصحابه إلى الحبشة أولا ثم إلى المدينة ، وأهلها أفضل المهاجرين باستثناء إبراهيم أول المهاجرين .

أنواع الهجرة :

والهجرة الشرعية لاتقيد دائما بأنها الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإيمان فراراً بالدين ؛ إذ قد تكون هجرة وصاحبها مقيم ببلده لم يفارقه إلى غيره ، ولم يغادرها إلى سواه ، وذلك كأن يكون المسلم بدار فيؤذى من جيرانه فى دينه ، أو يخاف أن يلحقه أذى فيه فيطلب دارا أخرى ينتقل إليها فراراً بدينه ، وكثيرا ما يقع هذه ، فهذه حقاً هجرة لله . وقد يكون المسلم فى عمل يكتسب منه قوته الضرورى فيدخل عليه فيه ما يمس بدينه فيتركه إلى عمل آخر يأمن فيه الغائلة فى دينه فهذه هجرة حقا . وقد يجلس المؤمن مجلسا لابُدّ له منه فيخاف إن جارى أهله فى كلامهم أو عملهم مما يخوضون فيه من أنواع الباطل والحرام أن يؤذى فى دينه فيهاجر بروحه فيشغل قلبه بالفكر ، ولسانه

عنهم بالذكر ، تاركا أهل المجلس وما يخوضون فيه ، فيرى بينهم وهو بعيد فهذه هجرة حقا ، ويشهد لصحة كل هذه الهجر حديث الصحيح «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

ولذا كانت الهجرة أنواعا عدة ، ولم تكن واحدة .

هذا وليست الأذية فى الدين وحدها داعية الهجرة وموجبتها بل الأذى يلحق المؤمن فى بدنه أوعرضه أوماله كالأذى يلحقه فى دينه سواء بسواء يوجب الهجرة ويقتضيها وإن تفاوتت الهِجَر ،وتفاضل المهاجرون فى عظم الأجر وحسن المثوبة .

فضل الهجرة :

إن فضل الهجرة فى سبيل الله لايقل عن فضل الجهاد فى سبيل الله ، حتى قال أحدهم وقد رأى ازدحام الناس على نعش مجاهد ، وقلة ذلك على نعش مهاجرة « والله لا أبالى فى أى الحفرتين وضعتمونى ؛ لأن الله تعالى يقول « والذين هاجروا فى سبيل الله ، ثم قتلوا أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه ، وإن الله لعليم حليم » .

وليس أدل على فضل الهجرة من قول الله تعالى : ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغمًا. كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيمًا ». وقول الرسول ﷺ يوم وزع غنائم حنين ، وقد وجد الأنصار فى نفوسهم من عدم إعطائهم من الغنائم ما أعطى غيرهم : « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » فى حديث طويل مخرج فى الصحيح .

حكم الهجرة :

والهجرة فريضة الله تعالى على عبده المؤمن إذا اضطهد فى دينه

فمنع من عبادة ربّه التى ما خلق إلا لها . وعليه فإنه لا يحل لمؤمن أن يعيش فى بلد لا يتمكن فيه من عبادة الله تعالى بذكره وشكره ، ولا يسقط هذا الفرض اللازم إلا عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وهم ذوو الأعذار الشرعية المبيحة للقعود عن الهجرة والجهاد .

وحديث « لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونيةٌ وإذا استنفرتم فانفروا » فى الصحيح إنما هو ناسخ لوجوب الهجرة من مكة إلى المدينة حيث كانت واجبة على المؤمنين ، لما كانوا يعانون من اضطهاد قريش وأذاها لهم ، ولما كان يفوتهم من الخير والبركة بسبب بُعدهم عن النبى ﷺ ، ولما يحرمونه من شرف حماية نبيهم والدفاع عنه ، ولما ينقصهم من العلم والعمل بما ينزل من التشريع وهو يستجد كلّ يوم وليلة مع مايقصرون عنه من فضل تقوية عصبة الإيمان وشد أزرها وتقوية سوادها إلى غير ذلك من الحكم والفوائد .

حكمة الهجرة :

والحكمة من الهجرة متعددة الجوانب أعلاها أن يعبد الله تعالى بكل ما شرع فلا يتعطّل الغرض الأساسى الذى من أجله خلق الإنسان فى هذه الحياة ، وخلق الكون كله من أجله ، وأدناها أن يعلوَ الإسلام ولا يُعلى عليه ، وما بين ذلك من الحكم والمصالح التى لاتتحقق الا بالهجرة فى سبيل الله كالعلم والعمل والعزة والكرامة والنصرة والجهاد الذى هو قوام الملة وحفاظ الأمة ، وذروة سنام الإسلام .

(ب) ـ الجهاد :

بسم الله وبعد : إن نصحى لك ـ أيها الحاج الكريم بالجهاد هو نصح لك بالحياة أكملها ، والسعادة أجمعها ، وبالبر كله . كما إنى لم

أنصح لك إلا بشىء قد كتبه الله عليك وعلى سائر إخوانك المؤمنين والمسلمين قال تعالى من سورة البقرة : ﴿ كُتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ . وبأمر كنت قد أبرمته أنت بنفسك ، وبيع أجريت صفقته بيدك ؛ إذ أنك وسائر إخوتك المؤمنين قد بعتم أنفسكم وأموالكم لربكم عزَّ وجلَّ ، بأغلى الأثمان وأبهظها وهى الجنة دار الأبرار ، وصك بيعكم هذا مسجل فى ثلاثة كتب فإنكاره صعب والتهرب منه مذموم ، واقرأ معى هذه الصورة لصك البيع : قال تعالى من سورة التوبة : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فَيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله !! فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

واعلم ـ أخى الحاج ـ أن الجهاد الذى انصح به وقد عرفت أنه أمر مفروغ منه ، وما نصحى لك به إلا من باب التذكير والتشجيع لتقتحم معاركه غير هيّاب ولاوجل هذا الجهاد هو عبارة عن بذل طاقتك ومافى وسعك فى صد هجمات أعداء لك شرسين لايريدون إلا قتلك أو إذلالك وقهرك . واعلم أنهم يقاتلونك بأسلحة متطورة متنوعة فاعرف واقعك معهم ، وصحح موقفك منهم ، واستعن ربك وجاهدهم بمثل ما يجاهدونك به . واعلم أن النصر مع الصبر ، ومن يطلب الموت توهبْ له الحياة !!

وهذا بيان وافٍ بأسماء أعدائك المحاربين لك لتكون على علم بهم حتى لاتؤخذ على غرة فتندم وتنهزم .

١ ـ كل الكفار من الناس عربهم وعجمهم يهودهم ونصاراهم مجوسهم ومشركوهم .

وما من أحد منهم إلا وهو يريد قتلك أو إذلالك وقهرك فافهم هذا

ولاتغفل!!

واعلم أن خوض المعركة مع هذا العدو الكافر يتطلب منك أن تكون تحت راية إمام مسلم ، وفى جماعة مسلحة مسلمة تقاتل من كفر بالله ، لإعلاء كلمة الله ، فلا يحلّ أن تخوض معركةً وحدَك ، ولا مع جماعة لا بيعة لإمام مسلم فى أعناقهم ولا راية له تجمعهم يقاتلون تحت ظلها وهى ترفرف عليهم .

وهذا النوع من الجهاد عزيز فى هذه الأيام ، وقلما يتيسرً غير أنه يكتفى منـه بالأمـور التـالية وهى **النيّـة الصـادقـة** ، **والانخراط** فى سلك دفاع حكومتك لتتعلم فنون الحرب وأساليب القتال ولتكون ذا قدرة على استعمال كل أنواع السلاح ما وجد منها الآن وما يوجد غداً ، **والمحافظة** على المال الذى بيدك فلا تنفقه فى غير مرضاة الله تعالى وذلك للإبقاء عليه وافراً إلى ساعة يطلبه منك داعى الجهاد فى سبيل الله ، وقال : المال ، المال ياأهل بيعة الله فهذا أوان دفعكم السلعة . فتقول حينئذ : لبيك وهذا المال بين يديك ، فإنى قد بايعت ربّى فلا أقيل ولا أُقال !!

٢ ـ كل الفسّـاق وسائر المنحرفين من المسلمين ممن فسقوا عن طاعة الله ، تعالى وطاعة رسوله ﷺ فتركوا كثيراً من الواجبات أو فعلوا كثيراً من المنهيات المحرمات .

وجهاد هؤلاء هو أمرهم بما تركوا من الواجبات حتى يؤدوها ، ونهيهم عما فعلوا من المحرمات حتى يتركوها . وهذه المعركة طويلة وشاقّة ومريرة تحتاج إلى عزم ، وصبر ، وعلم ، وحِكمة قال تعالى : ﴿ وأمر بالمعروف وانْه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ وقال رسوله ﷺ : « سيِّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله »!!

٣ ـ الدنيا بغرورها وبهرجها ومفاتنها من زينة المال والولد فإنها عدو خادع

لا يرحم . وجهادها يكون بعدم الاغترار بها ، والكشف عن حقيقتها ، وإظهار ما تخفيه من مكروه وباطل وشر ، فإن حلوها مرّ ، وطولها قصر ، وراحتها عناء ، وسعادتها شقاء . ما أسرع زوالها ! وما أكثر تحولها وانتقالها !

وخير ما تقاتل به وتقتل عليه أن تُسْتخدم مطية لضرتها ، وجسراً للعبور إلى نعيمها وسعادتها ! .

٤ ـ الشيطان وهو عدوّ قديم كاشح ماكر ذو حيل كثيرة ، ما يهزم فى معركة إلا ويظهر فى أخرى ، يستخدم أمضى سلاح وأقواه عنده وهو التزيين والتغْرير ، وجهاده يكون بمعرفة الشبه التى يلقيها فى النفس ، وبردِّها فوراً فلا يُصْغى إليها ، ولا يحتفل بها أو يفكر فيها ، وبالاستعاذة بالسميع العليم منه ، وهى أخوف ما يخافه من العبد . ألا فليحارب بهذا السلاح فإنه لايقوى على الوقوف أمامه بحال قال تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ .

وأكثر ما يكرب هذا العدو ويحزنه الاستغفار وعدم الإصرار فليغظ بهما ، وليذلّ عليهما قال تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ .

٥ ـ النفس وهى أعدى الأعداء لاسيما قبل انهزامها وإذلالها وسلب وصف الأمَّارة منها

والمعركة معها تطول غير أنّ العاقبة هى النصر للمجاهدين الصابرين ، وما أجمل قول الرسول ﷺ وهو ينادى أحد أصحابه يداعبه « ياعدو نفسه » فقد أثبت ﷺ عداوة نفس الإنسان للإنسان ، ولذا قيل : أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه .

وجهاد النفس يكون بنهيها عن الهوى أى عما تهواه وتميل إليه بطبعها من

الخلود إلى الراحة والميل إلى الشهوات ، وحب العلو والظهور ، والفسق والفجور .

واعلم أنه لايتم التغلب عليها فتستسلم وتسكن للمعروف وتطمئن إلى الحق والخير إلا إذا جوهدت فى ثلاث جبهات وانتصر عليها فى جميعها واحدة بعد واحدة ، وتلك الجبهات أو الواجهات هى :

١ ـ حملها على التعلم حتى تعرف الله تعالى بعد الإيمان معرفة صحيحة وتعرف محابه من المعتقدات والأقوال والأعمال ، ومساخطه من المعتقدات والأقوال والأفعال .

٢ ـ حملها على العمل بكل ما علمته من محاب الله تعالى ، وعلى ترك ما علمته من مكاره الله تعالى .

٣ ـ حملها ـ وإن كانت كارهة ـ على أن تُعلِّم غيرها كل ما علمته من محاب الله تعالى ومكارهه فتصبح تدعو إلى معرفة الله تعالى ومعرفة محابه ومساخطه بين عباده المؤمنين به وإلى العمل بالمحبوبات لله وترك المكروهات له عز وجل ويومها يتم النصر عليها نهائيا ، لأنها إذا وصلت إلى مرحلة الاطمئنان وأصبحت تنادى بالنفس المطمئنة فقد أسلمت نهائياً ، وما أصبحت حربا على صاحبها بل أصبحت سلمًا عليه .

هذا هو الجهاد ـ أخى الحاج ـ وهذه معاركه فهلا تخوضها عاملا بنصيحتى فتجاهد بحزم وعزْم كل من عرفت من هؤلاء الأعداء وفى كل الجبهات آخذاً بما أرشدك إليه ، لتنتصر على أعدائك وتخلص حرّاً لربك تعبده وتتوكل عليه فتكمل وتسعد فى الحياتين حقق الله لى ولك ذلك . . آمين .

الزوج الرابع
مـــن
النصائح الأزواج
العبادة والتوكل

(ا) ـ العبـــادة

بسم الله ، وبعـد : فهـل تدرى ـ أخى الحاج ـ من المأمور بالعبادة والتوكل فى قول الله تعالى : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ ؟ إنه رسول الله ﷺ وأنا وأنت وكل المؤمنين به تعالى . وهل تدرى ما سر الجمع بينهما ؟ إنه تعذر القيام بأحـدهما دون الآخر . وهل تدرى لماذ أنصح لك بهما ؟ لأن أمراً أرشد الله تعالى إليه رسوله ، وطلب منه فعله والقيام به لمن يكون إلا مجديا ونافعاً وخيراً لاخير منه .

وهل تدرى ما هى العبادة والتوكل الذين أنصح لك بهما ؟

أما العبادة فإنها فى الظاهر طاعة الله تعالى بجميع محابه فعلاً ومساخطه تركاً مع حبه تعالى وتعظيمه ، والذلّة له ، وبلوغ الغاية فى ذلك كله . هذه هى العبـادة فى الظاهر ، أما فى باطن الأمر فهى جنّة الدنيا وسعادتها ، ونعيم هذه الحياة وطيبها ، الإنسان بدونها حيوان أعجم ، والحيوان منه أحسن ، والحياة بدونها عبث والوجود بغيرها عدم . وهل الناس يعرفون هذه الحقيقة عن العبادة ؟

إن أكثـر النـاس لايعـرفـونها . ولو عرفوها لهاجروا كلهم إلى العبادة وجاهدوا دونها كما فعل الأولون من الأنصار والمهاجرين ، وأضرب لك مثلا لذلك : ناصحك هذا وغيره من العالمين ـ والله ـ قسمًا ، لو خيّر أحدهم بين أن يصبح ملكا متوجاً يحكم ما بين المشرق والمغرب على أن يترك الصلاة

فقط فلا يصلي ، وبين أن يعيش ذليلا فقيراً مريضا وطوال الحياة ، لاختار الذل والفقر والمرض طول حياته على الملك والحكم مع ترك الصلاة حتى الموت . فى حين أن هناك ملايين من الأفراد المسلمين لم يعطوا شيئاً ولوتافهاً وهم لا يصلون . وسرّ هذا الأمر : المعرفة وعدمها ، فاعرف هذه الحقيقة العلميّة فإنها تفسر لك كثيراً من الظواهر الغريبة بين الناس .

والآن ، لعلك تريد أن تسألنى قائلا : هل الصلاة هى كل العبادة ؟ فأقول لك : إن الصلاة ليست هى كل العبادة ، ولكنها من أعظم مظاهرها حتى إن العبد لايَعُدُّهُ المؤمنون مؤمناً عابداً مالم يكن مقيما للصلاة بينهم . وقد أمر الرسول ﷺ المسلمين بلزوم طاعة الأئمة أى الحكام ولو كانوا جائرين ما أقاموا الصلاة فيهم أى صلوها وأمروا بها بينهم . وإذا قلت : ماهى العبادة إذاً ؟ أحلتك على مراجعة أول الحديث معك ، فإنى قد قلت لك : إن العبادة هى طاعة الله بجميع محابه فعلاً ، ومكارهه تركاً مع حبه تعالى وتعظيمه والذلة له وبلوغ الغاية فى ذلك كله .
وإن قلت : ما هو الطريق إلى معرفة محاب الله تعالى ومساخطه والقيام بذلك فعلا وتركا ؟ فالجواب : أنه التعلّم والتوكل ، فاسأل أهل القرآن والسنة فإن جميع محاب الله تعالى ومساخطه مذكورة فى الكتاب والسنة ، وإذا علمت محبوباً لله تعالى فافعله له فوراً ، وإذا عرفت مكروها لله تعالى فاتركه لأجله فوراً متوكلا على الله تعالى فى ذلك فإنك تظفر ببغيتك ، وتصل إلى غايتك من العبادة والتوكل المنصوح لك بهما .

بقى علّى ـ أخى الحاج ـ أن أعرفك بأمرين خطيرين لابد لك من معرفتهما ، والعمل بموجبهما وهما : أنّ العبادة هى عبارة عن خدمة الربّ تعالى بقضاء ما يطلب منك فعله ، وهذه حال تقتضى منك أن تعرف كيف تخدمه حتى لاتُسىء خدمته فيغضب عليك ويومها لاتفلح أبداً ، ولهذا أنصح لك أن تتعلم كيف تخدمه تعالى ، فإذا أَمَرَكَ بالطهارة مثلا بقوله :

﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ فتطهر كما يريد منك أن تتطهر ، وإذا أمرك بالصلاة فتعلم كيف تصلى ، وإذا أمركِ بذكره أو شكره فتعلم كيف تذكره وكيف تشكره ، وإلا فسوف تنقلب الطاعة معصية ولا تثمر لك حبّه ولا رضوانه وعندها فماذا استفدت ؟

ولتتأكد من صحة ما قلت لك اذكر معى قول الفقيه لمن لم يحسن الوضوء : إن وضوءك باطل ، ولمن لم يُحْسِن الصلاة : صلاتك باطلة ، ولمن لم يحسن الحج حجك فاسد أو باطل . وما معنى باطل ؟ معناه أنه لم يرض عنه الربّ ولم يثب عليه وهذه هى الغاية من العبادة فإذا لم يصل إليها العبد كان كأن لم يعبد ولم يتوكل ، وضاع جهده وخسر فى دنياه وآخرته ، والعياذ بالله تعالى من الخسران .

هذا أمر

والثاني وهو أخطر من الأول وحقيقته : أن تؤمن بالله وحده ربًّا وإلهاً فلا تعتقدن أنّ لغير الله تعالى تأثيراً ما فىّ الكون والحياة بخلق أو رزق ، أو تدبير بإماتة أوْ إحْياءٍ ، أو بإعطاء أو منع ، أو بضر أو نفع ، فلذلك تؤلّهه تعالى وحده ولا تؤله سواه ، فتخصه تعالى برغبتك ورهبتك ، وعبادتك وتوكلك ، وتوقف حياتك كلها عليه ، وحتى لايكون لك هَمٌّ فى غيره تعالى . فاعلم هذا - أخى الحاج - وتأكّد منه فإنه ذو خطورة على عبادتك ، وعلى إيمانك أيضا ، إنه لافلاح لعبد فى قلبه شىء من ربوبية غير الله تعالى وألوهيته ، انه تعالى لا يقبل من العباد إلاّ مَنْ كان منقطعاً إليه ، ولا من العبادات إلا ماكان خالصاً له ، واستمع إلَى أقرأ عليك كلامه تعالى فى هذا الأمر ، قال تعالى من سورة الزمر من كتابه العزيز وهو يخاطب رسوله محمداً ﷺ : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملُك ، ولتكوننّ من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ .

وأخيراً أنصح لك فى معرفة هذه المسألة الخطرة بالذات أن تسأل عن

جزئياتها ممن يقال عنهم « الوهابيون » وناصحك هذا منهم فإنهم أعرف المسلمين بحقائق التوحيد والشرك ، فإذا قال لك أحدهم : هذا الاعتقاد ، أو هذا القول أو هذا العمل شرك فاتركه فوراً فإنه كما قال ، ولا تسأل غيره فيصدك عنه فتهلك وأنت لاتشعر والعياذ بالله تعالى .

ب ـ التوكل

بسم الله وبعد : فاعلم أخى الحاج الكريم أن التوكل الذى أنصح لك به هو زوج العبادة وقرينها ، وقد بينت لك عند الكلام على العبادة سر اجتماعهما فى آية : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وهو أن أحدهما لا يتم للعبد إلا بالثانى فلا العبادة تحصل بدون توكل ، ولا توكل يُجْدِى بدون عبادة ، ولذا جعلناهما لك من النصائح الأزواج ونصحنا لك بهما معاً ، وقد عرفناك بالأول وهو العبادة ، وجئنا الآن لنعرفك بالثانى وهو التوكل .

فما هو التوكل ، وما حكمه ، وما هى مظاهره ؟؟؟

إن التوكل عبارة عن الاعتراف بالفقر إلى الله تعالى وإظهار العجز والضعف بين يديه عز وجل ، والاعتماد عليه فى النصر والنجاة ، وبلوغ الآمال فى كل الأعمال وهذا بيان ذلك وتفصيله :

١ ــ : الاعتراف بالفقر وإظهاره للرب تعالى وهو ناتج عن عِلم المرء باستحالة الاستغناء عن الله تعالى ، سيجعل العبد لا يألو جهداً فى طاعة الله تعالى وطلب مرضاته ، ليحصل له أمنه وكفايته ، وهما ما لا غنى للإنسان عنهما فى الحياة .

٢ ــ : إظهار العجز والضعف أمام الله تعالى ، ومعناه تبرؤ العبد من حوله وقوته إلى حول الله تعالى وقوته ، وهذا يفيد فائدتين :

الأولى :

حصول معونة الله تعالى للعبد ولطفه به ، إذ أنه سأله ذلك بأبلغ لسان وأصدق حال . والثانية ذهاب الغرور عن النفس ، والغرور عائق كبير عن

العمل والنجاح .

٣ ـ : الاعتماد على الله تعالى وهو إغماض العين عما سوى الله تعالى ، والاطّراح بين يديه والتسليم له فى تحقيق نصره على عدو ، أو الحصول على نجاة من هلكة ، أو بلوغ أمل فى عمل . وفوائد هذا كثيرة منها :

كفاية الله تعالى للعبد ، إذ قال عز وجل : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ، وطمأنينة النفس وسكونها بعدم القلق والاضطراب الموجب للحيرة والخوف .

والوثوق فى الله تعالى وهذا يكسب الشجاعة والمثابرة على العمل ، وعدم الانقطاع عنه حتى يحصل المطلوب بالنجاة من المرهوب ، والظفر بالمرغوب المحبوب .

حكم التوكل :

إن التوكل جزء من العبادة وفرد من أفرادها ، أمر الله تعالى به كما أمر بها ، ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ ، وقال ﴿ وعلى الله فيتوكل المؤمنون ﴾ ، وقال : ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ ، وأخبر تعالى عن صالحى عباده أنهم كانوا يتوكلون عليه دون سواه فى قوله : ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ .

فهذه الأوامر الإلهية بالتوكل وهذه الأخبار دالة على وجوب التوكل على الله تعالى ناهية عن التوكل على غيره من سائر خلقه . وعليه فحكم التوكل على الله تعالى الوجوب العينى ، وعلة ذلك أن غير الله تعالى لا يقدر على كفاية العبد ما يهمه من أمر كماله وسعادته ، وذلك لعجز كل المخلوقات وضعفها وافتقارها إلى الله تعالى فى حياتها وبقائها ، والاتكال على من لا يكفى ضلال وباطل .

مظاهر التوكّل :

إن للتوكل على الله تعالى مظاهر يتجلى فيها نذكر لك منها على سبيل

المثال ما يلى :

١ ــ أذن الله تعالى فى فلاحة الأرض بالحرث والغرس ، فيأتى العبد ببذره ، أو (فسائله) فيكفر البذر بالتراب « يغطيه » ويغرس الفسيلة فى الأرض المهيأة لذلك معتمداً معتقداً أن الحصاد والإنبات والإثمار سيحصل بإذن الله تعالى ، فيقدم على رعاية حرثه وغرسه بالسقى وغيره ، وقلبه مطمئن ساكن لاخوف يساوره ولا قلق ينتابه ، لعِلْمه أن ما عليه من أسباب قد قام بها ، وأما الإنتاج فمرده إلى الله تعالى إن شاء حصوله حصل وإن لم يشأ لم يحصل . فهذا يعد توكلا على الله تعالى ويعتبر مظهراً من مظاهر التوكل المطلوب شرعاً .

٢ ــ أن يفتح المرء متجراً يتجر فيه فيجلب البضاعة ويعرضها على الناس وهو لايدرى أتشترى منه أم لا ؟ أيربح فيها أم لا ؟ ولكن توكلا على الله تعالى أتى بالبضاعة وعرضها ، إذ هذه هى التجارة سبب الكسب والربح ، فأحضر السبب وانتظر ما ينتج عنه من الكسب والربح ، ونفسه مطمئنة وقلبه ساكن مستريح ، وأمله فى الله قوى فهذا مظهر من مظاهر التوكل على الله .

٣ ــ يعتزم العبد السفر لتجارة أو زيارة فيركب سيارة أو طيارة وهو لا يدرى هل يصل إلى غايته ، أو ينقطع دونها ، ولكن توكلا على الله تعالى واعتماداً عليه فى بلوغ هدفه والوصول إلى غايته سافر حيث أذن له فى السفر متزوداً له بما عرف زاداً لمثله .

فهذا السفر مظهر من مظاهر التوكل ، وغيره كثير .

مظاهر عدم التوكل :

إن عدم التوكل على الله تعالى إما أن يكون مع التوكل على غيره تعالى فيكون شركا وكفراً ، وإما أن يكون بدون توكل على الغير وهذا نادر الوجود حتى من الحمقى والمجانين ، وكما يكون التوكل على الأشخاص يكون على

الأسباب فى باب التوكل على غير الله تعالى وكله شرك وباطل وهذه مظاهر ذلك :

١ ــ توكل كثير من أهل الشرك على من يعتقدون أن لهم تصرفا فى الكون بالإعطاء والمنع ، والضر والنفع والتولية والعزل ، فيرفع أحدهم صوته قائلا أنا فى حماكم ياأهل الله ! أو أنا بكم وبالله ! وإنى خادكم ياأهل الله فكونوا لى . أوعبارات من هذا القبيل وهو إطراح كامل بين يدى من يدعونهم واعتماد كلّى عليهم فى أمور لا يقدر عليها إلا الله تعالى من اللطف والكفاية .

٢ ــ وتوكل على الأسباب كالرجل يعصى الله تعالى بترك واجب أوجبه الله عليه ، أو بارتكاب منهىّ نهى الله عنه ، خشية أن يخلع من منصبه ، أو تتعطل أعماله ، أو تكسد تجارته ، أو يفقد بعض ما كان يحصل عليه من منفعة مادية أو معنويّة ، وأمثلة هذا كثيرة منه :

أن يقيم تجارته أو مصنعه على القروض الربوية فينصح بترك ذلك فلا يتركه بحجة تعطل أو خسارة التجارة .

ومنها أن يبيع محرمات كالخمر والصور وغيرهما من المحرمات وينهى عن ذلك فلا ينتهى بدعوى أن تجارته ومعيشته قائمة على ذلك فإذا ترك بيع هذه المحرمات كسدت تجارته ومات جوعاً هو وأولاده .

ومنها أن يترك أحدهم فريضة من فرائض الله تعالى كالصلاة مثلا ، لأن الجهة التى يعمل معها تحب منه ذلك أو تكرهه فيجاملها بترك الواجب حتى لاتخلعه من منصبه أو تطرده من عمله ويستمر على ترك ما فرض الله عليه محافظة على منصبه ومعاشه .

ومنها أن يترك عبادة الله تعالى خوفاً من الناس فيقعد عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ خوفاً من أذى الناس ويقيم على ذلك أبداً .

فهذه كلها من مظاهر عدم التوكل على الله تعالى . مع التوكل على الأسباب ، وهى كما عرفت من الشرك والعياذ بالله تعالى .

وأخيراً ـ أخى الحاج ـ أعلم أنّ أهل العلم بالله وشرائعه قد أجمعوا على أن العمل بالأسباب لاينافى التوكل ، ولا يتعارض معه بشرط أن لاينظر إلى الأسباب إلا من حيث إن الله تعالى أمر بها ، وأنه يوجد المطلوب إن شاء الله تعالى عندها ، وإنه لا تأثير لها بمفردها ألبتّة .

فالمؤمن يبذر البذر للحصاد ، ويسقى الشجرة للإثمار ويؤبّر النخل للتمر ، ويأكل ويشرب لدفع غائلة الجوع والعطش ، ويحمل السيف ويضرب العدو لدفعه أو قتله ، ويشترى البضاعة ويبيعها ليربح ، ويأمر بالمعروف ليفعل ، .وينهى عن المنكر ليترك ، ويوصى بالحق ليُثبت عليه ، وبالصبر ليحمل عليه ، ولكن مع هذا فهو قاطع النظر عن كون الأسباب ستنتج المطلوب بها من دون إذن الله تعالى وتقديره ومشيئته .

فهذا أو غيره من تعاطى الأسباب التى وضعها الله تعالى لحصول المسببات عليها مع قطع النظر عنها لاينافى التوكل ، بل ترك هذه الأسباب والإعراض عنها يعد مخالفَة لشرع الله تعالى وبالتالى فهو معصية لله ، ومخالفة لسنتة فى الحياة .

فاربأ بنفسك ـ أخى الحاج ـ أن تتوكل على غير الله ، أو تترك الأسباب التى شرعها الله .

واعبد الله وتوكل عليه

الـــزوج الخامس
مـــن
النصائح الأزواج
الصبر والصلاة

بسم الله وبعد ـ أخى الحاج ـ لقد جمع الله تعالى بين الصبر والصلاة فى موضعـين من كتابه العزيز فقال : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾، وقال : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ؛ إن الله مع الصـابـرين ﴾ فلهـذا جمعت لك بينهـما ، وجعلتهـما زوجـين ، ونصحت لك بكل منهما ؛ إذ لاغني لك عنهما بحال مادمت تريد أن تكمل وتسعد فى الدارين ، وقدّمت لك النصح بالصبر على الصلاة لأنه مقدم عليها فى الآيتين كما رأيت . وعلة تقديم الصبر على الصلاة أن الصبر وسيلة والصلاة غاية ، والوسائل تقدم عقلا وشرعا على الغايات .

(ا)ـ الصـــبر :

اعلم أخى الحاج أن الصبر الذى أنصح لك به مرُّ المذاق لايُتحمّل إلا بمشقـة . ولا يُستساغ إلابشدة ؛ فلذا يحسن بك أن تعرف عن حكمه وفضله وفضل أهله مايساعدك على تحمل تقبل مرارته وتحمّل شدّته حتى تخلص منهما إلى جوائز الصبر ، ومغانم الصابرين بعد أن ترتع فى رياضه ، وتكرع من حياضه ، وعند الصباح يحمد القوم السرى .

حكم الصبر

الصبر ـ أخى الحاج ـ إن كان على فعل واجب ، أوعن ترك حرام فهو واجب . وإن كان على فعل مندوب ، أوعن ترك مكروه فهو مندوب . وإن كان على مصاب مقدور فهو كالصبر على فعل المأمور ، وإن كان على أذى يقدر على دفعه فهو بحسب قُوة الأذى وضعفه ، فإن كان الأذى شديداً

فالصبر عليه حرام ، وإن كان الأذى خفيفا فالصبر عليـــه مكروه .

هذا حكم الصبر فاعرفه والزمه فإنه لاغنى لك عنه .

فضل الصبر والصابرين

إن فضـل الصبر عظيم ، ويكفى فى إثبات فضله وبيانه أن يأمر الله تعـالى به رسوله ﷺ فى قوله : ﴿ واصبر وماصبرك إلا بالله ﴾ . وقوله : ﴿ فاصـبر كما صبر أولـوا العـزم من الـرسـل ﴾ وقوله : ﴿ واصبر صبراً جميلا ﴾ . ويأمر به المؤمنين فى قوله : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ . وفى قوله : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ . ويزيد الصبر فضلا ما روى من أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وأنه لا إيمان لمن لا صبر له . وما صح من أن النصر مع الصبر .

أمـا الصابرون فحسبهم شرفا وفضلا أن يكون الله معهم حيث قال تعالى : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ . وأن يحبهم حيث قال ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ .

وأنـه بشرهم بما لامـزيد عليه من الخـير فى هذه الحياة حيث بشرهم بصلاته عليهم ، ورحمته بهم ، وهدايتهم إليه فى قوله : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

وأنهم على خلاف غيرهم يُوفَّون أجورهم يوم القيامة بغير حساب إذ قال تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

وأن عظائم الأمور مما تقصر دونه هِمَمُ العظام من الرجال مايلقاها إلا الصـابـرون . قال تعـالى . ﴿ ولا يلقّـاها إلا الصابرون ﴾ وقال فى آية أخرى : ﴿ وما يُلقَّاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾

ـ أخى الحاج ـ لقد عرفت حكم الصبر وفضله وفضل أهله فهل ترغب فى أن تركض جواد عزمك فى ميادين الصبر لتظفر بما ظفر به الصابرون وتفوز بما فازوا به من المقامات والكمالات فى الحياة والمهمات فأبين لك مواطن الصبر

المنصوح لك به لتصبر فيها فتظفر وتفوز بخير الدارين معا ؟ **فإن قلت** : نعم قلت إليك بيانها وهى ثلاثة :

١ ـ **فعل ماتكره لأجل ما تحب** : وذلك بأن تصبر على طاعة الله ورسوله ﷺ بحبس نفسك على فعل مايحبه الله ورسوله من اعتقاد أو قول أو عمل ـ وقصرها عليه حتى لا تتركه أو تتخلى عنه وهى قادرة عليه بحال من الأحوال هذا الموطن من أشرف مواطن الصبر فالزم نفسك به واصبر عليه .

٢ ـ **ترك ماتهوى لما تخشى** : وذلك بأن تحبس نفسك بعيدة عما يكرهه الله ورسوله من اعتقاد باطل ، أو قول سيء أو عمل فاسد . واعلم أن هذا الموطن يشمل سائر ما نهى الله عنه ورسوله من سائر المحرمات ، ومعظم هذه المحرمات هو من الشهوات التى تهواها النفس ويميل إليها الطبع فتركها مخافة ماتؤدى إليه من العذاب والشقاء ؛ إذ حفت النار بالشهوات هو معنى قولنا : ترك ما تهوى لما تخشى ؛ فاذكره وتأمّله واحمل نفسك بعيداً عما نهى الله ورسوله عنه تفز بعاقبة الصبر الحميدة .

٣ ـ احتمال البلاء للرّضا ، وذلك بأن تصبر على البلاء وهو ما يختبر به الرب تعالى عباده المؤمنين إذ يبتليهم بأنواع من البلايا والمصائب ليصبروا أو يجزعوا فيعلم الصابرين منهم فيجزيهم أوفى الجزاء . وهو أن ينعم عليهم بجواره، ويخلع عليهم حُلل رضوانه . وهذا معنى قولنا : إنه احتمال البلاء للرضا فيحبس العبدُ نفسه على عدم الجزع والتسخط محتملاً ألم المصيبة ناظراً إلى ما تعقبه من الرضا وما تُكْسبه من صلاة الله ورحمته وهدايته لعبده الصابر .

فالزم نفسك ـ أخى الحاج ـ الصبر فى هذا الموطن كما ألزمتها فى غيره تكن حقاً من الصابرين ، فتفوز بكل الجوائز وتظفر بكل الرغائب والمطالب .

(ب) ـ الصــلاة :

بسم الله ، وبعد : فإن الصلاة المنصوح لك بها ـ أخى الحاج ـ لقرينة الصبر وزوجه كما جاء ذلك فى قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ فى موضعين من كتابه ، وهى خيرُ موضوع على الإطلاق كما جاء فى حديث أحمد والحاكم وابن حبان : « الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فيستكثر » وأنها لمكفرة للسيئات « الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما » وماحية الذنوب والخطايا ، وموصلة العبد بالرب بها تحصل للعبد مناجاة الـرب ، وفى الصحيح « المصـلى يناجى ربّه » . وإنها لمعراج القبول ، وسلم الوصول . تقرب العبد من مولاه ، وتدْنيه وهو بين يديه حتى يكون أقرب ما يكون إليه . وفى الحديث الصحيح « أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد » وفى القرآن الكريم ﴿ فاسجد واقترب ﴾ .

هذه هى الصلاة المنصوح لك بها أيها الحاج الكريم ، والحديث فى بيان فضلها يطول وحسبك من ذلك ما ذكر مع العلم بأن مالم يذكر أعظم وأكثر .

وإذا عرفت من فضلها ما يرجى أن يساعدك على إقامتها فإنه يحسن بك أن تعرف أيضاً حكمها وحكمتها فإن معرفة ذلك مما يعين على أدائها وتحمل عبء القيام بها ، وهاك بيان ذلك :

١ ـ حكمهــــا :

إن الصـلاة أول الفـرائض وآكـدهـا ، تاركهـا كافر يُستتاب ، وإلا فالسيف ينهى العتاب ، ويحقق المتاب . حكم معرفة شروطها كحكمها الوجوب ، وحكم معرفة أدائها كمعرفة شرائطها لا يعذر عاقل بالجهل فى شىء منها ، لأن الله تعالى أمر بإقامتها ، وإقامتها متوقفة على المعرفة التامة بها والأداء الصحيح لها قال تعـالى ﴿ فإذا اطمـأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ .

٢ ـ حكمتها

إن الصلاة كغيرها من سائر العبادات قد شرعت لحكم عالية كثيرة

منها :

أنها تطهر الروح وتزكى النفس من آثار ما يعلق بها من جراء الكسب السىء

والعمل غير الصالح ، فلذا شبهها رسول الله ﷺ بالنهر الغمر الجارى أمام دار العبد يغتسل فيه كل يوم خمس مرات وقال : « فهل يبقى من درنه من شيء » ؟

ومنها أنها تنهى المقيم لها عن الفحشاء والمنكر بما توجده فى النفس من أنوار مشرقة يرى العبد على ضوئها الفحشاء وقبحها ، والمنكر وضرره ويتجنبها . قال تعالى ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

ومنها أنها توصل العبد بربّه ، فإن المصلى يناجى ربّه ، وإن الرب تعالى ينصب وجهه للعبد وهو فى صلاته . « وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ، و﴿ اسجد واقترب ﴾ .

لطائف الصلاة :

وغير الحكم لطائف فى الصلاة ما أحسنها ، وما أحسن معرفتها وهاك - أخى الحاج - اثنين منها :

الأولى : أن الشارع الحكيم قد جمع فى الصلاة كل أنواع التحيات التى عرفها البشر ويحيى بها الإنسان أخاه الإنسان لمزيّة اختص بها دون غيره وهذا سرّ قول المصلى فى التشهد : التحيات لله . وهذا بيان ذلك :

١ - الوقوف باعتدال مستقبل القبلة هذا القيام فى الصلاة أول تحية عرفها الناس ؛ أن يقف المرء أمام العظيم بأدب واحترام يحيّيه بذلك .

٢ - رفع اليدين حذو الأذنين وهى تحيّة عسكرية عالمية اليوم يحيى بها الجندى قائده كلما دخل عليه أو لاقاه .

٣ - الركوع وهى تحيّة معروفة عند كثير من الناس فإذا أراد أحدهم تحيّة رئيسه أو عظيمه انحنى له وركع .

٤ - السجود وهو تحيّة عرفها الناس منذ القدم فيسجد أحدهم لمليكه أو عظيمه حتى قيل للرسول ﷺ « أفلا نسجد لك كما يفعل العجم لملوكهم ؟ فقال : لا ، لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » ، لما يرى له عليها من حق .

٥ - الجلوس الخاص فى الصلاة للتشهد أو بين السجدتين هذا الجلوس تحيّة عرفها الناس وحيّا بها الحقير العظيم منهم ، وبعضهم يحيى بها أبويه أو أحدهما . . وهى تحيّة معروفة عند بعض الشعوب .

٦ ـ الإشارة بالإصبع عند التشهد تحية عند بعض الشعوب يحيى بعضهم بعضا بالإشارة بإصبعه .
٧ ـ السلام وهو آخر عمل فى الصلاة تحيّة عرفها الناس منذ القدم ، ولكل أمة لفظ خاص تحيى به بعضها بعضا .

وهكذا نجد الصلاة قد اشتملت على سائر أنواع التحيات ، فمن صلى فقد أدّى كل تحيّة لله وتعظيم ومن لم يصل فقد منع كلّ ذلك ، ولذا حكم رسول الله ﷺ ، بكفر تارك الصلاة فقال « إن ما بين الرجل والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

الثانية : أن الله تعالى كما قد ضمن الصلاة : كل أنواع التحيات له عز وجل فقد ضمن الصلاة أيضا كل أنواع العبادات وهذا بيان ذلك :

١ ـ الصوم وهو الامتناع عن الأكل والشرب ومباشرة النساء والمصلى إذا أحرم بصلاته امتنع عن ذلك فهو إذاً صائم والصوم من الصلاة . وهو عبادة من العبادات .
٢ ـ الجهاد وهو بذل الجهد فى مدافعة العدو ، والمصلى يبذل ذلك فى مدافعة أكبر عدو وهو الشيطان فالمصلى يجاهد والجهاد عبادة وهو فى الصلاة . . ومنها .
٣ ـ الصبر وهو حبس النفس على الطاعة لايفارقها ، والمصلى صابر حابس نفسه على الصلاة حتى يفرغ منها فهو صابر والصبر عبادة وهو من الصلاة .
٤ ـ الاعتكاف وهو ملازمة المسجد للعبادة والمصلّى يلازم مسجده الذى يصلى فيه من الأرض لأشرف عبادة وهى الصلاة فالمصلى إذاً معتكف مادام فى صلاته والصلاة فيها الاعتكاف .
٥ ـ الذكر والدعاء والتسبيح والاستغفار عبادة والمصلى يفعل ذلك كله فى صلاته .
٦ ـ الزكاة وهى صدقة مالية مشروعة لزكاة النفس وتطهيرها والصلاة كذلك زكاة بدنية شرعت لتطهير النفس وتزكيتها .
٧ ـ الحج والعمرة وهما قصد بيت الله لأداء عبادات عندها والمصلى يقصد بيوت الله تعالى لأداء الصلاة فيها ففى الصلاة إذاً معنى الحج والعمرة وبعض أجزائهما .

٨ ـ محبة الصالحين من عباد الله وتحيتهم والدعاء لهم وهذا يقوم به المصلى فى صلاته عندما يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنها دعوة بخير تصيب كل عبد صالح فى السماء والأرض كما قال ذلك رسول الله ﷺ .

٩ ـ التشرف بالسلام على رسول الله ﷺ وهو من العبادات والقُرب ، والمصلّى يسلّم على رسول الله ويصلى عليه فى كل صلاة : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

وهكذا نجد الشارع قد ضمَّن الصلاة كل أنواع العبادات كما ضمنها سائر أنواع التحيات ، فسبحانه من مشرع حكيم لا إله غيره ولا رب سواه .

وهذا سر نصحى لك أيها الحاج بالصلاة وإقامتها فإن من أقام الصّلاة فقد عظم الله تعالى بكل أنواع التعظميات وعبده بكل أنواع العبادات وبذلك يتأهل لحب الله وولايته . ومن ترك الصلاة أو لم يقمها فإنه لم يقدر الله حق قدره واستوجب غضبه عليه وسخطه .

واعلم أخيراً أن إقام الصلاة غير أدائها ، وأن الصلاة لا تقام حقا إلا إذا روعى فيها كل ما يلى :

١ ـ الطهارة الكاملة من الخبث والحدث فليكن ثوب المصلى وبدنه ومصلاه طاهراً من النجاسات وليكن هو طاهراً من الحدثين الأصغر والأكبر .

٢ ـ أن تؤدى الصلاة فى أوقاتها المعينة لها فلا تقدم ولا تؤخر .

٣ ـ أن تؤدى فى المساجد فى جماعات المصلين من المؤمنين .

٤ ـ أن ترتل القراءة فيها وتجود ويتدبر معناها .

٥ ـ أن يطمئن المصلى فى ركوعه وسجوده وجلوسه ويعتدل فى كل ذلك .

٦ ـ أن يكثر فيها من ذكر الله بالتسبيح والركوع والسجود ، والدعاء وهو ساجد .

٧ ـ أن يخشع فيها بالقلب والجوارح فالقلب لا يلتفت إلى غير الله تعالى والجوارح تسكن فلا تتحرك فإذا أقام العبد الصلاة على هذا النحو فقد عبد الله وأطاعه واستوجب رضاه ، وكانت صلاته نوراً له فى حياته ، ونوراً له فى مماته ودخل بها فى جملة الصالحين .

الموضوع	ص

●● الرسالة الحادية عشر
عَشر وصايا قدمت لوفود الحجاج

الوصيـــة الأولى : العبادة

إن الـوصية بالعبـادة ـ أخى الحـاج ـ هى وصية بجامع خير الدنيا والآخرة وبها يحقق الكمال والسعادة فيهما ، وهذا ما يهدف اليه العقلاء وما يعملون له طوال حياتهم فى كل زمـان ومكـان . إن العبادة الموصى بها والمـدعى إليها ، بلا مبالغة هى جنة الدنيا والآخرة كما سنبينـه فى آخر الـوصيّة إن شاء الله . ولهـذا أوصيك أخى الحـاج وألح عليك بالعبادة وملازمتها فإنها سبيل نجاتك وطريق سعادتك فى كلتا حياتيـــك .

وان قلت : عرّف لى العبادة حتى أعرفها ، وحدثنى عن بعض ما جاء فيها حتى أرغب فيها وبين لى حكمها وحكمتها : ليكون ذلك عوناً لى على طلبها والتزامها .

أجبتـــك قائـــلا :

العبادة اسم مشتق من عبّد الطريق اذا مهده وسهله للسير عليه .

وهى فى عرف الشرع طاعة الله تعالى بفعل ما يحب من الاعتقادات والنيات والأقوال والأعمال مما أمر به أو رغب فيه فى كتابه أو على لسان رسوله محمـد ﷺ مع ترك مايكـره الله تعالى من المعتقدات والإرادات والأقوال والأفعال مما نهى عنه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كل ذلك مع غاية الحب والتعظيم لله ورسوله ؛ لأن مجرد الطاعة بفعل الأمر وترك النهى لا يكون عبادة ؛ إذ طاعة الأبوين والأمير لايقال فيها عبادة لخلوها من غاية الذل والحب والتعظيم للمطاع .

فالعبادة الشرعية المؤهلة للسعادة والكمال بعد النجاة من الخسران ما قامت إلا على أسـاس الـذلة لله والخضوع له مع حبه تعالى غاية الحب وتعظيمه غاية التعظيـــم .

فالعبادة بهذا المعنى أمر الله تعالى بها سائر عباده وفرضها عليهم بقوله : « يا

ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » وبقوله « ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون » . . وأمر بها نبيه موسى عليه السلام بقوله : « فاستمع لما يوحى إننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » ، وأمر بها عبده ورسوله نبينا محمداً ﷺ بقوله : « فاعبده وتوكل عليه » وقوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وأمر بها المؤمنين بقوله : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » وبقوله « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . وأمر بها عيسى عليه السلام بنى اسرائيل بقوله « يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النـــــار » .
ومن قبل أمر بها هود وصالح وشعيب أممهم وأقوامهم إذ قص الله تعالى ذلك علينا فى كتابه فقال : « وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » ، « والى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره » « والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا اله مالكم من اله غيره » .

ومن قبلهم أمر بها نوح قومه فقال « اعبدوا الله واتقوه وأطيعون » .
فاذا تأملت ـ أخى الحاج ـ ما ذكرت لك من أمر الله تعالى لأنبيائه وسائر النـاس بعبـادته وأمر الأنبياء أممهم وأقوامهم بها عرفت أن حكم العبادة ليست الوجوب فحسب بل هو التحتيم واللزوم ، فلا يسع المكلف تركها بحال من الأحوال .

إن العبـادة أخى الحاج سر الحياة وعلة وجودها ؛ قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . فلولا العبادة لما كان من معنىً فى خلق المكلفين من الإنس والجن ، وبالتالى لا معنى بخلق الحياة كلها ؛ إذ الوجود كله أرضه وسماؤه مخلوق للإنسان قال تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » . وقال « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » . فتبين بذلك أن العبادة سرالحياة وعلتها ، ومن هنا كان من

ترك العبادة من المكلفين شر الخلق أجمعين قال تعالى « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » — والبرية الخليقة ، والمراد المخلوقات كلها من الانس والجن والحيوانات وما كانوا شر المخلوقات الا بتركهم العبادة فإذا علمت أخى الحاج مما تبين لك أن العبادة سر الحياة وعلة وجودها فاعلم ان سر العبادة وعلتها هو العروج الى الملكوت الأعلى والحياة هناك ؛ إذ العبادة فى واقعها عبارة عن عمليات تطهير للنفس وتزكية لها بما شرع الله تعالى لذلك من أنواع القرب والطاعات .

فإذا زكت النفس وطهرت تأهلت للعروج الى السماء والحياة فيها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وذلك بعد مفارقتها للجسم بالخروج منه المعبر عنه بالموت قال تعالى « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم » وقال تعالى « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » . وقال « إن الذين كذبوا بآياتنا لاتفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » وذلك لعدم تزكية نفوسهم وتطهيرها بالعبادة ؛ لأنهم كذبوا بآيات الله المتضمنة لبيان العبادة واستكبروا عنها فلم يؤمنوا ولم يعملوا فلم تزك لهم نفس ولم تطهر لهم روح . فاستحال عروجهم الى السماء ودخولهم الجنة .

الوصية الثانيـــة : الإخــــلاصُ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد : هل يدرى أخى الحاج برّ الله حجّه أن الإخلاص روح الأعمال الصـالحة وسر قبولها ، وأن ما وراءه إلا الشرك والرياء ، وكلاهما مفسد للأعمال مبطلٌ لهــا .

إن الأمر ـ أخى الحاج هو كما قلت لك بل هو أعظم ، واستمع إلى أحدثك : روى أبو داود والنسائى بإسناد جيد كما قال الحافظ المنذرى عن أبى أمـامة رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت ـ أى أخبرنى ـ رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول ﷺ لا شىء له . فأعادها ثلاث مرار ، ويقول رسول الله ﷺ لا شىء له . ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ماكان له خالصاً ، وابتغى به وجهُـــــــــــه » .

أخى الحاج هل عرفت بم حرم هذا المجاهد من الأجر الذى غزا فى سبيل الحصول عليه ؟ انه حرمه بسبب إرادة الذكر معه ، والمراد من الذكر أن يذكره الناس بخير فيقولون : فلان غزا ، وجاهد ، وشجاع ، إلى غير ذلك من المدح له والثناء عليـــــه .

فهذا الرجل المحروم من أجر الجهاد لم يحرم لأنه لم يرد بجهاده وجه الله تعالى ، وإنما حرم لأنه أراد مع وجه الله تعالى وثوابه وجه الناس وذكرهم له . فكان جهاده غير خالص لله تعالى إذ راءى فيه وجهاً مع وجه الله تعالى فحرم الأجر لعدم إخلاص العمل لله تعالى وحده : وكذلك الرجل منا اليوم يخرج من بلاده يريد أداء فريضة الحج طاعة لله ، ويريد أن يذكره أهل بلاده بلقب الحاج أو يريد أن يحج ويتنزه ويتعرف على البلاد والناس ، او يشترى أشياء لم تكن فى بلاده ، أو رخيصـة الثمن ليربح فيها ، فإن

الحج مع هذه الإرادات والنيات المادية لا يكون الحج معها خالِصاً لوجه الله تعالى ، وقد يقال له : لا شيء لك من حجك كما قيل للغازى لا شيء لك لأنه أراد مع العبادة ذكر الناس له ، فلم يخلص عمله لله فحرمه الله الأجـــر .

واسمع أزدك روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعـرّفـه نعمـه ، قال : فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهـدت . قال : كذبت ولكنـك قاتلت لأن يقال هو جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم . وقرأت القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النـــــار » .

أخى الحاج هل عرفت بم ألقى هؤلاء الرجال الثلاثة فى النار ؟ إنهم لم يريدوا بأعمالهم الصالحة من جهاد ، وتعلم علم وتعليمه ، وإنفاق للمال . لم يريدوا وجه الله تعالى ، وإنما أرادوا الرياء والسمعة للحصول على الذكر الحسن والشهرة بين الناس . وهكذا كل من عمل عملا صالحاً لم يرد به وجه الله تعالى لا يحرم ثوابه فقط كما حرم من أراد بعمله وجه الله تعالى ووجه غيره بل يحرم الثواب ويسحب على وجهه حتى يلقى فى جهنم لأنه مشرك بعبادة الله تعالى غير الله عز وجّل الأول مراء ببعض عمله وهذا مراء بكل عمله والرياء شرك ، والشرك محبط للعمل .

أخى الحاج أحسب أنك عرفت بما حدثتك به خطر الإخلاص وعظم شأنه فاسألنى عن الإخلاص وفيم يكون ولمن يكون حتى أعرفك بذلك فتعمل على أن تكون من المخلصين إن شاء الله رب العالمين .

الإخلاص لغة مصدر أخلص الشىء يخلصه إخلاصا من كذا إذا خلصه منه بمعنى أبعده عنه ونحاه فتمحّض وحده لم يخالطه شىء سواه .

وما أريد أن أوصيك به : أن تخلص أرادتك وعبادتك لله تعالى بحيث لا تلتفت بقلبك عند إرادة القول والعمل إلى غير الله تعالى ، كما لا تريد بقولك أو عملك اذا أنت قلت او عملت غير الله تعالى ، فتخلص نيتك كما تخلص قولك وعملك من إرادة غير وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته حتى يكون الباعث لك على القول أو العمل دائما وجه الله تعالى وطلب رضاه ، وبذلك تكون إن شاء الله من المخلصين ـ بكسر اللام ـ أى الموحدين ، وقد تترقى فى مراتب الإخلاص حتى تصل إلى درجة المخلصين بفتح اللام ، أى الذين اختارهم الله لعبادته ، واستخلصهم ربهم لطاعته فلا يكون للشيطان حظ فى إرادتهم وأقوالهم وأفعالهم ولا نصيب . كما قال « لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » بقراءة فتح اللام .

فالإخلاص إذاً ترك الرياء فى الطاعة وعدم إشراك غير الله تعالى فى عبادته عز وجل كما قال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ هذا هو الإخلاص قد عرّفته لك فاذكره ولا تنسه .

أما فيم يكون ؟ فاعلم ان الإخلاص يجب أن يكون فى كل نيات المؤمن وإراداته وأقواله وأفعاله بمعنى أن العبد المؤمن يكون وقفاً على الله تعالى ، لا يتصرف فى الحياة إلا على مقتضى مراد ربّه منه ، فإذا قام بطاعة من الطاعات لم يراع فيها منفعةً دنيوية ، يرجو حصولها له بل يفعل الطاعة لكونه مأموراً به ومطلوباً منه أن يتقرب بها إلى ربه عز وجل ليحصل على الحظوة لديه والقرب منه وإذا ترك معصية يجب أن يتركها لا لكونها ضارة

بجسمه أو ماله أو عرضه وإنما يتركها لأن الله تعالى نهاه عنها وكرهها له فهو يتركها طاعة لربه وطلباً لمرضاته .

وإذا أتى مباحاً من القول أو العمل يأتيه بنية أن يتقوى به على فعل الطاعات وترك المعاصى . فلا يأتيه لمجرد الانتفاع والتلذذ به . وذلك لأن العبد المؤمن وقف على ربه تعالى لا يصدر عنه شيء لغير الله تعالى كما قال أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ إنى أحتسب قومتى ونومتى وآية وقف المؤمن فى القرآن هى قوله تعالى فى سورة الأنعام ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له ﴾ .

وأما لمن يكون الإخـــــلاص ؟

فاعلم أخى الحـاج أن الإخلاص وهو تجريد العمل من كل شوائب الرياء والشرك لا يكون إلا له تعالى المعبود بحق . فمن أخلص الطاعة لغير الله تعالى وأيًّا كان ذاك الغير فهو مشرك كافر والعياذ بالله تعالى ومن أشرك فى الإخلاص غير الله تعالى فعمل لله ولغير الله كأن يعمل للدين والدنيا معاً فهو مشرك فى عمله مراءٍ فيه فلا أجر ولا ثواب له كما سبق فى حديث الرجل الذى غزا فى سبيل الله وطلب الذكر فقد قال له الرسول ﷺ « لا شيء لك » ثلاث مـــرات .

وأنبهك أخى الحاج إلى أن العفن الشيوعى قد تسرب إلى ديار الإسلام فأصبح الرجل المسلم يقول هو مخلص للدولة مخلص للوظيفة كما يقول يرضى ضميره وأعمل إرضاء لضميرى هذا كله باطل من القول وهو من مصطلحات الشيوعية فالمسلم لا يخلص الا لله ولا يطلب رضا سوى الله . فاذكر هذا واحذره . والله أسأل لك الثبات على الإخلاص حتى تكتب عند الله من عباده المخلصين وقد أفلح من أخلـــــص .

الوصيّـــة الثالثة : العلـــم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد ـ أخى الحاج ـ هذه وصيتى الثالثة إليك ، وهى من أهم الوصايا وأجلّها قدراً إنها الوصية بالعلم الذى هو مفتاح كل خير وملاك السعادة وبابها ، وجواز العبور إلى دار السلام وإذنها فاطلبه يا أخى واحصل عليه وابغ المزيد منه ولا تقتصر فإنك لن تكمل ولن تسعد فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا عليه . واذكر معى أن جميع ما يشكوه المصلحون ويتألمون له من الفساد والشر فى العالم إنما مرده إلى الجهل بهذا العلم الذى أوصيك به لتطلبه وتحصل عليه إنه العلم الذى هو بمثابة الروح للحياة والنور للوجود إنه العلم الذى أوجب الله تعالى طلبه على لسان نبيه محمد ﷺ فى قوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وأمر رسوله له أن يطلب المزيد منه فى قوله : « قل ربّ زدنى علمًا » ، ورفع به أهله درجات فقال : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ ونفى تعالى فى المحكم من التنزيل مساواة الجاهل بالعالم فقال : ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾؟ وأعلن رسول الله ﷺ عن فضله وفضل طالبه فى غير ما حديث صحيح فمن ذلك قوله فى صحيح البخارى : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الديـــن » وقوله فى صحيح مسلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة » وقوله فى سنن البيهقى وابن ماجه بسند لا بأس به : « من أتى مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله » .

هذا ولأخى الحاج أن يقول الآن : بيّن لى المراد من العلم الذى أوصيتنى به وذكرت لى من عظم شأنه ومزيد فضله ، لأن العلوم متنوعة وكثيرة فأجيبك بأنه العلم الشرعى الواجب تعلمه والذى لايسع المكلف

جهله بحال ؛ إذ هو كما عرفت مفتاح دار السعادة فلا يكمل عبد ولا يسعد إلا عليه . ألا وهو العلم بالله تعالى ربًّا وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه ، وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وبمحابه من المعتقدات والأقوال والأفعال والذوات والصفات ، وبمكارهه من المعتقدات الباطلة ، والأقوال السيئة والأعمال الفاسدة ، والذوات والصفات القبيحة وبالوسائل الضرورية للحصول على هذا العلم من لسان عربى ونظر وفكر .

هذا هو العلم الموصى به وهو كما عرفت طلبه واجب والحصول عليه لازم ولا يسع المكلف تركه بحال .

وإن سألتنى عن الطريق الموصل إليه والمفضى بصاحبه إلى الحصول عليه فإنى أجيبك بأن لطلب هذا العلم طريقين لا ثالث لهما أحدهما أمثل من نظيره وإليك بيانهما :

الطريق الأول وهو الأمثل : أن يجالس المؤمن العلماء ويزاحمهم بركبتيه يقرع أبوابهم ويرحل إلى ديارهم ولا يزال يطلب ويتعلم حتى يفوز بالعلم الذى هو معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ومعرفة محابه ومكارهه ، وكيف يأتى بالمحاب ، وكيف يجتنب المكاره وإذا شعر بحصول العلم بوجود علامته وهى الخشية من الله تعالى لقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ تصدى لتعليم غيره ، ونشر العلم بين الناس إذ مراحل طالب العلم ثلاث الأولى أن يتعلم والثانية أن يعمل بما تعلم والثالثة أن يعلم وبذلك يصبح إماماً فى المتقين يقتدى به ويدعى فى السماء عظيمًا كما روى عن عيسى عليه السلام فى صحيح الأخبار .

والطريق الثانى : أن تقصر بالعبد الحياة وتعجز أن تمكنه من الدرس والتفرغ والرحلة لكبر سن أو انشغال بعيال أو بأمور ذات خطر وبال فإنه فى هذا الحال يطلب العلم من طريق سؤال أهل العلم وفهم ما يبينونه له والعمل الفورى به اعتقاداً أو قولا أو عملا على حد سواء . وكيفية ذلك أن يتعرف على أعلم أهل بلده ممن تشهد له العلماء بالعلم والمعرفة فيتخذه

شيخاً له فيحبه ويوقره ويطيعه فى المعروف ويأخذ يسأله فى صدق وبنية طلب العلم الواجب طلبه فإذا بين له المسألة من مسائل العلم بالله تعالى وشرائعه فهمها واعتقد ما كان من الاعتقاد وقال بها كان من القول وعمل بها كان من العمل وهكذا لا يزال يسأل ويتعلم ويعمل يوما بعد يوم حتى يظفر بالعلم والعمل ويظهر ذلك فيه بوجود خشية الله فى قلبه إذ الخشية آية العلم وبرهانه فلا علم لمن لا خشية له .

وهنا أشعر أن أخى الحاج قد يقول : هذا القول مجمل فهلا فصّلت لى كيف أطلب العلم بطريق السؤال والفهم والعمل ؟ فأقول له : إذا عرفت العالم المتأهل لتعليمك فأته وقل له : يا شيخ : علمنى ما الذى يجب علّى اعتقاده . فإذا عرفك ذلك وفهمته واعتقدته . إئته مرة أخرى وقال له : ما الذى يجب الله تعالى من الاعتقاد ؟ فإذا علمك فافهم واعتقد . وارجع إليه مرة أخرى وقل له : ما الذى يكره ربى من الاعتقاد ، فإذا بين لك ذلك تركت ذلك الاعتقاد وكرهته بكراهية الله تعالى وارجع إليه مرة أخرى وقل له ياشيخ بين لى ما يحب ربّى من الأقوال فإذا علمك فافهمه وقله واعبد الله به ، ثم ائته مرة أخرى وقل له : علمنى ما يحب ربىّ من العمل فإذا علمك فاعرف واعمل ، وهكذا لا تزال تسأل وتعلم وتعمل حتى يتم لك العلم والعمل ، وبذلك تتأهل للسعادة والكمال فى الدنيا والآخرة .

حقــق الله لى ولك ذلك آميــــــــــن .

الوصيّــــة الرابعة : التفكــر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد إعلم أخى الحاج أن وصيتى لك بالتفكر .

هى الوصية بها يحقق لك الوصايا الثلاث التى قدمت لك ويعينك على تنفيذها تلك الوصايا التى هى العبادة : والإخلاص والعلم . إذ التفكر ينتج العلم ، والعلم ينتج العبادة . والعبادة تصح بالإخلاص وتبطل بعدمه فهى إذاً متوقفة عليه ، وما يتوقف عليه من الأشياء يكون كالمنتج للشىء المتوقف عليه ، وبهذا عاد أمر الوصايا الثلاث المتقدمة إلى هذه الوصيّة الرابعة وهى التفكر فاعرف هذا واسمح لى أن أقول لك : إن التفكر من خصائص الإنسان لأنه إعمال العقل فى إدراك ما يختفى وراء المدركات الحسية من أسرار وعجائب أو مصالح وفوائد الإنسان فى حاجة إليها . وعليه فمن لم يتفكر فقد أهمل العقل وعطل وظيفته وصار كمن لا عقل له وهو الحيوان الأعجم ، ولذا قيل فكر فأنت إنسان ، لا تفكر فأنت حيوان .

وإذا عرفت أخى الحاج أهمية التفكر بما ذكرت لك وأردت أن تفكر فاعلم أن من التفكر ما هو واجب ومنه ما هو حرام ، فما كان جالباً لسعادة الإنسان وكماله فهو التفكر الواجب وما كان جالباً لشقاء الإنسان وخسرانه فهو الحرام وذلك كالتفكر فى الشر والفساد وما يلحق الضرر بالإنسان والحيوان .

والتفكر فيما يجلب للإنسان سعادته وكماله يكون فى مجالين : هما الكون والإنسان أو الآفاق والأنفس كما قال تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

فالتفكر فى الإنسان والكون ينتج للمتفكر فيهما الإيمان بالله تعالى

والمعرفة بأسمائه وصفاته ومن امن بالله تعالى وعرف أسماءه وصفاته أثمر له إيمانه ومعرفته طلب التقرب إلى الله تعالى والزلفى إليه بفعل محابه تعالى وترك مساخطه وبذلك يتحقق مراد الله تعالى من خلقه وخلق الكون كله من حوله لقوله عز وجل : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقوله فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم لقد خلقت كل شىء من أجلك وخلقتك من أجلى » .

وكون التفكر وهو إعمال العقل والنظر فى المخلوقات من حيث وُجُودُ ذواتها وصفاتها وآثارها وخصائصها ومنافعها . وما يطرأ عليها من تغيرات شتى ، كونه جالباً للإيمان واليقين محققاً للعلم والمعرفة باعثاً على العمل فى المحبوب لله تعالى وعلى الترك فى المكروه لله عز وجل ، دل عليه قوله تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ، أو لمْ ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شىء ﴾ .

أخى الحاج إن وصيتى إليك بالتفكر هى الوصيّة بأن تخرج من محيط الغفلة التى يعيش فيه أكثر سكان العالم من مؤمنين وكافرين . إن الغفلة المستلزمة لعدم التفكر هى سبب كل كفر وشرك وفساد وشر ، إذ لو تفكر الكافر فى خلق السموات والأرض وما بينهما وما فيهما لآمن بالخالق عز وجل ؛ إذ يهديه التفكر إلى أن هذه المخلوقات العظيمة يستحيل وجودها بغير موجد أوجدها كما لو تفكر فى مظاهر الإبداع فيها والإتقان فى صنعها والجمال فى صفاتها والترتيب والنظام فيما بين أجزائها لآمن بعلم الله الواسع وقدرته التى لا تحد ، وحكمته الباهرة ورحمته العميمة وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأن الله تعالى خالق كل شىء ورب كل شىء ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ . و بذلك يرى وجوب عبادته ويرغب فى

طاعته والتقرب إليه ليسعد ويكمل بذلك .

ولو تفكر المشرك فيمن أشركه فى عبادة الله تعالى لعلم ضعف من أشركه وفقره وحاجته إلى الله تعالى وأنه مخلوق لله مربوب له لا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضراً ولما عبده مع الله تعالى لعدم استحقاقه للعبادة إذ العبادة مستحقة للخالق واهب الحياة والرزاق مفيض الخيرات والبركات من يملك كل شىء وبيده كل شىء والقادر على كل شىء والعليم بكل شىء والبصير بكل شىء .

ولو تفكر الحاكم بغير ما أنزل الله عز وجل من الشرائع والأحكام لعرف أن من الظلم البين إبعاد شرائع الله المدبر الحكيم وإحلال شرائع البشر وقوانينهم محلها وهم من هم فى جهلهم وعجزهم فى جهلهم بعواقب الأمور ومجريات الأحداث وعجزهم عن إيجاد المنافع ودفع المضار لو تفكر هذا الحاكم لما رضى لنفسه التعرض لغضب الله وسخطه عليه لأنه نازعه سلطانه ودافعه عن حقه فى حكم عباده وسياستهم بما يكملهم ويسعدهم ولكنه لم يتفكر فهلك بغفلته وظلمه .

ولو تفكر الفاسق عن أمر الله ورسوله بترك ما أمرا به من الهدى والخير ، وفعل ما نهيا عنه من الضلال والشر لو تفكر أنه مربوب لله مخلوق لعبادته لما فسق ولما تعرض لمقت الله وغضبه أو عقابه وأليم عذابه . ولكنه لم يتفكر فظل فى فسقه وأقام على عصيانه ليحرم السعادة والكمال .

ولو تفكر الجاهل بربه وشرائعه أنه لا ينبغى أبداً أن يجهل خالقه ومالك أمره ومن بيده سعادته وشقاؤه فلا يتعرف إليه ولا يطلب مرضاته بالتقرب إليه بفعل ما يحب وترك ما يكره ولكنه لم يتفكر فعاش فى ظلمات الجهل محروماً من نور العلم وهداية الشرع عرضة للمفاسد والشرور وبالتالى للويل والثبور فى دنياه وأخراه والعياذ بالله .

لهذا أخى الحاج أوصيتك بالتفكر فإنه قوام حياتك ومفتاح سعادتك

فالزمه فإنه يكسبك العلم ويعينك على العبادة والإخلاص فيها وتلك سبيل نجاتك وسعادتك .

وهـــل لك من حاجـــة فى غير ذلك ؟

الوصيّـــة الخامســة : الحلــم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد . .

أخى الحاج اعلم أن الحلم لمن مكارم الأخلاق بل هو من أشرفها وذو الحلم سيد فى الناس وإن بطأبه نسبه ، والوصية بالحلم والتخلق به وصية بالخير كله . فلذا أوصيك به فتخلق به ، واعلم أن الحلم بالتحلم كما أن العلم بالتعلم .

فقد روى عن الأحنف بن قيس وكان مضرب المثل فى الحِلم أنه قال : أنا لست بحليم وإنما أتحلّم وقد يجبل المرء على الحلم فيكون حليما بالفطرة كإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إذ قال تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ غير أن الغالب فى الناس أن الحلماء منهم يكتسبون حلمهم برياضة النفس وتمرينها عليه حتى يكتسبوه ويصبحوا حلماء بين الناس فكن أنت كذلـــــك .

والطريق إلى اكتساب الحلم أن يأخذ المرء نفسه شيئا فشيئا يحملها على عدم الغضب إن غوضب وعلى كظم الغيظ إن أغاظه أحد ، وعلى الصبر إن أوذى فلا يثأر ممن آذاه ولا ينتقم وهكذا يوما بعد يوم ، والنفس الكريمة لا يشق عليها الصبر والحلم كما لايشق عليها المعروف أن تبذله أو تقوله .

ومما يعينك على اكتساب هذا الخلق الفاضل العظيم أن تذكر أن الله تعالى ورسوله محمداً ﷺ يحبان خلق الحلم وإن من أسماء الله تعالى وصفاته الحليم فقد روى الشيخان أن الأشج وفد على رسول الله ﷺ فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح ثوبين كانا عليه وأخرج من عيبته (حقيبته) ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله ﷺ يرى ما يصنع ثم أقبل يمشى إلى رسول الله ﷺ فقال له : إن فيك ياأشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بأبى أنت وأمى يارسول الله ؟ قال : الحلم والأناة .

فاذكر هذا فإنه يعينك على التحلم واكتساب خلق الحلم حتى تكون حليماً لا تسب من سبك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك . لا تبادر بالإساءة إلى من أساء إليك ولا تنزع إلى الانتقام ممن آذاك فى نفسك أو مالـــــك .

واعلم أن الحلم يقابله السفه والجهل فهل يرضى العاقل بأن يوصف بالجهل والسفه ؟

إن الحلم هو العلم والصبر والصفح والعفو أما السفه والجهل فهما الجزع والنزغ والحمق والطيش . فلذا أوصيتك أخى الحاج بالحلم لتكمل وتسعد وتشرف بين الناس وتسود .

واستمع إلىّ أرو لك الآثار والأخبار فى الحلم والحلماء لتزداد رغبتك فى اكتساب خلق الحلم الذى أوصيتك بـــه :

- قال معاوية رضى الله عنه لعرابة بن أوس : بم سدت قومك ياعرابة ؟

قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصّر عنى فأنا خير منه !!

- قال أكثم بن صيفى أحـد حكماء العرب : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر .
- قال أحد العلماء : الحلم أرفع من العقل قدراً لأن الله تعالى سمى به ويوصف به ولا يسمى بالعاقل ولا يوصف بالعقل فلذا كان الحلم أرفع من العقل .
- قال آخر لا يعرف الحلم إلا عند الغضب كما لا تعرف الشجاعة إلا عند الحرب .

هذا وانظر مواقف أهل الحلم التالية وتمثلها عندما يغاضبك إخوانك الحجاج أو يؤذونك بلسان أو يد لقلة صبرهم وحلمهم ولما يجدون من التعب

وهم يؤدون المناسك .

١ ـ شتم رجل آخر فقال له المشتوم إن كنت كاذباً فغفر الله لك وإن كنت صادقاً فغفر الله لى وانصـــرف .

٢ ـ سب رجل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقال لمولاه عكرمة هل للرجل من حاجة فنقضيها له ؟ فنكس الرجل رأسه واستحى .

٣ ـ قال رجـل لعمـر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أشهد أنك من الفاسقين ، فقال عمر ليس تقبـــل شهادتك !!

٤ ـ سب رجل علّى بن الحسين بن على رضى الله عنه فرمى إليه بخميصة « ثوب أسود مربع » وأمر له بألف درهم . فرد ابن الدوحة النبوية منبع العلم والحلم سيئة الـرجل بخمس حسنات وهى الحلم ، وإسقاط الأذى عنه ، وتخليصه مما يبعد عن الله تعالى ، وحمله على الندم والتوبـــة .

٥ ـ قال أحـدهم : شتمت رجـلا يوما فحلم على فاستعبدنى بها زمناً طويلا .

وأخيراً أسأل الله تعالى لى ولك أن يرزقنا الحلم بعد العلم . والسداد فى القـــول والعمل .

الوصيّة السادسة : التَّواضُع

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد :- فاعلم - أخى الحاج - أن التواضع الذى أوصيك ونفسى به ليس مجرد خُلُق فاضل فحسب بل هو أسمى الأخلاق الفاضلة وأشرفها وعليه مدار السعادة وهو ملاكها ، لأن التواضع ضد الكبر فمن لم يتواضع تكبر ، ومن تكبر هلك لحديث مسلم : أن النبى ﷺ قال : « إن الله لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرَّة من كبر » . وذلك أن الكبر مانع من قبول الحق والإذعان له ، داع إلى انتقاص الناس واحتقارهم كما قال ﷺ : « الكبر بطر الحق وغمص الناس » . وما أُبلس إبليس إلا بالحسد والكبر والعياذ بالله تعالى من ذلك .

فلذا كان - أخى الحاج - من وصايا الحق والخير الوصيّة بالتواضع ، وهذا رسول الله ﷺ يبلغ عن الله تعالى أمته ما وصاهم به من التواضع إذ روى مسلم أنه ﷺ قال : « إن الله تعالى أوحى إلى ان تواضعوا حتى لا يفْخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » .

والتواضع يكون لله ، ولأجل الله فأما التواضع لله فيكون بطاعته تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه . وأما التواضع لأجل الله عز وجل فيكون بقبـول الحق والإذعان له ، والتسليم به ، كما يكون بتوقير الكبير ورحمة الصغير والعطف على الفقير .

وبهذا التواضع لله ولأجل الله يرتفع العبد حتى يبلغ درجات لم يكن ليبلغها لولا تواضعه : فقد روى مسلم عن النبىّ ﷺ قوله : « مازاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله » كما روى البيهقى فى الشعب : « إذا تواضـع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » وفى القرآن الكريم « فاسجد واقترب » والسجود عنوان التواضع وأبرز مظاهره فمن

سجـد لله بمعنى أخبت لله وتطامن وذل له وأذعن لعبادته ظاهراً وباطناً ارتفـع بذلـك وقـرب فبلغ مستـوى من الـرفعة والقرب يقصر عنهما غير المتواضعين كما قال القائل :

دنونا فلـم نخـذل لدان وعلونا فلم يجزنا عـلاء

أخى الحاج إذا عرفت شرف خلق التواضع فجدَّ فى طلبه ، وشمّر فى تحصيله واعلم أن التواضع ليس ما يسميه أبناء العصر المجاملة واللباقة وإنما التواضع : إخبات لله تعالى واستكانة له عز وجل وذلك بفعل أمره وترك نهيه والتقرب إليه بفعل محابه من المعتقدات والنيات والأقوال والأعمال وتـرك مساخطه من المعتقدات والإرادات والأقوال والأفعال . قال تعالى ﴿ وبشر المخبتـين الـذين إذا ذكـر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وقال : ﴿ فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ فبان بهذا أن التواضع سداه ولحمته الإخبات لله والاستكانة له عز وجل وهو فى نفس الأمر تحقيق معنى العبودية لله عز وجل، وذلك بترك مراد العبد لمراد الربّ حتى لايبقى للعبد مراد غير مراد ربه عز وجل ومن هنا كان التواضع منزلة فوق منزلة التسليم والرضاء ، وهى آخر مراحل السائرين إلى الله تعالى لينزلوا برياض جنّة حبّه وفردوس رضاه .

وإليك ـ أخى الحـاج ـ صوراً للتـواضـع المطلوب فسرح النظر فيها واعمل الفكر فى إدراكها وتقديرها واحرص على تمثلها فى حياتك يوما بعد آخر حتى تكتسبها وتصبح من أهلها المتحلّين بها وذلك مارغبت فيه لك ولى معك .

● قال أنس بن مالك فى رواية البخارى « إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت » .

تأمـل فى هذا الخـبر الصحيح فإنك ترى صورة من التواضع معجبة ومدهشة أيضا إنك ترى أعظم الرجال وقد أنيطت به عظائم الأعمال وهو

قائم بها تعجز عنه الفئام من الناس . تأتيه الخادم التى لا يؤبه لها عادة ولا يلتفت إليهـا من دون السادة فتأخذ بيده وتسيره لحاجتها فلا يمنعه علو منصبه ولا كثرة مهامه من الانقياد لها حتى يقضى حاجتها هذا لعمر الله منتهى التـواضـع الرفيع يتجلى فى الخلق المحمدى تجلى الشمس فى كبد السماء ظهورا وسموًا وعلوًا .

● ولى الخليفـة مروان بن الحكم أبـا هريرة رضى الله عنه أمر المدينة النبوية فكان أبو هريرة والى المدينة المنورة يحمل حزمة الحطب على رأسه ويمـر بأسواق المدينة وهو يقول : أوسعوا لأمير المدينة أوسعوا !! فقل لى بربك أخى الحاج هل هناك تواضع أعظم من تواضع أمير يحمل الحطب على رأسه ويمر به فى الأسواق ؟ !

● روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج ينطفىء فقال الضيف : أقوم فأصلحه ؟ فقال عمر : لا ، ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه . فقال الضيف إذاً أنبه الغلام ، فقال عمر : لا إنها أول نومـة نامهـا فلا تنبهـه وذهب ومـلأ المصباح زيتاً ولما قال له الضيف : قمت بنفسـك يا أمـير المؤمنين ؟ أجابه قائلا ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شىء وخير الناس من كان عند الله متواضعا .

فانـظر أخى الحـاج ـ وأنت تطلب خلق التواضع لتتحلّى به وتكمل عليه ـ إلى خليفة المسلمين قاطبة يقوم بنفسه يصلح سراجه الذى يكتب عليه مهام الدولة ومتطلباتها ويقول ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعاً . وأخيراً فإليك نموذجاً حياً للتواضع فخذ نفسك به شيئا فشيئا فإنك تظفر به وتصبح إن شاء الله من أهلـــه :

روى أن أبا أسامة قال لأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم ؟ فقال يا ابن أخى كل لله ، واشرب لله والبس لله ، وكل شىءٍ دخله من ذلك زهوٌ أو مباهاة أو

رياء أو سمعة فهو معصية وَسَرَف .

وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ فى بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ويشترى الشىء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله فى طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح الغنى والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير وكبير وأسود وأحمر وحرّ وعبد من أهل الصلاة أى المؤمنين .

فاقتد أخى الحاج برسولك فى كمالاته الروحية فإنك تصبح وتمسى من سادات هذه البريّة .

الوصيّة السابعة : الصّدْق

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد فاعلم أخى الحاج بر الله حجك ـ أن الصدق الذى أوصيك به لتلتزمه فى حديثك وعملك وعزمك ووعدك وفى حالك كله هو الذى أوصى به رسول الله ﷺ أمته وأنت فرد من أفرادها إذ قال كما فى رواية مسلم : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وأن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » .

وعليه فبالتزامك الصدق أخى الحاج ـ وتحريك له فى قولك وعملك وإرادتك وحالك تفوز بخيرين عظيمين لم تكن لتحصل عليهما لولا التزامك الصدق ألا وهما :

الجنة دار الأبرار والتى ستنتقل إليها بعد انقضاء فترة إقامتك بذلك على سطح هذه الكرة الأرضية والخير الثانى أن يلمع اسمك فى سجل الأبرار الخالدين ومواكب النبيين . كما قال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ .

أخى الحاج إن للصدق لشأناً وإن للصادقين مقاماً عند الله عز وجل ولذا أوصيك به ولتتأكد من صحة ما ذكرت لك فاعلم أن الله تعالى قد أمر كل مؤمن ومؤمنة فى هذه الأمة المسلمة أن يكون مع الصادقين فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ . فلولا علو مقامهم وشرف منزلتهم وقربهم من ربهم تعالى لما أمر عز وجل بالكينونة معهم . وهل تدرى أخى الحاج من هم الصادقون الذين طلب الله تعالى منا أن نكون معهم ؟ إنهم رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعامة أصحاب رسول الله ﷺ إنهم أولئك الذين استجابوا لله لما طلب منهم

أرواحهم وأمـوالهم فأعطوا الله كل شىء ولم يبقوا لغير الله من شىء يوم نزل : ﴿ انفـروا خفـافـا وثقـالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ﴾ ففعلوا صادقين ومصدقين وخرجوا لقتال بنى الأصفر فى عقر دارهـــم .

وأسمع ثناء الله عليهم فى محكم كتابه وكريم قوله : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ وفى قوله : ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾ وقوله ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ فهل بعد هذا الثناء الإلهى على اهل الصدق من ثناء ؟ وهل بعد هذا الفضل والشرف لأهل الصدق من فضل أو شرف .

ولـذا أوصيتك أخى الحاج على علم بالصدق ليكون شعارك ودثارك ودرهمك ودينارك وقبل أن أعرفك بالصدق الموصى أقدم لك قطوفا يانعة من ثماره لتعظم رغبتـك فيه ويزداد شوقك إليـــه .

هل عرفت أن الصدق يورث راحة الضمير ويكسب طمأنينة النفس وهما من أعز المطلوب لدى عقلاء الناس ! إن الصدق يورث راحة الضمير ويكسب الطمأنينة وسل الصادقين يخبروك . وكيف وقد قال رسول الله ﷺ فى رواية الترمذى بسندها الصحيح : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » .

وهل عرفت : أن الصدق يجلب البركة للرزق ، والربح فى التجارة وأنه ما من احد إلا ويطلب ذلك فى رزقه وتجارته وأن طريق ذلك هو الصدق واسمع رسول الله ﷺ يخبربـذلك فى قوله فى روايـة البخـارى « البيعان [البائع والمشترى] بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما » للتاجر فى تجارته والمشترى فى رزقه .

هل عرفت ان الصدق فى سؤال الله تعالى الشهادة يبلغ سائلها منازل الشهداء ولومات حتف أنفه وكيف لا وهذا رسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة بقـولـه فى رواية مسلم « من سأل الله الشهـادة بصـدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » .

هل عرفت أن الصدق ينجى من المكروه وإن شارفه العبد وكاد يقع فيه حتى سار بين الناس مثلا الصدق منجاه .

حكى عن بعض الصالحين أن هارباً دخل عليه خائفا مذعورا وهو يقول امنعنى عن طالبى ياشيخ أمنعنى عن طالبى ياشيخ أخفنى عن طالبى يا شيخ فقال له العبد الصالح نم هنا فنام امامه وطرح على حزما من الحطب فأخفاه بها وفجأه دخل طالبوه قائلين هل دخل عليك رجل هارب اين هو فقال العبد الصالح هو ذا تحت الحطب .

فظن الطالبون أنه يسخر منهم فخرجوا وتركوه فنجا الهارب ببركة الصدق من العبد الصالح وأخرى وهى ان الحجاج بن يوسف خطب يوما فأطال الخطبة فقال له رجل : الصلاة : فان الوقت لا ينتظرك والرب لايعذرك فأمر الحجاج بحبسه فجاء أهله وقالوا له ان الرجل مجنون فأطلقه . فقال الحجاج إن أقر بالجنون أطلقته فجىء بالرجل وسأله هل أنت مجنون ؟ فقال الرجل : لا أنه لايسوغ لى ان أجحد نعمة الله التى أنعم بها علّى وأثبت لنفسى صفة الجنون التى نزهها اللّه عنها ولأن الحجاج صدقة فقد خلى سبيله !!! وعليه فراحة الضمير وطمأنينة النفس والبركة فى الرزق والربح فى التجارة وبلوغ منازل الشهداء بدون استشهاد والنجاة من المكاره كل هذه من ثمار الصدق يجنيها الصادقون .

والآن أعرفك بالصدق أخى الحاج كما واعدتك :

١ - الصدق فى القول هو إذا حدثت مخبراً أو آمراً أو ناهياً فلا تخبر ولا تأمر ولاتنه بغير الواقع والحق الثابت حتى ولو كنت تمزح فلا تحدث إلا بالحق ومتى التزمت هذا فى قولك وحديثك فأنت صادق .

٢ - الصدق فى العمل والمعاملة وهو أن لا تعمل أى عمل إلا وأنت تريد فائدة منه تجلب خيرا لك أو لغيرك أو دفع شر عنك أو عن غيرك وإذا عاملت أحداً بأى نوع من المعاملات التى تجرى عادة بين الناس فاخل معاملتك من الغش والخداع والتدليس والتزوير والغرر فإن فعلت فإنك

صـــادق .

٣ ـ الصدق فى الوعد وهو أن تصدق فى وعدك متى وعدت أحداً من الناس قريبا أو بعيداً غنيا أو فقيراً مؤمناً أو كافراً فتنجز له ما وعدته ولو كلّف ذلك ما كلفك ومتى أصبحت تنجز وعدك ولا تخلف موعدك فأنت صادق .

٤ ـ الصدق فى الحال وهو أن تلزم نفسك أن لا تظهر فى غير المظهر الذى وضعك الله تعالى فيه فلا تتظاهر بالعلم وانت غير عالم ولا بالتقوى وأنت من غير أهلها ولا بفضل لم يكن لك ولا بعمل صالح لم تعملـــــه وذلك قول الرسول ﷺ فى رواية مسلم المتشبع بمالم يعط كلابس ثوبى زور .

وأخيرا فهذه وصيتى إليك فالزمها وإذا فتح الله عليك فيها وأصبحت صادقا ثم صديقا فادع الله لى بالمغفرة والرحمة وجزاك الله خيراً .

الوصيّــــة الثامنــة : العـدل

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فاعلم أخى الحاج إن سابع وصاياى إليك هى الوصية بالعدل وإنها لمن أعظم الوصايا وأجلها قدراً وأعظمها شأنا وحسبك أن الله تعالى أمر بها فى قوله تعالى : ﴿ ان الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى ﴾ . ووصى به فى جملة وصايا عشر فى القرآن والكتاب الأول قال تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ وطلبه رسول الله ﷺ فى دعائه المأثور : « اللهم إنى أسالك العدل فى الرضا والغضب » .

ولذا أوصيتك به ملحًّا عليك فيه ليكون خُلُقا من أخلاقك وصفة من صفاتك فتعدل فى حكمك وولايتك وفى قولك إذا قلت وعملك إذا عملت فتضع كل شىء فى موضعه وبذلك تتذوق طعم الحكمة وتكون من أهلها فإن الحكمة الإصابة والسداد فى الأمر كله بإعطاء كل ذى حق مستحقه ووضع كل شىء فى موضعه اللائق بـــــه .

ومما يساعد على اكتساب هذا الخلق الفاضل الكريم مراقبتك لله تعالى والحلم والأناة فراقب الله تعالى بحيث لا يصدر عنك قول ولا فعل إلا بعد أن تنظر هل هو من رضا الله تعالى أو من سخطه أى هل هذا القول الذى أردت أن تقول أو الفعل الذى أردت ان تفعل أذن الله تعالى فيه وأباحه أم لا يأذن فيه ولم يبحـــــه .

فإن وجدت الإذن قلت أو فعلت وإلا كففت وتركت . وبذلك تسلم أحكامك وأقوالك وأفعالك كلها من الخطأ والفساد . وهى منزلة من أشرف المنازل يغتبط عليها صاحبها فى الدنيا والآخرة فاجتهد أخى الحاج فى تحصيل هذا الكمال بالتزامك العدل فى قولك وعملك وحكمك وما ولاك

الله من شىء وجعلك القائم عليه .

واذكر وصية الله بالعدل وأمره به فى قوله : ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ وفى قوله ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ واذكر قول الرسول ﷺ فى بيان فضل أهل العدل وما لهم من كرامة عند الله تعالى فى مثل قوله : فى رواية مسلم « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا » وفى قوله : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » وذكر منهم « الإمام العادل » بل قدمه فى الذكر لأهميته إذ قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه مُعَلَّق فى المسجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

فإنك بذكرك ـ أخى الحاج ـ هذه الفضائل لأهل العدل ساعدك ذلك على أن تعدل وتتحرى العدل حتى يكون العدل سجية من سجاياك وتفوز به وبما أعد الله لأهله من كرامة يوم القيامة .

وأخيرا اسمح لى أن أكرر لك القول ببيان بعض مواطن العدل لتكون منها على علم فتعدل فيها ولا تحيف ولا تظلم . وهى :

١ ـ إعطاء الله تعالى حقه كاملا فى العبادة فلا تشرك معه فى عبادته أحداً كائنا من كان إذ من أعظم أنواع الظلم المنافى للعدل أن يشرك العبد فى عبادة الله أحداً إذ العبادة استحقها الله تعالى بخلقه الإنسان ورزقه وتربيته وإكماله إياه وغير الله تعالى لم يخلق ولم يرزق ولم يرب ولم يكمل فبأى حق يعطى من عبادة الله شيئا ؟؟

ولعلك لا تعرف كيف يكون الشرك فى العبادة فأبيِّن لك ذلك إنه بدعاء غير الله تعالى فمن دعا غير الله تعالى فقال يافلان أعطنى كذا فقد أشرك من دعاه فى عبادة الله تعالى التى هى الدعاء لقول الرسول ﷺ « الدعاء هو العبادة » ومن نذر لغير الله فقال : يا سيدى فلان إذا تم لى كذا أو تحقق لى كذا أفعل لك كذا وكذا فقد أشرك ؛ لأن النذر عبادة لا تنبغى إلا لله فمن نذر لغير الله فقد أشرك فى عبادة الله غير الله . ومن ذبح لغير الله ذبيحة فى مولده أو موسمه يتقرب بها إليه فقد أشرك فى هذه العبادة غير الله ؛ لأن ذبح القربان عبادة لا تكون إلا لله تعالى لقوله عز وجل ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ أى لربك .

٢ ـ العدل بين الزوجتين أو الزوجات فى الفراش والكساء والغذاء وحتى فى الكلام والسلام .

٣ ـ العدل بين الأولاد فى كل شىء لقول الرسول ﷺ « سووا بين أولادكم فى العطية » فلا تفضل ولداً على ولد فى أى شىء تعطيه لهم بل اعدل بينهم فى ذلك .

٤ ـ العدل فى القول وذلك بأن لا تقول إلا الحق ولا تشهد إلا بالحق فإن الكذب كشهادة الزور كل ذلك منافٍ للعدل مباين له .

٥ ـ إذا وليت أمراً أو حكمت فى شىء فاعدل فى حكمك وقسمتك وسوّ بين الناس بإعطاء كل ذى حق حقه بلا زيادة ولا نقصان .

هذه أخى الحاج مواطن العدل قد وقفت بك عليها فالزم العدل فيها وفى غيرها تكمل وتسعد فى الدنيا والآخرة .

الوصيّـــة التاسعـة : الإحســان

بسم الله ، والحمـد لله ، والصـلاة والسلام على رسول الله . وبعد فالإحسان أخى الحاج الوصية به وصية بكل خير وصلاح فى هذه الحياة : فقـد أمـر به الله تعـالى فى كتابه العزيز بقوله : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنـين ﴾ وقـولـه ﴿ إن الله يأمـر بالعـدل والإحسـان ﴾ وقـولـه : ﴿ وبـالـوالـدين إحسـانا ﴾ . وقوله : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ . وقوله ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ﴾ . والله تعالى لا يأمر إلا بما فيه خير الإنسان وصلاحه ، كما لا ينهى تعالى إلا عما فيه ضرر الإنسان فى الدنيا وخسرانه فى الآخرة ومما يدل على أهمية الإحسان وخطره كونه ضرورياً لكل قول وعمل فلا يستقيم قول ولا عمل إلا عليه ويشهد لذلك قول الرسول ﷺ فى رواية مسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحتـه . » .

وأدل من كل ذلـك على عظم شأن الإحسان وخطره أنه ثُلُثُ الدين الإسلامى كما جاء ذلك فى حديث جبريل عليه السلام فى رواية مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ جاء فيه « أن جبريل عليه السلام سأل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ، فلما انصرف قال النبى ﷺ هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » فجعل الثلاثة ديناً .

أخى الحاج : إذا عرفت قيمة الإحسان وأن الوصية به من خير الوصايا وأنفعها فاعرف ماهو الإحسان حتى يمكنك أن تحسن ؛ فإن من لم يعرف الشىء لا يمكنـه أن يفعله أو يقـوم به . ولـذا تعـين أن أبينّ لك ماهو الإحســان قبـل أن أذكـر لك مواطنه التى يتجلى فيها فالإحسان : ضد الإساءة . كما أنْ الحسن ضد القبح . وعليه فالاحسان قول الحسن

والجميل وفعلهما ، ومواطن الإحسان هو القول والعمل . أما الإحسان فى القول فيكون بصدق الحديث ، واختيار الكلمات الطيبة ، وانتقاء الألفاظ الحسنة التى لا أذية فيها ولا قبح ، ويكون مع سائر الناس بلا فرق بين إنسان وآخر لقوله تعالى ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ . وعليه فليكن منطقك خالياً من ألفاظ الهجاء والبذاء ، والسب والشتم واللعن والطعن والفحش والقبح . والتزم هذا فى حال الرضا والغضب والراحة والتعب والمسالمة والشغب .

وأما الإحسان فى الفعل فيكون فى الصحبة والعشرة والمعاملة بما تحب أن تصحب به وتعاشر وتعامل من الاحترام والرفق والمساعدة ، والمودة والجميل والإنصاف ، فإذا كانت مصاحبتك ومعاشرتك ومعاملتك قائمة على هذه المبادىء الخيرية الكريمة من الاحترام والرفق ، والمودة والمساعدة والإنصاف والجميل فأنت محسن داخل فى عداد من يحبهم الله تعالى من أهل الإحسان لما علمت من أن الله تعالى يحب المحسنين ، كما صرح بذلك القرآن الكريم فى آيات كثيرة تقدم بعضها فى أول حديثنا هذا على الوصية بالإحسان .

ويكون ـ أى الإحسان ـ فى العمل بإتقان العمل وتجو يده وتحسينه بحيث لا يداخله نقص ولا غش ولا قبح ولا شين . وسواء كان العمل عبادة أوعادة ، فأداء فريضة كطبخ عصيدة ، فالصلاة إن لم يحسن أداؤها بطلت على صاحبها وقد يأثم فيها ، والعصيدة إن لم يحسن طبخها فسد طعمها وقد يهلك بها آكلها . واعلم أخى الحاج أن الإحسان بالمعنى الذى عرفت لايتأتى للعبد القيام به ولا الالتزام بمبدئه إلا على أساس مراقبة الله تعالى. فإن من راقب الله تعالى فى قوله وعمله بمعنى الا يقول ولا يعمل إلا بعد أن يعلم حكم الله تعالى فيما يريد أن يقول أو يعمل ثم يراقبه تعالى فى إحسان قوله وعمله فيلتزم بمبدأ الإحسان الذى كتبه الله تعالى على كل

شىء وفى كل شىء فيحسن فى قوله بالتزام الصدق والحسن والجمال فيه ، ويحسن فى عمله باتقانه وتجويده مبعداً له عن الغش والخداع ، والتمويه والإفساد . وبذلك تكون أقواله وأعماله كلها صالحة نافعة له ولغيره من سائر الناس .

ومبدأ المراقبة الذى ذكرت لك بأن الإحسان لايتم إلا على أساسه قد جاءت به السنة الصحيحة ففى حديث جبريل الذى تقدم جاء فيه : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فجبريل عليه السلام سأل عن الإحسان قائلا أخبرنى عن الإحسان فأجابه النبى ﷺ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . فكان السؤال عن الإحسان وكان الجواب عما يتم به الإحسان إذ هو المهم . فأخبره أن الإحسان الذى هو تحسين الأقوال والأعمال والنيات والإرادات وإصلاحها لتكون متميزة نافعة يكون بالوقوف بإحدى مرتبتين أعلاهما أن يعمل المرء بقلبه أو لسانه أو جوارحه كأنه يرى الله تعالى وادناهما أن يعمل العبد مايعمل بقلبه أو لسانه أو جوارحه وكأنه ينظر إليه الله تعالى ومن عمل بهذا الشعور من نظر الله تعالى إليه أو نظر العبد إلى الرب جاءت نياته وأقواله وأعماله صالحة خالية من كل نقص يفسدها أو يخل بها . وبذلك تزكى نفسه وتطهر روحه ومتى زكت نفس العبد وطهرت روحه أحبه الله تعالى لأن الله يحب المطهرين كما يحب المحسنين .

الوصية العاشرة : السلام .

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد : فإن الوصية بالسلام قد تبدو لك ـ أخى الحاج ـ أنها وصية شىء غير ذى جدوى أو شىء لايستلزم التوصية ، لأن الوصية عادة تكون بالأمور التى يتطلب القيام بها جهداً ممن يقوم بها وينفذها . أما السلام فليس مما يكلف صاحبه مشقة فيحتاج إلى التوصية به مساعدة له على القيام به . هذا الذى يبدو لأول وهلة غير أن الحقيقة خلاف ذلك وهى أن السلام لذوشأن وخطر كبير وحسبه أن يكون مفتاح دار السلام وتحية أهل الإسلام ونصف نعيم دار السلام وهاك بيان ذلك .

أخرج مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ قال « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم . . افشوا السلام بينكم » .

فانظر كيف علق ﷺ دخول الجنة وهى دار السعادة الحقيقية على الإيمان ثم علق حصول الإيمان المنجى من النار والموجب للجنة على التحابب بين المؤمنين ، وعلق حصول التحابب على إفشاء السلام ، لأن المراد من الإيمان ما كان تصديقا بالقلب وقولا باللسان وعملا بالأركان وهذا لا يتم إلا بالتعاون بين المؤمنين من طريق التواصى بالحق والتواصى بالصبر أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا التعاون لا يأتى إلا مع حب المؤمن للمؤمن ، أما مع التباغض والتعادى فهيهات هيهات أن يكون أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، والطريق إلى تحصيل الحب هو إفشاء السلام فمتى أفشت الجماعة المؤمنة السلام بينها كان التحاب واذا حصل التحاب حصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومتى حصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثبت الإيمان وصح وكان إيمانا منجيا مسعداً وبهذا كان

السلام مفتاح السعادة أما كون السلام تحية **أهل الإسلام فإن الله تعالى أمر به في قوله « وإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم »** وقال « **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** » فأوجب رد السلام على من سلم وأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : « **افشوا السلام بينكم** » **وفي قوله « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير »** وقال في بيان أفضل الأعمال : « **وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » ولهذا كان السلام الموصى به تحية **أهل الإسلام** .

وأما كونه نصف نعيم دار السلام فلأن النعيم في الجنة نوعان : جثماني ، وروحاني فالنعيم الجثماني هو لذيذ المطاعم والمشارب ، وفاخر الملابس ورفيع الأسرة والتمتع بالعُرب الأتراب والنعيم الروحاني هو بعد النظر إلى وجه الله الكريم تحية الله والملائكة عليهم قال تعالى « **سلام قولا من رب رحيم** » وقال « **تحيتهم فيها سلام** » . وبهذا كان السلام نصف نعيم دار السلام .

أخي الحاج قد عرفت عظم شأن السلام الذي أوصيك به فالتزم به فسلم على من عرفت وعلى من لم تعرف فما قابلك أحد من المسلمين الا بادرته بالسلام وإذا بادرك أحد بالسلام فرد عليه بأحسن ماسلم به عليك أي بزيادة ورحمة الله وبركاته لقوله تعالى : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

أخي الحاج افش السلام فإن السلام يورث الحب ويورث التعاون ، وبالتعاون يتحقق الايمان المورث لدار السلام .

وأخيرا أزودك ببعض الأحكام والفوائد المتعلقة بالسلام الذي هو آخر وصاياي اليك في موسم هذه السنة المباركة حيث قدر لنا اللقاء معك .

١ ـ البدء بالسلام سنة والرد واجب .

٢ ـ يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد والقليل على الكثير .

٣ ـ السلام سنة كفائية والرد واجب كفائى بمعنى أنه إذا سلم أحد من جماعة أجزأ عنهم إذا رد واحد من جماعة كفاهم ذلك .

٤ ـ يستحب السلام على الأطفال إذا كان النبى ﷺ يسلم على الأطفال .

٥ ـ لا يسلم على المرأة الاجنبية إلا اذا كانت متجلاة أى قاعد عن الحيض والنفاس لكبر سنها . وذلك خشية الفتنة .

٦ ـ يسلم الإمام اذا خرج على الناس قبل أن يجلس على المنبر .

٧ ـ تسلم على أهل بيتك إذا دخلت عليهـــم .

٨ ـ قل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اذا لم يكن بالبيت أحد .

٩ ـ أجـر كلمـة « السلام عليكم » عشر حسنات وكذا « ورحمة الله وبركاته » على كل جملة عشر حسنات فالمجموع ثلاثون حسنة فلذا كان ابن عمر رضى الله عنهما يخرج السوق ولا يشترى شيئا فيقول له مولاه لم تخرج الى السوق وتعود ولا تشترى شيئا فيقول له إنما نخرج لنسلم على الناس .

١٠ ـ سلم على الرسول ﷺ عند دخولك المسجد بأن تقول بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وكذا عند خروجك الا انك تقول وافتح لى ابواب فضلك بدل رحمتك هذا ولا تنس من قدم لك هذه الوصايا العشر بترحمك عليه واستغفارك له فإنك ترحم ويغفر لك والســـلام .

فهرســــت عشر وصايــا

قدمت لوفــود الحجاج

الرسالــــة الثانية عشـــر
السنة الوحى الثانى
محاضرة القيت بمنى على وفود بيت الله الحجاج

المحمودُ الله جل جلاله ، والمصَلى والمسلم عليه محمد عبده ورسوله ، والمرضىٌّ عنهم صحابتــه وآلــــــه .

وبعـد ـ أيها الإخوة المسلمون ـ أحييكم بأطيب تحية فأسلم عليكم وأهنئكم بمقامكم هذا ـ وأحمد الله تعالى اليكم على ما أنعم به عليكم من نعمة الإسلام وكفى بها نعمة . هــــذا

وأقول معتذراً إليكم فى أن أحاضركم فى موضوع كهذا : وهو السنة الوحى الثانى ، إذ ما كان يخطر ببال أحدنا أنه سيكون بين المسلمين من يذكر السنة النبوية بغير الاحترام والإجلال والإكبــار .

وإذا بنا نُفاجأ اليوم بنابتةِ سوء حديثة الأسنان ، سفيهة الأحلام رقيقة الدين ، قليلة الإيمان والإسلام ، عديمة الحياء والإحسان ترفع عقيرتها ، وبأعلى صوتها بالطعن فى السنة ، والتجافى عنها ، والتطاول على مقامها فآلم ذلك المصلحين ، وتوجعوا ، ولم يجدوا بداً من تجلية الموقف أمام أمة الإسلام ؛ لتحذر الطاعنين فى دينها والمشككين فى سبيلها الذى هو سبيل المؤمنيـــن .

ونلعن كل من أرادها بسوء أو أحدث فيها فتنة عمياء كهذه وهى الطعن فى السنة والتطاول على الكتاب ومن نزل عليه الكتاب .

أيها المسلمون : إن السنة معناها :

أقوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تلك الأقوال التى تحمل الأمرَ والنهىَ والـترغيبَ بالوعد الصادق ، والترهيب بالوعيد الشديد كما تحمل

التقنين والتشريع لكل ما يتوقف عليه إكمالُ المسلمين وسعادتهم في الحياتين الدنيا والآخـــرة .

وأفعالُه صلى الله عليه وسلم التى هى مظاهر دين الله تعالى ، والتى لا يستثنى منها إلا ما كان جِبليًّا . أمَّا ما عدا الأفعال الجبليّة فإنها شرع الله تعالى المتضمن محابه تعالى ومكارهه . فكل فعلٍ قام به الرسول صلى الله عليه وسلم تديّنا وتعبدا مما قل ، أو أكثر هو السنة وإن لم يأمر بفعله بلسانه .

وتقـــريره : صلى الله عليه وسلم لكل ما قيل أمامه . أو فعل بين يديه ، أو بلغـه من أحد أو عن أحد من أصحابه فسكت عنه وأقرَّه بأن لم يرده بعبـارة ، أو بإشارة فتلك من السنة النبوية ، وهذه مناشئها أقوال النبى وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلـــم .

وبهذه السنة ـ أيها المسلمون ـ تثبُتُ العقائدُ وتتقرر الأحكام ، فكم من معتقد ثبت بالسنة فأقره الكتاب وكم من واجب أو حرام جاءت به السنة ولم ينفه الكتاب . فمن جاءنا يهون من شأن السنة أو يقلل من أثرها فى حياتنـا فلنعلم أنـه يريد إغـواءنا وإضلالنا فلنتبرأ منه ونهجره . ومن سمعتمـوه أيهـا المسلمـون يطعن فى السنـة فاعلمـوا أنه يطعن أيضاً فى الكتاب ، ومن طعن فى السنة والكتاب وجب لعنه وتعين رَجْمُه فإنه من الكافــــــرين .

أيها المسلمون إن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمره ونهيه دين تعبدنا الله تعالى به قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ . وقال عز وجل ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ . وواعد بعظيم الثواب على طاعته ، وأليم العذاب على معصيته قال جل جلاله : « **ومن يطع الله والـرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** » . وقال : « **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** » . فإذا طرحنا السنة وأسقطناها فقولوا لى :

كيف نطيع الرسول ، وفى أى شىء نطيعه وقد أعلمنا ربنا تعالى أن فى طاعته وطاعة رسوله السعادة والنجاة وفى معصيته ومعصية رسوله الشقاء والهلاك ؟؟؟

إن من أمحل المحال وأشده أن يطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بغير سنته المتضمنة للعقائد والآداب والأخلاق والعبادات والمعاملات .

فسبحان الله . ماذا يريد منا دعاة الفتنة وهم المشككون فى صحة السنة وحجيتها ، والطاعنون فى حفظتها ، وكمال وُعاتها كأبى هريرة من الأصحاب والبخارى من الأنجاب .

أيريدون منا أن نفرق بين الله ورسوله فنؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، فيصدق علينا ما نعاه ربنا تعالى على غيرنا فى قوله : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذابا مُهينا ﴾ .

إن التفرقة بين الكتاب والسنة ـ أيها المسلمون ـ هى عين التفرقة بين الله ورسوله وأن الطعن فى الكتاب بدعوى أن هناك كلمات لا حاجة إليها كما قال بعضهم فى كلمة « قل » فى مثل ﴿ قل هو الله ﴾ ﴿ وقل يا أيها الناس ﴾ ، لا معنى لها اليوم ولا حاجة إلى قراءتها ضمن خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ هذا الطعن فى الكتاب كالطعن فى السنة بدعوى عدم صحتها وتناقضها كلاهما كفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن قبول بعض الأحكام الشرعية لموافقتها المصلحة الشخصية ولما فى النفس من هوى ، وترك البعض لمعارضته للهوى النفسى أو لعدم وجود مصلحة شخصية تطلب من ورائه هو نفس الإيمان بالبعض والكفر بالبعض ، واتخاذ سبيل جائرة غير سبيل المؤمنين . والله تعالى يقول : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ .

أيها الإخوة المسلمون : إن السنة وحى كالكتاب واسمعوا قول الرسول ﷺ فى ذلك ، روى أبو داود فى سننه عن المقدام بن معد يكرب أن النبى ﷺ قال : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لايحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كلّ ذى ناب من السبع ولا لُقطة مُعَاهِدٍ إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقرُوه ، فإن لم يَقْرُوه فله أن يُعقبهم بمثل قِراه » .

والشاهد من هذا الحديث الشريف فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » فإن المراد من قوله ومثله معه السنة النبوية فأثبت ﷺ وحيا له غير القرآن الكريم وهو السنة فلذا كان هذا الحديث دليلاً قاطعاً ونصا صريحاً فى أن السنة الصحيحة وهى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته متلقاة بالوحى تلقّاها النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه كما تلقى القرآن الكريم سواء بسواء فمن أراد أن يفرق بين الكتاب والسنة فيما يحملان من الشرع والهدى إنما أراد أن يفرق بين الله ورسوله ؛ ليتخذ بين ذلك سبيلا للشر والفساد والغواية والإضلال .

أيها المسلمون اسمعوا الرسول ﷺ وهو يهدد الذين يرفضون العمل بالسنة ويندد بمسلكهم الشائن المنحرف فيقول : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أُمرت به ، أو نُهيتُ عنه ، فيقول : لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » . ومفهوم قوله هذا إن مالم يجده فى الكتاب وإن صحت به السنة لا يلتزم به ولا يتبعه ، وهو عين الكفر والضلال الذى هدد المصطفى ﷺ صاحبها بقوله « لا ألفين » إن مفهوم الكلام أن من وجده كذلك سوف يتخذ حياله ما يلزم من الجزاء والعقاب .

وهل يُصدق امرؤ يزعم العمل بالكتاب دون السنة أنه يعمل بالكتاب صدقا وحقاً ، لا ، والله ، إنه ماحملهم على ترك العمل بالسنة إلا إرادة ترك العمل بالكتاب . إن مثلهم كمثل من تطلب منه صدقة والمال بين يديه فيقول هذا مال يتامى . . وإلا فهل العمل بالسنة غير العمل بالكتاب ، والله تعالى يقول : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .

هذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يلقى رجلاً محرماً وعليه ثيابه فيقول له : انزع عنك هذا : فيقول الرجل أتقرأ علّى بهذا آية من كتاب الله تعالى ؟ فقال عبد الله رضى الله عنه : نعم ، ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . وحَدَّث مرة رضى الله عنه فقال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » فبلغ ذلك امراة من بنى أسد يقال لها : أم يعقوب . فجاءت ابن مسعود وقالت : بلغنى أنك تلعن كيت وكيت ، فقال : ومالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله . فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول . فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه . أما قرأت : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) . قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه » .

إن هذه الآية أيها المسلمون وإن نزلت فى قسمة الغنائم . فإن جميع أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخلة فيها ، بهذا قال أولو العلم ، وحسبنا استدلال ابن مسعود صاحب رسول الله ﷺ بها على من أنكرت عليه لعن الواشمات والمستوشمات .

بل استدلال الرسول ﷺ نفسه بها على وجوب اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، فقد روى عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة أن النبى ﷺ قال : « إن هذا القرآن صعب مستصعب عسير على من تركه ، يسير على من اتبعه وطلبه ، وحديثى صعب مستصعب وهو الحكم ، فمن استمسك بحديثى وحفظه نجا مع القرآن ، ومن تهاون بالقرآن وحديثى خسر الدنيا

والآخرة . وأمرتم أن تأخذوا بقولى ، وتكتنفوا أمرى وتتبعوا سنتى ، فمن رضى بقولى ، فقد رضى بالقرآن ، ومن استهزأ بقولى فقد استهزأ بالقرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

وتأكيداً لهذه الحقيقة وتقريراً لها ، وهى أن السنة مع الكتاب والكتاب مع السنة لا يفترقان أبداً نورد على أسماع الإخوة المسلمين ماحدث به الفريابى إذ قال سمعت الشافعى رحمه الله يقول : سلونى عما شئتم أخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له : ما تقول أصلحك الله - فى المحرم يقتل الزنبور ؟ قال : فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . وقال : حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر » . وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر ابن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أمر بقتل الزنبور . قال القرطبى رحمه الله ، وقد أورد هذا فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ من سورة الحشر قال : قال علماؤنا هذا جواب فى غاية الحسن ؛ أفتى بجواز قتل الزنبور فى الإحرام ، وبين أنه يقتدى فيه بعمر رضى الله عنه وأن النبى ﷺ أمر بالاقتداء به ، وأن الله تعالى أمر بقبول ما يقوله الرسول ﷺ فجواز قتل الزنبور فى الإحرام مستنبط من الكتاب والسنة .

وإن من أبسط الأدلة : أيها المسلمون - على ضلال بل وكفر من يترك العمل بالسنة مستغنيا عنها فى زعمه بالكتاب الكريم أن يقال إن الله تعالى قد أمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فقال تعالى فى غير ما آية : ﴿ اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ .

فهل فى القرآن الكريم بيان شروط صحة الصلاة ، وبيان كيفية أدائها وعدد ركعاتها ، وهل فى القرآن بيان مواقيت إخراج الزكاة وبيان أنصبتها

ومقادير ما يخرج من الأموال . وهذا مجرد مثال ، وإلا فكل العبادات وسائر الشرائع الإلهية متوقفة على بيان السنة النبوية لها . فسبحان الله ! كيف يعبد الله امرؤ عبادة تصح له وتقبل منه ، وهو يطعن فى السنة أو يرفض العمل بها ؟

اللهم إن هذا عجب عجاب ، وأمر مستغرب ومستراب . إن كل عبادة مهما قلت مفتقرة فى بيانها إلى سنة رسول الله ﷺ القولية أو الفعلية . فكيف يصح الاستغناء عن السنة بالكتاب ؟

وبهذا يظهر جلياً ولا مجال للشك فيه أن من يطعن فى السنة أو يرى عدم العمل بها ، أو إسقاط الاحتجاج بها يعتبر زنديقا مارقا من الدين كافراً بالإسلام لا أخوة له ولا ولاية بين المسلمين . .

هذا وإتماماً للفائدة المقصودة من هذه المحاضرة أعود بالإخوة المستمعين إلى عنوان المحاضرة ـ السنة الوحى الثانى ـ فأشرح لهم معنى الوحى ووجه كون السنة منه وفى المرتبة الثانية له فأقول : إن الوحى لغة هو الإعلام السريع الخفى الخاص بمن يوجه إليه دون غيره فيفهمه من الموحى به دون سواه ممن لايراد إعلامهم . ويكون بالإشارة ببعض الجوارح كالعين أو اليد مثلاً ، ومنه قول الله تعالى عن عبده ورسوله زكريا «فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » فإن زكريا عليه السلام لما طلب الآية على حمل امرأته بيحيى وكانت عاقراً لا تلد ، وزكريا قدبلغ من الكبر عتياً أى سنا لا ينجب من فى مثلها أعطى على ذلك آية أى علامة وهى عدم قدرته على الكلام لمدة ثلاثة أيام فلا يتكلم إلا بالرمز والإشارة قال تعالى فى الحديث عنه :
﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴾ . و
﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً *
فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾
والشاهد فى قوله ﴿ فأوحى إليهم ﴾ أى أشار إليهم آمراً إياهم بتسبيح الله

تعالى بكرة وعشيا .

وقد يكون الوحى بالإلهام الغريزى كما فى قوله تعالى ﴿ واوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ، ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ الآية . فإيحاء الله تعالى إلى النحل إلهامه إياه هذا السلوك المعين لفائدة الإنسان ليذكر الله تعالى ويشكره .

ويكون الوحى بالإلقاء فى روع الإنسان من الخاطر الصادق الذى يجزم معه أنه الحق فيعمل بمقتضاه كما كان لأم موسى عليه السلام ، فقد ألقى فى روعها أن ترضع ولدها فإذا خافت عليه ألقته فى اليم . ففعلت بمقتضى هذا الإيحاء كما أدركته وأنه الحق من الله تعالى .

ومن هذا النوع من الوحى ما يلقيه شيطان الجن إلى وليه من الإنس كما قال تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ ، وقال : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ . . .

ومما أوحت به شياطين الجن قولهم لمشركى قريش : قولوا لمحمد والمؤمنين : كيف تحرمون الميتة التى قتلها الله ، وتحلون ما تقتلونه أنتم بأيديكم . هكذا أوحى شياطين الجن إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوا المؤمنين .

هذا هو مدلول كلمة الوحى فى عرف اللغة أما وحى الله تعالى ، وهو ما يوحى به إلى من يصطفى من الناس كالأنبياء والمرسلين من سائر الشرائع والأحكام ، وأنباء الغيب فطرقه التى يتم بها نزوله حسبما ذكر الله تعالى فى كتابه من سورة الشورى ثلاث طرق لا رابع لها وهى :

١ ـ الوحى بمعنى الإيحاء المصدر لا الوحى بمعنى المفعول أى الموحى به : وهو أن يلقى الملك فى قلب النبى وروعه ما يشاء الله تعالى من أمر أو نهى أو خبر غيب أو شهادة ، ويشهد لهذا الطريق من الوحى قوله تعالى ، ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون

من المنـذرين ﴾ وحـديث البخارى وفيه : « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس فيفصم عنى وقد وعيت » وحديث ابن حبان : « إن روح القدس نفث فى روعى إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ، فاتقـوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته » .

٢ ـ والـطريق الثـانى من طرق الـوحى الإلهى أن يكلم الله تعـالى الرسول من وراء حجاب فيسمع الكلام ولا يرى الذات العلية ، كمن يسمع متكلما وراء جدار ونحوه ، فإنه يسمع كلامه ولا يرى ذاته . وقد تم هذا التكليم الإلهى من وراء حجاب لاثنين من أولى العزم من الرسل ، وهما موسى عليه السلام وتم له ذلك بجانب الطور من سينا كما قال تعالى ﴿ فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أنْ ياموسى إنى أنا الله رب العالمين ﴾ ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتم له هذا التكليم فى الملكوت الأعلى ليلة الإسراء والمعراج فقد قربه ربه تعالى وأدناه حتى بلغ مستوى سمع فيه صرير الأقلام ، وثَمَّ كلمه ربه وفرض عليه الصلوات الخمس فكان يسمع كلام ربه ولا يرى ذاته المقدسة . ولما سئـل ﷺ عن رؤيتـه لربـه قال : نور أنـى أراه .

٣ ـ والثالث : أن ينزل الملك الموكل بالوحى متمثلا فى صورة رجل من بنى آدم كما كان جبريل عليه السلام يأتى رسول الله ﷺ أحياناً فى صورة دُحية بن خليفة الكلبى وكان رجلا وسيما حسن الطلعة جميل المنظر كامل الخَلْق والخُلُق فيتمثـل جبريل به فيأتى فى صورتـه فيراه الحـاضرون ولا يعرفون أنه جبريل حتى إذا انصرف وغاب عنهم أعلمهم رسول الله ﷺ أنه جبريل كما جاء ذلك فى حديث مسلم وفيه « سأل النبى ﷺ عن الإيمان والإسـلام والإحسـان وعن الساعة وأماراتها . . ولما انصرف وطلبوه فلم يعثروا عليه أخبرهم النبى ﷺ أنه جبريل أتاهم يعلمهم أمر دينهـم » .

وهذا الطريق من طرق الوحى الثلاثة أيسرها على النبى ﷺ ؛ إذ لا يجد

فيه آية صعوبة فى الفهم عن الملك وهو فى صورة بشر وإنما يعانى شدة فيما إذا كان الملك فى صورته الملائكية الروحانية ؛ لأن سنة الله تعالى فى التفاهم أن يكون المتخاطبان متجانسين كإنسان مع إنسان أو حيوان مع حيوان من جنسه . أما إذا اختلف الجنسان فيتعذر التفاهم بينهما .

ومن هنا كان النبى ﷺ إذا أتاه الملك فى صورته الروحانية يعانى شدة حتى أن جبينه ليتفصد عرقا فى الليلة الباردة ؛ لأنه يكاد ينسلخ من بشريته ليكـون روحـانياً محضـا حتى يصل له الفهم والتلقى عن الروحانى من الملائكـــة وقد أكدت هذه الحقيقة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها إذ قالت : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينـه ليتفصد عرقا » وفسرها ابن خلدون بقوله : إنها حالة انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملكية الروحانيـــــة .

وهذه الطرق الثلاثة التى عرضنا لها أيها الإخوة المستمعون جاءت فى قول الله تعـالى من سورة الشورى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ، أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء انه عليم حكيـــم ﴾ .

ومن هنا أجمع المسلمون أن من السنة ما هو وحى بالأصالة ينزل بأحد الطرق الثلاثة التى ذكر تعالى فى آية الشورى ومن ذلك قوله ﷺ فى رواية ابن حبـان : « إن روح القـدس نفث فى روعى » الحـديث وهـو شاهد للطريق الأول ، وشـاهـد الثـانى تكليم الله تعالى لرسوله محمد ﷺ فى الملكـوت الأعـلى ، وفرض الصلوات الخمس عليه وعلى أمته . وشاهد الثالث رواية البخارى وفيها أنه ﷺ لما خرج حاجاً من المدينة . أنه لما كان بوادى العقيق نزل عليه جبريل وقال له : إن ربك يقرئك السلام ، ويقول لك إنك بالوادى المبارك فقل عمرة فى حجـــة » .

ومن السنـة ماهـو من الوحى وهو الفهم يفهمه رسول الله ﷺ من كتاب ربه تعالى وذلك كسائر أقضيته ﷺ فى الأموال والدماء والحدود ، كما قال

الإمام الشافعى رحمه الله تعالى وقرره ولهذا تقرر عند أهل السنة والجماعة أن كل ما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه عزَّ وجلَّ يستحيل فيه الكذب أو النقص أو الزيادة ، كما يستحيل فيه التناقض أو التدافع والتضارب ، وأن الإيمان به واجب ، والعمل به لازم . كما أن رده فسق ، وإنكاره والتكذيب به كفــر .

أمـا ما كان عن اجتهـاد من رسول الله ﷺ فى شئون السياسة والمال والاقتصـاد أو الحرب والسلم ، فإن ما كان منه موافقاً لرضى الله تعالى حاملا لهداية الخلق وإصلاحهم أقره الله تعالى عليه ، ويصبح بذلك شرعاً ودينا يجب العمل به ويحرم تركه والإعراض عنه . وما كان غير موافق لرضا الله فلا هو يحمل هدى ولا إصلاحاً للناس ، فإن الوحى ينزل بإبطاله ، وعدم إقرار الرسول عليه ، فلذا لم يقر الله تعالى رسوله ﷺ على غير صواب قط وهذا وإن كان نادر الوجود جداً فإن النبى ﷺ قد نبّه عليه فى قضية عدم تأبير النخل بقوله : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . فقد روى مسلم ابن الحجاج فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « أن النبى ﷺ مرّ بقوم يلقحون فقال : لو لم تفعلوا لصلح . قال فخرج شيصا فمر بهم ، فقال ما لنخلكم ؟ قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم » وروى أيضا عن رافع بن خديج قال « قدم نبى الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل يقولون : يلقحون النخل ، فقال : ما تصنعون ؟ قالوا كنا نصنعه قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً ، فتركوه فنفضت أو فنقصَت . قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر » كما روى عن أبى طلحة رضى الله عنه حديثا كهذين وفيه : « ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإنى لن أكذب على الله عز وجــل » .

وخــلاصة القول أن ما أمر به الرسول ﷺ أو نهى عنه من أمر الدين والشرع فهو دين وشرع يجب الإيمان به والعمل بما يدل عليه ، لأنه قول

على الله تعالى والرسول لن يقول على الله غير الحق . وما كان من الدنيا ومصالحها المحضة فأهل الدنيا الممارسون لِسُنن الله تعالى فيها هم المرجع فى ذلك وليس الرسول ﷺ .

وما أظن أيها المستمعون أن هذا الاستطراد يضر بموضوع حديثنا فى تقرير أن السنة هى الوحى الثانى ؛ إذا المراد من السنة ما علمتم : وهى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته المتعلقة بالشرع والدين ، التى يكون فيها الرسول ﷺ مبلغاً عن الله تعالى . هذه السنة التى هى الوحى الثانى . وقولنا فيها الوحى الثانى غير ضار بها ولا حاط من مكانتها ؛ لأن المراد بالوحى الأول هو القرآن . والقرآن أولاً قطعا فقد كان الله ولا شىء معه ووجود الرسول ﷺ وعلمه وحكمته من عطايا الله عزَّ وجلَّ وهباته . فلا غرابة أن تكون السنة ثانية والقرآن أولاً وحتى فى باب الاستدلال والاحتجاج يراعى هذا الترتيب وحديث معاذ فى السنن شاهد هذا ودال عليه

فقد سأل النبى ﷺ معاذاً لما أراد أن يبعثه إلى اليمن والياً وقاضياً فقال : « بم تحكم يامعاذ ؟ فقال : بكتاب الله تعالى ، قال : فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله ﷺ ، قال فإن لم تجد فى سنة رسول الله ﷺ ؟ قال أجتهد رأيى ولو آلو . قال فضرب على صدرى وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول اللّه لما يرضى رسول اللّه » .

هذا وقد يكون من مقتضيات تقديم الكتاب الكريم على السنة الشريفة عند طلب الحكم أن القرآن الكريم يحفظه المرء على ظهر قلب ويحيط به علمًا ، أما السنة فكثيرة وحفّاظها قليل ، ومن حفظ منها شيئا غابت عنه منها أشياء لأنها كالشرح للكتاب والشرح أوسع من المتن ويحفظ المتن ولا يحفظ الشرح إلا نادراً كما هو معلوم لدى أولى العلم فالقاضى إذا عُرضت عليه المسألة أول ما ينظر فيه الكتاب فيستعرض بسرعة ذهنه القرآن من أوله

إلى آخره فإن وجد نص الحكم حكم به ، وإلا طلب الحكم من السنة . وهذا أمر يكاد يكون بدهياً . والمقصود من هذا أن كون السنة الوحى الثانى غير نازل بها عن سمو مكانتها ، ولا هابط بها عن درجتها العظيمة التى وضعها الله تعالى فيها بقوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله . « فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

وختاما أنبه أيها الأخوة المسلمون إلى أن السنة التى هى الوحى الثانى تَلَقياً وقبولاً واحتراما وقداسة هى ما كانت صحيحة السند إلى رسول الله ﷺ ؛ إذ ما كل ما نسب إلى الرسول ﷺ من قول أو عمل أو تقرير قد صحت نسبته إليه ﷺ .

فالحديث إذا كان موضوعاً أو منكراً وجب إسقاطه وتعريته من النسبة إلى الرسول ﷺ وحُرم العملُ به بل روايته والتحديث به إلا للإعلان عن بطلانه والتحذير من الاغترار به أما ما كان من السنة ضعيف النسبة إلى النبى ﷺ غير ثابتها بقطع وإنما باحتمال قوى أو ضعيف فإن رأيى فيه وهو رأى خاص بى لا أحمل عليه أحداً ولا أدعو إليه أحداً أيضا فهو أن ينُظر فيه من جهة دلالته ومعناه بعد النظر فيه من جهة سنده وألفاظه فإن وجد أنه يعارض نصاً صريحاً من كتاب أو سنة صحيحة وجب تركه وحُرِم العمل به واعتباره باطلا غير صحيح وإن وجد غير معارض لكتاب ولا لسنة ولا إجماع الأمة وكان يدعو إلى الإيمان أو تقويته أو إلى البر والتقوى ولزومهما فإن رأيى فيه اعتباره والانتفاع به وعدم إهداره أو إهماله ووجهة نظرى هذه مستندها ما يلى :

١ - إحتمال صحة نسبته إلى النبى ﷺ وهو احتمال فى الأحاديث الضعيفة غير المنكرة والباطلة لا يقل عن نسبة خمسين فى المائة إذ لا يستطيع محدث أن يحلف بالله تعالى على حديث ضعيف أن الرسول ﷺ لم يقله أو لم يقره . . . .

٢ - قول كثير من أهل العلم بجواز العمل بالحديث الضعيف فى

فضائل الأعمال . وهو قول راجـــح عند الأكثـــر .

٣ ـ قياسه على أحاديث بنى إسرائيل وقد جاء الإذن بالتحديث بها وهى محتملة وليست قطعية فيما تروى فيه لما صح عنه ﷺ من قوله : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » . مع قوله ﷺ « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقا لم تكذبوهم وأن كان باطلا لم تصدقوهم » .

والمراد من هذا جواز رواية بنى إسرائيل وهى لا تخلو من أن تكون موافقة لما عندنا أو مخالفةً أو لم تخالف ولم توافق فإن كانت مخالفة حرم القول بها وإن كانت موافقة فالعمل بما عندنا لا بها وأن لم تخالف ولم توافق فهذه التى تروى للاعتبار وهذا القدر هو الذى استشهدت به على جواز الاعتبار بالحديث النبوى الضعيف .

هذا هو رأيى فى هذه المسألة كما سمعتموه وقد لا يقبله أكثر المنتسبين إلى العلم بالسنة ولا تثريب عليهم فى عدم قبوله .

وإلى جانب هذا الرأى رأى لى آخر غير أنى أدعو إليه وأحث عليه بخلاف الرأى الأول . وهذا الرأى هو أن على طلبة العلم اليوم إذا عثر أحدهم على سنة من السنن النبوية فى مصادرها المحترمة كالصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات ولم ير المسلمين يعملون بها سلفهم وخلفهم سواء أن عليه أن لا يعمل بها ولا يدعو المسلمين إلى العمل بها حتى يتصل بعلماء الإسلام فى الشرق والغرب ويرويها لهم ذاكراً مصدرها مبيناً سندها طالباً بيان الحكم بها ويتلقى الإجابات ولمدة لا تقل عن ثلاث سنوات فإن قدر حقاً أن المسلمين نسوا هذه السنة أو جهلوها فلم يعملوا بها ووافقه عامة علماء المسلمين على العمل بها والدعوة إليها عَمِل بها وَدَعَا إلى العمل بها وجزاه الله خيرا وإلاّ فلا . . إبقاء على سلامة صدور المسلمين من الشك فى دينهم وسلفهم الصالح مع المحافظة على وحدة المسلمين أو على الأقل

عدم زيادة فرقتها واختلافها فى دينها وهى تعانى مُرّ العذاب من الفرقة والخلاف .

ورأى ثالث لى ولا أدعو إليه ولا ألوم من لا يأخذ به وهو أنى التزمت فى هذه الآونة الأخيرة أن لا أحمل مسلمًا على عزيمة ما دمت أجد له رخصة فى دين الله تعـالى وذلك لما أراه وألمسه من ضعف المسلمين وبعدهم عن هداية ربهم إلا من قل منهم ولا أعنى بالـرخصـة ما أنتحله أو أجهـد رأيى فى استنبـاطـه واستخراجه من نصوص الكتاب والسنة وإنما أعنى بالرخصة الرخصة الشرعية الثابتة بأحد الدليلين وقال بها علماء الإسلام وعملوا بها ولو بقلّة وعلى سبيل المثال يمنى خرج من اليمن يريد الحج فأحرم من يلملم ميقات أهلـه بعمرة فقضاها ثم سافر إلى زيارة المسجد النبوى فزار ثم أراد أن يحرم بالحج من ذى الحليفة ميقات أهل المدينة النبوية فسألنى قائلا فهل أنـا متمتع وعلى هدى التمتع ؟ أو انقطع تمتعى بالسفر إلى المدينة ؟ فنظراً إلى الخلاف فى هذه المسألة وهو خلاف بلغت الاراء فيه اربعة اراء وامثلها رأى من قال : إذا سافر المتمتع سفراً تقصر فيه الصلاة انقطع تمتعه وأصبح حكمه حكم الحاج المفرد ولا هدى عليه وما دمت أعلم أن التمتع الذى لايختلف فيه هو الذى يحرم بالعمرة فى أشهر الحج ويقيم بمكة حتى يحج من عامه وأن من قال ببقاء التمتع وحكمه ولو مع السفر لا حجة قوية معه ورأيت من يخالف هذا الرأى من علماء السلف والخلف .

فإنى لا أحمله على عزيمة الهدى ولكن على تركه لأنه أيسر له وأخف عليه وشأن الرخصة التيسير والتخفيف هذا مجرد مثال والله المستعان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــــه

الرســـالة الثالثه عشـــر
حرمة الابتداع فى الدين
وكل بــدعة ضلالــه

بســـــم الله الرحمن الرحيــم

المقدمـة

الحمـد لله رب العـالمـين ، والصـلاة والسـلام على نبينا محمد خاتم النبيين ، وإمـام المـرسلين ، وعـلى آله وصحابته أجمعين . وبعد : فإن الكلام على الابتداع والبدعة مما ينبغى الاهتمام به ، وتفهمـه ، ووعيــه ، وتبليغه أيضـــا .

وذلك لضرر الابتداع فى الدين ، وخطورة البدعة ، بين المسلمين . وإن مما يساعد على إدراك ضرر الابتداع ، وخطورة البدعة فهم الحقائق الثلاث التالية :

الاولى : أن العقل الإنسانى لا يستقل بمعرفة الحسن والقبح ، ولا بمعرفة ما يضر أو ينفع من سائر الأمور والأشياء ، وذلك لقصوره ، وعدم قدرته من جهة ، ولما ينازعه من هوى ، ويدافعه من غرائز وشهوات من جهة أخرى . . .

ومن هنـا كان لابـد لمعـرفـة المضـار والمنافع ، والمحاسن والقبائح ، والمفاسد والمصالح من الوحى الإلهى المنزَّه عن القصور والإغفال ، والجهل والنسيان .

إن العقل لقصوره ، وجهل صاحبه ، وظلمه ، ولما يحوطه من مؤثرات النفس والهوى ، لابد له من نور الوحى الإلهى ليبصر به الحقائق ، ويعرف الأشياء نافعها وضارها صالحها وفاسدها ، حسنها وقبيحها .

إن العقل الإنسانى بمثابة العين المبصرة إن كان هناك ضوء أو نور أبصرت الأشياء بحسب قوتها وضعفها وإن لم يكن هناك ضوء ولا نور تعذر عليها أن ترى أو تبصر كما هو معلوم لكل الناس ومشاهد بينهم .

فالعقل البشرى كذلك إن كان هناك وحى الهى من كتاب أو سنة أدرك الأشياء على حقيقتها ، وأبصر الأمور كما هى ، فعرف مضارها ومنافعها ، وصالحها وفاسدها ، وحسنها وقبيحها . وإذا انضاف الى ذلك العلم والإيمان كثر صواب صاحبه ، وقل خطؤه ، وأصبح يعيش على نور من ربه . بخلاف العقل الذى يحرم صاحبه نور الوحى الإلهى فلا ينظر فى كتاب ولا سنة ، ولا يتقيد بأمر ولا نهى فيها فان خطأه اكثر من صوابه ، وكيف ؟ وهو يعيش فى ظلمة الجهل والهوى فلا يخرج من ظلمة إلا إلى ظلمة أخرى ، ومن هنا فأنَّى لصاحبه أن يشرع أو يقنن ، أو يهدى الى صراط مستقيم ؟

والثانية : أن الله تعالى قد أكمل لهذه الأمة المسلمة دينها الذى هو مصدر سعادتها وكمالها ، ولم يحوجها الى طلب زيادة فيه بحال من الاحوال ، إذ قال تعالى « **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيتُ لكم الإسلام ديناً** » ، وما قبض نبيها محمد ﷺ حتى دلَّها على كل خير يمكنها أن تحصل عليه ، وحذرها من كل شر يمكن أن يقع لها ، أو تقع فيه .

وهذا ابو هريرة رضى الله عنه يصرح بهذه الحقيقة فيقول : (١) علمنا رسول الله كل شىء حتى الخراءة .

١ - رواه البخارى .

وهذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة وعالم المدينة رحمه الله تعالى يؤكدها بقوله : ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ديناً لم يكن اليوم دينا . ويقول : من ابتدع فى الإسلام بدعة فرآها حسنةً فقد زعم أن محمداً ﷺ قد خان الرسالة ، وذلك لأن الله تعالى قال : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** » .

الثالثة : أن شرع الله تعالى الموضوع لإكمال الإنسان وإسعاده قد وضعه الله تعالى وضع السنن التى لاتختلف نتائجها التى وضعت لها ومن أجلها فكما أن النار تحرق ، والحديد يقطع ، والطعام يشبع ، والماء يروى فكذلك ما شرعه الله تعالى من عبادات قلبية ، أو قولية ، أو فعلية إذا أداها المؤمن على الوجه المطلوب لأدائها فإنها لا تتخلف نتائجها من تزكية النفس وتهذيب الخلق ، وإصلاح الروح ، بخلاف ما يضعه الإنسان من قوانين ، أو يبتدعه من بدع فإنه لا ينتج ما وضع له . فما كان من بدعة دينية أريد بها تهذيب الخلق ، وتزكية النفس وإصلاح الروح فإنها لا تثمر شيئاً من ذلك بحال ، وما كان من قانون وضع لحفظ ضروريات الإنسان من جسم وعقل وعرض ومال ودين فإنه لايمكن أن يتحقق شىء من ذلك الا ماقلٍ وندر . وواقع الناس يشهد ، فإن البدع الدينية ما زادت أصحابها إلا خبثاً فى أرواحهم ، وظلمة فى نفوسهم ، وسوءاً فى أخلاقهم . كما أن ما وُضع من قوانين لحفظ الأموال والأنفس والأعراض وقد عمل به الناس وطبق فى بلادهم لم يحقق شيئا يذكر . فالدماء مسفوكة ، والاعراض منتهكة ، والاموال مسروقة منهوبة ، وفى كل بلد طبقت فيه تلك القوانين التى هى ليست من شرع الله تعالى بخلاف البلد الذى تطبق فيه شرائع الله تعالى ، وكفى بالبلاد السعودية شاهداً على صحة ذلك .

وعلى ضوء هذه الحقائق الثلاث ندرس البدعة وآثارها ، ونبدأ بتعريف البدعة فنقــول :

البدعة : لغة الاسم من بدع الشيء يبدعُه بَدْعاً إذا أحدثه فأتى به على غير مثال سابق . وابتدعه وأبدعه بمعنى واحد . واسم الفاعل من أبدع المبدع ، ومن ابتدع المبتدع . ومن أسماء الله تعالى الحسنى البديع ، ومعناه المبـدع للأشياء والأكـوان على غير مثـال سابق ، كما قال تعالى : بديع السمـوات والأرض ، والبديع أيضاً الذى ليس قبله شىء ، والله الأول الذى ليس قبله شىء ، ولذا لا يصح أن يسمى بالبديع غير الله تعالى ، والبِدْع : ما كان اولاً ولم يسبقه شىء كما قال تعـالى : « قل ماكنت بدعـا من الـرسـل » بل أرسل قبلى رسل كثيرون فلم تنكر رسالتى أو يتعجب منها؟

والبـديع علمٌ تعـرف به وجوه تحسين الكلام وهو أحد فنون البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديـــع .

هذا تعريف البدعة لغة أما فى الاصطلاح فإنها ما اخترع فى الدين على غير مثـال سابق وهى البدعة الحقيقية . أو هى ما أحدث فى الدين من طريقة تضاهى الشريعة بقصد التعبد والتقرب الى الله تعالى ولذا فالبدعة تقابل السنة غير ان السنة هدى والبدعة ضلال ، إذ السنة طريقة شرعية ثابتة بالوحي الإلهى ، والبدعة طريقة مخترعة لم يشهد لها كتاب ولا سنة ولا إجمـــاع .

حكـــــم الابتداع فى الدين

تلك كانت البـدعـة أما حكم الابتداع فى الدين فإنه محرم بالكتاب والسنة والإجماع ، لأن الابتداع تشريع يُضاهى به شرع الله عز وجل ، وهـو بهذا مشـاقـة لله ورسوله ومحادة لهما ، وكفى بالمرء إثما أن يشاق الله ورسوله ويحادهما ، ومن هنا ذُمت البدعة وندد بها وبفاعلها وحذرت الأمة من شرها وخطرها وسوء عاقبتها ، إن فى قول الله تعالى ، **شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم** تهديد ووعيد لكل من المبتدعة والعاملين بالبدعة كما هو دال على مدى إنكار الشارع للبدعة والعمـل بها . وفى حديث العـرباض بن سارية عند مسلم ما يكفى فى التنديد بالبدعة وذمها وتحريمها ، إذ جاء فيه قوله ﷺ : إياكم ومحدثات الأمـور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وفى افتتاحية خطب الرسول ﷺ : إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمـور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وهو ذم للبدعة وتحريم لها وتحذير منها وتنديد بهـــا .

إنكـــــار البدعـــة

لا شك أن إنكار البدعة واجب ، وأن العمل بها مردود ، ولنستمع إلى ما ورد فى ذلك من الأحاديث النبوية والآثار الحديثية . ففى صحيح مسلم يقول الرسول ﷺ : من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . ويقول من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ، فثبت بهذين الحديثين الصحيحين أن العمل بالمحدث فى الدين مردود والمردود باطل والباطل لا أجر فيه ولا مثوبة . وما كان كذلك وجب انكاره وعدم العمل به .

وها هو ذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ينصح لأمة الإسلام كل أمة الإسلام باتباع السنن وترك المحدثات من البدع فيقول : اتبعوا آثارنا ، ولا تبتدعوا فقد كفيتم . ويقول القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة .

يريد ان عملا قليلا من المسنون المشروع أفضل من كثير عمل مبتدع غير مشروع ولا مسنـون ، لأن المشروع يثـاب عليه فاعله ، الحسنـة بعشر أمثالها ، والمحدث المبتدع يرد على صاحبه فلا يؤجر عليه ولا يثاب به ، لأنه عمل غير صالح لا يزكى النفس ولا يطهر الروح .

وهذا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يضرب مثلاً عجيباً فى التحذير من البدعة : إذ اخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ، ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا : يا أبا عبد الله ما نرى بينهما من النور إلا قليلاً ، قال والذى نفسى بيده لتظهرنَّ البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور ، والله لتفشون البدع حتى إذا تُرِك منها شىء قالوا : تركت سنــة .

والحسن البصرى رحمه الله تعالى يذهب فى إنكار البدعة والتحذير منها ومن أصحـابهـا أبعـد المذاهب فيقول : لا تجالس صاحب البدعة فإنه يمرض قلبك ، وفى القرآن الكريم النهى الصريح عن مجالسة أهل البدع والأهواء . فمن سورة الانعام جاء قول الله تعالى : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضـون فى آيـاتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وإما ينسينَّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ فآيات الله شاملة لأسماء الله تعالى وصفاته وقدره وشرعه . وشر المبتدعة الملحدون فى أسماء الله تعالى وصفاته بالنفى والتعطيل ، والتشبيه والتمثيل ، ونفاةُ قدره والمكـذبـون ، والمعطلون لشرائعه ، المستخفون بطاعته وطاعة رسوله ، والمتزيدون فى دين الله المحدثون فيه ، فكل هؤلاء وهم شر المبتدعة تحرم مجالستهم والاجتماع . لغير ضرورة بهم ، إظهاراً للسخط عليهم ، وعدم الرضى بصنيعهم ، وحفاظاً على سلامة قلب المؤمن من التأثر ببدعتهم ، والوقوع فى فتنتهم وباطلهم ، والعياذ بالله من كل ذلـــك .

البدعـــــة نــوعان
حقيقية و إضافيـــــة

إن البدعة هى البدعة وسواء كانت إضافية أو حقيقية فالعمل بها باطل والدعوة إليها حرام ، وإنكارها واجب ، إذ كل منهما إحداث فى دين الله ، وزيادة فيه ، ومضـاهاة له ، وذلك محادة لله ورسوله ومشاقة لهما ولو بغير قصد ذلك وإرادته ، وهو من أكبر الذنوب وأعظـم الآثـام .

والمراد بالبدعة الحقيقية ما أُحدث فى الدين من غير استناد إلى أصل من أصول الدين أو فرع من فروعه أى من غير أن يدل عليها دليل شرعى من كتاب أو سنة أو اجماع . وإنما اخترعت اختراعا وأُلصقت بالدين لغرض تعلق لمبتدعها بذلك ، وسواء كان صحيحا أو فاسداً ، وذلك كالبناء على القبـور وإشـادة القبـاب عليهـا ، وكزخرفة المساجد ، وكوضع القوانين التشريعية فيما أنزل الله تعالى له الكتاب ، وبعث من أجله الرسول ﷺ فبينه بالقول والعمل ، كل هذا من البدع الحقيقية ، إذ لا مستند له من كتاب أو سنة أو إجماع ، بل جاء الشرع بتحريمه ومنعه ، والوعيد عليه ، فقد نهى رسول ﷺ عن البناء على القبور ، وأمر بهدم المبنى منها كما نهى عن زخرفة المساجد ، وحرم تعالى تعطيل أحكام شرعه ، وندد بمن شرع لعباده معرضاً عما شرعه الله تعالى لهم مضاهياً له فى شرعه ، إذ قال تعالى : **« شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم »** .

وأما البدعة الإضافية فهى ما أُحدث فى الدين مما له دليل من كتاب أو سنة أو إجماع استند عليه فى وجوده ولكنه بدعة باعتباره زيادة لم يشرعه الله ورسوله وذلك كالذكر جماعة بصوت واحد ، فإن ذكر الله تعالى مشروع بالكتـاب بقـول الله تعـالى **﴿ يا أيهـا الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً**

وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ والصورة التى يؤتى به عليها وهى الاجتماع والصوت الواحد محدثة ، إذ لم تكن هذه الصورة معروفة ولا معمولاً بها على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد أصحابه رضوان الله عليهم ، ولا على عهد التابعين رحمهم الله أجمعين . فكان الذكر الجماعى من البدع الإضافية التى لها وجهان وجه يلحقها بغير المحدثات ، ووجه يلحقها بها ويجعلها منها فيستلزم تركها ، وعدم العمل بها . والبدع الإضافية أكثر من البدع الحقيقية ، وإن كانت الحقيقية غير قليلة ، وتزيد بأن معظمها مكفر لصاحبه ، أو مفسق له والعياذ بالله تعالى .

البدع المكفرة

إن البدع المكفرة غالباً ما تكون فى أصول الدين من المعتقدات ، وأكثر ما تنشأ عنه الجهل بالدين واتباع الهوى ، والتقليد الأعمى ، وذلك كبدعة نفىْ القدر والتكذيب به ، والقول بالجبر ، ونفىْ صفات الخالق عز وجل ، وكتكفير بعض الصحابه أو الطعن فى عدالتهم ، وخاصة الشيخين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكاعتقاد أن الأولياء يتصرفون بعد موتهم فى أمور الناس بالإعطاء والمنع والضر والنفع وكاعتقاد أن الولى أفضل من النبى ، وأن من الأولياء كعبد القادر الجيلانى من إذا دعاه الداعى ورفع صوته باسمه سمعه وأجابه ، وقضى حاجته كأن يخلصه من شدة ، أو ينقذه من تهلكة .

وكاعتقاد أن فى القرآن تناقضاً ، أو أن عذاب القبر ونعيمه يحيلهما العقل ولا يقرهما إلى غير ذلك من البدع المكفرة التى أحدثت بعد عهد النبى ﷺ وعهد أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

البـــدعة المفسقـــة

تلك كانت البدعة المكفرة ، وأما البدع المفسقة فغالباً ما تكون فى فروع الـدين ، وقـد تكـون فى أصـوله والحامل عليها ما ذكرنا آنفاً من الجهل والتقليد واتباع الهوى ومن أمثلتها :

١ ـ رد الأحـاديث النبـوية الصحيحـة لمعـارضتها بعض ما يهوى ويشتهى صاحب الهـوى ، وهى من البـدع الحقيقية الخـطيرة ، **فقد** رد بعضهم حديث البخارى فى الذباب والذى نصه : إذا ولغ الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن فى أحد جناحيه داء ، وفى آخر شفاء ، وإنه ليتقى بجناحه الذى فيه الداء .

بدعوى أن فى هذا الحديث ما يدعو إلى القذارة ، أو يقرها وأن الرسول ﷺ جاء بالنظافة والدعوة إليهـــا .

٢ ـ تأويل بعض آيات القرآن بغير تأويلها لمنافاتها لما هم عليه من الصفــات ، أو لمعـارضتهـا لأغـراضهم ومشتهياتهم فيؤولـونها بما يلائم صفـاتهم ، ولا يتعارض مع أغراضهم وشهواتهم كتأويل بعضهم آية : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ الآيه ، بإبـاحة شرب الخمر . وكتأويل بعض غلاة الصوفية آية الأنعام : « **قل الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون** » بجواز الذكر باللفظ المفرد فى جين أن تأويل الآيات على ما أولـوها به باطل لم يرد على ألسنة أهل التفسير من الصحابة والتابعين وتابعيهم فضلاً أن يأتي به خبر صحيح عمن أنزل عليه الكتاب وأمر ببلاغه وبيانه ﷺ .

وكتأويل بعـضهم آية النور : « **وصديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو اشتاتا** » باسقاط الحجاب بين إخوان الطريقة لعظيم صداقتهم ، وثبوت أخوتهم فهم ينظر بعضهم إلى نساء بعض إسقاطاً للحجاب بينهم ، حتى إنهم ليأكل بعضهم مع بعض نساءً ورجالاً مستدلين على جواز ذلك بما

تأولوا به الآية المذكورة وهو تأويل باطل يرده الكتاب والسنة والاجماع .

هذه صور ونماذج للبدع المكفرة والمفسقة وهناك بدع لا تكفر ولا تفسق . وذلك أولاً أنها من البدع الإضافية لا الحقيقية ، وثانياً أنها تتعلق بفروع الدين لا أصوله ، وثالثاً أنها لا تحرم حلالاً ، ولا تحلل حراماً . ومن أمثلتها : الذكر والدعاء جماعة بعد الصلوات الخمس فى المساجد ، والتثويب فى الأذان بزيادة الصلاة والسلام عليك يارسول الله فى أذان الفجر وكزيادة أذان أو أكثر لصلاة الجمعة . وكقراءة القرآن جماعة بصوت واحد وهو ما يعرف بالحزب فى بلاد المغرب الأدنى والأقصى .

وكالاجتماع على المدائح النبوية إن خلت ألفاظها من الشرك ، وكالمصافحة بعد صلاة الجماعة حيث يصافح الرجل من عن يمينه ، ومن عن شماله بعد السلام مباشرة إلى غير ذلك من البدع الإضافية التى سنذكر طرفاً منها للتنبيه عنها والتحذير منها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

هذا ولا ينبغى أن يفهم القارىء أو السامع أن كون البدعة غير مكفرة أو مفسقة أنه يجوز العمل بها ويثاب فاعلها عليها لا سيما إذا انضاف إليها حسن القصد وسلامة النية لا ، لا أبداً فإن كل بدعة ضلالة كيفما كان حالها حقيقية أو إضافية أو مكفرة أو مفسقة ، أو لا مكفرة ولا مفسقة ، إذ البدعة افتيات على الشارع ، ومضاهاة لما شرع . ولازمها أنها اتهام للشارع بالنقص والتقصير . وهذا ما يجعلها محرمة ممنوعة لا يجوز العمل بها ولا يجوز إقرارها والسكوت عنها .

وكون البدعة مطلقاً ضلالة لأن العمل بها يشغل عن العمل بالسنة ، وهذا هو وجه إطلاق الرسول ﷺ لفظ الضلالة عليها فى قوله : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

ولما كان الضلال يتفاوت قرباً وبعداً كان بعض البدع كبيراً ، وبعضها صغيراً . وبعضها مكفراً ومفسقاً وبعضها لا يكفر فاعلها ولا يفسقه وهو البدع الصغيرة . وقد ذكر أهل العلم للبدعة الصغيرة شروطاً متى توفرت

فيها كانت صغيرة لا تكفر ولا تفسق من تلك الشروط .

١ - أن لا يداوم عليها فاعلها .

٢ - أن لا يدعو غيره إلى فعلها .

٣ - أن لايفعلها فى الأماكن التى هى مجتمعات للناس ولا فى المواضع التى تقام فيها السنن .

٤ - أن لا يحتقرها فاعلها ولا يستصغر شأنها . وبتأمل هذه الشروط يتبين كونها صغيرة غير كبيرة .

وجــوب محاربة البــدع

إن البدعة مهما صغرت يجب إنكارها والتحذير منها . كما يجب عدم العمل بها ، إن الرسول ﷺ لما أنكر البدعة وحذر منها لم يفرق بين أنواع البدع ، بل أطلق لفظ الضلال على كل بدعة ، فحرم لذلك العمل بالبدعة مطلقاً وتعين إنكارها ، وعدم العمل بها مهما صغرت . وكيف لا وقد ورد فى بعض روايات الحديث لفظ : « وكل ضلالة فى النار » ، ومعناه أن العمل بالبدعة يؤدى بصاحبه إلى دخول النار . ومن هنا وجب التنديد بالبدعة وتعينت محاربتها ، والأحاديث التالية والآثار تقرر ذلك وتؤكده :

١ - روى البخارى أن النبى ﷺ رأى رجلا قائما فى الشمس ، فقال ما هذا ؟ فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال ﷺ مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه .

ففى هذا الحديث صورة من صور محاربة البدعة ومقاومتها وعدم الرضى بها .

٢ - روى البخارى أيضا « أن ثلاثة رهط جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا :

أين نحن من النبى ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل ابداً ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج ابداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

٣ ـ موقف عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من البدعة حتى إنه لا يرى الحياة شيئاً لولا أنه يحيى فيها سنة قد أميتت ، أو يميت فيها بدعة قد أحدثت فقد روى عنه أنه قال فى بعض خطبه : أيها الناس إنى والله لولا أن أنعش سنة قد أميتت وأن أميت بدعة قد أحييت لكرهت أن أعيش فيكم فواقاً (١) .

٤ ـ ماروى عن يحيى بن أبى يحيى رحمه الله تعالى أنه قال الذب عن السنة أفضل الجهاد .

فلننظر إلى قول هذا الإمام السلفى رحمه الله تعالى كيف جعل الدفاع عن السنة ، وذلك بحرب البدعة وإماتتها من أفضل أنواع الجهاد .

بهذه الأحاديث والآثار يتقرر أن محاربة البدع من الواجبات الدينية التى لا ينبغى إهمالها والتساهل فيها .

---

(١) الفواق : قدر ما بين الحلبتين من الوقت .

اســـباب الابتــداع

إن معرفة أسباب الابتداع تساعد على محاربة البدعة والتخلص منها ، أو على الأقل تساعد على تقليلها والحد من انتشارها بين المسلمين . وهذه بعض تلك الأسباب .

١ ـ الجهـل بالسنن النبوية فإن من جهل سنن الهدى ضل ، ومن ضل ابتـــدع

٢ ـ : ترك العمل بالسنة فإن من ترك العمل بالبنة شغل بالبدعة كما قال تعـالى : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نُقيض له شيطاناً فهو له قرين ، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون »**

٣ ـ : الـرغبـة فى الـطاعـات وفى فعـل الخيرات فإن أكثر البدع الإضافية يحمل عليها الرغبة فى الطاعة والإكثار من الرغائب ، فإذا وجدت رغبة فى الصالحات ، ولم تكن لصاحبها بصيرة فى دين الله حملته تلك الرغبة على التزيد والابتداع فى الدين .

٤ ـ : الخوف من الله تعالى كما قيل الخوف سوط سائق ، والرجاء حادٍ قائـد (١) فشـدة الخوف تحمل صاحبها على الافراط فى الطاعة فعلاً للمحبوب وتركاً للمكروه فيحدث صاحبها بدعاً فعلية وأخرى تَركية كما مر آنفا مع أبى إسرائيل وكما قال الرهط الثلاثة الذين تقالوا عبادة رسول ﷺ فقد عزموا على الابتداع والرهبنة .

٥ ـ : الكيد للإسلام والمكر بالمسلمين فإن شر البدع كالتشيع لآل البيت . وكثير من الطرق الصوفية لم يحدثها أصحابها إلا لتحطيم الإسلام وضرب المسلمين .

٦ ـ طلب الحظوة لدى ذى السلطان فكم من بدعة أحدثت لطلب هذه الحـظوة . فقـد تؤولت آيات الكتاب لذلك ووضعت الأحاديث ،

(١) الحادى الذى يسوق الإبل ويتغنى لها .

وأبـدعت البـدع القبيحـة طلبـاً لرضى الحكـام حتى إن طالبى الحظوة ليحللون الحرام ويحرمون الحلال من أجل فوزهم بها لدى ذى السلطان الحاكم ، وما القول ببدعة خلق القرآن إلا مثالاً سيئا لذلك والعياذ بالله تعالى

٧ ـ طلب العلو والمحافظة على المنصب فكثيراً ما يجد الجاهل بالشرع نفسه شيخاً لطريقة أو إماما لجماعة فيحمله حب المنصب الذى وضع نفسه فيه بغير أهلية له على أن يبتدع الأوراد والأذكار والأدعية ، ويعطيها لمريديه وإخوان طريقته . فبهذه الأسباب وجدت بدع كثيرة قد لاتحصى ولا تعد كثرة ، وشرها ما يتعلق بالعقائد والعبادات .

٨ ـ وأخيراً اشتبـاه البـدعـة بالمصالح المرسلة وهذا سبب قوى فى إحداث البدع وانتشارها والعمل بها ، حيث اعتمد فى ذلك خبر ما رآه المسلمـون حسنـاً فهو حسن . وقول بعضهم : إن البدعة تجرى عليها الأحكـام الخمسـة ، ومعناه أن البدعة قد تكون واجبة أو مستحبة ، أو جائـزة ، أو مكـروهة أو حراماً ولذا وُجب التفريق بين البدعة والمصالح المرسلة كما وجبْ أن يبين ذلك للمسلمين ويعرفوا به حتى تزول الشبهة ويعرف الحق ، فيبطل الاحتجاج بالمصالح المرسلة على جواز البدعة فى الدين والابتداع فيـــــه .

المصالـــــح المرسلـــة

إن المصالح المرسلة ليست ابتداعاً فى الدين ولا تشريعاًزائداً عليه وإنما هى ثمرة قاعدة أصولية شرعية عرفها الفقهاء بقولهم : ﴿ ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب ﴾ ومثاله الطهارة واجبة لكل من الصلاة والطواف وهى أن الطهارة لا تتم إلا بالماء الطهور ، وطلب الماء الطهور وإحضاره ليس واجباً فى حد ذاته ولكن لما توقفت الطهارة الواجبة عليه صار واجباً . هذا مثال ، وآخر الجهاد واجب وهو لا يتم إلا بالسلاح فطلب السلاح بصنعه

أو شرائـه ليس واجبا ولكن لما توقف الجهاد الواجب عليه صار واجبا ، ومثال آخر إقامة الدين واجبة ، لقول الله تعالى : « **أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه** » ، ولما كان أمر الدين لا يقوم إلا بإمام واجب الطاعة وجب نصب الإمام ووجبت طاعته لإقامة الدين فنصب الإمام لم يكن واجباً فى حد ذاته ، ولكن لما توقف أمر إقامة الدين الواجبة عليه وجب لوجوبها .

هذه القاعدة هى التى أثمرت مبدأ المصالح المرسلة والأخذ بها لحفظ الضروريات الخمس التى هى الجسم والعقل والدين والعرض والمال ، من جهـة ولـرفـع الحـرج والمشقة على الجسم من جهة أخرى ، هذا ولنبين المصلحـة المرسلة ولنشرحها بما يزيل الشبه بينها وبين ما يسمونه بالبدعة الحسنة فنقول : إنه لابد لوجود الحكم فى أى شىء من معنى مناسب يُربط به الحكم . وهذا المعنى المناسب لا يخلو من أن يشهد الشارع بقبوله ، وذلك كمشروعية القصاص حفظاً للنفوس والأطراف فهذا لا إشكال فى صحتـــه واعتبــاره .

وإما أن يشهد الشارع برده وعدم اعتباره ، وذلك كمهر البغىِّ وحُلوان الكاهن فإن المعنى المناسب الذى يرتبط به حكم إباحة الزنى ، والتكهن وهو المنفعه المادية قد ألغاه الشارع ولم يعتبره ، إذ حرم الزنى والتكهن فهذا لا إشكال فى رده وعدم قبوله واعتباره بحال . وإما أن تسكت عنه شواهد الشرع فلم تشهد له بالغاء ولا اعتبار فهذا الذى يكون ميداناً للمصالح المرسلة (١) .

والمصالح جمع مصلحة وهى بمعنى المنفعة والفائدة يصلح بها أو عليها أمر العباد . والمرسلة : المطلقة التى لم يقيدها الشارع باعتبار ، أو إلغاء ، أى لم يعتبرها ولم يلغها ، إذ سكتت عنها نصوصه فلم يوجد لها دليل فى الشرع غير أنه يشترط لها مُلاءمتها لتصرفات الشارع بحيث يوجد للمعنى المناسب فى المصلحة المرسلة جنسٌ اعتبره الشارع فى الجملة من غير دليل معين وهو (الاستدلال المرســل) هذا وللمصلحة المرسلة أمثلة منهــا :

---

١ - راجـع الاعتصـام للشاطبـى .

أولاً : تضمـين الصنـاع ما ضاع عنـدهم من أمتعة الناس فإن هذا التضمين سكت عنه الشارع فلم تشهد له شواهده باعتبار ولا إلغاء بيد أن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم قضوا بتضمين الصناع حتى قال على رضى الله عنه : لا يصلح الناس إلا ذاك . ووجه المصلحة فيه كما قال الشاطبى رحمه الله تعالى : إن الناس لهم حاجة إلى الصناع . وهم يغيبون عن الامتعة فى غالب الأحوال . والأغلب عليهم ترك الحفظ ، فلو لم يثبت تضمينهم مع مسيس الحاجة إلى استعمالهم لأفضى ذلك إلى أحد أمرين إما ترك الاستصناع بالكلية وذلك شاق على الناس وإما أن يعملوا ولا يضمنون ذلك بدعواهم الهلاك والضياع فتضيع الأموال ، ويقل الاحتراز ، وتتطرق الخيانة ، فكانت المصلحة فى التضمين ، وهو معنى قول على رضى الله عنه : لايصلح الناس إلا ذاك .

ووجه الاستدلال بهذه القضية ان تضمين الصناع لم يره الشرع بإثباته وإيجابه ، ولا بإلغائه وعدم إعتباره ولما كان تضمين الصناع يحقق مصلحة عامة تزيد على مصلحتهم الخاصة أثبته الخلفاء ، وهذا التضمين ملائم لتصرفات الشارع فى تقديمه المصلحة العامة على الخاصة ، فقد نهى النبى ﷺ أن يبيع حاضر لبادٍ كما نهى عن تلقى الركبان ، وذلك كله من أجل ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الفردية الخاصـــة .

ثانيا : جمع المصحف الشريف وكتابته بعد ما كان مفرقاً غير مكتوب فى كتاب واحد فقد جُمع وكتب على عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، **وأجمع الصحابة على ذلك فجمعه وكتابته فى كتاب واحد بعدما كان مفرقا .**

سوراً وأحزاباً عند الصحابة من المصالح المرسلة ، إذ الشارع لم يأمر بجمعه وكتـابه ولا بعدم ذلك ، واقتضت مصلحة الأمة والدين كتابته وجمعه فى كتاب واحد ، فكتب وجمع ، وكان ذلك ملائماً لتصرفات الشارع فى الأمر بكتابة الديون حتى لا تضيع بإنكار أو نسيان ، فالمحافظة على كتاب الله

وهو مصدر كمال الأمة وسعادتها أولى بالجمع والكتابة حتى لايضيع بموت أو نسيان الحافظين من أفراد أمة الاسلام .

ثالثاً : ضرب المتهم عند من يرى ذلك من الفقهاء كمالك ومن وافقه من الأئمة رحمهم الله أجمعـــين .

رابعـاً : توظيف الإمـام على الأغنياء أى سن ضرائب مالية يدفعونها لحاجة بيت المال لذلك فيما إذا فرغ بيت المال وعجز عن سد حاجة الجهاد والدفاع عن الأمة وبلادها .

خامساً : العقوبة بالمال فيما لا حد فيه ولا نص عن الشارع فى تغريمه .

سادساً : أخذ الكفاية من المال الحرام إذا لم يوجد الحلال بالمرة .

سابعاً : قتل الجمـاعة بالواحد ؟

ثامناً : بيعة الإمام القاصر عن رتبة الاجتهاد والفتوى فى علوم الشرع إذا خلا الزمان ممن تتوفر فيه هذه الصفة ، وكذا الحال أيضاً فى تولية القضاء حيث يقـدم الأمثل فالأمثل ، ولا تترك الأمة فوضى فيكثر الشر وينتشر الفسـاد فى البلاد . فهذه الأمثلة كلها ذكرها الشاطبى بتفصيل ونضيف إليها مثلها وهى :

١ - اتخاذ المحاريب فى المساجد إذ لم يرد عن الشارع شاهـد باعتبارها أو إلغائها . فنظر السلف إلى أن ترك المسجد بلا علامة تدل على القبلة فيه يسبب حرجا للمصلين بحيث كلما دخل المسجد غريب يريد الصلاة سأل عن القبلة فرأوا أن المصلحة تقتضى وجود علامة فى المسجد تدل على القبلة فاتخذوا طاقاً فى جدار المسجد القبلى وسموه محراباً والملائم فى هذه المصلحة هو أن الشارع ورد بدفع المشقة ورفع الحرج .

٢ - بناء المنارات والمآذن العالية فى المسجد لتدل على المسجد وتسمع صوت المؤذن من مسافات بعيدة .

٣ - رفع المنابر وإعلاؤها بكثرة درجها بحسب حاجة الناس إلى سماع صوت الخطيب إذا خطب .

٤ ـ اتخاذ مكبرات الصوت العادية والآلية للخطباء والمدرسين والوعاظ المرشدين لمصلحة إسماع الناس ما هم فى حاجة إليه .

٥ ـ تدوين العلوم ووضع أصولها وقواعدها كعلم الحديث وأصوله ، والفقه وأصوله ، والنحو والصرف واللغة وما إلى ذلك من العلوم والمعارف .

٦ ـ اتخاذ الارحية الآلية لطحن الحب ، والمناخل لإزاله النخالة منه ، وأكله صافياً بعدما كان يؤكل بنخالته .

٧ ـ ركوب القطارات والسيارات والطائرات والسفن .

٨ ـ اتخاذ المطابع الآلية لطباعة الكتب ونشرها بسرعة وبكميات كافية .

فهذه كلها وغيرها كثير من المصالح المرسلة التى لم تشهدها شواهد الشرع « أى الكتاب والسنة والاجماع » بإلغاء أو اعتبار أى (بإيجاب أو منع) وهى ملائمة لتصرفات الشارع فى تقريره تقديم المنافع العامة على الخاصة ، ودفع الضرر بأخف الضررين ، وسد الذرائع ، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ وليس هى من باب الابتداع فى الدين فى شىء ، وإن احتج بها أصحاب البدع على إثبات بدعهم وترويجها بين المسلمين . ومع الأسف فقد وقع فى هذا الخطأ كثير من المسلمين فحسبوا أن البدعة كالمصلحة المرسلة ، وسبب وقوعهم فى هذا الخطأ هو جهلهم بمعنى البدعة والسنة وعدم التفرقة بينهما . ولذا تعين أن نكرر القول فى بيان كل من البدعة والسنة اعذارا وإنذاراً أو تذكيراً وتعليمًا فنقول : إن السنة ما شرعه رسول الله ﷺ بإذن ربه عز وجل من اعتقاد أو قول أو عمل بقوله ﷺ أو فعله أو تقرير لتزكية النفوس وتطهيرها وتهذيب الأخلاق وإصلاحها ليكمل الإنسان ويسعد فى روحه وبدنه دنيا وأخرى ، وذلك لما تحمله السنة وهى من الوحى الإلهى من قوة التأثير على النفس فى إصلاحها وتزكيتها .

أما البدعة فهى تشريع لم يأذن الله تعالى فيه : إذ هو من وضع الإنسان (غير النبي) واختراعه ضاهى به الشرع ، وقصد به التعبد والتقرب إلى الله تعالى للحصول على رضاه عز وجل وحسن مثوبته تعالى ، وهو لا يحقق شيئاً من ذلك لعدم صلاحيته وذلك لخلوه من مادة التزكية للنفس التى لاتوجد فى العبادة إلا إذا شرعها الله تعالى أو أذن بشرعها وسواء ما كان منها اعتقاداً أو قولاً أو عملاً ، ويشهد لهذا قوله ﷺ فى الصحيح : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنافهو رد »،ومعنى رد : مردود على صاحبه : لا يقبل منه ولا يثاب عليه لخلوه من قوة التأثير على النفس بالتزكية والتطهير تلك القوة التى لاتوجد فى العبادة إلا إذا كانت مما شرع الله تعالى لعباده .

ويقرر هذه الحقيقة ويؤكدها ما هو معلوم بالضرورة بين المسلمين من أن العبادة توصف بالصحة إذا استوفت شروطها ومقوماتها من أركان وواجبات وسنن وآداب وتوصف بالبطلان إذا لم تستوفها ، ومعنى صحتها : أنها تقبل ويثاب عليها فاعلها ، وذلك لما تحدثه فى النفس من التزكية والتطهير . ومعنى فسادها أنه لاختلالها لم تثمر المطلوب منها من التزكية للنفس والتطهير لها . فلذا هى لاتقبل ولا يثاب عليها فاعلها . وأمر آخر يجب إدراكه وتفهمه وهو أن العبادة سواء ثبتت بالكتاب أو السنة لا تثمر المطلوب منها من الحسنات إلا إذا أديت أداء صحيحاً يوافق أداء الرسول ﷺ لها وذلك بمراعات أربع حيثيات وهى الكمية والكيفية والزمان والمكان فمتى اختلت واحدة وصفت العبادة بالبطلان ولنضرب لذلك مثلا . الصلاة فإنها لو زيد فى عدد ركعاتها أو نقص منها من غير سهو أو نسيان بطلت ، وذلك لاختلال كميتها المقدرة لها ، كما أنها لو اختلت هيئة أدائها بأن قُدم فيها السجود على الركوع ، أو قراءة الفاتحة على تكبيرة الإحرام لبطلت كذلك ما لم يكن فى ذلك سهو ، كما ولو أنها أديت فى غير وقتها المعين لها ، أو فى غير المكان اللائق بها لبطلت كذلك .

وهذا رمضان لو قدم صومه أو أخر عن شهره المعين له بقول الله تعالى شهر رمضان . لما صح الصوم بحال . ومثله الحج لو وقف الحجاج بغير المكان المحدد له وهو عرفات ، وغير الزمان المعين للوقوف فيه وهو تاسع شهر الحجة لما صح أبداً ولو طاف الناس بغير الكعبة أو بين غير الصفا والمروة لما كفاهم ذلك ولما صح منهم أبـــــداً .

وبهذا يتبين أن الفرق بين السنة والبدعة يتمثل فيما يلى : السنة : شرع الله تعـالى الوارد على لسان رسوله محمد ﷺ . والبدعة : شرع الإنسان بتـزيين الشيطان . السنـة عبادة يراعى فى أدائها أن تكون موافقة لأداء رسول الله ﷺ لها من أجل أن تثمر الحسنات لتزكية النفس وتطهيرها . والبدعة : افتراء على الله ورسوله وافتيات فى الدين فلذا هى لا يعتمد فى أدائها كى تثمر الحسنات على كمية ولا كيفية ولا زمان ولا مكان . ونتاجها دائـماً ظلمـة السيئـات ، وتلويث النفس وتخبيثهـا . ولهـذا كانت السنة هدى ، والبدعة ضـــلالـــة .

صــــور من البدع كبيرها وصغيرها

ويحسن هنا ذكر طائفة من البدع تعليما بها ، وتحذيراً منها رجاء أن يتجنبها المسلم ويبتعد عنها .

(أ) البدع الواردة فى المعتقدات

١ ـ نفى القدر وإنكار علم الله تعالى بالجزئيات الكونية .

٢ ـ تأويل صفات الله تعالى وتعطيلها بإنكار معناها وعدم وصف الرحمن عز وجل بها وصفاً يليق بذاته جل وعلا .

٣ ـ إنكار عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين لصاحبه .

٤ ـ تكفير أصحاب رسول الله ﷺ والطعن فيهم وانتقاص بعضهم وذمهم .

٥ ـ اعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب ، وإن منهم من يفضل الأنبياء .

٦ ـ اعتقاد وجود ديوان للصالحين يجتمعون فيه لتقرير أحداث العالم ومجريات الحياة . بالإعطاء والمنع والتولية والعزل . وإلى غير ذلك من التصرف فى الكون .

٧ ـ اعتقاد أن أرواح الأولياء تتصرف بعد موتهم بعض التصرف بأن تقضى حاجة من زارهم فى قبورهم مستشفعاً متوسلاً بهم .

٨ ـ النذر للأولياء والذبح على أرواحهم عند أضرحتهم وقبورهم .

٩ ـ دعاء الأولياء والاستغاثة بهم ، والعكوف على قبورهم ونقل المرضى إليهم طلباً للشفاء لهم منهم وبواسطتهم .

فهذه تسع بدع فى الاعتقاد كلها مكفرة ومفسقة لصاحبها ، تجب التوبة الفورية منها ، ومن أصر عليها أو على واحدٍ منها ومات على ذلك فقد مات على الكفر والفسق والعياذ بالله تعالى .

١٠ ـ إقامة الموالد مطلقاً .

(ب) **البدع الواردة فى العبادات :**

« **فى الطهـــــارة** » .

١ ـ إنكار المسح على الخفين وهى بدعة مفسقة .

٢ ـ الاكتفاء بمسح الرجلين دون غسلهما مع عدم وجود خف أو أى ساتر لهما هذه بدعة مفسقة .

٣ ـ مسح الرقبة فى الوضوء .

٤ ـ الاسراف فى الماء .

٥ ـ الدعاء مع غسل كل عضو من أعضاء الوضوء .

٦ ـ استقبال القبلة بالوضوء وتحرى ذلك وقصده .

« **فى الصلاة** »

١ ـ عدم رفع اليدين حذو المنكبين عند تكبيرة الاحرام .

٢ ـ عدم الطمأنينة فى الركوع والسجود والقيام (بدعة مفسقة) .

٣ ـ الجهر بتكبير الانتقال والتسميع والتحميد لغير الإمام .

٤ ـ المصافحة بعد السلام من الصلاة .

٥ ـ الذكر والدعاء جماعة جهراً بعد الصلاة .

« **فى الجنائز** »

١ ـ وضـع الميت على الأرض واستشهاد الناس عليه بقول أحدهم ماذا تشهدون على أخيكم ؟

٢ ـ رفع الأصوات بلا إله الله محمد رسول الله عند حمل الجنازة وكذا كلمة « وحدوه » .

٣ ـ قراءة البردة أو الهمزية أمام الجنازة .

٤ ـ قراءة القرآن جماعة على الميت فى المقبرة .

٥ ـ قراءة القرآن فى منزل الميت واطعام الطعام وما يسمى بعشاء القبر ليلة الموت أو فى ثالث ليلة أو سابع ليلة أو ليلة الأربعين.

٦ ـ البنـاء على القبور ووضع صورة الميت عليه ، أو وضع الزهور فوقه (هذه بدعة مفسقة) .
٧ ـ سكتة حداد على أرواح الشهداء (هذه بدعة مفسقة) .
٨ ـ زيارة النساء للقبور وتجمعهن هنالك للبكاء والضحك والغيبة وعرض الزينة وحتى البيع والشراء (هذه بدعة مفسقة) .

(ج) البدع الوارده فى المعاملات :

« فى الحكم »

١ ـ وضع قانون للزجر فيما وضع له الشارع حداً من حدوده كحد القذف والزنى والسرقة ، وشرب الخمر والقتل (هذه بدعة مكفرة أو مفسقة) .
٢ ـ ترك جباية الزكاة ممن وجبت عليهم فى أموالهم من المسلمين (هذه بدعه مكفرة أو مفسقة) .
٣ ـ إدنـاء الفسـاق وإسنـاد مهـام الـدولـة إليهم ، وإبعاد أهل العدل والصلاح وإقصاؤهم عن شؤون الحكم « هذه بدعة مفسقة » .
٤ ـ تقضية المرأة وإسناد وظيفة إليها من شأنها أن تجعلها تختلط بالأجانب وتخلو بهم « هذه بدعة مفسقة » .
٥ ـ ضرب الضرائب الفادحة على المسلمين من غير ضرورة قصوى توجب ذلك « هذه بدعة مفسقة » .
٦ ـ مشاركة الدولة فى تركة الميت بأخذ نسبة معينة مع وجود ورثة من ذوى الفروض والعصبة « بدعة مفسقة » .

« فى التجارة »

١ بيع المحـرمـات كالصـور والتماثيل والمسكرات والمخدرات وملابس الخلاعة والشعور الصناعية « لبروك » (هذه بدعة مفسقه) .

٢ ـ بيع السلعة قبل تملكها بشراء ونحوه « بدعة مفسقة »
٣ ـ بيع العينة [1] « بدعة مفسقة »
٤ ـ بيع أوانى الفضة والذهب فى بلاد المسلمين للمسلمين

« فى المطاعم والمشارب والملابس »

١ ـ الأكل والشرب بالشمال .
٢ ـ الاتكاء فى الأكل .
٣ ـ تلوين الطعام والشراب والإكثار منه ومن وجباته .
٤ ـ أكل الرجال والنساء فى الشوارع والأسواق وهم يمشون .
٥ ـ الاختلاط فى الأكل والشرب نساء ورجالاً وليسوا بمحارم لبعضهم بعضاً .

« فى الملابس »

١ ـ لبس القبعة « البرنيطه » الخاصة بالكافرين هذه بدعة مفسقة إذا صاحبها الرغبة فى التشبه بالكفار ، والعياذ بالله تعالى .
٢ ـ لبس الرجال خواتم الذهب ، واتخاذ بعضهم سلسلة من ذهب فى عنقه تشبها بالمخنثين من اليهود والنصارى (هذه بدعة مفسقة) .
٣ ـ لبس المرأة الرقيق من الثياب الذى يصف أو يشف عن بشرتها لناظرها من غير محارمها .
٤ ـ كشف المرأة غير القاعد عن وجهها ومشيها فى الشوارع والطرقات والأسواق بين الرجال الأجانب (هذه بدعة مفسقة) .

---

(١) هو بيع السلعة دينا إلى أجل ثم شراؤها نقداً ممن باعها بأقل من ثمنها الذى باعها به .

٥ - لبس الرجال أو المرأة ما يختص به الكفار أو الفساق والفجار « بدعة مفسقة » .

هذه بعض البدع التى حضرتنى وأنا أعد هذه الكلمة عن البدعة وآثارها ، وغيرها كثير ، وفى مجالات أخرى غير ما ذكرت .

وألاحظ هنا أن بعضها مما ورد النص بالنهى عنه ، وذكرته مع البدع الحقيقية والإضافية وإن لم يكن بدعة حقيقية تنطبق عليه شروط البدعة ، لأنه لم يكن موجوداً أو شائعاً منتشراً فى صدر الأمة الصالح فأشبه المحدثات من البـدعـة المحـرمة والمردودة ، التى يجب التحذير منها بعد إنكارها ، والبعد عنهـا .

إذ المقصود من كتابة هذه الكلمة هو التعليم والتحذير والسؤال الآن : هو كيف الخـلاص من هذه البدع ، والمنكرات ، وما طريق النجاة من آثارها السيئة التى قعدت بالفرد والأمة عن الكمال والإسعاد حتى أصبح أكثر المسلمين يعيشون بغير هداية ، وكأنهم محرومون من التشريع الإلهى بالمرة ، والكتاب والسنة بين أيديهم ، حتى لقد صدق عليهم قول الشاعـــر :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

طريق الخلاص من البــدع

إن الطريق الوحيد للخلاص من البدع وآثارها السيئة هو الاعتصام بالكتـاب والسنـة اعتقـاداً وعلمًا وعمـلاً غير أن دون ذلـك من الحوائل المـانعـة ، والصعوبات المعترضة ما يجعل الاعتصام بالكتاب والسنة غير سهل ولا ميسور . ولطالما دعا العلماء إلى ذلك ، وصاح الوعاظ والمرشدون فى أمـة الإسـلام يطالبونها بالاعتصام بالكتاب والسنة لتخرج من محنتها وتنجو من هلكتها وفتنتها ، والأمة لاصقة فى أوحال المادة وأوضارها ثقيلة السمـع ، ضعيفة الرؤية قليلة التفكير ، بطيئة الحركة مثقلة بأوزارها ، مكبلة بعـاداتهـا ، مرهونة بذنوبها ، فأنى لها أن تنطلق وتفكر ، وتعتقد وتعلم فتخلص من وهدتها وتنجو من ورطتها ، ومما حل بهـــا ؟

وإن كان هناك سبيل لخلاصها فهو فى الاخذ بالخطة التالية لا غير .

والخطة هى : عبارة عن صدق فى الرغبة فى الخلاص والعزم على تحقيق ذلك ، أو بأى جهد كان ، أو ثمن كلف ثم الشروع فى العمل أن يجتمع أهل كل قرية أو حى فى مسجدهم الجامع الكبير الذى يتسع لكل أفرادهم رجالاً ونساء بعد صلاة المغرب من كل يوم وعلى طوال العام لايتخلف منهم احد إلا ذو عذر شرعى مقبول ، وذلك لتلقى العلم والمعرفة من الكتاب والسنـة والتطبيق العملى الصادق لكل ما يتعلمونه ويعرفونه من العقائد والعبادات والآداب والأخلاق .

هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن للمسلمين بواسطته أن يعتصموا بالكتاب والسنة . فينجوا من هلكتهم ويكملوا ويسعدوا فى الدنيا والآخرة .

اللهــم حقق لهم ذلك وأعنهم عليـه

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

حـرمة الابتـداع فى الديـن

الرسالة الرابعة عشـــر
اللقطات فيما ظهر للساعة من علامات

بســـم الله الرحمن الرحيــم

بين يدى الرسالتين :

إن الحمـد لله ، والاستعانة به ، والرهبة منه ، والرغبة إليه . أرسل رسـوله محمداً بالهدى ودين الحق وذلك بين يدى الساعة علّمه من علم الغيب ماأثبت به نبـوّتـه . وقرر به رسالته . فقامت له بذلك الحجّة ، وظهـرت به للنـاس المحجـة ، فمن سلكها اهتدى ، ومن تنكبها ضلّ وغوى ، والمهتَدِى لايضره من ضلّ ، والضال لاينفعه من اهتدى .

وبعـد : فإن ماحـدث من عجـائب الصنـائع والمخترعات فى القرن المنصرم الرابع عشر قد أحدث فى نفوس كثير من المؤمنين تساؤلات شتّى : هل كان رسول الله يعلم بهذه المخترعات العجيبة ؟ وهل أخبر أصحابه بشىء منها ؟ وهل الأصحاب رضى الله عنهم حدثوا بها أخبرهم بِهِ نبيُّهم ﷺ ؟ وكيف كان فَهْمُهمْ أو تصورهم لذلك ، وهو بالنسبة إليهم وإلى أهل زمانهم من مدركات ماوراء العقل ؟

وقد صح عن غير واحد منهم رضى الله عنهم أن النبى ﷺ اخبر فى عدة مجالس وفى مناسبات شتى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فقد روى مسلم وكذا الإمام أحمد عن أبى زيد الأنصارى رضى الله عنه أنه قال « صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت صلاة الظهر ، ثم نزل فصلى الظهر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت صلاة العصر ، ثم نزل فصلى العصر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا » .

كما روى البخارى رحمه الله تعالى وغير واحد من أصحاب السنن والمسانيد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال : « خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ماترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله إن كنت لأرى الشىء قد نسيته فأراه فأذكرهُ كما يذكُر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه » .

وكما روى أيضا أحمد فى المسند عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا بما يكون فى أمته إلى يوم القيامة ، وعاه من وعاه ونسيه من نسيه . حتى قال أبو ذر رضى الله عنه فى رواية أحمد رحمه الله « لقد تركنا رسول الله ﷺ ومايحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علمًا » .

هذا وما أخبر به الرسول ﷺ أصحابه من تلك الغيوب هو كائن لامحالة ، وهو فى جملته أشراط للساعة ، وعلامات على قرب مجيئها .

وهو نوعان : أخبارُ فتن ، وهذا النوع قد عُنى به رجالات السلف حفظا وإتقاناً ، وكتابة وتدويناً ، طلباً للوقاية من شر تلك الفتن الواقعة لا محالة .

ونوعُ أخبار عجائب تحدث فى الكون قبل قيام الساعة . وتكون آيات لها ، ودلائل على قرب مجيئها ، وهذا النوع هو الذى كان يتلقاه الرواة له

من سلف الأمة بمجرد الإيمان به ، والتسليم للرسول ﷺ فيما يخبر به ، لأنه كما قدمنا أشبه بما هو من وراء العقــل .

وكأنهم كانوا يقولون إزاءه : مثل هذا يُترك لزمانه الذى يظهر فيه ، ومن ثَمَّ فقط يعلم تأويله على حقيقته . ومن ذلك هذه العجائب من مخترعات التقنية الحـديثة التى أدهشت العقول ، وحيرت فهوم [1] الناس وأعيت أذهانهم ، إذ جُلها لو حُدث به أكثر الناس من عرب وعجم قبل وقوعه لأنكروه وكذبوا به ، وعَدُّوا و جودَه ضرباً من المحال الذى لايمكن أن يقع مثله فى هذا الوجود .

وإن كان المؤمنون يؤمنون بنظائره فى الدار الآخرة ، وذلك كالطيران فى الجنة ، ورؤية البعيد ، وسماع قولـه على بعد وبلا وساطة ، وكالاستنارة بلا نار ولا ضوء شمس ولا نور قمر أو كوكب ، وما إلى ذلك مما جاء فى الكتاب والسنة ذكره وبيانه من نعيم الجنة وعجيب ما فيها .

وهذا النوع الأخير هو الذى أردنا استعراض بعض الآثار الواردة فيه ، وذلك لغرضين :

الاول : التدليل به على صدق النبوّة المحمدية التى تردد غير المسلمين فى صحتها بل وكذبوا بها وأنكروها سفهاً وجهلاً فضلوا وشقــوا .

والثانى : بيان أن النبى ﷺ قد حدث بها فعلاً وأخبر أصحابه بوقوعها ولكن بعبارات وإشارات بعضها قريبُ جداً من صورة المخبر به ، وبعضها بعيد شيئاً مَّا ، ولكنه ينطبق على المخبر به كما هو ، غير أن الفهم الحقيقى لما أخبر به ﷺ من تلك المخترعات العجيبة لا يُفهَمُ على حقيقته إلا عند ظهوره فى وقته المحدد له . وعلى سبيل المثال إخباره ﷺ فى حديث أحمد عن السيارات فى الوقت الذى لم تكن فى العالم سيارة قط ، ولم يكن للناس من المراكب البريّة سوى الخيل والبغال والحمير أو العربة يجرها حصان أو بغل أو حمار . فى ذلك الوقت يقول ﷺ : سيكون من أمتى رجال يركبون

---

(١) الفهوم جمع فهم وهو إدراك الشىء وتصوره .

على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت [1] العجاف ، إلعنوهن فإنهن ملعونات .

فقوله ﷺ يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد . كان عند الإخبار به إشارة إلى مركوب سيحدث فعلا فى آخر الزمان . غير أن تصوره فضلا عن إدراكه كان من الصعوبة بمكان . فآمن من سمعه ، ولم يهتم به لعدم الفائدة من البحث عن حقيقته ، فترك للزمان يكشف عن كنهه ، ويظهر حقيقته ، ومضت القرون فظهرت السيارة مقاعدها تشبه سروج الخيل حقاً ، وهيكل بنائها يشبه رحال الإبل وهى الهوادج توضع على ظهور الإبل يركب عليها النساء لأنها ساترة ومريحة . وزاد الأمر وضوحا قوله ﷺ ينزلون بها على أبواب المساجد ، وذلك لنظافتها وعدم تلوث ساحات المساجد بها بخلاف البهائم فإنها تروث وتبول ، فلم يكونوا يدنونها من المساجد ، وإنما يربطونها بالاصطبلات بعيداً عن ساحات المساجد وأبوابها .

ففى هذا الحديث إخبار بمركوب لم يكن فكان ، وإنه وإن كان داخلاً فى قول الله تعالى : ﴿ **ويخلق ما لا تعلمون** ﴾ بعد قوله عز وجل : ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة** ﴾ فإن الحديث قد صور هذا المركوب المجهول لنا بصورة انطبقت تماما على السيارات ، فكان ذلك عَلَمًا من أعلام النبوة المحمدية وشرطا من **أشراط الساعة** .

هذا وسنستعرض ما يمكننا من المخترعات الحديثة ، فنذكر كل مخترع على حِدَةٍ ونذكر دليله من الحديث النبوى الشريف مبينين وجه الاستدلال به على المخترع المعروف أمامنا من كثير من المخترعات الحديثة التى بهرت عقول الناس . وهذا أوان ذكر ذلك فبسم الله نقول :

---

(١) البخت نوع من أنواع الإبل .

المذياع (الراديـــو) :

إن المذياع وهو آلة إذاعة الأخبار والأحاديث وبثها ونشرها فى الآفاق البعيدة وهو بلغة الفرنجة (الراديو) يعتبر من مخترعات العصر الحاضر إذ لم يتجاوز عمره الآن الثمانية العقود أى ثمانين سنة . وهو عند التأمل أعجوبة من الأعاجيب إذ ما كان يعقل عند كل البشر أن المرء يتكلم أو يتحدث فى مكان ما وينتقل صوته المحدود إلى بلاد بعيدة كل البعد ، وديار مختلفة كل الاختلاف ، وإلى أماكن خفيّة كل الخفـــاء .

فالمذيع يذيع من عاصمة الانكليز (لندن) من محطة معيّنة فيذيع صوته وينتشر حتى يبلغ شمال أفريقيا وغربها وشرقها ووسط آسيا وغربها وشرق أوروبا وغربها على حد سواء ويدخل الصوت كل بيت ويُسمع فى كل حجرة مهما خفيت وضاقت أو اتسعت ، متى وجدت آلة التقاط الصوت وهى . المذياع (الراديو) إن هذا لحق معجب ومدهش وما كان الحديث عنه يستساغ أو يقبل بحال . ولو أخبر به إنسان غير الرسول صلى الله عليه وسلم الواجب تصديقه لما وجد من يصدقه فى دنيا الناس ابداً .

والسؤال الآن هو : هَل أخبر الرسول ﷺ بما يدل على هذه الآلة وأنها ستوجد فى آخر الزمان ، وقد عَلِمْنا أنه ﷺ قد حدث أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ؟ .

والجـواب : نعم أشـار إلى ذلـك إشارة واضحة فى رواية الدارمى التالية . وبالتأمل يرى القارىء أنها إشارة أفصح من عبارة فى دلالتها على آلة المذياع العجيبة . أخرج الدارمى فى مسنده وأبو نعيم فى حليته عن أبى الزاهرية يرفعه أن النبىّ ﷺ قال : إن الله تعالى قال : « أبث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل و المرأة والعبد والحر والصغير والكبير فإذا فعلت ذلك أخذتهم بحقى عليهم » . ووجه الاستدلال بهذا الحديث على المذياع

فى قوله تعالى : أبث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة الخ . . فإن بَثَّ العلم الذى هو نشره حتى يعم من ذكر يحتاج إلى آلة وكون الآلة علماء يعلمون الناس لايصح من وجهين الأول : أن العلماء لايمكنهم ذلك ، إذ نشر العلم بالصورة التى ذكرت فى الخبر لايتأتى للعلماء بحال إلا إذا جمع لهم كل الناس من رجال ونساء وأحرار وعبيد وصغار وكبار ، وهذا متعذر فى العادة فكيف يكون مراداً فى الحديث ؟ والثانى : أن الله تعالى قال فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقى عليهم . ولازم هذا أنهم لم يعملوا بالعلم الذى علموه ، وهذا دليل على أنهم لم يتلقوه من افواه العلماء مشافهة ولذا لم يتأثروا به فلم يعملوا فاستوجبوا العذاب فأخذوا به . وحينئذ لم يبق من واسطة لبث العلم ونشره بالصورة المذكورة مع عدم العمل به حتى يؤاخذ الناس به إلا أن يكون آلة المذياع إذ هى التى دخلت على الناس بيوتهم وغشيت مجالسهم وصاحبتهم فى حلهم وترحالهم وإقامتهم وأسفارهم . وبواسطتها عمت الثقافة اليوم البوادى والحواضر ، فنسمع القرآن مرتلا مجوداً والسنة موضحة مفسرة والشريعة مفصلة مبيِّنة ، وذلك بواسطة الأحاديث الإذاعية المختلفة المتنوعة . والتى تبث طوال السنة من آلاف المحطات فى العالم حتى لم يبق من لم يعرف عن الله تعالى ورسوله ودينه . وبهذا أصبح من غير المشكوك فيه أن النبى ﷺ قد أخبر باختراع آلة الراديو ووقع ماأخبر به كما هو . وبهذا تأكد لكل ذى عقل سليم أن محمداً رسول الله صدقاً وحقا ، وأن النجاة كل النجاة فى الإيمان به واتباع ماجاء به من الدين الحق ، وأن الخسران فى الكفر به وعدم متابعته على ما جاء به من الدين الحق ، وهو الإســـــلام .

٢ - المراكب الحديثة

إن السكك الحديدية والسيارات والطائرات مراكب حديثة لم تكن عرفت قبل مائتى سنة من عمر الدنيا الطويل ، وهى حقاً من ثمرات التقنية العصرية ، ولم يكن منها على عهد رسول الله ﷺ شىء يذكر فى دنيا الناس قط إذ لم يزد عمر هذه المراكب الحديثة على قرن ونصف من الزمن . ومع هذا فقد وردت الإشارة إلى جودها مستقبلاً فى كل من الكتاب والسنة قال تعالى من سورة النحل : ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون** ﴾ فقد يدخل فى قوله ويخلق ما لا تعلمون سائر المراكب الحديثة ما وجد منها ، وما قد يوجد غداً إن طالت بالناس الحياة . بل القرآن دل على نوع خاص من الطائرات وهو مايعرف بحاملات القذائف من النفاثات الحربية ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ ففى هذه الآية من سورة الفيل تصوير رائع للطائرات النفاثة من حاملات القذائف وهى تقذف بها على تجمعات الجيوش المعادية فتحيلها إلى شبه زرع رعته الماشية فحطمته تحطيماً . وقال رسول الله ﷺ فى رواية أحمد : « سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات » .

فهذا الحديث الصحيح قطعى الدلالة على وجود السيارات فى آخر الزمان ، وذلك أن مقاعد السيارات كسروج الخيل بلا فرق بينها ، وأن هياكل السيارات شبيهة بالهوادج التى توضع على ظهور الجمال ليركبها النساء فتسترهن وتقيهن الحر والبرد وهى المعبر عنها فى الحديث بالرحال جمع رحل وهو ما يحمل على البعيـــر .

وقال ﷺ فى رواية أحمد وغيره : « لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ، ويكثر الكذب وتقارب الأسواق ويتقارب الزمان وتطوى الأرض » الحديث . فتقارب الزمان وطيّ الأرض لم يكن لهما وجه صحيح يفسران به إلا وجود مركوب سريع - وهو الطائرات - يصل به المرء من البلاد البعيدة فى أقرب وقت ، إن ما كان يقطعه المسافر من مسافة فى شهر يقطعه اليوم بالطائرة فى ساعة ، وما كان يقطعه فى نصف سنة يقطعه اليوم بالطائرة فى خمس ساعات ، وما كان يقطعه فى سنة يقطعه الآن بالطائرة فى يوم فقط فكأن الزمان قد تقاربت أجزاؤه ، والأرض قد طويت فى بعضها . وهذا مدلول الحديث النبوى الشريف فكان آية صدقه ﷺ . وكان شرطا من أشراط الساعة قد وجد .

وقال ﷺ فى رواية مسلم . وهو يصف الدجال « قلنا يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال : كالسحاب استدبرته الريح » . فالسرعة التى تمكن الأعور الدجال من الطواف بمدن العالم وقراه مدة لا تزيد على سنة ونصف كما ورد بذلك الحديث لاتكون إلا على مثل هذه الطائرات ، لاسيما وأن وصف الرسول ﷺ له بأنه كالسحاب استدبرته الريح ينطبق تماما على سرعة الطائرات وكيفيّة طيرانها فى الهواء فهذا الخبر الصحيح دال على وجود الطائرات ولم تكن فهو كذلك علم من أعلام النبوة المحمدية . وشرط من أشراط الساعة .

وقال عليه الصلاة والسلام فى رواية الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه : « لاتقوم الساعة حتى لاتنطح ذات قرن جماء (١) ، وحتى يبعث الغلام الشيخ (٢) بريداً بين الأفقين ، وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين فلا يجد ربحاً » . ففى هذا الحديث زيادة على دلالته على وجود الطائرات إذ قطع المسافة بين الأفقين الشرقى والغربى لاتكون قطعاً إلا على مركوب

(١) الجماء التى لا قرون لها .
(٢) يريد يحمل له رسائله ، وما يريد إيصاله إلى رئيس دولة من الدول .

مثل الطائرات . فإن فيه من أعلام النبوة وأشراط الساعة مايلى :

١ ـ القضاء على الغارات التى كانت تشنها العصابات المجرمة على المدن والقرى من الوقت إلى الوقت فيسلبون وينهبون ويفرون . فقد تم القضاء على مثل هذا النوع من الإجرام بالأنظمة الحديثة بقوى الأمن ورجال الشرطة ، وما زودوا به من الآلات الحديثة التى تساعد على اكتشاف هذه العصابات ومحاصرتها والقضاء عليها ، وهذا ما أشار إليه الحديث فى الجملة الأولى منه : « حتى لا تنطح ذات قرن جماء » .

٢ ـ وجد حكام حُدَثاء الأسنانِ من الشبان يستخدمون كبار السن من المشايخ فى مهام الحكم فيسافرون فى مهامهم بالطائرات بين الآفاق . كما هو واقع اليوم دل على هذا قوله : « وحتى يبعث الغلام الشيخ بريداً بين الأفقين » كما يتصور فى استخدام رؤساء المؤسسات من الأحداث الشيوخ الكبار ويرسلونهم فى حوائجهم مسافات بعيدة ولا يستحيون أو يخجلون من استخدام الكبير السن الذى يستحى منه الله تعالى فلا يعذبه يوم القيامة .

٣ ـ قلة الربح فى كثير من التجارات وذلك لوجود المواصلات السريعة والإخباريات الحديثة فتقاربت بذلك الأسواق وقل الربح فى كثير من التجارات أما فى الزمن الأول فكان من ينقل بضاعة من إقليم إلى آخر يتاجر فيها ربحه مؤكد تماما لفراغ الأسواق من أجل المشقة التى تحصل لمن يسافر من إقليم إلى آخر ولانعدام المواصلات الحديثة . وأخيراً فهذه الأخبار أكدت صحة ما أخبر به الرسول ﷺ من وجود الطائرات والسيارات والسكك الحديدية فى آخر الزمان . وبذلك تقررت نبوّة محمد ﷺ وظهرت أشراط الساعة فهل من تائب ؟؟ .

٣ ـ الهاتف السلكى واللاسلكى والتلغراف والتلكس

إن هذه الالة الموصلة للصوت إلى أبعد الافاق هى من أنفع الآلات وبها تقارب الزمان . وانطوى بعْدُ المكان ، وأصبح البعيد قريبا . قد أخبر بها الرسول ﷺ فى مثل الأحاديث التالية :

١ ـ حديث النسائى فى سننه وهذا نصه : « إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر وتفشو التجارة ويظهر القلم ويبيع الرجل البيع فيقول : لا ، حتى استأمر تاجر بنى فلان » الخ . . . والشاهد على آلة الهاتف والتلغراف فى هذا الحديث فى قوله ﷺ : حتى استأمر تاجر بنى فلان ، إذ طلب التاجر الأمر أو الإذن من تاجر آخر بعيدٍ عنه قبل أن يبت فى الصفقة ما كان يتم بحال من الأحوال لتباعد البلاد ، أما عند ظهور آلة التليفون بنوعيه والتلغراف والتلكس فإنّ التاجر فى بلاد بعيدة يتصل بتاجر آخر ويسأله عن القيمة ، وإن كان شريكه يطلب منه الإذن بالبيع وعدمه .

٢ ـ حديث الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ونصه : لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة . والشاهد من هذا الحديث فى قوله حتى يتقارب الزمان ، إذ لا وجه لتقارب الزمان إذ هو نظام ثابت ناشىء عن ارتباط الأرض بالشمس والقمر لايختل إلا عند خراب العالم والإيذان بفناء الكون قبيل يوم القيامة . إلا أن يكون هناك آلات تقرب البعيد فتنطوى معها الأزمنة والأمكنة فما كان يوصل اليه من خير أو شر فى سنة يوصل اليه فى شهر ، وما كان يوصل إليه فى شهر يوصل إليه فى جمعة ، وما كان يوصل إليه فى جمعة يوصل إليه فى يوم . وما كان يصل إليه فى ساعة يصل إليه فى مثل احتراق السعفة أى فى دقيقة أو أقل . هذه الآلات لاتعدو الطائرات والتليفون بنوعيه والتلغراف والتلكس .

٣ - حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند الطبرانى وفيه : « من اقتراب الساعة انتفاج الأهلة » وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه انتفاخ الأهلة . والشاهد من الخبر فى لفظ ابن مسعود (انتفاج الأهلة) إذ معناه سرعة انتشار خبرها لمجرد ظهورها ورؤيتها فى البلاد كما هى الحال اليوم يُرى الهلال فى بلد ما فينتشر خبره بواسطة التليفون والتلغراف فى سائر البلاد فى أقل من ساعة . إذ الانتفاج مأخوذ من نفجت الأرنب إذا سارت مسرعة . وأنفجها الصائد إذا أثارها من مخبئها فأسرعت هاربة بأوْحَى عدوها أى بأسرعه . أما لفظ رواية أبى هريرة : انتفاخ الأهلة فهو دال على وجود المراصد ومكبرات الرؤية وفيه عَلَمٌ من أعلام النبوة أيضا وشرط من أشراط الساعة .

وأخيرا إن سرعة انتشار خبر الهلال فيعم بلادا عديدة ومتباعدة ما كان ليتم قبل وجود آلة الهاتف والتلغراف بحال من الأحوال . أما عندما وجدت هذه الآلات فإن خبر الهلال أصبح يصل بأعظم سرعة إلى آفاق بعيدة ، فيصوم الناس ويفطرون فى يوم واحد نتيجة لانتفاج الأهلة ونشر خبر ظهورها بواسطة الهاتف (التليفون) والتلغراف والمذياع والتلفاز . وبتأمل ما ذكرنا فى الأحاديث الثلاثة يثبت لدينا وبدون شك أن النبى ﷺ قد أخبر عن وجود هذه الآلات فى وقت لم يكن ليصدق مثل هذا الخبر إلا أن ينطق به نبىّ يجب الإيمان بما يخبر به من شأن الغيب معقولا كان أو غير معقول .

وبهذا ثبتت نبوة نبيّنا وتقررت رسالته ﷺ . كما تأكد قرب الساعة إذ هذه الأخبار الصادقة من أشراطها . فهل من منيب إلى ربه .

٤ - آلة التسجيل وكلام الجمادات

إن كلام الجمادات كان من قبيل المستحيلات العقلية إلا أن يكون معجزة لنبى أو كرامة لولى إذ المعجزات كالكرامات كلها من قبيل خرق

العادات . بيد أن النبى ﷺ قد أخبر بأن ذلك كائن فى آخر الزمان ، وأن الساعة لاتقوم حتى يكلم الإنسان عَذَبةُ سوطه يعنى طرف عصاه وحتى يخبره شراك نعله بما أحدث أهله جاء ذلك فى رواية أحمد من مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ونصها : إنها أمارات من أمارات بين يدى الساعة : « أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعله وسوطه ماأحدث أهله بعده » . فكون الرجل تحدثه نعلاه وسوطه وهما من الجمادات أمر غير معروف ، ولا متوقع أن يكون بحال ، لأن الجماد لاينطق ولا يتكلم فكيف يُحدِّث ويُخبر ؟ غير أن النبى ﷺ قد أخبر أن هذا كائن لامحالة وهو من أمارات الساعة وأشراطها . وصدق رسول الله ﷺ فقد وقع ما أخبر به فآلة التسجيل ، والأشرطة المسجلة الناطقة بكل ما يسجل عليها تبيّن بها صدق هذا الخبر ، وأصبح الرجل يضع آلة التسجيل فى بيته فتسجل له كل ما يُحدثه أهله فى غيبته وهم لا يشعرون ، وقد تُوسِّع فى صناعة هذه الآلة وتطويرها حتى أصبحت توضع فى مثل السوط ، وتوضع فى الجيب . وكان هذا من أعلام النبوة المحمدية . وآيات قرب الساعة وبذا وجب على كل عاقل من بنى آدم اليوم أن يؤمن برسالة محمد ﷺ ويدخل فى دين الله الحق الذى جاء به ﷺ طلباً لنجاة نفسه من عذاب الآخرة ثم للسعادة فى الملكوت الأعلى مع مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

٥ ـ آلة التصوير الفوتغرافى (الكاميرا)

إن التصوير بالريشة والقلم والنسيج فى الثياب وغيرها كالنحت فى الأحجار والأخشاب وغيرها معروف لدى أمم العالم وشعوبه من قديم الدهر ، ومن قبل حادثة الطوفان التى تمت على عهد نبىّ الله نوح عليه السلام ، غير أن التصوير الفوتغرافى بآلة ما يسمى بالكاميرا لم يكن معروفاً ولا معهوداً حتى عند أرقى أمم العالم حضارة وتمدينا .

وهو ـ أى فن التصوير ـ يعتبر مظهراً من مظاهر الحضارة العصريّة

والتقنيّة الحديثة وقد شاع هذا الفن وذاع وأصبحت آلاته بيد كل انسان يريد ذلك . وصورت بهذه الآلة الأشياء جليلها وحقيرها : الإنسان والحيوان ، والنبات والجماد ، وحتى المساجد بيوت الله تعالى قد صورت وعلقت صورها فى المنازل والبيوت لاسيما المساجد المقدسة الثلاثة : المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ، والمساجد الأثرية كمسجد أياصوفيا والقرويين والزيتونة والأزهر الشريف ومسجد دار الخلافة العثمانية باسطنبول وغيرها .

كل ذلك ليتحقق ماأخبر به النبىّ ﷺ ويتم على نحو ماأخبر به تماما ، ومنذ ألف وأربعمائة سنة تقريباً . فقد أخرج أبو نعيم فى كتابه حلية الأولياء من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من علامات اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكر الحديث وفيه : وحُلّيت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنائر » .

ولننظر إلى الواقع كيف تجلت فيه هذه المغيبات واحدة بعد الأخرى . أما تحلية المصاحف بالذهب والفضة وأنواع الزخارف فقد ظهر بعد عصر التابعين مباشرة وكذا تطويل المنارات ورفعها حتى أصبحت أرفع من كل بناء المدن والقرى ترى فى عنان السماء وكأنها تناطح السحاب ، وذلك فى كثير من البلاد الإسلامية ومن عهد الفاطميين إلى يومنا هذا . وأما تصوير المساجد ـ لا رسمها ـ فلم يكن معهوداً ، ولا يعرف الناس كيف يتم تصوير المساجد حتى ظهرت آلة التصوير الفوتوغرافى ، فصورت بها المساجد وغيرها كما قدمنا فى أول البحث . وكان ذلك عَلما من أعلام النبوة المحمدية ، وعلامة بارزة من علامات قرب الساعة .

وختاما فقد ذكرنا فى هذه الرسالة على قصرها عدداً من الأحاديث النبوية [١] والأخبار المحمدية المنبئة بصريح العبارة أو لَطيف الإشارة عن

(١) ليعلم القارىء أن ما أوردنا فى هذه الرسالة من الأحاديث النبوية بعضه صحيح الإسناد ، وبعضه حسنه ، وبعضه ضعيفه . ولكن ما دام الواقع قد شهد له بالصحة فإذا لم نكلف أنفسنا عناء التخريج والتصحيح لأن من علامات صحة الحديث مطابقته للواقع ، ومن علامات وضعه مخالفته له .

معظم ماأدهش الناسَ حدوثه . وجعل كثيرا من المؤمنين يتساءلون : هل كان النبى ﷺ أخـبر به أو حدث أصحابه بمثله ؟؟ وذلك من عجائب المخترعات الحديثة التى بهرت عقول الناس وَحَيَّرت أفكار الكثيرين ، إذ هى ـ فى الحقيقة ـ أمور كان العقل البشرى يحيل وجودها بل ولا حتى مجرد تصـورها إلا أن يخبر بها نبىّ فإنه يصدق فيما أخبر به سواء أحال العقل ماأخـبر به أو أجازه كسائر الغيوب التى يخبر بها الأنبياء عن الله تعالى ، والدار الآخرة .

ومن أعـظم هذه المختـرعـات الحـديثـة شأنـاً وأكثرها نفعاً للإنسانية الرحلات الجويّة والمكالمات اللاسلكية ، والبث الإذاعى ، والعرض التلفازى .

وقد أخبر بها النبى محمد ﷺ قبل وقوعها بمئات السنين فكان كما أخبر تماما وحرفيا كأنه المشاهد الحاضر . وبذلك ظهرت الحجة وقام الدليل على ثبوت نبوته وصدق رسالته ﷺ حتى أصبح إنكار نبوته وجحد رسالته يعتبر سخفا وحماقة وطيشا وسفهاً لا يُقر بها عاقل سليم العقل فى دنيا الناس .

كما قام الدليل القاطع بهذه الأخبار الغيبية على قرب الساعة ، وآيات لقرب مجيئها فلذا أصبح من المؤكد أن الساعة قريبة المجىء ، وأنها على الأبـواب وكالحامل المتم المقارب لايدرى متى تضع جنينها ، وهذه حال تتـطلب من عقـلاء النـاس المبـادرة الفورية إلى التوبة النصوح ، وذلك بإصلاح فاسد القلوب والأقوال والأعمال باعتقاد الحق والقول به والعمل ، وهو ما جاء به النبى ﷺ وحمله إلى الناس كتاب الله وسنته ﷺ .

ألا فالبـدار يا عقـلاء البشر زكوا أنفسكم بالإيمان الصحيح والعمل الصالح الذى شرع الله تعالى فى كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ ، وجنبوها ما يدسيها من الشرك والمعاصى ﴿ **هذا بلاغ للناس ولينذروا به . وليعلموا أنما هو إله واحد وليذَّكر أولوا الألباب** ﴾ .

الرسالة الخامسة عشر
الاحاديث النبوية الشريفة
فى أعاجيب المخترعات الحديثة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وبعد فإن كل الظواهر الكونيّة فى هذا الوجود دالة بواقعها الذى لا يُختلف فيه أنها مسبوقة بعَدَمٍ بمعنى أنها لم تكن ثم كانت فهى لذلك محدثة ، وسيؤول أمرها إلى العدم مرة أخرى وهو الرجوع الى الأصل الذى هو العدم السابق . وهذا هو الهلاك والفناء الواردان فى قول الله تعالى : ﴿ **كلُّ شىءٍ هالكٌ إلا وجهه له الحكمُ وإليه تُرجعون** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلال والإكرام** ﴾ (٢) إن كل شىء ـ ما عدا الله جل جلاله وهو الخالق البارىء . الحى القيوم الباقى يطرأ عليه الفناء والهلاك كما طرأ عليه الحدوث المسبوق بالعدم . أمّا الله تبارك وتعالى فإنه وَحده خالق العوالم وطينتها (٣) الأولى فهو لم يُسبق بعدم فيلحقه الفناء عز وجل ، إنه وحده الأول والآخر ، والوارث لهذه الحياة بكل ما فيها سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

---

(١) الآية من خاتمة سورة القصص .

(٢) من سورة الرحمن .

(٣) المراد بالطينة : ما يسمى بالهيولى ، وهى مادة خلق العالم . ويعبر عنها بالسديم وهو كالدخان . لقول الله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان ﴾ .

ومن الظواهر الكونية المسلم بها والتى لايختلف فيها اثنان أن الكائن الحى أو النامى عندما يقرب طروء العدم عليه تحدث له ظواهر ذاتية تدل على قرب طروء العدم عليه ، وهذا مايسمى بالأعراض المرضية ، أو علامات الوفاة . أو مظاهر الضعف الدالة على قرب الهلاك والموت .

وأهل الاختصاص هم الذين يعرفون تلك الأعراض ، والظواهر الدالة على دنوّ أجل الإنسان أو هلاك الحيوان والنبات . وأجل الحياة العامة كالخاصة مجهول لكل الناس غير معلوم لأى أحد سوى الخالق عز وجل . والساعة التى تنتهى فيها هذه الحياة الدنيا ثَقُلَ أمر علمها فى الأرض والسموات . قال تعالى فى شأنها : ﴿ **يسألونك عن الساعة ، قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض . لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ (١) بَيْدَ أن لها أعراضا وظواهر تظهر فى شكل علامات تدل على قرب الأجل ، وساعة نهاية الحياة العامة . وهذا عام فى الكائنات الحيّة والنامية فإنها إذا قرب طروُ الفناء عليها تبرز فيها علامات تدل عليه يعرفها أهل الاختصاص كما قدمنا .

ومن هنا كان رسول الله ﷺ وهو صاحب الاختصاص العام يذكر لأصحابه رضى الله عنهم علامات قرب الساعة ونهاية هذه الحياة الدنيا لتبتدىء الحياة الآخرة الخالدة الباقية .

ومن تلك العلامات ماهو بعيد نسبياً عن ساعة نهاية الحياة ومنها ما هو قريب نسبياً أيضا . ومنها ما هو قريب قرباً حقيقياً .

وبالنظر الفاحص الدقيق إلى تلك العلامات والظواهر يُرى أن بعضها ظهر ويظهر فى الآفاق الكونيّة ، وبعضها ظهر أو يظهر فى الأنفس البشريّة . وما تزال كل يوم تظهر تلك العلامات حتى

---

(٢) الآية من سورة الأعراف .

لاتبقى منها علامة إلا وقد ظهرت . ويومئذ يحصل الانقلاب الكونى الذى ينتهى بنهاية هذه الحياة فتعود الأكوان كما كانت سديمًا وبخاراً وذلك فى قوله : ﴿ يوم نطوى السماء كطىّ السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (١) وقوله : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حىّ ، أفلا يؤمنون ﴾ (٢) .

وإلى القارىء الكريم تلك الظواهر والعلامات ، ليعلم أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . وليعظم من شأن رسول الله ﷺ . ويكبر من أمر رسالته الختامية ، فيبلغ اليقين فى إيمانه به ، فيتحمل واجب الدعوة إلى الايمان به ﷺ وبدينه الذى هو سبيل نجاة الانسان وسعادته فى كلتا الحياتين متى آمن به وتقيد بشرائعه . وهذه هى النتيجة التى توخيناها من كتابة هذه الرسالة ونشرها بين الناس . والله نسأل أن يحقق لنا وللقارىء ما قصدناه ورمناه ، إنه قوى قدير وبالاجابة جدير .

---

(١) الآية من سورة الأنبياء .

(٢) الآية من سورة الأنبياء .

العلامات الورادة

فى الآفاق

إن علامات قرب الساعة . وآيات ظهورها ليست محصورة فيما نورد من أحاديث فقط ؛ إذ ماتذكره لا يمثل إلا جزءاً يسيرا وعدداً قليلا منها وإنما حسبنا أن نذكر طرفاً يحصل به الغرض من تقرير نبوة المخبر به ﷺ ويتأكد به مبدأ حتمية نهاية هذه الحياة . واستقبال الحياة الآخرة بكل ما فيها وهذه العلامات التى ظهرت فى الآفاق .

١ ـ وجود دويلة اليهود فى فلسطين :

إن اليهود بذهاب آخر مُلْكٍ لهم ، وتشردهم فى آلافاق ، وذلك على يد دولة الرومان المجاورة لبلادهم ، والمحادة لها شمالا وغرباً وقعوا فى شبه يأس كامل من أن يعود لهم ملك أو يرجع لهم دولة أوسلطان ، وزاد يأسهم بظهور دولة الاسلام وخاصة بعد أن ضمت تحت جناحيها مملكة فارس ودولة الروم فى أكثر ديارهم . وأجلوا عن الحجاز وأصبحوا أفراداً ذميين يعيشون تحت ظل دولة العدل والرحمة الاسلامية فى كل من الشرقين الأدنى والأوسط والشمال الأفريقى .

هذا وأما فكرة العمل على إعادة مملكة بنى إسرائيل فى أرض المعاد فإنها لدى المسلمين غير واردة بالمرة ، ولم تكن تخطر لأحد منهم على بال ، لما صرحت به آيات القرآن من كَتْب الله تعالى على اليهود الذلة والمسكنة . ولاعلام الله تعالى أنه يبعث عَليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . أما عند خواص اليهود فإنها كانت تراودهم كأمل من الحين إلى الحين ، ولذا تعاونوا مع عناصر المجوس الناقمين على الاسلام الذى ثل عرش كسرى ، وهد أركان مملكة الساسانيين(١) بأرض فارس ،

(١) بنو ساسان أسرة . ملكية فارسة حكمت فارساً من سنة ٢٢٦ إلى سنة ٦٥١ م ، وهى التى جردها الفتح الإسلامى من ملكها فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. (أنظر دائرة المعارف) .

واستطاعوا أن يضربوا الاسلام ويدوخوه . وكانت أول ضربة وجهوها إلى الاسلام قتلهم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إذا قتله أبو لؤلؤة المجوسى بأمر من منظمة مجوسية سرية متعاونة مع اليهود ، ثم إحداث فتنة المال وقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان حامل راية هذه الفتنة عبد الله بن سبأ اليهودى الصنعانى ثم إشعال نار الحرب بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، وإذكاؤها كلما خبت أو كادت .

ولما استعصى عليهم أمر قطع حبل الإسلام بالحروب عادوا إلى الدس والمكر والخديعة فأوجدوا مذهب التشيُّع لآل البيت وهو المذهب الشيعى المدمر ، والذى برع اليهود فى صنعه متعاونين مع إخوانهم المجوس ، فكان هذا المذهب المدمر ، لايقل أثراً فى الدمار والتخريب عن المذهب الماركسى الشيوعى إلا أن الأول كان قاصراً على ضرب الإسلام والثانى عام فى الإسلام والمسيحيّة على حد سواء ، إذ الإسلام والمسيحيّة فى نظر اليهود أنهما السد الحائل دون عودة مملكة بنى إسرائيل إلى الوجود فلذا وضعوا المذهب الماركسى لنشر الإلحاد واللادينيّة فى العالمين الإسلامى والمسيحى معاً .

وفرغ اليهود من الإسلام والصليبيّة بعد حرب طويلة من الدس والمكر والخداع والتضليل دامت زهاء ستين وثلثمائة وألف سنة وظهرت دولة إسرائيل على ركام من جماجم وأرواح وأخلاق وآداب الأمتين الإسلامية والمسيحيّة . واندهش المسلمون وانتابهم موجة شديدة من الحيرة والشك وتساءلوا قائلين : كيف يكون لليهود دولة ؟ كيف يكون لليهود حكم وسلطان ؟ وكيف يتم ذلك على أرض الإسلام بلاد القدس ؟ وأكبروا الأمر واستعظموه ، وصدق رسول الله إذا يقول : « لا تقوم الساعة [1] حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها ، ولا تحدثون بها أنفسكم » ويقول : « سترون

---

(١) رواه أحمد والبزار والطبرانى .

قبل أن تقوم الساعة أشياء تنكرونها عظاما ، تقولون : هل كنا حُدِّثنا بهذا(١)

والسؤال الآن هل أخبر النبىّ بوجود دولة إسرائيل ؟ .

والجواب : نعم وهذا مسلم يروى لنا فى صحيحه ما يثبت ذلك فقد أخرج قوله ﷺ : « لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم ياعبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود »(٢)

هذه رواية أبى هريرة . أما رواية ابن عمر فنصها : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » .

ودلالة هذين الحديثين الصحيحين على وجود دولة اليهود فى آخر الزمان هى فى قوله ﷺ : « لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى » الخ . . . إذ الوقت الذى أخبر فيه الرسول ﷺ بهذا الخبر كان اليهود قد أجلوا عن المدينة ، والإسلام قد عز فى كل الجزيرة ولم يكن لليهود وجود مخيف أبداً . وفى أى صقع من الأرض . إذا هم أقليَّات يعيشون هنا وهناك موزعين فى شتى أنحاء العالم . وكل الدنيا تلعنهم فكيف يصح منهم قتال للمسلمين الذين أخبر عنهم ﷺ أن ملكهم(٣) سيبلغ أقصى المشرق وأقصى المغرب ، وفعلا تم لأمة الإسلام ذلك . فيكف إذاً يتأتى لليهود قتال المسلمين اللهم إلّا إذا اجتمعوا فى مكان واحد وكانت لهم فيه دولة وسلطان وعندها يمكنهم أن يقاتلوا المسلمين . وتمضى السنون وتتوالى القرون ويتجمع اليهود فى فلسطين ويكونون دولة يعترف بها أكثر دول العالم ويقاتلون المسلمين فى

---

(١) رواه البزار والطبرانى فى الكبير من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه كالأول .

(٢) شجر الغرقد يوجد بالمدينة المنورة وكان ينبت بالبقيع مقبرة المدينة ولذا يقال بقيع الغرقد . بلغنى من الطلاب الفلسطينيين أن اليهود يعنون اليوم عناية كبيرة بشجرة الغرقد بفلسطين المحتلة .

(٣) من معنى حديث ثوبان عند مسلم : « أن الله زوى لى الأرض » الحديث .

أكثر من عشر حروب ، ولا يزالون يقاتلونهم حتى يتم وعد الله ويسلط الله المسلمين عليهم فيقتلونهم حتى يقول الحجر أو الشجر يا مسلم ياعبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله . وهذا الأمر موقوف على توبة المسلمين برجوعهم إلى الإسلام رجوعاً صحيحاً ينتظم العقيدة والعبادة والخُلق والأدب والحكم .

وأخيراً فقد صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به من قتال المسلمين لليهود فى آخر الزمان إذا ما قامت الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود وما زالوا يقاتلونهم حتى يغلبوهم بإذن ربهم . ودل ذلك على وجود دولة اليهود . وعلى قرب الساعة وبذلك تأكدت نبوة محمد ﷺ وتقررت رسالته . وعجبا للناس كيف لا يؤمنون به ولا يهتدون بهديه حتى ينجوا ويسعدوا ؟ .

٢ ـ تعدد الدول الإسلاميــــة :

وهذه آية أخرى من آيات النبوة المحمديّة . وعلامة من علامات قرب الساعة تظهر واضحة جلية فى أفق الحياة الإسلامية بحيث لايستطيع أحد إنكارها ، تلك هى تعدد الدول الإسلامية حتى بلغت خمساً وعشرين دولة فى هذه الأيام وهى محصورة فيما بين أندونيسيا شرقاً والمملكة المغربية غرباً .

إن وجود هذا العدد من الدول الإسلاميّة ، كل دولة مستقلة تماما عن غيرها لم يكن يخطر على بال أحد من المسلمين ، وذلك لتحريم الإسلام لمثل هذا التعدد الناتج عن انقسام دولة الإسلام الواحدة ، والتى يجب أن لا تكون إلا واحدة لتعظم وتقوى وتقدر على حمل رسالة الإسلام إلى الناس كافـة ليكملوا به ويسعـدوا عليه فى الدنيا والآخرة ، إذ الانقسام يورث الضعف وذهـاب الـريح ، ويومئـذ يعجـز المسلمون عن أداء رسالتهم ويُعاقون عن هداية الخلق وإصلاحهـــم .

ومع هذا فقد انقسمت الدولة الإسلامية إلى دويلات عدّة بلغت خمسا وعشرين كما قدمنا ، وتم هذا مِصداقا لإخبار الرسول ﷺ به ، وذلك فى

حديث عبـد الله بن مسعود الذى رواه الحاكم والدارمى وأبو نعيم وهذا نصه : « كيف أنتم إذا لبستم فتنة فتتخذ سنة يربو فيه الصغير ، ويهرم الكبير ، وإذا ترك منها شىءُ قيل تركت سنة ؟ قالوا : متى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا كثر قراؤكم وقلت علماؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتُفقه لغير الله » (١)

إن هذا الحـديث الشريف لم يتضمن ظاهـرة تعدد الدول الإسلامية المشار إليها بكثرة الأمراء فحسب بل تضمن ظواهر أخرى كلها دالة على نبوة الرسول ﷺ وعلى قرب الساعة وهذا بيان ذلك :

١ ـ كثرة القُرَّاء : إذ نسبة الأميّة قد انخفضت جداً بين المسلمين فى هذه الأيَّام ومـا أصبـح يوجـد من لا يقرأ ويكتب إلا نادِراً وذلك لكثرة المدارس ونظام محو الأميّة بين المواطنين .

٢ ـ قلة العلماء ، انـه على الـرغم من كثـرة القرَّاء ومعاهد العلم ومدارسه فقد قَلَّ العلماء المتبحرون فى العلوم الإسلامية وخَاصَّةً الشرعية منها حتى أصبح العديدُ مِنَ المدن وَ القُرى لا يوجد فيها عالم واحد يفتى المسلمين فى أمور دينهم .

٣ ـ كثـرة الأمراء ، وهذا صادق بتعدد الدول الإسلامية وهو محل الشـاهـد كما قدمنـا فبدل الأمير الواحد للمسلمين وما عداه ولاة وقضاة ورؤساء أجناد ، أصبحت الدولة الإسلامية دولا ، وأصبح أمير المسلمين أمـــــــــراء .

٤ ـ قِلَّة الأمنـاء : إن الأمناء يقلون بقلة الأمانة وأول ماتفقد هذه الأمة الأمانة وقد فقدتها ، وبذلك قل الأمناء . وإن ارتبت أخى القارىء فتسمع أحاديث الناس وهم يطعن بعضهم بعضا فإنك تحسب بدون شك أنه لم يبق أمين بين الناس والعياذ بالله تعالـــى .

٥ ـ التماس الـدنيا بعمل الآخرة : ولهذه الظاهرة وجوه كثيرة منها

---

(١) لبستم فتنة هو بمعنى تلبستم بفتنة ، والفتنة ما يفتن المسلم عن دينه الحق .

الرجل التاجر يبنى المسجد ويسهم فى المشاريع الخيرية وماله حرام وهو تارك للصلاة أحياناً ويفعل ما يفعل من الخير من أجل الشهرة وحسن السمعة لتروج بضائعه وتربح تجارتـــــــه .

ومنها الرجل يعفى لحيته ويكثر التردد على المسجد للصلاة فيه .

وغرضه أن يؤتمن ويوثق فيه حتى إذا تم له ذلك خان الناس وأكل أموالهم .

ومنها طلب الوظائف الدينيّة كالأذان والإمامة والتدريس والقضاء فإن أكثر الناس اليوم لا يطلبون هذه الوظائف الدينيّة إلا للدنيا أى للحصول على الرواتب للعيش فقط .

٦ ـ التفقه لغير الله : ومعناه طلب العلم الشرعى وهذه الظاهرة أكثر فشوّاً من غيرها والعياذ بالله تعالى فإن طلاب الشريعة فى الكليات الشرعية قَلَّ من يطلب منهم العلم ليعبد الله تعالى به ، وإنما جلهم يطلبونه لوظيفة القضاء أو التدريس أو الإمامة أو الإفتاء ، ولا همَّ لهم إلا ذاك .

وساعد على وجود هذه الظاهرة وجود وظائف تمنح لأرباب الشهادات فحمـل ذلـك الطلاب على الجد فى الطلب للحصول على الشهادة غير ملتفتين إلى غيرها فكان الطلب إذاً لغير الله ، وصدق ماأخبر به رسول الله ﷺ : (و تُفقه لغير الله) .

فدلَّ قوله ﷺ على صدق نُبُوَّته وعلى قربِ الساعة . فهل من تائبٍ يا عباد الله ؟ .

٣ - نظريـــــة داروـيـن :

هذه النظرية وإن أنكرها وكفر بها علماء الكون والطبيعة فى كل من أوروبا وأمريكا وبالغوا فى إنكارها حتى وصفها بعضهم بأنها نظرية أبوها الكفر ، وأمها القذارة ، فإن العالم الإسلامىّ قد قررها ضمنياً واعترف بـها رسمياً حيث مازالت تدرس فى المدارس الثانوية ولو على سبيل أنها مجرد نظرية تصح أو لاتصح . وحقيقة هذه النظرية الدارونية : أن الإنسان متطوّر عن القرد على قاعدة النشوء والارتقاء . وإذاً فلا آدم ولا حواء عليهما السلام وبالتالى فلا إله ، والحيـــاة مادة .

ومن هنا ما كانت النظرية الداروينية إلا لعبة يهوديّة أو ضحكة صهيونيّة ماسـونيّة على أذقان العالَم . الهدف منها زعزعة الإيمان فى نفوس المؤمنين بإلقاء هذه الأوساخ من النظريات ، والأفكار الإلحادية التى تنبت الشك فى القلوب فى وجود الرب تبارك وتعالى وقيوميته على كل شىء ، وخَلقه لكل شىء وتدبيره لكل شىء .

لأنـه متى خلت القلوب من عقيدة الإيمان بالله ولقائه وعدله ورحمته خَوَتْ تماما من معانى الجمال والكمال وأصبح الإنسان بهيمة لاتعقل ولا تفكر إلا فى شهوتى بطنها وفرجها . وأصبح الآدمى آلة صمّاء لاتسمع ولا تبصر ، ولا تعقـل ولا تفكـر وإنـما تحركها أصابع اليهودية العالمية كيف تشاء . ويومئذ يحق لدولة إسرائيل أن تتحول إلى مملكة إسرائيل التى تمتد لا من النيل إلى الفرات فحسب ، بل من الغرب إلى الشرق واضعة العالم الإنسانى كله تحت كِلْكَلِها الثقيل وأنفاسها المنتنة الخبيثة .

لقد مرت الأجيال البشرية على ساحة الحياة يتلو بعضها بعضا وفيها الأنبياء والحكماء والعلماء والصلحاء والمفكرون والمصلحون ولقرون عديدة ولم يخطر على بال واحد منهم مثل النظرية الداروينية ، حتى ظهر فى ذيل الحياة صنيعة اليهود ولعبة الصهيونيّة العالمية داروين اليهودى القذر يحمل

نظريته فى أصل الإنسان وخلقه ، ويشغب بها على العالم أجمع ، ويشكك كل إنسان فى أبيه وأمه ، وتصادف نظريته التعفّن البلشفى الشيوعى وقد عشىَ كوَباء خطير جلّ سكان المعمورة فاستجاب للنظرية التى أبوها الكفر وأمها القذارة فئام الناس وهم الذين فقدوا من قبل جمال الإيمان وحلية الفطرة فى الإنسان .

وعجب المؤمنون من هذه الفتنة وتساءلوا هل كان النبىّ ﷺ أخبر أصحابه بشىء عنها وهو الذى قد أخبرهم بكل شىء يأتى فى عمر هذه الحياة ؟

وإذا بالإمام مسلم يروى لنا فى صحيحة ما هو صريح الدلالة قطعيها فى رفض النظريَّة الدارونية واجتثاثها من أصلها والإلقاء بها فى سِلَّةِ المهملات .

وهذه روايته فى الصحيح : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا قَاتَل أحَدُكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته [1] وتأويل هذا الحديث يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : باطل لأنه محال عَقْلاً وشرعا وهو كون الله تعالى خلق آدم على صورته عز وجل إذْ الله تعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، فلم يكن له تعالى كفؤ ولا مثل بحال .

والثانى : محتمل الجواز وهو أنه يكون الله تعالى خلق ادم على صورة الرجل المضروب .

والثالث : وهو المعجزة المحمدية وشاهد إبطال النظرية الدارونيّة ، والإلقاء بها فى نِفَاية الزبالات . وهو أن الله تعالى خلق آدم على صورته التى ورثها أبناؤه عنه . ولاَزمُ هذا أن آدم عليه السلام لم يتطور فى خلقه

---

(١) من عجب تدبير الله تعالى أن هذا الحديث روى أيضاً بلفظ : فإن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فافاد الحديث باللفظ الأول إبطال فرية دارون ، وأفاد بالثانى شرف آدم وبنيه حيث ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن أى صفته من العلم والسمع والبصر والكلام ، والحلم والرحمة . والله أكبر ولله الحمد .

بَلْ خلقه الله يوم خلقه على صورته التى توارثها أبناؤه جيلا بعد جيل كما هو الشأن فى سائر الحيوانات فكل جنس من أجناس الحيوان يتوَارث أفرادُهُ الشكل والصورة الأولى لأول حيوان . فلم يَطْرأ عليها تَغيُّر ولا تَبدُّل يُذْكر . فَالفرَسُ منذ أن كَانَ الفرس ، والقرد هو القرد .

وبهذا ظهرت المعجزة المحمدية وكانت من أعلام نبوته ﷺ . والويل كل الويل لمن لم يؤمن به ويعمل بالدين الحق الذى جاء به ﷺ .

٤ ـ . تسلط الكفار على المسلمين

إن المسلمين الذين أصبحوا بعد نبيهم بأقل من رَبع قرن يمثلون أكبر دَولة فى العالم تضم تحت رَايتها أكبر امبراطوريتَيْن فى العالم : فارس والروم ، وبلغ رقيّهم الحضارى ، وتقدمهم الإنسانى شأواً لم يخطر ببال أحد أن أمة ما سوف يكون لها هذا الشأن . كما لم يكن يخطر ببال أحد أيضا أن هذه الأمة وقد أصبحت أكبر أمة على وَجْهِ الأرض سوف تضعف وتَهُون ، ويذهب سلطانها وتمزق بلادها ، ويحكمها الكفر والكَافِرُون وَيَسومُونَها الخَسْف وسوء العذاب . غير أنَّ رسول الله ﷺ قد أخبر بذلك فهو كائن لا محالة ، وقد كان ، وبذلك تأكدت النبوّة المحمدية ، وثبتت رسالة صاحبها عليه الصلاة والسلام ، وأصبح من فساد العقول وضعفها عدم الإيمان به وبما جاء به من الهدى والنور ، ومتابعته على دينه الذى هو الدين الحق الذى لايقبل الله دينا سواه .

وهذا أبو داود وأحمد وأبو نعيم وغيرهم يروون لنا آية صدق نبوته فى حديث ثوبان رضى الله عنه والذى يحمل نبأ تسلُّطِ الكافرين على أمة الإسلام وإذلالهم لها ، وتحكمهم فيها زمناً غير قصير وهذا نصه : « يوشك أن تداعى عَليكم الأمم من كل أفق ، كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قال ثوبان قلنا يارسول الله أمن قلّة بنا يومئذ ؟ قال : لا ، أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، تنزع المهابة من قلوب عدوكم ،

ويجعل فى قلوبكم الوهن قال : وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت ».

فهذا الحديث أيها القارىء الكريم ووقوع مدلوله كما أخبر به ﷺ يعتبر علما من أعلام النبوة المحمدية ؛ إذ وقع ماتضمنه حرفياً ولم يتأخر منه شىء فقد تداعت الأمم على أمة الإسلام ، فاستعمرت هولندة إندونيسيا ، واستعمرت بريطانيا ممالك الهند الإسلامية وأمة الأفغان الأبية ، واجتاحت روسيا الشيوعية الجمهوريات الإسلامية فمزقتها وشتتت شملها وكفّرت أهلها وحولتها إلى بؤرة للكفر القذر والإلحاد العفن كما استعمرت بريطانيا شرق الجزيرة وجنوبها ، والعراق والأردن وفلسطين ومصر ، واستعمرت إيطاليا ليبيا . وفرنسا شمال افريقيا .

وهكذا تمزقت أمة الإسلام ، وتمزق ملكها وديارها ، بتداعى الأمم عليها ، وهى أكثر ماتكون عدداً غير أنها أصبحت بفساد عقائدها وتدهور أخلاقها ، وتعطيل طاقاتها لما رماها به أعداؤها من داء الفرقة والخلاف ، ومرض الخرافة والضلالة ، أصبحت لذلك غثاء كغثاء السيل لاتبدى ولا تعيد . نزع الله مهابتها التى كانت لها من قلوب أعدائها ، أولئك الأعداء الذين كانوا يرهبونها ويفزعون لذكرها وذكر إسلامها حتى كانت المرأة الأوربية إذا خوفت طفلها تقول له : (عربى عند الباب) . .

وكما نزع الله تعالى مهابتها من قلوب أعدائها لفسقها وخروجها عن طاعة ربها جعل فى قلوب أفرادها الوهن الذى فسره الرسول ﷺ بحب الحياة وكراهية الموت . والوهن داء الأمم والشعوب متى أصيبت به أمة من الأمم حل بها الذل وأصابتها المهانة ونزل بها الصغار ثم هى إذا لم يتداركها الله تعالى بتوبة يُوفقها لها ويقبلها منها آل أمرها إلى أحد شيئين : المسخ ، أو النسخ . . أما المسخ فهو أن يسلط الله تعالى عليها أمة من الأمم أقوى منها فتقهرها وتذلها . وأما النسخ فهو أن يسلط عليها أمة ملحدة كافرة لاتؤمن بالله ولا بلقائه فتنسخ وجودها بالمرة فلا يبقى لها دين ولا لغة ولا كيان

كما مسخت روسيا الإلحادية الجمهوريات الإسلامية مسخاً كاملا فلم يبق لتلك الأمة المسلمة وجود إسلامى بالمرة والعياذ بالله تعالى .

وأخيرا . فإن حديث ثوبان رضى الله عنه وَمَا تَضمنه من الإخبار بتسلط الكافرين على المسلمين يعد عَلَمًا من أعلام النبوة المحمدية وآية واضحة على قرب الساعة إذ وقع مدلوله كما هو بلا نقص . ولكن فهل من معتبر أيها المسلمون ؟ .

٥ ـ نظـــام الشرط (البوليس)

إن دولة الرسول ﷺ وكذا دولة الراشدين من بعده لم تكن تعتمد فى تحقيق الأمن والطهر والصفاء للمواطنين المسلمين على أنظمة الشرطة ، وقوانين البوليس الغربيَّة أو الشرقية ، إذ لم يكن بها رجل شرطة واحد . وإنما كانت تعتمد على إيمان الفرد المسلم وخلقه وأمانته ودينه . وكان الفرد المسلم يعتمد فى تقوية إيمانه وتهذيب أخلاقه ، وتزكية نفسه على طاعة الله تعالى ورسوله ومن أهم تلك الطاعات إقام الصلاة ، إذ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والفرد المسلم متى زكت نفسه وطهرت روحه كان أبعد الناس عما يشين ، ويضر ، وأقدر الناس على فعل مايجلب الخير والنفع له ولغيره من عباد الله . ولازم هذا الكمال فى الأفراد أنهم يتعاونون على البر والتقوى ، ولايتعاونون على الإثم والعدوان . ومن هنا لم يكن الأمر مُحْوجاً إلى وجود شرطة ولا نظامها فى ديار الإسلام . وبخاصة دولة الرسول ﷺ والراشدين . بيد أن الرسول ﷺ قد أخبر بأنه ستوجد شرطة فى آخر الزمان وهـو بإخبـاره ذلـك يحذر أمتـه من شر مايقـع ، لتـدفـع عن نفسها ما استطاعت . وهذا مسلم يروى لنا حديث الشرطة فيقول : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذنـاب البقـر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائـلات كأسنمـة البخت العجـاف ، لايَدْخُلْنَ الجنة ولا يجدْنَ ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . . . » .

كما أخرج الطبرانى فى الكبير عن عوف بن مالك أن النبى ﷺ قال : « أخاف عليكم ستاً : إمارة السفهاء وكثرة الشرط الخ .. » .

فدل كلّ من هذين الحديثين على وجود علامتين من علامات الساعة فحديث مسلم دل على وجود الشرطة وتبرج النساء تبرج الجاهلية الأولى ، وحديث الطبرانى دل على إمرة السفهاء وهم الذين لارشد لهم فى أعمالهم وتصرفاتهم لخفة عقولهم وأحلامهم وعلى وجود الشرط وكثرتهم وكان ماتضمنه الحديثان دليلاً قاطعاً على نبوّة محمد ﷺ وعلى قرب الساعة . إذ هو غيب محض أخبر به الرسول ﷺ فكان كما أخبر بلا زيادة ولا نقصان .

هذا وإن قيل : ماذنب رجال الشرطة حتى يدخلوا النار وهم يحفظون الأمن والنظام فى البلد ؟ .

فالجواب : إن ذنبهم الذى أوجب لهم النار وحرمهم من الجنة ليس هو حفظهم الأمن والنظام وإنما هو تركهم الصلاة ، وفعلهم المنكرات كشرب الخمور وأخذ الرشوة وظلم الناس إذ أكثر الشرط فى العالم الإسلامى لا يصلون ويرتكبون كبائر الذنوب ، ولا يامرون بمعروف ولا ينهون عن منكر وهم قادرون على ذلك بما خُوّلوا من سلطة وإن كانت محدودة فإنهم يستطيعون بها أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فى حدود تلك السلطة المحدودة .

وأما كون النساء من أهل النار فالأمر ظاهر إذ المرأة التى تترك الحجاب وهو دين الله تعالى وأمره ، وتخرج متبرجة كاسية بعض جسمها كاشفة عن بعض آخر للإغراء بها والفتنة امرأة لم يبق لها من الإيمان حبة خردل ، وحينئذ فما الذى ينهاها عن فعل الشر ، ويأمرها بفعل الخير . والنار تُدخل بفعْل الشر وترك الخير ، والجنة تورث بفعل الخير واجتناب الشر ولا عجب إذاً فإن من كانت من النساء كما وصف رسول الله ﷺ أنها لاتدخل الجنة ولا تجد ريحها .

وأخيراً فإنه لا يسعنا أمام هذين الحديثين اللَّذين دَلَّا على نبوة رسول الله ﷺ وقرب الساعة إلا أن نتوب إلى الله ونكثر من ذكره عز وجل عملاً بقوله ﷺ فى رواية الطبرانى والبزار : « سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء تنكرونها عظاماً تقولون : هل كُنَّا حُدثنا بهذا ؟ فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة » .

٦ ـ الحكم بغير ما أنزل الله تعالى :

إن المسلمين سواء كانوا عرباً أو عجمًا بعد أن أنعم الله تعالى عليهم بنعمة الإسلام فذاقوا طعم عدالة الأحكام الإسلامية وتنسّموا نسيم الحريّة فى ظل [1] الأنظمة والقوانين الإلهية ، ما كان أحد منهم يخطر على باله أن يوماً سيأتى يرغب فيه المسلمون عن شرع الله تعالى وشرع رسوله مستبدلين بذلك شرائع وقوانين وضعها الكفار والفجار من أهل العداوة للإسلام والمسلمين ، لاسيما وأن القرآن الكريم محفوظ فى الصدور مكتوب فى السطور ولا يخشى عليه فوتٌ ولا ضياع . إن الله تعالى يقول : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ مع إفاضة علمهم التام بتكفير وتظليم وتفسيق من لم يحكم بما أنزل الله تعالى حيث جاء ذلك واضحاً صريحاً فى كتاب الله تعالى من سورة المائدة .

وتمضى القرون على المسلمين ولا شرع لهم ولا قانون إلا شرع الله وقانونه .

وديارهم ناعمة بالعدل والرحمة والنظام ، ثم داخلهم الفساد فى عقائدهم ، وعباداتهم وآدابهم وأخلاقهم نتيجة مكر أعداء الإسلام بهم ، فتعرضوا بذلك لمقت الله وغضبه فسلط عليهم النصارى فحكموهم بقوانين الكفر والباطل ، ولم يَنْجُ من هذه المحنة سوى حكومة الإمام العادل الملك عبد العزيز تغمده الله برحمته . ورحل النصارى فى الجملة عن بلاد

---

(١) الأولى أن يقال فى ظل الأحكام الشرعية لأن كلمة النظام والقانون لم ترد فى الكتاب ولا فى السنة .

المسلمين وبقيت قوانينهم هى السائدة تنفذ فى كل شؤون الحياة . ومن حاول من علماء الإسلام إنكار ذلك رُمِىَ بالخيانة والتعاون مع الأجنبى ونكل به فسكت لذلك العلماء وساد **المسلمين قانون الكفر والكافرين وتبع ذلك ظلم وفوضى وذل ومهانة لايرجى أن ترفع إلاّ بعودة الحكم الإسلامى إلى الحياة .**

وبما تقدم لك أيها القارىء ترى أن المعجزة المحمدية قَد تَجلَّت . **وأن** أشراط الساعة قد ظهرت ؛ إذ وقع ماأخبر به الرسول ﷺ مِنْ **أن أمته** ستتخلى عن أحكام الشرع الإسلامى وتستبدل بها غيرها من شرائع **وقوانين** لم ينزل الله تعالى بها من سلطان .

وإليك الحديث النبوى الشريف المتضمن لترك أمة **الإسلام الحكم** بشرع الله عز وجل فقد رَوَىٰ أحمد والطبرانى عن **أبى أمامة الباهلى عن** النبى ﷺ أنه قال : « لتنقضن عرى الإسلام عُروة عُروة ، **فكلما انتقضت** عروة تشبث الناس بالتى تليها ، وأولهن نقضاً (الحكم) **وآخرهن** الصلاة » .

ويتعين علينا هنا أن نذكر بعض ما انتقض من عُرى **الإسلام بعد** تعطيل الأحكام الشرعية .

إنَّه أول ما انتقض من عُرى الإسلام بعد تعطيل الشريعة **جباية الزكاة** وأخذها ممن وجبت عليهم من المسلمين وصرفها فى مصارفها ، **واستبدال** الضرائب الفادحة بها ، وثانى عُرى الإسلام انتقاضاً ترك **الجهاد والغزو فى** سبيل الله تعالى وثالث العرى انتقاضاً ترك الأمر بالمعروف **والنهى عن** المنكر ، ورابع العرُى انتقاضاً ترك الخلافة الإسلامية **الجامعة لشتات** المسلمين والحامية لهم من كيد وظلم أعدائهم ، **والقناعة بدويلات صغيرة** لاتبدى ولا تعيد ، لاتقدر على حماية نفسها ولا حماية غيرها . **وخامس عُرى** الإسلام انتقاضاً إماتة جماعة المسلمين . **وإحياء الجمعيات والأحزاب**

المتناحرة المتطاحنة مما زاد فى سوء حال المسلمين وأفقدهم الإخاء الإسلامى والتعاون الإيمانى إذ جماعة المسلمين إذا ضعف السلطان تنهض بالمهام الواجب القيام به بين المسلمين وذلك كإرشاد الضال وتعليم الجاهل ، وكسوة العارى ومداواة المريض ، وإطعام الجائع وتأمين الخائف إلى غير ذلك من النصح والإرشاد لكل مسلم فى البلاد .

٧ - ظهور الكشافة :

إن الحركة الكشفية نظام حديث يدور على تجنيد الأحداث المميزين ، والذين لم يناهزوا البلوغ بعد ، لأجل رياضة أبدانهم وتهذيب أخلاقهم ، وتعويدهم على أعمال إنسانية محضة . هكذا زعم واضع هذا النظام ومؤيدوه من الناس . ومما يحكى فى هذا الشأن أن واضع النظام الكشفى العالمى هو رجل بريطانى موصوف باللوطيّة . ويدل لذلك إلزام الأحداث المنخرطين فى المعسكرات الكشفية بكشف أفخاذهم لمتعة النظر إلى الأفخاذ وهى عارية بيضاء نقية شأنهم فى ذلك شأن دعاة السفور والتبرج فى العالم إذ الحامل لهم على ذلك رغبة التمتع بوجوه الحسان والتحدث مَعَهُنَّ ليسهل بذلك إرواء غرائزهم البهيميّة . ومن هنا فلا غرابة فى ذكر هذه التهمة إزاء واضع الكشافة وأنظمتها ؟ إذ الريبة قائمة والوازع الدينى معدوم ، والشهوات عارمة وما وراء ذلك السكوت عنه أحسن .

وهل لفظ الكشافة مشتقة من الكشف عن الأفخاذ ، أو من كشف الغموم ؟ .

لا مانع أن يكون الاشتقاق منهما معاً بحسب مقاصد واضعى نظام الكشافة ومؤيديه والكشافة حديثة الوجود ، ولم تكن معروفة قبل ، ومع هذا فقد انتشرت فى العالم بأسره ، ولم ينج منها حتى العالم الإسلامى ، وقبلها المسلمون على عجرها وبجرها ، لأنهم أخذوها تقليداً للغرب ، والمقلد أعمى ، وإلا فكيف يجوز للغلام المناهز للبلوغ أو يكاد أن يكشف

عن فخذيه ويمشى فى الشوارع والأسواق بلا حياء ولا خوف ولا وجَل . وأغرب من هذا فى حال المسلمين أن يرضوا بوضع شعار الكشافة وهو عبارة عن خرقة على شكل صليب تسلك فى العنق ولا شك أن هذا من عمل النصارى الذين يحبون أن يتمثلوا الصليب فى كل شىء . ولو عرف المسلمون مكانتهم لما رضوا فى كشافتهم بهذين المعصيتين : كشف الأفخاذ ولبس الصليب . (١)

وكون ظهور الكشافة علامة من علامات قرب الساعة ظاهر فى أن النظام الكشفى لم يكن معروفا فى الشرق ولا فى الغرب . وتمضى القرون العديدة ولم يظهر للكشافة وجود . وفجأة تظهر بين الناس وتجد التحبيذ والاستحسان حتى من المسلمين ، وبذلك تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ فى قوله وهو يذكر (٢) خصالاً عَمِلَ بها قوم لوط فأهلكوا « والمشى فى الأسواق والأفخاذ بادية » ولم يُعرف المشى فى الأسواق والأفخاذ بادية إلا عندما ظهرت المعسكرات الكشفية . وأخذ الكشافة يتجولون فى الأسواق وأفخاذهم مكشوفة . فكان هذا فى الواقع علما من أعلام النبوة إذ أخبر به الرسول ﷺ فكان كما أخبر . ف ﷺ تسليماً .

٨ ـ المظاهرات بدل الغزو والجهاد :

إن المراد من المظاهرات هو خروج المواطنين من منازلهم ومحلات أعمالهم وتجمعهم فى الساحات العامة ، ثم سيرهم فى الشوارع يحملون لافتات قد كتب عليها بعض ما يطلبون بتحقيقه ، وهم يهتفون بأعلى أصواتهم مطالبين بما يريدون تحقيقه من إسقاط حاكم أو تعديل قانون ، أو دفع

---

(١) باستثناء المملكة العربية السعودية فإن الكشافة عندها ملتزمة بالشرع فلا كشف للأفخاذ . ولا تعليق ما يشبه الصليب والحمد لله .

(٢) رواه الديلمى فى مسند الفردوس وذكره ابن عساكر فى تاريخه .

ظلم ، أو تحقيق حق ، ويواصلون مظاهراتهم إلى أن يتعبوا فيتفرقوا . أو يحدثون شغباً فتتصدى له السلطات الحاكمة فيفرقونهم بقوة السيف . ويعدون هذه المظاهرات من الجهاد فى سبيل الله ويفاخرون بها . وأسوأ ما رُوىَ من مظاهرات ما قام حجاج الروافض الشيعة فى الحرمين الشريفين بقصد الإساءة إلى حكومة المملكة العربية السعودية وذلك لما يحملون لها من الغيظ الذى كان يحطم صدورهم ويمزق قلوبهم ولا ذنب للحكومة السعودية إلا أنها تحكم بالإسلام . ولا تسمح بمظاهر الشرك والخرافة الدينيّة ، والروافض يقوم معتقدهم وعباداتهم على أساس الخرافة والضلالة والشرك الأكبر والأصغر والخفىّ والجلى ، لأنهم قوم ضُللوا من قديم الزمان على أيدى التعاون المجرم المجوسى واليهودى ، ورضوا بضلالتهم وشركهم ويحسبون أنهم مهتدون .

وبعد فهل ذكر رسول الله ﷺ لأصحابه مثل هذه المظاهرات وأخبر بوجودها فى آخر الزمان ؟

والجواب : ـ نعم ـ أيها القارىء الكريم ـ لقد ذكرها رسول الله ﷺ بصريح العبارة وجعلها من أشراط الساعة وقرب قيام القيامة ، وهذا الطبرانى فى كبيره (١) يروى بسنده قوله ﷺ : « ثلاث إذا رأيتموهن فعِنْدَ ذلك تقوم الساعة » . وبينها فيقول : « خراب العامر ، وعمار الخراب ، وأن يكون الغزو نِداءً وأن يتمرس الرجل بأمانته تمرس البعير بالشجرة » (١)

والشاهد من هذا الحديث فى قوله ﷺ وأن يكون الغزو نِداءً . إن النداء . هو رفع أصوات المتظاهرين يحيا فلان ويسقط فلان ، أو يكون كذا وكذا وهم يعدون هذه النداءات بأعلى أصواتهم مع مظاهراتهم يعدونها غزواً وَجهاداً أو أعظم من الغزو والجهاد .

وأخيراً فإن وجود هذه المظاهرات فى العالم اليوم ، ولم تكن معروفة من

---

(١) ورواه أيضا البغوى فى معجم الصحابة ، وابن عساكر فى التاريخ .

قبل ، آية من آيات قرب الساعة ، وعلم من أعلام النبوة المحمدية إذ أخبر بها الرسول ﷺ قبل وجودها بمئات السنين فكانت كما أخبر . فتقرر بذلك نبوّته ، وقرب الساعة . فهل من تائب يا عباد الله ؟ .

٩ ـ فشو التجارة ، وكثرة المال وظهور القلم :

هذه ـ أخى القارىء ـ ثلاث علامات قد ظهرت وفق إخبار الرسول بها وهى معدودة من أشراط الساعة الصغرى . وفى القرآن الكريم : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها . فأنّى لهم إذا جاءتهم ذِكراهم ﴾ . وهذه العلامات هى : كثرة التجارة وفشوها ، وكثرة المال وفيضه ، ورفع القلم وظهوره . أما التجارة فقد تعاطاها اليوم العام والخاص حتى الأحداث الصغار من بنين وبنات كما نشاهد فى شوارع المدينة المنورة ، فأصبحت التجارة مهنة كل الناس بعد أن كانت خاصة بفئة محدودة فى كل الأمم والشعوب من شأن تلك الفئة القليلة من أهل المدينة أو القرية أنه تقوى على السفر والسهر ، والنصب والتعب ، وكان من أسباب انتشارها يسر المواصلات وسرعة الاتصالات ، فالرجل على مكتبه وهو يبيع ويشترى مع من شاء من التجار فى العالم بأسره وأما المال فقد فاض فيضاناً لم يسبق له مثيل حتى أصبح المتسول يملك آلاف الدراهم أو مئات الدنانير الأمر الذى لم يسبق له نظير . وأما ظهور القلم وسيادته وهو مستلزم للكتابة و الكتاب فإن من ظهوره أن أصبح على جيب كل إنسان بل من الناس من يكون على جيب صَدْره أقلام لاقلم واحد . وأصبحت أمور الناس ومصالحهم تجرى على أيدى الكتاب أرباب الأقلام . فى كل البلاد ، وبين سائر العباد وهذا مادل عليه قطعا الأحاديث التالية :

١ ـ رواية أحمد والبزار والطبرانى وغيرهم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه من أن الرسول ﷺ قال : « إن من أشراط الساعة أن يظهر القلم » .

٢ ـ رواية ابن المبـارك عن الحسن (١) البصرى أن النبى ﷺ قال : « لاتقوم الساعة حتى يرفع العِلم ويفيض المال ، ويظهر القلم وتكثر التجارة » .

٣ ـ رواية النسائى من حديث عمرو بن تغلب عن النبى ﷺ أنه قال : « إن من أشراط الساعة أن يفشوَ المال وتفشو التجارة ، ويظهر القلم » إلـخ . . . .

إن الأحاديث الثلاثة قد اشتملت على العلامات الصغرى للساعة ، وهى العلامات المذكورة أعلاه : ظهور القلم ، رفع العلم ، فيضان المال .

ومما يلفت النظر : تنافى رفع العلم وظهور القلم ، إن المفروض أن العلم يكثر مع ظهور القلم ، وإذا به يقل حتى يفشو الجهل . ولذلك كان رفع العلم مع ظهور القلم علامة من علامات قرب الساعة .

وبالجملة واختصار القول أنَّ العلامات الثلاث التى اشتملت عليها الـروايات الثـلاث قد ظهـرت كما أخـبر بها رسـول الله ﷺ فَدلَّت على حقيقتـين : الأولى صحـة نبوّة محمد ﷺ وصدق رسالته . والثانية قرب الساعة لوجود أشراطها .

والسؤال الأخير هو هل من تائب ؟ هل من مراجع نفسه ليسير فى طريق الحق لينجو ويسعد ؟ .

---

(١) الحديث مرسل .

العــلامات الواردة فى الأنفـــس

١ - شيــوع الربا وأكلـــه :

إن تحريم الربا فى الإسلام وأمته من أبرز المظاهر الإسلاميّة التى جاء الإسلام بها ، فقد حرّم الله تعالى الربا فى كتابه بصيغ من الكلام بلغت من القوة والشدّة ما جعلت أكل الربا من أكبر الكبائر ، ومتعاطيه محارباً لله ورسوله قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾ وأعلن رسول الله ﷺ عن تحريم الربا عام الفتح بمكة وقال : « وكل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قَدَمىَّ هَاتَيْن وأول ربا أضع ربا عمى العباس » وما زال ﷺ يؤكد تحريم الربا ويعلن عن خطورته حتى قال « لَعَنَ الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه » وقال : « الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه » (١) .

وحـرم المسلمـون الـربـا بتحريم الله ورسوله له . وأصبحت أمة الإسلام فى مأمن من هذه المفسدة ، ولم يبق بينها من يظن أنَّه يوماً مَّا من الأيام سيعلن فيه عن إباحة الربا بأكله جهرة وتعاطيه علناً بدون ما خوف ولا حياء . وتمضى الأيام والأعوام وتتوالى القرون ، ويظهر فى أمة الإسلام الربا ويفشو تعاطيه بين المسلمين ولم يبق بلد واحد من بلاد المسلمين لم يؤكل فيه الربا ويُتعامل به .

وهذا عائد غالبا إلى البنوك التى انتشرت فى ديار الإسلام وهى من وضع عبدة العجل اليهود وهم قد أقاموها أساساً على الربا أخذاً وعطاء فبواسطة هذه البنوك انتشر الربا وعم والعياذ بالله تعالى . وتساءل المسلمون : هل

---

(١) رواه الحاكم وصححه .

كان الرسول ﷺ قد ذكر أن مثل هذا قد يقع فى اخر الزمان ؟ وبالرجوع إلى أبواب الفتن وأشراط الساعة من كتب السنن وجدَ قطعاً أن النبى ﷺ قد أخبر به ، وأن أمته آكلة الربا لا محالة .

وهذا أبو داود وابن ماجه والحاكم يروون عن أبى هريرة رضى الله عنه قول الرسول ﷺ : « ليأتين على الناس زمان لايبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله ناله من غباره » . وفى رواية أخرى لأبى هريرة : « سيأتى على الناس زمان يأكلون فيه كلهم الربا . فقلنا يارسول ﷺ كلهم ؟ قال : نعم ، ومن لم يأكله أصابه غباره » وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به ، فقد أكل المسلمون فى هذه الأيام الربا ومن لم يأكله مباشرة فقد أكله بالواسطة ، وهو معنى قوله : ناله من غباره ، إذ أصبحت الأموال كلها تمر بطريق البنوك فلا تصل إلى الموظف ولا إلى العامل فضلا عن التاجر إلا عن طريق البنوك الربويّة ، وبذلك أكل الناس الربا عامة ومن لم يأكله أصابه من غباره . والعياذ بالله تعالى وثبت بهذا أن رسول الله حق وأن أشراط الساعة قد ظهرت فهل من تائب منيب فيؤمن برسول الله ويلزم نفسه بحبه واتباعه ويتقيد بسنته ولزوم شريعته ، والإعراض عن الدنيا وقد أصبحت وشيكة الفناء والزوال .

اللهم توبة منك تنقذنا بها من وحلة الآثام ، وفتنة أكل الحرام ، وتحفظنا بها من سوء الختام إنك سميع الدعاء وتعلم السر والنجوى .

٢ ـ تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال :

التّشبه : تفعّل من الشبه ، ومعناه : طلب الإنسان وتكلّفه أن يكون شبه كذا ممن يريد أن يكون مثله فى زيّه أو خلقه أو دينه ؛ لرغبة فى نفسه دعته إلى ذلك أو لغرض يريد تحقيقه من وراء التشبه بمن أراد أن يتشبّه

والتشبه منه ما هو محمود ، ومنه ماهو مذموم ، فالمحمود ما كان بالصالحين من ذوى الإيمان والتقوى ، والأخلاق الفاضلة كالصلحاء

والأتقياء ، والشجعان والكرماء فيتشبه بهم الرجل فيقلدهم ويحاكِيهم فى منطقهم وزيهم وسلوكهم حبّاً فيهم ورغبة فى كمالهم . فيحصل له ذلك إن شاء الله تعالى .

ومثله المرأة تتشبه بفضليات النساء فتحاول تقليدهن فى الاحتشام والحياء . والعفة والسخاء وحسن التّبَعّل للزوج وتربية الأولاد والمحافظة على الصلاة وخفض الصوت وغض البصر ، وما إلى ذلك من كمال النساء . فى الدين والخلق فهذا تشبه محمود مرغب فيه مدعوٌّ إليه .

وأما التشبه المذموم فإن منه ما هو كفر وذلك كالتشبه بالكافرين والمشركين إعجاباً بهم ، وحبّاً لهم ، ورغبة فى أن يكون مثلهم . ومنه ما هو حرام وذلك كتشبه الرجل بالمرأة فى تطويل ثيابه ، وحلق وجهه ، وترجيل شعره وإطالته حتى يكون كشعر المرأة ، وكاستعمال المساحيق بتزجيج الحواجب ، ونتف شعر الخدَّين ، وكالتكسر فى المشية والترقيق للصوت . ولبس مايختص بالنساء من النعال والثياب وغير ذلك .

ومثله تشبه المرأة بالرجل فى جعل ثيابها إلى نصف ساقها ، وكشف وجهها ، وتقصير شعر رأسها ، وإغلاظ صوتها ، وتكلف ترك الحشمة والحياء ، والإظهار فى مظهر الرجل فى المشية والسلوك . ومن ذلك طلب المهام الخاصة بالرجال ومحاولة مزاولتها كأعمال القضاء والشرطة والسفارة والوزارة والمحاماة وقيادة السيارات ، وإلقاء الخطب والمحاضرات فى المجامع والحفلات ، أو على أمواج الأثير ، وكالنفور من البيت ، والرغبة فى الجلوس فى الحدائق العامة والخاصة . والمقاهى والملاهى وما إلى ذلك .

فكل هذا تشبه حرام فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة فعله .

عرف المسلمون حكم التشبه الحرام فاجتنبوه طاعة لله ورسول الله فعاشوا قرونا طويلة لا يتشبه رجل بامرأة ولا امرأة برجل ، فضلا عن التشبه بالكفر وهو التشبه بالمشركين والكافرين ، بيد أنه قد ظهر فى هذه الأيام التشبه بالنساء من الرجال وبالرجال من النساء وبصور واضحة .

وبـأعداد هائلة بالرغم من قول الرسول ﷺ : « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال » .

وتساءل الناس . هل أخبر الرسول ﷺ بأن هذه المفسدة قد تقع فى أمته فتهبط أمة الإسلام فى أخلاقها وتتنكر لآدابها ، وتخرج عن طاعة نبيهـــا ؟ .

ووجدوا الجواب عن أبى نعيم فى حليته إذ يروى له عن حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ قوله : قال رسول الله ﷺ : « من اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال » . وبهذا تأكدت نبوة الرسول ﷺ كما تأكد قرب الساعة فهل من تائب يا عباد الله ؟ .

٣ ـ التشبه باليهود والنصارى :

لقد عرفنا فى المسألة الثانية قبل هذه حكم التشبه وعرفنا معناه ، غير أن تلك مسألة أخرى وهى أغرب وأعجب من تلك إلى حد أنَّ تصور وقوع هذه المسألة فى عهد الصحابة والتابعين يعتبر تصورا لوقوع شىء مستحيل ، وذلك لأن الله تعالى حذرنا من اليهود والنصارى وحرم علينا موالاتهم ، وذلك لأن الأولين مغضوب عليهم بما ظلموا ، والآخرين ضالّون لانحرافهم عن الدين الحق ، وكفرهم بالإسلام الذى هو خاتم الأديان السماوية والذى لايقبل من إنسان دِين غيُره . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** ﴾ ، **وقال** : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ فرضاهم عَن المسلمين متعذر بل مستحيل ما لم يتبع المسلمون دينهم فيكفروا كما كَفروا ، والعياذ بالله تعالى . فإخبار الله تعالى المسلمين بعداوة اليهود والنصارى له وتحريمه تعالى على المسلمين مودتهم وموالاتهم حال تقتضى بالطبع والشرع أن لا يقلد المسلمون اليهود والنصارى ، ولا يتشبهون بهم فى شىء ؛ لأن التشبيه المطلوب يكون بالمهتدين الصالحين

واليهود والنصارى لاهداية معهم ولا صلاح فيهم . فكيف يجوز تقليدهم فى شىء أو التشبه بهم فى آخر .

بَيْدَ أن الرسول ﷺ قد أخبر بأن زمناً ما سيأتى يتشبه فيه المسلمون بكل من اليهود والنصارى ويقلدونهم فى كل شىء من مظاهر الحياة ، وأنَّ هذا كائن لا محالة ووقوعه يوم يقع يكون آية صدق محمد ﷺ فى نبوّته ورسالته ، وعلامة من علامات قرب الساعة .

ويعيش المسلمون قرونا عدة ، ولا مناسبة ولا ملاءمة بينهم وبين اليهود والنصارى فضلاً عن المودة والموالاة ، وذلك ليحفظ المسلمون قلوبهم من الزيغ ، وعقولهم من الضلال ، وأعمالهم من الفساد ، وسلوكهم من الانحراف وأثناء هذه الحماية للمسلمين كان اليهود والمجوس وأخيرا النصاري يتآمرون على المسلمين ويكيدون لهم ويدسون ويمكرون وما زالوا كذلك والمسلمون فى غفلة حتى أفسدوا على المسلمين عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ونزل المسلمون من علياء كرامتهم ، وسماء مجدهم وكَمَالِهِمْ بعد أن فَقَدُوا طُهرهم وصفاءهم . وفجأة وقعوا فريسة لأعدائهم فمزقوا دولتهم وتقاسموا بلادهم وحكموهم بقانون الكفر وساموهم الخسف والعذاب ، ووجد المسلمون أنفسهم تحت رحمة النصارى المتهودين يذيقونهم مُرَّ العذاب يتحكمون فى رقابهم ويتصرفون فى أموالهم ، فكانت هذه حالاً اضطر المسلمون معها إلى إظهار محبة الكافرين ، ومصانعتهم فأدى ذلك بهم إلى التزيى بزيهم ، والعمل بعاداتهم ، والتخلق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم ، والتملق إليهم حتى بالتخلى عن الإسلام عقيدة وعبادة وقانوناً .

وبهذا وقع المسلمون فيما حذر منه رسول الله ﷺ وحدث به أخيراً بوقوعه ، والرسول ﷺ عندما يخبر عن المستقبل وما يقع فيه إنما قصده تحذير المسلمين ليأخذوا بالحيطة لأنفسهم ودينهم فينجوا . مع ما فى ذلك الإخبار من آية النبوة ، وعلامات قرب الساعة ، فيقوى إيمان المؤمنين ويزداد احتياطهم لدينهم وأنفسهم .

وأخيراً إلى القارىء الكريم الأحاديث النبوية المتضمنة لتشبه المسلمين فى آخر الزمان باليهود والنصارى التشبه القائم اليوم ومنذ سقوط الخلافة واحتلال النصارى المتهودين لبلادهم ، والتحكم فى رقابهـــــم .

١ - حديث البخارى ومسلم ونصه : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم [١] قيل يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن » ؟.

٢ - حديث أحمد عن سهل بن سعد الأنصارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ : ونصه كالتالى : « والذى نفسْى بيده لتركبن سنن من قبلكم مِثْلاً بِمثْل ».

٣ - حديث البزار والحاكم من رواية ابن عباس رضى الله عنهما هكذا : « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وباعاً بباع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموهُ ولو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم ».

٤ - حديث الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ونصه هكذا : « أنتم أشبه الأمم ببنى إسرائيل لتركبن طريقهم حذو القذة بالقذة حتى لايكون فيهم شىء إلا كان فيكم مثله حتى إن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها ، ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ، ويضحكون إليه ».

٥ - حديث الحاكم عن حذيفة رضى الله عنه ولفظه مايلى : « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، ولتركبن سنن الأمم من قبلكم حذو النعل بالنعل لا تخطئون طريقهم ولا تُخطئنكم حتى إنه لو كان فيهم من يأكل العذرة رطبة أو يابسة لأكلتموها ».

---

(١) حضرت بمدينة وجدة بالديار المغربية مجلساً فقيل فيه إن الواعظ الفلانى قد فسر جحر الضب فى الحديث بالسروال الضيق الطويل فاستوجهت التأويل واستملحته للغاية لأن السروال الطويل الضيق أشبه بجحر الضب ، وقد قلد فيه المسلمون اليهود والنصارى ولبسوه مع أنه يكره فى الصلاة وينافى الحياء !!

وأخيرا فهذه الأحاديث الخمسة مصرحة كلها بأن هذه الأمة سيطرأ عليها من الضعف والفساد فى آخر الزمان ما يجعلها تتشبه باليهود والنصارى وتقلدهم وتجاريهم فى فسادهم حتى ترتكب كل ما ارتكبوه من الشر والفساد . وهذه نقاط سود فى جسم أمة الإسلام المنكوبة اليوم بالتبعيّة والتقليد لأعداء الحق ودين الإسلام فليتأملها القارىء وليستغفر الله له وللمسلمين والمسلمات .

● فسق اليهود والنصارى عن شرائع الله بتحليل الحرام وتحريم الحلال ففعل ذلك المسلمون تقليداً لليهود والنصارى .

● عطّل اليهود والنصارى أحكام الشرع الإلهى وفصلوا الدين عن الدولة فأقاموا دولهم على العلمانية البحتة ففعل المسلمون ذلك باستثناء المملكة العربية السعودية حماها الله ووقاها شر الغير إنه قدير .

● استراب اليهود والنصارى فى دينهم فاستراب وشك كثير من المسلمين فى دينهم ، وذهب عنه الاعتقاد الثابت القوى ، وعاشوا فى ذبذبةٍ وحَيْرةٍ ما هم بالمؤمنين ولا بالكافرين .

● ابتداع اليهود والنصارى البدع فى دينهم الأمر الذى خرجوا به حتى عن مسمّى الدين ، فابتدع المسلمون البدع فى العقائد والعبادات والأحكام مما خرج بكثير منهم عن الإسلام الحق ، والصراط المستقيم .

● تبرج وسفر نساء اليهود والنصارى فسفرت وتبرجت نساء كثير من نساء المسلمين .

هذه أخى القارىء نقاط قليلة وغيرها كثير ، والمقصود من ذكر هذا البعض هو الإشارة إلى أن ما أخبر به الرسول من تشبه هذه الأمة باليهود والنصارى وجعله علامة على قُرب الساعة قد وقع كما أخبر حرفياً ، وبذلك ظهرت أعلام النبوة المحمدية ، ولاحَتْ علامات الساعة ، ولم يبق إلا طلب النجاة فالنجاة النجاة يا عباد الله : آمنوا بالله ورسوله وتخففوا من دنياكم فقد آذنت بالزوال ، وتزودوا لآخرتكم فإنكم على الأعتاب . ويَتُوب الله على من تاب .

٤ ـ استحـــلال المحرمات :

اعلم أيها القارىء الكريم أنه ما إن استقر الرسول الكريم ﷺ بالمدينة النبويّة وقد انتشر فيها الإسلام وكثر بها المسلمون حتى أخذت الأحكام الشرعية تَنْزِل والمسلمون يتلقونها ببالغ الفرح وعظيم السرور . ففرض الله تعالى الصيَام . والزكاة وحرم الخمر والقمار ، ولبس الذهب والحرير على الـرجال ، ونزلت حدود السرقة والقتل والزنا ، وأحكام البغى ، وما إلى ذلـك ، وتـوالى نزول القـرآن ، وبيان السنة ، فعرف المسلمون الحلال والحـرام ، والمباح والمحظور من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس كما عرفوا العبادات وأحكام المعاملات ، وما أصبح بينهم من يجهل المحرمات مما ذكرنا وما لم نذكر ، وطهرت ديار المسلمين من كل خبث وعبث وَحَلَّ محل ذلك الحزام والجد ، والطهر والصفاء ، وعاش المسلمون دهراً طويلا وهم يعملون أن مستحل الحرام يكفر به وإن الجاحد لمعلوم من الدين بالضرورة كافر بجحوده ـ ولم يكن يخطر ببال أكثر المسلمين أن زمناً سيأتى يوجد بين المسلمين من يستحل ما حرم الله تعالى . غير أن الرسول ﷺ قد أخبر أن ذلك كائن لا محالة وأنه من أشراط الساعة .

وهذا البخارى رحمه الله تعالى روى لنا قوله ﷺ : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر [١] والحرير والخمر والمعـــازف » .

وكالبخارى الطبرانى إذ يروى عن سهل بن سعد الأنصارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ، ومسخ ، قيل ومتى ذلـك يارسـول الله ؟ قال : إذا ظهـرت المعـازف والقينات ، واستحلت الخمـــر » .

---

(١) الحر : فرج المرأة والمراد به استحلال الزنا .

وبإلقاء نظرة خاطفة أيها القارئ الكريم على بلاد المسلمين من أندونيسيا شرقاً إلى المملكة العربية المغربية غرباً تجد وكأن المذكورات فى الحديثين الشريفين قد استحلت فعلا .

فالخمر تصنع وتصدر وتشرب فى كثير من بلاد المسلمين . وتستورد وتباع وتشترى وتشرب فى بلاد أخرى من ديار المسلمين أليس هذا باستحلال لها ؟ .

ودور البغاء استمرت معلناً عنها يأتيها المسلمون ليل نهار زمناً غير قصير أليس هذا باستحلال للزنا ؟ .

وفتح دور الحضانة لإيواء أولاد الزنا والتقاط أبناء الخطيئة والتمدح بذلك وإطلاق أبناء الشعب عليهم وتربيتهم لادينيّاً ولا أخلاقيّاً للاستعانة بهم على سفك الدماء والقتل ، وفى كثير من بلاد المسلمين أليس هذا استباحة للزنا ؟ .

وإذاعة الأغانى الماجنة الخليعة بأصوات العواهر والمخنثين والزناة طوال الليل والنهار فى المنازل والدكاكين والشوارع وفى المراكب حتى الطائرات أليس هذا استباحة للمعازف والقينات ؟ .

لاأحسب أحداً يعرف عن الله ورسوله لايقول فى كل التساؤلات : بلى ، بلى ، بلى إى وربى إنه لحـــق . . .

وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به فقد كان كما أخبر فتأكدت بذلك نبوّته وتحققت رسالته واقتربت الساعة بظهور أشراطها . فهل من منيب ياعباد الله ؟ هل من تائب فيترك الزنا والغناء وشرب الخمر وأكل الربا ؟ .

٥ ـ طلب العلم لغير الله تعالى :

إن العلم الـذى يرفـع الله به أهله درجات ، والذى هو غاية للعقلاء من أشرف الغايات ، وهو العلم الدينى الشرعىّ ، وحقيقته ، معرفة الله تعالى ، ومعرفة مايقرب إليه زلفى ، وهو العلم الذى يكسب العبد خشية الله وينيله تقـــواه .

العلم الذى أمر اللّه تعالى رسوله أن يسأله المزيد فقال : ﴿ **وقل ربّ زِدْني علماً** ﴾ ، وأهله هم المقول فيهم : ﴿ **وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ .

هذا العلم الشرعى طلبـه الأولون وتحملوا فى طلبه المشاق ، وصبروا لأجل الحصول عليه على الشدائد وخاضوا فى سبيله الأهوال .

هذا العلم ما كان فى يوم من الأيام يطلب إلاَّ لله تعالى تقرباً إليه وتوسلاً إلى حبـه والقرب منه ، لأنه عبادة من أشرف العبادات ، والعبادات لا تكون إلاَّ لله خالصة . بَيْدَ أن الرسول ﷺ قَدْ أخبر أصحابه أن من أشراط الساعة وعلامات قرب مجيئها طلب العلم لغير الله تعالى ، والتفقّه فى الدين لأجل الدنيا . والروايات التالية تقرر هذه الحقيقة وتؤكدها فلننظر فيهـــا .

١ ـ رواية أبى نعيم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وفيها يقول الرسول ﷺ : « كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبـير . وتتخذ سنة فإذا ترك منها شىء ، قيل : تركت سنة ؟ قالوا : ماهى يارســـول الله ؟ قال : إذا كثـر قراؤكم ، وقلّت علماؤكم وكثـرت أمراؤكم ، وقلّت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ، وتُفقه لغير الله » .

ففى هذه الرواية دلالة قويّة على ما سقناها لأجله من قرب الساعة إذ تضمنت كثرة من يقرأ ويكتب . وقلة من يعلم ، ثم كثرة الأمراء بتعدد دول المسلمين حتى أصبحت دولهم تزيد على خمس وعشرين دولة ، ثم طلب الدنيا بعمل الآخرة وأخيراً التفقه لغير الله تعالى وهو الشاهد من الحديث إذ هو بمعنى طلب العلم لغير الله تعالى .

وكل هذه المذكورات فى الحديث قد وقعت فعلا فى المسلمين ، وإنا لله وإنا إليه راجعـــون .

٢ - رواية الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه ونصها : « إن من أشراط الساعة أن يتخذ الفىء دُولا ، والأمانة مغنما والزكاة مغرما ، وتُعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجل مخافة شرِّه ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمـور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قُطع سلكه فتتابع » .

٣ - رواية الطبرانى عن عوف بن مالـك رضى الله عنـه وفيهـا : « وتُفقه فى الدين لغير الله » .

هذا ولْنلق نظرة أخرى على ما تضمنته الأحاديث الثلاثة من علامات الساعة ولنذكر كل علامة إزاء نقطة تحددها بها فنقــول :

إن الحديث الأول تضمن ما يلـــى :

● كثـرة القـراء : وليس المقصود كثرة قراء القرآن الكريم وحفظه ومجوديه ، وإنما كثرة من يقرأ ويكتب ، وما يُعرف اليوم بمحو الأميّة ، إذ لم تعرف أمة الإسلام عهداً كثر فيه من يقرأ ويكتب كما عرفته اليوم . لقد كان فى عهد قريب من أهل القرية لايجدون من يقرأ لهم كتابا يرد عليهم حتى يركب أحدهم دابته إلى قرية أخرى يطلب من يقرأ له كتابه ، أما اليوم فإن أكثر المسلمين يقرأون ويكتبون . وهذا معنى قوله ﷺ : « ويكثر قراؤكــم » .

● قلة العلماء :

إنه بالرغم من كثرة القراء فإن العلماء قد قلوا جداً ، وأصبح الناس فى كثير من القرى لايجدون من يُفتيهم فى مسألة من مسائل الشرع ، وهذه هى آية حيث قَلَّ العُلماء مع كثرة القراء

● كثـــرة الأمـــراء :

وهـذه ظاهرة سبق أن ذكرنا أنها من أشراط الساعة . وأنها ناتجة عن تعدد الدول الإسلامية كما أن الاعتماد على الأنظمة الغربية له دخل فى هذه الظاهرة ، وذلك عائد إلى انعدام الصدق والإخلاص والوفاء بين أكثر الناس .

● قلّـــــة الأمناء :

إن قلة الأمناء أصبحت ظاهرة فاشية يعترف بها كل مسلم وهى ناتجة عن انعـدام الأمـانة وعن تضييعها بقلة من يرعاها ويحافظ عليها . لقد أصبح الرجل يطلب فى أسواق المسلمين عسلا أو سمنا خالصين من الغش فلا يجدهمـــــا .

● طلب الدنيا بعمل الآخرة والتفقه لغير الله :

هاتـان العـلاماتان قد ظهرتا بصورة واضحة فى مدارس العلم ومعاهده وجامعاته على كثرتها لم تفتح أبوابها منذ بداية العهد الجديد عهد الاستقلال عن الاستعمار الغربى من أجل أن يُعرف الله وتعرف محابُّه ومكارهه لُيعبد عز وجـل بفعـل محبوبه وترك مكروهه . وإنما فتحت من أجل الوظائف والأعمال الدنيويّة والدليل على صحة هذا فشو ترك الصلاة واتباع الشهوات من المتعلمين والمتعلمات حتى أصبحت التقوى فى الأميين اليوم أكثر منها فى غيرهم من المتعلمين ، وذلك لأن الأعمال بالنيات ، ومن طلب العلم للدنيا كان للدنيا حتى العلم الشرعىّ أصبح يطلب للدنيا ، وهذا معنى قوله ﷺ : « وتُفقه لغير الله » .

وأمـا الحديث الثانى فقد تضمن من علامات الساعة أكثر من عشر علامات وإليك هى إزاء النقاط التاليـــــة :

● **اتخـاذ الفيء دولا :**

الفيء ما يتركه العدو من مال فيحصل عليه المسلمون بدون قتال واليوم علم الجهاد منكس ، ورايته بين المسلمين ممزّقة فلا دعوة إلى الله تعالى ، ولا جهاد فى سبيله . فما هو الفيء إذاً ؟ لا يبعد أن يكون ما تأخذه الدول الإسلاميّة من ضرائب فادحة إذا استثنينا دولة الإسلام بالمملكة العربية السعودية إذ هى الوحيدة التى لم تضرب الضرائب على مواطنيها إلا فى مجالات محدودة وبمقادير زهيدة . فإن سائر الدول فى العالم الإسلامى تضرب الضرائب الفادحة ، وتدور بين رجال السلك الحاكم فهى دول بين الحاكمين ولا يصل منها إلى غيرهم شيء يذكر . والله أعلـــم .

● **اتخاذ الأمـانة مغنما :**

هذه العلامة تعرفها بعرضك أمانة مال أو حريم على أى مسلم فإنه لايتردد فى قبولها وتلك علامة أنه يراها غنيمة سيقت إليه ، وإلاّ لكان يرفض قبولها إلا بإلحاح منك ومن أمثلة العامة : الفارح بالأمانة خائنها . ويتجلى هذا فى الوظائف الحكومية ترى الناس يتوسلون بشتى الوسائل للحصول عليها . وأكثرهم لا همَّ له فى إصلاح . ولا محافظـة على صلاح ولكن للحصول على شهرة المنصب ، ورغد العيش ، ولهذا فإن أكثرهم يضر بمصالح الدولة ولا ينفعها كأنه عدو لها وهو لايشعر . وهذا ما أشكوه إلى الله تعالى .

● **اتخاذ الزكاة مغرما :**

ويكفى فى ظهور هذه العلامة أن نسبة من يؤتى الزكاة اليوم بين المسلمين ضئيلة جَداً ولا سيما بين الأثرياء وأرباب الأموال الطائلة ومن يزكى يشعر بتضايق فى نفسه حتى لكأنّه يدفع غرامة لازمة لازكاة يتقرب بها عند الله .

● **التعليم لغير الله تعالى :**

وهـذا محل الشـاهد من الحديث فإن هذه العلامة قد ظهرت بصورة متأكدة إذ كل العلوم والمعارف التى تُطلب فى هذه الأيام إنما تطلب للدنيا فقط وقلما يحتسب طلبه العلم لله تعالى ليعبده ويعلّمه من يعبد الله به .

● **طاعة الرجل لامرأته وعقوقه أمه وإدناؤه صديقه وإبعاده والده :**

هذه العلامة قد ظهرت أيضاً بين المسلمين فى الجملة وإن لم تكن عامة بينهم والحمد لله .

● **ارتفاع الأصوات فى المساجد :**

وهذا صادق بجهل الناس اليوم بآدب المساجد وبالبدع وحلق الذكر بعد الصلوات بأصوات رفيعة وكذا قراءة القرآن جماعة وفرادى بأصوات عالية رفيعة ومن هذا مكبرات الصوت التى ارتفعت بها أصوات المدرسين والخطباء .

● **سيادة الفسّاق :**

وهى علامـة ظاهـرة فى أن أكثر عمد الأحياء ومشايخ القرى وأمراء الأجناد فى العالم الإسلامى لا يحضرون الصلاة جماعة ويحلقون وجوههم ويدخنون ومنهم من لايصلى بالمرة ويتعاطون الكثير من المحرمات .

● **كون زعيم القوم أرذلهم :**

وهذا صادق بنواب المجالس حيث يتكلمون باسم القبائل والأحزاب والجماعات وأكثرهم يوجد فى الأمة من هو خير منهم وأصلح .

● **إكرام الرجل مخافة شره :**

هذه علامة ظاهرة لاشك فيها اليوم فإن كثيرا ممن على مصالح الأمة يكرمون لا لشىء إلا دفعاً لشرهم حتى لا يؤذوا مَنْ مصالحهم متعلقة بهم .

● **ظهور القينات (المغنيات) والمعازف :**

وهى آلات الطرب وشرب الخمور فهذه العلامة قد ظهرت فى أمة الإسلام اليوم ومنذ زمن غير قصير .

● **لعن آخر هذه الأمة أولها :**

هذه العلامة ظاهرة فى الروافض (الشيعة) إذ هم الذين يلعنون أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أهل السنة والجماعة وقد لا يبعد أن يكون من جزئيات هذه العلامة عدم الاقتداء بسلف الأمة فى الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية المختلفة .

وأما الحديث الثالث فهو صريح فيما تضمن من علامة الساعة وهو التفقه لغير الله إذ لا يوجد فى الألف اليوم واحد يتفقه لأجل أن يعبد الله تعالى وحده بل لابد من ضميمة طلب الوظيفة للعيش .

وأخيراً فهذه سِتَّ عَشْرة علامة من علامات قرب الساعة قد ظهرت فى الجملة فدلت على صدق النبى ﷺ فى رسالته كما دلت على قرب مجىء الساعة . فهل من تائب قبل فوات الأوان فإن من تاب تاب الله عليه . ولا يهلك عند الله إلا هالك .

٦ ـ خفّة الأحلام ، وذهاب العقول

الأحلام جمع حلم ، وهو ما قابل النزغ والطيش أو الجهل والسّفه وخفة الأحلام معناها انعدام الصبر والأناة والسكون والهدوء عند المرء .

والعقول جمع عقل وهو نور باطنى تدرك به النفس ما لا تدركه بالحواس . وسُمِّىَ العقل عقلا لأنه يعقل أى يحبس صاحبه عن اعتقاد أو قول أو فعل ما ليس بحق أو خير كما يمنعه من الوقوع فى المهالك . وذهاب العقول معناه : انطماس ذلك النور فى القلب فيصبح العبد يعتقد الباطل ويقول القبيح ويفعل الشر وهو لايشعر بفساد اعتقاده ولا بقبح قوله ولا فساد عمله والعياذ بالله تعالى وقد جاء فى أشراط الساعة وعلاماتها الصغرى أن من أشراط الساعة ذهاب العقول وخفة الأحلام والروايات التالية تحمل ذلك وتدل عليه .

١ ـ رواية الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما وفيها أن رسول الله ﷺ قال : « إن من علامات البلاء وأشراط الساعة أن تعزب العقول وتذهب الأحلام ويكثر القتل وتظهر الفتن » والشاهد من الحديث فى قوله تعزب العقول أى تغيب وتذهب ويدل على ظهور هذه العلامة ارتكاس الناس فى الشرور والمفاسد مع اعتقاد أكثرهم الباطل وقولهم غير الحق وفعلهم غير المعروف وهم لا يرون ذلك ولا يشعرون به كما فى قوله وتذهب الأحلام فإن هذه العلامة قد ظهرت أيضا . يدل عليها ما عليه كثير من المسلمين من الطيش وقلة الصبر وانعدام التؤدة وكثرة الجهل والسفه .

٢ ـ رواية الطبرانى أيضا عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه . ومنها أن من أشراط الساعة ان تنتقص العقول وتعزب الأحلام ويكثر الهم .

٣ ـ رواية احمد والحاكم وابن ماجه من حديث أبى موسى الأشعرى فيه قال رسول الله ﷺ : « أخاف عليكم الهرج . قالوا : وما الهرج يا

رسول الله قال : القتل قالوا : وأكثر مما يقتل اليوم إننا نقتل اليوم المشركين كذا وكذا فقال النبى ﷺ ليس قتل المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً قالوا وفينا كتاب الله ؟ قال وفيكم كتاب لله عز وجل قالوا ومعنا عقولنا . قال : إنه تنتزع عقول عامة ذلك الزمان ويخلف هباء من الناس يحسبون أنهم على شيء وليسوا على شيء» .

لقد دلت هذه الروايات الثلاث على ما عنونّا له من ذهاب الأحلام والعقول كما دلت على علامتين أخريين وهما كثرة الهم وكثرة القتل . وكانت العلامات أربعاً وقد ظهرت بصورة لاتحتاج إلى تدليل فذهاب العقول والأحلام لا امتراء فيه ولا جدل وذلك لكثرة اعتقاد الناس الباطل وقوله والعمل كما أن ذهاب الأحلام أمر ظاهر فى السفه والطيش عند أكثر الناس أيضاً إذ لم يبق من الصبر على الطاعة ولا عن المعصية ولا على البلاء إلا ما قل وندر كما أن كثرة القتل يدل عليه أن ما قتل فى حروب الإسلام الأولى لم يتجاوز عدد القتلى فيها أكثر من خمسمائة وألفين وهذا العدد يقتل فى يوم واحد فيما يدور بين المسلمين أنفسهم من حرب وقتال كما هو معلوم وظاهر . أما كثرة الهم فهو أمر يحمله كل إنسان اليوم وسواء كان غنياً أو فقيراً عالماً أو جاهلاً وصدق رسول الله ﷺ فى أخباره وإنها لمعجزة نبوته وآيات رسالته كما هى علامات الساعة وأشراطها . ألا فَلْنَتَّق الله يا عباد الله ولنعجِّل بالتوبة قبل الفوات فإن الساعة آتية لاريب فيها وقد أصبحت على الأبواب . والله المستعان .

الخاتمـــــــــــة

وختاما أقول إن القصد الأول من تأليف هاتين الرسالتين هو التذكير بحق الرسول ﷺ فى الإيمان به ، والتصديق بما جاء به ، والعمل بطاعته ، فى أمـره ونهيه . كما هو التذكير بقرب الساعة ووجوب الإعداد لها بفعل الخيرات ، وترك المنكــرات .

والقصـد الثانى هو إعلام المسلم بأن ما حدث ويحدث من عجائب المخترعات ، وما ظهر منها من نقائص فى هذه الأمة أو كمالات كل ذلك قد أخبر به الرسول ﷺ وذكره لأصحابه ، فلا يتعجب المسلم من ذلك ولا يندهش ولا يحتار ، وما عليه إلا أن يواصل مسيرة إيمانه وصالح أعماله حتى يفوز بحسن الخاتمة فيلقى ربّه مؤمناً فيكرمه فى جواره ويسعده فى دار أوليائه الصـالحين وعباده المتقين . حقق الله لنا ذلك ؛ إنه بر رحيـم . وصل اللّهْم على نبيك محمد وآله وصحبه أجمعيـــــــــــــن .

فهرســـــــت الأحـاديث النبوية الشريفة

الرسالة السادسة عشـــر
منطلق الفكـــر الإســـلامى

بسم الله الرحمـــن الرحيـــم

الحمد لله ، وعاقبته لمن اتقاه ، وصلاةُ الله وسلامُه على نبيه ومُصطفاه ، ورضاء الله تعالى على آل وصحابة رسول الله . .

أما بعد ـ أيها الإخوة والأبناء الحضور ـ فإن الفكر الإسلاميَّ يمتاز ، على غيره بخصـائص لم تكن لسـواه وهى أصالته ، وسموُّه ، وشُمولُه ، وصحّة مُنطلقه وسلامته . .

وها نحن فى هذه الكلمة القصيرة عن منطلق الفكر الإسلامى نشرح تلك الخصائص للفكر الإسلامى ونُجلّي حقائقها فنقــول :

الفكر بكسر الفاء ، وقد تُفتح وهو أجَود : مصدرُ فكَر يفكر فِكراً وفَكْراً من باب ضرب ، فلذا كان الفتح فيه أجودَ ، لأنه القياس ؛ اذ مصدر ضرب الضَّرْبُ بالفتـح . ومثـل الفكـر التفكـر . وهو إعمال الخاطر فى الشىء ، والتأمل فيه للوصول إلى معرفة حقيقته .

والإسلامى : معناه المنسوبُ الى الإسلام الذي هو دين الحق الذى جاء به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .

وبناءً على هذا فالفكر الإسلامى هو إعمال المرء السليم خاطرَه فى تقويم الأشياء وإدراك معانيها ، وتعليل أحداثها ، والحكم عليها صحةً وفساداً .

وبعبارة أوضح أو أوسع وأشمل الفكر الإسلامى هو تفكير الإنسان المسلم فى إلكون والحياة وما وراءها من عالم الغيب مما يَعرفُه غيُر المسلمين بما وراء الطبيعة أو بما هو ليس بمـــادة .

أصالتـــــــه :

هذا هو ـ أيها الإخوة والأبناء تعريف الفكر الإسلامى أما أصالتهُ .
فإن الأصالة مصدر أصل الشىء يأصل أصلا وأصالة كان له أَصْلُ فهـو
فهو ذو أصالة أى ذو أصل شريف فهو أصيل ، وأصالةُ الرأى : جودته
واصابته ومن هذا كان الفكر الإسلامى ذا أصالة كاملة ؛ لأنه من حيث
الجـودة أصيل لكـونـه تفكيراً لا يخرج عن دائرة الحقّ والعدل ، والخير ،
والمعروف بحال من الأحوال ؛ إذا المسلم لا يُعملُ خاطره فيما هـو شر ،
أو فيما يؤذى ويضر . ومن حيث القدم والرسوخ فإنه تفكير عاصر الحياة
البشريّة منذ أن كان الإنسان الأول آدم أبو البشر عليه السلام ؛ إذ التفكير
فيما ينفع لإحضاره والانتفاع به ، وفيما يضر لإبعاده وتجنّبه تفكير وجد مع
وجود الإنسان على هذه الأرض . فلهذا كله كان الفكر الإسلامى أصيلاً
فى شرفه وجودته ورسوخه وثباته

سمـــوّه

وأما سموّه فإن الفكر الإسلامى سام لا يهبط ولا يسف وذلك لسمو
مقاصد المسلم ، وارتفاع حاجاته النفسية فوق المستويات الماديّة الهابطة
التى يقتصر عليها الفكر المادى عادة فى هذه الحياة الدنيا !!
فسموّ الفكر الإسلامى يظهر بوضوح فى متطلبات المسلم وتطلعاته وهى
كّلها سامية شريفة ؛ إذ متطلبات الإنسان المسلم تدور حول صفاء روحه
وكمال خلقه ، وحسن أدبه وما يهيّىء ذلك له ، ويوفّر عليه . ومتطلّعاته
تتّجه دوما وأبدا نحو سعادة الحياتين وكرامتهما .
ومن هنا كان الفكر الإسلامى ساميا سمواً يتميّز به بين سائر الأفكار

المـاديّة الهابطة التى لا يتجاوز بها أصحابها منطقة المادة بَحْثاً عن الأكل والشرب والتمتع الجنسى ، وما يوفر ذلك لهم ويهيّئه من أسباب .

شمــــوله

أما شمول الفكر الإسلامى ، فإن المسلم الحق يفكر مثل كلّ إنسان ، ولكن تفكـيره شامل للحياة والكون ، وما وراء المادة ، أو عالم الغيب ، وغـيره يفكر ولكن فى حدود المادة غالباً ، فلا يتعدَّاها إلى غيرها من عالم الروح إلا نادراً ، فلهذا كان الفكر الإسلامى شاملا ، وكان الفكر المادى قاصراً محدوداً .

إن المسلم لمَّا يفكـر لا يفكر فى إسعاد نفسه فقط بل يفكر فى إسعاد البشرية جمعاء ، ولا فى نجاة نفسه دون غيره بل فى نجاة كل الناس أما غير المسلم فانه إن فكر فى سعادة أو نجاة من شقاءٍ يقصر تفكيره على نفسه ، وقلّما يفكّر فى غيره من سائر الناس . ولهذا كان الفكر الإسلامى زيادة على أصالته وسموه شاملا عاما يعمُّ الحياة ويشملُ الكونَ كلَّ الكــون .

وعليه فمُمَيّزات الفكر الإسلامى فى الجودة والرسوخ والأصالة والسمو والشمول وهى مميزات لا توجد فى فكر الإنسان غير المسلم بحال ؛ لأن منطلقات تفكير المسلم غير منطلقات تفكير غيره من سائر الناس .

منطلقات الفكــــر الإسلامى

إن الفكـر الإســلامى لينطلق من مبادىء ثلاثة أثبتها القرآن الكريم بالبرهان العقلى ، وقررها بالأسلوب العلمى فآمن بها المسلم فكانت منطلق تفكـيره فى الكـون والحياة . وتلك المبادىء هى : مبدأ التوحيد وحتميّة

المعاد . وضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب فى النفس .

وإلى الإخوة والأبناء الحضور شرح هذه المبادىء الثلاثة التى هى منطلق الفكر الإسلامى قديما وحديثـــا .

١ ـ مبـــدأ التوحيـــد :

إن مبدأ التوحيد وتمثله كلمة الإخلاص : لا إله إلا الله قائم على أساس أن الإله الحق الذى يجب أن تُؤلّهَ القلوبُ ذَلّاله ، ومحبّة وتعظيما ، والجوارح طاعة لهَ واستكانةً وضراعة هو من كان قبل تأليهه ربًّا ، أى كان ربًّا قبل أن يكـون إلهـاً بمعنى معبود ، وأعني بكلمة الربّ : خالقَ الهُيُولى والطينة الأولى موجـد الحياة وواهبها مواتَ الأشياء ، فكانت بها أحياء . خالقَ الأرزاق وأسبابها وهادىَ الأحياء إلى متطلباتها ، كى يحفظ لها حياتَها ، إلى آجالها التى قدَّرها لها . مدبراً أمر الأحياء ، المستكين منها فى الأحشاء ، كالسابح فى الماء ، والساكـ الغَبْراء ، الكلُّ على حدّ سواء . ذاك الذى أمات وأحيا ، ومنع وأعطى ، وأضحك وأبكىَ ، وأضل وهدى . وأسعد وأشْقَى علمه أحاط بكل شىء وقُدْرَتُهُ على كل شىء . فالإله الحق إذاً هو من استجمـع هذه الصفـات صفـات الربوبيّة الحقّة ، التى هى الخلقُ والرزقُ والتدبير .

وهى صفات عاليةٌ لم تتوفر بعدُ لاى إله فى الأرض ، ولن تتوفر أبدا : إذ هى صفات الربوبية التى اختص بها الله جل جلاله وعظم سلطانه فكان الإ له الحق الذى لا اله غيره ولا ربّ سواه .

ومن هنـا كان الفكرُ الإسلامى أسلمَ الأفكار الإنسانية وأسماها ؛ إذ المسلم يفكر من منطلق مبدأ التوحيد الذى جماعه إثبات وجوب وجود الله تعالى لاستحالة وجود الأكوان بنفسها مع ظهور عجزها وافتقارها الى ذى ربوبيّة مطلقة يُمدُّها بوجودها ، ويدبِّر أمْرهَا ، لينتظم ذلك الوجود ويستمر

الى نهاية الأجل المحدود لـه .

وإثبات ألوهية الله تعالى للعالمين ، تلك الألوهيّة التى اقتضتها ربوبيته تعالى لكل شىء إذ ما دام الله تعالى خالقَ كل شىء فهو رب كل شىء ومليكه ، وتحتم أن يكون إله كل شيء ومعبـوده .

وتحقيق ذلك بعبادة الله تعالى عبادة قائمة على أساس إخلاصها له تعالى بدءا وانتهـاء وبما أحبَّ أن يُعبد به من أعمال القلوب والجوارح . وعلى الكيفية التى أمر أن يعبد بها بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخيـر .

وانطلاقا من هذا المبدأ مبدأ التوحيد كان المسلم يرفض الإلحاد ويلعن أهله ؛ إذ الإلحاد باطل وأهله مبطلون . وينكر تعدد الآلهة ويلعن أهله ولا يقره ولا يقـر عليه ، وذلك لفساده وبطلانه عقلاً وواقعاً ، إذ لا اله الا الله ذو الربوبيّة المطلقة لكل شىء فأنى يكون معه آلهة أخرى ؟ ، والكل مفتقر إليه فى وجوده ، وحفظ ذلك الوجود له إلى نهاية أجله المقرر له . وينفى الشرك بجميع صوره وأنواعه ؛ لأنه ظلم ويمقت أهله لأنهم ظالمون

ولهذا كان المسلم ذا قناعة تامة فى أنه لا يستطيع أى عاقل تحت الشمس أن يبطل قضية التوحيد أعنى ما تضمنته كلمة الإخلاص « لا اله الا الله » من حكم صحيح هو إثبات وجود الله تعالى ونفى الألوهية الحقة عن كل ما سواه وإثباتها له تعالى دون غيره من سائر الكائنات .

وذلك لأن نفى وجود الله تعالى - كما هو مذهب الملاحدة الشيوعيين باطـل مردود بوجود مخلوقات لا عد لها ولاحد كلها مفتقرة إلى موجد لها ومخصص ولما لم يكن هناك من ادعى خلق هذه الكائنات وتخصيصها بما تتـمايز به عن بعضهـا فى الوجود الذاتى والصفات والأفعال ونوع الحياة وكيفياتها . وهى حتما مفتقرة الى ذلك كان الله تبارك وتعالى هو الخالق لها وبه أصبح وجود الله واجباً ضرورياً فكيف يصح فى العقول نفيه .

كما أن إثبـات تعدد الآلهة كما هو معتقد المشركين ، والنصارى باطل مردود أيضا ؛ لانعدام صفات الربوبية عند غير الله تعالى والتى هى الخلق

والرزق والتدبير ومالم يكن رباً أى خالقا رازقا مدبّراً لا يكون إلها معبودا عقلا ولا شرعا .

إن قناعـة المسلم هذه . . . فى أنه لايستطيع أى عاقل أن يبطل حكم لا إله إلا الله جعلته يجاهر بمعتقده ويفاخر به ؛ لأنه معتقد الحق الذى لا يبطل ولأنه مصدر الكمال الذى لا يعتريه نقصان .

وكنتيجـة طبيعية لمبـدأ التـوحيد هذا فإن المسلم يسمـو بتفكيره فوق المستويات الأرضية الهابطة كلها ؛ إذ مبدأ لا إله إلا الله لا يُبقى لمعتقده من الناس تفكيراً فى أن من الخلق من ينفع أو يضر بدون إذن الله تعالى فيتوجه اليه بقلبه أو عمله راجيا منه حصول نفع أو دفع ضرر .

ومن هنا كان المسلم يرتفع بتفكيره كله نحو محاب الله تعالى ومكارهه يتعرف إليها قصد أن يتجنب ذلك المكاره فيحتفظ بطهارة روحه وزكاتها وأن يصل الى مستوى من الكمال والمعرفة يصبح معه لا يتحرك الا فى دائرة تلك المحاب يقدمها عملا صالحا يرجو به المغفرة والرحمة فى الدنيـا والآخـــرة .

٢ ـ مبدأ حتمية المعاد :

إن المعـاد الأخـروى والبعث الآخـر كما جاء فى الحديث أيها الإخوة والأبنـاء لا يتخلف أبـداً ؛ لأنه العلة لهذا الكون وهذه الحياة والعلة ـ عقـلاً ـ لا تتخلف عن المعلول بحـال ؛ ولذا فهو كائن لا محالة وأجله مسمى عند الله أو ساعته محدودة لا تتخطاه .

وهـو معتقـد أطبقت عليه جميع الأديان الإلهية فلم يكن دين سماوى صحيح يخلو فى أصـولـه من هذا المعتقد الهام العظيم وذلك لا ليتوقف إصلاح الفرد والمجتمع البشرى عليه فحسب بل لأنه أيضا الحق الثابت الذى لا يمكن أن يكون غيره ؛ اذ لولاه لكانت الحياة عبثا لا معنى لها قال

تعالى « **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** » .

إن مبدأ حتمية المعاد أيها الاخوة والأبناء وهو أحد منطلقات الفكر الإسلامى الثلاثة يعتبر المكيف لحياة الفرد المسلم والموجه له ، إذ جميع تصرفاته نابعة منه متكيفة به ؛ لأن اعتقاد المرء الجازم بأنه مسئول عن كل تصرفاته محاسب على كل أعماله مجزيٌّ بها . خيرها وشرها ، وقليلها وكثيرها سواء ، من شأنه أن يجعله يفكر قبل أن يقول أو يعمل ، فيتحرى فى كل قوله وعمله مالا إثم فيه ، ولا تبعية يتحملها من أجله وهذه أقل أحواله وإلا فسوف لا يطلب من الأقوال والأعمال إلا ما يعلم أنه سيثاب عليه الحسنى ويُجزى عليه الغرفة إنه لأجل هذا كان مبدأ المعاد يمد الفكر الإسلامى بطاقات جديدة تدفعه الى السمو والكمال كلما فتر بملابسة المادة له وهو يعتمل فيها كضرورة من ضرورات هذه الحياة المادية يمده بالصفاء والإشراق ويمده بالقوة والأمل وهذه أى الصفاء والإشراق والقوة والأمل هى موجبات سموه وكماله اللذين يتفوق بهما على كل الأفكار المادية فى هذه الحياة .

إن الفكر الإسلامى وهو ينطلق من مبدأ البعث والجزاء يسمو بصاحبه أن يظلم أو يعتدى أو يكذب أو يفترى أو يفسد أو يجرم ، لإيمان صاحبه الراسخ بأنه اذا مات لا يُترك أبداً ولا يهمل وإنما يبعث ليحاسب ويعاقب ، حكم الله الذى لا يتخلف وقضاؤه الذى لا يرد . كما يرتفع به عن الدنايا والخبائث ليقينه الكامل أنها تلوث نفسه وتحجبها عن معانى الخير والكمال فى الدنيا ، وتحرمها السعادة فى الدار الأخرى . وبالجملة فإن الفكر الإسلامى يسمو بتفكيره الى مستويات من الخير والجمال والسمو والكمال لم يكن لغيره أن يصل إليها بحال من الأحوال وذلك لانطلاق فكره من مبادىء الحق والخير ، وانطلاق فكر غيره من مبادىء الباطل والشر وشتان ما بينهما . . !!

٣ ـ مبدأ ضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب فى النفس :

إن هذا المبدأ مأخوذ من القرآن الكريم كتاب الله الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . مأخوذ من قوله تعالى : « **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** » وهو جواب أكبر قسم لله تعالى فى كتابه العزيز وهو قوله عز وجل « **والشمس وضحاها و القمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها . .** »

وشرح هذا المبدأ يقتضى تحليله إلى عناصره الأولى وهى : النفس البشرية ومدى قبولها لتأثير الكسب فيها ومظاهر ذلك التأثير ونتائجه فى الحال والمآل

أما النفس البشرية فهى ذلك الجوهر النورانى العلوى الخفيف المتحرك النافذ فى جوهر الأعضاء والسارى فيها سريان الماء فى الورد أو النار فى الفحم أو الكهرباء فى أسلاكها .

وأما مدى قبولها لتأثير الكسب فيها . فإن النفس البشرية بما أنها جوهر وليست بعرض فإنها حسب سنة الله تعالى فى الجواهر أى الاجسام قابلة لتأثير الكسب فيها بنوعيه أى الخير والشر شأنها شأن سائر الأجسام فالجسم البشرى تؤثر فيه الأحداث الداخلة فيه والخارجة عنه ، فهو يمرض ويداوى فيصح وتظهر عليه أعراض المرض والصحة وفى حال مرضه يظهر عليه الشحوب والاصفرار والهزال ويعجز عن الحركة والقول والعمل كلما

اشتد به المرض ، وفى حال الصحة يظهر عليه الحيوية والنشاط والسمن والقدرة على الحركة والقول والعمل الأمر الذى لا ينكر ولا يجهل بحـال .

وإذا كانت الأجسام على هذه السنة فى قبول التأثير فان النفس البشرية كذلك فإنها تمرض وتعالج فتصح وتظهر عليها أعراض المرض والصحة ففى حال مرضها يصبح يكذب ويخون ويغش ويخدع ويشح ويبخل ويرائى وينـافق ويتكـالب على الـدنيا ويصـارع على الشهوات ويعجز عن فعل المعروف والخير ويكره الطهر والصفاء ويحب الخبث والكدر النفسى ويؤثرهما .

وفى حال صحتها يصبح صاحبها صدوقا أمينا كريما رحيما مخلصا بعيدا عن النفاق والرياء ، زاهداً فى الدنيا راغبا عن شهواتها قادراً على فعل الخير والمعروف ، يحب الطهر والصفاء ويكره الخبث والخَنى وكل الشر والفساد فى الأرض .

الكسب المؤثر فى النفس وشروط ذلك :

إن المراد من الكسب المؤثر فى النفس البشرية أيها الإخوة والابناء هو ماكان من جنس الإيمان والعمل الصالح ، وهذا يؤثر فيها بالزكاة والطهر وما كان من جنس الشرك والمعاصى وهذا يؤثر فيها بالخبث والتدسيـــة .

وشـــروط الأول :

- أن يكون مما شرع الله تعالى لعباده أن يعتقدوه ، أو يقولوه ويعملوا به .
- وأن يقوم به العبد خالصا لوجه الله تعالى فلا تشوبه شائبة شرك أو رياء .

● وأن يؤديه العبد المؤمن أداء صحيحاً يوافق فيه مراد الله تعالى المبين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

فيراعى فيه هيئته فلا يزيد فيها ولا ينقص منهـــا .

ويراعى فيه كيفيته فـــــلا يقدم فيها ولا يؤخـــر .

ويراعى زمانه ومكـــانه فلا يوقعه فى غيرهمـــا .

وبذلك يولد هذا العمل الطاقة النورانية المطلوبة للنفس البشرية كى تطيب وتزكو وتطهـــــــــر .

هذه شروط هذا الكسب الصالح لكى يؤثر فى النفس بالزكاة والطهر فإن نقص منها شرط أو اكثر بطل مفعولها ولم تؤثر فى النفس التأثير المطلوب لها لتصبح اهلا لمرضاة الله ومجاورة الصالحين فى الملكوت الأعلى . فلواختل شرط كون العمل مما شرع الله تعالى لعباده من الطاعات والقربات بأن كان بدعة محدثة الصقت بدين الله تعالى فإن العمل لا ينتج الحسنات المطلوبة للنفس لتحسن بها وتشـــرق .

ولو اختل شرط الإخلاص فيه لله تعالى بأن أشرك فيه العبد غير الله تعالى أو راءى فيه أحداً من الناس بطل مفعول العمل ولم ينتج كذلك .

ولو اختل شرط الأداء الموافق لما شرع الله تعالى وبين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بأن لم تراع فيه الكمية بأن زيد فيها ، أو نقص منها ، كزيادة ركعة أو سجدة فى الصلاة المكتوبة ، أو لم تراع فيها الكيفية بأن قدم فيها بعض أجزائها أو أخر أو غيرت بعض صفاتها من سر أو جهر أو طول أو قصر كأن يقدم السجود فى الصلاة على الركوع أو غيرت فيها صفة الجهر بالسر او العكس أو خافت بها المصلى فلم يطمئن فى ركوعها أو سجودها وقيامهـــا .

أو أوقعها صاحبها فى غير زمانها أو مكانها كأن أديت الصلاة المكتوبة قبل دخـول وقتهـا أو بعـد خروجه أو وقف فى الحج فى غير تاسع الحجة أو أديت الصلاة فى بقعة مغصوبة أو نجسة أو فى مقبرة أو مجزرة أو معطن

إبل . أو وقف الحجاج بمكان غير عرفة بدلاً عن عرفة أو طافوا ببيت الله تعالى غير الكعبة بأن طافوا بمسجد من المساجد بطلت العبادة فى كل ذلك وفسدت ولم تثمر ما كان مرجوا منها أن تثمره للنفس من زكاة وطهـر .

● ومن هنا أيها الإخوة والأبناء اشتد نكير العلماء على البدع والمبتدعين لما عرفوا من فساد البدعة وبطلانها وعدم جدواها وانعدام النفع منها « لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضـلالة » .

وقوله : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

ومما يجب التنبيه عليه ولفتُ النظر اليه أيها الإخوة والأبناء هو أنه لافرق بين المبتدع الذى يضع للمؤمنين أنواعاً من الطاعات ويدعوهم إلى العمل بها لتزكو بها نفوسهم وتطهرُ فيرضى عنهم ربهـم ،ويقربهم . وبين المبتدع الذى يُسمَّى فى عرف أهل العصر بالمشرع القانونى الذى يضع للمسلمين قوانين تحفظ دماءهم وأعراضهم وأموالهم وتنشر الرحمة وتشيع الاخاء والمودة بينهم فيشرع السجن المؤبد للقاتل العامد فى قتله والسّجن المؤقت للزاني المنتهك للحرمات أو للسارق المروع للآمنين والآمنات ويشرع الضرائب المـالية الفـادحـة عوضـاً عن الـزكـوات الواجبة وما الى ذلك من قوانين العقوبات التى استبدلها الحكام فى ديـار المسلمين بأحكام اللّه تعالى و حدو ده وحدوده .

أقول إنه لافرق بين المبتدع الذى يشرع للروح ما يزكيها ويطهرها وبين من شرع للجسم ما يحفـظه به ناميا صالحـاً يؤدى وظـائفـه على الـوجه المطلوب له الكل مبتدع متكلف ما ليس له بحق . منـازع لله تعالى فى حق التشريع الـذى هو حق الـرب وحده إذ الذى لم يكن خالقاً لم يكن شارعاً ؛ إذ لا يعرف ما يصلح المخلوق إلا خالقه ، فالذى خلق مخلوقا عليه أن يشرع له من الوظائف التعبدية ما يزكى به روحه ، ومن القوانين القضائية والجنائية ما يربى به جسمه ويحفظه له صالحاً ناميا .

وما دام الإنسان لم يخلق الإنسان فانه لم يكن من حقه أو مما يصح منه وله أن يضع للانسان المسلم من البدع والقوانين ما يدعى أنه يطهر به روحه ويحفظ به جسمه وعرضه وماله ؛ لأنه لا يملك القدرة الكافية لإيجاد المؤثر الخاص فى تلك البدعة الشرعية أو القانونية إذ الذى لايستطيع أن يوجد غذاء فى الخشب أو التراب للإنسان يتغذى به بعد أن أخلاه الله تعالى منه ، لايستطيع أن يوجد فى البدعة التى ابتدعها القوة المؤثرة فى النفس أو الجسم لإصلاحها واسعادها . ومن هنا كان المبتدع والمشرع ظالمين وكان العمل بالبدعة والقانون المناهض لشرع الله تعالى ظلما وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

● وشروط الثانى وأذكر بأنه الكسب المؤثر فى النفس مما هو من جنس الشرك والمعاصى شروطه هى :

(١) أن يكون مما حرم الله تعالى اعتقاده أو قوله أو عمله كسائر الاعتقادات الباطلة والأقوال السيئة والأعمال الفاسدة مما جاء تحريمه فى كتاب الله تعالى أو على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) أن يصدر هذا الكسب عن مكلف شرعا وذلك بأن يكون عاقلاً مميزاً يقظاً غيرنائم فما يصدر من أعمال أو أقوال عن غير المكلفين كالمجانين والأطفال لا تأثير له على النفس البشرية لخبر « رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم »

(٣) أن يكون الكاسب مريداً مختاراً وأعنى بالمريد : من يصدر عنه الفعل أو القول وهو قاصد فعله أو قوله بحيث لم يقع منه نسيانا ولا خطأ .

وأعنى بالمختار من لم يقع منه الفعل او القول مكرهاً عليه مضطراً إليه وإنما وقع منه فى حال حريته واختياره ، فغير المريد وغير المختار إذا صدر عنهما القول أو الفعل لا يؤثر فى نفسهما لعلة عدم القصد والإكراه . وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان

وما استكرهوا عليه » وفى القرآن الكريم معنى ذلك قال تعالى من سورة البقرة : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » . وقال تعالى من سورة النحل : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » .

مظاهر تأثير الكسب فى النفــس :

إن للكسب تأثيرا على النفس البشرية متى توفرت له شروطه التى قدمنا بيانها آنفا ، والجزاء سواء كان دنيويا أو أخرويامرتب على تأثير ذلك الكسب فى النفس وفى القرآن الكريم « من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيراً » ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ومن مظاهر تأثير الكسب فى النفس حب الفضائل والرغبة فيها والعمل على تحصيلها والتحلى بها وبذل الجهد والوسع فى ذلك كما هو ظاهر مشاهد فى أهل الإيمان والعمل الصالح بين الناس وفى كل زمان ومكان وما ذاك إلا مظهر من مظاهر تأثير الإيمان والعمل الصالح فى نفوسهم ، ظهر وكأنه عرض من أعراض نفوسهم لسلامة تلك النفوس وطيبها وطهارتهـا .

كما أن حب الرذائل والرغبة فيها وطلبها والتلوث بها وبذل الجهد والطاقة فى سبيل الوصول إليها كما هو مرئى ومشاهد فى أصحاب الشرك والمعاصى والـذين يوجـدون فى كل زمـان ومكـان ما هو الا مظهر من مظاهر تأثير الكسب فى النفس فالجرائم التى ترتكب فى دنيا النـاس على اختـلافها وتنوعها ما هى إلا أعراض تظهر فى سلوك المرء نتيجة تأثير كسبه فى نفســه .

هذه نتائج تأثير الكسب فى النفس فى الحياة الدنيا أما فى الآخرة فقد بين القـرآن الكـريم ذلك فى قوله تعالى « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسـاها » فقد قضى الله عز وجل بفلاح من زكى نفسه بالإيمان والعمل

الصـــالـح اعتقـادا وعمـلا كما قضى بخسران من دسى نفسـه بالشرك والمعاصى اعتقاداً وعملاً أيضاً .

والفلاح المحكوم به لذوى النفوس الزكية هو ما بينه تعالى فى قوله « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

والخسران المقضي به لأهل الأرواح الخبيثة والنفوس المدساة الشريرة هو ما ذكره تعالى فى قوله : « قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة . ألا ذلك هو الخسران المبين » .

هـــــذا . . . . .

وخلاصة القول فى منطلق الفكر الإسلامى أيها الإخوة والأبناء أن الفكر الإسـلامى من أسلم الأفكار وأسماها وأنه فكر يمتاز بالأصالة والشمول والسمـو فلا يقـاس بالأفكـار المادية الهابطة بحال من الأحوال ذلك أن الأفكـار المادية منطلقاتها : الأهواء والشهوات وحب التسلط والرغبة فى القهر والاستعلاء على الناس أما الفكر الإسلامى فإن منطلقاته التوحيد الذى يربط البشرية لو آمنت كلها برباط العبودية لله تعالى فيسوى بين قويها وضعيفها وغنيها وفقيرها وأبيضها وأسودها ويحررها من كل عبودية إلا لله تعالى فتسمو وتبلغ الكمال الذى خلقت مستعدة له لو آمنت واتقـــت .

وحتمية المعـاد الذى يعتق المؤمن من أسر الشهوات ويخلصه من رق الرغبة فى الدنيا والتكالب عليها ويكون منه مثالاً صادقا للعدل والاستقامة فى الحيـــاة .

وضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب فى النفس :

وهو أحد منطلقات الفكر الإسلامى الثلاثة وهو منطلق يوجد من نفس المرء المسلم رقيباً عليه ومهيمناً طوال حياته يمنعه من الظلم ومن كل شر وفساد فى الأرض ويحدوه الى فعل الخيرات والإكثار من عمل الصالحات كما ينمى فيه خلق العدل والإنصاف من النفس ويحبب اليه الفضائل ويكره إليه الرذائل ويجعله من أرشد الناس بين الناس .

وكلمة أخيرة فى هذا الحديث وهى أن العالم الإنسانى اليوم قد سادته الأفكار المادية وهى تقوده الى هاوية الهلاك والخسران وإن كان هناك أمل فى خلاصه مما تردى فيه وما يتوقع له فهو فى عودة الفكر الإسلامى المنطلق من ينابيع الحق والخير والصادر عن وحى الكتاب والسنة .

أما كيف تعود تلك القيادة ؟ فإنا نقول : إن هناك سبلا كثيرة لذلك ومن أخصرها طريقاً وآمنها وأسلمها سبيلاً أن يتحمل إمام المسلمين خالد ابن عبد العزيز وولى عهده حفظهما الله تعالى وأيدهما بروح منه أن يتحملا دعوة الملوك والرؤساء لمؤتمر قمة يعقد بالمدينة النبوية لاتخاذ قرار بما يلى :

١ - الإعلان عن اتفاق المؤتمرين على ضرورة عودة الحياة الإسلامية فى بلاد المسلمين عقيدة وعبادة وادباً وخلقاً وحكماً ونظاماً وشرعا لإنقاذ المسلمين مما حل بهم ونزل بديارهم من ضعف وذل وهون ودون .

٢ - تكوين لجنة موسعة من علماء الشريعة فى البلاد الإسلامية وأن يعهد إليها بوضع دستور إسلامى لأمة الإسلام تؤخذ كل بنوده ومواده نصا وروحاً من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة والفقه الإسلامى المستنبط من الوحيين فى عصر الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام الصالحين .

٣ - الإعلان عن استئناف الحياة الإسلامية فور صدور هذه القرارات

وذلك بوجوب اقامة الصلاة بين كل أفراد الأمة الإسلامية إقامة إجبارية وبوجوب منع الخمر شرابا وتجارة وإنتاجاً بين كل افراد المسلمين وبوجوب إلزام الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة بالزى الإسلامى والحجاب الإسلامى ومنع الاختلاط بين النساء والرجال منعاً كلياً وفى كل المجالات وبوجوب تطهير الإعلام فى ديار المسلمين صحافة وإذاعة وتلفازا ومسرحاً تطهيره من نشر وإذاعة وإظهار كل ما يمس العقيدة الإسلامية والخلق الإسلامى أو يتنافى مع مبادىء الإسلام وتعاليمه القائمة على اساس الطهر والكمال النفسى والخلقى فى الحياة .

وبوجوب إيقاف سائر المعاملات الربوية وتصفيتها وتستبدل بهذه البنوك الربوية (مصارف وبنوك إسلامية يسهم فيها كل مسلم ، ومسلمة تقوم على أساس منع الربا وحظر التعامل به . وبوجوب تعقب الملاحدة فى بلاد المسلمين واضطرارهم الى العودة الى حياة الإيمان والعمل والجهاد فى الحياة . ومن رفض منهم ذلك يحكم فيه السيف فهو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان .

٤ ـ الإعلان عن موعد بدء تنفيذ مواد الدستور والأخذ بها وتطبيقها يوم الفراغ من وضعه ، وتقديمه لأعضاء مؤتمر الفقه الإسلامى الذى انعقد أول مرة فيبدأ بتعيين إمام المسلمين ومجلس حكومته المكون من ممثلين صالحين لكل الأقاليم الإسلامية التى رضى حكامها بالوحدة الإسلامية فى ظل الحياة الإسلامية والدستور الإسلامى ، ثم التطبيق الحرفى لكل مواد الدستور وبنوده شريعة وسياسة بكل صدق وجد وإخلاص .

هذا والله أسأل أن يحقق عودة الفكر الإسلامى ليقود ويسود على يد هذه الحكومة الإسلامية فى ديار الإيمان هذه إنه قدير وبالاجابة جدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* وُجِدَتْ فى الطبعة الأولى بعض الأخطاء المطبعية ـ الغير مقصودة ـ لذا وجب التنبيه عليها.

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٣٤٦	١٦	ورحتمه	ورحمته
٣٤٨	٦	فيستكثر	فليستكثر
٣٥٦	١٣	أعبدوا اله	اعبدوا الله
٣٦١	١١	إلا له	إلا لله
٣٦٧	٩	وحلال	وإحلال
٤٦٤	١٨	فيكف	فكيف
٤٨٨	١٢	يعمملون	يعلمون
٥١٣	١٨	وحدوده وحدودهش	وحدوده

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢٢٣ / ١٩٩١

رسائل الجزائرى

الرابعة

خمسة عشرة رسالة

فى مواضع علمية وإصلاحية مختلفة

عنى بنشرها وتصحيحها

مؤلفهـــا

أبو بكر جابر الجزائرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

بالمدنية المنورة

دمنهور ت ٣٢٨١٩٩/٤٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل الجزائرى
الرابعة

Abu Bakr Jaber Al Jazaery
Profit Mohd. Mosque's Teacher
Madina Munawarah
Tel. 8371500
P.O.Box: 871 Saudi Arabia

أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف
المدينة المنورة
هاتف ٨٣٧١٥٠٠
ص.ب ٨٧١ المملكة العربية السعودية

DATE .... التاريخ ٧/٥/١٤١٥هـ

تفويض

فوضت أنا الموقع أدناه أبو بكر جابر الجزائري المؤلف فوضت مكتبة أضواء المنار ودار السنة للنشر والتوزيع وعكاظ ممثلين بعبد المحسن الحوشي في طباعة رسائل الجزائري الأولى والثانية والثالثة والرابعة، وهذا تفويض مني بذلك

المفوض
أبو بكر جابر الجزائري
٧/٥/١٤١٥هـ

أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الأولى : ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م
الطبعة الثانية : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

دمنهور ت ـ٣٢٨١٩٩/٠٤٥

نـداء إنسـانى

لإنقـاذ البشريـة وإسعادهـا

نداء إنسانيّ
لإنقاذ البشرية وإسعادها

رسالة إنسانية يوجهها عالم رباني من أجل إنقاذ البشرية وإسعادها .

رسالة يوجهها عالم رباني إلى ذوي العقول النيّرة ، والبصائر النافذة ، والأفكار الحرة ؛ ليمدوا أيديهم إلى إخوانهم في الإنسانية لينقذوهم مما تردَّوْا فيه ، وانتهوا إليه من الظلم والفساد ، والخبث والشر ؛ وليسعدوهم بعد إنقاذهم فيكملوا في أخلاقهم وآدابهم وتزكو نفوسهم وتطهر أرواحهم فيتهيأوا لسعادة الدار الآخرة .

إنّ على كلّ من يحمل في قلبه الرحمة الإنسانية أن يعمل على قراءة هذه الرسالة وترجمتها إلى لغات العالم ونشرها بين الناس ، ورفعها إلى المسئولين في العالم الإنساني . رجاء إنقاذ البشرية وإكمالها وإسعادها في الحياتين .

نداء إنساني لإنقاذ البشرية وإسعادها

بسم الله الخالق العظيم البر الرحيم . أرفع هذا النداء إلى ذوي العقول النيرة والبصائر النافذة . والقلوب الرحيمة والعواطف الجياشة والأفكار السامية المنتجة للخير الكثير . إلى كل هؤلاء من عظماء (آسيا وإفريقيا وأوربا وأمريكا وإستراليا) أرفع هذا النداء الإنساني الكريم صارخا فيهم بأعلى صوتي أنقذوا الإنسانية . أنقذوها مما ألمّ بها وأحاط بِجُل أفرادها من مرض الإيدز ، والسيدا ومفسدات العقول من خمور وأفيون وكوكائين وهروين ، من التلصص والسطو على الأموال وهتك الأعراض وسفك الدماء وإزهاق الأرواح ، ودوس القيم وإفساد الأخلاق ، من قساوة القلوب وخواء النفوس ، من اليأس من حياة الطهر والصفاء والقنوط من عيش السعادة والهناء ، من الخوف من التهام نار الذرة ، والهيدروجين لكل من على الأرض من الفقر المدقع الذي يعيش فيه الملايين من البشر في إفريقيا وآسيا وحتى في أمريكا وأوربا أيضا وإن قل عدده وخف حجمه ومن ومن ... وماذا عساي أن أذكر أو أقول ... ؟؟؟ هذا في هذه الحياة الدنيا أما في الحياة الآخرة الحتمية الوجود ، والتي ما إن يموت المرء بمفارقة روحه لجسده حتى تنتقل تلك الروح إلى أحد أمرين ؛ شقاء وخسران ، أو سعادة ورضوان . لذا أرفع صوتي عاليا بهذا النداء مخاطبا أرباب العقول الحصيفةِ والأفكار النيرة والقلوب الرحيمة ، والهمم العالية أن يبحثوا عن مخرج لإنقاذ البشرية من وهدتها والخروج بها من محنتها ، إن أكثرها يُعانِي مما تقدم وصفهُ وهو قليل من كثير .

وليسمحوا لي أن أعرض أمام أنظارهم ما قد يُرى أنه سبيل للإنقاذ والإسعاد وهو : ـــ

١ ـــ **اليهودية** : بأن ندعو البشرية لاعتناق اليهودية بوصفها كانت قبلُ دينا سماويا من أخذ به نجا وسعد . والسؤال المطروح هنا هو : هل في الإمكان نجاة البشرية وسعادتها إذا هي اعتنقت اليهودية دينا ونظاما تعمل به في هذه الحياة ؟؟ والجواب قطعا : لا . لأن اليهودية طرأ عليها من التبديل والتغيير ما أفقدها صلاحيتها في الإنجاء والإسعاد البشري ، وبالتأمل في الأرقام التالية يتضح بكل وضوح عدم صلاحية اليهودية لإنجاء البشرية

وإسعادها لا في الدنيا ولا في الآخرة : ـــ

١ ـــ ما حدث للديانة اليهودية من الزيادة والنقصان والتبديل والتحريف فلم تعد شرعا ولا قانونا ينظم حياة البشرية ويقودها إلى السعادة والكمال بعد إنجائهَا من الخسران .

٢ ـــ رفض اليهود لِما جاءهم به عيسى عليه السلام من نسخ بعض الشرائع والأحكام التي تضمنتها التوراة . مع كفرهم بكل إصلاح جاء به رسُول الله عيسى بن مريم عليه السلام .

٣ ـــ إصرار اليهود على مبدأ (أن اليهود هم شعب الله المختار ، وأن من عداهم من البشر نجس فلا يحق لهم أن يتهودوا إذ لا يمكنهم أن يرتقوا إلى مستوى اليهود الكمالي) .

٤ ـــ ما تأصل في نفوس اليهود وأصبح طبعا لازما لهم وهو وجوب سيادة اليهود على العالم الإنساني وإدْخال البشرية كلها تحت سلطان مملكة بني إسرائيل تلك المملكة التي تبتدىء بإضفاء سلطانها على ما بين النيل والفرات ، ثم تنتهي بحكم العالم الإنساني كله شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

٥ ـــ ما أشْيَعَتْهُ روح اليهود من حب إيقاد نار الحروب والفتن في العالم أجمع ، وهذا الرب تعالى يقرر هذه الحقيقة بقوله ، في كتابه العزيز ، القرآن العظيم ﴿ **كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين** ﴾ [١] وعلى سبيل المثال فإن المذهب الإلحادي الشيوعي لم يوجده سوى اليهود من أجل إفساد الفطرة الإنسانية ليعيش الناس كالبهائم لا أدب ولا حياء ولا خلق ولا رحمة ولا شفقة . والبنوك الرباوية التي قضت على مظاهر الرحمة الإنسانية في العالم . حيث لم يبق من يقرض إنسانا قريبا أو بعيدا قرضا حسنا من شأنه أن يورث المودة والإخاء والتعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان . فهذه البنوك هم صانعوها وناشروها في العالم أجمع وبذلك قضوا على رابطة المودة ، والتعاون والإخاء بين الناس .

وخلاصة القول : إن اليهودية اليوم وقبل اليوم ومن عهد عيسى عليه السلام لا تصلح أن تكون نظاما شرعيا متى آمنت به البشرية وطبقته كملت عليه ، عقولا وأخلاقا وآدابا وسعدت عليه ، أجساما وأرواحا في الدنيا والآخرة .

---

(١) المائدة : ٦٤ .

ب ـــ النصرانية : إن النصرانية بالمعنى الصحيح لها لم تعد كونها مبادىء روحية تتجلى فيها مظاهر الرحمة والإحسان وما فيها من بعض الأسس الحكمية فقد نسخت بالشريعة الإسلامية التي جاءت بعدها فلم تعدْ صالحة لإسعاد الإنسان وإكماله .

وخلاصة القول : إن النصرانية لا تحوي شرائع إلهيّة وأحكاما شرعية ولا أنظمة وقوانين سماوية من شأنها إن أومِنَ بها وطُبِقت أكملت وأسعدت من آمن بها وطبقها . ومن الأدّلة الظاهرة على صّحة ما قلناه ؛ أن الشعوب الصليبية لم تتقدم حضاريا إلا بعد هجرها الكنيسة وتركها لمبادئها وتنكرها لها جملة وتفصيلا . ولا أظن أحدًا من ذوي العلم والمعرفة يجهل هذه الحقيقة حتى نسوق إليه أدلة أخرى . وبناء على هذا فلنترك الصليبية كما تركنا اليهودية قبلها ولنطلب غيرهما وليكن المجوسية .

جـ ـــ المجوسية : إن المجوسية وإن لم يكن لأهلها كتاب مقدس وإن حرف وبدل كما حرفت التوراة والإنجيل فإن لها صلة بتشريع إلهي قديم قد تنوسي فيها واختفت معالمُهُ ، ولم يبق منه شيء يذكر ولذا تفرعت إلى فروع عدةٍ كالبوذية والهندوك وغيرهما من الديانات الموجودة في آسيا وإفريقيا .

د ـــ الهندوسية : وهي ديانة وثنية ليس لها كتاب أنزلهُ الله تعالى وإنما لها كتاب ألفه رجال منهم ولم يعرف بعد من ألف تلك الكتب المتضمنة بعض الأخلاق الفاضلة والقوانين التنظيمية وأنهم لَمْ ينسبوها إلى آلهة متعددة ، لذا فهي ديانة وثنية لا صلة لها بشرع الله العليم الحكيم . ولذا فأهلها أسوأ الناس حالا في كل مظاهر الحياة ، فكيف يصح أن ندعو البشريةَ لاعتناقِ ديانة لا أصل لها ولا عطاء لها منذ أن أحدثت إلى اليوم .

هـ ـــ وآخر ما ظهر في الحياة البشرية المذهب المادي الشيوعي حيث ادَّعى واضعوه ومعتنقوه أنه المذهب الذي يُسعد البشرية ويُعلي من قيمتها ، ما إن جُرِّب حتى ظهر أنه مذهب مدمر للقيم الإنسانية قاض على الأخلاق الفاضلة التي هي قوام الحياة ، قاطع لصلة العباد بخالقهم الأمر الذي جَعَل من الإنسان الذي هو أكرم مخلوق في هذه الأرض جعل منه آلة صماء تتحرك بلا إحساس إنساني ولا شعور بشري وقد طبقت مبادئها بالقوة في أنحاء عديدة من العالم فلم تحقق لأهلها شبعا لبطن ولا راحة لبدن فضلا عن تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس أو إسعاد الأرواح بالحب والأمل .

ومن أين للشيوعية الحمراء صنيعة اليهود لضرب كل من المسيحية والإسلام معا ، من أين لها أن تحقق للإنسان كمالا وسعادة في الدنيا والآخرة ؟؟

إنه بعد استعراضنا للديانات ولم نجد فيها ولا بينها دينا سليما صحيحا يقوى على إسعاد البشرية وكمالها في الحياتين ولم يبق إلا الإسلام فلنستعرضه كغيره لننظر هل فيه من التشريع والتنظيم مايحقق للبشرية ما تصبو إليه من سعادة وكمال إذا هي أخذت به عقيدة وعملا . فإلى الإسلام : —

و — **الإسلام** : إن الإسلام دين سماوي أنزل الرب تعالى به كتابه القرآن الكريم ، وبعث به رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام فكتاب الإسلام ناسخ لما سبقه من التوراة والإنجيل ، ورسوله خاتم لما تَقَدَّمَهُ من أنبياء ، ويؤكد هذه الحقيقة أنه مضى على نزول كتابه وبعثة رسوله أربعة عشر قرنا وزيادة ولم ينزل كتاب ولم يبعث رسول . قال الرب تعالى في تقرير كتاب الإسلام ونبيه : ﴿ **يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا** ﴾[1] فالبرهان : هو الرسول محمد ﷺ وكونه برهانا لأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ومعه من العلوم والمعارف ما تعجز البشرية كلها عن مثلها . وكون القرآن نورا لأنه يهدي إلى سبل السلام الموصلة إلى السعادة والكمال .

---

(١) سورة النساء ١٧٤ .

مميزات الإسلام

وللإسلام مميزات تؤهله حقاً لإنقاذ البشرية وإسعادها وفيما يلي تلك المميزات التي لم تكن لغيره من الأديان فلنتأملها بعناية : ـــ

١ ـــ كونه دين الله تعالى إذ قال الرب عز وجل في كتابه : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ (١) وقال ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ (٢) .

٢ ـــ كونُ كتابِهِ وهو القرآن لم يطرأ عليه تحريف بزيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير ، إذ المسلمون يحفظونه في صدورهم من أيام نزوله إلى اليوم .

٣ ـــ كون رسولِهِ معروف الأصل شريف النسب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إذ كان صلى الله عليه وآله وسلم كما قال : « أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى » ﴿ **إذ قال إبراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** ﴾ (٣) . وقال عيسى عليه السلام : ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾ (٤) .

٤ ـــ كونه دينا عاماً للبشرية كلها أبيضها وأصفرها عربها وعجمها إذ جاء في كتابه قول منزلِهِ عز وجل ﴿ **قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا** ﴾ (٥) . وقوله : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٦) . وقوله : ﴿ **وماأرسلناك إلاّ رحمة للعالمين** ﴾ (٧) .

٥ ـــ كونه أعز وأسعد وأطهر ـــ بعد أن أنقذ من الجهل والظلم والشر والفساد ـــ كل من دان لله تعالى به في صدق ، وعمل به في جد وحزم . فالعرب كانوا قبل دخولهم في الإسلام أضل أمة وأجهلها وأفقرها وأكثر شرا وفسادا وما أن دانوا به في صدق حتى أصبحوا هم وكل من دان لله بالإسلام في الشرق والغرب أعز أمةٍ وأسعدها وأطهرها وأكملها أخلاقا

---

(١) سورة آل عمران ١٩ . (٢) سورة آل عمران ٨٥ .

(٣) هذه الدعوة دعا بها إبراهيم لما كان يبني البيت الحرام مع ولده إسماعيل . والآية من سورة البقرة ١٢٩ .

(٤) هذه البشارة قالها عيسى عليه السلام وهو يخاطب بني إسرائيل ، والآية من سورة الصف ٦ .

(٥) سورة الأعراف ١٥٨ . (٦) سورة سبأ ٢٨ .

(٧) سورة الأنبياء ١٠٧ .

وأهداها سبيلا إلى أن تعاون المجوس واليهود والنصارى على إفساد عقائدهم وإبعادهم عن الإسلام ويومئذ ذلوا وشقوا وجهلوا وفسدوا والتاريخ شاهد بهذه الحقائق .

٦ ـــ كونه ـــ الإسلام ـــ تشريعا عاما يتناول جميع شئون الحياة الإنسانية فيكمل الإنسان به روحا وعقلا وخلقا ، ويسعد روحا وبدنا ، وفي الدنيا والآخرة معا .

وهذا بيان مجمل للإسلام الذي لم يقبل الله دينا غيره ويستحيل أن يكمل الإنسان ويسعد على غيره من سائر الأديان والنظم البشرية ، إذ الإسلام وضعه الله تعالى للبشرية لِتكمَلَ وتُسعدَ به ، وضعه وضع السنن التي لا تتبدل فالطعام يشبع والماء يروي والنار تحرق والحديد يقطع . سنن لا تتبدل ، والإسلام كذلك يسعد ويكمل سنة إلٰهية لا تتبدل ولا تتخلف .

وبما أن الإسلام إيمان وعمل ، والإيمان مقدم على العمل ، إذ الإيمان هو الذي يثمر العمل وينتجه وبحسب صحة الإيمان وقوته يكون العمل .

لذا نقدم بيان الإيمان على الأعمال فنقول : ـــ الإيمان هو تصديق المرء بوجود الله الذي دَل على وجوده كل موجود في هذا العالم ، إذ لابد لكل صنعة من صانع وكما يستحيل وجود صنعة بدون صانع يستحيل كذلك وجود موجود بدون موجد إلا الله فإنه أوجد كل شيء ولاموجد له عز وجل وبهذا كان الإله الحقَ الذى لا يجوز أن يعبد سواه ، فالإيمان هو تصديق الإنسان بوجود الله خالقًا رازقًا مدبرًا قادرا لا يعجزه شيء وعليما بكلَ شيء وحكيما في كل شيء .

والإيمان : التصديق بملائكة الله وهم خلق خلقهم الرب من النور يسبحونه الليل والنهار لا يفترون وهم بحسب ما كلفهم به أصناف كثيرة منهم الموكلون بالجنة ونعيمها ومنهم الموكلون بالنار وعذابها ومنهم الحفظة الذين يكتبون أعمال العباد ومنهم الموكلون بغير ذلك ومن أشرفهم حملة العرش ، وجبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام .

والإيمان : تصديق بكتب الله التي أنزلها على رسله تحمل شرائعه لعباده ، وتعرّفهم به سبحانه وتعالى ، وتكون برهانا على صدق الرسل في رسالتهم . ومن أشهر الكتب الإلٰهية : التوراة ، والإنجيل ، والقرآن .

والإيمان : تصديق بأنبياء الله ورسله ، وأولو العزم منهم خمسة وهم : نوح ،

وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

والإيمان : تصديق بالبعث الآخر وبما فيه من حساب وجزاء بالجنة دار النعيم الأبدي وبالنار دار البوار والخسران الأبدي .

والإيمان : هو تصديق بقدَر الله تعالى [1] وهو أن ماأراد الله خلقه من سائر المخلوقات ، وما أراد إيجاده من سائر الكائنات ، كتبه أولا في كتاب المقادير عنده ثم يخرجه في وقته المحدد له بلا زيادة ولا نقصان ، فلا يقع حدث في الكون إلا وقد سبق قضاء الله فيه وعلمه به وتقديره له . وذلك لكمال علم الله تعالى وقدرته وحكمته ، وكيف لا وهو الذي يقول للشيء يريده : كن فيكون [2] ولا يتخلف أبدا .

هذا هو الإيمان القائم على الأركان الستة التي تقدم بيانها ، وإنه لبمثابة الروح التي بها الحياة . فالإنسان العاقل إذا آمن هذا الإيمان وصدق فيه أصبح أهلا للقيام بكل ما يكلف به ويسند إليه القيام به . وإذا لم يؤمن المرء هذا الإيمان فإنه بمثابة الميت لا يسمع نداء الخير ولا يبصر آيات الحق والهدى ولا يفقهُ كلام الحكمة ولا أسرار التشريع فهو كالميت سواء بسواء . ومن هنا لا يكلف بصلاة ولا زكاة ولا جهاد ، وذلك لعجزه وعدم قدرته على القيام بما يكلف به ، والواقع شاهد فغير المؤمن لا يصلي ولا يزكي ولا يتطهر من ذنب ، وذلك لموته بعدم حياته بروح الإيمان .

كان ذلك الإيمان الذي هو جزء الدين الإسلامي . أما الأعمال فأعظمها ما يلي : —

١ — الصلاة — وهي مناجاة الرب تعالى في بيته أو في أي مكان طاهر خَمْسَ مراتٍ [3] في اليوم والليلة يتطهر المؤمن ويلبس ثيابا طاهرة ويقف بين يدى ربه يفتتح المناجاة بقول : الله أكبر . ثم يقرأ سورة وآيات من القرآن ثم يركع ويسجد ليسبح الله تعالى ويعظمهُ ويدعوه في ركوعه وسجوده ثم إذا فرغ قال : السلام عليكم . وبذلك تمت المناجاة .

(١) في صحيح مسلم / أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان فأجابه قائلا : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . فقال جبريل صدقت والرسول أخذ هذا العلم من القرآن الكريم إذ ذكرت فيه الأركان الستة خمسة منها في سورة البقرة والسادس من سورة القمر .

(٢) جاء في سورة يسٓ من كتابه العزيز قولهُ تعالى : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** ﴾ . وجاء من سورةالنحل قوله تعالى : ﴿ **إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ .

(٣) يتعلم المؤمن الطهارة وكيفية الصلاة حتى يصبح يعرف كيف يتطهر ويصلي .

والأوقات هي : الصبح ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء . هذه الصلاة متى أقامها المؤمن مستوفاة الشروط والأركان أنتجت له نورا في نفسه يصبح معه لا يرضى أبداً أن يرتكب فاحشة أو منكرا وبذلك يصبح مجتمع المؤمنين آمنا طاهرا صالحا فلا ربا ولا زني ولا غش ولا خداع ولا ظلم ولااعتداء ، لأن الصلاة الحكمة من تشريعها : أنها بما تُوجد من نور في قلب المؤمن يمتنع به من قول أو فعل ما هو ممنوع . قال تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾[1] .

٢ ــ **الزكاة** ــ عبادة مالية هي إحدى قواعد الإسلام الخمس ، والحكمة من شرعها أمران : الأول : تطهير نفس مؤديها من رذيلة الشح والبخل وهما من أشد أمراض النفوس وأكثرها ضررا على الفرد والجماعة ، ولا سبيل إلى علاج هذين المرضين الخطيرين إلا بأداء الزكاة . قال تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾[2] . والأمر الثاني : سد حاجة الفقراء والمساكين وأبناء السبيل في المجتمع المسلم . كما هي المساعدة على قضاء ديون المعسرين من المسلمين ، وفوق ذلك أنها ميزانية الجهاد في الإسلام ؛ إذ بالزكاة يُشترى السلاح أو يصنع ، وبالزكاة تقضى رواتب الجيوش المرابطة أو الغازية ، وقد حدد هذه المصاريف الرب تعالى في كتابه إذ قال : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾[3] وبيّن تعالى مصادرها إجمالا فقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض** ﴾[4] . وفصّل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبين أنها من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم . وأنها من الحبوب والثمار كما هي من الذهب والفضة وما يقوم مقامهما من العُمل المختلفة كالدولار والفرنك وغيرهما . وأما المقادير التي تؤخذ من كل نوع من المزكيات فهي معلومة لعلماء الشريعة فليسألوا عنها فإنهم يبينونها لمن سأل .

٣ ــ **الصيام** ــ وهو امتناع المسلم عن الطعام والشراب وغشيان النساء طوال شهر رمضان من بداية طلوع الفجر إلى غروب الشمس هذا الصيام شرعه الله لعباده المؤمنين لحكم غالية كثيرة منها :

---

(١) العنكبوت : ٤٥ .
(٢) سورة التوبة ١٠٣ .
(٣) سورة التوبة ٦٠ .
(٤) سورة البقرة ٢٦٧ .

١ ــ تزكية النفس البشرية بطاعة ربها حيث تركت أحب الأشياء إليها وهو الطعام والشراب والجماع .

٢ ــ الإحساس بألم الجوع والعطش والحرمان الذي يعانيه الفقراء والمساكين ، فيوجد لدى الصائم عاطفة يرحم بها الفقراء والمساكين والمحرومين .

٣ ــ رياضة النفس على ترك المحاب وتحمل المشاق في ذات الله تعالى .

٤ ــ علاج مرض السِمن وغيره من الأمراض التي لا تعالج إلا بالحمية عن الطعام .

٤ ــ **الحج** ــ وهو قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك ــ أي عبادات خاصة ــ وهو فرض مرة واحدة في العمر على من استطاعه ، ومن عجز عنه فلا حرج عليه ولمشروعيته حكم عالية منها :

١ ــ أن عبادة الحج إذا تمت كما شرعها الله تعالى تمحو جميع الذنوب التي يقارفها العبد في عام أو أعوام لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

٢ ــ زيادة إيمان المؤمن إذْ تجردُ العبد من لباسه إلا ما كان من إزار ورداء وإجابته دعاءَ ربه لزيارة بيته ، ثم الوصول إلى بيته الذي هو أول بيت بني للناس إذ بنته الملائكة بأمر الله تعالى لآدم أيام نزوله هو وزوجته حواء من السماء ليأنس به ويسأل ربه حاجته عنده ، ثم الطواف به مع الذكر والدعاء فيعظم الأنس وتطمئن النفس ، ثم السعي بين الصفا والمروة وهو عبادة لله تعالى تذكر بتاريخ إبراهيم أبي الأنبياء ، إذ أمر بترك هاجر أم إسماعيل حول المكان الذي كان فيه قبل هدمه بالسيول ثم عاد إلى بيت المقدس ــ ولما نفذ الماء الذي عند أم إسماعيل وعطش طفلها طلبت أعلى مكان حولها لترتفع عليه ، وتنظر لعلها ترى إنسانا أو ماء فطلعت جبل الصفا ولم تر شيئا وكان أمامها جبل المروة وبينها وبينه واد فسعت فى الوادي حتى وصلت إلى المروة ولم تر شيئا فهبطت وعادت إلى الصفا تطلب الماء لولدها حتى فعلت ذلك سبع مرات وبعدها عادت إلى طفلها وإذا بالملك جبريل عليه السلام قريبا من البيت والطفل فلما دنت منه ضرب بعقبه الأرض ففار الماء من الأرض ، فأخذت تزمه حتى لا يسيح في الأرض وسمي ذلك ماء زمزم وهو قريب من البيت الحرام إلى اليوم . ثم بعد ذلك يخرج العبد إلى منى ليبيت بها استعدادا لحضور المشهد العظيم بعرفات حيث يكرم الله الكريم عباده الذين دعاهم إلى حج بيته فأجابوه فيغفر ذنوبهم ويعطيهم ما سألوه من خير الدنيا والآخرة إكراما لهم إذ يباهي بهم الملائكة فيقول يا ملائكتي انظروا إلى

عبادي كيف أتوني شعثا غبرا أشهدكم أني قد غفرت لهم . ثم يريحهم من طول قيامهم بعرفات فلم يأذن لهم أن يصلوا المغرب إلا بمزدلفة ليناموا ليلتهم ثم يصلوا الصبح ويأتوا منى لرمي جمرة العقبة حيث كان الشيطان قد إعترض إبراهيم وهو يريد إنقاذ ما رآه في منامه من ذبح ولده إسماعيل اعترضه عند مدخل منى بوسواسة عن امتثاله أمر ربه ، فرماه إبراهيم بحصيات حتى تركه ، ثم اعترضه في مكان آخر فرماه كذلك حتى تركه ثم اعترضه ثالثة فرماه . واستعاذ منه ففر ونفذ إبراهيم ما خرج من مكة له وفُدي إسماعيل بذبح عظيم فذبحه وترك إسماعيل لينجب أولادا يكون منهم خاتم النبيين محمد ﷺ . وبعد رمي جمرة العقبة يذبح العبد هديه تقربا إلى ربه كما ذبح إبراهيم ثم يأتي البيت العتيق ليطوف طواف الشكر على نعمة الإكرام ثم يعود إلى منى ليقيم بها ثلاثة أيام طلبا للراحة والاستجمام بإذن الله تعالى إذ قال رسوله : « أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله » . ثم يودع بيت ربه ويسافر إلى أهله وقد عاد بأعظم غنم وأكبر كسب وهو مغفرة ذنبه والفوز برضا ربه .

٣ ــ اجتماع المسلمين من شتى البلاد ليتعارفوا ويتبادلوا العلوم والمعارف مما يقوي أواصر الحب والإخاء بينهم ، ويزيد في آدابهم وأخلاقهم . كانت تلك بعض حكم الحج وأسراره وغيرها كثير .

٥ ــ **الأخوة** ــ إن مما تعبد الله تعالى به عباده المؤمنين أن يتآخوا فيما بينهم فيكون المؤمن أخا لكل مؤمن فيحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه . قال تعالي في تقرير من الأخوة : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ (١) وقال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . ومن مقتضيات الأخوة الإسلامية ما يلي : ــ

١ ــ حب المؤمن لأخيه المؤمن .
٢ ــ نصرة المؤمن لأخيه المؤمن .
٣ ــ تعاون المؤمن مع المؤمن على البر والتقوى .
٤ ــ أن لا يظلم المؤمن أخاه المؤمن ولا يكذبه ، ولا يخذله ولا يسلمه لعدوه .
٥ ــ أن لا يؤذيه في جسم ولا عرض ولا مال . إذ قال رسول الاسلام « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » .

---

(١) الحجرات : ١٠ .

فلنتأمل فيما تحققه هذه العبادة وهى الأخوة من المحبة والنصرة والتعاون الأمر الذي لا يمكن أن يوجد في نظام ولا يتحقق مثله في دين من الأديان غير الدين الإسلامي الذي هو شرع الله لعباده الذي لا يكملون ولا يسعدون إلا عليه .

٦ ــ **الولاية** ــ إن من مبادىء الدين الإسلامي ولاية المؤمنين لبعضهم بعضا فما يرى مؤمن أخاه تاركا لمعروف إلا أمره بفعله ولازمه حتى يفعله ، ولا يراه مرتكبا لمنكر إلا نهاه عنه ولازمه حتى يتركه ، والرجال والنساء في هذا سواء لا فرق بينهم في هذا الأمر قال تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ (١) ولازم هذه الولاية أن كل فرد في المجتمع يقوم بمهمة حماية المجتمع من الشر والفساد هذه الحماية التى تنشىء لها الدول اليوم قوات أمن تنفق عليها المليارات من الجنيهات . ولم تحقق أمنا كاملا ولم تحم المجتمع من الظلم والخبث ولا من الشر والفساد ، ويقرر الشارع هذه الولاية فيقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ذلك أضعف الإيمان » . ويقول « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يعمكم الله بعقاب من عنده . ويجعل الشارع من أسس الدولة الإسلامية ؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ قال في سورة الحج من القرآن العظيم كتاب الله رب العالمين : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ (٢) .

وخلاصة مافي هذه المادة من هدى أن يقال : ما بال المرء بأمة كل أفرادها حراس للفضائل حماة من الرذائل ؟؟

٧ ــ **الإحسان** ــ إن الإحسان وهو في الأعمال والأقوال إتقانها والإتيان بها كاملة متقنة مجوّدة حتى تكون أكمل وأحسن ما تكون . فإن كانت عبادة أثمرت الزكاة والطهر لنفس العامل المحسن ، وإن كانت في الأعمال غير التعبدية كالصناعة والزراعة والمهن اليدوية من خياطة وطبخ وما إلى ذلك أتت الأعمال وافية صالحة سليمة من النقص الذي يفقدها فوائدها المرجوة منها . وطريق الوصول في العبادات والأعمال هو مراقبة الله تعالى أثناء العمل بحيث يعمل ما يعمل وكأنه ينظر إلى الله تعالى أو وهو يعلم أن الله تعالى يراه وينظر إلى عمله . وبذلك لا يقدر على عدم تجويد العمل وإتقانه فيأتي العمل على أحسن الوجوه وأكملها لايفقد العبد ثمرته المقصودة منه .

---

(١) التوبة : ٧١ . (٢) الحج : ٤١

وإما الإحسان إلى الخلق فهو رحمتهم وكف الأذى عنهم . وقد أمر الله تعالى بالإحسان فى كتابه بقوله : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **وقولوا للناس حسنا** ﴾ (٢) وقال : ﴿ **وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم** ﴾ (٣) والإحسان ثلث الدين الإسلامي ، إذ الدّين إيمان وإسلام وإحسان . وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله كتب الإحسان أي فرضه في كل شيء فقال : « إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتله ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليُحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (٤) .

٨ ــ **العدل** ــ إن العدلَ خلاف الظلم والجور وهو قوام الحياة كلها أمر به الشارع وألزم به الفرد والجماعة والحاكم والمحكوم ، وهو لازم في الحكم والقول معا . قال تعالى : ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل** ﴾ (٥) وقال : ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** ﴾ (٦) أي ولو كان من تقولون فيه ، قريبا لكم فلا تمنعكم قرابته منكم أن تقولوا العدل . وللعدل مجالات واسعة فيما يلي بعض منها :

١ ــ في الاعتقاد فلا يجوز للمؤمن أن يعتقد غير الحق أبدا .

٢ ــ في القول فلا يجوز قول الباطل ولا الأخذ به ولا قبوله .

٣ ــ في الحكم فلا يجوز الجور ولا الحيف في الحكم في أي شيء يحكم فيه .

٤ ــ في العطية للأولاد فلابد من المساواة ولا يجوز تفضيل أحد عن أحد .

٥ ــ في الحكم على العدو قال تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ (٧) .

٦ ــ في القسمة بين الزوجات وفي كل شيء هو حق لهم قال تعالى : ﴿ **وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ (٨) . أي تزوجوا واحدة ولا تزيدوا عليها إن خفتم ألا تعدلوا بينهن .

٩ ــ **الأمانة** ــ إن للأمانة في حياة الناس شأنا عظيمًا ، بحيث إذا ضيعت

---

(١) سورة النحل ٩٠ .
(٢) سورة البقرة ٨٣
(٣) سورة النساء ٣٦
(٤) رواه مسلم .
(٥) سورة النساء ٥٨ .
(٦) سورة الأنعام ١٥٢
(٧) المائدة : ٨ .
(٨) النساء : ٣ .

ضاعت الحياة كلها ، ولم يبق لها من معنى ، والأمانة هي كل ما يؤتمن المرء عليه من شيء حتى الكلمة السر ، وأول ما يراعى من الأمانات ما ألزم الله تعالى به عباده من طاعته وطاعة رسوله إذ تلك الطاعة هي نظام يتناول كل مظاهر الحياة وأسباب الكمال والسعادة فيها فإذا ضيعت فسدت الحياة وشقي أهلها . أمر تعالى بأداء الأمانات في قوله : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ . وقال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا إيمان لمن لا أمانة له » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أدّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك » .

فالمؤمن توضع تحت يديه أمانة يحفظها لصاحبها ولو غاب عنها دهرا طويلا ، والمؤمن يودعه أخوه كلمة سر فلا يفشيها ولا يحدث بها أبدا ، والمؤمن يراعي مبدأ الأمانة حتى في النظر فلا يخن أخاه في استراق نظرة إلى من لا يَحلّ له النظر إليها من نساء المؤمنين .

١٠ ــ الوفاء بالعهد ــ إن الوفاء بالعهد كصدق الوعد ، وهما خلقان فاضلان لا يمكن أن يتحلى بهما غير المؤمن الصادق الإيمان ، ولذا فرضهما الله الشارع الحكيم وجعلهما دينا وإيمانا فقد قال تعالى : ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا** ﴾ (١) . وقال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : « آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » . والمنافق كافر يظهر الإسلام ويبطن الكفر وهو شر الدواب على الإطلاق لأنه مادي خالص لا يرى إلا مصلحته المادية ويبذل في كل شيء . فالإسلام هو الدين الذي يلزم من دخل فيه بصدق الوفاء بالعهود ، وبصدق الوعد ، فلا خلف ولا كذب . وكيف والله يقول : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾ (٢) . وهي سائر العقود كعقود الزواج والبيع والشراء والإيجار والشركات ويشمل العهود والوعود كذلك .

١١ ــ فاضل الأخلاق ورفيع الآداب ــ إن الإسلام من جملة مبادئه السامية ؛ الأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة التي تتجلى في حياة المسلم كلها في قوله إذا قال ، وصمته إذا صمت ، وفي أخذه إذا أخذ وفي عطائه إذا أعطى ، وفي أكله وشربه إذا شرب ، في جداله إذا جادل لإظهار الحق ، في لباسه ، في نومه حتى في قضاء حاجته البشرية من تبول وتغوط . فلم يخل شأن من شئونه من آداب رفيعة أو خلق فاضل . وذلك لأن الله تعالى يحب من عباده المؤمنين أن تكون أخلاقهم فاضلة وآدابهم رفيعة وقد أثنى تعالى على

---

(١) الإسراء ٣٤ . (٢) المائدة :

رسوله بقوله : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (١) وعلّمه الآداب الرفيعة في قوله : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ (٢) . وقد أخبر بذلك صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » . وقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . وقد وضع صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين قواعد للآداب والأخلاق .

وهذه جملة من الآداب الإسلامية الرفيعة :

١ ــ **آداب اللقاء والجلوس** ــ فالمسلم إذا لقي أخاه المسلم يبدؤه بالسلام وهي تحية مؤذنة بالسلامة من كل مكروه ، ثم يصافحه لينمي حبه في قلبه ، وإذا أراد أن يجلس استأذن ثم يجلس حيث أذن له أخوه في الجلوس . وإذا أراد أن يقوم استأذن وسلم ثم انصرف .

٢ ــ **آداب الطعام** ــ وإذا جلس المسلم على مائدة الطعام : التزم بالآداب والأخلاق الآتية :

١ ــ أن يقول : بسم الله . إعلام بأنه مأذون له فيه من قبل خالقه عز وجل .

٢ ــ أن يأكل مما يليه حتى لا يفسد بقية الطعام إن كان يأكل وحده وحتى لا يؤذي الآكل معه إذا كان له مواكل من إخوانه .

٣ ــ أن لا ينظر إلى الأكلة معه حتى لا يسبب لهم أو له أذى بالنظر في حال تناول الطعام إذ يتغير وجه الآكل فلا يحسن النظر إليه وهو كذلك .

٤ ــ أن يغسل يديه قبل الطعام إن كان بهما أذى وبعده ليزيل رائحة الطعام من يديه وفمه معا .

٥ ــ أن يقتصد في الأكل بحيث لا سرف فيه ولو كان الطعام وفيرا لقول الله تعالى : ﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ (٣) وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه فإن كان ولابد فاعلا فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس » .

٣ ــ **آداب المشي** ــ إن المسلم إذا مشى يراعي الآداب التالية :ــ

١ ــ أن يسلم على من يمر به ، ويسلم الراكب على الماشي والقائم على القاعد

(١) القلم : ٤ . (٢) الأعراف : ١٩٩ .

(٣) الأعراف : ٣١ .

٢ ــ أن يعتدل في مشيه فلا يبطىء ولا يسرع لغير حاجة وليكن مشيه اعتدالا وقصدا أي لا يمشي في الشوارع والطرقات لغير حاجة يقصدها .

٣ ــ أن يمشي في يمين الطريق ولا يضايق أحداً متعمّدا ذلك .

٤ ــ آداب الركوب ــ إن المسلم إذا ركب دابة أو سيارة أو طيارة يلتزم بالآداب التالية :

١ ــ أن يقدم رجله اليمنى إن أمكنه ذلك .

٢ ــ أن يقول : بسم الله والحمد لله . إعلاما بأن الله تعالى أذن له فيه وأنعم به عليه .

٣ ــ وإذا استوى راكبا قال : ﴿ **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون** ﴾ (١) . فنزه المنعم بهذه النعمة عن الشريك وكل نقص وأعلن عن عجزه وعدم قدرته عن تسخير ذلك المركوب لولا أن الله تعالى سخره حتى ركبه كما ذكر نفسه بالرجوع إلى الله في الدار الآخرة لأن السفر والركوب مَظنة الأخطار والحوادث المهلكة .

المحرمات ــ إن الإسلام هو التسليم لله الشارع الحكيم فيما يمنعه على عباده وفيه يبيحه لهم ، وفيما يأمرهم به وينهاهم عنه مع العلم اليقين أن ما يأمرهم به سواء كان اعتقادا أو قولا أو عملا لن يخرج أبداً عن كونه محققا لسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وأن ما ينهاهم عنه من اعتقاد أو قول أو عمل لن يعدو كونه يجلب لهم الشقاوة في الدنيا والآخرة . وعلة ذلك أن الله تعالى هو ربهم وهو أرحم بهم منهم بأنفسهم ومن أسمائه : الرحمن الرحيم . يضاف إلى ذلك أنه عليم حكيم ، وبذلك يكون تشريعه نافعا غير ضار ، وصالحا غير فاسد .

وهذه جمل من المحرمات :

١ ــ **الفواحش** ــ وهو كل خصلة قبحت واشتد قبحها كالشح والبخل والكذب والخيانة والغش والسرقة ، وألفاظ السوء والقبح . وأعظم أنواع الفواحش فاحشة الزنى واللواط . إذ قال تعالى : ﴿ **قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ (٢) وقال : ﴿ **ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ (٣) .

---

(١) الزخرف : ١٣ ، ١٤ (٢) الأعراف : ٣٣ .

(٣) الإسراء : ٣٢ .

٢ ـ **الخبائث** ـ وهو كل مطعوم أو مشروب خبيث الطعم أو الريح كالميتة ولحم الخنزير وسائر المسكرات والمخدرات من خمر أو هيروين أو كوكائين أو تبغ . وسواء كانت تتعاطى حبواب أو حقنا أو تدخينا . إذ قال تعالى في نعت النبي الخاتم : ﴿ **ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ (١) وذلك حفاظا على كمال الإنسان العقلي والخلقي والبدني .

٣ ـ **الملابس** ـ وحرم الإسلام على الرجال لبس الذهب والحرير وإباحتهما للنساء والحكمة في هذا التشريع ظاهرة وهي أن الرجال يزاولون الأعمال الشاقة كالبناء والحرث والصناعة والأسفار للتجارة وغيرها فالخشونة أليق بهم . والنساء يزاولن أعمالا منزلية خفيفة في الغالب فلبس الحرير والذهب أليق بهن لا سيما وأن التحلي من أنواع الحلي يرغب الفحول فيهن وبذلك يتم الوطء ويكون التناسل ويعمر الكون ويعبد الله تعالى بذكر عباده له ، وشكرهم له بأنواع العبادات .

٤ ـ **الملاهي والملاعب** ـ إن الملاهي والملاعب تتنافى قطعا مع ... الذي خلق للذكر والشكر . إن ظروف الحياة لا تعدو أربعا وعشرين ساعة في اليوم والليلة . منها ثماني ساعات للنوم وقد تنقص بساعة ولكن لا تزيد . إن الباقي ست عشرة ساعة منها خمس ساعات لمناجاة الرب تعالى في بيته مع عبادة إن أمكن ، وسر تلك المناجاة أنها استمداد لطاقة النور التي بها حياة الأرواح والقلوب مع رفع الشكاوى إليه تعالى وتقديم الطلبات لحاجة العبد إلى تخفيف آلامه وقضاء حوائجه مع تأمين مخاوفه فالباقي من الساعات إحدى عشرة ساعة منها ثلاث ساعات للغذاء صباحا ومساء فلم يبق إلا ثماني ساعات وهي للعمل الدنيوي اليومي في المكتب أو المصنع أو المزرعة أو المتجر ، ولم يبق للهو واللعب شيء من الوقت . إلا أن الكافر بالله ولقائه إذا أراد اللهو أو اللعب وجد له خمس ساعات وهي الساعات الخمس التي يناجي فيها المسلم ربه تعالى فهذه الساعات يقضيها الكافر الآيس من سعادة الآخرة في بعض اللهو واللعب أي في البارات والمسارح والمقاهي والملاهي ... ويوجد للمسلم لهو ولعب في الظاهر والباطن ، هما عبادة الله المزكية للنفوس من ذلك لما يجلس الرجل في بيته ليتناول غذاءً له أن يلاعب أطفاله الصغار الذين لم يبلغوا السابعة من أعمارهم من أجل إدخال السرور والفرح عليهم وإثبات نبتة الحب له في قلوبهم ، كما أن للمسلم أن يلهو برياضة بدنه وعقله في ضروب السباق وأصناف الرمايات إعدادا لنفسه للجهاد في سبيل الله تعالى ، والجهادُ من أفضل أنواع العبادات .

(١) الأعراف : ١٥٧ .

٥ ـــ **الكسب الحرام** ـــ إن للكسب الحرام أنواعا منها :

١ ـــ ما يحصل بالقمار مطلقا قليلا كان أو كثيرا .

٢ ـــ ما يحصل ببيع المحرمات والإتجار فيها كبيع المسكرات والمخدرات وبيع الصور والتماثيل .

٣ ـــ ما يحصل ببيع الأعراض كالزنا والرقص في المراقص ودور اللهو .

٤ ـــ ما يحصل بالسحر والكهانة والكذب والحيل .

٥ ـــ ما يحصل بالحرابة وهي السطو على أموال الناس بالغلبة والقوة .

وهذه وما في معناها كلها مكاسب محرمة لا يحل لمسلم أن يكتسب بها رزقه بحال من الأحوال لأنها أموال خبيثة تتنافى مع الطهر الروحي والصفاء النفسي .

موجبات الكمال والإسعاد :

إن للكمال البشري والإسعاد في هذه الحياة الدنيا موجبات خاصة به فلا يتم إلا بها . ومن تلك الموجبات للكمال والإسعاد ما يلي :

١ ـــ **العلم** ـــ إن المراد بالعلم هنا العلم الخاص وهو معرفة الله الخالق عز وجل ومعرفة محابه ومكارهه ومعرفة ما عنده وما لديه . والطريق إلى الحصول على هذه المعرفة هو كتاب الله تعالى (القرآن) ورسوله (محمد صلى عليه وآله وسلم) . ومن هنا كان الإيمان بالله وكتابه ورسوله ضروريا للإنسان ، إذ غير المؤمن بالله وكتابه ورسوله لا يتأتى له كسب هذه المعرفة . والإيمان سهل على من سهله الله عليه ، إذ الإنسان لا ينكر أنه مخلوق ، ومادام معترفا بأنه مخلوق لزمه أن يعترف بأن له خالقا وليس شرطا أن يراه حتى يؤمن به فالمرء يجد كأسا من اللبن على طاولة لا يشك في أن امرءا وضعها وليس معقولا عنده ولا مقبولا أن يوجد الكأس بملئه على الطاولة بدون إنسان وضعه بمائه أو لبنه عليها ، وليس الإنسان وحده مخلوقا فالكائنات كلها من الأفلاك الدوارة إلى الكواكب السيارة ومن البحار إلى الأنهار ، ومن الجبال إلى التلال ، ومن الإنسان إلى كل الحيوان ، الكل مخلوق . والخالق واحد هو الله جل جلاله ، وقدرة الله التي لا يعجزها شيء وعلمه الذي أحاط بكل شيء وحكمته التي لا يخلو منها شيء تظهر بوضوح في هذه المخلوقات ، فغير العليم القدير الحليم لا يتأتى له هذا الخلق وهذا الإبداع والتنويع وهذه العلل التي لا يخلو منها كائن ومن أقرب الأدلة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته كتابه ورسوله . فكتابه القرآن الكريم

أنزله على محمد عبده ورسوله النبي الأمي الذي لم يقرأ ، ولم يكتب قط ، وقد حوى من العلوم والمعارف والإعجاز العام ما جعل الإنس والجن عاجزين على الإتيان بمثله . وقد أنزله بلسان العرب وتحداهم بالإتيان بسورة من مثله فعجزوا وقد مضى على ذلك التحدي أربعة عشر قرناً ولم يستطع أحد أن يأتي بسورة من مثل سوره التي بلغت مائة وأربع عشرة سورة . وهاهي آية التحدي من سورة البقرة حيث ذكر فيها لفظ البقرة . قال تعالى : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ (١) . فقد مضى على هذه المطالبة المقرونة بالتحدي أربعة عشر قرناً وزيادة ولم يستطع العرب أهل اللسان والفصاحة والبيان الإتيان بسورة ، أدنى سورة ... وظهر بذلك أنه كلام الله وكتابه . وأدل من ذلك أن القرآن تضمن تشريعا عاما في المال والاقتصاد ؛ في الأحكام القضائية ، السياسية ، وفي الأحكام الجنائية ، وفي السلم والحرب وفي كل شئون الحياة الفردية والاجتماعية (٢) . وتمضي القرون ولم يختل ذلك التشريع الإلـٰهي فيعدم صلاحيته قط . فدل هذا على أنه تشريع الإلـٰه العليم الحكيم . ويرتقي العلم البشري في كل مظاهر الكون العلوي والسفلي ولم يتعارض مع ما حواه القرآن من علوم الكون والحياة قط وبذلك تأكد بما لا مجال للشك فيه بأن القرآن حقا كتاب الله أنزله على رسوله وأنه أعظم برهان على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته ؛ وبذلك آمن عقلاء البشر منذ بدء الخليقة حتى ظهرت زمرة الإلحاد الشيوعي فأنكروا وجود الله تعالى ونسبوا الخلق والإبداع فيه والتدبير الحكيم في كل شئون الحياة إلى الطبيعة ، ولما حاصرهم علماء الدين والدنيا معا ولم يجدوا بُدًا من الاعتراف بأن الطبيعة التي هي التفاعلات الكيماوية العادمة للعقل والإرادة والعلم والحكمة ، يستحيل أن تكون الخالقة المبدعة المدبرة لكل حوادث الكون وإنما ذلك هو الله ، قالوا : إن لم نقل الطبيعة فسنقول : الله . فإذا قلنا : الله . قلتم لنا : صلوا أي اعبدوا الله بطاعته في الأمر والنهي وهذا يتعارض مع الشهوات والهوى . وبهذا افتضحت كذبة الطبيعة ، ولم يبق إلا الرجوع إلى الحق وهو الإيمان بالله تعالى ربا وإلـٰها عليما حكيما على كل شيء قديرا .

هذا الإيمان بالله وكانت تلك أدلته وبراهينه ، أما الإيمان بأن القرآن كتاب الله تعالى

---

(١) البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سيأتي بيان ذلك إن شاء الله في فصل خاص وهو النظام العام للدولة الإسلامية .

أنزله وحيا على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ظرف ثلاث وعشرين سنة ، فيكفي في التدليل والبرهنة على أنه كتاب الله تعالى ما يلي :

١ ـ كون منزله عز وجل تحدى الإنس والجن على الإتيان بمثله فعجزوا عن ذلك .

٢ ـ كونه تعالى تحدى العرب الذين نزل القرآن بلغتهم على الإتيان بسورة من مثله فعجزوا .

٣ ـ كون القرآن قد حوى أعظم تشريع للحياة البشرية ، ومن نزل عليه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فظهر بذلك أنه كتاب الله ووحيه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٤ ـ كون القرآن قد أخبر بمغيبات لم تقع ثم وقعت كما أخبر بلا نقص ولا زيادة في الزمان والمكان والحال . ومن ذلك إخباره بنهاية الحرب التي كانت دائرة بين فارس والروم وبأن الروم ستغلب ثم تنتصر ، فكان الأمر كما أخبر إذ جاء من سورة الروم قوله : ﴿ **غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين** ﴾[1].

٥ ـ كون القرآن قد أخبر بنزول الحديد في قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** ﴾[2] وقد تبين أخيرا أن الحديد لم يكن من الأرض لأن الحرارة التي تصهره لا توجد في الأرض .

٦ ـ كون القرآن قد أخبر بأطوار الأجنة في الأرحام وجاء العلم الحديث فقرر بأن ما أخبر به القرآن حقا لا باطل فيه إلى غير ما ذكرنا من الحجج والبراهين المثبتة أن القرآن كلام الله ووحيه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعظم برهنة وأكبر حجة على أن القرآن كلام الله أنه لم يدع أحد من الناس أنه كلامه فقال : كتابي أو تأليفي . قط ، إذ لو ادعاه أحد لفضحه الله وظهر كذبه للناس إذ الله عز وجل أخبر أنه حافظه من الزيادة فيه أو النقصان منه فقال تعالى من سورة الحجر : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[3] فقد مضى الآن على نزوله أكثر من أربعة عشر قرنا والقرآن محفوظ فلم ينقص ولم يزد فيه كلمة بل ولا حرف قط . كانت تلك أدلة وجوب الإيمان بأن القرآن كلام الله عز وجل ، أما أدلة الإيمان بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم المقررة لرسالته فهي أشهر

---

(١) الروم : ٢ ، ٣ .
(٢) الحديد ٢٥ .
(٣) الحجر : ٩ .

من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر فقد بلغت المعجزات التي أيّدهُ الله تعالى بها أكثر مَن ألف معجزة وعلى سبيل المثال نذكر منها ما يلي :

١ ــ العروج به إلى الملكوت الأعلى ليلة الإسراء والمعراج من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى جنة المأوى إلى مقام سام حيث كلمه ربه فيه وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس .

٢ ــ انشقاق القمر فلْقَتيْن كما طلب المشركون في مكة ثبت ذلك بالقرآن .

٣ ــ حنين الجذع إليه بصوت سمعه أهل المسجد ، والجذع خشبة نخل كان يخطب عليها .

٤ ــ فوران الماء من بين أصابعه حتى توضأ أكثر من ثمانين رجلا ، وفورانه يوم الحديبية حيث شرب وتوضأ وتزود بالماء معسكر عدد أفراده ألف وأربعمائة رجل .

٥ ــ وأعظم معجزاته القرآن الكريم إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من الأنبياء إلا أوتى ما آمن على مثله البشر وكان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

إن رجلا أميا لم يقرأ ولم يكتب قط ولما بلغ الأربعين من عمره جاء بكتاب حوى من العلوم والمعارف ما حير العقول وأدهشها ، وتحدى به وبسورة منه فلم يقدر أحد من البشر على الإتيان به لذا كان القرآن أكبر معجزة خالدة أوتيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتكون دليل نبوته وبرهان رسالته على مر الحياة وإلى نهايتها .

فلذا لم يكن الكفر به وتكذيبه صلى الله عليه وآله وسلم إلا نتيجة ضَعْفٍ في الرأي وَأَفَنٍ فيه أو حسد له وعناد ومكابرة حَمَلَ عليها الحفاظ على مصالح شخصية ومنافع مادية أو معنوية تافهة ساقطة لا تساوي شيئا .

وإلى هنا نعود إلى بيان المعرفة الموجبة للإسعاد والكمال البشري بعد أن ألقينا ضوءا كافيا على الإيمان بالله وكتابه ورسوله ، حتى أصبح ضرورياً وبدهياً إلّا عِنْدَ أحمق مختل العقل منفصم الشخصية فنقول : المعرفة المطلوبة للكمال والإسعاد هي معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ومعرفة محابه تعالى ، ومكارهه من الاعتقادات والأقوال والأفعال ، والصفات والذوات تلك المعرفة التي متى تمت للإنسان المؤمن أثمرت له حب ربه تعالى والخشية منه ، وَهُمَا أقوى مساعدٍ على إتيان المحاب وترك المكاره .

وهذا بيان موجز لمعرفة الله تعالى ، ومعرفة محابه ومعرفة مكارهه .

أ ـــ معرفة الله تعالى :ـــ

إذا أراد المرء معرفة الله فليسأل نفسه قائلا : هل أنا موجود ؟ ويجيب نفسه بالواقع الذي لا ينكره عاقل من البشر وهو : نعم أنا موجود . وهنا يسأل نفسه قائلا : ومن أوجدني ، إذ كل موجود لابد له من موجد حتى ولو كان إبرة أو خيطا ؟ وهنا عليه أن يسأل من هو موجده ؟ وسوف يجد الجواب من نفسه فيقول : هو الله . إن الإنسان مفطور على الإقرار بخالقه عز وجل ، إلا أنه لا يعرف من أسمائه وصفاته ما يجعله يحبه ويرهبه كما لا يعرف ما يحب خالقه . ولا ما يكره حتى يتقرب إلى الله بفعل ما يحب وترك ما يكره . ومن هنا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ليعرف عباده بنفسه ليعبدوه بذكره وشكره فيكملوا على ذلك ويسعدوا في الحياة الدنيا والآخرة ، وأول من عرف الله تعالى لعباده آدم أبو البشر إذ عرف أولاده بربهم ، وأولادُهُ عرفوا أولادهم وهكذا توارث الناس معرفة الله ومعرفة محابه ومكارهه فعبدوه بذلك وسعدوا به ، ثم اجتالتهم الشياطين أي حولتهم عن قصدهم الذي هو عبادة الله وحده فأصبحوا يعبدون مع الله غيره من الأصنام والأوثان التي زينت الشياطين لهم عبادتها ، فنبأ تعالى عبده نوحا وأرسله رسولا إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة غيره فأصروا على الشرك والكفر برسالته فأهلكهم الله بالطوفان ونجى نوحا ومن آمن ووحد . ثم أرسل الله هودا إلى عاد ، وصالحا إلى ثمود ، وإبراهيم ولوطا ، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) ووالى إرسال الرسل إلى أن ختم الرسالات برسالة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فعرفت تلك الرسل من أرسلوا إليهم عرفوهم بالله وأسمائه وصفاته ومحابه ومكارهه فآمن من آمن وكفر من كفر . فالمؤمنون كملوا وسعدوا دنيا وأخرى ، والكافرون شقوا وخسروا في دنياهم وأخراهم .

هذا ونعود إلى تعريف الرب تعالى فنقول : إن الرسل عرفوا أممهم بربهم تعالى بواسطة آياته ومخلوقاته ، وآياته تعالى هي ما تضمنتها كتبه التي أنزلها على رسوله ، ومخلوقاته هي هذه الكائنات المرئية المشاهدة من إنسان وحيوان ونبات وجماد في الأرض وشمس وقمر وكواكب ورياح وسحب وأمطار في السماء فإنها آيات وعلامات دالة دلالة عقلية قطعية على خالق مدبر لها ، عظيم ذو قدرة لا يعجزه شيء ، وعلم أحاط بكل شيء ، وحكمة لا يخلو منها شيء ، ورحمة وسعت كل شيء . وأنه الإلـٰه الحق الذي لا إلـٰه غيره ولا رب سواه .

وأما آيات الكتب المنزلة على الرسل فلنستعرض منها آيات من آخر الكتب نزولا وهو القرآن الكريم ترى كيف تعرف الله تعالى لعباده فيها ليعرفوه فيحبوه ويرهبوه فيعبدوه ويتقربوا إليه فيكملوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة معا . جاء من ثاني سورة من القرآن قوله تعالى : ﴿ **يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** ﴾[1] .

أخي القارىء هذه آية من جملة ستة آلاف آية ومائتي آية حواها كتاب الله القران الكريم فهيا بنا ندرسها لنرى كيف يتعرف الرب تعالى لعباده ليعرفوه فيعبدوه وحده بما شرع لهم فيكملوا ويسعدوا .

١ ــ قوله : ﴿ **يأيها الناس** ﴾ هذا نداؤه العام لكل إنسان إذ الناس كلهم عبيده هو رازقهم ومولاهم .

٢ ــ قوله : ﴿ **اعبدوا ربكم** ﴾ إنه بعد أن ناداهم أمرهم بعبادته بوصفه ربهم ، والرب هو المربي المصلح والمالك والمدبر فلا غضاضة إذاً عليهم في عبادته لأن خدمة العبد لسيده لا ذلة فيها ولا مهانة .

٣ ــ قوله : ﴿ **الذى خلقكم والذين من قبلكم** ﴾ هذا تعريف منه لهم بأن ربهم الحق الذي يستحق العبادة وحده هو الخالق لهم ، والخالق لمن قبلهم من سائر البشر من أول مخلوق وهو آدم إلى أجدادهم السالفين .

٤ ــ قوله : ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ أنه لما أمرهم بعبادته وحده بين لهم علة العبادة وأنها تقيهم كل ما يكرهون من عذاب وشقاء ، لأن العبادة قانون يقى كل مكروه كالأدوية الحافظة للصحة من الأمراض المهلكة .

٥ ــ قوله : ﴿ **الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء** ﴾ هذا تعريف لهم بربهم تعالى بصفاته الفعلية وهي جعله الأرض مبسوطة كالفراش يعيشون فوقها ، وجعله السماء بناء فوقهم لا تخر عليهم ولا تسقط فوقهم وهي منّة منه عليهم ليذكروه ويشكروه بعبادته وحده دون سواه .

٦ ــ قوله : ﴿ **وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم** ﴾ هذا

---

(١) البقرة : ٢١ ، ٢٢ .

تعريف لهم به تعالى ليزدادوا إيمانا به ومعرفة له حتى يحبوه ويرهبوه فيعبدوه فيكملوا على عبادته ويسعدوا عليها فإنزاله من السماء الماء وهو ماء الأمطار وإخراجه به نبات الأرض من الزروع والثمار التي هي رزقهم في حياتهم فهذه مظهر من مظاهر قدرته تعالى وعلمه ورحمته وهي موجبة لشكره بعبادته وحده دون سواه .

وجاء من السورة الثلاثين من الجزء الواحد والعشرين قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خلق السمٰوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله * إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ (1) .

فلنستعرض هذه الآيات أيضا لنرى بوضوح كيف يتعرف الرب تعالى إلى عباده ليؤمنوا به ويعرفوه فيحبوه ويرهبوه ويعبدوه فيكملوا على عبادته ويسعدوا .

فقوله جل ذكره : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ إنه يقول ومن علاماتي البارزة الدالة على وجودي وقدرتي وعلمي خلقي إياكم من تراب ، أيْ خلق أباهُم آدم من تراب ثم خلق زوجته منه ثم أنزلهما إلى الأرض فتغشى آدم زوجته حواء فأنجبا البنين والبنات وتزاوجوا فإذا البشر مُنتَشِرون في أنحاء الأرض .

وقوله : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ إنه يقول من علاماتي الدالة على وجودي وقدرتي وعلمي ورحمتي وهي موجبة لألوهيتى فاعبدوني وحدي دون غيري ، خلقي لكم أزواجا من جنسكم ليحصل بذلك السكون والمودة والرحمة بينكم ، إذ لو كانت الزوجة من جان أو حيوان لما تم السكون والمودة والرحمة الموجودة بين الرجل وامرأته أبدا .

وقوله : ﴿ **ومن آياته خلق السمٰوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم** ﴾ إلخ . إنه يقول ومن علاماتي الدالة على وجودي وقدرتي وعلمي وحكمتي ورحمتي خلقي

---

(1) الروم : ٢٠ : ٢٤ .

السمٰوات والأرض وإيجادي لهما على الهيئة التي ترون والواقع الذي تشاهدون ، ومن علاماتي الدالة على قدرتي وعلى حكمتي أن خالفت بين ألسنتكم وألوانكم إذ لو اتحدت الألوان واللهجات لما تميز أحد عن آخر ولما كان للحياة يومئذ من معنى أبدا ولكان العدم خيراً منها .

وقوله : ﴿ **ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله** ﴾ (١) إلخ .. إنه يقول إن من آياتي أي علاماتي الدالة على وجودي وقدرتي وعلمي وحكمتي ورحمتي أن جعلتكم تنامون بالليل طلبا للراحة لتطلبوا رزقكم بالنهار فنومكم كطلبكم الرزق من خلقي وتدبيري لكم فآمنوا بي واعرفوني واعبدوني لِتكملوا وتسعدوا .

وقوله : ﴿ **ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها** ﴾ (٢) إنه يقول لنا إن من آياتى الدالة على وجودى وقدرتى وعلمى وحكمتي ورحمتي أني أريكم البرق قبل المطر ليخاف من يخاف المطر على ماشيته أو متاعه ويطمع من يطمع في المطر لحاجته إليه كما أن من آياتي إنزالي المطر وإحيائي الأرض به بعد موتها لانقطاعه عنها فترة ماتت فيها نباتاتها ويبست أشجارها فهذه الآيات المختلفة ، بعضها في الأنفس وبعضها في الآفاق كل آية منها تدل دلالة قاطعة على وجود الرب الخالق عز وجل وعلى قدرته وعلمه وحكمته ورحمته وبهذه الصفات العليا من قدرة وعلم وحكمة ورحمة يعرف الله تعالى ، وتتعين عبادته وحده شكراً له على إنعامه ؛ إذْ أنعم بخلق الإنسان وخلق كل ما يحتاج إليه في هذه الحياة من أرض وسماء وظلام وضياء وهواء وغذاء وماء . إن العجب كل العجب من إنسان يجهل خالقه المنعم عليه بأعظم النعم بل ولا يُريد أن يعرفه حتى لا يذكره ولا يشكره وعلى هذا أكثر الناس ياللأسف .. والشياطين هي التي اجتالتهم فأبعدتهم عن طريق كمالهم وسعادتهم ليشقوا ويخسروا . شَقَاءَهم وخسرانهم في الدنيا والآخرة .

ب ـــ معرفة محابه تعالى :ـــ

إن معرفة ما يحب الرب تبارك وتعالى ضرورية للتقرب بها إليه وعبادته بها ومحاب الله تعالى لا تعرف إلا من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . وهي اعتقادات وأقوال وأفعال وصفات وذوات فكل ما أمر الله باعتقاده أو قَوْله أو عَمَلِه فهو محبوب له عز وجل وكل ما أخبر تعالى أنه يحبه من صِفَةٍ أو ذات في كتابه أو على لسان رسوله فهو

---

(١) الروم : ٢٣

(٢) الروم : ٢٤ .

محبوب له عز وجل ووجب أن يُحَبْ بحبه وهذا بيان موجز بمحابه تعالى :ـــ

أولا : المعتقدات وهي :ـــ

* اعتقاد وجوده تعالى وأنه موصوف بكلِّ كمال منزَّه عن كل نقصان ، وأنه لا إلـٰه غيره ولا رب سواه .

* اعتقاد وجود الملائكة وأنهم خلق خلقهم الله من نور لا يُحْصِي عَدَدَهم إلا خالقُهم وهم بحسب أعمالهم أصناف فمنهم حملة العرش ومنهم الموكلون بالجنة ونعيمها ومنهم الموكلون بالنار وعذابها وهم الخزنة ومنهم الموكلون بقبض الأرواح وهم ملك الموت وأعوانه ومنهم الموكلون بالأرحام ومنهم الموكلون بكتابة الأعمال وهم الحفظة ومنهم المسبّحون الليل والنهار لا يفترون .

* اعتقاد أن الله تعالى قد أنزل كُتبًا أوحاها إلى من اصطفى من رسله وهي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن العظيم . وأن القرآن نسخ تلك الكتب ولـم تَبْقَ حاجة إليها لا سيما وقد دخلها التحريف بالزيادة والنقص من قبل اليهود .

* اعتقاد أن الله تعالى أرسل رسلا ونبأ أنبياء وأنه ختم الأنبياء بآخر أنبيائه وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ختم الرسالات برسالته .

* اعتقاد أن لهذه الحياة يوما تنتهي فيه وهو اليوم الآخر ثم يبعث الله الخلائق ليحاسبهم ويجزيهم بأعمالهم الإرادية الاختيارية في هذه الحياة فيُدخل أهل الإيمان والعمل الصالح الذين زكت أنفسهم وطهرت بالإيمان والعمل الصالح يُدخلهم دار السلام وهي الجنة دار النعيم ، ويدخل أهل الأرواح الخبيثة من جراء الشرك والمعاصي دار البوار وهي النار دار الشقاء .

* اعتقاد أن الله قضى وقدر كل كائن قبل أن يخلق الخلق كله وأن كل ما يحدث في هذا الكون من صغير وكبير قد سبق علم الله به وتم وجوده حسب قضاء الله وقدره ، فلا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص وذلك لعلم الله وقدرته وحكمته .

* اعتقاد أن كل ما أخبر الله تعـالى به أو أخبر به رسولـه صلى الله عليـه وآلـه وسلم وصح عنه من المغيَّبات في الدنيا والآخرة هو حق كما أخبر به فلا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص لكمال قدرة الله وعلمه .

ثانيا : الأقوال وهي : —

* ذكره تعالى بأسمائه وصفاته لقوله تعالى : ﴿ **اذكروني أذكركم** ﴾ (١) . وذكره تعالى أنواع منها . لا إله إلا الله . لا إله إلا الله وحده لا شريك له . لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

* تسبيحه بقول : سبحان الله والحمدُ لله والله أكبر . سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العليم العظيم . سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

* دعاؤه بأسمائه الحسنى لقوله تعالى : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ (٢) . وذلك كقول العبد اللهم ، يا الله يا رب ياأرحم الراحمين ، يا حيّ يا قيوم ياذا الجلال والإكرام . يا قوي . يا متين . يا لطيف . يا خبير . يا رؤوف يا رحيم . يا سميع . يا بصير . ويطلب حاجته بعد النداء فإنه يجاب .

* تَعلّمُ كتابهِ وتلاوته ، وهو القرآن العظيم .

* الكلم الطيب ، وهو أنواع منه : بسم الله عند الأكل والشرب ، والحمد لله عند الفراغ منها والسلام على المؤمن إن مر به أو وقف عليه . ورده على مَنْ سلَّم عليه . والحمد لله عند العطاس . وعند السؤال عن الحال وقول : ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ (٣) عند المصيبة . ويرحمك الله لمن عطس . ويغفر الله ذنوبكم لمن قال له يرحمك الله . وأمر بمعروف ونهي عن منكر . وسؤال المؤمن أهل العلم عما لا يعلم من أمور دينه .

* استغفاره بقوله : أستغفر الله . أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه . رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم . غفرانك ربنا وإليك المصير . اللهم اغفر لي وارحمني . رب اغفر لي ولوالِدَيَّ وللمؤمنين والمؤمنات .

ثالثاً : الأعمال : —

أجل الأعمال ؛ الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وبر الوالدين وصلة الأرحام وأعمال البر والخير مطلقًا وكل عمل شرعه الله أو أذن فيه بقوله للمؤمن ابتغاء مرضات الله

---

(١) البقرة : ١٥٢ .

(٢) الأعراف : ١٨٠ .

(٣) البقرة : ١٥٦ .

وطلبًا للثواب منه وهو من محاب الله تعالى .

رابعا : الصفات : ـــ

من الصفات التي أحبها الله : التواضع له تعالى ، وإسلامه الوجه له عز وجل والإخبات والخشوع له تبارك وتعالى والحلم والأناة والعفو .

خامسا : الذوات : ـــ

ويحب الله تعالى من عباده المتقين والمحسنين من رسله وأنبيائه وسائر عباده المؤمنين ، كَمَا يحب الطيبين والمتطهرين ، والتائبين ، كما جاء ذلك في كتابه القرآن العظيم .

جـ ـــ معرفة مكارهه تعالى : ـــ

إن معرفة ما يكرهه تعالى من الاعتقدات والأقوال والأفعال والصفات والذوات ليتقرب العبد بتركها أمر ضروري لابد منه إذ جهله بها يؤدي بالعبد إلى أن يرتكبها وبذلك يسخط الرب عز وجل عليه وهذه مكروهاته تعالى بإيجاز : ـــ

أولا : ـــ الاعتقادات الباطلة : ـــ

وذلك كاعتقاد وجود إله مع الله ينفع ويضر أو يعطي ويمنع ، وكاعتقاد أن لله زوجًا أو ولدا ، كاعتقاد بعض العرب أن الملائكة بنات الله وكاعتقاد بعض اليهود أن عزير ابن الله ، واعتقاد النصارى أن المسيح ابن الله واعتقادهم أنه إله مع الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وكاعتقاد الجهلة من المسلمين أن من الأولياء أقطاباً وبدلاء يتصرفون في الكون ويقضون الحاجات ويشفعون لمن يتوسل بهم بالذبح لهم والنذر ودعاءهم والاستعانة بهم ، وكاعتقادهم أن من الأولياء من يعلم الغيب وأن شيخ الطريقة يكاشف مريده ويطلعه على ما في نفسه ، وما جاء به . وكاعتقاد المجوس أن للعالم إلهين إله الخير وهو النور وإله الشر وهو الظلام . وكاعتقاد الروافض أن موسى الكاظم وهو المهدي سيعود إلى الحياة قبل يوم القيامة وينصر شيعته على خصومهم من أهل الحق المسلمين ، وكاعتقادهم كفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا نفرًا قليلا منهم .

ثانيا : ـــ الأقوال المحرمة : ـــ

من أشد الأقوال كراهة لله تعالى : ـــ

ــ القول عليه بدون علم والكذب عليه وعلى رسوله وَقَوْلُ الكفر والكذب مطلقا ، والسب والشتم والقذف والغيبة والنميمة وقول الفحش واللفظ البذيء وقول الزور . والهمز واللمز والطعن .

ثالثا : ــ الأفعال : ــ

من الأفعال المكروهة لله كل ما حرم تعالى فعله كقتل النفس بغير حق والزنى واللواط ، والسرقة والغصب والغش والخداع وأكل الربا وأذية المؤمنين مطلقا وتعاطي المسكرات من خمر وحشيشة وحبوب . وكشف العورات والنظر إليها مطلقا .

رابعاً : ــ الصفات : ــ

من الصفات المكروهة لله تعالى : الكبر والفحش في القول والعجب والحسد والغِل والحقد والذلة والمسكنة لغيره تعالى والنفاق وحب الخلاف والشقاق ورفع الأصوات ومشية الخيلاء والتبختر والزهو وحب الظهور والشهرة والسمعة .

خامسا : ــ الذوات : ــ

مما يكره من الناس الكافرون والمنافقون والمشركون والكذابون والمتكبرون والنمامون والظالمون والخائنون والخبيثون والمسرفون والمفسدون .

كانت تلك معرفة الله تعالى ومعرفة محابه ومكارهه من الاعتقادات والأقوال والأفعال والصفات والذوات وبها يتقرب العبد إلى ربه بفعل المحبوب له وترك المكروه عنده .

وإلى القارىء معرفة ما عند الله لأوليائه المؤمنين المتقين وما لديه لأعدائه الكافرين به والمشركين في عبادَتِه الفاسقين عن أمره .

أ ــ معرفة ما عنده تعالى ــ

إن المراد من معرفة ما عنده تعالى لأوليائه هو معرفة أنواع النعيم المقيم في الجنة دار السلام . وهذا بيان ذلك . أما أولياؤه فهم المؤمنون المتقون أي الذين آمنوا بما أمرهم ربهم أن يؤمنوا به بعد إيمانهم به تعالى ربا وإلٰهاً لا رب غيره ولا إله سواه وعاشوا طول حياتهم يتقون غضب ربهم وذلك بفعل محابه وترك مكارهه بعد أن عرفوها قطعا . وأما أنواع النعيم فلنستمع إلى إخباره تعالى بها ووصفه لها في كتابه وعلى لسان رسوله قال تعالى : ﴿ **إن المتقين فى**

مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس خضر وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾[1] .

هذا خبر منه تعالى متضمن وصفا لنعيم الجنة المعدة لأوليائه ، وغيره كثير وقد تضمن هذا الخبر ما يلي : —

١ — المتقون وهم المؤمنون الذين أطاعوا ربهم ففعلوا ما أمرهم به واجتنبوا ما نهاهم عنه .

٢ — أخبر أنهم في مقام أمين وهي قصورهم في الجنة دار السلام إذ لا خوف فيها من مرض ولا هرم ولا موت ولا نصب ولا تعب ولا غم ولا هم ولا كرب ولا حزن إذ نعيمهم مقيم أبدا وسعادتهم دائمة .

٣ — إن في الجنة عيونا وهي أنهار الماء غير الآسن وأنهار اللبن الذي لم يتغير طعمه وأنهار الخمر اللذة للشاربين وأنها العسل المصفى وهي المذكورة في سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٤ — بيان لباسهم وهو السندس وهو أرق وأصفى أنواع الحرير ، والإستبرق وهو الحرير الغليظ .

٥ — بيان حال جلوسهم وأنهم متقابلون إذ أسِرَّتُهم تدور بهم آليا فلا يعطي أحدهم قفاه لآخر ، لما في ذلك من الوحشة والجنة دار أنس ولا وَحْشَة فيها .

٦ — بيان أزواجهم وهنّ الحور العين ، وأنهن في غاية الجمال والكمال ، إذ الحور جمع حوراء وهي الشديدة بياض الجسم ، والتي بياض عينيها أعظم من سوادهما أيضا ، والعين جمع عيناء وهي واسعة العينين ، وهؤلاء الحور بعضهن من نساء الدنيا وبعضهن من نساء الجنة الموجودات الآن المخلوقات يوم خلق الله الجنة .

٧ — بيان أطيب أنواع الطعام وألذه من لحم وخبز وفواكه . ولما كان أكلهم ليس كالأكل في الدنيا الذي هو للوقاية من الموت . أطلق عليه لفظ الفواكه لأن الفاكهة اليوم تؤكل لا للوقاية من الموت وإنما تؤكل تلذذا بها وتفكها .

---

(١) الدخان : ٥١ : ٥٧ .

٨ ــ أخبر عن أَمْنِهم التَّام من كل المنغصات والكدورات إذ طعامهم وشرابهم لا يتحول إلى ما ينغص سعادتهم من غائط وبول وإنما يتحول إلى جشاء وعرق أطيب من ريح المسك الأذفر .

٩ ــ ولما كان الموت من أعظم المصائب أخبر تعالى أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الذي ذاقُوهُ في الحياة الدنيا حيث خرجت أرواحهم من أبدانهم والتحقت بالملكوت الأعلى .

١٠ ــ بيان أنهم مادخلوا النار بذنوب لهم ثم دخلوا الجنة بعد ذلك وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **ووقاهم عذاب الجحيم** ﴾[١] . لأن أولياء الله لا يرتكبون من الذنوب ما يدخلون به النار ، وإن ارتكبوا شيئا تابوا منه قبل موتهم .

١١ ــ أخبر تعالى أن هذا النعيم المقيم الذي أعده لأوليائه ونَعّمهم به لم يكن مقابل عمل استحقوا به هذا النعيم وإنما كان فضلا وإنعاما لهم من ربهم ليكون ذلك أشهى وألذ ، ولأن إيمانهم وتقواهم جزاؤهما الحصول على ولاية الله تعالى ، والله يكرم أولياءه ولا يهينهم وينعمهم ولا يشقيهم .

هذا وأنّ وصف الجنة ووصف ما فيها من نعيم مقيم ذكر في مئات الآيات من القرآن الكريم فَلْنكْتَفِ بما ذكرنا كمثال فقط . ومن أراد المزيد فليقرأ القرآن أو ليستمع إلى من يقرأ عليه . مع العلم أن ماذكر في القرآن ليس هو كل ما فيها . إذ قال تعالى في حديث قدسي : « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . وقال تعالى في القرآن : ﴿ **فلا تعلم نفس ماأُخْفِيَ لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾[٢] . فقوله : ﴿ **ما أخفى لهم** ﴾ تفسير لقوله : ﴿ **ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** ﴾ . في الحديث القدسي الآنف الذكر .

ب ــ معرفة ما لديه تعالى لأعدائه : ــ

إن المراد من معرفة ما لدى الله تعالى من أنواع العذاب التي أعدها لأعدائه هو ذكر بعض ما أخبر به تعالى في كتابه من ذلك . أما أعداؤه فهم كل من كفر به وأشرك في عبادته وحارب أولياءه وفسق عن أمره ممن يحبون ما يكره ويكرهون مايحب .

وأما مالديه تعالى من أنواع العذاب فنقرأ له قوله تعالى من كتابه العزيز ، إذ قال

(١) الدخان ٥٦ .

(٢) السجدة : ١٧ .

تعالى : ﴿ **إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما** ﴾ [1] وهذا بيان ذلك .

١ ـــ الأنكال : جمع نكل وهو القيد من حديد ، يوضع في الرجلين وما يوضع في العنق يقال له الغل وهو ما تشد به الأيدى إلى العنق ، كما قال تعالى : ﴿ **فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الجحيم ثم في النار يُسْجَرُون** ﴾[2] .

٢ ـــ الطعام وهو الضريع والغسلين والزقوم كما هو مبين في آيات أخرى وكونه ذا غصة لأنهم لا يستسيغونه لمرارته وعفنه هذا الطعام . أما الشراب فقد أخبر عنه بأنه من حميم وأنه يشوي الوجوه ، وأنه يقطع الأمعاء وأنه يُصهر به ما في بطونهم والجلود .

٣ ـــ العذاب الأليم أي الموجع وذكر في آيات غير هذه أن لهم مقامع من حديد تضرب بها رؤوسهم وهي من العذاب الأليم . ومن العذاب الأليم الاصطلاء بالنار ، وهو إحراق الجلود والوجوه ، وَمن العذاب ما هو مهين وذلك كالتقريع والتوبيخ والسخرية وكل هذا مبين في آيات قرآنية كثيرة كقوله تعالى : ﴿ **قال اخسأوا فيها ولا تكلمون** ﴾ [3] وقوله : ﴿ **ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾ [4] وقوله : ﴿ **ذُق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ [5] وقوله : ﴿ **ذوقوا مسّ سقر** ﴾[6] وقوله ﴿ **يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر** ﴾ [7] . هذه نماذج من ألوان العذاب في دار الشقاء والمقصود أن معرفة ما عند الله من نعيم لأوليائه وعذاب أليم لأعدائه مِن شأنها أنها تساعد على طاعة الله ورسوله وهي التقوى الموجبة لولاية الله المحققة للنجاة من عذاب النار ولدخول الجنان . والعاقل هو الذي يطلب النجاة من المرهوب والحصول على المرغوب . اللهم حقق لنا ذلك إنك ربنا وأرحم بنا منا بأنفسنا آمين .

ثانيا العمل : ـــ

إن من موجبات الإسعاد والكمال في الحياتين العلم والعمل وقد تقدم بيان العلم مفصلا وأما العمل فهو العمل الصالح وحقيقته هو كل اعتقاد أو قول أو عمل أمر الله به إيجابا أو ندبا إذ الأعمال منها أعمال القلوب ومنها أعمال ألْسُنٍ ومنها أعمال أبدان . ولا يكون العمل صالحا إلا إذا شرعه الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله فكل عمل لم

---

(١) المزمل : ١٢ ، ١٣ .
(٢) غافر : ٧١ ، ٧٢ .
(٣) المؤمنون : ١٠٨
(٤) يونس :٥٢ .
(٥) الدخان : ٤٩ .
(٦ ، ٧) القمر ٤٨ .

يشرعه الله فهو عمل غير صالح أي لا يؤثر في النفس البشرية بالتزكية والتطهير يقرر هذه الحقيقة ويشهد لها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أي مردود باطل لا يقبل من صاحبه إذ لا يحدث في نفسه تزكية ولا طهرا . وأزيد هذه الحقيقة توضيحا فأقول : إن الله تعالى الذي جعل في الحبوب واللحوم والألبان والأجبان والفواكه والخضر مادة التغذية لجسم الإنسان ليبقى حيًّا إلى أجله هو الذي إذا شرع العبادة اعتقادا كانت أو قولا أو عملًا جعل فيها مادة التزكية للنفس البشرية والتطهير لذا كل عبادة يشترط لها لكي تزكي النفس الشروط الآتية : —

١ — أن تكون مما شرع الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله الحق محمد ﷺ
٢ — أن يكون المرء مؤمنا فالكافر بها لا تُثْمِرُ له زكاة ولا طهرًا .
٣ — أن يؤديها المرء المؤمن طَاعَةً لله خَالِصةً له .
٤ — أن يراعى في أدائها ما يلي : —

* كميتها فلا يزيد فيها ولا ينقص منها ، فإن تعمد زيادة فيها أو نقصا منها بطل مفعولها ولم تنتج له تزكية ولا طهرًا .

* هيئتها فلا يقدم ولا يؤخر فيها بل يؤديها كما وضعها الشارع .

* زمانها فلا يقدمها عن وقتها المعيّن لها ولا يؤخرها عنه .

* مكانها فإن عين لها الشارع ظرفا مكانيا تفعل فيه فلا يصح أن تفعل في غيره . فإن أخرجت عن مكانها بطل مفعولها في تزكية النفس وتطهيرها .

النظام العام
للدولة الإسلامية

إن الرب تعالى وهو خالق الإنسان ومُكْرِمه وراحمه لم يتركه هملا بل وضع له من الشرائع والأحكام ما يكمل به عقلا وخُلُقا ويسعد عليه جسما وروحا في الدنيا والآخرة معا ، إذ وضع له من العبادات والأخلاق والآداب ما يحقق له كمالَ وسعادة الدارين معًا إن هو آمن بذلك وأخذ به أي طبقه على نفسه في صدق وإخلاص وقد تقدم بيانه مجملا في هذا النداء الإنساني الكريم .

وهذا بيان مجمل آخر لما وضع الله تعالى من شرائع وأحكام لتحقيق سعادة الإنسانية وكمالها في هذه الحياة .

أولا الحكومة : ـــ

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وطاعة وليّ الأمر منهم في قوله تعالى من سورة النساء من كتابه القرآن العظيم : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ (١) فأولوا الأمر هم رجال الحكومة ولازم هذا أنه لابد من حاكم وحكومة للمسلمين وهذا أمر مجمع عليه وأدلته كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم** ﴾ (٣) وقوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ (٤) .

كيفية تكوين الحكومة

إن الحكومة تتكون باختيار أهل الحل والعقد والإبْرَام والنقض من علماء الشريعة والاقتصاد والحرب اختيارهم من الأمة رجلاً صالحا من ذوي العلم والتقوى والشرف والكمال الخلقي والخلقي فيبايعونه على السمع والطاعة ليحكم الأمة بشريعة ربها مستعينا على ذلك بتكوين حكومة ذات وزارات من ذوي الاختصاص والمعرفة في شئون الحياة الخاصة والعامة .

---

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) النساء : ١٠٥ .
(٣) المائدة : ٤٩ .
(٤) المائدة : ٤٤ .

وهذا بيان تلك الوزارات : ـــ

١ ـــ وزارة الخارجية : وهي الهيئة المختصة بالشئون الخارجية للدولة من بعث السفراء والقناصلة والمعاهدات التجارية وغيرها .

٢ ـــ وزارة العدل : وهي الهيئة التي تتولى تعيين القضاة الذين هم علماء الشريعة الإسلامية والذين يصدرون أحكاما في كل القضايا وفق حكم الله المبين في الكتاب والسنة وما استنبطه منهما أئمة الفقه الإسلامي .

٣ ـــ وزارة الجهاد : وهي الهيئة المختصة بإعداد الرجال والعتاد للقيام بواجب الجهاد في سبيل الله لإقامة العدل في الأرض وهداية الناس إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة وذلك وفق شرع الله تعالى لعباده .

٤ ـــ وزارة المال : وهي الهيئة المختصة بجمع المال بوسائله المشروعة وإنفاقه في مشاريعه التي أذن الله تعالى بإنفاق المال وصرفه فيها بحيث لا تتجاوز ذلك . حيث لا ينفق فلس في غير ما أذن الله تعالى في الإنفاق فيه .

٥ ـــ وزارة التعليم : وهي الهيئة المختصة بإنشاء دور العلم على اختلافها وإعداد المعلمين كلا في اختصاصه ، ونشر العلم بوسائله المختلفة في نطاق المأذون فيه شرعا ، وما لم يأذن الشارع في تعلمه فلا يسمح به لضرره وفساده .

٦ ـــ وزارة التربية الروحية : وهي الهيئة المكلفة بتعيين أئمة المساجد والوعاظ والمرشدين المربين للأخلاق والنفوس على نهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . وذلك بمجمع أهل القرى والأحياء في مساجدهم مساء كل يوم من المغرب إلى العشاء وتربيتهم ليكملوا في معارفهم وآدابهم وأخلاقهم .

٧ ـــ وزارة الأمن : وهي الهيئة المكلفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهل العلم والحلم والشجاعة القلبية والعقلية . والموجودون في كل القرى والأحياء للأمر بالمعروف متى ترك والنهي عن المنكر متى ارتكب ويدخل في عملهم المرور وتنظيمه .

٨ ـــ وزارة الصحة : وهي الهيئة المكلفة بإنشاء المشافي والمصحات وتزويدها بالأطباء والآلات والأدوية اللازمة وتعميم ذلك في كافة المدن والقرى .

ثانيا الحقوق الخاصة : ــ

المراد من الحقوق الخاصة الكليات الخمس التي أَنْزَلَ اللهُ تشريعه لحفظها لأصحابها وهي (الدم والعقل والعِرض والمال والدين) .

فالدولة لا تؤسس ولا تقوم إلا للمساعدة على حفظ هذه الحقوق الخمسة وهذا يجب أن يذكر الإنسان العاقل الذي ينظر في هذه الحقائق العلمية والأسس الشرعية ينبغي أن يذكر أن واضع هذه القوانين هو الله خالق الإنسان ، وربه الذي لا رب له غيره ومعبوده الذي لا معبود له سواه وأنه ماأنزل هذه الشرائع إلا لإسعاده بها في الدنيا والآخرة ، وأنه تعالى لا أعلم منه ولا أرحم ، ولا أقدر على الإسعاد والإشقاء منه فيجب أن يسلم له التشريع فلا يسمح المرء لنفسه أن يَتَحَدَّثَ بما يطعن في التشريع الإلهي أو يظُّن به سوءا بحال من الأحوال . وهذا بيان تلك الحقوق : ــ

أ ــ الدم :ــ إن دماء المسلمين متكافئة لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ولا لِأَصْغِرِ على أكبر ولا لذكر على أنثى . فمن قتل مؤمنا قُتل به ومن قطع عضواً قطع عضوه به . ولا فرق بين مسلم وآخر ذكرا كان أو أنثى صغيرا أو كبيرا إلا في باب الديات المالية فدية المرأة على النصف من دية الرجل نظرا لقلة قدرتها على اكتساب المال . ولا تتكافأ دماء المسلمين والكافرين . فلا يقتل مسلم بكافر . باعتبار أن المسلم آمن بربه وهو يعبده فهو أحق بالحياة ليعبد الله الذي خلقه لعبادته وأما الكافر فإنه كافر بربه تارك لعبادته مضيع للغرض الذي خلق من أجله فحياته وعدمها سواء فلا يقتل مسلم بكافر ، ولكن يدفع ديته وهي أيضا على النصف وآية القصاص هي قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى** ﴾(١) . وقوله ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين** ﴾(٢) الآية . وللولي أن يعفو ويقبل عفوه أو يطلب دِيَّة فيعطاها .. فَما أرحم الله بعباده !! إذ جعل المقتول له مخيرا بين القصاص والعفو والدية فأيها طلبها أُعْطِيَهَا . والحاكم هو الذي ينفذ حكم الله تعالى في القصاص بسلطانه الذي وهبه الله تعالى .

ب ــ العقل :ــ وهو شرط التكليف بالعبادة التي خُلق الإنسان لأجلها ، وعليه فكل ما ضر بالعقل فهو حرام ، فالسحر ، والسكر ، والتخدير ، والتنفير ، والشعوذة وكل

---

(١) البقرة : ١٧٨ . (٢) المائدة : ٤٥ .

ما يخل بسلامة العقل فهو محرم ، ومن جَنى على عقله أو عقل غيره حُدّ بما يردعه فلا يعاود هذه الجريمة ولذا على الحاكم ذي السلطان أن يمنع وجود هذه الآفات منعًا باتًا ، ومن تعاطاها أقيم عليه الحد الشرعي فالساحر يقتل و الخامر يجلد ثمانين جلدة والمشعوذ يعزر بما يردعه طلبا لسلامة العقول التي بها يعبد الله تعالى بذكره وشكره .

جـ ــ **العرض** :ــ وهو ما يصونه الإنسان من نفسه وحسبه كما هو موضع المدح والذم منه قال فيه الشارع الحكيم : « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله** » . فمن هتك عِرض مؤمن بارتكاب فاحشة أو بنسبة الفاحشة إليه فقد ارتكب محرما ووجب إقامة الحد عليه تطهيرًا له أو تأديبا وردعًا له ولمن يسلك سلوكه . والحاكم ذو السلطان هو الذي يقوم بإقامة الحدود الشرعية لأمر الله تعالى له بذلك وإلزام المؤمنين بطاعته في قوله : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ (٢) وبإقامة الحدود تُحفظ الدماء والأعراض والأموال والعقول والأديان .

د ــ **المال** :ــ إن المال هو كل ما يتمول من ناطق كالأنعام وهي الإبل والبقر والغنم ، والخيل والبغال ، والحمير . وصامت كالذهب والفضة والنقود والثمار والحبوب . وقد جعل الله تعالى المال قوام الحياة . إذ بالمال يحصل الإنسان على طعامه وشرابه وكسائه ومركوبه وسكنه ودوائه ، والحياة متوقفة على هذه الضروريات . فمن هنا كان للمال شأنه العظيم . فَلِذَا حرم الله تعالى سرقته واختلاسه واغتصابه وتزويره وغشه وكل وسيلة لم تشرع للحصول عليه كالقمار والربا والبغاء والكذب . وإنتاج وبيع آلات الطرب واللهو الحرام وحرم تبذيره والإسراف فيه ومنع السفيه من التصرف فيه فقال : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً** ﴾ (٣) . ووضع الله حدًّا للسارق وهو قطع يده في قوله تعالى : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** ﴾ (٤) وشرع تعزير كل من يحاول كسب المال من غير الطرق المشروعة لذلك . كالتجارة والصناعة والزراعة والعمل الوظيفي والجهد البدني والسؤال للضرورة .

هـ ــ **الدين** :ــ إن دين المسلم أعظم شأنا عنده من سائر الكليات التي يحميها له

---

(١) المائدة : ٤٩ . (٢) النساء : ٥٩ .

(٣) النساء : ٥ . (٤) المائدة : ٣٨ .

الشرع من كل ما يضر بها أو يفسدها إذ بدينه الإسلامي ينجو من النار يوم القيامة ويدخل الجنةَ وذلك الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه قال تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت و إنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز** ﴾[1] . ولذا شرع الله الهجرة وأوجبها على كل مؤمن يحال بينه وبين طاعة الله التى يدين بها لربه سبحانه وتعالى وشرع تعالى جهاداً كل من يصد الناس عن عبادة ربهم وأمر بقتاله حتى لا يمنع أحدٌ من عباد الله أو يضطهد ويعذب من أجلها قال تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾[2] . ومن هنا نجد أن الشارع حرم كل اعتقاد أو قول أو عمل يضر بالدين فيفسده أو يبطله .

ثالثا : الحقوق العامة : ـــ

إن ما تقدم كان في الحقوق الخاصة التي تحميها الدولة للفرد ، وهناك حقوق عامة تحميها الدولة كذلك . وهي : ـــ

أ ـــ حماية بلاد المسلمين وديارهم بما في ذلك أنفسهم وأموالهم وذلك بإيجاد الجيوش وتدريبها وتسليحها ومراعاة تطورها بما يحقق القدرة الكافية لحماية البلاد وأهلها فهذا أحق حكم على الحاكم القيام به .

ب ـــ إيجاد عمل لكل من رغب فيه من المواطنين بأجرة تسدُّ حاجة المواطن فردًا كان أو ذا أسرة وذلك بإنشاء الدولة المصانع والمزارع والمتاجر زيادة على المرافق العامة كالكهرباء والماء والبرق والبريد وتعبيد الطرق وإقامة السدود وحفر الآبار والترع والتعليم على اختلاف أنواعه وتعدد متطلباته والصحة وجميع فروعها فهذه كلها تدخل تحت الحق العام الذي تقوم به الدولة الإسلامية .

جـ ـــ إيجاد هيئة علمية خاصة للتعريف بالإسلام ونشره بين سكان العالم لحاجة البشرية للإسلام إذ لا تكمل ولا تسعد إلا عليه ، ولا تنجو من الشقاء والخسران إلا به . فهذا حَقٌّ عام على الدولة أن تضطلع بالقيام به بحيث توفر له العلماء الأكفاء ، والمال الكافي للنهوض به وإذا تطلب الأمر الجهاد فيه جاهدت فيه إذ هو سبيل الله حقا وصدقا .

د ـــ تشجيع المواطنين على النهوض باقتصاد البلاد وذلك بتيسير سبل الإنتاج لهم

---

(١) آل عمران : ١٨٥ . (٢) البقرة : ١٩٣ .

كإنشاء المصانع والمزارع وفتح المتاجر وإعفائهم من الضرائب المرهقة ، مع أخذ الزكاة منهم وحماية حق العامل معهم وعدم السماح لهم في إنتاج المحرمات والإتجار فيها أو تعاطيها بحال من الأحوال إذ مثل هذا من الحقوق العامة التي تضطلع الدولة بالقيام بها وعدم إهمالها أو إغفالها لأيّ سبب من الأسباب .

هـ ــ إيجاد هيئة للتأمينات الاجتماعية ، وذلك بالإذن لكل جماعة تعمل في دائرة عَمَلٍ وَاحِدٍ وتشجيعها على إنشاء صندوق خيري يسهم فيه كل عامل بقدر ماليّ شهريا أو سنويا يدخل تحت نظام الوقف الشرعي بحيث يكون الإسهام فيه ابتغاء وجه الله تعالى طلبا للأجر والمثوبة من الله تعالى وينمى الدخل في طريق من طرق التنمية . وينفق في سد حاجات المشتركين فيه إن كانت هناك حاجة للإنفاق وذلك بأن يمرض أحدهم أو يصاب بمصيبة في جسمه أو ماله أو عياله . فيعطى ما يعالج به مرضه أو يخفف عنه مصابه بسد حاجته وحاجة عياله ويكون العطاء على مقدار المصيبة أو الحاجة وهذا ما توجبه الرحمة التي تملأ قلب المؤمن ودعا إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » وقوله : « الراحمون يرحمهم الرحمن » وقوله : « من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا فليس منا » ...

إن مجتمعا يعيش أفراده على هذا النظام الإلهي الذي استعرضناه في هذه الورقاتِ الْقَلِيلَةِ لَمُجْتَمَعٌ سعيد مرحوم في الدينا والآخرة وما ذاك إلا لأِنه انتظم في سلك نظام وضع للإسعاد والكمال البشري . فلذا كمل وسعد . ولو خرج عن هذا النظام قيد شعرة لانفرط سِلْكُهُ وَهَوَى المجتمعُ إلى الحضيض ، ويصبح الحيوان أكمل وأسعد منه ويخسر خسرانا أبديا في الدنيا والآخرة . ولنستمع إلى حكم الله تعالى : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ (١) حيث حكم تعالى بخسران الإنسان كلّ الإنسان واستثنى من آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . وهم الذين يدينون لله بالإسلام ظاهراً وباطناً عقيدةً وعبادةً وقضاء وآدابًا وأخلاقا .

---

(١) سورة العصر .

بيان حقيقة

وَرَدُّ شبهة

إن مما ينبغي أن يعلمهُ كلّ عاقل ذي بصيرة ومعرفة بسنن الله تعالى في الحياة هو أن الدين الإسلامي وهو دين الله الذي شرعه للإنسان ليكمل عليه خُلقا وروحا ومعرفة ويسعد عليه جسما وروحا في الحياتين معا هذا الدين الحق الذي بعث الله تعالى به رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل به كتابه القرآن العظيم . قد حقق للذين دخلوا فيه صادقين ما أناطه الله بتحقيقه من سعادة الدنيا وكمالها إذ لم يمض على بعثة الرسول به إلا قرابة خمس وعشرين سنة حتى امتلأت شِبهُ جزيرة العرب عَدْلًا وطهرًا وعزة وكرامة ، وكذلك ما كان شرقها إلى ما وراء نهر السند ، وغربها إلى المحيط الأطلسي وشمالها كذلك إلى ضفاف الأبيض المتوسط ..

بداية الفتنة

وما إن رأى المجوس نارهم تخمد وعرشَ كسرى يسقط حتى تكون حزب وطني سياسي يعمل في الخفاء على إطفاء نور الإسلام الذي عم ديار فارس ورفع كابوس الظلم على المستضعفين فيها وكانت أول طلقة سددها هذا الحزب المجوسي الناقم هي قتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم بحث عمن يتعاون معهم على إطفاء نور الله فوجد اليهود وهم موتورون . إذ نزحوا إلى جزيرة العرب قبل البعثة المحمدية بقرون يتطلعون إلى ما بَشرت به التوراة والإنجيل بنبي آخر الزمان (١) رجاء أن يؤمنوا به فيعزوا ويسعدوا ويُعيدوا مجد بني إسرائيل . ولما بعث صلى الله عليه وآله وسلم ورأوا أنه من بني إسماعيل ، وأن رسالته عامة للناس أجمعين كفروا به وحاربوه وهموا غير مرة بقتله . فأجلاهم ﷺ عن المدينة النبوية وعهد إلى أصحابه أن يخرجوهم من الجزيرة ويبعدوهم عنها بعد وفاته . وفعلا أجلاهم عمر رضي الله عنه منفذا وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يجتمع دينان في الجزيرة » . ومن ثم أصبح اليهود موتورين فتصافحوا وتعاونوا مع أفراد الحزب المجوسي . وثاني طلقة كانت إثارة فتنة عثمان الخليفة الراشد إذ جاءوا بالغوغويين من كل

---

(١) دليل هذه القضية من كتاب الله تعالى قوله من سورة البقرة : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾ .. الآية ٨٩ .

البلاد يطالبون عثمان بمطالب مادية بحتة . وكانت فتنة كاد نور الإسلام ينطفىء فيها لولا حفظ الله تعالى : وثالث طلقة وهي شرها إيجادهم المذهب الشيعي الذي تعاونوا على إيجاده وكان رأس الحربة في تلك عبد الله بن سبأ اليهودي الصنعاني اليمني ، وحرب (صفين) التي سقط فيها آلاف من المؤمنين كان موقد نارها الحلف المجوسي اليهوديّ . وما إن انتشر نور الإسلام في غرب أوربا حتى اضطربت نفوس الملوك ورجال الكنيسة وخافوا من نور الإسلام يضيء سماء أوربا المظلمة بظلم الملوك والكنيسة فبحثوا عمن يتعاونون معه على إطفاء نور الإسلام دين التوحيد والعدل والرحمة والطهر والصفاء فوجدوا المجوس واليهود الموتورين فتصافحوا وتعانقوا معهم وأخذوا يشنون الحروب على الإسلام بالسيف والسنان أحيانا وبالمال واللسان أحيانا أخرى . وهذه مظاهر كيدهم مظهرا بعد آخر : —

١ — استغلال عاطفة المسلمين في حب نبيهم وآل بيته الطاهرين فَقَوَّوا لذلك المذهب الشيعي ونصروه . وبواسطته حاربوا الخلفاء الأمويين خليفة بعد آخر وأضعفوا بذلك الفتح الإسلامي وأوقفوا مد ظله الرحيم الطاهر الكريم .

٢ — لما انتقل الحكم إلى الخلفاء العباسيين بحروبهم الظاهرة والباطنة عملوا ما عملوه مع الأمويين من المكر والخديعة وشن الحروب حتى أضعفوهم وحكمَ المسلمينَ الفاطميون أصحاب المذهب الشيعي الذي أنشىء لضرب الإسلام انتقامًا منه .

٣ — بذرهم بذرة الخوارج وسقيهم إياها بأنواع الخداع والتضليل الأمر الذي أوجد فرقة بين المسلمين بلغت الفتنة فيها أوجها ، وأصبحت فرق الخوارج تعادل فرق الشيعة وأصبح الإسلام الحق دين الله الذي جاء به محمد رسوله لإنقاذ البشرية وأصبح لعبة في أيدي الثالوث المتعاون على إطفاء نوره .

٤ — لما أعياهم قتال المسلمين ولم يتمكنوا من إطفاء نوره بالحرب التي أججوا نارها بين الفرق الإسلامية التي صنعوها بمكرهم وخداعهم فكروا في أسلوب آخر لضرب الإسلام وإطفاء نوره ، وعرفوا أن قوة المسلمين في عقيدتهم ، فأخذوا يزلزلون العقيدة الإسلامية عقيدة التوحيد ، فبدأوا ينفون صفات الرب تعالى حتى قالوا : إن الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو في السماء ولا هو على العرش استوى وكل وصف وصف به نفسه أو وصفه به رسولهُ ظاهرهُ غير مراد ويجب تأويله . وبذلك أذهبوا من قلوب المسلمين حُبَّ الله تعالى والخشية منه لأنهم جعلوه شبه عدم لا وجود له إذ من لا وجود له لا يُحَبُّ ولا

يُخاف . ومن لا يحب ولا يخاف لا يطاع ولا يتقرب إليه وبذلك قلت طاعة الله بين المسلمين وكثر الفساد .

٥ ــ لما تمزق شمل المسلمين وأصبحوا طوائف متعددة يكفر بعضهم بعضا ، وبقي الإسلام في حِمَى أهل السنة والجماعة دون الفرق الضالة من خوارج وشيعة وظهر التصوف فاستغله الثالوث فحولوا أهل السنة والجماعة إلى طوائف كل طائفة تتبع طريقة وشيخًا تحب فيهما وتعادي . وابتدعت البدعُ وظهر الإلحاد والزندقة بين المسلمين ورق حبلهم حتى أمكن الاستعمار الغربي أن يحكمهم ويسودهم من أندونوسيا شرقا إلى الدار البيضاء غربا .

٦ ــ عرف خواص الثالوث أن القرآن الكريم كتاب الله هو بمثابة الروح التي لا تكون الحياة إلا به . والنور الذي لا تكون الهداية إلا عليه ، لأن الله تعالى منزله ، وصفه بذلك فقال : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كُنْتَ تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشآء من عبادنا** ﴾[1] .

وحقا القرآن روح ونور ، فالعرب المسلمون ما حيوا إلا به ولا اهتدوا إلا عليه في القرون الثلاثة الأولى التي لم تعرف الدنيا أطهر ولا أعدل ولا أرحم ولا أعز ولا أكرم من المسلمين أهل القرآنِ العظيم ، عرف عدو المسلمين هذا فكاد لهم فصرفهم عن مصدر حياتهم وهدايتهم فوضعوا القاعدة التّالِيَة :

تفسير القرآن صوابه خطأ وخطؤه كفر . فحرموا المسلمين من تفسير القرآن وبذلك عزلوهم عن القرآن . وحسنوا لهم قراءته على الأموات ، فأصبح القرآن لا يقرأ إلا على الأموات . وبذلك ماتوا روحيا وضلوا عمليا والسنة النبوية المبينة للقرآن الشارحة له حرموهم أيضا من دراستها والعمل بما فيها اكتفاء بما صنف لهم من مصنفات فقهية وأصبحت السنة تقرأ للبركة لا غير . في كثير من بلاد العالم الإسلامي ونتيجة لهذا المكر بالمسلمين جهل المسلمون دينهم وبعدوا عنه فأصابهم ماأصاب غيرهم من أمم العالم فتعطلت شريعة الله . وحُكم المسلمون بقوانين البشر . فساد الفساد وانتشر الشر وأصبحوا ــ لولا الإيمان بالله ولقائه ــ أسوأ حالا من غيرهم .

كانت تلك بداية الفتنة ونهايتها ، والغرض من ذكر ذلك التنبيه ، إلى أن حال المسلمين

---

(١) الشورى : ٥٢ .

اليوم وهى حال ضعف وعجز بل وهوان لا يصح أن تتخذ دليلا على أن الدّين الإسلامي لا يكمل ولا يسعد أهله في الدنيا والآخرة . لأن المسلمين ماضعفوا ولا عجزوا ولا هانوا إلا بعد أن صُرفوا عن الإسلام بمكر أعداء الإسلام وحيلهم ، وأكبر برهان على صحة ما قلناه هو أن المسلمين في القرون الثلاثة التي كان الإسلام هو السائد والعمل به قائم لم تعرف الدنيا منذ أن كانت أمة أعز ولا أقدر ولا أطهر ولا أسعد من أمة الإسلام ... .

هذا وإني لأحلف بالله العظيم الذي لا إله غيره ولا رب سواه على أنه لا يكمل ولا يسعد فرد ولا جماعة ولا شعب ولا أمة في الدنيا ولا في الآخرة إلا على الإسلام دين الله الحق الذي هو دين إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وسائر الأنبياء عليهم السلام .

كما أقسم على أن الذين صرفوا أنفسهم أو غيرهم عن الإسلام لقد ارتكبوا إثمًا عظيما يخلدون به في النار عالم الشقاء ولا يخرجون منها أبدا .

كما أني أهيب بكل من يقرأ هذا النداء أن يخلو بنفسه ويتأمل فيه ساعة بعد أخرى رجاء أن ينشرح له صدره ويطلب النجاة لنفسه ولغيره فيسلم لله تعالى قلبهُ ووجهه ويدعو غيرهُ إلى الإسلام لينجو ويسعد كذلك . هذا وإن كان من يقرأ هذا النداء مسئولا وفي مركز يمكنه من دعوة المسئولين في العالم أجمع للاجتماع والنظر بجدية في هذا النداء فليفعل لعل الله تعالى ينقذ البشرية مما تورطت فيه من الشر والفساد وما هي صائرة إليه من الشقاء والخسران في الحياتين ويكون له الفضل الكبير بإنقاذه البشرية وإسعادها بدعوته هذه التي لا تكلفه أدنى جهد ...

وأخيرا .. لقد بلغت ، ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ، وحسبي أن نصحت ، وبيّنت فأبرأت ذمتي ، وأجري على الله .

موجه النداء :

أبو بكر بن جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي الشريف

بالمدينة المنورة

فى ٦ / ١٢ / ١٤١٠ هـ

سبيل النجاة

سبيل النجاة

رسالة ذات خطر وشأن ، إذ ترسم بوضوح خطة لنجاة المسلمين كل المسلمين مما حل بهم ، من فرقة وخلاف ، وضعف وصغار ، وما يتوقع لهم من عذاب وحرمان وخسران فهى إذاً رسالة كل مسلم عليه أن يقرأها ويعمل على تحقيق مضمونها إسهاماً منه فى نجاته ونجاة كل المسلمين .

من وضع :

أبى بكر جابر الجزائرى

المدرس بالمسجد النبوى

المدينة المنورة

فى ٢١ / ٩ / ١٤٠٨ هـ

بين يدى الرسالة

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه . واستن بسنته واهتدى بهداه .

وبعد فإن المتأمل فى حال المسلمين اليوم الناظر إليهم بعين الجد والصدق يرى أنهم يدنون بسرعة من هاوية سحيقة قد يفقدون فيها أول ما يفقدون دولهم وحكوماتهم فيعودون إلى ما كانوا عليه قبل التحرر من الاستعمار الغربى ، مستعمرات يلاقون فيها الهون والدون . فإن الذنوب التى ارتكبها آباؤهم وأجدادهم قبل تسلط الاستعمار الغربى عليهم فكانت سبباً لنقمة الله تعالى عليهم فسلبهم عزهم بتسليط الغرب والشرق عليهم لم تكن تلك الذنوب أعظم من ذنوب هؤلاء الأبناء والأحفاد ويجب أن لا يغتروا بإمهال الله تعالى لهم وإنظارهم فإن الله تعالى يملى للظالم ، ولكن إذا أخذه لم يفلته . وقد أمهلهم وأنظرهم قبل تسليط الغرب عليهم ثم لم يهملهم بل أخذهم أخذ عزيز مقتدر .

وهذه صورة صادقة لذنوب المسلمين اليوم فلينظروها متأملين فيها عسى أن تخيفهم وتفزعهم فيطلبوا التوبة منها فيخلصوا من أسرها وينجوا مما تقودهم إليه من حرمان وخسران فى الدارين .

١ ـ رضاهم وسكوتهم عن احتلال اليهود لأرض القدس والتحكم فى أهلها مع قدرتهم على تحرير القدس وأهلها من سلطان اليهود فى أقل من ثلاثة أيام إن شاء الله تعالى .

٢ ـ رضاهم بالفرقة والانقسام وهم قادرون على الوحدة والوئام وعلى استبدال دولهم المتعددة بدولة إسلامية واحدة .

٣ ـ إعراضهم عن تحكيم الشريعة الإسلامية مستبدلين بها القوانين الوضعية التى أمر الله تعالى بالكفر بها اللهم إلا ما كان من المملكة العربية السعودية حماها الله وثبتها آمين فإنها البقية الباقية فى العالم الإسلامى .

٤ ـ ما نجم عن الفرقة والانقسام من ضعف وهون ودون ، وعن عدم تحكيم الشريعة من

فسق وفجور ، وما نجم عن الفسق والفجور من مفاسد وشرور ، حولت المجتمع الإسلامى إلى مجتمع أكثر سقوطاً وهبوطاً من مجتمعات الشرك والكفر فى العالم البشرى وهيأته للنقمة الإلهية التى نزلت به أحالته إلى أشقى ما يكون الشقاء ، وأسوأ ما يكون السوء ، ﴿ **وما ظلمهم اللّه ولكن كانوا هم الظالمين** ﴾ . وفى استعمار الغرب للعالم الإسلامى وتحكمه فيه وتقسيمه إلى مناطق نفوذ زمناً غير قصير عبرة للمعتبرين .

هذا ونظراً إلى تعذر إصلاح المسلمين من قبل وحدتهم وتوحيد دولتهم ، وتحكيم شريعة الرب تعالى فيهم ، وذلك للظروف الدولية الحالية ، ولما أصيب به المسلمون من ضعف فى العقيدة ، وسوء فى الآداب وفساد فى الأخلاق نتيجة فقدان التعليم الصحيح والتربية الربانية فإنى واضع خطة إصلاح طالما ذكرتها وأشرت إليها فى دروسى العامة بين المسلمين ، وإنى لواثق أن من يأخذون بهذه الخطة من المسلمين سوف يتحقق لهم من الكمال والإسعاد فى الدنيا والآخرة ما لم يتحقق لغيرهم بإذن اللّه تعالى .

وفى الصفحات التالية بيان تفصيلى للخطة الموضوعة لإسعاد وكمال من يأخذ بها من سائر المسلمين فى الشرق والغرب على حد سواء واللّه أسأل أن يرينى من كمل بها وسعد عليها من المسلمين قبل أن يقبضنى إليه إنه على كل شيء قدير .

البيان التفصيلى لخطة الكمال والإسعاد

بين يدى البيان :

هناك حقيقتان علميتان ثابتتان ثبوت هذا الكون بحيث يُعد إنكارهما ضرباً من المكابرة والجحود وهما :

الأولى : أن سبب كل شر وفساد فى دنيا الناس اليوم وقبل اليوم هو الجهل والجهل لا غير . والجهل بماذا ؟ إنه الجهل باللّه عز وجل بأسمائه وصفاته ، وبما عنده من نعيم مقيم أعده لأوليائه ، وبما لديه من عذاب مهين أعده لأعدائه . وأولياؤه هم المؤمنون المتقون ، المؤمنون به وبلقائه ، وبكتابه ورسوله ، المتقون له بترك مساخطه من الشرك والمعاصى ، وفعل محابه من أعمال القلوب والألسن والجوارح وأعداؤه هم الكافرون المجرمون ، الكافرون بلقائه وبكتابه ورسوله ، المجرمون على أنفسهم بتدنيسها بأوضار الشرك وآثام

المعاصى . ومن هنا كان من أقوى عناصر هذه الخطة الموضوعة لإنقاذ المسلمين مما حل بهم من شر وفساد ، وما يتوقع لهم من عذاب وخسران هو العلم بالله وبمحابه ومساخطه .

والثانية : هى العمل الجاد الصادق الدائم المتمثل فى كل محبوب لله تعالى من اعتقاد وقول وعمل ، وفى اجتناب كل مكروه لله تعالى مبغوض له . من اعتقاد باطل ، وقول سيىء ، وعمل فاسد .

وبهذا كان العلم والعمل هما دعامتا هذه الخطة المباركة الموضوعة لإسعاد المسلمين وكمالهم بعد إنقاذهم وإنجائهم ، وكل مواد الخطة تدور على كيفية تحقيق العلم والعمل المحققين للإسعاد والكمال بعد الإنقاذ والإنجاء . وفيما يلى مواد الخطة مادة بعد أخرى وهى عبارة عن خطوات يخطوها المسلمون فى حى مدينتهم ، أو مساكن قريتهم . ومتى طُبقت تلك المواد أو خطيت هذه الخطوات فى صدق وجد فاز الخاطون المطبقون لها بالإسعاد والكمال فى الحياتين بإذن الله رب العالمين .

المادة الأولى

أو الخطوة الأولى فى طريق تحقيق العلم والعمل للإسعاد والكمال فى الدارين هى تكوين لجنة من ثلاثة أنفار من أصلح رجال الحى أو القرية ، لتقوم بالاتصال المباشر بكل فرد من رجال الحى أو القرية ودعوته إلى العمل فى هذا الحقل الإصلاحى الذى تضمنته هذه الخطة الإصلاحية لإسعاد أهل الحى أو القرية وكمالهم بواسطة العلم والعمل إذ هما سبيل النجاة والسعادة والكمال فى الدنيا والآخرة وتواصل اللجنة اتصالاتها برجال الحى أو القرية لدعوتهم وإقناعهم بضرورة هذا العمل الذى لا نجاة للمسلمين من الحرمان والخسران ، ولا فوز لهم بالسعادة والكمال إلا بالقيام به وتحقيقه على الوجه المطلوب لذلك .

المادة الثانية

أو الخطوة التالية هى : أنه بعد موافقة كل أو جل رجال الحى أو القرية على العمل فى هذا الحقل الإصلاحى يعين يوم لاجتماع كافة رجال الحى أو القرية فى مسجدهم الجامع

وذلك يوم عطلة الأسبوع ليتسنى الحضور لكل فرد من رجالهم . فإذا حضروا قام فيهم أحد أعضاء اللجنة فحمد اللّه وأثنى عليه وصلى وسلم على رسوله ثم طرح الأسئلة التالية على الحضور قائلاً :

هل ترغبون فى أن تعيشوا إخواناً متحابين متعاونين ؟

هل ترغبون فى سعادة الدنيا والآخرة ؟

هل ترغبون فى العلم بعد الجهل ، والكمال بعد النقصان ؟

هل ترغبون فى الأمن والطمأنينة بعد الطهر والصفاء ؟

هل تريدون السيادة فى الأرض والاستخلاف فيها ؟

وأعظم من ذلك كلية ولاية اللّه ورضاه .

أيها الإخوة إنى لا أخالكم إلا قائلين نعم نعم بعد كل استفهام سمعتموه وعليه فلتحقيق ما رغبتم فيه ، وأردتموه ينبغى أن نتابع الخطوات الباقية فى هذه الخطة الموضوعة للنجاة والسعادة والكمال .

المادة الثالثة

أو الخطوة الثالثة هى أن يتعهد فى صدق وإيمان كافة أهل القرية أو الحى الحضور بأن يشهدوا الصلوات الخمس فى مسجدهم هذا فلا يتخلف عنها إلا ذو عذر شرعى من مرض أو تمريض أو خوف ..

كما يتعهدون فى صدق المؤمن بإحضار نسائهم لصلاة المغرب والعشاء ولتعلم العلم وسماع الهدى وذلك كل ليلة وطوال العام إلا ممنوعة بعذر حيض أو نفاس أو مرض .. إذ هو طريق العلم الذى سلكه رسول اللّه ﷺ بأصحابه ، وسلكه أصحابه من بعده وهو اجتماع المؤمنين والمؤمنات فى مسجدهم الجامع وتلقيهم علم الكتاب والسنة بواسطة التلقين المقرون بنية العمل وتطبيقه ويشهد لذلك بناء الرسول ﷺ مسجد قباء فإنه بمجرد وصوله إلى ديار بنى عمرو بن عوف بقباء بنى مسجد قباء وجمع فيه المؤمنين . وما أن بركت ناقته بمكان مسجده الشريف حتى شرع فى بنائه وأتمه فى أقصر مدة وجمع فيه

المؤمنين والمؤمنات يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم تطهيراً لأرواحهم . وتهذيباً لأخلاقهم فبلغوا من الكمال ما لم يبلغه غيرهم من سائر المؤمنين فإذا مضى على أهل الحى أو القرية أربعون يوماً وهم موقنون بما التزموا به من شهودهم الصلوات الخمس فى مسجدهم الجامع ، وحضورهم بنسائهم وأطفالهم كل ليلة ما بين المغرب والعشاء وتلقيهم علم الكتاب والسنة وتطبيق ما علموه فظهر ذلك فى سلوكهم وهو وفاؤهم بما تعهدوا بالوفاء به من شهود الصلوات الخمس وحضور الدرس ما بين المغرب والعشاء للتعلم والعمل . حينئذ تأتى الخطوة الرابعة وهى الآتية .

المادة الرابعة

أو الخطوة الرابعة وهى : بعد نهاية الأربعين يوماً يدعون إلى تشكيل لجنة عليا لحيهم أو قريتهم يكون مقرها مسجدهم الجامع ويتعهدون بطاعتها فى المعروف ، وفيما يستطيعونه ويقدرون عليه من قول وعمل وترك مالا يقدرون عليه من قول وعمل . ويشكلون اللجنة من إمام المسجد وهو القائم بالتعليم والتربية ، ومن رجل من أعيان الحى أو القرية ، ومن عمدة الحى أو شيخ القرية ، وتكون مهمة هذه اللجنة العليا الوساطة بين أهل الحى أو القرية وبين السلطة الحاكمة فى البلاد بحيث تكون اللجنة مسؤولة بين يدى الحاكم ويكون أهل الحى أو القرية مسؤولين بين يدى اللجنة ، وذلك تأميناً للمخاوف من الجانبين وتعاوناً بين الطرفين الحكومة وأهل الحى أو القرية .

هذه أولى مهام اللجنة العليا وثانى مهامها فض النزاع وكل خلاف يحدث بين أفراد أهل القرية أو الحى يسود الجميع المحبة والإنجاء وثالث مهامها تكوين ثلاث لجان فى المسجد وتسييرها ، والإشراف عليها واللجان الثلاث هى لجنة الرحمة ، ولجنة التأديب ، ولجنة المال لحفظه وتنميته . وفى الخطوة التالية بيان مهام كل لجنة على حدة لمعرفتها والعمل بها .

المادة الخامسة

أو الخطوة الخامسة فى بيان مهام اللجان الثلاث

أ ـ لجنة الرحمة :

تتكون هذه اللجنة من خمسة أنفار من صالحى أهل القرية أو الحى وتنحصر مهمتها فيما يلى :

١ ـ زيارة من مرض من أهل الحى أو القرية ، وتقديم ما يحتاج إليه نيابة عن إخوانه من أهل الحى أو القرية .

٢ ـ تفقد رجال الحى أو القرية لمعرفة من غاب عن المسجد وسبب غيبته ومساعدته على العودة إلى المسجد ليكمل ويسعد كسائر إخوانه من طريق التربية والعلم والعمل .

٣ ـ التعرف على أهل الحى أو القرية وتقديم المساعدة الضرورية من كساء وغذاء وإيواء للفقراء والمحتاجين منهم كحق من حقوقهم على إخوانهم المؤمنين .

ب ـ لجنة المال :

تتكون لجنة المال من أربعة أنفار : جاب ، وكاتب ، وحافظ ، وصارف . وتنحصر مهامها فيما يلى :

١ ـ جمع زكاة أهل الحى أو القرية ، وصدقاتهم ، وكفاراتهم وتبرعاتهم .

٢ ـ تسجيل ما يجمع من مال بتاريخه وبيان مقداره ، ومصادر دخله .

٣ ـ حفظ ما يجمع من المال ، وصرفه فى مصاريفه المتعينة له .

٤ ـ فتح صندوق فى المسجد لحفظ أموال أهل الحى أو القرية وتنميتها لمن يرغب فى ذلك على نحو ما هو مبين فى المادة السادسة الآتية :

جـ ـ لجنة التأديب :

تتكون لجنة التأديب من أربعة أعضاء هم :

إمام المسجد وواعظه ، وثلاثة نفر من ذوى الحلم والصبر والشجاعة من رجال الحى أو القرية .

ومهمة هذه اللجنة الرباعية تنحصر فى تهذيب وتأديب كل من يستحق ذلك من أفراد القرية أو الحى ، وتتبع فى أداء مهمتها الخطوات التالية :

١ ـ إذا أساء الفرد من أهل القرية أو الحى إلى نفسه بترك واجب أو فعل محرم ، أو ترك سنة مؤكدة أو ارتكاب مكروه شديد الكراهة فإنها تزوره فى منزله ، أو تخلوا به فى المسجد وتذكره وتعظه ، وتشجعه على فعل ما ترك من واجب أو سنة مؤكدة ، أو على ترك ما فعل من محرم أو مكروه شديد الكراهة ، وتوالى زيارته أو الخلوة به تذكره وتشجعه حتى يتوب الله عليه بفعل ما ترك أو ترك ما ارتكب .

٢ ـ إذا أساء الفرد فى القرية أو الحى إلى أحد أفراد القرية أو الحى من رجال أو نساء إساءة بينة بسب أو شتم أو ضرب أو أخذ مال ، أو انتهاك عِرض فإن على اللجنة أن تتصل به فى بيته ، أو فى مكان آخر تخلو به فيه ، وتعظه وتذكره حتى يعترف بالحق لأهله ويسلم به ، فإن كان سبًّا أو شتماً فإنه يطلب السماح ممن سبه أو شتمه من إخوانه ، وإن كان مالاً رده وافياً إلى صاحبه طالباً مسامحته . وإن كان ضرباً قدم نفسه لمن ضربه إن شاء اقتص منه ، وإن شاء عفا عنه ، وإن كان عِرضاً طلبوا منه التوبة بالكف عما فعل والستر على نفسه وكثرة الاستغفار ومواصلة الندم ، والإكثار من الصلاة والصدقات حتى يُمحى أثر هذه الكبيرة من نفسه بإذن الله تعالى .

٣ ـ إن عجزت اللجنة بعد تكرار المحاولة عن تأديب الشخص وتهذيبه لاستيلاء الشيطان عليه ، وانسداد القلب بالذنوب عن وصول نور الهداية إليه ، وتأكدت اللجنة من ذلك لكثرة محاولاتها معه فإنها ترفع أمره إلى السلطة الحاكمة وتطلب منها باسم كافة أفراد الحى أو القرية إبعاد هذا الشخص الفاسد عن قريتهم أو حيهم لكثرة أذاه وسوء عشرته لهم ، فإن تاب بعد إبعاده قبلوه ورحبوا به ، إذ هجرانه لم يكن إلا لفسقه فإذا تاب زال الوصف المقتضى لهجرانه وإبعاده .

تنبيـه : لو طالب المذنب من أفراد الحى أو القرية بإقامة الحد عليه تطهيراً لنفسه فإن على اللجنة التأديبية أن تنظر فى طلبه فإن كان الحد جلداً أو تغريماً نفذته فيه . وذلك كزنى غير المحصن ، وقذف مؤمن أو مؤمنة من أهل العفة وكشرب خمر وكل مسكر . وإن كان الحد قوداً وقصاصاً فإنها ترفع أمره إلى الحاكم ، إذ هو الذى يلى القصاص والقود لا غير .

المادة السادسة

أو الخطوة السادسة فى بيان كيفية تنمية مال أفراد الحى أو الجماعة .

إن مما يحب أن يعلم هنا أن المال قوام الأعمال ، حرم اللّه تعالى سرقته واغتصابه كما حرم تبذيره وإفساده أو إتلافه وجعل حرمته كحرمة الدم والعرض ولذا كان إنشاء صندوق مالى فى مسجد الحى أو القرية تديره اللجنة المالية فى الحى أو القرية أمراً ضرورياً لا يجوز إغفاله وإهماله بحال .

إن توثيق روابط الأخوة بين أفراد القرية أو الحى كما يعتمد على الإيمان والعلم يعتمد أيضاً على البر والصلة ولا يتأتى بر ولا صلة إلا بالمال ، وأمر آخر وهو أن الخلاص من البنوك الرباوية التى ابتليت بها الأمة لا يتم إلا بمثل هذا الصندوق الواجب إنشاؤه وقد أنشىء فعلاً وهو يُدار من قبل اللجنة المالية والمطلوب هنا بيان كيفية تنميته لا غير .

إن الصندوق الحديدى الذى أنشىء فى المقصورة المجاورة لمحراب المسجد وتديره اللجنة المالية من لجان الحى أو القرية الثلاث . هذا الصندوق يُدعى كافة أفراد القرية أو الحى المكلفين إلى وضع أموالهم فيه ، فكل من زاد على مصروفه اليومى أو الشهرى شىء فليضعه فيه ، وهو فى ذلك مخير بين أمرين : إما أن يضعه لحفظه فقط لكنه يأذن للجنة أن تتصرف فيه بما يعود على الجماعة بالخير ، وهو متى طلبه أو بعضه حصل عليه فوراً . وإما أن يضعه بقصد تنميته واستثماره وهو فى هذه الحال قابل للربح والخسارة لأنه سيستثمر بطريق المضاربة الشرعية ، إلا أن الربح مرجو والخسارة نادرة إن لم تكن معدومة بإذن اللّه ، لأن أعمال الخير والإصلاح يباركها اللّه تعالى ويزيد فيها .

ويستثمر مال الجماعة فى أحد طرق الاستثمار الثلاثة وهى التجارة والفلاحة والصناعة وقد يستثمر فى طريق منها أو فيها كلها بحسب استعداد الصندوق والقائمين عليه . فقد يفتح متجر كبير فى الحى أو القرية للتصدير والتوريد والبيع بالتجزئة والجملة . وقد تنشأ مزرعة كبيرة لإنتاج الحبوب أو التمور أو الفواكه والخضر وتغل بإذن اللّه تعالى وقد ينشأ مصنع لصناعة ما ، ومع الصدق وحسن التدبير ينتج ويدر أرباحاً قليلة أو كثيرة والحمد للّه .

ولهذا الصندوق فوائد جمة زيادة على ما يدره على أفراد الجماعة من أرباح وهى :

١ ـ التخلص من وضع المسلم ماله فى البنوك الرباوية .

٢ ـ قرض أفراد الجماعة بلا فائدة قروضاً يؤدونها فى آجلها المحددة لها وهم بإيمانهم واستقامتهم سوف لا يقصرون فى رد القروض وافية وفى آجالها المضروبة لها .

٣ ـ تشغيل اليد العاطلة من أفراد الجماعة فى مشاريع الصندوق التجارية أو الفلاحية أو الصناعية .

٤ ـ رد فوائد الصندوق على أفراد الحى أو القرية فيطعم جائعهم ويكسو عاريهم ويداوى مريضهم ، ويؤوى من لا مأوى له منهم .

هذه أربع فوائد فى صندوق الجماعة وكفى بها فوائد عاجلة والآجلة أعظم .

المادة السابعة

أو الخطوة السابعة فى بيان الطريقة التى يتبعها مرشد الجماعة فى التعليم والتربية ، إذ مدار إصلاح الجماعة وسعادتهم وكمالهم على التعليم والتربية ، ولذا يحسن اتخاذ طريقة لذلك يتبعها المرشد فى مسجد الجماعة وهى تتمثل فى الأرقام التالية :

١ ـ أن يبتدىء بتلقين أهل المسجد قصار السور فيبتدىء بالفاتحة ، ثم الناس فالفلق فالصمد وهكذا ، وأن يكتفى بالآيتين والثلاث فى الجلسة الواحدة ، وبعد التأكد من حفظها يبيّن معناها ، ثم يرشدهم إلى ما توجبه من اعتقاد أو قول أو عمل . ليعتقدوا ويقولوا ويعملوا فيأخذوا العلم والعمل معاً وهى طريقة السلف الصالح رضوان اللّه عليهم .

٢ ـ أن يجعل لتلقين الحديث ثلاث ليال من الأسبوع يبتدىء بأحاديث الطهارة والصلاة وسائر العبادات ثم الأخلاق والآداب ثم المعاملات والأحكام الشرعية ويكتفى بالحديث الواحد فى الجلسة الواحدة فإذا حفظوا شرحه لهم مبيناً ما فيه من أحكام وآداب وأخلاق حاثّاً لهم على التطبيق الفورى .

٣ ـ إذا كان فى المسألة المستفادة من الآية أو الحديث خلاف بين الأئمة الأربعة رحمهم اللّه تعالى أجمعين فليورده بإيجاز وليذكر الراجح منه بدليله المرجح له . وبذلك يصبح الأئمة الأربعة أئمة للجميع وينتهى التعصب المذهبى المسبب للفرقة والخلاف المذمومين فى دين اللّه عز وجل .

٤ ـ أن يتحاشى ذكر ما من شأنه أن يوجد قلقاً أو اضطراباً فى نفوس أهل المسجد حفاظاً على الألفة والمحبة والوئام المنشود لهم .

٥ ـ أن يُعنى بتهذيب الأخلاق ومكارم الآداب النفسية والسلوكية فى كل فرد من أفراد الجماعة نظراً لقول اللّه تعالى : ﴿ **يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** ﴾ .

٦ ـ أن يعمل على تقوية روح التعاون بين سائر أفراد الجماعة رجالاً ونساء وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر قياماً بأمر اللّه تعالى لهم فى قوله : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾. إذ خيريتهم وكمالهم الروحى وسعادتهم دنيا وأخرى متوقفة بعد فضل اللّه ورحمته على تزكية نفوسهم ولا يتم ذلك إلا بالتعاون على البر والتقوى بعد اجتناب الشرك والمعاصى .

المادة الثامنة

أو الخطوة الثامنة فى وصايا هامة يتعين على مرشد الجماعة فى الحى أو القرية الأخذ بها وهى :

١ ـ أن يُعنى بتقوية الإيمان فى نفوس أفراد الجماعة ، وتوضيح العقيدة السلفية لهم وأمرهم بالتمسك بها لإجماع الأمة على نجاة صاحبها .

٢ ـ أن يُعنى بتوضيح الشرك ومظاهره فى الناس ودعوة الجماعة إلى تجنبه والبعد عنه ، لأنه أكبر عائق عن السعادة والكمال .

٣ ـ أن يعنى بحث أفراد الجماعة على التمسك بالسنن ، وترك البدع مع بيان السنة وتطبيقها ، وبيان البدع والتنفير منها ، إذ السنن هدى ، والبدع ضلال .

٤ ـ أن يُعنى بتنمية الأخلاق الفاضلة فى نفوس أفراد الجماعة والحث عليها والتمسك بها حتى تكون ملكة فى نفوسهم تصدر عنهم بدون تكلف .

٥ ـ أن يأمر أفراد الجماعة بترك الخوض فى الأمور السياسية ، لما تحدثه من خلاف وشقاق بين أفراد الجماعة ، وما قد تفضى إليه من فتن تعوق الجماعة عن سيرها فى طريق السعادة والكمال فى الدارين ولنترك الشؤون السياسية إلى اللجنة العليا فهى أجدر

بالخوض فيها والتصرف بالحكمة فيما يعرض للقرية أو الحى منها ، إذ هى الواسطة بين الحكومة وأهل القرية أو الحى فهى تعطى للحكومة ما لها وتطالبها بما عليها .

٦ ـ أن يأمر المرشد الجماعة بطاعة اللجنة العليا فى الحى أو القرية ، ويحثهم على ذلك مبيناً لهم أن الطاعة فى المعروف واجبة لكل من ولى من أمور المسلمين شيئاً ، إذ عدم الطاعة يؤدى إلى تعطيل الأمور وفسادها وهذا سبيل الدمار والهلاك الذى ما تكونت الجماعة إلا للنجاة منه . والله يقول : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ فلو لم تطع الأمة الحاكم كيف تكون الحكومة وكيف يكون الحكم ولو لم يطع الولد والده كيف يربيه ولو لم يطع الطالب معلمه كيف يتعلم عنه ، وهذا أمر يدرك بأدنى تأمل ، والله المستعان .

أحكام آخر الأيام

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للّه المحيى المميت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شىء قدير . والصلاة والسلام على محمد نبى الرحمة البشير النذير والسراج المنير وآله الطاهرين وصحابته الغرّ الميامين ذوى المكانة العالية ومحط التقدير ، وبعد ...

فقد رغب إلى أحد أحبتى الصالحين فى أن أضع رسالة مختصرة أبين فيها أحكام الوفاة من تلقين الميت وغسله وتكفينه وتشييعه والصلاة عليه ودفنه وتعزية أهله على طريقة السلف الصالح رحمنا اللّه وإياهم أجمعين ، فأجبته إلى ذلك مضيفاً إلى الرسالة بيان شىء من مبادىء الصحة . وبعض طرق العلاج من السنة النبوية الصحيحة واللّه أسأل أن ينفع بها من يقرأها وأن لا يحرمنى مثوبة عملى فيها وأن لا يُحرم الأجر من اقترح علىَّ تأليفها وما أنفقه على طبعها ونشرها إن اللّه جواد كريم برٌ رحيم .

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائرى

المدرس بالمسجد النبوى الشريف

أحكام آخر الأيام

مبادىء حفظ الصحة

لما كان المرء مخلوقاً لعبادة اللّه تعالى لقوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ ، والعبادة وهى الطاعة بفعل محاب اللّه تعالى وترك مكارهه لا تتم إلا بالبدن الصحيح الذى يقدر صاحبه على النهوض بالتكاليف ، ومن هنا كان الحفاظ على الصحة البدنية والعقلية من ضروريات الدين وأظهر من ذلك أن المؤمن قد باع نفسه وماله للّه تعالى بثمن هو الجنة لقوله تعالى : ﴿ **إن اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ...** ﴾ ومن هنا وجب على المؤمن أن يحافظ على بدنه وماله فلا يعرضهما للنقصان ولا التلف لأنهما أمانة اللّه ووديعته عنده فلا يصح التفريط فيها بحال من الأحوال .

وها هى ذى بعض ما يحفظ به الصحة من الأذكار والأدعية ، والمسائل الطبية فليأخذ بها كل مؤمن ومؤمنة رجاء حفظ صحته بإذن اللّه .

أ ـ الأذكار والأدعية :

١ ـ وهى قول : بسم اللّه الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم [١] (ثلاث مرات) فى أول النهار وفى أول الليل ، إذ هو تحصن باللّه والتجاء إليه للحفظ والحماية من كل ما يضر بالمسلم .

٢ ـ حسبى اللّه لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم [٢] (سبع مرات) .

٣ ـ أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق [٣] (ثلاث مرات) .

إذ قول هذه الكلمات الواردة فى هذه الأحاديث الثلاثة معناها الالتجاء إلى اللّه تعالى والتحصن به والاحتماء بجنابه . ومن لجأ إلى اللّه العلى القدير الحفيظ العليم وتحصن به واحتمى بحماه قطعاً أجاره وحماه وكفاه .

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذى وغيره .

(٢) رواه أبو داود وفيه كفاه اللّه ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة .

(٣) رواه مسلم .

ب ـ المسائل الطبية : وهى ما يؤثر به لحفظ الصحة وهو :

١ ـ أن يترك المرء طعامه وشرابه إذا أكل أو شرب ونفسه تشتهيه .

٢ ـ أن لا يدخل المرء طعاماً على طعام بل لا يأكل إلا عند الإحساس بالجوع .

٣ ـ أن يكون الغذاء فى الصيف بارداً وفى الشتاء حاراً .

٤ ـ أن يتجنب البِطنةَ وهى امتلاء البطن [١] بالطعام والشراب .

٥ ـ أن يجعل كلاً من طعامه وشرابه ونومه قصداً أى قِواماً بين الكثرة والقلة أو الإسراف والإقتار .

٦ ـ أن يمشى بعد أكلة العشاء أو يصلى بعدها صلاة يَطْمَئِنَ فى ركوعها وسجودها .

٧ ـ أن يلحس الإناء بعد الأكل ويلعق أصابعه .

جـ ـ ما ينهى عنه لحفظ الصحة :

١ ـ الجمع بين أكل السمك وشرب اللبن .

٢ ـ الجمع بين اللبن والخل .

٣ ـ الجمع بين الجبن والسمك

٤ ـ الجمع بين الفاكهة واللبن .

٥ ـ الجمع بين السمك والبيض

٦ ـ الجمع بين الشبع ودخول الحمام .

٧ ـ الجمع بين الجبن واللحم المشوى .

كانت هذه بعض مبادىء حفظ الصحة وهى من أقوال الحكماء وتجاربهم فليأخذ بها المؤمن ما أمكنه فإنها تساعده على حفظ صحته سليمة إن شاء اللّه تعالى ، وبالبدن السليم يعبد المرء ربه ويتقرب إليه بأحب الأعمال عنده .

---

(١) قالت العلماء : البطنة تذهب الفطنة . وهو كذلك .

المرض والتداوى

أولاً : المرض :

المرض هو اعتلال الصحة بتغير المزاج لسبب طارىء أفسد اعتداله فمرض صاحبه ، والمرض فى الجسم ليس مكروها دائماً بل منه ما يكون مُرْضِياًّ لمن أصابه من أهل الإيمان والصبر والرضا يدل على ذلك قول الرسول ﷺ : (لا تسبوا الحمى فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد) (١) وقوله ﷺ : (من يرد الله به خيراً يصب منه) (٢) وقوله ﷺ : (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ويبتلى الرجل على حسب دينه) (٣) وقوله ﷺ (ما من مرض أو وجع يصيب المؤمن إلا كان كفارة لذنبه حتى الشوكة يشاكها أو النكبة ينكبها) (٤) .

عيادة المريض :ـ

إن عيادة المريض مرغب فيها مدعو المؤمن إليها لما فيها من الأجر العظيم وهى من حق المؤمن على أخيه المؤمن فقد قال ﷺ : (للمسلم على المسلم أربع خلال : يشمته إذا عطس ، ويجيبه إذا دعاه ، ويشهده إذا مات ، ويعوده إذا مرض) (٥) وقال ﷺ : (من أتى أخاه المسلم عائداً مشى فى خرافة (*) الجنة حتى يجلس ، فإذا جلس غمرته الرحمة ، فإن كان غدوةً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى فإن كان مساءً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح) (٦) وقال ﷺ (من عاد مريضاً نادى منادٍ من السماء طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً) (٧) .

مبدأ العيادة :ـ

لا بأس أن تتأخر عيادة المريض حتى يمضى عليه ثلاثة أيام ، إذ من الجائز أن يُشْفَى المريض بعد يوم من مرضه أو يومين ، فلذا كان النبى ﷺ يعود المريض بعد مضى ثلاثة أيام

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه الترمذى . (٣ ، ٤) رواه البخارى .

(٥ ، ٦ ، ٧) رواه ابن ماجه فى سننه وصححه الألبانى جزاه الله خيراً .

(*) الخرافة : الثمر الذى يجنى فى الخريف فشبه عليه الصلاة والسلام الماشى فى عيادة المريض بالماشىِ فى خرافة الجنة لعظم الأجر الموصل للجنة .

من مرضه فقد روى ابن ماجه عن أنس قوله كان النبى ﷺ لا يعود مريضاً إلا بعد الثلاث .

ما يقوله العائد :

إن العائد للمريض إذا انتهى إليه وضع يده عليه وسأله قائلاً : كيف أصبحت أو أمسيت ؟ ثم يقول : لا بأس طهوراً إن شاء اللّه . وليدعُ بما يلى : أسأل اللّه العظيم رب العرش الكريم أن يشفيك ، لقوله ﷺ : (من عاد مريضاً فقال عنده سبع مرات : أسأل اللّه العظيم رب العرش الكريم أن يشفيك إلا عافاه اللّه) . وكان ﷺ إذا أتى مريضاً أو أوتى به إليه قال : « اذهب البأس رب الناس واشفِ وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يُغادره سَقَما » (١) .

ثانياً التداوى :

إن طلب الدواء والمداواة مأذون فيهما شرعاً بل مأمور بهما فى بعض الأحوال وليس أدل على ذلك من قول الرسول ﷺ : (ما أنزل اللّه داءً إلا قد أنزل له شفاء علمه من عَلِمه وجَهلَه من جِهله) (٢) وقوله ﷺ (يا عباد اللّه تداووا) (٣) وفى الصحيح : « ما أنزل اللّه داء إلا أنزل له دواء » ، ومن هنا ما زال الناس يطلبون الأدوية ويترقون فيها إلى اليوم نظراً إلى قوله ﷺ : (ما أنزل اللّه داء إلا أنزل له دواء) .

بعض ما يتداوى به :

١ ـ الحبة السوداء :

ويقال لها حبة البركة صح فيها قول الرسول ﷺ : (فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام) (٤) أى الموت .

٢ ـ العسل والحجامة :

العسل قال تعالى فيه : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾ .

الحجامة : لقول الرسول ﷺ « الشفاء فى ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم وكية بنار وأنهى أمتى عن الكى) رواه البخارى ومسلم وأحمد .

وقد احتجم ﷺ وأعطى الحجام أجرة ، وقال « إن كان فى شىء مما تداوون به خير

---

(١) رواه البخارى . (٢) رواه ابن ماجه وهو صحيح .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذى . (٤) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه .

فالحجامة » [١] وقال « من أراد الحجامة فليتحر سبعة وتسعة عشر وإحدى وعشرين ولا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله » [٢] .

وقال رسول الله ﷺ : (الحجامة على الريق أمثل فيه شفاء وبركة تزيد فى العقل وفى الحفظ) [٣] .

٣ ـ الماء البارد :

إن الحمى وخاصة الناتجة عن ضربة شمس تعالج بالماء البارد فقد قال ﷺ : « إن شدة الحمى من فَيح جهنم فأبردوها بالماء » [٤] .

٤ ـ الكحْلُ :

إن الاكتحال مشروع للنساء إذ هو من زينتهن ، وهو للرجال دواء العينين فيكتحل المسلم لأجل الحفاظ على قوة بصره ولا سيما بالإثمد فإنه نافع جداً ، لقول الرسول ﷺ : « عليكم بالإثمد فإنه يَجلو البصر ويُنْبِتُ الشعر » [٥] أى شعر الأجفان التى هى وقاية للعينين .

٥ ـ الحِنْاءَ :

الحِنْاءُ كالإثمد معروفان لعامة الناس ، والتداوى بالحِنْاءِ يكون بوضعها بعد تَنْعِيمِهَا حتى تكون كالدقيق ثم تُبلُّ بالماء وتوضع على مكان الألم فقد روى وصح عن سلمى أم رافع مولاة رسول اللّه ﷺ أنها قالت : « كان لا يصيب النبى ﷺ قرحة ولا شوكة إلا وضع عليه الحناء » . والحديث حسن [٦] .

٦ ـ الحمية للمريض :

إن الحمية وهى الامتناع عن بعض الأطعمة من أقوى أسباب حفظ الصحة فهناك كثير من الأطعمة والأشربة وإن لم تكن خبيثة محرمة فإن تركها أنفع للإنسان فى حفظ صحته ، إلا أن الحمية للمريض نافعة ومرغب فيها فقد رُوى وصح عنه ﷺ أنه قال لعلىٍ رضى اللّه عنه وهو ناقِه من مرض أصابه وقد تناول تمراً ليأكله قال له : (مه يا على إنك ناقِه) فقد

---

(١) رواه أحمد وله شواهد بالصحيح .
(٢) رواه ابن ماجه عن أنس ، وصححه الألبانى .
(٣) رواه ابن ماجه عن ابن عمر وصححه الألبانى .
(٤) متفق عليه .
(٥) رواه ابن ماجه وصححه الألبانى .
(٦) رواه ابن ماجه .

حدثت أم المنذر الأنصارية فقالت دخل علينا رسول الله ﷺ ومعه على بن أبى طالب وعلى ناقِه من مرض ، ولنا دوالى معلقة ، وكان النبى ﷺ يأكل منها فتناول على ليأكل فقال النبى ﷺ : « مه يا على إنك ناقه » (١) قالت : فصنعت للنبى ﷺ سلقاً وشعيراً فقال النبى ﷺ : « يا على من هذا فأصِب فإنه أنفع لك » (٢) من هذا تبين أن المريض يحمى عن بعض الأطعمة الثقيلة ويؤذن له فى الطعام الخفيف .

٧ ـ عِرقُ النســا :

إن عِرقُ النِسَا مرض مؤلم قديم عرفته البشرية من قرون عديدة ، وهو عبارة عن عرق فى الورك يستبطن الفخذ إلى نهاية الرجل ، وقد أعجز الأطباء علاجه وقد ذكر الرسول ﷺ طِبَّاً فى غاية اليسر والسهولة فقال : « شِفَاءُ عِرق النِسَا أَلْيَةُ شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم يشرب على الريق فى كل يوم جزء » رواه ابن ماجة وهو صحيح .

التداوى المحرم :

لا يحل للمسلم أن يتداوى بمحرم كالخمر ولا بالقاتل كالسم ولا بالخبيث كالبول وسائر النجاسات من دم وعذرة ونحوها لقوله ﷺ : « من شرب سماً فقتل نفسه فهو فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » ، وقوله ﷺ : « إن الله لم يجعل شفاؤكم فيما حرم عليكم »(٣) . وعلى المنع بالتداوى بما ذكرنا أكثر أهل العلم .

من لم يُحسِن الطب ضَامن :

إذا تطبب المرء بدون علم له بالطب فأتلف بذلك عضواً أو نفساً فإنه يضمن ذلك ، أما إذا كان عالماً بالطب ولم يُفرِط وأتلف أو قتل فلا شىء عليه . وذلك لقول الرسول ﷺ فى سنن ابن ماجة والحديث صحيح : « من تطبب ولم يُعْلَمْ منه طبٌ قبل ذلك فهو ضامن » .

الرقى :

الرقى جمع رقية وهى العوذة مما يتعوذ به من القرآن والكلم الطيب ، وحكمها الإباحة إذا كانت من عين أو حُمَة أى سم أوْ حُمَّى أو مسّ جنون .

(١) ناقة : من شفى بعد مرض ولم يمض عليه وقت .

(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألبانى . (٣) رواه الطبرانى بإسناد صحيح .

رقية العين :

المراد بالعين إصابة المرء بسبب عين حاسدة إذ فى عين الحاسد قوة مؤثرة بإذن الله تعالى كسم العقرب فإذا نظر الحاسد إلى شىء فأعجبه ولم يدع لصاحبه بالبركة أثَّرَ فيه فمرض على الفور ، ولذا أمر الله تعالى رسوله أن يتعوذ به من شر حاسد إذا حسد فى سورة الفلق وقال الرسول ﷺ « العين حق » [١] . وقال : « استعيذوا بالله فإن العين حق » [٢] وقال : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة » [٣] . وأمر ﷺ عامر بن ربيعة لما عَيَّنَ سهل بن حُنيف أن يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخِلةَ إزارِه أى طرف إزاره المتدلى الذى يلى حِقْوَهُ الأيمن فى إناء ثم يُكْفِيء الاناء من خلف المريض على رأسه .

وكان ﷺ يُعَوِذ الحسن والحسين بقوله : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة [٤] ومن كل عين لامة [٥] » البخارى والترمذى وأبو داود ويقول كان إبراهيم يُعَوذ بها إسماعيل عليهما السلام .

رقية الحُمة :

إذا لدع المرء بعقرب يقرأ عليه أخوه سورة الفاتحة سبع مرات كلما قرأها مرة تَفَثَ بشىء من ريقه وَدَلَكَ موضع اللدغة لحديث صحيح .

ومن خاف لدغة العقرب إن كان بأرض بها عقرب تلدغ قال حين يمسى : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . فإنه لا تضره لدغة عقرب وذلك لقول الرسول ﷺ : لما قيل له إن فلاناً قد لدغته عقرب فلم ينم ليلته : « أما إنه لو قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ما ضره لدغ عقرب حتى يصبح » [٦] . ومفهومه أنه لو قالها حين يصبح لم يضره لدغ عقرب حتى يمسى .

رقية الحمّى :

إن مما يرقى به من الحمى قول : بسْم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من حَسَدِ حاسد ، ومن كل عين ، الله يشفيك . لحديث عبادة بن الصامت فى سنن ابن ماجة وفيه أن جبريل أتى النبى ﷺ وهو يوعك فقال : « بسم الله أرقيك ، من كل شىء يؤذيك ، من

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه مسلم . (٣) رواه ابن ماجة .

(٤) الهامة : ذات السم من الهوام . (٥) لامة : أى ذات لمم وهو الداء يلم بالإنسان . (٦) رواه مسلم ٧٦/٨ .

حاسد ، ومن كل عين ، اللّه يشفيك » .

رقية مسّ الجنون :

روى مالك فى موطئه أن النبى ﷺ ليلة أسرى به رأى عفريتاً ورأى بيده شُعْلَة من نار يريد أن يضربه بها فذكر ذلك لجبريل فعلمه كلمات يقولها فقالها فطفئت شعلته ، وفرّ لفيه والكلمات هى : أعوذ بوجه اللّه الكريم وبكلمات اللّه التامات التى لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشرما يعرج فيها ، وشرّ ما يلج فى الأرض وشر ما يخرج منها ، ومن فِتن الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن .

رقية عامة لكل وجع :

إذا وجد المسلم ألماً فى جسده فى أى موضع من جسمه وضع يده على موضع الألم وقال : بسم اللّه ثلاثاً ، وقال سبع مرات : أعوذ بعزة اللّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، لما روى مسلم من أن عثمان بن أبى العاص شكا إلى رسول اللّه ﷺ وجعاً بجسده فقال له : « اجعل يدك اليمنى على الذى تألم ثم قل : بسم اللّه ثلاثاً ، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة اللّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » الحديث صحيح .

أحكام الوفاة
من الاحتضار إلى الاستقرار
فى الجنة أو النار

الاحتضار :

إن الآجال محدودة ، وأيام حياة المرء معدودة . فلا يزاد فى العمر ولا ينقص منه وكل ذلك فى كتاب مبين ، والعلاج مأمور به ، ويشفى به من لم يحضر أجله بإذن ربه وإذا حضر أجل المرء قيل فيه احتُضِر فلان ، وتظهر لذلك علامات ، وللمحتَضَر فى هذه الحال أحكام هى الآتية :

١ ـ أن لا يقال عنده إلا خيراً لقول الرسول ﷺ : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤَمّنون على ما تقولون » رواه ابن ماجة .

٢ ـ أن يُلَقَّن كلمة الإخلاص (**لا إله** [(١)] **إلا الله**) وذلك بأن يجلس إلى جنبه من يلقنه ثم يقول عنده لا إله إلا الله ويكررها يُذكر بها المحتضَر ، فإذا قالها المحتضر سكت ، فإن تكلم المحتضر بكلام غيرها أعاد تذكيره حتى يقولها رجاء أن تكون آخر كلامه ، فيدخل الجنة بإذن الله وذلك لقوله ﷺ : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ، فإن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » . رواه ابن ماجة والطبراني .

٣ ـ تغميض عين المحتضر إذا خرجت روحه ، إذ البصر يتبع الروح فتبقى العينان مفتوحتين فينبغي تغميضها لحديث أم سلمة رضى الله عنها إذ قالت : « دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصرهُ (انفتح) فأغمضه ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر » . رواه ابن ماجة (٤٦٧/١) .

٤ ـ يوجه إلى القبلة إن أمكن ذلك كحاله فى قبره على وجه الاستحباب .

٥ ـ تسديد ديونه لأن روح المؤمن مرهونة بدينه ، وقد كان ﷺ إذا جيء بجنازة ليصلى عليها يسأل أهلها : هل ترك صاحبكم ديناً ؟ فإن قالوا نعم قال : صلوا على أخيكم .

وأوصى الإمام الشافعى عند موته أن يغسله فلان سماه فلما مات أتوه ليغسله ، فسألهم هل ترك الإمام ديناً ؟ قالوا نعم . فأعطاهم سداده . وقال لهم : غسلوا إمامكم ، فَهْماً منه أنه هو مراد الإمام .

٦ ـ يجوز تقبيل الميت فقد قبَّل أبو بكر رسول الله ﷺ وقال : طبت حيَّاً وميتاً .

التغسيل:

إن تغسيل الميت المسلم واجب كفائى ككفنه والصلاة عليه ودفنه إن قام به أحد المسلمين سقط عن الباقين ، وإلا فهم آثمون بترك هذا الواجب الكفائى .

وكيفيته:

أن يلف الغاسل خرقة على يده ، ثم يعصر بطن الميت عصراً خفيفاً ليخرج من بطنه ما عساه أن يخرج ، ثم يغسل فرجيه وما حولهما غسلاً كافياً ، ثم يبدل الخرقة التى فى يده بخرقة أخرى نظيفة ، ثم يوضئه وضوءه للصلاة ثم يغسل رأسه ثلاثاً ، ثم شقه الأيمن من

---

(١) هذا إذا كان المحتضر مسلماً أما إذا كان كافراً ولم يُغرغِر فإنه يلقن الشهادتين أى من يطلب منه أن يشهد لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

أعلاه إلى أسفله ثم يغسل الأيسر كذلك فهذا الغسل الواجب . ثم يغسل بالماء والصابون مرتين أخريين إذْ يستحب أن يغسل ثلاثاً وإن كان الميت امرأة نَقَضَ شعر رأسها عند غسل رأسها ثم يظفر ثلاث ظفائر ، ثم يجفف جسمه بمنشفة طاهرة ثم يطيب بالطيب ، وذلك لحديث أم عطية الأنصارية إذ قالت دخل علينا رسول اللّه ﷺ ونحن نغسل ابنته أم كلثوم فقال : « اغسلنها ثلاثاً أو خمسا أو أكثرَ من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر واجعلن فى الآخرة كافوراً ، أو شيئاً من كافور ، فإذا فرغتن فآذنني » (١) . والسدر يقوم مكانه الصابون اليوم ، والكافور لا يقوم مكانه شيء آخر لأنه طيب الرائحة ويطرد الهَوَام ويمنع إِسْرَاعَ فساد الجسم .

مسائل الغَسْل :

١ ـ لا يجوز أن يغسل الرجل المرأة ولا المرأة الرجل إلا أن يكونا زوجين فلا بأس أن يغسل الرجل امرأته والمرأة زوجها لحديث عائشة رضى اللّه عنها قالت : رجع رسول اللّه ﷺ من البقيع فوجدنى وأنا أجد صداعاً فى رأسى وأنا أقول وارأساه فقال : « بل أنا يا عائشة وارأساه ، ثم قال : ما ضرك لو مت قبلى فقمت عليك فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك » (٢) .

٢ ـ لا بأس بتغسيل النساء للصبى من الأولاد إن كان دون السابعة .

٣ ـ إذا انعدم الماء ييمم الميت كالحى إذا لم يجد الماء تيمم وصلى .

٤ ـ إذا ماتت المرأة فى سفر ولم تكن معها امرأة يَمَّمَها الرجلُ وأجزأ ذلك .

٥ ـ إذا كان جسم الميت يتهرى بسبب حريق ونحوه صب عليه الماء فقط .

٦ ـ يستحب لمن غسل ميتاً أن يَغْتَسِلْ ، لحديث أبى هريرة : « من غسل ميتاً فليغتسل » (٣) .

٧ ـ يكره قلم أظافر الميت أو قص شعره أو خَتْنه إذا لم يكن مختوناً .

تكفين الميت صغيراً أو كبيراً واجب وهو ستره بثوب حتى لا تُرى عورته وجسمه وهو وقاية له من التراب أيضاً ، ويستحب أن يكفن الرجل فى ثلاثة أثواب يُلَف فيها ، أو

---

(١) رواه ابن ماجة فى الجنائز ١ / ٤٦٨ .

(٢) رواه ابن ماجة فى الجنائز ١ / ٤٧٠ ورجاله ثقات .

(٣) رواه ابن ماجة وصححه .

تكون قميصاً وثوبين يُلَفُ فيها ، فقد كُفِنَ رسولَ اللّه ﷺ فى ثلاثة أثواب بيضاء سحولية (١) ، وتكفن المرأة فى خمسة أثواب : إزار ودِرع وخمار وثوبين تُلَفُ فيهما .

مستحبات الكَفَنْ :

١ ـ أن يكون أبيض لقول الرسول ﷺ : « البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم » (٢) .

٢ ـ أن يزيد على ثوب واحد .

٣ ـ أن لا يكون حريراً .

٤ ـ أن لا يغالى فى ثمنه .

٥ ـ أن يطيب أو يبخر ببخور .

مسائل فى الكَفَنْ :

١ ـ يجوز التكفين فى الثوب القديم إن كان نظيفاً .

٢ ـ أن يُبْدأ فى شراء الكفن قبل سَدَادِ الديون .

٣ ـ إن لم يكن للميت مال فكَفَنُهُ على مَنْ تَلْزَمُه نَفَقَتُهُ ، فإن لم يكن فمن بيت مال المسلمين فإن لم يكن فعلى جماعة المسلمين ، وكذا أجرة الغَسل والحمَل والدَفن إن لزمت .

٤ ـ المُحرِمُ يُكَفَّنُ فى إحرامه بعد أن يُغَسَّل ولا يُمَس بطيب لقوله ﷺ : « فيمن مات محرماً اغسلوه بماء وسدر وكفنوه بثوبيه ولاتُحنطوه ولا تُخمّر رأسه فإن اللّه تعالى يبعثه يوم القيامة ملبياً » (٣) .

تشييع الجنازة وحملها :

إن المراد من تشييع الجنازة وحملها : الخروج معها وحملها إلى المصلى ثم إلى المقبرة وقد ورد فى ذلك قوله ﷺ : « عودوا المريض ، وامشوا مع الجنازة تذكركم الآخرة » (٤) .

---

(١) فى الصحيحين ومعنى سحولية : أنها من قرية باليمن يقال لها سحولة .

(٢) رواه أبو داود والترمذى حديث حسن صحيح .

(٣) رواه الجماعة ، ومعنى لا تخمروا رأسه : لا تغطوه .

(٤) رواه أحمد .

وفى حمل الجنازة أحكام وهى :

١ ـ جواز المشى أمامها وخلفها والمشى أمامها أفضل لأن الرسول ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون أمامها .

٢ ـ يستحب الأسراع بها لقوله ﷺ : « أسرعوا بالجنازة فإن تكن صالحة فخير تقدمونها إليه ، وإن تك سِوَى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » . رواه الجماعة .

٣ ـ يستحب الحمل من جوانب السرير (النعش) الأربعة ، لقول ابن مسعود رضى الله عنه : من اتبع جنازة فليحمل بجوانب السرير كلها فإنه من السنة ، ثم إن شاء فليتطوع ـ أى مواصلة الحمل ـ وإن شاء فليدع .

٤ ـ جواز الركوب للمُشَيِّع إن كان عاجزاً وليكن وراءها لا أمامها لما ورد فى ذلك من قوله ﷺ : « الراكب خلف الجنازة والماشى منها حيث شاء » رواه ابن ماجة وصححه .

٥ ـ استحباب القيام للجنازة إذا مرت لحديث : « إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها حتى تخلفكم أو توضع » فى سنن ابن ماجة .

٦ ـ لا تتبع الجنازة ببخور ونحوه لوصية أبى موسى الأشعرى بذلك ، وقيل له : أَسَمِعْتَ من رسول الله ﷺ فى ذلك شيئاً ؟ قال : نعم رواه ابن ماجة .

٧ ـ لا تشرع قراءة القرآن ولا الْهيْلَلَةُ ولا قراءة البردة ولا غيرها إذ هذا كله محدث أى مبتدع لم يشرعه الرسول ﷺ ، وكذلك قول بعضهم :استغفروا له بأعلى صوته ، وكذا طلب الشهادة له كقول بعضهم :ماذا تشهدون له ؟ فليترك هذا كله فإنه بدعة وكل بدعة ضلالة .

الصلاة على الميت وأحكامها :

إن الصلاة على الميت المسلم فرض كفاية ، وبيان أحكامها كالآتى :

أ ـ بيان أركانها وهى :

١ ـ القيام فيها فلا تصح من قاعد وهو قادر على القيام .

٢ ـ التكبيرات الأربع .

٣ ـ قراءة الفاتحة بعد التكبيرة الأولى .

٤ ـ الصلاة على النبى ﷺ بعد التكبيرة الثانية .

٥ ـ الدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة .

٦ ـ التسليم .

٧ ـ الترتيب بين أركانها المذكورة على نحو ما ذكرت .

ب ـ بيان شروطها وهى :

١ ـ النية : وهو قصد الصلاة على الميت .

٢ ـ أن يكون المصلِّى عليها متطهراً طهارة كاملة من الحدَث الأكبر والأصغر .

٣ ـ أن يكون مستور العورة .

٤ ـ أن توضع الجنازة مستقبلة القبلة .

٥ ـ أن يكون المُصلَى عليه مسلماً .

جـ ـ بيان مستحباتها وهى :

١ ـ يستحب أن يقف الإمام حذاء رأس الرجل وفى وسط المرأة لحديث أنس .

٢ ـ إذا تعدد الأموات وضعوا صفوفاً أمام الإمام ويجعل الآفضل أمام الإمام ، وكذا إذا كانوا رجلاً ونساء فإنه يجعل الرجال مما يلى الإمام لعمل الصحابة رضوان اللّه عليهم .

٣ ـ يستحب أن تكون الصفوف ثلاثة فأكثر لحديث : « ما من مؤمن يموت فيصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا ثلاثة صفوف إلاّ غُفر له » (١) .

٤ ـ يستحب تكثير المصلين لحديث : « من صلى عليه مئة من المسلمين غفر له » (٢) وحديث : « ما من أربعين مؤمن يشفعون لمؤمن إلا شَفَّعَهُم الله » (٣) .

د ـ كيفيتها :

كيفية الصلاة على الجنائز : أن يُكَبِّر المرء قائلاً : اللّه أكبر ، رافعاً يديه حذو مَنْكِبيه

(١) رواه غير واحد وحسنه الترمذى . (٢) رواه ابن ماجة وصححه . (٣) رواه ابن ماجة وصححه .

ناوياً الصلاة على الميت ، ثم يقرأ الفاتحة سرّاً ، ثم يُكَبِّر فيصلى على النبى ﷺ قائلاً : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهبم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . ثم يُكَبِّر ويدعو قائلاً : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه ، وقه من فتنة القبر ومن عذاب جهنم ، اللهم أكرِم نُزُلَه ووسِّعْ مُدْخَلَه ، ولا تبتَلِه فى قبره بما لا طاقة له به إنك أنت الغفور الرحيم .

وإن كان الميت طفلاً قال : اللهم اجعله لوالديه شفيعاً وذخراً ، وفرطاً وأجراً وأعظم به أجورهما ، وألحقه بسلف الصالحين ، فى كفالة أبيه إبراهيم ولا تَحرمنَا أجره ، ولا تَفْتِنَّا بعده ، ثم يُكَبِّر ويُسَلِّم ، وإن شاء دعا قائلاً : اللهم اغفر لحينا وميتنا وحاضرنا وغائبنا وذكرنا وأُنْثَانَا ، واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، اللهم من أحييتَهُ منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، ويسلم تسليمة واحدة عن اليمين .

هـ ــ بعض مسائلها وهى :

١ ــ المسبوق إن شاء كبر ما فاته ثم سلم وهو أولى ، وإن شاء سلم مع الإمام ولا حرج .

٢ ــ لا يصلى على شهيد المعركة بل يدفن فى ثيابه ولا يغسل ولا يصلى عليه لعمل الرسول ﷺ بشهداء أحد .

٣ ــ لا يصلى على السقط ولكن على من استهل صارخاً إذ هو الذى يغسل ويكفن ويصلى عليه ، وإن كان السقط قد أتى عليه أربعة أشهر فنفخ فيه الروح فالصلاة عليه أولى .

٤ ــ يصلى على قاتل نفسه وعلى من قُتِل فى حد من حدود اللّه تعالى وعلى من مات على كبيرة من كبائر الذنوب ، ولكن يصلى عليهم عامة الناس لا أهل الفضل والكمال منهم.

٥ ــ تتعين الصلاة على الغائب إن عُلم أنه لم يُصَلَّى عليه ، لصلاة النبى ﷺ على النجاشى .

٦ ــ جواز الصلاة على القبر إذا لم يُصَلَّى على صاحبه كما صلى النبى ﷺ على التى كانت تَقُمُّ المسجد ودُفِنَت بليل فلم يَعْلَم بها ولما أخبِرَ صباحاً بموتها خرج إلى البقيع

مع أصحابه وصلى عليها .

٧ ـ جواز الصلاة على الميت في المسجد وخارجه أفضل ، لأن النبي ﷺ كان يصلى على الأموات خارج المسجد ، وصلى على ابن بيضاء في المسجد كما في الصحيح .

٨ ـ مشروعية صلاة الجنازة للمرأة المسلمة وسواء كانت مع الجماعة أو منفردة وقد صلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما .

و ـ فضل الصلاة عليها :

الصلاة على الجنازة أجرها عظيم وقد رَغَّبَ فيها الرسول ﷺ ترغيباً كبيراً فقال : « من خرج فى جنازة ، وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له مثل أُحد » رواه مسلم .

الدَّفْنُ:

الدَّفْنُ هو مواراة الجسم البشرى بعد وفاة صاحبه ويقال له : الإقبار ، قال تعالى : ﴿ **ثم أماته فأقبره** ﴾ وهو واجب كفائى وله أحكام هى :

١ ـ أنه يكره بالليل إلا من ضرورة لقول الرسول ﷺ : « لا تدفنوا موتاكم بالليل إلا أن تضطروا » رواه الجماعة .

٢ ـ أنه يكره فى أوقات الكراهة وهى عند طلوع الشمس وعند غروبها وعند الزوال ، إلا من ضرورة لحديث عقبة بن عامر رضى الله عنه إذ قال : « ثلاث ساعات كان النبى ﷺ ينهانا أن نصلى فيهن أو نَقبرُ فيهن موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع (١) ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تضيف للغروب حتى تغرب » رواه ابن ماجة والترمذى .

٣ ـ أن اللحد أولى من الشق إلا أن تكون التربة تتهيل عليه فيشق له ، واللحد أن يحفر فى جانب القبر ويوضع الميت ثم ينصب عليه اللبن . لحديث صحيح : « اللحد لنا والشق لغيرنا » رواه ابن ماجة وصححه .

٤ ـ أن يوسع القبر ويحسن حفره : لقوله ﷺ : « احفروا وأوسعوا وأحسنوا » رواه ابن ماجة وصححه .

---

(١) تضيف الشمس أى مالت . انظر النهاية لابن الأثير ٨ / ١٠٨ .

٥ ـ أنه يستحب لمن حضر الدفن أن يحثو ثلاث حثيات من التراب جهة رأس الميت حال دفنه .

٦ ـ أنه يجوز تعليم القبر بحجر ونحوه لفعل الرسول ﷺ ذلك ، إذ قال أنس بن مالك إن الرسول ﷺ أعلم قبر عثمان بن مضعون بصخرة . رواه ابن ماجة ١ / ٤٩٨ .

٧ ـ أن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها كل هذا منهى عنه فلا يجوز لما روى جابر أن النبى ﷺ « نهى عن تجصيص القبور ، وأن يكتب على القبر بشيء » (١) ، ولما روى أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ : « نهى أن يبنى على القبر » (٢) .

أحكام المقابر :

المقابر : موضع إقبار الأموات ولها أحكام شرعية نبينها فيما يلى :

١ ـ أن تصان بإحاطتها ببناء عال يمنع دخول الحيوانات إليها لحرمة المسلمين أمواتاً .

٢ ـ أن لا تصلى فيها صلاة قط ، لنهى النبى ﷺ عن الصلاة فى المقابر . رواه مسلم ٢ / ٦٧ .

٣ ـ أن لا يُجلَسَ على القبور لقول الرسول ﷺ : « لأن يجلس أحدكم على جمرة تحرقه خير له من أن يجلس على قبر » رواه ابن ماجة وصححه .

٤ ـ أن لا يمشى أحد على القبر ولا يقضى حاجته بها لقوله ﷺ : « لأن أمشى على جمرة أو سيف أو أخصف نعلى برجلى أحب إلىّ من أن أمشى على قبر مسلم ، وما أبالى أوسط القبور قضيت حاجتى أو وسط السوق » رواه ابن ماجة وصححه .

٥ ـ حرمة كسر عظام الميت لقوله ﷺ : « كسر عظم الميت ككسره حياً » (٣) .

٦ ـ يكره المشى بالنعال بين القبور لقوله ﷺ وقد رأى رجلاً لابساً نعليه ويمشى بين القبور « يا صاحب السبتتين ألقهما » (٤) .

٧ ـ مشروعية زيارة القبور لقول الرسول ﷺ : « زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة » (٥) .

٨ ـ حرمة زيارة القبور للنساء لقوله ﷺ : « لعن الله زوارات القبور » (٦) .

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) رواه ابن ماجة وصححه .

٩ ـ جواز زيارة قبر الكافر وتبشيره بالنار لقول الرسول ﷺ : « واستأذنت ربى فى أن أزور قبرها ـ أى أمة آمنه ـ فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكركم بالموت » [١] .
وقوله ﷺ : « حيثما مررت بقبر مشرك فبشّره بالنار » [٢] .

١٠ ـ يكره للنساء اتباع الجنائز لقول أم عطية رضى اللّه عنها : « نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا » [٣] .

العزاء :

العزاء والتعزية حمل المصاب على الصبر بما يذكر له من وعد اللّه تعالى للصابرين من عظيم الأجر وحسن العاقبة ، كقوله : اصبر واحتسب . فإن اللّه تعالى قال ﴿ **وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا للّه وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ ، والتعزية سنة معمول بها ومرغب فيها لقول الرسول ﷺ : « ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه اللّه عز وجل حلل الكرامة يوم القيامة » رواه ابن ماجة وصححه .

ولها أحكام هى :

١ ـ ألفاظها :

من ألفاظها أن تقول للمصاب : أعظم اللّه أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك . وإن عزى مسلماً فى كافر قال : أعظم اللّه أجرك وأحسن عزاءك ، وإن عزى كافراً فى كافر قال :أخلف اللّه عليك . أو يقول لمن يعزيه ما قاله الرسول ﷺ لابنته : « إن للّه ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب » متفق عليه .

٢ ـ لمن تكون التعزية :

تكون التعزية لأهل الميت عامة الأقرب فالأقرب .

٣ ـ مدة التعزية :

مدة التعزية ثلاثة أيام إلا أن يكون المُعَزِّى غائباً .

٤ ـ لا يشرع الجلوس للعزاء ، وإنما يعزى المسلم أخاه حيث لقيه وإن أتاه فى داره أو محل عمله عزاه وانصرف ولا يجلس للعزاء .

(١ ، ٢ ، ٣) رواه ابن ماجة وصححه .

فقد كره الشافعي وأحمد وغيرهما الاجتماع للعزاء وهو كذلك إذ لم يفعله الرسول ﷺ ولا أصحابه ولا التابعون لهم بإحسان .

مسائل عامة :

هناك مسائل هامة لم تُذكر قبل . تُختَم بها هذه الرسالة منها :

١ـ وجوب الإحداد على من مات عنها زوجها ، وهو أن تلزم بيت زوجها فلا تخرج منه إلا لضرورة وأن تترك الزينة ولا تُخطَب ولا تتزوج حتى يمر عليها أربعة أشهر وعشراً لقوله تعالى : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً** ﴾ .

٢ـ حرمة النياحة على الميت مطلقاً أوصى بها الميت أو لم يوص لقول الرسول ﷺ : « النياحة من أمر الجاهلية وإن النائحة إذا ماتت ولم تتب قَطَّعَ اللّه لها ثياباً من قطران ودرعاً من لهب النار » (١) .

٣ـ جواز البكاء بدون صوت كقول الرسول ﷺ : « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » (٢) .

٤ـ إذا أوصى الميت بالبكاء عليه وبكى عليه من أوصاهم عُذِّب بذلك ؛ لحديث : « الميت يعذب ببكاء أهله عليه » . وهو صحيح .

٥ـ جواز دفن أكثر من واحد في القبر لضرورة لفعل الرسول ﷺ بشهداء أحد ويقدم الأفضل فالأفضل (٣) كما يقدم الرجل إذا كان معه نساء .

٦ـ يجوز نبش القبر لضرورة كأن يسقط فيه مال محترم من الدافن فينبش القبر ويستخرج المال .

٧ـ يجوز نقل الميت من بلد إلى بلد لضرورة .

٨ ـ المرء يموت في البحر فإن كان في الإمكان الاحتفاظ به سليماً حتى يصل إلى البر ويُدفن فُعل به ذلك ، وإلا غسل وكفن وصلى عليه وألقى في البحر بعد شَدِّهِ بما يُثَقِّل جسمه ليهبط إلى قاع البحر .

---

(١) رواه ابن ماجة وصححه الألباني .
(٢) البخاري .
(٣) رواه ابن ماجة وصححه .

٩ـ مشروعية زيارة القبور وعدمها للنساء، لقول الرسول ﷺ: « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » (١) ولقوله ﷺ: « لعن اللّه زوارات القبور » (٢) . فالمكثرة من زيارة القبور ملعونة فالكثرة إذاً محرمة ، وتكره الزيارة التى لم تتكرر ، كزيارة عائشة لأخيها عبد الرحمن .

١٠ـ ما يقال عند زيارة القبور :

ورد وصح أن النبى ﷺ كان إذا زار أهل البقيع قال : « السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين ، وإنا إن شاء اللّه بكم لاحقون أنتم فرطنا ونحن لكم تبع ، ونسأل اللّه لنا ولكم العافية » رواه مسلم .

ومرّ النبى ﷺ بقبور فى المدينة فقال : « السلام عليكم ياأهل القبور يغفر اللّه لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن على الأثر » . رواه الترمذى ٢ / ٢٥٨ .

وإذا زار المرء قبر من يعرفه من إخوانه استقبله فسلم عليه ثم دعا له بالمغفرة والرحمة .

١١ـ تحرم زيارة القبور للاستغاثة بأهلها والاستشفاع بهم وسؤالهم ، كما يحرم الذبح عندهم أو وضع باقات الزهور على قبورهم .

١٢ ـ يجوز التصدق على الميت بالمال أو الطعام وغيرهما كالثياب ونحوها ويصله ثوابها إن شاء اللّه تعالى ، كما يجوز قضاء صوم من مات وعليه صوم . لحديث مسلم أن رجلاً قال للنبى ﷺ إن أبى مات وترك مالاً ولم يوص فهل يُكَفّر عنه أن أتصدق عنه ؟قال : « نعم » . وقوله : للذى قال له إن أمى ماتت أفأتصدق عنها ؟ قال : « نعم » ، قال : فأىّ الصدقة أفضل ؟ قال : « سقي الماء » (٣) . وقوله للذى قال له : إن أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : « لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها ؟ قال : نعم . قال : فدين اللّه أحق أن يقضى » (٤) .

أحوال القبر

إن للقبر حالين لا ثالث لهما وهما : إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار . وهو أى القبر عتبة الدار الآخرة وفى الحديث الصحيح الآتى صورة صادقة لما ذكرنا

(١) رواه ابن ماجة وصححه .
(٢) رواه الترمذى ٢ / ٢٥٨ .
(٣) أحمد والنسائى وهو حسن .
(٤) رواه ابن ماجة وأبو داود وهو صحيح .

فقد روى ابن ماجة بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشعوف .[1] ثم يقال له :فيم كنت ؟ فيقول : كنت فى الإسلام . فيقال له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه . فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول ما ينبغى لأحد أن يرى الله . فيفرج له فرجة قِبَل النار ، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله ، ثم يفرج له قِبَل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك ، ويقال له على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى . ويجلس الرجل السوء فى قبره فزعاً مشعوفاً ، فيقال له فيم كنت ؟ فيقول لا أدرى . فيقال له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول سمعت الناس يقولون قولاً فقلته . فيفرج له قِبَل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له : هذا مقعدك ، على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى » .

ويؤكد هذا ويوضحه رواية ابن عمر إذ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات أحدكم عرض على مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى تبعث يوم القيامة » رواه ابن ماجة ٢ / ١٤٢٧ .

الأرواح والأجساد

إن الناس ما بين مؤمن وكافر ، وبارّ وفاجر ، هكذا عاشوا على الأرض وماتوا وهم أجساد وأرواح ، فأما الأجساد ففى تراب الأرض تبلى وتَفنَى ، إلاّ أجساد الأنبياء ومَن صحّ الخبر بعدم فناء أجسادهم لإكرام الله لهم وهم قليل .

هذه حال الأجساد ، أما الأرواح فهى إما فى عليّين ، وإمّا فى سجّين ، عِليّون فى السماء السابعة وسجّين فى تُخوم الأرض السابعة ، حيث كتاب الأبرار ، وكتاب الفجّار ، لقوله تعالى : ﴿ **إن كتاب الأبرار لفى عليين** ﴾ . وقوله ﴿ **إن كتاب الفجار لفى سجين** ﴾ .

إنه بعد انتهاء فترة عذاب القبر ونعيمه ، وهى فترة زمنية لا يعلمها إلاّ الله تعالى ، تُرفع

---

(١) الشعف : أشد الفزع الذى يذهب القلب .

أرواح الأبرار إلى عليين ، و يُنْزلُ بأرواح الفجار إلى سجين ، وذلك فى نهاية الحياة الدنيا . وتتفاوت منازل الأبرار فى عليين تفاوتاً كبيراً بحسب كثرة برّهم ، كما تتفاوت دركات الفجار تفاوتاً عظيماً بحسب كفرهم وقوّة فجورهم .

هذا والاتصال بالقبر دائم لا ينقطع وسواء فى ذلك أرواح الأبرار وأرواح الفجار ، ولذا تُزار القبور ويُسَلَّمُ على أهلها ، إذ البعد ليس بمانع من الاتصال بها لما ظهر اليوم من أن المرء يكون فى أقصى الشرق أو أقصى الغرب أو على سطح القمر ، ويتصل بآخر بواسطة الآلات المادية ، فكيف بقدرة اللّه تعالى خالق الإنسان والمادة ، ومُسَخِّرها لما يُرادُ منها ، وهو على كل شىء قدير .

وهكذا تظل الأرواح فى سعادة أو شقاء فى الأرض السفلى أو فى السماء العليا إلى أن تنتهى هذه الحياة حيث يُركَّب الخلق من جديد فإذا اكتملت أُرْسِلَت الأرواح فتدخل كُلُّ روح فى جسدها المُعدّ لها الخاص بها ، ويبعثهم اللّه أحياء ويحشرهم إلى ساحة فصل القضاء ثم يحكم بينهم ، فيدخل أهل البرّ والبرور دار السعادة والحبور والسرور ، ويدخل أهل الكفر والفجور دار الشقاء والهوان والبوار .

فقضى بينهم بالحق . والحمد للّه ربّ العالمين

نصائح غالية

لكل من :

الملاحدة الشيوعيين ، والكافرين المشركين

وأهل الكتابيْن : اليهود ، والصليبيين

وضلال المسلمين والغافلين منهم أجمعين

لكل هؤلاء أقدم هذه النصائح طلباً لهدايتهم وصلاحهم ليكْملُوا فى أخلاقهم وأرواحهم ويسعدوا فى الحياتين .

بسم اللّه الرحمن الرحيم

* مقدمـــة *

الحمد للّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

وبعد : فرحمة منى وشفقة على من قدمت إليهم هذه النصائح من كل المذكورين فى الصفحة الأولى من هذه الرسالة وهم سائر الناس من أبيض وأسود وأحمر وأصفر ، باستثناء المسلمين المستقيمين فإنهم لم يُذكروا لأنهم على منهج الحق المفضى بهم إلى السعادة والكمال فى الدارين إن هم استمروا على السير فيه وعدم الخروج عنه .

أعود فأقول : إنه رحمة منى وشفقة على من وجهت إليهم هذه النصائح ، كتبت هذه الرسالة باللغة العربية وأذنت لكل من يرغب فى ترجمتها إلى لغة قومه أو إلى أيَّة لغة حية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية .

كتبت هذه الرسالة لا طمعاً فى شىء البتَّة ، وإنما أداء لواجب إنقاذ الإنسانية مما هى فيه من شر وفساد ، وما قد تصير إليه من حرمان وخسران إن لم يتداركها اللّه جل جلاله بتوبة نصوح تخرج بها من ظلمات الكفر والمعاصى ، إلى نور الإيمان وصالح الأعمال .

اللهم حقق لها ذلك إنك على كل شىء قدير ...

الملاحدة والشيوعيين

مع الإنسان الملحد

إن الإلحاد فى عرف الناس اليوم هو إنكار الرب الخالق عزّ وجل وإنكار ما شرعه لعباده من عبادات تطهرهم وتزكيهم ، وتهذب أخلاقهم ، ومن أحكام تحقق العدلَ بينهم وترفع الظلم والحيف عنهم . هذا هو الإلحاد اليوم وقد أظهره ودعا إليه ماركس وتلامذته أمّا واضعوه فقد أخفوا أنفسهم ولا يبعد أن يكونوا من صهاينة اليهود وضعوه للناس ليخففوا عنهم الضغط الدينى من المسيحيين والمسلمين وذلك للعداء المستحكم بينهم وبين كل من النصارى والمسلمين على حد سواء . وحتى يتمكنوا من تحقيق حُلْمِهِم فى إعادة مجد ومملكة بنى إسرائيل ، قد نجحوا فى مخططهم فألحد ثلاثة أرباع النصارى وعدد كبير من المسلمين ، وبذلك تمكنوا من تكوين دولة إسرائيل على حساب مقدسات كلٍّ من المسلمين والنصارى فى فلسطين .

هذا هو الإلحاد وأهله مع الأسف شر الناس ولا خير فيهم البتة !! وكيف يوجد خير فى إنسان ينكر خالق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما عناداً ومكابرة ، وحتى لا يأتى معروفاً ولا ينتهى عن منكر ، وإنسان لا يعرف المعروف ولا يأتيه ، ولا ينكر المنكر ولا يتركه كيف لا يكون شر الخلق على الإطلاق .

والآن تعال أيها الإنسان الملحد نتحدث ساعة علّك تثوب إلى رشدك وتعرف نفسك ، ثم تعرف ربك ، فتؤمن به وتطيعه فتكمل فى أخلاقك ومعارفك ، وتتهيأ للسعادة والكمال فى دنياك وآخرتك .

قال الملحد : هأنذا جئتك فحدثنى واصدقنى لعلى أهتدى على يديك ، إن كنت كما تقول ضالا .

فقلت له : أيها الإنسان الملحد الذى لا تؤمن بخالقك ، وخالق كل شىء فى الكون كله وذلك لغفلتك وجهلك بنفسك هل تسمح أن أسألك عن اسمك واسم أبيك ؟

قال : نعم .

قلت : ما اسمك وما اسم أبيك ؟

قال : اسمى جان واسم أبى شارل .

قلت : هل أبوك حَىٌّ ؟

قال : لا بل ميت .

قلت : وهل تموت أنت ؟

قال : طبعاً ولا شك فى ذلك .

قلت : هل تعرف من أوجدك حياً وأوجد أباك من قبل ؟ ومن أمات أباك وسيميتك بعد ويُميتنى أنا أيضاً ؟

قال : لا أدرى .

قلت : كيف تبقى إلى الآن لا تدرى ، من أوجدك حيا وأوجد أباك ثم أماته بدون إرادته وسيميتك أنت وبدون اختيارك ولا حتى استشارتك ، إن غيرك من الناس من لا يجهل من يعطيه درهماً فضلاً عمن يسلبه حياته كاملة . فكيف تجهل أنت من وهبك حياتك ومن يسلبها منك ؟ إن هذا لا يليق بمثلك وأنت على ما أنت عليه من الكياسة والحضارة والتمدن .

فقال الملحد : إنى كنت عن هذا غافلاً تماماً ، وقد نبهتنى الآن ، فهل تسمح بأن تعرفنى بمن وهبنى حياتى وحياة كل هؤلاء الأحياء من الناس ، وكل الكائنات الحية ، وبمن يميتنى ويميت كلَّ هؤلاء الأحياء من سائر الكائنات الحية من إنسان وحيوان ؟

قلت : نعم ولا أحبَّ إلى من ذلك . فاعلم إذاً أن من قدر على إعطاء الحياة هو الذى يقدر على سلبها فالمحيى والمميت واحد .

قال الملحد : نعم هذا كلام معقول إذ القادر على الإحياء يقدر على الإماتة قطعاً .

قلت : أصبت فى قولك ، وأرى أن غفلتك قد بدأت تزول ، وسوف تفهم عنى كل ما أقول لك وأنت قادر على أن تعرف واهب الحياة لكل الأحياء وسالبها منهم يوم يريد ذلك . وهو اللّه جل جلاله وعظم سلطانه .

وهنا قال الملحد : وكيف عرفته أنت أنه اللّه ؟

قلت : عرفته بقدرته وعلمه وحكمته المتجلية فى هذه المخلوقات من سماء وأرض وما فيهما من سائر المخلوقات ، إذ كل مخلوق على حدة يدل عقلاً ومنطقاً على وجود خالقه القادر العليم الحكيم ، إذ لولا الموجد لما كان الموجود أبداً وقدرة الموجد وعلمه وحكمته يدل عليها ما فى المخلوقات من مظاهر القدرة والعلم والحكمة ، فإنك إن نظرت إلى عمارة

جميلة علمت بداهة أن منشئها قدير عليم حكيم ، إذ لولا قدرته على البناء لما انبنت ، ولولا علمه لما كانت على ما هى عليه من الإتقان والجمال ، ولولا حكمته لما سكنت ولما عمرت بساكنيها فهو لم يبنها عبثاً ولا لشىء بل بناها لتسكن وتعمر وينتفع بها ، إذا كان هذا مُسلَّماً لَدَيْكَ فهل وجود كوكب الشمس وهو أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة وهو فى ذلك بين السماء والأرض يدور بنظام وانتظام يملأ الأرض دفئاً وضوءاً وحرارة . فهل وجود كوكب لا يدل على قدرة الموجد له وعلى علمه وحكمته ؟

والجواب قطعاً هو دال على قادر لا أقدر منه وعلى عليم لا أعلم منه ، وعلى حكيم لا أكثر منه حكمة ، وانظر إلى الإنسان والحيوان والأشجار والزروع فإنك تدرك بالبداهة قدرة الخالق لها ــ وهو اللّه عز وجل ــ وعلمَه وحكمتَه .

قال الإنسان الملحد : إن ما قلته معقول ومقبول ، إنه لا يوجد شىء فى هذه المخلوقات لا يدل على موجده القدير العليم الحكيم ، ولكن كيف عرفت أن موجد هذه المخلوقات اسمُه اللّه ؟

قلت : عرفت ذلك عن طريق الأخبار المتواترة التى يستحيل فيها الكذب ، وذلك أن البشرية كلها أصلها واحد وهو رجل وامرأة . فالرجل آدم والمرأة حواء . فالخالق تعالى هو الذى خلقهما وسماهما باسميهما وَعَرَّفَهُما باسمِه وهو اللّه فعرفاه وأخبرا به ذريتهما ، والذرية تناقلته عن بعضها بَعْضاً حتى انتهى إلينا اليوم وسوف تتناقله البشرية إلى نهاية الحياة . هذا طريق معرفتنا للخالق وهو اللّه جل جلاله ، وهناك طريق آخر وهو أن اللّه تعالى كان يرسل الرسل إلى الناس ليعلموهم ويهدوهم إلى ما يحقق لهم كمالهم وسعادتهم ، وينزل على أولئك الرسل الكتب وفيها أسماء اللّه تعالى وصفاته وبذلك يعرفون اللّه ربهم ورب آبائهم بأسمائه وصفاته فيدعونه بها فيستجيب لهم . ومن بين تلك الكتب التى أنزلها على رسله التوراة والإنجيل والقرآن ، وفيها أسماؤه تعالى وصفاته التى يُعرف بها ، وهى متوفرة لدى أهلها ، والقرآن أعظمها لأنه مشتمل على أعظم دستور ما طبق فى أمة إلا سعدت وكملت وعزت وسادت واعْلَمْ أن للخالق عز وجل تسعة وتسعين اسماً منها : اللّه ، الرحمن الرحيم ، العزيز الجبار ، الواحد القهار ، وكلها حسنى وتحمل صفات له عليا وهى دالة على جلاله وجماله وكماله وقدسيته .

وهنا قاطعنى الإنسان الملحد قائلاً : إن الذى ذكرت لى عن الخالق كان جدِّى يقول به ولكن التعاليم الماركسية التى يتلقاها الناس فى المدارس الإلحادية تقول : إن الخالق هو

الطبيعة فجعلوا كلمة الطبيعة بدلاً عن كلمة الله ، ولا أدرى لِم فعلوا ذلك ؟

وهنا قلت : إنهم فعلوا ذلك من أجل تجهيل الشعوب وتسخيرها لأغراضهم المادية السافلة ، إن الإنسان إذا جهل ربه وجهل الغاية من حياته ، وجهل مصيره بعد موته ماتت عناصر الخير فيه ، فذهب منه الحياء ، وفقد الفكر الإنساني الذى يهديه إلى طلب الحق والخير ، واكتساب الفضائل وأصبح أحط من البهائم ، وبذلك يسخره القائمون عليه الحاكمون فيه تسخير البهائم بل أحط من ذلك فيصبح الإنسان كالآلة يدور حول تحصيل الطعام والشراب والكساء والمأوى واللهو لا يخرج عن هذه الدائرة حتى موته . هذا فى ظاهر الأمر أما فى باطنه فإن واضعى المذهب الإلحادى وهم اليهود يهدفون من وراء ذلك إلى تحقيق حلمهم فى إعادة مملكة ومجد بنى إسرائيل وهذا لا يتم لهم والناس يؤمنون بالله ويعرفون الحق والخير والفضيلة ويتنافسون فى معرفة ذلك وتحصيله ، وإنما يتم لهم ذلك إذا أصبحت البشرية مسخرة تسخير البهائم والآلات .

واسمع أيها الإنسان أقص عليك القصة التالية : دار حوار بين رجال مؤمنين وآخرين ملاحدة كافرين فقال المؤمنون : إن الله خالق كل شىء وربه فلا خالق غيره ولا إله سواه ، فقال الملاحدة : لا بل لا إله إلا الطبيعة فإنها الخالقة ، ولا خالق غيرها .

وهنا قال أحد المؤمنين أيها الملاحدة اسمحوا لى أسألكم : هل للطبيعة إرادة حرة إن شاءت تفعل وإن شاءت تترك ؟ هل للطبيعة عقل جبار تدبر به أمر السماء والأرض ؟ هل للطبيعة علم بالأحداث الكونية قبل وجودها وعند وجودها ، وعِلْمٌ بنهايتها .

فقال الملاحدة : نحن لا نقول بهذا . فقال المؤمن : هل يمكن لغير ذى القدرة القاهرة لكل ما عداها ، والإرادة التى لا يُؤَثِّرُ فيها أى شىء خارج عنها ، والعلم الذى سبق كل شىء وأحاط بكل شىء أن يوجد الشمس والقمر بحجميهما ويوجد أفلاكهما وينظم سيرهما بالدقة المحيرة للعقل البشرى الباهرة للتفكير الإنسانى ؟ هل له أن يخلق بلايين الرجال والنساء من نطفة ثم يخالف بينهم فى بعض الصفات واللمحات بحيث لا يوجد اثنان لا يتميز أحدهما عن الآخر بحيث يدخل هذا على أهل ذاك وذاك على أهل هذا ولا يميز بينهما ؟ هل له أن ينطق تلك البلايين من البشر وَيَسْمَعَ أَصْوَاتَهم وَيفرقَ بينها ولا يختلط صوتان بحيث لا يميز بينهما أبداً .

هل الطبيعة التى هى عبارة عن تفاعلات كيماوية خلقت كل شىء لحكمة ودبرت كل شىء لحكمة بحيث لا يوجد شئ عار عن قصد صالح وخال من حكمة اقتضت

وجوده وتدبيره ؟ ؟

وهنا قال الملاحدة : إننا نعرف هذا ، ولكننا إذا لم نقل الطبيعة سوف نقول اللّٰه وإذا قلنا اللّٰه قلتم لنا اعبدوه ، وهذا ما جعلنا نهرب من كلمة اللّٰه إلى الطبيعة .

وسكت الملاحدة بعد أن انكشف أمرهم وظهرت الحقيقة لهم وهى أن كل ذرة من ذرات الكون مخلوقة مدبرة واللّٰه الخالق المدبر بقدرته وعلمه وحكمته .

وهنا قلت للإنسان الملحد : إنك عرفت سر إلحادك ما هو : إنه الهروب من العبادة .

قال : نعم .

قلت : هل تعرف العبادة والمقصود منها ؟

قال : لا .

فقلت : اصغ إلىّ أحدثك عن العبادة التى يَفِر الملاحدة منها : إن العبادة يا أخى الإنسان وإن كانت طاعة اللّٰه ورسوله بفعل الأمر وترك النهى فإنها عمل بالقلب واللسان وباقى الجوارح فائدته تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس فينجم عن هذا التهذيب والتزكية الكمال والسعادة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لكل من تهذبت أخلاقه وزكت نفسه . ومن هنا كان الشيطان يدعو إلى الإلحاد ويزينه للناس من أجل أن يخبثوا فيحرموا السعادة والكمال فى الحياتين ، وهذا ما يريده الشيطان عدو الإنسان .

وهنا قال الملحد : ماذا تعنى بقولك الشيطان ؟

قلت : إن الشيطان مخلوق من مادة النار مطبوع على الشر فلا يرى الخير ولا يدعو إليه أبداً ، فهمُّه إضلال الإنسان وإفساده ليشقى معه ويخلد فى النار ، ويستدل على وجوده بأفعاله ، فكل ظلم يقع فى الأرض من قتل وضرب وأخذ أموال الناس بدون حق وكل فساد وخبث من شرب المسكرات وارتكاب الفواحش من زنى ولواط وغيرها هو من عمله بواسطة التزيين والترغيب ، والإلحاد الذى تعيش أنت عليه وكل الملاحدة هو من عمله إذ غطى عليكم الكون كله فلم تروا شيئاً من الكائنات يدل على اللّٰه الخالق عز وجل وعلى علمه وحكمته ورحمته فى حين أن كل شىء من الكواكب والرياح والسحب والبشر والحيوان والأشجار والثمار والمياه والبحار كلها دالة على وجود خالق قدير عليم حكيم رحيم وإلا لما وقع شىء من هذا البتة . ولكنكم لا ترون شيئاً ، وسخر منكم وضحك عليكم إذ قال لكم : قولوا الطبيعة وهى ميتة لا إرادة لها ولا سمع ولا بصر ولا

عقل ، ولم يسمح لكم أن تفكروا أبداً إلا فى الطعام والشراب والنكاح واللباس والسكن كالبهائم سواء بسواء زيادة على تحريشكم على الخبث وفعل الشر والفساد .

والآن هل عرفت الشيطان الذى أضلك وأضل غيرك من سائر أهل الضلال فى هـ الحياة ؟

قال : نعم عرفته . ولكن كيف الخلاص منه ؟

قلت : إن الخلاص منه ممكن وهو يكمن فى الأمور الآتية :

١ ـ الإيمان باللّه ربا وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه .

٢ ـ الاستعاذة باللّه تعالى منه بقول : أعوذ باللّه السميع العليم من الشيطان الرجيم وذلك عندما تشعر به ، والشعور به يكون عند تزيينه الباطل وتحسينه الشر للإنسان ليفعله .

٣ ـ تقوى اللّه عز وجل وهى الخوف من عذاب اللّه الحامل على طاعة اللّه وطاعة رسوله .

وهنا عاد الملحد إلى قضية الطبيعة فقال : إن دعاة المذهب الإلحادى يمنعونا من لتفكير منعاً تاماً ، ويلزموننا بأن لا نفكر ونرد كل الأحداث الجارية إلى الطبيعة حتى لا نقول اللّه . مع العلم بأن اللّه أخبر عن سمعه وبصره وعلمه وقدرته وإرادته وحكمته فى كتبه وعلى ألسنة رسله ، كما أن كل شىء فى الكون شاهد على ذلك ، إذ لا يعقل ولا يقبل أن نجد سيارة أو طيارة أو بناية ولو صغرت فنقول هذه وجدت من نفسها ولم يوجدها أحد غيرها ، كما لا يعقل ولا يقبل أبداً أن نقول إن بانى العمارة وصانع السيارة والطيارة إنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ولا قدرة له ولا إرادة ، ولا علم ولا حكمة . وحقاً أخى المؤمن إن الشيطان هو الذى أعمانا وأصمنا بواسطة أتباعه من واضعى مذهب الإلحاد والدعاة إليه . وأنا الآن أُشهدك أنى قد كفرت بالطبيعة وآمنت باللّه ، فعرفنى باللّه وما يحب وما يكره لأفعل له المحبوب وأترك له المكروه . قلت : أهنئك أولاً بإيمانك باللّه وكفرك بطاغوت الطبيعة ، وأبشرك ثانياً بأنك أصبحت أخاً لكل مؤمن ، وبأنك قد حييت من بعد موت ، ونجوت بعد خسران .

اعلم أخى أن معرفة اللّه تعالى تتم بمعرفة آياته وهى نوعان : تنزيلية وكونية ، فالتنزيلية هى آيات القرآن الكريم وهى ست آلاف ومئتا آية كل واحدة منها دالة على وجود اللّه

وعلمه ورحمته ، لما تحمله من العلم والهدى الأمر الذى أعجز العرب ان يأتوا بسورة واحدة كسوره وهو بلغتهم فقال لهم اللّه تعالى : ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله** ﴾ وأخبر أنهم لن يستطيعوا فقال : ﴿ **ولن تفعلوا** ﴾ . ومضى على هذا التحدى أكثر من أربعة عشر قرناً وما استطاعوا . فقراءةُ آيات القرآن الكريم وتدبرها وتفهم معانيها سبيل معرفة اللّه تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته ، فعليك بذلك . وأما الكونية فهى هذه المخلوقات من سماء وما فيها من كواكب وشمس وقمر ورياح وسحب وما ينزل منها من مطر ، وأرض وما عليها من إنسان وحيوان وما فيها من أنهار وبحار وزروع وأشجار كلها مظاهرُ وجود اللّه تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وكمال تدبيره وجماله وجلاله وكماله ، إن كل كمالٍ وجمالٍ وجلالٍ هو الذى أفاضه على أهله فكيف لا يكون أكمل وأجل وأجمل وهو واهب الجمال والجلال والكمال ؟

واعلم يا أخى أن معرفة اللّه تعالى متى تمت للعبد المؤمن أثمرت، له خشية اللّه ، ومحبته ، فالخشية تساعد على طاعته ، والمحبة تساعد على طلب القرب منه بالإكثار من فعل الخيرات .

واعلم يا أخى أن ما يحبه اللّه تعالى بعضه اعتقادى ، وبعضه قولى ، وبعْضُه عملى ، فالاعتقادى هو الإيمان به تعالى ، وبملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره .

أما الإيمان باللّه فهو التصديق الجازم بأنَّ اللّه تعالى موجودٌ وأنه موصوف بكلِّ كمال ومُنَزَّهٌ عن كل نقصان ، لا إله غَيْرُهُ ، ولا ربَّ سواه .

وأما الإيمان بملائكته تعالى فهو التصديق الجازم بأنَّ للّه ملائكةً خلقهم من نور يُسَبِّحونَهُ الليل والنهارَ لا يفترون ، وكلهم بوظائف هم بِهَا قَائمون فمنهم حملة العرش ومنهم الحفظة على العباد ، ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه ، ومنهم الموكلون بالجنة ونعيمها ومنهم الموكلون بالنار وعذابها ومنهم الموكلون بأعمالٍ غير ما ذكر .

وأما الإيمان برسله تعالى فهو التصديق بمن أرسل اللّه من رسل ونبّأ من أنبياء وأن أوَّلَ الرسل نوحٌ وآخرهم محمدٌ ﷺ ، وكل رسول هو نبيٌّ إذ يُنبؤ العبد أولاً ثم يُرسل إلى أمة من أمم العالم يَحْمِلُ رسالة من ربه إلى تلك الأمة يدعوها فيها إلى الإيمان والعمل الصالح ، وإلى ترك الشرك والمعاصى فإذا أجابت دعوةَ رسولها كمُلت وسعدت فى الدارين .

وبما أن الرسالة التى جاء بها خاتم الرسل محمد ﷺ ناسخة لجميع الرسالات السابقة فإنَّ الإيمان بمحمد رسولاً وبصدق رِسَالَتِهِ والعملِ بما فيها من شرائع وقوانين وأحكام هو طريق النجاة من الخسران ، والفوزُ التامُّ بالسعادة والكمال فى الدنيا والآخرة .

وأما الإيمان باليوم الآخر فهو التصديق الجازم بأن هذه الحياة ستنتهى فى يوم ما من الأيام ويفنى كل شىء فيها ويهلك ، ثم يُحيى اللّه تعالى الخلقَ فيبعثهم من قبورهم ويحشرهم إلى ساحة فصل القضاء فيحاسبهم بعملهم فى هذه الدنيا ثم يجزيهم به فيدخل الذين زَكَّوْا أَنْفُسَهُمْ بالإيمان والعمل الصالح الجنَّةَ ، ويدخل الذين دسُّوْا أنفسهم بالشرك والمعاصى النارَ .

وأما الإيمان بالقضاء والقدر هو التصديق الجازم بأنَّ اللّه تعالى قبل أن يخلق الخلائق كتب فى كتاب عنده كل ما أراد أن يخلقه فى هذه الحياة الدنيا من أحداث وكائنات ، وجعل لكل كائن وحادثة أجلاً معيَّناً ، وسببا معيَّناً ، ولِعَظِيم قدرته وعلمه يخلق تلك الكائنات والأحداث المرسومة فى كتاب المقادير يخلقها وفق ما كُتِبَتْ عليه من وقت وصورة وكميّة وكيفيّة بلا زيادة ولا نقصان على ما كُتِبَ عليه ، ومن أجل هذا انتظمت الحياةُ منذُ أنْ كانتْ فلم يقع فيها خلط ولا خبط وهى سائرة فى طريقها إلى نهايتها المحدودة لها حيث يجىء اليومُ الآخر الذى يتم فيه الحسابُ والجزاء وفق ما كتب اللّه تعالى فى كتاب المقادير ، فالسعيد كُتِبَ سعيداً وكُتب سببُ سعادتِه وهو إيمانه وعمله الصالح ، والشقى كتب شقيًا وكتب سبب شقائه وهو الكفر والمعاصى .

واسمحْ لى أضرب لك مثلاً يساعدك على فهم القضاء والقدر ، وهو أن المعمارى منا اليوم يريد إنشاءَ عمارة أو (فيلاّ) فيأتى بورقة ومرسام فيرسم صورة لتلك العمارة أو (الفيلاّ) ، ثم بحسب علمه وقدرته يخرج تلك العمارة أو (الفيلاّ) طبق ما رسمه لها على الورقة فلا ينقص شئٌ مما رسم ، ولا يزيد ، إذا كان هذا الإنسان المحدود الطاقة والعلم فكيف باللّه عز وجل الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام والذى يقول للشىء كن فيكون ، ومظاهر قدرته تعالى وعلمه فى العوالم العلوية والسفلية تجعل الإيمان بالقضاء والقدر ضروريًا ولازماً ، ولا عَنَاءَ على النفس فى معرفته والإيمان به ، وكيف وقد أخبر تعالى عنه بنفسه فى قوله فى كتابه : ﴿ **إنا كل شىء خلقناه بقَدَرٍ** ﴾ وأخبار اللّه تعالى كلها صدق ، الرب تعالى منزه عن الكذب والجهل والنسيان .

هذا مجمل ما يُحبُّ اللّه تعالى من الاعتقادات فاعتقده مع تصديقك بكل غيب يخبر اللّه تعالى به أو يُخبر به رسولُه محمدٌ ﷺ .

وأما ما يحبه اللّه تعالى من الأقوال والأعمال فسأعرضه عليك لتعرفه ضمن إطار الإسلام العام .

فاعلم يا أخي أنَّ للّه تعالى ديناً سماه الإسلام وأخبر أنه لا يقبل ديناً سواه وأن كل آدميّ لا يَدين به للّه تعالى فهو خاسر خسراناً تاماً يوم القيامة ، قال تعالى فى كتابه القرآن : ﴿ **إن الدين عند اللّه الإسلام** ﴾ وقال : ﴿ **ومَنْ يبتغ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقْبَلَ منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ .

ولذا فواجب كل إنسان يريد الفوز فى الدار الآخرة بدخول الجنة بعد النجاة من النار أن يدخل فى الإسلام .

وكيفية الدخول فى الإسلام هى كالآتى :

١ ـ يغتسل بأن يغسل كفيه ويغسل فرجيْه « مخرج البول والغائط » ثم يعيد غسل كفيه ثلاث مرات ثم يغسل فاه ثلاثاً ، ثم يغسل أنفه ثلاثاً ، ثم يغسل وجهه ثلاثاً ، ثم يغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ، ثم اليسرى كذلك ، ثم يَمْسَحُ رأسه وأذنيه بالماء مرة واحدة ، ثم يغسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثم اليسرى كذلك ، ثم يخلل أصول شعر رأسه بالماء ، ثم يغسله ثلاث مرات مع أذنيه ، ثم يُفيض الماء على شقه الأيمن من أعلاه إلى أسفله ، ثم الشق الأيسر كذلك وهو يدلك جسمه بيده .

هذا هو الغسل الذى يلزم من أراد الدخول فى الإسلام وهو تطهير للجسم ، كما يلزم من جامع زوجته ، أو احتلم فى المنام فخرج منه المنى ، ويلزم المرأة إذا طهرت من الحيض أو النفاس ، كما يسن لمن يحضر صلاة الجمعة يوم الجمعة وبعد الاغتسال يقول :

أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأشهد أن محمداً رسول اللّه ، بمعنى أنك تُقِرُّ عالماً أنهَ لا يؤَلَّه فيعبد إلا اللّه الذى هو ربُّ السموات والأرض ورب كل شىء ومليكه . كما تُقرُّ عالماً أن محمداً بن عبد اللّه القرشى العربى رسول اللّه تعالى أرسله إلى الناس كافة يُعَرِّفُهُمْ بربِّهم عز وجل وبمحابّه وبمكارهه من الاعتقادات والأقوال والأفعال والصفات والذوات .

ثم يعلم من دخل فى الإسلام فاغتسل وشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه أنه لا بد له من تحقيق الشهادة وذلك بعبادة اللّه الذى شهد أنه لا معبودَ بحقٍ إلا هو

وترك عبادةَ غيرهِ من سائر المعبودات . وإلاّ فهو غير صادق في شهادته ولا عالِم بمعناها .

وما هي عبادة اللّه ؟

إن عبادة اللّه تعالى التي خلق الجنَّ والإنْسَ لها ، وعلق عليها فوزهم بالجنة ونجاتهم من النار هي طاعة اللّه وطاعة رسوله محمد ﷺ فيما يأمران به وينهيان عنه من الاعتقادات والأقوال والأفعال والصفات .

ما هي المأمورات ؟

إن المأمورات التي أمر اللّه تعالى بها وأمر بها رسولُه ﷺ منها ما هو واجبٌ حَتْمٌ تاركه يُعتبر كافراً ، ومنها ما هو واجبٌ ولكن من تركه كسلاً وهو عازم على أن يأتي به هو آثم غير كافر ، ومنها ما إتيانه قربةٌ للعبد تقرِّبه من اللّه وتزيدُ في علوّ درجته عند ربه ، ولو تركه لا إثم عليه ولا مؤاخذ به .

وهذا بيان ذلك إجمالاً :

أ ـ الواجبات التي يكفر تاركها :

١ ـ الإيمان بكل ما أمر تعالى بالإيمان به .

٢ ـ إقام الصلاة .

٣ ـ إنكار وجحود كل ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

ب ـ الواجبات التي يأثم تاركها ولا يكفُر بها إن أقرَّ بها ولكن لم يفعلها كسلاً أو جهلاً :

١ ـ إيتاء الزكاة .

٢ ـ صوم رمضان .

٣ ـ حج بيت اللّه الحرام .

٤ ـ تعلم العلم الضروري .

٥ ـ بِرّ الوالدين .

٦ ـ صلة الأرحام .

٧ ـ الإحسان إلى الجار .

٨ ـ إكرام الضيف .

٩ ـ الوفاء بالعهد .

١٠ ـ صدق الحديث .

١١ ـ الأمر بالمعروف .

١٢ ـ النهى عن المنكر .

١٣ ـ إطاعة ولى أمر المسلمين فى المعروف .

١٤ ـ الإحسان إلى اليتيم ، والمسكين وابن السبيل .

جـ ـ واجبات كفائية إذا قام بها أحدٌ لا يأثم الباقون :

١ ـ الجهاد ، إن لم يكن نفيرٌ عامٌ ، ولا تعيينُ الإمام ، ولا مداهمة عدوّ

٢ ـ إطعام الجائع وكسوة العارى ، ومداواة المريض .

٣ ـ تعليم الجاهل وإرشاد الضال .

٤ ـ غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه .

٥ ـ التعاون على البر .

٦ ـ ردّ السلام على من سلَّم .

٧ ـ تمريض المريض .

٨ ـ النصح لولاة الأمور ، ولكل من طلب نصحه .

د ـ ما هو قربة لفاعله ولا يأثم بتركه :

١ ـ نوافل الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة .

٢ ـ قراءة القرآن الكريم .

٣ ـ الذِّكر والتسبيح ، والدعاء .

٤ ـ الصلاة على النبى ﷺ .

٥ ـ تعلّم العلم الزائدِ على الضرورة .

٦ ـ زيارة المقابر للترحم على أهلها والاستغفار لهم .

٧ ـ الرباط فى سبيل اللّه تعالى .

وما هى المنهيات ؟

إن المنهيات التى نهى اللّه تعالى ورسوله محمد ﷺ عنها منها ما هو حرام يأثم فاعله ويستوجب العذاب إن لم يتب منه أو يغفر اللّه تعالى له وهو ما يلى :

١ ـ الكفر والشرك .

٢ ـ قتل النفس بغير حق .

٣ ـ نكاح المحارم .

٤ ـ الزنا واللواط .

٥ ـ أكل الربا ، وأكل الميتة ولحم الخنزير .

٦ ـ السرقة .

٧ ـ أكل أموال الناس بالباطل .

٨ ـ معاداة المؤمنين وأذيتهم بسبّ وشتم .

٩ ـ الغيبة والنميمة .

١٠ ـ شرب الخمر وتعاطى المخدرات عامة .

١١ ـ الغش .

١٢ ـ الحسد .

١٣ ـ الكبر والعجب .

١٤ ـ سماعُ الباطل وقولُه واعتقادُه .

١٥ ـ النظر إلى غير المحارم من النساء .

١٦ ـ التشبه بالنساء وبالكافرين .

ومنها ما هو مكروه وليس بحرام فلا يأثم فاعله وهو ما يلى :

١ ـ الجلوس فى الطرقات .

٢ ـ رفع الصوت لغير حاجة فى المساجد .

٣ ـ النوم قَبْلَ صلاة العشاء والحديث لغير ضرورة بعدها .

٤ ـ إطالة الثوب حتى يتجاوز الكعبين إن كان بغير خيلاء وإلا فهو حرام .

٥ ـ كثرة السؤال .

٦ ـ كشف الرأس .

٧ ـ إطالة الأظافر .

٨ ـ الإكثار من الضحك .

٩ ـ الإتيان إلى الصلاة فى غير سكينة ولا وقار .

١٠ ـ الشرب من قيام .

١١ ـ الأكل فى الشوارع .

١٢ ـ التختم بالحديد والنحاس أما بالفضة فجائز وأما بالذهب فحرام على الرجال دون النساء .

١٣ ـ الإسراف فى الماء حال الوضوء والاغتسال .

١٤ ـ المشى بنعل واحدة .

١٥ ـ ترك الإناء وفيه طعام أو شراب ليلاً بلا غطاء .

هذه أخى المسلم جُلُّ أوامر اللّه تعالى ورسوله محمد ﷺ ونواهيهما ، والذى يجب أن يُعلمَ هنا أنه لا شرَّ ولا ضَرَرَ فى كل أمر أمر اللّه به أو أمر به رسوله . كما أنه لا خير ولا نفع فى كل نهيٍ نهى عنه اللّه أو نهى عنه رسوله ﷺ .

كما يجب أن يعلم أنَّ فعل الأمر وترك النهى طاعةً للّه ورسوله هو العبادة التى تعبّدنا اللّه بها وخلقنا من أجلها . وأنَّ عليها تزكو النفس وتطيب وتطهر ، وبزكاتها وطهارتها تتأهل لدخول الجنة ، وتنجو من النار .

ولا يسعنا هنا إلا أن نسأل اللّه تعالى الجنة ، وما قرب إليها من قول وعمل ، وأن نستعيذ به من النار وما قرب إليها من قول وعمل .

بيانات ضرورية

إنَّ مما تقدم من أنواع العبادات ما يجب بيان كيفيته ليعلمها المؤمن فيعبد اللّه تعالى بها فتزكو نفسه وتطهر روحه ، وتحت هذا العنوان « بيانات » نبين لأخينا المؤمن ما يحتاج إلى بيانه ليعرفه ويعبد اللّه تعالى به :

أ ـ إقام الصلاة :

إنَّ إقام الصلاة وقد تقدم أنَّ تاركها يكفر لقول الرسول ﷺ : من ترك الصلاة فقد كفر .

إقام الصلاة هو أن يُصلِّى المؤمن خمسَ صلوات فى اليوم والليلة . وهى صلاة الصبح وصلاة الظهر ، وصلاة العصر ، وصلاة المغرب ، وصلاة العشاء .

س ـ كيف تصلى ؟

جـ ـ إذا دخل وقت الصبح وهو طلوع الفجر اغْتَسِلْ إذا كنت جنباً (١) كما سبق بيانُ الغسل لك عند دخولك فى الإسلام ، أو توضأ ، كما سبق بيانُه عند الغسل وهو أن تغسل كفيك ثلاثاً ثم تتمضمض ثلاثاً ثم تستنشق وتستنثر ثلاثاً ، ثم تغسل وجهك ثلاثاً ثم تغسل يدك اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ثم اليسرى كذلك ثم تمسح رأسك وأذنيك مرة واحدة ، ثم تغسل رجلك اليمنى إلى الكعبين ثم اليسرى كذلك (٢) ، ثم ترفع طرفك إلى السماء وتقول : أشهد أن لا إله إلا اللّه وحدة لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين .

ثم تأتى المسجد إن وجد وإلا فى منزلك أو فى أى مكان طاهر من نجاسة البول والعذرة والدماء . فتقف وأنت طاهر الجسم والثياب أى من البول والدم والعذرة . مستقبل القبلة ، (٣) ثم ترفع يديك حذو منكبيك قائلاً : اللّه أكبر ناوياً فى قلبك الصلاة

---

(١) الجنب من جامع زوجته أو احتلم بأن رأى فى نومه أنه يجامع فَأَمْنَى أى خرج منه منىّ ، والمرأة إذا انقطع دم حيضها تغتسل وكذا إذا انقطع دم نفاسها .

(٢) وإذا لم تجد الماء أو لم تقدر على استعماله لمرض أو خوف فتيمم بالتراب ، وذلك بأن تضع يديك على الأرض ثم تمسح كفيك ، ثم وجهك مرة واحدة وتصلى .

(٣) بيت اللّه بمكة .

التى تريد أن تصليها ، ثم تقرأ سورة الفاتحة وهى : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، الحمد للّه رَبّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، آمين . (١) وقبل أن تحفظها يكفيك عنها قولك : سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر .

ثم تقرأ بعد الفاتحة شيئاً من القرآن سورة أو آية أو أكثر . إن كنت حافظاً . ثم تركع قائلاً : اللّه أكبر فتضع كفيك على ركبتيك ماداً ظَهْرَكَ فى استواء مع رأسك قائلاً : سبحان ربى العظيم ثلاث مرات أو أكثر ، ثم ترفع رأسك قائلاً سمع اللّه لمن حَمِدَه ، ربَّنا ولك الحمد . حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . ثم تَهْوِى إلى السجود قائلاً : اللّه أكبرفتسجد على جبهتك وأنفك جاعلاً رأسك بين يديك مسبحاً سبحان ربى الأعلى ثلاثاً أو أكثر ، وإن شئت سألت ربك ما أنت فى حاجة إلَيْهِ من حوائج الدنيا والآخرة ؛ لأن الدعاء فى السجود مستجاب ، ثم تجلس قائلاً : اللّه أكبر ، اللهم اغفر لى وارحمنى وعافنى واهدنى وارزقنى ، ثم تسجد كما سَجَدْتَ أولاً ، ثم تقوم قائلاً : اللّه أكبر . ثم تقرأ الفاتحة وسورة أو آيات إن كنت تحفظ ، ثم تركع وتسجد كما فعلت فى الركعة الأولى .

فإذا كانت صلاة الصبح تشهدت ثم سلمت ومعنى تشهدت : قلت : التحيّات للّه ، والصلواتُ والطيباتُ ، السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمة اللّه وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ومعنى سلمت : قلت : السلام عليكم ورحمة اللّه مُلتفتاً إلى يمينك ، ثم السلام عليكم ورحمة اللّه ملتفتاً إلى يسارك .

وإن كانت الصلاةُ ظهراً ، بعد التشهد تقوم فتأتى بركعتين تقرأ الفاتحة دون السورة ، ثم تجلس فتتشهد وتسلم ، وقبل أن تُسلِّم تصلى على النبى ﷺ قائلاً : اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، ثم تسلم . وصلاة العصر كصلاة الظهر سواء بسواء ، وصلاة المغرب ثلاث ركعات تصلى ركعتين ثم تجلس فتتشهد ثم تقوم فتأتى بركعة بالفاتحة فقط ، ثم تجلس فتتشهد وتسلم ، وصلاة العشاء كصلاة الظهر والعصر أربع ركعات إلا أنك تجهر فى القراءة فى الركعتين الأوليين من المغرب والعشاء وكذا فى رَكْعَتَى الصبح ، ولا تجهر فى

---

(١) آمين ليست من السورة ، ومعناها : اللهم استجب لنا .

الظهر ولا فى العصر ولا فى الأخيرة من المغرب ولا فى الأخيرتين من العشاء . هكذا صلى رسول الله ﷺ وقال : (صلّوا كما رأيتمونى أصلى) .

وأخيراً اعلم أيها الأخ الكريم المؤمن أن فائدة الصلاة هى تزكية النفس وذلك بما تُوَلِّدهُ من نور فى القلب فيرى به المؤمن قبح الفحشاء والمنكر فيتجنبها ويبعد عنها ، قال الربُّ تعالى فى كتابه : ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ . ولذا لابد من أداء الصلاة أداءً كاملاً صحيحاً .

واعلم أيضاً أن نافلة الصلاة هى الزيادة على الصلوات الخمس وهى من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل ،، قال تعالى : « ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه » (١)

ب ـ إيتاء الزكاة :

الزكاة إحدى قواعد الإسلام الخمس ، لقول الرسول ﷺ : (بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً) .

ومعنى إيتاء الزكاة : إعطاءُ المالِ الذى وجب أن يُعطيه المسلم الذى بلغ مالُه نصاباً وحالَ عليه الحول .

وبيانُ هذا هو أن من ملك من الدراهم أو الدنانير ما يُساوى سبعين جراماً ذهباً فأكثر وجب عليه أن يُعطى اثنين ونصف عن كل مائة ، إذا حال عليه الحول وهى عنده .

كما أن من ملك زرعاً أو تمراً وبلغ خمسة أوسق أى قرابة خمسة قناطير ، وجب عليه أن يخرج العشر أى من كل عشرة قناطير نصف قنطار .

ومن ملك إبلاً أو بقراً أو غنماً وبلغت النصاب وحال عليها الحول وجب عليه أن يزكيها ، ففى كل خمسة من الإبل شاة من غنم إلى خمسة وعشرين ففيها ابن لبون (أكمل سنة ودخل فى الثانية) ، وفى كل خمسة وثلاثين من البقر عجل ، وفى كل أربعين من الغنم شاة إلى مائة وعشرين ففيها شاتان .

---

(١) حديث قدسى رواه البخارى .

فائدة الزكاة :

إنَّ من فوائد الزكاة نماءَ المال المزكَّى ، وتطهير نفس المزكى ، وقيام مصالح المسلمين ، وسد حاجة الفقراء المسلمين .

جـ ـ الصيام :

المراد من الصيام صيام شهر رمضان وهو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية . والصيام معناه الكفُّ عن الأكل والشرب وغشيان النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . طيلة شهر رمضان يصوم بالنهار ويفطر بالليل .

فائدة الصيام :

إن من فوائد الصوم التعويدَ على مُراقبةِ اللّه تعالى التى تكسب التقوى ، والإحساسَ بالجوع لمعرفة حاجة الجائعين ، ومداواة الأمراض الباطنيّةِ .

د ـ الحج إلى بيت اللّه الحرام :

إنَّ الحج عبارة عن قصد بيت اللّه الحرام فإذا بلغ الحاج الميقاتَ تجرَّد من لباسه ولبس إزاراً ورداء ودخل الحرم فإذا وصل البيت طاف به سبعاً ، ثم سعى بين الصفا والمروة سبعاً ، فإذا جاء يوم ثامن شهر الحجة طلع إلى منى فبات بها ويوم التاسع طلع إلى عرفة فأقام بها نهاره إلى غروب الشمس ، فإذا غربت الشمس نزل المزدلفة فبات بها ، ثم إذا صلى الصبح وقَرَبَتِ الشمس أن تطلع أتى منى فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، ثم نحر هديه وحلق رأسه ولبس لباسه ثم أتى مكة فطاف بالبيت سبعا ، ثم عاد إلى منى ليقيم بها ثلاثة أيام للاستجمام والراحة يرمى بعد زوال كل يوم الجمراتِ الثلاثة كل جمرة بسبع حصيات . فإذا كان اليوم الثالث رمى الجمرات وخَرَجَ فأتى مكة فطاف بالبيت وسافر إلى أهله .

فائدة الحج :

إنَّ من فوائد الحج كثيرة من أهمها أنَّ الانقطاع إلى اللّه تعالى بالذكر والعبادة مدة لا تَقِل عن نصف شهر من شأنه أن يبدد الذنوب تبديداً حتى لم يبق بالنفس أى أثر للذنوب ولذا قال الرسول ﷺ : (من حج هذا البيت ولم يَرْفُثْ ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

هـ ـ نكاح المحارم :

إن محرمات الزواج بهن هن ما يلى : الأم والجدة ، والبنت وبنتها وإن نزلت ، والأخت وبنتها وإن نزلت ، وبنت الأخ وإن نزلت ، وبنت الأخت وإن نزلت ، والعمة والخالة.

وأم الزوجة وبنتها ، وزوجة الأب ، وزوجة الابن ، والجمع بين الأختين ، والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها .

كما يحرم مِن الرضاع كل ما حرم من النسب من الأم إلى زوجة الابن من الرضاع .

و ـ الزنا واللواط :

إن الزنا هو وطء بدون ولىّ الزوجة ودون مهر ودون شهود ، واللواط هو أن ينزو الذكر على الذكر وهو أقبح فاحشة ، وحُكمُ اللّه تعالى فى الزنا إذا كان الزانى بِكراً جلدُ مائةٍ وتغريبُ عام ، وإن كان ثيِّباً فالرَّجْمُ بالحجارة حتى الموت .

(تنبيه)

اعلمْ أنَّ إقامة الحدود موكلٌ بها الحاكم المسلم . فقتل القاتل ، ورجم الزانى ، وقتل الساحر ، وقتل المرتد ، وقطع يد السارق ، وجلد القاذف بالفاحشة . مناط بالحاكم فإذا ثبتت الجريمة شرعاً من قبل القضاء رفعت إلى إمام المسلمين وهو يأمر بإقامة الحد فتقيمه سلطة التنفيذ على من تعينت عليه .

« خاتمة »

اعلم أخى المسلم أنَّ ما ذكرته لك فى هذه المذكرة هو سبيل النجاة من النار ودخول الجنة متى التزمت به حتى توفّاك اللّه على ذلك . وما ذكرته ليس هو كل شرائع اللّه تعالى التى جاءت فى كتاب اللّه وبينها رسول اللّه ﷺ فلذا إذا أمكنك أن تدرس وتتعلم فافعل حتى تعلم كل ما يجب أن تعلم ، وأَوْجَبَ ما تبادر إليه اليوم أن تحفظ سورة الفاتحة ، وعدداً من السور القصيرة لتصلى بها الصلوات الخمس . كما أوصيك أنْ تَحْرِصَ على أن تصلى مع المؤمنين فى المساجد وتلازم الجماعة المؤمنة فلا تفارقها ، ما أمكنك فإنها مَنَعَةٌ لك وحصنٌ من الشيطان أن يفتنك . واللّه أسألُ لك الثبات على الإسلام حتى تموت مسلماً ويُلْحِقكَ اللّه تعالى بالصالحين فى الملكوت الأعلى .

للمشركين الكافرين

« للمشركين الكافرين »

للمشركين الكافرين ، لحكماء الهند ، وأذكياء الصين ، وفطناء اليابان ، لمؤلّهى النار [١] ، لمؤلهى الشمس [٢] ، لمؤلهى القمر [٣] ، لمؤلهى الماء [٤] ، لمؤلهى الظلمة والنور [٥] ، لمؤلهى الأصنام [٦] ، الممثلة للإله الغائب عن الأعين ، للبراهمة المنكرين للنبوَّات ، للبدأة منهم ، وأصحاب الوَهْم ، والفكر وأصحاب التناسخ [٧] لأصحاب الروحانيات [٨] ، من الباسْنَويَّة والباهُودِيَّة والكابلية لجميع هؤلاء قدمت هذا البلاغ إنذاراً لهم وإعذاراً .

وبه فقد قدمت لهم نصيحةَ من يُحب لهم الخيرَ التَّام وهو سعادة الدنيا والآخرة سعادة الدنيا بحياة الطهر والعزّ والشرف وبركة العمر والمال والولد . وسعادة الآخرة بالنجاة من النار ودخول الجنة دار الإنعام والسلام .

والنصيحة هى : ـ أن يَخْلُو الفردُ منهم بنفسه ساعةً من ليل أو نهار يفكر فيها فى نفسه ، وفى الكونِ من حوله فيطرح هذه الأسئلة على نفسه :

---

(١) ألّهوها لزعمهم أن النار أعظم العناصر جُرماً وأوسعها حيّزاً ، وأعلاها مكاناً وأشرفها جوهراً وألطفها جسماً ، فحفروا لها الأخاديد وأججوا فيها النيران وألقوا فيها بأطاييب الطعام وأحسن الثياب ولذيذ الشراب تقرباً إليها وتأليهاً لها ، لجهلهم وسوء فهمهم .

(٢) ألهوها بزعمهم أن الشمس مَلَكٌ ولها نفسٌ وعقل ، ومنها نور الكواكب ، وتكوُّن الموجودات السفلية فلذلك استحقت التعظيم والسجود لها والدعاء ، واتخذوا لها صنماً يمثلها .

(٣) ألهوه بزعمهم أن القمر مَلَكٌ من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة ، ونسبوا إليه تدبير العالم السفلى .

(٤) ألهوه بزعمهم أن الماء أصل كل شيء وهو مَلَكٌ ومعه ملائكة ، وبه كل ولادة ونمو ونشوء وطهارة فلذا عبدوه ، بالدخول فيه ساعة مع تسبيح وقراءة بعض الكلمات ثم بالسجود له والانصراف عنه .

(٥) ألهوهما بزعمهم أن كل خير من النور وكل شر من الظلمة فالنور إله الخير والظلمة إله الشر ويقال لهؤلاء المشركين الثنوية ، ومثلهم المجوس فى تأليه النور والظلمة ، إلا أنهم يقولون : النور أصلٌ غيرُ حادثٍ والظلمةُ حادثة .

(٦) جُلُّ الأصنام المعبودة لم تعبد لذاتها وإنما لما تمثله من آلهة غائبة كالملائكة وغيرهم .

(٧) هم القائلون بتناسخ الأرواح ، وهو إذا مات الإنسان تدخل روحه فى جسد آخر ، وما يلقاه الإنسان من خير أو شر إنما هو ثمرةُ كَسبِ الروح فى الجسد الذى كانت فيه .

(٨) هم قوم يؤمنون بأن للعالم فاطراً صانعاً حكيماً مقدساً عن سمات المحدثين ويؤمنون بالملائكة ، وأنها المدبرات ويسمونها الروحانيات ، ويتعبدون بالزهد وترك الذنوب .

هل النار أو الشمس أو القمر أو الماء أو الظلمة أو النور أو الأصنام خالق مُبدعة حكيمة فأنسب إليها خلْقى ، وهل طلبتْ مِنى عبادتَها حتى أعْبُدَهَا تأليهاً لها ؟

والجواب أنَّ هذه المذكورات كلها ما بينها خالقٌ مبدع عليم حكيم يصح أن نقول إِنَّهُ خلقنى وخلق الكون من حولى ، إذاً فلنطرح السؤالين التاليين على نفسى أيضاً فأقول : من خلقنى ، ولماذا خلقنى وخلق الكون كله من حولى ؟ ؟ إنه لا يصح أبداً أن أعيش جاهلاً بخالقى وبالغاية التى خلقنى وخلق الكون كله من أجلها .

والآن فهل تسمح لى أن أقضى حاجتك فأعرفك بخالقك وخالق الكون حولك ، كما أعرفك بعلة ذلك الخَلْقِ لك ، وللكون حولك ، لتكمل فى معارفك ، وتتهيأ بإيمانك وصالح عملك لسعادتك فى الدنيا والآخرة ؟

وقال محدثى أسمح لك شاكراً فعرفنى :

قلت أيها الأخ إنك تعلم بما تتمتع به من عقل وفهم وإدراك أن هذه المخلوقات ابتداءً من السماء وما حوت من أفلاك ومجرات وكواكب وشمس وقمر ورياح وسحب وأمطار ، وانتهاءً بالأرض وما فيها من جبال و بحار وأنهار ، وزروع ونخيل وأشجار ، وحيوان وإنسان ، هذه المخلوقات كلها مفتقرة إلى خالق خلقها وقطعاً هو اللّه ، ويستحيل أن يكون غيرَ اللّه ، إذ المخلوق لا يَخْلُق ، كما يستحيل أن يكون اللّه تعالى شبيهاً بخلقه لا فى ذاته ولاصفاته ، ولا أفعاله ، إذ لو كان منها أو مثلها لما قدر على خلقها وإيجادها وإمدادها بما تتطلَّبه حياتها وبقاؤها إلى نهاية حياتها .

فاللّه الخالق مباينٌ للمخلوقات عالٍ عليها قاهر لها ليس كمثله شيء فيها وأنه تعالى ذو علم بكل شيء قدير على كل شيء ، حكيم فى خلقه وتدبيره ، ويدل على ذلك ويقرره مخلوقاته إذ كل مَخْلُوقٍ دالٌ على وجود خالِقِه وعلى قدرته وعلمه وحكمته بَلْ ورحمته وإحسانه .

واعلم ــ أنَّ الذين أَلَّهوا الشمس والقمر ، والنار والماء ، والظلمة والنور وألهوا الكواكبَ والأصنام إنما أَلّهوها توسلاً بها إلى اللّه الخالق عز وجل ، اللّه الذى يَجِدُ كلُّ إنسان فى نفسِهِ الإيمانَ به والرغبة فيه والرهبةَ منه وإن لم يعرفهُ بأسمائه وصفاته.

أقول إنهم أَلّهوا ما أَلّهوا من تلك الآلهة المزعومة لأمرين :

الأول : جهلهم باللّه الخالق عز وجل إذ لم يجدوا من يعرفهم به لانقطاع الوحى

بموت الأنبياء ، ثم بموت العلماء ، أو سكوتهم وعدم قيامهم بواجب التعليم .

والثاني : غلبة الشياطين عليهم إذ زينوا لهم الشرك والمعاصي وحسنوا لهم القبح والباطل ، وصرفوهم عن الحق وطلبه ، وأبعدوهم عن الخير والرغبة فيه ، فضلت لذلك أُممٌ وعاشت بعيدةً عن الخير وسُبُلِهِ محرومةً من الصفاء الروحي والكمال الخلقي ، والعدل الإلهي ، ثم ماتت تلك الأمم الضالة المحرومة لتشقى أرواحها في عالم الشقاء إلى نهاية هذه الحياة ، ثم تعاد أجسامها لها يوم القيامة لتخلد في عذاب لا نهاية له أبداً . ويا للأسف ! !

إنَّ أمماً كثيرة هلكت ولم تعرفْ في هذه الحياة سعادةً روحيَّةً ، ولا كمالاً خلقيّاً ولا راحة بدّنيةً بسبب جهلها بخالقها وبعدِها عن رضاه ، وعيشِها على غير هداه !!

أيها الأخ اسمح لي أن أواصل حديثي لك فأقول : إن اللّه الذي خلق هذه العوالم وما من كائن فيها إلا وهو مظْهرٌ من مظاهر وجوده وقدرته وعلمه وحكمته وعدله ورحمته وحسن تدبيره قد خَلَقَ الإنسان ، وخلقَ كلَّ شَيء في هذه الحياة من أجله ، فالشمس تُكسبه الضوءَ والدفْءَ ، والقمر يمنحه النورَ والحساب . والرياح لواقح للسحب حتى تنزل الأمطار لإنبات الزروع من حبوب وثمار وفواكهَ وبُقُول وخضروات ، لحياته وحياة بهائمه التي منها غذاؤه وكساؤه وركوبه ، لم يخلقه ويخلق كل شيء له عَبَثاً ، لا ، لا ، واللّه . وإنما خلقه قام لأمر عظيم ، وهو أن يذكره في هذه الأرض ، ويشكره عليها ، وإذا قام الإنسان بهذا الذكر والشكر استحق كرامة الدنيا والآخرة وسعادتهما .

وهنا قال محدثي : ما المراد بذكر اللّه تعالى وشكره ؟

فقلت له : إن العقل الإنساني ـ يا أخي ـ لا يستقل بمعرفة ذِكر اللّه تعالى ولا شكره وإنه لا بد لمعرفة ذلك من الوحي الإلهي الذي به عرفنا علّة خلقنا وخلق كل شيء من أجلنا ألا وهي الذكر والشكر .

وهنا قال محدثي : وما هو الوحي الإلهي ؟

فقلت : إنه إخبار اللّه تعالى من يصطفي من رسله بما يريد أن يُعَلِّمَهُ عبادَه وما يطلبه منهم من اعتقاد أو قول أو عمل ليقوموا به : لأنه نافع لهم ، أو يتركوه لأنه ضار بهم .

وهذا الإخبار الإلهي يتم إما بإلقاء اللّه تعالى في قلب الرسول فيفهمه عنه ويبلغه عبادَه وإما أن يُكلِّم اللّه الرسول من وراء حِجاب فيُسمعه كلامه ولا يُريه ذاتَه ، وإما أن يُرسلَ إليه مَلَكاً فيبلغه خبرَ اللّه تعالى ، وقد يُنزل اللّه على بعض رُسله كتاباً يضمنه من العلوم

والمعارف ما يحتاج إليه العباد فى حياتهم ، ومن ذلك بيان الذكر والشكر وكيفية أدائهما .

وهنا قال محدثى : ما المراد بَالمَلَكِ فى قولك وإما أن يُرسل إليه مَلَكاً ، فقلت : إنَّ الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وما فيهما خلق ثلاثة عوالم وهم : عالم الملائكة وخَلَقَهُ من النور ، وعالَمُ الجنّ وخلقه من النَّار ، وعالُم الإنس وخلقه من الطين ، ومن تمرد عن طاعة اللّه وفسق عن أمره من الجنّ والإنس صار شيطاناً كذرية إبليس فإنه بعد أن أبلسه اللّه لعصيانه صارت ذريته مثلَه فى الخبث والشر والإفساد فلا يأمرون إلا بمعصية اللّه تعالى وطاعة إبليس ، وبهذا صارت العوالم أربعة : عالم الملائكة وهم خلق خلقهم اللّه لعبادته فهم لا يعصون اللّه ما أمرهم ويَفْعَلُون مَا يُؤمَرُون . وعالم الجن ومنهم الكافر ومنهم المؤمن ، ومنهم البار ومنهم الفاجر ، وعالم الإنس ، ومنهم كما ترى الكافر ومنهم المؤمن ، ومنهم البار ومنهم الفاجر ، وعالم الشياطين وهم ذرية إبليس ومن أغواهم من الجن والإنس صاروا شياطين مثله يفتنون الإنس والجن ويغوونهم حتى لا يذكروا اللّه ولا يشكروه فيستوجبوا لعنةَ اللّه والخلودَ فى عذاب النار .

والآن قد عرفتَ أيها الأخ أنواع المخلوقات ومن بينهم الملائكة فهل لى أن أحدثك عن خواص الملائكة ؟ فأذكر لك أن من بين الملائكة جبريل وأنه الموكل بالوحى ينزل به على رسل اللّه ، وميكائيل وهو موكل بالأمطار والأرزاق وإسرافيل وهو موكل بالنفخ فى الصُّور يومَ القيامة ، فينفخ نفخة الفناء فيفنى كل شىء فى هذه الحياة ، وينفخ نفخة البعث فيقوم الناس من قبورهم أحياء للحساب والجزاء .

وإن سألتنى قائلاً : كيف عرفت هذا الذى حدثتنى به ؟ .

قلت لك : عرفته بواسطة آخر رسل اللّه إرسالاً ، وآخر كتبه إنزالاً فآخر الرسل هو محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب القرشى العربى ، وآخر الكتب إنزالاً هو القرآن الكريم واسمح لى أن أحدثك بشىء من التفصيل عن آخر الرسل وآخر الكتب ، لأنهما مصدر العلم والمعرفة للبشرية اليوم ، إذ لا سبيل إلى معرفة الدين الصحيح والمنهج السليم لحياة الإنسان إلا من طريقهما .

اعلم أن اللّه تعالى من أجل أن يُعَرّفَ عبادَه به ، وبِذِكْرِه ، وبشُكْرِه وبما أعده من نعيم فى الدار الآخرة لمن آمن به وأطاعه فذكره وشكره ، وبما أعده فى الدار الآخرة أيضاً لمن كفر به وعصاه فلم يذكره ولم يشكره من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، كان عز وجل

يرسل فى كل أمة رسولاً يوحي إليه بما يريده من عباده ، من علم وعمل ، والرسول يبلغ أفرادَ الأمة ويعلمهم بما يريد ربُّهم تعالى منهم فأرسل تعالى قرابة ٣١٤ رسولاً ، ونَبَّأَ ١٢٤٠٠٠ نبيّاً ، وكان آخرَ من نبّأ وأرسل محمداً بن عبد اللّه بن عبد المطلب القرشي العدنانى من ذرية إسماعيل بن إبراهيم أرسله إلى الناس كافة ، بشيراً ونذيرا فكذبه قومه من العرب وادَّعْوا أنه ساحر أو شاعر ، أو كاهن فآذوه وحكموا بإعدامه ، وآذوا من آمن به واتبعه على ما جاء به من الهدى ودين الحق ، فطردوهم من ديارهم ، ثم شنّوا الحروب عليه وعلى أصحابه إلا أن اللّه تعالى نصره ومن معه على المشركين الكافرين فلم يمض إلا ربع قرن حتى آمن به وبرسالته وعَمِل بها وسَعد عليها قرابةُ نصف سكان المعمورة أى من أندونيسيا شرقاً إلى الأندلس غرباً . وأقسم لك باللّه على أن الذين آمنوا برسالته وتابعوه عليها وهم المسلمون قد بلغوا من الكمال فى أخلاقهم والطهارة والصفاء فى أرواحهم ، والسعادة فى أبدانهم ونفوسهم مبلغاً لم يبلغه أىُّ جيل من الناس أبداً ، وذلك لمدة ثلاثة قرون كاملة ، ثم كاد لهم أعداء الحق والخير من المجوس واليهود والصليبيين فأفسدوا عليهم عقائدهم وصرفوهم عن ذكر اللّه وشكره ، ففقدوا بذلك مصدر قوتهم وسعادتهم ثم تسلطوا عليهم فحكموهم وساسوهم سياسة الهون والدُّون . من أندونيسيا شرقاً إلى الأندلس غرباً وكفروهم وأبعدوهم عن الإسلام فى بلاد كثيرة منها بلاد الأندلس غرباً والصين شرقاً والروس شمالاً ووسطاً ، وبذلك حرموا أنفسَهم وحرموا غيرهم من السعادة والكمال فى الدارين معاً .

هذا وإن شئت أن تعرف عن الذات المحمدية فاسمع لما أقول : إنَّ اللّه تعالى الخالق قد جمع الكمال كله فى نبيه ورسوله محمد ﷺ فما تشاء أن ترى جمالاً أو كمالاً فى خَلْقه أو خُلُقه إلا رأيته ، فالرحمة والعدل والإحسان والصدق والوفاء والشجاعة والكرم والسخاء والحلم والعفو والتواضع والعلم والعمل والعفة والشرف كل هذه صفاته ، وحسبه أن يثنى اللّه تعالى عليه فى كتابه بكمال الخُلُق فى قوله من كتابه القرآن : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ . وكتب شمائله الطاهرة وسيرته العطرة تفيض بها المكتبات العامة والخاصة . وأذكر لك من بينها كتاب : هذا الحبيب .. فإنه يريك الكمال المحمدى واضحاً ، ويقف بك على معالم أنواره الساطعة .

أما عن آخر الكتب وهو القرآن الكريم العظيم العزيز الحكيم فاعلم ـ يا أخى ـ أن القرآن هو آخر الكتب الإلهية نزولاً فقد نزل قبله صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور

داوود ، وإنجيل عيسى عليه السلام ، ولذا فقد نسخ اللّٰه تعالى به تلك الكتب السابقة له فأوقف العمل بها ، وأمر الناس أن يأخذوا بما فى الكتاب المتأخر نزولاً عنها وهو القرآن الكريم ، وذلك لحكم عالية ، ولنذكر على سبيل المثال أن الأبعاد المكانية التى كانت تحول فى الغالب دون وصول الأخبار الإلهية والشرائع السماوية إلى بعض الأقاليم ، الأمر الذى كان يقتضى وجود رسول فى كل إقليم هذا الأمر قد انتهى الآن إذ أصبح الخبر يذاع فى أى بلد فيصل إلى كافة أنحاء العالم ، فلعلم اللّٰه تعالى بهذا ختم الأنبياء والرسالات برسوله محمد ورسالته ، ونسخ سائر الشرائع والكتب المتضمنة لها بشريعة الإسلام وكتابه الذى هو القرآن الكريم ، ومصداق ذلك أنه لم يبق شعب ولا أمة فى أنحاء العالم إلا سمع بالإسلام وأنه دين البشرية جمعاء ، ليس دين أمةٍ دون أمةٍ ولا أهلِ إقليم دون إقليم آخر وأنه دين ضامن لمن دان للّٰه تعالى به بحق وصدق أن يكمل ويسعد فى الدارين .

وما دمنا بصدد تَقْرِيرِ نسخ القرآن الكريم للكتب السابقة له مثل التوارة والإنجيل فإنا نقولَ : لو لم ينسخ اللّٰه تعالى تلك الكتب بالقرآن فإن ما بداخلها من التحريف بالزيادة والنقصان قد أفقدها صلاحيتها فى هداية الناس وإصلاحهم ، إنّ الإنجيل قد أصبح خمسة أناجيل ، ويشهد لهذا هجران اليهود لتوراتهم والنصارى لإنجيلهم وعدم تقيدهم وعملهم بكتابيهم ، ولو عملوا بهما حرفياً لدخلوا فى الإسلام ودانوا به للّٰه تعالى ، ولم يبق يهودية ولا نصرانية ، لأن كلاً من التوراة والإنجيل يدعو إلى الحَنيفيَّة ملّة إبراهيم ، وهى أن يعبدوا اللّٰه وحده بما شرع فى كتابه الذى نسخ به سائر الكتب ، وعلى لسان رسوله محمد الذى ختم به سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

وأخيراً فالقرآن الكريم كتاب اللّٰه أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ منجماً فى خلال ثلاثٍ وعشرين سنة ، وضمنه منزّله سبحانه وتعالى أعظم تشريع ، وأصحّ عقيدة ، وأيسر عبادة ، وأكمل أدب ، وأفضل خُلُق ، وأثبت قصص الكون والحياة ، وأعظمَ وصف وأثبته للدار الآخرة حتى لكأن قارئه ينظر إليها ويشاهد ما فيها من نعيم مقيم وعذاب أليم .

إنَّ القرآن هو حبل اللّٰه المتين ، وصراطه المستقيم ، من حكم به عدل ، ومَنْ قَالَ به صدق ، ومن عمل به نجا وسعد ، ومن أعرض عنه شقى وهلك ، ومن مميزات هذا القرآن العظيم أن اللّٰه تعالى تولى حِفظه وبيانَه فقال تعالى : ﴿ **إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وقال لرسوله : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر** ـ القرآن ـ **لتبين للناس ما نُزل إليهم** ﴾ . فما مات الرسول ﷺ حتى بين كل ما تحتاج إليه الأمة المسلمة فى حياتها ، فما

من خير إلا دلّها عليه ، ولا شرّ إلاحذَّرَهَا منه ، والواقع شاهد .

وهنا قال محدثى : إنك كثيراً ما تقول الحياتين ، فماذا تعنى بقولك الحياتين ؟

قلت : إنى أعنى بالحياتين حياة الدنيا هذه التى نحياها إلى نهاية آجالنا المحددة لنا فيها كما هو مشاهد ، ثم نموت ، فهذه الحياة الدنيا ، ثم لما ينتهى أجل هذه الحياة الأولى ، وذلك بعد فناء الكون كله وعودته كما كان دخاناً يعيد الرب تعالى الحياة من جديد على صورة غير قابلة للفناء ، وهى الحياة الآخرة .

وقال محدثى : هل لك أن تبين لى كيف تنتهى الحياة الدنيا وكيف تكون الحياة الآخرة ؟؟ .

قلت : نعم أبين لك فاستمع إلىّ : إن هذه الحياة تنتهى عند نهاية الأجل المحدد لها فإذا جاء الأجل نَفَخَ إسرافيلُ فى الصُور نفخةً واحدةً فإذا الكون كله يتحلل ويتبخر فلم يبق فلك فى السماء ولا كوكب ولا شمس ولا قمر ولم يبق فى الأرض جبل ولا تلّ ولا برّ ولا بحر ، إذْ يَسْتحِيلُ الكون كله إلى بخار كما بدأ اللّه تعالى الخلق الأول .

ثم بعد مدة طويلة تقدر بأربعين سنة تستقر أمواج الدخان على صورة أرض بيضاء ما فيها جبل ولا سهل ، ثم ينزل من السماء ماء فينبت كل إنسان وجد فى هذه الحياة كما ينبت البقل فى الأرض ، وذلك بواسطة غُظيم صغير يوجد فى آخر فِقار الظهر يقال له : عجب الذنب ، ومن عجائب قدرة اللّه تعالى أن هذا العُظيم الصغير لا يفنى بل يبقى ومنه يركب الخلق ، فإذا اكتملت الأجسام تحت الأرض أرسل اللّه تعالى الأرواح من مستودعاتها فتدخل كل روح فى جسمها ولا تخطىء أبداً .

ثم ينادى منادٍ من قبل اللّه تعالى فيستجيبون لندائه ويقومون من الأرض أحياء ، ثم يساقون إلى أرض المحشر ، لفصل القضاء فيحكم اللّه تعالى بينهم فيدخل أهل الأرواح الزكية الجنة دار النعيم ، ويدخل أهل الأرواح الخبيثة النار دار الشقاء وينادى مُناد يأهل الجنة خلود فلا موت ، ويأهل النار خلود فلا موت .

وهنا قال صاحبى : من هم أصحاب الأرواح الزكية وأهل الأرواح الخبيثة ؟؟ .

فقلت : إن أصحاب الأرواح الزكية هم المسلمون الذين انقادوا لأمر ربهم فآمنوا وعملوا الصالحات فزكت نفوسهم أى طهرت من جراء الإيمان والعمل الصالح .

وأمّا أصحابُ الأرواح الخبيثة فهم الكافرون والمشركون الذين لوّثوا أنفسهم وخبثوها بأوضار الشركِ والكفر والمعاصى .

وهنا قال صاحبى : إنك قلت إن أصحاب الأرواح الزكية هم المسلمون ، فمن هم المسلمون ؟ وهل أستطيع أن أكون منهم ؟

فقلت : إن المسلمين من الإنس والجن هم الذين آمنوا باللّه ورسله وأطاعوا اللّه ورسوله من عالمى الإنس والجن ، وهم أتباع الرسل بحق ، ولما جاء اللّه بخاتم الرسل محمدٍ ﷺ وأمر الناس كلَّهم بالإيمان به واتباعه صار من آمن به واتبعه مسلماً ، ومن كفر به ولم يتابعه صار كافراً غير مسلم .

أما قولك وهل أستطيع أن أكون منهم أى من المسلمين فنعمْ تستطيع فهأنذا قد أسلمت وأصبحتَ منهم .

قال صاحبى : وما الطريق إلى ذلك ؟

قلت : أن تشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه بأن تقول : أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأشهد أن محمداً رسول اللّه ، ثم تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلا ، ثم تؤمن بكل ما أمر اللّه بالإيمان به ، ثم توطن نفسك على أن تطيع اللّه ورسوله فى كل ما يأمران به وينهيان عنه . وبهذا تصبح مسلماً من أهل الإسلام الذين هم أهل النجاة من النار ودخول الجنة ، وذلك بزكاة نفوسهم وطهارتها بالإيمان والعمل الصالح .

ثم قلت لمحدثى : هل تسمح لى أن أحدثك بشىء من التفصيل عن الإسلام الذى هو دين اللّه الذى لا يقبل ديناً سواه ؟

قال صاحبى : نعم وإنى لأحبُ ذلك .

قلت : إن الإسلام معناه الانقياد للّه تعالى بالطاعة والخلوص من الشرك ولذا فالإسلام دين كافة الرسل وأتباعهم إلى محمد ﷺ ، وعليه فكل من دان للّه بالطاعة ، واجتنب الشرك فهو مسلم ، وكل من لم يدن للّه بالطاعة ولم يجتنب الشرك فهو كافر غير مسلم كشأن اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وسائر أهل الملل الموجودة الآن ، وذلك لأنهم لم يدينوا للّه بالدين الحق الذى هو الإسلام ، ودانوا بأديان باطلة زينتها لهم الشياطين فأغووهم وأفسدوهم ليكونوا معهم فى النار .

واعلم ـ يا أخى ـ إن الدين الإسلامى مبناه ثلاثة أمور هى : الإيمان ، والإسلام ، والإحسان وإليك بيان ذلك .

١ ـ **الإيمانُ** : معناه التصديق الجازم الخالى من الشك بأن اللّه تعالى موجود وأنه موصوف بكل كمال منزّه عن كل نقصان ، إذ هو كذلك واقعاً ، وأنه رب العالمين وإله الأولين والآخرين فلا ربَّ غيرهُ ولا إله سواه .

كما هو التصديق الجازم بالملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر .

٢ ـ **الإسلام** : وهو شهادة أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت اللّه الحرام من استطاع إليه سبيلاً .

٣ ـ **الإحسان** : وهو أن العبد إذا شرع فى العبادة يشرع فيها وكأنه ينظر إلى اللّه تعالى ، أوْ وهو يعلم أن اللّه تعالى ينظر إليه وهو يؤديها ولذا يأتى بها مجوَّدةً متْقنةً وافية لا خلل فيها يبطل مفعولها فى توليد الحسنات التى تشرق بها النفس وتزكو وتطهر .

وهنا قال محدثى : إنى لم أعرف معنى القدر فهل لك أن توضحه لى ليزداد إيمانى به ؟

قلت : نعم . فاعلم أن اللّه تعالى قبل أن يخلق الخلق كُلَّهُ خلق القلم فقال له : اكتب ، فكتب كل ما أراد اللّه خلقه من شىء ، وكتب معه صفته وزمانه ومكانه الذى يخلقه فيه ، وإن كان إنساناً كتب رزقَه وعملَه وأجلَه وشقيّاً أو سعيداً ، ولِكَمالِ علم اللّه تعالى وقدرته يَخْلُقُ الإنسانَ فى الزمان والمكان المحدد له ، ثم يهبه عقله وقدرته على القول والعمل فيقول ويعمل بإرادته ما شاء ، ولا يقع قوله ولا عمله إلا موافقاً تماماً لما كتب اللّه فى كتاب القدر ، فسبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر !!! وقلت لصاحبى إن أمر القدر عَجَبٌ فلذا قلت لصاحبى مُظْهراً تعجبى : سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر !!!

واعلم أن للإيمان بالقَدَر فائدة عظيمة وهى أن المؤمن بالقضاء والقدر إذا أصابته مصيبة مهما كانت عظيمة لا يحزن ولا يكرب لعلمه أن اللّه تعالى كتبها عليه وأنها واقعة بعِلم اللّه وإذنه لحكمة يعلمُها اللّه تعالى . كما أن المؤمن بالقدر إذا أصابه خير من مال أو جاه أو عز أو سلطان لا يفرح فرح البَطرِ وَالأشرِ الذى يحمله على التكبر على الناس واحتقارهم وظلمهم والاستخفاف بهم ، ولعلمه أن هذا الذى كان له من الخير كان بقضاء اللّه

وقدره ، ليمتحنه به فينظر أيشكر أم يكفر ، ومن هنا فالمؤمن بالقدر لا يحزن ولا يفرح وهذه فائدةٌ أَعْظِمْ بها من فائدة !!!

وقال صاحبى : لقد قلت لى فى تعريف الإسلام أنه الانقياد للّه بالطاعة ، والخلوص من الشرك فهل لك أن توضح لى فيم تكون الطاعة ، وكيف يكون الخلوص من الشرك ؟

وأجبته قائلاً : إن طاعةَ اللّه ـ وطاعةُ الرسول منها ـ تدور على تصديق اللّه ورسوله فى كل ما أخبرا به . وعلى فعل ما أمرا به ، وترك ما نهيا عنه .

وهنا قال صاحبى : هل لك أن تبين لى الأخبار التى يجب أن أصدق اللّه ورسولَه فيها ؟ وكذا الأوامر التى يجب أن أقوم بها ، والنواهى التى يجب أن أتركها ؟؟

وقلت لصاحبى : نعم ، إن طلبك هذا معقول وهو دال على ذكائك وهدايتك فأهنئك على ذلك . واعلم أن ما طلبت بيانه يكفى فيه الإجمال ولا حاجة إلى التفصيل فيه ، إذ يكفيك ـ يا أخى ـ أن توطّن نفسك لتصديق اللّه ورسوله فى كل ما يُخبران به فمتى بلغك خبَرٌ صحيح عنهما آمنت به وصدقتهما فيه .

وقد سبق أن عرفت الإيمانَ ، وبما يكون وآمَنْتَ . والحمد للّه .

كما يكفيك فى الأوامر والنواهى أن توطّن نفسَك أيضاً لطاعةِ اللّه ورسوله فى كل أمر يأتيك عنهما أو نهى . فتفعل المأمور ، وتترك المنهى .

أما الخلوص من الشرك : فإن معناه أن تؤمن باللّه وحده ربّاً وإلهاً وتخصه بالعبادة فلا تعبد معه غيره ، ولا ترضى بأن يعبد معه غيره كائناً هذا الغير ما كان إن معنى شهادة أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه ، التى دخلت فى الإسلام بها تقتضى أن تعبد اللّه الذى شهدت أن لا معبود سواه ، وأن تعبده وحده ، وأن لا ترضى بأن يعبد معه غيره ، وأن تكون عبادتك بما شرع لعباده أن يعبدوه به ، وذلك موجود فى كتابه وسنة رسوله ﷺ .

وهنا قال محدثى : لقد قلت لى فيما سبق من الحديث أن علَّة خلق اللّه تعالى لنا هى الذكر والشكر ، فما المراد من الذكر والشكر ؟؟

فقلت لصاحبى : إن المراد من الذكر والشكر هو عبادة اللّه تعالى فقد قال فى كتابه العزيز : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ . وبعبادته تعالى يحصل الذكر له والشكر .

وقال صاحبى : إذاً فما هى العبادة ؟

فقلت : العبادة : هى طاعة اللّه وطاعة رسوله فى أمرهما ونهيهما مع حب اللّه ورسوله وتعظيمهما ، وإفراد اللّه تعالى بالخوف منه والتذلل له ، والرغبة فيما عنده (١) ، والرهبة مما لديه (٢) .

وهنا قال صاحبى : إذاً إنه لا بد من معرفتى أوامرَ اللّه ورسولِه ونواهيهما حتى أطيعهما فى ذلك فأكون ذاكراً للّه شاكراً فبيّن لى ذلك ، ولا سيما وأنك علمتنى قبل قليل أن العبادة تولّد الحسنات التى تزكو بها النفس فتصبح أهلاً للكمال والسعادة فى الدنيا والآخرة .

وقلت لصاحبى : نعم إنه لا بد لك من معرفة أوامر اللّه ورسوله ونواهيهما إذ لا تتم الطاعة إلا بالعلم بذلك والعمل به . كما أن سعادة العبد متوقفة على ذلك ، واسمح لى أن أحيلك لِمَعرفَةِ ما طلبتَ على ما جاء فى الصفحة ٢٣ وما بعدها من حديثى مع الإنسان الملحد ، إذ بينت له الإسلام وكيفية الدخول فيه للنجاة من الخسران وفصلت له الأوامر والنواهى تفصيلاً ، فارجع إلى ذلك وتفهمه واعمل بما جاء فيه ، وإن خفى عليك شىء منه فاسأل أحد العلماء المسلمين فإنه يبين لك ما خفى عليك ، ويَشْرَح لك ما غمض عليك فلم تفهم معناه أو كيفيّة العمل به . وأستودعك اللّه والسلام على من اتبع الهدى .

---

(١) أى من النعم .　　(٢) أى من العذاب .

إلى أحد أهل الكتاب

أخي اليهود

إلى أحد أهل الكتاب

إلى أخي اليهود ، أحد بنى إسرائيل أتقدم ـ بحكم القرابة ـ بالنصائح الآتية إلى كل فرد من أفراد اليهود راجياً أن يقبلها كثيرون منهم فيطهرون ويكملون ويسعدون فى الدنيا والآخرة وذلك ما أرجوه لكل إنسان لا سيما أهل الكتاب من يهود ونصارى .

« النصيحة الأولى »

معرفة اللّه عز وجل

اعلم يا أخا اليهود أن معرفة اللّه عز وجل عليهما مدار استقامة الإنسان فمن عرف اللّه معرفة حقيقية أمكنه أن يستقيم فى هذه الحياة الاستقامة الضرورية الموجبة للسعادة والكمال فى الحياتين . ومن لم يعرف اللّه تعالى معرفة سليمة صحيحة تعذرت عليه الاستقامة ، ومن لم يستقم هلك شاء أم أبى ، قال اللّه تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ . فحكم تعالى بأن النجاة من النار والفوز بالجنة لأهل الإيمان باللّه المستقيمين على دينه ، وقال تعالى : ﴿ **إنما يخشى اللّه من عباده العلماء** ﴾ فأخبر تعالى أن خشيته مقصورة على العلماء به وبمحابه ومكارهه وما وعد به أولياءه العارفين به المستقيمين على صراطه المستقيم وما أوْعَدَ أعداءه الكافرين به الضالين عن سبيله .

وإن قلت يا أخا اليهود : من أين لى بمعرفة اللّه ، وكيف أحصل عليها ؟؟ فدلنى عليها وعرفنى بها جزاك اللّه خيراً !!

قلت لك : اعلم يا أخ أنَّ اللّه لا يُعرفُ إلا من طريقه هو سبحانه وتعالى ، لأن البشر لم يروا اللّه تعالى وما داموا لم يروه فكيف يعرفونه ، ولذا فمعرفة اللّه تعالى تحصل بتعريفه هو سبحانه وتعالى لنفسه . وهو كذلك فمن عرف اللّه من الأنبياء والعلماء والصلحاء وأهل الاستقامة من عباده إنما عرفه من طريقه هو سبحانه وتعالى ، إذ تعرف تعالى إلى أنبيائه بواسطة الوحى إليهم وتعرف إلى عبادة بواسطة كتبه التى أنزلها على رسله ، ومعرفة

أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ﴾ .

ففى هذا الخبر يُوبّخ اللّه تعالى عباده الذين عبدوا معه الشياطين فجعلوهم شركاء له تعالى فى عبادته ، ويُعَجّب عبادَه منهم فيخبرهم بأنه خلقهم أى خلق العابد من الناس ومن يعبده من الجن ، وينكر عليهم كذبهم عليه بنسبتهم إليه البنين والبنات ، إذ من الناس ممن قال للّه ولد ومنهم من قال : الملائكة بنات اللّه ، ونزه تعالى نفسه مما نَسبُوهُ إليه باطلاً بقوله : ﴿ **سبحانه وتعالى عما يصفون** ﴾ ، وأخبر أنه فى غنىً عما نسبوه إليه ، إذ هو بديع السموات والأرض أى خالقهما على غير مثال سابق ، وخالق كل شىء من المخلوقات فكيف يُجعلُ له شركاء من الجن والإنس وينسب إليه البنون والبنات .

وقوله تعالى : ﴿ **يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم . فلا تجعلوا للّه أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾ .

فانظر وتأمل هذا القول من كلام اللّه تعالى فإنك تجد أن اللّه تعالى يتعرف على عباده ليعرفوه فيعبدوه ويتقوه ، فأخبرهم أنه خالقهم وخالق الذين من قبلهم ، وأنه بسط لهم الأرض ورفع السماء ، وأنزل المطر منها ، ليخرج به من الثمرات من أنواع الحبوب والخضر والفواكه ما يكون رزقاً لهم يعيشون عليه ، ونهاهم بعد ذلك عن اتخاذ الآلهة الباطلة وهم يعلمون أنه لا إله إلا هو سبحانه وتعالى ، إذ لا خالق ولا رازق ولا مدبر للحياة إلا هو .

هذا واعلم يا أخا اليهود أن اللّه الخالق لكل شىء مستلزم عقلاً أن يكون اللّه ذا قدرة لا يعجزها شىء وذا علم بكل شىء ، وذا إرادة لا يعطلها شىء ، وذا حكمة لا يخلو منها قول من أقواله ولا فعل من أفعاله . وذا رحمة نالت كل مخلوقاته .

ولتسمع إليه تعالى وهو يصف نفسه بصفات الكمال التى استلزمها خلقه لكل شىء ، وذلك فى كتابه القرآن الكريم : فيقول : ﴿ **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير** ﴾ . ويقول : ﴿ **اللّه الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتَنَزَّلُ الأمر بينهن ، لتعلموا أن اللّه على كل شىء قدير ، وأن اللّه قد أحاط بكل شىء علما** ﴾ . ويقول : ﴿ **هو اللّه الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو اللّه الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر** ﴾ .

ويقول : ﴿ **هو اللّه الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى** ﴾ .

واعلم يا أخا يهود أن الشىء يعرف باسمه وصفاته ، واللّه سبحانه وتعالى يعرف كذلك بأسمائه وصفاته ، وأن أسماء اللّه تعالى بلغت تسعةً وتسعين اسماً وكلها مذكورة فى كتابه القرآن الكريم وفى سنة نبيه ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ **وللّه الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ .

واعلم يا أخا بنى إسرائيل أن مما يعرف به اللّه تعالى أنه ليس كمثله شىء إذ المخلوقات كلها خلقه وهو موجدها فيستحيل أن يُشْبِهَهُ شىءٌ منها إذ الصنعة لا تشبه الصانع ، فالبنّاء لا يشبه البناء والناسج لا يشبه النسيج ، وصانع الحذاء لا يشبه الحذاء ، وهكذا فتجد أن اللّه تعالى ليس كمثله شىء لأنه الخالق لكل شىء .

واعلم يا أخا يهود أن اللّه تعالى منزه عن كل وصف فيه نقص كالنوم ، فقول اليهود فى صلاتهم : « كم تنام يا رب ؟ ! ! استيقظ من رقدتك » قول هو كفر لوصفهم اللّه بالنقص لأن النوم والرقاد منشؤهما العجز وحصول التعب ، والعجز والتعب نقص من صفات المخلوقات والخالق منزه عنه .

وكالنوم الندم فإنه وصف نقص ينزه عنه اللّه تعالى ، فقول اليهود ندم اللّه على خلق البشر وشقّ عليه وعاد فى رأيه . قول كفر لأنه وصف للّه تعالى بالنقص ، وهو الندم ، وهو وصف بنقص ينزه عنه الرب تعالى ، وكالندم الإستراحة إذا قال اليهود : إن اللّه تعالى لما خلق السموات والأرض فى ستة أيام بدءاً بالأحد وختماً بالجمعة استراح فى السبت فهذا كفر لوصف اللّه تعالى بالعجز الذى هو من صفات الإنسان المخلوق .

وأخيراً فاعلم يا أخا اليهود أن اللّه تعالى هو مصدر كل كمال ، فلا يليق به النقصان بحال من الأحوال . فنزّه تعالى عن كل وصف يفيد النقص أو يستلزمه ، ولا تسم اللّه تعالى بغير ما سمّى به نفسه أو سماه به رسوله محمد ﷺ ، ولا تصفه أيضاً بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ .

واعلم أن مما يورّث فى نفس العبد خشيةَ اللّه تعالى وحبه ذكر أسمائه وصفاته فَذكرُ العبد علمَ اللّه تعالى للسرّ وأخفى ، والغيب والشهادة وذات الصدور ، وذكر العبد قدرةَ اللّه على كل شىء يفعل ما يشاء ويفعل ما يريد ، عزيز لا يمانع فى مراده ولا يحال بينه وبين ما يريد ، هذا الذكر يولد الخوف والرجاء ومتى كان العبد خائفاً من عذاب اللّه راجياً

رحمة اللّه أمكنه أن يستقيم على طاعة اللّه فيعبده وحده بما شرع من عباداته ، وبذلك يفوز برضاه فيتغمده برحمته ويسكنه جنته مع أنبيائه وأوليائه وصالح عباده .

النصيحة الثانية

وأنصح لك يا أخا اليهود رغبة فى هدايتك لتكمل وتسعد فى الدارين ، أنصح لك أن تعلم أن للّه تعالى سنناً فى خلقه لا تتبدل ولا تتغير فالماء يروى ، والطعام يشبع ، والنار تحرق ، والحديد يقطع فهذه سنن لا تتبدل إلا أن يشاء اللّه وحده تبديلها فله ذلك وهو قادر عليه فالنار لـمَّا لم يشأ اللّه أن تحرق إبراهيم عليه السلام لم تحرقه ، والحديد لمَّا لم يشأ اللّه أن يقطع رقبة الذبيح ولد إبراهيم لم يقطع .

ومن هذه السنن الإلهية التى لا تتبدل ولا تتغير أن النفس البشرية تطهر بالإيمان الصحيح والعمل الصالح ، وتخبث بالكفر والشرك والمعاصى ، وقضى اللّه سبحانه وتعالى بأن النفس الزكية الطاهرة هى التى تجاوره فى الملكوت الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، كما تقضى بأن النفس الخبيثة هى التى تخسر خسراناً أبدياً فى جهنم مع الشياطين والكافرين والمشركين كإبليس وذريته وأتباعه من أضراب فرعون وهامان وقارون وأبى جهل وأمية بن خلف وكبار الشيوعيين وأصحاب أندية الإباحية فى العالم .

وإن قلت : كيف عرفت هذا الحكم الإلهى ؟

قلت لك : عرفته من كتاب اللّه تعالى القرآن الكريم الذى أنزله على النبى الأمىّ الذى بشرت به التوراة والإنجيل إذ جاء فيه قوله تعالى من سورة الشمس : ﴿ **قد أفلح من زكّاها ، وقد خاب من دسّاها** ﴾ .

فلذا أنصح لك ولكل إخوانك أن تعملوا على تزكية نفوسكم لتتأهلوا للنجاة من النار ولدخول الجنة ، فإنه لا يدخل الجنة ولا ينجو من النار إلا عبد زكى نفسه بالإيمان وصالح الأعمال بعد أن أبعدها عما يدسها من الكفر والشرك والذنوب والآثام .

وهنا قال محدثى : هل لك أن تبين لى كلا من الإيمان الصحيح ، والعمل الصالح المزكّيين للنفس حتى أعمل على تزكية نفسى لأنجو من النار وأدخل الجنة وأعيش فيها مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ؟

وقلت لمحدثي : نعم ، ولم لا أبين لك ورغبتي في نجاتك من النار ودخولك الجنة قد تكون أعظم من رغبتك أنت ، وذلك لمعرفتي أنا وعدم معرفتك أنت والله يقول : ﴿ **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ أي لا يستويان .

هذا واعلم يا أخا بني إسرائيل أن الإيمان الصحيح المزكي للنفس هو التصديق بالله الخالق ربّاً لا ربّ غيره ، وإلهاً أي معبوداً لا إله سواه والتصديق بكل ما أمر الله بالتصديق به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وما يجرى فيه من بعث وحساب وجزاء بالنعيم المقيم فى الجنة دار الأبرار ، وبالعذاب الأليم فى جهنم دار البوار ، والتصديق بقضاء الله وقدره وعلمه السابق المتعلق بكل المخلوقات وسائر المحدثات فلا يقع شيء فى الكون إلا حسب قضاء الله وتقديره له وعلمه به . هذا هو الإيمان ولا يكون صحيحاً يزكى النفس ويحمل على الطاعة بفعل الصالحات ، وترك المحرمات إلا إذا روعى فيه مراعاة كاملة ما يلى :

١ـ وصف الله تعالى بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص ، كالعجز ، أو النسيان أو الندم ، أو الجهل أو الصاحبة أو الولد ، أو الشريك فى عبادته أو ربوبيته أو أسمائه أو صفاته الفعلية والذاتية على حد سواء .

٢ ـ الإيمان بكل الرسل وعدم التفرقة بينهم إذ كلهم رسل الله اصطفاهم وأرسلهم إلى عباده لهدايتهم إلى سبل نجاتهم وسعادتهم ، فلا يرضى الله تعالى من عبده أن ينكر عليه إرسال رسول من عباده فيجحد رسالَتهُ ويكذب بها ، ومن فعل ذلك فقد كذَّب الله تعالى واعترض عليه ، وتكذيب الله تعالى والاعتراض عليه هو كفر إبليس عليه لعائن الله . ولذا فمن أنكر رسالة النبى الأمى محمد ﷺ خاتم الأنبياء ولم يتابعه على ما جاء فيها فهو كافر مكذب لله تعالى ورسوله مستوجب نقمة الله تعالى وعذابه كائناً من كان .

٣ ـ الإيمان بكل الكتب الإلهية وعدم جحود شيء منها أو إنكاوه أو تكذيبه ، إذ إنكار البعض أو تكذيبه ، كإنكار الكل وتكذيبه ، وهل الذى ينكر ما أمر الله تعالى به يعتبر مؤمناً ؟ اللهم ، لا ، بل إنه كافر لتكذيب الله تعالى والاعتراض عليه ، ومن هنا لا يصح إيمان عبد ينكر كتاب الله القرآن الكريم ويكذب به ولا يعمل بما فيه من الشرائع ولأحكام . وقد أمر الله تعالى بالإيمان به فقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله**

والكتاب الذى نزل على رسوله ﴾ . إذ المراد من الرسول محمد ﷺ [1] . ومن الكتاب القرآن الكريم .

٤ ـ عدم استحلال ما حرم اللّه تعالى من اعتقاد أو قول أو عمل ، إذ المستحل لما حرم اللّه كفر بحكم اللّه وخرج عن طاعته باستحلال ما حرم ، هذا يناقض الإيمان ويبطله .

وقلت لصاحبى : هل عرفت الإيمان الصحيح المزكى للنفس البشرية ؟

قال : نعم ، عرفته وسأعمل على تحقيقه لأكون مؤمناً حقاً .

فقلت له : هنيئاً لك . وبقى العمل الصالح فأصغ إلىَّ أحدثك عنه وأعرفه لك فإذا عرفته وقمت به فزت فوزاً عظيماً بالسعادة فى الدنيا والآخرة .

اعلم يا أخى أن العمل الصالح قد يكون من أعمال القلوب ومن أعمال الألسن ومن أعمال الجوارح . ولا يكون صالحاً غير فاسد ، مزكياً للنفس مطهراً لها غير مدس لها ولا مخبث إلا إذا توفر له ثلاثة أمور وهى :

١ ـ أن يكون قد شرعه اللّه تعالى لعباده وأمرهم به لتزكية نفوسهم وتطهير أرواحهم .

٢ ـ أن يأتى به العبد طاعة للّه وتقرّباً إليه ، ولا يريد به غير وجه اللّه تعالى .

٣ ـ أن يؤديه على الكيفية التى شرعها اللّه له . فلا يزيد فيه ، ولا ينقص منه ، ولا يقدم ولا يؤخر ، وإن عين له مكان أو زمان فليؤدّه فيه ، ولا يؤده فى غيره .

فإن لم تتوفر للعمل هذه الشروط الثلاثة لم يكن عملاً صالحاً مزكياً للنفس بحال من الأحوال وإن أردت أن تعلم سر هذا فاعلم أن اللّه الذى جعل أنواع المغذيات فى الأطعمة المختلفة هو الذى جعل فيما شرع لعباده من عبادة مادة التزكية والتطهير . ومن هنا علم بالضرورة أن العبادة إذا لم يشرعها اللّه فى كتابه أو على لسان رسوله لم تكن عبادة مزكية للنفس مطهرة لها أبداً . بل هى بدعة وضلالة . كما أن العبادة المشروعة إذا لم تؤدّ على النحو الذى بينه رسوله ﷺ وأداها عليه لم تزكّ النفس لِفَقْدها الهيئةَ التى تنتج بها الطاقة المزكية للنفس ، فالصلاة مثلاً لو أخل المصلى بأن زاد فيها أو نقص منها أو قدم بعض أجزائها أو أخر لَحكَمَ الفقيه ببطلانها وأمره بإعادتها ، وذلك لعدم تزكيتها لِنَفْسِهِ بما طرأ عليها من فساد .

---

(١) لما أخبر اللّه تعالى أنه هو وملائكته يصلون على النبى ﷺ فى كتابه ، وتعين على المؤمن إذا سمع ذكر محمد أو قرأه أن يقول : صلى الله عليه وسلم .

النصيحة الثالثة

وأنصح لك يا أخا بنى إسرائيل بأن تطلب الإيمان الصحيح والعمل الصالح اللذين بهما زكاة النفس وطهارتها ، أن تطلبهما فى الإسلام الصحيح فإنك لو طلبتَهمَا فى غيره ما أنت بواجد لهما أبداً ، إذ الديانتان السماويتان :

اليهودية والنصرانية قد داخلهما من التحريف والتبديل ما أصبح به الإنجيل خمسة أناجيل وحسبك دليلاً على ما أقول فسق أصحابها فقد استباحوا الربا ، والزنا ، وقتل النفس ، والخداع ، وعقوق الوالدين ، وقطع الأرحام ، ولم يتركوا كبيرة من كبائر الذنوب إلا ارتكبوها .

وزيادة على ما ذكرت لك أن الديانتين منسوختان بالإسلام مَسْلوبتانِ مادة التزكية والتطهير فى الإيمان والعمل الصالح . فلو عمل بهما أحد لم تزكُ نفسه ولم تطهر ولم يحصل بذلك على رضوان اللّه تعالى إذْ قَدْ نَسَخَ الرب تبارك وتعالى ما فى الكتابين التوراة والإنجيل من أحكام وشرائع وأَبْطلَ العمل بما فيهما وأمر عباده المؤمنين به أن يعبدوه بما شرع لهم فى آخر كتبه وهو القرآن الكريم ، وعلى لسان خاتم أنبيائه محمد ﷺ ، فلذا لا يزال الناس فى ضلال مبين ما لم يدخلوا فى الإسلام فيعتقدوا عقائده ، ويعملوا بشرائعه فى العبادات والأحكام والآداب والأخلاق ، فلذا أكرر لك يا أخا بنى إسرائيل النصح أن تطلب نجاة نفسك بالدخول فى الإسلام فى صدق كما دخل فيه عبد اللّه بن سلام وإخوانه وأن تحقق لنفسك إيماناً صحيحاً وعملاً صالحاً تنجو بهما من النار ، وتفوز بدخول الجنة دار الأبرار فتجد نفسك مع جدك إسرائيل ووالده إسحق وأبيه إبراهيم عليهم السلام .

النصيحة الرابعة

وأنْصَحُ لك وقد عرفت طريق النجاة وهى أن تدين للّه تعالى بالإسلام دين أبيك إبراهيم ودين إسماعيل وإسحق ويعقوب والأنبياء من قبل ومن بعد إلى خاتمهم النبى محمد ﷺ ، وذلك لأنه الدين الذى أخبر الرب تبارك وتعالى أنه لا يقبل ديناً غيره فقال : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الأخرة من الخاسرين** ﴾ . وقال : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ . لأن الدين الحق هو الانقياد للّه تعالى والخضوع له بالطاعة فى المنشط والمكره والعسر واليسر ، والخلوص من الشرك مع حب كل ما يحب اللّه جل جلاله من العقائد والأقوال والأفعال والصفات والذوات ، وكُرْه كل ما يكره اللّه تعالى من ذلك أى من العقائد والأقوال والأفعال والصفات والذوات . وإذا عرفت هذا فواجبك أن تعرف كل ما يحب اللّه تعالى وكل ما يكره . ولا سبيل لك إلى معرفة ذلك إلا من طريق كتاب اللّه القرآن الكريم ، وبيان رسوله محمد ﷺ . وهذا الطريق يتطلب منك شيئاً من التعب وهو التعرف إلى أهل العلم بالكتاب والبيان لتسألهم عما يشكل عليك أو يخفى من أمر الدين القائم علىّ الدين الصحيح والعمل الصالح بعد التخلى الكامل عن الشرك والمعاصى .

النصيحة الخامسة

وأنصح لك أخيراً أن تطلب نجاتك ونجاة أسرتك وأقاربك وذلك بعد أن عرفت طريق النجاة من النار والفوز بالجنة وهو الإسلام فادخل فيه وحاول أن تُدخل أفراد أسرتك فيه لتنجوا جميعاً وتَسْعَدُوا فى الدارين ، وذلك ما أحب لكم ولِكلّ إنسان فى هذه الحياة .

وإن قلت كيف الدخول فى الإسلام ؟

قلت لك : فأصغ إليّ أحدثك عن كيفية الدخول فى الإسلام :

اعلم أن الدخول فى الإسلام يكون على النحو التالى :

١ ـ يقول العبد « أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأشهد أن محمداً رسول اللّه » ومعنى هذا أن العبد علم أنه لا يعبد إلا اللّه لأنه لا رب سواه إذ هو وحده الخالق الرازق المدبر للكون والحياة ، كما علم أن محمداً بن عبد اللّه القرشى من ولد إسماعيل بن إبراهيم أرسله اللّه ليبلغ عنه دينه وشرعه إلى عباده ليعبدوه فيكملوا ويسعدوا على ذلك . وبهذا يصبح الشاهد هذه الشهادة مستعداً لعبادة اللّه بواسطة محمد رسول اللّه ﷺ الذى أرسله اللّه ليعلم الناس كيفية عبادة اللّه بما أحب أن يعبدوه به من الأقوال والأعمال لتزكية نفوسهم ، ثم إعدادهم لدخول الجنة دار السلام .

٢ ـ أول عمل تعبدى يقوم به الذى شهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه أن يغتسل ، والغسل هو تعميم الجسد بالماء .

وكيفية الغسل هى أن يحضر ماء طهوراً أى لم يخالطه شىء يغير طعمه أو لونه أو ريحه ثم يقول باسم اللّه ، ويغسل كفيه ثلاث مرات ناوياً الغسل طاعة للّه تعالى ، ثم يغسل فرجيه وما حولهما ، ثم يتوضأ فيغسل كفّيه ثلاثاً ، ويغسل فمه ثلاثاً وأنفه ثلاثاً ، ثم يغسل وجهه ثلاثاً ، ثم يغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ، واليسرى كذلك ثم يَمْسَحُ رأسه وأُذُنَيْهِ مرة واحدة ، ثم يغسل رجله اليمنى إلى الكعبين واليسرى كذلك ، ثم يخلل شعر رأسه ببلل فى كفيه ليسلم من الزكام ، ثم يغسل رأسه مع أذنيه ثلاث مرات بثلاث حثيات كل حثية يعمم بها غسل رأسه ، ثم يغسل شقه الأيمن من أعلاه إلى أسفله ، ثم يغسل شقه

الأيسر كذلك ظاهراً وباطناً ، متتبعاً ما قد ينبو عنه الماء من جَسَده . هذا هو الغسل الواجب للدخول في الإسلام ، وللجمعة وللجنابة وانتهاء حيض المرأة ونفاسها .

٣ ـ يصلى الصلاة التى حضر وقتها من الصلوات الخمس وهى الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء . وليصلها مع أحد المسلمين أو جماعة منهم . حتى يتعلم كيف يصلى .

٤ ـ أن يوطن نفسه على طاعة اللّه فى أمره ونهيه ، وطاعة رسوله كذلك فإذا دخل شهر رمضان صامه مع المسلمين ، وإذا كان له مال يبلغ قيمة سبعين غراماً ذهباً وحال عليه الحول زكاه بنسبة اثنين ونصف فى المائة وإذا جاء الحج ، وكان قادراً عليه لتوفر مال يكفيه فى أهله وسفره حج بيت اللّه ، وزار مسجد رسول اللّه ﷺ .

وإذا كان له أبوان أو أحدهما برّ بهما وأحسن إليهما ، وإذا كان له أقارب وصلهم بزيارتهم والإحسان إليهم . وإذا كان له جيران فكذلك وليعش مع الناس على الإحسان إليهم وكف الأذى عنهم فيوَقر الكبير ويرحم الصغير .

٥ ـ أن يتجنب هذه المحرمات تجنباً تاماً وهى :

١ ـ الزنا ومقدماته من النظر والكلام مع المرأة الأجنبية التى ليست من محارمه ، وكالزنا اللواط وهو أكبر فاحشة عرفت فى الأرض .

٢ ـ السرقة وأكل أموال الناس بالباطل بدون طيب نفوسهم .

٣ ـ شرب الخمر وسائر المسكرات ، والمكيفات كالتبغ (السجائر) .

٤ ـ قتل الإنسان مطلقاً إلا قتل كافر فى معارك القتال .

٥ ـ أكل الربا والتعامل به ولو قلّ .

٦ ـ ترك الصلاة حتى يخرج وقتها إلا أن يكون نائماً أو ناسياً .

٧ ـ لعب القمار وأنواع الميسر ولو بدون مال قليلاً كان أو كثيراً .

٨ ـ شهادة الزور وحضور مجالسه .

٩ ـ الغش والخداع فى البيع والشراء وسائر المعاملات .

١٠ ـ الكذب مطلقاً ولو مزاحاً إلا فى إصلاح ذات البين أو فى الحرب أو الزوج على

زوجته .

٦ ـ أن يعمل بجد على تَعَلُّم العلم الضرورى مثل حفظ الفاتحة وبعض السور القصيرة من القرآن . وكمعرفة موجبات الغسل ونواقض الوضوء ، وكيف يغتسل وكيف يتوضأ وكيف يتيمم إذا كان عاجزاً عن الوضوء أو الغسل ، وكمعرفة المحرمات من النكاح والطعام والشراب واللباس .

٧ ـ وعليه أن يصبر ويتحمل ولا يضجر أوْ يَمَلَّ فإن الشيطان حريص على أن يُعوقه ويحول دون كماله وسعادته ، فى الدنيا والآخرة لأنه عدوّ الإنسان ، قال تعالى : ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ .

أعاذنا اللّه من الشيطان الرجيم وعذاب النار وعذاب جهنم وعذاب السعير .

إلى أحد أهل الكتاب

أخي النصارى

إلى أحد أهل الكتاب
أخي النصارى

إلى أخي النصارى

إلى من أرغب في كماله وسعادته

إلى من شغله حاضره عن مستقبله

إلى من أنسته الأولى وهي فانية الآخرةَ وهي باقية

إليك أيها الأخ المحترم أقدم الكلمة التالية وكلي أمل أن تفتح أمامك آفاقاً واسعة لتفكر فيما أدعوك إليه من طلب نجاتك ونجاة أسرتك ومن تحب من جيرانك ومواطنيك .

ومن باب إذهاب الوحشة عن نفسك أقدم كلمتي حواراً بيني وبينك .فأقول : لا شك أنك أيها الأخ تؤمن بالله واليوم الآخر ، فإن قلت : نعم أؤمن بالله واليوم الآخر .

أقول : فهل تسمح لي أن أسألك قائلاً : هل عَرَفْتَ الله الذي آمنت به ؟

وبغضّ الطرف عن جوابك عن هذا السؤال فإن الذي أريد أن أقوله لك أيها الأخ : إن كل شر وفساد في هذه الحياة منشؤه جهل أهل الشر والفساد بالله عز وجل ، فإن من عرف الله خافه فلم يعصه ، وأحبه فتقرب إليه ولو أن أبناء الدنيا لا يعصون الله لما وقع فيها شرٌّ ولا فساد قط ، ولو أنهم تقرّبوا إلى الله تعالى بما يُحب من الأقوال والأفعال لا متلأت الدنيا خيراً وبركة وعاش الناس فيها عيشة راضية لا كدر فيها ولا تنغيص ، ولكن جهل الناس بالله تعالى هو الذي حولهم إلى شبه شياطين لا هم لهم إلا إشاعة الشر والفساد بين الناس .

والآن هل ترغب أن أعرفك بالله تعالى ؟ ولا أحسبك تقول غير نعم عَرِّفني .

إذاً فاعلم يا أخي أن الله تعالى يُعرف بأسمائه وصفاته أما ذاته فإن العقول البشرية عاجزة تَمَام العجز عن إدراك كنه الذات الإلهية ، ولا غرابة في هذا العجز فإن حواس الإنْسَانِ محدودة الإدراك فالبصر يبصر إلى مدى محدودٍ لا يتجاوزه وسمع الإنسان

يسمع إلى مدى محدود لا يتجاوزه وطاقة الإنسان محدودة فقد يحمل قنطاراً ولكن لا يحمل عشرة قناطير ، وكذلك عقله فإنه يدرك إلى مدى محدود لا يتجاوزه ، فلذا كان إدراك كنه ذات الرب تبارك وتعالى متعذراً إلى حدّ الاستحالة ، ومن مبادىء معرفة اللّه تعالى أن يعلم الإنسان أن اللّه ليس كمثله شيء وأنه أحد ، لا كفؤ له ولا شبيه ولا نظير ، وما دام ليس كمثله شيء ولا شبيه ولا نظير له كيف يمكننا معرفة ذات ليس كمثلها ذات ، ونحن لا ندرك إلا ما استقر فى أذهاننا شبيهه ونظيره ، أما ما لا شبيه له ولا يوجد شيء مثله فكيف يدرك ؟ وأمر آخر هو أن اللّه تعالى هو خالق العوالم كلها من الملائكة والجن والإنس والحيوان وخالق الأكوان كلها من السموات وما فيها من مجرات وأفلاك وكواكب والأرض وما فيها من أشجار ونباتات وجبال ووديان وأنهار وبحار ، فهل يعقل أن يكون الخالق جزءاً من مخلوقاته ؟ اللهم لا إنه محال أن يكون الخالق كالمخلوق ، فالباب الذى صنعه النجار لا يمكن أن يكون النجار جزءاً منه .

ومن هنا فإن من عرف أن اللّه ليس كمثله شيء فى ذاته وصفاته الذاتية والفعلية قد خطا خطوة كبيرة فى معرفة اللّه تعالى .

وثانى خطوة : فى معرفة اللّه تعالى هى أن العقل البشرى الذى وهبه اللّه له يدرك فى حدود طاقته إدراكاً واسعاً فهو يحكم بأن صنعةً ما لابد لها من صانع ، وأن كلاماً ما لابد له من متكلم ، وأن حدثا ما لابد له من سبب نشأ عنه حتى إنه لو رأى فنجاناً على طاولة يحكم فوراً بأن أحداً وضع هذا الفنجان على هذه الطاولة ويرى أنه من المحال عقلاً أن وجود هذا الفنجان على الطاولة كان بذات الفنجان نفسه ولو ادعى أحد هذا لَقِيلَ فيه : إنه مجنون أو فاقد العقل بسكر أو سحر مثلاً ، ومن هنا يعلم العاقل أن اللّه موجود ضرورة وأنه ذو قدرة لا تحد ، وعلم لا يتناهى وإرادة اللّه لا يقف فى وجهها شيء وحكمة لا يخلو منها شيء . فهذه خطوة أخرى فى طريق العلم باللّه تعالى .

وثالث خطوة : أن أكمل الناس فهوماً وأعظمهم إدراكاً وأرجحهم عقولاً ، وأزكاهم نفوساً وأفضلهم أخلاقاً وهم الأنبياء ، آدم فنوح فإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من آلاف الأنبياء ومئات الرسل كلهم أوحى إليهم وعرفهم بنفسه فعرفوه وأخبروا عنه وعن صفات جلاله وكماله من القدرة والعلم والحكمة والرحمة والخَلْق والتدبير فهل يعقل أن يكذب هؤلاء فيما أخبروا عن اللّه وفيما أوحاه إليهم من الشرع والهدى ؟ اللهم لا بل تكذيبهم سفهٌ وحمق وطيش ومن صدر عنه فهو أحط إنسان

على الإطلاق بل أحط من الحيوان .

ورابع خطوة : هى أن كتبه التى أوحاها إلى رسله وهى بين أيدينا الآن كالتوارة والإنجيل والقرآن وهى تحمل كلام اللّه عز وجل ، والتوراة والإنجيل وإن عبث بهما العابثون من أهل الجهل والضلال فزادوا ونقصوا وحرفوا وبدلوا حتى إن الإنجيل أصبح خمسة أناجيل فإن أصْلَهُمَا من اللّه واللّه هو منزلهما ، وهل يعقل وجود كلام بدون متكلم وعلم بدون عليم ورحمة بدون رحيم ، وتدبير بدون مدبر حكيم عليم ؟ اللّهم لا ، لا ، إذاً فكُتُبُ اللّه أدل دليل على وجود اللّه تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته ، وأنه ليس كمثله شيء من مخلوقاته ، وكل شيء مخلوق للّه واللّه خالقه .

وخامس خطوة : وهى أعظم الخطوات تعريفاً باللّه تعالى وهى أن اللّه تعالى عرّف عباده بنفسه ولا يعرف اللّه كنفسه فلنقض دقائق فى سماع تعريف اللّه تعالى عباده بنفسه قال تعالى فى كتابه القرآن الذى ضمن حفظه من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان فى قوله تعالى ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ . ففى هذه الآية نادى اللّه الناس وأمرهم بعبادته وعرّفهم بنفسه أنه الذى خلقهم وخلق الذين من قبلهم فلو كان هناك خالق غير اللّه لادَّعى الخلق وزعم أنه خالق ولكن هيهات هيهات أن يكون هناك خالق غير اللّه تعالى ، قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **آلا له الخلق والأمْرُ** ﴾ وقال : ﴿ **اللّه خالق كل شيء** ﴾ وقال : ﴿ **إن ربكم اللّه الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك اللّه رب العالمين** ﴾ . فأى تعريف أعظم من هذا التعريف فالذى خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر والنجوم ، وله الخلق والأمر هو رب العالمين أى خالقهم ومالكهم وسيدهم والمربىّ لهم والمتصرف فيهم .

وقال تعالى : ﴿ **اللّه لا إله إلا هو الحى القيوم نزل الكتاب عليك بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان** ﴾ . فالحى واهب حياة كل حى القيوم على الكون كله يدبره ويحفظه الذى نزل التوراة والإنجيل والقرآن وهى كتب بين أيدينا نقرؤها ونفهمها هو اللّه الذى لا إله غيره ولا رب سواه وقال تعالى : ﴿ **الحمد للّه الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسّمىً عنده ، ثم أنتم**

تمترون ، وهو اللّه فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تَكْسِبُونَ ﴾ .

إن هذا القول الإلهى الكريم أوفى بتعريف اللّه أيَّما إيفاء ، إذ هو يُقَرِرُ أن الحمد والمدح والتمجيد والثناء وكل ألفاظ الإجلال والتعظيم هى للّه ، من هو اللّه ؟

إنه الذى خلق السموات السبع الطباق وخلق الأرض ، وجعل الظلمات والنور وإذا كان خلق السموات والأرض عجباً فجعْل الظلمةِ ظلمةً والنور نوراً أعجب ، إنها مظاهر القدرة والعلم والحكمة واللطف والإحسان وكلها موجبات لمعرفة اللّه ورهبته ومحبته وعبادته دون سواه ومع هذا فالكافرون بجهلهم بهِ يعدلون به غيره من آلهة كاذبة مكذوبة لا قدرة لها ولا علم ولا حكمة ولا لطف ولا إحسان ، إنَّه أمْرٌ يدعو إلى الدهشة والاستغراب إذ يصدر عن بشر عقلاء يفرقون بين نفع العسل وضرر السم ، وبين قدرة وعلم الصانع النجار وبين عجز وجهل الخشب المنجور باباً أو كرسياً أو نافذة .

ومن هو اللّه أيضاً ؟ إنه الذى خلق هؤلاء الكافرين به العادلين به سواه من مخلوقاته خلقهم وخلق كل الناس من طين من ترابٍ من مادة قابلة للفناء ، وجعل لكل واحد منهم خلقه من الطين أجلاً زمانياً ينتهى إليه لا يمكنه أن يتقدمه أو يتأخر عنه ولو بدقيقة واحدة ، وجعل للحياة الدنيا ككل أجل آخر سماه وحدده باللحظة والثانية فإذا حان وقته ودقت ساعته جاء وذهبت الحياة كلها ، فما أوسع علم اللّه ، وما أعظمم قدرة اللّه ، وما أتّفه وأحقر عقل من لا يؤمن باللّه ولا يعرف اللّه ؟

ومن هو اللّه ؟ إنه المعبود فى السموات والأرض والبائن عن الخلق ويعلم سر الناس إذا أسروا قولهم وجهرهم إذا جهروا به ، ويعلم ما يكسبونه بقلوبهم وجوارحهم فلا يخفى عليه من عملهم شىء ، ليحاسبهم به ويجزيهم عند نهاية الحياة ورجوعهم إليه .

وقال تعالى : **﴿ إن اللّه فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم اللّه فأنى تؤفكون ، فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم ، وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الأيات لقوم يفقهون ﴾ .**

إن هذا القول الإلهى الكريم قد تعرف اللّه فيه إلى عباده بما لا مزيد عليه لو كانوا

يعقلون ، وها هى ذى مظاهر ذلك :

١ ـ من يفلق الحب ليخرج منه الزرع الذى هو غذاء الإنسان وحيواناته ؟

والجواب : اللّه ، إذ غيره لم يدع ذلك ولم يُنْسَبْ إليه .

٢ ـ من يخرج الدجاج والعصافير أحياء من البيض الميت ؟

والجواب : اللّه ، إذ غيره لم يدع ذلك ولم يثبت إليه .

٣ ـ من يخرج الميت وهو البيض من الحى وهو الدجاج وأنواع الطيور التى تبيض ؟

وهنا قال تعالى : ذلكم اللّه ! ! فأخبر عن نفسه أنه الفاعل لذلك لا غيره ثم عجبهم من أنفسهم فقال : فأنى تؤفكون ؟ أى كيف تصرفون عن الحق بعد وضوح رؤيته وعن العلم بعد سطوع نوره .

٤ ـ من يفلق الصبح فيفجر الضوء الغامر من الليل الحالك ، من يجعل الليل سكناً ليستريح فيه أهل العناء والتعب بالخلود إلى الراحة بالنوم فيه ، إن الظلام يساعد على ذلك ، ومن جعل الشمس والقمر يسيران فى فلكيهما بحساب دقيق فتعرف الليالى والأيام والشهور والأعوام حيث مصالح البشر متوقفة على ذلك ، والجواب أنه اللّه لا غيره ، اللّه العزيز أى الغالب على أمره لا يحال بينه وبين مراده العليم بدقائق الأمور وجلائلها الذى وسع علمه كل شىء ، ولولا العلم والعزة لما دارت الأفلاك ولا انتظم سير الشمس والقمر .

٥ ـ ومن جعل النجوم آيات هدايةٍ يُهتدى بها فى ظلمات البر والبحر إلى المنازل والموانىء وهى تحمل السلع والبضائع لفائدة الإنسان ؟

والجواب : إنه اللّه الذى فصل هذه الآيات وغيرها لينتفع بها العاملون ، أما الجاهلون فلا حظ لهم وذلك لظلمة جهلهم فى نفوسهم ، وهل هناك أجهل من عبد لا يعرف سيده ولا يعرف صفاته ولا يعرف ما يحب ولا ما يكره ؟ اللهم إنه لا أحد أجهل منه .

٦ ـ ومن أنشأ البشرية من نفس واحده هى آدم أبو البشر عليه السلام وجعل بعضها مستقراً فى الأرحام إلى حينه ، وبعضها مستودعاً فى أصلاب الرجال ؟

والجواب : إنه اللّه ليس غيره إذ هو ذو القدرة التى لا يعجزها شىء والعلم الذى أحاط بكل شىء والحكمة التى لا يخلو منها شىء اللّه الذى فصل الآيات لعباده العالمين

ليفقهوا أسرار خلقه وشرعه ، فتزداد محبتهم وطاعتهم له وبذلك يبلغون من الكمال والإسعاد ما لم يبلغه غيرهم .

والآن يا أخا النصارى هل عرفت اللّه الذى خلق كل شىء فى هذه الحياة للإنسان ، وخلق الإنسان له ليذكراه ويشكره ؟ ؟

هل عرفت اللّه الذى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وخلق منه حواء زوجة وأسكنها جنته ولما عصياه بالأكل من الشجرة التى نهاهما عن الأكل منها عاقبهما فأهبطهما إلى الأرض ليذكراه ويشكراه فيها .

هل عرفت اللّه الذى أرسل نوحاً لما عبدت الناس الأصنام أرسله لهدايتهم بعد ضلالهم فأقام فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده وترك عبادة الآلهة الباطلة من أجل أن يكملوا ويسعدوا فأبوا فأغرقهم بالطوفان .

هل عرفت اللّه الذى أرسل إبراهيم إلى قومه الوثنيين فدعاهم إلى عبادة اللّه وحده فأنكروا عليه دعوته وحكموا عليه بالإعدام فألقوه فى أتون جحيم فأنجاه اللّه منها وهاجر بعدها إلى الشام .

هل عرفت اللّه الذى أرسل موسى إلى فرعون ، وكان أول لقاء له مع اللّه بجبل الطور حيث ناداه قائلاً : ﴿ **يا موسى إننى أنا اللّه لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى** ﴾ .

هل عرفت اللّه الذى أرسل جبريل إلى مريم العذراء فنفخ فى كُمّ درعها فحملت بعيسى عليه وعليها السلام ووضعته ، وتكلم فى المهد فقال : ﴿ **إنى عبد اللّه آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً** ﴾ .

هل عرفت اللّه الذى نبأ محمداً وأرسله رسولا إلى الناس كافة وأنزل عليه القرآن العظيم تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ؟

هل عرفت اللّه القائل فى كتابه : ﴿ **قل هو اللّه أحد ، اللّه الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ .

وهنا أود أن أسمع جوابك بنعم أى بأنك عرفت اللّه جل جلاله الذى معرفته تكسب صاحبها خشيته تعالى وحبه وحُبَّ كل ما يحب ، وكره كل ما يكره فيستعد بذلك لطاعة اللّه تعالى باعتقاد وقول وفعل ما يحب وترك ما يكره من ذلك كله فيتهيأ للسعادة والكمال فى الدارين .

وقبل أن أحدثك عن اليوم الآخر ركن الإيمان العظيم أستسمحك بأن أعرض أمامك الإيمان الذى يؤمنه إخوانك من النصارى للأسف لتعرف مدى ما هم فيه من الخطأ الكبير فتحمد اللّه تعالى على إيمانك الصحيح السليم الذى متى أضفت إليه طاعة اللّه ورسوله بفعل محابهما وترك مكارههما فزت بالنجاة من النار ودخول الجنة .

ـ إن عقيدة النصارى التى اجتمع عليها الملكية والنسطورية واليعقوبية هى :

نؤمن باللّه الواحد الأب ، مالك كل شىء صانع ما يرى وما لا يرى ، وبالرب الواحد يسوع ، المسيح ابن اللّه الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى وُلد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع إله حق من إلهٍ حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شىء ، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بروح القدس ، وصار إنساناً وحمل به ، ثم ولد من مريم البتول ، وأولِمَ وَشُج وقُتِل وصُلب ودُفن ، وقام فى اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات ، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه . روح محبته ، والمعموديّة واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قدّيسية جاثلقية ، وبقيامة أبداننا والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين . هذه هى الأمانة الأرثوذكسية ، التى اجتمع لوضعها وإقرارها ثلثمائه وثمانية عشر أسقفا ، وقرروا أنه لا يكون نصرانياً من لم يقر بهذه الأمانة .

واسمح لى مرة أخرى أيها الأخ أسائل نفسى قائلاً : هل معرفة اللّه تعالى باجتهاد العلماء فى وضع صفات للّه يعرف بها ؟ والجواب قطعاً لا ، إذ لا يُعرف اللّه إلا بصفاته التى وصف بها هو سبحانه وتعالى نفسه فى كتبه وعلى ألسنة رسله .

إن قولهم فى تعريف اللّه تعالى : نؤمن باللّه الواحد الأب ، وصف اللّه تعالى بالأبوة ولا زمها أن له صاحبة وولداً ، ولذا قال تعالى فى كتابه : ﴿ **وأنه تعالى جدّ**[1] **ربنا ما اتخذ**

(١) جدّ ربنا : أى عظمته .

صاحبة ولا ولداً ﴾ . إن وصفهم هذا لله كفر عظيم ، وقولهم نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها إنّ جَعْلهم الرب تعالى هو يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق من أكفر الكفر إذ الله تعالى هو رب اليسوع المسيح وخالقه فكيف يكون هو يا للعجب ؟

وقولهم : نزل من السماء وتجسد بروح القدس وصار إنساناً وحمل به ثم ولد من مريم البتول : إن هذا القول قول قذر قبيح تعمد قائله الكفر ، وهل الله رب العالمين وإله الأولين والآخرين الذى وسع كرسيه السموات والأرض يتحول إلى إنسان ، وبعد تحوله يحمل به ويولد من امرأة . إن هذا القول تتنزه عنه عقول الأطفال ، فكيف يجمع عليه ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً وبطريقاً ويقدمونه للعقلاء ليؤمنوا به ، ومن لم يؤمن به فليس هو بنصرانى .

وقولهم وأولِمَ وشج وقتل وصلب ودفن إن هذا القول ينزه عنه الله تعالى ويُلْعَنُ قائله ويكفر ، إذ هو يصور رب السموات والأرض المحيى المميت الفعال لما يريد الذى أهلك عاداً وثمود وفرعون وقومه بصورة إنسان ضرب وتألم للضرب وشج رأسه بذلك ثم قتل وصلب ومات ودفن ثم بعد ثلاثة أيام حيى وخرج من قبره . إن هذا القول من أخبث الأقوال فكيف ينسب إلى الله ويعرف به يا للعجب ! ! !

إننى أقسم بالله العزيز الحكيم أن هذه العقيدة النصرانية لمن أفسد العقائد وأن واضعيها لغاشون خادعون مفترون كاذبون على الله وعلى عباده وأن الله رب العالمين منزل الكتب ومرسل الرسل لهداية العباد منزه كل التنزيه عن كل ما قاله هؤلاء الضالون المضلون .

اللهم إنى أبرأ إليك مما افتراه هؤلاء المفترون ، وأعوذ بك أن أضِلْ أو أضَلْ كما ضل هؤلاء وأضلوا ، وأعذنى يا رب أن أقول فيك بغير علم منك يا عليم يا حكيم .

والآن أيها الأخ سارع إلى التبرؤ من هذه العقيدة التى هى سب لله تعالى وشتم قبيح له ، صَاحِبُها لا يُفلح أبداً ، واعتقد ما اعتقده فى الله تعالى نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وإسحق ويعقوب وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد ﷺ .

وقد قدمتها لك عقيدة واضحة قائمة على أساس تنزيه الله تعالى عن صفات المحدثين ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ هو الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ،

ولم يكن له كفواً أحد ، وقد قلت فى مطلع حديثى معك إن معرفة اللّه تعالى هى السبب الأقوى فى إصلاح النفوس وتزكية الأرواح وتهذيب الأخلاق وأنه بقدر معرفة العبد ربَّه الحق تكون استقامته فى الحياة . فارجع إلى قراءة ما تقدم من التعريف باللّه تعالى المرة بعد المرة فإذا وجدت نفسك تخشى اللّه وتحبه ، ووجدتك مستعداً للتقرب إليه بفعل ما يحب وترك ما يكره فاعلم أنك قد آمنت باللّه الحق وعرفته ، وأنك تتطلع إلى معرفة محابه ومكارهه للتقرب إليه بفعل ما يحب وترك ما يكره .

ومواصلة منى لصحبتك أيها الأخ آخذُ بيدك فأعرفك بمحاب اللّه تعالى ومكارهه إذ معرفتها ضرورية لنجاة العبد من النار وفوزه بالجنة .

فاعلم أيها الأخ أن محاب اللّه تعالى ومكارهه كأسمائه وصفاته لا مجال للعقل البشرى فى معرفتهما ، وقد مر بك كيف تَخَبَّطَ القسس فى معرفة اللّه تعالى فوصفوه بأبشع الصفات وأقبحها فكفروا بذلك وهلكوا إلا من تاب منهم آمن وعمل صالحاً .

إن معرفة ما يحب اللّه تعالى من الاعتقادات والأقوال والأعمال ، وما يكره من ذلك طريقه الوحى الإلهى لا غير ، والوحى الإلهى موجود فى كتاب اللّه وبيان رسوله ﷺ ، ولا يوجد فى غيرهما أبداً .

ومن هنا كان لا بد لطالب ذلك من الإيمان بالقرآن الكريم كتاب اللّه الذى نسخ به سائر الكتب المتقدمة فى النزول عليه ، وبالنبى الأمى محمد ﷺ الذى ختم اللّه به الأنبياء ، فمحاب اللّه تعالى ومكارهه لا تعرف تفصيلاً إلا بالقرآن وسنة الرسول التى هى بيان للقرآن وتفسير له . أما محاب اللّه فى الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل فقد نسخ اللّه منها ما شاء ، وبدل منها الأحبار والرهبان وغيروا ما شاءوا ، فالعمل بها لم يحقق المطلوب منها من تزكية النفس وتطهيرها حتى يحبها اللّه ويرضى عنها ويقبلها فى جواره بعد موتها يوم القيامة .

واعلم أن أول خطوة تخطوها أيها الأخ هى أن تقول : أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأشهد أن محمداً رسول اللّه فتعلن بذلك استعدادك لعبادة اللّه بفعل محابه وترك مكارهه من طريق بيان رسول اللّه ، إذ بدون بيانه ﷺ لا يمكن للعبد معرفة تلك المحاب ولا معرفة كيف يؤديها على كيفية تنتج الحسنات التى تشرق بها نفس العبد وتطهر .

ثم تغتسل على النحو الآتى : تحضر ماء طهوراً ، وتغسل كفيك ثلاثاً قائلاً : بسم اللّه ،

ثم تغسل فرجيك وما حولهما ، ثم تتوضأ بأن تغسل كفيك ثلاثا ، ثم تتمضمض ثلاثا وتستنشق الماء بأنفك وتنثره ثلاثا ، ثم تغسل وجهك ثلاثا ، ثم تغسل يدك اليمنى إلى المرفق ثلاثا ، ثم اليسرى كذلك ثم تمسح رأسك وأذنيك مرة واحدة ، ثم تغسل رجلك اليمنى إلى الكعبين ثم اليسرى كذلك ، ثم تخلل أصول شعر رأسك ببلل فى كفيك حتى لا يؤذيك الماء البارد ، ثم تغسل رأسك مع أذنيك ثلاث مرات ثم تفيض الماء على جسمك كله من أعلاه إلى أسفله مرة واحدة ، وتتبع المواضع التى ينبو عنها الماء عادة كتحت الإبطين ، والسرة وتحت الركبتين إذ لا بد وأن يمس الماء كامل جسدك . وهذا الغسل واجب على العبد عند دخول الإسلام ، وواجب عليه إذا أجنب بجماع زوجته أو بخروج المنى منه فى المنام وهو الاحتلام ، وكذا لو خرج فى يقظة من أجل مباشرة امرأته ، وهو واجب على المرأة أيضاً إذا جامعت أو احتلمت وخرج منها الماء ، أو انقطع دم حيضها أو نفاسها قال تعالى فى كتابه : ﴿ **وإن كنتم جنباً فاطهروا** ﴾ .

ويجب على العبد الوضوء إذا أراد الصلاة . والوضوء هو ما تقدم لك من غسل الكفين وغسل الفم والأنف والوجه واليدين ومسح الرأس والأذنين ، وغسل الرجلين إلى الكعبين .

وبعد الغسل تصلى الصلاة التى دخل وقتها تصليها فى المسجد مع المسلمين ، وتأخذ فى التعلم شيئاً فشيئاً حتى تعرف كيفية الصلاة ، إذ اللّه تعالى أمر بها والرسول علمها الناس بعد ما تعلمها من جبريل الملك عليه السلام فقال ﷺ : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » . واعلم أن الصلاة من أعظم محاب اللّه تعالى ، وأنها فرائض ونوافل فالفرائض الصلوات الخمس وهى الصبح ووقتها من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، والظهر ووقتها من الزوال إلى زيادة ظل كل شىء مثله ، والعصر ووقتها من انتهاء وقت الظهر إلى غروب الشمس ، والمغرب ووقتها من غروب الشمس إلى ذهاب الشفق الأحمر ، والعشاء ووقتها من ذهاب الشفق الأحمر إلى ما قبل الفجر .

وثانى خطوة هى : معرفة محاب اللّه تعالى ومكارهه فى المعتقدات والأقوال والأفعال ، أما المعتقدات فهى : الإيمان باللّه تعالى ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر وأما الأقوال فهى : ذكره وتسبيحه وقراءة كتابه ودعاؤه والصلاة والسلام على رسوله ، ولين القول وصدق الحديث ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر .

وأما الأفعال فهى : الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة وإقامة حدوده والرباط والجهاد فى سبيله وبر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الجيران وإلى الفقراء والمساكين واليتامى وأبناء السبيل .

كانت تلك المحارب وها هى ذى المكاره :

١ ـ تكذيب اللّه ورسوله فيما أخبرا به ، أو شرعاه من الدين والشرع ، إشراك غير اللّه فى عبادته أو فى أسمائه أو فى صفاته . الكفر برسول من رسل اللّه ، إنكار الملائكة ، إنكار الجن ، إنكار البعث الآخر أو ما يجرى فيه من حساب وجزاء بالنعيم المقيم أو العذاب المهين .

٢ ـ ترك فريضة أو واجب مما افترضه اللّه على عباده وأوجبه .

٣ ـ تعطيل حدود اللّه تعالى بترك إقامتها على من وجب عليه إقامة الحد كحد الزنا والسرقة وشرب الخمر والقذف والردة .

٤ ـ الكذب وخلف الوعد ونكث العهد ، والسرقة ، والغش فى المعاملات ، وخيانة الأمانة .

٥ ـ الزنا واللواط والقمار والربا ، وقتل النفس بغير حق وشرب المسكر والسحر وأذية المؤمنين والمؤمنات بالقول أو بالفعل وشهادة الزور .

هذه هى مجمل المحاب والمكاره قد ذكرتها لك مجملة وطلب بيانها ضرورىٌّ . لك ، فاسأل أهل العلم تعلم قال تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ .

وكلمات أخرى فاسمعها منى واحرص على تفهمها ووعيها فإنها نافعة لك وهى :

١ ـ أن تعلم أن الدين الإسلامى هو الدين الحق الذى كان عليه الأنبياء نوح فمن بعده إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، وأن اللّه تعالى قد أخبر أنه لا يقبل ديناً غيره فى قوله : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الأخرة من الخاسرين** ﴾ .

٢ ـ إن الدين الإسلامى هو خَاتَم الأديان وأن اللّه تعالى قد أناط به سعادة الدنيا والآخرة ، فما أخذ به فرد ولا جماعة ولا أمة إلا كمل وسعد فى الحياتين ، ولا أعرض عنه وتركه من فرد أو جماعة أو أمة إلا خسر وشقى فى الدارين وقد أخذ به المسلمون الأولون فكملوا وسعدوا وعزوا وشرفوا وبلغوا من الكمال مبلغاً لم يبلغه غيرهم من سائر أهل

الأديان .

٣ ـ إن أعداء الإسلام هم الذين كادوا للمسلمين وصرفوهم عن الإسلام بالمكائد والحيل ولما أبعدوهم عن الإسلام تمكنوا منهم وسلبوهم كل خير كان بأيديهم وليس المسلمون فى هذا وحدهم فالمسيحيون أمرهم كذلك وقد عرفت عقيدتهم كيف حولوها إلى مجموعة من الضلالات نفر منها المسحيون وأصبحوا ملاحدة شيوعيين ، واليهود كذلك عبث الأحبار بشريعتهم وأفسدوها بالتحريف والتبديل والتغيير فالديانتان المسيحية واليهودية لو لم ينسخهما الله بالإسلام وأراد أحد أن يعمل بهما ، ليكمل ويسعد ، فوالله ما كمل ولا سعد عليهما أبداً لأنهما لم يبق فيهما من شرع الله إلا القليل . والشرع لا ينفع إلا بالأخذ به كاملاً ويشهد لذلك أن المسلمين بعد أن أفسد عليهم أعداء الإسلام أمرهم وأصبحوا لا يطبقون شرع الله كاملاً فإنهم فقدوا كمالهم وسعادتهم ولم يكمل منهم ولم يسعد إلا القليل الذى هو آخذ بالإسلام كله ، ولم يعمل بالبعض دون البعض وهو قادر على العمل به كله .

٤ ـ إن الإسلام وإن كاد لأهله أعداؤه فأبعدوهم عن العمل به كله فإنه قد تكفل الله بحفظه إلى نهاية هذه الحياة ، وذلك لتقوم الحجة له سبحانه وتعالى على العباد ، إذ لو ضاع أو اختلط بالأباطيل وما أصبح يكمل أو يسعد من يدين به لكان على الله أن يبعث رسولاً وينزل كتاباً لهداية الناس ، وما دام تعالى قد ختم النبوات بآخر نبى هو محمد ﷺ ، ونسخ الكتب بآخر كتاب فإنه عز وجل تكفل بحفظ الإسلام عقيدة وعبادة وخلقاً وأدبا وقضاء وحكماً وسياسة وذلك بحفظ كتابه وسنة رسوله فقال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وقال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرة منصورة لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون » .

ولا أدل على صحة ما ذكرنا أنه فى العقد الثانى من القرن العشرين الميلادى قام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بإنشاء دولة فى الجزيرة على أسس الإسلام فتحقق لها من الكمال الروحى والأمن العام والطهارة فى المجتمع ما لم يتحقق لغيرها منذ عهد الإسلام الأول ، فكان هذا برهاناً على أن الإسلام مازال يحمل الهداية للبشر فأيّما فرد أو جماعة أو شعب أو أمة يأخذ به كُله عقيدة وعبادة وسلوكاً وقضاء وحكماً إلا تحقق له الكمال والإسعاد وفى الدارين معاً .

إن المسلمين اليوم مطوقون تطويقاً كاملاً من قبل أعداء الإسلام فلا يسمح لهم أن يعملوا بالإسلام حتى لا يكملوا ولا يسعدوا ، ولكسر هذا الطوق والخروج من قبضة الملاحدة والإباحيين والماديين والضلال الخرافيين من أهل الأديان الباطلة والمعرفة المبدلة المنسوخة بالإسلام لكسر هذا الطوق وفك الحصار حتى ينطلق المسلمون يعملون بالإسلام كله فيكملون فى عقولهم وأرواحهم وأخلاقهم ، ويسعدون فى دنياهم وآخرتهم ، يحتاج الأمر إلى جهاد كبير فى كل الميادين حتى يتخلصوا مما طوقوا به وضرب عليهم من أعظم حصار . والله أعلم متى يهيء لهم فرصة هذا الجهاد ويقدرهم عليه .

قلت هذا حتى لا يزهدك فى الإسلام حال المسلمين فتقعد عن طلب كمالك وسعادتك بالأخذ به فى حدود طاقتك . والله أسأل أن يعينك متى صدقت نيتك وطلبت بالإسلام سعادتك وكمالك فى الدارين .

والآن وقبل أن أتركك تراجع ما عرضت عليك من علم ومعرفة بالله تعالى ومحابه ومكارهه وبالإسلام وبالأخذ به كله وما يحقق من سعادة وكمال ، أو تركه وما يترتب على تركه والإعراض عنه من شقاوة وخسران ، فإنى أحدثك عن اليوم الآخر كما وعدتك بذلك فى بداية حديثنا هذا فاستمع إلىّ يا أخى بعناية فإن لليوم الآخر شأناً عظيماً إذ عليه وعلى الإيمان بالله عز وجل مدار استقامة العبد وصلاحه فى الدنيا ونجاته من النار وفوزه بالجنة يوم القيامة .

اعلم أن الله تعالى قد أخبر عباده بواسطة الوحى إلى رسله أنه عز وجل بعد نهاية هذه الحياة التى جعل لنهايتها أجلاً لا تتعداه حيث يفنى كل ما فيها وتعود سديماً « دخاناً » كما كانت ، يُعيد الحياة البشرية مرة أخرى ، وقد بين الرسول الكريم ﷺ كيفية عودة الحياة إذ قال : إنه بعد نفخة الفناء حيث يهلك الله كل شىء فى هذه الحياة ، وبعد مضى أربعين سنة وقد أصبحت الأرض قاعاً صفصفاً لا جبل فيها ولا تل ولا أودية ولا شعاب ينزل من السماء ماء كأنه منىّ الرجال فينبت الناس بواسطة عجب الذنب وهو عُظيم صغير يوجد فى آخر سلسلة فقرات ظهر الإنسان هذا العُظيم يحفظه تعالى فى ذرّات الأرض ومنه ينبت الإنسان كما ينبت البقل من خردل وبطاطس ونحوهما ، حتى إذا اكتمل الخلق أرسل الله تعالى الأرواح من مستودعاتها فتدخل كل روح فى جسمها لا تخطئه أبداً ثم ينفخ إسرافيل نفخة البعث فيقوم الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً [1] ثم يساقون إلى

(١) جمع أغرل وهو من لم تنزع منه غلفة الذكر أى لم يختتن .

أرض المحشر إلى ساحة فصل القضاء ، وثَمَّ توزع عليهم صحائف أعمالهم ويقرأ كل واحد كتابه بنفسه ويشهد على نفسه بواسطة كتابه هل كان من أهل الإيمان والعمل الصالح أو كان من أهل الشرك والكفر والعمل الفاسد ثم يوضع ميزان فتوزن أعمال العباد وزناً عجباً فيه الدقة إظهاراً لعدالة الرب تبارك وتعالى ، ثم يوضع الصراط وهو جسر عجيب يوضع على متن جهنم ويمر الناس عليه فمنهم من يمر وينجو ، ومنهم من يسقط فى جهنم . والذين مروا على الصراط واجتازوه يوقفون موقفاً آخر فيهذبون بأن يقتص اللّه من الظالمين للمظلومين ، فيؤخذ من حسنات الظالم للمظلوم وإذا لم يبق للظالم حسنات طرحت عليه سيئات من ظلمهم وطرح فى النار . ويجرى الحساب هذا فى يوم مقداره خمسون ألف سنة .

وبعد نهاية الحساب يستقر أهل الجنة وهم الذين زكوا أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح فى الجنة وهى درجات أعلاها الفردوس الأعلى ، وأهلها يتفاضلون فى علو الدرجات حتى إنهم ليتراءون منازلهم كما نتراءى نحن الكواكب فى السماء .

ويستقر أهل النار فى النار وهى دركات : النار والسعير وسقر وجهنم .. ثم يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ، ثم ينادى مناد : يأهل الجنة خلود فلا موت ، ويأهل النار خلود فلا موت ، وعندها تعظم حسرة أهل النار ويشتد بكاؤهم وحزنهم .

واعلم أن اللّه تعالى قد وصف الجنة والنار فى كتابه القرآن الكريم ، ومَنْ يتتبع آيات القرآن فى وصف الجنة ووصف النار ويعيد قِراءتها والوقوف عليها يصبح وكأنه يعيش مع أهلها . وإليك بعضاً من ذلك .

وصف الجنة :

١ ـ أهلها طول الواحد ستون ذراعاً كما كان أبوهم آدم يوم خلقه اللّه تعالى .

٢ ـ لون أحدهم كأنه فى جماله فلقة قمر .

٣ ـ لباسهم فيها حرير ويحلّون فيها من أساور من ذهب ولُؤلُؤ .

٤ ـ طعامهم ما تشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم ، وذكر من الطعام لحم الطير المشوى ، ومن الشراب ماء السلسبيل والرحيق والعسل واللبن والخمر وهى أنهار تجرى ، ومن الفواكه الموز ، والتمر والرمان وغيرها مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ، ولا خطر على

قلب بشر .

٥ ـ مجالسهم على الأرائك ، والأسرة ذات الحجال .

٦ ـ أزواجهم الأبكار من الحور العين لو أن حوراء اطلعت على الدنيا لغلب ضوء وجهها ضوء الشمس والقمر .

٧ ـ منازلهم فيها القصور والخيام طول الخيمة ستون ميلاً ، وبناء القصور بالذهب والفضة .

كل هذا أخبر به اللّه فى كتابه والمسلمون يقرؤونه ويسمعونه كل يوم وليلة ورآه الرسول محمد ﷺ بأم عينه ليلة أسرى به من مكة إلى بيت المقدس ومنها عرج به إلى السماء حتى انتهى إلى جنة المأوى وتجاوزها ، ورأى ما أعد اللّه لأوليائه من نعيم مقيم . وعند عودته عرج به على النار فرأى فيها ما ستسمع الآن إنْ شاء اللّه .

وصف النار :

١ ـ أهلها ما بين كتفى الكافر فيها كما بين مكة وقديد أى مئة وثلاثون كيلو متراً وناب الكافر فيها كجبل أحد ، وذلك ليتمكن منهم العذاب الأليم الدائم .

٢ ـ لباسهم : سرابيل القطران .

٣ ـ طعامهم : الزقوم والغسلين والضريع .

٤ ـ شرابهم الحميم الذى يقطع أمعاءهم ويشوى وجوههم .

٥ ـ تحفهم : شراب سم الأساود والعقارب الذى من شربه من أحدهم يتحلل جسمه كاملاً الأعصاب على حدة والعظام على حدة والجلد على حدة .

٦ ـ ألوان عذابهم ثياب من نارٍ يصب من فوقهم رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون .

٧ ـ غناؤهم البكاء والعويل .

٨ ـ أمانيهم العذاب أن يموتوا فلا يموتوا ، وأن يردوا إلى الدنيا ليؤمنوا ويعملوا صالحاً ، فلا يردوا .

كل هذا أخبر به اللّه تعالى فى كتابه وحدث به رسوله ﷺ وهو حق ثابت لا مجال

للتكذيب به ، وكيف وقد أخبر به الخالق وأعدَّه وأوعد به ، وأطلع عليه من شاء من خلقه ، وخلق له صوراً في الحياة الدنيا .

والمُهِم عندنا يا أخي هو كيف النجاة من النار وما فيها من ألوان العذاب ، وكيف الظفر بالجنة وما فيها من أنواع النعيم المقيم في جوار رب كريم رحيم ؟

هذا هو السؤال وهل من جواب ؟

نعم هناك جواب وأي جواب هو ؟ إنه جواب شافٍ كافٍ . إنه يا أخي زكاة النفس البشرية وطهارتها حتى تكون في طهرها وصفائها كأرواح الملائكة . فقد قال الله مقسماً بأعظم قسم : ﴿ **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب مَنْ دسَّاها** ﴾ . وقال : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم** ﴾ .

وقد عرفت أن النفس البشرية تزكو وتطهر على الإيمان الصحيح والعمل الصالح ، وتخبث على الشرك والكفر والمعاصي ، فمن آمن حق الإيمان الذي عرضته عليك في هذا الحديث معك ، وعَمِلَ صالحاً وهو ما شرع الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ من أعمال القلوب والألسن والجوارح ، وأدّى ذلك خالصاً لوجه الله طلباً لرضاه ، وعلى الكيفيات التي بينها رسول الله ﷺ ، واجتنب الشرك والمعاصي فقد زكت نفسه وطهرت وأصبحت أهلا للملكوت الأعلى لتعيش في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

وإن لم يؤمن الإيمان الحق ولم يعمل صالحاً ، ولم يجتنب الشرك والكفر والمعاصي فإن روحه تتدسَّ بذلك وتصبح مظلمة عفنة خبيثة كأرواح الشياطين والكافرين وحينئذ لن يكون لها مصير إلا جهنم وبئس المصير ، والعياذ بالله تعالى من النار وحال أهلها .

وإلى هنا استودعك الله يا أخا الإيمان إن آمنت ، أو أتركك لمصير أمثالك إن تركت الإيمان الذي بينته والعمل الصالح الذي فصلت لك ، وأصررت على الكفر والشرك وفاسد الأقوال وباطل الأعمال كما هي حال أكثر الناس .

وحسبي أن بلغتك ناصحاً لك غير خائن ولا خادع . والسلام .

إلى ضلال المسلمين

إلى أخي الشيعي

قريب الضلال أو بَعِيده

إلى ضُلال المسلمين

إلى أخي الشيعة قريبِ الضَّلالِ أوبعَيدِه

إلى أخي الشيعة إمامياً كنت أو جعفرياً ، أو إسماعيلياً كنت أو درزياً ، بهائياً كنت أو نصيريا ، قرب ضلالك عن الحق أو بَعُدَ ! !

إليك نصيحة ما قدمها لك أب ، ولا أسدتها إليك أم ، نصيحة مؤمن أوجبها عليه إيمانه وحَتمها عليه إسلامه ، فهو يقدمها لا حباً ولا بُغضاً ، ولكن طاعةً للّه والرسول ، ورغبةً في الحصول على الأجر المأمول .

أنصح لك يا أخا الشيعة أن تنقذ نفسك من عذاب النار .

أنصح لك أن لا تحرم نفسك من دخول الجنة دار الأبرار .

وذلك بأن تتبرأ من مذهبك الذى وضعته لك يد الإجرام الآثمة لتحرمك من رضوان اللّه والجنة وتزجّ بك فى سخط اللّه والنار مضحية بك وبملايين الملايين من إخوانك فى سبيل ضرب الإسلام والقضاء عليه ، الإسلام دين اللّه الحق المتعارض مع أديان الباطل المجوسية واليهودية والصليبية . الإسلام الذى ثلّ عرش كسرى وهدّ أركان قيصر الروم ، وبخّر أحلام اليهود فى إعادة مجد بنى إسرائيل على عهد داود وسليمان عليهما السلام .

إنك قد تعجب يا أخا الشيعة من قولى هذا لأنك مغمور بضلال الباطل مسحور بالبيان الكاذب الخادع . إنى لهذا لست بلائمك ، ولكن راحمك مشفق عليك ، أنصح لك أن تتبرأ من مذهبك الإمامى أو الجعفرى أو الإسماعيلى أو الدرزى أو البهائى أو النصيرى تتبرأ من هذا المذهب الذى وضعه المجوس لحرب الإسلام والمسلمين ، وشدّ يديك بحبل الإسلام ، وتمسك به فإنك تنجو من الخلود فى النار وتفوز بالجنة فى جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، قال اللّه تعالى : ﴿ **ومن يطع اللّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من اللّه وكفى باللّه عليماً** ﴾ .

أسلم يا أخا الشيعة تسلَمْ ؟ ومِم تَسلم ؟ تسلم من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ،

واعلم أن ما أنت عليه ليس دينَ اللّه الحق الذى أنزل به كتابَه وبعث به رسولَه محمداً ﷺ ، وما لم يكن دينَ اللّه فالعمل به ضلال وردة وباطل لا ثواب لصاحِبه إلا الخزى فى الدنيا وعذاب الجحيم فى الآخرة ! !

وأصغ إلىّ بعناية أعلمك ما أنت به جاهل .

اعلم يا أخا الشيعة المضلَّل ، أن للّه تعالى فى الكون سنناً لا تتبدل . منها أن الطعام يشبع ، والماء يروى ، والنار تحرق والحديد يقطع ، هذه سنن لا تتبدل ، ومنها أن الثوب الأبيض النظيف إذا ألقيته أو ألقيت عليه قذراً وأوساخاً تقذر وتغير لونه وتعفنت رائحته ، وإذا غسلته بصابون مطهر وماء طاهر صالح للغسل نظف وطابت رائحته فهذه سنن لا تتبدل ، ومنها أن التربة الملحة إذا زرعت فيها البر لا تنبت ، وأن التربة الطيبة إذا بَذَرْتَ فيها براً أو شعيراً أنبتت وحصدت ، فهذه سنن لا تتبدل .

ومثل هذه السنن أن النفس البشرية تزكو أى تطيب وتطهر بالإيمان والعمل الصالح ، وتخبث وتتدسى بالشرك والمعاصى ، وبِحسَبِ ذلك يكون جزاؤها فإذا كانت طيبة طاهرة فازت بالنجاة من النار ودخول الجنة ، وإن كانت خبيثة مدساة خابت وخسرت بالحِرمان من الجنة ودخول النار واسمع إلى قرار اللّه تعالى وحكمه عز وجل فيها إنه بعد أن أقسم بأعظم قسم وهو قوله عز وجل : ﴿ **والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ هذا هو القسم العظيم وجوابه المتضمن لحكم اللّه تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** ﴾ وهو حكم واضح صريح ، ولا يهلك على اللّه إلا هالك .

وبناء على ما ذكر أن العبد إذا أراد نجاة نفسه من الحرمان والخسران والفوز بالجنة دار السلام فإن عليه أن يزكى نفسه ، ولا يدسيها ، يزكيها بالإيمان الصحيح والعمل الصالح ، ولا يدسيها بالشرك باللّه أو بمعصيته ومعصية الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا** ﴾ وقال : ﴿ **ومن يعص اللّه ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** ﴾ .

والسؤال الآن هو : هل أنت مؤمن عامل للصالحات ؟ فتكون لك جنان الفردوس نزلاً أو أنت عاص للّه ورسوله فتكون لك نار جهنم تخلد فيها أبداً ؟

أما أنا فإنى على علم أنك ما دمت على مذهب من مذاهب الشيعة التى ذكرت لك فى مطلع حديثى معك فإنك غير مؤمن الإيمان المطلوب ولا عامل للصالحات المطلوبة للنجاة من النار والفوز بالجنة ، ولذا كتبت إليك هذه الرسالة راجياً لك أن تعرف ما أنت عليه من الضلال البعيد الذى أوقعك فيه رؤساء الطوائف المذكورة ليسودوا على حسابك ، ويعظموا بين يديك فتذل لهم وتُكبر من شأنهم كأنهم آلهة وأنت عبدهم .

إنهم يقولون لك إنك مؤمن عامل للصالحات ويبشرونك بالجنة بعد النجاة من النار ، وأنت تحب أنك كذلك ، ولَوْ مِتَّ على معتقدهم وعملهم ما أفلحت أبداً ، وهل يفلح من يبتغ غير الإسلام ديناً ، والله يقول : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ . وهل يفلح بالفوز بالجنة والنجاة من النار من لم يزكّ نفسه بالإيمان وصالح الأعمال ؟ .

ولكنى لا أطيل عليك الحديث وأنت أحوج ما تكون إلى ظرف تطهر فيه نفسك وتزكيها لتتأهل بذلك لدخول الجنة بعد النجاة من النار ، أقول لك هيا بنا نستعرض معاً الإيمان الصحيح والعمل الصالح وهما أداة التزكية والتطهير للنفس البشرية فنقول :

إن الإيمان عقد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان وهو بهذا الإسلام فكل مؤمن بحق هو مسلم بحق ، وكل مسلم بحق فهو مؤمن بحق .

إن الإيمان أن تصدق الله ورسوله ولا تكذبهما ولا تكذب عليهما فى قليل أو كثير . وأن تحب ما يحب الله ورسوله وتكره ما يكره الله ورسوله .

إن الإيمان أن تطيع الله والرسول فى المنشط والمكره .

إن الإيمان أن تسلّم لله والرسول فى حكمهما وما يقضيان به ولم يكن لك أدنى خيار فى ذلك قال الله تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ .

هذا هو الإيمان وقومك يا أخا الشيعة وأنت منهم جار على سنتهم يناقضونه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم . وسأبين لك ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

أما العمل الصالح المزكى للنفس مع ضميمة الإيمان الصحيح فهو ما يلى :

١ ــ أن يكون مما شرع الله تعالى فى كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ .

٢ ـ أن يفعله العبد طاعة للّه وتقرباً إليه ولا يلتفت فيه إلى غير اللّه كائناً من كان .

وهو الإخلاص الذى قال اللّه فيه : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا اللّه مخلصين له الدين** ﴾ .
وقال : ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾ .

٣ ـ أن يفعله طبق فعل رسول اللّه ﷺ ، ولا يتأتى له ذلك إلا بمراعاة ما يلى :

١ ـ الكمية بحيث لا يزيد فيه ولا ينقص منه فإن زاد فيه أو نقص منه بطل مفعوله فلا يزكى النفس ، ومثاله صلاة المغرب ثلاث ركعات فلو زاد المصلى فيها ركعة بطلت . وصلاة الظهر أربع ركعات للمقيم فلو نقص منها ركعة بطلت قطعاً ، ومعنى بطلت : أنه لا يثاب عليها أى أنها لا تزكى نفسه إذ النجاة بزكاة النفس وطهارتها .

٢ ـ الهيئة بحيث لا يقدم فيها ولا يؤخر بل يؤديها على الهيئة التى أداها عليها رسول اللّه ﷺ وعلمها أصحابه وآل بيته . ومثاله لو أن مصلياً قادراً على القيام فصلى قاعداً بطلت صلاته لاختلال هيئتها ، ولو أن مصلياً قرأ الفاتحة قبل تكبيرة الإحرام ، أو سجد قبل أن يركع مثلاً بطلت صلاته لاختلال الهيئة بالتقديم والتأخير ومعنى بطلت أنها لم تزك نفسه لفسادها باختلال أدائها .

٣ ـ الزمان ، إنّ الزمان جَزْءُ الْعِبَادَةِ فأيّما عبادةٍ لم تؤدّ فى زمانها بأن قُدمت عليه أوأجِرَتْ عنه بِأنْ صَامَ الناس شوالاً بَطَلَ ولما صح أبداً أى أن هذا الصوم الواقع فى غَير زمانه لا يزكى النفس لفساده . وهكذا كل عبادة وضع لها الشارع زماناً تُؤدى فيه فلم تؤد فيه بأن قدمت أو أُخرت عنه فإنها باطلة لا تزكى النفس إذ لا تولد الحسنات التى تشرق عليها النفس وتزكو .

٤ ـ المكان ، إن العبادة إذا حدَّد لها الشارعُ مكاناً تُؤدى فيه لا يصح أداؤها فى غيره بمعنى أنها باطلة لا تزكى النفس ومثاله الطواف والسعى والوقوف فقد حدد اللّه تعالى للطواف البيت العتيق فلو طاف عبد بأى بيت فى الأرض ولو ببيت الرسول ﷺ لكان طوافه باطلاً لا يزكى النفس ، والسعى كالطواف فقد حدد الشارع له ما بين جبلى الصفا والمروة فلو سعى أحد فى مكان غير المسعى الذى حدد اللّه تعالى لما صح منه ذلك أى لا يزكى نفسه ومثل الطواف السعى الوقوف بعرفة فلو أن الحجاج أرادوا أن يقفوا بغير عرفة فى مزدلفة مثلاً لما صح وقوفهم ولبطل حجهم لأن الشارع الحكيم حدد للوقوف عرفة .

هذا هو العمل الصالح وذلك الإيمان الصحيح فهل أنت يا أخا الشيعة وقومك تعرفون هذا وتحققونه لأنفسكم ؟ لا إخالُكُم تستطيعون ذلك ولا تقدرون عليه لأنكم حينئذ تجتمعون مع أهل السنة والجماعة . وأساس مذهبكم موضوع على مَبَايَنَةِ أهل السنة والجماعة بل ومعاداتهم حتى لا يكون وفاق ولا تلاق أبداً ، وذلك لتعيشوا كفاراً على ملة غير الإسلام فى الحقيقة أما فى الاسم فأنتم تقولون إنكم مسلمون ، وذلك زيادة فى الكيد للإسلام حتى لا يقبله من يُعْرَضُ عليه لما يرى من المنفرات منه كالكذب والغش والخداع والخبث والفساد والشر والفرقة والعداء بين أهله .

واعلم يا أخا الشيعة أن ما بينته لك طلباً لنجاتك من النار وفوزك بالجنة إن آمنت حق الإيمان وعملت عملاً صالحاً . من أن العمل الصالح لا يكون صالحاً مزكياً للنفس حتى تتوفر له تلك الشروط التى بينت لك مأخوذاً ومستسقى من قول الرسول ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ » . وقوله : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ » .

وبناء على هذا فكل عمل لم يكن مشروعاً بالكتاب والسنة أو لم يُخلِصْ فيه العبد للّه تعالى وحده أو لم يؤده على نحو ما أداهُ عليه رسول اللّه ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده فهو عمل باطل لا يزكى النفس ولا يطهرها . ومع الأسف أن ما يقوم به فرق الشيعة من عمل صالح لا توجد فيه نسبة ٢٥٪ مما بيّنه رسول اللّه ﷺ وعمل به ، وعمل به أصحابه من بعده ، فعلى أى شىء تزكو تلك النفوس يا ترى ؟ ؟

والعلة ظاهرة وهى أن أكثر فرق الشيعة تركوا العمل الإسلامى بالمرّة ومن يعمل منهم ببعض الشرائع يعمل بها من طريق الأحاديث المكذوبة على الأوصياء من بعض آل البيت ولذا فهم محرومون من العمل بالسنة الصحيحة وبذلك لا تزكو لهم نفس أبداً وهم خاسرون إلا من تاب منهم فآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل اللّه سيئاتهم حسنات وكان اللّه غفوراً رحيماً .

هذا ولا بد من ترك الشرك والمعاصى فإن الإيمان والعمل الصالح يبطل مفعولهما فى تزكية النفس الشرك والمعاصى . ولنستمع إلى قول اللّه تعالى : ﴿ **ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت لَيَحْبَطَنَّ عملك ، ولتكوننَّ من الخاسرين** ﴾ . وإلى قوله تعالى : ﴿ **إن اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك باللّه فقد ضلّ ضلالاً بعيداً** ﴾ .

هذا حكم الشرك وأثره حكْمُهُ : أنه أعظم أنواع الظلم ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وأثره ، أنه محبط للعمل الصالح موجب للخسران يوم القيامة وللشرك مظاهر يتجلى فيها وإن وجد فيها بين عوام وجهال أهل السنة والجماعة لغلبة الجهل فإن فرق الشيعة غرقون فى ذلك فلو لم يكن لهم ذنب إلا الشرك لخلدوا فى جهنم والعياذ بالله تعالى ، إلا أننا إذا نظرنا إلى أصل المذهب وأنه وُجد لحرب الإسلام وتدمير المسلمين انتصاراً للمجوسية التى هدمت أوكارها على أيدى المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ ممن رضى عنهم وأرضاهم أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين ، وحولت دارها إلى دار إسلام يعبد فيها الله وحده بما أوحاه إلى رسوله وشرعه لعباده ، فإنا لا نستغرب وجود الشرك عقيدة وعبادة بين أفراد المذهب الشيعى وبصورة عامة لا يخرج منها إلا من تبرأ من المذهب وانضم إلى جماعة المسلمين فأدخله الله فى رحمته . ومن مظاهر الشرك عند الشيعة دعاء غير الله تعالى والدعاء هو العبادة حتى إنك ترى السيارة قد كتب عليها : يا على ، يا حسين ، يا فاطمة ، وإذا قرأت كتب أدعيتهم وجدتها تفيض بدعاء غير الله والاستغاثة بغيره سبحانه وتعالى . أما تقديس القبور والعكوف عليها وبناؤها وإشادتها فهى مظاهر عامة ويحدث فيها من الشرك ما لا يقرّه ويرضى به إلا مشرك وما يجرى فى قدّاس عاشوراء من شرك وأباطيل فى كل بلد وجد فيه الشيعة سراً إن كانوا خائفين وعلناً إن كانوا آمنين فحدث ولا حرج .

وخلاصة القول : إنَّا باسم الله تعالى ندعو أخا الشيعة إلى الإيمان الصحيح والعمل الصالح بعد التخلى عن الشرك والمعاصى التى هى مخالفة أوامر الله ورسوله ونواهيهما من أجل أن ينجو من النار ويفوز بدخول الجنة إذ لا سبيل إلى ذلك إلا من طريق تزكية النفس وتطهيرها . إذ قال الله تعالى وقوله الحق : ﴿ **قد أفلح من زكَّاها ، وقد خاب من دسّاها** ﴾ وفسر لنا الفلاح بقوله : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ .

وأكرر ندائى إلى كل شيعى سواء كان إمامياً أو جعفرياً أو إساعيلياً أو درزياً أو بهائياً أو نُصيرياً بَعُدَ ضَلالُهُ أو قرب . أكرر ندائى ولا همّ لى ولا غرض إلا أن يُنقذ الشيعى نفسه من عذاب النار وينعم بمواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى الجنة دار الأبرار وهم المطيعون الصادقون . فتحرر يا شيعى وأنقذ نفسك تحرّرْ من الشيعية العمياء ، وتجرد لله وأسلم له قلبك ووجهك فاعبده موحداً له بما شرع فى كتابه وعلى لسان رسوله ، وخذ

دينك من أهله وهم جماعة المسلمين الذين من اتبع غير سبيلهم ضل وهلك وأصلاه اللّه نار جهنم ، قال تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ . والشيعة شاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى إنهم يبغضون محابّ رسول اللّه ﷺ . وأيّ مشاقة أظهر من إحداث مذهب يتعارض مع سبيل المؤمنين ولا يلتقى معه إلا فى مواقف معدودة وفيما يظهر فقط أما ما يبطن فلا تسأل إذ التَّقِيَّةُ وهى الكذب أصل من أصول دينهم إذ قال قائلهم : لا دين لمن لا تقية له .

وإليك زيادة فى الإيضاح ومبالغة فى النصح : أيها الأخ الشيعى اللوحات التالية فأجل النظر فيها وأعمل الفكر فيما تضمنته من حقائق فإنك إذا أراد اللّه نجاتك وإسعادك عقب الفراغ من قراءتها تُعلن عن براءتك من الشيعة والتشيع وتنضم إلى جماعة المسلمين وتطلب تحقيق إيمانك ، وصالح أعمالك بما فى كتاب اللّه وسنة رسوله من بيان وهدى حقق اللّه لك ذلك ، وأثابنى على نصيحتى لك .

اللوحة الأولى

بَدْءُ الشيعة

إِنَّ بَدْءَ الشيعة كان يوم سقوط عرش كسرى ملك الفرس المجوسى [1] وفَتْح أصحاب رسول الله ﷺ بلاد فارس على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . إنه ليس من السهل أن تفتح فارس على أيدى العرب ، ويتقبل أهلها الإسلام ويدينون به عوضاً عن ديانتهم المجوسية وبكل ارتياح ، ولا يشذ منهم أحد ! ! إنه ما أن سقط عرش كسرى وأشرق نور الإسلام فى تلك الديار ديار فارس حتى تكونت أحزاب وطنية سياسية هدفها تقويض الحكم الإسلامى وإعادة حكم الساسانيين وبما فى ذلك إحياء الديانة المجوسية ، وإماتة الديانة الإسلامية الدخيلة فى نظرهم على البلاد الفارسية .

ويؤكد هذه الحقيقة اغتيال أبى لؤلؤة الفارسى المجوسى لعمر بن الخطاب خليفة المسلمين فى مسجد رسول الله ﷺ بل فى محرابه .

إن مما لا مجال للشك فيه هو طعن أبى لؤلؤة لعمر ؟ والجواب : إن الحزب السّرى المجوسى الذى يعمل فى الظلام هو الذى أوعز إلى أبى لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بقتل عمر رضى الله عنه إنتقاماً منه لأنه فاتح فارس وهادم عرش كسرى المجوسى .

هذا من جهة ومن جهة أخرى ليقف المدّ الإسلامى بزعزعة دعائم الدولة الفاتحة وتقويض أركانها بقتل أفضل وأكمل وأقدر رجل فيها هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأجل النظر يا أخا الشيعة فى هذه اللوحة وأعمل الفِكْرَ مرة بعد مرة يَتَجلَّى لك أن دعاة الشيعة والتشيع ليسوا والله دعاة إسلام ، ولا سِلْم ، وإنما هم دعاة مجوسية ناقمة حاقدة على الإسلام والمسلمين وحرب عليهما .

---

(١) نسبة إلى المجوس وهم أهل ملة كبرى يؤلهون النور والظلمة ويعبدون الشمس يتقربون بعبادتها إلى إلهى الكون اللّذين بيدهما الضر والنفع والصلاح والفساد ، وهى ملة من وحى الشيطان لإفساد العقول البشرية والهبوط بالناس إلى مستنقعات القذر والخبث حتى لا يكملوا ولا يسعدوا .

اللوحة الثانية

التعاون على ضرب الإسلام

إنه بخيبة اليهود فيما انتظروه طويلاً ونزلوا الديار الحجازية من أجله أملاً أن ينقذهم مما حل بهم من قتل وتشتت وتشريد على أيدى الروم ، وهو نبىّ آخر الزمان الذى قد أظلهم زمانُه ، إلا أنهم ما إن طلعت شمسه ورأوْه أنه من ولد إسماعيل وأنه جاء بالحنيفية السمحة ، ولا مجال لليهودية فيها ، وخافوا على ذوبان الأمة اليهودية فى الإسلام دين البشرية العام ، الذى لا مجال فيه للتكتل والتعصب والإنقسام والتخريب أعلنوا عن حربه بالمكر والخديعة مرة ، وبحمل السلاح مرة أخرى ، وكانت نهاية سعيهم أن أجلاهم عمر من أرض الحجاز والجزيرة بعهد من رسول الله ﷺ ، وهنا أصبح عمر بن الخطاب هدف اليهود كما هو هدف المجوس ، وبدأ التعاون بين المجوس واليهود وانضمّ إليهم النصارى وقد ثُلّ عرشهم ودخل الإسلام ديارهم . وكوّن التعاونُ المجوسى اليهودى الصليبى ثالوثاً أسود أشأم من حرب البسوس كما يقولون ، وكان أول سهم رموا به قتل عمر بن الخطاب ثم عثمان رضى الله عنهما ، ثم من من فتنة وُجدت فى العالم الإسلامى إلى اليوم إلا والأصابع المحركة لها والقوى الدافعة لها هى التعاون المجوسى اليهودى الصليبى . وشاهد ذلك من كتاب الله قولـه تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ . وما دام رضاهم متعذراً فسخطهم قائمٌ ، والسخط يدفع إلى الإنتقام والضرب . وفى الحديث وقد سئل ﷺ عن المجوس فقال : سُنوا بهم سنة أهل الكتاب والحديث وإن كان فى ضرب الجزية عليهم إلا أنه دل دلالةً واضحة على إلحاق المجوس باليهود والنصارى فى السخط على الإسلام والمسلمين والمكر بهما والكيد لهما ، والواقع يشهد ، وكفى به بعد الله شهيداً .

لقد قام الثالوث المتعاون على ضرب الإسلام بإثارة فتنة عثمان وأجج نارها عبد الله بن سبأ الصنعانى اليهودى ، وما إن كادت ـ لولا لطف الله ـ تلتهم الأخضر واليابس من غرس الإسلام حتى ظهر التشيع لآل البيت دون الإسلام والمسلمين ، ومَنْ آل البيت فى قانون الثالوث الأسود ؟ إنهم أولاد فاطمة لا غير ، أما أزواج الرسول ﷺ أما أبناء على من

غير فاطمة ، أما العباس وعقيل عمَّا رسول اللّه ﷺ فليسوا من آل البيت رغم أن اللّه تعالى قال فى نساء الرسول ﷺ : ﴿ **إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات اللّه والحكمة إن اللّه كان لطيفاً خبيراً** ﴾ .

واللّه لولا الحقد المجوسى على الإسلام ونبيه وآل بيته والمسلمين أجمعين لـما تجرأ أحد ينتسب إلى الإسلام ، فيفرق بين آل البيت الواحد . إن هذه وحدها تبين بوضوح أن المذهب الشيعى مَذْهب كُفرٍ وتفرقة وحرب للإسلام والمسلمين ، وأن واجب كل المسلمين البراءة من هذا المذهب المجوسى ، وعدم إقرار نسبة أهله إلى الإسلام إلا أن يتوبوا ولا يصدقوا فى توبتهم حتى يأتوا بكل كتاب شيعى فيحرق أمام المسلمين أو يرمى به فى البحر ويغرق فيه ثم إلزامهم بالأخذ بالإسلام عقيدةً وعبادةً وسلوكاً ، ومن رفض يقتل كفراً ، لأنه ترك دينه وخرج عن جماعة المسلمين ، والرسول ﷺ يقول : « لا يحل دم إمرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزانى والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

اللوحة الثالثة

سلسة فتن الشيعة

إن الحلقة الأولى : فى سلسلة فتن الشيعة كانت وقوفهم مع ابن سبأ اليهودى إلى جنب على فى نزاعه مع معاوية سنة ٣٥ هجرية وقفوا إلى جنب على بوصفه أحد أفراد آل البيت ، لأن من عقائد المجوس وفلسلفاتهم الدينية أنه لا بد من عائلة مقدسة تتولى شؤون الدين ، فوقفتهم هذه كانت حنيناً إلى عهد المجوسية من جهة ، ومن جهة أخرى كانت توسعةً لشُقة الخلاف بين المسلمين حتى لا يلتئم شملهم ويضعفوا ويتمكن الناقمون على الإسلام من ضربه وإيجاد دولة فارسية فى إيران على أنقاض الدولة الإسلامية . فلهذا ما إن مات على رضى اللّه عنه حتى قاموا متعاونين مع ابن سبأ وعصابته على حرب بنى أمية تحت ستار نصرة آل البيت ، ومن جملة ما قام به ابن سبأ فى تحريف الإسلام وهدْم قواعده أنه نادى بألوهية على بن أبى طالب ، وأَعْلَنَ أن علياً لم يمت وأنه هو الذى يجىء بالسحاب ، والرعدُ صوتهُ والبرق تَبَسُّمُهُ وأنه سينزل إلى الأرض ويملؤها عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، ووجدت هذه النغمة آذاناً صاغية فتكونت منها الشيعة (السبئية) نسبة إلى عبد اللّه بن سبأ اليهودى العقيدة الشيعى المذهب .

الحلقة الثانية الكيسانية : لقد كان لعلى رضى اللّه عنه مولىً يقال له كَيسان فغلت فيه فرقة ونَسَبَتْ إليه العظائم ومن ذلك إحاطته بالعلوم كلّها لأنه اقتبس علمه من على وابنه محمد بن الحنفية وظهر فيهم من ينكر البعث الآخر وقالوا بالرجعة بعد الموت ، وبالحلول والتناسخ وعظمت حيرتهم واشتدت فتنهم .

الحلقة الثالثة المختارية : إذ ظهرت هذه الفرقة متزامنة مع الكيسانية وهم فرقة قادها المختار الذى تنقل من حال إلى حال إذ كان خارجياً ، ثم صار زُبَيْرياً (١) ثم صار شيعياً رافضياً وكيسانيا أيضاً . ومن مذهبه أنه يجوز البداء (٢) على اللّه تعالى . وإنما قال بالبداء

---

(١) نسبه إلى عبد اللّه بن الزبير رضى اللّه عنهما .

(٢) البداء له ثلاث صور الأولى أنه يكون فى العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم . والثانية أن يكون فى الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحَكَم . والثالثة أن يكون فى الأمر وهو أن يكون يأمر بالشىء ثم يأمر بآخر بعده بخلاف ذلك . إعتقاد البداء كفر لما فيه من تجهيل اللّه تعالى ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله .

لأنه كان يَدّعى علمَ ما يحدث من الأمور فكان إذا وعد أصحابه بحدوث شيء ولم يحدث قال قد بدا لربكم غيره .

الحلقة الرابعة : الهاشمية وهم أتباع هاشم بن محمد بن الحنفية وانقسموا على خمس فرق كل فرقة تقول مالا تقول الأخرى . وكذلك الضلال يفعل بأصحابه .

الحلقة الخامسة البيانية : وهم أتباع بيان بن سمعان التميمى ، وبيان هذا من الغلاة القائلين بألوهية على بن أبى طالب . وله عجائب منها أنه قال فى قول اللّه تعالى : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللّه فى ظلل من الغمام** ﴾ قال : أراد به علياً فهو الذى يأتى فى الظلل ، والرعد صوته والبرق تبسمه ، وكتب مرة إلى محمد بن على بن الحسين قال له : أسلم تسلم إلخ .

الحلقة السادسة : الرّزاميّة وهم أتباع رزام بن رزم وظهروا فى إيران منبت الفتن .

الحلقة السابعة : السليمانية .

الحلقة الثامنة : الصالحيّة والبَتْريّة .

وهذه الفرق الضالة ضلالها متقارب وليس هناك كبيرُ فارق بينها إذ تجمعهما جامعة الضلال والخروج عن جماعة المسلمين والرضا بالتفرقة لزعزعة أركان الإسلام ودولته .

ولم تلبث هذه الفرق أن تضاءلت واختفت لِما كان عليه بنو أمية من حزم وقدرة على إخماد نار الفتن ، وإن كان ينقصهم دهاء الفرس وتخطيطهم وتنظيمهم المجوسى .

الحلقة التاسعة : مؤامرة أبى مُسلم الخراسانى .

إنه بالرغم من حزم خلفاء بنى أمية فإن الشيعة المجوسية كانت تعمل فى السراديب وفى ظلام الليل ، ولما أفل نجم آل البيت بموت الحسين وتنازل الحسن إلى معاوية رضى اللّه عنهم أجمعين حوّلوا تَبَعِيّتَهم إلى آل العباس وبمرور الأيام وضعف بنى أمية لما أصابهم من الترف والإقبال على المادة ، وما يسبب ذلك من الغفلة وسوء الإدارة وضعف التنظيم ظهر من تحت الأرض مجوسى هو أبو مسلم الخراسانى وذلك عام ١٢٩ هجرية ظَهَرَ قرب مَروٍ واحتلها عام ١٣٠ هجرية ثم سقطت خراسان كلها بلداً بعد بلد فى أيدى دعاة العباسيين من الفرس وغيرهم . ثم توجه أبو مسلم القائد بجيوشه إلى العراق فاحتل بغداد وأخرج السفاح العباسى من المخبأ وانتهى العهد الأموى وبدأ العهد العباسى بقيادة الشيعة وبويع

للخليفة العباسى السفاح عام ١٣٢ هجرية وأصبح الحكم فى الظاهر للعباسيين ، وفى الباطن للشيعة والمجوس الذين شفَوْا صدورهم من العرب الفاتحين قتلاً وتنكيلاً لمدة ست سنوات . على أيدى أبى مسلم الخراسانى .

ولما أراد اللّه تعالى هلاكه شق عصَا الطاعة على المنصور لَمَّا وَلِى الخلافة بعد موت السفاح وحاول أن يستقل بخراسان بكاملها إلاَّ أن المنصور استدرجه بحكمته حتى تمكن من قتله فقتله عام ١٣٧ هجرية بعد أن تفرق عنه أكثر أتباعه وأنصاره ، إلا أن نار المجوس لم تخمد أبداً فقد ظهر عام ١٣٨ هجرية السّنباذُ يطالب بدم أبى مسلم الخراسانى وقد جمع حوله وهو مجوسى العديد من الفرس ، وتغلب على قوسر وأصبهان إلا أن أبا جعفر المنصور بعث إليه بجيش قوى فهزمه شر هزيمة بين الرى وهمذان .

الحلقة العاشرة : الراوندية ، ففى عام ١٤١ هجرية ظهرت فرق بقرية راوندا قرب أصفهان فسميت بالراوندية وهو من أتباع أبى مسلم أظهروا التشيع وقالوا بتناسخ الأرواح وألوهية المنصور ونادوا بذلك وقَصْدُهم من وراء ذلك التمكن من ضرب دولة الخلافة إنتقاماً لأبى مسلم الخراسانى الذى قتله أبو جعفر المنصور إلا أن أبا جعفر اكتشف سرهم وقاتلهم وانتصر عليهم فأطفأ جمرتهم وأخمد نارهم .

الحلقة الحادية عشرة :

المقنع الفارسى وهو رجل فارسى مجوسى أطلق عليه إسم المقنع وادعى أن اللّه تعالى قد حل بآدم ثم فى نوح ثم فى أبى مسلم الخراسانى المجوسى ، وما لبث يدْعُو إلى ما يدعو إليه من الباطل والكفر حتى اجتمع عليه خلق كثير من الفرس الناقمين ، وتغلب بهم على بلاد ما وراء النهر ، واحتمى بقلعة (كش) فأرسل إليه المهدى جيشاً فحاصره وهزمه وقتل كثيراً من أصحابه ولما أحس المقنع بالهلاك القريب إحتسى سماً قاتلاً وسقاه أفراد عائلته فهلكوا جميعاً . ودخل عليهم جيش المسلمين فاحتزّوا رأسه وأرسلوه إلى الخليفة المهدى العباسى وذلك عام ١٤٣ هـ وكان المهدى شديداً على الملاحدة والزنادقة يتتبعهم ويبيدهم حتى إنه كون هيئة مهمتها البحث والتنقيب عن الزنادقة وأطلق على رئيس الهيئة « صاحب الزنادقة » .

الحلقة الثانية عشرة :

البرامكة أسرة برمك المجوسى الذى كان سادناً لمعبد النار فى مدينة بلخ ، من أفراد

هذه الأسرة خالد بن برمك تشيّع لآل العباس فاستوزره السفاح العباسى ، ولما مات خالد البرمكى ، ولّى المنصور العباسى ولده يحيى أذربيجان وشيئاً فشيئاً حتى ملك البرامكة أمر هارون الرشيد وأصبح كالأسير بأيديهم حتى أيقظه اللّه جل جلاله فأمر بقتلهم والتخلص منهم ، وذلك لمَّا تجلى له أمر زندقتهم ومما يذكر هنا أن من مكر الشيعة بالعباسيين أنهم أصهروا إليهم فزوجوهم بناتهم وبذلك نشأ أولادُ الخُلفَاءِ العباسيين فى حجر بنات المجوس فتسرب إليهم الكثير من معتقدات المجوس وعاداتهم وهو خطر عظيم وهذا الأصمعى يصور الحال فى بيتين من الشعر فيقول :

إذا ذُكر الشركُ فى مجلس

أضاءت وجوه بنى بَرْمكِ

إذا تليت عندهم آية

أتوا بالأحاديث عن مزدك

الحلقة الثالثة عشرة :

الإسماعيلية وهى فرقة من الشيعة تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ومن عجيب أمر هذه الطائفة المجوسية أنها تظهر أحياناً وتختفى أخرى وأن عقائدها من عقائد غلاة الشيعة وهى العمل على إبطال عقائد الإسلام بتحريفها وتأويلها وأكبر عامل لذلك عندهم هو أن للقرآن ولأصول الدين ظاهراً وباطناً ، ومن هنا كانوا أصلاً للباطنية وغلاة المتصوفة وقد تولدت منهم طائفة القرامطة التى أذاقت المسلمين الويلات وأنزلت بهم أشد العقوبات قتلاً وتشريداً كما سيأتى ذلك فى الحديث عنهم .

ولهذه الفرقة المجوسية معتقدات عجيبة منها :

١ ـ أنهم يقولون : لا نقول اللّه موجود ولا غير موجود ، ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز كراهة أن نصفه بوصف يشترك فيه معه غيره من المحدثات ، فنذهب إلى التنزيه المطلق . والهدف البين من هذا المعتقد هو إنكار وجود اللّه تعالى كما ذكر ذلك أبو حامد الغزالى غفر اللّه له ورحمه .

٢ ـ إنه لا بد فى كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق ويرجع إليه فى تأويل الظواهر وحل إشكالات القرآن .

٣ ـ وصفهم الأئمة بصفات الألوهية يظهر ذلك فى قول شاعرهم :

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ فاحكم فأنت الواحدُ القهار

وأول دولة تمكنوا من إيجادها دولهتم باليمن التى قام بتأسيسها الحسن بن حوشب عام ٢٦٨ هـ حيث أظهر هذا الخبيث الماكر الزهد والورع والعبادة ودعا الناس إلى ذلك حتى أحبوه وأقبلوا عليه وأطاعوه فكون منهم دولته المجوسية ، ثم لم يلبث أن أظهر الدعوة إلى المهدى من آل إسماعيل وانتهى به الأمر إلى إحلال المحرمات وإستباحة الفواحش وجاء بعده على بن الفضل فى ناحية من نواحى اليمن وأظهر كذلك الصلاح والزهد حتى خدع الناس والتفوا حوله وعندها إدعى النبوة لنفسه وأعفى أتباعه من أداء الشعائر الإسلامية من صلاة وصوم وحج . وأحل نكاحَ البنات والأخوات كما أحل شرب الخمور والمسكرات . وعن طريق هؤلاء الإسماعيلية الباطنية تكونت الدولة الفاطمية وأول من بذر بذورها دعاة أرسلهم على بن الفضل إلى أفريقية يبشرون بالإمام المهدى المنتظر واستجابت له قبيلة كتامة وكانت أقوى القبائل يومئذ فبايعوه . وهى بداية الدولة الفاطمية الشيعية .

وما زال بقايا الطائفة الإسماعيلية إلى اليوم فى الهند وباكستان وفى شرق أفريقيا يبنون مساجد خاصة بهم يحضرون فيها بنسائهم وأطفالهم ما بين المغرب والعشاء يلهون ويلعبون ويأكلون ويشربون ويعدون هذه الصلاة هى الواجبة عليهم لا غير .

الحلقة الرابعة عشرة :

القرامطة وهم فرقة باطنية مجوسية تدعى القرامطة نسبة إلى رجل من أهل الكوفة يقال له حمدان قرمط ظهروا عام ٢٧٨ هـ وكانوا فى مبدأ أمرهم إسماعيلية متشيّعة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، ثم توغلوا فى الباطنية إذ إمامهم حمدان قرمط بدأ دعوته بالزهد والصلاح والتشيع لآل البيت كغيره من سائر طوائف الشيعة ثم قال بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب ، واتخذ مقراً فى الكوفة سماه دار الهجرة والتف حوله أتباعه وكان يجمع الأموال ويوزعها على الفقراء والضعفاء ويشيع الإخاء والمودة بين أصحابه حتى كانت لهم صولة فأصبحوا يغزون أطراف الخلافة بعد أن خرجوا عليها وانتشروا فى سواد العراق وامتدوا إلى اليمن وأسسوا دولتهم فى البحرين وامتد نفوذهم إلى القطيف والأحساء وأطراف الشام . وروعوا الحجاج فكانوا يعترضون طريقهم فيسلبون وينهبون وأسوأ كارثة ألحقوها بالمسلمين كانت سنة ٣١٧ هـ حيث دخلوا مكة تحت إمرة أبى طاهر

القرمطى وقتلوا الحجاج شر قتلة ورموا بالجثث فى بئر زمزم وأخذوا الحجر الأسود إلى ديارهم ولم يردوه إلا بعد أن مضى عليه ٢٣ سنة وكان أبو طاهر أميرهم قد أمر بقلع ميزاب الكعبة وبابها ومزق ستارها وكان يقول :

أنـا اللّه وباللّه أنـا   يخـلق الخـلق وأفنـيهم أنـا

فهو بهذا حلولى كالحلاج وابن عربى ، والمراد من صنيعهم هذا مع الحجاج والبيت الحرام إبطال الحج نهائياً . واستمر شر القرامطة إلى نهاية عام ٤٧٠ هـ حيث انتهت دولتهم [١] ولم ينته كيدهم وخداعهم شأنهم شأن سائر الفرق المجوسية المنتقمة من الإسلام الذى هدّ عرش كسرى وأبطل فى ديار الفرس عبادة النار انتهت دولتهم المتسترةُ بالتشيع لآل البيت وآل البيت منهم برءاء .

الحلقة الخامسة عشر :

البُوَيْهِيُّون وهم طائفة من طوائف الشيعة وأصلهم فارسيٌّ إذ هم من سلالة سابور ذو الاكتاف الفارسى . أسس دولتهم أبو شجاع بويه . واستولوا على العراق عام ٣٣٤ هـ حيث خلعوا الخليفة العباسى المستكفى باللّه . ونصبوا بدله أبا الفضل بن المنذر ، وأعطوه لقب المطيع للّه وجعلوه العوبةً فى أيديهم ، ودام ملكهم قُرابة مئة عام ، ففرضوا التشيع ليستتروا به وباسمه ينشرون معتقداتهم المجوسية ، وأوقدوا نار الفتن بين الشيعة والسنة ليتمكنوا من الحكم من جهة ومن نشر مذهبهم الباطنى من جهة أخرى . ومن مكرهم بالإسلام وكيدهم له أنهم أول من ابتدع بدعة عاشوراء المعروفة الآن عند الروافض الشيعة وهى أنهم أمَرُوا بإغلاق الأسواق فى اليوم العاشر من المحرم ، وأوقفوا العمل ونصبوا القباب فى الأسواق والساحات العامة فى بغداد وعَلَّقُوا على القباب المُسوح [٢] ، وأخرجوا النساء منتشرات الشعور يلطمن وجوهن فى الأسواق والشوارع يندبن وينحن على الحسين رضى اللّه عنه وهى لعبة القصدُ من ورائها إفسادُ الإسلام وإحياء أعياد المجوس التى انتهت بوجود الإسلام .

الحلقة السادسة عشرة :

العبيديون « الفاطميون » هم أتباع عبيد اللّه بم ميمون القدّاح من أصل مجوسى كان

---

(١) كانت دولتهم بالأحساء وكان سقوطها نهائياً على يد عبد اللّه بن على من بنى عبد القيس بمساعدة الملك السلجوقى .
(٢) المسوح : واحده مِسح وهو الكساء من شعر يلبسه المرء تقشفاً وقهراً للجسد .

من أشهر الدعاة السّريّين الباطنيين ومن دعوته كانت دعوة القرامطة ، وبدأت دعوتهم بالأهواز ثم انتقلت إلى الشام واستقرت بقرية السَلَمية قرب حمص ومات عبد اللّه فخلفه ابنه أحمد ثم هلك فخلفه ولده الحسين ثم أخوه سعيد بن أحمد وكانت الدعوة سراً ثم استفحل أمرهم واستطار شرهم فخافهم الخليفة المتوكل العباسى فحاول القبض على إمامهم سعيد بن أحمد ليتخلص منه ففر اللعين إلى المغرب ونشر دعوته ووجد أعواناً له فعظم أمره حتى تغلب على الأغالبة وملك البلاد وذلك عام ٢٩٧ هـ وتلَقَّب يومئذ بعبيد اللّه المهدى وادعى أنه من آل البيت وانتحل لقب الإمام ليكون فى عداد أئمة آل البيت ومن ثم عرفت دولتهم بدولة الفاطميين ولما دان لها المغرب بعد التقتيل والتعذيب قاد جيوشها جوهر الصقلى ودخل مصر وحكمها وبنى مدينة القاهرة وبنى الأزهر ليكون معهداً لتخريج دعاة الفاطميين إلى المجوسية فى الباطن إذ هى نفثة الإسماعليين والقرامطة واستمر حكمهم يتوارثونه إلى عهد المستنصر باللّه سنة ٤٨٧ هـ ثم انقسمت دولتهم ودب فيها الخلاف وانتهى أمرها على يد القائد الإسلامى العظيم صلاح الدين الأيوبى وذلك سنة ٥٦٧ هـ .

ومن عجيب أمر الشيعة أنه ما إن تمكن العبيديون الفاطميون من حكم المغرب ومصر حتى ظهر حكم الصليحيين باليمن وهم فرع عن الشيعة الفاطميين فأخضعوا البلاد اليمانية كافة لدولتهم المجوسية الباطنية وضموا إليهم الحجاز وتطلعوا إلى العراق لنزع الخلافة من أيدى العباسيين إلا أن قائدهم على بن محمد الصليحى قد قتل فتراجعوا وضعف أمرهم حتى انقرضوا عام ٥٦٣ هـ وكانوا فى معتقداتهم كسائر الشيعة الإسماعيلية والقرامطة والفاطميين يقولون بالباطن والرَّجعة وعصمة الأئمة ، والإمام يحط على من شاء العبادات ويبيح لهم المحرمات ، وذكر المؤرخون لهم من الفضائح ما يندى له الجبين والعياذ باللّه تعالى .

الحلقة السابعة عشرة :

البهرة وهم فرقة من الشيعة الباطنية نشأت باليمن على إثر إختفاء الإسماعيلية ، وإنتهاء الدولة الصليحية ، واستعملت هذه الفرقة مبدأ التَقِيَّة وأخذت تنشر مذهبها بواسطة التجار فظهرت فى الهند وباكستان كما هى فى عدن وشرق أفريقيا ، كما توجد بنجران بالمملكة العربية السعودية وباليمن الشمالى بجبال حراز وقد تفرعت إلى فروع ولا تختلف عقائدهم عن عقائد سائر فرق الشيعة الباطنية فى تحريف القرآن وتأليه الأئمة وبغض أهل السنة والجماعة والكيد لهم والمكر بهم .

الحلقة الثامنة عشرة :

البهائية وهم فرقة من الشيعة الروافض إذ كان مؤسس هذه الفرقة مرزا على محمد الشيرازى إمامياً إثنى عشريا ثم جمع له عدة نظريات من مذاهب الباطنية المختلفة . وبدأ دعوته عام ١٨٢٠ م واجتمع عليه أهل فارس إلا أن دعوته قد اصطدمت بطموح الشاه الملك فأعدمه إلا أن دعوته لم تمت بل استمرت حيث إحتضنها ولد المؤسس لها المسمى ـ بهاء الله ـ الذى نادى بالمساواة التامة بين سائر أجناس البشر اليهود والنصارى والمشركين والمجوس والمسلمين على حد سواء ونسخ صلاة الجمعة مبدئياً ثم أبطل العمل بشرائع الإسلام وأباح كل حرام ، ووَجَدَتْ هذه الطائفة عوناً من اليهود والنصارى ووضع لهم إمامهم أناشيد فى مدحه وتعظيمه ، وألف كتاباً أسماه « الكتاب الأقدس » وبعد موت بهاء انتقلت الرئاسة إلى ابنه عباس وذلك عام ١٨٩٢ م ، واستمرت هذه الدعوة المجوسية الماسونية فى آن واحد ولها مراكز فى الهند وإيران وفى بريطانيا وأمريكا وحتى فى فلسطين المحتلة حيث يوجد لها مركز كبير بمدينة عكا ، وأفرادها ينتقلون بين بلاد العرب والمسلمين ولكنهم يعيشون على مبدأ التقية فلذا لم يعرفوا غالباً إلا إذا احتكُّوا بالشخص أو الأشخاص لعرض دعوتهم لعنهم الله ما أضلهم !

ولا يبعُدُ أن تكون القاديانية فرعاً عن البهائية لأنهما فى الكفر سواء إلا أن القاديانية تقوم ببعض الشعائر الإسلامية والأخرى لم يبق لها شىء ، ومما يذكر هنا أن الدولة الباكستانية حكمت بكفر القاديانية وأقرّ ذلك المسلمون وهم كذلك ، وأداءُ بعض الشعائر الإسلامية مع فساد العقيدة لا يغنى شيئاً .

الحلقة التاسعة عشرة :

النصيرية وهى فرقة من شرّ الفرق التى انتسبت للإسلام لتدميره والقضاء عليه أسسها محمد بن نصير الشيعى الإمامى من موالى بنى نمير وما دام مولىّ فلا يبعد أن يكون فارسياً مجوسياً ويدل على ذلك معتقدهم الذى هو القول بتناسخ الأرواح ، وبقدم العالم ، وإنكار البعث والجزاء ، وأن علياً هو الرب ، وأن محمداً هو الحجاب ، وأن سلْمان الفارسى هو الباب وإبليس هو عمر بن الخطاب ويليه فى رتبته الإبليسية أبو بكر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولعنة الله على النصيريين .

ومما يذكر من مساوئهم أنهم كانوا عوناً للتتار على المسلمين كما وقفوا إلى جانب

الصليبيين فى حروبهم للمسلمين وإحتلال بيت المقدس ، واعتمدت فرنسا عليهم فى حكمها بلاد الشام ، وهم إلى الآن وجهتهم مع غير المسلمين وعونهم إلى سائر الفرق الضالة المحاربة للإسلام والمسلمين كالروافض واليهود وغيرهم ، ولذا فإنه لا خلاف بين المسلمين فى كفرهم !

الحلقة الموفية عشرين :

الدروز جمع درزى واختلف فى الرجل المسمى بدرز الذى تنتسب إليه هذه الطائفة ولا خلاف أنه من بلاد فارس وأن أصل هذه الطائفة كان من الشيعة الإسماعيلية وامتزجت بالقرامطة والفاطميين ، وكانت مستترة لا تظهر إلا فى ظروف مواتية . وهمها الوحيد كغيرها من طوائف الشيعة المغالية هدم الإسلام والتحلل من التكاليف الشرعية . وبمرور الزمان عمل رجالها على وضع شريعة غير شريعة الإسلام عقائد وعبادات ، وبلغ بهم الأمر حتى وضعوا لهم كتاباً عدّلوا به القرآن الكريم وفضلوه عليه وها هو ذا أحد أعلامهم حمزة بن على يخاطب الدروز فى إحدى رسائله فيقول : أما بعد فقد سمعتم قبل هذه الرسالة نسخ الشريعة بإسقاط الزكاة عنكم ، وفى رسالة أخرى يقول : قد بينتُ لكم فى الكتاب « النقض الخفى » نسخَ السبعِ الدعائم ظاهرها وباطنها ، وذلك بقوة مولانا جل ذكره وتأييده ولا حول ولا قوة إلا به . ويقصد بمولاه الحاكم . ويقصد بالسبع الدعائم الشهادتين والصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد والولاية .

وبالجملة فإن عقائد الدروز تدور حول تأليه الحاكم وإبطال الشريعة الإسلامية وقد اشتملت على ألفاظ الكفر ما يُنَزَّه عن كتابته القلم ويطهر من ذكره الفم ، ولذا حكم المسلمون بكفرهم ومن لم يكفرهم يكفر ، وهم متواجدون فى سوريا ولبنان وفلسطين ووجهتهم دائماً مع أعداء الإسلام وهم حرب دائماً على الإسلام والمسلمين والقصد من ذكر هذه النبذة عنهم التدليل على أن مبدأ الفتنة للإسلام والمسلمين هم الشيعة ، وأن منبت الشر ووكره كان وما زال إيران بلد التاج الكسروى الممزق .

الحلقة الحادية والعشرون :

الصَفَويون نسبة إلى إسماعيل الصفوى المنحدر من سلالة ملوك فارس بعد الفتح الإسلامى ، إلا أنه تضليلاً أعلن أنه ينحدر من سلالة الإمام السابع للشيعة وهو موسى الكاظم ، وعند بدء ضعف الدولة العثمانية وأيام إنشغالها بِحَرْبِها مع النمسا شرق أوروبا

أعلن عن دولته الفارسية وأن دينها الشيعة . وكان تأسيس هذه الدولة الفارسية التي ضمت تحت جناحيها فارس والعراق وكانت عاصمتها تبريز ، وبلغت أوجها يوم وليها الشاه عباس الصفوى وذلك عام ١٦٢٩ م حيث إستعان الشاه بالإنكليز وأكثر دول الغرب ومن ثم بُنيت الكنائس وحورب أهل السنة فيها واضطهدوا ، إذ كانت الدولة فارسية باطنية إمامية « خليط عجب » وبلغ بهم الأمر حتى حولوا الحج إلى مشهد حيث قبر على الرضا ، ومن ذلك اليوم أصبحت مشهد مدينةً مقدس عند الشيعة الإيرانيين . وفى عام ١٧٢٢ م قَضَى على هذه الدولة الصفوية العثمانيون ثم خلفهم الأخشاريون الشيعيون ثم خلفهم القاجريون وهم شيعة أيضاً حيث استمر حكمهم إلى سنة ١٣٤٤ للهجرة حيث انتهى الحكم إلى أسرة بهلوى .

الحلقة الثانية والعشرون :

الخمينيون ، وهم مجموعة من غلاة الروافض يلقبون بالآيات وعلى رأسهم آية اللّه الخمينى الذى نصب نفسه « بمؤازرة الآيات المتواطئين معه » الإمام النائب عن الإمام الغائب المنتظر محمد بن حسن العسكرى المختبىء فى سرداب منذ قرون عدة كما يقولون ويعتقدون ، وهذه الولاية المتزامنة مع قوة إيران العسكرية ، وضعف قوة البلاد الإسلامية ليست وليدة يومها . وهذا بيانها : إنه لما أنقذ اللّه العالم الإسلامى بالخلافة العثمانية حيث أخمدت نار الفتن التى أوقدتها الشيعة من روافض وقرامطة وإسماعيلية وفاطميين عبيديين وغيرهم والتى مزقت شمل الأمة الإسلامية بعد أن أوقفت مد ظلها الذى لولا الشيعة لا نتظم العالم الإنسانى وسعدت البشرية فى الدارين . إلا أن عناصر الشر من طوائف الشيعة التى تختلف عن بعضها فى الأسماء والألقاب وتتحد معاً على الكفر وضرب الإسلام لعودة الدولة المجوسية الفارسية لم تمت بل اختفت حيث تسترت بمبدأ التقية ومع هذا فما إن رأوا الضعف قد دب إلى الخلافة العثمانية حتى مدوا أيديهم إلى اليهود والنصارى أحلافهم منذ القديم ليُجهزوا على الخلاف ويتخلصوا منها ولِيَظْهرُوا من جديد دعاةً للإسلام والإمامة لإحالة الأمة الإسلامية إلى روافض أولاً ثم مجوس أخيراً . وشاء اللّه أن تفوت الفرصة عليهم إذ الغرب الذى قضى على الخلافة العثمانية حل محلها فوزع العالم الإسلامى إلى مستعمرات تقاسمتها أوروبا الغربية والشرقية معاً ، والشيعة وإن فاتتها الفرصة فى الحكم والسيطرة على العالم الإسلامى لم تَفُتّهَا فرصة ظهور الدعوة إلى الشيعة بعد إبعاد مبدأ التقية فظهر الروافض والإسماعيلية والنصيرية والدروز والبهائية على مسرح

الحياة من جديد ووجدوا العون والتأييد من المستعمرين ، وذلك لصالح الإستعمار أخذاً بمبدأ « فرق تسد » وتمضى الأيام وتستقل إيران وتأخذ فى طلب القوة وإعدادها حتى أصبحت أقوى ما تكون على أيدى الشاه الذى طرده الخمينيون ، وطرد الشاه لا لشيء إلا أنه تباطأ فى الزحف على دول الخليج والوصول إلى مكة لإقامة الإمامية الشيعية بها لتضع رجلها على رقبة العالم الإسلامى من أندونيسيا شرقاً إلى المغرب الأقصى غرباً ، وتحول البلاد والعباد إلى شيعة ثم إلى مجوسية ساسانية تلك الساسانية التى ما زالوا يحتفلون بها وبأعيادها إلى اليوم لأنها الغاية التى ينشدون الوصول إليها . أقول لما جبن الشاه أو جَامَلَ حليفته الكبرى أمريكا فلم يزحف بعساكره على الخليج للوصول إلى الحرمين وانتظروا وطال إنتظارهم وسئموا ذلك دبروا له فتنة طرده فطردوه . ، ونزل رأس الفتنة فى البلاد مبايعاً إماماً رافضياً نائباً عن الإمام المنتظر . وأعلن عن الجمهورية الإسلامية واستعمل كلمة تصدير الثورة الإسلامية إلى بلاد المسلمين ووجد لإعلانه هذا صدىً واسعاً فى الديار التى يحكمها أبناؤها بالقوانين الغربية مستبدلين بها الشريعة الإسلامية ، وأخذ أعوان الخمينى ينثرون المال بلا حساب فى أمريكا وأوروبا وأفريقيا وآسيا للفت الأنظار إلى الجمهورية الإسلامية وتأييدها بوصفها المنقذ للعالم الإسلامى . وشاء اللّه أن أكون بباريس للدعوة بين المسلمين وإذا بمؤتمر يعقد يدعى له سائر الجمعيات الإسلامية إلا ما كان من عمان والسعودية ومصر فلم يدع منهم أحد ، وكان أحد الطلبة أعرفه فأخبرنى بالمؤتمر المعقود على حساب الخمينى فقلت له هل فى الإمكان إعطائى صورة عن ما يجرى فى المؤتمر وفى آخر يوم للمؤتمر أفادنى أن المؤتمر عقد للتنديد بأمريكا والسعودية فقط ، أمريكا لأنها لم تأذن للشاه بضم الخليج والوصول إلى مكة ، والسعودية إذ هى العدو الأوحد للشيعة لمعرفتها بكفرهم وزندقتهم وحيلولتها دون شركهم ، إذ لو مكنتهم من ذلك لعبدوا قبور آل البيت فى البقيع والمعلاة ولأخرجوا قبر الشيخين من الحجرة الشريفة . وكيف لا ، وكم من مرة يضبط أحدهم بأكياس العذرة يريد إفراغها على باب الحجرة سخطاً على الشيخين أبى بكر وعمر رضى اللّه عنهما . ولا ننسى أن القائمين على مؤتمر باريس طالبوا المؤتمرين بالدعوة إلى قيام مظاهرة فى الحج حتى إذا تدخّلت السعودية وُوجهت بغضبة العالم الإسلامى ثم افْتُكَّت منها الولاية على الحرمين لتديرها هيئة من العالم الإسلامى !!! ولم تَجِدْ إستجابة من المؤتمرين أهل السنة . فعزمت على إقامتها بحجاجها ومن إستجاب لها كالمغرر بهم من بعض المسلمين ..... وهم قليل لا يُذْكرون .. وكنت والحمد للّه ممن أشار على ولاة الأمر فى هذه البلاد المقدسة حرسها اللّه تعالى أن تحمى المظاهرات ولا تفرقها

بالقوة فإنها مكيدة مجوسية . وبدأ الروافض يحجون بأعداد تفوق المئة ألف حاج وزيادة ، وسايرت السعودية هذه المظاهرات على مضض والمسلمون يتألمون لهذه المظاهرات التى لا معنى لها فى غير بلد المتظاهر ولا فائدة منها إذ أمريكا التى تذكر « تقيّة » لا وجود لها فى الحرمين الشريفين وهل المظاهرة تسقط أمريكا أو تسقط شرفة من شرفات البيت الأبيض الأمريكى . لا ، لا ، وإنما هو إستفزاز السعودية لتضربهم فيُعلنُوا للعالم الإسلامى أن الحج غير آمن ولا بد من إدارته من قبل هيئة إسلامية من الروافض وأذنابهم وجهال المسلمين ليصبح الحرمان مباءةً للشر والفساد ، موطناً للشرك يتجلى فيه الشرك بأوضح صورة فتشاد القباب ويعبد الأموات ، ويدعى غير اللّه وو .. لا قدر اللّه هذا ، وَلاَ كانَ ما بقى للإسلام طائفة تعبد اللّه وتذب عن دينه ، ووالى الروافض مظاهراتهم وازداد عددهم فى كل حج . ولم تمكنهم السعودية من هدفهم المنشود لهم ، وضاقوا ذرعا ، والحرب العراقية قد أنهكتهم فعزموا على تفجير الموقف فتسلحوا بالمدى والخناجر نساءً ورجالاً وجاء حج عام ١٤٠٧ هـ ودفعهم الخمينى مُجرِمُهم الأكبر الذى أخذ عليهم العهد أن يفجّروا الحرب فى الحرم هذا العام حتى كتبوا على ساعات صنعت لهم « لبيك يا خمينى » لأن الفرصة قد ضاقت عليهم . وفجروها حيث تناولوا أفراد الشرطة التى كانت تحمى مظاهراتهم يذبحونهم ويطعنون فيهم بالمدى والخناجر ، زيادة على إشعال الحرائق فى السيارات والدّراجات النارية واضطربت صفوف المتظاهرين فسالت الدماء وقتل نحو من أربعمائة قتيل حسب الإحصائيات الرسمية قرب البيت الحرام فى البلد الحرام فى الشهر الحرام . وكانت هذه الحلقة الأخيرة لفتن الشيعة فى سلسلة الفتن التى بدأت بقتل عمر رضى اللّه عنه وانتهت هذه المجزرة فى مكة المكرمة فى ٧ / ١٢ / ١٤٠٧ هـ .

واللّه أعلم هل تضاف حلقة جديدة أو حلقات بعد هذه الحلقة التى لا تقل بشاعة عما سبقها من حلقات . إلا أن الذى ينبغى أن يعلم ويعمل به هو ما يلى :

ينبغى أن يعلم أن الخمينيين [١] مجوس من شر الخلق وأنهم كفرة تجب مقاطعتهم فوراً وعدم الإعتراف بهم دولة ومسلمين هذا ما يجب أن يعلم . وأما ما يجب أن يُعمل فهو : منعهم من دخول الحرمين لا حجاجاً ولا معتمرين ولا زائرين منعاً باتاً وعلى كل المسلمين التعاون على هذا المنع الإسلامى إلا أن يتوبوا بالتخلى عن الرفض وقبول السنة والكتاب والعمل بما عليه أهل السنة والجماعة من عقيدة وعبادة قضاء وآية ذلك أن تجمع كتبهم

---

(١) الخمينيون المراد بهم آية اللّه الخمينى وكل من إعتقد إعتقاده ووقف إلى جنبه يناصره ويدعو إلى ما يدعو إليه إذ أجمع علماء المسلمين على تكفيره فى مؤتمرهم العام بمكة المكرمة بتاريخ ٢٣ / ٢ / ١٤٠٨ هـ .

وتحرق فى مشاهد عامة للمسلمين أو تغرق فى البحر . وبهذا نقول قد انتهت سلسلة الفتن الشيعية .

والحمد لله رب العالمين

اللوحةالرابعة

فى كفر الشيعة

إن الكفر خلافُ الإيمان ، والكافر غير المؤمن ، والكافر مخلد فى النار والمؤمن مخلد فى الجنة . هذا هو الحكم الشرعى المجمع عليه . والسؤال هل يكفر المؤمن ؟ والجواب : نعم يكفر إذا إعتقد الكفر أو قال به . أو عمل بما يستلزمه .

والقاعدة فى تكفير الإنسان هى أن يسب اللّه تعالى أو رسوله ، أو يكذب اللّه أو رسوله ، أو يكفر مؤمناً ، أو يجحد معلوماً من الدين بالضروروة أو يرضى بالكفر . أولا يكفر الكافر .

ومن هنا يتقرر ما يلى :

١ ـ الشيعة يقولون بالبداء وهو أن اللّه تعالى يريد شيئاً ثم يبدو له غيره فيترك ما أراد أولاً لما أراد ثانياً ، وهذا سب صريح للّه تعالى بوصفه بعدم العلم من جهة والعجز عن تنفيذ إرادته من جهة أخرى . مع العلم أن الذى ألجأ القوم إلى القول بالبداء هو أن أئمتهم إذا وعدوهم بالشىء ولم يحصل يقولون لهم بدا للّه تعالى غير ذلك .

٢ ـ قولهم إنَّ عائشة أم المؤمنين زنت وهى زوج النبى ﷺ أقبح سب للنبى ﷺ فهل لا يكفر صاحبه ؟ والجواب : نعم واللّه إنه لكافر ، وما قال بهذا القول إلا وهو مجوسى العقيدة ، إذ لو كان مؤمناً وعلم بالمشاهدة زنى أم المؤمنين حاشاها رضى اللّه عنها وأرضاها ـ وهو مستحيل الوقوع ـ لستر عليها حتى لا يرمى زوجها بالدياثة وحتى لا يسب آل بيت النبى ﷺ .

٣ ـ لقد أنزل اللّه فى براءة أم المؤمنين من تهمة الفاحشة التى قالها كبيرُ المنافقين ابن أبى أنزل سبع عشرة آية آخرها قوله تعالى : ﴿ **أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾ والشيعة يقولون بمقارفة أم المؤمنين للفاحشة فكذبوا بذلك اللّه تعالى ومن كذب اللّه تعالى فقد كفَرَ وخلع ربقة الإسلام من عنقه .

٤ ـ بشر الرسول ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان بالجنة ، والشيعة يكذبون رسول اللّه ﷺ

ويقولون بكفر من بَشرَهُ الرسول ﷺ بالجنة ، ولذا فقد كذبوا رسول الله ﷺ فهم كفار ، وما يدعونه من الإيمان فهو حابط . قال الله تعالى : ﴿ **ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ ومن الإيمان تصديق الله ورسوله فيما أخبرا به ومن الكفر تكذيب الله ورسوله ﷺ .

٥ ـ لقد رضى الله عَنْ صحابة رسول الله ﷺ فى قوله : ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ وذلك يوم الحديبية وكانوا قرابة ألف وأربعمائة رجلٍ والشيعة يكفرونهم ويقولون بردتهم ومعنى هذا أنهم يتهمون الله بالجهل إذ رضى الله عنهم ولم يدر أنهم يرتدون بعد مدة من الزمن ومن كفَّر من رضى الله عنهم فقد سب الله تعالى بالجهل ، وكفر مؤمنين من خيرة أهل الإيمان فهو بذلك كافر بإجماع أهل الإسلام الذين هم أهل السنة والجماعة .

٦ ـ لقد جحدت الشيعة تحريم نكاح المتعة وتحريمها معلوم من الدين بالضرورة عند أهل الإسلام وهم أهل السنة والجماعة ، أما من عداهم فهم ضلال لا قيمة لهم ولا وزن فى الإسلام دين الله الحق الذى أنزل به كتابه القرآن الكريم وبعث به رسوله محمداً ﷺ .

٧ ـ لقد رضيت الشيعة بالكفر وأصرت عليه ، فقد أعلن كفرها أهل الإسلام من بداية أمرها إلى اليوم ، ولم تتب إلى الله ولم تتخلَّ عما نَسَجَتهُ من أكاذيب خرجت بها عن جماعة المسلمين لتتبع غير سبيلهم فتخسر الدار الآخرة والعياذ بالله .

والآن يا أخا الشيعة قد وضحت الطريق أمامك وعرفت ما أنت عليه وقومك فأنقذ نفسك وأهلك من النار فارجع إلى الإسلام وتبرأ من كل من يسلك غير سبيل المؤمنين .

فهذا كتاب الله وهذه سنة رسوله ﷺ وهؤلاء علماء السنة والكتاب فخذ عنهم دينك وأنقذ نفسك وأهلك من النار .

اللوحة الخامسة

فى المفارقات

إن اليد الأثيمة التى انتزعت ملايين الشيعة من جسم الأمة الإسلامية لتربطهم بالمجوسية وتحرمهم من رحمة الإسلام وسعادة أهله فى الدارين قد وضعت لهم مفارقات عجيبة فى العقيدة وفى العبادة وفى القضاء والحكم ، حتى لا تُسلم طوائفُ الشيعة أبداً ، ولا تكون يوماً من المسلمين وهذه بعض تلك المفارقات :

(أ) فى العقيدة :

١ ـ إعتقادهم أن القرآن حُرِّفَ وزيد فيه ونقص منه . فقد ألف أحد علمائها وهو الطبرسى كتاباً سماه « فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب » وروى الكافى عن أبى بصير قال دخلت على أبى عبد اللّه .. إلى أن قال أبو عبد اللّه وهو جعفر الصادق : وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، قال : قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات واللّه ما فى قرآنكم منه حرف واحد .

هذه حقيقة ثابتة فى كتبهم ولا ينكرونها أمام المسلمين إلا تقية بدليل أنهم إذا ذكروا الطبرسى أو الكلينى المقررين لتحريف القرآن والزيادة فيه والنقص منه يقولون : طيّب اللّه ثَراهُ . ومن ذلك إعتقادهم أن عثمان رضى اللّه عنه أسقط هذه الجملة من سورة الشرح وهى : « وجَعَلْنَا علياً صهرك » إذ القراءة فى نظرهم الأعمى هكذا : « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك ، وعلياصهرك » . فحذفها عثمان حسداً لِعلىّ رضى اللّه عنه . وألحقوا بآخر المصحف سورتين وهما : سورة النورين وسورة الولاء .

هذا فى الزيادة والنقصان أما فى تحريف معانى القرآن وما يدل عليه فحدث ولا حرج ومثاله فى قولهم فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾ إنه سأل بحق محمد وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين فتاب عليه .

وبالطبع فإن مذاهب الشيعة لم توضع إلا لضرب الإسلام والتخلص منه ، وأن الإسلام

دين اللّه الذى لا يقبل ديناً غيره بَرَاءٌ من ديانات طوائف الشيعة الناقمة على الإسلام المحرفة لعقائده وعباداته وأحكامه .

إن اعتقاد بل وقولَ إن القرآن زيد فيه ونقص منه تكذيب للّه تعالى القائل : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وتكذيب اللّه كفر بلا خلاف .

إنّ تعمد تحريف معانى كتاب اللّه ليدُلَّ على أهواء الشيعة وهو تفسير لا بالرأى فحسب بل بالهوى لنصر الكفر وتأييد الباطل كفر بإجماع لأنه قول على اللّه بغير علم ومن أصول الكفر القول على اللّه بغير علم من أجل حرب الإسلام وتمزيق شمل المسلمين .

ب ـ التقية :

ومن عقائد طوائف الشيعة التقية وهى كتمان الحق وستر الإعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين ، وترك مظاهرتهم بما يعق ضرراً فى الدين أو الدنيا .

هذه هى التقية عند طوائف الشيعة ، ويبالغون فيها حتى جعلوها ركناً من أركان الإيمان فقالوا : تسعة أعشار الدين فى التقية ، ولا دين لمن لا تقية له ، وكذبوا على جعفر الصادق رحمه اللّه فقالوا : قد قال : التقية دينى ودين آبائى .

والحقية هى أن تقيتهم هذه هى واللّه النفاق بعينه ، إنها إظهار الإيمان والدين الصحيح للمسلمين خوفاً منهم ، وإبطان المجوسية العفنه ليواصلوا كيدهم للإسلام وضربه للقضاء عليه لتحل المجوسية محله .

إن التقية نظام سرى قائم على مبدأ الكذب والنفاق الغرض منه المكر بالمسلمين والكيد لهم للتخلص منهم ومن إسلامهم الذى هدّ عرش كسرى وأخمد نار المجوسية : فمتى يعرف المسلمون هذا ؟

جـ ـ الإمامة والرجعة

ومن عقائد طوائف الشيعة أن الأئمة يجب أن يكونوا من آل البيت ومن ذرية فاطمة رضى اللّه عنها لا غير ، وانهم معصومون ويعلمون الغيب ويرجعون بعد موتهم وغيبتهم للانتقام من خصوم شيعتهم وأعدائهم وأن عددهم محصور فى اثنى عشر إماماً لا غير .

وعقيدة الإسلام والمسلمين لا وجود فيها لشىء من هذه الأصول العَقَدِية التى وضعها أخباث المجوس بتعاون مع اليهود والنصارى لتمزيق الإسلام والمسلمين فالإسلام لم يجعل منصب الإمام من العقائد بل من المصالح لحفظ الدين والدنيا . وترك للمسلمين إختيار ذى

الأهلية منهم ليسوسهم ويحكمهم بشريعة ربهم ، ووصفهم بأن أمرهم شورى بينهم ، ولا مكان للاستبداد بينهم فقد قال أول إمام لهم : أطيعونى ما أطعت اللّه فيكم ، وقال الثانى : لمن قال له : اتق اللّه فينا يا عمر . لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إن لم نقبلها منكم ، ولم يرد فى كتاب اللّه ولا سنة رسوله ﷺ تقديس الأئمة ولا عصمتهم ورجعتهم . وقال الإمام الثالث : هذا كتاب اللّه بينى وبينكم إن وجدتموه وضع رجلىّ فى القيد فضعوهما ، وقال الإمام الرابع : وبسطتم يدى فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، يذكرهم برغبته عن الإمامة وعدم رضاه بها لولا أنهم ألزموه بها وأكرهوه عليها . وقال ﷺ فى الحسن بن على : ابنى هذا سيد ولعل اللّه أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وتحقق ذلك فتنازل الحسن لمعاوية فحقن بذلك دماء المسلمين .

هذا ولم يرد فى كتاب اللّه ولا سنة رسوله ﷺ ، تقديس الأئمة ولا عصمتهم ولا رجعتهم . ولا بيان عددهم ، وإنما الذين تشيعوا لعلى وولديه وأولاد كل منهما ليفرقوا كلمة المسلمين ويمزقوا شملهم ليتسنى لهم إعادة ملكهم ومجدهم من مجوس الفرس ويهود بنى إسرائيل لا حقق اللّه لهم ذلك . وأدناهم من كل المهالك ، هم الذين إخترعوا بدعة الأئمة وعصمتهم وعلمهم الغيب ورجعتهم وحصرهم فى ذرية فاطمة رضى اللّه عنها لا غير .

وسلسلة الفتن وقد عرضنا على الأنظار منها اثنتين وعشرين حلقة كل حلقة تفجر منها نهر من دماء المسلمين وبعد هذا كله وما زال الروافض ينادون بالإسلام والإمامة فى ظل المذهب الشيعى المجوسى الأصل اليهودى الفرع .

د ـ فى السنة :

إن السنة النبوية التى هى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وهى المبينة للقرآن الشارحة لأحكامه ، هذه السنة رفض الشيعة كل حديث لم يرد عن طريق شيعتهم اللهم إلا ما كان فيه ذكر لمذهبهم مجرد ذكر إذ لا يوجد حديث واحد يقرر ما هم عليه من الكفر والباطل . وأحاديثهم التى لا تساوى واحداً إلى مئة من أحاديث أهل السنة والجماعة تسعة أعشارها موضوعة عن الأئمة مكذوبة عليهم . فأى سنة عندهم ولازم ذلك أى دين صحيح لهم ؟

هـ ـ فى العبادات :

إن العبادات أمرها توقيفى فليس من حق أحد غير اللّه ورسوله أن يضع عبادة تزكى

النفس وتطهرها وهيئة العبادة ككميتها فلا يصح أن يقدم فيها ما شأنه التأخير ولا أن يؤخر فيها ما حقه التقديم . ولا أن يزاد فيها ولا أن ينقص منها ، إذ أداؤها على غير الكيفية التى بينها الشارع يفسدها وكذلك الزيادة فيها عمداً كالنقص منها يبطلها . والواجب فى العبادة أن يؤخذ فيها باليقينيات لا بالظنيات لما ذكرنا وهنا نرى أن الفرق الخارجة عن جماعة المسلمين المفارقة لها من أجل تمزيق شمل المسلمين ليضعفوا يسهل ضربهم والقضاء عليهم لتحل محلهم المجوسية واليهودية والنصرانية وهم الثالوث المتعاون على المسلمين نراهم يتعمّدون الخلاف ويصرون عليه للإبقاء على أفراد الطائفة بعيدة عن جماعة المسلمين ليمكن استغلالها من قبل رؤسائها وأئمتها وللإبقاء عليها لعل فرصة تسنح للانقضاض على المسلمين وإسلامهم لإنهائه وإحلال الجاهلية محله لا قدر اللّه .

وعلى سبيل المثال لا الحصر كما هو الشأن فيما جاء فى هذه الرسالة :

مسح الرجلين فى الوضوء بدون خف ، فالروافض مصرون على عدم غسل الرجلين وليس عليهما خف ولا جورب ، وهم يعلمون أن النبى ﷺ صلى بالمدينة عشر سنوات وهو يغسل رجليه فى كل وضوء وأهل المدينة يرون هذا ويشاهدونه كما أنه مسح على الخفين . ومع هذا هم يصرون على المسح دون الغسل من أجل أن لا تتفق طائفتهم المستغلّة لهم مع المسلمين وكالمسح زيادة جملة « أن عليا ولى اللّه » فى الأذان والإقامة وهم يعلمون أن هذه الجملة بدعة لم يعرفها على ولا شرعها رسول اللّه ﷺ ولا عمل بها أهل السنة والجماعة وهم أمة المسلمين ويصرون على زيادة هذه الجملة والعلة هى الإبقاء على الطائفة متميزة عن جماعة المسلمين لتستغل وتساق إلى خسران الدنيا والآخرة . ومثلُ هذه الزيادة ترك التأمين فى الصلاة وهم يعلمون أن أهل المدينة نساءً ورجالاً وأطفالاً صلوا وراء رسول اللّه ﷺ عشر سنوات وهم يؤمنون عند قول الإمام ولا الضالين حتى يَرْتَجَّ المسجد ، وهم يزعمون مضللين أتباعهم أن قول آمين يبطل الصلاة . والسؤال : الرسول أعلم أم هم ؟ فإن قالوا الرسول أعلم . فلم لا يأخذون بتعاليمه وإذا قالوا نحن أعلم فقد كفروا .

و ــ فى الأحكام :

إن الأحكام شأنها أيضاً شأن العبادات إن لم تكن ذات خطر أعظم لأن العبادات مقصورة على فاعلها والأحكام غالبها متعدية إلى غيره . ومع هذا فالطوائف المباعدة لأفرادها عن جماعة المسلمين لأغراض مادية خسيسة تعمل ما أمكنها على إيجاد فوارق

تفرق بين المسلمين ومن تلك الأحكام المتعمد إيجادها للتفرقة ما يلى :

١ ـ نكاح المتعة :

إن نكاح المتعة هو النكاح إلى أجل قريب كاليوم والليلة أو بعيد كالأسبوع والشهر مثلا . أجمعت أمة الإسلام على تحريمه من يوم أن أعلن رسول اللّه ﷺ تحريمه ، ومن أجل تمزيق الأمة فالرافضة تبيحه وتشجع عليه من أجل أن تمتاز طائفتها وتستقل عن جماعة المسلمين وما هناك حاجة إلى بيان مفاسد نكاح المتعة بعد أن حرمه اللّه تعالى فى قوله : ﴿ **إلا على أزواجهم** ﴾ والزوجة ترث الربع من زوجها إذا مات وترث الثمن فى كتاب اللّه ، والمُتَمتع بها لا ترث لأنها غير زوجة فالمتعة إذاً زنى . فإذا كان الشارع أباح المتعة لضرورة الغزو والجهاد ثم نسخها على لسان رسول اللّه ﷺ وعلم هذا أصحابه وأمته وحرموها بتحريم اللّه وتحريم رسوله فلم الروافض يتعمدون إباحتها إلى اليوم ؟ والجواب : حتى يُبْقوا على جزء من أمة الإسلام بعيداً عن الإسلام ليمكن استغلال هذا الجزء من جهة ومن جهة أخرى ليسهل ضرب الإسلام والمسلمين لإحلال المجوسية والمجوس محلها .

٢ ـ الكذب على رسول اللّه ﷺ :

إن الكذب محرم فى الإسلام ولعن اللّه فاعله ، والقوم جعلوه من الدين . إذا التقيه كذب ، إلا أن الكذب على رسول اللّه ﷺ أشد حرمة فقد قال ﷺ : « إن كذباً على ليس ككذب على أحدكم ، من كذب علىّ متعمداً فليلج النار » وهذه صورة ناطقة من كذبهم :

أ ـ قولهم : من زار الحسين بعد موته فله الجنة « عن رسول اللّه ﷺ » .

ب ـ زيارة قبر الحسين تعدل مائة حجة مبرورة وعمرة متقبلة « عن أحد أئمتهم » .

جـ ـ من رزقه اللّه حب الأئمة من أهل بيتى فقد أصاب خير الدنيا والآخرة فلا يشكن أحد أنه فى الجنة « عن رسول اللّه ﷺ » .

وكذبوا على اللّه تعالى واللّه يقول : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على اللّه الكذب** ﴾ .

فقد قالوا : قال اللّه تعالى : على بن أبى طالب حجتى على خلقى ونورى فى بلادى ، وأمينى على علمى ، لا أدخل النار من عرفه وإن عصانى ولا أدخل الجنة من أنكره وإن أطاعنى .

هذه نماذج لا غير من كذبهم على اللّه وعلى ورسوله ﷺ وإلا فما كذبوه على اللّه وعلى رسوله وعلى أفراد آل البيت لا يعد كثرة ، إذ الكذب هو أداة بناء مذهبهم المجوسى ولولا الكذب لما كان مذهب غير مذهب رسول اللّه ﷺ وأصحابه ومن كان على ذلك فقد قال ﷺ فى أحاديث كثيرة : « ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ففى الجنة ، فقيل : من هى يا رسول اللّه ؟ فقال : هم الذين يكونون على ما أنا عليه اليوم وأصحابى » . وهم أهل السنة والجماعة حيث عقائدهم هى عقائد رسول اللّه ﷺ وأصحابه وعباداتهم هى عبادات رسول اللّه ﷺ واصحابه وأحكامهم هى أحكام رسول اللّه ﷺ وأصحابه بلا زيادة ولا نقصان فهم الناجون من النار الفائزون بالجنة ومن عداهم فهم الخاسرون فى النار .

وعلة ذلك : أن اللّه تعالى قال : ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ والنفس لا تزكو إلا على الإيمان الصحيح والعمل الصالح ، والإيمان الفاسد كالعمل الفاسد لا تزكو عليه النفس ولا تطهر ، وكل من خالف فى اعتقاده وعمله ما كان عليه رسول اللّه ﷺ وأصحابه فإن اعتقاده فاسد وعمله باطل ، ونفسه مدساة خبيثة فهو قطعاً من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

اللوحة السادسة

آخر النصائح

والآن يا أخا الشيعة وقد عرفت كل شىء مما ينبغى أن تعرفه عن الإسلام وأن ما عليه قومك ليس هو الإسلام الصحيح الذى نزل به القرآن الكريم وبعث به محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ولذا فبقاؤك على ما عليه إخوانك من عقيدة قد عرفت فسادها وعبادة قد تبين لك بطلانها وحكم قد ظهر خسرانه ، بقاؤك على ما أنت عليه وقومك هو غش لنفسك وخداع لهل كما هو غش وخداع لقومك ، وما نتائج هذا الغش سوى إرضاء الأئمة ليبقوا مسخرين لك ولأتباعهم مستغلين لأموالكم وجهودكم فى الدنيا ما حييتم ، وإذا متم ـ ولابد من الموت ـ خسرتم كل شىء حتى أنفسكم قال تعالى : ﴿ **قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين** ﴾ . إن الإيمان إذا داخله الكفر حبط والعمل إذا لم يوافق بيان رسول اللّه ﷺ بطل ، وإذا حبط الإيمان تعين الخسران ، قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الاخرة من الخاسرين** ﴾ . فلذا أصْغ إلىّ فى صدق أكرر النصح لك طلبا لنجاتك وسعادتك ونجاة وسعادة كل من يرغب فى ذلك من إخوانك المضللين المغشوشين من قبل الأئمة والآيات الدجالين .

تبرأ يا أخا الشيعة من معتقدك إلى معتقد رسول اللّه ﷺ وأصحابه ، ومن عبادتك التى ورثتها ببطلانها عن قومك إلى عبادة رسول اللّه ﷺ ربَّه ، وعبادة أصحابه التى أخذوها عن نبيهم ، ومن سلوكك إلى سلوك رسول اللّه ﷺ وسلوك أصحابه . وإن ذلك لموجود بيانه فى كتاب اللّه وسنة رسول اللّه ﷺ فاطلبه من أهل السنة والجماعة وهم أهل الإسلام وجماعة المسلمين . وبذلك تأمن العطب ، وتنجو مما يُرهب وتظفر بما يُرغب .

والسلام عليك ما تبرأت من الباطل وأقبلت على الحق تأخذ به فى عقيدتك وعبادتك وكل سلوكك .

مصادر ما جاء فى نصيحتى لأخى الشيعة وهى مصادر موثوقة ومخرجة الأحاديث ومنسوبة إلى مصادرها فليرجع إليها من شك فيما قلناه وقررناه فى النصيحة لإخوة الشيعة

هداهم اللّه إلى الإسلام .

١ ـ دراسات عن الفرق للدكتور أحمد محمد أحمد جلى .

٢ ـ الملل والنحل لأبى الفتح المشهور بالشهر ستانى .

٣ ـ الإمامة للحافظ أبى نعيم الأصفهانى .

٤ ـ وجاء دور المجوس للدكتور عبد اللّه محمد الغريب .

٥ ـ الشيعة وآل البيت لإحسان إلهى ظهير .

إلى المسلمين

إلى المسلمين

إليكم أيها المسلمون وقد أخرتكم للاهتمام بكم ، إليكم نصائحى الغالية فاقرؤوها وتفهموها وخذوا بها فإنها تحقق لكم ما تصبون إليه من عزة ورفعة وسعادة وكمال فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وها هى ذى نصائحى إليكم متتالية كعقد الجمان :

أولى نصائحى هى : أن تذكروا أنكم بالإسلام أشرف من فى المعمورة على الإطلاق وبدون استثناء ، وأنكم بدون الإسلام مساوون لسائر الناس أبيضهم وأسودهم . وبناء على هذا فتمسكوا بالإسلام الذى شرفتم به على غيركم حتى أصبح المسلم الواحد يزن ملايين الأفراد من غير المسلمين ، فقد مرّ بالرسول ﷺ وحوله أصحابه مرّ بهم رجل من ضعفة المسلمين وفقرائهم فقال لهم الرسول ﷺ : ما تقولون فى هذا الرجل ؟ قالوا نعم : إنه حَرِىٌّ إذا خطب أن لا يزوج ، وإذا أمر أن لا يطاع وإذا قال أن لا يسمع له . فسكت ﷺ حتى مر بهم رجل منافق أى كافر يظهر الإسلام خوفاً من المسلمين وعليه مظاهر الغنى والشرّف والتنعم ، فقال لهم وما تقولون فى هذا ؟ قالوا : هذه حرى إذا خطب أن يزوج ، وإذا أمر أن يطاع وإذا قال أن يسمع له . فقال رسول اللّه ﷺ : واللّه للرجل الأول خير من ملء الأرض من هذا !!! فلذا نصحت لكم أن تتمسكوا بالإسلام وتعتزوا به وتُفاخروا .

وثانى النصائح : أن تعلموا أنكم غير متمسكين بالإسلام واللّه يقول : ﴿ **واعتصموا بحبل اللّه جميعاً** ﴾ وحبله تعالى الذى يربطنا به ويصلنا بولايته وكرامته هو الإسلام ، وإن شككتم فى صحة ما قلت لكم من عدم التمسك بالإسلام فإليكم بيان ذلك :

أ ــ ترك الصلاة فإنه لا يؤمر بها ولا يلزم بها أحد فى كل بلاد المسلمين باستثناء المملكة العربية السعودية فى حين أن إقام الصلاة أحد أركان الدولة المسلمة التى تقوم عليها ، وإحدى قواعد الإسلام الخمس والرسول يقول : « ما بين الرجل والكفر إلاّ ترك الصلاة » ، ويقول : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » كما أن أكثر المفاسد ، ناتجة عن عدم إقام الصلاة ، ولا يحتاج الأمر إلى البرهنة والتدليل فإن نسبة مرتكبى الجرائم بين المسلمين هى أكبر من نسبة المقيمى الصلاة وكيف لا ، واللّه تعالى يقول : ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ .

ب ـ منع الزكاة فإن الزكاة لا تجبى ولا يطالب بها أحد من المسلمين إلا فى المملكة العربية السعودية فى حين أن جباية الزكاة وصرفها فى مصارفها الثمانية قاعدة الإسلام الثالثة ، كما أن الزكاة أحد أركان الدولة الإسلامية لقوله تعالى : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة** ...الآية ﴾ كما أنه لا إسلام لمن لا يقم الصلاة ويؤتى الزكاة وذلك لقول اللّه تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** ﴾ أى فى الإسلام ، ومفهومه أن من ترك الصلاة ومنع الزكاة ليس بمسلم ولا بأخ للمسلمين فتأملوا هذا ..

ج ـ إبطال الحجاب وإسقاطه بين رجالكم ونسائكم إعراضاً منكم عن الآيات القرآنية التى تأمر به وتدعو إليه وتقرره متّبعين فى ذلك أمم الكفر وشعوبه ، كأن لم تكونوا مسلمين باستثناء المملكة العربية السعودية فإنها تمنع الإختلاط بين النساء والرجال ، وتنمع توظيف المرأة مع الرجال إلا من ضرورة ، واللّه يقول : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** ﴾ ويقول : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن** ﴾ ومن المتعذر أن يغض الرجل بصره أو تغض المرأة بصرها وهما يشتغلان فى مكان واحد يجمعهما محل واحد .

د ـ عدم منع الخمر صنعا وشربا وتوريداً باستثناء المملكة العربية السعودية فى حين أن الخمر محرمة صنعا وتوريداً وشرباً وتداوياً كأنكم لم تقرؤا أو تؤمنوا بقول اللّه تعالى : ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ بعد أن أمر باجتنابها فى قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** ﴾ .

هـ ـ إقرار التعامل بالربا وفتح البنوك كأن لك يكن محرماً تحريماً قطعياً وبإجماع علماء الإسلام قديماً وحديثاً ، وكأنكم ما قرأتم قول اللّه تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّه ورسوله ... الاية** ﴾ ولو اتقيتم اللّه تعالى وبحثتم عن البديل عن البنوك الاستعمارية اليهودية المسخطة للّه تعالى لوجدتم البديل الأبرك والأطهر والأكثر غنى ويسرا وتيسيرا لأموركم . . .

ولكنكم معرضون مع الأسف ، كأنكم لا تخافون اللّه الذى يديل الدول ويزيل النعم . فكم من دولة أدالها ونعمة أزالها ، فهلا تذكرون ما حل بأسلافكم لما أعرضوا عن طاعة ربكم كيف سلط عليهم الاستعمار الغربى فسامهم الخسف وأحل بهم الدمار والعار

والشنار ، وإنه تعالى لكم لبالمرصاد ، فإما أن تَتُوبُوا إليه وتستقيموا على دينه وإلا أحل بكم ما أحل بغيركم وهو العزيز الحكيم .

و ـ تعطيل الأحكام الشرعية باستثناء المملكة العربية السعودية حيث عطلتم إقامة الحدود فلا زانى يقام عليه حد ، ولا سارق تقطع يده ، ولا شارب خمر يجلد ولا قاذف كذلك ، كما لا قصاص فى الدماء بالكلية كأنكم لم تقرؤا كتاب اللّه ولم تؤمنوا به ، وإلا فما المانع لكم من إقامة الحدود وأنتم حاكمون قادرون على ذلك بدليل أنكم تقتلون من نازعكم أو حاول إسقاط حكمكم وبكل سهولة .

ز ـ عدم العناية بالعقيدة الإسلامية وحمايتها بين أفرادكم ـ باستثناء المملكة العربية السعودية ـ فإنكم لا تعيرون هذا الأمر أى اهتمام مع أنه هو رأس الإسلام ، إذ لا إسلام لمن لا يحقق لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه ﷺ ، وتحقيقها أن لا يعبد فى دياركم إلا اللّه وأن لا يُتابع إلا رسول اللّه ﷺ وأن يرمز إلى ذلك بكتابة هذه الكلمة : لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه على عَلَم الدولة المسلمة ، إنكم تقرون الطرق المختلفة بل وكثير منكم يشجعها ، وتقرون البدع والخرافات وتساعدون عليها ، وتعادون دعاة العقيدة الإسلامية والسنة النبوية ، ولا يجدون منكم أى دعم بل أى رضا أو تحبيذ فالقباب والقبور تعبد كما يعبد اللّه تعالى ، ولا نكير منكم كأنكم غير مسؤولين عن عقيدة أفرادكم .

ح ـ ترككم واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا ما كان من المملكة العربية السعودية وهو أحد أركان الدولة المسلمة ، لقول اللّه تعالى : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور** ﴾ .

فقد أوجدتم قوى مختلفة من الدرك والشرط والمرور ، وما أوجدتم قوة للأمر بالعروف والنهى عن المنكر تقوم بهذا الواجب الكفائى العينى فى نفس الوقت لقول الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ، إن المنكر يرتكب عياناً فى الشوارع والأسواق وفى كل مكان وليس هناك فى دياركم من يقول : هذا منكر ويغيرهُ ، فقد يكفر باللّه ورسوله فيسب اللّه ورسوله . وليس هناك من ينكر هذا المنكر . تؤتى الفواحش عياناً وترتكب المناكير على مرأىً ومسمع من أفراد مواطنيكم وبين رجال قواكم وليس هناك من يغير أو يدعو إلى التغيير ، بل من أمر بمعروف أو نهى عن منكر تنكلون به وتعذبونه . فأين

تمسككم بالإسلام يا عباد اللّه ؟ .

ط ـ تركك فريضة الجهاد فى سبيل اللّه ، وإن قلتم إننا غير قادرين على ذلك قال الإسلام أوجدوا القدرة حتى تتمكنوا من الجهاد ، وحدوا دولتكم فى دولة واحدة فتصبح أكبر دولة فى العالم ، واجمعوا قواكم المادية فتكونوا أقوى دولة فى العالم وحينئذ تقدرون على الجهاد لنشر الإسلام رحمة اللّه بعباده ليكمل الناس فى أخلاقهم ويسعدوا فى أرواحهم وأجسامهم دنيا وأخرى . وهلا كوّنتم على الأقل لجنة للدعوة الإسلامية داخل البلاد الإسلامية وخارجها لتعلم الإسلام وتنشر مبادئه وتدعو إليه بالكلمة المقروءه والمسموعة والمرئية كما يفعل النصارى على الأقل فلقد عثرت على مجلة صغيرة فى باريس للتبشير بالنصرانية الكافرة الضالة يصدر من كل عدد منها تسعمائة وخمسون ألف نسخة وتترجم إلى أربع وخمسين لغة ، هذه مجلة لمنظمة واحدة تبشيرية وهناك مئات المنظمات للدعوة النصرانية فماذا فعلتم أنتم باستثناء القليل الذى تقوم به المملكة العربية السعودية وبعض البلدان كمصر ، هذه تسع مظاهر يتجلى فيها عدم تمسككم بالإسلام بوضوح فهل أنتم مسلمون ؟ .

إن مجرد النسبة للإسلام لا تعنى شيئاً فلا يتحقق بها كمال ولا سعادة فى الدنيا ولافى الآخرة فتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المسلمون . .

وإن قلتم كيف نتوب ونحن ضالعون فى الذنوب غارقون فى الآثام ؟ وما هو طريق التوبة ؟

والجواب : إن باب التوبة مفتوح وإن التخلى عن الذنوب شيئاً فشيئاً ممكن ونافع فى نفس الوقت ، واللّه لا يشترط لتوبة البعد أن يتخلى عن الذنوب دفعة واحدة بل كل من تاب من ذنب قبلت توبته منه ، ويبقى آثماً فيما لم يتب منه ، وفاعل كبيرة واحدة خير من فاعل كبيرتين ما لم يكن مستحلاً لها فإن استحلال المحرم كإنكار الواجب جحوداً له كفر وردة والعياذ باللّه تعالى .

وأما الجواب عن (ما هو طريق التوبة) فإليكموه مفصلاً واضحاً مبيناً فاسلكوه تكملوا وتسعدوا بعد أن تعزوا وتشرفوا ، إن الطريق هو : اجْتمَاعُ الملوك والرؤساء للعالم الإسلامى عرباً وعجماً على حد سواء فى مدينة الرسول ﷺ العاصمة الأولى للدولة الإسلامية ، واتخاذ الخطوات الأربع الآتية وهى :

أ ـ الإعلان عن اتفاق المؤتمرين على ضرورة عودة الحياة الإسلامية فى كل بلاد المسلمين عقيدة ، وعبادة وخلقاً ، وحكماً ، ونظاماً وذلك لإنقاذ المسلمين مِمّا حل بِهِمْ ونزل بديارهم من ضعف وذل وهوان .

ب ـ تكوين لجنة موسعة من علماء الشريعة فى البلاد الإسلامية ، وأن يعهد إليها بوضع دستور إسلامى لأمة الإسلام تؤخذ كل مواده وبنوده من كتاب اللّه القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة الصحيحة وفقه الأئمة الأربعة رحمهم اللّه أجمعين المستنبط من الوحيين : الكتاب والسنة وفقه الصحابة والتابعين .

ج ـ الإعلان عن استئناف الحياة الإسلامية عقب صدور هذه القرارات وذلك بإقامة الصلاة إقامة إجبارية بين كافة أفراد الأمة المسلمة لا يعفى منها أحد كائناً من كان . ويمنع الخمر وسائر المسكرات والمخدرات فلا تنتج ولا تورد ولا تباع ولا تشرب ، وبإلزام الفتاة والمرأة المسلمة بالحجاب الإسلامى ومنع الإختلاط بين النساء والرجال منعاً كاملاً فى كل المجالات وسائر الحالات إلا من ضرورة قصوى ، وتطهير الإعلام من نشر وإذاعة وإظهار كل ما يمس العقيدة الإسلامية والخلق الإسلامى أو يتنافى مع مبادئ الإسلام وتعاليمه القائمة على أساس الطهر والكمال الروحى والخلقى فى الحياة . وإيقاف سائر المعاملات الربوية وتصفيتها واستبدال البنوك الربوية بمصارف وبنوك إسلامية يسهم فيها كل مسلم ومسلمة ، وتقوم على أساس منع الربا وحظر التعامل به . وتعقب الملاحدة فى كل بلاد المسلمين ، واضطرارهم إلى العودة إلى حياة الإيمان والعمل الصالح ومن رفض ذلك منهم يحكم فيه السيف لردته باختياره الكفر على الإيمان ، والإلحاد على الإسلام ، وفى الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » .

د ـ الإعلان عن موعد بدء تنفيذ مواد الدستور والأخذ بها وتطبيقها يوم الفراغ من وضعه وتقديمه لأعضاءمؤتمر القمة الإسلامى الذى انعقد أول مرة فيبدأ بتعيين إمام للمسلمين ومجلس حكومته المكون من ممثلين صالحين لكل الأقاليم الإسلامية التى رضى حكامها بالوحدة الإسلامية فى ظل الحياة الإسلامية والدستور الإسلامى ثم بالتطبيق الصادق الكامل لكل ما ورد فى الدستور الإسلامى وحوته مواده وبنوده من سائر الشرائع والأحكام وفى كل مجالات الحياة .

هذا هو الطريق لتوبتكم أيها المسلمون وقد ضمناه أربع خطوات وهى مسافة قصيره لا يعجزكم اجتيازها والوصول إلى غايتها وهي سعادتكم وكمالكم فى كلتا حياتيكم

الأولى هذه والآخرة تلك الآتية لا ريب فيها ، هذه وإن أصررتم على ما أنتم عليه ورفضتم التوبة المطلوبة لكم ليتحقق إسلامكم فتكملوا عليه وتسعدوا به فى الدنيا والآخرة فإنا نطالبكم بمساعدة إخوانكم المحكومين لكم على انتهاج النهج التالى وهو مسعد لكم ولهم واق لجميعكم من خزى الدنيا وعذاب الآخرة بإذن اللّه تعالى .

وهذه صورة المنهج :

(١) تكوين لجنة فى كل قرية أو حى من أحياء المدن من ثلاثة أنفار من أصلح أهل القرية أو الحى ، وأن يعهد إليها الاتصال بكل فرد من أفراد القرية أو الحىّ اتصالاً مباشراً . وعرض خطة هذه المنهج الإصلاحى عليه ودعوته إلى أن يكون عضواً صالحاً فيه ، وبعد هذا الاتصال بأفراد الحى أو القرية يدعى أهل القرية أو الحى إلى اجتماع عام فى مسجد القرية أو الحى يعين له يوم عطلة الأسبوع ، وإذا حضروا قام فيهم إمام المسجد الجامع خطيباً ، فيحمد اللّه تعالى ويثنى عليه ويصلى على النبى ﷺ قائلاً :

هل تريدون الوحدة بعد الفرقة ؟

هل تريدون المحبة بعد البغضة ؟

هل تريدون الأمن بعد الخوف ؟

هل تريدون السعادة بعد الشقاء ؟

هل تريدون العلم بعد الجهالة ؟

هل تريدون الهدى بعد الضلالة ؟

هل تريدون ولاية اللّه بعد الحرمان منها ؟

هل تريدون إنقاذكم مما أنتم فيه من ضعف وحاجة وقلق وحيرة ؟

هل تريدون أن تكملوا وتسعدوا فى الدارين ؟

وسوف يجيبون بنعم فى كل مسألة مما سئلوا عنه . وعندئذ يطلب منهم التعهد بالتزام حضور الصلوات الخمس فى مساجدهم فلا يتخلف عنها إلا مريض أو خائف إذ هو العذر الشرعى الذى يتخلف صاحبه عن الجماعة ولا يأثم . وبالتزام حضور صلاتى المغرب والعشاء كل يوم فى هذا المسجد الجامع فى القرية أو الحى بنسائهم وأطفالهم بحيث لا

يتخلف رجل أو امرأة إلا من عذر شرعي ، وذلك لتلقى علم الكتاب والسنة وهدايتهما لتزكو نفوسهم وتهذب أخلاقهم ويكملوا فى آدابهم وأخلاقهم .

وبعد مضى أربعين يوماً عليهم وهم على هذه الحال من الاجتماع على تعلم الهدى يطلب منهم الإمام تشكيل لجنة عليا من أفرادهم الصالحين يلتزمون لها بالطاعة التامة فى كل ما تطلب منهم .

أعضاء اللجنة : وليُكون أعضاء اللجنة من مرشد المسجد وإمامه وأحد أعيان الحىّ أو القرية وعمدة الحىّ أو شيخ القرية .

مهام هذه اللجنة :

من مهام هذه اللجنة التى تضطلع بها ما يلى :

(١) الوساطة بين أفراد أهل القرية أو الحى الذين أووا إلى المسجد يطلبون ولاية اللّه لهم وتحقيق وعده لهم ، وبين مسئولى السلطة الحاكمة تعاوناً معهم على البر والتقوى ، دون الإثم والعدوان .

(٢) فض النزاع إن حدث وبين فرد وآخر من أفراد أهل القرية أو الحى بحكم الأخوة الإسلامية التى تربطهم وتوجب الصلح بينهم تحقيقاً لمبدأ « المسلم أخو المسلم » و « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

(٣) تكوين ثلاث لجان فى المسجد وتسييرها والإشراف عليها وهى :

لجنة الرحمة ، ولجنة التأديب ، ولجنة المال .

بيان مهام اللجان الثلاث :

أ ـ لجنة الرحمة وهى مكونة من ثلاثة أنفار ومهامها هى كالتالى :

١ ـ زيارة مَنْ مرض من أهل الحى أو القرية ، وتقديم ما يحتاج إليه نيابة عن إخوانه من أهل الحى أو القرية الذين ضمهم المسجد الجامع لتلقى العلم والهدى .

٢ ـ تفقد من غاب عن المسجد من أهل الحى أو القرية ، ومعرفة سبب غيبته ومساعدته على الخلاص مما عاقه عن الحضور في المسجد لتلقى العلم والهدى بين إخوانه من أهل القرية أو الحى .

٣ ـ تقديم ما يسد حاجة الفقير المعوز من فرد أو أسرة من غذاء أو كساء وإيواء ودواء فى حدود ما يتسع له صندوق البر الجماعى .

ب ـ لجنة التأديب المكونة من واعظ المسجد وإمامه واثنين من أعيان أهل الحى أو القرية من ذوى الحلم والصبر والشجاعة . ومن عمدة الحى أو شيخ القرية .

وتتبع هذه اللجنة فى أداءِ مُهمتها الخطوات التالية :

١ ـ إذا أساء الفرد إلى نفسه بترك واجب أو فعل محرم أو ترك سنة مؤكدة ، أو فعل مكروه شديد الكراهة فإنها تزوره فى بيته أو تخلو به فى المسجد وتذكره وتعظه وتشجعه على فعل ما ترك من واجب أو على ترك ما فعل من محرم . وتوالي زيارته أو الخلوة به وتذكره وتَعِظُه وتشجعه حتى يتوب إلى ربه بفعل ما ترك من واجب أو سنة مؤكدة . أو ترك ما فعل من حرام أو مكروه شديد الكراهة .

٢ ـ إذا أساء الفرد إلى غيره من إخوانه أهل المسجد أو غيرهم بسب أو شتم ، أو ضرب أو أخذ مال ، أو انتهاك عرض فإن اللجنة تتصل به فى بيته أو فى أىّ مكان تخلو به فتذكره وتعظه حتى يعترف بالحق لأهله ويستعد للتسليم به لصاحبه ، فإن كان سبّاً أو شتماً فإنه يطلب السماح والعفو ممّن سبه أو شتمه من إخوانه ، وإن كان مالاً رده إلى صاحبه ، وإن كان ضرباً قدم نفسه لمن ضربه إن شاء اقتص منه ، وإن شاء عفا عنه وسامحه . وأجره على اللّه كما قال تعالى : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على اللّه** ﴾ .

وإن كان عِرضاً [1] طلبوا منه التوبة بالكفّ عما فعل والسَّتر على نفسه ، وكثرة الاستغفار ومواصلة الندم ، والإكثار من عمل الصالحات من نوافل الصلاة والصيام والصدقات حتى يذهب أثر الذنب من نفسه وتطيب .

تنبيهان :

الأول : إن عجزت لجنة التأديب عن شخص لاستيلاء الشيطان عليه وانسداد قلبه عن وصول الهداية إليه لسبب وآخر ، وتأكدت اللجنة من ذلك لكثرة محاولتها معه فإنها ترفع أمره إلى السلطة الحاكمة وتطلب باسم أهل الحى أو القرية إبعاده نهائيا من القرية أو

---

(١) لو طالب المذنب بإقامة حد ارتكبه فإن كان جلد شُرب مسكر أو جلد زنَى بكر أو قذف فلا بأس بإقامة لجنة التأديب هذا الحدّ ، أما إذا كان قوداً أو قصاصاً أو رجم مُحصن فلا لأن ذلك من حق الإمام المسلم لا غير .

الحى حتى يتوب ويستقيم إن شاء اللّه له ذلك وحينئذ فلا مانع من عودته إلى إخوانه فى الحى أو القرية .

الثانى : إن على رئيس لجنة التأديب وهو واعظ المسجد أو إمامه أن يأمر أهل المسجد أصالة عن نفسه ونيابة عن كل فرد فى الحى أو القرية بترك الخوض فى سياسة الدولة وعدم ذكرها أحسنت أو أساءت ، إلا أن يطلب الحاكم مشورة فإن اللجنة تشير إليها بما هو خير ومعروف .

كما أن على كل فرد أن يؤدى للحاكم ما طلبه منه مما هو معروف ، إذ طاعة ولى الأمر من طاعة اللّه ورسوله ﷺ . كما أن على رئيس اللجنة أن يعلم كافة الأفراد بأنه لا ينبغى لأى فرد فى الحى أو القرية أن يتعاون مع أهل أى قرية أو حى إلا من طريق اللجنة العليا فهو يقدم لها الطلب وهى تنظر فيه ويتم التعاون بواسطتها لا بواسطة الأفراد سداً لباب الخلاف والتنازع وحفاظاً على وحدة الجماعة وقوتها .

جـ ـ لجنة المال : وهى مكونـة من جاب وكاتب ، وحافظ ، وصارف ، ومهامها منحصرة فى الآتى :

١ ـ جباية مال الزكاة والصدقات والكفارات .

٢ ـ تسجيلها فى دفتر بتاريخها وبيان مقادير ومصادر دخلها .

٣ ـ حفظها وصرفها حيث تطلب حال الجماعة ذلك .

٤ ـ فتح الصنودق فى المسجد لحفظ مال أهل الحى أو القرية وتنميته لهم .

كيفية تنمية مال الجماعة :

بما أن المال قوام الأعمال وأنه ضرورى للتكافل الاجتماعى ، وأن اللّه تعالى قد قال فيه : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ وقال : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل اللّه لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً** ﴾ .

فإن التعاون المالى بين أفراد أهل المسجد الذين هم أهل الحى أو القرية أمر ضرورى ولا محيص عنه متى رغبت الجماعة فى سعادتها وكمالها وقد رغبت فعلاً وإلا ما اجتمعت ولا عاهدت والتزمت ،وبناء على هذا فالطريق للحفاظ على مال الأفراد وتنميته يتبع فيه ما يلى :

(١) أن يوضع فى المسجد الجامع الذى يتلقى فيه سائر أهل الحى أو القرية العلم والهدى كل ليلة ، صندوق حديدى ، وتتولى اللجنة المالية حفظه وإدارته على نحو ما سبق .

(٢) على كل فرد من أفراد المسجد من إمام إلى آخر رجل فى الحى أو القرية أن لا يبقى فى بيته من مال يزيد عن مصروفه الشهرى ، وما زادَ يأتى به ويضعه فى صندوق الجماعة وهو مخيّر بين أن يودعه للحفظ فقط . ويأذن للجماعة فى التصرف فيه إلا أنه متى أراده أو أراد بعضه يعطاه فوراً ، وبين أن يرغب فى تنميته وربحه ، وحينئذ يودع فى الصندوق على سبيل المضاربة فإن كان ربح فله ، وإن كان خسارة فعليه .

(٣) أن ينمى مال الصندوق فى أحد وجوه التنمية الآتية وهى : **التجارة والصناعة والفلاحة** . فيفتح فى الحى أو القرية متجر كبير لتوريد البضائع الاستهلاكية وبيعها جملة وتفصيلاً . أو ينشأ فيه مصنع لإنتاج المواد الاستهلاكية وغيرها فى حدود طاقة الصندوق ليُشغَّل فيه عاطلو الحى والقرية ويدر ربحاً ولو قليل على المودعين أموالهم للنماء والربح . أو تنشأ مزرعة كبيرة يُشَغَّلُ فيها أفراد الحى العاطلون لإنتاج أنواع الحبوب والفواكه والخضر بحسب طبيعة ومناخ الأرض التى فيها الجماعة ، وقد ينمى المال فى إنشاء المبانى الصغيرة وبيعها ، إلى غيرها من أنواع مجالات التنمية المالية الخالية من الربا ، وبهذا تطهر الأموال والأرواح من آثار الربا السيئة .

(٤) يقرض الصندوق أفراد الحى أو القرية بعد أن يُستوثق للقرض بما يضمن استرداد المال

المقترض ، وبلا فائدة ، ونظراً لإيمان أهل الحى واستقامتهم نتيجة عملهم وهدايتهم فإن أحدهـم إذا استقرض قرضاً إلى أجل فإنه يرده فى أجله ولا يؤخره بحال من الأحوال .

(٥) بعد الحول توزع الأرباح على أرباب الودائع بحسب الوديعة قلة وكثرة وما ربحه الصندوق يبقى فيه ليصرف للجنة الرحمة التى تنفقه على ضعفة أهل الحى وموزعيهم حتى لا يكون بين أفراد الجماعة محتاج إلى غذاء أو كساء أو إيواء أو دواء ، وفى هذا من مظاهر الرحمة والإخاء مالا يقدر قدره ، ولا يعرف فضله ، وهذه ثمرة من ثمار التمسك بالإسلام عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وحكماً .

ب ـ من اتمام صورة المنهج المطلوب انتهاجه لإصلاح أفراد الأمة ما دامت الحكومة عاجزة عن إصلاحهم أو غير راغبة فيه ، أن يأخذ مرشد الجماعة بالوصاية التالية :

١ ـ أن يعتنى بتقوية الإيمان فى نفوس أفراد الجماعة وتوضيح العقيدة السلفية لهم ليعتقدوها ويتمسكوا بها .

٢ ـ تقرير توحيد العبادة لهم وتحذيرهم من الشرك ، وبيان مظاهره لهم ليتقوه .

٣ ـ أن يعنى عناية كاملة بالترغيب فى السنة والتمسك بها ، والتنفير من البدعة والتحذير منها .

٤ ـ أن يعنى بتنمية الأخلاق الفاضلة فى أفراد الجماعة وتزكية نفوسهم بالعمل الصالح وتطهير أرواحهم من الذنوب والآثام صغيرها وكبيرها ليكملوا ويطهروا .

٥ ـ أن يحثهم على طاعة اللّه وطاعة رسوله والمرشد للجماعة إذ هو ولى أمر إصلاحهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم فطاعته واجبة ما دامت فى المعروف .

٦ ـ أن يجنب أفراد الجماعة التكلم فى الأمور السياسية والخوض فيها والبعد بهم عن محيطها حفاظاً على وحدة قلوبهم ، وإبعاداً لهم عما يسبب الفتن المفضية بالجماعة إلى الاختلاف والتفرق والحرمان والخسران.

ج ـ ومن إتمام صورة المنهج أيضا اتباع ما يلى :

١ ـ أن يبتدئ المرشد بتلقين أهل الحى أو القرية فى مسجدهم بقصار السور ، فيبتدئ بسورة الفاتحة تلقينا وحفظا وشرحا وتفسيرا ، ثم الناس ، ثم الفلق ثم الصمد ، وهكذا إلى أن يختـم القرآن الكريم وأن يكتفـى بالآيتين والثـلاث فى الجلسة

الواحدة ، وبعد التأكد من حفظها يبين لهم معناها ويرشدهم إلى ما توجبه من اعتقاد أو عمل ليعتقدوه ويعملوا به ، إذ هو الثمرة المقصودة لهم .

٢ ـ أن يجعل للحديث الشريف ثلاث ليال يلقن فيها أحاديث الطهارة والصلاة وسائر العبادات ، ويكتفى بالحديث الواحد فى الليلة الواحدة فيلقنه الجماعة فإذا حفظوه شرحه لهم وبين لهم ما تضمنه من حكم فقهى ويأمرهم بالعمل به من ليلتهم ليأخذوا العلم والعمل معاً وهذا سبيل الكمال بعد النجاة .

٣ ـ إذا كان فى المسألة الفقهية خلاف بين المذاهب الأربعة يذكره مع احترامهم وتقديرهم ويحث على العمل بالقول الراجح الذى دعمه الدليل من الحديث ليصبح الأئمة الأربعة أئمة للجميع ، حتى لا تحدث فرقة بين أفراد الجماعة تسبب نفرة أو عداء وهو ما يجب أن يتقى تمام الاتقاء حفاظاً على وحدة الجماعة وأخوتها وتعاونها.

حقق اللّه لهم ذلك .

وثانى نصائحى :

للمسئولين وهى أن يعيروا ما جاء فى أولى نصائحى اهتماماً كبيراً وأن يعلموا أنه لابد من أن يخطو إحدى الخطوتين [1] السابقتين اللتين قد اشتملت عليهما أولى نصائحى تلك ، وإن يخطوهما معاً فذلك خير وأحسن عاقبة .

أما أن يعرضوا مستكبرين أو متجاهلين فإن عاقبة أمرهم ستكون خسراً ويدل على ذلك واقعهم وما هم عليه من ضعف وحيرة وقلق وفتن أيضاً نتيجة إعراضهم عن ذكر اللّه ، واللّه يقول : ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾إذ المراد من ذكر اللّه قراءة كتابه ومعرفة أحكامه وشرائعه والعمل بما فيه . وخلاصة القول فى ذلك : إقامة الدين عقائد وعبادات وأحكاماً وآداباً وأخلاقاً ، وعدم التفرق فى ذلك . قال الحبر ابن عباس رضى اللّه عنهما : تكفل اللّه لمن آمن بالقرآن وعمل به أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة .

وآية الأعراف أكثر دلالة على الموضوع وهى قول اللّه تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ**

---

(١) الأولى وحدة البلاد الإسلامية ووضع دستور إسلامى لحكمها ، والثانية تكوين لجان فى كل قرية أو حىّ للإصلاح وقد تقدم تفصيل ذلك وبيانه .

الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ .

وتحليل ما دلت عليه هذه الآية هو كالتالى :

١ ـ أن المسلمين قد آتاهم اللّه آياته وهى آيات القرآن الكريم .

٢ ـ أن هجر القرآن وعدم العمل بما فيه من أحكام هو انسلاخ منه .

٣ ـ عدم تطبيق ما فى القرآن من شرائع وأحكام وآداب سهَّل على الشيطان إغواء أكثر المسلمين ، لأن المناعة تكمن فى العمل بكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ فلما تخلوا عن العمل بالقرآن زالت مناعتهم فسهل على الشيطان إغواؤهم فأغواهم ، فتركت الصلاة وارتكبت المحرمات وعظائم الذنوب .

٤ ـ أن انتشال المسلمين من الوهدة التى وقعوا فيها لا يكون إلا بالعمل بالقرآن إذ هو الرافعة الوحيدة للأفراد والشعوب التى سقطت فى أوحال المادة فخبثت وتلوثت فهلكت أو كادت .

٥ ـ الخلود إلى الأرض معناه الركون إلى الحياة الدنيا يطلب مُتَعِها وتسخير قوى العقل والبدن والفكر فى طلب الدنيا والحصول عليها مع الإعراض عن الآخرة وعدم التفكر فيها والعمل لها فى قليل ولا كثير ، ومَنْ هذه حالُه فقد اتبع هواه متنكراً لعقله ولهداية ربه التى نزل بها القرآن وبُعث بها النبىُّ ﷺ .

٦ ـ ومن انسلخ من شرع اللّه وأخلد إلى الأرض واتبع هواه أصبح فى حيرته وقلقه وعدم استقلاله كالكلب لا يفارقه اللهث والتبعية لغيره كما قال أحد الحكماء : الذليل بغير قيد مقيد ، فهو كالكلب إن لم يُسَد بحث عن سيد .

والآن فهل يتعظون المسؤلون فى العالم الإسلامى بمثل هذه الموعظة ؟

والجواب : إن أراد اللّه تعالى إنقاذهم مما هم فيه وإسعادهم فى الدارين فسوف يتعظون ويعملون بما فى هذه النصائح الغالية التى قدمت لهم رغبة فى كمالهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وإن كان قد قُدِّر شقاؤهم وخسرانهم فى الحياتين فسوف يعرضون مستكبرين أو متجاهلين غافلين حتى يمضى حكم اللّه فيهم وهو الحكيم العليم .

وثالثة نصائحي : أن يعلم المسلمون حاكمين ومحكومين أن الخطوة الثانية التى ذكرت فى النصيحة الأولى ، وهى تكوين لجنة فى كل قرية أو حى إلى آخر ما تقدم بيانه فى النصيحة الأولى . خطوةٌ سليمة مريحة لا تعب ولا عطب فيها وأنها تؤهل المسلمين حاكمين ومحكومين إلى السعادة والكمال فى الدارين وإن رغب عنها الحاكمون لعدم معرفتهم أو لشعورهم بالاستغناء عنها فإن على المسلمين أن يخطوها مستعينين بالله تعالى ، وسواء من كان منهم تحت ولاية كافرة كالجاليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا وغيرهما أو كان تحت ولاية مسلمة كسائر بلاد العلم الإسلامى .

وعلى العلماء شرح هذه الحقيقة وبيان نتائجها الطيبة من تحقيق الأخوة الإسلامية والتعاون على البر والتقوى وما يثمر ذلك من حب وولاء بين المسلمين وما يتحقق من زكاة النفوس وتهذيب الأخلاق وهى ثمار عاجلة ورضا الله وجواره فى دار السلام ثمار آجلة وهى خير ثمار حقق الله لهم ذلك إنه وليه والقادر عليه .

ورابعة نصائحي وآخرتها : أن على الحاكم المسلم إذا لم تتحقق وحدة المسلمين لأن الله تعالى ما رآهم أهلاً للسعادة والكمال لذنوبهم السابقة أن عليه أن يجتهد فى خاصة نفسه فيقرب علماء الشريعة ويتشاور معهم ويسددوا ويقاربوا فى الإصلاح فيعملوا على منع المحرمات على اختلافها ويقيموا الصلاة ويجبوا الزكاة ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويقيموا حدود الله على من وجبت عليه ، وأن يحرصوا على أن يجعلوا كل فرد من أفراد الأمة جندياً أميناً يحرس الفضائل ، ويحمى البلاد والعباد ، وذلك بتزويده بالمعرفة وتسليحه بالإيمان وحادّ السّنان ، وبذلك تتم ولايتهم لله تعالى فيدافع عنهم وينصرهم بعد أن وفقهم للأخذ بأسباب القوة والكمال ولا يَعُدَّنَّ أحدٌ هذا من باب الخيال وأن تحققَهُ بعيدُ المنال ، إنه والله لمن السهل الممتنع : سهل على أولياء الله عز وجل ، ممتنع علىَ أعداء الله تعالى لأن السهل ما جعله الله سهلاً ، والممتنع ما جعله الله ممتنعاً .

كما أن على الفرد المسلم إذا كان فى بلد أعرض فيه كلٌّ من الحاكمين والمحكومين عن الأخذ بما فى هذه النصائح . فلا إمام عادل ولا جماعة للمسلمين متعاونة متراحمة ، عليه أن يعتزل تلك الفرق كلها ويلزم الصمت ويشتغل بطاعة الله يتزود بها للقاء الله ولا يزال كذلك حتى يتوفاه الله وهو على العهد الذى أخذه عليه ، وهو « شهادة أن لا إله إلا الله » فيعبد الله وحده ، ولا يشرك بعبادته أحدا ، « وأن محمداً رسول الله » ، فلا يتابع إلا رسول الله . ومن جملة العبادة التى يشتغل بها طلب العلم الموصل إلى الله بالإنابة إليه

والخشية منه ، والتقرب إليه بفعل محابه ومحاب رسوله ﷺ وآله وصحبه وسلم . وترك مكارهه ومكاره رسوله ﷺ .

وأخيراً فهذه نصائحي إلى المسلمين أفراداً وجماعات وحكومات فمن أخذ بها فقد أخذ بحظ وافر ومن صُرِفَ عنها فأمره إلى الله.

ولا حول ولا قوة إلا بالله

المدينة المنورة

في ٢٢ / ٤ / ١٤٠٨ هـ

من سنن الهدى

رفع اليدين في الدعاء

مقدمة

فى مسائل يتعيّن التسامح فيها

الحمد للّه الرؤوفِ بالعباد ، راحم الرحماء ، مُقيل عثراتِ الكُرمَاء . والصلاة والسلام على نبى الرحمة ، والخلق العظيم ، محمد المرسل رحمة للعالمين وآله وصحبه أجمعين .

وبعد فقد نُمى إلىَّ بوصفى واعظاً بالمسجد النبوى الشريف أنَّ بعض الأبناء مِمَّنْ رَزَقَهم اللّه حب السنة النبوية والتمسك بها ، قد حملهم ذلك الحبُّ والتمسك على أن يُنكروا بشدة رفع اليدين فى الدعاء ، مما تألّم له المؤمنون الذين عاشوا يرفعون أيديهم إذا دعواْ ربهم موقنين بجوازه بل وندبه واستحبابه ، لما شاهدوا عليه من علماء وصلحاء من كافة أمَّة الإسلام حتى لكأنه من السنن المتواترة ، الأمر الذى جعلهم فى حيرة من الأمر يتساءلون .

ونظراً لواجب الحفاظ على قلوب المؤمنين طيبة مطمئنة بعيدة عن الشكوك والريب فيما تعتقده وتعمل به ، فإنى رأيت أن من الواجب بيان الحق فى هذه المسألة وفى غيرها من مسائل أخرى تشدد فيها الأبناء ، فآذت أكثر مما نفعت ، وأبعدت أكثر مما قربت ، واللّه أسأل أن يُرِىَ الجميع الحق حقاً ويرزقهم اتباعه والباطل باطلاً ويرزقهم اجتنابه ، وها هى ذى تلك المسائل .

الأولى : إدراك الركعةِ بالركوع :

هذه المسألة أكثر المسلمين فيها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وأتباعهم على أن الركعة تدرك بالركوع ، فمن أدرك الإمام راكعاً فأحرم وركع قبل أن يرفع الإمام فقد أدرك الركعة ، ولا معنى لإلغائها والإتيان بركعة أخرى فتصير الرباعية خماسية والثلاثية رباعيّة ، والثنائية ثلاثية ، والزيادة المتعمدة فى الصلاة تبطلها ، ولولا مراعاة الإلغاء بعذر أنه لم يقرأ فيها الفاتحة لبطلت هذه الصلاة ! !

وبناء على هذا فلا ينبغى لمن عرف هذه المسألة أن يلفت نظر المسلمين إليها ويطلب منهم أن يأخذوا بها ، وهى من شواذ المسائل ، ومن أراد أن يعمل بها فليعمل بها فى خاصة نفسه ، ويريح المسلمين من معاناة الخلاف .

الثانية : جلسة الاستراحة :

جلسة الاستراحة هى جلسة خفيفة تكون عند القيام للركعة الثانية والرابعة فى الرباعية ، وسمّيت بجلسة الاستراحة لمراعاة طلب الراحة فيها ؛ لأن النهوض من السجود إلى القيام فيه نوع مشقة لا سيما على المريض والكبير ، ويدل على أنها لمجرد الاستراحة أنها لم يشرع لها ذكر أو دعاء كما شرع فى الجلسة بين السجدتين ، ومن هنا جمهور الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وأتباعهم على عدم الإتيان بها ، ولكن ينكرون على من أتى بها ، إلا أن أفراداً من طلبة العلم اليوم يرون تركها تركاً للسنة وشغبوا بذلك على عوام المسلمين ، وأحدث أمرهم هذا متاعب للمسلمين ، وهم فى غنىً عن زيادة الخلافات التى ثبّطت العزائم وقعدت بالمسلمين عن طلب الكمال فى الدين والدنيا معاً .

ولذا المطلوب من أهل الإيمان أن لا يوجبوا على إخوانهم ما لم يوجب اللّه ورسوله عليهم ، وليكتفوا بتعليم إخوانهم السنن المؤكدة والواجبات ، ومن أراد منهم أن يجلس هذه الجلسة فليجلس ، إلا أن يكون إماماً فلا ، لما يثير ذلك من اضطراب فى المصلين لغلبة الجهل ورقة الحال ، واللّه المستعان .

الثالثة : قراءة الفاتحة وراء الإمام :

قراءة الفاتحة فى كل ركعة للإمام والفذ ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونه للقادر عليه ، ولا خلاف بين المسلمين فى ذلك ، إلا أن قراءتها على المأموم غير واجبة ، وعلى عدم وجوبها جل الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وأتباعهم من سائر أهل السنة والجماعة . وذلك لأمرين ؛ الأول : ما صحّ من إقرار الرسول ﷺ لأبى بكرة على ترك قراءتها فى الركعة التى دخل فيها مع الإمام وهو راكع ، والثانى : قوله ﷺ « من صلى خلف الإمام فقراءة الإمام قراءة له » والحديث وإن ضعف فقد صحح ، وبه عمل الأحناف والحنابلة والمالكية رحم اللّه الجميع ، وهذا معلوم لأهل العلم كافة .

وبناء على هذه فليس من الرحمة فى شىء لهذه الأمة ، ولا من العدل والإنصاف كذلك ، القول الصريح بأن صلاة المأموم باطلة إذا لم يقرأ الفاتحة وراء الإمام فى الجهريّة

والسريّة معاً ، وزيادة على ما ذكر فإن المحافظة على قلوب المؤمنين حتى لا يتسرب إليها الشك فى علم أئمتها وهدايتهم من أوجب الواجبات ، ولا يعرف هذا إلا من هيّأه اللّٰه تعالى للإصلاح والدعوة إليه تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة .

وعليه فالطريق فى هذه المسألة : أن نرغِّب فى قراءة الفاتحة فى سكتات الإمام ، وأن يقرأ بها المسلم سراً فى نفسه ، كما قال أبو هريرة : اقرأ بها يا فارسى فى نفسك . لا أن نجاهرهم بأن من لم يقرأها صلاته باطلة ، فنترك المسلمين فى حيرة وشك . ومن الواجب أن نجنِّبهم ذلك ما قدرنا عليه .

الرابعة : تحيّة المسجد فى أوقات النهى :

تحيـة المسجد من سنن الإسلام تُظهر ما لبُيوتِ اللّٰه تعالى « المساجد » من قدسيّة واحترام ، وصلاة الركعتين عند دخولها وقبل الجلوس فيها شبيهة بصلاة الطائف الركعتين خلف المقام ، وتأكدت مشروعيتها بقول الرسول ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين » . وعارض هذا الحديث ما ثبت وصح من نهيه ﷺ عن الصلاة فى خمسة أوقات وهى : من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ، ومن طلوعها إلى أن ترتفع قيد رمح ، وعند وقوف الشمس فى كبد السماء إلى أن تزول ، وبعد صلاة العصر إلى الاصفرار ، ومن الاصفرار إلى الغروب . وهو ما جاء فى حديث عقبة بن عامر ، وحديث أبى سعيد عند الشيخين .

واضطرب المسلمون فى القضية ، فمنهم قائل بالعموم فلا تصلى نافلة فى هذه الأوقات الخمسة ، ولا فرق بيت تحية المسجد وغيرها من النوافل . ومن قائل بالخصوص فخص الأوقات الخمس بالنوافل المطلقة فقط ، وأخرج تحية المسجد وما له سبب كركعتى الطواف ، ورغيبة الفجر ، والركعتين بعد الوضوء .

ومن هنا فالمطلوب من الهداة الدعاة أن يعرفوا هذا وليوجهوا المسلمين بالرفق واللين لما يرجحونه من الأراء الثلاثة الآنفة الذكر ، وليطلبوا الوسط فإن خير الأمور الوسط . ولا يُوروا غيرهم أنهم دون غيرهم على الحق .

هذا والذى أراه فى هذه المسألة ، أن لا صلاة فى أوقات النهى إلا ركعتى الرغيبة بعد صلاة الصبح مباشرة لمن فاتته قبلها وخشى أن يشغل عنها بعد طلوع الشمس ؛ وذلك لورود دليل خاص بذلك ، وإلا تحيّة المسجد ما لم يدخل الإسفار فى الصبح ، وما لم

تتضيّف الشمس للغروب مساء ، حيث تشتد الكراهة . وللأثر « لا تتحروا طلوع الشمس ولا غروبها » أى بصلاة ، ومع هذا فمن صلى آخذاً بحديث « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين » . فإنه مأجور ، ومن لم يصل ناظراً إلى حديث النهى فلم يصل فهو مأجور ، هذا هو الفقه فى هذه المسألة ، ولا معنى معه لعيب من صلى فى هذين الوقتين ولمن لم يصل .

الخامسة : وضع اليدين على الصدر حال القيام من الركوع :

إن وضع اليدين على الصدر فى الصلاة سنة الأنبياء كَافّة ، فقد روى مالك فى موطئه والبخارى وأبو داود وابن ماجة أن النبى ﷺ قال : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنَع ما شئت » ، ووضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة (يضع اليمنى على اليسرى) والمعروف الذى ذكَره الفقهاء أن ذلك فى حال القيام للقراءة ، ورأى بعضهم أنه فى كل قيام سواء كان قبل الركوع أو كان بعده ؛ لأن حديث مالك بن الحويرث رأى صلاة رسول الله ﷺ قال : ما رأيته قائماً فى الصلاة إلا وهو واضع يديه على صدره . وعموم هذا اللفظ دال على مشروعية وضع اليدين على الصدر فى حال القيام سواء كان القيام الأول للقراءة ، أو كان القيام الثانى بعد الرفع من الركوع ، وقبل الهوى إلى السجود . وأنكر بعضهم هذا الوضع وقال إنه بدعة فشط فى القول ؛ إذ البدعة أمر مبتدع مخترع لا أصل له فى الشرع ووضع اليدين على الصدر سنة صحيحة ، وحديث مالك يدل عليها فكيف توصف بالبدعية .

ومما رأيته فى هذه المسأله : أنه لا ينبغى الإنكار على من وضع يديه وعلى من لم يضعهما ، إذ كل منهما عامل بدليل ، كما أرى أن من طال قيامه بعد الرفع من الركوع وذلك لإتيانه بالأذكار الواردة فى ذلك أن وضع يديه على صدره أولى ؛ لأنه كالقائم للقراءة ومن لم يطل قيامه كمن يكتفى بالتسميع والتحميد لا غير ، أن عدم وضع يديه على صدره أولى به ، ولعل هذا هو السر فى أن أكثر الفقهاء لم ينصوا على هذا الوضع عند كلامهم على سنن الصلاة . والله المستعان .

السادسة : تحريك الأصبع فى التّشهّد :

الإشارة بالسبابة فى التشهد مسنونة عند عامة أهل السنة والجماعة ؛ لثبوت السنة النبوية بذلك ، فقد روى مسلم فى صحيحه ، أن النبى ﷺ كان إذا قعد للتشهد وضع يده

اليسرى على ركبته اليسرى ، واليمنى على اليمنى ، وعقد ثلاثاً وخمسين ، وأشار بأصبعه السبابة . وإنما الخلاف فى ثلاثة أمور هى :

١ ـ تحريك السبابة وهو يشير بها .

٢ ـ الإشارة بها وعدم تحريكها .

٣ ـ الإشارة بها وتحريكها ما دام يقرأ التشهد والدعاء بعده .

ولكل مذهب من هذه المذاهب الثلاثة دليله . فللأول حديث : أنه ﷺ كان يشير بالسبابة ولا يحركها . وللثانى والثالث حديث وائل : كان ﷺ يحركها يدعو بها وورد عن السلف التعليل للإشارة ؛ بأنها أشد على الشيطان من المقمعة .

وبعد هذا العرض أقول : إنه لا ينبغى لأحد أن يعيب على آخر ، فلا يعيب من يحركها على من لا يحركها ، ولا من يشير بها ما دام فى التشهد على من لا يشير بها ، إلا عند قول أشهد أن لا إله إلا اللّه ، إذ كل واحد متمسك بحديث .

إلا أن الذى أرجحه فى هذه المسألة ، هو الإشارة بالسبابة وتحريكها من بدء التشهد إلى نهايته ، كما هو مذهب مالك رحمه اللّه ؛ وذلك لوضوح حديث وائل بن حجر إذ فيه : كان ﷺ يحركها يدعو بها ، ومعنى يدعو بها : يؤكد بها دعاءه ، إذ من عادة المرء أنه إذا كان يحدث غيره وله اهتمام بما يحدِّث به يشير بأصبعه ويحركه ما دام يحدِّث ، ولذا أرى أن تحريك الأصبع لا يكون بسرعة ، ولا إلى اليمين والشمال ، ولكن أعلى وأسفل على هيئة من يتحدث مع غيره فيؤكد له كلامه بالإشارة بسبّابته ، وإن تحركت معه اليد فلا بأس إذ حركتها ليست مقصودة .

السابعة : تحية المسجد والإمام يخطب :

إنه لا خلاف فى سنية تحيّة المسجد لمن أراد الجلوس فيه ؛ لحديث الصحيح : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين » ولا خلاف فى هذا بين أهل السنة والجماعة ، وإنما الخلاف فيما إذا كان الوقت وقت كراهة ، وقد تقدم بيان ذلك فى المسألة الرابعة من هذه المسائل ؛ إلا أننا لم نعرض للخلاف الوارد فى تحيّة المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة ، وهى مسأله اختلف أهل السنة والجماعة فيها ، فمن مانع ومن مجّوز ولكل دليله القوىّ الواضح الجلىّ ، فلذا أرى أنه تقريباً لشقة الخلاف وجمعاً للكلمة ولمًّا لشعث الجماعة ، عدم أمر من جلس ولم يصلها بالقيام لها ، وعدم نهى من قام يصليها بالجلوس

وتركها . ومع هذا فإن أداءها خفيفة أولى من تركها لأمر النبى ﷺ الرجل بذلك وقد دخل وهو ﷺ يخطب يوم الجمعة .

الثامنة : الأذانان يوم الجمعة :

لقد ظهر فى هذه الأيام من ينكر الأذان الأول يوم الجمعة ويطالب بالأذان الواحد وهو الأخير واضطرب الناس لذلك ، ووجد من اكتفى بالأذان الواحد فى كثير من البلاد الإسلامية . وحاصل هذه المسألة أن الأذان يوم الجمعة على عهد الرسول ﷺ وأبى بكر وعمر كان أذاناً واحداً ، ولما ولى الخلافة عثمان زاد الأذان الأول ؛ معللاً باتساع البلاد وكثرة الأسواق ، فاعتبره من المصالح المرسلة ، وقد أصاب رضى اللّٰه عنه وعن إخوانه من صحابة رسول اللّٰه أجمعين ، وأقره على ذلك الأصحاب رضوان اللّٰه عليهم أجمعين . ولما كانت المصلحة مراعاة ، فقد زاد بعض النّاس أذاناً ثالثاً ، وذلك بالدّيار المغربيّة .

والذى أراه فى هذه المسألة أن من اكتفى بالأذان الواحد له ذلك وقد أصاب السنة ، ومن زاد ثانياً لمسيس الحاجة إليه فله ذلك ولا يقال فيه : ابتدع أو أذانه بدعة . وأما الثالث فلا أرى حاجة إليه ، ومع هذا فإنى أكره للمؤمن أن يشنع أو يبدع من زاد الأذان الثانى ؛ لأن هذه الزيادة لم يراع فيها سوى مصلحة المسلمين ، ولم يرد النهى عنها من قبل الشارع الحكيم ، فكيف تثار بأسلوب يؤذى المسلمين ويفرق جمعهم ؟ !

المسألة التاسعة : النافلة بين أذانى الجمعة :

إن المشروع للمؤمن يوم الجمعة إذا دخل المسجد أيّة ساعة من النهار ، أن يصلى ما كتب اللّٰه تعالى له ، ثم يجلس فهذه سنة الجمعة ، وإذا خرج الإمام على الناس ، ورقى المنبر يشرع المؤذن فى الأذان ، وإذا فرغ قام الإمام يخطب ، وإذا فرغ صلى وصلى الناس معه ، ومن شاء صلى أربع ركعات فى ناحية من نواحى المسجد ، وإن شاء انصرف وصلى فى بيته ركعتين وهما السنة بعد الجمعة . إلا أنه لما زاد الناس الأذان الأول وأصبح بين الأذانين فترة من الزمن يمكن فيها صلاة ركعتين أو أكثر ونظرة إلى حديث : « بين كل أذان وإقامة صلاة » قاموا يصلون ركعتين بين الأذانين ، وأنكر عليهم إخوانهم وشدّد بعضهم فى الإنكار ، ولا داعى إلى ذلك لوجود متمسك شرعىّ وإن ضعف . والذى أراه فى هذه المسألة أنه لا يؤمر بها ولا ينهى عنها ، وابن عمر يقول : أنا لا أنهى عبداً يصلى بليل أو نهار ، ولكن لا تتحروا طلوع الشمس ولا غروبها ، كأنه ينظر إلى قول اللّٰه تعالى : ﴿ **أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى** ﴾ .

المسألة العاشرة : مَسح الوجْهِ بالكفين بعد الدعاء

إن مسح الوجه بالكفين بعد رفعها للدعاء قد ذاع بين المسلمين ، وشاع حتى يقول القائل : إنه من المتواتر الذى لا يطلب متن له ولا سند إذ عمل الأمة الجماعى أقوى من الإسناد ، كما قال أحد التابعين وهو عطاء بن أبى رباح لمن سأله عن سند حديث له . ولو لم يكن من دليل على مشروعية مسح الوجه بالكفين بعد الدعاء ، إلا حديث الصحيحين ، لكَان كافياً فى الجواز والمشروعية ؛ إذ فيه أنه ﷺ « كَان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ، وقرأ فيهما قل هو اللّه أحد والمعوذتين ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات » .

ومع هذا فقد روى حديث مشروعية المسح كل من أبى داود والترمذى وابن ماجة وأحمد والطبرانى ونص حديثه : « إذا دعا أحدكم فرفع يديه فإن اللّه تعالى جاعل فى يديه بركةً ورحمة فلا يردهما حتى يمسح بهما وجهه » . وعبد الرزّاق من مراسيل الزهرى والحسن البصرى كذلك ، ونظراً إلى ما فى سند هذه الروايات من ضعف قال الحافظ ابن حجر رحمه اللّه تعالى : إن تعدد هذه الروايات يقضى بحسنها .

وبناء علىَ ما ذكرنا فإنى لا أرى بأساً فى مسح من مسح وجهه ، وإنى لأمسح ، ولا فى ترك من ترك المسح فلم يمسح ، وإنما أنكر على من يكره للناس المسح ويجعله من باب البدع وينهى المسلمين عنه ، لما فى ذلك من إيقاع المسلمين فى الحيرة والشكوك المفضية بهم إلى الخلاف والضعف ، وهي أحوج ما تكون إلى الوحدة والأخوة .

والآن وبعد ذكر هذه المسائل التى ينبغى التسامح فيها ولا يجوز التشدد فيها ؛ لأنها ليست من العقائد ولا من الواجبات ولا فى المحرمات ، فلا يتعلق بها حق للّه ، ولا حق لعباد اللّه وإنما هى من فضائل الأعمال ، أو من مستحباتها أعود إلى بيان ما ألّفت الرسالة لأجله وهو رفع اليدين فى الدعاء مقدماً بين يديه ثلاث جمل من الكلام : الأولى فى فضل الدعاء ، والثانية فى بيان أن الشرك فى الدعاء يَحرم الإجابة ويوجب سخط الرب على العبد والثالثة فى ذكر جملة من الأدعية الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة للحاجة لها .

الأولى : (فضل الدعاء) :

إن الدعاء هو نداء الرب تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته ؛ ليهب مرغوباً محبوبا ، أو يدفع مكروهاً مخوفاً ، وهو من أعظم أنواع العبادة . أمر تعالى به فى كتابه العزيز فى قوله

تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ . وفى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ادعونى استجب لكم** ﴾ وأثنى به على عباده الصالحين فى قوله ﴿ **ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين** ﴾ وفي قوله ﴿ **وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه** ﴾ وفى قوله : ﴿ **إذ قالت ربّ ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين** ﴾ وفى قوله : ﴿ **فدعا ربَّه أنى مغلوب فانتصر** ﴾ . وقوله ﴿ **وأيوب إذ نادى ربَّه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾ وقال رسوله محمد ﷺ : « الدعاء هو العبادة » . بيان ذلك : أن العبد إذا رفع يديه إلى اللَّه تعالى يسأله حاجته كان قد أيقن بما يلى :

١ ـ وجود اللَّه تعالى عليماً قديراً براً رحيماً جواداً كريماً .

٢ ـ وأنه فوق عرشه بائن من خلقه فلذا يرفع إليه كفيه .

٣ ـ وأنه يسمع النداء ويجيب الدعاء ، ولولا ذلك لما ناداه وسأله .

٤ ـ وأنه غنى واسع الغنى ينفق الليل والنهار فلا ينقص ذلك مما عنده شيئاً .

٥ ـ وأن غير اللَّه لا يسمع نداء ، ولا يجيب دعاء ، ولا يعلم حال الداعى ولا يقدر على إعطائه سؤله ، ولذا هو لا يرفع كفيه لغير ربه .

تنبيه عــــام :

لقد شاع على ألسنة الجهال ممن ينتسبون للتصوف كلمة : (علمه بحالى يغنى عن سؤالى) وينسبون هذه الكلمة إلى إبراهيم عليه السلام ، وأنه قالها لجبريل عليه السلام لما عرض له قبل وصوله إلى النار التى أعدت لإحراقه من قبل قومه المشركين ، وهذا افتراء على إبراهيم عليه السلام . بل الوارد أنه لما قال له : هل لك حاجة يا إبراهيم ؟ قال : أما إليك فلا ، حسبى اللَّه ونعم الوكيل .

والمراد من هذه الفرية صرف الناس عن دعاء اللَّه إذ به يفرج الكرب ، وينزل النصر وذهبوا إلى أبعد من هذا فقالوا : (الدعاء لا يرد القضاء) وقصدهم من ذلك صد المؤمنين عن الدعاء الذى هو العبادة ومخها ، وهى بدونه لا تتم ولا تحصل بحال . وإزالة لشبهة : الدعاء لا يرد القضاء ، أقول : إن اللَّه تعالى لما كتب مقادير الأمور ربط كل قضاء وقدر بسببه ، فتفريج الكرب ، وشفاء السقم ، وحصول النصر ، وقضاء الحاجات من مال وولد وغيرها ، قد يجعل اللَّه تعالى سبب تخفيفها دعاء أهلها وضراعتهم لربهم ، فإذا حان وقتها

وفقهم اللّه للدعاء فيدعون فيستجيب لهم ، ويتحقق مرادهم فى تفريج كرب أو شفاء سقم أو حصول نصر أو قضاء حاجة فى الظفر بمال أو ولد وغير ذلك ، وهذا مجرد زيادة بيان ، وإلا فنحن عبيد اللّه نطلب كل حاجاتنا من سيدنا إذ ليس لنا مولى سواه ، لا سيما وإنه هو عز وجل أمرنا بدعائه وواعدنا بإجابته وقد أخبرنا رسول اللّه ﷺ أنه ما من عبد يدعو بدعوة إلا كان له واحدة من ثلاث : استجابة دعائه إن كَان فيه خير له عاجلاً أو آجلاً ، أو دفع أذىً كَان يصيبه لولا دعاؤه ، رفعه درجات لم يكن ليرفع إليها لولا دعاؤه .

ولذا كان عمر رضى اللّه عنه يقول : أنا لا يهمنى أمر الإجابة ، ولكن يهمنى أن أوفّق للدعاء ، فإذا وفقت للدعاء فذاك المطلوب لما كان يعلم من فضل الدعاء وبركته . هذا ونختم هذه الكلمة ببيان ما ينبغى أن يكون عليه كل من الداعى والدعاء رجاء الاستجابة وقبول الدعاء .

ما ينبغى أن يكون عليه الداعى :

إن مما ينبغى أن يكون عليه الداعى من حال صالحة كَى يستجاب دعاؤه ما يلى :

١ ـ أن يكون طيب الكسب أى حلالاً ، حتى لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس ولا يركب ولا يسكن إلا ما كَان حلالاً . لحديث « أطب مكسبك تجب دعوتك » . وحديث : ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب .. يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام فأنى يستجاب له .

٢ ـ أن يكون حاضر القلب حال الدعاء غير غافل ولا ساه ، لقوله ﷺ : « إن اللّه لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه » .

٣ ـ أن يكون موقناً بالإجابة غير شاك فيها ولا آيس منها ؛ لقوله ﷺ : « ادعوا اللّه وأنتم موقنون بالإجابة » .

٤ ـ أن لا يستعجل الإجابة ولا ييأس منها ؛ لقوله ﷺ : « إنَّ اللّه يستجيب للعبد ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لى » .

٥ ـ أن يرفع يديه مستقبل القبلة لقوله ﷺ ذلك غير ما مرة .

٦ ـ أن يكون على حال من الضراعة والخشوع والخوف والطمع ؛ لقوله تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً** ﴾ وقوله : ﴿ **وادعوه خوفاً وطمعاً** ﴾ .

أن لا يعتدى فى الدعاء بأن يسأل منازل الأنبياء ، أو ما لم تجر سنة اللّه تعالى به ؛ كأن يسأل عودة الصغر بعد الكبر ، أو يسأل ذوات الأسباب وهو تارك لأسبابها ؛ كأن يسأل الولد وهو لم يتزوج لقوله تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ .

ما ينبغى أن يكون عليه الدعاء :

إن ما ينبغى أن يكون عليه الدعاء من حال ليكون أقرب إلى الإجابة ، بعد أن تأهل الداعى لقبول دعائه بالتزامه بما ذكر له من أحوال صالحة هو ما يلى :

١ ـ أن لا يكون إثماً ولا قطيعة رحم ؛ لقوله ﷺ : « يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

٢ ـ أن يبدأ بحمد اللّه تعالى والصلاة والسلام على الرسول ﷺ ؛ لقوله ﷺ : « إذا دعا أحدكم فليحمد اللّه تعالى وليصل على النبى ﷺ ثم يسأل حاجته » .

٣ ـ أن يكون سراً لا جهراً لقوله تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية** ﴾ . وقوله فى عبده زكريا ﴿ **إذ نادى ربه نداء خفياً** ﴾ .

٤ ـ أن يكون فى مواطن الإجابة كالسجود وفى السحر ، وبين الأذان والإقامة ، لقوله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » وقوله : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فادعوا فيه بما شئتم فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم » وورد أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد . وفى حديث النزول أن اللّه تبارك وتعالى يقول : هل من داع فأستجيب له ، وذلك فى ثلث الليل الآخر من كل ليلة .

٥ ـ أن يكون بعد عبادة كدبر الصلاة ، أو بعد إخراج صدقة ، أو بعد الإفطار من الصيام .

٦ ـ أن يكون فى حال المرض والصيام والسفر الصالح إذ ورد أن لهؤلاء دعوة لا ترد .

٧ ـ أن يكون فى حال الظلم إذ ورد عنه ﷺ أن دعوة المظلوم لا ترد .

حرمة الشرك فى الدعاء

إن مما يحرمُ العبدَ الاستجابة ، ويوقعه فى سخط اللَّه وغضبه ويوجب له عذابه ، الشرك فى دعاء اللَّه عز وجل ؛ كأن يقول السائل يا رب ويا سيدى فلان ، أو يا اللَّه ويا رسول اللَّه ، أو يا اللَّه ويا أولياء اللَّه ، إذا أمر تعالى بإخلاص العبادة له ، والدعاء هو العبادة فقال تعالى : ﴿ **فاعبد اللَّه مخلصاً له الدين * ألا للَّه الدين الخالص** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا اللَّه مخلصين له الدين** ﴾ ، وعاب على المشركين إخلاصهم فى الشدة وشركهم فى الرجاء وقوله تعالى : ﴿ **فإذا ركبوا فى الفلك دعوا اللَّه مخلصين له الدين** ﴾ أى الدعاء ﴿ **فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ ولذا وجب على المؤمن أن يتقى الشرك فى الدعاء ، وفى سائر العبادات فإن الشرك محبط للعمل ، موجب للخلود فى النار والعياذ باللَّه تعالى .

ومن مظاهر الشرك بين المسلمين مع الأسف ما يلى :

١ ـ النذر لغير اللَّه تعالى كقول أحدهم يا سيدى فلان إذا قضى اللَّه حاجتى ذبحت لك كذا ، أو اشتريت لك كذا ، وأحياناً يقول : إن تحقق لى كذا أفعل لك كذا كذبح شاة مثلاً ، ولا يذكر اللَّه تعالى فى كلامه وهو أقبح من الأول .

٢ ـ الذبح للأولياء فى مواسم أو أعياد لهم كأن يقول : هذه الشاة على روح سيدى فلان .

٣ ـ الذبح للجن كالنشرة ، وإخراج الجن من المصاب وما إلى هذا من حفلات الزار وغيرها .

٤ ـ والدعاء والاستغاثة بالأولياء الأموات وطلب قضاء الحاجات منهم حتى قالوا : إن أرواح الأولياء على أفنية قبورهم تقضى حاجات من يتوسل بهم ، حتى قال بعضهم : إذا تعسرت الأمور فعليك بأصحاب القبور .

٥ ـ الحلف بالأولياء والوقوف أمام أضرحتهم للحلف بهم تعظيماً لهم ، وإن كان الحالف يحلف باللَّه تعالى .

٦ ـ العكوف حول أضرحة الأولياء ونقل المرضى وذوى العاهات إليهم استشفاعاً بهم وطلباً للشفاء بجاههم .

٧ ـ اعتقاد بعضهم أن للأولياء ديواناً يجتمعون فيه سنوياً ، ويقرّرون ما يشاءون من تولية وعزل وإعطاء ومنع ، ويسمونهم أهل التصريف . وسمع أحدهم يقول مستغيثاً قائلاً : يأهل التصريف من حر وصيف .

أدعيـــة جامعـــة

إن النبى ﷺ قد أعطى جوامع الكلـم ، فالكلمـة الواحـدة تحوى معانى عديدة عظيمـة ، تدور على ما يحقق نجاة الإنسان من الخسران وفوزه بالجنان .

ومن جوامع كلمه اخترت جملة من الأدعية الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة وهى الآتية :

* قوله ﷺ : « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم » . وهى دعوة جامعة لخير الدنيا والآخرة يقولها لمن طعم عندهم ، وكونها جامعة لخير الدنيا والآخرة ؛ فإن اللّٰه تعالى إذا بارك للعبد فيما رزقه من سمع وبصر وعقل وبدن ، ومال وزوجه وولد فقد أغناه وكفاه ، ولم يحوجه إلى سواه ، ثم هو إذا غفر له ذنوبه ورحمه بإدخاله جنته ومستقر رحمته فقد أسعده ، وبلغ بذلك العبد منيته .

* قوله ﷺ : « اللهم اغفر لى وارحمنى وعافنى وارزقنى » . وقال لمن علمه هذه الدعوة : « فإن هؤلاء يجمعن لك دينك ودنياك » . وأمره أن يقولها فى الجلسة بين السجدتين فى الصلاة .

* قوله ﷺ : « رَبِّ أعنى ولا تُعِنْ علىَّ ، وانصرنى ولا تَنصُرْ علىّ وامكُر لى ولا تمكر علىّ ، واهْدنى ويسّر الهدَى لى ، وانصرنى على مَنْ بَغَى علىَّ . رب اجعلنى لك شكَّارا ، لك ذكَّارًا ، لك رهَّاباً ، لك مطيعاً ، إليك مُخْبتاً ، إليك أوَّاهاً مُنيباً . ربِّ تقبَّل توبتى ، وَاغسلْ حوْبتى (١) ، وأجِبْ دَعْوتى ، واهد قلبى ، وسدِّد لسانى ، وثبت حُجتى ، واسلل سَخِيمَة (٢) قَلْبى » .

هذه الدعوة المباركة الجامعة يحسن أن يدعى بها فى قنوت الوتر .

* قوله ﷺ : « اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله ، وأحسن عاقبتى فى الأمور كلها ، وأجرنى من خزى الدنيا وعذاب الآخرة » .

---

(١) حوبتى : أى إثمى .

(٢) السخيمة : الحقد . واسلل بمعنى : انزع .

* قوله ﷺ : « اللهـم إنى أسـألك المعافـاة فى الدنيـا والآخـرة » . فإنه قال فيها ﷺ : « ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل منها » .

* قوله ﷺ : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » . قالها لعائشة لما سألته قائلة : إن وافقت ليلة القدر ما أدعو ؟

* وقوله ﷺ : « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شىء منزل التوراة والإنجيل والقرآن العظيم ، أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنا الدين ، واغننا من الفقر » . علمها فاطمة بنته ﷺ لما سألته خادماً فقال : « ما عندى ما أعطيك » ، ثم أتاها فى بيتها وعلمها هذه الدعوة وأعلمها أنها خير من الذى تسألته .

* وقوله ﷺ : « اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر » .

استعاذات نافعة

إن الاستعاذة بالله عز وجل من شر كل ذى شر ؛ من شياطين الجن والإنس ، ومن كل فتنة وبلاء وعذاب الآخرة وخزى الدنيا أمر مرغب فيه مطلوب ، أمر به الله تعالى فى قوله : ﴿ **فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم** ﴾ وقوله : ﴿ **أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ وأنزل فيه سورتى المعوذتين . وللرسول ﷺ تعوذات جامعة نافعة لمن بها فى لجإ صادق ، وإنابة حقة ، وهذا طرف منها :

قوله ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » . كان يتعوذ بالله من هذه الأربع فى التشهد الأخير من الصلاة .

* قوله ﷺ : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » . كان يقول هذا فى سجوده وهو يتهجد من الليل .

• قوله ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يُستجاب لها » .

* قوله ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم ، وأستغفرك مما لا أعلم » .

* قوله ﷺ : « اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه » . علم هذا أبا بكر الصديق حيث طلب منه ذلك قال له : « قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك » .

* قوله ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك وجميع سخطك » .

* قوله ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من البرص والجُنون ، والجُذام وسيىء الأسقام » .

* قوله ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من شر ما علمت ، ومن شر ما لم أعلم » .

التوسل بأسماء اللّٰه تعالى

إن التوسل مشروع مأمور به فى قول اللهَ تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا اللّٰه وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون** ﴾ .

ومعنى التوسل : طلب وسيلة لقبول الدعاء وقضاء الحاجة ، وأحسن ما توسل به المتوسلون ما يلى :

١ ـ الإيمان كما قال تعالى : ﴿ **ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار** ﴾ فقد توسلوا إلى اللّٰه تعالى بإيمانهم رجاء أن يغفر ذنوبهم ويقيهم عذاب النار .

٢ ـ العمل الصالح كالصلاة والصدقة والصيام وتلاوة القرآن والصلاة على النبى ﷺ إلى غير ذلك من العبادات .

٣ ـ ترك ما نهى اللّٰه عنه ورسوله من كبائر الذنوب وعظيم الآثام ، وقد جاء فى الحديث الصحيح توسل مؤمن بترك فاحشة الزنى .

٤ ـ التوسل بأسماء اللّٰه الحسنى فى قوله تعالى : ﴿ **وللّٰه الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ .
وفى الحديث صور لذلك منها :

قوله ﷺ لمن سمعه يقول : اللهم إنى أسألك بأنك أنت اللّٰه لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . « لقد سأل اللّٰه باسمه الأعظم الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » .

وقوله ﷺ لمن سمعه يقول : « اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، المنان ، بديع السموات والأرض ، ذو الجلال والإكرام . « لقد سأل اللّٰه باسمه الأعظم الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » .

وقوله ﷺ : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » . **قال** : « **من قالها فى يومه وليلته فمات فى ذلك** اليوم أو تلك الليلة ، دخل الجنة إن شاء اللّٰه تعالى » .

رفع اليدين فى الدعاء

هذه المسألة وهى رفع اليدين فى الدعاء كانت السبب الحامل على تأليف هذه الرسالة ، وذلك أن الذى قضينا فيه عمراً طويلاً ندعو المسلمين إلى تركه لمخالفته لهدى الرسول ﷺ وأصحابه وأئمة الإسلام ، وهو الدعاء الجماعى ، والذكر الجماعى دبر الصلوات الخمس ، ونقول لهم : ليذكر كل واحد فى خاصة نفسه ، وليدع بما شاء وحده إذ صلى الرسول ﷺ بالمسلمين بالمدينة عشر سنوات إماماً فلم يشأ يوماً ﷺ أن يذكر معهم أو يدعو بهم بل كان إذا قضى صلاته استقبلهم فذكر اللّه وسبحه فى نفسه ريثما يخرج النساء ثم ينصرف إلى بيته ، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده ، فظهر بذلك أن الذكر والدعاء جماعة بعد المكتوبات محدث يتعين تركه . والحمد للّه قد استجاب أكثر المسلمين وتركوا هذه البدعة . وما كدنا نفرغ من هذه حتى طالعنا الأبناء بأخرى أعظم وهى نهيهم الصريح عن رفع اليدين فى الدعاء ، ونسبة من يرفع يديه إلى ربه يدعوه بعد الصلاة إلى الابتداع ، وبالغ بعضهم حتى كان إذا وجد الرجل رافعاً يديه يدعو يضرب على يديه قائلاً : اترك هذا فإنه بدعة ، وتألم لذلك الناس حتى قال لى بعضهم : لقد كنت أجد راحة وانشراح صدرى فى رفع يدى فى الدعاء ، والآن أصبحت أهاب ذلك ، وأتخوف منه ومن غريب ما احتج به الأبناء أن النبى ﷺ ما فعله بعد الصلوات الخمس . وهذا الاحتجاج باطل لأمرين :

الأول : أنه لو فعله النبى ﷺ ولازمه لكان واجباً لا يسع المؤمن تركه .

والثانى : أن الرسول ﷺ كان إماماً طيل حياته ، وكان إذا صلى استقبل الناس بوجهه وذكر وسبح ولم يدع بالناس وهذا الذى احتججنا به على الناس وأبطلنا لهم الدعاء والذكر الجماعى بعد الصلوات الخمس .

أما مشروعية الدعاء ورفع اليدين فهى ثابتة بأكثر من ثلاثين حديثاً ذكرها النووى رحمه اللّه تعالى فى (المنهاج) ، وألف السيوطى فى مشروعية رفع اليدين رسالة سماها (فض الوعاء فى أحاديث رفع اليدين فى الدعاء) ولنكتف بحديثين اثنين من الثلاثين حديثاً .

الأول : حديث مسلم وفيه أن النبى ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وقد غذى بالحرام فأنى يستجاب له ؟ فهذا الحديث دال دلالة قطعية على جواز رفع اليدين فى الدعاء وهو مطلق غير مقيد بزمان ولا مكان ، فمن أين يأتى الإنكار على من رفع يديه يدعو فى صلاته أو بعدها ؟ وقد رفع ﷺ يديه يدعو ربه حتى يبدو بياض إبطيه ﷺ ، وفى مواطن عديدة فى عرفات وعند رمى الجمرات ، وفى بدر وغيرها ، فدل قوله وعمله ﷺ على مشروعية رفع اليدين فى الدعاء ، فكيف يسوغ لمسلم اليوم الإنكار على مؤمن صلى ورفع يديه يدعو ربه الأمر الذى أحدث فى النفوس ريباً وشكوكاً ، فهل الرغبة فى اتباع السنة يكون سبباً فى النفرة بين المسلمين ، إن هذا عائد إلى عدم الفقه فى دين اللّه ، كما هو عائد إلى عدم تقدير المسئولية ، وما يترتب على الأمر والنهى من نتائج قد تكون سلبية فتضر أكثر مما تنفع ، وتبعد من الدين والإصلاح فيه أكثر مما تقرب ، ألا فليعلم هذا الأبناء .

والثانى : حديث ابن ماجة وهو صحيح الإسناد لا مطعن فيه ونصه : عن سلمان عن النبى ﷺ قال : « إن ربكم حيىٌّ كريم يستحى من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفراً ، أو قال خائبتين » . فهذا الحديث الصحيح وليس الأول ولا الآخر إذ هناك عشرات الأحاديث والآثار كلها قاضية بمشروعية رفع اليدين فى الدعاء وسواء كان العبد فى الصلاة أو خارجها . فكيف يسوغ للأبناء ـ فتح اللّه عليهم ، وزادهم رغبة فى العلم والفهم ـ الإنكار على آبائهم رفع أيديهم للدعاء بعد الصلاة ، وكيف يسوغ لبعض العلماء الكبار أيضاً إقرارهم على ذلك .

هذا ولو كان لا يترتب على إنكارهم زعزعة إيمان المؤمنين ولا تطرق الشك إلى نفوسهم فى كل ما ورثوه بالتواتر عن آبائهم وجدودهم من مسائل الدين الحنيف لهان الأمر ، ولما اضطررت إلى كتابة هذه الرسالة . ولكن تهدئة للخواطر ، وحفاظاً على ثقة المؤمنين فى سلفهم المؤمن الصالح ، كتبت هذه الرسالة . واللّه أسأل أن ينفع بها وأن لا يحرمنى أجر عملي بها ، إنه جواد كريم برٌ رحيم .

وسلام على المرسلين والحمد للّه ربّ العالمين .

* * *

القول الفصل

في الرد على مبيحى

ربا النسيئة والفضل

رسالة قيمة دعت إليها الحاجة ، فأملاها الواجب وأكدتها الضرورة ، وتعينت قراءتها على كل من يحسن القراءة فى هذه الأمة المسلمة .

مقدمة

الحمد للّه ، والصلاة والسلام على رسول اللّه .

وبعد : فإن الإسلام ما زال منذ طلع فجرهُ ، واستفاض نورهُ مستهدفاً مِنْ قِبل أعدائه وهم أعداء الطهر والخير من عَالَمَىْ الإنس والجنّ معاً وبنظرة إلى تأريخه منذ فجره إلى اليوم ، تتجلى الحقيقة القائلة : لولا حماية اللّه تعالى للإسلام لما استمرّ أكثر من ألف عام مصدر سعادة وكمال لكل مَنْ يدين به للّه تعالى عقيدةً وقولاً وعبادةً وحكماً وخلقاً وأدباً . وهذه الحقيقة لا تحتاج إلى أكثر من بيان ، وهو أن عمر الفاروق رضى اللّه عنه قتله المجوسى أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة قتله وهو قائم يصلى فى المحراب . وأن عثمان بن عفان ذا النورين رضى اللهّ عنه ذُبح وهو يرتل كتاب اللّه على أذرع من مسجد رسول اللّه ﷺ قتلته صنائع عبد اللّه بن سبأ اليهودى الصنعانى اليمنى . وأن مقتلة صِفّين التى سقط فيها الكثير من أصحاب رسول اللّه ﷺ أثارها وأجَّجَ نارها ورمى بالمسلمين فى نار جحيمها عناصر من التحالف اليهودى المجوسى المنافق بين صفوف معسكر الإيمان والإسلام . وأنّ مذهب آل البيت الذى تمخض عن بئس المولود وهو الشيعة وما تولد منها مِنْ الفرق المدمّرة الهدامة هو مِن وضع التعاون المجوسى اليهودى القائم على أساس النقمة من الإسلام الذى ثلّ عرش كسرى فقضى على أمل اليهود يومئذٍ فى إعادة مملكة ومجد بنى إسرائيل الغابر ، وأنّ مذاهب الاعتزال والجهمية والقرامطة والإسماعيلية والبهائية والنُصَيْريَّة والدُّرزيَّة ، ثم طرق الصوفية ، وحتى الاشتراكية العربية والإسلامية ، وأخيراً خدعة ضرورة تغيير المجتمع الإسلامى ليماشى العصر ، ويواكب الحضارة ، وذلك بالتجهيل باسم العلم ، والتكفير بدعوى التحرير ، والتفسيق تحت شعار التَمدين والتحضّر . وكانت النتيجة الحتمية لهذا الكيد أن عُطلت أحكام الشرع واستُبْدِل بها قوانين الغرب الكافر والشرق المُلْحِد فى أكثر بلاد المسلمين ، وفشا الجهل بأحكام اللّه وشرائعه ، وانتشرت البدع ، وعمّ الفسق ، فتُركت الصلاة ، ومُنعت الزكاة ، وشُربت الخمور ، وتُكُيف بالتبغ والمخدّرات ، وظهر السفور وانتشرت الفاحشة ، وكثر التلصص وساد الإجرام ، وماتت المروءة وفُقدت الغَيرة ، وحتى لم يبق فرق بين دار الكفر ودار الإسلام ، وهذا هو الذى عمل عَلَى تَحقِيقه الثالوث الأسود المكوّن من اليهودية والمجوسية والصليبية

قد تحقق وبدون عناء كبير منهم يا للأسف !! وذلك لأنهم لا يضربون أمة الإسلام بأيديهم ولكن يضربونها بأيدى أبنائها وبناتها ، وعلى سبيل المثال فهاهما عالمان مشهوران يطلعان اليوم على أمة الإسلام وفى ديارها المقدسة ، وتحت راية لا إله إلا اللّه ، محمد رسول اللّه يطلعان عليها بالدعوة إلى إباحة ربا البنوك الأمر الذى لم يجرؤ على قوله إنس قبلهما ولا جانّ ، وإن استحل الربا وعُمل به فى كافة ديار المسلمين إلا أنه بدون فتيا مَن عالِم كعالِمَيْنَا المذكورين وهذا من لطف اللّه بأمة الإسلام ليَبقى فيها مَنْ يُحرِّم الربا ولا يأكله إيماناً وتقوى

وهذا عرض سريع لدعوى عالِمينَا فى تحليل ربا البنوك ، ولإبطالها وإسقاطها مِن الحساب حتى لا ينخدع بها الطاهرون مِن هذه الأمة ، الذين لم يُحلوا الربا ولم يتعاملوا به ولم يأكلوه وهم كثير والحمد للّه .

قال عالِمانَا [١] هداهما اللّه : يمكن القول أنه لن تكون هناك قوة إسلامية بدون قوة اقتصادية ، ولن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك ولن تكون هناك بنوك بلا فوائد ، أى ربويّة .

ونحن فى إبطال هذه الدعوى نقول : إنه من الممكن أن تكون هناك قوة إسلامية بدون قوة اقتصادية ، إذ قوة الإسلام ليست فى المال فحسب بل هى فى الإيمان والإسلام والإحسان والأخلاق ، من صبر وتحمّل ، وصدق ووفاء ، وطهر وصفاء ، وشجاعة وكرم وسخاء ، وولاء وإخاء ، وشفقة ورحمة ، وعلم واسع وبصيرة نافذة ، وجهاد لا ينتهى إلى أنْ لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله للّه .

كما أنه قد تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك وفوائدها الربويّة وبيان ذلك أنّ الإسلام يدعو أتباعه أن يُكوِّنوا فى كل قرية صغيرة ، أو حىٍّ من أحياء المدينة لجنة فى جامع القرية أو الحىِّ ، مكونة من عمدة الحىِّ أو شيخ القرية أو أميرها ، وواعظ المسجد وإمامه ومؤذنه وحارسه ومن اثنين من أعيان القرية أو الحى وتكون مهمة هذه اللجنة المحلية رعاية الحىِّ أو القرية وحمايتها من كل ما يضر بأفرادها فى دينهم وأبدانهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم وأخلاقهم ، وذلك بواسطة اجتماعهم على العلم فى مسجدهم الجامع كل ليلة ،

---

(١) فى مذكرتين إحداهما قدمت لى بالطائف للنظر فيها والرد عليها ، والثانية وردت إلىَّ بالبريد من جدة ، وكلاهما يكاد يكون واحداً فى لفظه ومعناه ، فلهذا رددتُ عليهما فى هذه الرسالة مجتمعين ، ولم أذكر اسميهما ستراً عليهما كما هو الواجب فى الستر على المسلم .

وبالتزامهم بطاعة اللّه ورسوله وأولى الأمر منهم . وبالجامع المذكور يفتح نفقته اليومية ويخير الفرد بين أن يضع ماله أمانة فى الصندوق ويأذن للصندوق بالتصرف فيه بما يعود على الجماعة بخير ، وله الحق أن يأخذ من ماله المودَع فى الصندوق ما شاء ومتى شاء ، وبين أن يضعه بقصد النماء والانتماء ويكون حينئذٍ مال مضاربة قابلاً للربح والخسارة : ويستثمر مال الصندوق فى تجارة رابحة ، أو صناعة ناجحة ، أو فلاحة مثمرة مغلة صالحة ، ويكون ذلك فى القرية وما حواليها ، وفى الحىِّ وما يقاربه من أطراف المدينة وضواحيها ، وتُقسْم الفوائد والأرباح سنوياً بحسب إيداع الفرد قلةً وكثرةً . وبواسطة هذا الصندوق يتم قرض أفراد الحىِّ أو القرية بلا فائدة ، وتحويل المال من بلد إلى بلد بلا فائدة . وبهذا تكون القوة الاقتصادية بلا بنوك ربويّة ، وتُثْمِر لا المال فحسب ، بل تثمر المودّة والإخاء والكمال الروحى الأمر الذى لا يحققه اقتصاد العالم الكافر بكامله .

وبهذا التكوين الإسلامى الضرورى والعمل الإصلاحى الذى لا يتم إلاّ على هداية الإسلام ، يتم الاستغناء عن المصارف والبنوك الربويّة التى وضعها اليهود للإفساد والتدمير ، وللتحكم فى رقاب البشر والعبث بأخلاقهم وأديانهم وبكل مقوماتهم .

والآن فليقل لنا عالمانا أصلحهما اللّه تعالى : هل إنشاء هذه الصناديق فى القرى والأحياء من أجل إقراض المحتاجين إلى قروض ، وحفظ أموال المواطنين وتنميتها حتى تكثر ، وحتى لا تأكلُ الزكاةُ أموال اليتامى إذا كانت لا تُنمى فى مثل هذه الصناديق خيرٌ أو الاستقراض من البنوك بفوائد عالية وتنمية ربويّة هى السحت الحرام خير ؟

إن مثل هذه اللجان والصناديق تنشأ من القرى والأحياء من شأنه أن يجمع أرواح المواطنين على المحبة والخير ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويجعلهم جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحُمّى . وقد يقول عالمانا بصرّهما اللّه بالحق : أن مثل هذه اللجان والصناديق ضرب من الخيال هذا فى إنشائها وتكوينها ، وفى إدارة الصناديق مثل ذلك ، إذ للمال وإدارته رجال أخصائيون متخرِّجون من كليات المال والتجارة فكيف يديرها إمام مسجد أو مؤذنه ؟ ونحن نقول : إن السحر اليهودى الذى أعمى أبصار أقوام وأصمَّ آذان آخرين فأصبحوا لا يبصرون آيات اللّه ، ولا يسمعون نداءاته هو الذى قد يُخيَّل إلى أقوام أنّ إنشاء صندوق حديد فى المسجد الجامع الذى يبيت فيه من أهل القرية أو الحىَّ رجال تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وإلى جنب الصندوق سجل فيه أسماء المُودِعين ومقادير ودائعهم ، وبيان ما أدخل فى الصندوق وما أخرج منه ،

وعلى رأس ذلك الصندوق يدٌ أمينة لا تخون أمانتها ولو قُطِّعت إربا يُخيَّل إليهم أنّ هذا ضرب من الخيالات لا يتحقق وجوده بحال من الأحوال ! !

ونحن نقول : واللّه لو أسلمنا الله قلوبنا ووجوهنا وصَدَقْنَا فى ذلك لكان هذا الذى ندعو إليه أيسر ألف وآمن ألف مرة من بنوك القوم إنشاءً وإدارةً وتأميناً . وإن أريد منّا دليل على صحة ما قلناه فحسبنا أن نقول : إن ولاية اللّه تعالى كافية فى هداية العبد لكل خير ، وحمايته من كل شر ، ووقايته من كل ما يسوء ويضر فى الدين والدنيا معاً . وكيف واللّه يقول : ﴿ **ومن يتول اللّه ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللّه هم الغالبون** ﴾ . ويقول : ﴿ **ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفّرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ . ويقول : ﴿ **إن اللّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ ..ومن شك فى صحة ما ذكرناه فليُجرِّب فإن التجربة أقوى برهان .

وقال عالمانا وفَّقهُما اللّه : إن سعيد بن جبير قال : صحبت ابن عباس رضى اللّه عنهما حتى مات فو اللّه ما رجع عن الصدف ـ ربا الفضل ، وهو بيع ربوىّ بآخر من جنسه كالذهب بالذهب والفضة بالفضة متفاضلاً .

ونحن نقول : إن هذا لا يصحّ عن ابن عباس رضى اللّه عنهما ، ولو فرضنا صحته لما كان له قيمة ولا وزن إزاء قول الرسول ﷺ : « الذهب بالورق رباً إلاّ ها وها (أى هات وخذ) والبر بالبر رباً إلا ها وها (أى خذ وهات) » وقوله ﷺ لمن جاءه بتمر جنيب ، أكل تمرخيبر هكذا ، قال : إنّا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة ، فقال : « لا تفعل بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيباً » . وقوله لبلال وقد اشترى له تمراً جيداً بردىء الصاع بالصاعين : « أوّاه عين الربا عين الربا » .

يضاف إلى هذا إجماع الأمة على تحريم ربا الفضل هذا أولاً ، وثانياً أن البنوك لا تبيع ذهباً بذهب متفاضلاً ، ولا فضة بفضة ، ولا براً ببرٍ ، وإنما ديناراً عاجلاً بدينار وعشر إلى أجل فأين هذا من ذلك ؟

وقالا تحت عنوان (حقيقة لا تحتاج إلى دليل) : من دراسة مفهوم الربا فى السنّة المطهرة يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أنّ الربا المُحرَّم الذى لا شك فيه هو الربا الذى حرَّمه الرسول ﷺ فى حجة الوداع حيث قال : « ألا إن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول

ربا أضعه ربا عمى العباس بن عبد المطلب » . ونحن نقول : إن الرجل بذكره هذا الخبر يهدف من ورائه إلى تحليل الربا بقسميه ربا الفضل وربا النسيئة إذ الحديث نص فى تحريم ربا النسيئة الذى هو ربا الجاهلية والذى هو أفضل من ربا البنوك ، إذ ربا الجاهلية هو أن يستقرض رجل من آخر مالاً إلى أجل لحاجته إليه ، فإذا جاء الأجل ولم يجد سداداً لدينه قال لدائنه : أخر الأجل وزِدْ فى الثمن ، أما ربا البنوك فإن الرجل إذا احتاج إلى قرض يأتى البنك فيُقرضه ما يقرضه بزيادة العشر أو نصفه ، فإذا حلّ الأجل ولم يسدد زاد النسبة وهكذا حتى يستغرق الدينُ جميع ما يملك . هذا هو ربا البنوك الذى حاول الرجلان تحليله للمسلمين ، أليس ربا الجاهلية أخفّ ضرراً من ربا البنوك ؟ بلى ورب الكعبة ، إن ربا الجاهلية يقرض صاحبه بلا زيادة إلا إذا عجز عن السداد فإنه يطلب التأخير مع الزيادة . أما ربا البنوك فإنّ الزيادة لازمة من أول القرض فلو جاء بالسداد بعد أسبوع واحد لا يُقبل منه إلا مع الزيادة فتأملوا يا عباد اللّه هذا فإنكم تدركون أن ربا الجاهلية المُحرَّم بالإجماع كما يعترف الرجلان هو أخفّ ضرراً من ربا البنوك . أما وجه تحليل أحدهما لربا الفضل بهذا الخبر الذى أورده فهو أراد أن يأخذ من قول الرسول ﷺ : « ألا إن ربا الجاهلية موضوع » إذ فهم منه أن ربا الجاهلية هو الحرام أما ربا الإسلام فليس بموضوع بل هو مرفوع معلوم مأخوذ به ، وهل فى الإسلام ربا حلال ؟ اللهم إلا ما كان من النفقة فى سبيل اللّه فإن الدرهم بسبعمائة فهذا ربا الإسلام حقاً وصدقاً ولا يضعه الشرع بل رغّب فيه ودعا إليه فقال : ﴿ **وما آتيتم من رباً ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند اللّه ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه اللّه فأولئك هم المضعفون** ﴾ . أى الذين يُضاعِف اللّه لهم أجرهم الدرهم بعشر إلى سبعمائة .

وأخيراً نقول للرجلين : إن الذى حرّم ربا النسيئة هو الذى حرّم ربا الفضل مع العلم أنّ البنوك لا تتعامل بربا الفضل الذى هو بيع ذهب بذهب متفاضلاً ، أو فضة بفضة متفاضلا ، أو براً ببر متفاضلاً أو حالاً أو إلى أجل ، وإنما البنوك أقيمت على أساس القرض بزيادة لأجل الأجل الذى تحدده . هذا وجه وآخر أنها تقبض الودائع من الأموال وتبيعها إلى أجل بزيادة العشر فإذا حلّ الأجل قبضت العشر أدَّتْ منه نصفه إلى مودعىْ المال عندها . وهذا وإنْ كان فى صورته ربا فضل إلا أنه فى حقيقته هو ربا النسيئة إذ لا يُعطى المودع فائدة إلا بعد أجل . وشئ آخر أن ربا الفضل محرَّم بإجماع أهل السنة والجماعة فلنراجع السنة : الموطأ والبخارى ومسلم والسنن وكتب فقه الأئمة الأربعة فإن وجد فيها إباحة ربا الفضل فليبيحه صاحِبَانَا كما شاءا وإلى اللّه المصير .

وقال أحدهما ـ نقلاً عن صاحب الظلال : وربا الفضل محرَّم أيضاً ولكن تحريم وسائل من باب سدِّ الذرائع لا تحريم مقاصد ، كما حُرِّم ربا النسيئة ، وما حُرِّم من باب سدِّ الذرائع أُبيح للمصلحة الراجحة .

ونقول : إن صاحب الظلال رحمه اللّه تعالى ليس هو بمالكٍ إمام دار الهجرة ولا بأحمد بن حنبل ولا الشافعى ولا أبى حنيفة ولا مَنْ قبلهم مِن أئمة الإسلام ولا مَنْ بعدهم مِنْ كبار الفقهاء وكل هؤلاء رحمهم اللّه دون رسول اللّه ﷺ ودون أصحابه وتابعيهم رحمهم اللّه أجمعين فلم يثبت عن أحد منهم أنه قال ربا الفضل يباح للمصلحة الراجحة . وقوله ربا الفضل من باب تحريم الوسائل لا المقاصد غير مُسلّم إذ المقصود من تحريم ربا النسيئة كالمقصود من تحريم ربا الفضل وهو أكل مال الناس بالباطل أى بدون عوض مقابل . وهذا موجود فى كلا الرِبَوين على حد سواء إذ ربا النسيئة يعطيه عشرة بأحد عشر مقابل التأجيل ، وربا الفضل يعطيه درهماً بدرهم ونصف أو ديناراً بدينار وربع حالاً فهو أشد حُرمة من ربا النسيئة لأن ربا النسيئة فيه فسحة الأجل ينتفع بها المدِين أما ربا الفضل هو زيادة بلا معنى ولا فائدة تحصل للمشترى الذى أخذ ديناراً بدينار وربع أو درهماً بدرهمين مثلاً .

وأخيراً لو كان ربا الفضل يُباح للمصلحة لنَصَّ على ذلك الشارع وعمل به سلف الأمة وخلَفها . ألا فليتقِ اللّه امرؤ يفترى على الشارع ليخدم أغراض المبطلين الذين يريدون هدم الإسلام ركناً بعد ركن لا بلَّغهم اللّه مُناهم ، ولا فازوا بمبتغاهم آمين . وقال صاحبانا : وقال ابن القيم والذى يقضى منه العجب مبالغتهم فى تحريم ربا الفضل أعظم مبالغة .

ونقول : هذا شاهد لنا على تحريم ربا الفضل وذلك لاعتراف ابن القيم بمبالغة الفقهاء فى تحريم ربا الفضل . وابن القيم رحمه اللّه الذى تعجّب من مبالغة الشارع فى تحريم ربا الفضل لم يقل بحليّة ربا الفضل وكيف يقول والرسول ﷺ قد قال : « الذهب بالذهب رباً إلا مثلاً بمثل ويداً بيد ، والفضة بالفضة رباً إلا مثلا بمثل ويداً بيد » هذا ولو قال ابن القيم وحَاشَاهُ أن يقول بحليّة ربا الفضل للمصلحة لما كان لقوله قيمة ولا وزن ولضُرب به عرض الحائط .

ألا فليعلم هذا مُحلّلو ربا الفضل للمصلحة من أجل تحليل ربا البنوك اليهودية الصفة والمهنة معاً .

وقال : ويؤكد هذا الرأى ما قال به ابن حجر الهيثمى .

ونقول : إنه يعنى به إباحة ربا الفضل للمصلحة . وهل لابن حجر الهيثمى قيمة أو وزن حتى يُستشهد بقوله فى تحليل ما حرم رسول الله ﷺ واجتمعت الأمة عليه . وقال صاحبانا عفا الله عنهما :أمّا الدليل على أن الربا يتخذ صورة التضعيف فهو ما أكده قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة** ﴾ .. ونقول : أولاً إن الإجماع على تحريم الربا ولو كان درهماً واحداً لقول الرسول ﷺ : « درهم يأكله الرجل وهو يعلم ، أشد من ست وثلاثين زنية » رواه أحمد بسند صحيح . وثانياً : وهل ربا البنوك خال من المضاعفة إذ كُلَّما حل أجل الدين ولم يسدد المدين زادت النسبة الربوية حتى تفوق أصل الدين ويزيد مع هذا ولا يخجل صاحبانا لما يتعـلّلان بالمضاعفة المذكورة فى القرآن وهى مما خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له عند عامة أهل العلم من السلف والخلف .

ومما يقضى على شبهة الرجلين هذه أن النبى ﷺ قد لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ولم يذكر فيه قلة أو كثرة ، وقد جمع الحافظ المنذرى فى باب التحريم للربا ثلاثين حديثاً أكثرهما صحيح ، ما فيها حديث واحد يُفرِّق بين ربا الفضل وربا النسيئة ، أو يُفرِّق بين كثير الربا وقليله ، إنّ الدرهم من الربا كالألف منه .

وقال صاحبانا هداهما الله : موقف أهل العلم وكبار رجال الفتوى فى الإسلام من المصارف ، جعلاً هذا عنواناً وكتباً تحته ما يلى :

١ ـ إنّ الربا محرَّم تحريماً قطعياً لا شك فيه ، ونقول : هذا هو كما قالا حقاً فإن الربا محرم تحريماً قطعياً لا شك فى ذلك .

٢ ـ إنّ الربا المجمع على تحريمه هو ربا النسيئة الذى كان فى الجاهلية ، والذى عرّفه الإمام أحمد بأنه أخذ الزيادة مقابل التأجيل ، وذلك بأن يكون للرجل دين على آخر فيقول له إذا حل أجل الدين : إما أن تقضى وإما أن تُربى « أى تزيد » فإن لم يقض زاد المدينُ المال وزاد الدائنُ الأجل ، ونقول هذا أيضاً حق بأنه تعريف لربا النسيئة إلا أن قوله المُجمَع على تحريمه كلمة حق أريد بها باطل إذ يريد أن ربا الفضل لم يجمع على تحريمه ، والصحيح أنه مجمع على تحريمه ، ثم إن ربا الفضل إدخاله فى ربا البنوك لا معنى له إذ ربا البنوك هو ربا النسيئة لا غير ، إذ البنوك لا تبيع ذهباً بذهب

ولا فضة بفضة ولا براً ببر ولا شعيراً بشعير ولا ملحاً بملح .

٣ ـ أما ربا الفضل فقد حُرّم سداً للذريعة ، وما يكون كذلك فيجوز للمصلحة كما قال ابن القيم والسيد رشيد رضا فى فتاواه « واعلم أن الزيادة الأولى فى الدين المؤجل هى من ربا الفضل وإن كانت لأجل التأخير ، ولكنّ ربا النسيئة المعروف هو ما يكون بعد حلول الأجل لأجل النَّساء أى التأخير » ونقول :

أولاً : إن ربا الفضل محرم إجماعاً وسواء كان سداً للذريعة أو كان لأجل ما فيه من أكل أموال الناس بالباطل ، وقد قدّمنا القول فى هذا .

وثانياً قوله : « وما كان كذلك فيجوز للمصلحة » هو قول باطل لم يقل به رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا أحد من أئمة الإسلام ، إذ لو جعلنا المصلحة الفردية قانوناً لتحليل الحرام لحلّلنا الزنا والسرقة والاحتيال والغش للمصلحة ولا قائل بهذا البتة .

وثالثاً قولهم : ربا النسيئة هو ما كان بعد حلول الأجل لأجل النَّساء قد قدّمنا القول فيه ، وقولنا : إن ربا الجاهلية أرحم من ربا البنوك ، لأن ربا الجاهلية يقرض الدائن صاحبه قرضاً بلا زيادة فإن حلَّ الأجل ولم يسدد زاد فى الدين . أما قرض البنوك فإنه يقرضه ألفاً بزيادة عشرها إلى أجل فإن حلّ الأجل ولم يسدد زاد فى الفائدة وهكذا حتى تكون أضعافاً مضاعفة . أما قولهم إن الزيادة الأولى فى الدين المؤجل هى من ربا الفضل فهى فى ظاهرها من ربا الفضل لأنه باعه ألفاً بألف وعشرها إلا أنها فى الباطن هى من ربا النسيئة لأنه زاد فى الثمن مقابل الأجل ، كما أنه بعد حلول الأجل إذا لم يسدد يريد فى الدين وهذا ربا النسيئة قطعاً . وعليه فعمل البنوك جمع بين الربويين الفضل والنسيئة فهو أخبث وأفسد وأضر وأشد حرمة من ربا الجاهلية وحسبه أنه من صنيع اليهود وعبدة العجل الذهبى .

٤ ـ أورد صاحبانا تحليلاً لربا البنوك الآراء التالية :

* « إن الشرائع مبتغاها مصالح العباد ، وعدم الحجر عليهم فيما لا بد لهم منه ولا تتم مصالحهم فى معاشهم إلا به » . (ابن القيم) .

ورَدُّنا على هذا الإيراد نقول هذا كلام مجمل ولغير الله ورسوله فلذا هو ساقط بارد لا يلتفت إليه ، لا سيما وأن مُورِدَه يريد به تحليل محرم مجمع على تحريمه .

* وأوردا قول ابن تيمية وهو : « إن كل ما لا يتم المعاش إلا به فتحريمه حرج وهو

منتفٍ شرعاً » والقول فيه هو ما قلناه فى قول ابن القيم إلا أنا لا نسلم أن معاش المسلمين متوقف على البنوك ، إذ عاشوا ألفاً وأربعمائة سنة بلا بنوك . وقد سبق أن بيّنا كيف تكون البنوك فى الإسلام فلم لا يدعو صاحبانا إلى إنشائها وبذلك تقر عينهما وعين كل مؤمن ومؤمنة إذ توجد بنوك بلا رباً والربح فيها أعظم والقرض بلا مقابل .

* وأوردا قول ابن قدامة وهو : « أن ما فيه مصلحة من غير ضرر بأحد فهو جائز ، وأن الشرع لا يَرِد بتحريم المصالح التى لا مضرة فيها وإنما يَرِدُ بمشروعيتها » . والقول فيه ما قلناه آنفاً إلا أنا نقول : إن كانوا يلحَظون أن الرء يضع نقوده فى البنك ويعطونه فائدة سنوية وهو فى هذه الحال استفاد مالاً ولم يضر بأحد . وعليه فلا بأس بوضع النقود فى البنوك على حد قولهم وأخذ فائدة سنوية يقدرها صاحب البنك ، فإنا نقول : إن صاحب البنك بين حالين لا ثالث لهما ، الأول أن يُنمى هذه الأموال التى أودعها فى أعمال تجارية أو صناعية أو زراعية ويصبح أرباب الودائع مضاربين معه ، وعليه أن يعطيهم حصصهم من الربح ، وعليهم من الخسارة بقدر ما لديهم من الودائع وهذا مالا يعمله البنك الربوى بحال من الأحوال ، والثانية أن يبيع هذه الودائع بيع آجال فيعطيهم خمسة فى المائة ويبقى له خمسة فى المائة مثلاً وهذا هو الربا بنوعيه الفضل والنسيئة والعياذ باللّه ، فإن ما يهدف إليه الرجلان من الاستشهاد بقول ابن قدامة رحمه اللّه وهو لم يخطر على باله قط من أن بنوكاً ربوية توجد مستقبلاً حتى يجوزها بقوله « إن ما فيه مصلحة من غير ضرر بأحد فهو جائز » .

وشيء آخر فهل المعاملات الربوية خالية من الضرر ؟ وما لحق المتعاملين معها من الضرر لا يُقادر قدره محقاً للبركة من أموالهم وتدسية لنفوسهم . ولعذاب الآخرة أدهى وأمر .

* وأوردا قول ابن حزم الظاهرى وهو قوله : « المفسدة إذا عارضتها مصلحة راجحة قدمت المصلحة وألغى اعتبار المفسدة » .

وخَتَمَ هذه الإيرادات ليحل بها الربا بقوله : ومن ذلك أيضاً القاعدة الشرعية فى مختلف المذاهب وهى : أن المفسدة إذا عارضتها مصلحة ، أو حاجة راجحة أبيح المحُرَّم !!! .

ونقول : إن ما أورده الرجلان من أقوال مَنْ نقول عنهم له اعتباره ولكن فى غير تحليل الربا الذى حرمه اللّه ورسوله وأجمع المسلمون على تحريمه ، وسواء كان ربا فضل أو ربا

نسيئة ، مع أن كلّ مَنْ نُقل عنهم من المتقدمين والمتأخرين مجمعون على تحريم الربا بنوعيه الفضل والنسيئة ، فو اللّه ما حلّل أحد منهم الربا . لو حلله لكفر بتحليل ما حرم اللّه ورسوله . ولكفّره المسلمون لإنكاره تحريم ما حرم اللّه تعالى وعلم من الدين بالضرورة . وإنما ما قاله مَنْ أوردا أقوالهم : إنما قالوه فيما لم يرد فيه نص شرعى من كتاب أو سنة فهذا هو الذى ينظر فيه على ضوء ما قالوه من أن الشريعة جاءت بتحقيق المصالح ودرء المفاسد ، هذا أولاً . وثانياً قوله : إن المفسدة إذا عارضتها مصلحة أو حاجة راجحة أبيح المحرّم . إذا أخذ بظاهره أدى بدون شك إلى إباحة كل محرم . إذ مفسدة السرقة تعارضها مصلحة السارق الراجحة وهو طلبه المال أو المتاع لحاجته الأكيدة إليه . ومفسدة الزنا تعارضها حاجة الزانى إلى قضاء حاجته الملحة وحاجة الزانية إلى مال تعيش به ، ومفسدة الكذب تباح لمصلحة الكاذب التى لا تتحقق له إلا به . ومفسدة القتل تباح للقاتل للحصول على مال أو جاه أو سلطان . وهكذا إذا اتخذنا ما وضع أخواناً قاعدة لتحليل الحرام . وهى قولهما « المفسدة إذا عارضتها مصلحة أو حاجة راجحة أبيح المحرّم » لم يبق حرام فى دنيا الناس قط . إن الضرورة كالمصلحة لم يترك الشارعُ أمر بيانهما لأصحاب الأهواء والجهالات بل تولى أمر بيانها بنفسه فحرم تعالى الميتة والدم ولحم الخنزير وأباحها للمضطر الذى خاف على نفسه الهلاك ، وحرم قتل النفس وأباحه دفاعاً عن النفس ، وحرم السرقة وأذن للجائع أن يأكل من مال غيره دون أن يحمل معه شيئاً ولو قل .

وهكذا فلم يترك الشارع الأمور من المصلحة والضرورة مجهولة حتى يأتى أصحاب الأهواء فيبيحون الربا بحجة المصلحة الراجحة ، ويبيحون البغاء لدفع مفسدة الاعتداء على أهل العفة ، ويبيحون القمار وأنواع اللهو الباطل لرفع مفسدة أخرى هى فى نظرهم شر وأضر ، وحتى لا يبقى للشرع مكان بينهم ، إذ أصبحوا هم المشرعين والحاكمين وما دروا أن الشرع كالحكم للّه وحده . فما أباحه هو المباح . وما حرمه هو الحرام !! .

مغالطات قبيحة

الأولى : قال صاحبانا ما خلاصته : إن المحتاجين فى المعاملات المصرفية دائماً هم الأغنياء ، وهم لا تحل لهم الصدقة فى حين أن الربا الذى حرمه القرآن قال فيه : ﴿ **وأن تصدّقوا خير لكم** ﴾ لأن المدين فقير تجوز له الصدقة بخلاف أصحاب المصارف فإنهم

أغنياء لا تحل لهم الصدقة . ومن هنا اختلف ربا البنوك عن ربا القرآن . فحل ولم يحرم .. ووجه هذه المغالطة القبيحة أن المصرف أو البنك لم يقم على أساس أن غنياً ما فتح مصرفاً وقال للفقراء هاتوا أموالكم أضعها عندى فى مصرفى وأعطيكم نهاية كل سنة فائدة بحسب ما وضعتم عندى من قليل وكثير بل إنه يأخذ أموال المودعين ليبيعها إلى فقراء تجوز لهم الصدقة إذ يأتيه الفقير المحتاج يطلب قرضاً فيعطيه من مال المودعين عنده بفائدة إلى أجل فإن سدد وإلا زاد الفائدة وهكذا حتى يُثْقِل كاهله بالديون ثم يخرجه من كل ما يملك أو يسجنه حتى الموت أو السداد .. أليست هذه هى حقيقة البنوك والمصارف المعاصرة ؟ بلى إنها هى بعينها ، إذاً لم هذه المغالطات الشائنة القبيحة ، ولصالح مَن ؟ إنها لصالح مَنْ يُخزيهم ويسوءهم بقاء شريعة الإسلام تحرم وتحلل ، وتأمر وتنهى ، وتعد بالخير وتوعد بالشر ...

والثانية : وقال صاحبانا ما خلاصته : إن الدائن فى المعاملات البنكية لا يختص بالمنفعة دون المدين إذ الأول يأخذ فائدة سنوية والثانى يأخذ فائدة استثمار المال بما فيه مصلحة للجميع ، بخلاف الربا الذى حذر منه القرآن الكريم . نقول إن وجه هذه المغالطة يكشف التالى :

أولاً : إن ربا النسيئة الذى حرمه القرآن الكريم المدين فيه ، منفعته فى الحصول على مال إلى أجل يبيع به ويشترى ويربح ويسدد عند نهاية الأجل غالباً . كما أن منفعة الدائن هى الحصول على زيادة مالية عند حلول الأجل وعجز المدين عن السداد ، فالمنفعة إذاً متبادلة لا يستقل بها الدائن فقط .

وثانياً : أن ما ذكره المغالطان هو وجه واحد من وجهين فذكرا أحدهما وسترا الثانى للمغالطة ، والوجه الثانى هو أن المدين ، وهو صاحب البنك يصبح دائناً فيبيع مال الدائن له بفائدة عشرة فى المائة فيعطى الدائن له خمسة ويربح خمسة فهو دائن ومدين فى نفس الوقت إذاً فأى فرق يا عباد الله بين الربا الذى حرم القرآن والربا الذى يدعو المغالطون إلى إباحته إن الفرق بينهما أن ربا الجاهلية أخف ضرراً من ربا البنوك . كما قررناه هنا وفيما سبق .

الثالثة : وقال المغالطان ما خلاصته : إن المعاملات المصرفية ليست مجرد تنمية لمال الدائن وحده فى أموال المدينين كما هو الحال فى الربا الذى حذر منه القرآن الكريم بل الفائدة عائدة على كل مِنَ الدائن والمدين ، وهى تجارة من نوع جديد جرى التعارف عليها

ودعت الحاجة إليها حتى أصبحت مصالح الناس فى معاشهم لا تتم إلا بها . ونقول وجه المغالطة مكشوف إذ المغالط يهدف بتلوين العبارات إلى شئ واحد وهو إباحة ربا البنوك ، وعباراته مهما تلونت وطالت لم تخرج أبداً عن مبدأ أن صاحب البنك يقف موقف الواصل موقف بين طرفين وهما مودع ماله للفائدة المضمونة وآخذ المال بزيادة مضمونة ، وكيف يتم الضمان للطرفين ؟ ويتم لهما إباحة الربا الذى حرمه الإسلام ، فعمل صاحب البنك عمل القواد الذى يصل الزانى بالزانية مقابل فائدة وتحصل الفائدة للجميع الزانى قضى شهوته والزانية أخذت مالاً تعيش به ، والواصل القواد أخذ مقابل تيسير الفاحشة لهما ، وهذا المذهب المادى الإباحى اليهودى عمل غير صالح بررت فيه الغاية والوسيلة . أما فى المذهب الإسلامى فهو عمل فاسد لإباحة المحرم فيه ، وما ينجم عن تحليل ما حرم اللّه من شرور ومفاسد وعواقب وخيمة وسيئة والعياذ باللّه من ذلك .

الرابعة : قال المغالطان ما معناه : الزيادة فى المعاملات المصرفية « البنوك » إنما تشترط فى أصل عقد الدين لأغراض تجارية . ونقول : ما أقبح هذه المغالطة وما أبشعها ، كأن صاحبها لا يفهم ما يقول فهو يَهرفِ بما لا يعرف . وبيان وجهها القبيح أنه يدعو إلى تحليل ربا الفضل وربا النسيئة معاً ، إذ الدائن المودع يأخذ فائدة بعد نهاية الأجل وهذا بيع نقد بنقد إلى أجل وزيادة وهذا الذى حرم رسول اللّه ﷺ وقال :

« الذهب بالذهب والفضة بالفضة مثلاً بمثل » . وأين المثلية هنا والزيادة مضمونة عند نهاية الأجل ، وقال ﷺ : يداً بيد أى أخذاً وعطاء فى المجلس ـ وأين هو فى معاملة البنوك ؟ التى تعطى الفوائد رأس كل سنة . كما أن المودع عنده وهو المدين سيصبح دائناً ؛ إذ يبيع الودائع المالية بنسبة العشر فوائد يعطى نصفها لأرباب الودائع ونصفها له ، ومن أعطاهم قروضاً بفائدة إذا لم يسددوا باع أملاكهم فوراً وأخذ ديونه وهذا هو عين ربا النسيئة الذى يعترف المغالطان بتحريمه ، إن هذه المغالطة من نوع ما سبق وهى بذل كل ما يمكن بذله لتحليل الربا إرضاءً لليهود والشيطان معاً .

الخامسة : يقول المغالطان ما معناه : المتعاملون فى المعاملات المصرفية « البنكية » من معط وآخذ جميعهم يشعرون بالأمان والاطمئنان ، وذلك لقيام إدارة المصرف نيابة عنهم باتخاذ الإجراءات اللازمة لسلامة المعاملة . بينما الأمر على العكس فى الربا الذى حرم القرآن الكريم ، فإنه لا ضمانة تُعطى للدائن ولا للمدين ، ويكفى فى بيان ذلك أن الدائنين لا يقومون فى كل لحظة إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس . وذلك حين تأتيهم

الأخبار بأن من داينهم عجز عن السداد .

ونقول هذه مغُالطة أقبح من سابقاتها وهى مكشوفة العورة لا يسترها شىء وكلماتها تحمل معنى عارياً عن الصحة بالمرة وهذا بيان ذلك .

إن البنوك التى تعرضت للسطو عليها وإفراغ خزائنها وإفلاس أهلها لا تُعَدُّ لكثرتها ، وإن البنوك التى يطرأ عليها الإفلاس من الوقت إلى الوقت لا تُعدُّ ولا تحصى ، وإن العاجزين عن السداد ممّن أخذوا أموال البنوك لتجارة وغيرها لا يُعدُّوا لكثرتهم . ويدل على ذلك السجون الملأى بهم . مع كل هذا ما يخجل المغالطان ويقولان إن المعاملات المصرفية أهلها يشعرون بالطمأنينة والأمان بخلاف ربا غير البنوك . ومتى كان الأمان والطمأنينة يُبيحان الحرام المجمع على تحريمه . هل أمان السارق يبيح له السرقة ، وهل أمان القاتل يبيح له القتل ، وهل أمان الزانى يبح له الزنا . ومن عجب هذان المغالطان أنهما يفسران القرآن بأهوائهما إذ فسرا قوله تعالى : ﴿ **والذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ** ﴾ فسّراه بأنه المرابى إذا بلغه عجز مدينه يفقد رشده ويصبح يتخبط فى قوله وعمله . مع أن الآية تزيد بيان عقوبة المرابين يوم القيامة حيث يقومون من قبورهم كالمجانين يقومون فيُصرعون مُدّة ما هم فى طريقهم إلى ساحة فصل القضاء . ليُقرر مصيرهم بالخلود فى نار جهنم والعياذ بالله من النار وحال أهلها .

السادسة : ويقول المغالطان : إن الزيادة فى المعاملات المصرفية « البنكية » إنما تشترط فى أصل عقد الدين ، وليست طارئة عند حلول الأجل مع المدين المحتاج إلى الصدقة . وهذه الزيادة تختلف تماماً عن الزيادة التى أشار إليها القرآن الكريم والتى اعتبرها محرمة لأنها تشترط إلا على رجل محتاج للصدقة وبعد حلول أجل الدين وعجز المدين عن الوفاء . ونقول : لقد قدمنا غير مرة أن ربا البنوك شامل لربا الفضل وربا النسيئة معاً وأنه أقبح وأظلم من ربا الجاهلية . فانظر إلى المغالطين كيف يقولان إن الزيادة فى البنوك تشترط عند إبرام العقد . وجعلوا هذا مبرراً لجوازها ، أجهل هذا أم غباوة ؟ إن الزيادة بلا مقابل وإنما للتأخير فقط هى الزيادة سواء اشترطت أم لم تشترط ما دامت حاصلة لا محالة . ثم إن ربا الجاهلية أرفق بالعبد لأنه لا يلزم بدفع الفائدة إذا سدد الدين قبل أو عند حلول الأجل أما فائدة البنوك فإنها تُسدَّد فوراً وسواء دفع المدين الدين عند حلول الأجل أو قبله ، فأيهما أرفق يا عُقلاء ؟ ثم تراهم يلوكان كلمة الصدقة ليبيحوا ربا البنوك بدعوى أن المستقرض من البنوك ليس فقيراً ، وأما ربا الجاهلية فالمستقرض فى نظرهم دائماً فقيراً محتاجاً إلى

الصدقة ، فمِنْ أين لهم هذا الفهم ؟ أما علموا أن الرجل فى مكة يستقرض المال الكثير ليأتى بتجارة من الشام أو اليمن بمآت الآلاف من الدراهم ويربح فيها مثلها أو أكثر أو أقل ، فمن أين لهما كلمة الصدقة التى يلوكانها ليُبررا فريتهما بأن ربا البنوك يختلف عن الربا الذى حرَّمه القرآن . إن كلمة الصدقة ذكرت فى القرآن من أجل إنهاء المعاملات الربوية ، إذ أمر تعالى المرابين بتقواه عز وجل وترك ما بقى من الربا بأيديهم ، وهددهم بإعلان الحرب عليهم إن أصروا على المعاملات الربوية ، فقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾ . وأرشدهم إلى حل المشكلة بعد توبتهم وهو أن لهم رؤوس أموالهم لا غير فليأخذوها وليُسقطوا الفوائد ، قال تعالى : ﴿ **وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون** ﴾ أى بأخذ الفوائد ، ﴿ **ولا تظلمون** ﴾ بنقص رؤوس أموالكم ، وأرشدهم إلى إنظار المعسر حتى يُيسّر الله عليه ويدفع ما عليه من مال فقال لهم ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ أى إن كان المدينّ حال إعسار لا يقدر على السداد فليُنتظر ولا يُسجن ولا تُصادر ممتلكاته حتى يُيسّر الله عليه ويُسدد ما عليه . وأخيراً رغّبهم فى التنازل حتى عن رأس المال ورغّبهم فى ذلك حتى جعله كالصدقة ترغيباً لهم فى التنازل عن المعسر إن كان هناك معسر وهو قليل الوجود لأمرين ، الأول : أن التعبير بإن الشرطية دال على القلة والندرة يدل عليه قوله ﴿ **وإنْ كان ذو عسرة** ﴾ الثانى : أنهم لا يُقرضون عادة إلا الأغنياء الذين يرجون السداد منهم ، فإن ما طلهم مماطل زادوا فى الثمن تشجيعاً للمقترضين على السداد ، وحتى لا يُخلفوا الوعود هذا ما دل عليه القرآن الكريم فمن أين لهذين المغالطين أن الربا فى الجاهلية لا يكون المستقرض فيه إلا فقيراً وأن الصدقة ذكرت لهذا الغرض وقالوا إذاً ربا البنوك لا يكون مع الفقراء وإنما مع الأغنياء ولذا هو حلال ، أعوذ بالله من هذه المغالطات المتعمدة ومن سوء الفهم معاً ، وقد قدمنا أن المستقرضين من البنوك منهم الفقراء المحتاجون ومنهم الأغنياء المحتاجون لمصانعهم أو متاجرهم أو مزارعهم ، فكيف يُناط الحكم بكون المستقرض غنياً أو فقيراً إن هذا الوصف لاغ لا يترتب عليه حكم التحريم أو التحليل ، وإنما علة الحكم هى أكل أموال الناس بالباطل يعطيه مائة ويأخذ مائة وعشرة بلا مقابل إلا الأجل الذى كان من المفروض أن يُنظر الإنسان أخاه الإنسان ، ولا يأخذ عن قرضه له فائدة .

السابعة : قال المغالطان إن الفائدة البنكية هى جزء من ربح المضاربة ثم استعرضا المضاربات فى الإسلام . ونقول : إن هذه المغالطة أفحش من سابقاتها إذ جعل أصحابها

الفائدة البنكية وهى أن يقرض البنك الرجل بفائدة فيعطيه مائة بمائة وعشرة مقابل أجل محدود فإن لم يسدد رفع نسبة الفائدة وهكذا حتى يستغرق الدين ماله ويُفلس وتصادر أمواله أو يُسجن . جعلوا هذا كالمضاربات التجارية فى الإسلام ، وصورتها : أن يعطى رجل ماله لآخر قادر على الاتجار والكسب ، على أن يعمل بالمال فى تجارة مقيدة أو مطلقة ، وإن كان ربح فبينهما ، وإن كان خسارة فمِنْ رأس المال ، وحَسْبُ العامل أنه خسر جهده ووقته . وللمضاربة شروط لاحاجة إلى ذكرها . فأى عاقل يا عباد الله يحكم بأن المعاملات البنكية هى كالمضاربات التجارية فى الإسلام ؟ إن الفرق بينهما كالفرق بين الكفر والإيمان . المعاملات البنكية من وضع اليهود عَبَدة العجل ، والمضاربات التجارية فى الإسلام من شرع اللّه ورسوله ﷺ .

إن هذا القول أملاه الشيطان عليهما وقالاه كما أملى نظيره على المرابين الجاهليين إذ قالوا إنما البيع مثل الربا ، فردّ اللّه تعالى عليهم بقوله : ﴿ **وأحلَّ اللّه البيع وحرَّم الربا** ﴾ فكيف يكون ما أذن اللّه فيه وأباحه كما لم يأذن فيه وحرّمه فالمضاربة أباحها اللّه والقروض بفائدة حرّمها اللّه فهل يستويان ؟! .

وأخيراً

وبعد الركض الطويل فى الإيرادات واستخلاص النتائج من أجل تحليل المعاملات البنكية والربوية . إستَغَاثا بعلماء المال والاقتصاد وأهل العلم والفتيا من المسلمين ليُبيحوا ربا البنوك بدعوى أنها ضرورة من ضرورات الحياة . ثم عادا يبحثان عن المساعدات ليصرعا الحق بباطلهم ، فذكرا أن السلم وهو بيع غائب بنقد حاضر قد رَخّص فيه الرسول ﷺ للمصلحة والحاجة ، وأن بيوع الآجال جائزة . وأن العين ليست كالدين وذكرا أقوال فقهاء الإسلام ابتداءً من الشافعى رحمه اللّه تعالى إلى شراح خليل فى الفقه المالكى فى تفضيل العاجل على الآجل فى سائر المبيعات . ثم قالا : لا شك أن هذه العبارات التى قالها أعلام الفقه الإسلامى موافقةً للعقل والفطرة ، وديننا دين الفطرة ، ثم لمَزَا القائلين بتحريم ربا البنوك . فقالا : إن للعقل والحس والمشاهدة دوراً فى صنع النصوص الشرعية التى خلفنا أكثرها وراء ظهورنا ، واكتفينا بترداد معلومات قليلة لا تصنع حضارة ولا تُسمن ولا تغنى من جوع ، ولا تخلص من تخلّف !!! .

ثم ركضاً مرة أخرى فى عدة أسطر وقالا : الأمر الذى نستخلص منه ضرورة الترخيص فى القرض بالفائدة ، لأنه من العدل والإنصاف ..... إلى أن قالا : والنتيجة تحقق القوة الاقتصادية التى بدونها لن تكون هناك قوة إسلامية . وإلى هنا ينتهى ركضهما وخرجا بنتيجة وهى مطالبة العلماء والمفكرين أن يُسهموا معهما فى تحليل ربا البنوك من أجل أن تكون للإسلام قوة اقتصادية وبها يكون للمسلمين قوة مادية ذات وزن عالمى يُرهبون بها الشرق والغرب أو يَسْلَمون من الطمع فيهم والنيل من استقلالهم ووجودهم .

وكلمة أخيرة

ونقول أخيراً إن ربط القوة الإسلامية بالاقتصاد القائم على الربا الذى حرمه الله ورسوله هذه القوة المادية البحتة لا تزيد أمة الإسلام إلا ضعفاً فوق ضعفها ، وسقوطاً لا تخرج منه حتى تراجع دينها فَتعْتَقِدَ عقائده وتلتزم بشرائعه عبادة وخُلقاً وأدباً وقضاءً وحكماً أما المال الحرام والثروة الخبيثة فلا يزيدانها إلا ضعفاً وسقوطاً .

وهذا الذى يريده لها العدو الذى ما فتىء يكيد لها حتى كادت تفقد كل شىء من حياتها حياة العزة والكرامة والطهر والصفاء . هذا وإن كان محلِّلا الربا يريدان حقاً قوة أمة الإسلام الاقتصادية والروحية والمادية معاً ، فليعملا على تحقيق ذلك لها من طريق ما سبق أن ذكرناه ونعيده تقريراً وتأكيداً وهو أن يعملا على تجميع سكان كل قرية وحى فى مسجدهم الجامع لهم ، وتتكون اللجنة من عمدة الحى أو شيخ القرية وواعظ الجامع وإمامه ومؤذنه وحارسه واثنان من أعيان القرية أو الحى . ويلزموا السكان بحضور الصلوات الخمس فلا يتخلف أحد لسماع الموعظة وتلقى العلم والمعرفة مساء كل يوم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وطوال العام ، وتقوم اللجنة بمهامها وهى :

١ ـ تفقد أفراد الحى أو القرية ، ومعرفة مَنْ غاب منهم ومن حضر ، ومَنْ مرض منهم ومَنْ سلم . وذلك لستر حاجة المحتاج وإرشاد الضال وتقويم المعوّج ، وإنهاء الخلاف إن وقع بين فرد وآخر وإصلاح ذات البين بينهم . ليكونوا أمة واحدة كما أراد الله لهم ، وتتحقق فيهم الأخوة الإسلامية المنوّه بها فى قول الرسول الحكيم عليه أفضل الصلاة وأذكى التسليم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » .

٢ ــ دعوة كافة أفراد الحى أو القرية إلى إنشاء صندوق توفير لأفراد الحى أو القرية وذلك بالمسجد الجامع حيث يقوم الواعظ والإمام والعمدة والمؤذن والحارس على رعايته والقيام به احتساباً ، ويقوم كل فرد من أفراد الحى أو القرية بوضع كل ما زاد على قُوته اليومى فى هذا الصندوق ، فلا يَدّخر أحد فى غير هذا الصندوق شيئاً وهو مخيّر بين أن يضع ماله للإنماء والاستثمار ، وبين أن يضعه تشجيعاً على الخير ومساعدةً على نفع إخوانه فيكون ماله وديعة أذِنَ بالتصرف فيها لصالح الجماعة وهو يوم يطلبه كله أو بعضه يأخذه فور الطلب . ويُنمَّى مال الصندوق فيما هو مباح كالتجارة والصناعة والفلاحة . ومن هذا الصندوق يتم إقراض المساكين من أهل القرية أو الحى بلا فائدة ، وفى حدود معلومة ، ومنه يتم التحويل إلى حى آخر أو قرية أخرى بلا فائدة . وستكون آثار هذا الصندوق بإذن اللّه قوة الأمة الاقتصادية والروحية والمادية ، وفيه تتجلى الأخوة الإسلامية ، والتضامن الإسلامى ، والطهر الإسلامى . لمثل هذا العمل فليعمل المصلحون فى أمة الإسلام من علماء وأفراد ومفكرين مصلحين . أما الدعوة إلى إباحة الربا ، ربا البنوك فهى زيادة فى القضاء على أمة الإسلام وقطع صلتها باللّه لتتعرض إلى غضبه فيصيبها بما أصابها به أيام أن تقاسمها الغرب مستعمرات تُذل وتُهان وتُداس كرامتها على أيدى أعداء دينها . ألا فليعمل المصلحون على إيجاد هذا العمل المثمر المنجى من المحنة والمخلص لأمة الإسلام من التخلف والضعف .

اللهم اشهد فقد بلّغت !

* * *

أبو بكر جابر الجزائرى

المدرس بالمسجد النبوى الشريف

فى ٣ / ٩ / ١٤٠٧ هـ .

القول المبين

فى

حكم تكفير المؤمنين

القول المبين
فى حكم تكفير المؤمنين

رسالة ذات شأن يتعين على كل طالب علم قراءتها ليزداد بصيرة فى ظاهرة التكفير اليوم وقد أخذت تنتشر فى العالم الإسلامى يحملها مؤمنون فروا من الكفر فوقعوا فيه وذلك لقلة علمهم وانعدام المرشد الفقيه فيهم . اللهم اهدهم واهد بهم ، ولا تكلهم إلى أنفسهم فَيَضِلوا ويُضِلوا إنك على كل شىء قدير .

محتوى الرسالة :

ما الإيمان ، ومن هو المؤمن ؟

ما الكفر ، ومن هو الكافر ؟

بم يكفر المؤمن ، وما حكم من يكفره ؟

مقدمة

بسم الله الملك القدوس السلام المؤمن العزيز الجبار المتكبر . والصلاة والسلام على النبى الأمى الرؤوف بالمؤمنين الرحيم . وعلى آله الطاهرين. وصحابته أجمعين . وبعد فإن ظاهرة التكفير التى شاعت بين شباب أهل السنة والجماعة فى هذه الأيام لظاهرة خطيرة ، قد ينجم عنها أحداث جسام من شأنها أن توقف هذه النهضة الإسلامية فى ديار الإسلام ، وذلك ما يريده أعداء المسلمين ، ويعملون على تحقيقه والوصول إليه، لذا تعين على أهل العلم أن يوضحوا الطريق لشبيبة الإسلام ، وأن يقودوها إلى حيث الارتقاء الروحى ، والكمال الأخلاقى حتى يمكنهم قيادة أمة الإسلام والوصول بها إلى ما تصبو إليه من عز وسعادة وكمال ، فى الدنيا والآخرة .

ونظراً إلى أنى معدود من أهل العلم عند غير العالمين فإنى أكتب هذه الرسالة إسهاماً منى فى توضيح الطريق للشبيبة المؤمنة حتى لا تضل فى متاهات الحياة ، ولتصل إلى غايتها السامية فى تحكيم الشريعة الإسلامية فى ظل خلافة عادلة رحيمة تَرُدُّ إلى الإسلام والمسلمين ما حُرِموه فى أزمنة غير قصيرة من قيادة وسيادة ، وطهر وصفاء ، وأمن ورخاء ، لذا أدعو كل إنسان مؤمن إلى قراءة هذه الرسالة كما أدعو أهل الفضل أن يطبعوا هذه الرسالة وينشروها حتى تصل إلى يد كل شاب مؤمن فى ديار المسلمين . والله أسأل لى ولهم الأجر والثواب وحسن المآب .

الإيمان الذى هو بمثابة الروح للإنسان من حصله حيى فأصبح أهلاً للتكليف أولاً فإن نهض بالتكليف الذى هو أمر ونهى أصبح أهلاً للسعادة فى الحياتين الأولى والآخرة ثانياً .

هذا الإيمان : الذى دعا الله تعالى إليه وبشر به في قوله : ﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُم نُوراً مُّبِيناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً** ﴾ (١) .

هذا الإيمان : الذى وُعِد أهلُهُ بأفضل موعود وأغلاه وهو مغفرة ذنوبهم ، وإدخالهم جنات عدن . إذ قال تعالى : ﴿ **سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّماءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّه وَرُسُلِهِ** ﴾ (٢) .

هذا الإيمان : الذى يوجب الأخوة بين أهله إذ قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُون إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾(٣).

هذا الإيمان : الذى يربط أهله برباط محكم يصبحون به كالبنيان يشد بعضهم بعضا إذ قال رسول الله ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه »(٤) .

هذا الإيمان : الذى يضاد الكفر مضادة الحياة للموت ، والوجود للعدم .

هذا الإيمان : الذى يحقق لصاحبه مع تقوى الله تعالى ولاية الله سبحانه وتعالى إذ قال تعالى : ﴿ **أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّه لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُون** ﴾ (٥) .

هذا الإيمان : الذى يورث صاحبه مع ضميمة العمل الصالح جنة الفردوس نزلاً إذ قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَت لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ (٦).

هذا الإيمان : أيها المؤمن الطالب للهدى أركانه ستة وهى : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره فمتى سقط ركن منها بتكذيب العبد إياه ،

---

(١) سورة النساء . (٢) سورة الحديد . (٣) سورة الحجرات .
(٤) فى الصحيحين . (٥) سورة يونس . (٦) سورة الكهف .

أو إنكاره له أو جحوده بطل هذا الإيمان وصار صاحبه كافراً من عداد الكافرين وبرىء منه المؤمنون ، ثبتت هذه الأركان بالكتاب والسنة ففى الكتاب قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ وفى السنة روى مسلم أن النبى ﷺ « سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فأجابه قائلاً : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره » .

هذا الإيمان : الذي هو بمثابة الطاقة النورانية إن قويت دفعت وأضاءت وإن ضعفت عجزت عن الدفع والإضاءة ، ومعنى هذا أن الإيمان يقوى فى قلب العبد ويضعف وهو معنى يزيد وينقص قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً** ﴾ (٢) .وقال تعالي : ﴿ **لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾(٣) وقال عزَّ من قائل : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾(٤) . أبعد إخبار الله تعالى يُقْبَل قول من قال من أهل المذاهب (٥) الخارجة عن مذهب أهل السنة والجماعة « إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص » ؟ إن قولهم هذا ناتج عن جهلهم ، وإلا فالإيمان نور يقوى ويضعف وله مثال هو أن المرء إذا طلع الفجر وأخذ الضوء ينتشر فى الأفق يرى شبحاً بعيداً يعلم أنه حيوان لما يرى من حركته ، ولكن لا يعرف هل هو إنسان أو حيوان ، وإن كان إنساناً لا يعرف هل هو رجل أو امرأة ، وإن كان حيوانا لا يعرف هل هو فرس أو حمار مثلاً وكلما ازداد الضوء ازدادت معرفته حتى إذا عم الضوء وبان كل شيء عرف يقيناً ما هو عليه من إنسان أو حيوان كما عرف أنه رجل أو امرأة إن كان إنساناً أو أنه فرسا أو حماراً إن كان حيوانا فهذا المثل كاف فى تقرير حقيقة زيادة الإيمان ونقصانه وله مثل آخر وهو زيادة المعرفة ونقصانها عند أصحابها إذ لم يقل أحد بتساوى العارفين فى معارفهم .

هذا الإيمان : الذى هو اعتقاد جازم بالإيمان بالله وبما أمر الله تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب والرسل والبعث واليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء ، والقدر خيره وشره .

---

(١) سورة البقرة . (٢) سورة الأنفال . (٣) سورة الفتح . (٤) من سورة آل عمران .

(٥) من هذه الفرق المعتزلة والقدرية والجبرية وما تفرع عنها كالنظامية والحبانية والجافظية والجعفرية ومن قال بقولهم من الخوارج ومن دار فى فلكهم من خصوم الإسلام .

هذا الإيمان : متى وجد فى القلب نطق اللسان به معرباً عنه داعياً إليه، وانقادت الجوارح للعمل بموجبه طلبا للفوز بالجنة والنجاة من النار فلذا هو عند أهل السنة والجماعة اعتقاد وقول وعمل معاً . ولا يكون اعتقاداً بدون قول ولا عمل ، ولا قولاً بدون اعتقاد ولا عمل ، ولا عملاً بدون قول ولا اعتقاد ولذا يطلق على الإسلام كما يطلق الإسلام عليه قال تعالى : ﴿ **فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ أى من المؤمنين ، إن الإسلام انقياد ظاهر وباطن لكل ما أمر الله تعالى به من إيمان وقول وعمل ولذا كل مؤمن صادق فى إيمانه هو مسلم ، وكل مسلم صادق فى إسلامه هو مؤمن ، فلا إيمان بلا إسلام ولا إسلام بلا إيمان ، ولما ادعى الأعراب الإيمان وما آمنوا أكذبهم الله تعالى فرد دعواهم الإيمان : ﴿ **قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ** ﴾ [1] فقرر إسلامهم لأنهم انقادوا للدخول والعمل ونفى إيمانهم لعلمه بأنهم ما آمنوا بقلوبهم .

وما يوجد من قول فى حقيقة الإيمان هل هو اعتقاد فقط أو قول فقط أو اعتقاد وقول فقط ؟ فهو من وضع الزنادقة الذين تسربوا إلى صفوف المسلمين وأثاروا هذه الزوابع الكلامية لفتنة المسلمين فى دينهم بزعزة إيمانهم فى قلوبهم ، لذا يجب أن لا يُلتفت إلى مثل تلك الأقوال والآراء التى حملها من خرج عن أهل السنة والجماعة من فرق الضلال ، فالإيمان على عهد رسول الله ﷺ وعهد أصحابه معه وبعده لم يقل فيه أحد إنه اعتقاد بدون قول أو عمل ولا قول وعمل بدون اعتقاد بل الإيمان تصديق بالله وبرسوله وتصديقهما فيما أخبرا به من وجود الله وربوبيته وألوهيته ونبوة رسول الله ورسالته وبكل ما أخبر به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر مع حب الله تعالى وحب رسوله وحب كل من يحبانه ، وطاعتهما فى الأمر والنهى . وآية الإيمان النطق بالشهادتين ، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مؤمن، ، وهو المسلم ومن لم ينطق بهما فليس هو بالمؤمن ولا المسلم بل هو الكافر المشرك .

والإيمان أهله متفاوتون فيه قوة وضعفاً دلَّ على ذلك قول الرسول ﷺ « لو وضع إيمان أبى بكر فى كفة وإيمان الأمة فى كفة لرجح إيمان أبى بكر » وإجماع أهل السنة والجماعة على ذلك ، ومن الأدلة الظاهرة على أن الإيمان يختلف فى قلوب أهله قوة وضعفا إن المؤمنين متفاوتون فى الطاعات والقربات ، والمسارعة فى الخيرات إن منهم من

---

(١) من سورة الحجرات .

يدعى إلى الصدقة فيتصدق بكل ما يملك كأبى بكر ومنهم من يتصدق بنصف ما عنده كعمر رضى الله عنهما ومنهم من يجهز جيشاً كاملاً كما فعل عثمان رضى الله عنه ومنهم من لا يزيد على الفرائض نوافل وهو المقتصد ، قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا** ﴾ الآية من سورة فاطر . فالظالم لنفسه مؤمن يقوى إيمانه فيعمل عملا صالحاً ويضعف فيعمل عملا سيئا والمقتصد مؤمن متوسط الإيمان فهو ممتثل للأمر مجتنب للنهى ولم يقوى إيمانه فيسابق غيره فى الخيرات ، والسابق فى الخيرات مؤمن قوى إيمانه فحمله على فعل الواجبات وترك المنهيات ودفعته قوته إلى المنافسة فى الطاعات والمسارعة فى الخيرات كان ذلك الإيمان . والآن :

من هو المؤمن ؟

إن المؤمن الحق هو الذى آمن بالله ورسوله محمد ﷺ وصدقهما فى كل ما أخبر به ووطن نفسه لطاعتهما فى كل ما أمرا به ونهيا عنه ، وأعرب عن ذلك بقوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وحققه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام هذا هو المؤمن الذى تجب موالاته وتحرم معاداته ، وهو المسلم الحق الذى هو أخ لكل مسلم يحرم دمه وعرضه وماله .

ولا يخرجه من الإيمان والإسلام إلا تكذيبه لما آمن به أو لبعضه أو إنكاره لأمر مما أمر الله به وأمر به رسوله ، أو لنهى مما نهى الله عنه ورسوله أو استخفافه به أو سخريته ببعض ما آمن به أو بعض ما أمر بفعله أو تركه مما هو شرع الله تعالى ودينه الثابت بالكتاب والسنة النبوية الصحيحة .

والمؤمن : ليس بمعصوم [١] من ارتكاب الخطايا والذنوب ، قد يترك واجبا وقد يفعل مُحرَّماً [٢] وهو غير مستحل لذلك ولا مستخف به ولم يخرجه ذلك من إيمانه ولم يسلبه صحة إسلامه ومتى تاب من ذنبه تاب الله عليه ولا يهلك إلا المصر .

والمؤمن : يقوى إيمانه ويحسن إسلامه ويتجلى ذلك فى نهوضه بكل الواجبات

---

(١) العصمة : وهى حفظ الله تعالى للعبد من الوقوع فى المعصية التى هى ترك واجب أو فعل محرم هذه العصمة خاصة بالنبى ﷺ لأنه أسوة المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ فلو كان يجوز فى حقه فعل المعاصى لكان الناس معذورين فى ارتكابهم المعاصى بحجة الائتساء بالرسول ﷺ .

(٢) وأوضح دليل على ارتكاب المعصية هو شرع الله تعالى للحدود كحد السرقة والزنى والقذف والقتل والحرابة .

وتخليه عن المحرمات والمكروهات ومسابقته فى الصالحات والخيرات .

والمؤمن : يضعف إيمانه ويسوء إسلامه لما يطرأ عليه من عوامل الرغبة فى الحياة الدنيا ومؤثرات النفس والهوى ، وقرناء السوء وعارض الغفلة والنسيان ويظهر ذلك فى إهماله بعض الفرائض ، وتركه الكثير من الواجبات مع غشيانه بعض المحرمات وليس ذلك بمخرجه من الإيمان ، ولا بمبعده عن الإسلام ما دام يؤمن بالله ولقائه والرسول وما جاء به من الهدى والشرائع والأحكام ، فإن تاب قبل موته تاب الله عليه ويرجى له دخول الجنة بعد النجاة من النار وإن مات قبل أن يتوب فأمره إلى ربه إن شاء عفا عنه وغفر له ، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم رحمه فأدخله الجنة دار السلام مع المتقين والأبرار .

كان ما تقدم بيان الإيمان والمؤمن ، والآن :

ما الكفر ومن هو الكافر ؟ ؟

الكفر لغة : الستر والتغطية ، ومنه كفر الزارع البذرفى الأرض أى غطاه بالتراب لينبت ولئلا يأكله الطير وفى القرآن قوله تعالى : ﴿ **كمثل غَيْثٍ أعْجَبَ الْكُفَّار نَبَاته** ﴾ الآية . يقال كفر الشيء يكفره كفراً بفتح الكاف وكفراًبضمها إذاغطاه وستره ، وكفر النعمة جحدها ، وكفر الحق أنكره وكذب به .

والكفر شرعا كفران : الكفر الأكبر وهو ما يناقض الإيمان ويبطل الإسلام وله صور هى التالية :

١ ـ جحود الله تعالى : أى إنكار وجوده سبحانه وتعالى ، ككفرالشيوعيين والعلمانيين .

٢ ـ جحود أسماء الله تعالى وصفاته أو الإلحاد فيها بتأويلها [(١)] لإخراجها عن المراد بها .

٣ ـ تكذيب الله تعالى فيما شرعه من الشرائع ، كالعبادات والأحكام والآداب والأخلاق .

٤ ـ تكذيب الله تعالى فيما أخبر به [(٢)] من الغيوب ، كالملائكة والجن وأمور الآخرة من

---

(١) إذا كان التأويل كتأويل الأشاعرة موضحا الصفات الإلهية هروبا من التشبيه فهذا التأويل لا يكفر صاحبه وإن كان باطلا لا يجوز قوله .

وإن كان التأويل كتأويل الجهمية وغيرها ممن يأولون لأجل الكفر بالله وإثبات العدم له بالمكر والحيل فهذا التأويل كفر وصاحبه كافر لامحالة .

(٢) من هذا الكفر كفر من يكفر أصحاب رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم مَنْ رضى الله عنهم وبشرهم على لسان رسوله بالجنة لأن تكفيرهم تكذيب لله تعالى فيما أخبر به وتكذيب لرسوله .

البعث والحساب والجزاء بالجنة أو النار عن ما ذكره فيها من صنوف النعيم وألوان العذاب .

٥ ـ جحود نبوة نبينا محمد ﷺ أو رسالته ﷺ ، أو جحود نبوة أو رسالة من أخبر تعالى بنبوته أو رسالته من سائر الأنبياء والمرسلين .

٦ ـ التكذيب بالقرآن أو بآية أو كلمة من كلماته أو حرف من حروفه أو التكذيب بكتاب من كتب الله تعالى كتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود أو صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام .

٧ ـ إنكار البعث الآخر وإنكار معاد الأجسام دون الأرواح كاعتقاد النصارى .

٨ ـ إنكار القدر : وهو أن كل حدث من أحداث الكون صغيرا كان أو كبيرا قد سبق به علم الله تعالى وقدره ليتم حسب علمه وتقديره فلا يزيد ولا ينقص إلا بتقدم زمان وقوعه ، ولا يتأخر ولا تتبدل صفاته التى قدرها له ، وذلك كأعمال الإنسان وأرزاقه وأجله وسعادته وشقائه (١) .

٩ ـ إنكار أو جحود معلوم من الدين بالضرورة كحرمة الزنى والربى والسرقة أو وجوب الصلاة والزكاة والصيام وبر الوالدين . أو إنكار الوضوء أو الغسل أو ستر العوره فى الصلاة وفى غيرها وهى كشف السوأتين : القبل والدبر .

١٠ ـ الإشراك بالله فى ربوبيته باعتقاد خالق أو رازق أو مدبر للكون والحياة مع الله تعالى ، أو فى أسمائه وصفاته كأن يسمى إنسانا الله أو الرحمن أو الرب ، وكأن يقول أو يعتقد أن فلانا يعلم الغيب أو أن الميت يسمع نداء الحى فيشفع له فى قضاء حاجته (٢) . أو يتوسل بالميت ليقضى حوائجه وذلك بالنذر له أو الذبح أو العكوف على قبره أو ندائه والاستغاثة به .

١١ ـ إنكار تكفير الكافر أو إشراك المشرك ، لما فى ذلك من تكذيب الله تعالى ورسوله ﷺ ، إذ الرضا بالشىء معناه إقراره وقبوله .

---

(١) كحديث مسلم : « فيؤمر الملك بكتب أربع كلمات عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد »

(٢) لا يكفر جهال المسلمين بمثل هذا الشرك إلا بعد أن يعلموا فإذا علموا أن هذا الأمر شرك وأصروا على اتباعه لأهوائهم أو حفاظا على منافعهم المادية والمعنوية فإنهم يكفرون بهذا الشرك ولا شك .

١٢ ـ تعلم السحر وتعاطيه أو إباحته وإقراره لإجماع أهل السنة والجماعة على كفر الساحر ووجوب قتله لحديث « حد الساحر ضربه بالسيف » وقولهم « يقتل الساحر حيث بان سحره » ، إذ حرمته معلومة فى الدين بالضرورة .

١٣ ـ الاستهزاء أو الاستخفاف بالله وآياته ورسوله . وما شرع الله تعالى ورسوله لعباده المؤمنين من الشرائع والأحكام والآداب والأخلاق .

هذا هو الكفر ولا يحكم لصاحبه بالنار والخلود فيها إلا بعد أن يموت على كفره ولم يتب منه قبل موته ، فإن تاب قبل أن يحضره الموت قبلت توبته ويرجى له أن يدخل الجنة ولا يخلد فى النار .

كان ذلك الكفر هو الكفر الأكبر المخرج من ملة الإسلام .

ودونه الكفر الأصغر وهو من أكبر الذنوب الموجبة للعذاب فى الدار الآخرة ولكنه لا يخرج من الملة ولا يوجب الخلود فى النار إذا لم يغفر له فدخلها ، وهذه صوره :

١ ـ قتال المسلم لقول الرسول ﷺ فى الصحيح « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ، فأثبت هذا الحديث أن قتال المسلم فسوق ومثله الحديث الصحيح « فلا ترتدوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» فأثبت أيضا أن اقتتال المسلمين من الكفر ودل قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** ﴾ وقوله تعالى من سورة الحجرات : ﴿ **فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ بعد قوله : ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ** ﴾ دلت الآيتان أن قتل المسلم كقتاله لا يخرج فاعله من الملة حيث أثبت أخوة الإسلام ، فدل هذا على أن إطلاق النبى ﷺ لفظ الكفر فيه أراد به الكفر الذى هو كفر الذنب الأكبر الذى لا يخرج المسلم من الإسلام .

٢ ـ الحلف بغير الله تعالى إذ قال ﷺ فى الحديث الصحيح « من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر » فإجماع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الشرك والكفر الأصغر الذى لا يخرج صاحبه من الإسلام .

٣ ـ ترك الصلاة كسلا وتهاونا مع الإيمان بوجوبها والرغبة الظاهرة والباطنة فى أدائها وإقامتها لقول الرسول ﷺ « **من ترك الصلاة فقد كفر** » فالكفرهنا كفر أصغر لا يخرج من الملة بدليل قوله ﷺ **في حديث مالك** وغيره « خمس صلوات فى اليوم

والليلة كتبهنَّ الله على العباد من جاء بهنَّ ولم يضيع منهنَّ شيئاً استخفافا بهن كان له عهد أن يدخل الجنة ومن لم يأت بهنَّ فليس له عهد عند الله إن شاء أدخله الجنة وإن شاء عذبه » ، أما من تركها جحوداً وعدم اعتراف بشرعية الله تعالى لها وإيجابها فهذا كافر كفراً أكبر يخرجه من الملة بلا خلاف بين علماء الأمة .

٤ ـ القاضى يقضى بغير الحق أو الحاكم يحكم بغير ماأنزل الله تعالى فإن كفرهما كفر أصغر لا يخرجهما من الملة ما داما يؤمنان بالله ولقائه والرسول ﷺ وما جاء به إذ قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ قال ليس بكفر ينقل عن الملة (١) .

٥ ـ إتيان الكاهن وتصديقه فيما يخبر به من الغيب لحديث « من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » فهذا كفر أصغر بلا خلاف بين أهل السنة والجماعة وليس بالكفر المخرج من الملة .

٦ ـ قول المؤمن لأخيه المؤمن يا كافر للحديث الصحيح « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما » يعنى إن كان الوصف مطابقاً للموصوف فذاك وإلا فقد رجع الكفر على قائله فهذا كفر أصغر لا يخرج عن الملة وإنما هو ذنب عظيم إذ لا يجوز وصف المسلم بالكفر .

٧ ـ إتيان المرأة فى دبرها وجماع الحائض قبل طهرها لحديث أحمد الصحيح « من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .

هذه سبع صور للكفر الأصغر وغيرها كثير وبهذا كان الكفر كالشرك والذنب إذ فى كل منهما الأصغر والأكبر : فقد قال ﷺ فى الرياء الشرك الأصغر فى قوله « إياكم والرياء فإنه الشرك الأصغر » وقال تعالى : ﴿ **الَّذِيْنَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ** ﴾ فمفهومه أن هناك صغائر الإثم وهو كذلك والإجماع على هذا .

كان ذلك الكفر بقسميه الأكبر والأصغر . . .

فمن هو الكافر ؟

والجواب : الكافر حقا الذى تجب معاداته وتحرم موالاته ، ولا يتزوج مسلمة ولا تقبل

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه الذهبى عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما .

له شهادة ولا يرث ولا يورث وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين هو من انطبقت عليه صورة أو أكثر من الصور الثلاث عشرة التى تقدمت أولها جحود الله تعالى إنكار وجوده إلخ . . . وآخرتها الاستهزاء أو الاستخفاف بالله وآياته ورسله إلخ . .

وأخيرا بم يكفر المؤمن ، وما حكم من يكفره ؟

أما بما يكفر المؤمن ؟

فالجواب : إن المؤمن ينسب إلى الكفر إذا اعتقد الكفر أو قاله عالماً به أو فعله مريداً له مختارا غير مكره عليه لقوله تعالى : ﴿ **إلا مَنْ أكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيْمَانِ ، لكن من شرح بالكفر صدراً** ﴾ ، ومعنى تكفير المؤمن نسبته إلى الكفر أو نسبة الكفر إليه وذلك بأن يعتقد ما هو كفر أو يقوله أو يفعله وقد مرت الثلاث عشرة صورة وتقدم آنفاً أن تعريف الكافروهو من انطبقت عليه صورة أو أكثر من الصور الثلاث عشرة ، وتقدم آنفاً تعريف الكفر والكافر ، وبناء على ذلك فالمؤمن يكفر أى ينسب إلى الكفر إذا اتصف بصفة أو أكثر من تلك الصفات الثلاث عشرة فإن هو تاب ونزع عاد إلى الإسلام وعادت إليه مكانته بين إخوانه المسلمين وإن أصر على الكفر بعد الإيمان تعينت معاداته وحرمت موالاته وعومل بما يعامل به سائر الكفار والمشركين من أهل الملل والنحل التى لا تدين لله بالإسلام كالمشركين والمجوس واليهود والنصارى .

وأما حكم من يكفره :

فالجواب : إن حكم من يكفر مؤمنا أنه يكفر ، إذ تكفير المؤمن كفر وذلك لقول الرسول ﷺ فى حديث الصحيحين « إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما » يعنى إن كان الوصف بالكفر مطابقا للموصوف به فذاك وإلا فقد رجع الوصف بالكفر إلى من قاله وقد مر آنفا أن هذا الكفر لا يخرج من الملة وإنماهو كفر أصغر إلا أنه من أعظم الذنوب .

ألا فليتق الله تعالى أولئك الذين ظهروا اليوم يكفرون عامة المسلمين فتورطوا فى الكفر وهم لا يشعرون ! !

وإليكم النصيحة التالية :

اعلموا :

أولا : أنى ناصح لكم غير غاش ولا خادع ، ولا راغب فيما عندكم أو عند غيركم من أبناء الدنيا ، وإنما راغب فى الله أن يهديكم على هذه النصيحة فأثاب على ذلك ، وراهب من الله إن لم أنصح لكم مبيناً لكم طريق الهدى ورجاء أن تسلكوه فتكملوا وتسعدوا بعد أن تنجوا من النار والخسران .

ثانياً : أدعوكم أن تتجردوا من ثلاثة : الأنانية ، والهوى ، والتقليد ، ثم تقرءوا هذه الرسالة بعناية وتأمل وتدبر فإنكم بإذن الله تعالى تخرجون بنتيجة طيبة وهى تخليكم عن تكفير غيركم وبذلك تنجون من الكفر الذى خفتم منه فوقعتم فيه من غير ألا تعلموا .

ثالثا : إن طلب هداية من ضل من المسلمين لن تكون بطريق تكفيرهم والتشهير بهم ، والسخرية منهم ، لا ، لا ، وإنما تكون بطريق رحمتهم وتبشيرهم وتأليف قلوبهم والرفق بهم وبيان الطريق لهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن إذ هذا هو منهج الدعوة إلى الإسلام وضعه الخالق عزَّ وجلَّ وأمر رسوله محمداً ﷺ أن ينهجه فى إبلاغ دعوته ونشرها فى العالمين فقال له : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (١) .

رابعاً : أن تعلموا أن القاعدة التى انطلقتم منها تكفرون غيركم من سائر المسلمين وهى : الحاكم حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر والعلماء سكتوا عنهم فهم كافرون والشعب لم يثر على الحاكم رضاً بالواقع فهو كافر فكفرتم أمة الإسلام ولم ينج من الكفر إلا أنتم .

هذا القاعدة التى انطلقتم منها تكفرون غيركم قاعدة فاسدة وباطلة وكل ما يبنى عليها هو فاسد وباطل .

وإليكم البيان :

الحاكم إذا حكم بغير ما أنزل الله لا يكفر بمجرد الحكم بغير ما أنزل الله حتى يكون

---

(١) من خاتمة سورة النحل .

قد جحد أحكام الله مصرحا بذلك معلناً له أو يكون قد استهزأ بها وسخر منها أما مجرد عدم تطبيقها والحكم بها بدون جحود ولا استخفاف ولا استهزاء فلا يكفر بذلك كفراً يخرجه عن الملة ، وإنما كفره كفر معصية وهو الكفر الأصغر ككفرمن وطىء امرأة فى دبرها أو امرأة فى حيضها وككفر قتال المسلم أو قتله وككفر من قال مطرنا بنجم كذا كما فى الحديث وككفر من قال لمسلم أنت كافر وقد تقدمت أدلة الكفر الأكبرفلم يوجد فيها أن الحاكم إذا حكم بغير ما أنزل الله أو القاضى إذا قضى فى قضية بغير شرع الله أنه يخرج من الإسلام ويعتبر عدواً للمسلمين وأن ما ذكر فى الآية : ﴿ **وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ** ﴾ إنما هو فيمن جحد أحكام الله كاليهود ولم يقر بها أو هو كفر أصغر كما قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وما كان مجملاً فى القرآن فإن السنة تبينه وما كان عاماً فإن السنة تخصصه ولنسمع إلى الرسول ﷺ يقول : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا » ولنسمع علماء أهل السنة والجماعة وهم الممثلون لأمة الإسلام بحق وهم يقولون لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله فالحاكم أو القاضى إذا حكم أو قضى بغير ما شرع الله وهو غير مستحل له بل هو متأسف نادم لا يحل لأحد أن يكفره لأنه يشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج بيت الله الحرام ، وهذا هو الإسلام فكيف يخرج منه وهو راسخ فيه ؟

ولنسمع إلى رسول الله ﷺ وهو ينفى الإيمان عمن ارتكب ذنباً معيناً فيقول : « والله ما آمن والله ما آمن من لم يأمن جاره بوائقه » ويقول : « لا إيمان لمن لا أمانة له » ويقول « لا تؤمنوا حتى تحابوا » فها هو ذا رسول الله ﷺ ينفى الإيمان عن من لا أمانة له ، والإيمان عن المؤمنين حتى يتحابوا ، فهل هذا النفى معناه تكفيرهم وإخراجهم من جماعة المؤمنين ؟

والجواب : لا والله وإنما هو نفى كمال الإيمان بالكلية إذ ذاك معناه التكفير وحاشا رسول الله ﷺ أن يكفر أهل لا إله إلا الله ، إنما هو من باب الكفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق ، ونفاق دون نفاق فالإيمان كذلك إيمان كامل وإيمان ناقص ، إيمان قوى وإيمان ضعيف وتقدم فى هذه الرسالة ذكر ذلك وبيانه فارجعوا إليه .

خامساً : أسألكم عما حملكم على تكفير المسلمين ؟

أحملكم : الخوف من الله تعالى إذا لم تكفروا المؤمنين وقد ارتكبوا كبائر الذنوب ؟

فهل أمركم الله تعالى فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ بتكفير المسلمين إذا ارتكبوا الخطايا وغشوا المحارم وتركوا الواجبات ؟

فإن قلتم : نعم ، قلنا : اذكروا آية أو حديثا فإنكم لن تجدوا ذلك أبداً .

أحملكم : الرغبة فى هداية المسلمين وإصلاحهم فرأيتم أنكم إذا كفرتموهم آمنوا وأسلموا ؟ ومتى كان تكفير المسلم طريق هداية وصلاح ؟

أحملكم : تقليد أعمى لرجل حانق على الإسلام والمسلمين زين لكم ذلك وحسنه إليكم فقبلتموه بدون معرفة دليل من كتاب الله ولا سنة ولا إجماع الأمة ؟ أم حملكم شىء آخر لم نعرفه ولم نطلع عليه فما هو يا ترى ؟

سادساً : أسألكم عما تريدونه وترجونه من تكفير المسلمين .

أهو استباحة دمائهم وأموالهم أم هو إثارة الفتن بينهم ليزدادوا بعداً عن الهدى فيهلكوا أم هو أمر غامض فى نفوسكم لم تبينوه حملكم على تكفير إخوانكم دون أن تعرفوا لذلك سببا واضحاً ؟ وعلى كل حال فإنكم وقعتم فى فتنة عريضة . الله أسأل أن يخرجكم منها وأن لا يوقع فيها غيركم من سائر المؤمنين والمسلمين .

وأخيرا :

أنصح لكم إن كنتم جماعة أن تبعثوا وافدا عنكم وإن كنتم فرادى تفدون فرادى إلى ساحة العالم الربانى وحبر هذه الأيام ، ومثال الكمال العلمى والعملى بين الأنام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، وما دعاكم إليه فأجيبوه وما أمركم به فأطيعوه فإنه لا يدعوكم إلا لما فيه خيركم ونجاتكم ولا يأمركم إلابما فيه سعادتكم وكمالكم وقبل أن تصل وفودكم إلى سماحة العالم الربانى لاستفتائه والأخذ برأيه فإنى أنصح لكم أن تتوبوا إلى ربكم من تكفير إخوانكم ، وتعملوا على إصلاح نفوسكم بالعلم والعمل ومجاهدة النفس فى ذلك فإذا تم لكم ذلك فاجتهدوا فى دعوة إخوانكم إلى الاستقامة على منهج الحق الذى هو سبيل المؤمنين ، وصراط الله المستقيم لتكملوا جميعاً وتسعدوا فى الدارين وذلك ما نسأل الله تحقيقه لنا ولكم ولسائر المسلمين .

وختاماً :

أعتذر لكم أيها الأبناء إن كنت قد آلمتكم ببيان الحق وأنا أعلم أن ما حملكم على هذا السلوك إلا ما عاناه بعضكم وعاناه إخوانكم من قبل فى ظلمات سجون القومية العربية ، وبعدها سجون الاشتراكية حيث قلع الأسنان وخلع الأظافر وقصم الظهور وهشم العظام وأشلاء الكلاب ونكاح الأدبار وسب الرب والسخرية منه ومن دينه وبشرعه وأوليائه والاستهزاء بالقيم الإسلامية والإنسانية معاً كل ذلك تلقاه من لا ذنب له إلا المطالبة باللسان برفع الظلم وتغيير المنكر بإقامة دين الله وتحكيم شرعه فى عباده ليكملوا ويسعدوا فى الحياتين .

وإلى هنا فلا يسعنى أنا ومن يقرأ هذه الرسالة إلا أن نرفع أكف الضراعة إلى الله العلى القدير أن يخلص أمة الإسلام من محنتها وأن يرد إليها نورها وهدايتها لتنقذ نفسها والعالم الإنسانى من ظلمات الشرك والكفر والجور والظلم والخبث والشر والفساد .

وكلمة أخيرة :

وهى أن سقوط الشيوعية اليوم سيترتب عليه قوة الرأسمالية الصليبية وهيمنتها على العالم الإنسانى وإذا تم ذلك لها فإن الإسلام سيكون الهدف الأول لها لإطفاء نوره وإذلال أهله نظراً لضعف المسلمين روحياً ومادياً ، فإنهم سيتهاوون بسرعة ويذوبون فى خضم المادة وضلال الصليبية والعياذ بالله تعالى إذ لا عاصم لهم من ذلك إلا الإسلام وقد فروا منه وهربوا من ساحته فالله الله أيها المسلمون ! !

هذا وإن أراد الله تعالى نجاتكم فإنكم توفقون لاتخاذ الخطوات التالية :

١ ـ تقوم منظمة المؤتمر الإسلامى بما يلى :

وهو تكوين مجلس علمى يشارك فيه كل قطر إسلامى بعالمين من أصلح علمائه ويتم ذلك باستشارة الحكومات الإسلامية وموافقتها .

٢ ـ إسناد وضع دستور إسلامى مقتبس من الكتاب والسنة وفقه أهل السنة والجماعة إلى مجلس العلماء الآنف الذكر .

٣ ـ الشروع الفورى فى تطبيق مواده بكل حزم وعزم وتحمل أعباء ما قد ينتج من تغيير قد تأباه النفوس الضعيفة .

٤ ـ اعتبار الدولة التى ترفض هذا الدستور دولة معادية للإسلام والمسلمين تجب مقاطعتها ومعاداتها وتحرم موالاتها حتى تتوب وتقبل الدستور الإسلامى وتطبيقه مادة مادة بلا استثناء لمادة من مواده ولا اعتذار عن مادة أخرى .

هذا والله أسأل أن يوفق منظمة العالم الإسلامى للنهوض بهذا الواجب إنها أهل له .

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين .

تنبيه الأحباب إلى خطأ

صاحب تحريم النقاب

تنبيه الأحباب
إلى خطأ
صاحب تحريم النقاب

رسالة علمية رد فيها مؤلفها على صاحب كتاب (تذكير الأصحاب بتحريم النقاب) فأحق بها الحق وأبطل الباطل وأطفأ بها نار فتنة عارمة تكاد تأتي على البقية الباقية من طهر وحياء هذه الأمة المسلمة المستهدفة لأعداء الحق منذ كانت إلى اليوم ، وإلى نهاية الحياة .

بين يدى الرد خمس لوحات

يحسن بقارىء هذا الرّدّ أن ينظرها ويُنعِمَ النَّظر فيها

الأولى : هو وأنا .

الثانيـــة : اعتذارى للدكتور محرِّم النقاب .

الثالثـــة : طعن الدكتور فى علماءِ الأمة وَعيبُه عليهم .

الرابعـــة : إحقاقُ الحق وإبطالُ الباطلِ .

الخامسة : قاصمة الظهر .

اللوحة الأولى : هـــو وأنـا .

أما هو فإنه يدعو إلى كشف وجوه المؤمنات بحرارةٍ وشدَّةٍ وعزمٍ صادقٍ ، كأنَّه قد أوحى إليه بذلك ، ووُعِدَ بالجنَّة إن بلّغ . وتُوعِد بالنَّار إن لم يفعل . فقد أَلّف كتابه « تذكير الأصحاب بتحريم النقاب » الحاوى لمائتين وإحدى وثلاثين صفحةً ، وما ترك شاردةٍ ولا واردة من الآيات والأحاديث والآثار ، والأخبار ، ومما أُلْهِمَه من معانٍ ، وأفكار ؛ إلا أدرجه فى بطن كتابه (التذكير) حتى أصبح هذا الكتابُ فتنةً للمؤمنين والمؤمنات ، والله تعالى يقول : ﴿ **إنَّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثُمَّ لم يتوبُوا فلهم عذابُ جهنَّمَ ولهم عذابُ الحَرِيقِ** ﴾ (١) .

والسُّؤالُ الواردُ هنا : هو هل ما أُصِيبتُ به أمةُ الإسلام من جَهْلٍ وعَجْزٍ ، وما حلّ بأكثر أفرادها من فِسْقٍ عن أوامر الله تعالى ، وبُعدٍ عن طاعته وطاعة رسوله ، وما غشى ديارها من فُرقةٍ واختلاف بين أفرادها وجماعاتها ، وحكوماتها ، وما انتشر فيها من فسادٍ وفجور هو بسبب حجاب نسائها ، وستر وجوهن ، وكمالِ طُهْرِهنَّ وعظيم عِفَّتِهِنَّ أم بسبب آخر ؟ ؟ ، والجواب الصحيح الذى لا يختلف فيه مسلمان ، هو أنَّ ما أصاب أمة الإسلام من عَجْز ، وجهل ، وما حلّ بديارها من فسادٍ وشرٌّ ، لم يكن أبداً نتيجه حجاب

---

(١) البروج : ١٠ .

نسائها ، وستر وجوههنَّ عن الرِّجال الأجانب ، والتزام نسائها بالطُّهر ، والعِفَّة ، وإنَّما كان نتيجةَ مكْرِ ماكرين ، وحِقد حاقدين عملوا على إفساد عقيدتها أوَّلاً ، ولما نجحوا فى ذلك عملوا على إفسادِها فمزّقوا وَحْدَتَها ، وقَسموا ديارَها ، ونشروا فيها الفسادَ بمعناه العام ، والشّرَّ بجميع أنواعه .

وما يدرى دكتورنا الفاضل أنّه مدفوعٌ إلي إيجادِ هذه الفتنة من حَيْثُ لا يَشْعُرُ ؛ إنّ مطالبته بإسقاط الحجاب وإبعاد النّقاب محلُّ رِيبةٍ بلا شكٍّ إنّ الأوْلى ، والأوْجَبَ لدكتورنا الفاضل أن يكتبَ ، ويَخْطُبَ ، ويَحَاضِرَ مطالباً بحجب النِّساء عن الرِّجال ، وإبعاد الرِّجال عنهن ، إن للرِّجال ميادينُ عملٍ لا تَصْلُحُ للنِّساء وللنّساءِ ميادينٌ أخرى لا تصلح للرجال .

إذ على هذا وَضَعَ الله تعالى نظامَ الكون ، لتستمر الحياةُ إلى نهايتها المحدَّدةِ ، وكلُّ دعوةٍ إلى مخالفة سُنَنِ الله فى الحياة هى دعوةٌ ماسونيةٌ لقلْبِ الأوضاع ، وإفسادِ الحياةِ لصالح اليهود ، كما يرون وله يعملون . ومع شديد الأسف إنَّ الدكتور غَفَل عن هذا ، وخرج على أمّةَ الإسلام بكتابه يدعو فيه بدعوة الماسونية لإفساد العالم الإنسانى عامّة ، والإسلامى خاصة .

هذا هو الدكتور الفاضل ! ! وأما أنا عبد الله العاجز الضعيف فإِنّى مع ضعفى ، وعجزى عَزَّ علىَّ أن أرى نارَ الفتنة يُوقِدُهَا دكتور عليم قوى ولا أمدُّ يدى لمحاولة إطفائها ، لذا كتبتُ هذا الرَّدَّ أبطلتُ فيه باطلَ الدكتور . وأحْقَقْتُ فيه الحقَّ الذى نزل به القرآن ، وبُعِثَ به سيدنا محمدٍ خاتمُ الأنبياء عليه الصَّلاة والسَّلام ، وعمل به ، وعاش عليه ملايين المسلمين والمسلمات من يوم أن أنزلَ تعالى قولَه : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم ....** ﴾ (١) . إلى اليوم . والحمد لله ربِّ العالمين .

اللوحة الثانية

اعتذارى للدكتور محرّم النقاب

إنّى بحكم الضَّعف البشرى من جهة ، وبُحكْم تِعالى الدكتور وقساوته ، وهو يقعِّد القواعد ، ويستجلب النصوص لتحريم ما أحل الله ، وإبطالِ ما أوجب من جهةٍ أخرى أرانى قد أغْلَظْتُ له فِى القَوْلِ ، أو أسأتُ إليه فى التعبير لذا فإنِّى أعتذر إليه طالباً عَفْوَه ،

(١) المائدة : ٣ .

وصَفْحَه ، وتجاوُزَه عنى ، وكلانا يعلم أنَّ ما صدر منه لم يكن رغبةً فى الإساءة إلى صاحبه ، أوحُباً فى القولِ عنه ، أو التجنى عليه ، وإنَّما هى حالةُ الدِّفاع عمّا يراه المرء ، ويعتقد صحَّته أو بطلانه فيجد نفسَه مدفوعاً إلى النَّيل مِمَّنْ خالفه أو عارضه ، فحتى الأب مع ابنه فإنَّه عند معارضة الابن له يقول فيه ما لا ينبغى ، ولا يَصِحِّ أن يقوله فيه .

ومِمَّا يشفع لى عند الدكتور أنِّى ما قلت معشار ما قال هو فى أهل السُّنَّةِ والجماعة من علماء ودعاة ومصلحين قالوا بوجوب الحجاب عند توقُّع الفتنة واستحبابه عند الأمن منها ، والفتنة متوقَّعة مع كل شابَّةٍ حسناء ، والأمنُ منها يكون مع قواعد النساء ، وبهذا نطق الكتاب وبه قال أُمَنَاءُ الأُمة من عهد الوحِي ، والتشريع إلى يومنا هذا .

وإلى القارىء اللَّوحةُ الثَّالثة وبها مآخذُ الدكتور فليتأمَّلْها .

اللوحة الثالثة

طَعْنُ الدكتور فى علماء الأمة وعَيْبه لهم

إنى لم أر أنَّ هناك حاجةٌ إلى ذكر كلِّ مطعَن طعنه الدكتور فى دعاة الأُمَّة ، وحُمَاةِ مِلَّتها ، ولاَ إلى كلِّ عيب عابهم به ، أو نَقْصٍ أو جَهْلٍ رماهم به ؛ حسبى أن أذكر نماذجٍ هِى الآتية قال فى صفحة (٢٣) ناقلاً عن ابن حزم الظاهرى مقرّراً لقوله (مذهب سدِّ الذرائع أفسدُ مذهبٍ فى الأرض لأنَّه يؤدِّى إلى إبطال الحقائق كلِّها) مع أنَّ باب سدِّ الذَّرائع قال به مالك وغيره من فقهاء الإسلام ، والقرآن الكريم يقرره إذ الأمرُ بِغضِّ الأبصار والاستئذان عند دخول المنازل ، وستْرِ المرأة زينتَها عن غير المحارم كلُّ هذا من باب سدِّ الذَّرائع ، ولكنَّ أصحاب الأهواء عمىٌ لا يُبْصِرُون .

وقال فى صفحة (٤٥) وهكذا استنبط منه أى من حديث (لا تنتقب المرأة المحرمة) أنّه دالٌ بالقطع على إباحة النِّقاب فِى الحياة المألوفة فى ما سوى الإحرام . وهذا التَّصرف مسلكٌ حماسى ، ومجازفةٌ خطيرةٌ .

وقال فى صفحة (٦١) . . . . أن تتخلص من هذه الأَدْوَاء المهلكةِ داءِ التَّعصُّب الأعمى باتباع السّادة والكبراء . . . . وداءِ بَخسِ الناسِ أشياءَهم . . . . وداءِ الفرح بما عندك من العلم . . . . وداء تَرْكِ سؤال اللهِ تعالى زيادةُ العلم .

وقال فى صفحة (٨٣) . . . . . . إلاّ الحكم بالذَّوق فى الدين ، واتباعِ أقوالِ بعض العلماء تمسّكاً بأشخاصهم . . . .

وقال فى صفحة (١٠٢) . . . . . قد يذهب البعض مِمَّن يُحبُّون الجَدَلَ العَقِيم . . . هكذا تكون المراوغة عند الإفلاس عن وجود الدليل .

وقال فى صفحة (١٢٠) . . . . . وتسلم من شُرور الجهل البسيط والمركَّب والتَّعَصُّبِ الأعمى ، والانقيادِ للأباطيل والانتصارِ للأشخاص ، وطلبِ المنافع الدِّنيوية من وراء الدِّين .

وقال فى صفحة (١٤٥) . . . . . . كأنَّ الأحكام الفقهية يُكْتَفَى فيها بكلام النَّاس الطَّيِّبين أولاد الحلال يريدون الخير بزعمهم للمسلمين .

وقال فى صفحة (١٤٦) . . . . . وكيف يذهب بهم إلى الصَّدِّ عن سبيل الله ، فيعرضون الإسلام فى ثوب متكلّف متعنِّت . . . . . فيبغِّضونه للنَّاس فيكرهونه .

وقال فى صفحة (١٧٧) . . . لكنَّ المغرضين الرَّادِّين لأحكام الدِّين بالوَهْم ، والاحتمال ، والظنون . . .

وقال فى صفحة (١٧٩) . . . ستطعنون باللامنهجية ، واللاموضوعية المتذوِّقةُ والعصبيةُ العمياء .

وقال فى صفحة (١٩٤) . . . . لو قال هذا الكلام إنسانٌ لكان دليلاً قاطعاً على عظيم جهله وخلوّ عقله ، من أدنى دراية فى فهم النّصوص . . .

وقال فى ص (٢٢٥) . . . وإن الذين زينّوا للعوام فعل التَّنْقيب ولبس النِّقاب إِنَّمَا هم . . . نَقَلَهُ صُحُفٍ لا يفقهون ما ينقلون ، ولا يَعْقِلون ما يكتبون .

والآن . . . .

أرأيتَ أيها القارىء الكريم كيف الدكتور الفاضل يسخرُ ويَذُمُّ ، ويَعِيبُ عِلماءَ الشَّريعة ، لا لشيءٍ سوى أنَّهم خالفوه فى رأيه الذى هو تحريم النِّقاب وقد شطَّ وغَلَى حتى احترق إذ حرَّم ما لم يحرمه الله ، وكفَّر مَنْ خالفه فى كفره بدعوى أنَّ النِّقاب حرامٌ ، وأنَّ مَنْ أوجبه فقد كفر لإيجابه ما لم يوجبه الله .

اللوحة الرابعة

إحقاق الحق ، وإبطال الباطل

وأخيرا لقد ركض الدكتور الفاضل فى مؤلفه ، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب حتى بلغت ساحة ركضه نيفا ومائتى صفحة من كتابه الآنِفِ الذِّكر ، وقد حرَّم ما أحلَّ الله بل منع ما أوجب الله ، ولولا ما ينبغى أن نحمله عليه من اجتهاد أخطأ فيه لقلنا : إنَّه قد باء بغضبٍ من الله . لتحريمه ما أحلَّ الله ، وإبطاله ما أوجب ، والحمد لله أن ساقنى قدره ، وأعاننى تيسيره فأبطلت باطل الدكتور لينجوَ من تبعته ، وأحققتُ الحق ليأخذه ويلزمه فينجو ، ويَسْعَدَ حقَّقَ الله له ذلك آمين وصورة إبطال باطل الدكتور هى كالتالى :

إن القول بتحريم النقاب ووجوب كشف وجوه المؤمنات للرجال الأجانب بغير ضرورة تدعو إلى ذلك كخِطبةِ خاطب أو تطبيب طبيب ، أو تَعيُّنِ شهادةٍ أو إنقاذٍ مِنْ غرقٍ أو حريقٍ ، والله ما قال به أحدُ من الصَّحابة أو التَّابعين أو تابعيهم بإحسان إلى اليوم .فكيف يُقبَل قولُ من قال بالتحريم منفرداً به دون سائر المسلمين ؟ ؟

وصورة إحقاق الحق هى كالتالى :

إنَّ الله تعالى أمر المؤمنات بإدناء الجلابيب لسَتْرِ وَجُوهِهِن فِى آية الأحزاب : ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ الآية[1] ومن فسَّر إدْنَاءَ الجلباب بغير سَتْرِ الوجه فقد جعل كلام الله متناقضاً وهو مُحَالٌ ، إذ نساء النَّبىّ مجمعٌ على تحريم كشف وجوههن بآية ﴿ **فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ [2] ، ومَنْ قال هنا الإدناء للجلباب ليس لستر الوجه فقد كذب وتناقض وقال إنَّ فى القرآن تناقضاً وهو مُبرَّأ منه ، لأنَّه كتابٌ عزيز ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديهْ ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ [3] ونهى المؤمنات عن إبداء زينتهن لغير الأزواج والمحارم فى الآية : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾ [4] وَمنْبَتُ الحُسْن ومواضع أغلبه فى الوجه ، وليس فى البطن ، ولا فى الظَّهر ولا فى الرِّجل ، إذ الْكُحْلُ فى العينين ، والأحمر فى الشَّفتين ، والتَّزجيج فى الحاجبين ، والقُرط فى الأذنين ، والسِّخاب والقلائد فى الجِيدِ والعُنُق ، فإذا لم تستر المؤمنة وجهِها فما هى الزِّينة التى حرَّم عليها إبداؤها يا عباد الله ! ! ؟

---

(١) الآية : ٥٩ . (٢) الأحزاب : ٥٣ .

(٣) فصلت : ٤٢ . (٤) النور : ٣١ .

ورخَّص للقواعد من النّساء فى كشف وجوههن بشرط أن لا يظهر بزينة ، واستحب لهنّ عدم الأخذ بالرُّخصة مع قعودهنّ عن الحيض ، والحمل فقال ﴿ **والقواعدُ من النِّساءِ اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناحٌ أن يضعن ثيابَهنَّ غيرَ متبرِّجاتٍ بزينةٍ وأن يَسْتَعْفِفْنَ خيرٌ لهنَّ ، والله سميع عليم** ﴾ [(١)] .

وبهذا حق الحقُّ ، وهو وجوب سَتْرِ وُجُوهِ المؤمنات عن الرِّجال ؛ واستحبابه للقواعد منهنّ ، ولا يَهْلِكُ على الله إلا هالكٌ .

اللوحة الخامسة

قاصمة الظهر

اعلم أيها القارىء الكريم أنّ كتاب الدكتور « تذكير الأصحاب بتحريم النقاب » الحاوى لأكثر من ٢٣٢ صفحة ألّفه صاحبه من أجْلِ إبْطالِ حجابِ نساءِ المؤمنين ليخرجن إلى الأسواق والشوارع ، ودور العلم ، والعمل ، كاشفات الوجوه ، وليس عليهنّ ما يستر وجوهَهنَّ وعلى الرَّغم من أنَّه ركض ركضاً عجيباً ، وهو يسوق الأدِلَّةِ والشَّواهدَ التى يراها تحرِّمَ النِّقاب ويَدْفع بِعنْفٍ وشِدة الأدلّة والشواهد التى تُوجِبُ النِّقاب أو تبيحه فإنَّ تحريمه للنِّقاب أقامه على قاعدة أنَّ الحجاب والنِّقاب خاصٌ بنساءِ النَّبى ﷺ دون سائر المؤمنات ، وعليه فلو هَدَمتَ له هذه القاعدةَ لانهار كلَّ ما بناه عليها ، ولم يَجنِ من ركضه الطَّويل سوى الخَيْبةِ والخُسْران مع أنَّ خيبته فِى هذا ، وخُسْرانَه فيه هما ربحٌ عظيم له لو كان من العالمين .

وإليك أيها القارىء بيانَ هَدْمِ هذه القاعدةِ التى بنى عليها الدكتور تحريمه للنِّقاب الذى لم يقل به مسلمٌ سواه قط من عصر النبوة إلى اليوم .

إنَّ الله تعالى قال : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ [(٢)] ، وعلّل لذلك فقال : ﴿ **ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾ [(٣)] ، فتراه تعالى يطلب للمؤمنين تطهير قلوبهم حتى يُحبَّهـم تعالى لأنه لا يحبُّ إلاَّ الطَّاهرين كما قال تعالى : ﴿ **إنَّ اللـه يُحِبُ التَّوابين ويُحِبُّ المتطهرين** ﴾[(٤)] وقال : ﴿ **فيه رِجالٌ يُحبُّون أن يتطهَّرُوا والله**

---

(١) النور : ٦٠ . (٢، ٣) الأحزاب : ٥٣ . (٤) البقرة : ٢٢٢ .

يُحبُ المُتطهِّرين ﴾ (١) وإذا كانت المحرَّمة تحريما أبدياً يُخْشَى بالنَّظَر إلى وجهها تلوُّث قلب النَّاظر إليها ، أليس النَّظر إلى وجه غير المحرَّمة ذلك التحريم يُخْشَى معه تَلَوُّثُ قلبِ النَّاظر من باب أولى ؟ فكيف يصحّ القولُ بأنَّ الحجاب خاصٌ بأزواج النَّبيّ ﷺ ؟

وبعد نزول هذه الآية نزلت آية : ﴿ **يأيها النَّبيُّ قل لأزواجك وبناتك ونساءِ المؤمنين يُدْنِيْنَ عليهنَّ من جَلابِيبِهِن ذلك أدْنى أن يُعْرَفْن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً** ﴾ (٢) ، إن هذه الآيةَ نصٌّ قطعيٌّ الدِّلالة في أن نساءِ النَّبي كبناته ، وسائر المؤمنات مأمورات بإدْناء الجلباب لستْرِ الوجه ، والعنق ، وجَيْبِ الصَّدْر .

فلو كان إدناء الجلباب لا يُغَطِّي الوجه كما يقول الدكتور ، لكان الله تعالى الذى فرض الحجاب على نساء النبى وذلك بحجب وجوههن عن غير النّبى ﷺ ومحارِمِهنَّ ، قد أذِنَ لهنَّ إذا خرجن من بُيُوتِهِنَّ أن يكشفن عن وجُوهِهِنَّ ، وهذا لا يقوله الدكتور . إذاً إنَّه بهذه الآية انهدم كلَّ ما قعَّده الدكتور من قواعد ، وأصبح نساء المؤمنين كنساء النبى مأمورات بالحجاب عن الرجال الأجانب ، وبتغطية وجُوهِهِنَّ عن الأجانب إذا خرجن للضَّرورة ، ولا يُسْتَثْنَى من هذا إلا ما استثنى الله وهنّ القواعد اللاتى لا يحضن ولا يلدن لكبر سنهنّ إذ قال تعالى : ﴿ **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناحٌ أن يضعن ثيابهنّ** ﴾ (٣) الآية أى فلا يُغَطِّين وُجُوههن ، ومواضع الزِّينة منهنّ .

بهذه الآية وتلك . انْقَصَمَ ظَهْرُ الدكتور ، وبَطَلَ رَكْضُه ، وانتقص حُكْمُه ، وتقرَّرَ الحقُّ وثبت رغم أنفه ، وأنف مَنْ يقول بقوله ، ويرى رأيه ، وهو أنَّ الحجاب مفروضٌ على كلِّ مؤمنة ، وإنكارُه تكذيبٌ لله ، وكفرُ بآياته والعِياذُ بالله تعالى .

---

(١) التوبة : ١١٨ . (٢) الأحزاب : ٥٩ . (٣) النور : ٦٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حمداً لله وصلاةً وسلاماً على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد : فإنّ الهَجْمة الشَّرسة على الإسلام ، على عقائده ، على أحكامه ، على أخلاقه ، على آدابه ، ما زالت كما بدأت يوم أعلنها المجوس ، واليهود ، والصليبيون ، ولولا أنّ الله تعالى قضى ببقاء الإسلام حيث حفظ له كتابه وسنة نبيه وطائفةً من أهله لتقوم الحُجَة له سبحانه وتعالى على عباده يوم القيامة ، كيلا يقولوا : ربنا ما عرفناك ، ولا عرفنا بمَ نعبْدك ، ولا كيف نعبدك ، فكيف تعذبنا ، وأنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، فكيف تعذبنا بغير الحق ، قطعاً لهذه الحجة قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرةً منصورة لا يضرّها مَنْ خَذَلَها ولا مَن خالفها حتى يأتِى أمر الله وهم ظاهرون » [1] : لذا لا عجب بعد أن أسفرت وتبرجت أكثر نساء المسلمين أن يظهر (سعادة الدكتور إسماعيل منصور جودة) على مسرح الدعوة الإسلامية يعلن بصراحة ووضوح أنْ النقاب حرام ، بمعنى أن المرأة المسلمة إذا خرجت متنقّبةً فهى عاصيةٌ آثمة لارتكابها محرما . وذهب إلى أنّ السَافرة المتبرجة خيرٌ منها فقد قال بالحرف الواحد فى كتابه (تذكير الأصحاب بتحريم النقاب) قال فى صفحة (٢٢٦) : لقد [2] فتح لنا العلم الموضوعى والبحث المحايد آفاقاً عظيمة فى الإسلام ، ومن ثمرات ذلك أننا صرنا ننظر إلى المرأة المتبرجة فى مقارنة مع المرأة « المتنقبة » ونحن نشفق على الثانية أكثر من الأولى لأن الأولى عاصية تعلم أنّها عاصية ، بينما الثانية عاصية تعلم أنها فاضلة ، كما أن الأولى (السافرة) ليست عُرْضَةٌ للكبِر والعُجْب المانِعَيْن من دخول الجنة بينما الثانية أكثر عُرْضَةً لذلك . فأيّهما أحق بالإشفاق ، وأيهما أقرب للتوبة وأيهما أولى بالاستغفار لها . فكلامه

---

(١) أصل الحديث فى صحيح البخارى (٩ / ١٢٥) فى مواضع أخرى وصحيح مسلم (١ / ٩٥) فى مواضع أخرى أيضاً .

(٢) قوله : لقد فتح لنا العلم الموضوعى والبحث المحايد آفاقاً إنه يعنى بحثه العلمى الذى أنتج له كتابه : تذكير الأصحاب . . . . الذى خرج به على العالم الإسلامى يحمل بشرى سارة لدعاة الخلاعة والسفور وهو تحريم النقاب .

هذا ظاهر فيما كتب له وهو تحريم النقاب ، وأنّ المتنقبة آثمةٌ تحتاج إلى توبةٍ واستغفارٍ أكثر من السافرة المتبرجة .

من أجل هذا الباطل الذى دعا إليه الدكتور عفا الله عنه ، وتنبه البقية الباقية من نساء المسلمين المتحجبات إلى أنه باطلٌ ، ومنكر ، وزلة كبرى ، لا يرضى المسلم العاقل أن يقع فيها . . كتبتُ هذه الرسالة تِبْياناً للحق ، وتقريراً له وهو أن النقاب والحجاب من شرع الله ودينه الذى تعبَّد به عباده المؤمنين ، وأن إنكارهما ، ودعوة المسلمين إلى تركها كفرٌ بالله ، وآياته ورسوله ، والعياذ بالله تعالى من زيغ الزائغين ، ومكر الماكرين بالإسلام والمسلمين ، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وسلّم تسليماً كثيراً .

والآن . . . فى حوار هادىء ، ناصح ، صادق ، علمى ، لا عاطفى ، حَقٌ لا باطل فيه مع سعادة الدكتور (إسماعيل منصور) نصره الله وإيایَ على النفس والهوى والدنيا :

وبسم الله نبدأ فنقول : ـ

الشيخ : ـ يا سعادة الدكتور هل سبقك أحدٌ من علماء الإسلام ، من الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم والأئمة الأربعة وغيرهم من ذوى العلم من أهل الحديث والفقه والتفسير . . . . إلى القول بأنّ النقابَ حرامٌ ، والمتنقِّبةَ عاصيةٌ آثمةٌ تُدْعَى إلى التوبة والاستغفار ، وإلا فهى من أهل النار ؟ ؟

الدكتور : لم يسبقنى أحدٌ إلى القول بتحريم النقاب ، وإنما بذلت الجُهْدَ فى البحث المحايد ، والعلم الموضوعى ، وأخلصت النية واستعنت بالله عز وجل فأنتج لى علمى وبحثى ، وعون ربى القول (بتحريم النقاب) .

الشيـخ : نعم يا دكتور حقاً والله : ما سبقك إلى القول بتحريم النقاب أحدٌ من الصحابة ، ولا التابعين ، ولا تابعى التابعين ، ولا الأئمة ولا غيرهم من علماء الإسلام إلى اليوم ، فأنت أول من قال بتحريم النقاب ، وإنما كان منهم من يقول بوجوبه ، ومنهم من قال باستحبابه ، ومنهم من قال بجوازه . كما ذكرت ذلك فى كتابك صفحة (٩) إذ قلت : وهكذا أمضى أصحاب اتجاه الوجوب ، وأصحاب اتجاه الندب شوطاً حتى ظهر اتجاه ثالث بأن النقاب ليس واجباً ، ولا مندوباً ولكنه من باب المباح المستحب عند الفتنة وما ذكرته حق والله . وإليك تأويله : ـ

إنَّ النقاب كان واجباً أيام الصحابة والتابعين ، وتابعيهم إلى نهاية القرن الثالث حيث كانت أمةُ الإسلام قويةٌ ، طاهرةٌ ، صالحة تحرِّم ما حرَّم الله ، وتعمل بطاعة الله ورسول الله ، ولما دخل القرن الرابع وضعف الإيمان ، وتزلزلت العقيدة وافترقت الأمةُ طوائفَ وفرقاً مختلفة، متقاتلةً ، ورقَّ بذلك حبْلُ الإسلام قال من قال بالندب ، والاستحباب دون الوجوب وازدادت حالَ الأمة سوءاً بمرور العصور ، وهى تعانى من الفتن ، والمحن ، ما تعانى حتى ذهب سلطانُها ، وتقاسم الكفرَ أوطانَها ، وأصبحت تعيش تحت رحمة مستعمريها الكافرين ، وعلى سنة المغلوب متأثّر بالغالب ظهر فيها من يقول بإباحته ، ولا يقول بوجوبه ولا ندبه ، وانتشر لذلك كشفُ الوجوه وتجاوز الوجوه إلى السُّوق

، والأعناق ، ثم إلى السَوْءات . ولما بلغت حالُ أمةِ الإسلام إلى هذا الحد فى أيامها المظلمة هذه ، جئت يا دكتور تركض بكتابك التذكير لتُخَطِّئَ أمَةَ الإسلام منذ عهدها الأول عهد النبوة إلى يومك هذا ، وتقرّر فى بحثك العلمى المحايدِ كما زعمت أنَّ النقاب حرام ، فكلُّ مَنْ تُغطِّى وجهها إذا واجهت الأجانبَ غيرَ المحارم فهى آثمة ، عليها أن تتوب إلى الله ؛ ولا تغطى وجهها سواء كانت جميلةً أودميمةً .

الشيــخ : هل عرفت موقفك يا دكتور : إنّك وقفت على حافة جهنمُ ، تدعو بأعلى صوتك إلى النَّار يا عباد الله . لأنَّ كَشْفَ وجهِ المرأةِ للأجانب معناه رفضٌ الحياء ، والحياءُ أخو الإيمان ، ومتى ذهب الحياء ذهب الإيمان وإذا ـ ذهب الإيمان طاب ولذَّ ارتكاب الفواحش ، وإذا ارتكبت الفواحشُ خبثت النَفوس ، وإذا خبثت النفوس فالنار مثواها . قال تعالى : ﴿ **قد أفلح مَنْ زكَاها ، وقد خاب مَنْ دسَاهَا** ﴾ [1] وتدسية النفس تكون بكبائر الإثم والفواحش .

الدكتور : ليس من الضرورى أن يسبب كشف وجْهِ المرأةِ ذهابَ حيائها ، ولا أنّ ذهاب حيائها يسبِّب ذهاب إيمانها ، ولا أنّ ذهاب إيمانها يسبب وقوعها فى الفواحش .

الشيــخ : نعم ليس من الضرورى أن يسبب كشفُ وجهِ المرأةِ ذهاب الحياء ، ولكنه فى الغالب يسببه ، كما أنه فى الغالب أن ذهاب الحياء يسبب ذهاب الإيمان ، وذهاب الإيمان يسبّب فى الغالب ارتكاب الفواحش والآثام . ومن هنا وجب سَتْرَ وجهِ المرأةِ وهو منبت حُسْنِها وجمالها ، ومثارُ الفتنة فيها ، وهذا أمرٌ يعرفه ذوو البصائر من الرجال والنساء على حدٍّ سَواء .

الدكتور : أنا لا أقول بستر وجه المرأة بأىَّ ساتر نِقَاباً كان ، أو بُرقعا ، أو خِمَاراً . ولا أرى أن كَشْفُ وجه المرأة يسبِّبَ أىَّ فتنةٍ للرجال ولا للنساء ، وقد ذهبت إلى تحريم ستر الوجه مطلقاً .

الشيــخ : مَنْ أنت ؟ وما أنت ؟ يا دكتور حتى تبيح كَشْفَ وجهِ المرأةِ للأجانب لغير الضرورة وتحرِّم النقاب على المؤمنات ؟ ؟ . أما قرأت قول الله تعالى من سورة النور ٣: ﴿ **والقـواعد من النسـاء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهنَّ**

---

(١) من الأحاديث الواردة فى الحياء قول الرسول ص إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء رواه الإمام مالك فى موطأه (٢ / ٦٠٢) وكذلك قوله ص (الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة) رواه الترمذى (٤٠ / ٣٦٥) .

جُناحٌ أن يضعن ثيابَهن غيرَ متبرِّجات بزينةٍ ، وأن يستعففن خيرٌ لهن والله سميع عليم ﴾ . أليست الآية نصاً فى أن العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل لتقدُّم السنِّ بهنّ لا إثم عليهن فى وضع الخمر والجلاليب ، وما كُنَّ يسترن به وجوهَهُن عن الرجال الأجانب ، إذا خرجن من البيوت لحاجة ضرورية اقتضت خروجَهن ؟ نعم إنّها نصٌ واضحٌ صريح ، وهو دالٌ على أنّ المرأة التى تحيض وتحمل لعدم عجزها عن ذلك لصغر سنها لا يحلُّ لها أن تخرج لحاجتها بدون خِمار أو عِجار [١] أو جلباب تغطى به زينتها من كحل فى العينين وأحمر على الشفتين ، وأبيض فى الخدين ، وقرط فى الأذنين ، وقلادة فى الصَّدر ، أو سخابٍ فى العنق ، أو سوارٍ فى اليد ، أليس قوله تعالى : ﴿ **غير متبرجات بزينة** ﴾ نصٌّ فِى أنه لا يحلُّ للعجائز إذا وضعن الخمر والجلاليب والعجُر ، قُيِّدت وجوههن ، وأعناقهن ، وصدورهن أن لا يكون فى العينين كُحلٌ ، ولا فى الخدين (بودرة) ، ولا فى الشَّفتين أحمر ، ولا فى الأذن قُرْط ، ولا فى العنق سِخاب ولا فى اليدِ سِوار ، وهذا كالشرط فى جواز وضع ثيابهن فإن أبيْن إلا التبرج بالزينة فلا يسمح لهن بوضع ثيابهن ، وليُبْقِين عليها إذا خرجن كسائر النساء اللائى يحضن ويحملن ؟

أليس قوله تعالى : ﴿ **وأن يستعففن خير لهن** ﴾ ترغيب فى الإبقاء على حجابهن حتى الموت ، ومهما طال العمر ؟

وإياك أن تفهم يا دكتور أنّ طالب العفَّة هنا معناه ترك الفاحشة ، والله ما أراد هذا ، وقد حرَّم الزِّنى ، ووضع له حدًا وهو الرجم وإنما أراد أن يطلبن العفَّةَ بالبقاء على الحجاب حتى الوفاة إذ هذا خير لهن من الأخذ بالرُّخْصَة وهو وضعُ الثياب ، والخروجُ إلى الشوارع كاشفات الوجوه .

الدكتور : أنا لا أقول بفرضية الحجاب على أية امرأة مسلمة إذ الحجاب خاص بأمهات المؤمنين زوجاتِ الرسول ﷺ . ولهذا قلت بتحريم النقاب وأنه لا يحل للمسلمة إذا خرجت من بيتها أن تستر وجهها بأى ساتر سواء كان نقاباً أو خماراً أو عجارا أو غير ذلك .

الشيـــخ : إن قولك بعدم فرضية الحجاب على المؤمنات غير أزواج النبى ﷺ قول باطل

(١) فى المعجم الوسيط : العجار : ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ، وجمعه عُجُر .

كقول النصرانى عيسى بن الله ، إلا أن قول النصرانى قَبِله على بطلانه عقلا وشرعاً ملايين الجاهلين . أما قولك فلا أحسب أن مؤمنا واحدا غيرك قد يقبله ويقول به ، لأنه مردود عقلا ونقلا والمؤمنون بصراء ليسوا عميانا كالنصارى .

فالمؤمن يقول : إذا كان أزواج النبى وهن محرمات على المؤمنين كأمهاتهم لقوله تعالى : ﴿ **وأزواجه أمهاتهم** ﴾ ومع هذا قد فرض عليهن الحجاب فقال : وإذا سألتموهن متاعا فسألوهن من وراء حجاب ، فإن غيرهن من نساء المؤمنين ضرب الحجاب عليهن من باب أولى وألزم وآكد .

إن حالك أيها الدكتور فى قَصْرِك الحجابَ على أزواج الرسول ﷺ كحال مَنْ يضرب أباه وأمه باليد والنعل فقيل له فى ذلك فقال : إنَّ الله تعالى ؛ لم ينهني عن ضربهما ، وإنما نهاني عن قول أفٍ لكما إذ قال تعالى : ﴿ **فلا تقل لهما أفٍّ ولا تَنْهَرْهما** ﴾ (١) ، ولم يقل فلا تضربهما ؛ إنّ حجبَ المؤمنات عن أعين الرجال الأجانب بعد نزول آيات الحجاب أمرٌ أدركه المؤمنون والمؤمنات بالبداهة ، وعلموا أنّ نساء النبى ﷺ أُمِرْنّ بالحجاب ليكن أسوة لغيرهن من نساء المؤمنين ، وليكون أمر حجاب المؤمنات آكد وألزم لوجود حالٍ تقضى بذلك ، وهى أنهنّ لسن بمنزلة المحارم من الأمهات ، والبنات والأخوات والعمات ، والخالات ، فكيف يصح القول بقصر الحجاب على أمهات المؤمنين دون سائر نسائهم . إن آية الحجاب نظيرها آية الشرك فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ (٢) . فإذا كان الرسول ﷺ وهو من هو فى حفظ الله تعالى له ، وعصمته إياه يهدد ويتوعد بأنه إذا أشرك حبط عمله ، وأصبح من الخاسرين ، فكيف إذاً بغير الرسول من سائر المؤمنين ! !

أليس من باب أولى أن يحبط عمله ويكون من الخاسرين . فهل من قائل هذه الآية خاصة بالنبى ﷺ دون أمته ؟ اللهم لا ، بل فهم المؤمنون أنّهم أولى بهذا الوعيد والتهديد من الرسول ﷺ (٣) .

الدكتور : أنا مازلت مصراً على أن الحجاب خاصٌ بأمهات المؤمنين فإن كان لديك أدلّة

---

(١) الإسراء : ٢٣ . (٢) الزمر : ٦٥ .

(٣) ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ قد عصمه الله عن المعاصى فضلا عن الشرك .

غير ما ذكرت فاذكرها .

الشيـــخ : هل ، قوله تعالى من سورة النور : ﴿ **والقواعد من النساء** ﴾(1) الآية وقد دلت على ما يلى : ـ

١ ـ الرخصة فى كشف الوجه للعجائز .

٢ـ عدم السَّماح لهن باستغلال الرخصة فيخرجن كاشفات عن وجوههن فى الآذان الأقراط وفي العينين الكحل ، وفى الشفتين أحمر الشفاه ، وفى الأعناق السُّحُب ، وفى الصّدور القلائد .

٣ ـ استحباب البقاء على عدم كشف الوجه مع القعود عن الحيض والحمل للكبر هل هذه الآية خاصة بأمهات المؤمنين ؟ ؛ والجواب والله ما هى إلا عامة فى نساء المؤمنين إلى يوم القيامة ولا معنى للخصوصية فيها قط .

إن هذه الآية كافيةٌ فى حرمة كشف وجه المرأة للأجانب مع عدم الضرورة .

هذا أولا ، وثانيا قوله تعالى : ﴿ **يأ يها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنين عليهن مِنْ جَلابيبهن** ﴾(2) ، ظاهر فى الدلالة على أنّ الحجاب عامٌ لكلٍّ مؤمنة وليس خاصاً بأمهات المؤمنين إذ قوله : ﴿ **ونساء المؤمنين** ﴾ نصٌ صريح لا يقبل التأويل فى أنّ المؤمنات مأموراتٌ بالحجاب ، ولا يسقط عنهن إلا عند القعود عن الحيض والحمل لكبر السن .

الدكتور : نعم هذا عام فى كل نساء المؤمنين ، لكن إدناء الجلباب ليس هو الحجاب .

الشيـــخ : أليس الحجاب مصدر حجب يحجب حُجبا وحِجَاباً ، ومعناه الستر فإن ستر الباب المرأة وهى داخل البيت فهو حجاب وإن ستر الثوب جسم المرأة فهو حجاب ، وإن ستر الخمار والجلباب رأس المرأة ووجهها ، وعنقها ، وصدرها فهو حجاب . وبناء على هذه الحقيقة العلمية فقوله تعالى : ﴿ **يُدْنين** ﴾ وهو أمر مقتضٍ الوجوب فمعناه أنّ على نساء النبى ، وبناته ، ونساء المؤمنين إذا خرجن من حجاب البيت إلى خارجه لضرورة اقتضت ذلك أنْ عليهن أنْ يدنين جلابيبهن التى كانت على رؤوسهن ساترةً لشعر الرأس يدنينها لِتُغَطِّيَ وتحجبَ

(1) النور : ٦٠ .

(2) الأحزاب : ٥٩ .

الوجهَ ، والعنق ، وجيب الصدر ، أليست هذه الآية قطعية الدَّلالة على أنَّ الحجابَ فريضةٌ الله على كل امرأة مؤمنة لم تقعد عن الحيض والحمل ؟

إنه لا ينكر هذه الحقيقة إلا معاند مكابر ؛ ؛ أو جاهل لا علم له ، وإنما أُنزِّه سعادة الدكتور أن يكون أحد الرجلين والله أعلم .

الدكتور : أرجو زيادة الأدلة المقنعة .

الشيـخ : إنّ من الأدلة المقنعة التي لا تترك فى النفس ريبة يا دكتور أمر الله تعالى كلا من المؤمنين والمؤمنات بغض البصر ، وحفظ الفرج إذ قال الله تعالى من سورة النور : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن** ﴾ (١) .

إنّ أمر الله يجب أن يطاع ، وقد أمر تعالى كلاً من المؤمنين والمؤمنات بغضِّ البصر ، وحفظ الفرج . وحفظ الفرج متوقِّفٌ على غضِّ البصر ، إذ النَّظْرة سهم من سهام إبليس مسموم كما ورد فى الحديث (٢) ورحم الله أمير الشعراء بل والحكماء أحمد شوقى : إذ قال :

نظرة فا بتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

أمر تعالى بغض البصر أولا ، ثم بحفظ الفرج ثانياً .

فهل فى الإمكان فى حال ترك النساء للبيوت ، والخروج إلى الأسواق ، والدوائر ، والاختلاط بالرجال فى كل مكان ، فهل فى الإمكان غـضّ الرجال أبصارهم ، وغض النساء أبصارهن امتثالا لأمر الله تعالى وطاعة له ؟ ؟

الدكتور : هذا غير ممكن .

الشيـخ : وهل الله العزيز الحكيم يأمر بغير الممكن المستطاع .

الدكتور : لا ، لا .

الشيـخ : كيف وقد أمر : إذاً فلابد وأن يكون ممكنا ، وطريق الإمكان هى أن يترك النساء فى البيوت للقيام بمهام البيت ، وهى كثيرة وشاقة ، وأن يخرج الرجال خارج البيوت للمزارع ، والمصانع ، والمتاجر ، والثغور للرباط والجهاد .

---

(١) الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .

(٢) الحديث رواه الطبرانى ـ انظر مجمع الزوائد (٨ / ٦٣) .

وبذلك يتم أمر الله تعالى ويغضّ المؤمنون والمؤمنات أبصارهم عن النظر إلى بعضهم بعضا كما أمر الله جلّ جلاله ، وعظُم سلطانه .

وإذا خرجت المؤمنة لحالة ضرورية لم يضرّها أن تخمّر وجهها بخمارها وتخرج لحاجتها ، وتعود إلى بيتها . هذا نظام الحياة الإسلامية أمّا أن تكشف المرأة عن وجهها وتزاولَ مِهَناً خارج بيتها مختلطةً بالرجال فى المكاتب ، والمتاجر ، والمطاعم ، والفنادق ، وفى كل مجتمع للرجال برّهم وفاجرهم ، ثم تؤمر بغض بصرها ، ويؤمر الرجال بغض أبصارهم عنها ، فهذا شىء لا يطاع أمر الله فيه ، ولم يأمر الله تعالى به إذ هو العليم الحكيم فلا يأمر بما يعلم أنه لا يطاع فيه ، وقديما قال الحكماء إذا أردت أن تطاع فأمُرْ بما يُستَطاع .

الدكتور : إنّ قولك هذا يا شيخ مبنى على مشروعية الحجاب لنساء المؤمنين ، وهذا ما رفضته أنا ، وقلت إنّ الحجاب خاصٌ بأمّهات المؤمنين ، وقد انقرضن فلينقرض الحجاب معهن ، وليخرج النساء كاشفاتٍ عن وجوههن ، وليزاولن ما شئن من أعمال مع الرجال جنباً إلى جنب إذا كن ساترات الأجسام بأىّ ساتر كان ، ما عدا الوجوه إذ يحرم سترها بالنِّقاب وغيره .

الشيخ : إنّ إصرارك على أنَّ الحجاب خاصٌ بأزواج النبى ﷺ ، وأنَّ النِّقاب حرامٌ يوقفك موقف المكابر ، المعاند ، فقد سقنا إليك أدلّة الكتاب الكريم ، القاضيةَ بالحجاب لعموم نساء المؤمنين من ذلك آية الأحزاب وهى قوله تعالى : ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ (1) .
فقد ذكر نساء المؤمنين مع أزواج النبى ﷺ وبناته ، وأمر جميعهن بإدناء الجلباب الذى هو الخمار ليستر الوجوه ، أليس ستر الوجه ، وهو منبت الحسن والجمال فى الإنسان ، وهو موضع أغلب الزينة للنساء هو الحجاب الذى معناه حجب زينة المرأة عن الرجال حتى لا يَرَوْها فلا يفتنوا بها كما هى غريزة الإنسان . وأدنى دليل يُذكَّر به العاقل فى هذه القضية مشروعيةُ الاستئذان ، والالتزام به إذ قال تعالى : ﴿ **يأ يها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تَستأنسُوا وتُسلموا على أهلها** ﴾ . (2) فلو كان الحجاب خاصاً بنساء النبى ﷺ لم يكن لوجوب الاستئذان معنى ، لا سيما وأنك ترى سَتْرَ الوجه عن نظر الأجانب حراماً ، وذلك لازم تحريمك النِّقاب بعد أن قررت أنَّ من المسلمين من يقول بوجوبه ، ومنهم من يقول باستحبابه ، ومنهم من يقول بإباحته إلا فى حال خشية

---

(1) الآية : ٥٩ . (2) النور : ٢٧ .

الفتنه ، وهي حال دائمة متى اختلط الرجال بالنساء في أي مكان ، وعليه فلا إباحة .

الدكتور : لقد ألّفت كتابي ذا المائتين والثلاث والثلاثين صفحة (٢٣٣) ، وسميته (تذكير الأصحاب بتحريم النقاب) فكيف أرجع عن رأي كلّفني تحريره جهداً كبيراً ، وحَسِبْتني أنّي قدّمت فيه لأمة الإسلام خيراً كثيراً إذا أُطْلِقت نساؤهم من أسر البيوت ، وكشفت وجوهَهُن ليتمتّع بالنظر مَنْ أراد ذلك منهن ، فكيف أتراجع اليوم فأبطل ما قررته ؛ وأهدم ما بنيته ؛ إنه لأمر صعبٌ شاقٌّ على النفس هذا وإنّي وإن كنت قاربت الاقتناع بعموم فرضية الحجاب إلا أنّ موضوع النقاب مازال اقتناعي بتحريمه ماثلاً في نفسي ، عالقاً بذهني ، فهل من مزيد أدلة علّها تُذْهِبُ عني شبحه الذي يخيفني ويقلقني كلما ذكرته أو ذُكِرَ لي ؟

الشيـخ : إنّ موضوع النِّقاب يا سعادة الدكتور هو جزء موضوع الحجاب ، إذ الأصل هو حجب النِّساء المؤمنات عن الرجال الأجانب بالبيوت ، والأبواب ، والستائر فإذا اضْطَرَت المرأة للخروج تنقّبت ستراً لمنبت الحسن والجمال فيها ، وهو الوجه ، فلذا النقاب ما هو إلاّ وسيلة لتحقيق حَجْبِ وجوه النساء عن نظر الرجال الأجانب ، حيث أمر الله تعالى المؤمنات بذلك في قوله تعالى : ﴿ **ولا يُبْدِيْنَ زِينَتَهن إلا لبُعُولَتِهنّ أو آبائهنّ . . .** ﴾ الآية [1] ، وأغلبُ مَوْضع الزينة في الوجه إذ الكحل في العينين من زينة النساء ، ويجوز للرِّجَال للتَّداوي . كما أن تزجيج الحاجبين من زينة النساء ، وأحمر الشفاه من زينة النساء والأقراط في الأذنين من زينة النساء ، وهكذا أغلب ما أُمِرَت المسلمة بستره من زينتها هو في الوجه .

وعليه فالنقاب تضطرّ إليه المؤمنة إذا خرجت لحاجتها الضرورية لا غير ، وليس بواجب ولا سنّة لذاته ، وإنما هو وسيلة لامتثال أمر الله تعالى للمؤمنة بعدم إبداء زينتها لغير محارمها ، لأنّ الزينة ما شُرِعت للنّساء إلا لتحببهن للفحول من أزواجهنّ ، ولترغبهم فيهن ، ولذا لما رخص الله تعالى للعجائز في كشف وجوهن إذا خرجن ، ولم يلزمهن بتغطية وجوههن لقعودهن عن الحيض والحمل لم يأذن لهن في استعمال الزينة في الوجه وفي غيره إذ قال تعالى : ﴿ **غير متبرجات بزينة** ﴾ الآية [2] .

---

(١) النور : ٣١ .
(٢) النور : ٦٠ .

وبناء على ما تقدم فالنقاب كان معروفاً بين نساء المؤمنين معمولا به فى عهد النبى والصحابة والتابعين وإلى اليوم ، فلذا إنكاره فضلا عن تحريمه يعتبر زلة عالم ، لا نرْضَى بها لسعادة الدكتور / إسماعيل ، ولذا كتبت هذه الرسالة ووضعتها فى قالب حوار معه ليكون أدعى للقراءة وأقرب إلى الفهم ، وأبعد عما يثير العداوة والبغضاء بين علماء المسلمين وعامتهم إن إنكار النقاب فضلا عن تحريمه أمر يستغربه كل مسلم ولو مع عموم الجهل وقلة العلم كما هى الحال منذ عدة قرون ، لأن أحاديث منع المرأة المحرمة من النقاب والقفاز رواها أصحاب الصحاح البخارى ومسلم ومالك فضلا عن أصحاب السنن وعمل بها فقهاء الإسلام فالأئمة الثلاثة : مالك والشافعى وأحمد على منع المحرمة من النقاب والقفازين وأجاز ذلك أبو حنيفة خشية الفتنة . فكيف يسوغ للمرء اليوم القول بتحريم النقاب على المرأة المسلمة وهى حلال غير محرمة مع إجماع الأمة على جوازه لغير المحرمة وأما المحرمة فقد روى البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى فيما يلبسه المحرم وجاء فيه ولا تنقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين ، والإجماع على جواز ستر وجه المحرمة بخمارها إذا مرّت بالرجال أو مر الرجال بها كل ذلك امتثال لقول الله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو أبائهن أو آباء بعولتهن** ﴾ الآية [(١)] .

الدكتور: أرانى قد اقتنعت بأن النقاب مشروع للحاجة وليس بمحرم ، ولكن كيف يصح منّى تكذيب نفسى بعد أن وضعت فى كتابى عشر قواعد أصولية ، كل قاعدة منها تبطل النقاب وتحرّمه ، كَمَا استْدللتُ على تحريم النقاب بثلاثة عشر حديثاً .

الشيخ : لا تخف ولا تحزن يا دكتور سوف أنقض لك قواعدك قاعدة قاعدة حتى يبطل استدلالك به على تحريم النقاب وكذلك أفعل بالأحاديث التى استدللت بها على تحريم النقاب ، وبذلك تخرج من ورطة ما كتبت تائباً مستغفراً ، والله يحب التوابين ، ويغفر للمستغفرين .

وهذا بيان نقض قواعدك :

القاعدة الأولى : قولك إخراج الخاص عن خصوصيته يُلْغى حكمة تخصيصه . إنك تريد بهذه القاعدة الأصولية أنّ الحجاب خاصٌ بأزواج النبى ﷺ ، وإذا أمرنا المؤمنات

(١) الآية : ٣١ .

بالحجاب كنا قد أخرجنا الخاص عن خصوصيته . وقد سبق أن بينا لك أن الحجاب على كل نساء الأمة ولا يخرج منه إلا القواعد من النساء وسقنا لك من أدلة الكتاب والسنة ما أقنعك .

وعليه فهذه القاعدة قد تهدّمت ، ولم يبق لها في وجودها من معنى .

القاعدة الثانية : قولك : اتقاء الفتن لا يكون بمصادمة أحكام الشريعة .

هذه القاعدة والله لأوهى من بيت العنكبوت لأنك قعْدتها على أساس أنّ الحجاب والنقاب ليسا مشروعين ، ولا مأموراً بهما ، وإنما اتخذها المسلمون اتقاء لفتنة النظر المفضية إلى ارتكاب الفاحشة .

وما دام الحجاب كالنِّقاب ممَّا شرع الله جلّ جلاله حيث نهى المؤمنات عن إبداء زينتهن ، والوجه هو منبت الزينة ومَحطّ الجمال ، وأمرهن بإدناء الجلباب عليه لتغطيته ، وأذِن للعجائز بعدم ستر وجوهن لانعدام الفتنة ، وبشرط أن لا يستعملن أنواع الزينة أيضاً إذ قال : ﴿ **غير متبرجات بزينة** ﴾ (1) ونهى المحرمة عن لِبْس النِّقاب والقفازين بعدما كانت تنتقب وتتقفز سَتْراً لزينتها بإذنٍ من ربِّها ، وما دام الشارع قد أمرنا بالحجاب والنقاب لدرء الفتنة الفاحشة ، كيف يصِحُّ لعاقل مثل الدكتور أن يقول إن الحجاب للمرأة ، والنقاب مصادمة لأحكام الشريعة ، وهل أحكام الشريعة يصادم بعضها بعضا ؟ اللهم إنّ هذا باطلٌ مردودٌ على مَنْ رآه ، وقال به ، وشريعة الله منه براء .

القاعدة الثالثة : قولك سدّ الذرائع لا يتعدى إلى سد المقاصد .

هذه القاعدة أو هي من سابقتها ، لأنها مبنيّة على أنّ الشارع الحكيم لأمة الإسلام لم يشرع لنسائها الحجاب ولا النقاب فقال المسلمون : هيا بنا نسدّ ذريعة أيّ وسيلة الإفضاء إلى إرتكاب الفاحشة بفرض الحجاب على المؤمنات ، ومَنْ خرجت من بيتها لحاجة ضرورية فلتغطِي وجهها بما شاءت من خمار ، أو جلباب ، أو نقاب ، لكن ما دام الله ربها جلّ جلاله ، وعظم سلطانه هو الذى أقَرهَا بعدم إبداء زينتها لغير محارمها ، فلم يبق للدكتور مجال لأن يقول : إنّ المسلمين هم الذين شرعوا الحجاب والنقاب سدّاً لذريعة الفتنة ، فحصل تعارض بين مراد الله بكشف الوجوه ، ومراد المسلمين لسترها ، وما دام الله عز وجلّ أمر بعدم إبداء زينة المرأة للأجانب فقد بطلت قاعدة الدكتور من أساسها

(1) النور : ٦٠ .

واستراح الناس منها .

القاعدة الرابعة : قولك : الأخذ بمفهوم المخالفة لإثبات الأحكام مجازفة ،

هذه القاعدة قَعَّدْتَها يا دكتور من أجل أن تبطل مفهوم حديث البخارى والسنن [١] حيث هو نص فى إثبات النقاب الذى حرّمت استعماله ، وجعلت المنقّبة من المؤمنات عاصية لله آثمة ــ والْعِيَاذُ باللهِ ــ إنّ إبطال هذه القاعدة التى قعّدتها يا دكتور لتقوى مذهبك فى تحريم النقاب يتمّ من وجهين : الأول : أنه بشهادتك أن جمهور الفقهاء كالشافعية ، والمالكية ، والحنابلة على العمل بمفهوم المخالفة

والثانى : أنّ النقاب وهو من الحجاب مأمورٌ به شرعاً إذ تحريم إبداء الزينة موجب لسترها ، وإخفائها بأيَّةِ وسيلةٍ سواء كانت باباً ، أو ستاراً ، أو خِماراً أو غَيْرَ ذلك وقد ستر وجوههن بالخُمرُ وهن محرمات فضليات النساء كعائشة أم المؤمنين ، وفاطمة بنت الْمنذِر ، وأسماء بنت الصديق رضى الله عنهن وبناء على مذهبك أن هؤلاء الفضليات عاصيات لله والرسول آثمات ، سبحان الله ما أقبح هذا المذهب الذى ابتدعه للناس ! !

القاعدة الخامسة : قولك : الغالى فى الدين كالجافى عنه .

هذه القاعدة سليمة ولا يختلف فيها اثنان من أهل العلم ، ولكنها من باب « كلمة حقّ أريد بها باطل » إذ أنّك تقرر تحريمك للنّقاب ذاك التحريم الذى حرّمت فيه ما أمر به الشرع كتابا وسنة وإجماعا فتقف على حافة الكفر ، والعياذ بالله ، إذ الذى يحرّم ما أحلّ الله عامداً غير متأوِّل يكْفُر بالإجماع فكيف بالذى يحرِّم ما أوجب الله لا ما أحلّ فحسب ؟ !

إنك ترى بقاعدتك الخامسة هذه أنّ من الغلو النّقاب الذى هو سَترُ وجه المرأة عن الأجانب ، وأنّ من الجفاء كشفُ رأس المرأة وصدرها ، وذراعيها ، وساقيها حتى إنك تفضِّل حاسرة الرأس كاشفة الذراعين والساقين على ذات النِّقاب ، وترجو للأولى المغفرة ، ولا ترجوها للثانية .

ورأيك هذا يا دكتور رأى فاسد باطل ، إذ ستر وجه المرأة وهو محلُّ زينتها أمَرَ به الشَّارع ، وما أمر به الشارع لن يكون غلوّاً فى الدين أبداً ، لأن الشارع رحيمٌ بالعباد فلا يشرع لهم ما فيه عسر ومشقة لا تطاق ، وكيف والله تعالى يقول : ﴿ **وما جعل عليكم فى**

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وفيه : « ولا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين » .

الدين من حرج ﴾ [(1)] إذ أذن لمن لم يجد الماء أن يتيمم ، ومن لم يستطع القيام في صلاته صلى قاعداً ، ومن مرض أو سافر في رمضان أفطر وقضى ، وأذن للخاطب أن ينظر إلى وجه مخطوبته في حضرة وليها ، وأخيراً فإن قاعدتك هذه باطلةٌ فاسدةٌ فيما قعّدتها من أجله يا دكتور .

القاعدة السادسة : قولك : ما ليس بعورة فلا حرج في إظهاره .

إنك تهدف بهذه القاعدة إلى أنّ وجه المرأة ليس بعورة ، وعليه فلا مانع من كشفه ، ولا حاجة في ستره ، وهذا لا يفيدك فيما ذهبت إليه من تحريم ستر الوجه أمام الأجانب ، وهو مذهب لم يقل به أحدٌ قبلك قط .

واعلم يا دكتور أنّ لفظ العورة عام في كل ما يُسْتَحْى من كشفه ، ويُخَاف عليه ، فقد قال المنافقون أيّام غزوة الأحزاب « **إن بيوتنا عورة** » [(2)] أيْ ليس لها ما يحميها من العدو إذا هاجمها ، والعورة في عرف الفقهاء الشرعيين عورتان مُخَفَّفة ، ومغلَّظة ، فالمخففه بالنسبة إلى الرجل والأمة ما فوق السُّرَّة وتحت الركبة ، والمغلّظَة ما بين السرّة والركبة ، وأما بالنِّسبَة للمرأة الحرّة فهي كلُّها عورةٌ لحديث الترمذي : « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان » [(3)] وأذن الشارع لها أن تكشف في صلاتها عن وجهها وكفيها ، فكان الوجه والكفان مستثنين من عموم لفظ « المرأة عورةٌ » في حال الصلاة ، وحال الإحرام ، وفي غير الصلاة والإحرام إن كانت مع محارمها فَلَيسَا بعورة يجب عليها سترها ، وإن كانت مع غير محارمها فهما عورة فلا تكشفها إلا لضرورة اقتضت ذلك كالخِطْبَة ، والتَّطْيب ، والشهادة ، وما دعت الضرورة إليه ، وذلك لأنّ الله تعالى أمرها بعدم إبداء زينتها للأجانب من الرجال ، ولم يسمح لها بذلك إلا في حال قعودها عن الحيض والحمل ، وهي حال العجز والشيخوخة ، فإن كانت ضرورة فلا حرج إذ الضّرورات تبيح المحظورات ، على شرط صحة وجود الضّرورة التي يعتبرها الشَّرعُ ضرورةً .

وأخيراً فإنّ قاعدتك يا دكتور : ما ليس بعورة فلا حرج في إظهاره ، ولا يفيدك أبداً في تحريم النقاب ، فلتلغها ولننتقل إلى غيرها وهي سابعة القواعد .

القاعدة السابعة : قولك : بطلان الاحتكام إلى ما لم يَرِد في الكتاب والسنة .

---

(1) الحج : ٧٨ .
(2) الأحزاب : ١٣ .
(3) سنن الترمذي (٣ / ٤٦٨) .

هذه القاعدة أصيلة ومتينة ، لأنّ الله تعالى قال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ [(١)] وقال : ﴿ **وما أتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [(٢)] ، وقال : ﴿ **وإن تنازعتم فى شىء فردُّوه إلى الله والرسول** ﴾[(٣)] أى إلى الكتاب ، والسنة بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا أنّها لا تفيدك شيئاً فى تحريمك النقاب الذى لم يسبقك إليه أحدٌ فى أمَّة الإسلام إلا ما كان فى حال إحرام المؤمنة كما هو معلوم ، إنّ الذى يحرّم ما أحلَّ الله يكفر ، فكيف بالذى يحرّم ما أوجب الله من سَتْر زينة المرأة المسلمة إلا على المحارم ؟ ؟ ؛إنَّ أمْرَك يا دكتورعَجَبٌ !!! إننا فى ردِّنا دعواك الباطلة لم نحاكمك إلى غير الكتاب والسنة والإجماع ، فلم نذكر قط قولَ أحد سوى قول الله تعالى ، وقول رسوله ﷺ ، ومِنْ هنا سقطت قَاعِدَتُك السَّابعة عليك ، ولم تَجْنِ منها شيئاً .

القاعدة الثامنة : قولك : قول الفاضل وفعله ليسا بحجَّة على الدَّين .

وهذه القاعدة أيضا سليمة ومتينة إذا كان قول الفاضل ، أو فعله يعارض نصاً شرعياً ، أو يتنافى مع أغراض الشَّارع الدَّاعية إلى المحافظة على الكليات الخمس التى هى : حفظ البدن ، والعقل ، والعِرْض ، والدين ، والمال ، أما إذا كان أقوال الفاضل ، أو أفعاله لا تتعارض مع النصوص الشرعية ، ولا تتنافى مع الأغراض التى شرعتها فإن الائتساء والاقتداء بأهل الفضل والصَّلاح مما شرع الله لعباده المؤمنين إذ قال تعالى : ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾[(٤)] هذا وما قعَّدتَ له هذه القاعدة يادكتور وهو تحريم النقّاب على المؤمنات حتى يخرجن كاشفاتِ الوجوه ليراهنّ البارُّ والفاجر ، وأيْنَ البارّ فى ديارٍ استباحت المحارم ، وعطلت الشرائع فإنا نقول اتق الله يا عبد الله ولا تحرم ما شرع الله لحفظ أعراض المؤمنين وصيانة كراماتهم ، وأعيد القول : هل سبقك أحد من هذه الأمة إلى القول بتحريم ما أحل الله ، بل لتحريم ما شرع الله ، والله ما سبقك أحد ، أما يكفيك إثماً خروجك عن سبيل المؤمنين ، والله يقول ﴿ **ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولىّ ونصله جهنّم وساءت مصيراً** ﴾ [(٥)] ولأىَّ شئ ركبت هذا الصَّعبَ ؟ وغامرت بدينك ؟ أمِنْ أجل أن يُعْبد الله وحده ؟ أمْ منْ أجل أن يعزَّ الإسلام والمسلمون ؟ أم من أجل أن يطبَق شرع الله ؟ وتقام حدوده ؟ والجواب : لا ، لا ، لا وإنما من أجل تأصيل السُّفور ؛ ونشر الخَلاعة ؛ وزيادة الإغراقِ فى التَّبرج ؛ وزوالِ الحياء ...

---

(١) المائدة : ٣ . (٢) الحشر : ٧ . (٣) النساء : ٥٩ .

(٤) الانعام : ٩٠. (٥) النساء/ ١١٥ .

القاعدة التاسعة : قولك : الوَرَع لا يكون بتقييد المباحات ، وتحريم الطيبات .

هذه القاعدة قد وقعت عليك قبل غيرك يادكتور ، فإنَك أنت الذى قيدت المباحات ، وحرمت الطيبات ، إذ للمرأة المسلمة ذات الحياء والإيمان أن لا تخرج إلى الشَّوارع حتى لا تختلط بالرجال وإذا خرجت لحاجة تخمَّرت لتستر زينتها بخمارها ، كما أمرها ربَّها بقوله : ﴿ **ولا يبدين زينتهن** ﴾ [(١)] فجئت أنت كأنّك مدفوع بتعاليم الماسونية تحرِّم عليها الخروج ساترة لزينتها ، طاعة لربها بخمار ، أو جلباب أو نقاب وغيره ، وتدَعى أنّ هذا من باب تقييد المباحات ، وتحريم الطيِّبات ؛ وتركض ركضاً عجيبا حتى سودّت الصفحات العديدةَ من أجل تقرير باطلك ، وتثبيت قواعده ! ومرة أخرى : إذا مؤمنة أطاعت ربَها فلَزِمَتُ بيتَها فلا تخرج منه إلاَ لحاجة ، وإذا خرجت أدْفَتْ عليها جِلْبَابَها فسترت مواضع الزِّينة من جسدها امتثالاً لقول ربّها تعالى ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ [(٢)] يقال لها إنك قيَّدتِ المباح ، وحرَّمتِ الطيبات وأىّ الطيبات فى وجه المرأة إلا تكون النَظر إليه ، والتلذذ بمظاهر الزينة فيه من كحل ، وأحمر وغيرهما . آهٍ ، ثم آهٍ ، والله لأتوجَّع من هذه الْحَمْلَة على السَّتْر والحياء ، والطهر والصفاء ، من دعاة السُفور ، والخلاعة ، والتَّهتّك إرضاءً لأهل الكفر ، حتى لا يقولوا لهمّ إنكم متزمِّتون جامدون غير متحررين ! ! !

القاعدة العاشرة : قولك : وجوب الإذعان للحقِّ عند التيقّن من ظهور الدليل .

هذه القاعدة ثابتة ومتينة وما هناك حاجة إلى أن تُورِدَ عليها أكثر من عشرين آية وعشرين حديثا صحيحا لتُثبِّتَهَا ، وكان يكفى فى تَثْبيتها آية ﴿ **وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيرَةُ مِنْ أمْرِهم** ﴾ [(٣)] وحديث (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) [(٤)] .

ولكنك بحكم أنّك تريد أن تُحقَّ الباطلَ و تُبّطلَ الحَقَّ تكثر من الصَّخب ، والضّجيج ، وإثارة الغُبَارِ للتّعمية والتَّغطية . إذ الغاية تَهدِفُ إليها هى تحريم سَتْرِ وجوه النساء عن الرجال الأجانب ، لينتهِيَ الحجابُ ولا يبقى له وجود فى ديار المسلمين لتُصبِحَ كديار اليهود والنصارى ـ عياذاً بالله من ذلك .

ولأُغيظَكَ يادكتور لأنّك أغظتنا ؛ أذكر لك أنَّ القرطبى ذكر فى تفسيره : أنّ أحد

---

(١) النور / ٣١ . (٢) الأحزاب / ٥٩ . (٣) الأحزاب / ٣٦ .

(٤) رواه الإمام مسلم (١٣٢/٥) ورواه الإمام البخارى (٢٨/٣) بلفظ « من أحدث في أمرنا هذا ما انظر .....

معاصريه دخل مدينة طرابلس الشَّام ، وأقام بها أربعة أشهر لم يَرَ فيها امرأةً قط ، وأنا دخلت مدينة عرعر شمال الحجاز ، وأقمت فيها ثلاثاً / والله ما رأيتُ فيها امرأةً في شارع ، ولا دُكّان قطّ ، والطائفة الإ باضية بالجزائر / والله لقد عشتُ بالجزائر قرابة الثلاثين سنةً ما رأيت امرأة إباضية قط ؛ وإن نساء الصحابة ، والتابعين ، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يومنا هذا لا يخرجن إلا ليلا ، ومن خرجت نهاراً لحاجة ماسَّة خرجت متخمرة مُغَطَّاة الوجه ، اللهم إلا أن تكون من القواعد اللائي أُذن لهنّ في الخروج بدون خُمرَ في قوله تعالى من سورة النور ﴿ **والقواعد من النّساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهنّ جُنَاحٌ أن يضعن ثِيابَهن غيرَ متبرِّجاتٍ بزينةٍ وأن يَسْتَعْفِفْنَ خير لهن** ﴾ [(١)] ولم يقف عالم من الصحابة ، ولا التابعين ولا مَن تبعهم إلى اليوم ويقول : يا نساء المؤمنات اكشفن وجوهكم للرِّجال الأجانب فإنَّ تغطيتها حرامٌ اللهم إلا أنت يادكتور .

فهل يعقل أن تَستَهينَ بعلم ، وعَقْلٍ ، وصَلاَحِ كلِّ أمّة الإسلام ، وتكبر من علمك وعقلك ، وصلاحك يادكتور ، فتقول بتحريم النقاب اللّهم لا ، لا . فإن تحريم ما أحل الله كفرٌ ، وإبطالَ ما شرع الله كفرٌ ، وما دمت قد رضيت بالكفر فلك ما رضيت ! ! والمسلمون براء منك ومن كفرك يادكتور .

النصوص

بعد هدم القواعد فإلى تحليل النصوص

النص الأول : قول الله تعالى : ﴿ **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سَوءاتِكم وريْشاً ولِبَاسُ التَّقْوى ذلك خيرٌ** ﴾ الآية من سورة الأعراف [(٢)] .

إنَّ الآية الكريمة تذكّر النَّاس مؤمِنَهم وكافِرَهم بنعمةٍ الله تعالي عليهم بما أنزل عليهم من خزائن رحمته من أنواع الملابس لسَتْرِ عوْراتِهم ، وتجميل أبدانهم ، إنَّ الرِّياش ماكان من اللّباس للزّينة والتجميل .

وهنا نتساءل : ما دلالة الآية على تحريم سَتْر الوجه عن الأجانب ؟

والجواب : إن كانت هناك دلالةٌ فإنها في مشروعية تغطية ما يسئُ العَبْدَ النظرُ إليه ، لأنّ لفظ السَّوْءة كلفظ العَوْرة كما أنّ قوله تعالى ﴿ **ولباس التقوى ذلك خير** ﴾ [(٣)] فيه

---

(١) النور / ٦٠ .

(٢ ، ٣) الآية / ٢٦ .

إشارة إلى أنَّ ستر محاسن المرأة عن الأجانب من لباس التقوى إذ بتغطية زينتها عن الأجانب من التقوى التى أمر الله بها فى قوله ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله** ﴾ (١) وسبحان الله كيف جعل الدكتور هذه الآية نصا على تحريم ستر الوجه عن الأجانب والله إنَّ أمر هذا الدكتور لَعَجَبٌ ! !

النص الثانى : قول الله تعالى : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهنّ من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ** ﴾ (٢) من سورة الأحزاب .

هذه الآية الكريمة نصٌ فى وجوب الحجاب فعكسها الدكتور فجعلها نصاً فى تحريم الحجاب ، وكلُّ اعتماده فى تقرير باطله على أن الآية خاصّة بأمهات المؤمنين ، أما نساء المؤمنين فلْيَدْخُلْ عليهنّ البَارُّ والفاجر ، ولْيُخَاطِبُهنّ كفاحا وجهاً لوْجهٍ ... بلا ستار حاجب ؛ ولا باب ، ولا نقاب ، وهو هنا إما أن يقول : المؤمنون كنسائهم لا يخشى عليهم فساد القلب وتلوثه بالنظر والمخاطبة لأن نساء المؤمنين أكثر عصمة من نساء النبى ﷺ فلذا فرض الله الحجاب عليهنّ دون نساء المؤمنين وهذه زلةٌ من زلها خسر دنيا وأخرى .

وإما أن يقول : إن الحجاب ضُرِب على نساء النبى تضييقاً عليهنّ ؛ وعلى النّبى زوجِهن ؛ وأما المؤمنون ونساؤهم فقد وسَّع الله تعالى عليهم لقربهم منه وعظَم شأنهم عنده ، فلذا لم يفرض الحجاب على نسائهم فلْتَخْرُج المؤمنة كاشفةَ الوجه وعلى وجهها زينتُه ، ولْيَدْخُلُ الفحلُ دار أخيهِ ؛ ويُخَاطِب امرأته وجهاً لوجه .. إذ القلوب طاهرةٌ ، ولها مناعة خاصّة فلا يُخشَى معها أدنى ريبةٍ ما دامت ساترة لبدنها دون وجهها وكفيها .

ولنسأل قارئَ هذه الرسالة : أليس الدكتور قد زلت قدمُه فى هذه كما زلَّت فى غيرها من الآيات وبَطَلَ عملُه ودعواه ! ؟ ؟

النص الثالث : قوله تعالى : ﴿ **يأيها النّبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساءِ المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ وكان الله غفورا رحيما** ﴾ (٣) .

هذه الآية نصّ فى تغطية المرأة المسلمة وجْهَهَا ، وذلك بإدناء الجلباب ، أو الخمار على الرأس حتى يَستُر الوجه ، والعنق ، والجيب ، وأكبرُ دليلٍ على صحة هذا أن نساء النّبىّ ﷺ اللائى يعترف الدكتور بحجبهن ، وأن الحجاب مقصورٌ عليهن قد ذكرن مع

---

(١) البقرة / ٢٧٨ ، والمائدة / ٣٥ ، والتوبة / ١١٩ ، والأحزاب / ٧٠ .

(٢) الأحزاب / ٥٣ .

(٣) الأحزاب / ٥٩ .

بنات النبى ﷺ ونساء المؤمنين فإذا لم تفسر إدناء الجلباب على الوجوه لتغطيتها فقد جعلنا أمر الله متناقضاً حيث فرض الحجاب على نساء النبى ﷺ ومنع أن يرى الأجنبىّ وجوههن حتى إذا سألهنّ شيئاً سألهنّ من وراء حجاب فى آية الحجاب ، وفى هذه الآية أذن لهن أن يكشفن عن وجوههن إذا خرجن للشوارع لقضاء حاجة تطلبت خروجهنّ إذا عرفت هذا أيها القارئ الكريم فاعلم أن دكتورنا قد ركض فى هذه الآية ركْضاً عجيباً حيث سوّدَ لها إحدى عشرة صفحة ليسخّر الآية لباطله فيحرّم سَتْرَ الوجه الذى أمر الله تعالى به فى هذه الآية وغيرها .

مع أنّ الآية دلالتها على سَتْرِ الوجْهِ ظاهرة حتى إنّ غيرَ واحدٍ من الصَّحابة، والتابعين فسَّر إدناء الجِلباب بتغطيةِ الوجه ، وإبْدَاءِ عَيْنٍ واحدةٍ ، وها هو ذا ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه يروون رحمهم الله تعالى عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال : أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطّين وجوههن من فوق رؤوسِهن بالجَلاَبيب ، ويبدين عنياً واحدة .

وبهذا التفسير قال قتادة وَعَبيدة السَّلْمانى ، وقاله الواحدى ، والقرطبى ، وأبو حيان من المفسرين رحمهم الله أجمعين .

وما هناك حاجة إلى سَوْقِ الأدلة فالآية نص صريحٌ فى تغْطِيةِ المسلمةِ وجْهَهَا إذا خرجت للشّوارع إلا أن تكون قاعداً ، إذْ ذكر نساء الرسول ونساء المؤمنين دالٌ دلالةً قطعيةً أن بنات الرسول ، ونساء المؤمنين كذلك مأمورات بستر الوجه عن الرجال الأجانب ، وبطلت فرية الدكتور .. وإلى نّص آخر من نصوصه لتَظْهرَ خِداعَه وتضليله فيه .

النص الرابع : قوله تعالى : ﴿ **ولا يُبْدِينَ زينتَهُنَّ إلا ما ظَهَر منها ولْيَضْرِبْنَ بخُمُرِهِنّ على جُيُوبِهنّ** ﴾ (من سورة النور) [1] .

استدلّ الدكتور بهذه الآية على تحريم سَتْرِ الوجه بالنِّقاب أو غيره ، ووالله الذى لا إله غيرُه ما دلَّت هذه الآية على ما استدل عليه الدكتور من تحريم سَتْر الوجه لا من قريب ولا من بعيد ؛ إن معنى الآية هو أنَّ الله تعالى نهى المؤمنات كلَّ المؤمنات عن إبْداء زينتهن للرجال الأجانب واستثنى تعالى ما لا تطيق المؤمنة ستره لأنه فوق طاقتِها ، ولا يكلِّف الله نفساً إلا وسعها ، وذلك كالثياب الظَّاهرة مثل الخِمار الجميل الذى تضعه على رأسها فتستر به رأسها ووجهَهَا وعنقها ، ومثلَ الدرْع السابغ الطويل الحَسَنِ اللونِ ، الجميلِ الشَّكْلِ والصورةِ تَسْتَتِرُ به كل جِسْمِها وقوله تعالى : ﴿ **وليضربن بخُمُرِهنَّ على جيُوبِهنَّ** ﴾ [2] ، أمرٌ منه تعالى للمؤمنات أن يُطِلْن الخمَار حتى يغطىَ الرأس ومنه الوجـه ، ويُغَطِى العُنُقَ والجَيْـبُ : هو شِقّ الثّوب على الصَّدْر ، إذ لا بد أن يكون الدّرع ، والثوبُ مشقوقا حتى تُدْخِله المرأة فى رأسها ، وتنزله حتى تستر به جِسْمها كلَّه ، فذلك الشّق يكون طويلا عادةً فإذا لم تَضرِب عليه بالخمار انكشف بعضُ صَدْرِها . وهىِ مأمورة بسَتْرِ كلِّ جسدها حتى قدميها عن الرِّجال الأجانب .

هذا معنى الآية الكريمة ، فأين دليلها على كَشْفِ الوَجْهِ ؛ وكيف يستدلّ الدكتور بها على تحريم ستر الوجه بالنقاب وغيره ؟ ؟ اللهم إنَّ أَمرَ هذا الدكتور لَعَجَبٌ ! !

إنّه قد ركض فى البحث عن دليل تحريم ستر الوَجْه فى هذه الآية حتى سوَّدَ ثمانِ صفحاتٍ ، وخرج صفر الكَفّين ، وعاد بخُفَى حُنَين ،

النص الخامس : قوله تعالى ﴿ **والذين يُتَوفَّونَ منكم ويَذَرُونَ أزواجاً يتربَصْنَ بأنفسهنَ أربعةَ أشهرٍ وعشراً فإذا بلَغْنَ أجلَهُنَ فلا جُناح عليكم فيما فعلَنَ فىِ أنفسهِنَّ بالمعروف والله بما تعملون خبير** ﴾ (سورة البقرة) [3] .

هذه الآية نصٌ فى بيان عِدَّة المُتوفى عنها زوجُها وهى أربعة أشهر وعشر ليال ، مع الامتناع عن أنواع الزينة كالكحل والحِنَّاء وغيرهما . ومن قوله تعالى ﴿ **فلا جناع عليكم فيما فعلن فى أنفسهن** ﴾ أخذ دليل تحريم النقاب وسبحان الله كيف استنبط هـذا الدليـل الذى لـم يسبقه إليه أحد قط ! !

(١ ، ٢) الآية / ٣١ .

(٣) الآية / ٢٤٠ .

إنّه يقول ما دام أذِن الله تعالى لها بعد انقضاء العدة فى أن تتزين بمثل الكحل ، والخضاب بالحناء ولبس الخاتم والقلائد ، والأقراط ، والأساور ، أى بكل ما كان ممنوعاً بالإِحُداد من أنواع الزينة الظاهرة ، والباطنة لتتعرَّض للخطَّاب كى تتزوج مستشهداً بقول ابن عباس الذى أورده ابن كثير وهو قوله : « فإذا انقضت عِدَّتُها فلا جناع عليها أن تتزين وتتصنع وتتعرَّض للتزويج فذلك المعروف » .

فابن عباس رضى الله عنهما قال فلا جناح عليها أن تتزين ، وتتصنع وتتعرض للتزويج فذلك المعروف ، فوالله الذى لا إله غيره ما أراد ابن عباس بقوله « وتتعرض للتزويج » أنها تتزين وتتصنَّع وتخرج للشوارع كاشفة عن زينتها فى وجهها وعنقها وصدرها تُلْفِتَ نَظَرَ الرجال إليها ، وتَغَريهم بزينتها ، ودلالها ليتزوجوها ، إذ هذا لا تفعله إلا عَاهِرٌ ، وهذا الذى أراده الدكتور ، وادعى أنَّه استنبطه من الآية .

إنَّ الله أذِنَ للمؤمنة إذا انتهت عِدَّتُها أن تعود إلى ما كان مباحاً لها من أنواع الزينة قبل الإِحْدَاد فتتزين فى بيتها ويأتيها الخطاب للتزوج بها ، فمنهم من يَبْعَثُ بِأُمِّه ومنهم من يَبَعَث بأختهِ تَخْطبُها له ، ومَنْ أراد أن ينظر إليها فليأتها فى بيتها وهو جالس مع وليِّها ، فتمر بين يديه فيرى وجهَهَا وطولَها وقِصرَها وبياضها أو سوادها لا أنها تتزين وتخرج للشوارع ليراها الرجال فيخطبونها إن هذا والله ما دلَّت عليه الآية ولا عملته امرأةٌ مؤمنةً صحابية ولا تابعيةٌ قط .

إذ لا تتزين وتخرج إلى الشوارع ، والمسارح ليراها الرجال إلا عَاهِرٌ ، والإسلام ما جاء لينشر العُهرَ ، والزنَى ، والخُبث وإنما لِنَشْرِ العِفةِ و الطُهُرِ والصفاء .

النص السادس : ما رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما « أنَّ امرأة من خَثْعم استفت رسولَ الله ﷺ فى حجة الوداع يوم النحر والفضل ابن عباس رديف رسول الله ﷺ(1) وكان الفضل رجلا وضيئا(2) ... الحديث(3) وفى نصه ، « فأخذ الفضل بن عباس يَلْتَفِتُ إليها ، وكانت امرأةً حسناء ، وتنظر إليه فأخذ رسولُ الله ﷺ بذقن الفضل فحوَّل وجهه من الشِّقِّ الآخر...» الحديث(4) .

هذا أقوى نص عند الدكتور قى تحريم النقاب ، ووالله الذى لا إله غيره ما فى هذا

---

(1) أى راكبًا الدابة خلف النبى ﷺ . (2) الوضاءة : الجمال والحسن والنظافة .

(3) الحديث فى صحيح البخارى (٥/٢٢٢) ، وصحيح مسلم (٤/١٠١) .

(4) هذا لفظ الإمام النسائى رحمه الله تعالى (٥/٩٠) .

الحديث أدنى دليل على تحريم النقاب إلا فى حال الإحْرَام فقط . هذا أولا .

وثانيا : قد ردَّ هذه الشبهة التى تعلق بها الدكتور محرِّم النقاب كبارُ العلماء كالحافظ ابن حجر فى الفتح فقد قال فى صفحة ٦٨ الجزء الرابع مشيرا إلى هذا الحديث قال : « ويقرب ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى بإسناد قوى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن الفضل ابن عباس قال : كنت رديف النبى ﷺ وأعرابى معه بنت حسناء فجعل الأعرابى يعرضها لرسول الله ﷺ برأس رجاء أن يتزوجها وجعلت ألتفت إليها ويأخذ رسول الله ﷺ برأسى فيَلْويه ، فكان يلبى حتى رمى «جمرة العقبة » ثم قال الحافظ فعلى قول الشابة « إن أبى » لعلّها أرادت جدَّها ؟ لأنَّ أباها كان معها ، وكأنه أمرها أن تسأل النبى ﷺ ليسمع كلامها ، ويراها رجاء أن يتزوجها (١)

وثالثا: ما دام الرجل يعرض ابنته على رسول الله ﷺ رجاء أن يتزوجها فإن الاستدلال على كشف الوجه باطل لأن الرسول ﷺ أذن بل رَغَّب الخاطب أن ينْظر إلى وجه مخطوبته فى غير حديث .

ورابعا : قول الفضل فكان يلبى حتى رمَى جمرة العقبة دالٌ على أنَّ سؤالَ المرأة كان فى مزدلفة بعد صلاة الصُبْح ، وفى هذه السّاعة كانت المرأة محرمة إذ التَّحلل يكون بعد رمى الجمرة ، ونحر ما ينحر ، لا سيما وقد ورد فى ألفاظ هذا الحديث النصِ على أنه كان فى مزدلفة . ورواية يوم النحر لا تنافى هذا إذ يوم النَّحر يبتدئ من صلاة الصُّبح بالمزدلفة .

وخامسا : لَىُّ رسولِ الله ﷺ رأسَ أو ذقن الفضل حتى لا ينظر إلى الشابة كافٍ فى الدِّلالة على عدم جواز النَّظر إلى وجوه النّساء من غير القواعد والمحارم ، وكيف وقد أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وهو مستلزمٌ لحرمة النظر إلا من ضرورة كالخِطْبةِ والشهادة ؛ والمرضِ ونحوِ هذا ، (٢) .

وهنا نقول للدكتور ، إذا كشف النّساء عن وجوههن ، وخرجن إلى الشوارع ، واختلطن بالرجال فى كل مكان كما هو مشاهَدَ فى الديار المصرية وغيرها . هل فى الإمكان أن يطاع الله تعالى فى أمره بغضّ البصر من الرجل والمرأة ؟ والجواب : لا إمكان أبدا إلا باتخاذ إجراء فعَّال ؛ وهو منع النساء من الخروج من البيوت إلا لضرورة ومَنْ

---

(١) انظر فتح البارى (٦٨/٤) المكتبة السلفية .

(٢) ولو كانت المرأة فى عهد الرسول ﷺ تكشف عن وجهها لما احتاج الأمر إلى إذن ......

خرجت لضرورة فلتُدلِ خمارها على وجهها حتى لا ينظر إليها الرجال ، وبهذا الإجراء أمر الله تعالى ورسوله ، ولكنَّ الدكتور أراد أن يحقق رغبةَ دُعاة السُّفُور ، والعُهر ، والفجور فجاء يقعد القواعد . . ويجلب النصوص ، ويلوى أعناقها ليُحقِقَ لهم هدفَهم فى كشف وجوه النساء المفضى قطعاً إلى كشف كلِّ شيءٍ إلا السَّوءات كما هو الواقع فى بلاد كَشَفَ النسَاء فيها عن وجوههن ، وكفى بالواقع شاهدًا ودليلاً .

النص السابع : ما أخرجه البخارى ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه « أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت » يارسول الله جئت لأهب لك نفسى ، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعَد النَّظر إليها وصَوَّبه ثم طَأطأ رأسَه ، فلما رأت أنَّه لم يَقْصد فيها شيئا جلست »[1] الحديث هذا الحديث هو سابع أدلة الدكتور ، وقد قال أهل العلم فى هذا الحديث ما يُبطل الاحتجاج به على كَشْف وجهِ المرأةِ المسلمة ، وإبداء زينتها لغير محارمها ، ويكفى فى رد زعم الدكتور أنَّ هذا نصٌّ فى تحريم النقِّاب أن نقول : ــ إن هذه المرأة المؤمنة جاءت لتهب نفسها لرسول الله ﷺ إذ أباح الله تعالى له ذلك فى قوله ﴿ **وامرأةً مؤمنةً إنْ وهبت نفسها للنبى إنْ أراد النبى أنْ يَستنْكِحَهَا خالصةً لك من دون المؤمنين** ﴾[2] فكان ولا بدّ أن تأتىَ إلى رسول الله ﷺ وتكشف عن وجهها له ليراها ، شأنها معه شأنُ الخاطب مع من يخطب من النساء ، إذ قال عليه الصلاة والسلام للمغيرة ابن شعبة « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما »[3] ، والبخارى بوّب لهذه المسألة فقال باب النظر إلى المرأة قبل التزويج ، ولذا نظر الرسول ﷺ إلى الواهبة نفسها ، وصعَّد النظر وصوبه ليتأكد من رؤيته لها وهى قائمة فعرفها معرفة تامة ، فهل يا عقلاء المسلمين يصح أن تكون هذه الحادثة دليلاً على حرمة النقاب ، ووجوب كشفِ وجوه النساء لغير المحارم أو ضرورة ؟ ؟ اللهم لا ، لا ولا يقول بهذا إلا مفتون والعياذ بالله .

النص الثامن : ما أخرجه مسلم والنسائى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد ، فبدأ بالصلاة قبل الخُطْبة بغير أذان ولا إقامة ، ثم قام متوكّئاً على بلال ، فأمر بتقوى الله ، وحث على طاعته ، ووعظ الناس ، وذكَّرهم ، ثم مضى حتى أتى النّساء فوعظهنَّ وذكرهن فقال « تصدقن فإن أكثركن حطبُ جهنم » فقامت امرأة من سِطَة النســاء سَفْعَاء الخدين فقالت : لِمَ يا رسـول الله ؟

---

(١) البخارى (٧ / ٤٨) ومسلم (٤ / ١٤٣) .   (٢) الأحزاب / ٥٠ .

(٣) أى أحرى أن تدوم المودة بينكما ، والحديث رواه الترمذى (٣ / ٣٨٨) ، والنسائي (٦/٥٧) ، وأحمد (٤ / ٢٤٥ ، ٢٤٩) وابن ماجة (١ / ٥٩٩) ، والدارمى (٢ / ٥٩) .

قال : « لأنكنّ تُكثِرن الشَّكَاة وتَكفُرْن العَشِير » قال : فجعلن يتصدَّقن من حُلِيَهن يُلْقِينَ فى ثوب بلال من أقراطهنَ وخواتمهن ... الحديث [1] .

هذا الحديث فِرح به الدكتور فرحًا عجيباً حتى كاد يطير من الفرح لأنّه فى نظره يسوغ له قضاءه بحرمة النّقاب الذى لم يقل به أحدٌ غيره قط .

ومحل الشاهد من الحديث هو قول بلال : فقامت امرأة من سِطَة النساء سفعَاء الخدين . وقبل أن نبطل باطل الدكتور فى هذا الحديث أذكر أنّ لفظ (من سطة النساء) قد انفرد بة الإمام المسلم رحمه الله تعالى ، وقد يكون وقع فيه تصحيف من النساخ والله أعلم ، والحديث رواه أحمد ، والنسائى ، والدارمى ، والبيهقى ، وابن أبى شيبة كلهم رووه بلفظ من سفلة النساء « بدل » سطة النساء [2] من عليتهن أومن وسطهن ، وما دام لفظ سطة انفرد بها مسلم مخالف كافة رواة الحديث فإن لفظ سفلة النساء هو الصواب ـ والله أعلم .

هذا ونعود إلى إبطال دليل الدكتور على حرمة سَتْر النساء وجوههن عن الرجال ، فنقول ، إن هذه المرأة التى قامت وقالت ما قالت : وصفها بلال بأنها سفعاء الخدين من الجائز أن تكون :

١ـ أمةً وليست بحرة ، والإماء غير مأمورات بستر وجوههن بالكتاب والسنة .

٢ ـ قاعد من قواعد النساء المأذون لهّن بكشف وجوههن أمام الأجانب .

٣ ـ قد سقط خمارها لما قامت وتحركت منفعلةً .

٤ـ قبل فرض الحجاب إذ صلاة العيد شُرِعت فى السنة الثانية من الهجرة ، وفرض الحجاب فى نساء المؤمنين الحرائر دون الإماء كان فى السنة السادسة .

فهذه أربع احتمالات وكلها واردةً فكيف يصح معها دعوى جواز كشف وجوه النساء للأجانب مع عدم الضرورة ؟ والدكتور لم يقل بجواز الكشف مع أمنِ الفتنة ، بل يقول بحرمة الستر والعياذ بالله تعالى .

النَّص التَّاسع : ما أخرجه البخارى [3] وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت :

---

(١) رواه مسلم (٣ / ١٦) والنسائى (٣ / ١٥٢) والدارمى (١ / ٣١٦) وأحمد (٣ / ٣١٨) .

(٢ ، ٣) الحديث في صحيح البخارى (٦ / ١٣٦) .

« يرحم الله نساء المهاجرين الأول لما أنزل ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ شققن مُرُوطهنّ فاختمرنَ بها . وفي إحدى الروايات أخذن أُزُرَهنَّ فشقَقْنها من قبل الحَواش فاختمرنَ بها » .

لقد ركض الدكتور في الاستدلال على كشف وجه المرأة الحرة التي ليست من قواعد النساء في أكثرمن ثمان صفحات ، مع أنَّ النص يدلّ بوضوح على طلب العفه ، والحياء ، والطهر ، والصّفاء ، إذ أمر الله المؤمنات بضرب الخُمُر على الجيوب طلباً للسّتْر ، والعِفةِ والحَياءِ وقد امتثل المؤمناتُ أمر ربّهن وأثنت عليهن أم المؤمنين بذلك .

والدكتور يرى أن ضرب الخُمُر على الجيوب لا يستلزم سَتْرَ الوجْهِ ، وفاته أنَّ تمام الآية الكريمة هو : ﴿ **ولا يبدين زينَتَهِنَّ إلا لبعولتهن أو آبائِهنَّ** - إلى قوله تعالى - **ولا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهُنَّ** ﴾ [1] فما هي الزينةُ التي أُمر المؤمناتُ بعدم إبدائها ؟ إنَّها الكُحْلَ في العينين ، والأبيض في الخدين ، والأحمر في الشّفَتين ، والقَرّطُ في الأذنين ، والسَخابُ في الجيدُ [2] ، و الخاتم في الأصبع ، والسِّوار في المِعْصَم ، والخِضَابُ في الكفين ؛ والخُلْخَال في الرجلين هذا الذي دلَّ عليه القرآنُ ، والعُرْفَ وقال به أئمة الإسلام من ابن عباس وابن مسعود إلى يومنا هذا . ورفضه الدكتور بكلِّ شِدَّة وعُنفٍ ليفتحَ لنساء المؤمنين بابَ السفور والتبرج على مصراعَيْه كأن لم يَشْفِ صَدْرَه ما عليه أكثر نساء العالم الإسلامي من السُفور ، والتبرج ، والاختلاط بالرجال في كل مكان ، حتى لكأن رِدَةَ اجتاحت العالمَ الإسلامي والعِيَاذُ بالله تعالى . إن الدكتور لو قال بما قال به دعاة السّفور : وهو أنه لا بأس بكشف المرأة وجْهها إذا أُمِنَتِ الفتنةُ لهان الأمر، ولكنه جاء بِبِدعٍ من الأمر ، وهو أنَّ كشف الوجه واجبٌ وستره حرام ... إنه لم يَسْبِقْه إلى هذا القول إلا إبليس فيما أعلم ، إذ هو القائل ﴿ **لأُزَيِنَنّ لهم فِي الأرض ولأغْوِينَّهم أجمعين** ﴾ [3] .

النَّص العاشر : ما أخرجه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت « كنّ نساءُ المؤمناتِ يَشهدن مع النبى ﷺ صلاةَ الفَجرمتَلَفِّعاتٍ بمُروطِهن ثم ينقلبنْ إلى بيوتِهنّ حين يَقْضِين الصَّلاة لا يعرفن من الغَلَس » الحديث [4] دلالة هذا الحديث الصحيح على ما يلى واضحة وهى :

---

(١) النور / ٣١ . (٢) الجيد : العنق . (٣) الحجر / ٣٩ .

(٤) الحديث فى صحيح البخارى (٢٤٣/١) ، ومسلم (١١٨/٢) - والغلس : ظلمة آخر الليل اذا اختلطت بضوء الصباح وذلك عند الفجر .

١ـ مشروعية حضور نساء المؤمنين صلاة الصبح لفراغهن في هذا الوقت ، ووجود ظلام ساتر لا يتحرَّجن معه من رؤية الرَجال لهنّ .

٢ـ اجتهاد المرأة المسلمة فى طلب السَتْر بحيث تتلفف فى مِرُطها حتى لا يبدو من جسمها شئٌ .

٣ـ عدمُ رغبة النساء المؤمنين في الخروج إلى الصلاة بالنهار وذلك لحيائهنّ وتقواهن لله تعالى .

والآن أخبرنى يادكتور عن دلالة الحديث على تحريم النقاب الذى هو سَتْرُ وَجْهِ المرأةِ المسلمة عن الرجال الأجانب .

إنك قلت ، إن الحديث دالّ على أنَّ المانع من معرفة النساء لبعضهنَّ هو الظّلام ولا تكون المعرفة إلا بالوجوه ، وهى مكشوفة فدل على أنّ الوجوه لم يكن عليها أىَّ نَوعٍ من الغِطَاءِ .

عجبا لاستنباطِك دليلَ حُرَّمةَ النقَابِ من هذا الحديث ؛ إنَّك والله لو لم تكن صاحبَ هوىَ لما رأيت هذا الرأى ، ولا قلت به أبداً ؛ ؛ ؛

إنَّ نساء المؤمنين ـ على فرضِ أنه لم يكن على وجوههنّ ما يسترها ـ فإنَّ اختيارهنّ لصلاة الصبُح بالذات دالٌ دلالةً قطعيةً على رغبتهنَّ فى عدم رؤيةِ الرجالِ لهنَّ وقول الصدَّيقة رضى الله عنها « ما يعرفن من الغَلَس دلالة على اختيارهن لهذا الوقت من أجل إذا انصرفن عائدات إلى بيوتهن ، فلوكان كشف الوجه ليس مطلوبا ، ولا واجباً ، ولا مشروعاً لم يرغبن فى الخروج فى الظلام ، والظلام لا يستر الجسم الملفوف فى المروط ، ولا يقوى عليه وإنما يستر الوجه المكشوف . ياعباد الله أفْهمُوا دكتوركم أنَّ حرمة ستر الوجه ووجوب كَشْفِه للرّجال الأجانب ليس من دين الله في شئ ، وإنما هومن دعوة الماسونية لنشر الخلاعة ، والدعارة ، والفجورِ ، فما حيل هذا الدكتور على أن يكون فى صفّ دعاة السَّفور ؟ ؟

النَّص الحادى عشر : ما أخرجه الحاكم فى مستدركه بسنده الصحيح عن زكريا ابن عدي عن على بن مُسهِر عن هشام بن عُروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها وعن أبيها ، قالت « كنا نُغطّى وجُوُهنا من الرجال ، وكنا نمتشط قبلَ ذلك فى الإحرام » ، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

يخرجاه [١] إن الدكتور قد ركض فى استنباط تحريم النقاب ، وسَتّر وجه المرأة المسلمة عن الأجانب من هذا النَّص فى أكثر من ثمان صفحات . وخرج صفّرْ الكفين بعد أن عاب علماء السنَّةِ ، وسَخِر منهم ، واستهزأ بهم لأنّهم لم يفهموا من هذا النَّص تحريم سَتْرِ وجْهِ المرأة عن الرجَال الأَجانب ! ! !

ومن عجيب ركض الدكتور أنه صحح حديث النَّص وعقب بأُنه صحيح على شرط مسلـم فقط لا علـى شرط الشيخين كما قـال الحاكم مخرجُه ومصححه [٢] . ثم ألغى صحته حيث استشهد أهلُ السنَّة على سَتّرِ وجه المرأة به ، ومن أعجب ركضه. أنه استشهد بحديث البخارى [٣] وهو: « لا تنتقب المرأة المحرمة ، ولا تلبس القفازين ليُبْطِلَ به حديث الحاكم . ولم يدر أنه قطع عنقه حيث قرر حديثا يدلُّ بفحواه على أنَّ المؤمنات كنَّ ينتقبن ، فنهاهنَّ رسول الله ﷺ عن الانتقاب حال الإحرام ، فلو لم يكن النقاب مشروعاً شائعاً بين نـساء المؤمنين لستر وجوههنَّ عن الرجال الأجانب لما قال رسول الله ﷺ لا تنتقب المحرمة ، « وإلا كان كلامه لاغياً لا معنى له ، وهذا ينزه عنه رسول الله ﷺ ، وأخيراً ، وبدون إطالة نقولُ إنَّ دعوى تحريم النّقاب على المؤمنات غير المحرمات لستر وجوههنَّ عن الرّجال دعوى باطلة لم يقل بها عالم من علماء المسلمين منذ عهد النُبوة إلى اليوم . وهى فتنة هذا الدكتـور الذى جاء يدعو إلى السُفُور ، والفجور بتحريمه النَّقاب ، وسَتْرِ الوجه للمسلمات لتُصَبحَ المسلمةُ كاليهودية ، والنصرانية ، والعياذ باللـه تعالى .

النَّص الثَّانى عشر : ما أخرجه البخارى ومسلم وأحمد عن عطاء بن أبى رباح قال : « قال لى ابن عباس ألا أريك امرأةَ من أهل الجنَّة ؟ قلت بلى ، قال ، هذه المرأة السَّوداء ، أتت النبى ﷺ قالت إنِّى أُصْرَعَ ، وإنى اتكشَّف فادُع الله لى » قال : إن شِئْتِ صبرتِ ولك الجنّة ، وإن شئت دعوتُ الله أن يعافيك فقالت : أصبر .

فقالت : « إنى اتكشَّف فادع الله لى أن لا اتكشّف « فدعا لها ... الحديث [٤] .

إنّى أُناشدُك اللهَ تعالى أيها القارئ الكريم هل هذا الحديث الذى جعله الدكتور النبيل نصا على حُرمة النقاب يَصحُ أن يكون نصّاً فى تحريم النّقاب ؟ ؟ إنّ الدكتور النبيل استنبط

---

(١) المستدرك (١/٤٥٤) ــ ووافقه الذهبى عليه .

(٢) البخارى (٣ / ١٩) . (٣) البخارى (١٩/٣) .

(٤) البخارى (٧ / ١٥٠) ، ومسلم (١٦/٨) ، والمسند (٣٤٧/١) .

من قول ابن عباس هذه المرأة السوداء أنَّ وجهها كان مكشوفا ، و إلا كيف عرف أنها سوداء إنّ نص التحريم يكون بقول الله تعالى ، أو قول رسوله ، لا تفعل ، أو من فعل كذا فله كذا ، وملعون من فعل كذا ...

أمَّا كونُ ابن عباس رضى الله عنهما عرف أنّها سوداء ، فدلَّ ذلك على حرمة ستر الوجه عن الأجانب ، فهذا لا يقوله ذو عقلٍ ، ودينٍ ، وعلم أبداً ، إنَّ المرأة التى عاشت حياةَ رسول الله ﷺ ، والراشدين الأربعة ، وبقيت إلى عصر التَّابعين لن تكون فتاةً تحيضَ وتلدْ أبداً ، فيجبُ عليها أن تغطىَ وجْهها بخمارها لأنها من القواعد اللائى أذن الله تعالى لهنَّ فى أن يضعن ثيابهن هذا أولا ، وثانيا كون ابن عباس عرف أنّها سوداء لا يلزم منه أنها كاشفة عن وجهها إذ قد يسقط خمارها عنها فيرى وجهها أو يرى يدها ، أو رجلها فيعرف أنها سوداء ، لاسيما أن علم ابن عباس من طريق الروايات وقد روى حديث قصتها .

وخلاصة القول : إن هذا النص الذى اعتمده الدكتور الفاضل فى تحريم غطاء الوجه ، وإثم من تَنْتَقِبُ من نساء المؤمنين ، لا يَدَل من قريب وَلا بعيد على تحريم النقاب ، وأتحدَاه أن يعرض هذا النَّص على علماء المسلمين بدءاً من مفتى الدِّيارِ المِصْرية فإن رأوا ما رآه من تحريم النِّقاب ، ووجوبِ كشْفِ وجْه المسلمة للرجال والاجانب فى كل مكان أخْذا من هذا الحديث فله على ما شاء حتى ذبحى ! !

النَّص الثالث عشر : ما أخرجه البيهقى بسند حَسَن عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : « جاءت امرأةٌ إلى سَمُرة بن جندب تذكر أنَّ زوجها لا يَصِلُ إليها فسأل الرَّجل فأنكر ذلك ، وكتب فيه إلى معاوية رضى الله عنه قال : فكتب أنْ زوجْه امرأةً من بيت المال لها حظٌّ من جمال ودين .. قال : ففعل . قال : وجاءت امرأة متقنَّعة ...» الحديث .

هذا هو النص الأخير للدكتور النبيل فى تحريم النّقاب ، ووجوب كشْفِ وجْهِ المرأة المسلمة للرجال الأجانب وقد ركض فى استنباط الدليل فى عشر صفحات كاملة .

واستنباطه كان كالتالى : بما أنَّ معاوية قد كتب إلى عامله سَمُرة بن جندب رضى الله عنه أن زوجه ـ أى الرجل الذى شكته امرأته ـ امرأة لها حظٌ من جمال ودين . ففعل جندب قال الدكتور : فكيف يعرف المرأة الجميلة لو كان نساءُ المؤمنين متحجبات ، ونسى الدكتور أنَّ يعرفها بواسطة امرأة يرسلُ بها إلى بُيُوت المؤمنين ، تَطْلُبُ له امرأةً جميلة ، أو يقوم هو بالبحث والسُؤالِ حتى يجد أهلَ بيت لهم امرأةً يرغبون فى زواجها ، فَتُعْرَض عليه بالطريق المشروع فيراها نيابةً عن الزَّوج . هذا الطريق للحصول على الزوجة الجميلة ذات الدِّين لا يراه الدكتور ، ولا يرغب فى سلوكه وإنّما يرى أنَّ نساءَ المؤمنين فى عهد الصَّحابة ، والتابعين يخرجُن إلى الأسواق ، ويَتَجوَّلْن فى الشَّوارع عارياتٍ ، رائحاتٍ ، كاشفاتِ الوجوه ، متجملاتٍ بأنواع الزّينة فى وُجُوهِهن كعَوَاهِرِ باريس ولندن ، ومن ثَمَّ يمكن لسمرة أن يختار منهنَّ ما يشاء ! ! أعوذ بالله من هذا الفَهْمِ السّقيم ، ولهذا المرضِ الذى أصاب مَنْ فَهِمَ هذا الفَهْم ، ويستدلَّ به على تحريم النَّقاب وستر وجوه النِّساء المؤمنات عن عيون الرجال الأجانب .

هذا ولمَّا كان فى آخر الحديث « وجاءت أمرأة متقَنّعَةٌ » ، ركض طويلاً فى تضعيف الحديث ، ثم جال جولةً أخيرة ليقول : إنَّ المرأة المتقنعة ليس معنى متقنعة أنها ساترةٌ وجهها ، وإنما ساترة رأسها فقط . وبحث عن الكلمة فى قواميس اللغة ، ولم يجد معنى للتقنيع إلا سَتْرَ الرأس فقط ، وعمى عن قول ابن منظور : القناع والمقنعة : ما تتقنع به المرأة من ثوب تغطَّى به رأسهَا ومحاسِنَها » كما تجاهل قول صاحب القاموس : « تقنَّع فلان ـ تغشى بثوب » [(١)، (٢)] .

ونسأل الدكتور الفاضل قائلين : هل المرأة المسلمة فى عهد النّبوة والصَّحابة كانت تخرج حاسرةَ الرَّأس ؟ ولما جاءت هذه المرأة مغطَّاة الرأس تعجَّب المخبر وقال : متقنعة مَدْحاً لها ؟ وثنّاء عليها ؟ ؟

وسؤال آخر : هل خبر عمر رضى الله عنه الذى أورده الدكتور ومفاده : أنَّ عمر رضى الله عنه رأى جاريةً عليها قِناعٌ فضربها بالدِّرَّة ، وقال أَتَتشبْهين بالحرائر ؟ » هل هذا الأمر يدلُّ على أنَّ الإماءَ المؤمنات كنَّ يمشين حاسرات الرؤوس ، والحرائر فقط يُغطِّين رؤوسهن ؟ والجواب : معاذ الله أن يأمر عمر المؤمنة الأمَة بكشف رأسها ، وتمشي بين الناس حاسرة الرأس ليس على رأسها شئ .. إذ الرِّجال يومئذٍ لا يمشون حاسرى الرؤوس

---

(١) لسان العرب (٨/ ٣٠٠) .

(٢) القاموس (٣/ ٧٦) .

إلا حال الإحرام للحجِّ والعمرة ، أو بهما معا ، فكيف يفعله النساء ؟ وعليه فالمرأةُ المقنَّعةُ كانت مغطّاة الرأس وأكثر الوجه ، وليس معنى تقنّعِها أنّها مغطَّاة شعر الرأس والوجه مكشوفٌ . فعمر لم يأذن للإماء أن يغطِّين وجوهَهُنَّ تشبهاً بالحرائر أما الحرائر فلا جدال فى وجوب تغطية وجوههن عن الأجانب لأنَّ زينة المؤمنة أغلبُها فى الوجه كالكحل فى العينين ، والأحمر فى الشفتين ، والأقراط فى الأذنين ، والله قد أمرهنَّ أن لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهنَّ ، ومحارمهن من الآباء والأبناء ، والأخوات ، والأخوال . ومن عجيب ركض الدكتور طلباً للمُحال وهو تحريم الحجاب على غير نساء الرَّسول ﷺ أنه أورد الرواية الآتية ، وصحح سَنَدَها ، وهى عن عاصم الأحول أنّه قال : « كنّا ندخل على حفصة بنت سيرين ، وقد جعلت الجلباب هكذا ، وتنقبت به ، فنقول لها : رحمك الله قال الله تعالى « **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهنّ غير متبرجات بزينةٍ** » [1] . قال فتقول لنا : أىُّ شئ بعد ذلك ؟ فنقول « وأن يستعففن خير لهن » فتقول هو إثبات الحجاب » .

فيقول الدكتور هى رواية صحيحة الإسناد ، لكنَّا نردها شأن غيرها إلى الكتاب والسنَّة فما وافقهما قبلناه وما خالفهما رددناه ، ويتْهم حفصة بالجهل ، وعدم العلم لأنّها أثبتت الحجاب الذى قرره القرآن ، وردَّه الدكتور لهوىً فى نفسه ـ والله أعلم ، إنَّ الآية نَصٌّ فى أنَّ العجائز ليس عليهن حَرَجٌ فى كشف وجوهِهنَّ ولكن بشرط أن لا يظهرن بزينةٍ من كحل ، ولا بودرة ، ولا أحمر ولا حناء ، ولا خواتم ولا أسورة ، ولا أقراط ، وإنَّ هُنَّ بَقِينَ على ستر الوجهِ حتى الموت لكان خيراً لهنَّ ، والذي اختاره الله لهن لن يكون إلا خيراً إذ قال تعالى ﴿ **غيرَ مُتبرِّجاتٍ بزينةٍ وأن يستعفِفْنَ خير لهنّ** ﴾ [2] .

ويرد الدكتور لهذه الآية القطعية الدّلالة فى الحجاب لنساء المؤمنين فقد هدم كل ما بناه بقوله ما وافق الكتاب والسنة قبلناه ، وما خالفهما رددناه إن الكتاب أمر بغض البصر لكلٍّ من الرجال والنساء ولا يتأتّى ذلك إلا بفصل النساء عن الرجال ، وهو الحجاب ، وأمرهن بأن يبدين زينتهن لغير الزَّوج والمحارم ، ولا يَتأَتى ذلك إلا بالحجاب ، وأمرهن بإدناء الجلباب ، وبدأ بأزواج الرَّسول ، وبناته ، وختمَ بالمؤمنات ، وإدناء الجلباب هو إنزاله حتى يستر الوجه ويغطِّى الجيوب ، وبهذه الاية بطل أصل الدكتور الذى بنى عليه وجوبَ كشف وجوه النِّسَاء وحُرْمَةَ تغطيتهِا إذ ردَّد ألف مرَّة أنَّ الحجابَ خاصٌ بنساء النبى ﷺ

---

[1] ، [2] النور ـ ٦٠ .

والآية تنص على نساءِ الرسول وبناته ونساء المؤمنين ، فانهدم أصل الدكتور بقصر الحجاب على نساء الرسول دون سائر المؤمنات ، وإلا فلْيَتَّقِ اللهَ الدكتورُ ، ولْيَرجع إلى الحق ، ويترك المؤمنات يحتجبن طلباً للعفّة خمَّت فيه الدَّنيا وتعفن الكون من رائحةِ العُهْرِ والفُجُور ! !

خاتمة الرّكض فى الباطل

وأخيرا ختم الدكتور الفاضل ركضه فى طلب تحريم سَتْر وجهِ المرأة غير القاعد من نساء المؤمنين بذكر خمس عشرة جملة ، وهذا ذكرها مع بيان بطلانها

١ـ قال التمسك بغير ما ورد فى الكتاب والسنة حرامٌ .

ونقول هذه مغالطة مفضوحة من وجهين :

الأول : إنَّ حجاب المرأة المسلمة ، جاء به الكتاب والسنَّة ومن أنكر الحجاب فى الإسلام فقد كفر لردَّه حُكمَ الله تعالى ، أليس الله تعالى قد أمر نساء المؤمنين بإدناء الجلباب لستر الوجه ، والعنق ، والجيب فى قوله تعالى ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ (١) ؟ وأليس رسول الله ﷺ قد نهى المُحرِمة عن الانتقاب ؟ وبذلك أقرَّ غير المحرمة عليه ؟ أو ليس الله تعالى قد حرَّم على المؤمنات إبداء زينَتَهُنّ على غير الأزواج ، والمحارم فى قوله تعالى ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أباء بعولتهن ... الاية ؟** ﴾ (٢) أليس الله تعالى قد أذِنَ للعجائز المؤمنات فى وضع ثيابهنّ بعدم ستر وجوههن على شرط أن لا يَظْهَرنْ بزينةٍ ، ورغَبهنَّ فى الإبقاء على الخمار السأّتر للوجه فى قوله تعالى ﴿ **والقواعد من النساء اللاتى لا يَرْجُون نكاحاً فليس عليهنّ جناحٌ أن يَضَعْنَ ثيابَهُنّ غيرَ متبرجاتٍ بزينةٍ وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم** ﴾ (٣) .

والثانى : إن التمسك بغير ما ورد فى الكتاب والسنّة حرامٌ إن كان الكتاب والسة قد أمرا أو نهيا ، أما إذا لم يأمرا ولم ينهيا فإنّما قد أباحا ، والمباح حكم شرعى لا ينكره إلا جاهلٌ ، أو كافر ، والمباح هو ما سكت عنه الشارع ، فلو فرضنا أنَّ الشارع لم يأمربستر زينة المرأة ، ولا بإظهارها فبقيت على أصل الإباحة ، فسترت امرأة زينتها على الأجانب

---

(١) الأحزاب /٥٩ .
(٢) النور /٣١ .
(٣) النور / ٦٠ .

خوفاً ، أو حياءً فهل يصح لذى عقل ، ودين أن يحرم ذلك عليها ، ويؤثِّمَها به ؟ اللهم لا ، إلا يكون جاهلاً ، أو كافراً لا يؤمن بالله ورسوله .

٢- قال ومخالفة هدى محمد حرام .

ونقول : وهذه كالأولى مغالطة مفضوحة إذ الرسول ﷺ لم يأمر مؤمنةً بكشف وجهها إلا مخطوبة إذ أذن للخاطب أن ينظر إلى مَنْ يخطبها بحضرة وليها ، أو محرمة بحجّ أو عمرةٍ إذ قال : « لا تنتقب المحرمة » فمن أطاعت ربها ، وسترت زينتها أيقال لها قد خالفت هدى محمد ﷺ فهى آثمةٌ ؟ ؟

عجباً لهذا الدكتور كيف يغالط ، وعلى حساب مَنْ يُغالط ؟ ولصالح من يغالط ؟ إن أمره عجب . . .

٣- قال ومعاندة إجماع الصَّحابة الأفاضل فى فعلهم حرامٌ .

ونقول ؛ وهذه أيضا مغالطة مبنية على كذبة مَقِيتَةٍ وفرية عظيمة على أصحاب رسول الله ﷺ إذ لو قيل للدكتور المغالط : هل كان أبو بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو على أو أى صحابى يمشى فى الشوارع والأسواق وامرأته كاشفةٌ عن وجهها تنظر إلى الرَّجال ، وهم ينظرون إليها كما هى حال الدكتور ، وحال من يهتك السْتر والحجاب لإرضائهم ؟ والجواب نتحدَّى الدكتور أن يأتى بوثيقة من علماء الإسلام تثبتُ أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يمشون فى الأسواق ، والشوارع ونساؤهم إلى جنبهم كاشفاتٌ الوجوه متجملات يراهنَّ الرِّجال ، ويرونهم واللهِ ما استطاع ، ولن يستطيع أن يأتى بمثل هذا المطلوب . وكيف وعمر لم يأذن لزوجته أن تخرج فى الظلام للمسجد لتشهد الصَّلاة مع رسول الله ﷺ ؟ وكيف إذِن يأذن لها أن تخرج كاشفةَ الوجه تجوب الشوارع ، وتغشى الأسواق والدكاكين ، وتجلس فى الحدائق ، والمقاهى للترْفيه ، كما هى حال نساء الدكتور اليوم فى دياره . وأخيرا أين إجماع الصحابة يادكتور على تحريم ستر وجوه نسائهم ؟ إنك تتعمد الكذب على أصحاب رسول الله أمَا تخافُ الله ! !

٤- قال والغلوّ والتكلف ، والتَّشدُد فى الدَّين حرامٌ .

ونقول : وهل طاعة الله ورسوله بحجب النساء والمؤمنات من غير القواعد عن الرجال الأجانب بالستائر ، والأبواب ، والخُمُر ، والنّقاب يقال فيها تكلُّفٌ ، وتشدُدٌ ؛ إنه لا يقول هذا إلا جاهلٌ وماكرٌ ، خادعٌ مُضلِّلٌ يريد إشاعة الفاحشة بين المؤمنين لإفسادهم وخُسْرَانهِم .

٥- قال : والتَّقَوُّلُ على الله تعالى بأنَّه حرَّم شيئاً ولم يحرمه حرامٌ .

ونقول : نعم القَوْلُ على الله بدون علم من أكبر الذنوب لقوله تعالى ، فى بيان أصول المفاسد فى آية الأعراف ﴿ **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ (١) .

ولكنّ القول بحجابِ المؤمنات ، وسترِ زينتِهِنَّ حتى لا يراها الأجانب شرعُ الله وبه أنزل كتابه ، وبعث رسوله ، ومن أنكر ذلك فهو كافرٌ غير مؤمن ، أو جاهلٌ ضالٌّ غير عالم ولا مهتد .

٦ - قال : والإحداث فى أمر الدين ما ليس منه حرامٌ .

ونقول : نعم ، والمنتقبة الساترة محاسنها طاعةً لربها ، وإبقاء على عِفّتها حتى لو كانت قاعداً من قواعد النساء ما أحدثت فى أمر الدين ، بل فعلت ما أُمِرَت به وجاء به دين الإسلام الحنيف .

٧- قال : والعبث فى الأحكام لتعميم الخاصَ دون موجبٍ شرعى حرامٌ ،

قلنا : هذه مغالطة منقوضة إذ تَعْنِى أنَّ الحجاب وسَتْرَ الزينة وعدمَ إظهارها خاصُ بنساء النبى ، فتعميمُ هذا على نساء المؤمنين حرامٌ أما أمةُ الإسلام فنساؤها مأذونٌ لهنَّ أن لا يحتجبن عن الأجانب فَيُبْدِين زينتهنَّ لمن شئن من الرجال ؛ فيمشين فى الشوارع ، والأسواق بجانب الأجانب فى المقاهى ؛ والمنتزهات ؛ كاشفات الوجوه ، مُبْديات الزينة مخالفاتٍ لأمْرِ الله تعالى فى قولـه : ﴿ **ولا يُبْدين زينتهن** ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ **يا أيُّها النّبى قل لأزواجِكَ وبناتِك ونساءِ المؤمنين يُدْنِينَ عليهنّ من جلابيبهن** ﴾ الآية (٣) إذ هذه الآية نص فى أن الحجاب عامٌ وليس خاص بنساء الرسول ﷺ إذ الآية ذكرت أزواجِ النّبىِّ وبناته ونساءِ المؤمنين ، فأين دليل أنَّ الحجاب خاص بنساء الرسول حتى يقال عمَّمتم الخاص ؟ وهو غير جائز ؟ وقد يقول الدكتور : إدناءُ الجلبَاب ليس لازما أن يستر الوجه ، وقد قالها فعلا ، ونحن نقول له : إذا كان الأمر كما قلت فإنَّ نساء النبى ﷺ قد كشفن وجوههن حسب فَهمِكَ الفاسدِ لهذه الآية ، وهذا قد أنكرته مئات المرات بقولك إن النقاب ، وعدم كشف الوجه خاص بنساء النبى ﷺ ، فسبحان الله أين يُذْهبُ بعقل صاحبِ الهوى ، ومرِيْدِ الفتنة والشّر بالمسلمين ؟ ؟ .

٨ - قال : والْتماسُ الهُدَى فى غير المشروع ؛ وفرض عاداتٍ قَبَلِيةٍ قديمة على

---

(١) الآية /٣٣.
(٢) النور / ٣١ .
(٣) الأحزاب / ٥٩ .

المسلمين حرامٌ .

ونقول ، وهل طاعة الله تعالى بتنفيذ أمرِه بالحجاب ، وطلب أسباب البُعْدِ عن الفواحش المدَّمرة للمجتمع الإسلامى ، يعتبر طلبا للهدى فى غير المشروع ؟ ؟

وهل الإبْقَاءُ على النقاب ، والتَّستُّر ، والحياءِ الذى كان فى الجاهلية قبل الإسلام يعتبر فرضا لتلك العادات القديمة ؟ اللهم إنّه لا يقول بهذا إلا جاهلُ أو متُجاهلٌ من أجل إفسادِ المسلمين إذ الإسلام أمر بكلّ فضيلةٍ كانت فى الجاهلية كالصَّدْق والوفاء بالعهد ، والطَّهر ، والحياء ، والكرم ، والشَّجاعةِ ، فكيف لا يُقِرُ النّقابَ ، والتسّترَ ، إنَّ أمر هذا الدكتور والله لعجب !!!

٩- قال : « واتباع غير سبيل المؤمنين » بمخالفة الصحابيات الفاضلاتِ حرام .

ونقول : اتباع غير سبيل المؤمنين ضلالٌ ، ومخالفةَ الصحابيات الفاضلات واجبة إذا خالفن شرع الله ؛ ؛ وأَبْيَنَ اتباع هداه الذى هو الحياء والعفْة ، والطهرَ والبعد عن الزينة وطلبَ تزكيةِ النفس بالإيمان ، وصالح الأعمال ، وحاشا الصحابيات الفاضلات أن يَخرجن إلى الشّوارع والأسواق والمقاهى ؛ والمتنزهات ؛ والشواطئ كاشفاتِ الوُجوه ؛ متحملاتٍ ؛ ليراهنَّ الرْجال الأجانب كسيّدات الدكتور اليوم ، الذى جلب كل ما أمكنه ليبيح للنّساء ما حرَّم الله من الخلاعةِ والسُفُور تحت شعارِ ، الوجهُ ليس بعورة وسترُه غير واجب ، ويااليته قال بعدم الوجوب بل ذهب بعيداً إذ قال بتحريم تغطية الوجه عن الرجال الأجانب فى عصر العُهْر ، والدَّعارة ، والخَنى والزنى ،

إسمع يا دكتور : أقسمُ لك باللهِ ما كان الصحابياتُ يخرجن إلى الأسواق ، والشوارع والمنتزهات كاشفات الوجوه ، مبدياتِ الزّينه للرّجال ، متمردات على الحِجاب الذى فُرِض عليهنّ ما عدا القواعد من النّساء والإماء فلهنّ أن يوجدن فى السُوق وفى الشارع كاشفاتِ الوجوه على شرط أن لا يكون بالوجه زينةٌ من أبيض أو أحمر أو كحل وقد تقدَّم أن تحدَّيتك أن تثبت أنّ امرأة الصديق ، والفاروق ، أو ذى النُورين ، أو على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، كانت تخرج للشوارع صباح مساء لتَجُولَ فى الدكاكين لغير حاجة ، وهى كاشفةٌ عن وجهها ، متجملةٌ كنساء اليوم اللائى وقعن فريسة لمثل فتواك التى حرَّمت بها السَّتْر والحياء وفتحت باب العُهْر على مصراعيه ياللأسف !!!

١٠- قال : والتَّعصُّبَ للأشخاص ، ورفعهم فوق مستوى النُّصوص الشرعية حرامٌ .

ونقول : إنَّ الدكتور يعنى بهذا أن مَنْ قال بما أمر الله به من حجابِ المؤمنات وعدم إبْدَاءِ زينتِهنّ لغير الأزواج ، والمحارم ، قد تعصَّب للأشخاص ، ورفعهم فوق مستوى النَّصوص الشرعية ّ إن هذا من الدكتور ركْضٌ لا طائل تحته ، وإفسادٌ للحِبْر ، والقلم ، وإضاعةٌ للوقت ، ولا يستحقُ رداً لأنَّه كلامٌ باطِلٌ لاع لا معنى له ، لأن طاعة الله فى أمره ونهيه لا يقول فيها عاقل هى تعصب للأشخاص ! !

١١- وقال : والظهور بمظهر ادعاء الفضل والكِبر على المسلمين حرامٌ .

١٢- وقال : والتَّعْسيرُ وعدم التَّيسِير ، والتنفيرُ وعدم التَّيسِير حرامٌ .

١٣- وقال : والصَّدُّ عن سبيل الله وجعل الحَرَج فى الدِّين حرامٌ .

١٤- وقال : والتشبُّه بأهل الكتاب (طوائف من الراهبات يلبس مثل هذا النقاب) حرامٌ .

ونقول : إنَّ ماذكره إزاء هذه الأرقام الأربعة ركضٌ لا معنى له ، ولا يقتضى القول فيه لأنَّ حجاب المؤمنات وظهورهن به إذا خرجن للحاجة الضَّرُورية ليس فيه معنى غير طاعة الله ؛ وطلب رضاه بالحياء والتسترّ والعِفّة .

وإن رآه الدكتور ادعاء للفضّل وكبِرا على المسلمين .

كما أنَّ الحجابَ وقد فرض الله على المؤمنات تطبيقَه طاعةٌ لله تعالى لا يعَدُ عسرا ، والأمر به لا يعدَّ تنفيراً إلا فى نظر صاحب هوى لا يرى إلا ما يمليه عليه هواه ، وإذا كان الأمر بالحجاب للمؤمنات يصدهن أو يصد غيرهن عن الإسلام لأنه حَرَجٌ ، والحَرَجُ فى الدين حرام . فلنترك الأمر بالحجاب حتى يَقْبلنَ الإسلام ، ويَرْضَيْنَ به ، وغداً يكْرهَن الغُسل من الحيض ، والجماع لِمَا يَرَيْنَ فيه من الحرج ؛ فليتركنه وهكذا حتى لم يبق من الدِّين شئٌ وبذلك يصبحِن مسلماتٍ فاضلاتٍ ، إنَّ هذه النظرية هى إحدى نظرياتِ إبليس الملتزم بإغواء النَّاس، وإضلالهم ؛ والعياذ بالله ؛ فكيف يقول بها دكتور فاضل كهذا ؟

وإذا كان بعض الرَّاهبات ينتقبن فهل تترك المسلمات النقاب لأنَّ راهبة عملت به ؟ حتى لا تتشبَّه بأهل الكتاب ، اللهم إنَّه لا قائل بهذا سوى الدكتور الفاضل ، إذ لازمه إذا عفَّتْ الرَّاهبةُ ، ولم تَزْنِ وجَبَ على المؤمنة أن تزنى ، حتى لا تتشبه بالراهبة الكافرة ، عجباً للدكتور وما يَستَدِلُّ به من الباطل على الحق الصَّريح الواضح ! !

١٥- قال : وإلإصرار على الباطل ، والعِنادَ فى الدّين ، وتحكيم الأذْواقِ والأهُواءِ فى الشَّرع الحنيف وعدمَ الخضوع للدَّليل الشرعى عند ظهوره ، والحبُّ والبغضُ لغير الله ... حرامٌ .

ونقول : إنّ قوله هذا مردودٌ عليه إذ هو الذى أصرَّ على الباطل ، وعاند فى الدّين ، وحكم ذَوْقَه وهَواهُ فى الشَّرع الحنيف ، إنّ رفُضَ الخَضُوع لما قدَّمنا له من الأدلةِ الشرعية ، وهى ظاهرة تمامُ الظُهور .

وأخيراً مبررات الدكتور لتحريمه النقاب

وإلى القراء الكرام تلك المبررات ليحكموا عليها بما تستحقُ من قُبُولٍ أو رفض .

١ ـ قال : بشاشتها فى وجه أختها المسلمة التى هى صدقة .

ونقول : هل النقاب لا صقٌ ببشرتها لا ينزع أبدا حتى يقال : إنَ الْمُنْتَقِبةَ تَفْقِدُ البشاشة فى وجه أختها المسلمة ، إنَّ النقاب تضعه ساعة خروجها لحاجتها فإذا فضتها ، وعادت إلى بيتها نزعته ، وهل ترك البشاشة ساعةً من نهار يكون مسوغًا لتحريم النّقاب يا عباد الله ؟ ؟

٢ ـ قال : وحِرْصُها على الشهادة فيما يَجِدُّ من أمورٍ مفاجئةٍ ، أو تبايعات ، أو حوادث فى الطريق ليحق الحقَ ويَبْطُلَ البَاطِلُ بأن يعرفها من يريد شهادتها فيما شهدت ، فيدعوها إلى الشّهادة بعد ذلك .

ونقول : متى كانت المسلمة حريصةً على الشهادة ، تنتظرها لتقومَ بها فى المحاكم وأمام القضاء تاركة بيتَها ، وأولادها ، وزوجها ، إنَّ هذا الفهمَ والله لَفَهْمٌ سقيمٌ ، وهو كذبٌ على الشَّارع ، وعلى المؤمنات معاً ، ومتى كان الكذب مُسَوَّغَا لتحريم ما أحلَّ الله ، أو مسقطاً لما أوجب الله يا عباد الله ؟

٣ ـ قال : معرفتها لأختها ، أو جارتها المسلمة حتى تتعاون معها على البرَّ والتَّقْوى .

ونقول : كلامَه هذا هراءٌ ساقطٌ باردٌ لا يَصِحُّ أن يكون مسوغا لتحريم ما أحلَّ الله ، فهل تعاون الرِّجال على البر والتقوى فى الأسواق ، والشَّوارع ، والمنتزهات ولم يَبْقَ إلا

النِّساء فنقول لهن ، اكشفن عن وجوهكن حتى تتعارفن في الشَّوارع ؛ والأسواق ، وتتعاونَّ على البرِّ والتَّقوى ، إن التعارف يَتِمُ بين النِّساء فى البيوت ، والمساجد ، وهن بعيداتٌ عن الرجال ، ولمْ يتعاونَّ على البرّ والتْقوى إن أمكنهنَّ ذلك ، وقَدرْنَ عليه .

٤ ـ قال : إن المنتقِبةَ قد فتحت أبواباً خبيثة ، تستجلب الضَّررَ للمسلمين ؛ ويبين ذلك فيقول : إذ يمكن أن يؤوىَ هذا الغطاءُ بعضَ المجرمين ، والهاربين من القِصاص الذين يستترون به حتى يتمّوا أغراضهم فى غفلةٍ من الرّأيِ العام .

ونقول : هل هذا التوقّع والافتراض يَصِحُّ أن يكون مسوَّغاً لتحريم ما أحلَّ الله ؟ ويقول : ويؤوى كذلك رجالاً يدخلون بيوتا على أنهم النساء لمظهرهم فيؤمن من جانبهم ، بينما هم يأتون الفاحشة فى هذه البيوت .

ويقول : ويؤوى بعض غير المسلمين الذين يدخلون به إلى مساجدهم ، واجتماعاتهم الدينية والعلمية للتجَسّسِ عليهم والكَيْدِ لهم .

ويقول : ويؤوى بعضَ اللصوص فى المواصلات العامّه فتكثر الجريمة ، ويزيد الفساد فى الأرض .

ويقول : ويمكّن لنساءٍ منحرفات أن يسرن مع غير أزواجهنّ ، ويسافرن معهم دون خوف كشفِ أمرهنَّ فتزيد إمكانات الراهبات فى الإنحراف ... وغيره كثير .

ونقول : إنَّ هذه التخوفات والتوهمات هل نصَّ عليها الشَّارع فنطق بها الكتاب ، أو صرحت بها السُنَّة ؟ والجواب : لا ، لا فكيف إذن تعتبر مسوغات لتحريم ما أحلَّ الله ، وهو ستر وجه المرأة حتى لا يراها الرجال الأجانب ، ألم تقل يا دكتور مئات المرات إنَّك لا تقبل قاعدة سدَّ الذرائع ولا قاعدة خوف الفتنة ، ولا تقبل غير الكتاب والسنَّة ؟ فما لك الآن تخرج عن مذهبك ، تورِدُ أوهاماً وخيالاتٍ لم يسبقُك إليها أحدٌ قط ، وتجعلها مبررات لتحريم النِّقاب والله إنَّ أمرك لعَجَبٌ ...

وأخيرا ، إنّ نصيحتنا إليك أنْ تكتب رسالة تردُّ بها على نفسك ، وتقول ما قاله أهل السُنَّة والجماعة بمشروعية النِّقابِ ، ووجوبه عند الخوف من الفتنة ، والفتنة والله قائمة ، ولا تُؤمَنُ ، لذا على المؤمنات أن يلزمن بيوتهن إذ هى دائرة عملهنَّ الليلَ والنّهارَ ، ومن اضطُرّت للخروج فلتغطى وجهها بما شاءت حتى تقضىَ حاجتها ، وتعودَ إلى بيتها ودائرة عملها .

إنَّ هذا سبيلُ المؤمنين ، مَنْ سلكه نجا ، ومن اتّبعَ غيره ضلَّ وغَوَى .

وحتى وريث
صاحب المحاورات

رسالة تتضمن رداً أخويا

على أخطاء ضارة بصاحبها

وبالدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه وبعد فمن هو وُريث ؟

إن وريث هو الكاتب الكبير الأستاذ محمد أحمد الليبى صاحب كتاب :

(أم على قلوب أقفالها)

محاورات عقلية فى فهم الرسول

ومن خلال تصفح القارىء الكريم لهذه الوريقات التى تضمنتها هذه الرسالة سيتعرف القارىء مدى قدرة الكاتب وريث على خوض معركة حوار صعبة وقع فيها فى أخطاء فاحشة أرجو الله تعالى أن يوفقه للاعتراف بها والعمل على إصلاحها حفاظاً على عقيدته الإسلامية أولاً وعلى عقيدة كل المسلمين من أن تتأثر بهذه الأخطاء ثانياً ، وهذا الذى حدا بى إلى كتابة هذه الرسالة ، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله ، وعليه توكلت ، وإليه أنيب .

وإن سألت ! !

أخى القارىء قد تسأل عن سبب كتابة هذه الرسالة ونشرها بين المسلمين وأجيبك سواء سألت أو لم تسأل فأقول : إن سبب كتابتى لهذه الرسالة هو حماية قلوب المسلمين من أن يتسرب إليها لوث من أفكار المنحرفين فتزيغ من حيث لا يريد أصحابها ذلك لها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى النصح لكل من جاء يركض حاملاً زنابيل الأفكار العلمانية العقلانية ليفرغها فى صدور المؤمنين السليمة الطاهرة ، وحتى وريث الكاتب الأديب الذى جاء هو الأخير ليضرب بسهم فى قلوب المؤمنين ليفسدها من حيث يريد إصلاحها مع الأسف . أقول النصح لهم بالتوبة إلى اللّه تعالى ما داموا يؤمنون باللّه وكتابه ورسوله ولقائه . وذلك بالإعلان عن تخطئة نفوسهم فيما كتبوه ونشروه مما هو انتقاص للجناب المحمدى الأعظم ، ولأشرف نسائه وأحبهن إليه ، أو مما هو طعن فى أئمة الحديث وسخرية بعقول السلف الصالح ، وتسفيه وتجهيل لكل المسلمين من غير العلمانيين والعقلانيين وأصحاب الأهواء .

وفى اللوحات الخمس التالية بيان الأخطاء المطلوب من المنصوح له أخينا وريث المحترم التوبة منها وذلك بالاعتراف بأنها أخطاء وبالعمل على إصلاحها فى كتابات أخرى ، وهو على ذلك قدير . لـما أوتى من معرفة وبيان .

اللوحة الأولى

فى بيان ما ورد فى كتاب المنصوح له من انتقاص للجناب المحمدى

إن انتقاص النبى ﷺ لا يرضى به مؤمن ، ولا يقره عاقل ، إذ هو الكفر المنافى للإيمان ، والضلال المباين للهدى . ومن مظاهر انتقاص أخينا وريث للجناب المحمدى ، وسواء كان بقصد أو بغير قصد وهو القريب الاحتمال ما يلى :

١ ـ لقد تألف كتابه « أم على قلوب أقفالها .... » من مائة وثمانين صفحة جرى فيها ذكر النبى ﷺ عشرات المرات لم يذكر فيها باسمه العلم محمد ﷺ إلا عدة مرات لا تتجاوز عدة أصابع اليد الواحدة ولم يصل عليه عند ذكره قط ! !

فى حين نجد علماء السلف الصالح الذين ينتقصهم الكاتب لا يذكرون النبى ﷺ إلا صلوا عليه وسلموا تسليما .

٢ ـ لقد ذكر النبى ﷺ فى كتابه « أم على قلوب أقفالها ... » بعنوان الرسول الكريم مئات المرات ولم يُصَل عليه قط فكأنه أحد المصابين بجنون العظمة الذين لم يطيقوا سماع جملة ﷺ عند ذكره ﷺ حسدا منهم للنبى ﷺ ، وكراهية لتعظيم المسلمين له ﷺ .

٣ ـ نسبته النبى ﷺ إلى العقلانيين وجعله فى عدادهم إذ قال فى الصفحة التاسعة من كتابه المذكور آنفا : .. لأن الرسول الكريم الذى يقدم العقل على كل شىء لا يمكن بأى حال أن تصدر عنه أقوال تتحدث عن صغائر الأمور وتوافهها ! !

فقوله يقدم العقل على كل شىء لا زمه أنه يقدمه حتى على الوحى الإلهى وهو كذب عليه ﷺ ، والدليل أنه لما أوحى إليه فى مجلسه أن رجلا من بنى إسرائيل كان يركب بقرة فرفعت إليه رأسها وقالت له : ما لهذا خلقت ! ! على الفوز قال : آمنت به ، وآمن به أبو بكر وعمر ، وهما غائبان .

أين العقل فى هذه المسألة ومئات أمثالها . أم هذه من توافه الأمور التى لا يمكن أن تصدر عنه ﷺ كما يرى صاحب أم على قلوب ... وهى من مرويات البخارى رحمه الله تعالى .

إن صفة العقلانية التى غلبت على الكاتب هى التى جعلته يصف بها رسول الله ﷺ فقع فى زلة عظيمة والعياذ بالله تعالى .

اللوحة الثانية

فى بيان انتقاص الكاتب لإحدى زوجات النبى وأحبهن إليه عائشة رضى الله عنها

إن عائشة بنت أبي بكر االصديق رضى الله عنها كانت أحب أزواج النبى ﷺ إليه جاء ذلك صريحا فى رواية البخارى رحمه الله تعالى . وما أحب رسول الله ﷺ من لم يحب ما أحب ، بهذا قضى الشرع والعقل والمنطق والعرف أيضا وكاتبنا وريث نجده يرد حديث البخارى ومسلم وغيرهما لا لشىء إلا لأن الرسول الرحيم قال فيه : « إن فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . فيقول وريث لا نستطيع أن نصدق أنه (أى الرسول) قال : وإن فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

فما الحامل له يا تُرى على رد حديث الصحيحين لولا ما يجده فى نفسه من حاجة ملحة إلى انتقاص عائشة أم المؤمنين مجاراة للروافض منافقى هذه الأمة والعياذ بالله تعالى .

ومن مظاهر انتقاص أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى كتاب وريث قوله بعد ما أورد الحديث الضعيف « خذوا شطر دينكم من الحميراء » بل الموضوع .

يقول : كيف يتأتى لنا أن نأخذ نصف ديننا عن عائشة بنت أبى بكر ، فهى وإن كانت إحدى زوجات الرسول لعبت بها الأهواء الشخصية والسياسية وانحازت إلى معسكر دون معسكر . . إلى أن يقول : وقد رأينا عداءها المتأصل لعلىّ بن أبى طالب وهو زوج ربيبتها فاطمة بنت الرسول الكريم .

إن انتقاص الكاتب لعائشة رضى الله عنها يتجلى فيما يلى :

١ ـ ذكرها مع أبيها ولم يترض عنها ولا عن واحد منهما .

٢ ـ وصفه إياها بأن الأهواء لعبت بها ـ وحاشاها رضى الله عنها .

٣ ـ إعلانه بأنه رأى عداءها المتأصل لعليّ بن أبى طالب .

وما دام الكاتب ينظر بعين الرفض فإنه يرى أكثر مما رأى ، والعياذ بالله تعالى .

اللوحة الثالثة

فى بيان طعنه فى مسلم وصحيحه

إن الطعن فى أئمة الحديث كالإمامين البخارى ومسلم لازمه إسقاط عدالتهم وبالتالى إبطال رواياتهم وبذلك يتم إلغاء السنة ، وبإلغائها تلغى الشريعة المحمدية بالمرة ، إذ السنة هى الوحى الثانى الذى يتم به بيان الوحى الأول وهو القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ ومن هنا فقد حاول كثيرون من أعداء الإسلام ومن عهد بعيد إلغاء السنة بالطعن فيها وفى رواتها بحجة أن فى السنة الصحيح والضعيف وإمكان الوضع فيها بالكذب على الرسول ﷺ ، وأن القرآن الكريم لا يتطرق إليه الزيادة ولا النقصان ، وعليه فلنكتف بالقرآن نحل حلاله ونحرم حرامه وحسبنا ذلك ، وسبحان الله فقد أخبر رسول الله ﷺ قبل وقوعه فقد قال : فداه أبى وأمى ونفسى والناس أجمعين : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الخبر عنى فيقول حسبنا كتاب الله ما وجدنا فيه عملنا به ... إلا وأنى أوتيت القرآن ومثله معه » . ومما ينبغى أن يعلم هنا أن واضعى المذهب الشيعى من الروافض وإن لم يقولوا بالاكتفاء بالقرآن إلا أنهم قد ردوا الحديث وأعرضوا عن السنة ووضعوا ما شاءوا من أحاديث نسبوها إلى آل البيت كذبا وزورا واكتفوا بها دون سائر الأحاديث الصحيحة التى رواها وعمل بها أهل السنة والجماعة وهم المسلمون أهل الإسلام وحماته ودعاته . وبذلك أصبحوا يمثلون أمة أخرى غير أمة الإسلام التى تدين لله بطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ .

كما ظهر فى هذه الأسام أفراد قلائل يدعون أنهم قرآنيون رافضين للسنة بدعوى أن فيها الضعيف والموضوع ، وليس فيها قطعى الصحة والنسبة إلى الرسول ﷺ ، ولا يبعد أن يكون الكاتب وريث قد تأثر بهم فجاء يقول : نعرض الحديث على العقل فما قبله العقل

قبلناه وما رفضه العقل ولم يقبله رفضناه ، وإن صحت نسبته إلى الرسول ﷺ فى زعم أهل الحديث ، وبذلك يصبح صاحب هذه النظرية مخيرا بين قبول السنة ورفضها فإن وافقت هواه قبلها وقال إن العقل قررها ، وإن لم توافق هواه ردها وقال إن العقل لم يقررها ولم يقبلها لمنافاتها لحكمه أى العقل .

ومن هنا شن غارة وحمل حملة شديدة على أصح كتب الحديث فقال فى مسلم ما يلى :

١ ــ قوله : ومن هنا علينا أن نرتب تعرفنا إليه « مسلم » فيما يلى من نقاط : أولتها يريد أولاها ولكنه عدل عن أولها إلى مفردة ابتكرها فى العربية وهى أولتها إذ ذكرها عدة مرات فى كتابه ، مع العلم أنه لم يسمع فى العربية أولتها تأنيث أولها ، وإنما أولى تأنيث أول .

يقول : إنه أى مسلم جمع أو سجل فى صحيحه اثنى عشر ألف حديث ، بعد أن تأكد من صحتها بين الثلاثمائة التى قضى خمس عشرة سنة فى جمعها وفحصها ، ومن ثم غربلتها والاعتداد بسمينها وطرح غثها ! ! هذه عباراته وكلها سخرية واستهزاء بمسلم صاحب الصحيح يا للعجب ! ! .

٢ ــ قوله : وثانيها من خلال ما سبق ، ومن خلال كتب الحديث الأخرى يُظهر الرسول بمظهر الذى ليس له عمل إلا الإفضاء بالحديث صباح مساء فأين الأعمال الأخرى التى كان يتحمل المسؤولية فى القيام بها .

فقوله هذا هو من إنكاره لكثرة الأحاديث النبوية رغبة منه فى تقليصها ثم فى إنهائها والقضاء عليها إن كان فى مقدوره ذلك .

ويؤكد هذا قوله : وثالثتها أن القرآن الذى أنزل فى ثلاث وعشرين سنة لم تزد آياته عن ٦٢١٤ آية ، بينما نجد الأحاديث عند مسلم فقط تبلغ ضعف عدد هذه الآيات جميعا . ناهيك عن البخارى الذى قيل أنه تأتى له أن يجمع ستمائة ألف حديث ! !

إن هذا الإشكال الذى أورده صاحبنا تحله له عجوز من عجائز قريته بقولها يا أديب إن السنة شارحة مبينة ولذا ينبغى أن تكون أضعاف القرآن بآلاف المرات ومئاتها فكلمة أقيموا الصلاة من القرآن تحتاج فى شرحها إلى مئات الكلمات حتى يتأتى للمسلم أن يقيم الصلاة ؟ ! .

٣ ـ قوله ، يُروى عن ابن العماد إن مسلما كان صاحب تجارة بنيسابور ، وله أملاك وثروة ثم يقول : هل ترك التجارة والأملاك والثروة وقتا للانصراف بصفة كلية للحديث وجمعه « وغربلته » وهو الذى تحصل منه على ثلثمائة ألف . إن ظاهر قوله هذا أنه يسخر من مسلم وينكر جمعه للحديث الصحيح ويعده من قبيل المحال ، والهدف من ذلك الطعن فى صحة صحيح مسلم ، ويدل على هذا ويؤكده طعنه فى رواية مسلم عن عروة عن عائشة خالته وهى أم المؤمنين رضى الله عنها إذ قالت : كان النبى ﷺ يقبل وهو صائم ، فبقول ساخرا مكذبا : هكذا إذن قالت عائشة وأخبرت فى صراحة تامة ترتفع « مرتبتها » مرة أخرى إلى « مرتبة » لا نشعر أن الحميراء قد تورد خداها خجلا حتى من « وسوسة » التفكير فى أن تنبس شفتاها بمثل هذا الكلام وتلقيه إلى رجل هو « عروة » الذى يحدثنا مسلم أنه راوية عنها إذ قالت له : أن النبى ﷺ كان يقبلها وهو صائم .

إن قولك « يا وريث الكاتب » هذا ظاهر فى الطعن فى مسلم وعروة وعائشة وكأنك مستشرق خبيث الطوية متغيظ على الإسلام والمسلمين والاحتمال قائم ، إن جل ما قلته من الطعن منقول عن أعداء الإسلام من روافض ويهود ونصارى ممن استشرقوا للطعن فى الإسلام والكيد له ولأهله ، ويقوى هذا الاحتمال ما ذكرت من مصادرهم التى ذيلت بها كتابك هذا .

ثم يواصل الكاتب سخريته واستخفافه فيقول : « فى هراء سخيف » ولا ندرى أى داع إلى مثل هذا الأمر الصغير الذى لا يقدم ولا يؤخر فى شىء . . ثم يقول إن القبلة البريئة بين الزوجين إذا كان أحدهما أو كلاهما صائما لا تفطر وهل قامت القيامة أو أزفت الساعة ، فإما قبلة بريئة وإلا الفناء ، هل انتظرا حتى يكملا صيامهما بعيدا عن أى شائبة ، ولهما بعد ذلك ما يشاءان والليل طويل ! ! إن مثل هذا الكلام الساخر الحاقد على صاحب الصحيح مسلم ابن الحجاج ، وعلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها دال دلالتين واضحتين الأولى أن قائله يكاد يكون رافضيا حاقدا ، والثانية أنه جاهل بأحكام الشرع بعيد عن الفقه فى دين الله تعالى ، ويؤكد ذلك طعنه فى حديث أبى ذر فى الصحيحين وهو قوله ﷺ « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، وإن زنى وإن سرق » إذ قال ساخرا : وهكذا فإن الضمان فى دخول الجنة موجود ومن ظاهر هذا الحديث اللفظى يرتكب المرء كل الكبائر وجميع الجرائم وعندما تحضره الوفاة يقول : أشهد أن لا إله إلا الله سيدخل الجنة ؟ !

إن صاحب هذا القول لو حكم العقل وغلب عليه الحياء لما تجرأ أن يقول هذا القول وهو يعلم أن ملايين العلماء والصلحاء من أرباب العقول والنهى من أمة الإسلام من نبيهم إلى آخر عالم منهم قد علموا بهذا الحديث واعتقدوا ما تضمنه وقالوا به ولم ينكروا ما دل عليه وقرروه ولكن الجهل [1] والتقليد للحاقدين من خصوم الإسلام والمسلمين يورث قبل هذا الخطأ الفاحش ويوقع فى الزلل المهلك والعياذ بالله تعالى .

اللوحة الرابعة

فى بيان طعنه فى البخارى وصحيحه

يبدأ وريث هداه الله طعنه بهذه الكلمات الساخرة فيقول :

وكذلك بعضا من « الأفعال » التى زعموا أنهم ترصدوا الرسول الكريم فشاهدوه متلبسا بالقيام بها ، وكأن الرجل ليس بشرا أو إنسانا . من هذه الجملة الكلامية من كلام صاحبنا وريث هداه الله يظهر بوضوح ما يلى :

١ ـ السخرية من رواة الحديث وهو ظاهر قوله زعموا أنهم ترصدوا الرسول الكريم .

٢ ـ المساس بمقام النبى ﷺ وهو ظاهر قوله فشاهدوه متلبسا بالقيام بها ، وقوله وكأن الرجل ـ يعنى النبى ﷺ ـ ليس بشرا أو إنسانا ويقول فى طعنه فى الصحيح إن كتاب البخارى هذا من كتب التراث الدينى التى وصلت عند بعض الناس إلى درجة التقديس ، وقد بلغت فى قدسيتها مكانة يجب أن لا تمس بنظر متفكر ، وعلى من يطالعها أن يأخذ بما جاء فيها مسلمات . غير قابلة للرفض أو الرد أو التعليق ، أو حتى مجرد الإيعاز للعقل بها ! !

أرأيت أيها القارىء الكريم كيف سخر صاحبنا من صحيح البخارى وحط من قدره ، كما سخر من أهل السنة والجماعة وهم مجمعون على صحة ما فى البخارى وأنه مصدر

---

(١) قوله سيدخل الجنة إخبار عن الله تعالى والله يفعل ما يشاء والاعتراض عليه تعالى كفر والعياذ به تعالى ودخول الجنة لأهل الكبائر يكون غالبا بعد دخولهم النار وتعذيبهم فيها ثم يخرجون بحسنة التوحيد والإيمان ، وبناء على هذا فأى شيء ينكره وريث لولا جهله وتحكيم عقله ؟؟

تشريع للإسلام والمسلمين ، كأن الكاتب رافضي لا هم له إلا الطعن في مصادر الشريعة لإبطالها من أجل أن يحل الرفض والعلمانية محلها ، وإلا فقل لي بربك أيها القارئ الكريم ما الذي حمل صاحبنا وريث أصلحه الله على مثل هذا الصنيع الشائن ؟ إن الأمر لا يخلو من أحد شيئين :الأول نصرة مذهب الروافض ، والثاني صرف المسلمين عن السنة النبوية بحجة أنه لا يوثق فيها لعدم صحة نسبتها إلى النبي ﷺ والاكتفاء بالقرآن الكريم ، وهو مذهب الزنادقة القرآنيين اليوم لا أقال الله - عثرتهم ولا أطال بقاءهم ! !

ويقول ردا على من قال إن البخاري حفظ سبعين ألف حديث : من يتخيل أن الرسول قال سبعين ألف حديث في حياته كلها منذ ولادته حتى وفاته ؟ !

إن هذا القول يتضمن إنكار السنة ، وتكذيبا بها عن طريق أن هذه الكثرة لا ينبغي أن تصدق ، وعليه فلا يؤخذ منها إلا ما وضعه الروافض وما يقبله العقلانيون وأصحاب الأهواء .

ويقول : ساخرا من حديث البخاري الذي قال فيه أنس بن مالك : « رأيت النبي ﷺ وأوتي بمرق بها دباء وقديد فرأيته يتبع الدباء يأكلها » ، فهل في هذا من غرابة حتى تذكر وتسجل في كتاب زعمت له الصحة المطلقة في أحاديثه . فانظر أخي القارئ كيف يتجلى الطعن في صحيح البخاري يقول : زعمت له الصحة المطلقة . وكحديث الدباء حديث « أن النبي ﷺ كان يأكل الرطب بالقثاء » ، إذ يقول فيه ساخرا مكذبا لأحاديث البخاري : فأي شيء في هذا حتى يسجل على الرسول إنسان يأكل الرطب بالقثاء ، ونحن في عصرنا الآن نمزج من الأطعمة ونأكلها مخلوطة بشتى الطرائق ، ولا نثير انتباها أو تساؤلا ، أو استغرابا ؟ !

إن ما يؤخذ على صاحبنا في هذه الجمل من كلامه أمور منها الطعن في البخاري والسخرية منه ، وأشد من ذلك الاستخفاف بالمقام المحمدي إذ قال فيه : إنسان يأكل الرطب بالقثاء فجرده عن النبوة وربطه بعامة الناس ، وكأن حسداً للنبي ﷺ قد أكل قلبه وأحرق فؤاده فجعله يقول : ونحن في عصرنا الآن . . كأنه يقول : لم لا يسجل عملنا وقولنا ويروى ويعمل به ؟ ؟ وجهل أخونا أن الرسول ﷺ قد جعله الله تعالى أسوة للمؤمنين يأتسون به في كل شيء حتى في الجبلات ويظفرون بتلك الأسوة بأعظم الأجر وأحسن المثوبات ، أما وريث وصعاليك الناس فإنهم ليسوا في العير ولا في النفير كما يقال ! !

أرانى أيها القارىء قد أغلظت فى القول لصاحبنا هداه الله .. ولكن هذا جزاء من يحاول أن يمس بالشرف المحمدى أو ينال من مقامه السامى الشريف .

ويقول ساخرا مكذبا بحديث البخارى . « من تصبح فى كل يوم بسبع تمرات من العجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر » . يقول طاعنا ساخرا : هل جرب البخارى نفسه هذا ليتأكد بنفسه . نعنى هل تصبح ذات يوم بسبع تمرات عجوة وتجرع من بعد ذلك سما مثلا ؟ كما نص فى حديثه الذى « تنخله » من بين ستمائة إلف حديث جمعها مما نسب إلى الرسول الكريم ؟ ويختم تساؤله الساخر هذا بقوله : هذا لاشك هراء وعبث بعقول السذج من الناس ؟ ؟

أرأيت أخى القارىء كيف يطعن هذا العقلانى فى البخارى ويسخر منه ، وكيف يرد الحديث الصحيح ويكذب به ولا لشىء سوى الجهل به ، وبمقام صاحبه ﷺ .

ويقول ساخرا مكذبا بحديث : أن النبى ﷺ لقلما كان يخرج إذا خرج فى سفر إلا يوم الخميس . يقول هذا فعل لا نعتقد بصدوره عن الرسول أبدا عادة أو سنة أو طريقة ، ثم يقول : هل سألوه عن سببه إذا كان حقيقة .

ويختم طعنه فى البخارى وصحيحه ، بما يفضح نيته ويربطه فى سلك الروافض والعقلانيين فيقول : لقد كان يكفى البخارى فخرا بصحيحه لو اقتصر فيه على ذكر هذا الحديث وحده فقط دون سواه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يحطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه » ! !

ونحن نقول : لم اختار هذا الحديث بالذات وآثره على آلاف الأحاديث ؟ ؟

إن السر فى هذا الاختيار لا يعد أن يكون التفاعل الاشتراكى فى نفوس الماديين حيث أصبحت المادة هى ظاهرة التأليه فى الوجود البلشفى الشيوعى ! ! وصاحبنا أحد لبنات الاشتراكية فى دياره المنكوبة بها ويا للأسف ! !

اللوحة الخامسة

فى بيان تسفيهه وتجهيله للمسلمين

إن صاحبنا وريثا ـ مع الأسف ـ لم ير فى علماء الإسلام ورجالات المسلمين من أهل السنة والجماعة رجلا كفؤا يذب عن السنة ويحمى حماها من الأفكار الدخيلة ،

والأحاديث الموضوعة إلا ابن حزم الظاهرى وهو بهذا قد سفه علماء الإسلام قاطبة وسخر منهم ، وسواء أراد هذا وقصده أم لم يرده ولم يقصده وإلى القارىء الكريم شواهد ذلك :

١ ـ قوله فى صفحة ١٠٦ لا يوجد كتاب صحيح صحة مطلقة فى مجال العقيدة الإسلامية إلا القرآن الكريم ، وهو بهذا يسفه علماء أهل السنة والجماعة ويسخر منهم ، لأنهم قالوا بصحة الصحيحين البخارى ومسلم ، وهو لا يدرى أنه بهذا القول يبذر بذرة الشك فى قلوب المؤمنين ليشكوا فى كل كتب الحديث ، وأى فتنة أعظم من هذه ؟ والهدف من وراء هذا لمثل صاحبنا هو التخلص من السنة ليبقى القرآن وحده مصدر التشريع كما هو مذهب القرآنيين العلمانيين .

٢ ـ قوله : ونرى بيننا من المسلمين من لا يزال يعتقد بجهالة مرعبة مفزعة للعقل بأن المرض من الله ولذلك فمن واجب طاعته أن لا نلتمس له الشفاء وهى الحقيقة التى نبه إليها المفكر جان جاك رسو « وهو قبل مائة عام بقوله : ولكن كل مرض يجىء أيضا منه من الله فهل معنى هذا أنه محرم علىّ أن أستدعى الطبيب ؟

إن وجه سخريته من المسلمين ظاهر فى قوله : نرى من المسلمين من لا يزال يعتقد بجهالة .. إلخ كما أن قوله إن المرض من الله دال على إنكاره أن المرض من الله تعالى ، وهو مناف لقوله تعالى : ﴿ **وإن يمسسك بضر فلا كاشف له إلا هو** ﴾ الآية من سورة يونس عليه السلام ، كما أنه افترى على المسلمين بأنهم يحرمون التداوى والذهاب إلى الطبيب إذ قال عنهم إذا فمن واجب طاعته أن لا نلتمس له العلاج وأخيرا استشهاده بقول الملحد الصليبى جان جاك رسو الفرنسى . إن من أبرز مظاهر سخرية الرجل بالمسلمين أن يستشهد بصحة قول الملحد جان جاك رسو مفضلا إياه على علماء الإسلام وأئمة الدين وواأسفاه ! !

٣ ـ قوله : وإنه لمن الجهالة المخجلة حقا أن يتوقع العلماء أن يمر « مذنب هالى [1] » الشهير بمحاذاة كوكبنا الأرضى . . إلى أن يقول : ثم نجد اللغط يدور بين المسلمين وحدهم للأسف ، وهو لغط مسف ومضحك فى وقت واحد بأن المذنب « الكوكب » سيضرب الأرض بذنبه وسيحرقها ، وبهذا ستكون نهاية العالم وستقوم الساعة ، ويمضى قائلا بينما نقرأ أن الأوروبين قد استعدوا لاستقبال هذه الظاهرة الطبيعية ، ومشاهدة مرور المذنب على مناطقهم . ومن مظاهر سخريته بالمسلمين فى قوله هذا ما يلى :

---

(١) (هالى) اسم كافر اكتشف كوكبا مذنبا أو أخبر عنه فنسب إليه .

أ ـ في قوله : ثم نجد اللغط يدور بين المسلمين ، والمسلمون وحدهم للأسف وهو لغط مسف ومضحك في وقت واحد . ووجه الإسفاف والضحك في رأيه من أجل أنهم خافوا أن يصطدم الكوكب بالأرض فيخرب العالم ، فهل في خوف من خاف من المسلمين أن يحصل عذاب أو دمار باصطدام كوكب بكوكب ما يحمل على الاستغراب والتعجب ؟ والرسول ﷺ في خسوف الشمس والقمر يقول إنهما آيتان يخوف الله بهما عباده . وصاحبنا يسخر ممن يخاف عذاب الله ! !

ب ـ في مفاضلته بين المسلمين والأوروبيين الكافرين ، وتفضيل الكافرين على المسلمين لأنهم خافوا من حدوث العذاب بسبب ظاهر مكشوف وهو اصطدام الأجرام السماوية ببعضها أو بالكوكب الأرضي ونسي أو جهل قول الرسول ﷺ في الخسوف والكسوف أنهما آيتان يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة والصدقة والعتق .

٤ ـ نقله عن ابن حزم الظاهري قوله في الصرع وكلام الجن على لسان المصروع وقوله في آخره : وإنه لمن المحزن حقا أن يظل مثل هذا السف شائعا بين المسلمين حتى الآن . فقول وريث هذا ظاهر في سخريته بالمسلمين واستهزائه بهم . إنه يريد من المسلمين أن ينكروا المشاهد المحسوسة ، وبذلك ينجون من سخريته واستهزائه ، أليس هذا من الحمق والطيش والنزع في الرأي ؟ إن الصرع وكلام الجن على لسان المصروع لا ينكره إلا مجاحد معاند مكابر ، فقد رآه وشاهده العلماء والعلماء من أمة الإسلام طيلة أربعة عشر قرنا وزيادة ، فكيف يسخر ويستهزأ ممن قال به أو اعتقد صحته ؟ ؟ وهل لقول ابن حزم قيمة ووزن إذا قورن بشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الذي كان يخرج الجن ممن حل فيه بالمراسلة فضلا عن الحضور والمواجهة ؟

مظاهر جهل وريث

إن من مظاهر جهل وريث الذى ننصح له أنه لا يفرق بين الحديث الصحيح والضعيف والموضوع فيستشهد بها كلها فيقع فى أخطاء ضارة وشائنة فى نفس الوقت ، كما أنه يسىء فهم الحديث فيقول فيه بحسب فهمه فيخطىء الخطأ الفاحش ، ويتخذ من خطأه سلماً للطعن فى السنة ورواتها وفى الأمة وهداتها وإزاء الأرقام التالية مصداق ما قلناه فيه فليتأمل :

١ ـ استشهاده بحديث « تختموا بالعقيق فإنه يذهب الفقر » وهو حديث موضوع مردود واستشهد به على وجوب رد الأحاديث إلى العقل فما اعترف به العقل وقبله فهو من أحاديث الرسول ، وإن كان موضوعا وما نفاه العقل ولم يقره يجب أن يرد ولا يقبل ولو رواه الشيخان البخارى ومسلم . إن هذا الرأى باطل وفاسد ، إذ إن الذى يجب أن يعرض عليه الخبر هو الشرع فما وافق الشرع قبل ، وما خالفه رفض هذه هى الحقيقة التى يجب أن يقررها كل مؤمن يدين لله تعالى بالإسلام .

إن الدعوة إلى تحكيم العقل دون الشرع فى أحاديث الرسول ﷺ أمر باطل نبرأ إليه تعالى منه ومن قائله وممن يتبناه كائنا من كان وندعوأخانا « وريث » إلى التوبة منه بإنكاره والتبرؤ منه .

٢ ـ استشهاده بحديث « النظر إلى وجه علىّ عباده » وهو حديث موضوع لا يبعد أن يكون من وضع الروافض من شيعة آل البيت كذبا وزورا استشهد وريث بهذا الحديث الموضوع ليقرر أن السنة لا يوثق بها ما دام فيها مثل هذا الحديث ثم أخذ يرد الحديث ساخرا فيقول : وما مصيرى أنا الذى لم أكن معاصر العلىّ بن أبى طالب ، هل أبقى بلا عبادة ؟ وهذا من سوء فهمه . إنه لو صح الحديث وكان النظر إلى وجه علىّ عبادة يثاب عليها فليس لازما أن ينظر إليه كل أحد حتى يكون عابدا لله تعالى ، إذ أنواع العبادة كثيرة وطرق البر أكثر ، ولكن جهل الرجل هو الذى أوقعه فى هذه الفتنة العقلية ! !

٣ ـ استشهاده بحديث « شكا رسول الله ﷺ إلى جبريل قلة الجماع فقال له : أين أنت من أكل الهريسة ، فإن فيها قوة أربعين رجلا » وهو حديث موضوع ذكره الحافظ

الذهبى فى الطب النبوى ، وما أكثر الأحاديث الموضوعة أنها تبلغ مئات الألوف ، ولكن ليس من الإنصاف ولا من العدل والحكمة أن ترد الأحاديث الصحيحة لوجود أحاديث موضوعة أو ضعيفة ، بل علينا أن نأخذ بالصحيح ، ونترك الموضوع أو الضعيف والطريق إلى معرفة الصحيح من الموضوع ليس هو العقل وحده كما قدمنا وإنما لذلك الطريق هو السند من جهة ، والموافقة للشريعة أصولا وفروعا من جهة أخرى ، وأما اتخاذ العقل ميزانا لمعرفة الصحيح من الموضوع ، مع اختلافها وتباينها تبعا للأهواء والشهوات والأغراض والأطماع فهذا لا يقول به مسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه ولقائه ، إذ هو عين الجهل والضلال أو المكر والخداع بالإسلام والمسلمين ، والعياذ بالله تعالى .

عرض لأخطاء فاحشة

فى كتاب وريث

لأخينا وريث جملة أخطاء فاحشة يتعين وقوفه عليها نصحا له وتعليما . منها ما يلى :

١ ـ الخطأ اللغوى الآتى وهو ابتداعه كلمة أولة تأنيث اسم التفضيل أول إذ المعروف أن مؤنث أول أولى ، وهكذا تأنيث أكبر كبرى ، وأصغر صغرى فصوغ وريث أولة على أنها تأنيث أول خطأ لغوى ، ولا أحسب كاتبنا أنه جهل ذلك وإنما تعمد ذلك ليكون مجددا فى كل شىء وهذا المسلك الذى سيورده المهالك إن لم يرجع عنه ويتب منه .

٢ ـ نسبته حديث الصحيحين « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » إلى عمر رضى الله عنه وهو قول الرسول ﷺ ، وهذا يبعد أن يكون من رغبة الإحداث والتجديد ، وإنما هو عائد إلى الجهل بالسنة النبوية الشريفة .

٣ ـ كثرة استشهاده بآية الكهف : ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ على أن المرء مخير بين الكفر والإيمان فى حين أن الآية لم يقل أحد من المفسرين إنها للتخيير بين الإيمان والكفر ، وإنما هى للتهديد والوعيد والتحذير من مغبة اختيار الكفر والإصرار عليه . أما كونها للإباحة والتخيير فلا قائل به البتة ألا فليعلم وريث هذا وليتق الله فى القول فى كتاب الله تعالى بغير علم ! !

٤ ـ تعجبه الدال على جهل كبير من حديث مسلم « أن النبى نهى أن يتنفس فى الإناء » إذ قال فى سخرية وتعجب : أيمسك الإنسان بأرنبة أنفة ويكتم أنفاسه عندما يريد أن يشرب . إنه لسوء فهمه وقلة بضاعته فى فهم الحديث ظن أنه ممنوع على الشارب المسلم أن يتنفس مطلقا فى حين أن المراد من الحديث النهى عن التنفس داخل الإناء ، أما خارجه فهو المطلوب إذ يجزىء الشارب شرابه ثلاثة أجزاء ، كل ذلك ليتنفس خارج الإناء ، وعلة النهى عن التنفس فى الإناء هى ربّ بعض النفوس تتأذى من رائحة فم الشارب إذا تنفس فى الإناء ، أو من سقوط بعض الرذاذ فى الإناء ، وبما أن أذية المؤمن حرام كان الأمر بتجزئة الشرب ثلاثا ليكون التنفس خارج الإناء لا داخله . غير أن وريثا أصلحه الله جهل هذا فقال لجهله ساخرا : وبعد هذا القول مباشرة يقول أى أنس عنعنه أن

رسول الله كان يتنفس فى الإناء ثلاثا ، ففهم وريث لقلة علمه أن بين الحديثين تناقضا ، إذ الأول فيه النهى عن التنفس فى الإناء والثانى يقرر التنفس فيه حسب فهمه الخاطىء وإلا فإن معناه واضح صريح هو أن الشارب يجزىء شرابه ثلاثة أجزاء ، فيشرب قدرا ما ثم يبعد الإناء عن فيه ويتنفس خارجه ثم يشرب قدرا آخر ، ثم يبعد الإناء ويتنفس خارجه ، ثم يتم شربه ، هذا المراد من الحديثين ويزيد الأمر وضوحا قول أنس رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ يتنفس فى الشراب ثلاثا ويقول إنه أروى وأبرأ وأمرأ ، قال أنس وأنا أتنفس فى الشراب ثلاثا يعنى أنه عمل بالسنة ، وأنه يجزىء شرابه ثلاثة أجزاء ، ليتنفس خارج الإناء للعلة التى ذكرنا آنفاً .

ويقول وريث ساخرا إن الذين رووا هذا القول لم يفسروا لنا أو يكشفوا السر الكامل وراء أفعال التفضيل الثلاثة : أروى وأبرأ وأمرأ . وهل من حق الذى لم يفهم مفردات اللغة أن يتكلم فى معانى تراكيبها ؟ إن اسم التفضيل فى أروى معناه أكثر ريا ، وفى أبرأ معناه أكبر بُرأً من ألم العطش وفى أمرأ معناه أكثر انسياغا وانسيابا فى حلق الشارب . إن لتجزئة الشراب ثلاثا ليتنفس خارج الإناء فوائد منها الإرواء والإبراء والإمراء وغيرها ، فكيف إذا يعيب وريث هذه السنة ، وما يدريه أنه سخر من النبى ﷺ وهو الكفر بعينه ، وهل شيفع له جهله فى رد السنة الصحيحة التى عملها وعمل بها ملايين العلماء والصلحاء والحكماء ؟

ألا فليتق الله صاحبنا ، وليعترف بخطئة وليتب إلى ربه .

٥ ـ سوء تعبيره المستلزم الاستخفاف بالرسول ﷺ فى مثل قوله : إن محمدا الإنسان ، وقوله : محمد بن عبد الله ، وهو تعبير سيىء للغاية ، وزاده سوءاً أنه لم يقل بعده ﷺ . إن الله تعالى لم يخاطب رسوله فى كتابه إلا بعنوان النبوة وهو الغالب والرسالة . ولما ذكر تعالى رسوله باسمه العلم على ذاته محمد أخبر عنه بأنه رسول الله فقال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله** ﴾ . وسلف الأمة قاطبة لم يعرف عنهم مثل هذا التعبير محمد الإنسان قط ، وما ذكروه باسمه العلم إلا صلوا عليه وسلموا تسليما ، لأن الله أمر بذلك وأمر هو ﷺ بذلك فما لصاحبنا وريث يجهل هذا أو يتجاهله ؟ والجواب هو أنها النزعة التحررية من كل الآداب والأخلاق التى دعى إليها البلاشفة الحمر ، فى عصر الجهل هذا ولا أقول العلم ، إذ العلم الذى لا يهذب الأخلاق ولا يزكى النفوس الجهل أبرك منه .

٦ ـ قوله لما ذكر طلب الإيمان من المحسوسات فى آية الأنعام : ﴿ **وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض** ﴾ إلخ . . . فإن القدرة الخارقة للعادة إنما أرادت له « أن يحس » بعقله من خلال تلك المرئيات وآثارها بالذى هو أكبر منها وكان سببا فى بزوغها وأفولها إلى آخر ما قال .

فالله تعالى قال وكذلك نرى إبراهيم ، ووريث يقول فإن القدرة الخارقة للعادة إنما أرادت له . أليس هذا خطأ فاحشا يصدر من مؤمن عاقل يعتز بعقله ، إذ يجرد الله تعالى من قدرته ويخاطب القدرة دون القادر كأنه يريد جحده ، فالله تعالى يقول نرى إبراهيم ، ووريث يقول القدرة تُريه وتريد له ، إن هذا الأسلوب لا يصح استعماله فى الكلام عن الله تعالى ، وإلا فهو خطأ فاحش ومنكر يجب أن ينكر ! !

أحاديث جهل وريث معناها

فعابها وسخر منها

وآخر ما ننعاه على وريث أنه يجهل المعنى الصحيح للحديث الصحيح فيعيبه ويسخر منه وينفي بشدة أن يكون قاله الرسول ﷺ وعلى سبيل المثال نذكر الأحاديث الآتية :

١ ـ « حُبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي ، وهو حديث حسن . فتبادر إلى ذهن وريث أن الرسول ﷺ ينزه عن حب النساء ، لأن من أحب النساء وقع في أحضانهن وأصبح لا هم له إلا الجماع ، وهذا فهم فاسد وتصور باطل ، فالرسول ﷺ بشر يحب ويكره ويحبب إليه الرب تعالى أشياء ويكره إليه أخرى ، بعثه الله تعالى بدين الإسلام دين الفطرة وأبطل به وبالإسلام رهبانية النصارى التي ابتدعوها ، بلغه أن نفراً من أصحابه أراد الرهبانية بترك النساء والنوم والطعام والشراب فقام خطيبا فيهم فقال من جملة ما قال : « إني وأنا رسول الله أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآتي النساء ، ومن رغب عن سنتي فليس مني » .

إنه من الكمال البشري أن يكون المرء كامل الفحولة تام الرجولة وأكمل الخلق على الإطلاق خلقا وخُلقا هو محمد رسول الله ﷺ ، ووريث يعلم هذا ، وإنما خوفه من أعداء الإسلام وهزيمته الروحية أمامهم جعله ينكر الحديث الصحيح خشية أن يقول المستشرقون من رهبان النصارى إن محمدا رجل شهوة يحب النساء بالمعنى السافل الساقط الذي يدور بخلد أرباب الأهواء وظلمات الجهل والكفر والعياذ بالله تعالى .

٢ ـ حديث الصحيح « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » لقد أنكر وريث لفظ ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، ولا أحسب أن إنكاره هنا كان لجهله بمعناه وإنما إن صدق ظني أنه أنكره لأمرين لا ثالث لهما الأول خوفه من أساتذة المستشرقين أن يقولوا محمد يأكل الطعام ويحب الثريد ويفضله على سائر أنواع الأطعمة . والثاني رائحة الرفض التي تشتم من كلامه في مواطن كثيرة من كتابه ، لأن الروافض يحزنهم أن تذكر عائشة بخير وفضل كهذا فلذا هم يكذبون الرواية ويبطلونها لأنها تناقض معتقدهم القائم على بُغض عائشة وأبيها رضي الله عنهما .

٣ ـ حديث البخارى : « إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء » ، إذ قال فيه ساخرا وهل يعقل أحدنا أن فى جناح ذبابة داء وفى جناحها الآخر دواء . .

ومن قوله : وهل يعقل ، يفهم أن علة الرجل التى جعلته ينكر الحديث الصحيح هى العقلانية التى جعلته يزن الأمور كلها بعقله فإذا أدرك معناها بعقله المحدود الضعيف قال بها وقررها ، وما ضاق عن عقله ولم يدركه به أنكره وكذب به ، وهذه فتنة نسأل الله تعالى أن ينجيه منها ، وأن لا يوقع مسلما فيها .

إن هذا الحديث رواه وعمل بمقتضاه ملايين العلماء والصلحاء من هذه الأمة إيمانا منهم بوجوب تصديق نبيهم فيما يخبر به ، وسواء أدركوا معناه وفهموا مغزاه أو لم يدركوا ولم يفهموا إذ أصل الإيمان هو الإيمان بالغيب .

ومع هذا فقد أثبتت التحليلات الطبية الدقيقة اليوم صدق هذا الحديث ، وأصبح الحديث عندهم علما من أعلام النبوة المحمدية ، وأخونا وريث ما زال يجهل هذا فرفع عقيرته منكرا صحة هذا الحديث وغيره من صحاح الأحاديث .

٤ ـ حديث البخارى والموطأ وغيرهما وهو : « لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقبض المال حتى لا يقبله أحد » .

فيقول فيه وريث . وعندما يتبادر إلى ذهننا سؤال عن صلة الخنزير بقيام الساعة نصطدم بأن عقولنا لم تصدق هذا الحديث المزعوم برمته ، ولماذا لم يكن الحيوان الذى سيقتله يسوع المسيح بن مريم حيوانا آخر غير الخنزير ؟

إن قوله الساخر هذا دال برمته على إنكار الرجل نزول عيسى بالمرة تقليدا لبعض الكتاب العرب ، وإلا فكسر الصليب لا غبار عليه فقد كان النبى ﷺ إذا رأى صليبا فى ثوب نقضه بأسنانه الطاهرة الشريفة بغضا للصليب الذى عبد من دون الله تعالى ، كما أن قتل الخنزير وهو حيوان كريه حرم الله على المؤمنين أكله واقتناءه ، فقتله وتطهير البلاد التى يحل بها عيسى عليه السلام من هذا الحيوان النجس لا غرابة فيه ولا عجب وقد أمر النبى الخاتم ﷺ بقتل الكلاب لأذاها وقلة نفعها فقتلوها . ثم أمرهم بالكف عنها مخافة أن تنقرض هذه الأمة من الحيوانات . فلعل رد وريث لهذا الحديث الصحيح كان لما فيه من

كسر الصليب وقتل الخنزير ليجامل النصارى ويتملقهم ، وإلا فإن لله تعالى أن يأمر رسوله بما شاء من أوامر لعلل وحكم يعلمها هو عز وجل ، إن العقل الذى يسيطر على وريث ويحمله حتى على إنكار المحسوس لا ينفى أبدا ان يشرع الله تعالى لنبى من أنبيائه فعل أمر ما ، أو تركه ! !

٥ ـ حديث مسلم فى صحيحه : ونصه : « إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة » يقول فيه وريث : هذا القول منتقض من أساسه لعدة أسباب موضوعية وعقلية منطقية هى :

أ ـ إن الإسلام دين يدعو إلى الحرية إلخ .

ب ـ إن العبودية والعبادة لله وحده .

جـ ـ إن الإسلام حث الناس على التخلص من الرق .. إلخ .

ثم يقول : فكيف يتأتى لنا أن نصدق أن الرسول قد اشترط لتقبل صلاة العبد أن يرضخ لمشيئة مستعبدة الخ .

إن حيرة وريث وتخبطه هنا نشأت عن أمور : الأول جرأته بالشريعة ، والثانى جرأته العظيمة على رد السنة وإنكارها إذا لم توافق هوى عقله ، والثالث رغبته فى التقرب من الغربيين الذين يتهون الإسلام بأنه دين يبيح استرقاق البشر واستعبادهم أو خوفه من طعنهم فى الإسلام واتهامهم له بأنه دين يضاد الحرية الشخصية .

فعن جهله بالشريعة نقول إن الشارع الذى جعل الصلاة تبطل ولا تقبل بكلمة خارجة عنها يقولها المصلى وهو فيها ، فكيف يستنكر عنه إبطال الصلاة بهروب العبد وتمرده عن صاحب الحق الذى ملكه الله تعالى إياه ، وجعله له عليه ، ولم يكن الهروب ناشئا كما يتصور وريث عن تعذيب العبد أو تكليفه بما لا يطيق إذ ذاك منفىٌّ شرعا ولو هرب العبد منه لجاز له ذلك ولم تبطل له صلاة والرسول ﷺ لما قال إذا أبق العبد لا تقبل له صلاة إنه يعنى ذاك العبد المسلم الذى وضعه الله ربه تحت إمرة عبد مؤمن يطعمه مما يطعم ويسقيه مما يشرب ويكسوه مما يلبس ، ولا يكلفه ما لا يطيق وإن كلفه أعانه . هذا العبد الذى يعنيه الشارع فإنه إذا تمرد وهرب تقصيا من أداء الواجب وأذية لسيده المسلم لا تقبل له صلاة حتى يؤدى ما أوجب الله تعالى عليه . وكم وكم من مصل لا ترفع له صلاة ولا تقبل لتلبسه بالفحشاء والمنكر وفى الحديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له .

وعن جرأته العظيمة فى رد الأحاديث الصحيحة وإنكارها حسبنا أن نقول إن هذا الموقف المتطرف الشائن لم يقفه مسلم قط منذ ظهور الإسلام إلا رافض وأصحاب الأهواء فهل يرضى وريث أن يكون منهم ؟ اللهم اهده وأنقذه من هذه الورطة التى أوقع نفسه فيها بقصد أو بدون قصد .

وعن رغبته فى التقرب من الغربيين الذين كثيرا ما يستشهد بكلام مفكريهم فى كتابه هذه ﴿ **أم على قلوب أقفالها** . . ﴾ فإنا نقول : إن الحصول على رضاهم متعذر إلا بالكفر بالإسلام واعتناق دينهم الباطل إننا لو هدمنا أكثر من ركن من الإسلام لم يكن ذلك ليرضيهم عنا أبدا وإنما يرضون عنا عندما نكفر بالإسلام جملة وتفصيلا وندخل فى دينهم بكلنا هذه هى الحقيقة التى جهلها وريث علمه الله ما جهل وهداه إلى الحق الذى ضل عنه بعقله وهواه ، وإلا فالله تعالى يقول فى سورة البقرة : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ .

هذا وقد رد وريث أحاديث صحيحة كثيرة فى كتابه ولو ذكرناها كلها لطال بنا الحديث وسودنا الكثير من الأوراق ، وما دام القصد من كتابتنا لهذه الرسالة هو أحد أمرين لا ثالث لهما .

الأول : محاولة هداية أخينا الكاتب والأديب أحمد محمد وريث والرجوع به إلى الحق والصواب ليبقى عضوا صالحا فى جسم أمة الإسلام ينفعها ويدفع عنها .

والثانى : تنبيه المسلمين إلى أخطاء وريث التى جاءت فى كتابه حتى لا يغتروا بها فيهلكوا بسببها فإن فيما بيناه كفاية والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

من يعذر ومن لا يعذر

رسالة علمية تعالج أهم موضوع من مواضيع الساعة

المقـدمة

الحمد للّه القائل : ﴿ **لا يُكلف اللّه نفساً إلا وسعها** ﴾ و ﴿ **لا يُكلف اللّه نفساً إلا ما آتاها** ﴾ . والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته البررة أجمعين .

وبعد ، فقد كثُر فى هذه الأيام التساؤل عمن يُعذر بالجهل ومن لا يُعذر ، إذ ظهر بين المسلمين ـ والحمد للّه ـ شباب مؤمن قوى الإيمان إلا أنه قليل العلم لا فقه له ، ولا بصيرة فى الشرع وحكمه وأسراره ، فنتج عن ذلك اضطراب كبير بين المستقيمين فى معرفة أمور من الشرع كثيرة من بينها هل يُعذر المرء بالجهل أو لا يُعذر ؟ ووردت إلىَّ رسائل كثيرة من البلاد المصريَّة والديار الجزائرية بصفة خاصة يسأل أهلها عن العذر بالجهل وعدمه ، فكنت أجيبهم إجابات فردية بيد أنها ما أغنت .. إذ ما زالت الرسائل ترد ؛ لذا رأيت تأليف رسالة خاصة فى هذا الباب وطبعها ونشرها بين المؤمنين عسى أن تسد حاجة الطالبين فى هذا الباب وتكون مرجعاً للمسلمين فى مقبل الأيام والأعوام يرجعون إليها فى معرفة الأعذار الشرعية ومن يُعذر فى المخالفة الشرعية فلا يُؤاخذ فى الدنيا والآخرة ، ومن لا يُعذر فيؤاخذ فيهما إلا أن يعفو اللّه عنه ويرحمه .

وها هى ذى الرسالة تحمل عنوان « من يُعذر ، ومن لا يُعذر » .

واللّه أسأل أن ينفع بها الإخوة المسلمين ، وأن لا يحرمنى أجر عملى فيها إنه برٌّ رحيم ، جوادٌ كريم .

العذر وأنواعه

إن المراد من كلمة العذر أنه ما يعتذر به المرء من قول أو حال رفعاً للإثم ، أو دفعاً للمؤاخذة أو اللوم والعتاب .

إذ يقال اعتذر فلان من قول كذا .. أو فِعل كذا .. إذا أبدى عذره رفعاً للإثم أو دفعاً للوم عليه والعتاب .

كما يقال : عذر فلان فلاناً يعذِره عُذراً إذا رفع عنه اللوم وترك مؤاخذته لما ظهر له من عذر مقتضٍ لعدم المؤاخذة .

وأعذر كاعتذر إذ يُقال أعذر فلان إذا أبدى عذره ، كاعتذر فلان عن كذا أبدى عذره فيه ، وفى المثل : أَعْذَرَ من أَنْذَرَ . أى أبدى عذره على المؤاخذة إذا هو أَنْذَرَ من أراد مؤاخذته لتعرضه لها بفعل ما نُهى عنه أو ترك ما أمر به .

والمعذِرة والعُذرى كالعذرِ سواء بسواء ، إظهار الحجة لدفع المؤاخذة أو دفع اللوم والعتاب .

هذه حقيقة العذر لغة وشرعاً .

أنواع العذر

١ ـ العجز

٢ ـ الخطأ

٣ ـ النسيان

٤ ـ الإكراه بالفعل

٥ ـ التأول القريب

٦ ـ حديث النفس

٧ ـ ضعف العقل

٨ ـ الجهل

أدلة الأعذار من الكتاب والسنة

إن االأعذار الشرعية لا تثبت بمجرد الرأى أو النظر إلى المصلحة وإنما تثبت بالدليل الشرعى من الكتاب والسنة أو إجماع الأمة وهذه أدلة الكتاب :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ **لا يُكلف اللّه نفساً إلا وسعها** ﴾ من سورة البقرة .

وقوله جل ذكره : ﴿ **لا يُكلف اللّه نفساً إلا ما آتاها** ﴾ من سورة الطلاق .

والمراد من الوسع القدرة على القول والعمل وإطاقتهما ، كما أن المراد من قوله : ما آتاها : أنه ما وهب الإنسان من قدرة مالية فى باب النفقات ، وبدنية فى باب الأقوال والأعمال .

فبهاتين الآيتين ثبت دليل العذر كالعجز بالكتاب الكريم .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً** ﴾ من سورة النساء .

وقوله جل جلاله وعظم سلطانه وعمَّ برُّه وإحسانه :

﴿ **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم** ﴾ من سورة الأحزاب .

وبهاتين الآيتين ثبت دليلُ العذر بالخطأ بالكتاب الكريم .

٣ـ قوله تعالى : ﴿ **ربنا لا تؤاخِذنا إن نسينا** ﴾ من سورة البقرة . وهو تعليم منه تعالى لأمة الإسلام أن تطلب هذا الطلب وما علمها ذلك إلا أنه تَقَبَّلَهُ منها ففى الحديث قال تعالى : (قد أجبت أو فعلت) وقوله تعالى : ﴿ **لا تؤاخذنى بما نسيت** ﴾ من سورة الكهف ، إنه وإن كان من قول موسى عليه السلام للخضر فإنه دال على عذر النسيان إذ لم يؤاخذ بها الخضر موسى ، وأكد هذا رسول اللّه ﷺ فقال : « **فكانت** الأولى من موسى نسياناً »« فى الصحيح » .

فبهاتين الآيتين ثبت عذر النسيان بالكتاب الكريم .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ من سورة النحل إذ الآية نزلت فى المعذبين بمكة ياسر وعمار وسمية وبلال إذ كان يُعذبهم المشركون ، ويطلبون منهم أن يقولوا كلمة الكفر بمدح آلهتهم الباطلة أو بسب النبى ﷺ فمنهم من صبر حتى مات تحت

العذاب ومنهم من أعطاهم ما طلبوا بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية فى عذرهم ، وقال الرسول ﷺ لعمار : « كيف تجد قلبك إذا أعطيتهم ما طلبوا منك ؟ قال أجده مطمئناً بالإيمان . قال : إذن أعطهم ولا يضرك ذلك » . أو كما قال ﷺ .

فهذه الآية دليل قاطع فى إثبات عذر الإكراه لمن أكره على قول أو فعل ما حرم اللّه تعالى باستثناء قتل المسلم فإنه لا يقتل بالإكراه لحديث : « كن عبد اللّه المقتول ولا تكن عبد اللّه القاتل » .

٥ ـ التأول القريب نحو قوله تعالى : ﴿ **عفا اللّه عنك لم أذنت لهم** ﴾ من سورة التوبة .
وقوله تعالى : ﴿ **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض** ﴾ من سورة الأنفال .

فالآيتان صالحتان لأن يستنبط منهما دليل عذر التأول القريب ، إذ الأولى تأول فيها رسول اللّه ﷺ جواز الإذن بالتخلف عن الجهاد فى غزوة تبوك لمن استأذنه وكان الصواب أن لا يأذن ، لأن النفير كان عاماً ولما كان متأولا وكان تأوله قريباً عفا اللّه عنه ولم يؤاخذه .

والثانية تأول فيها رسول اللّه ﷺ وبعض أصحابه جواز مفاداة الأسرى أسرى بدر بالمال نظراً إلى حاجة المسلمين إلى النفقة فى تلك الأيام ، وإلى أن اللّه تعالى قد يتوب على الأسرى فيؤمنوا ويسلموا ويحملوا راية الإسلام فتأولوا مفاداتهم فى حين أن قتلهم فى هذا الظرف أولى من المفاداة ، ولما كانوا متأولين تأولاً قريباً عفا اللّه عنهم وأحل لهم ما فادوا به من المال فقال : ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا اللّه** ﴾ الآية ٦٩ من سورة الأنفال .

والتأول القريب شبيه بحكم الحاكم إذا اجتهد وأخطأ فإنه مأجور ولا يؤاخذ والتأول البعيد شبيه بحكم الحاكم إذا لم يجتهد وأخطأ فإنه يؤاخذ وحكمه باطل .

٦ـ حديث النفس فى قوله تعالى : ﴿ **إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء واللّه على كل شىء قدير** ﴾ من سورة البقرة .

فهذه الآية الكريمة قَبْلَ نسخِها كانت مقررة المؤاخدة بحديث النفس قيل به وعمل أو لم يُقل ولم يُعمل إلا أن اللّه تعالى نسخها بقوله بعدها ﴿ **لا يُكلف اللّه نفساً إلا وسعها** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** ﴾ وحديث النفس لا طاقة للمرء بدفعه . وقد عَلَّم اللّه المؤمنين هذا الدعاء وأجابهم فيه فأعذرهم فيما حدثت به أنفسهم ما لم يقولوا أو يعملوا به فكانت هذه الآية دليل عذر حديث النفس ، والحمد للّه .

٧ ـ ضعف العقل ، وله أسباب منها الجنون ومنها نقص العقل المعروف بالعُتهِ وصاحبه بالمعتوه وهو من نقص عقله فضعف إدراكه أو فقد عقله كلية ، ومنها الحُمقْ وهو قلة العقل حيث يصبح صاحبه عاجزاً عن إدراك الأمور والتمييز بين صالحها وفاسدها وحسنها وسيئها فقوله تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون** ﴾ من سورة النحل . كقوله تعالى من سورة الملك : ﴿ **قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون** ﴾ استنبط دليل عذر عادِم العقل أو ضعيفه ضعفاً بيناً وعليه إجماع الأمة إذ لا تكليف إلا بشرط العقل وسلامته وكذا عذر من ولد أعمى لا يبصر وأصم لا يسمع ، فإنه ممن يمتحنون يوم القيامة كما سيأتى فى عذر الجهل إن شاء اللّه تعالي .

٨ ـ قوله تعالى : ﴿ **إنما التوبة على اللّه للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب** ﴾ الآية من سورة النساء .

وقوله تعالى : ﴿ **وما كُنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ الآية من سورة الإسراء .

أما الآية الأولى فاستنباط دليل العذر بالجهل منها ضعيف ، ولكن يستأنس به ويؤخذ به فى بعض الحالات لا غير . إذ معنى الجهالة فى الآية أنه عدم تعمد المعصية وعدم الإصرار عليها وعدم الاستخفاف بها إذ سبب المعصية كان نتيجة الجهل بحق اللّه تعالى ، وبما يجب له من الطاعة والتعظيم .

وأما الآية الثانية فقد يستنبط منها العذر بالجهل ولكن لا على الإطلاق إذ معنى الآية أن اللّه تعالى لا يأخذ بعذاب الإبادة والاستئصال أمة لم يبعث إليها رسولاً يعرفها باللّه تعالى وبما عنده لأوليائه من النعيم المقيم وما لديه من عذاب ونكال أعدَّه لأعدائه الكافرين به المكذبين لرسله كما يُعرِفها بما يكسبها النعيم المقيم ويجيرها من العذاب الأليم وذلك ببيان مخافة اللّه تعالى من الاعتقادات والأقوال والأفعال والصفات ومكارهه من ذلك لتعمل بالمحاب وتتجنب المكاره .

وذهب بعضٌ إلى أن معنى الآية أن اللّه تعالى لا يعذب أهل الفتره بين الرسل وهم الذين بمرور الزمن انقرض العلم وأهله ولم يبق من يعرف اللّه تعالى ويعرف شرائعه ويدعو إلى ذلك ويُعرف به . ولو صح هذا الفهم من الآية لكان فى الآية دليل العذر بالجهل ، ولكن المعنى الأول ألصق بالآية وأظهر فى دلالتها ، ويردّ المعنى الثانى أنه لو كان أهل

الفترة معذورين بالجهل فلا يحاسبون ولا يعذبون ولكن ينجون وينعمون لكان عدم بعثة الرسل خيراً منها ولا قائل بهذا البتة ، كما يرده ما روى وصح عن النبى ﷺ أن أهل الفترة كالمعاتيهِ ومن وُلدوا صُمّاً عُمياً وكأولاد المشركين الكل يُمتحنون يوم القيامة ، ومن كان مستعداً للإيمان وصالح الأعمال لو تأهل للتكليف وبلغته دعوة الله فإنه يؤمر بدخول النار امتحاناً له فيطيع لاستعداده النفسى للطاعة فيُخالف به إلى الجنة ، ومن كان مستعداً للكفر والعصيان فإنه يؤمر بدخول النار فيعصى ولا يدخلها فيلجأ إليها ويخلد فيها .

ومن هنا فالعذر بالجهل لا وجود له إلا فى صور خاصة ومحدودة معدودة كما سيأتى فى عرض صور الأعذار الشرعية الثمانية التى مرت إن شاء اللّه تعالى .

كانت هذه أدلة الأعذار الشرعية من الكتاب أما من السنة فهى ما يلى :

١ ـ قوله ﷺ : « لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادياً من واد إلا وهم معكم ، قالوا يا رسول الله: وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم العذر ، وفى رواية المرض » .

فهذا الحديث نص فى ثبوت العذر بالسنة وهو هنا عذر العجز والعجز هو عدم القدرة سواء كان لمرض أو غيره من الموانع الشرعية .

٢ ـ قوله ﷺ : « إن اللّه تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » . فقد دل هذا الحديث الصحيح على ثلاثة أعذار وهى : الخطأ ، والنسيان ، والإكراه .

٣ ـ قوله ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ والغلام حتى يحتلم ، والمجنون حتى يفيق » . فهذا الحديث نص على دليل العذر بالصغر والنوم والجنون .

٤ ـ قوله ﷺ : « إن اللّه تجاوز لى عن أُمَّتى عما حدثت به أنفسها ما لم تَقل أو تعمل » . فهذا الحديث نص فى ثبوت العذر بالعجز إذ المرء يعجز عن دفع الخواطر وحديث النفس .

٥ ـ قوله ﷺ لأصحابه وقد استنفرهم لمحاصرة بنى قريظة وقتالهم بعد أن نقضوا عهدهم : « لا يصلينَّ أحدكم العصر إلا ببنى قريظة » . ولما وجبت صلاة العصر وهم فى طريقهم إلى بنى قريظة صلى بعض فى الطريق ولم يصل بعض آخر متأولين قوله ﷺ فعذَرَ من صلى ومن لم يصل حتى وصل ديار بنى قريظة فكان هذا دليل عذر التأول القريب .

٦ ـ قوله ﷺ : « إذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران » . فهذا الحديث الصحيح صالح لأن يدل على عذر العجز وعذر الجهل لكن مع بذل الجهد والتحرى فى معرفة الحق .

هذا ما حضرنى من أحاديث أدلة الأعذار الشرعية . وبُعذر عدم البلوغ والنوم تصبح الأعذار الشرعية عشرة أعذار وقد تقدمت مجتمعة ومفرَّقةً . وهذه صور عملية لكل عذر منها على حدة .

العذر بالعجز وأمثلة له

العذر بالعجز هو أن يكلف المسلم بتكليف ويعجز عن القيام به فيعفى عنه فلا يأثم بتركه ، ولذلك أمثلة منها :

العجز البدنى : فالأعمى والأعرج والمريض أعذرهم اللّه فى تخلفهم عن الجهاد فى قوله تعالى : ﴿ **ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج** ﴾ الفتح ١٧ . والحرج : الإثم وقد نفاه تعالى عن القاعد عن الجهاد بسبب العجز الذى قام به من عمى أو عرج أو مرض . وهو عجز بدنى . ومثله المريض يعجز عن القيام فى الصلاة فإنه يصلى قاعداً ، وإن عجز عن القعود صلى على جنب فإن عجز صلى مضطجعاً وصحت صلاته لعذر العجز البدنى الذي قام به . ومثله المريض يعجز عن الصوم فإنه يُفطر لما قام به من عذر العجز البدنى ، ومثله المريض يعجز عن أداء فريضة الحج أو واجب العمرة لما لازمه من مرض أقعدَه فلم يقدر على المشى وعلى الركوب .

العجز المالى : وكالعجز البدنى العجز المالى وهذه أمثلة :

١ ـ كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة الوطء وفى رمضان الواجب هو الإطعام ولما لم يجد المسلم ما يطعم به يعذر وينتقل إلى الصيام .

٢ ـ سقوط الحج والعمرة عمن لم يجد ما يركب وما ينفق فى سفره ، إذ فسرت الاستطاعة فى قوله تعالى : ﴿ **من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ آل عمران ٩٧ . فسرت بالزاد والراحلة .

٣ ـ سقوط النفقة عمن وجبت عليه للأبوين والأقارب إذا لم يجد ما ينفق عليهم .

٤ ـ سقوط الخروج إلى الجهاد إذا لم يجد ما يركبه ولا ما ينفقه على نفسه أثناء سفره لقوله تعالى : ﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله** ﴾ التوبة ٩١ .

٥ ـ سقوط زكاة الفطر عمن لم يفضل له عن قوت يومه شيء .

هذه أمثلة للعذر المالى وغيرها كثير . والمراد أن عذر العجز يكون بدنياً ويكون مالياً ، وأن ما سقط بعذر العجز البدنى والمالى منه ما يكون إلى بدل ومنه ما يكون إلى غير بدل . وهذا ظاهر لمن تأمله فيما ذكرنا من أمثلة لكل من عذر العجز البدنى والمالى على حد سواء . وعلى سبيل المثال فعذر العجز البدنى فى باب الجهاد كان إلى غير بدل ، وعذر العجز عن الصيام فى حال المرض والسفر كان إلى بدل وهو أنه إذا صح المريض أو حضر المسافر قضى ما فاته ، والحرج أى الإثم مرفوع عنه فى حال السفر والمرض ولولا ذلك لأثم إثماً كبيراً ، وأما القضاء فواجب لا يسقط متى زال المانع وجب عليه قضاؤه .

العذر بالخطأ وأمثلة ذلك

الخطأ : ضد الصواب والخاطىء مُرتكب الخطيئة والمخطىء خلاف المصيب وهو من يفعل الخطيئة أى الذنب غير متعمد له .

ولعذر الخطأ أمثلة كثيرة وصور شتى منها :

١ ـ أراد أن يرمى غزالاً فرمى إنساناً فقتله أو جرحه فهذا مخطىء معذور فلا يطالب بقصاص ولكن بالدية والكفارة إن مات من رماه من إنسان .

٢ ـ أراد أن يمدح فأخطأ بسبق لسانه أو ذهول عقله فذمه كالرجل الذى ذكر النبى ﷺ أنه من شدة فرحه أراد أن يقول اللهم أنت ربى وأنا عبدك . قال اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، فعذر بالخطأ ولم يُذنب فيؤاخذ .

٣ ـ صائم ظن غروب الشمس فأفطر فتبين أن الشمس لم تغرب فأمسك وعذر بالخطأ فلا كفارة عليه إذ لم يترتب على فطره إثم حتى يكفره وهل يقضى ؟ لو قضى لكان جبراً له إكمالاً لعدة رمضان .

٤ ـ خارج من المسجد فلبس نعلاً ظاناً أنه نعله فتبين أنه نعل غيره فلا إثم عليه لأنه مخطىء غير متعمد وغير المتعمد معذور بالخطأ . ولو وجد صاحبه لوجب رده إليه .

٥ ـ قارىء قرآن يخطىء بوضع كلمة فى موضع كلمة أخرى كأن يقرأ إن الله عزيز حكيم إن اللّه حكيم عليم مثلاً فلا إثم عليه لأنه مخطىء غير عامد والمخطىء معذور بعذر الخطأ الشرعى .

٦ ـ سائق سيارة يحمل راكباً فأخطأ فى سوقه فانقلبت السيارة فمات الراكب فلا قصاص لأنه معذور بعذر الخطأ وعليه الدية أداء لحق الوارث ، وعليه الكفارة لمحو ما قد يعلق من إثم القتل .

٧ ـ طبيب يعالج مريضاً فأخطأ فى إعطاء مريضه الدواء فهلك المريض فلا قصاص عليه ولا إثم لأنه معذور بعذر الخطأ الشرعى ، وهل على عاقلته الدية ؟ ، وهل عليه الكفارة ؟ لم أظفر بالجواب فى كلام أهل العلم بعد .

العذر بالنسيان وأمثلة ذلك

النسيان يكون بمعنى عدم الحفظ ويكون بمعنى الترك يقال نسيه إذا لم يحفظه أو لم يذكره فتركه لذلك وصاحبه معذور به شرعاً وله أمثلة منها :

١ ـ لم يذكر صلاة العصر حتى غربت الشمس فإنه معذور بالنسيان فلا إثم عليه وليصلها متى ذكرها ، لحديث الموطأ : « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها ، فإنها لا كفارة لها إلا ذلك » .

٢ ـ من أحرم بحج أو عمرة ونسى سروالاً أو ثوباً لم ينزعه فإنه ينزعه ولا فدية عليه لأنه لم يأثم ، لعذر النسيان .

٣ ـ من أكل أوشرب وهو صائم ناسياً لا قضاء يجب عليه لعذر النسيان ففى الحديث من أكل أو شرب ناسياً فلا شىء عليه إنما أطعمه اللّه وسقاه .

٤ ـ من نسى أنه محدث فصلى ، ثم تبين له أنه محدث حدثاً أكبر أو أصغر فإنه يتطهر ويعيد الصلاة ولا إثم عليه لعذر النسيان بخلاف ما لو تعمد الصلاة وهو محدث فإنه يأثم إثماً عظيماً إذ ورد من صلى بغير وضوء متعمداً فقد كفر .

٥ ـ من حفظ قرآناً أو علماً فنسيه لاإثم عليه لعذر النسيان الثابت بالكتاب والسنة كما تقدم.

٦ ـ من أعطى مالاً يوزعه على مستحقيه فنسيه ، ولم يذكر إلا بعد مدة طويلة فإنه يوزعه متى ذكره ولو بعد أعوام و لاإثم عليه لعذر النسيان .

٧ ـ من صلى بثوب نجس ولم يذكر إلا بعد أن صلى وخرج الوقت فإنه لا إثم عليه ولا إعادة لعذر النسيان الشرعى .

العذر بالإكراه وأمثلة ذلك

الإكراه : مصدر أكره فلانٌ فلاناً على قول أو فعل ما يكره لما فى المكره عليه من الضرر العاجل أو الآجل .

والإكراه يكون بتعذيب المكره بالضرب ونحوه فيعجز المكره عن تحمل العذاب فيعطى المكره له ما طلب منه ، وهو كاره له بقلبه . وللإكراه أمثلة نذكر منها ما يلى :

١ ـ أن يكره الظالم امرأً مسلماً على أن يقول كلمة الكفر ، أو يرتكب محرماً من أكل أو شرب ونحوهما فإن المرء المسلم إذا لم يُطق العذاب يقول أو يفعل ما أكره على قوله أو فعله ولا إثم عليه بشرط أن يكون كارهاً لذلك بقلبه غير راض به . وذلك لعذر الإكراه الثابت بالكتاب والسنة وقد تقدمت نصوصه .

٢ ـ أن يجوع المرء ويخاف على نفسه الهلاك فإنه يجد نفسه مضطراً اضطرار الإكراه إلى أكل ما يقيم به أوده ، ويحفظ حياته ، ولا إثم عليه لعذر الإكراه الشرعى الذى أوجبته الضرورة لدفع غائلة الموت .

٣ ـ أن يصاب المرء المسلم بنزيف فيعطى كميات من الدم بواسطة الاحتقان بشرط ان لا يوجد دواء يسد مسد الدم فإنه لضرورة إنقاذ حياته أصبح مكرهاً على تناول المحرم ، لذا فإنه لا إثم عليه لعذرالإكراه الشرعى .

٤ ـ ارتكاب أخف الضررين وهو صورة من صور الإكراه وذلك كأن يجد المرء المسلم نفسه مضطراً إلى قول أو فعل مكروه ، أو قول أو فعل حرام فيرتكب أخف الضررين فيقول أو يفعل المكروه تجنباً لقول أو فعل الحرام ولا لوم عليه ولا عتاب لعذر

الإكراه الشرعى .

٥ ـ أن يبدأ اليهودىَّ أو النصرانىَّ بالسلام إذا كان لا سلطان عليه وكان يهابه أو هو فى حاجة إليه . فبَدْؤُه بالسلام مكروه ، ولكن أكرهته الضرورة إلى أن يبدأ بالسلام درءاً لمفسدة وضرر أكبر وهو فى هذه الحالة معذور لا إثم عليه ولا لوم ولا عتاب .

٦ ـ اتخاذ صورة محرمة فى الجواز أو الحفيظة مثلاً محرم أو مكروه وضرورة السفر أو الحفاظ على الأمن أكرهت المرء المسلم على ذلك فهو لا يأثم ولا يلام لعذر الإكراه الشرعى .

٧ ـ قد يضطر المرء المسلم إلى أن يتنكر فيلبس لباس امرأة ، أو لباس كافر حال هروبه من العدو أو وصوله إليه لتحقيق غرض شرعى كبير لا يتحقق إلا بمثل هذه الوسيلة فإنه فى هذه الحال لا يأثم ولا يُلام لعذر الإكراه الشرعى الذى قام به .

العذر بالتَّأوُّل القريب وأمثلة ذلك

التأول مصدر تأول الكلام طلب له معنى يؤول إليه ، وذلك بعد التدبر فيه والتقدير له . وهو قسمان تأول قريب يعذر صاحبه إن أخطأ فيه ، وتأول بعيد لا يعذر صاحبه إن أخطأ فيه ، وهذه أمثلة لكل من التأول القريب والبعيد .

١ ـ من تأول قول اللّه تعالى ﴿ **وهو معكم** ﴾ بأنها معيه علم وقدرة فهذا تأول قريب دفعاً لمذهب الحلولية الباطل الفاسد ، وإلا فاللّه عز وجل الذى يجعل الأرض فى قبضته ويطوى السموات بيمينه ليس بعيدا عن خلقه ولا الخلق بعيداً عنه فصاحب هذا التأول القريب معذور شرعاً ولا يلام ولا يعتب عليه .

٢ ـ من تأول صفة اليد للّه تعالى بالقدرة ، والاستواء على العرش بالاستيلاء والقهر والرضا بالثواب والغضب بالعقاب ، فهذا التأول بعيد ولا يعذر صاحبه لأنه سلب لصفات اللّه عن اللّه وتعويض بأخرى وهو تصرف فيما ليس له حق التصرف فيه فلذا هو آثم غير معذور بالتأول البعيد .

٣ ـ صائم أكل وشرب ناسياً فواصل الإفطار ظاناً أنه ما دام قد أفطر فلا يصح صومه فهو

معذور بالتأول القريب فلا إثم عليه إذ هو معذور بالتأول القريب ومثله الحائض تطهر قبل الفجر ولا تغتسل حتى يطلع الفجر فتظن أنه لا يصح صومها ما دامت لم تغتسل قبل الفجر فظلت مفطرة فهذه متأولة تأولاً قريباً فهى معذورة فلا إثم عليها ولا كفارة ولكن عليها القضاء .

٤ ـ مصل تأول قول اللّه تعالى : ﴿ **وجعلنا الليل لباساً** ﴾ النبأ ١٠ . فكان يصلى فى الليل عارياً فهماً منه أن الليل لباس فلا يحتاج معه المصلى إلى لباس آخر فهذا التأول بعيد وصاحبه آثم وصلاته باطلة وليس له عذر بتأوله البعيد . إذ التأول القريب ما كان له سبب ظاهر موجود ، والبعيد ما ليس له سبب ظاهر موجود .

٥ ـ من نفى رؤية اللّه فى الآخرة متأولاً قوله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ... ﴾ الآية . فهذا التأول بعيد إذ لا سبب ظاهر موجود ينفى رؤية اللّه تعالى إضافة إلى الآيات والأحاديث الصحيحة المصرحة بذلك من الآيات قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ القيامة ٢٢ ـ ٢٣ . وقوله تعالى ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ المطففين ١٥ . إذ مفهومه أن غيرهم من أهل الإيمان والتقوى غير محجوبين وفى البخارى : « إنكم سترون ربكم كما تَرَون القمر ليلة البدر فهل تضامون فى رؤيته » ؟! .

٦ ـ من أجاز التصوير بآلة التصوير « الكاميرا » بدعوى أن هذا التصوير هو عبارة عن حبس الظل لا غير كالنظر إلى المرآة ، فهذا تأول بعيد ، إذ الشارع لما حرم التصوير لم يحدد نوع الآلة التى يصور بها فقد تكون ريشة وقد تكون نسيجاً ينسج بالآلة أو اليد . ولذا لا عذر للمصور وعليه إثمه ، إذ لا عذر شرعى عنده .

٧ ـ من تأول قول الرسول ﷺ : « لا صلاة لمنفرد خلف الصف » فجاء المسجد فوجد الصفوف قائمة متراصة فخرج ولم يصل فهذا التأول قريب وصاحبه معذور ولا إثم عليه ، وكذا من دخل المسجد وقت النهى ولم يصل تحية المسجد متأولاً النهى الوارد عن الصلاة فى أوقات النهى فهذا معذور بتأوله القريب ولا إثم عليه ولا لوم ولا عتاب .

العذر بحديث النفس وأمثلة لذلك

المراد من حديث النفس هو ما يجده الإنسان فى نفسه من خواطر سيئة ، وإيرادات فاسدة ، وتعرف فى الشرع بالوسوسة إذ روى مسلم أن النبى ﷺ سئل عن الوسوسة ؟ قال : « تلك صريح الإيمان » ، وروى أن ناساً من أصحاب رسول اللّه ﷺ أتوا النبى ﷺ فسألوه فقالوا : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قالّ : « وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم قال : ذلك صريح الإيمان » . وفى رواية قال: « الحمد للّه الذى جعل كيده فى الوسوسة » وقال : « إذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت باللّه وليستعذ باللّه من الشيطان الرجيم » .

وبناء على هذا فحديث النفس ليس هو الهمُّ والإرادة فإن الهم إن كان يفعل سيئة ثم تركها العبد كتبت له حسنة ، وإن كان بحسنة كتبت له حسنة فإن فعلها كتبت له بعشر حسنات ، وقد يُضاعف إلى أكثر كما ثبت فى السنة ، أما حديث النفس وهو الوسوسة فلا أثر له إلا إذا تكلم به العبد ، أو عمل بمقتضاه . فعندئذ يأثم ، وإلا فهو معذور مرفوع عنه الإثم لقول الرسول ﷺ : « إن اللّه تجاوز لى عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل » .

ومن أمثلة حديث النفس الذى هو الوسوسة ما يلى :

١ ـ ما أخبر به الصحابة رسول اللّه ﷺ إذ قالوا : إن الشيطان يقول لنا هذا اللّه خلق السموات وخلق والأرض فمن خلق اللّه ؟

٢ ـ قد يُلقى الشيطان فى النفس ما تتحدث به وهو من أبطل الباطل ، وأمحل المحال فتنة للمؤمن والعياذ باللّه تعالى .

٣ ـ قد يوسوس الشيطان للمؤمن بأمور ما يرضى العبد أن يُصلَّب ويُحرَّق ولا ينطق بها .

٤ ـ قد تكون الوسوسة تشكيكاً للعبد فى معتقده مكراً من الشيطان وكيداً منه للمؤمن ليحزنه ، ويُنسيه نعمة الإسلام وحلاوة الإيمان .

٥ ـ الوسوسة فى الطهارة والصلاة وسائر العبادات ليفقد المؤمن بركتها ونورها بما يشغله

به من الشك فى إكمالها وعدمه وصحتها وبطلانها فهذه الوسوسة وحديث النفس مما أعذر اللّه تعالى فيها عبادة المؤمنين لأنهم لا يملكون دفعها وهو تعالى لا يكلف نفساً إلا ما تقدر عليه . وقد أخبر بذلك رسول اللّه ﷺ فى قوله : « إن اللّه تجاوز لى عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أوتعمل » ، ووضع ﷺ لذلك علاجاً وهو أن لا يُصغى للشيطان يسمع وسواسه بل عليه بمجرد ما يخطر بباله يقول آمنت باللّه ويستعيذ باللّه من الشيطان فإن الشيطان يفرُّ هارباً ولا يعود إلا بعد غفلة المؤمن ونسيانه.

العذر بضعف العقل وأمثلة ذلك

لا خلاف بين أهل الفقه عامة فى أن فاقد العقل كمختله وضعيفه يُعذر فيما يصدر عنه من تصرفات باطلة أو شائنة ، إذ مرد التكليف الذى به الثواب والعقاب إلى العقل وما يُسمى العقل عقلاً ، إلا لأنه يعقل صاحبه دون ما يضر ولا ينفع فإذا اختل العقل بعاهة من العاهات ، أو كان لم يبلغ مستوى الإدراك كعقل الصبى ، أو استتر بالنوم فإن ما يحدث منه من خطايا لا يؤاخذ بها لعذر عدم العقل ، وقد تقدم الحديث : « رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وعن الصبى حتى يحتلم » .

والعذر الثابت لهؤلاء الثلاثة هو فيما هو حق اللّه تعالى أما ما كان من حقوق العباد كإتلاف مال أو نفس فإنه يؤخذ من أموالهم إن كان لهم مال ، وتعقل عنهم العاقلة إن كان نفساً ، وهذه أمثلة ذلك :

١ ـ مجنون قتل رجلاً فإنه لا يُقاد منه لعذر عدم العقل ، ولكن العاقلة تدفع دية المقتول .

٢ ـ صبىّ قتل أو جرح أحداً فإنه لا يقاد منه ولا يقتص ، ولكن الدية أو الإرث تدفعه العاقلة .

٣ ـ نائم نام على طفل فمات بذلك فإنه لا إثم عليه ولكن دية القتيل على العاقلة .

٤ ـ مجنون أتلف زرعاً أو ماشية فإنه لا إثم عليه لعذر الجنون ولكن قيمة المتلف تؤدى من ماله إن كان له مال أو من عاقلته .

٥ ـ صبى سرق مالاً فإنه لا تقطع يده لعذر الصباء أى عدم العقل ، ولكن المال يرد من ماله

أو يدفعه عنه وليه .

٦ ـ امرؤ نام عن فريضة فإنه لا إثم عليه لعذر النوم ، ولكن يجب عليه قضاؤها .

٧ ـ نائم دفع آنية برجله أو بيده وهو نائم فكسرها فتلفت فإنه لا إثم عليه لعذر النوم ولكن عليه ثمنها إن كان له مال أو تَدْفعُه عاقلته .

هذه بعض أمثلة لعذر فاقد العقل لمرض أو صغر سن أو نوم ، وإن ما كان حقاً للّه تعالى لا يؤاخذ به ، وما كان حقاً لعباد اللّه يطالب به فيؤدّيه أو يؤدّى عنه .

العذر بالجهل وأمثلته

ليكن معلوماً أن العذر بالجهل أو عدمه خاصٌّ بالمسلم ، أما الكافر وثنيا كانً أو كتابياً فإنه لا دخل له فى هذا الشأن ، إذ العذر رحمه من اللّه لعباده المؤمنين . أما الكافرون فليسوا أهلاً لذلك . حتى ولو كانوا من أهل الفترة إذ أهل الفترة ،عذرهم ربهم فلم يأخذهم فى الدنيا بعذاب الإبادة والاستئصال ، أما فى الآخرة فيُمتحنون وينجو من ينجو منهم ويهلك من يهلك بحسب ما يظهر من حالهم .

وعليه فما نذكر من عذر وعدمه تحت عنوان العذر بالجهل هو خاص بالمسلمين فليعلم هذا ، وليعلم أيضاً أن ما كان معلوماً من الدين بالضرورة لا يُعذر فيه المسلم بالجهل ، فلو تزوج المسلم إحدى محارمه كبنت أو أخت أو عمة أو خالة ، وادعى أنه جاهل لأقيم عليه الحد ولا يُعذر بدعوى جهله ، ولو أن مسلماً ترك صلاة من الصلوات الخمس فلم يصلها مدعياً أنه يجهل فرضيتها لما قبل منه هذا العذر وإنه لآثم ويؤنب ويعزر . ولو أن مسلماً شرب مسكراً وادعى أنه يجهّل حرمته لما قبل منه عذره وهو آثم ويُقام عليه الحد تطهيراً لنفسه من إثم شرب الخمر أو المسكر . ولو أن مسلماً سرق مال امرىءٍ غيره من غير أقاربه كالأبوين والإخوة مثلاً فإنه لا يُعذر بالجهل إن ادعاه ، وهو آثم ويقام عليه حد السرقة تكفيرا لذنبه .

وهكذا لا عذر بالجهل فيما هو معلوم بالضرورة وجوبه أو حرمته من الشريعة وقد يعذر فيما دون ذلك وهذه أمثلة له :

١ ـ مسلم يصوم ولا يمسك إلا بعد صلاة الصبح بدعوى أنه يجهل أن الإمساك يقع بطلوع

الفجر لا بانتهاء الصلاة يُقبل عذره فلا يعزر ويؤمر بقضاء ما صامه مما لم يمسك فيه إلا بعد صلاة الصبح .

٢ ـ مسلمة ما كانت ترى الحيض مانعاً من دخول المسجد فكانت تدخل المسجد لسماع الموعظة فهذه يُقبل عذرها بجهلها ولا تؤنب ولا تعزر ، وقد تأثم لتفريطها فى تعلم أحكام الشرع .

٣ ـ تاجر مسلم يبيع الجنس الواحد متفاضلاً كأن يبيع قنطاراً من البر غير الجيد بنصف قنطار من الجيد ، أو يبيع ألف درهم إلى أجل بألف ومائة وسئل فقال لا أعلم أن هذا رباً محرماً فإنه يُعذر بالجهل ولا يعزر ، وإنما يطلب إليه أن يترك هذا البيع المحرم لأنه رباً والربا حرام ، وإن أصر بعد العلم يؤخذ على يديه إذ عذره قد انقطع .

٤ ـ تاجر يبيع آلات محرمة أو تماثيل فيقال له فى ذلك فيدعى الجهل بالحرمة فإنه يعذر بجهله فلا يلام ولا يعزر ، وقد يأثم لعدم تعلمه ما يجب أن يتعلمه من أمور دينه وإن أصر بعد العلم يؤخذ على يديه .

٥ ـ مسلم ينذر للأولياء ويذبح لهم أو على أرواحهم ، فيقال له فى ذلك فيدعى الجهل بعدم الجواز فإنه يعذر بالجهل ويعلم فإن أصر يؤخذ عليه لأنه أتى شركاً لا خلاف فى حرمته وهلاك صاحبه ، وما أتاه فى حال الجهل هو آثم فيه لعدم تعلمه أمور دينه .

٦ ـ مسلم يدعو الأولياء ويستغيث بهم عند الشدائد ولما قيل له فى ذلك ادّعى الجهل فإنه يعذر ويعلم بحرمة ذلك فإن أصر بعد العلم انقطع عذره ووجب الأخذ على يديه . وما أتاه وفعله قبل إعلامه وتعليمه هو آثم فيه لتركه العلم الضرورى لمعرفة دينه .

٧ ـ مسلم يطوف بضريح من أضرحة الصالحين فقيل له فى ذلك فادعى الجهل بالحرمة فإنه يعذر ويعلم بحرمة ذلك فإن أصر على بدعته أخذ على يديه وهو آثم فى تركه طلب العلم الضرورى من أمر دينه .

٨ ـ حاكم أو قاضٍ يحكم أو يقضى بغير شرع اللّه فقيل له فى ذلك فادعى الجهل فإنه يعذر ، ويعلم فإن أصر بعد العلم يؤخذ على يديه ، وهو آثم لتركه العلم الضرورى من أمر دينه .

٩ ـ مسلما يأتى بدعاً مفسقة أو مكفرة فيقال له فى ذلك فيدعي الجهل فإنه يعذر بالجهل ويعلم حرمة ذلك فإن أصر ضرب على يديه ، وهو آثم لتركه واجب تعلم الضرورى

من أمور دينه .

١٠ ـ مسلم يدعى علم الغيب فقيل له فى ذلك فادعى الجهل فإنه يعذر ويعلم حرمة ذلك فإن أصر ضرب على يديه وهو آثم لتركه ما يجب أن يعلمه من أمور دينه .

هذه عشر أمثلة وغيرها كثير ، والمقصود بيان من يعذر بالجهل من المسلمين ومن لا يعذر . وقد تبين أن المسلم يعذر بالجهل فيما يأتى وما يترك ويبطل العذر بعد تعليمه وأنه آثم فى تعاطيه المحرم الذى اعتذر بالجهل فيه . وإثمه من تركه معرفة ما يجب عليه تعلمه من أمر دينه ، وهل يكفَّر من أصرَّ بعد تعليمه على اعتقاد الشرك وفعله وقوله ؟ ، والجواب نعم إذ عُلِّم فعلم وأصر على اعتقاد أو فعل أو قول ما هو شرك وكفر ، لأنه آثر باختياره الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد فهو لذلك كافر ومشرك فإن تاب قبل موته نجا إن شاء اللّه . وإن مات مصرّاعلى شركه وكفره فهو من أهل النار كسائر الكفار والمشركين وإن صام وصلى والعياذ باللّه .

الخاتمة

ليعلم كل مسلم ومسلمة فى هذه الحياة أن كل ما يشكوه المسلمون من ضعف فى العقيدة وسوء فى الخلق ، وانحراف فى السلوك ، وفقد المودة والإخاء وانعدام التعاون الصادق بينهم مرده إلى الجهل بالله تعالى وبمحابه ومساخطه وما عنده من نعيم لأوليائه ، وما لديه من عذاب لأعدائه . وهذه العلة هى علة ضلال البشرية كلها وانحرافها وفسادها وسوء أحوالها . وما تعانيه من حروب وويلات ، فالعالم غير الإسلامى الطريق إلى خلاصه مما يجده ويعانيه وما يتوقع له من خراب ودمار مع الشقاء الأبدى فى دار البوار يوم القيامة . الطريق هو أن يسلم فيدخل فى الإسلام ويحكم شريعته فى الصغيرة والكبيرة من شؤون حياته وبذلك يخرج من محنته ويخلص من فتنته ويكمل ويسعد فى الدنيا والآخرة .

أما العالم الإسلامى فطريق خلاصه هو العلم المتمثل فى الوحى الإلهى قال اللّه قال رسوله . إذ هو الروح التى بها الحياة ، وهو النور الذى به الرؤية والاهتداء قال تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾ من الآية ٥٢ من سورة الشورى . وقال : ﴿ **ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا** ﴾ . من الآية ٥٢ من سورة الشورى .

وطريق الحصول على هذا العلم المحيى الهادى هو أن يسلكوا سبيل المؤمنين الأولين

فيه وهو اجتماع أهل كل قرية ، وأهل كل حى فى مسجدهم الجامع الذى يتسع لكافة أفراد أهل القرية أو الحىّ نساء ورجالاً يجتمعون فيه من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء يجلس لهم عالم ربانى يعلمهم الكتاب والسنة ويزكيهم ، وذلك كل ليلة وطوال حياتهم فإنه لا يمضى عليهم قليل من الزمن إلا وقد أصبحوا كلهم عالمين حكماء رشداء قد اختفت بينهم مظاهر الجهل من الفسق والعصيان . وفساد العقيدة ، وسوء الأخلاق ، وانتظمتهم المودة والإخاء والتعاون ، وأصبحوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وتجلت فيهم حقيقة الإسلام العظمى وهى أن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يخذله ولا يسلمه ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً . وبذلك يمكنهم الظهور على صعيد الحياة أمة قوية عزيزة ظاهرة طاهرة سعيدة ذات أهلية لإنقاذ البشرية من وهدتها وتخليصها من ورطتها والارتفاع بها إلى المستوى الكريم اللائق بالإنسان فى هذه الحياة الدنيا حيث يعبد اللّه بطاعته وطاعة رسوله وهى سلم رقيه وسعادته فى الحياتين .

هذا هو الطريق وعلى الله قصد السبيل ، ومن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، ولا يهلك على اللّه إلا هالك .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين .

وجاءوا يركضون

مهلا يادعاة الضلالة !!

﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾

نظرةً أيُّها القارىء الكريم

على اللَّوحات التَالية قبل قراءتك لقصة الصِّراع بين الحقِّ والباطل
التى تضَّمنها هذا الكتاب

اللوحة الأولى

« رَمَتْنى بدائها وانسلتْ »

هذا مثل عربى قديم ، يضرب لمن يعيِّر صاحبه بعيب هو فيه ، وهو منطبق تمام الانطباق على أبطال القصة الآتية أسماؤهم :

* « يوسف السيد هاشم الرفاعى الكويتى »
* « راشد بن إبراهيم المريخى البحرينى »
* « عبد الحى العمروى المغربى »
* « عبد الكريم مراد المغربى »

وَوَجهُ انطباق المثل عليهم : أنَّه لما صدر كتاب « الذخائر » وهو كتاب يمثل وجهة نظرهم العقدية ، والكتاب يحمل فى طيات صفحاته وثنايا وريقاته الدعوة الواضحة إلى كلٍّ ما يفضى إلى الشرك فى عبادة اللّه تعالى .

وأين صدر الكتاب ؟ وأين نُشر ووزِّع ؟

صدر بمكة ، ونشر ووزع فى الحرمين الشريفين ، ملتقى المسلمين حجاجاً وعماراً وزائرين ، وذلك ليسهل نشر الضلالة بين المسلمين فى كلٍّ ديارهم وسائر أقطارهم ، وتغييراً للمنكر ـ وتغييرهُ واجب ـ وتحذيراً للمسلمين من الوقوع فى الفتنة ـ وتحذيرهم متحتِّم ـ ونصحاً للمسلمين ـ ونصحهم متعين لازم ـ كتبت رسالتى « كمال الأمَّة فى صلاح عقيدتها » ، وكتب الشيخ ابن منيع « كتاب الحوار » .

وما إن صدرت الرسالة والكتاب حتى تحرك أولئك العلماء السالفو الذكر ، يوقدون نار الفتنة ويؤججونها ، « والفتنة نائمة لعن اللّه تعالى موقظها » ، فكتبوا الكتب والرسائل ، منكرين على من أنكر المنكر ، مذكِّينَ نار الحرب على من رام إطفاءها ، ورفعوا أصواتهم بالبكاء : لم تكتبون ضد « الذخائر » وصاحبها ؟ لم تسبُّون لم تشتمون ، لم تكفِّرون ؟ وكلٍّ هذا جاء فى كتبهم ، فكانت حالهم كالمثل القائل : ـ

« رَمَتنى بدائها وانسلَّتْ »

اللوحة الثانية

دافعنا .... ويدافعون

لقد دافعنا بكتابنا رسالة « كمال الأمّة فى صلاح عقيدتها » ، دافعنا عن عقيدة ألف مليون مسلم حتّى لا تتأثر بما حواه كتاب الذخائر من الدَّعوة إلى الشرك والضلال .

ووالله ما سببنا ولا شتمنا ولا كفَّرنا أحداً فيها لم يقل كلمة الكفر أو يعتقدها .

وها هى ذى رسالتنا بين يدى المسلمين يقرؤونها ، ودافع أبطال القصة ويدافعون بكلِّ ما أوتوا من قوَّة عن رجل واحد أساء إلى معتقد كلِّ المسلمين ، وهو صاحب « الذخائر » ، ولم يتورعوا عن تجهيلنا وسبِّنا وانتقاضنا وتكفيرنا وحتّى الوشاية بنا إلى الحكومة السعودية لتنال منّا ، وحاشاها أن تفعل ، وهى أجَلُّ من أن تؤثر فيها الوشايات المغرضة الكاذبة .

اللوحة الثالثة

كتبنا ..... ويكتبون

كتبنا رسالتنا ويعلم الله تعالى ما كتبنا إلا لإماتة البدع وإحياء السُّنن .

كتبنا ما كتبنا لنحيي ونقوى موات عقيدة التوحيد فى نفوس المؤمنين ، ليعزُّوا بها ، ويكمِّلوا عليها ، وتعود إليهم سيادتهم وقيادتهم .

وكتب أبطال القصّة ، ليميتوا عقيدة التوحيد فى نفوس المسلمين ، وينشروا الخرافة فى ديار الإيمان !! .

كتبوا ليحيوا البدع ويميتوا السُّنن ، كتبوا ليردُّوا الموحِّدين إلى عبادة القبور وإلى أسْرِ الصُّوفية ، وتحكُّم مشايخ الطُّرق فى الرقاب والأموال ، فقل لى بربِّك أيُّها القارىء الكريم أىّ الفريقين أهدى سبيلاً ؟ ! .

اللوحة الرابعة

نستدل ..... ويستدلون

نستدل على صحّة التّوحيد وأحقيته ووجوب العمل به والدّعوة إليه ، وعلى بطلان الشرك وفساده وحرمة اعتقاده والعمل به ، نستدل على ذلك كلّه بالوحى الإلهىّ ، قال اللّه جلّ جلاله ، قال رسول اللّه ﷺ ، ونستدل بإجماع الصحابة وعمل الأئمّة وأهل القرون المفضلة رحمهم اللّه تعالى أجمعين ، ونستدل على العمل بالسنّة وترك البدعة بصحيح الأحاديث وثابتها ، مثل قول الرسول ﷺ : « عليكم بسنّتى وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين من بعدى ، تمسّكوا بها ، وعضّوا عليها بالنواجذ » ، وقوله ﷺ : « إيّاكم ومحدثات الأمور ، فإنّ كل محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة فى النّار » .

ويستدلون على جواز العمل بالشرك والبدعة بالمنامات والرُّؤى والأحلام ، وعمل أهل الضلالات وأقوالهم ، مثل النبهانى ، والشعرانى ، ودحلان ، ومتصوّفة أهل القرون المظلمة .

فأىّ الفريقين ترى أيّها القارىء أهدى فى منهجهم ، وأنجى فى مسلكهم ؟

اللوحة الخامسة

نجيز ..... ويجيزون

إنّا نجيز ـ على علمٍ ـ التوسّلَ والاستشفاع والتبرّك المشروع بالإذن الشرعىّ ، فنجيز التوسّل إلى اللّه تعالى بالإيمان الصحيح وبالعمل الصّالح المشروع بالكتاب والسّنة ، نجيز الاستشفاع بدعاء الصالحين الأحياء الذين يدعون اللّه تضرّعاً وخفية ، فيستجيب لهم ربّهم ، نجيز التبرك بما جعله اللّه مباركاً ككتاب اللّه تعالى ، وبيت اللّه تعالى ، ومجالس ذكر الله تعالى الخالية من البدع والضلالات .

ويجيزون التوسل والاستشفاع والتبرك غير المشروع بالإذن الشرعىّ ، فيجيزون التوسّل بدعاء الأموات والاستغاثة بهم بدعوى أنّهم أحياء فى قبورهم ، ويجيزون الاستشفاع بهم ، أى فى طلب الشفاعة منهم ، وهم أموات فى قبورهم .

ويجيزون التبرك بالتمسح بالأعتاب والأبواب والتّراب والقبور والصّور الخيالية الباطلة ، وتقبيل أيدى وأرجل المسّودين باطلاً ، والمقدّمين زوراً وبهتاناً .

فأيّنا يا عقلاء المهتدى ؟؟ .

اللوحة السادسة

نقول .... ويقولون

نقول : إنّ البدعة ضلالة ، ولا خير فيها ، وليس فى البدع ما هو حَسَنٌ قطّ ، وما يُرى أو يُظنّ أنّه بدعة من عمل السلّف الصّالح ، فهو من المصالح المرسلة ، وليس من الابتداع فى الدّين فى شىء ، وذلك مثل المحاريب فى المساجد ، والمنارات والمنابر ، وكنقط المصحَف ، ووضع قواعد التجويد ، وقواعد النّحو والصرّف ، وكاستعمال مكبّرات الصّوت فى المساجد لإسماع المسلمين الهدى والخير ، وما إلى ذلك .

ونحن فى ذلك مع النبى صلّى اللّه تعالى عليه وآله وسلّم فى قوله : « كلّ محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (١) .

وقوله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ » (٢) .

وقوله ﷺ : « الأمر المفضح ، والحمل المضلع ، والشّر الّذى لا ينقطع إظهار البدعة » (٣) .

وقوله ﷺ « شفاعتى لأمتى إلا صاحب بدعة » (٤) .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه والدارمى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه الطبرانى فى « الكبير » وفيه ضعف .

(٤) رواه محمد بن وضاح القرطبى فى كتابه « البدع والنهى عنها » .

وقوله ﷺ : « أبى اللّه أن يقبَلَ عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (١) .

ومع أصحابه : إذ يقولون : « عليكم بالاستقامة والأثر ، وإيّاكم والتبدّع » . (ابن عبّاس رضى اللّه تعالى عنهما) .

وإذ يقولون : « أيّها النّاس : عليكم بالعلم قبل أن يُرفع ، وإنّ رفعه ذهاب أهله ، وإيّاكم والبدعَ والتبدّعَ والتنطُّع ، وعليكم بأمركم العتيق » . (معاذ بن جبل رضى اللّه تعالى عنه) .

وإذ يقولون : « من أحدث فى هذه الأمة حدثاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول اللّه ﷺ .... خان الرّسالة ، لأن اللّه تعالى يقول : ﴿ **اليومَ أكملتُ لكم دينكُم وأتممتُ عليكُم نعمتى ورضيتُ لكُمُ الإسلامَ ديناً** ﴾ . (مالك بن أنس رحمه اللّه تعالى) .

وإذ يقولون : « لأنْ أرى فى المسجد ناراً لا أستطيع إطفاءها أحبّ إلىّ من أن أرى بدعة لا أستطيع تغييرها » . (أبو إدريس الخولانى) .

ويقولون : « البدعة منها السّيّئة ومنها الحسنة » رادّينَ بذلك على رسول اللّه ﷺ قوله : « كلّ بدعة ضلالة » ، وويل لعبد يردّ على رسول اللّه ﷺ أمره أو قولَه أو حكمَه ، وبحكم قانون البدعة الحسنة الذى وضعوه افتراءً على اللّه تعالى ، أجازوا البناء على القبور ، وأجازوا دعاء أصحابها والتوسّل بهم ، وأجازوا قراءة القرآن على الأموات بأجرة ، وأجازوا الذكر الجماعى وبألفاظ محدثة : هو ، هو ، هو ، وأجازوا فداء الميت من النار بقراءة « الصمد » ١٢ ألف مرّة بأجرة ، وأجازوا .. وأجازوا !! .

فأيّنا على الحق أيّها القارىء الكريم ، أنَحنُ أم هم ؟

اللوحة السابعة

القاسم المشترك

هذه اللّوحة تساعدك أيّها القارىء الكريم على فهم التحالف القائم بين أبطال القصة الأربعة ، وهو القاسم المشترك بينهم ، وهذه معالمه إزاء الأرقام التالية :

---

(١) رواه ابن ماجه عن ابن عباس وهو حسن .

١ ـ الدّفاع عن صاحب « الذخائر » الّذى قدموه ضحيّة جسّوا به النبض : هل السلفية ما زالت كما كانت قوية فى ديار اللّه السعودية ، أو تراكمت عليها أوضار المادة فَضَعُفَت ، فلمّا تحرّك السّلفيّون وأغرقوا زورقهم ، ونَتَفُوا رِيشَ طائرهم ، جاؤوا يركضون مُرْعِدِين مبرقين ، كما ستشاهد ذلك عند استعراضك للقصة بعد قراءتك هذه اللّوحات .

٢ ـ الدفاع عن جواز التوسّل والاستشفاع بالأموات ، بُسَؤالهم ، والذبح والنذر لهم ، وسؤال اللّه تعالى بجاههم وحقهم ، وإقامة الموالد والمواسم والذبح لهم .

٣ ـ الدفاع عن بدعة المولد النبوى ، وكذا سائر الموالد الّتى لا يخلو منها بلد إسلامى سوى هذه المملكة العربيّة السعوديّة ، حماها اللّه تعالى من مرض الشرك والضلال .

٤ ـ الدفاع عن التصوّف والمتصوّفين الغابرين الّذين وضعوا أمّة الإسلام تحت قدم الاستعمار الغربى قروناً عدّةً .

٥ ـ إعلان الحرب على السلفية والسلفيين ، انتقاماً لكرامة ضحيتهم صاحب « الذخائر » .

٦ ـ تكفير أهل التوحيد بنسبة تكفير المسلمين إليهم كَذِباً وزوراً .

٧ ـ إثارة إمام المسلمين فهد بن عبد العزيز ورجال حكومته ، ليتنكروا لمبدأ الحق الّذى قامت عليه دَوْلتهُم وهو أن لا يعبد إلا اللّه تعالى ، وعلى سنة رسول اللّه ﷺ ... ، وهو شعار العلم السّعودى ، « لا إله إلا اللّه محمداً رسول اللّه » .

وهيهات ، هيهات ، أن يتنكر آل سعود لمبدأ الحق الذى أقاموا ملكهم عليه ، ووقفوا حياتهم على حمايته ونصرته ونصرة الدّاعين إليه ، والهادين إلى مثله .

إنّه لو لم تبق إلا عجوزٌ واحدةٌ من آل سعود ، لم يكن لها أن تتنازل عن مبدأ الحق الّذى عرفته وعاشت عليه .

إنّه لن يُسمح أبداً للقباب أن تُبنى من جديد ، ولا للزوايا أن تفتح ، ولا لكتب الباطل أن تنشر وتوزّع .

هيهات هيهات ، وليمت خصومُ السلفية بغيظهم .

اللوحة الثامنة

رائحة الرفض تُشتم إن لم تخن حاسة الشم .

إنّك أيّها القارىء الكريم ، بقراءتك لـما نعرضه للردّ عليه من نصوص جاءت فى كتب هؤلاء الرّاكضين ، ستجد ريح الرفض يُشتم من أقلام القوم ومن أفواههم أيضاً .

وتأمل الملاحظات التالية فإنها تقوّى عندك هذا الظنّ :

١ ـ الدّفاع عن صاحب « الذخائر » بوصفه سيّداً .

٢ ـ يوسف هاشمى الرّفاعى سيّد .

٣ ـ إدريس العراقى سيّد .

٤ ـ كتاب « التحذير » طبع بالمغرب ويوزّع فى الأحساء حيث الروافض .

فما سر ذلك ؟

هل هو أموال الروافض أتباع السادة ومقدّسيهم ، ولا يعد هذا الاحتمال ، فإنه قريب قريب جداً ، وسيتأكد لك ذلك عند قراءتك للقصّة بعد قليل .

اللوحة التاسعة

أفحشُ خطأ وأسوأُ فهْم

الخطأُ خطأٌ على كلّ حال ، وسوء الفهم سوء فهم كذلك ، ولكن قد يعظم الخطأ ويفحش ، فيصبح لا يُحتمل بحال ، وقد يسوء فهم المرء وتعظم الإساءة ، فيصبح أسوأ فهم فلا يعقل ولا يُقبل حينئذٍ بحال !! .

ومن أفحش الخطأ وأسوأ الفهم ما جاء فى كتاب المغربيّين : « إنّ الترك لا يدلّ على التحريم » .

وبناء على هذه القاعدة المنهارة فإن الاحتفال بالمولد ، وكذا سائر الاحتفالات

والمواسم الّتى تقام على أضرحة [1] السادة والأولياء هى جائزة ، لأن الشارع لم يأمر بها ، ولم ينه عنها !! .

ويُسقط هذا القانون الّذى وضعوه قاعدةً للإحداث والابتداع أنّ الشارع قد نهى عن كلّ حدث وابتداع فى الدّين ، بقوله ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإنّ كلّ محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة » .

وخفى على القوم أنّ إحداثَ بدعة يُعبد بها اللّه تعالى يُعتبر اتّهاماً للشارع بالتقصير أو الإهمال ، وما أقبح ذنباً كهذا .

اللوحة العاشرة

بيان حقيقة ، وهى أن البحرينى بحسب رده على رسالة « كمال الأمّة » وما جاء تحت عناوينه التالية ، هو أحد رجلين : جاهل ، أو رافضى ماكر خبيث .

* فضل آل البيت ، وجهل المنتقد بذلك .
* بيان كذبه فى حق الأبوين الشريفين .
* وقاحته وسوء أدبه .
* سوء ظنّه بالمسلمين بإلزامهم ما لم يقولوه .
* جهله برد قول أبى طالب .
* جهل الجزائرى وعدم معرفته بمراتب الكفر .
* بيان جهله فى معنى الإذن بالشفاعة .

هذه بعض عناوين رسالة البحرينى للردّ على الجزائرى ، وما فيها عنوان إلا و... يحمل ما يدل على تغيظه وحنقه على الجزائرى الذى ما سب ولا شتم أحداً قطّ .

والذى أقوله إزاء هذا الرجل ، هو أنه لم يفهم ما جاء فى رسالتى « كمال الأمة » التى انبرى للردّ عليها ، أو هو رافضى ماكر خبيث يشوّه الحقائق ويفترى ، إشفاءً لعلة الحقد

---

(١) راجع صفحة ( ) من هذا الكتاب .

والغل في نفسه ، الّتي كادت تودي بحياته ، وإني لأهيب بكل ذي علم أن يقارن بين مَا رَدَّ بِهِ ، وبين ما رُدّ عليه ، ليعلم يقيناً أنَّ هذا الرّجل لا يعدو أحدَ رجلين : جاهل ، أو رافضى العقيدة ماكر خبيث .

اللوحة الحادية عشرة

« رُمح تَكَسَّر »

لقد قرأت كتب الراكضين الثلاثة ، وما كتبه مشايعوهم كالغُمارى ، وإدريس العراقى ، فلم أجد لهم دليلاً واحداً من عشرات الأدلة التى ساقوها يصلح للاحتجاج به على جواز ما دافعوا عنه من البدع والضلالات ، وأرادوا إثباته وتجويزه بكل وسيلة ، حتى بالرؤى والأحلام ، اللهم إلا أثر بلال بن الحارث الذى أورده البيهقى فى « الدلائل » ، والبخارى فى « التاريخ الكبير » ، والحافظ ابن حجر فى « الفتح » ، وهو أمر حيرنى حقّا ، وقلت : سبحان اللّه ، كيف يصحّ هذا الأثر وهو يناقض أكبر أصل من أصول الدين ، ألا وهو توحيد القصد والطلب ، إذ جاء فيه سؤال الرسول ﷺ فى قبره أن يستسقى لأمته .

ونظراً لمنافاة هذا الأثر لأصول الدين ، اتصلت بمحدث المدينة وعالمها اليوم أبى عبد البارى الشيخ حماد الأنصارى ، فسألته ، فقال : على الخبير وقعت ، إن هذا الأثر قد تتبعته في مصادره ، ودرست سنده ، فوجدته باطلاً ، لا يقبل سنداً ولا متناً ، وبيان ذلك :

١ ـ أن فى سنده الأعمش ، وهو معروف بالتدليس ، ولذلك فإن حديثه لا يُحتجُ به ما لم يصرح بالسماع .

٢ ـ مالك الدار ، والذى عليه مدار هذا الأثر مجهول ، سكت عنه البخارى ، كما سكت عنه ابن أبى حاتم والقاعدة عند علماء الحديث أن من سكت عنه البخارى وابن أبى حاتم فهو مجهول غير معروف ، لقول ابن أبى حاتم فى كتابه « الجرح والتعديل » : من سكتٌ عنه فإنى لا أعرفه . وقد سكت عن مالك الدار هذا .

٣ ـ سيف الضبىّ ، وهو الذى ذكر أن رجلاً أتى قبر النبى ﷺ وقال له : استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، وهو يعنى بالرجل بلال بن الحارث رضى اللّه عنه ، سيف هذا كذاب متهم بالزندقة ، قال فيه ابن أبى حاتم : سيف متهم بالزندقة ، وأحاديثه منكرة .

وسند يقوم على مدلس ، ومجهول ، وكذاب متهم بالزندقة ، كيف يقبل أثر ورد به ؟ هذا أولاً . وثانياً : كيف يقبل أثر (١) يجيز سؤال الأموات ، وهو هدم لأعظم أصل من أصول الدين ، وهو التوحيد . وثالثاً : أن هذا الأثر لا يعدو كونه رؤيا منامية ، والرؤى لا تثبت بها الشرائع والأحكام ، اللّهم إلا أن تكون رؤيا الأنبياء ، لأنها من الوحى .

وبهذا تكسّر الرمح الوحيد الذى كان بأيدى الراكضين ، يدافعون به لإثبات البدع وتقرير الضلالات ، وبقوا يخمشون بأظفارهم ، ويعضّون بأسنانهم . وأنى لهم أن يَهزِموا جيوش الحق بأظفار القطط ؛ وأسنان التماسيح !! .

بين يدى القصـة

الحمد للّه رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على نبى اللّه ورسوله سيدنا محمد خاتم الأنبياء ، وإمام المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، وصحابته أجمعين .

وبعد : قبل استعراضى للقصة مع القارىء الكريم ، نتبين الحقيقة الكبرى التالية :ـ

لقد خفَت صوت القبوريين ، وعلا صوت الموحدين فى كل ديار المسلمين من أندونيسيا شرقاً إلى المغرب الأقصى غرباً ، وحتى بين الأقليات المسلمة فى إفريقيا ، وأوربا ، وأمريكا . ولذلك عوامل كثيرة أبرزها ما يلى :

١ ـ تحرير بلاد المسلمين بفضل اللّه تعالى ، ثم بفضل الدعوة الإسلامية التى قام بها رجال مصلحون أمثال : الطيب العقبى بالديار الجزائرية والإمام صديق حسن خان فى الديار الهندية ، والشيخ رشيد رضا فى الديار المصرية والشامية .

٢ ـ وجود الدولة السعودية التى تحمل راية التوحيد وتدعو إليه ، وتحميه بالنفس والنفيس فى الحرمين الشريفين .

٣ ـ قدرة المسلمين بعد تحررهم من حكم الاستعمار الغربى على ارتياد معقل التوحيد

---

(١) نص الأثر المزعـوم : عن أبى صالـح السمـان ، عن مالك الدار ، قال : أصـاب الناس قحط فى زمن عمر رضى اللّه عنه ، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ ، فقال : يا رسول اللّه : استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا . فأتاه رسول اللّه ﷺ فى المنام ، فقال : ائت عمر ، فأقرئه السلام ، وأخبره أنهم يسقون ... إلخ .

الديار السعودية حُجّاجاً ، وعماراً ، وزواراً ، والسماع عن قرب من رجال التوحيد الخالص ، والأخذ عن كَثَب منهم ، وهم متوافرون بكثرة لا سيما فى الحرمين الشريفين .

٤ ـ طهارة ونقاء كامل المملكة السعودية من مظاهر الخرافة والشرك والابتداع ، فروّاد المملكة بمجرد ما تطأ أقدامهم أرض المملكة ، يفقدون تماماً ما هو موجود فى ديارهم من أضرحة تُعبد ، وقبور تُقدس ، حيث تقام لها المواسم والموالد ، وتساق إليها قطعان البقر والغنم ، ومن زوايا الطرق ، ومشايخ التصوف الذين يتحكمون بإسم الشيخ والطريقة فى رقاب عوام الناس ، ومن بدع المساجد فى الأذان والصلاة ، وما بعد الصلاة .

٥ ـ وجود أمثال الدكتور محمد الهلالى بالمغرب ، والشيخ الألبانى بالشام ، وأنصار السنة بمصر والسودان ، والسلفيين بالهند وباكتسان .

٦ ـ إنشاء الحكومة السعودية مراكز للدعوة الإسلامية الإصلاحية كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنبوية ، وجامعة أم القرى بمكة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، وانتشار خريجيها فى كافة أنحاء العالم يحملون العقيدة السلفية ، ويدعون إليها ، ويعلّمونها ، وهى الدين الصحيح الخالى من البدع والخرافات ، والشرك والضلالات .

٧ ـ إقامة الحكومة السعودية المؤسسات الإصلاحية الآتية :

ـ رابطة العالم الإسلامى .

ـ دار الإفتاء والدعوة والإرشاد .

ـ التوعية الإسلامية .

ـ منظمة الشباب الإسلامى .

ـ منظمة المؤتمر الإسلامى .

٨ ـ ابتعاث المراكز الإسلامية الإصلاحية بالمملكة خيرة العلماء السلفيين إلى أنحاء شتى فى العالم للدعوة والإرشاد ، ولا سيما بين الأقليات الإسلامية .

كل هذه العوامل نجم عنها وعى « إصلاحى عام » بين المسلمين فى العقيدة

والعبادة ، والتصور والإدراك ، والرأى العام ، إلى حد أن الإذعات فى البلاد الإسلامية ـ وكان المفروض فيها أن تُطْبَع بما يجرى فى بلدها من مظاهر الشرك والبدع والخرافات إلا أنها والحمد للّه ملتزمة بالسير فى خط الإصلاح فى غالب أحوالها ، فلم تدعُ إلى شرك ، ولا باطل ، ولا ضلالة ، ولا ما من شأنه أن يمس بالعقيدة السلفية الصحيحة ، وذلك للتحول الكبير والسريع فى فهوم الشعوب الإسلامية ، ولا سيما الشبيبة الصاعدة الوارثة ، يضاف إلى ذلك تيسّر الكتابة والطباعة والنشر ، والعلم والتعلم ، إذ أصبح الجيل الإسلامى الحاضر بعيداً عن الأمية كل البعد ، وسواء فى ذلك الفتيان والفتيات . وقد غمرت البلاد الإسلامية الكتب الإصلاحية ، والرسائل ، والجرائد ، والمجلات ، والنشرات ، يدل على ذلك ويشهد له أن الجزائرى على ضعفه وقلة حيلته ، كتب ونشر أكثر من ست وخمسين رسالة وكتاباً والحمد للّه .

ومن هنا اختنق صوت القبوريين [1] ، فأصبح لا يسمع إلا نادراً ، وللتدليل على صحة هذا الواقع أذكر أن أحد هؤلاء القبوريين كتب رُسيلة ضد السلفية ، ووزعها بالديار المغربية ، فلم تعد عليه بطائل ، ولم يجن منها سوى الخزى والعار ، ولهذا لم يبق من يجرؤ على القول العلنى ، فضلاً عن أن يكتب وينشر ضد السلفية والسلفيين .

وفجأة يظهر ما كان فى القدر مخبوءاً ، فتتطرف وتغلو وتجفو جماعة ضالة ، فتخرج على إمام المسلمين بالديار المقدسة ، وتعلن الحرب عليه ، فيقاتلها باسم اللّه تعالى الذى شرع قتال البغاة حتى يفيئوا إلى الطاعة والانضمام إلى الجماعة ، وقضى عليها ، ورجع أفرادها إلى وارف ظل دولة القرآن ، والحمد للّه رب العالمين .

غير أن هذه القضية أو الحادثة المحلّية الخاصة قد استغلها خصوم الدعوة السلفية خارج الديار السعودية ، وأخذوا يشدّدون الخناق على الدعاة السلفيين المصلحين ، وينكّلون بهم ، ويعذبونهم أحياناً ، متذرعين بما فعلته الجماعة الضالّة فى السعودية ، وجماعة التكفير والهجرة فى البلاد المصرية .

وسَرَّتْ هذه الحال القبوريين ودعاة الشرك والخرافة ، وتنفسوا الصعداء ، وكان من بين أولئك الفرحين بالهزة التى أصابت الدعوة السلفية فى شخصية القائمين بها ، والداعين إليها ، صاحب كتاب « الذخائر » ، ومَنْ وراءه من جماعات تنافق وتظهر الرضا بالدعوة

---

(١) واحدهم قبورى ، وهو الذى يشد الرحال إلى القبور ، ويعكف عليها باسم الزيارة والتبرك ، ويحلف بأصحابها ، وينذر لهم ، ويذبح عليهم ويناديهم ويسألهم .

السلفية ، وتبطن بغضها ، وبغض القائمين عليها ، الداعين إليها ، فلا تخلو مجالسهم الخاصة من الطعن فى السلفيين ، والسب والشتم لهم ، والتغيظ أحياناً ، وتمنى الفرص للانقضاض عليهم لو أمكن ذلك ، وكشاهد على ما أقول : حدثنى ابنٌ صالحٌ صادقٌ فيما أعلم ، فقال : ضمنى يوماً مجلس للقوم الساخطين على السلفيين ، فتخوضوا فى الحديث ، وقال أحدهم ـ وهو رأسهم وإمامهم ـ : لم يبق [١] بالمدينة إلا ذاك الخبيث الجزائرى ، وكان هذا على أثر الهزة التى أصابت الحرمين ، وهو يعنى قطعاً بالجزائرى كاتب هذه القصة ، عفا اللّه عنه .

وأراد التحالف الساخط أن يجس النبض ليعرف ما إذا كانت الدعوة السلفية ما زالت حيّة فى النفوس ، قائمة لم تهن ولم تضعُف نتيجة الهزة العنيفة التى أصابتها فى الفتنة لا أعادها اللّه ، واختار التحالف لاختباره نياط قلب السلفية ، فى السعودية حاملة رايتها ، وحامية حماها منذ أن كانت ، وفى مكة بالذات ، فدفعوا بصاحب « الذخائر » فأصدر كتابه « الذخائر » [٢] بعد أن مهد له برسالة تغنّى فيها بالموالد كبطل استطاع أن يصارع السلفية فى عقر دارها ، وتولى طبع الكتاب ونشره وتوزيعه رجال التحالف الخفىّ من المصرّين على التعبد بالبدع ، والتغنّى بالموالد والحفلات الدينيّة للهو والأكل والشرب . ووزع الكتاب بطريقة سريّة على كل من يناوىء السلفية ، ويبغض الدولة السعودية ، وهم كل القبوريين والخرافيين من أصحاب الموالد والشطحات الصوفية فى المملكة وخارجها . وتم توزيع الكتاب بمكة والمدينة وجدة ، إذ ما زالت هذه الديار أمثل طريق لنشر الخير والغير فى العالم الإسلامى ، وذلك بواسطة الحجاج والعمار والزوار ، الذين أصبحوا طوال العام حالّين مُرْتَحِلِين ، لما قدمنا من أسباب ، من بينها تحرر بلاد المسلمين من الحكم الاستعمارى الكافر ووجود المواصلات والقدرة المالية .

وفى ساعة من ساعات أيامى المليئة بالهمِّ والتفكير ، ناولنى أحد تلامذتى ، وهو الشهيد نور الدين بن محمد الهاشمى الجزائرى الذى استشهد فى معارك الجهاد ببلاد الأفغان ، ناولنى كتاب « الذخائر » قائلاً : « يجب أن ترد على هذا الكتاب الذى يحمل الدعوة الصريحة إلى الشرك والضلال . اقرأ ، اقرأ يا شيخ الكتاب » .

وتصفحت الكتاب فهالنى ما جاء فيه من حملة مركّزة لزعزعة النفوس ، والتراجع

---

(١) يعنى من دعاة السلفية ، حيث أسكتتهم الأحداث فى نظره .

(٢) عنوان الكتاب الكامل : « الذخائر المحمدية » .

بالمسلمين إلى عهود الخرافة والضلالات والبدع التى عاشوا فى ظلامها قروناً عديدة ، ووجدتنى مضطراً إلى أن أدفع فى وجه هذا الشر بما رجوت أن يحمى عقائد المسلمين من التلوث بما فى هذا الكتاب من تضليل وأباطيل .

وأداء لواجب لا خيار فيه ، وهو تغيير المنكر ، والنصح لكل مسلم ، عزمت على أن أكتب .

ونظراً لكثرة مهامى وانشغال بالى ، فقد اكتفيت بذكر خمس عشرة مسألة من مسائل الكتاب الكثيرة ، وقدمت لها بمقدمة هى شرح آية : ﴿ **ولا تُفْسِدوا فى الأرض بعد إصلاحها** ﴾ [١] ، فبينت فيها أن الديار السعودية قد أصلحها اللّه تعالى بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والملك عبد العزيز آل سعود ، بعد الفساد العريض الذى كان قد عم سائر البلاد الإسلامية ، ومنها الجزيرة العربيّة .

ومن هنا كان العمل على إفساد هذه البلاد بعد أن أصلحها اللّه تعالى يعتبر من أكبر الجرائم وأفظعها ، وذلك أن إفسادها يُعَدُّ إفساداً لكل البلاد الإسلامية ، لأن المسلمين دائماً يتأثرون بحرمَيْهم ، وما يكون فيهما من خير أو غير ، وقد قدمنا أن من عوامل انتشار السلفية فى العالم الإسلامى وجود دعوة إليها فى الحرمين الشريفين .

عرف هذا أعداء الإسلام ، وخصوم السلفيين ، فلذا هم ما برحوا يكيدون لهذه البلاد ، ولحكومتها ، ويمكرون بهما ، جعل الله مكرهم حائقاً بهم ، وكيدهم وبالاً عليهم ... آمين .

وما إن صدرت رسالتى وقد كشفت اللعبة ، وفضحت المؤامرة ، وخاب ظن المتآمرين حيث لعنهم الموحدون ، وأعلنوا سخطهم عليهم حتى شرَّقوا وغرَّبوا ، يبحثون عن أنصار لهم ، فعثروا على شرقيين وغربيين ، فانتصروا لهم ، وجاؤوا يركضون .

وكان البطل الكويتى يوسف السيد هاشم الرفاعى ، أول من ألقى بنفسه فى ميدان المعركة ، فكتب كتابه الذى سمكاه « الرد المحكم المنيع » .

---

(٢) الأعراف : ٥٦ .

بداية القصة

البطل الأول صاحب الرد المحكم النيع

وصل البطل الكويتى أحد الشرقيين ، وها هو ذا قد رمى فى المعركة بجواد عزمه قائلاً ـ دفاعاً عن الضحيّة المغرر بها ، صاحب كتاب « الذخائر » ـ : إن الشيخ ابن منيع قد اعتمد فى حواره على كتيِّب للشيخ أبى بكر الجزائرى ، سماه « الإنصاف فيما قيل فى المَوْلد من الغلوِّ والإجحاف » ، وحمله الغيظ على الكتاب المذكور فمدَّ إليه لسانه ، فمزقه بقوله : « حقيق بهذا الكتاب أن يسمى الاعتساف فيما قيل فى المولد النبوى من الغلو والإجحاف ، من قبل الجفاة وأرباب الخلاف » .

ثم عض الجزائرى بكل أسنانه ليشفى غيظ قلبه ، فقال متسائلاً [١] : « هل الجزائرى ما زال جزائرياً ، أم أنه أصبح سعودياً يصول ويجول ؟ ؟ » .

ولما لم يصرعه بهذه الكلمة المفسدة لذات البين ، وهى الحالقة كما فى الخبر الصحيح ، وشى به إلى حكام المملكة السعودية ، ليُثبتوه ، أو يخرجوه مكراً منه . فقال : « والتفت الجزائرى إلى رجالات الحكومة السعوديّة ورموزها ، فشملهم بهجومه الكاسح ، متهماً إياهم بالفتور فى دعوة التوحيد » .

ثم تنهد من شدة الإعياء : آه ، آه ، وقال للجزائرى وهو يصارعه : « اتق اللّه أيها الشيخ ، فقد بقى من العمر القليل » . وشكره الجزائرى على وعظه إياه بكلمة جزاك اللّه خيراً .

واستراح البطل قليلاً فى ظل كلمات [٢] نال بهن فى نظره من الشيخين التويجرى ، وعبد العزيز بن باز ، لإنكارهما بدعة المولد النبوى المحدثة [٣] ، وواصل البطل ركضه يدافع عن الضحيّة صاحب « الذخائر » الذى نصب نفسه داعياً إلى البدعة والضلالة ، فصبّ جام غضبه على الشيخ ابن منيع الذى كفّر له ضحيته حسب زعمه ، فرماه بسهم غرب ليقتله به ، لكن السهم طاش فلم يصبه ، إذ قال : « الطعن والتشكيك فى الأنساب

(١) طالع الرد المحكم صفحة ١٣ .

(٢) انظر كتابه صفحتى ١٤ ، ١٥ .

(٣) سبق الشيخان الفاضلين فى إنكار بدعة المولد علماء السلف قاطبة ، وذلك بعد حدوثه ، انظر على سبيل المثال كتاب تاج الدين عمرو بن على اللخمى الفاكهانى الذى سماه « المورد فى الكلام على المولد » .

من الكبائر ، وابن منيع يقول وهو يؤنب في الضحيّة ، على افتراض نسبه » ، فظن البطل يوسف أن هذا طعن فى نسب الضحيّة ، وما هو فى الوقع بطعن ، إذ دعوى الشرف والانتساب لآل البيت الأطهار قد ادّعاها كثيرون ، وفى ديار وأيام كثيرة ، وتبيّن فيما بعد أنهم دجاجلة كذّابون مزوِّرون للنسب الشريف للترؤس والاستعلاء ، وحتى لاستغلال عوام المسلمين وبسطائهم ، فلذا كان الاحتياط ونحن فى القرن الخامس عشر أن يقال : إن صحت النسبة ، خشية أن يضاف إلى السلسلة الذهبية الشريفة ما ليس منها من صفر ونحاس ونيكل الرجال ، لا سيما عندما يقف المنتسب موقف المعادى لما جاء به سيد الشرفاء ، ومصدر كل شرف ، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، من التوحيد والدين الخالص .

ولما نجا ابن منيع من رميته ، راح البطل الراكض يجمع رمم أقوال صاحب « الذخائر» لينفخ فيها روحاً من روحه المباركة ، فتصبح جنداً يرمى به فى ميدان المعركة ، ليهزم به دُعاة التوحيد ، وحماة العقيدة السلفية الصحيحة ، وما هو بقادر ، لأن اللّه تعالى ناصر دينه وأوليائه ، ومخزى الظالمين .

وها هى تيك الرمم من الأقوال التى جمعها الشيخ يوسف ليجادل بها فى المعركة :

ـ ولأجله خلقتك (صفحة ١٩) .

ـ نظائر لهذا التكريم الإلهى (صفحة ٢٤) .

ـ استشارة الحق سبحانه نبيه (صفحة ٢٦) .

وبيان الحق فى الأولى : أن الحديث الذى وردت فيه هذه الجملة : « ولأجله خلقتك » حديث موضوع ، ونصه : لما اقترف آدم الخطيئة ، قال : يا رب : بحق محمد لما غفرت لى قال : وكيف عرفت محمداً ؟ قال : لأنك لَمَّا خَلَقْتَنِي بيدك ونفخت فىّ من روحك ، ورفعت رأسى ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . قال : صدقت يا آدم ، ولولا محمد ما خلقتك . أخرجه الحاكم [١] . وقال فيه الذهبى : موضوع ، وهو المهيمن على « مستدرك » الحاكم ، فما صححه الذهبى صح ، وما ردّه ردَّ ، هكذا قال أهل العلم بمصطلح الحديث .

---

(١) المستدرك (٢ / ٦١٥) .

هذا ، وأهل الحق والعلم يقولون : إنه لو صح هذا الحديث لوجب قبوله ، واعتقاد مضمونه ، وبكل إيمان وتسليم ، إذ لا حق لأحد فى الاعتراض على اللّه تعالى ، فإنه عز وجل يفعل ما يشاء ويختار ، وشرف الرسول ﷺ وعلو مقامه وكرامته عند ربه تعالى ، لا يدانى فى ذلك ، ولا مطمع لأحد من الخلق أن يسمو إليه بحال من الأحوال ، إلا أن الكمال المحمدى الذى وهبه اللّه تعالى له لا يستلزم أن يضرب بتحذيره عرض الحائط ، وتبتدع البدع باسمه ومن أجله ، وهو القائل : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (١) .

ومن هنا أنكر العلماء بدعة المولد ، وقالوا بمنعها كسائر البدع ، ولم يجعلوا علو شرف الرسول ﷺ ، وسمو قدره ، وعظم شأنه ، مسوغاً للابتداع فى دين اللّه تعالى ، بل جعلوا العكس هو الصحيح (٢) ، إذ من توقير الرسول ﷺ وتعظيمه ، ومحبته ، وطاعته واتباع سنته ، وعدم الابتداع فى دينه .

إن العقل السليم ، والفهم السليم ، يقضيان بحرمة الابتداع فى الدين ، لما فيه من معنى التعقيب على الشارع ، والاستدراك عليه ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ **اليومَ أكملْتُ لكُم دينكُم** ﴾ . كيف وقد حرم الرسول ﷺ الابتداع فى الدين بقوله : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » (٣) .

فأى معنى لتكريم رسول اللّه ﷺ وتعظيمه وتوقيره ومحبته ، مع مخالفة نهيه وعدم طاعته فى أمره ، واللّه يقول : ﴿ **قلْ إنْ كنتُم تُحبونَ الله فاتَّبِعونى يحبِبْكم اللّه** ﴾ (٤) ، فجعل المتابعة له ﷺ موجبة لمحبة اللّه تعالى للعبد ، ولازم هذا أن المخالفة له ﷺ موجبة لكراهية اللّه تعالى للعبد والعياذ باللّه تعالى ، فأين فهم أبطالنا الراكضين وأين علمهم ؟ أم أهلكهم الهوى ، وأرداهم التعصب الأعمى المقيت .

وبيان الحق فى الثانية ـ وهى نظائر التكريم الإلهى ـ : هذه المسألة قد ركض فيها السيد ركضاً ساقطاً بارداً ، إذ ذكر أبدال الشام ، والواقفين بعرفة ، والمستغفرين للمؤمنين ، وسقى اللّه تعالى أمة كاملة من أجل نملة واحدة ، وأخذ اللّه تعالى الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا بنبينا محمد ﷺ .

---

(١) رواه أبو داود (٢ / ٥٠٦) ، والترمذى (٥ / ٤٤) عن العرباض بن سارية ، وقال فيه : « حديث حسن صحيح » .
(٢) يريد كون النبى ﷺ شريفاً ، عالى القدر ، رفيعه ، يقتضى عدم تسويغ الابتداع فى الدين ، وهو كذلك .
(٣) تقدم أنه رواه أبو داود والترمذى وصححه ، ورواه الحاكم (١ / ٩٧) ، وله أصل فى مسلم (٣ / ١١) .
(٤) آل عمران : ٣١ .

وأخيراً قال : قال ابن كثير : فالرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين هو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر لكان هو الواجب الطاعة ، المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء ... إلى آخر ما نقل عن ابن كثير .

والسؤال الآن : ما هو الغرض من هذا الركض الطويل ؟

إنه فى فهم بطلنا أحد أمرين :

الأول : تقرير جملة أن الله تعالى خلق آدم لأجل النبى ﷺ ، وهذا بينا الحق فيه بما يغنى عن مراجعته .

الثانى : البحث عن دليل يجوز به بدعة المولد التى دار الصراع من أجلها ، فطلع وهبط ، وبحث ونبش ، يطلب دليلاً يقتنع به هو أولاً بجواز إقامة المولد فلم يجد ، وإذا كان هو لم يجد ما يقتنع به ، فكيف يجد ما يقنع به خصمه المصر على أن المولد النبوى بدعة ضالة كسائر البدع الملصقة بالدين الإسلامى ، والإسلام منها براء ، لأنها ليست من شرع الله تعالى ، ولا من شرع رسوله ﷺ .

وبيان الحق فى الثالثة ، وهى استشارة الله تعالى لرسوله ﷺ ماذا يفعل بأمته ، حيث ذكرها البطل الشيخ يوسف محتجاً بها على جواز الاحتفال بالمولد ، وعزا الحديث الوارد فيها إلى « مسند » أحمد [1] ، وقال : أخرجه صاحب « الزوائد » وحسنه ، ونحن حفاظاً على الوقت فلا نضيعه فى إثبات هذه الرواية أو إبطالها نقول : إن صح هذا الخبر فليس فيه ما يستنكر على الله تعالى ، والله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، وإن لم يصح لا نطلب تصحيحه لنحتج به على إقرار باطل من البدع كما يفعل الأخوة الراكضون .

والذى نقوله هنا تعليماً وتأديباً : هل استشارة الله تعالى لرسوله ﷺ ماذا يفعل فى أمته يبيح للمسلم الكذب والافتراء على الله ورسوله والمؤمنين بمشروعية بدعة المولد ، تلك البدعة التى شغبوا بها على الناس ، فكفروا من أنكرها بنسبة بغض الرسول ﷺ إليه ، إذ مازالوا يرددون فى مجالسهم الخاصة : أن الذين ينكرون المولد وهابية ، يبغضون الرسول ﷺ .

---

(١) مسند أحمد (٥ / ٣٩٣) وفى إسناده ابن لهيعة ، وهو صدوق خلط بعد احتراق كتبه ، هذا عند الحافظ ، وبعضهم يضعفه مطلقاً ، ثم نسأل هؤلاء : هل أصولهم تسمح لهم أن يحتجوا فى العقائد بأخبار الآحاد الصحيحة فضلا عن الضعيفة .؟

يا سبحان اللّه ! يكفرون السلفيين ، ويصيحون ، ويولولون : إن السلفيين يكفرون المسلمين ، وإنا معهم كالمثل القائل : رمتنى بدائها وانسلت .

وأخيراً : اللهم إنا نبرأ إليك من العناد والمكابرة ، ومن التدجيل والتضليل ، وفساد الذوق ، وسوء الفهم . وإلى هنا استراح البطل استعداداً للجولة الثانية .

الجولة الثانية

وتدور هذه الجولة الثانية لبطلنا السيد الرفاعى على الأشواط التالية :

- علم النبى ﷺ الغيب (ص ٢٩) .
- مكانته ﷺ ، وعلو قدره (ص ٥١) ، وكون روح النبى ﷺ أول المخلوقات خلقاً .
- تعظيم الرسول ﷺ واستحقاقه للسيادة .

الشوط الأول : أخذ اثنتين وعشرين صفحة من كتاب السيد ، أورد فيه من أدلة القرآن وشواهد السنة الشيء الكثير ، وذكر من الأخبار والآثار ما سود به نيفاً وعشرين صفحة ، من أجل تقرير مبدأ أن النبى ﷺ يعلم الغيب ، وإذا أقنع الناس بأن النبى ﷺ يعلم الغيب ، قال لهم : « إذاً لا بأس بالاحتفال بمولده ﷺ » ، إذ الحرب الشعواء التى أعلنها القوم الراكضون ، وضحيتهم من قبل ، إنما هى من أجل تبرير بدعة المولد التى أشرب حبها قلوبهم ، كما أشرب إصحاب السامرى حب العجل .

هذا ، والقول الفصل فى مسألة علم الرسول ﷺ الغيب هو أن اللّه تعالى قد أمر رسوله محمد ﷺ أن يقول للناس : ﴿ **قلْ لا أملكُ لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء اللّه ولو كنْتُ أعلمُ الغيبَ لا ستكثرْتُ مِن الخير وما مسَّنِيَ السوءُ** ﴾ (١) ، وأمره أن يقول : ﴿ **لا أقولُ لكمْ عندى خزائنُ اللّه ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكمْ إنِّى مَلَكٌ** ﴾ (٢) ، وأخبر اللّه تعالى عن نفسه أن الغيب له دون سائر خلقه ، وذلك فى قوله : ﴿ **وللّه غيبُ السمواتِ والأرض** ﴾ (٣) ، وفى قوله ﴿ **إنما الغيب للّه** ﴾ (٤) ، وفى قوله : ﴿ **قُلْ لا يعلمُ مَن فى السمواتِ والأرض الغيبَ إلا اللّه وما يشعرونَ أيَّانَ يُبْعثونَ** ﴾ (٥) ، وأبطل دعوى

---

(١) الأعراف : ١٨٨ .　(٢) الأنعام : ٥٠ .　(٣) هود : ١٢٣ .
(٤) يونس : ٢٠ .　(٥) النمل : ٦٥ .

الجن أنهم يعلمون الغيب بقوله : ﴿ **فلمَّا خرَّ تبيَّنت الجنُّ أن لو كانوا يعلمونَ الغيبَ ما لبثوا في العذابِ المهينِ** ﴾ (١) .

ولهذه الأدلة القطعية من كتاب اللّه عز وجل تقرر معتقد أهل الحق وهم السلفيون ، أن الغيب ومفاتحه مما استأثر اللّه تعالى به ، فلا مطمع لإنسيٍّ ولا جنيٍّ أن يعلم من غيب اللّه تعالى إلا ما علمه اللّه تبارك وتعالى .

ومن هنا كان اللّه تعالى يطلع رسله على ما يشاء من غيبه ، تأييداً لرسالاتهم ، وتقوية لجانبهم أمام أممهم . قال اللّه تعالى في سورة الجن : ﴿ **عالمُ الغيب فلا يُظْهِرُ على غيبهِ أحداً إلا مَن ارتضى مِن رسولٍ فإنَّه يَسْلُكُ مِن بينِ يديهِ ومِن خلفِه رَصَداً لِيَعْلَمَ أن قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم** ﴾ (٢) وبهذا تقرر مبدأ أن النبي محمد ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه اللّه تعالى ، وفعلاً قد علمه ربه ، وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره من سائر الأنبياء والمرسلين ، وذلك في كل ما يتعلق بالرسالة ومتطلباتها .

وإذاً ، فلم ذاك الركض الطويل للسيد ليقرر ما هو مقرر ، ويثبت ما هو ثابت ، إلا أن يكون من أجل خداع العامة ، بأن الرسول ﷺ ما دام قد علمه ربه الغيب الكثير فلم لا يحتفل بذكرى مولدة ؟ إذ فتنة القوم كانت وما زالت في الاحتفال بالمولد ، حيث كانوا يقضون وطرهم بسماع أناشيد المُرْد ، وأكلهم اللحوم الطازجة ، وشربهم البن والشاي مع شيء من « الفرفشة » والتطييب والتعطير . فلما قال السلفيون : إن الاحتفال بالمولد بدعة محدثة ، ينبغي تركها ، صيانة للدين من الزيادة فيه والنقصان منه ، جُنَّ جنونهم ، وجاؤوا يركضون .

الشوط الثاني : مكانته ﷺ وعلو قدره ، وكون روح النبي ﷺ أول المخلوقات :

لم يطل نفس صاحبنا في هذا الشوط ، وذلك لأن مكانة الرسول ﷺ وعلو قدره ، معلومان بالضرورة ، والسلفيون أكبر المسلمين تعظيماً للرسول وتقديراً ، وإعلاناً عن شرفه ، وعلو منزلته ، وعظيم قدره ، حتى إنهم لا يقدمون على قوله قول أحد ، ولا على سنته سنة أحد ، ويحبونه أكثر من أنفسهم ، فضلاً عن أهليهم وأموالهم ، غير أنهم لا يؤلهونه كما يفعل القبوريون حيث يجيزون نداءه ، والاستغاثة به ، واللجوء إليه دون اللّه تعالى ، ومن أنكر على القبوريين ذلك قالوا : « مبغض للرسول كافرا » .

---

(١) سبأ : ١٤ . (٢) الجن : ٢٦ ـ ٢٨ .

ولنستمع إلى هذا البطل السيد الرفاعى وهو يقول فى صفحة (٥٣) فى السطر السابع عشر : « فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه ﷺ فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة » .

قطعاً إنه يعنى بالاستخفاف عدم الاحتفال بمولده ﷺ ، وتكون النتيجة : السلفيون ينكرون المولد ، فهم مستخفون ، فلذا هم كافرون ملعونون ، وهكذا يكفرون بلا ذنب ، وينسبون إلى الإيمان والإسلام عبدة القبور والأضرحة ممن يحلفون بالأولياء ، والرسول ﷺ يقول : « من حلف بغير اللّه فقد أشرك أو كفر » (١) ، ويذبحون للأضرحة والرسول ﷺ يقول : « لعن اللّه من ذبح لغير اللّه » (٢) ، ويدعون الرسول ﷺ وغير الرسول واللّه يقول : ﴿ **وأن المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أحداً** ﴾ (٣) .

أما كون النبى ﷺ أول المخلوقات خلقاً فإن الأدلة التى ذكرها هذا الراكض غير كافية ، إذ لم يخرج منها أصحاب الصحاح والسنن حديثاً واحداً ، ولو كان هذا الادعاء صحيحاً لما أغفله حملة السنة ، وحماة العقيدة ، وأئمة الإسلام ، كمالك ، وأحمد ، وأبى حنيفة ، والشافعى ، ولم يبق سراً مكتوماً عند ابن سعد فى « طبقاته » .

أما حديث : « متى وجبت لك النبوة ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد » (٤) فهذا الحديث رواه الترمذى وأحمد ، ومعناه صحيح ، إذ كتب اللّه تعالى المقادير ، ومنها نبوة فلان ، وعلم فلان ، وجهل فلان ، وسعادة فلان ، وشقاء فلان ، قبل أن يخلق الخلق ، ومنهم آدم عليه السلام . ثم نحن السلفيون ، أول من يؤمن بما يأتى عن رسول الله ﷺ ، وسواء عقلناه أو لم نعقله ، فهمنا له معنى أو لم نفهم ، إذ الإيمان هذه حقيقته ، وهى التصديق المطلق بكل ما جاء عن اللـه ورسـول اللّـه ﷺ ، فإذا صح أن النبى ﷺ كان أول (٥) المخلوقات خلقاً آمنا به وصدقنا رسول اللّه فيما أخبر به عن ربه وعن نفسه .

ثم لم هذا الركض الطويل فى غير طائل ؟ إنه من أجل تقرير بدعة المولد ، وفتنة جواز التوسل بالرسول ﷺ بدعائه ، والاستغاثة به عند قبره ، والتمسح بالشباك ، وتعفير الوجه واللحية على تراب الحجرة إن حصلوا عليه .. ظانين أن ما وهب اللّه تعالى نبيه من

---

(١) رواه الترمذى (٤ / ١١٠) . (٢) رواه مسلم (٦ / ٨٤) .

(٣) الجن : ١٨ . (٤) رواه الترمذى (٥ / ٥٨٥) ، وأحمد (٤/٦٦) .

(٥) وكيف يصح ، ونبينا محمد ﷺ معروف النسب ، معروف تاريخ المولد ، قال اللّه تعالى فيه : ﴿ **وخاتم النبيين** ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، وقال هو عن نفسه : « أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى » عليهم جميعاً الصلاة والسلام ؟ ؟ ولذا لم يصح ذلك لا عقلاً ولا نقلاً .

الكمالات ، وما أولاه من الخصوصيات ، يسوّغ الابتداع والشرك مادام يتعلق بجناب الرسول ﷺ ، فبئس الظن ظنهم ، وساء ما يظنون ويحكمون .

الشوط الثالث : تعظيم اسم الرسول ﷺ واستحقاقه للسيادة :

هذه خاتمة المطاف في الجولة الثانية للسيد يوسف الرفاعي ، وما أتى فيها بجديد أبداً ، إذ اسم الرسول ﷺ مُبجَّلٌ مُعَظَّمٌ ، ومُجَلٌّ مُكَبَّرٌ عند السلفيين وغيرهم من أهل الإسلام ، وحسبهم أن اللّه تعالى قرن اسم رسوله محمد ﷺ مع اسمه في الأذان والإقامة وشهادة الدخول في الإسلام وشهادة الخروج من هذه الدار ، ولذا ما ذكر اسم محمد عندهم إلا قالوا : ﷺ . وإذاً فلم هذا الركض الفارغ يا سيد ؟

أما استحقاق نبينا ﷺ للسيادة ، فلا أحسب أن مؤمناً يجهل أنه سيد ولد آدم أجمعين ، وحديث : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » (١) محفوظ وجار على ألسنة سائر المؤمنين والمسلمين ، غير أنه لم يعلمنا رسول اللّه ﷺ أن نقرن لفظ « سيد » مع اسمه دائماً ، إذ علمنا الأذان ، والإقامة ، والشهادة ، ولم يقل لنا : قولوا : أشهد أن سيدنا محمداً رسول اللّه . وعلمنا الصلاة عليه فقال : قولوا : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » (٢) .

ولا يقولن قائل : إنه لكمال أدبه لا يقول : قولوا : سيدنا ، إذ لو كان هذا صحيحاً لفهمه أصحابه وهم أعلم الناس ، وأكثرهم محبة وتعظيماً له ﷺ ، إذ لم يرو عن أحد منهم أنه كان يقول في أذانه أو إقامته : أشهد أن سيدنا محمداً رسول اللّه .

إذاً فلم هذا التقعر والتنطع والتملق الفارغ إنه ثمرة الجهل بالشرع ، والغلو في الدين (٣) ، والابتداع ، وهو في نفس الوقت سمة من سمات النفاق ، إذ كان في العصور المظلمة ، عصور ظهور التصوف ، والكيد للإسلام ، حيث كان الزنادقة يخفون

---

(١) رواه ابن ماجة ص ١٤٤٠ ، وأبو داود (٢ / ٥٢١) وغيرهما .

(٢) رواه البخاري (٤ / ١٧٨) ، ومسلم (٢ / ١٦) .

(٣) وقد نهانا رسول اللّه عن الغلو فيه فقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد اللّه ورسوله » رواه البخاري (٤ / ٢٠٤) .

ما فى صدورهم من الكفر والمكر بالإسلام والكيد له ، ويقولون : سيدنا رسول اللّه ، وسيدتنا خديجة ، وسيدنا على ، وسيدنا أبو بكر ، وسيدتنا عائشة ، وو .... إيهاماً وتغريراً . فورث هذه التركة الهالكة هؤلاء الغافلون ، فصاروا يعيبون كل من لم يسلك سبيل المنافقين فى التملق الكاذب ، بكلمة سيدنا وسيدتنا ...

ومن هنا جاء الرفاعي يركض ليشفى صدره من السلفيين بالإيقاع بينهم وبين المسلمين ، حيث عنوانه ، وما كتب تحته من وجوب السيادة للرسول ﷺ ، وتقرير ذلك ، يهدف إلى فكرة خاطئة كاذبة ، وهى أن السلفيين لا يعترفون بسيادة رسول اللّه ﷺ ولا بسيادة آل بيته وأصحابه ، ولذا هم إذا ذكّروا أو وعظوا ، أو حدّثوا يقولون : قال رسول اللّه ، وأبو بكر ، وعائشة ، ولا يقولون : سيدنا وسيدتنا ...إلخ .

وقد عرفت أيها القارىء ما عليه السلفيون فى هذه المسألة ، واعرف أخيراً أن هؤلاء الراكضين إنما هدفهم السامى هو إعادة القباب فى جميع أنحاء المملكة ، كما كانت قبل حكم آل سعود ، الذين أنقذ اللّه تعالى بهم هذه البلاد ، ورد إليها جمالها وجلالها ، كما كانت قبل عصور الظلام والجاهلية الثانية ، وإعادة المواسم ، والأعياد ، والاحتفالات التى كانت تقام فى الحجاز ، كما تقام اليوم فى المغرب ، والمشرق ، والشمال ، والجنوب ، إلا ما كان من المملكة التى ساءهم أن تبقى طاهرة ، لم تتلوث بالشرك والخرافة ، فجاؤوا اليوم يركضون ، ومن ورائهم الروافض يمدونهم بالمال والتشجيع المعنوى ، خيب اللّه مسعاهم ، وجعل كيدهم فى نحرهم ، وحمى اللّه تعالى حماه ، وحمى رسوله ﷺ من الباطل الذى أرادوه لهما .

وإلى هنا انتهت الجولة الثانية ، ولم يحصل البطل فيها على جائزة سوى الخيبة المرة ، ومن هنا فهو يعد للجولة الثالثة وهى أطولها ، وأكثرها ركضاً وفراغاً .

الجولة الثالثة

ها هو ذا قد رمى بجواده قائلاً :

ـ صلاة الفاتح .

ـ كل شىء به منوط .

ـ تنحل به وتنفرج به الكرب .

ـ الوحدة التوحيد .

ـ التبرك ليس شركاً ولا بدعة .

وركض مثيراً غباراً كثيراً فى اثنتى عشرة صفحة من الصفحة (٦٧) إلى (٧٨) من كتابة « الرد المحكم » .

وقبل الشروع فى وصف هذه الجولة لبطلنا يوسف الرفاعى ، نذكر أنه قد استعان فى هذه الجولة على إبطال الحق وإحقاق الباطل بأموات عرفوا بمناوأتهم للسلفيين ، ومناصرتهم للقبوريين ، وهم : النبهانى ، والبكرى ، والتيجانى ، وابن مشيش ، والرفاعى ، ونظرائهم (١) .

والسؤال المطروح الآن هو : هل هؤلاء المستنصر بهم هم أهل للنصرة ؟ وهم كما يقال : ليسوا فى العير ولا فى النفير ، إذ ما منهم صحابى ، ولا تابعى ، ولا إمام من أئمة الإسلام ، ولا من معاصريهم والآخذين عنهم من أهل القرون المفضلة الأولى ، فكيف تكون أقوالهم وآراؤهم حجة يحتج بها على إبطال الحق ، وإحقاق الباطل ، من جواز الابتداع فى دين الله ، وحتى الشرك والكفر والعياذ بالله ، وهذا تحليل تلك الشبهات التى ركض فيها الرفاعى ، وبيان الحق فيها .

أ ـ صلاة الفاتح :

١ ـ صلاة الفاتح لما أغلق ليست من الصيغ الواردة عن النبى ﷺ ، إذ الوارد عنه ﷺ أكثر من ثلاثين صيغة ، وليست (الفاتح) منها .

٢ ـ نسبتها إلى على بن أبى طالب نسبة لا تثبت ولا تصح أبداً ، لا سيما وقد ادعى أحمد التيجانى أن البكرى قد شافهه بها الرسول ﷺ يقظة لا مناماً ، وأنها أفضل من القرآن ، حيث ذكر أن قراءتها مرة واحدة تعدل ستين ألف ختمة من القرآن ، جاء هذا فى كتابه « جواهر المعانى » ، وحاشيته المسماة بـ « الرماح » ، فليراجع ذلك من شاء .

٣ ـ إنها ـ أى : صلاة الفاتح ـ من أوراد الطائفة التيجانية الخاصة بهم ، والتيجانية لهم

(١) هؤلاء كلهم من أصحاب الفرق الباطلة الدخيلة على الإسلام ، وهى الفرق الصوفية التى أذهبت نور الإسلام ورونقه وجماله بخزعبلاتها ودجلها .

اعتقادات كفرية لا يرضى بها مسلم ، ولا يقرها إلا من عميت بصيرته ، وسلب نور الإيمان من قلبه (١) . ومن هنا كان الانتصار لهذه الصلاة ، بالدعوة إليها ، وتحبيذها ، والإشادة بها ، وبواضعها ، كما فعل صاحب « الذخائر » ، يعتبر انتصاراً للباطل ، بتقريره والدعوة إليه بين أمة الإسلام .

٤ ـ عناية صاحب « الذخائر » بها حيث شرح ألفاظها ، وأثنى عليها ، وعلى صاحبها التيجانى ، كان لغرض سيىء فاسد ، وهو الانتصار للباطل الذى لزمه المتصوفة ، وعضوا عليه بالنواجذ ، فلما أبطل أهل الحق باطلهم ثاروا يخمشون وجوههم ، ويتوعدون السلفيين بالويل والثبور .

وأخيراً فهل إذا كانت صلاة الفاتح مشروعة وفاضلة يكون ذلك مسوغاً لبدعة الموالد ، ومجوزاً للشرك بدعاء غير اللّه ، والذبح لغير اللّه ، والنذر لسواه ؟ والجواب : اللهم لا ، وإذاً : فلم هذا الركض يا عباد اللّه ؟

ب ـ كل شىء منوط به :

لقد أقر السيد أن هذه الجملة « كل شىء منوط به » شبهة ، غير أنه شرحها ليزيل عنها اللبس والخفاء ، بعد أن نسبها إلى ابن مشيش (٢) .

وليسمح لنا أن نقول له : يا سيد رفاعى : ما دمت قد اعترفت أنها شبهة ، فلم أنكرت على من رآها شبهة ، ولم تعذره ؟ وجئت تركض لتكيل له السبائب والشتائم ، وترميه بالجهل؟

وشىء آخر نقوله للسيد ، وهو من قائل هذه الجملة : « كل شىء منوط به » ؟ آللّه تعالى أم رسوله ؟ فإن كان قائلها اللّه أو رسوله وجب الإيمان بها ، وتحتم تأويلها لتتمشى مع عقيدة الإسلام ، إن كان ظاهرها يتنافى مع قواعد الدين وأصوله .

واسمع يا رفاعى : الجملة لم يقلها اللّه ولا رسوله ، وإنما قالها عبد السلام بن مشيش ، أحد المتصوفة أرباب الشطحات الكلامية ، وهذه منها قطعاً .

وإنا لو طلبنا من مسلم يعرف لسان العرب أن يشرح هذه الجملة ، لما استطاع أن

---

(١) يراجع فى ذلك أحسن ما كتب عن التيجانية بقلم أحد أقطابها والذين هداهم اللّه ورجعوا عن الغواية والدجل ، وهو محمد الطاهر البرناوى فى كتابه « التحفة السنية بتوضيح الطريقة التيجانية » .

(٢) ابن مشيش هو عبد السلام بن بشيش أو مشيش ، من كبار مشايخ الطريقة الشاذلية .

يقول غير أن صاحب الضمير فى « به » قد أنيطت به الأمور كلها ، من موت وحياة ، ووجود وعدم ، وصحة وسقم ، وغنى وفقر ، وخير وشر ، وإعطاء ومنع ، وسعادة وشقاء فى الدنيا والآخرة .

والآن نقول للراكض : أرأيت لو قيل للرسول ﷺ أيام حياته هذا القول : يا من أنيط به كل شىء . فهل تراه يُقِرُ القائل ويسكت ، وهو لم يقر الذى قال : « ما شاء الله وشئت » . فقال له : « بل ما شاء الله وحده ، أجعلتنى لله نداً ؟! » (١) .

ولم يقر الجارية التى سمعها تنشد فتقول : وفينا رسول الله يعلم ما فى غد . فقال لها : « إنى لا أعلم ما فى غد ، لا تقولى هذا .

ولم يقر أصحابه لما قالوا : قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق . فقال : « إنه لا يُستغاث بى ، وإنما يُستغاث بالله » (٢) .

ألم يقل الله تعالي له : ﴿ **قُل إنِّى لا أملِكُ لكم ضَرّاً ولا رشداً * قُل إنِّى لن يُجيرَنى مِن الله أحدٌ ولن أجِدَ مِن دونه ملتَحَداً** ﴾ (٣) .

ألم يقل الله تعالى له : ﴿ **قلْ لا أملِكُ لنفسى ضَرّاً ولا نَفْعاً إلا ما شاءَ الله** ﴾ (٤) .

قل لى بربك أيها الراكض : أين تلك الشطحة المجنونة من كلام الله ورسوله ﷺ ؟ أما يستحى من رسول الله ويخاف من الله ، ذاك الذى يقول : إن النبى قد أنيط به كل شىء ؟

إن هذا الركض الفارغ مردة إلى أنكم تريدون من أمة الإسلام أن تعود إلى شباك التصوف ، وحبائل المضلين ، لتعودوا بها إلى عبادة القبور ، والانقياد لمطالب الشيطان ، لتصبح أمة الكفر بعد أن أصبحت أمة الإيمان والإسلام والإحسان ، آه ثم آه ، وأفٌ لكم أيها الضالون المضلون .

جـ ـ تحل به العقد ، وتفرج به الكرب :

هذه الجملة من صيغة صلاة على النبى ﷺ ، وضعها المتأخرون من أرباب الشطحات الصوفية ، وزعموا أنها مجربة لقضاء الحوائج ، وكثير من المطالب ، ولفظها : « اللهم صل

---

(١) الحديث رواه أحمد (١ / ٢١٤) ، وابن ماجة ص ٦٨٤ بمعناه .

(٢) الحديث بمعناه رواه أحمد (٥ / ٣١٧) .

(٣) الجن : ٢١ ، ٢٢ .   (٤) يونس : ٤٩ .

صلاة كاملة ، وسلم تسليماً تاماً ، على سيدنا محمد الذى تنحل به العقد ، وتنفرج به الكرب ، وتقضى به الحوائج ، وتنال به الرغائب ، وحسن الخواتم ، ويسقى الغمام بوجهه الكريم ، وعلى آله وصحبه فى كل لمحة ونفس بعدد معلوماتك » .

ونقض هذه العقدة النفسية لدعاة البدعة يكون على النحو التالى :

١ ـ أن الصلاة على النبى ﷺ مشروعة ، بل واجبة ، وليس بين المسلمين من يقول بخلاف ذلك .

٢ ـ هذه الصلاة فيها شبهة كبيرة ، وهى إسناد حل العقد ، وتفريج الكرب ، وقضاء الحوائج ، ونيل الرغائب ، والاستسقاء بوجه النبى ﷺ بعد وفاته ، وإبطال هذه الشبهة يكون بإسناد هذه العظائم من المطالب إلى الصلاة نفسها ، كأن يقال : اللهم صل صلاة كاملة ، وسلم سلاماً تاما على سيدنا محمد ، صلاة تنحل بها العقد ... إلخ . فيكون العبد قد توسل إلى اللّه تعالى بالصلاة والسلام على نبيه ليقضى حوائجه ، ويفرج كروبه ، وهذا هو التوسل المشروع ، أما الأول فهو مبتدع ، يتنافى مع الوارد عن الشارع .

يضاف إلى ذلك أنه ليس من حق العبد اليوم أن يقول : أسألك يا سيدى يا رسول اللّه أن تحل عقدى ، وتفرج كروبى ، أو تقضى حوائجى ، ولو قال هذا أو جوزه فعليه بمراجعة دينه ، فإنه قد أشرك أو كفر والعياذ باللّه تعالى .

٣ ـ الصلاة بالصيغة قبل تعديلها الذى اقترحناه فيها مخالفة بل معصية صريحة لرسول اللّه ﷺ فى قوله : « لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ، إنما أن عبد اللّه ورسوله ، فقولوا : عبد اللّه ورسوله » (١) فى حين أن القائل اليوم : بالرسول تنحل العقد ، وتفرج الكرب ، وتنال الرغائب ، ويحظ بالمطالب ، هو كاذب ، إذ لم ولن تنحل اليوم عقدة ، ولا تفرج كربة ، ولا تنال طلبة ، إلا بالتوسل إلى اللّه تعالى ، بالإيمان به وبرسوله وبطاعتهما وترك معصيتهما .

ولو قال قائل اليوم : اللهم صل على محمد الذى كانت تنحل به العقد ، وتفرج به الكرب ، لجاز ذلك ، وكان صدقاً وحقّا ، إذ كان يتوسل إلى اللّه تعالى بدعائه عليه الصلاة والسلام ، فيحصل الخير العظيم . أما بعد وفاته ، فالتوسل الحق هو بطاعته ، والصلاة

---

(١) رواه البخارى (٤ / ٢٠٤)

والسلام عليه ، ألا فليفهم هذا الجاهل والمتجاهلون الأغبياء ، فإنه نافع لهم .

٤ ـ أن مما ينبغى أن يعلم هنا أن صاحب « الذخائر » ، إنما جمع هذا الشبه فى كتابه الذى سماه « الذخائر » إنما فعل هذا لا لحاجة المسلمين إلى مثلها لتقويم أخلاقهم ، وإصلاح نفوسهم ، وهدايتهم إلى ربهم ، وإنما فعل هذا جسّاً لنبض السلفيين ، هل الحياة ما زالت دافقة فيهم دافعة ؟ أو ماتت أو فترت ؟ فإن كانت هذه الأخيرة ، أعلن عن عودة القبوريين إلى الساحة من جديد ، وهى أمنية الروافض الشيعة ، الذين ما زالوا يحلمون بإعادة بناء قباب آل البيت بالمدينة ، وحيث وجدت قبورهم ، لتقام لها المواسم ، وتذبح عندها الذبائح ، ويعبد بها غير اللّه والعياذ باللّه ، ويؤكد هذا الذى قلنا ، أنه بمجرد أن نشر « الذخائر » ، وردت أباطيله من قبل السلفيين حفظهم اللّه تعالى ، تحرك عملاء الروافض يكتبون دفاعاً عن آمالهم التى تبخرت ، فأرعدوا وأبرقوا ، وقال قائلهم وهو البحرينى الضال المضل : « ونتمنى على الملك فهد أن يسمع من غير المشايخ » ـ يعنى مشايخ التوحيد ـ « وأن يفتح الباب للطرف الآخر » يعنى نفسه وأمثاله الذين يحاربون الدعوة السلفية الإسلامية ، من أجل أن يقوموا بالدعوة إلى البدع والشركيات ، وأين ؟ ! فى الحرمين الشريفين .

سبحان اللّه ، ما أشد سخف عقل هذا الرجل ، وما أعظم مكره ، وأفسد ذوقه .. غير أن اللعبة انكشفت ، والمؤامرة الدنيئة افتضحت ، والفتنة نائمة لعن اللّه من أيقظها .

د ـ الوحدة والتوحيد :

هذه شر من سابقاتها ، وهى جملة يأثرونها عن عبد السلام بن مشيش ، إذ رووا عنه قوله : « اللهم اقذف بى على الباطل فأدمغه ، وزج بى فى بحار الأحدية ، وانتشلنى من أوحال التوحيد » ، هذه الجملة المشبوهة قد تغنى بها صاحب « الذخائر » ، وذلك كدأبه دائماً فى تصيد العبارات المشبوهة ، ليغيظ بها الموحدين فى هذه البلاد ، والذين يسمونهم بالوهابيين .

وقبل الخوض فى إبطال هذه الشبهة ، نقول : من هو عبد السلام بن مشيش ؟ وما قيمة كلامه بين المسلمين ؟ أصحابى هو أم تابعى ؟ أم رجل من أهل القرون المفضلة ؟ والجواب : لا ، لا ، إنه رجل من المتأخرين المتهوكين بفتنة التصوف والمتصوفين .

وسؤال آخر : هل المسلمون مطالبون شرعاً بتأويل كلام كل من يقول الكفر حتى لا

يحكم عليه بالكفر ؟ إن الكلام الذى على المسلم أن يؤوله إذا خالف ظاهره ما عرف من الشرع بالضرورة ، هو كلام الشارع فقط ، لا كلام الزنادقة ، وأرباب الأهواء والشطحات .

وبعد : فأى مسلم يعرف لغة العرب ، ويفهم دين اللّه تعالى ، وما فيه من عقائد ، يسمع قول ابن مشيش : « وزج بى فى بحار الأحدية ، وانشلنى من أوحال التوحيد » ، ولا يفهم أن قائل هذا الكلام إنما يواجه ربه بالكفر والعياذ باللّه ؟ إذ يقول سائلاً منازعاً : « وزج بى فى بحار الأحدية ، وانشلنى من أوحال التوحيد » ، الأحدية المأخوذة من قول اللّه تعالى : ﴿ **قل هو اللّه أحد** ﴾ (١) ، إنه يريد بقوله ذلك : صيرنى يا ربى جزءاً منك ، وأذبنى فى ذاتك ، وانقلنى من عبادتك وحدك لا شريك لك . وهى إحدى شطحات المتصوفة التى يسمونها الفناء ، ولنسمع إلى ابن عربى صاحب « الفتوحات المكية » وهو يقرر هذا الكفر العفن بقوله :

العبد رب والرب عبد ... ياليت شعرى من المكلف

وهو عين ما عليه إمام المتصوفة الحلاج ، إذ يقول فى خمرياته :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا

فأى إسلام يبقى لمن يقول أو يرضى بقول صاحبهم : اللهم أغرقنى فى بحار الأحدية ، وانشلنى من أوحال التوحيد . أى صيرنى جزءاً منك ، حتى أتخلص من عبادتك ، لأكون ممن يعبد بعبادتك .

أخى القارىء : إن هذا هو مدلول كلمة ابن مشيش ، وهو إن لم يكن كفراً صراحاً ، فهو هراء لا معنى له ، وهذر من القول ينزه عنه العقلاء .

أبعد كل هذا ـ أيها القارىء الكريم ـ يريد منا الرفاعى أن نحسن الظن ، وأن نؤول ما هو كفر حتى لا نقول : قائل هذا القول كافر ، ومعتقده كافر ، والراضى به الموافق عليه كافر ؟

وأخيراً : إن الأمر كما قدمنا مجرد لعبة أريد بها التعرف على قوة الموحدين فى هذه البلاد التى طهرها اللّه تعالى من الشرك ، والبدع ، والخرافات ، هل مازال أهلها قائمين

---

(١) الآية الأولى من سورة الصمد .

على الحق ظاهرين على كل من يناوئهم ؟ أم أصابهم الوهن : كراهية الموت وحب الحياة ؟ غير أنه والحمد للّه ـ خاب ظنهم ـ وسيرجع هؤلاء الراكضون خارج المملكة بخُفَّىْ حنين ، لم ينالوا خيراً ، وكفى اللّه الموحدين شرَّ الغِيَر .

هـ ـ التبرك ليس شركاً ولا بدعة :

هذه أخف وطأة من سابقتها ، وإن كانت تعتبر بيت القصيد من سعى دعاة الضلالة .

وجوابنا عن هذه الشبهة أننا ما قلنا ولم نقل أبداً إن التبرك شرك ، أو إنه حرام ، بل قلنا وما زلنا نقول : إنه مشروع وجائز إذا كان بما يوافق الشرع ، ولا يخالفه ، ولا حاجة بالراكضين إلى إثارة هذه الشبهة ، والعنونة لها بحروف بارزة غليظة ، فى كتب ردهم ، وميادين ركضهم .

إن أصحاب النبى ﷺ كانوا يتبركون بريق رسول اللّه ﷺ ، ومخاطه ، وعرقه ، بل كانوا يتسابقون إلى ذلك ، ويتنافسون فيه ، والرسول بينهم ، ولم ينكر عليهم ، بل أقرهم ، وكيف وقد أعطى فى حجة الوداع نصف شعر رأسه ليوزعه أبو طلحة فى قرابته يتبركون به ، كما قد تبرك أصحابه ببردته ، وثوبه ، وسؤر شرابه ، وبقية طعامه ، والرسول ﷺ كله بركة ، واللّه هو الذى أخرجها لأهل الأرض ، والحمد للّه والمنة له .

والسؤال الآن : لم أثار الراكضون هذه المسألة ، وجعلوها شبهة ، وهى لا شبهة فيها ، وواضحة لا خفاء بها ، ولا غبار عليها ؟

والجواب : إنهم يريدون غير هذا المشروع ، وإنما يذكرونه ليتذرعوا به إلى غير المشروع ، وإليك ما جاء فى ردودهم : « إن الإمام أحمد تبرك بشرب غُسالة ثوب الإمام الشافعى ، وإن الإمام الشافعى تبرك بغُسالة قميص أحمد ، وإن المقدسى أصابه دمل وأعياه دواؤه ، فذهب إلى قبر أحمد ، فتمرغ عليه ، فشُفى ببركة تراب قبره » .

وهل يصح هذا الافتراء على الإمامين الجليلين الشافعى وأحمد ؟

واللّه ما يصح ، وما هو إلا دجل يريدون التوصل به إلى تبرير الشرك الذى يدعون إليه ، والمتمثل فى العكوف على قبور الأولياء ، والتمسح بتراب قبورهم ، والأزر التى على أضرحتهم ، وبالتالى سؤالهم ، والاستغاثة بهم ، والتقرب إليهم بالذبح ، والنذر لهم ، وبالتالى يتبرك بهم العوام بوصفهم سادة وصوفية وأولياء .

ويدلك على هذا أيها القارىء الكريم حال ضحايا هؤلاء الراكضين ، فلقد أقسم لى طالب علم بالله تعالى ، أنه شاهد الشيخ السيد بباب إبراهيم من المسجد الحرام ، وأنه أخرج رجله . من نعله ، فأكب عليها أحد مريديه يمسحها بمنديل جيبه ، ثم دلك بها وجهه ، وما ظهر من جسمه . هذا هو سر الدعوة إلى التبرك ، وتكفير من لم يقل بها ، ووصفه بأنه وهابى كافر مبغض لأولياء الله الصالحين .

واسمع السيد يوسف الرفاعى وهو يركض ويقول : « فهل يجوز بعد بيان ما سلف أن نتهم بالشرك ، ونضرب بالعصا ، وننظر شزراً وحنقاً إلى من يريد أن يتبرك بأى أثر من آثار النبى ﷺ ، وسواء فى ذلك مسجده ومنبره ومحرابه وشباك قبره وخارجه ؟ » .

أليس أيها القارىء الكريم هذا صوت الروافض بالذات ، يرتفع من فم السيد الرفاعى السنى كما يظن ؟ إذ هم الذين يعكفون على الآثار ، ويندبون عندها ، ويبكون .

إن الرجل ما لبث أن نسى ما قاله أولاً ، وانقلب داعية شرك وضلال والعياذ بالله تعالى . إنه يريد من حماة الحرم النبوى أن يفسحوا المجال للمغرر بهم أن يحولوا قبر رسول الله ﷺ وثناً يعبد ، ضاربين برغبة رسول الله ﷺ التى رفعها إلى ربه قائلاً : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » [1] عُرْض الحائط .

إن الرجل قد ساءه الذب عن العقيدة وحمايتها ، فصرخ حتى أغمى عليه : « لم لا تسمحون للزوار أن يتمسحوا بمحراب المسجد النبوى ومنبره وجدرانه ، لم تمنعونهم وتنتهرونهم » ، بدعوى أنها آثار النبى ﷺ .

كذبت يا رفاعى ، وأين آثار النبى ﷺ ؟ إن المنبر والشباك من صنع الأتراك ، فوالله ما لامست شيئاً من ذلك يد رسول الله ﷺ وقدمه ، ولا شىء من جسمه ، فبم يتبرك المسلمون يا رفاعى ؟ إنهم يتبركون بوجودهم فى مسجد رسول الله ﷺ ، والصلاة فيه ، وبالسلام على رسول الله ﷺ وصاحبيه الصديق والفاروق ، وما عدا ذلك فهو شرعة الروافض ، وعملاء الروافض ، والمنتفعين من مظاهر البدع والضلال ، من أمثال هؤلاء الراكضين ، هداهم الله إلى الحق ، ورجع بهم إلى صراطه المستقيم آمين .

وإلى هنا انتهت الجولة الثالثة ، فإلى الجولة الرابعة والأخيرة للبطل يوسف الرفاعى .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ (١ / ١٧٢) ، وأحمد فى المسند (٢ / ٢٤٦) .

الجولة الأخيرة

ورمى السيد بجواد عزمه فى ميدان المعركة ، وهو أشد ما يكون خوراً وضعفاً لكثرة ما ركض فى الجولة قبل هذه ، حيث خرج منها وهو صفر اليدين ، إذ ما أراده من الدفاع عن الشرك باسم التبرك قد انهار بناؤه ، وأظلم نهاره ، ولم يحقق حتى لنفسه شيئاً ، فالذين كانوا يتبركون به بوصفه سيداً ، قد يتخلون عنه اليوم لما علموا عنه من الدعاء إلى الباطل والبدع والضلال .

وقبل الشروع فى وصف هذه الجولة الأخيرة ، ينبغى أن نذكر ما سيركض فيه بطلنا الخائر القوى ، الفاتر العزم ، إنه سيركض فى فتور عجيب فى الأشواط التالية :

- التوسل .
- عقيدتنا فى نعاله ﷺ .
- إقطاع النبى ﷺ أرض الجنة .
- مقاليد السماوات ..
- السنة والبدعة .
- المولد الشريف من صفحة (٧٩) إلى (١٤٧) .

كانت هذه مجالات الركض أيها القارىء الكريم ، وإليك وصفها ، وبيان الحق والباطل فيها .

* **التوسل :**

لقد ذكر بطلنا فى أمانة تامة أنواع التوسل المشروع نقلاً عن كتاب « قضايا التوسل » للشيخ محمد زكى إبراهيم ، وهى :

١ ـ التوسل بالحى الصالح ، كتوسل الضرير بالنبى ﷺ .

٢ ـ توسل الحى بالعمل الصالح ، كما مر حديث أصحاب الغار عند البخارى ومسلم[1] .

---

(١) رواه البخارى (٨ / ٣) ، ومسلم (٨ / ٨٩) .

٣ ـ التوسل بذات اللّه تعالى وأسمائه وصفاته .

وقال : هذه الأنواع الثلاثة لاخلاف فى مشروعيتها ، وإنما الخلاف فى التوسل بالميت ، وهنا نبارك لبطلنا هذا المشوار القصير ، ونقول له : إن أنواع التوسل المذكور حقاً هى من التوسل الجائز ، المأذون فيه ، المشروع للمؤمنين والمؤمنات ، وبيان ذلك أن اللّه تعالى قال : ﴿ **يأيها الذينَ آمنوا اتَّقوا اللّه وابتغوا إليه الوسيلةَ وجاهدوا فى سبيله لعلَّكم تُفْلِحونَ** ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ **أولئك الذينَ يدعونَ يَبْتغونَ إلى ربِّهم الوسيلةَ أيُّهم أقربُ ويرجونَ رحمتَهُ ويخافونَ عذابَهُ** ﴾ [٢] .

فالآية الأولى تضمنت أمراللّه تعالى عباده المؤمنين بتقواه ، وذلك بفعل ما أمر اللّه تعالى ورسوله به ، وترك ما نهى اللّه ورسوله عنه من المعتقدات والأقوال والأفعال ، ومن أعظم ما أمر اللّه تعالى به التوحيد ، ومن أعظم ما نهى عنه الشرك ، كما أمرهم بطلب الوسيلة إليه تعالى ، وذلك بفعل النوافل ، بيّن هذا قوله فى حديث أبى هريرة عند البخارى : « وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » الحديث [٣] .

أما الآية الثانية ، فقد أخبر اللّه تعالى أن بعض المشركين كانوا يدعون عباداً للّه صالحين من الملائكة والأنبياء ، وأن أولئك المدعُوّين من عباد اللّه الصالحين هم أنفسهم يعبدون اللّه ، ويتقربون إليه بصالح الأعمال ، وطيب الأقوال ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ومن كان كذلك فى افتقاره إلى ربه ، وحاجته إليه لا يصح أن يُعْبَد ، لا مع اللّه تعالى ، ولا بانفراد ، لأن العابد لا يعبد ، والمألوه المربوب لا يكون ربّاً ولا إلهاً .

والشاهد فى هذا أن القرآن أثبت مشروعية التوسل إلى اللّه تعالى بالإيمان ، وصالح الأعمال ، وطيب الأقوال فعلاً ، بترك الشرك والمعاصى ، وسائر الذنوب والآثام [٤] .

وبهذا ، وعلى هذا ، كان سلف الأمة الصالح ، نبيها وصحابته وتابعوهم وتابعو تابعيهم بإحسان ، كل يتوسل إلى اللّه تعالى فى قضاء حوائجه من جلب خير ، أو دفع ضر ، بإيمانه وعمله الصالح ، وبأسماء اللّه تعالى الحسنى ، وصفاته العلا ، وبذكره تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً وتحميداً ، وبتلاوة كتاب اللّه ، وبالصلاة والسلام على رسول اللّه وآل رسول اللّه ﷺ ، كما كانوا يتوسلون بالرباط ، والجهاد فى سبيل اللّه ، وبترك معاصى اللّه كبيرها وصغيرها ، وذلك إلى أن جاء عصر الفتن ، ونجم قرن التصوف ، يحمل رايته غلاة

(١) المائدة : ٣٥ .　(٢) الإسراء : ٥٧ .　(٣) رواه البخارى (٨ / ١٣١) .

(٤) ويكفى الأمة الواعية التى تستبرىء لدينها وعرضها ما شرعه لها ربها عز وجل .

الباطنية والزنادقة ، ومشايخ الطرق ، فأحدثوا فى التوسل إلى اللّه تعالى بدعاً وضلالات كادوا يقضون بها على روح الإسلام ، فعبدوا الأولياء بذبح القربات ، والنذر لهم ، والاستغاثة بهم ، والاستشفاع والتبرك بأضرحتهم ، والعكوف عندها ، والاستشفاء بنقل المرضى إليها ، ضربوا على قبور الصالحين القباب ، وشيدوا الأضرحة ، ونصبوا التماثيل عليها ، ودفنوا موتاهم فى مساجدهم تبركاً بها ، وتوسلاً بأصحابها ، حتى أصبح لا يخلو مسجد من قبر ، مخالفين بذلك قول نبيهم ﷺ : « صلوا فى بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً » (١) ، لأن القبور لا يُصلّى إليها ، ولا عندها .

وعظم البلاء ، واسند خطر الجهل ، فتحولت ديار الإسلام إلى ديار شرك ، فكم من شجرة تعبد ، وكم من قبر تشد له الرحال ، وتقام عنده المواسم والأعياد ، ويختلط فيه النساء والرجال ، وتستباح فيه الحرمات ، وقيض اللّه تعالى من صالحى عباده رجالاً كابن تيمية ، وابن عبد الوهاب ، وغيرهما فى سائر بلاد المسلمين ، فأمروا بالتوحيد ، ونهوا عن الشرك ، وبينوا الحق فى التوسل والاستشفاع والتبرك ، واستنارت ديار الإسلام بعض الشىء إلا أن خصوم الإسلام ما ناموا ولا ماتوا ، بل ما زالوا يتربصون الدوائر بأمة الإسلام ، ومن بينهم هؤلاء الراكضون ، إذ كتبوا كتبهم ونشروها ، وهى ـ واللّه العظيم ـ ما تحمل دليلاً واحداً من كتاب أو سنة صحيحة على جواز ما دعوا إليه من دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والاستشفاع بذواتهم .

إن الميت لا يُتوَسَّل إلى اللّه تعالى بغير الاستغفار له ، والترحم له ، أما أن يدعى ويستغاث به ، ويطلب منه أن يدعو للحى ، ويشفع له ، فهذا من أبطل الباطل ، ومن أقبح سوء الفهم ، وفساد الذوق والإدراك .

وها هو ذا البطل يوسف يتقدم القوم يركض ، يبحث عن أدلة جواز التوسل البدعى الشركى ، ولما لم يجد فى كتاب ولا سنة ، رفع صوته قائلاً : « إن علماء أصول الدين أجازوا التوسل بصالح الأموات ، وعلى رأسهم الرازى والجرجانى » ، وتنهد من الإعياء وقال : « ها هو ذا الشافعى قد توسل بأبى حنيفة » ، ثم التفت إلى السلفيين وكله غيظ وحنق ، وقال : « فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون » .

وهبط يستريح استعداداً للشوط الثانى .

---

(١) رواه البخارى (١ / ١١٢) ، ومسلم (٢ / ١٨٧) ، وورد فى مسلم (٣ / ٦٢) : « لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها » .

* **عقيدتنا فى التوسل :**

ولما أعيا بطلنا الركض فى الوسيلة ، ولم يجد بدّاً من التسليم بأن لا وسيلة إلا ما شرع اللّه ورسوله ، ولّى هارباً والنور يغشاه من فوقه ، ومن تحته ، ومن كل جوانبه ، وهو يقول : « كيف لا تجوز الوسيلة بالأموات ، ما لكم لا تفقهون ما أقول لكم » ، وانقهر فأسرها فى نفسه وآلمته ، وبحث عن مخرج أو مهرب فلم يجد إلا الخروج من جماعة المسلمين أهل الكتاب والسنة ، وأعلن قائلاً :

« عقيدتنا فى التوسل » أى : عقيدتنا نحن الخلفيين لا عقيدتكم أنتم أيها السلفيون ، وأخذ يركض فى ميدان المعركة طالباً الأدلة على عقيدته المبتدعة ، فما ترك شبهة إلا أثارها ، ولا أثراً من آثار الماضين من القبوريين إلا دفعه ، ولوح به صائحاً : « هذا هو الدليل على جواز التوسل بالأموات » ، وأنهى المشوار بقوله : « والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة ، صحة التوسل وجوازه بالنبى ﷺ فى حياته وبعد موته ، وكذا بغيره من لأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، كما دلت الأحاديث السابقة » (١) .

هذه حصيلة الركض الطويل ، ونعم الحصيلة هى إذ قررت مذهب أهل السنة والجماعة فى جواز التوسل بالنبى ﷺ فى حياته وبعد وفاته ، وكذا بالأنبياء والأولياء وعباد اللّه الصالحين .

ولكن : هل يرضى المبتدعون بالتوسل الشرعى الذى هو مذهب أهل السنة والجماعة ؟ دون الروافض وأهل البدع والأهواء .

قطعاً إن أبطالنا الراكضين لا يرضيهم التوسل المشروع ، ولو رضوه ما ركضوا يبحثون عن غيره من التوسل البدعى الذى أحدثه الروافض وغلاة المتصوفة ، وهو : اللهم إنى أسألك بحق فلان ، وبجاة فلان ، ويا فلان المدد ، ويا فلان أنا بك وباللّه ، وأنا دخيلك وفى حماك ، وكل محسوب منسوب ، ويا فلان ادع اللّه لى ، وسله لى ، ومنه التمسح بالأعتاب ، والتعلق بالأبواب ، والجثوم على القبور الساعات الطوال (٢) .

هذا هو التوسل الذى يرضاه الراكضون ، وهو الذى عَنْوَنَ له البطل قائلاً : « عقيدتنا

---

(١) لا أعلم كيف يحتج بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة أو أحاديث لا تدل على مراده وفهمه ، أما علم أن علماء الحديث لهم موازين فى قبول الأخبار ولا سيما أخبار الشريعة التى حفظت وستحفظ إلى يوم الدين .

(٢) هذا قليل من كثير ، ولقد رأيت أحدهم قد سجد لقبر رسول اللّه ﷺ كما يسجد فى الصلاة ، فإنا للّه وإنا إليه راجعون .

فى التوسل » ، وهى كما قال ، عقيدتهم الخاصة بهم ، أما عقيدة السلفيين فى التوسل فهى :

١ ـ إن كان المتوسّل به حيّاً ، وسواء كان نبياً أو ولياً أو عبداً صالحاً ، فإنها تكون بمحبته ، واحترامه ، وطاعته فى المعروف ، واتباع هديه ، والاقتداء به فى كل خير ، وطلب الدعاء منه سواء أكان بقضاء حاجة ، أم بطلبِ المغفرة والرحمة وغيرهما من خير الدنيا والآخرة .

٢ ـ إن كان ميتاً ، فإن التوسل به يكون بالصلاة عليه ، وزيارة قبره للاستغفار له ، والسلام والترحم عليه إن كان القبر قريباً من الزائر ، بحيث لا يَشُدُّ لذلك رحلاً ، ولا يتكلف مشقة .

ولن يكون التوسل بالنبى أو الولى بعد وفاته بدعائه ، ولا بالاستغاثة به ، ولا بالاستجارة بجنابه ، ولا بالاستشفاع به ، وطلب الشفاعة منه ، إذ الدعاء والاستغاثة والشفاعة والاستجارة هذه كلها لا تطلب إلا من اللّه الملك الحق ، الذى لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، والقائل : ﴿ **مَن ذا الّذى يشفَعُ عندَه إلا بإذنِه** ﴾ (١) .

* **نعاله ﷺ** :

هذه ركضة لبطلنا من أعجب أنواع ركضة ، إذ لم يجن من ورائها شيئاً قط ، لقد كتب فى هذه المسألة ثلاث صفحات ، حاول فيها أن يستنبط منها ما يجوز التبرك بالأضرحة والقبور ، ويبيح الموالد ، فلم يمكنه ذلك ، فاكتفى بالحديث عن نعلى النبى ﷺ ، وأن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه كان يحملهما لرسول اللّه ﷺ ، وذكر أن العديد من الشعراء القبوريين تمدحوا بنعل الرسول ﷺ ، وبلغ ببعضهم حبها أن رسموا لها صورة خيالية ، وأخذوا يتبركون بها ، ويتنافسون فى تمجيدها وتعظيمها .

أليس هذا يا عباد اللّه جنوناً ، وحمقاً ، وطيشاً ؟

ويا سبحان اللّه ، أبمثل هذه التُّرّهات والخيالات يرد على دعوة الحق ، ودعاتها ، وحماتها ؟ وبمثل النبهانى ، والقسطلانى ، والزرقانى (٢) يستشهد على جواز رسم صورة لنعل النبى ﷺ التى قد مضى عليها قرابة أربعة عشر قرناً ، والتبرك بها ، وتناقلها للاستشفاء

---

(١) بعض آية الكرسى التى فى سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) هؤلاء علماء فى الأمة الإسلامية ، ولهم تطرف فى الأفكار ، وقد قيل : احذر زلة العالِم ، وزلة العالم زلة العالَم .

بها ، بل والتدجيل بها ، وأكل أموال الناس بواسطتها ؟

آه ، ويا للعجب ، كيف يسخر القوم من عقولهم وعقول غيرهم معاً ، فيثبتون مثل هذه الخزعبلات ، لإلهاء المسلمين عن الجهاد وواجبات الحياة بعد تسميم عقولهم ، وإفساد عقائدهم .

والكلمة الأخيرة لنا فى الرد على هذا الباطل الموهوم ، أن السلفيين لو يجدون أثراً حقاً من آثار الرسول ﷺ ، كشعره ﷺ ، وثوبه ، ونعله ، وسيفه ، وحتى آنيته ، لما سبقهم القبوريون إلى التبرك بها ، ولكن أين ذلك ؟ فإذاً لم هذه الشطحات الفارغة الملهية عن الحق ، المبعدة عن الصواب فى العقل والسلوك ؟

وانتهت هذه الركضة كما قدمنا على غير طائل ، وانتقل بطلنا إلى ركضة أخرى عنون لها بقوله :

* **إقطاع النبى ﷺ أرض الجنة :**

وهى ركضة لا طائلة تحتها أيضاً ، ومن العبث أن تبيَّض بها الصحف وتسوَّد و تنفق فيها الأموال ، إذ ما هناك أحد نازع فى أن اللّه تعالى يهب ما يشاء لمن يشاء ، فإذا وهب الحق تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ حق الإقطاع لمن يشاء من أرض الجنة ، فلا اعتراض على اللّه فى حكمه ، ولا اعترض على رسول اللّه ﷺ فيما أذن اللّه له فيه من التصرف ، اللهم إلا أن تكون حكاية الإقطاع هذه باطلة ، وهى حقاً باطلة لا وجه لها من الصحة ، وحينئذ فالسلفيون لا يعتقدون ما لا يثبت بالدليل القطعى الصحيح ، إذ العقائد لا تثبت إلا بما صح سنده ، وثبت دليله .

هذا والسؤال الآن : لم تذكر هذه المسألة وأشباهها ؟ إنه فى نظر هؤلاء المرضى المتغيظين على السلفيين : أن السلفيين لا يعظّمون رسول اللّه ﷺ ، ولا يحبونه ، فلذا يأتون بمثل هذه الآثار التى لا علاقة لها بحياة المسلمين ، ليغيظوا فى زعمهم السلفيين ، ألا ساء ما يظنون ، وقبح ما يفترون .

ووراء ذلك ما هو أهم ، وهو اتخاذ مثل هذه الكمالات المحمدية طرقاً إلى دعائه والاستغاثة به والاستشفاع ، إذ هذا هو المطلب الذى يتهالكون عليه ، ولذا أورد هنا السيد مسائل ، كلها تدل على أن المراد من إيراد هذه الخصائص هو تبرير الشرك بدعاء غير اللّه تعالى ، ونسوا أن اللّه تعالى لم يأذن فى دعاء غيره قط ، اللهم إلا أن يكون المدعو حيّاً

مكلفاً ، يسمع ويبصر ويجيب ، وحاضراً غير غائب ، إذ الملائكة والجن معنا ، ولكن لم يأذن اللّه تعالى لعباده المؤمنين أن يدعوا الجن والملائكة ، أو يستغيثوا بهم ، فكان دعاؤهم والاستغاثة بهم شركاً وكفراً والعياذ باللّه .

ويدل على ما ذكرنا من قصد السيد من ذكر هذه الفضائل ، وهو التذرع إلى الشرك بدعاء غير اللّه تعالى ، والاستغاثة به ، أنه ذكر هنا ما يلى :

١ ـ حديث : حياتى خير لكم ومماتى خير لكم . وهو حديث موضوع .

٢ ـ الأنبياء أحياء فى قبورهم .

٣ ـ عذاب القبر ونعيمه .

٤ ـ الشهداء أحياء عند ربهم .

٥ ـ مقاليد السماوات والأرض بيد رسول الله ﷺ .

٦ ـ عرض الأعمال على الرسول وعلى الأقارب فى البرزخ .

وردنا على هذه التمحلات الباطلة ، هو أن اللّه تعالى لم يأذن لنا ولا لعباده أن يدعوا غير ربهم ، ويستغيثوا بغير مولاهم ومالك أمرهم ، الذى لا إله غيره ، ولا رب سواه ، فدعاء الأموات وهم فى قبورهم أو عند ربهم ، وقد انقطعت صلتهم بالحياة الدنيا ، مما حرم اللّه تعالى بقوله : ﴿ **فلا تدعو مع اللّه أحداً** ﴾ [(١)] ، وقوله : ﴿ **ومن يدع مع اللّه إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ [(٢)] .

* **السنة والبدعة :**

لقد ركض بطلنا فى هذا المضمار ركضاً واسعاً بعيداً ، وانتهى إلى غير طائل أيضاً ، إذ كل ما أورده من أدلة على جواز الابتداع كان عليه وليس له فيه شىء ، حتى إنه أقام الحجة على نفسه بصريح قوله وكامل اعترافه ، إذ قال فى صفحة (١٤٥) : « قد يفهم مما تقدم أن كل من أحدث عبادة فى غير محلها الثابت عن النبى ﷺ يكون ذلك جائزاً ، وليس كذلك ، بل هى بدعة سيئة » . إلا أنه لم يفقه ذلك ، فأورد من الأدلة على جواز الابتداع وبدعة المولد بخاصة ، جملة من الأحاديث ، بعضها فى الصحاح ، وبعضها فى السنن ، غير أنه لا يوجد فيها حديث واحد يدل على جواز الابتداع البتة ، وإلى القارىء

---

(١) الجن : ١٨ .　　(٢) المؤمنون : ١١٧ .

الكريم تلك الأحاديث :

١ ـ حديث بلال في مشروعية صلاة ركعتين بعد كل وضوء [١] .

٢ ـ حديث قول الصحابة : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . وإقرار الرسول ﷺ له على هذا القول ، فأصبح سنة [٢] .

٣ ـ حديث الصحيح في الصحابي الذي كان يقرأ بسورة الصمد في كل ركعة زيادة على سورة أخرى ، وسؤال الرسول ﷺ إياه ، وإجابته بأنه يحبها ، وإقرار الرسول ﷺ له على ذلك [٣] .

٤ ـ حديث الصحيح ، رقية الصحابي للملدوغ بالفاتحة ، وإقرار الرسول ﷺ له على ذلك [٤] .

٥ ـ حديث المجنون الذي رقاه الصحابي فبرئ ، فأقره الرسول ﷺ على رقيته [٥] .

٦ ـ حديث الصحابي الذي قال : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت اللّه ... إلخ ، حيث أقره الرسول ﷺ على ذلك [٦] .

وهكذا في عدة أحاديث تحمل أن الصحابي يُحْدِث الشيء ، والرسول ﷺ يقره على ذلك ، فاستدل أخونا على جواز الابتداع في الدين بناء على أن الصحابة أحدثوا ، والرسول ﷺ أقرهم على إحداثهم .

وفات البطل أن السنة غير البدعة ، وأن السنة أقسام : منها السنة القولية ، ومنها السنة الفعلية ، ومنها السنة التقريرية ، وما ذكره من هذه الأحاديث هو من السنة التقريرية ، وليس من الابتداع إلا باعتباره أول الأمر ، أما بعد علم الرسول ﷺ به وإقراره فإنه أصبح سنة .

وخفي على صاحبنا أن جل التشريع كان تابعاً لأحداث معينة ، ومع هذا فإنا نقول : لو أننا في عصر الرسول ﷺ ، وأحدثنا بدعة المولد ، فسكت عنها الرسول ﷺ ، وأقرها ،

---

(١) رواه البخاري (٢ / ٦٤) ، ومسلم (٧ / ١٤٦) .
(٢) رواه البخاري (١ / ١٩١) وغيره .
(٣) رواه البخاري تعليقاً (١ / ١٨٦) ، والترمذي (٥ / ١٦٩) ، وروى البخاري (٩ / ١٤١) ، ومسلم (٢ / ٢٠٠) حديثاً آخر قريباً منه .
(٤) رواه البخاري (٦ / ٢٣١) ، ومسلم (٧ ، ١٩ ، ٢٠) .
(٥) رواه أبو داود (٢ / ٣٣٩) .
(٦) رواه أبو داود (١ / ٣٤٣) ، والترمذي (٥ / ٥١٥) .

لكانت سنة حسنة . أما وقد مات الرسول ﷺ ، وانقطع الوحى ، فمن يقرنا على بدعة نبتدعها ، وتصبح سنة ؟ اللهم لا أحد .

ولذا فكل ما أحدث بعد موت رسول اللّه ﷺ وموت الراشدين من أصحابه فهوبدعة ضلالة ، ورضى اللّه تعالى عن مالك بن أنس حيث قال : « كل ما لم يكن على عهد رسول اللّه ﷺ وأصحابه ديناً لن يكون اليوم ديناً » .

وأخيراً ، وخاتمة المطاف للسيد الرفاعى فى كتابه « الرد المحكم المنيع » هى تقريره لبدعة المولد ، وتشديده النكير على السلفيين بأنهم يكفرون أهل السنة ، وهذا القدر من كلامه يعتبر القاسم المشترك بينه وبين ما كتبه الأخوة الراكضون معه .

وقولنا للجميع : حسبنا منكم أنكم تقرون ببدعية الاحتفال بالمولد ، إلا أنكم تفترون فتقولون : بدعة حسنة . والرسول ﷺ يقول : « كل بدعة ضلالة » (١) ، وبئس الموقف يقفه المرء ، الرسول يقول : « كل بدعة ضلالة » (٢) ، والسيد يقول : بدعة حسنة .

وأما ادعاؤهم أن السلفيين يكفّرون المؤمنين ، فهو إدعاء فيه حق وفيه باطل ، أما ما فيه من الحق فهو أن السلفيين يكفرون كل من كفره الكتاب والسنة ، لأن الرضا بالكفر كفر عند عامة علماء الإسلام ، وأما ما فيه من الباطل فهو أن السلفيين لا يكفرون مؤمناً بذنب قط ، إلا ما كان من ترك الصلاة ، للأحاديث الصحيحة القاضية بكفر تارك الصلاة عمداً (٢) .

ومن عدا تارك الصلاة فلا يكفِّرون إلا من قال الكفر ، أو اعتقده ، أو عمل بمقتضاه ، وهو يعلم ذلك ، ويصر عليه .

وجاء دور البحرينى :

ورمى البحرينى بعوده فى المعركة ، وصدره محتدم غيظاً ، فصاح قائلاً : « إنا نرجو من جلالة الملك فهد وإخوانه أن لا ينظروا إلى الإسلام من جهة واحدة ، وأن يسمعوا من غير أصحاب الفضيلة ، وأن يفسحوا المجال للمتكلم إذا تكلم ، والمفكر إذا فكر » إلى آخر مناشدته الصارخة ، الباكية ، الماكرة !!! .

---

(١) رواه مسلم (٣ / ١١) ، وأبو داود (٢ / ٥٠٦) ، والنسائى (٣ / ١٥٣) ، وابن ماجه ص ١٧ ، وغيرهم .

(٢) انظر أحاديث ترك الصلاة فى مسلم (١ / ٦٢) ، وأبو داود (٢ / ٥٢٢) ، والترمذى (٥ / ١٣) ، وغيرهم .

وهل تعرف أيها القارىء الكريم ماذا يريد هذا الراكض من مناشدته ؟ إنه يريد من رجال الدولة السعودية أن يتخلوا عن الإسلام الصحيح ، القائم على الوحى الإلهى ، قال الله قال رسوله ، إلى إسلام القبوريين والخرافيين من جهلة المتصوفة ، وأرباب الطرق والزوايا ، إنه يريد من أبناء عبد العزيز الأبرار أن يحيوا لهم ما أماتوه من بدع وضلالات ، فيسمحوا لهم أن يعيدوا بناء قباب آل البيت ، وأضرحة الدراويش ، والعياذ بالله تعالى من مكر هذا الرجل ، وأفن عقله ، وفساد ذوقه ، وسوء تفكيره .

هذه مناشدة هذا الراكض يا عباد الله ، وهذا مطلبه ..

أما يستحى رجل ينتسب إلى العلم ، ويؤم الناس ، ويخطبهم فى الجمع والأعياد ، أما يستحى من مطالبته بفتح باب الشرك والضلالة بعد إغلاقه فى ديار الله ..

أما يخاف الله تعالى وهو يناشد إمام المسلمين أن يصرف الناس عن عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره من القبور والأضرحة والأموات ؟ وإن كان هو يسمى هذا الشرك توسلا واستشفاعاً وتبركاً ؟؟ .

وخاف البحرينى الحاقد من صعوبة المعركة وعنفها ، فاستغاث بموتور مثله من غلاة القبوريين : أن مُدَّ ــ يا سيدى ــ يديك إلى أنا بك وبالله ... وبارك له الغمارى الغمرة ، فمد له يديه ، وصاح قائلاً : « قد وقفت على كتابك « إعلام النبيل بما فى شرح الجزائرى من التلبيس والتضليل » ، فوجدته قد أحكم الرد ، وأتقن النقض لتلك الوريقات التافهة التى نشرها ، وأضاع بها الوقت والمال أبو بكر جابر الجزائرى فى الرد على فضيلة العلامة المتقن الشريف الدكتور محمد بن على المالكى » .

وبعد أن نال من الجزائرى ما أبرد به غلته الملتهبة غيظاً وحنقاً ، واصل الركض يثنى على صاحب الذخائر ويطريه ، مضفياً على أباطيله ألواناً من الحسن والجمال ، مستتراً تحت الكمالات والخصائص المحمدية التى لم ينكرها مؤمن قط . ونسى وهو يلهث أن ما رُدَّ من كتاب « الذخائر » هو الترَّهات والأباطيل ، والدعوة إلى الشرك والضلال ، لا إلى الخصائص المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية .

بيد أن هذا الراكض لما كان غرضه من هجومه على الجزائرى هو إنقاذ صاحب « الذخائر » من ورطته ، والدفاع عنه وعن أمثاله من دعاة الضلالة ، تجاهل أن ما رد من « الذخائر » هو الباطل ، أما الحق ، فإنه أحق أن يحق ولا يبطل .

سبحان اللّه ، كيف يدافع هذا الرجل عن قول صاحب « الذخائر » وهو يقرر الشرك ويدعو إليه فى قوله : « واشفع يا رسول اللّه نحن وفدك ، يا رسول اللّه جئناك فاستغفر لنا ، واشفع لنا عند ربك ، واسأله أن يَمُنَّ علينا بسائر طلباتنا » .

لقد تجاهل هذا الرجل أن هذا دعاء غير اللّه ، وأنه شرك فى أعظم عبادة ، وهى الدعاء ، واللّه تعالى يقول : ﴿ **وأن المساجدَ للّه فلا تَدعوا معَ اللّه أحداً** ﴾ (١) ، والرسول ﷺ نفسه يقول لابن عمه عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنهما : « إذا سألت فاسأل اللّه ، وإذا استعنت فاستعن باللّه » (٢) ، وحضرة المنتصر للباطل يجيز هذا الشرك تحت عنوان الاستشفاع والتوسل ، وليس مع الرسول محمد ﷺ فقط ، بل مع كل ولىّ وعبد صالح مات وبنى على قبره قبه ، أو شُيِّد له ضريح ، ولو كان موهوماً غير متأكد الوجود ، كضريح الحسين بمصر ، وغيره من الأضرحة التى لا يعرف من فيها إلا من تخرصات العوام .

مسكين هو هذا الراكض فى غير طائل ، إنه قد فضح نفسه بالجهل أو التجاهل ، ومن شدة حَنَقِ هذا الرجل ، وشدة تغيُّظه ، أنه بعد ما عاب الجزائرى بما لا حيلة ولا يَدَ له فيه وهو الهرم ، وكبر السن ، يصمه بوصمه الجهل ، لأنه فى نظره وسوء فهمه قد كفَّر صاحب « الذخائر » ، والجزائرى لايكفر أحداً من أهل القبلة إلا إذا اعتقد أو قال أو فعل ما يحكم المسلمون بكفر معتقده أو قائله أو فاعله ، ورَدُّ الجزائرى على ما جاء فى « الذخائر » من ضلال وباطل لم يَرِد فيه تكفيره لصاحب « الذخائر » قط ، وإنما ورد فيه : « إن دعاء غير اللّه شرك وكفر » ، وما إلى ذلك ، ولم يرد فيه كلمة أن صاحب « الذخائر » كافر أو مشرك أبداً ، وإذاً فلم هذا الكذب يا غمارى ؟ أما آن لك أن تخرج من غمرتك فتستقيم فى دينك وخلقك ؟ .

ولما فرغ المنتصر للباطل من كيل المدح والثناء لصاحب « الذخائر » والبحرينى ، وأعياه ذلك ، حيث بيَّض فيه وسوَّد سبع صفحات من القطع الكبير رأى أنه لم يشف بعد صدره من الجزائرى ، ولم يقض وطره من الدفاع عن الشرك والضلال ، فكرَّ عائداً وهو يقول : « ملاحظات هامة ، ملاحظات هامة » ، وأخذ يبرىء « الذخائر » من شرحه لألفاظ صلاة الفاتح ، وتحبيذها ، والتغنى بها ، وإغاظة السلفيين بذلك ، وبكل صفاقة بالغ فى التعمية والتغطية ، فذكر أن الشيخ محمد التيجانى المصرى قد رد أكاذيب

---

(١) الجن : ١٨ .
(٢) رواه الترمذى (٤ / ٦٦٧) ، وأحمد (١ / ٣٩٣) .

المفترين المتعلقة بصلاة الفاتح ، والغمارى كالمصرى ، كلاهما يعلم أن صلاة الفاتح ، وتفضيلها على القرآن ، ودعوى أن النبى ﷺ شافه بها الشيخ يقظة لا مناماً موجود فى كل من كتابى « الرماح » ، و« الجواهر » للطائفة التيجانية ، فسبحان الله كيف يجيز المسلم الكذب على المسلمين [1] .

لا أدرى ماذا يصنع الشيخ الغمارى لو وضع بين يديه كتاب « الجواهر » أو « الرماح » ، ولا حت له صلاة الفاتح ، وهى مفضلة على القرآن ، المرة الواحدة منها بستين ألف ختمة للقرآن ، أكان يضع يده عليها ليسترها كما فعل اليهودى الذى جحد آية الرجم ، فلما رآها وهو يقرأ أمام الرسول ﷺ ، وضع يده عليها ليسترها ، فقال له الرسول ﷺ : « ارفع يدك » ، فإذا هى آية الرجم تلوح [2] .

كانت تلك إحدى ملاحظات الغمارى ، والثانية هى الدفاع عما زعمه صاحب « الذخائر » من أن عمر رضى الله عنه لم يأمر بقطع شجرة بيعة الرضوان ، لما رأى الناس يتسابقون للصلاة عندها ، وصاحب « الذخائر » إنما نفى ذلك ، وانتصر له الغمارى من أجل أن يجيزا بذلك التبرك بالأشجار والأحجار ، بعد القباب والأضرحة والقبور ، كما هو ديدن القبوريين فى كل بلاد المسلمين ، وبناء على أن هؤلاء الراكضين قد نصبوا أنفسهم للدعوة إلى الشرك والضلالة ، ومحاربة التوحيد والسنة ، فإنه لا بد أن يقولوا مثل هذا القول ، وإن كان مردوداً عليهما ، باطلاً منهما ، لم يبق بين المسلمين من يقبله اليوم إلا مغرر به ، مضلل من ضحاياهم العديدين ، ويا للأسف .

والثالثة هى كيف يرد الجزائرى قول البكرى : « فأنت باب الله » وسرد الأدلة على بطلان رد الجزائرى ، وقال : « إنه انتقاد فى غير محله ، وهو يدل على جهل عظيم ، بل وعلى خلل فى العقل ، وبعد عن سبيل المسلمين » ، وقال : « إن باب الله هو كمسجد الله ، وناقة الله ، وسبيل الله ، فكيف ينكر الجزائرى كلمة باب الله ؟ » .

وتجاهل أن الجزائرى لم يَرُدَّ على كلمة باب الله فقط ، وإنما رد على الشرك الذى حملته أبيات قصيدته الشركية التى جاء صاحب « الذخائر » يروجها تحت عنوان « باب الله » ، ونسى الغمارى وهو فى غمرة الانتقام من الجزائرى الذى كسر الأصنام نسى ما

(١) من أراد أن يطلع على أباطيل القوم فليقرأ لمن كان منهم ثم هداه الله تعالى ، ومن ذلك صاحب كتاب « التحفة السنية » وهو محمد الطاهر البرناوى ، فإنه كان مقدَّماً فيهم ثم أنقذه الله .

(٢) رواه البخارى (٨ / ٢١٤) ، ومسلم (٥ / ١٢٢) .

جاء فى القصيدة من قول البكرى صاحبها :

فَلُذْ به من كل ما تشتكى
فهو شفيعٌ وأيَّنا يقبل

فهل يجوز اللياذ بغير اللّه يا عباد اللّه ؟ وقوله :

ونادِه إن أزْمَةٌ أنشَبَتْ
أظفارَها واستحكَمَ المعضِلُ

فهل يجوز يا عباد اللّه نداء غير اللّه لحل المعضلات ، والخروج من الأزمات ؟

وختم الغمارى ركضه وقد ذكر حديثاً نبوياً فيه مثل ، فقال : هذا المثل ينطبق تماماً على هؤلاء الذين لا يحدثون إلا بما يُظْلِمُ القلوب ، ويَطْمِسُ معالم الإيمان ، ويلقى الشحناء والخصام بين المسلمين ، وهو يعنى قطعاً الجزائرى ، ونسى أن البادىء بهذا هو ضحيته التى يدافع عنها ، وإنا معه لكالمثل القائل : رمتنى بدائها وانسلت .

وخرج الغمارى من الميدان وهو يسيل عرقاً من غمرة الباطل التى كان يخوضها ويركض فيها إبطالاً للحق ، وإحقاقاً للباطل ، والعياذ باللّه تعالى .

وعاد البحرينى إلى الميدان ، وقد أذهب عنه الخوف الغمارى الذى ركض طويلاً بدون طائل ولا أسف ، فقال وهو يرعد ويبرق : « الجزائرى جاهل بالأحكام ، كيف يفسر قول اللّه تعالى : ﴿ **ولا تُفْسِدوا فى الأرض بعد إصلاحها** ﴾ [1] ، بالدعوة إلى الشرك والبدع والخرافات ، وغشيان الذنوب وارتكاب الآثام ؟ من أين له هذا التفسير ؟ » .

هذا ، ولنترك القارىء نفسه يحكم على فساد فهم وذوق البحرينى الذى لا يعد الشرك والمعاصى فى الأرض فساداً ، إذا لم يكن الشرك والذنوب والآثام فى الأرض فساداً ، فما هو الفساد إذن .

ثم قال وهو يزمجر : « كيف يقول الجزائرى : من قال للنبى : اشفع لى . فقد كفر ، أما علم أن الناس يطلبون يوم القيامة من الأنبياء أن يشفعوا لهم ، فإذا هم كفار ، وأهل الموقف كلهم كافرون لطلبهم الشفاعة من الأنبياء ؟ » .

---

(١) الأعراف : ٥٦ .

مسكين هو هذا البخريني الذى دخل الميدان ، وهو لا يحسن حتى الركض ، فكيف إذاً ينتصر ، ويحوز قصب السبق .

مسكين هو ، فما حمله على ركوب الجياد إذا كان لا يحسن ركوبها ، لقد غاب عن ذهنه أن سؤال الناس يوم القيامة هو سؤال حيّ لحىّ ، ليس سؤال مكلف بالعبادة لميت سقط عنه التكليف ، وأفضى إلى ما قدم ، أين ذهب عقلك يا شيخ البحرين ؟

إن سؤال الناس الأنبياء يوم القيامة ليكلموا اللّه تبارك وتعالى ، فيقضى بينهم ، هو كسؤال أسامة بن زيد رسول اللّه ﷺ وتكليمه فى شأن المخزومية التى سرقت ، وهاب أصحاب رسول اللّه أن يكلموه فى شأنها ، فاستشفعوا بأسامة ، وتوسطوا به ليكلم رسول اللّه ﷺ فى شأنها (١) ، أين هذا يا عقلاء من سؤال الضلال أصحاب القبور : يا سيدى فلان ، ويا سيدى فلان ، اشفع لى ، وكلمه لى .. إلى آخر ما يجيز لهم البحرينى وجماعة الركض من دعاء غير اللّه ، والاستغاثة بالمخلوقين ، وقد كان رسول اللّه يبايع بعض أصحابه أن لا يسألوا غير اللّه أحداً من الناس ، من الأحياء الذين أذن اللّه تعالى فى سؤالهم ، والتعاون معهم ، والاستعانة بهم . آه ، أين يذهب بعقول القوم ؟

إن سؤال الشرك هو سؤال الأموات والغيَّب عن أعين الناس كالملائكة والجن ، وإن كانوا أحياء ومعنا ، وذلك لأن اللّه تعالى لم يأذن لنا فى سؤالهم ، وكذلك لم يأذن لنا فى سؤال الأموات من نبى ، أو ولى ، أو عبد صالح ، وإن كانوا أحياء حياة برزخية عند ربهم ، ولو أذن لنا فى سؤالهم لسألناهم طاعة لربنا ، ولكنه تعالى حرم ذلك علينا ، وجعله من الشرك فى عبادته .

إن سؤال الأموات بدعة من شر البدع المكفرة ، وتدل على فساد عقل وقلب صاحبها ، إذ سؤال الميت لم يكن ليثمر للسائل شيئاً ، لا درهماً لمعاشه ، ولا حسنة لمعاده ، فلو وقف العبد ألف سنة يصرخ بإسم ولى ويناديه فلن يلقى جواباً أبداً ، ولن تقضى له حاجة قط ، وكيف لا ، واللّه يقول : ﴿ **وَمَن أضلُّ ممَّن يدعو مِن دونِ اللّه مَن لا يستجيبُ لهُ إلى يوم القيامة وهم عن دُعائِهِم غافلونَ ، وإذا حُشِرَ الناسُ كانوا لَهُم أعداءً وكانوا بعبادتِهِم كافرين** ﴾ (٢) .

قل لى بربك يا بحرينى ، ألم يسمّ اللّه تعالى دعاء غيره عبادة ، وصاحبها كافراً ؟

---

(١) الحديث فى البخارى (٨ / ١٩٩) ، ومسلم (٥ / ١١٤) .   (٢) الأحقاف : ٥ ، ٦ .

فكيف تقول بأن الذى يدعو الأنبياء والأولياء لا يكون كافراً مشركاً ، وتسمى دعاءهم توسلاً لا عبادة ، أنصدقك ونكذب القرآن ، أم ماذا يا بحرينى ؟

وواصل البحرينى ركضه الفارع قائلاً : « كيف يقول الجزائرى : إن طلب الشفاعة من الرسول من الشرك والكفر ؟ ألم يسمع عن الأعرابى الذى جاء رسول اللّه ﷺ وهو على المنبر يخطب الناس ، وطلب منه دعاء بالغيث ، فهل هذا الأعرابى أشرك أو كفر وقد طلب الدعاء من الرسول ﷺ ؟ » .

والآن ، اسمح لى أيها القارىء فقد آذيتك بإسماعى إياك آراء هذا البحرينى الأفنة ، وأريتك ذوقه الفاسد وفهمه السقيم الخاطىء .

إن هذا البحرينى متهالك ، ولا أدرى لماذا ؟ أكل هذا الخلط فى كلامه والخبط من أجل صاحب « الذخائر » ، ليرفع عنه العار حتى ولو لبسه هو جبة ، ووضعه على رأسه عمامة ، أو هو داعية شرك وضلالة ، استعمله الروافض لنصرة مذهبهم فى عبادة آل البيت وتأليههم ؟ وإلا فكيف يشبّه دعاء الأموات بدعاء العباد الذين أذن لنا فى طلبهم ، والتعاون معهم ، والاستعانة بهم ، أما قال اللّه تعالى : ﴿ **وتعاوَنوا على البر والتقوى ولا تعاوَنُوا على الإثْم والعُدْوانِ** ﴾ (١) ؟ .

وواصل البحرينى ركضه فى غير طائل وهو يقول : « الرد على من زعم أن طلب الشفاعة عبادة : إن طلب الشفاعة ليس من العبادة فى شىء ، إنما هو توسل ، إن طلب الشفاعة من الأنبياء كطلب الدعاء منهم » . وأخذ يهذى ويهذر فى صفحات عديدة ، والناس يقولون له : يا بحرينى : هون على نفسك ، وراجع عقلك ، إن طلب الشفاعة كطلب المال والولد ، لا يجوز ذلك إلا من حى مكلف كما كان رسول اللّه ﷺ بين أصحابه ، يقولون له : « ادع اللّه تعالى لنا ، سله لنا يفعل بنا كذا » ، وكان يدعو ويستجاب له ، أما بعد وفاته ﷺ ، فسؤاله ظلم له ، وعبث لا معنى له ، ولهذا لم يسأله الصحابة بعد موته شيئاً ، وهو فى الواقع سؤال غير اللّه تعالى فيما لا يقدر عليه إلا اللّه ، فهو إذاً شرك وكفر ، فأين يذهب بعقلك يا بحرينى ؟! .

إن سؤال الأموات وإن كانوا أحياء عند ربهم كسؤال الملائكة والجن ، وهم أيضاً أحياء ، ولكن لم يأذن اللّه تعالى فى سؤالهم ، وبما أن السؤال فى معانى العبادة كلها ، كان

---

(١) المائدة : ٢ .

هو العبادة ، لحديث السنن : « الدعاء هو العبادة » (١) ، فإن الداعى حتماً يكون على حال يفهم منها ما يلى :

١ ــ الداعى فقير ولولا فقره وحاجته ما سأل .

٢ ــ الداعى موقن أن من يدعوه قادر على إعطائه مسألته .

٣ ــ الداعى موقن بأن من يدعوه يراه ويسمعه .

٤ ــ الداعى موقن بأن مدعوه غنى غنىً تامّاً مطلقاً .

ولولا ذلك ما وضع حاجته بين يديه ، وناداه باسمه متوسلاً إليه بأسمائه وصفاته .

هل عرفت يا بحرينى هذا ؟ واللّه لو عرفت كما عرف أولو العلم لخجلت من ربك ، واستحييت أن تسأل غيره ، أو تأذن لأحد من الناس أن يسأل غير اللّه ، ولكنك لمكرك وجهلك كتبت كتابك « إعلام النبيل » ، لتصرف المؤمنين عن ربهم الغنى الحميد ، وتربطهم بعباد اللّه ليحلفوا بهم تعظيماً ، ويدعوهم عبادة ، ويتقربوا إليهم بالذبح والنذر والعكوف حول قبورهم تأليهاً ، آه ، ماذا أصابك يا بحرينى ، وماذا دهاك ؟

إنك بدفاعك عن سؤال الأموات ، والاستشفاع بهم ، والتوسل إليهم بالذبح والنذر والعكوف والتبرك بتربة قبورهم وغبار أضرحتهم ، تفتح على أمة لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه باب الشرك على مصراعيه .

أعميت أو غفلت يا شيخ عما يأتيه المسلمون الذين ضُلّلوا بأمثالك ، وغُرّروا بمن على شاكلتك من علماء السوء ، من التهالك على القبور ، هذا يقيم موسماً لها ومولداً ، وهذا ينقل مريضه إليها ليعكف معه ليالى ، وهذا يوقد شموعاً ، وهذا يضع أُزُراً وستائر ، وهذا ينذر لها ، وهذا يُقْسم بها ، وهذا يصرخ بدعائها ، والاستغاثة بها ، ووو ... ، وذلك فى مصر والشام والعراق والمغرب والمشرق باستثناء السعودية . فجاء صاحبكم يريد إحياء الشرك فيها بعد موته ، فلما أنكرنا عليه صنيعه ، وهو إفساده بلاداً أصلحها اللّه تعالى ، ثارت ثائرتكم ، وجئتم تركضون فى غير حياء ولا أدب ، تدافعون عن الشرك والشر والفساد .

آه ... مسكين أنت أيها البحرينى ، ما حملك على هذا ؟ أرافضى أنت أم سنى مقلد ؟

---

(١) رواه الترمذى (٥/٢١١) ، وقال : حسن صحيح ، ورواه ابن ماجه ص ١٢٥٨ ، وأحمد (٤ / ٢٦٧) .

بلغتك كلمة صاحبك : « لم يبق فى المدينة إلا الجزائرى الخبيث » فنفخت فيك روح الشر ، فكتبت كتابك لتسبَّ وتشتم الجزائرى وتجهّله وتسفّهه وتحكم عليه بالهلاك ، انتصاراً للباطل ودعوة للضلال . أما علمت أن كتابك قد سهّل على كثير من مرضى القلوب سبَّ العلماء ، والتَّغيُّظ عليهم ، ثم اعتقاد الباطل ، والعمل به ، من دعاء غير اللّه والاستغاثة بهم ، وكل ذلك على حسابك يا بحرينى ، فتحملها وحدك ، وأنت فى طريقك إلى ربك ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً .

أما نحن ، فإن سئلنا عن عملنا كان جوابنا : أن تعبد وحدك ، لأنك قلت ، وقولك الحق: لا إله إلا اللّه . فكل ما كتبناه ، وقد بلغ نحواً من ستين رسالة وكتاباً بحمد اللّه تعالى ، لا يوجد فيه كلمة واحدة تدعو إلى غير اللّه ، وأنت كتبت نَيِّفاً وثمانين صفحةً ، لا توجد فيها صفحة واحدة لا تدعو إلى غير اللّه ... هذا الفرق بيننا يا شيخ البحرين .

إنك تضلّل العوام ، وتزيد فى فتنة المفتونين عندما تقول وتردّد قولك : « الصحابة طَلَبوا الشفاعة من النبى ﷺ » ، وهل هناك من منع أن يُسْأل الرسول ﷺ وهو حىٌ ، يؤمُّ الناس فى الصلاة ، ويبلغهم شرع اللّه ، ويقودهم إلى الجهاد فى سبيل اللّه ؟ هل هناك من منع أن يطلب منه يومئذ ؟ فلم تغالط يا بحرينى ؟ لم تضلل يا شيخ ؟ أين هذا ممن يأتيه اليوم وهو فى قبره ، ويقول له : اشفع لى ، واسأل لى .... إلخ .

وأذكرك أن الطلب من رسول اللّه ﷺ لو كان جائزاً لفعله أبو بكر ، وهو يستعذ لحروب الردة ، وهو فى السقيفة ، أو سأله عمر بن الخطاب ، أو عثمان بن عفان وهو محاصر فى منزله ، أو على بن أبى طالب ليلة صفين ، أو يوم الجمل ، أو أو .....

إنا نتحداكم يا جماعة الركض أن تأتوا بآية قرآنية ، أو حديث نبوى صحيح ، أو بعمل صحابى مشهور ممن أمرنا بالاستنان بسنتهم ، يدل على جواز الاستشفاع بمن مات من نبى ، أو ولى ، أو التوسل بغير حبهما ومتابعتهما على الهدى الذى كانوا عليه .

أما تستحى يا بحرينى وأنت تغالط وتضلل ، فتكتب بعنوان بارز : « الدعاء عند القبور » ، وتذكر الآثار الدالة على جواز الدعاء عند القبور ، فهل هناك من السلفيين من أنكر جواز الدعاء عند القبور ، والرسول ﷺ يعلم أصحابه ويقول : « استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل » (١) ، ويقول بعدما يسلم على أهل البقيع : « ويرحم

---

(١) رواه أبو داود (٢ / ١٩٢) .

اللّه المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين »[1] ، أين هذا مما تدعو إليه وجبهة الركض معك من دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والاستشفاع ، ﴿ **فإنها لا تَعْمى الأبصارُ ولكن تَعْمى القلوبُ التى فى الصدورِ** ﴾ .

إن السلفيين لا يحرمون الدعاء للأموات عند قبورهم ، ولا بعيداً عنها ، ولا يعدونه شركاً ، وإنما يحرمون دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والذبح والنذر لهم ، ويعدون ذلك شركاً ، وهو شرك فى عبادة اللّه تعالى قطعاً .

والسلفيون لا يحرمون زيارة القبور ، ولكن يكرهون شد الرحال إليها ، بل يرون أنها من السنن المستحبة ، لـما صح عنه ﷺ من زيارتها والسلام والدعاء لأصحابها ، وفى الصحيح : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، فإنها تذكركم الآخرة »[2] .

والسلفيون يكرهون زيارتها للدعاء عندها ، إذ لم تكن المقابر مواطن للإجابة ، وإنما هى مواطن الخشوع والاستغفار من الذنوب للأحياء والأموات معاً .

فأين هذا مما ركضتم فيه يا جبهة الركض من شد الرحال إلى القبور لدعائها ، والاستشفاع بها ، والتمسح بترابها ، والتبرك به .

وواصل البحرينى ركضه ، فصاح قائلاً : « جهل الجزائرى ، وعدم معرفته بمراتب الكفر » فى صفحة طويلة من كتابه ، ليقرر أن الكفر مراتب ، وهذا ما لم ينكره الجزائرى ، ولا أنْكِرُهُ أنا ، فلقد بوَّب البخارى لذلك ، فقال : « باب كفر دون كفر »[3] إذ هناك كفر النعمة ، وكفر الذنب العظيم ، لحديث : « يكفرن العشير »[4] ، وحديث : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر »[5] ، والكفر المخرج من الملة ، وهو الردة والعياذ باللّه تعالى ، وإذا كان الأمر هكذا فما الذى حمل البحرينى على الركض فى هذا الميدان ؟

والجواب : إنه التغيظ على أهل الحق الذين يعدون دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والذبح والنذر لهم شركاً وكفراً ، وهو يرى أن ذلك جائز ، وأنه توسل واستشفاع وتبرك فقط ، وعندما يطالب بالدليل على دعواه من الكتاب والسنة وعمل الصحابة ، يلف

---

(١) رواه مسلم (٣ / ٦٤) بمعناه ، وغيره . وأما السلفيون فإنهم ينكرون على من يعتقد أن دعاء اللّه تعالى عند قبور الأولياء مستجاب .

(٢) رواه مسلم (٣ / ٦٥) بمعناه.

(٣) انظر البخارى (١ / ١٥) .

(٤) رواه البخارى (١ / ١٥) .

(٥) رواه البخارى (١ / ٢٠) .

ويدور ، ويستشهد بأفعال المبتدعين من أمثال النبهانى ، والشعرانى ، والتيجانى وشيعتهم .

مسكين هو هذا الرجل البحرينى ...

وأخيراً ينهى ركضه بقوله : « إن المبادرة إلى التكفير من شأن المبتدعة » ، وهو كما قال ، إلا أن الجزائرى ما كفَّر أحداً أبداً ، وهو يتحداه أن يأتى برجل أو امرأة من أهل السنة والجماعة قال له الجزائرى : أنت كافر ، أو هو كافر ، وطالب بإقامة حد الردَّة عليه ، إذ كل ما يقوله الجزائرى ويعتقده ، أن اعتقادات وأقوالاً وأعمالاً هى من الكفر والشرك ، ويدعو أصحابها إلى تركها والتوبة منها ، لأن أكثر الذين يأتونها هم جهَّال بها ، ولو عرفوا أنهم يصبحون بها كافرين أو مشركين لتركوها .

وإلى الآن ، ومن زمن طويل ، لم يصرح لى مسلم واحد أنه يصرُّ على دعاء غير اللّه ، أو الذبح أو النذر لغيره تعالى ، وأنه يعلم أن المذكور شرك وكفر ، وأنه لا يتركه ، ولو صحّ مثل هذا من شخص لما تردَّدت فى تكفيره .

وأخيراً ، فكل ما أقوله لهؤلاء الراكضين : إنكم تدعون إلى الشرك والضلالة ، بتجويزكم عبادة غير اللّه تعالى ، بحجة التوسل والتبرك . وأقول للفاعلين : يا عباد اللّه : اتركوا هذا العمل فإنه شرك وكفر .

هذه هى الحقيقة التى يجهلها البحرينى ، أو يغطيها ستراً على مواقفه ومواقف أوليائه المخزية .

واستراح البحيرينى ساعة ، ثم رمى بجواده فى الميدان ، وقال : « بدعة الاحتفال بالمولد النبوى » ، وأخذ فى الهذيان ، حتى قال : نعوذ باللّه من ناشئة تكفّر الأمة بمدح النبى ﷺ ، أو الاحتفال بمولده ، بل يكفّرون من يتوقف عن تكفير من كفَّروه .

وهذا تجنّ عظيم وإفك مبين من هذا البحرينى ، أما نحن فواللّه ما سمعنا ولا رأينا من يكفّر من يحتفل بالمولد النبوى ، وإنما رأينا وسمعنا من يكفِّر من لم يحتفل بالمولد النبوى ، حيث يقولون : إن فلاناً يبغض النبى ﷺ ، فلهذا لا يقول بالمولد ، ولا يفعله ، فهذا حقاً تكفير للمؤمنين ، إذ بغض النبى ﷺ كفر بإجماع المسلمين ، وهكذا رمتنى بدائها وانسلت ، يكفرون السلفيين ، خلاصة أمة الإسلام ، برميهم ببغض النبى ﷺ ، ثم يتباكون ، ويقولون : إن السلفيين يكفّرون من يحتفل بالمولد ، بل يكفّرون من يتوقف

(١) رواه البخارى (١ / ٢٠) .

فى تكفير من يحتفل بالمولد . سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

وأكبر دليل على إفك هذا البحرينى وافترائه ، قراءة رسالتى « الإنصاف ، فيما قيل فى المولد من الغلو والإجحاف » ، فإن وجد فيها ما يفهم منه أن من احتفل بالمولد فهو كافر ، أو فقد كفر ، فضلاً عن التصريح بكفره ، فليحكم بما شاء بعد ذلك ، يا سبحان للّه ، أما يستحى هذا البحرينى من الكذب والافتراء على الناس .

ومن عجائب هذا الرجل أنه قارن بين إنكار السلفيين لبدعة المولد وضلال سائر الموالد التى تقام على الأضرحة ، وبين زخرفة المساجد المكروهة ، وقال : كيف تنكرون بدعة المولد ، ولا تنكرون بدعة زخرفة المساجد ، والتصوير فى المساجد ، وامتهان المجلات ، والجرائد ، ودفاتر الطلاب المرمية فى الشوارع ، تداس بالأرجل ، وترمى فى القمائم ، وفيها اسم اللّه تعالى ؟

وهل كوننا لا ننكر البدع ، أو كوننا نأتى مكروهاً ــ يا عباد اللّه ــ يكون هذا دليلاً على إباحة الابتداع فى دين اللّه تعالى ؟

والجواب قطعاً : لا ، مع أننا أنكرنا وما زلنا ننكر كل بدعة ومكروه وباطل ، عرف هذا البحرينى أو لم يعرف ، ومن ذلك بدعة المولد التى كفَّر عشاقُها كل من ينكرها من المسلمين ، بقولهم : هذا يبغض الرسول ﷺ ، لأنه لا يحب المولد النبوى ، أما هم ، فإنهم أصحاب هوى ، يجيزون ويمنعون ويكفرون ويلعنون بأهوائهم ، أما نحن ، فإنا مع شرع اللّه ، فما أباحه أبحناه وما حظره حظرناه ، فحرمنا البدع بقول نبينا ﷺ : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار »[1] ، والبدعة بدعة منهىٌّ عنها ، سواء كانت مكفِّرة ، أو مفسِّقة ، أو مضلِّلة ضلالا دون الكفر والفسق .

ويواصل البحرينى ركضه ، فيحاول أن يخادع قراء كتابه « إعلام » بأن هناك فرقًا بين المحبة وعبادة المتوسل به ، ويذكر حياة الأنبياء فى قبورهم ، ويقرر أن التعظيم المشروع ليس بعبادة ، ليخرج بنتيجة فاسدة ، وهى جواز سؤال الله تعالى بجاه النبى ﷺ والأولياء ، وجواز الاستشفاع بهم ، ودعائهم ، والتبرك بآثارهم ، محتجًا بأن ما كان يطلب منهم وهم أحياء فى قبورهم ، ويضلل كل من يقول من أهل الحق ، : إن سؤالهم بعد موتهم وطلب

---

(١) الحديث رواه أبو داود (٢ / ٥٠٦) ، والنسائى (٣ / ١٥٣) ، وابن ماجة ص ١٧ ، ورواه الترمذى (٥ / ٤٤) ورواه غيرهم بمعناه .

الشفاعة منهم ، والاستغاثة بهم ، وطلب قضاء الحوائج منهم ، شرك في عبادة الله تعالى ، لأنه صرف لعبادة الله تعالى إلى غيره من عبادة الصالحين .

ويأخذ في الرد الساقط البارد حتى يقول : « إنه لم يرد نص عن النبي ﷺ يمنع دعاء الأموات ، و الاستشفاع بهم ، والاستغاثة » .

انظروا يا عباد الله كيف يضلل ويغالط ، إنه يريد نصاً هكذا : لا يجوز لكم أن تدعوا رسول الله ، أو لا يحل لكم أن تذبحوا لعبد القادر الجيلاني ، أو تحلفوا بالبدوي .

أما يكفي يا عباد الله تنصيصا على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **فلا تَدْعو معَ الله أحداً** ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ **آلر * كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُه ثم فُصِّلت من لدُن حكيمٍ خبيرٍ * أن لا تعبُدوا إلا الله** ﴾ (٢) ، وقول الله تعالى : ﴿ **ومَن أضلُّ ممَّن يدعو مِن دونِ الله مَن لا يستجيبُ له إلى يومِ القيامةِ وهُم عن دعائِهم غافلونَ** ﴾ (٣) .

ويواصل البحريني تضليله ومغالطاته ، فيقول : « إن ما كان جائزاً في حياتهم ، يبقى كذلك بعد موتهم ، لأن تعظيم النبي ﷺ وتوقيره واجب له حيّاً وميتاً ، ولا دليل على انقطاعه بعد موته » .

فانظروا يا عباد الله إلى هذا الحمق والجهل ، فهل دعاء الرسول ﷺ والاستغاثة به وطلب الشفاعة منه بعد وفاته ــ فداه أبي وأمي و ﷺ ــ تُعتبر تعظيماً للرسول ﷺ وتوقيراً له ؟ فمن يفهم هذا يا عباد الله غير هذا البحريني المفتون ، وأمثاله من الراكضين ؟

ويواصل الرجل ركضه في غير انتظام ولا اتزان ، فيقول : « تهم باطلة ، وكذب مردود » ، وارتكابه النميمة في حق المسلم ، قال هذا دفاعاً عن صاحب « الذخائر » ، إذ رأى أن رد الجزائري على ما جاء في كتابه « الذخائر » من الباطل ، والضلال ، والتضليل إساءة له ، وانتقاصاً منه ، فشفى صدرة بنسبة التهم الباطلة والكذب والنميمة للجزائري ، الذي لا هدف له إلا حماية معتقد المسلمين ، ولم يكتف البحريني بهذا ، فعنون بالتالي : « الرد على جهله حين نفى سماع النبي ورؤيته ﷺ » ، وهو بهذا يحاول أن يقنع نفسه ــ لشكه ــ ، يقنع من على شاكلته ، بأن النبي ﷺ يسمع ويرى دائماً ــ وهو عند ربه ــ كل من يأتيه إلى قبره ، ولذا جوَّز دعاءه ، والاستغاثة به والاستشفاع ، مسوغاً ذلك بأن

---

(١) الجن : ١٨ . (٢) هود : ١ ، ٢ .

(٣) الأحقاف : ٥ . ولو ورد نص في ذلك لتأولوه على ما تشتهي أنفسهم .

النبى ﷺ يطلب منه ذلك يوم القيامة .

أليس هذا الرجل من أجهل الخلق ، وإلا فكيف يسوى بين حياة يوم القيامة وحياة هذه الدنيا ، وهل الناس يوم القيامة أموات ؟ إنهم أحياءٌ أكمل حياة ، ولذا أمكنهم أن يأتوا الرسل ، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند اللّه فى فصل القضاء ، فأين هذا من ذاك يا عباد اللّه .. إنها النغمة التى يضرب عليها دائماً عبدة القبور ، فإذا ما تقرّر لهم أن الميت ترد عليه روحه ، فيرد السلام وهو فى قبره ، قالوا : « إذاً يجوز دعاؤهم والاستشفاع بهم وطلب الحاجةمنهم لأنهم أحياء » ، ونسوا أن هذا لو كان جائزاً ومشروعاً ويحقق خيراً ، لما تركه الرسول ﷺ سراً مكتوماً ، بل كان قد بينّه لآل بيته وأصحابه وسائر أمته ، لما فيه من الخير للناس .

آهٍ ثم آهٍ من هذا الركض الفارغ الذى أعيانا مجرد سماعه فكيف بمشاهدته .

ويمسح هذا الراكض العرق ، ويرفع صوته قائلاً : « إن الجزائرى جاهل بالنصوص الواردة فى الزيارة ، ،ويورد كل حديث حكم أهل العلم بالسنة صحيحها وسقيمها ببطلانه وضعفه » ، ويدعى متبجحاً أن الجزائرى لم يعرف هذه الأحاديث .

والجزائرى يقول له : متى نفيت أنا زيارة القبور ، أو قلت : إنها بدعة محرمة ؟ وأين قلت هذا فى كتابىَّ « الإنصاف » ، و « كمال الأمة » ؟ وكيف يقول مثل هذا والرسول ﷺ قال : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، فإنها تذكركم الآخرة »(١) .

وإنما الجزائرى يقول : لا تشد الرحال إلى زيارة القبور (٢) ، لأن الدعاء بالرحمة وطلب المغفرة مهم حاصل لهم فى كل مكان وزمان ، فلا يتوقف ذلك على الوقوف على قبورهم ، وقول العبد فى صلاته : « السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين » يصيب كل عبد صالح فى السماء والأرض على حد سواء (٣) .

ويواصل البحرينى حملته على الجزائرى ، فيقول : « جهله فى الاستدلال بالتوسل بالعباس » والحقيقة أنه هو الجاهل ، وذلك لأن عمر رضى اللّه عنه لو كان يعلم أنه يجوز

---

(١) أصل الحديث فى مسلم (١ / ٦٥) .

(٢) لحديث : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، ومسجد الأقصى » . رواه البخارى (٢ / ٧٣) واللفظ له ، ومسلم (٤ / ١٢٦) .

(٣) لحديث البخارى (١ / ٢٠١) ، ومسلم (٢ / ١٣) .

التوسل بالرسول ﷺ بعد موته لتوسل به قائلاً : « اللهم اسقنا بجاه نبيك ، أو بحقه » ، وما دام عمر لم يفعل ذلك وتوسل بالعباس ، فقال : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا » ، وما فعل هذا عمر رضى اللّه عنه إلا لعلمه بأن التوسل المشروع يكون بدعاء الحى لا ببركة الميت ، هكذا فهم أهل العلم من قول عمر رضى اللّه عنه إلا البحرينى ومَن على شاكلته ، فإنهم فهموا العكس ، وقالوا بجواز التوسل بالأموات ، والاستشفاع بهم ، والدليل عنده هو توسُّل عمر بالعباس ، لأنه عم رسول اللّه ﷺ ، ولذا ففى نظر البحرينى أن عمر توسل بذات العباس لا بدعائه وصلاته .

آه من هذا الفهم السقيم ، مع تجهيل المسلمين ، ويحك يا بحرينى ماذا دهاك ..

وواصل البحرينى ركضه ، فعنون بقوله : « القبر والعرش » ، ورد على الجزائرى قوله : إنه لا داعى إلى الكلام على تفضيل البقعة التى ضمت أعضاء الرسول ﷺ على العرش ، ولا ليلة القدر على ليلة المولد ، إذ لم يتعبدنا اللّه سبحانه وتعالى بذلك ، والدليل على ذلك أنه لم يرد هذا التفصيل فى كتاب ولا سنة ، اللهم إلا ما كان من ليلة القدر ، حيث أخبر اللّه تعالى أنه خير من ألف شهر [1] .

ولكن البحرينى وجبهة الركض يأبون إلا أن يغمسوا أنوفهم فى كل شىء ، فرد البحرينى ما قلناه لأنه الحق ، وادعى باطلاً وكذباً أيضاً أن الإجماع على أن البقعة التى ضمت أعضاء الرسول ﷺ أفضل من العرش .

إجماع مَنْ أيها الراكض ؟ إنه إجماع القبوريين ، أما إجماع السلف الصالح فو اللّه ما كان أبداً ، ولا تَخَوَّضوا فى مثل هذا اللغو من القول ، حتى يُجمعوا أو لا يُجْمعوا .

وواصل صاحبنا ركضه ، حتى قال : « إن الأرض أفضل من السماء بحلول النبى ﷺ فيها » ، ورُزِق لحظة حياة ، فقال متراجعاً : « إن هذا ليس من المسائل الاعتقادية التى يلزم البحث عنها » ، ثم قال : « ما لم يكن ملحداً يريد الغض من مرتبة النبى ﷺ ، فحينئذ يجب الخوض فيها » ، وواصل إيراد الأدلة الموهومة على تفضيل ليلة المولد على ليلة القدر ، بزعمه أن من لم يقل بتفضيل البقعة على الكعبة والعرش ، وليلة المولد على ليلة القدر ، هو منتقص لقدر النبى ﷺ ، وخرج من هذه المقدمة الكاذبة الباطلة بنتيجة ، هى أن الجزائرى ملحدٌ ، وضالٌ ، وجاهلٌ .

---

(١) قال عز من قائل : ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ . [القدر : ٣] .

هذا هو عالم البحرين ، وإمام وخطيب جامع آل خليفة ، يسف هذا الإسفاف ، وينسب مؤمناً يحاول أن يحمى حمى عقيدة المسلمين من الزيغ والضلال ، ينسبه إلى الإلحاد والضلال والجهل ..

هذا ، والذى نقوله هنا دفعاً لما كاله البحرينى لنا من التهم والنقائص ، هو أنى وسائر إخوانى السلفيين ، نؤمن باللّه وبما جاء عن اللّه ، على مراد اللّه ، ونؤمن برسول اللّه ﷺ ، وبما جاء عن رسول اللّه ، على مراد رسول اللّه ، ولا نقول على اللّه ولا على رسول اللّه إلا الحق الذى عرفناه منهما ، ووردنا عنهما ، ولا نقول برأى رأيناه ، أو رآه غيرنا ، مهما كان هذا الغير ، وذلك طلباً لنجاة أنفسنا من غضب اللّه والنار ، وليقل بعد ذلك أصحاب جبهة الركض ما شاؤوا أن يقولوه ، غير أننا لن نسمح لهم ولا لغيرهم من دعاة الضلالة أن يضللوا المسلمين بإفساد عقائدهم عليهم ، ونشر الخرافة بينهم ، بدعوى الدفاع عن مزايا الرسول ﷺ وخصائصه .

هذا ، ويختم البحرينى هذا المشوار بما يكتبه بحروف بارزة غليظة : « وقاحة الجزائرى وسوء أدبه فى حق الرسول ﷺ » (١) .

وذلك لأن الجزائرى قال : « إن النبى ﷺ مات الموتة التى كتبها اللّه تعالى عليه ، و﴿ **كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ** ﴾ (٢) ، ثم هو حى عند ربه تعالى ، وإن أرواح سائر الأنبياء والأولياء فى الجنة ، وأرواح الكفار والمشركين والفجار فى النار ، وإن هذا هو المعتقد الصحيح الذى نطق به الكتاب ، وبينته السنة النبوية الصحيحة » .

فنقم البحرينى من الجزائرى ، وسخط عليه ، ورماه بالوقاحة وسوء الأدب مع النبى ﷺ ، لأنه لم يقل بأن النبى ﷺ حى فى قبره الحياة الدنيا التى يحياها الناس قبل موتهم ، لا الحياة البرزخية التى لا يعرف كنهها إلا اللّه تعالى ، والتى أخبر عنها ﷺ بقوله : « ما من عبد مسلم يسلِّم علىَّ عند قبرى إلا رد اللّه علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام » (٣) .

أليس هذا نص يا عباد اللّه فى أن روح النبى ﷺ عند ربه فى الملكوت الأعلى ، وأن اللّه تعالى يردها عليه عند سلام العبد المسلم عليه ؟ بلى ، ولكن البحرينى لا يفقه هذا ، ولا

---

(١) لقد عشت ثلاثاً وستين سنة ما قال لى أحد ما قال فى هذا البحرينى ، إن الرجل أحسبه يحمل الحقد والغل لأهل السنة والجماعة .

(٢) آل عمران : ١٨٥ .

(٣) الحديث رواه أبو داود (١ / ٤٧٠) بدون ذكر القبر .

يفهمه ، ولعله مصاب بمصيبة النصارى فى تأليه عيسى عليه السلام ، ومصيبة الروافض فى تأليه الأئمة من آل البيت ، ورائحة هذا الداء يشمها كل من يقرأ بعناية هذه الرسالة ، ويقف يتأمل دعوة هذا البحرينى فى كلماته التى يرد بها على الجزائرى .

وواصل البحرينى ركضه فى هذا المشوار الذى بلغ به مساحة أربع عشرة صفحة ، قرر فيها بالحق والباطل أن سائر الأموات أنبياء وأولياء كانوا ، أو كافرين ومشركين ، هم أحياء فى قبورهم ، يَرَون ويسمعون ، كما هو حىٌّ فى داره بالبحرين .

والغرض من هذه الركضة العجيبة هو تبريره ما يدافع عنه من جواز دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والاستشفاع والطلب منهم ، وليس لمجرد بيان جواز ذلك أبداً ، بل لأجل إفساد عقائد المسلمين ، ليصبحوا يعبدون القبور كما هو واقع فيهم فى شتى ديارهم وأقطارهم ، يحلفون بالأولياء ، ويذبحون لهم وينذرون ويقيمون المواسم السنوية لهم وو ....

وهكذا تَنْصِبُ هذه الجماعة نفسها دعاة للشرك والضلال فى أمة الإسلام ، أمة التوحيد ، اللهم إنا نبرأ إليك منهم ، ومن صنيعهم هذا ، ونحذِّر المسلمين من الوقوع فى فتنتهم ، وشراك باطلهم وضلالهم .

* **المشوار الأخير للبحرينى :**

وختم هذا الراكض رده على الجزائرى بما تحت هذا العنوان : « بيان كذب الجزائرى فى حق الأبوين الشريفين » ، فقال : أما قوله فى المسألة الخامسة عشرة من كتابه « كمال الأمة » : إن نجاة أبوى النبى ﷺ أكاذيب روجتها الشيعة ، فمن زعامته المخالفة للواقع ، إذ قال بـ « نجاة الأبوين » كثير من أهل السنة ، منهم ابن العربى ، والسيوطى ، والقسطلانى ...

وواصل ركضه حتى قال بكفر القائل بعدم نجاتهما ، واستشهد بقول قائلهم :

ومَن يقُل فى النارِ والِدا النَّبى

فهوَ لعينٌ ، قالهُ ابنُ العربى

هذا قولهم واعتقادهم ، أما نحن السلفيين ، فإننا نلتزم فى عقيدتنا ما التزمه رسول الله ﷺ وأصحابه ، إذ قال ﷺ فى بيان الفرقة الناجية : « هم الذين يكونون على ما أنا عليه

وأصحابي » ، ونقول : إنه لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، ما يحكم بنجاة أبوي رسول الله ﷺ من النار ، فنؤمن به ونعتقده ونعلمه الناس وندافع عنه إذا اعتدى عليه بتأويل أو تحريف ، أو إبطال وتعطيل ، بل الذي عندنا أن النبي ﷺ أخبر أن والده عبد الله في النار [1] ، وأن جده عبد المطلب في النار ، وأن عمه أبا طالب في النار [2] ، أما الروافض وشيعتهم من القبوريين ، وهذه الجماعة التي جاءت تركض ، فإنهم يقولون بحكم الهوى : إنهم في الجنة . تحكُّماً وقولاً على الله والرسول ﷺ والمؤمنين بغير علم ، وقد يكفرون من يقول بغير معتقدهم هذا ، المبني على الهوى والرأي الباطل الفاسد ، وراجع أيها القارىء البيت الآنف الذكر ، إذ فيه :

ومَن يقُل في النارِ والِدا النَّبي

فهوَ لعينٌ ، قالهُ ابنُ العربي

وتأمله ، فإنك تجدهم هم يلعنون رسول الله ﷺ ، إذ هو الذي قال للرجل : « أبي وأبوك في النار » في حديث مسلم في « صحيحه » [3] ، ألا لعنة الله على من يلعن رسول الله ، ويا ويل هؤلاء الناصبين أنفسهم دعاة للشرك والشر والفساد .

اللهم العن من لعن رسولك واقطع دابره ، وأنزل به نقمتك ، وأدم ذلك عليه ما صلى وسلم على رسولك أحد من خلقك إلى يوم الدين .

المغربيـــان :

وجاء الفاضلان عبد الكريم وعبد الحي المغربيان يركضان أيضاً ، فكتبا كتابهما « التحذير من الاغترار » ، شنعا فيه أيّما تشنيع على صاحب كتاب « الحوار » ، وأبرزا فيه عضلاتهما ، ولوحا بذراعيهما كبطلين في العِلْم لا أعلم منهما في دنيا العلم والمعرفة اليوم ، ولو كان هذا منهما إحياء لسنن قد ماتت ، أو إماتة لبدع قد ظهرت وانتشرت ، لكانت « عنتريتهما » تلك مقبولة ، وتعاليمهما على صاحب « الحوار » محموداً ، ولكن مع الأسف ، كان كل ذلك منهما لأسوأ الأغراض وأفسدها ، وهي :

---

(١) والحديث الذي يدل على هذا رواه مسلم (١/ ١٣٢ ، ١٣٣) .

(٢) والحديث الذي يدل على هذا رواه مسلم (١ / ١٣٤ ، ١٣٥)

(٣) ويلعنون أيضاً الصحابة والتابعين والمحدثين الذين رووا هذا الحديث ، وقد رواه من أئمة الحديث : مسلم وأبو داود ، وترجم له النووي بقوله : « باب من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين » .

أ ـ مناصرة ظالم أَلْحَدَ (١) في الحرم ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ مَن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلمٍ نذقْهُ مِن عذابٍ أليمٍ ﴾ (٢).

ب ـ دعوة إلى إفساد عقيدة المسلمين بتزيين الشرك لهم ، وحملهم عليه والعياذ بالله تعالى .

جـ ـ إحياء ميتة التصوف ، والتمدح بالمتصوفة الغابرين ، وقى الله أمة محمد ﷺ شر التصوف والمتصوفين .

وهذا بيان ما أجملناه إزاء الحروف الثلاثة أعلاه :

أ ـ مناصرة صاحب كتاب « الذخائر » :

والذى ألحد فى الحرم بنشره فيه كتاب « الذخائر » الذى ضمنه بكل جرأة وعدم مبالاة ، دعوة المسلمين إلى الشرك والضلال ، وكأنه يعيش فى زمن النبهانى ، ودحلان ، والشعرانى ، وليس فى عصر السلفية التى أشرق نورها فى كل ديار المسلمين .

ومن أين وجه صاحب « الذخائر » دعوته إلى الضلالة ؟ وجهها من الحرم المكى ، أقدس مكان وأبركه ، وملتقى المسلين في كل عام .

فأخوانا عالما المغرب الفاضلان ، بدل أن ينكرا المنكر ، ويغيراه بدعوة صاحبهما إلى التوبة إلى الله تعالى ، والإنابة إليه ، فيرجع عما كتبه باعتراف صريح بأنه خطأ ، وأنه يتبرأ من كل تلك الأخطاء الشنيعة التى جاءت فى كتابه « الذخائر » ، ويقوم بإعادة طبعه نقياً من كل ما جاء فيه من دعوة تُناهض صلاح العقيدة واستقامة المنهج السلفى الذى لا نجاة من النار إلا لسالكيه ، بدل هذا ، قاما بشن غارة شعواء على صاحب « الحوار » الذى ما زاد على أن انتصر للحق ، وقاوم المنكر ، بجهده الفردى المشكور .

وحتى الجزائرى لم يسلم من حملتهما العاتية ، فقد شملاه بنقدهما اللاذع ، وردهما غير الموفق ، إلا أن الجزائرى لا يضره نقدهما له ، ولاردهما عليه ، لأنهما محبان له ، وكأن لسان حاله يقول :

(١) المراد من الإلحاد فى الحرم هو العدول عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بترك واجب أو فعل حرام ، ولذا ورد احتكار الطعام من الإلحاد فيه ، فكيف بالذى ينشر فيه الباطل والضلال ؟

(٢) الحج : ٢٥ .

جحدتُها وكتَمْتُ السهمَ فى كبِدى

جرحُ الأحبَّةِ عندى غيرُ ذى ألـم

وهذه صورة مصغرة نعرضها أمام القراء الكرام لبعض الأباطيل والضلالات الواردة فى كتاب « الذخائر » ، الذى انتصر لصاحبه عالما المغرب مع كامل الأسف :

١ ـ أحسن الصيغ للسلام على رسول الله ﷺ :

يريد : عند قبره الشريف ، تحت هذا العنوان يشير على المسلم أن يقول : اشفع لى يا رسول الله ، نحن وفدك يا رسول الله ، فاستغفر لنا ، واشفع لنا عند ربك ، واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا .

أليس هذا يا عقلاء تعليماً للمسلمين ماذا يقولون عند زيارة قبر نبيهم ﷺ ، وهذا دعاء غير الله تعالى بصريح اللفظ ، إذ إن قوله : اشفع لنا ، استغفر لنا ، واسأل لنا . طلب صريح من غير الله تعالى ، والطلب من غير الله تعالى فى غير ما أذن به الله تعالى شرك فى عبادة الله تعالى .

وأعنى بما أذن الله به ، طلب الإنسان من أخيه الإنسان الحى الذى يسمعه ويراه ويمد يده إليه ، ويقضى حاجته بإذن ربه .

أما الطلب من غائب ، أو حاضر ولكن لا يُرى كالملائكة والجان أو الميِّت ، فإن سؤاله حرام ، لأنه لا يُجْدى ولا ينفع ، وهو فى الواقع سؤال دعاء وضراعة ، فلا ينبغى إلا لله تعالى الحى الذى لا يموت ، والسميع العليم الذى لا يعزب عن علمه شىء ، وهو على كل شىء قدير ، فدعاء الرسول وسؤاله الاستغفار والشفاعة ونيل المطالب بعد وفاته ظلم لرسول الله ﷺ ، وإشراك فى عبادة الله بدعاء غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو عز وجل .

ومن يك فى شك مما قلناه فليراجع تاريخ الإسلام ، وأعظم مصادره كتب السنة ، فإن وجدنا أن أبا بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو علياًّ ، أو عائشة ، أو زينب ، أو أم سلمة رضى الله عنهم أجمعين ، أو وجدنا سعيد بن المسيب ، أو إبراهيم النخعى ، أو ربيعة الرأى ، أو مالكاً ، أو الشافعى ، قد وقف على قبر رسول الله ﷺ ، وسأله الاستغفار أو الشفاعة أو غيرهما ، اعترفت بسوء فهمى ، وخطَّأت نفسى ، وتبت إلى ربى ، ولكن هيهات هيهات أن يضلَّ أهل القرآن ، أهل الصدر الأول فيعدلوا بربهم نبيَّه ، فيجعلوه إلهاً مع الله ، يرفعون إليه أكفهم سائلين ضارعين .

٢ ـ فأنت باب اللّه :

تحت هذا العنوان ، يذكر قصيدة البكرى ، والتى جاء فيها قوله :

فعجِّل بإذهابِ الذى أشْتكى

فإنْ توقَّفْتَ فمَن ذا أسألُ

فقل لى بربك أيها القارىء : هل يجوز مخاطبة غير اللّه تعالى بهذا البيت ؟ إن الشاعر ينفى أن يجد من يسأل غير رسول اللّه ﷺ لإذهاب ما يشكوه من آلام فى دنياه فما له ؟ أعمى عن اللّه تعالى القائل : ﴿ **ادعونى أستجب لكم** ﴾ (١) ، والقائل : ﴿ **أم من يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ (٢) فهل يجوز السكوت على ضلال كهذا ، أو تعليمه للمسلمين فى مكة بلد اللّه وحماه .

ويزيد صاحب « الذخائر » هذه الدعوة إلى الشرك ، فينشر القصيدة كلها ، ويقول : « إنها مجربة لقضاء الحوائج » ، محدِّداً لها وقتاً وهو آخر الليل ، ويطلب من قائلها أن يكرر البيت المذكور أعلاه عدة مرات .

أما يستحى عبد من ربه ؟ أما يخاف عقاب اللّه من يدافع عن هذا الضلال ؟ أين يذهب بعقولكم يا علماء ؟

٣ ـ جواز طلب الشفاعة منه ﷺ :

هذا العنوان فى كتاب « الذخائر » ، كل من يقرؤه يفهم منه أن زائر القبر الشريف يطلب الشفاعة منه ﷺ بقوله : أسألك الشفاعة يا رسول اللّه ، أو اشفع لى ، ولا يحتمل غير هذا أبداً ، إذ لو أراد مدلول حديث الترمذى المعلول (٣) ، لقال : جواز طلب الشفاعة منه أيام حياته ﷺ ، ولكنه أطلق ولم يقيد ، فدل هذا على أنه يدعو المسلمين ، ويعلمهم إذا وقفوا على القبر الشريف أن يدعوا نبيهم ، ويسألوه الشفاعة وغيرها ، إذ ليس هناك فرق بين سؤال الشفاعة وسؤال غيرها ، أليس هذا من الباطل الذى يجب إبطاله ، ومن الشرك الذى يجب منعه ، والمنكر الذى يجب إنكاره وتغييره ، ولما أنكرنا تحرك مفتونو علماء الشرق والغرب ، يكتبون ويبكون ويشكون .. مساكين هم أنصار الضلالة ، كيف

---

(١) غافر : ٦٠ . (٢) النمل : ٦٢ .

(٣) إشارة إلى قول أنس رضى الله عنه : « سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة ، فقال : أنا فاعل . وسأله قائلاً : أين أجدك ؟ فقال عند الصراط » الحديث أعله الترمذى بالغرابة .

يرضون لأنفسهم أن يقفوا هذا الموقف المحادّ للّه ولرسوله وللمؤمنين ؟

٤ ـ جواز التوسل بغير النبى ﷺ :

ماذا يعنى هذا العنوان فى كتاب « الذخائر » إنه يعنى : إذا كان التوسل بغير النبى ﷺ جائزاً فهو النبى ﷺ من باب أولى ، فلماذا كان السلفيون يمنعون التوسل ؟

ثم هو لم يبين كيف هذا التوسل ؟ هل هو التوسل المشروع الذى لا ينكره أحد ، أو التوسل غير المشروع الذى يجب أن ينكره كل مسلم عرفه .

إن صاحب « الذخائر » لا يريد التوسل المشروع قطعاً ، ولكن يريد التوسل غير المشروع ، ولذا لم يذكر كيف يتوسل المسلم ، إنه يريد كغيره من الضلال بالتوسل سؤال الميت نبياً كان أو ولياً بندائه ، وطلب قضاء الحوائج منه وعلى يديه ، كشفاء مريض ، أو رد غائب ، أو مغفرة ذنب ، أو حصول على خير أو فرج ، ومثل هذا باطل لا يجوز إحقاقه ، وضلال غير هداية ، وشرك غير توحيد ، فكيف يجوز السكوت عليه وإقراره ؟ ومع هذا فقد جاء المغربيان والمشرقيان يدافعون عنه ويحمونه ، ويا للعجب !!

٥ ـ ليس لنا إلا إليك يا رسول اللّه فرارُنا :

هذه الجملة ، جعلها صاحب « الذخائر » عنواناً فى كتابه ، وكتب تحتها ما لذَّ له وطاب من التموية والتلبيس والتدليس ، والجملة فى الأصل شطر بيت لأحد الأعراب ، امتدح فيه رسول اللّه ﷺ ، وطلب منه أن يسأل اللّه تعالى لهم المطر ، ودعا لهم رسول اللّه ﷺ ، وسقاهم اللّه ، فمثل هذا البيت المفروض فيه أن يستدل به على نبوة النبى ﷺ ، إذ هو علم من أعلام النبوة ، لا على أنه ليس للناس من يفرون إليه فى ما قد يلم بهم وينزل بهم إلا رسول اللّه، إذ اللّه موجود ، وهو أولى بالفرار إليه ، وهذا فى حياة رسول اللّه ﷺ مقبول ، ، إذ يفرون إليه ، يطلبون منه أن يدعو اللّه تعالى لهم ليفرج عنهم ما نزل بهم ، كما فعل خباب بن الأرت رضى اللّه عنه إذ أتى رسول اللّه ﷺ ، فقال : « ألا تدعو لنا ، ألا تستنصر لنا » ، وذلك لما اشتد أذى قريش للمؤمنين بمكة ، فوعظه رسول اللّه ﷺ ، وذكره بقوله : « اصبروا » ... الحديث [١] .

أما بعد وفاته ﷺ ، فقد نزل بأصحابه أعظم الكروب ، وحلت بهم أكبر الرزايا فلم يثبت أنهم فروا إلى رسول اللّه فى قبره ، وقالوا : ليس إلا إليك فرارنا ، وحتى صاحب

---

(١) الحديث بمعناه فى البخارى (٩ / ٢٥ ، ٢٦) ، (٥ / ٥٦) .

« الذخائر » ، ومن جاء يركض لمناصرته على الباطل غشًا له ، وتضليلاً للمسلمين إذا نزلت به نازلة مرض أو فقر أو حاجة ، لم يرفعها أبداً إلى رسول الله ، ولم يفر إليه بحال ، وإنما يفر أولاً إلى الله تعالى ، ثم إلى مَنْ يرجو أن يفرِّجها عنه أو يكشفها ، من أخ قريب أو صديق حميم .

ولماذا إذاً يُنْشر هذا الباطل ويُدْعى إليه ؟ أليس هذا تعليم المسلمين الضلال ودعوتهم إلى الشرك ؟ إن الفرار الحق لا يكون إلا إلى الله الذى قال : ﴿ ففِرُّوا إلى اللهِ ﴾ (١) .

والآن قولا لى بربكما يا عالمى المغرب الشقيق ، أليست مناصرتكما لصاحب « الذخائر » مناصرة للضلال ؟ ومساعدةً على نشر الشرك فى ديار الإسلام ؟ أما تخافان الله تعالى ؟ أما تستحيان منه ؟

هذه خمسة عناوين ، وبقى عشرة أخرى كلها مع الأسف عناوين تدعو إلى الشر والشرك ، وما كتب تحتها أدهى وأمر . فهل أخى القارىء ترى السكوت عنها جائزاً ومشروعاً ؟

الجواب : لا ، لا ، فإن الواجب يحتم ردها ، وبيان أن هذا من الضلال الذى لا يُقَرُّ ولا يسمح به أن ينشر بين المسلمين ، ولا سيما فى مكة ، ولهذا اعتبرناه إلحاداً فى الحرم ، وهل لعاقل أن يناصر الإلحاد فى حرم الله وهو يقول : ﴿ ومَن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلمٍ نذقْهُ من عذابٍ أليمٍ ﴾ (٢) .

ب ـ الدعوة إلى إفساد عقائد المسلمين بتحسين البدع وتزيين الشرك :

وهذا بيان ذلك :

١ ـ دفاعكما عن صاحب « الذخائر » بتلك الحرارة والشدة فى كتابكما « التحذير » يعتبر شرعاً إقراراً منكما بما نشر فى كتابه من الدعوة إلى الشرك والضلال ، وكونكما لا تعدان ذلك شركاً ، وإنما تعدانه توسلاً وتبركاً لا يعفيكما من المسؤولية أمام الله تعالى يوم تلقيانه ، وأمام العالم الإسلامى الذى نقل إليه ، ووضع بين يديه صاحب « الذخائر » من الشرك والضلال والدعوة إلى ذلك ما تتمزق له القلوب كمداً وحسرة .

---

(١) الذاريات : ٥٠ .　　(٢) الحج : ٢٥ .

٢ ـ دفاعكما عن بدعة المولد النبوى ، والذى جلبتما له كل ما هب ودب ، بدأتما بقصة ثويبة ، وانتهيتما برأى الشيخ متولى الشعراوى المصرى المحاضر فى إذاعة القاهرة ، وانتهى ذلك الركض الطويل الذى شمل اثنتين وأربعين صفحة من كتابكما لتقرير بدعة المولد .

ونحن قبل أن نرد على بعض أخطائكما ومغالطاتكما ، نهدم كل ما بنيتموه من صرح بدعة المولد الشامخ ، والذى استعنتم على بنائه بالأموات والأحياء معاً ، نهدمه بوضع أربعة أسئلة أمام القارىء المسلم البصير فى دينه ، والإجابة عنها ، وهى :

١ ـ هل صاحب الشريعة نبينا محمد ﷺ شرع الاحتفال بذكرى مولده كما شرع عيدى الفطر والأضحى ؟ والجواب : لم يشرع لا بقوله ، ولا بعمله ، ولا بتقريره .

٢ ـ أكان تركه التشريع عن جهل ، أو عن نسيان ، أو لأن اللّه تعالى لم يأذن له ؟ والجواب : ما تركه عن جهل ، ولا عن نسيان ، ولكن اللّه تعالى لم يأذن به ، إذ لو أُذِنَ به لكان .

٣ ـ وهل الخلفاء الراشدون المأمور باتباع سنتهم ، وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى رضى اللّه عنهم أجمعين ، سنوا الاحتفال بذكرى مولد نبيهم ﷺ ؟ والجواب قطعاً : لا ، لا .

أكان هذا عن جهل منهم بقيمة نبيهم ، أم عن عدم تقدير له ، وتعظيم لشأنه ، أم كان عن جهل بما ينفع أمة الإسلام ، ويرفع من شأنها ؟ والجواب لم يكن تركهم الاحتفال بذكرى المولد عن جهل ، ولا عن عدم تقدير وتعظيم لنبيهم ﷺ ، ولا عن عدم معرفة بما ينفع المسلمين ، وإنما كان ذلك لأن اللّه تعالى لم يشرعه فى كتابه ، ولا على لسان نبيه ﷺ فلم يِسنوه هم ، ولم يُحْدِثوه .

٤ ـ وهل التابعون وتابعوهم بإحسان من القرون المفضلة ، الذين قال رسول اللّه ﷺ فيهم : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » [1] ، وكان فيهم أبو حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس الذى قال : « من ابتدع فى الإسلام بدعة ، فرآها حسنة ، فقد زعم أن محمداً قد خان الرسالة » ، وذلك لأن اللّه تعالى يقول : ﴿ **اليومَ أكملْتُ لكم دينكُم ، وأتمَمْتُ عليكُم نعمَتى ورضِيتُ لكُمُ الإسلامَ ديناً** ﴾ [2] ، والقائل : « ما لم يكن على عهد رسول اللّه ﷺ وأصحابه ديناً ، لن

---

(١) الحديث فى البخارى (٥/ ٢ ، ٣) . (٢) المائدة : ٣ .

يكون اليوم ديناً » ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، وإمام أهل السنة والجماعة أحمد ابن حنبل الشيبانى ، رحمهم اللّه تعالى أجمعين .

إن هؤلاء الأئمة الأربعة لم يعرفوا الاحتفال بذكرى المولد ، ولم يحدث بينهم فيقرونه ، ولو بالسكوت ، فضلاً عن القول والعمل ، فكيف يكون يا عباد اللّه الاحتفال بالمولد ديناً يعبد به اللّه تعالى ، ويتقرب إليه بعمله (١) ؟ .

وشىء آخر ، هو أن المدافعين عن بدعة المولد هذه ما دافعوا عنها لوجه اللّه تعالى ، لأن اللّه تعالى لو أراد أن يعبد بها لشرعها فى كتابه ، أو على لسان نبيه ﷺ ، أو ألهم أحد الراشدين الذين أوصى رسول اللّه ﷺ باتباع سنتهم والتمسك بها فى قوله : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » (٢) ، وإنما دافعوا عنها لما فيها من اللهو والأكل والشرب ، ولذا فإنهم يشنون على منكرها الغارة ، ويرمونه بقاصمة الظهر ، وهى أنه يبغض الرسول ﷺ والعياذ باللّه من تكفير المسلم برميه بهذا الكفر العفن الذى يقشعر منه الجلد .

أقول : إنما يدافعون عن المولد ؛ لأنه باب واسع دخلوا معه إلى إقامة مئات الموالد والمواسم والزرد ، كموسم مولاى إدريس بالمغرب الأقصى ، وزردة سيدى عابد بالمغرب الأوسط ، وموسم سيدى أبى الحسن الشاذلى بالمغرب الأدنى وموسم عبد السلام ابن مشيش بليبيا ، ومولد الحسين والسيدة زينب بمصر ، وذكرى محيى الدين بن عربى بالشام ، وعبد القادر الجيلانى بالعراق ، وهكذا بالهند ، والسند ، وإندونيسيا ، وتركيا ، وباكستان ، والأفغان ، وإيران ...

ولا ننسى أن هذه الموالد والمواسم والزرد يعتبر المولد النبوى معها قطرة من بحر ، كما يعتبر معها خيراً فيه شر ، أما هى فإنها شرور لا خير فيها البتة ، إذ لو قدر لأخى القارىء الكريم أن حضر موسماً أومولداً أو زردة منها ، لحكم بدون تردد أن أمة الإسلام قد عاد منها هؤلاء إلى الجاهلية الأولى ! ! !

إذا شاهد عشرات الرؤوس من الغنم والبقر تذبح باسم السيد ، وعلى السيد ، ومن

---

(١) هذا الرد الشرعى المنطقى على بدعة المولد هو رد على كل من جاء يركض يريد تأكيد شرعية المولد ، والموالد ، والمواسم التى لم يعرفها سلف الأمة والتى كساها البطونيون ثوب العبادة والقربة ، وزينوا فعلها للمسلمين فأوقعوهم فى شر البدع والعياذ باللّه تعالى .

(٢) رواه أبو داود (٢ / ٥٠٦) ، والترمذى (٥ / ٤٤) ، وأحمد (٤ / ١٢٦) ، وغيرهم .

أجل السيد ، ولأجل السيد ، كل يعبر حسب إدراكه وفهمه ، ويرى اختلاط الرجال والنساء ، ويسمع الغناء ، ويشاهد الرقص والشطح ، كما يسمع نداءات المستغيثين وطالبى الحاجات مثل كلمات : أنا دخيلك يا سيدى ، أنا فى حماك ، أنا بك وبالله ... مما هو شرك صراح ، وإن قال البطونيون : إنه توسل واستشفاع وتبرك .

ومن أجل هذا الواقع المرير والشر المستطير ، تقرر أن الدعوة إلى الاحتفال بالمولد النبوى بمكة والمدينة إنما هو مجرد ستار لإحياء موالد ومواسم يعبد فيها غير الله ، ويشرك فيها بالله ، ويضلل فيها المسلمون عن طريق الحق والهدى المستقيم .

آه ثم آه ، وأف ثم أف ، من كل من يعرف هذا ، ويصر على الدعاء إليه ، والدفاع عنه ، ويناصب العداء الناهين عنه ، المحزرين منه حفاظاً على عقيدة التوحيد أن يداخلها شرك ، وعن السنة أن تلابسها البدعة ، يناصبهم العداء ، ويعلن الحرب عليهم .

والآن نرد على بعض مغالطات وأخطاء المغربيين فنقول :

١ ـ جاء فى صفحة (٢٥) من كتابهما ، إزاء رقم (٤) الظن السيء ، وذلك دفاعاً منهما عن صاحب « الذخائر » لأن كتابته فى « ذخائره » ـ حسب فهمهما ـ لا تصريح فيها بالدعوة إلى الشرك ، وإنما هو اتهام له بذلك فقط .

واسمعوها منى واضحة صريحة أيها الراكضون الأربعة ، الكويتى ، والبحرينى ، والمغربيان ، والمرأة إن وصلت أيضاً (١) ، هل تستطيعون أن تباهلونا بعد صلاة العصر عند منبر رسول الله ﷺ على أنكم لا تكرهون الوهابيين ـ كما يسمونهم ـ وإلا فهم السلفيون ، ولا تبغضونهم ، وعلى رأسهم شيخا الإسلام أحمد بن تيمية ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وأنكم لا تسبونهم فى مجالسكم الخاصة (٢) ، ولا تتمنوا زوال دولتهم السعودية الحامية لهم ولعقيدة المسلمين ، شأنكم فى ذلك شأن الروافض وكل القبوريين .

إذا رأيتم ذلك ، فإنا مستعدون لمباهلتكم ومنتظرون ، إلا أنكم لن تستطيعوا هذا الموقف لأنكم يقيناً ضالعون فى الشر المُومى إليه ، عرفنا هذا عن كثب ، وسمعناه من قرب ، وحسبكم دليلاً على ركضكم دفاعاً لا عن الإسلام ، ولا عن الإيمان ، وإنما عن ضحيتكم الذى ضم يوماً مجلسه أحد الأبناء ، فسمعه يقول : « لم يبق بالمدينة ـ يريد من ينكر البدعة والشرك ـ إلا ذاك الخبيث الجزائرى » .

---

(١) بلغنا أن امرأة كويتية أدلت بدلوها هى الأخرى فكتبت رداً على نحو ما كتب الراكضون .

(٢) دليل صدق ماقلناه تعبيرهما بكلمة : أذناب ابن تيمية ، لأنه ابن تيمية فى نظرهم حيوان شرس يقول الباطل ويدعو إليه .

٢ ـ جاء فى صفحة (١٠١) قولهما فى الاستدلال على جواز التوسل البدعى المفضى إلى الشرك : الدليل الأول : حديث الصحيح فى قصة إصحاب الغار الثلاثة ... الحديث[١] ، حتى قالا : هذا يدل بصراحة على جواز التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح ، ثم ختما عرضهما للحديث المذكور بقولهما : فالتوسل بالرسول ﷺ أولى وأجدر من التوسل بالعمل الصالح ، إذ العامل أحسن من العمل ، هذه قاعدة قعداها لتقسيهما ، وزينها الشيطان لهما ، فقالا بها ، فجاءا شيئاً إداً .

أما ترعوون ؟! قليلاً من الحياء يا هؤلاء ، وشيئاً من التقوى ، فحسبكم ضلالاً مناصرتكم أهله ، ودعوة المسلمين إليه ، بتزيينه وتجويزه ، بعد إتيانه وتعلمه .

وإن قلتم : ما أردنا بقولنا هذا إضلال أحد . قلنا إنكم إذاً جهال لا تعلمون ، فلم تخوضون فيما لا تعلمون ، وتدَّعون ما لا تملكون ؟

إنه لو كان التوسل بجاه الأنبياء والأولياء وبحقهم مشروعاً ونافعاً ما عدل عنه أصحاب الغار الثلاثة إلى التوسل بطاعتهم لله بفعل ما أمر ، وترك ما نهى عنه وزجر ، أما كانوا مؤمنين مسلمين تابعين لنبيهم ، وكان فيهم أنبياء وأولياء ، فلم لم يتوسلوا بهم ، أى بجاههم ، ومعهم تلك الوسيلة التى ما نفاها أحد إلا أغمى على القبوريين ، أو أصيبوا بالهستيريا ، لعلمهم أنها الطريق الأمثل لصرف أمة الإسلام عن التوحيد إلى الشرك ، وعن الاستقامة إلى الانحراف ، حتى إذا ما غَوِيت وضَلَّت ، أمكنهم استغلالها واستذلالها ، والعيش على حسابها .

إن أمة الإسلام ما استُعْمِرت ولا استُغِلَّت ولا أُهينت ولا أُذِلَّت إلا بعد أن أغواها أئمة القبوريين السابقين الذين وضعوا لها التصوف بدل الإسلام والجهاد ، والتوسل بالجاه والحق بدل الإيمان وصالح الأعمال ، حتى عجزت وضعفت وهانت ، فغزاها الغرب والشرق ، فوضعها تحت نيره وكلكله عدة قرون !!

إنه ـ يا عباد الله ـ لو كان التوسل النافع المجدى المأمور به فى كتاب الله وسنة رسول الله هو هذا التوسل البدعى ، بحق فلان وجاه فلان ، لبيَّنه الله تعالى فى كتابه ، أو بينه رسوله محمد ﷺ بقوله ، أو فعله ، أو تقريره .

إن القرآن الكريم وهو كتاب العلم والهداية للتى هى أقوم فى كل باب ، قد ذكرفى

---

(١) انظر صحيح البخارى (٣ / ١١٣) .

قصصه أحداثاً جساماً أصابت أنبياء وأولياء كثيرين ، فلم يذكر أن أحداً منهم توسل لنجاته بغير إيمانه وصالح عمله من آدم أبى البشر [1] إلى خاتم الآنبياء محمد ﷺ ، فآدم توسل بقوله : ﴿ **ربَّنا ظَلَمْنا أنفسَنا وإنْ لمْ تغفِر لنا وترحَمْنا لنكونَنَّ من الخاسـرينَ** ﴾[2] ، فاستجاب اللّه له ، وتاب عليه ، وهداه . ومحمد رسول اللّه ﷺ لما آذاه المشركون واشتد به البلاء قال : « اللهم إنى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات » [3] . ويونس لما التقمه الحوت ، توسل إلى اللّه تعالى لنجاته ، بقوله : ﴿ **لا إله إلا أنتَ سُبحانكَ إنِّى كنتُ منَ الظالمينَ** ﴾ [4] ، فاستجاب اللّه تعالى له ، ونجَّاه من الغم . وإبراهيم من قبل لما ألقى فى أتون الجحيم ، قال : حسبى اللّه ونعم الوكيل [5] ، وعرض له جبريل قائلاً : هل لك حاجة يا براهيم ؟ قال : أما إليك فلا . لمَ لمْ يتوسلوا بجاة الأنبياء والأولياء السابقين لهم ؟ ما منعهم ؟ أخافوا من السلفيين بينهم ؟ أجيبوا يا عباد اللّه ! .

لقد ركض فى هذه المسألة المفهومة بالبداهة عالما المغرب ركضاً شديداً ، مسحا فيه ثلاث عشرة صفحة ، وكانت أدلتهما على جواز التوسل بالنبى ﷺ هى :

١ ـ حديث أصحاب الغار واستدلالهما به لا يخلو من أحد أمرين ، إما جهل مركب ، وإما إضلال متعمد ، إذ أصحاب الغار لم يتوسلوا بغير طاعتهم للّه تعالى ، إذ الأول توسل بحفظ الأمانة ، والثانى ببر والديه ، والثالث بترك فاحشة [6] ، ولم يتوسلوا بحق أحد ولا جاهة ، وأقر هذا رسول اللّه ﷺ ، وذكر أن اللّه تعالى استجاب لهم فأنجاهم من الهلكة التى وقعوا فيها والحمد للّه .

وقال البطلان فى ركضهما فى هذا المشوار : « إن التوسل بالرسول أولى من التوسل بالعمل الصالح » ، وقالا معللين ذلك بعلة كلها سقم ومرض هى : « إن العامل أحسن من العمل » ، غير أنى أربأ بنفسى عن مناقشة هذه العلة الفاسدة ، وأكتفى فى رد هذه العلة الفاسدة بأن أقول : إن ما يدل عليه هذا الرأى الفاسد ، ويلزم به صاحبه ، أن قول العبد :

---

(١) من انتن الكذب وأقبحه الكذبة التى وضعها الزنادقة بين أحاديث النبى ﷺ لتروج على أمة الإسلام وراجت فعلاً ، وعطلت الأمة عن العمل والجهاد ، قولهم : « إن آدم نظر إلى ساق العرش فرأى اسم الرسول مكتوباً فتوسل إلى ربه .. » الحديث بمعناه فى المستدرك للحاكم (٢ / ٦١٥) وحكم عليه الذهبى بالوضع .

(٢) الأعراف : ٢٣ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام (١ / ٤٢٠) .

(٤) الأنبياء : ٨٧ .

(٥) رواه البخارى (٦ / ٤٨) .

(٦) رواه البخارى (٣ / ١١٣) .

اللهم إني أسألك بحق نبيك أو بجاهه أحسن من الجهاد والصلاة والصيام والصدقات وفعل الخيرات ...

ومع الأسف الشديد ، فإن هذا الرأى الفاسد الضال هو الذى عاشت عليه أمة الإسلام عندما كانوا يهيئونها للاستعمار الغربى ، إذ علّموها أن تتوسل إلى الله تعالى ليرحم ضعفها ، ويقوى عزمها ، وينهض بها لتقف فى وجه العدو الطامع المتربص ، علموها أن تتوسل لا بالعلم والإيمان والعمل ، ولكن بجاه النبى ، وآل البيت ، والأولياء ، والأوراد ، والموالد ، والموائد .

ولنختم إحباط هذا الرأي الخادع المضلل النابع من أعماق المجوسية واليهودية المتعاونة على تدمير الإسلام وأمة الإسلام ، فنقول : إن الشيخ رشيد رضا ذكر فى تفسيره « المنار » حكاية مفادها أن قائد قوات الاستعمار الفرنسى لما عسكر على حدود العاصمة المغربية يومئذ فاس ، أرسل أحد عيونه يتعرف على قوة العدو ، وعلى مدى استعدادهم لرد الهجوم عليهم ، فدخل العين ، ولعله كان مسلماً من أصحاب الموالد ، فوجد المسلمين مجتمعين فى جامع القرويين يذكرون ، ويتوسلون بالجاهات الكريمة وغير الكريمة ، فرجع العين وقال للجنرال الفرنسى : « إنهم يأتون باللطيف » ، ففزع القائد ، وأمر رجاله بالاستعداد لرد الهجوم ، ظانّاً أن اللطيف نوع من المدافع لا يكسر ، وصاحبه لا يقهر ، فلما رأى العين فزعه ، قال له : هون على نفسك ، إن اللطيف ليس سلاحاً ولا قوة مادية ، إنما هو ورد أذكار خاصة يستنصرون بها ، إنهم يقولون : يا لطيف يا لطيف يا لطيف مئة وإحدى وثلاثين مرة أو نحوها . فلما علم القائد الاستعمارى المهزلة ، قال لجيوشه : ازحفوا ، فزحفوا ، ودخلوا المدينة ، واحتلوا العاصمة ، ووقعت ديار المغرب فى حكم الاستعمار الفرنسى .

هذه نتيجة حتمية لأهل التوسل بالجاهات ، وطلاب البركات ، وأسلحة الموالد والحفلات . آه ثم آه من هذا المرض الذى كلما قلنا : شفيت منه أمة الإسلام ، وإذا به يظهر من جديد على أيدى هؤلاء الراكضين ، فقليلاً من الحياء ، وشيئاً من التقوى يا هؤلاء .

٢ ـ حديث الخروج من المنزل إلى الصلاة ، إذ جاء فيه قوله ﷺ : « اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاى هذا ، فإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة .. » الحديث [1] .

---

(١) رواه ابن ماجه (١ / ٢٥٦) ، وأحمد (٣ / ٢١) وفيه عطية العوفى ، وفضيل بن مرزوق ، والفضل بن الموفق=

فذكر المغربيان بعد ركضهما الطويل فى تصحيح الحديث ـ مع بقاء ضعفه كما هو ، إذ هما لا يملكان تصحيحاً ولا تضعيفاً ـ أنه دليل على جواز التوسل بكل سائل ، نبياً كان أو ولياً ، أو كان يهودياً أو نصرانياً ، إذ المهم أن يكون سائلاً فقط ، وقالا : لقد صرح الحديث فى الجملة الأخيرة منه ، وهى : « وأسألك بحق ممشاى هذا » بالتوسل بالخطوات التى يخطوها إلى المسجد ، فما بالك بالتوسل بالنبى ، وهو أكرم عند اللّه من الخطوات . وهذا عود منهما إلى العلة السابقة التى أظهرنا فسادها وبطلانها .

وبعد ، فإنى أعجب لهذا الاستدلال الساقط البارد الدال على جهل مطبق ، ويهون على الأمر أن أكثر ما استدل به هؤلاء المبطلون هو من قبوريات النبهانى ، ودحلان ، والشعرانى ، والدراويش والمحتالين الذين كتب عليه حرب الإسلام فحاربوه ، وهلكوا وبقى الإسلام ، ومصير هؤلاء الراكضين كمصير أولئك الهالكين ما لم يتب اللّه عليهم ، فيعودوا إلى الحق ، ويذعنوا له .

وإلى القارىء الكريم بيان ما دل عليه الحديث الشريف مع ضعفه فى سنده ومتنه :

أ ـ جواز التوسل بالإيمان وصالح الأعمال ، ومن ذلك الدعاء الخالص ، والمشى إلى المساجد لأداء الصلوات وطلب العلم والخير والهدى .

ب ـ أن الشرك محبط للعمل من باب أولى ، إذ الرياء محبط له ، لقوله ﷺ : « خرجت اتقاء سخطك ، وإبتغاء مرضاتك » بعد قوله : « لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا رياء ، ولا سمعة » .

جـ ـ أن للداعى حق الإجابة لما دعا له ، وهذا الحق تكرّم الكريم عز وجل به ، فأوجبه على نفسه مِنَّة منه ورحمة ، وهذا مدلول قوله تعالى من سورة المؤمن : ﴿ **وقالَ ربكُمُ ادْعونى أستجِبْ لكُم** ﴾ (١) ، ومن هنا كان قوله ﷺ فى الحديث إن صح : « إنى أسألك بحق السائلين عليلك » مراداً به إنى أطلب منك الحق الذى جعلته تكرُّماً منك للسائلين من عبادك ، وهو إجابة الدعاء ، فاستجب لى يا ربىْ فيما دعوتك وأدعوك له من البر والخير ، فإنى أحد السائلين .

هذا ما دل عليه الحديث ، ومن فهم غير هذا فهو جاهل أو متجاهل ذو غرض فاسد ، ومن هنا كان لا دلالة فى هذا الحديث على التوسل بالأموات أنبياء كانوا أو أولياء

= وكلهم ضعفاء .

(١) غافر « المؤمن » : ٦٠ .

وغيرهم كما يريد الراكضون ، ذلك التوسل الذى هو أسألك بجاه فلان وحق فلان ، أو هو دعاؤهم والاستغاثة بهم والاستشفاع والتبرك ، وهو ما قرره الراكضون الأربعة فى كتبهم .

٣ ـ حديث الضرير وخلاصته : أن رجلاً شكا إلى رسول اللّه ﷺ ضعف بصره ، وطلب منه أن يدعو له ليرد اللّه تعالى عليه بصره ، وأن النبى ﷺ خيره بين أن يصبر وبين أن يدعو له ، فآثر الرجل الدعاء له برد بصره إليه ، فقال له رسول اللّه ﷺ : « توضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم صلّ ركعتين ، وادع قائلاً : اللهم إنى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجَّه بك إلى ربى فى حاجتى لتُقضى ، اللهم شفّعه فىَّ » . ففعل الرجل هذا ، فعاد إليه بصره (١) .

هذا الحديث هو عمدة القوم فى جواز دعاء الرسول ﷺ والاستغاثة به والاستشفاع به عند قبره ، والتوسل إلى اللّه تعالى بجاهه وجاه وحق الأولياء والصالحين ممن يزعمون أنهم أولياء ، واللّه أعلم بأوليائه ، ولذا فقد ركضوا فى إثبات هذا الحديث ، وتصحيحه ، والاستدلال به فى أكثر من ست صفحات ، واستعانوا بالغمارى والسبكى ، وبكل قاعد ومتكى ، وشاك وباك !!! .

وإظهار الحق فى هذه المسألة ، وإبطال ما تمسك به المبتدعون منها يكون بالعرض التالى ، فتأمله أيها القارىء الكريم بعناية :

١ ـ هذا الحديث ـ إن صح (٢) ـ أقول : إن صح ، لما فى بعض ألفاظه من كلمات عليها سمة الضعف ، إذ لم يعهد مثلها فى هداية الرسول ﷺ ولا فى هديه ، مثل قوله : « يا محمد : إنى أتوجه بك إلى ربى » لما فيها من تحصيل الحاصل الذى ينزه عنه كلام سيد البلغاء ﷺ ، ولأنه لم يخرجه أصحاب الصحاح ، ويكفى هذا دلالة على عدم الارتياح إلى تحسين من حسنه .

أقول : هذا الحديث إن صح ، فيه علم من أعلام النبوة المحمدية إذ شفى الضرير وعاد إليه بصره بشفاعة الرسول ﷺ له فى قبول صلاته ودعائه ، واستجابة اللّه تعالى له بشفائه من علته .

٢ ـ إن هذه الوسيلة تفتقر لحصول الغرض منها إلى وجود الرسول ﷺ حياً يدعو

(١) الحديث رواه أحمد (٤ / ١٣٨) ، والترمذى (٥ / ٥٦٩) ، وابن ماجه ص ٤٤١ .

(٢) علماً بأن الحديث حسنه الترمذى ، وصححه بعضهم .

ويشفع ، أما بعد وفاته والتحاقه بربه فغير ممكنة ، ولذا فلم يثبت أن أعمى توسل بها ورد الله تعالى إليه بصره كما حصل للضرير ، أبداً ، وذلك لعدم وجود رسول الله ﷺ يدعو الله ، ويشفع للضرير ، كما حصل للصحابى ، وبهذا تبينت الخصوصية فيها ، إذ لو كانت خالية من الخصوصية لفعلها كل ذى عمى ، ورد عليه بصره ، وها هو ذا العديد من الصحابة قد أصيبوا بالعمى ، ولم ينقل عنهم أن أحداً فعل هذه الوسيلة ورد إليه بصره ، ولو فعلها أحد الآن لما رجى أن يرد إليه بصره ، وذلك لفقدان أهم عناصرها ، وهو دعاء الرسول ﷺ بالتوسل .

٣ - إن هذه الوسيلة من جنس التوسل بدعاء الرسول ﷺ ، إذ كان أصحابه يطلبون منه أن يدعو الله تعالى لهم ، فيدعو لهم ، فيجاب ، وتقضى حاجة المتوسل ، والحمد لله والفضل له أولاً وآخراً ، وشاهد هذا ، الأعرابى الذى دخل المسجد والرسول ﷺ على المنبر يخطب ، فقال : يا رسول الله : ادع الله أن يسقينا فقد هلكت المواشى ... إلخ ، فدعا ﷺ ربه أن يسقيهم ، فما نزل من المنبر إلا والمطر ينهمر ، وسقوا سبعة أيام متتالية ، فدخل أعرابى من الأسبوع المقبل ، وقال : ادع الله تعالى ، لقد انقطعت السبل ... إلخ ، فدعا ﷺ ، فأقلعت السماء ، وطلعت الشمس ، وانقطع المطر [١] . وهذا من أعلام نبوته ﷺ .

أما بعد وفاته ، فلم يصح أن أحداً من أصحابه أتى قبره الشريف وقال : يا رسول الله : ادع الله تعالى لنا بكذا ، أو استسق لنا ، وكل حكاية ترد فى هذا المعنى فهى ضعيفة أو باطلة لا قيمة لها ولا وزن ، إذ لو كان الرسول ﷺ يطلب منه أن يدعو ويستسقى للناس بعد وفاته فيسقون لـما ترك ذلك أبداً ، وإلى اليوم ، وإلى يوم القيامة ، وهذا عمر رضى الله عنه خرج إلى المصلى ، واستسقى لأهل المدينة كما كان الرسول يستسقى ، فلو كان يجوز أو حتى يعقل طلب الاستسقاء من الرسول ﷺ بعد وفاته ، لـما عدل عنه عمر ولا غيره من أصحاب رسول الله وأهل المدينة إلى سنة الاستسقاء المأمور بها ، وهى الصلاة والدعاء والتضرع فى المصلى ، وقول عمر رضى الله عنه : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا » ، واختار عمر العباس لعلمه أن النبى ﷺ كان يُجِلُّه ويُكْبِرُه وهكذا يختار المسلمون إلى اليوم أشراف المؤمنين من ذوى النسب ، والصلاح ، والتقوى فى الإسلام .

---

(١) الحديث بمعناه فى البخارى (٢ / ٣٤) ، ومسلم (٣ / ٢٤) .

والخلاصة أن الرسول ﷺ بعد وفاته لم يبق من سبيل إلى طلب الدعاء منه والاستسقاء به والاستشفاع بجنابه ، اللهم إلا ما كان من الإيمان به ، ومحبته ، واتباعه ، فإن ذلك من الوسائل المشروعة والنافعة ، وعلى سبيل المثال أذكر هنا القصة التالية :

حدث لى مرة أن رغبت فى الاعتمار فى آخر رمضان وأنا بالدار البيضاء بالمغرب ، وحاولت أن أحجز تذكرة إركاب إلى جدة فلم أظفر بذلك ، ولم يبق من رمضان إلا ليلتان ، وتألمت لذلك شديداً ، فجئت المنزل ، فتوضأت ، وأحسنت الوضوء ـ ملاحظاً قصة الضرير ـ وصليت ركعتين ، وقلت : « اللهم إنى أسألك ، وأتوجه إليك بإيمانى ومحبتى لنبيك محمد نبى الرحمة ، أن تيسر لى أمر السفر لأعتمر » ، وعدت إلى مكتب الحجز ، فوالله ما إن رآنى الموظف ، حتى قال : تعال يا شيخ ، إنه يوجد لك حجز إركاب ، وأعطيته ، وسافرت ، وأديت عمرة فى رمضان ، والحمد لله ذى الفضل والمنة والإحسان .

والشاهد من هذه القصة أن التوسل بالإيمان والمحبة للرسول ﷺ ما زال نافعاً [1] ، إلا أن التوسل بدعائه عليه الصلاة والسلام غير ممكن ، لالتحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى .

هذه هى الحقيقة التى ينبغى أن يعلمها كل مسلم .

مغالطة قبيحة :

إن بطلينا المغربيين لم يتقيا الله تعالى لما قالا فى صفحة (١٠٧) فى كتابهما : « إن الرسول ﷺ لم يدع للضرير أبداً ، وإنما علمه كيف يدعو فقط » ، مع أن دعاء الرسول ﷺ له نص فى الحديث ، إذ قال : « إن شئت دعوت لك ، وإن شئت صبرت » ، فقال الضرير : « ادع لى » ، فعلمه الرسول كيفية الوسيلة ، ودعا له ، فاستجاب الله تعالى له ، فالقول بأن النبى ﷺ لم يدع له تكذيب لرسول الله ﷺ ، وتكذيب الرسول ﷺ والكذب عليه من أفظع الخطايا ، وأقبح الذنوب ، وقول الرسول ﷺ للضرير : « قل : « اللهم شفّعه فى » ، ينفى ما ترهماه أو ما افترياه ، إذ لا يعقل أن يقول له : « قل : « اللهم شفعه فى » ، ولا يدعو له ، إذ الشفاعة معناها أن يسأل الشافع من الله تعالى للمشفوع له ما هو فى حاجة إليه من دفع ضر أو جلب خير . فأعوذ بالله ممن يكذب رسول الله ﷺ ، وينسب إليه الكذب من أجل أن يُضِلَّ الناس بعد أن ضل .

---

(١) لأنه عقيدة صحيحة ، وعمل صالح .

٤ ـ قصة توسل عمر بالعباس رضى اللّه عنهما : هذه القصة ركض فيها المغربيان ركضاً شديداً وطويلاً ، فأبديا وأعادا ، وشرقا وغربا بحثاً عن دليل يستدلان به على جواز دعاء غير اللّه تعالى ، وهو شرك محض ، وانتهيا بعد الركض الطويل العريض إلى قولهما : « إن توسل عمر بالعباس كان توسلاً بالنبى لا بالعباس » ، فمن يصدق هذا الهراء يا عباد اللّه ، إن عمر يقول بصريح اللفظ : « إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا » ، والراكضان يقولان : « إنه لم يتوسل بالعباس ، وإنما توسل بالنبى » ، والسؤال : هل كان النبى ﷺ معهم فصلى بهم ؟ والجواب : لا ، وإنما الذى كان معهم العباس ، وهو الذى صلى بهم ، ودعا ، فاستجاب اللّه تعالى ، فسقاهم .

أما يخجل صاحب هذه المغالطات والدجل والتضليل ؟ إن بطلينا « المغربيين » يريدان أن يفرضا بكل وسيلة ، ولو بإنكار الحقائق على الناس ، جواز دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والاستشفاع بجاههم ، وهذا ما رفضه عمر نفسه ، إذ لم يقل : اللهم اسقنا بحرمة نبيك ، أو بجاهه ، أو بحقه كما يقول هؤلاء المتهوكون دعاة البدع ، والضلالة .

٥ ـ التبرك والاستشفاء بشعره وآثاره ﷺ صفحة (١١٤) ، تحت هذا العنوان كتبا ثلاث صفحات ، أوردا فيها ما ورد من أحاديث وآثار دالة على جواز التبرك بآثار النبى ﷺ ، ولم يكن بهما من حاجة إلى ذلك إلا التهويل ، والتلويح بالعضلات ، وإظهار « العنترية » ، إذ لم يوجد بين المسلمين من ينكر جواز التبرك بآثاره ﷺ ، والصحابة كانوا إذا تنخَّم بينهم ﷺ تلقَّفوا نخامته بأيديهم قبل أن تقع على الأرض ، ودلكوا بها أجسامهم لبركتها وطيب رائحتها ، وكان ابن عمر وولده سالم يتحريان كل مكان صلى فيه الرسول ﷺ ، فيصليان فيه .

والتبرك ببردته ﷺ معروف بين الصحابة والتابعين ، لا ينكره أحد ، وقد تبركوا بشعره ﷺ ، وقد أعطى عليه الصلاة والسلام نصف شعره للحلاق « أبى طلحة » ليوزعه فى أقاربه يتبركون به ، والسلفيون لو يجدون أثراً ثابتاً صحيحاً من آثاره عليه الصلاة والسلام ، لتنافسوا فى الحصول عليه ، وتبرَّكوا به ، ولكن من أين ذلك ، وقد مضى على عهده عليه الصلاة والسلام أربعة عشر قرناً تقريباً .

فلم إذاً هذه الشطحات ، ومن أسوئها تبرك هؤلاء القبوريين برسم تخيلوه لنعل النبى ﷺ ، ثم تناقلوه وقدَّسوه وبالغوا فى ذلك حتى شارفوا أن يعبدوه ، وهو مجرد خيال

تخيلوه فى نعل النبى ﷺ ، حتى قال الراكضان فى صفحة (١٥٠) : « فمن أعوزه التبرك بنعله ﷺ ، لم يعوزه التبرك بمثالها ... » .

إن مسألة النعل هذه لتضحك النمل فى قراها ، والنحل فى خلاياها ، ومع هذا فقد تبارى فى إجلالها وإكبارها دعاة الضلالة ، حتى قال قائلهم :

وَنعلٌ خضَعْنا هيبةً لوَقارِها
فإنَّا متى نخْضَعْ لها أبداً نَعْلو
فضَعْها على أعلى المفارِقِ إنَّها
حقيقتُها تاجٌ وصورتُها نعلُ

إن هذا الغلو الفارغ فى شأن النعل الخيالية ، لو قدر أن كشف على باطن صاحبه ، لوجد أنه لا يرعى لرسول الله ﷺ فى سنته وملته وأمته كبير حرمة ، إن محبة الرسول ﷺ ليست شعاراتٍ كلامية ، ولا أوهاماً خيالية ، ولكنها محبة آثرت ما يحب المحبوب على ما يحب المحب .

٦ ـ الركضة السادسة : الدليل التاسع على جواز التوسل بالرسول ﷺ قوله تعالى : ﴿ ولَو أنَّهم إذ ظَلَموا أنفسَهُم .. ﴾ الآية (١) .

هذه الركضة جاءت فى صفحة (١١٩) ، وكانت قصيرة وغير موفقة ، وبيان ما فيها : أن الذين تحاكموا فى قضية مادية إلى كعب بن الأشرف اليهودى المعادى ، كانوا معرضين عن حكم اللّه تعالى ، وحكم رسوله ﷺ ، ولما شعروا بالزلة أرشدهم اللّه تعالى ، وهو أرحم بعباده من أنفسهم ، أرشدهم إلى طريق توبتهم ، وهو أن يأتوا إلى الرسول ﷺ ، ويعلنوا عن خطيئتهم باستغفار اللّه تعالى ، وطلب المسامحة من الرسول ﷺ ، حيث أذنبوا فى حقه بتجاهل حكمه ومحكمته ، فإذا سامحهم الرسول واستغفر لهم ، غفر اللّه لهم ، وإلا فلا .

فقل لى بربك أيها القارىء الكريم ، أين دليل جواز طلب الاستغفار من الرسول ﷺ بعد وفاته ؟ .

إنه لو كان كل من أذنب من هذه الأمة لاتقبل له توبة حتى يأتى رسول اللّه ﷺ

---

(١) النساء : ٦٤ .

ويستغفر اللّه أمامه ، ويستغفر له الرسول ﷺ ، لـما تاب أحد ، إذ لازم هذا أن يبقى الرسول حياً لا يموت ، ليحصل المذنبون القادمون عليه على استغفاره لهم ، أما وقد توفى الرسول ﷺ ، وقبضه اللّه تعالى إليه ، فمن يستغفر اليوم للمذنبين ؟ .

وما ورد أنه ﷺ تعرض عليه أعمال أمته [١] فيستغفر لهم ، فإنه لا يدخل فى هذه القضية العينية ، فإنه كاستغفار الملائكة للمؤمنين التائبين ، قال تعالى : ﴿ **الذينَ يحمِلونَ العرشَ ومَن حولَه يسبِّحونَ بحمدِ ربِّهم ويؤمنونَ بِه ويستغفِرونَ للذينَ آمنوا ربَّنا وسعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً فاغفِرْ للذينَ تابوا** ﴾ [٢] .

ولا ننسى أن نذكر القارىء أن هذا الركض من هذه الجماعة دائر دوماً على تعليم الناس أن الرسول ﷺ حيٌّ فى قبره ، يستسقى لـمن طلب منه السقيا ، ويستغفر لـمن طلب منه الاستغفار ، ويشفع لـمن طلب منه الشفاعة ، ويأذن بالسفر والإقامة لـمن طلب منه ذلك ، وكل هذا الركض غايته التى ينتهى إليها هى تأليه الرسول ﷺ والأولياء بعبادتهم فى قبورهم ، بصرف أنواع العبادات إليهم ، من دعاء وذبح ونذر ، لأن اليد الأولى التى صنعت هذا الشباك لإيقاع المسلمين فى الشرك والضلال هى يد المجوس واليهود المتعاونيين على ضرب الإسلام بتفتيت عقيدته ، ثم القضاء عليه .

ولو عرف هؤلاء الراكضون هذه الحقيقة لـما لفتوا نظر الأمة مجرّد لفت نظر إلى أصحاب القبور ليتبركوا بهم ، ويذبحوا لهم ، ويعكفوا حول قبورهم متوسّلين مستشفعين بهم كما يزعمون .

٧ ـ الركضة السابعة : هل يجوز الاستشفاع بالرسول ﷺ ؟ هذا العنوان جاء فى صفحة (١٢١) ، استهلاه بقولهما : « ذكر صاحب « الحوار » فى صفحة (١٦) الاستشفاع به بعد وفاته من أنواع الشرك الأكبر ، وللتوسع فى هذا الموضوع الذى أنكره صاحب « الحوار » ، والاستدلال على صحة الاستشفاع به ﷺ فى حياته وبعد وفاته ، نفيد صاحب « الحوار » ومن كان مثله ، بأن للرسول ﷺ ثلاث عشرة شفاعة » . ثم ذكر الشفاعات واحدة بعد واحدة ، وكلها من شفاعاته ﷺ الواردة فى يوم القيامة ، ابتداء من الشفاعة العظمى ، إلى شفاعته فى إخراج أهل التوحيد من أمته من النار ، ولم يذكرا دليل ما عنونا له بقولهما : هل يجوز الاستشفاع بالرسول ﷺ ؟ لأنهما لم يجدا ، ولو وجداه لطارا به فرحاً ، وفرحنا به نحن معهما ،

---

(١) حديث عرض الأعمال عليه ﷺ لم يثبت بسند قوى . (٢) غافر « المؤمن » : ٧ .

غير أنهما كتماها متألمين وسكتا ، ونحن نقول لهما : إذا أصاب أحدكما ضيم ، أو حلت به نازلة ، فعليه بالصلاة على رسول اللّه ﷺ ، فإذا صلى عليه عدداً من الصلوات ، سأل ربه حاجته ، فإن اللّه تعالى إكراماً لنبيه يقضى حاجة من توسل إليه بالصلاة والسلام عليه ، أو يقول : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك ، وأحببته بحبك ، وأطعته بإذنك ، ففرّج ما بى ، أو اقض حاجتى . فإنه يستجاب له بإذن اللّه تعالى ومنّه وكرمه ، هذا هو الاستشفاع والتوسل بالرسول ﷺ ، الذى يُنْظَرُ فيه إلى اللّه تعالى وحده ، وهو ما لا يريده المضللون والمحجوبون عن اللّه بعباده ، وعن طاعته بمعاصيه ، والعياذ باللّه تعالى منهم ومن فتنتهم .

٨ ـ الركضة الثامنة : مفاضلتهما بين القدر وليلة المولد ، وبين القبر الشريف والكعبة فى صفحة (٧٢ ـ ٩١) ، لقد ركضا فى هذه المسألة ركضاً شديداً ، وجلباً لها ما هب ودب من كلام الناس ، ولم يذكرا فيه عن اللّه والرسول ﷺ وأصحابه شيئاً ، واللّه يعلم أن المسلم لا يهمه أى هذه الأمور أفضل ، ولا يجيز حتى الخوض فيها ، فالسلفيون يعلمون أن اللّه تعالى فضَّل بعض الرسل على بعض ، وفضَّل بعض الناس على بعض ، وفضَّل بعض الأيام على بعض ، وفضَّل بعض البقاع على بعض ، عرفوا هذا من الوحى الإلهى فآمنوا به وصدقوا ، ولم يكلفهم اللّه تعالى ورسوله بأن يفضلوا بأهوائهم كذا على كذا ، فلم يقولوا ليلة المولد أفضل من ليلة القدر ، ولا القبر الشريف أفضل من الكعبة ، ولا الكعبة أفضل من العرش ، ويعدون الدخول فى مثل هذا الأمر من اللغو المنهى عنه ، إلا أن هؤلاء الراكضين أقحموا أنفسهم فى هذا الأمر لسببين :

١ ـ اتهام السلفيين بأنهم لا يحبون الرسول ، وميلاده ، وآل بيته ، ألا ساء ما يظنون !.

٢ ـ دعوتهم إلى الشرك فى عبادة اللّه تعالى بدعاء الأموات والاستغاثة بهم ، والاستشفاع والتبرك بتراب قبورهم ، والذبح والنذر لهم ، وحكمهم بجواز كل هذا تحت ستار التوسل ألا ساء ما يحكمون .

جـ ـ إحياء ميتة التصوف والتمدح بالمتصوفين الغابرين :

جاء فى كتابهما « التحذير » فى صفحة (٤٦) تحت عنوان : دفاع عن التصوف ورجاله . فذكرا أن التصوف هو الإحسان الوارد فى حديث جبريل ، وأن التصوف إذاً يقابل الإيمان والإسلام ، وأنه غير محدث ، وإنما المحدث فيه اسمه ، وركضا فى مساحة

صفحتين كاملتين ، وانتهيا إلى إعلان نتيجة الانتصار بقولهما : « ونحن ننصح هؤلاء المنكرين وشيعتهم ـ أى السلفيين ـ بأن يتخلقوا بأخلاق السادة الصوفية التى هى أخلاق القرآن والسنة ، وأخلاق الرسول والسلف الصالح » ، وأنهكهما الإعياء ، فخرجا من الميدان ليستريحا ، ونحن نقول لإخوة الإيمان ، المتمسكين بالكتاب والسنة عقيدة وعبادة وخلقاً ومعاملة ، لا يغرنكم تضليل هؤلاء المدفوعين إلى إفساد عقيدتكم ، وتمزيق صلتكم بربكم الحى الكريم ، وربطكم بأصحاب القبور من أرباب الأضرحة والمزارات ، ليأكلوا ويشربوا ويركبوا على حساب عقيدتكم ، وصلتكم بربكم ، وقولوا لهم : إن التصوف إما أن يكون هو الإسلام أو غيره ، فإن كان هو الإسلام فحسبنا الإسلام ، وإن كان غيره فلاحاجة لنا به . فإن أصروا إلا على إحياء ميتة التصوف التى ماتت منذ أن هب المسلمون من نومتهم ، وعلى التمدح الفارغ بالمتصوفين الغابرين فقولوا لهم :

١ ـ هل أفسد عقائد المسلمين ، وعطل عقولهم ، وعاقهم عن الجهاد غير التصوف ؟

٢ ـ هل فرق كلمة المسلمين وشتت شملهم غير التصوف والمتصوفة ؟

٣ ـ هل أوجد الطرق التى كانت عيوناً للاستعمار الغربى ، وعوناً له على احتلال ديار المسلمين غير التصوف ؟ هل وضع أصول التصوف من الطريقة ، والشيخ المأذون ، والعهد ، والبيعة للشيخ ، والأوراد ، والخلوة ، والفناء ، والكشف ، والشريعة ، والحقيقة ، والظاهر ، والباطن غير التحالف المجوسى اليهودى الصليبى ؟

٤ ـ وهل جاء بمذاهب الحلول ووحده الوجود غير التصوف والمتصوفة ؟ وهل قال الكفر الآتى ، وصرح به غير المتصوفة ؟

١ ـ ليس على المخلوق أضر من الخالق . « أبو طالب المكى » .

٢ ـ أنا أعشق اللّه واللّه يعشقنى . « أبو الحسن النورى » [١] .

٣ ـ علماء الرسوم « الشريعة » يأخذون خلفًا عن سلف ، وأولياء التصوف يأخذون عن اللّه مما ألقاه فى صدورهم [٢] .

٤ ـ أن المحق ، وصاحبى وأستاذى إبليس وفرعون . « الحلاج » .

---

(١) عباراتهم عن عشق اللّه كثيرة ، يراجع أيضاً « الصوفية الوجه الآخر » ص ٤٢ تجد قول ابن الجوزى : إن عبارة العشق عند أهل اللغة لا تكون إلا لما ينكح .

(٢) يراجع « الصوفية الوجه الآخر » ص ٤٠ للدكتور محمد غازى .

٥ ـ إن العارف من يرى الحق فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء . « محيى الدين ابن عربى » [(١)] .

٦ ـ قيل للتلمسانى هذا ـ إشارة إلى جيفة كلب ميت ـ فقال : هو ذات الله ؟ وهل ثم شىء خارج عنها [(٢)] ؟ .

٧ ـ اللهم انشلنى من أوحال التوحيد ، وأغرقنى فى عينى بحر الوحدة ، حتى لا أرى ولا أجد ولا أحس إلا بها . « ابن مشيش » [(٣)] .

٨ ـ القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد فى كلامنا . « التلمسانى » [(٤)] .

٩ ـ خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله . « اليمانى » .

١٠ ـ أنا سيد الأولياء كما أن النبى سيد الأنبياء ، ولا يشرب ولى ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور ، وإذا جمع اللّه تعالى خلقه فى الموقف ينادى مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من فى الموقف ، يأهل المحشر : هذا إمامكم الذى كان مددكم منه . « أحمد التجانى » .

أبعد كل هذا وغيره الكثير ، أما يستحى رجل نسب إلى العلم والعلماء أن ينصب نفسه للدفاع عن هذا الكفر السخيف و ليوقع أمة الإسلام فيه من جديد ، بعد أن أنقذها اللّه تعالى منه ؟ ! .

إن الذى يدعو إلى التصوف بالدفاع عنه ـ وقد مات ـ أو بالتمدح بالمتصوفين الغابرين ، فهو إما جاهل وقد علمناه فليتب إلى اللّه ، وإما عالم ضال يدعو إلى إضلال المسلمين وغوايتهم ، فهو إذن شيطان أو كالشيطان .

---

(١) قول ابن عربى هذا موجود فى « الفصوص » له ص ٣٧٤ ، وأيضاً فى « الفتوحات المكية » .

(٢) قول التلمسانى هذا ذكره ابن تيمية فى « الرسائل الكبرى » (١ / ١٤٥) .

(٣) قول ابن مشيش هذا ذكره غير واحد منهم عبد الرحمن الوكيل فى كتابه « هذه هى الصوفية » (٦٠) ونسبه إلى الجيلى فى كتابه « الإنسان الكامل » (١ / ٣٠) .

(٤) قول التلمسانى هذا أيضاً ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فى « مجموعة الرسائل والمسائل » (١ / ٢٥) .

وحتى إدريس العراقى المغربى

وبعد أن أعيا الركض أخويه الفاضلين : عبد الكريم وعبد الحى ، ولم يحصلا على طائل من ركضهما الطويل ، إذ ما دافعا عنه لم يَعْدُ أحد الأمرين :

الأول :

إما أن يكون ما ركضا فيه ديناً مشروعاً ، قال به السلفيون ، ودعوا إليه وهم به عاملون ، وهو حب الرسول ﷺ ، وتعظيمه ، وتوقيره ، وإثبات الشفاعة له ، ووجوب محبته واتباعه ، والعمل بشريعته ، ومن ذلك التوسل بدعائه حال حياته فى كشف ضر ، أو جلب خير ، وجواز التبرك بآثاره كشعره ، ونخامته ، وريقه ، وثيابه ، والجلوس فى مجلسه ، والصلاة فى مكان صلى فيه ، وزيارة مسجده وقبره .

الثانى :

أن يكون غير دين ولا مشروع مما هو فى غالبه شرٌّ وداء مفض إلى الشرك كدعاء الرسول ، والاستغاثة به عند قبره ، وطلب شفاعته منه ، واستئذانه واستشارته ، والتبرك بخيال نعله ، وصورة خاتمه ، والتمسح بجدران حجرته وترابها ، والاحتفال بيوم مولده ، وكدعاء الصالحين ، والذبح والنذر لهم ، وإقامة الموالد والمواسم لهم ، ومثل هذا لا يستطيع أحد إقناع المسلمين العالمين اليوم بجوازه ، ولو أوتى بيان حكمة سليمان ، وفصاحة شعيب عليهما السلام ، ومن هنا انتهى ركض الجماعة بغير جدوى ، وضاع الجهد والمال .

والذى يدعو إلى العجب ، أن إدريس العراقى لم يفكر فى تعب الركض ولا فى خيبة المنقلب ، فتستر بكلمة تقريظ لكتاب « التحذير » ، وركض فى اثنتين وعشرين صفحة ـ خمس الكتاب المقرظ ـ وابتدأ ركضه كسالفية بتلويح عضلاته ، والارتماء فى الميدان ، فقرر كل ما دافع عنه سابقاه بحرفه ومعناه : دعاء النبى ﷺ ، والصالحين ، والاستغاثة بهم ، والاستشفاع ، تحت عنوان التوسل الجائز المشروع ، ومشروعية الموالد والاحتفالات ووو ... ، وزاد جواز الذكر الجماعى على طريقة الصوفية ، وقراءة القرآن على الأموات بأجر وبغير أجر ، وانتهى بشن هجمة شرسة ملؤها الحقد والغيظ على السلفيين ، حيث

قال : « والحاصل أنه قد سطع نور الحق بهذا الكتاب ، وعلا وارتفع ، وانطمس الباطل وسقط واتضع ، فما سطر فيه الحق المبين ، فالمصير إليه حينئذ متعين ، ففيه للّه الحمد ، إحياء السنة وإخماد البدعة » .

مسكين هو هذا العراقى ، إذ لبَّس الشيطان عليه أمره ، فأصبح فى حَيْرَة ، يرى السنة بدعة ، والبدعة سنة ، ودفعه يركض فى ميدان الضلال ، يناصر الباطل ، ويجاهد فى إبطال الحق وإطفاء نور اللّه .

مسكين هو هذا العراقى ، اللهم رُدَّ إليه رشده ، وألهمه صوابه حتى يرى الحقَّ حقًّا ، والباطل باطلاً ، فيهتدى بعد ضلاله ، ويبصر بعد عماه .

الجهاد الأفغاني

فرصة ذهبية للأمة الإسلامية

الجهاد الأفغاني

فرصة ذهبية للأمة الإسلامية

رسالة موجهة لأمة الإسلام كلّ أمة الإسلام حاكميها ومحكوميها ، علمائها وجهالها ، أغنيائها وفقرائها لاهتبال الفرصة الذهبية قبل فواتها واغتنام ريح النصر قبل سكونها

يقدمها إنذاراً وإعذاراً .

أبو بكر جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الرسالة

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه وبعد :

* مَن من المسلمين لا يريد عز الإسلام والمسلمين ؟
* مَن من المسلمين لا يريد وحدة المسلمين وقوتهم ؟
* مَن من المسلمين لا يريد نصرة إخوانه الأفغانيين وتحرير أرض فلسطين ؟
* مَن من المسلمين اليوم لا يشكو ضعف المسلمين وذلهم وفرقتهم وتخاذلهم ؟
* مَنْ مِن المسلمين اليوم لا يتمزق حسرة على فلسطين وتشريد شعبها المسلم ؟
* مَن من المسلمين اليوم لا يتوجع لما يصب على رؤوس إخوانه الأفغانيين من حمم ، وما ينزل بديارهم من خراب ودمار ؟ ؟

والجواب عن كل هذه التساؤلات هو : لا أحد ، لا أحد ، لا أحد !!

وإذاً فلم لا نعمل أيها المسلمون على استرداد عز الإسلام والمسلمين ؟

لم لا نعمل على تحقيق وحدة المسلمين وقوتهم ؟

لم لا نعمل على تحرير فلسطين ، ونصرة إخواننا الأفغانيين ؟

والجواب عن هذه التساؤلات أيضاً هو أننا أسرى الأهواء والشهوات والمبادىء والشعارات ، فى أيدينا الحديد وفى أرجلنا القيد ، إلا من رحم اللّه تعالى منا وإذاً فلم لا نتحرر ، لم لا ننعتق ، لم لا ننطلق ؟ ؟ ؟

والجواب عن هذه التساؤلات أيضاً هو أننا لم نجد من يمد يده إلى القيد فيكسره ، وإلى الحديد فيقطعه حتى ننعتق وننطلق :

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو : فهل إلى ذلك من سبيل ؟

والجواب نعم هناك سبيل قاصدة لا تنتهى بكم إلا إلى نجاتكم وسعادتكم فاقرأوا هذه الرسالة فى جديّة كاملة ، وصدق تام فإنكم مع آخر حرف منها تجدون السبيل أمامكم واضحاً فاسلكوه بسم اللّه تعالى ربكم فإنه لا ينتهى بكم إلا إلى تحقيق أهدافكم فى العزة والتحرير وعزة الأمة والدولة ، وتحرير القدس ، وتخليص إخوانكم الأفغانيين بنصرهم وطرد العدو من ديارهم وإقامة دولتهم دولة الإسلام والسلام والخير العام .

هذا ـ أيها المسلمون ـ هو السبيل فاسلكوه :

لا يخيفنكم ـ أيها المسلمون ـ قولى : إن سبيل انعتاقكم وانطلاقكم شاق وطويل ، إنى لم أرد بذلك إلا أن تأخذوا بالأهبة ، وتتزودوا بالطاقات اللازمة لسيركم فى سبيل التحرر والانعتاق ، ثم الكمال والإسعاد . وأمامكم محطات ثلاث للنزول بالطاقات اللازمة ، فتزودوا من كل واحدة منهن ، لتقووا على سيركم فى طريق نجاتكم وسعادتكم .

المحطة الأولى

فرضيــة الجهــاد

قبل الشروع فى التزود لسيركم من المحطات الثلاث الموجودة أمامكم يحسن أن تعلموا أن الأمراض الاجتماعية ، والتى أعيت الأطباء مداواتها ، والتى أصبحت طابع المجتمعات الإسلامية والصفة الغالبة عليها ، هذه الأمراض والتى أدت بأسر الأمة ووضع يديها فى الحديد ورجليها فى القيد حتى قعدت عن كل خير وكمال ، وحلَّ بها من الفرقة والذل والهون والدون ما حل . هذه الأمراض والمتمثلة فى الحسد والكبر ، والخداع والغش ، والكسل والتواكل ، والتهالك على الدنيا والتكالب على المال ، والجرى وراء الشهوات والركض وراء الملذات ، فكان الظلم وكان الفسق وكان الفجور !! .

هذه الأمراض الفتاكة دواءها الفاجع ، وبلسمها الشافى هو الجهاد فى سبيل اللّه ، والجهاد فقط . ولعل هذا هو السر فى فرض اللّه تعالى الجهاد على أمة الإسلام وكتبه عليها وهى أمة القيادة والريادة ، والكمال والخير . وها هى ذى نصوص الكتاب والسنة مُصرحة بذلك مُقررة له آمرة به فاقرأوها وتأملوها وتزودوا من طاقاتها فى رحلتكم هذه ، وأنتم فى طريقكم إلى التحرر والانعتاق ثم إلى الإسعاد والإكمال .

قال تعالى من سورة الحج : ﴿ **وجاهدوا فى اللّه حق جهاده** ﴾ أليس هذا أمراً إلهياً ، والمأمورون هم المسلمون ، والمأمور به هو الجهاد ؟؟ والجواب : قطعًا نعم .

والسؤال : هل المسلمون اليوم قائمون بهذا الأمر مؤدون لهذا الواجب ؟ والجواب قطعًا : هو لا ، لا . وإذاً فهل من توبة أيها المسلمون ؟!

وقال تعالى : من سورة البقرة : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم . وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم واللّه يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ .

أليس معنى كتب : فرض فرضاً مؤكداً كأنما كتب به صك يمنع من الإنكار والجحود ومن التَّفصّى والهروب . أليس المراد من القتال فى الآية قتال الكفار والمشركين وهو عين الجهاد فى سبيل اللّه تعالى ، فلم إذاً لا نقاتل أيها المسلمون مع إخواننا الأفغانيين حتى النصر بهزيمة عدوهم وإخراجه من دارهم التى غزاهم بها وقاتلهم عليها ، وهى تقاتلهم إلى اليوم .

أليس هذا مِنا تركاً لواجب أكيد أوجبه اللّه تعالى وهو الجهاد فى سبيله عز وجل ؟

ألا فهل من توبة ياعباد اللّه ؟ !

وقال تعالى من سورة التوبة : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وأعلموا أن اللّه مع المتقين** ﴾ .

أليس المخاطب فى هذه الآية المحكمة هم المؤمنون كل المؤمنين ما عدا أصحاب الأعذار المذكورين فى قول اللّه تعالى : ﴿ **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج** ﴾ . أليس الذين يلوننا هم الروس إذ حدودنا فى بلاد الأفغان متاخمة لهم وبلاد الأفغان بلاد إسلام قطعاً .

فلم إذاً لا نقاتل الروس حتى يجلو عن بلاد الأفغان ثم نقاتلهم حتى يدخلوا فى السلم بأى نوع من أنواعه كالدخول فى الإسلام ، أو إعطاء الجزية وقبول الحماية ، وما إلى ذلك .

لم نَخافهم أيها المسلمون واللّه معنا وليس معهم ؟ أم لأننا غير مُتقين ، وهذا حق ، ولكن لم لا نتقى اللّه تعالى حتى نكون أهلاً لمعيته بنصرته وتأييده ؟

ما المانع لنا من تقوى اللّه أيها المسلمون ألم نكن نعرف ما نتقيه فيه ، إن ما نتقى فيه اللّه تعالى هو فعل أوامره وأوامر رسوله ، واجتناب نواهيهما والأخذ بالأسباب الشرعية التى يتوقف عليها الجهاد والانتصار فيه .

ألا فلنتق اللّه ، ولنقاتل أعداء اللّه حتى هزيمتهم والنصر الحاسم عليهم .

وقال تعالى من سورة البقرة : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل اللّه الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن اللّه لا يحب المعتدين** ﴾ .

أليس هذا أمراً بالقتال فى سبيل اللّه لا فى سبيل علو فى الأرض ولا فساد ، فى سبيل اللّه لا فى سبيل الطاغوت ؟

فلم لا نمتثل لأمر اللّه تعالى ونقاتل الذين يقاتلوننا من الروس الحمر والبيض واليهود البيض والسود ؟

أليست هذه الآية نصاً صريحاً فى وجوب قتال كل من يقاتلنا وهاهم أولاء الروس فى الشمال والشرق يقاتلوننا ، واليهود فى الغرب ووسط الدار يقاتلوننا فلم لا نقاتلهم ، وإن قعدت بنا الأسباب فلنعمل على إيجادها وتوفيرها لنا كاملة وننهض بأداء واجب مهم كهذا ألا وهو قتال الذين هم يقاتلوننا الروس البلاشفة « الشيوعيون » فى ديار الأفغان واليهود فى فلسطين .

فلم لا نقاتل فى سبيل اللّه أعداء اللّه بإذن اللّه . أكفراً بعد إيمان أم شك بعد إيقان أيها المسلمون . ! ؟

المحطة الثانية

الترغيب فى الجهاد

ولْنبتدئ تزودنا من هذه المحطة أيها المسلمون بالإصغاء إلى سماع الخبر الإلهى الآتى ، وإنه لخبر عظيم . إنه إعلان عن صفقة تجارية رابحة لم يعرف فى الحياة صفقة تجارية أربح منها قط .

إنها صفقة بين اللّه تعالى رب كل شىء ومليكه وبين عبيده المؤمنين الذين لا يملكون

معه شيئاً قليلاً ولا كثيراً ، إلا أنه ملكهم من فضله . وأعطاهم بمنته ، ثم بايعهم وعقد معهم صفقة رابحة لهم قدم فيها المؤمنون أنفسهم وأموالهم ، أنفساً تموت وأموالاً تفنى ، وقدم الرب تعالى لهم أرواحاً لا تموت وملكاً لا يبلى ألا وهو الجنة دار السلام والنعيم المقيم .

وهذا هو الخير أيها المسلمون فاسمعوه وتأملوه وتفهموه ، واغتنموا فرصة إعلانه فوافقوا على ما جاء فيه واعقدوا صفقتكم وأنجزوا بيعكم وتسلموا ثمنكم إنه الجنة دار المتقين .

قال تعالى من سورة التوبة ﴿ **إن اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل اللّه فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من اللّه فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

والآن أرونى أيها المسلمين عاقلاً لا يرغب فى مثل هذه الصفقة ولا يرضى بها ، ولا يباركها ويفرح بها ؟ وأرونى عاقلاً تتم له هذه الصفقة وهى أكبر نعمة فيسخطها ويطالب بالإقالة منها ؟

إنه لا يوجد بين عُقَلاَءِ المسلمين من لا يمضى هذا البيع الذى تم بينه وبين ربه تعالى . ومن هنا فهذه أرواح المسلمين وأموالهم بين أيديكم فخذوها وجاهدوا بها أقيموا خليفة للّه منكم وتسلموا بضاعتكم أنفساً مؤمنة راضية وأموالاً حلالاً طيبة . فارموا بها فى ميادين الجهاد والاستشهاد .

إن المؤمن أيها المسلمون عاش يحافظ على ماله ونفسه لهذه الساعة السعيدة حيث يعطى السلعة كما باعها صالحة وافية وهى نفسه وماله .

إن المسلم أيها المسلمون من يوم أن باع للّه واشترى اللّه منه وهو يحافظ على نفسه وماله باعتبارهما أمانة عنده متى جاء صاحبها يطلبها يوماً من الدهر سلمها له وافية كاملة غير منقوصة . وقد مضى على المؤمن زمن غير قصير وهو ينتظر الجهاد الحق الجهاد فى سبيل اللّه ليقدم نفسه وماله بضاعته التى اشترى بها الجنة . فانصبوا الخليفة وبايعوا المؤمنين على الجهاد وجاهدوا فى اللّه حق جهاده وليسمع المسلمون هذا النداء أيضاً قال تعالى من سورة الصف : ﴿ **يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم** .

تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

إن هذا الإعلان لا يقل أهمية عن السابق إنه إعلان عن تجارة ربحها النجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، ورأس مالها الإيمان والجهاد .

فَهَلُمَّ أيها المسلمون إلى الأرباح الطائلة . هلموا إلى النجاة من كل مخوف والسلامة من كل مرهوب فى الدنيا والآخرة ، هلموا إلى مغفرة ذنوبكم ومحو آثار السيئة من نفوسكم سيئة ترك الجهاد زمناً طويلاً ، هلموا إلى جنة تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن . هلموا إلى أخرى تحبونها نصر على أعدائكم الروس واليهود وفتح لبيت المقدس قريب .

اسمعوا اسمعوا بقية الإعلان : **﴿ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ﴾ .**

ذلكم كان كلام ربكم ونداءه لكم ووعده الصادق للمؤمنين أمثالكم .

وهاهو ذا رسول الله ﷺ يحدثكم يخبركم ويبشركم فاسمعوا إليه وتفهموا حديثه وتزودوا منه بطاقات إيمانيّة قوية لتواصلوا رحلتكم فى سبيل تحرركم وإنعتاقكم والوصول إلى أسمى غاياتكم ، طرد العدوّين اللّعينَيْن من دياركم الدب الأحمر من أرض الأفغان ، والعدو اليهودى من أرض فلسطين .

روى مسلم فى صحيحه عنه ﷺ قوله : « لروحة أو غدوة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » .

غدوة واحدة يا مسلمون يغدوها المؤمن للجهاد فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها .

الله أكبر ، الله أكبر ما هذا العطاء ، ما هذا الإنعام ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وزدنا ولا تنقصنا ، وانصرنا ولا تنصر علينا . إن غدوة واحدة أو روحة واحدة يغدوها المسلم أو يروحها فى سبيل الله خير من الدنيا بكل ما فيها من مرغوب ومحبوب .

فسبحان اللّه كيف صُرفنا عن هذا الخير ، كيف حرمنا من هذا الفضل ، فهل من توبة يا مسلمون .

ولنستمع إلى رسول اللّه ﷺ وهو يرغب فى الجهاد والاستشهاد معاً فيقول وهو الصادق المصدوق : « وددت أن أغزو فى سبيل اللّه فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل .. » وذلك قطعاً لما يرى من فضل الجهاد والاستشهاد رواه مسلم .

ولنستمع إليه فداه أبى وأمى ﷺ وهو يخبر عن مصير الشهداء ، وكرامتهم عند ربهم فيقول : « أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل معلقة فى ظل العرش » « فى الصحيح » .

فأى خبر أكبر من هذا أيها المسلمون ؟ وأى مطلب للمسلم أسمى وأشرف من هذا المطلب ! ؟ وأى غاية يسعى لها العقلاء أنبل وأشرف من هذه الغاية ؟ ! إنها طلب الحياة بالموت ، وطلب البقاء بالفناء ، وطلب السعادة بالشقاء ! هذا لعمر اللّه تعالى الرشد بعينه ، يعطى أحدنا الموت والفناءَ ، والشقاء فيُعْطَى الحياة والبقاءَ والسعادة هذا هو البيع الرابح ، وهذه هى التجارة المرغوبة المحبوبة يا عباد اللّه فما يصرفكم عن هذا الخير وأنتم عقلاء رشداء ؟! .

وأمر آخر ينبغى أن يعلمه المسلم وهو أن الموت الذى يخشاه الناس فيحرموا الجهاد والاستشهاد فى سبيل اللّه هو كائن حتماً ؟ إذ كل نفس ذائقة الموت لا شك فى هذا كافر ومؤمن . ثم ألم الموت ، ومرارته هما أشد ما يكونان مع غير الشهيد . أما الشهيد فإنه لا يجد من ذلك إلا كما يجد من قرصة بعوضة وهذا الترمذى يروى ويصحح قول الرسول ﷺ : « لا يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة » .

إن شظايا القنابل والقذائف ورصاص البنادق وطلقات المدافع كلها لا يجد منها الشهيد من الألم أكثر مما يجده من قرصة حشرة تقرصه ، ثم تفيض روحه وتعرج إلى الملكوت الأعلى لتعيش سعيدة فى جوار خالقها إلى يوم القيامة حيث يعيد اللّه تعالى الأجساد فتعود كل روح إلى جسدها ؛ لتعظم الحياة وتكمل السعادة لأهلها جعلنا اللّه منهم .

ولنواصل تزودنا أيها المسلم بهذه الطاقات من الهدى النبوى والسنة المحمدية الصحيحة فلنستمع إلى أبى هريرة رضى اللّه عنه وهو يسأل النبى ﷺ فيقول : « أى

العمل أفضل يا رسول اللّه ؟ فيجيبه ﷺ قائلاً إيمان باللّه ورسوله فيقول أبو هريرة : ثم ماذا ؟ فيجيبه الرسول ﷺ قائلاً الجهاد فى سبيل اللّه . فيقول أبو هريرة ثم ماذا ؟ فيقول الرسول ﷺ : حج مبرور » . (متفق عليه) .

وأعظم من هذا وذاك أيها المسلمون مادل عليه قوله ﷺ فى رواية البخارى : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها اللّه للمجاهدين فى سبيل اللّه ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض . فق أمامك أيها المسلم :

مغفرة الذنوب :

وهل مغفرة الذنوب مما يرغب عنه المسلم ؟ اللهم لا ، لا . إن أحب شيء إلى المسلم أن تغفر ذنوبه حتى لا يواجه بها اللّه تعالى يوم لقائه ، وحتى لا تعوقه عن الجوار الكريم فى دار النعيم .

وأى شيء أكثر مغفرة للذنوب ، ومحو الخطايا من الجهاد والاستشهاد فى سبيل اللّه ؟ اللهم لا . ولنستمع إلى مايرويه مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ إذ يقول : « يغفر اللّه تعالى للشهيد كل شيء إلا الدين . فقوله ﷺ كل شيء يشمل كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً حتى قتل النفس ما لم يكن من الدين فإن الدين حق من حقوق العباد لا بد وأن تجرى فيه المحاسبة ويقتص اللّه تعالى للمظلوم من الظالم له .

وأى شيء أحب إلى المسلم من النجاة من النار ، وكيف وطلب النجاة من النار غاية سعى كل مسلم ، وأمل كل عامل فى هذه الحياة . ومع هذا فإن طريق الفوز بهذه الغاية والحصول على هذا الأمل المنشود لأيسر الطرق وأقربها إنه مشى خطوات فقط فى طريق الجهاد والاستشهاد . ولنصغْ إلى البخارى رحمه اللّه تعالى وهو يحدث بما يرويه فى صحيحه عن رسول اللّه ﷺ فيقول : قال رسول اللّه ﷺ : « ما اغبرت قدما عبد فى سبيل اللّه فتمسه النار !! » فق أيها المسلم أمامك :

مضَاعفَة نفقة الجهاد :

إن الجهاد كما يكون بالنفس يكون بالمال لقول اللّه تعالى : ﴿ **إن اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **تؤمنون باللّه ورسوله وتجاهدون فى سبيل اللّه بأموالكم وأنفسكم** ﴾ وقول الرسول ﷺ فى الصحيح « من جهز غازياً فقد غزا ومن خلف غازياً فى أهله بخير فقد غزا » .

ومن هنا كان أجر النفقة فى الجهاد عظيماً لا يقدر قدره ، وحسبه أن يكون موازياً للجهاد بالنفس . والذى يلفت النظر إليه ويرغب فيه هو أن النفقة فى الجهاد تضاعف إلى أضعاف كثيرة أشبه بالخيال وإن كانت حقاً وصدقاً . إن الدرهم يضاعف إلى عشرة إلى مائة إلى سبعمائة إلى مليون درهم كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لـمن يشاء فالحبة والدرهم أو الدينار يضاعف أولاً إلى سبعمائة ثم إلى ألف ألف كما قال ابن عباس ، ألف ألف هو المليون فى عرف الحساب اليوم .

ولنستمع إلى أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وهو يروى لنا حديث مضاعفة النفقة فى الجهاد فيقول : جاء رجل إلى النبى ﷺ بناقة مخطومة ، فقال هذه فى سبيل الله فقال له الرسول ﷺ : لك بها يوم القيامة مائة ناقة كلها مخطومة .

هذا ولولا ضيق الوقت ـ وإخواننا فى خطوط النار فى الأفغان وفلسطين ينتظرون مددنا وعوننا لتخفيف حملات العدو عليهم لاستمعنا إلى كثير من أحاديث الرسول ﷺ الآمرة بالجهاد والإستشهاد والمرغبة فيهما وفى النفقة فيهما ، ومن أجلهما ولكن حسبنا ما أخذناه وتزودنا به من هذه المحطة الثانية . وإلى المحطة الثالثة والأخيرة حيث نكون على مقربة من ساحة الجهاد والاستشهاد فنتزود منها بما يكفينا لخوض المعركة الفاصلة مع أعداء الإسلام وخصوم التوحيد شرار الخلق من الروس العنيدين واليهود الملعونين .

المحطة الثالثة

الترهيب من ترك الجهاد

إن ترك الجهاد وهو فريضة الله تعالى على المسلمين معناه التعرض لسخط الله تعالى أولاً ، ثم لعقابه وعقوبته ثانياً . فلذا كان ترك الجهاد بمثابة الإلقاء بالنفس فى التهلكة إنه متى تركت أمة الإسلام الجهاد كأنها قد ألقت بيدها إلى التهلكة قال تعالى فى سورة البقرة : **﴿ وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾** .

قالت الأنصار : تحدثنا وقلنا لقد نصر الله رسوله وأعز دينه فلنعد إلى حقولنا ومزارعنا نصلحها فنزلت هذه الآية فينا : **﴿ وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى**

التهلكة ﴾ ، وذلك لأن ترك الجهاد فى سبيل اللّه وترك الإعداد له يُغرى العدو بغزو بلاد المسلمين وقتالهم وقتلهم والتسلط عليهم وذلك عين الهلاك والتهلكة والعياذ باللّه تعالى .

ولتستمع إلى رسول اللّه ﷺ وهو يقول : « من لم يغز أو يجهز غازياً ، أو يخلف غازياً فى أهله بخير أصابه اللّه بقارعة قبل يوم القيامة . إذا كان هذا الوعيد فى حق الفرد المسلم إذا لم يغز بنفسه ولا بماله يصاب لا محالة بمصيبة تنزل به كقارعة تدمره فكيف بأمة الإسلام إذا هى أعرضت عن أمر اللّه تعالى وتركت الجهاد فى سبيله ؟ ألم تكن عرضة للقوارع والفتن والمحن ؟ بلى وصدق رسول اللّه ﷺ ؛ فإنه من يوم أن ترك المسلمون الغزو فى سبيل اللّه وأمرهم إلى نقص حتّى ذلوا وأهينوا وأصبحوا عرضة لاحتلال بلادهم والتحكم فيهم والسيطرة عليهم ، وما أيام الإستعمار عنا ببعيدة !!

أيها المسلمون إن رسول الله ﷺ يقول : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » . (رواه مسلم) .

أليس معنى هذا الحديث أن ترك الجهاد فى سبيل اللّه كبيرة من كبائر الذنوب ؟ بلى لأن النفاق من الكفر ، والكفر غير الإيمان ، ومن مات على شعبة من النفاق مات على شيء من الكفر والعياذ باللّه تعالى فترك الجهاد يعرض للكفر . والكفر يعرض للشقاء فى الدنيا والآخرة فالنجاة كل النجاة إذاً فى الجهاد فى سبيل اللّه .

ألا فجاهدوا أيها المسلمون لتنجوا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . وتأملوا قول الرسول ﷺ الآتى وما يحمله من وعيد شديد يحيل النعيم إلى جحيم ، روى الطبرانى بسند حسن قول الرسول ﷺ : « ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم اللّه بالعذاب » .

ومثل هذا الخبر قوله ﷺ فى رواية أبى داود : « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط اللّه عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » . ومعنى هذا أن ترك الجهاد ترك للدين كله ، وذلك لـما يسببه ترك الجهاد من تسلط الأعداء على المسلمين والتحكم فيهم حتى يكفروا البعض ، ويهينوا ويُذلوا البعض حتى يتركوا دينهم ويتخلّوا عنه .

وصدق رسول اللّه ﷺ فقد حل بأمة الإسلام الذل الكبير عندما استعمرت بلادها من أندونيسيا شرقاً إلى المغرب الأقصى غرباً ، وما زال هذا الذل المتوعد به قائماً بالمسلمين ولا يرفع إلا بعد الرجوع إلى الإسلام الحق بتطبيق شرائعه والنهوض بواجباته ومن أعظمها

الجهاد فى سبيل الله ؟ إذ هو ذروة سنام الإسلام كما جاء ذلك فى الحديث الصحيح .

ومن مظاهر الذل القائم بالمسلمين لتركهم الجهاد فى سبيل الله تسلط حفنة من اليهود المغضوب عليهم شذاذ الآفاق على ألف مليون مسلم وانتزاع قدسهم وتشريد سكانه منهم واحتلال كل أرضهم المجاورة له والمحيطة به . ولن يعود القدس الشريف ولا أرض فلسطين أبداً حتى يرجع المسلمون إلى دينهم ويرفعوا راية الجهاد عالية خفاقة بينهم ويغزوا بسم الله أعداء الله . فالعودة العودة أيها المسلمون إلى دينكم فإنه مفتاح دار سعادتكم كما هو طريق خلاصكم ونجاتكم فأقيموا حدوده ، وانهضوا بواجباته وفرائضه ، وطبقوا شرائعه . أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، وانهو عن المنكر ، تحلو بآداب الإسلام ، وتخلقوا بأخلاقه ، وارتفعوا إلى مستواكم اللائق بكم ، ولا تظلوا هابطين تجرون اء الماديين إنهم لا يزيدونكم إلا ذلاً وصغاراً وعاراً وشناراً .

أيها المسلمون إن الجهاد ذروة سنام الإسلام وإن تركه ترك لقمة الإسلام ومجد المسلمين ، وإن من أخذت منه القمة نزل إلى أسفل ومن نزل إلى أسفل ضاع منه كل عال وغال ! .

أيها المسلمون إن شأن الجهاد عظيم قدره ولا يحاط بعظمته وفضله انظروا كيف جعل الرسول ﷺ نسيان الرماية بعد تعلمها ذنباً من الذنوب التى يؤاخذ عليها فاعلها فى الدنيا والآخرة فقد روى مسلم فى صحيحه قول الرسول ﷺ : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا ، أو فقد عصى » وكون ناسِي الرمى ـ وهو فن من فنون الحرب ـ بعد تعلمه وحذقه عاصياً لله ورسوله ليس بأهون من كونه خارجاً عن جماعة المسلمين بعيداً عنهم ما هم منه ولا هو منهم .

هذا مجرد نسيان الرماية بعد تعلمها أيها المسلمون فكيف إذاً بترك الجهاد بالكلية .

ألا فهل من توبة أيها المسلمون !

ألا فهل من رجعة صادقة أيها المسلمون ! وذلك حتى نحرر الدار ونمسح العار ، ونسترد المجد السليب ، ونضع الجزية ونكسر الصليب ، ونقيم العدل فى الأرض ، ونشيع فيه الطهر والصفاء .

إن ترك الجهاد موصد الباب ـ أيها المسلمون ـ معناه الرضا بالذل والهون والدون ، وبتوقع نزول القوارع والكوارث ، وحلول المصائب والنوائب . إن قول الرسول ﷺ

الآنف الذكر : « من لم يغز أو يجهز غازياً ، أو يخلف غازياً فى أهله بخير أصابه اللّه بقارعة قبل يوم القيامة » ، يجب أن لا يغيب معناه عن الأذهان أبداً ، وإلا مازلنا نتعرض لقوارع أعظم ، وبلايا ورزايا أشد !! .

ألا فلنهب أيها المسلمون من هذا النوم الطويل الذى استغرق مئات السنين !! .

الآن وبعد النزول

نواصل ـ أيها المسلمون ـ رحلتنا فى سبيل نجاتنا بعد التزود الكبير الذى تم لنا فى المحطات الثلاث السابقة حيث عظم إيماننا بأن نجاة هذه الأمة ، وسلامة بقائها منوطان بنفخ روح الجهاد فيها ، وبعثها تقاتل فى سبيل اللّه إعلاءً لكلمة اللّه ونشراً لراية العدل بين الخلق ، بعد تطهير للأرض من الظلم والشرك والشر والفساد والسبيل إلى ذلك هو اغتنام هذه الفرصة الذهبية التى أتاحها اللّه تعالى لأمة الإسلام ، فى هذه الأيام . وهى جهاد شعب الأفغان المسلم وقتاله الذى دام ست سنوات ، وانتصر فيه على أكبر قوى الشر والظلم فى العالم فكسر أنف الجبروت الروسى ، ومرَّغ كبرياءه فى التراب .

وماذاك إلا لأن اللّه تعالى أراد أن يهب أمة الإسلام فرصة للنجاة والخلاص والتحرر والتحرير فى وقت هى آيسة فيه من مثل ذلك .

فهيا بنا أيها المسلمون هبوا إلى الجهاد والاستشهاد . هبوا إلى استرداد مجدكم ، وانتزاع قيادتكم ، ثم قودوا البشرية جمعاء إلى حيث نجاتها وسعادتها فإنه ليس للبشرية فى دنياها سواكم ؛ إذ أنتم الأمة التى اجتباها اللّه تعالى لهداية الخلق واصطفاها لحمل رسالة العدل والرحمة والخير لأهل الأرض واقرأوا قول اللّه تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ واقرأوا قوله عز جاره وجل جلاله : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّه** ﴾ .

فهيا أيها المسلمون هبوا هبوا فإن الفرصة سانحة والساعة مواتية هذا وإن قلتم يا داعى الحق إنك تأمرنا بالجهاد والاستشهاد كأنك لم تعرف الأغلال التى فى أعناقنا والأكبال التى فى أرجلنا ، وإلا فكيف تأمرنا بالجهاد والقتال : وجهاد من ؟ وقتال من ؟ إنه قتال وجهاد

الروس الدب الأحمر الذى أقض مضاجع أوروبا ودوخ بتصريحاته أمريكا !! .

إن جوابى إليكم هو أنى أعلم ماذكرتم علماً يقينياً غير أنى أدعوكم إلى خطة رشد لا تحتاجون معها إلى كسر الأغلال ، ولا إلى فك الأكبال .

إنها إعطاء القليل وتسلم الكثير إن ما تدعون إلى بذله فى هذه اللحظة لا يساوى معشار ما تجنونه منها من أرباح وتستغلونه منها من خيرات وبركات وإليكموها فى سهولتها ويسرها وبيانها ووضوحها .

إنها الاستجابة لنداء المجاهدين المسجل تحت عنوان ماذا يريد الأفغان منا ؟ والذى جاء فى نشرة وزعت من قبلهم وهذا نصه :

ماذا يريد الأفغان منا ؟

- يريدون ثمن الخبز فقط فإذا كان المجاهد يأكل خبزاً بنصف ريال يومياً فهذا يعنى أن نصف مليون مسلح فى أفغانستان يحتاجون ماءتين وخمسين ألف ريال يومياً .. ففى الشهر سبعة ملايين ونصف مليون ريال يعنى حوالى مليونين من الدولارات شهرياً . فهل يقدم المسلمون هذا المبلغ ؟

- يريدون الدعاة المحتسبين الذين ينفرون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

- يريدون الأطباء المختصين المحسنين الذين ينفرون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

- يريدون الخبراء والمختصين فى المجالات الحربية والهندسية والتخطيط .

- يريدون المجاهدين الذين يقهرون العوائق ويعيشون بين صفوة الخلائق .

- يريدون الصحفى المسلم والكاتب المسلم .

- يريدون اللسان الصادق الذى يتحدث باسمهم ويتحرق لآلامهم .

- يريدون المحسن المسلم الذى وقى شح نفسه يفتح لهم يده ويشرح لهم صدره ويبذل لهم ثمن الحمار الذى يقلهم إلى أفغانستان ، وثمن الموتور الذى ينجون عليه بعد عملياتهم ، ويبذل لهم السيارة التى تنقلهم المسافات الشاسعة .

- يريدون العقول الناضجة وأصحاب الخبرة ليشيروا عليهم كيف يتجاوزون محنتهم الضخمة ، ويعينونهم على حمل تبعتهم الثقيلة ترى فهل يستيقظ المسلمون قبل

فوات الأوان ؟ أم ينتظرون حتى يبتلعها التنين كما ابتلع غيرها من بلاد الإسلام .

- ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير** ﴾[1] .

هذا مطلب الأفغانيين قدموه لأمة الإسلام .

(١) سورة التوبة آية : ٣٩ .

خاتمـــة

وخاتمة القول هى :

أولاً : أن يعلم كل مسلم أن الجهاد فريضة اللّه تعالى على عباده المؤمنين وأنه مكتوب عليهم لا يغيّر وجوبَه ولا يمحوه أحد . وأنه لازم لحياة المسلمين لا ينفك عنها بحال إلى أن ينتهوا به إلى غايته التى من أجلها فرضه اللّه تعالى وهى : أن لا تكون فى الأرض فتنة ، ويكون الدين كله للّه . وهذه الغاية للجهاد قد حددها اللّه تعالى بقوله من سورة الأنفال : **﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتـنة ويكون الدين كله للّه ﴾** .

ثانياً : أن يعلم كل مسلم أن الأمراض الاجتماعية التى يعانى منها المجتمع الإسلامى هى نتيجة حتمية لترك الجهاد فى سبيل اللّه ، والتخلى عن القيام بواجباته من جمع كلمة المسلمين على الحق ، وتوحيد صفوفهم ، وإعداد العدد ، وصنع العتاد الحربى بجميع أنواعه ، والتمرن عليه وحذق استعماله .

ثالثاً : أن يعلم كل مسلم مسئول ، وما فى المسلمين غير مسئول أن اللّه تعالى قد أتاح لأمة الإسلام اليوم أكبر فرصة ذهبية لتغتنمها فتحرر وتعز وتسود وتقود إنها فرصة انتصار مجموعة من الـمسلمين لا يؤبه لهم ، ولا يُلتفت إليهم انتصارهم على أكبر قوى الشر فى العالم الدب الأحمر ، وليس فى معركة واحدة بل فى معارك دام زمنها ست سنوات وزيادة ألا فليغتنم الـمسلمون هذه الفرصة .

رابعاً : أن يعلم كل مسلم أن الطريقة التى تضمنها هذا البيان فى هذه الرسالة لكبيرة المعنى غزيرة الفائدة ، قليلة التكاليف ، سهلة التناول ، لا تؤثر على أوضاع أى من البلاد الإسلامية بغير البركة والخير ، ولا تعرضهم لأدنى هزة قد تؤثر على حياتهم الاقتصادية أو السياسية ، إلا أنها ستكسبهم بإذن اللّه تعالى عزاً لا يرام وكرامة لا تُهان وشرفاً لا يُحط بحال ! .

ألا فاتقوا اللّه أيها المسلمون وأسرعوا فى تحقيق هذا العمل الإسلامى وأنجزوه فى أقرب الساعات ، ولا تلتفتوا إلى كل من رام التخذيل ، أو أراد التعويق من شياطين الجن

والإنس ، فاستعيذوا بالله منهم ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين .

خامساً : أن يعلم كل المسلمين أنهم مسئولون بين يدى الله تعالى غداً يوم القيامة عن تقصيرهم وتفريطهم فى أداء فريضة الجهاد فى سبيل الله تعالى . وأنهم متى قاموا اليوم بهذا العمل الذى دعوا إليه يكونون قد قضوا واجبهم وأبرأوا ذمتهم ، وهل شيء أحب وخير للمؤمن من قضاء واجب وأداء فريضة ، لا سيما أن هذا العمل المبارك له عواقب حميدة وآثار طيّبة تعود على كل مسلم ومسلمة فى هذه الحياة وفى الآخرة .

إن أى جهد يبذل فى هذا السبيل هو قليل بالنظر إلى النتائج الطيبة والمردود العظيم .

وأخيراً : أيها المسلمون إن أمتكم الإسلامية واقفة اليوم فى مفترق الطرق حَيْرَى تتجاذبها تيارات عالمية شريرة قاسية تريد إفناءها والقضاء عليها بعد ما مزقها وفرقت شملها ، إنها تلتفت يميناً وشمالاً باكية تتطلع إلى يد كريمة تمتد إليها تقطع حيرتها وتهديها سواء السبيل فتنجو مما يراد لها من خسار ودمار !! .

أيها المسلمون إنه بعد التفكير الطويل قد هدانا الله تعالىٰ إلى معرفة سبيل نجاة هذه الأمة وخلاصها من محنتها وهدايتها من حيرتها ألا وهو هذا العمل المعروض عليكم اليوم وهو الجهاد فى سبيل الله تعالى . وهذا مصداق قول الرسول ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » . إن القيام بواجب الجهاد بعد تركه هو مراجعة الدين التى يرفع الله تعالى بها الذل الذى أصاب أمة الإسلام .

والله معكم ولن يتركم أعمالكم ، والسلام عليكم ما جاهدتم وانتصرتم .

من أخيكم الناصح لكم

أبو بكر جابر الجزائرى

فى ٢٣ / ٩ / ١٤٠٥ هـ

إلى العلــم

يافتاة الإسلام

إلى العلم
يا فتاة الإسلام

العلم نور والعقول بصائر ، ومن دخل الحياة بهما نجا من المرهوب دنيا وأخرى ،
وفاز بالمرغوب المحبوب فيهما معاً ، وتلك بغية الطالبين ،
ومنتهى آمال الآملين .

تَأليف
أبى بكْر جابر الجزائرى
الواعظ والمدرس بالمسجد النبوى الشريف
المدينة المنورة فى ٢٠ / ١٢ / ١٤٠٩ هـ

مقدمة

الحمد للّه الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ، والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالرحمة والمُعَلَّمْ الكتاب والحكمة ، وعلى آله العالمين ، وصحابته الهداة المهديين .

وبعد فهذه رسالة موجهة إلى كل فتاة مسلمة فى هذه الحياة ، القصد منها إنارة الطريق أمام فتاة الإسلام لتطلب العلم النافع الذى تسمو به وتكمل ، وتطهر وتسعد ، وفى الدارين معاً . حقَّق اللّه تعالى لنا ولها ذلك إنه قدير وبالإجابة جدير ، وإلى مسائل الرسالة مسألة بعد أخرى واللّه المستعان وعليه وحده التكلان .

فضل العلم

كلمة العلمِ تشملُ معرفةَ كلّ مجهول للإنسان مما هو نافع أو ضار ، فَلذَا ما كان مِنَ العلوم ضاراً كان تعلمه حراماً يأثم من طلبه حصل عليه أو لم يحصل عليه ، وما كان من العلوم نافعاً فهو واجب الطلب والتعلّم ، أو مندوبُ إليه مرغّب فيه ، وليس تركه بمعصية للّه عز وجل ، ولا لرسوله ﷺ .

والواجب قسمان :

واجب كفائى كالطبّ والصناعة وعلم الفلك والهيئة وما إلى ذلك مما يجب أن يوجد فى الأمة المسلمة من يحسنه ويتفوق فيه على أمم الكفر فى العالم .

وواجب عينى لا يسع المؤمن ولا المؤمنة تركه بحال من الأحوال وذلك كمعرفة اللّه تعالى بأسمائه وصفاته ، ومعرفة ما يحب وما يكره من الاعتقادات والأقوال والأفعال والصفات والذوات . وهذا العلم هو المفروض على كل مؤمن ومؤمنة فرضاً عينياً ، وهو العلم الوارد فى بيان فضله من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما كان به أشرف مطلوب وأفضل مرغوب محبوب ، ومن ذلك قوله تعالى فى تأديب رسوله ﷺ : ﴿ **وقل ربّى زدنى علماً** ﴾ (١) . حيث أمره بطلب الزيادة من العلم ، فدل هذا على أن العلم أشرف مطلوب . وقوله تعالى : ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثوابُ اللّه خير لمن آمن وعمل صالحاً** ﴾ (٢) قال هذا فى معرض الرد على أهل الجهل والتعلق بالدنيا فكان ثناء عاطِراً على أهل العلم والزهد فى الدنيا . وقال تعالى : ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب اللّه إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم لا تعلمون** ﴾ (٣) .

وفى هذا السياق ذم للجهل وأهله وإشادة بالعلم وأهله ، إذ رد قول الجهلة : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، وأقر قول العلماء وأثبته ﴿ **لقد لبثتم فى كتاب اللّه إلى يوم البعث** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ (٤) فأخبر تعالى أن ما

---

(١) من سورة طه . (٢) من سورة القصص .
(٣) من سورة الروم . (٤) من سورة العنكبوت .

يضربه من أمثال لهداية الناس تنبو عنه عقول ذوى الجهل فلا تفهمه ، وتعيه عقول العلماء وتفهمه وتنتفع به . وكفى بهذا ثناءً على العلم وأهله . وقوله تعالى : ﴿ **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ (١) إذ نفى تعالى استواء أهل الجهل بأهل العلم فى الفهم والإدراك والكمال والشرف . وقوله تعالى : ﴿ **يرفع اللّه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ (٢) فَقَد عمَّ تعالى فى هذه الآية وخصَّ ، عمَّ بالرفعة أهل الإيمان وخصَّ أهل العلم بالدرجات العلى فكان ذلك ثناءً عاطراً وإشادة ظاهرة كبيرة بالعلم الشرعى وأهله العاملين به جعلنا اللّه منهم بمنه وفضله ورحمته اللهم آمين .

وقال رسول اللّه ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٣) . والمسلمة شملها الخطاب قطعاً ، والمراد من العلم هنا العلم الضرورى الذى لا يسع المؤمن تركه وهو العلم باللّه وبمَحَابِّه وبِمساخِطه ، وكيفيات أداء المحبوب واجتناب المكروه . وقال ﷺ : « إنما العلم بالتعلم ، ومن يرد اللّه به خيراً يُفَقِّهْه فى الدين » (٤) فإرشاده ﷺ إلى طريق الحصول على العلم دال على أفضليته . وكون اللّه تعالى يريد الخير بمن يُفَقِّهه فى الدين أى يعلمه أسرار دينه وحكم شرعه دالٌّ دلالة واضحة على أفضلية العلم الشرعىّ .

إن ما ورد من الأحاديث الصحاح والحسان فى فضل العلم شىء كثير وحسبنا ما ذكرنا ، وما نختم به هذه الجملة من الأحاديث هو قوله ﷺ : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك اللّه به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما وَرَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

الواجب من العلم والمندوب

إن ما تقدم فى بيان فضل العلم يتناول العلم الواجب بقسميه العينى والكفائى والمندوب إليه أيضاً إلا أن الأجر والمثوبة على تعلم ما هو واجب أعظم بلا شك من أجر ومثوبة تعلم ما هو مندوب إليه غير واجب ، وذلك لفضل الفرض على النفل كما هو

(١) من سورة الزمر .
(٢) من سورة المجادلة .
(٣) رواه ابن عبد البر من عدة طرق وصححه .
(٤) رواه البخارى .

معلوم من الشريعة بالضرورة ، ويكفى فى ذلك دليلاً قوله تعالى فى الحديث الصحيح « وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحبَّ إلى مما افترضتُه عليه » . الحديث . ومع سبق الإشارة إلى بيان العلم الواجب العينى والكفائى فإنا نذكر جملة كافية فى كل من العلمين لتكون الفتاة المسلمة على علم تام بذلك .

العلم الواجب العينى :

من العلم الواجب العينى أى المتعيّن على كل فرد بعينه معرفتهُ والحصولُ عليه بأية طريقة أو وسيلة من الطرق والوسائل المشروعة لذلك ، كسؤال أهل العلم أو التعلم على أيديهم بواسطة الرواية أو الدراسة . أقول : إن من العلم الواجب على كل مسلم ومسلمة معرفته : معرفة اللّه تعالى بأسمائه وصفاته ، وما هو واجبٌ له من الجلال والكمال ، وما هو مُنَزَّهٌ عنه من العيوب والنقصان . وإن كل كمال للّه قد تضمنته أسماؤه وصفاته ، ونزلت به آياته . وبيَّنه رسله وأنبياؤه ، كما أن كل عيب أو نقص دلت على نفيه أسماؤه وصفاته ونَطَقَتْ به آياتُه وبينه رسلهُ وأنبياؤه .

فمن أسمائه تعالى « اللّه » وهو اسم سمّى به تعالى نفسه ولم يسمه به غيرُه إذ كان ولم يكن معه شىء سواه . إنه لما ناجى سبحانه وتعالى عبده ورسوله موسى قال له : ﴿ **إننى أنا اللّه لا إله إلا أنا فاعبدنى** ﴾ طه ١٤ .

ومعنى اللّه : أنه ذو الألوهية أى العبادة التى هى الطاعة الناشئة عن تحير القلب فى عظمة المطاع وجلاله المستلزمة للذلة له والخضوع مع حبه وتعظيمه غاية الحب والتعظيم ، إذ يُقال : ألهه يألَهُهُ إلهةً وألوهةً وألوهيَّةً إذا عبده ، وألِهَ يَأْلَهُ إذا تحيَّر ، وألِهَ إليه فَزِعَ ولاَذَ .

ومن أسمائه تعالى : الأحد ، قال تعالى : ﴿ **قل هو اللّه أحد** ﴾ . ومعناه أنه أحد فى ذاته وصفاته وأفعاله فلا ثانى له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ولا شبيه له فى ذلك ولا نظير . كما قال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** ﴾ . الشورى ١١ .

ومن أسمائه تعالى : الصمد ، قال تعالى : ﴿ **قل هو اللّه أحد * اللّه الصمد** ﴾ . والصمد هو المستغنى عن كل ما سواه ، المفتقر إليه كل ما عداه ، إذ هو تعالى غنى لا يفتقر إلى شىء من الكائنات ، إذ كان ولم يكن شىء قبله ولا معه ، ثم كَوَّنَ الكائنات فهى مفتقرة إليه فى إيجادها وتدبيرها وبقائها .

ومن أسمائه تعالى : الرّب ، أى الخالق لكل شىء ، المالك لكل شىء ، القاهر لكل شىء ، المعبود فى السماء ، المعبود فى الأرض ، لا معبود بحق سواه .

وبالجملة فأسماؤه الحسنى مثبتة (١) له الكمال المطلق نافية عنه ما يضاده من كل نقص أو عيب ، فاسمه القادر مثبت له القدرة على كل شىء ناف عنه العجز مطلقاً ، واسمه العليم مثبت له العلم ناف عنه الجهل ، واسمه السميع مثبت له السمع ناف عنه ضده وهو الصمم ، واسمه الحكيم مثبت له الحكم على كل شىء ، والحكمة فى كل أمره نافٍ عنه ضدها وهو الجهل بالعواقب وعدم السداد والإصابة فى أموره كلها واسمه الحى أى ذو الحياة وواهبها لكل حى فهذا الاسم مثبت له الحياة ناف عنه ضدها وهو الممات .

ومن العلم الواجب العينى :

معرفة أركان الإيمان وهى الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والقدر خيره وشره ومعرفة الإسلام وقواعده . فالإسلام هو الانقياد للّه تعالى بالطاعة بفعل الواجبات وترك المنهيات بعد الخلوص من الشرك فى الاعتقاد والقول والعمل ، وقواعده خمسة وهى شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلا ، ومعرفة الإحسان وهو مراقبة اللّه تعالى عند القيام بالطاعة فعلاً أو تركاً كأنه ينظر إلى اللّه تعالى أو أن اللّه ينظر إليه فيحمله ذلك على إحسان العبادة بالإخلاص فيها للّه وحده ، وأدائها على الوجه الذى شرعت عليه بلا زيادة ، ولا نقصان ، ولا تقديم ولا تأخير حتى تثمر له زكاة نفسه الموجب لفلاحه بالنجاة من النار ودخوله الجنة لقوله تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكَّاها * وقد خاب من دسَّاها** ﴾ . الشمس ٩ ــ ١٠ .

ومن العلم الواجب العينى :

معرفة الطهارة من وضوء ونواقضه ، وَغُسْل وموجباته ، وتيمم عند فقد الماء أو العجز عن استعماله ومعرفة أنواع النجاسات من بول ومذى وعذرة ودم ونحوها .

ومن العلم الواجب العينى :

معرفة الصلاة فرضها ونفلها وكيفية أدائها بعد معرفة شروطها وأركانها وواجباتها وسننها ومعرفة مبطلاتها .

---

(١) الإثبات بدلالة المطابقة والنفى بدلالة الالتزام .

ومن العلم الواجب العينى :

معرفة ما تجب فيه الزكاة ومعرفة شروطها ومقاديرها ومصارفها عندما يملك المسلم ما يزكى من المال صامتاً كان أو ناطقاً من مواش وزروع وذهب وفضة وعُمَلٍ تقوم مقامها .

ومن العلم الواجب الغينى :

معرفة الصوم فرضه ونفله وأركانه وسننه ومبطلاته .

ومن العلم الواجب العينى :

معرفة الحج والعمرة فرضهما ونفلهما ومعرفة أركانهما وواجباتهما وسننهما ومفسداتهما ، وكيفية أدائهما أداءً يوافق أداء رسول اللّه ﷺ لهما إذ قال : « حُجُّوا كما رأيتمونى أحج » .

ومن العلم الواجب العينى :

العلم بالحقوق العشرة . وهى حق اللّه تعالى وذلك بعبادته تعالى والإخلاص له فيها فلا تُشْرِكُ فى عبادته أحداً ، وحق الوالدين وهو طاعتهما فى المعروف وإيصال الإحسانَ بهما ، وكف الأذى عنهما ، وحق ذوى القربى وهو صلتهم والإحسان إليهم وكف الأذى عنهم ، وحق اليتامى وهو صيانة ما لهم والإحسان إليهم بإطعام جائعهم وكسوة عاريهم ، والهش فى وجوههم وإلاَنةِ القول لهم والعطف عليهم والرحمة بهم ، وحق المساكين بإطعام جائعهم وكسوة عاريهم والتواضع لهم وإلاَنةِ القول لهم ، وحق الجيران بكف الأذى عنهم وإسداء المعروف إليهم ، وحق الصاحب بالجنب كالزوج والزوجة والصديق والرفيق والتلميذ فهؤلاء حقهم الإحسان إليهم والتلطف فى معاملتهم ، وحق ابن السبيل وهو إرشاده إن ضَلَّ ، وإيواؤه إن قَلَّ [1] وحمله إن كلّ ، وحفظ ماله وجسمه ودينه ما دام فى ديارك بينك وبين إخوانك .

ومن العلم الواجب العينى :

معرفة حقوق المسلمين عامة وهى إكرامهم والتعاون معهم ، وموالاتهم ، وحرمة دمائهم وأعراضهم ، وأموالهم . لقول الرسول ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » .

---

(١) قَلَّ : أى قل ماله . وكَلّ : أى عيى وعجز عن المشى .

ومن العلم الواجب العينى :

معرفة ما حرم الله من المطاعم كالميتة والدم ولحم الخنزير وما ذُبح لغير اللّه ، والمشارب كالخمر وسائر المسكرات ، والملابس كالذهب والحرير للرجال ، والمناكح كالمحارم والزنى واللواط والسحاق والاستمناء باليد ونكاح المتعة ، والأقوال كالكذب والغيبة والنميمة ، وخلف الوعد ونكث العهد وخَوْن الأمانة (١) والفجور فى الخصومة وما إلى هذا مما حرم اللّه ورسوله من الأقوال والأفعال .

العلم الواجب الكفائى

المراد من العلم الواجب الكفائى العلوم التى يجب أن يوجد فى الأمة من يعلمها ويحسنها ويقدر على تعليمها ونشرها بين أفراد الأمة فإن وجد من يقوم بهذا الواجب على الوجه المطلوب سقط الواجب عن الأمة وبرئت ذمتها من الإثم وإن لم يوجد فالأمة آثمة ، ولا يبرأ من الإثم إلا غير المكلفين منها كالصبيان والمجانين ، ومن هذه العلوم الكفائية ما هو دينىّ ومنها ما هو دنيوى يؤول أمره إلى الدين حيث يتقرب به إلى اللّه تعالى ويثاب فاعله إن نوى به ذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر العلوم الآتية :

١ ـ علوم الآلة كالقراءة والكتابة واللغة والنحو والصرف وفنون البلاغة .

٢ ـ التفسير وعلومه .

٣ ـ الفقه وأصوله .

٤ ـ المواريث والحساب .

٥ ـ التاريخ العام والخاص .

هذه تعتبر من العلوم الدينية البحتة ، ومن العلوم الدنيوية ما يلى :

١ ـ الطب العام والخاص .

٢ ـ الصناعة على اختلافها وفى جميع ميادينها بلا استثناء إلا ما كان محرماً صنعه وإنتاجه لفساده وضرره كآلات القمار وآلات اللهو ، والطرب .

---

(١) خون الأمانة : خيانتها يقال خان خوناً وخيانة .

٣ ـ الفلك والهيئة والكَوْنِيَّات عامة .

٤ ـ اللغات الحية ذات الأثر فى حياة الأمة عامة .

٥ ـ الهندسة وفن الإنشاء والتعمير .

٦ ـ الفلاحة من غراسة وزراعة وتصبير وتوريد وتصدير .

هذا وهناك علوم محرمة لا يحل طلبها وتحرم معرفتها وهى :

١ ـ السحر والشعوذة والدجل .

٢ ـ الكهانة .

٣ ـ التنجيم .

٤ ـ الموسيقى والرقص والأغانى .

٥ ـ صناعة الخمر وسائر المسكرات .

ما يُباح تعلمه من العلوم

لقد تقدم ما يجب تعلمه من العلوم العينية والكفائية وما يحرم كذلك وأمَّا المباح فهو ما لم يكن واجباً ولا محرماً ، وعليه فالعلوم الكفائية إذا وجد فى الأمة من يحسنها وسقط بذلك الواجب عنها وما أصبحت آثمة كان تعلم تلك العلوم مباحاً لا إثم على من تركه ولا ثواب لمن تعلمه إلا بالنية الخاصة التى ينقلب بها المباح إلى قُربة يثاب فاعلها ويؤجر عليه ويشترط شرعاً لتعاطى المُباح وفعله أن لا يحول دون فعل واجب ، وأن لا يوقع فى حرام ، وإلا انقلب حراماً ووجب تركه وعدم تعاطيه ، وعلى سبيل المثال شاب يسافر إلى بلاد الكفر يطلب علماً مباحاً كالتقنية مثلاً وفى المسلمين من يحسنه ، وطلبه إياه فى ديار الكفر يستلزم ترك واجب كترك صلاة أو صيام أو فعل حرام كشرب الخمر أو تشبه بالكفار فى لباس وعادات مثلاً ، وكفتاة تطلب علماً مباحاً فيترتب عليه كشف وجهها أو النظر إلى الأجانب أو تأخير الصلاة عن وقتها . أو إهمال واجب بيتها مع أمها أو زوجها وأولادها فهذا الطلب للعلم المباح عندما ترتب عليه ترك واجب أو فعل حرام أصبح حراماً لا يحل طلبه ولا تعلمه . وهذا أمر معلوم من شريعة الإسلام بالضرورة فلا حاجة إلى ذكر الأدلة وسوقها فيه ومن ارتاب فليسأل أهل العلم .

العلم وسيلة لا غاية

إن من الجهل الضار جداً عدم التمييز بين الوسيلة والغاية ، وأضر منه أن تنقلب الوسائل غايات والغايات وسائل والعياذ بالله تعالى من ذلك .

ومن هنا وجب بيان الوسائل والغايات وتحديد كل منها . وعلى سبيل المثال نذكر ما يلى : ركوب ما يُركب من فرس أو بغل أو حمار فى الزمن الأول أو طائرة أو سيارة أو قطار أو دراجة فى الزمن الحالى وسيلة ، والوصول إلى المنزل أو محل العمل أو البلد المسافر إليه غاية . هذا مثال ، وآخر ، نسج ثوب أو طهى طعام وسيلة ، وستر العورة أو وقاية الجسم من البرد أو الحر ، وأكل الطعام لدفع غائلة الجوع حفاظاً على الحياة غاية . هذا مثال ، وآخر ، صنع السلاح أو شراؤه وسيلة وحماية الدين والأمة وبلادها غاية ، هذا مثال ، ورابع ، طلب العلم الواجب العينى وسيلة وأداء العبادة التى طلب لها العلم لتؤدى أداء يزكى النفس ويرضى الرب غاية . هذا مثال ، وأخيراً الحياة بكل ما فيها من أسباب وغايات وسيلة ، وعبادة الرب تبارك وتعالى بذكره وشكره غاية .

وعلى ضوء هذه الحقيقة وهى أن من الجهل الضار عدم التمييز بين الوسيلة والغاية وأن أضر من ذلك أن تنقلب عند المرء الوسائل فتصبح غايات فيقتصر المرء على تحصيل الوسيلة غير ملتفت إلى الغاية التى طلبت الوسيلة لها وعلى سبيل المثال : طلب الغذاء وسيلة للإبقاء على الحياة ، وعبادة الله هى الغاية من الحياة فإذا ترك الإنسان العبادة التى هى الغاية من الحياة وقصر تفكيره وكل أعماله على طلب الغذاء والكساء والمأوى والمركب وتكثير المال وتوفيره وادخاره لذلك فقد جعل الوسيلة غاية ، وبذلك تعرض للخسران دنيا وأُخْرى كما هى سنة الله فى كل من خرج عن سنن الحياة التى وضع الله جل جلاله لعباده ليكملوا عليها ويسعدوا فإنه لا يلبث طويلاً حتى يهلك ويشقى دنيا وأخرى .

ومن هنا وجب على طالبة العلم غير الضرورى (١) أن تنظر فيما تطلبه من العلم والمعرفة ، وأنه وسيلة لا غاية . فإن كان يزيد فى إيمانها وحيائها وخشيتها لربها ، ويوفر لها

(١) لأن الضرورى غايته واضحه ومَقْصُودةٌ إذ ليس من المعقول أن يتعلم المرء الغسل ولا يغتسل ولا الصلاة ولا يصلى . ولا الإحسان ولا يُحسن .

عفتها وتقواها لربها ويُقوى عصمتها فى البعد عن معصية اللّه ورسوله طلبته كوسيلة شريفة للظفر بأفضل غاية وأسماها وهى تحقيق العبودية للّه عز وجل وإن كان ما تطلبه من العلم غير الضرورى لا يزيد فى إيمانها وخشيتها لربها ولا يوفر لها حياءً ولا يُعظم لها تقوى، ولا يقيها من معصية اللّه ورسوله فإن طلبه ضَرْبٌ من العبث الذى تُنَزِهُ عنه المسلمة نفسها ولا ترضاه مطلباً مشروعاً تجرى وراءه لتظفر به وتصل إلى غايته.

الوسيلة إذا لم تُجْدِ تَعَيَّنَ تركها

إن عامة العقلاء من الناس يفرقون بين الوسيلة والغاية ويعطون كل واحدة منهما حكمها الخاص بها فتعظم الوسيلة بعظم الغاية وتحقر بحقارتها، كما تشرف بشرفها وتدنأُ بدناءتها وقد تقدَّم بيانُ ما يَتَرَتَّبُ من شر وفساد عندما تصبح الوسائل غايات. كما أجمع أهل العلم والحق على أن الوسائل إذا لم تجدِ تَعَيَّنَ تركها وعدم القيام بها، إذ يصبح العمل بها مع تحقق عدم جدواها ضرباً من اللهو والعبث وهما مما يتنزه العقلاء عنهما. وعلى سبيل المثال: فلاح جرب أرضاً له كلما بذر بذرة فيها لم تنبت له شيئاً فإنه يتركها، وتاجر استورد بضاعة فكسدت مرة أو مرتين فإنه يتركها قطعاً ولا لوم ولا عتاب، وهكذا المرء يأمر آخر بفعل أو ترك ما يحسن فعله أو تركه، ويكرر ذلك زمناً ولا استجابة أبداً فإنه يترك أمره أو نهيه لعدم جدوى ذلك، وبهذا تقرر عند أهل العلم هذه القاعدة وهى أن الوسائل إذا لم تُجْدِ لزم تركها تحاشياً من الوقوع فى العبث المنهى عنه شرعاً وعقلاً.

ومن هنا لما كان طلب العلم غير الضرورى وهو وسيلة شريفة وذلك لفضل العلم وشرفه كما تقدم فى أول الرسالة، وجب النظر فى هذه الوسيلة فإن كانت مجدية أى محققة لكمال المرأة المسلمة وسعادتها فى الدارين وذلك بما يحققه لها من إيمان وتقوى واستقامة على منهج الحق المتمثل فى فعل المأمورات الشرعية وترك المنهيات منها جاز استعمالها بل تعين وتأكد، وما بُذِلَ فى تحقيقها من جهد ومال وهو شىء رخيص وذلك لشرف كل من الوسيلة والغاية ونبلهما وما يتحقق بهما للمرأة من سعادة الدارين.

وإن كانت الأخرى ــ والعياذ باللّه تعالى ــ وهى أن تُضَيِّعَ المرأة إيمانها وتقواها وتفقد شرفها وحياءها فتصبح آلة مسخرة لوظيفةٍ ما تجنيه منها تنفق جُلَّهُ فى المكياج والمساحيق لتتجمل لرفقاء العمل أو لمن تمر بهم وهى غادية رائحة صباح مساء. فإن كلاً من هذه

الوسيلة التى هى العلم وتلك الغاية التى هى الوظيفة لا يجوز شرعاً طلبها ولا يحل تحصيلها لما أفقدت المرأة المسلمة من كمالها وسعادتها فى الدارين معاً ، وهى ما تطلب المرأة المسلمة بإيمانها وإسلامها وإحسانها حقق الله لها ذلك آمين .

شرف الوسائل بشرف المقاصد

إذا كانت الوسائل تعطى أحكام الغايات شرعاً فما يتوصل به إلى أداء واجب فهو واجب وما يتوصل به إلى حرام فهو حرام فإن طلب العلم يُنْظَرُ فيه إلى ما يتحقق به فإن كان خيراً كان الطلب خيراً ، وإن كان شراً كان الطلب شراً ومع خيرية المطلوب يخف ثقل الطلب ، وتهون مشقته ، والعكس بالعكس فمع شرية المطلوب يثقل الطلب وتعظم مشقته ، وهذا أمر معلوم للعقلاء والتجارب فيه شاهدة عليه والفطر قاضية به ، ولذا إن كان طلب العلم لمقاصد شريفة وأهداف نبيلة كحماية الأديان وصيانة الأعراض والفوز بالجنان فى جوار الرحمن فإن ما يبذل فى تحصيل علم يحقق لصاحبه أغلى مطلوب وأسمى محبوب مرغوب هو رخيص وإن غلا ، ودانٍ وإن علا ، ومن الأقوال المأثورة : من عرف ما قصد هان عليه ما وجد ، ومن يخطب الحسناء فلا يغلبه المهر . وشرف الوسائل بشرف المقاصد .

لذا أكرر القول وإنى ناصح أمين لفتاة الإسلام أن لا تقدم على طلب العلم الزائد على الحاجة وهو ما كان فوق الضرورى حتى تنظر بجدِّية تامة فى الهدف الذى تريد الوصول إليه .

العاقل من اعتبر بغيره

قال تعالى : ﴿ **فاعتبروا يا أولى الألباب** ﴾ (١) وقال : ﴿ **إنَّ فى ذلك لعبرة لمن يخشى** ﴾ (٢) .

ففى الآية الأولى ذكر تعالى ما حل بيهود بنى النضير لما نكثوا عهدهم وخانوا أماناتهم وفسقوا عن أمر ربهم فأحل بهمُ نقمته بأن سلط الله عليهم رسوله فهددهم حتى نزلوا على

---

(١) من سورة الحشر . (٢) من سورة النازعات .

حكمه فحكم بجلائهم عن ديارهم فكانوا بذلك يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ليحملوا معهم الأخشاب الصالحة والأبواب النافعة . ولما حل بهم ذلك قال تعالى مخاطبا العباد : ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾ بما حل ببنى النضير فلا تعرضوا أنفسكم لنقم اللّه وعذابه بالخروج عن طاعته والفسق عن أمره وأمر رسوله حتى لا يحل بكم ما حل بغيركم ممن فسقوا ونكثوا وخانوا .

وفى الآية الثانية ذكر تعالى ما أنزل بفرعون الذى ادّعى الربوبية والألوهية فى قوله : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ . وقوله : ﴿ **ما علمت لكم من إله غيرى** ﴾ القصص ٣٨ . فأغرقه اللّه وجنوده أجمعين . وقال: ﴿ **إن في ذلك لعبرة لمن يخشى** ﴾ . أى فيما أنزله بفرعون وجنده من خزى وعذاب الإغراق عِبْرة لمن يخشى عذاب اللّه ونقمته ممن يفسق عن أمره ويخرج عن طاعته ومن هنا قال العلماء : العاقل من اعتبر بغيره يعنون أن من شاهد عذاباً ينزل بغيره وعرف سبب ذلك العذاب فإنه يتّقيه بترك السبب الذى يوصل إليه وبذلك يكون قد عبر منطقة الخطر إلى شاطىء السلامة وساحة النجاة وهذا لا يتم إلا لذى عقل حصيف وبصيرة نافذة .

طريق العلم للفتاة المسلمة

لقد تقدم أن العلم منه الضرورى وهو الواجب العينى ومنه غير الضرورى وهو الواجب الكفائى وهو فى الغالب من مهام الرجال دون النساء ، أما الواجب العينى فهو شركة بين الرجال والنساء لا يختص به فريق دون آخر ، وسيتضح ذلك فى بيان طريق العلم للفتاة المسلمة .

إن طريق الحصول على العلم الشرعى الواجب وجوباً عينياً على المسلم والمسلمة معاً هو أحد أمرين : تعليم الكتابة والقراءة أو سؤال أهل العلم ، إذ قال اللّه تعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . (١) وقال : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ . (٢) وعلى هذين الأمرين اللذين ذكر تعالى فى كتابه كان المسلمون يتعلمون ما وجب عليهم تعلمه من العلم الضرورى وغيره مما هو لازم لكمالهم وسعادتهم فى

(١) من سورة العلق .
(٢) من سورة النحل .

الحياتين الأولى والآخرة .

فالكتابة والقراءة سبيلهما المدرسة والمنهج والمعلم وهى تختلف بين الطالب والطالبة فللطالب مدرس ومنهج ومعلم يخُصُّه ، وللمتعلمة مدرسة ومنهج ومعلمة تخصها .

ونظراً إلى أن هذه الرسالة موضوعة للفتاة المسلمة فإنا نبين فيها ما يخص الفتاة المسلمة دون غيرها فنقول : إن المدرسة ينبغى أن تكون خاصة بالبنات دون البنين هروباً من الاختلاط المفضى إلى الفتنة والأذى المحذورين ، وأما المنهج التعليمى فهو عبارة عن تحديد المواد التى تدرس والزمن الذى تستغرقه تلك الدراسة المنهجية ، وهذا ما ينبغى بيانه تفصيلاً وهو كالتالى :

أ ـ المواد : وهى الكتابة والقراءة ، ومعرفة اللّه تعالى بأسمائه وصفاته ، ومعرفة عبادته تعالى وتوحيده فيها وهى معرفة محابه من الاعتقادات والأقوال والأفعال والصفات والذوات ومعرفة مساخطه من ذلك كله مع معرفة كيفية فعل المحاب وكيفية ترك المساخط .

ب ـ الكتابة والقراءة : ويفرد لها السنة الأولى من سنى الدراسة المحددة لاستيفاء المنهج وأما معرفة اللّه ومعرفة عبادته وتوحيده فيها مع معرفة محابه تعالى من الاعتقادات والأقوال والأفعال والصفات والذوات وما يضاد ذلك من مساخط اللّه تعلى فهذا يخصص لدراسته خمس سنوات وبها تكتمل سنوات الدراسة للفتاة المسلمة وهى ست سنوات من الخامسة إلى العاشرة بإدخال الغاية من عمرها المبارك .

جـ ـ المقررات هى : القرآن الكريم ، السنة النبوية ، التوحيد ، الفقه ، الأخلاق .

فالقرآن الكريم : يحفظ منه فى الخمس سنوات المفصل من الحجرات إلى الناس ، وسورتا الأحزاب والنور ، مجودة مفسرة مطبقة فى الاعتقاد والقول والعمل .

وأما السنة : فالأربعون النووية ، ومثلها من مختارات الأحاديث فى العقيدة والأحكام .

وأما التوحيد : فكتاب الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب حفظاً وشرحاً وتطبيقاً.

وأما الفقه : فالقسم الثالث من منهاج المسلم لجزائرى من كتاب الطهارة إلى الجهاد .

وأما الأخلاق : ويضاف إليها الآداب والحقوق الخاصة والعامة فيختار لها من الآيات والأحاديث ما يفى بالغرض المطلوب منها حيث لا تتجاوز الآيات والأحاديث سبعين آية وحديثاً .

ملاحظات :

الأولى : خُلُوُّ المنهج من مادة التاريخ والحساب والرياضيات كان لعدم الحاجة إلى ذلك .

الثانية : يؤخذ المقرر شيئاً فشيئاً وسنة سنة وكلما تم أعيد حتى يكون ما تدرسه الفتاة المسلمة ضرورياً لها فتأخذه حفظاً وفهماً وعملاً . فتتخرج بعد ست سنوات عالمة بأمور دينها كاملة فى تطبيقها مهذبة الأخلاق زاكية النفس متأهلة لحياة الطهر والكمال .

الثالثة : ما هناك حاجة إلى إجراء اختبار نهائى ولا هناك حاجة إلى إعطاء الطالبة شهادة نجاح ، وإنما تعطى شهادة دراسة لا غير .

الرابعة : هذه الدراسة تعتبر مثالية إذ لا نظير لها اليوم ، وما ينفق فيها لا يعدم المنفقون أجورهم كاملة يوم القيامة مع ما ينالهم من بركة حياة الطهر والصفا فى الدنيا .

دراسات أخرى غير ضرورية

ما تقدم ، ذلك ما ينبغى للفتاة المسلمة أن تطلبه وتحصل عليه من العلم والمعرفة وسواء كان بطريقة المدرسة أو بطريقة السؤال إذ هو ضرورى فلا كمال ولا سعادة إلا به ، إذ ولاية العبد وبها نجاته وسعادته لا تتم إلا بالإيمان والتقوى ولا إيمان ولا تقوى بدون ما سبق بيانه من العلم الضرورى .

ودون هذا العلم الضرورى شرط صلاح القصد وسلامة الطريق ، فإن اختل أحد الشرطين لم يحل لها الطلب ، ومعنى صلاح القصد أن تطلب هذا العلم تبتغى به وجه اللّه تعالى ، فلا تطلبه لعلوّ المرتبة ولا لشهرة أو سمعة ، ولكن لتنفع به نفسها وغيرها من أخواتها المؤمنات ، ومعنى سلامة الطريق أن تسلم من الاختلاط بالرجال ، ومن أذاهم لها فى طريقها وهى ذاهبة وآتية ، وأن لا يَستَدعِى الطلبُ سفراً بدون محرم ولا خلوة بأجنبى ولو لحظة . ولا أحسب أن توفر هذين الشرطين مَيْسُورٌ اليومَ أبداً ومع هذا فإنى ذاكر لفتاة

الإسلام شيئاً من ذلك .

أ ـ فن التمريض فى المشافى التى فيها أروقة خاصة بالنساء ، وأخرى لجرحى الجهاد فى سبيل اللّه تعالى إذا ضاق النطاق ولم يوجد ممرضون من الرجال لانشغالهم بالقتال وهل هناك اليوم أروقة خاصة بالنساء ، وهل هناك جهاد فى سبيل اللّه ؟ وإذا كان الجواب : لا وجود لذلك فإنه لا داعى إذاً لدراسة هذا الفن . .

ب ـ فن التوليد إن اختص بالقوابل ولم يشارك فيه الرجال ، وقد عاش المسلمون قرابة ألف وثلاثمائة وخمسين سنة والقوابل يُوَلِّدْنَ نساء الحى والقرية ، وما هناك حاجة إلى فن ودراسة خاصة للولادة والتوليد ، ومع هذا إذا كان فى الإمكان دراسة خاصة بفن التوليد وخلا من الموانع الشرعية فلا بأس أن تتعلمه المسلمة إن أرادت به الإحسان إلى نساء المؤمنين ، وإن تقاضت عليه أجر وكانت فى حاجة إلى ذلك .

جـ ـ صناعة الخياطة والتطريز إن كانت الـمُعَلِمة صالحة وخلا الطلب من الموانع الشرعية حيث لا اختلاط بالرجال ولا خلوة ولا تعرض لأذاهم ذهاباً وإياباً .

هـ ـ صناعة النسيج وغيرها مما لا يكلف جهداً كبيراً ولا مشقة بشرط أن يكون المصنع يدار من قبل النساء ، وتقام فيه الصلاة بين العاملات ويتلقين فيه الموعظة فى أوقات الراحة وتضطر المرأة للعمل فيه لِتَرَمُّلِهَا وكثرة يُتَّامها ، وقلة ذات يدها وأمنت الفتنةَ ذاهبةً وآيبة .

د ـ تعليم بنات جنسها ، وذلك بأن تدرس بعد حصولها على شهادة الدراسة الأولى أربع سنوات تدرس نفس المواد الشرعية التى درستها فى المرحلة الأولى بتوسع مع ضميمة شىء من النحو والصرف ، وسواء كانت هذه الدراسة عند أحد محارمها أو عند بعض المؤمنات العالمات ، أو فى معهد خاص لتخريج المعلمات . إذ من الجائز أن يفتح المسؤولون فى كل منطقة من مناطق البلاد معهداً نسوياً يضم عدداً محدداً من الطالبات اللاتى درسن المرحلة الأولى بقصد إعدادهن للتعليم والتربية الخاصة بالبنات فى المرحلة الأولى من سن الخامسة إلى العاشرة .

تنبيهان :

١ ـ يتولى تعليم البنات فى الست سنوات الأولى علماء صلحاء ممن تجاوزوا الأربعين سنة من أعمارهم .

٢ ـ يحرم شرعاً ولا يحل للفتاة المسلمة أن تتعلم الموسيقى والغناء وإصلاح الشعر للنساء ولا للرجال .

وأخيراً سيقولون ونقول

سيقولون : لأنهم لا رشد لهم ولا بصيرة فى دين اللّه : لِمَ تحرمون البنات من العلم والمعرفة ؟.

ونقول : معاذ اللّه ما حرمناهن ولا حرّمنا عليهن ما أحل اللّه لهن بل ما أوجبه عليهن وما تقدم فى المنهج التعليمى للبنات شاهد على صحة ما قلناه وداحض لفرية من ادعى غير ما قلناه وبيناه .

سيقولون : إن الأمم والشعوب ارتقت لمَّا حررت المرأة من أسر العادات والتقاليد البالية وأعتقتها من رِبقِ العبودية للرجل وجعلتها تُساوِيه وتَتَفَوقُ عليه .

ونقول : إن الأمم والشعوب التى تقولون إنها ارتقت هى شعوب كافرة لا خلاق لها فى الآخرة ولا تصلح أن تكون مثلاً لأمة الإسلام ذات التطلعات إلى الملكوت الأعلى والحاملة لراية الحق للخلق هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن ارتقاءها المادىَّ الْبَحْتَ لم يقم على عضلات النساء وإنما قام على كواهل الرجال وسواعدهم ، ومن جهة ثالثة لِمَ لمْ تَرتَقِ الشعوبُ الإسلامية التى سفر نساؤها وتبرجن واقتحمن ميادين العمل مع الرجال نتيجة الزج بالبنت المسلمة فى دور العلم والمعرفة كما تقولون أشيروا إلى بلد واحد (نتحداكم) قد ارتقى ونافس الغرب فى رقيه المادى الهابط الذى تتعشقونه وتجرون وراءه وما أنتم له بواصلين .

سيقولون : المرأة شقيقة الرجل لِم تحرموها من الوظائف السامية كالقضاء والمحاماة والسفارة والوزارة وو ..

ونقول : إن كنتم تعنون أن هذه الوظائف محط شرف لرجالكم فَأَسِفْتُم لِحرمان نسائكم منها فإن الواقع أن رجالكم ما شرفوا بهذه الوظائف فكيف تشرف بها نساؤكم ؟! وإن أنكرتم علينا هذا القول فأشيروا إلى أحدٍ رجالاتكم فى هذه الوظائف قد سما بها وشرف وأصبح مضرب المثل فى كمالاته الروحية والخلقية . إنهم لم يزيدوا على أن أصبح أكثرهم لا يمتُّون إلى الإسلام والمسلمين بصلة إذ فقدوا اللغة والزى

والتفكير والشعور وتمرغوا فى أوحال المادة وأصبح همهم الأكبر أن يعيشوا كما يعيش الماديون ممن اتخذوهم أسوة لهم فى الحياة ، فلا ذكر للّه ولا صلاة . أبمثل هؤلاء تريدون أن تلْتَحِق نساؤكم ؟ ويل لكم ولهن معكم إن ألحَقْتُموهُنَّ بكم .

سيقولون : إن إبقاء المرأة فى البيت شل لحركة الحياة بالمرة وتعطيل لنصف طاقة الشعب ، والشعوب لا تنهض إلا بخوض نسائها معركة الحياة معها .

ونقول : إن قَوْلَكُمْ هذا هو عين المثل القائل : شنشنة أعرفها من أخزم .

إن هذا الصِّنْفَ من الناس لا يرون فى الكذب مسبة ولا فى قول الباطل معرة ولا فى التضليل مفسدة إذ هم مشدودون بحبل قانون اليهودية العالمية « الغاية تبرر الواسطة » وإلا فإن المرأة فى البيت تتيره وتطيِّبه وتُحيلهُ إلى روضة فى جنة ، خيرٌ من خروجها إلى الأعمال خارجة ألف مرة . وفوق ذلك فإن إدارة المرأة لمصنع إنتاج البنين والبنات ، إدارته بكفاية حتى يكون إنتاجه صالحًا ونافعًا لمهمة لا يقدر عليها إلا النساء فى بيوتهن وهِيَ إن أنصفنا لتفوق نصف الحياة بكاملها وعليه فالنساء في البيوت ينهضن بمهمة لو اجتمع عليها كل الرجال لما قدروا على مثلها ، فلِمَ لا يُعْتَرفُ لهن بهذا الفضل ويشكرن بعد اللّه تعالى عليه . وأخيراً إن المرأة لما أخرجوها من بيتها ، واللّه ما أخرجوها لصالحها وإنما أخرجوها ليشبعوا غرائزهم الجامحة فى الاستمتاع بها مصَافحةً ومغازلة ومؤانسةً ومُحادثة وإرواءً لغليل الغريزة الجنسية وفوق ذلك للقضاء على العفة والطهر فى المجتمع ليعمه الخبث وينتظمه الفساد والشر .

سيقولون : لقد ضيقتم الحياة على المرأة وسددتم كل طرق الحرية فى وجهها حتى منعتموها من قراءة مجلة أو الجلوس أمام التلفاز ساعة أو سماع أغنية من إذاعة أو شريط .

ونقول : إن قولكم لقد ضيقتم الحياة على المرأة وسددتم طرق الحرية فى وجهها هو دعوى باطلة عارية من الصحة بالكلية إذ نحن لا نقدر على تضييق الحياة ولا على توسعتها كما أننا لا نملك سَدَّ أبواب الحرية ولا فتحها وما نحن إلا مبينين لأحكام اللّه الخالق لعباده المخلوقين لينتظموا فى سلك العبودية له فيكملوا ويسعدوا فى الحياتين الأولى التى نحن فيها الآن والأخرى التى سننتقل إليها بعد موتنا مباشرة بلا فاصل وهى حياة برزخية تعتبر عتبة باب الدار الآخرة .

وأما قولكم : منعتموها من قراءة مجلة ، ومن الجلوس أمام تلفاز ساعة من ليل أو نهار

ومن سماع أغنية ! ! إن قولكم هذا دال على جهل منكم بحقيقة المرأة المسلمة لذا فإنكم ترون تسويتها بالمرأة الكافرة ، مع أن الفرق بينهما كالفرق بين الحى والميت والأعمى والبصير . إنكم لا تعلمون أن المجلة والكتاب وسيلتان يتوسل بهما أصحابهما لنشر أفكار معينة ولتحقيق أغراض خاصة ، فلجهلكم بهذا ترون أن الفرد المسلم ذكراً أو أنثى له أن يقرأ ويطالع كل مجلة وكتاب بغض الطرف عما يترتب على تلك المطالعة والقراءة من صلاح أو فساد ، ولا شك أن جهلكم بهذه الحقيقة هو الذى جعلكم تطالعون وتقرأون كل ما يعرض لكم حتى فسدت فطرتكم واختلطت الأمور عليكم فأصبحتم لا تفرقون بين الحق والباطل وبين الضار والنافع ولا بين الخير والشر ، ولذا عجبتم من منعنا المرأة المسلمة أن تطالع وتقرأ المجلات والكتب ذات الأهداف الهدامة التى تكتبها أقلام مأجورة للماسونية العالمية ، والبلشفية الماركسية والإباحية الروتارية .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين !

والحمد لله رب العالمين !

* * *

المرأة المسلمة

الإهداء

إلى كل المؤمنات في هذه الحياة أقدم كتابي هذا - كتاب المرأة المسلمة - هدية غالية. سائلاً الله تعالى أن يكون آخذاً بأيديهن إلى أوج الكمال الروحي والخلقي ليعشن مسلمات طاهرات ويتوفين مؤمنات صالحات

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائري

المدينة النبوية في ١٤٠٥/٥/٥هـ.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقـدمـة

الحمد للّه الذى لم يخلق الإنسان عبثاً (١) ، ولم يتركه سدى (٢) ، بل خلقه ليذكره ، وكلَّفه ليشكره . أناط سعادته وكماله بطاعته ، وربط شقاءه وخسرانه بمعصيته .

والصلاة والسلام على نبينا محمد عبد اللّه ورسوله ، الداعى إلى اللّه ، والهادى إلى صراطه . والترضى الكامل على آله وصحابته خلفائه فى دعوته ، وأمنائه على ملته وأمته ، والترحم التام على تابعيهم وسالكى سبيلهم فى الإيمان والإسلام والإحسان .

وبعد : فهذا كتاب المرأة المسلمة قد حوى على ما يجب على المرأة المسلمة أن تعلمه من أمور دينها : عقيدة ، وعبادة ، ومعاملة ، وأدباً ، وخلقاً . أقدمه لها فى أسلوب سهل ، وعبارات واضحة . آملاً أن تجد فيه المرأة المسلمة ما يغنيها عن غيره ، ويكفيها ما يهمها من أمر دينها . وأنا أعلم أن حاجتها إلى مثلة ماسة ، إذا لم أر من قدم لها مثل هذا الكتاب فى شموله ، وسلامته ، وصحة منقوله ، فأسألك اللهم أن تنفع به ، وأن تثيبنى عليه ، إنك بالإجابة جدير، وعلى كل شىء قدير . وزد اللهم صلواتك وسلامك وبركاتك ورحماتك على محمد عبدك ورسولك وآله الطاهرين وصحابته أجمعين .

---

(١) أخذاً من قوله تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ المؤمنون / ١١٥ .

(٢) أخذاً من قوله تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ القيامة / ٣٦ . ومعنى سدى : لا يكلَّف ولا يجازى .

بين يدى الكتاب

إنذار ، وإخطار !!

الحمد للّه . وبعد أيتها المرأة المسلمة أنقذى نفسك من النار ! فإنك لست خيراً من فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه عليه وعليها وسلم ، وقد قال لها وهو والدها : « أنقذى نفسك من النار . سلينى (1) من مالى ماشئت فإنى لا أغنى عنك من اللّه شيئاً . أنقذى نفسك من النار ! » .

أيتها المرأة المسلمة أخطرك وأنذرك : أخطرك بأن النبى ﷺ قد عرضت عليه النار ورأى أكثر أهلها النساء (2) ، وأنذرك بأن الرسول ﷺ قد قال فى النساء وأنت إحـداهن : « اتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » (3) واسمحى لى أن أبين لك عن وجه الفتنة : لقد حُدِّثت والمحدث صادق أن امرأة بديارنا هذه قد ألزمت زوجها بأن يشترى لها ثوباً بثمانية عشر ألف ريال عربى سعودى . واشتراه لها . أنظرى يا أمة اللّه بعين البصيرة إلى فداحة هذه الفتنة . واعلمى أنك عرضة لعذاب اللّه تعالى ، فانقذى نفسك من النار . واعلمى أنك أعجز من أن تطيقى عذاب النار ، فإن الجبال لو سيرت فى النار لذابت . فأين أنت من الجبال الراسيات ، والصم الشامخات .

أيتها المرأة المسلمة أنقذى نفسك من النار فإن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ، فلا تغترى بمالك ولا جمالك ولا رجالك فإن ذلك لا يغنى عنك من اللّه شيئاً . فأنقذى نفسك من النار ! .

واعلمى أن طريق نجاتك وإسعادك قد بيَّنه لك هذا الكتاب الذى وضع لك خاصة تحت عنوان :

---

(1) رواه مسلم (1 / 133) وغيره بألفاظ مختلفة .

(2) فى البخارى : ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ! ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا : بم يا رسول اللّه ؟ قال : يكفرن . قيل : يكفرن باللّه ؟ قال : يكفرن العشير « الزوج » ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط . رواه البخارى فى كتاب الكسوف (2 / 44) .

(3) رواه مسلم (8 / 89) .

فاقرئيه وتفهمي ما جاء فيه واعملي بذلك فإنك تنجين وتسعدين بإذن اللّه تعالى ، وإلا فقد أنذرتك وأخطرتك ، ولا تلومين إلا نفسك .

إن كتابك هذا قد حوى كل ما أمرك اللّه تعالى به ، من العقائد والعبادات والآداب والأخلاق ، وكل ما نهاك عنه من الشرك وسائر المحرمات من العقائد والأقوال والأفعال ، فاستعينى اللّه تعالى واعلمى ، واعملى ، واصبرى حتى تكملى فى عقيدتك ، وعبادتك ، وأخلاقك ، وآدابك . وتصبحى أهلاً للجنة دار الأبرار بعد نجاتك من النار . حقق اللّه تعالى لى ولك ذلك آمين .

عقيدتك أيتها المؤمنة

آمني _ أيتها المؤمنة بما يلى ، وصدقى به ، واعتقديه فى نفسك فإنه الحق ولا باطل فيه البتة .

آمني وصدقى واعتقدى : أن الذى خلقك ، وخلق الكون كله علويّه وسفليه من ذرات الأرض إلى مجرات السماء ، وما بين ذلك من إنسان وحيوان ونبات وجماد هو ربك ، ورب كل شيء حولك ، ومن فوقك ، ومن تحتك ، مما علمت وأدركت ، ومما لا تعلمين ولا تدركين . هو ربك ورب العالمين اسمه اللّه ، ومعناه المعبود الحق الذى استحق العبادة دون سواه . كل الخلائق يألهونه [1] طاعة له ، ورغبة فيه ، ورهبة منه . وإن حدثتك نفسك ، أو قال لك شيطان من الإنس أو الجن : كيف تصدقين بإله ما رأيته ؟ فقولى له : ليست الرؤية شرطاً للتصديق بالشيء ، فالناس منذ أن كانوا يؤمنون بأشياء ويصدقون

---

(١) يعبدونه بامتثال أمره والاستجابة لمراده ، إذ ما شاءه اللّه تعالى كان ، وما لم يشأه لم يكن ، وكون بعض عباده عصاة له لم يخرجهم ذلك عن كونهم مربوبين للّه قانتين ، إذ كل عملهم مخلوق له خلقه بواسطتهم .

فلو لم يشأ ذلك منهم لم كان أبداً وبعبارة أوضح إن إرادة اللّه الكونية ، لا يستطيع مخلوق الخروج عنها ، وأن إرادة اللّه الشرعية التى بحسبها يتم الجزاء فى الدار الآخرة هى التى يمكن للعبد أن يخرج عنها فيسمى عاصياً ويحاسب عليها ويجزى بها .

بوجودها ويعتقدون صحتها ، وما رأوها ، ولا رأوا حتى من رآها ، ومن أمثلة ذلك : فإن الإنسان ما رأى جَدَّ جدِّ أبيه ، أو جَدَّ جِدّ أمه ، ومع هذا فهو مؤمن مصدق أن له جداً أعلى هو جدُّ أبيه أو أمه .

وثانيا : الثياب التى هى عليك الآن تلبسينها هل رأيت من صنعها بآلاته ؟

والجواب لا ، ولكنك مؤمنة مصدقة بأن صانعاً صنعها وباعها حتى وصلت إليك .

وثالثاً : هل رأيت مدينة طوكيو باليابان ، أو رأيت من رآها ؟ والجواب غالباً لا ، ولكنك مؤمنة مصدقة بوجود هذه المدينة لمجرد أن سمعت الناس يخبرون بها ويتحدثون عنها .

ورابعاً : إذا أخبر فتاة والدها أن لها أخاً شقيقاً بأمريكا يقال له أحمد وهى ما رأته لأنه ولد قبلها وسافر لطلب العلم الصناعى ولم يرجع ، فهل تكذب والدها وتكفر بقوله أن لها أخا لكونها ما رأته ؟ والجواب لا ، بل تصدق والدها ، وتؤمن بما أخبرها به عن أخيها أحمد ، فكيف إذا ورد إليها خطاب منه ، وأرسل إليها سواراً من ذهب ؟ لا شك أن إيمانها به يزداد قوة حتى يبلغ اليقين بحيث لو أنكر وجود أخيها منكر لكذبته ، وسخرت منه ، وعدته أحمق أو لا عقل له . وكيف بها إذا أرسل إليها خطاباً آخر وصف لها فيه نفسه بأنه أبيض الجسم ، جميل الوجه ربعة ما هو بالطويل ولا القصير ، أخلاقه فاضلة ، يحب الخير والإحسان ويفعلهما ؟ أليست تزداد معرفة به وإيماناً ويقيناً بوجوده ؟ بلى ، ومع هذا كله فإنها لم تره قط .

وخامساً : هل لك أيتها المؤمنة عقل تفرّقين به بين الفحم والشحم لسواد الأول وبياض الثانى ، وبين الظلمة والنور ، وبين الظل والحرور ، وبين التمر والجمر ؟ والجواب نعم . فإن قيل لك أين عقلك ، وهل رأيتيه ؟ فإنك تقولين لا أدرى ، وما رأيته وكيف إذا تؤمنين بما لم تر؟ والجواب أنت مؤمنة بوجود عقلك ، لأنك ترين آثاره الدالة عليه وهى المعرفة والتمييز والإدراك للمحسوسات (١) والمعقولات (٢) . فلا يمكنك أن تنكرى عقلك أو تكذبى به أبداً .

فكذلك اللّه تبارك وتعالى فإننا وإن لم نره ، ولم نر من رآه فإننا مؤمنون به موقنون ،

---

(١) المحسوسات : ما تدرك بالحواس التى هى السمع والبصر واللمس ... إلخ .

(٢) المعقولات : ما تدرك بالعقل فقط .

لأن آثاره دالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته ولطفه ورحمته .

إذ يكفى فى الدلالة على وجود الشىء آثاره فلننظر إلى ثوب مخيط ، أو جدار مبنى ، أو شجرة مغروسة ، فإن الثوب المخيط دال عقلاً على إنسان خاطه بآلته وإن الجدار المبنى دال عقلاً على إنسان بناه ، والشجرة المغروسة دالة على إنسان غرسها كذلك . ولم نحتج أبداً إلى رؤية الخياط والبانى والغارس حتى نؤمن من بوجودهم ، ونصدق بعلمهم وقدرتهم إذ آثارهم دالة على وجودهم ، وعلمهم ، وقدرتهم .

فكذلك الرب تبارك وتعالى دل على وجوده وعلى قدرته وعلمه وحكمته مخلوقاته من الأرض والسماء ، وما بينهما ، وما فيها من عظيم المخلوقات وعجائبها . وأكبر دلالة على وجود اللّه تعالى وقدرته وعلمه وحكمته كتابه الذى أنزله على رسوله محمد صلوات اللّه عليه وسلامه وهو القرآن العظيم الذى حوى من العلوم والمعارف ، ما يحيل العقل البشرى أن يصدر مثله عن غير اللّه تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ، وقد تحدى سبحانه وتعالى العرب بالإتيان بسورة مثله فعجزوا . فهل يعقل أن يكون مثل هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم من شرائع وآداب وحكم وتاريخ ، وهدايات ، وإصلاح فى كل مجالات الحياة ، فهل يعقل أن يكون منزله غير موجود ، ولا عليم ولا حكيم ، ولا قدير ولا سميع ولا بصير . اللهم لا ، فإن كأساً من ماء على منضدة يحيل العقل أن يكون وجد من نفسه ، ولم يكن له موجد من غير ذاته . فكيف إذاً بالعوالم كلها ؟

إن كل كائن من الكائنات فى السماء أو الأرض فى البر أو البحر دال على اللّه تعالى ، وشاهد على قدرته وعلمه وحكمته ، ولنتدبر قوله تعالى فى كتابه وهو يقرر وجوده وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وكماله المطلق :

﴿ إن ربكم اللّه الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾(1) .

﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾(2) .

﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ؟ ﴾(3) ولنتدبر ما ذكر فى كتابه من الآيات الدالة على قدرته وعلمه ورحمته وحكمته . قال تعالى :

---

(1) سورة الأعراف : ٥٤ . (2) سورة المؤمنون : ٨٦ . (3) سورة يونس : ٣١ .

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ (١) .

﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا للّه الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (٢) .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (٣) .

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ (٤) .

﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها ﴾ (٥) .

﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ (٦) .

فإذا عرفت اللّه تعالى ـ أيتها المؤمنة ـ بآياته ومخلوقاته فاعلمى أن للّه تعالى أسماء بلغت تسعة وتسعين اسماً (٧) فادعيه بها ، وناديه بما تشائين منها ، وكلها أسماء حسنى ، وصفات عليا . قال تعالى : ﴿ وللّه الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ (٨) .

فلك أن تقولى يا رب يا رب ، أو يا اللّه يا اللّه ، أو يا رحمن يا رحمن ، أو يا أرحم الراحمين ، أو يا ذا الجلال والإكرام ، أو يا حى يا قيوم ، أويا بديع السموات والأرض ، أو يا لطيف يا خبير ، أو يا سميع يا بصير ، وسلى حاجتك وألحّى فى دعائك (٩) فإن اللّه تعالى يحب الملحِّين فى الدعاء .

إذا حققت أيتها المؤمنة إيمانك بربك تعالى ، وتمت لك معرفته عز وجل بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا . فاعلمى أن اللّه تعالى قد أخبر عن خلق من مخلوقاته ، لا يرون بالبصر ، ولا يدركون بالحسّ ، وأمر بالإيمان بهم أى بالتصديق بوجودهم . وهم الملائكة (١٠) والجن والشياطين فوجب الإيمان بهم ، فلا يصح إيمان العبد إلا إذا آمن بهم

---

(١) سورة الروم : ٢٠ .　(٢) سورة فصلت : ٣٧ .　(٣) سورة الروم : ٢١ .

(٤) سورة الروم : ٢٢ .　(٥) سورة الروم : ٢٤ .　(٦) سورة الروم : ٢٥ .

(٧) جاء فى الصحيح « أن للّه تعالى مائة اسم إلا اسما واحداً من أحصاها دخل الجنة » البخارى (٩ / ١٤٥) .

(٨) سورة الأعراف : ١٨٠ .　(٩) ومعنى الإلحاح فى الدعاء إعادته وتكراره المرة بعد المرة .

(١٠) واحد الملائكة ملك وهم مخلوقون من النور ، يسبحون اللّه الليل والنهار لا يفترون ، ولا يعصون اللّه ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

وبكل ما أمر تعالى بالإيمان به .

والإيمان بالملائكة والجن والشياطين ، وإن كان من الغيب فإن هناك آثارا محسوسة تدل عليهم ، وتثبت وجودهم .

ومن تلك الآثار الدالة على وجود الملائكة : ـ

١ ـ القرآن الكريم فقد نزل بواسطة جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ .

٢ ـ قتال الملائكة فى غزوة بدر حيث سُمِعت أصواتهم ، ورؤيت ضرباتهم على أجسام المشركين المقتولين .

٣ ـ قبض ملك الموت روح العبد والعروج به إلى السماء حتى أن بصر العبد يبقى مفتوحاً شاخصاً إلى السماء ينظر إلى روحه وهو يعرج به إلى السماء .

٤ ـ ما يجده المؤمن فى نفسه من الرغبة فى الخير ، والميل إلى المعروف والإحسان نتيجة للمة الملك بقلبه ، إذ قال الرسول ﷺ « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة » [(١)] .

ومن الآثار الدالة على الجن [(٢)] والشياطين [(٣)] .

١ ـ أغلب الصرع الذى يصيب الإنسان ، وحديث الجان على لسان المصروع بما لم يكن للمصروع أن يعرفه ، وبلغة لا يعرفها ، أقوى دليل على وجود الجن إذ هو أثر ظاهر محسوس لا ينكره عاقل .

٢ ـ ما جاء فى القرآن الكريم عن الجن وخاصة فى سورة الجن منه .

٣ ـ أخبار النبى ﷺ عن الجن وأحاديثه عنهم وهى كثيرة كحديث على رضى الله عنه عند أحمد والترمذى وابن ماجة : « سِتْر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم إذا دخل أحدهم الخلاء : أن يقول : بسم الله » [(٤)] .

٤ ـ ما يجده العبد فى نفسه من الميل إلى الشر والرغبة فيه ، وما يقع من فساد وباطل فى

---

(١) رواه الترمذى (٥ / ٢١٩) .

(٢) الجن والجان بمعنى واحد وهم خلق من خلق الله تعالى خلقهم من النار ، منهم المؤمن ومنهم الكافر ، ومنهم البار والفاجر كبنى آدم سواء . لم ترسل إليهم رسل وإنما يكون لهم النذر منهم ، وهم يتبعون الرسل من بنى آدم .

(٣) والشياطين جمع شيطان ، وهو كل متمردعات خبيث الروح يأمر بالشر ولا يأمر بالخير من الجن .

(٤) رواه الترمذى (٢ / ٥٠٤) ، وابن ماجة (١ / ١٠٩) .

الأرض من الزنا ، والقتل ، والخيانة كل ذلك من تزيين الشيطان ، ودفع الإنسان إليه ، وحمله عليه ، وهو أثر ظاهر محسوس ، إذ لو ترك الإنسان لفطرته ما غشى كبائر الإثم والفواحش .

وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان »(١) وفى القرآن الكريم : ﴿ **إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًا** ﴾(٢) .

إن كل ما ذكرنا ، لك أيتها المؤمنة من أدلة الملائكة والجان ، والشيطان إنما هو من باب طرد الوسواس عن النفس فقط ، إذ أخبار الله تعالى :فى كتابه ، وعلى لسان رسوله عما ذكرنا من الملائكة ، والجان ، والشيطان : كافية فى إثبات ذلك ، وتقريره ، إذ أخبار الله تعالى لا تحتمل إلا الصدق بحال من الأحوال ، فمن المستحيل عقلاً وشرعاً أن تكون أخبار الله تعالى على خلاف ما يخبر به عز وجل .

واعلمى ـ أيتها المؤمنة ـ أن من إتمام عقيدتك إيمانك بكتب الله ، ورسله ، واليوم الآخر (٣) .

أما الكتب والرسل فالإيمان بهما ليس من الإيمان بالغيب كالإيمان بالله واليوم الآخر ، إذ الكتب كالرسل هما من المدرك بحاسة السمع والبصر ، فالكتب مقروءة مسموعة ، والرسل عليهم السلام مرئيون مشاهدون ، وآخر الكتب نزولاً هو القرآن الكريم وهو بين أيدينا نحفظه فى صدورنا ، ونكتبه فى سطورنا . ونقرأه بألسنتنا ، وآخر الرسل بعثة هو نبينا محمد ﷺ ، خاتم الأنبياء ، وقد شهد القرآن الكريم المنزل عليه ببعثته ورسالته كما شهد ببعثة الرسل قبله ، والكتب المنزلة عليهم ، وهى التوراة المنزلة على موسى ، والإنجيل المنزل على عيسى ، والزبور المنزل على داود عليهم السلام . والإيمان بالكتب لازم الإيمان بالله تعالى وملائكته ، إذ الكتب أوحاها الله تعالى بواسطة الملك المكلف بذلك وهو جبريل عليه السلام .

فالكتب دالة على وجود الله تعالى ، وعلى وجود الملائكة التى أوحيت ووصلت

---

(١) رواه الترمذى (٥ / ٢١٩) . (٢) مريم : ٨٣ .

(٣) لقد تكفل القرآن الكريم بوصف اليوم الآخر ، وعرض كل ما فيه من بعث وحشر ، وصحف ، وميزان ، وحساب ، وجنة ، ونعيمها ، ونار وعذابها ، وبقراءة سور الرحمن ، والواقعة ، وق ، والزمر يقف القارىء على كل ذلك مفصلاً .

بواسطتها ، وعلى وجود الرسل حيث نزلت عليهم ، وبلغوها إلى الناس بإذن اللّه تعالى .

وأما اليوم الآخر فالإيمان به جزء عقيدة المؤمنين والمؤمنات ، فقد أخبر اللّه تعالى به ، ووصفه وأمر به فى كتابه ، وعلى لسان رسوله [١] وهو واقع لا محالة ، وآتٍ بلا ريب ، إذ فيه يتم الجزاء على الأعمال التى يقوم بها المكلفون فى هذه الحياة .

ومن باب طرد الوسواس عن المؤمنة نذكر الأدلة المحسوسة الدالة على وجود الدار الآخرة . وأن يومها آتٍ لا شك فيه :ـ

١ ـ دخول النبى ﷺ الجنة ، ومشاهدته لأنهارها وقصورها وذلك يقظة لا مناما ، حيث تَمَّ له ليلة الإسراء والمعراج ، وهذا دليل لا يُرَدّ بحال ، كما عُرضت عليه ﷺ الجنة والنار على جدار المسجد وهو فى الصلاة ، وقد وصف اللّه تعالى اليوم الآخر فى كتابه ما لا مزيد عليه ، وذلك من بداية فناء الدنيا إلى استقرار أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار ، كما وصف الجنة وما فيها من نعيم ، والنار وما فيها من عذاب أليم .

٢ ـ وجودنا هذا ووجود أنواع المتع واللذائذ ، وصنوف الشقاء ، وضروب العذاب دالٌ على وجود آخر لنا هو أكمل وأتم من هذا الوجود ، فى عالم لا يقبل الفناء والزوال وهو الدار الآخرة . إذ قدرة اللّه تعالى التى أوجدت هذا العالم فى دار الدنيا هذه هى قدرة صالحة لأن يوجد ما هو أعظم من هذا الوجود بكل ما فيه .

٣ ـ الأرض الممحلة الجدباء تكون ميتة لا حياة فيها ، ينزل عليها المطر فلا تلبث إلا أياماً وإذا بها تهتز رابية بأنواع الزروع ، ومختلف النباتات ذات الزهور ، والروائح ، والمنافع المختلفة ، أليس هذا دليل على المعاد والحياة الثانية بعد فناء هذه ، وانتهاء الحياة ؟ .

قال تعالى فى الاستدلال على قدرته عز وجل وعلى الحياة الثانية :

﴿ **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون** ﴾ [٢] وقال تعالى :

---

(١) قال تعالى : ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ النساء : ٥٩ وقال تعالى ﴿ **ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ الطلاق : ٢ وقال عز وجل ﴿ **إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ البقرة : ٢٢٨ . وقال الرسول ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » رواه البخارى ٨ / ١٣ ، ومسلم ١ / ٤٩ ففى هذه الآيات والأحاديث دعوة صريحة إلى الإيمان باليوم الآخر .

(٢) سورة يس : ٣٣ .

﴿ **وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير** ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقاً للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج** ﴾(٢) يعني الخروج من القبور إحياء بعد الموت والبلى . ففى هذه الآيات ، وغيرها فى معناها دالة دلالة عقلية وحسيّة : أن من قدر على الخلق والحياة هو قادر على الإماتة والإحياء . وبهذا تقرر بما لا شك فيه أن اليوم الآخر والذى يراد به فناء هذه الحياة وانتهاؤها ، ووجود حياة أخرى بعدها وهى الدار الآخرة أمر حتمىّ ، مقطوع به ، لا يمكن أن يتخلّف بحال .

٤ ـ وجود ظالمين اليوم ومظلومين ، وأغنياء وفقراء ، ومؤمنين محرومين ، وكافرين محظوظين ، ثم يموت الجميع موتة سواء ، ولم يُقْتص للمظلوم من الظالم ، ولم يذق الفقير طعم نعمة الغنى ، ولا المؤمن المحروم لذة الحظ ونعيمه ، هذه حال مقتضية عقلاً لوجود حياة أخرى يُقْتص فيها للمظلوم من الظالم ، ويسعد فيها المؤمن المحروم ، ويشقى فيها الكافر المحظوظ ، قال تعالى : ﴿ **ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ (٣) .

ومما هو جزء متمم لعقيدتك أيتها المؤمنة الإيمان بالقضاء والقدر حيث أخبر تعالى به فى قوله : ﴿ **إنا كل شىء خلقناه بقدر** ﴾ (٤) وقال رسول الله ﷺ لمن سأله عن الإيمان « أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره » (٥) فجعل ﷺ الإيمان بالقدر جزء من الإيمان الذى لا يكمل إلا به ...

والقدر : هو أن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق الكائنات خلق القلم فقال له اكتب . فقال : ماذا أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فكتب كل ما قضى الله تعالى بخلقه ، وحكم بوجوده من سائر الكائنات ، فهذا هو القضاء ، وكون المخلوقات ذات مقادير محدودة ، وصفات معلومة ، وأزمنة وأمكنة معينة محدودة ، فلا ينقص شىء ولا يزيد ، ولا يتقدم ولا يتأخر فهذا هو القدر .

فالقضاء والقدر ـ أيتها المؤمنة هما أن تعلمى وتصدقى أنه ما من شىء وجد أو سيوجد من أول الحياة إلى نهايتها إلا وله صورة فى كتاب المقادير المسمى باللوح المحفوظ

---

(١) سورة الحج : ٥ ، ٦ . (٢) سورة ق : ٩ ـ ١١ . (٣) سورة النجم : ٣١ .

(٤) سورة القمر : ٤٩ . (٥) رواه مسلم (١ / ٢٨ ، ٢٩) .

بحيث لا يمكن أن يوجد شيء صغيراً كان أو كبيراً لم يكن الله قد قضى بوجوده على صورته التي هو عليها ، وفي وقته ومكانه من غير تقديم ولا تأخير ، ولا زيادة ولا نقص ، فما يرى في الحياة من غِنىً أو فقرٍ ، أو عز أو ذل ، أو صحة أو مرض ، أو سعادة أو شقاء ، أو جمال ، أو قبح . أو ظلم أو عدل ، أو خير أو شر ، إلا وقد قضى اللّه تعالى به ، وقدره .

إن القدر أكبر مظهر من مظاهر علم اللّه وقدرته ، وحكمته ..

فانظرى كيف يقضى اللّه تعالى بوجود الشيء ويقدره في صورته التي قضى وحكم بوجودها في وقتها المحدد لها ، ومكانها المعين لها ، وتمضى آلاف السنين ، والأعوام ، ثم يخرجه تعالى في نفس الوقت ، ونفس المكان وعلى نفس الصورة ، لا يتخلف شيء من ذلك بحال من الأحوال .

وإن كان هذا عجباً فإنّ أعجب منه أنّ الإنسان العاقل المريد ينفذ ما كتب اللّه تعالى له أو عليه بكل حرية واختيار ظانًا أنه فعل ما فعل بإرادته واختياره ، وفي الحقيقة أنه مازاد على أن نفذ مراد اللّه فيما قدره له أو عليه ! !

ومن فوائد الإيمان بالقدر ما يلى :

١ ـ أن يعيش المؤمن آمناً غير خائف لعلمه أن ما قدر عليه كائن لا محالة .

٢ ـ أن لا يحزن المؤمن على ما فاته مما كان يريده لعلمه أنه غير مقدور إذ لو كان مقدوراً له لما فاته بحال .

٣ ـ أن لا يفرح المؤمن بما يكون له من مال ، أو ولد ، أو سلطان لعلمه أن ذلك كان بقدر اللّه ، وأنه فضل اللّه عليه لا غير .

٤ ـ أن يعمل المؤمن ما أذن له فيه أو أُمِرَ به ، ويترك ما نهى عنه وهو هادىء البال ، مطمئن النفس ، غير خائف ولا حريص ، لعلمه أن لا يكون إلا المقدور فقط .

٥ ـ علم المؤمن أن الأحداث والوقائع تتم بأسبابها المقدرة معها يجعله يأتى أسباب الخير والفلاح ، ويتجنب أسباب الشر والخسران ، وإن لم يكن للإيمان بالقضاء والقدر إلا هذه الفائدة لكفت والحمد للّه ، والمنَّة له .

إسلامك أيتها المؤمنة

اعلمي أيتها المؤمنة : أن الدين عند الله هو الإسلام . وأن الله تعالى لا يقبل من العبد ديناً إلا الإسلام . قال تعالى من سورة آل عمران : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ (١) وقال : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ (٢) .

واعلمي أيضاً أن الدين الإسلامي مبنى على خمس قواعد : وهى الشهادتان ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام .. فابنى إسلامك عليها ، ولا تسقطى واحدة منها فيبطل إسلامك ، وتكونى من الخاسرين .

أما الشهادتان :

فالأولى منها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وتحقيقها يكون بأن تعرفى أنه لا معبود بحق إلا الله الذى آمنت به رباً وإلهًا ، وعرفته بأسمائه وصفاته ، وتشهدى قائلة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأن تعبديه وحده ولا تعبدى معه سواه ، كما لا تعترفى بعبادة غيره ولا تقرى بها راضية بها بحال من الأحوال .

وعبادة الله تعالى هو طاعته ، وطاعة رسوله محمد ﷺ بفعل ما أمر الله تعالى به عباده أن يفعلوه ، وترك ما أمرهم بتركه من الاعتقادات ، والأقوال ، والأعمال .

وثانية الشهادتين : شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ وتحقيقها يكون بأن تعلمى وتعتقدى أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى العربى عبد الله ورسوله ، ختم به الله تعالى النبيين ، وأرسله إلى الناس أجمعين (٣) لا يسمع به يهودى ولا نصرانى ولا مجوسى ولا يؤمن به إلا دخل النار (٤) . فرض الله تعالى على الناس طاعته ، وأوجب تعظيمه ، ومحبته ، ومتابعته ، وطاعته من طاعة الله ، وتكون فى الاعتقادات ، والأقوال ، والأعمال كما هى طاعة الله تعالى فى ذلك .

وإليك أيتها المؤمنة بيان أعظم الاعتقادات ، والأقوال ، والأعمال ، والتى لا يكون

---

(١) آل عمران : ١٩ . (٢) آل عمران : ٨٥ .

(٣) قال تعالى من سورة الأعراف ﴿ **قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً** ﴾ (آية : ١٨٥) .

(٤) لقوله ﷺ : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ، يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه (١ / ٩٣) .

إسلام ، ولا إيمان إلا بها : ـ

أ ـ الاعتقادات :

١ ـ الإيمان بالله تعالى رباً وإلها موصوفاً بكل كمال ، منزهاً عن كل نقصان .

٢ ـ الإيمان بملائكة الله عباداً مكرمين لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون خلقهم من نور [١] ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكلّهم ربهم بأعمال شتى هم بها قائمون ، منهم الحفظة على العباد ، ومنهم الموكّلون بقبض الأرواح ، ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ، ومنهم غير ذلك .

٣ ـ الإيمان بكتب الله وحيا أوحاها الله تعالى إلى من اصطفاهم من رسله ، تحمل الشرائع ، والهدى ، والنور للمؤمنين المتقين . وهى ما بين صحيفة وكتاب مائة وأربعة لا غير . جاء ذكر بعضها فى القرآن قال تعالى : ﴿ **صُحُفِ إبراهيم وموسى** ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ **وآتينا داود زبوراً** ﴾ [٣] ، وقال تعالى : ﴿ **وآتينا موسى الكتاب** ﴾ [٤] . وقال : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور** ﴾ [٥] . وقال ﴿ **وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل** ﴾ [٦] .

وأعظم تلك الكتب القرآن الكريم وهو آخرها نزولاً ، فهو ناسخ لشرائعها وأحكامها ، وقد حُرّفت وبُدّلت ، ولم يبق منها مما هو كلام الله إلا القليل ، فالإيمان بها واجب ، والعمل غير جائز .

أما القرآن العظيم فما آمن به من لم يعمل به فأحل حلاله ، وحرم حرامه ، وأقام حدوده ، واعتقد عقائده ، و تقيد بعباداته ، وتأدب بآدابه ، وتخلق بأخلاقه [٧] .

٤ ـ الإيمان برسل الله مبشرين ومنذرين ، قطع الله تعالى بهم على الناس الحجة ، [٨] وبين

---

(١) روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال : رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » رواه مسلم (٨ / ٢٢٦) يعنى الطين لقوله تعالى ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** ﴾ . المؤمنون : ١٢ ، ١٣ .

(٢) الأعلى : ١٩ . (٣) النساء : ١٦٣ . (٤) الإسراء : ٢ .

(٥) المائدة : ٤٤ . (٦) الحديد : ٢٧ .

(٧) سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق الرسول ﷺ فقالت « كان خلقه القرآن » رواه مسلم (٢ / ١٦٩) ، وأحمد (٦ / ٥٣ ، ٥٤) وأبو داود (١ / ٣٠٨ ، ٣٠٩) .

(٨) دليله قول الله تعالى من سورة النساء : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ . آية : ١٦٥ .

بهم للعباد المحجة (١) ، فمن آمن بهم ، وأطاعهم ، واتبع هداهم نجا ، ومن كفر بهم ، وعصاهم ، واتبع غير هداهم هلك . عصمهم اللّه فلم يغشوا الذنوب ، ولم يرتكبوا الكبائر ، أعاظمهم خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ وهم أولو العزم من الرسل (٢) إمامهم وخاتمهم محمد ﷺ .

وهو أفضلهم على الإطلاق ، أمته خير الأمم ، وشريعته أتم الشرائع وأكملها ، أُعطى خمساً لم يعطها غيره من سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين (٣) ، أشرفها الشفاعة العظمى يوم القيامة ، وهى المقام المحمود الذى وعده به ربه فى قوله تعالى : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ (٤) .

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر يوماً تنتهى فيه هذه الحياة ، وتكون فيه الحياة الآخرة ، حيث يبعث اللّه تعالى الناس من قبورهم أحياء ويحشرهم إلى ساحة فصل القضاء لمحاسبتهم على أعمالهم فى الحياة الدنيا ومجازاتهم بها بالنعيم المقيم ، أو العذاب المين . بحسب الإيمان والتقوى ، والشرك والمعاصى .

٦ ـ الإيمان بالقضاء والقدر نظاماً للحياة كلها لا يخرج بشىء منها وإن قل عما حواه كتابه الذى هو اللوح المحفوظ (٥) حيث كتب اللّه تعالى فيه كل ما قضى بوجوده من خير وشر فى الدنيا ، وسعادة وشقاء فى الدار الآخرة .

كانت تلك الاعتقادات الحقة التى أمر اللّه تعالى باعتقادها ، وهى أصل دينه الذى لا يقبل ديناً سواه .

وهناك اعتقادات باطلة يحرم اعتقادها ويجب معرفتها من أجل أن تجتنب ، ويبتعد عنها لضررها وفسادها وهى : ـ

---

(١) المحجة : الطريق الواضح .

(٢) ورد ذكرهم فى قول اللّه تعالى من سورة الأحزاب : ﴿ **ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم** ﴾ آية : ٧ .

(٣) خمس خصال هى الواردة فى قوله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة » رواه البخارى (١ / ٨٧) ، ومسلم (٢ / ٦٣) .

(٤) سورة الإسراء : ٧٩ .

(٥) قال رسول اللّه ﷺ : « كل شىء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » رواه مسلم . (٨ / ٥١ ، ٥٢) .

١ ـ اعتقاد أن غيره تعالى من سائر المعبودات الباطلة يملك نفعاً أو ضراً . وسواء كان المعبود ملكاً مقرباً ، أو نبياً مرسلاً [(١)] ، أو ولياً صالحاً .

٢ ـ اعتقاد أن من مات من أولياء اللّه تعالى يسمع دعاء من يدعوه ، واستغاثة من يستغيث به ، وأنه يشفع له فى قضاء حاجته ، وإعطائه مسألته .

٣ ـ إعتقاد أن أحدًا من الإنس أو الجن يعلم الغيب ؛ لأن اللّه تعالى قال : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول** ﴾ [(٢)] وقال تعالى : ﴿ **قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا اللّه** ﴾ [(٣)] .

٤ ـ اعتقاد أن الخضر عليه السلام حيّ ما مات إلى الآن ، وأنه يزور بعض الناس ، ويحدثهم ، ويعطيهم ، ويشفع لهم [(٤)] .

٥ ـ اعتقاد وجود أقطاب وأبدال من الأولياء يتصرفون فى الكون فيعطون ، ويمنعون ، ويضرون ، وينفعون ، ويعزلون ، ويولون من شاءوا كما شاءوا .

٦ ـ اعتقاد أن لا إله ، وأن لا بعث ، ولا جزاء ! وهو شر الاعتقادات وأبطلها ، وأهلها هم الملاحدة الشيوعيون قبحهم اللّه تعالى .

٧ ـ اعتقاد وجود بدع حسنة إذا عمل بها العبد أثابه اللّه تعالى عليها ، وحصل لنفسه بفعلها ، أو قولها ، أو اعتقادها زكاة وطهر وذلك لقول الرسول ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » [(٥)] .

ب ـ الأقوال التى هى عبادات :

إن الأقوال التى أمر اللّه تعالى بها ، وأمر بها رسوله فكانت عبادات يثاب فاعلها ،

---

(١) قال تعالى فى الذين يعبدون عيسى ووالدته مريم : ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات . ثم انظر أنى يؤفكون . قل أتعبدون من دون اللّه ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً** ﴾ المائدة : ٧٥ ، ٧٦ .

وقال تعالى فى المشركين الذين يعبدون الملائكة وغيرهم ﴿ **ويعبدون من دون اللّه ما لا يضرهم ولا ينفعهم** ﴾ ويقولون : ﴿ **هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه** ﴾ ! ! يونس : ١٨ .

(٢) الجن : ٢٦ ، ٢٧ . (٣) النمل : ٦٥ .

(٤) قال تعالى : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ الأنبياء : ٣٤ فكيف يقال الخضر خالد إلى الآن ؟ ولو عُمِّر إلى حياة الرسول ﷺ فكيف لا يأتيه ويسلم عليه ، ويقاتل معه .

(٥) رواه أبو داود (٢ / ٥٠٦) والترمذى (٥/٤٤) وقال : حسن صحيح .

ويحصل بها الزكاة ، والطهر للنفس كثيرة ومنها ما يلى : ـ

١ ـ شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه . وهى التى يدخل بها العبد فى الإسلام ، وتكرر فى الأذان ، والإقامة ، وعند الوفاة .

٢ ـ لا إله إلا اللّه (١) .

٣ ـ سبحان اللّه والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر (٢) .

٤ ـ سبحان اللّه وبحمده ، سبحان اللّه العظيم (٣) .

٥ ـ استغفر اللّه العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم (٤) .

٦ ـ لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير (٥) .

٧ ـ الدعاء : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

٨ ـ تلاوة القرآن الكريم (٦) .

٩ ـ الصلاة والسلام على الرسول ﷺ وآله وصحبه وسلم (٧) .

١٠ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

١١ ـ التحية بالسلام عليكم ورحمة اللّه ..

---

(١) لحديث الترمذى : « (٥ / ٤٦٢) وابن ماجة (ص ١٢٤٩) وهو صحيح : « أفضل الذكر لا إله إلا اللّه ، وأفضل الدعاء الحمد للّه » .

(٢) لحديث : « لأن أقول سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس » رواه مسلم (٨ / ٧٠) .

(٣) لحديث الصحيحين : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان اللّه وبحمده ، سبحان اللّه العظيم » رواه البخارى (٩ / ١٩٩ ، ومسلم) ٨ / ٧٠ .

(٤) لحديث الترمذى (٥ / ٥٦٩) وأبو داود (١ / ٣٦٨) « من قال استغفر اللّه العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فرّ من الزحف » .

(٥) لحديث الصحيحين : « من قال لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمس ، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » . مسلم (٦٩٨) والبخارى (٤ / ١٥٣) .

(٦) لحديث : « اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لصاحبه » رواه مسلم (٢ / ١٧) .

(٧) لحديث الصحيح : « من صلى علىّ واحدة صلى اللّه عليه بها عشراً » رواه مسلم (٢ / ١٧) .

هذه جملة الأقوال التى هى من العبادات يثاب عليها فاعلها ، وتُزكِّى النفس البشرية وتُطَهِّرُها .

وهناك أقوال مأمور بتركها تعبداً للّه تعالى بتركها حيث نهى اللّه تعالى عن قولها ، والنطق بها وهى :

١ ـ الكذب مطلقاً وأعظمه الكذب على اللّه تعالى ، وعلى رسوله ﷺ (١) .

٢ ـ سب المسلم ، وتعييره (٢) .

٣ ـ اغتياب المسلم (٣) .

٤ ـ النميمة ، ونقلها (٤) .

٥ ـ الاستهزاء والسخرية بالمسلم .

٦ ـ قول السوء ، والفحش فى القول (٥) .

٧ ـ شهادة الزور (٦) .

٨ ـ كلمات الكفر كالاستهزاء بالشرع أو بصاحبه (٧) .

٩ ـ الحلف بغير اللّه تعالى (٨) .

١٠ ـ دعاء غير اللّه تعالى (٩)

جـ ـ الأفعال التى هى عبادات :

إن الأفعال التى تعبدنا اللّه تعالى بها حيث أمر اللّه تعالى بها ، أو أمر رسوله ﷺ كثيرة

---

(١) لقول اللّه تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على اللّه الكذب** ﴾ الصف : ٧ وقول الرسول ﷺ : « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخارى (١ / ٣٧) ، ومسلم (١ / ٧) .

(٢) الحديث : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » رواه البخارى (١ / ٢٠) ، ومسلم (١ / ٥٧) .

(٣) لقول اللّه تعالى ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضا ...** ﴾ الآية من سورة الحجرات : ١٢ .

(٤) الحديث : « وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ... الحديث رواه البخارى (١ / ٦٢) .

(٥) الحديث الترمذى (٤ / ٣٥) ، وأحمد (١ / ٤٠٥) ، وهو صحيح الإسناد : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء » .

(٦) الحديث مسلم (١ / ٦٤) « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً : الإشراك باللّه وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور » .

(٧) لقول اللّه تعالى : ﴿ **قال أبا للّه وآياته ورسوله كنتم تستهزءون** ﴾ سورة التوبة : ٦٥ .

(٨) الحديث الترمذى : « من حلف بغير اللّه فقد أشرك » (٤ / ١١٠) .

(٩) لقول اللّه تعالى : ﴿ **فلا تدعوا مع اللّه أحداً** ﴾ سورة الجن : ١٨ .

وهى كالأقوال منها ما يفعل ، ومنها ما يترك ، وهذه الأفعال التى تؤتى ولا تترك : ـ

١ ـ الصلاة وهى أعظم الأعمال فريضة ونافلة .

٢ ـ الحج ، والعمرة إلى بيت الله .

٣ ـ الجهاد ، والرباط فى سبيل الله .

٤ ـ الصدقات من زكاة ، وتطوع .

٥ ـ صلة الأرحام بزيارتهم ، وبرهم ، والإحسان إليهم .

٦ ـ إكرام الضيف (١) .

٧ ـ فعل الخير مطلقاً (٢) .

د ـ الأفعال المتعبد بتركها :

إن الأفعال المتعبد بتركها كثيرة ، وهى سائر المحرمات الفعلية سواء كانت من أفعال القلوب ، أو الجوارح ومنها : ـ

١ ـ عقوق الوالدين .

٢ ـ الزنا ومنه النظر للأجنبية ، ومسها ، ومصافحتها ، وقذفها .

٣ ـ أكل الربا .

٤ ـ أكل مال اليتيم .

٥ ـ القمار .

٦ ـ السرقة .

٧ ـ شرب الخمر ، والتدخين .

٨ ـ التصوير (٣) .

---

(١) لحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » رواه البخارى (٨ / ١٣) ، ومسلم (١ / ٤٩) .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ الحج : ٧٧ .

(٣) لحديث : « لعن الله المصورين » . رواه البخارى (٧ / ٧٩) بمعناه .

٩ ـ الظلم بوضع أى شىء فى غير موضعه [١]

١٠ ـ سماع الباطل ، والتلذذ به من غناء ، ومزمار ونياحة [٢] .

ومن أفعال القلوب المتعبد بتركها ما يلى : ـ

١ ـ الكبر وهو غمط الحق ، واحتقار الناس [٣] .

٢ ـ العجب بالنفس ، والعمل [٤] .

٣ ـ الحسد للناس [٥] .

٤ ـ الغل للمؤمنين [٦] .

٥ ـ البغض للصالحين [٧] .

٦ ـ محبة أهل الظلم ، والشر والفساد من كافر ، وفاسق ، وظالم [٨] .

٧ ـ إرادة السوء بالمؤمنين ، وإضمار الشر لهم [٩] .

---

(١) لحديث : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » رواه مسلم (٨ / ١٨)

(٢) لقوله تعالى : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾ الإسراء : ٣٦ .

(٣) لقول الرسول ﷺ : « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه مسلم (١ / ٦٥) .

(٤) لحديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرّجل رأسه يختال فى مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة » رواه البخارى (٤ / ٢١٥) ، ومسلم (٦ / ١٤٨) .

(٥) لحديث « إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » رواه أبو داود (٢ / ٥٧٤) وابن ماجة (ص ١٤٠٨) .

(٦) لقول الله تعالى : ﴿ **ربنا لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا** ﴾ .

(٧) لحديث أنس : « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا . وكونوا عباد الله إخوانا . ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » رواه البخارى (٨ / ٢٣) ، ومسلم (٨ / ٨) .

(٨) لأن من الإيمان حب ما يحب الله ، وبغض ما يبغض ، والله لا يحب الظالمين ، ولا يحب المفسدين .

(٩) لقول الله تعالى : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً** ﴾ الأحزاب : ٥٨ .

ولقول الرسول ﷺ : « من حمل السلاح علينا فليس منا ، ومن غشنا فليس منا » رواه مسلم (١ / ٦٩) .

وقوله ﷺ : « بحسب امرؤ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » رواه مسلم (٨ / ١١) .

إحسانك أيتها المؤمنة

أن الإحسان ثلث دينك أيتها المؤمنة لما علمت من أن النبى ﷺ لما سئل عن الإسلام فأخبر أنه إيمان ، وإسلام ، وإحسان [1] وقد عرفت فى كتابك هذا الإيمان والإسلام . وهذا هو الجزء الباقى وهو الإحسان ، فاعرفيه ، وأحسنى فى معتقدك ، وقولك ، وعملك ، وبذلك يكمل دينك ، وتصبحين أهلاً للكمال ، والسعادة فى الدنيا والآخرة .

وإليك بيانه مفصلاً :

الإحسان : ـ لغة ـ ضد الإساءة . والإحسان واجب ، والإساءة حرام ، أمر الله تعالى به ، وأثنى على فاعله [2] ، وأخبر أنه مع أهله . وهو واجب فى العقيدة ، والقول ، والعمل . كما أن الإساءة تكون فى العقيدة ، والقول ، والعمل ، وهو أى الإحسان لا يتم لك ، ولا تكونين من أهله إلا إذا وطّنت نفسك لمراقبة اللّه تعالى ، فكنت على حال لا تقولين ولا تفعلين إلا وكأنك بين يدى اللّه تعالى تنظرين إليه . أو هو ناظر إليك . بين هذا رسول اللّه ﷺ فى جوابه لمن سأله عن الإحسان ، فقال : « الإحسان : ان تعبد اللّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . » [3] .

ومعناه : أن العبد إذا دخل فى العبادة يكون فيها على أحد حالين : إما أن يكون من شدة المراقبة للّه تعالى كأنه يرى اللّه تعالى . وإما أن يكون معتقداً أن الله تعالى يراه ، وبذلك يحسن العبد قوله وعمله ، ويتقنهما حتى يثمرا الثمرة المطلوبة منهما .

ولكى تكونى أيتها المؤمنة من أهل الإحسان عليك بمراقبة اللّه عز وجل فى شأنك كله إذا فكرت ، إذا قلت ، إذا عملت ، وبذلك تكون أقوالك ، وأعمالك صالحة ، مثمرة ، نافعة لك .

واعلمى أنه لا يصح منك قول ولا عمل حتى تريدى به وجه اللّه تعالى أولاً ، وهذا

---

(١) إشارة إلى حديث جبريل الذى رواه عمر بن الخطاب وهو فى صحيح مسلم (١ / ٢٨ ، ٢٩) ، وخرجه أهل الحديث ، وهو حديث مشهور ، صحيح .

(٢) لقول اللّه تعالى : ﴿ **وأحسنوا إن اللّه يحب المحسنين** ﴾ المائدة : ٩٣ ، وقوله : ﴿ **إن اللّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ النحل : ١٢٨ .

(٣) وهو فى حديث جبريل المتقدم ذكره ، رواه مسلم (١ / ٢٩) وغيره .

هو الإخلاص [١] .

وتعلمى ما القول ؟ وما الفعل المحبوب إلى اللّه تعالى ؟ وما هى كيفية القول ؟ والعمل المحبوب إليه تعالى ثانياً ؟

ومن هنا وجب عليك العلم قبل القول ، والعمل كما قال تعالى ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا اللّه** ﴾ [٢] وكما قال البخارى « العلم قبل القول والعمل » [٣] لذا ألفت لك هذا الكتاب ، حاوياً كل ما ينبغى لك معرفته من المعتقدات ، والأقوال ، والأعمال ، مما يجب اعتقاده ، وقوله ، وعمله ، ومما يجب تركه من ذلك ، وقد تقدم بيانه آنفاً .

وها أنذا أبين لك كيفيات العمل ، والقول فى العبادات ، والآداب ، والأخلاق .

وأبدأ بأولى قواعد الإسلام : الصلاة ، ثم أوالى بيان باقى القواعد إلى نهايتها . ثم أبين لك الآداب التى يلزم التأدّب بها ، . والأخلاق التى يجب التخلّق بها ــ سائلاً لك اللّه تعالى الفهم فيها ، والعمل بها لتكملى ، وتسعدى فى دنياك وآخرتك .

القاعدة الثانية الصلاة

اعلمى أن الرسول ﷺ قال : « لا تُقبل صلاة بغير طهور » [٤] . **يعنى طهارة** ، والطهارة للصلاة تكون معنوية وهى طهارة القلب ، وحسيّة وهى طهارة البدن والثوب ، والمكان .

الطهارة المعنوية (طهارة القلب)

أما طهارة القلب فهى خلوّ القلب وفراغه مما يلى :

١ ــ الشك [٥] : وهو التردد ، وعدم الجزم بصحة وجود اللّه تعالى ، أو وجود ما أخبر به

---

(١) قال تعالى : ﴿ **ألا للّه الدين الخالص** ﴾ الزمر : ٣ . وقال : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا اللّه مخلصين له الدين** ﴾ .الزمر : ٥ . وقال تعالى : ﴿ **فادعوا اللّه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** ﴾ غافر : ١٤ . (والدعاء هو الدين فمن أشرك فى دعائه غير اللّه تعالى لم يستجب له ووجبت له النار . فاحذرى الشرك أيتها المؤمنة فى الدعاء وفى غيره من العبادات ، وأخلصى جميع أعمالك لربك عز وجل .

(٢) سورة محمد : ١٩ .

(٣) البخارى (١ / ٢٧) .

(٤) رواه مسلم (١ / ١٤٠) ، والبخارى بمعناه (١ / ٤٥) .

(٥) الشك فى أصول الدين كفر ، والشاك فى وجود اللّه تعالى أوفى البعث والجزاء فى الدار الآخرة كافر أيضاً والكافر لا تقبل منه العبادة حتى يؤمن وعلى هذا إجماع الأمة الإسلامية .

تعالى من أركان الإيمان ، وسائر الغيوب التى جاءت فى القرآن ، وأخبر بها الرسول ﷺ من البعث ، والحساب ، والجزاء ، والنعيم فى دار النعيم فى الجنة ، والعذاب المهين فى النار .

٢ ـ **النفاق** : وهو إظهار الإيمان ، وإبطان الكفر ، ومن علامات وجوده فى الشخص : خُلف الوعد ، ونكث العهد ، وخون الأمانة (١) .

٣ ـ **الشرك** : وهو عبادة غير اللّه تعالى بدعاء غيره من عباده ، أو الاستغاثة بهم ، أو الذبح ، أو النذر لهم . أو الخوف منهم ، أو الطمع فيهم ، والرغبة إليهم ، أو الحلف بهم (٢) .

٤ ـ **الرياء** : وهو القول أو الفعل مما هو عبادة شرعها اللّه تعالى وتعبد المؤمنين بها من أجل الناس ليحملوه بها، أو ليتركوا ذمه من أجلها ، وهى من الشرك الأصغر لحديث : « إياكم والشرك الأصغر » : قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول اللّه ؟ « قال الرياء »(٣) .

٥ ـ **الكبر** : وهو عدم قبول الحق ، واحتقار الناس لحديث « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » (٤) وسئل عنه ﷺ فقال « الكبر : بطر الحق وغمط الناس » (٥) .

٦ ـ **الحسد** : وهو تمنى العبد زوال النعمة عن غيره لتحصل له ، أو لم تحصل ! وهو فى حقيقة الأمر اعتراض على اللّه فى تصرفه فى خلقه ، ولذا هو من أكبر الذنوب ، وصاحبه لا يفلح . ومن الحكم قولهم : الحسود لا يسود (٦) .

٧ ـ **الحقد** : وهو الإصرار على عداوة المؤمن ، وإرادة الشر له .

٨ ـ **الغِلّ** : وهو بغض المؤمن ، وعدم الرضا عنه .

٩ ـ **الشح** (٧) : وهو البخل بالخير ، أو المعروف مع الحرص على حيازته للنفس ، وعدم

---

(١) لحديث « آية المنافق ثلاثة إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » رواه البخارى (١ / ٦١) ، ومسلم (١ / ٥٦) .

(٢) لحديث : « من حلف بغير اللّه فقد أشرك » رواه الترمذى (٤ / ١١٠) ، وأحمد (١ / ٤٧) ، والحاكم (١ / ٥٢) . عن ابن عمر رضى اللّه عنهما.

(٣) فى رواية أحمد (٥/٤٢٨) : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول اللّه ؟ قال : الرياء... » الحديث .

(٤) رواه مسلم (١ / ٦٥) . (٥) رواه أبو داود (٢ / ٣٨١) والترمذى (٤ / ٣٦١) .

(٦) وفى الصحيح : « ولا تحاسدوا » وهو نهى يقتضى التحريم ، فالحسد إذاً حرام .

(٧) فى الحديث : « اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم .. » الحديث رواه مسلم (٨ / ١٨) .

بذله لغيرها من الناس .

١٠ ـ العجب : وهو إعجاب المرء بنفسه ، أو بقوله ، أو عمله ، مع رؤية الفضل له على غيره ، وهو من أخطر أمراض القلوب التى قلَّما ينجو صاحبها .

وأما الطهارة الحسية وهى طهارة البدن ، والثوب ، والمكان :

أما طهارة البدن : فهى عبارة عن سلامة بدن المؤمنة من الخبث الذى هو البول ، والعذرة ، والدم ، إذ هى تستنجى [١] بالماء كلما تبولت ، أو تغوطت فتغسل فرجيها بالماء ، وإن لم تجد الماء تستجمر بحجارة ، أو ورق ، أو خرق ثلاث [٢] مرات . حتى تخرج الخرقة ، أو الورقة ، أو الحجارة [٣] الأخيرة جافة ، وتحافظ دائماً أن لا يمس بدنها نجاسة من بول ، أو دم ، أو عذرة ، وإذا أصاب بدنها شىء من ذلك غسلته بالماء الطهور الذى يُرّفع به الحدث ، وهو الماء الباقى على أصل خِلْقته بحيث لم يخالطه شىء يغير لونه ، أو طعمه ، أو ريحه ، وذلك كماء الآبار ، والأنهار ، والبحار .

كما هى أيضاً سلامة البدن مما قام به من حدث أصغر أو أكبر . فالحدث الأصغر ما يوجب الوضوء ، والأكبر ما يوجب الغسل .

أما الوضوء : فهو أن تنوى المؤمنة رفع الحدث الأصغر قائلة بسم الله ، وتغسل كفيها ثلاثاً قبل أن تدخلهما الإناء ، ثم تتمضمض ثلاثاً ، وتستنشق ثلاثاً ، وتغسل يديها إلى المرفق ثلاثاً اليمنى قبل اليسرى ، وتمسح رأسها مع أذنيها مرةً واحدة ، وتغسل رجليها إلى الكعبين ثلاثاً أو أكثر حتى تعمم بهما الماء ، وتنقيهما من الأذى [٤] .

---

(١) من آداب قضاء الحاجة ما يلى :

١ ـ أن لا تستقبل القبلة ببول ، ولا غائط لنهى الرسول ﷺ عن ذلك .

٢ ـ أن يبدأ الداخل إلى بيت الخلاء برجله اليسرى ، وإذا خرج قدم اليمنى ويقول : بسم الله عند الدخول والحمد لله لما يخرج ، لورود هذا فى السنة .

٣ ـ أن لا يستجمر بروث ، ولا عظم لنهى الرسول ﷺ عن ذلك .

(٢) يستحب قطع الاستجمار على وتر ثلاث أو خمس أو سبع .

(٣) يستحب الجمع بين الاستجمار والاستنجاء . وكل منهما كاف فى الطهارة غير أن الماء أطيب ، والجمع أكمل .

(٤) هذه ، صفة الوضوء الواردة فى حديث عثمان رضى الله عنه فى الصحيح : إذا توضأ ثم قال : « هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ » رواه البخارى (١ / ٥١) ، ومسلم (١ / ١٤١) .

هذا وموجب الوضوء ، أو ناقضه [١] ما يلى :

١ ـ الخارج من الفرجين من بول ، أو غائط ، أو فساء ، أو ضراط ، أو مَذْى [٢] .

٢ ـ النوم الثقيل إن كان النائم جالساً أو متكئاً ، والخفيف أو الثقيل إن كان مضطجعاً .

٣ ـ مس الفرج باليد إن لم يكن هناك حائل كثوب ونحوه [٣] .

وإذا انتقض الوضوء بناقض مما ذكر فلا يجوز لصاحبه الصلاة ، ولا الطواف ، ولا مس المصحف حتى يتوضأ .

وأما الغسل : فهو أن تنوى [٤] المغتسلة رفع الحدث الأكبر قائلة ؟ بسم اللّه ، وتُفْرِغ الماء على كفيها فتغسلهما ثلاثاً ، ثم تتوضأ الوضوء الأصغر ، ثم تخلل شعر رأسها ثلاثاً ، ثم تُفرغ الماء على رأسها فتغسله ثلاثاً مع الأذنين ظاهرهما وباطنهما ، ثم تفيض الماء على شقها الأيمن ثم الأيسر من الرأس إلى القدم وتتبع المواضع التى ينبو [٥] عنها الماء كالسرة ، وتحت الإبطين ، وتحت الركبتين .

وموجب الغسل : الأمور التالية :

١ ـ **الجنابة** : وهى الجماع ، فإذا التقى الختانان وجب الغسل [٦] ، وإن لم يكن شهوة ولا إنزال .

٢ ـ **الاحتلام** : وهو أن ترى النائمة أنها تجامع فينزل منها ماء ، فإن لم تنزل ماء فلا غسل عليها [٧] .

٣ ـ انقطاع دم الحيض ، أو دم النفاس [٨] .

---

(١) لا فرق بين القول بموجبات الوضوء أو نواقضه .

(٢) لا يستنجى من الريح ولا من الضراط وإنما الاستنجاء من البول ، أو الغائط فقط .

(٣) الحديث : « من أفضى منكم بيده إلى فرجه فقد وجب عليه الوضوء » انظرى جامع الأصول (٧ / ٢٠٨) ، « من مس ذكره فليتوضأ » رواه مالك (١ / ٤٢) ، وأبو داود (١ / ٤١) ، والنسائى (١ / ٨٤) والحديثان صحيحان وبهما العمل عند أئمة الفقه .

(٤) هذه الصفة للغسل واردة عن عائشة أم المؤمنين رواها أصحاب الصحاح والسنن .

(٥) ينبو عنها الماء : أى يتجاوزها ، ولا يمس البشرة .

(٦) لحديث « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » انظرى البخارى (١ / ٧٣) ، ومسلم (١ / ١٨٦) ، ١٨٧) .

(٧) « هل على المرأة من غسل إذا احتلمت يا رسول اللّه ؟ فقال : إذا رأت الماء » الحديث فى البخارى (١ / ٤٣) ، ومسلم (١ / ١٧٢) .

(٨) يعرف الإنقطاع بإدخال قطنة ونحوها فتخرج جافة ، أو بوجود القصّة البيضاء ، وهو ماء أبيض يخرج آخر الحيض ، وهذه أنفع علامة ، لأنها متى وجدت لا يأتى الدم بعدها بخلاف الجفاف فقد يرى الدم بعده .

انعدام الماء الطهور [1] والتيمم

إذا عدمت أيتها المؤمنة الماء الطهور لوضوءك ، أو غسلك ، أو وجدته ولم تقدرى على استعماله لمرض أصابك كجراحات ونحوها ، أو كان الماء بارد والجو بارد ولم تجدى ما تسخنين به الماء لتغتسلى وقد وجب عليك الغسل فاعلمى أن هناك بدلاً عن الوضوء والغسل وهو (التيمم) قال تعالى : ﴿ **وإن كنتم مرضى أو على سفر [2] أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً [3] فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج [4] ، ولكن يريد ليطهركم ويتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾ [5] .

وكيفية التيمم : أن تضربى بكفيك الأرض ناوية استباحة الممنوع من الحدث الأصغر أو الأكبر بالتيمم قائلة : بسم الله ، ثم تمسحى وجهك بيديك ، ثم كفيك بعضهما ببعض . وبذلك أصبحت متطهرة فلك أن تصلى ، أو تطوفى أو تقرئى فى المصحف .

وينقض التيمم كل ما ينقض الوضوء ، ويزيد بوجود الماء قبل الدخول فى الصلاة لمن عدم الماء فتيمم .

أحكام : الحيض ـ والنفاس

اعلمى أيتها المؤمنة أن للحيض والنفاس أحكاماً شرعية لابد لك من معرفتها ، وإليك بيانها مفصلاً :

---

(١) تقدم معنى الطهور بفتح الطاء وهو الماء الذى لم يخالطه شىء يغير لونه أو ريحه ، أو طعمه وما تغير بأصل خلقة فهو طهور كماء البحر ، أو ماء يجرى على أرض تربتها حمراء فاحمر بها فلا يضر ذلك ، وهو طهور وإن تغير لونه بما لا يفارقه عادة .

(٢) الآية من سورة المائدة : ٦ . وفى النساء : ٤٣ ـ نظيرتها أيضاً .

(٣) الصعيد الطيب هو التراب الطاهر أى الذى لم ينجس ببول أو نحوه . (٤) الحرج : المشقة الشديدة .

(٥) من أعظم أنواع الشكر إقامة الصلاة ، فلذا تارك الصلاة كافر غير شاكر . ومن الشكر حمد الله تعالى أو الاعتراف بالنعمة له عز وجل ، وصرف بعض النعم فيما من أجله أنعم بها على العبد كالتصدق بالمال ، وتعليم العلم ، وإعانة المحتاج ومساعدة الضعيف على عمله .

أ ـ الحيض :

وهو الدم الخارج من الرحم عند انعدام الجنين غالباً ، وهو دم أحمر قد يميل إلى السواد ، وقد تكون له رائحة كريهة أحياناً . وأقل مدته يوم وليلة ، وأكثرها خمسة عشر يوماً . والنساء فيه ثلاث :ـ

١ ـ **المبتدأة** : وهى التى ترى الحيض لأول مرة ، وحكمها : أنها إذا رأت الدم قد خرج منها لأول مرة تعلم أنها أصبحت حائضاً فتترك الصلاة ، والجماع ، ودخول المساجد ، وقراءة القرآن حتى تطهر بانقطاع دمها ، ويعرف ذلك بالجفاف بأن تدخل قطنة فى فرجها وتخرجها فتجدها جافة ما فيها من بلل الدم . كما يعرف بخروج القصة البيضاء وهو ماء أبيض كالجير .

وقد ينقطع دم المبتدأة بعد يوم أو يومين أو ثلاث أو أكثر إلى نهاية مدة الحيض وهى خمسة عشر يوماً فإذا انقطع وجب عليها الغسل فتغتسل ، وتصلى ، وتوطأ [١] وتأتى كل ما كان محظوراً عليها بالحيض .

٢ ـ **المعتادة** : وهى التى لها عادة من كل شهر يأتيها الحيض فيها ، وقد تكون يوماً أو أكثر إلى نهاية مدة الحيض وهى خمسة عشر يوماً .

فالمعتادة هذه تترك الصلاة ، والوطء وكل ما يمنع بالحيض أيام عادتها ، فإذا انتهت أيام عادتها ، وانقطع الدم عنها اغتسلت وصلّت . وإن رأت بعد انقضاء عادتها ، وحصول طهرها بالجفوف أو القصة البيضاء ، صفرةً أو كُدْرةً ، لا تلتفت إليها لقول أم عطية [٢] الصحابية : « ما كنا نعد الصفرة أو الكدرة بعد الطهر شيئاً » [٣] .

أما إذا انقطع الدم عنها قبل نهاية أيام عادتها فاغتسلت ثم عاودها الدم فإن عليها أن تقف عن الصلاة ، وتعلم أنها حائض فإذا انقطع الدم بعد كمال عدتها اغتسلت ، وصلت ، وإن رأت بعد ذلك صُفرةً أو كُدْرةً فلا تبالى بها فإنها طاهرة .

---

(١) قولنا : توطأ نريد إذا كان لها زوج وأراد منها ذلك فلا يفهم أن الوطء بعد الطهر لازم ، أو عبادة فاضلة . وإنما بما أنها كان محظوراً عليها ذلك بسبب الحيض فإذا انتهى الحيض جاز لها فعل ما كان محظوراً عليها ، ومن بين ذلك الجماع .

(٢ ، ٣) هذه صحابية مجاهدة عالمة مفضالة روى عنها هذا فى صحيح البخارى (١ / ٨٥) بدون ذكر بعد الطهر ، وهو فى الدارمى (١ / ١٧٥) بلفظ بعد الغسل » .

٣ ـ **المستحاضة** : وهى من دمها يجرى دائماً بلا انقطاع . وحكمها إن كانت لها عادة قبل أن تصاب بالاستحاضة ، وكانت تعرف أيامها من كل شهر فإنها إذا جاءت تلك الأيام قعدت عن الصلاة ، وغيرها حتى تنقضى تلك الأيام ، ثم تغتسل ، وتصلى ، وتفعل كل ما كان ممنوعاً عنها بسبب الحيض . وإن لم تكن لها عادة ، أو كانت لها . ولكنها نسيت أيامها فإن عليها أن تنظر فى دمها الجارى عنها فإن كان يتغير من حمرة إلى سواد ، وثخونة بعدما كان خفيفياً أحمر فقط فإنها إذا رأت دمها تغير علمت أنها حائض وتركت الصلاة ، فإذا عاد الدم إلى صفته اغتسلت وصلت .

وإن كان دمها لا يتغير فحكمها أنها تقعد من كل شهر مدة غالب الحيض [١] . فلا تصلى ولا تصوم ، ولا توطأ فإذا انقضت تلك المدة إغتسلت ، وصلت [٢] ، وهى طاهرة إلى دخول الشهر التالى .

ب ـ النفاس : وهو الدم الخارج بعد الولادة مباشرة أو قبلها بيوم أو يومين ، وحكمه أنه يمنع ما يمنعه دم الحيض سواء بسواء حتى ينقطع فإذا انقطع بعد الولادة ، ولو بيوم أو أكثر اغتسلت المؤمنة ، وصلت لأنها طاهرة . وإن استمر جارياً فهى نفساء لا تصلى ، ولا تصوم إلى انقطاعه فإن انقطع قبل أربعين يوماً فذاك ، وإلا اغتسلت وصلت بعد كمال الأربعين ، ولو لم ينقطع دمها وهذا أحوط لدينها من انتظار انقطاعه إلى الستين [٣] يوماً وهى أقصى مدة النفاس عند أهل العلم .

---

(١) مدة غالب الحيض ستة أيام أو سبعة .

(٢) دليل هذه المسألة حديث أبى داود (١ / ٦٢) والنسائى (١ / ١٠٢) وإسناده حسن وهو « أن أم سلمة استفتت الرسول ﷺ فى امرأة تهراق الدم ؟ فقال : لتنظر عدة الليالى والأيام التى كانت تحيضهن من الشهر قبل أن يصيبها الذى أصابها فلتترك الصلاة قدر ذلك من الشهر فإذا خلفت ذلك فلتغتسل ، ثم لتستثفر بثوب ثم لتصل » . ففى هذا الحديث دليل المستحاضة ذات العادة .

أما المستحاضة غير المعتادة فإنها تتحيض من كل شهر غالب الحيض تقعد فيه ، ثم تغتسل وتصلى ، ودليلها حديث فاطمة بنت حبيش رضى الله عنها : إذ قال لها الرسول ﷺ : « إذا كان دم الحيض فإنه أسود تعرف ، فإذا كان كذلك فامسكى عن الصلاة ، فإذا كان الآخر فتوضىء (بعد الاغتسال) وصلى فإنما هو عرق » . رواه أبو داود (١/ ٦٦) والنسائى (١ / ١٠٢) .

(٣) القائل بالستين يوماً مدة لنهاية النفاس الفقهاء المالكية ومن وافقهم كالشافعية .

موانع الحيض والنفاس

اعلمى أيتها المؤمنة أن دم الحيض والنفاس يمنع أموراً وهى :

١ ـ الصلاة فريضة كانت أو نافلة .

٢ ـ الصيام مطلقاً إلا أن ما أفطرته من صيام رمضان عليها قضاءه بعد انقضاء رمضان فى حال طهرها ، أما الصلاة فلا قضاء عليها فيها .

٣ ـ دخول المساجد مطلقاً لحديث : « لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب » [١] .

٤ ـ قراءة القرآن الكريم ، إلا أنه يرخص لها فى قراءة ما تخشى أن تنساه مما حفظته من كتاب الله تعالى .

٥ ـ الطواف مطلقاً لحج ، أو عمرة أو لتطوع لأن المسجد ممنوع عنها ، والبيت فى المسجد الحرام ، ولأن الطواف يشترط له الطهارة كذلك .

هذا واعلمى أيتها المؤمنة أنه ينبغى لك إذا كنت فى آخر أيام حيضك أن تنظرى فى نفسك قبل الفجر من الليل ، فإن رأيت الطهر اغتسلت ، وصليت المغرب والعشاء ، وتنظرى كذلك قبل طلوع الشمس فإن رأيت الطهر اغتسلت وصليت الصبح ، وتنظرى قبل غروب الشمس بساعة فإن رأيت الطهر اغتسلت وصليت الظهر والعصر ، وإنما وقت تطهرين فيه فاغتسلى فوراً فإن بقى من الوقت قبل خروجه قدر ما تصلين فيه ركعة وجب عليك أداء تلك الصلاة وإلا فليس عليك أداؤها ولا قضاؤها .

الصلاة

هذه هى القاعدة الثانية من قواعد إسلامك أيتها الفتاة المؤمنة ، أداؤها فى أول أوقاتها أفضل الأعمال ، وتركها كفر [٢] ، وإقامتها إيمان ، والتهاون بها موجب لسخط الرحمن ،

---

(١) رواه أبو داود (١ / ٥٣) وابن ماجه (ص ٢١٢) وهو صحيح الإسناد ، وبه العمل عند سائر الفقهاء من أهل السنة .

(٢) للحديث الصحيح : « إن ما بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه مسلم (٦٢/١) ، ولحديث « إن العهد الذى بيننا بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » رواه النسائى (١٨٧/١) وغيره .

والمحافظة عليها تورث الفوز بالجنان . وما علمته من الطهارة وأحكامها هو شرط من شروطها التى لا تصح إلا بها ، وباقى الشروط هى :

١ ـ ستر العورة بأن تكون المؤمنة عند دخولها فى الصلاة مستورة من قمة رأسها إلى أسفل قدميها ، فإن صلت مكشوفة الشعر ، أو النحر ، أو الصدر ، أو الذراعين ، أو الساقين لم تصح صلاتها .

٢ ـ استقبال القبلة فإذا عرفت القبلة فاستقبليها بصلاتك وإلا بطلت عليك ، وإن كنت لا تعرفيها فاسألى من يعرفها ، فإن لم تجدى أحداً يدلك عليها فاجتهدى وصلى إلى الجهة التى غلب على ظنك إنها القبلة فإن صلاتك صحيحة لقول اللّه تعالى : ﴿ **فأينَما تولُّوا فَثم وَجْهُ اللّه** ﴾ (١) .

٣ ـ طهارة البدن ، والثوب ، والمكان ، وقد سبق لك معرفتها .

هذه شروط صحة الصلاة ، وهناك شروط وجوبها ، بمعنى أن الصلاة لا تجب على العبد إلا إذا توفرت تلك الشروط له وهى :

١ ـ الإسلام فغير المسلم لا يطالب بها إذ لا تصح منه حتى يكون مؤمناً ، موحداً وغير المسلم ما هو بمؤمن ، ولا موحد ، بل هو كافر مشرك .

٢ ـ العقل إذ المجنون ومن لا عقل له لا تجب عليه الصلاة حتى يفيق بعودة العقل إليه (٢)

٣ ـ البلوغ وهو السن التى إذا انتهى الصغير إليها أصبح مكلفاً شرعاً فتعجب عليه الصلاة ، ويعاقب على تركها بالإعدام إن أصر على عدم أدائها .

وهناك علامات تظهر على الصبى والجارية فتدل على البلوغ وهى :

١ ـ الحيض إذا حاضت الجارية فقد بلغت ووجبت عليها الصلاة ، وسائر التكاليف الشرعية .

٢ ـ إنبات الشعر حول الفرج فمن انبتت فقد بلغت .

---

(١) سورة البقرة : ١١٥ .

(٢) لحديث « رفع القلم عن ثلاثة ، عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » . رواه أبو داود (٢ / ٤٥٢) ، والترمذى (٤/٣٢) ، وابن ماجه (ص ٦٥٨) .

٣ ـ الاحتلام فمن احتلم من الصغار فوجد المنى فى ثوبه فقد بلغ .

٤ ـ بلوغ ثمان عشر سنة [١] من عمره .

فمتى لم يبلغ سن التكاليف لا يجبر على الصلاة ، وإنما يؤمر بها دون إجبار إذا ميز ببلوغه السابعة [٢] من عمره ، وإذا بلغ عشراً يضرب عليها إن تركها ضرباً خفيفاً ، فإذا بلغ أجبر عليها حتى يؤديها أو يقتل كفراً .

أركان الصلاة

إعلمى أيتها المؤمنة أن للصلاة أركاناً هى فرائضها ، التى لا تصح إلا بها ، ومعرفتها فى الجملة ضرورية ، وذلك للتفرقة بينها وبين ما ليس فرضاً من أجزاء الصلاة ، إذ الفرض لا بد من الإتيان به وإلا بطلت الصلاة ، وأما غير الفرض من السنن الواجبة إذا ترك سهواً فإنه يجبر بالسجود ، كما سيأتى بيانه .

وهذه أركان الصلاة فرائضها :

١ ـ **النية** : وهى قصد الصلاة ، وتعيينها بالقلب .

٢ ـ **تكبيرة الإحرام** : الله أكبر ، وأنت قائمة ، معتدلة .

٣ ـ **قراءة الفاتحة** : الحمد لله رب العالمين إلى آخرها .

٤ ـ **الركوع** : انحناء الظهر ، ووضع اليدين فوق الركبتين ، مع الاعتدال ، والطمأنينة فيه .

٥ ـ **الرفع من الركوع قائمة** ، معتدلة ، مطمئنة .

٦ ـ **السجود** : وضع الجبهة والأنف على الأرض مع الكفين ، والركبتين وأطراف أصابع الرجلين فى اعتدال ، وطمأنينة .

٧ ـ **الرفع من السجود** جالسة معتدلة مطمئنة .

---

(١) هذه اقصى مدة ينتهى إليها عدم البلوغ ، ومن أهل العلم من يرى خمسة عشر عاماً هى أقصى مدة ينتهى إليها عدم البلوغ ، وفى الحقيقة هذه حال غالبة فقط فقد يقدر فلا يبلغ الغلام إلا بعدها .

(٢) حديث : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » رواه أحمد (٢ / ١٨٠ ، ١٨٧) ، وأبو داود (١ / ١١٥) بألفاظ مختلفة .

٨ ـ **السلام** : قول السلام عليكم ورحمة اللّه وأنت جالسة بعد التشهد [١] .

هذه جملة الأركان التى هى فرائض الصلاة التى متى ترك منها فرض بطلت الصلاة إلا أن يتدارك ، ويؤتى به .

واجبات الصلاة أو سننها المؤكدة

أن من أجزاء الصلاة التى تقوم بها الواجبات أو السنن المؤكدة التالية والفرق بين الركن والواجب أو الفرض والسنة المؤكدة هو أن الركن لا يجبر بالسجود ، والواجب يجبر بالسجود . وهذا بيان الواجبات أو السنن المؤكدة مجملاً :

١ ـ **قراءة سورة أو آية** فأكثر بعد قراءة الفاتحة فى الركعتين الأوليين من الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وكذا فى ركعتى صلاة الصبح مع القيام والاعتدال أثناء القراءة .

٢ ـ **التسميع والتحميد** : سمع اللّه لمن حمده ربنا لك الحمد [٢] عند الرفع من الركوع ، وأثناء القيام والاعتدال فيه .

٣ ـ **التسبيح فى الركوع** : سبحان ربى العظيم ثلاثاً فأكثر حال الركوع ، وسبحان ربى الأعلى ثلاثاً فأكثر حال السجود .

٤ ـ **التشهد** : التحيات للّه ، والصلوات الطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة اللّه وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين . أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وذلك بعد الركعتين الأوليين من الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، وأنت جالسة .

٥ ـ **الصلاة على النبي** ﷺ : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد [٣] كما صليت

(١) المراد بالتشهد : التحيات للّه إلى وأشهد أن محمداً عبده ورسوله والصلاة والسلام على الرسول وآله والتعوذ من عذاب النار ، وعذاب القبر ، وفتنة المحيا والممات ، وفتنة المسيخ الدجال .
على كل هذا يطلق لفظ التشهد الأخير فى الصلاة .

(٢) يستحب زيادة حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى . أو ملىء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شىء بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

(٣) توجد صيغ أخرى للصلاة غير أن هذه الصيغة أكمل وأتم .

على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . وذلك وأنت جالسة بعد التشهد الأخير قبل السلام .

٦ ـ **الجهر بالقراءة** : فى الأوليين من المغرب والعشاء ، وفى صلاة الصبح .

٧ ـ **الإسرار بالقراءة** : فى الظهر والعصر وثالثة فى المغرب ، والأخيرتين من العشاء هذه السنن المؤكدة ، أو الواجبات والتى إن ترك سنة منها سهواً أجبرت بالسجود بها .

وإما السنة غير الواجبة والتى لا شئ على من تركها سهواً فهى :

١ ـ رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام ، وكذا عند الركوع ، وعند الرفع منه ، وعند القيام من الركعتين ، ووضعهما على الصدر حال القيام .

٢ ـ دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام وهو : سبحانك اللهم وبحمدك ، تبارك إسمك ، وتعالى جدك [١] ، ولا إله غيرك [٢] .

٣ ـ الاستعاذة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . والبسملة : بسم الله الرحمن الرحيم سراً أما الاستعاذة فهى فى أول ركعة من الصلاة وأما البسملة فهى عند قراءة الفاتحة والسورة من كل ركعة سواء كانت الصلاة جهرية ، أو سرية .

٤ ـ قول آمين [٣] بعد قراءة الفاتحة جهراً خفيفاً .

٥ ـ تطويل القراءة فى الصبح والتوسط فى الظهر والعشاء وتقصيرها فى العصر والمغرب .

٦ ـ قول رب اغفر لى ، وارحمنى ، وعافنى ، واهدنى ، وارزقنى ، فى جلوسك بين السجدتين فى كل صلاة .

٧ ـ قول اللهم إنى أعوذ بك من نار جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيخ الدجال . بعد التشهد الأخير .

هذه هى السنن [٤] التى لا يجب السجود لها لأنها سنن غير مؤكدة ، وفى الإتيان بها أجر عظيم ، فحافظى عليها أيتها المؤمنة .

---

(١) جد الله : عظمته .　　(٢) أى لا معبود بحق سواك .　　(٣) معنى آمين اللهم استجب .

(٤) هذه السنن المؤكد منها وغير المؤكد ثابتة بأحاديث صحاح وحسان ومجموعها يمثل صلاة رسول الله ﷺ .

سنن غير مؤكدة خارج الصلاة

هناك سنن غير مؤكدة خارج الصلاة تركها لا يؤثر فى الصلاة ، والإتيان بها لا يزيد فى أجرها ، وإنما يؤجر فاعلها بأجر زائد عن أجر الصلاة وهى :

١ ، ٢ ـ **الأذان والإقامة** : وإن أذنت أو أقمت [١] فلن يكون ذلك إلا سراً وإن تركت ذلك فلا شيء عليك .

٣ ـ **قول** : استغفر اللّه ثلاثاً بعد السلام .

٤ ـ **قول** : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ثلاثاً .

٥ ـ **قول** : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

٦ ـ **قول** : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وقبلها : سبحان اللّه ، والحمد للّه ، واللّه أكبر ثلاثاً وثلاثين

٧ ـ **قراءة آية** [٢] الكرسى والصمد والمعوذتين .

سجود السهو وبيان مواضعه

سبق أن عرفت أيتها المؤمنة أن من تركت ركنًا من أركان الصلاة بطلت صلاتها إلا أن تأتى به ، وأن من تركت واجباً (سنة مؤكدة) سهواً أن عليها أن تجبرها بالسجود ، وصلاتها صحيحة . والآن إليك أمثلة لذلك :

١ ـ إن نسيت قراءة الفاتحة وتذكرت قبل الركوع أو وأنت راكعة فإنك تعودين قائمة وتقرأين الفاتحة ثم السورة . وإن تذكرت أنك ما قرأت الفاتحة وأنت فى الركعة الثانية

---

(١) ألفاظ الإقامة كالأذان إلا أنها وتر إلا قد قامت الصلاة فإنها شفع .

(٢) ورد من طرق عدة أن من واظب على قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة لا يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ، أى تأخر الموت عنه . الحديث رواه النسائى فى الكبير ، والطبرانى ـ وانظر الوابل الصيب ص ١٤٣ ، ١٤٤ بتحقيق الأرناؤوط .

فإنك تجعلين الركعة التى فيها هى الأولى ، وتلغين الركعة الأولى التى لم تقرأى فيها الفاتحة . ثم تتمين صلاتك ، وتسجدين بعد السلام أو قبله [1] سجدتين ثم تسليمتين .

٢ ـ إن تركت ركعة ، أو سجدة ، وأنت ساهية وتذكرت ذلك وأنت فى الركعة التى بعدها فإنك تلغين تلك الركعة وتتمين صلاتك ، وإذا فرغت فاسجدى للسهو سجدتين وسلمى .

أما إن تذكرت إنك سجدت سجدة واحدة وأنت تتشهدين فاسجدى السجدة المنسية وتشهدى ، واسجدى للسهو وسلمى ، وصحت صلاتك إن شاء اللّه تعالى .
هذان مثالان لمن ترك فرضاً أى ركناً من أركان الصلاة ، وكذا من ترك ركعة ساهياً أو ركعتين وتذكر بعد السلام وقبله فإنه لا يسعه إلا أن يأتى بما نسيه ، ويسجد للسهو بعد السلام ، ويسلم ، وصلاته صحيحة .

٣ ـ إن نسيت قراءة السورة أو قول سمع اللّه لمن حمده ربنا ولك الحمد . أو التشهد الأول الذى بعد الركعتين أو التسبيح فى الركوع ، أو السجود فإنك تسجدين قبل السلام وبعد التشهد سجدتى السهو ، ثم تسلمين ، وصحت صلاتك .

٤ ـ إن نسيت فزدت ركعة ، أو سجدة ، أو جهرت بالقراءة مطلقاً ثم تذكرت فإنك تسجدين بعد السلام سجدتى السهو ، ثم تسلمين ، وصلاتك صحيحة إن شاء اللّه .

كيفية الصلاة

لقد عرفت أيتها المؤمنة أجزاء الصلاة كلها ، فرائضها ، وواجباتها ، وسننها تفصيلاً .

وإليك الصلاة مركبة :

قفى متطهرة ، مستورة [2] ، بثياب طاهرة ، على أرض أو فراش طاهر ، مستقبلة

---

(١) هناك خلاف بين الأئمة فى كل السجود هل هو قبلى أو بعدى ، ومنه القبلى ومنه البعدى ، وأعدل الأقوال فيه إن كان لزيادة زادها المصلى سهواً يكون بعد السلام ، وما كان لنقصان فإنه يسجد له قبل السلام وإن زاد ونقص إن شاء غلب جانب النقصان أو جانب الزيادة وسجد .

(٢) بحيث لا يبدو منك إلا وجهك وكفيك .

القبلة ، وارفعي يديك حذو منكبيك قائلة : اللّه أكبر ناوية الصلاة التى قمت لها فرضاً أو نفلاً ، ثم اقرأى دعاء الاستفتاح [١] ، ثم استعيذى وبسملى واقرأى الفاتحة ، ثم سورة بعدها [٢] ، ثم اركعى قائلة : اللّه أكبر رافعة يديك حذو منكبيك ، ومدى ظهرك فى اعتدال مع رأسك ، واضعة كفيك على ركبتيك قائلة : سبحان ربى العظيم ثلاث مرات أو أكثر ، ثم ارفعى رأسك رافعةً يديك حذو منكبيك قائلة : سمع اللّه لمن حمده ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى . ثم اهوى للسجود قائلة : اللّه أكبر ومكنى جبهتك ، وأنفك من الأرض ، وكذا كفيك ، وركبتيك ، وأطراف أصابع قدميك ، جاعلةً رأسك بين كفيك ثم سبحى قائلة : سبحان ربى الأعلى ثلاثاً فأكثر وادعى اللّه بما شئت من الخير ، ثم ارفعى رأسك قائلة : اللّه أكبر ، فاجلسى معتدلة على رجلك اليسرى ناصبة قدمك اليمنى واضعة كفيك على ركبتيك قائلة : رب اغفر لى وارحمنى ، وعافنى واهدنى ، وارزقنى . ثم قومى للركعة الثانية مكبرة ، اللّه أكبر ، فإذا اعتدلت قائمة فاقرأى الفاتحة والسورة ، ثم أتمى صلاتك على نحو ما فعلت فى الركعة الأولى إلا أنك لا تقرأين فى ركعة المغرب الأخيرة وفى الأخيرتين من الظهر ، والعصر ، والعشاء إلا بالفاتحة دون السورة .

هذه كيفية الصلاة التى كان رسول اللّه ﷺ يصلى عليها ، ويعلمها أصحابه رضوان اللّه عليهم ، فصلى عليها ولا تنسى أعظم أركانها وهو الخشوع ، فإن الخشوع هو روح الصلاة . قال اللّه تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون الذين هُم فى صَلاتهم خاشعون** ﴾ [٣] .

مبطلات الصلاة

إن الصلاة إذا استوفت شروطها ، وأركانها ، وواجباتها ، وسننها كانت صلاة صحيحة ، تزكى النفس ، وتطهرها . ولكى تبقى كذلك ينبغى أن لا يطرأ عليها ما يفسدها ، والمفسدات ويعبر عنها بالمبطلات كثيرة وهى :

---

(١) دعاء الاستفتاح تقدم وهو سبحانك اللهم وبحمدك .. إلخ .

(٢) ليست السورة بلازمة إذ يكفى آية أو آيات من السورة كما يجوز أن تقرئى فى الركعة الواحدة سورتين ، إذ ثبت هذا عن الرسول ﷺ فى صحيح مسلم (٢ / ٣٩) .

(٣) فاتحة سورة المؤمنون .

١ ـ الكلام فيها لغير إصلاحها [1] عمداً أما سهواً فيسجد للسهو ولا تبطل .

٢ ـ الضحك فيها بقهقهة لا مجرد التبسم .

٣ ـ الأكل وإن قل كتمرة أو أقل .

٤ ـ الشرب ولو جرعة ماء .

٥ ـ العمل الكثير فيها لا مجرد حركة [2] .

٦ ـ انتقاض الوضوء فيها .

٧ ـ ذكر صلاة فاتته قبلها كأن يدخل فى العصر ، ثم يذكر أنه لم يصل الظهر فإنه يخرج من العصر ويصلى الظهر ثم يصلى العصر .

٨ ـ أن يذكر أثناءها أنه غير متوضأ .

٩ ـ أن لا يعتدل ولا يطمئن فى الركوع أو القيام أو السجود [3] أو الجلوس .

١٠ ـ أن يستدبر القبلة بحيث يعطيها ظهره كاملاً .

مكروهات الصلاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن هناك أموراً مكروهة أن تكون فى الصلاة قد تنقص من أجرها ولكنها لا تبطلها فاجتهدى أن تخلى صلاتك منها ما استطعت وهى :

١ ـ رفع البصر إلى السماء أثناء الصلاة [4] .

---

(١) لحديث : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس » . رواه مسلم (٢ / ٧٠) .

(٢) لأن الرسول ﷺ ثبت عنه أنه كان يغمز رجلى عائشة عند سجوده حتى تبعد رجليها من مكان سجوده الحديث البخارى (١ / ١٠٢) ، ومسلم (٢ / ٦١) ، وكذا حمله أمامه وهو يصلى ، الحديث فى البخارى (١ / ١٣٠) ، ومسلم (٢ / ٧٣) .

(٣) لقوله ﷺ للأعرابى الذى لم يطمئن فى صلاته : صل فإنك لم تصل ثلاث مرات حتى قال والذى بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمنى ، فعلمه ﷺ أن يطمئن فى ركوعه ويعتدل فى قيامه ويطمئن فى سجوده وجلوسه الحديث فى البخارى (٨ / ١٦٩) ، ومسلم (٢ / ١٠ ، ١١) .

(٤) لحديث : « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم ، رواه البخارى (١ / ١٨٠ ، ١٨١) ، ومسلم (٢ / ٢٩) .

٢ ـ الالتفات بالرأس أو البصر فيها [١] .

٣ ـ التخصر أى وضع اليد على الخاصرة [٢] .

٤ ـ كف ما استرسل من الشعر ، أو الكم ، أو الثوب [٣] .

٥ ـ تشبيك الأصابع ، أو فرقعتها فى الصلاة [٤] .

٦ ـ مسح الحصا للسجود أكثر من مرة [٥] .

٧ ـ قراءة القرآن فى الركوع أو السجود [٦] .

٨ ـ اللعب باللحية ، أو الخاتم ، أو الثوب وهو يصلى [٧] .

٩ ـ مدافعة الأخبثين : البول ، أو الغائط [٨] .

١٠ ـ الصلاة بحضرة الطعام .

١١ ـ الإقعاء : أن يلصق إليتيه بالأرض ، وينصب ساقيه ، ويضع يديه على الأرض كإقعاء الكلب [٩] .

---

(١) لقوله ﷺ : « هو : أى الالتفات : اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » رواه البخارى (١ / ١٨١) .

(٢) لقول أبى هريرة « نهى رسول الله ﷺ أن يصلى الرجل مختصراً ، والمرأة فى هذا كالرجل والحديث فى البخارى (٢ / ٨٠) ، ومسلم (٢ / ٧٤) .

(٣) لقول الرسول ﷺ « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ، ولا أكف ثوباً ولا شعراً » رواه مسلم (٢ / ٥٢) .

(٤) لحديث : « لا تفقع أصابعك وأنت فى الصلاة » . رواه ابن ماجه (ص ٣١٠) .

(٥) لحديث : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى » . وقوله : « إن كنت فاعلاً فمرة واحدة » . رواه أبو داود (١ / ٢١٧) وغيره .

(٦) لحديث : « نهيت أن اقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً » رواه مسلم (٢ / ٤٨) .

(٧) لحديث : « اسكنوا فى الصلاة » رواه مسلم (٢ / ٢٩) .

(٨) لحديث : « لا صلاة بحضرة الطعام ، ولا هو يدافعه الأخبثان » رواه مسلم (٢ / ٧٨ ، ٧٩) .

(٩) لحديث عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ ينهى عن عقبة الشيطان ، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع » ، رواه مسلم (٢ / ٥٤) .

أوقات الصلاة (١)

اعلمى أيتها المؤمنة أن للصلاة أوقاتاً تؤدى فيها فلا يجوز أن تقدم عنها ولا تؤخر ، وهذه الأوقات علمها جبريل عليه السلام النبى ﷺ حيث نزل فصلى بالرسول ﷺ حول الكعبة صلاة الصبح عندما طلع الفجر ، ثم نزل فصلى به صلاة الظهر بعد مازالت الشمس ، وأخذ الظل فى الزيادة ، ثم نزل فصلى به صلاة العصر بعد ما صار ظل كل شىء مثليه ، ثم نزل فصلى به صلاة المغرب بعد غروب الشمس ، ثم نزل فصلى العشاء بعد ذهاب الشفق الأحمر ، ثم جاءه من الغد حين أسفر جدا فقال قم فصلى ، ثم جاءه الظهر حين صار ظل كل شىء مثله فقال قم فصلى ، ثم جاءه العصر حين صار ظل كل شىء مثليه فقال قم فصلى ، ثم جاءه المغرب وقتاً واحداً لم يزل عنه ، ثم جاءه العشاء حين ذهب ثلث الليل أو نصفه قال قم فصلى فصلى العشاء ثم قال له : مابين هذين وقت (٢) . يريد بهذا أن الصلاة وقتين : اختيارياً وهو الأول ، وضرورياً وهو الثانى . ومعناه إذا لم تكن هناك ضرورة تستدعى تأخير الصلاة فلتصل فى أول الوقت ، وإذا كانت هناك ضرورة تؤخر إلى الوقت الضرورى ولا حرج .

قضاء الصلاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن من نام عن صلاة أو نسيها حتى خرج وقتها وجب عليه قضاؤها فوراً بلا تراخ ، وليقضها كما فاتته لقول الرسول ﷺ « من نام عن صلاة ونسيها فليصلها متى ذكرها فإنها لا كفارة لها إلا ذلك » (٣) .

أما ترك الصلاة عمداً فإنه يكفر به صاحبه لقول الرسول ﷺ « العهد الذى بيننا وبينهم

---

(١) الأوقات جمع وقت وهو الزمن المحدد . ودليل توقيت الصلاة بأوقات محدودة معينة قوله تعالى من سورة النساء : ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا**﴾ الآية : ١٠٣ .

(٢) روى بيان أوقات الصلاة أبو داود (٨ / ٩٣) ، والترمذى (١ / ٢٧٩) والنسائى (١ / ٢٠٤) ورواها مسلم (٢ / ١٠٦) من حديث أبى موسى فى سؤال سائل رسول الله عن مواقيت الصلاة .

(٣) الحديث فى مسلم (٢ / ١٤٢) بمعناه ، وفى البخارى (١ / ١٤٦) بذكر النسيان فقط ، وهو فى أبو داود (١ / ١٠٣ ، ١٠٥) والترمذى (١ / ٣٣٥) والنسائى (١ / ٢٣٨) .

الصلاة فمن تركها فقد كفر »[1] . ولذا اختلف العلماء فى هل تارك الصلاة عمداً تقبل منه لو هو قضاها أو لا تقبل ؟ فمن قال : تصح منه ، وتقبل أمره بالقضاء ومن قال : لا تصح منه ، ولا تقبل قال بعدم القضاء .

ونحن نقول : من نشط للقضاء ، وقضى ، وأحسن القضاء فله ذلك ، ومن لم يقض ، واكتفى بالتوبة ، وأكثر من النوافل فله ذلك وهو بخير إن صحت توبته ، ومات على حسن الخاتمة .

أقسام الصلاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن الصلاة أقسام وهى كالتالى :

١ ـ **الفرض** : هو الصلوات الخمس التى هى الصبح ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء .

٢ ـ **السنن المؤكدة**[2] : وهى العيدان ، والاستسقاء ، والكسوف للشمس ، والخسوف للقمر ، والوتر .

٣ ـ **السنن غير المؤكدة**[3] : وهى الرواتب : ركعتان قبل الظهر ، وركعتان بعده ، وركعتان قبل العصر ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء ، ورغيبة الفجر وهى ركعتان قبل صلاة الصبح وهى مؤكدة ، وتحية المسجد ركعتان قبل الجلوس فى المسجد لمن أراد أن يجلس .

٤ ـ **النوافل المقيدة** : مثل صلاة الضحى وأقلها ركعتان وأكثرها ثمانية . وركعتان بعد الوضوء ، وركعتان قبل المغرب ، وصلاة التراويح فى رمضان ، وصلاة الحاجة وهى ركعتان يصليهما المسلم ، ويسأل الله حاجته بعدهما .

---

(١) رواه الترمذى (٥ / ١٣ ، ١٤) والنسائى (١ / ١٨٧) .

(٢) بعض أهل الفقه يطلق على السنن المؤكدة لفظ الواجب وبما أن الصلوات الخمس هى الفرائض فإطلاق لفظ سنة على ما عداها أليق .

(٣) هذه السنن ، والنوافل مقيدها ومطلقها ثابتة بأحاديث صحاح وحسان ولذا لم نذكرها اختصاراً واكتفاء ببيان المطلوب وهو الصلاة وهى خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر منها فليستكثر .

٥ ـ **النوافل المطلقة** : وهى صلاة المرء بالليل والنهار من غير ما ذكر آنفاً .

أوقات لا تصلى النافلة فيها

اعلمى أيتها المؤمنة أن هناك أوقات لا تصلى فيها النوافل وهى :

١ ـ من صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس وترتفع قيد رمح .

٢ ـ عندما تكون الشمس فى كبد السماء حتى تزول (١) ويدخل وقت الظهر .

٣ ـ من بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس ويدخل وقت المغرب ، أما تحية المسجد فإنها تصلى فى كل وقت إلا عند طلوع الشمس وعند غروبها لقول الرسول ﷺ « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين (٢) وقوله : « لا تحروا بصلاتكم الشمس ولا غروبها » (٣) .

صلاة الجمعة

اعلمى أيتها المؤمنة أن صلاة الجمعة المذكورة فى قول اللّه تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا نُودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوا إلى ذكر اللّه وذروا البيع** ﴾ (٤) ، غير واجبة على المؤمنة ، وإنما هى واجبة على الرجال المؤمنين . ويسن لمن يأتيها إلغسل ، ولبس النظيف ، والتطيب ، ويستحب التكبير لها . والمؤمنة إذا حضرتها تجزئها . وإن لم تحضرها لا شىء عليها ، ولتصل الظهر أربع ركعات بدلها ، فهو فرضها ، ولا تنتظر انتهاء صلاة الجمعة بل تصلى الظهر عند دخول الوقت فى بيتها .

صلاة الجماعة

اعلمى أيتها المؤمنة أن صلاة الجماعة كصلاةُ الجمعة واجبة على الرجال دون النساء ،

---

(١) يوم الجمعة مستثنى من هذا الوقت فإن من دخل صلى ما كتب اللّه تعالى له فى أى وقت من النهار .

(٢) رواه البخارى (٢ / ٦٧) ، ومسلم (٢ / ١٥٥) .

(٣) رواه البخارى (١/ ١٤٣) ، ومسلم (٢ / ٢٠٧) .

(٤) سورة الجمعة : ٩ .

وهى بسبع وعشرين درجة ، ومع هذا فإن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد مع الجماعة لقول الرسول ﷺ : « صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد (١) » ، غير أنه لك أن تحضرى صلاة الجماعة فى المسجد إذا لم يكن هناك ما يخاف عليك منه كزحام الرجال فى الشوارع أو وجود فسقة يؤذون النساء ، أو لصوص وما إلى ذلك ، وللمؤمنة أن تصلى جماعة فى بيتها مع نساء البيت وبناته .

ولتقف الإمامة فى وسط الصف ، ولا تجهر بالقراءة ولا بالتكبير إلا يسيراً .

قصر الصلاة وجمعها (٢)

اعلمى أيتها المؤمنة أن المسافرة إذا خرجت من البلد الذى تسكنه ، وحضرت الصلاة فإنها تقصرها ، فتصلى الرباعية ركعتين فقط ، وهى الظهر ، والعصر ، والعشاء ، أما المغرب والصبح فلا تقصران ، وهكذا حتى تنوى إقامة أربعة أيام فأكثر فإنها حينئذ تتم الصلاة ولا تقصرها ، فإن لم تنو إقامة أكثر من أربعة أيام قصرت ولو بقيت شهراً أو أكثر حتى تعود إلى بلدها .

ويجوز لها أن تجمع فى حال السفر ، وحال المرض الشديد فتصلى الظهر مع العصر ، والمغرب مع العشاء جمع تقديم أو جمع تأخير . اى إن شاءت صلت الظهر والعصر فى وقت الظهر أو فى وقت العصر ، وكذا المغرب والعشاء إن شاءت صلتهما فى وقت المغرب أو أخرتهما إلى وقت العشاء .

صلاة المريض

اعلمى أيتها المؤمنة أن المريضة تصلى بحسب قدرتها ، فإن استطاعت أن تصلى

---

(١) رواه أبو داود (١ / ١٣٤) ، والحاكم (١ / ٢٠٩) وقال صحيح على شرطهما : ونصه : « صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » . وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر وصحح إسناده السيوطى أن صلاة المرأة وحدها تفضل على صلاتها فى الجمع بخمس وعشرين درجة .

(٢) أحاديث قصر الصلاة صحاح ، وفى القرآن الكريم ﴿ **وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ ــ النساء ١٠١ ، فالقصر سنة لازمة ، وأما الجمع فرخصة تؤتى عند الحاجة إليها إلا الجمع بعرفات ومزدلفة فعزيمة وليس برخصة .

قائمة صلت قائمة ، وإن لم تستطع صلت قاعدة ، وإن لم تستطع صلت جالسة ، أو على جنب ، أو مضطجعة بحسب طاقتها .

هذا فى الفرض حيث القيام واجب ، وأما النفل فلها أن تصلى قاعدة أو قائمة ، وللقائمة الأجر كله ، وللقاعدة نصف الأجر فقط .

أحكام الوفاة وصلاة الجنازة

اعلمى أيتهاالمؤمنة أن للموت أحكاماً فهناك جملة منها :

١ ـ يُسن عيادة المريض ، فإذا مرضت إحدى أقاربك فاستأذنى زوجك إن كنت ذات زوج وعوديها فإن من حق المسلم أن يعوده إذا مرض .

٢ ـ إذا احتضر المريض يستحب توجيهه إلى القبلة ، وتلقينه لا إله إلا اللّه محمداً رسول اللّه ، وتغميض عينيه ، وتغطيته بثوب ، وأن لا يقال عنده إلا خيرا نحو اللهم اغفر له وارحمه .

٣ ـ يجب تغسيل الميت غسلاً كغسل الجنابة ، ثم يغسل جسمه بالماء والصابون حتى ينظف ، ثم يحنط بأن يوضع شئ من الحنوط على مواضع السجود منه .

٤ ـ يجب تكفين الميت فتكفن المرأة فى خمس لفائف ، والرجل فى ثلاث [١] .

٥ ـ لا تغسل المرأة إلا المرأة ، ولا بأس أن يغسل الرجل امرأته .

٦ ـ إذا ماتت امرأة بين رجال ولا نساء معهم ، أو العكس يُمم الميت بمسح وجهه ، وكفيه بالتراب ، ويصلى عليه ، ويدفن .

٧ ـ لا تشيع المؤمنة الجنازة لقول أم عطية : « نهينا أن نشيع الجنائز ولم يعزم علينا » [٢] .

٨ ـ تصلى المرأة على الجنائز كما يصلى الرجل ، وتؤجر كما يؤجر ، والصلاة على الميت فرض كفاية إذا حضرها البعض سقط الإثم عن البعض الآخر الذى لم يحضر .

---

(١) على وجه الاستحباب ، وإلا فالواجب ستر المتوفى بثوب سابغ يغطى به بحيث لا يبدو رأسه ولا رجلاه . ومازاد على الثوب فهو حسن والنبى ﷺ كفن فى ثلاث ثياب بيض فلذا يستحب الأبيض فى الكفن .

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم (٣ / ٤٧) ونصه : « كنا ننهى عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا » .

٩ ـ ويجب دفن الميت أى مواراته بالتراب بعد غسله ، وتكفينه ، والصلاة عليه ويضع المرأة فى قبرها أحد محارمها إن وجد وإلا فليضعها غيرهم ولا حرج .

١٠ ـ الصلاة على الميت كيفيتها : أن يوضع الميت على سرير ، فيقف الإمام خلفه ، والناس خلف الإمام صفوفاً الرجال ، ثم النساء ، وينوى الصلاة ويكبر قائلاً : اللّه أكبر ، ويكبر المأمومون خلفه ، ويقرأون الفاتحة ، ثم يكبر ، ويكبرون ، ويصلون على النبى ﷺ ، ثم يكبر ، ويكبرون ، فيدعون للميت اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وقه من فتنة القبر وعذاب جهنم . وإن كانت امرأة أنث اللفظ وقلت اللهم اغفر لها ، وارحمها ، وعافها ، واعف عنها ، وقها من فتنة القبر ، وعذاب جهنم ، ثم يكبر ، ويكبرون ، ويسلم ويسلمون .

١١ ـ يستحب تعزية أهل الميت بالدعاء للميت ولهم بنحو قول : أعظم اللّه أجرك ، وأحسن عزاءك ، وغفر لميتك . ويرد عليه المعزى : آجرك اللّه ، ولا أراك مكروهاً .

١٢ ـ تحرم النياحة على الميت ، ، وكذا خمش الوجوه ، وشق الثياب (١) ، ويجوز البكاء بدون رفع صوت ، وكذا حزن القلب لقول الرسول ﷺ : « العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى الرب (٢) » .

١٣ ـ يحرم الحداد على الميت فوق ثلاث ليال (٣) إلا على زوج فأربعة أشهر وعشراً . والحداد أن تلزم المحدة بيتها فلا تفارقه إلا من ضرورة ولا تكتحل ، ولا تلبس لباس زينة ، ولا تتخضّب بالحناء حتى تنقضى عدتها .

---

(١) لحديث : « إن رسول اللّه ﷺ برىء من الصالقة ، والحالقة ، والشاقة » رواه البخارى (٢ / ٩٩) ، ومسلم (١ / ٧٠) ـ والصالقة التى ترفع صوتها فى المصائب ، والحالقة : التى تحلق شعرها عند المصائب ، والشاقة : التى تشق ثيابها فى المصائب .

(٢) لحديث : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » . رواه البخارى (٢ / ١٠١) ، ومسلم (٧ / ٧٦) .

(٣) الحديث « لا يحل لامرأة تؤمن باللّه واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » . رواه البخارى (٢ / ٩٥) ، ومسلم (٤ / ٢٠٢) .

الزكـاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن الزكاة أخت الصلاة (١) فما صلى من لم يؤتى الزكاة ، ولا يسلم عبد ما لم يُقرَّ بالزكاة ، ويؤديها متى ملك مالاً تجب فيه الزكاة .

والزكاة واجبة فى النقدين : الذهب والفضة وما يقوم مقامهما من العمل المتداولة اليوم فى العالم .

كما هى واجبة فى الحبوب ، والثمار ، والأنعام وهى الإبل ، والبقر ، والغنم ضاناً ومعزاً .

فإذا ملكت المؤمنة وزن سبعين جراماً من الذهب (٢) ، أو أربعمائة وستين جراماً من الفضة ، أو ملكت عملة تساوى أحد المقدارين المذكورين وجبت عليها الزكاة ، فتزكيها بنسبة اثنين ونصف فى المائة (٣) ، من كل أربعين واحداً ، وهو ربع العشر .

ومن ملكت خمسة أوسق (٤) من حب أو تمر وجبت عليها فيها الزكاة وهو العشر فيما يسقى بلا كلفة ، ونصف العشر فيما يسقى بكلفة كماء الآبار المستخرج بالآلات .

ومن ملكت ذوداً من إبل أى خمسة أبعرة وجبت عليها فيها شاة إلى عشرة ففيها شاتان ، ثم إلى خمسة عشر (٥) وفيها ثلاث شياة ، إلى عشرين ففيها أربع شياة ، فإذا بلغت خمسة وعشرين ففيها بنت مخاض أى أوفت سنة ، ودخلت فى الثانية ، فإن لم توجد بنت مخاض فابن لبون وهو ما أوفى سنتين ودخل فى الثالثة ، حتى إذا بلغت ستاً وثلاثين ففيها بنت لبون ، ثم إذا بلغت ستاً وأربعين ففيها حقة ، وهى ما أوفت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة ، ثم إذا بلغت إحدى وستين ففيها جذعة ، وهى ما أوفت أربع سنين

---

(١) لحديث « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت » ، وفى القرآن الكريم ما ذكرت الصلاة إلا والزكاة معها مثل ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ .

(٢) السبعون جراماً هى وزن عشرين دينار أو مثقالا شرعياً تقريباً .

(٣) وهو ربع العشر ، إذ فى كل أربعين واحد ، وفى العشر نصف . فهذه هى النسبة المطلوبة ٢,٥٠ . أو العشرين .

(٤) الوسق : ستون صاعاً .

(٥) ما بين الفريضتين يقال له الوقص ولا زكاة فيه وهكذا فى سائر المواشى . الإبل ، والبقر ، والغنم .

ودخلت فى الخامسة ، حتى إذا بلغت ستاً وسبعين ففيها بنتا لبون ، فإذا بلغت إحدى وتسعين ففيها حقتان . فإذا بلغت مائة وعشرين ففى كل أربعين بنت لبون ، وفى كل خمسين حقة .

ومن ملكت ثلاثين بقرة وجب عليها فيها عجل [١] أوفى سنة ، فإذا بلغت أربعين وجب عليها فيها مسنة أوفت سنتين ، فإذا زادت ففى كل أربعين مسنة ، وفى كل ثلاثين عجل .

ومن ملكت أربعين رأساً من الغنم وجبت عليها فيها شاة ، حتى إذا بلغت مائة وإحدى وعشرين وجبت عليها فيها شاتان ، فإذا بلغت مائتين وواحدة فأكثر فيها ثلاث شياة ، ثم فى كل شاة بالغة ما بلغت .

زكاة الحلى

اعلمى أيتها المؤمنة أن الحلى وهى ما تتحلى به المؤمنة ، وتتزين به لزوجها [١] من مصوغ الذهب والفضة قد اختلف العلماء سلفاً وخلفاً فى وجوب الزكاة فيه وعدمها والجمهور على أن الحلى لا زكاة فيه ، لأنه كأثاث المنزل وهو لا زكاة فيه إجماعاً . وخلاف الجمهور يقولون بوجوب الزكاة فى الحلى وإن لم يقصد به القنية والاكتناز [٢] وخروجاً من الخلاف قوّمى ما عندك من حلىّ كل سنة وزكيه ، وذلك خير لك وأطيب .

شروط وجوب الزكاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن لوجوب الزكاة على المؤمنة شروطًا وهى :

١ ـ أن تبلغ النصاب الذى بيناه سابقاً .

٢ ـ أن يحول الحول على النقدين ، والأنعام .

٣ ـ أن يطيب الثمر ، ويفرك الحب .

---

(١) يقال فيه تبيع لأنه مازال يتبع أمه ، لم يستقل بنفسه لصغره .

(١) هذا بحسب الغالب ، وإلا فقد تتحلى وتلبسه من لا زوج لها بالمرة .

(٢) أن الحلى إذا قصد بشراءه الاقتناء والادخار للحاجة أصبح كنزاً ووجبت الزكاة فيه بلا خلاف .

مصارف الزكاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن للزكاة مصارف ذكرها الله تعالى فى قوله : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾[1] وبيان ذلك فيما يلى :

١ ـ الفقير وهو من لديه مال لا يكفيه ، ولا يسد حاجته .

٢ ـ المسكين[2] وهو من ليس له شئ أبداً .

٣ ـ العامل الموظف فى مصلحة الزكاة .

٤ ـ المسلم الجديد فى إسلامه يعطى كى يثبت على إسلامه .

٥ ـ الرقيق يعطى من الزكاة ما يشترى به نفسه ، ويحررها بالمكاتبة أو إنجازاً .

٦ ـ الغارم وهو من عليه ديون ولم يجد سدادها ، ولم يرتكبها فى معصية الله .

٧ ـ المجاهد فى سبيل الله : الغازى .

٨ ـ ابن السبيل وهو المسافر المنقطع فى طريقه وإن كان غنياً فى بلاده .

الصدقات[1]

اعلمى أيتها المؤمنة أن هناك حقاً واجباً على المؤمنة فى مالها غير الزكاة وهذا بيان ذلك :

---

(١) الآية : سورة التوبة : ٦٠ .

(٢) مشتق من المرء تذله الحاجة ، وتلصقه بالأرض فيقعد لا يستطيع التحرك فيكون مسكيناً .

(١) هذه تسمى صدقة التطوع وقد ورد فى فضلها الكثير من الأحاديث النبوية المرغبة فيها منها :

(أ) « تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقته فيقول الذى أعطيها لو جئت بها بالأمس قبلتها أما اليوم فلا حاجة لى بها ، فلا يجد من يقبلها » ، رواه البخارى (٢ / ١٢٩) ، ومسلم (٣ / ١٤) . واللفظ له .

(ب) « اتقو النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة » ، رواه البخارى (٨ / ١٤) ، ومسلم (٣ / ٨٦) .

(جـ) « لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فَلُوَّهُ (مهره) حتى تكون مثل الجبل أو أعظم » ، رواه البخارى (٢ / ١٢٨) ، ومسلم (٣ / ٨٥) واللفظ له .

(د) « يا نساء المسلمات لا تحقرن جاره لجارتها ولو فرسن شاة » . رواه البخارى (٣ / ١٩٠) ، ومسلم (٣ / ٩٣) ـ والفرسن : عظم قليل اللحم ، وأريد به ولو أن تتصدق بشىء يسير جداً .

١ ـ صلة الرحم فإذا كان أحد أرحامك جائعاً ، أو عارياً وكان عندك فضل مال وجب عليك أن تتصدقى عليه .

٢ ـ أن يدخل عليك فى بيتك مؤمنة سواء كانت قريبة أو بعيدة فإنك مأمورة أن تتصدقى عليها ولو بجرعة ماء .

٣ ـ إن كان هناك جهاد فى سبيل الله ، وكان عندك فضل مال فإنك مأمورة أن تخرجى من مالك شيئاً ولو قل نصرة لدين الله تعالى .

وأخيــراً :

إن أبواب الخير كثيرة فلا تحرمى نفسك من التصدق ولو بشق تمرة فإنك تنفقين نفقة ترجين بها ثواب الله إلا حَطَّ الله بها خطاياك ورفع بها درجاتك ، ودفع عنك من السوء بقدرها .

الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أن الصوم [١] من خير القرب ، وأعظمها أجراً ، وإن الله تعالى قال فيه : ﴿ **كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به** ﴾ [٢] . وقال فيه رسول الله ﷺ : « لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » [٣] وقال : « من صام يوماً فى سبيل الله عز وجل بَعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » [٤] .

والصوم فرض ، وتطوع . فالفرض صوم رمضان إذ هو إحدى قواعد الإسلام الخمس ، وفرضه الله تعالى بقوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات** ﴾ [٥] ، وقال فيه رسول الله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت » [٦] .

---

(١) الصوم والصيام مصدران بمعنى واحد .

(٢) رواه البخارى (٨ / ٢١١) ، ومسلم (٣ / ١٥٧) .

(٣) رواه البخارى ومسلم ، وهو ضمن الحديث المتقدم والخلوف ، رائحة الفم التى تكون من خلو المعدة من الطعام .

(٤) رواه البخارى (٤ / ٣٢) ، ومسلم (٣ / ١٥٩) .

(٥) سورة البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٦) رواه البخارى (١ / ١٠) ، ومسلم (١ / ٣٤) .

وأما التطوع فهو كثير منه المعين ، ومنه غير المعين ، فالمعين هو :

١ ـ صوم يوم عاشوراء وتاسوعاء قبله [١] .

٢ ـ صوم يوم عرفة لغير الحاج [٢] .

٣ ـ صيام الأيام البيض الثالث عشر والرابع عشر [٣] والخامس عشر من كل شهر .

٤ ـ صوم يومى الإثنين والخميس [٤] .

٥ ـ صيام ستة أيام من شوال [٥] .

وغير المعين هو الصيام المطلق من كل شهر وطوال السنة ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام يوم بعد يوم لقوله ﷺ : « أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً » [٦] .

ما يحرم من الصيام وما يكره

اعلمى أيتها المؤمنة أن من الصوم ما يكون محرماً ، ومنه ما يكون مكروهاً فالمحرم ما يلى :

١ ـ صيام الحائض والنفساء .

٢ ـ صيام يومى العيدين .

٣ ـ صيام أيام التشريق [٧] .

٤ ـ صيام المريض الذى يخشى هلاكه .

---

(١) ثابت فى صحيح مسلم (٣ / ١٥١) ، وثبت وأنه يكفر ذنوب السنة الماضية كما فى رواية مسلم (٣/ ٦٦٧) .

(٢) ثبت فى صحيح مسلم (٣ / ١٦٧) ، أنه يكفر ذنوب سنتين الماضية والآتية .

(٣) ثبت فى صحيح مسلم (٣ / ١٦٧) ، وإنه كصيام الدهر ، لأن الحسنة بعشر أمثالها .

(٤) ورد حديث صومهما فى الترمذى (٣ / ١١٢) ، والنسائى (٤/ ١٧٢) ، وابن ماجة (ص ٥٥٣) .

(٥) ورد أنه كصيام الدهر ـ فى صحيح مسلم (٣ / ١٦٩) .

(٦) أصل الحديث فى البخارى (٢ / ٦٠ ، ٦١) ، ومسلم (٣ / ١٦٥) .

(٧) أيام التشريق هي الأيام التى يكون الحاج فيها بمنى .

والمكروه ما يلى [1] :

١ ـ صيام الدهر بمعنى أن تصومى ولا تفطرى السنة كلها .

٢ ـ الوصال وهو صيام يومين بلا فطر بينهما .

٣ ـ صيام يوم الشك [2] .

٤ ـ صيام المرأة بدون إذن زوجها ، وهو حاضر غير غائب ، وهذه الكراهة كراهة شديدة وصيام ما يلى الكراهة فيه كراهة خفيفة وهى :

١ ـ صيام يوم الجمعة منفرداً ، وكذا يوم السبت .

٢ ـ صوم أواخر شعبان .

٣ ـ صوم يوم عرفة لمن هو بعرفة حاجاً .

أركان الصوم

اعلمى أيتها المؤمنة أن أركان الصوم التى ينبنى عليها ولا يصح بدونها ما يلى :

١ ـ النية قبل الفجر [3] .

٢ ـ الإمساك عن الأكل والشرب ولو قل ، وعن الجماع [4] .

٣ ـ النهار وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

فلا صيام بدون نية ، ولا صيام مع عدم الإمساك عن المفطرات ، ولا صيام فى غير النهار .

---

(١) كل صوم محرم أو مكروه ثابت ذلك بدليله من السنة الصحيحة ، واستغنينا عن ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك اختصاراً ، ولعدم الخلاف لكل ما ذكرنا من محرم الصوم ومكروهه ـ ومن أرادت الرجوع إلى الأحاديث فعليها بكتاب جامع الأصول (٦/ ٣٤٣ ـ ٣٥٩) .

(٢) يوم الشك هو آخر يوم من شعبان وهو اليوم المكمل للثلاثين حالة عدم ثبوت الهلال .

(٣) لحديث : « إنما الأعمال بالنيات » رواه البخارى (١ / ٤) ، ومسلم (٦ / ٤٨) ، ولحديث « من لم يجمع من الليل فلا يصوم » رواه النسائى (٤ / ١٦٧) ، والدارمى (١ / ٣٣٩) ، وأبو داود (١ / ٥٧١) .

(٤) لقول الله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾ (البقرة : ١٨٧) ، فتضمنت الآية أركان الصيام .

سنن الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أن للصيام سننًا بها يعظم الأجر ، وتكثر المثوبة ، وهى ما يلى :

١ ـ تعجيل الفطر بمجرد ما يدخل الليل بغروب الشمس (١) .

٢ ـ السحور ولو بشربة ماء (٢) .

٣ ـ تأخير السحور إلى آخر الليل (٣) .

٤ ـ أن يكون الإفطار على رطب ، فإن لم يكن فتمر ، فإن لم يكن فعلى ثلاث حسوات من ماء (٤) .

مستحبات الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يستحب فى صيام رمضان أمور هى :

١ ـ صلاة الليل أقلها إحدى عشرا ركعة (٥) .

٢ ـ قراءة القرآن العظيم بالليل والنهار .

٣ ـ الصدقة من مال ، أو طعام ، أو ثياب (٦) .

٤ ـ الدعاء بخير عند الإفطار (٧) .

(١ ، ٢ ، ٣) لقول الرسول ﷺ : « ما يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » أول الحديث رواه البخاري (٣ / ٤٥) ، ومسلم (٣ / ١٣١) .

(٤) هذه السنة ثابتة بالحديث الصحيح الذى رواه أبو داود (١ / ٥٥٠) ، واالترمذى (٣ / ٧٠) ، وأحمد (٣ /١٦٤) .

(٥) تلك سنة التراويح وهى ثابتة بالإجماع .

(٦) لأن الحسنات تضاعف فى رمضان .

(٧) لحديث : « أنه كان إذا أفطر قال : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » رواه أبو داود (١ / ٥٥١) .

مفسدات الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يفسد الصيام أمور وهى :

١ ـ الأكل والشرب .

٢ ـ الجماع .

٣ ـ وصول أى مائع إلى الجوف سواء كان من طريق الفم أو الأنف والأذن والعين .

٤ ـ التقيىء العمد .

٥ ـ رفض نية الصوم ولو لم يفطر بأكل أو شرب .

٦ ـ الردة عن الإسلام ، والعياذ بالله تعالى (١)

مكروهات الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يكره لك وأنت صائمة أمور وهى :

١ ـ المبالغة فى المضمضة والاستنشاق حال الوضوء (٢) .

٢ ـ الاكتحال فى أول النهار .

٣ ـ مضغ العلك .

٤ ـ ذوق القدر لمعرفة الطعم ، أو الملوحة .

٥ ـ الحجامة أو الفصد (٣) .

---

(١) لقول الله تعالى : ﴿ **ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ (الزمر : ٦٥) أما رفض النية فيبطل الصيام لأن الأعمال بالنيات ، فإذا نوى عدم الصوم ، وعزم عليه بقلبه فهو غير صائم وإن لم يأكل ولم يشرب .

(١) لحديث : « إذا توضأت فبالغ فى المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائماً » ، رواه أبو داود (١ / ٥٥٢) والترمذى (٣ / ١٤٦) وابن ماجة ص (١٤٢) ، والنسائى (١ / ٥٧) ، وأحمد (٤ / ٣٣) .

(٢) الأكتحال ، ومضغ العلك ، وذوق القدر كُرهت خشية أن يتسرب شىء إلى الحلق فيفسد الصوم . وكُرهت الحجامة والفصد خشية أن يضعف الصائم فيضطر إلى الفطر .

فاجتهدى أن تجتنبى هذه المكروهات وإن كان الصوم لا يفسد بها :

ما يباح للصائمة فعله

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يباح للصائم أمور وهى :

١ ـ السواك للصلاة .

٢ ـ التبرد بالماء لشدة حر .

٣ ـ التداوى بأى دواء حلال لا يصل منه شىء إلى الجوف .

٤ ـ التطيب بالطيب ، والتبخر بالبخور .

ما يعفى عنه الصائم

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يعفى للصائم عن أمور وهى :

١ ـ غبار الطريق .

٢ ـ ابتلاع الذباب غلبة وبدون إرادة بلعه .

٣ ـ بلع الريق ولو كان كثيراً .

٤ ـ الاحتلام .

٥ ـ طلوع الفجر عليه وهو جنب لم يغتسل بعد .

حكم من أفطر فى رمضان

اعلمى أيتها المؤمنة أن من أفطرت فى رمضان عامدة بجماع فإن عليها قضاء ذلك

---

(١) سميت الكفارة كفارة لأنها تكفر الذنب العظيم الذى ارتكبه من انتهك حرمة رمضان ، وهى حرمة عظيمة ، ولذا من أفطر فى التطوع أو فى قضاء رمضان لا كفارة عليه لعدم وجود حرمة شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .

مسألة : إذا أكره الرجل امرأته على الجماع فإن المكرهة لا كفارة عليها ، وإنما تقضى ذلك اليوم الذى فسد صومه ، وعلى الزوج الكفارة ، والإثم العظيم .

اليوم مع الكفارة [1] وهى عتق رقبة ، أو إطعام ستين مسكيناً ، أو صيام شهرين متتابعين ، وأما إذا أفطرت بغير الجماع بل بأكل أو بشرب فإن مالكاً وفقهاء المدينة يرون عليك الكفارة كذلك ، وغيرهم يقول بالقضاء مع التوبة فقط .

وأما إن أفطرت نسياناً فلا شيئ عليك ، ولتتمى صيامك ، ولا كفارة على من أفطر فى صيام التطوع ، أو فى صيام قضاء رمضان ، وإنما عليه قضاء ذلك اليوم الذى أفطر فيه فقط .

الاعتكاف فى رمضان

اعلمى أيتها المؤمنة أن الاعتكاف فى رمضان مرغب فيه ، والاعتكاف هو ملازمة المسجد يوماً وليلة فأكثر من شهر رمضان لذكره فى القرآن الكريم ، ولا عتكاف النبى ﷺ العشر الأواخر من رمضان ، واعتكاف بعض نسائه معه [1] . وللمؤمنة إن كان لها مسجد فى بيتها أن تعتكف فيه .

ويمنع المعتكف من كل شىء إلا العبادة ، ولا يخرج إلا لقضاء الحاجة أى للتبول ، والوضوء . أو شراء طعام ، ونحوه مما هو لازم له ويفسد الاعتكاف بالجماع لقول الله تعالى : ﴿ **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد** ﴾[2] .

صدقة الفطر

اعلمى أيتها المؤمنة أن هناك صدقةً تسمى زكاة الفطر ، وهى واجبة على كل مؤمن صغيراً أو كبيراً ، ذكراً أو أنثى ، حراً وعبداً [3] . ومقدارها صاع من تمر أو بر ، أو أرز أو شعير .

والصاع أربع حفنات . ويجب إخراجها صبيحة يوم الفطر قبل صلاة العيد ، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ، وتجزىء إذا أخرجت بعد صلاة العيد مطلقاً . وتعطى للفقراء والمساكين دون غيرهم .

---

(١) اعتكاف النبى ﷺ واعتكاف نسائه ثابت فى البخارى (٣ / ٥٩) ، ومسلم (٣ / ١٧٥) وغيرهما .

(٢) سورة البقرة : ١٨٧ .

(٣) الحديث : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على كل حر وعبد ، ذكراً وأنثى من المسلمين » رواه البخارى (٢ / ١٥٣) ، وزاد أبو داود . (١ / ٣٧٣) « والصغير والكبير » .

الحج والعمرة

اعلمى أيتها المؤمنة أن من العبادات القولية والفعلية الحج والعمرة فالحج فرض مرة فى العمر ، والعمرة واجبة ، أو سنة مؤكدة كذلك ولكل من الحج والعمرة أحكام ، وإليك بيان ذلك :

أ ـ شروط وجوب الحج والعمرة وهى :

الاستطاعة وهى القدرة البدنية ، والمالية ، وأمن الطريق ، وذلك لقول اللّه تعالى : ﴿ **وللّه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ (١) .

ومن الشروط وجوب محرم للمرأة يرافقها فى حجها أو فى عمرتها .

ب ـ أركان الحج والعمرة :

أركان الحج أربعة : وهى الإحرام ، والوقوف بعرفة ، والطواف والسعى بعده .

وأما أركان العمرة فهى ثلاثة : الإحرام ، والطواف ، والسعى ، ولها واجب واحد وهو الحلق والتقصير بعد السعى .

جـ ـ واجبات الحج :

المبيت بمزدلفة ليلة العيد (٢) ، ورمى جمرة العقبة ، يوم العيد ، والحلق والتقصير ، والمبيت بمنى ثلاث ليال لمن لم يتعجل ، أو ليلتين لم تعجل (٣) ، ورمى الجمرات الثلاث بعد الزوال من كل يوم من أيام منى الاثنين أو الثلاثة ، وطواف الوداع (٤) .

وهناك واجبات تتعلق بالأركان فواجب الوقوف بعرفة أن يكون الوقوف بعد الزوال

---

(١) الآية من سورة آل عمران (٩٧) ، وهى دليل فرضية الحج ، وأما العمرة فدليلها قول الله تعالى من سورة البقرة : (١٩٦) ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ .

(٢) لقول اللّه تعالى : ﴿ **فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا اللّه عند المشعر الحرام** ﴾ ، سورة البقرة (١٩٨) ـ والمشعر الحرام هو مزدلفة .

(٣) لقول اللّه تعالى : ﴿ **واذكروا اللّه فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه** ﴾ ، سورة البقرة (٢٠٣) .

(٤) لحديث ابن عباس رضى اللّه عنهما قال : « أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن الحائض » رواه البخارى (٢ / ٢٠٩) ، ومسلم (٤ / ٩٣) .

ويستمر إلى دخول جزء من الليل ، وواجبات [1] الطواف أن تكون الطائفة متطهرة ، مستورة العورة ، وأن يبدأ الطواف من الحجر الأسود ، وأن توالى بين الأشواط السبعة .

وواجبات السعى : أن يكون السعى بعد الطواف ، وأن توالى بين الأشواط السبعة ، وأن تبدأ السعى من الصفا ، وتنتهى بالمروة .

وواجبات الإحرام : أن يكون من الميقات ، وأن يتجرد المحرم الذكر من المخيط ، وأن تلبى عند إحرامها بأحد الأنساك قائلة : لبيك اللهم لبيك حجاً ، أو عمرة ، أو حجاً وعمره .

٥ ـ محظورات الإحرام :

وإذا أحرم العبد يمنع مما يلى :

١ ـ لبس المخيط ، وتغطية الرأس .

٢ ـ مس الطيب .

٣ ـ قتل الصيد .

٤ ـ الرفث وهو الجماع ، ومقدماته .

٥ ـ قلم الأظافر .

٦ ـ قص الشعر أو حلقه [2] .

فضل الحج والعمرة

اعلمى أيتها المؤمنة أن الحج والعمرة من أفضل الأعمال وأعظم القرب ، وحسبك أن تتأملى فى الأحاديث التالية :

١ ـ قوله ﷺ : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » [3] .

---

(١) واجبات الطواف والسعى والإحرام عامة فى الحج والعمرة معاً .

(٢) كل ما ذكرنا من أركان الحج وواجباته ومحظوراته ثابت بالكتاب والسنة بما لا شك فيه ، فلذا لم نذكر أدلته من الكتاب والسنة طلباً للاختصار . ومن أرادت الوقوف فى أدلة ذلك فلترجع إلى جامع الأصول (٣ / ٣ ـ ٤٧٨) .

(٣) ثابت فى البخارى (٣ / ٢) ، ومسلم (٤ / ١٠٧) .

٢ ـ قوله ﷺ : « من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (١) .

٣ ـ قوله ﷺ : « تابعو بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب » (٢) .

٤ ـ قوله ﷺ : « عمرة فى رمضان كحجة معى » (٣) .

٥ ـ قوله ﷺ : « عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة » (٤) .

وأخيراً أنصح لك فى هذه الظروف أن تكتفى بفريضة الحج ، وواجب العمرة ، والزمى بيتك كما قال رسول الله ﷺ لأزواجه وقد حججن معه حجة الوداع : « إنما هذه والحصر » (٥) .

كيفية الحج والعمرة

اعلمى أيتها المؤمنة أن الحج المبرور هو الذى يستوفى فيه الحاج سائر أركانه وواجباته ، وسننه ، وآدابه .

وكيفية الحج هى كالتالى :

أن تغتسلى (٦) غسلاً كغسل الجنابة وإن كنت حائضاً ، وتقلمى أظافرك ، وتلبسى ثيابك الطاهرة ، وإذا وصلت الميقات صليت فريضة أو نافلة ، وقلت : لبيك اللهم حجاً ، أو عمرة ، أو حجاً وعمرة إذ الثلاثة جائزة ، ناوية النسك الذى سميته ، ثم تلبى قائلة : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك

---

(١) ثابت فى البخارى (١ / ٢٥) ، ومسلم (٤ / ١٠٧) بمعناه .

(٣) رواه أحمد (٦ / ١٦٥) ، والترمذى (٣ / ١٦٦) ، والنسائى (٥ / ٨٧) ، وابن ماجة (ص ٩٦٤) وهو صحيح الإسناد .

(٣) رواه البخارى (٣ / ٢٣) ، ومسلم (٤ / ٦١) .

(٤) رواه أحمد (٦ / ١٦٥) ، وابن ماجة (ص ٩٦٨) ـ وأصله فى البخارى (٢ / ١٥٦) .

(٥) الصحيح أن هذا الخبر موقوف على عمر رضى الله عنه ، ونسبته إلى الرسول ﷺ ضعيفه .

(٦) هذا الغسل سنة ، ووقوع الإحرام بعد صلاة سنة ، والإكثار من التلبية سنة ، وتقبيل الحجر ، والإشارة إليه باليد سنة ، والصلاة خلف المقام سنة وشرب زمزم سنة ، والسنة خلاف الواجب إذ الواجب إذا ترك يجبر بدم ، والسنة لا شيء على من تركها غير راغب عنها . وهناك سنن أخرى وهى المبيت بمنى ليلة التاسع ، وأما كشف الضبع ، والرمل فى الطواف ، والخبب فى السعى فهذه سنن الرجال دون النساء .

لك ، وواصلى التلبية حتى تصلى مكة ، فإذا كنت طاهرة توضأت ، ودخلت المسجد الحرام ، وبدأت الطواف من الحجر الأسود مشيرة إليه بيدك قائلة : باسم اللّه واللّه أكبر ، لأن تقبيل الحجر سنة ، ولكن مع الزحام تركه أولى فطوفى سبعة أشواط وأنت ماشية ، تذكرين اللّه تعالى ، وتدعينه فى نفسك ، فإذا أتممت السبعة الأشواط صليت خلف مقام إبراهيم ، بعيدة عن الرجال ركعتين تقرئين فى الأولى بعد الفاتحة الكافرون وفى الثانية الصمد بعد الفاتحة ، ثم اشربى من ماء زمزم ، وادعى اللّه بما شئت ، ثم اقصدى الصفا ، فارقى عليها ، وهللى ، وكبرى ، وأهبطى ساعية ، ذاكرة داعية إلى المروة ، فارقى فوقها ، مهللة ، مكبرة ، ثم اهبطى واسعى إلى الصفا ، وهكذا حتى تتمى سبعة أشواط ، فإذا فرغت وكنت محرمة بعمرة فقصى من شعر رأسك قدر أنملة وأنت فى بيتك أو فى مكان بعيد عن أعين الرجال ، وبذلك تمت عمرتك وتحللت .

أما إذا كنت مفردة الحج ، أو قارنة فإنك تبقى على إحرامك حتى إذا كان يوم التروية ـ ثامن الحجة ـ خرجت ملبية لتبيتى بمنى ليلة عرفة ، حتى إذا صليت الصبح من يوم عرفة طلعت إلى عرفة ، فانزلى بها ، وإذا دخل الظهر صليت الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، ثم تقفين للذكر والدعاء إلى غروب الشمس ، فإذا غربت أفضت إلى مزدلفة ، فإذا وصلت صليت المغرب والعشاء جمعاً المغرب تماماً ، والعشاء قصراً وبيتى بها ، فإذا صليت الصبح فانفرى إلى منى ، وأرمى جمرة العقبة بسبع حصيات تكبرين مع كل حصاة قائلة : اللّه أكبر . ثم قُصى من شعرك قدر أنملة ، ثم أفيضى إلى مكة لتطوفى طواف الإفاضة ، وهو ركن الحج ، وعودى إلى منى لتقضى بها يومين ، أو ثلاثاً ترمين بها الجمرات الثلاث كل يوم بعد الزوال إلى الغروب ، وإن رميت ليلاً للزحام جاز لك ولا حرج عليك ، والرمى يكون بسبع حصيات لكل جمرة تبدئين بالصغرى ، ثم الوسطى ، ثم الكبرىٰ وهى جمرة العقبة ، فإذا قضيت أيام منى وأردت الانصراف إلى ديارك فطوفى بالبيت طواف الوداع وانصرفى ، وإن كنت حائضاً فلا تودعى إذ لا شىء عليك ، وقد تم حجك ، وتقبل اللّه منك (١) .

أما العمرة : فكيفيتها أن تغتسلى ، وتحرمى من الميقات ، فإذا وصلت البيت طفت سبعاً ، وصليت خلف المقام ركعتين ، وخرجت إلى الصفا فسعيت بين الصفا والمروة سبعة

---

(١) تلك كانت كيفية الحج والعمرة أيتها المؤمنة ، فرددى قراءتها وتأملى فيها ، وإذا قُدّر لك أن تحجى ، أو تعمرى فطبقيها ليكون حجك مبرورًا ، وعمرتك مقبولة ، وإذا رزقت ذلك فلا تنسى مؤلف هذا الكتاب بالاستغفار له والترحم عليه مقابل إحسانه إليك أيتها المؤمنة .

أشواط ، فإذا فرغت قصرت من شعرك قدر أنملة ، وقد تمت عمرتك ، وتقبل اللّه منك .

إلى هنا انتهت أيتها المؤمنة العبادات المتمثلة فى قواعد الإسلام الخمسة : الشهادتان ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

ودونها واجباتك ، وآدابك ، وأخلاقك . وسنوردها لك بابا بابا ، ليسهل عليك معرفتها ، وتطبيقها ، لتكملى عليها ، وتسعدى بها إن شاء اللّه تعالى .

واجبات المرأة المسلمة

اعلمى أيتها المؤمنة أن عليك واجبات كثيرة ، هى قوام حياتك ، ومصدر كمالك وعليها مدار سعادتك ، فانهضى بها فى إخلاص ، وأديها فى صدق .

وإليك تلك الواجبات إزاء سبعة أرقام ، فاستعينى اللّه تعالى على فهمها ، وتطبيقها[1] ، وأنها يسيرة إن يسرها اللّه عليك :

١ ـ المحافظة التامة على الصلوات الخمس بأدائها فى أوقاتها ، وتطمئنين فى الركوع ، والقيام ، والسجود ، والجلوس . وتخشعين بسكون أعضائك وخفض بصرك لتنظرى فى موضع سجودك . والإتيان بالذكر الوارد بعدها ، وهو استغفر اللّه ثلاثاً ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام قائلة : اللهم أعنى على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ثلاثاً ، لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . لا إله إلا اللّه ولا نعبد إلا إياه . له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن الجميل وهو على كل شىء قدير .

وتقولين سبحان اللّه ثلاثاً وثلاثين ، والحمد للّه ثلاثاً وثلاثين ، واللّه أكبر ثلاثاً وثلاثين ، لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير مرة واحدة .

وتصلين الرواتب ، وهى ركعتان قبل الظهر ، وركعتان بعدها ، وركعتان قبل العصر ، وركعتان بعد المغرب ، وثلاث ركعات بعد العشاء وهى الوتر الواجب .

---

(١) هذه الأذكار فى الصحاح والسنن ، وما هناك حاجة إلى تخريج أحاديثها .

٢ ـ طاعة زوجك إن كان لك زوج (١) أو أبويك أو أحدهما إن كنت غيرمتزوجة ، وهذه الطاعة هى الاستجابة لهم ، وإنفاذ أمرهم ، والقول الحسن لهم ، وخفض الصوت عندهم ، وعدم مشاكستهم ، أو مغاضبتهم ، والاعتذار عند التقصير لهم ، وطلب العفو منهم ، مع الهش لهم ، والبش فى وجوههم .

٣ ـ تربية أولادك إن كان لك أولاد ، وذلك بتعليمهم ما ينفعهم ، وتهذيب أخلاقهم ، وتعويدهم على الجميل من القول والعمل ، كالوفاء بالوعد ، وصدق الحديث ، وترك قول السوء وفعله ، مع المحافظة على سلامة أبدانهم ، ونظافة ثيابهم .

٤ ـ القيام بشئون بيتك من نظافته ، وترتيب أدواته ، وإعداد الفراش ، وإصلاح الطعام والشراب ، وما يتبع ذلك من ترقيع ثوب ، وغسل ، وتطيب مجلس ، وتطهيره ، والعمل على أن يكون سكناً مريحاً ، خالياً من الضجيج والصياح ، بعيداً عما يقلق الراحة ، ويجلب الهم والحزن .

٥ ـ بر والديك ، وصلة أرحامك إن هذا واجب من آكد الواجبات إذ بر الوالدين كصلة الرحم مما أمر الله تعالى به فى كتابه ، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ **وبالوالدين إحساناً** ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ **أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير** ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ **واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام** ﴾ (٤) ، وقال رسول الله ﷺ فى بيان أكبر الكبائر : « الشرك بالله ، وعقوق الوالدين » (٥) ، وقال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » (٦) .

وبر الوالدين يكون بطاعتهما فى المعروف ، وكف الأذى عنهما ، والإحسان إليهما ، وصلة الأرحام تكون بالسؤال عنهم ، وزيارتهم ، ومساعدتهم ، ومشاركتهم فى أفراحهم ، وأحزانهم ، مع كف كل أذى عنهم سواء كان قولا ، أو فعلاً .

٦ ـ صون عرضك بغض بصرك ، وخفض صوتك ، وعدم خروجك من بيتك إلا من ضرورة ، وترك الوقوف بالأبواب ، والإطلال من النوافذ ، والإشراف من السطوح والشرفات ، مع عدم السماح لأقربائك غير محارمك بكشف الحجاب عنك ،

---

(١) طاعة الزوجة لزوجها لا خلاف فى وجوبها ، ولكن فى المعروف ، وما ذكرت لك من وجوب الطاعة ، ومواطنها هو من المعروف الذى لا خلاف فيه .

(٢) سورة البقرة : ٨٣ . (٣) سورة لقمان : ١٤ . (٤) سورة النساء : ١ .

(٥) رواه البخارى (٨ / ٤) ، ومسلم (١ / ٦٤) واللفظ له .

(٦) رواه البخارى (٨ / ٦) ، ومسلم (٨ / ٨) واللفظ له .

والخلوة بك . كلميهم من وراء حجاب ، وسلمى عليهم بقولك ، ولا تصافحيهم بيدك ، لأنهم أقارب غير محارم ولا يسمعن ضيفك فى البيت صوتك فإن الديوثة من النساء من يسمعن ضيفها صوتها وهى فى حجرتها ، هكذا روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . وسأل رسول الله ﷺ فاطمة أى شىء خير إلى النساء قالت : « أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال » .

٧ ـ الإحسان إلى جاراتك بالسؤال عنهن ، والإحسان إليهن ، وعدم أذيتهن ومساعدتهن إذا احتجن إلى ذلك والإهداء إليهن ولو فرسن شاة كما قال رسول الله ﷺ « لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » (١) فإن الله تعالى أوجب للجار حقاً فقال تعالى : ﴿ **والجار ذى القربى والجار الجنب** ﴾ (٢) وقال رسول الله ﷺ : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) .

كانت هذه واجباتك أيتها المؤمنة ، فاستعينى بالله على أدائها ، والنهوض بها ، والله معك ولن يترك عملك .

آداب المرأة المسلمة

اعلمى أيتها المؤمنة أن لمثلك من نساء المؤمنين آداباً شرعية ، عليها أن تقوم بها ، وتحيا عليها طوال الحياة ، وهى كثيرة ، وإنى ذاكر لك طرف منها ، فاعرفيه ، والتزمى به فإنه خير ما تتجملين به ، وتكملين عليه ، وإليك ذلك :

١ ـ ذكرك اسم الله تعالى على كل عمل تشرعين فى القيام به إذ كان رسول الله ﷺ وهو أسوة المؤمنين فى هذه الحياة : يذكر الله تعالى على كل أحيانه (٤) .

فاذكرى اسم الله قائلة : بسم الله عند الأكل ، والشرب ، واللباس ، والطهى ، والغسل ، وعند الوضوء ، والغسل ، وعند دخول الحمام ، والخروج منه (٥) .

---

(١) رواه البخارى (٣ / ١٩٠) ، ومسلم (٣ / ٩٣) ـ والفرسن : عظم قليل اللحم ، والمراد به ولو شيئاً يسيراً .

(٢) سورة النساء : ٣٦ .

(٣) رواه البخارى (٨ / ١٢) ، ومسلم (٨ / ٣٧) واللفظ له .

(٤) رواه مسلم (١ / ١٩٤) .

(٥) يستحب من الخروج من الحمام قول : الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى .

٢ ـ التزمى بنظافة ثوبك ، وجسمك ومسكنك ، ومضجعك فإن النظافة من الإيمان لحديث : « الطهور شطر الإيمان » [١] . والأقذار والأوساخ تتنافى مع طهر المؤمنة ، وطيب أرادنها ، وكذا نظافة أبنائك ثياباً ، وأبداناً ، وألسنة ، فإنك مسؤولة عنهم ، وصلاحهم عائد إليك ، سعادة فى الدنيا والآخرة ، وكرامة فيها .

٣ ـ إطالة ثوبك حتى يستر قدميك ، وتخمير رأسك حتى يستر شعرك هذا فى بيتك وبين أهلك من أخ ووالد وولد ، أما خارج المنزل فلا يرى منك وجهٌ ، ولا كف ، ولا قدم ، ولا يشم منك ريحة طيبة ، ولا يرى عليك ثوب زينة . لحديث : « أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » [٢] .

٤ ـ لا تكثرى الخروج من بيتك فإن الولاجة الخراجة من النساء مذمومة غير محمودة ، إذ يؤدى بها ذلك إلى فقد الحياء ، والحياء أخو الإيمان ، وإذا ذهب الحياء ذهب الإيمان ، وأجمل ما فى المرأة المؤمنة الحياء فإذا فقدته فقدت كل خير ، وأى قيمة لامرأة لا خير فيها .

٥ ـ إن خرجت لأمر ضرورى استدعى خروجك كزيارة أقارب ، أو شهود دعوة خير كصلاة فى المسجد ، أو استسقاء فى مصلى ، فاخرجى وأنت مستورة من قمة رأسك إلى أخمص قدميك ولا تكشفى عن حلة تلبسينها ، أو حلة تتحلين بها ، فإن ذلك مناف لحجاب المؤمنة ، مؤدٍ بها إلى الخروج عن آدابها التى هى مصدر كمالها ، ومنبع فضائلها ، وطريق سعادتها .

٦ ـ عدم الاستشراف للناس بالوقوف عند الباب ، ولا بالأشراف على السطوح ، والشرفات ، فإن ذلك مخل بالأدب ، مُسَبّبٌ للتعب ، موجب للفتن ، مورث للأمن والمحن . فالزمى بيتك راضية برضا ربك ، قانعة بعطائه ، مستسلمة لقضائه إذ قال لنساء نبيه وهن أمهات المؤمنين ، وأفضل نساء العالمين ﴿ **وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله** ﴾[٣] .

٧ ـ كونى غضيضة الصوت ، شريفة القول ، طيبة الروح ، خفيفتها ، بحبك الخير ، ومساعدتك عليه ، وكراهيتك للشر ، ونفرتك منه ، إذا مشيت فى الشارع لأمر

---

(١) روام مسلم (١ / ١٤٠) . (٢) رواه مسلم (٢ / ٣٤) .
(٣) سورة الأحزاب : ٣٣ .

تطلب ذلك فالزمى جانب الطريق ، ولا تأكلى ، ولا تتكلمى وأنت فى طريقك إلى حاجتك ، أو بيتك ، فإن ذلك مخل بكرامتك ، معرض لشرفك ، ماس بدينك ، ولا تغترى بما عليه أكثر النساء اليوم من المشى فى الشوارع كاشفات الوجوه ، يتحدثن ، ويأكلن فى الشوارع ، وأمام الدكاكين ، فإن هؤلاء قد قلدن الكافرات ، وائتسين بغير المؤمنات الشريفات فأصبحن مَثَل سُوءٍ والعياذ بالله تعالى .

خلق المرأة المسلمة

إعلمى إيتها المرأة المسلمة أن الخلق الحسن هو قوام حياتك ، وعليه مدار سعادتك فإن رزقته فقد رزقت كل خير ، وإن حرمته فإنك حرمت من كل خير ، والرسول ﷺ يقول لمن جاء يسأل عن البر « البر حسن الخلق » (١) ، كما سئل عن أكثر ما يدخل الجنة فقال : « تقوى الله تعالى ، وحسن الخلق »(٢) ، وقال ﷺ فى بيان شرف حسن الخلق : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً » (٣) ، وقال : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل ، وأنه لضعيف العبادة » (٤) . والأخلاق الفاضلة تكتَسب بالرياضة ، والمواظبة والتعود ، وإليك جملة صالحة منها ، فروضى نفسك عليها ، وتعودى التخلق بها ، وواظبى عليها تفوزين إن شاء الله تعالى بحسن الخلق ، وحسبك خيراً وشرفاً حسن الخلق .

١ ـ الصبر : وهو أن تحبسى نفسك على الطاعات ، وفعل الخيرات بلا ضجر ولا ملل ، كما تحبسينها بعيدة عن المعاصى وعن كل خلق سيء كالكذب والخيانة والغش والخسة ، والكبر ، والعجب ، والبخل ، والشح ، والجزع ، بإظهار عدم الرضا بحكم الله ، ومجارى أقداره فى عباده .

٢ ـ الصفح والإعراض عن كل ما تسمعين من كلمة نابية ، أو حركة عنيفة ، فلا تردى على السيئة بالسيئة ، ولكن بالحسنة وهى الكلمة الطيبة ، قابلى الجفاء والغلظة من أفراد عائلتك بالعطف ، والرحمة ، واللين ، إن علت أصواتهم أخفضى صوتك ،

---

(١) رواه مسلم (٨ / ٧) .   (٢) الترمذى وصححه (٤ / ٣٦٣) .

(٣) روى البخارى (٨ / ٣٤) ، وإن من أحبكم إلى أحسنكم خلقاً ، وباقى الرواية فى الترمذى (٤ / ٣٧٠) ، وأحمد (٤ / ١٩٣ ، ١٩٤) .

(٤) رواه الطبرانى وسنده جيد .

وإن قبحت كلماتهم جملى لفظك ، وطيبى كلماتك ، بهذا تملكين قلوبهم ، وتظفرين بودهم ، وقربهم ، وحسن معاملتهم . قال تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ (١). وقال تعالى : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ (٢) . وقال لرسوله ﷺ : ﴿ **فاصفح عنهم وقل سلام** ﴾ (٣) .

٣ ـ الحياء والاحتشام فالزمى نفسك بهذا الخلق فإنه أخو الإيمان ، وجماع البر والإحسان ، فاستحى من اللّه تعالى حق الحياء ، فلا يراك على ما يكره ، واستحى من الملائكة فلا تتكشفى فى خلوتك ما استطعت . واستحى من زوجك وأهلك ومن سائر الناس ، فلا تقولى البذاء ، ولا تنطقى بالفحش ، ولا تعملى عملاً ، أو تقولى قولا يجانب الحشمة والحياء .

إن الحياء كله خير ، ولا يأتى إلا بالخير (٤) فاسترى محاسنك ، ولا تتبذلى أمام أقاربك . حسنى كلماتك ، وغضى بصرك ، وأطيلى ثيابك ، ولا تكشفى رأسك فلا يفارقك خمارك ، ولا عجارك إلا إذا خلوت بزوجك فى عقر دارك .

٤ ـ كونى سخية فلا تبخلى بفضل طعام ، أو شراب ، أو كساء ، أو دواء ، ابذلى المعروف ، وتصدقى من مال زوجك بعد استئذانه وإذنه فتشاطرينه (٥) . الأجر والمثوبة ، وتسلمى من العقوبة إن اللّه تعالى يقول : ﴿ **فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى** ﴾ (٦) ، فاحذرى الشح ، واتقيه بالصدقة

---

(١) الآية من سورة الأعراف (١٩٩) ، وقد تضمنت أصول الخلق الفاضل ، فقوله : ﴿ **خذ العفو** ﴾ أمر بأن لا يكلف المؤمن أخاه ما لا يقدر عليه من الأعمال ، والأقوال ، وما ليس عنده من أدب ، وحسن خلق . وقوله : ﴿ **وأمر بالمعروف** ﴾ يريد وأمر الناس بالمعروف دون غلظة ، ولا شدة ، وبالمعروف من القول والفعل ، وهو خلاف الباطل والمنكر وقوله : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ أمر بالصفح ، ومقابلة الغلظة والجفاء بالعطف واللين والعفو ، وعدم المؤاخذة . وكفى بهذه ، أخلاقا فاضلة تثمر الخير والبر ، وتهدى إلى سبل السلام .

(٢) سورة فصلت : ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) سورة الزخرف : ٨٩ .

(٤) « الحياء كله خير » « الحياء من الإيمان » « والحياء لا يأتى إلا بخير » كلها أحاديث صحيحة ، طالعيها إن شئت فى جامع الأصول (٣ / ٦١٦ ـ ٦٢٣) ، وصحيح مسلم (١ / ٤٦ ، ٤٧) .

(٥) فى البخارى « إن المرأة إذا تصدقت من مال زوجها بإذنه لها نصف الأجر وللزوج النصف » .

(٦) سورة الليل : ٥ ـ ٧ .

القليلة والكثيرة . أحسنى إلى جارتك كما تحسنين إلى أقاربك ، واعلمى أن الله تعالى مع المحسنين .

٥ ـ عليك بالإيثار فآثرى أهل بيتك على نفسك ، فإن الإيثار من أخلاق الصالحين ، وصفات الصديقين قال تعالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [١] . جوعى ليشبع أهل بيتك ، واظمئى ليرووا ، واتعبى ليستريحوا ، ولا تحسبى هذا نقصاً فيك بل هو الكمال ، والجمال ، والجلال . إنك بإيثارك الخير تصبحين سيدة ، والسيدة خير من المسودة ، وفى الحديث الشريف « خادم القوم سيدهم [٢] وقيل لأحدهم : « بم ساد فيكم فلان ؟ قال : احتجنا إليه ، واستغنى عنا » . فاعرفى هذا الخلق ، واكسبيه بالرياضة للنفس ، والمجاهدة لها .

٦ ـ الصمت ، وحسن السمت ، الزمى هذا الخلق فقللى من الكلام ، ولا تتكلمى إلا بخير لقول الرسول ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[٣] ، وإذا تكلمت فأوجزى فى الكلام ، وقولى المعروف فقط . قال تعالى فى تأديب نساء النبى ﷺ : ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولاً معروفاً ، وقرن في بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ [٤] . والزمى حسن السمت فى لباسك ، ومشيك وقعودك ، وفى عملك ، وقولك ، فتأنى واحلمى ، ولا تغضبى ولا تضجرى ، ولا تفرحى فرح الأشر والبطر [٥] ، ولكن احمدى الله تعالى ، وأثنى عليه بنعمه . وأكثرى من شكره وحمده .

٧ ـ أنصفى من نفسك فإن الإنصاف من حسن الإسلام [٦] تصنّعى لزوجك كما تحبين أن يتصنع لك ، وأكرهى لغيرك ما تكرهينه لنفسك ، وأحبى لأهلك ، وأقاربك ، وسائر المؤمنين ما تحبين لنفسك ، وفى الحديث الصحيح . « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [٧] .

---

(١) سورة الحشر : ٩ . (٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى (٨ / ١٣١) ، ومسلم (١ / ٤٩) .

(٤) سورة الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الأشر : البطر والمرح فرحاً . والبطر : غمط الحق وغمض الناس .

(٦) هذا بعض حديث فى صحيح البخارى (١ / ١٥) تعليقاً .

(٧) رواه البخارى (١ / ١١) ، ومسلم (١ / ٤٩) .

إن من الإنصاف المأمور به أن تعاملي غيرك بما تحبين أن يعاملوك به ، فلا ترى لنفسك الأثرة على غيرك ، وكما تريدين أن يقال لك من جميل اللفظ وكريم القول فقولي أنت لغيرك ذلك ، وكما تكرهين أن تؤذى في عرضك ، أو بدنك ، أو مالك فاكرهي ذلك لغيرك . وبذلك تظفرين بخلق الإنصاف من النفس ، وهو من حسن الخلق ، وكريم الشيم ، وطيب النفس .

تلك أيتها المؤمنة جملة من الأخلاق الفاضلة فتحلى بها ، وتجملي باكتسابها ، وعيشي عليها ، تكملي وتسعدي . والله معك ولا يتركك فإن الله [1] مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

خصائص المرأة المسلمة

اعلمي أيتها المرأة المسلمة أن للمرأة خصائص ذاتية لا يشاركها فيها الرجل ، كما للرجل خصائص ذاتية أيضاً لا تشاركه فيها المرأة ومتى حاول أحدهما الخروج عن خصائصه التي خصه الله تعالى بها إلى خصائص غيره فقد حصل المسخ الفطرى ، والفساد البشرى ، وضاع بذلك معنى الحياة البشرية الرفيعة ، وهبط المجتمع إلى دركة البهائم ، ومستوى الحيوانات ، والعياذ بالله تعالى .

وإليك أيتها المرأة المؤمنة ما جاء في شريعة الله من خصائص المرأة ، فاعرفيها ، والتزمي بها ، ولا تحاولي التخلي عنها ، ولا تسمحي للرجل أن يشاركك فيها فيظلمك ، ويفسد الحياة عليك .

١ ـ اللباس :

إن للمرأة المؤمنة لباساً خاصاً بها يختلف عن لباس الرجل ، تبعاً للمهام التي خلقت المرأة مهيأة لها دون الرجل ، ومن أهمها : الإنجاب ، والإرضاع ، والتربية إذ هذه الأعمال تتطلب أن تكون المرأة المنوطة بها على حال تمكنها من القيام بها ، ومن جملة ذلك اللباس المناسب الخاص .

فلباس المرأة ينبغي أن يكون جميلاً ، حسناً ، تتحلى به لزوجها ، ولذلك أذن لها

---

(١) ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا** .... ﴾ الآية ، خاتمة سورة النحل : ١٢٨ .

الشارع في التحلي بالذهب مطلقاً ، وفي لبس الحرير في حين أنه حرمهما على الرجل ، إذ أخذ النبي ﷺ وهو على المنبر الذهب بيد والحرير بيد وقال هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها (١) .

وفي القرآن الكريم يقول تعالى : ﴿ **أو من يُنْشَّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين** ﴾ (٢) ، ولذا وجب أن يختلف لباس المرأة عن لباس الرجل ، وأيما امرأة لبست لباس الرجل فقد ترجلت متعرضة للعنة من فم رسول الله الطاهر إذ يقول : « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (٣) . فالمرأة المسلمة في بيتها وبين أهلها لا تكشف عن ساقيها ، ولا عن ذراعيها ، ولا تحسر رأسها فيبدو شعرها ولا تبدى موضع القلائد من صدرها ، اللهم إلا إذا خلت بزوجها فإنها تبدى له ما تشاء من محاسنها ، إذ هي مأمورة بالتصنُّع له ، لغرض الإتصال بها من أجل الإنجاب ، وكثرة الأولاد لعمارة الكون ، وعبادة الديان ، ومكون الأكوان الله الذي لا إله إلا هو ، ذو الجلال والإكرام .

والمرأة إذا خرجت من بيتها لأمر استدعى خروجها تخرج جامعةً عليها ثيابها ، لا يبدو منها إلا إحدى عينيها ، تنظر بها طريقها في ذهابها وإيابها ، هذا شأنها كلما خرجت من بيتها لأمر طلب خروجها من ضرورات الحياة . وإذا اضطرت للجلوس مع الرجال كأن تكون في سيارة ، أو طائرة ، أو مجلس علم ، أو قضاء ، أو زيارة أقرباء فإنها تجلس متخمرة ، مستترة لا يُرى منها إلا ظاهر لباسها على جسمها .

هذه خصوصية المرأة المسلمة في اللباس لا يشاركها فيها الرجل ، وهي لا تشاركه في كشف وجهه ، ورأسه ، وساعديه ، وساقيه ، وصدره ، ونحره لها حالها الملائمة لطبيعتها ، وله حاله الملائمة لطبيعته . فسبحان من خلق فسوّى ، وقدر فهدى ، وزايل في الصفات والشبات بين الذكر والأنثى .

٢ ـ لزوم المرأة بيتها :

إن المرأة المسلمة تلازم بيتها ، وهو مقر عملها ، فلا تفارقه إلا من ضرورة تستدعى ذلك منها . وقد تكون أعمالها في بيتها أكبر من طاقتها ، فتحتاج إلى من يساعدها ، ولذا

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود (٢ / ٣٧٢) ، والنسائي (٨ / ١٣٨) ، والترمذي (٤ / ٢١٧) بمعناه وقال : حسن صحيح .

(٢) سورة الزخرف : ١٨ . والمراد بمن ينشأ في الحلية : البنات .

(٣) رواه البخاري (٧ / ٢٠٥) .

أذن للرجل أن يتزوج أكثر من امرأة لحاجة البيت لذلك ، إذ البيت مصنع الرجال والنساء ، ودار السعادة والهناء .

وأعمال المرأة فى البيت : طهى الطعام ، وغسل الثياب وترقيعها ، وتنظيف البيت ، وعمارته بالصلاة ، وذكر الله وما والاه ، وتربية الأولاد ، وتهذيبهم ، وإصلاح فراش الزوج وتطييبه ليكون مريحاً ، مسعداً لها ولزوجها ، وذلك بعد أداء فريضة الصلاة ، وهى لازمة خمس مرات ، تتطلب منها من ساعات ليلها ونهارها خمس ساعات ، إذ شرط صحة الصلاة طهارة البدن ، والثياب ، والمكان ، وإعداد ذلك لا بد له من وقت قصير أو طويل ، يضاف إلى ذلك نافلة تُؤدّيها المؤمنة . قبل الصلاة وبعدها من تسبيح ، وذكر ، ودعاء . فلهذا وقتها تستغرقه وظائفها ، فلم يبق مجال للعمل خارج البيت . ومن هنا فأى عمل يطلب منها خارج البيت فهو مناف لطبيعتها ، معوق لها عن أداء رسالتها التى لا يقدر عليها سواها . وقد تخرج من البيت لضرورة فتقدره بقدرها متى انتهت عادت إلى بيتها ، ومقر عملها ، وما كان لغير ضرورة فهو خروج باطل ، وعمل غير صالح لا تقره المسلمة ، ولا تسلم بمثله .

٣ ـ ضرورة الولاية عليها :

إن من خصائص المرأة المسلمة ضرورة الولاية عليها فى أمور لا تستقل فيها بنفسها ، لعجز قائم بها ، ملازم لها حسب خلقتها التى خلقها الله تعالى عليها ، وهذه الولاية تكون لزوجها ، أو ذى محرم لها من أب ، أو ابن ، أو أخ ، أو عم . وفى الأمور التالية :

أ ـ تزويجها ، إذ لابد لعقد القران من ولىّ ، وشاهدين ، ومهر ، وصيغة يجريها الولى والخاطب .

ب ـ سفرها ، إذ لا يحل للمؤمنة أن تسافر مسافة يوم وليلة إلا مع ذى محرم لها[1] .

جـ ـ طلاقها فى بعض صور الطلاق ، وذلك فيما إذا تضررت بزواجها فإنها ترفع أمرها إلى القاضى ، وهو ولىّ من لا ولى لها فيطلقها رفعاً للضرر الذى لحقها .

د ـ خلوتها بأجنبى عنها كطبيب يكشف عنها لمداواتها ، إذ لابد فى هذه الحال من محرم يكون معها أثناء الكشف ، وإجراء العملية ، ولو نساءً ورجالاً ممرضين وممرضات .

---

(١) الحديث رواه البخارى (١ / ٥٢) ، ومسلم (٤ / ١٠٣) ، والموطأ (ص ٩٧٩) .

٤ ـ سقوط فريضة الجهاد عنها :

من خصائص المرأة المؤمنة سقوط فريضة الجهاد والغزو عنها وذلك لعجزها وانشغالها بمهام بيتها . فقد سئل الرسول ﷺ : « هل على النساء من جهاد ؟ فقال : عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة » (١) .

٥ ـ سقوط واجب حضور الجمع والجماعات :

من خصائص المرأة المسلمة سقوط واجب شهود صلاة الجمعة وصلاة الجماعة عنها ، وذلك لعجزها ، وانشغالها ، بمهام رسالتها التربوية والقيومية فى البيت . الذى لا يعمر إلا بها ، ولا يستأنس فيه إلا بوجودها صالحةً فيه .

٦ ـ عدم اشتراكها فى تشييع الجنائز :

وحملها ، ودفنها وعدم زيارة القبور ولو قبر أبيها ، أو أخيها ، أو أمها ، أو أختها ، بُعداً بها عما يؤذيها فى نفسها من كل ضررصغيراً كان أو كبيراً وإبقاء عليها لتؤدى رسالتها التى لا يقدر على أدائها الرجال مهما كانوا عظماء .

٧ ـ كون صوتها عورة :

لا يباح سماعه إلا لمحارمها من زوج وولد ، وأب وأم ومن إليهم ، ولذا سقط عنها فرض الأذان ، وسنة الإقامة . والجهر بالقراءة . كما لم يؤذن لها فى أن تخطب الرجال أو تذيع الأنباء ، أو تفتى إلا من ضرورة ، وعلى أن يكون ذلك من وراء حجاب .

٨ ـ عدم توليتها :

لأى ولاية (٢) من شأنها أن تضطرها إلى مخاطبة الرجال الأجانب ، ومجالستهم ، وذلك كالإمارة ، والوزارة ، والقضاء ، وإدارة المصالح العامة كالشرطة والحِسْبة ، وما إلى ذلك مما يضطرها إلى الخروج من بيتها . إلا ما رخص لها فيه شرعاً بحكم الضرورة كالخروج إلى الجهاد مع محارمها لمداواة الجرحى ، والقيام عليهم أثناء انشغال الرجال بالقتال . كما يرخص لها للحاجة أن تعمل فى مزرعة ، أو مصنع ليس فيه رجال أجانب غير محارم لها . هذا كله بالنسبة إلى غير القواعد ، إذ القاعد عن الحمل والحيض لكبر

---

(١) رواه أحمد (٦ / ١٦٥) ، وابن ماجه (ص ٩٦٨) ، وأصله فى البخارى (٢ ، ١٥٦) .

(٢) لحديث البخارى (٨ / ١٠) : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

سنها رُخِّصَ لها أن تخرج من البيت بغير حجاب ، وتخاطب الرجل ولا حرج ، وإن كان لزومها البيت خيراً لقوله تعالى : ﴿ **والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم** ﴾ (١) .

٩ ـ اعتدادها من الطلاق والوفاة :

من خصائص المرأة أنها إذ تطلقت تعتد عدة الطلاق ثلاثة قروء إن كانت تحيض ، أو ثلاثة أشهر إن كانت لا تحيض لصغر أو كبر ، وتعتد عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا والرجل لا يعتد . وتربصه إذا طلق الأخت وأراد أن يتزوج أختها تنقضى عدة المطلقة لا سيما اعتدادا . كمن طلق رابعة وأراد أن يتزوج بإخرى عليه أن يتربص حتى تنقضى عدة من طلقها ، ولا يسمى أيضاً اعتداداً ، وإنما تربص لأن المطلقة الرجعية تعتبر زوجة ما دامت فى عدتها فخشية أن يكون جمع بين أختين ، أو جمع بين أكثر من أربع نسوة أمر بهذا التروى لا غير .

١٠ ـ استحقاقها مهر الزوج :

إن من خصائص المرأة أنها تأخذ مهراً عن زواجها بالرجل ، وليس للرجل أن يطالب بمهر لتزوجه بالمرأة ولو كانت هى الراغبة فى الزواج به والطالبة له .

هذه عشرة خصائص للمرأة المسلمة اختصت بها دون الرجل . فدل ذلك على أن الذكر ليس كالأنثى كما قال تعالى : ﴿ **وليس الذكر كالأنثى** ﴾ (٢) . ومن هنا وجب أن تراعى هذه الخصائص ، وأن لا يعتدى على المرأة فيها ، بأمرها بالتخلى عَنها ، أو بمشاركة الرجال فيها ، إذ ذلك ظلم لا يُقَرّ ، وباطل لا يـقبل . وفسـاد عريض يقضى على معنى الحياة ، وجمالها ، وكمالها بالمرة .

مفارقات المرأة للرجل

إن هناك أموراً كثيرة تشارك فيها المرأة الرجل مشاركة ناقصة بحسب طبيعة أنوثتها ، وما جبلها الله تعالى عليه من ضعف بدنى وعقلى معاً ، فيلزم المؤمنة أن تعرفها حتى لا

(١) سورة النور : ٦٠ .   (٢) سورة آل عمران : ٣٦ .

تطلب منها إلا ما هو لها بالحكم الشرعى ، ومن تلك الأمور ما يلى :

١ ـ شهادتها فى الأموال فإنها على النصف من شهادة الرجل :

قال تعالى : ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل** (١) **إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى** ﴾ (٢) الآية .

وقال الرسول ﷺ : « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ » (٣) .

٢ ـ ترث المرأة المال إذا مات مورثها كما يرث الرجل إلا أنها تفارقه فيما يلى :

١ ـ ترث مع أخيها نصف ما يرث لقول الله تعالى : ﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ (٤) .

٢ ـ يعصب الذكر بنفسه ، والأنثى لا تعصب إلا مع أخيها ، أو ابن عمها الذى فى درجتها .

٣ ـ يرث الزوج من زوجته النصف إن لم يكن لها ولد ، والربع إن كان لها ولد . والمرأة ترث من زوجها الربع إن لم يكن له ولد ، والثمن إن كان له ولد ، وهى مفارقة واضحة (٥) .

٤ ـ تُودَى بالقتل كما يودى الرجل إلا أن ديتها على النصف من دية الرجل ، وكذلك فى الجراحات على النصف إذا بلغت ثلث دية الرجل .

٥ ـ تحرم المرأة للحج والعمرة كما يحرم الرجل إلا أنها تفارقه فى كونها تحرم فى ثيابها ويحرم هو فى إزار ورداء لا غير ، ويكشف رأسه ، ولا تكشف هى رأسها .

٦ ـ تكفن المرأة كما يكفن الرجل إلا أنه يستحب أن تكون ثياب كفنها خمس لفافات ، والرجل ثلاث فقط ففارقت المرأة الرجل فيه .

٧ ـ تصوم المرأة وتصلى كما يصوم الرجل ويصلى إلا أنها تفارقه فى كونها إذا حاضت أو نفست لا تصوم ولا تصلى ، ولا تدخل المسجد لحديث : « أليس إذا حاضت (

---

(١) تضل بمعنى تنسى ، فقد يطلق الضلال ويراد به النسيان . كما فى هذه الآية .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢ . (٣) رواه البخارى (١ / ٨٠) .

(٤) سورة النساء : ١١ . (٥) وهو ثابت بالآية رقم : ١٢ من سورة النساء .

المرأة) لم تصل ولم تصم »[1] .

وحديث : « لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب »[2] .

٨ ـ تعمل المرأة فيما تطيقه كما يعمل الرجل إلا أنها تفارقه فى العمل مع الرجال ، إذ لا تعمل إلا بعيدة عن أعينهم حتى لا يروها ، ولا تراهم صوناً لها عن الاختلاط المريب .

٩ ـ ينفق الرجل على المرأة ، ولا تنفق المرأة على الرجل لمظنة قدرته ، وثبوت عجزها .

١٠ ـ تصلى المرأة وراء الرجال ، ولا يصلى الرجال وراء النساء .

هذه جملة من مفارقات المرأة للرجل ثبتت بالشرع الحكيم ، فليس من حق المرأة أن تحاول الخروج عليها ، وليس من حق الرجل أن يطالب بالدخول فيها إبقاء على القاموس[3] الإلهى فى الكون يجمله ، ويكمّله ، وينظمه إلى نهاية الحياة الدنيا .

حقوق المرأة العامة

إن للمرأة حقوقاً عامة ينبغى أن تعرفها ، ويعترف لها بها لتستوفيها كاملة متى شاءت ذلك وأرادته . ومجمل تلك الحقوق هو إزاء الأرقام التالية :

١ ـ **حقها فى التملك** : إذ للمرأة أن تملك من الدور ، والضياع ، والمصانع ، والبساتين ، والذهب ، والفضة ، وأنواع الماشية من إبل ، وبقر ، وشاة وسواء كانت زوجة أو أما أو بنتاً أو أختاً ، وذلك لقول اللّه تعالى : ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾[4] ، ولقول الرسول ﷺ « يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن »[5] . ففى الآية دليل صريح على ملك النساء لقوله : ﴿ **مما اكتسبن** ﴾ إذ نسب الإكتساب لهن . وفى الحديث دليل ضمنى وهو أمرهن بالصدقة ولا يؤمر بالصدقة إلا من يملك ما يتصدق به .

(١) رواه البخارى (١ / ٨٠) . (٢) رواه أبو داود (١ / ٥٣) وابن ماجة (٢١٢) .

(٣) القاموس يطلق على معان منها الشريعة . والمقصود به هنا النظام الذى ربط اللّه تعالى به الحياة لتطول إلى نهايتها وأجلها المسمى لها .

(٤) سورة النساء : ٣٢ . (٥) رواه البخارى (٢ / ١٤٣) ، ومسلم (٣ / ٨٠) .

٢ ـ **حقها فى الزواج** ، وإختيار الزوج ، وفى المخالفة ، وفى الطلاق إذا تضررت ، وهى حقوق مجمع على ثبوتها للمرأة ، فلا تطلب لها دليلاً ما دام الإجماع ثابتاً .

٣ ـ **حقها فى العبادات** : فرائض ، ونوافل ، وسواء البدنية منها ، والمالية ، والروحية . والفعل منها ، والترك سواء ، فكما تؤدى الفرائض بكل حرية تجتنب المحرمات بكل حرية ، اللهم إلا ماكان من النوافل إذا تعارضت مع الحق الواجب للزوج فإنه يقدم الحق الواجب على النوافل . وهو أمر معقول ، ومشروع إذ لا تتطوع المرأة بالصوم وزوجها حاضر إلا بإذنه . لحديث : « لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوماً من غير رمضان إلا بإذنه » [١] .

٤ ـ **حقها فى التعلم** : لكل ما هو واجب عليها كمعرفة اللّه تعالى ، ومعرفة عبادته ، وكيفية أدائها ، ومعرفة الحقوق الواجبة عليها ، والآداب اللازمة لها ، والأخلاق الفاضلة التى عليها أن تتحلى بها لعموم الأمر فى قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا اللّه ﴾ [٢] . وفى قول الرسول ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » [٣] .

٥ ـ **حقها فى أن تتصدق** بما تشاء من مالها الصامت أو الناطق . وأن تنفق منه على نفسها ، وعلى من شاءت من زوج ، وأولاد ، أو آباء ، وأمهات مالم تصل إلى حد الإسراف فيحجر عليها ، شأنها فى ذلك شأن الرجل إذا سفه [٤] .

٦ ـ **حقها فى أن تحب وتكره** ، فتحب من النساء الصالحات فتزورهن ، وتهدى إليهن ، ولها أن تراسلهن ، وتسأل عن أحوالهن ، وتواسيهن فى المصيبة ، وتكره الفاسدات ، وتبغضهن ، ولها أن تهجرهن فى ذات الله تعالى . كما لها أن تحب من الرجال الصالحين إلا أنها ليس لها زيارتهم ، ولا الاجتماع بهم ، ولا مواساتهم إذ ذاك يؤذى الزوج ، والأهل ، وقد يسبب فتنة ، أو يحدث ضررا . إذ الحب فى الله تعالى لا يشوبه غرض دنيوى .

٧ ـ **حقها فى الوصية** بثلث مالها حال حياتها ، وتنفيذها بعد مماتها بلا اعتراض عليها ، ولانكير ، لأن الوصية حق شخصى عام ، فكما تكون للرجال تكون للنساء ، إذ لا

---

(١) رواه البخارى (٧ / ٣٩) ، ومسلم (٣ / ٩١) ، والترمذى (٣ / ١٤٢) واللفظ له .

(٢) سورة محمد ١٩ .

(٣) رواه ابن ماجه ص ٨١ .

(٤) أى جهل التصرف فى الأموال فأفسدها ، وأضاعها .

غنى لأحد عن ثواب الدار الآخرة، والله يقول : ﴿ وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ﴾(١) .

٨ ـ **حقها في اللباس** إذ لها أن تلبس ماتشاء من الحرير والذهب الأمر الذى قيد فيه على الرجال (٢) . إلا أنها ليس لها أن تتعرى من ملابسها ، وتتجرد من ثيابها فتلبس نصف ثوب أو ربعه ، أو تحسر رأسها ، أو تكشف عن نحرها وصدرها إلا إذا خلت بزوجها ، كما ليس لها أن تخرج للشارع كاشفة عن وجهها وكتفها بل يجب ستر ذلك منها لأن الوجه منبت جمالها ، ومحط زينتها ، وكذلك كفاها لخضابهما بالحناء ، والخواتم الذهبية فيهما .

٩ ـ **حقها فى التجمل** لزوجها فتكتحل ، وتضع الأحمر على خديها ، وشفتيها إن شاءت ذلك ، وتلبس أجمل الحلل وأبهاها ، إلا أن لباساً عرف به غير المسلمات ، أو عرف به المومسات العواهر فليس لها أن تلبسه بعدا عن ساحة الريب والباطل . قال تعالى : ﴿ أو من يُنَشَّأُ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ﴾ (٣) إن فى هذا الكلام الإلهى دليلاً على أن للمرأة تتحلى وتتزين بما تشاء من أنواع الحلى ، والحلل لحاجتها لذلك ، لتؤدى رسالتها فى عمارة الكون بإنجاب البنين والبنات .

١٠ ـ **حقها فى الشراب والطعام** ، فلتشرب مالذَّ وطاب ، وتأكل كذلك ، لا فرق بينها وبين الرجل فى الطعام والشراب فما أبيح منهما هو للرجال والنساء ، وما حظر منهما فهو محظور على النساء والرجال على سواء . قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (٤) ، والخطاب عام شامل للجنسين معاً .

حقوق المرأة على زوجها (٥)

إن من حقوق المرأة الخاصة حقوقها على زوجها ، تلك الحقوق التى وجبت لها مقابل حقوق معينة هى عليها لزوجها ، وذلك كطاعته فى غير معصية اللّه ورسوله ﷺ ، وإعداد

---

(١) سورة المزمل : ٢٠ .

(٢) لحديث الصحيح فى إباحة الذهب والحرير للنساء وتحريمهما على الرجال وقد تقدم فى ص ٨٧ .

(٣) سورة الزخرف : ١٨ .   (٤) سورة الأعراف : ٣١ .

(٥) ثبت للمرأة المؤمنة هذه الحقوق بالقرآن ، وتأكدت بقول الرسول ﷺ فى حديث الترمذى الذى صححه وهو « ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً » (٣ / ٤٥٨) .

طعامه ، وشرابه ، وإصلاح فراشه ، وإرضاع أولاده وتربيتهم ، وحفظ ماله ، وعرضه ، وصيانة نفسها ، وتحسينها ، وتجميلها له بما هو مأذون فيه مباح من أنواع الزينة ، وضروب التجميل .

وهذه جملة من حقوق المرأة الواجبة لها على زوجها بقول اللّه تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ (١) نذكرها إزاء الأرقام التالية ، لتعرفها المؤمنة ، وتطالب بها فى غير حياء ولا خوف .

ويجب على الزوج تكرماً أن يسلم بها لامرأته كاملة إلا أن تعفو عن بعضها فلها ذلك :

١ ـ الإنفاق عليها بحسب حاله يسرا ، وإعسارا ، وتتناول النفقة : اللباس ، والطعام ، والشراب ، والدواء ، والسكن ، وذلك لقول اللّه تعالى: ﴿ **لينفق ذو سَعَة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه اللّه ، لا يكلف اللّه نفساً إلا ما آتاها** ﴾ (٢) .

٢ ـ حق الفراش وهو حقها فى الوطء ، والقَسْم لها إن كان معها غيرها من زوجات جمع الرجل بينهن لطاقته على ذلك إذ كان الرسول ﷺ يقرر هذا الحق ، ويقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » (٣) .

٣ ـ حمايتها فى عرضها ، وبدنها ، ومالها ، ودينها إذ الرجل قيم عليها ، ومن حق القيم على الشيء حفظه ورعايته . قال تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل اللّه بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ (٤) .

٤ ـ تعليمها الضرورى من أمور دينها ، وإن عجز عن ذلك أذن لها أن تتعلم بحضور مجالس العلم للنساء فى بيوت اللّه تعالى وغيرها إن كان هناك أمن من الفتنة ، ومن الضرر الذى يعود عليها ، أو يعود عليه .

٥ ـ حسن عشرتها لقوله تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ (٥) ومن حسن المعاشرة عدم هضم حقها فى الوطء ، وعدم أذيتها بسبب ، أو شتم ، أو إزدراء وإهانة ، وعدم ضربها إلا فى حال نشوزها وتكبرّها ، فإن للزوج استعمال حق التأديب ،

---

(١) من سورة البقرة : ٢٢٨ . (٢) من سورة الطلاق : ٧ .

(٣) رواه أبو داود (١ / ٤٩٢) ، والترمذى (٣ / ٤٣٧) ، والنسائى (٧ / ٦٠) .

(٤) سورة النساء : ٣٤ . (٥) سورة النساء : ١٩ .

وهو وعظها ، أو هجرها فى الفراش ، أو ضربها غير مبرح لا يشين جارحة ، ولا يكسر عضواً ، ومن حسن عشرتها أن لا يمنعها من زيارة أقاربها إن لم يخش عليها فتنة ، وأن لا يكلفها ما لا تطيق من العمل ، وأن يحسن إليها فى القول والعمل .

لقول الرسول ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » [١] . وقوله : « ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم » [٢] . وقوله : « ألا واستوصوا بالنساء فإنهن عوان عندكم » [٣] .

مطالب الكمال للمرأة المسلمة

إن الكمال الروحى والبدنى والعقلى والخلقى مطلب كل إنسان عاقل ذكراً كان أو أنثى ، وليس من حق أىّ أحد أن يصدّ عن ذلك ، أو يعترض طريق طالبه ، إذ ما جاءت الشرائع الإلهية إلا لتحقيق هذه المطالب للإنسان ليكمل ويسعد فى الحياتين الأولى والآخرة .

وإليك أيتها المؤمنة بيان طرق مطالب كمالك فى روحك ، وبدنك ، وعقلك ، وخلقك .

طريق مطلب الكمال الروحى

إن من أهم مطالب الكمال مطلب الكمال الروحى للمرأة المسلمة ، والطريق الموصل إليه ، وإلى الحصول عليه يتمثل فى الإيمان الصحيح الكامل ، والعمل الصالح [٤] ، بعد التخلى عن الشرك ، وكبائر الإثم . إذ الروح البشرى يزكو على الإيمان وصالح الأعمال ، ويتدسّى على الشرك بالله ، وارتكاب كبائر الإثم ، والفواحش ، فلا يزال العبد يترقّى فى طهارة روحه ، وزكاة نفسه بتجديد الإيمان ، وتقويته ، والإكثار من العمل الصالح ، والبعد التام عن الشرك والمعاصى حتى تبلغ روحه فى طهرها وصفائها مستوى

---

(١) رواه الترمذى (٥ / ٧٠٩) ، وابن ماجه (ص ٦٣٦) .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه الترمذى (٣ / ٤٥٨) ، وابن ماجه (ص ٥٩٤) .
(٤) هذا مفهوم قوله تعالى من سورة الشمس ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ الآية ٩ ، ١٠) . إذ التزكية تكون بالإيمان والعمل الصالح ، والتدسية تكون بالشرك والمعاصى .

يقرب من مستوى الملائكة . كما أنه إذا أعرض عن الله وذكره ، وأقبل على أفعال الشرك ، وإعتقاداته مع غشيان الكبائر ، وإرتكاب الفواحش الظاهرة والباطنة قد يبلغ دركاً ينزل فيه إلى مستوى أخباث الشياطين من الجن والإنس ، والعياذ بالله تعالى .

ومن هنا كان من أسمى مطالب المرأة المسلمة مطلب كمالها الروحي وقد عرفت طريق الوصول إليه وهو الإيمان الصحيح ، والعمل الصالح بعد التخلي التام عن الشرك صغيره وكبيرة ، وعن الذنوب صغيرها وكبيرها . وقد لا يمكنها ذلك بغير العلم والمعرفة . وفي كتابها هذا من العلم والمعرفة ما يكفيها في تحقيق ذلك . والله يدخل في رحمته من يشاء .

مطلب الكمال البدني

إن للمرأة المسلمة أن تطلب كل ما يكمل بدنها ، ويحسنه ، ويجمله إذ ذاك حق من حقوقها الشخصية التي لا تنازع فيها فلها أن تتداوى بكل دواء مباح ، وتحفظ صحتها من الضعف ، والتدهور من أجل أن تؤدي وظائفها التي خلقت لها ، من عبادة الله تعالى بذكره وشكره ، ومن أجل القيام بواجب خدمة زوجها ، وبيتها ، وتربية أولادها ، كما أن لها أن تستعمل ما يزيد في جمالها ، ويؤكد أنوثتها من خضاب بحناء ، واكتحال باثمد ، ولبس لذهب وحرير . فليس من حق أحد من زوج أو والد أن يمنعها من كل ما يحفظ صحتها ، ويزيد في جمالها ، وحسن هيئتها . فلها أن تركب سنة أو أسناناً عند الحاجة إليها ، وأن تجبر كسرا إن حصل لها ، إلا أنها لا تتداوى بحرام ، ولا تتجمل بغير الجائز ، فليس لها أن تفلج أسنانها للحسن ، كما ليس لها أن تقشر جلدها ، أو تنتف شعر وجهها أو تصل شعر رأسها بشعر آخر لنهي الرسول ﷺ عن التداوي بالحرام [١] ، وللعنه الواصلة والمستوصلة ، والنامصة ، والمتنمصة ، والمتفلجات للحسن في صحيح الأحاديث [٢] .

مطلب الكمال العقلي

من حق المرأة أن تطلب كمال عقلها ، وأن تتوسل إلى ذلك بشتى الوسائل ؟ إذ كمال

---

(١) رواه أبو داود (٢ / ٣٣٥) .

(٢) رواها البخاري (٧ / ٢١٢ ـ ٢١٤) ، ومسلم (٦ / ١٦٥ ـ ١٦٧) .

العقل هو الطريقة الوحيدة للوقاية من الشرور ، والنجاة من المهالك فمن لا عقل له لا دين له (١) ، ومن لا دين له لا كمال ولا سلامة له ، والعقل هو الخصيصة التى تميز الإنسان على الحيوان . ولذا كان مطلب كمال العقل بالعلم ، والمعرفة ، والتجارب الحسنة ، مطلباً سامياً شريفاً .

وطريقة الحصول على كمال العقل يكون معرفة الكتاب والسنة ، والتبحر فيهما ، ويتم ذلك من طريق الدرس ، والطلب ، وسؤال أهل العلم ، وسماع المواعظ فى المساجد ، ومطالعة كتب الحكمة ، ومجالسة الصالحات من النساء المؤمنات وفى الحديث : قال نساء الأنصار والمهاجرين بالمدينة المنورة « اجعل لنا يا رسول اللّه يوماً من نفسك نتعلم فيه غلبنا عنك الرجال . فقال لهن ﷺ : موعدكن دار فلانة . فآتاهن فيها فوعظهن وذكرهن وعلمهن » (٢) . فصلى اللّه عليه وسلم ، ورضى اللّه عن نساء الأنصار والمهاجرين ، وأرضاهن .

مطلب الكمال الخلقى

إن مطالب الكمال الخلقى للمسلمة مطلب شريف منيف ، إذ الخلق قوام الحياة الفاضلة ، ورأس الأمر فيها ، حتى قيل :

وإنما الأمم الأخلاق مابقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا (٣)

ولقد أثنى اللّه تعالى على نبيه بخلقه فقال عز وجل : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (٤) . وما علة رسالته ﷺ إلا إكمال الأخلاق فقد قال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٥) ، لأن ذا الخلق الحسن الفاضل يأبى عليه خلقه أن يكفر ربه ، أو يكفر نعمه عليه ، كما يأبى عليه أن يأتى الشر ، والفساد ، أو يتورط فى الخبث . ولذا كان من حق المسلمة أن تطلب كمال أخلاقها ، وتترقى فيها حتى تكون من فضليات المؤمنات اللائى شرفن بأخلاقهن ، وتميزن بها بين نساء العالمين . وطريق الحصول على الأخلاق الفاضلة هو

---

(١) إذ لا تكليف إلا بشرط صحة العقل وسلامته .

(٢) رواه البخارى (٣٦٨) بمعناه .

(٣) شاعر مصرى يدعى أحمد شوقى أمير الشعراء له رسالة تدعى أسواق الذهب من خير ما ألف فى الحكمة والأدب .

(٤) سورة القلم : ٤ .

(٥) حديث صحيح رواه أحمد (٣ / ٣٨١) ، والموطأ ص (٩٠٤) بمعناه .

دراسة الكتاب والسنة ، والعمل على التخلق بما جاء فيهما من عظيم الأخلاق ، وقد سئلت أم المؤمنين عن أخلاق رسول اللّه ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن » (١) .

فللمسلمة أن تدرس الشمائل المحمدية ، وسير الصالحات من نساء المؤمنين السالفات ما تكمّل به خلقها حتى تصبح مثلاً للكمال الخلقى فى دنيا الناس ، وهذا حق من حقوقها ، ومطلب شريف لها ، لا ينازعها فيه أحد ، ولا يصدّها عنه صادّ .

وقد سبق أن بينا لها فى كتابها هذا جملة صالحة من الأخلاق الإسلامية فلتراجعها ، وتعمل على اكتسابها بالرياضة والتمرين حتى تفوز بها إن شاء اللّه تعالى .

الأسوة الحسنة للمؤمنة (٢)

إن مما يساعدك أيتها المؤمنة على اكتساب الأخلاق الفاضلة وأنت طالبة لها وهى من أسمى مطالبك الإتساء بخلال الصالحات السالفات ، وإليك نماذج صالحة منهن ، فاجعليهن مثالا لك فاحتذيه ، فإنك تفوزين بحظ وافر من كمال الدين ، والعقل ، حقق اللّه لك ذلك .

١ ـ سارة بنت هاران زوج إبراهيم الخليل عليه السلام وحسن التوسل :

لما أدخلت سارة على الطاغية ملك مصر قام إليها . فأخذت تتوضأ فتوضأت ، وصلت ثم قالت ـ متوسلة ـ « اللهم إن كنت تعلم أنى آمنت بك ، وبرسولك ، وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر » فغُطّ الكافر حتى ركض الأرض برجليه ... ثم أفاق فمد يده إليها فقالت اللهم إلخ ...... فغط حتى ركض الأرض برجليه ، وهكذا مرة ثالثة وفى الرابعة قال : « ما أرسلتم إلىَّ إلا شيطاناً ارجعوها إلى إبراهيم وأعطوها هاجر » ، فرجعت إلى زوجها إبراهيم الذى أخذت منه قسراً فقالت : « أشعرت أن اللّه عز وجل كبت الكافر وأخدَم وليدة » (٣) ؟ .

---

(١) رواه مسلم (٢ / ١٦٩) .

(٢) أمر اللّه تعالى رسول ﷺ بالإئتساء بمن سبق من الرسل فقال تعالى : ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾ سورة الأنعام : ٩٠ ، وأمر اللّه تعالى المؤمنين بالإتساء برسوله فقال : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول اللّه أسوة حسنة** ﴾ سورة الأحزاب : ٢١ .

(٢) قصة سارة مع طاغية مصر رواها البخارى فى الصحيح (٣ / ١٠) .

فانظرى أيتها المؤمنة كيف كان توسل سارة بالإيمان بالله ورسوله ، وبإحصان فرجها ، وكيف استجاب الله تعالى لها ، وحفظها من الكافر ، وجعل الكافر يقدم لها هدية هى هاجر أم إسماعيل جد سيد المرسلين ؟؟ .

فهلا تأتسى بها ، وتقتدى فى التوسل الصحيح ، وهو صلاة ركعتين ، وسؤال الله تعالى بالإيمان ، وترك الآثام . ليس توسل الجاهلات بحق فلان ، وجاه فلان .

٢ ــ هاجر أم إسماعيل وجدة سيد المرسلين ، وحسن التوكل :

لما ترك إبراهيم عليه السلام جاريته هاجر التى أهدته إياها امرأته سارة ، لما تركها وطفلها إسماعيل الرضيع عند مكان البيت بمكة المكرمة ، وقفل راجعاً إلى فلسطين . قالت له : « آللّه أمرك بهذا يا إبراهيم » . تعنى أمرك أن تتركنى وطفلى هاهنا حيث لا ماء ، ولا أنيس ، فقال إبراهيم عليه السلام : « نعم » . قالت : « إذاً فاذهب فإنه لا يضيعنا » (١) .

فضربت هاجر بهذا أروع مثل فى التوكل على الله تعالى ، وهل ضيعهما الله تعالى ؟ الجواب : لا لا ، بل تولاهما ، وأكرمهما أحسن إكرام . وهكذا يكفى الله تعالى من يتوكل عليه ، ويثق فيه .

٣ ــ حنة امرأة عمران ، أم مريم عليهما السلام وصدق اللّجأ إلى الله تعالى :

كانت حنة لا يولد لها ، فرأت يوماً طائراً فى حديقة منزلها يزق (٢) أفراخه ، فحنت حنيناً إلى الولد ، واشتاقت إلى الولادة فقالت : « رب إن رزقتنى ولداً جعلته خادماً لك ويخدم بيتك » « بيت المقدس » فاستجاب الله تعالى لها فحملت بمريم عليها السلام ، ومات عمران وهى حامل ، ودنا وقت الولادة فولدت » بنتاً أنثى ، فتحسّرت وقالت : ﴿ **رب إنى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى** ﴾ (٣) . وسمتها مريم أى خادمة الله وعوذتها ، فقالت : ﴿ **رب إنّى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ (٤) . فاستجاب الله تعالى لها ، وحفظ بنتها ، وحفظ عيسى (٥) ابن بنتها من الشيطان الرجيم فلم يرتكبا إثماً قط .

---

(١) قصة هاجر أم إسماعيل ثابتة فى صحيح البخارى (٤ / ١٧٢ ــ ١٧٥) .

(٢) يُطعم بأن يأتى بالطعام والشراب فى منقاره ، ويفرغه فى منقار ولده .

(٣ ، ٤) سورة آل عمران : ٣٦ .

(٥) وارد فى الصحيح فى حديث الشفاعة ، إذ لم يذكر عيسى عليه السلام ذنباً كما ذكر غيره من الأنبياء الذين اعتذروا ــ وانظر فى البخارى (٩ / ١٥٨) ، ومسلم (١ / ١٢٨) .

وذلك لأنها عرفت كيف تعوذ ابنتها ، وبم تعوذها أما الجاهلات من نسائنا اليوم فإنهن يلجأن فى تعويذ أولادهن إلى حديدة يضعنها عند رأس المولود ، أو إلى عظم أو حِرْز يعلقنه على رأسه ، أو فى عنقه . فانظرى أيتها المؤمنة كيف نذرت حنة نذراً للّه خالصاً فاستجاب لها ربها ، وأعطاها مريم ، وكيف أحسنت تعويذ بنتها ومن يولد لها بأحسن تعويذة ، فأعاذ اللّه بنتها ، وابنها ، وحفظهما من الشيطان الرجيم ، فهلا تقتدين بحنة فى النذر للّه وحده ، واللجأ الصادق إلى اللّه وحده ؟

٤ ـ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى اللّه عنها كمال عقل وقوة دين :

لما جاءها رسول اللّه ﷺ ترجف بوادره فزعاً من رؤية الملك لأول مرة حيث فاجأه فى غار حراء قالت له فى ثقة المؤمن الموقن ، مطمئنة إياه على مستقبله : « كلا واللّه ما يخزيك اللّه أبداً : إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق »[(١)] .

وثانياً لما أخبرها بأمر الملك الذى أرسل إليه وهو جبريل عليه السلام قالت له : « أى ابن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك الذى يأتيك إذا جاءك » ؟ قال : « نعم » قالت : « فإذا جاءك فأخبرنى به » فجاءه جبريل ، فأخبرها به ، فقالت له : « قم يا بن عمى فاجلس على فخذى الأيسر » فقام فجلس ﷺ ، فقالت له : « هل تراه ؟ قال : « نعم » . قالت : « فتحول فاجلس على فخذى الأيمن » ، فتحول فجلس على فخذها الأيمن ، فقالت : « هل تراه » ؟ قال : « نعم » قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، » فتحول ، فجلس فى حجرها ، ثم قالت له : « هل تراه » ؟ قال : « لا » . قالت : « يا بن العم أثبت وأبشر فواللّه إنه لملك ، وما هذا شيطان » .

لقد دلت هاتان الحادثتان ـ أيتها المؤمنة ـ على كمال عقل خديجة ، وقوة يقينها فهل تأتسين بها فى ذلك ؟

لقد استدلت فى الأولى على أن المعروف صاحبه لا يخيب ولا يخسر .

وعلى الثانية بأن الذى يأتى زوجها رسول اللّه ﷺ إنما هو ملك ، وليس بشيطان ، استدلت عليه بأن الملك لا يجالس المرأة الكاشفة الرأس ، وأن الشيطان هو الذى يجالسها ، لأن الشيطان يدعو إلى الفجور ، والملك يدعو إلى البر . فتأملى فى هذا واقتدى .

---

(١) رواه البخارى (١ / ٤ ، ٥) .

٥ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ صبر جميل وحياء عظيم :

حدّث يوماً على بن أبى طالب ، وصهر رسول الله ﷺ عن نفسه وعن زوجه فاطمة ، فى آخر حياته فقال : « يابن أعبد ألا أخبرك عنى وعن فاطمة ؟ كانت بنت رسول الله ، وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتى فجرّت بالرحى حتى أثرت الرحى فى يديها ، واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، وقمّت البيت حتى اغبرت ثيابها ، وأوقدت النار تحت القدر حتى دنّست ثيابها ، وأصابها من ذلك ضر » .

وثانياً : قال رسول الله ﷺ يوماً بين بعض أصحابه : « ما خير للنساء » ؟ فلم يُدْر ما يقال . فذهب على رضى الله عنه إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت : فهلا قلت له : « خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يروهن » . فرجع على فأخبر الرسول ﷺ بذلك فقال له : « من علمك هذا » ؟ قال : « فاطمة » . قال : « إنها بضعة منى ! ! »[1] .

فانظرى أيتها المؤمنة بنت رسول الله وزوجة على بن أبى طالب تطحن ، وتسقى ، وتقم البيت ، وتوقد النار ، وتطهو الطعام ، وتربى الأبناء . ولم تضجر ، ولا تسخط ، ولا تشكو فتضرب بذلك أكبر مثل للصبر الجميل فهلا تقتدين بها فيه هذا الصبر ؟ .

وثالثا : تأتى بالعجب فى الحياء فتخبر بأن خير النساء . أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال . فأىُّ حياء أعظم من هذا الحياء ، الذى عبرت عنه الزهراء بعد ما تساءل عنه أبوها . خير للنساء عظيم أن يبعدن عن ساحة الرجال ، وأن يبعد الرجال عن ساحتهن .

إذكرى أيتها المؤمنة هذا ، واذكرى ما عليه نساء اليوم من الرغبة الملحّة فى النظر إلى الرجال ، والحديث معهم ، والاتصال بهم ، والاختلاط معهم فى الأسواق ، فى الشوارع ، فى المساجد ، وعلى شاشة التلفاز والفيديو . ووفى وفى ... ولهذا ذهب الخير ، وجاء الشر والعياذ بالله تعالى .

فهل تقتدين أيتها المؤمنة بصبر فاطمة وحيائها ؟

فهل تأتسين بسيدة نساء أهل الجنة ؟؟ .

أرجو لك ذلك .

---

(١) البضعة بفتح الباء القطعة من اللحم ، والمراد أن فاطمة جزء منه ﷺ .

٦ ـ عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، علم عليم ، وزهد غير زهيد :

لما رُميت عائشة بالإفك (١) ، ونزلت براءتها بعد أتعاب وآلام عانى منها الأسرتان الكريمتان : أسرة رسول الله ﷺ ، وأسرة الصديق رضى الله عنه ، وكان حين نزول الآيات المبرئة لأم المؤمنين مما رُميت به من السوء أبو بكر الصديق ، وأمها أم رومان حاضرين فى المجلس فبشر رسول الله ﷺ عائشة بنزول القرآن ببراءتها فقال لها والداها : « قومى لرسول الله ، قبلى رأس رسول الله ، واحمديه على ذلك » فقالت رضى الله عنها : « والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله تعالى الذى أنزل براءتى » . فلم يزد رسول الله ﷺ على أن قال : « لقد عرفت الحق لأهله » ! ! . فأى علم كانت عليه هذه الربانية ، وأى عمق من علم فتاة تنزل براءتها من السماء فتبشر بها ـ وإعطاء البشرى محمود ـ فيطلب منها أن تقوم لمن بشرها ، وتقبل رأسه ، وتحمده . فترى أن الفضل لله وحده فهو الذى يستحق منها ذلك لا غيره فتقول : « لا أحمد إلا الله » . ويقرها رسول الله ﷺ على ذلك ويقول : « عرفت الحق لأهله » (٢) .

هذا هو العلم يابنت الإسلام ليس علم الشهادات تطلعاً للوظيفة السخيفة ، وتطاولاً على المؤمنات العفيفات المستورات عقيلات البيوتات .

وثانية بعد وفاة رسول الله ﷺ وجلّ الراشدين بعث إليها ابن اختها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما بمائة وثمانين ألف درهم ، فدعت بطبق وهى يومئذ صائمة فجعلت تقسمه بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم واحد ، فقالت : لجاريتها : « هلمّى إلى فطرى » فجاءت بخبز وزيت ، وقالت لها : « أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحماً نفطر عليه » ؟ .

فقالت لها : « لا تعنفينى لو كنت ذكرتنى لفعلت » .

وثالثة : قول ابن اختها عروة بن الزبير رضى الله عنهم أجمعين .

لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهى ترقع ثوبها ، ولا تشترى جديداً .

ورابعة : قال ابن أخيها القاسم بن محمد : « كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها ، فغدوت يوماً فإذا هى قائمة تسبح (تصلى) ، وتقرأ : ﴿ **فمن الله علينا ووقانا**

---

(١) حديث الإفك فى البخارى (٦ / ١٢٧ ـ ١٣٦) ومسلم (٨ / ١١٣) .

(٢) هذه الرواية ثابتة لا مطعن فى ذكرها غير واحد ومن ذلك صاحب كتاب صفة الصفوة .

عذاب السموم ﴾ [1] وتبكى ، وترددهما ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتى ، ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى تصلى وتبكى !! .

هكذا يا بنت الإسلام يكون العلم ، وهكذا يكون الزهد ، وهكذا تكون الخشيةُ بنت العلم ، فهل تذكرين هذا ، وتأتسين بأمك فى علمها ، وزهدها ، وخشيتها ؟

٧ ـ امرأة صالحة خفية لم يذكر اسمها ورع عظيم :

ذكر ابن الجوزى « أن امرأة من الصالحات كانت تعجن عجينة فبلغها وهى تعجن موت زوجها ، فرفعت يدها منه وقالت : « هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء !! » .

وأخرى كانت تستصبح بمصابيح فجاءها خبر زوجها ، فأطفأت المصباح وقالت : « هذا زيت قد صار لنا فيه شركاء !! .

أرأيت أيتها المؤمنة ما كان عليه الصالحات من المؤمنات من الورع الأولى تركت العجينة ، والثانية أطفأت المصباح ، لوجود ورثة بموت المورث فخافتا أن تنتفع بمال غيرهما فتركتا ذلك خشية من اللّه .

أليس هذا هو الورع ؟ فهل لك أن تقفى يوماً مثل هذا الموقف فتذكرى فى عداد هؤلاء التقيات ، النّقيات ، والورعات !! .

٨ ـ أم عطية الصحابية ، والرُّبيّع بنت معوذ ... رضى اللّه عنهما . إيمان وشجاعة :

قالت كل من أم عطية الأنصارية ، والرُّبيّع بنت معوذ بن عفراء رضى اللّه عنهما : كنا نغزو مع رسول اللّه ﷺ نخدم القوم ، نصنع لهم الطعام ، ونسقيهم ، ونداوى الجرحى ، ونقوم على المريض ، ونردّ القتلى والجرحى إلى المدينة .

أى إيمان هو ذاك الذى يخرج بالمرأة المؤمنة من بيتها ، وأمنها إلى ساحات القتال بعيداً عن الأهل ، والولد ، والمال ، وترابط وراء الصفوف تمرّض ، وتداوى ، وتقدم الطعام والشراب ، وتنقل القُتلى والجرحى من ساحات المعارك إلى المدينة ؟! .

هكذا كان الصحابيات الطاهرات . أما اليوم فقد استغل هذا الموقف المشرف للمرأة المؤمنة على مدى التاريخ دعاة الفجور ، ودعوا المرأة المؤمنة إلى أن تكشف عن وجهها الخمار ، وترمى ببرقع الحياء وتخرج مترجلة ؟؟ فزجّوا بها فى ثكنات الجيوش ليتمتعوا بها .

---

(١) سورة الطور : ٢٧ .

أما الجهاد فهم لا يجاهدون فضلاً عن نسائهم . ورموا بها فى الشوارع شرطيةً سخرية يسخر منها العقلاء ، ووضعوها على كراسى الوزارات ، والقضاء ليتمتعوا بها خالية حالية ، وشاهدة عاطلة . قبح الله مسعاهم وأرداهم !! .

فهل لك أيتها المؤمنة أن تتأسى بالصحابيات فى إيمانهن ، وشجاعتهن ، وتتبرأى من هؤلاء الساقطات اللاقطات اللائى لا إيمان لهم ولا حياء لهن .

٩ ـ أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رحمهما اللّه تعالى : آية فى الجود ، ومعدن الكرم :

هى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الأموية ، أخت الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمهما اللّه تعالى ، كانت مضرب المثل فى الكرم والجود ، فكانت تقول : « لكل قوم نهمة [١] فى شيء ، ونهمتى فى الإعطاء » . وكانت تعتق كل يوم جمعة رقبة ، وتحمل على فرس فى سبيل اللّه عز وجل . وتقول : « أف للبخل لو كان قميصاً لم ألبسه ، ولو كان طريقاً لم أسلكه » .

فانظرى أيتها المؤمنة فى كرم هذه التابعية الجليلة وجودها ، وتأملى فى قولها : « نهمتى فى العطاء » (البذل) وقولها : « أف للبخل لو كان قميصاً لم ألبسه ، ولو كان طريقاً لم أسلكه » . وجاهدى نفسك على الاقتداء بهذه الكريمة من نساء المؤمنين عسى اللّه تعالى أن يرزقك نفساً كريمة ، إن الله على كل شيء قدير .

١٠ ـ أم سفيان الثورى رحمهما اللّه تعالى : العلم والخشية .

قالت أم سفيان الثورى لابنها سفيان وهو طالب يطلب العلم فى أول أمره قالت له : « يا بنى أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى » تريد أن لا تحوجه إلى العمل ليترك العلم وطلبه . « يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف انظر هل ترى فى نفسك زيادة » ـ تريد زيادة نور وخشية « فإن لم تر زيادة فاعلم أنه لا ينفعك » ! .

فانظرى أيتها المؤمنة إلى أم سفيان ، عالم مكة كيف رأت أن ثمرة العلم هى وجود نور فى القلب يكسب النفس خشية ، فإن وجدت الخشية كان العلم نافعاً ، وإلا كان ضاراً ولا خير فيه .

---

(١) النهمة بفتح النون وسكون الهاء وفتح الميم : الشهوة للشيء والرغبة فيه .

وانظرى كيف كانت تغزل ، وتطعم نفسها وولدها ، وتفرغه للعلم الشرعى . واقتدى بها فإنها نعم القدوة ، وانظرى هل العلم يزيدك خشية من اللّه ، وشوقاً إلى ما عند اللّه ، وخوفاً مما لدى اللّه أولاً ؟

وقارنى بين هؤلاء الصالحات ، وبين نساء دهرك اللائى يتزاحمن على المدارس ، وليس فى قلب إحداهن نية أن تكون مثل هؤلاء العابدات ، القانتات ، العالمات .

خاتمـــة

إحدى عشرة نصيحة

وأخيراً فإليك أيتها المؤمنة إحدى عشرة من النصائح الغالية ، فاعملى بها ، فإنك تعيشين سعيدة وتموتين إن شاء اللّه حميدة ، واستعينى على الأخذ بها باللّه تعالى ، ثم بقراءتك كتابك هذا ، وفهمك له فهماً صحيحاً : أنصح لك :

١ ـ أن تعبدى اللّه تعالى ، وحده بما شرع من العبادات التى جاءت فى كتابه القرآن الكريم ، وفى سنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التسليم .

٢ ـ أن تحذرى من الشرك فى العقيدة ، والعبادة فإن الشرك محبط للأعمال ، موجب للخسران .

٣ ـ أن تحذرى البدعة سواء كانت فى العقيدة أو العبادة فإن البدعة ضلالة ، وصاحب الضلالة فى النار .

٤ ـ أن تحافظى على صلاتك محافظة كاملة فإن من حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع .

راعى فيها الطهارة ، والطمأنينة والاعتدال ، والخشوع ولا تؤخريها عن أول وقتها ، فإن العبد إذا صحت صلاته صح كل عمله ، وإن فسدت صلاته فسد كل عمله .

٥ ـ أن تطيعى زوجك إن كان لك زوج ، فلا تردى له طلباً ولا تعصى له أمراً ولا نهياً ما دام لم يأمرك بمعصية للّه ورسوله ﷺ .

٦ ـ أن تحفظي زوجك في غيبته ، وحضوره في نفسك ، وماله .

٧ ـ أن تحسني إلى جارتك بالقول والعمل صنعاً للجميل و ردءاً للسوء .

٨ ـ أن تلزمي بيتك فلا تخرجي إلا من ضرورة وإن خرجت ليلاً فهو أحسن . ولا تخرجي إلا وأنت مستترة لا يرى منك وجه ولا كف .

٩ ـ أن تبري بوالديك بالإحسان إليهما . وكف الأذى عنهما بالقول أو الفعل . وذلك ما أمراك بالمعروف ، فإن أمراك بغير المعروف فلا طاعة ، إذ لا طاعة في غير المعروف .

١٠ ـ أن تعتني عناية تامة بتربية أولادك إن كان لك أولاد ، وذلك بتعويدهم على الصدق ، والنظافة ، وسلامة القول ، والعمل ، مع تعليمهم الأدب ، ومحاسن الأخلاق ، وتأمريهم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين ، وتضربيهم عليها إذا بلغوا عشرا ، وتفرقي بينهم في المضاجع .

١١ ـ أن تكثري من الذكر والصدقة . أما الذكر فهو مبين لك في كتابك هذا فارجعي إليه وتعلميه ، وأما الصدقة فهي إنفاقك الفضل ـ الزائد ـ عن نفسك ، وزوجك ، وولدك ، وإن قلّ فإن الصدقة تقي مصارع السوء .

وقاني الله وإياك كل سوء ، وختم لنا بالحسنى

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله وبارك على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

هل المسلمون اليوم

مسلمون حقـــاً

هل المسلمون اليوم
مسلمون حقا ؟؟

رسالة علمية دعوية تجيب بوضوح عن السؤال أعلاه بعد عرضها للإسلام عرضاً شاملاً ودقيقاً وتنتهى بوضع خطة حكيمة لخلاص المسلمين من ضعفهم ونجاتهم من محنتهم وما يتوقع لهم من دمار وخسائر متى اتبعوها فى صدق ونفذوها فى حزم وجد وشاء الله تعالى لهم ذلك .

من وضع

أبى بكر جابر الجزائرى

المدينة النبوية فى ٢٥ / ٢/ ١٤٠٥ هـ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين .

وبعد فإن الناظر فى حال أمة الإسلام اليوم وقبل اليوم ومنذ عدة قرون يرى أنها تعيش فى شبه جاهلية كاملة وذلك لما يرى من حدود بينها معطلة وفرائض وواجبات كثيرة مضيعة لا تقام بينهم صلاة ولا تجبى فيهم زكاة ، استحل الربا وفشا الزنا وانتشر الغناء وتبرج النساء تبرج الجاهلية الأولى وظهر الترف وكثر السرف ولم يبق إلا نادراً من يعف أو يكف ساءت الأخلاق واستحكم الخلاف وعم الشقاق ، ودولة الإسلام أصبحت دويلات وجل حكامهم إلا ما ندر منهم لا حلم فيهم ولا عندهم فهم لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر فعم الضلال ، وساد الجهال ، وكثر المال ، وغلب الشح على النفوس فقل الإنفاق فى الخير وكثر الشر وذى حال منذرة بأعظم الخطر والعياذ بالله .

ولولا أفراد هنا وبقية من الصالحين موزعين فى بلاد المسلمين ترتاح الأرواح لرؤيتهم وتطمئن النفوس عند مشاهدتهم ومجالستهم (١) فيهم جل صفات المؤمنين يوحدون الله تعالى فى عبادته ويتبعون الرسول ﷺ فى سنته متخلقين بأخلاق الإسلام ومتجملين بآداب الإيمان شعارهم الصدق والصبر والوفاء ودثارهم الحب والطهر والصفاء لولا هؤلاء الأخيار لكان بطن الأرض اليوم خير من ظهرها .

إن وجود هذه البقية الصالحة طرد عن النفوس اليأس وأخر عن الأمر حلول النقمة واليأس ودفعنى إلى أن أكتب هذه الرسالة وأنشرها تذكيراً وتعليماً وإخطاراً وتحذيراً ؛ تذكيراً لمن عرفوا أن الفسق يولد الشر والفساد ونسوا ذلك أو تناسوا ، وتعليماً لمن جهلوا أن الإعراض عن ذكر الله بعدم إقامة دينه وشرعه يورث الشقاء ويسبب البلاء . وإخطاراً وتحذيراً لمن هم فى المعاصى راتعون وفى ساحات الخبث سائمون أن الإدالة كائنة لا محالة وأن الله غيور على محارمه ويغضب لدينه وأوليائه فيديل ويزيل وهو على كل شىء قدير .

---

(١) من هؤلاء الصالحين مفتى الديار السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن باز الموقر .

من أجل ذا وذاك أقدم هذه الرسالة وأدعو كل مسلم إلى قراءتها ووزن إسلامه فى ميزان الحق الذى جاء فيها فإن صح إسلامه حمد الله ربه فزاده وإن كانت الأخرى فباب التوبة مفتوح والله يتوب على من تاب، ويحب التوابين وهو التواب الرحيم.

كما أدعو كل مسلم قادر على العمل فى ميدان الإصلاح أن يضرب بسهم لحمل الأمة فى سائر ديارها على أن تأخذ فى سبيل نجاتها وسعادتها فى جد وإخلاص وقد بينت الرسالة السبيلين سبيل نجاة الحاكم ونجاة المحكومين فى ديار المسلمين وفى غير ديار المسلمين.

والله أسأل أن يوقظ نائم هذه الأمة ويذكر ناسيها ويحيى ميتها فيبعثها من جديد فتسترد حياتها حياة الطهر والعزة والكرامة وتسترد هدايتها للناس وقيادتها ويومئذ يفرح المؤمنون.

حقق اللهم لها ذلك فإنك ربها ووليها وأنت على كل شىء قدير وصل اللهم على نبيك محمد وآله وصحبه وسلم.

الإسلام مطلب أعاظم الخلق : الرسل عليهم السلام

إن الإسلام الذى تنكر له أكثر الناس وقبل اليوم وناصبوا أهله العداء وحاربوهم بكل ما أوتوا من قوة بشتى الوسائل كان وما زال أسمى مطلب وأشرفه لعقلاء البشر وساداتهم أجمعين .

فأعاظم الخلق الرسل عليهم السلام ابتداء من نبى الله نوح عليه السلام إلى خاتم أنبياء الله ورسله محمد ﷺ .

كان الإسلام المطلب الخاص لهم ، به أمروا وعليه حيوا ، وأغلى أمانيهم أن يتوفاهم الله تعالى عليه فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه [1] : ﴿ **ياقوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ .

والآن أليس أيها القارىء الكريم أن نوحاً عليه السلام قد أعلن بوضوح فى حديثه السابق الذى قص الله تعالى علينا أنه مأمور من قبل الله تعالى أن يكون من المسلمين ؟ بلى وبهذا كان الإسلام مطلباً إلهياً من أعلى المطالب وأغلاها . ولنستمع إلى عظيم آخر من عظماء الرسل وهو إبراهيم عليه السلام وهو يعلن عن هذه الحقيقة ويقررها إنه لم يتردد أبداً عندما قال له ربه تعالى : أسلم وقال أسلمت لرب العالمين . جاء هذا فى قول الله تعالى من سورة البقرة : ﴿ **ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** ﴾ .

---

(١) يريد أن يقول لقومه بعد أن طالت دعوته إياهم إلى الإسلام مئات السنين وهم فى عتو عنه ونفور منه إن كنتم قد استثقلتم ظلى وما صرتم تطيقون رؤيتى ولا سماع كلامى ، إذ كان دعاهم إلى الإسلام جعلوا أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا كلامه واستغشوا ثيابهم حتى لا يروا وجهه ، فإنى بعد توكلى على ربى فى كل ما يهمنى أرشدكم إلى طريقة تتخلصون بها منى وهى أن تجمعوا أمركم وشركاءكم ثم تنفذوا أمركم بقتلى ولا تمهلونى . كان هذا منه عليه السلام غاية الشجاعة ومنتهى التوكل على الله عز وجل .

وهذا حفيده يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام عندما حضره الموت جمع أولاده الاثنى عشر وقال : ﴿ **يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ وها هو ذا الابن الكريم بن الكريم يوسف عليه السلام يقول لما اكتمل أمره واشتمل شمله ، وعظم شأنه وأتته الدنيا بحذافيرها طائعة يقول وقد عزفت نفسه عن الدنيا وتاقت روحه إلى الرفيق الأعلى مع المواكب السعيدة : ﴿ **ربِّ قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والاخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين** ﴾ .

فلننظر أيها القارىء كيف كانت الوفاة على الإسلام عند يوسف عليه السلام أعز شيء وأغلاه وأشرف مطلب وأسماه !!

ومن بعده موسى بن عمران الكريم ، ورسول الله حقاً إلى بنى إسرائيل يعترف بهذه الحقيقة ويذكر بها قومه من بنى إسرائيل فيقول : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ .

وسحرة فرعون لما آمنوا وهددهم فرعون بالصلب والقتل سألوا ربهم ضارعين أن يتوفاهم مسلمين فقالوا كما جاء فى سورة الأعراف : ﴿ **ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين** ﴾ . وحتى فرعون نفسه لما أدركه الغرق وعاين الموت وأيقن أنه نازل به لا محالة قال : ﴿ **آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾ فقوله : ﴿ **وأنا من المسلمين** ﴾ . اعتراف صريح بأن الإسلام هو الدين الحق ، وأنه لا سبيل إلى نجاة الإنسان وإسعاده إلا به وعليه .

ومن بعد موسى سليمان عليه السلام فقد قال مفاخراً بالإسلام والتدين به : ﴿ **وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين** ﴾ . وحتى ملكة سبأ (بلقيس) اعترفت بهذه الحقيقة وأكدتها بقولها : ﴿ **وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ .

وأخيراً حتى عظماء الجن فإنهم لم يترددوا فى انتمائهم إلى الإسلام وتقريرهم أنه السبيل الأوحد للنجاة أولاً والإكمال والإسعاد ثانياً حيث قالوا فى معرض الحديث إلى إخوانهم من الجن : ﴿ **وأنا منَّا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** ﴾ .

وهكذا تتقرر تلك الحقيقة الكبرى وأن الإسلام أعلى مطلب وأسماه لعقلاء الإنس

والجن وقد فاز بها عظماء الرسل وأتباعهم فهنيئاً لهم ولنا معهم بفضل الله ورحمته .

الإسلام دين البشرية كافة

إن الإسلام ليس ديناً محلياً أو إقليمياً ، ولا ديناً عرقياً جنسياً يختص به إقليم دون آخر ، أو شعب دون شعب بل هو دين الله تعالى للبشرية جمعاء ، أبيضها وأحمرها أولها وآخرها ، والمقتضى لأن يكون الإسلام كذلك هو حاجة الإنسان إلى الإكمال والإسعاد فإن الإنسان اقتضت إرادة الله خالقه ومربيه أن لا يكمل جسماً وعقلاً وروحاً ولا يسعد إلا على نظام خاص يتناول حياة الإنسان كلها والجسمانية على حد سواء وكان ذلك النظام الإلهى هو الدين الإسلامى لا غير !!

والمراد من الدين الإسلامى هو ما وضع الله تعالى من شرائع وقوانين وأمر الإنسان المهيأ للكمال والإسعاد فى الحياتين أن يطبق تلك الشرائع وأن ينفذ تلك القوانين بكل صدق وإخلاص ظاهراً وباطناً وسميت تلك الشرائع والقوانين بالإسلام لأن تطبيقها وتنفيذها يستلزمان استسلام الإنسان وانقياده وخضوعه الكامل لله عز وجل ، ومن هنا كان مبنى الدين الإسلامى ثلاثة أمور هى الاعتقاد ، والقول ، والعمل .

فيعتقد العبد المسلم بكل غيب أمر الله باعتقاده والإيمان به ويقول بكل ما أمر الله تعالى العبد المسلم أن يقول به ويعلمه ولازم ذلك أن يترك العبد المسلم كل ما حرم الله تعالى ونهى عنه من معتقد باطل أو قول سيىء أو عمل فاسد ، ومن الاعتقاد والقول والعمل والترك من ذلك كله كان الدين الإسلامى الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ وقال فى آية أخرى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ .(١)

وسر هذه الحقيقة العظمى أن كمال الإنسان وسعادته جسماً وعقلاً وروحاً وخلقاً متوقفان تماماً على العمل بما تضمنه الإسلام من عقائد وعبادات وآداب وأخلاق وعلى الصور والكيفيات التى جاء الرسول محمد ﷺ ببيانها ، وبينها فعلاً بقوله وعمله ومصداق هذا فى قول الله تعالى من سورة النحل من كتابه الكريم : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين**

---

(١) الآيتان من سورة آل عمران .

للناس ما نزل إليهم ﴾ . إن الدين الإسلامى بمثابة الدواء للمرضى فلابد وأن يكون الدواء صالحاً ، وأن يكون الاستعمال لائقاً فلا يداوى مريض بغير دواء ملائم لمرضه ولا يستعمل الدواء على غير الطريقة المحددة لاستعماله .

وخلاصة القول فى هذه المسألة الهامة جداً هو أن الإسلام دين اللّه للبشر كلهم عربهم وعجمهم أبيضهم وأصفرهم أولهم وآخرهم . فلا يكمل إنسان ولا يسعد فى دنياه ولا فى آخرته إلا عليه . فلذا وجب تقديمه وعرضه على كل البشر . مع إيئاس الناس كافة من الحصول على كمالهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة بدون أن يدينوا لله تعالى خالقهم بالإسلام ويطبقوا شرائعه وينفذوا قوانينه تطبيقاً كاملاً وتنفيذاً تاماً مراعى فى كل ذلك هدى الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .

الخسران لازم للإنسان ما لم يدن لله تعالى بالإسلام

هذه الحقيقة التى تضمنها العنوان وإن كانت مسلمة عند عقلاء البشر والعالمين منهم فإن أكثر الناس عنها غافلون وبها جاهلون . وغفلة الناس عن هذه الحقيقة وجهلهم بها لا يغيران من واقعها شيئاً فالله جل جلاله وعظم سلطانه وهو خالق الإنسان ومدبر أمره قد حكم وحكمه تعالى لا يعقب عليه إذ لا سلطة فوق سلطته ولا سلطان لأحد عليه قد حكم بخسران هذا الجنس من المخلوقات خسراناً كاملاً يفقد معه الآدمى كل شىء حتى نفسه التى بين جنبيه كما قال تعالى فى محكم كتابه من سورة الزمر : **﴿ قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾** .

لقد جاء حكم الله تعالى بخسران الإنسان مشتملة عليه سورة من كتابه هى سورة (والعصر) قال تعالى : **﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾** .

فقد أقسم الله تعالى قسماً لا حنث فيه أنه تعالى على إنفاذ أحكامه فيمن حكم عليهم قدير ، وإنما حلف عز وجل لأن الإنسان من حيث هو إنسان إذا سمع الخبر وخاصة ما كان منه ذا بال ، أو فيه غرابة أو حال تدعو إلى استبعاده وعدم إمكان وقوعه يقابله بالشك والارتياب إن لم يكن بالإنكار والجحود ، فلذا يتعين توكيده له بمثل القسم وأدوات

التوكيد اللفظية والمعنوية ، ليفتح قلبه لسماع الخبر ، ثم يسلم به ، ويذعن له . هذا سر إقسام اللّه تعالى لعباده فى كلامه العزيز إذا أخبر بحكم أو غَيب وهو مظهر من مظاهر رحمته تعالى ولطفه بعباده وتكريمه لهم على سائر خلقه فى هذا العالم والأرض .

ومرة أخرى أقول قد أقسم الله جل وعظم سلطانه على أن الإنسان وهو هذا النوع من المخلوقات الذى لا يحصى عدد أفراده إلا خالقه تبارك وتعالى . والذى ميزه الله تعالى عن سائر الحيوانات الأرضية بالعقل والفكر والنطق وحتى انتصاب القامة ، لفى خسر . لا يبرحه ولا يخرج منه منذ أن كان إلى أن يحشر إلى ربه ويتقرر مصيره فى عالم الشقاء الأبدى ، وهذا هو الخسران المبين ولم ينج من أفراده الذين لا يحصون عدا إلا من أسلم منهم لله رب العالمين فآمن بكل ما أمر اللّه تعالى بالإيمان به من سائر العقائد والغيوب ، وعمل بكل ما أمر الله تعالى به فى حدود طاقته البشرية من الصالحات ما يكفى لزكاة نفسه وطهارتها ، وعاش يحافظ على تلك الزكاة والطهارة حتى مات . مستعيناً على ذلك بالتعاون مع بنى جنسه من طالبى النجاة من المسلمين والمسلمات فلازم الإيمان وصالح الأعمال مع عدم ارتكابه لكل ما يدسى النفس ويلوثها من سائر الذنوب والآثام المنحصرة فى أنواع الشرك وضروب المعاصى .

وخلاصة القول فى تقرير هذه الحقيقة وبيانها : أن الإنسان محكوم عليه بالخسران الذى هو الضياع والهلاك فى الدنيا والآخرة ، وفى الدنيا بالآلام والأتعاب وفى الآخرة بالعذاب الأليم ، والشقاء الأبدى فى دار الحرمان والشقاء إلا أن يسلم وجهه لله ظاهراً وباطناً فيؤمن ويعمل الصالحات ويتجنب الشرك وسائر المنهيات وبذلك تزكو نفسه وتطيب فيتأهل للسعادة والخلود فى دار النعيم المقيم .

حقيقة الدين الإسلامى

إن الدين الإسلامى وهو مطلب منيف وغاية شريفة له ، حقيقة هى ذاتيته ، وكيانه المتميز به . ومعرفة ضرورية لمن يريد الدخول فيه طلباً للكمال والإسعاد فى الحياتين [1] وتعريفه بعبارة سهلة وإشارة قريبة : أنه دين الله الذى شرعه لعباده بواسطة وحيه إلى

(١) الحياة الأولى هى هذه الحياة التى يعيشها الناس على سطح هذه الأرض إلى نهاية آجالهم ، والحياة الثانية هى التى تعقب هذه الحياة الدنيا مباشرة بعد نهايتها .

أنبيائه ، ليكملوا به ويسعدوا عليه فى الحياتين وهو دائر على ثلاثة محاور هى الإيمان والإسلام والإحسان .

فالإيمان :

هو الإيمان باللّه وحده رباً وإلهاً ، والإيمان برسوله محمد نبياً ورسولاً وتصديقه تعالى وتصديق رسوله ﷺ فى كل ما أخبر به من الملائكة والبعث والجزاء ، والقدر والقضاء .

والإسلام :

هو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ، وقواعده خمس هى شهادة أن لا إله غير اللّه وأن محمداً رسول اللّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام .

والإحسان :

هو تخليص القلب من النظر إلى غير اللّه تعالى رغبة أو رهبة وتخليص الأعمال الصالحة من الشرك فيها مع إتقان العمل بالإتيان به على الوجه المحبوب للّه الموافق لما شرع الله تعالى وبين رسوله محمد ﷺ .

« استعراض لمحاور الإسلام على صعيد حياة المسلمين اليوم للحصول على جواب » .

هل المسلمون اليوم مسلمون حقاً

تقدم تقريباً فى حديثنا هذا أن الدين الإسلامى دائر على ثلاثة محاور هى الإيمان والإسلام والإحسان . وتقدم تعريف كل محور منها باختصار وإيجاز غير أنه يعتبر كافياً فى باب الحدود والتعاريف الاصطلاحية واللغوية .

والآن نريد أن نستعرض تلك المحاور واحداً بعد واحد على صعيد حياة المسلمين اليوم لنرى هل المسلمون اليوم مسلمون حقاً وصدقاً ؟ .

يستحقون الإعزاز والتكريم والسيادة والقيادة بين البشر أو هم ناقصون فى إسلامهم غير كاملين فيه فيفوتهم من الكمال والإسعاد بقدر ما فاتهم من الإسلام ؟ كما نحصل على

جواب السؤال الموضوع عنواناً لرسالتنا هذه (هل المسلمون اليوم مسلمون حقاً) ؟ .

وبسم اللّه تعالى نشرع فى استعراض محاور الإسلام ونبدأ بالإيمان منها فنقول :

المحور الأول والإيمان

إنه لما كان الإيمان : اعتقاد القلب بوجوب وجود اللّه تعالى ووجوب عبادته وتوحيده فيها وتصديقه تعالى وتصديق رسوله فى كل ما أخبر به من الغيوب كالوحى والملائكة والجن والبعث والجزاء على الكسب الإرادى الاختيارى بالنعيم المقيم فى دار السلام أو بالعذاب المهين فى دار البوار جهنم وبئس القرار !! .

واعتقاده بقضاء اللّه وقدره فى الخلق والكون فلا كان شىء ولا يكون إلا وسبق علم اللّه تعالى به وقدره فيه وحكمه عليه صفة وقدراً وزماناً ومكاناً .

وعلمه أى القلب من اعتقاد ما سبق ورغبة فى الله وحده ورهبة منه ومحبته تعالى ومحبة رسوله وأوليائه من أهل طاعته ومحبة جميع محابه من الاعتقادات والأقوال والأفعال ، وبغض ما يبغض اللّه تعالى من أهل الكفر والشرك والشر والفساد من الاعتقادات والأقوال والأفعال .

إنه لما كان الإيمان هكذا فإن الأعمال الظاهرة دليل عليه وجوداً وعدماً فالأمانة وهى الصفة النفسية (١) التى تحمل صاحبها على أن لا يخون فى شىء ائتمن عليه مهما كان المؤتمن عليه ، ومهما كانت الظروف التى تكتنفه وتحوط به . فإن النبى ﷺ قد نفى الإيمان على من يخون أمانته بقوله : (لا إيمان (٢) لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له) . كما نفى الإيمان على من لا يأمن جاره ضرره وأذاه فقال : (والله لا يؤمن والله لا يؤمن واللّه لا يؤمن ، قيل : من يا رسول اللّه ؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه) (٣) ، كما نفى إدراك العبد حقيقة الإيمان ما لم يحب لأخيه المسلم من الخير ما يحب لنفسه فقال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٤) . كما نفى الإيمان على من لم يهمه أمر

---

(١) قيل فيها صفة نفسية بحكم أنها خلق باطنى يكتسب بالرياضة والتمرين كسائر الأخلاق الفاضلة فى المسلم .

(٢) رواه أحمد وابن حبان بإسناد صحيح .

(٣) متفق عليه والبوائق : جمع بائقة وهى الغائلة والشر ، وهما بمعنى الأذى الشديد بالقول أو الفعل .

(٤) متفق عليه .

جاره جاع أو شبع فقال : (ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به) [١] . ونفى الإيمان بالقرآن عمن استحل محارمه فقال : (ما آمن بالقرآن من استحل محارمه) [٢] . ونفى الإيمان عمن لم يحب الرسول ﷺ أكثر من حبه لنفسه وولده وماله ، والناس أجمعين .

فقال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[٣] ، ونفى الإيمان عن مقارف الكبائر حال غشيانه لها فقال : (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) [٤] .

وإذا كان الرسول ﷺ قد نفى الإيمان أو كماله عن صاحب الكبيرة فإن القرآن الكريم قد حدد معالم الإيمان وأوضح صفات المؤمنين فأولاً قرر ما جاء فى الأحاديث بصورة قطعية فى تنافى الإيمان مع غشيان كبائر الذنوب فمن ذلك نفيه تعالى عن المؤمن الحق قتل النفس فى حال العمد والإضرار ، إذ قال تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ** ﴾ [٥] ، فأخبر تعالى : أن المؤمن الحق لا يتأتى له قتل المؤمن والمؤمنة على حد سواء متى صدقا فى إيمانهما أن يحكم الله تعالى أو رسوله فى قضية ما بتحريم أو إباحة ، ويكون لهما حق الرفض أو القبول إذ جاء من سورة الأحزاب قول اللّه تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة [٦] من أمرهم** ﴾ .

ففى هاتين الآيتين تحديد واضح لمعالم الإيمان ، وبيان حدوده . فدعوى الإيمان إن لم تقم على تحقيق مبدأ الإذعان والتسليم ظاهراً وباطناً لأحكام الله ورسوله وأقضيتها فهى دعوى باطلة كما قيل :

(والدعاوى ما لم تقيموا عليها : بينات أبناؤها أدعياء)

وثانياً فى ذكرى صفات المؤمنين تقرير واضح وصريح فى أن من لم يتصف بتلك الصفات لم يكن مؤمناً صدقاً وحقاً ، إذ الصفات بمثابة الأعراض التى تظهر على الجسم عند إصابته بأمراض باطنية ، وبمثابة الثمر أيضاً فإنه لا وجود لثمر بغير شجر . فمتى كان

---

(١) رواه البزار والطبرانى وسنده حسن .

(٢) رواه الترمذى بسند ضعيف ، مع أن الإجماع على أن من استحل محرماً فقد كفر .

(٣) متفق عليه .
(٤) فى الصحيح .

(٥) من سورة النساء .
(٦) الخيرة : بمعنى الاختيار .

الإيمان واقراً فى القلب ظهرت نتائجه فى النفس وآثاره فى سلوك العبد انقياداً وتسليماً لله ورسوله فيما يأمران به من العبادات أو ينهيان عنه من الشرك والمعاصى ، ومن أبرز صفات أهل الإيمان فى القرآن ما جاء فى فاتحة سورة الأنفال من قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت (١) قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم (٢) إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ .

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة من كتاب الله العزيز على خمس صفات هى كالتالى :

١ ـ وجل القلب عند ذكر الرب تبارك وتعالى .

٢ ـ زيادة الإيمان بسماع القرآن .

٣ـ التوكل على الله دون سواه (٣) .

٤ ـ إقامة الصلاة .

٥ ـ الإنفاق مما رزقهم الله .

ومثل هذه الآية فى اشتمالها على أبرز صفات أهل الإيمان الحق آية سورة التوبة وهى قوله تعالى :

﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ فقد اشتملت هذه الآية على خمس صفات أيضاً وهى الآتية :

١ ـ موالاة المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض نصرة ومحبة .

٢ ـ الأمر بالمعروف إذا ترك بينهم ، والنهى عن المنكر إذا ارتكب فيهم .

---

(١) الوجل : الخوف مع وقار .   (٢) فى الآية دليل زيادة الإيمان ونقصانه .

(٣) التوكل على الله معناه : تفويض الأمور إلى الله تعالى وتركها له يحكم فيها بما يريد ويجريها على ما يشاء وكما يشاء بدون منازعة له ولا اعتراض عليه . وهو لا ينافى الإتيان بالأسباب المشروعة بل لا يكون توكلاً حقاً إلا إذا أتى المتوكل بالأسباب المأذون فيها والمأمور بها . ولذا كان ترك الأسباب معصية لله تعالى والاعتماد عليها شركاً به سبحانه وتعالى . وعليه فالتوكل الحق أن تأتى بالسبب كالحرث مثلاً وتترك أمر الإنبات والحصاد لله تعالى .

٣ ـ إقامة الصلاة بأدائها فى أوقاتها حسب الشروط المطلوبة لها .

٤ ـ إعطاء الزكاة متى وجبت بشروطها اللازمة لها .

٥ ـ طاعة اللّه وطاعة رسوله فى أمرهما ونهيهما مع محبتهما بإيثار محبوبهما على محبوب غيرهما .

وأخيراً فباستعراضنا لتلك الأحاديث النبوية الصحيحة . وهذه الآيات القرآنية نستطيع أن نعرف هل نحن مؤمنون حقاً وصدقاً . وأن إيماننا إيمان كامل ، وأننا مدعون مجرد دعوى لا تثبت أو أن إيماننا ناقص يفتقر إلى إكمال فإن كانت الأولى حمدنا اللّه تعالى وإن كانت الأخرى عملنا على تحقيق إيماننا ، وتقوية الناقص والضعيف منه وإكماله حتى يخلص لنا إيمان صادق ننجو به ونسعد ونكمل عليه .

هذا ومن الإيمان إلى الإسلام وهو الاستسلام الظاهر والباطن للّه تعالى بتوحيده والانقياد له بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بعد الخلوص الكامل من الشرك وأن قواعده التى انبنى عليها خمس : شهادة أن لا إله غير الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام . والذى يهم هنا استعراض حقائقه الذاتية لنتبين ما عليه المسلمون اليوم هل هو إسلام حق وصدق أم مجرد نسبة لا تقدم ولا تؤخر .

وهذه الحقيقة الأولى فلنقف عندها متأملين ناظرين . وأنها إسلام الظاهر والباطن للّه تعالى بتوحيده عز وجل فى القصد والطلب ، والانقياد له بالطاعة فى المنشط والمكره مع التخلى عن كل شائبة من شوائب الشرك أصغره وأكبره جلية وخفية .

والثانية إسلام القلب لله تعالى وصرفه عما سواه فلا يسمح له أن يتقلب إلا فى طلب مرضاته بذكره تعالى وشكره ، ومحبته وخشيته ، والرغبة إليه ، والرهبة والإنابة إليه ، والتوكل عليه مع الشوق الدائم إليه والحنين الشديد إلى جواره . والثالثة تسخير سائر الجوارح لطاعته عز وجل فلا يقول المسلم ولا يفعل إلا للّه ولا يذر ولا يترك إلا للّه بحيث لا يرى العبد ساكنا ولا متحركا إلا من أجل اللّه ، وتغلب عليه هذه الحال حتى يكون وكأنه لا هم له فى الحياة إلا اللّه ، همه دائر بين كيف يرضى اللّه وبم يحصل على رضاه ، بم يتقرب إلى اللّه وكيف يتقرب إليه .

والسؤال المطروح الآن هو هل مدلول هذه الحقائق الثلاث الآنفة الذكر ثابت

للمسلمين اليوم يعيشون عليه وحياتهم متصفة به وقائمة عليه ؟ .

ولنترك الجواب للمسلم يسأل نفسه ويراجع حياته اليومية ،ولينظر هل أسلم قلبه لله حقاً ، وأخلصه له فلم يبق فيه موضع لغير الله ولا إنابة إلا لله ولا توكل إلا على الله فإن تم له ذلك فليفرح به فإن الفرح مأمور به فى قول الله تعالى من سورة يونس : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ ، ولينظر بعد ذلك الى جوارحه هل هى حقاً مسخرة فى طاعة الله فلا يتكلم ولا يسكت إلا لله ومن أجل الله ،ولا يتزوج ولا يطلق إلا لله ومن أجل الله ولا يبنى ولا يهدم إلا لله ومن أجل الله ولا يبيع ولا يشترى إلا لله ومن أجل الله ولا يسمع ولا يبصر ولا يسعى ولا يحفد [١] إلا لله ومن أجل الله تحقيقا لإسلام الوجهة والقلب والجوارح لله . وتمثيلاً بقوله تعالى : ﴿ **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه وهو محسن** ﴾ [٢] وعملاً بقول الله تعالى : ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ [٣] .

وكانت تلك حقيقة الإسلام وأما قواعده التى هى قوامه وعليها يتم بناؤه ويعلو مناره فلنستعرضها هى الأخرى قاعدة بعد أخرى ليرى المسلم هل أقام إسلامه عليها فصح إسلامه وكمل إيمانه وتهيأ للسعادة والكمال فى الدنيا والآخرة أو أقام إسلامه على غيرها بعد أن فرط فيها فأضاعها واكتفى بالنسبة إلى الإسلام دينا وإلى المسلمين أمة وجماعة . وهاهى ذى تلك القواعد فى عرض واضح قاعدة بعد قاعدة فليتأملها المسلم وليتروها ليرى هل هو مسلم حقاً وصدقاً أو هو مسلم ادعاءً ونطقاً . فالسشهادتان أولى تلك القواعد وأولى الشهادتين هى شهادة أن لا إله إلا الله وهى تستلزم من الشاهد العلم الذى أقام عليه شهادته كما تستلزم تحقيق الأمور التالية :

وإلا فهى شهادة مردودة عليه باطلة منه لا تدخله فى عداد المسلمين ولا يثاب عليها ثواب المؤمنين المحسنين.

١ ـ أن يعبد الله تعالى الذى شهد أنه لا معبود بحق إلا هو فإذا ترك عبادته أو أجل بها مع العلم والقدرة كان ذلك قادحاً فى شهادته مبطلا لها مفوتاً ثوابها .

٢ ـ أن لا يعبد معه غيره أيا كان ذلك الغير ملكاً مقرباً أو نبياً أو ولياً صالحاً ، أو كان دون ذلك من سائر المخلوقات وبأى نوع من أنواع العبادات التى هى حق الله تعالى على

---

(١) يسرع فى العمل. (٢) النساء . (٣) الأنعام .

عباده من دعاء وخوف ورجاد ورغبة ورهبة ومحبة [١] وذبح ونذر ، وركوع أو سجود أو حكم أو تحكيم ، أو طاعة أو تسليم .

٣ ـ أن لا يعترف بعبادة غير الله تعالى صراحة أو ضمنا وأن ينكرها ، ولا يقر فاعلها عليها إلا حال العجز عن التغيير والإنكار .

وثانيتهما : شهادة أن محمد رسول الله ﷺ وهى تستلزم من الشاهد بعد تحقيق العلم الذى أقام عليه شهادته أموراً كذلك وهى :

١ ـ طاعته [٢] فيما أمر به وفيما نهى عنه بفعل المأمور وترك المنهى فى المنشط والمكره ، والعسر واليسر.

٢ ـ تجريد المتابعة له ﷺ بحيث لا يقدم على قضائه أو قوله أو فعله قضاء ولا قول ولا فعل أحد من الناس كائناً من كان .

٣ ـ محبته ﷺ التى تفوق محبة النفس والولد والوالد والمال والناس أجمعين [٣] .

٤ ـ توقيره ﷺ وإجلاله وذلك باحترام كل ما يتصل به من سنته وملته وأمته وآل بيته وأصحابه ومدينته وحرمه إلى غير ذلك مما احترامه توقير لرسول الله وتعظيم له ﷺ .

وأما إقامة الصلاة فليست هى أداء الصلوات الخمس كيفما اتفق وعلى أية صفة كانت إذ ليس بإقام الصلاة أبداً وإنما إقام الصلاة معناه : أن يؤدى المسلم الصلوات الخمس فى أول أوقاتها فى بيوت الله تعالى فى جماعة المسلمين مراعياً فيها كل شرائطها وفرائضها وسننها وآدابها [٤] وذلك بأن يؤديها المسلم وهو متطهر طاهر الثوب والبدن والمكان الذى يصلى فيه مستقبلاً بها خاشعاً فيها مرتلاً القراءة فيها يطمئن ويعتدل فى الركوع والقيام والسجود والجلوس يكثر من قول سبحان ربى العظيم فى ركوعه

---

(١) قال تعالى من سورة البقرة : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾ – أى من حب المشركين لآلهتهم ففى الآية دليل على وجوب حب الله تعالى وعدم الشرك فى حبه سبحانه وتعالى .

(٢) يلاحظ هنا أن الأمر الواجب تنفيذه ماكان أمر إيجاب لاندب واستجاب ، كما أن النهى يوجب ترك المنهى عنه إذا كان للتحريم لا لكراهة التنزيه .

(٣) لحديث صحيح : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) .

(٤) مستحباتها .

وسبحان ربى الأعلى فى سجوده يدعو فى سجوده بأعجب الدعاء وأحبه إليه من المأثور عن الرسول ﷺ .

وأما إيتاء الزكاة فإنه محاسبه النفس عن كل مال وجبت الزكاة فيه وإخراج القدر الواجب فيه ، ووضعه فى يد مستحقه مع طيب النفس والشعور بالتقصير والنقص إذ المال كله لله فلو طلبه كله لوجب أداؤه إليه كله وبكامل التسليم وتمام الرضا وليس من إيتاء الزكاة الاحتيال على عدم كمال النصاب والانتخاب (١) ما يُعْطى فى الزكاة ، ومن يُعْطَى الزكاة فتُعْطَى للغنى القريب ويحرم منها الفقير البعيد ، ولا اصطفاء أجود المال وأكرمه ، وإخراج أردأ المال وأرذله (٢) إذ كل هذا يتنافى مع أداء الزكاة التى هى قاعدة الإسلام وآية صدق الإيمان .

وأما صوم رمضان فإنه ليس مجرد إمساك عن الطعام والشراب والوقاع (٣) وإنما هو إمساك عن كل قبيح ، من تفكير ، أو فعل أوعمل وامتناع عن كل محرم من طعام أو شراب أو وقاع مع تعظيم رمضان لأنه من شعائر الله ومن يعظم شعائر الله فإنه خير له عند الله ، مضافاً إلى هذا وذاك المسارعة إلى الصالحات والمسابقة فى الخيرات من نوافل الصلاة والزكاة حتى يكون الشهر كله عبادة وطاعة لله كأنه الصلاة ، إذ من دخل فى الصلاة امتنع عن كل ماهو غير عبادة لله وليس فى شهر رمضان ماهو غير عبادة وطاعة لله.

وأما الحج إلى بيت الله فإنه ليس نزهة سياحية ولا رحلة ترفيهية وتجارية وإنما هو عملية تطهير يخرج المسلم منها وما عليه ذنب يؤاخذ به ولا أدنى تبعة يطالب بها ولا يتم هذا للحاج المسلم إلا إذا تجرد التجرد الكامل لله ، فلم يبق فى نفسه هم سوى كيف يؤدى هذه العبادة ليرضى الله ، ويظفر بمغفرته ويفوز برحمته ، وهذا يستلزم أن يراعى أركان حجه من إحرام وطواف وسعى ووقوف وواجباته وسننه وآدابه ، مع اجتناب كل ما هو سوء أدب مع الله وهو فى بلده وحرمه وحماه فضلاً عن غشيان محارمه وارتكاب معاصيه ومعاصى رسوله ﷺ هذه لمحة خاطفة ألقيناها على قواعد الإسلام الخمس فلينظر المنتسب إلى الإسلام من أمثالنا هل هو مسلم حقاً وصدقاً حيث وجد نفسه قد أقام إسلامه على قواعده التى بناه الخالق عز وجل عليها كما أخبر بذلك رسوله ﷺ فى قوله فى الصحيح : (بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام

---

(١) الاختيار . (٢) أخشية . (٣) الجماع .

الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) ، وإلا فمن الآن فصاعداً يجتهد فى إقامة هذه القواعد فيؤدى الصلوات الخمس فى أوقاتها فى بيوت الله مع عباد الله المؤمنين مرتلاً تلاوة القرآن الكريم فيها مطمئناً فى ركوعها وسجودها معتدلاً فى قيامها وجلوسها خاشعاً قلبه وجوارحه حال أدائها حتى يجد أثرها فى نفسه طمأنينة وطهرا وفى جوارحه انقياداً وإذعانا . ويصوم رمضان مراعياً فيه حرمته وتعظيمة فيصوم عن الحرام كل الحرام من طعام وشراب ووقاع وغيبة ونميمة ولهو وباطل متجنباً الإسراف فى الأكل والشرب ذاكراً الله طوال يومه تالياً كتاب ربه وهكذا حتى ينسلخ الشهر وتبقى آثاره فى النفس إشراقاً وفى الجوارح خضوعاً لله وانقياداً .

ويخرج الزكاتان كل له من المال الصامت أو الناطق ما تجب فيه الزكاة حيث حال الحول على الماشية والفضة والذهب وبلغ النصاب فيها وفى المحاصيل الزراعية مراعياً فى اخراجها آداب أدائها مع طيب النفس ، وتجنب كل مافيه من نقص من محاباة قريب على بعيد ، أو إخراج قديم على جديد .

ويحج البيت ولا يجعل منه رحلة سياحية ولا سفرة استطلاع ، أو كسب مال أو متاع ، ولا يقضى أيامه فى خصومات ولا انغماساً فى الشهوات فلا يغض بصرا ولا يكف سمعاً كأنه فى داره وبين أهله وجيرانه ناسياً أنه فى أرض القدس وساحة الأنس وأنه فى عبادة من أجَلِّ العبادات وفى قربة من أعظم القربات .

هذا ووراء قواعد الإسلام حقوقه وهى كثيرة فمن أداها وافيه فقد أسلم . وحسن إسلامه ، ومن نقصها أو بخسها فقد نقص من إسلامه بقدر ما نقص منها فليعلم ذلك المسلم وليزن إسلامه به فإن وجد وفاءً حمد الله وإن وجد نقصاً أكمله ، واستعاذ بربه أن يتعرض يوماً لنقصان الإسلام أو حبوط الإيمان .

حقوق الإسلام

ورد ذكر حقوق الإسلام فى الحديث الصحيح : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله » . إن قوله ﷺ إلا بحق الإسلام يقرر حقيقة ثابتة لا ينبغى تجاهلها أو إغفالها وهى أن

وراء قواعد الإسلام جدراناً عالية وأرضية صلبة أقيم عليها البناء وسقفا مرفوعاً انتهى إليه ، وأحكم به .

ومن تلك الحقوق وهى كثيرة إقامة حدوده صيانة له من التلاعب به : « من بدل دينه فاقتلوه » (١) وحفظ دماء وأعراض وأموال نبيه : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (٢) . فحد القتل مثله وحد السارق قطع يده وحد القاذف جلده وحد الزانى رجمه أو جلده (٣) ، تعميقاً للأمن وإشاعة للطمأنينة فى نفوس المؤمنين ورعاية آدابه الرفيعة وأخلاقه العالية المنيفة فلا فحش ولاتفحش ولا سوء ولا بذاء فى مظهر ولا منظر فى قول ولا فى عمل ، إبقاءً على روح الطهر والصفاء والمحبة والولاء بين المؤمنين جماعة أعلامه مرفوعة فوق دياره ، وذلك من غارات أعدائه أو تطاول الرذلاء وطمع السفهاء من أبنائه أو جيرانه وهذه الحماية لا تتم بغير الجهاد الذى هو ذروة (٤) سنام الإسلام وهو لا يتم بغير التجنيد والتدريب وصنع السلاح وتعميم الإصلاح حتى يشمل الراعى والعامل والتاجر والفلاح .

هذه بعض حقوق الإسلام التى لا يتم إلا بها ، وأداؤها من واجب الحاكم والجماعة غير أن الفرد غير مخلى من المسئولية ولا مبرأ من التبعية فإن عليه منهما بقدر تأثيره فيها : إذ لا حاكم بغير محكوم ولا جماعة بغير فرد معلوم .

وقبل الانتقال إلى المحور الثالث من محاور الإسلام أناشد المسلم القارىء أن يقف ساعة متفكراً متأملاً فيما سبق من البيان للإيمان والإسلام وهما ثلثا الدين الإسلامى الذى هو مصدر الإسعاد والإكمال للإنسان فى الدنيا والآخرة ليرى هل حققهما وأصبح من أهلهما فيقبل على الثلث الباقى للدين الإسلامى وهو الإحسان فيكمله ويتمه وبذلك يكون قد أسلم وجهه لله وهو محسن . (٥) . وأصبح بذلك متمسكاً بالعروة الوثقى فلا يخاف سقوطا ولا هبوطاً ولا حرماناً ولا خسرانا إذ المسلمون الصادقون فى إسلامهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

---

(١) رواه البخارى وغيره . (٢) رواه مسلم .

(٣) يرجم الزانى إذا كان محصناً أى سبق له أن تزوج ولوطلق أو ماتت امرأته ، يجلدغير المحصن مائة جلدة ويغرب عاماً .

(٤) ذروة كل شىء : أعلاه .

(٥) اشارة الى قول الله تعالى من سورة لقمان : ﴿ **ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى** .. ﴾ الآية .

المحور الثالث الإحسان

سبق أن ذكرنا فى هذه الرسالة بل وقررنا أن مبنى الدين الإسلامى ، ثلاثة أمور هى الإيمان والإسلام والإحسان وفصلنا القول بما فيه الكفاية فى بيان كل من الإيمان والإسلام والإحسان ، والآن نكمل الرسالة ببيان الإحسان فنقول إن تعريف الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (١).

والمقصود أن يكون العبد حين أداء العمل وسواء كان العمل عبادة محضة كالصلاة والحج والصيام أو كان وسيلة الى العبادة ككل عمل يوفر للمسلم ما يحفظ به جسمه صالحاً لأداء العبادة التى هى علة الحياة وسر الوجود كله وذلك كالحرث والتجارة والصناعة ، وغيرها من الأعمال التى يتوصل بها إلى توفير الأمن والغذاء للجسم البشرى ليؤدى الوظائف التى خلق ورزق لأجلها وهى العبادة المتمثلة فى الذكر والشكر وذلك كالرباط والجهاد فى سبيل الله والصلاة والصيام والصدقة لله .

أن يكون العبد حين أداء العمل بحال روحية كأنه يرى الله تعالى وهو يعمل بين يديه والله ينظر إليه فإن نزل عن هذه المرتبة فيلكن فى التى دونها وهى أن يأتى الأعمال ويزاولها وهو على حال يعلم فيها أن الله تعالى يراه وأنه ناظر إليه وعندما لا يخلو العبد من تمحى من هاتين الحالتين فإن أعماله كلها ستصدر عنه متقنة جيدة من الغش وعدم الصلاحية . كما أن ماكان عبادة منها سيكون خالصاً لله خالياً من شوائب الشرك والرياء والسمعة . ومن هنا كان كل من الإيمان والإسلام مفتقراً إلى الإحسان لا يتحقق إلا به كما أن الإحسان لا يقوم إلا بهما ، فالعلاقة بينهما كعلاقة الأعراض بالجواهر أو الصفات بالذوات ، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر إلا فى حال انعدام الجوهر (٢) أو الجسم إذا الصفات لا تقوم إلا به ولا توجد إلا معه .

فالإيمان وهو من أعمال القلوب مفتقر إلى الإحسان فى تحرير النيات وتخليص الأقوال والأعمال من النظر إلى غير الله تعالى والالتفات إلى سواه إذ ذلك محبط للعمل مفسد له ، قال تعالى : ﴿ **لئن أشركت (٣) ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ .

---

(١) رواه مسلم وهو حديث طويل اقتصرنا منه على ماهو شاهد .

(٢) الجوهر والجسم والذات بمعنى واحد ومثال الجوهر والعرض بياض الثوب ، أو سواد العبد ، فالثوب جوهر وبياضه القائم به عرض أو صفة ، والعبد جوهر أو ذات وسواده عرض أو صفة ولا ينفك أحدهما عن الآخر .

(٣) بعض آية من سورة الزمر .

وفى الحديث « الرياء من الشرك » كما أن الإسلام وهو من أعمال الجوارح مفتقر إلى الإحسان فى إتمام الأعمال وإتقانها وتجويدها وتحسينها والبعد بها عن كل مايخل بها ذاتاً وشكلاً ، أو جوهراً وصفة . هذا هو الإحسان الخاص أما الإحسان العام فهو المتعلق ببر الوالدين ، ورحمة الفقراء والمساكين ، والعطف على العجز والقاصرين ، والشفقة على ذوى العاهات والمصابين ، وقول الخير وفعله مع الناس أجمعين . هذا مجمل القول فى الإحسان الخاص والعام وله مظاهر يتجلى فيها نذكر طرفا منها تعليماً وتدليلاً وذلك إزاء الحروف التالية :

أ ـ القول إلى الآخرين من طيب الكلام كالسلام والتحية وكل قول كريم خال من السوء والإساءة وذلك للناس كافة وفى القرآن ﴿ **وقولوا للناس حسنا** ﴾ (١) ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** ﴾ (٢) .

ب ـ العمل إلى الآخرين فأى عمل دينيا كان أو دنيوياً يقوم به المسلم يجب عليه أن يتقنه ويحسنه ويخليه من الغش والفساد وكل ما يتنافى مع إحسانه وإتقانه ، وفى الحديث « من غشنا فليس من » (٣) « وأن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » فالإحسان كما يتعلق بالقول يتعلق بالعمل . فالقول إن كان ذكرا أو تسبيحاً أو تلاوة قرآن أو دعاء فالإحسان فيها إخلاصها لله تعالى وعدم الرياء فيها أو التسميع بها (٤) مع حسن النطق بها وترتيلها وذكر الله تعالى بالقلب والخشوع أثناء أدائها ولئن كان القول شهادة لأحد أو على آخر فالإحسان فيها أن تؤدى عادلة غير مائلة ، وصادقة غير كاذبة ولئن كان القول أمراً أو نهياً أو عرضاً (٥) أو تحطيطاً أو خبراً فالإحسان فيه أداؤه بأحسن الألفاظ وأطيب الكلمات موجزاً خالياً من التعريض أو الشتم أو الانتقاص ومن الكذب والتشكيك إلا فى مواضعه (٦) وان كانت العبادات شرعها الله تعالى فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ لتزكية النفوس وتطهير الأرواح فالإحسان فيها : أن يراد بها وجه الله وحده لا يلتفت فيها القلب لغير الرب تبارك وتعالى ، وأن تؤدى كما أداها رسول الله ﷺ بلا زيادة فيها ولا

---

(١) البقرة . (٢) النساء .

(٣) رواه الترمذى وصححه . (٤) أن يعمل العمل الصالح ويخبر الناس به رغبة فى المدح .

(٥) العرض يكون بلفظ الا والتخطيط يكون بلفظ هلا .

(٦) يكون التشكيك سائغا فى مثل استدراج المنكر ليعترف بالحق كأن يقول للمنكر لا أدرى أنا فعلت كذا أو أنت . وفى القرآن : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ من سورة سبأ .

نقصان منها إذ الزيادة تفسدها والنقص يبطلها وإن كانت الأعمال قضاء أو اقتضاء [1] أو بيعا أو شراء أو كراء أو استئجارا أو صناعة أو زراعة فالإحسان فيها خلوها من الغش وإبعادها عن الخداع صدق القول وطيب الكلام وصحة العقد والوفاء بالعهد فطالب حق من الإحسان أن يطلبه برفق ولين ومؤدى الحق يؤده كذلك مع شكر دائنه ومقتضيه والبائع يظهر عيب مبيعه إن كان به عيب والمشترى لا يبخس مايريد شراءه ، والمستأجر يعطى أجره قبل أن يجف عرقه ، والصانع كالزارع والغارس إحسانهم اتقان عملهم وتجويده وخلوه من النقص والفساد ومراعاة الوعود والوفاء بالعهود .

جـ - الوالدان والأقربون ، واليتامى والمساكين والجيران ، وأبناء السبيل وما ملكته اليمين فهؤلاء ثمانية أصناف من الناس أمر الله تعالى المسلم بالإحسان إليهم فى قوله من سورة النساء .﴿ **وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب ، والصاحب [2] بالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم** ﴾ فالإحسان الذى هو جزء الدين الإسلامى الذى لا يتم به ولا يكمل إلا عليه من مظاهره التى يتجلى فيها ويعرف بها بالإحسان إلى الوالدين ، ويكون بإيصال الخير إليهما ، وكف الأذى عنهما ، وطاعتهما فى المعروف إذ الطاعة فى المعروف ويكون إلى الأقارب من أبناء وإخوة وأخوات وأعمام وعمات وأخوال وخالات وأبناء الجميع بنصرتهم فى الحق ودفع السوء عنهم ومعونتهم إن طلبوها والهش فى وجوههم والتعرف على أحوالهم بالسؤال عنهم وإسداء المعروف والجميل إليهم ، ويكون إلى اليتامى بحفظ أموالهم ورعاية حقوقهم ، وإطعامهم إذا جاعو ومداواتهم إذا مرضوا ونصرتهم إذا ظلموا ، وتعليمهم مالا بد منه من أمور دينهم مما يحفظ عقائدهم ويهذب أخلاقهم ويصون عقولهم . ويكون إلى المساكين بدخلتهم[3] وقضاء حاجتهم ودفع غائلة [4] السوء عنهم وحفظ كرامتهم ورفع معنوياتهم بطيب القول وصالح العمل ويكون إلى الجيران وهم ثلاثة : الجار القريب النسب والجار البعيد . والجار غير المسلم من أهل الذمة من يهودى أو نصرانى ولكل حقه بحسب منزلته والإحسان إليهم يكون بالهش فى وجوههم والسلام

---

(١) الاقتضاء طلب القضاء : أن يطلب من له دين على آخر قضاءه أى سداده .

(٢) الصاحب بالجنب : يصدق على الزوجة . والمحب كالتلميذ والمريد بالنسبة إلى الشيخ المعلم المربى .

(٣) الخلة لفتح الخاء : الحاجة من جوع أو عطش أو عرى .

(٤) الشرور والدواهى .

عليهم ، والسؤال عن أحوالهم وتقديم ما يمكن تقديمه إليهم من معروف وجميل زيادة على نصرتهم وكف الأذى ، ودفعه عنهم . ويكون إلى الصاحب بالجنب وهو الرفيق الملازم من زوجة أو صديق ، أو تلميذ أو مربى بمحض النصح له وتعليمه ، وتحذيره مما يضره مع ملا طفته فى القول والعمل وإكرامه وعدم المساس بكرامته .

ويكون ابن السبيل وهو المسلم الغريب الدار الذى لا يعرف إلا فى الطريق يكون بإرشاده إذا ضل وتأمينه إذا خاف وإطعامه إذا جاع وإعانته إذا احتاج .

ويكون إلى العبد المملوك وسواء كان مملوكا حقيقة كالجوارى والعبيد أو كان خادماً وهو حر كالعمال المعروفين اليوم فإن كان مملوكاً كان الإحسان إليه بإطعامه وكسوته مما يطعم أهل البيت ومما يكتسون وبعدم تكليفهم مالا يطيقون وإن كلفوا بما يشق[1] عليه أعين عليه وإن كانوا عمالاً بأجور يومية أو أسبوعية أو شهرية فالإحسان إليهم يكون بحسن القول لهم والهش فى وجوههم ، ودفع أجورهم فى مواعيدها كاملة وافية غير منقوصة مع احترامهم والاعتراف بكرامتهم وتقدير جهودهم .

وأخيراً وبعد هذا العرض والاستعراض للدين الإسلامى بمحاوره الثلاثة من الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، فهل لنا أن نصدر حكما صحيحاً بأن المسلمين اليوم هم مسلمون حقاً وصدقاً . أو هم مسلمون ادعاء ونطقاً ؟ وبدون مجازفة نقول : إن حكماً عاماً على كافة أفراد المسلمين بأنهم مسلمون حقاً أوغير مسلمين لا يصح ولا يجوز بحال وإنما الحكم الصحيح : أن كثيرين من أمة الإسلام آخذون بمقادير مختلفة من شريعة الإسلام فمنهم المكثر ومنهم المقل ويتفاوتون فى السعادة والكمال فى الدنيا والآخرة بحسب تفاوتهم فى الأخذ من الإيمان والإسلام والإحسان كما أن كثيرين من أمة الإسلام ليس لهم من الإسلام إلا النسبة إليه والنسبة لا تغنى شيئاً ولا تغير من الواقع شيئاً أيضاً فهل أغنت النسبة عن المسلمين فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر حيث غزا ديارهم الكفار واستعمروها وساموا المسلمين الخسف وأذاقوهم مر العذاب ، ولو كان المسلمون يومئذ مسلمين حقاً لما سلط الله عليهم عدوهم فاحتل ديارهم واستحل أموالهم واستباح حرماتهم إذ جُل المسلمين كما هو اليوم لا يصدق عليهم لفظ المسلمين إلا بتسامح وتجوز ، وبيان ذلك فيما يلى :

---

(١) لحديث (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم) إلخ . متفق عليه .

١ ـ فساد العقيدة الإسلامية فى نفوسهم إذ انقلبت عقيدة التوحيد إلى عقيدة [1] الشرك إذ دعوا غير الله واستغاثوا وذبحوا ونذروا لغير الله وحلفوا بغيره وعظموا سواه حيث اتخذوا من أضرحة الأولياء وقبورهم وما بنى من قبات باسمهم وحتى الأشجار والأحجار اتخذوها آلهة من دون الله يفزعون إليها عند الشدائد ويلوذون بها عند الحاجات ذبحوا لها الذبائح وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور، حلفوا بها وتحابوا وتعادوا من أجلها.

٢ ـ تضييع الفرائض وترك الواجبات وإماتة السنن وإحياء البدع، فقد تركت الصلاة ومنعت الزكاة وعق الوالدان وقطعت الأرحام.

٣ ـ انتهاك حرمات الشرع إذ شاع بينهم الربا وفشا الزنا، وظهرت السرقة وانتشر التلصص، وعم الاحتيال والغش فى البيع والشراء.

٤ ـ عطلت أحكام الشرع، وتعدى على حدوده ونكست رايات الجهاد وعم الأمة الهرج وكثر فيها الدجل.

٥ ـ فسدت الأخلاق وقلت الآداب فقل الحياء وكثر الخناء، وانعدم الصدق وقل الوفاء اختفى الكلم الطيب من الألسن وظهر الفحش عليها، والسوء والبذاء.

هذا وما ذكرنا أقل بكثير مما لم نذكر، والبرهنة الصادقة والتدليل الصحيح على صحة ما ذكرنا من فساد انتظم أمة الإسلام فى القرنين المذكورين هو استيلاء أمم الشرق والغرب عليها ووضعها تحت نير استعمارها ترزح تحته عشرات السنين ومع تحررها فى النصف الأخير من القرن الثالث عشر فلأنها ما زالت مهيضة الجناح ذليلة مهانة لا يرهب لها، ولا يحسب لها أدنى حساب بين الأمم والشعوب وذلك نتيجة ماتعيش عليه فى الجملة من فسق عن أمر الله، وخروج عن طاعة رسول الله وتعطيل لشرع الله وإعراض عن ذكره هذا وما ينتظرها من كوارث ومحن أكثر مما حل بها ومما تعانيه من فقر وفرقة وذل وهون ودون إلا أن يتداركها الله جل جلاله بلطف منه ورحمة فيوقظ نائمها، ، ويرد غائبها ويحيى ميت عقولها فتتوب إلى الله وترجع إليه فتوحد صفوفها وتجمع كلمتها وتبايع خليفتها وتعمل جادة فتصلح مافسد، وتبنى ما انهدم، وتعوض ما فات وتتبوأ مكانها فى إصلاح البشر وهدايتهم وقيادتهم وهم أحوج ما يكونون إليها اليوم حيث اضطربت نفوسهم

---

(١) هذا الفساد وإن لم يكن عاماً فإنه قد انتظم ثلاثة أرباع الأمة أو أكثر.

واحتارت عقولهم ، ورجعوا من حضارتهم التى بنوها على أكتاف وكواهل المستضعفين من المسلمين المستعمرين ورجعوا منها عطاش الأرواح جياع النفوس سقمى العقول يقتلهم الإعياء وينهك أبدانهم التعب والنصب ، ولا مخرج لهم من محنتهم هذه إلا بالإسلام لله رب العالمين وبالدخول فى دينه الحق الإسلام الصحيح والحياة عليه عقائد وعبادات وآداب وأخلاقاً وقوانين وشرائع .

والسؤال الآن : إن كانت أمة الإسلام فى ضعف وفى محنة وتنتظرها محنة أشد قد تودى بحياتها بالمرة فهل إلى خروج مما حل بها وينتظرها من سبيل ؟

والجواب : نعم هناك سبيل قويم متى سلكته فى جدية وصدق خرجت من محنتها وأمنت فى مستقبلها بإذن ربها تعالى . وبما أن أمة الإسلام اليوم عبارة عن ثلاثة قطاعات :

القطاع الحاكم والقطاع المحكوم وهو محكوم من دولة مسلمة أو دولة كافرة ، ولكل قطاع من هذه القطاعات الثلاثة نبين سبيل نجاته وسعادته وكماله متى سلكه كما قدمنا فى صدق وجدية . وهذا سبيل :

القطاع الأول (الحاكم)

إن الطريق إلى نجاة الحاكمين فى بلاد المسلمين وسعادتهم يتمثل فى النقاط الأربع التالية :

١ ـ الاعتراف التام بأن ما عليه جُلُّ حكام المسلمين هو خطأ وباطل وليس بحق ولا صواب حتى يقروا عليه ويرضى عنهم به وإنما هو خطأ وباطل لا يجوز قبولهما ولا الإقرار عليهما ، وذلك هو حكم المسلمين بدون رضاهم وبغير شرع ربهم الذى يكفل نجاتهم وسعادتهم فى كلتا حياته الأولى هذه والآخرة الآتية بلا ريب .

٢ ـ الاعتراف التام بأن الاستمرار على الخطأ والباطل اللذين يكتنفان حياة المسلمين اليوم سيؤدى حتماً إلى أن يشاء الله إلى زيادة شقاء أمة الإسلام وضعفها وذلها وهوانها ، إذ من السنن الكونية أن الاستمرار على الخطأ والباطل لا يؤدى إلى تفاقم الشر والفساد ، وازدياد الضعف والنقصان فى حال المسلمين حاكمين ومحكومين وقد ينتهى بهم جميعاً إلى الدمار والفناء .

٣ ـ الإيمان بوجوب تدارك الموقف ، وتصحيح الوضع للنجاة أولاً ولعودة حياة العزة والكرامة والعدل والرحمة والصفاء ثانياً ، ومعنى هذا أنه التوبة المأمور بها فى قول الله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا** ﴾ (١) وفى قوله تعالى ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ (٢) .

وهى توبة تشمل كل مظاهر الحياة بين المسلمين فيستبدل الدنس بالطهر ، والفساد بالإصلاح والظلم بالعدل ، والشر بالخير ، والخطأ بالصواب والقانون بشرع الله ، وكل السيئات بالحسنات ظاهراً وباطناً .

٤ ـ اجتماع الملوك والرؤساء العرب والمسلمين أو من قبل منهم بمبدأ التوبة هذا وتاب ، اجتماعهم فى المدينة النبوية عاصمة الإسلام الأولى وذلك لا تخاذ القرارات الأربعة التالية :

أ ـ الإعلان عن اتفاق المؤتمرين على ضرورة عودة الحياة الإسلامية فى ديار المسلمين عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وحكماً ونظاماً وشرعاً من أجل إنقاذ المسلمين كل المسلمين مما حل بهم ونزل بديارهم من الضعف والذل والهون والدون .

ب ـ تكوين لجنة موسعة من علماء الشريعة فى البلاد الإسلامية وأن يعهد إليها بوضع الدستور (٣) الإسلامى لأمة الإسلام على أن تؤخذ كل بنوده ومواده نصاً وروحاً من الكتاب والسنة والفقة الإسلامى المستنبط من الوحيين فى عصر الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين .

جـ ـ الإعلان عن استئناف الحياة الإسلامية فور صدور القرارات الأربعة والبدء الفعلى فى تطبيق الشريعة الإسلامية فتقام الصلاة إجبارياً بين كل أفراد الأمة الإسلامية وتجبى الزكاة شرعية عامة فى كل المزكيات وتمنع الخمور شرباً وصنعاً وإصداراً وتوريداً وبيعاً وشراء منعاً باتاً ويقام الحد على من يشربها ويعزر كل من يهربها إلى ديار المسلمين .

وتلتزم (٤) المرأة المسلمة بحجابها الإسلامى فتلبس السابغ الطويل الذى لايصف ولا

---

(١) التحريم . (٢) النور .

(٣) سبق أن وضعت رسالة تحت عنوان الدستور الإسلامى ورفعتها إلى الحكام .

(٤) كل هذه المطالب حق ولا تقوم الدولة الإسلامية إلا عليها وقد استعرضت الحياة الإسلامية فى رسالة اسمها الدولة الإسلامية فلتراجع .

يشف ، وتنتقب إن خرجت من دارها ولاقت الرجال الأجانب فى طريقها أو عملها .

ويمنع اختلاط الرجال بالنساء منعاً باتاً فتعيش المرأة مستورة طاهرة بعيدة عن أعين الرجال الأجانب عنها ويطهر الإعلام من الكذب والتضليل ومن المثيرات للغرائز من صورة ورواية ومزمار وغناء وعرض للنساء ، وذلك فى كل الصحف والمجلات والإذاعات والتلفاز والفيديو ويمنع التصوير إلا من ضرورة وتوقف فوراً جميع المعاملات الربوية فتحول البنوك إلى خزائن مال إسلامية تتعامل مع المواطنين على أساس الإسلام فلا ربا ولا احتكار ، ولكن إنماء واستثمار ، أو حفظ وادخار ، ويتعقب الملاحدة فى بلاد المسلمين ويضطرون إلى العودة إلى الحياة الإسلامية حياة الإيمان والعمل الصالح ، وترك الخبث والكفر والباطل والفساد والشر . من رضى منهم بالحياة الإسلامية يهنأ ، ومن لم يرض يحكم فيه السيف إذا هو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان .

هـ ـ الإعلان عن موعد بدء تنفيذ مواد الدستور والأخذ بها وتطبيقها ساعة الفراغ من وضعه ، وتقديمه لأعضاء مؤتمر القمة الإسلامى الذى انعقد أول مرة .

فيبدأ بتعيين إمام المسلمين ، ومجلس حكومته المكون من ممثلين صالحين لكل الأقاليم الإسلامية التى رضى حكامها وشعوبها بالوحدة الإسلامية ، والدستور الإسلامى والحياة الإسلامية حياة القوة والعزة والكرامة والطهر والخير والعدل والرحمة .

ثم بالتطبيق الحق الصادق لكل مواد الدستور وبنوده شريعة وسياسة ، وبكل صدق وجد وإخلاص لله تعالى . هذا هو السبيل لنجاة وكمال وسعادة الحكام والمحكومين معا . ألا فليتحرروا من أسر الأهواء والشهوات وليستعينوا بالله تعالى وليسلكوه فإنه حقاً سبيل كمالهم وسعادتهم بعد نجاتهم وخلاصهم .

ولنعلم أخيراً ــ والله الذى لا إله غيره ولا رب سواه ــ إنه لا نجاة لأمة الإسلام حكاماً ومحكومين مما هى فيه من حيرة وقلق ، وضعف وعجز ، ولا مما يتوقع لها من كوارث وويلات ، إلا بسلوك هذا السبيل والسير فيه إلى نهايته بجد وصدق ووالله إنه لا ينتهى بها إلا إلى السعادة والكمال ، وعد الله ومن أنجز من الله وعداً قال تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً** ﴾ (١) .

---

(١) سورة النور .

قد أنجز الله تعالى هذا الوعد لأصحاب رسول الله ﷺ ، وأنجزه لكل من آمن به حق الإيمان وعمل صالحاً صدقاً وحقاً من أمة الإسلام فى فترات عديدة من تاريخ الأمة الإسلامية وآخر من تم له ذلك الملك عبد العزيز غفر الله له فقد أنجز الله تعالى له وعده فكون مملكة سادها العدل والأمن والطهر ، الأمر الذى لم يحصل لأحد فى عصره قط على كثرة الدول والحكومات فى الشرق والغرب .

القطاع الثانى [1] وسبيل نجاته

إن المراد من القطاع الثانى من أمة الإسلام هو الشعب المسلم الذى فى بلاد الإسلام ويحكمه حكومة وطنية لا تطبق فيه شرائع الإسلام ولا تسوسه بسياسة الإسلام ومن جراء ذلك انتشر فيه الفساد وأصاب منه العقيدة ، والعبادة والخلق فساءت أحواله لذلك وأصبح عرضة للهلاك والخسران فى الدارين فسبيل نجاته ونجاة كل شعب مسلم حاله كحاله ، هو تشكيل لجنة فى كل مسجد من مساجد القرى والأحياء السكنية فى المدن ، وتتكون اللجنة من عمدة الحى أوشيخ القرية وإمام المسجد ومدرسه ورجل من أعيان الحى أو القرية يطلق عليها اسم لجنة القرية أو الحى .

مهام اللجنة

ومهام هذه اللجنة لجنة القرية أو الحى التى تقوم بها هى ما يلى :

١ ـ إجراد إحصاء عام لسكان الحى أو القرية لمعرفة الأفراد وأسرهم وأعمالهم وعناوينهم : لأجل زيارتهم والاتصال بهم ومعرفة أحوالهم لمعونتهم عند حاجتهم إلى ذلك .

٢ ـ تربية وتعليم كافة أفراد الحى أو القرية رجالاً ونساء بواسطة الدروس التربوية التعليمية التى تلقى فى المسجد مساء كل يوم فيما بين صلاتى المغرب والعشاء ، ومن قبل

---

(١) التعبير بالقطاع فيه تجوز ولولا أنه اشتهر بين الكتاب والمتكلمين اليوم لما كان يحسن التعبير به وما دامت العبرة بالمدلول لا بالدال فلا خير .

مدرس المسجد وواعظه المختص بذلك . تفقد كافة أفراد القرية أو الحى ومعرفة أحوالهم من صحة ومرض ، وغنى وفقر ، واستقامة ، وانحراف ، وتقديم العون والمساعدة لهم عملاً بمبدأ الأخوة [1] الإسلامية وحكم الجيرة والمواطنة وتنفيذاً لأمر الله وطاعته فى قوله تعالى من سورة المائدة :

﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ .

٣ ـ الإصلاح بين المتخاصمين ومساعدتهم على حل مشاكلهم بطريق الشرع مالم تستعصى المشكلة فتحال إذاً إلى المحاكم البلدية المختصة بذلك .

٤ ـ تأديب من يخل بأوامر الشرع أو يعبث بالآداب الإسلامية التى يجب أن يعيش عليها المواطنون المسلمون وبحسب حال المواطن يكون التأديب ، ولا يكون إلا بعد تقديم النصح والإرشاد له وتعليمه بما ينبغى له ، ويجب عليه ، والإعذار إليه .

٥ ـ إنشاء صندوق مالى فى الحى أو القرية ، ومساهمة كل مواطن فيه بقدر معين بحسب حاله يساراً وإعساراً على أن يكون [2] حسبة لله تعالى بمعنى أن القدر الذى يسهم فيه الفرد المواطن ينوى به ثواب الآخرة ، لا مردود الدنيا ولذا يجوز أن توقف الأوقاف على هذا الصندوق حيث إن مصارفه هى مصارف البر والإحسان وإن كان خاصاً بأهل الحى أو القرية ومن مصادر تنمية هذا الصندوق الزكاة الواجبة وصدقات التطوع والنذور الشرعية وما إلى ذلك .

مصارف الصندوق الخيرى :

يصرف المجتمع من مال صندوق البر فى وجوه الإحسان بين أهل الحى أو القرية فيداوى منه المريض ويطعم منه الجائع ويكسى منه العارى ويواسى به المنكوب والمصاب من يتامى وأرامل وعجزة وذوى العاهات .

٦ ـ زيادة فى تقوية أواصر المحبة والإخاء بين سكان الحى أو القرية يفتح صندوق مالى يحفظ فيه المواطنون الزائد من المال على حوائجهم الضرورية وينمى لهم بواسطة

---

(١) هذا المبدأ مأخوذ من قول الرسول ﷺ : (المسلم أخو المسلم) رواه أبو داود وهو حسن وحديث (حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس) متفق عليه . والمراد أن يسلم عليه ويعوده فى مرضه إلخ .

(٢) الحسبة : الاحتساب وهو أن يعمل العمل ولا يرجو إلا ثواب الله تعالى فى الدار الآخرة .

فتح متجر رابح فى القرية أو الحى أو إنشاء مصنع منتج أو إيجاد زراعة مغلة مثمرة ، وتكون الأرباح والخسائر إن كانت بحسب المقدار الذى يضعه المواطن بسمة الربح والتنمية وأما من وضع ماله لمجرد حفظه فإنه يحفظ له بلا ربح ولا وضيعة إذ هو أمانة أذن فى التصرف فيها طلباً للأجر فهى محفوظة له مضمونة يتسلمها كلا أو بعضاً متى شاء بلا وكس [1] ولا مماطلة .

٧ ـ فتح معهد مهنى بحسب حال القرية أو الحى قوة وضعفا يتعلم فيه أبناء المواطنين وبناتهم بعض المهن اليدوية التى تساعدهم على اكتساب العيش في عزة وكرامة .

٨ ـ فتح نادى رياضى ليزاول فيه أبناء القرية أو الحى الرياضات الإسلامية المختلفة كالسباحة والرماية والمسابقة تقوية لأبدانهم وتنمية لأفكارهم وعقولهم إذ العقل السليم فى الجسم السليم كما قيل .

وبعد فهذه أهم الواجبات التى تقوم بها لجنة الحى أو القرية المكونة فى المسجد ، وهى مهام لعمر الله جديرة بالتقدير والاحترام ومتى قامت بها اللجنة وتمت على أحسن وجوههما فإنها تكون مثلا عالياً للإصلاح البشرى النابع من روح الإخاء الإسلامى ، والتعاون الإيمانى المحقق للسعادة والكمال بعد الإنجاء من الهلاك .

القطاع الثالث وسبيل نجاته

القطاع الثالث من قطاعات أمة الإسلام الثلاثة هو الجاليات الإسلامية التى توجد فى بلاد الكفر وهى إما دخلتها مهاجرة للعمل والعيش فيها وإما أفراد اعتنقوا الإسلام فيها فكونوا جماعات يعيشون تحت لواء الكفر لتعذر الهجرة إلى بلاد الإسلام عليهم وعدم إمكانها فى هذه الظروف فهذه الجماعات سبيل نجاتها وسعادتها وكمالها يتمثل فى اتباع الخطوات التالية :

١ ـ تكوين هيئة [2] علياً يمثل كل عضو فيها دولة من الدول الإسلامية فى العالم الإسلامى .

(١) الوكس : النقص والخسارة ، والمما طلة تأخير سداد الدين بعد وجوبه .

(٢) سبق لى أن دعوت إلى تكوين هذه الهيئة العالمية لمساعدة الجاليات الإسلامية فى بلاد الكفر على الإبقاء على إسلامهم مع تنميته ونشره فى ربوع تلك البلاد الكافرة جاء ذلك فى رسالة (من المسئول عن ضياع الإسلام) .

٢ ـ وضع ميزانية تسهم كل دولة إسلامية فيها بقسط معين بحسب قدرتها المالية قوة وضعفاً على أن لا تتخلف أية دولة عن الإسهام فى هذه الميزانية المشتركة بحال من الأحوال حتى ولو تجمع قسطها من مواطنيها بطريق التبرع أو الضرائب الملزمة .

٣ ـ دمج جمعيات كل إقليم من الجمعيات الإسلامية فى جمعية واحدة تتولى إدارة كافة المؤسسات الإسلامية من مساجد ومدارس ومكتبات وأندية رياضية فى ذلك الإقليم ، على أن تشرف عليها الهيئة العليا للدعوة الإسلامية والمحافظة على الإسلام بين أهله خارج بلاد المسلمين .

٤ ـ مهام الهيئة العليا تنحصر فى جمع مال الميزانية وإعدادها من الدول الإسلامية الصغيرة والكبيرة والغنية والفقيرة على حد سواء ، وتوزيعها وصرفها على الجمعيات الإسلامية الموجودة فى خارج البلاد الإسلامية بمقادير تتفاوت بحسب العمل الإسلامى فى ذلك الإقليم قوة وضعفاً وقلة وكثرة كما تقوم بالإشراف العام على سير العمل الإسلامى فى كل إقليم فيه جماعة إسلامية وتقدم التوجيه اللازم والإرشاد المطلوب لسير العمل الإسلامى واطراده ونمائه فى تلك الديار .

٥ ـ مهام كل جمعية تنحصر فى التالى :

أ ـ بناء المساجد وإعمارها بالأئمة والمؤذنين والمدرسين والوعاظ المرشدين .

ب ـ إنشاء المدارس الدينية لتعليم أصول الدين الإسلامى وفروعه وذلك بحسب حال المسلمين كثرة وقلة .

جـ ـ تقويم نفوس المسلمين وتزكيتها ، وتهذيب أخلاقهم وترقيتها لتبلغ الكمال الخلقى ، والتهذيب النفسى المطلوب للمسلم القدوة الذى يدعو إلى اللّه تعالى بلسان حاله كما يدعو بلسان قاله ، والأول أبلغ من غيره إذ هو الغاية الشريفة والمقصودة من تنظيم العمل الإسلامى فى ديار غير المسلمين لأن الدعوة الإسلامية التى كانت واجبة بالجهاد والبيان قد أصبحت اليوم بالمقال وحسن الحال لا غير ولم يبق من معنى للسلاح ، أو أكبر بلاد العالم مفتوحة للدعاة المسلمين ، والناس يدخلون فى الإسلام أفواجاً أو أفراداً لا سيما فى أوربا الغربية وأمريكا واليابان .

د ـ توحيد المنهج التربوى والتعليمى بين سائر الجمعيات فالعقيدة لا تكون إلا سلفية

للإجماع على نجاة صاحبها والفروع تكون على منهج الوحى الإلهى . قال اللّه تعالى قال رسوله ﷺ فتقرر وتدرس الكتب التى على غرار منهاج المسلم[1] وذلك لتوحيد قلوب المسلمين وأعمالهم ، والبعد بهم عن الفرقة والخلاف ، ولطلب النجاة لهم والسعادة فى الدارين .

هـ ـ إبعاد الجماعات الضالة والمضلة من ساحة العمل الإسلامى فى تلك الديار مثل البهائية والقاديانية ، والشيعة والروافض الإسماعيلية ، والطرق الصوفية الغالية فى التصوف من غلاة الحلولية والباطنية ، وذلك بإظهار ضلالها وتحذير الناس منها والحيلولة بينهم وبين الاتصال بهم طلباً لنجاة الناس من شر هذه الفرق الضالة والمحسوبة على الإسلام وهو براء منها .

على نحو من هذه الخطة يمكن بفضل اللّه تعالى العمل فى حقل الدعوة الإسلامية خارج ديار المسلمين فيحفظ لمسلمى الجاليات فى تلك البلاد إسلامهم نامياً مطرد النماء والانتشار بين سكان تلك الديار وبذلك تبرأ ذمة المسلمين من واجب الدعوة إلى الإسلام بين أمم العالم وشعوبه . وفى نفس الوقت يكمل إسلام المسلمين بها ويحسن ويصبحون أهلاً للنجاة والفوز فى الحياتين : الدنيا والآخرة .

وأخيراً فإنى بكتابتى هذه الرسالة وطبعها ونشرها ووضعها بين يدى المسلمين حاكمين ومحكومين أكون قد أديت واجبى وأبرأت ذمتى واللهم اشهد فقد بلغت .

وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين !

* * *

(١) كتاب وضعناه منذ زمن نفع اللّه به المسلمين شرقاً وغرباً لأنه وضع على أساس قال اللّه تعالى قال رسول اللّه ﷺ لا على التعصب المذهبى !! .

*وُجِدَتْ في الطبعة الأولى بعض الأخطاء المطبعية ـ الغير مقصودة ـ لذا وجب التنبيه عليها.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	٣	إنقاذ	إنفاذ
	٤	بوسواسة	بوسواسه
١٨	١	ـــــ	هذه
١٩	١١	بين الناس	أن تحكموا
		فاحكموا	
٢٤	٢٥	لاينافى	لا يتأتى
٢٥	٥	البقرة	سورة
٤٨	١٠	درى	تدرى
٥٩	٢	الخامس ة	الخامسة
٦٣	١٢	الثامن ة	الثامنة
٩٨	٢٧	لحمكمة	لحكمة
١٠٢	٧	دسُّوا	دنسوا
١٠٤	٢٠	اله	الله
١٠٨	١٦	وحدة	وحده
١٣٢	٤	ممن	من
٢٠٠	١٩	كأن لك يكن	ذلك لم يكن
٢٠٧	١٦	الصنودق	الصندوق
٢١٧	١٨	الم سألة	المسألة
	١٨	فى ها	فيها
٢١٨	٩	ولكن	ولكنهم
٢٤٦	١٧	يريد	يزيد
٢٤٧	٧	الرء	المرء
	١٠	بنمى	ينمى
٢٥١	١٠	يبح	يبيع
٢٥٤	٢٥	وأذكى	وأزكى
٢٦٣	١٣	بزعزة	بزعزعة
٢٦٨	١	والية	والليلة
٢٧١	١٥	محمدًا	وأن محمدًا
٢٨١	١٩	نَقلهُ	نَقَلةُ
٢٩٢	٨	للمؤمين	للمؤمنين

الصفح	السطر	الخطأ	الصواب
٢٩٤	١١	ع	تحذف
٣٠٠	٦	وتدعى	وتدَّعى
٣٠٤	٢٣	جناع	جناح
٣٠٥	٤	جناع	جناح
٣٠٩	١	**وليضربن**	**وليضربن**
	١٠	**يضربن**	**يَضْرِبْنَ**
٣١٤	٢٠	ويرد	وبرد
	٢٣	يبدين	لايبدين
٣١٥	٣	خمَّت	فى زمن خمَّت
٣١٦	٢	إلا يكون	إلا أن يكون
٣٢١	١٤	الراهبات	الرائبات
٣٢٧	٢١	الفوز قال	الفور قال
٣٢٩	٢٢	أسام	الأيام
٣٣١	١٩	هل	هلا
٣٣٢	٣	نبيهم	نبيهم ﷺ
	٢هامش	دخولهماالنار	دخولهم النار
	٢	تعديبهم	تعذيبهم
٣٣٣	١٨	نمزح	نمزج
	ـ	٢٣٣	٣٣٣
٣٣٧	١٩	معاصر العلىَّ	معاصراً العلىَّ
٣٤٠	١٤	شيفع	يشفع
٣٤٤	١٤	يتهون	يتهمون
٣٥٤	١٢	ال عذر	العذر
٣٥٥	١٨	أمثلتة	أمثلته
	١٩	و فى	فى
٣٥٦	٤	نص حوا	نصحوا
٣٥٧	٢	المت عمد	المتعمد
٣٦٠	١	تطه ر	تطهر
٣٦٣	٩	رحمه	رحمة
٣٨٣	٢٢	سمكاه	سماه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٨٥	٥	والحساب	والعلوم
٤٩٥	١١	مثلة	مثله
٤٩٨	٣	لم	لما
٥٠١	٤	الإحاح	الإلحاح
٥٠٨	١٤	تل ك	تلك
٥٠٩	١	به م	بهم
٥٤٩	١٥	لم	لمن
٥٥١	٩	الضبع	البضع
٥٦٥	١٣	م فارقة	مفارقة
	١٩	لف افات	لفافات
٥٧١	٦	كبيرة	كبيره
٥٧٦	٩	الزجال	الرجال
٥٧٩	١٥	عل	على
٥٨٦	٩	عندهم فهم	فهم عندهم
	١١	وذى	وهى
٥٨٨	٢	الناس	الناس اليوم
٥٩٠	٧	كلها	كلها الروحانية
٥٩٥	١٢	والإضرار	والإصرار
٥٩٨	١٧	فالسشهادتان	فالشهادتان
	٢١	أجل	أخل
	١	ورجاد	ورجاء
٦٠١	٥	تعظيمة	تعظيمه
	١١	من	تحذف
٦٠٢	٩	أعلامة	لتبقى أعلامه
	٩	من	حماية له من
٦٠٦	٦	ويكون ابن	ويكون إلى ابن
٦١١	١٧	: لأجل	لأجل
	١٨	إجراد	إجراء
	٢هامش	فلا خير	فلا ضير

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢٢٤ / ١٩٩١